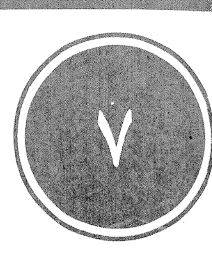


السنة الحادية عشرة
يوليو ١٩٧٥





طريق المناضلين الى الفكر الثورى المعاصر

○ من «أوراق الحكيم» الخاصة

○ تحقيق أدبى من سوريا

فيتناميات فلسطينية

■

السؤال : تعدد أحزاب أم تعدد منابر ؟

توفيق الحكيم واليسار ◄ بحثا عن الطريق المصرى الى الاشتراكية

د. عزيز صدقى ◄ قصة السوفييت مع مصر

■ دولة المؤسسات فى الفكر والواقع [الرأى الآخر]

■ « لا » بمنطق الرأسمالية المستنيرة

ضرب اليسار من « اليسار » : محاولة لدراسة حالة د. فؤاد زكريا

ملحق الأدب والفن



مجلة شهرية

تصدر أول كل شهر

رئيس التحرير :

لطفى الخولى

مدير التحرير :

ابو سيف يوسف

سكرتير التحرير :

مصطفى سامى

المحررون :

حسين شعلان
خيرى عزيز
د. رفعت السعيد
عبد المنعم الغزالى
فاروق عبد القادر
وديع امين

د. محمد الخفيف
شارك فى تاسيس الطليعة
واسرة تحريرها
يناير ١٩٦٥ ــ مارس ١٩٧٢

الفهرس

العدد السابع ــ السنة الحادية عشرة ــ يوليو ١٩٧٥

ص



ان [الطليعة] ميدان مفتوح لكل راى حر وفى اعتقادنا ان تفاعل الاراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع ان يبلور ويستخلص وحـدة فـكرية اصيلة .

من هذا المفهوم تفتح [الطليعة] صفحاتها لكل راى لديه كلمة يقولها ــ مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى اطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر [قـد اختلف معك فى الراى ولـكنى على استعداد لان ادفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رايك] ..

كلمـة من « الطليعـة »

في بريد « الطليعة » اكثر من رسالة مست بعمق ، وبكل الود ، قلوب اعضاء اسرة التحرير .

فقد جاء فى احدى هذه الرسائل :

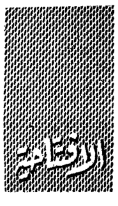
« اعزائى ... اعتـذاركم عن رفـع السعر مقبول .

« وحتى ولو تضاعف ، فليس بالخبز وحده نحيا . « [ولا تهنوا ولا تحـزنوا وأنتم الاعلون] » .

هذه السطور التى تضمنتها رسـالة المواطن سيد محمد مسحه ناظر مدرسة ابو عياد الابتدائية ــ محافظة دمياط ،اذا كانت قد علمتنا شيئا ، فهو ، ان نتوجه، ونصر على التوجه دائما الى القراء فى كل ما يتعلق « بالطليعـة » من قضـايا ومشاكل .

وهذا فى الواقع مايدعونا الى ان نطرح على قراء « الطليعة » واصدقائها قضية مدها بالاعلانات . والواقع ان المجـلة ليست ــ من حيث المبدا ــ ضد ان تنشر اعلانات . وكل ما هنالك أنها واعية بان قراءها واصدقاءها يعرفون ان نوعية هذا الاعلان لا يمكن ان تتعارض مع رسـالة المجلة ومع الخط الذى تلتزمه فى كتاباتها .

أسرة تحرير « الطليعـة »



فيتناميـــات فلســـطينية

لم يكن شروق الانتصار الفيتنامي ؟ فجر ٣٠ ابريل سنة ١٩٧٥ ؟ سهلا .. فلك ان دفع نظـام ســايجون العميل الى هوة الغروب ، والامريكان الى طائرات وسـفن الهروب .. كانا من أشـق المهمـات التي واجهتها حركة تحرير وطنية في التـاريخ ، وأكثرها صعوبة على الاطلاق .

ولم يحـدث ان عاني « الانســان في التـاريخ » خلال حرب مزدوجة الطـابع [عدوانيـة من جـانب وتحررية من جانب آخر] من الالام والتضحيات ، قدر ما عاني في حرب فيتنام .

ولم تعم البهجة باخمـاد نيران حـرب محدودة ، منذ عام ١٩٤٥ ، على نحو واسع وعميق ، كأنها حرب عالميـة ، مثلما حدث عندما انتزع الشـعب الفيتنـامي النصر والحرية والسلام . وكانت بهجة شـعوب البلدان التي انطلقت منهـا جحافل الغزو ؟ لا تقـل ـ حجمـا ـ عن بهجة الشـعب الصغير الذي صمد للعدوان حتى قهره .

الصعوبة والالم والبهجة ، سمات مميزة للصراع الطـويل الامـد ، بين الشـعب الفيتنـامي وقـوى الامبرياليـة العـالمية والرجعية المحلية . ومن هنا يصبح طبيعيا أيضا أن تتسم الكتابة عن « ملحمة البطولة الفيتنـامية » ، بالصـعوبة والالم والبهجة معـا .

عن الصـعوبة :

تنبع الصعوبة ، من كون الكاتب مطالب بأن يكثف ـ في عدد محدود من الكلمات ـ تاريخ صراع مكعب الحجم والنوع ، اذا صح التعبير ، امتد ، في مرحلته الاستراتيجية

الاخيرة ، على مدى ثلاثين عاما بلا انقطاع تقريبا ، تخللته حربان عالميتان بكل ويلاتهما واصطدم الشعب الفيتنامى على أرضه اصطداما حادا ومباشرا ، بثلاث من أضخم القوى العدوانية فى التاريخ المعاصر ، هى : الامبريالية الفرنسية ، والامبريالية اليابانية ، والامبريالية الامريكية ، فضلا عن احتلال قوات الكومنتانج الصينية . وفى بعض الاوقات كان الشعب الفيتنامى يلتحم - بقتاله المسلح والسياسى - مع امبرياليتين فى وقت واحد .

فى السنوات من ١٩٤٠ الى ١٩٤٥ ، حارب الشعب الفيتنامى كلا من الامبرياليتين الفرنسية واليابانية تحت شعار : « قاتلوا الفرنسيين ، اطردوا اليابانيين » . وفى الفترة التى تلت ذلك وحتى معركة « ديان بيان فو » الشهيرة فى سنة ١٩٥٤ ، كان الشعب الفيتنامى يتصدى ببسالة منقطعة النظير لكل من الامبرياليتين الفرنسية [بطريق مباشر] ، والامريكية [بطريق غير مباشر] ، وذلك قبل ان تنزل الولايات المتحدة بكل ثقلها العسكرى والاقتصادى والتكنولوجى بصورة لم يسبق لها مثيل ، الى الميدان فى مواجهة شعب صغير فقير ، مثخن الجراح ، متخلف ماديا وتكنولوجيا .

والصعوبة ، كذلك ، لها وجه آخر ، يتبدى عند محاولة تتبع استراتيجية وتكتيكات حركة الثورة الفيتنامية ومراحلها المختلفة المتلاحقة ، والتى اعتمدت - وفقا لتعبير « لى ذوان » السكرتير الاول للحزب الشيوعى الفيتنامى - على « فن الجمع بطريقة جدلية بين ثبات المبدأ ومرونة السياسة » .

وقد تمت ممارسة هذا « الفن الثورى » بصور وأشكال متنوعة ومبتكرة ، من خلال تعامل جسور مع تناقضات الواقع المتحرك أبدا .. المتغير ابدا .. المتجدد ابدا ..

ولهذا حق « للجنرال جياب » وزير الدفاع وقائد قوات جيش التحرير الفيتنامى أن يقول : « ان تجربة النضال الثورى فى بلادنا ، ضمن ظروف تاريخية جديدة ، قد أسهمت اسهاما أصيلا فى تطوير النظرية الماركسية اللينينية حول الكفاح المسلح ، وخاصة فيما يتعلق بكون الكفاح الثورى هو ترابط ديالكتيكى بين الكفاح المسلح والنضال السياسى . وقد اتخذ احيانا شكل العمل السياسى ، واحيانا أخرى شكل الحرب الثورية الطويلة المدى ، واحيانا اخرى شكل انتفاضة شعبية شاملة ، بينما فى أحيان أخرى تم الجمع فى وقت واحد بين كل تلك الاشكال النضالية . هذا هو بالتحديد ما نعنيه حين نقول ان الانتفاضة الشعبية وحرب الشعب فى بلادنا ، هما تطوير لمفهوم العمق الثورى » .

مع ثبات المبدأ الاستراتيجى ، ومرونة الحركة ، خاضت الثورة بقوة احتمالها وصبرها ووعيها - ما أسماه لى ذوان - « طريق النضال » ، من الخطوات الاولى حتى الهدف النهائى . وهو طريق يمر بكثير من المراحل التى تزخر بالصعوبات والتعقيدات المليئة بالمنحنيات والمنعطفات . وذلك من اجل ان تزيل عقبة بعد أخرى ، وان تغير بالتدريج ميزان القوى بين الثورة والثورة المضادة ، حتى يتحقق التفوق الشامل ... ان معرفة كيفية كسب النصر خطوة خطوة بطريقة متعقلة ، تعنى دفع العدو الى الخلف وانتزاع نصر بعد آخر للثورة ، والتقدم لالحاق الهزيمة الكاملة بالعدو ، وتأمين النصر الكامل للثورة » .

أليس هذا « سيناريو » كاملا ودقيقا لحركة احداث الثورة ، من أول مشهد حتى آخر مشهد ، جرى تنفيذه حرفيا وباحكام شديدين .

عجبا .. هل تملك الثورات ضمن ما تملك ، طاقة غيبية على التنبؤ بما سيكون ؟

لا .. السؤال على هذا النحو مغلوط ومضلل .

الصحيح ، الذى أكدته عشرات التجارب ، ان الثورات الاصيلة ، رغم ما قد يبدو على الجانب المرئى منها فى بعض الاحيان من ضعف وهزال ، الا ان الغاطس منها يتمتع دوما بقدرات على العطاء والتجدد دون ما حد .

ومن هنا تكتسب الثورات قوة حية ، هى قوة الحياة نفسها . وذلك بتعبيرها التنظيمى الديمقراطى عن ارادة ومصالح الجماهير الشعبية .. وخاصة الطاقات المستقبلية منها . وتستطيع بادراكها بقوانين حركة التاريخ الاجتماعية ، ووعيها بحقيقة الظروف وتناقضاتها الرئيسية والفرعية ونقاط الضعف فى جبهة العدو ، أن تتنبأ بأرجح الاحتمالات توقعا فى الغد ، وبالتالى تكون — على الدوام — أسبق من العدو فى الحركة وفى التحكم باتجاه الاحداث . ولهذا يصدق تحليلها وتصيب أهدافها على نحو يبدو « للغير »وكأنه « معجزة » حينا « وضربة حظ أسطورية» حينا آخر . وكلما كان اقتحامها للواقع ، علميا وخلاقا ، من أجل التغيير الكمى والكيفى بتعقل ودون غرور ، كان امتلاكها للمستقبل حقيقة واقعة ، وهو ما برح جنينا فى بطن الحاضر .. الصعوبة اذن ، هى فى مواكبة دقيقة لهذا النفس الطويل الذى تمتعت به الثورة الفيتنامية . . ومتابعة مراحل الصراع الرهيبة التى دارت بين اسلوب « الخطوة خطوة » الثورى ،وبين أسلوب «الخطوة خطوة» الاستعمارى الرجعى .

والسؤال الذى يواجه الكاتب دائما هو :من أين يبدأ ؟

● هل يبدأ — مثلا — منذ قيام المناضل والمفكر الثورى العظيم « هوشى منه » بتأسيس « جمعية الشبيبة الفيتنامية » عام ١٩٢٥ ، وعزوفه — وهو الماركسى اللينينى حتى أطراف أصابعه — عن تكوين الحزب الشيوعى الفيتنامى وقتذاك .. لماذا ؟... لان تأسيس الحزب البروليتارى قبل ان تتوافر الظروف الموضوعية لذلك ، من شأنه ان يؤدى الى تقسيم الحركة الوطنية . ولذلك كان يلزم قبل كل شىء ، انشاء تنظيم ثورى انتقالى ، يعمل على انضاج الظروف الموضوعية ، وتجميع اكبر قدر من طاقات المثقفين أبناء البرجوازية الصغيرة والعاملين المنتجين فى الزراعة والصناعة — مخزون الحركة النضالية فى كل بلد متخلف ومستعمر — لتلقيح الطبقات الشعبية ثوريا ، وللتعليم بشكل جماعى ، ومن خلال الكفاح اليومى ، على فهم قوانين الاشتراكية العلمية ، وتطبيق مبادئها على الواقع الفيتنامى ... ؟

● أم ترى ، يبدأ الكاتب مع بداية قيام الحزب الثورى عام ١٩٣٠ ، متخطيا الانقسامات بين الجماعات الماركسية الثلاث والاتجاهات والتكتلات التروتسكية والثورية الخيالية ، ذات الطابع البرجوازى الصغير المغامر ... ؟

● أم ينطلق من لحظة تكوين « سوفييت نجى — تنه » ، بعد اضرابات عمال مزارع المطاط فى « تام بو » [فبراير ١٩٣٠] ، ومصانع النسيج والكبريت فى « باك بو » [مارس ١٩٣٠] ، والتى راحت تتسع حتى شملت الطلبه والفلاحين وصغار التجار ، وأخذت حركة السوفييتات تنتشر فى كل أنحاء فيتنام ، وتنظم داخلها كل القوى الثورية والوطنية ، من أجل القيام بثورة وطنية ديمقراطية ، تستهدف « الاستقلال .. والارض لمن يزرعها » ، وما يتبع ذلك من بلورة نواة جيش فلاحى — عمالى تحتضنه الجماهير ، ويقوده الحزب ، وتنمو فى بوتقته عبقريات عسكرية فذة مثل الجنرال جياب والجنرال دونج ... ؟

● أم يتخذ نقطة الانطلاق من ثورة أغسطس سنة ١٩٤٥ ، التى أطاحت بالاحتلال اليابانى واستولت على « هانوى » وأقامت فى ٢ سبتمبر سنة ١٩٤٥ أول

جمهورية ديمقراطية شعبية فى تاريخ فيتنام .. أم يتراجع بهـذه النقطة الى معركة « ديان بيـسـان فو » ، التى كانت قبراللاستعمار الفرنسى ؟ .. أم مؤتمر جنيف للسلام فى سـنة ١٩٥٤ ، الذى عصف بهعدوان البنتاجون ، كما عصـف بعد ذلك باتفاقيات مؤتمر باريس للسلام فى سـنة١٩٧٣ ، حيث راح يتصـاعد فى طاقاته التدميرية وقواته المحاربة التى بلغت حوالى المليون جندى ، مجهزين بأحـدث أسـلحة الترسانة الامريكية ، منذ أوائل الستينات ؟

مع كل نقطـة بداية ، يؤثرهـا الكاتبويشرع فى تتبع مسار الحركة الى النقطة التى تليهـا ، يواجه غابة من التفاصـيلوالانعطافات الصغيرة والكبيرة ، لكل منها دور ووظيفة .. فأيها يدع وأيها يختار ؟ ..وجميعها — من زوايا مختلفة — تكشف عن تلك القوة العقلانيـة الخـلاقة للانسـانالفيتنـامى والعم هوشى منه ، التى هزمت فى النهاية كمبيوتر وبانتـاجون ومخابراتالقوة العدوانيـة الرهيبة للولايات المتحدة والعم سـام .

أمام هذا الرصـيد الثورى البالغ الثراءيواجه الكاتب مشقة الاختيـار والموازنة ، وتبدو الصعوبة ، تضـية علمية عويصة ،وليست رد فعل عاطفى لانتصار « الناموسة الفيتنـامية » على « الفيـل الامريكى » فىأطول وأقـذر حرب عرفتهـا بلاد التجرر الوطنى .

عن الألـــم :

الالم يعتصر الكاتب عصرا ، وهو يطالعـ مجرد مطالعة — كشف حساب هـذه الحـرب . ليس فقط بالنسـبة للجـانبالفيتنـامى المعتدى عليه الذى انصب على رأسه من القنـابل — على حد تقدير مجلة« ديرشـبيجل » الالمانية الغربيـة — ثلاثة أضعاف ونصف ضعف ما ألقى فى الحربالعالمية الثانية كلها ، وانما أيضا بالنسـبة لشـعب الجـانب المعتدى ، سـواء أكانفرنسيا أم يابانيا أم أمريكيا .

واذا قصر الكاتب اطلاعه على كشـفحساب الحرب فى سنواتها الخمس عشرة الامريكيـة الاخـيرة ، فان الاحصـاءاتالرسمية الامريكية ، تقدم له بعض الارقام المذهلة لخسارة الولايات المتحدة وشعبها :٦٥ ألف قتيل ، و ٢٠٠ ألف جريح ومشوه ، و ١٥٠ مليار دولار .. هذا فضلا عن الاثارالجانبية الموجعة : ارتفاع معدل التضـخم الى حـد قيـاسى ، تقـزيم الدولار وقيمتهالعملاقة الى حد لم يسبق له مثيل ، واتساع هـوة البطـالة التى تلتهم اليـوم أكثر من٨ ملايين أمريكى قادر على العمل ، وزيادة عدد الامريكيين الذين يعيشـون على حـافةالفقر والجـوع الى حـوالى ٣٠ مليـون شخص .

ويجمـع المراقبـون — بمـا فى ذلكالامريكيون — ان هذه الاحصاءات الرسمية لا تمثل الا « ثلث » الحقيقة المفزعة .

أما على الجانب الفيتنامى ، فان الخسائرتبدو من الهول والضـخامة ، بحيث لم تنج منها أسرة واحدة أو شبر واحد من أرض اوبنـسـاء : ملايين الهكتـارات من الاراضى الزراعية أحرقت ، ومئات المـدن والقرىدمرت ، وثلاثة ارباع المصـانع والمرافق الرئيسية خربت ، وخمسمائة الف شهيد ،عدا ثلاثة ملايين من الجرحى والمشوهين .

باختصار .. كانت الخسارة فى الجانبالامريكى ، كالعدوان ، أسطورية ، وكانت الخسارة فى الجانب الفيتنامى ، كالثورة ،اسطورية أيضا .

عن البهجـــة :

حين اقتحمت طـلائع جيش التحـرير« سايجون » ، تفجرت الالام والتضـحيات عن بهجة عارمة ، من نوع فريد .. « بهجةفيتنـامية » ، تقوم على أسـاس ان الثمن الفادح الذى ظل الشعب يدفعه بسخاء ، لم يذهب هباء ــ كما وعدت الثورة منذ ثلاثين عاما ــ فى نهاية المطاف الدامى .

والحق ان لحظـة سقوط سـايجون ، كانت من اللحظات النادرة فى تاريخ العالم ، التى رفرفت فيهـا اجنحة البهجة داخل كل صدر انسانى بلا تمييز أو تفريق ، فبقـدر ما كان الشعب الفيتنامى سعيدا بانتصاره التاريخى ، كان الشـعب الامريكى يتنفس الصعداء لخلاصه من « كابوس الحرب التى بلا قاع » ، والذى أغرقه فيـه التحالف المالى ــ العسكرى المسيطر على البلاد .

ووجدت شـعوب العالم الثالث والعالم الأشتراكى والجماهير الديمقراطية بالعالم الغربى ، فى تحرير فيتنام ، أحد انتصاراتها التاريخية فى صراعهـا الذى ما زال ممتدا مع قوى الامبريالية والاستغلال والعنصرية والعدوان . ذلك ان نجاح الثورة الفيتنامية قد احـدث تغييرا كيفيا فى علاقات القوى داخـل هـذا الصراع ، قـوى التحـرر والاشتراكية والسلام .

عن الطريق الفيتنامى ــ الفلسطينى

داخل هـذا الاطـار العـالمى الجديد ، احست الثورة الفلسـطينية على وجـه التحديد بنفسها : ذاتيا وموضوعيا ، حاضرا ومستقبلا ، فهى الوجه النضـالى العربى الشرق أوسطى ، المقـابل للوجه الفيتنامى الاقصى شرقى .

قبل ساعات من سقوط سايجون ، كتب « **نجـوين هوتو** » رئيس اللجنـة المركزية لجبهة التحرير الفيتنـامية ورئيس الحكومة الى « **ابو عمـار** » رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة تحرير فلسطين ، يقول :

« ان شـعب جنوب فيتنـام الصديق ، القريب لشعب فلسطين ، مسرور للنجاحات المجيدة التى حققتموها ، ويؤيد تأييدا كاملا نضال شعب فلسطين من أجل اسـتعادة كل حقوقه المشروعة .

اننا ننتهز هذه الفرصـة لنعرب لكم عن شكرنا القلبى ولشعب فلسـطين ولمنظمة التحرير الفلسـطينية اللذين يؤيدان تأييدا مستمرا نضال الشعب الفيتنامى العادل ، ويسهمان بتحقيق الانتصار العظيم وتحرير كامل جنوب فيتنام » .

وحينما استولى الثوار الفيتناميون على « سايجون » ، أعلن « أبو عمار » ، باسـم الثوار الفلسـطينيين الذين ما زال طريقهم الى القدس طويلا وصعبا .. مؤلما وبهيجا : « تحرير سايجون قرب خطواتنا من تحرير القدس » .

ولم يكن هـذا مجرد مجـاملة فى حدود علاقات الدبلوماسـية الثورية القائمة بين الثورتين ، وانما كان ترجمة واعية لحقيقة ان العـدو الرئيسى للثوار فى فيتنـام وفلسطين واحـد ومشـترك : الامبريالية الامريكيـة ، وان الكيـان الاسرائيلى هو الوجـه الاخر للنظـام العميل المنهـار فى سايجون ، رغم ما هنـاك من اختلاف فى التفاصيل والجزئيات .

لست ممن يميلون الى اجراء مقارنات ميكانيكيــة بين الثورات ، فالثورات أعمال انســانية أصيلة بطبيعتها ، والاصيل لا يتكرر ، لكن من طبيعة الاعمال الانسانية الاصيلة أيضا ، أن تتبادل التأثير والخبرات وانجازات كل منها تكمل بعضــها بعضا . ومن هنا يتكون الرصيد الثورى المشــترك حضاريا ــ للانســانية واتجاه حركتها العامة .

وفى بعض الحــالات تتداخــل دوائر الاتصــال والتفاعل على نحــو عميق بين ثورتين ، وذلك نتيجة ظروف موضــوعية وتاريخية معينة تجمع بينهما وتربط مصــير كل منهمــا بالاخــرى : الثورة الفرنســية والثورة الامريكية قبــل قرنين من الزمان ، والثــورة المصرية عــام ١٩١٩ ، والثورة الهندية .. الثورة المصرية عام ١٩٥٢ فى انتصاراتها وانتكاساتها ، وعدد من الثورات الافريقيــة والاســيوية بانتصــاراتها وانتكاساتها .

بهذا المفهوم ، استطيع ان اقرر ، ان مثل هــذا التداخل الموضــوعى والتاريخى امر واقع ، بالنســبة لكل من الثورة الفيتنامية والثورة الفلسطينية فى عالمنا المعاصر .
فيتنام « جــزء » من « كل » ، هو الهند الصينية التى تمتد لتشــمل بالاضــافة الى شطرى فيتنام ، كمبوديا ولاوس .

فلســطين « جــزء » من « كل » ، هــو الامة العربيــة الممتدة فى ترابط آســيوى افريقى .

فيتنام ، تحتل موقعا جغرافيا استراتيجيا فى منطقة جنوب شرق آســيا ومواصلات واسواق المحيط الباسفيكى .

فلسطين ، أيضا ، تحتل موقعا جغرافيا استراتيجيا فى المنطقة العربية خاصــة ، ومنطقة الشرق الاوسط عامة ، ومواصلات واسواق البحر الابيض المتوسط .

فيتنام الجنوبية ، ظلت قاعدة عســكرية عدوانية فى شكل دولة ذات نظام عميل تابع للولايات المتحدة ــ بعد فرنســا ــ مسخر لخدمة استراتيجيتها ومصالحها فى السيطرة على موارد المنطقة من بترول وقصــدير ومطاط ويورانيوم .

وفلســطين الاسرائيليــة ــ اذا صــح التعبير ــ ما برحت منذ سنة ١٩٤٨ قاعدة عسكرية عدوانية فى شكل دولة عنصرية عميلة تابعة للولايات المتحدة بعد بريطانيا ، مسخرة لخدمة استراتيجيتها ومصالحها فى السيطرة على موارد البترول فى المنطقة ، التى تختزن ثلثى الاحتيــاطى المعروف حتى اليوم فى العالم .

الثورة الفيتنــامية ، تعرض وجودها فى البلدان الشــقيقة والمجــاورة مثل لاوس وكمبوديا . الى الحصار ومؤامرات الابادة .. وبلغ الامر حد تفجير الحرب الاهلية كما حدث فى كمبوديا .

الثــورة الفلســطينية ، تعــرض ، ــ ــ ومايزال ــ وجودها فى البلدان الشقيقة والمجاورة ، مثل الاردن ولبنان الى الحصار ومؤامرات الابادة . ويبلغ الامر ، اليوم ، حد تفجير حرب أهلية فى لبنان .

الثورة الفيتنامية ، ثورة تحرر وطنى ، اختطت طريق الكفــاح المســلح وتتســع بثوريتها فى انحاء المنطقة وتكسب ــدادوليا مميزا .

الثورة الفلسطينية ، ثورة تحرر وطنى ، سارت على درب الكفاح المسلح ، تتسع منذ سنة ١٩٦٥ ، بثوريتها فى أنحاء المنطقة وتكسب باطراد بعدا دوليا مميزا .

ويصل التداخل والتفاعل بين الثورتين ، الى حد انهما تلا ٬ دائما وبصفة استثنائية خارج دائرة الانعكاسات السلبية للنزاع الصيني ـ السوفيتي .. كل من الاتحاد السوفيتي والصين الشعبية ، من مواقع مختلفة ، وبدرجات متفاوتة ، يدعمان قوى الثورتين بلا توقف أو تردد .

ونلمس هذا التداخل الحميمي بين الثورتين ، ايضا ، في ظاهرة اصطدام كل منهما بأسلوب استعماري غير تقليدي واكثر ذكاء ـ في المجال السياسي ـ يعتمد على التلويح بامكانية حل الصراع حلا سلميا عن طريق ما يعرف بسياسة الخطوة خطوة ، وذلك بهدف استخدام عامل الزمن ـ سلبيا ـ في هز ثقة الثورة بهدفها الاستراتيجي وحصارها في اطار المكاسب التكتيكية الجزئية . والملاحظ ان الثورتين الفيتنامية والفلسطينية تمكنتا ـ كل في مجالها ـ من ابتكار سياسة خطوة خطوة ، ثورية ومضادة . تستهدف استخدام عامل الزمن ـ نضاليا ـ في انهاك العدو واستنزافه من خلال عمليات جزئية ، تجره الى طريق مسدود عسكريا ، في نفس الوقت الذى تدفعه الى مأزق دولي سياسي ..

من هنا ، يبدو الطريق الفيتنامي ـ الفلسطيني ، واحدا ، موضوعيا وتاريخيا .. وان تفرع عند نقطة معينة الى اتجاهين جغرافيين ، احدهما الى سايجون ، والاخر الى القدس . في سايجون يقيم الفيتناميون ـ اليوم ـ دولة الوحدة الديمقراطية الاشتراكية .. وفى القدس يقيم الفلسطينيون ـ غدا ـ دولة الوحدة الديمقراطية بلا تميز عنصرى أو ديني .. وهذا وحده هو الحل الممكن والسلمي في كل من الشرق الاقصى والشرق الاوسط .

● ● ●

نعم .. الطريق صعب ومشحون بالالام .. لكنه مزروع مع ذلك بالفرحة والبهجة .

لطفي الخولي

كلمة « الطليعة »

لا .. بمنطق الرأسمالية المستنيرة أيضا

مرة اخرى ، تعود « الطليعة » الى مناقشة قضية طرح أسهم بعض شركات القطاع العام للبيع على العاملين فيها اولا ، ثم على « الجمهور » بعد ذلك . وهى الشركات التى يشترك فى رأسمالها بالفعل ــ رأس المال الخاص جنبا الى جنب مع القطاع العام .

وفى العدد الماضى ، ناقشت « **الطليعة** » هذه القضية ، من منطلق تقدمى واشتراكى يحرص على أن يظل القطاع العام هو القطاع القائد فى داخل الاقتصاد القومى .

وفى هذه الكلمة سوف نناقش حجج المطالبين بطرح الاسهم للبيع من منطلقات المنطق الرأسمالى نفسه ، **منطق الاجراءات الرأسمالية السليمة والمستنيرة ذاتها** .

١ ــ والحجة الاولى التى تقال ، هى توفير السيولة لشركات القطاع العام .

والرد على هذه الحجة بسيط ، وهو انه من الثابت من حسابات القطاع العام لدى البنوك أن هناك فائضا فى السيولة ــ بشكل عام . والازمة التى تواجهها بعض شركات القطاع العام ليست لها اى صلة بالسيولة المتاحة . وحتى اذا وجد نقص فى السيولة عند بعض الشركات ، فان اسبابه معروفة ويمكن علاجها .

وحتى اذا افترضنا أن شركات القطاع العام فى حاجة الى سيولة ، فالاصل فى النظم الاقتصادية [**الرأسمالية**] **السليمة** ، أن تغطى مؤسسة ما حاجتها الى السيولة **بالاقتراض من البنوك** .

٢ ــ ولقد يقال اننا نحتاج الى السيولة لزيادة الاستثمارات .

لكن المنطق الرأسمالى السليم يقول : ان زيادة الاستثمارات لاينبغى أن تتم الا عند الحاجة لزيادة الاصول الثابتة للمشروع ، أى أن الزيادة فى رأس المال النقدى تقابلها او يجب ان تقابلها بالضرورة زيادة فى رأس المال العينى .

ولكن ، اذا كانت الشركة محتاجة الى زيادة رأسمالها لتزيد اصولها الثابتة ، فلابد ــ هنا ايضا ــ من اتباع **الطرق الرأسمالية المتواضع عليها** . ونضرب لذلك مثلا ، شركة مصر للغزل والنسيج بالمحلة الكبرى . ففى عام ١٩٤٧ احتاجت هذه الشركة الى تجديد آلاتها . وكانت تحتاج الى مبلغ معين [٤ ملايين جنيه] . وكان المتصور ــ مثلا ــ ان تبادر الشركة الى أن تطرح شركة المحلة اسهما جديدة . لكنها لم تفعل ، واكتفت بطرح سندات ذات فائدة .

[ومن المفروض ان السندات تستهلك بعد مدة معقولة]

هنا نتساءل : لماذا لم تطرح شركة المحلة - اذ ذاك - اسهما جديدة ؟ لسبب بسيط هو : المحافظة على مصالح المساهمين القدامى . فلو أنها كانت قد طرحت اسهما جديدة فمعنى ذلك ، ان صاحب السهم الجديد كان سيأخذ نفس حقوق المساهم القديم ويستفيد - بدون وجه حق - من كل الاعباء التي تحملها المساهم القديم . وفى مقدمة هذه الاعباء : عنصر المخاطرة أى ان المساهم الجديد كان سيأخذ - على البارد وبدون وجه مشروع [من وجهة نظر المنطق الراسمالى] حقوقا لا تبررها أية اعباء تحملها هذا المساهم الجديد ، وذلك من واقع انه لم يتحمل بالفعل اية اعباء من أى نوع بازاء المشروع .

وفى حالتنا هذه ، فان الدولة هى التى تملك القطاع العام . وهى التى تحملت عبء انشائه ، وعبء تجديد آلاته ، وتحملت اكثر ، اعباء سنوات ما قبل الإنتاج . فكيف نبيع - اذن - أسهم هذا القطاع الى شخص طبيعى لم يشترك فى أعباء المخاطرة والانشاء والادارة والتجديد . ان معنى هذا أننا نعطيه - بدون وجه حق - ثمرة جهد وعرق العمال والمهندسين والمديرين . فهل نفعل هذا لمجرد ان لديه فائضا من المال يريد ان يشترى به الاسهم ؟ اذا فعلنا ذلك فاننا نعطيه ميزة على مواطن لا يملك ، فى حين أن جميع المواطنين لهم نفس الحقوق فى القطاع العام ، أى قطاع الدولة سواء كانت دولة اشتراكية أم راسمالية .

٣ - فاذا افترضنا - بعد ذلك - ان هناك مشكلة سيولة - وقد قلنا انها غير موجودة على الصورة المبالغ فيها جدا - واذا قلنا انه من الضرورى أن نجذب المدخرات من تحت « البلاطة » . فلماذا لا نحل المشكلة بان تطرح شركات القطاع العام **سندات** تستهلك فى ١٠ او ١٥ سنة . وحتى تكون هذه السندات مغرية للمدخرين فانه يمكن أن يكون لها عائد مزدوج ، يمكن مثلا :

- أن يضمن لها عائد ثابت ٣ او ٤ فى المائة .
- أن يكون لها - فى الوقت نفسه - عائد تكميلى يتوقف على أرباح الشركة .

ومن المهم هنا أن نؤكد على الفرق بين حامل السند وبين حامل السهم . فالاول لا يتدخل فى الادارة . أما الثانى فشريك أو يعتبر نفسه شريكا . فاذا توسعنا فى طرح أسهم شركات القطاع العام فلسوف تتغير - حتما - طبيعة الملكية العامة التى نص الدستور على أنها أحد أشكال ثلاثة للملكية فى مصر ، الى جانب الملكية التعاونية ، والملكية الخاصة . اننا سنكون **امام تغييرات هيكلية** تدخل على بنية الاقتصاد المصرى من باب خلفى . **ومثل هذه التغييرات لا يمكن أن تتم - بمنطق الديموقراطية ، وبحكم الدستور نفسه - الا فى استفتاء عام .**

فأما ما ذكرته لجنة مجلس الشعب المكلفة بالرد على بيان الحكومة « من أن الشركة تظل قطاعا عاما اذا اسهمت فيها الدولة بأى نصيب ، فهذا رد شكلى ، لان الحياة تؤكد لنا فى كل يوم أن من يملك المال يملك أن يفرض النفوذ .

٤ - ثم نأتى الى الحجة الخاصة **بالحوافز** . وهنا قد يقال : ان تمليك العاملين جزءا من أسهم الشركة يحفزهم على زيادة الانتاج لانه يربط - بكيفية مباشرة - بين مصالحهم المادية المباشرة وبين مصالح الشركة .

لكن هذه الحجة لا تقف على رجليها لان القوانين القائمة فيها الكفاية فيما يتعلق بالحوافز . اذ هى تضمن توزيع ٢٥ فى المائة من أرباح المشروع على العاملين . واذا كان ما يصرف من هذه النسبه فعليا هو ١٠ فى المائة فقط ، فليس من الضرورى أن تصرف النسبة الباقية نقدا ، وسوف يقتنع العاملون بذلك تحت دافع الاحساس الوطنى من خلال معرفة مصالحهم الحقيقية . ويتم هذا ، اذا اقتنع العاملون بأن الشركة ستوزع عليهم النسبة الباقية فى شكل خدمات أساسية كالاسكان ، ودور الحضانة ، والمدارس وتوفير المواصلات ، هنا سيتغير الموقف بلا شك .

ولكن ماذا عن زيادة الحوافز بالنسبة للمواطنين العاديين غير العاملين فى الشركة ؟

الواقع أن بيع أسهم شركات قطاع عام ناجحة هو فى العرف القانونى : « **حالة اثراء بلا سبب** » . لان هذا البيع يعتبر بمثابة « هدية » تقدم لبعض المواطنين ، ولا تقدم للبعض الاخر وهم الاغلبية الساحقة . فضلا عن أنه لا مبرر لبيع أسهم شركة ناجحة . ومصلحة المساهمين الاساسيين تتطلب عدم البيع ، والمساهم الاساسى هنا - كما قلنا - هو الدولة . ومن هنا ، فان هذا الاجراء لن يؤدى فى التطبيق الا الى زيادة الفوارق بين الطبقات ، والاصل - وفقا للمواثيق - هو تذويبها لا مفاقمتها .

٥ - وأخيرا ، نأتى الى الحجة التى أشار اليها تقرير **لجنة مجلس الشعب** فى ردها على بيان الحكومة . فنحن نقرأ :

« ان اشراك العاملين فى ملكية رأس مال الشركات يتيح لهذه الشركات أن تجمع بين ميزات الادارة العامة والخاصة ، حيث يترتب عليه ايجاد جمعية عمومية حقيقية . وهذا يهيىء مجالا كبيرا للرقابة والمحاسبة » [ص ٧ من التقرير] .

والرد على هذا بسيط . لاننا نسأل :

أيهما أقدر على مباشرة الرقابة على أعمال الشركة : العاملون فيها ، ليلا ونهارا ، وفى كل مستوياتها وأقسامها ، أم المواطنون العاملون بعيدا عنها ؟ والجواب : انهم العاملون فيها .

اذن فما هى المشكلة ؟

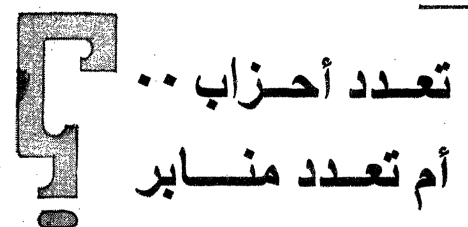
المشكلة ليست هى ان العاملين فى الشركة عاجزون أو خائفون من فرض رقابة فعالة . كما انهم ليسوا - ولا يمكن بحال - أن يكونوا متواطئين على اخفاء الانحرافات والنواقص فى العمل ، ولكن متاعب شركات القطاع العام ترجع - عموما - الى نوعين من الاسباب :

● أسباب فنية : نقص الادارة العلمية ، وغياب التخطيط ، وزيادة العمالة ، وارتفاع التكاليف ، وانخفاض مستوى التدريب .. الخ

● أسباب من نوع سياسى واخلاقى ، وتتمثل فى غياب التثقيف الاشتراكى وبالتالى ، انخفاض الوعى بالحرص على المال العام واحترامه وحمايته واعتباره من المحرمات . فنحن نتحدث - ونسرف فى الحديث أحيانا - عن غياب المثل الاعلى الاخلاقى ولكننا لم نضع - بشكل جدى - اجهزة الاعلام والثقافة والتعليم ، فى الوضع الذى يقنع الناس بأن المثل الاعلى فى الوطنية والاخلاق هو مثل المواطن الذى يؤتمن على المال العام والملكية العامة فيحافظ عليها محافظته على حبات عيونه .

« الطليعة »

السؤال:



منذ أن طرحت ورقة أكتوبر لتطوير الاتحاد الاشتراكى - والحوار دائر بين مختلف الاتجاهات حول اعادة بناء الاتحاد الاشتراكى باعتباره البناء التنظيمى الذى حددت مواثيق يوليو - ميثاق العمل الوطنى وبيان ٣٠ مارس وبرنامج العمل الوطنى انه الشكل التنظيمى الذى يجسد صيغة تحالف قوى الشعب العامل .

وقد شاركت الطليعة فى الحوار الدائر منذ تفجره قبل طرح ورقة اكتوبر. وتقدم الطليعة دراستها حول الحوار الدائر حيث ترصد مختلف الاراء المطروحة من قبل اليمين واليسار ومختلف الاتجاهات المشاركة فى الحوار.

ويشترك فى هذه الدراسة - كمال رفعت وفيليب جلاب وحلمى ياسين وحسنين شعلان و د . رفعت السعيد ومحمد سيد أحمد .



نحـــو جبهـــة وطنيـــة صـــلبة

كمال الدين رفعت

الحرية ليست مجرد ملكة يتمتع بها الانسان ، دون أن يساهم فى خلقها وتحقيقها . فالانسان لا يوجد الا اذا أختار نفسه بحرية عاملا على خلق ذاته بذاته . والعمل على تجاوز ما هو عليه بالفعل ، والاتجاه نحو حالة اخرى تضمن له تجاوز موقفه الحاضر . وهذه هي طبيعة التطور فى الحياة . لذلك فان قضية الحرية مرتبطة بمدى ما يحققه الانسان من تطور فى حياته السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية ، ولا يمكن ان تظل مرتبطة بمفاهيم ثابتة او موروثة بعيدة عن حقائق الحياة . والا حكم الانسان على نفسه بالفشل والجمود . فمفاهيم الحرية فى مجتمع السادة والعبيد ، غيرها فى مجتمع سيطرة الطبقة البورجوازية ، غيرها فى عصر الثورات الاجتماعية وانتشار المبادىء الاشتراكية . فكل جديد يضفى على الحرية معان جديدة ومفاهيم جديدة تجعلها دائما قضية متحركة مرتبطة اشد الارتباط بقضية التحرر . فالحرية ليست مجرد حرية ابداء الرأى والعقيدة والاجتماع .. الخ . وغيرها مما تحويه الدساتير المختلفة .. بل أصبح من الضرورى أن يتحرر الانسان من الخوف وأن يشعر بالامان فى المجتمع الذى يعيش فيه ، وأن يتحرر من الفاقة والحاجة ، بل عليه ايضا أن يتحرر من الجهل باعتباره أكبر عائق يمنعه من ممارسة حريته الحقيقية ، لانه قد يصبح عبدا لحفنة من المحظوظين الذين أتيحت لهم فرصة العلم والمعرفة .

لذلك أصبحت الحرية الاجتماعية هى الاساس الذى تقوم عليه الحرية السياسية . بل أكثر من ذلك أصبح من الضرورى العمل على توسيع قاعدة العمل السياسى والاجتماعى حتى تتسع بالتالى القاعدة الديموقراطية فى المجتمع ، وتقتلع جذور البيروقراطية من أجهزة الدولة المختلفة . فان ممارسة الحرية والديموقراطية يجب ألا تقتصر على طبقة ، او فئة ، أو على مستوى معين فى المجتمع ، خصوصا فى عصرنا الحاضر – عصر ثورة العلم والتكنولوجيا – الذى يتميز بتعقيداته المختلفة والذى تتخذ فيه القرارات بواسطة القلة المتخصصة فى كل مجال . من هذا المنطلق يجب أن نناقش مستقبل الحرية والديمقراطية فى مجتمعنا ، بعيدا عن أى جمود فكرى أو انتماءات مسبقة ، واضعين فى الاعتبار حقوق الافراد السياسية والاجتماعية ، ومن أننا «بلد نام» له ظروفه السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية . فى نفس الوقت الذى يواجه فيه تحديات خارجية تحاول الحد من انطلاقاته والتأثير على بنائه الداخلى وعلاقاته العربية والدولية .

تعــدد الاحزاب

وبالرغم من تبلور مناقشات ورقة تطوير الاتحاد الاشتراكى التى جرت فى سبتمبر سنة ١٩٧٤ الى ضرورة التمسك بصيغة تحالف قوى الشعب العامل ، بحيث أصبحت القضية شبه محسومة ،

فقد بدأت فى الاونة الاخيرة بعض الاراء تهاجم هذه الفكرة وتدعو الى عودة الاحزاب السياسية باعتبارها الشكل الديموقراطى المناسب لمرحلة الانفتاح الاقتصادى ، وهم فى هذا يتكلمون عن مفاهيم جامدة ورثناها عن أجيال سابقة عجزت عن أن تحرر ذاتها وبالتالى فقد عجزت عن تحرير وطنها سياسيا واجتماعيا واقتصاديا • وازاء هذا العجز تريد أن تعيد عقارب الساعة الى الوراء ، كى تبدأ من حيث فشلت لا من حيث نجح غيرها • ان هؤلاء يعيشون بعقليات القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، وبمفاهيم الثورة البورجوازية التى حلت محل الطبقات الاقطاعية ، وبهدف تحقيق مصالح طبقية على حساب الاغلبية الساحقة من الجماهير • ويرون أن ذلك كفيل بعودة نظام الاقتصاد الحر الذى تكون فيه أهم وظائف الدولة هى « حماية الذين يملكون من الذين لا يملكون » •

ويقول انصار هذا الاتجاه أن الذين يعارضون عودة الاحزاب هم أعداء الحرية ، لانهم يخافون الحرية • فى الواقع انه من السهل التلاعب بالشعارات وخداع الجماهير بها • اننا اليوم غير سنة ١٧٨٩ حين قامت الثورة الفرنسية ، وهدمت نظاما قديما وبدأت مرحلة جديدة من الحرية •• فالحرية الاقتصادية اليوم أصبحت تقف حجر عثرة فى طريق الحرية السياسية الحقيقية ، وذلك نتيجة النفوذ الكبير لرأس المال والتجمعات الاقتصادية المنبثقة عن النظم الاقتصادية التى مورست فى القرن التاسع عشر . أين تكون الحرية والديموقراطية اذا كان رأس المال هو المسيطر .. هل تكون هناك حرية حقيقية للصحافة مثلا الا للذين يملكون رأس المال ، أو الذين يعرفون طريق الحصول عليه .. هل تكون هناك حرية للطبقات الكادحة والعاملة اذا كانت هذه الطبقات واقعة تحت وطأة البطالة والجوع ، ولا تستطيع أن تمارس الحرية الا نظريا ؟ •• هل توجد حرية انتخاب •• ونتائج الانتخاب مرهونة بأولئك الذين يملكون الوسائل والسبل التى يستطيعون بها خداع الرأى العام بواسطة المال ؟

ان الحرية والديموقراطية التى نادى بها فلاسفة القرن التاسع عشر لا تصلح اليوم لاقامة مجتمعنا على أسس سليمة •• ومن هنا يجب أن يوضع نظام اقتصادى واجتماعى جديد حتى يتمكن الفرد من ممارسة حريته • وانها لخدعة كبرى ان يخلط البعض بين الحرية الاقتصادية والحرية السياسية • فالمفاهيم المطلقة للحرية الاقتصادية أصبحت غير معقولة ولا مقبولة .. ومفهومنا للديموقراطية السياسية اليوم ، هو ألا يكون للقوى المالية والاقتصادية فرصة التحكم والتصرف فى حياة المجتمع السياسية مرة أخرى •

ولنا أن نتساءل من الذى يستطيع أن يقيم حزبا سياسيا بمؤسساته واداراته وصحافته التى تعبر عن رأيه ، سوى الذين يملكون المال أو الذين يعرفون طريق الحصول عليه • ونحن نعلم أن الاحزاب التى قامت قبل سنة ١٩٥٢ كانت تتنافس فيما بينها لجذب كبار الراسماليين والاقطاعيين والسماسرة الى عضسويتها ، وكل منهم يحتل مكانه فى الحزب بقدر ما يدفع من أموال .. ولو كان ذلك على حساب المناضلين الشرفاء الذين افنوا حياتهم فى خدمة النضال الوطنى ..

لقد تجمعت الاحزاب السياسية عام ١٩٣٦ فى جبهة وطنية بايعاز من بريطانيا حينما أخذت بوادر الحرب العالمية الثانية تلوح فى الافق • ووقعوا معاهدة سنة ١٩٣٦ للمحافظة على مصالح الامبراطورية البريطانية • ولكنها — أى الاحزاب — عجزت عام ١٩٤٦ عن قيادة الحركة الوطنية ضد محاولة ربط مصر بمعاهدة صدقى — بيفن ، مما حدا الى تكوين اللجنة الوطنية للعمال والطلبة لقيادة هذا النضال بعيدا عن أجهزة الاحزاب السياسية التى كانت قائمة •

لا أريد أن أتكلم عن تفاصيل رفض الاحزاب السياسية قوانين الاصلاح الزراعى ، وتحديد الملكية الزراعية ، وتحديد علاقة المالك بالمستأجر وغيرها من القوانين التى نادت بها ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ ، ووقوفها ضدها باعتبارها اجراءات ضد الحرية ، ولا محاولة اقطاب بعض هذه الاحزاب اقناع قيادة الثورة بقبول الانذار البريطانى — الفرنسى أثناء العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ .

ان أولئك الذين يتكلمون عن عودة الاحزاب مرة أخرى ، أحرى بهم أن يطووا هذه الصفحة ، فهى لم تكن مشرفة بأى حال من الاحوال • هذا ومن المعروف أن نظام الاحزاب الذى يطبق فى بلد ذو بناء اجتماعى قديم أو متخلف ، انما يحتفظ ويقوى من نفوذ وسلطان الاوتوقراطية ، بمعنى أنه يمنع قيام الديموقراطية الحقيقية ، بل يؤدى الى قيام دكتاتورية الطبقة البورجوازية •

تحالف قوى الشعب العامل

لا شك ان تصفية الحزب الواحد قد رفضت وحسمت بالاجماع على قيام تحالف قوى الشعب العامل الذى يمثل السلطة الجديدة فى المجتمع بعد سقوط تحالف الاقطاع ورأس المال غير الوطنى • وبعبارة أخرى سقوط دولة الاقطاع ورأس المال وقيام دولة الشعب العامل • ان طبيعة المرحلة الثورية الراهنة هى التى تسمح موضوعيا بأن تتجمع فى معسكر الثورة قوى اجتماعية عديدة تضم أساسا العمال والفلاحين والمثقفين والجنود ، وتلك الاقسام الواسعة من الرأسمالية الوطنية التى تقبل طريق التطور الاشتراكى ، وتساهم فى تطوير الانتاج •

أما القوى المضادة ، فانها تضم سادة النظام القديم الذى كان يقوم على سيطرة طبقة مستغلة تضم بالضرورة الاقطاعيين والرأسماليين الكبار ، وتلك الاقسام من الرأسماليين البيروقراطيين التى تعزل نفسها عن مجرى الثورة فتعادى الثورة وتتشبث بمزاياها الطبقية وترفض سلطة الشعب العامل • ومن وراء هؤلاء جميعا يقف الاستعمار قديمه وجديده .

ان تجربتنا الثورية هى التى أنجبت لنا هذه الصيغة المصرية للسلطة الجديدة ، ابتداء من معركة السويس سنة ١٩٥٦ ، والتى كانت قمة المعارك الوطنية لتثبيت الاستقلال وازاحة السيطرة الاستعمارية ، والتى شاركت فيها كافة القوى الوطنية من عمال وفلاحين ومثقفين بجانب القوات المسلحة ، ثم تأكدت مرة أخرى فى معارك أكتوبر سنة ١٩٧٣ ، الى معركة التنمية الاقتصادية التى فرضت استمرار الثورة على مستوى أرقى • والدور التاريخى الذى لعبته الرأسمالية الوطنية سواء فى الثورة الوطنية وفى تنمية الاقتصاد الوطنى • هذا فى الوقت الذى ظهر فيه قصور التنظيمات الجماهيرية والسياسية عن التحول الى قوة مادية فعالة تجرى التحولات الثورية ، لعدم ارتباطها العضوى والعميق بالجماهير الواسعة • علاوة على أهمية المحافظة على الوحدة الوطنية فى كل مراحل تطور الحركة الثورية ، لانها السلاح الوحيد فى ظروف مجتمعنا — كمجتمع نام — لفرض التقدم وتعبئة الجماهير لمواجهة مشاكلها السياسية والاجتماعية • ان التمسك بهذه السلطة الجديدة ليس مجرد اعلان دستورى ، بل هو فى الاساس اعلان نضالى لاستمرار الثورة • وان التخلى عن هذه السلطة هو بالتالى تسليمها الى تحالف الاقطاع ورأس المال الذى لا يألوا جهدا فى استعادة مواقعه مرة أخرى • ان القواعد الاساسية للسلطة الجديدة تتمثل فى ثلاث قواعد :

قاعدة اجتماعية صلبة من سيطرة الشعب على وسائل الانتاج ممثلة فى القطاع العام الذى يقود عملية التنمية •

قاعدة تنظيمية تؤكد حقيقة أن الشعب العامل لا يملك من سلاح فى نضاله سوى سلاح التنظيم المتمثل فى الاتحاد الاشتراكى العربى •

قاعدة فكرية هى الميثاق الوطنى والبيانات المكملة له كتطبيق معين لمنهج الاشتراكية متطورا على ضوء احتياجات الشعب •

الاتحاد الاشتراكى العربى

ولعل أبرز ما يدور الان من مناقشات ، هو الدور الذى يمكن أن يلعبه الاتحاد الاشتراكى العربى • وأنا لست من المتحاملين كلية على هذا التنظيم ، بل لعل أكثر المنتقدين والرافضين له حاليا هم أكثرهم سعيا الى الانضمام اليه . لا شك انه كان من الممكن ان يقوم التنظيم بدور ايجابى فى تعبئة الجماهير لمواجهة مشاكلها السياسية والاجتماعية ، ولحل كثير من التناقضات الثانوية بين قوى الشعب العامل • ولكن التساؤل الذى كان قائما باستمرار والذى يقوم حاليا ، هل هو تنظيم جماهيرى أم تنظيم سياسى ؟ هل هو مجرد تجميع للجماهير واحتوائها أم العمل على تعبئتها فكريا وسياسيا لمواجهة مشاكل المجتمع • فى الواقع لم تكن هذه المهام واضحة فى اذهان الكثيرين ممن تولوا التنظيم . ومن هنا اتخذه البعض وسيلة للسلطة وتجميع الانصار ، وبدأت جذور البيروقراطية تنمو فى داخله وتعشش فى اروقته ، مما جعله عبئا ليس على القيادة السياسية فحسب ، بل على الجماهير ايضا • هذا بالرغم من أنه قام فى فترات معينة بدور ايجابى وفعال فى اشاعة جو من الحرية والديموقراطية والنقاش الحر كان يمكن أن يستمر ما لم تتكالب بعض العناصر البيروقراطية لاجهاض هذه التجربة الديموقراطية .

ان قوى الشعب العامل بعناصره المختلفة ، والذى يحتويها اطار الاتحاد الاشتراكى العربى ، من المفروض أن تكون على قدم المساواة فى تحمل مسئولياتها الوطنية والنضالية . بل أن قيادة هذا

التحالف يجب أن تكون للقوى ذات المصلحة الحقيقية فى تحقيق الاشتراكية . لا أن يستخدم هذا التحالف لمصلحة فئة معينة تستغل قدراتها الثقافية ومواقعها الاجتماعية لتثبيت مصالح طبقية معينة ، والانحراف بالمجتمع عن الطريق الذى ارتبط به فى مواثيق الثورة . والا اصبح التنظيم فى هذه الحالة مجرد قيد على حرية العناصر الثورية والنشطة والمؤمنة بمبادىء الثورة .

لا شك أن مجتمعنا لازال مجتمعا طبقيا ، وفيه قوى من اليمين واليسار ، وهذه ليست اصطلاحات مستوردة كما يحلو للبعض ان يقول ذلك ، بل هى حقائق لكل من يدرس واقع مجتمعنا على اسس علمية . كما لاتزال هناك كثير من التناقضات القائمة ، بعضها حاد وعميق والاخر ثانوى . ومن المفروض فى مثل هذه المجتمعات الطبقية ان يحدد توازن بين القوى الاجتماعية ، بهدف تحقيق أدنى حد من الديموقراطية ، لان أى خلل فى هذا التوازن قد يؤدى الى صراع مدمر بين هذه القوى الاجتماعية ، يؤدى بالتالى الى سيطرة طبقة بعينها على المجتمع . ومن المفروض أيضا ان تقف السلطة السياسية موقفا غير متحيز لبعض هذه القوى والا انتفت فكرة التزام القيادة السياسية بفلسفة التحالف التى نادت بها مواثيق الثورة ، والتى تهدف أساسا الى اذابة الفوارق بين الطبقات ، وتعبئة الجماهير لمواجهة مشاكلها السياسية والاجتماعية . ان هذا لا يعنى انعدام الصراع بين الافكار المختلفة داخل التنظيم السياسى ، بل هو ضرورى لانه انعكاس للتناقضات بين الطبقات وبين القديم والجديد فى المجتمع . ولا شك أن حياة التنظيم السياسى ستتوقف اذا خلا من التناقضات ومن الصراع الايديولوجى من أجل حل هذه التناقضات . ان السبيل الوحيد لحل جميع المسائل ذات الصفة الفكرية وجميع المواضيع المختلف عليها داخل صفوف الجماهير هو استخدام الاساليب الديموقراطية ــ اساليب المناقشة والنقد والاقناع والتثقيف ، لا اساليب الاكراه والضغط والالزام . ومن هنا تصبح الديموقراطية داخل التنظيم عاملا اساسيا فى تكوين وتثقيف وتدريب العناصر القيادية ، علاوة عن كونها تجعلها تعتمد على التجارب الجماعية من خلال حركة الجماهير ، ولا تعتمد على بعض الاراء الفردية الخاصة . فالمناقشة الواسعة لكل المواضيع الاساسية ، والتقييم الجماعى لجميع القرارات التى تتخذ يعتبران من الوسائل التنظيمية الهامة فى عمل الاتحاد الاشتراكى العربى .

تعــدد المنــابر

لا شك أن تعدد المنابر سيكون مجالا لوجود حوار بناء داخل التنظيم . الا أنه من الضرورى أن تتحد هذه المنابر على أساس فكرى لا على أساس شخصى . وأن يتاح لكل منبر أن يعبر عن رأيه وينشر آرائه على الجماهير بمختلف وسائل الاعلام من اذاعة وتلفزيون وصحافة وكتب .. الخ . لا أن تحتكر هذه الوسائل بواسطة عناصر ذات اتجاه معين ، تنشر آراء من تريد وتغفل آراء الاخرين .

وقد تكرر هذا الامر اخيرا فى مناسبات مختلفة اقربها مناقشات ورقة تطوير الاتحاد الاشتراكى ، ومناقشة سياسة الانفتاح . ان وسائل الاعلام فى مختلف الانظمة السياسية اصبحت مؤسسات قومية حتى فى البلاد التى تطبق نظام تعدد الاحزاب ــ تنشر كافة الاراء ولا تنحاز الى آراء معينة بالذات بل انها تتوخى الصدق والامانة فيما تنشره من أخبار وآراء . ان الانباء الكاذبة أو المبالغ فيها ، والتحريض على القتل وسفك الدماء لن تخدم قضية شعبنا ، بل ستزيد من حدة التناقضات ، وتقضى على فكرة تحالف قوى الشعب العامل .

ان المنابر داخل الاتحاد الاشتراكى ، اذا ما استطاعت أن تؤدى دورها الوطنى بنجاح دون ضغط أو اكراه أو ارهاب ، ستكون نواة لتجمعات سياسية تعمل فى نطاق جبهة وطنية صلبة من قوى الشعب العامل تخدم اهدافنا الوطنية والقومية .

ان كل شىء ناشىء لابد أن يمر أثناء نموه بمشاق وصعوبات . ومن الوهم أن يعتقد المرء أن قضية الاشتراكية يمكن أن تسير فى سهولة ويسر وتنتصر دون ان تمر بمشاق أو صعوبات ، ودون أن تبذل فيها الجهود القصوى .

وعلينا أن نتعلم كيف ننظر الى المسائل من جميع جوانبها ، ليس الى جوانبها الامامية الظاهرة فقط ، بل الى جوانبها الخلفية المستترة أيضا . ففى ظروف معينة يمكن أن يؤدى شىء سىء الى نتائج حسنة ، كما يمكن أن يؤدى شىء حسن الى نتائج سيئة .

صـــورة الاتحـــاد الاشـــتراكى

كما تقدمهـا .. قيـادته

فيليب جـلاب

ردا على تساؤلات مشروعة ومنطقية من اليمين واليسار و « الوسط » حول شكل ومضمون الاتحاد الاشتراكى فى مرحلته الجديدة ، أفاض الدكتور رفعت المحجوب الامين الاول للجنة المركزيةللاتحاد الاشتراكى فى شرح أسس التنظيم الذى يعاد بناؤه من « القاعدة الىالقمة » فأصدر بيانا بمناسبة فتح بابالعضوية ، وكتب اكثر من مقال فى أكثر من صحيفة وأدلى بحديث صحفى لا تنقصه الصراحة الى حد كبير .

وقبل أن نعرض لمدى الاتساق فى الصـــورة الرسمية المقدمة عن الاتحاد الاشتراكى من جانب الامين الاول للاتحاد الاشتراكى علينا أن نزيل بعض اللبس الذى قد يثيره طرح تساؤلات جديدة حول الاتحاد الاشتراكى من جانب عضو فـى الاتحاد الاشتراكى !

وأول وأهم هذه التساؤلات هى : « اذا كان الاتحاد الاشتراكى لا يعجبكم فلماذا تطلبـون عضويته ولماذا تستمرون فى صفوفه ؟! » والاجابة دون لف أو دوران هى ان الاتحاد الاشتراكى [حتى الان] هو الشكل الوحيد لدى كثيـرين لممارسة العمل السياسى ، وأنه رغم اعادة بنائه للمرة الخامسة كتنظيم سياسى فلا يزال هنـاك أمل فى أن يتحـول بالممارسـة الى تنظيـم حقيقى لقوى الشعب العاملة التى تؤمن بضرورة العمل من أجل التحول الاشتراكى فى اطار من الديموقراطية الحقيقية » .

ولست اشير هنا من قريب او بعيد الى الدوافع الاخرى التى تجعل من البعض فى « طليعة » الذين يحتلون مراكزالعضوية فى الاتحاد الاشتراكى أيا كان شكله ومضمونه ، ما دام هو التنظيم السياسى الوحيد والرسمى .فهذه قضية أخرى وليس هذا مجالها .

● ● ●

لكن ما دمنا قد تعرضنا لهذه المسالة فثمة ما يتعلق بها بشكل مباشر من زاوية الاتساق الواجب توفره بين أسس تكوين الاتحاد الاشـــتراكى « الجديد » ، التى اعلنها الدكتور المحجوب وبين الموقف العملى الذى اتخذه الاتحاد الاشتراكى بالنسبة لطالبى العضوية .

فقد أعلن الامين الاول فى بيانه الرســمى بمناسبة فتح العضوية أن : « الالتزام الاساسى لعضو الاتحاد الاشتراكى هو الالتزام بمواثيق الثورة وبفكرة التحـالف ، وحل المتناقضـات

الاجتماعية حلا سلميا وبالوحدة الوطنية فى اطار المسيرة نحو التقدم » .

ووفقا للبيانات الرسمية التى أعلنها الاتحاد الاشتراكى فان ما يقرب من خمسة ملايين مواطن مصرى تقدموا بطلب العضوية . وقد قبلوا جميعا ما عدا ٩٥ مواطنا رفضت طلباتهم لانهم لا يلتزمون بمواثيق الثورة وبفكرة التحالف و .. الخ

وفى اجابة للدكتور المحجوب عن سؤال للزميل فتحى خليل فى رزاليوسف [٢ يونيو سنة ١٩٧٥] . حول نفس الموضوع قال : « وقد تسألنى : كيف يمكن ان نتعرف على التزام المواطن بمواثيق الثورة وبمكاسب الثورة ومبادىء ثورة التصحيح ؟ « سأكون صريحا واضحا .. لن نعود الى ماضى الناس لنقسمهم الى يسارى ويمينى ما داموا قد أعلنوا التزامهم السياسى كما اننا لن ندخل فى نياتهم وضمائرهم لنتعرف على ما يدور فيها . ولكن لنا من الناس مواقفهم الحالية من فلسفة التحالف ومن مبادىء ثورة التصحيح .. مثال على ذلك الذين اعتدوا بالتحطيم على بعض المال العام .. وأحرقوا بعض وسائل المواصلات ودبروا لبعض الاضرابات أو لبعض المخططات للاضرار بالوحدة الوطنية ... هل يمكن ان يقبلوا فى بيت التحالف ؟ هذا هو الموقف الذى سننظر فيه » .

وأول الملاحظات المثيرة هى انه من بين خمسة ملايين مواطن ليس هناك سوى ٩٥ شخصا يعملون ضد « التحالف » ويرفضون « مواثيق الثورة » . وهو يعنى وفقا لاى مقياس سياسى [واحصائى أيضا] ان مواثيق الثورة واهدافها لا يتهددها خطر من أى نوع ، وانما نقرأه ، او نسمعه من تصريحات للمسئولين حول تآمر من أى نوع ضد الثورة او النظام هو اقرب « للمبالغات الدعائية » أو لاسباب لا نفهمها على الاقل ! اذ كيف يخشى خمسة ملايين مواطن متحدى الرأى من ٩٥ « منحرفا » من أى نوع ؟!

لقد وضع الدكتور المحجوب شروطا للعضوية فى غاية الدقة والموضوعية وهى التى اشرنا اليها من قبل . لكن تطبيقها جانبه الصواب تماما . فاذا كان « الحساب » لا يتم بناء على ماضى المواطن السياسى فكيف يتم بالنسبة للحاضر اذا كان التقدم بطلب العضوية يعنى الالتزام السياسى بمبادىء الاتحاد الاشتراكى ؟

ان الدليل الاساسى على أن الاتحاد الاشتراكى قد التزم بهذا المبدأ بالنسبة للبعض ورفضه بالنسبة للبعض الاخر هو قبوله لعضوية بعض الذين أعلنوا فى الحاضر عن طريق كل وسائل الاعلام فى بلادنا عن رفضهم التام لاهم مبادىء ومواثيق الثورة .

أما اذا كان سبب رفض عضوية ٩٥ شخصا هو أنهم من بين الذين اعتدوا بالتحطيم على بعض المال العام ، واحرقوا بعض وسائل المواصلات .. الخ » فهذا موقف لا يتفق مع الايمان بسيادة القانون فى دولة المؤسسات . ذلك أن مدى علمنا ان القضاء لم يدن احدا من المتهمين بهذه الجرائم حتى الان . وكان من الاصوب أن يعلن الاتحاد الاشتراكى تأجيل البت فى عضوية هؤلاء المواطنين حتى تفصل السلطات القضائية فى الامر بدلا من أخذ المواطنين بالشبهات وتجريمهم دون دليل .

ولعل أحدا لا يستخلص من هذا اننا من انصار رفض عضوية المئات والالاف ، أو اننا من انصار قبول الجميع . ان ما نراه اقرب الى المنطق هو ان يقبل الاتحاد الاشتراكى كل المؤمنين بالاشتراكية ومبادىء ومواثيق الثورة اذا كان الهدف هو بناء الاشتراكية ومواصلة تحقيق مبادىء الثورة ، أو أن يقبل كل من يتقدم لعضويته اذا كان الهدف هو جمع كل المصريين [باختلاف طبقاتهم] فى تجمع سياسى واحد ، دون أن نتعرض فى هذه المناسبة لصحة أو عدم صحة هذا الهدف أو ذاك !

ولقد حدد الدكتور رفعت المحجوب شكل ومضمون الاتحاد الاشتراكى فى مرحلته الجديدة بقوله فى مقاله بالاهرام فى [٢٤ ـ ٥ ـ ١٩٧٥] : « ليس ما نقدم عليه اذن مجرد اعادة انتخابات لتنظيم قائم أو ادخال لتعديلات جزئية عليه ، بل ان ما نقدم عليه هو خلق لتنظيم جديد ، جديد فى منطقه وفى أهدافه وفى أسلوبه » .

ثم قدم بعض تفاصيل التنظيم الجديد عندما أعلن فى حديثه فى « روز اليوسف » أن أحد أوجه الخلاف بين التنظيم القديم والجديد هو ان التنظيم القديم كان « فى ظل مراكز القوى ظلا للحاكم ، كان تنظيم امين .. بل وكان تنظيم المتحكمين .. »

ولعل الانصاف يقتضى أن نقول ان الدكتور المحجوب قد يكون معبرا عن نوايا حقيقية فى اقامة تنظيم جديد بالفعل . لكن الواقع يصطدم بنوايا الدكتور فيحول بينها وبين التجسيد المادى . اذ كيف يمكن أن ننشىء تنظيما جديدا فى الشكل والمضمون أو من حيث «المنطق والاهداف والاسلوب» اذا كان التنظيم الجديد يتمسك تماما كما أعلن الدكتور فى « فلسفته ومنطقه واسلوبه » بمواثيق الثورة « بدءا من ميثاق العمل الوطنى الى ورقة اكتوبر ... » ؟!

ثم كيف سيكون موقف الاتحاد الاشتراكي الجديد مخالفا للقديم اذا كان الدكتور المحجوب يستنكر موقف القديم الذى كان « ظلا للحاكم .. وكان تنظيم « آمين » ، هل يعني ذلك ان الاتحاد الاشتراكي يمكن ان يقول « لا » للحاكمين ؟ او هل يعني - على الاقل - ان يكون تنظيما مستقلا عن « الحاكمين » بمعنى أن يتفق ويختلف مع « الحاكمين » وفقا لما تراه قيادته السياسية ؟

الحق ان احدا لا يتخيل - ولا يجب ان يتخيل - ان التنظيم السياسى الرسمى الاوحد فى بلد من البلاد يمكن الا يمثل السلطة السياسية الرسمية أو الا يدافع عنها .

ثم ما العيب في ان يدافع التنظيم السياسى الرسمى عن السلطة السياسية الرسمية ؟ هل هناك تنظيم سياسى من أجل التنظيم ؟ اليس من بين مهام أى تنظيم سياسى أن يعبىء الناس سياسيا لمساندة النظام الذى يمثله ؟

قد يكون الخلاف بين التنظيم فى مرحلة وأخرى هو اسلوب التعبئة والاقناع والحشد ، لكن من المستحيل حتى الان أن « يتجرد » تنظيم سياسى من هدف الدفاع عن السلطة السياسية التى يمثلها ، سواء كانت سلطة طبقة أو مجموعة طبقات ، وسواء كانت سلطة حزب واحد أو سلطة تحالف بين مجموعة احزاب ، أو فئات أو « منابر » .

ان المعنى الوحيد لان يتجنب التنظيم السياسى ان يكون « ظلا للحاكم » هو أن تكون القيادة السياسية خاضعة لما تقرره قيادة الاتحاد الاشتراكى من واقع احساس قيادة الاتحاد الاشتراكى بمطالب ومطامح الجماهير . ولسنا نعتقد أن هذا هو ما يعنيه الدكتور المحجوب بأى شكل من الاشكال خاصة أن كل الوثائق التى اثبتت عليها فكرة تطوير الاتحاد الاشتراكى لا تعطى للاتحاد الاشتراكى الحق فى القيادة بهذا المعنى .

ثم يشرح الامين الاول للجنة المركزية معنى المنابر ولماذا فضلت على الاحزاب بالنسبة للتنظيم الجديد . وهو يرى ان « الاحزاب لا تلتقى على فلسفة واحدة ، بل لكل حزب فلسفته الخاصة .. أما المنابر فستلتقى على فلسفة واحدة : أن يكون الحكم للتحالف .. معتمدا على مبادىء ثورة التصحيح » .

ونحن - كما ذكرنا - لسنا بصدد تفضيل الاحزاب على المنابر ، أو العكس ، لكننا بصدد بيان عدم الاتساق فى الصورة الرسمية التى يقدمها الامين الاول عن الاتحاد الاشتراكى الجديد .

وليس هناك حجة أضعف من هذه الحجة فى تفضيل المنابر على الاحزاب ، والسبب أن الاحزاب على المنابر او العكس . لكنا بصدد بيان ايضا [رغم اختلاف أهدافها النهائية] يمكن أن تلتقى فى مرحلة معينة على أهداف مشتركة فى اطار جبهة واحدة او اتحاد ، أو ما شابه ذلك من الاسماء . وليس هناك اكثر من الامثلة التى تقدم لاثبات ذلك سواء فى التاريخ المصرى أو فى كل انحاء العالم التى يؤخذ فيها بنظام الاحزاب . قد تكون هناك أسباب أخرى لتفضيل المنابر فى الاتحاد الاشتراكى على الاحزاب . لكنها ليست بالتأكيد ما ذكره الامين الاول . ثم اذا كانت هناك منابر بالمعنى الحقيقى - كما أشار الى ذلك الدكتور المحجوب ، أليس لكل منبر أيضا أهدافه البعيدة التى تعبر عن مصالح من يمثلهم بعد أن تتحقق أهداف مرحلة « التحرير والتعمير » مثلا ، خاصة اذا لم تر كل الاطراف المعنية مصلحة مشتركة لها فى مرحلة قادمة ؟ !

ان الكثير من الاسئلة والتساؤلات المطروحة أمام الاتحاد الاشتراكي « الجديد » لا تجد ردا مقنعا او شافيا من جانب المسئولين عن الاتحاد الاشتراكى . ونحن لا نريد أن نعيد طرح تساؤلات قديمة مثل تلك المتعلقة بوضع اولئك الذين لا يقبلهم الاتحاد الاشتراكى فى صفوفه أو أولئك الذين يستخدمون حقهم الدستورى فى اختيار عدم الانضمام الى صفوف الاتحاد الاشتراكى . وفى كل ما نقرأه من بيانات رسمية نرى الكثير من التناقض بين ما يعلن رسميا ، وبين ما يتم تنفيذه عمليا .

ولعل ذلك راجع الى واحد من اثنين :

- أما ان هناك ما يتردد بعض المسئولين فى الافصاح عنه .
- او ان هنـــاك نوع من عدم الوضوح بالنسبة لما يراد من الاتحاد الاشتراكى : طبيعة تركيبه ووسائله وأهدافه النهائية .

ولقد ذكر الدكتور المحجوب فى حديثه الى روز اليوسف أنه يعلن : « ولأول مرة أن لنا فكرا وأن لنا نظرية فى تفسير التاريخ . بل وأن لنا نظرية » .

ولعل هذه هى احدى المرات القليلة التى يعلن فيها مسئول عن الاتحاد الاشتراكى عن نظرية خاصة بهذا الوضوح .

.. ومن هنا فنحن نطالب الدكتور المحجوب أن يضع هذا الفكر وهذه النظرية فى متناول أعضاء الاتحاد الاشتراكى وكل المواطنين فى أقرب فرصة ممكنة ، فلعل هذه النظرية هى التى يمكن ان تقدم الرد الوحيد على تساؤلات كثيرة .. وأن تحل تناقضات أكثر فيما يعلن من فكر وبين ما يعلن من فكر ويتم من اجراءات .

● اليمـــين : اتجـــاهاته ومخططـــاته

محمد حلمى ياسين

ما أن أعلن عن بدء اجراءات اعادة انتخاب لجان الاتحاد الاشتراكى العربى - حتى تفجرت ثانية المناقشات حول صيغة تحالف قوى الشعب العامل والاتحاد الاشتراكى العربى كشكل يجسد هذا التحالف ، وجدوى هذا الشكل - وحول قضية حرية تشكيل الاحزاب .

وكانت الصحف المصرية ولجان الاستماع بمجلس الشعب ولجان ومؤتمرات الاتحاد الاشتراكى قد شهدت الجولة الاولى من هذه المناقشات خلال شهرى اغسطس وسبتمبر ١٩٧٤ ، عقب ان طرح الرئيس انور السادات تصوره لاسس عملية اعادة بناء وتطوير الاتحاد الاشتراكى العربى .

ومع ان ورقة التطوير - والمناقشات التى دارت فى مؤتمرات العمال والفلاحين والطلاب انطلقت من حقيقة ان جزءا كبيرا غاليا من ارض الوطن مازال محتلا بالعدو الصهيونى .

فى تلك الجولة من المناقشات حول تطوير الاتحاد الاشتراكى ، افسحت الصحف والمؤتمرات وجلسات الاستماع مكانا بارزا لممثلى الاتجاهات اليمينية على اختلاف مواقعها ومواقفها من النظام الذى اقامته ثورة يوليو .

وعلى الرغم من أن هذه الاتجاهات قد اختلفت فيما بينها حول التفصيلات الا ان منطلقاتها الاساسية كانت متماثلة واحيانا واحدة .

ولقد ترك اصحاب هذه الاتجاهات جانبا - قضايا العضوية الاختيارية والعضوية الجماعية للمنظمات الجماهيرية والمنظمات المساعدة وتعدد المنابر داخل الاتحاد الاشتراكى ، وتجاوزوا كل هذا ، فى مناقشاتهم وكتاباتهم ، الى اعادة طرح النظام السياسى والاقتصادى والاجتماعى لثورة ٢٣ يوليو ذاتها . وتشكلت من اصحاب هذه الاتجاهات اليمينية جوقة ، نصبوا أنفسهم ابطالا للدفاع عن الحرية والديموقراطية وحقوق الشعب . وراحوا يهيلون التراب على كل ما حدث منذ ٢٣ يوليو ١٩٥٢ . فذلك كله - فى رأيهم - لم يكن الا سلسلة من الجرائم والهزائم والعار وخنق الحريات .

وعلى سبيل المثال - وحتى لا ننسى - سمعت الاستاذ فكرى اباظة يدعو الى الغاء مجانية التعليم العالى وتغيير قانون الاصلاح الزراعى بعد ان انتهى الاقطاع ، وأصبح مستأجر الارض الزراعية هو - فى رأيه - المالك الحقيقى للارض ، والمالك يتمنى ان يكون مستأجرا .

أما الاستاذ مصطفى مرعى ، نقيب المحامين ، فقد اعلن فى ذلك الوقت ان الاتحاد الاشتراكى هو سبب كل البلاء الذى اصاب البلاد . وهو نظام دخيل على عقيدتنا .

وتهيأ بعض اصحاب الاتجاه ليفرضوا وليدشنوا السيطرة الكاملة للراسمالية الريفية على الاتحاد الاشتراكى فطالبوا بتغيير تعريف الفلاح ليصبح الفلاح من يمتلك من خمسة الى خمسين فدانا . كما طالبوا بتغيير تعريف العامل حتى يتسع ويشمل فئات المهنيين الذين يتصل نشاطهم بالانتاج مباشرة كالمهندس ومساعد المهندس .

وهكذا توالى ظهور الفرسان على منصة لجنة الإســـتماع ، واحتلت مقالاتهـم وصورهم مكان الصدارة فى الصحف والمجلات ـ وأخذت الاوهام تتحول الى حقائق فى خيالاتهم ـ فاذا بهم وقد انتهوا من صيغة تحالف قوى الشعب العـامل المستوردة ، ومن الخمسين فى المائة المخصصة للعمال والفلاحين ـ فاتجه النقاش فيما بينهم بعد ذلك حول تفصيل الحياة الديمقراطية التـى يتحدثون عنها ـ هل يبقى الاتحاد الاشتراكى قائما كحزب ويشكل حزب آخر بجانبه أم يشكل حزبان جديدان فقط يوزع بينهما « أصحاب المصـــالح الحقيقية » على حد تعبير المرحوم محمد باشا محمود زعيم حزب الاحرار الدستوريين سابقا . ومن المعروف أن الشقيقين مصطفى وعلى أمين كانا قد دافعا فى ذلك الوقت وبحرارة عن نظرية تعبئة الحياة السياسية فى حزبين اثنين فقـط يتداولان الحكم ويتبادلانه فيما بينهما ، ويتفقان على أن الواحد يحكم والاخر يمثل دور المعارضة .

واذا استبعدنا من الامثلة التى نسوقها ، موقف ذلك الذى وقف أمام لجنة الاستماع ليصرخ « هل هناك من ينهب ؟ ومآله ، هل ستفلس شركات وبنوك وطنية ؟ فى ستين داهية » وحين نبه الى أن ما يدعو اليه مخالف للدستور احتد قائلا « اذن نغير الدستور هو الدستور نزل من السماء » واستبعدنا منه زميله ذلك الذى قال « انه من يوم ما عرف القرش طريقه الى جيوب الفلاحين والصنايعة ووجد من يزن فى رؤوسهم انهم قوة وقيادة وان لهم حقوقا مهضومة الى آخر هذا الكلام الهدام ، استأسدوا على كبارهم واولياء نعمتهم » .

نقول ... اذا استبعدنا هذه النماذج ، التى تعبر بشكل فج وصريح ، ودون اية محـاولات للتضليل أو الخداع ، عن حقيقة نواياها ، فان ابرز الاصوات وأكثرها صراحة فى التعبير عن الاتجاه الى الردة الكاملة هو الاستاذ احمد ابـو الفتح ؛ الذى عاد الى مصر فى منتصف عام ١٩٧٤ بعد غيبة استمرت عشرين عاما قضى منها سنوات عديدة فى اذاعة صوت مصر الحرة التى أنشأتها هيئات أجنبية معروفة .

وعلى الرغم من ان الاســــتاذ أبو الفتح قد نجح ـ لفترة قصيرة ـ فى ان يلبس مسـوح الليبرالية الوفدية ، الا انه سرعان ما كشف عن حقيقة مواقفه السياسية والاجتماعية فى مقالاته المتلاحقة وفى احاديثه أمام لجان الاستماع .

والحق أن الرجل كان صريحا وواضحا فيما افصح عنه ، وان كان ـ من اللباقة والدهاء ـ قد اختط لنفسه اسلوبا فى الهجوم يتمثل فى التمهيد للدخول الى اى موضوع بفرش غلالة رقيقة تعبر عن « اعجابه غير المحدود » بالنظام القائم وقياداته السياسية والتنفيذية ، فهذا أقصر الطرق وأشدها فاعلية فى هدم كل ما حققته البلاد خلال عشرين عاما .

والاستاذ احمد ابو الفتح ينطلق فى دعواه من محاولة الايهام بوجود تناقض أساسى بين عبور ٦ أكتوبر وثورة ٢٣ يوليو ـ أى عزل معركة العبور المجيدة ، بكل ما بذله شعب مصر من تضحيات خلالها ، عن مسار النضال المصرى قبلهـا ، وتصويرها على أنها لا تمت بصلة لما قبلها . ويرى أحمد ابو الفتح ان هناك ثلاثة عوامل فقط هى التى جعلت من حرب ٦ اكتوبر حرب هجوم وحرب نصر .

١ ـ اعادة الحريات للشعب التى سلبها حكم عبد الناصر .

٢ ـ اعادة الصفاء الى العلاقات العربية .

٣ ـ تمكين الجيش وقواده من القيام بعمليات تدريب وتعليم على أحدث الاسلحة .

وهذه العوامل الثلاثة فى رأى ابو الفتح ـ لم يعمل عبد الناصر فى يوم من الايام على توفيرها ـ بل على العكس ـ كانت أسس حكمه تقوم وترتكز على تحطيم كل هذه العوامل .

ومصر تحت حكم عبد الناصر ـ فى رأى ابو الفتح كانت دولة تتجه سياسيا واقتصاديا الى نظام شيوعى كامل ـ وكانت دولة تابعة ، وخاضعة لدولة كبرى هى الاتحاد السوفيتى .

وانطلاقا من هذا الموقع ـ يدعو احمد ابو الفتح الى اعادة مصر الى وضع عدم الانحياز . ويدعو

لتحرير الاقتصاد من أهواء الايديولوجيات التى فرضت عليه سنوات . ويؤكد على ضرورة أن يكون الانفتاح هو لتحقيق مشروعات القطاع الخاص مستنكرا أن يكون للقطاع العام سيطرة على الانفتاح . أو أن يرفض مشروعا بانشاء مصنع لانه يتناقض مع الخطة .

وتضمن ما سمى ببرنامج احمد ابو الفتح ــ الدعوة لالغاء سيطرة الدولة على التصدير ، والاستيراد وعلى التجارة الداخلية ، والغاء مؤسسة السياحة ، وتحرير شركات المبانى من ربقة القطاع العام وطرح اسهمها للمصريين .

ويرى أبو الفتح فى برنامجه أيضا قصر الخطة والتخطيط على القطاع العام ــ أما المصريون فيكون لهم الحق فى اقامة المشروعات [مصنعا أو عشرة مصانع] دون رقابة ، على ان تطرح الحكومة كل ، أو غالبية مشروعات القطاع العام كأسهم للمصريين .

وبالنسبة للاراضى الزراعية فأبو الفتح يرى ان من حق كل انسان ان يمتلك ما يشاء من أرض زراعية أو عقارات ما دام تحقيق ذلك لا يتم عن طريق « مال مسروق » أو مختلس كما يطالب باطلاق حرية تملك الاراضى الزراعية للاجانب . وفى نهاية المطاف يصل الى حد الدعوة الى اعطاء الانسان حرية حرق أمواله بدلا من استثمارها .

والاشتراكية عند أبو الفتح هى الاقتصاد الحر حرية كاملة ــ لانها المشاركة فى الضمانات والارباح والخدمات التى يحققها الاقتصاد الحر عن طريق فرض ضرائب كبيرة على أصحاب الدخول الضخمة ورد الضرائب الى الشعب فى صورة خدمات وضمانات .

ولقد انكمشت قضية الحرية عند أبو الفتح حتى أصبحت قاصرة على حرية الذين اضطهدوا فى ممتلكاتهم وحرياتهم لحساب القطاع العام ــ والحرية هى ضمان حرية رأس المال الفردى المصرى والاجنبى ، فى الانفراد بمصر والمصريين بعد تصفية كل ما يرونه عائقا أو عقبة فى هذا السبيل . فالحرية عند أبو الفتح هى حرية عودة الراسمالية بكل جبروتها وعنفوانها .

أما عن العمال وحقهم فى الاشتغال بأمور وطنهم وقضاياه ، فأحمد أبو الفتح غاضب أشد الغضب على الشيوعيين ــ الذين يراهم قد عملوا على توجيه نشاط نقابات العمال الى السياسة مستهدفين من ذلك تحقيق تدهور خطير فى الانتاج تعود آثاره على العمال ، ليعود الشيوعيون كما يزعم ابو الفتح ــ ليستغلوا هذه الاثار وليركبوا أكتاف العمال للوصول الى كراسى الحكم .

وعلى ضوء هذه الارضية التى ينطلق منها احمد ابو الفتح ومن يتحدث لحسابهم ــ يمكن لنا ان نضع الملاحظات التى نشرت أخيرا بمناسبة بدء اجراءات اعادة بناء وتطوير الاتحاد الاشتراكى :

● ان احمد ابو الفتح وجماعته ، يبدأون من استغلال قصور واضح صاحب اجراءات اعادة بناء وتطوير الاتحاد الاشتراكى ، سواء بضوابط العضوية الجماعية للمنظمات المساعدة ، او فى قصور المنابر المتعددة المزمع اقامتها داخل الاتحاد ، أو فى توعية القائمين على ادارة الانتخابات وتخبط تصريحاتهم واحتدام صراعاتهم للسيطرة على هذا الموقع او ذاك .

هنا يبدأ احمد ابو الفتح ، وجماعته ، من هذه الثغرات لينهالوا من جديد على الاتحاد الاشتراكى وعلى صيغة التحالف ــ ان الموقف الاساسى كان ومازال رفضا حاسما للاتحاد الاشتراكى ، ولصيغة تحالف قوى الشعب العاملة . وكل التساؤلات او الانتقادات التى تثار اليوم حول عملية اعادة الانتخابات فى الاتحاد الاشتراكى لا تهدف لتفادى السلبيات القائمة وانما تسعى لتقويض الاتحاد الاشتراكى ذاته .

فهذا الاسم « الاتحاد الاشتراكى العربى » أصبح ــ عنده ــ مجرد ترديد . يعطى مباشرة الانطباع بالفشل ــ بل يعطى انطباعات أخرى أقلها تشويها الفشل .

والمطلوب اذن فى رأيه هو استبعاد كلمة « الاشتراكى » وكلمة « العربى » . وليكن اسمه مثلا « الاتحاد الوطنى المصرى » .

ويستنكر احمد ابو الفتح ان نقيم تنظيما سياسيا لمجرد القول بأنه يمثل تحالف قوى الشعب العامل ــ أو لانه يربط الاعضاء ببعض شعارات غير محددة ولا مفهومة .

ويرى أبو الفتح فى اعادة بناء الاتحاد الاشتراكى محاولة لفرض نظام الحزب الواحد من

خلال الادعاء بأن اقامة الاحزاب اضاعة لمكاسب العمال والفلاحين . وهنا يكتشف أبو الفتح اكتشافا عبقريا لم يسبقه اليه احد من قبل - وذلك بزعمه ان الشيوعيين يمارسون كل نشاطهم بحجة انهم يمثلون اليسار داخل الاتحاد الاشتراكى ، وانهم فى ظل نظام الحزب الواحد يمارسون نشاطا وحقوقا لا تتناسب بأى حال من الاحوال مع عددهم ومع نسبة تمثيلهم داخل الاتحاد الاشتراكى .

ولا يتوقع احمد أبو الفتح للاتحاد الاشتراكى فى شكله الجديد أى نجاح فى احياء الحياة السياسية التى لا يمكن أن تقوم تحت اشراف موظفين يتقاضون مرتبات من خزينة الحكومة - ولن يكون الاتحاد سوى مجرد تجمع لسماع الخطب والبيانات - وبالتالى فمن الافضل تركه دون اضاعة الجهد فى البحث عن حلول « وان نسارع الى اعطاء الشعب كل حقوقه السياسية بأن يكون فى مصر حياة ديمقراطية كاملة » .

والى هذه النتيجة انتهى ايضا الاستاذ عبد العزيز الشوربجى الذى أكد على ان التطبيق الصحيح لقواعد ثورة التصحيح هى أن يكون للمواطنين حق تأليف الاحزاب السياسية .

ووجه الدكتور وحيد رأفت رسالة مفتوحة الى الدكتور رفعت المحجوب الامين الاول للاتحاد الاشتراكى تعقيبا على تصريحاته التى أوحت للناس بأن من لا ينخرط فى الاتحاد الاشتراكى فسوف يعزل نفسه عن حركة الجماهير . وجاء فيها أن من بين مواطنينا من مختلف الفئات من لاتزال تؤرقهم تجارب التنظيمات السياسية التى شهدتها البلاد ، منذ فجر ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، ومن ثم فهم لا يستشعرون اللهفة للانضمام الى الاتحاد الاشتراكى رغم تطوره . ولهم العذر فى ذلك فى أكثر ما سمعوه عن هذا التطوير قبل حركة التصحيح دون طائل او نتيجة يطمأن اليها .

وعلى الرغم من الكلام عن « الاشتراكية » وعلى الرغم من أننا نجد بين صفوف اليمين من يتمسك برفع لافتات « اشتراكية » ، ولكن بمضمن بعيد كل البعد عن أى نظام اجتماعى تقدمى . فان اليمين على تعدد آرائه فى الاتحاد الاشتراكى يتحد ويتجمع فى الواقع حول النقاط التالية :

١ - فى شكل التنظيم :

استبعاد اى صيغة يشتم منها من قريب أو بعيد أنها تجمع أو توحد عن طريق منابر ، أو عن طريق احزاب متحدة اتحادا اختياريا ، وتمثل الطبقات الاساسية صاحبة المصلحة فى استمرار الثورة وهى الفلاحون والعمال والمثقفون والجنود والراسمالية الوطنية .

اما الذين يتحرجون من « الغاء » صيغة الاتحاد الاشتراكى فيتقدمون اقتراحات تؤدى فى التطبيق الى تغيير المضمون الاجتماعى للتحالف ، وتكرس السيطرة الكاملة لطبقة من الطبقات .

٢ - فى المضمون :

ان هذه الدعوة الى تصفية الاتحاد الاشتراكى ترتبط بما يلى :

- ان السلطة يجب أن تكون فى أيدى النخبة المختارة اما من « أصحاب المصالح الحقيقية » أو من « النخبة الممتازة من المثقفين » الذين يمكن ان « يستوردوا » اشتراكية « لطيفة » من السويد او النرويج .. الخ .

وأخيرا ، فمن الواضح أن اليمين - خاصة اليمين الرجعى - يتقن فن المناورة السياسية ، ويجيد استغلال نقاط الضعف الخطيرة فى الاتحاد الاشتراكى ليحاول أن يقدم البديل وهو احزاب للطبقات المالكة . وهو يعتمد فى هذا - اقتصاديا واجتماعيا - على النمو السرطانى والسريع للراسمالية الطفيلية ، ويضارب على متاعب البلاد ، وعلى الاتجاهات الليبرالية فى صفوف المثقفين . وهى اتجاهات لا ترفض - عموما - التقدم الاجتماعى والاشتراكية بقدر ما تبدى تعلقا حقيقيا بمثل الديموقراطية والحرية .

والواقع أن أى دراسة جادة لحركة اليمين الرجعى تبين أن التحدى الذى باتت تواجهه ثورة يوليو هو تحد خطير بكل مقياس .

اليســـار المصـــــرى :
مبـــادرات واتجـاهات

حسين شعلان

نستطيع أن نقول - دون مبالغة - أن قضية الديمقراطية ، والتنظيم السياسى حلقة أساسية من حلقاتها ، قد حظيت باهتمام من جانب اليسار الماركسى المصرى - ضمن الاطار العريض لليسار فى مصر - فاق اهتمام أى اتجاه سياسى آخر من جهة ، بل وأى قضية أخرى من قضايا البناء الداخلى للمجتمع المصرى المعاصر .

وقد اهتم اليسار بقضية الديمقراطية ، فى ارتباط لا ينفصل بالاسس الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع . ويؤمن اليسار الماركسى المصرى ، بأن مصر قد شهدت منذ عام ١٩٥٢ تغييرات اقتصادية واجتماعية هامة ، أدت الى تحقيق الاستقلال الاقتصادى ، والى قيام قطاع عام يلعب دورا بارزا فى نظامنا الاقتصادى والى بدايات للتخطيط الشامل ولتنمية الصناعة الثقيلة . ومن أبرز معطيات هذه التغييرات ، اعتراف مواثيق الثورة والدستور بحق العمال والفلاحين فى احتلال موقع مشروع ومتقدم داخل العلاقات السياسية والاجتماعية . ومن هنا كانت مقولة اليسار الماركسى المصرى بأن جوهر الديمقراطية ، هو قضية مشاركة وتمثيل الاغلبية صاحبة المصلحة فى تقدم المجتمع المصرى ، فى السلطة وقيادتها . وان هذه القضية على وجه التحديد هى مكمن الامان ، كما انها مكمن الخطر . مكمن أمان تطور المجتمع المصرى على الاسس التقدمية التى تبنتها وأقرتها مواثيق الثورة ، اذا احسن تمثيل هذه الاغلبية ومارست حقوقها السياسية بفعالية . ومكمن الخطر لعرقلة تطور المجتمع ، اذا حدث العكس . وأصبحت هذه القضية ، قضية اساسية فى نظر اليسار الماركسى المصرى ونقطة البدء عند تقييم اى تطور أو اى عثرة .

كما ارتبطت التغييرات التى شهدها المجتمع المصرى ، بموقف التعاون الوثيق مع قوى التحرر والتقدم داخل الوطن العربى . وارتبطت كذلك بموقف التساند والتعاون مع البلدان الاشتراكية ومع قوى التقدم والسلم والديمقراطية فى كل أنحاء العالم ، ضد الامبريالية والاستعمار الجديد والتخلف .

اهتمام اليسار الماركسى المصرى بالديمقراطية ، وأشكال وأساليب العمل السياسى ، مرتبط بالدفاع من أجل تثبيت كل الجوانب التقدمية والايجابية

لثورة يوليو ونظامها ، بل ومرتبط بالنضال من أجل تطوير هذه التغييرات التقدمية والايجابية .

وتصور اليسار الماركسي المصرى لاطار العمل السياسى ، ينطلق من نقطة الوعى بطبيعة المرحلة الراهنة التى يمر بها المجتمع المصرى : مرحلة تحرير الارض المحتلة . وهى مرحلة تتطلب ضرورة الوحدة الوطنية ، وضرورة التحالف بين كل الطبقات المعادية للاستعمار والصهيونية والتى تساهم فى التنمية الاقتصادية والاجتماعيه . ولكن الوحدة الوطنية لا تعنى فى مفهوم اليسار الماركسى المصرى ، تحقيق مصالح بعض أطراف التحالف على حساب اطراف أخرى فيه .

فى هذا الاطار ، طرح وناقش اليسار الماركسى المصرى ، تصوره للصيغة التى تسمح لكل طبقة من الطبقات المتحالفة بالتعبير عن مصالحها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وعن مواقفها السياسية [١] .

مبادرات وافكار أولية

واذا كان اليسار الماركسى المصرى قد ايد وساند من اقتناع مفهوم التحالف ، فقد كانت له ملاحظات وتحفظات عديدة على وضع المفهوم موضع التطبيق . ومنذ عامى ٦٤ ـ ١٩٦٥ وهو يبدى تحفظاته حول تطبيقات مفهوم التحالف [٢] . وقد أسس ملاحظاته فى اطار العمل على انجاح صيغة التحالف وتكريس دورها فى العمل الوطنى . واقترح أن يكون العام الرابع عشر من اعوام ثورة يوليو [٦٥ ـ ١٩٦٦] هو عام التنظيم : عام تركز فيه قيادة الثورة على استكمال بناء وفاعلية وتوحيد كل القوى الاشتراكية والديمقراطية من خلال التنظيم . عام تطهير التنظيم من العناصر الطفيلية والمعادية ، واعادة بنائه على معيار موضوعى هو حصيلة مواقفها السياسية والفكرية والاجتماعية منذ التحول الاجتماعى عام ١٩٦١ . عام تمكين التنظيم فكريا وعمليا من أن يسود ويوجه كل أجهزة المجتمع والسلطة [٣] .

ومنذ عام ١٩٦٧ ـ وخاصة بعد هزيمة يونيو ـ كثف اليسار الماركسى المصرى من اهتمامه بقضية العمل السياسى فى ارتباط وثيق بقضية الديمقراطية . بل لقد راى فى غيابها وعدم التطبيق السليم لصيغة التحالف ، سببا هاما من أسباب الهزيمة . وفى ذلك تقول الطليعة [نوفمبر ١٩٦٧] « بينما كانت قوى الثورة وقيادتها تؤكد على ضرورة نقل السلطة الى تحالف قوى الشعب العاملة جميعا وبلا استثناء ـ فقد ظلت قيادات الدولة ... والقطاع العام تنتسب فى غالبيتها الى المثقفين والطبقات الوسطى والصغيرة . بحيث كاد الاتحاد الاشتراكى نفسه وهو مجرد تجمع أو تحالف ، على المستوى الوطنى ، أن يتحول الى حزب لتلك الطبقات . وفى الوقت ذاته لم تصل الجهود التى بذلت لتكوين حزب اشتراكى طليعى يوحد فى صفوفه كل القوى الاشتراكية الى نتيجة حاسمة » .

وفى اطار اعادة بناء الاتحاد الاشتراكى ، طرح اليسار الماركسى المصرى تصوراته فى عام ١٩٦٨ خلال مناقشاته لبيان ٣٠ مارس وبلورها خلال ما أعقب ذلك من سنوات حتى مناقشات ورقة تطوير الاتحاد الاشتراكى التى طرحها الرئيس أنور السادات فى ١٩٧٤ .

ونقطة البدء بين معظم الكتاب والمفكرين الماركسيين المصريين ، ثابتة وهى أن الاتحاد الاشتراكى كصيغة نظرية للتحالف ، صيغة ملائمة للوحدة الوطنية الضرورية بين الفلاحين والعمال والرأسمالية الوطنية . ومسئوليته توفير المناخ والمنبر والاداة السياسية لكل قوى التحالف ، على أساس التزامها بحماية الاستقلال الوطنى السياسى والاقتصادى ، واقامة مجتمع صناعى ـ زراعى متقدم من خلال خطة تنمية شاملة ذات أسس وأهداف اشتراكية وتراعى مصالح الرأسمالية الوطنية بشرط الا تتحول الى طفيلية أو كبيرة تهدد استمرار التطور على الطريق نحو الاشتراكية ، والاعتراف بالاختلافات والتناقضات الاجتماعية وحلها بالاسلوب السلمى من خلال مناخ ديمقراطى ، وتأكيد الوزن الخاص للفلاحين والعمال بنسبة ٥٠ فى المائة على الاقل ، وان يحكم حركة التحالف الوثائق الرئيسية لثورة يوليو وتراث القيم الروحية والحضارية للمجتمع المصرى [٤] .

وخلال عرض اليسار الماركسى المصرى لتصوراته بلور عددا من المفاهيم الاساسية مثل : أن تكون العضوية اختيارية لا ارغام فيها . وعدم

[١] الطليعة ـ عدد أكتوبر ١٩٧٤ « راى للطليعة حول تطوير الاتحاد الاشتراكى » .
[٢] انظر صفحة الراى بالاهرام عام ١٩٦٤ . وانظر عدد الطليعة يوليو ١٩٦٥
[٣] الطليعة عددى يوليو ـ اغسطس ١٩٦٥
[٤] من تقرير مقدم من لطفى الخولى الى لجنة العمل عام ١٩٧٢ ونشر بالطليعة عدد يونيو ١٩٧٢ .

اشتراط عضوية الاتحاد للمواطن اذا رغب فى ترشيح نفسه لمجلس النقابة المنضم اليها ـ **الغاء العضوية المنتسبة** حيث أن الانتساب لا يكون الا لحزب ـ **العضوية الجماعية** للتنظيمات الجماهيرية التى تقبل أهداف الاتحاد الاشتراكى وتعمل على تحقيقها على أن يكون للعضو الجماعى حق تقديم الاقتراحات وابداء الرأى فى نواحى النشاط المختلفة للاتحاد . والعضوية الجماعية للتنظيم الجماهيرى باعتباره شخصا معنويا . وعضو التنظيم الجماهيرى لا يصبح عضوا فى الاتحاد الا اذا انضم شخصيا . ثم فكرة **المنابر** لكل طبقة من طبقات التحالف تعبر من خلالها فكريا وتنظيميا عن مصالحها . وقبول كل من يرغب فى العضوية بما فى ذلك من كان ينتمى الى جماعات سياسية وعقائدية بشرط قبول وثائق الثورة والالتزام بها . ويستثنى من العضوية القوى الاجتماعية التى عزلها الميثاق عن التحالف والتى تتناقض مصالحها الاساسية مع مصالح التقدم نحو الاشتراكية . وأن تمثل القوى الاجتماعية داخل الاتحاد **كطبقات** لا كأفراد . وأن يشكل الاتحاد **جبهة متحدة** تجسد الوحدة الوطنية وتضم طبقات الفلاحين والعمال والراسمالية الوطنية وفئتان تقومان بحكم طبيعتهما الخاصة ووزنهما بدور أساسى فى المجتمع : هما المثقفون ويحددون باختيارهم المنبر الذى ينضمون اليه وينضم رجال القوات المسلحة والقضاء وفقا للقرارات التى تصدرها اللجنة المركزية [٥] .

اتجاهان :

وبعد ان طرح الرئيس **انور السادات** أفكاره حول تطوير الاتحاد الاشتراكى فى أغسطس من عام ١٩٧٤ ، شارك اليسار الماركسى المصرى فى مناقشة ورقة التطوير . وخلال المناقشات التى شملت المجتمع المصرى كله بهذا الصدد ، طرحت عديد من الافكار حول التطوير كما طرحت أيضا فكرة اقامة أحزاب سياسية . وبرز خلال هذه المناقشات ـ بين كتاب ومفكرى اليسار الماركسى المصرى اتجاهان :

● **منابر تتطور الى احزاب وطنية وتقدمية [٦] :**

ولا يعترض هذا الاتجاه على قيام نظام تعدد الاحزاب من حيث المبدأ ، لكنه يرى أنه فى سبيل ذلك ، لابد من ان نحدد فورا المبادىء والضوابط للنظام الحزبى المقترح ، حتى لا تنحرف الدعوة عن الهدف المتقدم الذى ننشده ، اى بالتحديد حتى لا نفتح الطريق ـ بدون وعى ـ أمام قوى الردة الاجتماعية .

ويرفض هذا الاتجاه شعار الاحزاب الذى يروج له البعض فى اطار أن يكون نفيا أو بديلا للسلطة الوطنية القائمة ، أو انهاء والغاء لعشرات السنين التى سبقت ثورة يوليو وحفلت بالكفاح الوطنى والاجتماعى وللسنوات الاثنتين والعشرين الماضية ، وبداية لنوع جديد من السلطة . ويرفض هذا الاتجاه تلك الدعوة ، من منطلق يغلب مصلحة الوحدة الوطنية .

واذ ينادى هذا الاتجاه بنظام سياسى يقوم على تعدد الاحزاب ، فانما يقصد شيئا مختلفا تماما . أنه يهدف الى نظام سياسى يثبت ويطور تيار المنجزات الايجابية لثورة يوليو ، ويحسم الاختيار فى اتجاه الاشتراكية . والنظام السياسى الذى يقترحه هذا الاتجاه ، هو استمرار للسلطة الوطنية التى بدأت عام ١٩٥٢ والتى تتمثل قيادتها الان فى الرئيس **انور السادات** . هو بالتحديد ممارسة لمسئوليات وصلاحيات هذه السلطة بأسلوب جديد تفرضه احتياجات موضوعية للمرحلة المقبلة وتفرضه خبرة الممارسة السياسية السابقة .

ويترتب على هذا ، أن هذا الاتجاه يفرق تماما بين المطالبة **بتعدد الاحزاب** ، وبين المطالبة **بعودة الاحزاب** والتى ظهر منها أن بعضا من الناس يقصد عودة الاحزاب الرجعية القديمة ولو تحت أسماء جديدة . وهذا الاتجاه يوافق على عودة من كانوا مبعدين عن ممارسة العمل السياسى الى القيام بدورهم فى ساحة النشاط العام . ولكن على أن يكون مفهوما أننا أمام مهام تطوير الايجابى الذى تحقق خلال سنوات الثورة ، ولسنا أمام محاولة للنكوص عنه ، تضرب الاستقلال الاقتصادى وتعيدنا الى حظيرة الاستعمار الجديد .

ولا يوافق هذا الاتجاه على اطلاق حرية تكوين الاحزاب بلا قيود . فتأييده لحق تنظيم القوى السياسية فى أحزاب مستقلة ، لا ينفى حرصه التام على استمرار الوحدة الوطنية ، واستمرار التحالف بين الاتجاهات السياسية الوطنية والتقدمية ، وعيننا لا تغفل ابدا عن أن اسرائيل لا

[٥] انظر عادل غنيم ـ الطليعة عدد مايو ١٩٦٨ ، وابو سيف يوسف الطليعة يوليو ١٩٧١ ، ولطفى الخولى وخالد محيى الدين عددى مايو ـ يونيو ١٩٧٢ .
[٦] انظر فى ذلك لشكل اساسى عدد الطليعة اكتوبر ١٩٧٤ ، بالاضافة الى ابو سيف يوسف [] يوليو ١٩٧١ [] ولطفى الخولى [يونيو ١٩٧٥ [] .

زالت فى قلب سيناء والجولان وفى الاراضى الفسطينية ، وقد يتجدد القتال فى اى وقت .

ويرى هذا الاتجاه ان الضمان الاول لقيام التحالف بين الاحزاب المختلفة ، وبأسلوب ديمقراطى ، هو أن تكون هذه الاحزاب متفقة منذ البداية وملتزمة بمبادىء أساسية هى مواثيق الثورة بدءا بميثاق العمل الوطنى وانتهاء بورقة اكتوبر ، كاطار عام يحدد دائرة الخلاف ويضمن الا يؤدى حق الخلاف المطلوب احترامه ، الى تهديد الجبهه الوطنية المعادية للامبريالية والاستعمار الجديد والصهيونية ، بالانقسام الحاد .

ومن هنا يرى هذا الاتجاه ، بضرورة الاعتراف بالتيارات الاجتماعية وبلورتها فى **منابر** ، يمكن بل ينبغى ، أن تتطور الى أحزاب وطنية وتقدمية . ويرى أنه من الواجب أن نستعد للانتقال الى هذا الشكل الجديد من العمل السياسى .

والاتحاد الاشتراكى ، على هذا النحو ، لن يكون حزبا . لكنه بوصفه الاطار المنظم للحركة السياسية للجماهير ، لابد ان يكون مسئولا عن رسم الخطوط الاساسية لعمل الجهازين التنفيذى والتشريعى .

ويرفض هذا الاتجاه رفضا قاطعا الدعوة التى ظهرت خلال مناقشات ورقة التطوير ، وطالبت **بنظام الحزبين** ، لانها تهدف فى نهاية الامر الى مجرد قيام حزب مستقل لقوى اليمين . ومثل هذه الدعوه لا يمكن أن تحقق الوحدة الوطنية التى ينبغى أن تتسع ديمقراطيتها لكل قوى التحالف وليس لقوة الراسمالية وحدها .

وبرغم ان هذا الاتجاه لم يبلور تماما تصوراته لوضع فكرة المنابر موضع التطبيق العملى ، الا انه خلال مبادراته الاولى فى ١٩٦٨ و١٩٧١ و١٩٧٢ ، قد طرح تصورات أولية ، يرى فيهما أن الشكل التنظيمى لهذه المنابر يمكن أن يتجسد فى **الامانات النوعية** التى تتكون داخل اللجنة المركزية [أمانة للفلاحين - أمانة للعمال - أمانة للرأسمالية الوطنية] . وتقوم هذه الامانات باستقطاب خيرة ممثلى كل طبقة ، واقدرهما على التعبير عن فكرها ومصالحها . وأن تصدر كل امانة صحيفة أو مجلة تعبر عن مواقفها واتجاهاتها [٧] .

ويربط هذا الاتجاه بين قيام المنابر وبين ضرورة وضع تحديد دقيق لتعريف العامل والفلاح والرأسمالى الوطنى . ويرى أن **العامل هو** : العامل اليدوى . ولا سبيل لان يدخل فى هذا التعريف العامل بذهنه ، فنحن لم نصل بعد الى مجتمع الاشتراكية الذى يتم فيه تذويب الفوارق بين الطبقات . **والفلاح هو** : من يفلح الارض بيده ويدخل تحت هذا التعريف الفلاح والفلاح الذى يملك او يستأجر ٥ افدنة فأقل دون أن يستعين بعمل الغير بشكل منظم ولا يدخل فى هذا من يملك ٥ أفدنة فأقل ولكنه لا يفلحها بيده ولا يقيم بالقرية . **والرأسمالى الوطنى هو** : صاحب رأس المال الذى يمارس نشاطا انتاجيا فى أحد افرع الاقتصاد الوطنى الرئيسية ويقبل أن يكون نشاطه داخلا فى أهداف الخطة القومية ، ومتكاملا معها ، ويلتزم بتطبيق التشريعات والمكاسب العمالية . [٨]

ويطرح هذا الاتجاه - بالاضافة الى تصوراته الاولية عددا من الاسئلة حول المنابر : هل تتحدد اتجاهاتها على أساس تقسيمات اقتصادية أو فئوية ؟ أم على أساس اتجاهات سياسية وفكرية ؟ ويميل الى التفسير الثانى باعتباره الوضع السليم . ومتى تتشكل هذه المنابر ؟ وهل هى مجرد أندية ثقافية أو سياسية فى القمة أم تمتد الى القاعدة ؟ وما هو أسلوب الاتصال بين المرتبطين بنفس الاتجاه ؟ ماهى العلاقة بين المنابر المختلفة ؟ هل تتعارض المنابر مع مبدأ الـ ٥٠ فى المائة على الاقل للعمال والفلاحين ؟ ماهو دور الصحف وعلاقاتها بالمنابر وفيما بينها وكيف تمول ؟

● احزاب فى اطار جبهة وطنية :

وفى الطريق الى بلورة هذا الاتجاه لارائه بشكل عام ، طرح بعض الكتاب والمفكرين فيه تصورات أولية أيضا منذ عام ١٩٧٢ . ففى عدد الطليعة مايو ١٩٧٢ ، كان هناك رأى يقول بأن الضمان الوحيد **لسلمية** الصراع الطبقى ، يكمن فى اتاحة حرية التعبير للطبقات » ، وحق التنظيم فى تشكيلات مستقلة لكل فئة اجتماعية على حدة يضمها جميعا وعاء تنظيمى لتحالف جبهوى يستمد صلابته من الاتفاق الواعى بين أطراف تدرك وتقرر لنفسها ومن واقع ارادتها الحرة ماهية حقوقها وواجباتها والتزاماتها . [٩]

وفى هذا الاتجاه عبر المرحوم الدكتور **محمد الخفيف** بقوله « اذا كنا نريد اتحادا أو تحالفا قويا

---

[٧] انظر عادل غنيم عدد الطليعة مايو ١٩٦٨ وابو سيف يوسف يوليو ١٩٧١ ولطفى الخولى يونيو ١٩٧٢ .

[٨] انظر أبو سيف يوسف عدد الطليعة يوليو ١٩٧١ ورأى للطليعة حول تطوير الاتحاد الاشتراكى - اكتوبر ١٩٧٤ .

[٩] انظر ميشيل كامل - عدد الطليعة مايو ١٩٧٢ ، ق

فلابد من التفكير فى أنه لكل قوة أو طبقة ، بصراحة كل طبقة ، تنظيمها السياسى المستقل . فاذا كنا نخاف ، أو نخشى من كلمة حزب فيجب أن نفكر فى تنظيم سياسى آخر . » [١٠]

ويرى الكاتبان أنه لا ينبغى طرح مهام بناء الاشتراكية على الاتحاد الاشتراكى كتحالف يضم قوى اجتماعية بعضها لا مصلحة له فى بنائها كالرأسمالية الوطنية . [١١]

وبعد أن قدم الرئيس **أنور السادات** ورقة تطوير الاتحاد الاشتراكى ، طرح هذا الاتجاه تصوراته فى لجنة الاستماع وفى جريدة الجمهوريه وجريدة الاهرام ومجلة روز اليوسف . [انظر هذه الصحف فى أغسطس - سبتمبر ١٩٧٤ ، لاراء وكتابات الدكتور يوسف ادريس واحمد طه وفتحى عبد الفتاح وصلاح عيسى وعطية الصيرفى ومحمد سيد أحمد] .

ويرى هذا الاتجاه أن هناك تصورا فى الاتحاد الاشتراكى كصيغة لتطبيق مبدأ « التحالف » بغض النظر عما يجرى من تغيير فى تركيبه ، وسواء تمسكنا بنظام « المنبر الواحد » أو سلمنا بضروره « تعدد المنابر » . ذلك أنه لا يستقيم منطق أن يتحدد لتمثيل مصالح العمال والفلاحين تنظيم سياسى يجرى تقرير مصائره وملامحه ولوائحه بقرارات علوية داخل اطار « قطاع الدولة » ، حتى لو كانت هذه الدولة « دولة مؤسسات » وحتى لو كان هذا التمثيل بـ ٥٠ فى المائة على الاقل من المقاعد ، ذلك فى وقت ينطلق فيه نشاط « الرأسمالية الوطنية » أو حتى الرأسمالية دون ما تحديد لمقدار ولائها للوطن ، خارج نطاق قطاع الدولة أى فيما هو معروف بالقطاع الخاص .

ويعتقد هذا الاتجاه أن القول بأن أحزابا وطنية قويه لم تنشأ فى فترة ما قبل الثورة ، وكان من العبث - وقتذاك - خلقها ابتداء لتجميعها فيما بعد ، كرد على الدعوة الى قيام أحزاب وطنية وتقدمية اليوم ، رد غير مقنع . فاجازة مبدأ قيامها ، لا مصادرة هذا المبدأ سلفا ، هو سبيل اقناع الجماهير بصحة هذا الافتراض وتربيتها على بناء ائتلافها الوطنى انطلاقا من حركتها المستقلة البعيدة عن شبهة تدخل السلطة .

ويرى هذا الاتجاه [١٢] ان تغيرات محلية ودولية قد طرأت فى السنوات الاخيرة ، تدعم ايضا دعوته الى تطبيق مبدأ التحالف فى صورة أحزاب متعددة داخل جبهة وطنية يجمعها العمل السياسى لتقود التحول الاجتماعى وفق ما تقتضيه اهداف التحرير والتنمية معا ، ولرد أى تجمع يخالف مواثيق الثورة .

ويرى هذا الاتجاه أن اقرار فكرة « الجبهة » يضمن عدم التفريط فى مبدأ التحالف ، وتغليب المصلحة الوطنية العليا على المصالح المتميزة لشرائح المجتمع المختلفة ، واقرار فكرة « الاحزاب » - كما يرى هذا الاتجاه ، يضمن ادارة الحوار ، انطلاقا من أدنى ، انطلاقا من اصحاب « المصالح الحقيقية » ، على ان يكون حق كل حزب فى الانتماء الى الجبهة بمقتضى برنامجه السياسى لا بمقتضى منطلقاته العقائدية .

ويرى هذا الاتجاه أن يكون الاساس فى حظر تشكيل حزب معين هو خروج برنامجه على البرنامج العام للجبهة ومعارضته له . وأن يتقرر هذا الحظر لا بمقتضى اجراءات ادارية ، ولكن فى ختام حوار سياسى يتكشف من خلاله انعزاله عن كل قاعدة جماهيرية .

والفيصل فى تقرير برنامج الجبهة ، كما يرى هذا الاتجاه ، هو ما أقرته مواثيق الثورة وهى أساس شرعية النظام [١٣] .

● ● ●

يبقى أن نقول فى آخر عملية الرصد هذه ، بأنه ربما كانت هناك آراء أو اتجاهات أخرى بين صفوف اليسار الماركسى المصرى ، الا اننا قمنا هنا برصد ما نشر من آراء معظم كتابه ومفكريه فى الصحف ولجان الاستماع التى نظمها مجلس الشعب .

---

[١٠] انظر محضر اجتماع اللجنة الفرعية للدعوة والفكر المنشور بالطليعة عدد يونيو ١٩٧٢ .

[١١] نفس المصدران .

[١٢] فى هذا الصدد انظر محمد سيد احمد - الاهرام اعداد ٢٠ و ٢٤ اغسطس ١٩٧٤ و ١٠ و ١٢ سبتمبر ١٩٧٤ و ٣١ مايو ١٩٧٥ .

[١٣] محمد سيد احمد - الاهرام ٣١ مايو ١٩٧٥ .

الاتحـــاد الاشـــتراكى :
محـــاذير عـــديدة .. ومخـــرج وحيـــد !

د. رفعت السعيد

عندما اقيم الاتحاد الاشتراكى كمنبر مفترض انه يمثل تحـــالف قوى الشـعب العــامل حــددت صيغته واساليب عمله ـ ككل شيء آخر ـ تحديدا علويا ، ومن أعلى ايضا حددت صيغة التحالف ذاتها وحددت قواته ، وجرى اختيار ممثلى الفئات المختلفة فى هذا التحالف .

وفى فترة ماضية تصور البعض أن الكثرة العددية للقاعده يمكنها أن تتلافى الاثار الضارة للتكوين العلوى وللاسلوب الادارى ، لكن الخطأ الذى تراكم ليصبح خطرا ـ يهز فكرة التحالف من جذورها ، كان يكمن فى أن الاختيار من أعلى قد أدى الى هيمنة وانفراد احدى قوى التحالف [هى بالتحديد أكثر فئات التحالف ثراء وأقلها عددا ، أعلى فئات التحالف صوتا واقلها تمثيلا للاهداف المعلنة للاتحاد الاشتراكى] هذا الخطأ أو الخطر أدى فى كثير من الاحيان الى أن تتحول شعارات واعمال الاتحاد الاشتراكى الى صوت بغير رنين وبغير صدى ، وتكاثرت الاعضاء فيه بغير وجدان ، وتواجدت بغير تفاعل ، واستمعت بغير اقتناع ، ومع المزيد من تسلط الفئات العليا فى السلم الاجتماعى ازدادت عزلة الاتحاد عن جمـاهير التحالف الغفيرة من العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين ، وما لبثت هذه العزلة أن أصبحت فى ذاتها سبيلا للمزيد من تسلط الفئات العليا واحكام قبضتها على كل مفاتيح السلطة المفترضة فى الاتحاد الاشتراكى .

ورويدا رويدا تحولت انتقادات الجمـاهير المتراكمة وتساؤلاتها التى بغير اجابة الى اعراض كامل ، وانقطاع للصلة ، وانتهت حالة الضعف المتصل الى نهايتها الطبيعية .

وهكذا تثور من جديد ، وبعد سلسلة متعاقبة من التجارب التى لا ينكر أحد اخفاقاتها ، قضية اعادة تشكيل الاتحاد الاشتراكى وتبرز هذه المرة مسالتان هامتان جديدتان :

١ ـ المنابر ..

٢ ـ عدم اشتراط عضوية الاتحاد الاشتراكى كشرط لعضوية الهيئات الاخرى ، الامر الذى يتيح الفرصة امام الانسان ـ غير الراغب فى الانضمام

الى الاتحاد الاشتراكى ـ فى أن يمارس نشاطا تشريعيا أو نقابيا أو اجتماعيا .

والحقيقة أن هاتين المسألتين الهامتين والجوهريتين لم تحظيا لا بالكثير ولا بالقليل من الدراسة او التوضيح ، وكل ما توافر حولها هو مجرد اجتهادات فردية اتخذت صورة التصريحات الصحفية لبعض المسئولين ، ولكنها كانت فى كثير من الاحوال متضاربة وغير دقيقة ، وهى فى النهاية غير ملزمة أيضا لانها سيقت فى مجال الاجتهاد والتفسير ...

اقصد انه بما أن الامر يمس مصالح فئات اجتماعية ، وتياراتسياسية عدة ، من المفترض انها ستمثل فى اطار هذه المنابر أو حتى ستنسحب من التمثيل فيها ، فانه يتطلب وبالضرورة محاولة للاستماع لراى هذه الفئات فى المنابر واسلوب عملها وكيفية ايجاد تمثيل متكامل ومتوازن لها .. لكن ذلك لم يتم ، وهكذا فاننا ومن جديد نبدأ بالقرار العلوى أو يتهددنا البدء به ..

ان قضية الاتحاد الاشتراكى تثور بشكل ملح داعية الى تفكير جديد واسلوب جديد فى العمل . وهى ان شئنا الدقة قد ظلت مثارة دوما لكن البعض أغمض عينيه عنها تجاهلا . ثم انتهى الامر الى تسليم الجميع بأن الصيغة المطبقة حاليا لم تعد صالحة ، ولكى لا نقع فى المحظور ، فنكرر انفسنا واخطاءنا ـ ونحن نتصور أننا نجدد ونبتكر ـ فاننى اعتقد انه من المهم أن نحدد بعض المحاذير والاخطاء التى أنهكت التجارب السابقة وقادتها الى الاحتضار المزمن وهى :

● التحديد الاجبارى من أعلى لصيغة معينة من التحالف ، ولاسلوب معين من « تشغيل » هذا التحالف ، ناسين أن « التحالف » يعنى المشاركة الاختيارية والمشاركة ليست تواجدا جسديا ، وانما تحديد ابتدائى مشترك لنوعية وأساليب ومستقبل التحالف ..

● اقتناص فئة اجتماعية معينة [هى أكثر فئات التحالف ثراء وأقلها ولاء لمبادئه المعلنة] لكل مناصب القيادة والتوجيه فى الاتحاد الاشتراكى ..

ان من حق العمال والفلاحين [وهم الاكثرية العددية والتى لا يجادل أحد فى أنها أقرب فئات التحالف لاهدافه المعلنة] من حقهم أن يتساءلوا ـ دون غضب أو حقد ـ لقد تواكبت على قيادة الاتحاد الاشتراكى اكثر من لجنة تنفيذية عليا ، فكم من أعضائها كان عاملا أو فلاحا ؟ أو حتى زعم أنه عامل أو فلاح ؟ ..

ان من حقهم ان يحاولوا أن يحصوا ولو على الامين العام للاتحاد الاشتراكى أكثر من شخص فمن منهم كان عاملا أو فلاحا ؟ .

ان من حقهم ان يتساءلوا لقد توالى على منصب اصابع اليد الواحدة عدد الممثلين الفعليين والاصلاء للعمال والفلاحين فى ذلك الخضم الكبير العدد من اجمالى أعضاء الامانات واللجان المركزية التى تواكبت على قياده الاتحاد الاشتراكى خلال تكويناته السابقة المتعددة .

● وحتى فى حالة وجود ممثل للعمال أو الفلاحين فان من حق جماهير هاتين الفئتين ان تتساءل كيف تم اختياره ؟ وعلى أية أسس ؟ ولصالح اية فئة اجتماعية مارس نشاطه ؟ . لقد رأينا عددا ممن قيل انهم يمثلون العمال والفلاحين فى هذا المستوى أو ذاك من مستويات الاتحاد الاشتراكى وهم يعيشون ويتصرفون « كديكورات » متحركة ليس مطلوبا منها سوى أن تستكمل شكل التحالف .. يمكننى ان أؤكد دون مغالاة أن أحدا منهم لم يكن يمتلك الاقتناع الكافى بأنه يمثل وبحق الطبقة التى قيل له انه يمثلها .

● والاتحاد الاشتراكى ليس مجرد وعاء تتجمع فيه طبقات عدة ويختلط فيه الحابل بالنابل ؟ فالمفترض انه فى الاساس وعاء للعمل السياسى ؟ ومن ثم فان الطبقات المختلفة تتواجد فى اطاره فى صورة تيارات سياسية المفترض فيها انها تتبنى أفكارا ونظريات تدافع عن مصالح هذه الطبقة أو تلك ، ويمكننى ان اقول أن هذا الواقع قد جرى انكاره فى كثير من الاحيان ، أو استخدم حياله أيضا اسلوب الاختيار من أعلى لبعض ممثلين « منضبطين » و « مطيعين » من بعض التيارات السياسية لتلعب هى أيضا دورها « كديكور » يستكمل الشكل المطلوب .

كانت هذه بعض الاخطاء التى تراكمت فأدت بالتجربة الى فشل أقنع الجميع بضرورة التغيير ..

واتجاسر فأضيف سببا آخر ..

هو انه وبالاضافة الى العوامل السابقة ؟ والتفاعل معها ، قد حدث تزايد محتدم فى اختلال التوزيع الاجتماعى للثروة ، الامر الذى أدى الى تفاوت شاسع فى الدخول ومستويات المعيشة والذى كان لابد له من ان يوسع الهوة بين المتحدثين الى الجماهير من منبر الاتحاد الاشتراكى وبين الجماهير ذاتها .. وما ترتب على ذلك من انعكاسات فى تفاوت المصالح ، وتفاوت المطالب ؟ وتفاوت التطلعات الاجتماعية ..

والان ونحن نقبل على التجربة الجديدة فانني - وبصراحة - لا أخفي خشيتي من وقوعها في المحاذير السابقة أو بعضها .

أنا لا أختلف مع صيغة « المنابر » بل لعل احدا لا ينكر أن اليسار كان اول من نادى بهذه الفكرة وبالتحديد خلال مناقشات لجنة العمل الاولى لتطوير الاتحاد الاشتراكي العربي والتي شكلها المهندس **سيد مرعي** عندما كان أمينا للاتحاد ، لكن المشكلة تبقى في الاجابة على أسئلة ثلاث **كيف ؟ ولمن ؟ وممن تتكون هذه المنابر ؟**

كيف . . ؟

هل بالاسلوب العلوى والادارى القديم سوف يجرى تحديد المنابر وتصنيفها ، وتحديد أساليب عملها ونطاقاته ، ويجرى تقييدها وقبل أن تولد باطر محددة تخنق أنفاسها وتحبس عنها القدرة على التجاوب مع جماهيرها والتعبير عن ارادتها ومطالبها ، ومجابهة القوى الاخرى - في اطار التحالف - بهذه الارادة وتلك المطالب ؟ .

هل بالاسلوب العلوى والادارى القديم سيجرى « تكبيل » فكرة المنابر وتحويلها الى مجرد اضافة جديدة لرصيد التجارب المخففة ؟

لمن . . ؟

هل يملك احد - وقد تحددت اطر التحالف على أسس سياسية واقتصادية واجتماعية - في المواثيق والبرامج والاهداف المعلنة للاتحاد الاشتراكي أن يحرم فئة اجتماعية أو سياسية تؤمن بهذه المواثيق وتدافع عنها من أن توجد لنفسها منبرا معترفا به في اطار التحالف ؟

ثم أن التحالف مشاركة ، اساسها وقاعدتها هو الفكر المتفق عليه ، وهو فكر محدد سلفا في مواثيق واهداف الاتحاد الاشتراكي المعلنة والتي لم يطالب احد بتغييرها . ولو أن احدا فعل ذلك فان الامر يتطلب بالضرورة وقفة من كل الفئات والطبقات الاجتماعية الاخرى لتناقش هل تنضم الى التحالف الجديد بأسسه وأفكاره الجديدة أم لا ؟

ومن هنا يثور السؤال : ما هو موقع هؤلاء الذين يتنكرون اليوم للاهداف والمواثيق المتفق عليها كصيغة للتحالف ؟ ولقد يبدو غريبا ان يثار السؤالين السابقين معا . . لكن التناقض الخطير يكمن في أن البعيدين عن صيغة التحالف وفكرها يريدون أن يزيحوا - وتحت رايات التحالف - اكثر القوى قربا من اهداف وبرامج هذا التحالف .

ممن . . ؟

وتلك هي القضية الاساسية ، فلقد يتصور البعض انه يمكن اعادة التركيبة القديمة بديكورات جديدة اسمها « المنابر » .

ان اللجوء الى فكرة المنابر يعني - وبوضوح - ان ثمة طبقات اجتماعية وتيارات سياسية لم تجد لنفسها تعبيرا حقا داخل الاطر السابقة للتحالف ، وان هذه الطبقات والتيارات كانت من التواجد والفعالية بحيث ادت عزلة الاتحاد الاشتراكي عنها وتنكره لها الى احتضاره وفقدانه توازنه الاجتماعي والسياسي واختلال علاقاته بالجماهير .

المنابر تعني ان القوى الاجتماعية والسياسية التي فرضت هيمنتها طوال التجارب السابقة على مفاتيح القيادة في الاتحاد الاشتراكي ليست ذات صفة تؤهلها لتمثيل مختلف فئات التحالف . ومن ثم فقد احست فئات ذات وزن اجتماعي وسياسي لا ينكره احد بالغربة عن الاتحاد الاشتراكي ، ولقد ترك ذلك اثرا سلبيا تماما على الاتحاد ذاته وعلى قدراته وعلى قدراته « التمثيلية » .

وهكذا فقد تحتم البحث عن صيغة جديدة . .

اقول صيغة جديدة وليس « ديكورات » جديدة . صيغة في العمل وفي التعامل تنفي وترفض الاسلوب العلوى والادارى في « الاختيار » والغرض « والفرز » و « الانتقاء » . وبغير ذلك فسوف تتحول المنابر الى اجهزة صماء ، عاجزة عن « التمثيل » فاقدة للقدرة عن التعبير .

والمنابر تعني وقبل كل شيء « التمايز » . . واقرار هذا « التمايز » تعني افتراض اختلاف أسلوب النظر الى الاشياء ، تعني تفاوت الاوضاع والتطلعات الاجتماعية ، واختلاف التوجهات السياسية . . وذلك كله يتطلب أكبر قدر من المرونة تجاهها ، ومن اتاحة حرية الحركة امامها ومن خلالها . .

والمنابر تعني « المشاركة » اى الاشتراك اشتراكا متساويا ومتكافئا في القدر المتاح من حريه العمل السياسي ومن حرية التعبير السياسي والاجتماعي وفي أدوات التعبير من صحافة واذاعة ، وباختصار فانه لا تصور لوجود منابر ، بدون تصور امكانية هذه المنابر في التعبير المستقل والمتكافيء عن وجهات نظرها المتمايزة .

وهذا التعبير المستقل والمتميز يفترض في المنبر ان يمثل وبحق تلك الفئة الاجتماعية او السياسية التي يعبر عنها ، ويتطلب اولا واخيرا الاحترام

المطلق لحق كل فئة وكل تيار فى اختيار ممثلين داخل هذا المنبر .

الى هنا ويثور سؤال هام .. كيف اذن يمكن للمنابر أن تتواجد ، وان تعمل ، وان تتفاعل ؟ والاقتراحات عديدة ، لكننى أكتفى بايراد مثال واحد ، او نموذج واحد ، لعله ان لم يكن مقبولا تماما من كافة الاطراف ، فانه يكون مجرد ـ وسيلة ايضاح ـ تفصح عن المنطق ، او المنهج الذى يتعين ان يسود عملية تأسيس « منبر » ما ..

نحن نتفق على ان يبقى المؤتمر القومى العام ممثلا ـ بشكل او بآخر ـ للاطار العام للتحالف باعتباره الجهاز المنتخب من القاعدة المشتركة للمنابر .. اى مجمل اعضاء الاتحاد الاشتراكى ..

لكنه والى جواره فانه من الممكن أن يتواجد نوع من « الجمعيات العمومية » أو « المؤتمرات الجزئية » للمنابر المختلفة ، تنتخب او تختار من الاعضاء الملتفين حول راية هذا المنبر او ذاك [واعتقد أنه من حق ـ بل من واجب ـ كل منبر أن يصدر برنامجا مميزا له للمرحلة المقبلة يحدد فيه أهدافه ونقاط اتفاقه مع الاطار العام للتحالف ونقاط تمايزه] ، وهذه « المؤتمرات الجزئية » أو « الجمعيات العمومية » يمكنها ان تقر البرنامج المقترح للمنبر ، وأن تختار القيادة التى تملك حق التحدث باسم المنبر ، وان ترسم اسلوب ومنهج تعامل « المنبر » مع المنابر الاخرى ومع الاطار العام للتحالف ..

وبهذا الشكل يمكن « للمنبر » أن يكون « اداة » تمثيليا حقا ، ويمكنه أن يتواجد فى حقل العمل السياسى كأداة « متميزة » للعمل السياسى فى اطار التحالف ، ويمكنه ان يسهم مع المنابر الاخرى فى دعم الاتحاد الاشتراكى وتعزيز جماهيريته وربطة ربطا محكما بالارادة الشعبية ، وتجعل منه ممثلا تمثيلا حقيقيا لهذه الارادة .

وبهذا الشكل يمكن « للمنبر » أن يكون « اداة » مرحلية لمستقبل يتطلع فيه الجميع نحو مزيد من حرية العمل السياسى لكل القوى والفئات الملتزمة باطار التحالف ..

ولقد يثور سؤال آخر .. المنابر لمن ؟ لكل من اراد لنفسه ؟ أم لكل من أرادت له السلطة ؟

والجواب ـ فى اعتقادنا ـ لا لهذا ولا لذاك ، فالقوى السياسية لا تفتعل ، ولا يمكن « فبركتها » ، لا من هذا الجانب ولا ذاك ، وانما هى حصيلة عطاء تاريخى متصل تمتد جذوره عبر مرحلة بأسرها .. والقوى السياسية التى يمكن أن تقوم باسمها « منابر » يتعين عليها أن تكون قوى متفقة على الاطار العام للتحالف ، أعنى أن تكون متفقة مع البرامج والاهداف والمواثيق المعلنة للتحالف ، وليس من حق احد ان يرفض هذه المواثيق او ان يعترض عليها ثم يقحم نفسه فى ميدان التحالف القائم على أساسها ، كذلك فانه ليس من حق أحد أن يعترض على تواجد قوة سياسية داخل التحالف ، طالما أنها متفقة مع مواثيق التحالف المعلنة ، وطالما انها تعبر عن تواجد تاريخى وموضوعى فى حقل العمل السياسى والاجتماعى ..

ولكى لا أعود فأكرر نفسى ، فاننى وقبل ان انتقل الى موضوع آخر ، اود أن أؤكد أن اى تداخل او محاولة للتداخل من جانب السلطة بحثا عن منابر « محددة » أو تلافيا لمنابر « محددة » تجاهلا للتواجد التاريخى والموضوعى .. وان اى تداخل من جانبها بحثا عن قادة أو ممثلين « منضبطين » أو « مضمونين » أو « موثوق بهم » سوف تقود التجربة كلها الى نفس الرصيد السابق من الاخفاقات المتكررة ..

ويقودنا ذلك الى التساؤل الثانى الهام ...

ماذا عن هؤلاء الذين آثروا لسبب أو لآخر عدم الانضمام الى الاتحاد الاشتراكى ؟ وأخشى ما أخشاه أن يعتبر هؤلاء كما مهملا بحجة أنهم غير راغبين فى ممارسة نشاط سياسى او بحجة أنهم ضد صيغة التحالف ذاتها ..

ذلك أن مثل هذا الموقف هو مجرد تبسيط مخل للامور ، وتجاهل لحقائق هامة منها أن مرارة التجارب السابقة ، واستمرار تكرار الاخطاء لابد له من أن يترك بصماته على لا مبالاة البعض تجاه الاتحاد الاشتراكى . وهذه مسألة واقعية ويتعين علينا معالجتها بالحرص والذكاء الواجبين والا كرسنا عزلة هؤلاء الناس ودفعناهم دفعا من موقف اللامبالاة الى موقع الفعل المضاد ...

كذلك فان صيغة التحالف ، وان قبلت « نظريا » من اطراف عديدة ، فانها وفى التطبيق العملى قد انتهكت انتهاكا صارخا ومتكررا بحيث طغى التطبيق العملى على الصياغات المكتوبة ، ويحتاج الامر الى ممارسات صحيحة جديدة اذا اردنا للبعض أن يصدق أن هناك تحالفا فعلا .

كذلك فاننا يجب الا ننسى أن التحالف مشاركة ، والمشاركة لابد لها ان كانت فى اطار سياسى من أن تكون اختيارية .. وليس بالامكان وضع صيغة « عسكرية » أو « ادارية » لاجبار القوى الاجتماعية

أو السياسية المختلفة على التحالف « اجباريا » ان الممارسة الصحيحة والاعتراف « بالتمايز » والتساوى فى الحقوق والواجبات بين فئات التحالف المختلفة هو السبيل الوحيد لجذب القوى المتباعدة طالما انه مفترض فيها اتفاقها مع اهداف التحالف وبرامجه ..

واخيرا فان تساؤلا هاما يثور ، كيف نسمح لانسان ان يدخل مجلس الشعب ليشرع ، وأن يحتل مناصب القيادة فى العمل النقابى والاجتماعى ، ثم لا نسمح له أن يقول رأيه فى السياسة .. ؟ أليس فى ذلك اخلالا بطبائع الامور ... ان نعطى للانسان حقه فى أن يمثل الامة كلها وان يشرع لها وان يدلى برأيه دونما قيد من فوق منبر السلطة التشريعية ثم اذا ما حاول أن يفتح فمه فى الحديث عن السياسة منعناه بحجة انه ليس عضوا فى الاتحاد الاشتراكى ؟

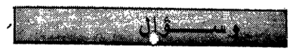
والقضية « معقدة » أعنى انها « مركبة » بمعنى أن التداعى المنطقى لاى تفكير سليم لابد وأن يقودنا الى الفكرة القائلة بأننا مقبلون حتما نحو طريق جديد للعمل السياسى يكفل التمايز .. وحق العمل السياسى المستقل للفئات الاجتماعية والتيارات السياسية المختلفة .

وان تواجد هذا الحق والاعتراف به لا يعنى « انفراط » التحالف بل لعله يعززه ويقويه ، ذلك أنه يمنحه التدس وأهم ما تحتاجه أية صيغة للتحالف وهو « الاختيار الحر والمتكافىء » ...

واخيرا .. فاننى اعود فأكرر ، الامر جد ، ولقد تكررت الاخطاء بحيث لم يعد ثمة مجال لاخفاق جديد يمكن تدارك آثاره .. ولو شئت التبسيط فان صيغة الاتحاد الاشتراكى قد استنفذت ـ فى نظر الجماهير ـ كل فرص الرسوب المسموح بها ، والتعديلات والتغييرات ومحاولات الترقيع لم تكن ابدا مجدية بل لعلها زادت الامور سوءا ، وقادت التجربة كلها نحو الاحتضار .

الطريق الوحيد هو الاعتراف بالتمايز ، والتحالف من خلال هذا الاعتراف .. وما من مخرج آخر .•





محمد سيد أحمد

ان كل سلطة فى أى بلد ترتكز على تحالف من مجموعة طبقات اجتماعية . هذه حقيقة عامة . وهى صحيحة حتى فى حالة دكتاتورية طبقة تنفرد بقيادة السلطة . ان دكتاتورية البرجوازية لا تستبعد ـ على وجه الاطلاق ـ مشاركة طبقات أخرى فى احتلال مواقع السلطة لتعزيز مركزها القيادى . وهذا ينطبق ايضا على دكتاتورية البروليتاريا . ففى كافة المجتمعات الاشتراكية التى طبقت مبدأ « دكتاتورية البروليتاريا » اقيمت هذه الدكتاتورية على تحالف طبقى ضم الطبقة العاملة ، وقطاعات واسعة من الفلاحين ، والمثقفين الثوريين .

وكثيرا ما قيل فى مصر خلال سنوات الثورة ان القصد من اقرار مبدأ « تحالف قوى الشعب العاملة » هو استبعاد ان تنفرد طبقة واحدة بالسلطة ، هو استبعاد دكتاتورية طبقة . وهذا بالبداهة لا يعنى استبعاد « دكتاتورية البروليتاريا » فحسب ، بل استبعاد « دكتاتورية البرجوازية » كذلك . أى ما اسمته الثورة « بسيطرة رأس المال على الحكم » .

ونستطيع أن نقرر،دون ماتردد،من منطلق اليسار ، ومن منطلق اليسار الماركسى بالذات ، أن قضية « دكتاتورية البروليتاريا » غير مطروحة فى مصر فى الظروف التاريخية الراهنة ، أنها غير واردة بل وغير مرغوب فيها . ذلك أن انفراد الطبقة العاملة بقيادة السلطة تقتضى توافر ظروف موضوعية وذاتية هى غير قائمة فى الوقت الراهن ، وغير متوقع ان تكون قائمة فى أى مستقبل قريب أو منظور . واليسار بنفسه يقرر – بكل شرائحه وعلى اختلاف منطلقاته – ان مجرد التفكير فى طرح شعار « دكتاتورية البروليتاريا » يعتبر فى الملابسات التاريخية الراهنة للتحول الاجتماعى المصرى ضربا من ضروب المغامرة غير المسئولة ، فضلا عن أنه طرح غير قابل للتنفيذ .

ان قضية « دكتاتورية البروليتاريا » غير مطروحة أصلا . ولكن المطروح ، والمطروح بصوره مثيرة للقلق – من جانب قوى معينة – هو العودة الى صيغة تتحقق بمقتضاها « دكتاتورية البرجوازيه » بكل ماتنطوى عليه هذه الدكتاتورية من نظم ، وقيم ، وأبنية اجتماعية .

« دكتاتورية البرجوازية » بمعنى أن يعيد رأس المال سيطرته التامة على مقاليد السلطة . رأس المال بكل قيم ونظم الرأسمالية ، سواء فى ابنيته **التحتية الاقتصادية** [**وهذا** هو ما يريده البعض من سياسة « الانفتاح »] أو فى **ابنيته الفوقيه السياسية** [**وهذا هو** ما يقصده هذا البعض بالمطالبة بعودة الاحزاب ، واطلاق حرية تأليف الاحزاب السياسية دون قيد أو شرط] .

ان سياسة « الانفتاح » قد تكون مطلوبة لتحقيق انتعاش اقتصادى عاجل بعد التردى الذى أصاب الاقتصاد القومى ، الناجم عن سنوات الصمود الطويلة بعد هزيمة ١٩٦٧ ، ونتيجة ما خصص من مبالغ للاعداد لحرب اكتوبر [تصل هذه المبالغ حسب بعض التقديرات الغربية الى ٢٥ بليون دولار] . واللجوء الى خطة للانعاش الاقتصادى تحيى الرأسمالية ليس بدعة ، حتى من وجهة نظر المجتمعات الاشتراكية . وقد لجأ لينين الى « سياسة الاقتصادية الجديدة » القائمة على اعطاء فرص نمو للرأسمالية ، للتخفيف من حدة المشاكل التى تعرض لها الاقتصاد السوفيتى بعد سنوات « شيوعية الحرب » [١٩١٧ – ١٩٢٠] . **ليس الانفتاح مرفوضا – حتى فى رأى اليسار – من حيث المبدأ . ولكن المرفوض هو أن يقتنص اليمين الصعاب التى تواجه الاقتصاد القومى الان للانحراف بمجرى الثورة الى طريق** الرأسمالية ، ولتصفية كل انجازات الثورة ، الاجتماعية والاقتصاديه ، التى تحققت لصالح قوى الشعب العاملة والاجهاز عليها اجهازا تاما . وحتى يكون الانفتاح منطلقا فقط لإثراء فئات من السماسرة والطفيليين ، الذين لا يشاركون فى عملية الانعاش ولايسهمون بجهد انتاجى ، بل يستغلون ظروفا طارئة لزيادة الوضع الاقتصادى قلقلة واضطرابا .

ليس هناك خلاف على أن للرأسمالية دورا فى الظروف الراهنة للتحول الاجتماعى المصرى . ولكن القضيه المطروحه هى تحديد هذا الدور . وهل تنفرد الرأسمالية بالسلطة على نحو يطلق العنان للاتجاهات داخل الرأسمالية المنتفعة بالصعاب الراهنة ، لتحقق ثراء عاجل وغير مشروع على حساب الجماهير ، دون جهد انتاجى حقيقى يلبى مقتضيات المجتمع العاجلة .. ام يجرى تنشيط الرأسمالية والقطاع الخاص داخل اطار تحالف قوى الشعب ، على أن تظل وتتعزز السلطة فى يد هذا التحالف : حتى تكون سيطرتها على مصائرها الضمانة الاكيدة الكفيلة بشحذ طاقات الجماهير الكامنة لتخطى الصعاب الراهنة ، واطلاق عمليات التنمية ، واكساب المجتمع مقومات تطوره واستقراره ؟ .

هذه هى **القضية** . ويكمن حلها فى مضمون **التحالف** المطلوب اقامته وتحديد الطبقات المنتمية اليه . وفى ضوء هذا التحديد **لمضمون** التحالف ، يتحدد **الشكل** الانسب الذى يلبى متطلبات هذا المضمون .

ماهو هذا الشكل ؟ هل صيغة الإتحادالاشتراكى كفيلة بتلبية متطلبات هـــذا المضمون ، حتى بعـــد مـــا تقـــرر لـــه من « تطوير » . وحتى مع التسليم بضرورة اقرار « تعدد المنابر » فيه ؟

لقد اوضح زميلنا حلمى ياسين فى مقاله تطلعات اليمين ، والفكر الذى يطـرحه الاستاذ أحمد ابو الفتح وغيره من اقطاب اليمين . هل فى استطاعة الإتحاد الاشتراكى أن يقاوم هذا الفكر ، وأن يصمد أمـامه ؟ .

ان تجربة الاتحاد الاشتراكى طـوال السنوات الماضية كما أوضحها زميلنا رفعت السعيد لا توحى بهذه القدرة . ويقرر رفعت السعيد أنه بالرغم انه لا يختلف مع صيغة « المنابر » فأنه يجد ما يبرر خشيته من وقوعها فى المحاذير السابقة أو بعضها » ، وهذه المحاذير بالقطع تفقـد الاتحـاد الاشتراكى القدرة على مقاومة الفكر اليمينى الذى أصبح يعلن عن أهدافه جهارا نهارا ، ولا يخفى رفضـه الحـاسم للاتحاد الاشتراكى .

هل قوى التحالف بمعنى التحالف فى وجه اليمين ، باهدافه الرامية الى تصفيـــة منجزات الثورة ، والانطلاق بلا قيد أو شرط فى طريق الرأسماليه ، سوف تجد فـى الإتحاد الاشتراكى الحاجز القادر علـى مقاومة هذا التحدى ؟

هل تنطـــوى « المنـــابر » على الغـــاء فكرة « التعيين من أعلى » ؟ هل تفسح المنابر للعمال والفلاحين فرصا سياسية متكافئة مع قوى اليمين المستندة الى قاعدة اقتصادية تستمد قوتها من الترخيصات الممنوحة لها بمقتضى سياسة لانفتاح ؟

كنت قد حذرت فى مقال « بالاهرام » انه لا يستقيم منطق أن يتحدد لتمثيل العمـــال والفلاحين تنظيم سياسى يجرى تقريرمصائره وملامحه ولوائحه بمر ر ـ عنويه داخل اطار « قطاع الدولة » [حتى لو كانت هذه الدولة هى « دولة مؤسسات » وحتى لو كان هذا التمثيل بـــ ٥٠ فى المائة على الاقل من المقاعد] ، ذلك فى وقت ينطلق فيه نشاط « الرأسمالية الـــوطنية » أو حتى « الرأسمالية » دون ما تحديد او قيـــود أى هناك ما يبرر التخوف من نشاط « رأسمالى غير وطنى » اعتمادا على ما قيل رسميا عن تفشى مظاهر « السمسرة » والطفيلية » الى غيـر ذلك من الظواهر التى نشأت ونمت وترعرعت مع سياسة الانفتاح وحتى لو افترضنا جدلا ـ بأن الدولة قادرة على اجتثاث جذور أوجه الاعوجاج والانحراف ، فليس هنـاك ما يقطع بأن الممثلين المصريـين للشركات الاجنبية سوف يكونون اكثر حرصا ـ اقتصاديا وسياسيا ـ على المصالح العامة .. منهم على مصالح مصدر دخلهم وربحهم .

لم تعد القضية أن اليسار كان المبادر بالمطالبة بتعدد المنابر فى وقت لم تكن فكرة المنابر مطروحة اصلا ، حتى يتعـين على اليسار أن ينظر الى هذا التطوير على أنه تلبية لطرح كان هو اول من لفت النظر الى ضرورة الاخذ به . بل ان القضية اليـوم هى الى « أى حد يمكن مواجهة التحديات التى تهدد صميم منطلق الثورة وانجازاتها ، اعتمـادا على هـــذا الطرح فى الظروف الراهنة » وهل مازال هذا الطرح ملائما بعد التطورات التى اعترت المجتمع خلال الاونة الاخيرة ، وكما كان اليسار بوعيه سباقا منذ عدد من السنوات ، فربما استدعت الظروف الراهنة ان يثبت ـ مرة اخرى ـ نفس القدرة على السبق حتى لو اعترض الاخذ بطروحه الجديدة فى الحال راى غالب يقاوم التسليم به .

انني بطرحى هذا لا ادعو الى مقاطعة الاتحاد الاشتراكى ، ولا حتى الى استخدام

حتى بعدم الالتحاق به بعد ان اصبحت عضويته اختيارية . بل ارى ان اليسار ينبغى ان يساهم بكل ماله من قوة فى المعترك السياسى ، وان يمارس نشاطه من داخل المؤسسات .

ولكنى أقرر بنفس الحزم أن صيغة الاتحاد الاشتراكى ، حتى بعد اقرار تعدد المنابر فيه ، ليست الصيغة الاكثر ملاءمة ،ولا هى الصيغة الكفيلة فى رأيى بمواجهة تحديات المرحلة ، وبحماية مكتسبات الثورة لصالح التحالف الاجتماعى الذى استندت اليه .

وصميم بناء الاتحاد الاشتراكى يحول دون أن يكتسب صفة أن يصبح تنظيما منبثقا من « أدنى » ، اى تنظيما يرتكز بنساؤه الى الممثلين الاصلاء لقوى الشعب العاملة .

قلت : ليس حتما انه ينبغى التمسك بصيغة الاتحاد الاشتراكى لمجرد ان اليمين يلفظه . وأقول : ليس حتما أنه ينبغى لفظ فكرة تعدد الاحزاب لمجرد أن اليمين يتبناه .

فالقضية فى الحالتين هى قضية «شكل» التحالف . اما جوهر المواجهة فهى تجرى حول المضمون .. اى المضمون الاجتماعى والطبقى للاحزاب المباحة اقامتها .

أن اليمين برفعه شعار « اطلاق حرية تاليف الاحزاب » دون ما قيد او شرط ، انما يعنى فى الاسس حرية تأليف الاحزاب لطبقات المالكة، للطبقات البرجوازية، للطبقات القادرة بامكانياتها المادية والمالية على أن تكتسح الساحة خاصة فى ظرف لم يعد يتعرض فيه النشاط الاقتصادى « الحر » [اقرأ : الراسمال] لقيود كثيرة كبلته فى الماضى (*)

مضمون شعار اليمين ، هو اقامة سلطة تستند الى تحالف قوى الرأسمالية ،سلطة دكتاتورية البورجوازية سلطة للاتجاهات الطفيلية غير المنتجة صوت قوى صاخب ، بل ربما الكلمة الفصل .

والمنطلق الكفيل بمواجهة هذا المنطلق اليمينى ، هو تحالف تمثله جبهة من الاحزاب الوطنية القادره على حشد كافة الطاقات الانتاجية والابداعية فى المجتمع ، من اجل التحرر الوطنى ، والتقدم الاجتماعى والتنمية الاقتصادية . هذا لا يلغى الراسمالية الوطنية ، ولكن لا يترك لها الساحة وحدها . ولا يترك للقوى المتسلقة غير ممثلة لصالح حقيقية ان تنمو وتترعرع ، ولا يبدو ان احدا من المشاركين فى هذه الدراسة يستبعدان مآل المواجهة الاجتماعية الراهنة داخل المجتمع المصرى انما سوف ينتهى الى مواجهة بين صيغتين للتحالف : صيغة تستند الى « مجموعة أحزاب للطبقات المالكة » [منطلق اليمين] ، أو صيغة تستند الى مجموعة احزاب للطبقات الوطنية » [منطلق اليسار ومنطلق قوى الثورة فى مصر عموما] فقد أقر رفعت السعيد فى مقاله بانه يمكن للمنابر ان تكون « اداة » مرحلية لمستقبل يتطلع فيه الجميع نحو مزيد من حرية العمل السياسى لكل القوى والفئات الملتزمة باطار التحالف »واكد السيد كمال رفعت فى ختام مقاله«ان المنابر داخل الاتحاد الاشتراكى ستكون نواة لتجمعات سياسية تعمل فى نطاق جبهة وطنية صلبة من قوى الشعب العامل تخدم اهدافها الوطنية والقومية »

. فهل على اليسار أن يركز — فقط — فى هذه المرحلة على الشروط التى ينبغى توافرها حتى تكون فكرة المنابر صالحة ومقبولة .. أم أن واجبه — قبل ذلك — هو أن يؤكد حتمية البديل — آجلا أو عاجلا — كشرط لا غنى عنه لتخطى تعثرات المرحلة ، وتعميق انجازات الثورة ، والسير بمسيرتها قدما الى الامام .

كلمة من « الطليعة »

ثورة يوليو
تبدأ عامها الرابع والعشرين

في ٢٣ يوليو ١٩٥٢ سقط النظام القديم في مصر ، وان كان قد بدأ في الانهيار يوم حريق القاهرة في ٢٦ يناير ١٩٥٢ .

وعبر أربعة وعشرين عاما ، غيرت ثورة ٢٣ يوليو الكثير من وجه الحياة في مصر : الغت النظام الملكي ، والذي كان قمة التحالف بين الرجعية المصرية والاستعمار الاجنبي ، واعلنت عن اصلاح زراعي هزت به قواعد الملكية الكبيرة . ورفضت المشاركة في احلاف الاستعمار فأعلنت الحرب على حلف بغداد ورفضت مشروع ايزنهاور . وتمكنت من اجلاء قوات الاحتلال البريطاني عن البلاد . ثم أعلنت تأميم قناة السويس ، وبسبب هذا التأميم دخلت حربا دفاعية ضد هجمة قوات العدوان الثلاثي ـ بريطانيا وفرنسا واسرائيل في ١٩٥٦ . وسعت الى بناء جيش وطني ، واتجهت الى بناء علاقات صداقة وتعاون مع الاتحاد السوفييتي والبلدان الاشتراكية في مواجهة حصار الامبريالية للثورة .

واقامت ثورة ٢٣ يوليو بفضل التعاون مع الاتحاد السوفييتي السد العالي والذي حفظ لمصر خضرة أراضيها وسمح بزيادة رقعتها الزراعية بمليون ونصف مليون فدان ، وحماها مؤخرا من القحط الذي اكل الحياة في كثير من البلدان الافريقية وخاصة تلك التي تعيش عند منابع النيل .

ومصرت ثورة ٢٣ يوليو اقتصاد مصر . وعندما أرادت الراسمالية المصرية الكبيرة أن تبتلع كل ثمار التحرر الوطني والتمصير ، اتجهت قيادة ثورة ٢٣ يوليو الى احداث تحولات اقتصادية واجتماعية جذرية ، ذات طابع وطني وديمقراطي ، فكانت اجراءات يوليو ١٩٦١ ، فكان التأميم ، وانشاء القطاع العام في مصر ـ وهكذا استشرفت الثورة الافق الاشتراكي . فكان ميثاق العمل الوطني والذي أعلن عن تبنيه للاشتراكية العلمية ، كصياغة للبناء والتطور .

وفي ظل اجراءات التحرر الوطني والتحولات الاجتماعية اتسعت صناعات عديدة مثل صناعة النسيج وقامت صناعات جديدة في مجال صناعة الحديد والصلب والصناعات الكيماوية ، والصناعات الهندسية . وتملكت الدولة قطاع البنوك التأمين وسيطرت على قطاع التجارة الخارجية .

وفي ظل هذه الاجراءات ، الاقتصادية والاجتماعية حصلت الجماهير الكادحة والعاملة على عدد من المكتسبات التقدمية فتقرر العمل في الدستور لكل مواطن ، وعلى الدولة ان توفره . ونفذ يوم السبع ساعات عمل ، واصبح الحد الادنى للاجور خمسة وعشرين قرشا ثم ثلاثون قرشا . واتسعت قاعدة التأمينات الاجتماعية ، ونفذ اشتراك العاملين في عضوية مجالس الادارة وفي الارباح . الى جانب تقرير مبدأ ضرورة

مشاركة العمال والفلاحين بنسبة ٥٠ فى المائة فى جميع المؤسسات الدستورية والشعبية . كما أصبح التعليم فى جميع مراحله بالمجان .

وعبر مراحل التطور ، أيقنت قيادة ثورة ٢٣ يوليو أن طريق التطور الراسمالى — هو طريق نهب واستغلال العمال والفلاحين وكل الشعب ، هو طريق التبعية للامبريالية وللاستعمار الحديث .

وفى معركة النضال ضد الامبريالية والاستعمار القديم والجديد ، أكدت الثورة على أهمية وحدة قوى ثورة التحرر الوطنى العربية — واعتبرت قيام مثل هذه الوحدة شرطا ضروريا لتحقيق النصر على الامبريالية ، وقاعدتها فى المنطقة اسرائيل .

كما أكدت الثورة ، على اهمية وحدتها مع حركة التحرر الوطنى فى العالم ، فكان مؤتمر باندونج ، والعمل الموحد مع حركات التحرر فى افريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية . وكان لقاؤها مع معسكر الاشتراكية على أساس وحدة الهدف والقصد .

وخلال كل هذه التطورات ، الوطنية والتقدمية ، سعت قوى الرجعية المحلية والعربية والعالمية بقيادة الاستعمار الجديد الى الهجوم على الثورة المصرية — باعتبارها طليعة ثورية وموقعا متقدما فى المنطقة العربية — فمن الحصار الاقتصادى والمقاطعة والتآمر ، الى حرب ١٩٦٧ .

ورغم كل التطورات الوطنية والتقدمية التى تحققت فى ظل ثورة ٢٣ يوليو ، فان ثغرات عديدة ظلت تفتح أفواهها لابتلاع الثورة والانتكاس بها ، واحداث ردة لصالح قوى النظام القديم والاستعمار الجديد .

ومن بين أهم تلك الثغرات غلبة لاساليب فردية وبيروقراطية فى العمل السياسى والاقتصادى والاجتماعى — وهى أساليب أضعفت الدور الفعال للجماهير ، وحدث من مشاركتها الحقيقية فى البناء والنضال ، الامر الذى أجهض الحركة الديمقراطية للجماهير ، وحرمها من مؤسساتها الديموقراطية الحقة .

ان ضعف الممارسة الديمقراطية للجماهير الشعبية سلم مقاليد البناء لاجهزة علوية وادارية وللاجهزة الخاصة — ضيق حريات المواطنين وحقوقهم ، وسمح لظاهرة الشلل والمراكز الموازية بأن تستمد سلطات استثنائية من أوضاعها القيادية .

ونمت طبقة طفيلية جديدة وخاصة فى قطاع التجارة والمقاولات ، اخذت تجمع الثروات بنهم بالغ — حتى أنه فى الفترة من ١٩٦٧ اصبح فى مصر أكثر من ستمائة مليونير . وأصبحت هذه الطبقة قاعدة لكل تحرك مضاد لثورة ٢٣ يوليو ، ولكل اتجاهات الردة الى طريق التطور الراسمالى والتعاون مع الاستعمار الحديث .

ورغم — أنه فى أكتوبر ١٩٧٣ تمكنت ارادة الشعب المصرى — وجيشه الوطنى أن تعبر حاجز هزيمة ١٩٦٧ ، وتعيد الى الثورة أياما من أيام شبابها الزاهرة ، فان هذه القوى الطفيلية ، والمضادة لثورة ٢٣ يوليو تحاول دعم مراكزها والانقضاض على مكتسبات وطنية وتقدمية أرست قواعدها ثورة ٢٣ يوليو .

وهذه المحاولات متعددة ومتنوعة — فمن هجوم على القطاع العام ، ومحاولات للعودة الى طريق التطور الراسمالى وفتح الباب للاستعمار الجديد ، وهجوم شامل على ربع قرن من حياة مصر وشعبها بعد الاطاحة بالنظام الملكى العميل للمستعمر الاجنبى .

ان ثورة ٢٣ يوليو فى عامها الرابع والعشرين تستنهض ابنائها للاستمرار بمسيرتها الوطنية التقدمية — وللحفاظ على كل المكتسبات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، ولاقامة ديمقراطية للشعب الكادح وتحالف قواه العاملة ، — العمال والفلاحون والمثقفون والجنود والراسمالية الوطنية المعادية للاستعمار القديم والجديد .

« الطليعة »



الدكتور عزيز صدقى يقدم روايته عن :

قصة السوفييت مع مصر

اجرى الحوار :

محمد عودة

فيليب جلاب

سعد كامل

فى هذا الحوار ، يقدم « الدكتور عزيز صدقى » روايته عن « قصة السوفيت مع مصر » . ورواية الدكتور صدقى ، تنبع عن تاريخ طويل وخبرة عميقة . وذلك بحكم المسئوليات السياسية والاقتصادية الكبيرة التى اضطلع بها فى المجتمع المصرى ، سواء تحت قيادة عبد الناصر او قيادة السادات . وخلال المرحلة التى بدأت منذ ٢٣ يوليو ١٩٥٢ تولى الدكتور عزيز صدقى أكثر من مرة منصب وزير الصناعة . كما تولى رئاسة مجلس الوزراء فى الفترة من ١٧ — ١ — ١٩٧٢ الى ٢٧ — ٣ — ١٩٧٣ .

والدكتور عزيز صدقى ، من الشخصيات العامة القليلة ، التى زاوجت فى عملها بين الخبرة الفنية والخبرة السياسية . وأثارت دوما ردود فعل تتراوح بين التأييد والمعارضة . غير أن هناك «ظاهرة عامة» يلتقى عندها المؤيدون والمعارضون للدكتور صدقى، وهى ان قيادة حركة التصنيع الحديث فى مصر بقوة القطاع العام ، تحسب تاريخيا ، لهذا المهندس ـ السياسى من ابناء الطبقة الوسطى فى مصر الذى نال درجة الدكتوراه من جامعة هارفارد الامريكية .

ادار الحوار مع الدكتور عزيز صدقى فى الوقت الذى كان يشغل فيه منصب مساعد رئيس الجمهورية الزملاء محمد عوده وفيليب جلاب وسعد كامل ، فى اطار الكتاب الذى يصدر قريبا عن « دار الثقافة الحديثة » بالقاهرة .

نتفق معه او نختلف ؟ هذه قضية اخرى . لكن هناك اجماع حول دوره الاساسى فى تنفيذ اهم برامج الثورة المصرية واكثرها طموحا . وهى تحويل مجتمع زراعى متخلف الى مجتمع يخطو للمرة الاولى فى الطريق الوحيد الصحيح وهو التصنيع .

وكل الرجال الذين يثيرون الجدل هنا او هناك لهم بصمات واضحة على ما ينجزونه من اعمال . وعزيز صدقى واحد منهم .

ولانه يعرف موضوعه تماما ، ويتدفق فى حديثه بمعلومات وارقام لا نستطيع دحضها فقد تشبثنا فى اكثر الاسئلة بترديد ما « يقال » وما « يشاع » .... حاولنا اتخاذ موقف « الاتهام » وعليه ان « يدافع » !

البداية هادئة ..

قلنا للدكتور عزيز صدقى :

كيف ترى العلاقات السوفيتية فى المجال الذى عشت كل تفاصيله ؟ هل تتعثر وتنحسر او تنمو وتتوطد ؟ وهل هناك فائدة او جدوى من نموها ... اليست هذه التجربة ايضا فى حاجة الى مراجعة ان لم يكن تراجع ... من زاوية المصالح المصرية الحقيقية ؟

● **قال الدكتور عزيز صدقى :**

دعونا نحدد نقطة البداية اولا وعلى شكل سؤال ايضا : هل هناك اهمية للتصنيع فى ظروف كظروفنا وفى بلاد كبلادنا ؟

كان الوضع عند قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ معروفا للجميع .. مجتمع زراعى فى الاساس ، اى تشكل الزراعة فيه الجزء الرئيسى من الدخل القومى . اما الصناعة فكانت متخلفة ، فيما عدا بعض النشاط الاجنبى والوطنى المحدود الذى لم يتجاوز ١٠٪ من الدخل القومى المصرى . وفى مثل هذه الحالة ليس التصنيع بالضرورة هو الحل دائما . فقد تسمح الامكانيات الزراعية فى بلد من البلاد بعمليات تطوير وتوسع يحقق بعض اغراض التنمية الاقتصادية ، من رفع لمستوى المعيشة وتلبية للاحتياجات المتزايدة لسكان متزايدين . لكن دراسة الاوضاع الاقتصادية فى مصر اثبتت ان الزراعة المصرية محكومة بموارد مائية محددة حتى بعد انشاء السد العالى . ومن ثم لم تتجاوز امكانيات التوسع الزراعى اكثر من زيادة قدرها ١٥٪ من الارض كحد اقصى . وهى زيادة يبتلعها النمو السكانى الذى يصل الى ٢,٨٪ سنويا . اذن فلجوء الثورة المصرية الى الصناعة والتصنيع بوصفها المجال الوحيد للانطلاق فى التنمية بلا حدود ، كان هو الحل الوحيد الذى لا بديل عنه لمواجهة الحاجات المتزايدة والاساسية ايضا للشعب المصرى . ومن هنا كان قرار انشاء وزارة الصناعة عام ١٩٥٦ . ستتساءل ربما — ولماذا وزارة الصناعة ؟ لاننا لم نكن نستطيع ترك الصناعة لافراد يقرر كل منهم بناء مصنع ما فى مكان ما على نطاق ضيق ، قد يكون صالحا لاقتصاد البلد وقد لا يكون . اما اذا اردنا ان نقيم صناعة تساهم بدورها الملحوظ فى تنمية الاقتصاد القومى فيجب ان تقوم فى اتجاه محدد ومخطط . ولا يمكن تنفيذ خطة دون سيطرة ورقابة الدولة . ومن ثم صدر قانون التنظيم الصناعى ووضعت خطة خمسية للتنمية الصناعية ، وتحدد للمرة الاولى فى تاريخ مصر دور الصناعة فى التنمية .

ولكى نقيم صناعة بالحجم الذى يحقق اهداف تنمية حقيقية وضعنا خطة للاستثمار فى حدود ٢٥٠ مليون جنيه للسنوات الخمس ، اى بواقع ٥٠ مليون جنيه سنويا . ولكى ندرك قيمة هذا الاستثمار فى ذلك الوقت علينا ان نعود الى الارقام السابقة على الثورة . لقد كان الاستثمار الصناعى فى مصر عام ١٩٥٢ لا يتجاوز ٢ مليون جنيه فى صورة نشاط فردى يتجه فى الاغلب الى المجالات الاكثر ربحا بصرف النظر عن مدى اهميتها للتنمية ، وعلى راسها المبانى وبعض الصناعات الاستهلاكية .

من الذى سيساهم اذن فى توفير ٥٠ مليون جنيه سنويا ، لاقامة مشروعات صناعية اساسية ، بصرف النظر عن عائد سريع او بطىء ؟

ليس هناك سوى الدولة . لكن حتى الدولة فى ذلك الوقت لم تكن تستطيع توفير كل النقد الاجنبى اللازم للتعاقد على استيراد الالات والمهمات اللازمة لاقامة مصانع وتشغيلها .

... وهنا جاء دور الاتحاد السوفيتى .

— ولماذا الاتحاد السوفيتى بالذات ؟

● **قال الدكتور عزيز صدقى :**

لسبب غاية فى البساطة . وهو ان شروط

التعامل مع الدول الغربية تتفق اما الدفع الفورى أو التقسيط على خمسة اعوام ، بعد دفع ٢٥٪ من الثمن اولا . ثم فائدة قدرها حوالى ٦٪ على ما تبقى من الدين .

اما الشروط السوفيتية فهى الدفع بعد مرور عام من استكمال بناء المصنع [لكى يكون الدفع من عائد الانتاج] وبأقساط لمدة اثنى عشر عاماً، وبفائدة لا تتجاوز ٢،٥٪ ، هذا هو الفرق .

وقد سافرت الى موسكو فى يناير سنة ١٩٥٨ ، بعد اقرار الخطة فى القاهرة ،ووقعت اول اتفاقية للتعاون الاقتصادى والفنى ، حصلنا بموجبها على قرض قيمته ٦٢ مليون جنيه استرلينى لتنفيذ مشروعات الخطة .

لابد ان اذكر هنا ان الشروط التى تم على اساسها توقيع الاتفاقية كانت تؤكد رغبة الاتحاد السوفيتى فى مساعدتنا .

كيف ؟

● **قال الدكتور عزيز صدقى :**

كان تنفيذ هذه الاتفاقية هو السبيل الوحيد لانجاز الخطة الخمسية الاولى فى اقل من خمسة اعوام . وبسبب ذلك النجاح قرر الرئيس الراحل جمال عبد الناصر الاخذ بمبدأ التطبيق الشامل للتخطيط فى كل مجالات الاقتصاد . وتم وضع الخطة الخمسية الأولى عام ١٩٥٩ . ودفعنا نجاح التعاون المصرى السوفيتى الى مزيد من التعاون ، فتعاقدنا على قروض اخرى لمشروعات اخرى .

والحقيقة ان اختيار مشروعات الخطة الاولى كان يتناسب تماما مع ظروفنا فى ذلك الوقت كبلد يستورد كل شىء من الخارج ، ويستنزف بذلك كل موارده من النقد الاجنبى ، فلا يتبقى منها شىء للتنمية . ومن ثم كان تفكيرنا ينصب على ضرورة البدء فى تصنيع بعض السلع الاقرب الى حاجات الاستهلاك لكى نوفر النقد الذى يساعدنا على مزيد من التنمية .

وفى المرحلة التالية مباشرة ، ركزنا على تصنيع السلع الاساسية كمشروعات التعدين وتكرير البترول ومشروع الدرفلة فى مجمع الحديد والصلب [وان كان المشروع الاخير قد أجل من جانبنا الى ما بعد ١٩٦٥] .

وفى كل هذه المراحل ، كما سبق ان اشرت ، لم يكن دور الاتحاد السوفيتى معنا هو مجرد بناء مصانع . كانت رغبته التى عبر عنها عمليا فى دعم الاقتصاد المصرى بشكل شامل ، والا تعثرت عملية التنمية .

ولذلك فالى جانب التعاون الصناعى واتفاقية السد العالى ومجمع الحديد والصلب واستصلاح ٣٠٠ الف فدان ، اتخذت المعونة سبيلا آخر وهو الاتفاقيات التجارية .فقد فتحت لنا هذه الاتفاقيات اسواق الاتحاد السوفيتى والدول الاشتراكية لسلعنا ، التى افادت من المنافسة بين اسواق الشرق والغرب .كما عاوننا الاتحاد السوفيتى على استيراد سلع نصف مصنوعة ، لم يكن من السهل استيرادها من الغرب .

وقد ساهمت هذه المواقف فى تخفيف اعبائنا الاقتصادية وتيسير صعوبات كثيرة تحيط بعمليات التنمية بالنسبة لدولة نامية كمصر .واستطيع ان اقول ، دون اى مبالغة ، اننا بدون هذه المعونة لم يكن ممكنا ان ننجز ما تم بالفعل . كما انه كان من المستحيل التعاون مع أى جهة غربية فى هذا المجال .

ــ لكن « يقال » احيانا « اننا اقتحمنا مشروعات صناعية لا تتناسب مع قدراتنا ولا نستطيع ان ننافس فيها الدول الصناعية ، مما يعد تبديدا للجهد والمال ؟

● **قال الدكتور عزيز صدقى :**

اعرف الكثير مما يقال فى هذا الخصوص . والرد الوحيد هو ان نضرب مثالا عمليا . لقد تعاقدنا مع الاتحاد السوفيتى عام ١٩٦٤ على مجمع الحديد والصلب . وكانت قيمة التعاقد ١٥٦ مليون روبل ، اى حوالى ١٦٥ مليون دولار . وكان هذا السعر اقل بكثير من مثيله مع اى شركة غربية . وحتى لو افترضنا انه يساوى نفس السعر الغربى ، الا اننا مطالبون فى التعامل مع الغرب كما قلت ان ندفع فورا حوالى ٢٥٪ من الثمن ونقسط الباقى سنويا بفائدة ٦٪ .

لكن الاهم من ذلك هو لماذا نقتحم صناعة مثل الحديد والصلب ؟

هناك اكثر من سبب ،فمثل هذه الصناعات الاساسية لا تقوم بدونها اى صناعة اخرى ، مما يسمى بالصناعات الخفيفة او المتوسطة . وبدون الصلب لا تستطيع ان تصنع دراجة او ثلاجة او قضبان السكك الحديدية أو حديد التسليح وغيرها من الصناعات الضرورية. فاذا لم تنتجها يجب ان تستوردها .ولكى تستورد كل ما تريده منها يجب ان تكون قدراتك المالية ومن النقد الاجنبى بالتحديد اضعاف ما تستطيع توفيره فعلا . ولذلك نحن لم نقم بمغامرة غير

محمودة العواقب . ويكفى ان تعلم ان انتاج المجمع بحسابات ذلك الوقت يتجاوز ١٦٥ مليون جنيه سنويا ، تستطيع ان تخصص منها جزءا للاقساط وتستخدم الباقى فى مجالات اخرى للاستثمار .

وكذلك الحال فى صناعات اخرى كالتعدين والبترول والاسمنت ، وكل الصناعات الاساسية للصناعات الاخرى .

ان تكاليف اقامة مثل هذا النوع من الصناعات الاساسية تتجاوز عشرات الملايين من الجنيهات، فكيف كان من الممكن ان ننفذها مع ضعف قدراتنا المالية ، اذا لم نجد العون والرغبة الصادقة لدى الاتحاد السوفيتى ؟

— اليست هذه ايضا احد اساليب التجارة الاكثر ذكاء ؟

● قال الدكتور عزيز صدقى :

لقد سبق ان اجبت عن هذا التساؤل ، لكن لنأخذ مثالا ثانيا من نفس مشروع « المجمع » . فهذا المشروع الذى سبق ان تعاقدنا عليه عام ١٩٦٤ تأجل تنفيذه بعد ان تركت وزارة الصناعة عام ١٩٦٥ ، عندما رات الوزارة الجديدة رايا آخر ، وعندما عدت الى الوزارة عام ١٩٦٧ اتصلت بالاتحاد السوفيتى لاحياء التعاقد القديم. كانت الاسعار قد ارتفعت كما هو معروف، وقالوا لى ليس من المعقول ان نتعاقد باسعار عام ١٩٦٤ . لكن بعد ان شرحت ظروفنا وافقوا على الفور . واقول بصراحة لو انهم كانوا قد طلبوا ١٠٪ زيادة عن السعر القديم لكان لهم كل الحق. اما فى العرف التجارى العالمى فهناك شروط معروفة فى اى اتفاقية تنص على ان المشترى يتحمل اى زيادة تطرا على السعر عند الاستلام. لكنهم لم يلجأوا الى هذا الاسلوب معنا ، مما يجعلنى أؤكد ان الامر بالنسبة للاتحاد السوفيتى ليس « صفقة » يحقق فيها ربحا ، كما انه لم يقدم قرضا من اجل الحصول على « مقاولة » السد العالى مثلا . ان اى تصوير لعلاقتنا مع الاتحاد السوفيتى بهذا الشكل ليس مجرد تجنى ، ولكنه سخف .

ومن جانبى على الاقل لم أحس فى اى وقت ان تعامل السوفيت معنا كان يستهدف فى اى وقت ربحا او استغلالا او اى كسب من اى نوع .

— ربما لان الالات والخبرة السوفيتية متخلفة ... وليست رائجة فى الاسواق العالمية ؟

● قال الدكتور عزيز صدقى :

الذين وصلوا الى القمر لا يعجزون عن عمل شىء . والى الذين يتحدثون عن تخلف الالات السوفيتية ، اضرب مثلا من الهند . لقد اقامت الهند ثلاثة مصانع للحديد والصلب بالتعاون مع المانيا الغربية وبريطانيا والاتحاد السوفيتى . ومنذ البداية ،وحتى الان ،يعمل المصنع السوفيتى بكفاءة كاملة . اما المصنعان الاخران فقد تعثر تشغيلهما منذ البداية وحتى الان . ولماذا نذهب بعيدا . ان مصنعنا للحديد والصلب الذى انشأته شركة « ديماج » الالمانية الغربية لم يعمل بكفاءة منذ تشغيله . وقد استدعيت بعض الخبراء الامريكيين واقاموا هنا لمدة عام كامل لكى يساعدوا فى تشغيل « الفرن » ولكنهم لم ينجحوا فى رفع كفاءة التشغيل ولو بمقدار طن واحد .

واخيرا احضرنا خبراء من الاتحاد السوفيتى فارتفع الانتاج ، خلال سنة ، الى طاقته الكاملة. هذه هى الخبرة السوفيتية ،واليكم ايضا مجمع الحديد والصلب الذى يعمل بطاقته الكاملة دون اى مشاكل .

ان الحديث عن تخلف الصناعة والخبرة السوفيتية ليس سوى دعايات غربية ، ومن المفروض ان نكون قد تجاوزنا هذه المرحلة .

— لكن لابد ان يكون هناك سببا او اسبابا لهذه المساعدة ؟

● قال الدكتور عزيز صدقى :

هناك اسباب بالتأكيد لكنها ليست ما «يقال» او ما « يشاع » . أن مبدأ مساعدة الدول المتحررة على بناء اقتصادها وتطويره بشكل مستقل هو احد مبادىء السياسة السوفيتية . هناك اتفاق فى المبادىء اذن . انهم يساعدوننا بوصفنا دولة وطنية تقدمية تحاول تنمية نفسها وتؤمن بالاشتراكية بالصورة التى تطبقها بها وتحارب الاستعمار .

وكل هذه المبادىء تعد من اصول السياسة السوفيتية . وهذا هو المدخل الاساسى للتعاون معنا . ولذلك اقول ان العلاقات ليست من النوع المؤقت ، وليست مجرد تقديم قرض او قروض تنتهى بعده العلاقة .وحيث ان العلاقة قائمة على اتفاق المبادىء والرغبة فى التعاون قد اثبتت لها .

ولكى نطبق معنى الاتفاق فى المبادىء ،عمليا، يمكن ان نضرب مثالا بالصناعة . ان اهمية تقديم المساعدة السوفيتية للصناعة المصرية تنبع

من ان الصناعة هى القاعدة التى قامت عليها الاشتراكية فى مصر . وبدون الصناعة الضخمة لم يكن من الممكن ان تقوم بالتطبيق الاشتراكى. واذا كنا نقول ان الاشتراكية هى احد المبادىء التى نريد تطبيقها في بلادنا لانها تحقق الكفاية فى الانتاج والعدالة فى التوزيع ، فمساعدة الاتحاد السوفيتى كانت سبيلا ووسيلة لتحقيق هذا الهدف .

ولقد أدت المعونة السوفيتية فى الصناعة ، ايضا ، الى توسيع القاعدة العمالية المدربة والفنية ، بشكل لا يمكن مقارنته بما كنا عليه قبل التصنيع . وهذه القاعدة ليس لها مثيل فى الحجم والنوع فى اى دولة من دول الشرق الاوسط وافريقيا . وهو نجاح نعتز به . اما الدور الذى قامت به الصناعة المصرية فى الاقتصاد وفى الصمود وفى الاستعداد للقتال فيكفى الاشارة الى ما اكده الرئيس السادات حول هذه المسألة ودور الصناعة فى صمود شعبنا وجيشنا قبل واثناء وبعد السادس من اكتوبر .

واذا كانت صداقتنا مع الاتحاد السوفيتى واتفاق المبادىء والرغبة فى التعاون قد اثبتت قيمتها فى الصناعة ، فلا يعنى ذلك أن الصناعة هى المجال الوحيد . فمن الصناعة الى الزراعة الى السد العالى واستصلاح الاراضى الى المعاونة بطريقة اصيلة فى تدعيم قدراتنا على تحرير اراضينا .

ان العبور الذى تم فى ٦ اكتوبر ببطولة الجنود وشجاعة القيادة السياسية والعسكرية لم يكن ليتم بدون الاسلحة والدعم السوفيتى . اننى استطيع ان اقول هذا الكلام لاننى كنت طرفا فى جميع الاتفاقيات التى تمت فى هذا الشأن ، واعلم مدى الاستجابة والمساعدة التى قدمها الاتحاد السوفيتى .

ـ ما هو الحجم الحقيقى لما انجزناه من تصنيع بمساعدة الاتحاد السوفيتى والدول الاشتراكية ؟

● قال الدكتور عزيز صدقى :

لقد تضاعف حجم الصناعة المصرية منذ عام ١٩٥٣ حتى الآن ثمانية مرات . اى ان ما لدينا الآن يصل الى ٨٠٠٪ مما كان لدينا فى ذلك الوقت . ان الانتاج الصناعى المصرى يقدر بحوالى ٢٧٠٠ مليون جنيه . وهذا يعنى أن هناك سلعا تنزل الى الاسواق المحلية ، ويصدر بعضها الى الخارج ، وتصل قيمتها الى الرقم الذى ذكرته . وهذا يعنى ايضا ان هذه السلع تستهلك، لان الشعب المصرى بمختلف فئاته فى حاجة اليها . وبذلك اغنتنا التنمية الصناعية عن استيراد سلع بنفس القيمة ، لم يكن من اليسير تدبير النقد الاجنبى اللازم لاستيرادها . ومن هنا نستطيع القول دون مبالغة ، ورغم كل ما يزال ينقصنا ، ان الاقتصاد المصرى اصبح يعتمد ، فى المقام الاول ، على انتاجه الذاتى .

ـ الم يحدث ان استغل الاتحاد السوفيتى حجم معوناته لفرض اسلوب معين فى تخطيط اقتصادنا او صناعتنا ؟

● قال الدكتور عزيز صدقى :

لم يحدث هذا على الاطلاق . ولم يتدخل احد فى خططنا . لقد كنا نضع الخطة الخاصة بنا ، ثم نذهب اليهم ونقول : هذه خطتنا ونريد المساعدة على تنفيذها .

وفى احيان كثيرة لم يكتف السوفيت بتقديم مجرد المساعدة على بناء المصانع ، كما سبق ان ذكرت . ولكنهم يبادرون بحل ما يعترضنا من عقبات لا تدخل مباشرة فى عمليات التصنيع . واضرب لذلك مثلين : **الاول** يتعلق ايضا بموضوع مجمع الحديد والصلب . فقد كان اتفاقنا حول انشاء المجمع يبدأ بمشروع « الدرفلة » اولا [والدرفلة تعنى تحويل « بلاطات » الصلب الضخمة الى صفائح مختلفة السمك] . وبسبب تأجيل المشروع الاساسى من جانبنا فقد انتهى العمل فى مشروع «الدرفلة» قبل تشغيل «الفرن» الذى ينتج بلاطات الصلب . وكان يلزم لتشغيل الدرفلة ٣٠٠ الف طن صلب والا توقف العمل. ولم يكن فى مقدورنا ان نستورد الصلب [٣٢٠ دولارا للطن فى ذلك الوقت] فوافق الاتحاد السوفيتى على توريد الصلب على ان يتقاضى الثمن بعد الانتاج .

والمثال الثانى يتعلق بمصنع المطروقات ، وهو المصنع الذى يدخل انتاجه فى صناعة اللوريات والتراكتورات . فقد كان لدينا فائض انتاج فى هذا المصنع . وعندما عرضت على السوفيت ان نصدره لهم وافقوا على الفور . ونحن نصدر اليهم حاليا بعض انتاج مصنع المطروقات فى حلوان كاجزاء من التراكتورات التى تصنع فى الاتحاد السوفيتى .

ولا شك ان هذا نوع من المساعدة بالنسبة لنا . فهم يعاونوننا على بناء وتشغيل المصانع ثم يتبادلون الخبرة معنا ، رغم ان خبرتهم الصناعية تسبقنا بالتأكيد . ولست هنا فى مجال الدفاع ، لان هذه حقائق معروفة وواضحة .

ـــ الم يتعثر التعـاون الصنـاعى مع الاتحاد السوفيتى او يتـأثر بسبب بعض الازمات السياسية ؟

● قال الدكتور عزيز صدقى ؟

بالنسبة لى فى مجال الصناعة لم يحدث. ورغم ما حدث من سوء تفاهم سياسى عام ١٩٥٩ ، فقد واصلت التعامل معهم فى مجال الصناعة ، دون اى تأثر بالازمة العامة . ويومها امتدح الرئيس الراحل جمال عبد الناصر هذا التصرف لاننى لم اجعل للوضع السياسى فى ذلك الوقت اى اثر على استمرار التعاون .

واستطيع ان اقول ان الامر لم يقتصر على عدم وقوع ازمات ، لكن التعاون كان فى نمو مستمر. وذلك الى درجـة ان اقترحت عليهم عام ١٩٧١ [وكنت عضوا فى وفد المباحثات فى موسكو] موضوع التكامل الاقتصادى بيننا . وقـد لاقى الاقتراح اهتماما غير محدود من القادة السوفيت.

ـــ على اى اساس يتم هذا التكامل ؟

● قال الدكتور عزيز صدقى :

لقد وصلنا الى درجة من التعـاون تسمح بان نتجاوزها الى مستوى ابعد . بمعنى ان الاتحاد السوفيتى يعطينى ما أطلب من المصانع ، بحيث انتج اكثر من حاجتى واصدر له باقى الانتاج . او أصدر له كل الانتاج فى بعـض السلع التى لا احتاجها بما يتفق مع حاجته هو لهذا الانتاج. وبذلك فهو يلبى حاجاته ويسـاعدنى فى نفس الوقت على تكثيف عملية التنمية الاقتصادية فى مصر .

وقد جاء الى مصر وفد سوفيتى ،وتوصلنا الى اتفاق حول بعض المشروعات ، على ان يصدر لنا الاتحاد السوفيتى الالات والمصانع لنعيـد نحن تصدير كل الانتاج له . وهذه مرحلة متقدمة عن مجرد القروض وبناء المصانع . وقد ضربت مثالا لذلك بمصنع الخـزف والصينى . فبدلا من ان يقيم الاتحاد السوفيتى مصنعا لانتـاج الخزف والصينى يقـدم لى الالات والمعـدات لتوسيع مصنعنا ، مقابل ان التزم بتصدير كمية معينة من الانتاج الى الاتحاد السوفيتى . وهذا هو احـد اوجه التكامل والتخصص وعدم تكرار الصناعات هنا وهناك . وبذلك اضمن الحصول على الالات والمصانع دون قروض ويضمن هو استكمال السلع اللازمة لخطته .

وبالمثـل اثرنا معهم مشروع فوسفـات «ابوطرطور» . فقد عرضنا عليهم ان ينفـذوا المشروع لدينا ؟ مقابل بعض انتاج الفوسفات . وذلك بدلا من ان يستوردوا الفوسفات من مناطق اخرى ، وبدلا من ان احصل على قرض لتنفيذه. وللاسف تعطل المشروع لاسباب اخرى ، وهـو يبحث الان من جديد .

ـــ .. لكن هل يعني هـذا انه ليست هناك بديل عن الاتحاد السوفيتى اذا اردنا تصنيعا حقيقيا ؟

● قال الدكتور عزيز صدقى ؟

يجب ان نكون واضحين . ليس هناك شىء فى العالم ليس له بديل . لكننا نستطيع ان نقول ان الاتحاد السوفيتى ، كان وسيظل ويجب ان يظل اساسيا بالنسبة لامكانية التصنيع بالصورة التى نأملها للنمو الصناعى فى بلادنا . لان المسـألة ليست بالبساطة التى قد يتصورها البعض . فكلما تقدمنا فى مراحل التصنيع تنفتح امامنا امكانيات صناعية لم تكن ممكنة او متصورة قبل النمـو الصنـاعى . نحن نبـدا اولا بصنـاعة السلع الاستهلاكية ثم نتدرج فى الصناعات حتى نصـل الى الالات الثقيلة والمعقدة . وكلما دخلنا مرحلة من هذه المراحـل ، كلمـا زادت حاجتنـا الى استثمارات هائلة وخبرة كبرى . اذن فتقدمنـا فى مراحل التصنيع يستدعى الحصـول على مساندة من دولة صناعية متقدمة وذات امكانيات كبيرة ولديها الرغبة فى اقامة الصناعة لدينا .

ولا مفر ايضا من ان نذكر امثلة عملية تتعلق بدولة كبرى كالولايات المتحدة الامريكيـة . كان الرئيس الراحل عبد الناصر يعرف احد مديرى البنك الدولى وهو امريكى اسمه « وودز » .وكان وودز من الشخصيات الصريحة الواضحة ممـا اكسبه ثقة عبد الناصر . وجاء وودز يومـا الى القاهرة والتقى بالرئيس الراحل عبد الناصر حيث ناقشا امكانية مساهمة البنك الدولى فى عمليات التنمية فى مصر . وبعد اللقاء حـدثنى الرئيس عبد الناصر تليفونيا وقال لى بالحرف الواحد : « انا كان عندى دلوقت مستر وودز من البنـك الدولى وقال لى ريح نفسك ولا تطلب منا قروضا للصناعة ، لانه ليس من سياسة البنك الدولى ان يساعد دولة كمصر على التصنيع ،لان سياسة البنك محكومة بسياسة الولايات المتحدة الامريكية، وسياسة الولايات المتحدة الامريكية لا تشجع على معاونة الدول النامية على التصنيع » . واضاف عبد الناصر : « امامك الاتحاد السوفيتى والدول الاشتراكية ، ولا تضيع وقتا مع غيرهم » .

اذن فليس المهم ان تتوافر الخبرة والقـدرة لدولة ما لكى تساعدنا على تصنيع بلادنا . المهم ان تتوافر لديهـا الرغبـة فى المعـاونة . والا

يتعارض هذا مع سياستها ؟ خصوصا اذا كانت ظروفنا لا تسمح بأن نقدم لهم اغراء ماليا مقابل الالات والمصانع والخبرة . وهذا هو الذى يجعل صورة التعاون مع الاتحاد السوفيتى تختلف عن غيرها .

ومع ذلك فنحن نتعامل او نحاول ان نتعامل دائما مع العالم كله . وانا لا استطيع ان اقول اننا لا نقيم مصانع الا مع الاتحاد السوفيتى والدول الاشتراكية ، وانه حتى الاتحاد السوفيتى لا يستطيع ان يعطينا كل شىء اولا ، ثم هناك أنواعا من الصناعات تمتاز بها دولة معينة ، ثانيا .

واذا كنت فى حاجة الى مثل هذا النوع واستطيع ان احصل عليه بشروط معقولة ، من السويد مثلا او غيرها ، فنحن لا نغلق الباب .

ان اى امكانيات تضاف الى قدراتنا فى التوسع الاقتصادى نرحب بها . و « الانفتاح » الاقتصادى يلقى ترحيبا طالما كان فى اطار مبادئنا وقوانيننا ومصلحة مصر ، وبنفس الشروط نرحب بأى أموال عربية تساعدنا على التعاقد مع اى دولة فى اى مكان .

ـ يتردد احيانا بعض الحديث عن ضرورة وجود « توازن » فى علاقاتنا مع الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتى بنفس القدر ؟

● قال الدكتور عزيز صدقى :

من أين يأتى التوازن ؟ هل فى الصناعة فقط ؟ التوازن يجب ان يأتى فى كل الاوضاع . وانا لا استطيع ان احكم على الامور اذا لم تتجاوز نظرتى موقع قدمى . ان لنا تاريخا طويلا فى فى التعامل مع الغرب والولايات المتحدة فى جميع المجالات . وعندما قامت الثورة فتحت الباب للتعامل مع الولايات المتحدة فى اغلب الاوقات. ولا يجب أن ننسى انه عندما أراد عبد الناصر ان يسلح الجيش لجأ اولا الى الولايات المتحدة الامريكية . وسافر يومئذ على صبرى وظل حوالى سبعة شهور فى امريكا ينتظر تنفيذ الاتفاق دون فائدة . ومن ثم لجأنا الى تشيكوسلوفاكيا عن طريق الاتحاد السوفيتى .

وهناك مسألة السد العالى أيضا ، فقد لجأنا الى الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا وتم الاتفاق معهما ، ثم تراجعوا عن الاتفاق لاسباب سياسية . لم نكن نحن اذن الرافضين ، ولكن هم الذين سحبوا العروض وتراجعوا عن الاتفاقيات . وبعدها أمم عبد الناصر شركة قناة السويس وتم تمويل السد العالى عن طريق الاتحاد السوفيتى .

ومن هنا فنحن لا نلقى احكاما مجردة ولكننا نستمد احكامنا من واقع تجاربنا وخبراتنا . ومن هذا يتضح ان مجال التعاون مع الولايات المتحدة الامريكية تحكمه اعتبارات امريكية تتعارض مع مصالحنا . ولو ان الولايات المتحدة اتخذت موقفا آخر لما كانت هناك عقبات من جانبنا . ذلك ان أساس مواقفنا هو مصلحة مصر اولا وأخيرا .

لكن الامر لا يقتصر على ذلك بالنسبة للولايات المتحدة الامريكية . هناك المشكلة الاساسية ، وهى صراعنا مع اسرائيل .

ما هو موقف الولايات المتحدة من هذا الصراع؟ هل كان مؤيدا للحق العربى ؟

وما هو نوع السلاح الذى قتل به الاسرائيليون ابناءنا ؟ أليس هو السلاح الامريكى ؟ ومن الذى دعم اسرائيل بالجسر الجوى المعروف اثناء معارك اكتوبر ؟ وفى نفس الوقت كان الاتحاد السوفيتى يعاوننا ويساندنا ويرسل لنا الاسلحة ... ربما لم نأخذ كل ما نريده ، وهذا موضوع لا اعرف تفاصيله ، لكنه كان يعاوننا . وكان العون بالقدر الذى مكننا من تحقيق انتصار ٦ اكتوبر. وكمواطن مخلص لمصلحة مصر لا استطيع ان أوازى أو أسوى بين الموقفين . وهذه هى صورة التعاون على مدى ٢٠ عاما او اكثر . فما الذى يجعلنى اغير الصورة ؟ ربما المستقبل ..

لكن هذا موضوع آخر .

اما اذا نظرت للتجربة مع الاثنين ، فاننى ارى الاتحاد السوفيتى دائما فى موقف الصديق ، اقتصاديا وسياسيا وعسكريا . بينما الولايات المتحدة كانت تقف دائما ضد محاولاتنا لتنمية بلادنا اى اقتصاديا ، وضد اهدافنا اى سياسيا، وكانت تحاربنا عن طريق امداد اعدائنا بالسلاح والمال .

اننى اتساءل : هل كانت اسرائيل تجرؤ على العنجهية ومواصلة العدوان بدون المساندة الامريكية ؟

ان قادة الكونجرس يتصدرون المظاهرات المعادية للعرب وللشعب الفلسطينى ، قبل وبعد ذهاب الوفد الفلسطينى برئاسة ياسر عرفات، الى الامم المتحدة .

ولذلك لا استطيع ان اقول ان هناك توازيا، الا اذا تغيرت الامور واصبح هناك توازيا فى

السلوك . وهذا ما لا اتبينه حتى الان . وربما كان السبب ان اهدافنا لا تتفق مع اهداف الولايات المتحدة . فنحن نقول ان من اهدافنا محاربة الاستعمار ... ولما كانت امريكا هى الاستعمار ، اذن فهناك تناقض بيننا . لكن اذا عدلت امريكا عن سياستها يتغير الموقف طبعا .

هذه هى الامور ببساطة وكما هى فى الواقع، بدلا من ان نعقدها بمتاهات نظرية وفكرية .

سؤال اخير : كيف يمكن ان نتجنب ما يحدث من عثرات او ازمات فى طريق العلاقات المصرية السوفيتية ؟

● **قال الدكتور عزيز صدقى :**

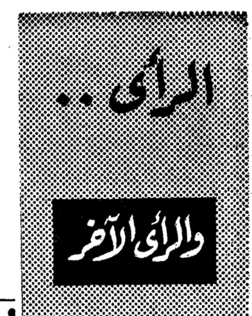
اعتقد ان السبب المباشر للازمات ربما كان راجعا لحرصنا او رغبتنا فى الاسراع بالمعركة. وربما كنا نطلب احيانا اشياء من الاتحاد السوفيتى ، ولسبب او لاخر لم يستطع امدادنا بها فى الوقت الملائم ، مما اعطانا الاحساس بانالاتحاد السوفيتىربما لا يرغب فىمساعدتنا. والحقيقة ان هذا الموضوع اثير فى مباحثاتنا مع القادة السوفيت . وكان ردهم ان « قرار المعركة خاص بكم ، ونحن نطلبمنكم شيئا واحدا وهو الا تدخلوا المعركة الا اذا كنتم مطمئنين لكسبها ١٠٠٪ ، لان اى هزيمة اخرى ستكون قاضية » . هذا هو الموقف المتكرر لهم عند اثارة الموضوع . ومن المحتمل ان يكون تلهفنا نحنالى الاطمئنان الكامل قبل دخول المعركة دفعنا لان نطلب اسلحة كثيرة جدا ، مما يتضح من كميات الاسلحة والعتاد التى استخدمت فى المعركة فعلا . ومن المحتمل ان هناك اعتبارات اخرى لدى الاتحاد السوفيتى فى ذلك الوقت . فأحيانا كان يعطينا ما نطلب ، واحيانا لم يعطنا ، واحيانا كان يقول ان هذا النوع بالتحديد ليس متوافرا لديه .. الخ .

وربما خلق هذا بعض سوء الفهم . لكن اعتقد ان ما حدث فى اكتوبر والجسر الجوى الذى اقامه الاتحاد السوفيتى لمساندتنا وموقفه بعد ذلك ، كاف لان ينهى هذا النوع من سوء التفاهم .

اننى لا أرى مواقف او اسباب اخرى لسوء التفاهم . لانه ليس هناك تناقضات فىمواقفنا. فهو مؤيد لحقنا السياسى فى المجال العالمى على طول الخط ، ومؤيد لجهودنا من اجل التنمية الاقتصادية على طول الخط ، وقام بمساندتنا عسكريا مما لعب دورا فى تحقيقنا للانتصار ، لم يكن ممكنا بدونه .

ومن اجل هذا لا ارى ان هناك تناقضا يبرر استمرار الاختلافاتبيننا وبين الاتحادالسوفيتى. واذا وقع مثل هذا الخلاف بين الاصدقاء — وهذا طبيعى — فيجب ان يظل من الامور الثانوية التى لا تؤثر على استمرار الخط الاساسىفىعلاقاتنا.

وليس هذا من قبيل التبسيط للامور ، ولكن لانه — كما يتضح فى حديثى — فقد حصلنا ، وما زلنا نحصل ، وسنظل فى حاجة باستمرار الى التعاون المستمر والمتزايد مع الاتحاد السوفيتى والدول الاشتراكية .



عندما بدأت « **الطليعة** » فى نشر باب «**الراى والراى الاخر** » فانها كانت تعنى تماما ما تقول . كانت تعرب عن التزامها بنشر « الراى الاخر » .. « الاخر » ليس بمعنى انه مختلف فقط مع آرائها وانما — ايضا — بمعنى انه انتقاد لرايها ولمسلكها ..

ويبدأ باب « الراى والراى الاخر » بموضوع **للدكتور محمد حلمى مراد** عن «دولة المؤسسات فى الفكر والواقع » يقدم فيها آراء تستحق التامل والنقاش الجاد .. ومن موقع المفكر الذى شارك فى خضم الاحداث مشاركة ايجابية ..

ويكتب **عبد الكريم احمد** عن « المثقفون فى مصر بين اليمين واليسار» مقدما تصورا متكاملا للمثقف المصرى والعربى ودوره وقدراته .. وحدود هذه القدرات فى دفع تيار الحياة الى الامام ..

اما **عادل حسين** فانه يوجه مجموعة من الاسئلة التى يرى انها لم تزل قائمة ولم تزل بحاجة الى اجابة فى موضوع شغل الاذهان لفترة من الوقت وهو الاستجواب الذى قدمه **د. محمود القاضى** عضو مجلس الشعب عن صفقة حديد التسليح .

وردا على مقالات **د . فؤاد زكريا** عن «عبد الناصر واليسار » يكتب « **صفوت عثمان** المفوض بمجلس الدولة منتقدا منهج الدكتور **زكريا** ومنهج منتقديه على السواء .

ومن بيروت ، ومن قارىء لبنانى مسيحى تلقينا هذه النصيحة « الكتائب .. اعرفوهم اولا » .. القارىء **جوزيف طانيوس** من بيروت يقدم لنا دراسة جيدة عن تاريخ الكتائب كسبيل لفهم المحتوى الحقيقى لمسلكهم الحالى ..

وتسجل **سهام هاشم** المحررة بوكالة انباء الشرق الاوسط مجموعة من الانتقادات على المنهج العام لعدد من الاجهزة الثقافية والاعلامية والادارية ، وتسجل « التناقض » بين «الاعمال» وبين « اللافتات » المعلنة وتختار لهذه المجموعة من الانتقادات عنوانا يقول « الاشارة الى الشمال .. والمرور على اليمين » .

.. وهكذا يظل « الراى والراى الاخر » منبرا حيا متفاعلا يحفل بأكثر من رأى وبأكثر من كاتب .

- دولة المؤسسات فى الفكر والواقع
- المثقفون فى مصر .. بين اليمين واليسار
- استجواب الحديد .. أسئلة لم تزل قائمة
- طرح خاطىء لعلاقة اليسار بعبد الناصر
- الكتائب ... اعرفوهم أولا
- الاشارة على « الشمال » .. والمرور على « اليمين »

دولة المؤسسات

فى الفكر والواقع

د. محمد حلمى مراد

الدكتور حلمى مراد واحد من الشخصيات العامة المعروفة التى شغلت بكفاءة اكثر من منصب علمى وسياسى . وله آراء متكاملة عن تطوير الاوضاع السياسية والاقتصادية اكثرها نشر هنا وبعضها الاخر نشر فى صحف ومجلات عربية . ولقد تختلف الطليعة مع بعض آرائه فى الاصلاح الاقتصادى ، لكنها تقدر فى الوقت نفسه حرصه على تطوير المؤسسات القائمة فى اتجاه المزيد من تعميق الديموقراطية السياسية فى داخلها .

وهذا المقال الذى تنشره « الطليعة » هو محاضرة القاها فى نقابة المحامين بالقاهرة فى شهر مايو الماضى . وقد سمح « للطليعة » — باتفاق خاص — ان تعيد هنا نشر الافكار الرئيسية التى ضمتها محاضرته » .

فى بحثى عن دولة المؤسسات سأتناول فى القسم الاول تحديد مفهوم دولة المؤسسات ، ومزايا الاخذ به ، حتى لا يساء فهم المقصود من هذا التعبير او يحدث انحراف فى تأويله . فكم رفعنا من شعارات كان يراد بها الخير والمصلحة ، ولكنها افرغت من مضمونها فى التطبيق ؟ وأصبحت تتخذ ذريعة لتغطية الأخطاء وتبرير الانحرافات .

أما القسم الثانى ، فسنتعرض فيه للمؤسسات القائمة فى الدولة ، لنقف على الدور المنوط بكل منها فى اقامة دولة المؤسسات ، ودرجة أدائها

لهذا الدور في واقعنا الجاري ، توصلا لاستنهاض هممها في استكمال ما يوجد من نقص في هذا السبيل .

على اننى ارى لزاما على قبل التحدث فى الموضوع أن أؤكد على امرين ، أرجو أن يكونا حاضرين دوما فى الذاكرة :

الامر الاول : أن فضل الرئيس أنور السادات لا يمكن أن ينكر فى اتخاذ القرار باقتحام خطوط العدو الاسرائيلى يوم السادس من أكتوبر ، مما أتاح لابناء شعب مصر من رجال القوات المسلحة ـ ضباطا وجنودا ـ استرداد كرامتنا العربية وتحطيم حاجز الخوف من اسرائيل ، ببسالتهم وتضحياتهم .. كما أن فضله لا ينكر فى وضع أسس الحياة الديموقراطية السليمة من اعلان سيادة القانون واعادة القضاة المفصولين واطلاق حرية المعتقلين السياسيين ، والغاء الرقابة الرسمية على الصحف وفتح الحوار حول التنظيم السياسى ... وان كنا لسنا غافلين بطبيعة الحال عن أن العدو الاسرائيلى لا زال يحتل الاراضى المصرية وغيرها من الاراضى العربية مما يقتضى ازاحته عنها ... وان الحياة الديموقراطية لم تستكمل بعد مما يحتاج الى مواصلة العمل لاتمام البناء الديموقراطى الحر الوطيد .

الامر الثانى : ان اى نقد يوجه الى بعض الاجهزة او المؤسسات القائمة لا يعنى أنها لم تؤد دورا ، او انه ليس من بين أعضائها من يعتبر مثلا وقدوة فى قيامه بعمله فى حدود الامكانيات المتاحة ... كما ارجو من الاخوة الذين تربطنى بهم صلة شخصية الا يضايقهم أن أوجه اليهم نقدا علنيا ، فان الحق أولى بأن يتبع ، وأن مصلحة الوطن فوق الجميع .

أولا : مفهوم دولة المؤسسات

تعنى « دولة المؤسسات » أن القرارات الاساسية تتخذ فى هذه الدولة عن طريق التعاون والتفاعل بين عدد من التنظيمات بحيث تصدر هذه القرارات أشد احكاما ودقة بسبب تدارسها بمعرفة أكثر من جهة ، وأكثر تعبيرا عن المشاركة الجماهيرية والارادة الشعبية مما لو صدرت عن طريق قرارات فردية يتخذها حاكم أو رئيس من وحى تفكيره الخاص .

أما المؤسسات المقصودة عند الكلام عن « دولة المؤسسات » فتشمل نوعين من التشكيلات :

الاول ـ التشكيلات الرسمية المختصة بموجب الدستور بالمشاركة فى صنع القرارات الاساسية فى الدولة ، وتضم السلطتين : التشريعية والتنفيذية ، أو المختصة بمراقبة هاتين السلطتين فى مراعاة أحكام الدستور وحقوق الانسان المعترف بها عالميا عند اتخاذ قراراتها وهى السلطة القضائية .

النوع الثانى ـ التشكيلات الشعبية القائمة قانونا والمختصة بالتعبير عن اتجاهات الفكر ومختلف وجهات النظر فى الشئون العامة ، بحيث تكون بمثابة الاضواء الكاشفة أمام السلطات الرسمية عند اتخاذ القرارات ... وتضم هذه التشكيلات بصفة خاصة الاحزاب السياسية ، والصحافة ، والنقابات ، والاتحادات ، ويمكن أن تضاف اليها الجامعات .

وليس من شك فى ان اى دولة تأخذ بالديمقراطية منهاجا لها فى الحكم ، ينبغى أن تكون دولة مؤسسات ...

وهذا يعنى بالدرجة الاولى :

١ ـ انكارا للتسلط الفردى فى الحكم ... فلا يجوز لفرد أيا كان مركزه الرسمى أو وضعه الاجتماعى ـ فى ظل دولة المؤسسات ـ أن ينفرد بالحكم أو يتخذ القرارات المصيرية ، وانما من واجبه أن يشرك معه المؤسسات الرسمية والشعبية القائمة قانونا فى الراى وذلك بتقليب وجهات النظر مقدما ، فى القرار المحدث للتغيير قبل اتخاذه وليس بمجرد الاخطار بعد اتخاذه حتى لا توضع أمام الامر الواقع .

٢ ـ دعوة للعمل المنظم على مستوى الدولة ... فبمقتضى « دولة المؤسسات » توجد فى الدولة عدة تنظيمات واجهزة رسمية ذات صلاحيات معينة ومسئوليات محددة ، بحيث تعرف كل سلطة ومؤسسة حدود اختصاصها ، فلا تطغى احداها على الاخرى ، أو يؤدى الحال الى تداخل بين السلطات والمؤسسات ... كما ينبغى أن تتوفر فيها القدرة والفاعلية والتخصص ، بحيث يكفل تعاونها معا دراسة الموضوع قبل اتخاذ قرار فى شأنه دراسة شاملة مستوفاة حتى يخرج القرار محيطا بكافة الابعاد ... ومن هنا فان هذا التنظيم العلوى فى جهاز الحكم يعتبر بحق أساس كل اصلاح للجهاز الحكومى والادارى فى الدولة ، وبدونه نظل دائرين فى حلقة مفرغة .

٣ ـ دعما للمشاركة الجماعية الشعبية ... فان احساس الشعب باسهامه بالرأى فى اتخاذ القرارات الاساسية عن طريق المجالس النيابية المنتخبة والمنظمات الجماهيرية والتعبير من فوق منابر الصحافة ومن داخل التنظيمات أو الاحزاب السياسية من شأنه أن يخلق جو الترابط والتجاوب مع الحكام ، وأن يقوى الشعور بالانتماء للوطن ، والتحمس لانجاح القرارات المتخذة .

وغنى عن البيان أن تحقيق هذه الصورة المشرقة على مستوى الادارة العليا للحكم فى البلاد يعود بالخير العميم على الحكام والمحكومين على حد سواء ، ويرعى الصالح العام للوطن فى حاضره ومستقبله .

فمن مصلحة الحاكم ، الا يتحمل وحده مسئولية ما يتخذ من قرارات انفرادية قد لا تتمخض عما هو مأمول من ورائها من خير ، بل يجدر به أن يشرك معه فى تحمل تبعاتها كافة المؤسسات الممثلة لفئات الشعب المتعددة ... كما ان دولة المؤسسات كفيلة - اذا ما طبقت تطبيقا فعليا - أن تحول دون خلق مراكز للقوى تضرب ستارا من حديد حول الحاكم بحيث لا تنفذ المعلومات أو الاخبار الا من خلالها ، ولا يستطيع أن يصل اليه شخص مهما كانت قدراته أو اخلاصه الا عن طريقها ، الامر الذى ينتهى بها الى التسلط والاستغلال والانحراف ، مما يسىء اليه ويضر به ... هذا الى أن شعور المواطنين بالمشاركة الحقيقية واحساسهم بالقدرة على التعبير عن وجهات نظرهم والانخراط فى تشكيلات معترف بها يعتبر صمام أمان ضد الحركات السرية والمؤامرات وأعمال العنف .

ومن وجهة نظر المحكومين ، فان دولة المؤسسات تجنب الشعب تحمل الخطأ الفردى الذى قد يقع فيه الحاكم عند اتخاذ قراره بمعزل عن مؤسسات الدولة ... وهو امر كبير الاحتمال نتيجة أن الحاكم الفرد ليس الا بشر تحتمل تصرفاته الخطأ والصواب ... وقد يتخذ قراره فى عجلة دون امعان فى التفكير أو تحت تأثيرات انفعالية أو كرد لفعل صادر عن الغير أو على أساس بيانات أو معلومات غير صحيحة أو مغرضة أو ناقصة .

كما أن دولة المؤسسات تعتبر نوعا من الضمان لحريات الافراد ، فلا يقعون ضحية بطش أو تنكيل أو طغيان أو ايذاء نتيجة رقابة مؤسسات الدولة بعضها لبعض من ناحية ، ولانتماء المواطنين الى تنظيمات جماهيرية تحميهم وتدافع عنهم اذا حل بهم مكروه من ناحية اخرى .

أما من زاوية الصالح العام ، فان دولة المؤسسات - اذا ما طبقت بمقوماتها الصحيحة - تضمن صدور القرارات المصيرية التى تؤثر فى حياة الامة بعد مدارسة جماعية وبطريقة موضوعية متأنية ... كما أنها تفتح المجال لظهور العناصر الصالحة الكفؤة من المواطنين لتحتل المراكز الجديرة بها ، وتهيىء احداث التطوير والتغيير اللازمين فى الاوقات المناسبة بطريقة طبيعية ميسرة دون حاجة الى هزات أو انقلابات ، مما يوفر جو الاستقرار السياسى المطلوب للازدهار الاقتصادى .

على أن كل هذه المزايا لن يكون لها اثر أو وجود بمجرد رفع شعار « دولة المؤسسات » أو ادراك جدواها ، بل لابد من ارساء مقومات وجودها الفعلى بحيث تكون هناك مؤسسات ذات فاعلية ، تعمل فى مناخ يتيح لها ان تؤدى دورها .

ثانيا : دولة المؤسسات فى واقعها الراهن

سنتناول المؤسسات القائمة فى الدولة فى واقعها الراهن وفقا للتقسيم الذى اخذنا به فى تعريفنا لدولة المؤسسات وتشمل :

- المؤسسات الرسمية ، أى السلطات العامة الثلاث : التنفيذية والتشريعية والقضائية . ويلحق بهذه السلطات العامة المجالس الشعبية المحلية ، باعتبارها احدى السلطات المحلية ، ولم نتعرض لها هنا لانها لا زالت محل دراسة فى القانون الجديد لنظام الحكم المحلى .

- المؤسسات غير الرسمية - وتضم التنظيم السياسى ، والصحافة والنقابات والاتحادات ، والجامعات .

١ - المؤسسات الرسمية

الواقع أن السلطة التنفيذية تشتمل على مؤسستين : رئاسة الجمهورية ، والحكومة . وقد افرد الدستور لكل منهما « فرعا » مستقلا فى الفصل الثالث الخاص بالسلطة التنفيذية . ولذا سنتناول كلا منهما على حدة ، ثم ننتقل بعد ذلك الى مجلس الشعب باعتباره السلطة التشريعية ، وأخيرا الى السلطة الرقيبة على الشرعية وسيادة القانون فى الدولة وهى السلطة القضائية .

١ - رئاسة الجمهورية :

مؤسسة الرئاسة تتألف - طبقا للدستور - من رئيس الجمهورية ومن نائبه او نوابه ... وتعاون المجالس القومية المتخصصة رئيس الجمهورية فى رسم السياسة العامة للدولة .

ولرئيس الجمهورية صلاحيات متعددة منصوص عليها بوصفه رئيسا للدولة ، كما يتولى السلطة التنفيذية على الوجه المبين فى الدستور .. وقد نص الدستور فى هذا المجال على أن يضع رئيس الجمهورية بالاشتراك مع مجلس الوزراء السياسة العامة للدولة ، ويشرفان على تنفيذها ، وهو ما

اصطلح على تسميته بمبدأ « المشاركة » الذى يعتبر احدى الدعامات الاساسية لدولة المؤسسات .

غير ان رئيس الجمهورية ان كان يشارك فى وضع السياسة العامة للدولة ، الا أن الحكومة [المؤلفة من رئيس مجلس الوزراء ونوابه والوزراء ونوابهم] هى الهيئة المنفذة طبقا للمادة ١٥٣ من الدستور ، بمعنى انه لا يجوز لمؤسسة رئاسة الجمهورية أن تزاول الاعمال التنفيذية والادارية فى الدولة .

ومن ثم فانه لا يجوز أن يعهد لاحد موظفى رئاسة الجمهورية بأداء عمل تنفيذى من أعمال الحكومة خاصة وان رئيس الجمهورية غير مسئول سياسيا — وفقا للمادة ٨٥ من الدستور — امام مجلس الشعب وانما يساءل فقط عن الخيانة العظمى أو ارتكاب جريمة جنائية .. والا كان عمل هذا الموظف من قبيل تدخل غير المسئولين فى أعمال الحكومة .

كما لا يعتبر ما تنتهى اليه المجالس القومية المتخصصة والتابعة لرئيس الجمهورية — طبقا للمادة ١٦٤ من الدستور — قرارات ملزمة للحكومة، حتى وان وافق رئيس الجمهورية على ما جاء بها ... اذ هى مجالس استشارية لرئيس الجمهورية فى مجال رسم السياسة العامة للدولة التى يزاولها طبقا للدستور بالاشتراك مع مجلس الوزراء .

وينبنى على ذلك أن ما صرح به السيد المشرف على المجالس القومية المتخصصة للصحف ، من أن توصيات المجلس القومى للتعليم والبحث العلمى والتكنولوجيا فى دورته الاولى ستحال الى وزير التربية والتعليم لتنفيذها بمجرد تصديق رئيس الجمهورية عليها ، هو تصريح مخالف للدستور .. اذ ينبغى أن تحال هذه التوصيات فى حالة الموافقة المبدئية عليها الى مجلس الوزراء لمناقشتها واقرارها حتى تصبح سياسة عامة للدولة واجبة التنفيذ . اذ أن هذه السياسة توضع بالاشتراك بين رئيس الجمهورية وبين مجلس الوزراء الذى يجوز للرئيس دعوته للانعقاد وحضور جلساته ، وعندئذ تكون له رئاسة الجلسات التى يحضرها [م ١٤٢] .

٢ ـ الحكومة :

وتتألف من رئيس مجلس الوزراء ونوابه والوزراء ونوابهم [م ١٥٣ من الدستور] .

وتشترك الحكومة ممثلة فى مجلس الوزراء مع رئيس الجمهورية — طبقا للمادة ١٥٦ من الدستور فى وضع السياسة العامة للدولة و « الاشراف » على تنفيذها .

فالوزراء هم شركاء لرئيس الجمهورية فى وضع السياسة العامة للدولة من خلال مجلس الوزراء ، اى أن لهم كل حقوق المشاركة من ابداء الرأى والتقدم بمقترحات الى المناقشة والاعتراض والقبول والرفض ... وبالتالى فلا يقبل من وزير أن يعتبر نفسه مجرد موظف ينفذ تعليمات تصدر اليه من سلطة اعلى ، او ان السياسة العامة للدولة يمكن أن توضع خارج مجلس الوزراء أو بدون مشاركة لرئيس الجمهورية فى وضعها ... بل أن كل وزير يتقاعس عن استعمال حقه فى المشاركة فى وضع السياسة العامة للدولة ، وينصاع لما يتقرر مما لا يوافق عليه بينه وبين نفسه يعتبر مقصرا فى أداء واجباته الدستورية . غير جدير بتبوء مركز الوزارة ، بل يعتبر حانثا باليمين التى اداها قبل مباشرة مهام منصبه الوزارى باحترام أحكام الدستور .

ومن ثم فانه يعتبر أمرا مثيرا للدهشة ومهدرا لدولة المؤسسات أن يقف رئيس الحكومة السابق [1] ويقول أن « التعليمات اللى عندى » هى كذ اوكذا ... اذ مفهوم هذه العبارة أن رئيس الحكومة لم يعد شريكا فى رسم السياسة العامة للدولة ، بل اصبح موظفا بدرجة رئيس مجلس وزراء يتلقى الاوامر من سلطة فوقية ، وهو ما يتعارض والدستور .

كما انه مما يتعارض ومبدأ دولة المؤسسات أن يعلن رئيس الحكومة قرارات جلسة مجلس الوزراء المنعقد فى ٢٤ ـ ٨ ـ ١٩٧٤ التى رأسها السيد رئيس الجمهورية قائلا : « أصدر السيد رئيس الجمهورية فى مجلس الوزراء القرارات الاتية » ... اذ أن هذا القول يعنى ان رئيس الجمهورية أصدر هذه القرارات منفردا وبدون مشاركة من مجلس الوزراء ، وأن جميع أعضاء

(1) المقصود هو الدكتور عبد العزيز حجازى رئيس الوزراء السابق .

مجلس الوزراء لا وجود ولا دور لهم .. وكان الاولى به أن يقول : « أصــدر مجلس الوزراء برئاسة السيد رئيس الجمهورية القــرارات الاتية » .

ولا يدور بذهن أحد منا أن هذه الامور شكلية أو ولكنها معبرة عن مدى فهم المتحدث لمسئولياته أنها تعد من قبيل عدم الدقة فى اختيار الالفاظ ، وحدود صلاحياته : وهو موضوع جوهرى وحيوى له تأثيره بعيد المدى فى ممارسة مؤسسات الدولة لصلاحياتها ، وهو أحد الاسباب المؤدية الى شل يد الحكومة وعدم انطلاقها فى كثير من الامور انتظارا للضوء الاخضر .

ولعله من الامور الملحوظة فى هذا الصدد أن هناك نوعا من التقسيم فى السياسة العامة للدولة بين السياسة الداخلية والسياسة الخارجية ... بحيث اصبحت السياسة العامة الداخلية توضع بالاشتراك بين رئيس الجمهورية والحكومة ، فى حين أن السياسة العامة الخارجية يختص بها رئيس الجمهورية ويعاونه فى ذلك وزير الخارجية مع وزير الحربية بالنسبة للامور ذات الصلة بالشئون العسكرية ... وهذه التفرقة غير واردة بالدستور ، بل أن الرجوع الى المؤسسات الدستورية فى الدولة خلال المفاوضات لما يزيد المفاوض قوة ، وتعطيه فرصة أوسع للمناورة والمراجعة .

كما يقضى الدستور فى المادة ١٥٧ بأن الوزير هو الرئيس الاعلى لوزارته ، ويتولى رسم سياسة الوزارة فى حدود السياسة العامة للدولة ، ويقوم بتنفيذها ... وهو ما يجعل صلاحية الوزير كاملة فى شئون وزارته لا يحدها الا الالتزام بالسياسة العامة للدولة ... فالوزير ليس موظفا ، ولا يعتبر رئيس مجلس الوزراء رئيسا له ... ولذا حرص الدستور على عدم تسميته برئيس الوزراء بل رئيس « مجلس » الوزراء ... كما أن العرف جرى على تسميته فى بعض الدول العربية بالوزير الاول ترجمة للتسمية الموجودة باللغتين الفرنسية والانجليزية .. كل ذلك تأكيدا لمكانة الوزيــر والحفاظ على صلاحياته فى اداء رسالته بما يتفق مع مسئوليته الدستورية عن حسن توجيه شئون الوزارة المنوطة به على أكمل وجه ـ تلك المسئولية التى يحاسب عليها أمام الرأى العام ممثلا فى مؤسسات الدولة غير الرسمية وفى مقدمتها الصحافة ، وامام مجلس الشعب الذى يحق له أن يسحب الثقة منه ، مما يضطره الى اعتزال منصبه .

ولذا فانه كان مثارا للسخط العام أن يقف وزير العدل السابق [٢] فى مجلس الشعب أثناء مناقشة تقرير اللجنة التشريعية عن الفصل بين منصبى وزير العدل والمدعى العام الاشتراكى بجلسة ٢٢ ـ ٢ ـ ١٩٧٥ ليقول انه « خادم للسادات » ـ كما ورد فى المضبطة الرسمية ـ وهو تعبير من المؤكد أن الرئيس السادات نفسه ينفر منه ، ولا يرضى عنه .. والواقع أن الحكومة لا تنهض بصلاحياتها فى دولة المؤسسات بالاستعانة بخدم بل بوزراء لهم كراماتهم وشخصياتهم ، يؤدون الرسالة ويحملون الامانة لوجه الله والوطن .

واضاف وزير العدل السابق فى نفس الجلسة أن منصبه الوزارى لا يحول بينه وبين مراقبة الحكومة كمدع اشتراكى لان ولاءه ليس لرئيس مجلس الوزراء بل لرئيس الجمهورية الذى يعين الوزراء ويعفيهم من مناصبهم ... فجعل الولاء للاشخاص وليس للوطن ، وأصبح مناط هذا الولاء الشخصى هو الانتفاع والاستوزار ... فى حين أن صاحب هذه السلطة الدستورية يعلم ـ وهو أستاذ القانون الدستورى ـ أن الولاء دائما للوطن ، وعلى ذلك اقسم اليمين الدستورية عند توليه الوزارة .

واننى لاتساءل بعد كل ذلك ، هل هذه المعانى والمفاهيم تمثل السلوك الاشتراكى المكلف صاحبها بالحفاظ عليه بوصفه مدعيا اشتراكيا ؟!

ان الحكومة ـ باعتبارها احدى مؤسسات الدولة ـ لا يمكن أن تؤدى رسالتها الا اذا قر فى الافهام ان المناصب الوزارية مناصب سياسية وليست وظائف للتعيين فيها أو الترقية اليها ، وأن من يتولاها ينبغى أن يكون من المتمرسين بالعمل العام ، ذوى الرأى الحر ، وممن لهم منهج معروف فى معالجة المشكلات الداخلية أو الخارجية تقرهم عليه الغالبية ، ويعتبر نفسه صاحب رسالة ، يعمل جاهدا من خلال المنصب الوزارى لتحقيقهــا مستعينا بالكفايات المتخصصة وليس طامعا فى مغنم أو راغبا فى سلطة .

(٢) المقصود هو الدكتور مصطفى أبوزيد .

٣ ـ مجلس الشعب !!

ان مجلس الشعب ـ بوصفه المجلس النيابى الممثل للشعب ـ يتولى سلطة التشريع ، ويقر السياسة العامة للدولة والخطة العامة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية ، وموازنة الدولة ، ويمارس الرقابة على اعمال السلطة التنفيذية [م ٨٦ من الدستور] ... وله فى سبيل اداء مهامه حق توجيه الاسئلة والاستجوابات لرئيس مجلس الوزراء والوزراء وتشكيل لجان لتتصى الحقائق، ويتمتع بسلطة سحب الثقة من الحكومة أو الوزراء . مما يؤدى الى استقالة الحكومة أو اعتزال الوزراء لمناصبهم .

واذا كانت قد قدمت بعض الاستجوابات خلال دورات انعقاد المجلس الحالى . وصدر عنه الكثير من التشريعات ، وابدى الكثيرون من اعضائه المقترحات والاراء فى شتى شئون البلاد ، الا انه يؤخذ على جهود مجلس الشعب من وجهة نظر الراى العام ما يلى :

أولا ـ عدم متابعة المجلس لما تنتهى اليه جهوده من نتائج محددة لقطف ثمارها لصالح الشعب الذى يمثله .. فكم الف المجلس من لجان لتقصى الحقائق فى امور كثيرة ، وادت هذه اللجان واجبها بأمانة : وضمنت نتاج جهودها تقارير ثم كان مصيرها الحفظ فى الادراج .

وكم انتهت مناقشاته الى توصيات ومقترحات لم تجد صدى لها فى حيز التنفيذ ... وآخرها ما سبق ذكره من تقريره الفصل بين منصبى وزير العدل والمدعى العام الاشتراكى فى ٢٢ ـ ١ ـ ٧٥ ثم استمرار الوزير جامعا بين المنصبين حتى حدث تغيير الوزارة بأكملها فى ١٦ ـ ٤ ـ ١٩٧٥ فخرج بمقتضى هذا التغيير وزير العدل من الوزارة .

ثانيا ـ عدم وجود معارضة منظمة داخل المجلس ... اذ لا يكفى بطبيعة الحال أن يقوم بعض اعضاء مجلس الشعب بصفة فردية بتوجيه بعض الاستجوابات او معارضة مشروع قانون مقدم من الحكومة او الاعتراض على تصرف لاحد الوزراء .

فهذه المعارضة ليست سوى تعبير « طارىء » عن آراء « فردية » ، لا تقوم على دراسات جماعية متكاملة تأخذ صورة المتابعة المنتظمة ، المدروسة لسياسة الحكومة ، ولا يشعر المعبر عنها بحماية من جماعة تسانده .

ولا يقصد بطبيعة الحال بالمعارضة « المنظمة » أن تكون مهمتها الانتقاد على طول الخط لكل ما تفعله الحكومة بالحق او بالباطل ـ كما يحاول البعض أن يصور دور المعارضة المنظمة ، وانما يقصد بهذه المعارضة المنظمة أن تضم عناصر مختلفة ذات الاختصاص فى كافة الميادين التى تتولاها الحكومة بحيث تستطيع أن تدرس جميع تصرفاتها فى كل القطاعات، وان تعقد الصلة بينها ، وان تقدم الحلول البديلة ، وان تنتقد السياسة العامة للحكومة بصورة متكاملة ومترابطة .. وهو ما لا يمكن ان يتهيأ لكل فرد على حدة فى حالة « المعارضة الطارئة » المتروك ظهورها للصدفة أو حسب الظروف والاحوال .

وعلى العكس مما يقوله خصوم المعارضة . فان المعارضة السليمة قد ترى أن تصرفا معينا للحكومة يستحق الشكر او أن سياسة لها فى مجال معين جديرة بالتأييد .. وهو ما نراه فى الكثير من الدول التى توجد فيها المعارضة الوظيفية المنتظمة .. ولا يؤثر فى ذلك انحراف القائمين بالمعارضة فى بعض الظروف أو بعض الدول عن الالتزام بأسلوب المعارضة الامينة النزيهة ، اذ أن هذه الانحرافات يمكن أن تكشف وتقوم ولكنها لا ينبغى ان تؤدى الى هدم دور المعارضة من أساسه .

وايمانا بدور المعارضة فى اصلاح نظام الحكم ، حرصت النظم الدستورية فى بعض الدول كانجلترا على ضرورة وجودها بايجاد منصب زعيم المعارضة داخل البرلمان ..

والواقع أنه لولا غيبة المعارضة فى مصر لما وقع الكثير من الاخطاء والمتاعب التى نشكو منها حاليا ، ولما قضى على سيادة القانون، واعتدى على القضاء واستبيحت الحرمات ووقعت حوادث التعذيب وكممت الافواه وقصفت الاقلام ونشأت مراكز القوى، واثرى البعض ثراء غير مشروع ، بل لما وقعت هزيمة يونيو ١٩٦٧ .

ثالثا ـ عدم توجيه العناية الكافية بصلاحياته فى الرقابة على تصرفات وقرارات الحكومة المالية ..

فموافقة مجلس الشعب المسبقة لازمة للصرف على اى باب من الابواب . ولا يجوز تغيير تخصيص ابواب الصرف بنقل مبالغ من باب الى آخر من أبواب الميزانية العامة أو الصرف على ابواب جديدة أو زيادة المقرر صرفه الا بعد الرجوع الى مجلس الشعب .. هذا بالاضافة الى صلاحياته فى مراجعة الحساب الختامى للدولة ومناقشة التقرير السنوى لجهاز المحاسبات وضرورة موافقته على عقد القروض وفرض الضرائب .

فقد شاهدنا فى الفترة الاخيرة احد رؤساء الحكومات يجوب البلاد فى رحلات ويقرر وحدهمن فوق المنصة فى الاجتماعات العامة تخصيص مبالغ لاغراض معينة استجابة للمطالب التى تقدم فى حينها دون نظر أو اعتبار لسلطات مجلس الشعب .. وهو ما يضعف سلطته كمؤسسة من مؤسسات الدولة .

كما أن التقرير السنوى للجهاز المركزى للمحاسبات لا يلقى ما يستحقه من مناقشة ومساءلة للحكومة عما يرد فيه من انحرافات أو اخطاء .

بل استحدثت وسائل وأساليب شتى فى المجال المالى للتخلص من الرقابة المالية لمجلس الشعب من ذلك وضع اعتمادات اجمالية لرؤوس موضوعات للانفاق فى الميزانية دون ذكر للتفاصيل مما يطلق يد الحكومة فى التصرف ، بل وصل الامر احيانا الى وضع نفقات وزارة بأكملها فى صورة مبلغ اجمالى .

واستحدثت بدعة الصناديق للخروج من الرقابة الشاملة للميزانية وفى مقدمتها صندوق الطوارىء الذى استخدم ليوضع فيه ما يرد من معونات أو دعم أو تبرعات داخلية او خارجية لاستخدامها فى الاغراض الطارئة وبصفة خاصة العسكرية منها لدواعى الحرب ... ثم اصبحت سبيلا للتصرف منها فى اغراض عادية جارية باسم الطوارىء دون عرض مسبق على مجلس الشعب .

كما اعتبر الكثير من الشئون المالية سرا على مجلس الشعب ، بل على لجانه المتخصصة التى ينبغى ان تكون موضع الثقة ، مما يجعلها عاجزة عن اداء رسالتها كاملة .. فرقم ديوننا الخارجية والالتزامات المتعلقة بها معتبرة سرا حتى على لجنة الخطة والموازنة واللجنة الاقتصادية بمجلس الشعب وهو ما لا يعين على تفهم المركز الاقتصادى الحقيقى للبلاد وبالتالى لا يمكن من اعطاء رأى سليم فى السياسة المالية أو الخطة الاقتصادية الواجبة الاتباع .

رابعا ـ عدم مسارعته باستكمال القوانين المؤيدة للحريات ، وسيادة القانون والمكملة للدستور . وذلك بالغاء قانون تنظيم الحراسة باعتباره اجراء تهديديا منافيا للحريات . اذ يجيز فرض هذه الحراسة فى أحوال مصاغة بعبارات مطاطة تعتبر سلاحا معلقا على الرقاب ، ومنع الحبس الاحتياطى المطلق والاعتراض على القرارات القضائية بالافراج عن المتهمين ، وتعديل القوانين البالية المتبقية من العهود الاستعمارية كقانون المطبوعات وقانون الاجتماعات ، واصدار قانون انشاء المحكمة الدستورية العليا .

٤ ـ السلطة القضائية :

ان القضاء باعتباره سلطة من سلطات الدولة تعتبر هى الحامية للمواطنين ضد ما قد يقع من عسف او جور أو خروج على جادة القانون من جانب الادارة عليهم فهى بهذه الصفة رقابة مستقله على التزام الحكومة فى اعمالها بسياده القانون .

كما أن ما نص عليه الدستور من انشاء المحكمة الدستورية العليا لممارسة الرقابة القضائية على دستوريه القوانين واللوائح وما ينبغى ان يضاف اليه ايضا من الرقابة على دستوريه القرارات الجمهورية ـ اعمالا للفقرة الثانية من الماده ١٧٥ من الدستور ـ يعتبر استكمالا لرقابة السلطة القضائية على السلطتين التنفيذية والتشريعية فى التزامهما باحترام احكام الدستور ، وان كانت سلطة مجلس الدولة فى الرقابة على القرارات الجمهورية ذات الطبيعة الفردية أمرا مسلما به .

غير ان قانون انشاء المحكمة الدستورية العليا لم يصدر بعد ـ رغم صدور الدستور فى ١١ سبتمبر ١٩٧١ اى انقضاء قرابة الاربع سنوات ـ وتمارس المحكمة العليا القائمة اختصاصاتها وفقا للمادة ١٩٢ من الدستور بصفة مؤقتة لحين انشاء المحكمة الدستورية العليا .. وان كان يعيب « المحكمة العليا » التى تمارس الرقابة الدستورية ان اعضاءها لا يتمتعون بعدم القابلية للعزل ، بل يجدد تعيينهم كل ثلاث سنوات ، مما يجعل بقاءهم فى مراكزهم تحت رحمة الذين يراقبون تصرفاتهم ، وهو وضع لا يحتمل السكوت عليه فى دولة المؤسسات . ويقتضى الامر المسارعة بتصحيحه باصدار قانون المحكمة الدستورية العليا .

وما دمنا بصدد الحديث عن حصانة القضاة ووجوب تقرير عدم قابليتهم للعزل ، فانه يجدر بنا أن نطالب بهذه الحصانة لرجال النيابة الذين يتولون سلطة التحقيق ، لانهم فى حقيقة الامر « قضاة تحقيق » .

واذا كان عدم القابلية للعزل لم يحل دون العصف باستقلال القضاء وفصل رجاله بالجملة فى عام ١٩٦٩ ، فان دعم السلطة القضائية فى دولة المؤسسات يقتضى محاكمة المسئولين عن الاعتداء على قدسية القضاء حتى تكون هذه المحاكمة مانعة دون تكرار مثل هذا العدوان الاثيم مستقبلا .

٢ ـ المؤسسات غير الرسمية :

وتضم ـ كما ذكرنا ـ التنظيم السياسى ، والصحافة ، والنقابات ، والاتحادات ، والجامعات .

١ ـ التنظيم السياسى ؟

ان احياء الحياة السياسية فى مصر عن طريق بناء تنظيم سياسى وحيد من موقع السلطة أمر انتقده الرئيس انور السادات فى ورقة تطوير الاتحاد الاشتراكى التى طرحها على الامة فى ٨ ـ ٨ ـ ١٩٧٤ ، وثارت حولها مناقشات انتهت الى تقرير اعدته لجنة رباعية الفها الرئيس لتجميع اتجاهات الحوار حول التطوير ، نشر بالصحف فى ١٨ ـ ١١ ـ ١٩٧٤ ، واعتبر ان رأى الغالبية هو فى الابقاء على الاتحاد الاشتراكى مع تطويره للقضاء على سلبياته التى اوردتها ورقة التطوير ».

ولست اعلم كيف تبين راى الاغلبية ، مع انه لم يجر استفتاء للوقوف على راى الشعب ، ولم يحص عدد أصوات أصحاب كل راى من الحاضرين .. ولعله من المسلم به أن اصحاب الراى الاعلى صوتا ليس بالضرورة يكون هو الاكثر عددا ، كما أن الاكثرية الصامتة قد تكون فى جانب الراى الاخر .

ومع ذلك ، فانه على الرغم من عدم صدور قرار من رئيس الاتحاد الاشتراكى باتجاهات التطوير أو إعلان الموافقة على تقرير اللجنة الرباعية أو عرض هذا التقرير على المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى لاقراره ، فقد دعى المواطنون لابداء اختياراتهم فى الانضمام أو عدم الانضمام .. وهو مطالبة باختيار المجهول . فانه لم يعرف بعد ما هى سلطات الاتحاد الاشتراكى فى صورته الجديدة ، هل سيكون سلطة عليا تلتزم بقراراته السلطتان التنفيذية ،والتشريعية، أم جهازا يخدم ولا يحكم ؟

كما لم يعرف بعد هل استقر الراى على ان تكون المنابر المتعددة داخل الاتحاد الاشتراكى فى صورته المطورة منابر متحركة أم منابر ثابتة ؟

وهل ستكون هذه المنابر نواة لنشأة احزاب سياسية متعددة أم لا ؟ .. الى غير ذلك من التساؤلات التى يجب أن تسبق الدعوة للانضمام أو اجراء الانتخابات لتشكيل وحدات الاتحاد .

كما طالعنا فى الصحف أن بعض النقابات المهنية انضمت الى الاتحاد الاشتراكى وفقا لقاعدة العضوية الجماعية وهى قاعدة جديدة لم تكن موجودة من قبل ، ولم يصدر بها قرار تنظيمى معلن .

على ان ذلك لا يمنعنا من القول انـه لا ديمقراطية بالمعنى الكامل لهذه الكلمة دون اطلاق حرية تكوين الاحزاب وانه مهما حاولنا ان نتلاعب بالالفاظ والمسميات ؛ فان الاتحاد الاشتراكى هو حزب وحزب وحيد وليس شيئا آخر .

وان كان هو فى الحقيقة حزبا من نوع فريد ، اذ تتولى الحكومة الانفاق عليه من ميزانية الدولة ، ويعتبر قادته موظفين يقبضون مرتباتهم من الخزانة العامة .. فقد ورد فى القسم المتعلق برئاسة الجمهورية بموازنة الدولة لعام ١٩٧٥ فى الباب الاول الخاص بالمرتبات والاجور مبلغ ٣٧٫٠٠٠ جنيه مرتبات اللجنة العليا بالاتحاد الاشتراكى العربى [ص ١٣٠١ من كتاب الموازنة العامة للدولة للسنة المالية ١٩٧٥] و ١٦٫٥٠٠ جنيه للمعينين بالاتحاد الاشتراكى العربى « ص ١٣٠٢ من نفس الكتاب » .. كما ادرج مبلغ ربع مليون جنيه اعانه للاتحاد الاشتراكى فى الباب الثانى مجموعة « ٥ » [ص ١٣١٢ من كتاب الموازنة المذكور] ، وهذا المبلغ معفى من شرط العرض على الجهاز المركزى للمحاسبات ..

وهكذا يكون هذا التنظيم السياسى اشبه بجهاز حكومة منه بتنظيم شعبى سياسى ينضم اليه المواطنون ايمانا بمبادئه ويضحون فى سبيله بجهدهم واموالهم خدمة للوطن .

والراى عندى أن الحياة السياسية لن تزدهر فى مصر الا بالسماح بنشأة الاحزاب السياسية المتعددة وهو أمر لا يتنافى مع الاشتراكية طالما كانت هذه الاحزاب فى ظل الدستور القائم .. كما انه لا يتعارض مع فكرة تحالف قوى الشعب طالما أنه لن تتكون أحزاب على اساس تغليب طبقة على أخرى . بمعنى ان تكون اتجاهاتها فكرية تضم كافة الفئات والطبقات اصحاب الفكر الواحد، وليس على اساس فئوى أو طبقى .

ولا محل للتخوف من عودة الاحزاب القديمة بصورتها التى كانت عليها قبل الثورة ، فان انقضاء نحو ربع قرن من الزمان ادى الى تغير فى الاهداف القومية ، وتطور فى المفاهيم السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، ونشأة جيل جديد من المواطنين ، مما لا يتصور معه أن تبعث الاحزاب القديمة بصورتها العتيقة .. كما انه لا محل للطعن فى نظام تعدد الاحزاب على ضوء ما كان يجرى قديما فى ظل الملكية والاستعمار ، بعد أن لم يعد لهما وجود الان .

وان هذا التعدد فى الاحزاب السياسية من شأنه أن يخلق التنافس بين المواطنين فى خدمة البلاد ، وان يبرز العناصر الصالحة الكفؤة فى كافة المجالات ، مما ييسر على رئيس الجمهورية ممارسة صلاحياته كحكم بين مختلف الاحزاب السياسية وسلطات الدولة .

هذا هو السبيل القويم اذا أردنا أن يكون هناك تنظيم سياسى فعال يثرى الحياة السياسية فى دولة المؤسسات ، وليس تنظيما مدفوع الاجر ، متمتعا بمختلف المنافع الادارية ، مقررا مرة أخرى من موقع السلطة ، يلوذ به الوصوليون والنفعيون

والمتطلعون الى مرضاة ذوى السلطان مما يؤدى الى عدم تغيير الصورة القديمة التى انتقدتها ورقة التطوير .

٢ ـ الصـــحافة :

تلقب الصحافة فى الدول الديموقراطية التى تأخذ بنظام الفصل بين السلطات بالسلطة الرابعة اعترافا بدورها الاساسى الى جانب السـلطات الثلاث المعروفة ، من تشريعيه وتنفيذية وقضائية .. كما كان يطلق عليها فى ظل الملكيات بصاحبة الجلالة ارتفاعا بها الى القمة العليا فى الدولة .

وقد حرص الرئيس أنور السادات ـ فى قراره بوصفه رئيسا للاتحاد الاشتراكى بانشاء المجلس الاعلى للصحافة ـ على اعتبارها « مـؤسسة » معترفا بها فى دولة المؤسسات .

ولكن الصحافة لن تكون مؤسسة تؤدى دورها المنتظر فى دولة المؤسسات اذا ظلت تابعة للاتحاد الاشتراكى ، بل ستكون شعبة من شعب هـذا الاتحاد تنطق بلسانه ويستبعد رؤساء تحريرها اذا ما خرجوا عن الخط المرسوم لهم .

وليس ادل على ذلك من انه حدث فى تشكيل المجلس الاعلى للصحافة نفسه ، ان انتخبت نقابة الصحفيين اعضاء من الصحفيين ممن تقل مـدد اشتغالهم بالمهنة عن خمسة عشر عاما ، غير ان الاتحاد الاشتراكى استبعدهم واختار غيرهم .

على ان المجلس الاعلى للصحافة يمكن أن يعتبر خطوة الى الامام فى ضوء ممارسته لصلاحياته ، وبصفة خاصة بالنسبة لامرين :

الامر الاول ـ ان يقرر نوعا من الحصـانة للصحفى بحيث لا يجعله عرضة للاطاحة به بجرة قلم ودون مساءلة أو محاكمة لمجرد فقدانه رضاء بعض المسئولين ، نتيجة رأى ابداه أو نقد وجهه .

فالغاء الرقابة الحكومية على الصحف كان اجراء مشكورا فى الطريق السليم ، غير ان هذا الاجراء لا يعتبر كافيا لتحقيق حرية الصحافة التى يتطلع اليها الشعب طالما كان رؤساء تحرير الصحف المعينون من قبل السلطة مسئولين عما ينشر بصحفهم ، مما سيؤدى الى تحويل الرقابة الصحفية من الاداة الحكومية الى رقابة داخلية يمارسها رئيس التحرير . وقد تكون اشد قسوة حرصا على تجنيب نفسه التعرض لفقدان منصبه ، فى حين أن الرقيب الموظف كان يحتكم الى سلطة أعلى فى حالة الاختلاف مع رئيس التحرير ، وقد ترى هذه الجهة السماح بالنشر .. ومن هنا فان قرار الغاء الرقابة على الصحف لابد وأن يقترن بتقرير نوع من الحصانة للصحفيين .

وليس معنى ذلك أن يكون الصحفى فوق كل مسئولية ، وانما يمكن مساءلته قضائيا فى حالة خروجه عن حدود القانون أو النقد المباح ، كما يمكن مساءلته تأديبيا أمام لجنة من نقابة الصحفيين يرأسها عنصر قضائى اذا تجاوز حدود أدبيات المهنة .

الامر الثانى ـ ان ييسر حق اصدار الصحف والمجلات ـ وهو من صلاحياته بموجب القرار الصادر ـ حتى لا تكون حرية الصحافة متصورة على فريق العاملين فى الصحف القائمة حاليا ، اذا يجب ان تعتبر الصحافة منبرا عاما للمواطنين بحيث يجد كل صاحب رأى مشروع سبيله الى ابداء رأيه على ملأ من الناس .

كما أن الصحفى الذى يغلق دونه سبيل التعبير عن وجهة نظره فى الصحيفة التى يعمل بها ، يستطيع ان يعمد الى اصدار جريدة يعبر فيها عن رأيه بحرية .. وبدون ذلك لا تكون هناك حرية صحافة .

ان التمكين لحرية الصحافة بحيث تكون من أجهزة الرقابة الشعبية على السلطة شأنها فى ذلك شأن مجلس الشعب ، هو الذى يجعلها مؤسسة فعالة فى دولة المؤسسات .. وبدون ذلك تصبح الصحافة هى الواقعة تحت رقابة الحكومـة ، وبالتالى بوقا من أبواقها .. أى صحافة السلطة وليست صحافة الشعب ..

على أن اطلاق حرية الصحافة واستخدام حق النقد لن يكون ذا قيمة ، اذا ما وقفت منها السلطة موقف عدم المبالاة .. فقد كان يروعنى ما ينشر على صفحات المجلات والجرائد بعد الغاء الرقابة الرسمية من وقائع مذهلة وانحرافات خطيرة دون ان تحرك فى الحكومة ساكنا ، وهوما يفرض على مجلس الشعب تبعة اخرى ازاء المواطنين بالزام الحكومة المسئولة امامه باتخاذ الموقف الملائم حيال ما ينشر بما له من حق سحب الثقة منها دعما لدولة المؤسسات ، وحرصا على عدم زعزعة ثقة الشعب فى حكامه .

٣ ـ النقابات والاتحادات :

تعتبر النقابات المهنية والعمالية والاتحـادات التعاونية للفلاحين والاتحادات الطلابية مـن التنظيمات الشعبية ذات التأثير على السلطات فى اتخاذ القرارات .

ولكى تعتبر ذات فاعلية فى دولة المؤسسات لابد ان تكون ممثلة تمثيلا حرا وحقيقيا لاعضائها دون

ضغط أو ارهاب ... وأن تيسر لها حرية الاجتماع والمناقشة فى امورها دون ترويع أو تهديد .. وان تجدد انتخابات قياداتها بصفة دورية منتظمة حتى لا تنفصل القيادات عن القاعدة فتفقد قدراتها .. كما يجب حظر الجمع بين المناصب القيادية فى النقابات وبين مناصب السلطة ، حتى لا يكون فى سيطرة الحكام على النقابات ما يحول دون حرية التعبير عن رأيها .

ومن هنا فانه لا يجوز بحال ان يكون الوزراء رؤساء للنقابات أو الاتحادات ... وقد طلب الى بعض الزملاء من المعلمين عندما كنت وزيرا للتربية والتعليم ان ارشح نفسى نقيبا للمعلمين فاعتذرت بأنه لا يجوز فى نظرى ان اجمع بين هذين المنصبين .

ومما هو جدير بالتنويه ان تقرير العضوية الجماعية للنقابات فى الاتحاد الاشتراكى يعتبر اعترافا بحق هذه النقابات فى ممارسة العمل السياسى كمؤسسات جماهيرية فى دولة المؤسسات وهو ما يفرض عليها واجب حمل هذه الامانة بكفاءة وفاعلية .

٤ ـ الجامعات :

تعتبر الجامعات ـ اذا ما اعطيت استقلالها ـ احدى المؤسسات الهامة ذات التأثير القوى فى تطوين المجتمع واعادة صياغة الحياة فى كافة مجالاتها عن طريق خلق التيارات الفكريه الخلاقة وتقديم الحلول للمشاكل القومية والاسهام فى توجيه صانعى القرارات فى الدولة .

واذا تحدثنا عن استقلال الجامعات ، فاننى لا اقصد بذلك ما يتحدث عنه المسئولون فى الصحف من اعطائها الاستقلال المالى والادارى حتى لا تتقيد باللوائح الحكومية والاجراءات الادارية فيما يتعلق بالتوريدات والانشاءات والمشتريات وقواعد الصرف والتعيين .. فان هذا الاستقلال ـ لا جدال ـ يعتبر ذا فائدة فى تسهيل سير عجلتها اليومية ، وعدم عرقلة تدبير ما تحتاج اليه من اجهزة ، او اقامة ما يلزمها من انشاءات .. ولكنه ليس هو الذى يخلق من الجامعات مؤسسات فكرية تكون بمثابة الاضواء الكاشفة أمام صانعى القرارات ، والمصانع التى تصقل عقول وقدرات وشخصيات الاجيال الناشئة المتلاحقة ، ومستقر البحوث العلمية المبتكرة التى تمكن مصر من مواكبة ركب الحضارة والتقدم العالمى .

وانما الذى يقفز بجامعاتنا الى هذا المستوى الذى نتطلع اليه جميعا هو تزويدها بالاستقلال الفكرى والعلمى حتى تنطلق فى آفاق البحث والمعرفة توصلا لهذه الاهداف المبتغاة .. فهل يطول الوقت حتى نرى جامعاتنا تنضم بمقدرة وريادة الى مؤسسات الدولة ذات الفاعلية فى صنع القرارات الاساسية لاعادة صياغة الحياة ؟

• • •

بعد هذا الاستعراض لمفهوم دولة المؤسسات ومزايا الاخذ به ، وبيان المقومات الواجب توفيرها لضمان فاعليتها ، وتقصى بعض الثغرات الموجودة فى مؤسسات دولتنا ، يبقى ان اقرر فى الختام ان دعم دولة المؤسسات بمعناها السليم وقيامها بدورها فى التمكين لسيادة القانون وحماية الحريات العامة والشخصية انما يتوقف أولا واخيرا على جدية الشعب وارادته واستعداده للتضحية فى سبيل ارساء قواعدها وتثبيت اقدامها ، وهو بالدرجة الاولى واجب المواطنين على الجبهة الداخلية .

واذا كان اخوتنا وأهلنا من رجال القوات المسلحة ضحوا ويضحون على الجبهة القتالية بدمائهم وأرواحهم فى سبيل استقلال مصر والحفاظ على كرامتها واستعادة اراضيها ، فان الواجب يقتضينا كمدنيين ان نسترخص كل التضحيات فى سبيل النهوض بالجبهه الداخلية لنخلق من مصر دولة علمية عصرية ، مزدهرة اقتصاديا ، متطوره اجتماعيا ، تسودها الفضيلة والمحبة والسلام ، لتكون جديرة بالمكانة التى تحتلها فى نفوس العرب اجمعين ، خليقة بالتضحيات التى تدمهاشهداؤنا الابطال فى ساحة الشرف والنضال .

بهذا نؤدى دورنا الوطنى ، ونهيىء الاطمئنان النفسى لاخوتنا الرابضين على الجبهة القتالية حتى يواصلوا انتصاراتهم المظفرة باذن الله .

واننى لا ادعوكم الى التضحية ، وانسى نفسى ، بل اعدكم بان اعتزل منصبى بالامم المتحدة فى بيروت ـ بما يدره على من راتب يعلو على اكبر مرتب رسمى فى الدولة ـ فى اعقاب المطالبة الصيفية لكى أتشرف بارتداء روب المحاماة وأضع يدى فى أيديكم وأيدى جميع المواطنين المخلصين الشرفاء ، لنعمل معا لتحقيق هذه الامال المرجوة لوطننا المفدى .

المثقفون فى مصر .. بين اليمين واليسار

د. عبد الكريم أحمد

يفتح « الرأى والرأى الاخر » صفحاته أمام الدكتور عبد الكريم احمد ، ليقدم وجهة نظره فى عرض وتحليل الواقع المعاصر للمثقفين المصريين واتجاهاتهم المختلفة .

ورغم ان « الطليعة » تختلف فى المنهج وفى تصوير وتحليل عدد من الوقائع التى عرضها المقال ، الا ان « الطليعة » التزاما منها بحرية التعبير ، ترحب بمقال الدكتور عبد الكريم احمد وتطرحه للنقاش العام .

منذ أن اصبح « للعقل » ، بدلا من الوحى والالهام ، الدور الاكبر فى تحديد طريق العمل البشرى ، ومنذ أن اصبحت « الارادة البشرية » ، بدلا من القوى الغيبية غير المدركة ، عاملا رئيسيا معترفا به فى توجيه شئون البشر . وباختصار منذ بدأ العصر الحديث ، تفجرت قضية كبرى من قضايا التنظيم الاجتماعى هى تحديد دور « المثقفين » فى هذا التنظيم .

اذ أن من أهم ما تميز به العصر الحديث عن كل العصور السابقة ، أن بعض الناس تكونت لديهم القدرة على « تصور » أوضاع اجتماعية متكاملة ، قد تصل الى حد تصور تنظيم شامل للجميع بأكمله ، تقوم على أسس ومبادىء مغايرة لما جرى عليه العمل ثم يحاولون تحقيق هذا التصور عمليا . لقد كان الناس منذ بدء الخليقة يعملون عن وعى ، كامل او جزئى ، على التخلص من الاشياء التى تزعجهم ويرون أنها تقف فى سبيل سعادتهم ، وبالتالى على خلق ظروف افضل لحياتهم . ولكن العصر الحديث ـ عصر الايديولوجى ـ أضاف الى هذا الاسلوب التقليدى فى التغيير أسلوبا آخر اعمق واكثر شمولا محوره هو « تصور اوضاع أفضل » ، أما على اساس التجربة الشخصية ذات الطابع الرومانسى مثل الاشتراكيين الطوبائيين ، أو على اساس حساب التطور التاريخى المتأثر بالعوامل المادية مثل الماركسيين .

وهذا الانتقال ، من مجرد العمل من جانب الناس على التخلص من أوضاع يضيقون بها الى تصور البديل الاجتماعى الشامل والعمل على تحقيقه ، هو الذى فجر قضية المثقفين بصورتها الحادة التى عرفها العصر الحديث ، لان مهمة تصور هذا النوع من البدائل لا يمكن أن يقوم به الا فئة مؤهلة تأهيلا خاصا ، وذات مزاج خاص ، من الناس . والمثقفون ـ بأى تعريف اتخذناه لهذا المصطلح ـ هم العمود الفقرى لهذه الفئة .

ولا يعنى ذلك أن كل مثقف يجب أن يكون فى وسعه أن يتصور ، أو أن يستوعب تصورات وضعها مثقفون آخرون ، للبدائل الشاملة أو الجزئية للاوضاع الاجتماعية ثم يعمل على انجاز التغيير الذى يتطلبه تحقيقها . فهناك بين المثقفين من يرون أن المجتمع القائم ، واسلوب التغيير التقليدى البطىء ، افضل من كل البدائل المعروضة ويعملون على تأكيد الاسس التى يقوم عليها هذا المجتمع فعلا ـ وقد اصطلح على تسمية هذا الفريق من المثقفين « **بالمحافظين** » .

وفى المجتمعات التى تبدو فيها الحاجة ماسة الى التغيير ، وتكون المبادىء التى يقوم عليها التنظيم الاجتماعى القائم مجحفة بالاغلبية الكبرى من السكان ، مثل معظم المجتمعات المعاصرة ، يوصف المحافظون اصطلاحا بالجمود « اليمينى » أو يطلق عليهم باختصار مصطلح « اليمين » .

كما أن المثقفين الذين يعملون على التغيير ينقسمون بدورهم الى فريقين . فبعضهم يتصور المجتمع الذى يعمل على تحقيقه على نسق تنظيم سابق يعتبره أفضل تنظيم اجتمـاعى ممكن ، وهؤلاء لانهم يريدون الرجوع الى الوراء فى طلب العصر الذهبى والامجاد السالفة ، يطلق عليهم مصطلح رجعيين أو سلفيين ، وهم أيضا يوصفون بأنهم يمينيون ، وان كان يضاف الى هذا الوصف عادة وصفا آخر ، فيقال « اليمين الرجعى » .

أما فريق الداعين الى التغيير ممن يتطلعون فى تصوراتهم الى الامام تقدما نحو مجتمع أفضل يقوم على أسس لا يؤدى تطبيقها الى الاجحاف بالاغلبية العظمى من السكان ، فهؤلاء يطلق عليهم مصطلح « تقدميين » ، ويوصفون عادة بـأنهم يساريون .

وينشعب « التقدميون » عادة ، وخصوصا فى المجتمعات التى تمر بفترات قلقة ، وتشتد الحاجة فيها الى التغيير كما هو الحال فى البلاد النامية ، الى فرق متعددة تختلف باختلاف أنواع التصورات الاجتماعية . الا أن هذه التصورات ، لانها جميعا تقدمية ، ممكن أن يلتقى أصحابها فى مجهود موحد ولو مرحليا عندما تتطلب الاوضاع القائمة ذلك .

بيد أن من الملاحظ اخيرا أن استخدام مصطلحى اليسار واليمين فى الادب السياسى يكون مقرونا فى الغالب بوصف آخر ـ مثل « اليسار التقدمى » و « يسار الوسط » و « اليمين الرجعى » و « اليمين العصرى » ـ لانه بحكم تعريف المصطلحين يوجد فى كل من التيارات التى أشرنا اليها يسار ويمين . وتبدو « نسبية » اليسار هذه فى اننا نصف مثقفا يحمل نوعا معينا من الافكار بأنه يسارى فى مجتمع ما ، ونصف غيره يحمل ذات الافكار فى مجتمع آخر بأنه يمينى ، بل ان وصف مجموعة من الافكار والمبادىء بأنها يسارية فى مرحلة ما لا يمنع دون وصفها فى مرحلة تالية بأنها يمينية فى نفس المجتمع . ولذلك يفضل الكثيرون عدم استخدام هذين المصطلحين والاكتفاء بمصطلحات التقدمية والمحافظة والرجعية لانها أقل « نسبية » .

والسؤال الذى يواجهنا هنا هو ، الى أى مدى يؤثر المثقفون فعلا فى تطور هذه المجتمعات ؟ الى أى مدى يستطيع المثقفون المحافظون فرملة عجلة التغيير ، والرجعيون توجيه التغيير نحو الماضى السعيد ، والتقدميون نحو المستقبل الافضل ؟

من الجلى أن المثقفين بجميع نحلهم واتجاهاتهم لا يمثلون سوى نسبة صغيرة جدا من عدد الناس الذين تتألف منهم المجتمعات ـ فهم فى الحقيقة لا يمثلون سوى راق فوقى ـ أو سطحى ـ بالنسبة للمجتمع ، أما الباقى فهم الجماهير التى توصف بأنها « راضية » أو « خانعة » أو « كادحة » » أو « مسحوقة » حسب وجهات النظر المختلفة .

واذا أخذنا بعين الاعتبار المعدل السريع فى نمو الوعى وانتشار التعليم بين هذه الجماهير وميلها ـ خصوصا فى البلاد الاكثر تقدما ـ الى أن تتولى امورها بنفسها بدون « قيادة » المثقفين ، بل وفى جو مشبع بعدم الثقة بهم احيانا ، أدركنا أن دور المثقفين فى التغيير الاجتماعى ، أو التجميد الاجتماعى ، يقل بذات المعدل السريع ، وانهـم يتحولون الى مجرد « عامل مساعد » وتضعف فعاليتهم الاجتماعية بصورة متزايدة .

ولكن ذلك لا يعنى بأى حال الاستهانة بدور المثقفين فى التطور الاجتماعى ، وبخاصة فى البلاد النامية كما سيجىء ، لان المثقف « الملتزم » يمثل احدى الضمانات الاجتماعية الرئيسية للاستمرار فى التغيير بالمعدل الذى يتطلبه الامر ، كما أنه فى الغالب يتخذ موقف الناقد من بعض جوانب المجتمع بحيث يوجه الانظار الى ما يعتقد أن له الاولوية فى التغيير .

وليس كل مثقف « ملتزما » بالضرورة ، فمن الملاحظ ان أغلبية المثقفين ليس لديها القدر الكافى من الاهتمام « بالشأن العام » . أو وضوح الرؤية اللذان يجعلانها فى موضع يتطلب منها الالتزام ، ويثير فيها الحافز اليه .

ان تلك القلة من المثقفين الملتزمين ضرورية لاستمرار عملية التغيير الاجتماعى ، والمثقف الملتزم يستطيع أكثر من غيره أن ينـزل الى الجماهير ويحتل مكانه بين صفوفها مضيفا بذلك الى مجهوده قدرا كبيرا من الفعالية التى لا تتوفر له بمجرد كونه فردا من ذلك الراق الفوقى ، أو السطحى ، الذى يؤلفه المثقفون عموما فى أى مجتمع بذاته .

والجنوح المستمر لدى المثقف الى نقد الاوضاع السائدة ، وبخاصة السلطة القائمة ، يكاد يكون الصفة الاولى التى يميز بها مثقف العصر الحديث . فمنذ البدايات الاولى لهذا العصر كان للمثقفين الدور الاكبر فى تقويض دعائم الاوضاع السائدة فى المجتمعات الاوروبية من مخلفات عصر الاقطاع ، وبخاصة أنواع « السلطة » المختلفة التى كان يمارسها الحكام ورجال الدين . [وكلنا نعرف الدفـاع المجيـد عـن « الحرية » والهجـوم على « السلطة » الذى حمل لواءه مثقفو عصر الاستنارة الذى أطلق عليهم لهذا السبب فلاسفة الحرية] بحيث صار شعار « السلطة شر لابد منه » ركيزة أساسية قام عليها البناء السياسى والاجتماعى والاقتصادى للمذهب الليبرالى الذى وضع مبادئه النظرية هؤلاء المثقفون .

ومنذ ذلك الوقت ظل النقد الدائب للاوضاع القائمة والهجوم على « السلطة » دفاعا عن « الحرية » مرتبطين ارتباطا وثيقا بمصطلح « المثقف » فى أخيلة الناس . واهم من ذلك ، فى أخيلة الاغلبية الساحقة من المثقفين أنفسهم .

ومن المعروف ايضا ان « الحرية » التى دافع عنها الرواد الاول من مثقفى العصر الحديث كانت جزءا لا يتجزأ من التصور الشامل للتنظيم الاجتماعى على أساس الفلسفة الفردية . ومع مرور الوقت وزيادة الوعى لدى الجماهير تبلور على يد عدد من المثقفين « الملتزمين » ، نوع آخر من الحرية هو ما نطلق عليه الان « الحرية الاجتماعية » . وقد انبثقت هذه الحرية الجديدة من حاجات الناس العاديين وتجربتهم للتخلص من الشوائب التى علقت بتطبيق مفهوم الحرية الاول والاضرار التى نجمت عنه . ولكن لماكان المثقفون يؤلفون كما قلنا راقا علويا فى المجتمع فان اعدادا كبيرة منهم لم تستطع ـ لضعف ارتباطها بالجماهير ـ استيعاب مفهوم الحرية الجديد ، بحيث أن أولئك الذين استوعبوا هذا المفهوم ظلوا أقلية بين المثقفين ، وظلت الاغلبية فى معظم المجتمعات على تعلقها بمفهوم الحرية الاول ـ وهذا أمر طبيعى الى حد ما لان المثقف أساسا « فرد » وهو اذ يدافع عن هذا النوع من الحرية انما يدافع عن امتيازات يتصورها لنفسه ويفعل ما يتفق مع مزاجه وطبيعته ، ومع « استقلاله » .

وكان هذا التمسك من جانب اغلبية المثقفين بالحرية الفردية ، وما يصاحبها بالضرورة من حرية فى التعامل الاقتصادى ، هو السبب الرئيسى فى اتساع الهوة بين راق المثقفين ، وهذه الجماهير واتجاهها الى دخول ميدان الصراع الاقتصادى والاجتماعى والسياسى بنفسها ، والرفض المتزايد لسيادة المثقفين الذى نشهده فى المجتمعات الاكثر تقدما منذ أواخر القرن الماضى ومطلع القرن الحالى . فقد اصبح من المألوف فى معظم دول الغرب أن تعمل الجماهير ، مع زيادة وعيها ، على تولى أمورها بنفسها ممثلة فى النقابات العمالية والفلاحية .

الا أن الامر يختلف عن ذلك الى حد كبير فى البلاد النامية . فدور المثقفين فى هذه البلاد قد تعاظم الى حد لم يتوقعه احد من قبل ، ودخلت فئة المثقفين عناصر كانت تعتبر فى البلاد الاكثر تقدما عناصر هامشية ، اهمها الطلبة والتقنيين بمختلف تخصصاتهم ، مثل المهندسين والاطباء والضباط ، مما ادى الى اختلاف فى نوعية هذه الفئة ، وكذلك ، وبسبب تردى أوضاع التعليم فى البلاد النامية وضعف نسبة المتعلمين فيها ، جنح مثقفو هذه البلاد الى ان يكونوا أكثر « علوية » أو سطحية من قرنائهم فى الغرب المتقدم ، وبالتالى صارت اتجاهاتهم ـ وقد فقدوا بمختلف مشاربهم الارتباط الاساسى بالناس ـ أكثر تشعبا وصارت الخلافات التى تنشب بينهم أكثر عمقا وأقرب الى « الشخصية » منها الى الموضوعية ؛ مما جعل الانقسام بينهم يتسم بصورة عدائية قضت على قسط كبير من فعاليتهم الاجتماعية الجادة . وفى بعض الحالات ، كما هو الحال عندنا أحيانا ، وصل مثقفو البلاد النامية الى حد افتعال المعارك فيما بينهم ، معارك وهمية دونكيشوتية ، هم مبتكروها ، وهم فى نفس الوقت وقودها .

ولن نحاول هنا أن نسجل ما يساق من أسباب ادت الى هذه الاختلافات بين المثقفين فى البلاد النامية وقرنائهم فى البلاد الاكثر تقدما ، فقد كتب فى هذا الموضوع الكثير . ولكننا نود أن نشير هنا الى حقيقة تتصل بمدى ضخامة الدور الذى يقوم به المثقفون فى البلاد النامية ، الذين تقول عنهم دراسة قدمت الى مؤتمر علماء الاجتماع فى أمريكا سنة ١٩٥٩ انهم « يقفون وراء ميلاد الدول الجديدة فى آسيا وافريقيا واستمرار حياتها ووجودها » ، وانهم « ليسوا مجرد قادة لحركات اليقظة الوطنية فحسب بل هم الحركة ذاتها » .

وقد يكون هناك شىء من المبالغة فى هذه الاراء ، كما أنها لا تصدق على كل البلاد النامية بدرجة واحدة ، ولكن لا شك فى ان هناك قسطا غير صغير من الحقيقة فيها ، وانها صدى لواقع ملموس يستطيع كل من اهتم بهذه الدراسات أن يتبينه فى اغلب البلاد النامية . فدور المثقفين فى هذه البلاد أكبر بكثير من دور قرنائهم فى الغرب حجما وأثرا من أية ناحيـــــــة . فمن ناحيـــــة الحجم تكفى الاشارة الى أن دور المثقفين فى الغرب كان مهما فى عملية النمو منذ البداية لانهم بلوروا الجانب الايديولوجى للحضارة الحديثة ، أما عملية النمو ذاتها ، وبخاصة النمو الاقتصادى ، فانها تمت على يد الفئة التى أطلق عليها « رجال الاعمال » بمساعدة الفنيين ـ اما فى البلاد النامية فالمشاهد أن المثقفين يقومون فعلا بالعمليتين معا فى اغلب الحالات . وفيما يتصل بعمق أثر الدور الذى تقوم به هذه الفئة فى بلادنا فان هذه الدراسة كلها دليل على مداه وخطورته .

ان هذه الحقيقة ، حقيقة أن بناء الدول النامية لا يمكن أن يتم بدون جهود المثقفين ، يجب الا تغيب

عن بال أحد من المشتغلين بالشأن العام فى أى بلد نام ، ولو أن ثورة ٢٣ يولية فى مصر مثلا ادركت هذه الحقيقة وتمثلت ما تنطوى عليه منذ مرحلة مبكرة من قيـــام الثـورة لتجنبت الدخـول فى معركه « أهل الخبرة واهل الثقة » كما يتجنب السليم الابرص ، ولتغير مسار التطبيق الثورى تماما ، الى الاحسن فى معظم النواحى ، والى الاسوأ فى بعض النواحى ، ولكنه كان ثمنا لابد من دفعه على أى حال .

وفى ضوء ما سبق نستطيع أن نستطرد فى موضوعنا الاساسى ، المثقفون فى مصر .

ان مصر تعتبر من عدة وجوه بلد نام ، ولكنها تختلف الى حد ما عن كثير من البلاد النامية فى أن « قيادة » حركتها فى المرحلة الثـورية كانت تتضمن عنصرا جماهيريا كبيرا ممثلا فى تلك الصلة المباشرة التى تمت بين الجماهير وعبد الناصر . لقد كان الناس المصريون انفســهم ، ومازالوا ، هم فى الحقيقة مصدر القوة الايجابية الوحيدة تقريبا فى ثورة ٢٣ يولية ، وهذا هو الامر الطبيعى فى أية ثورة تستحق هذا الاسم . ان تلك الرابطة الغريبة بين قائد هذه الثورة وهؤلاء الناس ، والتى ظهرت اولا فى ابريل ١٩٥٤ ثم فى ٩ و ١٠ يونية ١٩٦٧ وفى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ ، بل وفى هتاف الماركسيين فى المعتقلات « للبطل » [الذى اعتقلهم] ان هذه العلاقة الفريدة اضفت معنى حقيقيا وعمليا على شعار «الشعب هو المعلم» الذى يؤمن به الناصريون جميعا ايمانا علميا راسخا .

ولكن ، وبرغم هذا العنصر الجماهيرى البارز فى قيادة ثورة مصر ، يظل للمثقفين المصريين دورهم الكبير جدا فى بناء الدولة الجديدة ، دور لا يمكن أغفاله أو التهوين من قدره ، عند تحليل الاوضاع فى بلدنا والا سقطنا فى ذات الخطأ الذى وقعت فيه ثورة ٢٣ يولية فى مراحلها الاولى وجاء تحليلنا مشوها وغير واقعى .

وقد كان للعنصر الجماهيرى فى الثورة المصرية أثره فى دور المثقفين فى مصر ، من ناحية التركيبة التى تتألف منها هذه الفئة ، ومن ناحية الاتجاهات السياسية والاجتماعية التى سادت فيها طوال السنوات العشرين الماضية .

فقبل ٢٣ يولية كانت هناك ثلاثة تيارات رئيسية بين الراقات المثقفة فى مصر ، التيار الليبرالى التقليدى ممثلا فى بعض أعضاء الاحزاب القائمة وقتذاك ، والراديكالى ممثلا أساسا فى كتلة ضخمة من المثقفين غير المنظمين الذين تركوا اثرا عميقا فى توجيه مسار الحركة فكريا وتطبيقيا ، والتيار السياسى الدينى ممثلا فى الاخوان المسلمين وبعض الجماعات الدينية السياسية الاخرى ، والتيار الاشتراكى الذى كان يضم عدة جماعات منظمة الى جانب بعض المثقفين غير المنتمين . وقد كان هناك عدد آخر من المثقفين الذين يعملون داخل احزاب هى بطبيعتها رجعية ، لانها قامت أصلا للدفاع عن مصالح الاقطاع الكبرى - مثل حزبى الاتحـاد والاحرار الدستوريين - ولكننا لا نســتطيع أن نعتبرهم ممثلين لتيار رابع اقطاعى بين المثقفين ، حيث أنهم كانوا فى الغالب ينتمون ايديولوجيا الى التيار الاول . واذا حاولنا تصنيف هذه التيارات على الاساس الذى أشرنا اليه آنفا ، الى تقدميين ومحافظين ورجعيين [أو سلفيين] ، لما وجدنا فى ذلك صعوبة تذكر . فالاشتراكيون والليبراليون الراديكاليون - الذين تسللت الى معتقداتهم مفاهيم العدالة الاجتماعية - كانوا يتطلعون الى التغيير نحو أوضاع افضل ، وان اختلفت الطائفتان فى مفهومهما عن « الاوضاع الافضل » وفى أسلوب التغيير عند كل منهما . اما الليبراليون التقليديون ومعظمهم ممن يدخل عنصر المصلحة الشخصية فى اعتبارهم أكثر مما يدخل عنصر المصلحة العامة ، فانهم كانوا يمثلون الفريق « المحافظ » علـى الاوضاع القائمة . ولكن لما كانت هذه الاوضاع فى مجتمعنا مجحفة بالاغلبية العظمى من النـــاس ، وكان ، لذلك ، التغيير مطلوبا بشدة ، فلابد من اعتبار من بقى منهم متمسكا بهذا الاتجاه رجعيا . اما التيار الدينى السياسى ، الذى يتطلع الى تغيير يعود بالمجتمع الى العهود السالفة المجيدة ، فانه بطبيعة الدعوة التى يمارسها سلفى .

وقد تجنبنا فى هذا التصنيف اســتخدام مصطلحى اليمين واليسار لان كلا من الفــرق السالفة كان يضم اليمينيين المتجمدين المتعصبين لتصوراتهم تعصبا أعمى ، واليساريين المتشنجين الذين يهمهم احداث أكبر قدر من الضجيج دون فعالية اجتماعية حقيقية - وان كانت بعض هذه الفرق تضم نسبة أكبر ممن نطلق عليهم اليمينيين ، والبعض الاخر يضم نسبة أكبر من اليساريين .

وعندما قامت ثورة ٢٣ يولية تقدمت بمبادئها الستة التى لا تخرج فى الحقيقة عما كان يجيش فى صدور كل الناس فى مصر ، الاستقلال الوطنى والعدالة فى المجتمع واسلوب فى الحكم يحقق هذين المطلبين ويؤكد استمرارهما بعد تحقيقهما . ولذلك فاننا لا نستطيع أن نستخلص من المواقف

التى اتخذها كل من هذه التيارات تجاه الثورة نتائج مؤكدة فيما يتعلق بالخط الاساسى لكل منها فى ظروف العمل فى مجتمعنا . فقد تدخلت عدة اعتبارات عملية وفكرية أدت الى نتائج غير منطقية لا تتسق مطلقا مع ما كان يمكن أن يتوقعه أى محلل لهذه المواقف . لقد كان من المتوقع مثلا ان يناصب الاخوان المسلمون الثورة العداء بمجرد مجيئها الى الحكم على أساس انهم سلفيون والثورة تقدمية الطابع ، ولكن لما كان الاخوان المسلمون يعتقدون ـ بسبب الصلة القوية التى كانت تربطهم ببعض قادة الثورة ـ انها ما جاءت الا تمهيدا لتسليمهم الحكم ، فانهم تحمسوا لها ودافعوا عنها . الا ان الحقيقة لم تلبث ان تكشفت فانقلبوا عليها وصاروا الد اعدائها ، مستخدمين كل الوسائل لقلبها . بل ان احد « الضباط الاحرار » من المرتبطين بهم ، وهو عبد المنعم عبد الرؤوف ، انفصل عن الثورة وتولى قيادة الجهاز السرى الارهابى الذى اوكلت اليه مهمة اغتيال قادة الثورة وتخريبها .

وقابل الليبراليون ، بشقيهم التقليدى والراديكالى ، الثورة بالتأييد الذى بلغ حد التحمس الشديد احيانا فى مبدأ الامر . ولكن هنا ايضا عندما تبينت هوية الثورة وحقيقة اتجاهها ، تراجع الليبراليون التقليديون عن هذا التأييد وتحولوا الى جانب خصومها . اما المثقفون الليبراليون الراديكاليون فقد استمروا فى تأييد ثورة ٢٣ يولية وكان لهم الفضل الاكبر فى نجاحاتها الاولى ، وعلى أكتافهم الى حد كبير ، قامت منذ البداية الانجازات العملية التى اتاحت الفرصة للتحولات التالية . واستمر الحال كذلك الى ان اثيرت قضية أهل الخبرة وأهل الثقة ، فبدأت العلاقات تتوتر . ولم يكن المثقفون الناصريون ، الذين لم يتأكد وجودهم ويزداد عددهم فى الحقيقة الا بعد وفاة عبد الناصر ، قد بلغوا بعد قدرا من الفعالية يستطيعون به ملء الفراغ الذى يترتب على تخلى الراديكاليين عن الثورة .

أما الاشتراكيون ، والماركسيون منهم بصفة خاصة ، وهم الفئة الاخرى التى كان يتوقع ان تساند الثورة وتدعمها منذ البداية باعتبارها خطوة ثورية الى الامام ، فكانوا قلة ـ وأن كانت قلة نشطة وواعية ـ كما ان علاقاتهم بالثورة تعرضت لتقلبات جعلت التعاون الصريح المخلص والمستمر بينهما صعبا برغم وجود اكثر من عضو من اعضاء مجلس الثورة يرتبط بهم او يتعاطف معهم .

والواقع أن ذلك الفريق من المثقفين المصريين الذى اعتنق المبادىء الاشتراكية تعرض من جراء هذه المبادىء لعدة تقلبات حتى قبل ثورة ٢٣ يولية . فمنذ ١٩٤٨ ، وبسبب موقف أحد أجنحتهم الرئيسية من قضية تقسيم فلسطين ، اعتقل عدد كبير منهم وظلوا فى المعتقلات حتى نهاية العام التالى [كانت حدتو مع « الاخاء اليهودى المصرى » أما الحزب الشيوعى المصرى فقد هاجم اسرائيل باعتبارها مؤامرة استعمارية] . ولكن نشاطهم تصاعد بعد ذلك ، خصوصا أن الفترة التالية شهدت انتصار الثورة الصينية وارساء قواعد السلطة الاشتراكية فى عدد من دول شرق أوروبا .

وفى هذه الفترة أيضا بدأ الاشتراكيون العلميون يتبعون تكتيكا جديدا بعقد صلات مع الليبراليين التقليديين ، ممثلين فى حزب الوفد ، ومع السلفيين ممثلين فى الاخوان المسلمين . [وكانت حدتو هى صاحبة الدعوة لسياسة الجبهة الشعبية بالتعاون مع « القوى اليسارية » فى الوفد والاخوان] .

وعندما قامت الثورة اتجهت حدتو الى التعاون معها تطبيقا للتكتيك السابق ، أما التنظيمات الاشتراكية العلمية الاخرى فقد عارضت الثورة باعتبارها انقلابا عسكريا مثل الانقلابات التى شهدتها سوريا فى الاربعينات واوائل الخمسينات . حدث ذلك برغم وجود خالد محيى الدين ويوسف صديق بين صفوف قادة الثورة ، وبرغم أن جمال عبد الناصر نفسه كان معروفا بتقدميته وتفتحه .

وفى اغسطس ١٩٥٢ وقعت أحداث كفر الدوار ، التى ادت الى اعدام اثنين من العمال ، فبدأت أول أزمة حقيقية بين الاشتراكيين العلميين فى مصر والبلاد العربية ، والثورة . وقاد المثقفون الاشتراكيون العلميون حملة نشطة متصاعدة ضد عبد الناصر ، بلغت ذروتها عندما خرج يوسف صديق من مجلس الثورة فى أوائل ١٩٥٣ ، وواجهت الثورة هذه الحملة بحملة مضادة من الاعتقالات . ولكن هذه الحملة الاخيرة اخذت تهدأ بعد فترة ، وان كان عدد من كانوا فى المعتقلات من الماركسيين بلغ فى عام ١٩٥٤ ـ ١٩٥٥ اكثر من مائتى مناضل .

وفى هذه الاثناء كانت ازمة محمد نجيب ، وتحالف الماركسيون مع السلفيين والمحافظين ـ الرجعيين فى الحقيقة بالنسبة لما كان

قد تم من خطوات ثورية حتى ذلك الوقت ـ ضد الثورة تحت شعار « توحيد جميع المواطنين من جميع الاحزاب فى كفاح موحد من اجل اسقاط حكومة عبد الناصر » ، ونشطوا بصورة تستلفت النظر فى تنظيم المظاهرات مع حلفائهم لنصرة محمد نجيب ، واجبار مجلس الثورة على اعادة الحياة البرلمانية . ولم يبق فى الحقيقة الى جانب الثورة سوى قوتين ، الناس والمثقفون الراديكاليون الذين لم يكن ارتفاع الصوت من مناقبهم المعروفة . ولكن عندما تكشفت نوايا الاخوان المسلمين ورغبتهم فى السيطرة على الدولة وتوجيهها نهائيا فى الاتجاه السلفى ، وخصوصا عندما واجه محمد نجيب الجماهير المحتشدة فى ميدان عابدين والى جواره عبد القادر عودة ، بدأ التحول الذى كان لابد منه ، فقد كان هذا التحالف غير طبيعى وغير منطقى أصلا ، لقد كان تحالفا فى الحقيقة ضد الناس .

ومع بداية حركة الانفتاح من جانب الثورة على القوى المضادة للامبريالية فى العالم الثالث ، التى تجسدت بوضوح فى مؤتمر باندونج سنة ١٩٥٥ ، أخذت موجة العداء تنحسر من جانب الماركسيين فى مصر تجاه الثورة ، وكذلك من جانب الحركة الشيوعية العالمية تجاه دول العالم الثالث وزعمائها الذين بدأ خروشوف يصف بعضهم بأنهم اشتراكيون . كما كان مؤتمر باندونج ذاته مظاهرة تقارب بين النظام الصينى وهذه الدول . ودعم هذه التطورات وأضفى عليها لونا خاصا فى ذلك الوقت ، الموقف الذى كانت مصر الثورة قد اتخذته من « الاحلاف » . وقد أدى ذلك الى تحول حاسم من جانب الاشتراكيين العلميين فى مصر تجاه عبد الناصر ، برغم وجود عدد منهم فى المعتقلات فى ذلك الوقت ، وهتفوا بحياة « بطل الحياد الايجابى وعدم الانحياز » . بحماسة وحرارة . وكان لهذه المظاهرة أثر واضح فى المثقفين الوطنيين المخلصين ، اذ بدأ الادراك يتسرب اليهم بأن الشيوعيين ليسوا فئة من « الخونة » ، بل أيضا مصريون مخلصون ذوو مبادىء يدافعون عنها بصلابة وتحت كل الظروف ، وقد يختلف الاخرون معهم فيما يتعلق بالمبادىء التى يعتنقونها ولكنهم يجب أن يحترموها .

وابتداء من ١٩٥٦ أطلق سراح المعتقلين من الاشتراكيين العلميين وبدأ نوع جديد من الالتقاء بينهم وبين ثورة ٢٣ يولية وبدأوا يحتلون بعض مراكزهم الطبيعى فى توجيه الصحافة وأجهزة الثقافة والفكر ووسائل الاعلام .

وعندما قامت الوحدة السورية المصرية استقبلها معظم الاشتراكيين العرب ، وبالذات المصريين ، بحماسة فائقة ، وبذلك زالت آخر العقبات الايديولوجية التى كان يمكن أن تقف فى سبيل الالتحام بينهم وبين الثورة الناصرية ، بينهم وبين الناس . اذ برغم أن هذا الاتجاه الوحدوى لدى الاشتراكيين العلميين كان يقوم على اساس « توفر المقومات الموضوعية للامة » عند العرب ، وليس على مفهوم « ارادة الناس العرب » الذى جعله عبد الناصر العمود الفقرى لمفهومه عن الوحدة ، فان قبول الاشتراكيين العلميين للوحدة بهذا الحماس كان خطوة حقيقية كبرى فى سبيل التقاء الطرفين .

الا أن بعض الاحداث التى وقعت فى أجزاء أخرى من الوطن العربى ، وبخاصة موقف الشيوعيين العراقيين فى النصف الاول من ١٩٥٩ ، ومذابح كركوك تحت حكم عبد الكريم قاسم وشبهة تدخل الاتحاد السوفيتى ، من ناحية ، وتراجع بعض الاشتراكيين العلميين العرب عن خط تأييد الوحدة ، وانضمامهم الى صفوف العاملين على تحطيمها على أساس أنها « مؤامرة أمريكية لضرب القوى التقدمية المتعاظمة فى سوريا » ، من ناحية أخرى ، أديا الى تجدد التوتر داخل الصفوف التقدمية فى مصر بين الاشتراكيين العلميين وانصار الثورة ، وبدأت حملة اعتقالات واسعة مرة أخرى فى مارس وابريل ١٩٥٩ تعرض فيها عدد غير قليل من المثقفين الاشتراكيين لايذاء ماكان يجب أن يحدث مطلقا .

ولكن ابتداء من ١٩٦١ ، بعد قوانين يولية ، بدأت عملية رأب الصدع واستمر التقارب الطبيعى والضرورى ، بين الاشتراكيين الماركسيين والثورة التى أثبتت بصفة قاطعة هويتها الاشتراكية ، وارتفعت أصوات ماركسية كثيرة تدعو الى حل المنظمات الشيوعية والالتحام بالثورة عن طريق الانضمام الى الاتحاد الاشتراكى ، وبدأ الماركسيون يأخذون دورهم كاملا فى المشاركة فى البناء الايديولوجى للثورة عبر الصحف والمعاهد الاشتراكية كوطنيين واعين مخلصين .

واستمر هذا التقارب فى النمو ، خصوصا بعد أن اسفرت الولايات المتحدة الامريكية عن عدائها الصريح للثورة المصرية فى ١٩٦٤ ، ودار حوار مثمر وعميق بين الماركسيين والناصريين فى ندوات خاصة وعلى صفحات الجرائد ، وبخاصة الطليعة والكاتب . ومنذ ذلك الوقت ، وعبر الظروف

المختلفة ، ظلت اسهامات الاشتراكيين العلميين فى تطوير الناصرية من علامات الطريق فى التاريخ الثورى العربى وتزايدت الارض المشتركة بين أهم قوتين تقدمتين فى مصر ـ الماركسيين والناصريين .

لقد اطلت بعض الشىء عامدا فيما يتصل بالمثقفين المصريين الذين يعتنقون الاشتراكية العلمية ويستوعبونها استيعابا علميا حقيقيا ، لانى أردت ان أبين ، عن طريق عرض التطورات التى مرت بها الحركة فى السنوات الثلاثين الماضية ، ان الالتقاء بين الاجنحة التقدمية المختلفة فى هذه الحركة أمر طبيعىوضرورىفىالظروف الراهنة اذا كانت هذه الاجنحة تضم عناصر جادة حقا ومخلصة حقا فى العمل من أجل هذا المجتمع . واللقاء الذى يهمنا هو اللقاء بين قوى التقدم التى يجمعها تصور مشترك الى حد كبير ، الناصرية والماركسية الوطنية . أما الكتلة غير المنظمة المؤلفة من الليبراليين الراديكاليين فان موقفها غير واضح الان ويجب العمل على تحديده بالحوار المكثف لانها تضم عناصر لا غنى لحركة التقدم عنها . اما اليساريون المتشنجون من جميع الاتجاهات . وبخاصة أولئك الذين يحاولون لفت الانظار بالصياح الساذج دعوه الى الفصل بين « اليسار الماركسى » والناصرية ، وايقاع الفرقة بينهما فلا أظن انهم يستحقون سوى الاهمال .

ان من طبيعة المثقفين انهم قلقون ناقدون لاينون عن مهاجمة السلطة باستمرار . وهذا أمر طبيعى . بل ومطلوب ، عندما يكون هدف النقد والهجوم هو دفع السلطة الى اصلاح جوانب النقص وارغامها ، ولو بالهجوم السافر اذا تطلب الامر ، على الالتزام بالمبادىء المعلنة . ولكن أن يتخذ النقد والهجوم وسيلة للاعلان عن الذات بأعلى الاصوات ، أمر مختلف تماما ولا يستحق الاحترام ، ان بعض مثقفينا يقتحمون ميدان الرأى السياسى بصورة تذكرنا بسذاجة دون كيشوت وبراءته معتقدين أن جواز المرور الى « الشهرة اليسارية » هو الهجومعلىالسلطة ، اى «سلطة» . ويفضل أن تكون « سلطة سابقة » حتى لا يتعرضون لنتائج مهاجمة سلطة قائمة تملك أدوات العقاب .

نحن نفهم ان يحمل أصحاب المصالح الخاصة ، الذين لا يعرفون الحدود التى يفرضها الوجود الاجتماعى على كل فرد فى المجتمع ، على عبد الناصر والتجربة الناصرية . فالناصرية قيد على تصرفات وسلوك كل منا يفرض علينا جميعا ان ندخل فى اعتبارنا مقتضيات المصالح الاجتماعى باستمرار ولكن أن يصل الامر بمثقف الى حد « التلطيش » فى كل القوى وكل شىء ، اليسار الماركسى المرتشى والناصريين السفاحين والشعب الخانع الجاهل المغلوب على أمره ، كل ذلك لمجرد التنفيس عن الانفعالات التى يثيرها طلب « الشهرة اليسارية » فهو أمر مؤسف وعورة يجب أن نسترها ، حتى اذا كان هذا « التلطيش » ينم عن السذاجة وعدم الخبرة بالواقع السياسى فى بلادنا ، بل وعدم فهم المصطلحات المستخدمة ، وما كان لنا أن نشير الى الامر لولا أن « التلطيش » اقترن بمحاولة فجة وضارة للايقاع بين الماركسيين والناصريين .

ان عددا كبيرا من الناصريين ، وبعضهم من أفضل الناصريين وابرزهم وأوسعهم نفوذا بين رفاقهم ، لا يستطيعون التفكير فى قضايا المجتمع الاعلى أساس المنهج الماركسى ، وبعضهم حاول بكل جهد واخلاص أن يجعل للمقولة الناصرية الاساسية ، صيغة تحالف قوى الشعب العامل ، وما ينبثق عنها من مقولات أخرى أساسا ماركسيا لدعمها ايديولوجيا . وهم ـ وان كنت أعتقد انهم لم يصيبوا نجاحا كبيرا فى هذا الشأن ـ يقومون بدور جاد ومهم فى عملية البحث عن أرض مشتركة يلتقى عليها أهم تيارين تقدميين فى الوطن العربى حاليا ، وهو أمر يهم الناصريين الواعين .

ومن ناحية أخرى ، فان المحاولات التى يقوم بها عدد من اعلام الاشتراكيين العلميين فى مصر لأن لعرض التجربة الناصرية عرضا موضوعيا ، وخصوصا تلك المحاولات التى يقوم بها خالد محيى الدين ورفاقه فى ندوة الطليعة وغيرها ، تعتبر جهودا جادة ورصينة ومخلصة فى سبيل تمهيد الطريق للالتقاء الذى ندعو اليه .

ان الاختلافات بين الناصريين والماركسيين فى المواقف الراهنة ، سواء حول موضوع الديمقراطية وتعدد الاحزاب أو حول علاقات مصر بالكتل الدولية الكبرى ، ليس اختلافا فى المبدأ ، ولكنه اختلاف فى الدرجة ، والحوار الهادىء جدير بأن يرسم الطريق الى توحيد المواقف ، خصوصا أن الارض المشتركة بين الجانبين كبيرة ومهمة ومبدئية ، ولنا عودة الى هذه الاختلافات للتخفيف من حدة اثرها والى هذه الارض المشتركة لتأكيد مبدئيتها فى ظل الثقة الكاملة بأن صيغة « التحالف » صيغة يستطيع أكثر الماركسيين أن يتعايشوا معها ايديولوجيا .

استجواب الحديد

أسئلة لم تزل قائمة

عادل حسين

أثار استجواب د. محمود القاضي حول صفقة الحديد الاسبانية اهتماما واسعا ، في صفوف الرأى العام خاصة بعد النتيجة التي وصل اليها . وفي هذا المقال يوضح الكاتب الوقائع الاساسية التي تاهت بين المعالجة الناقصة في الصحف ، وبين تعقد الدراسات والتقارير الفنية . والكاتب يرى أن الاسئلة التي اثارها الاستجواب لازالت قائمة .

في جلسة ٢ يونيو ١٩٧٥ انهى مجلس الشعب استجواب د. محمود القاضي حول صفقة الحديد ، وانتقل الى جدول الاعمال .. ولكن هذه النهاية التي انتهى اليها الاستجواب لا يمكن الا ان تثير عددا من الاسئلة في صفوف الرأى العام، فالاسئلة الخطيرة التي أثارها الاستجواب لازالت تبحث عن اجابة .. ولندخل مباشرة الى الموضوع .

المسألة باختصار ان صفقة حديد التسليح التي عقدتها وزارة الاسكان والتعمير مع شركة اكسوميزا الاسبانية هي اكبر صفقة حديد عقدتها مصر [١٢٨ الف طن وحوالي ٢٨ مليون دولار] وهذه الصفقة كما يقول - أو كما يزعم - د . محمود القاضي لم تتم بأقل الاسعار ، ولا بأفضل شروط الدفع ، ولم تلتزم بتوجيهات وزارة الاقتصاد ، وأيضا لم تكن اجراءات البت والتعاقد طبيعية . وتم كل هذا بتعجل عجيب لم يكن هناك ما يبرره ! .

هذه الاتهامات هي موضوع الاستجواب ، .. وقد حاولت الجماهير أن تتبع هذا الاستجواب ، ولكن الصحافة اليومية لم تسعفت ، سواء بعرضها المبتور ، أو بتوقفها « المنحاز » في بعض الاحيان . ولم تكن الصحافة وحدها ملومة ، فاجراءات عرض الاستجواب داخل المجلس زادت من صعوبة متابعة الموضوع . لقد تقدمت اللجنة المشتركة بتقريرها [وهي لجنة مشتركة من لجنة الاسكان والمرافق العامة والتعمير ، ومن مكتب اللجنة الاقتصادية] . هذه اللجنة قدمت تقريرها الذي يمثل وجهة النظر المؤيدة لصفقة الحديد ، ويقال أن هذا التقرير - المعقد بالضرورة - رآه أعضاء من مجلس الشعب لاول مرة في نفس الجلسة [أي الجلسة ٥٧ في ٢٦ مايو] وبالتالي كان طبيعيا أن تتعذر المناقشة الموضوعية وخاصة أن د . محمود القاضي صاحب وجهة النظر المعارضة لم يكن حاضرا . وبعد الموافقة على التقرير في تلك الجلسة ، شرح القاضي وقائع استجوابه في جلسة تالية [أي الجلسة ٥٨ في ٢ يونيو] ، ولا شك أنه كان محقا حين أعلن انه « يترافع في قضية صدر الحكم فيها » ، ونحن نضيف أن المحكمة استمعت في هذه القضية الى الدفاع قبل أن تستمع الى ممثل الادعاء !

المهم .. أدى هذا التقطع في عرض الموضوع ، وأدى الاختلال في التسلسل المنطقي للعرض ، الى تعذر الوصول الى الصورة المتكاملة بحججها المتقابلة ، أن هذا التعذر ينطبق على من يقرأ مضابط الجلسات ، وينطبق كذلك - على ما اعتقد - على بعض أو كثير ممن حضروا بأنفسهم جلسات المجلس ، لهذا رأينا أنه لابد وأن نعيد ترتيب « الوقائع » الى ما كان واجبا أن يكون ، بحيث نضع الحجج التي قيلت من « الاتهام » ومن « الدفاع » وجها لوجه ، أي أننا نحاول في الواقع أن نخلق من الحجج المتناثرة في جلستين متباعدتين حوارا واحدا متصلا . فهذا يقربنا من فهم الحقيقة ، ونحن في هذا لا نضيف شيئا من عندنا على ما قيل من الاطراف الثلاثة الرئيسية : **د . محمود القاضي - اللجنة المشتركة ورئيسها السيد أحمد حلمي بدر - والمهندس عثمان أحمد عثمان [وزير الاسكان والتعمير] .**

اننا نقوم بهذه المهمة ، لاننا نستانف الحكم الذي اصدره مجلس الشعب .. امام الرأى العام .

قضــية الســعر

لقد قدم د . القاضى كلاما محددا فى هذه النقطه ، فأسعار الحديد فى السوق العالمى كانت تتجه الى الهبوط أثناء التعجل فى توقيع العقد مع ... اكسوميزا « المحظوظة » . وبالتالى لم يكن من صالحنا هذا التعجل . والدليل هو أن نفس شركة اكسوميزا « كانت قد تقدمت بعرض يصل سعر الطن فيه الى ٢٩٠ دولارا ، وفى أواخر ديسمبر خفضت السعر الى ٢٢٠ دولارا . فهل يمــكن أن يكون هنـــاك اتجـــاه نزولى اكثر من هذا ؟ ! » .

لقد تم التعاقد [فى ٩ يناير ١٩٧٥] بسعر ٢٢٠ دولار ، فاذا اضفنا اليها النولون وقدره ٢٦ دولارا يصبح السعر ٢٤٦ دولارا للطن ، وكان ممكنا أن ننتظر ستة أيام فقط [حتى ١٥ يناير] حيث تفتح مظاريف مناقصة عامة لتوريد الحديد ، تلقينا فيها ٧٣ عرضا . لو فعلنا هذا كان بوسعنا أن نستفيد من عروض افضل ، فعرض شركة [الانجــلو فرنش] التى تم التعاقد معها بعــد ١٥ يناير كان يحدد سعر الطن بـ ٢٢٠ دولارا ، وحين قامت لجنة البت بممارسة مع هذه الشركة تمكنت من تخفيض السعر الى ٢٠٩ دولارات ، بل ان الشركة قالت للمسئولين انها يمكن ان تقدم سعرا اقل اذا تعاقدنا معها على ١٠٠ ألف طن . وكما تقول مذكرة وزارة التجارة « يبلغ اجمالى فرق الاسعار بين العرض الاسبانى وعرض الانجلو فرنش ــ وفرق الزمن بينهما ستة أيام فقط ــ ٤٠٠ر٨٧٠ر٤ دولار فى اجمالى الكمية وقــدرها ٢٠٠ر١٢٨ طن » .

هذا الكلام المحدد للدكتور القاضى ايده تقرير اللجنة المشتركة [ص ٢١] بل أعلن أحمد حلمى بدر [وهو الممثل الرئيسى لوجهة النظر المعارضة للقاضى] اننا اشترينا صفقة فى ٩ ابريل ١٩٧٥ بسعر ١٩٨ دولارا للطن . ومع ذلك سجل تقرير اللجنة المشتركة فى ختام عرضه أن « الصفقــة كانت ملائمة من الناحية السعرية » ! .

تسهيلات الدفـــع

من الذرائع التى تقدم ، لتبرير العجلة ، وعدم انتظار المناقصة العامة ، أننا كنا أمام فرصة صفقة سيسدد ثمنها من الحساب القابل للتحويل وبدون فوائد ، فقد أفاد ممثل شركة اكسوميزا « بسان الحساب القابل للتحويل بين مصر واسبانيا لصالح مصر بمبلغ ١٥ مليون دولار بخلاف ما قد يضاف اليه اذا ما تم شراء قطن من مصر ، وعرض سيادته أيضا تسهيلات ائتمانية لمدة ثلاث سنوات بفائده ٩ فى المائة » [تقرير اللجنة المشتركة] .

وقد أوضح محمود القاضى أن هذا كلام غير صحيح . فالخطاب الرسمى لبنك الاهلى يقول انه لا توجد أموال فى هذا الحساب . « ان الحساب القابل للتحويل بين مصر وأسبانيــا والذى يظهر رصيدا دائنا فى الوقت الحالى ــ اى فى ٢٩ ديسمبر ١٩٧٤ ــ حوالى ١٢ مليون دولار يجرى استخدامها قبل نهاية العام بمبلغ ٧ ملايين دولار لتسوية القســط المستحق على مصر حسب الاتفاقية ، كما أن مبالغ الاستيراد المعتمدة للتنفيذ على هذا الحساب خلال الفترة الاخيره من الشهر بلغت ٢ مليون دولار بخلاف ٦٧٥ر٢٠٥ر٣ دولارا لتغطية الجزء المستحق من ثمن معدات غزل من شركه بارمكس هذا غير أقساط أخرى أيضا » . .

اذن نكون مدينين بـ ٦٧٥ر٢٠٥ر٥ دولارا كما يقول القاضى ! وقد سجل تقرير اللجنة المشتركة نفس هذه الحقيقة فقال أن الاستاذ حمزة العدوى [مدير عام الاستيراد بالبنك الاهلى] صرح بأن « اسبانيا هى التى كانت دائنة وليست مدينة منذ بضع سنوات ، وأنه رئى اعطاؤها حصة سنوية من صادراتنا لسداد هذا الدين ، وانه باستيراد الحديد من أسبانيا ستزيد حصة الديــن الذى علينا » . أعلن هذا أثناء مناقشات لجنة البت فى المعادن بخصــوص عرض اكسوميزا [جلسة ١٤ ديسمبر ١٩٧٤] .

اذن لم يكن صحيحا أن مصر تملك ١٥ مليون دولار فى الحساب القابل للتحويل [رغم اننا نتحفظ أيضا على « مزايا » السداد من الحساب القابل للتحويل ، وسنعود لشرح السبب] . واذا لم نكن نملك فائضا لصالحنا فى الحساب القابل للتحويل فكيف سنسدد ثمن الصفقة ؟ هل سيتم السداد فورا بالعملات الحرة ! أو بتسهيلات ائتمانية ؟ لا شك أن التسهيلات أفضل وأيسر فى مثل حالتنا رغم اننا سندفع فوائد .. ولكن فى قبولنا لعرض شركة اكسوميزا] فضلنا الدفــع بالعملات الحرة على عروض التوريد الممكنة ــ من شركات اخرى ــ والمصحوبة بتسهيلات فى الدفع .

وتفضيل التسهيــلات ، بل ضرورة أن يكون التعاقد مصحوبا بتسهيلات فى الدفع على عدد من السنوات ، ليس رأيــا اجتهــاديا لصاحب الاستجواب على أى حال ، فوكيل اول وزارة الاقتصاد والتجاره الخارجية لشئون الموازنة النقديه كان قد أرسل ردا الى وكيل وزارة الإسكان حول موافقته المبدئية على تنفيذ عملية توريد ١٠٠ ألف طن حديد تسليح لحساب الوزارة ، ولكنه ربط

موافقته بشروط ثلاثة : [أ] ان يتم سداد القيمة على تسهيلات لا تقل عن ثلاث سنوات [ب] ان يتم الاتفاق على سعر الفائدة مع البنك المركزى [جـ] ان يتم اقرار الاسعار فى لجنة البت المختصة [**تقرير اللجنة المشتركة**] .

اذن لقد اشترط وكيل اول الوزارة أن يتم الدفع بتسهيلات على ثلاث سنوات لانه يعلم ان الحساب لا يسمح بالدفع فورا بالعملات الحرة ، وقال أيضا أنه بعد٣١ ديسمبر ٧٤ سيكون التعامل مع اسبانيا بالعملات الحرة بالكامل [والتعاقد لكيلا ننسى تم فى ٩ يناير ١٩٧٥] . وقد وافق وزير الاسكان والتعمير على هذا الشرط ، فقد جاء فى مذكرة المؤسسة المصرية العامة للتجارة أن السيد وزير الاسكان وافق على ممارسة الموردين المذكورين : اكسوفيرا والدكتور عبد الفتاح نجيب [وهو ممثل لشركة أسبانية أخرى] فى حدود الاشتراطات الواردة بكتاب السيد الدكتور وكيل اول وزارة الاقتصاد والتجارة الخارجية أى بشرط أن يتم سداد القيمة بتسهيلات لا تقل عن ثلاث سنوات .

ولكن حين وقع العقد كان الحديث عن التسهيلات قد تبخر ، فمذكرة وزارة التجارة التى قدمها **محمود القاضى** تقول « أن المعتمد المستندى المفتوح لصالح المورد الاسبانى يستخدم المتاح فى الحساب عند توافره والباقى يدفع بالعملات الحرة ، ولا توجد أية تسهيلات فى الدفع » . لقد تجاوز العقد شرط وزارة الاقتصاد بضرورة أن يتم الدفع بتسهيلات ، بل وايضا فى الكميه المسموح بها . فموافقة الوزارة كانت على ١٠٠ ألف طن ، فاذا بالعقد يرتفع بها الى ١٢٨ الف طن . وأكد **محمود القاضى** بوثيقة قاطعة أن الاسكان لم يحصل على موافقة وزارة الاقتصاد على هذا التعديل. بل واثبت أن عضو لجنة البت « الخاصة » التى مارست العملية [وحكاية اللجنة هذه حكاية أخرى سيأتى بيانها] ، المهندس **محمد عبد الله المسلمى** كان لا يعلم بهذه المخالفة ، فقد سأله **القاضى** : « أنت تذكر أن هناك تسهيلات لمدة ثلاث سنوات ، ولم يرد بالعقد ذكر لهذه التسهيلات ، بل الدفع فورا . . ندهش الرجل ــ وهورجل شريف ــ وقال :أن هذا غير ممكن ، قلت له : هذا هو العقد يؤكد صحة ما اقوله وليس به تسهيلات ، وسكت الرجل دون أن يتكلم » .

وقد أورد **محمود القاضى** بعد هذا نص الخطاب المرسل من الاسكان للبنك الاهلى لاتمام خطاب الاعتماد : « اعتماد مستندى غير قابل للالغاء ويؤيد ويعزز برقيا من المراسل فى الخارج مبلغ ٢٨ مليون دولار و ٢٢٦ الفا ، وكذا دولار .. الخ ولم يرد فى الخطاب ذكر الحساب القابل للتحويل .

ان كافة المستندات تؤكد أننا مطالبون بدفع ثمن الصفقة فورا بعملات حرة من حصيلتنا المحدودة ، ولن نستفيد من التيسيرات التى تتيحها التسهيلات الائتمانية ــ رغم تعليمات وزارة الاقتصاد ــ وثابت أيضا أننا لم نكن نملك الفائض [الذى حدثونا عنه فى الحساب القابل للتحويل] .. ومع هذا عاد **تقرير اللجنة المشتركة** الى تأكيد«أن الصفقة تحقق المزايا النقدية والاقتصادية الاتيه : ١ ــ عدم دفع عملات حرة فورا ، وتوفير ما يعادل القيمة لاستخدامه فى وجوه أخرى حسب الحاجة والاولويات طالما ان الصفقة من خلال الحساب القابل للتحويل ٢ ــ عدم دفع فوائد ٣ ــ ضمان صادرات مصرية لاسبانيا قيمتها ٢٨ر٢٢٦ر٠٠٠ دولار .

لقد سبق أن أوضحنا أن البنك الاهلى أعلن رسميا أننا لم نكن نملك فائضا فى الحساب القابل للتحويل مع أسبانيا يمكننا من سداد الجزء الاكبر من ثمن صفقة الحديد ، ومفروض أن يتضمن هذا ردا على « المزايا الاقتصادية » التى تتحدث عنها اللجنة .. ومع هذا لابد أيضا من توضيح محدد لما يعنيه السداد لاسبانيا من خلال الحساب القابل للتحويل ، أو من خلال زيادة صادراتنا اليها . فتقرير اللجنة يصور الامر كما لو أن وجود فائض لمصر فى الحساب القابل للتحويل [فى حالة وجوده طبعا] هو رزق هبط علينا من السماء ، وكنا تائهين عنه ، حتى اكتشفه لنا السيد ممثل شركة اكسوميزا ، ووفقا لهذا التصور يقول التقرير أن « معجزة » استخدام الحساب القابل للتحويل تعنى أننا لن « ندفع عملات حرة فورا » ، وبالتالى سنوفر عملاتنا الحرة لاستخدامات أخرى .. منعا لاى لبس ، وحتى لا يتحول تعبير « الحساب القابل للتحويل » الى طلسم يجيز المحظورات . نقول أن الحساب القابل للتحويل يعنى أن تقوم كل من الدولتين بالتصدير للاخرى ، ويقيد حساب الدولتين بالدولارات ، كل حساب فى جانب . وحسب الاتفاقية مع أسبانيا ، أو مع أى دولة غربية مشابهة ، تجرى فى نهاية السنة تسوية الحساب بين الدولتين ، بحيث يدفع الطرف المدين ما عليه للطرف الاخر بالعملات الحرة . فاذا فرض أن الميزان كان فى صالحنا مع أسبانيا أى حققنا فائضا بمقدار معين ، فان معنى هذا أن نحصل من أسبانيا فى آخر السنة على هذا المبلغ بالدولارات ، واذا أردنا أن نستورد آلات أو حديد تسليح أو أى شىء بهذا المبلغ فاننا نكون قد سددنا ثمن مشترياتنا بالدولار ، ولا معنى فى هذه الحالة لان يقال اننا لم ندفع فوائد ، فطبعا لن ندفع فوائد طالما أن دولاراتنا جاهزة فورا للدفع ! ثم ماذا اذا زادت وارداتنا من أسبانيا ؟ فى هذه الحالة سندفع

نحن الفارق بالدولار ، أو نسعى الى زيادة صادراتنا اليها . وهذا ما تشير اليه استنتاجات اللجنة المشتركة حين تذكر أننا سنتمكن من زيادة صادراتنا الى أسبانيا بمقدار ٢٨ مليون دولار .. فى هذه الحالة ما هو مكسبنا لا ان زيادة صادراتنا الى اسبانيا ليست ميزة فى حد ذاتها ، فنحن لا نصدر الى أسبانيا سلعا غير تقليدية يسهم تصريفها فى توسيع النطاق العام لصادراتنا . اننا نصدر الى اسبانيا سلعا ثلاث فقط هى الارز والقطن والبترول . وهى نفس السلع التى نحصل منها أساسا على العملات الحرة فى صادراتنا الى الدول الغربية . هذه السلع تساوى اذن دولارات ، واذا قلنا أننا ندفع ثمن حديد لتسليح المستورد من أسبانيا بصادرات من الارز والقطن والبترول فكأننا نقول تماما اننا ندفع الثمن بالدولارات ، وزيادة تصديرنا لهذه السلع الى اسبانيا لا يعنى الا مجرد نقص صادراتنا الى دول غربية اخرى .

اذن تسوية الحساب عن طريق ما يسمى الحساب القابل للتحويل ، أو عن طريق زيادة الصادرات لا يعنى أكثر من اننا سندفع الثمن فورا بالدولارات ، وطبعا بدون فوائد فى هذه الحالة ، وليس فى هذا أى ميزة يتفاخر بها كما جاء فى تقرير اللجنة المشتركة .

ان الحساب القابل للتحويل لم يكن به أى فائض على اى حال . وحين وقعنا العقد كان المسئولون يعلمون ان الدفع سيكون بالعملة الحرة ، « واذا ارادت الحكومة أن تحرك هذا التعاقد الان فلابد لها أن تدفع ، أو أن تصدر لهم بترولا » [د . القاضى] وقد طلب الجانب الاسبانى فعلا ان نصدر له بترولا خاما ومكررا ب ١٥ مليون دولار ، وأن يكون له حق بيعه الى طرف ثالث .. وكما أوضحنا ليس هناك فارق بين أن نقول أننا سندفع بالبترول ، وبين القول بأننا سندفع بالدولار . ان السؤال الحقيقى المطروح وبغير مداراة خلف الحساب القابل للتحويل وزيادة الصادرات . السؤال المطروح هو : لماذا نفضل الدفع فورا بالعملات الحرة اذا كان ممكنا أن نحصل على تسهيلات ائتمانية ؟ لقد كان راى وزارة الاقتصاد واضحا ولكن لم يلتفت اليه ، فهل توقيع العقد فى هذه الحالة ميزة تبارك أو خطأ يستوجب المساءلة والتفسير ؟

هذا هو السؤال الثانى :

الاجراءات .. واللجنة « المؤقتة »

اننا ننتقل الان الى القضية الثالثة . فالاجراءات التى أدت الى النتائج السابقة ، لم تمض فى طريق طبيعى . فبعد الموافقة المبدئية من وكيل أول وزارة الاقتصاد والتجارة الخارجية على الصفقة وفق الشروط التى ذكرناها ، ارسل مدير ادارة مواد البناء لوزارة الاسكان والتعمير كتابا الى امين لجنة البت فى المعادن [هى وزارة الصناعة] مرفقا به صورة العرض الاسبانى [٢٠ نوفمبر] « وهذا الإجراء — كما يقول القاضى حتى هذه اللحظة سليم » . وقد انتهت مناقشات لجنة البت الى طرح العملية على الشركات التجارية ، وعلى أن تكون الافضلية للعروض التى تقدم تسهيلات دفع . ثم طرحت العملية فعلا فى مناقصة عامة تفتح مظاريفها يوم ٢٨ ديسمبر ١٩٧٤ . وقد طلبت شركاتنا للتجارة الخارجية تأجيل الموعد المحدد لفتح المظاريف بسبب الاجازات الرسمية فى أوربا الغربية ، وقررت لجنة البت بناء على هذا الاعتبار وغيره أن يؤجل الموعد الى ١٥ يناير بموافقة وزارة الاسكان .

.. ولكن بينما الامور تمضى هكذا فى تسلسلها الطبيعى ، تشكلت فجأة لجنة بت « خاصة » تتالف من اثنين من العاملين فى وزارة الاسكان وثالث منتدب من المقاولين العرب . هذه اللجنة « الخاصة » تشكلت لاستكمال اجراءات البت فى صفقة حديد قدرها ١٠٠ ألف طن مقدمة من شركة اكسوميزا الاسبانية ، اى انها ظهرت خصيصا « لهذه الصفقة فقط .. ثم اختفت ثانية بالكامل ! » .

صحيح أن اختصاص لجنة البت فى المعادن التابعة لوزارة الصناعة لم يعد يمتد الى وزارة الاسكان والتعمير ابتداء من ٣١ ديسمبر ١٩٧٤ [وفقا لقرار وزير التجاره بتحويل الاختصاص الى لجان البت فى الوزارات] ولكن حدث أن وزير الاسكان والتعمير أصدر بناء على هذا التنظيم الجديد ، قرارا بتشكيل لجنة للبت فى عمليات استيراد مواد البناء والتشييد [ويدخل فيها طبعا حديد التسليح] . وقد بدات هذه اللجنة الجديدة فى مباشرة اعمالها امتدادا لما سبق أن تقرر فى ظل لجنة البت فى المعادن التابعة لوزارة الصناعة . كانت هذه اللجنة الاخيرة — كما نذكر — قدبدأتبحثالعملية وقررتطرحالمناقصةالعامة وحين تشكلت اللجنة الجديدة فى وزارة الاسكان كان طبيعيا أن تواصل اجراءات البت فى العروض المقدمة . وكان طبيعيا — كما يقول القاضى — ان تبت هذه اللجنة فى صفقة أسبانيا ، كما تبت فى العطاءات الاخرى المقدمةبتاريخ١٥ ينايرولكن صفقة شركة اكسوميزا بالذات جنبت وتركت للجنة « الخاصة » التى تشكلت تشكيلا غريبا على حد تعبير د . محمود القاضى .

والحقيقة أن هذه اللجنة الخاصة ، باشرت

● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ●

مسئوليتها بهمة غير عادية .. كما لو انها كانت تود أن تفرغ من اعمالها قبل انتهاء لجنة البت « الاصلية » من دراسة الـ ٧٢ عرضا التى تلقتها . مع ان المنطق يقول ان التمهل لايام محددة يكون مفيدا ، خاصة وأن الاسعار كانت تهبط كل يوم كما سبق أن أوضحنا .

لقد استشعرت اللجنة « الخاصة » أنها تحتاج الى الاسترشاد بحركة الاسعار العالمية ، فقررت ارسال تلكسات الى الموردين العالميين وعددهم ٩ ، « وسوف أمر على هذه النقطة مسرورا سريعا » [**القاضى**] . وهذا معقول،اذ ماذا يقول الرجل ؟ ألم يكن من الاوفق — بدلا من هذا الاستكشاف والاسترشاد المتعجل ، انتظار نتائج فتح مظاريف ٧٢ عرضا ؟ على أى حال .. قررت اللجنة الخاصة فى اجتماعها يوم ٤ يناير أن الموعد الاقصى للبت فى العرض الاسبانى هو يوم ٦ يناير . وبالفعل كان هذا اليوم محتشدا بالعمل والتدافع من اجل البت . فقد بدأ اليوم [**حسب تقرير اللجنة المشتركة**] باستلام اللجنة للعروض ، وبعد الانتهاء من تفريغ العطاءات قامت اللجنة بفحص جميع العروض المقدمة ، وتبين لها أن العرض الاسبانى الوارد من شركة اكسوميزا هو انسب العروض . ولكن لماذا لم تتم ممارسة على العروض المقدمة واقتصرت الممارسة على الشركتين الاسبانيتين كما يقول **القاضى** ؟ المهم « رأت اللجنة استدعاء مندوبى اكسوميزا مساء نفس اليوم ٦ يناير حيث تصادف وجودهم بالقاهرة » [**تقرير اللجنة المشتركة**] . تصور ان يتواجد خمسة أجانب صدفة فى القاهرة فى هذا اليوم بالذات ! نعم من حق **محمود القاضى** أن يعبر عن هذه الدهشة من المصادفات العجيبة . خاصة وانهم بالصدفة أيضا من كبار المسئولين الذين يملكون التباحث والتصرف واتخاذ القرار فى شركة اكسوميزا ! انهم [**كما يقول تقرير اللجنة المشتركة**] رئيس مجموعة شركات ايشيفاريا ، ومساعده ، ومدير عام شركة اكسوفيرا — ايشيفاريا — وعضو شركة اكسوميزا لشئون الشرق الاوسط ، ومساعده .

لقد اجتمعت لجنة البت الخاصة فى **الساعة السادسة** من مساء نفس اليوم ، وفى **الساعة السابعة** حضر مندوبو شركة اكسوميزا ودام الاجتماع معهم ثلاث ساعات ، وفى **الساعة العاشرة** استأنفت اللجنة اجتماعها وقررت قبول عرض الشركة الاسبانية والموافقة مبدئيا على زيادة الكمية من ١٠٠ الف طن الى ١٢٨٫٣٠٠ . لقد بتت لجنة البت الخاصة يوم ٦ يناير ، **ووافق الوزير فى نفس اليوم** ، ووقع التعاقد يوم ٩ يناير !

« ولو اننا انتظرنا ستة ايام ، أى حتى ١٥ يناير ، لاستطعنا الشراء من شركة انجلوفرنش التى كانت على استعداد أن تعقد الصفقة فى البداية بتسهيلات وبفائدة ٨٫٥ فى المائة ، ولو تمت هذه الصفقة معهم بتسهيلات على ثلاث سنوات بهذه الفائدة المذكورة ، فانها ستكون أرخص من العرض الاسبانى مع اضافة الفوائد ، لكننا تعجلنا ولم ننتظر مدة الستة ايام لانه تصادف وجود مندوبى شركة اكسوميزا فى مصر ! وتم التعاقد معهم ، وأضعنا بهذا مبلغ ٤ ملايين و ٨٧٥ الف دولار — كما أشارت مذكرة وزارة التجارة — فيما لم يتم التعاقد مع اسبانيا ، وتم التعاقد مع شركة الانجلوفرنش ، اذن كان من الواجب أن ننتظر مدة الستة ايام ،وخاصة أناللجنة كانت قد قررت من البداية أن يتم طرح الموضوع فى عطاء فلماذا الاستعجال؟ ! » [**محمود القاضى**]

.. ثم الا يكون السؤال اكثر خطورة حين يتم الاستعجال وتتحقق الاضرار بواسطة لجنة « خاصة » شكلت لهذا الغرض وحده ثم اختفت ؟ !

« وهنا اود أن اقول ان حق السيد وزير الاسكان وغيره من الوزراء فى التعاقد على أشياء من الخارج ليس حقا مطلقا ، وهناك قرار السيد رئيس الجمهورية رقم ٧٦١ لسنة ١٩٥٩ الذى يقضى بأنه اذا كان التعاقد يتم بطريق الممارسة ويستلزم الدفع فى الخارج فلا يجوز ابرام العقد الا بعد موافقة وزارة الاقتصاد على كيفية الدفع ، وقد حصلت الوزارة على موافقة من حيث المبدأ ، الا أنهم توسعوا فيها جدا ..فشرط التسهيلات الائتمانية لم يلتزم به ، والكمية المسموح بها تجاوزها العقد » (•)

ضرورة الاستعجال

قد يقال أن الاستعجال يمكن أن يكون ضرورة ؟ وقديوحى بأن الحاجة الى حديد التسليح كانت ملحة ولا تحتمل أى ابطاء فى التعاقد ، ولكن **محمود القاضى** لم يترك هذه النقطة ايضا بلا تفنيد ، ففى بداية ١٩٧٥ كان رصيدنا يعادل تقريبا ما استهلكناه فى سنة ١٩٧٤ ، فقد استهلكنا فى عام ١٩٧٤ ، ٣١٧ الف طن ، والكمية التى كانت تحت ايدينا فى ١ — ١ — ١٩٧٥ هى ٢١١ الف طن ما بين مخزون حقيقى ، وانتاج محلى متوقع وما بين كميات سترد بموجب الاعتمادات المفتوحة ، ومن الطبيعى أن هذه الكميات سوف ترد فى مواعيد سابقة على ما سيرد من العقود التالية [كعقد الشركة الاسبانية فى حالة تنفيذه] وقال **القاضى** ان لديه تفاصيل هذه الكميات بالطن

والجرام وانواعها وأسماء الشركات التى ستقوم بالتوريد . وقد نضيف من ناحيتنادليلا آخر على هذا الكلام ، فالصفقة أوقف تنفيذها فعلا ولم تحدث كارثة !

ولكن من الانصاف أن نذكر رد السيد وزير الاسكان والتعمير على هذه النقطة . خاصة وأنها النقطة الوحيدة التى قدم فيها الوزير معلومات محددة ذات صلة بموضوع الاستجواب . لقد قال المهندس عثمان ان الاخ القـاضى لا تتـوفر له البيانات السليمة عن هذا الموضوع ، حتى يتمكن السادة الاعضاء من تقدير الموقف بالنسبة لهذه السلعة : ديسمبر ١٩٧٤ ـ ٣٢ الف طن ـ يناير ١٩٧٥ ـ ٤٣ الف طن وهى كمية لا تكفى الا لمدة شهر واحد ـ فبراير ١٩٧٥ ـ ٣٦ الف طن ـ مارس ١٩٧٥ ـ ٤٢ الف طن ـ ابريل ١٩٧٥ ـ ٢٣ الف طن . هذه هى كميات الحديد المتوفرة لدينا شهرا بشهر ، أعلنها على حضراتكم بصفة رسمية » ، ولكن هذه الكميات لا تعكس ـ باستثناء شهر ابريل ـ موقفا بالغ الحرج ، ثم ان السيد الوزير لم يذكر ما اذا كان الرقم الاجمالى للرصيد الذى كان تحت ايدينا فى أول يناير ـ بأشكال مختلفة يغـاير الرقم الذى أعلنـه القـاضى أو لا . فهذا الرقم الاجمالى للسنة هو ما يهم حين نناقش الصفقة الاسبانية ، التى لم يكن متوقعا على أى حال أن تحل مشاكل العجز العاجلة ـ فى حالة وجودها ـ فور توقيع العقد .

موقف وزير الاسكان

ولكن بمناسبة هذه النقطة التى أثارها السيد الوزير ، لابد من اشارة عامة الى موقف المهندس عثمان أحمد عثمان : فهو احد الاطراف الاساسية فى كل هذا الموضوع ، والاستجواب موجه ضده . وقد اعلن منذ البداية أنه مستعد للكلام فى الحال وأن يرد بالادلة والمستندات . وحين ناقش المجلس طلب د . محمود القاضى لتأجيل نظر الاستجواب بسبب سفره ، تكلم السيد وزير الدولة لشئون مجلس الشعب ، وطالب بأن يسمح للسيد وزير الاسكان والتعمير بأن يتكلم فورا وقبل أن يتحدث صاحب الاستجواب عند عودته من الخارج . وقد اوضح السيد رئيس مجلس الشعب ان هذا لا يجوز ففى حالة الاستجواب « لا يتكلم الوزير الا بعد أن يقوم المستجوب بشرح استجوابه ، وذلك وفقا للمادة ٢٥٥ من اللائحة الداخلية للمجلس » .

المهم .. اننا كنا مشوقين فعلا للاستماع الى رد السيد الوزير بعد كل هذا الجو . ولكنه للاسف لم يقل شيئا محددا بالنسبة للنقاط المثارة ، وحين قلت ان نقطة حجم احتياطى حديد التسليح المتوفر هى النقطة الوحيدة التى تناولها ، لم يكن فى هذا أى قدر من المبالغة أو التجنى . لقد تحدث السيد الوزير مرتين . مرة بعد مناقشة المجلس لتقرير اللجنه . ومره أخرى بعد الاستجواب . فى المرة الاولى قدم عرضا لانجازات الوزاره فى مجال التعمير ، وتحدث عن انه مطالب اليوم ببناء مليون شقة فى الحضر . ثم اشتكى من اضاعة الوقت فى بحث موضوع صفقة حديد التسليح ، واضاف تصريحا لعله رأى أنه يفحم أى مستجوب فقال « نحن نعلم أن الحديد من المواد الاساسية التى لا يستطيع ان يتلاعب فيها احد » . ولكننا فى الحقيقة لا نعلم هذا .. ولماذا ؟ قد يقصد السيد الوزير ان هناك فرصا للتلاعب أكبر فى أشياء أخرى،ونحن نوافق على هذا ، ولكن هذه قضية أخرى .

.. وانتهى كلام السيد الوزير فى المره الاولى !

فى المرة الثانية ، تكلم السيد الوزير كلاما أطول،اعادشرح انجازات التعمير وتحدثعنالدور الكبير لقطاع التشييد فى استثمارات الخطة . وقال انه لن يقف مكتوف الايدى أمام اى تلاعب فى مواد البناء . ثم اشار الى الاتفاقية فلم يقدم أى حقائق محددة تدحض ما قاله مقدم الاستجواب ، ثم اضاف ان ما يراه الان « هو اننا أضعنا على انفسنا فرصة شراء الـ ١٢٨ الف طن حديد ـ هكذا قال الوزير ـ ولا أريد بذلك أن يتصور احد ان الابواب قد سدت فى وجهه ، ذلـك ان لنـا أشقاء من العرب يقفون معنا الان فى معركة التعمير نفس وقفتهم معنا فى معركة العبور .. وانتقل من هذا الى تحية الملوك والرؤساء العرب كل باسمه . ثم اعلن فى النهاية « أن مواد البناء ستتوفر بمشيئة الله حتى تكون موجودة فى كل شارع ، وحتى يتمكن كل مواطن من بناء المسكن الملائم له ولاسرته .

ما علاقة كل هذا بالاستجواب ؟ على أى حال لم ينس السيد الوزير أيضا أن يدلى بآرائه الطريفة حول الاشتراكية .. قال كلاما طريفا بالفعل عن تصوره للاشتراكية ، ولكن لا داعى لعرض ما قال فهو طبعا خارج الموضوع ..

موقف مجلس الشعب

لقد تأخر نظر الاستجواب أكثر من شهرين .. كان فى البداية جزءا من استجواب موجه الى الدكتور عبد العزيز حجازى ، يشمل بالاضافة الى صفقة الحديد ، صفقة الاتوبيسات الايرانية ، وبعد استقالة الوزارة أعاد د . محمود القاضى تقديم الاستجواب ضد السيد وزير الاسكان والتعمير حيث أنه كان وزيرا فى الوزارة السابقة . ولكن اللجنة المشتركة المكلفة بتقديم تقرير عن طلب

● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ●

مناقشة صفقة الحديد والمقدم من أكثر من عشرين عضوا ، هذه اللجنة طلبت مهلة ثلاثة أسابيع لاعداد تقريرها . ثم تحدد يوم ٢٦ مايو لمناقشة التقرير وطرح الاستجواب ، ولكن الدكتور **القاضي** طلب التأجيل بسبب سفره ، وكان أمام المجلس اختياران : أما أن يرفض عذر **محمود القاضي** واما أن يقبله . فاذا تم الاختيار الاول فان هذا يعنى اسقاط الاستجواب ، واذا لم يكن هناك استجواب فلا حرج من تلاوة تقرير اللجنة ومناقشته [وأن كان ضروريا أن يتسلم الاعضاء هذا التقرير قبل الجلسة بمدة كافية] . ولكن اذا تم الاختيار الثانى ، أى اذا وافق المجلس على عذر **محمود القاضي** ، وقبل بالتالى تأجيل الاستجواب [وهذا ما حدث] ، فاننى أعتقد أن المجلس قد أخطأ فى حق نفسه حين شرع رغم هذا فى مناقشة تقرير اللجنة ، كان طبيعيا أن يؤجل فى هذه الحالة مناقشة التقرير حتى يحضرها صاحب الاستجواب . ولقد كانت هذه - على أى حال - وجهة نظر بعض الاعضاء ، ولكنها للاسف لم تحظ بالموافقة . وترتب على هذا أن وافق المجلس بعد مناقشة تقرير اللجنة ، على أن اجراءات البت والتعاقد سليمة وطبيعية ١٠٠ فى المائة ، وحين شرح **د . القاضي** موضوع استجوابه بعد عودته ، كان محرجا لبعض من سبق أن وافقوا أن يعدلوا عن موقفهم الذى اتخذوه منذ سبعة أيام .

ومع ذلك فان الحرج لا يمكن أن يكون تفسيرا مقنعا لهذه النتيجة الفريدة ، وهى ان يقف **محمود القاضي** فى نهاية الاستجواب فارسا وحيدا بلا أى سند ، لست اقصد اننا كنا نتوقع أن يحصل الاستجواب على تأييد الاغلبية ، ولكن ما يثير الدهشة - بالنسبة لاى مراقب - هو أن عضوا واحدا لم يبد موافقته أو تعاطفه مع أى نقطة قدمها صاحب الاستجواب ! ويزيد الامر غرابة أن كلمات بعض أعضاء المجلس تؤكد أن **الدكتور القاضي** يتمتع باحترام واضح ، وتؤكد أنهم يعرفون عن الرجل أنه لا يلقى الكلام جزافا وبلا دليل . اذن هذا الموقف لا يمكن تفسيره فقط بسبب الحرج الذى نشأ عن اصدار الحكم قبل الاستماع الى صاحب الاستجواب ، ولابد من بحث هذه الظاهرة ما دمنا نسعى الى تطوير الممارسة الديمقراطية . ما هى الاسباب الاخرى غير الحرج ؟

قد يكون من الاسباب أن البعض يتصور أن أسلوب الاستجواب الذى يتضمن حق مجلس الشعب فى الاتهام والمحاسبة ، يسىء الى سمعة الدولة والى سياسة الانفتاح . لم يقل أحد صراحة أنه ضد أسلوب الاستجواب ، ولم يكن بوسع أحد أن يقول هذا ، فالكل يصرح بأن أسلوب الاستجواب هو أحد مقومات الحياة النيابية ، ولكن البعض يضيف بعد هذا التصريح مباشرة عددا من الاقتراحات أو التحفظات التى تلغى مضمون ما أعلنه . العضو **محمد رشوان** قال مثلا « اننى أقترح مستقبلا - ونحن لا ندافع عن الخطأ والانحراف - تشكيل لجان أو عقد جلسات مغلقة لمناقشة مثل هذه الامور حتى لا يؤثر هذا علينا مستقبلا عندما نتعامل مع شركات لها سمعة دولية » ... « ولكن هذا لا يعنى اننا نرفع أيدينا عن مراقبة الحكومة بل نحن نراقب الحكومة ونبرز انحرافها ولكن الامور التى لها علاقة بالاقتصاد والسياسة ، وهما أمران متشابكان يجب أن نتناولهما بحذر شديد بما يتفق ومصلحة مصر وشعب مصر » . ولا شك أن كلام السيد العضو كان غريبا ، فهو يطالب بمراقبة الحكومة بصراحة وفى العلن ، الا فى المسائل السياسية والاقتصادية .. اذن ماذا بقى لنحاسب الحكومة عليه ؟ !

والعضو خليل شرارة يقول : « اننا هنانشهر بالناس ، ولا نهتم بسمعتهم وكرامتهم ، مما أوجد مجالا للتشهير بهم ، فنسمع من يقول : الناس حرامية الاوتوبيس ، والناس حرامية التعمير » ... اذن أى محاسبة مسئولة هى نوع من التشهير ، واذا كان الامر كذلك فلابد أن تمنع أو على الاقل تحاصر !

والسيد وزير الدولة لشئون مجلس الشعب يقول :

اننا نخشى بعد هذا التعليق ، وليس بعد الاستجواب ، فالاستجواب حق وواجب لا جدال فيه ، ان يحجم المسئولون فى القيادات التنفيذية ولا يقدمون على ما فيه مصلحة البلد » ... « ان تعليق مثل هذا الامر له آثار سيئة لا فى الميدان الداخلى فحسب ، بل وفى الميدان الخارجى أيضا ، خاصة فى ميدان الانفتاح الاقتصادى ». طبعا الوزير المسئول لابد أن يقول أن الاستجواب حق وواجب ، ولكن السيد الوزير وهو يعارض ما أسماه « التعليق » كان يقصد أن المجلس يتجه الى قبول عذر الدكتور القاضى ، وبالتالى عدم اسقاط الاستجواب ، ونظره بعد عودة صاحب الاستجواب من الخارج - اى بعد أسبوع واحد - هذا هو ما اعتبره السيد الوزير «تعليقا» ،وهو بالتالى المح الى رغبة الحكومة فى أن يسقط المجلس الاستجواب ، وهو يعارض التعليق ! واذا لم يستجب المجلس ستتعطل الدنيا كلها بما فى ذلك الانفتاح الاقتصادى .. هكذا انذرنا السيدالوزير وهو يؤكد طبعا انالاستجواب حق وواجب لا جدال فيه ! .

هذا هو الجو الغريب المحيط بأسلوب الاستجواب ، والذى يشيع تصور انه أسلوب

ضار ومصيبة فى الداخل والخارج ، وهو لا يمكن أن يكون كذلك الا بقدر أن نعتبر أن الديمقراطية والحياة النيابية هى ايضا ضارة ومصيبة ، فحق اتهام وزير بالاهمال والتقصير ، وحق سحب الثقة من هذا الوزير — عمليا وليس بالــكلام — هى حقوق أساسية اذا كنا نتكلم عن الديمقراطية والحياة النيابية .. وبالنســبة لمن يقصـــدون « بالانفتاح » أن نعود الى النظام الراســمالى التقليدى نقول أن هذه الحقوق ممارسة فى ظل أصحاب هذا النظام ، ولم يوقف هذا عمليات « انفتاحها » . أما بالنسبة لنا فاننا نقول فى كلمات بسيطة ان المحاســبة الشــعبية لا تخيف الشرفاء ، وهى تدعم سمعتنا الخارجية سياسيا واقتصاديا .

ولكن أيا كان رأينا ، فلا شك ان هذا الجو المحيط بمفهوم الاستجواب قد جعل البعض يتردد فى مغامرة المشاركة . ومع هذا لا نتصور أن يتسبب هذا العامل ايضا فى نتيجة ان يقف محمود القاضى داخل المجلس من غير نصير واحد . يبدو أن السبب الاساسى هو أسلوب العمل فى المجلس والذى يرتبط بالاوضـــاع السياسية العــــامة ، [وارجو أن أنبه الى أن هذا الكلام يعبر عن رأى كاتب المقال ، ولا علاقة له طبعا برأى صــاحب الاستجواب] .. لقد بدا لنا أن اللجنة المشتركة قامت بما يمكن أن يقوم به حزب الحكومة فى مواجهة المعارضة ، فقد أعدت تقريرا مطولا للدفاع عن موقف الحكومة بلا اى تحفظ ، فهل أدى هذا الى الاحساس العام بأن هناك نوعا من الالتزام بالوقوف الى جانب التقرير ؟ ولكن التزام بمن وبماذا ولاى هدف ؟ ان هذا النوع من الالتزام ثبت فى تجربة الاستجواب أنه يجهض القدرة على المعارضة ، ذلك أن المعارض اذا وجد نفسه دائما ضد الكل سيتوقف ، أو على الاقل سيضعف ، فى أداء دوره . فمن هو هذا العضو الفرد — أيا كانت قدراته — الذى يستطيع أن يواصل الوقوف وحده ضد الحكومة ، وضد اجماع مجلس الشعب ؟ ! ان هذا بالمناسبة يؤكد أن فكرة ما يسمى بالمنابر المتحركة ، لا يمكن أن تكون فكرة واقعية ، ان المنابر المتحركة تعنى أنها تجمعات مؤقتة ممن يلتقون حول رأى واحد فى موضوع معين ، تنشأ التجمعات عند بروز هذا المـوضوع وتنفض بانتهائه . هذه الفكرة ثبت أنها غير واقعية فى ستجوابى صفقة الاوتوبيسات وصفقة الحديد . ففى القضيتين لم يتمكن محمود القاضى رغم علاقاته وكفاءاته من تجميع عدد من الناس . والمســألة مفهومة ، فليس سهلا على عضـــو من الاعضاء أن يخاصم الحكومة بكل قدرات جهازها التنفيذى ، وليس ســهلا ان يجد من يلتقى معه التقاء مؤقتا فى «منبرمتحرك» ، تمارس فيه معارضة حادة حول موضوع معين . وتصل المعارضة الى الاستجواب وطلب سحب الثقة ، ثم ينفرط التجمع بعد هذه الزوبعة ، بلا رابطة تساعد أصـحاب الرأى المعارض على مواجهة النتائج . حين يكون الخلاف مع الحكومة — فى قضية معينة — هو جزء من تصور سياسى عام ، يختلف الامر . وحين يكون لقاء عدد من أعضاء المجلس فى معــارضة الحكومة ، بمناسبة هذه القضية أو تلك ، جزءا من الموقف العام لهذه المجموعة ، يصبح تشكيل المنبر ممكنا . ولكننا فى هذه الحالة لن نكون امام المنابر المتحركة ، فنحن أمام ضرورة التقاء أصـحاب النظرة السياسية الموحدة فى منبر ثابت ، أو فى تجمع سياسى مبلور ، يلتقى أصحابه وينسقون أعمالهم ، وحين يعرض أحدهم فى قضية أساسية يكون مسنودا بجماعته ، فيتجاسر على منازعة الحكومة ، وتتحقق الممارسة الديمقراطية . هذه نتيجة نستخلصها من واقع تجربتنا ، بل ومن تجاربنا فى مصر قبل ١٩٥٢ .

ثم ان موضوعا كصفقة الحديد يصطدم بقوى اجتمــاعية خــــارج المجلــس ، وتستفيـــد من استمرار الاهمال والتقصير ، لانها تجنى أرباحا هائلة من العمولات ، ومن اهدار المال العام ، وهذه القوى لها ضغوط وسـلطات وصداقات .

وقد نذكر ايضا أن الصحافة لم تكن « محايدة » اثناء نظر استجواب الحديد وموقف الاستاذ **على أمين** فى جريدة الاخبار كان نموذجا صارخا ، فكيف يتمكن عضو ، أو حتى مجموعة أعضاء ، من مواجهة هذه الامكانيات خـــارج المجلس ؟ ان التجمعات السياسية الثابتة المطلوبة داخل مجلس الشعب [المنابر] لابد أن تلتحم فى نفس الوقت بتجمعات متـابلة خـارج المجلس [المنــابر] فالتجمعات السياسية خارج المجلس وداخـل المجلس هى وحدها التى تتمكن من مواجهة القوى الاجتماعية اليمينية المنظمة ، كما أن هــذه التجمعات السياسية خارج المجلس وداخل المجلس هى وحدها التى تستطيع محاسبة الحكومة فى الامور الخطيرة والحساسة ، وهى التى تستطيع أن تواجه وزيرا قويا مثل المهندس عثمان أحمد عثمان اذا أخطأ .. وبغير هذا لن يــكون اى استجواب مقبل اسعد حظا من الاستجوابات السابقة .

واذا عدنا فى الختام الى موضوع الحديد « أقول لحضراتكم : أننى لم أسمع حتى الان ردا على موضوع الاستجواب » .. هكذا قال العضو **مصطفى غباشى** ، وهكذا نقول معه .

طرح خاطىء

لعلاقة اليسار بعبد الناصر

د. صفوت عثمان *

.. ولم تزل مقالات د. فؤاد زكريا حول علاقة اليسار بعبد الناصر مثارا لنقاش طويل ، وفي العدد الماضي نشرت «الطليعة» ردا للاستاذ وجيه ضياء الدين بعنوان « التجربة الناصرية .. بين الرؤية التآمرية للتاريخ ، واستخفاف الفلاسفة بعلم السياسة » .

لكن الدكتور صفوت عثمان المفوض بمجلس الدولة يختلف مع الاثنين فهو ضد تحليل كل من الكاتبين لتحليل طبيعة العلاقة وضد استنتاجاتهما من هذا التحليل .. ويقدم لنا رايا ثالثا جديدا ..

فى مقالات الدكتور **فؤاد زكريا** حول علاقة اليسار بعبد الناصر ، يقرأ الانسان عبارة تبدو عليها الرصانة الظاهرية ، يقرر فيها وفى بساطة تثير العجب ان عبد الناصر لم يتحول تجاه اليسار وانما حول اليسار تجاهه . ولا اظن أن المرء فى حاجة الى جهد لتبيان ذاتية النظرة التى بنى عليها هذا الحكم حيث يبدو وكأن الكاتب يرى أن علاقات القوى السياسية المختلفة واختياراتها الاساسية هى مسالة اختيار فرد فى السلطة ينجح او لا ينجح ، بالترغيب أو الوعيد ، فى تحويل الناس تجاهه . ولو كان الامر كذلك لاصبح تاريخ الشعوب ونضالها مجرد تاريخ للملوك والامراء ..... ولست ادرى كيف فات على الكاتب أن تاريخ البشر وعلاقات القوى المختلفة ، كانت وستظل ، محكومة أبدا بقوانين موضوعية لا تملك منها فكاكا ، بصرف النظر عن نوايا وارادات الاطراف المختلفة . ، ولا اقصد من ذلك انكار دور الفرد فى التاريخ . ولكننا نعرف أن دور الفرد هذا سيكون دورا بطوليا يدفع عملية التطور الى الامام طالما كانت مواقفه واختياراته تسير مع حركة التاريخ ، وسيكون دورا له أهميته بغير شك حتى عندما يقف فى وجه التطور طالما سمحت الظروف القائمة لفرد ما أن يفرض تسلطه — ومع ذلك سيظل دور هذا الاخير دور اعاقة مؤقتة محكوما عليه تاريخيا .

وفى الكلمة التى نشرتها « **الطليعة** » فى عدد يونيو بعنوان « **التجربة الناصرية بين الرؤية التآمرية للتاريخ واستخفاف الفلاسفة بعلم السياسة** » للاستاذ **وجيه ضياء الدين** نجده عند تناوله لهذه النقطة بالذات يقول ردا على د . فؤاد زكريا « أما فى مجال موضوعه فقد افادنا بأن **عبد الناصر** لم يتحول تجاه اليسار ، وانما حول اليسار تجاهه ، مدللا بذلك على زيف اشتراكية التجربة ، ولقد نتفق معه فى تحليل طبيعة العلاقة لكننا نختلف معه تماما فى الاستنتاج وخاصة حينما نتعامل مع الظواهر — للمرة الاخيرة — تعاملا علميا » .

وليسمح لى الكاتبان بأن اختلف معهما تماما فى تحليل طبيعة العلاقة وفى الاستنتاج الذى يمكن ان نخرج به . وفى ظنى ان المسألة لم تكن على الاطلاق ان عبد الناصر تحول الى اليسار أو أنه حول اليسار تجاهه . فلم يحول ايهما الاخر . ولكن اللقاء الذى وقع كان لقاء فرضته ظروف موضوعية ما كنت أظن أننى سأكون بحاجة لاعادة ترديدها لكثرة ما كتب فيه ، ولا يجهله الكاتبان بطبيعة الحال .

كان اللقاء حتمية جوهره تحالف حول أهداف وطنية ثورية فى مرحلة من عمر الوطن مازال الخلاف يدور حول طبيعتها وضبط حدودها . ولقد تكون هناك اعتراضات جدية على الاسلوب الذى تم به هذا التحالف أو الشكل الذى أفرغ فيه ، ولكن تلك مسألة أخرى تتطلب مزيدا من البحث المدقق الذى يضع فى الاعتبار جميع الظروف المحلية والعالمية ، ووزن وعلاقات القوى المختلفة والبلبلة النظرية التى أحاطت بتقييم ما يحدث فى بلاد العالم الثالث ، ولكن سيبقى جوهر اللقاء تحالفا

* د. صفوت عثمان مفوض بمجلس الدولة

واختيارا فرضته ظروف موضوعية على كل الاطراف . ونحن نعرف أن قوى الشر حاولت ، بل ونجحت فى كثير من الاحيان ، فى افراغ هذا التحالف من مضمونه وتشويهه . ومع ذلك فالتحالف فى هذه الظروف كان حتمية يتعين القبول به ، والكفاح ضد ما شابه من سلبيات .

كان ما يحدث فى المستعمرات التى تكافح من اجل استقلالها،وعلاقة القوى الوطنية فيها بالقوى والاحزاب الاشتراكية ، من الامور التى شغلت الفكر الاشتراكى والاحزاب الاشتراكية منذ العشرينات . وازداد هذا الاهتمام مع تطور الاحداث ، وتزايد عدد الدول التى حصلت على استقلالها ، وتبلور مواقفها فيما اصطلح على تسميته بحركة التحرر الوطنى . ولا يسمح المجال هنا باستعراض الدراسات والمقررات التى طرحت فى هذا الشأن ولانها مسائل معروفة ومنشورة يمكن الرجوع اليها فى مصادرها .

ولعل من اهم المسائل التى كانت ، وما زالت ، موضع دراسة وجدل فى نطاق الحركة الاشتراكية هى قضية اختيار طريق التنمية فى هذه البلدان ، وبطبيعة الحال لم يكن الاشتراكيون فى حاجة الى من يقنعهم بأن الطريق الاشتراكى هو الذى يحقق لاوطانهم وشعوبهم العدالة والرفاهية . ولو كان الامر يتوقف على هذا النوع من الاختيار لكانت المشكلة غاية فى البساطة ، ولكن تبدو صعوبة الوضع ودقته عند النزول الى ارض الواقع حيث يفاجأ الانسان بسيل من الاسئلة قد لا تجد جوابا عاجلا وحاسما فى بعض الظروف ، فقد طرح التساؤل : هل القاعدة الاقتصادية والاجتماعية ، بتكوينها الحالى فى البلدان النامية ، تجعل بالامكان عمليا الوصول الى النظام الاشتراكى كهدف عاجل ومباشر ؟ واذا كان تركيبها الاقتصادى والاجتماعى وانماط الانتاج السائدة فيها - مقارنة بما هو قائم فى الراسماليات الغربية ، حيث وصل التبلور الطبقى الى مستويات عالية - ما زال فى مرحلة جنينية أو ضعيف التطور ، فأية قوة اجتماعية او طبقة بمفردها تكون قادرة على تمهيد الطريق نحو مرحلة أكثر تطورا وصولا الى النظام الاشتراكى ؟ ما هو دور الدولة وطبيعتها فى هذه المرحلة التى لا تستطيع خلالها قوة اجتماعية ، بمفردها ، أن تشكل المجتمع على مقاييسها وتصهره فى بوتقتها الاقتصادية والاجتماعية والفكرية ؟ والى أى حد يكون العامل الخارجى المتمثل فى قيام نظام اشتراكى عالمى من جانب ونظام رأسمالى من جانب آخر عنصر دفع وتطوير بالنسبة للنظام الاول وعنصر اعاقة وتقهقر بالنسبة للنظام الثانى ؟ واذا كان بامكان هذه البلدان الوصول الى النظام الاشتراكى مباشرة دون المرور بمرحلة الرأسمالية ، فما هى طبيعة ودور الجهاز السياسى الذى يقوم فى مرحلة الانتقال هذه ؟ وما هى طبيعة الصراع الطبقى ودوره فى هذه البلدان - وأخيرا وليس آخرا ما هو دور الطبقة العاملة الوليدة فى هذه المرحلة ؟

اختلفت مواقف اليسار - احيانا - فى بلاد العالم الثالث . وكان ذلك يرجع احيانا لاختلاف الاجابات التى قدمت على بعض التساؤلات السابقة - واحيانا اخرى الى اختلاف الظروف السائدة داخل كل بلد ، وتفاوت درجات النمو ، وعلاقات القوى ووزنها فيه ، وهذا أمر منطقى . ومع ذلك ، فقد كان هناك حد أدنى من الاتفاق - فاذا كان صعبا فى ذلك الوقت وضع نظرية عامة تنطبق على هذه البلدان فى مجموعها - فلا شك أنه بالامكان الاتفاق على وجود ظروف وسمات عامة تحكم تطور هذه البلدان عالميا ومحليا يمكن اجمالها فيما يلى :

١ - أن المشكلة الرئيسية التى تواجه هذه البلدان عقب الاستقلال هى القضية الاجتماعية الامر الذى يفرض عليها ضرورة القيام بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية لتحقيق العدالة والرفاهية لشعوبها .

٢ - أن استقلال هذه البلدان السياسى لا يمكن الحفاظ عليه ودعمه الا بالاستقلال الاقتصادى .

٣ - أن هذه البلدان بقياداتها الثورية الوطنية ، وبمواقفها المعادية للاستعمار تشكل فى مجموعها حركة التحرر الوطنى ، الحليف الطبيعى للحركة الاشتراكية فى كل مكان .

٤ - أن وجود المعسكر الاشتراكى والسوق الاشتراكية يعتبران بغير شك عنصرا حاسما فى دفع عجلة التطور لهذه البلدان ومساعدتها فى تأكيد استقلالها الاقتصادى والاجتماعى .

٥ - أن هناك مهاما عاجلة يتعين على أى نظام وطنى ثورى أن يقوم بها من أجل تحقيق أهدافه السالفة ، ويتمثل ذلك فى ضرب المصالح الاجنبية وبناء القاعدة المادية للاقتصاد الوطنى ، وذلك بحل المشكلة الزراعية والقضاء على الهياكل الانتاجية البالية ، واستبدالها بعلاقات اكثر تطورا ، تقوم على شعار الارض لمن يفلحها ، وانشاء التعاونيات بأنواعها المختلفة وتحديث الزراعة والسيطرة على المراكز الصناعية الاستراتيجية ، واتمام التصنيع ، وانشاء قطاعات جديدة .. وذلك كله عن طريق قطاع عام تكون له السيطرة . وقيادة عملية البناء الاقتصادى والاجتماعى مع السيطرة على قطاع البنوك والائتمان والتجارة الخارجية

●●●●●●●●●●●●●

وتنظيم التسويق في الداخل ـ على أن يجري ذلك كله وفق خطط اقتصادية مرحلية تضع في الاعتبار كل الظروف الموضوعية وفي ظل سياسة أجور وتوزيع واستهلاك عادلة .

٦ ـ انه ارتباطا بواقع التركيب الاقتصادي الضعيف لهذه البلدان نتيجة للنهب الاستعماري الامر الذي حال بينها وبين احداث التراكم الراسمالي المطلوب ـ فان هذا التركيب ضعيف التبلور طبقيا لا يجعل بالامكان وجود قوة اجتماعية بمفردها قادرة على ان تنفرد بالامر لمدة طويلة . هذا فضلا عن ان الحرص على تأكيد الاستقلال الوطني سياسيا واقتصاديا يفرض في هذه المرحلة حدا ادنى من المصالح المشتركة التي تمكن القوى الوطنية الثورية من أن تلتقي عليها .

ولان واحدة من بين هذه الطبقات لا يمكنها ـ بغير القهر والتسلط ، أن تنفرد بالامور لمدة طويلة ـ سيكون التحالف حتمية موضوعية لا يتوقف على ارادة فرد أو أفراد أو ترغيب أو وعيد . ولو كان الامر يتوقف عند هذا الحد لما كانت هناك صعوبة ما . ولكن قضية التحالف هذه كانت وما زالت هي حجر الزاوية الذي يضمن نجاح القوى الوطنية في تحقيق المهام الملقاة على عاتقها .لقد كان النقاش ـ ومازال ـ يدور حول اى من هذه القوى يدخل التحالف ، وما هو موقعها فيه ، وما هو شكل هذا التحالف ولمن تكون قيادته ؟ لقد أثبتت تجارب كثير من الانظمة أنه عندما تحاول احدى القوى أن تنفرد بالسلطة فانها ستعجز في نهاية الامر عن اتمام المهام المطلوبة ، ويكون مآلها السقوط في براثن أعداء التطور محليا وعالميا ـ ولو قام التحالف وحاولت احدى القوى أن تخربه من الداخل أو تفرغه من مضمونه فلن يختلف المصير .

ولا أظن أن قيادة التحالف هي القضية المحورية للاشتراكيين في هذه المرحلة ، لان هذه مسالة لا ترتهن برغبات ذاتية أو أحلام الاطراف ونواياهم ، ولا هي مطلب تفرضه مجرد مقولات نظرية ، وانما ترتهن القيادة بوزن كل طرف في التحالف وعلاقات القوى وصحة الخط السياسي الذي يطرحه كل طرف والعمل الجدي من اجله لاكتساب مزيد من تأييد الجماهير . ولكن يبقى دائما حد أدنى لا يجوز النزول عنه لقيام التحالف وصحته ـ فلابد من وجود ووضوح الأهداف المجمع عليها ، وان يقوم التحالف فعلا وواقعا بين قوى وطنية قابلة لهذه الاهداف لتعمل في اطاره ، وفي ذات الوقت يكون لها العمل استقلالا لكسب الجماهير ولكسب تأييدها من أجل ما تراه اكثر صحة لتعميق التحالف والحفاظ عليه . ويبدو الامر هنا كمعادلة صعبة ؟ اذ كيف نقبل بأهداف التحالف ، ونعمل في اطاره ، ويكون لاطرافه حق العمل استقلالا ؟ ألا يولد ذلك صعوبات ومشاكل ؟ طبعا لابد وان تثور بعض المشاكل ولكنها ستكون مشاكل صحة لا ضعف ، يمكن التغلب عليها وايجاد الحلول لها بالاصرار على التحالف والحرص عليه وعلى اهدافه . وفي هذا المجال فالواقع الحي خصب وقادر على العطاء بمختلف الاشكال والصور . وبدون هذا التحالف الحقيقي القائم على تمايز القوى الاجتماعية المختلفة واستقلالها فلن نحصل الا على تحالف من ورق .

وليعذرني القارىء ، على هذه الاطالة في قضايا العالم الثالث ، وعلاقة حركة التحرر الوطني بالقوى الاشتراكية داخل الوطن وخارجه . ولكن لم يكن مفر من ذلك لتبيان أن لقاء عبد الناصر واليسار لم يكن لان عبد الناصر قد تحول نحو اليسار أو أنه حول اليسار تجاهه ـ وانما كان ذلك نتيجة لحقيقة موضوعية قائمة تفرض اللقاء وتحتمه ـ ويمكن أن نعثر على العديد من التجارب المماثلة في معظم بلاد العالم الثالث التي تصر فيها القيادة السياسية على خوض معركة التحرر الوطني وتحقيق الاستقلال السياسي والاقتصادي في الظروف المحلية والعالمية الراهنة .

ومن هنا أعود ، لأؤكد انني اختلف مع الكاتبين في طبيعة المقولة التي ساقها د . فؤاد زكريا وفي استنتاجاتها .

وتبقى كلمة اخيرة ، حقا لقد أيد اليسار عبد الناصر ومع ذلك فلم يكن هذا اللقاء كما سبق القول الا انعكاسا لاختيار مخلص وشريف فرضته الظروف الموضوعية القائمة . ولا اظن انه يمكن لكائن من كان في ذلك الوقت ان يطلب من اليسار ان يعارض الاهداف الوطنية الثورية التي طرحها عبد الناصر من معاداة عنيدة للاستعمار ، واجراء التنمية الاقتصادية والاجتماعية بشكل مستقل عن السوق الراسمالي العالمي ، مع وضع الاشتراكية كاختيار استراتيجي نهائي . ولقد تكون لدينا اعتراضات جدية على الاسلوب الذي تم به هذا التحالف وعلى الشكل العلوى الذي أفرغ فيه ، ولكن ستبقى لهذا اللقاء حقيقته الجوهرية ، كلقاء فرضته ظروف موضوعية محلية وعالمية . ومع ذلك فهل أيد اليسار عبد الناصر بشكل مطلق ؟ أعتقد في حسم أن الجواب بالنفي . ويكفي أن نراجع المنابر الصحفية القليلة التي أتيح لليسار أن يحصل عليها ، أو ما استطاع أن ينشره في صحافتنا اليومية لنتأكد بيقين أن اليسار لم يكف لحظة ـ وما زال ـ يلقي بالضوء على كل جوانب التجربة سلبياتها وايجابياتها .●

الكتائب .. اعرفوهم أولا

جوزيف طانيوس

من الذى يمكن ان يقدم صورة حقيقية عن الكتائب افضل من لبنانى مسيحى ، واضح من كتابته انه متخصص فى دراسة تاريخ حزب الكتائب اللبنانى ..
جوزيف طانيوس : يكتب لنا من بيروت لنصحنا وينصح كل عربى يحاول ان يفهم التصرفات الراهنة لحزب الكتائب بان يعود اولا الى التاريخ ليعرف من هم .. ؟ ولماذا تكونوا؟ وكيف ؟ ومتى .. ؟

من موقعى كلبنانى وكمسيحى لبنانى بالتحديد اود ان اوجه الى قراء الطليعة الغراء رسالتى هذه .. ذلك اننى اعتقد ان الكثيرين يقفون بحدود معلوماتهم عن حزب الكتائب عند احداث الامس القريب ، ومن هنا فاننى اعتقد انه من واجبى ان اقدم للقارىء العربى بعضا من المعلومات عن هذا الحزب تاركا له الحكم على الحزب وقيادته عملا بالقول العربى المأثور « ابحث عن الاصل تعرف الحقيقة » .

لقد تأسست الكتائب اللبنانية فى ٢١ تشرين ثانى عام ١٩٣٦ على يد ادارة خماسية تأسيسية مؤلفة من بيار الجميل — شارل حلو — جورج نقاش — شفيق ناصيف — اميل يارد . واغلب هؤلاء من ابناء البورجوازية المارونية المرتبطة ثقافيا وحضاريا بالغرب وبعضهم من ذوى النزعات العسكرية والتأثر بالتجربتين الايطالية والاسبانية .

وفى ١٩٣٧/٤/٢٩ . توحدت قيادة الكتائب بمبايعة هذه اللجنة الخماسية للشيخ بيار الجميل رئيسا اعلى .

وبيار الجميل ، من اهالى بكفيا ، ولد فى مصر ، وعاد الى بيروت بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى برفقة عائلته . زار المانيا وايطاليا والنمسا واسبانيا قبل الحرب العالمية الثانية حيث اعجب بالمنظمات الفاشستية هناك . ويكفى ان اسم « الكتائب » مستمد من اسم « الفالانج » وهى المنظمات الفاشستية التى كونها فرانكو ايام الحرب الاهلية الاسبانية .

ويؤكد بعض الباحثين المتخصصين فى دراسة تاريخ الكتائب ان الاستعمار الفرنسى هو الذى حرض على تأسيس الكتائب وساعدها وساند حركتها لتصبح اداة له فى لبنان .. بل ان الاستاذ **لورسين** مؤلف احد الابحاث القيمة عن تاريخ الكتائب يؤكد انه قد عثر فى سجلات المفوضية الامريكية فى بيروت على معلومات تفيد تلقى الكتائب مساعدات مالية من المستعمرين الفرنسيين وحصول بعض قادة الكتائب على رواتب شهرية من الحكومة الفرنسية ايام الانتداب .

ولكى نعرف حقيقة النظرة « الكتائبية » لموقع لبنان من الوطن العربى فاننا نعود الى تصريح ادلى به **بيار الجميل** فى اعقاب استقلال لبنان وقد جاء فيه «**اننا نناضل من اجل لبنان مستقل استقلالا حقيقيا عن الدول العربية مثله عن الدول الشرقية والغربية** » . وهكذا فان الجميل يضع العلاقة بين لبنان والعروبة مثل العلاقة بينه وبين الشرق والغرب .

ومع عام ١٩٥٢ وصل الرئيس شمعون الى مقعد الرئاسة ، وتحولت الكتائب من منظمات شبابية الى حزب اسمى نفسه بالحزب الديمقراطى الاجتماعى . لكن اسم « الكتائب » ظل هو الاسم السائد .

وفى هذه الفترة اتخذت الكتائب مواقف معادية تماما لكل خطوة تقدمية فى العالم العربى . وعندما حصلت مصر على اسلحة من الاتحاد السوفيتى وكسر **عبد الناصر** احتكار السلاح ثار **الشيخ الجميل** معلنا بسفور « هذه الاسلحة ليست فقط عديمة الفائدة بل مضرة » . وليذكر القارىء ان هذه الاسلحة التى حققت فى يد الجندى المصرى والجندى السورى انتصار تشرين .

وهاجمت الكتائب الوحدة المصرية — السورية ..

وفى هذه المرحلة الشمعونية تحولت الكتائب الى منظمة عسكرية قمعية تهدف الى حماية نظام شمعون ضد « الوحدة العربية » و « الاستعمار الناصرى ! » .. صدقونى أيها الاخوة هذه هى الفاظهم وشعاراتهم .

وعندما وقعت الحرب الاهلية فى لبنان عام ١٩٥٨ ، كان **الجميل** اول من رحب بل ودبر لاستدعاء القوات الامريكية ، ولعل **الجميل** هو السياسى اللبنانى الوحيد الذى تجاسر على الترحيب وعلنا بنزول القوات الامريكية الى لبنان قائلا «لقد استعملت السلطة الشرعية حقها البديهى بالدفاع عن النفس ، واستنجدت **بالقوات الامريكية الصديقة** بمقتضى المادة — ٥١ — من شرعة الامم المتحدة .

واذا واصلنا سرد المواقف التى نطرحها على الراى العام ليدلى بحكمه العادل فاننا نذكر الجميع بتأييد الكتائب للانفصال السورى ولمهاجمة الكتائب « التدخل المصرى فى شؤون اليمن » .

وعندما وقعت النكسة كانت الكتائب على استعداد لاستغلالها وحاولت ان تقدم البديل. وهو بالطبع الاستعمار الغربى . وفى هذا يقول **الجميل** وبصراحة « المعركة الاساسية هى حول اكتساب ضمير الغرب ، لقد عرف الشعب الاسرائيلى كيف يطرح قضيته على سائر الشعوب ، فكسب عطفها ، اما العرب فقد تركوا الشيوعية تستغل خلافاتهم مع الغرب وتجرضهم عليه وعلى امه المتقدمة » .

ومع النكسة برز دور المقاومة الفلسطينية كانبعاثه قومية تريد ان تتخطى آثار الهزيمة وان تلهم الامة العربية طريقا جديدا للنضال ، فى هذا الوقت حاول **الجميل** ان يلجم المقاومة ويفرض عليها طابعا تآمريا مناديا « بعمل فدائى سرى ، عمل فدائى غير مسيس » فلما تلاحمت المقاومة مع النضال العربى العام، وبدت خطرا على الوجود الاستعمارى فى المنطقة ككل بدأت الكتائب تعترض على المقاومة اصلا ، ولم يخجل **الجميل** من ان يصرح ذات يوم : « نحن لا نفهم كيف نوفق بين سيادة لبنان واستيلاء الفدائيين عنوة على جزء من اراضينا » . ووصل الامر ايضا الى ان تصرح مصادر كتائبية لمجلة الحوادث [العدد ٩٦٣] « ان الرئيس شمعون والشيخ بيار الجميل قاما خلال الاشهر الستة الاخيرة بزيارة رئيس الجمهورية احدى وعشرين مرة ، وقدما اليه مذكرتين شرحا فيها بكل صراحة موقفهما من قضية الدولتين والسلطتين على الارض اللبنانية الواحدة» .

والان نأتى الى الاحداث الاخيرة ولست اريد ان اتعب القارىء معى فى استنتاجات او افتراضات حول مسئولية الكتائب من افتعال هذه الاحداث وحول اهدافها الحقيقية من هذا الافتعال . لكننى سأكتفى بتصريح ادلى به رئيس وزراء اسرائيل حينما سئل يوم ١٩٧٥/٤/١٢ فى الكنيست لماذا لم تردوا على عملية سافوى ؟ فأجاب بالحرف الواحد « اذا رددنا على الفدائيين الفلسطينيين فسوف نخلق ردة فعل فى لبنان، ولكننا سنترك المهمة لعناصر لبنانية من داخل لبنان » .

وبعد ذلك اتت احداث لبنان الدامية . . ولسنا بعد ذلك بحاجة الى كبير عناء لكي نفهم من الذى افتعل الاحداث ، ولماذا افتعلها ؟ . .

واذا كانت هذه هى سياستهم . . فمن هم ؟ من هم الكتائبيون ؟

اذا اردتم « عينة » مجرد « عينة » من قادة الكتائب ، وارتباطاتهم . . . فاليكم بعض النماذج من اعضاء المكتب السياسى :

جوزيف شادر محام لعدة شركات اجنبية منها شركة كوبان تريدينغ اينستالت وهى شركة امريكية .

جورج سعاده رئيس مصلحة التعليم الخاص فى وزارة التربية سابقا وقد ادلى آنذاك بتصريح قال فيه « ان من عيوب المدارس الرسمية انه يكثر فيها ابناء الفقراء » .

انطوان حراز رئيس مجلس ادارة شركة الخطوط البحرية للشرق الاوسط ، عضو مجلس ادارة « جاك منهاس » للتوكيلات التجارية — وكيل لشركات امريكية عديدة — عضو مجلس ادارة كازينو لبنان .

الشيخ يوسف الضاهر القنصل الفخرى لفرنسا فى طرابلس . مسئول الحزب فى لبنان الشمالى مدير فرع طرابلس لشركة «سوسيته سنترال دونبك » الصهيونية الرأسمالية .

سمير اسحق عضو مجلس ادارة « املفكو » الامريكية للشحن والتوزيع وهى تعمل فى حقل النقل البحرى والتجارة والسياحة ووكالات السفر .

الياس ربابى سفير سابق للبنان فى المانيا الغربية والارجنتين ، طرد من السلك الدبلوماسى اثناء تطهير عام ١٩٦٥ وذلك بسبب انه ادين ببيع الشيفره الدبلوماسية لاحدى مخابرات الدول الغربية . .

والامثلة عديدة . والان اما وقد عرفنا تاريخ الكتائب وعرفنا من هم قادتها فهل هناك مجال لاى استغراب أو دهشة مما يرتكبون من جرائم .

فقد اردت برسالتى هذه ان اعطى للعرب صورة عن الكتائب . . صورة حقيقية ليست للدعاية ولا للتشهير وانما لمجرد الفهم .

الاشـــــارة الى « الشـــــمال »
والمـــرور على « اليمـــين »

سـهام هاشـم

هذا هو العنوان الاول لتلميذه سهام هاشم المحررة بوكالة انباء الشرق الاوسط « الاشارة الى « الشمال » والمرور على « اليمين

وتختار الكاتبة مجالات اربع : الاعلام ــ الثقافة والفنون ــ بعض التشريعات ــ بعض الاتجاهات المهيمنة على الاجهزة المسئولة .. لتوضيح كيف ان الاشارة التى تتجه نحـــو « الاشتراكية » ينعكس عنها تحول نحـــو « اليمين » ..

مختلفان نحن يا صاحبى ‥ أنت ترى انه يمكن ان يضع المجتمع هدفا نصب عينيه وأن يعلنه على الملا ، ولكن ليس من الضرورى بعد ذلك أن تأتى كل خطوة يخطوها هذا المجتمع ، أو كل شوط يقطعه ، متسقا تماما مع هذا الهدف وخادما اياه ٠ ولكنى ارى ان احكام المنطق ــ التى ينبغى ان يتوخاها كل مجتمع فى خطاه ــ تحتم أن تأتى كل خطـــوة يخطوها المجتمع متمشية تماما مع الهدف الذى وضعه وأعلنه ٠ ولا يكفى ان تتوقف الاجهزة المسئولة بعد كل شوط ، مهما كان هذا الشوط ــ لكى تعلن وتطمئن الناس ، الا يجزعوا بشأن هدفهم ،

لان أى اجراء ــ مهما كان لن ينتقص من هذا الهدف أو يشوب الطريق اليه ٠ !! بل اننى اذهب الى ابعد من هذا فازعم ــ وقد أكون مخطئة ــ بانه يجب على المجتمع بعد أن يكون قد انتهى من تحديد هدفه ــ بعد دراسة لتاريخه وظروفه ومتطلبات مستقبله ــ أن يزن ويراجع كل اجراء يتخذه حتى يتأكد من أن هذه الاجراءات ، واحدا واحدا ، لا تتناقض بأى مقياس من المقاييس مع الهدف الذى يسعى جاهدا الى تحقيقه ٠

ولكى اكون واضحة تماما ، لنأخذ من واقعنا الراهن مثالا لكى نوضح ما نقول :

تنص جميع مواثيقنا الرسمية ، وأبـرزها **الدستور والميثاق الوطنى ، على أن مصر دولة اشتراكية** ٠ ولست هنا بحاجة الى تقديم المنطلقات الاساسية التى ادت الى تحديد الاشتراكية كهدف حتمى لا رجعة فيه ٠ ولكنى أرى ــ تذكرة لمن ينسى أو يتناسى ــ ان أوجز هذه المنطلقات فيما يلى :

١ ــ « ان الحل الاشتراكى لمشكلة التخلف الاقتصادى والاجتماعى فى مصر لم يكن افتراضا قائما على الانتقاء الاختيارى وانما كان الحل الاشتراكى حتمية تاريخية فرضها الواقع وفرضتها الامال العريضة للجماهير ، كما فرضتها الطبيعة المتغيرة للعالم فى النصف الثانى من القـــرن العشرين » ٠

٢ ــ أن مصر لم تحقق ، عبر قرون طويلة كانت تنتهج خلالها نهجا شبه رأسمالى ، ما كان مأمولا لها من تقدم ، على الصعيدين الاقتصـــادى والاجتماعى ٠ ولابد من الاشارة ، هنا ، الى أن أى تقدم احرزته الدول الرأسمالية كان من خلال النهب وعائد الاستثمارات التى حصلت عليها هذه الدول من مستعمراتها ٠

٣ ــ ان مصر ، كبلد اسلامى ، ينبغى الا يكون فيها طبقات ، أو على الاقل أن تكون الفوارق بين الطبقات فيها طفيفة الى اقصى حد ٠ واذا رجعنا الى جوهر الاسلام ، بدون تلفيقات أو تخريجات ، هو منها برىء ، نجد أن الاسلام يهتم بالمساواة بين البشر ، بل أنه « يرسى الدعائم التى تكفل قيام مجتمع المساواة الحقة » . كما ان « الاسلام قد وضع من المناهج الاقتصادية ما يكفل عدم تكديس المال بأساليب كثيرة » ٠ كما أنه « عدل ما كان مألوفا فى المجتمعات العربية قبل الاسلام » [١] ٠

ولعلى اضيف الى هذه المنطلقات التى جعلت

[١] الميثاق الوطنى ــ الباب السادس

مصر تختار الاشتراكية طريقا للتطور، منطلقا جديدا صاغته التجربة ذاتها واثبتت صلاحيته واقصد به أنه منذ بدأنا طريق التطور الاشتراكى أى منذ قوانين يوليو ١٩٦١ فقد حققنا انجازات وايجابيات · لا تخطئها عين ولايستطيع أى مغالط - مهما قيل ومهما يقال - ان يغض من شأنها، سواء على الصعيد الاجتماعى أو السياسى، وذلك رغم الاخطاء التى اقتضتها أحيانا حداثة التجربة أو فرضتها أحيانا أخرى التحديات التى واجهتها هذه التجربة، سواء فى الداخل أو الخارج ·

وربما يمكن القول، أنه لولا النتائج الايجابية لطريق التحول الاشتراكى الذى اخترناه، ماكنا مضينا فيه واكدناه مرارا، وذلك على الرغم من محاولات اعداء الاشتراكية للهجوم على الاشتراكية نفسها، محاولة منهم الانقضاض على المبدأ نفسه، متغافلين بذلك عن أن الاخطاء لم تكن الا فى سوء التطبيق، وفى انحرافاته أحيانا ·

ولعل هذا المنطلق نفسه هو الذى جعل الرئيس أنور السادات فى حديثه خلال الاجتماع الاول للمجلس الاعلى للصحافة يرى أنه من الضرورى أن يؤكد من جديد - وعن اقتناع - أن منطلقاتنا مازالت ثابتة · وأن يضع الاشتراكية على رأس هذه المنطلقات · وهو بهذا يكون قد قال الكلمة النهائية اذا جاز هذا التعبير · أو كأنه - بذلك ايضا - قد قطع الطريق على القوى الرجعية التى تتلمس طريقها الآن لكى تخرج من جحورها مرتدية مسوح الحرية والديمقراطية تارة، ومسوح القاضى العادل تارة أخرى، للحكم على ثورتنا المجيدة وزعيمها ومفجرها عبد الناصر · وكأن الثورة، وصاحبها فى حاجة الى هؤلاء للحكم عليها · وكأن التاريخ قد انتهى دوره وأصبح شيخا أخرق لا يستطيع أن يقيم، ولا أن يزن أحداث ونضال شعب بأسره فى حقبة من أهم حقبه ·

وحتى لا يضيع سياق قضيتنا الاولى، نعود اليه ونتساءل - من جديد - هل نحن نسير فى طريق متسق مع هذا الهدف الذى صغناه وارسينا دعائمه؟ وهل نحن نتخذ من الخطوات والتغييرات مايقرب بيننا وبين بلوغ هذا الهدف؟؟

أعتقد أننى لا أملك أن أجيب على هذا التساؤل، أو أن أحسم هذه القضية دفعة واحدة، وبدون الرجوع الى معطيات الواقع مفصلة ومجزأة · ومن محصلة هذا « الاستقراء » يمكن أن يتوصل القارىء الى اجابة لها جذور مما قدمنا .

وقد اخترت أربعة جوانب من جوانب حياتنا لا استطيع ان ازعم بالطبع انها الجوانب الوحيدة، ولكننى اخترتها دون غيرها لانها - فى رأيى - هى المرآة التى تعكس طريقة تفكرنا، وهى ايضا الجوانب التى قد تخدم او لا تخدم الهدف الذى وضعناه، وهو ان تكون مصر دولة اشتراكية وأعنى بهذه الجوانب :

١ - أجهزة الاعلام ·
٢ - الثقافة والفنون ·
٣ - بعض التشريعات التى نصدرها ·
٤ - بعض الاتجاهات المهيمنة على الاجهزة المسئولة ·

ففيما يتعلق بأجهزة الاعلام، لناخذ التليفزيون فى البداية باعتباره أخطر هذه الاجهزة جميعا · وهنا نتساءل هل البرامج التليفزيونية وما تزخر به من تمثيليات لا يخلو أى منها، من حوادث قتل وسرقة وهتك عرض يمكن أن تخدم المفاهيم الاشتراكية؟ وهل المطلوب من التليفزيون، وهو اخطر وسيلة تعليمية واعلامية لشعب تبلغ نسبة الامية فيه ٧٥ فى المائة أن يركز على جوانب شاذة فى مجتمعنا، وهى جوانب، يكفى أن يتعامل معها ويعالجها رجال البوليس ودور العدالة والمؤسسات النفسية والاجتماعية؟؟ اليس الاجدر بهذا الجهاز، أن يعنى فى الدرجة الاولى بغرس القيم الاشتراكية، وعرض الفن المتسامى، والبرامج المقنعة والبناءة للاطفال والنشء؟ لقد واظبت على رؤية البرامج التليفزيونية فى احدى الدول الاشتراكية طوال عامين لم أشاهد خلالها تمثيلية واحدة أو برنامجا يضم مشهدا عنيفا أو جنسيا صارخا، وهى دولة يرميها البعض بأنها ملحدة ومنحلة · ولا اقصد بالطبع أن يقدم التليفزيون برامج تصور المجتمع وكأنه « مدينة افلاطون الفاضلة »، ولكن يجب - على الاقل - الا تكون النغمة الغالبة هى الجرائم والابتزاز والسقوط فى ظواهر يجب أن تنبذ لا أن تلمع وتسلط الاضواء عليها ·

واذا انتقلنا الى الاذاعة التى تلى فى أهميتها التليفزيون فاننا، والحمد لله، لن نجدها افضل من أختها · اذ هى تنافسه فى مثل هذه البرامج · فكما نجد الدرامة فى التليفزيون نجد « سنة أولى حب » فى الاذاعة وذلك لكى لا يحتاج المواطن الى أى عناء فى البحث عما يثير فى نفسه أسوأ النوازع، ويثير أدنى ما فيه من ميول ·

---

(٢) مقال فاروق منصور « لا طبقات فى الاسلام » الطليعة عدد يونيو سنة ١٩٧٥)

أما اذا عدنا للصحافة ، وما تطالعنا به كل صباح ، فما أن نقرأ **فكرة** أو **دخان فى الهواء** أو حديث **القلب** أو **صواريخ** حتى نلعن « خاش » الاشتراكية التى ظلمت مارى صيدناوى ونكلت بالمناضلين من « باشوات زمسان » وسلبت « الاصحاب الحقيقيين » للثروة فى البلاد ما يملكون ، أو نلعن « تهريج الماضى »كما حلا لاحد جهابذة اليمين ان يسمى سنوات ثورتنا المجيدة وذلك فى عموده الاسود دخان فى الهواء . وليته يعلم ، أنه بالفعل مجرد « دخان فى الهواء » ، لا يقدم ولا يؤخر ، مهما حاول اضفاء سمات العقل والاتزان على ما يكتب ، ومهما حاول استدراج القارىء حتى يتجرع ما يقدم له من سموم .. فصاحب « الدخان فى الهواء » لم يجد من الكلمات ما يصلح للتحية والاحتفال باعادة افتتاح قناة السويس الا أن يلعن **عبد الناصر** وثورته فهما السببفىأغلاق القناة .. !! وهو اذ يودع «تهريج الماضى» الى غير رجعة يحيى قرار اعادة الافتتاح متعاميا بذلك عن الواقع الجديد الذى فرض فتح القناة وعن الابعاد الحقيقية التى أدت الى اغلاق قناة السويس منذ ثمانية أعوام . وناهيك بالطبع عن كتابات ، أو فتوحات « **أبو الفتح** » « العصامى العائد » .

وفيما يتعلق بالثقافة والفنون ، واقصد بالتحديد ما يصدر من كتب ، وما يعرض من افلام وما يمثل من مسرحيات ، وما يؤلف من موسيقى ، وأوبريت ، فاننا نجد ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ كتبا «تعمق بحق » المفاهيم الاشتراكية !! مثل « **سنوات الهوان** » وقصة «لا» الخالدة » وأفلام الجنس والجريمة ، هذا الى جانب المسرحية العملاقة « **يحيا الوفد** » التى أثارت من الضجة ما لم تثره اية « رائعة »من روائعنا المسرحية التى مثلت على مسارحنا « ابن الماضى اللعين » . ولا ارتضى لنفسى أن أوصف بالتجنى وأقول ان هذا هو كل ما يملأ الاسواق ولكنى أتساءل : لا يمكن ان يعرقل هذا المسيرة ؟؟ .

فاذا جئنا الى بعض التشريعات والقرارات التى تصدر ، فاننا نجدها متمشية تماما مع من ننافس تحقيق الاشتراكية على ارض الكنانة . ولنخذ مثالا على ذلك عرض بعض محال القطاع العام للبيع ، وقانون استثمار المال العربى والاجنبى ، ومشروع القانون الخاص بانشاء ما اسموه بالجامعة « الاهلية » ، واطلاق حرية الاستيراد والتصدير للقطاع الخاص ، وأخيرا وليس آخرا القرار الخاص بترك الحرية للوحدات الانتاجية ، لكى تحدد احتياجاتها من العمالة ، وتحديد الاجور والمرتبات والحوافز ، وعدم اجبارها على قبول عمالة جديدة ، ومنحها حرية التخلص من العمالة الزائدة وذلك « دون ما خوف على اشتراكيتنا أو جزء على اقتصادنا الموجه أو انقاص من مكاسب العاملين » .

وأخيرا نأتى الى بعض الاتجاهات المهيمنة على بعض الاجهزة المسئولة فى بلد أعلنت انها تسعى الى تحقيق الاشتراكية ، وسوف اقدم هنا نموذجا لهذه الاتجاهات وأعنى به سياسة السيد **وزير الاسكان** ، وهو المفروض فيه انه يضطلع بمهمة ايجاد مسكن لائق لكل كادح شريف فى هذا البلد فقد « سعدت » .. وشاهدت ثلاث تحقيقات تليفزيونية اجريت مع **السيد الوزير**، كانت احاديثه خلالها « خير دليل على التزامه بمواثيقنا وبالمبادىء الاشتراكية ! » فقد قال سيادته بالحرف الواحد فى احد هذه التحقيقات : « **ان الدولة لا يمكن بأى حال من الاحوال أن تحل مشكلة الاسكان وان الحل فى يد القطاع الخاص** » . وكأن دولة مصر ـ دون أية دولة اشتراكية اخرى ـ لا تصلح ـ هكذا بطبعها ـ لحل مشكلة الاسكان . وبالمناسبة فاذا صح ما يقال من أن شركة « **المقاولون العرب** » قطاع عام ، فما بال رئيسها أو صاحبها السابق ، يدافع باستماتة ، وفى كل مناسبة عن الدور الفعال للقطاع الخاص ؟ هل هذا يا ترى مجرد حنين لماضيه ؟!

ثم هناك التصريحات المستمرة للاستاذ **محمود أبو وافية** عن « جور » القطاع العام فى كثير من المجالات على القطار الخاص ، بل هو يطالب باستبعاد القطاع العام من كثير من هذه المجالات لتسليمها الى الرأسماليين .

فهل هذه التصريحات والاحاديث ، ويا ليتها تقف عند مجرد كونها كذلك ، تتمشى تماما مع هدف الاشتراكية الذى أرسيناه وارتضيناه ؟

اننى أترك للقارىء الاجابة على هذا السؤال كما أطلب منه هو ـ حسما لقضيتنا الاولى ـ هل يا ترى تتسق خطواتنا مع هدفنا الاعظم ؟ ؟ .

ولكنى اقول اننا لا زلنا فى الطريق ، وقد نتعثر أحيانا قبل بلوغ الهدف . ولكن أليس علينا وبالدرجة الاولى أن نستوحى احكام المنطق ، ولننسق خطواتنا مع الهدف ، والا اصبحنا كمن وضع عصابة على عينيه وانطلق يتخبط فى ظلام .

وفى الختام ، أستميح القارىء عذرا اذا وجد بعض الحدة ، فى بعض العبارات ، فلست ادعى اننى يمكن أن أكون « محايدة » أو « موضوعية » **حينما يكون الكلام عن الاشتراكية ، فهى الملجأ والملاذ بل هى الحياة الكريمة بمعناها الحقيقى لكل انسان يحيا على هذه الارض .**

اليسار المصرى يحاور توفيق الحكيم

مناقشات الجلسة السابعة

عبر المناقشات التى دارت فى هذه الجلسة ، والتى تناولت ايضا تقييم ثورة يوليو ، على ضوء منهج جدلى ، يضع كل شىء ويزنه ، بميزان ما يدفع الى تقدم المجتمع ، وما يعرقل مسيرته ، طرح توفيق الحكيم هذا السؤال : اين نضع المجتمع المصرى بين غيره من المجتمعات ؟ لقد عبر عن « انطباعه » بان مصر لها ظروف خاصة فى تطورها : فلم يقم فيها مجتمع رأسمالى كالمجتمعات الرأسمالية فى الغرب ، ولكنها ايضا ـ كما قال ـ ليست مجرد دولة نامية ومتخلفة .

ولاحظ توفيق الحكيم ، انه لو أن المجتمع الرأسمالى كان قد استكمل مقوماته فى مصر لامكن القول بانقصة الاشتراكية مطروحة الان . ولكن بدا له ان الامر ليس كذلك . ومن ثم ركز على ضرورة التحليل العميق للواقع المصرى من أجل التعرف على خصائصه المميزة وصولا الى اكتشاف الطريق المصرى نحو الاشتراكية . هذا مع اجراء مقارنات ـ قدمها هو ـ مع ما حدث فى بلاد اخرى .

وقد اتفق المجتمعون على ضرورة هذه الدراسة المتانية والمتعمقة ، ولكنهم أكدوا انه على الرغم من المجتمع المصرى قد تمت قيادته خلال ١٨ عاما ـ من قبل الثورة على اساس تجريبى ، فان هذا المجتمع يمكن ان يجد طريقه نحو الاشتراكية . وهذا يتطلب ـ من الناحية النظرية ـ معارضة العقلية التجريبية [عقلية التجربة والخطأ] ، كما نتطلب من الناحية السياسيه عدم تغليب منهج الحلول الوسطية ، عند الاستجابة لمطالب الجماهير الشعبية .

وهذا كله يعود بنا لكى نلقى الضوء على تجربة ١٨ عاما ، وماذا حققت وماذا لم تحقق ؟ هنا طرحت اين كانت تكمن السلبيات هل فى النظرية ؟ هل فى التطبيق وحده ؟ ام فيهما معا ؟ وعن المنجزات الاقتصادية والاجتماعية كيف نقيمها . اننا سوف نخطىء اذا قيمناها على أساس الربحية الاقتصادية وحدها . واذن فلابد من البحث عن مقاييس اخرى ولكن اى شىء تكون هذه المقاييس ؟

بحثا عن الطريق المصرى للاشتراكية

■ لطفى الخولى :

أرجو فى البداية ان يسمح لى بكلمة حول سير عمل الندوة . فى الجلسه الماضية،طرح الدكتور مراد وهبة ضروره ان نفتح . ايضا ، ملف المثقفين فى بلادنا ،قبل وخلال،وبعد تجربة يوليو ١٩٥٢ ، وكلنا وافقنا على ذلك . وعندما فرغنا من اجتماعات ندوتنا وتناقشنا فى مجلس تحرير الطليعة ، تبدى لنا انه نظرا لاهمية موضــوع ملف المثقفين ، فلا يجب أن يعالج بشكل فرعى او جانبى خلال مناقشاتنا لملف التجربة الذى طالب بفتحه استاذنا الحكيم .

ولذلك فنحن نقترح أن نمضى فى ندوتنا الحالية وفقا للبرنامج الذى اختطنـاه لانفسـنا عى اساس اوراق العمل التى قدمت فى أول جلسة من جانب الاستاذ الحكيم ومن جانبنا . وهى بالمناسبة تمس دون تفصيل موضوع المثقفين . وبعد الفراغ من ذلك نعقد ندوة خاصة لموضوع ملف المثقفين تعد اعدادا جيدا وتقدم بشأنها ورقة عمل تحدد الاطار العام للقضية والمرحلة التاريخية التى سيتناولها النقاش وبـرنامج وجدول عمل الحوار . واذا وافقتم على هذا الاقتراح فاننـا نرجو من زميلنـا الدكتور مراد وهبة وهو أصلا المبادر بطلب مناقشة ملف المثقفين ان يتقدم لنا مشروع ورقة عمل لهذه الندوة مضافا اليها مقترحاته بأسمـاء من ندعوهم للمساهمه فى النقاش ، على ان يكونوا ممثلين لمختلف الاتجاهـات والتيارات الفكرية والثقافية عامة فى بلادنا ودون استثناء ... ما رايكم ؟

[موافقة عامة]

اذن نتابع حوارنا وفقا لـلاطار الذى ارتضيناه جميعا .من الواضح أن جميع من يشاركون فى هذه الندوة، قد أبدوا وجهات نظرهم حول ما يمكن ان يسمى بمضمون ملف التجربة وقدموا تحليلاتهم بشأنه.وذلك بعد أن عرض كل منهم فى شكل رؤوس مسائل تصوره عن المستقبل المأمول والمحتمل لحركة التطور فى بلادنا ،وكان قد سبق ذلك الوقوف على كل من الارضيتين العامتين اللتين قدمهما فى البداية كل من الاستاذ الحكيم والاستاذ خالد محيى الدين . واعتقد انه آن الاوان فى هذه الجلسة ان نحاول الخروج من هذا كله بصورة محددة لنقاط الاتفاق ونقاط الاختلاف حول ايجابيات وسلبيات التجـربة ، وذلك بهدف الوصــول ــ موضوعيا ــ الى خريطة عامة بكل الاتجاهات والتيارات للتجربة ، وذلك كله من أجل الانطلاق من جديد الى المستقبل ، على نحو اكثر عمقا وتفصيلا وتحديدا ، يمكننا من الوصول الى

مشروع برنامج للعمل فى المستقبل ، نطرحه للنقاش على اوسع دائرة ممكنة من القوى الوطنيه التقدمية ،الديمقراطيةوالاشتراكية فى مجتمعنا . وتكون ندوتنا بذلك قد أثمرت شيئا له قيمته الفكرية والعملية وحققت الهدف من عقدها .

اذا كان هناك اتفاق على هـذا [موافقـة عامة] اذن الحوار مفتوح ، وطبعا مفتوح اولا وكما هى العادة لاستاذنا الحكيم .

■ **توفيق الحكيم :**

نحن متفقون معك على هذا ، وعلى ضرورة البرامج . كما انه من السهل جدا ان نتفق على الايجابيات من حيث هى برامج لاننا كنا مؤيدين للثورة ومتحمسين لها وهذا لا شك فيه وظاهر وهذا كان موقفنـا . بناء على البرامج التى وضعت والمبادىء التى وضعت والا كيف كان التحمس والتأييد .

الايجابيات اذا كان الايجـابيات علـى البرامج ..

■ **لطفى الخولى :**

لا .. لا .. المطلوب البرنامج من خـلال الفكر وتطبيقاته معا ، وعلاقته بالتأثير والتأثر المتبادل مع ظروف الواقع والعصر .

■ **توفيق الحكيم :**

السلبيات هى سلبيات فى التطبيق وليست سلبيات فى المبادىء ، اذ لاشك اننا لايمكن ان نختلف على أن الاصلاح الزراعى كان واجبا ، وان القضاء على تميز طبقات بثراء فاحش وفقر فاحش ، فهذا ايضا ما كان احد يوافق عليه . ومن أجله ، كان لابد من أن تقوم ثورة . كذلك الفوضى السياسية التى كانت موجودة قبـل الثورة ، وكتبنا عنها ، وقلنا ان الغرض منها المزاحمـة على كـراسى الحـكم . وكانت الوزارات تباع وتشترى ، كل هذا كان من الاسباب التى جعلتنا ننظر الى الثورة كمنقذ ، او كعلاج لهذه الاوضاع .

هناك ، ايضا ، مسألة التصنيع ، وكنا نطمع فى ان نرى مصر قد قامت فيها راقية . ولا شك ان هـذا ايضا ، كان البرامج التى جعلتنا نأمل خيرا فى الثوره .

ثم التحرر الوطنى ، وهو كان مطلبنـا القديم ، ثم قناة السويس ايضا من سبعين سنة ، كنا نتطلع الى ان تكون فى ايدينا ، وكل هذا من الايجابيات التى كنا نؤازر الثورة من اجلها .

اذن ممن اين جاء الخلاف ؟ .. الخلاف جاء من تطبيق هذه المبادىء . وهو الامر الذى ادى الى هذه النتائج السيئه التى رأيناها .

من هنا ، فان موقفنا الان هو احد امرين : فاما ان ننظر الى هذه الفتره كلها نظرة علميـة تحليليه تاريخية فلا نقف عند مجرد نـظرة سياسية ، كأن نقول مثلا ان هذه مجرد نظرة سياسية . هذه البرامج كانت طيبة وتمسكت على ذلك ونقف الى جانبها . ولكن اذا كان الغرض من الندوة هو أن تكون ندوة محللة ، ولها نظرة عميقة تفيد المستقبل ، فان دورنا سيكون دورا تحليليا ، بمعنى ان نقول : لماذا فشلت بعض البرامج عند التطبيق : لماذا ادت الى نتائج اقل مما كنا ننتظر منها .

عملية التحليل هذه هى التى تفيد ، لاننا سنكتشف ان هناك عوامل كثيره متداخلة ادت الى هذه النتائج السـيئة سـواء فى برنامج التصنيع ، او فى مجالات العدالة الاجتماعية ، او فى الزراعة ، واقصد بشكل خاص الاصـلاح الزراعى . وكل هذا ما نسميه « بـالتطبيق السيء » . لكن هذه عمليه لها - فى الواقع - وجهان : الوجـه السـياسى ان نتهم ونكتفى بالاتهام ، بانه حصـل سـوء تطبيق ادى الى كوارث ، لكن مهمتنا فى جوهرها هى مهمة علمية ثقافية ، لذلك اطمع فى أن تكون المسألة اعمق من ذلك ، فنسأل : لماذا فشل التطبيق ؟ لقد فشل التطبيق لا لانه كانت هناك نوايا سيئة - على الاقل - فى القيـــــــادة ، أو فى الزعامة ، او فى الناس المسئولين ، او فى الذين سيعرضون امام التاريخ . لانه لا يمكن ان يكون هناك انسان مسئول ، ثم يريد لبرنامجه ان يفشل .

اذن لماذا فشل هذا ؟ ربما لانه لم يستطع ان يقاوم عوامل كثيرة دخلت فى ارادته . أو ربما لان النظام الذى رأى انه يستطيع أن يقوم بالتطبيق كان نظاما عاجزا ، وانه - هو - قد شارك فى عجزه ، وذلك من حيث انه لم يكن يتوقع أن هذا سيرتد الى التطبيق نفسه . هنا نصل الى ماهية السلطة التى كان يستطيع بها أن يطبق ؟ .

اذن السلطة .. ستدخل أيضا هنا فـى تحليلات تؤدى بنا الى وضع اجتماعى ، والى اختيار طريق نظام سياسى معين . فكل هذا سيأخذ منا وقتا فى التحليل . بمعنى اننا لن

نكتفى بأن نقول : أنالايجابيات كذا والسلبيات كذا. هذه اشياء واضحة. الايجابيات واضحة جدا. والدليل تأييدنا لها . والا لقلنا — من اول يوم — ان هذه برامج سيئة ، او اننا لا نريد اصلاحا زراعيا ولا تصنيعا . وعلى العكس ، كنا نريد هذا كله ولبثنا وقتا طويلا نؤيد هذه البرامج ، ونتابع تطبيقها .

وفى الواقع . عند بدأ لنا التطبيق ، كما لو كان يسير — فى الظاهر — بدون اخطاء . لان الاخطاء لا تظهر عند ابتداء التنفيذ . الاخطاء تاتى بعد ذلك بدخول عناصر منفذة لا يمكن الرقابة عليها . ومن المعروف — طبعا — ان التطبيق ليس هو البرامج او المواثيق او الدساتير التى توضع . لكن التطبيق هو الذى يميز بين برنامج واخر . وذلك عندما يسوء او ينجح . لانه لابد ان نسأل : من الذى سيطبق؟ — دخلت بعد ذلك عناصر شاركت فى سوء التطبيق وأدت الى أن الايجابيات انقلبت الى سلبيات، والسلبيات هى ايجابيات انقلبت ضد نفسها وأصبحت سلبيات .

فاذن كل شيء كان ايجابيا ، فى اول الثورة وبعد ذلك انقلب الى سلبى . السلبيه خرجت من الايجابية . طيب — من الذى حول الايجابية الى سلبية ؟ — اذن عناصر معينة يوضع فى يدها تطبيق الايجابيه فقلبتها الى سلبيه ، ومرة اخرى نسأل : كيف حدث هذا ؟

عندما نكون محللين لابد أن تكون فى أيدينا وثائق تدلنا على كيفية حدوث هذا . فاذا غابت الوثائق فسنصل الى هذا الامر بالاستنتاج . والاستنتاج هو أنه لابد ان تكون هناك عناصر أدت الى سوء التطبيق لم نتنبه اليها . لكن كيف لم نتنبه اليها ؟ لعدم وجود رقابة : فلا رقابة شعبية ولا رقابة عقلية من مثقفين يحملون الرأى الحر ليقولوا حدث هذا ، وينبهوا اليه .

اذن مناقشة السلبيات هى مناقشة فى كيف حدث ان الايجابية انقلبت الى سلبية ومن هو المسئول .

■ لطفى الخولى :

أستاذ توفيق .. أرجو أن تسمح لى هنا أن أقاطع بهدف التوضيح .. توضيح موقفنا . عندما نقول اننا نفتح التجربة ، فمعنى هذا اننا نفتح ونشخص ونحلل نظريا وتطبيقيا فى نفس الوقت . نحن لا نفتح او نشخص او نحلل البرنامج النظرى المعلن فقط ، او الشعارات التى كانت مرفوعة وحسب . لا .. نحن نناقش البرنامج والشعارات والخطب والتصريحات الخ .. فى وحدة جدلية مع عمليات وضعها موضع التطبيق والتنفيذ العملى . المنهج الاشتراكى لايقف برؤيته عند المبدأ او الشعار او البرنامج المعلن بل يرى صحته او عدم صحته فى الحياة العملية . نجاحه او اخفاقه فى التطبيق .. وايضا المناخ والوسائل ، بما ذلك المؤسسات والاشخاص ، التى صاحبت واستخدمت فى التنفيذ . وفى النهاية مدى التوافق او عدم التوافق بين البرنامج المعلن ، والتجربة العمليه لهذا البرنامج فى الواقع الحى .

بل اسمح لى ان اقول : اننا نذهب فى هذا الشأن . الى ابعد كثيرا مما ذهبت انت اليه .. كيف ؟ نحن من وجهة نظر اشتراكية ، كان ولايزال لنا ، نقدا على البرنامج والافكار النظريه المطروحة فى التجربة وليس فقط على التطبيق . نقطة الخلاف بيننا وبينك ، هو اننا نرى الاثنين : البرنامج والتطبيق وحدة موضوعية لا تقبل الانفصال . ولهذا لا نستطيع بل انه من غير الصحيح منهاجيا ان نرى الايجابيات فى معزل عن السلبيات أو السلبيات منفصله عن الايجابيات سواء على المستوى الفكرى أو المستوى التطبيقى معا . والا وقعنا فى التجريد والتبسيط المخل .. وبالتالى فعندما نفتح ملف التجربة بالنقد والتقويم فنحن فى الحقيقة ننقد ونقوم ثلاثة امور : الامر الاول : هو مجموعة الافكار النظرية للتجربة أو ما يسمى بالبرنامج أو تطلق عليه أنت الشعارات والمبادىء .. الامر الثانى : وسائل تطبيق هذا البرنامج فى واقع معين ومرحلة تاريخية معينة تحكمها ظروف محددة وعلاقات قوى محلية وعربيه ودوليه محدده .. الامر الثالث : هو الحصيلة النهائية للتطبيق ، أى لزواج البرنامج مع الواقع .. الى اى حد كان صحيا .. وأين كان المرض .. ولماذا ؟ وكيف نعالجه بما يحقق استمرار مسيرة التقدم لشعبنا ومجتمعنا بمفهوم الربع الاخير من القرن العشرين وسيطرة الانسان على مصيره دون استغلال أو استبداد .

بدون هذا ، نحن نعتقد أن نظرتنا تكون قاصرة وغير موضوعية ، بل وغير منصفة . أو كما قلت أنت نفسك نظرة سياسية عابرة .. وطبعا نقصد بها انطباعية سريعة . وبهذا نكون أكثر عمقا وتوغلا فى موضوع التجربة وملفها .. أنت مثلا توافق على المبادىء والبرامج النظرية للتجربة ، وتقول لا نقاش فيها . نحن نقول لا .. هذا يجب أن يخضع

ايضا للحوار والمناقشة .. ان لنا نقدا حول بعض الافكار والاتجاهات الواردة بالبرنامج . أترى الى اي حد نحن اكثر انفتاحا .. ؟

■ **توفيق الحكيم :**

هذا شيء يسرنى جدا أن يكون التحليل شاملا لكل شيء . وايضا وللبرامج الاولى ، لنرى هل كانت هذه البرامج موضوعة وضعا يبشر بالنجاح . ان الاساس نفسه في البرنامج يحتاج الى تحليل والى مناقشة . على كل حال فان رسالتنا - هنا - ومهمتنا ، هى الفحص الدقيق لكل هذه العوامل ، لاننا نعتبر انفسنا وبكل تواضع مساهمين بقدر ولو ضئيل فى وضع الملامح لمستقبل مصر . ومساهمين فى وضع شيء ، ولا اقول فى وضع الاسس ، لان هذه كلمة كبيرة . ولكننا نساهم - على الاقل - فى القاء بعض الضوء لمن يريد فى المستقبل ان يضع وينفتح الطريق حتى تسير مصر نحو تقدمها المطلوب .

فاذن احنا متفقين فى كل هذا ونرجو أن نوفق .

■ **د . لطيفة الزيات :**

لى تعليق صغير على ما جاء فى أقوال الاستاذ توفيق الحكيم ، قد يفهم مما جاء فى كلامه اننا متفقون - مبدئيا - على فشل التطبيق . وهذا غير حقيقى . فهناك إختلاف حول نجاحه من فشله . وهناك اختلاف على مدى هذا الفشل او مدى هذا النجاح . هذا واضح بين كل المشتركين فى الندوة .

ومن هنا ، يبدو لى أن من المهم ان يحدد كل واحد أين الايجابيات - من وجهة نظره - وأين السلبيات ، وكان من المستحسن ان نكون قد قرأنا كل ما فات من جلسات حتى نستطيع ان نصل الى تحديد ادق لظلال الخلافات ، ولما نتفق عليه وما نختلف عليه ، لكن اظن انه - مبدئيا - نستطيع ان نستمر .

■ **د . مراد وهبة :**

اعتبر أن تعليق الاستاذ لطفى على مقدمة استاذنا توفيق الحكيم هو اجابة عن سؤاله لماذا فشل التطبيق . ربما كان الخلاف هو فى ان الاستاذ توفيق الحكيم يركز فى اجابته عن هذا السؤال على التطبيق ، بينما يريد الاستاذ لطفى ان يتجاوز التطبيق الى النظرية فيطرح ايضا السلبيات فى النظرية وليس فقط التطبيق .

وفى تقديرى اذا قبلتم اقتراحى ان نطرح السلبيات والايجابيات فى ضوء العلاقة الجذرية بين البناء التحتى الذى تم فى تغيير الاساس المادى للمجتمع ممثلا فى الاصلاح الزراعى والقطاع العام ونتساءل : ما هو دور البناء الفوقى فى افراز سلبيات فى البناء التحتى . لاننى لاحظت أنه فى حديثنا على الايجابيات والسلبيات ، كان التركيز - دائما - على وقائع مادية وليس على وقائع معنوية . وفى تقديرى أنه لابد من طرح الوقائع المعنوية لنرى ما اذا كان قد تم تغيير فى العادات الذهنية والسلوكية لمواكبة ما تم فى التغيير المادى .

واعتقد ان هذه المسألة يمكن أن تطرح نقط خلاف ونقط اتفاق .

■ **أبو سيف يوسف :**

فى جميع جلساتنا كنا متفقين على أنه هناك ايجابيات وهناك سلبيات . لكنى أخشى - مع ذلك - فى موضوع الايجابيات ان لا نكون متفقين تماما حول ما يسمى « ايجابيا » بالقدر الدقيق ، وعلى سبيل المثال : فى السياسة الخارجية ما هو الايجابى والسلبى ؟ قد نختلف فى هذا . ولهذا السبب أنا أؤيد ما قالته الدكتورة لطيفة الزيات .

■ **لطفى الخولى :**

طيب .. نتقدم .. نناقش ، لانه بدون هذا سنظل ندور فى هذا الاطار . . .

■ **احمد عباس صالح :**

مجرد كلمة على هامش المنهج .. الواقع اننا نعمل عملية عزل وتجريد للوقائع ، بينما ينبغى - فى رصدنا لما يسمى بالايجابيات والسلبيات ، ان نلاحظ اننا نراقب ونحلل حركة . والحركة لها ذبذبات وتحولات ، وتقدم وتخلف . وانها مؤشرات الى فوق ومؤشرات الى تحت الخ ... وان هذه الحركة مستمرة . وايضا انها حركة اجتماعية متصلة بمجموعة العلاقات الاجتماعية التى أفرزتها ثورة ٢٣ يوليو وانعكست عليها ثورة ٢٣ يوليو ، فهى حركة متشابكة متداخلة من الصعب أن نبسطها الى درجة الايجابيات والسلبيات . فمن الافضل

اذن ان تناقش هذه الحركة فى تحولاتها المختلفة فى اثناء هذا النقاش ينكشف الخطأ ...

■ **لطفى الخولى :**

هذا نوقش بالحمد فى الجلسات السابقة .. نعمل عملية تلخيص الآن لننطلق الى النقطة التالية .

■ **احمد عباس صالح :**

حتى فى اطار التلخيص أرجو ايضا أن يكون تلخيصا لهذه الحركة بتداخلها وجدلها حتى لا يكون الامر مسألة أكوام من الايجابيات وأكوام من السلبيات ..

■ **لطفى الخولى :**

اذا سمحتم لى لدى بعض الكلام فى هذا الاطار ، أى فى هذا الموضوع عن الايجابيات والسلبيات من خلال النظرة الكلية للافكار والبرامج ، وللوسائل التى اتبعت ولحصيلة التطبيق كما انتهت اليها التجربة فى عام ١٩٧٠ عند وفاة عبد الناصر . النقطة الاولى أن ثورة يوليو بمعيار الاستقلال السياسى كانت خطوة كبيرة الى الامام ، وذلك بالقياس الى المجتمع الذى ثارت فيه وثارت عليه وهو مجتمع فاروق وكبار الملاك والاحتلال البريطانى . معيار الاستقلال السياسى هو ان تتحرر البلاد من الاحتلال ومن التبعية السياسية لاحدى القوى الاستعمارية القديمة أو الجديدة . الثورة اجلت الاحتلال بعد ٨٢ عاما وبالتالى كانت امتدادا للحركة الوطنية من أجل الاستقلال منذ ثورة عرابى ، قاومت الاحلاف والاستعمار الجديد مثل حلف بغداد ومشروع ايزنهاور الخ .. ساهمت مع الشعوب العربية فى حركة التحرر العربى ، وفى زعزعة قواعد الاستعمار فى المنطقة وفى مساعدة عدد من ثورات الشعوب العربية مثل الجزائر واليمن وسوريا والعراق الخ .. وكذلك فى آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية كانت الثورة إحدى القوى التى ساهمت من خلال مؤتمر باندونج فى اقامة العالم الثالث واطلاق سياسة الحياد الايجابى وعدم الانحياز بحركتهما الجدلية المتطورة الخ .. والتى اوجدت لاول مرة فى تاريخ البلاد الصغيرة وشعوب التحرر الوطنى ، الانفتاح على العالم كله ، وليس فقط على العالم الغربى الراسمالى الاستعمارى . لانه من خلال الاستقلال السياسى امكننا لاول مرة ان ننفتح ايضا على الشرق الاشتراكى . والذى كان بالنسبة لنا عالما مغلقا ومحظورا . كانه الجحيم .

هذا بلا شك كخط فكرى كبرنامج ، لا جدال سليم الى اقصى حد لانه يعبر عن ارادة وآمال الحركة الوطنية ومن ناحية الوسائل التى اتبعت وهى الكفاح الجماهيرى الشعبى مع القوة المسلحة وجميع الطاقات الموجودة فى الامة ، كانت وسائل مشروعة وسليمة . حصيلة التجربة ايضا فى النهاية كانت ايجابية لانه امكن احراز الاستقلال السياسى الكامل للبلاد . وهو مطلب وطنى عام وأساسى كافحت البلاد من أجله ما يقرب من قرن .

ثورة يوليو .. نقطة ثانية .. بمعيار الاستقلال الاقتصادى ايضا قدمت خطوة كبيرة الى الامام بالقياس الى المجتمع التى ثارت فيه وثارت عليه . وهو مجتمع فاروق والاحتكارات الاجنبية ، والتبعية الكاملة للسوق الراسمالى على حساب قيام وتطور الاقتصاد الوطنى . لاول مرة حققت الاستقلال الاقتصادى فى مصر وبدات بتأميم اول احتكار ضخم فى تأريخ الشعوب الصغيرة ، وهو شركة قناة السويس ، فضلا عن حركة التمصير للاقتصاد الذى كان معظمه فى أيدى الاجانب ، واقامت أكبر راسمالية وطنية فى تاريخ المنطقة وفى تاريخ مصر . يعنى من خلال الاستقلال لاقتصاد الثورة قوت الراسمالية المصرية . فى هذه المرحلة ، مرحلة التمصير تتزاوج وجوه ايجابية وسلبية . ايجابية بمعنى أنها حققت الاستقلال الاقتصادى ، وسلبية بمعنى أنها مكنت فى الحقيقة للراسمالية المصرية من ان تنمو وتقوى فى مرحلة معينة على حساب الجماهير المنتجة والكادحة استطاعت ان تتصدى للثورة فى عملية التنمية ، ولا تزال تتصدى حتى الان وتمنع مسيرة التقدم كما يجب أن يكون . وهذا آت من نقص وقصور فى فكر الثورة نفسها عندما حاولت ان تقيم مجتمعا اشتراكيا كما تصورته بطريقة التوفيق بين راس المال والعمل وبين الطبقة الراسمالية والطبقة العاملة ، ولم تكشف خطأها فى هذا الامر الا متأخرا . وايضا عندما عالجته ، عالجته بأساليب بيروقراطية وراسمالية المحتوى ، لا نزال نعانى منها حتى الان . ارجو ان يكون هذا واضحا ...

■ **توفيق الحكيم :**

.. اذا كنت تقول بأن نقلنا الراسمالية من راسمالية مشتركة مع الاجانب أو راسمالية

اجنبية تسيطر على اقتصاد البلد الى رأسمالية مصرية بحتة ، فهذه بداية فى سبيل خطوة صحيحة .

■ لطفى الخولى :

لكن ليست كافية وخطرة .. لماذا ؟ لان الظروف وقتذاك كانت ناضجة موضوعيا لتخطى مرحلة من مراحل النمو الراسمالى التقليدى .

■ توفيق الحكيم :

بل صحيحة ـ لانه لكى تجعل اشتراكية صحيحة تنبت فى بلد ، لابد ان تأتى كرد فعل لراسمالية صحيحة . فاذا كنت انت تقول بأن هناك خطوات ، كانت سليمة فى سبيل الاشتراكية الصحيحة ، فان الحلقة المفقودة ـ وهى الراسمالية الصحيحة المصرية ـ تكون قد وجدت فعلا . فيبقى الخط التاريخى صحيحا فى مساره لانه عندما نريد ان نطبق ما يحدث فى بلادنا على ما حدث فى البلاد الاخرى التى نبتت فيها الاشتراكية كرد فعل للراسمالية ، فهذا هو الوضع الطبيعى ، اى ان تكون الاشتراكية نتيجة رد فعل للراسمالية . والا اذا لم تكن هناك راسمالية اطلاقا فلن يكون هناك شىء اسمه الاشتراكية . معنى ذلك ان الاشتراكية وجدت ، او تستطيع أن توجد من نفسها ، او هى الاصل . ولكن الذى حدث هو انه عندما نقول « اشتراكية » فان معناها انه كانت توجد قبل ذلك راسمالية . فنحن اذا رجعنا الى نشأة الحياة على الارض يمكن القول بأنه كان يوجد نوع من «الشيوعية» لان النظام الراسمالى لم يكن قد وجد بعد .

بعد ذلك تكون النظام الراسمالى ، لكن ما أن نقول ان النظام الراسمالى قد وجد ووجوده هو نتيجة استثمار بعض الافراد ، بسبب قوتهم المادية ، ببعض منافع دون افراد آخرين . هنا اهتزت العدالة . وعندما تهتز العدالة ، بمعنى ان فئة استحوذت على كل الخيرات لنفسها ضد فئة اخرى عجزت عن انها تأخذ حقها ، فعند ذلك انقسم الوجود الانسانى الى راسمالية ادت الى وجود اشتراكية او الى رد فعل اشتراكى .

وعندما تطبق هذا ، فى البلاد التى نشأت فيها الاشتراكية الصحيحة ، تجد ان هذا ما قد حدث سواء كان فى اوروبا الغربية ، او اوروبا الشرقية . ففى ايام القيصر ، كانت الثورة الروسية قوية ومفاجئة لاوروبا الغربية . وان كان ماركس نفسه ، كان سيفاجأ لو رأى ان روسيا التى كانت ـ اذ ذاك ـ متخلفة عن اوروبا الغربية تنشأ فيها الاشتراكية . فى الوقت الذى كان يظن انها لابد ان تنشأ فى انجلترا . وفى الواقع لست ادرى هل هو اخطأ فى تقديره ام انه نظر للمسألة نظرة اوروبى متحضر ، يبنى نظريته على العلم بمعنى انه صاغ نظرية علمية تقول انه عندما تكون هناك صناعة قوية فستنشأ فيها طبقة عمالية .. الخ . لكن الواقع ايضا أن تفسير ظهور الاشتراكية فى روسيا على ضوء الواقع الروسى ، هو تفسير صحيح ، وهو أن هناك كان اقطاع غير آدمى ، مثلا عندما كانت تباع مزرعة فقد كانت تباع بفلاحيها ومواشيها وكان تعليم اى فلاح يعنى اهانة للارستقراطى وكان يضرب بالسياط . لكن هذا الظلم الاجتماعى الشنيع لم يكن يحدث فى اوروبا الغربية . من هنا كان رد الفعل قويا ، فاذن لابد من ثورة ، عندما تكون سطوة الراسمالية شديدة ، او عندما تكون قوة الظلم الاجتماعى شديدة ، فان رد الفعل ايضا يكون شديدا . وهذا يفسر لماذا طبقت النظرية الماركسية فى روسيا القيصرية ولماذا قامت فيها الاشتراكية .

فاذن الوضع الطبيعى عندما نريد أن تكون هناك اشتراكية قوية وصحيحة ، فلابد ان تكون هذه الاشتراكية رد فعل قوى للراسمالية .

ولذلك فنحن هنا ـ فى مصر امام فرضين :

فاذا قلت ان الراسمالية كانت قد وجدت فى مصر ، فقد كان من الطبيعى ان يكون فيها رد فعل اشتراكى .

او أن تقول ان هذه الراسمالية قد جاءت بفعل ثورة ٢٣ يوليو وهذا يعنى تفسيرا جديدا ان نقول ان ثورة يوليو قد اكملت الحلقة ، وانها هى التى اتاحت الفرصة لراسمالية الدولة . فاذا كان هذا هو الذى حدث ، فنحن اذن سائرون فى الطريق الطبيعى للاشتراكية الحقيقية .

■ لطفى الخولى :

قد اوافق على بعض استنتاجاتك لكنى مختلف فى التحليل والمقدمات . كيف ؟ الحقيقة أن الراسمالية المصرية اولا وجدت قبل الثورة بشكل كمبرادورى ملتحمة وتابعة للراسمال الاجنبى ، وخاصة بعد الحرب العالمية الاولى . لكن من الواضح انها نمت وقويت دون جهد انتاجى منها ، بعد عملية التمصير ، اثر حرب السويس وتأميم قناة السويس . لكن القضية ، وقد يبدو الامر غريبا أن يصدر ذلك عن فكر اشتراكى يتهم بأنه مستورد .. اننا لا نرى انه من الممكن أن تمارس الثورة الاشتراكية او بالاصح الطريق

الى الاشتراكية كما هو الوضع فى أوروبا . لماذا ؟ لان الوضع — أولا — فى اوروبا ، الطبقات فيها متبلورة بشكل كاف ومحدد، ولها جذور راسخة . فى حين أنها فى بلادنا ليست على هذا النحو .. ثانيا يجب أن نضيف ان غياب الطبقة العاملة بوزنها الاجتماعى والسياسى وغياب التقاليد الديمقراطية الفعالة والمؤثرة الخ ... ومن هنا ظهر أيضا فى الفكر الاشتراكى بالنسبة لما يسمى ببلاد العالم الثالث الطريق اللارأسمالى ، أى الطريق الذى عليه أن يخفف الى حد ما من آلام الرأسمالية والمرحلة الطويلة التى مرت بها فى أوروبا الثورة الصناعية الخ ... ولكى يستفاد من العالم الثالث ، فانه يمكن أن يتخطى بعض مراحل التطور الرأسمالى فيختصر الوقت ويكثف جهود التنمية .. هنا كان واجب ثورة يوليو أن تتخطى بحزم هذه المرحلة . ويبدو أنها كانت تريد ان تتخطاها . لكنها لم تتخطاها بالنجاح اللازم نتيجة الى ان فكرها فى الحقيقة لم يكن اشتراكيا خالصا وعلميا ، بل تجريبيا . فضلا عن أنها فى تطبيقها للاشتراكية كانت فى الحقيقة وفى كثير من الاحيان تضرب القوى الاشتراكية وتحاصرها . وكانت أيضا تعمل حسابا كبيرا جدا للقوى الرأسمالية النامية الكبيرة والطفيلية أى غير المنتجة ، والتى اعتمدت على الاتجار والربا والمضاربات العقارية والتى رأيناها زادت وقويت ونمت بعد هزيمة عام ١٩٦٧ .

النقطة الثالثة ، أن ثورة يوليو بالمعيار الاجتماعى فى حصيلة التجربة ، وليس فى البرنامج او فى الافكار قدمت أيضا خطوة الى الامام ، وذلك من خلال الاصلاح الزراعى التى ضربت به كبار الملاك لصالح متوسطى وصغار الفلاحين أو ما يسمى الان باغنياء الريف ومتوسطيهم . وأيضا بالتأميم عندما ضربت الرأسمالية الكبيرة ومعظمها كان طفيليا وغير انتاجى ويرفض قضية التنمية الوطنية كما حدث فى الصدام التاريخى عام ١٩٥٩ ، وهى أيضا خطت خطوة تقدمية الى الامام بقضية التنمية والمشروعات الضخمة التى يقوم عليها الصناعة فى مصر مثل السد العالى وصناعات الحديد والصلب وغيرها من الصناعات الثقيلة . ولو رجعنا الى المجتمع السابق بعد ثورة ١٩١٩ لوجدنا هناك مشروعا قوميا هو كهربة خزان أسوان يتردد من سنة الى سنة دون جدوى . وهو مشروع ضئيل جدا لو قورن بالسد العالى ولم يتحقق كهربة خزان أسوان ، فى حين استطاعت الثورة أن تبنى السد العالى فى وجه التحديات الامريكية والبريطانية عموما وأن تنجزه بنجاح . كذلك أقامت لاول مره فى العالم الثالث تقريبا أو على الاقل فى منطقتنا اذا استثنينا الهند رغم حجمها الكبير ، الصناعة الثقيلة فى بلد صغير وهو الحديد والصلب . وبالتالى يمكن ان يقال فى هذا الامر أن حصيلة التجربة ادت الى نقلة ايجابية من مجتمع زراعى الى بدايات المجتمع الصناعى . وفى نفس الوقت من الناحية الاجتماعية أسقطت تحالف كبار الملاك والرأسمالية الكبيرة والقصر وما سميته — أنت يا أستاذ توفيق — بديمقراطيتهم الزائفة ، وكثيرا ما كتبت أنت عن ذلك ، وحللت ذلك فى كتبك . عن أن ديمقراطيتهم كانت فى الحقيقة ذات وجه ديكتاتورى ضد الشعب وأنها ديمقراطية القلة الممتازة التى انفردت بالسلطة وبالنفوذ وبالثروة الخ ... وفى نفس الوقت ثورة يوليو ادخلت الى ساحة العمل والحياة الجماهير الشعبية لكن ادخلتها ككم وليس ككيف ، ومن هنا تأتى سلبية ثورة يوليو . لم تنجح فى أن تقيم على أنقاض الديمقراطية لكبار الملاك والرأسمالية الكبيرة والقصر ، الديمقراطية الوطنية الشعبية للقوى التى ساندت الثورة وايدتها ودعمتها . ومن هنا جاء فشل التنظيمات السياسية وتقييد حرية النقابات وفى هذا الجو ، وأنا اقول هنا رؤوس موضوعات ، ظهر الطابع الفردى للحكم من قمة السلطة حتى المصلحة الصغيره حتى المؤسسة الخ ... ونتج عن ذلك الحد المستمر من مبادرات الجماهير وزاد مع ذلك وزن وتحكم أجهزة القمع وانتهكت حريات التعبير والبحث العلمى وانسانية الانسان فى كثير من الاحيان . ولم يجد ، حتى عندما اكتشفت قمة السلطة هذه الانتهاكات ، التصدى مع القوة الشعبية لاجهزة القمع . لماذا ؟ لان السلطة فى الحقيقة اصبحت هى نفسها أسيرة أجهزة القمع وما تصوره لها من مؤامرات ضدها الخ . وظل الانسان لديها غذاء وكساء ومسكن فحسب ... وتدنت حريته الى المقام الثانى فى معظم الاحيان . وربما كان ذلك رد فعل لسنوات الحرمان المادى الطويلة .

النقطة الرابعة ، أنه بالنسبة لقضية الثقافة والتعليم أيضا يجب أن نقول أن ثوره يوليو كانت خطوة ايجابية بالقياس الى المجتمع الذى ثارت فيه وثارت عليه ، لانه لاول مرة وجدنا هذا الاتساع الضخم فى التعليم العام والتعليم الجامعى ، كما وجدنا أيضا ذيوع الثقافة ذات الاتجاهات التقدمية والعصرية لكنه أيضا تم بأسلوب كمى وليس بأسلوب كيفى . ومن هنا

يمكن القول أن الطابع الكمى الذى اتاح الثقافة للجماهير الواسعة بعد ان كانت للقلة الممتازة والقادرة ، هو طابع تقدمى بلا جدال . الطابع الكيفى فى الحقيقة مستواه قليل ، وكان لا مفر أن ينخفض المستوى مع الاعداد الكبيرة . وهو ما يلاحظ فى كل تجربة مماثلة . ولكن كان يمكن العمل ، كما حدث أيضا فى التجارب الاخرى ، على رفع المستوى . لم يحدث جهد ذو وزن فى هذا المجال .. صحيح .. وهذه سلبية .

النقطة الخامسة ، انه ليس لدى الاشتراكيين اى وهم من اى نوع كان فى أن ثورة يوليو اقامت نظاما اشتراكيا فى مصر . بل أن عبد الناصر نفسه نتيجة تطوره مع حركة الاحداث أدرك هذه الحقيقة واعترف بها واعلنها فى شجاعة فى سنواته الاخيرة ، وهو انه لم يقم فى مصر نظام اشتراكى بعد ، وأن المجتمع يمر بمرحلة انتقال .

لكن يجب ان نعترف أن ثورة يوليو قيدت بلا جدال ، من شرور الرأسمالية خصوصا من الناحية الاقتصادية والاجتماعية . وايضا حدت من شرورها السياسية فى كثير من الاحيان . لكن يجب أن نرى ايضا انه بجانب ذلك فإن الثورة ضربت بدرجات متفاوتة القوى الديمقراطية والاشتراكية وبالذات الاشتراكية عندما كان الاشتراكيون والديمقراطيون ، حتى يؤيدوا الاتجاهات الايجابية فى ثورة يوليو لكنهم لم يتوانوا عن نقد السلبيات .. ودفعوا الثمن .

بعد هذا اعتقد أنه من الممكن على ضوء هذا أن انتقل الى نقطة اخرى وهى أنه أمام خريطة السلبيات والايجابيات على هذا النحو نستطيع أن نضع العين واليد على القاسم المشترك من الاهداف والمصالح الخاصة لجميع القوى الديمقراطية والتقدمية والاشتراكية بمختلف مداربسها فى المجتمع المصرى الآن من أن نصوغ منها برنامجا للعمل المشترك فى المستقبل . لكن لا أريد أن استبعد الامر قبل أن نتبين ما هى نقاط الاتفاق ونقاط الاختلاف فيما درجنا على تسميته بايجابيات وسلبيات حصيلة تجربة ثورة يوليو .

■ **احمد عباس صالح :**

رغم اتفاقى فى نقاط كثيرة مع لطفى الخولى ، الا أننى سأعيد ترتيب الكلام بالطريقة التى أظن أنها توضح — الى حد ما — بعض ما أجمله .

لا جدال فى أن اعضاء الندوة جميعا متفقون على الطابع التجريبى لثورة ٢٣ يوليو . وانهم ينطلقون من نقط محددة عامة جدا وهى النقط الستة المشهورة فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ..

■ **د. لطيفة الزيات :**

ماذا تعنى بـ « هم » ؟ الثورة أم نحن ؟

■ **أحمد عباس صالح :**

حركة الثورة ، ثورة ٢٣ يوليو قيادتها .. فى واقع الامر ان المجتمع المصرى فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ كان مجتمعا ثائرا بدءا من سنة ١٩٤٦ الى قيام الثورة فى ١٩٥٢ . ونحن جميعا نعلم الاحداث التى مرت بها مصر .

وكانت القضية الاساسية تنقسم الى قسمين :

القسم الاول هو التحرر السياسى ، اى التحرر من القوى الاستعمارية ، والقسم الثانى اقامة نظام اجتماعى يحقق العدالة الاجتماعية . ولو استعدنا الصورة مره اخرى قبل ١٩٥٢ لرأينا أن القاعدة العريضة من الجماهير — عموما — كانت تتجه نحو هذين الهدفين ، دون مواربة وبوضوح ، مما اثر على حزب الاغلبية ، حينذاك ، وهو حزب الوفد . ولقد طرحت شعارات جديدة . ونذكر أنه ألغيت معاهدة سنة ١٩٣٦ فى سنة ١٩٥١ ، ونذكر أيضا الاجراءات التى قامت بها حكومة الوفد ومنها على سبيل المثال : التعليم المجانى ، الخطوات التى قطعت فى قوانين العمل بالنسبة للعمال . كان هناك راى عام قوى جدا يتجه نحو تحقيق الاستقلال والثورة الاجتماعية . وتكونت ، فيما أذكر ، جبهة وطنية تضم عناصر كثيرة فى هذه الفترة من ١٩٤٦ الى ١٩٥٣ . ونستطيع ان نعتبر أن قيادة ثورة ٢٣ يوليو كانت من بين هذه الاجنحة التى تأثرت — بصورة او باخرى — بالتيارات الموجودة . وربما كان تشكيل الضباط الاحرار يتضمن — أيضا — نوعا من التمثيل الجبهوى الى حد ما ، انعكس فيها بطبيعة الحال . ونجد أنه كان فى مجلس قيادة الثورة خالد محيى الدين ويوسف صديق مثلا يمثلان الخط الاشتراكى . ونجد أيضا تيارات مختلفة فى هذه القيادة : كمال الدين حسين يمثل الخط الاخوانى الخ ... لا نريد العودة الى التفاصيل .

الذى اريد ان اقوله هو ان هذا التكوين ، عندما إستلم السلطة [هو قد يكون تكوينا جبهويا منعكسا من المجتمع الخارجى] تصادم مع هذا الوضع ، وأنه تفاعل مع هذا الواقع ،

واثر فيه الواقع وهو حاول ايضا ان يؤثر فى هذا الواقع .

الخطوه الاولى كانت خاصة بتضية الاستقلال والتحرر الوطنى . نذكر ان كثيرا من القوى الشعبية والوطنية فى مصر ، ربما لم تكن موافقة تماما على المعاهدة او الاتفاقات التى تمت من ١٩٥٤ الى ١٩٥٦ . وربما كان الاستقلال الحقيقى قد انتزع بالفعل ليس بواسطة المفاوضات ولكن بواسطة فشل العدوان الثلاثى على مصر الذى اعقبه الانسحاب ، انسحاب القوات البريطانية .

النقطة الثانية ، فيما يختص بالاجراءات الاقتصادية التى تمس — كما قلنا — الجانب الاجتماعى وهو الذى كان يتجه الى المجتمع المصرى ، وظهرت اتجاهاته من ١٩٤٦ . فطرح شعار الاصلاح الزراعى ، ربما فى الحدود المتواضعة التى طرحت قبل ١٩٥٢ بواسطة بعض العناصر ذات الاتجاهات اليمينية مثل محمد خطاب . وصار جدل ، هل يكون الحد الاقصى ٥٠٠ او ٢٠٠ الخ ... لكن على اى حال ، اظن خطاب كان مقترحا ٥٠٠ فدانا فقط .

■ **لطفى الخولى :**

نعم .. ولكن على اساس تطبيق المشروع فى المستقبل وحسب دون ان يكون له اثر رجعى على المالكين وقتذاك لاكثر من خمسين فدانا .

■ **احمد عباس صالح :**

وطبق الاصلاح الزراعى . وربما اعتبرت القاعده الشعبية ان تطبيقه خطوة الى الامام ، ولكنه ليس الخطوة التى كانت تحلم بها . على اية حال ظلت قوانين الاصلاح الزراعى تتقدم من الاوسع الى الاضيق فيما يختص بحجم الملكية والحيازة . الا انه لوحظ ان تطبيق الاصلاح وسع قاعدة البورجوازية الصغيرة فى الريف . وحاولت الثوره ان تعالج هذا الوضع بانشاء الجمعيات التعاونية . ولكن هذه الفئات الاجتماعية المتوسطة لم تتحمس من اجل تحويل الجمعيات التعاونية الى ادوات تمهد الطريق لاقامة الزراعة على اسس اشتراكية .

وفيما يختص بالتمصير وبالتأميم ، فكما قال لطفى الخولى ، حاولت ثورة ٢٣ يوليو ان تجرب التنمية الاقتصادية عن طريق الرأسمالية ، باقامة نظام رأسمالى . ونحن نذكر ان التمصير كان نوعا من الاستقلال الاقتصادى لمصر يميزها عن الدول المستعمرة ، بنقل الاقتصاد الى الاقتصاد المصرى . وسنت قوانين فى هذه الفترة التى سمحت لاى مستثمر بالا يدفع ضرائب لمدة ٥ سنوات . كما انشأت البنك الصناعى ليقوم بعملية الائتمان بالنسبة للمستثمرين الى آخر هذه الاجراءات الواسعة جدا والتى لم يكن يحلم بها الرأسماليون المصريون قبل ذلك . ومع ذلك ، فان هذه التجربة لم تنجح .

هنا ، دخلت الدولة لتقوم بعملية التأميم الواسعة ، التى تمت فى عام ١٩٦١ و ١٩٦٢ . وقد حدث هذا ايضا نتيجة لان تعثرات قامت فى التنفيذ ، وربما كان السبب لبعد ثورة ٢٣ يوليو وقيادتها عن المستوى الشعبى العام . يعنى ، اتصور ان نوعا من العلاقة كان قائما بين قيادة ثورة ٢٣ يوليو وبين القاعدة الشعبية ، وذلك على اساس ان القاعدة العريضة الشعبية تحاول دائما ان تجتذب ثوره ٢٣ يوليو الى خطوطها والى اهدافها . وان ثورة ٢٣ يوليو كانت تحاول ان تقاوم هذا — نوعا ما — بحلول وسط ، جائز لاعتبارات سياسية ، وحتى لا تواجه بصدام مباشر ، وواضح مع الكتلة الاستعمارية .

يعنى الله اعلم ايه الاسباب لكن على كل حال كانت هناك باستمرار عملية جدلية .

■ **د. مراد وهبه :**

هل كانت الثورة « تقاوم » ، ام انها كانت « تستجيب » بحلول وسط ؟

■ **احمد عباس صالح :**

او تستجيب تعبير يستجيب افضل ، بمعنى ان الثورة كانت تقابلهم فى منتصف الطريق .

وترتب على هذا ، انه باستمرار ، كانت هناك هوة ، او مسافة بين الاهداف الشعبية بواسطة جهاز ثوره ٢٣ يوليو . كانت دائما هناك هوة ، او مسافة بين الاهداف الشعبية وبين المنفذ او المحقق بواسطة القيادة . فهذه هى — كما اتصور — العملية الجدلية ، وان قوة وطاقة المجتمع المصرى بتركيباته المختلفة هى التى كانت تدفع بالقطع ، ويمكن بالشكل العنيف الى الاجراءات الثورية التى وضعت فى سنة ١٩٦١ او سنة ١٩٦٢ .

العملية اذن عملية صدامية وجدلية . وهذا يفسر ايضا ما قلته من قبل من انه لم يكن هناك تنظير ما . لم تكن هناك فلسفة سياسية لثورة ٢٣ يوليو الا فى حدود المبادىء المعلنة . ولكن نتيجة ان هذا كان يتعثر فى التنفيذ بدأ البحث عن نظرية ، وتم هذا ايضا بمنطق الحلول الوسط

أو الالتقاء فى منتصف الطريق . ونحن نذكر جميعا ــ المعارك التى قامت ، ودون مبرر ، التى ضاع فيها وقت طويل حول النظرية . لو تذكروا ــ فى أواخر الخمسينات ــ بدأت المجلات تكتب مقالات بعناوين كالاتى :

البحث عن نظرية ــ الاشتراكية العربية ــ الخ . . .

الى أن وضح ان هناك ضرورة اجتماعية لوجود برنامج عمل ــ على الاقل ــ أو تنظير لخطة العمل . ولهذا كان ظهور الميثاق الذى اصطدم أيضا بصراع طويل داخل التجمع أو المؤسسة التى أقرته والتى القى فيها عبد الناصر خطابه المعد سلفا والذى هو الميثاق فوافقت عليه . ووضح من التفسيرات التى أعقبته أن هذه المؤسسة ربما كانت تعارض كثيرا من المبادىء التى جاءت فى هذا الميثاق . ولهذا أعطت لها تفسيرات تناقضها وتنقضها نقضا شديدا ، الى ان بدأ ضغط الشعب يزيد . هنا قدمت نظرية اعتقد أنها كانت مقابلة فى منتصف الطريق مع مطالبة الشعب بالنظرية ، وتدمت فى حدود وامكانيات المجتمع المصرى لتقديم تنظير سليم للثورة . وما حدث بالنسبة للنظرية حدث أيضا بالنسبة للحزب . فقد ظهر أن فقدان الحزب أو غيابه بسبب صعوبات أو تعثرا فى طريق الثورة . ومن هنا بدأوا يفكرون فى الحزب بنفس المنهج الوسطى .

اذا عدت لموضوع السلبيات والايجابيات فالواقع أنه لا استطيع ان افصل بين هذه وبين تلك . لانها جميعا ، السلبيات والايجابيات تمثل عملية أو حركة مترابطة أو متضامنة . على أية حال كان هناك صراعا جدليا ــ أن صحت العبارة ــ بين الايجابيات والسلبيات ، ذلك أن قيادة الثورة ــ بعد أن وصلت الى السلطة ولم تجد معارضة من الشعب [على اعتبار انها جاءت كجناح أو شكل من التمثيل الشعبى لما كان قائما] ، ظلت تصطدم ، وتعدل نفسها وتعدل فى السلبيات وتتخطاها فى كل المجالات . مثلا الاصلاح الزراعى لم يات مرة واحدة ، لانه لم يتم على أساس نظرى ، وحتى آخر لحظة كان هناك تفكير بأن الملكية الحد الاقصى لها ٢٥ فدانا . ايضا بالنسبة للصناعة كانت هناك مشاكل : كيف تقوم صناعة مؤممة أو اشتراكية ، أو مفروض أنها اشتراكية ، أو فى طريق الاشتراكية وتقودها بعض العناصر الرأسمالية المعادية للنمط نفسه .

الذى أريد أن أؤكده ان هذا الصراع ما زال مستمرا لان القاعدة الشعبية ــ ككل ــ لها أهداف قديمة وهى : أن تنمى نفسها تنمية اقتصادية على الاساس الاشتراكى ، وتوزع الناتج توزيعا عادلا ، وأن تستقل الارادة الوطنية استقلالا تاما عن الاستعمار . ومن هذه الزاوية نستطيع ــ فقط ــ أن نرصد ما هو ايجابى وما هو سلبى . لذلك لا أزال أختلف تماما مع كل محاولة للقيام بعملية فرز مستقلة فنقول هذه الاجراءات ايجابية وتلك الاجراءات سلبية . انما ينبغى أن نحلل ونرصد الاخطاء فى المسيره لتتكامل بعد ذلك فى اتجاهها السليم ، ملاحظين الطبيعة الشعبية أو المطالب الشعبية التى كانت واضحة حتى قبل سنة ١٩٥٢ .

وعلى كل حال ، وبشكل عام ، فان ميزة ثورة ٢٣ يوليو كانت باستمرار هى قدرتها على هذا التفاعل مع الجماهير حتى ولو تم هذا بطريق الالتقاء فى منتصف الطريق . ولكن كنا نلاحظ فى الخط البيانى لصعود أو لحركة قيادة ثورة ٢٣ يوليو أن هذا الخط يقترب شيئا فشيئا نحو المطالب الشعبية . وهذا هو أكبر خط ايجابى فى ثورة ٢٣ يوليو . هو اقتراب المؤشر نحو الاهداف شيئا فشيئا ، الاهداف الشعبية .

■ د. لطيفة الزيات :

الكلام الذى قاله عباس صالح يمكن أن يدخل فى هذا ــ يمكن أن نتكلم عن غياب النظرية والارتجالية وأثر هذا فى تعثر الخط .

■ د. مراد وهبه :

فى تقديرى انه توجد سلبية الان من خلال الحديث يمكن الاتفاق عليها . وهى تحتاج الى تحليل قبل طرح برنامج العمل الذى يرغب فى ترحيله لطفى الخولى . هذه السلبية ــ حسب ما أذكر ــ فى الندوة السابقة ، وحسب ما قيل الان ، هى أن الراسمالية فى ــ اطار التطور الاجتماعى لثورة ٢٣ يوليو ــ قد تحولت الى رأسمالية طفيلية . وانه قد سد الطريق أمامها لتكون رأسمالية منتجة . وقد أفرزت هذه الرأسمالية الوطنية قيما على وجه التحديد هى قيم التحلل ، وانا لا أقصد فقط قيم التحلل فى الجنس ولكن قيم التحلل فى الفكر . واذا رغبنا وكنا جادين فعلا فى طرح برنامج ، ففى تقديرى ان هذه العلاقات الجدلية بين الراسمالية الطفيلية وقيم التحلل هى فى حاجة الى تحديد لكى نكتشف الطرق والوسائل المطلوب طرحها فى البرنامج حتى نزيل هذه السلبية .

■ احمد عباس صالح :

هذا صحيح .

■ أبو سيف يوسف :

أختلف مع الزميل الدكتور مراد فى وضع القضية على هذه الصورة ، لانه عندما نتكلم عن الطبقة الرأسمالية فى مصر فهى تشمل شرائح وأجنحة مختلفة . وحتى لو تحدثنا عن شريحة منها هى الرأسمالية الوطنية فسوف نجد فعلا انه يدخل فيها الرأسمالية الصناعية والرأسمالة الريفية و.. الخ . وكل شريحة فى داخل الرأسمالية الوطنية كان لها - ولا يزال - موقف محدد من ثورة يوليو وأن هذا الموقف كان يتكيف مع مسيرة الثورة وحركتها . ونعتقد مثلا أن الرأسمالية الوطنية الصناعية كانت - عموما - أكثر تجاوبا مع اجراءات الثورة من الرأسمالية الوطنية الريفية .

أما فيما يتعلق بالرأسمالية الطفيلية ، فان القضيةهنا هيأنه لم تحدثعمليةتحولمنطبقة الى طبقة أخرى . وغير وارد - كقاعدة - أن تتحول الرأسمالية الوطنية المرتبطة بالانتاج الى رأسمالية طفيلية . قد يحدث هذا لفرد أو لافراد ولكن تظل الرأسمالية الوطنية المرتبطة بالانتاج شريحة مختلفة فى الوظيفة الاقتصادية والموقف السياسى والاجتماعى عن الفئات الطفيلية من الرأسمالية . ويمكن أن نضيف أن هناك تناقضا بين مصالح الرأسمالية الوطنية المنتجة وبين نشاط الفئات الطفيلية .

لكن هذه الفئات الطفيلية من الرأسمالية قد تولدت ولاتزال تتولد من خلال اعمال معينة لا تتصل بالانتاج : أعمال السمسرة والمضاربة ومقاولات الباطن والتهريب .. الخ .

■ احمد عباس صالح :

هناك فئات جديدة من الرأسمالية الوطنية تتجه الى انماط من الاستغلال الرأسمالى ذات طابع طفيلى وذلك عندما تجد أن سوق الاستثمار الانتاجى أمامها مقفولا .

■ أبو سيف يوسف :

.. لكن لم يحدث أن قفل هذا السوق أمام الرأسمالية الوطنية .

■ احمد عباس صالح :

اعتقد أن هذا حدث ...

■ أبو سيف يوسف :

كيف حدث هذا ؟

■ لطفى الخولى :

اعتقد انه لم يقفل بدليل أن هناك احصاءات تقول ان هناك عددا كبيرا - لا اذكره الان - من المؤسسات الصناعية والورش التى يملكها القطاع الخاص والتى يصل فيها عدد العمال الى ١٠٠ عامل واكثر .

■ احمد عباس صالح :

لكن الاحصاءات تقول أن القطاع العام يسيطر على اكثر من ٨٠ فى المائة من الصناعة .

■ محمد سيد احمد :

صحيح لكن . هنا لابد من التمييز بين امرين : الاول هو الرقم النسبى الخاص بالـ ٨٠ فى المائة والرقم المطلق الخاص بالعاملين فى مؤسسات القطاع الخاص . يعنى ليس هناك تعارض بين أن نقول أن القطاع العام يسيطر على ٨٠ فى المائة من حجم الانتاج الصناعى وأن عدد العمال فى القطاع الخاص كبير جدا .

■ احمد عباس صالح :

على العموم كان المظنون أن نسبة الورش والمصانع الصغيرة كانت نسبة ضئيلة بالنسبة الى حجم الاقتصاد كله . لكن من المؤكد مع ذلك ان قطاعا ضخما مثل قطاع المقاولات ظل فترة طويلة بعيدا عن التأميمات ، وأنه ظلت هناك ثروات كثيرة تتكدس من عمليات السمسرة والوساطة والتجارة . فاذن تكونت فى غيبة العملية الانتاجية وخارج العملية الانتاجية طبقة تملك ثروات كبيرة هى التى أشار اليها د . مراد وهبه وحملها مسئولية التحلل فى سلم القيم .

■ أبو سيف يوسف :

لا اضيف كثيرا الى هذه النقطة ، ولكن كما قال الاخ احمد عباس أنه تكونت فئة اجتماعية خارج العملية الانتاجية .

■ **لطفى الخولى :**

وعلى حسابها .●

■ **أبو سيف يوسف :**

نعم .. وعلى حسابها . اتفقنا انها خارج العملية الانتاجية فهى اذن طفيلية ولا تدخل فى عداد الطبقة الرأسمالية الوطنية بالمعنى المفهوم وهى الطبقة المنتجة والتى يحتاج اليها الاقتصاد الوطنى حاليا .

■ **توفيق الحكيم :**

اذا اردنا ان نتقدم خطوة ، فلازلت أقول أن مهمتنا ورسالتنابجانب النقد ان نستخرج من التجربة الاسس التى نستطيع أن نتقدم بهسا للمساهمة فى بناء الغد ، ولذلك عندما ننظر الى مشروع من المشروعات التى تمت فى السنوات الماضية ، فان مهمتنا ليست فقط ان ننقدها ، لكن نبنى على مانستطيع ان نبنى فوقه . وسأعطى امثلة لما اريد ان أحدده .. مثلا التصنيع : اذا اردنا ان نحكم على نجاح التصنيع او فشله فى المرحلة السابقة ، فبدون شك سنجد كثيرا من الفشل فى كثير من الصناعات .. اقتصاديا

ولكن ، ونحن فى صدد البناء ، نريد أن نستخرج من التصنيع لا مجرد الفشل ولكن العناصر التى نستطيع أن نستفيد منها فى المستقبل .. [وكذلك فى قضية التعليم الكمى] فلا يصح أن نقيس المسألة بمجرد الفشل الاقتصادى ، بل بمقاييس أخرى : مثلا : عندما ذهبت الى مصانع الحديد والصلب وسألت من الناحية الاقتصادية عن فائدة الانتاج اقتصاديا فاتضح لى أنه من الناحية الاقتصادية البحتة لا توجد مصلحة كبيرة لانه عندما نستورد الحديد من الخارج فنحن نستورده بسعر أرخص مما ننتجه . اذن ما هى الفائدة ؟ الواقع اذا قسنا المسائل بمقياس واحد وهو النجاح الاقتصادى أو عدمه سنجد أننا سنحكم على ما خطوناه تارة بالفشل وتارة بالنجاح فى حدود مجردة تماما وحينئذ لن يكن حكمنا بناء . ولكن الذى استخرجته من زيارتى للحديد والصلب أنه وجد شىء هو أيضا مكسب فعلى . وهذا المكسب ليس هو ايجاد الصناعة الناجحة ولكن ايجاد الصانع .. العامل ... فوجدت صناعا مصريين نشأوا ونبتوا فى شىء اسمه صناعة الحديد والصلب . فهؤلاء الصناع مكسب لمصر لان مصر قبل ذلك ما كانت تحلم بأن يكون عندها صناع متخصصون فى الحديد والصلب بصرف النظر عن الناحية الانتاجية .. الناحية الانتاجيةاقتصاديا خسرت مادياولكن النجاحهو أنه وجد صناع وجدت صناعة الحديد نفسها ووجد الصناع الذين تستطيع مصر فى المستقبل ان تعتبرهم مكسبا للوطن ،وهم صناع الحديد والصلب وكذلك فى بعض الصناعات الاخرى صناعه طائرات او سيارات من النواحى الاقتصادية ستجد خسارة . ولكن اذا بحثنا من نقطة مكسب تكوين الصانع نفسه سنجد ان هذا مكسب . أيضا خذ مثلا مسألة التعليم الكمى .. التعليم الكمى فعلا تجد فيه قصورا فى ناحية . ولكن ستجد الايجابية التى نستطيع أن نبنى عليها . وهى انك تستطيع أن تصدر — مثلا — عشرة آلاف مدرس هؤلاء الـ ١٠٫٠٠٠ أو الـ ٢٠٫٠٠٠ مدرس هم مكسب حقيقى . فأين تكمن نقطة القصور اذن ؟

فيما يختص بالصناعة ، فان فشل الصناعة المالى قد نستخرجمنه رصيدالمصرقبلان يكون رصيدا لثورة ٢٣يوليو.وليس المهم فى النقد والتقييم تسجيل مواقف سياسية . لانه اذا فعلنا ذلك اخطأنا فى حق مصر التى هى الهدف الاساسى للتقدم .

واذن فهل يمكن أن نسأل :

هل من التجربة الفاشلة نستطيع ان نستفيد شيئا للمستقبل يفيد فى الرصيد أو لا يفيد .●

■ **لطفى الخولى :**

هذه مرحلة لا مفر منها للوصول الى الكيف .

■ **توفيق الحكيم :**

اذن ما الذى ينقصنا الان حتى نصحح الناحية الاخرى التى اشرنا اليها .. هل هذه الصناعة فشلت اقتصاديا لان هذا الصانع الذى كسبناه تعرض لادارة سيئة ، أو مثلا مزاحمة الاسواق الخارجية ، أو انه الاتقان ....●

■ **لطفى الخولى :**

يا أستاذ توفيق لم يحدث أنه أقيمت صناعة ثقيلة فى اى بلد من بلاد العالم وبدأت رابحة . فضلا عن ذلك يجب أن نأخذ فى الاعتبار مدى التخلف الصناعى الذى كنا عليه .●

■ **توفيق الحكيم :**

هذا صحيح . اذن ، نحن نتطلع - فى المستقبل - الى سد النقص . ولكن الصناعة كانتان تزاحم بها فى الاسواق ، فهذا يأتى مع الوقت . كذلك الامر فىالتدريس . فعلى النطاق الواسع الذى كسبناه هو انك تعلم الملايين .. الملايين تتعلم . ولكن مستوى تعليمهم ايه ؟

مستوى تعليمهم سىء لانهم وصلوا الى مرحلة الكم . اذن تصحيح هذا لبناء مصر يتطلب أن تنظر الى الكيف ، وهو انك تعالج مسألة التعليم بوضع معاهد أخرى للمتفوقين لانتاج العقول الصالحة للسير بمصر فى النطاق العالمى . خذ مثلا الاتحاد السوفيتى ، وأعطى هذا المثل لان روسيا كانت تعتبر الدولة المتخلفة فى أوروبا . وكان هذا قبل عهد بطرس الاكبر وعندما جاء بطرس الاكبر عمل نقلة فعلا ،لكن النقلة بقيت محدودة للغاية .ويبقى السؤال :ما الذى جعل الروس يصلون الى غزو الفضاء ؟

انى أميل الى افتراض - وهذه مسألة لم أدرسها وتحتاج الى رأى المتخصصين فيها - أن السوفييت نجحوا فى اقامة تعليم عام [يستجيب لاحتياجات الكم] لكنهم نجحوا أيضا فى توفير مسألة الكيف عن طريق اقامة تعليم عال مفتوح لكل من يستطيع أن يواصل التحصيل والدرس ، ولهذا أنتج هذا التعليم المخترعين الذين وصلوا الى الفضاء .

لكن النقد الذى يوجه الى نظامنا التعليمى انه اكتفى بالكم . ترتب على ذلك أننا نزلنا بجامعاتنا الى المستوى الثانوى ،وبالثانوى الى الاعدادى والابتدائى . لكن أعود مرة أخرى لاقول أن الكم فى التعليم لم يكن كله سلبيا وأن جزءا من التجربة له ما يبرره ، وان كان الامر يتطلب تكملة أوجه النقص فيه .

لذلك عندما يصدر أى انسان حكما على مشروع فيه فشل أو عمل فيه نقص ثم يقول ان هذا العمل او المشروع يوجد فيه - مع ذلك - مكسب أو شىء ايجابى فان هذا يدل على حسن نية القائل .

وأنا أوافق على أن يكون نقدنا لكل أوجه القصور نقدا شديدا ، ولا حرج فى ذلك ،لكن لا أوافق على رجم تجربة ١٨ سنة بالاحجار ونسكت . والسبب هو أن النقد الشديد أو العنيف قد يكون راجعا الى الانفعال . والانفعال هنا طبيعته مرتبطة بحبك لبلدك . اذن فلننقد ولنكن كالطبيب الذى يشق بطن المريض ليجرى له عملية جراحية . ان الطبيب بهذا العمل لا يكره المريض ولكنه يريد أن يعالج العلة .

وحتى اذا ذهبنا فى نقدنا الشديد الى أنه حدث تخريب فى النفوس ، وحدثت اعتقالات ، وحدثت ضغوط على فلان وغيره فيجب أن نقول هذا من منطلق حسن النية ومن الرغبة فى العلاج . وسأضرب مثالا لما يدور فى هذه الايام .

الحديث عن السد العالى . كلام كثير قيل فى هذا . البعض قال نهدمه أو شىء من هذا القبيل بمعنى انه مشروع فاشل . البعض قال السد العالى من مفاخرنا ولا يوجد خطأ . لكن كيف نحسم الرأى والرأى المعارض فىهذه القضية الحيوية ؟ أعتقد أننا نحتاج الى هيئة خبراء تقول لنا الحقيقة . فاذا قالت هذه الهيئة أنه لا توجد عيوب فان هذا سوف يسرنا لان السد جزء من مصر . واذا قالت لنا السد فيه عيوب ، فهذا لا يزعجنا لان كل مشروع يمكن أن تكون فيه عيوب . لكن الذى يتحدث عن العيوب يجب أن يقول كيف نصححها . ولذلك يجب أن نجنب البلاد كل المهاترات التى تدور حول المشروعات المقامة فيها لمجرد مواقف شخصية أو حزازات لا تمت بصلة الى مستقبل بناء البلد .

■ **د. لطيفة الزيات :**

تعليقا على كلام الاستاذ توفيق الحكيم أقول أننى أشترك فى فتح ملف التجربة افتراضا منى بأنه - رغم كل الظواهر - لا يمكن أبدا الارتداد بالشعب المصرى الى الثلاثينات أو ما قبلها . ولذلك فاذا كنت أنقد النظام فمن زاوية أنه يشكل خطوة تقدمية لا يمكن النكوص عليها . هذا من ناحية ، كما أنقده من زاوية أننا نستشرف مستقبلا أفضل لبلادنا كما يقول الاستاذ توفيق الحكيم .

فيما يتعلق بعد بالسد العالى أقول - لامن باب التشنج - ان ما يسمى عيوبا كانت معروفة مسبقا قبل انشائه ، مثلا : عملية النحر - نحر النهر ، هذه كانت معروفة مقدما ، وكان مفروضا أن تغطى فى اثناء السنوات الماضية ولم تغط لقصور فى الميزانية . وأحب أن أضيف أنه بعد كل ما قيل ضد السد تقوم تونس الآن بالاشتراك مع الاتحاد السوفيتى فى بناء سدا وأن هذا الخبر قد ورد فى « **الاهرام** » .

■ **توفيق الحكيم :**

أنا موافق جدا على ان يكون دائما هدفنا هو النظرة الى الامام وليس الرجوع الى الخلف . وأنا بطبعى الشخصى أفزع فزعا شديدا من مجرد النظرة الى الوراء . انا لا احب ان اكرر تجربة سبق عملتها حتى فى مجال الادب نفسه او الفن .. لا أريد أن افعل الشىء مرتين . فهذا الرجوع اعتبره افلاسا عندى اذا كنت أكرر عملى مرتين . وحتى اذا تحدثنا عن مرحلة الثلاثينات أو العشرينات وعن محاسنهما فلا يمكن ايضا الرجوع اعتبره افلاسا عندى اذا كنت أكرر عملى كذلك الامر فى مجال الايديولوجيات والاخلاق أو الاجتماع . وعلى سبيل المثال اذا وجد عصر ظهرت فيه قيم أخلاقية عن الفروسية وغيرها ، فان هذا العهد لا يمكن ايضا الرجوع اليه . فالدنيا تغيرت ، ولابد من أن نعيش عصرنا ، ولكن كل ما يمكن أن نأخذه من عصور بطولية ليس هو التفاصيل ولكن المغزى الاخلاقى . فاذا قلت مثلا الاخلاق اليوم تدهورت لعدم المبالاة فى اتقان العمل بسبب تفشى اخلاق المنفعة المادية ، ولان كل انسان ينظر فقط الى مكسبه دون ان يتقن عمله . واذا قلت أن هناك حكمة تقول أن الله يحب اذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه ، فان أخذ هذه الحكمة مطلوب الان ، ولكن لا يمكن أن تأخذ طريقة حياة المجتمع فى ذلك الوقت . لان المجتمعات لا يمكن أن ترجع الى الوراء . اذن الذين يقولون فلنرجع الى الخلف لا يمكن لاى عقل تقدمى ، أو حتى عقل مستنير يحب بلده ان يوافق على أن التاريخ يرتد بعقاربه الى الوراء .. اذن يجب أن ننظر الى الامام بعقول جديدة . وحتى اذا قيل بتعدد المنابر فيجب ان ننظر — فى هذا — على ضوء العصر ، وعلى ضوء ما يحدث فى العالم — الان — من هذه المنابر المتعددة بمساوئها وبفوائدها ولا ننظر الى الشىء من الظاهر أو بمجرد الشعار . لاننا سوف نجد أيضا أن العالم ، اليوم ، يبحث كل هذا على ضوء ما يصلح وما لا يصلح . كل هذا أيضا يجب أن ننظر اليه بنظرة تحليلية لنرى — بكل دقة — ما يمكن أن ينفع بلادنا فى المستقبل ، لان هذه مسئوليتنا كمثقفين .»

■ **د . مراد وهبه :**

سؤال منهجى أقدمه الى أستاذنا الحكيم وهو خاص بمسألة الكم والكيف فى قضية التعليم فهل يفهم من حديث سيادتك انه فى قضية التعليم علاج السلبية تقوم فى انشاء دور خاصة بالكم ، وانشاء دور أخرى خاصة بمعالجة الكيف ؟ أم اننا نستطيع أن نعالج الكيف من خلال الكم فى دورة واحدة ؟

■ **توفيق الحكيم :**

أنا احب ان اقول اننى دائما — فى هذه المسائل — احب ان استرشد بتجارب الامم المماثلة . وانا لا اريد أن استرشد بما يحدث فى فرنسا وانجلترا لان هذه البلاد قطعت شوطا كبيرا جدا منذ القرون الوسطى فى نظام معين وصلت فيه الى مرحلة لا نستطيع أن نتجاهلها . ثم هى تخضع لنظام آخر من رأسمالية عتيدة ، شيدت على أسس راسخة ، لا نستطيع ان نقول ان مجتمعاتنا تماثلها . اذن هذه مجتمعات لا نستطيع أن نقيس عليها . ربما كانت الدول الشرقية أقرب الينا لان مستوى الامية فيها أو الحضارة فى أيام القياصرة وقبل اقامة الاشتراكية كان مماثلا — مع خلافات بالطبع — لما نراه عندنا .. فالتعليم كان ، كان أيضا تعليما محدودا .. ثم أيضا كانت عندهم فى الماضى خرافات كثيرة ومحاولات من ذوى الاغراض للاتجار بالدين . فكل هذا ، يجعلنا نقول ان هذه البلاد كانت أقرب الينا من بلاد اوربا الغربية التى حورب فيها كل هذا من أيام **فولتير** وما قبله . ولذلك فانا أقول — دائما — كيف حدث ، وكانت الصين الشعبية ايضا مثلنا واسوأ — كيف حدث فيهما وفى الاتحاد السوفييتى أن استطاع علماء أن يبرزوا بالعلم الصينى أو بالعلم السوفييتى الى هذه المستويات التى ادهشت العالم ؟ ثم كيف حدث مع التعداد الكبير ؟ ما الذى يحدث هناك فى مستوى التعليم العام ؟ انا لا أستطيع أن أفتى فى هذا الا بعد دراسة فيما يحدث هناك . هل هناك تعليم عام لمستوى العامل والفلاح ومن يبرز من هذا التعليم بمواهب تؤهله يتلقى تعليما أرقى ، وبعناية كبيرة تؤدى الى تكوين هيئة أو هيئات من العلماء هى التى تدير المخترعات التى نراها أو ما الذى يحدث ؟ أنا أرى نتائج فى الاتحاد السوفييتى وفى الصين .. وهذه النتائج مذهلة . وفى الوقت نفسه ، هناك تعداد كبير جدا ، هناك عمال وفلاحون ، ما مستوى تعليمهم ؟ بدون شك لابد أن تعليمهم تعليم كمى . لانه لا يمكن أن تقول أن تعليمهم كيفى . فاذن لابد أن ندرس هذا . لكن اذا كنا نرتجل بكلام و « نفتى » قائلين انه يجب أن يكون عندنا معاهد كذا ومعاهدكذا ، فهذا — كما أظن — يؤدى الى تجربة خاطئة . لابد أن ندرس ماذا يحدث فى البلاد المماثلة .»

- محمد سيد احمد :

عندما نحاول تحديد « الخصوم والاصول » بالنسبة للفترة السابقة ، من المهم جدا أن نتفق على المقاييس .. الخطأ الشائع هو أن هذه المقاييس نستوحيها كثيرا من المنطق الراسمالى الذى يبقى هذه المقاييس داخل اطار فكرة الربحية .. اى الناحية الاقتصادية .. يعنى كم كسبنا وكم خسرنا . ولو اخذنا بهذا الكلام ، فمن الممكن أن نقول : لو عملنا انقطاعا فى الزمن ، فى لحظة معينة ، قد نجد ان الخسارة المادية فادحة . ونقيس على هذا الاساس ، وننتهى بابراز السلبيات ابرازا لا يتناسب مع حجمها الحقيقى بالنسبة للعملية التى تمت ..

لما مات نابليون مثلا ، فرنسا كانت خربة ، ولكننا نرى اليوم — بعد ٢٠٠ سنة — ان المرحلة النابليونية وفترة الثورة الفرنسية كانت من اثرى فترات تاريخ فرنسا ، وهى التى طبعت كل مستقبل فرنسا بعد ذلك . وهى التى انهت أوضاعا بالية .

فمقياس الربحية الاقتصادية لا يجوز أنه يكون المقياس الذى نأخذ به لما نحكم على ايجابيات وسلبيات فترة تاريخية معينة . وخصوصا فترة حافلة بالتغييرات ، فترة ثورية مثل الفترة السابقة .. المقياس الاصح هو مقياس الربحية الاجتماعية ، ونعنى بذلك التنمية الاجتماعية والتاريخية .. هذا هو الذى ينبغى أن يكون المقياس الذى نطرحه فى نهاية الندوه وهو المقياس الذى يستطيع فعلا أن يفتح لنا مفاتيح كثيرة بالنسبة لتجربة الماضى ، وما ينبغى أن نفعله فى المرحلة التالية ..

وعندما نتكلم عن الربحية الاجتماعية أو التنمية الاجتماعية ، هنا نجد أشياء كثيرة . يعنى مثلا قضية **الكم والكيف** : الى اى حد فيه « تصعيد للكم » بمعنى أن قطاعا أوسع من الشعب المصرى دخل حلبة الحياة العامة . الى اى حد شارك هذا القطاع الاوسع فى عملية « صنع التاريخ » وأصبح « فاعلا » فى ذلك لا « مفعولا به » فهذه نقطة مهمة جدا . والفاعل هذا يصبح « كما » و « كيفا » ويصبح تصعيد « الكم » فقط استمرار لدور الشعب « كمفعول به » لا « كفاعل » ولكن العملية ليست بمثل هذه البساطة .. العملية معقدة . اذ أن ثورة ٢٣ يوليو ادخلت فئات واسعة من الشعب المصرى فى حلبة الحياة السياسية .. هذه هى القاعدة العامة أو المبدأ العام .. لكن يندرج تحت باب المبدأ العام ، أشياء كثيرة سلبية . مثلا : أن النظام كان نظام « **فوقى** » اساسا . ونبعت

أساليب عمل تتعارض مع فكرة الربحية الاجتماعية المثلى . مثلا الاعتماد على السلطة فى كل شىء .. او ان السلطة تغير الاوضاع من خلال مسالك تتقرر من أعلى فقط وهذه قضية يمكن أن تدرس ..

مثلا بعض اشكال « العذاب الاجتماعى » فى الفترة الماضية .. العذاب الاجتماعى الذى نسميه « القمع الدكتاتورى » يوجد فى كل تحول .. لان ازاحة طبقات ، واحلال طبقات اخرى محلها ، أو احداث عملية تحول تعترضها مصالح معينة . ومع اعتراض مصالح معينة ، لابد من دكتاتورية ما . ولكن متى تكون الدكتاتورية ، دكتاتورية لصالح تحول اجتماعى بالمعنى العام ، أو دكتاتورية لصالح أفراد أو فئات او مراكز قوى ، او لتجميد وضع الخ ؟

انا اعتقد ان هذه هى نوع المقاييس التى لابد أن تطرح .

طبعا عندما نتكلم عن تجربة الصين أو تجربة الاتحاد السوفييتى ، فهذه تجارب طابعها الايديولوجى واضح . ولكن ، نحن ، عندنا مشكلة فى المجتمعات النامية .. المجتمعات الناميه اغلبها تتأثر بحقيقة معينة — وهذه ترتبط بكلام سبق ان قلناه عن علاقة الاشتراكية بالراسمالية — أن الاشتراكية نتاج الراسمالية ، بمعنى ان الاشتراكية تزدهر عندما يكون المجتمع الراسمالى قد بلور المجتمع الى طبقات واضحة المعالم .. فى المجتمعات النامية لم تكتمل هذه الظاهرة بعد .. هى فى مرحلة ما قبل البلورة الراسمالية المتكاملة وليست بعد اكتمال ظاهرة الراسمالية .. فالبلورة الاجتماعية او البلورة الطبقية ليست واضحة المعالم ، وبالتالى لا توجد ايديولوجية واضحة المعالم ممكن اللجوء اليها ، وتستطيع أن تحقق ارضية واسعة تعتمد عليها . عندك ايديولوجية الطبقة الوسطى مثلا ، وقضية التجريبية تطرح . ويلاحظ هنا ان للراسمالية ايديولوجيتها ولها اتساقها . ولكن هذه الايديولوجية لا تلبى مقتضيات المجتمعات النامية . فهذا « طريق سد » . والطبقة العاملة لها ايديولوجية ، ولكن ايضا الطبقة العاملة ليست الطبقة القادرة حاليا على أن تهيمن على المجتمع وتفرض ايديولوجيتها على الطبقات الاخرى . فأيضا هنا أيضا طريق سد .. فنحن اذن فى منطقة ما بين الاثنين .. وهذه مشكلة التجريبية .. وهنا تطرح مشكلة ما هو موقف اليسار من هذه التجريبية .. الاستاذ أحمد عباس صالح كان يتكلم أن احنا ضيعنا وقتا كبيرا فى مناقشات نظرية . الآن

هذه المناقشات النظرية كانت تعبيرا بالتحديد عن هذا المأزق .

لماذا في البلاد النامية ، بعد الحصول على الاستقلال و .. و .. الخ ينشأ مأزق ايديولوجي أو كان هناك مأزق في ايجاد وسيلة لرسم ايديولوجية واضحة المعالم ؟ وهنا في كثير من الاحوال اليسار كان له منطلقه . ولكن هذا المنطلق لم يكن يستطيع دائما أن يحتوى المجرى العام للقوى الاجتماعية ، وهذا كان يجد تعبيره عندما كنا نقول أن هناك موقفا وسطا ، أى ضرورة مراعاة موقف أطراف أخرى . والواقع ان ضرورة مراعاة أطراف أخرى كان تعبيرا عن مشكلة موضوعية في داخل المجتمعات النامية . وهذه هي القضية الحقيقية ، عندما ندرس التجربة ، يجب أن نستفيد من الدروس ثم نقدر لا الاعتبارات الذاتية فقط ، ولكن يجب أن ننظر أيضا الى هذه المعطيات الموضوعية . أقول هذه المعطيات الموضوعية تزداد تعقدا في الظرف الراهن ، نظرا لاختفاء الاستقطاب السابق .

وأريد أن أضيف كلمة الى التجريبية في الماضى والمستقبل . لا مفر من التجزيئية لفترة ما في المستقبل . لا مفر من ذلك لان التجريبية ستطرح نفسها بشكل أكثر تعقيدا . لان التجريبية ، في الفترة السابقة ، كانت أيضا تجزيئية في ظل نوع من الاستقطاب الدولى ، وبالتالى الاستقطاب الايديولوجى .. ومع ذلك كنا تجريبيين بحكم وضعنا كمجتمع نام في الفترة القادمة . الان ندخل في مرحلة فيها تداخل بين الاطراف الدولية ، مرحلة أكثر تعقيدا . وبالتالى ظاهرة التجريبية ستزداد أيضا تعقيدا . ولا بد أن نسلم بهذه الحقيقة . يعنى عندما نتكلم اليوم عن تنمية المجتمع في مصر ، فهذا المجتمع لا يستطيع أن يكون مجتمعا رأسماليا . وفي نفس الوقت نحن نتعامل مع المال العربى . هنا ، ستطرح اذن مشاكل تتسم بطابع مختلف . ما هو موقف اليسار هنا ؟ الواقع أنه لا يوجد خط مستقيم يصل بنا من الماضى الى المستقبل ، وانما هناك عملية « نفى » ، و « نفى النفى » . يعنى نحن نلاحظ نوعا من « النفى » لكثير مما رأيناه . ولكن هذا « النفى » يحمل في طياته « نفيه » في نفس الوقت ، لان هذا « النفى » لن يحل ، فهناك اذن « نفى النفى » أيضا . لكن هذا لا يتم في « تتابع زمنى » . يعنى انـــا لا أفترض « النفى » في فترة زمنية ، ثم « نفى النفى » كفترة زمنية تالية ، انما اقصد أن هذا « تتابع منطقى » يعنى العمليتان موجودتان معا في ترابط ما . واليسار عليه أن يستخلص من التجربة في الفترة السابقة كيف يتخطى هذه التجريبية . والواقع أن سببا من أسباب التعثر في وجه التجريبية ، في الماضى ، هو رفض قبول فكرة التجريبية . ولكننا اليوم بصدد فترة لابد أن نسلم فيها بأن هذه التجريبية قائمة ، ولابد من تأصيلها بدون تفريط في المبدأ ، بدون التسليم لاطراف أخرى ، بدون تبرير أشياء لا يجب أن تبرر . ويجب أن تحارب حتى اذا كنا نرى انها طافية لان هذا هو أسلوب تجاوزنا التجريبية وتحقيق « النفى » لا مجرد الاستسلام للنفى .

ولكن مع ذلك علينا أن نسلم بأن هذه ظاهرة موضوعية ، وعلينا أن نتعامل معها و « من داخلها » . وليس بمجرد لفظها من خارجها ، لان اللفظ في الخارج أدى الى اختناقات في الماضى ، وأدى الى كثير من التعثرات التى عشناها ، وعلينا اليوم ونحن نعالج سلبيات الفترة السابقة أن نكتشف السبل التى نستطيع بها — دون التفريط في المبدأ — ودون التنازل ، ودون تبرير أشياء لا ينبغى أن نبررها ، أن ندخل الحلبة بفاعلية أكبر . هذه هي القضية المنهجية التى كنت اريد التكلم عنها .

■ احمد عباس صالح :

على كل حال هناك قضيتان هامتان : القضية الاولى هي قضية عدم امكانية افتراض التسليم بهذا المنطوق : وهو أنه من غير الممكن قيام اشتراكية على مجتمع لم يمر بالمرحلة الرأسمالية . أنا اعتقد أن هذه القضية ليست سليمة تماما . ومن خلال التجارب الكثيرة ، بما فيها تجربة الاتحاد السوفيتى ، نحن نعلم جميعا الازمة التى قامت بين الذين يدعون الى مرور المجتمع في روسيا بالمرحلة الرأسمالية . ثم تأتى المرحلة الاشتراكية ، ونعلم أن هذا الخط الفكرى قد هزم وأمكن تطبيق الاشتراكية في مجتمع شبه رأسمالى شبه اقطاعى ، في بداية هذا القرن ، يعنى في عشرينات أو عشرات القرن . بينما نجد نفس التجربة أيضا في بلاد متخلفة كانت تنتمى الى العالم الثالث ، في الصين ، وفي الهند الصينية ، وفي أمريكا اللاتينية ايضا ، في بلد مثل كوبا . فهذه القضية النظرية حسمت عمليا ولا داعى للعودة اليها . وبالتالى ، ممكن تطبيق الاشتراكية في مجتمع يمكن أن نطلق عليه مجتمع الدول النامية أو العالم الثالث .

والمدخل الى هذه القضية خطير ، لان كثيرا من الدعاوى التى تستخدم أدوات التحليل

الماركسية ، وتتمحك فى هذه الادوات ، تريد أن تبرر مرحلة جديدة فى مصر ، وهى مرحلة تتستر احيانا تحت شعارات شتى وتتمسح لشعارات أخرى ،و«بمنطق العلم » وحتمية العلم الخ .. فمثل هذه العبارات هى ايضا ليست صحيحة .

مسألة التجريبية : وهى النقطة او القضية الثانية . نحن نقول ان ظاهرة التجريبية ظاهرة موضوعية . ولكن يجب الا نتجاهل فى الواقع حقيقة الصراع الطبقى داخل المجتمع . فالذى يحدث ان فئة أو طبقة - لظروف موضوعية - تصل الى السلطة . وقد ترضى بها طبقات من هنا أو هناك . فهذه عملية مرحلية . لكن ليس معنى ذلك أن التجريبية توافق عليها الطبقات الاخرى صاحبة الايديولوجية . وليس معنى هذا أن تتنازل الطبقات صاحبة الايديولوجيات عن « ايديولوجيتها » لتعمل فى اطار داخل المرحلة التجريبية ، بل دائما ينبغى ان نقابل المرحلة التجريبية بالنظرية الكاملة . ثم نطوع هذه النظرية الى ان تصل الى الطريق الصحيح . خصوصا وان ما يطرح من أيديولوجيات فى مجتمع مثل مجتمعنا متخلف ومظلوم ويسعى الى حريته، والى استقلاله، والى آدميته ، هذا المجتمع لابد أن يفرض أيديولوجيته وأهدافه على الاوضاع السياسية .

واعتقد أن اى كلام متستر وحسن النية تحت مفاهيم عامية - تبدو علمية - هى خطأ ، ويجرنا الى نوع من التعالى الثقافى هو فى حقيقته اشبه بالجهل منه بالعلم .

طبعا لا اظن أن الاستاذ محمد سيد أحمد قد قصد الى المعانى التى انتقدها لانى اعرف انه يريد أشياء أخرى ، ولكن خوفا من اللبس أردت أن أقدم هذه التوضيحات .

■ **د. مراد وهبه :**

لى تعقيب بسيط على ما قاله الاستاذ محمد سيد أحمد وباتفاق مع التعليق الخاص التى قاله الاستاذ أحمد عباس صالح ، وذلك فيما يختص باستخدام لفظ التجريبية هنا . لانه فى تقديرى لا يوجد ما يسمى بالتجريبية البحتة فالتجريب انما ينطوى فى الحقيقة على فرض ، وفيما يختص بحركة المجتمع فان أى تجريب انما ينطوى فعلا على ايديولوجيات . وقد يستخدم هذا اللفظ لاخفاء ايديولوجيات كما ذهب الى ذلك الاستاذ أحمد عباس صالح .

وفى تقديرى انه حين نطرح البرنامج لابد ايضا من طرح اهمية الايديولوجيات حتى ونحن نستخدم لفظ التجريبية .

■ **د. لطيفة الزيات :**

انا اتفق مع احمد عباس صالح والدكتور مراد فى هاتين النقطتين ، واقول اذا كان لابد من « التجريبية » فلن تكون التجريبية البحتة وانما اقول « التجريبية » فى نطاق الاشتراكية العلمية . اقول التجريبية بحيث نكتشف السبيل فى نطاق النظرية الاشتراكية العلمية لتطوير مجتمعنا .

■ **ابو سيف يوسف :**

ما يسمى « بالتجريبية » هنا ، ليس هو بالضبط المصطلح الفلسفى المتواضع عليه . وما نسميه بالتجريبية فى بلادنا وبلاد العالم الثالث اعتقد أنها نتاج طبيعى جدا - وملازم - لعقلية البورجوازية الصغيرة ومناهج تفكيرنا . هذه العقلية التى لها هيمنة أو سيادة كما نعرف . فهذه العقلية هى - فى آن واحد - ثورية من ناحية ، ومحافظة جدا من ناحية اخرى . فاذا كانت ثورة ٢٣ يوليو قد مجدت - فى فترة من تاريخها ، ما يسمى بالتجريبية [منهج التجربة والخطأ] فهى قد فعلت هذا من زاوية التحفظ تجاه الفكر الاشتراكى العلمى . هذه هى القضية . فنحن هنا امام رفض واع لمنطلقات نظرية واصرار على اكتشاف ما هو صواب وما هو خطأ من خلال مجرد الحركة .

■ **محمد سيد احمد :**

عن نقطة الاشتراكية والرأسمالية . هل من الممكن اقامة اشتراكية بدون مرحلة رأسمالية ؟ نعم من الممكن . ولابد من السعى لهذا . ولينين كان له حق فى رده على تروتسكى . ورفض كلام تروتسكى أن الاشتراكية لا يجب الخوض فيها ، واقامة مجتمع اشتراكى ما لم تتكامل اركان الرأسمالية فى المجتمع . ولكن ما كنت اريد أن الفت النظر اليه هو أن المجتمعات الاشتراكية التى اقدمت على الاشتراكية بدون الاساس الرأسمالى ترتب عليها مخلفات طويلة الامد ، وكثير من العيوب التى عاشتها هذه المجتمعات عيوب ناتجة من أن الظروف الكاملة لم تكن مهياة لعلاقات الانتاج الاشتراكية . فهذه

العيوب عاشتها مدة طويلة . ولكن ليس هذا سببا كي لا نستخلص أحسن موقع ممكن لليسار فى ظل هذه العملية . يعنى هذا ما كنت اقصده بفكرة « العمل من الداخل » لكن هذا ليس معناه أن يلغى المرء الاشتراكية أو يبرر انه لابد من مراحل ، ومن تدرج ، ومن التخلى عن الاشتراكية .. هذه نقط أساسية .

أما بالنسبة للتجريبية فهى حصيلة عدة ايديولوجيات يعنى هى موقف « تلفيقى » بين مجموعة ايديولوجيات ولكن هذا أيضا يؤيد ان فيها عناصر ايجابية ثورية وعناصر محافظة متداخلة مع بعض . عليك ان تنشط وأن تتحرك من داخل هذه العملية . وطبعا السند يجب أن يكون الاشتراكية العلمية . والمقياس الذى تقرر به ما يؤيد وما يعترض عليه هو الاشتراكية العلمية فهذا هو المحك والاساس الذى نتحرك منه .

اقول هذا الكلام ليس مجرد بدعة فلو درسنا برامج الاحزاب الشيوعية الاوربية حاليا فى ظل الاوضاع المعقدة الموجودة اليوم فى أوربا ، اعنى برامج الحزب الايطالى أو الاسبانى أو حتى سنجد انه لا يكفى أن نطرح فقط الموقف الايديولوجى لابد ان يكون هناك وضوح للموقف الايديولوجى . ولكن لابد ايضا فوق الوضوح فى الموقف الايديولوجى جبهات وائتلافات سياسية تتسع لقوى اجتماعية قد تختلف جذريا مع الموقف الايديولوجى ، ولكن الظروف تسمح اليوم بتوسيع الجبهة لتشمل حتى جزءا من المعسكر الرأسمالى بما فى ذلك الرأسمالية الكبيرة فى وجه الاحتكارات التى تعوق عملية التنمية وعملية الثورة ، أو عملية التحول الاجتماعى اساسا .

■ **توفيق الحكيم :**

مسألة العلاقة بين الرأسمالية والاشتراكية هذه مسألة يجب أن نبحثها بحثا تحليليا ، هذا على قدر اجتهاداتنا وعلى قدر علمنا . يعنى

الواقع ان مركز مصر مركز مركب ، المجتمع المصرى مركب ومركزها التاريخى من الرأسمالية والاشتراكية له صفة خاصة لا تنطبق على البلاد النامية ولا تنطبق على البلاد الرأسمالية الغربية ، ولا تنطبق على المجتمع الروسى قبل الثورة الروسية . لماذا ؟ لانه فى المجتمعات النامية ، خصوصا المجتمعات الافريقية كان الوضع ايه ؟ كان الوضع دول رأسمالية فى يدها كل الاقتصاد والسلطة . ثم مجتمع بدائى ليس عنده أى بذرة من بذور لا رأسمالية ، ولا اقطاع وطنى ، وليس عنده شىء اطلاقا حتى من التقاليد اللغوية وهى التقاليد الفكرية . لا يوجد عندها شىء . عندها مناجم وعندها ثروات تستولى عليها رأسمالية اجنبية . فلما نمت القوة الوطنية ووجدت فى ايديها القوة التى تستطيع بها طرد المحتل ، وطرد الرأسمالية الاجنبية اصبحت فى موقف غريب جدا ، وهو أن ثرواتها الان أصبحت فى أيديها . ولكن ليس وراءها لا رأسمالية ولا بذور رأسمالية ولا مجتمع على قدر كاف من التقاليد فماذا تفعل ؟ هنا حتمية الاشتراكية .. يعنى ان هذه الثروات التى اخذتها من المحتل المستعمر ، نتيجة الجهاد بالسلاح ، اذن لن نعطيها لشخص دون شخص . اذن لابد ان تكون للشعب ، فتكون اشتراكية . أما اشتراكية فى صورة رأسمالية دولة ، أو فى الصورة التى تستطيعها هذه المجتمعات هذا وضع ..

الوضع الاخر ، هو روسيا .. كان فيها اقطاع عنيف جدا ، أمراء وبارونات ودوقيات وبرنسات والمزارع .. كل هذا كان يكاد يشبه ما كان فى الدول النامية ولكن بدل المحتل الاجنبى كان هناك محتل وطنى . الاف الاف الهكتارات من الاراضى ، أو هو أمر لا يماثل تماما الاقطاع المصرى المحدود ، لان ١٠٠٠٠ فدان أو ٥٠٠٠ فدان فى مصر هذا شىء بسيط جدا بالنسبة للاقطاع الروسى . اذن عندما تقوم ثورة هناك فلن تكون هذه الثورة فعلا محتاجة الى وجود رأسمالية . ومن هنا تستطيع أن تتخطاها أو تتعامل معها .

فيما يختص بمصر ، المسألة معقدة جدا . فلا هى احدى البلاد النامية ، ولا هى كالاقطاع الروسى . انما نحن أمام مجتمع تداخل فيه الوطنيون مع الاجانب بشكل تعاون رأسمالى يعنى فيه تداخل للاثنين . وكان احتلال اجنبى يساعد الرأسماليين واصحاب الاراضى باعتبار انهم اصحاب مصالح حقيقيين . الصناعة كانت أساسا فى يد اجانب . والمجال الزراعى عندنا لم يكن اقطاعا بالمعنى الروسى ، انما كان قطاعا عائليا . بمعنى ان العائلة الواحدة تجد فيها الخولى والمالك الكبير والمالك الصغير وكلها تسمى عائلة فلان . فاذن هو اقطاع عائلى . وكان الشىء الوحيد الذى تستطيع ان تقول انه يشابه الاحتلال الاجنبى هو الاحتلال التركى . الاتراك عندما كانوا فئة لا تتعامل مع الاهالى ، وهؤلاء الاتراك عندما كان فى يدهم الحكم ، كانوا طبقة غير طبقة الفلاحين . كانوا يعاملون

الفلاح سواء كان مالكا كبيرا أو مالكا صغيرا على اساس انه فلاح ، سواء كان هذا الفلاح يملك الاف أو مئات الافدنة أولا يملك .

وبعد ذلك جاء الاجانب الى هنا ، وادخلوا مشروعات عمرانية ليست فى البلاد النامية بمعنى أن السكك الحديدية كانت ملك الحكومة ، والحكومة تحت الاحتلال ، كذلك كانت شركات المياه .. وشركات الترام كانت شركات اجنبية تداخلت مع الرأسمالية الوطنية مع اصحاب المصالح [وهم الاغنياء فى البلد] وبعد الحرب العالمية الثانية، وبعد الغاء الامتيازات، بدأ الرأسمال الاجنبى يتعامل مع الوطنيين فى صورة ظاهرة وواضحة وهى المشاركة . لان الاجنبى وجد أنه بعد الغاء الامتيازات ووجود قوانين يمكن تطبيقها عليه ، سيحتاج الى ان يشرك الرأسمالية المصرية ولذلك ظهر فى مجالس ادارة الشركات الاجنبية مصريون كثيرون . فاصبح عندنا رأسمالية مشتركة .

اضف الى هذا أن فى مصر قدر من الثقافة والتعليم والتقاليد القديمة ، ووجود مستوى عال من الفكر ، سواء فكرا دينيا ، أو فكرا علمانيا ، كل هذا جعل من مصر بلدا غير مماثل للبلاد النامية التى لا يوجد فيها شىء من ذلك . وادراجنا مع البلاد النامية خطأ الا اذا كان من ناحية الغنى والفقر ، أى فى مسألة الدخل العام . انما كمستوى حضارى لا تستطيع ان تقول انها بلا دنامية فكريا ، وكان فيها اصدام بين العقليات العلمانية التى تعلمت الفكر فى الخارج وبين التربية العلمية الدينية . ولكن التعليم الدينى كان ايضا تعليما وصل الى مستوى لا تستطيع ان تقول انه بدائى . الازهر فى يوم من الايام كان يدرس الفلك والطبيعة والمنطق وكان التعليم فيه يمد التعليم المدنى بالكوادر .. نذكر هنا ما حدث ايام محمد على . فى ذلك الوقت تم اختيار طلبة البعثات الى اوربا من تلاميذ الازهر من الطلبة النابهين . وسافروا ونجحوا ، واصبح منهم أطباء عظاما جدا ، وهذا دليل على أن مستوى التعليم لم يكن بدائيا .

كذلك لم يكن عندنا الاقطاع الروسى العنيف . والقطاع الصناعى ـ كما قلت فى ايدى اجانب ومصريين .

فالقضية اذن مركبة .

فاذا قلت نبنى الاشتراكية ، ستجد نفسك أمام مجتمع مركب ما بين مجتمع ثقافته الاولى دينية فى الكتاتيب الريفية ثم بعد ذلك ثقافة علمانية بالاتصال الحضارى العالمى ، ومن الناحية الاقتصادية هناك تداخل ما بين مشروعات اجنبية ومشروعات مصرية خصوصا بعد الحرب العالمية الثانية . فكيف تبنى الاشتراكية ؟ يبدو هنا ان الاشتراكية ليست مثل الاشتراكية الحتمية فى المجتمع الثالث الذى طرد الاجانب وأخذ ثروتهم ولم تكن عنده . ومع ذلك فانا لا أجزم بشىء . أنا هنا احلل واريد منكم أن تشاركونى فى هذا التحليل . فهل وضع مجتمعنا شبيه بوضع المجتمعات التى خرجت من الرأسمالية ؟ وهل نستطيع ان نقول أن البلد كان فيها نوعا من أنواع الرأسمالية ؟ . وهل هذه الرأسمالية الموجودة رد فعلها الحقيقى اشتراكية تقف لحماية مصالح الطبقات التى لم يكن لها مكان فى هذه الرأسمالية ؟ . أم أننا نستطيع أن نقول كما قال الاستاذ محمد سيد أحمد اننا فى فئة الدول التى تستطيع أن تتخطى أى رأسمالية الى الاشتراكية مباشرة ؟ . اذا قلنا هذا فالرد أنه كان عندنا رأسمالية ـ فعلا ـ ثم ، كما قال لطفى الخولى ، ان هذه الرأسمالية تويت بالثورة **فى الايام الاولى** . وهنا نذكر أن خالد محيى الدين قال لنا قبل كده أن اتحاد الصناعات ـ وهو اكبر تكتل رأسمالى ـ رحب بالثورة واعتبر انها جاءت لتنشر الرأسمالية المصرية . فاذن ما هو التحليل الواجب ان نصل اليه فيما يختص بالاشتراكية ؟

أنا لا أستطيع أن أستنتج فالمجتمع المصرى مركب جدا ولا نستطيع بدون التحليل أن نعرف الاطار الذى يدخل فيه . هو طبعا لن يدخل فى الاطار الاوربى الغربى لان مستوانا الحضارى أقل بكثير . كذلك لا نستطيع أن ندخل فى اطار الدول النامية تماما . ومن الواضح أن الصعوبة تظهر عندما نرى أن ثورة ٢٣ يوليو لم تطبق الاشتراكية تطبيقا كاملا . وربما تكون قد أخطأت . ولكن المؤكد انها قد واجهت صعوبات هذا التركيب الاجتماعى الذى أشرت اليه . فهل هذا هو الذى حدث بالدقة ؟ كل هذا اقوله للتحليل ولا أجزم بشىء .

■ **د. لطيفة الزيات :**

اوافق على الايجابيات التى لخصها لطفى الخولى .

وفيما يتعلق بالسلبيات ، ففى اعتقادى يمكن ان ترد الى غياب النظرية، وما ترتب على غيابها بالضرورة من غياب الكادرات الاشتراكية القادرة على بناء المجتمع الاشتراكي ثم ما ترتب على ذلك من غياب المنظمات الشعبية ، وما أدى اليه هذا من غياب الرقابة الشعبية .

ونتيجة لغياب هذه الاشياء المترابطة ظهرت السلبيات التى نشكو منها . ففى غياب الرقابة الشعبية استفحل خطر الرأسمالية الطفيلية وأصبح أفرادها يمثلون نماذج تغرى الاخرين بالاحتذاء بهم ، حتى أننا نجد من بين الحرفيين من يحاول أن يسلك مسلكهم عندما يتاجرون فى نصيبهم من المواد الخام فى السوق السوداء بدلا من تصنيع هذه المواد . وبذلك يتركون مجال الانتاج الى مجال السمسرة .

وغياب كل هذه الاشياء يفسر كثيرا مما نسميه اخفاقات القطاع العام لانه ترتب عليه الاعتماد على الادارة والاساليب الادارية القديمة ، وهذه الادارة والاساليب لم يكن من الممكن أن تنقل الاقتصاد الرأسمالى الى اقتصاد اشتراكى .

أضيف ايضا ، ان غياب هذه الاشياء تسبب فى غياب الديموقراطية وكبت الحريات والصدام مع القوى الديموقراطية والاشتراكية .

غيابها أيضا يفسر لماذا بقيت الامية ولماذا ترتفع نسبتها . فلو وجدت النظرية لوجد التعليم الشعبى ولاصبح من الضرورى أن تصل عملية التوعية والتثقيف الى الفلاح والى العامل فى مكان عملهما كما حدث فى بلاد أخرى . وتجربة فيتنام توضح هذه الحقيقة .

أضيف أيضا ، أن هذه السلبيات مرتبطة بسلبيات أخرى فى قيادة الثورة يمكن ان نلخصها فى أمرين :

- اتجاهها الوسطى .
- واتجاهها الفردى .

فقد تمسكت قيادة الثورة بالاسلوب الوسطى فى مواجهة وحل كثير من المشكلات وذلك فى وقت اثبتت فيه الوسطية فشلها على جميع المستويات العالمية ، خصوصا فى العالم النامى ، أو العالم الثالث . وكل التجارب التى فشلت وضربت كانت وسطية . وكل التجارب التى نجحت كانت التجارب التى تمسكت بالاشتراكية .

فيما يتعلق بالفردية ، فقد كانت قيادة عبد الناصر تهتم بوجود التفاف جماهيرى واسع حولها . لكن هذه القيادة لم تتحمس أو لم تقبل أن يكون لهذه الجماهير العريضة والملتفة حولها تنظيمات ، وذلك - ربما - خوفا من ان تشكل هذه التنظيمات قوة ضاغطة عليها . وبهذا فقدت هذه القيادة أمضى سلاح كان يمكن أن يحميها من هزيمة مثل هزيمة يونيو ٦٧ .

واذا أردت ان أنهى كلامى فاننى أقول أنه لابد من العمل فى المستقبل على تجاوز السلبيات التى أشرت اليها . اذا فعلنا ذلك نستطيع أن نستفيد من اسس البناء الاقتصادى العظيم الذى حققتها ثورة يوليو ، وكذلك المنجزات الاجتماعية الاخرى ، وبذلك نستطيع أن نتحرك الى مستقبل أفضل .

■ أبو سيف يوسف :

بهذه الجلسة نكون قد ناقشنا تجربة ١٨ عاما بتفصيل ، وأحيانا بتطويل . وتكون الندوة انهت تقييمها لهذه الفترة الهامة من تاريخ مصر .

وفى اعتقادى أن أفكارا كثيرة هامة وبناءة قد طرحت من المشاركين فى الندوة . وأهم من هذا هو طرح المنهج الذى يمكن أن يعالج به تاريخ مصر ، وتقييم الحركات الوطنية والثورية فيها . وهو منهج يعارض بحزم ويقف فى مواجهة هذه المحاولات الفردية والذاتية التى تريد - لاهداف انانية - أن تحول الكلام عن ثورة يوليو الى تشهير ، وأيضا فى مواجهة كل محاولات التغطية والتبرير .

وقد طرح استاذنا توفيق الحكيم فى الجزء الاخير من كلامه عددا من القضايا والاسئلة والاستفسارات قد تختلف حولها آراء المشاركين فى الندوة وقد تتعدد . ولكن أيا كان الرأى فيما طرحه الاستاذ توفيق الحكيم فسوف يظل بمثابة دعوة مستمرة الى ضرورة تحليل الواقع المصرى بعمق ، ودراسة ، واكتشاف خصائصه المميزة ، وصولا الى اكتشاف الطريق المصرى الى الاشتراكية .

واذا كانت الندوة قد أكملت تقييم ثورة ٢٣ يوليو فى ١٨ عاما ، فان الندوة مدعوة فى الجلسة القادمة أن تقدم - كما اتفقنا على ذلك من قبل - تصورها للمستقبل ، اذا وافقتم على ذلك .

شكرا ...

في الاعداد الثلاثة التى صدرت من الزميلة « روز اليوسف» بتاريخ ١٧ مارس ٢١، و ٢٨ ابريل ١٩٧٥ نشر **د.فؤاد زكريا** استاذ الفلسفة بجامعة عين شمس ثلاث مقالات تحت عنوان **جمال عبد الناصر واليسار المصرى** . ولقد تصدى بالرد على المقال — فى روز اليوسف — الاساتذة **فتحى خليل وفيليب جلاب واحمد طه واديب ديمترى ومحمد عوده وابو سيف يوسف** . وفى اعتقاد « **الطليعة** » ان هذه الردود التى نشرت قد غطت كل النقاط الرئيسية التى وردت فى مقالات د.زكريا وهى لذلك قد وفرت على « **الطليعة** » عبئا كبيرا . ومن ثم فقد تعين على « **الطليعة** » أن تعالج مقالات د . زكريا من زاوية محددة هى **تحليل مواقفه الفكرية** وما فيها من تناقضات حادة، الامر الذى يجعل من د.زكريا حالة خاصة بين المثقفين جديرة بالدراسة .

ضرب اليسار من « اليسار »

●● محاولة لدراسة حالة د . فؤاد زكريا

أبو سيف يوسف

□ مع فكر الدكتور زكريا

يمثل د. فؤاد زكريا ، من حيث أنه مثقف من مثقفى العالم الثالث ، حالة جديرة بالدراسة والتأمل . فالمثقفون فى كثير من بلدان هذا الجزء من العالم ينتمون الى اصول اجتماعية مختلفة: اقطاعية وبورجوازية وبورجوازية صغيرة . لكن، من المعروف أن المثقفين من ابناء البورجوازية الصغيره هم الشريحة الكبرى التى انخرطت فى الحركة الوطنية المعادية للاستعمار وتقدمت صفوفها . وانه ، لهذا ، أمكنها أن تطبع الثورات الوطنية بطابعها ، وتفرض عليها فكريتها ، وأساليبها فى العمل . وليس من شك فى أن البورجوازية الصغيرة [فى الريف والمدينة] هى قوة رئيسية من قوى الثورة الوطنية ، وان مواقفها كشريحة اجتماعية — تظل بشكل عام — ثورية ، لان مصالحها ترتبط ايضا — وبشكل عام — بقضايا التحرر والتقدم .

ويدلنا تاريخ الحركة الوطنية ، منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية ، على أن المثقفين المنتمين الى البورجوازية الصغيرة ، قد حققوا ، جنبا الى جنب مع العمال والفلاحين ، انتصارات تاريخية فى النضال ضد الامبريالية والاقطاع والقبلية والرأسمالية الكبيره المتعاونة مع الاجنبى . ولقد

ظهر من بين مثقفيها من قدم اسهامات هامة فى الفكر السياسى الوطنى والاجتماعى ، ومبدرات فى اختيار اشكال النضال المعادى للامبريالية والاستعمار . يكفى ان نشير هنا الى ما قدمته الزعامات الوطنية الممتازة فى مصر [**عبد الناصر**] وفى غينيا [سيكوتورى] وفى غانا [نكروما] وفى اندونيسيا [سوكارنو] وفى بلاد أخرى .. الخ .

غير أن اسهام البورجوازية الصغيرة [وطلائعها المثقفة] فى النضال الوطنى والاجتماعى ـ بكل ما فيه من ايجابيات ـ لا ينفى أن حركة هذه الشريحة الاجتماعية لازمتها سلبيات اثرت على المسيرة العامة للحركة الثورية . على ان هذه السلبيات ، هى ظواهر موضوعية ، وليست مجرد مواقف اخلاقية . وهى ظواهر ملازمة بالضرورة للوضع الطبقى ، الاقتصادى والاجتماعى ، للبورجوازية الصغيرة فى مجتمعات غير متطورة ، أو متخلفة . وبدون الحاجة الى الدخول فى تفصيلات ، فان هذا الوضع الطبقى ينتهى بها الى أن تتشكل لها فكرية [أيديولوجية] تنطوى على تناقضات حادة : فهى فكرية ثورية ومحافظة فى آن واحد . وهذه ، أيضا ، ظاهرة موضوعية ، وليست حكما أخلاقيا .

وأبناء هذه الشريحة ـ بما فى ذلك المثقفون ـ يعبرون فى فكرهم واساليب عملهم ومسلكهم فى الحياة عن هذا التناقض الحاد . فهم ثوريون ومحافظون فى آن واحد ، هم متحمسون للعلم وفتوحاته وللمنهج العلمى ، ولكنهم يقبلون ، أو يبررون ، أو يتصالحون ، مع الفلسفات المثالية والتجريبية واللاعقلية .. وهم ينجذبون الى مثل الاشتراكية والعدالة الاجتماعية ، ويبشرون ـ وبصدق ـ بحقوق الكادحين فى الارض ، وفى الوقت نفسه قد تجذبهم فرديتهم العنيفة الى تطلعات بورجوازية ، والى التعالى على الجماهير ثم الى الانعزال عنها . وهم يتعصبون للمبادىء ، لكنهم أمام صعوبات الصراع الاجتماعى وانعطافاته الحادة وتعقيداته ، يشرعون فى التشكيك فى صحة هذه المبادىء و « فائدتها العملية » . فى ظروف المد الثورى وازدهارها يتقدمون الصفوف وفى ظروف الجزر والهزائم يتنصلون من المسئولية . فى الحالة الاولى ، يرون انه « لم يكن فى الامكان ابدع مما كان » . ومن ثم يبررون الاخطاء أو يخفونها . وفى الحالة الثانية يشوهون ما هو ايجابى ، ويضخمون ما هو سلبى ، ويشرعون فى هدم المعبد على رؤوسهم ، بل ـ فى حقيقة الامر ـ على رأس الحركة الثورية ذاتها .

وهذا التناقض الموضوعى ، فى الفكر وفى الموقف العملى ، تزداد حدته أو تخف ، وفقا لتطورات الوضع الثورى السائد ، وهل تتراجع الحركة الثورية ام تتقدم . هذا على مستوى البورجوازية الصغيرة ـ ككل ـ أى كشريحة اجتماعية .

أما على مستوى الافراد المنتمين الى هذه الشريحة ، فان هذا التناقض قد يتم حله ويختفى أو تخف حدته . وقد يتفاقم ، وفقا لتطورات الوضع الثورى السائد أيضا . ولكن يضاف الى ذلك ـ أيضا ـ وفقا لمواقعهم ـ كأفراد ـ داخل الحركة الثورية ، وارتباطهم بالفكرية [الايديولوجية] التى يتبنونها « وهل هى ثورية متسقة أم لا » . ووفقا لارتباطهم العضوى بحركة الثورة [وهل هم مناضلون وممارسون للنشاط والعمل أم مقاتلون بالشعارات فقط ، ومنعزلون عن الممارسة اليومية] .

وعند دراسة مواقف د . زكريا ، سنجد أنه يدخل بلا شك فى صفوف البورجوازية الصغيرة المثقفة ، وبكل ما تعانيه من تناقضات فى الفكر والموقف العملى . الا أنه ـ فى اعتقادنا ـ يمثل حالة خاصة داخل المثقفين ، هى حالة المثقف الذى استمر يعيش ـ ردحا من الزمن ـ بعقلية جمعت كل التناقضات غير المشروعة ، دون أن ينجح فى حل تناقض منها على حساب الاخر .

هنا ، قد نجد ، من بين ذوى النيات الحسنة من يتهمنا بالتعسف مع د . زكريا ، على أساس أن الخط البيانى لتطوره يكشف عن أنه كان ينتقل من موقع الى موقع آخر أكثر تقدما ، وأنه وصل فى ذلك الى حد أنه دعا فى مجلة الفكر المعاصر الى الدفاع عن الفكر الاشتراكى ضد محاولات تشويهه وتحريفه [١] .

ومع احترامنا لهذا الرأى ، الا أننا نعترف بأن الخط البيانى المشار اليه ، يظهر هكذا فقط ، عندما ننظر الى التطور الفكرى للدكتور **بكيفية خاطفة أو** متعجلة .

ولنحاول فى شىء من التأنى أن نتابع مواقفه الفكرية فى تسلسلها التاريخى .

نحن الان فى عام ١٩٥٦ . عام تأميم القناة ،

---

[١] فؤاد زكريا : انظر مقاله فى عدد نوفمبر ١٩٧٠ تحت عنوان « كلمة للمستقبل » .

العام الذى سجل حضور الحركة الجماهيرية ، وانطلاقها ، واستعدادها لحماية التأميم من أى عدوان محتمل .

فى ذلك العام صدر للدكتور كتاب بعنوان « نيتشه » [٢] . وفى مقدمة هذا الكتاب نقرا للمؤلف :

« منذ ثلاث سنوات قدمت بحثا جامعيا بعنوان « النزعة الطبيعية عند نيتشه » عرضت فيه فلسفته عرضا حاولت أن يكون موضوعيا الى ابعد حد . واليوم حين اعود بذاكرتى الى هذا البحث اتساءل : كيف امكننى أن اوافق نيتشه على آرائه هذه ؟ ذلك لان صوت نيتشه الذى بدا لى فى ذلك الحين معبرا عن موقف الانسان فى عصرنا الحالى تعبيرا امينا ، اصبح اليوم يبدو لى بعيدا عن هذا الموقف كل البعد . . . » .

هنا عندما نقرأ هذه العبارات التى تبدو « كانها » بداية لنقد ذاتى نزيه ، فلابد وان نتفاءل ونستبشر بالنقلة الفكرية التى حققها د . زكريا . لان نيتشه [٨٤٤ ـ ١٩٠٠] كما نعلم كان فيلسوف اللا عقل ، والمبشر بأيديولوجية الفاشية ، والعدو اللدود « لروح الثورة » والمفكر الذى احتقر الجماهير ودعا الى التعالى عليها .

ولكن ما أن نمضى فى القراءة ، حتى يتبين لنا ان الدكتور غير جاد فى نقده لنفسه ولموقفه السابق ، ومن ثم فهو يحاول أن يبحث عن عذر لنيتشه فى حملته على العقل فيقول :

« ان الحملة على العقل كانت **فى وقت ما** مظهرا من مظاهر التحرر الفكرى ، بل من مظاهر تكريس هذا الفكر من اجل تقدم الانسانية » [٣] .

هنا يتضح ان الدكتور لا يقف عند مواقع النقد الذاتى ، ولكنه يبحث عن مبررات لموقفه السابق . فاذا كان قد وقع تحت تاثير فكر نيتشه فى وقت ما ثم عاد واصبح واعيا بخطره ، فهذا أمر طبيعى قد يحدث لكل مثقف . ولكن ، عندما يشرع فى التماس الاعذار لنفسه ، فهذا هو الامر غير المقبول من واقع حركة التاريخ الانسانى ذاتها . لانه ما من مفكر تقدمى او ثورى او اشتراكى يقبل هذا التبرير ـ خصوصا ـ اذا وضعنا فى الاعتبار ان عبارة « **فى وقت ما** » انما تشير الى حقبة من تاريخ اوربا حافلة بالتحركات وبالثورات الاجتماعية ـ [مثلا ثورة ١٨٤٨ وثورة الكوميون ١٨٧٠] وانه فى تلك الحقبة كانت أسس الاشتراكية العلمية قد ارسيت ، وأن الاشتراكية ذاتها قد اصبحت فى صفوف العمال الاوربيين مذهبا ، وحزبا ، وحركة . ومن هنا فان فلسفة نيتشه اذا كانت قد جاءت لتعبر عن شىء ، فلكى تعبر فى جوهرها عن ايديولوجية البورجوازية الاوربية الرجعية ، فى مواجهتها للحركة الاشتراكية ، وفى ذعرها من استفحال وتعمق التناقضات الاجتماعية ، وعجزها عن حلها .

فهنا ، فى كتاب « نيتشه » يدافع د . زكريا عن العقل واللاعقل معا .

ثم تاتى الى عام ١٩٦٢ ، وكانت عملية التاميمات الكبرى قد تمت فى ١٩٦١ . وصدر الميثاق يقدم « الاشتراكية العلمية كمنهج للتقدم » . فى ذلك العام صدر كتاب د . زكريا عن « **نظرية المعرفة والموقف الطبيعى للانسان** » . ومرة اخرى ، قد نتفاءل ، هنا ، بامكانية تقدم فكره على الجبهتين الفلسفية والاجتماعية ، وذلك عندما نقرأ نقده الشديد لعزلة الفلسفة عن الحياة اليومية للانسان . ثم عندما نقرا له ـ ايضا ـ نقدا أشد للفلسفات المثالية . فقد كتب يقول :

« ان الفلسفة فى حاجة الى أن تخرج ، من آن لاخر عن النطاق « لاحترافى » الذى ضربته حول نفسها ، وتحدد علاقتها ببقية مجالات العالم . وهى فى حاجة الى ان تنظر بفهم وتقدير ، لا بازدراء وترفع الى وجهة نظر « الانسان » بالمعنى العام للكلمة . وينبغى أن تجد فى نفسها الشجاعة للربط بين آرائها وبين هذا « الانسان » ، والا ستظل الى الابد « مهنة » طبقية لا تلقى استجابة الا من ذلك النفر القليل الذى احترمها » [٤] .

وفى مكان آخر ـ من هذا الكتاب ـ يقول :

« ولا يخالجنى شك ان البشرية ستصل يوما الى دحض كامل للموقف المثالى ، بحيث يتسق سلوك الانسان العملى مع تفكيره النظرى ، ولا يعود فى وسع احد أن يقول مرة اخرى ان وجود العالم الخارجى امر مشكوك فيه ، أو وهم لا أساس له ، او أن ذلك العالم من خلق الذات » [٥] .

ولكن عندما نمضى فى قراءة هذا الكتاب تصدمنا بعض القضايا . وعلى سبيل المثال :

١ ـ فى محاولته دحض الفلسفة المثالية نراه

---

[٢] فؤاد زكريا : نيتشة ، مجموعة نوابغ الفكر الغربى ـ دار المعارف ـ القاهرة ١٩٥٦ .
[٣] فؤاد زكريا : نفس المصدر .
[٤] فؤاد زكريا : نظرية المعرفة والموقف الطبيعى للانسان . ص ٥ .
[٥] فؤاد زكريا : نفس المصدر . ص ٩ .

يشيد بفلسفة « **الموقف الطبيعي للانسان** » Common sense وهي الفلسفة التي يطلق عليها احيانا ، **فلسفة « الرأى الشائع »** أو « **الواقعية الساذجة** » فلسفة لها نواقص وعيوب خطيرة من حيث أنها تكتفي بالظاهر ولا تغوص في وجود الاشياء وحركتها وهي بذلك انما تعكس الممارسة اليومية بما لها من طبيعة محدودة . ومن هنا فهي كثيرا ما تعارض التفكير العلمي .»

٢ ـ رغم هجوم الدكتور أو نقضه للفلسفة المثالية نراه يقرر في كتابه ـ أن ما يدفع الفيلسوف الى تبنى الفلسفة المثالية **هو دافع اخلاقي له صلة بالزهد وباحتقار العالم المادى .**

هنا نرى د . زكريا يفسر نشوء وظهور الفلسفات المثالية تفسيرا مثاليا ـ لانه لا يفحص عن العوامل الموضوعية التي تحيط عادة بظهور ونشأة المذاهب والنظريات الفلسفية .

فهنا ، وفي هذا الكتاب الثاني ، يجمع د . زكريا بين موقفين متناقضين : الهجوم على الفلسفة المثالية ، وتبنى المناهج المثالية .

ثم نأتي الى عام ١٩٦٦ : وفيه وضح ان الخطة الخمسية الاولى ١٩٦١ ـ ١٩٦٥ حققت عددا من النجاحات الهامة لكنها لم تحقق الهدف الاساسي وهو زيادة الدخل القومي . وكان قد ظهر ان بدء خطة خمسية ثانية يتطلب توفير استثمار ت لم يكن من السهل تدبيرها الابالمضي في تعميق مجرى الثورة الاجتماعية . وهو الامر الذى عارضته كل القوى الاجتماعية المحافظة في داخل النظام والقوى الاجتماعية المعارضة للثورة من خارج النظام . وكان **عبد الناصر** قد بدأ يطرح ، منذ مدة ، قضية اجراء مزيد من التغييرات تحت شعار « الثورة على الثورة » . وفي الداخل احتدمت المعارك الفكرية بشدة . باختصار كان عام ١٩٦٦ في الداخل ، عام المعارك غير المحسومة سياسيا واجتماعيا واقتصاديا وفكريا ، وذلك على الرغم من ان الثورة كانت لا تزال صامدة تشدد النضال ضد الاستعمار الجديد وضد اسرائيل .

في ذلك العام ، كان من المتوقع أن يوظف د . زكريا علمه وثقافته في اتجاه يخدم حسم المعركة الفكرية بما يدعم مواقع الفكر الاشتراكي على الجبهة الفلسفية . لكنه لم يفعل . وعلى العكس فقد حاول ان يعقد زواجا كاثوليكيا ـ او مصالحة ـ بين الفلسفة الوضعية المنطقية وبين الفلسفة الماركسية . وتمت هذه المحاولة بعد أن استقرت قرارات التأميم في مقال نشره في جريدة الجمهورية بتاريخ ٢٤ نوفمبر ١٩٦٦ تحت عنوان « **حياتنا الفكرية ومعركة الملل** » ثم واصل مساعيه ، فقام بترجمة كتاب « نشأة الفلسفة العلمية » لقطب من اقطاب الوضعية المنطقية هو **هانزريشنباخ** .

في مقال « معركة الملل » يعترض د . زكريا على المضى في فتح النيران على الوضعية المنطقية لان هذا المذهب : ١ ـ ليس من التيارات القومية الفكرية . ٢ ـ وأنه محدود الانتشار ولا يمثله في بلادنا الا الاستاذ الدكتور زكى نجيب محمود . ٣ ـ ثم يضيف د . زكريا «صحيح ان كثيرا من تلاميذ الدكتور زكى قد تاثروا به . غير ان هذا التأثر يرجع الى شخصية الاستاذ ذاتها »

وعلى الرغم من ان د . زكريا يقرر في مقاله ـ ونحن نوافقه على ما يقول : « ان احدا لا يستطيع ان ينكر ان الفلسفة وثيقة الصلة بالواقع ، وانها ليست بناء تجريديا محلقا في الفضاء ، وانها ليست نتاجا فكريا يظهر بصورة تلقائية دون مقدمات منبثقة من التربة التي نبت فيها . ولكن الفلسفة قد تكون احيانا [ونوافقه على ذلك ايضا] مرتبطة بهذا الواقع ارتباطا يصعب اثباته وذلك عندما تكون اطارا فكريا عاما يعبر عن طريقة معينة في الحياة أو اسلوب خاص في الحياة . وقد تكون ، احيانا أخرى ، مرتبطة بهذا الواقع عن طريق علاقات معقدة غاية التعقيد ، عندما تكون مذهبا نظريا متخصصا ، كالوضعية المنطقية [ونلاحظ هنا أن د . زكريا لا ينفى أن تكون هناك صلة ، وان كانت معقدة جدا ، بين الواقع وبين الوضعية المنطقية] .

لكن من الغريب هو أن د . زكريا تولى ـ في الوقت نفسه ـ الرد على نفسه وذلك في المقدمة التي كتبها لترجمة الكتاب الذى أشرنا اليه .

١ ـ فبينما يقرر في مقاله أن المعركة بين أنصار الفلسفة الماركسية وبين انصار الوضعية المنطقية هي معركة الملل ، اذ هو يؤكد في المقدمة المشار اليها على « **ان بلادنا تشهد اهتماما غير مالوف بالمشكلات الفلسفية ، تعدى نطاق المتخصصين وشمل عددا غير قليل من اصحاب الثقافات المتباينة التي قد لا يكون لها اتصال مباشر بالفلسفة** » [٦] ومعنى كلام الدكتور ، ان المعركة بين الفلسفتين ليست مفتعلة ، وانما تأتي في مكانها من الاهتمام العام ، وغير المالوف ، بالمشكلات الفلسفية . اما عدم « افتعال المعركة » فيؤكده

---

[٦] ريشنباخ ، هانز : نشأة الفلسفة العلمية ، ترجمة الدكتور فؤاد زكريا ، ص ٦ .

واقع أن كثيرا من تلاميذ د . زكى نجيب محمود قد تأثروا بمذهبه الوضعى المنطقى .

هنا لا يقدم لنا د . زكريا تفسيرا موضوعيا للظاهرة الرئيسية [انتشار الاهتمام بالمشكلات الفلسفية] .

وعندما يفسر الظاهرة الفرعية [تاثر عدد كبير من تلاميذ د. زكى نجيب بالفلسفة الوضعيه المنطقية] يقدم **تفسيرا ذاتيا** قد يكون فيهجانب من الصحة ، لكن هذا الجانب ليس ولن يكون هو التفسير الصحيح ، طالما ان الدكتور اقر بوجود ظاهرة عامة — موضوعية — هى انتشار الاهتمام بمشكلات الفلسفة حتى بين غير المتخصصين .

٢ — وبينما يقرر د . زكريا ، فى مقدمة كتابه ، ان المعركة بين أصحاب الفلسفتين تتدخل فيها « الحساسيات التى تثور بين مفكرينا المحليين لاسباب **قد لا تكون كلها علمية** » [ص ٥] يعود عند نقده لسلبيات الوضعية المنطقية ليقول : ان من هذه السلبيات التاكيد المفرط للتفسير النفسى للفلسفة . واخطر من هذا قول الوضعيين بالطبيعة الاحتمالية للمعرفة . وقولهم ان قضايانا العربية كلها « ترجيحات » ، ويذهبون فى هذا الى حد تطبيق هذا الرأى على مشكلة وجود العالم الفيزيائى ، ويؤكدون أن هذا الوجود أمر مرجح فحسب ، وأنه ناتج عن استقراء ، وأن احتمال تحول الواقع الى حلم قائم على الدوام ، ويحول بيننا وبين تاكيد ذلك الواقع على نحو مطلق .

هنا ، يحق لنا ، ان نعجب لحديث د . زكريا عن « **الحساسيات** » و « **الاسباب** » التى « **قد لا تكون كلها علمية** » مع اننا بازاء فلسفة تهز يقيننا بالعالم الفيزيائى ، بل انها فى تركيزها الرئيسى على الالفاظ وتحليل اللغة انما تعمل فى بعض مدارسها على تحويل وقائع الكون الى وقائع لفظية وتنتهى — بهذا الى الغاء واقعية الكون ، والاشخاص ، والظواهر العلمية ، والطبيعية . ثم هى تمد هذا الاتجاه الصورى فلا تقصره على معالجة العلوم الرياضية والفيزياء ، ولكنها تتعداه الى علوم النفس والتاريخ والاجتماع [٧] . ثم ينتهى الامر ببعض الفلاسفة الوضعيين المنطقيين الى موقف مثالى ، مغرق فى مثاليته ، عندما يقول « أن اللغة هى لغتى انا ، ولغتى عبارة عن مجموع الالفاظ التى اعرف معانيها . وتشتمل الفاظها على وصف الحالات التى شاهدتها انا . ان عالم اللغة هو عالمى أنا الخاص » [٨] .

غنى عن الذكر — طبعا — انمثل هذه الفلسفة تتعارض تعارضا اساسيا مع الفلسفة المادية الجدليه التى تهدأ من منطلقات أو مبادىء جد مختلفه ، خاصه فيما يتعلق بموقف كل من الفلسفتين من العلوم الاجتماعية والانسانيه عموما . ذلك ان :

« الفلسفة المنطقية ليست مجرد موقف فلسفى وانما هى أيضا موقف سياسى . لانها ، فى نهايه المطاف ، تنكر القوانين الموضوعية للحياة الاجتماعية استنادا الى عدم علمية علم الاجتماع . ومن تم فهى تنكر القدرة على التنبؤ بمسار التطور الاجتماعى ، وبالتالى فانها ترفض مبدأ التخطيط الاجتماعى . ثم انها تنكر علميه الايديولوجيا بدعوى أن الايديولوجيا — من حيث أنها نسق من الافكار والقيم — لا تقف عند حد الوصف ، أى عند حد ما هو كائن ، وانما تتجاوزه الى حد التقييم ، أى الى حد ماحقه أن يكون ... وما حقه أن يكون ليس موضوع علم . ومن هذه الزاوية فان الوضعية المنطقيه تعتبر الاساس الفلسفى لنزعة الحتمية التكنولوجية التى تقدر أن تطور المجتمع يستند الى التكنولوجيا دون الايديولوجيا . ولهذا شاعت الوضعية المنطقية فى أمريكا وانجلترا وكندا واستراليا .. الخ » . [٩]

على الرغم من هذا ، يجد د . زكريا فى نفسه القدرة على أن يعقد ، فى داخل عقله ، نوعا من الصلح بين فلسفتين متعارضتين .

هنا ، قد يرد علينا بانه يوجد من بين المشتغلين بالفلسفة المركسيه من أبرز الدور الذى قام به الفلاسفة الوضعيون المنطقيون فى تحليل اللغه ، واعتبار اللغة احد موضوعات الفلسفة ، كما ابرزوا دور الوضعية المنطقية فى نقد الفلسفة القديمة .

وهذا صحيح . ولكن هؤلاء الماركسيون ، أنفسهم ، ينقدون الوضعية المنطقية :

أولا : لمنهجها المثالى ، اذ هى تلغى التفرقة بين الموضوع وتكوين الذات للموضوع .

ثانيا : لانها تعتبر علاقة السببية علاقه منطقية وليست علاقة موضوعية .

[٧] يحيى هويدى ، الفلسفة الوضعية المنطقية فى الميزان ، ص ١٧١ .
[٨] نفس المصدر ، ص ١٤٩ .
[٩] راجع مقال « حوار فلسفى فى صوفيا » للدكتور مراد وهبة ، مجلة الطليعة عدد اغسطس ١٩٧٤ ص ١٩٢ .

ثالثا : لانها تكتفى بمنهج المحاولة والخطأ باعتباره المنهج الوحيد ، على الاقل فى نظر بعض فلاسفتها [١٠] .

وعند هذه النقاط نتوقف ، لنرى ان اول ما يلفت النظر فيها أنها تعنى فى التطبيق استحالة قيام « النظرية » أو تكوين الايديولوجيا . وبدون النظرية يستحيل احداث تغيير ثورى فى المجتمع . وبدون النظرية العلمية تفقد اى مجموعة سياسية من الناس وضوح الرؤية ، ووضوح الهدف .

فاذا أردنا أن نكتشف ، بعد ذلك ماذا يمكن أن تكون عليه العلاقة المعقدة جدا بين الوضعية المنطقية وبين حركة المجتمع المصرى ، على الاقل ابتداء من مناقشة الميثاق ثم اعتماده وثيقة تتضمن الخطوط النظرية العامة لثورة يوليو . . . نقول :

ان قادة ثورة يوليو ، لم يكونوا ، بالقطع ، من تلاميذ المدرسة الوضعية المنطقية . لكن الذى حدث فعلا هو أنهم رفعوا — قبل صدور الميثاق فى ١٩٦٢ — شعار « التجربة والخطأ » معلنين انهم ضد التسليم باية «نظريات جاهزة» . وهذا القول لا غبار عليه ، اذ ليس هناك من يطالب الناس بأن يقبلوا بدون اقتناع أية قوالب نظرية . لكن أى حركة ثورية لا تستكمل نظريتها فى بناء المجتمع والدولة ، انما تبدد وقتا ثمينا وطاقة هائلة فى البحث عن نظرية تسترشد بها . ليس هذا فحسب ، بل أنها تعجز ايضا عن أن تقدم للجماهير — بكيفية تحفز مبادراتها — صورة المجتمع الذى تسعى اليه . والمثل الحى الذى نضربه هنا هو ثورة يوليو ، عندما بدأت تطبق **الخطة الخمسية الاولى** [١٩٦١ — ١٩٦٥] . فهذه الخطة وان كانت قد حققت بعض أهداف جزئية [مثلا دعم قطاع الصناعة] الا أنها لم تنجح فى تحقيق الهدف المحدد لها وهو الزيادة فى الدخل القومى . ومن المؤكد أن نقد هذه الخطة الخمسية الاولى ،من النواحى الاقتصادية والفنية ،يمكن أن يلقى أضواء هامة على عدم نجاحها فى تحقيق الهدف الموضوع . ولكن يظل السبب الرئيسى فى العجز عن تحقيقه راجعا الى أن الخطة كانت قد وضعت قبل التحولات الاجتماعية ، وقبل صدور الميثاق [الوثيقة النظرية للثورة] ولذلك فان هذه الخطة لم ترتبط بالاساس بنظرية المجتمع واهدافه المرحلية . وعلى سبيل المثال اهتمت الخطة اهتماما مبالغا فيه باقامة الصناعات الكمالية [الثلاجات — تجميع السيارات .. الخ] فأوجدت بذلك اندفاعا نحو أنماط استهلاكية غير مرغوب فيها ، وبدرجة تفوق زيادة الانتاج ، وهى أنماط تتعلق باحتياجات الطبقة البورجوازية قبل أن تتصل بمصالح الطبقات الشعبية . ولذلك ، ما ان وصلت الخطة الى سنتها الرابعة حتى واجهت الحكومة — فجأة — مجموعة من المواقف الحرجة ، اضطرتها الى ضغط الاستثمار ووقف الانشاءات التى لم تسر شوطا بعيدا نحو النهاية [١١] .

بالطبع ، لا نستطيع أن نتهم انصار الوضعية المنطقية فى مصر — على الاقل كأشخاص — بأنهم هم الذين تسببوا فى تعثر الخطة الخمسية الاولى . لكن فلسفتهم تظل مع ذلك **السند الايديولوجى** لكل من يعارض مبدأ التخطيط الاجتماعى ، لكل من يريد التهوين من ضرورة وجود نظرية متسقة للتغيير الاجتماعى تسترشد بها الثورة .

على أن الازمة التى واجهت ثورة يوليو فى المجال الاقتصادى لم تكن كل شىء .

فالواقع ، أنه منذ عمليات التأميم الواسعة وبداية المناقشات التى انتهت بوضع **ميثاق العمل الوطنى** ، وجدت ثورة يوليو أنها تخوض معركة حياة أو موت ، اى معركة مصير على المستوى الايديولوجى .. ان القضايا الفكرية التى طرحها الميثاق ، وتحديد هدف بناء مجتمع اشتراكى اثار نوعين من ردود الفعل الفكرية :

— فمن ناحية وجدنا ان كل المؤيدين لاقامة مجتمع اشتراكى — رغم اختلاف مدارسهم الفكرية — وكل من تقبل الميثاق — ولو فى خطوطه العامة — كانوا يحسون بالحاجة الشديدة الى الدفاع عن هذا الفكر الجديد الذى طرحته الثورة وحاجة هذا الفكر الى التأصيل . من هنا ، أصبحت للدراسات النظرية والفلسفية جاذبية شديدة فى المجتمع خصوصا فى صفوف الشباب [وهى حقيقة أشار اليها د . زكريا كما ذكرنا من قبل] . وأصبح حسم قضية اختيار الطريق الاشتراكى ،فى صفوف أوسع الجماهير ، بما فى ذلك المثقفين ، هى احدى الضمانات الجوهرية لاجتياز اى أزمة، ومقاومة كل ردة .

— ومن ناحية اخرى ، فان معارضى التطور الاجتماعى الجديد فى مسيرة الثورة ، كانوا فى حاجة الى شحذ اسلحتهم الايديولوجية ضد القضايا النظرية التى كانت الثورة قد بدأت

---

[١٠] مراد وهبة : محاورات فلسفية فى موسكو ص ١٨ — ١٩ .
[١١] على الجريتلى : التاريخ الاقتصادى للثورة . دار المعارف . القاهرة ١٩٧٤. ص ١٨٨ .
[١٢] على الجريتلى : التاريخ الاقتصادى للثورة . ص ١٨٨ .

تطرحها حول ضرورة ووسائل وقوى التغيير الاجتماعى الجذرى . ولما كان كثير من المثقفين قد وجدوا حرجا فى معارضة الاشتراكية على المستويات السياسية والاجتماعية ، فقد فضلوا أن ينقلوا المعركة ضد الاشتراكية الى المستوى الفلسفى فهو - على أى حال - المجال المناسب للتأصيل - بعيدا عن المتاعب - وفى هذا المجال قد تتاح لهم حرية أكبر من الحركة !

هنا - على هذا المستوى - كانت الفلسفة الوضعية المنطقية هى أقدر الفلسفات على تقديم « منبر » معارض للفكرية الاشتراكية . فهى تقدم منهجا يفكك العالم والمجتمع الى جزئيات صغيرة ، ويشكك فى أهمية وجدوى الحاجة الى وجود نظرية شاملة ، وتصورات كلية ، ونسق متكامل من الافكار السياسية والاقتصادية والاجتماعية . هنا تستطيع الوضعية المنطقية أن تثبت أن مفهوم « الاشتراكية » لا ينطوى على شىء واقعى . وان العلاقة بين بناء الاشتراكية وبين القضاء على التخلف والفقر هو مجرد علاقة منطقية لا علاقة موضوعية .

هنا تستطيع المنطقية الوضعية - ايضا - أن تثبت - بعد ذلك - أن اقامة مجتمع عصرى متقدم ، على أسس من العلم والصناعة ، لا يرتبط بقضية هذا المذهب الاجتماعى ، أو ذاك ، أو كما يقول **د . زكى نجيب محمود :**

« التحول فى عصرنا هو أن يكون الناس ذوى علم وصناعة . وسواء بعد ذلك أكانت الخطوة المؤدية الى ذلك نظاما فرديا أو نظاما اشتراكيا . فها هى ذى الولايات المتحدة فى طرف الفردية ، والروسيا فى طرف مقابل ، طرف الاشتراكية ، لكن كلتيهما سواء فى العلمنة والتصنيع . واذن ، فتلك هى العلامة التى لا علامة سواها لاى بلد يقال انه تحول » [١٣] .

وانطلاقا من هذا ، وعلى أساس هذه الارضية ، تستطيع هذه الفلسفة التى تنتسب الى العلم أن تستقطب كل الاتجاهات الاجتماعية المعارضة للاشتراكية كنظرية وكتطبيق . ومن السهل أن تشكل هذه الفلسفة مصدر جذب لقطاعات هامة من التكنوقراط وأساتذة الجامعات الذين تلقوا علومهم فى الغرب الرأسمالى ، ومن أصحاب المهن الحرة ذوى الاتجاهات الليبرالية . وسوف لن تجد صعوبة ، أيضا ، فى اقناعهم بأن حلول مشاكل مجتمع من مجتمعات بلدان العالم الثالث لا يمر عبر الايديولوجيا الثورية ، وعبر التطبيق الاشتراكى ، بل عبر التكنولوجيا .

يتضح بجلاء اذن ، وبدون لف أو دوران ، أن النقاش المحتدم مع الوضعية المنطقية عام ١٩٦٦ ، لم يكن ترفا ، ولم يكن سببه الرغبة فى تبديد الملل كما ذكر د . زكريا . ولكنه كان فى صميم المعركة الايديولوجية التى احتدمت حول اختيار طريق التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية : الطريق الاشتراكى أم الطريق الراسمالى .

وكان حريا بالدكتور أن يتنبه الى هذا ، لكنه لم يفعل ، وقدم لنا صورة من المثقفين الذين يستطيعون أن يجمعوا - بكيفية - فذة بين أشد الافكار والمبادىء تناقضا . ونقصد بذلك هذا التناقض غير المشروع . لكن مثل هذا الموقف كان لابد وأن ينفجر ويرغم الدكتور زكريا على أن يحدد هويته وموقفه ، وان يكف عن اللعب على حبلين والتنقل بين معسكرين .

لكن كل هذا يفسر - فى النهاية - كيف ان ثورة يوليو قد ضربت من بعض من مثقفيها أقسى الضربات . ولم يكن غريبا أن يكتب د.زكريا مقالاته الثلاث فى الزميلة **روزاليوسف** [١٤] فيقدم لنا عالما من الحطام والفوضى خلفته الناصرية وراءها ، وفى خلال عرضه المأساوى هذا تطفو على السطح - وبكيفية مستمرة - كل الرواسب الايديولوجية والفلسفية التى لم ينجح فى ان يتخلص منها .

هكذا نعلم مثلا من خلال مقالاته فى **روز اليوسف** أن الدكتور لم يتخلص من تأثير فلسفة نيتشه عندما نظر الى حركة الجماهير فى مصر : فهذه الجماهير ظلت فى مقالاته كتلة سلبية لا تتحرك ولا تطبع الاحداث بطابعها . وهى على الدوام فريسة سهلة لاجهزة الاعلام ، فاقدة القدرة على اتخاذ موقف ايجابى . وينتهى بها الوضع الى فقدان الثقة فى « مبادىء الاشتراكية » ذاتها بل والى الخروج للترحيب فى استفتاء غير رسمى بنقيض الاشتراكية [الرئيس نيكسون ممثل النظام الراسمالى] .

وهكذا ، نجد الدكتور ، مرة أخرى ، يعود ليقع فى حبائل التجريبية عندما يقول ان الصورة الكلية للناصرية [نزع مصادر الثروة والانتاج من أيدى الاقطاعيين والراسماليين الافراد ، واقامة قاعدة صناعية قوية يمكن أن تكون نواة لتحول اشتراكى حقيقى فى المستقبل] فيضيف الدكتور الى ذلك

---

[١٣] زكى نجيب محمود : تجديدالفكر العربى . القاهرة ١٩٧١ . ص ٢٣٧
[١٤] راجع مجلة « روز اليوسف » بتاريخ ٧٥/٣/١٧ و ٢١ و ٧٥/٤/٢٨

« وأنا لا أنكر أن الصـــورة الـكلية حقيقيـــة ، ولكنى لا أستطيع ان اعترف بنتيجتها ما لم يتحقق هذا التحول بمعاييره المعروفة ، أو تكون بوادره على الاقل قد بدأت فى الظهور » [١٥] .

هنا نرى الدكتور يعلق صحة المبدأ على نجاح او عدم نجاح التطبيق ، وعنده ان ما هو حقيقى هو فقط ما ينجح .

ثم يعود الدكتور ليقع فى حبائل المنطقيـــة الوضعية ، عندما يطرح قضية أن الناصرية نجحت نجاحا **زائدا عن الحد** فى سياستها الخارجية ، وانها أخفقت تماما فى الداخل فى تطبيـــق الإشتراكية . وهو إذ يحس بتناقض غير محلول هنا بين « نجاح » سياسة خارجية و « فشـــل » سياسة داخلية ، نراه يعجز تماما عن تقديم تفسير لهذه الظاهرة لانه ـ فى الواقع ـ يرفض أن يرى أن هناك علاقة موضوعية بين السياسة الداخلية والسياسة الخارجية لكل بلد . وعدم اعتـرافه بموضوعية هذه العلاقة [وهو الاعتراف الذى يلزمه بتقييم آخر للسياسة الداخلية] يدفعه الى القول بأن الحدود بين السياستين الداخليـــة والخارجية مائعة ومطاطة .

على أن ما هو فاجع حقيقة ـ فى موقف الدكتور ـ باعتباره أستاذا للفلسفة ـ هو اهداره لاولويات علم المنطق التى تبدأ عادة بالحدود والتعريفات . ولكن الدكتور قد استخدم عددا كبيرا من الالفاظ لم يحدد ما الذى يعنيه . تحدث عن « الاشتراكية » ، ولم يقدم تعريفا عنها . وأسرف فى الحديث عن « اليسار » ولم يقدم تعريفا علميا له . واستخدم عبارات « الانسان العادى » و « الانسان البسيط » و « الانسان المصرى » [١٦] ولم نعرف ماذا يقصد بالضبط . لكن مثل هذه التعبيرات المجردة ، انما تهدف الى التعمية والمغالطة وتجنب تحـديد المواقف . ذلك أن الانسان فى مصر هو مواطن ينتمى الى طبقة أو فئة اجتماعية . ولكن الدكتور تفادى ان يتحدث مثلا عن الفلاح أو عن العامل أو عن الحرفى او الموظف ، لانه يدرك بذكائه أن مثل هذا التحديد للوضع الاجتمـــاعى للمـــواطن أو « الانسان المصرى » يلزمه هو شخصيا ـ أو على الاقل ـ يثير فى ذهن القارىء مجموعة مـن المقارنات بين ماض وبين حاضر ، كما يطرح أمام القارىء مجموعة من المواقف والعلاقات والمواقع السياسية والاقتصادية والاجتماعية . وهذا ما تفاداه الدكتور ، وانما تميز اسلوبه فى المقالات الثلاث بزئبقية عجيبة لا يمكن أن يتقبلها الدكتور فى بحث يقدمه له احد تلاميذه لانها منافية لكل ثقافة فلسفية ، بل منافية لابسط التقاليد الاكاديمية .

غيـــاب التفكـــير المنهـجى

نذكر كلمة للفيلسوف والعالم الرياضى **وينهيد** مؤداها ان بناء المدنية لا يمكن الا وأن يرتبط أشد الارتباط بالتفكير المنهجى .

غير ان هذا النوع من التفكير المنهجى هو ما نفتقده فى مقالات د . زكريا . وسنضرب لذلك مثلين :

١ ـ تفسيره لعملية افراج **عبد النـــاصر** عن اليسار فى ١٩٦٤ .

٢ ـ رؤيته للعلاقة بين **عبد الناصر** وبيـن اليسار .

مرة اخرى خطيئة « الرأى الشائع »

يزعم د . فؤاد زكريا أن عبد الناصر عندما أفرج عن الشيوعيين فى عام ١٩٦٤ لم يكن بسبب أنه اقترب من مواقعهم ، ولكن لارضاء طرف معين من الاطراف الدولية .

ان الدكتور يريد ان يقول ببساطة ، أنه تم الافراج عن اليساريين بمناسبة زيارة خروشوف رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى .

ومرة أخرى ، نقول أنه ـ اذا حسنت نية استاذ الفلسفة ـ فانه يكون قد وقع فى خطأ « الرأى الشائع » اعتمادا على مجرد الظواهر المرئية . فانه لما كان قد تم الافراج عن آخر فوج من المعتقلين فى الاسبوع الاول من ابـريل ١٩٦٤ ، ثم جـاء خروشوف فى ٩ مايو ١٩٦٤ ، فلابد وان تكون هناك « علة ومعلول » .

غير أن مثل هذه النظرة السطحية للامور يمكن تفنيدها فيما يلى :

١ ـ عندما جاءت ثورة يوليو فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ افرجت عن جميع المعتقلين من شيوعيين ووفديين .. الخ ولم يتم الافراج لارضاء طرف دولى معين . فلم تكن قد بدات أية علاقات خاصة بين النظام الجديد وبين الاتحاد السوفييتى .

٢ ـ بعد أحداث مارس ١٩٥٤ فتحت المعتقلات مرة اخرى وتم اعتقال عدد كبير من الشيوعيين وغيرهم من أعضاء الاحزاب الاخرى .

وعقب تأميم قناة السويس ، وعندما لاحت نذر عدوان استعمارى مسلح أفرج النظام عن جميع

---

[١٥] جمال عبد الناصر واليسار المصرى ـ ٣ مقالات للدكتور فؤاد زكريا ـ مجلة روز اليوسف .
[١٦] هذا مع أن الدكتور يحذرنا فى كتبه من استخدام الكلمات استخداما محفوفا بالخطر .

المعتقلين ولم يتم هذا ارضاء لاى طرف دولى اجنبى .

فاذا تأملنا أسباب الافراج فى الحالة الاولى ، تبين أنها أسباب داخلية فى جوهرها ، بعضها يتعلق برغبة النظام الجديد فى كسب أو تحييد أكبر عدد من القوى السياسية التى كانت تنشط اذ ذاك ، فى داخل البلاد . وبعضها الاخر يتعلق بتكوين مجلس قيادة الثورة نفسه الذى كان يضم اتجاهات سياسية واجتماعية متعددة .

واذا تأملنا بعد ذلك - أسباب الافراج فى الحالة الثانية راينا أنه يمكن تفسيرها على ضوء القانون الذى يحكم التناقض الرئيسى بين قوى الاستعمار العالمى من ناحية وبين القوى الشعبية والوطنية ، على اختلافها ، من ناحية أخرى . وتعلمنا دروس النضال الوطنى التحريرى أن النظم الوطنية عندما تتعرض لضغوط استعمارية عنيفة فانها تبدى ميلا الى تخفيف حدة تناقضاتها فى الداخل مع القوى الوطنية والشعبية الاخرى ، حرصا على تأمين جبهتها الداخلية . وهذا ما تتطلبه الف باء السياسة ولا يحتاج الى جهد عبقرى لفهمه . ويحدث العكس ، فى العادة ، فعندما تخف ضغوط الاستعمار ولا يعود - مهددا بكيفية مرئية ومحسوسة - النظم الوطنية ، فانه تطفو على السطح - مرة أخرى - التناقضات الاجتماعية الكامنة فى صفوف المجتمع ، وبين القوى الوطنية والثورية المختلفة .

٣ - والافراج عن اليساريين فى عام ١٩٦٤ لا يمثل ظاهرة شاذة ، وانما يظل محكوما بحركة التناقض الرئيسى بين الاستعمار وبين القوى الوطنية والثورية فى مجموعها . وان كان هذا الافراج قد تم فى ظروف محلية وعربية ودولية اكثر تعقيدا . وهى ظروف يمكن أن توضع تحت عنوان موجز هو :

دخول عبد الناصر معارك التنمية [والوحدة العربيه] فى مواجهة اخطر القوى وأشدها بأسا : الاستعمار الجديد بقيادة الولايات المتحدة الامريكية .

فعلى الصعيد الداخلى ، نعرف جميعا ما حدث : لقدبدأ النظام يصفى مواقع رأس المال الاجنبى الاحتكارى والكبير ، وبلغت هذه التصفية أوجها بصدور قرارات يوليو ١٩٦١ التاريخيه ، قرارات التأميم التى توالت بعد ذلك التاريخ . ثم النزول بالحد الاقصى للملكية الزراعية الى ١٠٠ فدان .

وفى ٢٨ سبتمبر وقعت الحركة الانفصالية بين **سوريا ومصر** . واذ استشعر عبد الناصر أن قوى الرجعية قد وجهت اليه ضربة عنيفة ، أعلن فى اكتوبر ١٩٦١ « أن المصالحة مع الرجعية قد انتهت » كما اعلن الحاجة الى خلق تنظيم شعبى ، ثم ما تلا ذلك من دعوة المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية لمناقشة ميثاق العمل الوطنى واقراره . واستمرت التأميمات فى الفترة من ٩ مايو ٦٣ الى ٢٤ مارس ٦٤ . أصبحت التجارة الخارجية تحت الاشراف الكامل للدولة ، وصدر فى ٢٢ مارس ٦٤ قرار بقانون يقضى بأن تؤول الى الدولة - بدون مقابل - ملكية الاراضى الزراعية التى تم الاستيلاء عليها طبقا لقانون الاصلاح الزراعى .

أما على الصعيد العربى ، والدولى ، فقد كانت المعارك الصدامية تتصاعد ضد الاستعمار والاستعمار الجديد وضد اسرائيل . واذا ضربنا مثلا لبعض الاحداث الرئيسية والبارزه [ونقول **بعض** فقط] فسوف نرصد فى الفترة بين أغسطس ١٩٦٠ واكتوبر ١٩٦٥ ما يلى :

- ففى عام ١٩٦٠ كان اعلان القاهرة رسميا عن استعدادها لمعاونة **الكونغو** عسكريا ، واعلانها أنها ستسلح جيش **الصومال** ، ومطالبتها بضم **الصين الشعبية** الى هيئة الامم المتحدة . وفى عام ١٩٦١ كانت مطالبة عبد الناصر فى مؤتمر الشعوب الافريقية باستمرار النضال ضد الاستعمار ، وبازالة القواعد العسكريه ، ثم ادانته للعدوان الذى وقع على **كوبا** [غزوة خليج الخنازير الفاشلة] ، ومطالبة **القاهرة** بأن تجلو القوات البريطانية فورا عن **الكويت** . ثم قامت بتقديم امدادات عسكرية لتونس لصد العدوان الفرنسى على **بنزرت** .

وبعد الحركة الانفصالية فى سوريا ، وفى ١٩٦٢ ، احتجت القاهرة على سلسلة التجارب الذرية الامريكية . واعترفت بحكومة الثورة فى **اليمن** وارسلت الى هناك دعما ماليا وعسكريا كبيرا . وفى ١٩٦٣ اوفدت الى **الجزائر** خبراء لتشغيل ٨٠٠ مصنع معطل بسبب الهجرة التخريبية التى قام بها المعمرون الفرنسيون . وتم اعلان ميثاق **منظمة الوحدة الافريقية** . وقطعت القاهرة علاقتها مع نظام **سالازار** فى البرتغال . وأرسلت الى الجزائر - بناء على طلبها - قوات من الجيش المصرى بسبب حوادث الحدود الجزائرية المغربية المعروفة . وفى ديسمبر من نفس العام طلبت مصر دعوة عاجلة لمؤتمر قمة عربى لمواجهة الخطر الاسرائيلى الذى تمثل فى تحويل مجرى نهر الاردن .

وشهدت الفتره التى تلت الافراج عن المعتقلين والمسجونين تصعيدا أكبر فى المواجهة مع الاستعمار والاستعمار الجديد .

٩ ـ ففى ١٩٦٤ ، خطب عبد الناصر فى عيد الثورة فحدد أن :

ـ الحرب مع اسرائيل حتمية طالما بقى العدوان على العرب .

ـ ضرورة تصفية القواعد البريطانية فى ليبيا وقبرص .

ـ بقاء القوات المصرية فى اليمن حتى يبنى جيش يمنى قوى .

وفى ٢٣ ابريل ـ من العام نفسه ـ اعلن عبد الناصر :

ـ لن نسمح للاستعمار ان يبقى فى اى جزء من الوطن العربى .

ـ على انجلترا ان ترحل من عدن وتخرج من المنطقة كلها .

اما عام ١٩٦٥ فقد شهد اهتماما مركزا من قبل النظام فى مصر بقضية فلسطين ، ومواجهة الخطر الاسرائيلى ، ورفضا قاطعا لكل الوان الضغوط الامريكية على البلاد .

وعلى سبيل المثال : حدد عبد الناصر فى ٨مارس ٦٥ المهام التى تنتظرها البلاد فى السنوات الثلاثة القادمة ، فقال انها :

ـ بناء الصناعة الثقيلة .
ـ مواجهة الخطر الاسرائيلى .
ـ العمل من أجل الوحدة العربية .

وعلى اساس من الاقتناع الكامل بأن اسرائيل تحضر لعدوان مقبل :

اتجه عبدالناصر الى تصفية الخلافات مع المملكة السعودية حول اليمن [اكتوبر ١٩٦٥] . وفى مؤتمر القمة العربى الثالث بالرباط [اكتوبر ١٩٦٥] قال : ان مهمتنا باختصار هى تحرير فلسطين ، ولا يمكن الفصل بين تحرير فلسطين وبين الحركة الشاملة للامة العربية من اجل تحررها السياسى والاقتصادى .

كما تضمن بيان المؤتمر تأييد النضال العربى فى الجنوب المحتل وفى عمان وفى الخليج .

وفى العام نفسه تم قطع العلاقات الدبلوماسية مع بريطانيا . ورفض مطلب واشنطون بأن تتعهد مصر بعدم انتاج أسلحة ذرية ، ووقف انتاج الصواريخ ، وتجميد الجيش المصرى عند الحد الذى وصل اليه . كما رفض الاحتجاج الامريكى على انشاء مكتب لجبهة التحرير الفيتنامية فى القاهرة .

ان هذه الوقائع ـ وغيرها الكثير ـ تبين ان الافراج عن اليسار فى عام ١٩٦٤ كانت تحكمه ايضا حركة التناقض الرئيسى بين القوى الوطنية والثورية مجتمعة وبين قوى الاستعمار والاستعمار الجديد . هذا على الصعيد الخارجى . وعلى الصعيد الداخلى كانت هناك قوى الرجعية الداخلية . وفى هذه المعركة حدث ما يلى :

١ ـ اتجه عبد الناصر الى توسيع قاعدة نظامه بحيث لا تعتمد على البورجوازية [الرأسمالية] الوطنية **وحدها** . بل اتجه الى كسب اقسام اوسع من الفلاحين والعمال والمثقفين .

٢ ـ ان تصفية قواعد رأس المال الاجنبى الاحتكارى والكبير اضعف الركيزة الرئيسية والمادية لمعاداة اليسار والاشتراكية والشيوعية .

٣ ـ وفى هذه المعركة المتصاعدة مع قوى الاستعمار اهتم عبد الناصر بتعزيز صلات مصر من ناحية ببلدان المعسكر الاشتراكى وفى مقدمتها الاتحاد السوفييتى ، ومن ناحية أخرى ببلدان عدم الانحياز وفى مقدمتها يوغسلافيا والهند ، ومن ناحية ثالثة بالقوى الديموقراطية واليسارية فى اكثر من بلد من بلدان أوربا وآسيا . ومن ناحية رابعة بحركات التحرر الوطنى خصوصا فى افريقيا .

ومن كل ما تقدم ، نخلص الى أن الافراج عن اليساريين لم يكن ـ فى جوهره ـ ارضاء لطرف دولى ، بل كان نتيجة لتفاعل مجموعة من العوامل الموضوعية ، تحدثنا عنها ـ ولتفاعل مجموعة من العوامل الذاتية [فى مقدمتها حركة النظام الناصرى ـ اجتماعيا ـ فى اتجاه التقدم ، وتقييم اليسار المصرى ـ بشكل عام ـ لهذه الحركة ومساندته لاتجاهاتها الاساسية .

ثم نضيف :

١ ـ ان عبد الناصر كان قد صرح فى يوليو ٦٣ ـ اى قبل الافراج بعام ـ لجريدة **لوموند** الفرنسية بأنه سيتم الافراج عن جميع المعتقلين والمسجونين السياسيين .

٢ ـ أن قسما من المسجونين تم الافراج عنه بعد وصول خروشوف بيومين او ثلاثة .

٣ ـ سوف نسلم بأن بدء الافراج عن اليساريين منذ منتصف ١٩٦٤ كان لارضاء الاتحاد السوفييتى . ففى هذه الحالة يثور سؤال وهو :« لماذا لم يتم الافراج فى تاريخ سابق على هذا التاريخ ، وفى مناسبات لا تقل أهمية ، وفى ظروف كان **عبد الناصر** فيها يحتاج الى مساعدة السوفييت ومساندتهم ؟ » . مثال ذلك ، نحن نعرف

انه فى أغسطس ١٩٦٠ تم توقيع الاتفاق بين مصر والاتحاد السوفييتى لتمويل المرحلة الثانية من السد العالى . فلماذا لم يفرج عن اليساريين بهذه المناسبة الهامة ، وأفرج عنهم – بعد ذلك بأربع سنوات تقريبا ؟ الاجابة الصحيحة والعلمية هى :

١ – ان التناقضات بين عبد الناصر وبين اليسار المصرى والعربى كانت لا تزال محتدمة للغاية ، بحيث بدا فى الظاهر أنها تغطى على التناقض الرئيسى .

٢ – فى عام ١٩٦٠ لم تكن المعارك بين عبد الناصر وبين قوى الاستعمار قد تصاعدت الى الذروة والى الافق التى تصاعدت اليها ، عندما تبين للاستعمار الجديد أن النظام فى مصر جاد فى كسر طوق التبعية للنظام الاقتصادى الراسمالى العالمى ، وانتهاج طريق التنمية المستقلة .

واخيرا ، نعلق على ما قاله د . زكريا حول دواعى الافراج عن اليساريين فنقول : اخطأ أستاذ الفلسفة تماما ، كما اخطأ الانسان فى الزمن القديم عندما قال ان الشمس تدور حول الارض اعتمادا على الاوجه المحسوسة للظاهرة .

اليسار والناصرية ومن حـــول من ؟

عندما تعرض د . زكريا لعلاقة الناصرية باليسار المصرى حدد أن هذه العلاقة تدور على محورين :

الاول : أن الناصرية حولت اليسار نحوها واجتذبته الى موقعها ولم يحدث العكس .
الثانى : أن هذا تم بالاغراء بالمناصب الرفيعة والحياة المرفهة ولم يكن امام اليساريين من بديل غير القبول او العودة الى المعتقلات .

هنا يتجسد منهج الدكتور – منهج الواقعية الساذجة — فى معالجة قضية خطيرة كتلك ، لها تاريخ باكمله ، وتطوراتها المعقدة فى مختلف الفترات التى مرت بها ثورة يوليو وهى تنتقل من موقع الى موقع .

وربما دعونا الدكتور الى أن يقرأ فى هذا العدد تحليلا لعلاقة عبد الناصر باليسار [١٧] ، نعتقد أنه يتضمن عددا من النقاط الرئيسية حول هذه القضية . غير أننا نحب ان نضيف ما يلى :

ان علاقة الناصرية باليسار المصرى قد مرت باطوار مختلفة ، وتعقيدات شتى . وبعض هذه التعقيدات سلبى سببه الاخطاء المتبادلة من الجانبين ، كما أن من بين أسبابه الوضع الانقسامى الذى كان سائدا فى صفوف اليسار عند قيام ثورة يوليو، وبالتالى فلم يكن هناك موقف موحد بين فرق اليسار المختلفة من النظام الجديد .

لكن هذا لم يكن يعنى أن معارضة اليسار للنظام الجديد لم تكن لها أسس موضوعية فى فترات معينة ومواقف محددة . واذا لخصنا القضايا التى احتدم حولها الخلاف بين الناصرية وبين اليسار أمكن حصرها فى قضيتين رئيسيتين :

١ – قضية الديموقراطية السياسية .

٢ – ظهور اتجاه فى صفوف الثورة – خصوصا – الفترة التى تلت حرب السويس – يذهب الى أن المعركة مع الاستعمار قد انتهت ، وهو ما كان يؤذن بدفع التناقضات الداخلية الى مستوى التناقض الرئيسى :

فيما يتعلق بقضية الديموقراطية السياسية ، انطلق اليسار [١٨] من واقع أن النظام الجديد كان يسير [خصوصا فى الفترة من ٥٢ الى ٦١] على نظام اقتصادى ليبرالى – اى رأسمالى . ومن هنا جاءت مطالبة اليسار بحق جميع الطبقات الشعبية فى ممارسة حرياتها السياسية والنقابية بما فى ذلك حرية تكوين الاحزاب السياسية .

وعندما بدت فى الافق تباشير الوحدة بين مصر وسوريا أيد اليسار بقوة الوحدة بين البلدين من حيث المبدأ ، وطالب بان يتم ارساؤها على قواعد وأسس ديموقراطية تضمن استمرارها . وطالب اليسار فى الوقت نفسه ، بوقف كل الضغوط الموجهة الى النظام الذى اقامته ثورة تموز فى العراق ، ايا كان الرأى فى قياداتها .

ومن المهم هنا الاشارة الى ان شعارات وبرامج اليسار المصرى لم تكن تتضمن فى تلك الفترة – من قريب او بعيد – اشارة او دعوة الى اسقاط النظام

[١٧] راجع فى باب الرأى والرأى الاخر مقال د. صفوت عثمان تحت عنوان « طرح خاطىء لعلاقة الناصرية باليسار ».
[١٨] لابد من التأكيد على أن ما يشار اليه هنا لا يمثل بالضرورة رأى كل اليسار .

أو الانقضاض عليه . وعلى الرغم من ذلك فقد واجه النظام معارضة اليسار ــ خصوصا للاسلوب الذى تمت به الوحدة المصرية السورية ــ بفتح السجون والمعتقلات منذ اواخر ١٩٥٨ الامر الذى فاقم الخلافات اكثر فأكثر ».

لكن ابتداء من عام ١٩٦٠ ، اخذ الوضع الداخلى يشهد تغييرات تدريجية تدخل على السياسة الاقتصادية وقد تم هذا تحت تأثير عاملين :

الاول : هو اكتشاف الثورة ان رءوس الاموال الغربية وخاصة الامريكية لم تات على الرغم من كل التسهيلات التى قدمت لها ، بما فى ذلك قوانين استثمار رأس المال الاجنبى ، وبما حوته ــ وقتئذ ــ من مغريات وضمانات كثيرة .

الثانى : عزوف الراسمالية المصرية او القطاع الخاص عن المساهمة فى التنمية . وهو امر راجع الى أكثر من سبب تاريخى يتعلق بنشاه القطاع الخاص ، وتطوره ، واتجاه اصحابه الى تفادى عنصر المخاطرة فى اقامة المشروعات [وبذلك كانوا على النقيض من اقرانهم الراسماليين الاوربيين] . هذا على الرغم من أن النظام الجديد كان قد هيأ لهم كثيرا من العوامل التى تخفف المخاطرة الى حد بعيد [١٩] .

وقد تمثلت هذه التغييرات الاقتصادية فى تأميم البنك الاهلى وبنك مصر عام ١٩٦٠ . ثم جاءت موجة التأميمات الكبرى عام ١٩٦١ واستمرت حتى عام ١٩٦٤ كما هو معروف . وجاء الميثاق عام ١٩٦٢ ليقدم تصورا وبرنامجا بعيد المدى لاقامة مجتمع اشتراكى يهتدى بالاشتراكية العلمية منهجا وليسيطر على الهياكل الرئيسية لادوات الانتاج ، ويدخل البنوك وشركات التأمين فى نطاق الملكية العامة ، ويضع التجارة الخارجية « تحت الاشراف الكامل للشعب » .

بهذه التغييرات ، التى ساندها اليسار مساندة تقوم على المبدأ ، كانت ثورة يوليو قد بدأت تنتقل الى مواقع جديدة تماما فى تطورها : فى صياغة سياستها الداخلية والعربية وفى علاقاتها مع الاتحاد السوفيتى وسائر بلدان المعسكر الاشتراكى ودول عدم الانحياز . كانت مصر ، باختصار ، قد كسبت معاركها ضد الاستعمار القديم ، وانتقلت الى معركة اكثر ضراوه واشد وطأة من اجل تنمية اقتصادية مستقلة . وهنا اصطدمت وجها بوجه بالاستعمار الجديد .

وربما كان فى مقدمة الاخطاء التى تدفع الى انحرافات يمينية ويسارية معا أن نسقط ــ أو نقلل من اهمية ــ معارك ثورة يوليو ضد الاستعمار الجديد . على ان عدم الالتفات الى طبيعة هذه المعركة وابعادها الكاملة ليس خطأ علميا فحسب بل غفلة تلحق اشد الاضرار ، بقضيه التقدم الاجتماعى فى مجملها .

فاذا سألنا ــ بعد ذلك ــ عن الدلالات الحقيقية لصدام ثورة يوليو مع الاستعمار الجديد فسوف نجد :

١ ــ ان هذه المعارك ، وان كانت قد فرضت على النظام فرضا ، الا أن دخولها كان هو السبيل الوحيد لحماية ما تم منذ ١٩٦٠ ـ ١٩٦١ من اجراءات حررت الاقتصاد المصرى من سيطرة الاحتكارات الدولية . هذا من ناحية .

٢ ــ ومن ناحية اخرى ، فان المعارك التى أشرنا الى بعضها ، فيما تقدم ، دللت على تصميم ثورة يوليو على السير فى طريق التنمية المستقلة ، والابتعاد بمصر ــ شيئا فشيئا ــ عن نطاق التبعية للنظام الاقتصادى للعالم الرأسمالى .

٣ ــ فاذا اضفنا الى ذلك انه قامت بالفعل ، عقب التأميمات ، قاعدة واسعة للملكية العامة خصوصا فى الصناعة والتجارة الخارجية . واذا اضفنا ان مواثيق النظام حددت اختيار طريق التطور عندما وضعت بناء المجتمع الاشتراكى هدفا .

نقول اذا ادخلنا هذه النقاط الثلاثة فى اعتبارنا ، فاننا لا نخطىء اذا قلنا انه قد قامت فى مصر ــ فى ذلك الوقت ــ امكانية حقيقية لاحداث تنميه اقتصادية واجتماعية مستقلة وهى الشرط الجوهرى الذى بدونه لا يمكن لاى مجتمع أن يتحدث ، فضلا عن ان ينتقل الى طريق التطور الاشتراكى .

أمام هذا كله كان مطروحا على كل قوى التقدم فى مصر ، ومن بينها اليسار الماركسى ان تجيب على الاسئلة التالية :

ــ هل يقف مع النظام ومع الشعب ضد الضغوط الاستعمارية والاستفزازات الاسرائيلية التى تهدف

[١٩] على الجريتلى : التاريخ الاقتصادى للثورة » ص ٥٦ ــ دار المعارف ــ ١٩٧٤ »

الى اجهاض اجراءات يوليو وما تنطوى عليه من دلالة ، أم انه يسلك سلوكا يضعف الوحدة الوطنية .
– هل يقف اليسار مع زيادة تدخل الدولة فى الاقتصاد أم لا ؟

– هل هو مع مبدأ التخطيط الشامل أم لا ؟

– هل يؤيد قوانين الاصلاح الزراعى المتتابعة التى هبطت بالحد الاعلى لملكية الفرد أم لا ؟

– هل يؤيد قيام ضمانات دستوريه وقانونية توسيع – او تفتح امكانية توسيع – مشاركه أقسام أوسع من الطبقات الشعبية فى اداره الاقتصاد والمشاركة فى الحياة السياسية .

ان الاجابة بالايجاب على هذه الاسئلة ، لم تكن تعنى ان اليسار يؤيد ويساند كل اجراء تقدمى وديموقراطى تم ادخاله على هيكل الاقتصاد المصرى فحسب ، بل كان عليه أن يصل الى الاستنتاج الرئيسى والحاسم : وهو أن البلاد مقدمة على خوض معركة الحياه والموت ضد قوى الاستعمار الجديد وضد اسرائيل . وان التناقض الرئيسى بين الاستعمار الجديد ، من ناحية ، وبين كل الطبقات الشعبية والوطنية ، من ناحية أخرى ، هو الذى يحكم كل موقف تتبناه هذه القوة السياسية أم تلك .

من هنا ، كان لابد وان يكون الالتقاء بين الناصرية وبين اليسار المصرى التقاء موضوعيا . فالمعركة ضد الاستعمار الجديد – فى نظر اليسار – ستقرر فى النهاية وتحسم قضية اختيار طريق التطور وترتيبا على هذا اتجه اليسار الى مساندة نظام يوليو والتعاون معها .

ولم يكن هذا التعاون من باب البحث عن تبريرات لاخطاء النظام . واذا كان الدكتور قد قرأ شيئا من هذا القبيل لاحد اليساريين ، فلا يجوز له ، وهو الذى درس المنطق ، أن يعمم هذا على مجموع اليسار الماركسى . فالقول مثلا ان بعض الارهابيين ينادون باتباع تعاليم الدين ، لا يعنى أن جميع المتدينين من الارهابيين .

وما حدث فى الواقع هو أن اليسار اقام علاقته مع النظام على أساس الوحدة والصراع . اما الوحدة فتعنى ان يكون اليسار بفكره وخبرته ونشاطه العملى قوة دافعة فى المعركة ضد الاستعمار الجديد وللدفاع عن – وتعميق – التحولات الاقتصادية والاجتماعية التى بدأت . واما الصراع فيعنى نقد كل السلبيات الرئيسية والخطرة التى شابت عمل الاتحاد الاشتراكى والقطاع العام والاصلاح الزراعى ... الخ .

وبعد ٥ يونيو ، عمق اليسار الماركسى نقده ، كاشفا العوامل الرئيسية ، الاجتماعية والسياسية التى أدت الى النكسة بابعادها التى وقعت بها . بل انه عارض سياسة حكومة السيد – **زكريا محيى الدين** التى اتبعت خط الهبوط بمعدلات التنمية [الانكماش] وبهذه المناسبة ، فقد نشرت الصحف فى ذلك العهد نقدا لاقتصادى يسارى لرفع سعر الارز والكيروسين وهى القضية التى « ارقت » الدكتور . وعارض اليسار التغييرات التى ادخلت على قانون الجمعيات التعاونية لخفض نسبة فقراء الفلاحين فى مجالس اداراتها . وهاجموا البيروقراطية داخل القطاع العام ، وكشفوا أن تسلطها سبب رئيسى من الاسباب اضعفت التنظيمات النقابية ، وجعلت من مشاركة العمال فى مجالس الادارة أقرب الى ان تكون مشاركة شكلية .

ويضيق بنا المجال لو عددنا المواقف داخل الاتحاد الاشتراكى ، والمقالات المنشورة على صفحات الجرائد والمجلات . يكفى هنا أن نضرب مثالا لبعض ما نشر فى « الطليعة » :

فى سبتمبر ٦٧ نشرت الطليعة دراسة عن حسابات العمل والتضحية فى المعركة ، وفى عام ٦٨ وحده نشرت الدراسات والمقالات التالية :

– رؤية الطبقة العاملة للموقف الراهن [يناير] – رؤية الفلاحين [فبراير] – اقتصاد الحرب والوضع الراهن [مارس] – كراس للطليعة عن السياسة الزراعية [مارس] – بيان ٣٠ مارس فى التطبيق [مايو] – حوار حول برنامج انتخابى للاتحاد الاشتراكى [يونيو] – دروسه للمؤتمر القومى [يوليو] – التعبئة الاقتصادية [سبتمبر] .

وربما لم يعلم الدكتور زكريا أن المطالبة بتطبيق مبادىء اقتصاد الحرب كان احدى مبادرات اليسار ومحورا من محاور العمل الفكرى والدعائى لهم . وفى هذا شاركوا مع غيرهم من القوى الوطنية والتقدمية فى تقديم دراسات جادة ومتعمقة . ونشير – بوجه خاص – الى اشتراكهم فى ندوة نقابة المحاسبين والمراجعين ، والى مشاركتهم فى الندوة العلمية التى عقدتها جمعية الاقتصاد والاحصاء والتشريع عام ٦٨ [وفيها تم نقد موضوعى للخطة الخمسية الاولى] .

وربما لم يعلم د . زكريا وهو قطعا لا يعلم – أنه اذا كان هناك علماء ومفكرون وصحفيون قد اهتموا بتقويم القطاع العام ، فقد كان اليسار فى الصفوف الاولى من هذا العمل . وقدم اضافات

جديدة فى هذا المجال . ولعل الدكتور لم يتح له أن يطلع على دراسات وابحاث كاملة كان قد قام باعدادها « **المركز العربى للدراسات السياسية والاقتصادية** » وهو المركز الذى كان قائما من ٦٥ ـ ٦٨ فى **مؤسسة الاهرام** . وهذه الدراسات العلمية التى تركزت على القطاع العام هى التى تجيب اجابة علمية ، وتقدم الحلول التى تحاصر التسيب والتبديد واعمال نهب المال العام . ذلك ان مقاومة هذه الظواهر تتطلب حلولا علميه بطنفه من القضايا الفنية الاقتصادية بل والسياسيه . وفى مقدمتها تأمين الوسائل العملية لتحقيق وفرض رقابة ديموقراطية من جانب مجموع العاملين على تنفيذ الخطة فى المؤسسة المعنية ، وعلى ادارتها . فاذا ظن الدكتور ، بعد ذلك ، أن حمايه المال العام تتحقق بالصراخ والعويل ، وبأن يتخصص اليسار فى تقديم البلاغات ، أو يقوم بالنيابة عن هيئات البوليس وسلطات الدولة الاخرى بمطاردة المختلسين والمرتشين ، فنحن نترك الحكم على مثل هذه المهاترات للقراء .

● ● ●

ثم نأتى الى النقطة الاخيرة فى موضوع « رشوة » اليسار من قبل عبد الناصر ويمكن أن نلخص رأى د . زكريا فى النقاط التالية :

١ ـ من أسباب مساندة اليسار لعبد الناصر وتبريره لاخطاء العهد الناصرى أن عددا كبيرا من أقطابهم « قد عين فى مراكز رئيسية فى الدولة ، وفى ميادين الاعلام والثقافة بوجه خاص » .

٢ ـ ان النقلة المفاجئة من جحيم الواحات الى رئاسة مجلس الادارات كانت عاملا من العوامل التى تساعد على التبرير .

٣ ـ أن أيسر الطرق وأسرعها لانتزاع المخالب الثورية من الثائر أن تضع بين يديه المال والنفوذ بلا حساب .

هنا نرى الدكتور ، ينتقل من المجال الفكرى الى مجال الطعن والتشهير . وهنا أيضا لا يحالفه التوفيق لانه يصوغ أحكاما عامة مصدرها انطباعات ذاتية لا يسندها واقع . وهذا ايضا ما سوف نثبته .

فنحن نكتب هذا الكلام وبين ايدينا « **الجريدة الرسمية** » الصادرة فى ٢٣ نوفمبر ١٩٦٧ . أى بعد أكثر من ثلاث سنوات من الافراج عن الشيوعيين . ويشتمل هذا العدد من الجريدة الرسمية على قرار رئيس الجمهورية رقم ٢٢١٠ لسنة ١٩٦٧ ، باستثناء بعض الاشخاص من أحكام المادة الأولى من القانون رقم ٣٤ لسنة ١٩٦٢ [قانون العزل السياسى] .

ويتضمن القرار رفع العزل السياسى عن ١٤٠٦ شخص . وبدراسة أسمائهم سنجد ان غالبيتهم العظمى من اليساريين الذين اعتقلوا منذ أواخر ١٩٥٨ وخلال ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ .

واذا استبعدنا من هذا الرقم وهو [١٤٠٦] ما يقرب من ٤٠٠ شخص بعضهم ينتمى الى الاحزاب القديمة ، وبعضهم كان يعمل فى صفوف اليسار ثم لم تعد له علاقة بالعمل السياسى قبل عام ١٩٥٨ بعشر سنوات أو اكثر ، فسوف نرى أننا أمام ١٠٠٠ من اليساريين الذين دخلوا المعتقل . هذا وقد أثبت القرار أمام كل اسم ، المهنة والعمل .

واذا حللنا هذه القائمة ، فسنجد ان الغالبية الساحقه هم من المواطنين البسطاء من العمال المزارعين والحرفيين والموظفين والاطباء والمدرسين والمحامين والصحفيين والفنانين وصغار التجار .

واذا بحثنا عمن يشغل فى صفوف الالف **الوظائف الكبيرة** أو « الرفيعة » فسنجد ان عددهم لا يزيد عن ١٢ شخصا : واحد منهم تولى رئاسة مؤسسة صحفية لمدة محدودة ورئيس لمجلس ادارة شركه ورئيس لاحدى هيئات النشر ، و ٥ من اعضاء مجالس ادارات فى القطاع العام ، واثنان من مديرى العلاقات العامة واثنان من اساتذة الجامعات .

واذا أضفنا أيضا **من عندنا** الى هؤلاء الاثنى عشر من ذوى المناصب الرفيعة عشرة اخرون لهم نفس الوظائف الرفيعة ، [اذ ربما صدرت بأسمائهم قرارات أخرى برفع العزل غير هذا القرار] فسوف نصل الى الصورة التالية : وهى أن من بين ألف من اليساريين الذى اعتقلوا هناك ١٧فقطتولوا مناصب رفيعة فىحدود درجة مدير عام فى القطاع العام أو الحكومة . اما الذين تولوا مناصب رفيعة فى أجهزة الاعلام فهم اربعة : رئيس مؤسسة صحفية ، ورئيس لاحدى دور النشر فى القطاع العام ، ثم رئيس تحرير لمجلة شهرية [**ليس** عضوا فى مجلس ادارة] ، وعضو مجلس ادارة فى احدى الدور الصحفية . أما الغالبية العظمى من الصحفيين والموظفين فى دور النشر فلم يكن من بينهم واحد من أصحاب المناصب الرفيعة . كانوا مجرد محررين أو مترجمين أو أصحاب أعمال كتابية وادارية .

اذن ، فعند الدكتور زكريا أن ٤ من اليساريين هم الذين تسلطوا على أجهزة الاعلام واحتلوا مناصبها الرفيعة ووجهوها لتبرير أخطاء عبد الناصر . .

واذن ؟ فعند الدكتور أن اليسار حكم مصر من خلال ١٧ من كبار الموظفين ، اعلى من فيهم رتبة واحدة فقط هو رئيس مجلس ادارة شركة [وهو استاذ من أساتذة الاقتصاد المعروفين] . وهؤلاء الـ ١٧ هم الذين سيطروا على أكثر من عشرة الاف مدير وعضو مجلس ادارة فى جمهورية مصر العربية .

وليس لنا تعليق على هذا لان السخف لا يعلق عليه . ولكن نؤكد للدكتور زكريا أن اليسار الذى تحدث عن مناصبه الرفيعة هو محدود العدد ومعروف بالاسم لانه كان مسجلا فى سجلات الدوله . ويمكن حصره ، ودراسة افراده حالة حالة . فهل نستطيع أن نطلب من الدكتور باسم الحق ، والشجاعة ، والنزاهة ان يدرس هذا الموضوع وينشر نتيجة دراسته ؟

ويصل الدكتور الى وضع غاية فى الهبوط عندما يتحدث عن يساريين وضع المال والنفوذ بين أيديهم بلا حساب . فاذا كان الدكتور جادا بالفعل فى ادانة نهب المال العام فليتقدم الى الجهات المسئولة بما عنده ضد أى من كان [والا كان مقصرا] ، لاننا نعتقد ان كل من نهب مال الدولة لا يمكن ان يكون له مكان فى صفوف اليسار فضلا عن صفوف الوطنيين المخلصين .

ثم نقول للدكتور ، أن اليساريين الذين يعنيهم لم يقبضوا الثمن ، أى ثمن . لانه لو كان الامر أمر بيع وشراء لوجدوا من أعداء عبد الناصر مشترين اغنى من حكومة مصر واشد ثراء . ولو كان الامر عندهم هو البحث عن تكوين الثروات ، واكتناز الاموال ، لكان من السهل على كثيرين منهم أن يهاجروا من مصر ، ومن بينهم كفاءات علمية عالمية تستطيع أن تتقاضى مرتبات خيالية من العملات الصعبة وغير الصعبة ، وهى مرتبات تفوق مرتباتهم الحالية أضعافا مضاعفة .

وأخيرا فان الشىء المؤكد هو انه لم يعين يسارى فى منصب رفيع لم يكن جديرا به . وعلى الدكتور أن يثبت بالاسماء والوقائع عكس ذلك .

وعندما نصل الى هذه النقطة نعود لنسأل ما الذى قصد اليه د . زكريا من وراء كتابة هذه المقالات الموجهة للنيل من الناصرية وتشويه سمعة اليسار ؟

لقد عبر عدد من أصدقائنا عن ضيقهم الشديد لاهتمامنا — كل هذا الاهتمام — بالرد على مقالات د . زكريا ؟ وفى رأيهم أننا نعطى هذا الموضوع ما لا يستحقه من جهد ووقت .

ونحن نخالفهم تماما .

والسبب هو اننا نضع حملة د . زكريا فى الاطار السياسى العام . وفى هذا الاطار ، ومنذ مدة — تهجم قوى الاستعمار الجديد لمحاولة اعادة ترتيب الاوضاع فى المنطقة العربية ، ووضع اقتصاد مصر تحت سيطرة الاحتكارات العالمية ، ويتكفل اليمين الرجعى الذى تحدث عنه الدكتور بالدعوة الى ردة كاملة عن طريق ثورة يوليو . وفى هذه المعركة فان أمضى أسلحة الاستعمار الجديد هو البلبلة الفكرية ، وتقسيم صفوف القوى الوطنية والتقدمية .

ونعتقد ان الدكتور كان ضحية هذه البلبلة . لانه بعد أن قارن بين عهدما قبل ٢٣ يوليو وما حدث بعد ٢٣ يوليو خلال « العهد الناصرى » انتهى الى انه لو حكم بين العهدين لثبت أن ضرر الثانى افدح من ضرر الاول !

ومثل هذا النوع من التفكير ، ليس فاجعا فحسب ، وانما هو اشد ضربة توجه ممن يسمى نفسه « يسارا » الى اليسار . وقديما قالوا : اللهم احمنى من أصدقائى ، أما أعدائى فأنا كفيل بهم .

حول الرد من د . فؤاد زكريا

جاءنا من د . **فؤاد زكريا** رد على مقال **وجيه ضياء الدين** ، وهو المقال الذى نشرته الطليعة فى عدد يونيو الماضى تحت عنوان « التجربة الناصرية بين الرؤية المتآمرة واستخفاف الفلاسفة بعلم السياسة » .

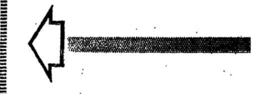
ولما كانت «الطليعة» تؤمن بحق المواطنين الذين تتناولهم الصحافة بابداء الرأى ؟ او تتعرض لهم بالنقد ، فى ان يردوا على ما يوجه اليهم ، فان « الطليعة » اذ تعتذر — لاسباب فنية — عن نشر رد د . **فؤاد زكريا** فى هذا العدد ، ترجو ان تنشره فى العدد التالى .

« الوردانيـــة »
بعـــد
« البيوميـــة »

كانت « الطليعة » قد نشرت في عدد يونيو المــاضى ، نص « **بيان الى الامة العربية** » موجها من اللجنــة القومية لمســاندة الشعب المصرى . تلك اللجنة التي تكونت بمبــادرات عدد من القيــادات العربية الوطنية والتقدمية ، من بينهم : صلاح البيطــار ، وكمــال جنبلاط ، وتقي الدين الصلح ، واديب الجادر ، وصديق شنشل ، وعبد الله الطريقى ، وجاسم القطامى .

وعلى الرغم من الاهمية الكبيرة لهــذه المبادرة العربيــة التى تعكس اهتمام هــذه الشخصيات العربية البــارزة بأن يعبروا عن امتنانهم لمصر ، وان يقدموا اليها ــ بالتالى ــ كل ما يدعم دورهــا القيادي ويؤكده ، ويعبر عن وزنها فى الوطن العربى ، الا ان هــذا البيان ــ ويا للاسف ــ كان موضع هجوم من بعض من انطلقــوا يمرحون ــ بلا ادنى شعور ــ بالمسئولية على صفحات كاملة فى جريدة الجمهورية .

وهكذا ، تحت عنوان صواريخ نشرت جريدة الجمهورية الكلمــة التالية بتاريخ ١٩٧٥/٦/١٢ :



●● .. قرات هذا الاسبوع شيئا غريبا .. مجلة شهرية تصدر عندنا ، نشرت فى صدر صفحاتها « بيانا » تقــول انه جاءها من « اللجنــة القوميــة لمســاندة الشــعب المصرى » ــ والتى تكونت من « مبادرات عــدد من القيــادات العربيــة الوطنية والتقدمية» .والتوقيعات مثل «صلاح البيطار» ــ « كمال جنبلاط » ــ «تقى الدين الصلح» ــ « اديب الجادر » ــ « صديق شنشل » ــ « عبدالله الطريقى» ــ « جاسم القطامى » .

قرأت البيان ــ وهو مكتوب باسلوب تلك المجــلة ، او باسلوب رئيــس تحريرها بالذات .. وخلاصة الجزء الاول منه ، ان مصر تعيش الان فى اختناق اقتصادى رهيب .. وان الناس سوف يجوعون فى الشوارع من قلة الغذاء ، وان أزمات اخرى كثيرة تمس كرامة الانسان المصري وتطحنه وهو يجالد آلامه .. الخ الخ .

اما الجزء الثانى ــ فهو دعوة الى نجدة نقدية عاجلة لمصر لا تقل من الف مليون جنيه مصرى خلال العام ١٩٧٥ !

شعرت بعــد التقزز بالدهشــة .. ولا تعليق عنــدى ، فهــل اشتم مثلا تلك الاسماء الكبيرة التى نجل بعضها .. فقط عندى ملحوظات خفيفة ..

البيان اسلوبه سقيم بل سخيف وجارح للمشاعر ــ كأنما كتبه مرفه متعال جالس على مائدة محشودة ، ولا مانع ان يلفت النظر الى جوعى القطط والكلاب !

البيان به تهويمــات سياســية ثقيلة الدم ــ تعنى ان كاتبه كاره لسياســة مصر ــ ولكن تنازلا منــه وعطفــا ، فهذا هو يدعو شهما لنجــدة ابن العم المسكين الطريح !

وملحوظة الاستغراب الاخيرة ــ هى لماذا اختار هؤلاء الموقعون اللامعون ، منبر تلك المجلة الشهرية لنشر دعوتهم .. انها مجلة محــدودة الانتشــار .. محدودة التاثير . لا يقرؤها احيانا ــ لامؤاخذة ــ الا مفلسون !

ولم يكن في نية « **الطليعة** » ان تتعرض بالرد على مهاترات كاتب « صواريخ » ، وذلك تمسكا منها بقرار كان قد سبق ان اتخذته هيئة تحريرها. ويقضي القرار بان تقصر « **الطليعة** » مناقشاتها وردودها على الكتاب الذين يمثلون بالفعل قوى اجتماعية ، وسياسية ، وفكرية نشطة لها وزنها وتأثيرها على المسرح السياسي . ولهذا السبب توقفنا عن التعرض — من قريب او بعيد — لما يسوده صاحب كتابات « صواريخ » في صفحته ، لعلمنا ، انه ينتمي الى فئة من لا يمثلون شيئا في المجتمع المصري . فهؤلاء — فضلا عن انهم مصابون بفقر دم ثقافي وفكري مزمن ، وبالتالي ، فهم لا يقولون ما يدعو الى التفكير او التأمل او النقاش ، فان « **الطليعة** » تحمل نفسها ما لا تطيق عندما تضيف الى اعبائها عبئا ثقيلا هو محو الامية السياسية .

ولكن « **الطليعة** » ، اذ تخرج على قرارها المشار اليه ، فلان كاتب « صواريخ » قد تهجم في كلمته المنشورة على عدد من الشخصيات العربية البارزة التي هي موضع احترام الرأى العام العربي .

ومن المؤكد اننا لا نكتب هذه الكلمة دفاعا عن هذه الشخصيات العربية المرموقة ، لانها ليست بالقطع في حاجة الى مثل هذا الدفاع .. هذا **أولا** . ولان بيانها الموجه الى الرأى العام العربي ، والذي يدعو الى مساندة الجهد الوطني الذي بذلته وتبذله مصر ، انما تحركه انبل الدوافع ... هذا **ثانيا** . ولان كل من قرأ خطب الرئيس **أنور السادات** [وآخرها خطاب اول مايو] يعرف ان متاعب مصر الاقتصادية الناتجة من الاستمرار في حرب تدخل سنتها الثامنة ، هذه المتاعب ليست ولا يمكن ان تكون عورة ، ولانها نتيجة مباشرة لاطلاع مصر بالدور الرئيسي في المواجهة مع الصهيونية وحماتها ... وهذا **ثالثا** .

ولكننا ننشر كلام صاحب «صواريخ» ليرد هذا الكلام على كاتبه . فمثل هذا الهراء لا يحتاج الى تعليق . وكيف يمكن أن نعلق — مثلا — على كلام من يضع على رأسه لافتة تقول : انه « **الوطني الوحيد** » . فمثل هذه اللافتة يقرأها عابر السبيل ثم يمضي الى حاله .

على ان كاتب « صواريخ » قد شاء له « أدبه الرفيع » ان تمتد اساءته الى جميع قراء المجلة ، عندما وصف المجلة بانها محدودة **الانتشار محدودة التأثير** لا يقرأها الا **مفلسون** .

ونحن نعترف بان « **الطليعة** » هي بطبيعتها كمجلة شهرية مجلة للثقافة الجادة ، وليست من مجلات الاثارة او الجنس او التهريج او خفة الدم الوردانية ، ولكن يبدو ان حظها العاثر لم يقيض لها كاتبا مثل كاتب « صواريخ » تهفو اليه الجماهير ، وتتخاطف مقالاته « الملايين » في مصر وفي الوطن العربي !

أما انها محدودة التأثير ، فهذا امر مؤكد خصوصا اذا تعلق الامر بكاتب مثل كاتب « صواريخ » الذي لا يسمع عن كلمات « ثقافة » و « فكر » و « فلسفة » الا ويتحسس مسدسه كما كان يفعل « **جورنج** » ، احد قادة النازية المشهورين .

واما «المفلسون» الذين يقرأون مجلة «**الطليعة**» : فهم من المواطنين الشرفاء : من الوطنيين المستنيرين ، ومن الشباب التقدمي ، والعمال الواعين ، ومن خريجي الجامعات . والمعاهد العليا ، في مصر وفي العراق وسوريا والجزائر ولبنان وجنوب اليمن وبلاد عربية اخرى .

ولما كان الذين يراسلون المجلة ، ويكتبون لها هم « مفلسون » بحكم انهم يقرأونها ، بالضرورة ، فانهم يمثلون الاوساط الوطنية والهيئات العلمية والثقافية في البلاد العربية وفي غرب اوروبا . ومن بينها — مثلا — جامعات كمبردج واكسفورد ، وجامعة بغداد والجامعة المستنصرية بالعراق وجامعة قسنطينة بالجزائر .. وهذه مجرد أمثلة

ولما كان عدد كبير من الذين يساهمون في تحريرها ، ويخصونها بمقالاتهم هم ايضا من قراء المجلة ، ومن ثم ، فهم « مفلسون » في رأى كاتب « صواريخ » ، فقد يسره اولا يسره — أن يعلن ان من بين هؤلاء المساهمين والكتاب ، اساتذة ومدرسون في الجامعات المصرية والجامعات العربية ، ومثقفون على مستوى رفيع من الثقافة .

ولعل كاتب صواريخ قد يعلم — وهو بالقطع لا يعلم — ان اسرة تحرير « **الطليعة** » قد تشرفت اكثر من مرة بلقاء قادة وطنيين بارزين ، من بينهم رؤساء دول لهم تاريخهم المجيد في قيادة النضال الوطني التحريري لبلادهم . كما انها لم تزل تتشرف — منذ سنوات — بزيارات لا تنقطع من ساسة بارزين ، وقادة نقابيين ينتمون الى البلاد الاشتراكية والراسمالية وبلدان العالم الثالث .

واخيرا ، فان ما نشره كاتب صواريخ — تهجما منه على شخصيات عربية كريمة يطرح ، بالضرورة ، قضية مناقشة هذا التيار الخطر الذي يطفو على سطح حياتنا الثقافية والفكرية . بل انه يطرح قضية الخطر الذي يمثله انفراد نماذج من قبيل صاحب صواريخ بصفحات باكملها يسودونها بما يشاء لهم خيالهم الضعيف .

واذا كنا قد شهدنا من قبل ، وعرفنا ، وحللنا ظاهرة « البيومية » وهي تلك الظاهرة السلبية والمتخلفة في حياتنا الاقتصادية ، فربما آن الاوان لكي نشرع في دراسة وتحليل الظاهرة المقابلة «للبيومية» في حياتنا الثقافية . وربما طلبنا الاذن من صاحب « صواريخ » لنسميها « **الوردانية** » . واغلب الظن ان هذا سوف يرضيه — حتما . فقد اصبح — على أية حال — صاحب مذهب وشيخ طريقة ولو بالسلب .. اعني سلب الحياة الفكرية والثقافية .

ثم نكتفي بهذا القدر ولو مؤقتا ..

« الطليعة »

القـــراءة الســـابعة
فى



و « الأخبـــــــــار »

القراءة التى ننشرها فى هـذا العـدد ، لصفحات من جريدة « الاخبار » فى عام ١٩٥٨ ، وهى تضـم موقفـا من قضـية واحدة : جمال عبد الناصر كمرشح وحيد لرئاسة دولة الوحدة بين مصر وسوريا .

وموقف « الاخبـار » من هـذه القضية ، تعكسه المقالات المنشورة هنـا ، اما بدون توقيع أى باسم « الاخبـار » نفسـها كمؤسسـة صـحفية ، أو بتوقيع الاستاذ على أمين فى فكرة . ويجدر بنا هنا أن نذكـر أنه فى ذلك الوقت كـانت مؤسـسـة « أخبـار اليوم » ـ والصـحف التى تصـدرها ـ ملكا شـخصيا للاستاذين مصطفى أمين وعلى أمين . وبالتـالى فان كـل مايكتب سبق قرار تنظيم الصحافة الصـادر فى ١٩٦٠ ، ومن ثم فقد كانا يملكان أن يكتبا مايؤمنان به ويدافعـان عنـه ، فلنقـرأ مـاذا كتبت مؤسستهما .

باســـم الشـــعب ننتخبـــه

باسم الشعب ننتخبه . وصوت الشعب من صوت الله . ومن كان الشعب معه فالنصر له .. وباسم الشعب نرفعه على سواعدنا الى مقعد القيادة . والرجل الذى يعتمد على الشعب لن يسقطه الشعب ، الرجل الذى يعيش للشعب لا يمكن ان يتخلى عنه الشعب .

باسم هؤلاء الملايين فى سوريا ومصر . الذين فرقهم الاحتلال وجمعهم الاستقلال . الذين مزقتهم الحدود السياسية وضمتهم القومية العربية . الذين قسمهم الاستعمار الى دول وممالك وولايات وهم فى الواقع امة واحدة بأسماء مختلفة . باسم الذين يعيشون فى الوديان ، والذين يقيمون فوق الجبال ، والذين يسكنون الاكواخ .. والذين يأوون فى العراء .. البدو فى الصحراء والحضر فى المدن . الفقراء والاغنياء . الضعفاء والاقوياء .

باسم الذين صرعوا الطغيان فى معركته الاخيرة ، والذين صرعهم الطغيان فى معاركهم الاولى . الذين ماتوا والذين بقوا أحياء . الذين صمدوا الى النهاية . والذين تخاذلوا أمام جبروت الاقوياء . الذين حاربوا وسقطوا شهداء . والذين تفرجوا على المعركة وعاشوا نصف أحياء . الذين كانوا وقود الثورات العديدة الماضية والذين كانوا ضحاياها . الذين أشعلوها والذين احترقوا فيها ، والذين ساروا فى لهيبها ، والذين عاشوا فى نورها ، والذين كانوا رمادها !

باسمهم جميعا ننتخبه ، لانه الرجل الذى قاد المعركة الكبرى التى لم يتخلف فيها أحد ، ولم يفر منها أحد . المعركة التى لم يكن فيها صفوف أولى وصفوف أخيرة . لم يكن فيها أبطال صامدون وجبناء فارون . انما هى المعركة التى جعلت الشعب كله بطلا صامدا . نساؤه ورجاله . شيوخه وشبابه ، أطفاله ومرضاه . انها المعركة التى حولت كل القاعدين الى واقفين ، وكل المتخاذلين الى شجعان ، وكل الغافلين النائمين الى يقظين متنبهين ، وكل البكم الصامتين الى فصحاء متكلمين ، انها المعركة التى ازالت الحدود ، ووحدت الشعور . وأذابت الفوارق . وقضت على روح الهزيمة والاستسلام . وجعلت الشعب كله جيشا واحدا ليس فيه مجندون يحاربون ومدنيون يصفقون ، وليس فيه طليعة تموت ومؤخرة تعيش ، وليس فيه محاربون يقاتلون ومتفرجون يلهون . انما هو شعب كامل تحت السلاح . فى يد الصغير سلاحه وفى يد الكبير مدفعه .

فى يد الرجل قنابله ، وفى يد المرأة بندقيتها .

كل الشعب مجند ، يحارب ، ويقاتل ليموت شهيدا ، أو يعيش بطلا ..

باسم هؤلاء الملايين من الابطال ننتخبه ...

لاننا باسم الشعب ننتخبه ..

الاخبار : ٩ فبراير ١٩٥٨ - العدد ١٧٤٥

باسم العرب ننتخبه

باسم العرب ننتخبه . باسم الدين خرجوا منذ أكثر من ألف عام من الصحراء يحملون القرآن فى يد والسيف فى يد ، وجعلوا من القبيلة أمة ، ومن الامة دولة ، ومن الدولة امبراطورية ، ومن الامبراطورية حضارة عالمية .

باسم الذين هزموا امبراطوريه الفرس ، وقضوا على امبراطورية الرومان ، وغلبوا خلفاء الاسكندر الاكبر ، وانشأوا من الضعفاء جيشا قويا بالايمان ، وخلقوا من العدم مجدا ، ومن الحفاة جندا ، واقاموا دولة تمتد من المحيط الهندى الى المحيط الهادى باسم اول جيش فى العالم حمل مع رسالة القوه رسالة لايمان وحارب من اجل الله . لم يرفع علما ، وانما رفع رسالة الله ، فاذا بالملحدين يؤمنون والمشركين يوحدون ، واذا بالطغاة والجبابرة يستسلمون ! واذا بالجيوش العارمه تنهزم والحصون الشاهقة تتهاوى والقيادات المتحالفة تسقط أمام قوة آيات الله .

باسم الذين انشأوا نهضة وصلت الى اسبانيا والصين والهند وجنوب روسيا .

باسم الذين أوصلوا أصواتهم منذ اكثر من ألف وثلثمائة عام الى ما وراء البحار بغير تلغراف او لاسكى او راديو ، وانما هى قوة العقيدة والايمان عبرت المحيطات ، و حررت الجبال وملأت الدنيا بالبعث الجديد .. باسم الرسالة التى لم تفرق بين الاديان ، ولكنها فرقت بين العدل والطغيان وقضت على فروق الطبقات وجعلت الحكم بيعة والامر شورى ، والنظام حبا وسلاما .

باسم هؤلاء جميعا ننتخبه ، لانه أعاد لهذه الامة الثقة بنفسها ، والايمان بوحدتها ، والعزم على استعادة مجدها الذاهب . لانه نادى بالحرية لكل دولة فيها . وقاوم العدوان الموجه لكل فرد فيها . وقاد معركة النصر ضد ثلاثة جيوش وامبراطوريتين . وجعل العرب قوة بعد أن كانوا لقمة يتقاسمها الاقوياء ويتبادلها الغالبون . وأصبحت وحده العرب حقيقة بعد أن كانت كلاما وشعرا وقصائد تبكي على الماضى الذى ذهب ولن يجيء ! فاذا به يعبر بهذه الامة مئات السنين . يحول اليأس الى امل ، والحلم الى عمل والامانى العذاب الى غد قريب !

باسم العرب ننتخبه .

الأخبار : ١٠ فبراير ١٩٥٨ — العدد ١٧٤٦

باسم الثوار ننتخبه

باسم الثوار ننتخبه .. ثوار مصر ، وثوار سوريا . المعارك الوطنية التى خضناها فى الشمال والجنوب . المشانق التى علق ابطالنا على أعوادها المدافع التى هدمت بيوتنا ودمرت قرانا ، المنافى التى ضمت زعمائنا السجون التى ملاها رجالنا ونساؤنا الصراع الدموى الذى لم يتوقف حتى تحقق النصر . الدم الذى أريقناه الضحايا التى قدمناها . المظاهرات التى سرنا فيها الاضرابات التى نظمناها المواكب السلمية التى بدأناها وحولها المستعمر برصاصه الى مجازر .

باسم ثورة سنة ١٩١٩ فى مصر وثورة سنة ١٩٢٠ فى سوريا عندما قامت مصر بقيادة سعد زغلول تقاوم الاحتلال وتحارب اكبر دولة منتصرة فى الحرب العالمية الاولى . وبعد عام قامت سوريا بقيادة أحرارها تهاجم الاحتلال وتناضل جيوش فرنسا . باسم شهدائنا فى القاهرة والاسكندرية وبورسعيد وأسيوط والعزيزية وباسم شهداء سوريا فى ميسلون وحوران وجبل العلويين وجبل الزوايا ودير الزور والقلمون وحماة باسم هؤلاء العزل الذين هزموا المسلحين الضعفاء الذين انتصروا على الاقوياء المدنيين الذين أبادوا الجيوش .

باسم ثورة سلطان الاطرش فى جبل الدروز التى حولت الجبل الى بركان وجعلت جنة سوريا جحيما للمستعمرين وشوارع المدن بحيرات من الدم . واستطاع مئات الابطال الشجعان أن يدوخوا جيشا من أكبر جيوش اوروبا وأقواها عدة وعددا ! فاسقطوا الطائرات وأسروا الدبابات وافنوا الجيوش ومعهم بنادق صغيرة وسلاحا محدودا ثم جاء فلاح من « بنى مر » وجعل الثورتين ثورة كبرى ! هزمت الانجليز والفرنسيين معا حولت النصر الادبى الى نصر حربى . جعلت الجلاء الصورى جلاء حقيقيا ، قضت على النفوذ الاجنبى والاحتلال الاقتصادى أنزلت أعلام الدول الاستعماريه . ورفعت رايه القوميه العربية . حققت احلام الشهداء جنت ثمرة الارض التى زرعها السابقون باشلائهم وجماجمهم ورووها بدمائهم وأرواحهم حول الدفاع الى هجوم والهتاف الى قتال والمعارك المتفرقة الى معركة واحدة . فلا تكاد تضرب القاهرة بالقنابل حتى يهب شعب سوريا كله يحمل السلاح واذا بالجيوش المتفرقة تصبح جيشا واحدا تتحرك على نغمة واحدة . وتهب فى لحظة واحده وتنزل الخسائر بالمعتدين وتحول مغامرتهم الكبرى الى هزيمة وعار ! ويرتفع اسم العرب على شفاه العالم للمرة الاولى منذ مئات السنين كقوة يخشى حسابها، وامة تأخذ مكانها تحت الشمس من جديد ! لانه حول الثورة الى ثورة عالمية ومن معارك متفرقة الى معركة واحدة ومن ثوار غير نظاميين الى دولتين ثائرتين على الظلم والاستعمار والاستبداد .

باسم الثوار ننتخبه .

الأخبار : ١١ فبراير ١٩٥٨ ــ العدد ١٧٤٧

باســم الأحــرار ننتخبــه

باسم الاحرار ننتخبه رئيسا لدولة الاحرار دولة تقوم على الحب لا على العنف . وعلى الشورى لا على الاستبداد . وعلى التسامح لا على التعصب وعلى العدل لا على الظلم . وعلى المساواة لا على المحسوبية ، وعلى السلام لا على الاستسلام .

دولة لا مكان فيها للطغاة ولا للعبيد . ليس فيها كبت ولا فوضى الناس احرار يفكرون ويعملون ويتاجرون ويكسبون ويقرأون ويتنقلون ويكتبون ، حرية البناء مطلقة وحرية الهدم ممنوعة النفوذ فيها للشعب لا لدول العالم الكبرى القرارات تصدر لمصلحة الامة كلها لا لفريق دون فريق ولا لطبقة دون طبقة . ولا لاقليم دون اقليم . الحاكم يحكم باسم الشعب كله . ويفكر فى مجموع الشعب كله . ويحس بشعور الشعب كله ، سوريين ولا مصريين، لا اقباط ولا مسلمين . لا بدو ولا حضر . لا سكان مدن وسكان ريف . كل هذه الملايين اندمجت وتفاعلت ، وامتزجت ، واتحدت ، واصبحت أمة واحدة حقوقها واحدة وواجباتها واحدة .

دولة اشتراكية ترفض الشيوعية وتأبى الرأسمالية المتطرفة ، تؤمن بالديمقراطية وتقاوم الديكتاتورية تقوم على التعاون وتمنع حرب الطبقات .

القانون فيها هو السيد المطلق الذى تنحنى له جميع الجباه . والقضاء فيها مستقل لا سلطان عليه لاحد .

الجيش للدفاع عن الوطن لا للدفاع عن اشخاص .

السياسة فيها من أجل الدولة ، لا من أجل الصراع على المناصب والنفوذ مال الشعب للشعب لا لبناء القصور واقامة الليالى الملاح، الحكم ضريبة على الاكفاء وليس مكافأة للانصار المناصب للصالحين بغض النظر عن الدين والاقليم ، الابواب فيها مفتوحة لدخول الشعوب العربية الاخرى على قدم المساواة ، لا فرق بين شعب من عدة ملايين وشعب من مليون كل شرط للاتحاد ان يتالف من أحرار ولا يكبل اتحادهم فى الدولة الحرة بالسلاسل والقيود !

دولة حرة . تفكر كما يفكر الاحرار ، تعيش كما يعيش الاحرار ، تتصرف كما يتصرف الاحرار . .

باسم الاحرار ننتخبه .

الأخبار : ١٢ فبراير ١٩٥٨ ـ العدد ١٧٤٨

باســم الدســتور ننتخبــه

باسم الدستور ننتخبه لاننا شعب يؤمن بالديمقراطية ويكره الاستبداد يؤمن بالشورى ويمقت الطغيان يؤمن بحق الشعب فى أن يختار حاكمه ويراقبه ويحاسبه يؤمن بحقه فى أن يوليه ويعزله يؤمن بحقه فى أن يقول للحاكم قف . . من أنت ! شعب يرى حكم الشعب فى مساوئه خيرا من حكم الدكتاتورية فى مزاياها . شعب لا يريد هتلر ولا موسولينى ولا ستالين يريد قائدا لا راعى غنم . زعيما لا طاغية . . أماما للمصلين . لا سجانا لقفص كبير !

الشعب يريد رجلا يؤمن بحق الشعب ، وينزل على ارادة الشعب ، ويحكم باسم الشعب ، يتكلم بلغته ، ويحس بشعوره ويتالم لالمه ، ويتعذب لعذابه ويتجاوب معه الصولجان ليس بالكرباج فى يده وانما صولجانه هو التفاهم والتعاون والاقناع لا يتملق الشعب بالاكاذيب وانما يبصره بالحقائق لا ينيمه بمخدرات الاحلام بل يوقظه ليعمل ويحول الاحلام الى حقائق والامال الى اعمال .

الشعب يريد رئيس دولة قادرا على ان يواجه الاعاصير ويقف فى العواصف، ويصمد فى الازمات ، يطلق عليه الرصاص فلا يختبىء ، وانما يقف فى مكانه يطلب الى الجماهير الهائجة المضطربة الهدوء ، تلقى على القاهرة القنابل فيرفض ان يرحل أولاده من العاصمة بل يبقيهم فيها ليتحملوا مع أهلها نفس المصير . . اذا صعد الى أعلى منصب فى الدولة لم يترك بيته ليسكن فى قصر . . ويظل يعيش حياة البكباشى التى كان يعيشها وهو ضابط صغير . لا يغير طريقة حياته ولا طريقة تفكيره وانما يصر ان يبقى ملتصقا بالارض التى انجبته وبالشعب الذى أختاره وبالوسط الذى عاش فيه .

الشعب يريد رجلا فقيرا . أقاربه فقراءأصدقاؤه فقراء يشرفه أن يكون أحد أقاربه خفيرا صغيرا ، ولا يستغل منصبه ليرفع هذا الخفير فوق الرءوس ، بل يبقى الخفير خفيرا والموظف الصغير موظفا صغيرا .

الشعب يريد رجلا يؤمن بالدستور، بسلطان الشعب الذى لا سلطان فوقه بارادة الامة التى تعلو فوق كل ارادة رجلا يؤمن بأن حصـــن الحاكم هو قلب الشعب فاذا خــرج من هـــذا الحصن تهاوت كل حصونه والقلاع!

باسم الدستور ننتخبه .

الأخبار : ١٣ فبراير ١٩٥٨ — العدد ١٧٤٩

باســم الشـــهداء ننتخبـــه

باسم الشهداء ننتخبه . الذين ماتوا ليحياالوطن . والذين ذهبوا ليبقى ودفعوا الروح والدم ثمنا للحرية والاستقلال . العزل الذينقاوموا السلاح . الضعفاء الذين صمدوا للاقوياء . المؤمنون الذين كانوا المشاعل فيالظلام !

باسم الذين قادوا حرب العصابات فى منطقةالقناة ، وفوق جبل الدروز . باسم جنود البوليس الذين قتلهم الانجليز فى معـركةالاسماعيلية . وباسم الابطال الذين علقهم جمال باشا على المشانق فى دمشق . باسمالفدائيين الذين أحرقوا معسكرات الانجليز . باسم حرس البرلمان السورى الذين ذبحهمالفرنسيون . باسم أهل بورسعيد الذين هزموا العدوان . وباسم الاطفال الذين أطلق عليهمالجيش الفرنسى الرصاص فى حماه . باسم الابطال الذين داستهم الدبابات فى ميسلون .والذين قاموا بالثوره فى حوران وجبل العلويين وجبل الزاوية ودير الزور والقلمون فتغلبوابالعصى على الرصاص ، وبالبنادق على المدافع ، وبالايمان على قنابل الطائرات ! باسم رجال سلطان الاطرش الذين ماتوا ولم يرفعوا الراية البيضاء . وحاربوا القوى الضخمةوالجيوش الجرارة بغيـر ان يستسلموا للاقوياء ! باسم الاموات الذين بعثوا أحياء يوموقفت سوريا ومصر معا فى المعركة أمام الانجليز والفرنسيين أنفسهم . الذين احتلوهمعشرات السنين . فانتقم الاحياء للاموات . واستطاعوا بصمودهم واتحادهم أن يحولوادول الدرجة الاولى الى دول الدرجة الثانية والثالثة .

باسم الشهداء الذين لم يطلبوا ثمنا ولا مجداولا مكافأة ولا وساما ... ثم جاء جيل آخر ليقدم لهم الدولة الجديدة فاذا هى الثمن والمجدوالمكافأة والوسام !

باسم الشهداء الذين طالبوا بالوحدة فجاءت الوحدة . وحاربوا للحرية فتحققت الحرية . وماتوا من أجل بعث جديد .. فجاء البعث الجديد والفجر الجديد !

باسم الشهداء ننتخبه !

الأخبار : ١٤ فبراير ١٩٥٨ — العدد ١٧٥٠

باســم البــعث الجـــديد ننتخبــه

باسم البعث الجديد ننتخبه . بعث امـةخرجت من التاريخ وشعب خـرج من وراء القضبان . ووحدة دفنها الطغيان والاستعمار ومطامع الاقوياء !

باسم بعث جـديد لامة جـديدة ولدت من الالام والاضطهاد والذل والاستعباد . ذاقت الاحتلال فاعتزمت ان تقـاومه فى كل مكان ، وعرفت الظلم فقررت ان تحاربه اينما كان .

وكانت بقرة حلوبا خيرها لغيرها فاتسمت ان يكون الخير لها ولابنائها .

باسم بعث جديد لا يؤمن بالفرقة والخلافات والحزبية والطائفية والصراع الطبقي . ولكنه يؤمن بوحدة كاملة ، بمجتمع لا يسمح للاقلية ان تستبد بالاغلبية ويأبى على الاغلبيـة ان تتحكم في الاقلية . يقوم على تعـاون كامل يعتمد على كل الايدى ويستفيد من كل المواهب ويستخدم كل الكفايات ، ليس فيه حقد ولكن فيه تنافس . ليس فيه كبت ولكن فيه قانون. ليس فيه حزبية ولكن فيه حرية . ليس فيه شيوعية ولكن فيه تضامن اجتماعى . ليس فيه تعصب ولكن فيه دين . ليس فيه رأسماليـة جائرة ولكن فيه اشتراكية عادلة . الملكيـة فيه مصونة . النشاط الاقتصـادى حر على الا يضر بمصلحة المجتمع او يخل بأمن الناس او يعتدى على حريتهم او كرامتهم . الدولة في خدمة الشعب ، والشعب هو حارس الدولة.

باسم بعث جديد لدولة جديدة . تؤمن بحق الفرد فى ان يختار العمل الذى يريده والمكان الذى يريده ، والمدينة التى يريد ان يعيـش فيها . لا سـخرة ولا اجبـار . لا ضغط ولا ارهاب . لا استغلال ولا تحكم . الاسرة فيه اساس المجتمع . والدين عماد التربية . السجون للمجرمين لا للخصوم . المنـاصب للاكفاء لا للانصار . الضرائب على الجميع . الشـعب متضـامن ليس فيـه مسـتغلون ولا مستفيدون الرخاء للامة كلها . لا فرق بين اقليم واقليم . ولا بين مدن وريف .

باسم بعث جديد يؤمن بحق كل فرد فى الامة فى الحياة وفى العمل وفى الامل وفى حياة سعيدة مطمئنة .

باسم البعث الجديد ننتخبه ! **الأخبار : ١٦ فبراير ١٩٥٨ — العدد ١٧٥١**

باســم العـــدل ننتخبـــه

باسم العدل ننتخبه .. فهذا الشعب يريد العدل ويكره الظلم ، يؤمن بالانصاف ويكفر بالطغيان . لا يريد المستبد العادل . بل يريد الرحيم العادل . فهو يؤمن برحمة القـانون ويريد ان يرى المحبة بين الناس تقوم مقـام القانون . وهو يريد الحاكم قاضيا لا يميـل مع الهوى ، ولا يتأثر بالغرض . حاكم متجرد من الشهوات . حازم بغير عنف . وطيب بغير ضعف . وقوى بغير قسوة . يعاقب ولا ينتقم . ويحكم ولا يتحكم . المتهم برىء ، الى ان يثبت جرمه .. والمجـرم مريض على المجتمـع ان يعالجه . والمغفرة دائما فى يد الحاكم اقوى اثرا من السيف والصولجان !

باسم العدل ننتخبه ليكون صديق المظلومين ، ونصير الضعفاء ، وشفيع المساكين ، يعطى كل انسان حقه فليست العدالة هى عقـوبات يتقاضاها الحاكم من المحكومين . انما العدالة كالماء من حق كل الشاربين . هى هواء من حق كل المتنفسين . هى نهار يشع نوره على جميع الاحياء .. والحاكم العـادل هو الذى يوزع الحقوق على افراد الشعب بالمساواة. ليس لديه اصدقاء يوليهم ولا خصوم يعزلهم.

ليس له اقارب يرفعهم واعداء يدوسهم بالاقدام . ليـس له مآرب ولا شـهوات .. ولا مباذل ولا خطايا . انما هو يقاوم الشهوات فى نفسه قبل الناس .

ويحارب الخطايا فى اصدقائه قبل خصومه . فلا يتستر على مجرم لانه صديق او يتهم بريئا لانه عدو . انما هو يبدأ بنفسه ومن حوله . يرحم الضعفاء ويبطش بالظـالمين . لا تقف المناصب الكبرى فى طريق القانون . فالكبير الذى يسرق اكثر اجراما من اللص الصغير.

والموظف الكبير الذي يستغل منصبه ينزل عليه سيف القانون أشد مما ينزل على بائس صغير هوت به مثله العليا تحت ضغط الجوع والحرمان . والعدالة هى حق لكل مواطن . فهى لا تشترى بالمال ولا بالمركز ولا بالنفوذ . وانما العدالة للجميع ومن حق الجميع ... وهو فى سبيل تحقيق العدالة لا يتردد فى ان يضرب على ايدى الاقوياء وان يدق اعناق المستغلين ، وان يحطم كبار المستفيدين والانتهازيين ! ان العدل هو الامن هو الطمأنينة هو الاستقرار .

الشعب يريد الحاكم العادل ، انها الكلمة التى تسمعها فى دمشق ، من فم القادر والمحروم . من فم الفلاح والعامل . من فم الجائع والمتخوم .

انه نداء « كالسلام عليكم » على كل شفاه . فالشعوب تفضل العدالة على الطعام وعلى الرخاء ..

ان الله عادل ، والله لا يحب الظالمين .

ان الله رحيم ، والله لا يحب المنتقمين !

باسم العدالة ننتخبه

الأخبار : ١٨ فبراير ١٩٥٨ ــ العدد ١٧٥٣

باسم جيش الشعب .. ننتخبه

باسم الجيش ننتخبه . جيش العرب الجديد الذى يحمل راية الحرية الى كل مكان . لا يغزو وانما يدفع الغزو . لا يهاجم وانما يحطم الهجوم . مدافعه مصوبة الى العدو لا الى صدور الشعب . رجاله هم جند الشعب لا جند الحاكم ، يحمون الحدود ولا يحرسون الوزراء . لا يحارب والامة تتفرج . بل هو الصفوف الاولى والمدنيون هم صفوفه الخلفية . ضباطه يشتغلون بالوطنية ولا يشتغلون بالسياسة . يشترى الأسلحة ولا يستورد المبادىء الاجنبية معها . بل هو جيش عربى يحارب من اجل العرب ويموت فى سبيل العرب ، ويزود عن استقلال العرب . جيش مكانه على الحدود يحمى الارض المقدسة . لا فى العواصم يحمى الحكام والوزراء . جيش يضعه الشعب على رأسه لانه مظلته الواقية ، ويضعه فى قلبه لانه درعه المنيعة .

باسم الجيش الذى ثار من اجل سلطة الشعب لا من اجل سلطته هو . ووضع رجاله أرواحهم على ايديهم وقضوا على الطغيان وهزموا الاحتلال وخلصوا البلاد من الفساد ، ثم عادوا الى ثكناتهم لا يطلبون جزاء على واجب أدوه او تضحية بذلوها ؟ او مجد حققوه باسم هذا الجيش الذى انتصر ولم يطالب بحقه فى الاسلاب والغنائم . بل اعتبر كل الغنائم حقا للوطن كله ، امانة ردها اليه كاملة . ثم عاد الى مواقعه ليحرس الوطن كله ويحمى الارض كلها والشعب كله .

باسم الجيش الذى ضرب مثلا خالدا فى تاريخ الثورات فلم يحدث فى اى ثورة فى العالم ان قام جيش بهذا الدور العظيم ثم عاد الى ثكناته ومواقعه بغير ان تفسده البطولة ، ولا ان تزهيه القوة ، ولا ان يبطره الانتصار .

باسم الجيش الذى صمد امام جيوش العدوان الثلاثة . واندمجت صفوفه مع الشعب فجعل من صفوفه جنداً وسنداً ، ومن رجاله ونسائه واطفاله قوة وعدة وعدداً . ومن البيوت قلاعاً . ومن الشوارع ميادين قتال . ومن الازقة والحارات الخنادق والحصون ، فاذا بالامة كلها تخوض معركة واحدة وتحقق النصر العظيم ..

باسم الجيش ننتخب الرجل الذى قادهذا الجيش فى المعارك ، وحوله من جيش على الشعب الى جيش للشعب ؛ وحوله من زينه فى الحفلات والجنازات الى قوة حقيقية تضرب العدو وتحمى الصديق ، وتدافع عن أرض الوطن .

باسم جيش الشعب ننتخبه .

الاخبار : ٢٠ فبراير ١٩٥٨ ــ العدد ١٧٥٥

باسم مصر وسوريا

نقول : نعم

نعم ، نقول نعم !

نعم ، نوافق على وحدة سوريا ومصر فى الجمهورية العربية المتحدة .

نعم ، نوافق على انتخاب جمال عبد الناصر رئيساً للجمهورية العربية المتحدة .

ان كلمة « نعم » لا تجيب على هذين السؤالين فقط ، انها تجيب على مئات الاسئلة .

نعم نريد دولة واحدة تجمع كلمة العرب ، وتفتح أبوابها لكل العرب . تكون قبلة الحرية ومركز الاحرار .

نعم نريد أمة واحدة لا فرق فيها بين أى جنس ودين . لا طائفية ولا تعصب . لا رأسمالية متطرفة ولا شيوعية . لا طغيان فيها ولا استبداد ، لا محسوبية فيها ولا فساد ، لا جبابرة فيها ولا عبيد . الناس فيها احرار والحكام فيها مقيدون . ليس فيها خوف وانما فيها قانون . ليس فيها ظلم وانما فيها عدالة . ليس فيها صراع طبقى ولكن فيها تعاون .

نعم نريد حاكما عادلا . الحاكم واحد منا . اخترناه بأنفسنا ليحمل علمنا ، ويعلن كلمتنا ، وينفذ مشيئتنا . يستمد قوته من قوتنا ، ويعتمد فى سلطانه على سلطاننا ، يقودنا ولا يسوقنا . تصره قلبنا . وحصنه فؤادنا ، وصولجانه حبنا وسلطانه ثقتنا .

نعم .. نريد حاكما شريفا ، يعيش لهذه الامة لا لنفسه ، اعطاها روحه فاعطته تأييدها ، ومنحها حبه ، فمنحته ايمانها ، وصمد من اجلها فوقفت خلفه تحميه وتفتديه . لم يدعها للحرب بل حارب معها ، لم يأمرها بالقتل ، ولكنه قاتل فى صفوفها . لم يجلس فى برج عاجى يصدر التعليمات بل اندمج فيها وتجاوب معها ، وعبر عن احساسها ، فانبعث صوته ينشد الحانها .

فيه من أرض الجبل صلابته · وفيه من أرض الوادى خصبه ، فيه من هواء مصر حرارته ، وفيه من هواء سوريا قوته · فيه من نهر النيل اندفاعه ومن نهر بردى رقته · فيه ما فى الشعبين من طيبة مع الضعيف ، وعناد مع القوى : وذكاء فى غير خبث ، وايمان فى غير تعصب · وثقة فى غير كبرياء · وقوة لا تكشف عن نفسها الا فى الازمات والخطوب ·

نعم نريد حياة طيبة ، مليئة بالحب ، خاليةمن الخوف يسودها الاستقرار ، ويختفى منها القلق · حياة فيها حرية وفيها رخاء ، وفيها ثقةوفيها أمل ، وفيها ايمان ·

من أجل كل هذا تقول مصر لعبد الناصر :نعم ·· وتقول سوريا : نعم ·

الاخبار : ٢١ فبراير ١٩٥٨ ــ العدد ١٧٥٦

فــــــــكرة !

سأتوكأ على عصاى ، وانتخبه !

سأقف فى الطابور ساعة على قدمى المريضة ، أو ساعتين لانتخبه ·

اننى أعرف أن صوتى لن يؤثر فى عدد الملايين الذين سينتخبونه ·· ولكنى أريد أن أشعر اننى أحد هؤلاء الذين ساهموا فى صنع المقعد الكبير الذى يجلس عليه ·

ولو انه عزل فاروق · وجلس فى بيته لانتخبته !

ولو انه أخرج الانجليز من بلادى ثم اعتكف ، لانتخبته !

ولو انه أعاد قناة السويس الى بلادى واكتفى · لانتخبته!

ولو انه صمد فى احلك الايام السوداء وهو يواجه ثلاثة جيوش ضخمة واستراح ، لانتخبته ·

ولو انه وحد أحلام الشعوب العربية وسكت ، لانتخبته !

ولكنه فعل كل هذا ·· وأكثر من هذا ·

ولم يسكره خمر النجاح ·· بل زاد ايمانه بالله وبالشعب · وعاش فى بيت متواضع · لا يقامر ولا يسكر ولا يلوث يده بالمال الحرام · يعمل ٢٠ ساعة كل يوم ·· وفى بعض الايام لا يذوق طعم النوم !

ومع ذلك فاننى لا أنتخبه اليوم عرفانا بالجميل ، وانما ايمانا بالمستقبل !

فاننى أؤمن أنه قادر على تحقيق كل أحلامى لبلادى ! وأومن باننى سارى معه الفجر الجديد !

ان اليوم هو عيد ميلادى ·· وساحتفل بهذا اليوم بين صناديق الاستفتاء ! سأوقد فيه شمعة لنفسى ولبلادى !

ان هذه الشمعة ستقودنى وسط الظلام الى الرخاء والاستقرار والاطمئنان كما قادتنى فى الماضى الى الحرية والاستقلال ·

سأوقد اليوم هذه الشمعة معك ·· وله !

على امين

الاخبار : ٢١فبراير ١٩٥٨ ــ العدد ١٧٥٦

تعليق للطليعة

الديمقراطية .. والدستور .. والحريات وعبد الناصر

قراءة «الاخبار» ـ هذا العدد ـ تتناول قضية واحدة محددة وبالغة الوضوح والدلالة . وتاريخ صفحات « الاخبار » ـ لقراءتنا ـ هو شهر فبراير من عام ١٩٥٨ .

فى تلك الفترة ، كانت مصر وحركة التحرر الوطنى العربية ، تعيش فترة من اكثر فترات المد الوطنى ازدهارا .ودخلت المسالة القومية العربية منعطفا تاريخيا بطرح موضوع الوحدة بين مصر وسوريا وسط تيار وحماس شعبى ووطنى جارفين فى الوطن العربى كله .

فى ذلك الوقت [١٩٥٨] احتدم الخلاف بين مؤيدي الوحدة بلا شروط ، ومؤيدى الوحدة مع اجراء تعديلات ديمقراطية فى أسسها ، الى درجة الصدام العنيف المؤسف والذى كبد حركة التحرر الوطنى العربية وقتها خسائر كبيرة .

فماذا كان موقف مؤسسة «اخبار اليوم» كما تعكسه قراءة صفحات جريدة «الاخبار» فى هذا العدد ؟

صفحات وكلمات « الاخبار » لا تحتاج الى أى استنتاج او جهد . فهى واضحة مباشرة وصريحة . فقد كشفت موقفها هذا فى حملة المقالات [١٢ مقالة نشرنا ٩ مقالات منها] التى كتبتها بدون توقيع ـ أى باسم اصحاب الجريدة وبلسانها كسياسة لها ـ على امتداد الايام من ٩ فبراير الى ٢١ فبراير ١٩٥٨ . وهى حملة مقالات قامت بها مؤسسة « اخبار اليوم » على صفحات « الاخبار »، تدعو الشعب فى مصر وسوريا الى انتخاب جمال عبد الناصر كرئيس لدولة الوحدة .

وفى هذه المقالات ، قالت « الاخبار » فى جمال عبد الناصر ما يتمناه كل زعيم شعبى من صفات . والمقالات تغنى عن أى استشهاد .

فباسم الشعب ، والعرب ، والثوار، والاحرار، والدستور ، والشهداء، والبعث الجديد ، والعدل ، والايمان ، وجيش الشعب ، ومصر وسوريا ، تدعو مؤسسة « أخبار اليوم » ـ على صفحات «الاخبار» ـ لانتخاب جمال عبد الناصر .

فى ذلك الوقت ، كان الاستاذان مصطفى امين وعلى امين ، يدعوان الشعب المصرى والسورى لانتخاب جمال عبد الناصر ، باسم الديمقراطية التى يتباكون عليها اليوم ، والدستور الذى ينعيان اليوم غيابه بالامس ، والحريات التى يقولان اليوم بأنها كانت مسجونة .. الخ . واليوم يدعو الاستاذ على امين لعودة الاحزاب التى بارك بالامس حلها ورأى فى حلها مظهرا للديمقراطية والحريات والدستورية الخ ، واليوم تتباكى « اخبار اليوم » و « الاخبار » على الشهداء والثوار والاحرار الذين ضاع دمهم هدرا واضطهدوا وعذبوا .. الخ ، وقد كانت تدعو باسمهم ـ وقتها ـ لانتخاب جمال عبد الناصر .

والاستاذ على أمين ـ بشكل خادع ـ كان مستعدا لان يقف على « عصاه » و « قدميه المريضة » ساعة أو ساعتين فى صفوف الملايين امام صناديق الاستفتاء من اجل ان يحظى بشرف ان يعطى عبد الناصر صوته . ومن اجل ان يوقد شمعة « عيد ميلاده » ـ كما يقول ـ أمام معبد صناديق الاستفتاء . من اجل الرجل الذى « عزل فاروق » و « اخرج الانجليز » و « اعاد قناة السويس » و « صمد فى احلك الايام السوداء وهو يواجه ثلاثة جيوش ضخمة » و « وحد احلام الشعوب العربية » و « فعل كل هذا .. واكثر من هذا » .. الخ .

لكنهم يعودون اليوم ، ليعيدوا تسمية ما سبق واسموه من احداث : طرد الانجليز واعادة القناة والصمود وتوحيد احلام العرب . اصبح : جرنا الى محارثة والاحتلال وتبديد ثروات مصر وغرقة العرب .. والى آخره من تسميات عجيبة يقولونها اليوم .

وقد يكون من حق الكاتب ان يغير رايه ويكتشف الرأى الاصح او السليم بعد وقت . ولكن بشرط ان يقول انه أخطأ حينما قال رأيه القديم . وان سبب خطأه هو كذا وكذا .. وان رأيه الجديد سببه كذا وكذا .

هكذا كان يفعل عبد الناصر ، وسائر الوطنيين المخلصين زعماء او كتاب ، بعد الانفصال نقد عبد الناصر نفسه و التجربة ووضع يده على اسباب الخطأ . وبعد هزيمة يونيو نقد عبد الناصر نفسه ووضع يده على كثير من اسباب الهزيمة وراح يعمل من اجل مواجهتها وعمل الكثير .

كيف اذن نقرأ او نفسر ما سبق وقالته مؤسسة « اخبار اليوم » على صفحات « الاخبار » ، ونجد منطقا واحدا يربطها بما تقوله اليوم ؟

لكننا لا نستنتج . فواقع صفحاتهم وكتاباتهم فى كل عهد ، فيه الاجابة الكافية على السؤال .

فى عهد فاروق ، قالوا فيه غزلا ، وقالوا عنه كل ما يمكن ان يقال عن حاكم وطنى صالح وعادل .. الخ .

وبعد ان سقط فاروق ، قالوا فيه العكس تماما : الفاسق والفاسد والظالم والطاغية .. الخ

وفى اول عهد الثورة عام ١٩٥٢ و١٩٥٣ و ١٩٥٤ ، قالوا فى محمد نجيب غزلا وقالوا عنه كل ما يمكن ان يقال عن حاكم وطنى .

وبعد سقوط محمد نجيب ، قالوا فيه العكس تماما : « الرجل الهليهلى » الذى لا يهتم الا بان يبتسم ويقبل الاطفال .. الخ .

وفى وجود عبد الناصر فى السلطة ، قالوا فيه غزلا وقالوا عنه كل ما يمكن أن يقال عن حاكم وطنى صالح وعادل وديمقراطى .. الخ .

وبعد غياب عبد الناصر ، قالوا فيه العكس تماما : الدكتاتور الظالم الذى صادر الحريات واستولى على حقوق الناس .. الخ .

انهم يسارعون باقامة المعبد لكل سلطة وبحماس شديد ، ثم يسارعون وبكل حماس شديد ـ أيضا ـ الى هدم نفس المعبد وحرقه .

ترى ماذا ستقول مؤسسة « اخبار اليوم » و « الاخبار » فى الغد ؟

« الطليعة »

عـــرض
نقـــدى
لكتـــاب

بعـــد أن تســـكت المـــدافع

تاليف : محمـــد سـيد أحمـــد

الناشر : دار القضايا ــ بيروت ــ يونيـــة ــ ١٩٧٥

تعليق : الســـيد ياســـين

نادرة هى الكتب والدراسات العربية التى حاولت ان تتخطى حدود الحاضر لتستشرف آفاق مستقبل الصراع العربى الاسرائيلى • ومن هنا يمكن القول أن كتاب الاستاذ محمد سيد أحمد الذى نعرض له ، يعد دراسة رائدة فى هذا المجال والريادة لا تكمن فى مجرد السبق فى التصدى لدراسة موضوع حساس مزدحم بالمحاذير ، وانما ترد الى المنهج المستقبلى الذى انطلق المؤلف على هديه ، ليحاول ربط الصراع العربى الاسرائيلى أولا بنمط العلاقات المعقدة والمتشابكة السائدة اليوم فى النظام الدولى ، وللخلوص ثانيا الى عدد من « التنبؤات » أو الاحتمـالات التـى يمكن أن « يسوى » الصراع العربى الاسرائيلى وفقـا لها •

خطة الكتاب فى حد ذاتها خطة طموحة ، تبدأ بمدخل الى البحث جعل المؤلف عنوانه « محاولة فى استكشاف المجهول » وتضمن فصلين : الاول هل استقراء المستقبل ممكن ؟ والفصل الثـانى معضلات تنتظر التفسير • ثم يدخل المؤلف فى صميم موضوعه بالتصدى لحرب أكتوبر فى الجزء الاول ، وبمناقشة معنى وأبعاد الوفاق الدولى فى الجزء الثانى ، وبمناقشة أزمة الشرق الاوسط فى مناخ الانفراج الدولى فى الجـــزء الثالث ، وبالتساؤل عن أزمة الشرق الاوسط الى أين ؟ فى الجزء الرابع والاخير •

ويبدأ الكتاب بمقدمة تتضمن فكرة أساسية مبناها ضرورة ان نقتحم آفاق المستقبل ، والا نقنع بالتركيز على الحاضر فى تصدينا للمشكلات الجـوهرية التـى يثيـرها الصراع العـربى الاسرائيلى • ومن هنا كان ضروريا للمؤلف أن يقدم لبحثه بجولة حول ميدان البحث الجديد فى العلوم الاجتماعية الذى يطلـــق عليه « علم المستقبل » • وقد قدم المؤلف عرضا ممتعا حقا لابعاد هذا الموضوع ، وقد اتسم هذا العرض بالشمول من ناحية ، وبالتحليل النقدى العميق من ناحية اخرى لبعض الدراسات المستقبلية التى نظرا لقيامها على مسلمات نظرية خاطئة ، فانها تنتهى الى نتائج قد تتسم بالتشاؤم ، او قد تكون ملونة بالهوى والغرض وعدم الموضوعية • ولقد كان منطقيا بعد جولة المؤلف الواسعة فى مجـال الدراسات المستقبلية ، ان يحدد منهجه فى الدراسة وقد حدده كما يلى (ص ٥٦) : « **سوف يكون منهجنا فى استقراء مستقبل المنطقة ــ فى ضوء الاحتمالات التى تواجه ازمة الشرق الاوسط فى السنوات والعقود القادمة ــ هو منهج يقوم على دراسة التناقضات كما تبدو الان ، وكما يتوقع أن تنطلق مستقبلا** » •

وهذا المنهج يعد فى الواقع منهجا متقدما اذا ما قورن بغيره من المناهج التى تصطنع ــ صراحة أو ضمنا ــ فى الكتابات العربية التى تعـرضت لموضوع مستقبل الصراع •

اذا كان هذا هو منهج الكتاب ، فان الموضوع الجوهرى الذى يتعرض له بالتحليل هو كما حدده المؤلف فى خاتمة الكتاب (ص ٣٩٩) ــ وحبذا لو كان هذا التحديد قد تضمنته المقدمة ــ « **محاولة للاجابة على السؤال : الى أى حد تاثرت أزمة**

الشرق الاوسط ، والمواجهة العربية الاسرائيلية ، بمناخ الانفراج الدولى ؟ الى اى حد اصبحت التسوية الان ممكنة ، بفضل « الصدمة » التى احدثتها حرب اكتوبر ، والتى اتاحت .. فرصة تطبيق قواعد الانفراج الدولى على الازمة ، واحدثت لاول مرة « عنصر تكافؤ » و « قاسما مشتركا بين اطراف النزاع » ؟

اذا كان هذا هو موضوع الكتاب ـ كما حدده المؤلف ـ فلنر مدى توفيقه فى معالجته .بعد مافرغ المؤلف من عرضه للدراسات المستقبلية انتقل الى الفصل الثانى من مدخل البحث « معضلات تنتظر التفسير » ، حيث عرض لعدد من التفسيرات التى قدمها المفكرون العرب لهزيمة يونيو ١٩٦٧ ، وللسبل التى اقترحوها لتجاوزها. وتراوحت هذه التفسيرات بين ضرورة توفر العصرية ، كما نادى احمد بهاء الدين ، الى اهمية المضى قدما فى سبيل الاشتراكية كما نادى د . محمد أنيس ، الى اعادة النظر فى اتجاه مصر العربى ، كما عبر عن ذلك د . وحيد رأفت ، ترديدا لموقف قديم سبق أن تبناه اسماعيل صدقى باشا .

ومع أن هذه القضايا من الاهمية بمكان بالنظر الى دراسة أبعاد الصراع العربى الاسرائيلى فى الحاضر والمستقبل ، الا أن المؤلف لم ينجح ـ فى الواقع ـ فى ابراز الترابط العضوى بين هذا الفصل وبين باقى فصول الكتاب ، فقد قنع بعرضها ، ولم يعد لمناقشتها بالقدر الذى تستحقه من التفصيل ، بل اكتفى بأن أشار اليها بعد ذلك اشارات عابرة فى نهاية الكتاب . غير أن كل ذلك كان فى الواقع اشبه « بالبرولوج » ، اذ ما يلبث المؤلف أن ينطلق فى الجزء الاول من الكتاب لمناقشة أبعاد حرب أكتوبر ، حيث نجد مناقشة جريئة حقا لتقييم حرب أكتوبر على الجانب العربى والجانب الاسرائيلى على حد سواء . ويضع المؤلف يده على فكرة أساسية تكمن وراء أوصاف الهزيمة والنصر التى أسىء استخدامها لدى الطرفين العربى والاسرائيلى بصدد تقييم حرب أكتوبر . وهذه الفكرة مبناها أن النزاع العربى الاسرائيلى يخالف النزاعات الاخرى على المسرح الدولى المعاصر فى خاصية تخصه وحده وهى « أنه يكفى ألا تحرز اسرائيل نصرا حاسما فى حرب واحدة ، نصرا لا يكتنفه غموض ولا يقبل التأويل او التشكيك ، حتى تشكل هذه الحرب بالنسبة لاسرائيل ردة وانتكاسة ، وكانما قد خسرتها . ويكفى ألا يتكبد العرب فى حرب واحدة هزيمة منكره ، حتى تكتسب هذه الحرب ، لا فى نظارهم فحسب ، بل لاسباب موضوعية كذلك ، طابع الانتصار » (ص ٩٥) .

ويشير من بعد ، الى نتيجة هامة من نتائج حرب أكتوبر ، هى أنها أدت الى التكافؤ بين الاطراف ، وهذا بذاته يعد الاساس للتسوية ، ان قدر لها أن تتم .

الانفراج الدولى ماذا يعنى ؟ حيث يقدم دراسة تأصيلية ممتازة عن معنى وأبعاد الانفراج الدولى ، وان كانت قد طالت اكثر مما ينبغى (من ص ١٣٥ حتى ص ٢١١) . والفكرة الجوهرية التى يقوم عليها هذا الجزء هو أن الانفراج الدولى (وهو المصطلح الذى يفضله المؤلف عن المصطلحات الاخرى : الوفاق ، والتهدئة .. الخ) فى معناه الدقيق هو عملية اعادة ترتيب المتناقضات بين الاطراف المتصارعة .

وتبدو أهمية هذا التعريف ، فى كون المؤلف يطبقه فى مجال الصراع العربى الاسرائيلى . فالتسوية فى هذا المجال ، ليس معناها « الوفاق » بين العرب واسرائيل ، بقدر ما هى ـ فى المستقبل المنظور على الاقل ـ اعادة ترتيب للمتناقضات بين الطرفين .

ونصل أخيرا للجزء الرابع : أزمة الشرق الاوسط .. الى أين ؟ وهو أهم أجزاء الكتاب قاطبة ، اذ نجد فيه محاولة ابداعية يقوم بها المؤلف محاولا اختراق حاجز الزمن لمحاولة صياغة عدد من الاحتمالات الخاصة بالصراع العربى الاسرائيلى ، تتراوح بين قيام حرب خامسة ، وبين تحقيق تسوية بين اسرائيل والعالم العربى . غير أن المؤلف لا يقنع بهذه الصياغات العامة ـ التى اضطررنا اليها نظرا للحيز المتاح لنا ـ وانما هو بصدد الحرب الخامسة على سبيل المثال يرسم لها عدة « سيناريوهات » كما يتخيلها الطرف الاسرائيلى والطرف العربى على حد سواء . وكذلك فيما يتعلق بالاحتمالات المتعددة للتسوية ، وللاثار المتنوعة التى يمكن أن تنجم عنها . فى هذا الجزء يبدو المؤلف متملكا ناصية المنهج الجدلى تماما ، مما أتاح له أن يعرض عرضا خصبا ودقيقا للاحتمالات المتعددة لمستقبل الصراع . ويبدو ذلك على وجه الخصوص ، فى مناقشته لاحتمال قيام اسرائيل « بوظيفة اقتصادية »بعد التسوية ، تتمثل فى الاسهام بطاقتها التكنولوجية فى تنمية العالم العربى ، ولكن ألا يمكن أن يؤدى ذلك الى نهاية الحلم الصهيونى على أرض فلسطين ؟

هل هذا حلم بعيد التحقيق ؟ أم أنه احتمال وارد فى المستقبل ؟ اسئلة يمكن لنا ان نحدد اجاباتها ، حين نقرأ هذا الكتاب الذى كتب بأسلوب علمى دقيق ومشوق فى نفس الوقت ، بقلم كاتب لا ينقصه العلم بتطورات النظام الدولى ولا يفتقر الى الشجاعة الادبية ، مما دفعه الى خوض هذا الموضوع الشائك . قد نختلف مع المؤلف بصدد رأى أو آخر ، ولكن لابد من التسليم بأنه يقدم للقارىء العربى ـ ربما لاول مرة ـ فرصة لتخطى حدود الحاضر ، ولتأمل آفاق المستقبل .



• جمهورية مصر العربية

لقـــــاء ســــالزبورج

بين الرئيسين السادات وفورد

عقد خلال الفترة من ٣١ مايو — ٢ يونيو الماضي ، لقاء هام بين **الرئيس أنور السادات** والرئيس الامريكي **جيرالد فورد** في مدينة سالزبورج بالنمسا .

ولقد حدد كل من الرئيسين **أنور السادات وجيرالد فورد** موقفه الاساسي من المباحثات ، وذلك خلال الكلمات المتبادلة بينهما في بداية اللقاء .

لقد اكد الرئيس **الســــادات** في كلمته على ضرورة : **الاعتراف بحق الاستقلال والسيادة الاقليمية للدول وعــدم شرعية الاستيلاء على الاراضي عن طريق القوة وقبــــول واحترام الحق الاساسي لشعب فلسطين في تقرير مصيره وفي العيش في ظل كيان وطني .**

وأضاف الرئيس **السادات** : فاذا التزمت كافة الاطراف بهذه المبادىء جميعها فعندئذ فقط يمكن انهاء حالة الحرب ويعم السلام منطقة الشرق الاوســـط ذات الاهميــــة الاستراتيجية المعروفة ، وعندئذ فقط ، تتمكن دول المنطقة من المساهمة في تقدم وتطور المجتمع الدولي ، ويتاح لجميع الدول الموجودة في المنطقة أن تستمر في التطور والتنمية بالطرق التي تلائمها وتسود حالة من السلام وعدم العنف .

وأوضح الرئيس الامريكي في كلمته : ان الولايات المتحدة لن تسمح بتجميد الموقف بالنسبة للجهود التي بذلها من أجل التوصل الى تسوية سلمية عن طريق التفاوض كما انها لن تسمح بتجميد أو ركود المــوقف وأنه من الممكن والواجب تحقيق سلام عادل ودائم بالنسبة لجميع الاطراف .

وقد سبقت المباحثات بين الرئيسين **السادات وفورد** البيانات والتصريحات التي تعكس توقعات الجانبين والنقاط الرئيسية في جدول أعمال الرئيسين .

وجاء في البيان الصحفي الاول الذي صدر عن الوفـــد المصري : ان الولايات المتحدة باعتبارها المصـــدر الاول للتمويل وتسليح اسرائيل تتحمل المسئولية الاساسية في تحقيق تسوية سلمية في المنطقة .. وان **الرئيس السادات** قد طرح سؤالين لمعرفة الحدود التي تحمي الولايات المتحدة فيها اسرائيل ، وما اذا كان الضمان لوجود اسرائيل يمتد الى الاراضي التي تحتلها والتي تبلغ مساحتها ثلاثة أمثال مساحة اسرائيل .

وبالنسبة لجدول أعمال مباحثات الرئيسين السادات وفورد ، نقلت وكالات الانباء تصريحا نسبته الى مصدر أمريكي كبير ذكر فيه أن النقاط الرئيسية الواردة في جدول أعمال مباحثات الرئيسين هي :

١ — الحدود المقبلة لدولة اسرائيل .
٢ — ما توافق الدول العربية على تقـــديمه كتعهدات جوهرية من اجل اقرار السلام .
٣ — المشكلة الفلسطينية .
٤ — وضع القدس .

وقد حضر جلسة المباحثات الرسمية الاولى بين الرئيسين من الجانب المصري **حسني مبارك** نائب رئيس الجمهورية **واسماعيل فهمي** ، ومن الجانب الامريكي **هنري كيسنجر وجوزيف سيسكو** .

وفي نهاية الجلسة اعــــلن **جوزيف سيسكو** في مؤتمر صحفي : أن **الرئيس السادات** قد عرض خـــلال الاجتماع تحليله للمرحلة الراهنة من أزمــــة الشرق الاوسط ، ثم أعقبه **الرئيس فورد** الذي قدم هو الاخر تحليله لطبيعة هذه المرحلة . وان الرئيسين قد أوضحا أيضـــــا الاحتمالات المطروحة لمواجهة الموقف الراهن . ولكنهما لم يتوصلا بعد الى نتائج .

وفيما يتعلق بسياسة العودة الى سياسة الخطـــوات القصيرة ، قال **سيسكو** : ان فكرة اعادة التقييم بالنسبة للحلول البديلة جاءت بعد وقف المحادثات الخاصة **بالدكتور كيسنجر** . ولكننا لم نتوصل بعد الى نتــــائج فيما يتعلق بالبدائل والمشاورات التي تجريها أمريكا مع الاطراف المعنية الان وهي جزء من اعادة التقييم ، لقد تكلمنا مع **الملك حسين** والان نتكلم مع **الرئيس السادات** ، ثم بعد انتهاء هـــذه المباحثات سيلتقي **الرئيس فورد** مـــع **اسحاق رابين** في واشنطن يومي ١١ ، ١٢ يونيو . وهذا جزء من اعـــادة التقييم ، ومن ثم لا ننتهي من التقييم الا بعد الانتهاء من هذه الدراسات .

وحول موقف أمريكا من قيام دولة لفلسطين ، قـــال **سيسكو** : انه ليس هذا هو الوقت المناسب لمناقشة صلب المشكلة ، وان أي سلام في منطقة الشرق الاوسط يجب أن يضع في اعتباره ليس الدول المعنية فقط بل أيضـــا الفلسطينيين .

وبعد ذلك عقد **تحسين بشير** المتحدث الصحفي باســـم رياسة الجمهورية في مصر مؤتمرا صحفيا مماثلا قال فيه : ان الرئيس السادات قد تأثر جدا من استقبالة منطق الرئيس **فورد** وحرارته — وقـــد أقام الرئيســـان عـــلاقات انسانية طيبة — ومثلما قال **سيسكو** فلقد ركز الرئيسان مناقشاتهما حول الحلول البديلة وتطبيقها ، وهناك اتفاق على عدم اذاعة التفاصيل الخاصة بهذه المحادثات . ونحن نتطلع غدا الى مزيد من **المناقشة حول صلب المشكلة** .

• ج • م • ع

لجنة مصرية ــ أمريكية لتنمية الاستثمار فى مصر

• لبنان

كل أزمة العرب هل تحلها بيروت أم تعيد تصديرها ؟

• ايطاليا

انقلاب عسكرى أم مشاركة الشيوعيين فى الحكم

ويشأن ما هو المطلوب من اسرائيل على وجه التحديد ، قال **تحسين بشير** : ان المطلوب هو أن تعلن اسرائيل رسميا : انها لا تحتفظ بالاراضى العربية وأن تمنح الشعب الفلسطينى حقه فى تقرير المصير .

وحول اعتراف مصر باسرائيل ، قال : قلنا عدة مرات عندما يتم تطبيق هذه القرارات يكون لهم الحق فى الوجود فى المنطقة .

وفيما يتعلق بمسألة السماح بمرور الشحنات الاسرائيلية فى قناة السويس قال : ان هذا يرتبط بمسلك اسرائيل فاذا أظهرت رغبتها فى تنفيذ القرار سوف تمر الشحنات ولكن السؤال يبدأ ما هى هذه الشحنات وهل هى ديناميت وأسلحة دمار ؟ اذا ارادوا التحرك نحو السلام فان هذا السؤال سيطرح نفسه فى المناقشة .

وفي ختام المباحثات عقد الرئيسان **أنور السادات وجيرالدفورد** مؤتمرا صحفيا مشتركا حضره أكثر من ألف صحفى . واجاب كل من الرئيسين على أسئلة الصحفيين .

وحول ماذا كان الرئيسان قد توصلا الى نوع من الاتفاق بالنسبة لمرحلة ثانية من الانسحاب تضمن استمرار سياسة الخطوات القصيرة أو بالنسبة الى الطريق الذى يؤدى الى تحقيق سلام دائم على أساس حدود عام ١٩٦٧ ، أجاب الرئيس فورد :

لقد ناقشنا جميع الاعتبارات على ضوء المواقف القائمة بهدف الوصول الى اتفاق سواء كان ذلك عن طريق الخطوات القصيرة أم على أساس التسوية النهائية . لقد ناقشنا الاسس العامة لهذه الاعتبارات . ولذلك سوف تكون لدينا صورة متكاملة عن الموقف بالنسبة لمشكلة الاتصالات التى سوف تستمر والتى سوف تؤدى الى تحقيق سلام دائم وعادل فى المنطقة .

وحول الرسالة التى وجهها أعضاء الكونجرس الامريكى الى الرئيس فورد ، والتى يحثون فيها على زيادة العون العسكرى والمادى لاسرائيل . قال الرئيس فورد :

ان اعادة التقييم لسياستنا فى الشرق الاوسط قد تتضمن أيضا الاخذ بالاعتبارات الموجودة داخل الولايات المتحدة الامريكية خصوصا ما يتعلق بالمواقف السياسية للحزبين السياسيين فى أمريكا والمناقشات الدائرة فى داخل الولايات المتحدة .

وبشأن ما سبق أن أعلنه الرئيس السادات من أن السلام الحقيقى بين مصر واسرائيل سوف لا يكون ممكنا بالنسبة لهذا الجيل . وما اذا كان قد تغير موقف مصر فى هذا الموضوع ؟ قال الرئيس **السادات** : لقد كانت وجهة نظرى ، أن أكبر هدف يمكن تحقيقه الان هو انهاء حالة العدوان التى ظلت قائمة فى المنطقة مدة ٢٧ عاما والتى يمكن أن تتحقق الان ولقد قلت أيضا أنه بالرغم من كل الصعوبات التى تبدو فيها مشكلة الشرق الاوسط مشكلة بالغة التعقيد الا أنها ــ فى الحقيقة مشكلة سهلة جدا ــ اذا ما تمكنا من تحقيق المبادىء الاساسية التى تتضمنها تسوية النزاع بالنسبة لهذه المشكلة والسلام عملية طويلة ولكنها ينبغى أن تكون مستمرة .

وبعد انتهاء المؤتمر الصحفى للرئيسين السادات وفورد عقد هنرى كيسنجر وزير الخارجية الامريكية مؤتمرا صحفيا أكد فيه : أن الهدف من لقاء الرئيسين لم يكن الوصول إلى أى قرارات محددة ، وانما كان الغرض منه اتاحة الفرصة لبحثنا معا جميع الطرق الممكنة التى يمكن اتخاذها لتحقيق تقدم فى الموقف .

وسئل كيسنجر عما اذا كانت أمريكا سوف تقدم معونة اقتصادية لمصر وتساهم فى مشروعات التعمير ، فأجاب : ان القرارات النهائية بالنسبة لمعونات الشرق الاوسط سوف تكون بعد الانتهاء من اعادة التقييم الذى نقوم به ، واننا نتابع باهتمام كبير التطور الصناعى والاقتصادى الذى يحدث فى مصر . وقرارنا بصفة عامة هو المساهمة فى ذلك . ولكن الرقم الذى سيخصص لهذا لم يتم اتخاذ قرار فيه . لقد أوضحنا اهتمامنا وأوصينا بالمشاركة فى المشروعات التى تقوم بها مصر .

○

افتتاح قناة السويس

أمام الملاحة العالمية

احتفلت جمهورية مصر العربية فى ذكرى الخامس من يونيو بافتتاح قناة السويس للملاحة العالمية ، بعد أن ظلت ثمانى سنوات مغلقة نتيجة حرب يونيو ١٩٦٧ .

وقد أقيم احتفال رسمى وشعبى بهذه المناسبة فى بورسعيد ، شهده الرئيس **أنور السادات** ، وقادة القوات المسلحة والوزراء ، حيث ألقى الفريق أول **محمد عبدالغنى الجمسى** كلمة أكد فيها ، الان وقد تم تطهير قناة السويس فان ذلك يعنى بالنسبة لنا ، نحن رجال القوات المسلحة أن مهمتنا ستظل قائمة فى حماية القناة ، وتأمين الملاحة فيها ضد أى اعتداء ، كما أن مسئوليتنا ستظل قائمة حتى يتم استكمال تحرير الارض العربية وتعود الحقوق المشروعة لشعب فلسطين .

ثم تقدم الفريق الجمسى الى الرئيس أنور السادات وثيقة بتسليم القناة من الادارة العسكرية الى الادارة المدنية اعتبارا من هذا اليوم ، فوقعها الرئيس السادات ، ثم سلمها الفريق الجمسى الى المهندس **مشهور أحمد مشهور** رئيس هيئة قناة السويس .

ثم ألقى الرئيس أنور السادات كلمة قال فيها : ان قناة السويس المصرية قد تم تطهيرها كاملة من العدوان الاسرائيلى بعد العبور المجيد فى السادس من اكتوبر ١٩٧٣ ، ومعارك التحرير والكرامة ، وأصبح طبيعيا أن يكمل هذا الشريان المصرى الحيوى مسيرة العبور فى سعادة الاسرة الانسانية ورخائها . وأن يواصل رسالته العالمية فى الربط بين أطراف العالم كلها وتعميق التبادل والتفاعل بين الامم والشعوب » .

وأضاف الرئيس : واذ يقدم الشعب العربى فى مصر هذه المبادرة فى اطار اسهامه الحضارى ورسالته العالمية فانه يذكر الشعوب الصديقة بان أجزاء غالية من ترابه مازالت ترزح تحت يد الاحتلال الاجنبى وأن شعبنا بأسره لايزال يعانى القتر الجبرى والقهر الغاشم على أرضه .

واكد الرئيس : ومصر اذ تواصل عطاءها الانسانى تكرر أنها مصممة على القيام بواجبها المقدس نحو أرضها والارض العربية الطاهرة التى لازال العدو يحتلها فى الجولان وسيناء وفلسطين ، ونحو الحقوق العربية المغتصبة » .

وبعد ذلك استقل الرئيس السادات وبرفقته الامير **رضا بهلوى** ولى عهد ايران المدمرة ٦ اكتوبر ، والتى كانت أول سفينة تعبر القناة بعد افتتاحها رسميا فى طريقها الى الاسماعيلية .

ولقد انتهزت اسرائيل مناسبة افتتاح قناة السويس فأثارت ضجة دعائية كبيرة ، من اعتزامها تخفيض عدد قواتها فى الضفة الشرقية من القناة ، وذلك بهدف اظهار « نواياها الطيبة » أمام العالم ، وكسب الدعاية لنفسها فى هذه المناسبة . وأعلنت اسرائيل أنها تأمل أن توافق مصر على استخدام اسرائيل حقها فى ارسال بضائع عبر قناة السويس .

وقد عقب الرئيس السادات على تخفيض القوات الاسرائيلية شرق القناة بقوله : ان الاجراء الذى اتخذته اسرائيل بخفض قواتها ومدفعيتها أمام الممرات فى سيناء يبدو مشجعا ، وخطوة فى اتجاه السلام « الا انه مع ذلك غير كاف لتبرير رفع الحظر عن الشحنات الاسرائيلية فى القناة » .

وأضاف الرئيس : عندما فتحت قناة السويس كنت أريد أن أقول لاسرائيل وللعالم أننى لا أخاف السلام ، وانى على استعداد للعمل من أجل السلام . وقد اثبتت حرب اكتوبر أن النزاع العربى الاسرائيلى لن يسوى بالوسائل العسكرية .

وكان الرئيس قد سبق أن أعلن بمناسبة افتتاح القناة أن مصر ترفض مرور سفن اسرائيلية فى قناة السويس ، وقال : اننا فى حالة حرب مع اسرائيل منذ ٢٧ سنة وأن مرور سفنها لن يحدث » . وأن السماح بمرور الشحنات والبضائع المتجهة الى اسرائيل فى القناة على سفن غير اسرائيلية يتوقف على سلوك اسرائيل .

وقد أثار افتتاح قناة السويس أصداء واسعة فى العالم وكان موضع تعليقات الصحف والاذاعات العالمية التى أعلنت عن ترحيبها بهذا الاجراء من جانب مصر .

وذكرت صحيفة **الديلى ميل** البريطانية أن اعادة فتح القناة شىء عظيم ، واذا كانت القناة تعطى لكل من يهمه الامر نصيبا أكبر من الخير فى حالة السلام فستوزع المكاسب على نطاق واسع ، لان القناة تخدم العالم كله وأن اعادة فتح القناة هو بمثابة عقد تأمين على سلام الشرق الاوسط ، ولو نشبت حرب أخرى فلربما تسد القناة ، وهذا هو السبب الذى يجعل من الممكن للمرء أن يقول أن القناة قد أصبحت الان رهينة بالسلام .

كذلك أعلنت الصحف السوفيتية عن ترحيبها باعادة فتح قناة السويس ، ولكنها حذرت فى نفس الوقت من مخاطر العدوان الاسرائيلى . فقد ذكرت صحيفة « برافدا » ، أن شعب مصر والشعوب العربية الاخرى مازال تواجه مهمة تحرير كامل أراضيها المحتلة وطرد المعتدين الاسرائيليين ، الامر الذى يعد أساسا لاى سلام قوى فى الشرق الاوسط .

وذكرت وكالة « **تاس** » السوفيتية فى تعليق لها حول اعادة فتح القناة ، تحدثت فيه عن الاضرار الكبيرة التى لحقت بالاقتصاد المصرى واغلاق القناة ، نتيجة العدوان الاسرائيلى فى عام ١٩٦٧ .

وقالت تاس : ان الدبلوماسية الاسرائيلية تحاول استخدام عملية اعادة فتح القناة فى الدعاية لنفسها ، ولاحياء دبلوماسية « خطوة ــ خطوة » الامريكية . وأن سحب عدد من الدبابات أو المدافع من الضفة الشرقية للقناة لن يغير من واقع الامر شيئا ، وهو أن اسرائيل مازال تحتل الاراضى المصرية ، وتعوق بكل الطرق امكانية التوصل الى تسوية سلمية فى الشرق الاوسط . وتعد هذه هى المرة الثانية لاغلاق وافتتاح قناة السويس نتيجة الحرب مع اسرائيل .

وكانت المرة الاولى بسبب العدوان الانجليزى الفرنسى الاسرائيلى فى اكتوبر ١٩٥٦ ، حيث قامت مصر باغلاق القناة عن طريق اغراق عدد من البواخر المحملة بالاسمنت فى عرض القناة . وقد اشترك الاسطولان الانجليزى والفرنسى بعد ذلك فى عمليات تطهير القناة ، ورفضت مصر السماح لاسرائيل باستخدام القناة .

وفى ٦ اكتوبر عام ١٩٧٣ ، تمكنت القوات المصرية من عبور القناة وأجبار اسرائيل على التراجع عن الضفة الشرقية للقناة .

والجدير بالذكر أن عدد السفن التى عبرت قناة السويس فى عام ١٩٦٦ قد بلغ ٢١٢٥٠ سفينة ، وذلك مقابل ١٧٨٤٢ سفينة عام ١٩٥٨ . الامر الذى يبين اهمية القناة المتزايدة فى خدمة الاقتصاد العالمى .

○

لجنة مصرية ــ أمريكية لتنمية الاستثمار فى مصر

اذيع فى ٥ يونيو الماضى ، فى كل من القاهرة وواشنطون بيان مشترك **مصرى ــ امريكى** بتشكيل لجنة مصرية ــ امريكية من ٢٩ عضوا لتنمية الاستثمار فى مصر . وتم تشكيل هذه اللجنة من ١٤ عضوا امريكيا و ١٥ عضوا مصريا ، مهمتها تنمية وتوسيع فرص العمل والاستثمار

فى مصر طبقا للاتفاق الذى تم بين الرئيس **السادات** والرئيس الامريكى السابق **ريتشارد نيكسون** .

وتتفرع من هذه اللجنة ، لجنة اخرى لرجال الاعمال ترتبط بغرفتى التجارة المصرية والامريكية . والاعضاء الامريكيون للجنة هم : **ميرفى** رئيس مجلس ادارة جنرال موتورز رئيسا للجانب الامريكى ، وعضوية **ويلسون بينجر** [شركة بارتز رتيتس رابيت وماكارتس وستراثون] ، **ودرامبرايت** رئيس بنك امريكا **وجيمسون** رئيس مجلس الادارة والمدير التنفيذى للبنك ، **وجونسى** رئيس ومدير شركة جنرال الكتريك **ولويس** رئيس شركة بارسونز ، **ومالوت** رئيس هيئة اى.ام.سى . **وماكميلين** رئيس شركة ماكميلين وشركاه ، **وروكفلر** رئيس مجلس ادارة بنك تشيز مانهاتن ، **وسانترى** رئيس شركة كومبا ستيون ، **وشميدت** رئيس بنك فيرست ناشيونال بشيكاجو ، **وسيفرد** رئيس شركة امريكان سياناميد ، **ووارنر** رئيس شركة موبيل اويل ، **وويلسون** رئيس شركة يونيون كاربيد .

اما الجانب المصرى فتولى رئاسته **احمد عفت** وزير النقل البحرى السابق ، وعضوية **حامد عامر** رئيس مؤسسة المنتجات البتروكيماوية ، **والهادى المغربى** عضو مجلس التخطيط والانتاج ، ووزير التموين السابق ، **وسيد زين الرباط** رئيس شركة الاستثمارات المصرية ــ الكويتية ، ووكيل اول وزارة المالية ، **وعادل جزارين** رئيس مجلس ادارة شركة النصر للسيارات ، **وحامد حبيب** وكيل وزارة الصناعة ، **وزكى هاشم** رئيس المكتب الدولى للاستشارات القانونية ، محام ووزير السياحة السابق ، [قطاع خاص] **ولطفى منصور** رئيس ومدير تنفيذى شركة لطفى منصور للتصدير والاستيراد ورئيس مجلس ادارة سابق لشركة اقطان [قطاع عام] ، **وعدلى عبد المجيد** سكرتير مساعد الوكالة العربية والدولية للتعاون الاقتصادى ، والمسئول عن العلاقات الاقتصادية المصرية الامريكية [مقره الولايات المتحدة بدرجة وزير مفوض] ، **ونيازى مصطفى** رئيس ومدير تنفيذى شركة نيازى للاستثمارات والتعاقدات ــ مهندس [قطاع خاص] . **وابو بكر مراد** رئيس مجلس ادارة شركة الحديد والصلب ، **واحمد شاكر** رئيس ومدير تنفيذ هيئة مواد البناء ، **وفؤاد سلطان** رئيس بنك مصر وايران ، ومستشار المصرف العربى الدولى ، **واحمد توفيق** مدير عام اتحاد الصناعات ، والمهندس **احمد محرم** المستشار بوزارة الاسكان والتعمير .

O

ضرورة تصحيح مسار الحركــــة النقــــابية

فى الفترة من ٧ ــ ٩ يونيو ١٩٧٥ ــ نظمت النقابة العامة لعمال التجارة مؤتمرا لخريجى معاهد النقابة لعمال التجارة . وناقش المؤتمر اوضاع الحركة النقابية المصرية وتفسية الثقافة العمالية .

وانتهى المؤتمر بعد أن درس مجموعة من البحوث الى مجموعة هامة من التوصيات ــ جاءت بمثابة رأى نقابى ، يطالب بتصحيح مسار الحركة النقابية المصرية والثقافة العمالية .

وكانت أهم توصياته فى مجال الحركة النقابية :

[١] يطالب المؤتمر بانهاء الدورة الحالية فى موعدها المقرر اعمالا بسيادة القانون وتأكيدا لشرعية التنظيم النقابى .

[٢] يطالب المؤتمر **مجلس الشعب** التعجيل باصدار قانون التنظيم النقابى الجديد مع تنقيته من أية شوائب تحد من حرية الحركة النقابية ويحقق ذاتيتها واستقلالها ويحقق لها الانطلاق نحو تحقيق اهدافها . مع رفع أى قيد عن الاعضاء النقابيين بالنسبة للترشيح أو الانتخاب اعمالا لمبدأ الحرية النقابية وتأكيدا لنصوص الدستور والقانون .

[٣] ضرورة عقد الجمعيات العمومية للتشكيلات النقابية فى مواعيدها ، وضمانا لسلامة العمل النقابى . واحكاما للمساءلة ورقابة للقواعد النقابية على اموالها وتقييم أنشطتها وقياداتها .

[٤] ضرورة مشاركة التنظيم النقابى فى اعداد وتنفيذ ومتابعة خطط وبرامج التنمية الاقتصادية والاجتماعية الشاملة لكل قطاعات المجتمع . وكذلك ضرورة عرض مشروعات قوانين العمل أو القوانين ذات العلاقة على القواعد العمالية قبل اصدارها .

[٥] مد التجربة المصرية فى اشتراك العمال فى مجالس الادارة ، بحيث تشمل مجال مشاركة العمال فى مجالس ادارة المؤسسات العامة والهيئات ، وكذلك تمثيل العمال فى لجان شئون العاملين فى الحكومة والهيئات العامة ، مع كفالة كل مقومات العمل على انجاح هذه التجربة حتى لا تكون مجرد نصوص على ورق .

[٦] احياء وتدعيم لجان الانتاج بالوحدات الاقتصادية ، مع ضمان عقدها بصفة دورية تحقيقا للاهداف المرجوه من انشائها .

[٧] تدعيم دور التنظيمات النقابية وكفالة حقها فى مشاركة الادارة بشكل ايجابى فى مراجعة واعادة النظر فى الانظمة الادارية النافذة ــ وتوفير مناخ مناسب للمنظمات النقابية فى حل المشاكل العمالية حرصا على مصلحة العمل والانتاج وتجنبا لاى ضياع .

[٨] يؤكد المؤتمر على ضرورة توفير الضمانات الكفيلة بحرية العمل النقابى داخل وحدات جميع القطاعات ، وحماية العمال ضد أى ضرر يلحق بهم بسبب انضمامهم للتنظيم النقابى أو قيامهم بأى أعمال متعلقة بالنشاط النقابى .

[٩] أهمية ارتباط الحركة العمالية المصرية بالحركة العمالية العربية والافريقية والعالمية ، دعما لتبادل المعلومات والخبرات .

[١٠] يؤكد المؤتمر على أهمية أن يكون للتنظيم النقابى ممثليه فى مجلس الشعب على أن تقوم التشكيلات النقابية بدعم مرشحى التنظيم النقابى فى الانتخابات لعضوية المجلس .

[١١] يطالب المؤتمر بربط الاجور بالاسعار والاعباء العائلية ، مع ضرورة مشاركة النقابات فى لجان للاجور والاسعار .

[١٢] يؤكد المؤتمر على أهمية دور المرأة العاملة بصفة عامة والمرأة العاملة فى قطاع التجارة بصفة خاصة كعنصر مؤثر فى الانتاج ، مما يتطلب اعطائها فرصة اداء أعمال تتناسب وقدراتها وتمكينها من التوفيق بين التزاماتها العائلية ومسئولياتها الانتاجية عن طريق تهيئة ظروف مناسبة من حيث : شروط العمل وظروفه مع التركيز على ساعات العمل والتوسع فى انشاء دور للحضانة والرعاية الصحية واتاحة فرص متكافئة مع الرجال بالنسبة للاعمال المتكافئة .

[١٣] الزام أصحاب الاعمال فى القطاع الخاص بـ :

— وضع نظام للاجور والعلاوات والمكافآت حتى لا تتجمد الاجور عند حد معين .

— تطبيق قرار المشاركة فى الارباح على جميع المنشآت التى يبلغ رأسمالها عشرة آلاف جنيه فأكثر .

— الزام المنشأة بالاستمرار فى دفع أجر العامل الموقوف لحين الحكم فى التهمة الموقوف من أجلها .

— الغاء الفصل كعقوبة الا فى الحالات التى تمس الشرف أو الامانة ، مع حفظ حق العامل فى المعاش أو المكافأة .

وفى مجال الثقافة العمالية — تركزت التوصيات حول — أن الثقافة العمالية هى قضية طبقية ، وتعنى بلورة فكر الطبقة العاملة بحيث تستطيع عن طريقه وفى اطار المواثيق الثورية أن تخلق منهجا وأسلوبا لتناول قضايا التحالف الثورى من وجهة نظر العمال وتدين قضايا وأساليب القهر والاستغلال وتسعى فى نضالها من أجل مهام مرحلة التحول الاشتراكى والتبشير بقيم المجتمع الجديد المرتبط بواقعنا وتاريخنا وتراثنا القومى ، ولذا لابد من وضع اطار لمناهج ومحتويات برامج الثقافة العمالية على أساس الفكر الاشتراكى التقدمى النابع من حياة العمال والمعبر عن مطالبهم وحقوقهم .

وفى هذا المجال شجب المؤتمر القرار الوزارى رقم ٤٧ لسنة ١٩٧٤ الصادر من وزير القوى العاملة السابق والرئيس الحالى للاتحاد العام لعمال مصر والخاص بتطوير الثقافة العمالية ، لان فيه افتئاتا على حقوق العمال فى القيام بهذه المهمة ، كما يشجب المنهج الذى سارت عليه اللجنة المكلفة بالتطوير — ويصر المؤتمر على تشكيل لجنة أخرى من الاتحاد العام لعمال مصر للقيام بهذه المهمة .

• لبنان

كل « أزمة العرب » ..

هل تحلها بيروت أم تعيد تصديرها ؟

تلك الاحداث الدامية التى أسفرت عن مقتل ١٢٩ شخصا ، واصابة ٣٠٩ آخرين خلال اسبوعين [الاهرام ٦ — ٦ — ١٩٧٥] وعن خسائر للاقتصاد اللبنانى تفوق كل حصر . هذه المأساة الاسطورية ليست مجرد صدام بين الكتائب وبين المقاومة ، ولا بين الموارنة والفلسطينيين ، ولا بين الدكوانة وتل الزعتر .. ولا حتى بين اليمين اللبنانى واليسار فى لبنان [أعنى المقاومة الفلسطينية والقوى الوطنية والتقدمية فى لبنان] .. انه أعمق وأضخم من ذلك بكثير أنه كل أزمة العرب ، كل صراعاتهم وتناقضاتهم ، تحوصلت ، ثم فجرت عن عمد « ومع سبق الاصرار والترصد » .. على أرض لبنان ، ولبنان بالذات .

وبعد محاولات لبنانية فاشلة لايجاد مخرج ، حاول حكام لبنان أن يجدوا حلا غير لبنانى [بمعنى غير ممسكن فى لبنان] فكانت الحكومة العسكرية لكن حكومة المقدم نور الدين الرفاعى فشلت . ولعله من المفيد أن نتوقف لنسأل أنفسنا لماذا فشلت الحكومة العسكرية بهذه السرعة . ؟ هناك أجوبة كثيرة لعل أقربها الى الصواب هو ردود الفعل العنيفة التى نجمت عنها فى الساحة اللبنانية .

ولنحاول تتبع ردود الفعل هذه :

رشيد كرامى : « انها خروج على النظام الديمقراطى والدستور ، انها نهاية مؤسفة ومحنة البهمة » .

كمال جنبلاط : « اختيار الحكم العسكرى فى هذا الظرف مجازفة خطيرة جدا سنجعل البلاد تنقسم الى قسمين ، وتكشف عن التواطؤ الذى كان قائما بين بعض الاجهزة وبين الكتائب .

رشيد الصلح : « انها خروج على الدستور وعلى الميثاق الوطنى وعلى النظام البرلمانى وهى تحدى لمبدأ المشاركة وسابقة خطيرة جدا »

صائب سلام : « انها بداية لازمة تاريخية خطيرة فى لبنان لا يدرى اى عاقل كيف تكون نهايتها » .

فاروق المقدم : « هذه حكومة حرب نيرونية .. » .

تجمع المسيحيين الملتزمين : « اننا نلمح تباشير فتنة طائفية واقتتال أهلى سيعودان بالكارثة علينا جميعا ، وتشكيل الحكومة العسكرية خرق لابسط الحقوق الديمقراطية »

[فلسطين الثورة — ٢٥ — ٥ — ١٩٧٥]

وهكذا فقد نفت الحكومة العسكرية مبرر وجودها ، لقد وحدت لبنان ضدها ، ولما كان « المخططون » للاحداث يريدون تقسيم لبنان ويعتبرون ذلك هدفهم الاول فقد تساهلوا وسمحوا للحكومة العسكرية أن تختفى ..

وعلى الرغم أن « **رشيد كرامى** » قد صرح خلال الازمة « أن من يتقدم على الحكم فى هذه الفترة يفترض فيه أن يكون فدائيا أو مستعدا للانتحار » .

[الصياد ٢٢ — ٥ — ١٩٧٥]

وعلى الرغم أن « كرامي » قد تحدث عن « المحظور » وهو الجيش مطالبا « باعادة التوازن الوطني الى الجيش ، بحيث يتمكن من القيام بواجبه دون أن يكون في تصرفه ما يفسر أو يؤول » .

[الصياد ٢٢ — ٥ — ١٩٧٥] ..

الا أن الظروف تحكمت بحيث لم يبق سوى « كرامي » منقذا ولا اقول مخرجا من الازمة .

ومن البداية كانت « العقدة » أمام تشكيل الوزارة « الكرامية » هي اشراك الكتائب أم لا . كل القوى الوطنية والتقدمية اللبنانية تطالب بعزل « الكتائب » وأبعادها عن المشاركة في الحكم .. وفي المقابل يصمم **الجميل وشمعون** على أن اشراك الكتائب « مسألة مبدأ » .

وكانت المتاريس والحواجز الكتائبية والقناصة والخطف هو السلاح الذي حاول به « الجميل » أن يفرض اشتراك حزبه في وزارة كرامي وقرر كرامي أن « يعود الى بيته » حتى ترفع الكتائب متاريسها من الشوارع لكنه اعلن في الوقت نفسه أنه « **لن يعتذر** » عن تأليف الحكومة ولن يسمح بأية وقيعة بينه وبين جنبلاط [السفير ٢١—٥—١٩٧٥] وبهذا وضع مناوئيه في مأزق فقد حاولوا اجباره على الانسحاب لتستمر الازمة بلا مخرج ومنقذ .

وفي محاولة للخروج من مأزق الحل الطائفي تقدم **كرامي** بعدة اقتراحات ، من بينها حكومة رباعية من أربعة أقطاب **كرامي — سلام — شارل حلو — ريمون اده** ، أو حكومة خبراء من ثمانية يحتفظ **كرامي** فيها بمنصب وزير الداخلية

[السفير ١ — ٦ — ١٩٧٥]

لكن هذه الحلول جميعا رفضت **فالجميل وشمعون** ومن يساندهما يصممون على اشراك « الكتائب » اشراكا كاملا وعلى أسس طائفية حتى لا تفسر أية مساومة حول هذا الامر على انها تراجع أمام القوى الوطنية والتقدمية ..

وفي هذه الاثناء ، يبذل السفراء العرب وخاصة سفراء مصر والجزائر والكويت جهودا مكثفة لتلافي كارثة محققة ويزورون **أبو عمار** والقصر والاطراف الاخرى بحثا عن مخرج [النهار ١ — ٦ — ١٩٧٥] .

وفي محاولة للخروج من المأزق تشير الصحف البيروتية الى تعهد من القصر بحل عقدة « الكتائب » ، على أن يبذل **كرامي** جهده بحل عقدة « **جنبلاط** » [السفير ٣—٦— ١٩٧٥] ونفهم من ذلك أن هناك محاولة لارضاء الجميع باستبعاد قطبي الصراع « الكتائب » و « **جنبلاط** » من الحكومة . وفي محاولة لتسهيل الامور أعلن « جنبلاط » أنه لا يشترط الاشتراك في الحكومة لا هو ولا حزبه .

لكنه صمم في الوقت نفسه على عدم اشراك الكتائب في الوزارة قائلا « أن اشراكهم اهانة للعرب والمسلمين . وأنهم الكتائبيين بأنهم قتلوا في الاحداث الاخيرة ٥٠ لبنانى ، ٣٦ سوريا ، ٩ مصريين وعدد ١١ من الكويتيين والسعوديين لمجرد أنهم مسلمون .. »

[الانوار ٣ — ٦ — ١٩٧٥] .

وفي هذه الاونة بالذات ، وزعت وكالة أنباء تاس السوفيتية — ولاول مرة — صورة اللقاء الذي تم بين الزعيم السوفيتي **بريجينيف** وبين **ياسر عرفات** وذلك بعد فترة من التزام الصمت تجاه ما رددته وكالات الانباء الغربية من أن **ابو عمار** غير راض عن زيارته لموسكو لان **بريجينيف** لم يستقبله ، وفهمت كل الاطراف المعنية مغزى ومعنى هذه اللفتة السوفيتية ، وفهمت انعكاساتها الضرورية على ما يجري في لبنان . [الانوار . النهار . السفير ٣ — ٦ — ١٩٧٥] . وصحب هذه اللفتة مقال عنيف نشرته **البرافدا** يؤكد أن استفزازات الكتائب تستهدف ضرب حركة المقاومة الفلسطينية . [البرافدا ٤ — ٦ — ١٩٧٥] .

ومن خلال تعقد الموقف برز اقتراح غريب هو « حكومة الشهرين » أي حكومة محدده الاجل بشهرين ، فقط ، بترسان لضبط الامن ، وبعد ان تستقر الاوضاع يكون لكل حادث حديث [السفير — ٤ — ٦ — ١٩٧٥] .

لكن محاولات التهدئة من جانب ، كانت تقابلها محاولات تشدد من الجانب الاخر ، وبرزت في الاجواء العليا عناصر متشددة ترفض التسويات ، وتصر على مواقف محددة هي بقاء العماد **اسكندر غانم** وزيرا للدفاع مع احتفاظه بقيادة الجيش — وبناء العماد **سعيد نصر الله** وزيرا للداخلية — واشراك الكتائب بوزير على الاقل—واعادة **طوني فرنجية** الى وزارة البريد والبرق .

وفي مواجهة هذا التشدد من «صقور» الدوائر العليا ، تشبث **كرامي** بالتكليف ورفض الانسحاب ، واعتبر ذلك في حد ذاته افسادا لمخطط « المستور » . وأعلن كرامي استمراره في تشكيل الوزارة على « نيران هادئة » وتؤكد المصادر القريبة منكرامي انهأيا كان القدر الذييحوز به من المرونة الا انه ملتزم — فيما يقال — بقرار أو اتفاق اتخذ في « اجتماع مغلق في منزل بسماحة مفتي الجمهورية الشيخ **حسن خالد** وحضره كرامي وسلام واليافي وجنبلاط ويقضي هذا الاتفاق بعدم تأليف حكومة تتمثل فيها الكتائب وانما تتمثل فيها التيارات دون الاحزاب [الصياد — ٦ — ١٩٧٥] ولكن **الجميل** يصمم في مواجهة ذلك على الاشتراك في الحكومة بوزراء يمثلون حزبه .. وهكذا تعود « العقدة » لتتفاقم من جديد .

ويستمر الموقف في التدهور ، وفي مجابهة هذا التدهور تبذل جهود مضنية لتهدئة الجو ، ويزور **كامل الاسعد** رئيس مجلس النواب **ابو عمار** في مكتبه، وتمضي الدوريات المشتركة في ازالة الحواجز والمتاريس ، ويطفو الى السطح اقتراح بتشكيل حكومة « موسعة » لا يشترك فيها جنبلاط أو الكتائب

[السياسة ٦ — ٦ — ١٩٧٥] .

بل لقد وصلت عوامل التهدئة الى حد ترتيب مقابلة «ذات مغزى » بين الشيخ **بيار الجميل** والدكتور **فتحي عرفات** نائب رئيس الهلال الاحمر الفلسطيني ، والمغزى هنا هو أن د . فتحي عرفات هو شقيق ابو عمار .

[السياسة ٧ — ٦ — ١٩٧٥] .

ويمضي الوقت ، ويشعر البعض بالقلق لكن **كرامي** يؤكد « الوقت بالنسبة لي هو عامل وليس عنصر ضغط » .

[الانوار ٨ — ٦ — ١٩٧٥]

لكن الهدوء المشوب بالحذر لا يستمر طويلا ، ولا يلبث الجو ان يتكهرب بانذار خطير تردده « **النهار** » في صورة « مانشيت » يقول « في انتظار انقلاب .. من يقوم به ؟ » وتقول « النهار » اذا طالت الازمة فعليكم أن تنتظروا ذات صباح البلاغ رقم واحد » . و « النهار » لا تكتفي « بالانذار » بانقلاب عسكري لكنها أيضا تقدم « برنامجه » السياسي والاقتصادي والاجتماعي .. وتلح « النهار » على عنصر « الوقت » وتعتبره عنصر خطر وتقول « أن ثمة شيئا واحدا

لا ينتظر هو « الوقت » خصوصا اذا كان الوقت يحمل في طياته آلام المعذبين » [النهار ٩ — ٦ — ١٩٧٥] .

ولا يجد المراقبون مبررا للدهشة ، فاذا كان «كرامي» يريد مزيداً من الوقت ، فان « النهار » لا تريد له ذلك ..

وفي اليوم التالي تهلل « النهار » بأن العقدة « تلين » وأن الاتجاه الى حكومة مصالحة وطنية . وأن جنبلاط يقرر « تسهيل مهمة كرامي » وذلك « بعدم الاشتراك في الوزارة بدون فيتو على أحد » [النهار ١٠ — ٦ — ١٩٧٥] .

وخلال ذلك كله بذلت « المقاومة الفلسطينية » جهداً مكثفاً للقيام بسلسله من العمليات الفدائية الناجحة ضد اسرائيل . وهذه الهجمات برغم انها حظيت « بتعتيم » اعلامي متعمد ، حققت نتائج بالغة الاهمية ، فقد أعادت « تصدير » الازمة الى اصحابها ، أي الى اسرائيل ، واثبتت ان « المقاومة » لا تنحرف رغم اية مصاعب عن اهدافها الحقيقية ، وبالمقابل فقد تعمدت اسرائيل القيام بعدد من الاعتداءات المحسوبة بدقة على جنوب لبنان تستهدف مجرد الابقاء على الفتيل مشتعلا . ذلك أن اعتداء واسعا يمكنه تماما مثل « الحكومة العسكرية » أن يوحد الصفوف ..

ويأتي الاسبوع الثالث على الرئيس المكلف ، وهو لم يزل مكلفا ، لا لشيء الا لانه رفض أن ينسحب ويبدأ بمحاولات لتفجير الموقف اتخذت هذه المرة طابع دعوى قانونية رفعها حزب الكتائب ضد **كمال جنبلاط** وكان نص التهم التي نسبها محامو الكتائب كالتالي « جرائم الاخبار الكاذبة ، والقدح والذم ، والتحريض على الفتنة والاقتتال واثارة النعرات الطائفية .. الخ » [الانوار ١٤ — ٦ — ١٩٧٥] ..

لكن الامور كانت — رغم ذلك — تسير في اتجاه معاكس تماما هو « المصالحة » وقد بدأت جهود « المصالحة » هذه بداية عالية المستوى .. « **شمعون — عرفات** » وهكذا التقى التطلبان ، وصرح **شمعون** بعده « بأن اللقاء كان مثمرا » [الانوار ١٤ — ٦ — ١٩٧٥]

واتجه الحديث بعد ذلك الى حكومة « مصالحةوطنية » .. لا يشترك فيها جنبلاط ولا الكتائب ، وذلك بشرط أن يصدر زعماء المسلمين بيانات تعلن سحبهم لشرط عدم اشراك الكتائب بمعنى ترضية الكتائب وعدم اشراكها مؤقتا لا هي ولا **جنبلاط** مع التعهد باشراكهما مستقبلا عندما تهدأ الامور [النهار ١٥ — ٦ — ١٩٧٥] .

ومع تحرك الموقف الى الامام اتخذت « الكتائب » خطوة ايجابية باعلانها أن اشتراك **جنبلاط** ضروري في اية حكومة لبنانية وربما كان هدف « الكتائب » من هذا الاعلان هو استدراج **جنبلاط** الى تصريح مقابل ، لكن **جنبلاط** لم يفعل .

وبعد فترة من الركود المليء بالترقب ، يتفجر الوضع من جديد وتتوالى الانفجارات ، ويعلن **كمال جنبلاط** خمسة عشر شرطا للتسوية ، اهمها احتفاظ لبنان بعروبته ووحدته .. وهنا تكون الامور قد وصلت الى منحدرها الحقيقي .. مؤكدة أن المؤامرة الحقيقية هي ضد عروبة لبنان ووحدته ..

وتبقى الازمة في مكانها وبحجمها .. تبقى « كل أزمة العرب » مجسدة في مشكلة لبنانية .

● سوريا

الاسد .. المفاجأة الثانية .. الاردن !

وكانت المفاجأة الاولى هي اعلان القيادة السورية — الفلسطينية الموحدة ، التي اعلنت في وقت محدود محسوب بدقة .

والان تاتي المفاجأة الثانية ، عندما يزور الفريق **حافظ الاسد** عمان ليجتمع بالملك **حسين** ، ليصدر بيان عن اجتماعهما يعلن تشكيل لجنة عليا مشتركة تضم عددا من كبار المسئولين السياسيين والعسكريين في البلدين يرأس كل جانب فيها رئيس الوزراء ..

وأعلن ايضا أن « هذه اللجنة العليا ستعقد اجتماعات دورية ، كلما دعت الحاجة الى ذلك .

وقد صدر عن اجتماع القمة في عمان بيان مشترك تضمن فقرات ذات مغزى خاص ، مغزى يتعلق بتوقيت صدورها ، ومغزى آخر يتعلق باشتراك الاردن بالذات في اصدارها .

هناك — مثلا — فقرة في البيان المشترك تقول :

« ان الزعيمين **الاسد و حسين** قد ناقشا الوضع المتفجر في المنطقة لاستمرار العدو الاسرائيلي في رفض الانسحاب من الاراضي العربية المحتلة ، والاعتراف بالحقوق الوطنية للشعب العربي الفلسطيني في أرضه ووطنه . وما يمكن أن يؤدي اليه هذا الوضع من آثار خطيرة على الامن والسلام الدوليين » .

[السياسة — الكويتية — ١٣ — ٦ — ١٩٧٥] .

وقال البيان : « ان الزعيمين عبرا عن رغبتهما في تحقيق السلام العادل الذي لا يقوم الا على اساس الانسحاب الاسرائيلي الشامل من جميع الاراضي العربية المحتلة منذ عدوان ١٩٦٧ والقدس في طليعتها ، وتأمين الحقوق الوطنية لشعب فلسطين .

ولقد حرص الفريق **الاسد** على أن يلتقي — وقبل أن يغادر عمان — بوفد يمثل **منظمة التحرير الفلسطينية** ، وقد حمل هذا اللقاء الذي تم في عمان بالذات مغزى خاصا أيضا .

وقد صرح **الملك حسين** عقب زيارة **الفريق الاسد** التي استغرقت ثلاثة أيام بأن محادثاتهما « كانت الشكل الذي يتمناه » . وصرح وزير الاعلام الاردني بأن محادثات **الاسد — حسين** « قد تركزت حول التنسيق العسكري والسياسي في مواقف البلدين ، كما تناولت الاوضاع العربية الراهنة من أجل مواجهة احتمالات المستقبل ...

[الوطن — الكويتية — ١٣ — ٦ — ١٩٧٥] .

وعلى أثر عودة الفريق **الاسد** الى دمشق ، توجه اليها ايضا **ياسر عرفات** للاجتماع مع الرئيس السوري والتباحث في نتائج زيارته لعمان » .

[النهار — ١٤ — ٦ — ١٩٧٥]

وفي نفس الوقت توجه **هاني الحسن** مبعوثا خاصا من عرفات الى الرياض ليلتقي بالملك **خالد** والامير فهد وليصدر على أثر المقابلة بيان من وكالة الانباء الفلسطينية يقول « ان وجهات النظر كانت متقاربة » .

وتجتمع اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، لتناقش وفقا لتصريحات مصدر مسئول « نتائج الزيارة التي قام بها الرئيس الاسد للاردن »

[النهار — ١٥ — ٦ — ١٩٧٥] .

وفي دمشق ، نشرت صحيفة « **الثورة** » السورية مقالا

بعنوان « اللقاء السوري — الاردني خطوة في طريق التحرير والعودة » . وقد جاء في هذا المقال أن زيارة الاسد للاردن « لا يمكن وصفها بأنها زيارة عادية » .
[الثورة — ١٤ — ٦ — ١٩٧٥] .

أما البعث السورية ، فقد حرصت على القول بأن « الزيارة الناجحة جدا التي قام بها الرئيس الاسد للاردن كان لها جانبها العربي وجانبها الفلسطيني ، كما كان لها جانبها المتعلق بالعلاقات الثنائية بين البلدين ، وفي كل ذلك كانت المصلحة القومية هي الهدف » .
[البعث ١٣ — ٦ — ١٩٧٥] .

أما في اسرائيل فقد كان رد الفعل معبرا عن قلق بالغ .. قالت « عل همشمار » لسان حال المابام « ان خطر جبهة عسكرية سورية — أردنية كان على الدوام مصدر قلق لاسرائيل » .

وقالت صحيفة « هاتسوفيه » لسان حال الحزب الديني الوطني « سيكون للتحالف الجديد مضاعفات سياسية وعسكرية خطيرة بالنسبة لاسرائيل » .
[الوطن — الكويتية — ١٣—٦—١٩٧٥] .

وألمحت « هاتسوفيه » أيضا الى أنه أصبح على اسرائيل أن تتوقع عمليات عسكرية على الجبهة الشرقية .
[السياسة — الكويتية — ١٣—٦—١٩٧٥] .

لكن العلامة « البارزة » التي حرصت كل الدوائر على التأكيد عليها هي انه عبر اتفاق سوري — أردني كهذا ، وعبر الاتفاق السوري — الفلسطيني السابق عليه ، فانه يمكن ايجاد صياغة ما لتفاهم اردني — فلسطيني ، اما بشكل مباشر واما عن طريق سوريا ، والامر الذي لاشك فيه أن مثل هذا التفاهم الاردني — الفلسطيني سوف يكون خطوة بالغة الاهمية ، وبالغة الاثر ..

ويبقى السؤال دائما « هل من مفاجآت جديدة على الجبهة السورية ..

O

● ايطاليا

انقلاب عسكري

أم مشاركة الشيوعيين في الحكم ؟

أعلن بيترونيني زعيم الحزب الاشتراكي الايطالي ، انه سينسحب من الائتلاف الحكومي مع الحزب الديمقراطي المسيحي ، ما لم يتحقق أمران ، أولهما اشراك الحزب الشيوعي في الحكم بعد أن حصل على ٣٣ر٤٪ من اصوات الناخبين ، وثانيهما تعديل نسبة اسهام الحزب الاشتراكي في تشكيل الحكومة بعد أن حصل على ١٢٪ من الاصوات بزيادة كبيرة عما حصل عليه في الانتخابات السابقة .

وبعد أن تغيرت علاقات القوى على النحو التالي :

النسبة المئوية لكل حزب من مجموع الاصوات :

	١٩٧٥	١٩٧٠
الديمقراطيون المسيحيون	٣٥ر٢	٣٧ر٩
الشيوعيون	٣٣ر٢	٢٧ر٩
الاشتراكيون	١٢	١٠ر٤
أقصى اليمين	٦ر٤	٥ر٢
الاشتراكيون الديمقراطيون	٥ر٦	٧
الجمهوريون	٢ر٥	٤ر٧
الاحرار	٢ر٥	٤ر٧
الاخرون	١ر٦	٣ر٦

والواقع أنه كما تقول الاكسبريس ، فان هذه الانتخابات كانت تنتظرها كل الاطراف لتحديد مكاسب وخسائر كل حزب ، وتحديد التحالف المقبل في ايطاليا ، ومستقبل ما اسمته « المساومة التاريخية » او اقتراح الحزب الشيوعي التعاون مع الديمقراطيين المسيحيين بمساندة الاشتراكيين . وان كان وزير الصناعة الايطالي كارلو دوناكتين وهو من زعماء الحزب الديمقراطي المسيحي قد اعلن أنه « من الناحية السياسية ، فان المساومة التي اقترحها الشيوعيون ليست ممكنة مع الحزب الديمقراطي المسيحي الحالي . ومن الناحية التاريخية ، لا أعرف » . وبالفعل فقد أعلن فانفاني سكرتير الحزب العام عقب الانتخابات ، أن هذه النتائج خطيرة ودعا زعماء الحزب لبحث الموقف المترتب عليها وطريقة معالجته وكان قد اعلن في اليوم السابق للانتخابات رفض التعاون مع الشيوعيين . أما المراقبون فيقولون أن هذه الانتخابات ستؤدي الى أزمة وزارية اذا سحب الحزب الاشتراكي المؤتلف تأييده ويضيفون انه اذا أصر فانفاني على اقصاء الشيوعيين عن الحكم فسيضطر الى تأليف حكومة ائتلافية تمثل وسط اليمين وانه في هذه الحالة قد تحدث مواجهة بين اليسار واليمين من الممكن أن تتطور الى حرب أهلية ، أو الى محاولة انقلاب يقوم به العسكريون . ويذكرنا هذا بالاحاديث التي كانت قد ثارت منذ فترة ، عن أن ايطاليا مرشحة لان تكون « شيلي » أوروبا أي أن يصل اليسار فيها الى الحكم عن طريق الانتخابات . لكن يبدو أنها من جانب آخر قد تغرى بتدبير انقلاب عسكري على غرار شيلي لسد الطريق لكن يعترض طريق ذلك عوامل ثلاث :

■ قوة الحزب الشيوعي الايطالي : والذي أكدت الانتخابات كما تقول التايمز انه أقوى حزب في ٧ مناطق من ١٥ منطقة في ايطاليا ، وانه الحزب الاول في أهم المدن : روما بولونيا جنوا تورين ميلانو فلورنسا نابلي فينيسيا ، وانه زاد من عدد ناخبيه بنسبة ٥ر١٪ عن ١٩٧٠ في حين فقد الديمقراطيون المسيحيون ٣ر١٪ . كما أن الحزب الشيوعي الايطالي أكثر خبرة وأشد مراسا [حصل على ١٠١٤٩١٣٥ صوتا بزيادة مليوني صوت عن ١٩٧٢] ، وأن الانتخابات قد جعلته ينازع المسيحيين الديمقراطيين لقب « الحزب القائد للامة ووضعته في مرتبة شبه متوازية مع هذا الحزب كما تقول النهار اللبنانية [الفارق ١ر٩٪ من الاصوات] . وتقول الاكسبريس « انه منذ الاصلاح الاقليمي منذ ٥ سنوات ، أحاط اليسار شبه القارة بحزام أحمر فهو يسيطر على ٣ مناطق في الوسط : اميلي روماني توسكانيا وامبري وفي مقدوره أن يسيطر على ليجوريا حتى الحدود الفرنسية » وبالفعل قد تفوق الحزب الشيوعي على المسيحي في عدة مواقع كاثوليكية مسيحية لاول مرة وفي مقدمتها العاصمة روما ونال الشيوعيون معظم الاصوات في مناطق الشمال التي يطلق عليها « الحزام الاحمر » .

■ الازمة الاقتصادية وفشل سياسة المسيحيين الديمقراطيين رغم أن فرصتهم استمرت ٣٠ سنة ، والواقع أن هذه الانتخابات كانت كما تقول هيرالد تريبيون تصويتا ضد سياسة فانفاني وحزبه التي جلبت الازمات الاقتصادية والقلاقل الاجتماعية [٢٥ تمردا منذ بداية العام ، سقط قتلى في بعضها — وفي ميلانو هناك ٦٥ الف عاطل وعاد الى ايطاليا ٣٠ ألف عامل من سويسرا] .

■ اعتدال مطالب الشيوعيين التي تجد قبولا واسعا .

وتقول النهار اللبنانية أن نجاح الحزب الشيوعي يعود في الدرجه الاولى الى سياسة أمينه العام انريكو برلنجر والتي تقوم على الدعوة الى نوع من التحالف التاريخي بين الشيوعيين والكاثوليك واليسار لانقاذ البلاد من المصاعب التي تتخبط فيها . وقد أكد جيان كارلو بايتا الرجل الثاني في الحزب « أن الناس تريد الديمقراطية ، ولا نريد مبعوثا للعناية الالهية . انهم يريدون اشتراك الشيوعيين ، ولكنهم لا يريدون سيطرة حزب . حتى الناخبين الشيوعيين لايريدون ذلك» وأكد برلينجر في خطابه في مظاهرة جماهيرية أن حزبه يسعى من أجل دور دائم في صناعة القرارات على المستوى القومي . أما الحزب الاشتراكي فقد تأكدت مواقفه في قبول مشاركة الشيوعيين أكثر من مرة — خاصة بعد ظهور النتائج — وقد أعلن انطونيو جيلوتي أحد زعماء الحزب والوزير السابق انه يمكن « حث نظام الحزبين على الطراز الانجلوساكسوني ففي بريطانيا يستشير العمال المحافظين قبل اتخاذ قرارات قومية . وفي أمريكا يتم الامر نفسه . ويمكن اقتراح ان يقوم رئيس وزراء ايطاليا قبل اتخاذ القرارات الهامة لمستقبل البلاد ، مثل الازمة الاقتصادية ، العمالية باستشارة الحزب الشيوعي . وفي الداخل فان الظروف مهيأة لمشاركة الحزب الشيوعي في الحكم » . وفي انتخابات محافظ ليجوريا تحالف الاشتراكيون مع الشيوعيين وخسر الديمقراطيون المسيحيون بعد أن ظلوا في المنصب ٢٤ سنة . كذلك تحدث المرشحون والقادة الاشتراكيون في حملاتهم الانتخابية عن رغبتهم في اشراك الشيوعيين ، بل ان سواريز سكرتير الحزب الاشتراكي البرتغالي والذي دعاه الاشتراكيون الايطاليون لالقاء خطاب في اجتماع انتخابي لهم أعرب عن أمله في نجاح الحزب الشيوعي الايطالي وقال اننا نريد « برتغال اشتراكية ، أسبانيا اشتراكية ، يونان اشتراكية ، شيلي اشتراكية »

لكن انذار الحلفاء الاشتراكيين لم يجد مع قادة الحزب الديمقراطي المسيحي فكما تقول الديلي ميل ، بدأ فانفاني حملة صليبية لتكوين جبهة متحدة ضد الحزب الشيوعي ، واتخاذ الاحتياطات اللازمة لمنع هذا الاخير من محاولة التعجيل بموعد الانتخابات العامة ، وذلك على الرغم من انه هزم ٣ مرات في مدى عام : في قانون الطلاق مايو ١٩٧٤ ، وانتخابات سردينيا ثم الانتخابات الاقليمية . وتجربة فينيسيا مازالت في الاذهان ، فقد وافق محافظها الديمقراطي المسيحي على التعاون مع الشيوعيين ، فعصف به حزبه وأطاح به . لكن السؤال هو هل تستطيع قيادة الحزب المسيحي الاستمرار في الطريق ، أم أن قواعدها ستجبرها على التغيير خوفا من البديل الفاشستي ؟

● الهند

« الاغلبية » المضطهدة من « الاقلية »

اصدرت احدى محاكم الهند حكما — في ١٢ يونيو — بادانة انديرا غاندي رئيسة وزراء الهند بتهمة استغلال اجهزة الدولة في حملتها الانتخابية — ١٩٧١ — وحكمت بحرمانها من العمل الرسمي لمدة ٦ سنوات . ومنحها مهلة ٢٠ يوما لتنفيذ الحكم .

ولكن المحكمة العليا حكمت باستمرارها في الحكم دون حق التصويت في البرلمان الى حين الانتهاء من نظر الاستئناف المحدد له ١٤ يوليو .

واعتمد الحكم حملة اعلامية واسعة قامت بها المعارضة في الهند والاجهزة الاعلامية الدولية المؤيدة لها تصف القضية بانها « ووترجيت هندية » . وقد وصلت الحملة الى حد تصوير الموقف وكأن انديرا غاندي قد انتهت بشخصية سياسية في الهند . حتى الاصوات التي ارتفعت بصوت العقل اتهمت بأنها ضد سيادة القانون .. !

والواقع ان الحكم الذي صدر ضد انديرا غاندي هو في الاساس قضية سياسية وليست مسألة قانونية فقط ، وخاصة وان القضية تتعلق بالانتخابات العامة التي جرت في مثل هذه الايام منذ ٤ أعوام . وبقيت القضية « على الرف » طوال هذه السنوات الى أن أخرجت فجأه لتنتهي — حتى الان — بهذا الحكم الذي مازال في انتظار — حكم المحكمة الفيدرالية العليا — فاذا نظرنا للاطار العام الذي خرجت فيه هذه القضية يمكن ان يتضح انها قضية سياسية استخدم فيها القانون . وابرز خطوط هذا الاطار العام هي :

١ — ان حزب انديرا غاندي جاء في اعقاب هزيمة الولايات المتحدة في فيتنام وكمبوديا ، والتي اصبحت مهددة بالطرد من بقية آسيا ويكفي أن دولة مثل تايلاند بكل ما صرفته الولايات المتحدة على تخريب مؤسساتها وشراء قياداتها ارتفعت فيها الاصوات تطالب بتصفية الوجود الامريكي في تايلاند .

وفي مواجهة هذا النصر حاولت الولايات المتحدة وتحاول ان تمنع تداعي الاحداث وانسياب تيار انحسار نفوذها في جنوب شرقي آسيا وذلك بتحركات هي اقرب الى ان تكون «تقلصات» تعبر عن أزمة الاستعمار الامريكي اكثر مما تعبر عن قوته . منها العدوان البربري على كمبوديا لاطلاق سراح سفينة التجسس التي أسرتها كمبوديا بعد انتصار الثورة ، ومنها التلويح بالدعم الحربي لكوريا الجنوبية الى حد السماح لها — حسب ما تعلنه الصحف — بانتاج اسلحة ذرية .. وهي نفس النغمة التي تسير عليها الولايات المتحدة مع اسرائيل .. !

وفي اطار هذه التقلصات تحركت جبهة المعارضة الهندية وجوهرها يمين متخلف يمثل أقبح ما يحمله اليمين من تعصب ديني ، وانغلاق فكري ، وتعاون بلا حدود مع مخططات الولايات المتحدة . ولليمين الهندي في هذا المجال تاريخ طويل . والامل هو اسقاط انديرا غاندي وبالتالي ضرب اليسار الحاكم في الهند .

٢ — ان أثارة القضية في مارس الماضي جاء في اعقاب زيارة المارشال جريتشكو وزير الدفاع السوفيتي للهند في فبراير الماضي وانتهت الزيارة بتأكيد العلاقات الوثيقة بين نيودلهي وموسكو واعلن ان الاتحاد السوفيتي وافق على تزويد الهند بكمية كبيرة من الاسلحة تشمل أحدث الصواريخ والطائرات الحربية ومنها انواع لم يسبق ان قدمت الى دولة غير شيوعية .

والواضح ان هناك جهد مركز يأمل في اسقاط انديرا غاندي قبل تنفيذ هذه الاتفاقية باعتبار ان الدعم الحربي للهند يمثل خطرا على المخططات الامريكية ، وخاصة بعد الدور الذي لعبته الهند في حرب البنجالادش .

هذا الى جانب الهدف الاخر او الوجه الاخر وهو ضرب الوجود السوفيتي فى المنطقة بضرب الحكومات التى تجد الدعم منه .

٣ — ان ادانة انديرا غاندى من محكمة اقليمية تأتى والانتخابات العامة فى الهند على الابواب حيث بقى عليها حوالى ٩ اشهر فقط اى ان الحملات الانتخابية للاحزاب بدات تفتح دفاترها للتمهيد للمعركة الانتخابية .

وطبعا ضرب انديرا غاندى ليس موجها اليها بصفتها الشخصية وانما بصفتها زعيمة حزب الاغلبية — المؤتمر — وهو هدف استراتيجى فى هذه الحملة الانتخابية .

والهدف هو كسر حزب المؤتمر ليدخل الانتخابات مفككا ويمكن من خلال ذلك ان تجد المعارضة لنفسها مكانا .
ويمكن يتضح ذلك اكثر من خلال نقطة اخرى :

٤ — ان ادانة انديرا غاندى هى ادانة لانتخابات سنة ١٩٧١ والتى احرز فيها حزب المؤتمر تحت قيادة اليسار انتصارا ساحقا فى مواجهة اليمين حتى يمين حزب المؤتمر الذى شكل لنفسه حزبا منفصلا سحق فى الانتخابات . وبالتالى فان الاقرار بخروج انديرا غاندى سوف يتبعه اجراء انتخابات عامة جديدة . اذ ان سقوط رئيسة الوزراء وزعيمة الحزب سوف يحتاج الى انينتخب الحزب رئيسا للوزراء خلفا لانديرا غاندى ، وهو ما يؤدى الى انقسام الحزب ، وبالتالى الاحتكام للقاعدة بانتخابات عامة لا تشترك فيها انديرا غاندى طبعا .

ولعل ما يشجع المعارضة على هذا التصور ان اليسار الهندى فى حزب المؤتمر بقيادة انديرا غاندى احتكم الى الجماهير حين هزمته المحكمة الفيدرالية العليا فى الغاء قرار الحكومة بانهاء الامتيازات التى يتمتع بها المراجات والامراء حتى ذلك الوقت فى دولة أشتراكية يموت الناس فيها جوعا .

والواضح ان قيادة حزب المؤتمر ادركت الابعاد السياسية للقضية اكثر من المظهر القانونى بدليل انالهيئة البرلمانية للحزب اجتمعت واصدرت قرارا بالاجماع بتجديد ثقتها الكاملة فى انديرا غاندى وتضمن القرار النص على ضرورة استمرارها فى منصب رئيسة الوزراء ولم يتعرض القرار للجانب القانونى فىالقضية . ولعل اغفال هذا الجانب هو نوع من الاحترام للمحكمة الفيدرالية العليا التى لم تكن قد اجتمعت بعد وان كان هو فى نفس الوقت تقدير للوجه السياسى فى القضية التى يستخدم فيها القانون لتحقيق هدف سياسى .

والحقيقة ان هذه ليست هى المرة الاولى التى حاولت فيها جبهة المعارضة باطرافها المتنافرة الغريبةاستخدام القانون وجر القضاء الهندى لتحقيق اهدافها السياسية .
فقد حدث فى مايو سنة ١٩٧٠ ان احتكمت المعارضة أمام القضاء بأمل الغاء انتخاب الرئيس الهندى جيرى بدعوى انه نجح بالرشاوى . وبرأت المحكمة جيرى من اتهامات المعارضة .والحقيقة انالمسألة لمتكن الانتخابات ولكنها كانت صراع اليمين واليسار على السيطرة على حزب المؤتمر . اذ اراد يمين المؤتمر ان يرشحللجمهورية احد زعماء اليمين ورفضت انديرا وطرحت أسم جيرى وأنتهى الصراع بأن اصبح لليمين مرشح ولليسار مرشح وانتصر اليسار تحت قيادة انديرا غاندى وانسحب اليمين من حزب المؤتمر .

وفى نهاية نفس السنة لجأت المعارضة مرة اخرىالى المحكمة لالغاء قرار الرئيس الهندى بالغاء امتيازات الطبقة الارستقراطية القديمة . وكسب اليمين الجولة وحصل على حكم باعادة هذه الامتيازات التى يكفلها القانون ، واجأت انديرا غاندى الى التعجيل بالانتخابات العامة لتعديل القانون الذى يحمى الاغنياء على حساب الشعب الهندى. ووقف الشعب وراء زعيمة حزب المؤتمر الذى حققانتصارا ساحقا فى الانتخابات التى يريد اليمين اليوم ان يلغى نتائجها بعد اربعة اعوام منها .

وانصافا فان اليمين فى الهند لم يتوقف لحظة عن ضرب اليسار بزعامة انديرا غاندى فاتهمها بالمحسوبية مرة واستغلال النفوذ مرة وافساد الهند مرات وفى كل مرةكان البرلمان ينصرها ويهزم اليمين .

وانتهى المشوار الطويل بهذه القضية حيث اتهمترئيسة وزراء الهند بانها استغلت القوات الجوية الهندية فى الدعاية لها وأنها انفقت على الحملة الانتخابية اكثر مما هو مقرر فى القانون ، واستخدمت شعارا مقدسا رمزا لها وهو البقرة البيضاء .

وكانت المفاجأة ان رئيسة الوزراء ذهبت بنفسها الى المحكمة وقدمت الوثائق التى تثبت براءتها ،وكاناحترامها للقانون وتقديمها اول سابقة فى تاريخ الهند بان تقف رئيسة الوزراء امام محكمة .وببحث الوثائق اعلنتالمحكمة براءتها وبقى من الاتهامات انها استخدمت موظفا عاما فى الدولة للدعاية لها وان الجهاز الادارى فى الولاية نظم لها اجتماعاتها الانتخابية . وهو ما ادينت به .

ونظرة على الوقائع تكفى للاشارة الى ان قرار القاضى لم يكن مجرد حكم قضائى ولكنه قرار يخفى دوافع ابعد من القضية بدليل :

١ — ان الموظف العامالذى اتهمت باستخدامه هوسكرتيرها وهو عضوفى حزبالمؤتمر واصبح عضوا فىمجلس الشيوخ . ومع انه رجل سياسة الا ان ذلك ليس وحده مبررا لقيامه بالدعاية الانتخابية لها بل انه موظف بمكافاة وبالتالى فهو ليس موظفا وانما فى كادر الحكومة الذى ينطبق عليه النص .

الاكثر من هذا ان كابور قدم استقالته من منصبه قبل القيام بالدعاية الانتخابية منعا للشبهة . ولكن القاضى قال ان أنديرا غاندى اعتمدت الاستقالة بعد ذلك بأسبوع وكان خلاله يقوم بالدعاية له مع أنه مستقيل قبل تاريخ الاعتماد بأسبوع وبالتالى فهى استخدمت موظفا عاما وهو ما يخالف القانون !

٢ — ان مسالة قيام جهاز الامن والادارة فى الولاية بتنظيم اجتماعاتها الانتخابية هى مسألة أكثرغرابة من مسألة استخدام كابور . فالحكم فى الولاية كان فى يد جبهة المعارضة التى منها الحزب الاشتراكى والحزب اليمينى جان سانج ويقودها رجل اليمين موراجى ديساى عضو حزب المؤتمرالسابق ووزير المالية فى عهد نهرو .

واعتمادا على ذلك لا يمكن الادعاء بأنها استخدمت الادارة المحلية لانها ادارة معارضة وليست فى يد حزب المؤتمر . وأن هذه الادارة قامت بواجبها لحماية أنديرا غاندى خوفا منحدوث أى اعتداء عليها . فهى ليست مجرد مرشحة فى الانتخابات ولكنها زعيمة الهند ورئيسة الوزراء . وبالتالى فهى ليست شخصية عادية . واغتيالها يمكن ان يؤدى الى كارثة قوميةفى الهند . وبالتالى فلابد من حمايتها وخاصة من انصار اليمين الحاكم فى الولاية . وهو اليمين الذى خرج منه معتوه اغتال زعيم الهند الكبير غاندى .

٣ — ان هناك قرار من مجلس النواب فى سنة ١٩٦٩ يلزم حكومات الولايات أن تتولى تنظيم اجتماعات رئيس الوزراء . فان كان هناك تعارض بين هذا النص وقانون الانتخابات ، فأنديرا غاندى ليست مسئولة عن ذلك وخاصة وأن قوات الامن او رجال الحكومة — وهم مرة أخرى من المعارضة — لم يجمعوا لها الناس لتأييدها ولكنهم فقط نظموا لها الاجتماع بمبنى النظام والامن وهو ما لا يجمع الاصوات . فليس من المعقولتصور ان منظرهميمكن انيضيفشئلا وهيبة الىأنديرا غاندى ، وخاصة وان هذه الولاية هى قلعة اليمين .

وبالتالي فتطبيق القانون بحرفيته هو في الواقع مسألة ابعد مدى من التعنت لانها تكاد تكون استغلالا خاطئا للقانون ، وان القاضي قبل لنفسه ان يكون طرفا في معركة سياسية في ثوب من القانون .

وواضح ان القاضي يدرك تماما دوره بدليل انه لم يصدر حكمه بالنفاذ بل ترك لها مهلة ٢٠ يوما تلجأ بعدها الى المحكمة الفيدرالية العليا . مع انه يعرف انه حتى اذا لم يقرر هذه المهلة فانها كانت سوف تلجأ الى المحكمة العليا . وهو اجراء في حد ذاته يوقف تنفيذ حكمه . فالمهلة هي في الواقع الفترة التي يفتح فيها النار على انديرا غاندي وضرب حزب المؤتمر في مقتل وليس مهم بعد ذلك براءتها او ادانتها لان الهدف يكون قد تحقق بانقسام حزب المؤتمر حول الموقف الذي يجب اتخاذه خلال هذه المهلة ولكن الواقع سار على عكس ذلك حيث اتحدت صفوف حزب المؤتمر اكثر وراء رئيسة الوزراء .

وظهرت اهداف اليمين الهندي امام الجماهير بانها ليست مسألة الانتخابات ولكنها الاشتراكية نفسها في الهند وهو ما دفع الجماهير لان تلتف حولها اكثر .

وجاء حكم المحكمة الفيدرالية باستمرار رئيسة الوزراء في منصبها ، وان كان قد حرم عليها حق التصويت في مجلس النواب الى أن يصدر الحكم في الاستئناف .

والقاضي في المحكمة الفيدرالية يكون بذلك قد أدرك حجم المسئولية الملقاة على المحكمة والجانب السياسي في القضية فهو ان حكم باستمرارها في الحكم دون أي قيود يكون بذلك قد اصدر حكمه في القضية كلها في جلسة واحدة . وهو ما يضعه موضع الشبهة وخاصة وانه من انصار انديرا غاندي . وهو يكون بذلك أيضا قد افقد القضاء الهندي كرامته وهيبته امام السلطة التنفيذية والتنظيمات السياسية .

فاذا كانت ضرورة وامانة أن تخرج انديرا غاندي رئيسة الوزراء من هذه القضية عملاقة وقوية لتقطع خطوات أبعد على طريق الاشتراكية من أجل جماهير الهند فانه ليس أقل ضرورة ان لم يكن أكثر هو أن يخرج القضاء الهندي كبيرا عملاقا يحمي القانون ويحمي الاشتراكية أيضا . ويقدم للعالم الثالث مثلا للسلوك الديمقراطي الصحيح .

بقيت نقطة لابد ان تكون واضحة في الاذهان ان الحزب الذي قاد المعارضة في هذه القضية كان الحزب الاشتراكي الهندي وزعيمه هو الذي كان ينافس انديرا غاندي في دائرتها وكسبت هي بمعدل ٢ — ١ . والقول انه الحزب الاشتراكي دون اضافة الهندي هو نوع من التضليل لان الاحزاب في الهند تحمل اسماء خالية من المضمون الحقيقي ويكفي ان نعرف ان هذا الحزب الاشتراكي دخل الانتخابات في جبهة واحدة مع اقصى احزاب اليمين تطرفا التي ترفض بل وتحارب الاشتراكية وتؤمن بالراسمالية الاحتكارية بل وتعتمد في تمويلها على أغنى ١٨ عائلة هندية . فهو بالتالي تحالف غريب الا اذا كان الحزب الاشتراكي يؤمن بالرأسمالية تحت قناع من الاسم الاشتراكي . وهو واقع الحزب الحقيقي . والاغرب انه بدأ تاريخه بمنطلقات ماركسية ثم انتقل الى اشتراكية ديمقراطية وانتهى به الامر الى ما هو عليه اليوم اي انه قطع الطريق عكسيا فبدلا من ان يبدأ بمنطلقات متواضعة وينتهي به الامر عند الماركسية اذا به يسير بالعكس . وهو الحزب الذي قاد اعنف الحملات ضد نهرو ومن بعده انديرا غاندي .

وازمة الحزب الحقيقية هي انه لم يستطع ان يطرح برنامجا ولا فكرا افضل مما يطرحه حزب المؤتمر ويطبقه تحت شعار « الاشتراكية الديمقراطية » فاصبح الحزب صورة ممسوخة من حزب المؤتمر ، الى جانب تذبذب قياداته وعدم وحدة فكرهم .

ولعل من الخطأ المبالغة في قيمة هذا الحزب بل وفي حجم جبهة المعارضة كلها في الهند . فهي ربما كانت اكثر صراخا باعتبار ذلك هو كل دورها ، ولكنها مجرد اقلية ضئيلة الى حد ان نظام الهند يكاد يكون نظام الحزب الواحد بحكم « قزمية » الاحزاب الاخرى بالمقارنة به . ويكفي ان نرى الفارق بين حزب المؤتمر والحزب التالي له في المقاعد داخل البرلمان .

فان انتخابات ١٩٧١ قد انتهت بفوز حزب المؤتمر بعدد من المقاعد بلغ ٣٦٢ مقعدا من ٥٢٣ بينما جاء عدد الحزبين الشيوعيين احدهما نال ٢٥ صوتا والثاني ٢٣ . ويكفي ان نعرف ان الحزب الاشتراكي نال ٥ مقاعد فقط مقابل ٣٦٢ مقعدا لحزب المؤتمر وان جبهة المعارضة باحزابها الاربعة وبينها الحزب الاشتراكي نالت ٤٣ مقعدا فقط . واظن ان الارقام تتحدث بل وتصرخ بالحقيقة دون حاجة الى شرح وتعليق .

فالامر ليس الحرص على القانون ، ولا امانة الانتخابات ولا هو عداء شخصي مع انديرا غاندي ولكن القضية هي الاشتراكية التي ترى احزاب المعارضة الاربعة في استمرار نجاح حكومة انديرا غاندي على طريقها خطر حقيقي على مصالحها ومصالح ممولها وهي ترى ان اليوم مناسب لضرب الاشتراكية في ظل ازمة الجفاف التي عانت منها الهند طوال العام الماضي وادت الى عدد من الازمات الاقتصادية الحادة .

وقد ادركت انديرا هذه الحقيقة وقبلت التحدي وسرعان ما انكشفت الحقيقة بان القضية جزء من مؤامرة أكبر ، ولذلك اعلنت حالة الطوارىء واعتقلت قيادات جبهة المعارضة .

ويبقى بعد ذلك حكمة الموقف الهندي الحالي التي تقول « أيها القانون ، كم من الجرائم ترتكب باسمك » .

الى قراء المجلة وأصدقائها

من الامور التي تسعد هيئة تحرير « الطليعة » ، تجاوب القراء والاصدقاء مع ما ننشره من مواد وموضوعات . هذا التجاوب الذي ينعكس في شكل رسائل عديدة موجهة الى مجلتهم .

و « الطليعة » حريصة كل الحرص على ان تستفيد من هذه المواد وان ننشر منها أكبر قدر ممكن .

الا ان « الطليعة » ترجو من مراسليها ، من القراء والاصدقاء ، أن يركزوا كتاباتهم بحيث لا تزيد عن صفحتين في حجم « الفولسكاب » او ما يساوي الف كلمة .

وفي الوقت نفسه ، ترجو الطليعة من كل مواطن يراسلها ، ان يحتفظ لنفسه بصورة من المقال او الرسالة التي يبعثها لانه يتعذر « على الطليعة » لاسباب فنية — ان تعيد هذه الرسائل الى اصحابها ، او تحفظها مدة غير محدودة .

الطليعة

ملحق الأدب والفن

○ المسـرح التجـريبى فى انجلـترا

○ مهرجان كان : بين الحرية والاستبداد

في هـــذا العدد :

أوراق دمشقية

تحقيق أدبى من سوريا

فاروق عبد القادر

كنت ـ ولازال ـ شـامي الهوى .. خفق قلبى لدمشق مرات قبل ان تطأ أرضها قدماى : باللهفة والخشية والامل والترقب : حين تبزغ من سمائها اشراقة الفجر فى ظلمة سائدة ، حين تندفع جماهيرها هادرة بالوحدة والحرية ، حين يهبط الليل فتضىء نوافذ المزة ، حين تصمد ـ فقيرة قوية ـ لاهوال حرب غير متكافئة ، وتبقى ـ بعد ان سكت الاخرون ـ تخوض التلاحم الضارى شبرا بعد شبر وقرية بعد قرية .

سوريا ـ التى تقع بين لبنان والاردن وفلسطين والعراق ـ فى القلب من تاريخ العرب المعاصر : رأس الحركة القومية ونبضها منذ بدايتها أوائل هذا القرن ، منبع أكثر الافكار ثورية ، فيها تولد او تنشط ، أفق الاحلام والتصورات التى لا تحصى ..

بعد هزيمة ٤٨ كانت أولى الدول العربية المستجيبة لوقعها: اطاح الجيش بالنظام القائم ، مقدما النموذج الذى سرعان ما احتذته دول عربية أخرى ، لكن ما ميز سوريا ـ ويميزها ـ هو إن الجيش لم يقض على الاحزاب فبقيت نشطة رغم قبضته ، وكان هذا مصدر ثراء وتنوع لاشك فيه ، وفى سوريا حملت الجماهير أول نائب شيوعى الى برلمان دولة عربية ، ومنها ارتفعت أول صيحة بالحياد فى العالم العربى ، وفيها وقعت أول معاهدة تسليح مع الكتلة الشرقية ، ومعها تمت أول وحدة فى تاريخ العرب الحديث ، وفيها نكون أول حزب عقائدى ـ ايا ما كان الرأى فى ايديولوجيته وما تطورت اليه ـ نجح فى الاستيلاء على السلطة فى أكثر من قطر عربى ، واثبت سقوط الاحزاب التقليدية وعجزها عن تلبية رغبات أجيال جديده وواقع متغير ، وكان أهم انجاز له أن ربط ـ فى العالم العربى ـ بين افكار حول « العدالة

الاجتماعية » من ناحية ، وحلم بلغ الخمسين من عمره هو حلم الوحدة العربية من الناحية الاخرى .

وحين تقف هذه المنطقة من العالم عند نقطة تحول .. فان دروبا كثيرة تقود الى دمشق : العروس العربية المطوقة بالياسمين !

●

والسيارة تقطع الطريق الطويل بين المطار والمدينة ، والتمر يلف الصمت والشجر بوشاح فضي ، ولسعات برد تخلي الطريق لربيع دمشقي ، وفي ذاكرتي سطور لشاعر مصري شامي الهوى :

يا أرض سورية
يا حلم عينيه

تصوري أني لهذا الاوان لم أرك
بينا صديقتي الجميلة الدمشقية شدت على يدي ، وقالت في المطار :

يا صانع الاشعار
لابد أن تأتي

ففي الاعالي من كوى بيتي
تمد كفا تمسك القمر ..

وها انا - مثل صديقي الشاعر - ارى موطني الذي وددت أن أراه !

●

قال لي مصطفى الحلاج - اقتصادي وسياسي وكاتب أبرز محاولاته في الكتابة للمسرح : « عن أي ثقافة سورية نتحدث ؟ سوريا - بوحدتها وحدودها هذه - لم تكن موجودة قبل الاستقلال ، صحيح أن المفهوم السياسي والجغرافي والاداري لدولة سوريا تم بعد أن صدق مجلس النواب السوري على المعاهدة مع فرنسا في يناير ٣٦ - هذه المعاهدة التي لم تصدق عليها فرنسا ابدا - لكن المستعمر كان يقسم سوريا هذه الى دويلات خمسة ، أنا احمل ثلاث شهادات ابتدائية ، كل من احدى هذه الدويلات ! » .

وقال **عبد السلام العجيلي** - طبيب وقاص معروف - : « هناك امر في الثقافة السورية لم تتسرب اليه الضحالة ولم تستطع أن تقطع جذوره ، أعني به انتماء السوري الى قوميته العربية ، الثقافة السورية في واقعها الراهن لم تتعمد الابتعاد عن التراث أو تجاهله ، اذا ضعفت صلتها بهذا التراث او قلت معلوماتها عنه ، فذلك لان امكانيات التعمق لم تتح لها اتاحة كافية ، ويظل الوجدان السوري - لدى المفكرين والكتاب والمواطنين العاديين على السواء - قوميا متوثبا ، لم تفلح امية أو شعوبية أن تضعف منه » .

ويواصل **مصطفى الحلاج** : « فيما بين ١٩٤٠ و١٩٥٨ كان ثمة تصاعد شعبي وديمقراطي ، لكن القضية الوطنية كانت قبل القضية الاجتماعية ، ومع انهيار الديكتاتورية العسكرية في ١٩٥٤ [بسقوط حكم الشيشكلي] بدا انفراج واضح ، فتكونت « رابطة الكتاب السوريين » [كان من أعضائها المؤسسين حنا مينه وسعيد حورانية وشوقي بغدادي وحسيب كيالي وصلاح دهني وآخرون] ، لكن وجه ابداع كتاب البعث كان هو الاوضح : ميشيل عفلق [له محاولات في القصة القصيرة] وسامي الدروبي وصدقي اسماعيل ومصطفى الحلاج ومطاع صفدي وآخرون . كان الطابع العام لكتابات هؤلاء هو الابتعاد عن الصراع الطبقي ، في حين أن الذين تناولوا الواقع الاجتماعي في أعمالهم آنذاك كانوا هم الليبراليون [عبد السلام العجيلي بوجه خاص] والماركسيون [حنامينه وسعيد حورانية وغيرهما] .

« ١٩٥٨ : الوحدة - تمزقت الجماهير بين الناصرية وولاءاتها الحزبية القديمة . كانت الجماهير ناصرية لكنها كانت تضرب وتقمع بقوة ، هي أزمة الفكر القومي حين يعجز عن قبول الاختلاف ، خلال فترة الوحدة غاب الكتاب التقدميون ، استبعد البعثيون والماركسيون جميعا ، وجاء حين على الادب السوري وكأنه أقفر تماما الا من ثلاثة : نزار قباني وكوليت خوري والعجيلي ! » .

ينتقل القاص **سعيد حورانية** بالحديث الى ما بعد ٦٧ : « اتجه الادب في مجمله اتجاها سياسيا ، تراجعت القصص والدراسات الاجتماعية التي سادت في الخمسينات ،



د. عبد السلام العجيلي

وبقى الحظ العام سياسيا ، وهذا فى رايى ظاهرة صحية . أتاحت للابداع السورى ان ينطلق باحثا عن اشكال ومجالات جديدة للرواية والقصة والمسرح ، واعتقد ان نماذج طيبة قد تحققت . لكن هناك أيضا الوجه الاخر : أعنى احتقار العالم الموضوعى وشحوب المجتمع ونفسى الشخصية .. واذا وجدت فهى خلق ذهنى خالص ، أعتقد ان هذا منزلق خطير يواجه أدبا ناميا ، لابد ان يكون غائصا كل الغوص فى هموم مجتمعه ، وتفسيرى لهذه الظاهرة هو عدم وجود حرية الكلمة كما يجب ان تكون [لاحظ : حتى فى لبنان هاجم البوليس عرضا مسرحيا وأوقفه] ، كذلك فان النقاد لعبوا دورا زاد فى عماء الكتاب الجدد بدراساتهم التجريدية المهومة فوق الواقع والاعمال موضوع النقد ... » .

ويضيف الكاتب المسرحى **سعد الله ونوس** : « عن المسرح اتكلم ، فى بداية الفترة التى تحدث عنها سعيد كان النقاد يشيدون بأى عمل مادام يتناول موضوعا سياسيا ، أى أن ما كان هؤلاء النقاد يرفضونه ويتحاشونه قبل ذلك أصبح شرطا لازما ، هكذا تحول المسرح الى مهمة تخدير المتفرج وتفريغه .. أى مسرح رجعى فى المحصلة النهائية .. ان المسرح التجارى مزدهر الان فى دمشق ، لان المسرح القومى خاف مواجهة مشاكل الواقع الحقيقية ، والمسرحيات الحقيقية تقدم خارج خشبته ، هذا مسرح لا نستطيع أن نعزله عن عناصره البشرية ، هذه العناصر لا يمكنها ان تشكل اتجاها متكاملا ولا أن تقدم موسما متناغما ، خاصة أن معظم فنانى المسرح بلا قضية يلتزمون بها ويدافعون عنها ، وقد ازدهر المسرح التجارى بعد نجاح بعض المسرحيات السياسية الجادة . فركب الموجة ووصل الى « توليفة » تستطيع أن تفرغ المتفرج من شحنة غضبه وأن تهرج له فى نفس الوقت ، على حين تمنع الدولة تقديم اعمال مسرحية اكثر جدية ، واشير لمسرحيتى : « المهرج » لمحمد الماغوط ، و « لماذا تركت السيف » لممدوح عدوان .

●

هدف السطور التالية محاولة تلمس اهم الملامح فى الواقع الراهن للثقافة السورية ممثلا فى ابداعها الادبى : القصصى والروائى والشعرى والمسرحى . وطبيعى أننا لن نقف عند كل الاسماء والاعمال ـ ذلك شىء يضيق به هذا الحيز ، تكفى اشارات قليلة ، ثم نقف عند الكتاب ، او الاعمال التى تمثل دلالة فى هذا الواقع الراهن .

وسنبدأ بالقصة والرواية [١] : من المعروف أن هذين الفنين بدأ فى سوريا قرب نهاية الثلاثينيات ، ومن بين الرواد : **شكيب الجابرى** . **فؤاد الشايب** ، **محمد النجار** ، وغيرهم يبدو ان **عبد السلام العجيلى** هو الذى بقى ـ حتى الان مواصلا للابداع ، مسهما بالتأثير فى القصة السورية : ولد سنه ١٩١٨ فى الرقة ، قرية كبيرة او مدينة صغيرة فى بادية الفرات : لازالت الحياة فيها تحتفظ للعشائرية بأهمية كبيرة ، أنهى دراسة الطب ولازال يمارسه فى قريته الكبيرة ، شارك مع مجاهدى « جيش الانقاذ » فى بعض معارك ٤٨ ، هوى الاسفار ، فجاب معظم ... بعيون يقظة وشوق نهم لمعرفة الانسان : مشاعره وأفكاره وخواطره ، عمل بالسياسة والوزارة ، لكنه تخلى

---

[١] يمكن لمن اراد مزيدا من التفاصيل ان يراجع : د. شاكر مصطفى : محاضرات عن القصة فى سوريا حتى الحرب العالمية الثانية ، معهد الدراسات العربية العالمية ، القاهرة ، ١٩٥٨ ، وأيضا د. حسام الخطيب : سبل المؤثرات الاجنبية واشكالها فى القصة السورية ، دمشق ، ١٩٧٤ ، كذلك هذه الدراسة الهامة : نبيل سليمان وبوعلى ياسين : الادب والايديولوجيا فى سوريا [١٩٦٧ ـ ١٩٧٣] : دار ابن خلدون بيروت ، ١٩٧٤ .

عن هذا كله « وهو سيء الظن بما يمكن للمرء الصالح ان يجنيه منها للنفع العام » ، لا زال حريصا على رحلاته وعلى الكتابة ، رغم انه يؤكد لي أن الكتابة لديه : « احد ألوان حياتي .. فأنا أعمل بالطب عشر ساعات كل يوم ، وان كتبت لا أكتب سوى ساعة واحدة ، انني أكتب لاعبر عما في نفسي أو عقلي من احاسيس أو أفكار ، وليست الكتابة إلا احدى طرائق التعبير ، ما تعمدت يوما أن اكتب كلاما لينشر ، عبرت عما أشعر به بالكتابة ، وسعيت بعد ذلك الى النشر ، وما شعرت به كان مرتبطا كل الارتباط بالواقع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي الذي أعيش فيه .. فجاءت كتاباتي مساهمة — ان لم يكن في اصلاح الواقع ، ففي تبيان مكان الغلط فيه او التمتع بجوانب الخير والجمال فيه » .

نشر عبدالسلام العجيلي ثمانية عشر عملا « ١٩٤٨ — ١٩٧٢ » في القصة القصيرة والرواية والاحاديث وأدب الرحلات ، لكن أهم أعماله في القصة القصيرة ، من بين مجموعاته التي تقارب العشرة — نقف عند اثنتين ، لانهما تعبران تعبيرا نموذجيا عن بقية القصص ، من حيث مصدر القصة وطريقة قصها وما تحمله من فكر ، ولانهما حظيتا بشهرة بين بقية المجموعات : « قناديل اشبيلية ، ١٩٥٦ » ، و « الخيل والنساء ، ١٩٦٥ » . وللوهلة الاولى تستبين المصادر التي يستمد منها العجيلي مادة لقصصه : **ثلث قصص المجموعتين عن حياة البادية ،** يعكس جوانب من هذه الحياة بفكاهتها ومرارتها ، حيث العنف والغضب للعرض والكبرياء والتقاليد الراسخة كالقدر ، وفيها كذلك أشياء نحار فيها : لماذا يموت الفتى عارف — وهو اكثر ما يكون صحة وحيوية — لمجرد أنه كتب بين أوراقه — يوما من ثمانية عشر عاما — أنه سيموت في يوم حدده ؟ .. وما سر هذا الارتباط — في الحياة والموت — بين كرائم الخيل وحرائر النساء ؟

الثلث الثاني من القصص يدور في اوربا ، أو بين طرفين احدهما أوربي : في أحداها يؤكد الكاتب سيطرة حلم العودة الى اشبيلية على رجل يمتزج فيه التطفل والجنون وحلاوة الحديث ، لقيه في أحد نوادي الليل باشبيلية ، يتعاطف الكاتب مع الحلم ، بل ويمضي ابعد فيشارك فيه على طريقته : هذه القصة — المكتوبة قبل ٥٦ — وفي مجموعة تضم قصتين عن تجربة العجيلي في فلسطين ، الا تفسر بأنها تجسيد لحنين الفلسطينيين للعودة « ان هذا المعادل — والرجوع للتاريخ نفسه — ليتمثل في قصة من اخريات قصص العجيلي [فارس مدينة القنطرة ، ١٩٧٢] حين جعل من هزيمة الفارس معادلا لهزيمة ٦٧ . بقية قصصه الاوربية تؤكد أفكارا أخرى : ان الظلم في كل مكان فالى أين تذهب امرأة مروعة تريد أن تجد لطفليها مكانا من العالم لا تدمر فيه الروح والجسد ؟ ، واذا أهان جزائريان غاضبان فتاة فرنسية ، فان هذا لا يعد شيئا اذا قيس بفظائع الفرنسيين نحو الجزائريين .. في بلادهم وفي فرنسا . أما قصته الاخيرة هنا ، فحكاية عاطفية مترفة عن وهم ظل يخايل عاشقا ويسعد به ستة عشر عاما ثم هوى .

بقية القصص تتوزع بين تجارب من فلسطين وأخرى من مدينته الصغيرة ، في قصصه الفلسطينية يؤكد ندرة السلاح وشجاعة الرجال وفساد النظم [وهو ما يؤكده من جديد ويضيف اليه أسبابا اخرى في قصة من اخريات قصصه « **نبوءات الشيخ سلمان** »] .

هذا ما يشغل العجيلي في مجموعتيه هاتين ، وأول ما يلفت النظر عنده هو ولعه بالغرائب ، وهو ولع لا يخفيه : « أنا احرص على صفة الغرابة والتشويق ... على ان الغرابة ليست الا عنصرا واحدا .. انها مطية لابراز فكرة معينة .. » [أشياء شخصية ، ص ٢٩] . **وليست الغرابة فقط هي كل اسلحة القص عند العجيلي ، فالحقيقة انه ينوع هذه الاسلحة ويستخدمها بمهارة وقدرة :** من الرسائل الى السرد الى تحليل المشاعر الى وصف الطبيعة الى اهتمام بالتقاط التناقضات الصغيرة وابرازها مادة للفكاهة ، **ومن وراء المهارة التكنيكية يبدو وجه العجيلي مهموما بأفكار رئيسية : انه يبدأ من واقع مدينته الصغيرة فيرى التقاليد كالقدر بين قوم غلاظ لا يابهون — في سبيل انتقامهم الشخصي — باذلال الآخرين وتدمير أرواحهم ، من مدينته خرج لوطنه الاكبر : رأى فساد النظم وضياع الارض ، من وطنه خرج الى العالم : رأى الظلم والظلام في كل مكان .** صحيح انه يقول مع احدى بطلاته : « الليل في كل مكان ، ولكنني من اجيال فرتين وهانس [الجيل الجديد] لن أفي

ابحث عن الفجر حتى أجده طالعا » . **الا أن العجيلي – على وجه العموم – متشائم في نظرته للانسان** : يراه يخوض صراعا ضد العالم هو مهزوم فيه لا محالة ، وكل ما يبقى له من كبرياء أن يهزم واقفا على قدميه بدل أن يهزم جاثيا ، **وليس الخلاص كامنا في العلم** ، فرغم أن العجيلي طبيب الا أنه يقف عندما يخيل اليه أنها أسرار لم يفض العلم مغاليقها بعد : ايمان غيبي بتسلط الفكر السابقة [الشباك] ، صحيح انه يتقدم محاولا تقديم التفسير [الرؤية] ، الا انه يظل عاجزا عن الايمان بأن الخلاص في العلم . والمرأة هم من همومه كذلك ، لكن اللائي نراهن بصحبته غالبا من هناك : الواحدة منهن تقرأ وتناقش وتحب وتحيا ، ولا تنسى لحظة أنها امرأة [راجع روايته القصيرة : رصيف العذراء السوداء] ، **العجيلي كاتب عاشق لنساء الشمال ، ففي صحبتهن يبدو العالم أجمل !**

في لغة العجيلي رصانة واقتصاد ، وفي بنائه القصصي اعتناء بالحرفة وشروطها ، وفي تعبيره احكام يجعله قاصا متميزا ورائدا في القصة السورية .

ومن الشمال أيضا جاء حنا مينه ، من اسكندرون الى اللاذقية حيث عاش وعمل صباه وشبابه ، وكانت اللاذقية – المدينة والبحر والصيادين والبحارة والحرفيين والبسطاء – موضوع أعماله الاولى ، وكانت روايته « المصابيح الزرق ، ١٩٥٤ » دلالة تتجاوز الرواية نفسها ، كانت نزوعا واضحا



زكريا ناصر

نحو ارساء دعائم الواقعية الاشتراكية – حسب ما فهمها الكاتب آنذاك – في الرواية السورية ، حفلت بالنوايا وقصرت في الانجاز لكنها بقيت معلما ، وبقي حنا الاخ الاكبر لجيل من القاصين والروائيين الذين ينزعون نحو الواقع ، ويغوصون بكلتا يديهم في مشاكله .

وليس هنا مجال تقييم أعمال حنا مينه ، لكننا نكتفي بأن نعرض لعمله الاخير ، ومكانه بين بقية أعماله : « الياطر ، ١٩٧٥ » – أي ذلك الخطاف الكبير الذي يشد السفينة الى الشاطىء – رواية « **طروسية** » لو صح التعبير ، يشابه بطلها الطروسي بطل « **الشراع والعاصفة** ، ١٩٦٦ » ، وهي تحيلك كثيرا الى سابقتها : كل من البطلين ابن بحر : الاول بحار والثاني صياد ، وكل من البطلين فرد متميز ، قام بصراع ضد الطبيعة [البحر أو الحوت] وانتصر فيه ، لكنهما – بعد ذلك – يتمايزان : فالطروسي بحار عشق البحر فعاش فيه حياته ، وحين ابتلع البحر سفينته أبى كبرياؤه ان يعمل صيادا أو بحارا تحت امرة ريس آخر ، ولانه لا يستطيع أن يهجر البحر اقتنى مقهى صغيرا بين صخور الشاطىء ، انه لا يستطيع الا أن يكون نفسه : عاشق البحر يشرب قهوته مع الشروق والغروب ناظرا الى صفحته ، وهبته الطبيعة بعض أسرارها ، يرهب البحر ويحترمه ويراه خصما قويا ويراه صديقا ، البحر مدرسته ، وعى دروسها ، وأضاف اليها من تكوينه وخبرته ما جعله شخصية توفرت لها أسباب الحياة والامتلاء ، **نموذجا فريدا في الرواية العربية** .

وزكريا المرسنلي – بطل الياطر – صياد ، علاقته بالبحر علاقة أخذ من جانب وعطاء من جانب ، انه لا يصارعه ولا يركب متنه ، **لكنه يقعد على حافته** منتظرا عطيه ، علاقته بسمكة علاقته بالانثى ، كلما علقت بسنارته سمكة بدأ يمارس معها لعبة الجنس حتى يمتلكها ، والمرأة عنده « فجوة ناعمة دافئة » ، كل حياته في المدينة : الصيد والخمر وامرأته التي تحتمل غلظته وسكره وثقل جسده ونتن رائحته ، ثم ابنه الذي يتبادل معه كراهية صامتة ، وقد هم زكريا بقتله يوما من أجل امرأة . وفي حين كانت بطولة الطروسي – الى جانب تحقيق ذاته كبحار جسور – استجابة فرد لجماعته التي دهمتها كارثة لا تستطيع لها دفعا ، فان ما فعله المرسنلي كان اجهازا على حوت ضخم حوصر في الخليج الضيق وأطلق عليه الرصاص ، ثم تحطيم ضلوعه وتنظيف جوفه ! عقد المرسنلي صفقة مع الخمار : أن يعطيه ما في جوف الحوت مقابل كفايته من الخمر ، وأوفى كلاهما وعده ! لكن الصيادين

اقنعوه بأن في جوف الحوت ذهبا فاز به الخمار ، فاندفع اليه المرسنلي واغمد السكين في بطنه وولى هاربا نحو الغابة .

والرواية - بعد - هي رواية المرسنلي وحيدا في الغابة أولا ، تم حديثه مع الراعية التركمانية التي عرفها بعد ذلك . ولان بطلنا فقير المشاعر ، محدود الخيال ، قاصر الفكر ، لم يحمل معه الى الغابة كثيرا يعطيه لنا ، وحين حاول الكاتب رصد تحول افكاره بعد معرفته الراعية لم يبد مقنعا ولا مشبعا ، وحين حاول ان يضع شيئا من الفكر في رأسه - عن طريق صاحب صياد يستدعي المرسنلي حكاياته وهو وحيد - بدا أفتعاليا وزائدا ، من مستدعياته نعرف امرأته وابنه وصديقه والخمار ، لا نتعرف عليهم كشخصيات ممتلئة ولكن كاقنعة شاحبة ، شكيبة الراعية وحدها تفلت من هذا المصير ، لكننا نراها في مشاهد عريها أكثر مما نعرف منها عن عاطفتها نحو المرسنلي ، وتخليها عن زوجها البعيد من اجله .. هل لانه اغتصبها عارية على الشاطىء وهي التي جاءته بارادتها أم لانه كما تقول هي « كريم أو مجنون أو وحش أو ليس في ضيعتنا من يشبهك ؟؟

لكن ما حدث من قبل يعود ليحدث : يحاصر حوت ضخم في خليج ضيق ، فيندفع المرسنلي نحو المدينة ، لا يعرف ما ينتظره فيها ، المهم أنه يريد تحقيق ذاته في الانتصار نفسه ، فهذا هو « الباطر » الذي يشده نحو الشاطىء .. مخلفا وراءه شكيبة والغابة وأيام وحدته .

زكريا المرسنلي صاحب قامة قصيرة بين أبطال حنا مينه ، فحياته المحدودة ، وانحصار مستدعياته فيها ، ادى بالرواية لكثير من الاسهاب والتكرار ، وكلما بلغت مستدعياته احدى الشخصيات جاءتنا كما رأيناها أول مرة ، لا تستدير وتمتلىء ، وفشلت الحكايات الداخلية الصغيرة في أن تلعب دورها الذي لعبته في « الشمس في يوم غائم ، ١٩٧٣ » : أعني تقديم معادل رمزي أو أسطوري لما يفكر فيه البطل أو يهم به ، فاضحت مشاعر البطل مكرورة ومشاهد الطبيعة حوله مكرورة ، ومناجاته لأسماكه - ذات الطابع الجنسي - مكرورة ، وجاءت النهاية - دورة كاملة - خلاصا لما استهلكه البطلان الرئيسيان . لقد وقع حنا في أسر المرسنلي .

نشر حنا الجزء الاول من ذكرياته بعنوان « **بقايا صور** » علنا نعرف كيف عاش وتكون - وقد حدثنا عن بعض هذا - ، وعلنا نعرف أيضا أصول تلك النماذج التي علقت بخياله وقلبه من مدينته القديمة ، يفلت أحيانا من سيطرتها ويخلقها خلقا فنيا جديدا ، ويقع حينا في أسرها فلا تمتد اليها يد الصناع الماهر الا بقدر !

●

ويبدو أن الدور الذي لعبه حنا في الرواية السورية لعب سعيد حورانية دورا مشابها له في القصة القصيرة ، أصدر سعيد ثلاث مجموعات : « **وفي الناس المسرة** ، ١٩٥٣ » ، « **شتاء قاس آخر** ، ١٩٥٨ » ، « **سنتان وتحترق الغابة** ، ١٩٦٢ » ، وبعض قصص المجموعتين الاخيرتين يعتبر - من حيث الموضوع والبناء واللغة المستخدمة - نماذج رائدة في القصة السورية . ان سعيد يعرف فنه جيدا ، وهو لا يلجأ للمهارات الحرفية كثيرا . الحركة في معظم القصص متجهة للامام ، واللغة مطابقة للشخصية على المستوى النفسي والموضوعي ، وانتقاء عناصر الواقع وتصويرها يتم بدراية ومعرفة بتوظيف التفاصيل ، ثم هو يكتب لغة جميلة رصينة ، ويبلغ في قصصه الرمزية القليلة مستوى ممتازا من القدرة على الشاعرية والايحاء [شتاء قاس آخر ، عاد المدمن ، ثلاث جوزات] .

ومن الناحية الاخرى فهو يتناول مشاكل في الواقع السوري - من الاسس الى الوحدة - ، لا تنفصل القضيه الوطنيه عن الاجتماعيه ، أتاح له عمله معلما بمنطقة الجزيره أن يعرف هذه الارض جيدا ، بطبيعتها وبشرها : « البدو والقتال والعاصفه ، حيث لا يحميك من الريح والمطر الا نسيج من شعر مرقع الف رقعة ، الناس الذين تؤلف الخيل جزء من أجسادهم ، الانسان الذي لا يساوي هنا الطلقة التي تتربع في أمعائه ، قصص الصحراء الخيالية حيث يعتبر رد فنجان القهوه اهانة لا يغسلها الا الدم .. » ، عاش بينهم سعيد فتخلى عن أوهامه السابقه وعرف مشاكلهم ، وقدم صياغة فنية لجوانب من حياتهم في عدد من افضل قصصه [**أنقذنا هيبة الحكومة - حمد ذياب ، عريظة استرحام ، ثلج هذا العام**] . أن حياتهم بعد الاستقلال ، والتيما

هى ، يتحكم فى رقابهم رجال الدرك والاقطاعيون ، ولا يأتيهم من الحكومة الا كل بلاء : « كأن الحكومة لم توجد – وحاشاكم – الا لتعين علينا أعداءنا ، وتضربنا ، وتسجننا ، وتناصر هذا الرجل الذى هبط علينا بلاء من السماء ، فوق بلاء القحط وفيضان الفرات – عريضة استرحام [، فكأن الفرنسيين لم يبرحوا ، وكل شىء على ما هو عليه : يقتل البدوى الفقير فى ليلة مطيرة عاصفة لانه اقتطع بعض أوراق خضر يطعم بها قطيعه الجائع ، ويعلق الدركى السابق ، الذى أصبح الان اقطاعيا يملك الارض والبشر : « أتعبنا أنفسنا بحادثة تافهة .. الم اقل لكم ان الفلاحين لصوص ؟ جنس عاطل يستحق الشنق – محطة السبعة والاربعين » ، ينهبهم رجال الدرك ويغرون نساءهم ويوقعون بهم أشد العذاب ان حاولوا أن يدفعوا الظلم عن انفسهم [و انقذنا هيبة الحكومة] ، ولا ينفصل الظلم الاجتماعى عن النضال الوطنى ، فهذا الرجل جندى انضم للثورة السورية وقاتل بين رجالها ، فجرح وحكم عليه بالسجن عشرين عاما تضاها فى احد السجون الرهيبة التى اعدتها فرنسا لاهل المستعمرات ، وبعد عشرين عاما كاملة عاد الى وطنه وقد استقل ... فماذا وجد ؟ ... « عينونى آذن بميت واسطة ، آذن بثمانين ليرة سورية .. نعم يا سيدى كما ترى .. وجهى انصفر ؟ آذن .. كان لازم أرتاح لكن البيت يحتاج للعمل .. قبلت ، وما شاورت احد ولم اتظلم .. ومثل ما قال المثل : شوعلمك عالمر ؟ قال هللى أمر منه – حمد ذباب » . ان سعيد لم يبحث فى البادية عن الغرائب والطرائف ، لكنه نظر لصراع الانسان ضد واقعه وقدم نماذج رائعة لهؤلاء « الشجعان ، الاباة ، الوحشيين فى الدفاع عن الحرية .. وهذه الجبال الملفعة بالعواصف منازلهم » .

كذلك قدم لنا هذا النموذج الفريد محمد على اصغر ، الجزائرى الذى طاف العالم محاربا فى صفوف الفرنسيين ، ورأى التناقضات كلها ، وخرج منها بفكرة واحدة : الحياة رائعة .. وأروع ما فيها هم الناس . وفجأة تكشف لمحمد معنى حياته ، تحول الى سجل يصفه بأنه جندى شجاع وانضباطى ، هذا يعنى أنه قد ولغ فى الدم حتى أذنيه ، وأنه تحول لالة تقتل وتقتل دون تفكير .. حتى متى يا محمد على أصغر ؟ ... كلفه ضابطه بمهمة أخيرة : أن يقود مجموعة سيارات محملة بالذخيرة ويسلمها للجيش الفرنسى الذى يحارب الثوار فى الرقة . فى لحظة وعى حادة اتخذ محمد قراره ! اتجه نحو الثوار وسلمهم الذخيرة وقاتل بين صفوفهم ، بعد الجلاء لم يهتم به احد ، أقام فى الحسكة وعمل سائق تراكتور حتى مات جائعا يحلم بالانتقال الى أرضه التى اشتعلت فيها نار الثورة . من قلب التناقضات عرف محمد على انتماءه الحقيقى والارض التى يرتمى فوقها [قيامة اليعازر] .

وفى قصصه عن المدينة يكشف سعيد عن رغبة ابطاله الشباب فى الاستقلال ، هربا بأفكارهم الجديدة من جو الاسرة التقليدى الخانق ، ويتردد هذا الموضوع فى عدد كبير من قصص مجموعتيه الاولى والثانية ، تتحدد الافكار التى تدفع الفتيان الى الاستقلال بالرغبة فى العمل من أجل القضاء على استغلال العمال [حفرة فى الجبين] أو الهرب من التقليدية الجامدة فى شئون الحياة والدين [الخيط المشدود] ، أو الابتعاد عن سيطرة الاب القوية [سريرى الذى لا يئن – الريح الشمالية] ، بدل هؤلاء الفتيان نرى فى مجموعته الثالثة شبابا ضائعين فى ليل المدينة ، يفرغون خواءهم فى القمار أو الجنس أو الثرثرة بالاكاذيب [صولد – الخفاش يفتح عينيه] .

من بين قصص المجموعة الاخيرة لسعيد تتميز « المهجع الرابع » : انها شهادته ضد هذا التعذيب الذى وقع باسم الوحدة ومن أجلها حين فتحت ابواب سجن المزة لتضم « شباب ، بلا صغرة ، مثل الفل ، معلمين ومثقفين وفنانين عمرهم بين الكتب ، محامين ودكاترة وموظفين وعمال وطلاب ، أشراف واوادم ،عيون البلاد ونظرها ، وفلاحين هياكل مثل سنديان .. يكهربونهم ويلسعونهم بالنار .. اعوذ بالله ؟ .. سمعتهم يريدون ديموقراطية ، وداعيكم عامى لا يفهم هاالكلمات الصعبة ، فهمتها أخيرا .. بدهم برلمان ، بدهم قانون ، بدهم يكونوا بشر لا حيوانات ، يعنى بالاختصار بدهم كل الخير للبلد وأهل البلد .. ليش جهنم فتحت فمها عليهم ؟ » .

هكذا تساءل منصور الميدانى – صاحب فرن بحى الميدان ، حوله العذاب الى كتلة شوهاء مدماة ، لكنه لا يزال واقفا على قدميه ، لا يرهب جلاديه أو يطأطىء الرأس أمامهم ، القى

تساؤله هذا فى « المهجع الرابع » بين الكتل الاخرى الشوهاء المدماة .

وهكذا حكى سعيد عن تلك الايام التى أضيئت فيها نوافذ المزة .

هل يعود الينا القاصى المجيد سعيد حورانية بعد أن ازداد نضجا ومعرفة ؟ .

●

ومن روائيي الجيل التالى نقف عند اثنين : حيدر حيدر [فى روايته القصيرة « **الفهد** » — من مجموعة **حكايا النورس المهاجر** ، ١٩٦٩ ، و « **الزمن الموحش** » ١٩٧٣] **ونبيل سليمان** [فى روايتيه « **وينداح والطوفان** ، ١٩٧٠ » ، « **ثلج الصيف** ، ١٩٧٣ » .

ان تمرد الفلاح الفقير بوعلى شاهين فى القرية الفقيرة سيفاتى من جبال اللاذقية هو موضوع الفهد » [٢] [يذكر لنا صاحبا « الادب والايديولوجية فى سوريا » أن هذا التمرد كان موضوع عملين آخرين : مسرحية « **المخاض** » لممدوح عدوان ، وقصيدة طويلة لمحمد عمران فى مجموعته « **أغان على جدار جليدى** »] . كان شاهين مرابعا فقيرا ، يزرع أرض الاغا ويحمل اليه ثلاثة أرباع المحصول ، ويبقى الربع لطعامه وبذار العام القادم ، كان هذا بعد الاستقلال .. « واذ انتهت الحرب لم يجنوا غير مخافر الشرطة الوطنيه ، وبقى الجوع وصلواتهم السرية للمطر ، وطرقاتهم التى تشقها اقدام دوابهم . واستثمر زعماؤهم النصر .. فحين كان الثوار يقتلون وتسيح دماؤهم فوق الصخور والدروب الوعرة ، كان الوارثون الاوصياء يسجلون فى دوائر الدولة الاراضى والعقارات ، ويقتسمون القرى فى سرية تامة ، بينما جماهير المقاتلين الفقراء يتحولون الى أجراء ومرابعين وخدم لهؤلاء الذين استلبوا النصر وسرقوه فى الغفلة ... » ، وكان العام عام محل ، فلم تعط الارض شيئا ، وجاء وكيل الاغا يطالب شاهين بالمحصول واغلظ له ، فطرده شاهين ، ثم جاء الدرك واقتيد الى المخفر حيث ضرب وعذب .. « لم تكن شرطة فرنسا ولا درك بنى عثمان هى التى ضربت شاهين باحذيتها هذه المرة ، على صدره وظهره ومعدته بوحشية ولؤم ، ومع ذلك لم تسقط من عينى ذلك الفلاح المسكين دمعة واحدة » ، فى مساء اليوم نفسه دوى الرصاص لاول مرة فى الوديان الصامتة منذ الثورة ، وسحبت الشرطة جثتى قتيلين منها ، أرداهما الرجل الهارب المطارد ، وبدأت حكاية بو على شاهين .. لتنتهى اسطورة واغنيات فى جبال اللاذقية .

وعى فردى تمرد بانفجارة مباغتة ، فى ظروف موضوعية لم تكن متهيئة لان تحتضن بذور التمرد وتبذرها على وجه الارض الواسعة ، لهذا امتزجت مشاعر الفلاحين نحوه فى مزيج من الاعجاب والخوف والتمنى والنفور ، كان منهم يحارب لاجلهم ، « فى وطن عامر بالخصب والبشر التعساء ، لكنه مملوك للاغنياء المحظوظين الذين سرقوا النصر والارض فى عصر بائس ، .. وخلفهم كان منفذو القانون من الحمقى والمرتشين ، .. بغتة يظهر رجل صغير ، محفور الوجه بالتعب والشقاءات السرية ، يهز الارض يصدعها تحت الورثة اللاشرعيين بطريقة لا مشروعة ، ويقول : لا ، من أجل التائهين ، لكنه لا يدرك ذلك ، وهم لا يدركون » .

وضاقت بشاهين السبل والمسالك ، وأنكرته القرى التى حل بها الخراب وطوقها الفزع ، وبقى الفهد كامنا فى منعطفات الدروب وخلف الصخور وفى الاجم الهادئة ، وفى ليلة ثلجية عاصفة لاح لعينيه ضوء خافت ، انحدر نحوه فوجد عجوزا يجلس فى هدوء أمام النار ، بعد الدفء والطعام والاحساس بالامن المخاتل كان بينهما حوار ، قال له الشيخ فيما قال : « لقد قتلوك يا بنى .. حدث للحسين ما حدث ، قطع رأسه يا بنى وظل للناس عاشوراء من بعده .. ، اننا نموت فى النهاية ، بعضنا يعرف قبره ، وبعضنا ينشر جسده فوق الارض فيضيع ، لا قبر ولا شاهدة ، يمتزج بالتراب وجذوع الاشجار والنسوغ ، يسرى مع المياه فى مواسم المطر ، ويغل فى سائر الارض .. »

---

[٢] اخرج نبيل المالح هذه الرواية للسينما فلقيت تقديرا فنيا كبيرا .

انت فدية قومك .. » . ومنذ ذلك الا لان الواقع الموضوعي لم يكن مهيئا لاحتضان تمرد الفرد وتحويله لثورة ، فجاء تمرد شاهين انبثاقة وعى فـردى مباغت ، هزت الثوابت ، ضربت المثال ، تحولت لاسطـورة واغنيات . قال الراوى : « ولما انبثق الضوء ، وعم الاريـاف البعيدة ، وغمر المدينة التـى صحت ، تجمع الناس فى الساحة حول الجسد المصلوب فى فراغ النهار الفضى ، رنوا مليـا الى وجهه الاسمر المنكفىء ، وعينيه المسبلتين المغمضتين ، وخلافا لما كتب على صدره ، ان هذا الفلاح البائس المدلى على خشبة الموت ، قد تمرد ومات من أجل الحرية والارض » .

●

« **الزمان** المرحس » رواية دمشق ، ورواية **هذا الجيل**. منذ أصبحت دمشق محط المهجرين من يافا وانطاكية ، والمنحدرين من الجبال ، انحدر هذا الشاب فيمن انحدر ، فتشرب دمشـق وتشربته ، عرف من رجـالها ونسائها قدر ما عرف ، لاب فى شـوارعها وأزقتهـا - واعيـا وثملا - كل اوقات الليل والنهار ، عرف كيف تبدل هـذه الاسرة وجهها فتبقى فاتنة فى كل آن ، وعرف أنها لو بدلت وجهها الف مرة ، فسيبقى وجهها الحقيقى .. « منذ كانت طريقا للقوافل بين اليمن والحجاز اتسم تاريخهـا بالمقايضـة ، وعلى مر الـزمن ارتخـى الذيـن هبطـوها واستقروا ، داخلتهم الطمأنينة والرسوخ ، فكانوا مضرب المثل فى اللداعة والكسل المسالم :

- أخى .. عابرون بعد الرمل والحصى ، مروا من هنا ، منذ ذريق الرومى حتى عبد الناصر ، ومع ذلك ظل قائما المسجد الاموى وسـوق الحميـدية وقـاسيون والنساء والخمارات » .

دمشق ، يقول عنها **سامر البدوى** - الشاعر اسير جسده ، ورث كل جوع العرب فى القرن العشرين فراح يطفئه على صدور النساء ، ولا يكتب شعره الا ان تعتعه السـكر - انهـا مدينة مسحورة ، تلتفت حول بنيها كما يلتف اللبلاب ، تحنو عليهم ، تطعمهم ، وفجأة فى ليل دامس تخنقهم بلا مقدمات .

وهى رواية هذا الجيل .. الذى قـدم للعالم قبـل اوان النضج ، .. « مشاريع ثـورات العرب كوكتيل عجيب من الدين والقومية والماركسية المبسطـة ، والجيل الجديد تائه يمارس اقل من ربع حياته بطريقة طبيعية وما تبقى يتبـدد فـى السـفسطة والاحتجاج السلبى والخمـر والنساء والشذوذ ، انى أسألكم : كم من الزمن مضى حتى استطاع خالد ان يكون قائدا لا ينهزم ؟ قبله كان عصر عنترة وعـروة وثعلبة الشيبانى ، وفى زمنه كان حمزة وعمر وعلى ، أما نحن .. فمن سلالة المستعصم والمتـوكل وبنى بويه والمماليك والسلطان سليم وعبد الله ولورانس ونورى السـعيد وسـعود وبـورقيبة والسراج والكزبرى .. » .

العطب فى قلوب الجميع ، كل يحمل مأساته داخله ، شظـايا الفاجعة تناثرت فى كل مكان : رانى ، يجد خلاصـه فى حب صوفى يجمعه وحبيبـة ميتـة ، وحين يستبد به الحزن يهرع الى شبابته ، يسكر حتى الثمـل ، ويهرب من دمشق ، فهى ككل مدن الشرق لا تقدم سوى الاحبـاط ، وتفوح بروائح الفشل ، لكنـه يهرب الى بيروت فقط ، ويهرب من نفسه باسلام روحه لعمل اكاديمى ، رانى رأيه فى هـذا الجيل واضح ومحدد : « أنظر ماذا يحـدث ؟ .. جيل استلم التغيير يغـازل رجـال الدين والبـورجوازية ، غـارق فـى الانتهازية والسلطة والامتيازات والتقسيمات القبلية ، هؤلاء .. من أيـن خـرجوا ؟ اليسـوا منا ؟ .. أنهم يتعثرون لانهم جاءوا قبل الوقت ، ان فيهم قرونا من النقص التاريخى والنفسى ، ولهذا فهم عاجزون عن تنفيذ مهام الثورة ، انا وانت عـاجزان أيضا . جيلنا جيل موسوم ، هذا يقينى .. » ، **مسرور** : فلسطينى قطع الطريق من صفد الى بغـداد ثم استقر فى دمشق ، تزوج فتاة مسيحية ، وخيل اليه أنه وجد بين أحضانها الوطن الضائع ، لكن ديانا تمثال انثوى جميل ومعطوب من داخله ، ترى الجنس اغتصابا والرجال وحوشا ، وتحـاول أن تستصفى من قبضة العدم براءة طفولة مراوغة ، **وائل الاسدى** : قاتل أبوه فى فلسطين وجـرح حتى الشلل ، وائـل ضـابط مخابرات ، يفرغ طاقته الهائلة فى تعذيب المعتقلين فى الاقبية ، وتعذيب النساء اللائى يتعلقـن به ، وقيادة سيارته كالـريح . **أمينة** : امرأة رجل تحلل حتى الاعماق ، ضاع عصره : استبدل الاستقلال بالويسكى والتـرف فخسر كل شىء ولم تبق له غير الخمرة يعبها بغير انقطاع ، هجر فراش امرأته من سنوات ، فعرفها الراوى وقامت بينهما علاقة عطاء جسدى محموم ومتوتر ومتجدد بغير حدود .

بقيت منى : الحبيبة والمدينة

والوطن والثورة ، الحرية والزوجة والطعام والشوق للمسرة ، قتل زوجها ورحلت ابنتها وبقيت وحيدة . ترتفع منى - من بين شخصيات الروايه كلها - لتكتسب دلالتها الرمزية الشاملة دون أن تفقد وجودها الحسي الممتلىء : « من جميع الفرسان الذين عبروا تخومها حلمت بفارس خاص ينسى نفسه قليلا لينشئها ، وبعدها تكون له لحما ونفسا ، وعلي جميع الدروب شاهدت كيف تهوى العبقريات العظيمة في برك الجنس والتوحد الاقليمي ... ولكثرة ما حاول الطامعون اجتياحها فقدت حس الاصطفاء بين الفارس والعبيد ، بين الشاعر والامي ، بين الثورى والمغامر .. » . حين قررت منى الرحيل راح الراوى يحاورها : « ليس جميع الناس سلسلة مكونة الحلقات بطريقة فيزيائية ...

تقول : كلكم يشتهى وينام ، يضاجع ويحقد ، يطمع ويكذب ويريد نفسه .

اقول : حتي هذا يختلف من انسان لاخر .

تقول : جميعا . كلكم يشتهيني ويرغب النوم معي ، تأكلون لحوم بعضكم بعضا ، ثم تقتلون باسمي كذبا . » .

لابد أن ترحل مني عن هذا الجيل الموسوم ، لكن رحيلها لا يعنى الغياب ، يعنى ظهورا في مكان آخر من الارض ، علها تجد رجلها الذى تكون له نفسا وجسدا خالصين ، وقد يعني العودة إلى هذه الارض نفسها ، حين يذهب وقت الحزن ويحين وقت الرعد .

وابطال « **الزمن الموحش** » **يلقون مصائر فاجعة** ، هكذا جاءت نهايه وائل الاسدى : كان يقود سيارته بقوة الريح والموت ، واجهه منعطف لفه بشبق ، زاد سرعته احتقارا للمرأه التى الى جنبه ، فجأة بهره النور ، مليون لون وشعاع رقص على شاشة عينيه فصار أعمى ، ودونما شفقة طعنته شجرة حور دمشقية ، صلبة ، باسقة . وسامر البدوى : اخترقت جسده المعبود رصاصتان حين كانت دمشق تحتفل بأحد أعيادها الموسمية فيغطي الرصاص سماء المدينة ، وتقتحم طرقاتها العربات المغبرة المدماة ، ومسرور - في قمة سكره ووعيه بأن عليه ان يهجر ما حسبه وطنه الضائع - يطعن ديانا الجميلة حتى يحيلها كومة مختلجة من اللحم الابيض تنحدر عنها سواقى الدم ، وتضيع أمينة ، فيأتلق الحنين الى الجسد الدمشقى الذى غاب .. « كانت الموئل والحضن الاموى بعد أن اجتث الزمن وطن الطفولة .. » ، ورانى بعيد .. والراوى وحيد وحيد .. بثيابه يستلقي على سريره ولا يعود يذكر شيئا !

« الزمن الموحش » مرثية حيدر حيدر لهذا الجيل ، وحنين الى جيل لا تقعد به أثقال الماضى عن تفجير الرعود واشعال البروق وخوض الموت نحو العالم الجديد ، ليست هناك معجزات ، ولكن ثقة الانسان القادر علي ان يتخطي ضروب نقصه ويتجاوز ، فالعطب ليس كامنا فى النفس الانسانية ، لكن واقع « الزمن الموحش » هو الذى يفقده القدرة على المشاركة والفعل .

والرواية ، بعد ، تحقق مستوى ممتازا من النضج . فى تداخل ازمنتها واحداثها ، فى ايقاعها الذى تنظمه دورات زمنيه صغيرة . [illegible] ، فى تشكيل عناصر الطبيعه على نحو غنائى . فى التعبير عن تلك العرامة الحسية الطاغية المتفتحة على المراه والخمر والبحر والزهر والشجر . فى تفجر لغتها بتلك الشاعرية الوحشية الهادرة التى تميز معظم ما كتبه حيدر .

●

الفرق بين روايتى نبيل سليمان : **ينداح الطوفان ، ١٩٧٠ » ، ثلج الصيف ، ١٩٧٣ » - ولهبينهما روايه لم اقع عليها - يوحى بتطور متصل يحققه هذا الكاتب** ، كانت روايته الاولى عن القريه السوريه ، ترسم كل التفاصيل فى حياة اهلها ، وتقف طويلا عند علاقتهم بالاقطاعى الذى يشترى منهم محصول التبغ بالسعر الذى يحدده وفى الوقت الذى يحدده ، ولا أحد يجرؤ على العصيان ، فكلمة تحمل مظنة اعتراض تضع قائلها تحت طائلة عقاب جسدى موجع وحرمان من قوته لعام كامل ، فى خدمته رجال الدرك والدين والمختار ورؤساء العشائر . وامرأته اللعوب ايضا تضع جسمها لخدمة مصالحه وترتوى . وتتابع الروايه ما يحدث بالقريه خلال جيل كامل ، يسقط أثناءه النظام القديم ، ويأتى نظام جديد ، ويتجادل الابطال الجدد طويلا حول الثورة والعمل الثورى والبعثيين والشيوعيين والناصريين ، ويقومون بمبادرة لرصف طريق ، وتكوين جمعية تعاونية ، ينتصرون مره وينهزمون مرة ،

لكن هزيمتهم الاخيره تدفع ابن الاقطاعي - من زوجة أخرى - لقتل امرأة أبيه لانها رأس الفتنة .

تلك كانت روايته الاولى ، امتلات بتفاصيل كثيرة لاضرورة لها ، اسهمت في تشتيت الحركة العامة في الرواية ، وقدمت فيها الشخصيات انماطا : رجل الدين المخادع ، والمراه اللعوب ، حتى الاقطاعي لا نراه شخصية اكتملت لها أسباب الحياة ، بل مجرد مظهر قط وسوط مشرع ، كذلك دفعه طموحه لطرح افكار سياسية مباشرة لاختلاق المواقف التي يدور فيها مثل هذا الحوار فلا يبدو طبيعيا او مقنعا .

تخلصت « ثلج الصيف » من هذا كله ، ونحت منحى مختلفا من حيث موضوعها وبنائها : هطلت الثلوج بشدة فقطعت الطريق بين دمشق وحمص ، ثم أعلنت الحكومة ان ثمة جرافات مضت تزيل الثلج وتشق الطريق ، وفي الصباح خرجت من دمشق سيارة خاصة يستقلها بعض الركاب ، وتبعتها سيارة عامة ، وبعد أن تقدمت السيارات فترة تبين ركابها عجز الجرافة القديمة عن العمل ، وواجهوا ضرورة البقاء حيث هم لزمن لا يعلمونه .

وانتقى الروائي من ركاب السيارتين عددا ربط بينه ، وجعل كلا رمزا لفئة أو طبقة ، هكذا تعرفنا على أبي علي : المسؤول النقابي الذي كان في دمشق لمهمة نقابية ، وعبد الهادي : العامل ، وعيسى العبود : الفلاح الفقير الذي حمل ابنته المريضة التي أعياه علاجها في دمشق ، وأم المنى : قوادة بيروت الشهيرة في رحلة عمل مع فيرا : الشقراء الامريكية الشبقة الباحثة عن المتعة والمغامرة والمعرفة ، ثم ايناس وسكينة : صديقتان تعملان بالتدريس رغم ما بين شخصيتهما من اختلاف ، وجلال بك التاجر الرأسمالي ، والاستاذان منير ويونس ، لا نعرف لايهما عملا محددا سوى أنه استاذ ، وغياث الشاعر العراقي المنفي ، وعند الجرافة العاجزة نلتقي بثلاثة عسكريين : ملازم وعريف وجندي .

نبيل سليمان يرسم خريطة طبقية للواقع السوري ، كل الطبقات أرسلت ممثلا عنها ، ولدينا - من الخارج - أم المنى وفيرا وغياث ، والحركة الحقيقية هي الصراع الذي سينشب بين هؤلاء ، وكيف يستقطب كل الاطراف كي تحدد موقفها منه : لا جدوى - بعد التجربة والانتظار - مما ستجود به دمشق ، ولا حل سوى أن يعمل كل قادر على العمل لازاحة الثلوج وفتح الطريق ، الى هذا دعا أبو علي ، فكان العامل والفلاح اول من استجاب ، تبعهما المثقف المنفي والصديقتان : قامت بين احداهما وهذا المثقف علاقة حب عميقة وقوية على سرعتها ، وبقيت الثانية تترصد جلال بك الذي سرعان ما غرق بين أفخاذ الامريكية الشبقة ، وبقي الاستاذان رافضين للعمل ، يلعبان حول النساء ، ويقع كل منهما في فضيحة مع واحدة ، خلال الليالي الثلاثة التي انقضت وسط الثلوج ماتت الطفلة المريضة ، وماتت أم المنى وارتكب كل من الاستاذين جريمة خسيسة ، دافعهما الحقد على الآخرين - ظفرهم بالنساء - ومحاولة تحطيمهم ، لكن العمل يتقدم رغم هذا كله ، والعسكريون الثلاثة - كلهم شباب في رتب صغيرة - متحمسون للعمل ، يعرفون أكثر من غيرهم معنى انتظار العون من دمشق ، وحين جاء هذا العون أخيرا فبفضل عسكريين شباب مثلهم كافحوا طويلا ضد ما هو قائم هناك .

ثلج الصيف رواية ذات مضمون سياسي واضح : ان جبهة يقودها العامل النقابي تضم العمال والفلاحين والمثقفين المنفيين من العراق ! والعسكريين ، وتعرف اعداءها : التجار والاساتذة والوسطاء واغراء امريكا المليئة بالحياة والشبق ، هذه الجبهة فقط هي التي تستطيع ان تزيح « ثلج الصيف » الذي هطل في حزيران ، وتفتح الطريق الى المستقبل . غير أن هذا المضمون - على وضوحه - لم يبد في الرواية فجا او ناتئا ، نجح نبيل حين قسم روايته على شخصياتها الرئيسية جميعا أن يجنبنا الملل والرتابة ، ويطلعنا على خواطر كل منهم ومشاعره الدفينة تجاه الآخرين ، فتمايزت ملامح الشخصيات وان لم تتمايز لغتها ، ظلت لغة الراوي الذي قدم الرواية وعلق عليها .

ان هذه الرواية خطوة في تطور نبيل سليمان لابد ستتلوها خطوات .

O

كتب الكثير عن زكريا تامر ؟ والحقيقة أنه منذ أصدر مجموعاته الاربعة : « صهيل الجواد الابيض ، ١٩٦١ » ، « ربيع في الرماد ، ١٩٦٣ » ، « الرعد ، ١٩٧٠ » ، ثم « دمشق الحرائق ، ١٩٧٣ » -

وهي شهرة مميزة في القصة السورية والعربية بوجه عام . ان بطل زكريا لا زالت له نفس الملامح : هو الباحث ابدا عن رغيف وامرأة ، فالجوع نتيجة البطالة أو رفض عمل مهين — والحنين للمرأة — بفقدان الامل في امتلاك جسد المحبوبة ، والضجر من أجساد المومسات — هما سبب كل المعاناة . الثرثرة العقيم ، والهلاوس ، والسكر وحيدا في الحانات الرخيصة ، والرغبة الدائمة في الهرب الى حلم النوم أو حلم اليقظة ، والوان الهزائم الصغيرة والكبيرة .

وحين خرج البطل من قبوه الى العالم ، هذا البطل الذي يصفه زكريا بأنه « مخلوق مضطهد مسحوق هالك بائس لا يضحك ، محروم من الفرح والحرية » واجه هموما اخرى ، نظر فرأى واقعا متخلفا ابرز مصادره القهر .. ان رجال البوليس ، فرادى وجماعات ، والمحققين والقضاة والسجانين والجلادين والشهود المباغتين ، والحكم بالموت ، والقتل بهدوء ، والموت الفاجع ، والموت غير المبرر ، والقدرة الفائقة على الاحاطة بمتهم بريء والملاحقة والمطاردة ، والاغتصاب والتهام لحوم الاطفال ، هذه العناصر ستصحب زكريا في رحلة أبدعه كلها .

من الناحية الاخرى هناك موت الحب ، فعناصر هذا الواقع المتخلف تتدخل دائما — على نحو أو آخر — لتقتل الحب ، هنا يطرح زكريا قيم المجتمع المتخلف السائدة بالنسبة للمرأة ، في كل مجموعاته يتدخل الرجال ذوو النفوذ أو رجال السلطة او السحارى او الابناء المتسلطون — الاخرون على وجه العموم — ليخنقوا الحب ويحولوا دون تحققه .

كان بطل زكريا في المرحلة الاولى من اعماله لا يجد سوى الموت خلاصا ، جوادا ابيض يحمله الى المروج الخضر .. لكنه في مرحلة تالية بدأ يقف في وجه العالم متمنيا دماره ، وآخر قصصه تقول ان البطل اذا تردد في تدمير مدينته فسيلقى مصرعه وهو يحلق فوقها . لا مفر . المأساة تحيط الجميع وتشملهم ، والانسان وحيد محبط لا يستند الى جدار في كون خلا من المنطق ومن رحمة الاله ، فماذا يملك — ما دام كل حلم الى واقع ، وكل سكر الى صحو ، وكل اغماءة الى افاقة — الا ان يتمنى دمار العالم أو الانسحاب منه ؟ ان البطل — في احدى قصص مجموعته الاخيرة — يتوجه نحو المدينة بأمنية نموذجية : « فليمت أهل البلد جميعا ، فلتكن زوجاتهم قطعان ماعز ، ولتخرج الجرذان من مخابئها تحت الارض وتاكل الاطفال في مهودهم ، فلتكن بلدة بلا أطفال حتى الابد .. ها هو الليل يهبط فوق الارض كسقف من الوطاويط وأنا بلا امرأة ، لا بيت لي ، وطفلي الذي انتظرته بكثير من الحنين والفرح تركته وانطلقت كريح غاضبة ، سيأتي الغد .. التراب جلد الارض الخشن . لا سنابل ولا شجر ، الانهار سوداء ، جراح بلا ماء ، الرجال في الطرقات والخريف جثة في عيونهم ، لقد شنقوا القمر ... الخ » [رحيل الى البحر — دمشق الحرائق] .

مجموعة زكريا الاخيرة تعزف كل ألحانه ، وتضيف اليها عناصر جديدة : كان الاطفال في عالمه من قبل رمز البراءة والنقاء والعالم البعيد الذي يقف الواقع دون تحقيقه ، لكننا نراهم هنا قد فقدوا براءتهم وتحولوا وحوشا صغيرة نهمة [موت الياسمين] ، وللمرة الاولى ايضا تبدو في قصصه رغبة مضاجعة الموتى — النيكروفيلية [البدوي] ، وفي هذه القصة الاخيرة ، وفي قصة « رحيل الى البحر » ، ميل الى التركيب ومتابعة البطل في جولات ومواقف عديدة — في الواقع والحلم والكابوس وافتقاد المنطق — تؤدي كلها معنى واحدا فقط : الخيبة والاحباط ، تنتهي احداهما باستسلام البطل لما كان قد تمرد عليه بعدان حقق حلم امتلاك حبيبته التي جاءته في قبوه المعتم ، وينتهي بطل الثانية الى ان يقتله الغرباء الذين احتلوا مدينته حين حاول الدفاع عن صبية يريدون اغتصابها ، فصرخ مستنجدا بأمة في برودة القبر .

لا زال بطل زكريا تامر يحمل هموم البورجوازي الصغير المسحوق تحت وطأة واقع لا يعرف طريقة لتغييره . ولا يسعى لان يعرف ، الفرد الوحيد دائما وابدا ، لكن المشكلة ان عناصره في التعبير عن هذه الهموم قد اصبحت مكرورة ، لقد وقع زكريا اسير هذه العناصر .. فأصبح مثل بطله عاجزا عن تغييرها .

فهل ينطلق زكريا تامر الى افق جديد ؟

●

ليست هذه بالطبع كل الاسماء والاعمال . في العدد القادم نتابع تعرفنا الى اسماء اخرى وتجارب اخرى في الادب السوري .

من الاوراق الخاصـــة

لتوفيـق الحـكيم :

رســـــائل ووثـائـق



توفيق الحكيم .. منذ ٢٤ عاما ، عندما كان مديرا لدار الكتب عام ١٩٥١ .

● عن كتاب ينشر قريبــا للاســـتاذ توفيق الحكيم عن «دار المعارف» بعنوان « **صفحات من التاريخ الادبى من واقع رسائل ووثائق ..** » ، تختار «**الطليعة**» عددا من الرسائل لنشرها مع تعليقات الحكيم عليها .

وتشير الرسائل المختارة الى اختيار الحكيم طــريق الفن فى باريس ، رغم احتجاج أهله واصرارهم على ان يتولى منصبا قضائيا اجتهد ابوه فى ان يحصل عليه .

كما تدور الرسالتان التاليتان حــول رواية « عودة الروح » : رأى صديقـــه وزميله القاضى طاهر راشد فى الرواية ، ومحاولاته لنشرها .

والرســـائل ــ الى جانب قيمتهـــا الوثائقية ــ تكشف عن كيفية تعامل هذا الجيل من الكتاب مع ناشرى أعمالهم ، ومدى الضنك الذى كانوا يلاقونه فى هذا السبيل .

● نص رسالة من الوالد اسماعيل الحكيم

مساء السبت ١٣ أكتوبر ٢٨

ولدنا توفيق

لعلك بصحه وعافية — لقد تسلمت خطابك اليوم فقط أى الجمعة ١٢ أكتوبر الجارى . وعلمت ما جاء به خصوصا اقتراحك المتعلق بمقابلة معالى لطفى بك واخباره بما قلت فى خطابك من جهة تعلقك بالوجهة التى تقصدها توصلا الى غرضك وهو النبوغ فى الادب وافادة البلاد بالتاليف الادبية ، وبأن الحكومة أو وزارة المعارف تقترح ايفاد مرشح لهذا الغرض . ولقد قابلت معاليه وأفهمته بما قلت فى خطابك — فكان جوابه أن لجنة البعثات لا تبحث فى مثل هذا الاقتراح مطلقا لان موضوعه عام غير محدود — ولان الادب انما هو ميل خاص فى شخص ليستفيد منه هو نفسه ولانه هو يحبذه وليس من الفنون التى تدخل فيها الحكومة من وجهة تخصيص شخص أو أشخاص للتبحر والنبوغ لانه لا يمكن لها معرفة حقيقة المواهب الادبية لدى الاشخاص حتى ترسل منهم على نفقتها من يتخصص . وهذا بخلاف الطب مثلا أو الحقوق أو السياسة أو الهندسة أو المسارح فكلها فى الواقع تتعلق بالعمل لا بالادب . وقال ان الادب كالعرض يلحق كل جوهر اذا كان هذا الجوهر أى الجسم قابلا له — فمثلا يمكن للطبيب أن يكون اديبا وللسياسى ان يكون كذلك وهلم جرا . أما اذا انفرد الشخص بحرفة الادب دون أن يكون أساسيا فى عمل آخر يكون عماد حياته وقوام عيشه فى أيام حياته فقد يكون حقا مجازفا بنفسه بالقائها فى لجة عميقة .

ولقد كانت نتيجة قوله أخيرا استحسان الرأى الذى وافق عليه اخيرا وهو توظفك بالمحكمة المختلطة فانها من جهة تضمن مستقبلك . ومن جهة أخرى تساعدك على استمرارك فى درس الادب بما فيها من قلة العمل . ولقد نصح كثيرا بهذا الرأى — وود لو كنت فى مجلسه ليبدى لك رأيه هذا من قبيل النصيحة وبما له من التجارب الكثيرة بحكم الزمن وتقلباته .

وقال ان بلادنا للان وان كانت محتاجة حقيقة الى الادب والتاليف الى حد بعيد لا تدرك هذه التضحية منك الان وأنت فى مقتبل الشباب على حين يمكنك افادتها بمواهبك بدون أن تضحى بمستقبلك وتلقى به فى هوة سحيقة — وقال ها هو ذا النظام الدستورى البرلمانى ترتب فى بلدنا فلم تستفد منه شيئا وبدلا من أن تكون الامة تساعد على تقدمه فقد كانت تسير العكس — فهى أمة لاتزال الى الآن بعيدة عن ادراك الامور كما تدركها أوربا — ولا يصح القياس مطلقا بما يحصل عندهم من تقدير الامور بما يحصل عندنا فيكون قياسا مع الفارق جدا — وقال ان الوقت لم يحن بعد لان تحصل تضحية من شاب بمستقبله مثل هذه التضحية التى لاتدرك البلاد قيمتها مطلقا بل لا تشعر بها ولا بصاحبها .

وبناء على ما قاله معالى لطفى بك فانى رايت أن أكاشفك بقوله هذا — وأنصحك بالعودة عاجلا بحيث لا يفوتك شهر نوفمبر مطلقا الا وأنت بمصر .

وأما من جهة وظيفة النيابة المختلطة فانت تعلم أن معالى لطفى بك تكلم فيها ومازال مصرا على رايه وسعيه وكذلك غيره من كبار القوم تعهدوا بنجاح المسعى لدى وزير الحقانية والنائب العمومى .

لذلك ننصحك ألا تضيع الفرصة مطلقا فأن مثل هذه المحلات لا تخلو الا نادراً جدا وفي مدى سنوات . وان اخواننا الذين يساعدوننا الان لا نضمن بقاءهم في غير هذه الايام ليقوموا بالمساعدة فوجودهم هم ايضا فرصة ثمينة لاداء هذه المساعدة — فيجب انتهاز الفرصة أما أنا شخصيا فانى أرى أيضا وبصفتى والدك وجربت كثيرا واختبرت كثيرا كما قال معالي لطفى بك عن نفسه ارى انك لا تقدم على تضحية غير معروفة العاقبة، بل خطرة . ولذلك ارى حضورك الى مصر للالتحاق بوظيفة النيابة المختلطة لاننا مهدنا لها بكل الطرق المؤدية الى النجاح ان شاء الله — هذا ما أقوله لك — وليس في حضورك والتحاقك بالوظيفة مصادرة لميولك الادبية لانه في الامكان جداً الجمع بين الوظيفة وبين هذه الميول الادبية .

أما اذا خالفت رأيى بصفتى والدك وخالفت راى معالي لطفى بك أيضا فاعلم انك بهذه المخالفة تقدم لنا برهانا كبيرا على انك انما تنوى الاقامة في فرنسا وباريز لانها فقط باريز وأنك جعلت مسألة الادب ستارا فقط تختفى وراءه .

واعلم اننا لم نخبر احدا ممن هم جادون كل الجد في مسألة نجاح الوظيفة بسترك الا لامر هام وبأنك ستكون بمصر في أول نوفمبر . ثم لا أخفى عليك أمرا آخر وهو انه بسبب مسألة احالة ١٢ مستشارا الى المعاش أصبح في حكم المقرر أن تكون اقامتى مع جميع العائلة بمصر مما يستلزم نفقات باهظة من جهة اجور المنازل وما يتبع ذلك من مصاريف وافرة تستدعيها الاقامة . وهذا مع ما تعلمه من وجود أخيك زهير بمدرسة ليل بفرنسا لاتمام دراسته — كل ذلك يستدعى نفقات باهظة وضرورية ولا يمكن معها مساعدتك بأى مبلغ كان خصوصا اذا كان وجودك بباريز على غير رغبتنا وبدون فائدة . بل على غير رغبة ممن يهمهم مستقبلك وحسن حالك .

وانى منتظر منك خطابا فاصلا في هذا الموضوع حتى نرسل اليك مصاريف السفر للحضور الى مصر . ويجب عليك تقدير مبلغها لارسالها . ولو انها في الحقيقة غرامة كنا في غنى عنها لو انك ترويت في امرك ولو قليلا قبل السفر ولم تطلق العنان للخيال وتترك الحقائق الملموسة . واعلم أن لا أضل من الخيال والوهم ولا اضر منهما على المرء — فدع الخيال والوهم وتغلب عليهما بالشجاعة واتبع الحقائق تكن من الفائزين باذن الله مساء السبت ١٣ أكتوبر ١٩٢٨ .

والدك اسماعيل

ايضـــــاح

لرســـــالة
١٣ أكتوبر ١٩٢٨

كنت قد تركت مصر بعد الحصول على ليسانس الحقوق بترتيب متأخر لا يؤهلنى للالتحاق بوظائف القضاء . وذلك بسبب اهتمامى واشتغالى بالفن المسرحى والكتابة له . وكان والدى وهو من رجال القضاء قد يئس وقتذاك من توظيفى فى السلك القضائى فسجل اسمى فى جدول المحاماه وشرع بالفعل في الحاقى بمكتب احد مشاهير المحامين . ولكنه علم بانصرافى عن هذا السبيل ايضا الى مواصلة السير فى طريق الفن وأهله . واشار عليه صديقه لطفى السيد وكان يومئذ مديرا لدار الكتب بأن اسافر الى فرنسا للحصول على الدكتوراه فى القانون حتى يمكن الحاقى بالتدريس الجامعى فى الجامعة التى كانت ستفتح ابوابها بعد انشائها القريب . على نحو ما هم فى صدد تنفيذه بالنسبة الى الدكتور طه حسين . وسافرت بالفعل الى باريس فى يولية عام ١٩٢٥ . ولكن الجو الفنى والثقافى هناك فى باريس سرعان ما غمرنى فلم أتمكن من النجاح فى القانون . ومضت ثلاث سنوات وانا بعيد عن مصر وعن اهلى دون اى خبر يبشر بنجاحى مما احزن والدى وجعل صبره ينفد . فلم أر بدا من ان اصارحه بحقيقة أمرى وهى انى اريد تغيير خط السير الذى اراده لى . وأن اترك القانون وأتخصص فى الادب . واقترحت عليه أن يقابل لطفى السيد الذى اصبح فى ذلك الوقت وزيرا للمعارف لاستشارته فى أمر ترشيحى لبعثة ادبية تتخصص فى التأليف الادبى . وهذه الرسالة من والدى تخبرنى بما تم بصدد مقابلته لمعالي لطفى بك [لم يكن قد نال الباشوية بعد] .

نص رسالة من توفيق الحكيم الى والديه

باريس فى ١٨ أكتوبر ١٩٢٨

سيدتى الوالدة العزيزة
سيدى الوالد المحترم

سكت طويلا عن الرد فى هذه المرة لانى أردت أن أنتظر حتى يمكننى إخباركم بوقت عودتى بالتحقيق . وقد بدا لى الان أن العمل الذى أسير فيه ليس من السهولة بمقدار ما كنت أحسب . واذا كان هذا الطريق عظيما فلأنه محفوف بالمصاعب . واذا كان الفائزون فيه نادرين فلأن من يقومون على السير وسط الزوابع نادرون أيضا . وقد اتضح لى أن من كان يشجعنى ومن كان قد استدعانى بالتلغراف الى فرنسا انما يقصد مشاركتى أو استغلالى فى عمل الجهد فيه جهدى . لذلك ما أحجمت عن الرفض وعن الانفصال والاستقلال بنفسى . ولكنى وحيد والقوة المعنوية تعوزنى . ثم الاطمئنان وهدوء النفس .. أنا فى حالة قلقة غير مستقرة لانى أريد سريعا أن أنتهى الى شيء والسرعة فى هذا الامر مفسدة له والصبر والمثابرة أول الشروط اليه .. ثم ان موقفكما الشريف العظيم قبلى لما يزيدنى تسرعا وقلقا حتى أضع حدا لانتظاركم الاليم .. كل هذا يفت من عضدى الان ويأكل من تلك القوة التى ادخرتها لهذا الطريق الوعر . لذلك أعرض على حضرتكما حالين أعتقد فيهما قطعا لشكى الحالى :

أولا : أبدا بالقول والتأكيد بأن لا تفهموا من رسالتى هذه انى يائس أو ضعيف — بل انى لا أيأس أبدا من وصولى الى غرضى هذا .. وان القوة التى دفعت بى الى فرنسا لاتزال قائمة وفى يقينى أنها موصلتى الى ما أريد باذن الله . وانتما أن حياتى موقوفة على هذا الغرض ولا يغرينى بالحياة دقيقة واحدة الا هذا الامل بنوال الغرض . وان وجودى ان هو الا عمل لا يفتر فى سبيله ولابد لهذا العمل من نتيجة .. ومن ساعة وصولى باريس ، بل على ظهر الباخرة الى فرنسا وأنا أعمل .. وحتى هذه اللحظة أقسم انى ما استمتعت بباريس النزهة والمرح .. ان ثقتى بنفسى قوية بحمد الله ولن يصيبها عطب .. ومادمت أسير فى طريقى بعمل وجد لا ينقطعان فلابد من الوصول .. هذه سنة الطبيعة .. ان الخوف ليس من هذه الجهة ولكن من جهة حضرتكما .. من جهة هذا القلق الوالدى ورغبتكما الشديدة فى سرعة الاطمئنان على مركزى .. ومهما كانت ثقتكما بى فانى أخشى ان المظاهر المادية فى مصر تجعلكما تندمان على رفض المادة فى سبيل غاية قد تسمونها خيالية .. انى اطلب منكما أكثر مما تحتمله الطبيعة الابوية .. وانتخيلكما أقوى من الواقع .. الواقع فى أب وأم يحبان ولدهما .. وكانى أريدكما أبطالا ، أبطال قصص ، قديرين على فصل العاطفة عن الواجب .. أما جميع أصدقائى المخلصين المطلعين على حقيقة أمرى وما فعلت .. فيعجبون كل الاعجاب بى ويخصوننى بكل قواهم على الاستمرار حتى أظفر بشيء وأعود الى مصر فائزا .. وبعضهم ما تردد أن قال : ان أعوزتك النقود فاشتغل فى باريس شغلة [ولو حقيرة] وامض فى سبيلك فلابد واصل باذن الله . ومع ذلك فليس هذا ما يقلقنى فمدة اقامتى فى باريس لاتمام عملى برغم المصاعب لن تطول أكثر من بضعة شهور انما ما يشغل بالى هو وظيفة النيابة المختلطة وندم حضرتكما العميق المحتمل فيما لو أضعتها بارادتى ..

ثانيا : لذلك اقول أن الحل الثاني هو اذا كان من المؤكد قبولي بالنيابة المختلطة وتحقق لكم بعد مقابلة أولى الشأن ان المسألة واضحة لا غموض فيها .. فاني عندها أضحي ببعض أملي في سبيل حضرتكما .. وفوز اضحي لاني أوقن أن حضوري لمصر بدون اتمام عملي الذي عاهدت نفسي عليه انما هو قتل لغرضي في مهده وموت قد يكون أبديا لآمالي ومشاريعي الادبية .

لكل هذا اقول أرضى بالتضحية حتى أدخر ما أتصوره لديكما من قلق وما سيكون لديكما من ندم .

أما الخطر والتضحية التي لا ارضاها فهو حضوري الى مصر لمجرد احتمال نتبوت الوظيفة ويهدم أملي وتنهار قوتي .. وأنتزع من طريق أجد فيه الآن بعزم لا يكل وقد أصل فيه الى شيء كبير .. على اى حال أقدر موقف حضرتكم في هذا .. وأعذر لكم كل تصرف . ان ثقتي بكما الآن عظيمة . ولا أزال أشكر لحضرتكما ما تقومان به نحوي من أشياء .. ولن أنسى أن كان لي والدان مثلكما .. عظيما النفس ..

قبل أن انتهي أود أن أشير على حضرتكم باستشارة من تثقون به في كل ما تتخذونه قبلي من تصميم .. لاسيما أولئك الكبار العقول الذين يدركون ما فيه الخير لا لي ولكن للنفع العام في هذا العصر . وتقبلوا تحيات واحترام ولدكم المطيع ..

توفيق
الذي يقبل اياديكما

ايضـــاح
لرســالة ١٨ أكتوبر ١٩٢٨

كنت قد شرعت اكتب في باريس في أوائل ١٩٢٧ الرواية التي سميتها بعد ذلك « عودة الروح » كتبتها أول الامر بالفرنسية ، لان شعوري وقتئذ هو ان الفن القصصي كالفن التمثيلي لم يزل في مصر محتاجا الى الاحترام الذي يظفر به فن المقالة الادبية . ولابد للاديب في مصر وقتئذ من ان يكون قبل كل شيء صاحب مقام راسخ في ميدان المقال الادبي . أما المتخصص في الكتابة القصصية او المسرحية وحدها دون أن يكون الى جانب ذلك كاتب مقال فان عالم الادب عندنا لا يعترف بجدية عمله . ولذلك كان احد زملاء طه حسين في السوربون وهو أحمد ضيف عندما أراد أن يكتب رواية « منصور » كتبها بالفرنسية واشترك معه في كتابتها كاتب فرنسي اسمه « فرانسو بونجان » ولكن هذا الكاتب الفرنسي زعم بعد ذلك أنه هو المؤلف الاصلي وأن احمد ضيف ليس أكثر من معاون ثانوي أمده بالمعلومات والمواد التي صاغها هو بقلمه الفرنسي وفنه الروائي . وهذا ما كاد يحدث لي . وما جعلني أرفض مشاركة أي شريك فرنسي كما جاء في هذه الرسالة . ولقد طرحت عندئذ هذه النسخة الخطية الفرنسية جانبا . وكتبت من جديد الرواية باللغة العربية التي نشرت بها بعد ذلك ..

أما ما جاء بالرســالة عن استدعائي الى فرنسا ، فذلك لاني كنت قد عدت الى مصر في ذلك الصيف من عام ١٩٢٨ ولم أمكث غير شهر ثم سافرت مرة أخرى راجعا الى فرنسا من أجل الرواية وبقيت هناك حتى أول نوفمبر الذي قال والدي انه سيتم تعييني فيه .

نص رسالة من توفيق الحكيم الى زميله القاضى طاهر راشد

طنطا فى ١٩ نوفمبر ١٩٣٢

عزيزى طاهر بك

انى مقدر اهتمامك . لم يخالجنى شك فيه أو قلق . وانما الشك والقلق عندى هو فى القصة ذاتها وفى مستقبلها . فان كنت أنت حقيقة لا ترى عليها من غبار سوى التكرار والتطويل فالامر هين أما أنا فمازلت أرى فيها عيوبا أفدح من ذلك . ولكن فات الاوان . ولا حيلة لى فى تفادى شىء . فهذا مولود قد تكون بصفاته وعيوبه فهو اذن وحظه فى الحياة . فاما الى بقاء او خمول . وان قدر لى ان اكتب قصة أخرى من هذا النوع فسيكون لى شأن آخر .

وأما اختصار بعض هذه القصة او حذف بعض فصول منها فممكن . ولكن أولا أين هى هذه القصة الان ؟ انها ليست تحت يدى ولست أدرى مقرها . ثانيا علام الاختصار والحذف ان لم يكن فى القصة من عيب سوى التكرار والتطويل فهذا فى عرفى تواضع كثير !! لان التكرار والتطويل وحده لم يكن يوما عيبا أساسيا فى الاعمال الفنية . وان كان الغرض من الاختصار الاقتصاد فى نفقات الطبع فانى متحمل كل زيادة فى النفقات. واذا دعا الحال الى طبعها فى جزأين فلا بأس . والسبب الذى أخشى من أجله اعادة النظر فى القصة بسيط : أولا انى اريد أن أعتبرها قصة الشباب الاول فى اندفاعه وثرثرته . ولا أريد أن أعترف بأنى وضعت يدى فيها بعد ذلك . فلتخرج بأغلاطها وسذاجتها . فانها تمثل طورا من الاطوار فى حياة ما . وحتى يظهر الفرق فى تقدمى أو صناعتى بعد ذلك لو صنعت قصة فى المستقبل . ولا تظن أنك اذ تطلب الى مجرد حذف الحشو والتكرر انى سأكتفى بذلك . انى أعرف نفسى . وأعرف الى اى حد سأطمس معالم هذه القصة أقلبها رأسا على عقب لو وقعت تحت يدى .

فاختر لنفسك ولى ولها .

أما اسمها ؟ فقد فكرت طويلا فيه فلم أعثر على اسم موافق .

والصعوبة فى الامر انى أريد اسما يلخص كل فكرتى المتمشية فى القصة والتى سوف تتمشى فى قصص أخرى مستقبلة : هذه الفكرة الانسانية التى أريد أن أدعو لها مدى حياتى :

« الكل فى واحد »
عندما يصير الوقت خلودا
سوف نراك من جديد
لانك صائر الى هناك
حيث الكل فى واحد ! ..

« نشيد الموتى »

ولقد كانت هذه قوة مصر فى الزمن الغابر كما قال الاثرى الفرنسى مخاطبا مفتش الرى الانجليزى . وقد كان هذا الشعور هو ما يسيطر على الاسرة القاطنة بشارع سلامة ٣٥ . وقد كان هذا شعور المصريين فى ١٩١٩ ازاء رجل واحد !! واحساس المصريين نحو الحيوانات والجماد . الاحساس بالاتحاد الكونى العام أى الاحساس بالله .

غير أن جهل الناشرين هل تحسبه يرضى او يروقه عنوان عميق كهذا ؟ [أم] لابد من أسماء «كلام العشاق» و « حياة المحبين » و « ضحايا الغرام » ودمت للمخلص المعترف بالجميل ابدا الخ الخ .

توفيق الحكيم

ملحوظة

انى اراك تجهد نفسك كثيرا لتخفف عنى بعض النفقات فى الطبع بالبحث عن الناشرين المهاودين . ولكنى أرى ان لابد لى من التضحية فى هذا البلد حتى انشر شيئا فيه بعض العمق . فلا تنس ذلك !! واخيرا حبذا لو تشرف طنطا قريبا كما فعلت تلك المرة وتجدنى بالبنسيون دائما .

ت . ح

ان ارتأيت للرواية اى اسم آخر فلا مانع عندى . انى مقدر الظروف وأعرف عقلية الناشرين . كما انى لا امانع اذا اجريت انت بنفسك حذف ما تراه من الفصول المكررة اذا وجدت وقتا . اما انا فمن الخطر ان امس هذه القصة بنفسي .

ت . ح

نص رسالة من توفيق الحكيم الى زميله القاضي طاهر راشد

دمنهور في ١٩ ديسمبر ٣٢

عزيزي طاهر بك

وصلتني رسالتك وربما ذهبت الى مصر هذا الاسبوع وستأمر ان شاء الله بالمكان المعروف في مدخل جروبي يوم الاربعاء ٢١ أو يوم الخميس ٢٢ الجاري الساعة ٦ مساء فآمل أن أراك لنتحادث كثيرا .

اما عن اسم الرواية فلم يحضرني غير اسم آخر هو « دبيب الروح » . ولقد كنت اخبرتك بأني ازمع باذن الله ان اكتب قصة أخرى تقع حوادثها قبل هذه وربما سميتها « في التراب » كما اني سأشرع قريبا جدا في كتابة القصة الاخيرة وهي ختام هذه الـ Triologie

التي يجمعها كلها عنوان « الكل في واحد » وأرى تسمية هذه القصة الختامية « نحو السماء » . وبهذا تكون روايتنا اليوم هي الوسطى وهي «دبيب الروح» في تلك المخلوقات أو الشعب أو الامة أو العواطف [وسمها ما شئت] : تلك المخلوقات التي كانت قبيل ذلك مدفونة « في التراب » تراب الاجيال أو الزمن وفيها سر موتها وسر عظمتها دون أن تشعر . وبعد أن تدب الروح فيها وتحس ذاتيتها كما ظهر في رواية اليوم فهي اذن سائرة نحو السماء كما سنرى في القصة القادمة . ومع ذلك فقد لا يعجب هذا العنوان الجديد فلنتمهل ولنبحث عن غيره اذا شئت وشاءت الظروف . ولنبق الاسماء حتى النهاية . أما المقدمة فليس عندي ما أقوله سوى ما قلته في القصة نفسها . وأما أن يقدم للقصة أحد كبار الادب المشهورين في مصر كما هو المتبع فهذا ما أمقته . لانك تعلم أنني رجل مخلص صريح وان أولئك الكتاب المشهورين قلما يقرأون ما يقدمون له من كتب . وان عملي أن هو الا عمل يمثل شبيبة اليوم الصريحة المخلصة التي تسعى الى العمل المجدي لا الى الشهرة الفارغة لذلك تجدني مصرا على عدم التحكك في الكتاب المشاهير لاحظى بمقدمة لا تظهر الا نفاق كاتبها وجهله بالقصة التي يكتب عنها .

غير أن لدي عزما أكيدا على شيء طالما خشيت أن اصارحك به لئلا تأباه علي . ذلك الشيء هو رغبتي في أن أهدي الرواية الى «محمد طاهر راشد» الذي قرأها بأكملها وأصر على نشرها !! واذا كنت تريدني على الحاق مقدمة بالرواية فاني انشر خطابك الاول لي أو بعض فقراته التي تبدي فيها اكتشافك لبعض فصول جليلة تستحق من أجلها هذه الرواية أن تنشر . وأعلق أنا بخطاب مني على خطابك هذا . وهذه هي كل المقدمة .

وان لم توافق على هذين الخطابين كمقدمة فلتكن مقدمة هذه الرواية من قلمك أنت . وان لم تشأ فلا مقدمة .

ووالله لو عرض على أشهر كاتب في مصر أو في غيرها تقديم هذه الرواية لما قبلت لها مقدمة الا منك أنت . واني لم أزل اذكر هذه العناية التي تدفعك الى الاهتمام بها . ولا ازال ارى أن ظهورها مدين لمن قرأها باستحسان وعمل على ابرازها .

من هذا كله ترى أن اى كاتب آخر يقدم لهـذه الرواية انما هو نفاق لا أقبله . ونحن كما قلت لك جيل صريح . ومهمتنا أن نسجل الواقع وما ينبغي أن يكون بكل اخلاص . وان الواقع فى حالتنا هذه بكل اخلاص هو انك انت المحرك الاكبر فى تنفيذ النشر . والشخص الوحيد الذى وجه النظر الى هذا التنفيذ. وبدونك كنت أنا حتى الان فى سـبات لا أعزم على نشر شيء مطلقا . والتأليف وحده لم يكن قط فى زمن ما هو كـل شيء !

المخلص
توفيق

ايضــــاح

للرســالتين ١٩ نوفمبر و ١٩ ديسـمبر ١٩٣٣

عدت الى مصر نهائيا فى نوفمبر من عام ١٩٢٨ رحمة بوالدى القلق على مستقبلى ، خصوصا بعد ان حذرنى من اضاعة فرصة تعيينى بالمحاكم المختلطة ، وهـو على وشك الاحالة الى المعاش . ولعل القدر كان قـد رسـم لى طريقا لحياتى هو الانفع لبلادى . فقد عدت الى بلدى لتزرع حياتى فيها . ولم اجد وظيفة المحكمة المختلطة بيسر . قالوا إن الامكنة وهى « شحيحة غير خالية . كان فى مصر ثلاث مدن فقط هى التى بها محـاكم مختلطـة : القـاهرة والاسكندرية والمنصورة . والعمل فيها بالنسبة الى المصريين قليل ، لان الاجانب هم الذين يشرفون عليها ويعملون . ولذلك كان يحتفظ بهذه الامكنة المريحة لاصحـاب الجـاه والسلطان من المصريين . وكان النائب العام فى ذلك الوقت رجلا بلجيكيا من اكابر رجال القانون فى بلاده لم يستطع ان يعد بتعيينى ، غير أنه قبـل ان يلحقنى تحت التمرين بالوظيفة على امل ... ومكثت على هذا الامل نحو عام دون فائدة . فقد كان التفضـيل دائمـا لابنـاء وأقـارب الوزراء ورؤسـاء الوزارات . ولما يئس والدى سـعى فى تعيينى بالنيابة الاهلية وعينت فى نيابة طنطا ومنها توغلت فى الاقاليم من دمنهور الى كوم حمادة الى ابتاى البارود الى دسـوق الى فارسـكور الخ .. وعشت حياة الارياف .. على انى لم اضع وقتى عبثا خلال العـام الذى قضـيته تحت التمرين فى محكمة الاسكندرية المختلطة . فقد كنت اتسلل من هذه المحكمة الى قهوة « التريانون » الصـغير . وهـو مقهى اجـده دائما مقفرا وخاصة فى النهار ، لاكتب « اهل الكهف ». ثم لاقوم بمراجعة النسخة العربية للرواية الطويلة « عـودة الروح » وكذلك القيام بالتعديل الثانى والثالث لمخطوطة «شهرزاد» التى كتبتها فى النص الاول بالعربية مباشرة فى باريس اى قبل اهل الكهف . ولكنى وجدتها فى حاجة الى استمرار التعديلات لتتضـح لى ملامحها التى لم تتم فى نظرى الا فى المخطوطة الرابعة كل ذلك قمت به قبل ان اترك الاسكندرية الى طنطا . اما بعد التحاقى بنيابة طنطا فقد غمرنى عملى القضائى الى آذانى ولم اعد اذكر شيئا من كتاباتى . ونسـيت وتناسيت كل صلة لى بفن وادب . واصبحت غارقا فى أعماق المجتمع المصرى ، اطالع كل يوم واقع الحياة وحقيقة الانسان فى مشاكله وقضاياه .

ولا اجالس الا الزملاء من اعضاء النيابة والقضاة . وكان كل حديثهم واهتمامهم يدور حـول القضـايا والتصرفات فيهـا . والويل لمن تحدث فى حديث آخر لا يمت الى اعمالهم بصلة . والطامة الكبرى اذا فتح أحدهم حديثا فى أدب أو فن او فكر . ولن انسى أبدا يوم جاءنا احد القضـاة من المثقفين المولعين بالاطلاع والادب . كـان هو ابراهيم جلال ابن عثمان جلال مترجم موليير بالشعر العامى . نشأت بيننا بالطبع صداقة ادبية خفية . واقول خفية لانه كان احيانا يخطىء ويجـاهر امـام الزمـلاء بمطالعاته الواسـعة فى تـاريخ الفاطميين . فكانوا يضـيقون به ويتململون من حديثه ، حتى اذا اقبل عليهم من بعيد هموا بترك المكان هامسين : « قوموا قوموا بتاع الفاطميين جاى » ! .. كنت ارى هذا وأسمعه واتعظ به ، فاحرص كل الحرص على ان اخفى عنهم حياتى الماضـية فى تياترو عكاشة ! .. الى أن هبط علينا ذات يوم احد القضـاة ، منتدبا ليوم واحد يحضر فيه جلسة كفر الشيخ نيابة عن قاضيها المتخلف فى اجازة . ونزل هـذا القاضى

المنتدب في البنسيون الذى اقطنه في ميدان الساعة بطنطا . كان هذا القاضى هو « محمد طاهر راشد » قاضى محكمة المنصورة . واذا هو من المثقفين المولعين بالادب . جلسنا بعد العشاء نتحادث . وجرنا الحديث بالطبع الى الادب والفن والمطالعات الادبية الجادة التى يطالعها . وأنا حريص على الكلام فى هذه الامور بمقدار . ولكنه فاجسانى بقوله انه يعرف عنى ، ولست ادرى كيف ، سابق كتابتى للمسرح فى العشرينات . فقلت له « ارجوك لا تصرح بذلك هنا ، والا يكون مصيرى مصير ابراهيم جلال ! »

فانا الان هنا رجل محترم بين الزملاء اعضاء النيابة ورجال القضاء . فطمأننى بقوله انه قائم من الصباح الباكر الى محكمة كفر الشيخ وبعد الجلسة يسافر توا

الى القاهرة . فلا خوف الان من هذه الجهة . ثم قال لى انه لا يصدق انى لم اكتب شيئا طوال الاعوام العشرة التى تركت فيها الكتابة لمسرح عكاشة . وظل بى يحاورنى ويداورنى الى ان ايقظ فى اعماقى شيطان الفن فوجدت نفسى ابوح له بسرى . بما ان علم ان تحت يدى مخطوطة « رواية ومسرحية » حتى أصر على ان

يطلع عليهما مجرد اطلاع سريع على ان يرد المخطوطتين الى فى الصباح قبل رحيله . واذعنت فى النهاية . اذ لا ضرر من هذا الاطلاع مادام اطلاعه لن يستغرق اكثر من ليلة يرد بعدها هاتين المخطوطتين . وفى الحق كنت اريد ايضا ان اعرف رأى قارىء محايد ، فلقد سبق ان ارسلت مخطوطة « اهل الكهف » الى صديقى المصرى الدكتور حسين فوزى . وكان لم يزل فى باريس . فقراها واعادها الى فى طنطا بعد ان علق عليها تعليق القارىء المثقف الذى زاملنى وعاصرنى فى باريس بجوها الثقافى وعرفنى كل اتجاهاتى وقرأ كل كتاباتى ، وهو يزورنى دائما فى حجرتى بشارع بلبور الذى كان مجاورا فى ذلك الوقت البعيد للقرافة او المقبرة المشهورة « بير لاشيز » . ولكن « طاهر راشد » يمثل القارىء العادى البعيد عن محيطى ، الذى

لا يعرف عنى الا القليل . فما رأيه يا ترى ؟ وسلمته مخطوطة الرواية ومخطوطة التمثيلية . على ان يردهما الى فى الصباح . وجاء الصباح فاذا به قد اختفى

بالمخطوطتين . سافر مبكرا الى جلسته فى كفر الشيخ ومنها الى القاهرة . وبعد ايام وصلنى منه خطاب كله تحمس واصرار على طبع ونشر التمثيلية والرواية . ورأى البدء بتمثيلية «أهل الكهف» لانها اقل حجما واسهل نشرا .

وقال لى انه لم ينتظر ردى وموافقتى لانه شعر انى متردد وغير متحمس للنشر ولذلك بادر هو وعرض امر النشر بالفعل لاهل الكهف على شخص اسمه «سكر» رأى طلعت حرب أن يعينه فى

« مطبعة مصر » لكفاءته . وان « سكر » هذا ينوى توسيع نشاطه بالنشر للكتب الحديثة وليس الاكتفاء بالطبع فقط . واذا بى اقرأ فى الصحف بعد ايام ان

الناشر « سكر » هذا الذى اتفق معه قد انتحر .. فحمدت الله . ولكن طاهر راشد لم يسكت وأصر على المضى فى اجراءات النشر .

وقال لى ان نشر « أهل الكهف » على ورق ممتاز الف نسخة لن يكلف مطبعة مصر اكثر من عشرين جنيها . فلماذا لا نطبعها على حسابنا . وهو مستعد أن يقرضنى هذا المبلغ . ولكنى رفضت شاكرا . فقد استطعت ان ادخر عشرين جنيها . وتم طبع الكتاب فى مطبعة مصر على ورق فاخر . على انى اشترطت أن يكون عدد المطبوع

مائة نسخة فقط . لانى استبعدت ان مثل هذا الكتاب يمكن ان يباع فى السوق . وقالوا لى فى المطبعة ان هذا جنون لان الفرق هو فرق الورق فقط وليس الطباعة والورق فى ذلك الوقت رخيص . فلماذا ترفض الالف نسخة ؟ قلت

واين اضعها وانا بعيد عن القاهرة انى اقيم فى الارياف . وأصررت على رأيى . ونزلوا على ارادتى . وطبع من الكتاب مائة نسخة فقط لم أدر ماذا اصنع بأكثرها .. لقد

اخذت لنفسى عشر نسخ . والباقى خزنته فى عيادة الصديق الدكتور محمد كامل حسين بشارع الساحة بقرب المطبعة . وفوضته فى أن يتصرف فيها كما يشاء . فاخذ يوزع منها على من يعرف من الكتاب

والادباء والاصدقاء . ولكى لا ازحم عيادته بالباقى من النسخ نقلتها الى منزل صديقى المرحوم الدكتور حلمى بهجت بدوى الذى وزعها على المكتبات والموزعين ،

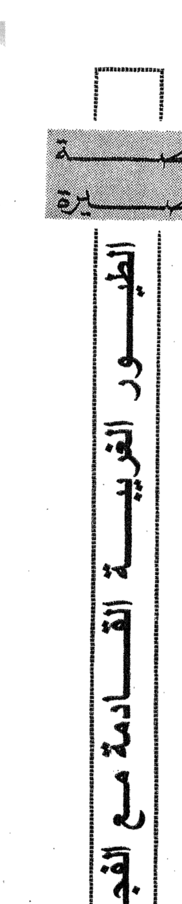
وقبض ثمن ما بيع منها ليسلمه الى كلما جئت الى القاهرة فننفقه معا بصحبة اصدقائنا فى سهراتنا . وبمجرد الشروع فى طبع أهل الكهف ، اى قبل ظهورها اصبح

التفكير فى طبع الرواية الطويلة ايضا محل تفكير .. وقد قامت بينى وبين المرحوم طاهر راشد مراسلات بشأن نشر الرواية . ولقد فقدت مع الاسف رسائله هو الى . ولكن بعض رسائلى انا اليه لم تفقد لانها كانت بالطبع فى

حوزته ورأى بكرمه وتجرده من كل انانية أن يردها الى . ولم اعثر عندى الا على رسالتين . وتتناول هاتان الرسالتان موضوع هذا النشر ، بعد ان طال التردد فيه . وسمع بامر الرواية بعض الاصدقاء وبدأ التفكير الجدى والتمهيد العملى فى هذا السبيل . للبحث عن الناشر وشروط النشر .. وغير ذلك ... □

قصة قصيرة

الطيور الغريبة القادمة مع الفجر





حيدر حيدر

يلزمني وقت كي أفهم ما حدث . كي أوضح هذا الذي يحدث . ليس ليلا ولا نهارا . ليس صيفا ولا شتاء . هوالان وفيما بعد انه حالة خاصة من حالات الصحراء .

يبدو انني ممدد على سرير أبيض ، تحت سقف أبيض ، داخل هدوء هو الاخر أبيض . ومن المكان تخرج روائح بيضاء . فيما مضى اذكر كنت جائعا ومريضا ، ومقتاظا من أمور غامضة . وعلى ما يبدو لي كنت واقعا في شرك ، لا اذكر متى وقعت فيه . لم أكن وحدي . كل الطيور البيضاء القادمة من الصحراء سدت وكأنها وقعت في هذا الشرك .

الان أنا أحلم . لا . ليس حلما . انني أرى ولكن بصعوبة . تبدو الغرفة ضيقة لا تكاد تتسع لاكثر من هذا السرير الضيق ، وانا أرغب الخروج من هذا الضيق . احلم بالخروج من الاشراك التي تلتف وتضيق . آه . ان جسدي على ما يبدو يعاني حالة أختناق .

عندما يكون بامكاني فتح اجفاني ، أستطيع أن أرى عمودا في أعلاه زجاجة مصل . كما يمكن ان أرى بقعا حمراء معلقة وأنابيب . حولي تتحرك غمائم بيضاء صامتة وانا ممدد في وضع يبدو مريحا .

يا للبحر كم يبدو بعيداً الآن . آه . ليس البحر . شيء يشبه البحر . لقد بهت الضوء . ثمة طيوف كالنقط الملونة تبدو في سماء بعيدة ترتجف . انني أبحر مبللا تحت مطر حار يتفجر من جلدي .

● المدينة ●

قلت للممرضة التي حدثتني : متى أستطيع الخروج من هنا ؟

قالت : متى شئت .

قلت : ولكن هل يحق لي الخروج ؟

قالت : يحق .

قلت : ولكن الى أين ؟

ضحكت الممرضة من سؤالي الابله . سألتني عن بيتي وأصدقائي فقلت : لا بيت لي ولا أصدقاء .

قالت : الى أين كنت تأوي فيما مضى ؟

قلت : الى الحدائق وأبواب البحر !

قالت : لنخرج الى الحدائق وأبواب البحر .

غمامة بيضاء تلفنا ونحن نجتاز الصحراء . اننا نعبر الفضاء باتجاه المدينة .

على بوابة المدينة يواجهنا حارس مسلح . بعد تفتيش دقيق يطلب من المرأة الدخول الى حجرة سرية ، ثم بعد وقت يسمح بالدخول .

مدينة غريبة . غبار وضوضاء وأصوات طلقات . زحام يذكر بالحشر . البشر يبدون في زي جنود . فضاء المدينة غبار ممتزج بالشمس ومن الهواء تفوح روائح البارود .

— آه .. انني أختنق .. أين الحدائق والهواء ؟

تقول الممرضة همساً : تحولت الحدائق الى عمارات والهواء يعبأ ويباع في السوق .

— رأسي مهدد بانفجار الشمس . أين الشجر والماء ؟

تهمس الممرضة : تحول الشجر الى هراوات وأعقاب بنادق وتحول الماء الى مصل .

قلت : أين أنا ؟

قالت : في المدينة التي صمدت في وجه الغزاة .

قلت : ولماذا يبدو على الناس الحزن ؟

قالت : صه . بارك المدن الصامدة ولا تكثر من الاسئلة التي تورث الغم .

في سري باركت المدن التي تصمد لأعدائها . وفي سري حزنت للناس الحزانى . وعبرنا .

— الى أين الآن ؟

قالت الممرضة : نعبر السوق .

على المداخل ازدحام . بشر في ارتال يحيط بهم جند مسلحون . وأمام الحوانيت والمتاجر جند وتجار . وفوق الرءوس ارتفعت السلع والاصوات .

قلت للمرأة الممرضة : ما الذي هنا ؟

قالت : بيع .

قلت : ولماذا الزحمة ؟

قالت : ثمة فقر في الدم والهواء .

قلت : وماذا يفعل الجند ؟

قالت : تجار الحرب يبيعون الدم والهواء .

قلت : آه . انني أختنق . متى ينتهي هذا المصل ؟

كانت الارض غباراً . ومن كل مكان فجت رائحة الفساد والشمس والبارود . ولم أكن أعرف أين أنا ولا ماذا أفعل ولماذا جئت المدينة وما الذي يحدث لي في هذا المشفى . وسألت الممرضة عن الحالة ، فحدثتني عن الاميب والدود الذي يتشكل من تفسخ الاشياء وتعفن أمعائي التي تحتاج الى مطهرات . ثم شرحت لي باسهاب عن محلول الرصاص الجديد القاتل للجراثيم . ثم انعطفت تحكي عن المخدر الذي يعطى للمصابين بفقر الدم والهواء ، ووصفت هذا المخدر بأنه لذيذ وناعم ومهيج للاحلام الوردية وأن الجسد يتناغم بفعل المخدر ويقبل مع الوقت المحلول الجديد . وسألتها ان كانت الحشود المزدحمة على أبواب المتاجر والارصفة ومداخل الثكنات قد تناولت المحلول . فقالت بأنها تتناوله محلولا في الدم والهواء وبذلك تصبح هادئة وداجنة . وسألت عن العلاقة بين الجند وتجار الحرب . فقالت : صه . عليك أن تتحاشى مثل هذه الاسئلة التي تسبب الغم . وسألتها عن أنواع الغم الذي تتحدث عنه فهمست : ستعرف فيما بعد . وتحركت فأحسست وكأن ذراعي مشلولة . كان الدوار والعرق وسيلان المصل في العروق يمحو حدود الاشياء .

وكنت أشعر وكأنني أغوص في أحواض هلامية حارة ، وكانت هناك الجراثيم والرمل وروائح الجراح وأصوات الباعة وأشعة الصحراء ودوي القنابل والمصل الاحمر وصوت حبيبتي الضائع خلف البحار . صوت حبيبتي الصارخ : هي ذي أزمنة الضيق قد أقبلت :

● قاعة الخنازير ●

بناء قديم مرتفع مطلي بالغبار . مسقوف بدخان رمادي ، مغلق الا من كوى صغيرة . للبناء باب حديدي أسود يحرسه جندي مسلح يعتمر خوذة فولاذية . على سطح البناء جند مدرعون بالاسلحة . جندي الباب لا يسمح بالدخول الا بعد ان يخلو بالممرضة .

ندخل . قاعة مستطيلة لون جدرانها في لون الرصاص . حشد من البشر على طول القاعة . ارتال صامتة في رواق صامت . بشر نحيلون عراة ينتصبون كالدمى في مواجهة آلات غريبة معقدة . آلات بيضاء ولامعة . لامعة وبيضاء وحادة في مثل وهج الشمس . خلف الالات رجال بيض سمان في وضع متأهب . القاعة مفعمة بروائح مختلطة من الحوامض والمحاليل والمخدرات وعرق الاجساد والدم والبنسلين والقطن المطهر .

العراة يتقدمون واحداً واحداً باتجاه آلات الفصد . لا أحد يتكلم . حتى التنفس يخرج مختلجاً . ايقاع طقسي مهيب ينتظم بأوامر تصدع لها القدم والذراع والرأس وقلب الانسان . في هذا الايقاع يتسق الصمت والذعر والاستسلام والحزن وأشياء أخرى لا تسمى . كلها ارتسمت على الوجوه ووراء العيون وتحت الجلد .

انهم يبدون هناك كآلهة من رخام باهت داخل هذا العراء الصحراوي .

— ما الذي يحدث ؟ سألت الممرضة .

— فصد الدم .

— وماذا يفعلون به ؟

— يعبأ ليباع أو يصدر الى الخارج .

— ومن هؤلاء العراة الضعاف ؟

— جياع الارض .

— ولماذا جاءوا الى هنا ؟

— جياع ووحيدون

قلت : ولماذا لا يصرخون ؟

قالت الممرضة : تناولوا المحلول فتحولوا الى مخلوقات داجنة .

— ولكن حتى الحيوان يصرخ وهو يذبح ؟

قالت : كثرة الاسئلة تورث الغم .

قلت : آه . انني أختنق وأغثى . لنخرج الى الحدائق !

● الحدائق ●

مازلت أرزح تحت مطر حار . أرى أقواس قزح مرصعة بالدم والعشب والجراثيم والشمس . في فمي البحر والصحراء ، وفي عيني طيف حبيبتي الضائعة ، وما يزال جسدي مطوحاً تحت مجرات من المصل والرهج والتعرق والبياض والغبار . انني أرتعد مأخوذاً بالخوف من تناول المحلول المهدئ .

سماء ملفوحة بشمس . نرى ارضا محترقة العشب والحجر والتراب . وعر . وعر . والمدى ملالا بعذوبة موت أبيض ورمادى .

تخبرنى الممرضة باننا نتجه نحو حدائق الحرب والطفولة والقتل والورد الذابل . أحس بالممرضة تسندنى الى صدرها الابيض فتعبرنى رعشة حنو . الثم صدر أمى الدافىء فيلفحنى الوهج الخارج من نبض الارض المحروقة . أسالها ان كنت مريضا فتفتح زجاجة الاكسجين واستنشق . أخاف : هل هذا هو المحلول ؟ تقول : لا . أسالها ان كانت ترى مثلى العراء البهيج المهيج للاعصاب . فتقول نعم . ثم أسال ان كنت مخدوعا وهل حواسى سليمة . فتقول : ليس بالحواس وحدها يفهم الانسان .

ــ ولكن لماذا انا هنا ؟

ــ لتصحو .

لاصحو ام لاجن ؟

لا تجيب . انها تحدق فى الضياء المتوهج والسماء المسفوعة وتستمع الى دقات قلبى .

نرى عن قرب آثار حديقة قديمة تلعب فيها أطفال . فجأة دوى انفجار فكانت هناك جثة طفلين تغطتا بدثار من العشب الرمادى والزهر المحروق

أزيح موجة الكابوس الرصاصية وأقترب لأرفع الغطاء . تنهرنى الممرضة أمد أصابعى فتغوص فى احشاء ممزقة . أخرج أصابعى وانظر الى آثار الاحشاء فوق الانامل . قربنا انتصب حشد وجنود ونساء يولولن . نرى الجنود يلهون بقطع من أعضاء الطفلين المقتولين ويتلمسون الاثار المتناثرة على الحجارة والاعشاب الجافة نسال عن الحدث القريب فيقال لنا أن الاطفال كانوا يتقاذفون القنابل ويلهون بها ظنا منهم أنها اقمار . كانوا يضحكون ويغنون عندما انفجرت اللعبة فاخترقت الاحشاء والرأس والعيون والارض وقلوب الامهات النادبات .

وقالت الممرضة أن الضحايا قديمة مماثلة حدثت هنا ، وأن الاطفال خدعهم ضوء القمر فاكتشفوا الموت متأخرين تحت أشعته .

وقالت : هل تناولوا المحلول هم ايضا ؟

وحايدت : ألم تر الجنود .

ــ ولماذا لم ير الاطفال الجنود ؟

ــ الاطفال لا يرون غير القمر .

ــ ولكن من الذى حول الاقمار قنابل ؟

ــ تجار الدم .

بدت أزهار الحدائق البيضاء حجارة مهشمة . وبعد أن نشنا الجنود دخلنا حديقة الانقاض . رأينا داخلها عظاما وجماجم وثيابا محترقة وخوذات نقبها الرصاص . يبدو أن الحرب قد مرت من هنا !

نتوغل داخل الوعر المحروق فنرى قبورا نرى شواهد عليها كتابات غريبة لم تكن أسماء . بدت أرقاما على شكل ورد ملفوح بالبارود والغبار والزمن . أسال عن الشواهد فتقول الممرضة بانها علامات عن الاطفال الذين خدعوا بالقمر . دفنوا هنا وحيدين فى هذا العراء الموحش كما يدفن بذار الارض .

يباغتنى الدوار فأدخل مدار الطفولة . حرب أخرى راحت تقصف رأسى ودمى . شىء لا يسمى صعد من اعماق الارض واشترك فى القصف . لقد هبت روائحهم الممتزجة بالريح والضياء ولون الوعر . تنهار قواى فاهوى فوق القبور اللمس الارض وأنا أحبو غارسا صدرى ووجهى وأصابعى فى باطن التراب ممرغا جسدى بحرارة الارض الدامية ، ثم أنتحب .

توقظنى الممرضة من غيبوبتى ، ويأتينى صوتها الممطر : لا تحزن . سينمو دمهم مع الزمن عشبا وشجرا ومدنا واقمارا وسيغنى العشب والشجر النامى كلما هبت الرياح وسيسمع الناس الغناء ، وهذه المرة لن يكون الغناء حزينا .

● البحر ●

بياض . بياض قوس قزح يبدأ من افق البحر ويغيب وراء الغابات . لقد توقف المطر الحار وابتدأت برودة البحر . مع انهمار هذه البرودة الخضراء يصعد الحنين والتوق داخل نسغ الجسد . لم تعد البقع الحمراء تتقاطر من الانبوب . لقد تناول الجسد المصل وهدأ .

عيناى تريان افضل على ما يبدو والالوان الطيفية اتحدت فى اللون الاخضر . ضوء كالسهم يخرج من مراكز خضراء يخترق الحريق والجنود والغبار واثرياء الحرب والاطفال القتلى والمحاليل والصمت والشمس . انه يتجه نحو البحر . يضيئه . فوق خط الضوء أسير باتجاه حبيبتى التى تنتظر على أبواب البحر .

وأنا اتقدم فى هذا النفق البنفسجى والاخضر : أسمع أصوات البجع الابيض لكننى لا اراه . أصوات توحى بالنزع أو الرحيل . اسال الممرضة التى أشعر أنها معى كالطيف الاخضر عن حبيبتى . تشير نحو نقطة بيضاء فى مدى السماء السحيق . أرى البحر شاسعا ، عميقا ، أخضر ، يصل السماء بالارض وقد طوقه الجنود المسلحون ، ولا أرى حبيبتى . بغتة المح طائرا أبيض ينقض ضاما جناحيه ، يطعن الصخور الخضراء . ارى جسد البجع يتشظى . أرغب أن أصرخ لا .. لا .. مايزال هناك وقت على موت الطيور البيض !

أسأل الممرضة عن حبيبتى فتقول : تاخرت عنها . مضت مع طيور البحر .

اقول : آه حتى هى تتركنى وحيدا وتمضى .

تقول : يبدو انك وصلت فى غسق متأخر .

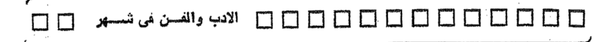
● الفجر ●

ها أنذا أخرج من المشفى نشطا كطفل . يلفحنى صباح وردى بدأ يتفتح فى عراء المدينة . أرى الاطفال يقفون على نواصى الشوارع وهم يحملون بنادق من قصب ، وفى الساحات تنتصب الجنود الفقراء المقتولون بثيابهم الدموية . ومن اقصى المدينة أسمع دوى أصوات الذين سحبت دماؤهم فى السوق والمسلخ . كان المقهورون والمذلون والصامتون والشهداء والمسروقون والمجذاء ينشدون اغنية عن الطيور والزنابق والامطار والرعود والغابات والبذار الخضر . كانت أغنية عن الغضب الجميل الضاحك فجأة ينطلق من رأسى طائر مجنون ويبدأ الغناء مع كورس الحزن والاموات والعشب المحترق والبحر والشمس والقتل العذب .

أشعر بجسمى خفيفا كرذاذ الثلج ، وبقلبى يتفتح بنار فى لون عباد الشمس أندفع وأنا اغنى وأرقص واضحك . أعدو . أعدو . فى الشوارع ومعى الموت والفجر والطيور والحقد والزنابق والاطفال والبحر وفقراء الحرب والقتلى وطيف حبيبتى .

فى نوبة الغناء والرقص الاحتفالى والركض صاح الفجر الغاضب فينا : احرقوا المدينة .

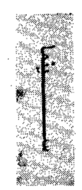
من قلوبنا وعيوننا ودمائنا وحقدنا خرجت قنابل ومتفجرات وراحت تقذف السيارات والمؤسسات والمتاجر والسجون والثكنات والمخافر والمشافى والقصور والجوامع ، وكل ما بنى على أرض المدينة من نصب تذكارية لالهة الموت والعار . بعد ان حولنا المدينة الى مهرجان من حرائق وغبار ورماد وأصوات ، فتحت الصحراء جناحيها واحتفت بنا .





اغتيال جندى نازى

سائق تاكسى نقابى



مهرجان كان

بين الحرية والاستبداد

فى الفترة من ٩ الى ٢٣ مايو ، عقد مهرجان كان السينمائى لهذا العام ، وقد تابع الاستاذ مصطفى درويش عروض المهرجان ، وكتب التعليق التالى :

قد يكون من الخير ان نبدأ — قبل أن نتحدث عن مهرجان كان — بما كتبه ناقد مجلة الحوادث عن المهرجان الكبير .. استهل ناقد المجلة الغراء مقالته عن هذا المهرجان بالاتى :

« كان ١٩٧٥ لم تكن سنة الطليان .. ولا سنة الامريكان .. ولا حتى الانكليز الذين جاءوا المهرجان اكثر من غيرهم حماسة .. « كان ٢٨ » كانت سنة الفيلم العربى .. وكرست انتصار الفيلم الجزائرى « **ذكرى سنوات الجمر** »

وبعد ان تكلم كثيرا من الافلام التى عرضت بالمهرجان ما كان منها جميلا .. وما كان منها قبيحا .. وبعد أن اعتبر « يوم الجراد » — وهو فيلم من اخراج « جون شلسنجر » ومن انتاج شركة بارامونت الامريكية القوية الغنية — افضل عمل قدم فى المهرجان خارج المباراة .. واعتبر « الاوامر » لصاحبه المخرج الكندى الموهوب « ميشيل برولت » فيلما اقلّ من العادى .

بعد ذلك كله اختتم مقالته بالكلمات الاتية : —

لم يكن هنالك اى فيلم اسرائيلى فى مباراة هذه السنة فى حين اشتركت اسرائيل رسميا فى العام الماضى .

لم يكن هنالك افلام تهاجم العرب كما كان فى العام الماضى ولا افلام تعتبر دعاية لاسرائيل .

خفت اسماء دافيد وراشيل من افلام المباراة لكنها لم تنقطع .

وقد لانختلف — باعتبارناعربامتحمسين لارض المليون شهيد — مع ناقد الحوادث فى ان « كان ٢٨ » كانت سنة الفيلم العربى لحصول محمد الاخضر حامينا على سعفة المهرجان الذهبية ، الا انموقفنا من قوله ان المهرجان كان خلوا من اية افلام تجنح للدعاية لاسرائيل على العكس من ذلك تماما .. فهذا القول نختلف معه فيه .. ونختلف كثيرا ..

فالوجود السينمائى الصهيونى فى مهرجان كان لهذا العام كان كبيرا .. متشعبا .. متكاملا .. احسسنا به فى السوق حيث عرضت افلام اسرائيلية ستة هى « **سـاريت** » و « **عزيزى ميخائيل** » و « **الاب** » و « **ثلاثة وواحد** » و « **شارلى ونصف** » و « **الضربة الواحد والثمانين** » **وعرض الفيلم الكندى** الصهيونى «**تلمذة داوود كرافيتز**»**للمخرج** « **تدكوتشيف** » .. وهو الفيلم الحاصل على الجائزة الاولى لمهرجان برلين عام ١٩٧٤ [جائزة الدب الذهبى] .

ورأينا هذا الوجود فى دور العرض بالقصر الكبير المخصص للمهرجان حيث عرضت ضمن برنامج « **العيون الخصيبة** » اوبرا « **موسى وهارون** » من اخراج **جان مارى ستروب** .. ومسرحية

«جاليليو الجاليلى » التى اخرجها للسينما جوزيفلوزى ..وقامباداءدور العالم الجليل « توبول » اشهر ممثلى اسرائيل .وعرض ضمن افلام المباراة « لينى » الذى اخرجه « بوب فوس » صاحب فيلم « كاباريه » ومثله « واستن هوفمان » مع « فاليرى بيران » التى حصلت على جائزة احسن ممثلة عن دورها فى الفيلم .. زوجة لينى بروس .

وعرض ضمن اسبوع النقاد فيلمسا « مواجهة » للمخرج السويسرى « رولف ليس » و « شارع هستر » للمخرجة الامريكية « جوان ميخلين سلفر » .

والافلام الثلاثة الاخيرة تركز على اضطهاد اليهود فى الشتات .. واولهما يجعل من « لينى بروس » — وهو يهودى يعمل مسليا فى ملاهى الليل الامريكية — يجعل منه مسيح القرن العشرين .. حامل صليب العصر .. محرر الانسان من رق الخوف واستعباد الخرافات .. اما الفيلم الثانى « مواجهة » فهو يذكر بالحق فى العودة الى ارض الميعاد .. بل انه ينتهى بالبطل الذى اضطهد لانه قتل احد اقطاب الحزب النازى فى سويسرا فحكم عليه باقصى عقوبة ... الاشغال الشاقة لمدة ثمانية عشر عاما... ينتهى به طبيبا حرا فى تل ابيب ... سعيدا بالعيش فى ارض اللبن والعسل.

اما الفيلم الاخير [شارع هستر] يقتضى منا وقفة قصيرة لانه ارق الافلام الثلاثة واكثرهامكرا .. ولانه منمدرسة نيويورك التى تسعى الى تخليص السينما الامريكية من قوالب مصنع الاحلام فى هوليوود .. ولانه اخيرا من اخراج سيدة — ونحن فى عام المراة العالمى !!

احداث فيلم « جوان سلفر » تدور فى « شارع هستر » تقريبا من نهاية القرن التاسع عشر.. وبالتحديدعام ١٨٩٦اىفى تلك الايام التى خرج فيهـا « تيودور هرتزل » نبى الصهيونية الى النـاس بمؤلفه « الدولة اليهودية » .

وشارع هستر واحد من شوارع حى اليهود فى شرقى نيويورك والغالبيـة الغالبة من يهوده مهاجرون من اوروبا الشرقية الى العالم الجديد فرارا من الاضطهاد العنصرى فى روسيا القيصرية

والصراع فى الشارع يدور بين جيك الزوج المنحل الفردى الذى أفسدته الحياة فى الشتات فتحولت به الى شخص يفخر بأمريكيته وينادى باندماج اليهود فى المجتمع الجديد باعتبارهم مواطنين امريكيين ليس لهم حق الانفراد بأى كيان مستقل وبين جيلت الزوجة الحيية الفاضلة المؤمنة التى تسلك فى الحياة سلوكا جوهره عدم الذوبان فى هـذا المجتمع الامريكى الغريب اى الاحتفاظ بالشخصية اليهودية المتميزة .

وينتهى الفيلم بالانتصار لقيم الزوجة على قيم الزوج .. فهى تنجح فىالحصول على الطلاق مع الاحتفاظ بابنهـا من مطلقها لتتزوج من « برنشتين » التروى الذى يرتل التلمود ترتيلا ولا يردد سوى قولين « اليهودى يهودى » و « اللعنة على كولومبس » لانه اكتشف العالم الجديد .

والان فلنبدا الحديث عن افلام المهرجان الاخرى ولتكن البداية بفيلم النهاية الذى عرض خارج المباراة وكان به ختـام المهرجان .. وهو « تومى » لصاحبه « كن راسل » الذى اخرج من قبـل « نساء عاشقات » و « عشاق الموسيقى او تشايكوفسكى » و « الابالسة » و « الصديق » و « المسيح المتوحش » و « ماهلر » .

« وكن راسل » واحد من اهم مخرجى السينما المعاصرة .. بل ان « كولين ولسن » يقول عنه فى كتيبه « كن راسل مخرج يبحث عن بطل » « انه من الممكن ان يصبح اهم مخرج فى تاريخ السينما » [ص ٦٩] .

ومهما يكن الرأى فى موهبة « كن راسل » ودوره فى التطور بالسينما فالذى لاشك فيه ان احدا لا يضارعه فى اخراج الافلام الموسيقية ، وان فيلما لايضارع رائعته « تومى » فى مزج الصور والرؤى بالاصوات والموسيقى والاغانى .

وفى الحق « فتومى » هو اجمـل عمل سينمائى ابتكره خيال « كن راسل » الخلاق .. بل هو عندى اهم فيـلم موسيقى فى تاريخ السينما .. ودلالتـه الخطيرة هو الانتقال بوطن الفيلم الموسيقى من الولايات المتحدة مبدعته منذ ان تكلمت السينما فى اكتوبر عام ١٩٢٧ بفيـلم « مغنى الجاز » الى جزيرة صغيرة وراء المحيط .. انجلترا .

والفيلم مستوحى من اول اوبرا روك فى تاريخ الموسيقى « تومى » التى الفها « بت تونسهاد » قائد فرقـة « الهو » .. وهو عبارة من نفس واحد طويل من الغناء والرقص المتصل لمدة مائةدقيقة او يزيد .. تمر وكانها حلم لثوان لاتزيد.

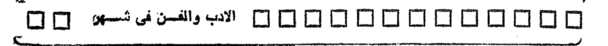
ومن مشاهد الفيلم التى لاتنسى — وما اكثرها — مشهد الوعاظ المنشدين وهم يحملون على اكتافهم تمثال القديسـة « مارلين مونرو » وسط جموع المؤمنين الباكين المبتهلين .. ومشـهد الملكة الهمضية [تينا تيرنر] وهى تغنى لتومى فى وحشية « انا غجرية » ومن بعده مشهد ابن العم [بول نيكولا بطل مسرحيتى « شعر » و « المسيح نجم فوق العادة »]! وهو يقفز امام تومى ويقذفه بالياه مندفعة من خرطوم بين فخذيه فى محاولة منه — ضمن محاولات اخرى كثيرة — لعلاجه من الصـدمة العصبية التى تحولت به من طفل فى كامل قواه الحسية الى عاجز لايسمع ولا يتكلم ولا يرى .

وتومى ليس بالبطل الوحيد ضمن ابطال المهرجان الذى فقد حاسة الابصار .. لا هناك بطل آخر لايرى فى فيلم « عطر النساء » لصاحبه المخـرج الايطالى « دينو ريزى » .. هذا البطل هو « فاوستو » الذى قام باداء دوره « فيتوريو جاسمان » .. وانتزع بفضل ادائه لهذا الدور جائزة المهرجان لاحسن ممثل من النجم الامريكى « داستن هوفمان » الذى تألق فى دور « لينى » .

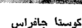
« ودينو ريزى » يحكى فى فيلمه قصة « فاوستو الحزينة كيف فقد بصره وقت ان كان رائدا بالجيش .. كيف تجلد واخفى الحزن والمرارة .. كيف قاوم حب ساره [اوجوشينا بيلا] تعاليا واعتزازا واخيرا كيف تخاذل فلميستطع الانتحار فانهار وصرخ فى وحدته على « سارة » صرخة غضب ويأس وانكسار ينتهى بها الفيلم الذى يحكى كل هـذا الحزن بأسلوب كوميدى قريب كل القرب من اسلوب موليير وجولدونى فى اروع ما كتبا من اعمال مسرحية ومن خلال رحلة شيقة فى قطار تبدأ فى رفقـة المراسلة الشاب « شيشيو » [ادى دوره الممثل اليساندرو مومو الذى مات بروماأثرحادثمؤلمولما يتجاوزالسنةالثامنة عشر] من تورين مرورا بجنوه وروما لتنتهى على شاطىء البحر الابيض فى نابلى .

واذا ما تركنا « عطر النساء » وهو من الافلام التى عرضت قريبا من نهاية المهرجان وحاولنا ان نعـرض لافـلام المهرجان بمراعاة تاريخ مشاهدتنا لهـا لوجدناها تبدأ بفيلم للمخرج الدنمركى « هننجن كارلسن » هو «الطلاق السعيد» وتنتهى برائعة كن راسل الاخيرة «تومى»

وعندى ان اهم الافلام — من بين المئات التى عرضت فيما بين هـذين الفيلمين — هى « محكمة خاصة » للمخرج اليونانى « كوستا جافراس » و « من اجل الكترا » للمخرج المجرى « ميكلوس يانشكو » ، و « الاوامر » للمخـرج الكندى « ميشيل برولت » او «مواجهة» للمخرج السويسرى « رولف ليس » ، و « الونزافان » للاخـوين الايطاليين « تافيانى » ، « ووقائع سنين الجمر » للمخرج الجـزائرى « محمـد الاخضر






كوستا جافراس

فيتوريو جاسمان

هامينا » و « **الامير احتجاب** » للمخرج الايرانى « باهمان فارمانارا » و «**الحقيقى والزائف** » لاورسون ويلز ، **والضباب والغريب** للمخرج الايرانى « باهرام بيزارى ، **والضباب والغريب** للمخرج البلجيكى « تييرى زينو » ، و « **شارع هستر** » للمخرجة الامريكية « جوان سلفر » و « **اسمى فرايداى** » للمخرج الانجليزى « جاك جولد » ، و « جاسبر هاوزر » للمخرج الالمانى الغربى « موريس هيرتزوج » و « **ليلى احبينى** » للمخرج الفرنسى « موريس دوجوسون » ، و « **الناى السحرى** » للمخرج السويدى « انجمار برجمان » و « **شريعة الاقوى** » للمخرج الالمانى الغربى « رينر فاسبندر » ، و « **عطر النساء** » للمخرج الايطالى «دينو ريزى» وباليه **انا كارينينا** للمخرجة السوفييتية الراحلة «مرجريتا بتليمنيينا» ، و«**لينى**» للمخرج الامريكى « بوب فوس » ، و « **الارض الموعودة** » للمخرج البولندى « اندريه فايدا » ، و « **يوم الجراد** » للمخرج الانجليزى جون شلسنجر ، ومسرحية « جان جينيه » « **الخادمات** » للمخرج الانجليزى « كريستوفر ميلز » و « **الانجليزية الرومانتيكية** » ومسرحية برتولد برخت « **جاليلو الجاليلى** » وكلاهما من اخراج المخرج الامريكى جوزيف لوزى ، و « **المقامرون** » لاحد تلاميذ المخرج الايطالى فردريكو فيللينى ، و « **التعويذة** » للمخرج البرازيلى نيلسون بيريرا دوس سانتوس ، و « **الظهر العارى** » للمخرج التشيكى «جان نيمتش» وتلمذة دافيد كرافيتز « للمخرج الكندى « تد كوتشيف » .

وسأكتفى فيما تبقى من هذه المقاله بالحديث عن افلام ثلاثة هى « من اجل الكترا » و « محكمة خاصة » و «الاوامر» لانها جميعا تعرض لمحنة واحدة ..محنة الحرية فى صراعها مع الطغيان بكل فكره وشره .

وفيلم « باتشكو » يدهش المشاهد بغرابته فلقطاته طويلة وقليلة .. هو عبارة عن مجموعة من المتتابعات الاستعراضية التحم فيها التمثيل الصامت بالرقص الشعبى بالباليه .. والدراما فيه مبسطة الى اقصى الحدود .. انها تتركز فى مشكلة الصراع بين الحرية والاستبداد .

والفيلم لايرمز الى فكرة الانتقام .. وانما يرمز الى فكرة اخرى اكثر عمقا .. هى ان الثائر عليه واجب .. هو ان يتجدد .. ان يموت كل يوم .. وان يولد من جديد كل غد .

والكترا فى الفيلم [مارى تورشيك] صلبة شامخة لا تلين انها تقول لا اذا ما قال الجميع نعم .. وتقول نعم اذا ما قال الجميع لا .

انها لاتخاف فرسان الاستبداد من حولها وهم يطاردون الفلاحين بالسنة من نار دخانها احمر اللون .. ولن تخاف .

انها تنتظر ولن تنسى .. وفى النهاية تنتصر .. يعود شقيقها اورست .. ويسقط الطاغية « اجيست » فى اسر الشعب الثائر .. وهاهى تتجه اليه وفى يدها خنجر الانتقام .. ونسمع صوت اورست يقول لها « اسعدى يا الكترا .. لقد جاءك النصر » .. وتنطلق الرصاصة القاضية الى رأس الطاغية ونسمع مرة ثانية « اورست » يقول « انتهت القصة ومات الطاغية » غير ان الكترا لا يهدأ لها بال انها تتابع مسيرتها .. نقتتل هى وشقيقها اورست ويموتان ثم يبعثان .. وتهبط طائرة هليكوبتر حمراء الى الوادى .. وتحمل الاثنين .. ثم نسمع صوت الكترا يحكى قصة طائر النار الذى يدركه الموت كل مساء ويعود الى الحياة كل صباح اكثر جمالا وبهاءا .. طائر النار يحمل الحرية .. يحمل للانسان حياة تليق بالانسان .

وكوستا جافراس يبدأ فيلمه بدوا قريبا كل القرب .. غريبا كل الغرابة .. لهذا عرض لاوبرا « بوريس جودونوف » فى عهد حكومة فيشى .. وهذا وزير داخلية فرنسا المحتلة [ميشيل لونزدال] يعمل بهمة ونشاط اثناء العرض ويصده على استصدار تشريع بانشاء محاكم استثنائية تختص بنظر جرائم ممارسة النشاط الشيوعى او الفوضوى .. وتكون احكامها نهائية غير مسببة .. وغير قابلة للطعن وواجبة التنفيذ فور صدورها .

وتكلل مساعى الوزير القوى المتآمر مع النازى ويصدر التشريع الاستثنائى فى ٢٣ من اغسطس عام ١٩٤١ .. الا انه قبل ذلك وبالتحديد فى ٢١ من نفس الشهر اغتيل جندى المانى برصاص الشيوعيين .. وهذا امر لا يمكن السكوت عليه .. ولذلك فالمطلوب اولا من وزير العدل ان يشكل محكمة خاصة تحاكم امامها مجموعة من الشيوعيين والعمال [الرهائن] عن جريمة لم يرتكبوها وبقانون جائر يطبق عليهم باثر رجعى

والمطلوب ثانيا من مستشارى هذه المحكمة ان يحكموا على ستة من هؤلاء الرهائن بالاعدام فى اول جلسة تنظرفيها القضية وان يكون حكمهم نافذا ـ اى بعدم المحكوم عليهم ـ خلال ساعات معدودات من صدور الاحكام .

وفى ٢٦ من اغسطس شكلت المحكمة الخاصة .. وفى اليوم التالى استدعى المتهمون امام هذه المحكمة

الكاريكاتورية التي تمت بعد تردد باعدام ثلاثة ثم عجزت من أن تكمل المشوار وترتفع بالمحكوم عليهم بالاعدام الى العدد المطلوب .. وهو ستة .. لماذا ؟ لان واحدا من المتهمين — وهو شيوعي يرأس تحرير احدى جرائد الحزب الشيوعي السرية — تماسك فلم يخف .. ولم ييأس .. وقرر الا يموت قبل أن يبرىء نفسه .. وقبل أن يحاكم قضاته والنظام الذي تحول بهم من رجال كبار مستقلين حماة للعدل الى جلادين اذلاء منفذين لأوامر وزير داخلية خائن .

وكان من نتيجة مرافعته وادهامه ان انقسمت المحكمة على نفسها ورفضت الاغلبية الاستمرار في المهزلة .. مهزلة التمسح في الشرعية بقاية اعدام الابرياء وفي نفس اليوم رفض التماس العفو عن الثلاثة المحكوم عليهم بالاعدام .

وبعد اربعة وعشرين ساعة نفذ الحكم وتم الاعدام ، وفيلم « كوستا جافراس » عن انهيار القضاء وتدهوره الى قضاء مناسبات هو في الحق عبارة عن منشور سينمائي صادق موجه ضد القضاء الاستثنائي الذي تفرضه السلطة التنفيذية على السلطة القضائية في الازمنة السوداء .

ولعله أول فيلم فرنسي يكشف بصراحة عن دور الشيوعيين الفرنسيين في مقاومة الاحتلال الفرنسي ، وفي الدفاع عن حريات الشعب الاساسية بما في ذلك استقلال القضاء القائم على مبدأ الفصل بين السلطات .

ومن مفاجآت الفيلم ان «اريك زولو» رئيس تحرير قسم الشرق الاوسط بجريدة الموند الواسعة الانتشار يؤدي دور واحد من المتهمين المطلوب الحكم عليهم بالاعدام .. وجريمته عند السلطة انه يجمع بين رذيلتين فهو شيوعي ويهودي في آن واحد !!

اما الفيلم الثالث والاخير « الاوامر » فليس مصورا بالابيض والاسود فقط كما جاء في مقال ناقد « الحوادث » ان له وضعا خاصا فمشاهده التي تدور خارج السجن مصورة بالابيض والاسود .. ومشاهده التي تدور داخل السجن مصورة بالالوان !!

وميشيل بروليه يعرض في فيلمه — وهو من أفلام سينما الحقيقة — لحادثة وقعت بالفعل في كندا قريبا من نهاية عام ١٩٧٠ ، اي فور استصدار الحكومة الاتحادية الكندية لقانون استثنائي بالأحكام العرفية من البرلمان اثر قيام جبهة تحرير كويبك الفرنسية باختطاف ملحق بريطانيا العظمى التجاري ووزير من وزراء احدى المقاطعات الكندية .

فبالاستناد الى هذا القانون الشاذ الذي يخول الحكومة حق القبض على اي شخص مشبوه في اية ساعة من ساعات النهار او الليل دون اذن سابق من اية جهة قضائية .

وبحجة حماية النظام العام المهدد — وهي حجة كل حكم مستبد — القت الحكومة القبض على ٤٥٠ شخصا وزجت بهم في غيابات السجون دون أن توجه الى اي واحد منهم تهمة واضحة محددة .

وقد اختار المخرج الكندي خمس شخصيات من بين مئات المقبوض عليهم ليعرض من خلال مأساتهم لجرائم السلطة عندما تستبد وتطغى .. القبض على المواطنين خفية في الظلام .. التعرية والتعذيب للاجسام .. التجهيل بماهية الأتهام .. ثم الافراج بعد اسابيع من الحبس بلا سبب دون كلمة اعتذار واحدة تقال ودون تعويض صغير او كبير يدفع ثمنا لاهدار الآدمية والهوان

وفي الختام فقد منحت لجنة تحكيم المهرجان فيلمي « محكمة خاصة » و « الاوامر » جائزة أحسن اخراج .. ولو كانت قد سادت العدالة — وهو امر مستحيل في مهرجان تجاري وفني كبير كمهرجان كان — !! منحت السعفة الذهبية الا للاوامر !!

مصطفى درويش

أسبوع لأفلام صلاح أبو سيف



صلاح أبو سيف

اقام المركز الثقافي المصري ، بالاشتراك مع الجمعية الفرنسية للفن والتجربة ، اسبوعا لافلام المخرج صلاح أبو سيف ، بباريس ، في الفترة من ١٤ الى ٢٠ مايو ١٩٧٥

عرضت في هذا الاسبوع ثمانية أفلام تمثل نخبة مختارة من افلام المخرج الكبير هي : « القاهرة ٣٠ » ، « الفتوة » ، « الزوجة الثانية » ، « القضية ٦٨ » ، « بداية ونهاية » ، شباب امرأة » ، ريا وسكينة » ، بين السماء والارض » .

وقد اهتمت الصحافة الفرنسية بهذا الاسبوع ، فنشرت عديدا من المقالات والتعليقات التي تناولت بالنقد والتحليل افلام الاسبوع ، كما قدمت تعريفا بالمخرج الكبير الذي تصادف أن كان يحتفل بعيد ميلاده الستين أثناء هذا الاسبوع .

كتب لويس ماركوريل فى « لوموند » يقدم الاسبوع وصاحبه : « فى طريقه من القاهرة الى باريس حيث تعرض له ثمانية افلام ـ توقف أبو سيف فى «كان» التى لم يعد اليها منذ ١٩٥٦ حين عرض فيلمه « شباب امرأة » بين افلام المهرجان وكان هذا الفيلم قد لقى اقبالا جماهيريا واسعا .

« وصلاح ابو سيف اكثر رجال السينما المصرية شهرة ، وهو مخرج قدم عديدا من الافلام الميلودرامية . التى تسرى فيها روح مصرية خالصة ، معاصرة وأجل اكثر التقاليد قسوة وضراوة .

« ولد أبو سيف فى حى بولاق ، وهو من اكثر احياء المدينة الكبيرة فقرا ، وهو فى الثانية عشرة « كان يحلم بالعمل فى السينما ، واشترى كتابا عن فن التمثيل ـ باللغة العربية ـ اكتشف منه ـ على الفور ـ ان الذى يرأس العمل كله هو المخرج .

« فى ١٩٣٤ فتح استوديو مصر أبوابه فتقل صلاح ابو سيف ليعمل به « مساعد مونتير » من ١٩٣٥ الى ١٩٣٩ ، حين سافر الى فرنسا ليدرس المونتاج دراسة جيدة فى ستديو « ايكلير » مع المخرج جورج لاكومب ، وكان يتردد بانتظام على ستديو « الاورسلين » الذى تشرف عليه « مدام بيبون » ، وهو المكان الوحيد بباريس الذى يستطيع فيه المتفرج ان يشهد ثلاثة افلام مختلفة كل يوم . وبعد اعلان الحرب ، عاد أبو سيف الى القاهرة حيث ظل يعمل بالمونتاج حتى سنة ١٩٤٥ حين اخرج أول افلامه الطويلة .

واليوم .. يبلغ رصيده من الافلام الطويلة ٣٣ فيلما ؛ ـ اى بمعدل فيلم كل سنة تقريبا ـ وهو « معدل صحى » كما يقول أبو سيف » وفى ١٩٦٢ منحه رئيس الجمهورية لقب « فنان الشعب » ويقول صلاح ابو سيف ان هدف السينما هو أن تسهم فى اسعاد الناس ، فهى « اداة اجتماعية وثقافية وترفيهية فى الوقت نفسه » .

وكمتفرج ، فقد احب صلاح ابو سيف اولا فريتزلانج صاحب « ميتر وبوليس » ، ثم جون فورد صاحب « عناقيد الغضب » و « الوادى الاخضر » ، وجان رينوار وبودفكين [وليس ايزنشتين] ، وفى ١٩٥٩ أسس صلاح أبو سيف معهد السينما ، ولان الفيلم الجيد ـ فى نظره ـ يعنى السيناريو الجيد فى المقام الاول ـ فقد انشأ معهدا للسيناريو ، ولكنه لم يستمر طويلا .

صلاح ابو سيف لايمل الحديث عن وطنه وعن شعبه .. الكريم ، المحب للنكته ، المستعد دائما للتضحية والبذل من أجل الاخرين .

والجمهور المصرى يعشق افلام ابوسيف ويقبل عليها ، كما كان الجمهور الفرنسى يقبل على افلام لويس فويان ، والجمهور الامريكى يقبل على افلام شارلى شابلن»

هذا ما كتبه ناقد « لوموند » عن ابو سيف ، وهو نموذج لكتابات كثيرة قدمت الاسبوع وصاحبه .

ومن المعروف أن ابو سيف قدم ثلاثة وثلاثين فيلما أولها هو «دايما فى قلبى» [١٩٤٥] وآخرها « الكذاب » [١٩٧٥] ومن اهمها « لك يوم ياظالم » [١٩٥١] « ريا وسكينة » [١٩٥٢] ، « شباب امرأة » [١٩٥٥] ، « انا حرة » [١٩٥٨] ، «الزوجة الثانية» [١٩٦٧] وغيرها من الافلام التى تمثل معالم هامة فى تطور السينما المصرية .

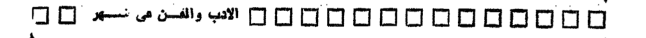
○

رســـالة الى المســيح

بهذا العنوان نشر الاستاذ مصطفى بهجت بدوى آخر مجموعاته الشعرية ، وهى تضم قصيدتين طويلتين الاولى بعنوان « ارهاصـــات وابتهـــالات مصرية وعربية » ، والثانية بعنوان « نبوءة فى سيناريو .. بل نضال » .

ويقدم مصطفى بهجت مجموعته بهذه الكلمات : « ... فى السنتين الاخيرتين تدفقت ابيات هـذه القصيدة الطويلة اكثر ما تدفقت من خلال العناء والصمود والمواجهة الخاصة العامة ! فوجدت فى اشعارى عزاءا كبيرا ، ولكن العزاء الاكبر كـان ـ ولن يبرح بمشيئة الله ـ فى تمسكى بشعارى، الذى وجدت ان تتمسك به الامة العربية فى كفاحها ضد بغى الصهيونية والاستعمار ، لتحقق بايمانها وعملها النصر المرتقب » .

« رسالة الى المسيح » هى المجموعة الشعرية السادسة لمصطفى بهجت بعد « وجدان حائر » ١٩٤٧ » ، « لن تخون فلسطين » [١٩٥٦] ، « القناة والمعركة وأخى » [١٩٥٨] « عندما توحى الليالى » [١٩٦٧] ، « خماسيات عربية أوربية » [١٩٧٣] .





التليفزيون المصرى :

حصاد ١٥ عاما

□ يوافق هذا الشهر مرور خمسة عشر عاما على قيام التليفزيون المصرى الذى افتتح فى ٢٠ يوليو عام ١٩٦٠ ، ووصف يومها بانه ولد عملاقا لاسباب خاصة بساعات الارسال ، ووجود اكثر من قناة بعد فترة بسيطة من انشائه ، وبذلك تجاهل هذا الوصف خطورة الوسيلة التليفزيونية كساهم وسائل الاتصال فى القرن العشرين ، من كونه أكثر وسائل الاتصال [دفئا] كما يقول عام الاتصال السكندى مارشال ماكلوهان ، الذى يرى للتليفزيون دورا هاما فى المستقبل القريب حيث سيعمل على تحويل العالم الى [قرية أوليمبية كبيرة] من خلال تكوين رأى عام عالمى مستمد من المعرفة المباشرة التى يوفرها التليفزيون الناقل لكل احداث العالم من خلال تنوع محطاته وقنواته .

وربما كانت نظرة ماكلوهان مرهونة بأوضاع التليفزيون فى البلاد المتقدمة التى قطعت أشواطا فى الحضارة ، ومن ثم يمكن أن يكون التليفزيون رأيا عاما ناضجا للمشاهد المتقدم حضاريا ، ولكن ماذا عن المجتمعات النامية والفقيرة ؟ . ان تلك الكلمات عن دور التليفزيون لاتنطبق عليها لان للتليفزيون فيها مهاما ثورية وقومية تخفض ثورية وقومية تختص بالمشاركة فى البناء والتقدم عن طريق التعليم والثقافة ومحاربة القيم الرديئة والمتخلفة ، والمشاركة فى صنع الانسان الجديد ، وتقديم اقصى مايمكن من الخدمات للجماهير المحرومة منها .. وهذه المسئوليات لاتحتمل التأجيل .. وهو ماحدث فى التليفزيون المصرى الذى قيل عنه انه ولد عملاقا ، ولقد أثبت التليفزيون المصرى من حيث لم يقصد الذين كالوا له المدح فى البداية أن هيكله نما على حساب عقله .. ومن هنا فاننا بعد ١٥ عاما من وجود التليفزيون بيننا لازلنا نبحث عن دور التليفزيون فى مجتمعنا واهدافه ؟

لقد مر التليفزيون فى مصر منذ بدايته بثلاثة مراحل ارتبطت بتغييرات واضحة فى المجتمع خلال سنواته الخمسة عشر

كانت المرحلة لاولى منذ افتتاحه عام ١٩٦٠ عندما بدأ بلا تخطيط واضح وكامل لما يقدم ، بل على العكس ، افتقد وضوح الرؤية ، وكانت منشآته ومعداته ناقصة ، وطاقمه البشرى غير معد اعدادا كافيا ، كما انعدم التخطيط للمستقبل منذ اللحظة الاولى فيما يختص بتلك العناصر الثلاثة المكونة له .. **وتميزت تلك السنوات بالغزو الغربى ، والامريكى بالدرجة الاولى ، الممثل فى الحلقات والمواد التى كونت نسبة لاتقل من ٥٠٪ من مواده وتزيد عن ذلك فى احيان كثيرة** ، وتنوعت المسلسلات الامريكية بين [**الاصابع الخمسة**] و [**هونج كونج**] و [**اعماق البحار**] و [**جرائم نيويورك**] و [**أحب لوس**] و [**محامى الدفاع**] وغيرها من الاعمال التى تحمل بين ثناياها قيما وافكارا مناهضة للمجتمع المصرى وظروفه ومتطلباته ، وهى ظاهرة لا تقتصر على المجتمع المصرى وحده ، وانما تتعداه الى المجتمعات النامية للدول المستقلة حديثا أو دول العالم الثالث التى تقيم التليفزيون من منطلقات وطنية ، ولكنها تتيح للفكر الاستعمارى الوثوب من النافذة من خلال المواد والحلقات المستوردة من التليفزيونات المتقدمة ، والتليفزيون الامريكى اكثرها تقدما من الناحية التكتيكية ، وصاحب الانتاج الضخم الذى يسد حاجة ساعات الارسال فى التليفزيونات الناشئة مكونا غزوا ثقافيا حقيقيا لقيم تلك المجتمعات ، وهذا الرأى الذى اورده الناقد الانجليزى [**مارتن آسلن**] فى دراسة لليونسكو عن [**التليفزيون .. وخطره**] ينطبق تماما على مصر التى اقامت التليفزيون فى وقت استجمعت فيه ارادتها الوطنية بعد سنوات الثورة الاولى متجهة نحو تحقيق نوع من العدالة الاجتماعية تمثل الاتجاه نحو الاشتراكية ، وقرارات يوليو عام ١٩٦١ ، وبينما كان المجتمع المصرى يمر بتلك المرحلة الخطيرة كان التليفزيون يبث عبر المسلسلات الامريكية اتجاهات وأفكار مضادة لتلك المرحلة

ومن الغريب ان تلك المرحلة ارتبطت ايضا بنوع من الدعائية الفجة لكل القرارات السياسية ، وبالدوجماتية فى التعرض للموضوعات الحيوية التى يمر بها المجتمع ، وكانت قمة تلك المرحلة قبل حرب ١٩٦٧ مباشرة عندما تحول التليفزيون الى جهاز استفزازى فى محاولته تعبئة الجماهير قبل الحرب بطريقة جعلت النفور واضحا بينه وبين جماهيره ..

أزمة الثقة .. والبحث عن النغمة الصحيحة

وبعد النكسة ، بدأت مرحلة ثانية من عمر التليفزيون بعد الانفجار الذى احدثته الهزيمة فى النفوس ، وظهور الحقائق التى لم تعلن من قبل ، وظل التليفزيون لفترة عام أو اكثر غير قادر على تحديد الاتجاه الذى يسير فيه ، وكانت النغمة [الصحيحة] مشكلة طال بحثها ، فقد أوضحت ردود افعال الجماهير تجاه أجهزة الاعلام الهوة التى سقطت فيها تلك الاجهزة ، والتى وضعت بينها وبين جماهيرها حاجزا من عدم الثقة تمثل فى عدم تصديق ما يقال ، والرفض الذى يصل الى حد السخرية فى أحيان كثيرة للاخبار والتصريحات المنطلقة من اجهزة الاعلام ..

استمر التليفزيون يحاول اكتشاف النغمة الصحيحة ودرجة هدوئها او ارتفاعها بدون ان يتعدى هذا الى مناقشة اوسع ، ودراسة اعمق لقيم المجتمع وما احدثته النكسة فيها من تغيرات حادة بمعنى ان البحث هنا عن التغيير كان بحثا كميا وليس كيفيا ..

وكانت المرحلة الثالثة للتليفزيون عام ١٩٧٣ مع حرب اكتوبر ، وما تلاها من تغييرات ، وبرغم محاولات التليفزيون لكى لا يتخلف عن مستوى الاحداث فان متابعة حركته من بدايتها وحتى اليوم توضح انها لم تختلف كثيرا عن المراحل الاولى ..

التليفزيون ومعارك اكتوبر

مع قرار العبور والحرب .. نقل التليفزيون قرارات وبيانات المعركة صوتيا اولا بأول ، ولكنه تخلف عن اللحاق بها كصورة ، وبذلك فقد ميزته الاولى التى تكفل له التفوق على الاذاعة والصحافة لم يتواجد له مراسلون فى حرب مصرية وعلى جبهاتها بينما عرف العالم كله مثلا ما قام به مراسلو التليفزيونات فى حرب فيتنام وغيرها ، من خدمات فذة للرأى العام العالمى وجاء يوم العبور والتليفزيون غائب ليقدم لنا فى اليوم التالى صور [لكبارى العبور] لقد صرح وزير الاعلام الدكتور أبو المجد فى حديث تليفزيونى من خلال برنامج [حوار مفتوح] فى شهر فبراير الماضى بأن [بعضنا قصر فى الاعلام خارجيا عن اكتوبر] ، وعن الاعلام الداخلى قال وزير الاعلام [الا يستحق صمودنا عام ١٩٧٣ وقفة من الاعلام « انى ارجو أن يسجل التليفزيون تسجيلا كاملا لكل ماحدث ليبقى للتاريخ ومن شاهد منا لينتجراد وبرلين رأى كيف خلدت تلك البلاد] ..

ولعل تلك الفقرات من حديث وزير الاعلام هى جزء من تناقضات الجهاز وسياسته ، لان وزير الاعلام هو نفسه الذى يضع سياسة التليفزيون ، وبين يديه تتجمع خيوط التخطيط والتنفيذ فى الجهاز ، وبنا على هذا فان افتقاد التليفزيون كعين أمينة تنقل للمشاهدين وقائع حرب أكتوبر لم يواجه بأية مساءلة أو تحقيق داخل الجهاز ، وتصدى للاسباب التى حالت دون حركته الكاملة فى أهم معاركنا ، لقد قيل مثلا ان كثيرين طلبوا السفر للجبهة لنقل المعارك ولكن المسئولين فى التليفزيون رفضوا اعطاءهم أية ضمانات بمسئولية الجهاز عما قد يحدث لهم ، وبالتالى ما يحل بعائلاتهم فى نفس الوقت الذى ارتفعت الشكوى فيه من الاجراءات المعقدة التى فرضتها الشئون العامة للقوات المسلحة على كل من يطلب تصريحا بالسفر للجبهة لتصوير المعارك ، وبرغم أن الحادث العظيم لابد وأن تواجهه خطوات مماثلة فان هذا لم يحدث وتغلبت البيروقراطية والعوامل البعيدة عن مفهوم الخدمة والعمل الاعلامى الواعى ، وليس غريبا بعد ذلك ان يكون تقاعس وسائل الاعلام ، وبالاخص التليفزيون ، تجاه نقل ما حدث فى اكتوبر محل شكوى الجميع وأولهم العسكريين ابتداء من المشير الراحل أحمد اسماعيل على] فى الندوة التى حضرها بنقابة الصحفيين] ، الى الفريق محمد الجمسى وزير الحربية فى حوار بالتليفزيون اذيع اخيرا ... حتى المادة التى سجلها للتليفزيون بعد ذلك عدد من المصورين والمخرجين لم تستخدم الا نادرا ، وفى الوقت الذى يملك التليفزيون أكبر مجموعة من الكفاءات والمعدات [بالقياس الى الاجهزة الفنية الاخرى فى مصر كالمركز القومى للافلام التسجيلية ، ومركز الافلام التجريبية] جاءت وثائق عن حرب اكتوبر ضعيفة وهزيلة ونادرة .

وفى الوقت الذى ارتفعت موجات النقد والبحث عن طريق لعلاج التليفزيون فى عامى ١٩٧٤ ، ١٩٧٥ وحتى الان نجد ان البحث لايتعدى الهامشيات ، ويكفى دليلا على هذا ان العلاج المنشود الذى وضعه [بعملية فصل القنوات] تناقضت الاراء فيه مابين انه جاء لتجويد البرامج الى مجرد اتاحة فرصة اختيار اوسع للمشاهد ، لقد ترك التليفزيون اخطر قضايا المجتمع المصرى وادار لها ظهره ، وهو ما حدث فى قضايا التنظيم السياسى ، والديمقراطية ، وبرغم تفاوت المد والجزر فى الحوار حول ورقة اكتوبر ، وتطوير الاتحاد الاشتراكى والعودة للاحزاب او تعدد المنابر ، والمؤتمرات السياسية التى عقدت فى كل مكان ، ومؤتمرات شباب الجامعات ، ومناقشات مجلس الشعب ، والانفتاح الاقتصادى ، كل هذه الامور كان موقف التليفزيون منها هو الصمت او اذاعة الاخبار المقتضبة ، فما هو الدور الذى يتصوره الجهاز لنفسه ؟ هل هو دور هامشى يكتفى بالاعلام عن طريق الخبر الذى يلقيه للمشاهد فى كل نشرة او موجز ؟ هل هو جهاز [متفرج] على المجتمع ؟

وحتى اذا افترضنا ان تلك هى مهمته فاننا سنجد انه لايؤديها بأمانة ، لانه فى الوقت الذى نقل فيه التليفزيون الامريكى لمشاهديه الانتصار الكبير فى فيتنام بتفاصيله كما نقل لهم حكاية مسرحية [يحيا الوفد] فى مصر لم ينقل التليفزيون المصرى مثلا هذه الاحداث ، ولم يهتم بعمل تحقيق عن قرية [بهوت] التى اكلتها النيران كلها او عمارة البيسومى التى انهارت فى الدقى .. وكلها احداث فى مصر او قلب العاصمة ، والحديث هنا يتضمن الخدمة الاخبارية المجردة ولا يتطرق الى فهم الريبورتاج التليفزيونى المتطور عالميا بدرجة هائلة ، وبطبيعة الحال فان مناقشتنا عن التليفزيون ودوره فى التعليم او التثقيف غير ذى بال ، ان التليفزيون لم يتقدم مرة ليقود حملة ضد احدى سلبيات المجتمع المصرى ، لم يضع فى حسابه أن يكون له دور اساسى فى محاربة الامية ، لم يتبن قضية عادلة واحدة ، فما هو دوره فى المجتمع ، وما اصل تناقضاته ؟

لقد اصبح التليفزيون جهازا بلا ملامح للاسباب الاتية :

اولا : التناقض الموجود بين جهاز التليفزيون كجهاز خدمات ، وبينه كجهاز للربح الفردى ، وتنبع اسباب هذا التناقض من فكرة انشاء التليفزيون اساسا .. فقد كانت المعايير المختلفة التى قننته للعاملين فى التليفزيون معايير خاطئة من حيث لائحة الاجور للعاملين المعينين داخل الجهاز ، والتى لم تفرق بين الاداريين والفنيين ، وبالتالى تلتقى شأن العامل الفنى الذى لايقل عن مثيله فى السينما ولم تعترف بجهده الزائد ، او وقته الذى تحدده مواعيد الحضور والانصراف ، او حاجته الى تنمية ثقافته الفنية ، وبذلك تساوى المخرج بموظف الاستعلامات .

ب : الاستثناءات التى حصل عليها بعض المتعاملين مع الجهاز من خارجه ، وعلى الاخص الممثل الذى يحصل على اربعين جنيها فى النصف ساعة مثلا ، وبينما قد يصل مجموع ما يحصله فى شهر واحد ثلاثمائة او اربعمائة جنيه يحصل المخرج الذى يقود الممثل ويتولى مسئولية العمل كاملة على خمسة وعشرين جنيها كموظف درجة سادسة او سابعة

ثانيا : التناقض الفكرى الذى حملته تلك المعايير المتناقضة فى التعامل مع العاملين فى الجهاز ، وما خلقته من خلل فى فكرةالعدالة والمساواة باعتبارها توافق على وجود من يربح فرديا على حسب طاقته بجانب من هو معين وتنطبق عليه شروط جهاز الخدمات فى المجتمع الاشتراكى .

ثالثا : الفساد البيروقراطى الذى انتقل الى الجهاز بعد انشائه مباشرة ، حيث يمكن تحديده فى هجوم [المصالح الخاصة] على هذا الجهاز الجديد ، ومحاولة نهشه منذ البداية فى ظلظروفه التي سمحت بكم كبير من الانتاج ، ومن الربح ، وبينما بقى المعينون فى الجهاز والصغار منهم يحاولون صنع مستقبل فنى كانوا يفاجأون كل يوم بسقوط العديد من الاشخاص على الجهاز من السينما والمسرح والاذاعة دون ما حدود تسمح او تضع ضوابط لعمل او طاقة كل هؤلاء الوافدين .وينسحب هذا على صغار العاملين فى الجهاز وكبارهم الذين بدأوا هجمة مضادة للفوز بشىء مما يأخذه الاخرون ، وتحول الجميع الى ممثلين حتى كتاب الالة الكاتبة ، والمخرجين ايضا ، وليس مهما كيف المهم الظهور او [المرور] امام الكاميرا فى لقطة صامتة او ناطقة ، والحصول بعدها على نقود تضاف للمرتب وكانت النتيجة ان اختلط الحابل بالنابل ، ولم يعد معروفا كم يستوعب الجهاز من طاقات ، وكيف يتفاوت العمل بين تعيين ومكافآت ثابتة ومؤقتة وبنود اخرى كثيره ، بالاضافة الى ما اصبح يراه العاملون من تغيير قيادات ومجىء قيادات ، بلا اية اسباب موضوعية او سلبية ، واحتلال او تفز العديد الى مناصب قيادية بلا مؤهلات وكفاءة حقيقية .

رابعا : توقف امداد الجهاز تكنيكيا بالاجهزة الحديثة ، وتعويض التالف ، وتعذر الحصول حتى على ابسط مواد العمل . .....

وكان كل هذا كافيا ليخلق تصدعا يشمل العنصر البشرى فى الجهاز ، وهو اهم ثرواته .. فمات الحد الادنى من الفهم الذى بدأ به التليفزيون كجهاز خدمات ، واستجدت ظواهر الفساد فى الامور التالية :

ان العاملين المعينين امام احساسهم بالغبن وخاصة المخرجين ، لم يعودوا الى الاهتمام بالجانب التقنى فى العمل فى كل الوانه من منوعات الى دراما الى تسجيل واخبار .. ففى غياب حافز حقيقىللعمل ، وتسلقالطفيليين الى احسن الفرص ، واختلاط المعايير فى الحكم على الفنان ، فى ظروف مثل هذه سقط الكثيروناخلاقيا ليشاركوا فى تيار الربح الحرام المقتطع من اجر الممثل نفسه حتى اصبحت تلك العمولة امرا مفروغا منه ، وبنفس الطريقة انفلتت السيطرة على كلالعاملين فى جهاز العمل حيث يملك اصغر عامل اضاءة ان يعطل العمل اذا لم تتح له فرصة المرور امام الشاشة ، والحصول على اجر طبقا لذلك .. وبالتالى يتنازل الجميع عن مقومات العمل الفنىومستواه ليشاركوا الكومبارس فى اى تمثيلية ، وبغض النظر عن المؤهلات الفنية لهم .

فاذا نظرنا لازدواج تبعيةالعاملينفى العمل الفنى الى جهازين هما هيئة التليفزيون ويتبعها المعدون والمخرجون ، وهيئة الهندسة الاذاعية ويتبعها العاملون على الاجهزة نفسها لادركنا كيف تحول العمل فى الجهاز الى غابة من التعقيدات تزيدها سوءا غياب المحاسبة والرقابة على الاموال العامة فماذا حدث ؟

التليفزيون.وتيار الانتاج الخاص

① هربت الكفاءات الفنية المصرية الى التليفزيوناتالعربية ،وبذلكيسهم الفنيون [الاعلاميون] فىزيادة نزيف الخبرات فى المجتمع المصرى . الى جانب مجموعة الكفاءات صاحبة القضية الشهيرة ،والتى لم تعد برغم تصريحات وزير الاعلام ، ورغم انبعضها عاد بالفعل، ولكنموقفها للان ليس واضحا .

② كان البديل للكفاءات الهاربة هم الاقل كفاءة ، والاكثر بحثا عن الفرص بأى طريقة ، وبذلك هبط مستوى البرامج

③ ظهور تيار مضاد لمفهوم الخدمات ، حيث يصبح الانتاج الخاص والربح هو المفهوم البديل ، وهو تيار ينمو بقوة الان ، ولقد كانت بدايته مع انشاء مراقبة البرامج السينمائية التى تتبع القطاع الاقتصادى ، وتقدم اعمالادرامية طويلة وقصيرة وحلقات بعيدا عن تخطيط المراقبات والبرامج ، وبحيث تتعامل بأجور خاصة مع العاملين فى تلك المراقبات ، ومع الفنانين من خارج التليفزيون ، وبذلك فتح [شباك الجنة] فى التليفزيون ليطل منه المحظوظون الذين تتاح لهم فرصة اخراج عمل [للدورة]

وكان المنطق المعلن ان هذه المراقبة تنتج اعمالا للتصدير الخارجى ولذلك فهى لاتبخل بدفع ميزانية كبيرة تضمن للعمل حدا ادنى من الجودة يضمن بيعه وهكذا .. ولكنها كانت فى الحقيقة [حصان طروادة] الذى فتح حكايات الربح عن طريق الانتاج الخاص ، والذى وصل الى حد تكوين افراد من العاملين بالتليفزيون شركات انتاج خاص تؤجر الاستديوهات التي تعمل فيها [رسميا] لتصوير تمثيلية او حلقات ثم تبيعها الى نفس جهاز التليفزيون ، اى ان المخرج والعاملين والاستديوهات والمعدات وكل شىء تابع للتليفزيون ومع ذلك يشترى العمل لانه حصل على اجر الاستوديو .. وهكذا يتعامل العاملون المبثون بوجهين، وجه [ميرى] بالنسبة للاعمال التى يمولها التليفزيون مباشرة ، ووجه [خاص] بالنسبة للمنتجينالخصوصيين، وبالتالى يضمر الاول على حساب الثانى، ويتعطل العمل فى [الميرى] ، وتتضاعف مدة تصويره ، ولا يستطيع احد ان يحاسب احدا على الوقت والمال الضائعين بينما لايحدث هذا مطلقا فى الانتاج الخاص لان هناك من يحرس امواله ...

ومن باب الانتاج الخاص ، دخلت الى التليفزيون مجموعة من تجار الثروات ، والذين دخلواالسينما من قبل فافسدوها الى جانب ان البلاد العربية التى كانت تشترى انتاج التليفزيون المصرى بلجان خاصة تحقق مستوى معينا من مستويات العمل الفنى ، وجد تجارها ان الانتاج الخاص على ارض مصر ، وفى قلب التليفزيون المصرى ، وبفنانى مصر ، وبأدوات واجهزة تليفزيون مصر ، شىء أفضل لان قاعدة الاختيار أوسع بالنسبة للمادة نفسها كما ان التكاليف ارخص ، ففعلوا هذا ، ثم قرروا ان يكون الانتاج فى ستديوهاتهم بعد ان تم استكمالها ، وبفنانى مصر وفنييها وكتابها ، وبذلك ساهمت تلك السياسة الاقتصادية فى ان يفقد التليفزيون باستمرار ثروته البشرية والفنية والمادية ، وهو وضع يؤدى على المدى البعيد الى الطريق الذى تسلكه السينما المصرية الان حيث تركت للانتاج الفردى ، وتحولت المؤسسة الى جهاز سلفيات للتجار وادعياء الفن .. [-]

ماجدة موريس

فى العـــدد القـــادم

ملحــق

الفلســـــفة والعـــــلم



□ عن مؤتمر حظر انتشار الأسلحة النووية

الدكتــور ابراهيــم حمــودة

□ المــرأة فى المجتمع الاســلامى العصرى

الدكتور محمد أحمد خلف الله

□ نظـرات اســلامية فى التـكنولوجيــا

الدكتور محمد عزيز الحبابى

□ أيديولوجيــا النــازية وقضــايا العصر

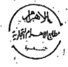
الدكتــور مــراد وهبـــه

□ الغــريزة هى البــداية ·· ولــكن

الدكتــور نظــمى لوقــا

□ مكانة الفلســفة فى مجتمــع اشــتراكى

نيقـــولاى ايريباجاكــوف



الثمن ١٥ قرشا

عدد
خاص

السنة الحادية عشرة
أغسطس ١٩٧٥



ملحق
الفلسفة والعلم

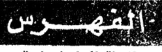
هذا الشعب «الصغير»
وثورته «العملاقة»

مكتب التنسيق • وطوفان الاستقالات

لا • لمجلس الشعب

عرب ٧٤ – عرب ٧٥

ملحق
الادب
والفن



العدد الثامن ـ السنة الحادية عشرة ـ اغسطس ١٩٧٥

الطليعة

طريق المناضلين الى الفكر الثورى المعاصر

مجلة شهرية

تصدر أول كل شهر

رئيس التحرير :

لطفى الخولى

مدير التحرير :

ابو سيف يوسف

سكرتير التحرير :

مصطفى سامى

المحررون :

حسين شعلان

خيرى عزيز

د. رفعت السعيد

عبد المنعم الغزالى

فاروق عبد القادر

وديع امين

د. محمد الخفيف

شارك فى تاسيس الطليعة

واسرة تحريرها

يناير ١٩٦٥ ـ مارس ١٩٧٢

ان [الطليعة] ميدان مفتوح لكل راى حر وفى اعتقادنا ان تفاعل الاراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع ان يبلور ويستخلص وحـدة فـكرية اصيلة .

من هذا المفهوم تفتح [الطليعة] صفحاتها لكل راى لديه كلمة يقولها ـ مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى اطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر [قـد اختلف معك فى الراى ولـكنى على استعداد لان ادفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رايك] ..

كلمـة من « الطليعـة »

عزيزى القارىء ..

فى أول الشهر الماضى ـ يوليو ـ تمكنت« الطليعة » من أن تطرح لك ١٠ آلاف نسخة زيادة عن كل عدد . وكنا قد طرحنا منذشهور ، عدة آلاف أخرى . لكننا نعترف ـ رغم ذلك ـ اننا لم نتمكن فيما يبدو من تلبيه رغبات كل القراء فى الحصول على ما يريدونه من نسخ خافيه . فقد تلقينا عددا من الرسائل تفيد ذلك . وفى احدى هـذه الرسائل يقول محمد عبد الوهاب حسن « مكتب توزيع الصحف ـ قنا » : « هنا .. فى مدينة قنا ، لا يصل الينا من أعداد الطليعه سوى ٨ أعداد زادت فى شهر يوليو الحالى ـ بعد الشكوى ـ الى ١٥ عددا . وبالرغم من عملى فى مكتب توزيع الصحف واقوم بتوزيعها بنفسى فانى حتى آخر لحظه اكون خائفا من الا أظفر بعدد من الطليعة . فالطلب عليها كثير وكثير جدا . والثمن يدفع مقدما بفترة طويلة . البائعون يتصارعون على هذه الاعداد المحدودة . لان كل عدد يحصل عليه ، يعنى عنده أنه سوف يكسب زبونا طوال الشهر يشترى منه كل مايريد من الصحف والمجلات الاخـرى . صدقونى ان الطليعة تسبب منافسة لا حدلها .. الخ » .

وربما كان لنا راى اخر يختلف عن رأى « البعض » في ان طبع آلاف أخرى اضافية « عملية غير اقتصاديه » نظرا لارتفاع أسعار الورق .. الخ . لكننا نعتقد انك ــ ياعزيزى القارىء ـ قادر على مشاركتنا فى البحث عن حل لهذه المسألة . وربما كان توفير عدد من الاعلانات ـ التى لا تختلف مع السياسة العامة للطليعة ـ جزءا من الحل . الا ان اقتراحاتك ايضا ـ فى هذا الصدد ـ سوف تفيدنا دون شك . ونحن فى انتظـارها لدراستها مع بقيه الاقتراحات التى وصلتنا خلال الشهر الماضى .

عزيزى القارىء .. تحياتنا لك مع خالص التقدير والشكر .

« أسرة تحرير الطليعة »



هـذا الشـعب «الصـغير»
وثورتـه «العمـلاقة»

ماذا بقى فى جعبة التحالف الامبريالى ـ الصهيونى ـ الرجعى ، من أسلحة لم يجرب استخدامها ، فى محاولات متكررة ، من أجل ابادة الشعب الفلسطينى وخنق ثورته المعاصرة التى انطلقت ـ بتواضع بشرى وطموح ثورى ـ فى الفاتح من يناير ١٩٦٥ ؟

اننا نتجاوز الالام والجراح والمشاعر الذاتية ، لنطرح هذا التساؤل ـ اليوم ـ بأقصى قدر من ضبط النفس والالتزام بالموضوعية •

لكن •• لماذا « اليوم » ؟

نجيب : بعد أن خمد ـ ولو الى حين ـ ذلك الجحيم الذى فجره فى لبنان « الزبانية المتآمرون » ، على نحو جنونى ، راح يتصاعد فى حقده ويأسه ، حتى بلغ ـ فى بعض المواقع والاوقات ـ درجة شمشونية . « على وعلى أعدائى ! » • وذلك على مدى ثلاثة اشهر كاملة بلا انقطاع « ابريل ـ يونيو ١٩٧٥ » .

كل الدلائل التى تكشفت ، ويتوالى تكشفها من تحت رماد حريق الدم ، تقطع بأن « الزبانية المتآمرين » استهدفوا فى لحظة مخططة ـ رجحوا أنها مواتية تاريخيا ـ محاصرة الوجود الفلسطينى وثورته فى وسط القوى الوطنية والتقدمية اللبنانية ، بدوائر متلاحقة مكثفة من النيران ، والاقدام على « شيها » : انسانا وتنظيمات وحركة •

وعندما نستخدم كلمة « الشى » ـ هنا ـ فنحن لا نتعاطى التعبير المجازى فى اللغة • وانما نقصد ـ بدقة ـ المعنى الحرفى للكلمة وترجمته السياسية : « العنف الارهابى » •

ومع ذلك ••

وعلى الرغم من ضخامة ترسانة الاسلحة التى أشعلت أتون الجحيم •• وعلى الرغم من أن الحصار كاد يطبق من حول الثورة وحلفائها •• وعلى الرغم من « السكوت

العربى » الذى بلغ حد التفرج « واللامبالاة الفعلية » فى صور متعددة من « المبالاة الكلامية » ..

نقول : على الرغم من هذا كله فان « الزبانية المتآمرين » لم يحققوا أهدافهم البربرية . وأكلت السنة الجحيم منهم – فى النهاية – أضعاف ما استطاعت أن تلتهمه من لحم الثورة الفلسطينية والشعب اللبنانى ، ومن تحالفهما النضالى .

وخرج من المعمعة ، اقوى تنظيما واصلب عودا ، أولئك الذين تعلموا من القتال اليومى ضد عدو أمتهم العنصرى فى القدس وتل أبيب وحيفا .. ومن السير بمهارة وسط حقول الالغام العربية ، التلاعب – بصبر وثبات – مع الاخطار ، تلاعب الخبراء مع الافاعى السامة .

هل هى المعجزة ؟

لا .. هى الثورة

● ● ●

فى سبتمبر [أيلول] ١٩٧٠ ، أشعل « الزبانية المتآمرون » حمام الدم الشهير فى الاردن ، وأعملوا القتل والابادة الجماعية فى صفوف الشعب الفلسطينى وثواره ، على النسق الامريكى المعروف ضد الهنود الحمر . حتى لم يسلم من سكين الجزار الطفل الرضيع والشيخ الكسيح والمرأة الحامل . وخسر الشعب الفلسطينى الصغير ، الذى لايزيد تعداده عن ثلاثة ملايين نسمة الا قليلا ، أكثر من عشرين الف شهيد وجريح . فضلا عن مئات من أصلب الكوادر والقيادات على رأسهم المناضل الفذ « أبو على اياد » . وكادوا أن يجزوا رقاب قادة آخرين مثل « أبو جهاد » و « أبو اياد » و « أبو اللطف » . واعتقد « الزبانية المتآمرون » فى واشنطون وتل ابيب وعمان ، أن « أيلول الاسود » هو مقبرة الثورة الفلسطينية .

ولكن اذا « بالثورة » تحرك ، بقوتها وصمودها ، جماهير الوطن العربى لتشكل درعا شعبيا للحماية ، ولتضغط على النظم العربية على مختلف اتجاهاتها والتى كانت تتفاوت فى مواقفها السلبية من المجزرة – لعقد مؤتمر قمة عاجل فى القاهرة . وتمكن « أبو عمار » أن يخترق حصار الزبانية المتآمرين فى الاردن ، ليصل الى المؤتمر . ويقف ، باسم شعبه الصغير الصامد وثورته الفدائية ، موقف الاتهام الفاضح للمؤامرة .. وموقف الاتهام الكاشف للسلبية العربية من المجزرة .

وكسبت الثورة الفلسطينية ، أولى معاركها السياسية الكبرى فى الساحة العربية – الفلسطينية – الدولية ، وهى مابرحت على خمس سنوات من العمر النضالى . ولكنها – قبل ذلك وبعده – كسبت نفسها وشعبها نهائيا ، وعلى المدى الاستراتيجى . وعمدت الى اسلوب المحافظة على الكادر وتطوير امكانياته المادية والمعنوية . وتنميته ، كما ونوعا ، وذلك من خلال « بيات شتوى » قصير الامد ، زخر بالنقد والنقد الذاتى ، وزيادة المعرفة الثورية عمقا بجدلية العلاقة بينها وبين حركة التحرر العربى ، وبجدلية المعركة بينها وبين العدو الصهيونى والامبريالية العالمية وحلفائهما من الرجعيين المحليين . وانتهت الثورة من ذلك كله الى اختيار مواقع جديدة لنضالها المسلح والسياسى ، جغرافيا واجتماعيا .. والى ان تنأى عن طرح – ذاتها وقوتها – « بديلا » عن حركة القوى الوطنية والتقدمية فى أى واقع عربى ، وانما حليفا استراتيجيا فى اطار حركة التحرر العربى .. والى التأكيد على أن عموميتها

العربية القومية ، لا يجب أن تطمس خصوصيتها الفلسطينية • أو أن تنسلخ بالخصوصية عن الجوهر القومي التحرري العام •

وبقدر ما انسحب النظام الاردني – بعد ايلول الاسود – الى العزلة ، بقدر ما تقدم الشعب الفلسطيني وثورته الى مركز اقوى ، مكنهما من مضاعفة وزنهما السياسي – عربيا ودوليا – ومن تشديد الضربات المسلحة الى العدو ، محليا وعالميا .

هل كان الانتصار على أيلول الاسود «معجزة» ، أيضا ؟

لا • • كان ثورة

● ● ●

بعد حرب اكتوبر ، وماسجلته الجيوش العربية النظامية – لاول مرة في تاريخ الحروب العربية الاسرائيلية – من انتصارات تكتيكية ذات وزن ضد الجيش الاسرائيلي • بدأ « الزبانية المتآمرون » يعزفون على نغمة أن حرب أكتوبر النظامية ، كشفت عن عدم اهمية حرب العصابات في الصدام مع اسرائيل • وبالتالي فان « الثورة الفلسطينية » ، كحركة تحريرية تعتمد على حرب العصابات ، قد فقدت مبرر وجودها ، سواء في ميدان القتال أو في الميدان السياسي • وعليها – بالتالي – أن تلحق نفسها بالجيوش العربية النظامية ، استعدادا للحرب الخامسة ، اذا انفجرت • أو أن تذوب في أحد الوفود العربية – ويفضل الوفد الاردني – اذا ما انفتح الطريق الى مؤتمر جنيف • والا فانها معرضة لخطر فقدان كل شيء •

وهذه النغمة الامبريالية – الصهيونية – الرجعية ، تجاهلت عن عمد حقيقة اساسية من حقائق حرب اكتوبر • وهي أنه بجانب جبهتي سيناء وجبهة الجولان ، فتحت الثورة الفلسطينية « جبهة ثالثة » في قلب العدو داخل العمق الاسرائيلي • وقد اعترف المعلقون العسكريون الاسرائيليون بأنه على الرغم مما سببته جبهة الثورة القتالية لاسرائيل من آلام وخسائر ، فان السلطات الصهيونية كانت مكرهة على أنزال ستار الصمت عليها طوال أيام القتال ، حفاظا على الروح المعنوية في المجتمع الاسرائيلي •

ومع ذلك فان الثورة الفلسطينية لم تلجأ في مواجهتها لفكرة « الزبانية المتآمرين » بتصفية الثورة من أجل قطعة عظم ، بالتذكير بأعمالها القتالية في « الجبهة الثالثة » ، أو مشاركتها في جبهة الجولان • وانما بادرت الى « الفعل » على المستوى العسكري والسياسي معا . وذلك على نحو مكثف ومخطط بذكاء ، يكشفان عما بلغته الثورة من نضج وقدرة •

وبات واضحا ، بسلسلة من العمليات العسكرية – ذات الوزن الاستراتيجي – مثل معالوت وكريات شمونه وفندق سافوي وثلاجة القدس الخ •• ان حرب العصابات للثورة الفلسطينية لها جذورها العميقة التي لا يمكن اقتلاعها من الصراع العربي – الاسرائيلي • ولها بالتالي وظيفتها المميزة ومهامها الفلسطينية الخاصة التي لا تجبها وظائف ومهمات الجيوش العربية النظامية أو مؤتمر جنيف ودبلوماسية الخطوة خطوة •

وفي نفس الوقت ، اختطت الثورة الفلسطينية لنفسها – على المستوى السياسي – وسط أعاصير الساحة العربية والساحة الدولية ، خطا واضحا في استقلاله وثوريته • وهو أن الشعب الفلسطيني بافرازه لثورته المسلحة

المعاصرة ، قد انهى — والى الابد — ذلك « التفويض التعسفى » الذى أجبر عليه — منذ هزيمة ١٩٤٨ — لهذا النظام العربى أوذاك . وان « منظمـــة التحـــرير » التى ارتضاها الشعب المكافح الصغير — بكل اتجاهاته وتنظيماته وفصائله فى الداخل والخارج — البنيان السياسى الفوقى ،المعبر عن مرحلة النضال الراهنة ، هى الممثل الشرعى والوحيد .

وتمكنت الثورة من أن تفرض هـذه الحقيقة — بالدم والعرق السياسى — على مؤتمر القمة العربى وعلى الامم المتحدةمعا .

وتحول عام ١٩٧٤ من عام التصـفية السياسية للثورة الفلسطينية وأداتها التنظيمية الوطنية ، الى عام فلسطيـن ،عربيا ودوليا .

مرة اخرى .. هل كانت معجزة ؟

لا . . كانت ثورة

● ● ●

فى مرحلة من المراحل ركز العـدو الامبريالى — الصهيونى — الرجعى ، على استخدام سلاح الارهاب الفردى ضد قادة ومنـاضلى ومفكرى الثـورة وذلــك باصطيادهم وقتلهم — غيلة وغدرا — فـى مواقعهم النضالية أو فى أماكن عملهم أو فى حجرات نومهم . مستهدفا من ذلك أمرين :

● الارهاب العام للثورة ومحيـط تواجدها ، بما يزعزع من ثقتها بأمنهـــا وقدرتها على حماية نفسها فى مواقعها فضلاعن حماية غير الفلسطينى فى هذه المواقع . الامر الذى يربك من خططها وحساباتها ،ويبذر بذور الشك فى صفوف المناضلين ويوتر من علاقات الثورةمع أهل المحيط وشعبه .

● الارهاب الخاص للمناضـــلين ، مـنحيث الايهام بقدرة العدو على الوصول الى أشخاصهم فى مكامنهم .. يخترق العاصمةبشوارعها وحواريها الى مساكنهم وحجرات نومهم ويصفيهم جسديا . الامر الذى يجعل المناضل يركز جانبا كبيرا من وقته وجهده لتأمين حياته وحيـــاة أسرته ، وذلك علىوذلك على حساب كفاحه المسلح ضد العدو

وتمكن العدو بالفعل ، من ان ينسف ويقتل المناضلين غسان كنفاني وكمال ناصر وكمال عدوان ومحمد يوسف النجار ، وغيرهم .

بيد انه فشــل — رغـم العـــديد مـن المحاولات — فى أن يمد ارهابه الى الرؤوس التى كانت تحتل قائمته الارهابية : أبو عمار وابو اياد وابو اللطف وابو جهاد وابو السعيد وجورج حبش ونايف حواتمه وغيرهم .

ولم يقف الفشل عند هذا الحد ، بل تعداه الى فشله فى حماية سياج أمنه الداخلى ، حين اقتحمته ، ببسالة ، مجموعةفدائيةالىفندق سافوى فى قلب تل أبيب . وذلك فى الذكرى الثانية لاقتحام كوماندوز العدو ،العاصمة اللبنانية ، الى مساكن كمال عدوان والنجار وكمال ناصر . وتوالت بعد ذلكعمليات الثـــورة التى عصـفت بالامن الاسرائيلى ، على نحو صار معه العيش فىظل الـكيان الاسرائيلى وجيشه ، مخاطرة يومية بالحياة .

هل كانت هذه ـ مرة رابعة ـ معجزة ؟

لا ٠٠ كانت ثورة ٠

● ● ●

فى الستينيات ، حين أثار تحرك اسرائيل التوسعي للاستيلاء على مياه نهر الاردن والحصبانى ، القضية الفلسطينية والخطر الاسرائيلى على العالم العربى ، بجميع أنظمته ٠ وتنادت البلدان العربية الى مؤتمرات القمة لبحث الموقف ومواجهة التحرك الاسرائيلى ، كانت أقصى القوى تقدمية فى العالم العربى ، تنقسم الى اتجاهين :

● اتجاه ، مثلته مصر بزعامة جمال عبد الناصر ، ينطلق ـ فى صراحة ـ من نقطة أنه ليس لديه خطة جاهزة لتحرير فلسطين قادرة على مواجهة العسكرية الاسرائيلية . وان الامر يستلزم ـ وقتا وجهدا مشتركا ـ لوضع مثل هذه الخطة ودعمها بامكانيات التنفيذ ٠

● اتجاه آخر ، مثلته سوريا بزعامة أمين الحافظ كقيادة قطرية ـ وقتذاك ـ لحزب البعث ، يرى أن فى الامكان مواجهة العسكرية الاسرائيلية وهزيمتها فى ساعات محدودة ، اذا ما تحققت الوحدة العربية ٠ وبالتالى فتحقيق الوحدة شرط لازم وسابق على التصدى لاسرائيل ٠

بيد أنه خارج هذا الاطار كله ٠٠ وفى قلب الشعب الفلسطينى الصغير ، المشرد والمطارد داخل اقاليم وطنه العربية وفى دروب العالم كله ، كانت تختمر ، فى أحضان التراث النضالى للشعب المطحون ، « عاصفة فتح » ، نواة الثورة التحريرية المعاصرة ٠ وما أن هل عام ١٩٦٥ ، حتى اطلقت « فتح » بجسارة تاريخية رصاصة الثورة الاولى فى صدر العدو ٠ وحين عاد فدائيو عملية البيان رقم واحد من فلسطين المحتلة ، سقط « محمد موسى » ، أول شهيد للثورة ، برصاصة « أردنية » على الحدود ٠

ومنذ ذلك الوقت والى ما قبل معركة الكرامة الشهيرة فى مارس ١٩٦٨ بعد هزيمة ١٩٦٧ ، واجهت الثورة الفلسطينية الوليدة العسف والتنكيل ، وحل قادتها ومناضلوها ضيوفا على جميع السجون العربية ، بلا استثناء تقريبا ٠ وهوجمت الثورة على أساس أنها مجرد تمرد عفوى قصير النفس تارة ، أو مغامرة مثقفين وطنيين متحمسين مآلها الفشل تارة أخرى ، أو تحرك دينى متهوس يعمل رديفا موضوعيا للثورة المضادة والاستعمار فى المنطقة تحت راية فلسطين تارة ثالثة ٠

لكن « فتح » ، صمدت ٠٠ وأخذت تقوى وتنمو وتضرب جذورها عميقا فى الشعب الفلسطينى والشعب العربى كله ٠ وتغدو ـ من خلال تفاعلها النضالى مع المعطيات السلبية والايجابية لهزيمة ١٩٦٧ ـ الجسم الصلب للثورة الفلسطينية بفصائلها المتعددة ٠ وتتحول الثورة ، بفاعلياتها ومبادراتها ، الى عمود فقرى لحركة التحرر العربى المعاصرة كلها ٠ وتحتل بجدارة مركزها الطليعى فى حركة التحرر العالمية المتحالفة مع حركة الانسانية التقدمية وثوراتها الاشتراكية ٠ ويزداد وزنها السياسى حتى تصبح « ندا » للنظم العربية فى جامعتها ٠ وتقتحم فى ١٩٧٤ ـ قبل أن تستكمل العام العاشر من عمرها ـ الامم المتحدة وساحة الشرعية الدولية ٠ وتسجل لحركة التحرير العالمية أول نصر سياسى من نوعه ، عندما تنتزع قرارا دوليا « بعضوية مراقب » فى الامم المتحدة ٠

للمرة الخامسة ·· هل كان هذا معجزة ؟

لا · · كان ثورة ·

● ● ●

المعجزة ، افراز معنوى ، لاساطير غيبيةلم تقع أحداثها فى واقع التاريخ وحركته ، وانما نسجها وجدان التاريخ الانسانى ــ بالالم والامل ــ خلال أحلامه · ونسبها الى قديسين ، او أنبياء ، او ابطال فوق مستوى البشر ·

اما الثورة ، فهى افراز معنوى مـادى،لتناقضات واقع معين فى عصر محـدد ، يواجه تحديات كامنة وظاهرة ، تسـتلزم الحسم الجذرى · وذلك للانتقال بحالة هذا الواقع ــ من خلال نضال انسانى متعدد المراحل ومتنوع الاشكال ــ الى واقع اكثر تقدما من الناحية الكيفية · وتنتسب دوما الى حركة انسانية منظمة ذات برنامج فكرى سياسى وادوات كفاحية ، توجه تكتيكاته فى خدمة استراتيجيته واهدافها البعيدة المدى ·

من هنا ، تكون ثورة الشعب ــ دوما ــ أقوى من معجزة الاساطير · فـالمعجزة « حلم » يتحقق فى الخيال ويشبع الوجدان روحيا · أما الثورة « فحلم » يتجسد فى الواقع ، ويغيره هو والانسان الثورى ، الى واقع افضل والى انسان يملك قدره ومصيره ·

● ● ●

والثورة الفلسطينية المعـاصرة كانت ــ وما تزال ــ فى كيانها وحركتها ، أقوى من المعجزة ، لانها باختصار وبتعبير غيـر حماسى : **ثورة عملاقة** · أو بتعبير آخر ثورة غير عادية أو غير مسبوقة فى تاريخ حركات التحرر الوطنى ·

كيف ؟

لا يرجع ذلك فحسب ، الى أنها تولدت من أحضان شعب من أصغر شعوب المنطقة ، فى مواجهة أعتى واكبر قوة عسكرية عدوانية فى المنطقة . تمكنت ، رغم كل المؤتمرات ، أن تظل صامدة نامية ضاربة ، على مدى يزيد على العشر سنوات · بل أن هذه الثورة استطاعت أن تتبلور وتشق طريقها خلال شعب مشرد · يعيش أكثر من ٧٠ فى المائة منه خارج وطنه متناثرا فى كل أنحـاء العالم · ومن تجمع منه فى الوطن العربى ، عاش فى مخيمات هى ــ بالدقة ــ قبـور للاحياء · خططت على أن تكون « بـديلا نهائيا » للوطن المغتصب ، يتخلق فى أجوائها انسان غير منتمى ، خامد راكد مستسلم، ينعب حظه فى ان ولد فلسطينيا ، ليس له من مستقبل الا احد أمرين : اما قتـل فلسطينيته داخل ذاته ، اذا أراد أن يعيش انسانا فى مجتمع عربى . واما ان يظل أسير احسان « الاونرا » [منظمة اللاجئين الفلسطينيين] تمده بكسرة الخبز التى تؤجل ــ لبضع سنوات معدودة ــ موعد موته المقرر سلفا ·

ان الثورة ، التى تندلع من هذا الواقع المر والفريد فى خصوصياته ، وتتمكن من تحويل « سجين المخيمات » الى « انسان ثائر » من أجل تحرير وطنه ، يعيد اكتشاف ذاته وانتمائه الوطنى والقومى والاممى ، ويواصل مسيرة الاباء والاجداد بوعى أعمق وعزم أشد ، ويفرض وجوده فرضا على العدو وعلى المجتمع العالمى الذى تجاهله ما يقرب من عشرين عاما ·· هذه الثورة ، ثورة عملاقة لشعب صغير ·

● ● ●

وهى كذلك ثورة عملاقة ، ليس فقط بسبب أنها انفجرت واستمرت ــ وما تـزال ــ تواصل نجاحها وتحقق انتصاراتها ، ونواتها ومعظم كوادرها خارج الوطن المحتل · بل

انها - أيضا - أول ثورة تحريرية فى التاريخ الانسانى لا تواجه استعمارا تقليديا [كمصر وسوريا والعراق والهند والصين الخ ...] . أو حتى استعمارا استيطانيا [كالجزائر وروديسيا وجنوب افريقيا] .وانما هى تواجه استعمارا استيطانيا احلاليا فريدا فى نوعه تاريخيا . بمعنى أنه لا يكتفى بتوطين جموعه العنصرية داخل الارض المغتصبة مع بقاء الشعب الاصيل فى الوطن ، وانما هو يطرد غالبية الشعب من وطنه ويقتلعه من جذوره ليحل محله المستوطنين .

لقد استطاعت الثورة ، أن تكتشف ، هذه الحقيقة مبكرا ، وتتصدى - دون معين من خبرة انسانية سابقة - لكل ما يتطلبه التكيف الثورى مع هذه الحقيقة من مهام ، وابتكار الوسائل والطرق الجديدة اللازمة لذلك ،فكريا وعمليا . متحدية فى كثير من الاحيان ما تواضع عليه ، فكر وحركة الثورات التحريرية التقليدية ، من معايير وأساليب .

من ذلك مثلا ، فكر الثورة الاستراتيجى عن **الدولة الفلسطينية الديمقراطية العلمانية** ، كبديل عن الدولة العنصرية الاسرائيلية . وتمييزه بين الكيان الصهيونى وبين الاسرائيليين كبشر ومواطنين ،يتساوون فى الحقوق والواجبات مع كل مواطنى الدولة الديمقراطية .

من ذلك ، أيضا ، اعتبار الامتداد الصهيونى خارج اسرائيل ، اهدافا حيوية للثورة وخاصة فى سنوات الثورة الاولى عندما كان هناك نقص فى الكادر المدرب تدريبا عاليا على حرب العصابات ،والتركيز فى وقت من الاوقات على خطف وتدمير الطائرات ، باعتبار أنه أسرع وافعل الوسائل فى زرع « القضية » فى حقل المجتمع العالمى بحيث تظل تؤرق أمنه وضميره ، فضلا عما تسببه من خسائر مادية ومعنوية للعدو . حتى اذا ما استنفد هذا الاسلوب غرضه ، توقفت الثورة عن استخدامه .

من ذلك - ايضا - حرص الثورة على عدم دفع شعبها فى الارض المحتلة الى القيام بتحرك نضالى قبل أن تنضج الظروف الموضوعية لذلك ، حتى لا تودى بـه فى مغامرات تعصف به قبل أن يستكمل بناء تنظيماته وأدواته النضالية الكفؤة . سياسيا وعسكريا .

وهكذا من خلال عمل سياسى صبور ودءوب ، ومن حول خمائر ثورية تم تلقيح شعب الارض المحتلة بها ، أمكن أن يتواجد - فى وقت قصير نسبيا - قواعد ثورية ضاربة عسكريا ، وحركة شعبية منظمة ، لا تتصدى فقط للاحتلال وصنائعه ، بل وتجذب الى صفوفها عددا متزايدا من الاسرائيليين الذين يعادون الصهيونية والامبريالية ، ويجدون فى « الدولة الديمقراطية » حلا انسانيا وتقدميا لكل من القضية الفلسطينية والمشكلة اليهودية معا .

● ● ●

وتبدو عملقة الثورة ، فى قدرتها على المحافظة على استقلالها الفكرى والسياسى ومقاومة كل الضغوط التى تعرضت لها ،بعد حرب اكتوبر ، من أكثر من طرف عربى . وقيامها - من خلال حوار ديمقراطى - الى تكتيل الغالبية الكاسحة من الجماهير الفلسطينية وكوادر الثورة ، من حول « البرنامج المرحلى » الذى تمخض عنه المؤتمر الثانى عشر للمجلس الوطنى الفلسطينى ، باقامة السلطة الوطنية فوق كل أرض تحرر من الاحتلال الفلسطينى ، دون أن تتخلى عن هدفها الاستراتيجى وكفاحها

المسلح • وتوظيف جبهة الاقلية الرافضة ـ صحيا ـ في اطار وحدة العمل الثورى واستمراره • وعدم الانزلاق الى تسوية الخلافات السياسية فى صفوفها بالعنف المسلح ، كما حدث فى معظم ثورات التحرير • وانما من خلال الحوار الديمقراطى ، واختبار صحة وسلامة التكتيكات فى خضم حركة الاحداث المعقدة • وذلك وعيا منها بالطبيعة الخاصة للثورة وظروف تواجدها الاستثنائية والمحفوفة ـ دوما ـ بالمخاطر •

ومن هنا رفضت الثورة ـ بحسم ـ كل المحاولات المشبوهة التى بذلت ، خلال جحيم لبنان الاخير ، الى التفرقة بين فصيل وفصيل ، واطلاق يد « الزبانية المتآمرين » فى ضرب وتصفية المنظمات الرافضة كثمن لاخماد الجحيم ، او التخلى عن تحالفها الاستراتيجى مع حركة القوى الوطنية والتقدمية للشعب اللبنانى والشعب العربى كله ، لقاء التزام بأمان تعاقدى « لمنظمة التحرير » بصفة عامة و « فتح » بصفة خاصة •

• • •

نعم •• شعب « صغير » ، لكن ثورته « عملاقة » باتت تملأ الدنيا وتشغل كل الناس • ولم يكن اعتباطا أنها منذ لحظة ميلادها ، وصفت نفسها بانها « ثورة حتى النصر » • وانما كان ذلك ترجمة لحقيقة المخاض الصعب ، وريادتها التاريخية ، فى المهام والاساليب والاهداف • سوف يغدو نصرها اول نصر ، فى التاريخ الانسانى ، ضد استعمار استيطانى احلالى •

ولن يكون نصرها ، معجزة •

بل ثورة ، ربطت بوعى بين العام والخاص ، بين حركة التحرر العربى والانسانية التقدمية وبين فلسطين •• شقت بشجاعة الثوار وتواضع المناضلين ، طريقها المتميز الى النصر •

اما « الزبانية المتآمرون » فيذهبون جفاء • وأما « الثورة » فتنفع الناس ، تمكث فى الارض : تحررها وتخضرها •

لطفى الخولى

كلمة الطليعة

لا .. لمجلس الشعب

طالعتنا الصحف يوم الثلاثاء ٢٤ يونيو الماضى بموافقه مجلس الشعب على تشريع بشأن تغيير أهم جوانب قانون الاصلاح الزراعى فيما يتعلق بتحديد العلاقه بين المالك والمستاجر. ولعل أهم التعديلات التى ادخلها ممثلو الشعب هى :

● رفع القيمة الايجارية على ألا تتجاوز سبعة أمثال الضريبة الزراعية الحالية .

● جواز تحويل العلاقة الايجارية من النقد الى المزارعة .

● الغاء لجان فض المنازعات واستبدالها بالمحاكم الجزئية .

● جواز طرد المستأجر من الارض اذا ما تخلف عن دفع القيمة الايجارية بعد شهرين من انتهاء السنة الزراعية .

ومنذ صدور الموافقة على هذا التشريع من مجلس الشعب وحتى كتابة هذه السطور ، والحملة ضد هذه التعديلات مستمرة . ليس فقط من المنابر الصحفية التى يتهموننا « بالتطرف » ، بل ومن عدد آخر من المنابر والتى هى أبعد ما تكون عن تطرفنا المزعوم .

والسؤال البديهى اذن هل أخطأ مجلس الشعب فى تشريعه أم أصاب ؟

ولكى تجيب « الطليعة » على هذا السؤال بموضوعية كاملة فانها تعرض بعض الحقائق التالية :

● فيما يتعلق بالسبب الرئيسى لرفع القيمة الايجارية ، وهو زيادة أسعار المحاصيل الزراعية بحيث اصبحت تعطى للمستأجر عائدا اكبر من مساهمته فى العملية الانتاجية بالمقارنة بما يحصل عليه المالك من عائد مقابل مساهمته بالارض ..

ونود أن يعود السيد رئيس لجنة الزراعة والرى الى عدة شهور ماضية ، حيث كان السبب الرئيسى آنذاك لرفع أسعار المحاصيل الزراعية الاساسية هو زيادة التكاليف الزراعية — فيما عدا الايجار — الى الدرجة التى تناقصت معها دخول المنتجين الزراعيين ، وبالصورة التى لا يمكن بواسطتها الاستمرار فى انتاج هذه المحاصيل وتهربهم من زراعتها .. غير ان السيد / احمد يونس رئيس اللجنة يقع فى تناقض واضح فيقرر بما معناه ان زيادة الاسعار ساهمت فى ثراء المستاجرين عن الملاك ، وان المستأجر الان فى رفاهية بينما المالك فى جحيم الغلاء .. ونتناسى فى نفس الوقت وهو رئيس الاتحاد التعاونى المركزى حال غالبية صغار المستاجرين ، وهم القاعدة العريضة لفئة المستأجرين .. وماذا حدث لهم من جراء « الرفاهية او الثراء النسبى » .. ؟ . . هل ازدادت دخولهم الحقيقية .. هل قلت نسبة أميتهم .. هل تغيرت أحوالهم

الاجتماعية والاقتصادية والثقافية بشكل ملموس؟! ..نترك له الرد على ذلك فربما لا يتناسى هذه المرة تلك الحقائق .

● لقد دافع السيد / احمد يونس رئيس لجنة الزراعة والرى ومقدم المشروع باستماتة حتى ووفق عليه ، وفى معرض دفاعه طالب باشتراكية الكفاية والعدل والعدالة وعدم الظلم . واتهم معارضيه من خلال الاسقاط الكلامى بأنه هو الاشتراكى الحقيقى ، وانهم بمعنى آخر انصار التناحر والصراع والكراهية ، بل واعداء الاشتراكية ومن أنصار عهد الارهاب الفكرى.

وتود «الطليعة» أن تسجل موقفه فى الجلسة التاليه للمجلس فى ٥ يوليو والتى نشرت بالصحف يوم ٦ يوليو من اقتراح تقدم به عضو مجلس الشعب عبد الحليم الجندى « وطالب باجراء مداولة ثانية فى التعديلات الخاصة بالقانون ، واقترح العضو الا يكون طرد المستأجر وجوبيا فى حالة تكرار تأخره فى سداد الايجار وانما يترك للمحكمة لانه ليس من المحتم ان كل من يتأخر فى السداد يكون مماطلا فقد يكون بحسن نية » . وفى تصورنا ان حسن النية الذى قصده السيد العضو ، يعود لاسباب خارجة عن ارادة المستأجر ، مثل انخفاض الانتاج أو ضياعه. وهى ظاهرة منتشرة فى الانتاج الزراعى نظرا لتعرضه للاصابة بالامراض او الافات والظروف الجوية غير الملائمة ، بحيث يستحيل معه الحصول على عائد صافى يستطيع من خلاله سداد القيمة الايجارية. ووجد هذا الاقتراح مؤيديه، ومن بينهم السيد الدكتور جمال العطيفى وكيل المجلس، وذلك نظرا للعدالة ، والجانب الانسانى الذى يتسم به هذا الاقتراح بحيث لا يكون الطرد تعسفيا دون ما ادراك للاسباب الحقيقية وراء عدم الدفع.

غير ان السيد / احمد يونس ومجموعة من مؤيديه عارضوا هذا الجانب الانسانى فى التعديل المقترح وتزعموا معارضته ولم يوافق المجلس على الاقتراح .. فكيف يستقيم هذا الموقف فى هذه الجلسة مع الدوافع الاخلاقية والانسانية التى نادى بها فى الجلسة السابقة لها. .أليس من حقنا اذن أن نشكك فى النوايا المبيتة وراء هذه التعديلات.. وهى طرد وبلا رحمة أكبر عدد ممكن من المستأجرين .

طالب تقرير اللجنة بضرورة اباحة تعديل نظام الايجار بالنقد الى ايجار بالمزارعة. واتهم التقرير الفقرة التى ما زالت موجودة بالقانون المعمول به حاليا وهى : « لا يجوز تعديل الايجار بالنقد الى ايجار بالمزارعة ولو كان ذلك بناء على موافقة المستأجر » .. بأنها « فقرة مجحفة وتدخلا فى ارادة المتعاقدين دون سبب معقول. .فضلا عن أن منع تحويل الايجار بالنقد الى ايجار بالمزارعة ، لا يحقق مصلحة أطرف العقد ترقى لمرتبة النظام العام ، الذى لا يجوز مخالفته .. كما لا يحقق مصلحة عامة للدولة ، بل ولعل فى اجازة هذا التحويل مصلحة حقيقيه لاستقرار العلاقة بين طرفى الايجار وما يترتب عليه من زيادة الانتاج باتحاد الطرفين وعدم تدهور التربة .. » .

فاى اجحاف ذلك الذى يرتبط بانضباط العلاقة وحماية المستأجر ، وفقا لما أثبتته تجربة العلاقة الايجارية بالمزارعة قبل الثورة ، من استغلال بشع للمستأجرين من قبل الملاك .. ثم أليس من حق القانون التدخل بطريقة مشروعة لمنع الاستغلال بشكل لا يحتمل التلاعب ، او التهرب هذا من ناحية .. وبفرض ثبوت صحة ما أوردته اللجنة عن احتمال تحقيق نظام المزارعة لصالح الطرفين ، فلماذا ظلت نسبة الايجار بالمزارعة لا تتعدى ٢٠ فى المائة ،فى حين أن نسبة الايجار بالنقد تصل الى ٨٠ فى المائة من الناحية الاخرى ..

وحتى بفرض وجود هذا النص ، واذا ما رغب المستأجر فى تحويل العلاقة ، فما هو المانع الحقيقى .. وفى هذا المجال فاننا نود أن يوضح لنا السادة مؤيدو هذا الاقتراح أو التعديل الوسائل التى يمكن بواسطتها تقنين نظام الايجار بالمزارعة ، وضبطه بهدف الحيلولة دون استغلال المالك للمستأجر وتحويله مرة أخرى لنظام الاقنان اللا انسانى امام الضغط السكانى على الارض الزراعية وزيادة قاعدة المعدمين الزراعيين وأنصافهم فى الريف المصرى .

● لقد سبق أن تعرض بعض المتخصصين والكتاب لموضوع احلال المحاكم الجزئية ، بدلا من لجان فض المنازعات ، و « الطليعة » تشاطرهم الرأى فى ان مثل هذا التحول من شأنه ايضا ان يساهم فى تحطيم البقية الباقية من امكانية غالبية المستأجرين على الاستمرار فى الانتاج حيث لا تكافؤ فى فرص الدفاع او التقاضى . أيا كانت مبررات واضعى التعديل الخاص بها .

● تبين أن أحد مشروعات القوانين التى تقدم بها أحد الاعضاء ، كما هو مبين فى محضر جلسة مجلس الشعب ، قد طالب بحق المالك فى طرد المستأجر اذا ما وافقت له الجهات المختصة بزراعة ارضه حدائق ، كما يبيح المشروع للمالك لثلاثة افدنة فاقل من طرد المستأجر ، على ان يدفع للمستأجر تعويضا فى حدود لا يقل عن عشرين مثل

مجموع الضرائب والرسوم المفروضة على الارض الزراعية المؤجرة .

ولقد افردت «الطليعة» صفحاتها فى عدد يونيو الماضى لدراسة قدمها الدكتور محمد ابو مندور احد المتخصصين فى هذا المجال ، والذى نبه فيهـا عن حجم المخاطر الاقتصادية والاجتماعية التى يمكن ان تتحقق من جراء هذه التعديلات .

كما طالب أحد مشروعات القوانين المقدمة الى رفع القيمة الايجارية الى ١٠ أمثال الضريبـة الحالية ، وهو بهذا الاقتراح كان اكثر تطرفا من المشروع الذى أقر ، وبرز ذلك بزيادة اسعار المحاصيل الزراعية .. ناسيا هو ايضا السبب فى الزيادة وأنها لم تنعكس على الفلاح بذلك الثراء الفاحش الذى يجعله ينتقص جزءا منه .

ان « الطليعة » لا تعارض أية مناقشة علمية ومتأنية وموضوعية لاى قانون او قضية تمس ظروفنا الاقتصادية والاجتماعية والسياسية . غير أنها فى ذات الوقت لايمكن أن توافق على تعديلات جوهرية فى قانون اساسى بهذه السرعة . وعلى ذلك فهى لا تعارض ممكنات اجراء تعديلات فى العلاقة بين المالك والمستأجر ، الا أنها تود ان تضع مجموعة ضوابط وشروط وملاحظات فى هـذا الجانب ومن أهمها :

● ان رفع القيمة الايجارية لا يمكن أن يتم بهذه السهولة والسرعة والبساطة ، دونما حسابات دقيقة وفعلية عن التكاليف والاسعار للفئات الحيازية المختلفة ، وللمحاصيل الزراعية المتنوعة ، والتى تتباين فى تكاليفها واسعارها من محصول الى آخر ، ومن منطقة انتاجية الى منطقة اخرى ، بل ومن الحيازة الصغيرة الى المتوسطة والكبيرة .

● ان تعديل القيمة الايجارية ، لابد وأن يراعى وضع حد أدنى انسانى للمستوى المعيشى لصغار المستأجرين والملاك . ومن هنا فان القيمة الايجارية لا يجب أن تقر بصورة مطلقـة لكل الشرائـح الاجتماعية ، سواء كانوا ملاكا او مستأجرين ، أو من مزارعى القطن والقمح حيث الاربحية المنخفضة الى مزارعى الخضر والفاكهة ذوى الدخول المرتفعة .

● ان التعديلات المقترحة ، لا يجب أن تتم دون ما نظرة مستقبلية وشمولية لمستقبل الزراعـة المصرية ، والتى يجب ان تتم فى اطار التصور الاستراتيجى لمواثيقنا السياسية . وهو الانتقال بها من الشكل الانتاجى الفردى المتخلف الى الشكل التعاونى والانتاجى المتقدم . غير ان هذه التعديلات التى وافق عليها المجلس ستحول دون تحقيق هذا الهدف ـ كما نعتقد ـ بل ان هذه الاجراءات من شأنها ان تزيد التمسك بالارض كمصدر من مصادر القوة الاجتماعية . وستساعد على الاقتتال على تملكها والانفراد بها ، مما سيساهم فى زيادة تخلف العلاقات الاجتماعية فى الريف المصرى .

● ان موقف غالبية أعضاء مجلس الشعب من هذا القانون ، يجعلنا ندق ناقوس الخطر حول الممارسة الديمقراطية فى مجلس الشعب . وتجعلنا نسأل وبصراحة كاملة لمن الديمقراطية .. ولمن ؟! وشكنا هذا مدعم بالقرائن والادلة .. فقط نموذج واضح هو .. أين مشروع القانون الخاص بفرض الضرائب على الحدائق والذى عرض فى عام ١٩٧٢ .. وكنا قد سمعنا عن محاولة لاحيائه فى الشهور الاخيرة ، ونشر فى الصحف ان هناك نية لوضع مثل هذا القانون .. غير أنه لم ير النور حتى الان !!!

ان النظـرة الانانية والضـيقة غير المتأنية ، والمدركة لابعاد مثل هذه التعديلات قد تقودنا الى منعطف خطير فى أهم قطاعات اقتصادنا القومى من الناحية المادية والبشرية ، الامر الذى يجعلنا نلح فى الدعوة الى اعادة النظر فى مثل هـذه التعديلات والتى ستكون لها آثارهـا الوخيمـة اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا ليس لجيلنا فحسب بل وربما لاجيال قادمة ..

وفى النهاية .. نوجه نداء مخلصا الى اعضاء مجلس الشعب من الفلاحين . . نرجو ونلح فى الرجاء أن تعودوا الى قواعدكم فى الريف ، لتروا الفلاح المصرى مالك او مستأجر الخمسة افدنة فاقل ماديا واجتماعيا وثقافيا وصحيا .. حللوا مشاكله ... ثم بعدها عـودوا الى جهـازكم التشريعى لترسموا له خيوط الامل لمستقبل بلا فقر او جهل او مرض .. ويومهـا فقط سـتكون قـراراتكم موضوعية وعلمية وواقعية . وبدون ذلك سنقول : « ... لا ... لمجلس الشعب » .

« الطليعـــة »

عرب ٧٤

عرب ٧٥

« العرب من اغسطس ٧٤ الى يوليو ١٩٧٥ » ، هو موضوع الدراسة لهذا العدد من « الطليعة » .

وطبيعى ان يسأل القارىء ـ هنا ـ لماذا الموضوع ؟ ولماذا هذه الفترة الزمنية ؟

وربما يكون للسؤالين وجاهتهما . فالموضوع ـ فى نظرنا ـ يكتسب أهميته من واقع أن الوطن العربى كله ، يمر بفترة من أدق وأخطر فترات تاريخه الحديث والمعاصر ، ان لم تكن أدقها على وجه الاطلاق . فقضيتى الثورة والتقدم ، والثروة واستثمارها القومى ، هما محور اهتمام ومتابعة الرأى العام العربى بمختلف اتجاهاته ومدارسه وقواه الاجتماعية . والمسالة الوطنية لتحرير الارض المحتلة ، لاتزال تحتل المكانة الاولى فى قضية الثورة والتقدم . واصبحت ـ بعد تجربة حرب اكتوبر ـ تفرض نفسها كضرورة على اتجاهات وخطط قضية الثروة العربية واستثمارها القومى .

وقضية الأرض المحتلة ، والعمل الوطنى من اجل تحريرها ، هى محور النشاط العربى العام ، فى العلاقات الثنائية وغير الثنائية فيما بين بلاد الوطن العربى بعضها البعض . وفى العلاقات الدولية بين العرب والعالم . فأين موقع هذه القضية المحورية على خريطة ومستقبل العلاقات العربية القومية ؟ وأى نشاطاتها توحدهم .. وأيها تدفع بعناصر الخلاف بينهم ، وأين موقعها من خريطة ومستقبل علاقاتهم مع دول العالم ؟

تلك اسئلة هامة ، تحاول هذه الدراسة ، التي رأينا أن اسلوب « الرصد التحليلي » هو انسب اساليب معالجتها ، ان تجيب عليها بقدر الامكان .

واما عن الفترة الزمنيـة : أغسطس ٧٤ ـ يوليو ١٩٧٥ ، فهى تشكل ملامح أحداث « مساحة من الزمن » ، تصلح لان تكون « ماده خـام » تخضـع للفحص والتشخيص . فضـلا عـن أن هـذا العام «اغسطس ٧٤ ـ يوليو ١٩٧٥» ، قد شهد عددا من الاحداث الهامة فرضت نفسها ـ بشكل طبيعى ـ على عدد من المؤتمرات الوطنية والقومية لعدد من التنظيمات والاحزاب السياسيه المـؤثرة فى « صناعة » سياسة المنطقة : مـؤتمر الجبهة القومية فى اليمن الديمقراطية ، مؤتمر حزب البعث في سوريا ، مؤتمر الجبهة الوطنية فى الجزائر ، ثم المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى فى مصر .

وفـى « الرصد التحليلـى » لهـذا الموضوع ، اعتمدت « الطليعة » أسلوب أن تقـدم « مفاتيح » القضـايا ، ليشـارك القارىء ـ بفكره وجهده ـ فى استخدام هـذه « المفاتيح » لاسـتقراء « الرصد التحليلى » وتكوين وجهة نظره الخاصة . وفى اعتقادنا ، أن هذا أسلوب مفيد لاكثر من اعتبار .



ويبدأ رصدنا التحليلى ، بوضع علاقات العرب فيما بينهم تحت الاضواء كمدخل ، ثم ردود افعال ومواقف جهـود الحـل السلمى ونشاطات دول المواجهة وكيسنجر واسرائيل ، ثم علاقات العرب الدولية من زاوية قضية تحرير الارض ، ثم سلاح البتـرول والثـروة ، ثـم المشروعـات الاقتصادية العربية المشتركة .

العـــرب :

بعـــد أن وحـــدتهم الحـــرب ضـــد اسرائيـــل

هـــل يفـــرقهم الســـــلام ؟

د. رفعت السعيد

فى السنوات الاخيرة تقلبت العلاقات العـربية المتبادلة اقترابا وابتعادا ، قبولا وصدا ، هجوما وتأييدا بصورة متلاحقة ، ثم متعاكسة ، وتغيرت ـ احيانا وفقا لمنطق محدد ، وفى احيان أخرى بغير ما منطق .. بحيث لم يعد من الممكن دون اللجوء الى الحاسبات الالكترونية حصرها أو اعداد بيـان بتقلباتها .

وفى السنوات الماضية كان المنطقان السائدان للعلاقات العربية هما : اما « وحدة الصـف » أو « وحدة الهدف » ، وكان الاتجاه الى تكوين محـاور .. « الانظمة التقـدمية » و « الانظمـة التقليدية » وهى اللفظ المهذب لعبـارة « الانظمة الرجعية » .

كذلك شهدت المنطقة العربية علاقات « وسطية » تشبه التزاوج غير المشروع بين أنظمة من هذا المحور مع أنظمة أخرى تبدو وقد انتهجت خطا معاكسا .. وفهمت مثل هذه العلاقات على انهـا علاقات « تكتيكية » وتقبلها البعض على مضض باعتبارها خرقا للمبادىء ، وتقبلها الاخرون ـ على مضض أيضا ـ باعتبارها « تقاربات » لابد منها تحت عباءة الوحدة العربية .

المهم ان حرب اكتوبر قد اتت لتذيب كل هذه الصراعـات ولتصـهر العرب جميعا فى خضـم واحد استمد وحدته من دفقات الدم التى سالت بسخاء فوق كثبان سيناء ومرتفعات الجولان .

ويمكن القول أن كل الانظمة العربية قد توحدت مع تفجر القتال فى ٦ أكتوبر باستثناء نظام عربى واحد هو النظام الليبى الذى أصر على مهاجمة الحرب منذ ان نشـبت ، متهما القـائمين بها باعدادها حربا محدودة « الهدف » ، ومن ثـم محدودة الاثر والنتائج ..

وبغض النظر عن ان الحكام الليبيين يستنبطون من الظواهر الناشئة الان ، هذه الحجة أو تلك ، التى يجعلون منها دليلا على صدق بعض ما رددوه .. فان المؤكد هو أن صوت النظام الليبى بدا « نشازا » فى ذلك الحين . فحتى ولو كانت الحـرب مخططا لها ان تكون محـدودة الهـدف والاثر، فان الاندفاع فى غمارها هو السبيل لاجهاض أى مخطط مسبق لمحدوديتها ..

المهم .. لقد نجحت حرب اكتوبر ، كما قلنا ، فى توحيد العرب . ولكن ما ان خفتت طلقات الرصاص حتى نشب اقتتال آخر . لقد تفرق العرب ولعلهم تفرقوا كما لم يحدث لهم من قبل ..

ولقد فسر البعض ذلك بأن العرب لم يسـهموا اسهاما متكافئا فى أيام أكتوبر .. وان البعض تدفق الدم من خيرة ابنائه .. اما البعض الاخر فقد تدفق الذهب الى خزائن حكامه . ولا سلاح البترول لم يفهم فى البداية فهما متكافئا ، فقد فسرت نتائجه تفسيرات غير متكافئة ايضا .. وازداد الاثرياء ثراء ، اما الذين نزفوا الدم فلم يبق امامهم الا ينزفوا « الكرامة » سعيا وراء بعض المال الذى تراكم فى خزائن الاخرين كثمرة مباشرة لتضحياتهم هم .

لكن البعض الاخر يروق له ان يقدم تفسيرا أكثر « تركيبا » . فهو يقبل الحجة السابقة ، لكنه يقبلها كجزء من منطق متكامل يتهم « امريكا » بأنها قدمته كطعم للعرب الذين اقبل البعض منهم على التهامه بشغف .

ويقول هذا البعض ان المنطق الامريكى فى تخطيط مستقبل المنطقة ككل ،كان يقوم حرب اكتوبر على أسس ثلاثة :

- القدرة العسكرية الاسرائيلية التى لا تقهر .
- العجز العربى عسكريا .
- الانقسام العربى سياسيا .

ويمكن القول بأن هذه المقومات الثلاث للسياسة الامريكية قد هزمت تماما خلال أيام أكتوبر المجيدة .

ولم يبق أمام السياسة الامريكية سوى البحث عن مخطط جديد يقوم على الاسس الاربعة التالية :

- تعزيز القوة العسكرية الموالية لامريكا بالمنطقة ، ذلك ان ما اسمى فى كتابات كيسنجر بسياسة الضغط العسكرى بالوساطة (Military Politics by Proxy) يجب أن تستمر وانما بتعزيزات جديدة ، تتمثل فى المزيد من تدفق السلاح على اسرائيل ، وايضا فى زيادة تسليح « ايران » . والحقيقة ان حجم السلاح الذى تدفق على ايران قد جعل منها « اكبر مستورد للسلاح من الولايات المتحدة » [١] . ويقول — اصحاب هذا الرأى — ان جيران ايران هم الاتحاد السوفيتى وباكستان وتركيا والبلاد العربية .

فاذا كانت القـوة العسكرية السـوفيتية من الضخامة بحيث يمكنها اسكات ايران مهما كدست من سلاح .. واذا كانت باكستان وتركيا حليفتان لامريكا ولايران .. فانه لا يبقى امام هذا الكم الهائل من الترويع بالسلاح . الا ان يتجه وجهة واحدة فقط .

ويضيف أصحاب هذا الرأى أن سياسة الضغط العسكرى بالوساطة ، هو جزء من سياسة الضغط السياسى والاستدراج المالى بالوساطة أيضا . وليس من شك فى أن « ايران » قد لعبت دورا فى « تحديد » أدوار الاخرين ، وايضا فى خلق محاور وتفاهمات جديدة أثمرت — بالضرورة — تناقضات مقابلة بين هذا الطرف العربى أو ذاك .

- « تعـريب » الصراعـات فى المنطقـة **(Arabization of Conflict)**

وهو نفس التطبيق لسياسة « فتنمة » الحرب فى الهند الصينية .. وذلك بتفجير صراعات محلية تستنفذ الطاقات العربية ، وتقتل روح المبادرة الثورية والنضالية . وتتيح للمخطط الامـريكى العام لاحتواء المنطقة ، أكبر قدر من النجاح .

- سياسة الدبلوماسـية الوقـائية Preemptive Diplomacy

وتقوم على أساس خلق انطباع متواتر بأن أمريكا توشك أن تتخذ خطوة ما ، وأنها « تفكر » فى انتهاج طريق ما لصالح العرب . ولعل هـذه السياسة قد أصبحت من العلانية والانكشاف بحيث اصبحت محلا لتعليقـات صريحـة من اسـاتذة السياسة الامريكيين ومنهم **مايكل مدسن** [استاذ العلاقات الدولية بجامعة جونز هوبكنز الامريكية] والذى قال : « ان الولايات المتحدة تريد أن تعطى العرب دائما الانطباع بأنها قد تتدخل فى النزاع وتفعل شيئا ما لصالحهم ، بينما هى فى الواقع لا تفعل شيئا سوى كسب الوقت واعطاء اسرائيل الفرصة لكى تدعم مركزها وتكرس وجودها فى الاراضى العربية » [٢] .

- سياسة تحييد وتجميد العسكرية العربية .

وذلك ببذر المزيد من العوائق التى تعرقل التنسيق العسكرى العربى وتزويد اسرائيل بكميات من السلاح ، وعرقلة « تزود » العرب بالسـلاح من

[١] The Master Builder of Iran— News week — 14-10-1974.

[٢] Michael Hudson, The U.S. and the Middle East in the Second Nixon Administration (Bou.lder, colorado : American Cammittee for justice in the middle East — 1973). P. 2.

مصادره المتاحة لهم ، كسبيل لضمان أن تصبح اسرائيل ومن جديد متفوقة وبشكل ظاهر على كل البلاد العربية ، وهنا - وهنا فقط - وبعد أن تكسب السياسة الامريكية جولة الوقت ، فانها تكون بغير حاجة للتستر خلف سياسات مغلقة ، وسوف تعود الى انتهاج سياستها العدائية السافرة من جديد ..

المهم .. وسواء كان أصحاب الراى الاول ، أم الراى الثانى على حق ، أو كانا معا على حق - وهذا هو الارجح - فان الثمرة العملية لمرحلة ما بعد أكتوبر كانت كما - غير مألوف من الصراعات العربية .. بحيث بدت الخريطة السياسية العربية وكأنها مجرد رموز لاشتباكات متناحرة بين كل طرف من اطرافها ، لكن المثير هو أن « الصراعات » العربية قد اتخذت طابع اللا منطق واللامعقول ..

ولقد قلت فى البداية أن احصاء التحالفات والاشتباكات على خريطة البلاد العربية ، حتى ولو لمدى قصير ، يحتاج الى حاسبات الكترونية .

ولهذا فاننى سأكتفى بأن أقدم مجرد نماذج للصراعات والتحالفات التى يقول البعض انها نتيجة للثمرات غير المتكافئة لمعارك اكتوبر ، ويقول البعض الاخر انها ثمرة للمخطط الامريكى « لتعريب » الصراعات ولاستخدام أسلوب الضغط العسكرى والسياسى والمالى « بالوساطة » ، ومن قلب المنطقة ذاتها ..

« الصحراء » صراع بين من لايمتلكون !

الصحراء « الاسبانية » لم تتحرر بعد ، لم تزل فى يد اسبانيا . لكن الصراع الدائر لتخليصها من اسبانيا أقل كثيرا من الصراع الدائر بين الجزائر والمغرب وموريتانيا حول من سيمتلكها بعد أن تتحرر من النير الاسبانى ..

وللصراع المغربى - الجزائرى حول الحدود قصة طويلة .. تفجرت ذات يوم فى قتال دام ، حل من خلال وساطة افريقية ، وليست عربية .

وكالعادة بدأ الصراع قبل أوانه ، فقد كانت المغرب تطالب بمنطقة « تندوف » . وكانت حجتها خريطة قديمة تشير الى تبعيتها للمغرب . وظلت المغرب تضغط على الثوار الجزائريين كى يعترفوا - وقبل أن يحصلوا على استقلالهم - بملكية المغرب للمنطقة . غير ان الثوار كانوا يردون بأن خلافات الحدود يمكن أن تحل فى المستقبل وبعد الاستقلال من خلال مفاوضات سلمية . ويأتى استقلال الجزائر ، وفى هذه الاثناء كانت أهمية « تندوف » بالنسبة للمغرب هى أنها الطريق الوحيد الموصل لموريتانيا .. لكن كميات هائلة من الحديد تكتشف فى المنطقة وتقدر احتمالاته بعشرة ملايين طن سنويا [٣] .

ويصبح الصدام المسلح هو السبيل ، ويكون اتفاق « باماكو » الذى أعلن وقف الاشتباكات المسلحة .. فى نوفمبر ١٩٦٣ ، وما أن تنفجر قضية « الصحراء » من جديد ، وقبل أن يستطيع العرب انتزاعها من يد اسبانيا ينشب الصراع مريرا حول من يمتلكها المغرب أم موريتانيا أم الجزائر .. ؟

وسكان « الصحراء » الشاسعة عدة عشرات من الالوف فحسب ، هم بالضرورة « بدو » ربما لا يرتفع حرصهم على الانتماء الى اختيار محدد ، لكن المنظمة الفدائية التى تشن عملياتها ضد الوجود الاسبانى ، وهى فى الاساس مكونة من سكان للمنطقة هاجروا من قبل اما الى المغرب او الجزائر أو مالى ، تحظى بتأييد مباشر من الجزائر وتستقر قياداتها هناك .. ولعل الغريب فى الامر ان قيادات هذه المنظمة وبعد أن تدربت نواياتها على القتال المسلح وصلت الى المغرب مؤملة القيام بنشاط فى الصحراء من قواعد مغربية ، لكن وصولها كان مبكرا بعض الشىء ، اى قبيل اختيار المغرب لتوقيت مطالبتها بالصحراء .. وهكذا جرد الرجال من سلاحهم وطردوا ليذهبوا الى الجزائر وليصبحوا دليلا على « جزائرية » الصحراء ..

وهكذا تتفجر جبهةجديدة لصراع عربى بين الجزائر والمغرب حول ملكية « صحراء » لم تزل بعد فى يد اسبانيا ، ولعل الصراع على انتزاعها من يد الاسبان ، اقل بكثير من الصراع على القول بتملكها من هذا الجانب او ذاك .

سوريا - العراق - خلاف على ماء

يأتى من تركيا والنتيجة .. محور جديد

خلال الحرب تقدم الجيش العراقى - رغم الحساسيات المفرطة - ليؤدى دورا بطوليا على الجبهة السورية .. وما أن قبلت سوريا وقف

[٣] آخر ساعة ١٩٦٣/١٠/٣٠ .

اطلاق النار حتى انسحب الجيش العراقى ـ وقبل أن يتيح الفرصة للذين اعجبوا به أن يتذوقوا طعم هذا الاعجاب •

وفى ٢١ فبراير ١٩٧٥ ادلى **صدام حسين** بتصريح جاء فيه « سوريا شقيقة عزيزة ، من واجبنا القومى ومن حقها علينا أن نقف معها بكل قوانا ـ رغم كل الظروف ومتخطين كل العوائق ـ فى دعم صمودها ضد الامبريالية والصهيونية » [٤] .

وبعدها باسبوع واحد ـ وفى أعقاب تصريح نسب للفريق **الاسد** لمجلة نيوزويك الامريكية ـ اصدرت القيادة القومية لحزب البعث [العراق] بيانا هاجمت فيه النظام السورى ، واتهمت الحكام السوريين بأنهم « زمرة مرتدة تضع مصالحها فوق مصالح الحرب والامة العربية » [٥] .

ثم ما لبث الصراع على الماء أن تفجر •

وفى ٦ ابريل ١٩٧٥ طلبت الحكومة العراقية عقد دورة استثنائية لمجلس الجامعة العربية لبحث الموقف الخطير الذى يهدد العراق من جراء قرار السلطة السورية الخاص بحبس مياه نهر الفرات مهددة حياة ثلاثة ملايين عراقى »

وفى ١٩ أبريل ١٩٧٥ صدر بيان عن اللجنة العليا للجبهة الوطنية التقدمية العراقية [التى تضم كل الاحزاب الهامة بالعراق] يقول فى عنف « ان الموقف اللاقومى ، واللاانسانى للنظام السورى يعد بادرة خطيرة لا سابقة لها بين قطر عربى وآخر ، ومهما تكن نوعية الخلافات القائمة بين الانظمة » . لكنه وفى اليوم التالى مباشرة تنشر الصياد اللبنانية ان الرئيس **الاسد** ارسل الى الرئيس **البكر** يقترح اعادة توحيد حزب البعث [٦] .

وبعد فترة من الصمت السورى يأتى رد اعلامى عنيف نكتفى بنموذج منه منقول عن راديو دمشق يقول « بلغت كميات المياه المررة على الحدود التركية من أول الموسم الماضى وحتى نهاية آذار ١٩٧٥ ستة مليارات و ١٢٥ مليون متر مكعب ، بينما بلغت الكميات المررة للعراق أربعة مليارات و ٥٢٥ مليون متر مكعب اى اكثر من ٧٥ فى المائة مما ورد من تركيا •• ومضى راديو دمشق قائلا ان الهدف من هذه الحملة العراقية هو :

١ ـ جر القطر العربى السورى الى معركة تؤدى الى تقليص الكفاح الموجه ضد العدو الصهيونى والمخططات الامبريالية •

٢ ـ صرف نظر الشعب العراقى الشقيق عن تنازلات الحكومة العراقية عن اجزاء من أرض الوطن •

٣ ـ خلق الظروف التى من شأنها تعطيل طاقات العراق وابعاد الجيش العراقى الشقيق عن مواقعه الى جانب القوات العربية فى خطوط المواجهة » [٧] .

وبعد معارك « اعلامية » استنفذت فيها كل الحجج والحجج المضادة ، كان لابد من « وساطة » وشكلت لجنة وساطة « سباعية » وفى نفس الوقت أدلى وزير خارجية العراق بتصريح قال فيه « انه اذا لم تتوصل اللجنة التى شكلتها الجامعة العربية لتسوية النزاع الى نتيجة ، فان العراق سيضطر الى استخدام وسائل أخرى لحل المشكلة » [٨]

وكان لابد من « تصعيد » حملة الوساطة وتقدم الملك **خالد** للتوسط بين البلدين [٩]

وفى الرياض عقدت لجنة سعودية ـ سورية ـ عراقية ، أعلنت انها أوشكت على التوصل الى اتفاق ، ثم يتفجر الموقف من جديد وتمنع سوريا الطائرات العراقية من عبور اجوائها [١٠] •• وتسحب العراق بضائعها من موانى سوريا [١١] •• وتغلق سوريا قنصلية العراق فى حلب [١٢]

وتتدخل السعودية من جديد • واخيرا يهدأ الموقف ويصرح مصدر سورى رسمى « ان الازمة السورية العراقية حول مياه نهر الفرات قد تمت تسويتها بفضل المساعى الحميدة التى قامت بها المملكة العربية السعودية » ، وأضاف « ان الحكومة السورية قررت بالتالى منح الشعب العراقى

---

[٤] الاهرام ١٩٧٥/٢/٢٢ •
[٥] نشرة وكالة الانباء العراقية ١٩٧٥/٣/٢ •
[٦] الصياد ١٩٧٥/٤/١٠ •
[٧] اذاعة راديو دمشق ـ ١٩٧٥/٤/١٩ •
[٨] الاهرام ١٩٧٥/٤/٢٦ •
[٩] الجمهورية ٢٨ /١٩٧٥/٤ •
[١٠] الاهرام ١٩٧٥/٥/١٤ •
[١١] الجمهورية ١٩٧٥/٥/١٥ •
[١٢] الاهرام ١٩٧٥/٥/٢٧ •

الشقيق المياه التى يحتاج اليها من نصيبها من مياه الفرات » [١٣] .

العراق ـ الكويت : صراع على رمـــال مليـــئة بالبتـــرول !

وتبدأ قصة هذا الصراع بخبر نشرته جريدة الرأى العام الكويتية زعمت فيه « ان قوات عراقية قد تسللت الى عمق اكثر من ٢ كيلو متر [١ر٢ مليل] داخل الاراضى الكويتية .. » ولم تكتف « الراى العام » بأن توجه انذارها الى العراق وحده وانما انذرت كل من « يعنيهم الامر » فقالت « ان هذا قد يلجيء الكويت الى ايقاف معوناتها المالية والعسكرية لمصر وسوريا كى تخصصها لمواجهة التهديد العراقى » [١٤] .

وكان لابد للجهات المعنية من أن تتحـرك بالوساطة • فتعلن وكالات الانباء عن « وساطة سورية ـ مصرية » [١٥] .

ويتطلب الامر زيارات على أعلى مستوى •• ويبحث الموضوع خلال زيارة قام بها الـرئيس السادات الى بغداد [١٦] .

وتهدأ الامور قليلا وتفتح الحدود الكويتية ـ العراقية من جديد [١٧] .

لكن « الازمة » تظل كامنة ، ويتطلب الامر وساطة جديدة ، وتتدخل السعودية فى هذه المرة أيضا .. ويقوم وفد سعودى برئاسة الامير فهد بن عبد العزيز ولى العهد السعودى بزيارة الكويت ثم للعراق . وخلال زيارة فهد لبغداد دعا الشيخ جابر العلى نائب رئيس الوزراء ووزير الاعلام الكويتى العراق الى الاعتراف بالكيان الكويتى فى واقعه السيـاسى والجغرافى القائم ، وقال « اذا كانت هناك مطالب معينة مثل ضم بضعة كيلو مترات من الاراضى الكويتية للعراق فيتعين على أشقائنا العراقيين أن يعطونا شيئا فى مقابل ذلك ، على أن يتركوا لنا حرية الاختيار » [١٨] .

وتؤكد الدوائر العليمة أن زيارة فهد لبغداد قد تناولت قضايا أخرى أهمها وضع سياسة مشتركة فى منطقة الخليج [١٩] .

بل ان بعض الدوائر قررت أيضا أن ثمة زيارة تالية سوف تتم لبغداد هى زيارة شاه ايران • وان الامر يحتمل انعقاد مؤتمر لدول الخليج [٢٠] . ولابد لهذه الزيارة من أن ترتبط أيضا بزيارة قام بها سمو الامير فهد لطهران وقد أعلن فى أعقاب الزيارة « ان ايران قد تساهم فى انشاء صناعة عربية للسلاح » [٢١] . وفى الوقت الذى تتجه فيه الانظار الى منطقة الخليج حيث تجرى اتصالات متلاحقة بين مختلف اطرافها منها رسالة من أمير البحرين الى البكر ، وزيارة لوفد من دولة الامارات لبغداد [٢٢] .

وفى نفس الوقت يعلن فى الرياض عن اتفاق لتقسيم المنطقة المحايدة السعودية ـ العـراقية وتعديل الحدود بين البلدين [٢٣] .

•• وهكذا فان الامور فى منطقة الخليج يجرى تصويرها اليوم على أنها تتجه نحو « توافق » أو مشروع « محور » خليجى جديد يلعب فيه الثلاثى •• الرياض ـ بغداد ـ طهران ، دورا أساسيا •

ويعزز هذا تصريح أدلى به سمو الامير فهد عقب زيارته للشاه يقول فيه « ان التعاون الوثيق مطلوب بين دول الخليج للمحافظة على الامن فى المنطقة » [٢٤] . كذلك اكدت الصحف الكويتية ان ثمة نشاطا خليجيا مكثفا يستهدف اقامة « حزام امنى خليجى » ، بمعنى وضع ترتيب أمنى جماعى لمنطقة الخليج فى ضوء القناعة الايرانية بأن مياه الخليج يفترض أن تتولى حمايتها دول المنطقة نفسها ، وأن تعلن كلها مياه اقليمية [٢٥] .

[١٣] الاهرام ١٩٧٥/٦/٤ .
[١٤] الرأى العـــام ـ الكويتيـــة ١٩٧٤/١٢/١ .
[١٥] رويتر ١٩٧٥/٤/٢٢ .
[١٦] الاهرام ١٩٧٥/٥/١٦ .
[١٧] الاهرام ١٩٧٥/٦/١ .
[١٨] السفير اللبنانية ١٩٧٥/٦/١١ .
[١٩] النهار اللبنانية ١٩٧٥/٦/١٠
[٢٠] الانوار ١٩٧٥/٦/٨ .
[٢١] الانوار ١٩٧٥/٧/٤ .
[٢٢] الوطن الكويتية ١٩٧٥/٧/٢
[٢٣] النهار ١٩٧٥/٧/٣ .
[٢٤] النهار ١٩٧٥/٧/٣ .
[٢٥] السياسة الكويتية ١٩٧٥/٧/٢ .

وأكدت هذه الصحف الكويتية أيضا أن مباحثات تجرى فى بغداد سرا لاقامة سوق خليجية مشتركة [٢٦] • لكن لم يصدر عن العراق شيء محدد — بعد — فى هذا المجال •

ســوريا • • عمـــان

وفى غمرة المتناقضات المعقدة ، وباحساس سوري باتجاه البعض « خليجيا » ، واتجاه البعض الاخر بحثا عن محاور أخرى ، قام الفريق الاسد بزيارة مفاجئة لعمان حيث استقبل هناك استقبالا حافلا • وقد صدر بيان مشترك عن اللقاء تعتبر كل فقر منه ذات مغزى هام . خاصة واذا ما نظرنا لتوقيت الزيارة ، ولكون الاردن أحد طرفى البيان : « ان الزعيمين الاسد وحسين قد ناقشا الوضع المتفجر فى المنطقة لاستمرار العدو الاسرائيلى فى رفض الانسحاب من الاراضى العربية المحتلة ، والاعتراف بالحقوق الوطنية للشعب العربى الفلسطينى فى أرضه ووطنه » •• « ان الزعيمين عبرا عن رغبتهما فى تحقيق السلام العادل الذى لا يقوم الا على أساس الانسحاب الاسرائيلى الشامل من جميع الاراضى العربية المحتلة منذ عدوان ١٩٦٧ ، والقدس فى طليعتها ، وتأمين الحقوق الوطنية للشعب الفلسطينى » [٢٧] •

وقد صرح الملك حسين عقب الزيارة بأن محادثاته مع الفريق الاسد « كانت بالشكل الذى يتمنـــاه » . وصرح وزير الاعـــلام الاردنى بأن المحادثات قد تركزت حول التنسيـق العسكرى والسياسى فى مواقف البلدين ، كما تناولت الاوضاع العربية الراهنة من أجل مـواجهة احتمالات المستقبل » [٢٨] •

وقد أكدت الدوائر السورية ان هذه الزيارة « كان لها جانبها العربى وجانبها الفلسطينى ، كما كان لها جانبها المتعلق بالعلاقات الثنائية بين البلدين ، وفى كل ذلك كانت المصلحة القومية هى الهدف » [٢٩] •

وعلى ذلك كله تعلق صحيفة اسرائيلية قائلة « سيكون للتحالف الجديد مضاعفات سياسية وعسكرية خطيرة بالنسبة لاسرائيل » [٣٠] •

•• ويبدو الامر وكأن مشروع محور جديد يلوح فى الافق •

مصر — ليبيا — نتائج متوقعة

لخـلافات غيـر متوقعـــة

والعـــلاقات المصرية — الليبية تشبه عـــلاقة المحبين • ذلك انها تتسم بالعاطفية والاندفاع سالبا وايجابا •

والقصة طويلة •• لكننا نريد أن نحصر أنفسنا فى تطورات العام الاخير ، وقد اتسمت هـــذه التطورات بمحاولات من جانب ليبيا للتقرب من بدو الصحراء فى المناطق الفاصلة بين القطـرين ، والامر هين ، لـكنه معقـد ، فالقبـــائل المنتشرة من « عربان » الصحراء تنتشر عبر حـدود كل القطرين ، ولعلها ببدائيتها هى التى كرست ومن قديم أهم مظهر من مظاهر الوحدة بين البلدين •

لكن « القاهرة » ترى أن التقـارب شيء ، ومحاولات الاستخدام شيء آخر •• ويصدر عن شيـوخ قبـائل أولاد على سلسـلة من بيـانات الاستنكار ضد حملات « الاستنفار » الموجهة اليهم من اذاعة ليبيا [٣١] •

ثم تعلن الصحف المصرية أن السلطات الليبية تمتنع عن استلام البريد الموجه من مصر الى ليبيا [٣٢] •

وفى أوائل أغسطس ١٩٧٤ ومع تصـاعد الحملات المتبادلة وجه الرئيس السادات رسالة الى رئيس وأعضاء مجلس قيادة الثورة الليبى • وقد كان نشر هذه الرسالة كاملة فى الصحف سبيلا لمعرفة الكثير من وجهات النظر المصرية والحجج المصرية تجاه هذه الازمة •

[٢٦] السياسة الكويتية ١٩٧٥/٧/٢
[٢٧] السياسة الكويتية١٩٧٥/٦/١٣
[٢٨] الوطن الكويتية ١٩٧٥/٦/١٣
[٢٩] البعث ١٩٧٥/٦/١٣
[٣٠] عاتسوفيه ١٩٧٥/٦/١٢
[٣١] أخبار اليوم ١٩٧٥/٨/٣
[٣٢] الاهرام ١٩٧٥/٨/٦
[٣٣] الاهرام ١٩٧٥/٨/٧

فقد أماطت هذه الرسالة اللثام عن طلب ليبيا سحب طائرات الميراج التى أسهمت بها فى المعركة مصحوبة بكامل وحداتها ٠٠ كذلك أشارت الرسالة الى محاولة ليبية لاغتيال بعض المصريين ، ونسف استراحة رئيس الجمهورية بمرسى مطروح ٠ وأكد الرئيس **السادات** فى رسالة أن ثمة أجهزة ليبية تخطط للقيام بمهام تخريبية فى مصر وقال « اننا لسنا غافلين عن هذا الاتجاه ، واننا قد نصبر عليه ، ولكننا لن نسكت عليه » [٣٣] .

وفى هذه المرة أيضا لابد من وسيط ٠٠ وكان الوسيط هو **الشيخ زايد** رئيس دولة الامارات المتحدة . . وأثمرت الوساطة مؤقتا ، وحضر الرئيس **معمر القذافى** الى الاسكندرية لمقابلة الرئيس **السادات** ، و تم اجتماع الرئيسين بحضور الشيخ **زايد** .

وبدأت فترة من الهدوء المشوب بالحذر ، وفى هذه الفترة قرر الرئيس **السادات** فى حديث له مع مجلة الاسبوع العربى بعض الوقائع ، منها أن ليبيا قد استعادت أيضا مائة دبابة كانت قد أرسلتها قبل وقف اطلاق النار ، وان ليبيا قد قطعت عن مصر الدعم المقرر فى مؤتمر الخرطوم ٠٠ ومع ذلك اكد **السادات** عن رغبته فى بدء **صفحة** جديدة ، وفى ختام الحديث تساءل **السادات** قائلا « ماذا يريد العقيد ٠٠ هذا السؤال لو استطاع أحد أن يجيبنى عليه لارتحنا جميعا . . » [٣٤] .

ويوجه **القذافى** ، ردا على هذا السؤال الى مجلة الاسبوع العربى يقول فيه « أريد وحدة عربية يكون اندماج مصر وليبيا بقيادة السادات نواة لها » [٣٥] .

وتسير الامور نحو التحسن ٠ ويعلن المشرف على الشئون الصحفية فى رئاسة الجمهورية انه « يتوقع تطورات ايجابية فى العلاقات بين مصر والسودان وليبيا » [٣٦] .

ويصرح **القذافى** « بأنه فى حالة نشوب حرب جديدة بين العرب واسرائيل فان ليبيا سوف تشترك فيها » وقال « ان الدفاع عن مصر يعنى الدفاع عن ليبيا » [٣٧] .

ويعلن فى فبراير ١٩٧٥ عن توقيع اتفاقية للتعاون فى التشييد والبناء بين البلدين قيمتها ٢٥٠ مليون دينار ، تنفذ خلال ثلاث سنوات [٣٨] .

لكن الامور تعود للتدهور مرة أخرى ٠ وتكون اشارة البدء منع الصحف والمطبوعات المصرية من دخول ليبيا [٣٩] . ومع فتح قناة السويس تبدأ حملة جديدة من التراشق بالتهم [٤٠] .

ويحاول البرلمان الاتحادى أن يخفف من حدة الازمة ويشكل وفدا لمقابلة رؤساء دولة الاتحاد الثلاث ٠٠ لكن الامور تعود فتتفجر من جديد مع صفقة السلاح السوفيتية الاخيرة لليبيا ٠ وتعلن الصحف المصرية انها أضخم من أن تستوعبها ليبيا وانها ستؤدى الى وجود سوفيتى فى المنطقة ، وترد ليبيا بأنه لا قواعد سوفيتية ، وان الكثيرين يأخذون السلاح من السوفيت دون حاجة لمنحه قواعد ٠٠

ومع الصدامات والصراعات يصل قادة جبهة الرفض الفلسطينيون الى طرابلس ٠٠

ويتواجد محور جديد ٠٠ ليبيا – جبهة الرفض ٠

● ● ●

٠٠ وبعد

لقد كان العرض السابق ضروريا لمحاولة المقارنة بين « المنطق » فى التحالف أو التآلف أو تكوين المحاور كما كان سائدا الى حد ما أيام « وحدة الصف » و « وحدة الهدف » و « الانظمة التقدمية » و « الانظمة التقليدية » ٠٠

كان هناك ثمة منطق ما يحكم الامور ٠ ٠ ٠ وكان الامر مفهوما . . وكان منطقيا برغم ما كان يشوبه من نواقص وأخطاء ٠ أما الان فيكفى أن نعود الى أستعراض التحالفات الجديدة ٠٠ والى استعراض مشروعات المحاور الجديدة لنرى أن الصورة قد أصبحت نوعا من التشابك السيريالى .

[٣٤] الاهرام ١٩٧٤/١٠/٩
[٣٥] الاهرام ١٩٧٤/١٠/٢٣
[٣٦] الجمهورية ١٩٧٤/١١/٢١
[٣٧] أ. ش. أ. — من بون — ١٩٧٤/١٢/٢٣.
[٣٨] الاهرام ١٩٧٥/٢/١٨
[٣٩] الجمهورية ١٩٧٥/٢/٢٨
[٤٠] الاهرام ١٩٧٥/٤/٤

دول المـواجهـــة والقضــــية

من « أسوان » الى « ســالزبورج »

مجدى نصيف

خلال هذا العام ــ الذى يبدأ من يولية ١٩٧٤ ــ بدأت جولات « الدكتور هنرى كيسنجر » وزير الخارجية الامريكى لمناقشة المرحلة الثانيـــة من الفصل بين القوات الاسرائيلية والعربية ، متبعا أسلوب « المكوك » الذى يتنقل بين أطراف النزاع بسرعة ونشاط ، محاولا البحث عن نقاط أو حتى عن « احتمالات » لنقاط الاتفاق .

وليس معنى هذا ما قد يتبادر الى الذهن من أنه يقدم نفسه « كوسيط » ، ولــكنه لم يــكن « محايدا » أبدا بين أطراف النزاع ، ومن ثم فهو ليس « وسيطا » ، على العكس انه جــزء من الصراع الدائر فى المنطقــة بين حركــة التحرر الوطنى العربية من ناحية وبين الامبريالية التى تساند اسرائيل من جهة أخرى .

وبعد حرب اكتوبر ١٩٧٣ قام كيسنجر وحتى فبراير الماضى بتسع جولات :

الاولى فى نوفمبر ١٩٧٣ بعـد حرب اكتوبر مباشرة للوصول الى اتفاقية النقاط الست .

الثانية فى ديسمبر ١٩٧٣ للاعداد لمؤتمرجنيف

الثالثة فى يناير ١٩٧٤ للفصـل بين القوات على الجبهة المصرية .

الرابعة فى فبراير ١٩٧٤ لجنى ثمرة التحرك الامريكى المنفرد فى المنطقة باعادة العلاقات مع مصر ، وفى هذه الجولة تم أيضا التمهيد لفصل القوات على الجبهة السورية .

الخامسة آخر ابريل ١٩٧٤ للفصل بينالقوات فى الجولان واستغرقت خمسة أسابيع .

السادسة فى يونية ١٩٧٤ عنـدما صـاحب الرئيس الامريكى السابق ريتشارد نيكسون فى زيارته للمنطقة .

ثم بدأت المرحلة الثانية فى جـولات الدكتور كيسنجر فى الشرق الاوسط بالجولة السابعة فى اكتوبر .

وقبيل وصوله الى المنطقة صدرت فى الولايات المتحدة الامريكية على لسان المسئولين ، تهديدات باستخدام سياسة « العصا الغليظة » واحتــلال منابع البترول اذا استلزم الامر ، ووجهت هذه التهديدات الىالدول العربية علىوجه الخصوص بالاضافة الى احتمال « اغتيال » بعض الحكام العرب .

كانت الجولة « الكيسنجرية » السابعة قبل مؤتمر قمة الرباط . وفى المؤتمر اتخذ قرار من اهم القرارات المرتبطة بالقضية الفلسطينية الا وهو **اعتراف الدول العربية - ومن ثم التزامها جميعا - بمنظمة التحرير الفلسطينية كالممثل الشرعى الوحيد للشعب العربى الفلسطينى .**

وصرح الدكتور كيسنجر بعد مؤتمر القمة العربى فى الرباط أن القضية أصبح حلها أصعب بالنسبة له ، وأن خطة « التحرك التى كانت متفقا عليها قد اختلفت الان » وأن اسرائيل لا يمكن أن « تبتلع » هكذا فكرة الجلوس مع الفلسطينيين وجها لوجه .

معنى ذلك أن قرارات الرباط عندما شددت على « وحدة التسوية » فهى قد تعارضت مع مفهوم كيسنجر « لتهيئة » الاطراف لحل الازمة فيما بينهما . اذ ان جزءا من مفهوم كيسنجر لهذه « التهيئة » هو أن « يهيأ » العرب ايضا للتعامل فى الأزمة باعتبارهم أطرافا متعددة « لا طرفا واحدا » . وكان التعارض بين مفهوم كيسنجر لهذه « التهيئة » وبين تماسك قرارات الرباط هو سبب فشل جولة كيسنجر الماضية التى بدأت قبل قمة الرباط واستؤنفت وانتهت بعدها [١] .

وبعد عودته من جولته فى نوفمبر قال انه يعتقد « أنه أمكن تفادى أزمة الشرق الاوسط » .

وذكرت مصادر الحكومة الاسرائيلية فى نفس الوقت « ان المسئولين الاسرائيليين علموا من كيسنجر أن مصر مازالت ترفض اعطاء اى تعهد بانهاء حالة الحرب مقابل انسحاب عسكرى اسرائيلى آخر من سيناء . وان مصر تؤكد على ضرورة أن تتخلى اسرائيل عن حقول بترول أبو رديس فى مرحلة الانسحاب الثانية » .

وقالت وكالات الانباء أن هنرى كيسنجر ابلغ ايجال آلون وزير خارجية اسرائيل بأن على اسرائيل أن تنسحب من حقول بترول أبو رديس ومن ممرى الجدى ومتلا ، والا فان الحرب ستقع مرة أخرى فى الشرق الاوسط » .

وقبل جولة كيسنجر التاسعة تواترت الانباء عن أفكار ومشروعات اسرائيلية قال كيسنجر عنها أنها غير كافية ، « فيقرر كيسنجر القيام بجولته بعد أن اطمأن من خلال محادثاته مع المسئولين الاسرائيليين انه يحمل فى جعبته «قضمة» كبيرة تقدم الى مصر قد تغريها بالخروج على قرارات قمة الرباط وتعزلها بالتالى عن بقية الدول العربية .

مقترحات جديدة

وتأتى الجولة التاسعة والاخيرة فى فبراير ١٩٧٥ فى أسوان . الصحف الامريكية تقول ان موقف كيسنجر فى بلاده ليس قويا ، فيودعه الرئيس فورد حتى الطائرة ويقول : « نظرا لان الدكتور كيسنجر على وشك أن يبدأ مفاوضات على أعظم قدر من الاهمية ، فاننى آمل أن يلقى وزير الخارجية تأييد الشعب الامريكى » .

ماهى المقترحات التى بدت من خلال رحلة كيسنجر ونشرتها الصحف ووكالات الانباء ؟

نشرت « هآرتس » الاسرائيلية أن هنرى كيسنجر قد حدد خطته من ثلاث مراحل لاقرار السلام فى الشرق الاوسط :

المرحلة الاولى : تبدأ بانسحاب اسرائيل من الجزء الاكبر من سيناء والجولان .

المرحلة الثانية : هى تنازل اسرائيل عن الضفة الغربية للملك حسين الذى يسلمها بعد ذلك للفلسطينيين .

المرحلة الثالثة : تدويل القدس [الشرقية] .

وفى نفس الوقت كتبت «الجوريزاليم بوست» فى ٣ فبراير ١٩٧٥ تقول « ان الولايات المتحدة الامريكية بدأت تشعر بالقلق بسبب عدم الاهتمام المتزايد من جانب اسرائيل بسياسة تحقيق التقدم خطوة بخطوة التى يتبعها كيسنجر .

وكتبت الصياد البيروتية[٢] تقول : «الانسحاب مسافة ٣٥ - ٤٠ كيلومترا من شمال سيناء نزولا ، ليشمل المضايق وحقول النفط فى أبو رديس ، مقابل تعهد ضمني من مصر بعدم القيام بأعمال حربية لمدة سنة ونصف [زيدت المدة الى سنتين بناء على اقتراح كيسنجر]

[١] مصطفى الحسينى - روزاليوسف ١٩٧٥/٢/١٧
[٢] الصياد البيروتية - العدد ١٥٨٨ - ٢٠ - ١٩٧٥/٢/٢٧

ومرابطة قوات الطوارىء فى المضايق ، على أن يسبق التوجه الى جنيف انسحاب مماثل على الجولان والضفة الغربية .

المـوقف المصرى

لماذا قبلت مصر خطوات كيسنجر ؟

« عندما أثيرت المخاوف من فشل مهمة الدكتور كيسنجر أمام الرئيس أنور السادات ، خلال اقامته فى أسوان ، شرح تحليله للوضع بالشكل التالى : « السوفيت لا يريدون التسوية . أما الامريكيون فيريدون التسوية شرط أن تكون تسوية أمريكية . من جهتى لن أرفض أية فرصة ، أمريكية كانت أم سوفيتية ، تتيح لى عودة جزء من أرضى ، اذا كان ذلك سيتم بدون شروط . واللعبة بيننا وبين اسرائيل اليوم هى : من منا سيرفض التسوية الامريكية أنا أم اسرائيل ؟ لماذا أرفض أنا ؟ أمن أجل الذهـــاب الى مؤتمر جنيف ؟ واذا كـــانت اسرائيل سترفض التسوية الامريكية ... فهل يمـكن أن توافق على التسـوية الامريـكية ــ السوفيتية فى جنيف ؟ ... ومع ذلك ، لنسترسل فى مناقشة الاحتمالات . فلو فرضنا أننا استطعنا تجاوز كل العقبات التى تقف فى طريق انعقـــاد مؤتمر جنيف ، وعقد المؤتمر ، ولم ينجح ... فما هو الحل ؟ نعود لنستعد لحرب جديدة . ولو فرضنا أن السوفيت عادوا ليسلحونا بأحدث الانواع ، ووجـــدنا الظروف الدولية الملائمـــة ، وفاجأنا اسرائيل كما فاجأناها فى اكتـــــوبر ، وانتصرنا ... فلابد أن تتدخل أمريكا ، كمـــــا تدخلت فى حرب اكتوبر ، وتوقفنا عن قطف ثمار النصر ، لنجد أنفسنا فى نفس الظروف التى نحن فيها الان، أى السير فى طريق تحقيق التسوية السلمية هكذا سيكون الوضع لو رفضت أنا التسوية على الطريقة الامريكية ، أى الخطوة خطوة . أما اذا تركنا اسرائيل ترفض التسوية الامريكية ، فهناك أمل ، مهما كان ضئيلا ، فى أن يحدث نوع من التناقض والافتراق بين المصالح الامريكية وبين التصلب الاسرائيلى . وقد يؤدى ذلك الى تخفيف الاندفاع الامريكى فى تسليح اسرائيل ودعمها ، بل قد يؤدى الى تردد أمريكا فى الوقوف بجانب اسرائيل اذا قامت بيننا وبينها حرب خامسة»[٣].

« والذى لم يقله الرئيس السادات فى تـــلك الجلسة»... «هو أن هناك فريقا عربيا تتزعمه السعودية ، يقول بأن على العرب أن لا يتيحوا الفرصة للاتحاد السوفيتى لكى يدعم نفوذه فى المنطقة عن طريق التظاهر بأنه هو وحده الذى يؤيد العرب ، ويناصرهم ، ويدافع عنهم ... بل يجب أن تعطى الجهود الامريكية كل الفرصة لكى تصل بالتسوية الى ما يريده العرب ويتمنونه ، فأمريكا فى النهاية هى وحدها القادرة على الضغط على اسرائيل . فاذا رفضت اسرائيل التسوية الامريـكية ، وثبت لكل العـــرب ، الـــكارهين للسوفيات قبل المحبين ، ان اسرائيـــل ليســت امتدادا للولايات المتحدة فى الشرق الاوسط ، بل ان الولايات المتحدة هى الامتداد لاسرائيل فى المحيط الاطلسى ، عندها يشعر العرب ، كـــل العرب ، الى أن يقفوا صفا واحدا ، لاقتلاع كل أثر للمصالح الامريكية فى المنطقة » [٤] .

هكذا تحرك « المكوك » بين عواصم الشرق الاوسط فى جولته ، فى نفس الوقت الذى يعلن فيه الرئيس فورد :

« ان الولايات المتحـــدة الامريكية تواصـــــل امدادات الاسلحة الى الشرق الاوســـط [الى اسرائيل بطبيعة الحال وليس الى دول المواجهة العربية ــ الملاحظة من عندنا] بالرغم من خطر تجدد الحرب فى المنطقة ، وذلك من أجل الحفاظ على التوازن العسكرى ، وفى نفس الوقت الذى تجرى فيه الجهود لاقرار السلام » [٥] .

وفشلت جهود الدكتور كيسنجر وقالت وكالات الانباء تلخص بعض تفاصيل الخلافات وســـبب الفشل ما يلى :

● اقترحت اسرائيل أن تـــكون مدة الاتفاق ثمانية سنوات ، ردت مصر : لا التزام بفترة زمنيـــة ، وان كنا نوافق على تحـــديد قـــوات الطوارىء .

● طلبت اسرائيل أن تكون كل المنطقة التى ستنسحب منها مجردة من السلاح ، وأن يصبح عرض منطقة قوات الطوارىء أكبر مما هى عليه.

---

[٣] نقلا عن سليم اللوزى : من الذى كسب ومن الذى خسر ، بسبب فشـــل الدكتور كيسنجر ــ مجلة الحـــوادث اللبنـــانية ــ العدد ٩٥٩ ــ ٢٨ آذار [مارس] ١٩٧٥ .
[٤] نفس المصدر السابق
[٥] مؤتمره الصحفى فى ١٩٧٥/١/٢١ .

ولكن مصر لم توافق الا على تحييد جزء أساسى » من منطقة الانسحاب الاسرائيلى .

● طلبت اسرائيل اقامة جسور مفتوحة فى سيناء [اقتصادية وسياحية وخدمات] . رفضت مصر .

● طلبت اسرائيل عدم بدء انسحابها الا بعد ٦ أشهر من توقيع الاتفاق ليكون لديها الوقت الكافى لسحب خط دفاعها الذى تكلف ١٥٠ مليون دولار من الممرات . لم توافق مصر على هـذه الفترة الطويلة .

● اقترحت اسرائيل الغـاء المقاطعـة الاقتصادية . رفضت مصر وقالت انها قد تفكر فى حل بالنسبة للمنتجات الامريكية الخاضعـة للمقاطعة مثل الكوكاكولا . لكن وكالات الانباء ذكرت أن رابين قال لكيسنجر بهذا الخصوص : « لن ننسحب من سيناء لانقاذ الكوكاكولا » .

وكانت كل هذه التفاصيل تدور حول الطلب الاسرائيلى الاساسى : بيان مصرى بانهاء حالة الحرب . فلما رفض الرئيس السادات ذلك منذ البدء لجأت اسرائيل الى التحايل ، فجزأت طلبها الى تسعة بنود راحت تلح فى طلبها بالتقسيط .

الموقف السورى

ماهو الموقف السورى من جولات كيسنجر ؟

« ان مؤتمر جنيف ليس احتمالا قويا ، والحرب لا تزال احتمالا أساسيا ، فأمريكا لم تغير استراتيجيتها ، وكل ما تفعله الان ، هو تغيير الاساليب وترتيب عناصر استراتيجيتها لخدمة مصالحها بشكل أفضل . وبالتالى ، فان اسرائيل لن تنسحب الا بالحرب أو حين تشعر أن لدى العرب القوة القادرة على الانتصار فى الحرب ومهما تكن وسائل الحل ، فان على العرب أن يكونوا فى أقوى صورهم لحظة الوصول الى جنيف ، لا أن يصلوا متعبين .

« ومن أجل ذلك ، فان على الطرف العربى أن يحقق ثلاثة شروط هى : التصور المشترك للحل ، الموقف الموحد ، والعلاقات الجيدة مع السوفييت . وبتعبير آخر ، قبل حرب تشرين كان هناك حل واحد هو الحل الاسرائيلى — الامريكى ، لكنه لا يحقق المطالب العربية كاملة . وقد يكون تحقيق الحل العربى — السوفيتى متعذرا الان . فما العمل ؟

« من دون التنسيق مع موسكو ، فان التسوية ستكون نقطة فى منتصف الطريق بين الحل الاسرائيلى الامريكى والحل العربى الامريكى . وبالتنسيق مع موسكو فان التسوية ستكون نقطة فى منتصف الطريق بين الحل العربى — الامريكى والحل العربى — السوفيتى » [٦] .

« وترى دمشق أن مفتاح الحل هـو الارادة الذاتية أو القوة الذاتية لكن القوة الذاتية بحاجة الى وضـع للصداقات الدولية فى الحسـاب ، والاتحاد السوفيتى على رأس الاصدقاء .

« لكن دمشق مع ذلك ، تؤيد ذهاب السادات الى سالزبورج ، فهى ليست ضـد أى تحرك سياسى ينفذ المخطط الاستراتيجى العربى الذى تم الاتفاق عليه فى قمة الرياض » [٧] .

« وفى دمشق أيضا يقولون أن سياسةكيسنجر التى تعتمد على تجزئة الحلول والسـير خطوة خطوة ستلاقى الفشل هذه المرة . لقد سماها فى المرحلة الاولى « فصل القوات » فلماذا يخترع تسمية لها الان .

« انها «بهلوانية» كيسنجر التى باتت مكشوفة ترافقها الحملات الاعلامية ، والتهويل والتهديد اللذان يسبقان كل زيارة يقوم بهـا الى الشرق الاوسط ، اذ أن دمشق أصبحت مستاءة من هذا الاسلوب . فيوم مغادرته واشنطن أذاع راديو اسرائيل أن الولايات المتحدة أعطت اسرائيل ٢٦ صـاروخا أرض — أرض من نـوع لانس التى تستعملها قواتها المسلحة البحرية لحمل رءوس نووية الى مسافة مائة كيلومتر » ... « وتسخر دمشق من هذه الاخبار وتقول ان أمريكا لم تنفك تقدم السلاح المتطور فى كل يوم لاسرائيل [٨] » .

أو كما قال الرئيس حافظ الاسد فى خطاب فى الاحتفالات بأعياد ثورة الثامن من آذار : « ان هناك شحنات جديدة متتالية من السـلاح ترد

[٦] الصياد اللبنانية — العدد ١٦٠١ — ٢٢ — ٢٩ أيار [مايو] ١٩٧٥
[٧] نفس المصدر السابق
[٨] الصياد اللبنانية — العدد ١٥٩١ — ١٣ — ٢٠ آذار [مارس] ١٩٧٥

وتتكدس لدى اسرائيل ، وهذه الاكداس عمات وتعمل على التقليل من فرص السلام » .

« وفى النصف الاخير من شباط [فبراير] الماضى ، تأزمت العلاقات بين القاهرة ودمشق نتيجة الزيارة الاخيرة التى قام بها د . هنرى كيسنجر للمنطقة ، والتى انتهت باعلان موت دبلوماسية « الخطوة خطوة » وظهرت على سطح أجهزة الاعلام فى البلدين تباشير حملات صحفية اتخذت فى دمشق طابع الهجوم المباشر على سياسة الرئيس أنور السادات ، بينما ارتدت فى القاهرة لباس اللوم غير المباشر ، مع التلميح دون التصريح . وقد فسر المراقبون الحملة المصرية على دمشق بأنها من النوع الذى يريد أن يبقى على الجسور ، وأن يحافظ على خطوط الرجعة الى سياسة التفاهم والتنسيق » « وفى ذلك الوقت كانت المقاومة الفلسطينية طرفا فى النزاع مع دمشق ضد القاهرة ، خاصة بعدما تصورت قيادة المقاومة أن الرئيس السادات قد « اقتنع » بوجهة نظر كيسنجر القائلة بضرورة ابعاد « الفلسطينيين المقاتلين » عن القيام بأى دور فعال فى الدولة الفلسطينية المقترحة ، واستبدالهم بفلسطينيين يحلمون بغصن الزيتون دون الاستعانة بالبندقية . ومثل هؤلاء موجودون بكثرة فى النظام الاردنى [٩] .

موقف المقاومة الفلسطينية

وما موقف المقاومة من رحلات « كيسنجر » ؟

كتبت صحيفة «فلسطين الثورة» الناطقة باسم منظمة التحرير الفلسطينية فى تعليق لها قبل أسبوع من زيارة كيسنجر الاخيرة للمنطقة تقول:

« ان أى تقدم يحرزه كيسنجر فى مهمته سيتم بالضرورة على حساب النضال العربى ، وهو أمر منطقى لان أمريكا الامبريالية عدوة العرب . ويتعين ربط أية مساع نقوم بها من أجل تحقيق أحد اهداف حرب اكتوبر ١٩٧٣ ، بالنضال العام الذى تخوضه الشعوب العربية والفلسطينية . وتسعى الامبريالية لاعداد مؤامرة جديدة ، ترمى من ورائها اعطاء الاردن دوره حتى يستطيع استعادة الاراضى الفلسطينية التى ستتخلى عنها اسرائيل : وهذا التخلى بضير بحق الشعب الفلسطينى فى تقرير مصيره وسيادته الوطنية».

أى أن الولايات المتحدة تعتمد على فقدان الوحدة الكافية بين العرب فى محاولاتها لمواصلة طريق سياسة الحلول المنفصلة فى الشرق الاوسط . انها تود حل المشكلة الفلسطينية على طريقتها الخاصة وبما يحقق مصالحها فى المنطقة أى بتصفية المشكلة كلها بشكل عام ، ومن ثم يحذفونها من القائمة فى النهاية ، وهذا على وجه التحديد هو الهدف الذى تسعى اليه سياسة الحلول المنفصلة التى تسعى فى المقام الاول الى عزل حركة التحرير الفلسطينية تمهيدا لتجميدها.

ويتفق هذا المنطق مع المنطق السورى الذى يقول : « اننا نرفض دبلوماسية السلحفاة . لسنا ضد سياسة الخطوة خطوة ، اذا كانت تقود الى خطوة كبيرة على الجبهات الثلاث تمهد الطريق لمؤتمر جنيف والحل العادل الشامل . واذا كانت دبلوماسية خطوة خطوة تعنى تقسيم العرب الى ثلاث جبهات ، فانها مرفوضة ، ذلك أن تقسيم الجبهات العربية ، والسير البطىء على طريقة السلحفاة ، لا يقودان الى السلام ، بل هما لا يلغيان احتمال الحرب » و « جوهر الموضوع هو القضية الفلسطينية ، ومن دون حل هذه القضية ، فلا حل » [١٠] .

من هنا فليس مفاجأة أن يقترح الرئيس السورى حافظ الاسد فى خطابه الذى القاه بمناسبة ذكرى الثورة فى سورية — الثامن من مارس — اقامة قيادة سياسية ، سورية — فلسطينية موحدة . وردت المقاومة بالقبول .

أوساط قيادة منظمة التحرير شرحت مكاسب الاقتراح السورى للقضية الفلسطينية على النحو التالى :

- انه رد سياسى على تشديد محاولات واشنطن وتل أبيب الرامية الى تطبيق استراتيجية « فرق تسد » على الوطن العربى فى هذه المرحلة وذلك فى نطاق مساعى الدكتور كيسنجر الحالية أى أن تأخذ الدول العربية « فصل القوات » وانسحابات اسرائيلية ، مقابل تنازلات سياسية عربية ، وتحقيق « فك الارتباط » بين كل دولة .

[٩] الدستور اللبنانية — العدد ٢٣٧ — ٢٨ نيسان — ٤ أيار [مايو] ١٩٧٥.
[١٠] الصياد اللبنانية — العدد ١٥٨٨ — ٢٠ — ٢٧ فبراير ١٩٧٥

عربيـــة واخرى ، وبين هـــذه الدول والثـــورة الفلسطينية،بل وبين هذه الدول واستراتيجية الثورة العربية .

● امام رفض تل ابيب توجيه الدعـــوة الى منظمة التحرير لحضور مؤتمر جنيف ، ومماطله الدكتور كيسنجر فى هذا الموضـوع ، الامر الذى اذا تم ، يعنى اعتراف الولايات المتحدة بقيـــادة الشعب الفلسطينى ، فان سوريا ربطت موقفها من هذا المؤتمر بالموقف الفلسطينى . أى « اما نذهب معا أو لا نذهب » الى مؤتمر جنيف .

● ان تشكيل قيادة ســـورية ـــ فلســـطينية مشتركة على الصعيدين السياسى والعســـكرى يحمى راس الثورة الفلسطينية فى هذه المرحلة الحرجة من التفاوض غير المباشر عبر كيسنجر فى المنطقة [١١] .

لذلك من الطبيعى أيضا أن يسافر ياسر عرفات على راس وفـــد فلســـطينى كبير فى أوائل مايو الماضى الى موسكو ، وتعتبر هذه الزياره اهم زياره فيمـــا يتعلق بالعلاقات الفلســـطينية ـــ السوفيتية . وعند مقابلة الوفد ليونيد بريجنيف قال : « ان الاتحاد السوفيتى يؤيد تأييدا كاملا وتاما نضال الشعب الفلسطينى ومنظمته ، من اجل تحقيق الحقوق الوطنية ، وحق تقرير المصير ضمن دولة فلسطينية مستقلة » .

فشل محاولة الانسحاب الصورى

ثم نأتى الى ختـــام جولات المرحلة الثـــانية لكيسنجر . الفشل لماذا ؟

قال الرئيس السادات :

كان تصورى أن أمام كيسنجر أملا فى حدود ٩٠ أو ٨٠ ٪ للوصول الى اتفاق . السبب أن هذه الخطوة كان يمهد لها من الصيف السابق ، صيف ١٩٧٤ منذ زيارة نيكسون للمنطقة . ولعلك تذكر الكلمة التى ألقاها فى تل أبيب ، وقال فيها للاسرائيليين « عليكم أن تتخذوا قرارات صعبة» وكان هذا الـــكلام متجاوبا مع تصـــورى الذى عرضته على نيكسون وكيسنجر ، من أن هناك حاجـــة الى انسحابات اسرائيلية ، ســـواء على الجبهات الثلاث تتم معا ، أو بالتوالى ، من أجل تحقيق هدفين : الاول هو نزع الفتيل من الموقف المشتعل فى المنطقة والثانى تهيئة جـــو مناسب لاستئناف مؤتمر جنيف ، لكى نستطيع أن نضـــع ابعاد ، أو شكل الحل النهائى للقضية . كـــان المفروض أن تتم الخطوة الاولى فى سبتمبر ١٩٧٤ أو اكتوبر ، لكن حدث أن استقال نيكسون ،وجاء فورد » ... ووفقا لنظرية الاسرائيليين ، « حتـــة ارض بحتـــة ســـلام » قـــدموا خطـــا متعرجـــا للانســـاب ، كله انبعاجات وجزر . كانوا يريدون الاحتفاظ فى المضايق ، بمركز مقابل كل مركز ينسحبون منه لنا . وأنا كنت واضحا منذ البداية مع نيكسون ، ومع كيسنجر ومع فورد ، بأننـــا نريد الخط واضـــحا ومستقيما ، وأن عليهم أن يخرجوا من المضايق تماما ، فاذا لم نتفق الان على هذا الخط .. فكيف سنتفق على خط الحدود بعد ذلك ؟ كان واضحا تماما ، أنهم يساومون لتكون عملية الانسحاب صوريه » [١٢] .

هكذا انتهت جولات الدكتور كيسنجر التسع فى الشرق الاوسط . فماذا فعل ؟ هناك وقائع الامس القريب خلال جولاته :

اولا : ما عرف من اسرار حرب اكتوبر يؤكد أنه الشخص الذى حـــاول « تعطيل الانتصـــار العسكرى » المصرى بعد معركة العبور . وحين أعلن الرئيس السادات أن أمريكا دخلت الحرب ضده ، كان كيسنجر يقدم ثغرة الدفرسوار هدية لاسرائيل .

ثانيا : استخدم الوزير الامريكى كل ما أمكنه لتعطيل سلاح البترول . حصل على قرار برفع الحظر ، ويقال أنه حصـــل على تعهدات بعـــدم فرض الحظر مرة أخرى ، ثم قدم خطة لخفض أسعار البترول وأخرى لاعادة الدولارات البترولية الى أمريكا والغرب .

ثالثا : حاول الالتفـــاف حول مكاســـب حرب اكتوبر بتبريد الازمة لكسب الوقت ، وفتح مخازن الجيش الامريكى أمام اسرائيل .

رابعا : حاول تفكيك الجبهات العربية والتضامن العربى . وفى مؤتمر القمة بالرباط روى الرئيس

[١١] الصياد اللبنـــانية ـــ العـــدد١٥٩٢ ـــ ٢٠ مارس ١٩٧٥

[١٢] حديث الرئيس السادات لسليم اللوزى ـــ الحوادث اللبنانية ـــ العدد٩٦٦ ـــ ١٦ أيار [مايو] ١٩٧٥

حافظ الاسد للملوك والرؤساء العرب قصصا مذهلة عن المحاولات التى بذلها للايقاع بين مصر وسوريا عن طريق الخداع .

خامسا : فى جولة قبل قمة الرباط سعى الى منع الاعتراف بمنظمة التحرير كالممثل الشرعى الوحيد للشعب الفلسطينى [١٣] .

سالزبورج .. امتداد للخطوة خطوة

يجمع المراقبون على أن الرئيس فورد قد اقتنع بالعودة الى سياسة الخطوات الصغيرة كأفضل طريق تتبعه السياسة الامريكية فى الشرق الاوسط خصوصا « فقرر أن يحل هو شخصيا محل كيسنجر ، ويضع سمعته ومركزه فى الميزان ، للتوصل الى اتفاقية مصرية — اسرائيلية تزيل ، لبعض الوقت على الاقل خطر انفجار عسكرى جديد فى الشرق الاوسط » . فمن الواضح لكل من يراقب المسرحين السياسيين فى تل أبيب وواشنطن ، ان اسرائيل ليست على استعداد للاندفاع نحو حل شامل ، لانها ليست على استعداد للتنازلات التى يفرضها الحل الشامل وهى الانسحاب من كل الاراضى العربية المحتلة عام ١٩٦٧ ، والاعتراف بحقوق الشعب الفلسطينى واقامة دولة فلسطينية عربية . كما أن الولايات المتحدة لم تصل بعد ، رغم انهيار سياستها فى الشرق الاقصى ، الى حد التمرد الجدى على الضغط الصهيونى على أجهزتها ، ولهذا فان كل ماتسعى اليه فى الوقت الحاضر، لا يتجاوز عمليات « تلطيف » محدودة الاثر تحقق « اراحة » أعصاب العرب فترة من الزمن دون أن تزعج الاسرائيليين وتقيم معهم معركة جدية تنعكس آثارها على الاوضاع الداخلية — والانتخابية — فى الولايات المتحدة [١٤] .

وقد سجل المراقبون الذين تابعوا التحركات السريعة لازمة الشرق الاوسط منذ فشل مهمة كيسنجر ، التطورات التالية :

أولا : أن مصر مازالت متمسكة بامكانية الحلول السلمية ، وتعتقد فى فعالية الضغط الامريكى على اسرائيل ، وبالتالى امكانية نجاحه .

ثانيا : رغم تصور البعض بأن احتمال وقوع حرب خامسة مع اسرائيل احتمال محدود ، فان مصر تستعد لها ، وتطلب الى العرب الاستعداد ذاته ، كى تكون هذه الحرب البديل الحقيقى لفشل مساعى السلام الامريكية بصورة نهائية .

ثالثا : ان الاتجاهات كلها تشير الى لافتة سير موحدة تؤدى الى جنيف [١٥] .

وحدث التطور من خلال المبادرة الامريكية المتمثلة فى لقاء سالزبورج بين **الرئيس أنور السادات والرئيس الامريكى فورد** والتى سبقها :

أولا : الاعلان عن قرار الرئيس فورد باعادة النظر فى السياسة الامريكية فى الشرق الاوسط

ثانيا : الرسالة التى بعث بها الرئيس فورد الى الرئيس السادات فى الرياض والتى حملها اليه نائب الرئيس الامريكى نيلسون روكفلر .

وكان الرئيس السادات حريصا على التعرف عن الاتجاهات العامة للسياسة الامريكية الجديدة فى الشرق الاوسط وتأثير ذلك على اسرائيل . وتم فى القاهرة اللقاء بين ياسر عرفات والرئيس السادات تبودلت فيه وجهات النظر التى حدث فيها خلافات بسبب التباين حول مهمة كيسنجر ومقترحاته .

وبادرت السعودية الى اقتراح **قمة ثلاثى** فى الرياض بين الملك خالد بن عبد العزيز والرئيس أنور السادات والرئيس حافظ الاسد .

لقد جاءت قمة الرياض لمناقشة مهمة الدكتور كيسنجر ومؤتمر جنيف واحتمالات الحرب الخامسة استعدادا لقمة سالزبورج ، والتى تعد امتدادا لسياسة الخطوة بخطوة ولكن على مستوى « الرئيس فورد » نفسه .

[١٣] رفيق خورى — ماذا فعل لنا كيسنجر وماذا فعل بنا ؟ — الصياد اللبنانية — العدد ١٥٨٧ — ١٣ — ٢٠ فبراير ١٩٧٥

[١٤] قمة غزل الخطوات الصغيرة — الديار اللبنانية العدد ١٠٧ — من ١٢ الى ١٨ آيار ١٩٧٥.

[١٥] الدستور اللبنانية — العدد ٢٣٧ — الاثنين ٢٨ نيسان — ٤ أيار ١٩٧٥

الصـــــراع مـــع اســــرائيـل
فى العـــلاقات العـــربيـــة الدوليـــة

عبد المنعم سعيد

لاشك أن الدارس للعلاقات بيـن « العرب والعالم » لابد وأن ينظر الى هذه العلاقات من منظور قضيـة القضـايا : الصراع العـربى الاسرائيلى . ولاشك أيضا أن هذه القضية قد اكتسبت معانى جديدة فى العلاقات الدولية منذ حرب اكتوبر ١٩٧٣ ، فهى **أولا** الازمة التى مازالت مستعصية على المجتمع الدولى فى ظل ظروف الانفراج القائم بين الكتلتين خاصة بعد أن حسمت حرب الشرق الاقصى ، بارتفاع رايات الثوار فوق مدينتى هوشى منه وبنوم بنه ، **وثانيا** فقد أصبحت الازمة أكثر اتساعا من أن تقتصر على مجرد الصراع العربى الاسرائيلى ، سواء فيما يتعلق **بالجوهـــر الفلســطينى للصراع ، او ما يتعلق** بالاراضى العربية المحتلة بعد عام ١٩٦٧ . فقد اتسع حجم الازمة جغرافيا لتصبح ازمة البحر الابيض المتوسط كله ، لتترك بصماتها الواضحة على الازمة القبرصية وعلى موقف الجنـاح الجنوبى لحلف الاطلنطى ، وشملت الازمة أيضا منطقة الخليج العربى بعد أن أصبحت ازمة الطاقة ذات صلة وطيدة بالصراع الدائر فى منطقة القلب العربية . كما امتدت الازمة من البحر الاحمر حتى القـــرن الافريقى حيث يدور الصراع على مياه المحيط الهندى ، وتدور معارك الثورة الارتيرية . وأخيرا فان اتساع جغرافية الازمة ، وشمولها لقضايا جديدة ، قد طرح على التحرك السياسى العربى اتجاهات أخذت اشكالا مقننة كالحوار العربى الاوربى والحوار العربى الافريقى .

والمتتبع لطريقة القيادات العربية فى ادارتها للصراع فى الشرق الاوسط طيلة العام الماضى ، يجد ان تحولا هاما قد طرأ على الطرح العربى لكيفية حل الصراع فى العلاقات العربية الدولية . وحتى نحدد ماهية هذاالتحول ، فأننا نوجز الرؤية العربية لاقرار السلام فى الشرق الاوسط فيما سبق وفقا لتصورين :

أولهما : يرى ضرورة اقامة سلام عربى شامل ، وهو ما يعنى تصفية الكيان الصهيونى سياسيا وجغرافيا وحضاريا ، انطلاقا من فـرضية أن الوجود الاسرائيلى وضع غير عادل تاريخيا يقوم على أن مستوطنين من دول أجنبية ، قدموا ليحلوا

بدلا من مواطنين عربا، لخلق دولة استعمارية هى نفى تاريخى وحضارى لعروبة فلسطين .

ثانيا : يقبل بامكانية اقامة سلام فى المنطقة يرتكز على التعايش بين الاسرائيليين والعرب ، مع الرفض الكامل لاى وصاية أو أحلام امبراطورية ترغب الاقلية الاسرائيلية فى فرضها على المنطقة ، بنزع الصفة الصهيونية القائمة على أن أرض اسرائيل التاريخية هى وطن كل يهود العالم .

ومن الملاحظ أن هذا التصور قد طرح نفسه بالحاح بعد حرب ١٩٦٧ ولكنه بدوره كان مطروحا فى الرؤية العربية وفقا لمفهومين :

١ ـ ان التعايش بين اليهود والعرب يتم من خلال اقامة الدولة الفلسطينية الديمقراطية العلمانية التى تضم كل مواطنى فلسطين الجغرافية من مسلمين ويهود ومسيحيين ، وحدد الميثاق الوطنى الفلسطينى اليهود بأنهم الذين كانوا يعيشون فى فلسطين قبل عام ١٩٤٨ ، ثم عاد ياسر عرفات فى خطابه أمام الجمعية العامة للامم المتحدة فى نوفمبر الماضى ، وأعلن ان كافة اليهود الذين يعيشون هناك الان سيكونون محل ترحيب فى الدولة الجديدة .

٢ ـ قيام دولة فلسطينية على اساس قرار التقسيم عام ١٩٤٧ . وهى فكرة تستمد قوتها من استنادها الى قواعد الشرعية الدولية ، وعلى كونها قد تكون مقبولة من العالم الخارجى الذى اعتبر لاكثر من ربع قرن اسرائيل كأحد الدول الاعضاء فى الامم المتحدة ، على أن يظل الامر « مرهونا بالتطورات المحتملة فى العلاقات بين الدولتين الفلسطينية والصهيونية » فى اتجاه فلسطين التاريخية كهدف استراتيجى ، ويوتوبيا عربية لا ينبغى التحول عنها «١» .

فاذا ما انتقلنا الى الطرح العربى الان لكيفية انهاء الصراع العربى الاسرائيلى نجد ان سمات مختلفة عما سبق قد هيمنت عليه يمكن تحديدها فيما يلى :

● ان القيادات العربية قد تبنت فكرة « المرحلية » فى حل الصراع مع اسرائيل ، وهى الفكرة التى كررها الرئيس السادات أكثر من مرة ، حين أشار الى أن مهمة هذا الجيل هى انهاء حالة الحرب مع اسرائيل ، أما ما يزيد على ذلك ، فهو مرهون بارادة الجيل القادم ، والظروف التى تحيط به . بل ان بعضا من فصائل المقاومة الفلسطينية تتبنى هذا الاتجاه ، وهو ما يعبر عنه سعيد حمامى ممثل منظمة التحرير الفلسطينية فى لندن ، فى بحثه « استراتيجية فلسطين للتعايش السلمى » والذى طرحه أمام مجلس التفاهم العربى البريطانى من أن انشاء دولة ديمقراطية علمانية فى فلسطين ليست مهمة هذا الجيل ولكن مهمة الاجيال القادمة .

● ان فكرة انهاء العداء مع اسرائيل تعنى فى جوهرها المطروح على المجتمع الدولى « انهاء التوسع الاسرائيلى » بمعنى عودة اسرائيل الى حدود ما قبل يونيو ١٩٦٧ :

« اسرائيل حقيقة قائمة لا مساس بحدودها ، موقف أمريكا مانتوش تايهين عنه كلكم . عارفينه ، اسرائيل فى الامم المتحدة ، خرافة الكلام بقى عن رمى اسرائيل فى البحر ، مزايدة ، أنا غير مستعد انى أخش فيها . اذن اسرائيل بحدود ١٩٦٧ حقيقة قائمة « ٢ » .

« اذا عاد الاسرائيليون الى حدود ١٩٦٧، وصارت الضفة الغربية لنهر الاردن وقطاع غزة دولة فلسطينية ، فان آخر عقبة أمام التسوية النهائية تكون قد ازيلت « ٣ » .

« سوف أكون على استعداد للاعتراف بحق دولة اسرائيل فى الوجود بعد انسحابها من الاراضى العربية فى حرب ١٩٦٧ « ٤ » .

● ان الحل الممكن للمسألة الفلسطينية يكمن فى انشاء دولة فلسطينية فى الاراضى الفلسطينية التى احتلت عام ١٩٦٧ وهى الضفة الغربية وقطاع غزة . هى الفكرة المعبر عنها فى كثير من البيانات المشتركة بين دول عربية ودول أخرى فى المجتمع الدولى « ٥ ».

● ان منطق التسوية العربية هنا يرتبط فى نظر القيادات العربية بواقع محدد فى لحظة زمنية محددة ، حيث يكون الحل فى اطار التوازن الدولى ، وتوازن القوى فى المنطقة ، وما تفرضه اعتبارات السياسة العملية من مواقف . وهو ما يعنى أن يتراجع الى الصفوف الخلفية ـ ولو

[١] انظر مقال الاستاذ / محمد سيداحمد، صحيفة الاهرام، ٧٤/١٠/٢٦، ١٩٧٥/٢/١١ .

[٢] حديث الرئيس السادات للصحافة الكويتية ، صحيفة السياسة الكويتية ، ١٩٧٥/٥/١٥ .

[٣] حديث الرئيس الاسد ، مجلة النيوزويك الامريكية ، ١٩٧٥/٢/٢٣ .

[٤] حديث الملك خالد ، صحيفة واشنطن بوست الامريكية، ١٩٧٥/٥/٢٥

[٥] ننوه هنا الى ان عددا من القيادات الفلسطينية تتبنى هذا الاتجاه، نذكر منها نايف حواتمه وسعيد حمامى.

مؤقتا ـ كل ما يتعلق بالتاريخ والايديولوجية والقومية والشرعية الدولية ، وهي العوامل التي سيطرت على الصراع العربي الاسرائيلي طوال الربع قرن الماضي .

وبالطبع فان « منطق التسوية العربية » هذا يلقى معارضة ليست بالقليلة من قيادات عربية وشعبية شتى ، ولكن الذي يهمنا هنا ، وبغض النظر عن التقييم الشخصي ، لكل من جبهة «قبول» هذا المنطق ، وجبهة « الرفض » له ، هو تحديد الطرح العربي السائد في المجتمع الدولي . وتبيان الى اي حد نجحت الدول العربية في علاقاتها الدولية ان تكرس منطقها ، فنحن نسلم بداءة ان الدول العربية لا تعبر عن حقيقة واحدة ، كما أنها لا تعبر دائما عن موقف واحد ، لذا فاننا نحاول أن نتلمس ما يعد اتجاها عاما ، غالبا ، ترك أثره على الاطراف الدولية .

وعلى هذا الاساس فسوف نتناول العلاقات العربية الدولية في ثلاث نقاط محددة جميعهاترتبط بأزمة الشرق الاوسط :

اولها : الاراضي المحتلة في العلاقات العربية الدولية .

وثانيها : القضية الفلسطينية في المجتمع الدولي .

وثالثها : البترول العربي وأزمة الطاقة .

الاراضي المحتلة في العلاقات العربية الدولية

اتساقا مع المنطق السابق ذكره فان التحرك العربي عالميا ، قد ركز على دعوة المجتمع الدولي الى رفض فكرة ضم الاراضي بالقوة التي تنتهجها اسرائيل ، وكانت أهم مقومات هذا التحرك ثلاث هي :

اولهما : السعي الى عقد مؤتمر جنيف للسلام في الشرق الاوسط ودون استبعاد أية خطوات سابقة له .

وثانيهما: اعطاء اهمية متزايدةللدور الامريكيفي حل الصراع العربيالاسرائيلي ، وانتفاوتت نسبة الاهتمام بهذا الدور من دولة عربية الى اخرى ، ولكن جميعها تستند الى طبيعة العلاقات الامريكية الاسرائيلية .

وعلى سبيل المثال ننقل عددا من تصريحات القادة العرب :

« **أوراق هذه اللعبة جميعا ، ان ما كانتش جميعها ٩٠ في المائة في ايدىامريكا هي التي تزود** اسرائيل بالخبز والزبد والمدفع والطائرات وحتى العجز في الميزانية ، هي التي بتعوض اسرائيل عنه ، اذن اسرائيل حياتها متوقفة على أمريكا ، ويستطيع الرئيس الامريكي فعلا ، اذا أراد ، يستطيع أن يحل هذه المشكلة « ٦ » .

« من المؤكد أنني أعتقد أن واشنطن تعد قادرة على ممارسة الضغوط على الدولة اليهودية ، ولكننا لا نطالب الامريكيين بأن يضعوا حدا للعلاقات المتميزة التي يقيمونها مع الاسرائيليين ، كل ما نريده منهم هو أن يتدخلوا من أجل تفادي انفجار وشيك يقودهم الى مواجهة مع السوفيت » . « ٧ » .

« ان علاقتنا بالولايات المتحدة بعد حرب أكتوبر علاقات طبيعية ، ونتمنى أن تتطور ، ولكن نفوذ الحركة الصهيونية داخل الولايات المتحده يقف حائلا دون هذا التطور ، أنا ارى ان هناك صراعا بين مصالح الولايات المتحدة ، مصالح الحركة الصهيونية ومستقبل العلاقات العربية بأمريكا وهي نتيجه هذا الصراع . « ٨ » .

« لا نرغب أن نفرض ـ أو نعود لفرض ـ حظر بترولي على أصدقائنا ، ولكن ينبغي على أصدقائنا أن يدركوا أين توجد مصالحهم الاستراتيجية والقرار في أيديهم « ٩ » .

وبهذا فان الاتجاه العربي نحو الولايات المتحدة قائم على فرضية أن تتمكن الولايات المتحدة من ادراك أين توجد « مصالحها الحقيقية » ومن ثم تقوم بالضغط على اسرائيل من أجل الانسحاب من الاراضي المحتلة .

وثالثهما : العمل على تنمية الدور الاوربي بالنسبة للوضع في الشرق الاوسط سواء من خلال الحوار العربي الاوربي ، أو ربط قضية الامن الاوربي بالامن في الشرق الاوسط ، أو من خلال مشاركة ممثلين للسوق الاوربية المشتركة في مؤتمر جنيف ، ورشح لهذا الدور كل من فرنسا وبريطانيا : « ان الوقت قد حان لكي تلعب أوربا

[٦] حديث الرئيس السادات للصحافة الكويتية ، صحيفة السياسة الكويتية : ١٩٧٥/٥/١٥ .
[٧] حديث الرئيس السادات ، صحيفة لوموند الفرنسية : ١٩٧٥/١/٢٠ .
[٨] حديث الرئيس الاسد : مجلة الحوادث اللبنانية : ١٩٧٥/٦/٢٧ .
[٩] حديث الملك فيصل ، مجلة النيوزويك الامريكية : ١٩٧٤/٩/٣٠ .

دورها فيما يتعلق بتسوية ازمة الشرق الاوسط » « ١٠ » .

كذلك عملت الدول العربية على أن تنشىء جسورا للتسليح من قبل أوربا ، بالذات بريطانيا وفرنسا ، مع الدول العربية . وقد تمثلت هذه الخطوة فى عديد من صفقات السلاح بين مصر والمملكة السعودية وامارات الخليج العربى من جانب ، وفرنسا على وجه الخصوص من جانب آخر . « ستكون فرنسا الشريك الاساسى فى تشييد صناعة حربية تشترك مصر والعربية السعودية وقطر ودولة الامارات العربية المتحدة فى تمويلها ، وقد زود رأس المال الاساسى لهذه الشركة بمايزيد عن مليار دولار . كما تم ابرام العقود الاولى مع فرنسا ، ويجرى الان دراسة بعض المقترحات الجديده كما أننا نجرى مفاوضات مع البريطانيين ، الا أننى أكرر أننا سنعطى الاولوية لفرنسا » «١١» .

واذا أخذنا مقومات التحرك العربى هذه موضع الاعتبار ، فان السؤال المطروح سوف يكون : ما هى ردود الفعل الدولية عليها ؟

■ **الولايات المتحدة** : يمكن القول ان تغييرا ملموسا فى الاستراتيجية الامريكية خلال العام المنصرم لم يحدث ، فبالرغم من أنه قد بدا فى بعض الاحيان ان هناك تمايزا قد نشأ فى التكتيكات بين الولايات المتحدة واسرائيل ، فان الخطوط الاساسية الامريكية لحل الصراع فى المنطقة لا تزال تقوم على ضرورة الحفاظ على الوجود الاسرائيلى ضمن حدود آمنة ومعترف بها . وفقا لهذا المنطق فان الولايات المتحدة لم ترد أبدا على السؤال العربى الذى كان مطروحا ، وبالحاح ، حول ماهية الحدود « الامنة » التى تضمنها الولايات المتحدة لاسرائيل ؟ وعما اذا كانت هذه الحدود ، هى الحدود الراهنة ام حدود ما قبل عام ١٩٦٧ ؟ لقد التزمت الولايات المتحدة الصمت تجاه الاجابة على هذا السؤال ، مكتفية بتأييدها للقرار ٢٤٢ الصادر عن مجلس الامن فى نوفمبر ١٩٦٧ ، مع بعض الايماءات التى تشير الى رغبة الولايات المتحدة فى تنفيذ مشروع روجرز الذى يقضى بوجود تعديلات طفيفة فى الحدود . ولما كان تعبير « تعديلات طفيفة » تتسم بالغموض الشديد ، فان ما يمكن استنتاجه ان الولايات المتحدة تتبنى القراءة الانجليزية للقرار ٢٤٢ ، التى تقضى بانسحاب من « أراضى » احتلت خلال حرب ١٩٦٧ ، وبمعنى آخر فان هذه الحدود تقع فى نقطة ما بين الحدود الحالية وحدود عام ١٩٦٧ ، وهو ما يعنى بشكل محدد استمرار التوسع الاسرائيلى فى بعض من الاراضى العربية .

وقد استمر التأييد الامريكى لاسرائيل بدرجات مختلفة من قبل الحكومة والكونجرس ، على سبيل المثال : صرح جوزيف سيسكو بأن الولايات المتحدة كانت منذ وقت طويل المؤيد الرئيسى لسلامة كيان اسرائيل وحيويتها الاقتصادية ، وأنه لم يطرأ أى تغيير على هذه السياسة . كما صرح كيسنجر نفسه « أننا لا نستطيع أن نعيش مع أنفسنا اذا ما مسسنا بسلامة وامن اسرائيل » .

وعلى صعيد الكونجرس الامريكى « وهو ذو نفوذ متزايد فى ظل الظروف الامريكية الداخلية الحالية » يبدو العناق الامريكى الاسرائيلى اكثر حماسا . وهو ما يبرز فى رسالة الـ ٧٥ شيخا أمريكيا للرئيس فورد والتى أوضحوا فيها « أنه من الخطر على الولايات المتحدة تخفيف المساعدات العسكرية والاقتصادية التى تقدمها لاسرائيل » ، وأنهم يعتقدون أن الحفاظ على السلام يتطلب منح اسرائيل مساعدات عسكرية واقتصادية حتى يمكنها ردع الدول المجاورة لها عن شن حرب جديدة . نحن نعتقد أن دولة اسرائيل القوية تشكل أكثر الحواجز أمنا التى تحول دون سيطرة أجنبية على المنطقة . وازاء شحنات الاسلحة السوفيتيه التى بدأت تتدفق مؤخرا على الدول العربية فانه يتعين علينا بألا نسمح بأن يميل ميزان القوى العسكرية ضد اسرائيل » .

وتدعيما لهذا النهج القائم على ضمان « الامن الاسرائيلى » دون حدود محددة الهوية أمريكيا ، فان الولايات المتحدة قد قامت بتزويد اسرائيل بالسلاح ، واحيانا كان ذلك على حساب المخزون الامريكى نفسه . حيث ذكرت مصادر أمريكية فى سبتمبر الماضى أن الولايات المتحدة قد وافقت على تزويد اسرائيل بمائتى « ٢٠٠ » دبابة من طراز ام - ٦٠ وطائرات هليكوبتر حاملة للصواريخ ، وان الدبابات سترسل الى اسرائيل من مخازن الجيش الامريكى فى المانيا الغربية ، وفى نوفمبر الماضى ذكرت مجلة افيشن ويك الامريكية أن الولايات المتحدة قررت تزويد اسرائيل بكمية كبيرة من الاسلحة المختلفة من بينها مقاتلات من طراز اف - ١٥ الحديثة للغاية ، وصواريخ ارض - أرض

[١٠] حديث الرئيس السادات مع الصحفيين الهولنديين ، الاهرام : ١٩٧٥/٥/٩ .
[١١] حديث السيد / حسنى مبارك ، صحيفة لوموند الفرنسية، ١٩٧٥/٦/١٢ .

من طراز لانس واسلحة مضادة للدبابات من طراز تاو .

ومن المحتمل أن تزودها ببعض المقاتلات الخفيفة واى إن ١٦ . وازاء التعقيدات التى اصبح على الولايات المتحدة أن تواجهها فى امداد اسرائيل بالسلاح اذا ما نشبت الحرب مرة اخرى والناشئة من اعلان الحكومة البرتغالية أنها لن تسمح للولايات المتحدة استخدام قواعد جزر الازور فى امداد اسرائيل بالسلاح فان صحيفة الواشنطن بوست الامريكية ذكرت اثر فشل مهمة كيسنجر « ان السلاح الجوى الامريكى على استعداد لان يستخدم وقت الضرورة طائرات النقل الضخمة ب س ٥ من الولايات المتحدة لاسرائيل مباشرة اذا ما نشبت حرب جديدة فى الشرق الاوسط ، وان هذه العملية كانت موضع تدريب فى الصيف الماضى » .

وحين صدق مجلس الشيوخ الامريكى فى ديسمبر الماضى على قانون المساعدات الخارجية للدول العربية والتىتضمنت حصولمصر على ٢٥٠ مليون دولار ، الاردن على ٢٤٠ مليونا ، سوريا ١٠٠ مليون ، فقد صدق المجلس أيضا - بالمقابل - على منح اسرائيل ٦٤٠ مليون دولار وهو ما يتجاوز ما حصلت عليه الدول العربية الثلاث مجتمعة .

■ **أوربا الغربية** : عقب حرب اكتوبر ١٩٧٣ أعلن مجلس الوزراء للسوق الاوربية المشتركة أنه لا يجوز الاستيلاء على الاراضى بالقوة والاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى ، وقد أعتبر مؤتمر القمة السادس بالجزائر ذلك بادرة تقارب بين أوربا والعرب ، ودعا المؤتمر الى اقامة حوار عربى أوربى . وقد كانت المبادرة الاوربية تعبيرا عن مخاوف دول أوربا من الاثار والعواقب الاقتصادية للازمة والتى نجمت عن الحظر البترولى وما نجم عنه من ارتفاعات متزايدة فى أسعار البترول .

وبالرغم مما ابداه الجانب العربى من مبادرات لتخفيف الازمة الاوربية ، عن طريق فتح قناة السويس للملاحة الدولية ، واعادة استثمار البترودولارات العربية فى اوربا ، او « تدوير » هذه البترودولارات الى اوربا مرة أخرى بعقد صفقات السلاح والمواد المصنوعة ، فان الموقف الاوربى - باستثناء موقف الحكومة الفرنسية - لم يقدم بالمقابل تأييدا ملموسا للموقف العربى من ضرورة الجلاء الاسرائيلى عن الاراضى المحتلة . بل ان هناك من الشواهد ما يشير الى تراجع اوربا عما قررته عام ١٩٧٣ سواء فيما يتعلق بالاراضى المحتلة أو بالقضية الفلسطينية وهو ما بدا فى زيادة حجم التعامل التجارى بين السوق الاوربية واسرائيل وتوقيعهما اتفاقا يقضى بانشاء منطقة حرة تدريجيا للمنتجات الصناعية بين اسرائيل ومجموعة دول السوق . ومن الغريب ان هذا الاتفاق قد جاء فى وقت تعثرت فيه المباحثات لعقد اتفاق مماثل بين دول السوق من جانب كل من تونس والمغرب والجزائر من جانب آخر .

وقد اكتفت الجامعة العربية باصدار بيان جاء فيه « ان العرب يرون ان الاتفاق التجارى مع اسرائيل الذى استخدمته الدولة الصهيونية كوسيلة تخرج بها من عزلتها يعتبر بمثابة تشجيع معنوى ودعم اقتصادى لدولة معتدية ، تحتل بالقوة اراضى تنتمى الى دول تطلق عليها المنظمة الاوربية اسم الصديق » . وفيما عدا هذا البيان واستنكارات عربية أخرى - عادت الاجتماعات بين الجامعة العربية ودول السوق ، واقتصرت المناقشات بصدد الاتفاق على كيفية استثناء منتجات الارض المحتلة من هذا الاتفاق .

ولم يكن الاقتراب الاوربى من اسرائيل اقتصاديا فقط ، وانما امتد ليشمل دعم وجهة النظر الاسرائيلية بصدد مفهوم الامن الاسرائيلى ، فقد اوجز ريمون فليتشر عضو مجلس العموم البريطانى موقف حزب العمال تجاه الشرق الاوسط فى الصيغة الاصلية للقرار ٢٤٢ الذى قدمه الوفد البريطانى فى الامم المتحدة بعد حرب الايام الستة ، هذه الصيغة هى بالطبع الانجليزية . كما أوضح **هارولد ويلسون** فى اسرائيل ذاتها [١٢] ، وكرر هارولد ويلسون نفس المنطق عند اجتماعه بجولدا مائير فى ديسمبر الماضى . كذلك ذكرت مصادر بريطانية انه فى حالة نشوب قتال جديد فى الشرق الاوسط واقامة جسر جوى ضخم آخر للاسلحة الامريكية الى اسرائيل فان الاسطول الجوى الامريكى قد يستخدم حينئذ القواعد البريطانية كمحطة فى الطريق ، نظرا للتغيرات فى نظام الحكم البرتغالى «١٣» .

ولا يختلف موقف **حكومة بون** عن الموقف البريطانى ، فقد نقل عن وزير الخارجية الالمانى بانه لا يجوز للحكومة الاتحادية أن تعود الى

[١٢] ريمون فليتشر ، مجلة جويش اوبزيرفر البريطانية ، ١٩٧٤/١٠/٤ م
[١٣] وكالة أنباء الشرق الاوسط ١٩٧٤/١١/١٨ م

حيادها مرة أخرى كما فعلت فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، حيث اغلقت موانيها ومطاراتها امام امدادات الولايات المتحدة الى اسرائيل . واضاف وزير الخارجية « انه مهما حدث من تطور فعلى جمهورية المانيا الاتحادية ان تدافع بشدة عن ان يكون لاسرائيل حدود آمنة يعترف بها يمكنها ان تعيش بداخلها » [١٤] .

وفى مواجهة محور بون ـ لندن ، فان **فرنسا** وحدها من بين دول السوق ـ ولاسباب كثيرة تتعلق بأزمة الطاقة والعلاقات الامريكية الفرنسية ـ فانها قد اتخذت موقفا متوازنا بالنسبة للازمة فى الشرق الاوسط . هذا الموقف مؤداه ضمان الحدود القائمة عام ١٩٦٧ بالنسبه لكل دول المنطقة . فقد قال سوفانيارج وزير الخارجية الفرنسية لايجال آلون عند زيارته لاسرائيل « نحن مهتمون ايضا بمستقبل اسرائيل وأمنها وكلاهما يرتبط فى نظرنا بان يتم فى المنطقة التوفير التدريجى لظروف الكفيلة بان تسفر عن السلام القائم على العدل والمعترف به من الجميع والذى يستند الى الحدود التى كانت قائمه فى عام ١٩٦٧ «١٥» .

■ **الاتحاد السوفيتى** : حافظ الاتحاد السوفيتى على موقفه التقليدى ازاء الصراع العربى الاسرائيلى وفقا للخطوط التالية :

● ان الخطر الرئيسى الذى يهدد السلام فى المنطقة ناجم عن استمرار اسرائيل فى احتلال الاراضى العربية ومراوغتها فى عملية الجلاء عن هذه الاراضى .

● ان الطريق الامثل لاقرار سلام دائم فى الشرق الاوسط هو التحرير الكامل للاراضى العربية التى احتلتها اسرائيل فى ١٩٦٧ مع ضمان الوجود الاسرائيلى ضمن هذه الحدود .

● ان طريقة « انجاز هذه التسوية » تتم من خلال عقد مؤتمر السلام فى جنيف بحضور جميع الاطراف بما فيهم الشعب الفلسطينى .

● تحفظت الدوائر السوفيتية على جولات وزير الخارجية الامريكى هنرى كيسنجر فى الشرق الاوسط ودبلوماسيته الخاصة بحل الازمة خطوة خطوة ، ووصفته صحيفة البرافدا السوفيتية بانه تكنيك مهمته تستهدف على الارجح اشاعة الفرقة فى صفوف الدول العربية . الا ان الاتحاد السوفيتى قد ابدى انه لا يعارض مثل هذا الاسلوب اذا كان مجرد تمهيد للتسوية الشاملة « ان الترتيبات الجزئية للانسحاب مفيدة فى حد ذاتها بشرط ان تشكل خطوات نحو التوصل الى تسوية سلميه حقيقية فى اسرع وقت ممكن وان لا تستخدم كذريعه لتجميد الموقف ككل ولتسويف التسوية السلمية واضعاف وحدة الدول العربية » «١٦» .

● حرص الاتحاد السوفيتى على رفض الضغوط الامريكية فيما يتعلق بهجره اليهود السوفييت الى اسرائيل فقد صرح بريجنيف فى اكتوبر الماضى انه من الامور غير المقبوله ان تقرن الولايات المتحدة تنمية التعاون الاقتصادى الامريكى السوفيتى بالمسائل الخاصة بالشئون الداخليه . ثم صدر بيان سوفيتى فى شهر ديسمبر اعلن فيه الاتحاد السوفيتى رفضه لاية شروط يضعها الكونجرس الامريكى على قوانين التجارة بين البلدين ، او بربط اقرار هذه القوانين بمسألة الهجره السوفيتية لاسرائيل .

القضية الفلسطينية فى المجتمع الدولى

أسفر مؤتمر القمة العربى السابع فى الرباط عن تحقيق موقف عربى موحد من القضية الفلسطينية يقوم على محورين أساسيين **أولهما** .. تأكيد حق الشعب الفلسطينى فى العودة الى وطنه وفى تقرير مصيره ، **ثانيهما** .. تاكيد حق الشعب الفلسطينى فى اقامة سلطة وطنية مستقلة تحت قيادة منظمة التحرير الفلسطينية بصفتها الممثل الوحيد والشرعى للشعب الفلسطينى فى كل الاراضى المحرره ويتعين على البلدان العربيه تاييد هذه السلطة عند تاسيسها فى كافه المجالات وعلى كافه المستويات .

وقد دعمت هذه القرارات موقف منظمة التحرير الفلسطينية فى المعترك الدولى وساهمت فى تزايد العزلة السياسية والدبلوماسية لاسرائيل ، وهو ما تجسد فى القرارات الثلاث التى اتخذتها الدورة الماضية للجمعية العامة للامم المتحدة . وأول هذه القرارات يدعو منظمة التحرير الفلسطينية بوصفها ممثلا للشعب الفلسطينى لارسال وفد عنها للمشاركة فى مناقشة القضية الفلسطينية ، وقد

[١٤] مجلة دير شبيجل الالمانية ١٩٧٤/٢/٩ .
[١٥] صحيفة لوموند الفرنسية ١٩٧٤/١١/١ .
[١٦] تصريح ليونيد بريجنيف ، وكالة تاس السوفيتية ، ١٩٧٥/٣/١٢ .

حظى القرار بتأييد ١٠٥ دولة . وثانى هذه القرارات ينص على حق الشعب الفلسطينى فى تقرير المصير والاستقلال والسيادة الوطنية وحق الفلسطينيين فى العودة الى ديارهم وممتلكاتهم وقد حصل القرار على تأييد ٨٩ دولة . أما القرار الثالث فينص على منح صفة المراقب لمنظمة التحرير الفلسطينية بالنسبة للمنظمة الدولية ، وقد ايد القرار ٩٥ دولة . واذا أضفنا الى ذلك أن الدول العربية قد نجحت فى ايقاف عضوية اسرائيل عمليا بالنسبة لمنظمة اليونسكو ومنظمتى العمل والصحة الدوليتين ، فان نجاحا ملموسا قد تحقق فى عملية عزل أسرائيل دوليا ، بالاضافة الى ابراز الشخصية الفلسطينية ممثلة فى منظمة التحرير الفلسطينية التى حضرت بدورها أكثر من ١٢٠ مؤتمرا دوليا متنوعا . بالاضافة الى افتتاح مكاتب للمنظمة فى عديد من عواصم العالم . كذلك يمكن القول ان العام المنصرم قد شهد تقدما كبيرا على صعيد اعادة طرح القضية الفلسطينية على المجتمع الدولى باعتبارها قضية شعب طرد من أرضه ، كما أنها تعطى منظمة التحرير قدرا من الشرعية الدولية كممثلة لشعب ، يتجاوز القرار ٢٤٢ الذى صنف القضية الفلسطينية على انها مجرد مشكلة لاجئين .

فماذا كان موقف الاطراف الدولية من هذه الوضعية الجديدة للقضية الفلسطينية ؟

■ **الولايات المتحدة :** عارضت الولايات المتحدة منذ البداية عملية تجسيد هوية متميزة للفلسطينيين . فقد وصف الرئيس فورد قرارات الرباط بأنها عقبة فى طريق التسوية . وقبيل عرض القضية الفلسطينية على الجمعية العامة بعث كيسنجر برسالة اليها يحثها فيها على عدم عرقلة جهوده السلمية فى الشرق الاوسط ، « حيث أن نظر القضية يمكن أن يوفر للفرقاء عذرا للفرار من الواقع » . وعقب صدور القرار بدعوة منظمة التحرير للمشاركة فى مناقشات الجمعية العامة أعرب المندوب الامريكى عن قلقه العميق ، وقال ان المعتاد هو دعوة ممثلى الدول فقط للاشتراك فى المناقشات وان القرار سيؤثر على جهود السلام فى الشرق الاوسط « ويضر بمصالح الفلسطينيين أنفسهم » «!» .

واستنادا الى هذا الموقف فان الولايات المتحدة قد عارضت وبحسم القرارات الثلاث الخاصة بالقضية الفلسطينية ، ونجحت فى بعض الاحوال ـ خاصة فيما يتعلق بأمريكا اللاتينية ـ أن تحول بعض الدول من حالتى الامتناع الى حالة المعارضة أو من حالة التأييد الى الامتناع ، كذلك وافقت لجنة الشئون الخارجية للكونجرس الامريكى على الغاء مبلغ الـ ١٦ مليون دولار المقررة بالنسبة لليونسكو حتى تتراجع هذه الهيئة عن تصويتها المعادى لاسرائيل .

واذا ما اخذنا فى الاعتبار اعلان الادارة الامريكية فى أكثر من مناسبة انها لن تعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية بالاضافة الى رفض تمثيلها فى مؤتمر جنيف ، فانه يمكن تصور أن هناك تقاربا بين الموقف الاسرائيلى والموقف الامريكى فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية أو منظمة التحرير الفلسطينية كما يستنتج ايضا ان الولايات المتحدة لاتزال تأمل فى الالتفاف حول قرارات الرباط ، مع طرح احتمال عودة الاردن مرة أخرى الى ساحة المفاوضات المتعلقة بالضفة الغربية .

■ **أوربا الغربية :** مثل التصويت على القرارات المتعلقة بالقضية الفلسطينية فى الامم المتحدة ، نقطة تراجع للدول الاوربية بالنسبة لما سبق أن أعلنته من قبل من اعترافها بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى بالاضافة الى أن هذا الموقف كان مغايرا بالعموم لارادة المجتمع الدولى الذى اقر هذه القرارات . فبالنسبة للقرار الاول فان دول السوق المشتركة امتنعت عن التصويت فيما عدا فرنسا وايطاليا اللتان ايدتا القرار ، ثم تراجعت فرنسا وايطاليا وامتنعا عن التصويت مع باقى دول السوق فى القرار الخاص بحق الشعب الفلسطينى فى تقرير المصير . ولم تتوقف الدول الاوربية بالامتناع عن التصويت بل قامت بمعارضة القرار الخاص بمنح منظمة التحرير صفة المراقب ، ولم يمتنع عن التصويت من دول السوق سوى فرنسا واتساقا مع هذا المنطق أصرت الدول الاوربية على عدم تمثيل منظمة التحرير الكامل فى الحوار العربى الاوربى والاكتفاء بمنح المنظمة صفة المراقب .

■ **الاتحاد السوفيتى :** أيد الاتحاد السوفيتى قرارات مؤتمر الرباط الخاصة بالتمثيل الفلسطينى وكان قبل ذلك قد أيد على لسان اندريه جروميكو ادراج مشكلة فلسطين فى جدول أعمال دورة الجمعية العامة كموضوع مستقل قائم بذاته . كما أكد الوزير السوفيتى أيضا على ضرورة مشاركة ممثلى الشعب الفلسطينى فى مفاوضات جنيف كطرف كامل الصلاحيات ، وقام الاتحاد السوفيتى والدول الاشتراكية الاخرى بتأييد الموقف العربى من القرارات الثلاث المتعلقة بالقضية الفلسطينية .

ولم يقتصر موقف الاتحاد السوفيتى والدول الاشتراكية على موقف التأييد فى المجال الدولى بل ان المجموعة الاشتراكية دفعت فى اتجاه انشاء دولة فلسطينية مستقلة باعترافها بمنظمة التحرير كممثل شرعى ووحيد للشعب الفلسطينى وتقديم المساندة العسكرية لها لتدعيم نضالها المسلح ، كما

حثت هذه الدول المنظمة على اقامة حكومة فلسطينية فى المنفى يمكنها التفاوض من أجل انشاء هذه الدولة .

▫ أفضائم النفط والقضية الفلسطينية : رغم ان الصفقات بين الدول العربية ودول العالم الثالث لم تلق الاهتمام الكافى من جانب العرب وخاصة بذلك الاهتمام الذى تلقاه كل من الولايات المتحدة واوروبا ودول المجموعة الاشتراكية ، ورغم وجود فتور نسبى فى العلاقات بين هذه الدول والعالم العربى نشأ من جراء شعور هذه الدول بأن جزءا من ازمتها الاقتصادية يعود الى ارتفاع اسعار البترول ، فان هذه الدول قد وقفت وبصفة خاصة الدول الافريقية ــ موقفا ايجابيا فيما يتعلق بالقرارات الفلسطينية فى الامم المتحدة . وذلك استنادا الى أن المنظمة تمثل رافدا هاما من روافد حركة التحرر الوطنى فى العالم ، وذلك رغم الضغوط وعمليات لى الذراع الامريكية التى نجحت فى تحويل موقف دول أمريكا اللاتينية من موقف التأييد الى موقف الامتناع عن التصويت .

أما الدول الافريقية فقد تبنت تماما وجهة النظر العربية فى الامم المتحدة ، وحتى كينيا التى اعلنت انها سوف تمتنع عن التصويت ما لم تتضمن قرارات الامم المتحدة حق اسرائيل فى الوجود ضمن حدود آمنة ومعترف بها ، فانها عادت عند التصويت ولم تخرج على الاجماع الافريقى فى التصويت بالتأييد على القرارات الفلسطينية . بل أن منظمة الوحدة الافريقية قد تجاوزت موقف المجتمع الدولى نفسه فى بيانها الصادر عن مجلس وزراء منظمة الوحدة الافريقية فى فبراير الماضى الذى تضمن اعتبار المجلس قضية فلسطين والشرق الاوسط قضية افريقية مثلها فى ذلك مثل قضايا زيمبابوى وناميبيا وجنوب افريقيا .

موقف يدعو للحذر

يمكن القول ان الدول العربية قد حققت نجاحا ملموسا ومضطردا على صعيدين : **اولهما** صعيد القضية الفلسطينية والتى أمكن عبر مقررات الرباط أن تكرس تمثيل منظمة التحرير الفلسطينية للشعب الفلسطينى وبالتالى فقد أمكن خلق « نفى » للدولة الصهيونية يحظى بتأييد المجتمع الدولى ، **وثانيهما** الصعيد الاعلامى فقد نجحت الدول العربية فى طرح قضية الاراضى العربية المحتلة بشكل امكن معه اجتذاب قطاعات واسعة من الرأى العام الاوربى الامريكى ودول العالم الثالث بحيث امكن تعزيز العزلة النسبية لاسرائيل عن المجتمع الدولى دبلوماسيا وسياسيا .

أما على الصعيد السياسى فان التوجه العربى نحو المجتمع الدولى قد أعطى ثقلا نسبيا ومتميزا للولايات المتحدة ، سواء فيما يتعلق بقضية التوسع الاسرائيلى ، او فيما يتعلق باستخدام فائض رؤوس الاموال العربية لاستثمارها فى الولايات المتحدة ، وبالرغم من ذلك فان العائد الامريكى لم يكن ايجابيا حتى الان فرغم ان الولايات المتحدة واسرائيل قد أشارتا الى وجود اختلافات فيما بينهما تتعلق أساسا بالمرونة الاسرائيلية ومدى استجابة اسرائيل للعروض الامريكية التى قدمها كيسنجر ، فان الولايات المتحدة مازالت تتمسك بدور الوسيط دون نية جدية واضحة تشير الى تخليها عن هذا الدور والضغط على اسرائيل . ولا شك أن لذلك مبررات عدة يتعلق بعضها بالولايات المتحدة والبعض الاخر بصميم العلاقات الامريكية الاسرائيلية .

وقد قاد هذا الموقف الى عودة حالة اللاسلم واللاحرب التى سادت قبل حرب اكتوبر ١٩٧٣ مما أعطى اسرائيل فترة من الوقت كان يمكن ان تستثمر بايجابية افضل لصالح القضية العربية . خاصة أن حالة الجمود التى اقتربت منها الازمة فى الشرق الاوسط قد اقترنت بدرجة من الاستبعاد للاتحاد السوفيتى . كان أحد اسبابها الشحوب فى العلاقات المصرية السوفيتية والراجعة الى خلافات فى وجهات النظر حول التسليح والديون المصرية واسلوب تسوية الازمة ، وهو ما ترك آثارا بالغة الاهمية على مجمل العلاقات العربية السوفيتية بشكل عام .

كذلك فان التوجه العربى قد تركز أساسا فى اتجاه الدول الكبرى ، بينما تضاءل فيما يتعلق بدول العالم الثالث الفقيرة . وقد بدأ فى بعض الاحيان لهذه الدول أن التوجه العربى لها ينحصر فى الاستفادة من أصواتها فى المنظمات الدولية . ومما زاد من شعور هذه الدول بالامتعاض ان الفائض الناجم عن رفع اسعار البترول قد وجه بصورة اساسية الى الاستثمار فى اوربا وامريكا . وفضلا عما تعنيه هذه الدول من رموز استعمارية ، فان هذه الدول كانت تأمل فى أن يوجه جزء من هذا الفائض لتنميتها . ولقد كان لذلك ــ على سبيل المثال ــ اثار سلبية على الحوار العربى الافريقى ينبغى على الدول العربية التنبه لها منذ الان ، دون الاستناد الى أن المواقف التى اتخذتها الدول الافريقية مواقف دائمة ولا رجعة فيها . ولعل ذلك ليس هو الموقف الوحيد الذى ينبغى ان نتنبه له ونحذر منه .

البترول العربى :

السلاح والسلاح المضاد

كمال السيد

اكدت صحيفة التايمز البريطانية ان عام ١٩٧٣ كان عام البترول العربى ، رغم ما كان يتوقعه الخبراء من ان يكون هذا العام هو عام اوروبا . ذلك ان البترول قد أصبح موضوع كل العصور وكل الاعوام ، خصوصا بعد أن بدأ فى ١٩٧٣ استخدامه كسلاح سياسى ، وترتب على ذلك تضخم فى عوائده ، مما خلق لاصحابه قوة اقتصادية رتبت بدورها آثارا مستمرة ومتصلة .

■ فمن حيث **البترول** فى حد ذاته ، استمر الاعتماد عليه سواء كمصدر للطاقة أو كمادة خام ، فى **التزايد** . ففى ٢١ مارس ١٩٧٥ اعلنت دراسة لبنك **تشيزمانهاتن** ان استهلاك العالم من البترول خلال ١٥ عاما قادمة سيصل الى ٣٧٥ مليار برميل ، بزيادة مرتين ونصف عن الـ ١٥ عاما الماضية . واضافت ان معدل زيادة الاكتشافات سيرتفع بنسبة ٥٠ فى المائة خلال نفس الفترة . وان أعمال البحث والتنقيب تتطلب ١٢٠٠٠ مليار دولار بأسعار سنة ١٩٧٠ . وذلك على الرغم من ان تقريرا للسوق المشتركة ، اكد فى ١٧ ديسمبر ١٩٧٤ انخفاض استهلاك البترول فى دول السوق ،بنحو ١٠ فى المائة وهى النسبة التى دعت اليها أمريكا .

■ ومن حيث **القوة الاقتصادية** التى يخلقها البترول لمنتجيه، قالت **نيويورك تايمز** فى ٢٢ سبتمبر ١٩٧٤ ، ان الدول المنتجة للبترول — خصوصا فى الشرق الاوسط — ستصبح مركز الثروة والسلطة فى العالم . وذلك اذا استمر دخلها من البترول بمعدلاته الحالية ، والذى يمكن أن يصل فى عام ١٩٨٥ الى ١٢٠٠ مليار دولار . وقالت فى افتتاحية طويلة بعنوان « **التهديد الاقتصادى الحقيقى** » ان دول الاوبك ستحقق دخلا صافيا يصل الى ٦٥٠ مليار دولار خلال ٥ سنوات ، يتضاعف عام ١٩٨٥ . واشارت الى أن دول الشرق الاوسط ستكون قادرة ، بثروتها الضخمة ، على استيراد كميات كبيرة من الاسلحة والفنون العسكرية لتدعيم نفوذها .

ولبيان الحجم الذى بلغته الفوائض العربية، وقبل التعرض للنهج العربى أو الغربى فى

استغلالها ، نذكر بعض الوقائع التالية عن حجمها :

■ صرح السناتور الديمقراطى « هوارد ميتزنبوم » فى ١٨ سبتمبر ١٩٧٤ بأن الدول العربية تملك من الاموال ما يمكنها من شراء اكبر الشركات الامريكية مثل « اى. بى. ام » ، و « جنرال موتورز » و « اومنتات » وغيرها . واضاف انها تستطيع بنحو ٤٧ مليار دولار من اجمالى ارباح ارتفاع اسعار البترول ، وتبلغ نحو ٦٠ مليار دولار ، شراء ٢١ من أكبر الشركات الامريكية .

■ اعلن «ملفين ليرد » وزير الدفاع الامريكى ومستشار نيكسون السابق فى ١٩ سبتمبر ١٩٧٤ ان ما يقرب من ٦٠٠ ألف مليون دولار ستنتقل من الغرب الى الشرق الاوسط خلال الست سنوات القادمةفى شكل ثمن للبترول المستورد . وقال أن هذه الحقيقة تمثل اكبر تهديد « للعالم الحر » لان المبلغ يساوى أكثر من ثلاثة اضعاف الاحتياطى النقدى فى العالم الغربى . بل انه يمكن به شراء جميع الاسهم الموجودة فى بورصة نيويورك.

■ أعلنت الغرفة التجارية فى الكويت، فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٤ ، انها تتوقع ارتفاع عائد البترول العربى الى ٢١١ مليار دولار فى ١٩٨٥ بحيث يزيد عن ميزانية الولايات المتحدة مى ١٩٧١ ، وأن يبلغ الفائض فى ميزان مدفوعات دول البترول العربى فى نفس السنة ١٥٤ مليار دولار .

■ فى ١٦ نوفمبر ١٩٧٤ أعلن خبراء الاقتصاد البريطانيون أن السعودية وحدها تستطيع شراء ٣٠ من اكبر الشركات الصناعية فى بريطانيا، بالدخل الذى تحصل عليه من بيع البترول خلال سبعة أشهر فقط .

■ أعلنت احصائيات صندوق النقد الدولى ، فى ٥ ديسمبر ١٩٧٤ ، ان احتياطيات الدول التسع الرئيسية المصدرة للبترول ، تجاوزت ٣٨ مليار دولار فى نهاية اكتوبر ١٩٧٤ . اى تجاوزت ثلاثة امثال ما كانت عليه فى ١٩٧٣ ، منها ٦ر١٠ مليار للسعودية ، وايران ٦ر٦ مليار ، وفنزويلا ٨ر٤ مليار ، ونيجيريا ٦ر٤ مليار ، وليبيا ٨ر٣ مليار ، والعراق ٣ مليارات ، واندونيسيا ملياران ، والجزائر ٩ر١ مليار ، والكويت ١ر١ مليار .

■ فى ٢٠ ديسمبر ١٩٧٤ أعلن التقرير الشهرى لبنك بروكسل أن دول البترول ستحقق دخلا ١١٠ مليارات و٢٢٠ مليون دولار هذا العام، تخصص منها ٢٠٠ر٤٩ مليار دولار للاحتياجات المحلية ، وتضع ٦١ بليونا فى البنوك الخارجية . وتبين الارقام السابقة عدة حقائق :

● ان المسئولين فى الغرب واجهزة التوجيه فيه ، كما تكشفه تصريحات وتحليلات ليرد وزير الدفاع السابق ونيويورك تايمز ، يرون فى الفوائض العربية خطرا وتهديدا ، يتعين العمل على مواجهته .

والمفروض أن هذا انذار بالدرجة الاولى لاصحاب هذه الفوائض التى تتهددها مخاطر من كل نوع .. ابتداء من المصادرة الى التجميد الى التلاعب فى قوتها الشرائية بالتضخم وغيره . وبالفعل فقد خسرت دولة عربية ٥٠٠ مليون دولار فى احدى المرات التى تم فيها تخفيض قيمة الدولار . ولقد أعلن « مالكولم فوربس » صاحب ورئيس تحرير مجلة فوربس الامريكية فى ٢٤ ابريل ان العالم العربى ، يحصل كل يوم مقابل بتروله على مبالغ تتجاوز أحلام أى شخص . ولكن معظم الاموال هى ورق او قروض او وعود بالدفع . ولن يكون هذا التراكم الضخم ثروة ملموسة ، الا اذا تحول الى مصانع وطاقة ومواد غذائية .

بل ان لجنة الضمانات بمجلس الشيوخ الامريكى وضعت — لمواجهة خطر الاموال العربية كما قالت وكالة رويتر — أربعة ضوابط لقبول الاستثمارات الاجنبية فى الولايات المتحدة :

١ — ألا تهدد المصالح القومية .
٢ — الا تهدد المصالح الاقتصادية .
٣ — ألا تهدد الامن القومى .
٤ — الا تتعارض مع السياسة الخارجية .

ويعنى هذا بالدرجه الاولى امكانية الاعتراض على أى مشروع .

والواقع ان أسلوب المواجهة الغربى ، والامريكى خصوصا ، للاموال العربية تمثل فى طريقين:

●● الاستحواذ على هذه الاموال بمختلف الطرق، واستخدامها بمعرفة الغرب . ساعده على ذلك اتجاه رؤوس الاموال العربية للاستثمار فى السوق الراسمالى المتطور ، لارتفاع ربحيته فى الاجل القصير ،غافلة فى ذلك عن المخاطر التى تتهددها .

●● استخدام العنف والعودة لاساليب الاستعمار القديم.

هذا بالاضافة لتشويه الموقف العربى وتحميله المسئولية فى الازمات الاقتصادية . وذلك على الرغم من أنه فى اول ديسمبر ١٩٧٤ أعلن ٤٠ من كبار رجال الاقتصاد والاعمال والبنوك الامريكيين ، فى مؤتمر لهم فى جنيف ، أن ارتفاع

اسعار البترول لم يساهم الا بصورة ضئيلة فى ظاهرة التضخم التى تجتاح العالم .

١ ـ الاتجاه للغرب وتيسير الاستحواذ

يتضح تكالب اصحاب الفوائض العربية ، على الاتجاه للغرب فى انه :

■ اعلن تقرير للخزانة الامريكية فى ٢٠ سبتمبر ١٩٧٤ ان دول البترول استثمرت فى مشروعات متوسطة وطويلة الاجل نحو ١٥ مليار دولار من دخلها ، منها ٧ مليارات فى الولايات المتحدة و ٥ مليارات فى أوربا و ٣ مليارات فى الدول النامية والمؤسسات الدولية .

■ فى ١٨ نوفمبر ١٩٧٤ اعلن رئيس جهاز الاحتياطى النقدى الفيدرالى الامريكى ، ان دول الاوبك حصلت على عائد خلال الشهور العشرة من ١٩٧٤ قدرها ٥٧ مليار دولار استثمرت منها ٣٧ مليارا فى الولايات المتحدة واوربا ، منها ١٠٫٥ مليار فى أمريكا و ١٦٫٥ مليار فى السوق المشتركة و ٦٫٥ مليار فى المؤسسات البريطانية و ٣٫٥ مليار قرضا لحكومات أوربا الغربية واليابان . وأضاف أن دول الاوبك أنفقت ٣٠ مليار دولار فى استيرادالسلع والخدمات . **وان الدول النامية حصلت على قروض تبلغ مليارين** بمعرفتهم .

٢ ـ درجـات من العنـف

لم يكتف قادة الغرب « بالتوجه الطبيعى » للفوائض العربية نحو الغرب ، وانما فكروا فى مختلف انواع العنف ، وتراوح ذلك بين :

● الاصرار على استثمار الاموال العربية بمعرفتهم .

● وضع خطط للاستغناء عن النفط العربى .

● وضع خطط للاستيلاء على منابع البترول . وفى هذانذكر الحقائق التالية :

أ ـ تكوين حلف معاد للعرب : وتقود هذه المشروعات الولايات المتحدة ، سواء للاستيلاء على اموالهم ، او للاستغناء عن بترولهم اصلا ، أو لاجبارهم على خفض السعر . وفى هذا نذكر الوقائع التالية :

■ قررت ١٢ دولة صناعية كبرى منها امريكا ودول السوق ـ عدا فرنسا ـ فى ٢١ سبتمبر ١٩٧٤ أن تتقاسم البترول فيما بينها فى حالة تكرار الحظر العربى . الدول هى : الولايات المتحدة وكندا واليابان والنرويج والسوق المشتركة عدا فرنسا. وقالت المصادر الغربية أن هذا انتصار ضخم لكيسنجر الذى كان الداعية الاول له .

■ اعلن وزير مالية المانيا الاتحادية فى ٢٤ سبتمبر ١٩٧٤ ان اعادة استثمار مليارات الدولارات التى تملكها الدول البترولية العربية فى الدورة النقديةللدول المتقدمة صناعيا تمثل التحدى الاكبر امام العالم الغربى الاتى ، وقال أنه ليس أمام الدول المتقدمة صناعيا سوى أن تشكل جبهة واحدة قوية .

■ اعلن وزير مالية المانيا الاتحادية فى ٢٦ سبتمبر ١٩٧٤ ان حكومته ستقترح على صندوق النقد الدولى ، انشاء بنك دولى للاستثمارات لاستغلال الفوائض العربية .

■ فى ٢٩ سبتمبر ١٩٧٤ بحث وزراء مالية ومحافظى البنوك المركزية فى الدول الصناعية الخمس الكبرى [أمريكا ، المانيا الاتحادية ، اليابان ، فرنسا ، بريطانيا] وسائل مواجهة ارتفاع أسعار البترول ، بناء على اقتراح كيسنجر وسايمون وزير المالية .

■ أعلن سايمون وزير الخزانة الامريكى فى ١٣ نوفمبر ١٩٧٤ ان الدول العربية تخطىء اذا اعتقدت أن أسعار البترول غير الواقعة ستضع الولايات المتحدة فى موقف خطر ومستحيل . واضاف أن الرد على مجموعة صغيرة من المبتزين ، هى المحافظة على الطاقة وزيادة الانتاج .

■ اعلن كيسنجر فى ١٤ نوفمبر ١٩٧٤ برنامجا من ٥ نقاط للتضامن بينالدول الكبرى المستهلكة للبترول من أجل خفض واردانها منه وتطوير مصادر جديدة له وللطاقة الاخرى واعادة توزيع اموال البترول المستثمرة فيها . وقال انه لا فائدة من الحوار مع الدول المنتجة له .

■ فى ١٨ نوفمبر ١٩٧٤ وقعت الدول الغربية ميثاقا بانشاء **وكالة للطاقة** ، تستهدف التقليل من اعتماد الدول الاعضاء على الواردات البترولية وزيادة التعاون مع الدول المنتجة ، وقع على الميثاق ١٦ دولة .

ودعا **سايمون** وزير الخزانة الامريكى الدول الصناعية الى انشاء صندوق برأسمال ٢٥ مليار دولار لمساعدة الدول الصناعية التى تعانى من أزمات مالية لسبب اسعار البترول . وكان **كيسنجر** قد دعا لانشاء هذا الصندوق وتمويله من فائض ارباح البترول الذى تودعه الدول المنتجة لدى الدول الصناعية .

■ طالب السناتور الديمقراطى هنرى **جاكسون** المعروف بمساندته القوية لاسرائيل

وعدائه للانفراج الدولى فى ٢٤ مارس ١٩٧٥، بالتعبئة على مستوى الحرب لمواجهة اسعار البترول المرتفعة التى تفرضها دول البترول العربية وقال جاكسون — المرشح على الارجح للرئاسة فى ١٩٧٥ — ان السياسه العربية البترولية حرب اقتصادية بين العالم العربى والغربى.

[ب] **العمل العسكرى** : ولم يتورع قادة الدول الامبريالية عن اعلان نواياهم فى العمل العسكرى

■ قالت مجلة **لوبوان الفرنسية** فى ٢٩ سبتمبر ١٩٧٤ ان رؤساء وكالة المخابرات المركزية فى الشرق الاوسط ، درسوا بناء على تعليمات من واشنطن، التخطيط لحملة سيكولوجيه ضد دول البترول ، يقضى جزء منها بالضغط عن طريق اشاعة احتمال التدخل العسكرى .

■ فى ٢٨ نوفمبر ١٩٧٤ صدرت مجلة نيويورك وعلى غلافها رسما لفورد وكيسنجر يتوهمان بغزو شاطىء بترولى عربى ، وكلام يقول : هل نقتل فى سبيل البترول ؟ وفى الداخل دراسة عن احتمال غزو منابع البترول وامكانيات الاستيلاء عليها بواسطة امريكا او لحسابها ، وامكانيات نسف العرب للبترول وامكانيات اصلاحها ، وامكانيات الطائرات لمسح الصحراء يوميا لمنع هذه العملية .

■ فى ١٥ ديسمبر ١٩٧٤ قالت **صنداى تلجراف البريطانية نقلا عن مراسلها فى** واشنطن ، ان خبراء الاستراتيجية فى **البنتاجون** وضعوا خططا للاستيلاء على آبار بترول الخليج العربى فى حالة نشوب حرب بين العرب واسرائيل، يصحبها حظر تصدير البترول الى الغرب . وقالت ان وحدات متخصصه من القوات الخاصة ومشاة البحرية دربت اخيرا على حرب الصحراء ، ويمكن ان تصل الى الخليج خلال بضع ساعات . وان زيارة حاملة **الطائرات الامريكية كونستليشن** الاخيرة للخليج كانت بهدف الاستطلاع .

■ اعلن كيسنجر فى ٣ يناير ١٩٧٥ انه لا يستبعد استخدام القوة العسكرية اذا تعرض العالم لاختناق بترولى بسبب منتجيه فى الشرق الاوسط. وقال ان ذلك يعكس وجهة نظر الرئيس الامريكى .

■ فى ٤ يناير ١٩٧٥ أعلن المتحدث باسم البيت الابيض أن ما أعلنه كيسنجر عن احتمال الالتجاء للقوة ضد دول البترول يعكس وجهات نظر الرئيس فورد ».

■ اعلن ممثل الولايات المتحدة فى اللجنة العسكرية لحلف الاطلنطى فى ٩ يناير ١٩٧٥ ان الحكومات الغربية قد تنظر للقوة العسكرية كضمان ضد حدوث حظر بترولى جديد من جانب دول الشرق الاوسط ».

■ فى ١١ يناير ١٩٧٥ ذكر المحرر العسكرى **لنيويورك تايمز** ان كبار العسكريين الامريكيين والاوربيين يرون ان احتلال بعض حقول بترول الشرق الاوسط أمر محتمل عسكريا ، ويؤكدون أن التطور التكنولوجى الحديث سيمكن من اعادة اصلاح الابار والحقول اذا نسفها العرب .

■ أعلن سكرتير **حلف الاطلنطى** فى ١٢ يناير ١٩٧٥ أن أى دولة يمكن أن تفكر فى استخدام القوة ، اذا واجهت حالة اختناق .

■ فى ١٣ يناير ١٩٧٥ اعلن **فورد** انه لا يستبعد استخدام القوة فى الشرق الاوسط اذا ما تعرض العالم الغربى أو الصناعى للخنق . وأنه يوافق كيسنجر فى تصريحه عن احتمال التدخل العسكرى الأمريكى فى حالة اختناق الاقتصاد الغربى بسبب أزمة البترول ».

■ فى ٢١ يناير ١٩٧٥ اعلن فورد ان حدوث تدخل عسكرى أمريكى فى الشرق الاوسط ،سوف يجد ما يبرره فى حالة ما اذا تعرضت احدى الدول للاختناق ويكون لها الحق حينئذ فى الدفاع عن نفسها . وقال انه يؤيد ما ذكره **كيسنجر** من ان الولايات المتحدة قد تفكر فى استخدام القوة اذا وجدت احدى الدول الصناعية نفسها مهددة بالاختناق نتيجة حظر بترولى .

وقد قدم **سايمون** مذكرة لفورد والكونجرس قال فيها ان أمن امريكا سيتعرض لخطر حقيقى اذا تكرر الحظر .

وفى ٢٤ يناير اكد **فورد** انه لن يسمح بأن تقتل الولايات المتحدة خنقا عن طريق حظر بترولى جديد ، وانه سيتخذ فى هذه الحالة الاجراءات الضرورية من اجل البقاء ».

■ فى ٣١ مارس ١٩٧٥ قال وزير الدفاع الامريكى « اننا لا نتوقع أن تحتل الولايات المتحدة اى حظر بترولى عربى جديد أو مقاطعة جديدة . واعتقد أن رد الفعل الامريكى لاى حظر يمكن أن يكون أكثر عنفا هذه المرة عما كان عليه فى المرة السابقة » .

جـ — رفض التفاهم : وعلى الدوام رفضت الولايات المتحدة اى نوع من التفاهم ، وعرقلت اى محاولات ومبادرات قامت بها بعض الدول الاوربية — خاصة فرنسا — فى هذا الصدد . والواقع أن بعض الدول الغربية سلكت مسلكا مختلفا عن الولايات المتحدة ، حتى

ان « بيريز » وزير الدفاع الاسرائيلى اعلن فى ١٩ اكتوبر ١٩٧٤ ان المباحثات بين دول اوربا الغربية والدول العربية حول امدادات البترول تعبر عن اتجاه معاد لاسرائيل تماما . وقال ان الموقف العام لدول اوربا تجاه العرب يسبب قلقا حقيقيا لاسرائيل . واضاف انه يبدو ان دول اوربا الغربية ترى ان انتهاجها لسياسة معادية لاسرائيل هو ارخص ثمن يمكن ان تدفعه للبترول.

والواقع ان الولايات المتحدة لم تهتم فى ازمة البترول، بوضع حلفائها بل انها استفادت من المشكلة على حسابهم . فقد قالت دراسة اعدها خبراء السوق المشتركة ان خمس دول هى بريطانيا وفرنسا وايطاليا والدانمرك وايطاليا سوف تعانى عجزا يصل الى ٩٠٠ مليون دولار فى ١٩٨٧ بسبب ازمة البترول وارتفاع اسعاره ، فى حين جمعت الشركات الامريكية ثروات كبيرة من هذه العملية ، فقد ذكرت واشنطن بوست فى ١٦ مارس ان بعض الوسطاء الامريكيين استغلوا الحظر العربى على البترول فى حرب اكتوبر لمضاعفة سعر المنتجات البترولية مرتين او ثلاث مرات بطريقة غير قانونية . وجنوا من ذلك بين مليار و٣ مليارات دولار . ويتبدى الاصرار الامريكى على افساد التفاهم من :

■ انه فى ١٥ ابريل ١٩٧٥ اعلن فشل الاجتماع التحضيرى لمؤتمر الطاقة الذى دعت اليه فرنسا لعدم الاتفاق على جدول الاعمال فقد اصرت الولايات المتحدة والدول المتقدمة عدا فرنسا ، على ان يكون التركيز على مشكلة الطاقة وضمان امدادات البترول وتحديد اسعار له طويلة الامد . واصرت الدول النامية والمنتجة للبترول على ان تعطى الاولوية لمسألة معونة التنمية والمواد الخام وربط اسعاره بأسعار المنتجات المصنعة .

■ اعربت حكومة الولايات المتحدة فى ١٦ اكتوبر ١٩٧٤ عن قلقها من قرار صندوق النقد الدولى بزيادة المبالغ التى يقترضها من دول البترول لاقراضها للدول التى تحتاج الى اموال اضافية لشراء البترول بعد زيادة سعره . وقالت ان القرار يقلل من الضغوط التى تمارس لخفض اسعاره .

رد الفعل العربى

اتخذ رد الفعل العربى عدة اتجاهات تمثلت اساسا فى :

● العمل على رفع اسعار النفط . لتعويض التآكل فى قيمة العملات التى تدفع ثمنا له .

● تكتيل المنتجين وربط موضوع النفط والمواد الخام عموما ، بزيادة اسعار السلع الصناعية وتعويض التضخم .

● الاستثمار فى الشركات والاوراق المالية الغربية .

● السيطرة على عمليات الانتاج فى اراضيها .

ويتبدى ذلك من:

■ زيارة الدول بحثا عن الاستثمار . فقد وصل الى البرازيل مثلا فى ١١ اغسطس ، وفد عربى من ٤٠ من رجال الصناعة فى ٦ دول عربية هى السعودية والعراق وليبيا والكويت والمغرب ولبنان ، لدراسة امكانيات توسيع التعاون الاقتصادى .

■ وقع وزراء البترول العرب فى ١٤ سبتمبر اتفاقا بانشاء صندوق خاص ، لاستخدام ارباحهم من البترول ، فى مساعدة الدول العربية على تنفيذ مشروعات التنمية برأسمال ٣٠٠ مليون دينار كويتى .

■ قررت دول الاوبك فى ١٤ سبتمبر ١٩٧٤ زيادة الضرائب التى تحصل عليها من الشركات المنتجة من ٦٩٫٥ فى المائة الى ٧٣ فى المائة دون المساس بأسعار البترول فى المدة المتبقية من ١٩٧٤ ، ويحقق لها ذلك زيادة قدرها ٣٠٠٠ مليون دولار .

■ اعرب مصدر مسئول فى الجامعة العربية فى ٢٤ سبتمبر ١٩٧٤ عن قلق الجامعة لتحذير فورد لدول البترول العربية . وقد اعلنت الدول المصدرة للبترول انها لن تخضع للضغط الامريكى لخفض الاسعار . وقال سكرتير الاوبك انه اذا كان الامريكيون يهدفون بهذا الضغط جعل الامور تسير كما كانت فى الماضى ، فانهم يضللون انفسهم وباقى العالم . وقال اننا آخر من يمكن ان يوجه اليه اللوم لما يحدث فى العالم . لقد رفعنا سعر البترول لنحمى قوته الشرائية .

وعقد وزراء خارجية الدول العربية فى الجمعية العامة للامم المتحدة اجتماعا لبحث اتخاذ موقف عربى موحد من تحذير فورد .

■ اعرب «بومدين» فى رسالة لفالدهايم فى ٣ اكتوبر ١٩٧٤ عن مخاوفه من ان تكون الحملة على دول البترول جزءا من عمل عدوانى ، يعد للانتقام من الدول التى تحررت من السيطرة الاستعمارية .

ودعا سكرتير الاوبك العربية دول الخليج الى الاستعداد لاية احتمالات حدوث تدخل عسكرى امريكى، او اوروبى فى الخليج لضمان امدادات

البترول بأسعار مخفضة . وقال ان الدول المنتجة للبترول جمدت الاسعار عاما كاملا ، فى حين بلغ التضخم ١٢ فى المائة فى اوربا والسوق المشتركة مما يؤكد ان البترول ليس سبب التضخم العالمى .

واعلن وزير الطاقة الجزائرى « عبد السلام بلعيد » ان الحملة الامريكية مضللة ، وتقف وراءها الصهيونية .

■ وفى ٥ اكتوبر ١٩٧٤ اعدت لجنة خماسية تابعه للاوبك العربية ، تضم مصر والكويت والعراق وسوريا والجزائر ، مشروعا لانشاء شركة خدمات بترولية عربية فى مجال البحث عن البترول والخدمات الاخرى التى تقوم بها الشركات الاجنبية .

■ وفى ١١ ديسمبر ١٩٧٤ اعلن متحدث باسم شركة اسون للبترول ، ان السعودية اخطرت « ارامكو » انها لم تعد تقبل اية دفعات اخرى بالاسترلينى .

■ فى ١٣ ديسمبر ١٩٧٤ رفع وزراء بترول الاوبك دخول بلادهم بما يتراوح بين ٢٥٠٠ و ٣٠٠٠ مليون دولار ، عندما قرروا نظاما جديدا للاسعار ، يرتكز على المشروع السعودى . ويقضى بتحديد متوسط دخل الحكومة المنتجة عن كل برميل بـ ١٢ر١٠ دولار بزيادة ٣٤ سنتا ،وان يسرى ذلك لمدة ٩ أشهر .

■ فى ٢٣ ديسمبر ١٩٧٤ اعلنت وكالة الانباء الفرنسية ان الكويت وقطر توصلتا لاتفاق مع شركات البترول بهما على امتلاك ١٠٠ فى المائة من عمليات الانتاج وكانت الحكومتان تملكان من قبل ٦٠ فى المائة منه .

■ فى ٦ يناير ١٩٧٥ حذر « بومدين » من أنه يمكن للدول العربية ان تدمر بسهولة جميع المنشآت البترولية فى حالة حدوث تدخل من جانب الولايات المتحدة . وقال ان احتلال كيلومتر واحد من أى دولة عربية يعنى احتلال العالم العربى بأسره . ويمكن بعناصر قليلة تدمير جميع المنشآت البترولية فى العالم العربى .

كيسنجر عن استخدا أى ى ٧؟

استنكر أمين الجامعة العربية تصريحات كيسنجر عن استخدام القوة ضد دول البترول . ودعا الدول العربية الى ان تأخذها مأخذ الجد وتفكر فى الخطوات الوقائية .

اعلن فالدهايم ان القوة ليست هى الرد على أزمة الطاقة الدولية .

■ قرر مؤتمر وزراء الاقتصاد العرب فى ٨ يناير ١٩٧٥ اتخاذ موقف موحد امام الدول المستوردة للبترول ، وتوظيف رؤوس الاموال العربية فى المشروعات العربية .

■ اعلن وزير النفط والمالية الكويتى فى ٩ يناير ١٩٧٥ ان استخدام القوة المسلحة ضد الدول المنتجة للبترول ، سيحول العالم بأسره الى ميدان قتال .

■ اعلن وزير خارجية دولة الامارات فى ١٢ يناير ١٩٧٥ ان بلاده سوف تنسف ابار البترول اذا نفذت الولايات المتحدة تهديداتها .

■ فى ١٦ يناير ١٩٧٥ طالبت منظمة العمل العربية ، بوضع خطة عربية لمواجهة احتمال محاولة امريكا غزو دول البترول بالشرق الاوسط .

■ دعت صحيفة « القبس » الكويتية فى ٢٢ يناير ١٩٧٥ دول الخليج الى تنظيم وحدات ميليشيا للمقاومة البرية واستخدام اسلحة وتاكتيكات حرب العصابات ، للرد على أى تدخل امريكى .

■ دعا بوتفليقة وزير خارجية الجزائر فى ٢٤ يناير ١٩٧٥ ، باعتباره رئيسا لمؤتمر وزراء الاوبك ، الى اتخاذ موقف سياسى موحد لمواجهة الحملة العدائية التى تتعرض لها دول الاوبك من الغرب والتى وصلت الى حد التهديد العسكرى .

■ فى ٢٦ يناير ١٩٧٥ اعلن وزراء الاوبك الموافقة على اجتماع مع الدول المستوردة للبترول ، لمعالجة مشاكل المواد الخام والتنمية . ونددوا بالحملة الدعائية التى تلقى على دولهم مسئولية الازمة الاقتصادية فى العالم ، وبالتهديدات الموجهة لها وقرروا تجميد الاسعار فى ١٩٧٥ وجدولة الاسعار بنسبة بين ٨٠و٩٠ فى المائة على نسبة التضخم فى ٧٦ و ١٩٧٧ ، وجدولة الاسعار بصورة ثابتة على نسبة التضخم خلال الاعوام التالية . وقرروا على المدى الطويل ان تكون الاسعار مجزية للمنتج وعادلة للمستهلك ، واستنكار فكرة وكالة الطاقة الدولية التى تدعو لها امريكا لانها جهاز حربى ضد الدول المنتجة . تأكيد حق الدول المنتجة فى امتلاك مواردها ورفض السيادة المحدودة وقالوا ان المشكلة الملحة هى أمن الدول المنتجة ، ويتعين على اعضاء الاوبك ان يشتركوا فى رد فعل منسق اذا تعرضت احدى دوله لعدوان عسكرى ، وان تلتزموا بفرض حظر على الدولة المعتدية .

■ اقترحت دولة الامارات فى ١١ مارس ١٩٧٥ أن تبدأ دول الاوبك فى وضع نظام

لحصص الانتاج، كحل وحيد لمواجهة الفائض فى عرض البترول، وهو يبلغ ٢ مليون برميل يوميا، وذلك لتفادى الانهيار.

■ فى ١٦ مارس ١٩٧٥ أعلن مؤتمر البترول العربى حق الدول العربية فى استخدام البترول كسلاح دفاعى فى المعارك العربية المصيرية، وربط التعاون مع الدول الصناعية بما تقدمه هذه من تعاون حقيقى فعال فى التنمية، وشجب أساليب الضغط والتهديد. ودعا لاتخاذ التدابير التى تحافظ على القوة الشرائية للارصدة المالية للدول المنتجة من التآكل الذى يصيب العملات الرئيسية، واصلاح نظام النقد الدولى.

■ فى أول أبريل ١٩٧٥ بحثت اللجنة الاقتصادية للاوبك الدراسات التى أعدها الخبراء لبحث كيفية حماية الايرادات البترولية من تقلب قيمة الدولار. وذكرت المصادر المسئولة ان دول الاوبك قد تتجه لتقليل استخدام الدولار باعتباره العملة الوحيدة لحساب أسعار البترول وربط العملات المحلية للدول المنتجة للبترول بمجموعة من العملات الاوربية الرئيسية والدولار أو ربطها بحقوق السحب الخاصة التابعة لصندوق النقد الدولى.

■ قررت حكومة الكويت فى ٦ ابريل ١٩٧٥ امتلاك شركة البترول الوطنية بالكامل وتعويض حاملى الاسهم من القطاع الخاص الكويتى [٤٠ فى المائة من الاسهم].

■ وافق وزراء الاوبك فى ١١ يونيو ١٩٧٥، على رفع سعر البترول فى أكتوبر ١٩٧٥، على أن تحدد نسبة الزيادة فى سبتمبر. وعلى أن يبدأ فى اول أكتوبر اتخاذ وحدات حقوق السحب الخاصة وتتكون من ١٦ عملة مختلفة، كأساس لحساب سعر البترول بدلا من الدولار.

من كل تلك الوقائع وكثير غيرها، نخلص الى الحقائق التالية:

■ اصرار الاحتكارات الغربية — وأجهزة ومؤسسات الدول التى تخدمها — على استنزاف الثروات البترولية، بيسر لها ذلك ترسانة كاملة من الاسلحة الاقتصادية والسياسية والعسكرية. واخطر الاسلحة الاقتصادية التى تستخدم حاليا: التضخم بما يهدر قيمة النفط المصدر، وشروط التجارة غير المتكافئة والتى تبادل السلع المصنوعة بأسعار مبالغ فيها بالمواد الخام باسعار بخسة، وذلك الى جانب النظام النقدى الحالى والسيطرة على الاسواق العالمية.

أما الوسائل العنيفة فتبدأ من المقاطعة والحصار، الى التدخل المسلح. ولم ينكر رئيس أكبر دولة فى العالم — فورد — خطط الولايات المتحدة فى التدخل المسلح للسيطرة على موارد البترول، مما يؤكد أن وسائل الاستعمار القديمة باقية ويلجأ لها الاستعماريون الجدد عند الضرورة.

■ ان النجاحات التى حققتها الدول المنتجة فى مجال الدفاع عن سعر عادل لثرواتها، كانت رهنا بتكاتفها وعملها الموحد وعدم تمكين الشركات الاستعمارية من ضربها ببعضها البعض. وان المزيد من التلاحم — ليس فقط بين المنتجين وانما أيضا بين هؤلاء وبين الدول النامية التى يحاول الاستعمار تأليبها على المنتجين بل وبين هؤلاء الاخيرين وكل من يقر بحقوقهم وفى المقدمة الدول الاشتراكية — هذا المزيد من التلاحم شرط وحيد لافساد كل هجمات ومؤامرات الشركات الاحتكارية على ما حققوه من مكاسب وانجاز المزيد منها.

■ ان الخطر الاكبر على المنتجين، يأتى حاليا من تركيز ثرواتهم النقدية فى الدول الاستعمارية بما يعرضها لسلسلة ضخمة من المخاطر: من المصادرة للتجميد لتحميلها آثار التضخم والازمات الاقتصادية، لاستثمارها فى مشروعات معادية وقد نقلت وكالات الانباء أن رأسماليا صهيونيا رفض قرضا بـ ٤٠ مليون دولار من بنك أمريكى لانه اكتشف أن هذه الاموال عربية!! ناهيك عن الاقتصاديات الرأسمالية هى بطبيعتها اقتصاديات آفلة والاستثمار فيها غير مجز على المدى الطويل، وان كان فى الاجل القصير أكثر ربحية بسبب القدرة الاستيعابية الضخمة له، لكن ذلك الى حين.

■ ان اتجاها ذكيا فى بعض الدول المنتجة للنفط، بدأ نحو تصنيع جزء من ثرواتها البترولية، بل والدخول فى مجال التوزيع، لكن ذلك كفيل بايصال الحرب بينهم وبين الشركات الاحتكارية الى ذروتها لان هاتين العمليتين على وجه التحديد — التصنيع والتوزيع — هما اللتان تحققان الارباح الاحتكارية. ومن ثم فالامر يستدعى استعدادا أكثر وتلاحما أكبر.

■ ان الاستثمار فى البلدان النامية، وتنمية البلاد المنتجة نفسها، هو الحل الاكثر ضمانا والاكثر جزاء على المدى الطويل.

العلاقات الاقتصادية العربية

ملاحظات سريعة

محمد أبو الحديد

تقضى الامانة العلمية أن نسجل ابتداء ، صعوبة تقديم رصد دقيق ، أو تحليل متكامل ، لتطور العلاقات الاقتصادية العربية ، خلال الفترة من أغسطس ١٩٧٤ ، حتى أغسطس ١٩٧٥ .

وتعود هذه الصعوبة أساسا ، الى اعتبارين رئيسيين ، يتعلقان بطبيعة الموضوع ذاته ، والفترة الزمنية موضوع البحث ، وهما اعتباران أعرف أن الاقتصاديين يقدرانهما جيدا ، وأرجو أيضا أن يقدرهما القراء .

هذان الاعتباران هما :

أولا : ضيق الفترة الزمنية موضوع البحث ، وهى سنة واحدة « من أغسطس ١٩٧٤ حتى أغسطس ١٩٧٥ » . وهذه الفترة تعتبر محدودة بالنسبة للدراسات الاقتصادية بصفة عامة ،

وبالنسبة لتتبع تطورات العلاقات الاقتصادية بين مجموعة دول بصفة خاصة ، الا فى حالة واحدة ، وهى اذا كنا نتتبع أو نقيم انجازات خطة اقتصادية أو اتفاق اقتصادى قائم سلفا ، ومحدد الاهداف ، خلال فترة سنة .

ولا يخفى علينا ، أنه لا توجد امامنا ـ فى موضوع هذا البحث ـ خطة محددة للعلاقات الاقتصادية العربية مثلا ، حتى يمكن الاسترشاد بها ، أو قياس التطورات على أساس اقترابها أو ابتعادها عن الاهداف المحددة سلفا ، لمعرفة نسبة الانجاز فيها .

بل اننا سنفاجأ ، ونحن نستعرض الاحداث الاقتصادية فى العالم العربى ، أن بعض هذه الاحداث بدأ خلال الفترة موضوع البحث ، لكننا لا

نستطيع الحكم عليه او تحديد قيمته الحقيقية لانه لم يكتمل بعد . وكذلك ، فسنجد احداثا خلال الفترة موضوع البحث ، هى فى الحقيقة عبارة عن نتائج لمقدمات سبقتها خلال فترة سابقة على الفترة التى نقوم بدراستها .

ثانيا : ان تحديد هذه الفترة ، من اغسطس حتى اغسطس التالى ، لا يتوافق مع الفترات الزمنية المعروفة لقياس بعض التطورات الاقتصادية ، كما ان جانبا كبيرا من هذه الفترة ، لم يدخل بعد دائرة التسجيل والنشر بالنسبة للمراجع المتخصصة .

وحتى نقترب بهذه النقطة من ذهن القارىء ، سوف نسوق مثالا لها ، وهو التبادل التجارى ، باعتباره واحدا من اهم عناصر العلاقات الاقتصادية بين أى دولتين أو مجموعة من الدول .

فمن ناحية ، درجت المراجع والتقارير الاقتصادية بصفة عامة ، على تسجيل ارقام التبادل التجارى على اساس سنة ميلادية كاملة ، أى من يناير حتى ديسمبر . فنستطيع مثلا بسهولة ، أن نحصل على أرقام التبادل التجارى بين أى دولتين خلال عام ١٩٧٣ مثلا ، او عام ١٩٧٢ ، أو خلال خمس سنوات متتالية .. وهكذا . اما استخلاص أرقام التبادل التجارى خلال فترة كالفترة موضوع البحث « أغسطس ١٩٧٤ ـ أغسطس ١٩٧٥ » ، فانه يواجه عملية اجتزاء للارقام ، ليست سهلة ، ولا تؤدى الى نتائج دقيقة .

ومن ناحية أخرى ، فانه نظرا لضعف أو انعدام الاجهزة الاحصائية فى عدد كبير من البلاد العربية ، وهى ظاهرة تعانى منها البلاد النامية بصفة عامة ، ثم ضعف الارتباط بين هذه الاجهزة ، وبين المنظمات الدولية المتخصصة ، لا يستطيع الباحث أن يعثر على البيانات والاحصاءات الدقيقة ، فيما يصدر عن المنظمات الدولية المتخصصة من تقارير ومراجع .

وأمامى مثال صارخ على هذه الحقيقة . ففى أحدث تقرير لصندوق النقد الدولى ، والبنك الدولى للانشاء والتعمير ، عن اتجاهات التجارة « «Direction of Trade» والصادر فى يونيو ١٩٧٥ ، عن التبادل التجارى بين مختلف دول العالم الاعضاء فى الامم المتحدة ، وبينها بالطبع الدول العربية كلها ، سوف نفاجأ بالتالى :

■ ١٣ دولة عربية ـ بينها مصر للاسف ـ ليس لها اى ذكر فى التقرير .

■ ٥ دول عربية تقف ارقام تجارتها الخارجية المسجلة رسميا عند نهاية عام ١٩٧٣ .

■ دولتان عربيتان فقط ، هما تونس والمغرب ، وضحت أرقام تجارتهما الخارجية خلال عام ١٩٧٤ كاملا ، وحتى مارس ١٩٧٥ .

هذا مع العلم ، أن تقرير اتجاهات التجارة هذا ، يعد من أوثق المراجع الدولية التى يمكن الاعتماد عليها فى دراسة اتجاهات التبادل التجارى بين مختلف دول العالم ، وان النسخة التى نشير اليها الان ، هى الصادرة فى يونيو ١٩٧٥ .

ولست فى حاجة الى القول ، بأنه ، فى غياب ارقام التبادل التجارى لعام ١٩٧٤ بأكمله بالنسبة لـ ١٨ دولة عربية ، فان مثل هذا البحث عن تطور العلاقات الاقتصادية العربية خلال العام ٧٤ ـ ١٩٧٥ ، يصبح فاقدا لاهم عناصره .

ورغم اعترافنا بهذه الصعوبات ، وادراكنا لخطورتها ، خصوصا ونحن نتعرض لقضية لا يجوز الافتاء فيها بغير علم ، أو استنادا الى ما تتضمنه البيانات والخطب السياسية للزعماء والقادة ، بقدر ما نحتاج فيها الى المعلومات والاحصاءات الرقمية الدقيقة ، فاننا ـ مع ذلك ـ سنحاول القاء الضوء على الموضوع فى حدود المعلومات المتاحة ، واستنادا الى حقيقة أساسية ، وهى ان تحديد الفترة الزمنية لموضوع البحث ، لا يعنى فصل هذه الفترة عما سبقها أو ما سيلحق بها ، كما لا يعنى تجريد العلاقات الاقتصادية العربية ، من سمات غلبت عليها فى الماضى ، وما تزال تميزها ـ الى حد كبير ـ حتى اليوم .

نماذج التعاون الاقتصادى العربى

ان امامنا ـ اذا ماحاولنا استعراض تطور العلاقات الاقتصادية العربية خلال الفترة موضوع البحث ـ نماذج عديدة لتطورات اقتصادية عربية هامة ، سواء على المستوى الثنائى أو على المستوى الجماعى ، يمكن أن نسجل أهمها فيما يلى :

أولا : على المستوى الثنائى ، سوف نجد :

■ التكامل بين **مصر والسودان** ، بما يتضمنه من مشروعات مشتركة بين البلدين ، اهمها مشروع

قناة جونجلى ، الذى يتكلف ٧٥ مليون جنيه ، ومشروع انشاء ثلاث شركات بين البلدين تتكلف ١٧ مليون جنيـــه ، وهى شركة النقل النهــرى بأسوان « ٥ ملايين جنيه » ، وشركتى الـــرى ، والشركة الزراعية « ١٢ مليون جنيه » .

■ مشروعات التعاون الاقتصادى بين **مصر والعراق** ، والتى تتضمن انشاء شركات مشتركة بين البلدين فى صناعة الجرارات ، والسيارات ، وتنسيق صناعة الغزل والنسيـج « بروتوكول التعاون الصناعى والاقتصادى بين البلدين ، الموقع فى ٥ اغسطس ١٩٧٤ » ، ومشروعات الاستعانة بالايدى العاملة الزراعية المصرية ، فى استزراع الاراضى العراقية « بروتوكول التعاون الزراعـى بين البلدين ــ ٥ مارس١٩٧٥ » ، والاتفاق على أن تزاول شركات الانشاءات المصرية أعمالها فـى العراق ، لاقامة منشآت قيمتها ٦٠٠ مليون دينار عراقى .

■ مشروعات التعاون **المصرى السعودى** ، وتشمل انشاء الشركة المصريـة السـعودية للاستثمارات الصناعية ، برأسمال قـدره ١٠٠ مليون دولار ، وحصول مصر على قرض سعودى طويل الأجل بمبلغ ٦٠٠ مليون دولار ، خلال زيارة الملك خالد الاخيرة لمصر .

■ مشروعات التعاون **المصرى الكويتى** ، ويبلغ حجم الاتفاقيات التى وقعت بشأنها فى ديسمبر الماضى ١٣٠٠ مليون دولار .

■ مشروعات التعاون **المصرى مع دولة الامارات العربية** ، ويبلغ حجم هذه المشروعات ٢٥٨ مليون دولار ، منها ٢٥ مليون دولار ، نصيب دولة الامارات فى شركة صناعية زراعية مشتركة مع مصر ، و٢٣ مليون دولار لمشروعات قناة السويس .

■ مشروعات التعاون **السعودى السورى** ، ويبلغ حجم هذه المشروعات ٣٥٠ مليون دولار منها ١٥٠ مليونا كمعونة سعودية لسـوريا ، و٢٠٠ مليون دولار كقرض سعودى لانشـاء بعض المشروعات الانمائية فى سوريا .

■ مشروعات التعاون **السورى مع دولة الامارات** ، وقد وقعت اتفاقية بين البلدين ، حصلت سوريا بمقتضاها على قروض طويلة الاجل من دولة الامارات ، بمبلغ ١٧١ مليـون دولار ، لاستثمارها فى مشروعات التنمية الصناعية .

■ مشروعات التعاون **السورى السودانى** ، حيث وقعت الدولتان اتفاقا تجاريا ضخما مدته ٢ سنوات يتجدد تلقائيا ، وذلك فى أغسطس الماضى .

■ مشروعـات التعاون **السعودى اللبنانى** ، حيث قدمت السعودية معونات للبنان للمساهمة فى تسليح جيشــه ، واقـامة بعض المشروعـات الاقتصادية .

■ مساعدات الدول العربية للدول المتضررة من القحط والمجاعة ، وهى **الصومال وموريتانيا** ، والدول المتضررة من ارتفاع الاسعار وهى **اليمن وعدن** .

ثانيا : على المستوى الجماعى ، نجد :

■ مشروع انشاء **صندوق النقد العربى** ، الذى يعرض هذا الشهر فى صيغته النهائية على مجلس محافظى البنوك المركزية العرب لاقراره . ويبلغ رأسمال هذا الصندوق ٧٥٠ مليون وحدة من وحدات السحب الخاصة مقومة بالدينار العربى ، ويهدف الى تمويل المشروعات الاسـتثمارية العربية ، وسد العجز فى ميزان المدفوعات للدول الاعضاء .

■ مشروع الصـندوق العـربى لـلانماء الاقتصادى والاجتماعى .

■ اقرار الصيغة النهائية لمشروع القـانون الجمركى الموحد بين البلاد العربية ، وانشـاء شركتين عربيتين للتعدين ، وتنميـة الثـروة الحيوانية ، برأسمال ١٥٠ مليون دينار كويتى .

■ مشروع انشاء شركة عربية للصـناعات الدوائية ، برأسمال ٥٠ مليون دينار كويتى .

« ملحوظة : بحث واقرار هذه المشروعات يجرى فى نطاق مجلس الوحدة الاقتصادية العربية » .

وبالاضافة الى هذه المشروعات الجماعية ، تم انشاء مشروعين على جانب كبير من الاهمية هما :

■ **الهيئة العربية للتصنيع الحربى** ، برأسمال قدره ١٠٤٠ مليـون دولار ، من اربع دول عربية هــى : مصر ــ السـعودية ــ قطر ــ الامارات ، ومقرها القاهرة .

■ **الشركة العربية للاستثمارات البترولية** ، التى أقر وزراء البترول العرب انشاءها براسمال مليار دولار .

« ملاحظـات »

هذه نماذج لمشروعات تعاون اقتصادى عربى على المستوى الثنائى والجماعى ، خلال الفترة موضوع البحث ، عرضناها فى حدود المعلومات المتاحة ، ويمكن أن نسجل فى نهايتها عددا من الملاحظات ، نوردها فيما يلى :

أولا : أن التعاون الاقتصادى العربى ، بصفة عامة ، **مازالت تغلب عليه صفة « التعاون الثنائى»** بين كل دولتين عربيتين على حدة ، بينما نجد ندرة فى مشروعات التعاون الجماعى .

هذه الظاهرة ، ليست جديدة على العلاقات الاقتصادية العربية ، وقد نستطيع تفسيرها تفسيرا **اقتصاديا** ، بارجاعها الى سهولة عقد اتفاقيات ثنائية بين طرفين فقط ، وفى حدود المصلحة المباشرة لكل منهما ، بينما تعترض الاتفـاقيات الجماعية ، صعوبات فى امكانية التوصل اصلا الى اتفاق بين أطراف متعددة ذات مصالح قد تتفاوت أو تختلف . كما يمكن تفسيرها تفسيرا **سياسيا** ، بارجاعها الى حقيقة أن العالم العربى ، لم يتخلص بعد من حساسيات التعامل الجماعى ، والتصرف كمجموعة واحدة ، وهى حسـاسيات قائمة ، ولا سبيل الى انكارها .

ثانيا : أننا سوف نلاحظ ، ان الجانب الاكبر من رءوس الاموال ، والاستثمارات العربية ، القادم من دول البترول العربى «السـعودية ــ العراق ــ الكويت ــ الامارات» متجاما الى دولتى المواجهة ، وهما مصر وسوريا ، وبعد حرب اكتوبر بالذات ، واما الى الدول العربية التى تضررت من القحط او ارتفاع الاسعار .

ومعنى ذلك ، أن الدافع الى حـركة رءوس الاموال والاستثمارات العربية هـذه ، هـو مواجهة « **حالة طارئة** » ، وبفعل عناصر ومؤثرات خارج نطاق التطوير الطبيعى للعلاقات الاقتصادية العربية ، فى قنواتها الاصلية ، وبالتالى فهى تعبير عن موقف سياسى اكثر من كونها تعبيرا عن خطط اقتصادية ، وان كانت النتيجة فى النهاية سوف تعود على هذه العلاقات بالدعم والقوة .

ثالثا : انه لا ينبغى أن تبهرنا الارقام . فما يستعمل من الاموال العربية فى مشروعات عربية ثنائية او جماعية ، لا يمثل الا نسبة ضئيلة من مجموع الاموال العربية ، خصوصا عـائدات البترول التى بلغت ٨٦ مليار دولار لتسع دول عربية فقط خلال عام ١٩٧٤ وحده .

ومن ناحية اخرى ، لا ينبغى أن نتصور ان الدول المستقبلة لهذه الاموال قادرة بالضرورة على حسن استخدامها ، ووضعها فى مكانها الصحيح ، وذلك نظرا لافتقار هذه الدول الى مشروعات مدروسة ومخططة وجاهزة للتنفيـذ ، بحيث لا ينقصها الا التمويل . ولعل فى ظاهرة القروض المعطلة ، التى تعانى منها مصر ، ما يقوم دليلا على ذلك .

والذى يحدث فى الغالب ، أن الدول المقدمة للاموال تبحث عن تغطية موقف سياسى معين ، او عائد اكبر ، بينما نجد هذه الاستثمارات تذهب فى الدول المستقبلة لها ، اما الى الاستهلاك السريع أو للاستثمار فى مشروعات غير انتاجية .

رابعا : أنه لا يمكن انكار قيمة مشروعـات التعاون الاقتصادى الجماعى بين الدول العربية ، والتى يبحثهـا أو يقـرها مجلس الوحـدة الاقتصادية ، على الرغم من انها ما تـزال محدودة . ومع ذلك ، ينبغى أن نسجل ، ان العبرة ليست بحجم أو قيمة المشروع ، وانما بسرعة التنفيذ . رهنـاك عشرات مـن الاتفـاقيات والمشروعات الاقتصادية العربية الممتازة ، تابعة فى ادراج المجلس ، أو اجهزة الجامعة العربية الاخرى ، منذ سنوات ، فى انتظار توقيع الدول الاطراف عليها ، أو موافقة حكومة من الحكومات العربية ، أو تصديق مجلس تشريعى عربى على دخول دولة فى الاتفاقية أو المشروع ، وهو ما يعرقل تنفيذ هذه المشروعات ، ويضعف مـن قيمتها .

وخلاصة القول فى النهاية ، هو أنه ، برغم التطورات الايجابية فى العلاقات الاقتصـادية العربية خلال الاثنى عشر شهرا الماضية ، الا أن هذه العلاقات لا تعبر حتى الان عن « امكانيات » العالم العربى وهى هائلة ، ولا تلبى « احتياجات » الدول العربية ، وهى كبيرة ، كما أنها لم ترتق بعد الى مستوى « ظروف » العالم العربى ، ومعاركه المصيرية ، وذلك لا يضعف الحاضر العربى فقط ، ولكنه أيضا يضعف من احتمالات المستقبل ، فى عالم ملىء بالتجمعات الاقتصادية . ■

مــــكتب التنســـــيق وطـــــوفان الاســـتثناءات

د. محمد رضا محرم *



أوائل الخمسينات قامت مصر بثورة ٢٣ يوليو ، وفي أواسط الخمسينات قــدمت ثــورة يوليــو لمصر نظــاما منضبطا وصارما لتصنيف ابنائها وتوزيعهم ـ وفقا لقدراتهم الذهنية ومقدرتهم على التحصيل ـ على الاماكن المتاحة لتلقى العلم في المرحلة العليا من السلم التعليمي ، وكانت اداة تنفيذ هذا النظام ما عرف باسم « مكتــب التنسيق » . ونظام التنسيق حين طرح للاستخدام والتجربة لم يكن اختيارا ذهنيا مجردا فرضــته السلطة القــائمة لتؤكــد هيمنتها على العمليــة التعليمية كما قد يدعى البعض ، ولكنه كان ضرورة مــوضوعية حتمتهــا الظــروف والاعتبــارات الاجتماعية والسياسية الجديدة التى افــرزتها الممارسات الثورية التقدمية على الارض المصرية ، ولعله كان فى مقدمة هذه الظروف والاعتبارات ما يلى :

١ ـ اتجاه الثورة ـ حتى فى سنواتها الاولى ـ الى ترجيح شعبية التعليم على طبقيته ، والى تعضيد جماهيرية العلم فى العهد الجديد بديلا عن احتكاره فى العهود السابقة ..... ورغم ان ديمقراطية التعليم قد القيت بذورها فى التربة المصرية فى الفترة الواقعة بين معــاهدة ١٩٣٦ والتى اعقبها ما اســـماه البعض بالاســــتقلال الجزئى !! وبين ثورة يوليو ١٩٥٢ ، وبمجهودات المفكرين والمثقفين المتنورين الذين يملكون جراة المواجهة كالدكتور طه حسين « على سبيل المثال ، وبحق الريادة ، وليس على سبيل الحصر » الذى اعلن أن التعليم حق لكل مواطن كالماء والهواء ، والذى عاش فكره حين عين مستشــارا فنيا لوزارة المعارف فأقر مجانية التعليم الابتدائى فى عام ١٩٤٤ ، والذى فرض مجانية التعليم الثانوى حين أصبح وزيرا للمعــارف فى وزارة الوفد التى شكلت فى عام ١٩٥٠ . أقول أنه رغم القاء هذه البذور فان ديموقراطية التعليم لم تتبلور او تتجسد مكتملة الا مع ثورة يوليو المجيدة ، فمع قدوم الثورة صدر القانون رقم ٢١٠ لسنة ١٩٥٣ ليقضى بتوحيد مدارس المرحلة الاولى بطريقة جدية وليلغى التفرقة بين مدارس بغير امكانات أو بامكانات قليلة ، تعرف باسم المدارس الالزامية وتخصص لابنــاء العامة من شعب مصر ، وبين المدارس الابتدائية التى تتوفر لها كل الامكانات وتفتح لابناء الخاصة « سواء كانت هــذه الخــاصة مصريــة أو مستوردة ! » الطريق الى مراحل التعليم الاعلى. ومع تقدم واستمرار الثورة سقطت نهائيا النظرية القبانية « نسبة الى اسماعيل القبانى » والتى تقبل بحق المواطن فى التعليم الاولى ، وتحرمه من ممارسة هذا الحق فى التعليم الثانوى لتقصره على ما أسمته بالصفوة من الطلاب « ولعله من المناسب

[*] مدرس بكلية الهندسة ـ جامعة الازهر .

هنا أن نطالب شباب ثوره يوليو ان لا يستبد به الغضب اذا آذاه بعض المنتهين فسيولوجيا وحضاريا حين يتحدثون عن قصر التعليم على الخاصة من أبناء الخاصة ، أو حين يظهرون عداءهم لجحافل المتعلمين فى عهد مصر الثورة فيصفونهم أحيانا بأنهم أنصاف متعلمين وأحيانا أخرى بأنهم أجيال من الطرش والعميان ...
فهؤلاء على ما يبدو لم يعيشوا ـ حضاريا على الاقل ـ الا النصف الاول من القرن العشرين ، بل ان أطروحاتهم التربوية والتعليمية تنتمى سياسيا الى ما قبل القرن العشرين » . ومع نضوج الثورة امتدت المجانية الى التعليم العالى فى عام ١٩٦١ . وبالطبع فقد ترتب على كل ذلك زيادة ميزانيات التعليم ، وزيادة عدد المدارس والمعاهد والجامعات ، وتضاعف الاعداد الملتحقة بالمدارس ، وتضخم الاعداد المتقدمة للالتحاق بالجامعات ، مما جعل البحث عن واتباع اسلوب جديد لمواجهة هذه الظاهرة الجديدة ضرورة حتمية .

٢ ـ فى عام ١٨٩٩ حدد المعتمد البريطانى لورد كرومر ما يستهدفه الاستعمار الانجليزى من النظام التعليمى الذى انتقاه لمصر فقال فى تقرير له « كانت الحكومة فى السنين الاخيرة ترمى الى عرض ذو شقين : فأما الشق الاول فهو الرغبة فى ان تنتشر على اوسع نطاق ممكن ، بين الذكور والاناث من السكان على السواء ، لونا بسيطا من التعليم ينحصر فى الالمام بمبادىء اللغة والحساب ، وأما الشق الثانى فهو الرغبة فى اعداد طبقة متعلمة تعليما راقيا ، يفى بمطالب الخدمة فى الحكومة » . وقد ظلت المبادىء الكرومريه تستبد بالفلسفات وبالانجازات التعليمية فى مصر حتى قيام ثورة يوليو ، حقيقة ان الالتزام بهذه المبادىء أو الخضوع لها كان يعنف فى بعض الاحيان ويخفت فى احيان اخرى ، ولكن الخروج عن الاطار العام لهذه السياسة لم تتأكد جديته الا بعد الثورة بدليل أنه حتى أوائل الخمسينيات كانت دعوة اسماعيل القبانى بتوسيع التعليم الاولى وتضييق التعليم الثانوى لا تزال تتردد بل وترجح كفتها على نظرية طه حسين فى أن التعليم حق للمواطن كالماء والهواء . وقد طرحت ثورة يوليو مفهوما جديدا لدور العلم فى المجتمع وقدمت تصورا مستقبليا لوظيفة وأهداف التعليم فيه ، فطبقا للرؤية اليوليوية أصبحت قضايا العلم والتعليم مرتبطة جدليا بقضيتى الانتاج والحرية ، وقد كانت ممارسات الثورة منذ قيامها تؤكد ذلك دونما تنظير ودونما صياغات فكرية ، حتى صدر الميثاق فى عام ١٩٦٢ ، وبوصفه أول مواثيق الثوره شمولا وعمقا ، فقد وضع القضية فى اطارها أو فى مستواها الصحيح . فحين الحديث عن الديموقراطيه السليمة يؤكد الميثاق « أن حرية العلم التى كان فى مقدورها أن تفتح طاقات جديدة للامل تعرضت هى الاخرى للعبث تحت حكم الديموقراطية الرجعية ، وأن الرجعية الحاكمة كان لابد لها أن تطمئن الى سيطرة المفاهيم المعبرة عن مصالحها ، ومن ثم انعكست آثار ذلك على نظم العلم ومناهجه ، وأصبحت لا تسمح الا بشعارات الإستسلام والخضوع » . ويخلص الميثاق من ذلك الى تأكيد « ان التعليم لم تعد غايته اخراج موظفين للعمل فى مكاتب الحكومة ، ومن هنا فان مناهج التعليم فى جميع الفروع ينبغى أن تعاد دراستها ثوريا ، لكى يكون هدفها تمكين الانسان الفرد من القدرة على اعادة تشكيل الحياة » . وعند استعراض قضية الانتاج والمجتمع يؤكد الميثاق أنه بقدر اتساع قاعدة الانتاج تتفتح آفاق جديدة لتدعيم الفرص بين المواطنين ، وأن تكافؤ الفرص ، وهو التعبير عن الحرية الاجتماعية ، يمكن تحديده فى حقوق أساسية لكل مواطن ينبغى تكريس الجهد لتحقيقها ، واحد هذه الحقوق الاساسيه هو « **حق كل مواطن فى العلم بقدر ما يتحمل استعداده ومواهبه ، لان العلم طريق تعزيز الحرية الانسانية وتكريمها ، كذلك فان العلم هو الطاقة القادرة على تجديد شباب العمل الوطنى واضافة افكار جديدة اليه كل يوم ، وعناصر قائدة جديدة فى ميادينه المختلفة** » .

وبالطبع فانه فى مجتمع متخلف حضاريا واجتماعيا حيث تواجه القيم المستقبلية الجديدة قيما استعمارية أو رجعية مسيطرة ، وحيث يستبد بتسيير العمل على جميع المستويات التنفيذية ، ومن بينها التعليم ، هؤلاء الذين رفعتهم أملاكهم أو الدين دفعتهم القوانين والمفاهيم الكرومرية الى المناصب العليا والحاكمة ، كان ولابد عند محاولة تصنيف أبناء مصر حين توزيعهم على الكليات المختلفة من البحث عن وسيلة صماء لا تخترقها الولاءات القبلية ، أو شبه القبلية السائدة فى المجتمع ، وتتحطم عليها الانتماءات الطبقية التى قد تنحاز ـ وهى لابد فاعلة ذلك ـ الى جانب القلة الثرية ضد تكافؤ الفرص بين جميع المواطنين ، وقد كانت هذه الوسيلة ما عرف باسم « مكتب التنسيق » .

المشكلة ودواعى اثارتها

منذ اتبع نظام التنسيق لتصنيف الحاصلين على الثانوية العامة وتوزيعهم على الاماكن المتاحة فى

التعليم العالى والاجتهادات لم تتوقف عن محاولة تجاوز او تخطى هذه الوسيلة ، وبعض هذه الاجتهادات يصدر عن تصورات موضوعية وعلمية ترى ان نظام التنسيق لا يعطى فرصة حقيقية لاكتشاف المقدرة الفردية او الاستعدادية المهنية فى المتقدمين للالتحاق بالتعليم العالى ، ولكن البعض الاخر من هذه الاجتهادات كان يصدر لتحقيق تطلعات فئوية أو فردية ، ولا يستهدف الا اختلاس بعض المكاسب الانية والانانية . ومن بين المحاولات والاجتهادات التى طرحت خلال السنوات التى مورست فيها عمليات التنسيق ما يلى :

١ ـ محاولات توزيع الطلاب على المعاهد العالية بنوعياتها الثلاثة « تجارية ، وزراعية ، وصناعية » فى الخمسينيات عن طريق عقد اختبارات شفوية ومقابلات شخصية للطلاب ، ويبدو ان هذه التجربة قد توقفت أمام تضخم اعداد الطلبة المتقدمين ونقص عدد القائمين بإجراء التقويم ، وقد يكون من دواعى الانصراف عنها اكتشاف عبثيتها المترتبة على كون المدرسة الثانوية لا تؤهل تلامذتها وظيفيا أو مهنيا مما يجعل اكتشاف التوافق أو عدمه بين مقدرة الطالب ، وبين الدراسة التى يتقدم للالتحاق بها غير ممكن .

٢ ـ اجراء اختبارات القدرات فى المعاهد الرياضية والفنية واتخاذها اساسا للترشيح فى تلك المعاهد ، ويبدو أنه بسبب كثرة الاعداد المتقدمة ، ولضمان الحيدة وتجنيب عوامل الانتقاء الشخصية أو الذاتية ، ولتحقيق تكافؤ الفرص ، فقد جرى التوفيق بين هذا الاسلوب وأسلوب التنسيق الالى ، بأن أصبح الاختيار يتم وفقا لمجموع درجات الثانوية العامة وذلك من بين الناجحين فى اختبارات القدرات .

٣ ـ تجربة ما عرف باسم سنة « الاعداد والتوجيه » والتى طبقت فى جامعة الازهر فى السنوات الاولى لتحولها الى الدراسات الدنيوية ، ولعل هذه التجربة من أعجب التجارب التى طرحت وأكثرها اثارة للشبهات ، حيث كان الطلاب الحاصلون على الدرجات الدنيا فى الثانوية العامة يلتحقون بها ليعطوا ما يشبه دروسا للتقوية فى مواد الثانوية العامة ، بالاضافة الى بعض الدراسات الاسلامية لمدة عام يتم بعده التقويم والتنسيق وفقا للدرجات الجديدة .... وقد تم العدول نهائيا عن هذه التجربة .

وهناك تجربة أو محاولة رابعة تتمثل فى وجود مكتب للتنسيق خاص بجامعة الازهر ، ولكن هذه التجربة لا تنشأ اساسا عن محاولة تجاوز مكتب التنسيق العام ، ولكنها تنشأ عن الازدواجية القائمة فى التعليم الثانوى الذى ينقسم الان الى نوعيتين تعرف أولاهما بالتعليم العام وثانيتهما بالتعليم الازهرى ، وهى تخرج عن نطاق هذه الدراسة .

والى جانب المحاولات السالفة الذكر ، والتى قد يكون لكل منها دوافعها أو مقتضياتها المنطقية ، فان المحاولات لم تتوقف عن ممارسة « لعبة الاستثناءات » ، وقد بدأت المحاولات بخلق ثقب صغير فى جدار التنسيق الاصم ، وبمضى الوقت اتسع الثقب ليصير فتقا يعز على الرتق ما لم يواجه الامر مواجهة ثورية حازمة ، خاصة وأن عدد الفئات أو النوعيات المستثناة قد بلغ الخمسة عشر ، وعدد الطلبة الذين يضحكون سنويا على ذقن مبدأ تكافؤ الفرص قد تجاوز العشرة آلاف [١] !! ، وهذا بالضبط هو جوهر المشكلة التى تثيرها هذه الدراسة وتطالب بمواجهتها .

أما عن دوافع الكاتب لاثارة هذه المشكلة فانه يمكن تصنيفها الى نوعين ، أولهما دوافع توقيتية ، وثانيهما دوافع موضوعية ، أما الدوافع التوقيتية فهى :

١ ـ اننا على أبواب موسم تنسيقى جديد ، وسوف يسعد جميع المجتهدين فى هذا الوطن الذى يعطى جميع أهله حقوقا متساوية ، ان نبدأ عاما جامعيا جديدا ونظيفا .

٢ ـ ان الوزارة الجديدة قد وعدت بتحقيق الجدية فى السلوك ، وأكدت على ضرورة متابعة الانحرافات والتجاوزات فى المجتمع ، والكاتب يتصور أنه اذ يعرض هذه المشكلة فانه يضع يد الوزارة الجديدة على موضع من مواضع العبث الذى يجب التصدى له بكل جدية وبكل حسم .

أما عن الدوافع الموضوعية فمن بينها :

١ ـ تحقيق العدل الاجتماعى وتكافؤ الفرص مبدآن يجب الدفاع عنهما بكل جراة وفى كل وقت ، ويشتد الدفاع وتزداد الجراة فى ظروف كتلك الظروف التى تعيشها مصر ، حيث تصبح هذه المبادىء وسائل لتحقيق الارتباط والوحدة بين أبناء الوطن جميعهم .

٢ ـ ان جميع الذين يناجئون مصر بمقترحاتهم ومطالبهم التى يتجاوزون بها قيم ثورة ٢٣ يوليو وخاصة مبدا تكافؤ الفرص ، ومن بينها على سبيل المثال مشروع الجامعة الاهلية التى افضل ان

---

[١] سوف اوضح ذلك تفصيلا فى بند لاحق عند تحديد حجم المشكلة .

تسميها « **جامعة الخاصة** » ، أصبحوا يحتجون على الذين يجادلونهم الرأى بالاستثناءات القائمة فى المجتمع ليمرروا مشروعاتهم ، ومن هنا فانه يجب على **المحبين لمصر الجميع** أن يتتبعوا مواضع التسيب أو الاستثناء لاكتشافها وعلاجها وحتى لا تؤخذ حجة لتضييع حقوق الاغلبية من أبناء مصر .

حجم المشكلة

فى الدورة التنسيقية لعام ١٩٧٤ ، كان على مكتب التنسيق العام أن يقوم بتوزيع حوالى المائة والسبعة آلاف من طلبة الثانوية العامة على الجامعات « وتشمل جامعة الازهر التى تقبل كلياتها نسبة من طلاب الثانوية العامة » والمعاهد العليا ومعاهد اعداد الفنيين ثم المعاهد الفنية والمعاهد الخاصة . أما مكتب التنسيق الخاص بجامعة الازهر فقد كان عليه أن يوزع حوالى الثلاثة آلاف من الطلاب الحاصلين على شهادة اتمام الدراسة الثانوية الازهرية على كليات ومعاهد جامعة الازهر . وبتاريخ ٢٥ ـ ٧ ـ ١٩٧٤ أصدر وزير التعليم العالى القرار الوزارى رقم ٥٠٠ فى شأن الفئات المستثناة التى تقبل عن طريق مكتب تنسيق القبول بالجامعات والمعاهد . وبالاضافة الى حملة الثانوية الصناعية والفنية ، وأبناء محافظات سوهاج وقنا وأسوان الذين يعطون أولوية الالتحاق بكليات التربية فى محافظتهم ، فقد شمل القرار ثلاث عشرة فئة أو نوعية أخرى . وهذه الفئات الثلاثة عشرة الاخيرة ستكون موضع الفحص فى هذه الدراسة . ويحسن عند اجراء محاولة احصائية لحصر الاعداد المستثناة من هذه النوعيات أن نصنفها فى مجموعات ثلاثة رئيسية تضم الاولى الفئات المستثناة فى الجامعات ، وتضم الثانية الفئات المستثناة فى المعاهد ، أما الثالثة فتضم الفئات المستثناة عند القبول بجامعة الازهر . وهذا التصنيف قد يبدو فى ظاهره مكانيا ، ولكن التأمل المتأنى لمحتويات أى من المجموعات الرئيسيه الثلاثة قد يكشف فى بعض نواحيه عن المنطلق الفئوى أو الاجتماعى للاستثناءات التى تكون من نصيب اصحاب الحظوة فى هذه المجموعة .

أولا : الفئات والاعداد المستثناة عند القبول فى الجامعات : وهنا ترتع صفوة الصفوة المستثناة ، والتى تتحدد لكل كلية بالاعداد والنسب التالية :

١ ـ خمسة طلاب من أبناء وأخوة وزوجات الشهداء من عسكريين ومدنيين .

٢ ـ خمسة طلاب من أبناء وأخوة وزوجات الشهداء والمفقودين الذين اشتركوا فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ .

٣ ـ خمسة طلاب من أفراد القوات المسلحة المصابين الذين اشتركوا فى حرب أكتوبر وابنائهم واخوتهم الذين يعولونهم .

٤ ـ خمسة طلاب من أفراد القوات المسلحة وأبنائهم .

٥ ـ خمسة طلاب من أفراد القوات المسلحة الذين اشتركوا فى حرب أكتوبر وابنائهم وأخوتهم الذين يعولونهم .

٦ ـ خمسة طلاب من ابناء اعضاء هيئة التدريس الحاليين والسابقين بالجامعات « عدا جامعة الازهر »

٧ ـ خمسة طلاب من أبناء العاملين الحاليين والسابقين بالجامعات « عدا جامعة الازهر »

ويبين الجدول الاول التوزيع الاحصائى للاعداد المستثناة من هذه الفئات :

الجدول الاول : الاعداد المستثناة عند القبول بالجامعات :

الجامعة	عدد الكليات	الاعداد المستثناة للفئات من [١] الى [٧]				المجموع
		[١] الى [٣]	[٤] ، [٥]	[٦]	[٧]	
القاهرة	١٥	٢٢٥	١٥٠	٧٥	٧٥	٥٢٥
عين شمس	١٠	١٥٠	١٠٠	٥٠	٥٠	٣٥٠
الاسكندرية	١١	١٦٥	١١٠	٥٥	٥٥	٣٨٥
أسيوط	١٥	٢٢٥	١٥٠	٧٥	٧٥	٥٢٥
الزقازيق	٦	٩٠	٦٠	٣٠	٣٠	٢١٠
طنطا	٩	١٣٥	٩٠	٤٥	٤٥	٣١٥
المنصورة	٨	١٢٠	٨٠	٤٠	٤٠	٢٨٠
المجموع	٧٤	١١١٠	٧٤٠	٣٧٠	٣٧٠	٢٥٩٠

ثانيا : الفئات والاعداد المستثناة عند القبول بالمعاهد : وقد حددها القرار الوزارى لكل معهد كما يلى :

[١] ــ [٥] نفس الفئات والاعداد الواردة فى البند أولا .

[٦] ٥ فى المائة من العدد المرشح للقبول العادى من ابناء المهجرين .

[٧] ٢ فى المائة من العدد المرشح للقبول العادى من أبناء هيئة التدريس الحاليين والسابقين بالمعاهد .

[٨] ١ فى المائة من العدد المرشح للقبول العادى من ابناء العاملين الحاليين والسابقين بوزارة التعليم العالى .

[٩] ٢ فى المائة من العدد المرشح للقبول العادى من ابناء رجال التعليم .

[١٠] خمسة من الطلاب المتفوقين رياضيا لكل معهد من المعاهد العالية للتربية الرياضية .

[١١] خمسة من أبناء العاملين الحاليين والسابقين بوزارة الصحة لكل معهد من المعاهد الفنية الصحية .

ويبين الجدول الثانى التوزيع الاحصائى للاعداد المستثناة من هذه الفئات ، على فرض أن المعاهد جميعها لم تقبل من بين المائة والسبعة آلاف الذين حصلوا على الثانوية العامة فى نفس العام غير ستين الفا فقط ، وهو رقم متواضع للغاية .

ثالثا : الفئات والاعداد المستثناة عند القبول بجامعة الازهر : ويتم تنظيم هذه الاستثناءات بالتنسيق بين وزيرى التعليم العالى ووزير الازهر ، ويتحدد العدد المستثنى لكل كلية وفقا للاتى :

[١] ــ [٥] نفس الفئات الواردة فى البند اولا ، وبنفس الاعداد ، ويوزع الطلاب الخمسة المستثنين

بكل كلية الى اثنين من حملة الثانوية العامة يتولاهما مكتب التنسيق العام ، وثلاثة من حملة الثانوية الازهرية يتولاهم مكتب تنسيق جامعة الازهر .

[٦] خمسة طلاب من أبناء هيئة التدريس الحاليين والسابقين بجامعة الازهر « من حملة الثانوية العامة أو الازهرية » .

[٧] خمسة طلاب من ابناء العاملين الحاليين والسابقين بجامعة الازهر « من حملة الثانوية العامة أو الازهرية » ويتولى مكتب تنسيق جامعة الازهر أمر الفئتين [٦] و [٧] .

وحيث ان كلية البنات الاسلامية بالجامعة تضم خمسة أقسام أو شعب تخصصية هى : الطب ، والتجارة ، والعلوم ، والدراسات الادبية

الجدول الثانى : الاعداد المستثناة عند القبول بالمعاهد

نوع المعهد	العدد	أعداد الطلاب المستثنين للفئات من [١] الى [١١]							
		[١] الى [٣]	[٤] ، [٥]	[٦]	[٧]	[٨]	[٩]	[١٠]	[١١]
تجارى عالى [٢]	٥	٧٥	٥٠						
فنى عالى	٥	٧٥	٥٠						
معلمين عالى [عام]	٣	٤٥	٣٠						
معلمين عالى [رياضى]	٤	٦٠	٤٠					٢٠	
زراعى عالى	٢	٣٠	٢٠						
صناعى عالى [٣]	٨	١٢٠	٨٠						
فنيين تجاريين	١٥	٢٢٥	١٥٠						
فنيين صناعيين	١٨	٢٧٠	١٨٠						
فنى صحى	٥	٧٥	٥٠						٢٥
خاص [٤ سنوات]	٥	٧٥	٥٠						
خاص [سنتان]	٧	١٠٥	٧٠						
مجموع نوعى		١١٥٥	٧٧٠	٣٠٠٠	١٢٠٠	٦٠٠	١٢٠٠	٢٠	٢٥
مجموع كلى		٧٩٧٠ طالبا .							

[٢] و [٣] اعتبر المعهد العالى بشبرا مرتين ، مرة مع المعاهد التجارية ، مع المعاهد الصناعية .

والعربية ، واللغات والترجمة ، فانها تعامل كما لو كانت خمس كليات ، ليصبح العـدد الاعتبـــارى لكليات الجامعة احدى عشرة كلية ، ويكون عدد المستثنين من الفئات الثلاثة الاول ١٦٥ ، ومن الفئات الرابعة والخامسة ١١٠ ، ومن أبناء هيئه التدريس ٥٥ ، ومن أبناء العاملين ٥٥ ، ويصبح مجموع الاستثناءات ٣٨٥ لجامعة الازهر .

وفى النهاية يمكننا أن نتبين أن محصلة الاعداد التى استثنيت فى عام ١٩٧٤ من شرط المجموع عند الالتحاق بالجامعات والمعاهد العليا لا تقل عن ١٠٩٤٥ طالبا من عدد كلى قدره ١١٠ « مائة وعشرة » آلاف طالب حصلوا على الثانوية العامة أو الثانوية الأزهرية ، أى بنسبة ١٠ فى المائة تقريبا .

كلمـات أخيرة وملاحظات

بعد أن أوضحت فى البند السابق من الدراسة أن العدد الذى يتسرب من ثقوب التنسيق أو يقفز فوق حواجزه قد تجاوز الحد الذى لا يمكن السكوت عليه ، تصبح مواجهة مثل هذه التجاوزات أو الانحرافات ضروره حتمية ، واذا حسمنا أمرنا ، وتقرر خوض المعركة « واللفظ يعبر عن المستوى الحقيقى للجهد المطلوب ولا مبالغة فيه » لمواجهة الاستثناءات ، فاننى أنبه المقاتلين فى هذه المعركة الى الاتى :

١ ــ رغم اقتناع الكاتب أن أغلب الاعتبارات الموضوعية التى اقتضت الاخذ بنظام مكتب التنسيق لاتزال قائمة ، الا أن هذه الدراسة لا تستهدف الاحتجاج لهذا النظام ضد نظم اخرى قد يرى البعض افضلية الاخذ بها لتوزيع طلاب الثانويه العامة على الجامعات والمعاهد ، ولكن القصد الحقيقى للدراسة هو الدفاع عن نظام التنسيق مادام قائما وما دمنا نتخذه وسيلة لتوزيع هؤلاء الطلاب ، ومن هنا فان الدفاع عن هذا النظام يتجسم فى الدعوة لمواجهة « الاستثناءات » التى تتجاوز مبدأ تكافؤ الفرص الذى أقيم هذا النظام أصلا لتحقيقه وتأكيده .

٢ ــ الغاء جميع الاستثناءات الممنوحة للفئات التى تقبل عن طريق مكتب التنسيق ظاهريا وفى غيبته « أو فوق جثته المترهلة والممتهنة » واقعيا هو الحل الامثل لمواجهة التآكل المتعمد والمتزايد لمبدا تكافؤ الفرص بين جميع المواطنين ، حيث أن وجود استثناء واحد قد يجر وراءه استثناءات عديدة ، بدليل ان جميع الاستثناءات القائمة قد بـدأت باستثناء وحيد كان القصد من ورائه تكريم الشهداء فى شخوص أبنائهم واخوتهم . أما عن الفئات التى تستحق التكريم فعلا والتى تضم ابناء الشهداء والمفقودين واخوتهم الذين كانوا يعولونهم على سبيل المثال ، فانه فى الاستطاعة تقديم التقدير أو العون لهم بطريقة جادة وبعيدة عن شبهة القفز فوق قواعد مكتب التنسيق ، وذلك بانشاء مدرسة أو مدارس نموذجية لهذه الفئات على غرار مدارس المتفوقين لرعايتهم وتعليمهم . ويظن الكاتب أن تنفيذ مثل هذا الاقتراح تجسيد لمعانى التكريم الحقيقى لهذه الفئات من جهة ، ثم انه توفير للرعاية والتوجيه اللذين افتقدهما افرادها بفقد أولياء امورهم من جهة ثانية .

٣ ــ أما اذا استسلمنا « لداء الاستثناءات » واعتبرناه مرضا متوطنا يصعب الخـلاص أو الشفاء منه ، واذا ظللنا نعتبر قوانيننا ولوائحنا وقراراتنا مجالات للتدريب على استخدام أساليب الاستثناء وأدواته التى يبدو أننا نستلطفها وأنها تستهوينا ، فاننى أقترح ــ من باب الاضطرار ــ أن تبحث عن مقاييس غير مطاطة لتحديد الفئات التى يحق لنا أن نخفف عنها قيود التنسيق الى حد ما ، وهذه المقاييس لابد وأن تكون مرتبطة ارتباطا عضويا بالتأثيرات المباشرة التى تقع على الطلاب نتيجه ضرورات قومية أو وطنية أو بالقدرات الفعلية التى يملكها الطلاب والتى تتطلبهـا الدراسات التى يتقدمون للالتحاق بها . ولست أحسب هذه المقاييس تخرج عما يلى :

أ ــ فقد الوالد او ولى الامر نتيجة الاعمال البطولية الوطنية او القومية غير العادية .

ب ــ تحقيق تفوق يشهد به للطالب على أى من المستويين الداخلى أو الخارجى .

جـ ــ تحديد نسبة مئوية قصـوى مـن الدرجات « ١٠ فى المائة على سبيل المثال » يسقط بعدها حق المتقدم لمكتب التنسيق فى التكريم أو التشجيع الذى يتقرر له .

واذا ما التزمنا بهذه المقاييس فانه لن يستفيد من التكريم الا ابناء الشهداء وزوجاتهم واخوتهم الذيـن كانـوا يعـولونهم والذيـن تضـمهم الفئات [١] ، [٢] ، [٣] السابق الاشارة اليها

عند دراسة الاعداد المستثناة ؛ ثم الطلاب الذين حققوا تفوقا مؤكدا فى مجالات الرياضة أو الفنون مما يزكيهم للالتحاق بمعاهد التربية الرياضية ومعاهد الفنون على التوالى . وهؤلاء جميعا أصحاب حق فى التكريم والتقدير من الشعب المصرى كله من جهة ؛ كما أن عددهم محدود من جهة ثانية ، ثم انهم فوق ذلك جادون ومجتهدون الى حد ما . . وحيث ان بعض الكتاب [الكتبة اذا شئنا الدقة » الذين لم يعيشوا تجارب الشعب المصرى قد بلغت به وقاحة الجراة أو جراة الوقاحة حد وصف أبطال مصر الذين قضوا فى سبيلها حين كان هؤلاء الكتاب يخونون مصر فى الخارج بأنهم « قتلى معارك » ، وكأنهم يستكثرون عليهم حق الشهادة الذى خلعه عليهم الله تبارك وتعالى !! ، وحتى نضيع الفرصة على هؤلاء الذين يصرون على ايقاظ الفتنة بتصنيف شهدائنا تصنيفا زمنيا مغرضا ، فاننى أقترح أن تدمج الفئات الثلاثة السابق الاشارة اليها والتى تضم أبناء واخوة وزوجات **شهداء مصر** فى فئة واحدة مع تحديد العدد المناسب لهذه الفئة المحصلة .

٤ ـ الاستثناءات التى تصدر عن رؤى مهنية ضيقة ، لتبرر العبث الذى يتم لصالح أبناء هيئة التدريس فى الجامعات أو فى المعاهد ، ولتقنن التجاوزات التى تختلس لصالح أبناء العاملين فى وزارة الصحة عند التحاقهم بالمعاهد الفنية الصحية ، أو تلك التى يتم استلابها لابناء المعلمين أو أبناء العاملين فى الجامعات أو فى المعاهد بوصفهم خدام العلم وسدنته !! ، الخ ، كل هذه الاستثناءات ترسم صورة تتطابق مع نظام الطوائف الحرفية التى عرفت فى عصور الانحطاط الحضارى ؛ حيث كانت المهن تورث ، وحيث كان يتحدد لكل حرفة شيوخها الذين يهيمنون عليها أحياء بذواتهم وأمواتا فى شخوص الوارثين من ابنائهم . . والالغاء الفورى لكل هذه الاستثناءات ضرورة تقتضيها سلامة المجتمع وتقتضيها ضرورات الاخلاق ، ولعلها فرصة متاحة لمواجهة هؤلاء الذين يضمنون لابنائهم مستقبلا زاهرا يرقى الى مرتبة الاستاذية فى كليات الطب « بالاضافة الى العيون الخمسة التى يستنزف رجل الشارع لتوفيرها !! » ، والذين ضج الجميع من لعبتهم السنوية التى تدعى رغم أنف هذا الجميع أن « أبن الوز عوام !! » ، واذا كانت الحيلولة بين هؤلاء الابناء وبين الاولوية فى كليات الطب غير ممكنة ـ بل ومستحيلة ـ بعد التحاقهم بتلك الكليات ، **فلنجرب حل المشكلة فى مكتب التنسيق [٤] بالغاء الاستثناء الذى يمنح لهؤلاء الابناء بغير حق ليغتالوا بعد ست سنوات حقوق المجتهدين الحقيقيين من ابناء الشعب !!** .

بقيت كلمة أخيرة أوجهها للاساتذة اعضاء هيئة التدريس فى الجامعات والمعاهد ، وبوصفى واحدا منهم اطلب لهم ولنفسى الاحترام اولا ، واخيرا فاننى أقول لهم « **كونوا ما تقولونه ، كونوا فى واقعكم ما ترسمه مخيلات أبنائكم الطلاب ، كونوا قدوة !!** » . أما الزملاء فى جامعة الازهر فلهم اقول ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم «**من رأى منكم منكرا فليغيره بيده** ؛ فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وهذا أضعف الايمان » .

---

[٤] الكاتب لديه قناعة شبه مؤكدة ، بان اغلب هؤلاء الذين يتصدرون قوائم الناجحين فى كليات الطب يلتحقون بهذه الكليات عن طريق «لعبة الاستثناءات» ، ويتمنى ان يتقدم واحد من الذين تسمح لهم امكاناتهم بالتحقق من صحة ذلك بدراسة تفصيلية لهذا الامر .

مناقشـــات الجلســـة الثامنـــة

فى الجلسات الاولى للندوة كان توفيق الحكيم يفضل لو أن الندوة انتهت الى أن تطرح برنامجا على كل القوى الوطنيـــة والتقدمية . غير انه عاد ، فى هذه الجلسة الثامنة ، وتحفظ على قضية البرنامج ، لان وضع مثل هـــذا البـــرنامج يـــدخل ــ بالضرورة ــ فى مهمة أى حزب او تنظيم سياسى .

الا أن توفيق الحكيم قد أكد على أنه تظل هناك منطلقات مشتركة بين جميع القوى السياسية والاجتماعية على تعدد اتجاهاتها السياسية والاجتماعية . وان هذه المنطلقات يلخصها الشعار المثلث :

الحرية ــ الاشـــتراكية ــ الوحدة

على أن المشاركين فى الندوة قد اختلفوا مع توفيق الحكيم، حول واقعة أن هـــذا الشعار يمكن ان يكون شـــعار الجميع : اليسار ، والوسط ، واليمين ، وذلك مهما قيل من ان معارضى الاشتراكية مضطرون ـــ ولو من باب النفـــاق ـــ الى تـــرديد هذا الشعار .

ومع ذلك ، فان هذا الخلاف ، لم يمنع المشاركين فى الندوة من أن يجمعوا على أن هذا الشعار المثلث يجب ان يكون المنطلق عند دراسة أى برنامج ، أو عند تحديد الخطوط العامة لمسار كل القوى التقدمية والوطنية المستنيرة .

وفى الوقت نفسه ، ساد اتفاق على ماذكره توفيق الحكيم ، من أن المكونات الثلاثة لشعار « الحرية ــ الاشتراكية ــ الوحدة » هى أشبه «بالاوانى المستطرقة» من حيث ان الارتباط العضوى بينها قوى وحتمى ، وأن أى « تغيير فى مضمون أحد هذه المكونات لابد وأن ينعكس ــ ايجابا وسلبا ــ على الاثنين الاخرين .

وفى خلال المناقشة التى دارت حـــول الشعار المثلث طرحت قضايا هامة منها :

الديمقراطيـــة :
ليـــبراليـــة أم شـــعبية

● المحـــاذير التى تتعرض لها حـــركة الثورة الوطنية الديموقراطية وبالدقة ، ثوره ٢٣ يوليو .

● الواقع الجديد الذى نشأ بعد ارتفاع أسعار البترول ودخول الثروات البترولية كأحد المتغيرات الرئيسية والمؤثرة عـــلى خريطة الصراع السياسى والاجتماعى فى المنطقة .

● ما هو المدخل الطبيعى لقضية الوحدة خصـــوصـــا اذا اخـــذنا فى الاعتبـــار ، الاختلاف البين بين النظم القائمة فى البلاد العربية ، وبين مستويات المعيشة فيها .

ـــ قضية الديموقراطية كشرط بدونه لا يمكن التقدم فى اتجاه بناء الاشتراكية . ومرة اخرى تســـاءل الحكيم عن نـــوعية الديموقراطية التى توصلنا الى المجتمـــع الاشتراكى : هل هى الديموقراطية الليبرالية أم الديموقراطية الشعبية . وفى هذه الحالة هل نصل الى المجتمع الاشتراكى بخطوات تدريجية واصلاحية أم بثورة شعبية . يقول الحكيم انه لا يستطيع أن يحسم .

ـــ واخيرا ، فقد حاول لطفى الخولى من ناحيته ، ان يقدم تصـــورا عاما ومتكاملا لرؤيته عن مضمون هـــذا الشعار المثلث وعن ضرورة طرحه بوضوح على الاسس الثلاثة التالية :

١ ـــ ان هذا الشعار بالدقة هو شعار كل القوى التقدمية والوطنية المستنيرة ولن يكون شعار القوى المتخلفة باى حال من الاحوال .

٢ ـــ أن طرح هذا الشعار فى مصر ـــ اى على المستوى المحلى ـــ يجب أن ياخذ بعين الاعتبار حركة الثورة العربية فى مجملها .

٣ ـــ أن طرح هذا الشعار ، يجب أن ياخذ فى الاعتبار المستوى الراهن لعلاقات القوى السياسية والاجتماعية فى البلاد ، كما أن طرح شعار الاشتراكية يجب أن ينظر اليه على اعتبار أن الاشتراكية لاتزال شعارا استراتيجيا .

■ **لطفى الخولى :**

هذه هى الجلسة الثامنة من حوار مختلف القوى والمدارس السياسية اليسارية مع الاستاذ توفيق الحكيم .

الجلسات السابقة غطت النقاط التى كنا قد اتفقنا عليها كبرنامج للندوة . وبقيت النقطة الاخيرة ، وهى العودة من جديد للمستقبل واستشرافه بصورة أعمق . وذلك وصولا الى ما يمكن ان نسميه برنامج للقوى الوطنية والتقدمية .. الى مشروع برنامج للقوى الوطنية والتقدمية ، ينبثق عن هذا النقاش ويطرح على كل القوى فى هذا الشأن .

■ **توفيق الحكيم :**

لتوضيح الفكرة يستحسن أن يكون هناك اطار عام متفق عليه وبعد ذلك تحدث التفريعات أو التفصيلات التى تكون محل مناقشة . مثلا فى كل ثورة أو فى كل حدث قومى خطير تكون هناك نقطة انطلاق غير مختلف عليها من الجميع . فمثلا ثورة ١٩١٩ تبلورت كلها فى مطلب واحد اتفقت عليه كل الفئات ، وكل الاتجاهات ، وهو الاستقلال التام لمصر . فكانت هذه هى الكلمة التى يجتمع حولها كل فرد فى مصر صغيرا وكبيرا .. جاهلا وعالما ، أميا ومتعلما .

بعد ذلك دخلنا فى أطوار أدت الى أن كلمة الاستقلال يتفرع عنها احزاب . وقبل ثورة ١٩١٩ أيضا كانت هناك فكرة الاستقلال ولكن تدور حول الاستقلال بواسطة مفاوضات بعد الجلاء . وكان هذا موقف الحزب الوطنى . اذن كلمة **الاستقلال التام** كانت تمثل ارادة مصر . ولكن كيف يتم هذا الاستقلال هنا بدأت الوسائل تختلف .. الحزب الوطنى لا يريد مفاوضة الا بعد جلاء الانجليز .. جاء سعد زغلول وقال ان هذا مطلب عسير لان الانجليز هم أصحاب أكبر امبراطورية ، فكيف نطالبهم بالجلاء اولا فاذا كان هناك جلاء اولا ففيم التفاوض ؟

الطريق العملى هو أن نتفاوض معهم من الان فى سبيل الاستقلال أو فى سبيل الجلاء . وبعد ذلك وفى نطاق المبدأ العام ـ وهو الاستقلال ـ نشأت آراء أخرى بين معتدلين وبين ما سمى بالمتطرفين . ثم وجد التقسيم ما بين شعبيين وما بين مثقفين كما كان يقال ، أنهم يمثلون طبقة معينة « النخبة » فنتج عن ذلك الاحرار الدستوريون من جهة ، والوفد من جهة ، ثم السعديون بعد ذلك ، كل هذا فى اطار المطالبة بالاستقلال والسعى الى الاستقلال . فاذن هناك مبدأ عام لا يمكن أن يختلف عليه اثنان . يعنى لم نسمع أن حزبا جاء وقال ولماذا الاستقلال ؟ نحن راضون بالكومنولث مع انجلترا . كالهند مثلا ، لم يحدث هذا لان ارادة الامة لم تكن ابدا تطلب الا الاستقلال التام ، بعيد عن التحالف مع الانجليز ، أو مع أى بلد أخرى . فالواقع كانت هذه ارادة مصر . وبعد ذلك ، حدثت الخلافات التى رأيناها الى أن جاءت ثورة ٢٣يوليو .

ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ جاءت بمبادىء أخرى . كلمة الاستقلال انتهينا منها أو كدنا لان انجلترا ، وهى الدولة المحتلة ، أصبحت من الدرجة الثانية ، أو الثالثة .. وكانت معاهدة١٩٣٦ قد الغيت ،فكلمة الاستقلال فقدت معناها ، او اهميتها ، لاننا كنا قريبين من هذا الاستقلال .

■ **لطفى الخولى :**

لا .. أعتقد اننا فى الحقيقة كنا قريبين من الاستقلال السياسى وليس الاقتصادى ، بمعنى أن الذى أضافته ثورة يوليو الى مجمل تاريخ الحركة الوطنية هو الاستقلال الاقتصادى ، وربطه بالاستقلال السياسى .

■ **توفيق الحكيم :**

على أى حال لازلنا نتكلم فى مسألة الهدف .. هدف مصر تغير . فبعد أن كان الاستقلال أصبح شعار آخر وهو الحرية ، وذلك بمعنى واسع جدا ، ثم طرح شعار الاشتراكية وهى ناتجة عن الوضع الاقتصادى لمصر . لانه بعد الحرب الثانية نشأت أوضاع اقتصادية تتطلب حلا لمشكلة الشعب نفسه .

■ **لطفى الخولى :**

أظن إنك فى هذه الفترة أثرت ذلك فى كثير من كتاباتك ..

■ **توفيق الحكيم :**

فعلا ، لانه بعد الحرب العالمية الثانية تولدت ظاهرة ما سمى بأثرياء الحرب ، فأصبحت مسألة توزيع الثروة نفسها مشكلة . وفى ذلك الوقت ترددت كلمة الاشتراكية . ولذلك اذا كانت ثورة يوليو قد طرحت هذا الشعار فلا يعنى هذا انها اخترعته أو خلقته خلقا ، فالواقع أن الثورة عبرت عن مشاعر ومطالب كانت قائمة بالفعل فى صفوف الشعب . فهذه الكلمة اذن لم تقل من باب الترف ، لانه الى جانب أثرياء الحرب نشأت عناصر اقتصادية لم تكن معروفة وهى الدور الذى لعبه الاجانب فى اقتصاد البلد . كانت الثروة فى ايدى هؤلاء الاجانب . ووجودها معهم كان يعنى انهم يتدخلون بالفعل فى شئون البلاد . فاذا كانت كلمة الاستقلال قد قيلت لتعنى شيئا فقد كانت تعنى التخلص من السيطرة السياسية للاجانب « الاحتلال » وفى الوقت نفسه التخلص من سيطرتهم الاقتصادية .

ولكن عندما انتقل جزء كبير من الاقتصاد الى أيدى مصريين بدأت المشكلة تصبح اقتصادية داخلية لا علاقة لها بالمشكلة السياسية ، مشكلة الاستقلال السياسى . وعندما اصبحت مشكلة داخلية نبتت فكرة الاشتراكية ، لان الاشتراكية لا تنبت الا من وضع داخلى لا من وضع سياسى خارجى . اذن وضعت قضية الاشتراكية من جانب ثورة يوليو الاشتراكية ضد من ؟ ومع من ؟ كانت هذه هى الاسئلة التى فرضها الوضع الشعبى على الثورة . وكان لابد وأن تضع ذلك فى حسابها .

أما شعار **الوحدة** فقد كان موجودا قبل الثورة أيضا . وانشاء الجامعة العربية كان يعبر عن ذلك حتى ولو قيل أن الجامعة — عندما أنشئت — انما انشئت لاسباب سياسية ، ثم جاءت قضية فلسطين ١٩٤٨ فشعرنا بأنه لا يمكن ان تنفصل عن هذه القضية ، وعن قضايا العروبة عموما . بدأ ينمو الاعتقاد بأننا جزء من العرب . واصبحنا نتصدى من باب التضامن العربى لما يصيب البلاد العربية الاخرى . وهذا كله دفع ثورة يوليو ان تتبنى شعار الوحدة وتعبر عنه .

وفيما يتعلق بشعار **الحرية** فان شأنه ايضا شأن الاشتراكية والوحدة . وكان المقصود به عند ثورة يوليو : الحرية السياسية والحرية الاجتماعية .

بهذه الشعارات الثلاثة : الحرية — الاشتراكية — الوحدة ، جاءت الثورة لتعبر عن واقع موجود ، عن مطالب حقيقية . وجاءت لتغيير المجتمع وتغيير التوازن الدولى . والكلام عن أن هذه الشعارات الثلاثة لم تكن من باب الاختراع وانما كانت تعبر عن مطالب شعبية هو الذى يفسر لنا كيف حلت هذه الشعارات محل شعار الاستقلال السياسى واصبح كل مواطن يتبناها ، فالواقع اننا سواء سألنا اليمين [المعتدل او الرجعى المتطرف] وسواء سألنا اليسار المعتدل والمتطرف [فان الجميع سيقرون انه لا خلاف حول هذه الشعارات ، تماما كما لم يكن هناك فى ١٩١٩ خلاف حول كلمة او شعار الاستقلال .

■ **لطفى الخولى :**

لكن سيادتك قررت — اذا لم تخنى الذاكرة — ان الاستقلال فى مضمونه وفى شكله قد تغير ، كما تغيرت ابعاده ..

■ **توفيق الحكيم :**

هذا صحيح . ان ما أقصده هو أن الناس على اختلاف اتجاهاتهم يتمسكون بالشعار أو بالكلمة . لكن الاختلاف الحقيقى بينهم هو فى الموقف العملى . فقد تجد هناك من يملك الف فدان ثم يقول لك لماذا لا يملك الانسان الف فدان ويكون اشتراكيا فى ذات الوقت ؟ بمعنى آخر ان الخلافات تظهر فى البرامج . هنا تجد من يقول ان الاشتراكية عندى هى اشتراكية دينية أو اشتراكية مسيحية . وستجد ان هناك من يقول لك انا اشتراكى « معتدل » كما كنا نسمع عن اناس يطالبون بالاستقلال ، ويقولون عن أنفسهم أنهم « معتدلون » ، مع أن هذا « الاعتدال » كان يمس جوهر الاستقلال .

لهذه الاسباب احب التأكيد على أن هذه الشعارات الثلاثة لا خلاف عليها ، بغض النظر عن النوايا الخفية .

■ **لطفى الخولى :**

الا ترى أن هذا التوحيد شكلى ؟

■ توفيق الحكيم :

ما نتفق عليه الان ، هو المبادىء أولا . واضرب مثلا لذلك ان اعداد ثورة يوليو أو المتشككون فيها - أو غالبيتهم العظمى - لا يصرحون بأنهم ضدهذه المبادىءتماما . لم يوجد أيام سعد زغلول من يرفض « الاستقلال » لكن هذا بالطبع ليس كل شيء . لان هناك مهمة مستمرة تظل مطروحة أمامنا كمثقفين ، أو كجزء من الشعب يسعى الى التقدم ، وهذه المهمة هى أن الخطوة - بعد الحديث عن الشعارات - خطوة أهم لنرى ما هو المقصود بالاشتراكية ، وما هو المقصود بالحرية ، وما هو المقصود بالوحدة ؟

■ لطفى الخولى :

هل افهم من ذلك أنك تنطلق الى المستقبل على اساس ان هذه الشعارات المتجسدة فى الحرية والاشتراكية والوحدة هى مسلمات موضوعية للشعب المصرى . وبالتالى يكون الانطلاق نحو المستقبلهو انطلاق على نفس هذه الخطوط الثلاثة ؟

■ توفيق الحكيم :

اذا فرضنا ان هناك خلافا على هذا ، فان الموضوع سوف يحتاج - من أساسه - الى بحث جديد لكى نستكشف نقاطا موحدة ومشتركة ننطلق منها . ولكن من أين تكون وحدة الانطلاق ؟ كيف نقول : أن هذه المنطلقات الثلاثة « الحرية - الوحدة - الاشتراكية » ليست هى التعبير الحقيقى عن مطالب مصر .

■ لطفى الخولى :

من أجل هذا أريد أن أعرف هل يعتبر الاستاذ الحكيم - شخصيا - هذا الشعار المثلث لايزال هو نقطة الانتقال نحو المستقبل ؟

■ توفيق الحكيم :

أعتقد ذلك الى حد كبير . لانه لابد أن يكون كذلك ، ولان العرب كلهم اتفقوا على ذلك ، يعنى لا تجد بلدا عربيا لا يقول الوحدة والاشتراكية والحرية ... كلنا متفقون .

■ لطفى الخولى :

الاستاذ الحكيم يقصد الشعوب العربية لا الدول . . أليس كذلك ؟

■ توفيق الحكيم :

نعم الشعوب العربية . واعتقد أنها تشعر بأن هذا هو المنطلق ، ولكن ليس معنى هذا أنهم متفقون على التفاصيل وعلى معنى الاشتراكية لانك عندما تقول الاشتراكية لا يوجد انسان يقول لك أنا غير موافق عليها . حتى المتطرف الدينى الذى يتخذ من الدين مبدا سياسيا لا يرفض كلمة الاشتراكية انما يقرنها بما يريد هو ان يتفق معه مذهبه الدينى .

■ لطفى الخولى :

كيف نرى احتمالات تطور هذا الشعار وتجسيداته فى المستقبل ، على ضوء علاقات القوى الحالية والمحتملة داخل المجتمع المصرى ، وفى اطار الترابط العربى ، وفى اطار علاقات القوى الدولية . وذلك على اساس خطوط عامة حتى تكون موضع مناقشة ؟

■ توفيق الحكيم :

المسألة بهذا الشكل تكون واسعة النطاق . ولا يستطيع انسان أن يتكلم فيها بسرعة . لان الموضوعات واسعة جدا . لان أى بند منها يحتاج الى فصول .. يعنى ، عندما نتكلم عن الاشتراكية ، أو عن الوحدة ، أو عن الحرية ، فان بند الحرية نفسه فيه كلام كثير . يعنى اذا تكلمنا عن الحرية .. ما هى النظم التى تكفل لك الحرية ؟ وما هى الحرية المطلوبة أولا ؟ .. والاشتراكية .. ما هى الاشتراكية المطلوبة ؟ والوحدة .. ما هى الوحدة فى مفهوم العرب كلهم ؟ أو فى مفهوم بعض العرب ؟

أريد أن اقول اننا اتفقنا على ان الكلام يكون فى حدود هذه المبادىء . هل اولا انتم موافقون على أن هذا هو المنطلق ؟ فاذا كان الامر كذلك ، نبدأ بالتبويب .. يعنى من يريد أن يتكلم مثلا عن الاشتراكية كما نراها فسوف يترتب بالضرورة ان نربطها بالاوضاع الاقتصادية .

■ لطفى الخولى :

نعم ، لقد اتفقنا ان هذا هو المنطلق ، لكن نترك لكل واحد من المشاركين فى الندوة اما ان يتكلم عن نقطة معينة ، او يجد ان هناك ترابطا بينها جميعا ويتكلم فيها . لكن نقطة الانطلاق متفق عليها .

■ محمد سيد أحمد :

أنا موافق على أن هذا ينبغى أن يكون المنطلق ، ولكنى غير موافق على شيئين : أولا ، غير موافق ان هذا هو المنطلق بالنسبة للجميع .. وثانيا ، غير موافق ان نجعل ما هو متفق عليه من الجميع ما ينبغى ان يكون المنطلق فقط .. يعنى ليس مقياسى لكى أبدأ واحدد موقعى أن يكون الجميع بالحتم موافق عليه ، لان هذا مستحيل .

رجوعا الى النقطة الاولى أريد أن أوضح نقطة هنا وهى انه اذا صح أن الجميع يقبل هذا بمعانى متباينة ، أو حتى بمعانى متعارضة ، فليس لهذا المنطلق قيمة .. يعنى ليس مهما عندى اذا كان هناك من يقول اشتراكية ثم يقصد العكس ، ما يهمنى هو المحتوى أو المضمون الخاص بالاشتراكية ، وذلك بغض النظر عن أن غيرى متفق عليه تماما . مثلا ، أنا أعتقد ان الكل متفق على الوحدة ، ولكن بمعان مختلفة أيضا . الثورة ـ مثلا ـ طرحت مفهوم الوحدة ، بمعنى القومية العربية ، أنها هى الوحدة التقدمية . ولكن اليوم هناك مفهوم عن وحدة للاقطار العربية مجردة من المحتوى الاجتماعى .. فهذا شكل آخر من الوحدة ، وقد يتفق الجميع على فكرة الوحدة ، ولكن المعنيين هنا متعارضان تمام التعارض ، كذلك الامر فيما يتعلق بالحرية . الكل متفق على الحرية . ولكن هناك اختلاف جذرى فيما يتعلق بالحرية . فالحرية قد تعنى الحرية الفردية ـ التى هى فى نهاية الامر ـ حرية القلة وقمع الكثرة ، او قد تكون الحرية الاجتماعية التى ينتقدها البعض ، باعتبار انها كبت لحرية القلة . فهنا نرى ان المعانى كلها ، تحتمل اكثر من معنى . انا اقول ، انه بغض النظر عن العناصر العامة الفلسفية علينا أن نأتى لنرى ، بالتحديد ، ما هو مهم بالنسبة للمستقبل .. مثلا اذا كنا نبدأ بالحرية . فسنجد أن هناك قضايا محددة واضحة تحتاج الى حلول . ومن الممكن ، هنا ، ان نحدد عددا من النقاط : نأخذ جانب الحرية الاقتصادية ، ثم نأخذ جانب الحرية السياسية .. وهكذا .

وفيما يتعلق بالحرية الاقتصادية ، نحن ازاء المشكلة سوف نكتشف أنه يوجد ـ لسبب ما ـ ثروة عربية ، نشأت فى الفترة الاخيرة ، وهذه الثروة قد تكون نقطة اجتذاب لما نسميه بالرأسمالية العالمية ، أو أن تكون انتكاسا على الاشتراكية كما فهمناها فى الفترة الاخيرة ، أو أن تكون لها أثر فى العالم العربى ، فعند الدخول فى هذه النقطة سنجد أن هناك مبدأ اساسيا هو ترويض المبالغ الجديدة ، هذا من اجل التنمية العربية .. ولابد من استخدام هذه المبالغ على أساس قومى ، لان بلدا مثل أبو ظبى عندها من الثروة الان ما لو حلت به مشاكلها فقط فسوف تتعرض لتضخم منقطع النظير ولن تستطيع أن تحل مشاكلها . فلا حل لهذه المشاكل الا أن تندمج داخل اطار أوسع لان القدرات البشرية فى ابو ظبى لا تستطيع أن تستوعب لاغراض التنمية الثروة التى تحصل عليها ، بسبب ظروف البترول واسعار البترول . يعنى مشاكل كثيرة . اذن ، فى مقدمة القضايا الجوهرية أن أضع تعريفات دقيقة يتفق عليها الجميع عندما اتحدث عن ثورة ٢٣ يوليو ومعناها ، والتنمية ، والثروة العربية ... الخ .

■ لطفى الخولى :

اعتقد انك عدت الى المنطق الذى اختلفت عليه مع الاستاذ توفيق الحكيم ، عندما ذكر أن الجميع تواضع على الحرية والاشتراكية والوحدة . وبعد ذلك تقول أن الجميع تواضع على ثورة ٢٣ يوليو مع أن الواقع الحالى يدل أن هناك قوى واضحة محددة أعلنت عن نفسها واسفرت عن نفسها داخل مصر وفى العالم العربى ضد ثورة ٢٣ يوليو .

■ محمد سيد أحمد :

الذى أريد أن أقوله بالتحديد ألا تكون الثروة العربية الجديدة سببا للانتكاس بالاشتراكية فى العالم العربى ، ونقطة ارتكاز ، أو اجتذاب ، مرة أخرى للرأسمالية فى العالم العربى . وان النضال التقدمى فى الفترة القادمة يتعين عليه

الا يرفض هذه المبالغ ، بل يستوعبها ، بدلا من أن تذهب هذه المبالغ لكى تستثمر فى اوربا ، احيانا فى اشياء لا قيمة لها . ويجب الا نقبل النظريات التى تقول : ان جزءا من هذه المبالغ ، لا نستطيع أن نستوعبه ، أو انها تفوق قدرتنا على الاستيعاب . فهذه النظرية ، تشيع اليوم وهى مرفوضة ، اللهم الا اذا كنا نتكلم عن استيراد التكنولوجيا . فهذا معناه ، انه يجب أن نخصص جزءا فى الخارج لهذا الغرض . اذن فالقول بأن الفوائض العربية بلغت من الضخامة بحيث أن الارض العربية لا تستطيع أن تستوعبها ، هذا القول مرفوض كمنطق .

ولو أردنا تأصيل اكثر لهذه القضية فسوف نرى أننا بازاء معركة جديدة ، ناشئة ، فى العالم أجمع – اليوم – ونحن جزء من هذه المعركة . ويأتى فى مقدمتها معركة تصحيح اسعار المواد الخام بالنسبة للمنتجات الصناعية . وهذه مرحلة جديدة فى درب الاستغلال الاستعمارى ، وذلك بعد انتهاء الاستغلال الاستعمارى « فى صورة الاستعمار التقليدى » . أن الشكل الجديد لهذا الاستغلال هو فرض الاسعار غير المتكافئة . ومن ثم فالقضية تطرح كمعركة أساسية – فى المرحلة القادمة – وهى مرحلة ربما استغرقت عقدين أو ثلاثة من الزمان ، حتى نصل الى تصحيح للاوضاع يكون لصالح التنمية العربية فهذه قضية جوهرية وأولى . وتفصيلا لهذه القضية أقول أن مصر تملك وضعا خاصا فى العالم العربى ، وذلك فيما يتعلق بتنشيط هذه العملية ، بحكم القدرات البشرية المصرية الاستثنائية التى تستطيع أن تستوعب ، على وجه أفضل من غيرها ، القدرات التى تحول هذه المبالغ ، من مبالغ عائمة ومنفصلة ومتجهة الى الهجرة الى الخارج ، لان هذا المال يمكن ان ينتقل الى الخارج ليوظف فى العالم الغربى ، وينتهى الموضوع عند هذا الحد ، ثم ينضب البترول بعد سنوات ، وينضب ، بالتالى ، هذا المصدر العربى . لكن مصر بقدراتها تستطيع أن تمنع هذه العملية ، وتوقف عملية الهجرة هذه ، الخاصة بالبشر والمال الى الخارج ، وتوطنه داخل الامة العربية ، وتلعب دورا على نطاق الامة العربية – هذه قضية أولى اقتصادية ذات أهمية كبيرة .

النقطة الثانية ، التى أريد اثارتها فيما يتعلق بالحرية أيضا من الناحية السياسية هى أنه من الواضح ، كما قلنا فى جلسة سابقة ، اننا نعمل نوعا من الاتفاق مع أمريكا كوسيلة لحل القضية الوطنية . يعنى أنه بما أن للامريكان مصلحة بالتحديد فى أن هذه المبالغ لا تصب فى الامة العربية ، ولكن من مصلحتهم أن تستثمر استعماريا ، فانهم يرغبون اذن فى التواجد فى المنطقة لهذا الغرض دفاعا عن مصالحهم . وهم فى سبيل الحفاظ على تلك المصالح ربما يرون أن يعطوا شيئا ، فى المقابل . وهذا يكون أساس التسوية . وهنا ينشأ خطر ، قد تترتب عليه آثار طويلة الامد . وهذه قضية ثانية بالغة الاهمية فى الفترة القادمة ، لا تقل أهمية عن القضية الاولى . يعنى ، نحن اليوم – كما قلت فى المرة السابقة – أمام « مشروع ايزنهاور مضخم » . ونحن نذكر أنه فى عام ٥٦ قدم ايزنهاور ، ولكنه ما لبث أن تبدد مع المنطلق الذى حدث بعد ٦١ . واذا كان قد فشل فى المرة السابقة ، فبسبب أنه كان هناك استقطاب دولى . وكان هذا الاستقطاب عنصرا مساعدا على التبديد . أما فى هذه المرة ، فلا يوجد استقطاب دولى ، وهناك انفتاح فى كافة الاتجاهات . ومن ثم فقد لا يبدد اليوم تلقائيا – أو لا يبدد بعدم ادراك الخطر ، فهنا لابد لقوى التقدم والثورة العربية من أن تدرك هذه العملية جيدا بحيث أن التسوية القادمة لا تكون تصفية للاتجاهات التقدمية والاتجاهات الثورية فى العالم العربى . فنحن لسنا ضد مبدأ التسوية . ولكننا ضد هذا التطبيق للتسوية الذى يكون لصالح استرجاع الاستعمار لمراكزه فى المنطقة . فهذه نقطة ثانية أنبه اليها كنقطة ذات أهمية كبيرة .

النقطة الثالثة السياسية فى الحرية التى أعطيها أهمية كبيرة ، هى تطبيق صيغة تحالف قوى الشعب بتطبيق صيغة التحالف قطعا فى سبيل ان ننطلق فى سبيل التسوية . ان مبدأ التحالف بالغ الاهمية . ولكنى أعتقد ، وهذه نقطة أطرحها ، ان صيغة التحالف فى شكل الاتحاد الاشتراكى ، ليست الصيغة المناسبة . ولكنى أرى – كبديل له – فكرة الجبهة الوطنية للاحزاب الوطنية . وهنا أريد ان اضع بعض التحديدات . فانا أقول فكرة الجبهة هى ان تحقق ، فى الظرف الحالى ، انسب صيغة من

أجل تنشيط وتحريك الاشتراكية ، مع ضمان عنصر الديمقراطية فى نفس الوقت . على أساس أن تصفى القوى الرجعية . ولكن ليس بالطرق الادارية وأقصد « بإداريا » تعبيرا مخففا . بدلا من ان أقول « قمعا » ، ولكن سياسيا . ومع ذلك . يمكن أن توضع ضوابط . واتصور ان ضوابط الجبهة تفرض ، وتحمى سياسيا وليس اداريا . وتكون المنطلقات الاساسية للثورة المصرية هى مبادىء اساسية موجودة فى الوثائق الاساسية . باختصار فان تصفية القوى المقابلة يجب ألا تتم بالطرق الادارية التى كانت على حساب ديمقراطية العملية وفى نهاية الامر على حساب اشتراكية العملية . فهذه الوسائل كانت تخلق وجهات اشتراكية اكثر مما كانت تحقق عمقا اشتراكيا . ففى سبيل ان تكتسب العمق ، وفى سبيل تصفية القوى الاخرى تصفية فكرية وسياسية حقيقية وليست تصفية شكلية ، أو تصفية مرحلية ، وفى سبيل ان تعود الثورة أقوى مما كانت ، فلابد ان تتخذ شكل الجبهة ، وشكل النظام المنبثق من ادنى ، وليس مجرد التشكيلات المفروضة من أعلى . وهذا عنوان ثالث كبير اضعه فيما يتعلق بالحرية السياسية .

ولو جئنا ، ونظرنا الى شعار الاشتراكية فنحن اليوم مواجهون ـ مرة اخرى ـ بخطر انتعاش رأسمالى فى العالم العربى . ولابد من معركة سياسية حقيقية ، فى الاعماق ، ولن نستطيع ـ فى هذه المرة ـ أن نصفى خطر الانتعاش الرأسمالى بالطرق الادارية العلوية . ولو كان هذا ممكنا فى الفترة السابقة « لاوضاع داخلية ودولية فى ظل الاستقطاب » وقد اثبتنا ـ فى كلامنا السابق ـ انه كان من الممكن كبت قوى معينة ، ولكن لم تختلع جذورها . ففى المرحلة القادمة لا يمكن الا أن تصفى بمعارك ـ من تحت ـ يعنى بمعارك حقيقية ، ذات طابع سياسى ، وليس بالطرق الادارية .

ان المعركة من أجل الاشتراكية هى عملية معقدة للغاية لان الخط ليس مستقيما بين الماضى والمستقبل فيما يتعلق بالاشتراكية لان فرض الاشتراكية قضية نضالية وليست قضية مسلما بها مقدما .

القضية الثالثة : وهى الوحدة ـ قضية الوحدة هى قضية جوهرية وفى المستقبل . لانه لم يعد لاى جزء من العالم العربى فى اطار كل هذا الكلام الذى قيل . وفى اطار الوضع العربى الجديد . لم يعد من الممكن التجزئة فى داخل العالم العربى . ولكن يجب ايضا ان نعلم أن هذه الوحدة . سوف تتم فى اطار ظرف جديد . ان عنصرا مهما من عناصر تنشيط الحركة العربيه أو حركة العالم العربى فى الفترة التى ساد فيها موقف الاستقطاب مع اسرائيل . غير ان هذا وضع لن يكون قائما فى المستقبل ، وهو يطرح معادلة مختلفة عن المعادلة السابقة . ففى ضوء هذا ، ينبغى ايضا ان ندخل ـ فى حديثنا ـ الاسس التى نبنى عليها الوحدة العربية فى مواجهة ظروف توجد فيها التسوية مع اسرائيل . والذى اتصوره انه ، فى الوضع السابق ، كان أبرز التناقضات تناقضات رأسية بين اسرائيل من جانب ، والدول العربية من جانب آخر . أما التناقضات الاكثر بروزا ـ فى المرحلة القادمة ـ فهى التناقضات الافقية بالاتجاهات الراسمالية ، والاتجاهات التقدمية فى صفوف مختلف الاطراف المعنية ، بما فى ذلك اسرائيل ، وبما فى ذلك مصر . ومن هنا ، فان مواجهة الخطر الاسرائيلى ـ كمواجهة بقية الاطراف الاستعمارية فى المنطقة ـ هى معركة تختلف ـ أساسا ـ ملامحها عن المعركة السابقة . ومرة أخرى هذه الحقيقة تؤكد الكلام السابق ، من ان هذه المعركة لن تتحقق بمجرد شعارات وطنيه ، كما كان الامر فى الماضى ، أى عندما كانت التناقضات الرأسية هى السائدة . ففى ذلك الوقت ، كان من الممكن ان تطمس الشعارات الوطنية أو تخفى خطر اليمين ، فى بعض الظروف . ولكن فى ظل التناقضات الافقية ، لم يعد من الممكن اى نوع من التوفيق مع القوى اليمينية والا فان هذا يعنى التسليم للمخطط اليمينى بشكل عام .

■ **أحمد عباس صالح :**

الحقيقة أن العرض الذى عرضه الاستاذ محمد سيد احمد اعطانا التناقضات الخاصة بالوحدة ، والتناقضات الرأسية والتناقضات الافقية . وقال ـ بشكل قطعى ـ أنه فى التناقضات الافقية توجد استحالة فى الالتقاء

بين القوى اليمينية وبين القوى اليسارية أو الاشتراكيه . وهو ينقض فيما يبدو الكلام الاول والخاص باستيعاب الثروة العربية ، أو ترويض المبالغ العربية فى داخل الحركة التقدمية . فهذه ملحوظة أولية .

لكنى سوف ابدأ بالكلام عن التصورات الخاصة بالحرية والاشتراكية والوحدة باعتبارها مدخلا لجبهة وطنية تقدمية فى المستقبل .

فهناك ظاهرتان أشار اليهما الاستاذ محمد سيد احمد . الاولى ، وهى على جانب كبير من الاهمية ، ولها تأثير فى الحركه السياسيه الان فيما يختص بقضية الحرية ، وقضية التسوية مع اسرائيل ومع المعسكر الامبريالى بشكل عام . والدور الذى تلعبه هذه الثروه الطارئه أو ظهورها فى المعترك السياسى وتاثيرها على خط السير فى المرحلة الحالية . فواضح جدا - خلال السنوات القليلة الماضية - ان الثروة العربية لها شروط معينة خصوصا أن الثروة العربية تكونت أو تكدست فى نظم بعضها رافض تماما للاشتراكية ، وفيما يبدو وهذا شىء طبيعى ان لهم شروطا معينة فى استثمار هذه الثروة .

والشرط الاول ، فى أى استثمار راسمالى ، هو حجم العائدات من الاستثمار . وحتى هذه اللحظة يقوم تنافس شديد جدا ما بين العالم الاوربى المتقدم - فى قدرته على تقديم عائدات كبيرة لرأس المال العربى - وبين عجز القوى الانتاجية العربية عن أن ترتفع بهذه العائدات الى المستوى الذى تقدمه الدول المتقدمة . واذكر انه فى مؤتمرات كثيرة « وربما كان منذ شهرين » فى مؤتمر عقد **بالبصره** حضره أساتذة فى الاقتصاد من أكثر من بلد عربى ، أتيحت لى الفرصة - بشكل ما - أن أقف على بعض خطوطه ، فتبين - بوضوح - أن العائدات التى تستطيع أن تقدمها الدول الراسمالية المتقدمة لرأس المال العربى المستثمر فيها أضخم كثيرا مما تستطيع أن تقدمه المنطقة العربية ، فيما لو استثمر هذا المبلغ ، وهذه عقبة من العقبات الواضحة التى يجب أن توضع فى الاعتبار .

النقطة الثانية : ان أى رأسمال فى العالم ، بعيدا عن أى انفعالات عاطفية ، ليس مستعدا أن يقدم - من أجل « خاطر » الامة العربية ، ومن أجل العواطف العربية - رأسماله الا بشروط اكيدة ، ليس أقلها الحرية التامة لحركة رأس المال فى المجال الاكبر « مصر » لعملية الاستثمار .

ثم هناك القوانين العمالية وحق رأس المال فى ان يتعامل مع القوى العامله بالاسلوب والمنطق الرأسمالى ، بحيث يستفيد مثلا من احتياطيات البطالة ، ويفرض تعديلات فى قوانين العمل . وسيتجه رأس المال دائما الى المكان الاكثر ربحا ، ولن يتجه الى المكان الذى يكون له عائدات فى المستقبل البعيد .

اذن ، فوارد على عملية التنمية التى تريدها الامة العربية ، عدة قيود كما أشار الى ذلك الاستاذ توفيق الحكيم :

القيد الاول : عائدات رأس المال والمنافسة التى تقدمها الدول المتقدمة صناعيا فى استثمار هذا الرأسمال .

القيد الثانى : التغييرات الجذرية التى يمكن أن يطالب بها رأس المال العربى - على الاقل فى بلد مثل مصر - وهى تعديلات جوهرية وأساسية تمس كل القوانين التى طرحت ووصل اليها الشعب المصرى فى خلال ثورة ٢٣ يوليو . وهذا له دخل كبير جدا فى قضية الاستقلال . ومع ذلك فان العالم العربى مواجه بتحد كبير جدا مباشر يتمثل فى احتلال جزء من الاراضى العربية . ومواجه - أيضا - برغبات التوسع الموجودة فى اسرائيل والتى تشكل خطرا على المنطقة كلها من حيث الاستقلال السياسى والاقتصادى . ونحن نعلم أن البلاد العربية ، صاحبة أكبر عائدات بترولية ، تعتقد ان مجال عملها الطبيعى هو فى اطار السوق الحر العالمى ، يعنى فى اطار الاقتصاد الرأسمالى . وهناك اعتقاد أو تصور بأن هذا هو الطريق الى تشكيل تسوية مع اسرائيل « مع العلم بأن هدف الرأسمالية العالمية ، وخاصة الامريكية ، هو التحكم فى المواد الخام الموجودة أو ضمان المواد الخام الموجودة فى المنطقة العربية الى جانب العناصر الاخرى كالتحكم فى الاسعار . أقول هناك اعتقاد انه بالدخول ، بشكل مطلق وكامل ، فى المعسكر الامبريالى ستصبح وظيفة اسرائيل محدودة أو ملغية . كما انه يسود تصور بأن اسرائيل موجودة كقوة ضاربة نتيجة جنوح بعض السياسيين العرب الى الاشتراكية والى غير ذلك من الاتجاهات التى تعتبر مرفوضة من جانب الامبريالية . وانه اذا خلصنا المجتمع العربى من هذه الاتجاهات

المتطرفة فمن الممكن أن يتضاءل دور اسرائيل ، ويصبح لا قيمة له . وبالتالى ، تقدم التسوية من جانب أمريكا ، وهى – عند أصحاب هذا التصور – الجهة الوحيدة التى تستطيع أن تقدم هذه التسوية .

اذن ، العملية – كما نحن نلاحظ – مرتبطة بارتباطات واسعة : مرتبطة بالتعديلات المحلية الجذرية التى يطالب بها رأس المال العربى وهى ادخال تغييرات هيكلية على الاقتصاد ، تغييرات لا تعوق نمو رأس المال العربى .

فهذه تصورات – فيما يبدو واضحة وواردة ولا ينكرها أحد ، وتتجه الضغوط اليها ، وتترتب عليها عدة نتائج . فنحن اذ نسعى الى تحرير الارض – وفقا لهذه التصورات – يخيل الينا انه من الممكن أو من المطلوب أن نتنازل ، أو نتهاون فى المكتسبات الاجتماعية ، وفى علاقاتنا الدولية . ولكن هذا شىء مرفوض لان شعب مصر يناضل ضده – منذ عهد محمد على الى يومنا هذا ، كما يناضل ضده الشعب العربى منذ القرن التاسع عشر . وفضلا عن هذا فهو شىء لا يمكن أن يحدث .

اذن ، ففيما يختص بالثروة العربية ، اعتقد أن ترويضها هو شىء صعب جدا . وانه قد يؤدى بنا الى نوع من التنازل المطلق . والواقع ان الكلام عن ترويضها لن يكون صحيحا الا اذا نهضت فى الدول التى نسميها بالدول المتقدمة قوى فى السلطة ، تقدمية واشتراكية ، تستطيع أن تستوعب هذا الرأس مال بما تتنازل عن بعض القيود لصالح هذا الرأسمال . واخشى ان هذا الوضع غير وارد حتى الان فى هذه المرحلة . رغم اننا لاحظنا ان محاولات استيعاب رأس المال العربى فى الفترة السابقة لم تتوقف .

اذن هناك رأى مؤداه ان الحرية – وفقا للشعارات الثلاثة المطروحة – ينبغى ان تتجه الى التحرر السياسى ، فى مقاتلة الاستعمار لتحرير الارض الحالية ، وان تتجه الى ادراك ان الاهداف الامبريالية [وهو شىء قديم ومفروض انه واضح هو السيطرة على الارادة العربية] . وبالتالى فان امام الامة العربية ، وامام الثورة العربية ، خط واضح : وهو مواجهة المؤامرة الاستعمارية لاستيعاب المنطقة ، واخضاع الارادة العربية للارادة الامبريالية فى الوقت الحالى . وانه لا يمكن ، بالتالى ، الحصول على تسوية الا من مصدر القوة ، أى من مصدر الاستعداد والوحدة فى منازلة الاستعمار .

من هنا ، نستطيع ان نحصل على تسوية ، أما قبل ذلك فانك لن تحصل الا على استسلام . هذا من زاوية الحرية السياسية بمعناها فى مواجهة الاحتلال وقوى الضغط الامبريالية على الاقتصاد وعلى الحرية وعلى الارادة الوطنية أو القومية .

القضية الثانية ، ولعلى اعتبرها القضية الاولى ، هى الحرية الاجتماعية ، لانك لن تستطيع ان تقوم بعملية تحرر حقيقية ضد الامبريالية ما لم تكن القوى الاجتماعية معبأة تعبئة صحيحة ، ومتحدة اتحادا صحيحا ، وقادرة على مقاومة هذا التحدى الهائل الرهيب الذى تقع تحت طائلته منطقة الشرق الاوسط كلها .

اذن ، فربما كانت النكسات التى اصابتنا فى ٦٧ هو انه لم يكن المجتمع مهيأ تماما فى اطار الحرية السياسية والاجتماعية الداخلية بحيث تعبأ الامة كلها تعبئة كاملة لمواجهة التحدى العسكرى . ويمكن ، فيما مضى ، كما تفضل الاستاذ توفيق الحكيم ، انه فى ثورة ١٩، كان من المستحيل ان مصر تقاتل الجيش الانجليزى فكان لابد من المفاوضة كما يقال .. هذه قضية تناقش .

أما الان ، فالظروف مختلفة ، فقد استطاعت فعلا دول صغيرة ان تواجه التحدى الاستعمارى الامريكى بكل ثقله . واستطاعت ان تحقق انتصارات فى أكثر من مكان : ليس فقط فى الهند الصينية ، بل فى امكنة كثيرة أيضا ، وانه لا عذر للقوى الوطنية فى أن تهادن الاستعمار بحجة انها لا تستطيع ان تقاتله . وعلى العكس اثبتت التجارب ، ان قتال الاستعمار – فضلا عن انه ضرورى ، وليس له طريق آخر – هو ممكن ايضا .

من هذه الزاوية ، لابد من اعادة تعبئة الامة تعبئة صحيحة . وبالتالى ، لابد ان تكون فى حرية اجتماعية صحيحة .

وبالنسبة للحرية الاجتماعية ، انا موافق تماما على رأى الاستاذ محمد سيد أحمد ، فيما يختص بمناقشة صيغة تحالف قوى الشعب العاملة فان هذه الصيغة لم تعد ملائمة لاسباب

كثيرة لا داعى لذكرها ، فينبغى اذا كانت الارادة متجهة للتحرير ، ان تعمل كل القوى على اعادة تشكيل الاحزاب بحيث يتاح لكل القوى الاجتماعية الحقيقية — وليست الدعاة — أن تعبر عن نفسه فى شكل التنظيمات الحزبية . وهذه التنظيمات ، من الطبيعى ، ومن الممكن ، فى ظروف التحدى الحالية ، ان تكون ما يسمى بجبهة وطنية . وايضا أرى ان الحرية الاجتماعية — هذه — ليست مقصورة فقط على مصر كدولة داخل الصراع انما ايضا مقصورة على عدة دوائر اخرى ومنها الدائرة العربية .

ومن هنا ، لابد ايضا الانتقال من فكرة انه اذا تم تحقيق الجبهة الوطنية المصرية ان تكون هناك جبهة عربية قومية ، ممثلة — ايضا — فى الاطار الذى تكلمنا عنه ، وهو الاحزاب التى ترى أن لها مصلحة فى الوحدة والاشتراكية والحرية ..

بالاضافة الى ما تقدم ، يتضح — بشكل قاطع وبحكم مواثيق ملزمة — علاقة حركة التحرر العربية بحركة التحرر العالميـة بالمجموعة الاشتراكية لكل القوى المعادية للامبريالية . لانه بذلك تصبح حركة التحرر العربية حركة قوية فى اطار القوى العالمية الصحيحة التى تواجه الاستعمار .

أننا دون أن نضع هذه النقط فى الاعتبار ستظل القضية قضية مبهمة ..

طبعا أريد الانتقال الى تفصيل صغير واسمحوا لى بذلك بالنسبة للحرية داخل مصر فى اطار الجبهة الوطنية .

كل حريات معطلة ينبغى أن تعود بطبيعة الحال وفى مقدمتها حرية الصحافة ولابد من اشارة أكيدة الى أن حرية الصحافة ليست متحققة فى مصر الا لمجموعة وحيدة وهذه المجموعة قد يختلف معها ٩٠ فى المائة من الشعب المصرى و ٩٠ فى المائة من الشعب العربى ، وهى المجموعة التى ترى أن الحل يأتى عن طريق الاجهاز على ثورة ٢٣ يوليو ، والاجهاز على الاشتراكية ، والارتباط بالمعسكر الامبريالى وكل الاساطير التى تقال حول امكانية استثمار الثروات العربية بسهولة .

فهذا بالنسبة للتصور الخاص بمسألة الحرية بشقيها .

وفيما يختص بحركة التحرر ، باعتبارها العمل النضالى للتحرر من الاستعمار ، وطبعا تطرح هنا قضية الحرية الداخلية او الحرية الاجتماعية ببعدها السياسى . أيضا تطرح قضية الحرية الاقتصادية بمعنى الحرية التى وردت فى الميثاق ، وهى تحرير المواطن العربى المصرى من تأثيرسيطرة رأس المال المستغل على حريته السياسية .

وهذا يدخلنا فورا الى قضية اخرى ، وهى الجزء الثانى من الشعارات الثلاثة وهى الاشتراكية . فالاشتراكية ، ليست فقط محاولة للتنمية ، انما هى ، أيضا ، عمل ايجابى فى قضية التحرر . لانه بواسطة تطبيقات اشتراكية صحيحة من الممكن التعبير عن الرأى السياسى الصحيح للمجتمع ، لانك — فى ظل الاشتراكية — ترفع الضغط الاقتصادى والتأثير الاقتصادى الذى تمارسه القوى اليمينية على القاعدة الشعبية فى انتخاباتها وتحركها السياسى بشكل عام .

فهذا جزء أساسى فى تحقق الديمقراطية الاجتماعية . ومن غير هذا ، سنعود مرة اخرى الى الضغوط والأكراه فى تحقيق الرأى ، ونصل الى ديمقراطية زائفة ، هى الديمقراطية البورجوازية القديمة .

التحدى الثانى الذى تواجهه الامة العربية ، وتواجهه مصر فى مقدمتها ، هو التخلف الاقتصادى والاجتماعى بشكل عام . ومطروح ، فى العالم ، عدة تجارب ، فتعرض التجربة الخاصة باليابان « التجربة اليابانية » وتجربة الهند والتجربة الاشتراكية ، وتعرض تجربة أخرى وهى تجربة البرازيل . وقد نوقش هذا فى كثير من الدراسات الاقتصادية الرفيعة . وبالحساب ، نلاحظ — كما جاء فى الميثاق — عن حتمية الاشتراكية — عندما قال انك لن تستطيع أن تحقق تنمية اقتصادية فى دولة متخلفة ، دون تخطيط على الاقل ، ودون تجميع رأس مال ضخم يساعد على هذه العملية .

فالاشتراكية ، هنا ، مرتبطة أيضا — حتى بمعنى براجماتي — بأنها لن تستطيع أن تحقق التنمية بواسطة رأس مال تحلم به وهو رأسمال عربى سيأتى او لا يأتى . وانما لا مفر من التطبيق الاشتراكى فى عملية التنمية ، ومن الطريق اللارأسمالى للوصول الى تنمية صحيحة ، ثم للوصول الى الاشتراكية .

فالاشتراكية ، هنا ، ليست اختيارا حرا ، انما هى مفروضة منطقيا وضرورة واقعية . لانك لن تستطيع أن تعطى التنمية الاقتصادية دفعة حقيقية الا بواسطة التنظيم والتخطيط والعلم والدراسة ، وهو ما يسمى فى العرف الاقتصادى بالشكل الاقتصادى فى عملية التنمية . لكن التنمية لا يمكن ان تتم فى مصر بمعزل عن المنطقة العربية لاسباب كثيرة . فهناك أشياء تستطيع ان تنميها ويستوعبها السوق المصرى . وهناك أشياء لا مفر من أن يكون فيها تبادل مع السوق العربى . وهناك أيضا خامات وقضايا كثيرة جدا لن تتحقق الا بواسطة مساحة كبيرة ، هى رقعة الوطن العربى بكل ما يقدمه من رأس مال ، ومن امكانيات ومن خبرات ومن . . . الخ .

فقضية الاشتراكية ، لن تستطيع أن تكون اقليمية على الاطلاق فى هذه المرحلة . انما لابد من أن تكون قضية متسعة ، شاملة فى المنطقة العربية كلها ، بحيث يوضع تخطيط عام للمنطقة فى عملية التنمية بمقوماتها وبقدراتها المادية وقدراتها البشرية .

من هنا ، تطرح قضية الوحدة ، لا من باب العواطف والانفعالات ، انما كضرورة اقتصادية وضرورة اجتماعية أيضا .

ومن هذه الزاوية نرى الرباط الوثيق ابتداء من حركة التحرر ، ابتداء من الحرية الاجتماعية ، وابتداء من الاشتراكية الى قضية التنمية .

ثم تبقى ملحوظة اخيرة :

ان المشكلة التى اثارها محمد سيد أحمد ، والخاصة بالظهور المفاجىء للثورة العربية بالنسبة لقضية الوحدة ، فانا رديت على هذا فى المقدمة . ولكنى أعتقد ، أنه بتنظيم حقيقى وبقوة ثورية حقيقية ، توجه الحركة السياسية والاقتصادية وحركة التنمية - بشكل عام - سيكون من الممكن استيعاب رأس المال - هذا - استيعابا طيبا بما يرضى الى حد ما . ولو انى أعتقد أن هذا عمل شديد الصعوبة ، يتطلب أن تسبقه أولا أن تصل القوى الوطنية - فى جبهتها الوطنية - الى السلطة بشكل حقيقى . وأن تكون ضمانة ضد أى نكسات ، وضد أى خلخلة ، هنا من الممكن ان ينشأ نشاط خاص استثمارى ضخم لكل من يريد أن يشارك فى عملية التنمية فى الامة العربية كلها وليس فى مصر وحدها . وبالتالى ، فهذا التصور ليس رافضا بشكل متعصب او بشكل تشنجى لاستيعاب رأس المال بل بالعكس استيعاب فائض رأس المال الموجود ضرورى وأساسى . وأيضا ينبغى أن يكون لدى أصحاب رأس المال - هذا - ادراك تاريخى بعيد المدى وليس ادراكا قاتلا ووقتيا وجزئيا .

■ د . مراد وهبه :

أنا أتفق مع الاستاذ محمد سيد أحمد ، والاستاذ أحمد عباس صالح ، واختلف مع أستاذنا توفيق الحكيم ، ولكن بتعبير آخر .

واختلافى يرجع الى سببين :

السبب الاول : استند فيه الى كلام استاذنا توفيق الحكيم . فهو يقرر أنه قبل الثورة رفع شعار الاستقلال التام ، ولكن الخلاف تم حول المضمون الاجتماعى لهذا الشعار . معنى ذلك أنه شعار تجاهل المضمون الاجتماعى . ولذلك جاءت ثورة ٢٣ يوليو بشعار جديد الوحدة والاشتراكية والحرية بتركيز على المضمون الاجتماعى فيما يختص بلفظ الاشتراكية . ولفظ الحرية والوحدة موضوعان على مستوى الشكل ، اذن ، هنا الجدة والطرافة فى ثورة ٢٣ يوليو : من حيث أنها ادخلت المضمون الاجتماعى فى الشكل . هذا المضمون الاجتماعى معبر عنه بالاشتراكية . والشكل هو فيما يختص بالوحدة والحرية . اذن ، هذا يعنى أن الاختلاف بعد ٢٣ يوليو هو اختلاف حول المضمون الاجتماعى وليس على الشكل . والمضمون الاجتماعى هنا يفرز تناقضا بين ما يسمى بالقوى الرجعية والقوى التقدمية ، بين اليمين واليسار . وهذه حقيقة لابد من تقريرها كعامل جوهرى فى ثورة ٢٣ يوليو وهو ابراز هذا التناقض .

السبب الثانى : فى اختلافى مع استاذنا توفيق الحكيم - بخصوص أن الجميع فى ثورة ٢٣ اتفق على هذا الشعار المثلث وهو الوحدة والاشتراكية والحرية - هو ان ثورة ٢٣ يوليو افرزت ايضا ثلاث معادلات صعبة : الاولى - وقد اشار اليها الاخوة - هى كيف يمكن حل التناقض بين الثورة العربية والثورة الاجتماعية . وهذه المعادلة الصعبة افراز من الوحدة كشكل . والمعادلة الصعبة **الثانية** : وهى افراز من الحرية كشكل ، هى التناقض بين المبادرة الفردية والتخطيط .

والمعادلة الصعبة **الثالثة** هي فيما يختص بقضية التحرير وهي استحالة تسوية دون التنازل عن المكتسبات الاجتماعية .

وفي تقديري ، ان البرنامج الذي ينبغي طرحه ينبغي أيضا أن يطرح حلا لهذه المعادلات الصعبة الثلاث ، وفي تقديري لطرح الاجابة عن هذه المعادلات الصعبة ، في البرنامج ، لابد من الاتفاق على اساسين : وهما النظرية والممارسة . فمن المحتم أن يطرح البرنامج على الاقل مؤشرات للنظرية وللممارسة لماذا ؟ لان حسم الخلاف مستقبلا يستلزم وعيا اجتماعيا ووعيا اجتماعيا بالضرورة ينبغي ان يكون لصالح القوى التقدمية ، وهذه القوى التقدمية - حتى الان - هي في حاجة الى هذين المؤشرين ، من حيث النظرية ، ومن حيث الممارسة .

■ **ابوسيف يوسف :**

ان أي برنامج للمستقبل لا يمكن تصوره ولا يمكن الا أن يصاغ تحت شعار محدد هو : **الاشتراكية** من خلال النضال ضد الاستعمار الجديد وضد التوسع الصهيوني ، ومن خلال تطوير الديمقراطية السياسية والاجتماعية ، ومن خلال بناء وحدة عربية تقدمية . وسأفترض جدلا - لدواعي الوضوح - ان الجالسين هنا يريدون أن يناقشوا حيثيات البرنامج ، برنامج المستقبل ، متخلصين من أي تفكير مذهبي مسبق عن الاشتراكية ، أو النظريات الاشتراكية . وسأفترض أيضا ، انهم يريدون الانطلاق في وضع هذا البرنامج من منطلقات وطنية وواقعية . وهي منطلقات يضعها مواطنون يؤرقهم مستقبل مصر بسبب التحديات الهائلة المفروضة عليها .

فاول هذه التحديات ، هو التخلص من التخلف الاقتصادي والاجتماعي . واعتقد أن جميع الناس الوطنيين التقدميين يمكن أن يتفقوا على هذا . ويمكن أن يتفقوا أيضا ، على أن قوى الاستعمار والصهيونية تريد أن تبقينا بأساليب مختلفة في نطاق هذا التخلف ، وبالتالي في نطاق التبعية ، ثم اضيف أنه يمكن - تحت تأثير التغييرات العاصفة والخاطفة التي تحدث في العالم بتأثير الثورة العلمية والتكنولوجية ، أن يتفق المجتمعون أيضا على أن مقاومة هذا التخلف تتطلب من مصر أن تسارع لكي تلحق بركب هذه الثورة العلمية والتكنولوجية .

فاذا حددنا هدفا وطنيا لنا أن نلحق بركب هذه الثورة ، فسوف نهتدي بالتالي الى الطريق المؤدي الى ذلك . في هذا الطريق لن نبدأ من فراغ . سنبدأ من أهداف ومكتسبات الثورة الوطنية الديمقراطية التي شارك فيها الملايين من أبناء الشعب في جميع مراحل كفاحنا الوطني ، وبفضل نضالهم وتضحياتهم استطاعت ثورة يوليو - عندما جاءت - أن تحقق عددا من المنجزات الهامة . اذن يتحتم علينا أن ندخل مكتسبات النضال الوطني العام ومكتسبات ثورة يوليو في أي بناء جديد ، وذلك بعد أن نخلصها من السلبيات التي لازمتها لاسباب مختلفة تحدثنا عنها في الجلسات الماضية .

ببساطة ، وبدون أي تعقيد ، سندخل عصر العلم والتكنولوجيا عندما تبنى في مصر القاعدة الصناعية الضخمة والحديثة التي تؤهلنا لان نكون شركاء حقيقيين ومساهمين مع البلدان التي تعيش عصر الثورة العلمية . وأقول **القاعدة الصناعية الضخمة** لانه من الحقائق الثابتة ، انه حيث لا توجد الصناعة لا يمكن أن يوجد العلم ، ولا يمكن أن تتطور التكنولوجيا .

ولكن كيف تقوم هذه القاعدة الصناعية - وهي تتطلب - كما نعلم - توفير استثمارات هائلة ؟ ليس أمامنا الا طريقين : طريق التنمية الرأسمالي ، وطريق التنمية الاشتراكي . الطريق الاول أوضح أستاذنا توفيق الحكيم في بعض ما قاله في الجلسات السابقة أنه مسدود ، وغير وارد بالنسبة لبلدان العالم الثالث . ونحن نقول أيضا - ونضيف - أنه مستحيل تاريخيا لاسباب كثيرة .

ليس أمامنا - اذن - الا الطريق الاخر ، طريق التطور الاشتراكي ويتطلب هذا أن تكون الثروات الطبيعية ووسائل الانتاج الرئيسية في يد المجتمع . لذلك عندما قام قطاع عام في بلادنا ينتج ٨٠ في المائة من الانتاج الصناعي يسيطر على ٩٠ في المائة من التجارة الخارجية رحبنا بقيامه على أساس انه هو وحده الذي يستطيع - اذا ما استمر تدعيمه - أن يحدث التراكم الموجود لتوفير الاستثمارات اللازمة . فالثابت علميا أن الرأسمالية الوطنية المصرية لا تستطيع - حتى اذا رغبت في ذلك - أن تتحمل أعباء التصنيع الثقيل والخفيف . لان عائده

بطىء ومحفوف بالمخاطر . كما أن تكلفة فادحة لا يملكها أى رأسمالى منفرد أو مجموعة من الرأسمالية . لكن بمجرد قيام قطاع عام ، فى بلد ما ، لا يعنى أن هذا البلد يسير أو سوف يسير فى طريق التقدم الاجتماعى أو انه سيبنى الاشتراكية . لان الانتكاس بالقطاع العام وتطويقه وتسخيره للرأسمالية أمور واردة دائما . وفى حالة مصر ، فانه على الرغم من كل ما قدم القطاع العام من انجازات ايجابية ، وهذا صحيح ، وعلى الرغم من كل ما قيل عن دوره فى مساندة معركة اكتوبر ، وهو صحيح أيضا . الا انه تعرض لهجوم البيروقراطية المتخلفة من داخله ولهجوم وتطويق الرأسمالية الطفيلية ، من خارجه ، بحيث يمكن القول هذه الفئات عملت ـ ولازالت تعمل ـ على أن يصبح القطاع العام البقرة الحلوب التى ينهبونها ويكونون من ورائها ثروات هائلة وغير مشروعة . ولسوف تكون الطاقة أكبر عندما ينجح الاستعمار الجديد وبشركاته متعددة القوميات فى التسلل الى داخل الاقتصاد القومى .

ونحن نعلم أن نواقص القطاع العام فى بلادنا لا تعود الى المبادىء التى حكمت اقامة هذا القطاع ، وانما تعود فى الاساس ، الى ضعف محتواه الديمقراطى أو الى اجهاض هذا المحتوى الديمقراطى . وهذا الضعف يعكس قضية الازمة العامة للديمقراطية فى بلادنا . ذلك أن مجرد قيام النظم الوطنية والثورية بأنشاء قطاع عام ليكون القطاع القائد للاقتصاد الوطنى ، نقول مجرد هذا العمل كان من المفروض أن يطرح بالضرورة وعلى الفور ـ قضية الاسلوب الذى يداربه . واذا قيل أن هذا القطاع ملك لهذا الشعب ، فان الذى يطرح اذن هو الاسلوب الديمقراطى والشعبى لادارته ، وبمعنى آخر اشراك العاملين فيه اشراكا حقيقيا فى ادارة شئون وحداته الاقتصادية والرقابة عليها ، وحق المحاسبة الكاملة . معنى ذلك أن قيام قطاع عام قوى يطرح بالضرورة ـ وفى خاتمة المطالب ـ قضية السلطة ، وقضية المشاركين فيها . وسيكون العمال بالطبع هم من أوائل المشاركين فيها ومعهم الفنيون والموظفون والمديرون . لكن اشراك العمال فى ادارة وحدات الانتاج مشاركة فعلية والرقابة عليها ليس مسألة شكلية بل يتوقف عليها تحديد طبيعة القطاع العام نفسه ، وهل هو أداة لرأسمالية الدولة ومطية للرأسمالية البيروقراطية والطفيلية أم أداة للتحول الاشتراكى ، أى أداة للتنمية التى يعود عائدها الى طبقات الشعب . من هنا أن اشراك العمال فى الادارة يتطلب أن يتاح للعمال أوسع فرص التنظيم النقابى الحر وأوسع فرص المشاركة فى الادارة ، وفى التعليم والتدريب المهنى بما يسمح لهم أن يتواجدوا فى جميع مستويات الادارة . وبدون هذا تظل مشاركتهم سلبية . وبدون هذا تسيطر البيروقراطية على القطاع العام .

واذا طرحنا هذه المشكلة على النطاق القومى ، وهى اشراك جميع العاملين فى قطاع الانتاج والتجارة والخدمات ، فان المطلوب فى هذه الحالة القيام بثورة ثقافية على المستوى الوطنى ، هذه الثورة تعنى ثلاثة أمور : تصفية الامية ، واحداث ثورة تعليمية ، وانهاض البحث العلمى . وكل أمر من هذه الامور الثلاثة يعود ليطرح قضية الديمقراطية على مستوى جديد وأكثر رقيا . وهنا نصل الى أن ادارة وحدات مؤسسات القطاع العام على أساس الديمقراطية تتطلب أن توجد المؤسسات الديمقراطية المقابلة على المستوى السياسى ، أو على مستوى الدولة ، من مجلس القرية الى المجلس المحلى فى المدينة والمحافظة الى مجلس الشعب . فالديمقراطية المطلوبة ، هنا ، ليست ولا يمكن أن تكون ديمقراطية ليبرالية لان جوهر الديمقراطية الليبرالية هو المشروع الرأسمالى الخاص وتطويره بدون حدود ، ورفع كافة القيود عليه ، بما فى ذلك قيود الخطة القومية الشاملة . المطلوب اذن ديمقراطية كل طبقات الشعب صاحبة المصلحة فى التقدم والاشتراكية . لكن مثل هذه الديمقراطية لا تتعارض ولا تتنافى مع حق الطبقات الاجتماعية المعنية فى أن تنظم نفسها فى أحزاب وتنظيمات سياسية . ولا تتنافى ولا تتعارض مع حق كل مواطن فى أن ينتخب وأن يرشح نفسه فى انتخابات المجالس الشعبية وفى جميع التنظيمات الديمقراطية . على أن تنظم الجماهير الشعبية على أسس ديمقراطية يطرح ، بالضرورة ، قضية الشروط أو الضمانات المصاحبة لتدعيم هذه الديموقراطية وصيانتها .

وشرط أساسى من هذه الشروط ، هو سيادة المثل الاعلى الاخلاقى الجديد . ولن يكون هذا المثل واضحا ومقنعا ، الا اذا اعتبرنا أن العمل هو القيمة العظمى ، وهو حجر الزاوية فى بناء المجتمع الجديد ، من هنا ، ضرورة محاربة كل الانشطة الطفيلية ، وكل مظاهر الحياة والسلوك الترفى التى لا يتحملها اقتصاد بلد متخلف

وفقير لا يزيد متوسط دخل الفرد فيه عن ٦٠ أو ٧٠ جنيها في السنة .

الشرط الثاني : سياسة خارجية تقدمية ومستنيرة . تقدمية ، بمعنى محتواها العام المعادي للاستعمار الجديد والصهيونية . ومستنيرة ، بمعنى أنها تدرك ــ بمنطق الثورة العلمية والتكنولوجية ذاتها ــ أنه لا يمكن لدولة صغيرة كمصر ، وفي حدودها الحالية ، ومهما كانت تملك من تقاليد وثقافة . لا يمكن ان تحل مشكلة التقدم الا بالتعاون مع البلدان الاشتراكية ، والا في اطار أشمل وأوسع هو اطار التكامل الاقتصادي مع البلدان العربية .

فمثل هذا التكامل ، مع البلدان العربية هو الذي يخلق السوق الواحدة التي تستجيب لاساليب الانتاج الحديث ، وهو الذي يجعل استيعاب التكنولوجيا ممكنا . ولا حاجة بنا الى القول بأن مثل هذاالتكامل العربي انما يتم في مواجهة الاستعمار الجديد ، ومن خلال استرداد الشعوب العربية لثرواتها الطبيعية الرئيسية ، ودفاعها عن استقلالها الاقتصادي .

والخلاصة : أنه تحت عنوان الاشتراكية من خلال الديمقراطية للشعب يمكن أن نضع أيدينا على المفاتيح الرئيسية لبرنامج المستقبل :

ــ أحد هذه المفاتيح يتمثل في انشاء القاعدة الصناعية الحديثة واستكمال الثورة الزراعية في الريف .

ــ مفتاح ثان ، سياسي ، وهو الديمقراطية الشعبية التي تشرك الجماهير صاحبة المصلحة في الاشتراكية في ادارة شئون البلاد .

ــ مفتاح ثالث ، وهو تصفية الامية وتحديث التعليم وانهاض البحث العلمي .

ــ مفتاح رابع ، اجتماعي ، وهو رفع المستوى المادي للجماهير الشعبية باستمرار ، بالقضاء على الفقر والمرض .

ــ مفتاح خامس ، هو تعاون عربي يحقق التكامل الاقتصادي ، ويحقق الوحدة في النضال ضد الاستعمار والصهيونية .

ــ مفتاح سادس واخير ، هو سياسة خارجية تقوم على الكفاح ضد الاستعمار والاستعمار الجديد والصهيونية ، وعلى التعاون مع البلاد الاشتراكية ، ومع بلدان العالم الثالث ، ومع كل البلاد دون استثناء على اختلاف نظمها السياسية والاجتماعية ، طالما أنها تحترم استقلالنا وتتعاون معنا من أجل انجاح التنمية المستقلة في بلادنا .

د . لطيفة الزيات :

ربما لا اكون مستعدة ــ في هذه الجلسة ــ لتقديم تصور متكامل عن برنامج المستقبل . ولكن لي بعض التعليقات على ما سمعت حتى الان ، وابتداء أرى ان البرنامج الذي يمكن ــ مثلا ــ أن نتبناه ، هو مزيج مما قاله أحمد عباس صالح وابو سيف ، واعتبر ان ما قاله أحمد عباس صالح مقدمة سياسية متصلة اتصالا مباشرا بما هو واقع ، وبالاخطار التي تتعرض لها الحركة الوطنية ، والحركة الديمقراطية في مصر ، وفي العالم العربي كله . وهذا يجب أن يكون له الاسبقية في أي برنامج ، أما ما قاله ابو سيف فهو تفصيلي ، ومهم جدا ، ولكنه يدخل في نطاق تجريدي ، مفصول عما هو واقع ، لا أريد أن أقول ــ كما لو كانت كل الاشياء ممهدة بحدوث ما يطالب به .

وفي اعتقادي ، أن ما قاله أحمد عباس صالح من جهة مضافا اليه ومربوطا بما قاله ابو سيف يتطلبان بصيرة واحدة ونضالا جماهيريا مكثفا . بصيرة واضحة بما يحدث وبالاخطار المحيطة ، أما النضال فهو لوضع البرنامج الذي قدمه أبو سيف موضع التنفيذ .

لي بعد ذلك تعليقان صغيران على ما قاله الاستاذ الحكيم ، وما قاله محمد سيد أحمد .

ان القول بأن كل القوى متفقة ــ ولو لفظيا ــ على الاشتراكية والوحدة والحرية ، فهذا لا يمثل الواقع ، بل انه لم يكن يمثل الواقع حتى على عهد عبد الناصر .

ولكن الجديد ــ الان ــ أن اليمين الرجعي قد كشف القناع عن وجهه ، ودخل معركة سافرة للارتداد بمصر ، لا الى نظام تسيطر فيه الرأسمالية الوطنية بمفردها ــ بل الى عهد من التبعية للرأسمالية العالمية ، وفي هذا كلام صريح نسمعه ــ كل يوم من عناصر هجرت مصر وابتعدت عنها سنين عديدة ومع ذلك تفسح لها الصحف مساحات واسعة لتدعو الى العودة الى أحضان الرأسمالية الامبريالية . اذن هناك حقيقة واضحة ، وهي انه لم يعد في الامكان

ـ فى هذه المرحلة ـ وضع شعار تتفق عليه كل القوى ، فاليمين الرجعى قد وضع نفسه فى موضع معاد للقمة عيش الشعب المصرى . أما كلمة « الاشتراكية » بالنسبة لها فهو يقول نعم فقط حين يحاصر . لكنه يضيف ولكن « نريد اشتراكية غير متطرفة » . . وهكذا فبقية القصة معروفة .

وفيما يتعلق بترويض الثروة العربية ، وما قاله محمد سيد أحمد عن وضعها فى خدمة الثورة العربية . فهذا ما نتمنى أن نراه فى حياتنا . لكن هناك استحالة ، لان القوى المدعوة الى وضع الثروة العربية فى خدمة الثورة العربية ليست من القوة بحيث تجعل هذا ممكنا . والتكامل الاقتصادى الذى تحدث عنه أبو سيف وأحمد عباس صالح يمكن أن يتحقق فقط عندما يصبح للقوى الوطنية والتحريرية ـ على مستوى العالم العربى ـ القوة التى تفرض بها ارادتها .

يبقى بعد ذلك سؤال موجه الى محمد سيد أحمد . فما الذى يعنيه باستثمار عوائد البترول لصالح التقدم العربى ؟ هل يعنى أننى أتنازل عن كلمة « الثورة » وأتكلم عن « التقدم » ، أى التقدم حتى فى نطاق نظم رأسمالية ، اذا استبعدنا مؤقتا التقدم الاشتراكى ؟ ان ما هو حادث حتى الان ، هو أنه رغم كل الضمانات التى تقدم لم يأت الرأسمال الا بشكل غاية فى الضعف ، وهو الامر الذى بات ـ حتى ـ موضع شكوى اليمين المصرى نفسه . وبالاضافة ، فان عددا من الاستثمارات يأتى فقط فى مشروعات سريعة العائد : بناء عمارات ، مصنع جيلاتى . . الخ . هذا النوع من الاستثمارات فضلا عن سلبياته التى أشار اليها احمد عباس صالح ، وفضلا عن أنه يتدخل ليشترى اراضى البناء « العقارات » انما يؤدى الى استحكام الازمة الاقتصادية فى مصر ، أى انه لا يحل مشاكل حقيقية ، وربما يحل مشاكل لبعض الرأسماليين . لكنه لا يحل مشاكل الشعب . والرأسمالية المستنيرة نفسها تستنكر هذا لانه يؤدى الى تضخم وارتفاع فى أسعار المواد الاستهلاكية .

اخيرا هناك نقطة تتعلق بما اشار اليه احمد عباس صالح بصدد الثروة العربية . وهى ضرورة التفرقة بين : ١ ـ الصراع عن البترول كمادة خام . وهذا الصراع موجه ضد الدول الرأسمالية .

٢ ـ وهناك قضية توظيف عوائد البترول فى مشروعات انتاجية لصالح التكامل الاقتصادى .

ففيما يتعلق بالنقطة الاولى يظل هذا الصراع مهمة وطنية فى الوقت الحالى . وبالتالى فهناك فرق فى الاهمية بين النقطتين . وهذا ما يجب أن نؤكد عليه .

■ **محمد سيد احمد :**

ارجو ان أوضح نقطة اثارت جدلا وتساؤلات كثيرة ، وهى نقطة الثروة العربية أو الفوائض المالية العربية . طبعا ، لو اخذنا المشكلة فى ابعادها الحالية ، فانى اسلم بكل ما قاله الزملاء فى الندوة .

لكن المسألة أكبر من هذا . لانى عندما طرحت مشكلة الثروة العربية ، فقد طرحتها لا فى اطار ما يجرى حاليا ، أو فى اطار المستقبل القريب ، بل طرحتها فى اطار مستقبلى ، ذلك لان انتزاع ، أو تصحيح اسعار المواد الخام وانتزاعها من الشركات متعددة القوميات ، هذه عملية تاريخية ، تحكمها ـ فى عصرنا الراهن ـ اعتبارات متعددة جدا . فمثلا فى ظل الانفراج الدولى الحالى فان التدخل العسكرى ليس مسألة سهلة عندما تقرر دولة ما بحكم سيادتها أن تفرض سعرا معينا بالنسبة للمواد الخام التى تملكها . فهذه ظاهرة تاريخية على جانب كبير من الاهمية . هذا من ناحية .

ولكن ، من ناحية أخرى ، نرى أن انتقال رءوس الاموال من الشركات المتعددة القوميات الى دول عربية ذات سيادة لا يتم اتوماتيكيا لمصلحة قوى التقدم ، وانما من الممكن ان تصبح مثل هذه الاستثمارات اداة للاستعمار الجديد الذى يهدف الى اعادة سيطرته على هذه الدول باشكال مستحدثة . ومن ثم فان لهذه القضية ـ قضية الثروة العربية ـ وجهان : الوجه النضالى والوجه الرجعى ، وعلينا أن نستخلص الجانب التقدمى .

هنا ربما يطرح هذا السؤال : لماذا اركز هذا التركيز على هذه الظاهرة . الواقع أن ما يدفعنى الى هذا هو أن ننظر الى هذه الظاهرة لا كمجرد وجود استعمارى تقليدى فى المنطقة . بل علينا أن ننظر اليها كمحاولة من جانب الاستعمار لاستعادة مراكزه فى المنطقة . ولكن علينا ان نستغل انتقال رؤوس الاموال هذه الى دول عربية ذات سيادة لكى تنتزعها الشعوب

من القوى التى تجعل منها اداة للاستعمار الجديد ، ولتكون فى يد قوى التقدم من أجل التنمية العربية .

ان ما الح عليه هو أنه ينبغى ان يتجه نضالنا الى هذا المجال . فمن الخطأ أن ننظر الى فوائض البترول باعتبارها شيئا يخص ـ أو جزءا لا يتجزأ من اللعبة الرأسمالية العالمية .

ليس نضالنا أن نكون خارج هذه الظاهرة أو هذه العملية . بل علينا ان نكون فى داخلها لنجتذب هذه « الفوائض » البترولية ونسخرها من أجل الارض العربية .

ويترتب على هذا اننى اعارض كل اتجاه ينظر الى هذه الفوائض فقط من باب التمنى أو الحلم بها ، أو يعتبرها شيئا مستحيل الانجاز . على العكس ، يجب ان نجعل الاستفادة من الثروة العربية هدفا من اهدافنا النضالية فى المرحلة الحالية . ولهذا اقول للدكتورة لطيفة ان كلامى عن الثروة العربية لا يعنى أن نروض هذه الاستثمارات أو ان نتخذ موقفا توفيقيا وتلفيقيا مع المخطط الاستعمارى . ان ما اقصده هو العكس على خط مستقيم .

■ **احمد عباس صالح :**

يعنى .. أنا أوافقك بعد هذا التحليل على رأيك . وأعتقد أن الفريسة التى يتم حولها الصراع بين القوى التقدمية والوطنية والاشتراكية والاستعمار ، هو هذه الثروة . فكيف يتصور أن نتخلى عنها ، هذه ثروة الشعب العربى ! .. ولابد أن يكون كفاحنا كله متجها الى استيعابها .

■ **ابوسيف يوسف :**

لى كلمتان فى موضوع البترول :

أتفق معكم أن كلمة « فائض » أو « فوائض » البترول هذه كلمة مضللة . فالواقع انه حتى باعتراف بعض الاوساط الغربية لا يوجد شىء أسمه فائض الاموال البترولية . وهى لن توجد قطعا ، اذا أصبحت القضية المطروحة هى قضية عمل تنمية لكل البلاد العربية . هنا ربما تحتاج مثل هذه التنمية الى أكثر من هذه « الفوائض » .

النقطة الثانية ، هى انه ايا ما كان رأينا الشخصى فى نظم الدول البترولية نفسها ، فان هذه النظم ـ على ما هى عليه ـ بينها وبين الاستعمار الجديد تناقضات حقيقية ، ليست حادة وعنيفة ولكنها موجودة . وهى تناقضات حول هذه الثروات وكيفية الدفاع عنها ضد تخفيض العملات الاجنبية ، وكيفية استثمارها . الخ . ومنظمة « الاوبيك » تعكس فى حركتها ـ منذ مدة ـ بعض هذه التناقضات خصوصا فيما يتعلق بحق الدول المنتجة فى تحديد ـ أو رفع ـ أسعار البترول ، بما يمكنها من مواجهة تحكم دول الغرب فى فرض أسعار منتجاتها الصناعية .

بعد هذا ، من المهم أن نلاحظ أن ما يجذب رؤوس الاموال الى مصر من البلاد العربية المنتجة للبترول ، ليس هو وجود اشتراكية فى مصر ، أو عدم وجودها ، لان الدول الرأسمالية يمكن ان تقرض أو تستثمر أموالها فى بلاد اشتراكية « شيوعية » . والفيصل هنا هو استقرار النظام المعنى ، وتوافر عدد من الظروف الموضوعية فى البلد المعنى أيضا التى تسهل عملية الاستثمار . وقد قرأت منذ مدة مقالا لاقتصادى مجرى جاء فيه انه لو اعلن الاتحاد السوفيتى الروبل عملة قابلة للتمويل لتدفقت على البلاد الاشتراكية رؤوس الاموال من البلدان المنتجة للنفط .

اذن ما هو مطلوب لمجىء الاستثمارات هو استقرار سياسى واقتصادى واجتماعى . لكن كلمة « الاستقرار » يمكن أن تفهم بأكثر من معنى . وما يتصوره البعض عندنا استقرارا لا يتصوره الاخوة العرب كذلك . واضرب مثلا لذلك الندوة التى عقدت منذ سنتين فى الكويت لدراسة قضية عائدات البترول . ففى الاحاديث التى دارت بين عدد من الاقتصاديين المصريين وبين عدد من الاقتصاديين والماليين الكويتيين ، سأل الجانب المصرى عن المعوقات التى تحول بين المولين العرب ، وبين التوسع فى استثمار رؤوس الاموال العربية فى مصر . فأجاب الاخوة الكويتيون بأن هناك أكثر من سبب راحوا يعددونها . ولكنهم قالوا انه فى مقدمة هذه الاسباب حملة الرأسمالية الطفيلية على القطاع العام ، وما يشاع عن بيعه .. الخ فهذه الحملة ـ فى نظر الاقتصاديين العرب ـ لا تسهل عملية تدفق رأس المال العربى ، لسبب بسيط هو أن كل ممول عربى مستنير يعلم أن نشأة وقيام القطاع العام فى مصر ترتبط ارتباطا وثيقا بتاريخ نضالى بأكمله للشعب المصرى ، وأن الشعب المصرى ليس من السهل أن يفرط فى القطاع العام ، وانه سيقاوم

تصفيته ؛ وعندئذ لن يكون هناك استقرار ، أى الاستقرار المطلوب لاستثمارات ضخمة وجادة .

توفيق الحكيم :

من الواضح أن الكلام الذى سمعته من اخواننا الحاضرين ان مسألة الحرية والاشتراكية والوحدة لا يمكن الفصل بينها كلها الواحدة عن الاخرى فصلا تاما ، لان الثلاثة مثل الاوانى المستطرقة .. تضع الماء فيسيل فى جميع الاوانى الاخرى فى وقت واحد وفى مستوى واحد . فاذا تكلمت عن الحرية — مثلا — ستجد أن الحرية أدت بعملية آلية الى النفوذ الى الاشتراكية نفسها . الا انك ستقول : ما العلاقة بين الحرية والاشتراكية ، وبأى طريقة تصل الى الاشتراكية ؟ هل عن طريق الحرية أو عن غير طريق الحرية ؟ فهنا ، ندخل فى كيف نوجد قوة اشتراكية داخل مجتمع ، ونحن نتكلم عن الاخطار التى تتعرض لها الاشتراكية فى بلادنا بنمو راسمالية وافدة من ثراء ومن أموال كثيرة ، بدون أن نتكلم — فى الوقت نفسه — عن الاشتراكية نفسها هل هى موجودة ومجسدة فى المجتمع ، أو غير مجسدة . أين هى ؟ أين الممثلون الحقيقيون للاشتراكية ؟ اذن هذا كلام مثقفين جالسين على موائد لكتابة مقالات . ولكن لا يوجد هيكل حقيقى مجسد لكلمة الاشتراكية .. اذن كيف توجد الاشتراكية كتجسيد ؟

أمامنا ثلاث طرق : اما عن طريق الديمقراطية بالمفهوم الليبرالى ، بمعنى أن يكون هناك حزب قوى مستمد قوته من أصحاب المصلحة فى الاشتراكية من الشعب لانه الاغلبية . واما أن يكون عن طريق ما نسميه بالديمقراطية الشعبية . وهنا لابد من توضيح أن كلمة « الديمقراطية الشعبية » بدون الديمقراطية الليبرالية تعنى شيئين : اما ثورة اجتماعية واما ثورة عسكرية ، لان المرادف ، أو المعادل ، الموضوعى لكلمة ديمقراطية ليبرالية هى ديمقراطية شعبية . والديمقراطية الشعبية كيف تأتى الا عن طريق انقلابات جذرية : اما عن طريق ثورة حقيقية تشمل الشعب كله مستندة الى قوة ، واما عن طريق قوة عسكرية ، واما عن طريق قوة حزبية . اذن ما هو الطريق فى بلاد مثل بلادنا الذى يمكن أن تجسد فكرة اشتراكية تناضل من أجل حقوق الطبقات التى ستحرم من حقوقها اذا حصل ثراء عم المجتمع عن طريق أموال كثيرة وافدة أو بسبب نشاط رأسمالى ... اذن يبقى السؤال : كيف نصل الى التجسيد للقوة التى ستناضل من أجل حقوق الطبقات الكادحة هذا موضوع .

الموضوع الاخر . عندما تكلمنا عن الوحدة والاشتراكية والحرية ، وقلنا أن هذه — على قدر الامكان — متفق عليها ، فان المقصود « بالمتفق عليها » هنا أنه ليس « متفقا عليها » من حيث الموضوع ، ولكن متفق عليها من حيث الشكل وهذا يحدث ، حتى مع المنافقين ! لان هذا النفاق موجود فى كل الدنيا : ففى اول كل ثورة دينية أو ثوره اجتماعية أو سياسية تجد اناسا انضموا اليها .. لماذا ؟ انضموا باللفظ لانه لا يوجد بديل ، لانه اذا فرضت ان هناك جماعة لا توافق الان على كلمة الاشتراكية والوحدة فسوف نسألهم ماذا يريدون ؟ ما هى شعاراتكم ؟ هم لا يستطيعون الاجابة سوف يقولون لك : نحن اشتراكيون ، لكن «اشتراكية دينية» .. الدين موجود فيه « اشتراكية » . اذن هم لم يرفضوا كلمة الاشتراكية لانه لم يقدم لهم البديل . فاذا وجد البديل ، فسوف يقولون لا .. لا نريد كلمة الاشتراكية اطلاقا .. لقد حددوا موقفهم ، ولكن هذا لم يحدث فى أى بلد .. انما هم يلوون عنق الاشتراكية ليدخلوها فى شىء آخر .. والمثل الذى يحضرنى .. هو الثورة الفرنسية . فقد كان لهذه الثورة مبادىء ، ثم انقلبت الى امبراطورية فى عهد نابليون . ومع ذلك فان نابليون يقول لك نحن ندين بمبادىء الثورة الفرنسية ، ولكن كيف وهو ... الله انت امبراطور وله تاج ، وقوة عسكرية يستخدمها فى الفتوحات . ؟ الواقع أنه أمام تيار الثورة الفرنسية لا يستطيع أن يتنكر تماما لمبادىء الثورة الا اذا كان عنده مبادىء أخرى ... فلسفة جديدة . ولكن لان فلسفة الثورة الفرنسية قوية ، من حيث شعبيتها ، ومن حيث قيمتها الحقيقية فهو يفعل ما يشاء ويلبس كل الملابس ، ولكن ايضا باسم مبادىء الثورة .. فاذن من جهة الشكل ستجد الى — أبد الدهر — اناس .. يرفعون الراية الشائعة التى تريدها الشعوب كلها ولكنهم يفعلون فى التطبيق بخلاف هذا ، وهؤلاء الناس يسمونهم « بالمنافقين » . اذن انا اتكلم من وجهة نظر الراية ، وليس من وجهة نظر المضمون الحقيقى . لان المضمون الحقيقى ليس مرفوضا عند بعض الناس فحسب — فى البلد الواحد — بل أنه لن يناسب شعوبا أخرى ، فى بلاد أخرى .

فاذا قلنا « الوحدة » ، على سبيل المثال . واذا استعدنا تشبيه الاوانى المستطرقة ، من حيث أن كل شعار من الشعارات الثلاثة يقود الاخر . فهنا نسأل : هل أتكلم عن اتحاد فى المبدأ ولا أتكلم عن الاتحاد السياسى أو الاقتصادى ، فمن حيث المبدأ هناك بلاد تشعر بأن سكانها أولا قليلون، والشعور الدينى هناك هو الاساس . وفى الوقت نفسه لاتوجد عندها مشاكل لا اقتصادية ولا ثقافية تماثل شعوبا اخرى ، يعنى ، سنجد فى العالم العربى بلادا لا يمكن ان تنبت فيها اشتراكية بمفهومنا، لان العدالة الاجتماعية هناك موجودة ، ولا يمكن أن تضع هناك اشتراكية الا اذا كنت أنت ستقضى على النظام الثقافى . مثال ذلك ، فى بلاد كالكويت ، عندما تقول بأن صائد السمك يمكن ان تؤمن له مبلغ ١٠٠ جنيه فى الشهر ، ففى هذه الحالة سيكون له من الدخل المرتفع ما يجعله يتخلى عن عمله . وهنا سوف تضطر الى ان تأتى بأيد عاملة من بلاد اخرى . فأذن عندما تتكلم هناك عن « عدالة اجتماعية » تجد أنها قد لا تتناسب مع هذا البلد أو ذاك ، لانه ليست هذه هى مشكلته ، وانما هى مشكلتنا ، لان الشعب عدد سكانه كثير وفقير وموارد انتاجه قليلة . فاذن الاشتراكية لها معنى غير ما تستطيع أن تقوله فى بلاد أخرى . .

أيضا اذا قلت الوحدة ، فلابد ان تكون هناك وحدة تكاملية فى الاقتصاد ، ولابد أن نقول للبلاد العربية ان هدفنا ــ نحن ــ باعتبارنا دولا عربية ــ لها هموم واحدة وتتعرض لمحاولات دول اجنبية للسيطرة عليها ، ولم تأخذ حقها من التقدم ، أن تتعاون وتتحد تكامليا اقتصاديا لتكون بيننا وحدة هدف . ولكن لا أتصور أن تكون بيننا وبينها « وحدة » فهم « للاشتراكية » بالمعنى الذى نفهمه نحن فى مجتمعنا الفقير . .

اذن المسألة فى المعانى هنا تختلف . كذلك الامر فى « الحرية » . وان المعنى الواحد يختلف حتى فى بلادنا نفسها لاننا نجد ما يسمى بالرجعيين أو اليمينيين . فاذن لا نتكلم الان عن المفهومات أو المضامين لان المضامين هنا ستختلف باختلاف حاجة كل مجتمع . فاذا تحدثنا عن البلاد العربية ــ ككل ــ لنحدد ملامح المستقبل ، فينبغى أن يكون مفهوما أن هذا يعنى البحث عن العنصر المشترك بين جميع هذه البلاد ، وليس توحيد مفاهيم الحرية والاشتراكية . . الخ والعنصر المشترك ــ كما سبق أن أشرت ــ هو أن البلاد العربية تمثل كتلة كبيرة فى المجال الدولى لها حضارتها ، ولها الان ثرواتها ، ولابد أن تطرح مع نفسها هذا السؤال كيف تستخدم هذه الثروة . هنا ستعمل كل دولة عربية على أن تتفهم حاجات الدول العربية الاخرى . فاذا وجدت دولة أن الاشتراكية عندها لها مفهوم دينى صرف فهذا شأنها ولن نعارضها . لكن فيما يتعلق بمصر فسنجد انه الى جانب المفهوم الدينى لابد من توضيح مفهومات مدينة أخرى مرتبطة بمبادىء اقتصادية محددة . اذن فالتفاهم بين الدول العربية لن ينصرف الى تحقيق تفاهم على وحدة المضامين ، بل الى وحدة الهدف ، بالمعنى الذى أشرت اليه الان .

ولكن اذا تكلمنا عن مصر ، وعن المستقبل ، فان السؤال الذى يثور هو : هل نحن جادون فى اقامة الاشتراكية ، أم أنها لفظ من الالفاظ التى اعتدنا على تداولها .

فاذا كنا جادين فلابد أن نحدد من هم المستفيدون من الاشتراكية . هم الاغلبية ــ أى الطبقات الكادحة ــ هم ليسوا العمال فحسب ، بل ايضا الموظفون الذين يعانون من الغلاء وصعوبة المواصلات . هم كل الذين نرفع مستواهم الى مستوى لائق جدا يتناسب مع مجهودهم فى الانتاج .

واذا كنا جادين فى الاشتراكية فلابد أن نسأل من الذى يدافع عن حقوق هؤلاء الناس : هل هى الدولة ؟ ومن هى الدولة . الدولة هى مجموعة مؤسسات . ولابد أن تكون هذه المؤسسات منسجمة فى اتجاه واحد . **واذا** اتفقنا على ان مؤسسات الدولة هى التى تدافع عن حقوق الأغلبية وتعمل على رفع مستواهم ، فهل يمكن أن تسمى هذا شيئا غير الاشتراكية ؟ ان شعار الدولة هو الاشتراكية .

لابد بعد ذلك ، من أن تتجسد الاشتراكية فى شىء ؟ ولكن كيف ؟ ومن أى طريق ؟

فى اعتقادى لا يوجد غير طريقين :

الاول : عن طريق الديموقراطية الانتخابية : هنا ستقوم جماعة تمثل الشعب وتقنعه بأنها تدافع عن حقوقه ومستواه ، فاذا وثق بهم أصبح لهم مقاعد تستطيع أن تصل الى الضغط على الحكم بما يجعل النتائج ممكنة

الثاني : عن طريق الديموقراطية الشعبية ولكن كيف تأتى الديموقراطية الشعبية التى تشمل الشعب كله . كيف نجمع ٣٠ مليونا من عمال وفلاحين . ان هذا يحدث اما بثورة اجتماعية ، واما بثورة عسكرية .

فلا يوجد غير هذين الطريقين أو .... دلونى على طريق آخر ! ؟

ومع ذلك لا أريد أن أختار أو أن أقول برأى حاسم .. انما انا أضع المشكلة ، وهى ضرورة تجسيد القوة التى تمثل ٣٠ مليونا من الشعب وتتكلم بلسانهم . فكيف نأتى بهذه القوة ؟

اذا قلتم اما عن طريق العنف أو عن الطريق الليبرالى فهذا يعنى ان هناك طريقين لا ثالث لهما . عن طريق ضغط شعبى وهو القوة ؟ ما هى القوة التى ستفرض هذا وكيف تأتى فى نظام مؤسسات معينة موجودة اليوم ؟

ولكن ـ أيضا ـ وفى بلاد ـ كبلادنا ـ اذا حالت عناصر هذا البلد ، ستجد أنها تقوم على العاطفة الدينية أكثر من أى بلاد أخرى . وعند تأمل هذا الواقع « العاطفة الدينية » سوف نرى انه توجد عناصر درجت على الاتجار باسم الدين ، والدين منها براء . وهى تحاول أن تتغلغل فى صفوف الطبقات الشعبية مستغلة تفشى الاميه فى صفوفها . فاذا قلنا الاشتراكية عن طريق القوى الشعبية ، فان هذا سيفترض مقدما مستوى معينا من الوعى الثقافى ... اذن لابد ان الاميــــة تزال ، فاذا ازلت الامية .. فكم من الزمن يلزم لازالة الامية ؟ فاذن نحن نتكلم الان وننسى عنصر الزمن . فهل عندما نضع ملامح مصر اليوم ، نعنى ملامح مصر فى مستقبل بعيد نقدر له ٢٠ أو ٢٥ سنة ؟ أم نحن ننظر الى السنوات الخمسة القادمة ، وبعد ذلك لا تهمنا الرؤيا البعيدة ؟

على كل حال ، اذا كانت الرؤيا البعيدة ، فنحن نجهز لها الان ، بمحو الامية والارتفاع بالمستوى الثقـــافى للشعب . عند ذلك ربما استطعت ان تجد طريقة للثورة الشعبية ، فالشعب نفسه يستطيع أن يقوم بثــورته . ولكن ، والعكس هنا صحيح أيضا ، أن الشعب مع التنور يستطيع ان يصل الى الحكم او الى أن يسمع صوته عن طريق ديمقراطية عادية لو كان لديه الوعى .. ويستطيع أن يأخذ اغلبية كما كاد يحدث فى فرنسا ، أو كما هو حادث أو يحدث فى انجلترا ، أى عن طريق حزب يأخذ اغلبيـــة ، ويســـتطيع بـــالتالى أن يغيـــر الاوضــاع ...

اذن فنحن ـ فى الواقع ـ فى دراسة ملامح مصر ، لابد أن تكون لنا رؤية واضحة : كيف نصل الى تجسيد اشتراكية تدافع عن حقوق الطبقات التى ستجد ثروة وافرة تأتى مـــن رأسمال عربى سيدخل أو رأسمال أجنبى .. فهذه الثروة التى ستأتى ، لن تستطيع منعها لان من هى القوة التى ستقول لا تأتى ؟ ثم انه ليس عندها القوة .. كل ما يمكن قوله ان هذه الثروة اذا وجدت فيجب الا تدخل فى جيوب ناس دون ناس . ويجب الا تدخل لتكون هناك شقق يشتريها البعض بـ ٢٠ أو ٣٠ الــف جنيه . من الذى يفعل هذا !؟ أو يصنع ديكورا بمثل هذا المبلغ أو أكثر . اذن العملية ان فيه نقود . هذه النقود لا تستطيع انك تمنعها هى كالظواهر الجوية .. امطار تأتى .. لكن هذا المطر تستطيع أن تســـــتغله بانك تضـــع له أحواضا ، بدلا من أن ينزل ويجعل الشوارع موحلة ، تستطيع أن تستغله . فاذن المشكلة ليست فى هذه الاموال المشكلة فى كيف تجعل هذه الاموال أمطارا مباركة تسقط على أكبر عدد ممكن من الناس الذين يمثلون صناع هذه الثروة ..

اذا جاءت البلد فطبعا فى أى صورة ؟ لان العمال هم الذين سينتجون والطبقات المتوسطة ستعمل وتتحسن احوالها ، ولكن توزيع الارباح سيكون غير عادل . ففى هذه الحالة أين هو الذى سيتكلم باسم هؤلاء ؟

اذن مرة أخرى نكون قد عدنا الى كيفية نظام الحكم نفسه هل هو نظام حكم .. مرتبط بالحرية أم غير مرتبط ؟ . فالعملية ــ مــرة أخرى ـ أوانى مستطرقة .. فاذا وصلت الى نظام حكم فهذا يقودنا الى الكلام عن الحرية ، حرية هذا النظام ، أو عدم حريته .. وهل هذه الحرية تسمح بأن جماهير الشعب تعبر عن نفسها أم لا .. وبعد ذلك ممكن أن تصل الى أن أصحاب المصالح مـــن مـــلايين العـــاملين والكادحين لنيتمكنوا من تنظيم أنفسهم للحصول على أكبر ما يمكن من المكاسب . وكل هذا قريب جدا ، وتحت اليد ، وتحت النظر ، لاننا فى غضون سنوات قليلة سنجد أن هذه المشاكل تطرح نفسها . الان نجد أن طبقات كثيرة محرومة من أبسط مظاهر الراحة وغير ذلك من قضايا الطعام أو الملبس . فما هو الطريق ؟ كل هذا يجب الكلام فيه . وانا هنا لا احلل وانما

اقرر وقائع . لابد أن ننظر اليها بعين الوضوح . لانها مسائل عملية جدا ، لا تمس الشعب النادح وحده ـ كما قد يخيل الينا ـ ولكنها ستمس حياتى وحياتك وحياة كل واحد منا .

■ لطفى الخولى :

اذا سمحتم لى بعض النقاط . فنحن متفقون على نقطة هامة جدا هى أن المستقبل فى بلدنا كما نتصوره هو استمرار لحركة التحرر الوطنى المصرية فى جميع مراحلها ، ونحن لا نقف عند مرحلة دون مرحلة وبالتالى ليس هناك انقطاع فى تاريخ الشعب المصرى . ومن هنا يأتى قولنا بأن ثورة ٢٣ يوليو على الرغم مما فيها من سلبيات ، تمثل بالنسبة لما قبلها خطوة انتقال الى الامام . والجمود عند ثورة ٢٣ يوليو ، هو أيضا جمود عن التطور الى الامام . والمفروض ان أى نقلة مستقبلية يجب أن تكون اكثر تطورا من ثورة ٢٣ يوليو ، والا يعد الامر انتكاسة .

هذا الاستمرار يعنى ـ أول ما يعنى ـ اختيار مسار التطور نحو المستقبل . لان هذا الاختيار ـ من جديد ـ هو الذى يحدد ليس فقط ترتيب البيت الداخلى المصرى اجتماعيا وسياسيا والقيم التى يقوم عليها ودرجة الثقافة .. الخ . وانما أيضا هو الذى يحدد فيما بعد اختيارتنا العربية . وبالتالى موقفنا من الثورة العربية ومن الثورة العربية ـ فى نفس الوقت ـ ومن الوحدة الوطنية . كما يحدد موقفنا العالمى من قضية الصراع والتعايش بين العالم الراسمالى والعالم الاشتراكى ، وموقفنا من الامبريالية والاستعمار ، والاستعمار الجديد والصهيونية .. الخ .

أيضا ، أوافق الاستاذ توفيق الحكيم ـ واظن اننا كلنا متفقون حول ما سماه بسياسة الاوانى المستطرقة للشعار المثلث الوحدة والحرية والاشتراكية .وهو ما يمكن ان يسمى «بجدلية» الوحدة والحرية والاشتراكية ، وان الثلاثة يمكن أن يؤثروا بعضهم على بعض . لكن تبقى ـ مع ذلك ـ ملاحظتان :

الاولى .. أن هذا الشعار عام ، ولا يشمل المرحلة المستقبلية القريبة المدى وانما يشمل مجمل حركة تطور بعيدة المدى . الدليل على ذلك ، قضية الاشتراكية . فليس هناك وهم لدينا فى أن ثورة ٢٣ يوليو خلقت مجتمعا اشتراكيا . ليس صحيحا ان هناك مجتمعا اشتراكيا . ذلك أن النضال من اجل الاشتراكية عملية طويلة المدى ، متعددة المراحل ، تستدعى تغييرات اجتماعية واقتصادية وسياسية ، وتغييرات فى القيم وفى مستوى الثقافة .

ولا يمكن القول أيضا ، أنه يوجد فى العالم العربى نظام اشتراكى ، حتى الان . وانما يمكن القول بأن هناك نوعا من حركة التقدم الاجتماعى المعادية لطريق التطور الرأسمالى ، بعد ما ثبت خصوصا فى العالم الثالث ـ فشله فى مواجهة التخلف الاجتماعى والاقتصادى .. الخ . وفى بطء حركة التنمية المصاحبة له ، بل وفى استحالته بالنسبة لظروفنا .. ليس فقط ظروف مصر أو العالم العربى ، وانما فى العالم الثالث ككل . وهذه هى حصيلة التجربة العالمية التى يجب أن نتيقظ لها والا كنا نعادى حركة التاريخ ، وبالتالى يمكن أن نسير الى انتكاسة .

لكن يجب الا تكون رؤيتنا لهذه الشعارات جامدة ، وانما بطريقة ما حدث وما يحتمل أن يحدث من تغييرات فى الحياة ، هى دائمة التجدد والتطور . ومن هنا ، يجب أن نرى حركة هذه الشعارات باعتبارها ـ فى الواقع ـ حركة التحرر الوطنى الديموقراطية .. ومن هنا ، لا اعتقد ـ وربما قد اختلف مع بعض الزملاء ـ وأنا انتمى الى المدرسة الاشتراكية العملية التى ترى أن هدفها فى النهاية هو تحقيق الاشتراكية . اقول لا اعتقد ان ما هو مطروح ـ الان وفى المستقبل القريب ـ هو اقامة النظام الاشتراكى . ويجب الا يكون لدينا وهم فى هذا الشأن اذ أن مرحلة النظام الاشتراكى هى مرحلة بعيدة المدى ، لكن ليس معنى هذا اننى امتنع عن ان اكون قوة فاعلة ومتحالفة مع كل القوى المستقبلية والمتجددة والمتقدمة والمعادية للامبريالية والصهيونية والاستغلال الراسمالى البشع ، بل وحتى للاستغلال الاقطاعى بقيمه التى لاتزال سائدة فى كثير من مناطق الوطن العربى .

من هنا ، فانه فى رؤية المستقبل ، من خلال الترابط الجدلى بين مكونات الشعار المثلث « الحرية ، الوحدة ، الاشتراكية » يجب أن نضع فى الاعتبار ما يلى :

١ ـ عندما ننطلق يجب أن ننطلق من الحفاظ على الايجابيات التى تحققت وتطويرها .

ايجابيات مثل بداية الانتقال من مجتمع زراعى الى مجتمع صناعى ـ تكوين القطاع العام كأداة اساسية فى عملية التنمية ـ المحافظة على الاستقلال السياسى والاقتصادى للبلاد ـ التمسك بالبعد الذى اعطته ثورة يوليو للنضال وهو البعد العربى بجانب البعد المعادى للامبريالية والصهيونية .

٢ ـ أن نعمل على الجبهة الثقافية فى صفوف الجماهير لنصفى قيم الاستغلال والاتكالية التى ترسبت فى الوجدان العام .. الخ .

لكن يجب ان نضع فى الاعتبار أيضا فى انطلاقتنا ، سلبيات التجربة ، وبالتالى يجب ان أعالجها واتخطاها ولا أقع فى تكرارها . ويخيل الى أن هناك اتفاقا تاما على أن أهم سلبيات وأخطر سلبيات ٢٣ يوليو هى غياب ما سمى بالديموقراطية الحقيقية المتفقة مع درجة التطور الاجتماعى والاقتصادى فى هذه البلاد . فقد لاحظنا ، ان هذه الديموقراطية غابت ، ونتج عنها قيام أجهزة القمع ، ونتج عنها الطابع الفردى للحكم ، والطابع الفردى للحكم هنا ، ليس نقدا لعبد الناصر ، وانما لاسلوب فى الحكم لان عبد الناصر ـ كشخص وكقيادة ـ ليس هناك جدال فى أنه كان اكثر تقدما من نظامه ومن حكمه الفردى ، لكن ذلك لم يدفع حركة التطور . على العكس قيد من حركته ، وقيد من هذا الاستمرار .

٣ ـ انه لابد أن نلاحظ الظروف الجديدة التى تحيط بالعالم ، وتحيط بمصر والعالم العربى . من هذه الظروف أن أضع فى اعتبارى ان مصر الان تتزايد بمعدل من ٨٠٠ الف الى مليون فرد كل سنة . وهذه قوة بشرية ضاغطة تطلب حقها فى الحياة ، وحقها فى المشاركة فى ادارة شئون البلاد . وأنه من غير المعقول ان المليون شخص الذين يزيدون كل سنة ، ممكن أن يكونوا مستثمرين فى فنادق ، أو ينالون بركة الرأسمالية الطفيلية . أيضا ، يجب أن أضع فى اعتبارى ، الثورة الضخمة التى تميز اواخر السبعينات ، وما بعدها ، وهى ثورة العلم والتكنولوجيا وتأثيرها الضخم فى بلد كمصر الامية فيه لا تزال تلتهم بظلامها حوالى ٧٢٪ فى المائة ، وأكثر من ذلك على مستوى العالم العربى ككل .

٤ ـ انه فى الظروف الجديدة ، ظروف الانتقال من الحرب الباردة الى التعايش مع الصراع فى نفس الوقت ، لابد من العمل لدرء خطر الحرب النوويه . والمخاطر سلبية ما يمكن أن نسميه بثورة العلم والتكنولوجيا ، واستخدامها ضد الانسان بدلا من أن تكون فى خدمته .

٥ ـ يجب أن نضع فى الاعتبار ما يسمى بالثروة العربية . وسواء شئنا أم لم نشأ ، فانه يوجد ـ الان ـ وضع جديد ليس له سابقة فى التاريخ الانسانى . وهو أن بلادا متخلفة اقتصاديا ، اصبح لديها ظرف تاريخى معين ، وفى حدود جغرافية معينة ، وفى مواجهة تحديات مشتركة ، نقول : أصبح لها طاقة ، وثروة ضخمة قادرة على تغييرها ونقلها نقلة حضارية . لكن نتيجة لابنيتها الاجتماعية ، ولابنيتها السياسية ، ولتخلفها الاجتماعى والحضارى تعجز عن ...

■ **توفيق الحكيم :**

الثروة عندما تتواجد فى بلاد ليس فيها انتاج صناعى وزراعى ـ هذه البلاد تفاجأ فى الواقع بوضع لم يكن له مثيل فى الكون . فالمعروف أن الثروات تتكون نتيجة عمل منتج لحضارات سواء كانت هذه الحضارة تنتج المال فى بلدها أو باستغلال بلاد أخرى .. اذن هناك عمل وجهد ولكن عندما تجلس ويأتى لك خاتم سليمان بثروة طائلة ، فهذا كما نقول يحدث لاول مرة فى التاريخ .

■ **لطفى الخولى :**

نحن لا نستطيع الانعزال عن هذه الظاهرة ، ظاهرة الثروة العربية ، والا نكون اعداء أنفسنا وأعداء التطور . وهنا عنصر اليوتوبيا .. فى كلام الدكتورة لطيفة ، وليس فى كلام ابو سيف . لان اليوتوبيا هو ان نتجاهل هذا العنصر الموجود بايجابياته وسلبياته ، والنضال هو كيف يمكن ان نخفف ـ الى اقصى حد ـ ممكن من سلبيات هذه الظاهرة ، وان نستفيد من ايجابياتها .

وفى هذا فنحن مقدمون شئنا او لم نشأ على مرحلة جديدة هى لصالح الجميع ، بما فى ذلك البورجوازية الجديدة النامية فى هذه البلاد ، لانه كما قال محمد سيد احمد فان بعض البلاد لن تستطيع بكل أموالها ان تطور نفسها ، بل على العكس ستقود نفسها داخل حدودها الى كارثة .. صحيح أن هذا الوضع الجديد

ستلازمه انواع أو أساليب جديدة من الصراع والتعايش ، لكن هذا لا يمنع من قيام التكامل العربى الذى يفيد كل الطبقات الاجتماعية القائمة حاليا فى العالم العربى أيا كان موقفها الاجتماعى والسياسى ، اقول انه لا مفر من التعايش والصراع ، وان تقبل القوى البرجوازيةهذا ، لان عدم قبوله يعنى انيتحول التطور العربى الذى لا يمكن وقفه من تطور ذو طبيعة سلمية الى تطور ذو طبيعة عنيفة لتغيير كل هذه النظم . واعتقد انه كما أننا واعون بذلك ، هم واعون ايضا به ويجب أن نضع فى الاعتبار ـ بالاضافة الى ما تقدم هذه النقطة وهى أن هذه البلاد ليست كتلة صماء . هناك قوى جديدة تنمو داخل هذه المجتمعات وهى بورجوازيةمستنيرة ، كما ظهرت فىندوة الكويت التى تكلم عنها ابو سيف . كما ظهرتفىانتخاب البحرين وبعض البلاد .

ان كل هذا ، يعنى أن هذه المجتمعات ليست راكدة ، وانما الذى يحدث فيها ـ نتيجةالتطور الاجتماعى والثروة ـ نوع من الافرازات الاجتماعية الجديدة التى تواكب درجة تطورها . وهذه القوى هى ، أيضا ، قوى مواتية لحركة التقدم ككل .

٦ ـ من أهم هذه القضايا ، قضية كيف يمكن أن يقدم نوع من الاطار الوحدوى العملى وليس الدستورى . ليس مهما الان قضية الوحدة الدستورية ، وانما يجب أن يتجه الجهد الى أمرين : ١ ـ العمل لبناء تكامل اقتصادى ، هو مفيد للجميع ، بما فى ذلك الراسمالية المنتجة وليست الطفيلية فى العالم العربى ككل . ٢ ـ كما يجبان يتجه الجهد الى الحركة الديمقراطية التقدمية من أجل وحدتها فى العمل ، وعدم دخولها فى مغامرات يمكن ان تضرب مجمل الحركة .

ومرة أخرى ، اريد أن أقول ليس المطروح الان اقامة نظام أشتراكى فى مصر أو فى البلاد العربية ، انما هذا على المدى الطويل . وانما المطلوب هو تعرية وتصفية الرأسمالية الطفيلية فى العالم العربى وبالذات فى مصر .

٧ ـ يجب العمل لنقل المجتمعات العربية بما فيها مصر من المفهوم الاقطاعى المتخلف بل الى ما قبل الاقطاع القبلى ، كما نشاهد فى احداث لبنان الان .. الخ الى المفهوم الصناعى الراسمالى المستنير . وفى هذا يمكن ان تلعب القوى الاشتراكية ، بقيمها ، عملية ترشيد مستمر ، هذه العملية هى تحريك وتخصيب وتفاعل مع نمو الطبقة العاملة وترابطها العضوى مع حركة المثقفين الثوريين .

وهذا يدفعنا الى أن نؤمن بقضية أخرى لا تقل أهمية فى المستقبل ، وهو أن تكون الديموقراطية المطلوبة ليست ديموقراطية « ذات حول » ، لان غياب الديموقراطية لا يعنى انشاء ديمقراطية ذات حول ، بمعنى أنها ليست الا ديموقراطية الطفيليين ، وديموقراطية اليمين . وانما يجب أن تكون ديموقراطية التعبير عن اوسع الجماهير ، والقوى المستنيرة طالما كان موقفها الاجتماعى نحو التغيير باستمرار الى الافضل ، وليست ديموقراطية التنفيس ، أو الديموقراطية الشكلية التى تتاح فيها « الحريات » نتيجة علاقات القوى . . الخ الخ ..

هنا نلاحظ فى قضية الديموقراطية أن هذه الطبقة الطفيلية الرأسمالية ، ذات القيم الاقطاعية ، لا تريد ولا تسلم بمبدأ المشاركة الجماهيرية ، وعلى قدم المساواة مع الجماهير . ومع ذلك فهذه الفئات الطفيلية تبحث باستمرار عن سيد لتخفى نشاطها . وقد حدث هذا أيام **عبد الناصر** ، فقد كانت تنتظر الاوامر من عبد الناصر ، وتنتظر قرارات عبد الناصر ، وتنتظر القيادة العلوية ، ثم تسير ـ بعد ذلك ـ دون أن تكون لها مبادرات . ونفس الامر نجده الان مع **الرئيس السادات** ، فهم يريدون أن يكرروا مع **السادات** ما كرروه مع عبد الناصر ، وكان سبب من أسباب سلبية التجربة هو الانتظار ايضا للقرارات العلوية ، وعدم التحرك الا بالقرارات الاداريه من فوق ، وعلى سبيل المثال تجد أن الكاتب ممن يدعون الى الحرية يبدأ مقاله ، بأنه أمر الرئيس **السادات** .. قال لى **الرئيس السادات** .. أو حسب تعليمات وتوجيهات **الرئيس السادات** . ويريد أن يدخل فى الذهن أولا ـ لمصلحته الشخصية ـ أنه قريب الى السلطة وبالتالى كلامه هو نوع من الامر والتوجيه .. الخ . وهدفهم من هذا اغراق السلطة نفسها ، وقفل المبادرات على الجماهير على اعتبار أن هذا هو رأى السلطة .

تبقى هناك نقاط سريعة :

الاستاذ توفيق الحكيم كان تكلم عن أن الاستقلال السياسى كان مطلبا عاما ، وان كل

القوى كانت متفقة عليه وأنا اوافقه . على ذلك ، لان الاستقلال السياسى فى ثورة ١٩ كان ايضا مطلبا يتفق مع مصلحة القوى البرجوازية الوطنية النامية ، لتستقل بالسوق المصرى وبالتالى كان اخراج الانجليز ، وضرب احتكاراتهم ، وضرب سيطرتهم على السوق . كل هذا لم تكن مطالب للجماهير الشعبية فقط ، وانما ايضا للرأسمالية الوليدة الوطنية .

لكن بعد ذلك ـ كماتقول انت ـ عندما دخلت المسائل الى قضية التمايزات الاجتماعية فى الداخل ، وعندما طرحت ضروره الاستقلال الاقتصادى أساسى ، بما يضرب للرأسماليين من علاقات مع الاحتكارات الاجنبية ، وبما يغير من علاقات القوى الاجتماعية بين الطبقات ، كان لهم موقف محدد ، وهنا اختلف معك فى ان موقفهم لم يكن فى الاساس موقف المسايرة للاشتراكيه « فهذا بعض الاتجاهات المنافقة التى ارادت أن تلعب دورا سياسا واقتصاديا » . لكن القوى الحقيقية الرجعيـة وقفت موقفا مضادا وصريحا للاشتراكية ، واصطدمت اصطدامات واقعية وعنيفة .

وهنا اتفق مع الدكتورة لطيفة الزيات فى أنه لم يعد من الممكن القول ان الكل ٢٣ يوليو ، أو ان الكل يريد حرية ووحدة واشتراكية ، ويجب الا نقع فى هذا الوهم ، وخصوصا وان هذه القوى المناوئة لحركة التقدم عموما هى قوى ضعيفة ومعزولة ، وتحاول الان التسرب الى الحركة الشعبية لافسادها ، وبالتالى يجب عزلها كعزل الميكروب ، ولا نستطيع ان نتغاضى عن هذا الخطر ، لا باسم الحب ولا باسم عدم الحقد كما يقال ، فهذه قضية اجتماعية اساسية لا علاقة لها بالنوازع الاخلاقية .

وفيما يتعلق بما اثير عن قضية الوحدة العربية ، قضية الوحدة العربية ، لا أريد أن ادخل فى فذلكات تاريخية . لكن ، مين الواضح ، انه فى العصر الحديث ـ علي الاقل فيما بعد الحرب العالمية الثانية ، فان قضية فلسطين جاءت كالنقطة التى تحدث عملية البلورة بين انتماء عربى ، أو عدم انتماء عربى . فقد تكشفت اسرائيل كقوة ـ ليس فقط عنصرية وذات مصالح خاصة ـ وإنما كجزء من الحركة الامبريالية والاستعمارية العامة ، وكحليف موضوعى للرجعية العربية المتخلفة . هنا سنجد ، ان تيار الوحدة الصاعد قد حاول الاستعمار البريطانى أن يستوعبه ويستغله وأقام فيما أقام منه جامعة الدول العربية ـ لكن جامعة الدول العربية . وأمام قوة التيار استطاعت أن نتخلص من السيطرة الاستعمارية القديمة ، وانها تلعب دورا اكثر تقدما من ذلك فى اطار علاقات القوى ما بين العالم العربى ، وفى اطار وطنى « ليس تقدميا بالطبع » لكنه اطار وطنى وقومى .

بعد ذلك هناك الوحدة المقابلة : وهى وحده الحركة الجماهيرية والحركة العربية نفسها . وفى هذا الاطار ـ أيضا ـ اتجاهان : اتجاه ان تتم الوحدة لمصلحة البرجوازية العربية النامية ، والثانى ان تتم الوحدة لمصلحة التحالف التقدمى المعادى للامبريالية والذى يريد نوعا من التغيير الى واقع افضل . وهذا التحالف يضم بالطبع العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين والبرجوازية الصغيرة .. الخ بلا جدال نحن مع التطور الاخير .

النقطة الاخيرة ، وهى فى الحقيقة تجسيد لهذا كله لانه فعلا لم يعد من الممكن كما قلت انت فى بداية الجلسة الفصل بين الشكل والمضمون ، وانه لا يمكن القول بأن نكتفى بالمضمون ، ونغفل الاساليب وطبيعة الاساليب . ولا يمكن ، كما قيل أن نقود الى جنة الاشتراكية بالعصا ، وانما بالاقناع وبالحركة الجماهيرية ، كذلك لا يمكن اغفال ان نترك الجميع لحرية التنفيس .. الخ ، فى حين أن القوى الحقيقية المسيطرة والفاعلة تتجه بالمجتمع نحو مزيد من الاستغلال الاقتصادى والاجتماعى وتخريب القيم .. الخ . وبالتالى لا يمكن الفصل بين الشكل والمضمون . وان المضمون لابد له من صياغات ذات محتوى حركى حضارى شعبى .

فاذا كان الامر كذلك فهل لى أن اقترح أن تكون الجلسة القادمة مخصصة للحوار حول مشروع لبرنامج الحد الادنى . وفى هذه الحالة ـ اى حالة اقرارنا للمشروع سيكون بمثابة خاتمة لهذه المرحلة من الندوة ، نبدأ بعدها ندوات أخرى .

[موافقة]

■ **لطفى الخولى :**

شكرا ..



قضايا مصرية خمس فى يناقشها كتاب « الرأى والرأى الاخر » فى هذا العدد .

العلاقة بين عبد الناصر واليسار ونتائجها ، وهى قضية لا تشغل المثقفين والمهتمين بالعمل السياسى .. وحدهم ، وانما تحظى باهتمام أوسع بكثير لانهاتمس ـ فى الاساس ـ قضايا مصر المستقبل . وكان الدكتور فؤاد زكريا قد طرح من وجهة نظره هذه القضية فى «روزاليوسف» . وأثارت كتابات الدكتور زكريا ، ردود أفعال متباينة ، وان أجمع الذين ناقشوه على صفحات الصحف والمجلات ، من مفكرى اليسار ، على القول « بعدم موضوعية » وجهة نظر الدكتور وسجلوا أسباب رأيهم هذا . وفى هذا العدد ، يكتب الدكتور زكريا ٣ ردود على ما كتبه كل من وجيه ضياء الدين والدكتور صفوت عثمان و أبو سيف يوسف ، فى « الطليعة » تعليقا على وجهة نظره .

والقضية الثانية ، موضع اهتمام عدد آخر من كتاب « الرأى والرأى الاخر » ـ هذا العدد ـ هى العلاقة بين المالك والمستأجر التى أدخل عليها مجلس الشعب تعديلا فى الشهر الماضى حين عدل قانون الاصلاح الزراعى فيما يخص العلاقة الايجارية بين المالك والمستأجر . وقد كتب الى « الطليعة » عامل ومقاتل ومثقف حول هذه القضية .

والقضية الثالثة ، هى التطورات التى تجرى داخل الحركة النقابية المصرية واتجاه بعض المسئولين فيها الى بناء الجسور مع الاتحاد الدولى للنقابات الحرة بدعوة ممثلين عنه لزيارة مصر والالتقاء بممثلين للحركة النقابية المصرية . فكتب عبد المنعم الغزالى ، يعرض وجهة نظره « للرأى والرأى الاخر » فى هذه القضية .

اما القضية الرابعة ، فهى كتابات « أخبار اليوم » و « الاخبار » ودورها .. التى عرضتها « الطليعة » فى صفحات ضمتها عدة أعداد سابقة . حول دور « أخبار اليوم » و « الاخبار » وكتاباتهم التى تتغير بين وقت وآخر ، بعث «قارىء» الينا ينتقد «الطليعة» متصورا أننا يمكن أن نصادر أية وجهة نظر تختلف معنا ـ أيا كان حجم الاختلاف . وقد نشرنا رسالته وتعليق « الطليعة » على الرسالة .

حول جمال عبد الناصر واليسار المصرى

- ٣ ردود من الدكتور فؤاد زكريا
- تعقيب : « الالقاب » لا تعنى اهدار الموضوعية
- رسالة من جندى مؤهلات الى د . فؤاد زكريا

العلاقة بين المالك والمستأجر

رسائل من : ● عامل ● مقاتل ● مثقف

- الحركة النقابية المصرية ترفض الاتحاد الدولى للنقابات الحرة
- رد من قارىء اخبار اليوم .. وتعليق

اختلف كثير من الكتاب والمفكرين ، مع د . فؤاد زكريا ، حول تقييمه سواء للتجربة الناصرية أو لموقف اليسار المصرى من التجربة . وذلك فى مقالاته التى كتبها فى « روز اليوسف » .

وفى « الرأى والرأى الاخر » نشرت « الطليعة » آراء وتعليقات ، وجيه ضياء الدين ، الدكتور صفوت عثمان ، أبو سيف يوسف ، حول تقييم د . زكريا ومقالاته .

وممارسة من « الطليعة » ، لماتؤمن به من اهمية ادارة الحوار حول ما يطرح من قضايا لها اهميتها ـ من جهة ـ وبحق الاخرين فى الرد ، تفتح صفحاتها هذا العدد لردود ثلاثة بعث بها الدكتور زكريا . بالاضافة الى تعقيب من وجيه ضياء الدين ، ورسالة المقاتل احمد عبد الرحمن الجمال التى بعث بها . وقد حال سفر ابو سيف يوسف الى الخارج ، دون ان يعقب على رد الدكتور زكريا . وسوف يكتب تعقيبه بعد عودته .

○ ٣ ردود حول جمال عبد الناصر والیسار المصری

د. فؤاد زكريا

شاركت مجلة « الطليعة » فى عددى يونيو ويوليو السابقين، فى الحوار الذى يدور حول المقالات التى نشرتها فى « روز اليوسف » عن«اليسار والتجربة الناصرية» (وهو العنوان الاصلى للدراسة قبل أن تغيره روز اليوسف الى « جمال عبد الناصر واليسار المصرى » . ولما كانت هذه المقالات تثير مشكلات جديدة فى هذا الموضوع الهام ، فقد رأيت ان أرد على كل منها فى هذا العدد ، آملا أن تفسح لى « الطليعة » صدرها حتى أعرض وجهة نظرى مما قد يكتب فيما بعد عن هذا الموضوع ..

ولعل من حق القراء على أن أرد فى هذه المقدمة على تساؤل هام ورد على السنة الكثيرين منهم ، وأعنى به : هل يعد الوقت الحالى ، الذى يتعرض فيه اليسار لهجوم شرس من جانب اليمين ، هو أنسب الاوقات لاثارة معركة يمكن ان تحدث انقساما فى صفوف اليسار ؟ وهل ينبغى فى هذا الوقت بالذات اعادة فتح صفحة الماضى ، ومحاسبة اليسار على تصرفاته فى فترة مضت وانقضت ؟

وردى على هذا السؤال ، الذى يطرحه الكثيرون باخلاص ، هو ان الهجمة اليمينية الشرسة لا يمكن قهرها فى هذه الايام بالذات ، الا بأن يعلن اليسار على الملا أن مبدا الاشتراكية شىء ، والاخطاء التى ارتكبت فى تطبيقها شىء آخر ، وأن اليمين يرتكب مغالطة كبرى حين يجعل الاشتراكيه ، كمبدأ ، مسئولة عن الاخطاء التى وقعت ، والتى وصلت احيانا الى حد الجرائم ، وأن اليسار — من جانبه — ليس ملزما بتبرير تلك الاخطاء ، ولا يضيره الكشف عنها فى شىء ..

وفى اعتقادى ان اليسار لو اعلن ذلك بصراحة ووضوح ، لكسب جولة كبرى فى صراعه الحالى مع اليمين . بل اننى لاذهب الى حد القول بأن من مصلحة اليسار أن يبدأ فى اللحظة الحاسمة الراهنة حملة تستهدف ايضاح الاختلاف الشاسع بين الاشتراكية الحقيقية والاشتراكية التى كانت تطبق ، والتى قابلها الناس ، ومازالوا يقابلونها ، بفتور ونفور . وبمثل هذه الحملة يستطيع اليسار أن يكسب مواقع جديدة ، وأن يقطع على اليمين ذلك الطريق الذى يستهدف منه القضاء على الاشتراكية كمبدأ من خلال استغلال اخطائها فى التجربة الناصرية ..

ولهذا السبب نفسه اعتقد ان مقالاتى هذه تستهدف المستقبل أكثر مما تستهدف نبش القبور . فليس فى وسعنا أن نهتدى الى طريقنا فى المستقبل ما لم نتأمل بشجاعة تلك التجربة



« الألقاب » لاتعنى اهدار الموضوعية

حينما فكرت فى محاورة د. فؤاد زكريا حول ثلاثيته « عبد الناصر واليسار المصرى» كنت اعى آن الدكتور فؤاد زكريا أستاذ لجيلى ، وربما لاجيال سبقتنى ، لكن قناعتى كانت - ولاتزال - ان حجر الزاوية فى اى حوار فكرى هو تسليم كل أطرافه بداءة بامكانية بل بضرورة الاختلاف فيما بينهم وبدون اقحام القاب المشتركين فيه ، أو مستواهم العلمى او ما يتمتعون به من شهرة فى دائرة الحوار ، والا لكان علينا ان نضع للمشاركة فى الجدل الفكرى فى أى مجتمع شروطا من بينها تماثل أطرافه .

ولقد لمست بالفعل صدى قناعتى هذه فى تعقب د. فؤاد زكريا حينما بدأه بالتعبير عن رضاه بل سعادته باقدام الاجيال الشابة على طرح افكارهم واجتهاداتهم حول ما يدور فى مجتمعنامن جدل حول العديد من القضايا العامة . لكننى حينما انتهيت من قراءة التعقيب ازددت اقتناعا بأننا كثيرا ما ننادى بالحرص على تحقيق انبل الغايات ، بينمانسعى فى مسلكنا لتحقيق غايات اخرى . فالدكتور فؤاد زكريا لا يعتبرنى عاجز عن فهمه فقط ، وانما حرص على أن يضيف فى كل فقرة من فقرات تعقيبه صفة جديدة ، فاذا بى وكثيرون غيرى « مصابون بعقدة الخواجة وعقدة التعالم » . لكن حرصى على استمرار الحوار موضوعيا يدفعنى تسجيل الملاحظات التالية :

● اننى اختلف مع د. فؤاد زكريا فى تعقيبه فى أنه يعتبر الطريقة المثالية لدى هى

السابقة ، التى لا تزال آثارها تعيش معنا اليوم ، وما لم نتنبــه الى اخطائهــا التى احس بهــا الجميع ، والتى هى العامل الاكبر المساعد لليمين فى هجمته الحالية .

هذه هى وجهة النظر التى كنت ادافع عنها فى تلك المقالات . ويمثل هذه الـــروح اكتب هذه الردود الثلاثة على مقالات يونيو ويــوليو من «الطليعة» .

الرد الاول على مقــال وجيــه ضــياء الدين

الناصــرية بين الــرؤية المتــآمرة واستخفاف الفلاسفة بعلم السياسة

لا شك أن مجلة « الطليعة » تستحق الثناء اذ تتيح للشباب فرصة التعبير عن آرائهم فى باب« الرأى .. والرأى الاخر » . واود أن اعلن ، منذ بداية هذا الرد ، اننى ــ بوصفى مفكرا ينتمى الى جيل أقدم مــن هؤلاء الشبان ــ أرحب كل الترحيب بأى نقد جاد ، واسعد كل السعادة حين أجد تــلاميذنا ينافسوننا ويسعون الى التفوق علينــا ، ولست على الاطلاق ممن يظنون أن الفضائل كلها تتركز فى الاجيال القديمة والعيوب تتركز فى الاجيال الجديدة .

ومن ثم فقد اقبلت على قراءة نقد السيد وجيه ضياء الدين المنشور فى عدد يونيو من « الطليعة » ، وعنوانه « التجربة الناصرية بين الرؤية المتآمرة واستخفاف الفلاسفة

أن يكون ذهن الكاتب فى البداية صفحة بيضاء ، ومهما كان تقديره لقدراتى الذهنية فلابد واننى اعــرف أن الاطفــال وحدهم هم الذين ينطبق عليهم هذا الوصــف . أمــا الباحثون فيعرفون بالتأكيد الى اين تقودهم خطاهم ، والا لما كانت هناك حاجة لان يشرح لنا كل باحث « استراتيجيته فى البحث » . وبالطبع فان شرح الاستراتيجيات لا يصدر عن صاحب عقل غفل .

ان ما ازعمــه يتلخص فى ان الباحث سيكون بالتأكيد اقرب الى الموضوعية حينما يتمكن من الحد من انفعاله بموضوعه . فلقد بات مستقرا الان ، ســواء فى العلــوم الاجتماعية أو العلوم الطبيعية ، أن هناك تأثيرا متبادلا بين الموضوع المشاهد [بفتح الهاء] والذات المشاهدة [بكسر الهاء] من حيث أنهما يوجدان معــا فى نفس العــالم الطبيعى الذى يخضع فيه كل شىء لتبادل التأثير والتأثر . ومن شأن ذلك ما لم ينجح الباحث فى كبح مشاعره ــ أن يلقى بظلاله على مايتوصل اليه من نتائج .

● وفى اعتقادى ان جوهر الخلاف بيننا يكمن فى منهج دراسة الموضوع ، وهذا هو محور تعليقى وتعقيبى . فعلى حين يصدر د . فؤاد زكريا فى تقييمه للتجربة الناصرية عن نظرة تأملية تخلو من الاهتمام بالمقارنة بين بدايات التجربة ونهايتها وبما أحدثته من تحولات ، ومن ثم جاءت دراسته خالية من رقم واحد يدلل به على صدق استنتاجاته ، فاننى ارى اننا اصبحنا الان ــ وبعد ان توفر

بعلم السياسة » برحابة صدر وأمل عريض فى أن أستمع الى وجهة نظر الشباب فيما كتبته فى مجلة روز اليوسف عن « اليسار والتجربة الناصرية » . ولكنى - بكل أمانة وصدق - أحسست بخيبة أمل شديدة لان مستوى المناقشة كان بعيدا كل البعد عن أن يثرى الحوار ويعمقه ويرتفع به الى آفاق أعلى من تلك التى وصلت اليها مقالاتى الاصلية . فهناك ردود تعلو بالمناقشة الى مستويات رفيعة ، وهذه ردود يسعد لها المرء مهما كانت درجة معارضتها لوجهة نظره ، أما الردود التى تدفع المرء الى أن يعيد شرح وجهة نظره الاصلية التى لم يفهمها كاتب الرد ، فلا تضيف جديدا ، ولا تثرى تفكير صاحب الرأى الاصلى ، ولا صاحب الرد ، ولا القارىء ، واخشى ان اقول ان رد السيد وجيه كان من هذا النوع الاخير .

ولاضرب هنا بعض الامثلة :

فقد فسر كاتب النقد عبارة ذكرتها فى مطلع دراستى ، وهى : « أود أن أكتب عن الناصرية كتابة فيها جانب سلبى » بأنها مظهر لانعدام الموضوعية ، ولوجود زوايا مسبقة لدى الكاتب . فهل يتصور السيد وجيه أن الكاتب يبدأ الكتابة وهو خالى الذهن تماما ، لا يعرف عن هدفه شيئا ؟ ألا يضع كل كاتب خطة لما يكتب ، بعد أن يكون قد فكر فى الموضوع بتعمق ، ويحدد الخطوط العريضة لموقفه قبل أن يمسك القلم ليكتب الجملة الاولى ؟ أم أن الطريقة المثلى عند ناقدى العزيز هى أن يكون ذهن الكاتب فى البداية صفحة بيضاء ؟ فى هذه الحالة الاخيرة وحدها ، التى يبدو أنها هى الطريقة المفضلة للسيد وجيه ، يكون لزاما على أن أعتذر لسيادته لانى فعلا من ذلك النوع من الكتاب الذى لا يبدأ الكتابة الا وهو يعرف الى أين يسير .

ويشن الناقد على حملة طويلة لاننى استخدمت منهجا جديدا اسمه « الموضوعية الثورية » ، وهى حملة ادهشتنى كثيرا لاننى لم أستخدم تعبير « الموضوعية الثورية » للدلالة على منهجى الخاص ، بل كنت أتحدث عندئذ عن اليسار . فقد كان اليساريون يرون أن الروح الثورية تقتضى ، فى مواقف معينة ، وجود نوع من الموضوعية يقتضى

لدينا العديد من مثل هذه الدراسات الانطباعية - فى حاجة الى تقييم للتجربة يعتمد فى المقام الاول على ما يعرفه الباحثون بمنهج العلوم الاجتماعية [وأرجو الا يعود د . فؤاد زكريا هنا لاتهامى بعقدة الخواجة] وهو المنهج الذى يستطيع الكشف عن الجوانب الاقتصادية والسياسية والفكرية للتجربة وعما طرأ على الواقع المصرى خلالها من تحولات .

● ومن هنا كانت محاولتى التى استهدفت تحديد ما يمكن لعلم السياسة الاسهام به فى دراسة التجربة فى اطار مثل هذا المنهج ، لكن الواضح الان أن هذه المحاولة لم تحظ بتقدير أو حتى باهتمام د . فؤاد زكريا .

١ - فعندما طرحت مثلا امكانية تحليل التجربة الناصرية على ضوء ظاهرة « الكاريزما » كنت مدركا للفوارق بين التجربة الناصرية وغيرها من التجارب فلقد ميزت بين نظم متقدمة ونظم نامية وتجارب استيطانية عرفت نفس الظاهرة . وكان واضحا اننى اقترح هنا امكانية الدراسة المقارنة لاثراء معرفتنا بواقعنا ، وهو مطلب أعجب حقا أن يترك لدى استاذنا الدكتور فؤاد زكريا انطباعا بأننى « أرحب بعزوف الناس عن التفكير ، لان هناك من يفكر لهم » .

٢ - كذلك ، فحينما طرحت امكانية تحليل التجربة على ضوء الطابع القومى المصرى كنت بعيدا تماما عن « الموقف المتخاذل »

اسقاط الاعتبارات الاخلاقية والعاطفية من الحساب عندما يكون الامر متعلقا بمصير المجتمع . ولو كان السيد وجيه قد تأنى فى قراءة هذا الجزء الذى لم يفهمه ، لوجد أننى لم أنسب هذا المنهج الى نفسى ، ولم أقل اننى ابتدعته ، بل كنت أواجه اليسار المصرى بنفس المنهج الذى يتحمس له . ومن المؤسف حقا أن يجهد السيد وجيه نفسه فى استخلاص نتائج كثيرة من « منهجى » المزعوم ، ويشغل حيزا كبيرا من مقاله فى موضوع لا أساس له الا سوء الفهم والتسرع فى القراءة .

وقد نسب الى السيد وجيه أننى أفسر التاريخ على أنه مؤامرة ، وفى هذه الحالة أيضا بحثت طويلا فيما كتبت فلم أجد لهذا التفسير أساسا . ولا شك أن كل من يوجه نقدا لتجربة فى الحكم - وهو أمر يحدث فى الاوساط الفكرية كل يوم - سيندرج بمقياس السيد وجيه ضمن من يفسرون التاريخ على انه مؤامرة . ولكنى أود أن أطمئن الناقد الشاب الى أننى أعرف جيدا تفسيرات التاريخ المختلفة ، ولم أكن يوما ما من أنصار التفسير الذى نسبه الى . ورغم كل مآخذى على التجربة الناصرية ، فانها كانت أعقد بكثير من أن تكون مجرد مؤامرة ، وهذا ما حاولت فى دراستى أن أشرحه بالتفصيل ، ولكن لم يفهمه السيد وجيه فى هذه المرة أيضا ، لسوء الحظ .

وقد عجز الناقد الشاب عن أن يجد أى ارتباط بين عدم الافراج عن الماركسيين ، وبين زيف اشتراكية التجربة الناصرية . وهنا أجد نفسي مضطرا الى أن أشرح مرة أخرى شيئا كان واضحا كل الوضوح : فلو كانت التجربة الناصرية قد أصبحت اشتراكية بحق بعد ١٩٦١ ، لما استمرت تعتقل أولئك الذين كانوا يدعون الى الاشتراكية منذ وقت طويل ، مهما كان خلافها معهم فى الرأى . هذا رأيى ، ومن حق السيد وجيه أن يرفضه ، ولكن ليس من حقه - لو كان قد فهم ما قرأ - أن ينكر وجود ارتباط بين الامرين .

واخيرا ، فانى أود أن أحيل السيد وجيه الى الرد المفصل الذى بعثت به الى مجلة « روز اليوسف » تعقيبا على المقالات السبعة التى ظهرت فيها وانتقدت مقالاتى ، وسيجد فى ردى هذا اجابة عن تساؤلاته وانتقاداته الخاصة بالمقارنة بين ظاهرة استقبال

الذى يتحدث عنه د . فؤاد زكريا . فأنا لم ابحث عن تبرير للتجربة ، وانما طالبت بتقييمها . ولعل الخلاف بيننا هنا سيظل فى منطق التقييم . فلقد دعوت الى تقييم التجربة ، لا على أساس ما ينبغى أن تكون عليه ، وانما على أساس ما كانت عليه فعلا بكل ما واجهته من تحديات .

واذا كان د . فؤاد زكريا قد اختار لافحامى هنا التنويه بالتجربة الصينية ، فليسمح لى بأن أختلف معه لان هناك فارقا بين تجربة انطلقت من بناء فكرى محدد سابق على بدايتها وبين تجربة قضت نصف عمرها - باعتراف قادتها - منطلقة من مبدأ التجربة والخطأ .

٣ - اما حينما اقترحت تقييم التجربة على ضوء مفهوم الثقافة السياسية المصرية - فلقد اردت ان اشفع اقتراحى بلفت الانظار لدراسة رائدة فى هذا المجال وهى تقليد لا يثير هذا القدر من الغضب بين الدارسين . وعلى أية حال فاذا كان د . فؤاد زكريا يرفض ذلك بحجة انه يعايش الظاهرة نفسها فان التسليم بذلك يعنى أن القول الفيصل فى تشخيص أو تفسير أى ظاهرة لن يأتى الا من قبل من عايشوها . ولا شك أنه لا يملك هنا سلطة منع غيره من الاطلاع على اجتهادات آخرين لم يعايشوا الظاهرة فحسب ، وانما يلفت اهتماماتهم بها مرحلة التأصيل الاكاديمى لها .

وجيه ضياء الدين

نيكسون وظاهرة خروج الشعب فى ٩ و ١٠ يونيو ، وتفسيرا لموقف المعسكر الامبريالى من التجربة الناصرية فى يونيو ١٩٦٧ .

على أننى لا أود أن أترك هذا التعقيب دون الاشارة الى ظاهرة مؤسفة تجلت واضحة فى رد السيد وجيه ، هى ظاهرة الاستخفاف الزائد لبعض الشبان [ومن حسن الحظ أنهم لا يمثلون الجميع] بأساتذتهم . ولو كان هذا الاستخفاف قائما على أساس ، لهان الامر ، أما أن يكون مبنيا على فراغ ، فهذه هى الظاهرة التى تبعث على الالم .

فالسيد وجيه يريد منذ اللحظة الاولى أن يتعالم ، فيعطينى درسا فى المعانى المختلفة لموضوعية التاريخ ، أقحمه فى مقاله اقحاما لكى يثبت أنه يقرأ ويتثقف ، وقدمه الى شخص كان يقوم بتدريس هذا الموضوع ، بمزيد من التعمق والتأصيل ، فى وقت لم يكن فيه ناقدنا الشاب قد دخل المدرسة الابتدائية .

وتستمر نزعة التعالم ، فينسب الى بطلان تفسير التاريخ بأنه مؤامرة ، لمجرد أنه يريد أن يثبت اطلاعه على هذا التفسير . وكذلك الحال حين يفترض أننى لم أسمع عن ظاهرة « الكاريزما » ، ويقدمها الى لكى يزيدنى علما ، ولكنه يسىء فهم الظاهرة ، كعادته ، فى تقديمه لها : اذ أن ديجول ونهرو ، اللذين ضرب بهما مثلا لزعماء اتصفوا فى علاقتهم بشعوبهم بصفة **الكاريزما** ، كانا يسمحان للشعب بأن يفكر ، وظهرت فى عهدهما معارضة شديدة القوة ، أطاحت بحكم الاول ــ بطريقة ديمقراطية ــ وكادت أن تطيح بحكم الثانى ، أما الكاريزما الناصرية فكانت من النوع الذى يلغى التفكير المستقل ويقضى على كل معارضة . فهل يصح أن نجمع النوعين فى فئة واحدة ؟ وهل يرحب السيد وجيه فعلا بعزوف الناس عن التفكير لان هناك من يفكر بدلا منهم ؟

على أن أعجب مظاهر التعالم ، والعدوان على الغير ، هو أن ينصحنى السيد وجيه باعادة قراءة ما يفترض أننى نسيته ، مما كتبت عن الشخصية المصرية فى مجلة كنت رئيس تحريرها . فقد جاء فى هذه المجلة أن صفات السلبية والنفاق ، التى أعيبها على التجربة الناصرية ، كانت جزءا لا يتجزأ من شخصية الانسان المصرى على مر التاريخ . فهل يتصور ناقدى العزيز أننى مقصر فى قراءاتى الى هذا الحد ؟ واذا كانت هذه الصفات جزءا لا يتجزأ من شخصية الانسان المصرى ، ألم يكن من واجب التجربة الثورية أن تقضى عليها ، لا أن تزيدها أضعافا مضاعفة ؟ وكيف تكون تلك تجربة ثورية اذن ، ان لم تفعل ذلك ؟ لقد كانت السلبية جزءا لا يتجزأ من صفات الشعب الصينى ، وكانت المجاعة التى تقضى كل عام على الملايين جزءا لا يتجزأ من تاريخه ، وكان الافيون جزءا لا يتجزأ من مزاجه ، وكان الذباب جزءا لا يتجزأ من بيئته الطبيعية ، وكانت الامية جزءا لا يتجزأ من تكوينه العقلى . ومع ذلك قضت الثورة على هذا كله ، وفى فترة لا تزيد كثيرا عن فترة التجربة الناصرية ، ومع شعب يزيد تعداده ثلاثين ضعفا عن شعب مصر . فهل كان شبان الصين يفكرون خلال ذلك بنفس المنطق المتخاذل الذى يرى فى الصفات الكامنة فى الشعب عذرا ومبررا لفشل تجربة طويلة فى الحكم ؟ .

ويزداد العجب حين ينصحنى السيد وجيه بأن أقرأ كتابا أجنبيا لكى أفهم حقائق السياسية المصرية . وأى كتاب أجنبى ؟ أمريكى ! .. وبعبارة أخرى فان السيد وجيه ، الذى أساء فهم معظم اجزاء دراستى المكتوبة بأسلوب عربى شديد الوضوح ، يطالب أستاذا مصريا كان يقرأ ، ويفهم جيدا مايقرأ ، من قبل أن يولد هو ، بأن يرجع الى أستاذ لا يزيد عنه فى شىء سوى أنه أمريكى ، اذا أراد أن يفهم ظاهرة يعايشها المصرى المثقف كل لحظة فى بلده الذى ولد فيه ويتكلم لغته ، وهى ظاهرة الثقافة

السياسية المصرية .. والمطلوب منى أن أصدق هذا المرجع أكثر مما أصدق ما أراه وألمسه وأفكر فيه فى كل لحظة من حياتى .

اليس من العار أن تصل اصابة شبابنا « بعقدة الخواجة » الى هذا الحد ؟

كلمة أخيرة ، مخلصة ، أود أن أوجهها الى السيد وجيه : اذا أردت ، بوصفك باحثا بمركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام ، أن تسدد ديونك ، فهناك طرق كثيرة لهذا السداد ، ولكنى أنصحك بألا تجعل من بين هذه الطرق ، التطاول والاستعلاء على أولئك الذين علموك وأسهموا فى تكوين عقلك .

الرد الثانى على مقال الدكتور صفوت عثمان

طرح خاطىء لعلاقة اليسار بعبدالناصر

كان محور مقال الدكتور صفوت عثمان ، وعنوانه « طرح خاطىء لعلاقة اليسار بعبد الناصر » هو عبارة وردت فى دراستى المذكورة قلت فيها ان عبد الناصر لم يتحول تجاه اليسار ، وانما حول اليسار تجاهه . وقد استخلص الناقد من هذه العبارة سلسلة من النتائج التى أدهشتنى كل الدهشة (مع تقديرى لسعيه الى الموضوعية فى المناقشة) ، فهى تدل فى رأيه على أن نظرتى ذاتية ، وعلى اننى أتصور علاقات القوى السياسية كما لو كانت تخضع لقرار يصدره الحاكم الفرد لكى يحول الناس تجاهه بالوعد أو الوعيد ، وبالتالى أن نظرتى الى التاريخ فردية .

وفى اعتقادى أن تفسير عبارتى المذكورة على هذا النحو فيه تعسف شديد : لان المقصود بها ليس عبد الناصر من حيث هو فرد أو حاكم ، بل من حيث هو نظام « وتجربة » كاملة فى الحكم . وكل ما ورد فى مقال الكاتب استنتاجا من ذلك هو أمور شاء الكاتب نفسه أن ينسبها الى حتى يدعم وجهة نظره الخاصة ، ولكننى — ببساطة — لا أعترف بها .

وانه ليسعدنى أن أحيل الدكتور صفوت عثمان الى كتاب لى بعنوان « الانسان والحضارة فى العصر الصناعى » [الناشر : مركز كتب الشرق الاوسط] ليجد مناقشة مفصلة للاراء المختلفة فى تفسير التاريخ ، وسوف يتبين له عند قراءة هذا الكتاب اننى منذ ما يقرب من عشرين سنة لم أكن على الاطلاق من أنصار التفسير الفردى للتاريخ . ومن ثم فان الدكتور صفوت قد تسرع فى استخلاص هذه النتيجة مما كتبت .

والمسألة فى رأيى هى أن من الممكن ، ظاهريا ، القول بأن التجربة الناصرية تحولت الى اليسار ، نتيجة لمجموعة الاجراءات التى اتخذتها من عام ١٩٦١ الى عام ١٩٦٤ . ولكن من الممكن — من وجهة نظر اعمق — القول ان السمة الرئيسية لهذه التجربة ، اعنى تلك السمة التى تميزت بها جميع تصرفاتها وتقلباتها السياسية والاجتماعية منذ بدايتها حتى نهايتها ، هى حرصها على المحافظة على نفسها كجهاز حاكم مسيطر . وفى سبيل هذه الغاية القصوى يمكن أن يكون اضطهاد اليسار ، فى ظروف معينة ، اجراء مفيدا ، ويمكن أن يكون احتضان اليسار واتخاذ اجراءات لها صبغة اشتراكية ، فى ظروف اخرى ، وسيلة نافعة للوصول الى نفس الهدف ، بحيث تحقق التجربة غايتها من خلال احتضان اليسار ، دون أن تحقق الاهداف الحقيقية لليسار .

ولكن لماذا أصبح احتضان اليسار ، فى مرحلة ما بعد ١٩٦١ ، هو الوسيلة المثلى لبلوغ الهدف الاساسى للتجربة الناصرية ، وهو محافظة الجهاز الحاكم على نفسه واستمراره فى الحكم بكل

الطرق الممكنة : الرد فى رأيى يكمن فى تجربة الوحدة ثم الانفصال مع سوريا : اذ ان الرأسمالية السورية التى ظلت طويلا هى المسيطرة على الحكومات المتعاقبة فى سوريا بصورة مباشرة او من وراء الستار قد رحبت فى البداية بالوحدة مع مصر ، أملا منها فى إيقاف المد اليسارى الذى كان زاحفا على سوريا بقوة فى ذلك الحين . وعندما اتضح أن السلطة الحاكمة الجديدة لها اهدافها الخاصة، ولها مصالحها التى تتعارض مع مصالح الرأسمالية السورية، أعلنت هذه الرأسمالية الحرب عليها ، وجندت كل قواها حتى تمكنت من تحقيق الانفصال .

وهنا أود أن أنبه الى حقيقة أعتقد أنها اساسية فى هذا الصدد ، تلك هى ان حركة الانفصال فى سوريا كانت اول صدمه ، واول فشل حقيقى تصاب به التجربة الناصرية منذ بداية عهدها . فقد ظل الخط البيانى لهذه التجربة صاعدا ، منذ عام ١٩٥٥ بوجه خاص ، حتى بلغ قمته فى عام ١٩٥٨ عند قيام الوحدة مع سوريا ثم سقوط حكم نورى السعيد فى العراق. كانت تلك هى النقطة العليا التى وصلت اليها التجربة الناصرية ، ووقفت عندها ثلاث سنوات من ١٩٥٨ الى ١٩٦١ ، ثم بدأ هذا الخط البيانى فى الهبوط بشدة فى عام ١٩٦١ ، بحدوث الانفصال ، وبعده مباشرة حرب اليمن ، وانتهى الى أدنى درجاته فى ٥ يونيو ١٩٦٧ .

من كان عام الانفصال عام تحول حاسم فى تاريخ التجربة الناصرية كلها . وكان دور الرأسماليه السورية، كقوة اقتصادية قادره على مناواة الجهاز الحاكم بما تكفله لها قوة المال من سيطرة على المرافق وعلى الناس ، دورا حاسما. وكان الانفصال هو النكسة الاولى لتلك التجربة التى كان الخامس من يونيو هو نكستها ، أو نكبتها ، الاخيرة . وكانت هذه النكسة الاولى سببا فى تفتح الاذهان لتاثير عامل لم يكن يلقى من قبل اهتماما رئيسيا : هو العامل الاقتصادى ، الذى أثبت أنه يستطيع أن يناوىء التجربة مناواة حقيقية .

ومن جهة أخرى كانت الرأسمالية المحلية فى مصر تتحفز ــ وقد انعشتها ضربة الانفصال ــ للقيام بدور مماثل فى الداخل . وحتى لو لم تكن قد نظمت صفوفها تنظيما تاما ، فقد اصبح هناك وعى واضح بأن القوة الاقتصادية يمكن أن تكون ذات تأثير بالغ فى زعزعة اركان النظام القائم .

ومن هنا كان لابد ــ لاستمرار بقاء هذا النظام ــ من شل سيطرة الرأسمالية المحلية ونزع القوة الاقتصادية لكى تصبح وسيلة رئيسية يستخدمها الجهاز الحاكم فى احكام قبضته .

وفى رأيى أن هذه الظروف، وليس الرغبة فى احداث تحول اجتماعى داخلى لصالح الطبقات الكادحة، هى التى أدت الى صدور قرارات التأميم المتعاقبة .

وأنا اعرف مقدما الاعتراض الذى سيوجه الى هذا الراى ، ولكى اعرف ايضا كيف أرد عليه :

فسيقول بعض النقاد: انك قد اعترفت بما نريد نحن اثباته، وهو أن التجربة الناصرية دخلت فى صراع مع الراسمالية فى مصر وسوريا.

وردى على ذلك هو اننى لم اقل فى وقت من الاوقات | واتحدى من يثبت لى عكس ذلك | ان التجربة الناصريه يمينية الاتجاه او رأسمالية الطابع . فمن المؤكد انها وجهت الى القوى الرأسمالية ضربات موجعة ، ولكن السمة المميزة لها هى ان هذه الضربات كانت تستهدف صالح الجهاز الحاكم نفسه ، من أجل ضمان بقائه واحكام سيطرته على جميع مرافق الدولة ، وضمنها المرفق الاقتصادى الذى اثبتت نكسة الانفصال أهميته وخطورته .

وهناك ادلة كثيرة اراها مؤيدة لهذا التفسير ، من أهمها :

١ ــ نوعية العناصر البشرية التى عهدت اليها التجربه الناصرية بوضع « القرارات الاشتراكية » موضع التنفيذ . فلم تكن معظم هذه العناصر تدين بالولاء الا لجهاز الحكم نفسه ، لا لمبدأ الاشتراكية ، ولم تتحمس للاشتراكية الا لانها هى الاتجاه الذى أصبح هذا الجهاز يدعو اليه . بل ان كثيرا من هذه العناصر كانت هى ذاتها التى اشرفت من قبل على تطبيق « الاشتراكية التعاونية » ، وعلى تنظيمى « هيئة التحرير» و«الاتحاد القومى» ــ رغم الاختلاف الكبير بين اهداف هذه التنظيمات واهداف التنظيم القائم بعد ١٩٦١ . وهذا ما يعلل تلك الظاهرة الفريدة التى ستظل حقيقة واقعة حتى لو كان اليمين يستغلها ويرددها ليل نهار : وأعنى بها ان السائر فى احياء القاهرة والاسكندرية كان يستطيع أن يرى بعينيه القصور الباذخة ، التى تتجاوز نطاق العيش المريح لكى تصل الى حد السلب والنهب ،والتى كان يعيش فيها أقطاب الاشتراكية والمشرفون على تنفيذها ، وكان

يستطيع ان يلمس فى كل لحظة مظاهر السلوك غير الاشتراكى الذى يتبعه اكــبر المسئولين عن الاشتراكية كمبدأ وعقيدة ، وعن تطبيقها كسلوك وممارسة .

وليسمح لى القارىء بأن اروى له قصة بسيطة كنت طرفا فيها ، ولدى عليها شــاهد من أسرة « مركز الدراسات الاستراتيجية » بالاهرام . فقد دعيت ذات يوم ومعى الصديق الاســتاذ سيد ياسين ، رئيس وحدة البحوث الاجتمــاعية بالمركز ، الى مكتب الرئيس الاعلى للمعهــد الاشتراكى، الذى كان فى الوقت نفسه عضوا فى اللجنه التنفيذية العليا وواحدا من أكبر أقطاب الدولة فى ذلك الحين، وكان مطلوبا منى ان ألقى محاضرات فى المعهد الاشتراكى [وقد اعتذرت عن تلبية هذا الطلب ، لنفس الاسباب التى اكتب من اجلها هذه المقالات] . والمهم فى الامر أن هذا القطب الكبير طلب اثناء الجلسة رقما تليفونيا ، وتكلم مع موظف كبير فى الدولة ، طــــالبا منه استثناء واحد من « بلدياته » من شرط امتحان مسابقة للتعيين فى وظيفة ما ، وكان واضحا أن الطرف الاخر فى المحادثة التليفونية قد استجاب فى الحال . ولم يكن طلب الاستثناء هو مصدر العجب الوحيد ، بل كان الاعجب منه أن يسلك أكبر مسئول عن الايديولوجية الاشتراكية سلوكا بعيدا عن الاشتراكية الى هذا الحد ، أمام اثنين من المشتغلين بالعلم يراهما لاول مرة . ويريد اقناعهما بالتدريس فى المعهد الاشتراكى ، دون أن يدرك وجود أى تناقض بين سلوكه وبين الطلب الذى يطلبه ، أو بين سلوكه وموقعه فى المجتمع .

هذه ، كما قلت ، حادثة فردية ، وأنا أعلم جيدا أن ذكر الحوادث الفردية ليس أفضل وسيلة لمناقشة مشكلة عامة ، ولكنى أسوقها لما لها من دلالة على نمط من السلوك لابد أن يكون كل منا قد لمس آثاره فى لحظة أو أخرى خلال عهد التجربة الناصرية .

فاذا تذكرنا أن لينين نفسه كان هو القائل « لا اشتراكية بلا اشتراكيين » ، أمكننا أن نــدرك التناقض الاساسى فى تلك الاشتراكية التى كان مفروضا أنها ستشيد على أيدى هذه العناصر ، وتبين لنا أن أى اتجاه نحو الاشتراكية يتسم بأى قدر من الجدية لا يمكن أن يترك مهمة وضــع دعائمها النظرية وتطبيقاتهــا العمليــة فى أيدى نوعيات من البشر هى أبعد ما تكون عــن الاشتراكية فكرا وسلوكا.

على أن هذا التناقض يختفى، ويصــبح كل شىء مفهوما ، فى ضوء التفسير الذى نقول به ، وهو أن الهدف من القرارات الاشــتراكية كان زيادة قبضة النظام احكاما ، وليس احداث تحول اجتماعى حقيقى .

٢ ـ لم يصحب صدور القرارات الاشتراكية أى اتجاه جاد نحو الغاء مزايا « الطبقــة الجديدة» وتحقيق انتفاع أصحاب الدخول الدنيا من مزايا الاشتراكية، بل ان المزايا التى تحصل عليها تلك الطبقــة الجديدة كانت تتضــاعف، وبأوامر ومراسيم رسمية ، على حســاب العمال والفلاحين وصغار الموظفين الذين كانت القــوة الشرائية لدخلهم المحدود تتناقص باستمرار . وانى لادعو هواة الاحصــاء الى أن يحســبوا النسبة بين أعلى مرتب وادنى مرتب فــى الحــكومة ، فى عهــد التجــربة النــاصرية، ويقارنوها بنظيرتهــــا فى الــولايات المتحــدة الامريكية ، قلعة الرأسمالية الكبرى ، وسيجدون أن النسبة الاولى أكبر .

٣ ـ كانت هناك حرب شعواء تشن على أى اتجاه يسارى خارج عن نطاق السيطرة فى أى بلد عربى آخر . وقد ضربت لذلك مثلا بما حدث فى العــراق عند نهاية حكم عبد الكريم قــاسم [راجع مقالنا فى روزاليوسف فى عدد ٧ ــ ٧ ــ ٧٥] ، حيث كانت امكانات الدولة كلها فى مصر مجندة للقضاء على الاتجاه اليسارى الذى كان قد اكتسب قوة ضخمة فى العراق فى ذلــك الحين .

ولست ارمى من ذلك الى الدفاع عن موقف عبد الكريم قاسم ، الذى كان بالفعل ألعوبة فى ايدى قوى خارجية ،ولكنى اود فقط ان اشير الى التناقض الصارخ بين هذه الحقيقة وبين الاعتقاد بأنه قد حدث نتيجة لقرارات ١٩٦١ ، تحــــول حقيقى نحو اليسار ، وتغيير اجتماعى نحــو الاشتراكية . أما فى ضوء التفسير الذى اقول به ، وهو السعى الى احكام سيطرة جهاز الدولة على القطاع الاقتصادى منعا لتكرار نكسة الانفصـــــال فى مصر، فان كل شىء يصــبح واضحا، ولا يعود هناك أى تناقض .

هذه بعض العوامل التى ترجح ، فى رأيى ، أن تكون القرارات التى صــدرت منذ عــام ١٩٦١، مستهدفة ، فى المحل الاول ، ضرب كل قوة تهدد استمرار النظام فى الحكم ، قبل أن تســتهدف احداث تغيير اجتماعى لصــالح الطبقــات الكادحة . ولعلنى اكون بذلك قد قدمت ايضاحا كافيا لطبيعة العلاقة بين التجربة النــاصرية واليسار بعد عام ١٩٦١ ، وهى المسألة التى تركز عليها نقد الدكتور صفوت عثمان .

● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ●

الرد الثالث على مقـال الاسـتاذ ابو سـيف يوسف

ضرب اليســار
من اليســـار

ولانتقل الان الى المقال الطويل الـذى كتبـه الاستاذ أبو سيف يوسف بعنوان[ضرب اليسار من « اليسار » — محاولة لدراسة حالة د .فؤاد زكريا] . وسوف اتجنب فى تعقيبى على هـذا المقال كل النقاط التى سبق لى الرد عليها فى مقالاتى الاخرى، سواء منها ما ظهر فى هذا العدد أو فى عددى « روزاليوسف » بتاريخ ٧ و١٤ يوليو ١٩٧٥ .

ولعل القارىء قد لاحظ أن الاستاذ أبو سيف تحدث عنى فى العنوان الفـرعى لمقـاله باعتبارى « حالة ». وأرجو ألا يكون قد استخدم هذا اللفظ بالمعنى الطبـى أو النفسى ، أى بمعنى « الحالة المرضية » او « غيـر السوية ». وعلى أية حال فربما أتاح لنا هذا الرد أن نكتشف شيئا عن « حالة » الاستاذ ابو سيف نفسه .

بعـد مقدمة طويلة عـن التكـوين الفكرى للبرجوازية الصغيرة، التى يدرجنى الاستاذ أبو سيف فيها، يبدأ فى دراسة فكرى ، فيعتمد على جملـة واحـدة مـن مقـدمة كتـابى عن « نيتشـه »—الذى كان أول ما كتبتـ لكى يستنتج انى أدافع عن العقل واللاعقل معا، ومن ثم فان تفكيرى يتمثل فيه تناقض البرجوازية الصغيرة .

فما هى هذه الجملة الخطيرة التى أصدر من أجلها هذا الحكم الحاسم ؟؟ لقـد قلت : « ان الحملة على العقل كانت فى وقت ما مظهـرا مـن مظاهر التحرر الفكرى، بل من مظاهر تكريس هذا الفكر من أجل تقدم الانسانية ». ودون بذل أى مجهود فى قراءة كتاب قاربت صـفحاته المائتين، يستشهد الاستاذ ابو سيف بهذه الجملة الوحيدة لكى يصدر حكما متسرعا على كتاب تنطق كل صفحة فيه باحترام العقل وينتهى كل فصل فيه بنقد شديد لنيتشة لانه كان من انبـار اللامعقول. وهكذا يتم الحكم على الاعمال التى يسهر الناس فيها الليالى من خلال جملة واحدة، وياليتها قد فهمت جيدا !

فمن المعروف، فى تاريخ الفكر الانسانى، أن العقل فى العصور القديمة والوسطى كان مبنيا على منطق صورى يجرد الواقع من مضمونه، وعلى مقولات شكلية يتعامل معها المفكر كما لو كانت بديلا عن العالم الذى تعبر عنه . بهذا المعنى كان العقل قوة مضادة للتقدم ، وبهذا المعنى كان الهجوم على العقل الشكلى والمنطق الصورى — لا عند نيتشه فحسب، بل عنـد مجموعة كبيرة مـن المفكرين، منهـم هيجـل وماركس — مظهرا من مظاهر التحرر الفكرى . هذا هـو معنى الجملة اليتيمـة التـى حكمت بواسطتهاـ ياأبا سيف — على كتاب كامل لم تكلف نفسك الا عناء قراءة سريعة لمقدمته ، لان حسن ظنى بفهمك يجعلنى واثقا من أنك لو كنت قراته كله لامنت بأن ابرز صـفاته هى مهـاجمة اللامعقول فى كل صوره .

وعلى نفس النحو يلتقط الاستاذ أبو سيف جملتين متناثرتين من كتاب« نظرية المعـرفة والموقف الطبيعى» لكى يستنتج أننى ، فى الكتاب الذى خصصته لمهاجمة المثالية ، كنت فى الواقع أتبنى قضايا مثالية . ولن أرد على هذا الاتهام الا باحالة الاستاذ أبو سيف الى ما قاله عن الكتاب نفسه ، وعن مؤلفه ، مفكر يسارى آخر ، هو الاسـتاذ محمـود العـالم فـى كتـابه الاخير« الانسان موقف » .

وقد ادهشنى ان يستنتج الاستاذ ابو سيف من قيامى بترجمة كتاب لاحد اقطاب الوضـعية المنطقية، هو « هانز ريشنباخ » ، اننى ادافع عن الوضعية المنطقية . وحسبى أن اقول فى هذا الصدد أن الاستطراد الطويل الذى قدمه عن تأثير الوضعية المنطقية فى أسلوب عمل التجـربة الناصرية لا يعنينى فى شىء، لاننى ترجمت هذا الكتاب حتى اضع بين يدى القارىء نصـا مـن النصوص الاصلية المتعلقة بمذهب فلسفى دار حوله فى صحافتنا وفى أوساطنا الفكرية جدل كثير ، ولم اترجمه لاننى اومن باتجاهه .

ولو كان الاستاذ أبو سيف قد قـرأ كتاب«نظرية المعـرفة» بتعمق ومـوضوعيـة،

ودون فكرة مسبقة تستهدف البحث عن وسيلة للتجريح بأى ثمن، لوجد ان المثالية المفرطة التى تتعرض لها الوضعية المنطقية نتيجة لانكارها وجود العالم الفيزيائى او تشكيكها فيه كانت على راس الاتجاهات التى وجهت اليها فى هذا الكتاب نقدا قل أن يظهر فى العربية ما هو أعنف منه .

انه لشىء مؤسف حقا ان يتناول الاستاذ ابو سيف كتبا كاملة بالتعليق من خلال قراءات متسرعة لصفحات قليلة ، وليته يقرأ بذهن متفتح ، بل انه يقرأ بذهن أصدر الحكم بالادانة مقدما، وكل هدفه من القراءة هو البحث عن حيثيات ومبررات لهذا الحكم . ومن الطبيعى ان يؤدى به منهجه هذا الى أن ينسب الى نفس الصفات التى يعتبرها كل قارىء موضوعى لكتاباتى بعيدة كل البعد عن اتجاهى الفكرى . فلو كان لتفكيرى سمة مميزة ، فتلك هى الدفاع عن العقل والهجوم على المثالية الفلسفية بكل أشكالها ، ولكن « عين السخط » التى يقرأ بها الاستاذ أبو سيف لابد أن تخفى عنه هذه الحقائق .

● ● ●

ولهذا الفهم السىء الذى وقع فيه الاستاذ أبوسيف سببان : احدهما موضوعى ، والاخر ذاتى . وسأحاول أن أشرح كلا من هذين السببين على حدة .

اولا :اما السبب الموضوعى ، فهو ان الاستاذ أبو سيف يحاول أن يفسر تفكيرى من خلال ما يصفه بأنه الموقف الفكرى المتناقض للبورجوازية الصغيرة . وليسمح لى الاخ أبو سيف بأن أقول له ، دون خجل من نفسى ، بأننى اجد هذا التفسير غير مفهوم ، وغير مقنع ، رغم ادراكى التام لانتشاره فى كثير من الكتابات الماركسية .

ذلك لان تفسير فكر شخص ما على أساس انتمائه الى البورجوازية الصغيرة يمكن أن يعنى احد أمرين:

اما أن هذا الشخص ينتمى ، من حيث وضعه الطبقى ، الى البورجوازية الصغيرة ،

واما أنه ينتمى اليها فكريا ، أى أنه يعبر عن اتجاهاتها ومصالحها فى كتاباته.

والامران لا يتفقان بالضرورة ، لان الانتماء الى طبقة ما ، بحكم الاصل أو الوضع الاجتماعى والاقتصادى ، لا يعنى بالضرورة الدفاع عن فكرها ، بدليل اننا نجد مدافعين عن مصالح الطبقة العاملة من بين المنتمين الى البورجوازية الصغيرة ، وأحيانا الكبيرة ، كما أننا نجد أحيانا من أبناء الطبقة العاملة من يدافعون عن المصالح البورجوازية .

فأى الامرين يقصد الاستاذ أبو سيف من تلك الصفحات الطويلة التى حاول فيها أن يفسر تفكيرى من خلال السمات « المتناقضة » لتفكير البورجوازية الصغيرة ؟

١ — اذا كان يقصد أننى ، بحكم وضعى الاجتماعى ، والمهنى ، والعائلى ، أنتمى الى فئة البورجوازية الصغيرة ، فلا بأس من ذلك . وكل ما فى الامر انه سيكون من الضرورى فى هذه الحالة وضع توفيق الحكيم ونجيب محفوظ وحسين فوزى وزكى نجيب محمود وعثمان أمين فى هذه الفئة نفسها ، بل لابد أن يوضع فيها كارل ماركس نفسه ، وكذلك أبو سيف يوسف ذاته ، لانه — بقدر ما أعرف عنه ، وهو قليل — ليس من أصحاب المصانع ، ولا من الاقطاعيين، ولا من العمال أو الفلاحين.

فاذا رضيت، ياأخ أبا سيف ، أن تكون أنت نفسك ، ومعك كل هذه الاسماء اللامعة ، من بين أولئك الذين يتسم تفكيرهم بتناقض البورجوازية الصغيرة وتذبذبها ، فسأكون بدورى راضيا بذلك ، وكفانى شرفا أن أكون بصحبتك !

على أنه سوف يتعين عليك فى هذه الحالة ألا توجه الى مثل هذا النقد ، لانتفكيرك يتسمبنفس النوع من التناقض ، ولابد لكى يكون المرء على وعى بهذا التناقض ان يكون خارجا عنه ، لا ان يكون — بحكم انتمائه الطبقى — غارقا فيه.

ومن جهة أخرى، فما قيمة هذه الاشارة العامة الى تناقض البورجوازية الصغيرة، اذا كان أقصى ما تصل اليه هو أن تضع مفكرين بينهم كل هذا القدر من الاختلاف ، فى زكيبة واحدة ؟؟ وهل يكون المرء قد اتى بشىء جديد ، أو مفيد ، اذا قدم تفسيرا تغيب فيه كل السمات المميزة لكل واحد من هؤلاء ، ولا يتضمن الاأنهم جميعا«بورجوازيين صغار»؟ كان يجب أن تضيف أنهم جميعا « يلبسون البنطلونات » !

٢ ـ والاحتمال الاخر هو انك تقصد اننى بورجوازى صغير، لا بسبب وضعى الطبقى ، بل لان الفئة التى ادافع عن مصالحها ، فى تفكيرى وفى كتاباتى ، هى البورجوازية الصغيرة . ولكن ، لعلك تعترف معى بأن المعيار سيصبح فى هذه الحالة نسبيا الى أبعد حد: اذ أننى أستطيع ان أؤكد ان تفكيرى هو الذى يخدم مصالح الطبقة العاملة فى المدى الطويل ، وأستطيع ان آتى بمئات الحجج التىتثبت صحة رأيى ، بل اننى قد اذهب الى حد القول بأن كثيرا من أولئك الذين يتصورون أنفسهم مدافعين عن حقوق الطبقة

العاملة ، يؤدي تفكيرهم — موضوعيا — الى الاضرار بمصالحها. ومثل هذا النزاع يصعب ان يبت فيه على نحو حاسم .

ومن جهة اخرى ، فان هذا المعنى الشائع لعبارتك يثير مشكلة فلسفية سأحاول ان اشرحها شرحا مبسطا : فالمفروض أن وصف نفكير أى مفكر بأنه يتسم بسمات البورجوازية الصغيرة ، انما هو وسيلة لفهم هذا التفكير والقاء الضوء عليه . ولكن حين يكون أساس هذا الحكم هو محتوى هذا التفكير ومضمونه ، وليس الوضع الطبقي لصاحبه ، فعندئذ يكون من الضرورى ، قبل أن نصدر حكما بانتماء المفكر الى فئة البورجوازية الصغيرة، أن نكون قد تعمقنا في مضمون فكره وعرفنا كل خصائصه وألقينا عليه ضوءا واضحا ، حتى نستطيع أن نقول عن ثقة انه يخدم هذه الطبقة بالذات ، وليس أية طبقة أخرى .

وهنا نجد أنفسنا ندور فى حلقة مفرغة ، ونقع فيما يسمى — بلغة المنطق — باسم الدور: اذ أن تصنيف المفكر ضمن فئة البورجوازية الصغيرة هو وسيلة لفهم فكره، ولكن لكى يصبح هذا التصنيف ممكنا فلابد أن يكون تفكيره قد فهم من قبل . أى أن مثل هذا التصنيف لا يفيد فى شيء ، لانه يفترض مقدما ما هو بسبيل البحث عنه .

لهذه الاسباب كلها، أجد نفسى مضطرا الى الاستهانة بقيمة كل ما قاله الاستاذ ابوسيف فى صدد الربط بين تفكيرى وبين السمات الفكرية للبورجوازية الصغيرة ، ولا أجد مفرا من القول بان هذه الكليشيهات المالوفة لا تستطيع ان تقدم شيئا مفيدا فى تفسير آراء المفكرين .

●●●

ثانيا : على أن هناك ، الى جانب هذا التفسير الموضوعى لموقف الاستاذ أبو سيف يوسف ، **تفسيرا آخر ذاتيا** كان يفرض نفسه على ، وعلى الكثيرين غيرى ، كلما قرأنا شيئا مما كتبه فى هذا الموضوع . هذا التفسير هو ان مقالاتى قد أثارت فى الناقد العزيز كوامن شخصية ، ومست لديه نقطةبالغة الحساسية ، مما جعلهعاجزا عن التزام الموضوعية — التى هي ألزم صفات المفكر التقدمي — ازائى، وساعيا بكل الوسائل ، المشروعة وغير المشروعة ، الى تجريحى ، بعد ان أغمض عينيه عن كل شيء سوى الرغبة فى الانتقام .

وقد يبدو هذا الاسلوب الذى استخدمه ذاتيا ، ولكن الظاهرة التى أحاول أن أشرحها هي نفسها شديدة الذاتية ، وللقارىء أن يحكم بما يرى بعد أن يستمع الى وجهة نظرى .

فقد هاجمنى الاستاذ أبو سيف على صفحات « روز اليوسف » مرتكزا فى هجومه على مقالين ظهرا عام ١٩٧٠ فى مجلة « الفكر المعاصر » ، أحدهما أكد أننى كاتبه ، مع أن الذى كتبه هو الزميل الدكتور عبد الغفار مكاوى ، الذى كان عضوا فى هيئة تحرير المجلة ، والاخر ظهر فى عدد مخصص لرثاء عبد الناصر بعد وفاته مباشرة ، وأساء الاستاذ أبو سيف تفسير أجزاء كثيرة منه ، كما أوضحت فى ردى المنشور فى عدد ٧ يولية من مجلة روز اليوسف .

ولقد كان واضحا ، فى نقد الاستاذ ابو سيف هذا ، ان هناك سعيا محموما الى تصيد شيء غير موجود ، ومحاولة متكلفة للعثور على أى شيء يمكن أن يدعم به قضية هى من الاصل خاسرة ، واعنى بها اننى كنت فى وقت ما ادافع عن التجربة الناصرية التى أهاجمها الان . وفى تصورى أن تجاهل كل ما كتبته فى مجلة الفكر المعاصر ، والاقتصار على مقالين احدهما ليس لى فيه حرفواحد ، والاخر ظهر فى مناسبة خاصة ، واسىء تأويله — فى تصورى ان هذا الاسلوب فى الكتابة لا ينم عن طريقة موضوعية ، ولا عن طريقة تقدمية ، فى التفكير ، لان الكاتب التقدمي يعترف بالحق حتى ولو كان ضد ميوله الخاصة ، ولا يتجاهل الامور الواضحة محاولا ارغام الظواهر قسرا على أن تتبع المسار الذى يرضى مشاعره الشخصية .

ولابد ان تتأكد هذه الفكرة لدى القارىء حين يقرأ المقال الاخير للاستاذ أبو سيف فى « الطليعة». فلو افترضنا جدلا أن كل ما يقوله الاستاذ أبو سيف فى هذا المقال صحيح، وأننى بالفعل مفكر يشيع فيما يكتبه كل ما تتسم به البورجوازية الصغيرة من تناقض — فان هذا لا يبرر على الاطلاق ذلك الاسلوب المرير الذى استخدمه ضدى الاستاذ أبو سيف . فهناك عدد كبير من ألمع مفكرى وأدباء العلماء كانوا ، حسب التصنيف الماركسى ، من البرجوازية الصغيرة ، وكانوا مع ذلك يلقون كل احترام حتى من جانب شراحهم الماركسيين ، اذ أن استبعاد من ينتمون الى هذه الطبقة سيضيق نطاق الفكر والادب الى أبعد حد . وانا لنعلم جميعا كيف يعتز الاتحاد السوفيتى بكتابه فى القرن التاسع عشر ، الذين كان معظمهم من البورجوازية الصغيرة .

ومن ناحية اخرى فقد ادهشنى أن ينضم الاستاذ ابو سيف الى جوقة الساخرين من « استاذ الفلسفة » الذى يتجاسر ويناقش مثل هذه المسائل السياسية والاجتماعية . ولست أدرى كيف استطيع ارضاء هذه الجوقة : اذ اننى لو

كنت أقتصر فى أعمالى على المسائل الفلسفية المجردة ، وادعو الى ابتعاد أساتذة الفلسفة عن السياسة ، لهوجمت منهم بعنف أشد . وعلى أية حال فانى لا أود أن أطيل المناقشة فى هذه النقطة بالذات ، لانى أشعر بأن اليوم الذى تضطر فيه الفلسفة الى الدفاع عن حقها فى مناقشة المشكلات الحيوية للمجتمع، ويضطر فيه أساتذتها [الذين كان من أشهرهم هيجل !] الى تقديم تبرير لاستخدامهم تفكيرهم ومنطقهم فى مجال السياسة — مثل هذا اليوم سيكون يوما مشئوما فى تاريخ الثقافة المصرية ، لا سيما اذا كان هذا الدفاع والتبرير موجها ضد هجمات أناس يصفون أنفسهم بالتقدمية .

وأخيرا ، فقد استخدم الاستاذ ابو سيف فى الكلام عنى تعبيرات تدخل فى باب الشتائم ، أذكر منها : « يتميز أسلوبه بزئبقية عجيبة .. منافية لكل ثقافة فلسفية ، بل منافية لابسط التقاليد الاكاديمية » — «المهاترات ....» — « السخف». — «ويصل الدكتور الى وضع غاية فى الهبوط ...» .

واكاد اجزم بأن الاستاذ أبو سيف لم يصل الى مثل هذا العنف فى اللهجة عندما كان يتحدث عن الاخوين أمين او صالح جودت . وعلى أية حال فان استخدام الشتائم يدل ، كما هو معروف ، على ضعف الموقف الفكرى لمن يستخدمها .

وكل ما استطيع ان اقوله هنا هو ان الاستاذ أبو سيف يوجه هذه العبارات الى أستاذ كانت له مواقف عديدة يمنعه خلقه من أن يسردها على القراء ، ولكنها كانت تسير كلها فى طريق الدفاع عن كرامة المفكر والاستاذ الجامعى فى وقت اذل فيه الحرص على الاطماع والمناصب اعناق الكثيرين فى الوسط الجامعى بالذات . ويوم يعرف الاستاذ ابو سيف هذه المواقف ، او يسال عنها ، فسوف يندم على ما كتب .

لذلك اود ان انصح الاستاذ ابا سيف — بأدب شديد — بأن يتروى قليلا قبل ان يكتب ، وبأن يفصل بين مشاعره الخاصة وما يخطه على الورق ، وبأن يرعى أمانة القلم فيسأل جيدا عن الناس قبل أن يسبهم ، وبأن يتحكم فى أعصابه اذا تعرض احد فى كتابته لمسألة يعدها هو ذاته مسألة حساسة .

هذا هو تشخيصى للعنصر الذاتى فى الاستاذ أبو سيف ، وللقارىء أن يحكم ، بعد هذا التشخيص، من هو حقا الجدير بأن يكون «حالة » تستحق الدراسة .

رسالة من جندى مؤهلات الى الدكتور فؤاد زكريا

ليس بالمحاول وحدها يقيم تاريخ الأمم

أحمد عبدالرحمن الجمال *

مما لا شك فيه أن هناك حوارا خصبا يدور الان فى المجتمع المصرى ، تشترك فيه كل شرائح المثقفين بمختلف اتجاهاتهم الفكرية التى تنعكس — بالضرورة — عن مواقعهم الطبقية التى تفرض عليهم التزاما فكريا محددا . واذا كانت محاولة تقييم تلك الفترة من عمر ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، والتى كان يقودها جمال عبد الناصر ، تعتبر جزءا من هذا الحوار ، فان ابعاد هذا الحوار لا تقف عند هذه المحاولة وفقط ، وانما تمتد لتتناول كل مكونات المجتمع المصرى اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا وفكريا .

[*] جندى مؤهلات عليا .

ومما لا شك فيه ايضا، أن المثقفين بمختلف اتجاهاتهم، لا يغيب عن بالهم، انهم ليسوا القوة الوحيدة فى هذا الحوار، وانما هناك قوى أخرى، تشارك فى الجدل الاجتماعى الدائر، وانما بوسائل تعبير تختلف فى شكلها وفى مضمونها وفى طبيعة تاثيرها على مستقبل هذا الجدل الاجتماعى عن وسائل المثقفين.

لقد امتد الجدل الاجتماعى واحتدم حول طبيعة هيكل الانتاج فى مصر، بين دعوة سافرة الى العودة لنظام الاقتصاد الحر الراسمالى، وبين حركة واضحة للتمسك بالاسلوب الاشتراكى وسيطرة الشعب على وسائل الانتاج، قوام تلك الحركة طليعة مثقفة ملتزمة، وقواعد شعبية صاحبة مصلحة، وامتد الجدل ايضا الى طبيعة النظام السياسى بين دعوة لتعدد الاحزاب بالمفهوم الليبرالى، وبين دعوة لقيام جبهة وطنية، وبين تمسك بصيغة تحالف قوى الشعب العامل المطورة.

والملاحظ أن العمود الفقرى فى هذا الحوار الاجتماعى، هو أن كل اتجاه قد اتخذ من الناصرية منطلقا ومرتكزا يدعم به رأيه، **فانصار الليبرالية** كنظام اقتصادى اجتماعى له هيكله السياسى، يرتكزون على ضرب الناصرية وتجريحها واخراجها تجربة مدانة ساقطة من تاريخ مصر. **وأنصار الاشتراكية** كنظام اقتصادى اجتماعى ايضا، يرتكزون على وضع الناصرية فى مكانها الصحيح من نضال الشعب المصرى، ويعدونها جزءا من حركة هذا الشعب تجاه التقدم، وحلقة من حلقات مسيرته نحو اقامة مجتمع العدل أو المجتمع الامثل.

على أنه اذا كان كل هذا الذى يحدث فى مجتمعنا الان، من الامور الطبيعية، والتى تشهد على صدق تواجد الفكرة ونقيضها، الا أن الامر غير الطبيعى هو تلك الظاهرة التى يمثلها الدكتور **فؤاد زكريا** أستاذ الفلسفة بجامعة عين شمس، والمعار حاليا لاحدى دول البترول. ومكمن الغرابة فى هذه الظاهرة الفؤادية، أن الدكتور قد حسب نفسه على قوة اليسار، وتكلم بمنطق اليمين، وأنه أيضا تكلم عن الموضوعية والمنهج العلمى، واغرق نفسه فى الذاتية واللامنهجية، وأنه كذلك طالما حدثنا عن ظاهرة الاغتراب وخطورتها على شعبنا، ورغم ذلك فقد كان مغتربا حتى اذنيه، وأنه فى النهاية وبحكم عمله كأستاذ للفلسفة كان مفروضا أن يكون محبا للحكمة ساعيا اليها فى أحكامه، وبالرغم من ذلك فقد كان خصما وحكما فى نفس الوقت فجانبته الحكمة وخذلها.

لقد تابعت مقالات الدكتور زكريا فى مجلة **روز اليوسف**، وتابعت مجموعة الردود عليه حتى آخر رد قرأته للاستاذ **أبو سيف يوسف**. وهناك عدة امور أود أن أوضحها فى هذا الصدد:

أولا: اننى أنتمى لجيل **ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢**، عشت الخط البيانى لهذه الثورة بارتفاعاته وانكساراته، ثم اننى فى نفس الوقت أعد نفسى من مجموعة الشباب المرتبط بالناصرية كتجربة ثورية رائدة فى العالم الثالث، وكنظرية عمل ثورية لها منطلقات ومنهج واهداف، ولها مواقف نظرية وعملية محددة فى مجالات النشاط الانسانى ككل.

كذلك فاننى أدين لهذه الثورة وكذلك الالاف من أمثالى، بكل الانجازات التى تحققت لنا بداية من مجانية التعليم، وحتى ارتداء الكاكى فى ملحمة الصراع مع الامبريالية العالمية.

وانه لو لم تكن تلك الثورة، ولو لم يكن **جمال عبد الناصر**، لكنت انا وهم اقراننا فى تفاتيش ووسايا سادة آبائنا القدامى، ولكانت مصر كلها حمى مباحا للامبريالية العالمية.

وعفوا سيدى الدكتور اذا أحسست سلفا بانتفاء الموضوعية العلمية فى حديثى، نظرا لارتباطى الواضح هذا بالناصرية وزعيمها، وقد يكون عذرى اننى سأستخدم الموضوعية الثورية - وهى من اختراعك - بدلا من الموضوعية العلمية التى تعنى التجرد والبعد عن الذاتية.

ثانيا: هناك عدة ملاحظات على التحليل، أو بالاصح، التوصيف، الذى قدمه الدكتور فؤاد زكريا عن الناصرية واليسار المصرى أوجزها فيما يلى:

١ - ان أول ما وقع فيه الدكتور كان ذلك الانفصال الواضح بين عنوان موضوعه وبين محتواه. فلقد كنا نتوقع تحليلا علميا، يتضمن دراسة الظاهرة وعوامل تكوينها، وشكل مسارها، ورد ايجابياتها وسلبياتها الى الظروف الموضوعية المكونة لها. ولكن حديث الدكتور جاء خلوا من كل ذلك. وصار الامر محض انطباعات ذاتية لمثقف مرهف الحس تجاه تجربة أمة بأكملها. وكان الاجدر بالدكتور أن يكون متسقا مع نفسه. فلما كان يغير العنوان، او يغير الموضوع، ولعله يعلم، أن أول نقد يوجه للرسائل العلمية فى الجامعة هو عدم صدق تعبير عنوان الموضوع، على مضمونه.

٢ - لعل الدكتور يدرك معى أن ثمة سؤالا حائرا واجهه مجتمعنا منذ بداية القرن التاسع عشر. واتخذ هذا السؤال مضامين مختلفة. ثم جاءت الناصرية فحسمت الاجابة على هذا السؤال نظريا وعمليا. كان السؤال فى البداية حول: هل نسير

فى الاتجاه السلفى باعتباره منجاه للامه فى خضم مسارها وباعتبار أن ما صلحت به الامة فى أولها يصلح به أخرها ، أم نحاول أن نوفق بين ما سلف وما استجد فى شكل تيار توفيقى ، أم نترك هذا التسلف وننطلق فى اطار العلمانية والتعقيـــل المطلق ؟

وتطور الامر واندثر الاتجاه السلفى المحض تقريبا ، وانحصر الامر فى مسارات ثلاث أيضا : اتجاه توفيقى يضـع للتسـلف مكانا فى طرحـه النظرى ، واتجاه علمانى ليبرالى المذهب تم أخيرا اتجاه علمانى اشتراكى المذهب . وظل مجتمعنا مترديا فى مهاوى هذا التشرذم الفكرى ، الى ان جاءت الثوره وحسمت الامر تماما بالاتجاه نحو الاشتراكيه كمـذهب اقتصـادى اجتمـاعى ، واستطاعت أن تحل ذلك التناقض التاريخى الذى نشأ عن وهم بوجود تصادم بين الاتجاه الاشتراكى ومكونات الواقع المصرى وبالذات قضية الدين كأحد مكونات هذا الواقع . ولابد ان الدكتور يدرك ان الدستور المصرى ينص على الاشتراكية كنظام اقتصادى ، وأن المواثيق التى صدرت عن الثورة بدايه من الميثاق ومرورا ببيان ٣٠ مارس حتى ورقة تطوير الاتحاد الاشتراكى كلها تركز على ان الاشتراكية هى صلب نظامنا الاجتماعى وانه لا حياد عنها . ونتصور أن الناصرية بذلك تكون قـد اسهمت بدور كبير فى حسم الاجابة عن هذا السؤال التاريخى .

٣ ـ لقد كنت أتصور ، أو انتظر ، من الدكتور زكريا ، أن يدعم ادعاءاته حول سلبيات الناصرية القاتمة ، ببعض الادلة الواضحة ، ولكنه لم يفعل ، ولكننى أطرح عليه هذه التساؤلات :

● هل تم تغيير فى قوى الانتاج ، وأدوات الانتاج ، وعلاقات الانتاج فى المجتمع المصرى بعد ١٩٥٢ ؟ بالقطع لقد تم ذلك ، وأننى أحيله على الدراسة التى قدمها الاستاذ محمود امين العالم فى كتابه الذى صدر بالاشتراك مع مجموعة من الكتاب فى الذكرى السابعة والخمسين لميلاد جمال عبد الناصر [الناشر مكتبة مدبولى] .

● هل صاحب التغير الذى تم فـى هيكل الانتاج ، تغير موازى له فى البناء الفكرى أو ـ الفوقى ـ للمجتمع المصرى ، والى أى درجة حدث ، واذا كان قد تخلف فما هو السبب ؟؟ اننى اتصور أن هذه هى الطريقة المناسبة لتحليل تخلف البناء الفكرى فى المجتمع المصرى بالرغم من التطور الواضح فى هيكل الانتاج . وللاجابة على هذا السؤال لابد أن نقول انه ليس من البساطة أن نسجل أو نقدم اجابة علمية شاملة دون بحث القضايا التالية :

ا ـ العلاقة الجدليه بين الثوره والدولة واثر الصراع الخفى أحيانا ، والواضح احيانا بين حركة الثوره المتقدمة للامام ، وبين جهود الدوله التى تفرغ حركة الثورة من مضامينها وما هو الدور الذى لعبته اجهزة دولة عمرها يناهز الخمسة آلاف عام فى تعويق مسيرة الثورة .

ب ـ أثر القيم المعوقة للنمو فى المجتمع المتخلف على مسيرة الثورة « التواكل ـ معاداة المال العام ـ الانتهازيه ـ السلبية ـ الاغتراب ـ ازدواج النظام التعليمى « دينى ـ مدنى » .

جـ ـ اثر حلقة الحصار المحكمة من الاستعمار بشكليه القديم والجديد ، والرجعية المحليه وعلى المستوى القومى ، فى ضرب حركة الثوره ، وجرها الى مسارات متعددة لشل حركتها وانقضـاء عليها ، وانعكاس ذلك على مسار الثورة ككل .

د ـ قضية الاولوية فى حسم التناقضات ، ما بين تناقض رئيسى مع الاستعمار وطبقة الكومبرادور محليا وقوميا ، وما بين تناقضات ثانوية فى داخل المجتمع ، واثر هذا الامر فى تزحزح كثير من القضايا فى الداخل الى المرتبة الثانية ، ازاء قضية التناقض الرئيسى .

هذه مجرد أمثلة قليلة لبعض القضايا التى يجب دراستها بعلمية قبل اصدار الاحكام والتعميمات .

٤ ـ ان الدكتور فؤاد زكريا قد فجعنا بطرحه لمفهومه لحركة التحرر الوطنى وقضيه النضال المشترك بين قوى هذه الحركة ، اذ صور لنا أن دور الناصرية فى دعم هذه الحركة عربيا وعالميا ، انما كان مغامرات لشراء الاعوان .. الـخ والتساؤل الذى نطرحه عليه هو : لاجل ماذا كان عبد الناصر سيشترى أنصارا فى الكونغو ؟ ولاجل ماذا كان عبد الناصر سيشترى اعوانا فى الجزائر وفى اليمن وفى عدن ؟؟ وكيف اذن تبرر بمنطقك هذا قيام ثورتى ليبيا والسودان ، بعد نكسة ٦٧ ؟ وبعد ان كف عبد الناصر عن ارسال القوات وانتهت اجهزته عن التآمر ، وكيف تعلل اعلان هاتين الثورتين لنفس المبادىء التى طرحها عبد الناصر ؟؟

غير أن فجيعتنا كانت أكبر عندما عقد الدكتور مقارنه تاريخية بين حال الانسان المصرى قبل ١٩٥٢ وبعدها ، ورجح كفة ما قبل على ما بعد ، رجح كفة زمن وقف فيه احد النواب الشيوخ المحترمين ليثير زوبعة عاتية حـول ان ذوى الجلاليب الزرقاء بدأوا يلبسون الجوارب ذات الاستك ؟؟ !! رجح هذه الكفة على زمن يكتب فيه ابن ذوى الجلاليب الزرقاء ، هذا الحديث ، وهناك أيضا من اقرانه من يتولون مناصب التدريس فى

الجامعة كتفا بكتف مع الدكتور العظيم . وهم يدينون فى ذلك وفقط لنضال شعبهم وثورة يوليو وزعامة عبد الناصر .

٥ ـ وثمة حقيقة أخيرة قد لا يعلمها الدكتور، وهنامكمن المصيبة ، وهى أن جامعة عين شمس الذى هو أستاذ فيها ، تحتلها قاعدة طلابية غير بسيطة ، تنتمى بصدق وأصالة لتيار الفكر الناصرى ، ولو تفضل الدكتور ونزل من برجه العاجى منذ ١٩٦٨ وحتى اليوم وذهب الى مقر اتحاد طلاب جامعة عين شمس على بعد خطوات منه ، لرأى بعينه وسمع بأذنه شباب الثورة العربية الناصرية ، وما فعلوه ويفعلوه .

العلاقة بين المالك والمستأجر

أثار القانون الذى أقره مجلس الشعب حول الايجارات الزراعية والعلاقة بين المالك والمستاجر ، دائرة واسعة من النقاش والخلاف شملت كل المجتمع المصرى . وذلك نظرا لما يتضمنه من تغيير جذرى فى قانون الاصلاح الزراعى الذى كان يستهدف خلق علاقات اجتماعية مغايرة لتلك التى كانت تسود مصر فى عهد الملكية .

ولا يوجد أحد فى مصر ، لا تربطه علاقة بشكل أو بآخر بالريف المصرى والمجتمع الزراعى . وقد تلقت « الطليعة » عدة رسائل تناقش هذه القضية البالغة الاهمية،اخترنا من بينها ثلاث رسائل تمثل وجهة نظر عامل ومقاتل ومثقف . الاول هو عبد العزيز عشماوى ، عامل بشركة مصر للبترول وابن لفلاح عاصر مشكلات الارض وعلاقاتها والثانى هو جمعه عبده قاسم ، الذى شارك كجندى مقاتل فى حرب اكتوبر . هو يعمل الان بامانة الشباب شعبة التنظيم . والثالث ، هو عريان نصيف ، مفتش تحقيقات بوزارة الزراعة .

(١) عامل يتحدث

عن العلاقة بين المالك والمستأجر

اتركو الحمائم البيضاء ترفرف على الغيطان

عبد العزيز عشماوى *

اردت ان اعرض وجهة نظر عامل ، ضمن عمال مصر الذين يكافحون فى معركة الانتاج من أجل تدعيم ما تحقق من مكاسب اشتراكية .. فانا لست فلاحا استأجر أرضا حتى يأتى دفاعى عنهم . ولكن ، فى وقت ما كنت ابن رجل فلاح ، ترك الارض رغما عنه ، وهرب من الاضطهاد ، ونزح الى المدينة ، ليكمل مسيرة الحياة مع أبنائه الصغار ..

ولى راى فيما نشرته الصحف ، وهللت له ، وكأنه مشروع قرار لصالح الملايين الكادحة فى المزارع . ان القرار الذى خرج من لجنة الزراعة بمجلس الشعب يجعل الانسان يقف أمامه بالتحليل

[*] عامل بشركة مصر للبترول .

ليتعرف على دوافعه . خاصة وان اللجنة لم تكن كلها موافقة على المشروع المقدم . حيث أن بعض الاعضاء عارض المشروع بشدة وكان رأيهم ، فى ذلك ، أن تكون الفرصة متاحة أمام الجميع ، داخل اللجنة ، وخارج مجلس الشعب ، وعلى مستوى الامة كلها ، لدراسته ومناقشته ، لان المشروع له أهمية قومية ، ومرتبط ارتباطا وثيقا بخط البلاد الاشتراكى .

واذا كان المشروع المقدم والذى صدر من اللجنة هدفه انصاف القلة القليلة جدا وصوروها على أنها مظلومة ، والنماذج التى نشرتها الجرائد كلها ، تدل على ذلك ، توحى للقارىء العادى ان اصحاب الاراضى الزراعية يتقاضون على الفدان الواحد كايجار ٢٠ جنيها فقط ، وكأن صاحب الارض لا يملك سوى هذا الفدان الواحد . وأعطوا مفهوما عن الفلاح ، على أنه أصبح من الاثرياء حيث أن الفدان يعطيه ربح مبلغ ١٢٠ جنيها .

ونسيت اللجنة او تناست ، أن الفلاح عندما يحصل على تقاوى ارضه يقع تحت ضغوط كثيرة: منها كاتب الجمعية الذى يستغل أميته ، وبنك التسليف ومصادر أخرى ليست حكومية . كل هذه العوامل تجعل الـ ١٢٠ جنيها تذهب ادراج الرياح فى سبيل أن يزرع أرضه ويحرثها . وبعد ذلك يبيع المحصول ليسدد ما عليه من ديون تفوق أحيانا ما غلته ارضه ، ويتبقى باقى الدين عليه للمحصول الثانى ..

جانب آخر يتعرض له الفلاح المستأجر ، وهى أن أعباء المعيشة فى القرية زادت عنها فى المدينة . واصبح حصوله عليها يشكل عبئا كبيرا ويستنزف جزءا كبيرا من موارده ، سواء كانت لملابس الشتاء والصيف أو علاج أولاده علاجا يتناسب مع نوع المرض الذى يتعرضون له فى هذه الاماكن . وكلنا نعرف الامكانيات المتاحة هناك . ويأتى تعليم الاولاد ونحن جميعا نتطلع الى النهوض بالقرية حيث أنها لازالت تعانى من نقص فى الخدمات .

نأتى بعد ذلك لتحليل تصريحات السيد رئيس اللجنة الزراعية :

السيد رئيس اللجنة وضع عدة تحذيرات وتلميحات غير مباشرة أمام الاعضاء الموقرين حين قال « اننا حين نتعرض لعرض الموضوع نرفض الارهاب الفكرى وأن زمن الارهاب الفكرى ولى ولن يعود مرة أخرى الى مصر ... » .

أنا مع السيد رئيس اللجنة فى ذلك ، ولكن لنقف قليلا لنتعرف على كلمة الارهاب الفكرى ، وهل هى مطلوب قولها عند عرض كل مشروع ؟

أقول ، أن الارهاب الفكرى ليست كلمة تطلق على كل من يناقش بحرية مشروع كهذا ، يمس اسس وقواعد النظام الاشتراكى والذى ارتضيناه لانفسنا .

ان حرية النقاش مكفولة للجميع ، وحرية النقد البناء مكفولة - ايضا - لكل الشعب . والديمقراطية ، رغم ان السيد الرئيس المؤمن ، يعلم أنها تتطلب تضحيات الا أنها السبيل الوحيد لبلوغ هذا الشعب كل ما يرجوه من العيش فى سلام واطمئنان ، فى ظل مؤسساته الدستورية والتشريعية ، والتى منها مجلس الشعب ، ولجنة الزراعة بالاخص ..

ان اصطلاح الارهاب الفكرى ، اصبح يطلق على كل من يحاول ان يناقش مسئولا صدر عنه تصريح أو قرار ... رغم أن بداخل اللجنة أعضاء يتمتعون بفكر اشتراكى بجانب اعضاء ليس لهم اتجاه فكرى محدد بتاتا .

وانى فى حيرة . لماذا هذا الاصرار من رئيس اللجنة ، ودفاعه عن المشروع المقدم ، بهذه الصورة . ان المفروض من لجنة ، مثل لجنته ، أن تبحث عن حلول لمشاكل الفلاح الزراعية ومشاكل القرية اذا كانت هى فى دائرة اختصاصها ..

ان النظام الاشتراكى فى مصر يميزه عن غيره دعامات أساسية لاستمراره : منها الاصلاح الزراعى ، رغم صدور قانون الاصلاح قبل عملية التحول الاشتراكى بمراحل ، ومنها ايضا القطاع العام ، والذى ادى دوره باعتراف كل المسئولين ، وبأنه ساهم مساهمة فعالة فى احراز النصر للامة العربية كلها ..

واذا كانت اللجنة تعمل لارساء قوانين للمستقبل فلن يكون ذلك على حساب المكاسب الاشتراكية التى تحققت لصالح الفئات المنتجة والكادحة .. وكفى الفئة القليلة اثراء على حساب الفئات الكادحة .

ولعلنا لم ننس حرب اكتوبر العظيمة التى أعادت للامة العربية ، كرامتها وعزتها . وقلبت الموازين العسكرية على المستوى العالمى .

لاتنس ان الذى حقق هذا النصر هو العامل فى مصانع القطاع العام بصموده فى الجبهة الداخلية وارتباطه بقيادته ، وايمانه بها ، والعمل على زيادة الانتاج لمواجهة حرب طويلة وشرسة مع العدو الصهيونى .

ولا ننس ابناء الفلاحين والعمال المجندين من مؤهلات الجامعات والمعاهد العليا الذين ضحوا بأرواحهم وبذلوا الدماء الذكية على رمال سيناء ، من أجل استقرار الامن فى الحقول والمصانع

لابائهم ، وكرامة البلاد ، ولاستمرار التحول الاجتماعى الذى من اجله دفعنا الكثير .

ولم يدفع ثمن هذا النصر ـ مطلقا الفئات الطفيلية التى اثرت على حساب هذا الشعب . ومن غير المعقول أيضا أن يتحول هذا الثمن الى الالاف من الجنيهات تدخل جيوب قلة فى البلاد ليس لها هم غير الربح من جبهة الفلاح ..

اقول : ارجو ان لاتنتهى دورة مجلس الشعب بصدور قوانين لصالح الفئة القليلة ، المظلومة تاريخيا على حساب غالبية الشعب العامل من العمال والفلاحين .

أتركوا ارجوكم الحمائم البيضاء ترفرف بأجنحتها على الغيطان الخضراء لانها هى السلام ، وهى الحب ، وهى الخير ..

(٢) مقاتل يتحدث

عن العلاقة بين المالك والمستأجر

ارفعوا أيديكم عن الفلاح المصرى

جمعة عبده قاسم *

أعطى الفلاح كل شىء لمصر

كنت اسمع . وكنت اقرا فى كتب التاريخ .. كيف كانت تدار جلسات واجتماعات مجالس الاعيان والشيوخ والنواب فى مصر .. وكنت اسأل دائما ـ وانا صغير لماذا يصفون الشعب بالرعاع والسوقه والقطيع . ولماذا خرج من هذه المجالس ـ التى كان المفروض منها ان تمثل هذا الشعب ـ اكثر القوانين جورا وظلما للشعب . وبأفكارها واراء اعضائها الموقرين ـ انفصل الريف المصرى تماما عن كل ما يدور فى مصر .. وعاش الفلاح المصرى كأنه فى عصر . والاخرون فى عصر آخر تماما .

ولما كبرت .. زالت دهشتى . لاننى عرفت « ان السلطة فى اى مجتمع ما هى الا تعبير عن مصالح طبقة » واجابت هذه المعلومة على كثير من الاسئلة التى كانت تؤرقنى ..

ولاننى واحد من ابناء هؤلاء الفلاحين ـ الاجلاف ـ فقد كنت أرثى لحال ابى وكنت احس بمدى المعاناة والالم التى يعيشها ..

وقامت الثورة .. وكان عليها ان تعيد لهذا الانسان المصرى آدميته واحساسه بانسانيته . فكان اول اعمالها له ومن اجله وهو قانون الاصلاح الزراعى رقم ١٨٧ لسنة ١٩٥٢ واصبح يوم صدور هذا القانون ٩ سبتمبر ١٩٥٢ . عيدا للفلاح فى مصر .. ثم توالت بعد ذلك المكاسب عليه والتى كان من اهمها بلا شك أن خصص له ولزملائه العمال نسبة لا تقل عن ٥٠٪ من مقاعد كل التنظيمات السياسية .. حتى يستطيع من خلال سلطة هذا التنظيم ان يصدر القرار لصالحه .

وسعد ابى . وسعدت معه .. واعطى ابى واعطيت معه .. سعدت لان ابى وامثاله مازالوا يشكلون اكثر من ٦٥٪ من شعب مصر .. واعطى ابى وامثاله كل ما طلب منهم .. من اجل ان يحافظوا على مصرهم . ولم يتهربوا . ولم يملوا العطاء ؟ وبلغ العطاء أقصاه حينما بقيت انا ومليونا معى آباؤهم ـ مثل ابى ـ ست سنوات تحت الارض داخل القوات المسلحة فى انتظار ساعة الصفر . وجاءت ، وعبرنا معا قناة السويس . وحققنا

[★] مقاتل شارك فى حرب اكتوبر ـ يعمل الان بامانة الشباب ـ شعبة التنظيم .

لمصرنا ـ بدمنا ـ اكبر انجازات ثورتها واكثرها تضحية .. وكنا سعداء وفخورين .. فهذا رد لجزء من عطائها لنا .

واحسست ان كل ما كنت اسمعه وما كنت اقراه قد اصبح نوعا من الذكرى وبات جزء من تاريخ مضى ..

لكن ... ما الذى حدث ؟

لكننى اعترف اننى كنت ساذجا الى حد بعيد فى هذا التصور .. كنت « طيب » كأبى تماما .. لاننى فوجئت ان اشياء كثيرة تحدث .. ليس لصالح ابى .كما كان.لكنها لصالح اناث آخرين. وكانت الحقيقة ان الـ ٥٠٪ الذين يمثلون ابى فى مجلس الشعب والتنظيم السياسى لم يمثلوا ابى فى ذلك اليوم الذى ادخلت فيه تعديلات جذرية على العلاقة بين المالك وبين المستأجر .

ففى ذلك اليوم الشهير ٢٣ يونيه ١٩٧٥ ،ومن تحت قبة مجلس الشعب ، وفى جلسة لم تستغرق اكثر من ست ساعات . تمت الموافقة على اخطر مشروع قانون يخرج من المجلس خلال العشرين سنة الاخيرة .. وعندما نصف هذا المشروع بهذا الوصف فلسنا مبالغين لانه سوف يترتب عليه :

١ ـ تغيير شكل الحياة فى الريف المصرى كله .. حيث سيتأثر به « سلبا » اكثر من اربعة ملايين أسرة مازالت محرومة من اشياء كثيرة . وما زالت . كما قال الرئيس السادات .. تعيش وضعا انسانيا لا يمكن قبوله او الرضاء عنه .

٢ ـ انه سيغير شكل العلاقة الانتاجية القائمة فى ٦٨ ٪ من مساحة الارض الزراعية فى مصر تزرع عن طريق الايجار واكثر من ٩٠٪ من ملاكها غائبون عنها .

٣ ـ انه يتعلق باول انجازات ثورة يوليو وواحد من اهمها على الاطلاق .

ففى هذه الجلسة تمت الموافقة على احداث ثلاث تعديلات جذرية فى قانون الاصلاح الزراعى.

الاول : تعديل القيمة الايجارية لتصبح سبعة امثال الضريبة السارية . بدلا من سبعة امثال الضريبة المربوطة على الارض فى ٩ سبتمبر ١٩٥٢ م .

الثانى : الغاء لجان الفصل فى المنازعات الزراعية .. واحالة القضايا المتعلقة بعلاقة المالك والمستأجر الى المحاكم الجزئية . وطرد المستأجر اذا تكرر تأخيره فى السداد .

الثالث : اجازة تحويل عقد الايجار الى عقد مزارعة باتفاق طرفى التعاقد .

ولكن قبل الدخول فى مناقشة هذه التعديلات لنا مجموعة من الملاحظات حول شكل الجلسة :

أولا : فبرغم اهمية وخطورة الموضوع المطروح الا انه لم يتحدث فى هذه الجلسة سوى ١٢ عضوا فقط .

ثانيا : نلاحظ فى الجلسة تغيب مجموعة ضخمة من قيادات الفلاحين وعلى رأسهم المهندس **سيد مرعى** رئيس المجلس وصاحب الدور البارز والكبير فى الاصلاح الزراعى فى مصر .. كما تغيب السيد **محمد مهدى شومان** امين الفلاحين . ومعروف أن له رأيا واضحا ومعلنا تجاه هذه القضية . وعلى الاخص فى لجان الفصل فى المنازعات . كما تغيبت قيادات اخرى من امثال **عطا سليم ، والسيد البيلى ، وجاد الله خضر** . فى الوقت الذى دخل فيه اصحاب المشروع فى صورة تكتل واضح جدا وقوى .

ثالثا : ترددت فى القاعة فى هذا اليوم مجموعة من العبارات الجديدة بالتسجيل على الاقل للتاريخ ، مثل :

ـ ان اشتراكيتنا هى اشتراكية الحب والكفاية والعدل ،وليست اشتراكية الصراع بين الطبقات. ونرفض اى ارهاب فكرى .. « **أحمد يونس** » .

ـ المالك لايأخذ شيئا، بينما يأخذ «الفلاح» كل شىء .. اقترح رفع الايجار الى عشرة امثال الضريبة وان ينص على تحويل الايجار الى مزارعة بدون موافقة المستأجر « **أبو الفضل سرور** » .

ـ الفلاحون موافقون على المشروع ، ونرجو ابعادهم عن المتاهات الفكرية من المتفلسفين « والاسراع بنظر المشروع » .. **عبد الرحيم الغول** .

ـ هذا المشروع يهم الغالبية العظمى من الفلاحين « ولا يهمنا ما يقال من نباح الاعداء بأن مجلس الشعب يعمل ضد الاشتراكية » « ويجب ان نفهم كيف صدر القانون الاصلى « انه افساد زراعى وليس اصلاح زراعى .وهو قانون شيوعى مستند الى قاعدة شيوعية تقول الارض لمن يفلحها .. « **عبده مراد** » .

وايضا قبل الدخول فى مناقشة هذه التعديلات نؤكد اننا منطلقين من عدة حقائق :

١ ـ ان الارض ـ كما تقول كل القوانين الاقتصادية ـ سلعة استراتيجية .

٢ ـ انه لا يمكن أن نقبل أن تظلم فئة ، فئة اخرى .

٣ ـ ان قضية السلام والعدل الاجتماعى فى مصر . والعدو الاسرائيلى مازال محتلا للارض المصرية . هو الهدف النهائى لنا جميعا .. فبهذا السلام ومن خلاله يمكن بناء مصر المستقبل .

مصر الحضارة . وبدونه . بدون توافر سلام وعدل اجتماعى . بين كافة فئات الشعب . فان سطرا واحدا من ورقة اكتوبر — التى وافقنا عليها جميعا — لن يتحقق .

وقفة عند تعديل القانون :

نأتى بعد ذلك الى تلك التعديلات التى خرجت من هذه الجلسة وليس من شك ان نتائج هذه التعديلات تستحق هذه الوقفة .

التعديل الاول : رفع القيمة الايجارية بسبعة امثال الضريبة السارية ، بدلا من الضريبة التى كانت مربوطة على الارض عند صدور قانون الاصلاح الزراعى . وتركزت وجهات النظر المؤيدة لهذا التعديل فيما يلى :

[أ] انه خلال السنوات الماضية حدثت زيادة فى انتاجية الارض الزراعية استفاد منها الفلاحون ولم يستفد الملاك شيئا .

[ب] انه خلال نفس الفترة زادت اسعار الحاصلات الزراعية اكثر من مرة وبالتالى زاد دخل الفلاحين . وبقيت القيمة الايجارية ثابتة .

[ج] انه مع ارتفاع اسعار تكاليف المعيشة . لابد ان ترتفع القيمة الايجارية للارض . وبرغم جفاف لغة الارقام . الا انها اللغة الوحيدة التى نملكها وهى اقرب اللغات الى الحقيقة . ولايمكن ان يتهمنا احد ونحن نستعملها اداة لتوضيح هذه الحقيقة اننا نمارس بها ارهابا فكريا على أحد . فماذا تقول تلك الارقام :

بنظرة سريعة على احصاءات الانتاج الزراعى فى مصر فاننا سنجد الاتى : — [١]

— كان انتاج القطن سنة ١٩٥٢ هو ١٢ر٥ قنطار للفدان ارتفع سنة ٧٤ الى ٧٢ر٥ بزيادة ٦ر قنطار .

— كان انتاج القمح سنة ٥٢ هو ٩٢ر٦ اردب للفدان وصل سنة ٧٤ الى ٧٠ر٦ اردب بعجز ٢١ر اردب .

— كان انتاج الذرة الشامية فى أول نفس الفترة ٨٥ر٩ اردب للفدان ارتفع الى ٥٤ر١١ بزيادة ٣١ر٢ اردب .

— والارز كان انتاجه ٢٣ر٢ ضريبة انخفض الى ٢١ر٢ ضريبة بعجز ٢٠ر ضريبة للفدان .

— القصب كان انتاجه ٩١٠ قناطير انخفض الى ٨٦٨ قنطارا بعجز ٤٢ قنطارا فى الفدان .

— الفول كان انتاجه ١٧ر٥ اردب انخفض الى ٠٩ر٥ اردب بعجز ٠٨ر اردب فى الفدان .

— الشعير كان انتاجه ٧٤ر٨ اردب انخفض الى ٧٤ر٧ اردب بعجز اردب فى الفدان .

— البصل كان انتاجه ٢ر٦ طن ارتفع الى ٨ر٦ طن بزيادة ٦ر طن فى الفدان .

.. ومن هذا يتضح ان انتاجية معظم الحاصلات الاساسية لم يطرا عليها اى زيادة — بل انها تتجه الى الانخفاض . [٢]

وقد يدعى البعض ان الزراع يتهربون من زراعة هذه المحاصيل الاساسية . وان كان فى هذا الادعاء بعض الصحة . الا ان من يتهربون — فضلا عن انهم يعدون مخالفين لقوانين الدورة الزراعية ويعرضون انفسهم للمحاكمة العسكرية — الا ان هذه المخالفات تتم فى مساحات صغيرة جدا . والدليل على ذلك ، ان المساحة الكلية لهذه المحاصيل الاساسية ، لم يطرأ عليها هى الاخرى تغيير جذرى . فمثلا كانت مساحة القطن سنة ١٩٥٢ هى ٤٠٢ر١ الف فدان ، أصبحت سنة ١٩٧٤ : ٣٤٥ر١ الف فدان والفول ٣٥٥ الف فدان اصبح ٣٣٦ الف فدان . والبصل من ٢٦ الف فدان الى ٤٢ الف فدان . والارز ٣٦٢ الف فدان ارتفع الى ٠٧٢ر١ الف فدان . والذرة الشامية من ١٦٧٧ الف فدان الى ١٤٩٥ الف فدان . والقصب من ٩٢ الف فدان الى ١٣٧ الف فدان .

وان الذى تهرب من زراعة هذه المحاصيل بالفعل هم كبار الزراع — حيث ارتفعت مساحة الارض المنزرعة حدائق من ٩٢ الف فدان سنة ١٩٥٢ الى ٢٨٧ الفا سنة ١٩٧٤ . وقد يرى البعض ان هناك تناقضا فى هذه الارقام حيث ان الزيادات التى حدثت فى مساحات بعض المحاصيل «البصل — والقصب — والارز» لاتساوى النقص فى مساحات المحاصيل الاخرى .. والرد هنا بديهى . وهو الزيادة الناتجة فى المساحة المحصولية الكلية بعد تحويل مساحات كبيرة من اراضى الحياض الى رى دائم بعد بناء السد العالى .. مع ملاحظة ان المساحات المذكورة لا تدخل ضمنها الاراضى المستزرعة .

لا اتصور ان احدا يستطيع ان يدعى — امام تلك الارقام — ان هناك زيادة حدثت فى انتاج الارض الزراعية فى مصر .. يمكن ان تؤثر على دخل الفلاحين ..

[١] جميع الارقام المتعلقة بالانتاج الزراعى مستخرجة من نشرات الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء .. ووزارة الزراعة .

[٢] راجع مقالنا المنشور بالاهرام الاقتصادى — العدد ٤٧٤ فى ١٥ مايو ١٩٧٥ « ازمة الزراعة فى مصر » .

حجة ارتفاع أسعار الحاصلات

ننتقل الى الحجة الثانية ، وهى ارتفاع أسعار بعض الحاصلات الزراعية ، اكثر من مرة .

ولا احد يناقش بموضوعية يستطيع ان يدعى ان الاسعار لم ترتفع . فقد ارتفعت بالفعل اسعار نفس الحاصلات بالنسب التالية وخلال نفس الفترة [٣] .

القطن ٢١٪ ، القمح ١٢٪ ، الشعير ٩٪ ، الفول والارز ١٥٪ ، القصب ٥٠٪ الذرة الشامية ٣٨٪ البصل ١٣٪ . وايضا ارتفعت أسعار بعض المحاصيل الاخرى الغيرهامة وكذلك الخضروات .. بنسبة تتراوح ما بين ٣٥ الى ١٠٠٪ وفق ظروف العرض والطلب ، وانعكست حالات التخبط فى تخطيط سياسة الاعلاف الجافة علىسعر البرسيمفارتفع بنسبة لا تتعدى ١٠٠٪ .. لكن هذا جانب واحد من الحقيقة . .والجانب الاخر ان الفلاح تحمل مقابل هذه الزيادة ما يلى :

— ارتفاعفىاسعار عنصر العملالى ٢٨٠٪ .

— ارتفاع فىاسعار مستلزمات الانتاجبنسبة تتراوح من ٦٤ الى ١٣٠٪ .

— ارتفاع فى اعباء الاقراض الزراعى بنسبة ١٧٪ .

— تحمل الفلاحون المستأجرون جميع الاعباء المترتبة على الزيادة فى ضريبة الارض الزراعية منذ عام ١٩٥٢ حتى الان .. حيث كان القانون — قبل تعديله — ينص على ان يتحمل المستأجرون الفرق ما بين الضريبة سنة ١٩٥٢ والضريبة الفعلية . وتقدر هذه الزيادة سنة ١٩٧٤ بـ ٤٩٧ر٨٨ر٠ جنيه اموال ورسوم .

— تحمل المستأجرون ايضا كلانواعالضرائب التى فرضت على الارضالزراعيةبعد عام ١٩٥٢ — وتقدر سنويا بـ ٩٦٦ر٤٤٨ر١٣ جنيه ضريبة دفاع و ٥٤٩ر٤٧٢ر٥ جنيه أمن قومى . وبمعنى آخر ، تحمل المستأجرون كل الاعباء التى ساهم بها قطاع الزراعة فى خطة التنمية ، سواء كانت اعباء مباشرة فى صورة زيادة فى الضرائب او فرض ضرائب جديدة او غير مباشرة كرفع اسعار مستلزمات الانتاج واسعار العمل الزراعى ، واسعار تكاليف المعيشة . ونود ان نشير الى ان الزيادة التى سوف تترتب علىهذا التعديل هى ٣٩٪ من القيمة الايجارية القائمة الان وليس ٢٠ — ٢٥ كما سبق ان اعلن . حيث ان الضريبة التى كانت تقدر على اساسها القيمة الايجارية كانت سنة ١٩٥٢ — ٤٢٢ر٩٠٤ر١٣ جنيه ارتفعت سنة ١٩٧٤ حيث وصلت الى ٩٣٣ر٢٢١ر١٩ . وهذا الفرقوقدره ٥٠١ر٣١٧ر٥ الذى كان يتحملها المستأجرون سوف يضرب ×٧ وهو يمثل ٣٩٪ من الضريبة الاصلية .

وقد انعكس هذا السوء الذى يحيط بالفلاح المصرى فى حجم الديون المكبل بها ،حيث ارتفعت — خلال نفس الفترة — متأخرات الاموالالاميرية المستحقة السداد من ٤٥٢ر٠٤٨ر١ جنيه سنة ١٩٥٢ الى ٢٥٨ر٩٧٠ر٦١ جنيه سنة ١٩٧٣ . وكذلك ارتفعت قروضبنك التسليف المستحقةمن خمسة ونصف مليون جنيه سنة ١٩٥٢ الى أكثر من مائة مليون جنيه سنة ١٩٧٤ .

ولا شك .. ان كل زيادة حدثت بالفعل فى اسعار منتجاته امتصتها الزيادة فى التكلفة الانتاجية . بل واستمرت ديونه تتصاعد الىهذا الحد المخيف . واصبح يعيش اسير المطاردة المستمرة من البوليس ومن القانون ..

ونترك تلك الارقام الموجزة جدا بلا تعليق ..

وننتقل الى **الحجة الثالثة** وهى ارتفاع اسعار تكاليف المعيشة على الملاك .. والسؤال الان : الم يتأثر المستأجرون بهذا الارتفاع ؟ أمهيعيشون فى دولة اخرى ؟ .. ومن تأثر اكثر الرجل ذو الدخل المحدود ، ومن مورد واحد وهو قراريطه التى يستأجرها ، ام الاخر صاحب الدخول ذو القنوات المتعددة . اذا كان ملاك الارض قد تأثروا بزيادة تكاليفالمعيشة مرة فانالفلاحالقابع فى اعماق الريف لم يعد يصل اليه شيء . وبأى سعر .. وهذه حقيقة يمكن أن نحس بها من مجرد النظر الى حجم المواد التموينية المخصصة للمدن ، ومثيلتها المخصصة للريف ..

ماذا يعنى الغاء لجان الفصل فىالمنازعات؟

التعديل الثانى : الغاء لجان الفصل فى المنازعات .. واحالةالقضايا المتعلقة بعلاقةالمالك بالمستأجر الى المحاكم الجزئية ..

والحقيقة ان هذه اللجان استطاعت خلال السنوات الماضية ان تتحمل عن المحاكم المدنية عبئا لا يمكن تجاهله .. واذا نظرنا الى هذه اللجان نظرة مجردة تماما . فاننا سنجد بلا جدال — شكلا — اقرب الى الفلاح ، وايسر فىالتعامل

[٣] راجع مقالنا المنشور بالشباب — عدد أول يوليه ١٩٧٥ [صفقوا لنوابكم يافلاحى مصر] .

من محكمة المدينة ، حيث ان تشكيل هذه اللجان من اكثر الناس معرفة بحقائق المشاكل من اى احد آخر . كما ان الفلاح لم يكن يتحمل — فى تعامله معها — اى مشقات او متاعب .. فليس لها رسوم . واعضاؤها جيران للجميع فى المنزل والحقل .. وحتى مواعيد جلساتها بعد عودته من حقله . ثم ان القانون يعطى المتضرر من حكمها حق استئناف الحكم امام المحكمة المدنية .. وعلى سبيل المثال تقول الارقام :

خلال عام ١٩٧٤ ، نظرت لجان الفصل فى المنازعات الزراعية ٢٧٫٩١٣ قضية .. استؤنف منها بالمحاكم المدنية ١٢١١ قضية . صدر الحكم فى ٩٣٣ قضية منهم مؤيدا لقرار لجنة القرية . ومعنى ذلك ان نسبة لا تتجاوز واحدا فى المائة هى التى اختلف فيها تكييف الحكم بين المحكمتين . ولا أتصور ان هذه النسبة يمكن ان تمثل خطرا يدعونا لالغائها . والعودة بذلك الفلاح المغلوب على امره مرة اخرى الى المحاكم البعيدة عن مسكن الفلاح ، بصرف النظر عن التكلفة المادية والمعنوية التى يتعرض لها الفلاح .

وكلنا يعلم مدى المعاناة التى تعانيها المحاكم المدنية من كثرة القضايا المعروضة عليها ، وقلة اجهزتها وقضاتها . وكلنا يرى ايضا تلك المشاهد التى يكون القاضى مضطرا فيها ان يفصل فى ٤٠٠ قضية فى اليوم الواحد .. لكن سوف يفرح لهذا القرار ذلك المالك الغائب عن ارضه المقيم بالمدينة . ومن ناحية ثانية ، اذا كان المقصود بهذا التعديل — كما يقولون — حماية وضمان حق صغار الملاك — الارامل والايتام — فهم بالتأكيد مقيمون بنفس القرية ، وقدراتهم المالية لا تختلف عن قدرات المستأجرين ، ولذلك فان محكمة القرية اى لجنة فض المنازعات انسب لهم وايسر . ولذلك فنحن نتساءل مع الملايين فى مصر : هل هذا التعديل وضع بالفعل ليحمى صغار الملاك من المستأجرين .. اشك كثيرا فى ذلك ، واخشى ان يكون العكس .

كنت أتمنى ، أن تبقى « محكمة القرية » ، بل وندعمها . وأن كان يواجه عملها مشاكل نعمل على التغلب على هذه المشاكل ولا نلغيها . فبقاؤها هو توكيد للديمقراطية التعاونية الشعبية ، التى نأمل دائما ان تكون الجمعية الزراعية فى القرية منطلقا لها ، ومسرحا لممارستها .

كنت أتمنى قبل اقرار هذا التعديل بالذات ان يطلب رأى الجمعيات الزراعية . وعلى الاقل أعضاء مجالس اداراتها .. وأنا واثق كل الثقة أن الرد سيكون غير ما حدث تماما .

المزارعة شكل اقطاعى

التعديل الثالث : اجازة تحويل عقد الايجار من النقد الى المزارعة باتفاق المالك والمستأجر .

وهنا نقع فى التناقض الحاد بين ما نقول وما نفعل .. كيف ننادى بزراعة علمية متقدمة ، ثم نكبلها باقسى العلاقات الانتاجية تخلفا .. ان شكل المزارعة هو اقدم الاشكال الاقطاعية فى الزراعة . وهو شكل متطور نوعا ما للنظام العبودى .. اننا لم نفهم بعد — واظن اننا لن نفهم قريبا — ان تقدم الزراعة مرتبط بالاساس بتقدم وتطور علاقات الانتاج فيها . وهذه قوانين علمية وليست فلسفة . فلا يمكن ان تتطور ادوات الانتاج فى ظل علاقات انتاجية متخلفة .

فكيف يمكننى ، وكلما حاولت الزراعة المصرية ان تتحرر من شكل الاستغلال الاقطاعى الى شكل اكثر تقدما — مهما كان بطيئا فاردها الى الوراء وبعنف — كيف يمكن فى ظل هذا الرد ان اصل الى زراعة عصرية ، يكون عائدها الانتاجى موزعا توزيعا عادلا على عناصر الانتاج المختلفة التى ساهمت فيه ، ومستندا الى قاعدة اى العناصر اهم فى العملية الانتاجية ؟

وكما قلنا ، فان الارض سلعة استراتيجية ، والسلعة الاستراتيجية — وهذا شرط امتلاكها — لا يمكن ان تترك « للامزجة » والاهواء ، او لظروف العرض والطلب . بل لابد ان تكون هناك مجموعة من النظم والشروط تتحرك هذه السلعة من خلالها بحيث لا تتحول الى اداة لاستغلال الجماهير أو قمعها ، حيث ان هذه الجماهير لا تستطيع الاستغناء عنها .

ومن هنا يصبح تيسير العودة بشكل العلاقة الزراعية بين المالك والمستأجر الى شكل المزارعة بدلا من التعامل النقدى .. ترك تقدير القيمة النقدية — لاستغلال سلعة الارض الاستراتيجية — تبعا للظروف السوقية وظروف العرض والطلب .

اقول ذلك لان كثيرين من الملاك لديهم من الخبرة فى التحايل على ذلك الفلاح الطيب ، ما يمكنهم من ان يحولوا خلال خمس سنوات كل الاراضى المؤجرة بالنقد الان الى ايجار بالمزارعة . ويتحول الفلاح الى اداة فى يد المالك يمتلكها كأى قيراط أرض . ويمتص كده وجهده . بلا عدل أو شريعة .

كنت اتمنى ان يلغى تماما هذا النظام . كنت اتمنى ان يصبح جزءا من تاريخ بعيد .. كنت .. وكنت . لكن ليس كل ما يتمناه الانسان يجده .. مرة اخرى . نعود الى « مربط الفرس » كما يقول ابى . ومربط الفرس « هذا هو ان الفلاح

المصرى ، حتى الان وفى كل التنظيمات السياسية فى مصر .. يبحث عن هويه . يبحث عن ذاته .. من هو بالضبط .. ولو ان هذا الفلاح معروف، فمن المؤكد ما كان قد حــدث ما حدث ــ ولو ان هذا الفلاح الحقيقى صاحب الـ ٥٠ فى المائة واضح ما كان حدث ما حدث .

وختاما ، اعتقد ان الفلاح المصرى الاول أنور السادات لن يرضى بهذا ، لن يرضى بأن بنــاء الوحدة الوطنية والسلام الاجتمــاعى الذى بذل جهدا خارقا فى ارسائه تضيعه جلسة فى مجلس الشعب . كان الجميع فيها متعجلون ..

انا على ثقة .. بان مشروع هذا القانون حينما يعرض عليه لاصداره . سوف يرده مرة اخــرى الى المجلس وعليه كلمة منه تقول .. ارحموا من فى الارض يرحمكم من فى السماء .

(٣) مثقف يتحدث

عن العلاقة بين المالك والمستأجر

المسألة الزراعية فى مصر .. خطوات الى الوراء

« وظلت العربة تمضى بنا فى شوارع القاهرة وعروقى تنبض باشياء عديدة من قريتى .. اشياء لم استطع أن انساها ابدا »

عبد الرحمن الشرقاوى ــ رواية الارض

عريان نصيف *

.. ولكن مع مضى « العربة » فى القاهرة ، كثيرا ما ينسى بعضنا أشياء ما كان له ان ينساها .

ففى الوقت الذى تتطلع فيه الملايين من جماهير الفلاحين المصريين من المستأجرين والمعدمين وعمال الزراعة ، الى المزيد من التطوير لقانون الاصلاح الزراعى وللسياسة الزراعية عموما بما يضمن توفير سبل الحياة الانسانية لهم وبما يدعم ــ فى نفس الان ــ الانتاج الزراعى كما وكيفا .

وفى الوقت الذى صدمنا فيه ببعض الظواهر الخطيرة التى كادت أن تختفى من وجه الحركة الاجتماعية فى الريف المصرى ، كعمليات الطرد الجماعية التى يقوم بها بعض الملاك لعشرات من اسر المستأجرين والمعدمين المنتفعين بالاصلاح الزراعى ، كما فعلت أسرة عبد الحميد عبد الواحد الوكيل فى مركز المحمودية والمالك محمد حسن النجار فى مركز كوم امبو ..

فى هذا الوقت بالذات يقرر ٧٧ عضوا من اعضاء مجلس الشعب ــ وخلال ستة سـاعات حاسمة ــ تعديل قوانين الاصلاح الزراعى ، لا من أجل تحقيق آمال كادحى الريف وتطلعــاتهم البسيطة ، ولا وقوفا معهم أمام من يحاول انتزاعهم من أرضهم وجذورهم ، ولكن من أجل انصاف الملاك المساكين « الجوعى » على حد تعبير بعض حضرات أعضاء المجلس فى هذه الجلســة التاريخية .

وأرجو أن أتمكن هنا من مناقشة أهم هذه التعديلات وما أثير حولها من قضايا :

أولا ــ نظام الايجــار بين المــلاك المســاكين والمستأجرين الظالمين :

لاشك أن نظام الايجار للارض الزراعية هو من أساليب الاستغلال المتخلفة التى لفظتها العديد من الدول ــ ليست الاشتراكية فحسب ، بل وحديثة الاستقلال والرأسمالية التقليدية أيضا ــ عندما وضعت قوانين الاصلاح الزراعى بها ، إذ أنه يقوم على ظاهرة « المالك الغائب » الذى تنحصر علاقته بالارض فى الاستيلاء على فائض عمل الفلاحين المستأجرين فى صورة ريع نقدى أو عينى . لذلك نص قانون الاصلاح الزراعى فى اليابان ــ ولا أعتقد ان هناك من يمارى فى انها ليست دولة

[*] مفتش تحقيقــات بــوزارة الزراعة بطنطا .

اشتراكية ـ على الغاء ملكية الملاك الغائبين الغاء تاما وشراء الحكومة ـ بالطريق الاجبارى ـ لاراضيهم واعادة بيعها لمن يرغب من المستأجرين فى شرائها .

ولكن قانون الاصلاح الزراعى المصرى ـ الذى يهاجم الان ويعدل لانحيازه للمستأجرين ضد الملاك البؤساء ـ لم يلغ ملكية هؤلاء الملاك الغائبين ـ الذين يمثلون حوالى ٦٥ فى المائة من مجموع الحائزين ـ بل اكد على حماية هذه الملكية وعلى تمكين هؤلاء الملاك من استغلال اراضيهم بطريق الايجار بالرغم مما أدى اليه ذلك من تفتيت لقوى الانتاج المادية واستهلاك لقوى الانتاج البشرية .

وكل ما فعله القانون رقم ١٨٧ لسنة ١٩٥٢ انه حاول أن ينظم العلاقة بين هؤلاء الملاك والمستأجرين بما يكفل حق المستأجر فى الاستقرار مع ضمان حق المالك فى التمتع بكافة حقوق ملكيته ، ولم ينص ـ كما نصت الخطة الخمسية الاولى فى الهند ، « وهى للعلم ليست أيضا دولة اشتراكية » على اصلاح أوضاع الحيازة الزراعية عن طريق اصدار تشريعات تحقق خفض القيمة الايجارية للارض من ناحية وتؤمن حيازة المستأجر للارض التى يزرعها بل وتمكنه من الحصول على حق تملكها من ناحية أخرى ، بل على العكس من ذلك فقد خرج المشرع على قاعدة حماية استقرار المستأجر ، وأتاح للمالك ـ وفقالنص المادة ٣٥ مكرر من القانون رقم ٥٢ لسنة ١٩٦٦ وبشروط معينة ـ أن يطرد المستأجر من الارض دون اخلال الاخير بأى شرط أو التزام فى العقد وذلك لاتاحة الفرصة أمام صغار الملاك لزراعة أرضهم بأنفسهم . ولعل فى ذلك خير رد على كلمات « ميلودرامية» أثيرت فى جلسة مجلس الشعب .. « كحقوق اليتامى والارامل التى اغتصبها المستأجرون » .

ثانيا ـ نظام المزارعة .. نحن ، وفرموزا :

اذا كان القانون ١٧٨ لسنة ١٩٥٢ لم يلغ نظام المزارعة كأسلوب للايجار ، الا أن القانون ٥٢ لسنة ١٩٦٦ ـ المكمل له كان حريصا على النص على عدم جواز تعديل الايجار بالنقد الى الايجار بطريق المزارعة ولو كان ذلك بناء على موافقة المستأجر . ولقد كان المشرع ـ عندما اعتبر هذه القاعدة من النظام العام التى لا يجوز الاتفاق على مخالفتها ولو برضاء المستأجر ـ واعيا بالخلفية الاجتماعية لهذه العلاقة الايجارية الشديدة التخلف . فهذا النظام الذى يقوم ـ قانونا ـ على أن يقدم الفلاح قوة عمله ويقدم المالك مستلزمات الانتاج ثم يقتسما الناتج المحصولى بالمناصفة ، انما هو ـ من الناحية العملية ـ أقرب الى نظام السخرة . فالمالك ـ المسجلة الحيازة باسمه ـ هو الذى يستلم مستلزمات الانتاج ويحصل على السلفيات النقدية ويسلم المحصول لبنك التسليف ويقبض الثمن ويسلم الفلاح المستأجر ما يشاء ويتاجر فى السوق السوداء كما يشاء أيضا ، وهو ـ باختصار ـ المسيطر جزئيا وكليا على عملية الانتاج وليس أمام المستأجر سوى أن يعمل ويرضى بما قسم السيد المالك له . وقد تتحول « المشاركة » الى « مخامسة » حيث يحصل المالك على اربعة اخماس المحصول وللمستأجر الخمس فقط ، وغير ذلك من أقسى أشكال الاستغلال مما جعل جميع دول العالم ـ مهما كان تخلفها السياسى أو الاقتصادى ، تلغى هذه العلاقة وتحرم قيامها وتنص قوانينها على ذلك « كفرموزا » .

ولعله من المؤسف أن يكون موقفنا ـ من المسألة الزراعية ـ أشد تخلفا من فرموزا .

ثالثا ـ تطوير تشريعى .. ولكن الى اين ؟:

ان العلاقة الايجارية للاراضى الزراعية فى مصر لفى احتياج فعلى وملح لتطوير تشريعى سريع . ولكن على الاسس التالية :

١ ـ الغاء نظام المزارعة وتحريمه كأسلوب اقطاعى فى الانتاج ولما يمثله من استغلال بشع للمستأجر .

٢ ـ وضع الضمانات الكفيلة باستقرار المستأجر طالما يقوم بتنفيذ التزاماته ولا يخل بشروط العقد .

٣ ـ وضع حد أقصى لاستئجار الارض الزراعية بعشرة أفدنة للقضاء على ظاهرة كبار المستأجرين الذين هم ـ فى الواقع ـ من كبار الملاك أيضا أو على ارتباطات وثيقة بهم مما يكفل الحد من سيطرتهم على الريف من خلال استفادتهم بمزايا الملكية وحقوق الاستئجار .

٤ ـ تحديد القواعد المنظمة للعلاقة بين الملاك الزراعيين الذين رفعت عنهم الحراسة وبين مستأجرى أرضهم بما لا يخل بحقوق هؤلاء المستأجرين ، أو يهدر قضية العدالة الاجتماعية .

ولعل ذلك لا يمثل سوى جزء من الحل للمسألة الزراعية فى مصر ، الذى لن يكتمل الا بانتشار المزارع التعاونية وبقيام القطاع العام الزراعى . ولكن تلك قضية أخرى .

الحــركة النقــابية المصرية

ترفض الاتحاد الدولى للنقابات الحرة

عبد المنعم الغزالى

يتابع الرأى العام العمالى ، باهتمام وقلق ، ما أثير من نقاش حول دعوة ممثلين عن « الاتحاد الدولى للنقابات الحرة » لزيارة مصر والالتقاء بممثلى الحركة النقابية المصرية لتبادل الاراء ومناقشة العلاقات بالحركة النقابية المصرية . وفضلا عما سبق وعرف على نطاق العالم كله ، عن الدور المشبوه للاتحاد الحر وعلاقاته بالمخابرات المركزية الامريكية ، فقد كان مستقرا فى أدبيات الحركة النقـابية المصرية ، الاخطار المحتملة للتعامل مع الاتحاد الحر . وفى هـذا المقال يتناول عبد المنعم الغزالى هذه القضية بالتعليق .

فى الشهر الماضى ثارت معركة داخل الحركة النقابية المصرية ضد قبول **رئيس اتحاد العمال** منفردا دعوة وفد من الاتحاد الدولى للنقـابات الحرة [١] ، وقبول شرطين اشترطهما لزيارة مصر — **الاول** ، هو أن تكون المفاوضات بينه وبين اتحاد العمال فى غيبة الاتحاد الدولى لنقـابات العمال العرب ، **والثانى** ، أن يناقش الوفد مع المسئولين المصريين ضرورة انهاء المقاطعة العربية لبعض شركات المانيـا الغربيـة المتعـاونة مـع اسرائيل .

وللنقابية المصرية الوطنية تاريخ صراع طويل مع الاتحاد الدولى للنقابات الحرة : فعند تأسيس الاتحـاد الدولى للنقابات الحـرة فى ١٩٤٩ ، كانقسام من الاتحاد العالمى للنقابات ، أحدثه مشروع مارشال داخل الحركة النقابية العـالمى لاضعاف مواجهتها للرأسمالية فى بـلدان غرب أوروبا ولابعادها عن حركة التحرر الوطنيـة فى المستعمرات — دعى الى مؤتمره التأسيسى وفد مصرى كمراقب ورفض « **فتحى كامل** » النقابى المصرى يومها شعارات المؤتمر باعتباره امتداد للدعوة الاستعمارية داخل الحركة النقابية . كما رفض طلب المؤتمر للالتقاء مع وفـد الحـركة العمالية الصهيونية — الهستدروت — .

وفى ١٩٥١ ، فى قمع الصراع الوطنى المصرى مع الاستعمار البريطانى ، أرغمت الحركة النقابية المصرية « **محمد زين الدين** » على الانسحاب من الاتحاد الدولى للنقل التابع للاتحاد الدولى للنقابات الحرة ، لانه رفض مساندة نضال عمال مصر ضد قوات الاحتلال ، لان مثل هذا النضال نضال سياسى ، لا يجب على النقابات المشاركة فيه .

وبعد ثورة يوليو فى ١٩٥٢ حضر الى مصـر **أولدونبروك** سكرتير عام الاتحاد الدولى للنقابات الحرة ، فلم يقابله نقابى واحد من مصر ، لان ذلك كان يعتبر عيبا وسبة فى وجه أى وطنى .

وفى ١٩٥٦ حاول **هاريمان بيتيت** السكرتير المساعد للاتحاد وصاحب السطوة حينئـذ فى مكتب العمل الدولى احتواء عمال مصر ، ولكنه باء بفشل ذريع .

وعندما تأسس الاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب — مجسدا الوحدة العمالية العربية فى النضال ضد الاستعمار والرأسمالية والصهيونية ، أثار الاتحاد الحر هجوما شديدا على الاتحاد ، وحاول بواسطة مستر **هاسكنز** استقطاب عمال البترول المصريين الى جانبه عن طريق الوحـدة فى الاتحاد الدولى لعمال البترول التابع للاتحاد الحر . ويومها رفض عمال مصر مخطط **هاسكنز**، وفشل أنور سلامة فى انشاء مكتب اقليمى لهذا الاتحاد فى القـاهرة ، وبفضل نضـال العمال المصريين كشف النقـاب عن مخطط صـهيونى للتغلغل داخل الحركة العمالية العربية ،واضطر أنور سلامة الى الاستقالة من رئاسة اتحاد عمال مصر [٢] .

واستمر الاتحاد الحر فى تآمره ضد الحركة النقابية العربية المتحـدة فى الاتحـاد الدولى

[١] اكدت المصادر النقابية انوراءهذه الدعوة موظفان احـدهما ابراهيم خليفة الموظف بوزارة العمل وسكرتير العلاقات الخارجية باتحاد العمـال فى دورة ١٩٧١ والثانى جمال امام الموظف بالاتحاد العام .

[٢] صدر فى هـذه الفترة كتـاب مؤتمرات الاتحاد الحر ضد عمال افريقيا والعمال العرب — تاليف عبـد المنعم الغزالى ومحمود العجمى السكرتير العام لاتحاد عمال مصر حينئذ .

لنقابات العمال العرب ، فحاول تأسيس اتحاد عمال عربى لعمال البلدان العربية بشمال أفريقيا ولكنه فشل فشلا ذريعا فى محاولته تلك .

ومن آخر مواقفه المعادية للعمال العرب ، موقفه الحاد داخل الاجتماع الاخير لمؤتمر منظمة العمل الدولية لمنع دخول منظمة التحرير الفلسطينية المنظمة ، وخابت جهوده بالفشل بفضل وحدة العمال العرب وعمال البلدان الاشتراكية ، وقبلت منظمة التحرير عضوة فى منظمة العمل الدولية .

ورغم أن جراح هذه المعركة لم تكن قد اندملت بعد ، فقد فوجئت الحركة النقابية المصرية بالتصرف المنفرد الذى أشرنا اليه بدعوة وفد من هذا الاتحاد لزيارة مصر وقبول الشرطين اللذين اشترطهما . الامر الذى دفع أغلبية أعضاء الاتحاد العام لعمال مصر لمعارضة هذه الدعوة ، والى عقد مؤتمر بالنقابة العامة لعمال التجارة حضره عشر نقابات عامة ، وقد أدان هذا المؤتمر النشاط التخريبى الامبريالى الصهيونى للاتحاد الحر وأعلن أن الحركة النقابية المصرية ترفض مد يدها الى أيد تحمل زيفا اسم الحركة العمالية وهى غارقة فى خزائن رأس المال والامبريالية .

ولقد عارض النقابى **عبد اللطيف بلطيه** الامين العام للاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب ووزير العمل بجمهورية مصر ، هذا التصرف ، واعتبره خطرا يهدد وحدة الحركة العمالية العربية .

ان عمال مصر قد رفضوا مرارا وتكرارا دعوة الاتحاد الدولى للنقابات الحرة ، لانها دعوة مريبة ، فهو عندما يزعم أن الحركة النقابية الحرة هى التى لا تشتغل بالسياسة ، انما يعنى ذلك رفض النضال ضد الامبريالية وضد الاستعمار الحديث وضد الرجعية يعنى رفض النضال من أجل الاشتراكية .

ان الحركة النقابية المصرية الواعية عندما ترفض اليوم الاتحاد الدولى للنقابات الحرة وشروطه انما تؤكد على استمرار تاريخها النضالى الطويل ضد الاستعمار ، وضد الرأسمالية ، ومن أجل وحدة عمالية عربية وعالمية يكون محورها وعمودها الفقرى تصفية نظام الاستعمار واستغلال الانسان لاخيه الانسان .

ان الحركة النقابية المصرية عندما ترفض اليوم الاتحاد الدولى للنقابات الحرة ، انما تنتصر لحركة المقاومة الفلسطينية التى أعلن الاتحاد الدولى للنقابات الحرة الحرب عليها مؤخرا داخل منظمة العمل الدولية .

ستظل الحركة النقابية المصرية رغم أى ظروف واعية بدورها الوطنى والتقدمى فى الوقوف ضد أى عناصر انتهازية ودخيلة عليها .

نقد من قارىء « أخبار اليوم »

و .. تعليق

وصلتنا من الاستاذ شوقى عبد الحميد يحيى [من العباسية ـ شارع عاكف ـ حارة عاكف رقم ٧] رسالة بالبريد المسجل ، ينتقد فيها قراءة « الطليعة » «لاخبار اليوم» و «الاخبار» فى عدد [مايو ١٩٧٥] .
وننشر فيما يلى نص الرسالة ، ثم تعليق « الطليعة » .

السيد رئيس التحرير
بعد التحية ..

ايمانا منا بقولة فولتير التى اتخذتها الطليعة شعارا لها ومبدأ تتصدر صفحاتها فى كل عدد . تلك القولة .. [قد اختلف معك فى الراى ولكنى على استعداد لان أدفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رأيك ..] . وايمانا بهذا القول ارغب فى قول كلمتى لا سعيا وراء النشر ، فهذا أمر أستبعده فى مجلتكم العزيزة ، وانما فقط لاريح نفسى . فما أكتب الا الحاح داخلى فقط يدفعنى للكتابة .

وانى لاطالع مجلتكم العزيزة بالتقدير منذ وقت طويل ، وأحترم فيها الايمان بالمبدأ وبحثها عما قد يساند رؤيتها .. ولكنى فى قراءتى هذه المرة لعدد مايو ١٩٧٥ قد لاحظت جنوح العديد من مقالاتها

نحو التجريح الشخصى الغير قائم على الادلة الموضوعية ، وغير المستهدف للمصلحة العامة أولا . وانما تستهدف بالدرجة الاولى الانتصار للمبدأ الذى تعتنقونه بأى السبل ، مما أدى بالكثير من تلك المحاولات بالوقوف عند حد المجالات اللفظية فقط .

ولا أود التعليق على العدد كله بصفة عامة ، وانما اريد التوقف فقط عند باب القراءة فى اخبار اليوم . وأود أن أؤكد فى البداية أنه ليس دفاعا عن أشخاص بعينهم .. فلا تربطنى بأحد أى علاقات من قريب أو بعيد ، وانما أبغى فقط احقاق الحق .

فالملاحظ أن الطليعة تبنى هجومها على الاخبار واخبار اليوم لان مصطفى أمين وعلى أمين لا يمثلان اتجاها يساريا . ولو كانا ، لما قام مثل هذا الهجوم ولما كان هذا الاستقراء المنقب عن اختلاف الالفاظ فى كتابتها . بل وتحاول الصاق كل قول بثورة يوليو قسرا ..

فمثلا نجد الطليعة تعلق على فكرة على امين المنشورة بالعدد ١٧٩ بتاريخ ١٣ يناير ١٩٥٣ بقولها : «هكذا كان الموقف الحقيقى «للاخبار» — امتداد «اخبار اليوم» — من الشعب المصرى وقيادة ثورة يوليو اذن » . دون ان يذكر على أمين اى شىء عن ثورة يوليو ولم يقصد بحديثه ثورة يوليو بعينها . وانما كان كلامه بصفة عامة .. فماذا كان يقول على أمين فى فكرته ؟ انه يقول — وانقل كلامه من فكرته على صفحات الطليعة نفسها — « .. وليس معنى أن تؤيد الملكية انك تريد ملكا كفاروق ، وليس معنى ان تؤيد الجمهورية أنك ستجد رئيس جمهورية كروزفلت ، فالملكية التى أؤيدها هى الملكية الدستورية التى يخضع فيها الملك لسلطان الشعب .. وليس معنى الخلاص من الملكية أننا سنتخلص من الظلم والطغيان .. فقد رأينا فى التاريخ الحديث الزعماء الاحرار يتحولون الى عبيد والديمقراطيين يتحولون الى طغاة ، والاشراف يتحولون الى لصوص ! .. » ، اى ان على امين لا يؤيد الملكية لانها تخدم مصالحه كما تدعى الطليعة ، وانما هو يؤيد الحق الدستورى للشعب ، سواء كان النظام هو الملكية أو الجمهورية . ثم الم تصدق كلمته ؟ .. الم يستغل بعض أصحاب المراكز فى النظام الجمهورى مناصبهم لتكوين مراكز قوة أرهبوا بها الشعب وأدوا الى العديد من المظالم وغياب لكل النظم الدستورية ؟

على ان على امين لم يحجر على رأى احد حتى لو كان رأيه مخالفا لما يراه مثلما يفعل كتاب الطليعة . فنراه يسارع فى بداية فكرته المنشورة بعدد ٢٥٢ بالاخبار الصادر فى ٩ ابريل ١٩٥٣ فيقول — وانقل قوله ايضا من فكرته على صفحات الطليعة — « .. يجب أن أعترف أن اغلبية كبرى من الشعب تؤيد انهاء الحكم الملكى وقيام النظام الجمهورى . وانا أحترم رأى الاغلبية ، ولكنى لم أقتنع برأيها .. » . فلم يكن غريبا ولا متناقضا كما ترى الطليعة ان يقول على امين بعد ذلك « .. فلم يكن معقولا بعد أن استهدف النظام الملكى الى ما استهدف اليه من مطاعن وما عزى اليه من أخطاء ومآثم ان يبقى أو ان يظل له احترام .. اى احترام .. « فاذا كنت احترم نظاما معينا فاننى أحترمه لما يمكن أن يكون فيه من خير للمجموع .. فاذا فسد هذا النظام ولم يعد يرتجى منه هذا الخير .. فهل اظل أؤيده لمجرد أنى كنت أؤيده من قبل .. أو لمجرد ألا يقال عنى أنى قد غيرت الرأى . الم نؤيد جميعا ثورة يوليو منذ أن قامت .. الى أن انحرف بها بعض المتامرين عليها وأساءوا لها .. اننا لا نستطيع انكار ثورة يوليو أو ما قامت به .. ولكن النفاق كل النفاق أن نقول انه لم يكن بها سلبيات .. اى انه دوما هناك جملة اعتراضية .. فنحن نؤيد الايجابى .. نؤيد ما يستهدف مصلحة المجموع .. الا ان يظهر شىء سلبى .. فهنا لابد من الجملة الاعتراضية .. ثم اذا كان على امين يمضى الى أن يقول : « فمصر اذ تحذو هذا الحذو لا تخرج عن خط التطور العام ولا تجانب الحقيقة البارزة فى هذا العصر ، وهى أن النظام الملكى اضحى نظاما عتيقا فى طريقه الى الزوال .. » فما الغضاضة أن يكون الاتجاه العام هو الى النظام الجمهورى مادام قد ثبت بالفعل نجاحه .. مادام قد أظهر بالفعل اناس — لم نكن نعرفهم — قد أثبتوا انهم على مستوى حمل المسئولية ؟ . وما التناقض اذ قلت فى البداية أن الاغلبية ترى كذا ، وانا احترم رأيهم .. ولكنى انا أرى كذا .. وان كان مخالفا لرأى الاغلبية ؟ . أهل لا يصلح الا ان احجر على رأى الغير مادام مختلفا عن رأيى أنا ؟ .. انه لا يفعل هذا فى تعنت الا الطليعة فى مواجهة أى فرد فقط لانه يمينى ..

وتنتقل الطليعة بعد ذلك للتعليق على مقال مصطفى امين تحت عنوان « شكرا للجانى » الصادر بالعدد ٥٢١ من أخبار اليوم الصادر فى ٣٠—١—١٩٥٤ فلا يسرها أن يمتدح مصطفى أمين ذلك الشاب الذى يرى فيه مخلصا ومنقذا .. فماذا تغير فى مدرسة مصطفى أمين وكتابات أخبار اليوم والاخبار وتراه الطليعة مناقضا لما قالته فى ذلك الحين . فلنقرأ آخر عدد من اخبار اليوم وترى ماذا قال فيه مصطفى أمين .. أنه يقول فى العدد ١٥٩٢ من اخبار اليوم الصادر فى ١٠ مايو ١٩٧٥ ، وفى بداية كلمة من المحرر .. « .. ان

ثورة ١٥ مايو لم تلغ ثورة ٢٣ يوليو ، وانما الغت اخطاءها وسلبياتها . واحتفلت بمبادئها الحقيقية .. وخصوم ثورة ٢٣ يوليو هم الذين هاجموها .. ولكن اعداء ثورة ٢٣ يوليو هم الذين انحرفوا بها وارادوا ان يجعلوها ثورة عن مبادئها التى كانت تنادى بالحرية والعدالة والديمقراطية . اعداء ثورة ٢٣ يوليو هم الذين تاجروا بها وارادوا ان تكون مكسبا لاشخاصهم لا مكسبا للشعب كله .. والذين نسوا أنها دعت للمساواة اذا بهم يقسمون المصريين الى محظوظين ومنبوذين .. » فما الذى تراه الطليعة متناقضا اذن ؟ اهل يختلف اثنان على أن ثورة يوليو قد قدمت الكثير وفعلت الكثير .. الا أن أحدا ايضا لا ينكر أنه كانت بالتجربة اخطاء وسلبيات . . فهل لا نكون متناقضين الا اذا أيدنا السلبيات ايضا حتى نرضى اصحاب اليسار ... ؟ الا يرضيكم الا ان نقول ان فلانا كان خيرا كله او نقول انه كان شرا كله ؟

ثم ما الذى تراه الطليعة كاشفا عنه ذلك المقال المطالب بتقديم هدية للسفير الامريكى الذى « عمل بعد خمس سنوات قام خلالها بالتوفيق فى الخلاف الذى قام بين مصر وانجلترا فى مسألتى السودان وقنال السويس ، وكان من بناء الاتفاقين اللذين انتهيا الى وفاق بين مصر وانجلترا .. » « كما وقع خمس اتفاقات أخرى خاصة باصلاح مديريتى البحيره والفيوم وبلغت نفقات هذا الاصلاح ٢٥ مليون دولار .. وهو شغوف بدراسة تاريخ مصر . كما انه شغوف بدراسة اثارها منذ ٣٨ عاما وهو يشتغل الان بوضع كتاب عن الاثار المصرية . . ؟

ما الذى تراه الطليعة كاشفا عنه الرغبة فى تكريم رجل احب مصر وقام بدراسة آثارها ووضع كتابا عنها .. الا انه يكشف اتجاها يمينيا لا ترتضيه الطليعة . . ؟

اهل المسألة يمين ويسار فقط بالشعارات ؟! أم أن مصلحة مصر والمصلحة العامة أولا ... ؟!

لقد ظللت ولازلت احترم ان يكون لكل انسان رأيه الخاص واتجاهه الخاص .. واحترم ان يكون هناك اختلاف فى الرأى والاتجاه .. واحترم ان يكون هناك نقاش يدور على أسس موضوعية .. لا أن يتوقف فقط عند المحاولات اللفظية السفسطائية .

واخيرا ارجو أن يتسع صدركم للاختلاف فى القراءة عملا بقول فولتير عملا لا قولا ...

مع عظيم تقديرى واحترامى
شوقى عبد الحميد



●● .. وايمانا منا بقولة فولتير ـ على حد تعبيرك ـ نشرنا رسالتك وبالنص الكامل . ونحن نشكر لك تقديرك واحترامك ، بل نغض النظر ايضا عن كثير من التعبيرات والكلمات التى وردت بها انتقادا لنا ، نعتقد بعدم موضوعيتها . ونحن نغض النظر ، سعيا منا الى التمسك بضرورات جدية الحوار وموضوعيته وآدابه .

وحتى لو كانت رسالتك دفاعا عن أشخاص بعينهم ، أو تربطك بهم أى علاقات ، فثق من أننا كنا سننشر رسالتك بالنص الكامل . فقد جرب ذلك غيرك ووجد نفس سعة الصدر بل والترحيب . وتستطيع أن ترجع فى ذلك ، الى صفحات « الرأى .. والرأى الاخر » منذ شهور . فالدفاع عن أشخاص بعينهم أو وجود علاقة بهم ، ليست ـ فى نظرنا ـ تهمة .

واذا كنت تعتبر أن مجرد نشر صفحات سابقة ، موثقة بنصوص وبتاريخ ، « جنوح نحو التجريح الشخصى الغير قائم على الادلة الموضوعية » ، فأسمح لنا أن نقول : نحن نختلف معك . فنحن نزعم أن أحدا واثقا من نفسه ومما كتبه من قبل ، لا يزعجه ولا يجرحه أن يعيد أحد آخر نشر ما سبق وكتبه لتبيان الفرق الجذرى بين « موقف الامس » و « موقف اليوم » . خاصة اذا كانت اعادة النشر تمتد لسنوات طويلة متصلة من ١٩٤٦ وحتى أكثر من ١٥ عاما بعد ذلك وبشكل منتظم . والا ما الذى نعنيه بمسئولية الكلمة يوم تقال ثم يقال عكسها ؟

.. لندخل فى الموضوع ونحدد جوهر ملاحظاتك أو اعتراضاتك :

● أنت تقول ان الاستاذ على أمين فى « فكرته » المنشورة بالعدد ١٧٩ الصادر فى ١٢ يناير ١٩٥٣ ، يؤيد الحق الدستورى للشعب ، سواء كان النظام هو الملكية أو الجمهورية .

واسمح لنا أن نقول ان ما جاء فى هذه « الفكرة » لا يسعفك بالدليل ، بل بالعكس يسحبه ويقوضه تماما . انه يقول مباشرة وبالنص :

« والواقع اننى أريد النظام الملكى وانه خير الانظمة فى بلد لا تزيد نسبة التعليم فيه على ٢٥ فى المائة » .

ولا أظنك تجادل فى أن كلمة أريد تتجاوز حتى كلمة أؤيد . انه لا يؤيد فقط بل يريد عن عمد وسبق اصرار ، وتفكير كاف « النظام الملكى » .

ولا اظنك تجادل فى انه قطع احتمال أى شك باليقين حين برر لماذا يريد النظام الملكى فقال : « انه خير الانظمة » ، ولم يدع لاحد فرصة استنتاج لهوية البلد الذى يريد له خير الانظمة من وجهة نظره . انه يحدد « بلد لاتزيد نسبة التعليم فيه عن ٢٥ فى المائة » . وتلك بالتحديد هى مصر وقتها .

ومن هنا فان قولك « يؤيد الحق الدستورى للشعب ، سواء كان النظام هو الملكية او الجمهورية » ، لا يتفق على الاطلاق مع النص أو منطوقه .

ولماذا نذهب بعيدا ، أليس غريبا أن تضيف بعد ذلك ما يفيد فهمك الصحيح لما يريد الاستاذ على أمين .. أى النظام الملكى . فانت تقول مباشرة ـ كما فى نص رسالتك المنشورة هنا ـ

« ثم ألم تصدق كلمته ؟ ألم يستغل بعض أصحاب المراكز فى النظام الجمهورى ... الخ » .

واسمح لنا أن نقول ، ان مأخذنا لا ينصب على كون أحد يعتقد بأن نظام الملكية خير الانظمة ، وذلك غير صحيح ، انها قضية أخرى ، ولكننا كنا نرصد فى تعقيبنا على قراءة هذه « الفكرة » ، أن صاحبها الذى دافع عنها بحماس ـ وهذا حقه ـ ، يعود فى نفس جريدته التى يرأس تحريرها بل ويملكها ، ليدافع بنفس الحماس ـ وبعد ٤٠ يوما فقط من « فكرته » الاولى ـ عن « النظام الجمهورى » الذى هو بالطبع ـ من وجهة نظره ، كما فى مفهوم فكرته الاولى ـ ليس خير الانظمة .

الحماس للشيء ونقيضه . الا يثير ذلك أية غرابة ؟ وخلال ٤٠ يوما فقط .

اذا كان قد غير رأيه واكتشف خطأه ، فلماذا لم يقل ذلك حتى يستفيد منه غيره الذى ظل متمسكا برأيه « وبالنظام الملكى » ؟ واذا لم يكن رأيه الاول خطأ ، فلماذا تحمس لنقيضه ؟ أم أن الحماس يعود لمجرد قرار السلطة انشاء نظام جديد يختلف كلية عن النظام الذى يريده ، فيسارع المرء بالقاء رأيه فى البحر حتى لا يفوته « المركب » الجديد .

ولكنك تقدم حجة اخرى .... فأنت تقول : « فما الغضاضة ان يكون الاتجاه العام هو الى النظام الجمهورى ، مادام قد ثبت بالفعل نجاحه ... مادام قد اظهر اناسا ـ لم نكن نعرفهم ـ قد أثبتوا أنهم على مستوى المسئولية ؟ » .

واسمح لنا أن نسألك : وهل لم يثبت النظام الجمهورى نجاحه ؟! الا فى خلال الـ ٤٠ يوما التى مضت بين كتابة الرأى الاول بتأييد الملكية وكتابة الرأى الثانى بتأييد الجمهورية ؟ واذا افترضنا أن ذلك ممكن ـ وهذا غير صحيح ـ فاننا نسأل : وهل يجوز لنا أن نكتفى بـ ٤٠ يوما كتجربة لتقرير مصير أمة ؟

واعذر لنا أن نسأل أيضا : واذا كان قد ظهر بالفعل أن هؤلاء الناس الذين لم نكن نعرفهم قد أثبتوا أنهم على مستوى المسئولية ـ بنص كلماتك ـ فى مدة ٤٠ يوما ، فلماذا لم يتبين له أن النظام الملكى بعد تجربة عشرات ومئات السنين ليس خير الانظمة ؟ واذا كان هؤلاء الناس ـ أى قادة ثورة يوليو ـ قد اثبتوا أنهم على مستوى المسئولية ، فلماذا نعود فنهاجمهم بعد ذلك ونسحب عنهم كل الصفات الطيبة التى خلعناها عليهم من قبل . انت تقول أن لهم سلبيات . ونحن نقول نعم . بل وهم أنفسهم

● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ●

يقررون ذلك • الفرق بيننا أننا نقول أن الايجابيات اكثر حجما وثقلا من السلبيات التى يجب ـ وبكل ما نملك ـ أن نقومها ونصلحها ولا نكررها . بينما تقول وجهة النظر الاخرى التى لا نؤيدها ، بأن السلبيات اكثر حجما وثقلا من الايجابيات ، ولهذا تدعو وجهة النظر هذه الى هدم كل ما تم طوال ١٨ عاما •

الكتابة عن مبدئية لا تتلون ، تلك هى القيمة التى نسعى الى تكريسها . أما التلون مع كل جديد حتى دون اقتناع ، فذلك ما نرفضه •

ومخطىء هو الكاتب الذى لا يتطور بفكره • ولكن هناك فرق بين التطور المنطقى والانقلاب المفاجىء • وفارق بين التطور المعقول ، والانقلاب غير المعقول بين سنة واخرى ، وفترة واخرى ، وبزاوية ١٨٠ درجة •• ودائما •

●● أما عن ثانى انتقاداتك ، ومحوره أن ما كتبه الاستاذ مصطفى أمين مدحا فى جمال عبد الناصر عام ١٩٥٤ ـ وقدمنا نصه ـ واضافتك بأن يستقيم مع الفقرة التى استشهدت بها من مقاله فى العدد ١٥٩٢ بتاريخ ١٥ مايو ١٩٧٥ فان انتقادك فى رأينا غير صحيح • فالهجوم الذى تمتلأ به صفحات « أخبار اليوم » فى الوقت الحالى على عبد الناصر وحكمه واجراءاته وسياسته ، بين السطور وبالتلميح و •• الخ ، لا تظنه يخفى على أحد • والا فاننا نسألك : ما هى الكتابات ومن هم الكتاب الذين يعنيهم الرئيس السادات وهو يصرح فى أكثر من مناسبة وخطاب ، بأنهم يحاولون الايقاع واثارة البلبلة والتناقض بينه وبين عبد الناصر ؟ •

وبرغم أننا لا نؤمن بأن الفرد يلعب دورا رئيسيا فى حركة التاريخ ، الا أننا نؤمن أيضا بأنه فى ظل ظروف موضوعية محددة ـ وخصوصا فى الدول النامية ـ يمكن أن يكون للزعيم الوطنى دورا كبيرا يصل فى بعض الاحيان الى حجم دور مؤسسة سياسية بكاملها . وغالبا ما تكون هذه الفترة مؤقتة • وليس مفيدا استمرار مثل هذه الاوضاع ، بل ينبغى خلق المؤسسات السياسية القادرة على تولى وممارسة السلطة . وفى هذا الصدد ، تبرز أهمية تركيز الرئيس السادات ـ بعد ذلك ـ ودعوته الى ضرورة خلق هذه المؤسسات •

أما عن سلبيات وايجابيات عبد الناصر ، فتلك قضية بديهية • المشكلة والخلاف هو فى منهج تقييم هذه السلبيات وهذه الايجابيات ، وأيهما الاهم والاكثر حجما • وفى رأينا أن ايجابيات عبد الناصر ، تفوق سلبياته بالمقياس الشخصى أو الوطنى أو الاجتماعى •• أو بهم جميعا •

●● وانتقادك الثالث ، يتضمن انك لا ترى أية غرابة فيما كتبته « أخبار اليوم » عن السفير الامريكى • ونحن أيضا نختلف معك • فلهجة الكلمات المكتوبة عنه غير طبيعية • دعنا نقرأ النص « •• والان وقد بلغ مستر كافرى سن الاحالة الى المعاش وقرر مغادرة مصر نهائيا ، الا يحسن **بمصر ـ حكومة وشعبا** ـ اقامة حفل تكريم له تقدم له فيها هدية تكون دليلا على **عرفان مصر لجميله** وتذكره بأن مصر تعتبره **ابنا من أبر أبنائها** ، وان اسمه سيبقى منقوشا **فى قلوب المصريين خالدا أبدا • وبعد الابد ان كان بعده بعد** » •

تحويل مسألة تكريم مستر كافرى وسفره الى مظاهرة وقضية « يحسن بمصر ـ حكومة وشعبا ـ » أن تهتم بها وتشغلها ، وفى وقت تتقدم فيه أمريكا بعرض « حلف بغداد » على مصر ، مسألة لا ترى فيها شيئا ملفتا للانتباه ؟ ليكن • ولكن ألا ترى أن الدعوة أو الاهتمام بشهداء مصر فى منطقة القناة ، والذين سقطوا على أرضها دفاعا عنها فى نفس فترة سفر مستر كافرى ، وتكريم هؤلاء الشهداء ـ مثلا ـ كان اليق من الناحية الوطنية ؟

أما ان مستر كافرى لعب دورا فى توثيق العلاقات بين مصر وبلاده أو بين مصر وانجلترا ، فذلك بطبيعة الحال واجبه ولحساب بلاده أولا • ومن هنا تكريمه قضية تقدرها وزارة الخارجية الامريكية لا الشعب المصرى • أما تكريمه لانه ألف كتبا عن الاثار المصرية أو عن مصر ، فتلك قضية أكاديمية تهتم بها الجامعات ، وليست قضية

سياسية . وهى فى حد ذاتها لا تكفى لان تعتبره مصر « ابنا من أبر أبنائها » وتنقش فى قلوب ابنائها اسمه « خالدا ابدا ، وبعد الابد ان كان بعده بعد » .

واخيرا ، ها قد اتسعت صفحات « الطليعة » وصدرها « للاختلاف فى القراءة عملا بقول فولتير : عملا لا قولا » فهل اتسع ـ أو يتسع ـ صدر الاخرين ؟ .

● ● ان اثارة هذه القضية قد تسبب « بعض » الحرج للاستاذ على أمين . فصاحب الرسالة يقول دون أن يتثبت مما يقول : « على أن على أمين لم يحجر على رأى أحد حتى لو كان رأيه مخالفا لما يراه مثلما يفعل كتاب الطليعة » .

والطليعة ـ كما هو معروف بالدليل العملى ـ لا تحجر على رأى احد . اما « على أمين » فهو يحجر ـ وبالدليل العملى ايضا على اى رأى يخالف رأيه وهذه بعض الادلة وليست كلها :

● ● ان اثنين من الكتاب والصحفيين هما فيليب جلاب وعادل حسين ينشران مقالاتهما فى الطليعة لانهما ممنوعان بأوامر الاستاذ على أمين من الكتابة فى صحف مؤسسة أخبار اليوم التى يعملان بها . وانهما ممنوعان من العمل الصحفى باشكاله المختلفة وليس مجرد الكتابة فقط فى صحف المؤسسة التى يعملان بها . وان الاستاذ على أمين الذى « يحارب الطغيان » ويدعو « للحرية » يوميا وفى كل ما يكتب منح نفسه سلطات لا يملكها رزير الداخلية واجهزة الامن فى بلادنا وهى سلطة منع المواطن المصرى من حق السفر الى الخارج حتى فى اجازته السنوية . وأخر قراراته فى هذا الشأن تتعلق بزميلنا فيليب جلاب الذى كان يستعد للسفر الى برلين لتمثيل منظمة التضامن الاسيوية الافريقيه واللجنه المصرية للتضامن الاسيوى الافريقى فى مؤتمر للتضامن مع حركات التحرر الافريقية فى المانيا الديموقراطية . ولم يستطع الاستاذ على امين ان يقدم حجة تقليدية لهذا المنع وهى أن « حاجة العمل » لا تسمح بالسفر .. ولكنه كان صريحا وارجع السبب الى المقالات التى يكتبها فيليب جلاب فى الطليعة بحجة أنها تمس مواقف على أمين أو تتعارض معها .

وقد حدث نفس الشىء لعادل حسين من قبل دون أى مبرر قانونى أو موضوعى . وهو يحدث لعشرات من الزملاء فى مؤسسة اخبار اليوم ، ومنهم الزميل فاروق منصور الكاتب الاسلامى الذى يعمل رئيسا لقسم التراث فى أخبار اليوم ، حيث حال على أمين بينه وبين السفر الى مؤتمر اسلامى فى السعودية يناقش من بين ما يناقشه بحثا مقدما من فاروق منصور .

أما الذين اضطروا ازاء « الحريات » التى يمارسها الاستاذ على أمين فى الاخبار الى مغادرة مصر والعمل فى الصحف العربية فيمكن أن نقدم احصاء بهم للسيد صاحب الرسالة اذا رغب فى ذلك .

وأما الحديث عن حرمان كل من يختلف مع الاستاذ على امين من حق الكتابة والعمل والعلاوة السنوية فهى امور يعرفها كل من يعمل فى مجال الصحافة وكل القراء الاذكياء ، أو المطلعين أيضا .

لكن من المؤكد حتى الان أن الاستاذ على أمين لم يدع لنفسه سلطة حرمان مخالفيه فى الرأى من حق « المواطنة » ولم يعرف عنه اصدار اية أوامر بالقبض على مخالفيه فى الرأى من الصحفيين . ولعل ذلك احد أسباب الاعجاب الذى يكنه صاحب الرسالة للاستاذ على أمين . ونحن بدورنا نشارك صاحب الرسالة نفس الاعجاب لنفس السبب ، فهى تؤكد سعة صدر وأفق وديموقراطية الاستاذ على أمين .

« الطليعــــة »





شهادات واقعية عن

قصة لم تكتمل بعد ..

فى ابريل من عام ١٩٧٤ ، قام عدد من العسكريين البرتغاليين بانقلاب اطاحوا فيه بحكم الفاشية الذى استمر ٤٨ عاما ، ثم شكلوا سلطة جديدة من العسكريين والمدنيين . . اتخذت عددا من الاجراءات والقرارات الهامة بلورت طابع «الثورة» التى فجرها الانقلاب ، وقد حظيت احداث البرتغال ــ منذ ذلك الوقت ــ باهتمام الرأى العام العالمى ومتابعته لجدية التجربة الجديدة البرتغالية وآفاق مستقبلها .

وانقلاب أبريل ١٩٧٤ ، هو اول انقلاب عسكرى ، ضمن انقلابات ثلاثة ، وقعت فى القارة الاوروبية ، اتخذ شكلا ومضمونا مغايرا لما حدث فى تركيا [مارس ١٩٦٠] وفى اليونان [أبريل ١٩٦٧] ، وانفرد باجراءات تتنافر تماما مع اجراءات الانقلابات العسكرية الاخرى .

فى الدول الاوروبية التى حدثت فيها انقلابات عسكرية [تركيا ــ اليونان] ، كان يوجد نظام رأسمالى يطبق حدا ادنى من الديمقراطية الليبرالية . فقد كانت الاحزاب مسموحا بها فى تركيا واليونان ، رغم حظر نشاط الحزب الشيوعى فى الدولتين . ولذا تحرك الانقلابان ــ فيهما ــ لضرب هذه الحرية والديمقراطية النسبية ، اما فى البرتغال ، فلم يكن هناك من هدف الا تغيير الوضع الارهابى الفاشى القائم .

وقصة « **البرتغال الجديدة** » ــ التى لم تكتمل بعد ــ مليئة باحتمالات الخطر والمخاطر ، سواء من خارج البرتغال والضغوط المحيطة بها ، او من داخل البرتغال نفسها .

قصة « **البرتغال الجديدة** » ــ التى لم تكتمل بعد ــ هى اذن قصة ثرية بالدروس والمعانى والدلالات ، ولهذا تضعها « الطليعة » تحت الاضواء والبحث .



الجنرال سبينولا



مارسيللو كايتانو



الفاروكونهال



فرانشيسكو جوميز

وقد اعتمدت « الطليعة » ــ هنـا ــ اسلوب الشهادات الواقعية . ونقدم هنا شهادتين :

● **الاولى** : رؤية مصرية لما جرى ويجرى. يقدمها الكاتب الاستاذ احمد حمروش ، من خلال زيارته اكثر من مرة للبرتغال ولقاءاته ومناقشاته وأحاديثه بالمسئولين ــ عسكريين ومدنيين ــ وبممثلى الاتجاهات السياسية المختلفة على مستوى القيادات والقواعد وبالمواطنين العاديين اثناء حياتهم اليومية .

ولرؤية **احمد حمروش** ، اهمية خاصة بحكم تجربته ، فهو واحد من « تنظيم الضباط الاحرار » الذين بدأوا ثورة يوليو فى شكل « انقلاب عسكرى » ؛ قبل أن يتحول الى الكتابة والصحافة ويتفرغ كاتبا صحفيا. ومن هنا ، فقد كان مزودا بحصيلة تجربته الشخصية وخبرته ، وهو يتابع ــ على الواقع الميدانى ــ الصورة بمختلف ظلالها ومكوناتها.

● **الثانية**: رؤية برتغالية لما جرى ويجرى. يقدمها **الفارو كونهال**، السكرتير العام للحزب الشيوعى البرتغالى، فى حديث سياسى ادلى به لمجلة « افريكان كوميونست » فى نوفمبر ١٩٧٤ ؛ وتنشره « الطليعة » هنا ــ بترتيب خاص ــ مع مجلة « افريكان كوميونست » التى يصدرها الحزب الشيوعى لجنوب افريقيا. وفى هذا الحديث ، يعرض كونهال رؤيته لما حدث فى البرتغال من خلال خبرته السياسية الغنية بالنضال الثورى على المستوى العملى والفكرى .

ومثلما لم تكتمل قصة « البرتغال الجديدة » بعد، فان « **الطليعة** » تعتقد بأهمية متابعتها بالدراسة والتحليل .●

① شهادة مصرية

عســكريون .. لــكن ديمقــراطيــون

أحمــد حمروش

حركة القوات المسلحة فى البرتغال يوم ٢٥ ابريل ١٩٧٤ ، عملية مثيرة سجلت جديدا فى عالم الانقلابات العسكرية ، واضافت الى هذا الميدان الخشن من ميادين الصراع المسلح ، ما يستحق الرصد والتحليل .

هى اول انقلاب عسكرى ، ضمن انقــلابات محدودة ، وقعت فى القارة الاوربية ، تتخذ شكلا ومضمونا مغايرا لما حدث فى **تركيا** « مــارس ١٩٦٠ » وفى **اليونان** « ابريل ١٩٦٧ » .

هذه الانقلابات الاوربية ، يلاحظ أنها وقعت فى دول مرتبطة بحلف الاطلنطى ، وانها انتهت الى فرض قبضة عسكرية على المجتمع .

ولكن حركة **البرتغال** ، وهى دولة مرتبطة بحلف الاطلنطى ايضا ، قد انفردت بطابع خاص متميز ، يتنافر تماما مع الانقلابات العسكرية الاوربية .

منذ اليوم الأول تكشف موقف هذه الحركة المسلحة .. وتبين أنها حركة تحررية تنــادى بالديمقراطية والاشتراكية معا .

اسقطت هذه الحركة النظام الفاشى الذى سيطر على البرتغال منــذ عــام ١٩٢٦ ، بعد انقــلاب عسكرى محافظ قاده « **الجنرال جــوميش دى كوستا** » يوم ٢٨ مايو ، انهى الجمهــورية الديموقراطية الليبرالية التى أسست فى ٥ أكتوبر ١٩١٠ ، والتى قامت باصــلاحات اجتمــاعية وسياسية ودينية عارضتها الكنيسة الكاثوليكية ، واثارت ضدها قوى المعارضة .

ولحق هذا الانقلاب ، انقلاب مضاد آخر فى يوليو ١٩٢٦ قام به **الجنرال كارمــونا** ، الذى استدعى استاذ الجامعة « **سالازار** » والمعروف بدفاعه عن مصالح الراسماليين والاحتكاريين ، المعتنق لافكار موسولينى الفاشية ، المدافع عن النظام الملكى ، الغارق الى أذنيه فى رجعيتــه الكاثوليكية .

استدعى الجنرال كارمونا سالازار ليكون وزيرا للخزانة : له حق الاعتراض على أى قرار من قرارات مجلس الوزراء كشرط لقبول المنصب ، فى محاولة لانقاذ الوضع « المتردى » فى رأيهم .

ومنذ ذلك اليوم لم يخرج سالازار من الحكم ، واصبح رئيسا للوزراء عام ١٩٣٢ واستقر فى منصبه حتى عام ١٩٦٨ عندما وقع له حادث اســقطه فى اغمــاء دائم ، اضـــطرهم الى تعيين « **البروفيسير مارسيللو كاتيانو** » ، رئيسا للوزراء بعد تردد طويل خشية ان يفيق الديكتاتور الفاشى من الاغماء !!

واصل « كاتيانو » أسلوب سلفه الديكتــاتورى بعد تغييرات شكلية لم تمس جوهر النظام . « غير اسم النظام من « الدولة الجديدة » الى « الدولة الاجتماعية » .

وتغير اسم « الاتحاد القومى » التنظيم الوحيد عام ١٩٧٠ ليصبح « حزب الحركة الشــعبية الوطنية » .. وعن هذا التنظيم كانت قد اقتبست ثورة يوليو المصرية فكرة الاتحاد القومى الذى اعتبرته الثورة تنظيمها الشعبى الوحيد من عــام ١٩٥٧ حتى اعلن الميثــاق ، وتشــكل الاتحــاد الاشتراكى عام ١٩٦٢ .

٤٨ عاما متصلة عاشها شعب البرتغال تحت قبضة الفاشية ، حتى كاد الناس لا يتصورون لهذا النظام الارهابى الاسود نهاية .

والبرتغال بلد أوربى صغير . كان سكانه عام ١٩٦٠ يبلغون ٩٧٥ر٢٩٢ر٨ نسمة ، انخفض عددهم الى ١٠٠ر٦٣٠ر٨ نسمة عام ١٩٧٠ .

ويقدر عدد الذين هاجروا منه بمليون ونصف خلال الاعوام من ١٩٦٠ الى ١٩٧٣ حسب الاحصائيات الرسمية .

آخر دول اوربا تقدما من الناحية الاجتماعية ، واكثرها فقرا ، ونسبة الامية فيها تكاد تصل الى ٥٠ فى المائة .

« وامبراطورية المستعمرات البرتغالية » وهو الاصطلاح الذى اطلقه « سالازار » على المستعمرات التى احتلت منذ القرن الخامس عشر

« غينيا بيساو عام ١٤٤٦ ، وانجولا ١٤٨٢ ، وموزمبيق ١٤٩٨ » فى افريقيا ، وجوا بالهند ، وملكاو على حدود الصين فى آسيا .

هذه المستعمرات رغم ما توفر فيها من ثروات طبيعية . لم تفلح تحت نير الحكم الفاشى من تقديم شىء نافع يرقى بمستوى الفلاحين والطبقة العاملة .

اذا جازت المقارنة ، مع الفرق الشاسع ، قلنا ان البرتغال خلال نصف القرن الاخير من الارهاب والعزلة ، كادت تتحول الى « اليمن » فى أوربا .

ولذا كان طبيعيا ان يتوقع المراقبون ، مع الانباء الاولى لحركة القوات المسلحة تغييرا تقدميا فى البرتغال .

واقع المجتمع يفرض نفسه على اتجاه واهداف الانقلاب العسكرى .

وفى الدول الاوربية التى حدثت فيها انقلابات عسكرية كان يوجد نظام رأسمالى يطبق حدا أدنى من الديموقراطية الليبرالية . فقد كانت الاحزاب مسموحا بها فى تركيا واليونان ، رغم حظر نشاط الحزب الشيوعى فى كلتا الدولتين .

ولذا كان مفهوما أن يتحرك الانقلاب ، لضرب هذه الحرية والديموقراطية النسبية .

أما فى البرتغال فلم يكن هناك هدف يمكن أن يتحرك اليه أى انقلاب الا تغيير الوضع الارهابى الفاشى القائم ، فلم يكن هناك مجال لمزيد من الضغط والارهاب .

وقد حرصت على مقارنة « حركة القوات المسلحة البرتغالية » بالانقلابات الاوربية وحدها .. ذلك لان طبيعة الانقلابات العسكرية فى الدول النامية تختلف عنها فى الدول الرأسمالية ؛ نتيجة للقهر الذى تعيش فيه شعوب هذه الدول ، والموقف الوطنى الذى يمكن ان يحشد حوله الطبقات العاملة والبرجوازية الوطنية والفلاحين ، وهم الذين يشكلون العنصر الرئيسى فى جيوش الدول النامية .

الجيوش والانقلابات العسكرية يمكن ان تؤدى دورا وطنيا فى الدول النامية .

ولكن تأدية هذا الدور فى بلد أوربى هو دليل على أن البرتغال كانت أوربية من حيث الجغرافيا والموقع ، واشبه بدولة نامية من حيث القهر الاجتماعى والواقع الحقيقى .

الحركة الديموقراطية فى البرتغال

والشعب البرتغالى خلال سنوات الفاشية لم يكن فى حالة يأس واستسلام كاملين .

كانت هناك مظاهر للمعارضة والمقاومة رغم مطاردة أجهزة الامن لاى نوع من أنواع النشاط السياسى .

الحزب الاشتراكى توقف عن النشاط وحل نفسه عام ١٩٣٤ . ولم يتكون الا عام ١٩٧٢ ، خارج البرتغال ، معتمدا على العناصر اللاجئة فى فرنسا .

أما الحزب الشيوعى فقد واصل نشاطه وتنظيماته ، ولم يتوقف عن النضال ضد الفاشية يوما واحدا .

« **الفارو كونهال** » سكرتير الحزب العام للحزب الشيوعى ووزير الدولة حاليا ، أمضى ١٧ عاما فى السجن . ثم هرب ليعش مختفيا فى وطنه ، وليس لاجئا فى بعض دول أوربا الاشتراكية كما ادعت بعض وكالات الانباء الغربية .

وتجسدت مقاومة الفاشية فى عدة مظاهر منها ثورة ٧ فبراير عام ١٩٢٧ التى قامت فى « بورتو » و «لشبونة» و «اليجريف» ، واشتركت فيها وحدات من الجيش والبحرية والمدنيين المسلحين . وقمعت الثورة بعنف بالغ راح ضحيته مئات من الشهداء ، وتشكلت بعدها فى باريس « عصبة الدفاع عن الجمهورية » .

وفى العام التالى ١٩٢٨ ثار جنود الفرقة السابعة المشاة الخفيفة ، ولكنهم حوصروا وهوجموا بقسوة .

وقامت انتفاضات يقودها عسكريون عام ١٩٣١ فى جزيرة ماديرا استمرت شهرا . وفى جزر الازور وفى غينيا .. وسوندت هذه الانتفاضات بمظاهرات الطلبة والعمال فى لشبونة .

وعندما تقرر نظام « الاتحاد القومى » فى نفس العام قوبل بمعارضة شعبية واضحة ، وصلت الى الجيش الذى احتل بعض ضباطه ثكنات الالاى

الاولى مدافع ماكينة ، والالاى الثالث مدفعيــة ؟ ولكنهم حوصروا ايضا .

وخلال عام ١٩٣٤ تكتلت القوى العمالية لحماية تنظيماتها النقابية . ولكن الحركه الثوريه لم تنجح لنقص التنسيق وقسوة القمع ، الامر الذى انتهى بالحزب الاشتراكى الى ايثار وقف النشــاط والانسحاب من ميدان العمل السياسى كما ذكرت .

واثناء الحرب الاهلية الاسبانية عام ١٩٣٦ ، استولى بعض البحارة المنضمين لما سمى « التنظيم الثورى للاسطول » على مركبين حربيتين بهدف مساعدة الجمهوريين فى اسبانيا ، ولكن القوات الفاشية ضربتهما بالقنابل وهما يغادران نهر التاج .

ووصل الى معتقل « تارافال » فى جزيرة الراس الخضراء اول ١٥٠ معتقلا من البحارة ، والعمال الشيوعيين ، والارهابيين ، ليقــاسوا اسلــوب الموت البطىء » من الوان التعذيب غيــر الانسانى .. والمدهش ان عقوبة الاعدام فــى البرتغال ملغاة ، وكانهــم لا يريدون ان ينعـــم الانسان بالموت السريع ، ويفضلون له « الموت البطىء » .

وقامت محاولة لاغتيال سالازار عام ١٩٣٧ .

وخلال سنوات الحرب ، تمثلت معــارضة الفاشية فى « مسيرات الجوع » ، واضرابــات العمال التى عبأت الالوف منهم وجعلتهم ينضمون الى « حركة الوحدة الديموقراطية » .

وما كادت تنتهي الحرب العالمية الثانية بهزيمة الفاشية حتى قامت انتفاضة عسكرية عام ١٩٤٦ فى « بورتو » أيدها الطلبة ، وانتهى الامر بفصل ٢٢ استاذا فى الجامعة .

وعندما مات الجنرال كارمونا رئيس الجمهورية ومدبر الانقلاب العسكرى الذى نهضت على اساسه الفاشية عام ١٩٥١ تقدم للترشيح فى منصبه ممثلان للمعارضة كان احدهما أدميرالا بحريا والاخر استاذا فى الجامعة ولكن الاتحاد القومى لم يمنحهما فرصة الترشيح .

وفى عام ١٩٥٤ قتل السكرتير السابق المؤسس للحزب الشــيوعى فى معتقل « تارافال » بنتو كونسا لفيشو ومعه عدد من المناضلين . كما اغتيل بعد ذلك النحات والفنان الشيوعى خوسيه دياز كويلمو فى شوارع لشبونة .

وفى انتخابات عام ١٩٥٨ رشحت المعارضة الجنرال همبرتو ديلجادو ضد مرشح الاتحــاد القومي الفريق البحـــري اميريــكوتوماز وزير البحرية خلال ١٤ سنة سابقة .. ورغم ضغوط كافة اجهزة القهر والامن حصل الجنرال ديلجادو على ربع الاصوات .. ولكنه تعرض للضغط فهرب الى سفارة البرازيل تفاديا للاعتقال ، وتعرض انصاره لمختلف أنواع الارهاب ، ونفى للخارج اسقف بورتو .

وظل الجنرال ديلجادو يناضل سرا حتى اغتالته أجهزه الامن البرتغالية السرية على الحــدود الاسبانية عام ١٩٦٥ .

ويذكر العالم حادث اختطاف الكابتن « هينريكو كالفاو » للمركب « سانتا ماريا » عام ١٩٦١ مما استلفت النظر الى مقاومة الشعب البرتغالى للنظام الفاشى .

هذا العرض السريع لنضال الشعب البرتغالى ضد الفاشية يضع أمامنا الحقائق الاتية :

١ ــ معارضة الشعب المتجددة لهذا النظام الارهابى .

٢ ــ ارتباط العسكريين فى الجيش والبحرية بالحركة الديموقراطية الشعبية ، والتعبير عن ذلك بانتفاضات مسلحة محلية ومتكررة ، وبروز بعض عناصر العسكريين كرمز للمعارضة مثل الجنرال ديلجادو .

٣ ــ كان الحزب الشيوعى هو التنظيم السياسى الوحيد الذى لم تتزعزع ارادته امام مــوجات الارهــاب ، وظل محورا للنضال الشعبي .

٤ ــ انتشــار مــواقع المقـاومة المســلحة والجمــاهيرية ، وتكوين « حــركة الوحـــدة الديموقراطية » يدل على وجود نوع من الجبهة الشعبية غير المعلنة .

الحركة الديموقراطية

فى القــوات المسلحة

ولم يقف النضال ضد الفاشية عند هــذه الحدود ، بل تسرب الى أخطر معاقلها .. الى القوات المسلحة .

وخلال سنوات الفاشية كانت القوات المسلحة البرتغالية تؤدى دورا من أدوار القهر البوليسية لمساندة جهاز الدولة ، سواء فى البرتغال أو المستعمرات .

وعندما رفضت حكومة سالازار الاستجابة لقرارات الامم المتحدة بتحرير المستعمرات ومنحها الاستقلال الوطنى ، بدأت حركات التحرر الوطنى فى هذه المستعمرات كفاحا مسلحا عام ١٩٦١ فى أنجولا ، وعام ١٩٦٣ فى غينيا بيساو ، وعام ١٩٦٤ فى موزمبيق .

وكانت الهند قد حررت مستعمرة « جوا » عام ١٩٦١ .

وواجهت القوات المسلحة البرتغالية تغييرا فى طبيعة دورها .. اذ اصبحت تواجه ثوارا وطنيين يدافعون عن استقلال بلادهم ، بحرب عصابات ، تتطور لصالحهم عاما بعد عام .

وعجزت القوات المسلحة عن حسم مشكلة المستعمرات لصالح النظام الفاشى ، رغم حملات القمع والعنف التى قادها جنرالات الجيش .

قاد **الجنرال انطونيو دى سبينولا** حملة من اقسى حملات الارهاب فى غينيا بيساو . ومنذ عام ١٩٦٤ حتى عاد الى لشبونة ، تحيط به مظاهر البطل الوطنى عام ١٩٧٢ ، حيث خلق له منصب نائب رئيس اركان الحرب .

ولم يجد الجنرال العجوز من سبيل لحسم مشكلة المستعمرات عن طريق الحرب ، فأصدر كتابه « البرتغال والمستقبل » عام ١٩٧٣ ، متمنيا ان تسلك الحكومة مسلكا آخر للمحافظة على المستعمرات ، والموافقة على تقرير المصير ، وخاصة بعد قرارات الامم المتحدة التي ادانت الحكومة ، وبعد قطع الدول العربية والدول الافريقية عدا روديسيا وجنوب افريقيا لعلاقاتها الدبلوماسية مع البرتغال .

وخلال هذه الحرب الطويلة المريرة ، اجبرت الحكومة البرتغالية على زيادة عدد القوات المسلحة ، وفتح ابوابها لعناصر سياسية مثقفة وواعية من الطلبة والعمال .

وكانت فرصة لتسريب الافكار الديمقراطية والاشتراكية ، والرد على تساؤلات الجنود عن دوافع هذه الحرب وأهدافها ومصلحتهم فيها .

كانت الخسائر تتضاعف عاما بعد آخر ، وأصبح منظر مشوهى الحرب من المناظر المستفزة المؤلمة فى شوارع لشبونه .. ومع ازدياد الخسائر كان الوعى يزداد عمقا وانتشارا .

قال **كاتيانو** رئيس وزراء البرتغال قبل حركة ٢٥ ابريل ، ان الخسائر قد بلغت عام ١٩٧٣ فى موزمبيق وحدها ٢٣٥٨ قتيلا ، ٥٥٤ جريحا ، ١٧٦٨ مفقودا .

القتال فى المستعمرات هو المنظار الوحيد الذى ينظر به رجال القوات المسلحة الى الموقف السياسى . وهو الدافع الرئيسى لتكوين شبكتهم التنظيمية ، التى نجحوا فى تشكيلها رغم عيون النظام الفاشى ، والتى ضمت الضباط وصف الضباط والجنود .

وفى صبر وسرية تشكلت « حركة القوات المسلحة » وتضم عشرات من الرجال .

وفجر كتاب « البرتغال والمستقبل » كثيرا من التناقضات .

لم يتحمل نظام كاتيانو نقد الجنرال سبينولا الهادىء ، فأصدر امرا باحالته الى التقاعد ، ومعه رئيس اركان حرب القوات المسلحة الجنرال **كوستاجوميش** « رئيس الجمهورية الحالى » باعتباره قد تهاون مع نائبه مؤلف الكتاب .

واتخذ رجال « حركة القوات المسلحة » من هذا الموقف باعثا للاثارة ، وتحركوا فى تمرد عسكرى يوم ١٦ مارس ١٩٧٤ ، حاولت فيه بعض الوحدات الاستيلاء على العاصمة ، فتصدت لها قوات من الجيش والحرس الجمهورى ، بقيادة قائد القوات البرية ، واعتقل عدد من ضباط الجيش تعرضوا تحت التحقيق لتعذيب شديد .

ولكن لم يستطع كاتيانو رغم مهارة وخبرة اجهزة الامن ، ورغم اصطياد عناصر التمرد المضروب ، حصر ابعاد الحركة فى الجيش .

ولم يمض وقت طويل بعد تمرد ١٦ مارس .. حتى هبت حركة القوات المسلحة فى منتصف ليلة ٢٥ ابريل ١٩٧٤ بعد سلسلة من اضرابات ومظاهرات الطلبة .

انتصار حركة القوات المسلحة

انتصرت الحركة فى نفس الليلة ، فانه ما أن شعرت الجماهير بأن جانبا من القوات المسلحة قد تحرك ضد النظام حتى خرجت مع الفجر لتلتف حول رجالها الذين احتلوا الاذاعة والاماكن الحيوية .

وهرع رئيس الجمهورية صاحب الثمانين عاما أميرال البحر السابق « **اميريكو توماز** » ومعه رئيس الوزراء « **مارشيللو كاتيانو** » لمبنى الحرس الجمهورى الذى حاصرته القوات المسلحة .

وبعد تبادل بعض طلقات الدبابات والمدفعية ، استسلم الاثنان ، وسلم « كاتيانو » الدولة - حسب رغبته - الى الجنرال « انطونيو دى سبينولا » الذى اختارته حركة القوات المسلحة رئيسا للدولة ، وأعادت معه الجنرال كوستاجوميش رئيسا للاركان .

كان هذا الاختيار دليلا على رغبة شباب « حركة القوات المسلحة » فى احتضان كل العناصر المعادية للفاشية بما فيهم بعض جنرالات العهد السابق ، فى نظام وطنى تقدمى .

ولم يجمح شباب الحركة .. وهم شباب بالعمر والحيوية فعلا .. الى انتهاج أساليب الانقلابات العسكرية التقليدية ، فقد قيدوا انفسهم ببرنامج معين أعلن يوم ١٥ مايو ١٩٧٤ ، بعد اتخاذ اقل عدد من الاجراءات الادارية لتأمين الثورة ، والتى لم تتجاوز اعتقال المسئولين فى اجهزة الامن والتحقيق معهم ، وفصل حكام المستعمرات والولايات واستبدالهم بقيادات جديدة ، والافراج عن زملائهم الذين اعتقلوا يوم ١٦ مارس ١٩٧٤ .

ومعهم كل المسجونين السياسيين ؟ والغاء كل التنظيمات الفاشية .

كل السفراء ظلوا فى مناصبهم ، وكل الوزراء السابقين لم يعتقلوا عدا وزير الداخلية الذى هرب . ووزير الاعلام الذى اعتقل .

رفعوا أيديهم بارادتهم عن السلطة التنفيذية خشيه الانزلاق الى حكم عسكرى مطلق .

وعندما وضح هذا الموقف للجماهير تعلقت كل القلوب بهؤلاء الشباب الذين رفعوا عنهم ظلام الفاشيه وحطموا قيود الارهاب ، واطلقوا صوت الحريه ، وتدفقت المظاهرات فى الشوارع .

وكانت مظاهرات اول مايو ، العيد الذى حرم منه العمال ما يقرب من نصف قرن تدشينا لانتصار حركة القوات المسلحه ، فقد خرج الى الشوارع مئات الالوف من المتظاهرين المتحمسين .

عسكريون .. ولكن ديموقراطيون

وانفردت « حركة القوات المسلحة البرتغالية » بظاهرة السماح بتكوين الاحزاب السياسية .. بل انها منحت هذه الاحــزاب مكاتب اجهـزة الامن والبوليس السياسى لتكون مقرات لها .

وأطلقت حرية الصحافة كاملة بلا رقابة من اى نوع . وانفردت أيضا باعلان برنامج لها محدد بالاجراءات والتواريخ .. وهو ما لا تلجأ اليه الانقلابات العسكرية مطلقا فى أية قارة مـن القارات ، وعلى مدى التاريخ .

صــدر هذا البرنامج يـوم ١٥ مايـو ١٩٧٤ باسم « **الحكومة المؤقته** » وينص على تكوين ثلاث مجـالس .. مجلس الانقـاذ القـومى ، ومجـلس ممثلو القوات المسلحة ويضم رؤساء الاركان وعددا من الضباط ، ومجلس ثالث يعينه رئيس الجمهورية من شخصيات حسنة السمعة ولها وزن سياسى وجماهيرى .

كل مجلس يتكون من سبعة اشـخاص ، ومجموعها كان يسمى مجلس الدولة .. وكان عدد الضباط فيها ١٦ من ٢١ عضوا .

الوزارة الاولى شكلت برئاسة البروفيسير « **بالما كارلوس** » وهو أستاذ جامعة معاد للفاشية كان قد هاجر الى البرازيل ، وكلهامن المدنيين عدا وزير الدفاع .

ضــمت الوزارة « **الفاروكونهال** » ســكرتير الحزب الشيـوعى وزيـرا للـدوله ، « **وماريو سواريش** » سكرتير الحزب الاشتراكى وزيـرا للخارجية .

ليست هناك حساسية من الشيوعية بين ضباط الحركة لادراكهم ان الحزب الشيوعى كان يقوم بدور نضالى طويل ومرير ، وملىء بالتضحيات ضد الفاشية .

كان هذا دليلا أيضا على الاتجاه الديموقراطى المتفتح لهؤلاء الشباب من رجال القوات المسلحة .

وحدد البرنامج تشكيل « **جمعية تأسيسية** » لوضع واقرار دستور جديد ودائم فى مدة لا تتجاوز ٩٠ يوما ، يمكن أن تمتد ٩٠ يوما اخرى غير قابلة للتجديد .. تحل بعدها الجمعية التأسيسية اذا لم تصدر الدستور ، وتنتخب بدلا منها جمعية أخرى .

كما حدد البرنامج أيضا موعد الانتخـابات العامة لها بحيث لا تتجاوز نهاية مارس ١٩٧٥ اى قبل مرور عام واحد على الحركة .

ويعتبر هذا التقيد بمواعيد الانتخابات العامة امرا جديدا أيضا تنفرد به وتتميز « حركة القوات المسلحة » فلم نعرف انقلابا حمل معه منذ يومه الاول اعلانا عن الديموقراطية أو تحديدا لمواعيد انتخابات عامة تقر دستورا دائما للدولة .

عسكريون ، نعم .. ولكن ديموقراطيون أيضا .

خلال الشهور الاولى وعقب رفع القبضــة الفاشية عن تكوين الاحزاب حدثت موجة عاصفة من الحرية ، ادت الى ظهور عدة أحزاب الى جانب الحزب الشيوعى بلغت الثلاثين حزبا ، منها على سبيل المثال حزب ملكى يدعو لعودة الملكية التى سقطت بثورة شعبية ضد الملك عمانويل عـام ١٩١٠ ، وسبق ان قتل الملك الذى كان قبله دون كارلوس فى أول فبراير ١٩٠٨ .. ومنها ايضا احزاب يسارية متطرفة تروتسكية وماوية .

احزاب تعبر عن كل الاتجاهات .. عـدا الاتجاهات الرجعية الفاشية .. وهى جميعا تطلب أعضاء .

التحــرر .. والاشتراكية

ولم تكن دعوة « حركة القوات المسـلحة » للديمقراطية ، دعوة مثالية مجردة . ولكنها كانت مرتبطة أيضا بضرورة تحـرير المسـتعمرات البرتغالية ، وبناء المجتمع الجديد علـى أسس اشتراكية .

ثلاثة أهداف رئيسية وردت فى برنامج الحركة :

- الديموقراطية .
- تحرير المستعمرات .
- التطور فى اتجاه الاشتراكية .

واثبتت الاحداث خلال العام الاول للحـركة اصرارها على تطبيق الديموقراطية ، ونجاحها فى الوصول الى اتفاق مع قوى التحرر الوطنى فى المستعمرات الافريقية لسحب القوات البرتغالية واعلان الاستقلال الكامل لها .

وبذا انتهت الحروب الاستعمارية الى غيـر رجعة .

وتم الاعتراف بحق شعوب المستعمرات فى الاستقلال وحق تقرير المصير .

واصبحت غينيا بيساو دولة مستقلة يتم التعاون معها على كل المستويات .

وتم اتفاق لوزاكا مع حركة التحرير « فريليمو » فى موزمبيق على تشكيل حكومة انتقالية ولجنة عسكرية مختلطة للعمل حتى ٢٥ يونيو ١٩٧٥ حيث يتم اعلان الاستقلال . وتم بالفعل فى موعده .

وتم الاتفاق فى الجزائر ايضا على استقلال بعض الجزر فى ١٢ يوليو ١٩٧٥ ، وفى لشبونة على استقلال جزيرة الرأس الخضراء فى ٥ يوليو ١٩٧٥ .

كما اتفق فى « الجريف » بين حركات التحرر الانجولية والحكومة البرتغالية على تشكيل حكومة مؤقتة ، ولجنة دفاع وطنى تعملان الى حين اعلان الاستقلال فى ١١ نوفمبر ١٩٧٥ .

أما جزيرة « تيمور » حيث يصر الاهالى على الارتباط بالبرتغال ، فسيجرى استفتاء يحدد مصير المستعمرة .

وتبقى « ماكاو » المجاورة للصين ، وقد اعترفت البرتغال بحكومة الصين الشعبية ، ولكنها لم تتلق ردا من الجمهورية الصينية حتى الان . وقد أعلن المسئولون البرتغاليون استعدادهم الفورى لبدء محادثات مع الصين الشعبية حول مستقبل « ماكاو » اذا ما طلبت ذلك حيث انه لم يدر مطلقا أى حديث عن استقلالها ، أو ضمها للصين الشعبية .. والغالب ان حكومة الصين الشعبية تتخذ هذا الموقف ابقاء على الوضع الحالى فى « ماكاو » حيث تعتبر منفذا تجاريا لجمهورية الصين الشعبية مثل « هونج كونج » .

وهكذا أمكن لحركة القوات المسلحة ان تحسم مشكلة تحرير المستعمرات قبل أن يكتمل من عمرها عام واحد .

وبقى الهدف الثالث .. وهو التطور فى اتجاه الاشتراكية .

ولم تجنح حركة القوات المسلحة الى اتخاذ اجراءات عاجلة متسرعة .. فأعلنت التزامها بكل الاتفاقيات الدولية السابقة ، ومنها حلف الاطلنطى .

وخلال العام الاخير ، عادت البرتغال لليونيسكو ، واعيدت العلاقات الديبلوماسية بينها وبين الدول العربية ، وعدد كبير من الدول الافريقية ، كما انشئت علاقات ديبلوماسية بينها وبين الدول الاشتراكية بعد قطيعة امتدت ٤٨ عاما كاملة .

وخطوات التطور الاجتماعى نحو الاشتراكية تقترن قطعا بالسير فى طريق الديموقراطية والتحرر الوطنى للمستعمرات .

سدود فى الطريق

ولم تمض « حركة القوات المسلحة » فى طريقها كالحصان المنطلق فى الارض الفضاء .. ولكنها قابلت سدودا وعراقيل تجمع حولها الرجعيون من الاقطاعيين والاحتكاريين وابناء البورجوازية الكبيرة .

مفهوم أن تكون هناك جبهة وطنية لمقاومة الفاشية .

ولكن عندما يتحول الامر الى السير فى طريق التحول نحو الاشتراكية ، تقتضى الظروف تغيير تكوين الجبهة ، حيث تفرض الامور تحالفات اكثر وثوقا للطبقات صاحبة المصالح المشتركة فى التغيير الاجتماعى ، وعزل بعض الطبقات الرجعية المعادية للتقدم .

وقد ظهرت العقبة الاولى امام « حركة القوات المسلحة » عندما حاول أول رئيس للوزراء تعطيل تنفيذ برنامج الحكومة المؤقتة ، وطالب بتأجيل انتخابات الجمعية التأسيسية الى خريف ١٩٧٦ ، مع ترشيح سبينولا رئيسا للجمهورية خلال ثلاثة شهور لاعطائه شرعية دستورية . وذلك بقصد الاضعاف من قوة حركة القوات المسلحة ، وتحطيم برنامجها الذى اعلنته والتزمت به ، استنادا الى قيام مظاهرات متعددة قام بها المتطرفون اليساريون .

وعندما وجد سبينولا معارضة من جانب ضباط الحركة تراجع عن تأييده لرئيس الوزراء « بالما كارلوس » منتظرا فرصة أخرى مناسبة .

استقال رئيس الوزراء فى ٢٣ يونيو ١٩٧٤ .

وخطت الحركة خطوة جديدة .. اذ عينت الرأس المدبر والمخطط للحركة العقيد المهندس « فاسكو كونسالفيتش » رئيسا للوزراء ، وهو فى الثانية والخمسين من عمره ، بينما بقية أعضاء الحركة من الشباب الذى لم يصل بعد الى سن الاربعين .

ورقى الصاغ « اوتيللو دى كارفاليو » أحد قادة الحركة الى رتبة العميد وعين قائدا للامن القومى ولحامية لشبونة ، وهو فى الثالثة والثلاثين من عمره .

ودخل الوزارة عدد من الضباط ، عينوا فى مناصب وزراء الدفاع والداخلية والاعلام والعمل .

وبدأت الوزارة فى اتخـــاذ عـدة اجـراءات ديموقراطية هامة مثل تحرير القضاء واستقلاله عن الحكومه . ومفاوضة الكنيسة الكاثوليكية لالغاء اتفاقيتها السابقة مع سالازار ، وتكوين اتحادات العمال بعيدا عن تدخل الدولة ، واباحة حـق الاضراب والتظاهر ، ومنح المرأة حقـوقها السياسية بما فيها حق تولى مناصب القضاء .. الى غير ذلك من الاجراءات الاقتصادية ، فرفعت الاجور البسيطة وحددت الاجور العالية ..

ولم يصادف هذا الاتجاه المقترن بالاصرار على تحرير المستعمرات تحريرا كاملا .. لم يصادف قبولا عند الطبقات الرجعية التى تجمعت مرة أخرى حول الجنرال العجوز ذى الموتوكل رئيس الجمهوريه « انطونيو دى سبينولا » ، الذى تبنت بينه وبين قادة الحركه من شباب الضباط تناقضات وخلافات واضحة فى أمرين :

الاول ... تردده فى تحرير المستعمرات وبحثه عن صيغة لاستمرار ربطها بالبرتغال كما صرح بذلك .

الثانى ... محاولته تعطيل الاجـراءات الديموقراطية والاشتراكية .

ووصل الامر غايته عندما طلب التصريح بخروج مظاهرات تعبر عن الاغلبية الصامتة — على حد تعبيره — ورفض شباب الضباط خروج هـذه المظاهرات المدبرة لتأييده ومحاولة فرض سلطته فوق سلطة الحركة .

ولم يجد الجنرال سبينولا امامه سبيلا سوى الاستقالة التى قدمها يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٧٤ . وتغير شكل الوزارة ، وخرج منها الضباط الموالون له .

وعين الجنرال كوستا جوميش رئيس الاركان ، رئيسا للجمهورية .

وكشف بعض الضباط الذين خرجوا مع سبينولا النقاب عن وجههم ، فانضموا الى الاحـزاب المحافظة مثل الحزب الشعبى الديمـوقراطى ، وتولى أحدهم وهو الماجور سانشوس اوزاريو ، وزير الاعلام السابق ، منصب سكرتير الحزب المسيحى الديموقراطى .

انقلاب مضاد مسلح

ولم تكتمل ستة شهور على استقالة سبينولا حتى تعرضت حـركة القـوات المسلحة لانقـلاب عسكرى مضاد من تدبيره يوم ١١ مارس ١٩٧٥ .

اختارت القوات الانقلابية موقعا حاكما من الوجهة الجغرافية ، هو معسكر المدفعية ، الذى يسيطر على « المطار وقيادة حامية لشبونة ومبنى التليفزيون » وقررت قصفه بالصواريخ . ثم احتلاله باسقاط وحدة من جنود المظلات .

انباء المحاولة الانقلابيـة تسربت الى قيـادة الحركه ، الامر الذى اضطر الانقلابيين للاسراع بتنفيذها يوم ١١ مارس بدلا من ١٥ مارس كما كان مقررا .

وقد فشلت المؤامرة الانقلابية نتيجة هذا التبكير غير المحسوب ، ونتيجة ايضا لقدرة ومهـارة قيادة « حركة القوات المسلحة » التى بـادرت بتحريك بعض جنود معسكر المدفعية لاحتلال عمارة مقابله لمحاصرة جنود المظلات مما أبطأ حركتهم وأصـابهم بـالـتردد . وذلـك الى جـانب شجاعة « **أوتيلو دى كارفاليو** » قائد حامية لشبونة الذى واجه جنود المظلات وعقد معهم مناقشة ، تبين منها ان قادة الانقلاب المضاد قد أقنعوهم بأن سـبينولا معتقـل فى معسـكر المدفعيـة ، وان الشيوعيين قد سيطروا على الحركة ولن يسمحوا باجراء انتخابات .

وعندما فسر لهم « كارفاليو » كذب هـذه الادعاءات وطلب من لجنة منهم الذهاب لمعسكر المدفعية للتأكد من عدم وجود سبينولا ، وصارحهم بأن الانقلابيين قد اقنعوهم باطلاق النار علـى زملائهم بدلا من اظهار الحقائق لهم ، تـراجع المظليون وانقادوا لكارفاليو ، ومن خلفه جنود الحركة وجماهير الشعب التى زحفت الى الشوارع تحت قيادة الاتحادات والهيئات الديمـوقراطية والحزب الشيوعى فور سماع صوت الطائرات وانفجار الصواريخ ومشاهدة اسقاط جنود المظلات وأحاطت بالمعسكرات احاطة تامة ، جعلت التحرك منها للشوارع صعبا بل مستحيلا .

أقول .. تراجع جنود المظلات وقـالوا « لقد خدعنا أيها الرفاق » .

وقد شاهد الشعب البرتغالى هذه المشاهد الحية على شاشة التليفزيون فى اليوم التالى مباشرة ١٢ مارس ، ذلك ان مصورى التليفزيون كانوا فى مقدمة الجماهير التى تحركت الى مراكز الخطر .

وشاهد الشعب أيضا محاصره الجماهير لمبنى الحرس الجمهورى الذى كان قد سقط فى يد الانقلابيين ، ومطالبة احدى السيدات لهم بالافراج عن زوجها الضابط فى الحرس ، وهدير الجماهير يجبر الانقلابيين على الفرار واللجوء الى سفارة ألمانيا الاتحادية .

فشلت المؤامرة الانقلابية ، رغـم ما اثبتته التحقيقات بعد ذلك من تشعبها فى الوحدات ، وكثرة العناصر التى انضمت اليها . فقد اعتقل ٦٧ ضابطا متورطا فى الانقلاب المضاد ، وهـرب

سبينولا الى اسبانيا ومعه زوجته وخمسة عشر ضابطا ، ومنها سافر الى البرازيل بعد رفض اسبانيا اعطاءه حق اللجوء السياسى . وهرب الضابط ووزير الاعلام السابق سانشوس اوزاريو سكرتير الحزب الديموقراطى المسيحى حيث وصل الى باريس .

لعبت الجماهير دورا رئيسيا بارزا فى التعاون مع قيادة حركة القوات المسلحة لاحباط هذا الانقلاب العسكرى المضاد .

وواجهت « حركة القوات المسلحة البرتغالية » موقفا كان يمكن أن يدفعها الى الغاء الانتخابات وفرض سيطرتها العسكرية .. ولكنه رغم ما اظهرته التحقيقات من خطورة أبعاد المؤامرة ، فان انتخابات الجمعية التأسيسية لم تتأجل الا اياما محدودة ، لتتم يوم ٢٥ ابريل بدلا من ١٢ ابريل ١٩٧٥ .

خطوات أكثر حزما

كانت مؤامرة ١١ مارس هى الحركة المضادة الثالثة خلال عام واحد . وقد تدرجت المعارضة من استقالة رئيس الوزراء الى استقالة رئيس الجمهورية ، الى التحرك فى انقلاب مسلح .

واستشعر رجال « حركة القوات المسلحة » الخطر الذى يحيق بهم وبأهدافهم ، فاتخذوا الخطوات الحازمة التالية :

أولا .. تشكيل « مجلس قيادة ثورة » من ٢٤ عضوا ، وحل المجالس الثلاث السابق ذكرها والتى كانت تشكل « مجلس الدولة » .

ثانيا .. الاعلان عن تشكيل « حركة القوات المسلحة » من ٢٤٠ عضوا منهم جنود وصف ضباط .

ثالثا .. اصدار ميثاق يعطى للحركة ولمجلس الثورة شرعية دستورية ويفرض فترة انتقال مدتها من ثلاث الى خمس سنوات تكون فيها السلطة الرئيسية لهذين المجلسين .

رابعا .. الاصرار على بقاء الاحزاب التى لم تتورط فى الحركة الانقلابية .. وحل الاحزاب التى ثبت ارتباطها بها ، مثل الحزب المسيحى الديموقراطى ، وحزبين يساريين متطرفين ثبت أن لواحد منهما صلة مع المخابرات المركزية الامريكية ، والثانى له صلة مع دولة آسيوية .

خامسا .. مطالبة الاحزاب بالتوقيع على الميثاق الذى يضمن استمرار سيادة حركة القوات المسلحة حتى تحقق أهدافها . وقد وقع على الميثاق الاحزاب الاربعة المشتركة فى الحكومة وهى « الحزب الاشتراكى والحزب الشيوعى والحزب الشعبى الجمهورى والحركة الديموقراطية » وحزبان آخران انفصلا من الحزب الاشتراكى ، ووقفا على يساره ، وهما الجبهة الاشتراكية الشعبية . وحركة الاشتراكيين اليساريين .

ورفض التوقيع ستة احزاب اخرى هى حزب الوسط الديموقراطى الاشتراكى ، والحزب الشعبى الملكى ، واربعة أحزاب يسارية متطرفة هى الجبهة الشيوعية « الماركسية اللينينية » ووحدة الديموقراطية الشعبية ، وحزب الوحدة الشعبية ، والوحدة الشيوعية العالمية .

١٢ حزبا فقط هى التى اعتبرت قانونية ، وسمح لها بدخول انتخابات الجمعية التأسيسية .. وليس للحركة مقياس على الاحزاب سوى القدرة على تجميع ٥٠٠٠ توقيع ليكون الحزب قانونيا .

سادسا .. صدور قرارات تحقق الهدف الثالث للحركة وهو « التطور فى طريق الاشتراكية » فأممت يوم ١٢ مارس وما بعده الاموال البرتغالية فى البنوك وشركات التأمين وصناعات البترول والسماد والدخان والمواد الغذائية والاسمنت وشركة الطيران وشركات الملاحة ، وعدد آخر من الشركات .

ويلاحظ أن العمال والموظفين قد أضربوا عن العمل فى البنوك والشركات الكبيرة ووضعوا حراسات عليها عندما تبين أن بعض أصحابها كانوا على صلة بالمؤامرة الانقلابية .

سابعا .. تغيير بعض قيادات القوات المسلحة مثل قائد القوات الجوية ، واعتقال الضباط والمدنيين المتورطين فى الانقلاب المضاد للتحقيق معهم ومحاكمتهم .

وهكذا بدأت « حركة القوات المسلحة » بعد الاصرار على الديموقراطية ، وتحرير المستعمرات ، تتخذ خطوات أكثر حزما نحو تطبيق الاشتراكية .

الانتخابات

تنفيذا للبرنامج المكتوب ، أجريت الانتخابات للجمعية التأسيسية فى العيد الاول للحركة ، فسجلت بذلك ، رقما قياسيا فى عالم الانقلابات العسكرية .

حصلت الاحزاب على النتائج الاتية :

الحزب الاشتراكى ٣٧٫٨٧ فى المائة .

الحزب الشعبى الديموقراطى ٢٦٫٣٣ فى المائة .

الحزب الشيوعي ٦٣ر١٢ في المائة .
حزب الوسط الديموقراطي الاشتراكي ٥٥ر٧ في المائة .
الحركة الديموقراطية البرتغالية ١١ر٤ في المائة .
الجبهة الاشتراكية الشعبية ١٧ر١ في المائة .
جبهة الاشتراكيين اليساريين ٠٢ر١ في المائة .
الجبهة الشيوعية « الماركسية اللينينيه » ٨ر في المائة
وحدة الديموقراطية الشعبية ٥٧ر في المائة
الحزب الشعبي الملكي ٥٦ر في المائة
حزب الوحدة الشعبية ٢٢ر في المائة
العصبة الشيوعية العالمية ١٩ر في المائة
والباقي أصوات غير صالحة

ومن ذلك يتبين الاتي :

١ - ثمانية احزاب لم تحصل على اصوات تكفل لها التمثيل داخل الجمعية التأسيسية .

٢ - خمسة احزاب حصل كل منها على أقل من ١ في المائة وهي نسبة ضئيلة وغير مؤثرة .

٣ - جاء الحزب الشيوعي في الترتيب الثالث رغم تاريخه النضالي الطويل ، وحاضره القوى المؤثر .

٤ - نسبة المشتركين في الانتخابات عالية جدا ، وهي أول انتخابات حقيقية تتم في البرتغال منذ نصف قرن .

٥ - ينتهي عمر الجمعية التأسيسية بعد تسعين يوما عقب الانتهاء من وضع الدستور .

وتثير هذه الانتخابات ونتائجها قضية هامة ، وهي « صحة تعبير الانتخابات عن ارادة الشعب بعد فترة طويلة من الكبت والقهر وخلق انسان غير سياسي » .

الواقع ان هذه المشكلة تتجسد في البرتغال الى حد كبير . فالى جانب النسبة العالية من الامية ، وعدم اعتياد الناس على ممارسة حقهم الانتخابي ، وعدم اعتياد الاحزاب على المشاركة في هذه « اللعبة الانتخابية » بتقاليدها واساليبها ، يوجد عامل آخر هام هو تخلف سكان الجزر والشمال الى الدرجة التي تجعل بعض سكان القرى لا يعرفون او يستخدمون ما يزيد عن ٣٠٠ كلمة فقط ، وكذلك سيطرة رجال الكنيسة الكاثوليكية الرجعيين على هؤلاء السكان البؤساء .

ولذا يمكن القول في ثقة ان نتيجة الانتخابات السريعة التي افرزت الجمعية التأسيسية لا تعبر عن الثقل السياسي الحقيقي للشعب البرتغالي محتشدا في اتحاداته العمالية والمهنية .

ولا شك ان انتخابات الجمعية التشريعية التي ينتظر ان تتم في العام المقبل ١٩٧٦ سوف تظهر مؤشرات جديدة نحو تطور أفضل في قدرة الجماهير على التعبير عن رأيها بعد تكشف الحقائق لها ، وتأثير وسائل الدعاية في وعيها .

ولذا كان حرص « حركة القوات المسلحة » على عدم عودة الجيش الى الثكنات قبل التأكد من تنفيذ البرنامج التقدمي الذي اقتنعوا به وناضلوا من أجله ، هو حرص طبيعي معبر عن ارادة الشعب التي يلمسها الانسان هناك في حب وولاء حقيقي للحركة المسلحة .

تقييم .. للمستقبل

يخطىء من يحاول التقليل من الاخطار التي تهدد « حركة القوات المسلحة البرتغالية » .

ويخطىء أيضا من يحاول التقليل من قدرة هذه الحركة على مجابهة الاخطار والتصدي لها ، والاستمرار في طريقها الاشتراكي .

والمحاولات المضادة الثلاث التي وقعت في العام الماضي ، عجلت بصقل تجارب هؤلاء الشباب ، ووضعتهم في مواجهة مسئوليات تعرض الوطن وتعرضهم لخطر شديد .

أعلن « أوتيللودي كارفاليو » في مؤتمر صحفي أنه يدرك اخطار مؤامرات المخابرات المركزية الامريكية ، وانه لا يتوقع عملا عسكريا من أمريكا .. لان ذلك سوف يكون انتحارا سياسيا لها - على حد تعبيره - ولكنه يتوقع ضغوطا اقتصادية ومؤامرات انقلابية .

ولذا فقد أعلن « كارفاليو » انهم يحولون القوات المسلحة البرتغالية الى جيش شعبي .. ينتظم المواطن المسلح داخله في نسيج واحد مع افراد القوات المسلحة .

وهذا يقلل ويضعف تماما من فرص الانقلابيين ، ويؤكد فرص استمرار الثورة في طريقها التقدمي ، الذي تتحالف فيه القوى العاملة والفلاحون مع القوات المسلحة .

يقول « الفاروكونهال » سكرتير الحزب الشيوعي البرتغالي :

« ان تحالف الشعب والقوات المسلحة هو العامل الحاسم في اقامة الديموقراطية ، واذا تصدع هذا التحالف ستتعرض قضية الديموقراطية للخطر في الحال ، ولهذا يحرص حزبنا على تقوية وحدة الشعب والقوى الديموقراطية من ناحية ،

وتحالف الحركة الشعبية وحركة القوات المسلحة من ناحية أخرى .

والوحدة داخل حركة القوات المسلحة ذات اهمية سياسية ،فالقوات المسلحة تتكون من اناس ينتمون الى مجموعات اجتماعية مختلفة ، وهذا يؤدى الى تناقضات وخلافات ، فاذا ضعف تحالف الطبقة العاملة والفلاحين والبورجوازية الصغيرة واقسام معينة من البورجوازية المتوسطة ، فلابد وان ينعكس ذلك على سلوك افرادها فى القوات المسلحة ، ويمكن ان تصبح الخلافات والانقسام امرا محتما ، ويتطلب الوضع السياسى بصورة ملزمة الوحده داخل القوات المسلحة ، وتحالفها الوثيق مع القوى الاجتماعية العاملة من أجل التحول الديموقراطى .

وسوف تؤدى وحدة القوى الديموقراطية ووحدة عمل الاحزاب السياسية ، الى الوحدة داخل حركة القوات المسلحة .. وعلى العكس اذا كان هناك خلاف ونزاع بين الاحزاب السياسية فسوف يزيد هذا من التناقضات داخل القوات المسلحة وتحالفها مع الحركة الشعبية » .

تفسير الفارو كونهال للموقف يسلط الضوء على تحركات الجفاء والتناقضات التى يثيرها الحزب الاشتراكى بعد ظهور نتيجة الانتخابات وحصوله على المركز الاول .

وهى تناقضات وخلافات طبيعية ومنتظرة ، ولكنها ـ فيما اعتقد واثق ـ لن تتحول الى سلاح يشق المجتمع ، ويمزق الوحدة الوطنية . وذلك لعمق وعى قادة حركة القوات المسلحة ، واسلوبهم الديموقراطى فى المناقشة واتخاذ القرار ، كما عبر عن ذلك كارفاليو فى مؤتمره الصحفى عندما قال « نحن نؤمن بالديموقراطية واجاباتى هى رايى الخاص .. ونحن نتناقش فى مجلس قيادة الثورة ، وحركة القوات المسلحة بكل حرية وصراحة ، ونأخذ قراراتنا باسلوب ديموقراطى» .

تجربة « حركة القوات المسلحة البرتغالية » جديدة ومثيرة ومبشره بأنه يمكن للعسكريين ان يكونوا ديموقراطيين واشتراكيين ايضا .

ولكن القصة لم تكتمل بعد ..

(٢) شهادة برتغالية

ثورة البرتغال
بين حركة الجيش وحركة الجماهير

الفارو كونهال

اذا كان للرموز معنى ، لحكى المكان الذى قابلت فيه **الرفيق الفارو كونهال** نفسه قصة .

فقد كانت مكاتب الحزب الشيوعى البرتغالى التى جلسنا فيها ، هى مكاتب « الفرق الفاشية » قبل احداث ابريل ١٩٧٤ . لقد غطيت جدرانها ، التى علقت عليها من قبل صور سالازار ، بصور وملصقات للبرتغال الجديدة ، تحتفل بأبطال العمال فى النضال ضد الفاشية وتحث الشعب البرتغالى على دعم المكاسب الديموقراطية لابريل ، وتعبر عن التضامن مع « حركة القوات المسلحة » ، وتدعو الى اليقظة فى وجه المؤامرات المستمرة للرجعية ، وتدعو الحزب الشيوعى البرتغالى كحزب الاشتراكية . انها تحيى الذكرى السابعة والخمسين لثورة اكتوبر العظمى ، وتؤكد مبادىء التضامن الاممى ، وتبين الجدران كذلك بشكل بارز ملصقات عن حركات التحرر فى المستعمرات ، « فريليمو » و « بياج » و « مبلا » وصور قادتها **ميشيل وكابرال ونيتو** .

ولا ينبيء ظهور كونهـال ـ بشـعره الرمادى ولكن بنظرته الشابة ـ الا بالقليل عن الطريق الصعب الذى سار فيه هـو وزملاؤه لعدة عقود من السنين . فأيام ان كان طالبا بكلية الحقوق بجامعة لشبونة انضم للحـزب الشيوعى البرتغـالى عام ١٩٣١ وكان فى السابعة عشرة من عمره وسرعان ما اصبح قائدا « لرابطة الشباب الشيوعى » . وذهب الى اسبانيا خـلال « الحرب الاهلية » وعند عودته قبض عليه « البايد » [البوليس السرى البرتغـالى] ورغم تعذيبه بقسوة الا انه ظل صامتا . واطلق سراحه ثم قبض عليه مره اخرى عام ١٩٤٠ حيث قضى سنة اخرى فى السجن . وفى عام ١٩٤٩ وضعه النظام مرة اخرى فى السـجن ، لـمدة ١١ سـنة ، قضى منهم ثمانية سنوات فى الحبس الانفرادى . وهرب الرفيق كونهال وعدد آخر من قادة الحزب من سجن بنيش الحربى عام ١٩٦٠ . وفى عام ١٩٦١ انتخب سكرتيرا عاما للحزب الشيوعى البرتغالى ، وهو يمثله الان فى الحكومة المؤقتة .

معالم واضحة

فى عام ١٩٦٤ نشر الحزب الشيوعى البرتغالى سرا كتاب الرفيـق كونهـال : **الطريق الى النصر** « من تقريره الى اللجنة المركزية . منذ ذلك الحين حدث تقدم درامى فى البرتغال . ولكن الواضح من محتويات الكتاب ان الشعب البرتغالى لم يتعثر على طريق النصر باحدى احداث التاريخ ، وان المعالم قد زرعها الحزب بوضـوح قبـل احداث ابريل بوقت طويل .

يناقش الكتاب امكانية قيام الجيش بعمل ضد الفاشية ، ويقترح ان تتحدد لحظـة العمل من وجهة نظـر عسـكرية ، ولكن توقيتها العام فقد يرتبط بالجو الذى تخلقه الجماهير . لقد كان عدم الرضا المتنامى فى الجيش ، والذى قد يصبح عاملا كبيرا فى حالة البرتغال ، علامة من الراديكالية السياسية العامة للشعب البرتغالى .

وفى مايو ١٩٧٠ ادرك الحزب الشيوعى البرتغالي بالفعل الازمة المتزايدة للفاشية ، ودعا لهجوم شامل جديد ضدها . لقد أكد الحاجة الى كسب مواقع فى المؤسسات العسكرية حتى تتعمق أزمة النظام اكثر ، وتنمية الحرب ضد الحروب الاستعمارية ، وخلق الظروف للقيام بهبة مسلحة للشـعب كله الذى «يفترض مقدما اشتراك وتحييد جزءا هاما من القـوات المسلحـة على أساس الطبيعة العسكرية للدولة » .

وعندما وقعت احـداث ابريل وجـدوا الطبقة العاملة البرتغالية جيدة التنظيم . لقد تحركت بسرعة ووحدة لتدعيم المكاسب ، واحتفظت منذ ذلك الحين بيقظتها ضـد المؤامرات المضادة للثورة التى اسـتمرت من جانب الرجعية ، فقد قامت فى تحالف وثيق مع حركة القوات المسلحة «والمجموعات الديموقراطية الاخرى بسد الطريق فى كل لشبونة امام الحركة التى اوعز بها سبينولا واطلق عليها « الاغلبية الصامتة » ، وهزموا هذه المحاولة المشئومة التى ارادت بهـا الرجعية ان تعود بعقارب السـاعة الى الوراء .

وعندما قامت الطبقة العاملة البرتغالية بهذا ، فانما قامت بها بقيادة الحزب الذى رافقها منذ سنوات الفاشية الاولى . لقد تكون الحزب الشـيوعى البرتغـالى عام ١٩٢١ ، ومنع عام ١٩٢٧ من العمل قانونا ، وفى فترة قصيرة حطم القمع الفاشى تنظيماته او اذابها . ولكنه ظهر مرة اخرى كحزب سرى عام ١٩٢٩ عنـدما انخفض عدد اعضائه المسجلين حتى وصـل الى ٢٩ . وبدأ يطبـع صحيفتـه السرية « **أفانتى** » Avante ! [الى الامام] عام ١٩٣١ ، وبدأ بتأسيس جذوره فى النقابات العمالية والتنظيمات الجماهيرية الاخرى . وسرعان ما قمع بقسوة مرة اخرى بموجة جديدة من الارهاب فى اواخر الثلاثينات ، ولم تتمكن « افانتى ! » من الصدور لمدة عامين . وقد ادى تسلل عملاء البوليس السرى بين عامى ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ الى القبـض على معظم اعضاء قيادة الحزب الشيوعى البرتغالى .

وفى عام ١٩٤٠ ـ ١٩٤١ اعيد التنظيم تمـاما ، وبدأ توزيع « **أفانتى** » سرا مرة اخرى ، وهذه المرة دون ان تنقطـع حتى يومنـا هذا . وأدت الاسـاليب التآمرية الخاطئة الى مزيد من تحطيم المسـتويات القيادية عام ١٩٤٢ . ولكن بعد ان تعلمت من دروسها السابقة ، ادخلت طرق تنظيمية سرية جديدة ، وما ان حل عام ١٩٤٣ حتى تمكن الحزب الشيوعى البرتغـالى من ان يعقد مؤتمره الاول سرا ، وفيه قدم الرفيق

كونهال التقرير الرئيسى . وفى الاعوام من ١٩٤٩ — ١٩٥٢ عانى الحزب مرة اخرى من هجوم ضارى للقمع الفاشى ، وادى هذا الى القبض على الرفيق كونهال وعدد آخر من قادة الحزب . وفى عام ١٩٦٢ حقق النظام مرة اخرى نجاحات هامة ضد الحزب بعمليات القبض والاغتيال الجماعية .. واستمر البعث الجديد من ١٩٦٢ وحتى ١٩٦٧ واستمر الحزب الشيوعى البرتغالى فى مقدمة المعارك السياسية والاقتصادية التى كانت تنمو بشدة على أرضية الازمة التى ازدادت حدتها على النظام الفاشى بالحروب الاستعمارية .

هنا اذن حزب لم يسلم مهمته التاريخية . كان هناك «عثرات» ولكن بطولته ومثابرته فى وجه الهجمات المتتالية لواحد من اكثر الانظمة الفاشية خبرة لم يسقطا . ان تاريخ هذا الحزب لبرهان حى على الروح التى لا تقهر للتنظيم البروليتارى الحقيقى . انه الهام لحركات مثل حركتنا التى مازالت تناضل ضد وصمة جنوب افريقيا من العنصرية والقمع الفاشى .

ويؤكد الرفيق كونهال اخلاص الحزب الشيوعى البرتغالى لمبادىء الاممية . ولم يتأكد هذا اكثر مما تأكد فى الموقف المبدئى الذى اخذه الحزب من الحروب الاستعمارية ونضالات حركة التحرر الوطنى . وحتى قبل ان يتكون الحزب الشيوعى البرتغالى ، كان الاشتراكيون البرتغاليون قد وضعوا بالفعل الدعاية الثورية فى موزمبيق . وقبل ان تبدأ حرب العصابات وجه المؤتمر الخامس للحزب الشيوعى البرتغالى عام ١٩٥٧ نداء لمنح المستعمرات استقلالها فورا ، ومنح كل مساعدته لحركات التحرر . وعندما بدأت الحرب شن الحزب مرة اخرى عام ١٩٦١ حملة نشطة لمساندة المناضلين من أجل الحرية . لقد دعت افراد القوات المسلحة الى الفرار من الجندية ، ورفض الحرب ، والتآخى مع رجال العصابات . والان ، وبوجود الحزب فى الحكومة المؤقتة ، وبالحملات التى قام بها بين الشعب البرتغالى ، فقد وقف فى طريق تلك القوى فى البرتغال التى كانت تحاول اعاقة سياسة تصفية المستعمرات .

ان المرحلة القادمة فى البرتغال مرحلة عصيبة ، ورغم كسب بعض المعارك ، الا ان النصر النهائى مازال لم يتحقق . وعندما يتحقق فسيكون تقديرا لحزب الهمته الماركسية واللينينية ، لم يتردد للحظة واحدة عن موقفه امام الارهاب الفاشى ، وقناعته المطلقة بأن قضية العمال ستنتصر حتما [1] .

□

سول دوبولا : كيف تفسر عموما الاسباب المباشرة لاحداث ابريل ؟

الفارو كونهال : العملية الثورية لها سماتها وخصائصها الخاصة فى كل بلد من البلاد . ولكن هناك ايضا قوانين عامة . واحد هذه القوانين انه فى دولة عالية المركزية ، وذات سمات عسكرية ، فان الثورة الناجحة صعبة ، ان لم تكن مستحيلة ، بدون اشتراك جزء هام من القوات المسلحة ، وتحييد الجزء المهم الاخر من مستويات جهاز الدولة .

وفى حالة البرتغال ، فان للثورة الديموقراطية جذورها فى حركة جماهيرية واسعة . وفى ٢٥ ابريل ١٩٧٤ ، اخذت شكل هبة عسكرية أنهت الدكتاتورية . وفى نفس هذا اليوم شاركت حركة الشعب بشكل مباشر الحركة العسكرية . هناك فى الحقيقة علاقة ديناميكية بين حركة الجماهير وكل نواحى العملية .

فى عام ١٩٦٤ كنا نعتقد ان الاحداث ستأخذ شكل هبة مسلحة للجماهير . وكانت هناك ظروف متداخلة ، وكان اكثرها اهمية الحروب الاستعمارية وتأثيرها على الفئات المختلفة من السكان . لقد أعطى هذا فى النهاية شكل ثورتنا الديموقراطية .

دوبولا : عموما فان الجيش يعمل على تجنب الثورة وليس على تقدمها ، وقد شاهدنا ذلك فى اليونان وفى شيلى وفى أجزاء من افريقيا ومناطق اخرى . وفى حالة البرتغال ، فان حزبكم تحدث منذ أوائل الستينات عن اشتراك القوات المسلحة اشتراكا نشطا كشىء اساسى للاطاحة بالفاشية ، حتى اذا كانت هذه

[1] نشر هذا الحديث فى مجلة « ذى افريكان كوميونست » — العدد ٦٠ والمادة التاريخية التى كتبها سول دوبولا فى هذه المقدمة يقول انها ماخوذة اساسا من « ٥٠ عاما من عمل الحزب الشيوعى » ـ صحيفة افانتى ١ — ٢٤ مايو ١٩٧٤.

القوات المسلحة قد ظلت طوال هذه الفترة كأداة حيوية للدكتاتورية الفاشية . فما هى السمات الخاصة التى جعلت من الممكن للقوات المسلحة ان تأخذ هذه المبادرات الديموقراطية ضد الفاشية ؟

كونهال : لقد ادت الدكتاتورية الفاشية ببلادنا فى اتجاه عدد من الطرق المسدودة ، فى المجالات الاقتصادية والسياسية والدبلوماسية وفى الحروب الاستعمارية . انها لم تكن قادرة كلية على حل هذه المشاكل القومية . فقد ابتلعت الحروب الاستعمارية اكثر من ٤٠٪ من الميزانية .

ان هذه السياسات لم تؤثر فى حركة جماهير واسعة بين شعبنا عموما فحسب ، ولكنها خلقت أيضا سخطا بين قطاعات من الطبقة الحاكمة . وقد كان لهذا السخط ، وانشطة الحركة الشعبية تأثيره على القوات المسلحة نفسها . وقد حدث هذا على مستوى الرتب العليا التى عبرت عن قلق الطبقة الحاكمة ، وعلى مستوى الرتب المتوسطة والصغيرة التى عبرت عن طموح جماهير شعبنا .

وفى ٢٥ ابريل التقى هذان القسمان من القوات المسلحة واتخذا عملا مركزا . وهذا يفسر السهولة النسبية للانتصار فى ذلك اليوم، كنتيجة لعمل ساندته الاغلبية العظمى من الصفوف المختلفة للجيش .

دوبولا : هناك تقليد عريق للعمل الثورى داخل القوات المسلحة فاذا عدنا الى اوائل الثلاثينات عندما كان حزبكم قد بدأ بالفعل خلق وجود ثورى منظم داخل الجيش والبحرية . هل يمكنك ان تقدم لنا باختصار تاريخ اتجاهات المعارضة المتعددة داخل القوات المسلحة ، وطبيعة « حركة القوات المسلحة » ذاتها ؟

كونهال : بين ١٩٢٦ — ١٩٣٤ كان هناك عدد من المؤامرات العسكرية قامت بها عناصر الجمهوريين التى كانت ما تزال جزءا من الجيش عندما حدث الانقلاب الفاشى عام ١٩٢٦ . كانوا يعتقدون انه يمكن انهاء الدكتاتورية الفاشية بانقلاب تقليدى . وفى ٧ فبراير ١٩٢٧ ،حدثت بالفعل هبة عسكرية وشعبية فى لشبونة واوبورتو اوشكت بالفعل على الاطاحة بالدكتاتورية الفاشية .

بعد ذلك كانت هناك محاولات اخرى لتنظيم اعمال ثورية متأثرة بالاتجاهات « الجمهورية الليبرالية » ، ولكن الفاشيين استبعدوا هذه العناصر من القوات المسلحة تدريجيا ، وأطاحوا بالعناصر الديموقراطية ، وما ان جاءت «الحرب الاهلية الاسبانية [١٩٣٦ — ١٩٣٩] حتى كان الفاشيون قد نجحوا فعلا فى خلق كوادر من الضباط الذين منحتهم ثقتها تماما . بعد ذلك ظل هناك عدد من المحاولات العسكرية ضد النظام ، لكنها كشفت بسهولة وسحقت .

أما بخصوص العمل الثورى داخل القوات المسلحة الذى اشرت اليه ، فقد كان هناك فعلا تنظيم قوى للحزب الشيوعى البرتغالى داخل البحرية والجيش فى الثلاثينات عرف باسم « أورا «ORA» » أى التنظيم الثورى للبحرية و « أوريه » «ORE» أى التنظيم الثورى للجيش وقد شكل هذان التنظيمان الجنود العاديون . وفى عام ١٩٣٦ كانت هناك هبة فى البحرية ، سحقت . وأرسل عشرات الجنود الى معسكرات الاعتقال حيث مات بعضهم . ولكن فى السنوات التالية ، صفى التنظيم العسكرى للحزب الشيوعى البرتغالى داخل القوات المسلحة . وبعد عام ١٩٤٥ فقط استطعنا مرة اخرى الحصول على بعض المواقع الثورية داخل القوات المسلحة. ولكن فقط بعد عام ١٩٦١ ، فى بداية حروب العصابات فى المستعمرات ،شاهدنا ظهور حركة متسعة داخل القوات المسلحة تركزت أساسا على معارضة الحروب الاستعمارية .

ومن الضرورى أن نؤكد ان « حركة القوات المسلحة » التى قامت فى النهاية بعمل مجيد بانهاء الفاشية ، لها من السمات مايجعلها تختلف بشكل اساسى عن الاشكال القديمة للتنظيمات الانقلابية او العصيانية .

لقد ظهرت « حركة القوات المسلحة » مباشرة كحركة ذات اشكال ديموقراطية من التنظيم والمناقشة ، وقد تأثرت بخبرة العمال والحركة الديموقراطية للشعب البرتغالى .

وخلال النضال ضد الفاشية خلقت اشكال مرنة للغاية لتنظيم العمل الجماهيرى تضمن الاجتماعات الجماهيرية مع العمال فى المصانع وفى النقابات العمالية [النقابات الفاشية] ،وفى الاعمال القانونية ونصف القانونية للحركة الديموقراطية .

لقد تعلمت « حركة القوات المسلحة من هذه الخبرات . لم تكن اجتماعات الضباط مجرد اجتماعات لحفنة من المتآمرين . كانت هناك اجتماعات أكبر تناقش المشاكل السياسية .وفى

١٩٧٣ وفى الاشهر الاخيرة قبل ابريل ١٩٧٤ ؟ اصبحت هذه الاجتماعات اكثر واوسع . كان الضباط فى الجيش والبحرية يناقشون بصراحة الحاجةالى تدخل القوات المسلحة لانهاء الازمة السياسية فى البرتغال . ان هذا الشكل الديموقراطى للعمل يميز هذا النشاط عن الانقلابات التآمرية الاولى او التنظيمات الانقلابية. وهذا يساعد على تفسير الجذور القوية للغاية «لحركة القوات المسلحة» فى كل القوات المسلحة البرتغالية ، والمقدرة التى اظهرتها فى تعبئة ومساندة الثورة الديموقراطية .

دوبولا : وصف سامورا ميشيل رئيس فريليمو احداث البرتغال والمستعمرات ، بانها تحرر شعبين فى وقت واحد بانتصار مشترك ضد الفاشية والاستعمار . ان اى منا لم يحرر الاخر ، لقد كان تحرر متبادل بنضال متواز . هل لك ان تعلق على ذلك؟

كونهال : تدين الثورة الديموقراطية البرتغالية، وانتصارات ٢٥ ابريل بالكثير لنضال التحرر الوطنى فى المستعمرات .

ان نضال شعوب موزمبيق وانجولا وغينيا كان مساهمة هامة للغاية فى تطوير النضال الديموقراطى الشعبى حتى يوم ٢٥ ابريل وماتبعه من تطورات . اننا نعتقد ايضا ان نضال الشعب البرتغالى قبل ٢٥ ابريل وبعده ساهم فى نضال الشعوب من اجل الاستقلال ، تلك الشعوب التى ظلت لفترة طويلة تحت الاستعمار البرتغالى .

انها لمسالة تثير فرحا غير عادى ان تكون غينيا بيساو اليوم بلدا مستقلا ، وان موزمبيق تتحرك بسرعة نحو الاستقلال ، وان شعوب انجولا والراس الاخضر تسير ايضا على هذا الطريق. انه لما يسبب لنا السعادة ايضا انهم يحققون هذا التقدم ليس فقط بالتضامن النشط للشعب البرتغالى — الشيوعيون والقوى الديموقراطية البرتغالية — ولكن ايضا بالاتفاق مع الدولة البرتغالية الجديدة ومساندتها .ونرى فى موزمبيق الان ان الجنود البرتغاليين — اعضاء « حركة القوات المسلحة » يحاربون جنبا الى جنب مع محاربى « فريليمو » ، ضد الاستعماريين وحتى ضد بعض العملاء الافريقيين الذين يخدمونهم . ان هذا لتعبير واضح عن التحالف بين الشعب البرتغالى والشعب الذى استعبده الاستعمار البرتغالى لفترة طويلة من الزمن . ويستمر هذا التحالف اليوم فى ان يلعب دورا هاما ، سواء لبناء الديموقراطية فى البرتغال ام لتحرر المستعمرات بشكل كامل .

دوبولا : ما هى وجهة نظر الحزب فى التهديد المستمر من جانب جنوب افريقيا بالتدخل المباشر او غير المباشر ضد الاراضى التى سارت عبر طريق الاستقلال ؟

كونهال : هناك ما يدعو للقلق بطبيعة الحال من جيران الاراضى الافريقية . نحن نعرف الماضى وقلقون على الحاضر . ومع ذلك فنحن نعتقد انه من الممكن الاستمرار فى عملية تصفية الاستعمار مع تجنب المواجهات الحادة . ونحن لا يمكننا بطبيعة الحال ان نتجاهل المساعدة التى قد تقدم للقوى الاستعمارية من الدول المجاورة . ونحن نتابع الموقف عن قرب ونحاول بالطرق الدبلوماسية والسياسية منع اى تدخل قد يقف فى طريق عملية تصفية الاستعمار .والى جانب قوة حركات التحرر ، هناك ايضا القوى التقدمية الاخرى فى افريقيا . ونأمل منع التدخل المتطرف [سواء كان مباشرا ام غير مباشر] .

دوبولا : من الواضح ان القوى الاقتصادية والاجتماعية والسياسية — فى البرتغال ودوليا — التى كانت اساسا لنظام كايتانو ، لا يمكن ان تنتهى بضربة ثورية واحدة .هل يمكنك فى هذا الخصوص، ان تصف المحاولات التى قام بها الجناح اليمينى لازالة المكاسب الديموقراطية ؟ وما هى العوامل الرئيسية التى ظهرت منذ فترة وادت الى هزيمة مناوراتهم ؟

كونهال : لقد منعت المنظمات السياسية الفاشية التى كانت موجودة ايام الدكتاتورية رسميا . وتتضمن « الحزب الفاشى » — Accao National popular والقوات شبه العسكرية مثل « الفرقة الفاشية » وقادتها فى السجن الان . وبهذا فان التنظيمات القديمة ونواياتها القديمة ، قد انتهت رسميا ومنع نشاطها .

ولكن ليست هذه نهاية الرجعيين . فمنذ ٢٥ ابريل حاولوا ، وسيستمرون فى محاولاتهم لتنظيم شبكات سرية واحزاب سياسية شرعية جديدة ، ومثال على ذلك « حزب التقدم » و « الحزب الليبرالى » . لقد اشتركا فى محاولة انقلاب ٢٨ سبتمبر ١٩٧٤ المضاد للثورة ، ومنع نشاطهما منذ ذلك الحين .

ويتظاهر قطاع من الجناح اليمينى الان بالديموقراطية والليبرالية ، ويحاول تنظيم نفسه فى احزاب « الوسط » . والشعب البرتغالى حساس ، وهذا مفهوم ، لاى شىء يحمل الطابع

الواضح للفاشية . من الاسهل اذن الظهور فى زى ينتمى للوسط — أو حتى يسار الوسط ، ومحاولة كسب مواقع على امل اتباع السياسة الرجعية بوضوح فى المستقبل .

وما زال للقوى الرجعية ايضا بعض مواقع داخل جهاز الدولة . وفوق كل شيء فما زال لديها القوة الاقتصادية .

ان احد المقولات الرئيسية لمؤتمر حزبنا الاخير الذى انعقد فى اكتوبر ١٩٧٤ ، ان احد التناقضات الرئيسية فى الوضع السياسى الحالى فى البرتغال ، هو حقيقة انه توجد الان فى بلادنا سلطة سياسية ديموقراطية تحاول تطبيق سياسة معادية للاحتكارات — أو على الاقل تميل نحو المواقع المعادية للاحتكارات — ولكن مازالت القوة الاقتصادية فى نفس الوقت بين ايدى الاحتكاريين . ويحاول هؤلاء الاحتكاريون تخريب الاقتصاد البرتغالى . انهم يحاولون خلق مواقف حادة فى المجال الاقتصادى يؤدى الى اثارة سخط الجماهير ضد النظام الديموقراطى الجديد .

وهذا هو اكبر تهديد نواجهه فى الوقت الحالى : استخدام الثورة المضادة للاسلحة الاقتصادية .

ومنذ ٢٥ ابريل وحتى اليوم ، هزمت المناورات السياسية للثورة المضادة فى المجال الاقتصادى . ويطبق هذا بشكل خاص على المناورات التى احاطت بأحداث ٢٨ سبتمبر التى شملت قوى الجناح اليمينى وكشفت مؤامراتهم الرجعية . لقد كانت تلك هزيمة ساحقة لهم . وكانت اكبر خسائر هامة عانوا منها ، التقاعد الاجبارى لمعظم الجنرالات الرجعيين فى الانقلاب ، واستقالة الجنرال سبينولا .

ولكن فى تلك اللحظة ، وبالاضافة الى النشاط التآمرى الذى ما زال الجناح اليمينى يقوم به فى المجال السياسى ، هناك التآمر الاقتصادى الكبير الذى يجب هزيمته أيضا .

دوبولا : ما هو فى رأيك دور المجموعات اليسارية المتطرفة ؟

كونهال : من الناحية العملية ، تبدو اعمال المجموعات اليسارية المتطرفة متطابقة مع مصالح واعمال ومبادرات القوى اليمينية .

ان اليساريين المتطرفين يحاولون بشكل ديماجوجى تشجيع المطالب غير الواقعية التى تضع الناس ضد الحكومة والقوى الديموقراطية عموما و « حركة القوات المسلحة » . ويخدم نشاطهم مصالح المعادين للثوره . ومن الممكن ان يكون قد حدث تسلل الى بعض هذه المجموعات من جانب الجناح اليمينى .

كل هذا لا يعنى ان هناك بعض الشبان فى المجموعات اليسارية المتطرفة — وأساسا فى الجامعات — المقتنعين باخلاص بأن طريقة انجاز ثورة اشتراكية بشكل اسرع هى الطريقة الصحيحة . وهؤلاء الشبان قد يكونون ضحايا عدم صبرهم . ان نقص آفاقهم الثورية الحقيقية لا يعنى ان كل فرد من اليساريين المتطرفين هو عدو عميل اصيل . ولكننا نعتبر اعمال كل هذه المجموعات من الناحية السياسية عملا معاديا للثورة .

دوبولا : هل يمكنك التعليق على الصلة بين الثوره الديموقراطيه والثورة الاجتماعية فى حالة البرتغال ؟ وبهذا الخصوص ، هل يمكنك التعليق على ترك معادلة «دكتاتوريه البروليتاريا » لوصف طبيعه دولة البرتغال الاشتراكيه المقبلة ؟

كونهال : ابدا لم نؤمن فى الماضى ، ولا فى الحاضر بنظرية القفز عبر المراحل . ان التعجيل بالاعمال والشعارات يعوق التقدم الثورى ولا يساعده .

ان واجبنا الرئيسى الذى يشغلنا اليوم كحزب الطبقة العاملة البرتغالية ، هو التحول من الوضع الديموقراطى المؤقت الذى نعيش فى ظله حتى هذه اللحظة ، الى نظام ديموقراطى ثابت يختاره الشعب . ان كل قوانا مركزة على انجاز هذا الهدف ، وتشاركنا فيه كل القوى الشعبية والديموقراطية الاخرى ، ومع « حركة القوات المسلحة » التى نقف معها فى تحالف وثيق .

وفى نفس الوقت ، فاننا كشيوعيين نقدم لشعبنا آفاق الاشتراكية والشيوعية . اننا لا يمكن ، فى هذه اللحظة ان نحدد كيف سنصل بالضبط . ولا اعتقد ان انتخابات « مارس » القادمة ستؤدى بالبرتغال الى الاشتراكية ، هذا ما لا نطلبه من هذه الانتخابات [٢] .

---

[٢] هذا الحديث كما هو واضح قبل انتخابات شهر مارس ١٩٧٥ الماضى وهو ما يجب ان نضعه فى اعتبارنا دائما عند قراءة هذا الحديث — المترجم

ان الموقف عموما يفتح امكانية تقدم المجتمع البرتغالى بشكل نهائى نحـو الاشتراكيـه دون صـدام ثورى حاد . ولكن مازال الوقت مبكرا للغاية لتوقع هذا .

اما خصوص المعادلة المتغيرة عن « دكتاتورية البروليتاريا » ، فاننا يجب فوق كل شيء ان نضع فى الاعتبار دلالة كلمه « دكتاتوريه » فى بلادنا. لقد عانينا من الدكتاتوريه الفاشية لمده خمسين عاما . و « الدكتاتوريه » كلمه بغيضة فى بلادنا الان . هنـاك اناس شـغوفون جـدا فحسب باستخلاص التنـاقض الذى لا التقاء فيـه بين دكتاتوريه البروليتـاريا والديموقراطيـة . وهم عندما يفعلون هذا فانما يجردون حكم العمال من محتواه الديموقراطى الحقيقى ، ويضعـونه فى تناقض مع الديموقراطية البورجوازية التى هى اساسا دكتاتورية البورجوازية .

فاذا ما بدأنا منذ الان تعريف الاشتراكية بجملة « دكتاتورية البروليتاريا » فانها يمكن ان تؤخـذ خطأ بواسطه الشعب البرتغالى ، ويمـكن ان يستغل الكلمة عاطفيا هؤلاء الذين يعارضون اساسا التحول الحقيقى للبرتغال نحو الديموقراطية . اننـا نريد ان نذهب الى الامام بكل الحـريات المتعـددة الممكنة . ان هؤلاء الذين لا يحترمون ولا يريدون ان يعيشوا فى الحريات الديموقراطية هم فقط الذين يجب منعهم . واننا لعلى ثقة من اننا سنكسب بشكل نهائى مساندة غالبية شعبنا للاشتراكية .

دوبولا : ان دروس نضالكم ــ ٤٧ عاما فى العمل السرى والتضحيات العظيمة ــ ذات اهمية خاصه لكل حركتنا التى عانت لعده سنوات عدم الشرعيه والقمع . هل يمكنك أن تقول بضع كلمات فى هذا المجال؟ خصوصا كيف حدث ان عاش حزبكم وظهر بتلك القوة التى لا شك فيها اليوم ؟

كونهال : كان على حزبنا ان يتحمل الكثير . والتضحيات هى بطبيعة الحال شيء هام للوصول الى المكانة ، لكنها ليست الشيء الوحيـد الذى يحدد نجاح اى حزب . ولقـد عانى الشـوريون البرتغاليون ــ ولنقل الحق ــ من القمع الفاشى فى العشرينات والثلاثينات ، ولكنهم سحقوا بشكل نهائى تنظيميا بواسطة الفاشيين .

ان حزبنا لم يقاوم ويعيش بعض القمع الفاشى فحسب ، بل واسس جذورا عميقة بين جماهير شعبنا ونما تنظيميا . ويرجع هذا الى اسـباب متعددة ، سأتناول بعضها .

لقد كنا على ارتباط دائما ــ حتى فى الايام الصعبة حقيقة ــ بالطبقة العاملة البرتغالية ، التى دافعنا عن آمالها وحاربنا من أجل مصالحها .

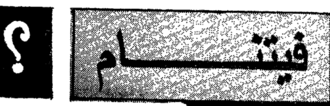
ونحن دائما منظمون داخل البرتغال ، فلجنتنا المركزية ــ بكليتها فى الغالب ــ وكل جهازنا من المحترفين الثوريين ، كل جهازنا الفنى والطبع ، كل تنظيمنا الفنى المسئول عن الوثائق الخ ، كان دائما داخل البرتغال . لقد قاومنا الاغراء انه فى بعض الاوقات بدا أنه من الاسهل نقل بعض هذه المهام التنظيمية الى الخارج . ولدينا بعض الرفاق فى الخارج بطبيعة الحال . ولكن الاتجاه الرئيسى والمركزى لحزبنا كان دائما داخل البلاد ، ونعتبر ان ذلك كان اكثر العوامل حسما فى روابطنـا مع الشعب البرتغالى . لقد عرف الناس الحزب لاننا كنا بينهم ، وقـد تبعـوه حتى فى أوقات الفاشية . وفى ٢٥ ابريل ظهر حزبنا مع الجماهير ، ولم يكن هذا عرضا .

وهناك شيء آخر ، يجب ان نؤكده : لقد حارب حزبنا ودافع عن المصـالح الحقيقية للشـعب البرتغالى ، وأبدا لم يتذبذب اخلاصنا لمبـادىء الاممية . اننا لم نعتبر ابدا ان هناك انفصالا بين مهامنا القوميه والاممية . وفى كل نشاطنا ، كنا دائما نسترشد بالتـأكيد على مسـائل المبـدأ السياسى ، حتى واذا لم يفهم هذا الموقف جيدا ، للحظة ما ، من الجماهير . وقد اثبتت الحيـاة بعد ذلك ان هذه المواقف المبدئية كانت سليمة ، أما حقيقة اننا لم نجـر وراء اغراء الانحـراف فقد اضاف الى حزبنا مزيدا من القوة . لقـد زادت من ثقة شعبنا فى حكم حزبنا السـياسى وتوجيهه السياسى .

لقد كان حزبنا حريصا دائما على الا يبالغ فى تقدير نجاحاته . لقد تعلمنا فى مدرسة النقـد الذاتى . لقد تعلمنا ان نتعرف نواقصنا واخطائنا ونعترف بها ، ولم نهرب ابدا من نقـد انفسـنا أمام جماهيرنا حتى تتعلم هى ايضا من خبراتنا . ولم يضعف هذا ابدا من مركز حزبنا ، بل على العكس قواه .

لقد تناولت بعض النواحى فحسب ، ولكنها تساعد على تفسير الطريقة التى نقل بها الحزب الشيوعى البرتغالى نفسه من حـزب سرى ــ ولكنه حزب زرع بالفعـل جذورا عميقـة بين الجماهير ــ الى قوة هى ما هـو عليه اليوم . اننا لم نعلم الشعب فحسب ، ولكننا تعلمنا منـه أيضا . وهذا هو السبب اليـوم فى قبولنـا واحترامنا .

الثـانى من نوفمبر ١٩٧٤ .





شــــهادات واقعيـــة عـــــن

قصـــة اكتمـلت فصــولا

... لم يكد شهر ابريل من عام ١٩٧٥ يوشك على الانتهاء ؟ الا وكان النظام العميل فى فيتنام الجنوبية قد سقط تماما ، بعد ان فشلت كل عمليات « الحقن الخارجى » الامريكى فى أن تبقى على اى نبضة حياة فى جسد النظام العميل الذى انهكته تماما ضربات الثوار من جهة ؟ وامراضه الداخلية «السرطانية» من جهة أخرى (*)

على أن سقوط سايجون لم يكن يعنى مجرد هزيمة لنظامسياسى عميل لاسند له على مستوى الشرعية أو الشعبية ، وانما كان يعنى ــ فى الاساس ــ هزيمة للامبريالية الامريكية : أشرس امبرياليات العصر . بل وكان يعنى هزيمة سياسية وعسكرية للولايات المتحــدة .. على الســـواء . كان هـــزيمة لكل نظريات « الحرب المحدودة » و « فتنمة الحرب » و « الحرب المضادة للعصابات » الخ . ويخطىء كل من يظن أنه كان فى مقدور الولايات المتحدة انقاذ النظام العميل، الا انها لم تفعل . فالواقع أنه لم يكن فى مقدورهـــا الا التســـليم بالهزيمة : بســـــقوط « سايجون » واعلان « هوشى منه » .

ولعلنا لا نبالغ اذا قلنا ان فجر أول مايو الذى رأى« شهادة دفن » النظام العميل ، و«ميــلاد» النظام الثورى الجديد، كان ايضا بمثابة اعــلان بداية«الخروج الامريكى» من آسيا ، تحت وطأة آثار وآفاق انتصار فيتنام الذى سبقه انتصار كمبوديا .

لقد أتم شعب فيتنام البطل انجازه التــاريخى بتحرير بلاده ، ليؤكد حقيقة ان الشعوب ــ ايا كان حجمها العددى أو الاقتصادى ــ قادرة على أنزال الهزيمة بأعتى واشرس انواع الاستعمار ، وأيا كان حجمه السياسى أو العسكرى .

ومع فجر أول مايو ، بدأت قصة أخرى لنضال شعب فيتنام ، مسيرة البناء والوحدة والاشتراكية . بعد أن اكتملت فصول قصة نضاله الوطنى التى سطر فيهـــا على امتداد ٣٠ عاما ، أبلغ الدروس وأجــل

التضحيات ، خاض خلالها نضـالا لم يلن ضد الامبريالية اليابانية ثم الامبريالية الفرنسيـة ثم أخيرا ــ الامبريالية الامريكية .

. . . وفى هذا العدد ، تقدم « الطليعة » ٣ شهادات واقعية :

● اولا : شـهادة امريكية يقـدمهـا الجنرال **ويستمورلاند** الذى تولى فى فترة من الفترات قيادة القوات الامريكية فى فيتنام ، وذلك فى حديث له الى مجلة دير شبيجل الالمانية الغـربية.. ويعكس الحديث، رؤية أمريكية للحرب الفيتنامية وتطوراتها وملامحها. وجدير بالذكر ـ هنا ـ أن نشير الى اننا كنـا قـد نشرنا مـن قبـل مقـالا للجنرال ويسـتمورلاند يعرض فيه نظـريته عن « الحـرب المضادة للعصابات».

● والثانية : شـهادة فيتنامية يقـدمها رجل العسكرية الفيتنامية الذائع الصيت: الجنرال **جياب**، قائد انتصار « ديان بيان فو » حيث انزل ضربته القاصمة بالقوات الفرنسية فى عام ١٩٥٤،وصاحب نظرية « حرب كل الشعب ». وهو يعرض رؤيتـه للحرب، من خلال رسالة بعث بها الى منظمة التحرير الفلسطينية ونشرتها مجلة« فلسـطين الثـورة» . وتنشرها « الطليعة » ــ هنـا ــ بترتيب خـاص مع « فلسطين الثورة » .

● والثالثة: شهادة مصرية ، تقدمها الكاتبة **ليلى الجبالى**ــ بدار الجمهورية .وكانت قد زارت فيتنام ، خلال سنوات العدوان الامريكى، وخرجت من زيارتها الميدانية بعديد من الانطباعات ضمنتها كتابا يصدر قريبا . ويعد الفصل الذى تنشره ــ باتفاق معها ــ شهادة تعكس رؤيتها للواقع الفيتنامى خلال الحرب. والشهادة جزء من كتاب تصدره قريبا« دار القاهرة للثقافة العربية » بعنوان «وانتصرت فيتنام» .

① الشـــهادة الامريكيـــة

يقـــدمها :

الجـنرال وســـتمورلاند



عقدة « فيتنام » فى الفكر العسكرى الأمريكى

شبيجل : سيدى الجنرال لماذا خسرت امريكا الحرب فى فيتنام ؟

الجنرال : هذا سؤال معقـد . الا ان الاجابة بسيطة . لقـد كان هدفنـــا من الحرب ومن الاستراتيجية التى وضعت بعد الحــرب العالمية الثانية هو الحد من العدوان الشيوعى . وللوصول الى هذا الهدف كان علينا ان نستعمل الكثير من وسائل القوة لان الوسائل الســياسية ، لم تكن قادرة على ذلك .

شبيجل : ولكنكم ....

الجنرال : دعنى اشير الى ان هدفنا كان مثاليا غير واقعى وغير انانى . ولكى نفهم ذلك ، يجب علينا ان نرجع بالذاكرة الى الخطبة التى القاها الرئيس كيندى بمناسبة تقلده للرياسة والتى قال « علينا ان ندفع كل ثمن ، وان نتحمل كل عبء وان نواجه كل صعوبة لمساعدة كل صديق ونقاوم كل عدوان فى سبيل الابقاء على الحرية وحمايتها » .

س : تقولون بانه كان يجب على أمريكا أن تتدخل بشكل أشد . الا أنه كان تحت تصرفكم اكثر من نصف مليون جندى أى أكثر من الجيش الالمانى فى سنة ١٩٣٩ . ولقد القيتم من القنابل ثلاثة اضعاف ونصف ضعف مما القى فى الحرب العالمية الثانية ، واحرقتم الادغال . ولكن فى النهاية عندما انسحبت الولايات المتحدة ، كان الرجال القصـــار الذين يلبسون البيجامات السوداء — كما وصفهم الرئيس جونسون — موجــودين واقوى مما كانوا من قبل . فكيف تفسرون ذلك من الوجهة العسكرية ؟

ج : اننى أعارضــكم فى قــولكم بان الرجال القصار لابسى البيجامات السوداء ، كانوا بعـد انسحابنا اقوى مما كانوا من قبل .

س : انهم يهاجمون الآن سايجون كما لم يفعلوا من قبل .

ج : ليس هؤلاء هم الرجال القصـــار الذين يلبســون البيجامات . انه جيش فيتنام الشمالية الذى يدخل سايجون . انها قــوات من جيش

فيتنام الشمالية ، التى انتصرت وشتتت قوات فيتنام الجنوبية . انهم رجال طوال يلبسون الثياب العسكرية انهم قوات عسكرية مجهزة بأحدث الاسلحة .

س : دعني القي سؤالي بشكل آخر : كانت فيتنام الشمالية البلد الصغير تقف في جانب ، وفي الجانب الاخر كانت تقف الولايات المتحدة ، الدولة العظمى بالاتها الحربية الجبارة ، ومع ذلك فلم نتمكن من طرد الشيوعيين . فكيف تفسرون ذلك ؟

ج : يفسر ذلك قوة الهجوم بالنسبة لقوة الدفاع .

س ، ولكن أنتم ايضا تحولتم الى الهجوم ؟

ج : كلا . لم نفعل ذلك ، لان استراتيجيتنا كانت دائما دفاعية . صحيح لقد كنا نقوم بغارات جوية ومكثفة ، ولكن في كل مرة كانت تصل فيها هذه الغارات الى النقطة التى تؤثر فى الخصم ، كان الموقف السياسى والعاطفى لبعض طبقات الشعب الامريكى يضطرنا الى التوقف والتقهقر .

س : السبب الرئيسى لعدم فعالية استراتيجيتكم هو ....

ج : كان السبب الرئيسى لعدم فعالية استراتيجيتنا هو اننا لم نلق بكامل قوتنا .

س : هل كنتم تشعرون فى مثل هذه اللحظات التى تتخذ فيها واشنطن هذه القرارات ، بأنها قد تخلت عنكم ؟

ج : هذا عمل مثبط للعزم بالنسبة لجندى . وهذه هى أول مرة فى تاريخ الحروب تعرض فيها قرارات حاسمة يوما بعد يوم ، على أعلا هيئة فى البلاد . وجميع البناء القيادى يفتقر الى الحزم .

س : وكيف كنتم تنتظرون اذن أن تهزموا هذا الخصم فى ميدان القتال ؟

ج : لقد انزلنا بقواته خسائر فادحة فى فيتنام الجنوبية ، ولكن لم يسمح لنا بدخول لاوس أو كمبوديا طالما كنت انا محتفظا بالقيادة .

س : ولكنكم دخلتم فعلا .

ج : ولكن تقدمنا كان مصحوبا بقيود فيما يختص بالمدة والبعد عن الحدود . لقد تقدمت بعض الوحدات الامريكية فى جزء من كمبوديا . الا أن بعض قوات فيتنام الجنوبية البرية هى التى تقدمت فى لاوس .

س : ولكن كقائد وحدة مجرب فى الحرب العالمية الثانية ، كان يمكنكم أن تروا هذا الوضع المعقد منذ البداية بماذا نصحتم الرئيس جونسون فى سنة ١٩٦٤ : هل بالدخول . وهذا ما يمكننا تفهمه ؟

ج : لقد وضعنا سياسة وقف الزحف الشيوعى قبل ذلك بعدة سنوات واننى لا اتذكر اننا خلال السنوات الاربع والنصف ، التى قضيتها فى سايجون قد ناقشنا مسألة التخلى عن التزاماتنا فى فيتنام . لقد كانت استراتيجيتنا هى محاولة اقناع هانوى انها لن تكسب ، ولذلك كان عليها ان ترضى بتقسيم فيتنام ، ولكن محاولتنا اخفقت .

س : اذن الم يكن من الاصوب لو أن الرئيس جونسون تمسك بنصيحة الجنرال ماك أرثر فقد حذره اثناء تواجده فى المستشفى قائلا «اعمل يا بنى على الا تنزلق الى حرب فى آسيا » ؟

ج : لقد كان الجنرال ماك آرثر صديقا حميما لى . وقبل تعييني قائدا عاما للقوات الامريكية فى فيتنام توجهت لزيارته . واعتقد ان تصوره قد نقل مشوها . فمن ناحية فقد خاض ماك ارثر نفسه حربا برية فى اسيا : فى كوريا . ومن ناحية اخرى كان شعاره « ليس للنصر بديل » . وفى حديث لى معه الح على وجوب ان نشرك دولا اخرى فى الشرق الاقصى فى الحرب .

س : اية دول يقصد ؟

ج : كان يريد قبل كل شىء استخدام قوات تشانج كاى شيك .

س : لو انكم استخدمتم قوات فورموزا لهب ماوتسى تونج الى الميدان .

ج : اننى اوافقك على ذلك . ولقد نوقش فعلا استخدام قوات الصين الوطنية ، طوال حرب فيتنام . وأنا شخصيا لم أؤيد ذلك . وكان هذا ايضا موقف حكومتنا طبعا .

س : بالطبع لانكم خشيتم أن تصدموا بقوات ماوتسى تونج .

ج : نعم قد يكون ذلك من أهم الاسباب .

س : عندما جئتم الى فيتنام ، فى سنة ١٩٦٤ الم تدركوا أنكم تخوضون حربا لم تعد لها قواتكم ؟

ج : فى الواقع كانت حربا جديدة علينا ان نقاتل للمرة الاولى منذ قتالنا مع الهنود الحمر ، مع أعداء غير تقليديين . كنا نقاتل فى أراض جد شائكة . ومن ناحية اخرى ليس صحيحا ، أن استعدادنا كان سيئا . ففى سنة ١٩٥٠ انشأنا مركزا فى شمال كارولينا للتدريب على حرب العصابات . لقد ارسلنا قوات خاصة من جيشنا الى الجبهة . الا ان هذه القوات قاتلت ضمن قوات نظامية من هانوى تتكون من عدة فرق مجهزة ، بأحدث الاسلحة السوفيتية .

س : ولكن كانت الحرب حرب عصابات منذ البداية .

ج : ولكن الخطر ، كان موجودا لاننا قد نواجه قوات تقليدية وهذا ما حدث فعلا . فلو اننا كنا نظمنا جيش فيتنام الجنوبية ، القوات مضادة لرجال العصابات ، فما كان فى استطاعة هذه القوات ان تقاتل طالما ان هانوى كانت مصممة على استخدام قواتها النظامية .

س : هل كان هذا هو السبب ، فى ان ترسل الولايات المتحدة قوات تقليدية فقط ؟

ج : هذا صحيح . وبسبب قوة تحركاتنا وقوة مميزاتنا لم تكن قوات فيتنام الشمالية النظامية خصما ذا قيمة تذكر فى ميدان القتال .

س : لقد كانوا يهربون من احدى المعارك، ثم يعودون للقتال مرة اخرى . ألم تكن هذه استراتيجية الجنرال جياب ؟

ج : كانوا دائما — اذا واجهناهم — نهزمهم او يعودون الى لاوس او كمبوديا . وكان هذا خارج حدودنا . أو كانوا ينسحبون الى الجبال او المستنقعات او الادغال .

س : هل كنتم تتوقعون ان تكون الحرب على هذه الصورة ؟ .

ج : كلا . ليس بهذا المقياس الكبير ، فعندما وصلت الى فيتنام واتيحت لى الفرصة لادرس الوضع دراسة دقيقة وصفته بانه « برميل بدون قاع » .

س : هل قراتم الكتب التى كتبها كل من ماوتسى تونج وجيياب عن الطرق التى يديران بها الحرب ؟

ج : لقد درست كتاب ماوتسى تونج وتجد نسخة منه على منضدة بجانب سريرى دائما .

س : وهل قرأتم كتاب جياب أيضا ؟

ج : اننى اعرف مبادئه بدقة .وقرأت لهايضا.

س : وما الذى استخلصتموه من كتبهما؟

ج : ان هذه الحرب ستطول وتمتد . والذى يقلقنى بوصفى قائدا عاما ،هو هذا السؤال ، هل سيستطيع الراى العام الصبر لمدة طويلة نقوم فيها بالتزاماتنا الى أن ننجح فى النهاية .

س : هل كنتم قلقين أيضا أنذاك ؟

ج : لقد كان هذا اكثر ما يقلقنى فى ذلك الوقت. لقد اتخذت فى تلك بعض الاجراءات لاستخدام الجنود الامريكيين مدة سنة . وقد بدا لى ان هذا الاجراء سيطيل صبر الرأى العام الامريكى .

س : مع هذه العقبات لابد وأنكم قد شعرتم بأنكم كلفتم بمهمة لا يمكن انهاؤها بنجاح .

ج : هذا حق . ولقد كانت شكوك كثيرة تساورنى . واذا استرجعنا ذلك لوجدنا ان الصورة كلها لم تكن استراتيجية واقعية . ولكن برغم كل ذلك فقد كانت هذه هى استراتيجية تلك الايام .

س : لقد قلتم انذاك انكم تواجهون حرب استنزاف وان الفيتكونج سوف يخسرونها . ولكن تبين أن قتل رجل واحد منهم ، كان يكلف الولايات المتحدة ٣٥٠ الف دولار . الا يبين هذا الرقم بوضوح ان هذه الحرب الاستنزافية لايمكن كسبها بأية حال من الاحوال ؟

ج : لقد استخدمت هذا اللفظ لكى اصف نوع هذه الحرب ، التى يجب على العسكريين خوضها، وهذا يعنى ان تكون الحرب من جانبنا حربا دفاعية بحيث تجتذب العدو الينا ، لمنعه من الزحف الى فيتنام الجنوبية .

س : هل اقترحتم انتم وضع هذه الاستراتيجية .

ج : لم تكن هذه الاستراتيجية من عملى . لقد وضعت لمراعاة اسباب سياسية . ولكن بالتأكيد لم انصح أنا بوصفى احد الضباط العسكريين ولا هيئة أركان الحرب ، فى واشنطون بشن هذه الحرب الاستنزافية .

س : وما هو نوع الحرب الذى كنتم تقترحونه لو أن الرئيس طلب منكم ذلك .

ج : كان يمكننا دخول لاوس ، وكان علينا ان نقطع الطريق المسمى بطريق هوتشى منه . وكان فى امكاننا اخلاء المنطقة ، التى يحتمون فيها ،الا أن هذا كان يتطلب استخدام ٧٥٠ الف رجل او اكثر . وكان هذا اكثر مما يتحمله النظام السياسى .

س : ألم تزعموا ان ٣٥٠ الف جندى ، كانت تكفى لكسب الحرب ؟

ج : كلا . اننى لم أدل بأى بيان خلال الوقت الذى كنت ادير فيه الحرب فى فيتنام ، عن عدد القوات التى نحتاج اليها لانهاء الحرب نهاية ناجحة .

س :اما كنتم تصرحون دائما عند وجودكم فى فيتنام بانكم متفائلون ألم تقولوا فى سنة ١٩٦٦ مثلا « قبل ستة شهور » ألم أكن متأكد أما الان فاعرف تماما ، اننا سننتصر فى فيتنام خلال وقت قصير » ؟

ج : لقد نقل هذا التصريح مزيفا . اننى لم اعتقد أبدا اننا سنكسب الحرب فى وقت قصير. بل بالعكس كنت اعتقد ان احرج مرحلة فى سير الحرب ، كانت سنة ١٩٦٧ . ففى هذه السنة تقدمنا بخطوات واسعة . فقد حررنا فيها جميع الطرق تقريبا من الوجهة العملية واتسعت المناطق التى كنا نشرف عليها ، ونمت اقتصاديا وكانت انجازات قوات فيتنام الجنوبية احسن كثيرا .وفى ذلك الوقت تقدمت بمطلبين احدهما التقوية بحد ادنى للصمود ، والثانى التقوية بحد اعلى للتقدم.،

«كان الاتجاه السائد انذاك هو المبالغة فى انتصارات العدو » .

س : وأى المطلبين ووفق عليه ؟

ج : مطلب التقوية بحد ادنى .

س : ولماذا طالبتم بتقوية اخرى ،طالما انكم نجحتم فى التقدم فى سنة ١٩٦٧ .

ج : فى سنة ١٩٦٧ طلبت المزيد من القوات لادارة الحرب فى سنة ١٩٦٨ للتمهيد للنجاح

والاسراع فى تقدمنا ؟ وكانت هناك دلائل تشير ان « هجوم تيت» سيبدأ فى أواخر سنة ١٩٦٧ .

س : هل كنتم تتوقعون « تيت » ؟

جـ : نعم كنا نتوقعه . وفور ذلك فقد قام العدو بهجومه على جبهة اوسع بكثير مما كنا نتصور. ولم يكن واضحا لنا أنهم كانوا ينوون الاستيلاء على المدن . وبعد « هجوم تيت » اننا نصاب بنكسات من وقت الى آخر ، ولكنها كانت هزيمة كبيرة للعدو فقد كان يدفع دائما ثمنا غاليا ، واحتاج الى سنتين لاستعادة قواه .

س : ربما كانت هزيمة للعدو . ولكن الم يكن واضحا لكم انذاك أيضا ان ذلك كان تحولا فى موقعة فيتنام ؟ فقد كتب كيسنجر، بعد ذلك يقول « فى حرب العصابات ليس التفوق العسكرى هو العامل الحاسم . فهناك عوامل اخرى سيكولوجية وسياسية لها وزنها الثقيل » وعلى هذا المستوى كان « هجوم تيت نصرا حاسما للعدو » .

جـ : كان انتصارا سيكولوجيا ، بالنسبة للعدو فى دوائر الولايات المتحدة ، لان الصحافة كانت جد متشائمة ، وكان الاتجاه السائد هو المبالغة فى انتصارات العدو .

س : لقد أدت صدمة «هجوم تيت» الى فقدان الثقة فى سياسة الرئيس ، وقال السناتور روبرت كيندى « لقد أزفت ساعة ذكر الحقيقة » .

جـ : صحيح كانت نتيجة « لهجوم تيت » انها اثرت تأثيرا سيكولوجيا فى الولايات المتحدة . وكيسنجر كان على حق فى هذا الصدد .

س : وكان للعدو ان يفرح عندما نفض الرئيس جونسون يده من هذه القضية ، وذلك عندما أعلن تنازله عن ترشيح نفسه للرياسة مرة اخرى .

جـ : من رأيى ان « هجوم تيت » لم يكن العامل الرئيسى لتنازل الرئيس جونسون عن ترشيح نفسه للرئاسة مرة اخرى . لقد كان ذلك عندما قابلت الرئيس جونسون عندما عدت فى احدى المرات الى الولايات المتحدة ولم يكن هناك تفكير فى « هجوم تيت » . لقد اشار لى الرئيس جونسون ، انه لا ينوى ترشيح نفسه للرياسة مرة اخرى . ولقد قال لى الرئيس ، انه لا يريد ترشيح نفسه مرة اخرى لانه لا يريد ان يفعل شيئا قد يؤثر فى روح القوات المعنوية فى فيتنام. وقد ارجع عدم ترشيحه الى اسباب صحية .

س : ولكنه صرح فى خطاب القاه فى ١٧ مارس سنة ١٩٦٨ بقوله «اننا سنكسب ولنتأكد كل واحد من ذلك» . ولكن بعد بضعة أيام فقط ، بعد ان افاق الرأى العام الامريكى من تأثير الصدمة التى اصابته بسبب « هجوم تيت » لعل الرئيس قد ادرك أنه لا يمكنه مواصلة الحكم . ولا شك ان هذا الهجوم كان من بين الاسباب التى دفعت الرئيس جونسون الى التنازل عن ترشيح نفسه .

جـ : لاشك فى هذا .

س : « لقد قلتم يا سيدى الجنرال ، انذاك ان قوة العدو أخذت تضعف » .

جـ : لقد كان ذلك حقيقة لاشك فيها . وعندما ادليت بهذا التصريح كنت اقصد بذلك المعركة التى كانت تدور فى ذلك وليس الحرب كلها .

س : لقد كشف أحد المتحدثين باسم هيئة أركان الحرب الامريكية بعد سنوات فى تصريح له بانكم واركان حربكم كانت لديكم خطط لغزو فيتنام الشمالية ، عن طريق البحر والجو وانكم عرضتموها على الرئيس جونسون — على « انها الامكانية الوحيدة لكسب الحرب » . فهل هذا صحيح؟ والم يكن هذا ليؤدى الى تصادم عسكرى مباشر مع الصين ؟

جـ : كان لدينا عدة خطط للطوارىء : التقدم فى لاوس لقطع طريق هوتشي منه ، وخطط لغزو فيتنام الشمالية بالقوات الجوية والبرية والبرمائية، عند المنطقة المنزوعة السلاح . وقد اخذ الرئيس علما بهذه الخطة ، ولكن لم يسمح لنا ابدا بتنفيذ هذه الخطة .

س : وهل استبعد تنفيذ هذه الخطة كلية ؟

جـ : نعم اما مسألة انزلاق الصين الى الحرب لهذا السبب فهذا ما كنت استبعده . ولكننى لم اكن استبعد ان الصين قد تتورط فيها . وكان هذا شعورى فى ذلك الوقت وكنت اعتقد ان الصين لن تتحرك الا اذا شعرت بأن حدودها مهددة .

س : وهل اسقطتم درس كوريا من اعتباركم ؟

جـ : تجربة كوريا تؤيد وجهة نظرى .

س : كيف ذلك ؟

جـ : لان الصين تدخلت أولا عند تقدمنا ببعض قواتنا على ضفة نهر يالو ، وعلى الضفة الاخرى تقع حدود منشوريا .

س : وهل كنتم تعتقدون بانكم بغزوكم لفيتنام الشمالية ، لن تتعرضوا للاشتباك مع الصينيين لان قوات الغزو الامريكية...

جـ : ستنزل الى البر فى منطقة تبعد كثيرا عن الحدود الصينية . والقول الفصل فى ذلك هو الا تشعر الصين بانها مهددة . وبالطبع ايضا كان استخدام قوات صينية ، فى ذلك الوقت عملية صعبة من ناحية الامدادات الضخمة ، التى تحتاج اليها هذه القوات . ثم لا تنسى ان الصين فى ذلك الوقت كانت تواجه متاعب داخلية بسبب قوات

الحرس الاحمر . كما لا تنتسى أيضا انه كان للروس أنذاك قوات ضخمة على حدود منشوريا وكان ذلك بداية زحفهم فى محازاة الحدود .

س : وهل كان هذا ما أدخلتموه فى حسابكم ؟

جـ : كان من رأيى فى تلك الايام ان عملية برمائية شمالى المنطقة المنزوعة السلاح ، لاتهدد الصين ،وان الصين لاتستصوب استخدام قواتها .

س : وهل كنتم تعتقدون ان مثل هذه العملية ستكون عملية حاسمة ؟

جـ : من وجهة النظر العسكرية ، كانت هذه العملية ناجحة ، ولكنها ما كانت لتنهى الحرب . بل ستضعفه فقط .

س : ألم يصرح الرئيس جونسون بشىء عن ذلك ؟

جـ : انني لم اتحدث أبدا مع الرئيس جونسون ، عن هذا الامر . باستثناء مرة واحدة ، وذلك عندما تقابلنا فى البيت الابيض فى سنة ١٩٦٧ .

س : وهل أدخلتم فى حسابكم انذاك احتمال استخدام الاسلحة الذرية أو القنبلة الذرية ؟

جـ : أجل ولكن ليس بشكل جدى . لقد استبعدنا هذا الاحتمال من قبل . وانا من جانبى لم انصح أبدا باستخدام اى نوع من الاسلحة النووية .

س : وبماذا نصحتم بدلا من ذلك ؟ ففى السنوات الاخيرة وحتى الى بضعة اسابيع ، قمتم بغارات جوية أشد على فيتنام الشمالية ، برغم انكم صرحتم عند بداية الحرب ، بأن « الغارات الجوية على فيتنام الشمالية لن تنهى الحرب » .

جـ : كل شىء يتحرك حتى ميدان الحرب . فعندما حضرت الى فيتنام فى سنة ١٩٦٤ كنت بصراحة متخوفا من ان يدفع الفيتناميون بجميع قواتهم النظامية الى ميدان القتال ، اذا نحن بدأنا بالقيام بغارات جوية وكان فى امكاننا الاستيلاء على البلاد بسهولة . ولكن عندما اتممنا عمليات الامدادات بدرجة كافية تؤمن مؤخرة جيشنا كانت لدينا قوات كافية ، غيرت رأيى ، وأيدت القيام بغارات جوية . اذ ان الغارات الجوية من الناحية العسكرية هى الوسيلة الوحيدة لقطع خطوط امدادات العدو .

س : برغم ان الجنرال ريدجواى القائد العام للقوات الامريكية فى كوريا قد قال : « لقد علمتنا حرب كوريا انه من المستحيل قطع خطوط الامدادات لجيش آسيوى ، عن طريق القصف الجوى » .

جـ : انني أوافق على ذلك ، ولكن فى امكاننا أن ندمر خطوط امدادات العدو بدرجة تكبده خسائر فادحة . وكانت استراتيجيتنا تهدف الى جعل العدو مستعدا لمفاوضتنا . وبعد ذلك تحولت استراتيجيتنا فى سنة ١٩٦٩ الى استراتيجية الانسحاب ، وان يضطلع الفيتناميون الجنوبيون بادارة المعركة .

س : ونحن اليوم نعيش هذه المعركة ، بعد استقالة الرئيس ثيو ، ونرى كيف يهرب جنود فيتنام الجنوبية ، فى فزع ويلقون بأسلحتهم دون ان يحتكوا بأعدائهم .

جـ : الانسحاب بالنسبة للخصم هو اصعب المناورات العسكرية وحساس للغاية ، من الوجهة النفسية . والمطلوب هو التخطيط الدقيق . وعندما صدر الامر بالانسحاب لم تتخذ الاستعدادات اللازمة له مما ادى الى انتشار الرعب والفزع ، بين السكان الذين ملأوا الشوارع والطرق .

س : لقد حاربت القوات الامريكية فى فيتنام أطول مما حاربت فى الحربين العالميتين فما تأثير هذه الحرب عليها ؟

جـ : لقد كان التأثير مفسدا بسبب طول هذه الحرب . فقد كان هناك شغب فى ارض الوطن ، ومظاهرات فى الجامعات وشعور الجنود ، بأن الوطن لا يساعدهم . كل هذا كان له تأثير فى اضعاف المعنويات ، كما اثر على الانضباط فى الوحدات .

س : هل خلفت هذه الحرب عقدة فيتنامية ، بسبب عدم الاستمرار فى أداء المهمة حتى النهاية ؟

جـ : مؤكد . انني كضابط اشعر بالحزن والتعاسة وانا ارى حليفا يمنى بهذه الهزيمة الشنيعة . ان هذا يحدث لاول مرة فى تاريخنا الطويل . ولا شك اننا لم نؤد مهمتنا فى فيتنام الجنوبية ، ولا يكفينا عزاء اننا اخرنا استيلاء الشيوعيين على الحكم فيها عشر سنوات وأملى كبير ، فى ان تكون بلادنا قد تعلمت الكثير من هذه التجارب المأساوية التى مرت بها لتكون لها عبرة فى المستقبل .

س : ماذا تعلمتم من الفيتناميين الشماليين الذين كنتم تصفونهم دائما ببروسيى الشرق ؟

جـ : كل ما قصدنا من هذا الوصف الحط من قدر الفيتناميين الشماليين . ويجب علينا فى المستقبل الا نرسل جنودنا الى حرب ، ما لم نكن متأكدين من كسبها . وذلك بان تضمن وحداتنا المحاربة ان تسير عملياتها الحاسمة بدقة وان منحها تأييدنا الكامل وان نقدم لها جميع المساعدات ، التى تحتاج اليها حتى يمكنها ان تخوض الحرب الى النهاية .

س : وما هو رأيكم فى تكتيك القتال ؟

جـ : لقد غيرنا الكثير فى كتبنا لنتمشى مع التجارب التى حصلنا عليها ، فى جنوب شرق

آسيا . فقد غيرنا من طرق تدريب الجنود ؟ وان لم يكن ذلك على مــدى واســع . ولا شك ان ما تعلمناه من هذه التجارب سيكون قدوتنا فى اى حرب مقبلة .

س : هل تتفقون فى الرأى مع الخبراء العسكريين الاوروبيين على ان الجنــود المشاه لفيتنام الشماليه احسن جنود فى العالم . فى الوقت الحاضر ؟

ج : اننى لا اتفق معهم فى ذلك . انهم ولاشك يمثلون قوات منظمة منضبطة ، لانهم يخضعون لاشراف شيوعى قاس بجانب تعصبهم الشديد .

س : وما هو حكمكم على الجنرال جياب خصمكم فى هذه الحرب ؟

ج : لقد نجح الجنرال جياب نجاحا كبيرا ،فى موقعة بيان فو . ولا اظن انه يستحق التقــدير وحده فهناك ايضا الجنرال فان تين دونج ، احد تلاميذه . واقصد بذلك ان مهارة الجنرال جياب، قد بولغ فيها كثيرا ؟ اننى اقول ذلك لانه تكبــد خسائر لو تكبدها قائد غربى لاعفى من الخدمة .

س : انكم تكتبون الان مذكراتكم . وكيف سيكون شعوركم اذا عشتم هذه السنوات الاربع مرة اخرى ؟

ج : ستكون سنوات ينقطع فيها قلب الجندى .

س : لقد قلتم عندما جئتم الى فيتنام فى سنة ١٩٦٤ « هذا هو المكان الذى يكتب فيه التاريخ ..ففيه سيغامر بهيبة الولايات المتحدة وجيشها ». لوقد كتب هذا التاريخ الان . لقد حدثت دون شك هزيمة للولايات اضياع لهيبتها .

ج : لا . ليس هذا صحيحا . لقد كانت فيتنام تجربة جارحة بالنسبة الينا .

س : سيدى الجنرال اننا نشكركم على هذا الحديث .

② الشــهادة الفيتنــامية

يقــدمها :

الجـــنرال جيـــاب



ليس هناك استــراتيجية عسـكرية بحتــة

الجنرال جياب ، هو القائد الفيتنامى الذى قاد ــ عسكريا ــ انتصار شعب فيتنام ضد فرنســا وهزمها فى معركة « ديان بيان فو » المشهورة ، والذى قاد قــوات بلاده لرد العــدوان الامريكى وانزال الهزيمــة بأمريكا . وقــد كتب الجنرال جياب رسالة الى المقاومة الفلسطينية ــ ننشرها هنا ــ يحكى فيها « شهادته » حول الحرب .

احييكم بحرارة ، واود قبل كل شىء أن اهنئكم على الانتصار العظيم الذى أحرزته الثــورة الفلسطينية مؤخرا فى مؤتمر الرباط وفى الامم المتحدة ، ان هذه الانتصارات تشير الى ان الشعب الفلسطينى سينتصر .

كما أود أن انتهز هذه المناسبة لاطلب منكم أن تتكرموا بنقل مشاعرى الشخصية ومشاعر الشعب الفيتنامى للرئيس عرفات .

عرفنا من الرفيق [تان] انكم قد رضيتم تماما عن زيارتكم لفيتنام ومع ذلك فان قلوبنا تفيض بالحب لكم ، لكن خروجنا من ظروف الحرب ، أدى الى ارتكابنا بعض التقصير ، ولكننا عملنا ما

بوسعنا لنقل خبرتنا لكم ؟ ونؤكد بأنه لا توجد اسرار نحجبهـا عنكم ، ويسرنا ان يكون فيمـا قدمناه بعض الفائدة لكم .

نستطيع أن نقول ان عدد القنابل التى قصفت بها الامبريالية بلدان الهند الصينية ، لاوس ، كمبوديا ، وفيتنام خاصة تفوق بثلاث مرات مجموع ما استخدمته أمريكا فى كل جبهات القتال خلال الحرب العالمية الثانية ، وعلى ضوء المعلومات التى اعترف بها رؤساء الولايات المتحدة الامـريكية الثلاث كيندى ،وجونسون،ونيكسون،فقد اختاروا فيتنام كحقل تجارب لكل أنواع الاسلحة غير الذرية وذلك ليس فقط من أجل هزيمة الشعب الفيتنامى بل أيضا لاستعراض مدى قوة أمريكا تجاه دول المعسكر الاشتراكى ، لهذا السبب أرسلت الملايين من جنودها الى فيتنام وانفقت مئات البلايين من الدولارات واستخدمت لتدمير طريق هوشى منه الاسلحة المتطورة والعصرية ومختلف الوسـائل الالكترونية ، وقد جندوا ٤٠ فى المائة من مراكز الابحاث لخدمة القتال فى فيتنام ، ولهذا كانوا واثقين من نصرهم فى الحرب وخاصة بعد أن استخدموا طائرات الـ بى ٥٢ لقصف هانوى فى عام ١٩٧٢ ، وقد حصلنا على معلومات مـن الطيارين ، وخاصة طيارى الـ بى ٥٢ ، حيث كان رؤساؤهم يبلغونهم بأنه ليس لدينا مضادات بالرغم من انهم كانوا على معرفة بتسليحنا ، لقد كانوا يفعلون ذلك ليطمئنوا الطيارين بسلامة العودة ، ومع ذلك هزموا ، وهذا يعنى انه لا توجد القوة القادرة على ان تضرب شـعب صـمم على نيل استقلاله .

لقد انتصر الشعب الفيتنامى ، ونحن واثقون من أن الشعب الفلسطينى سينتصر كما انتصر شعب فيتنام ، ونحن واثقون من أنكم سـتحققون انتصارات « كرامة » جديدة ، ومعارك كرامة اكبر وانتصارات سياسية اكبر ، ولا توجد قوة تستطيع ان تمنع الشعب الفلسطينى من بناء وطنه .

نحن معجبون جدا بشعبكم ، ان نضال الشعب الفلسطينى مثال ساطع على البطولة والانتصار .

ان العالم الغربى ظن أنكم لن تحققوا أى نصر سياسى فى مؤتمر الرباط ، ونخبركم الحقيقة ، أنه عندما تتبعنا الموقف لم نعتقد أن تحقيق ذلك أمر سهل ، ولكن اخبار انتصار الشعب الفلسطينى ابهجت قلوبنا .

منذ عام ؟ ناهيك عن عشرة أعوام مضت ؟ لم يكن يظن الامريكيون أنكم ستحققون أى انتصار ، وهذا يدلل على أن تاريخ الانسانية اليوم يختلف عما كان عليه فى السابق ... لقد ثارت الشعوب ، ورايات الحرية والاسـتقلال عاليـة فى كـل القارات ، والانسانية اليوم تتقدم نحو الحـرية والاستقلال بدون عوائق . ان التاريخ يتقدم اليوم بسرعة أكبر مما كان عليه تقدمه فى السابق .

لقد ظلت فيتنام خلال عصر الاقطاع محتلة من قبل الاجانب لمدة ألف عام ، غير اننا فى النهاية نلنا استقلالنا ، المغول الذين انتصروا شرقا وغربا هاجموا هانوى ثلاث مرات وهزمناهم فى المرات الثلاث وحصلنا بعدها على استقلالنا الذى استمر مائة عام هزمنا خلالها كل الغزاة .

وفى القرن التاسع عشر جاء الامبرياليون الى أرضنا ، وكانت لديهم قوة عسكرية وقوة اقتصادية ضخمة واستمر تحكمهم فى بلادنا ثمانين عاما . ومنذ أن تراس العم « هو » الحزب ، الذى مضى على تأسيسه اربعة واربعون عاما ، خضنا خلالها نضالا مستمرا . خضنا فى ثلاثون منها حرب تحرير شعبية هزم شعبنا فيها الامبـرياليين الفرنسيين واليابانيين ومن ثم الامريكيين . وكثيرا ما قلنا بيننا وبين أنفسنا أن ثلاثين سنة من النضال تعد فترة طويلة ، لكننا خلالها استطعنا ان نهزم ثلاث قوى امبريالية : اليابانيين مـن آسـيا ، الفرنسيين من اوروبا ، والقوة الثالثة وهى الاكبر كانت الولايات المتحدة من أمريكا . وبذلك لا تكون ثلاثون سنة طويلة جدا . ولهذا السبب كنا واثقين من أن الشعب الفيتنامى سيحقق النصر النهائى . وكنا واثقين من أن فيتنام وطن الاباء سيوحد بنجاح ، ان شعبنا يؤمن بذلك وكذلك الصحافة الغربية ، وهذا يؤكد بأن هذا العصر يختلف عن العصر الذى سبقه . ونحن كلما نسترجع ذكريات انتصاراتنا كلما ازدادت ثقتنا بحتمية انتصـار شعبكم ، ان حقيقة أن الرئيس عرفات والشعب الفلسطينى قد اعدوا أنفسهم لخوض نضال طويل ، أمر جيد . اذ يجب أن نكون مستعدين لنضال طويل ومرير وقوى . ومن وجهة نظرى الشخصية فان انتصار الشعب الفلسطينى أقرب ممـا نتصور ... شخصيا أؤمن بذلك .

كثيرا ما سألنا الاصدقاء الذين زاروا فيتنام . كيف استطاع شعبنا أن يحرز الانتصار ؟ نستطيع ان نمضى اياما طويلة فى الحديث عن النظريات . ولكننا نستطيع أن نلخص الاسباب فى ثلاث فقط وهى :

١ ـ خط سياسى صحيح وخط عسكرى صحيح .
٢ ــ الشعب الفيتنامى شعب بطل .
٣ ـ دعم ومساندة الاصدقاء فى العالم أجمع .

ولاننا نعلم انكم تملكون هذه الشروط الثلاث فنحن على ثقه بان الشعب الفلسطينى سينتصر بكل تاكيد .

عندما بدأنا النضال ضد اليابانيين كنا قد اعددنا لانتفاضة مسلحه ولم نكن نملك سوى القليل من البنادق والقنابل . عندما صدرت لى التعليمات بقياده أول فرقه دعاية مسلحة اضطررت ان أستعين بقاموس فرنسى لاعرف معنى « قنبلة يدويه » . ولكن الشعب الفيتنامى فى النهاية هزم الامبرياليين الامريكيين ، وذلك لاننا نملك الخط السياسى والعسكرى الصحيح . فالشعب فى كل المناطق انتفض وثار وكان الظرف الدولى مؤاتيا لنا ، فاليابانيون هزموا وكسب الاتحاد السوفيتى الحرب .

عندما عاد الفرنسيون الى بلادنا ، عادوا بجيش كبير مزود بالدبابات والمدافع والطائرات . ولم يكن لدينا فى ذلك الحين أى دبابة أو طائرة . وقد علق العم «هو» بعد انتصارنا مازحا لم نخسر فى هذه الحرب ولا طائرة واحدة . لم نكن قواتنا المسلحة هى التى تحارب العدو فقط ، بل كان الشعب كله يحاربه ، لقد حصلنا على دعم الاصدقاء فى جميع أنحاء العالم . ولكن كان علينا ان نعتمد فى الاساس على قواتنا الذاتيه . ٧٠ فى المائه من الاسلحة التى حاربنا فيها العدو الفرنسى كانت من الاسلحة التى صنعناها محليا . وعندما تدخلت القوات الامريكية رفعنا شعار « علينا ان نناضل بقوه ضد الامريكيين » . ولكن كانت هناك قضيه لم نواجهها من قبل وهى أن الامبريالية الامريكية أقوى من الفرنسيين . وشكت كثير من الدول الصديقة فى قدرة شعبنا على مواجهتها ، وعرضت بعضها ارسال متطوعين لدعمنا . ولكن العم « هو » والحزب قالوا ان بمقدورنا ان نهزمهم . ولكن الحرب ستكون طويلة الاجل ، واعتقد الامريكيون أننا لن نستطيع أن نقاتل لمدة طويلة . والحقيقة أن الشعب الفيتنامى انتصر على الامريكيين . لقد انسحبوا بعد أن هزمنا أسلحتهم الاستراتيجية . وهذا يشير الى قوة الخط الصحيح ، تلك القوة التى تفوق حد التصور ، فهى قوه الشعب الذى ثار وهب هبة رجل واحد بالاضافة الى قوة التضامن العالمى التى ليس لها حدود . الدعم العالمى خلال مرحلة النضال ضد العدو الامريكى كان أكبر بكثير مما كان عليه ايام نضالنا ضد الفرنسيين . لكن الاسلحه الامريكية أكثر عصرية . ومع ذلك فالامر الاساسى هو نضال الشعب الفيتنامى . فالامريكيون لم يدركوا حتمية انتصار الشعب الفيتنامى ، كما أن أصدقائنا لم يكونوا يعتقدون بامكانيه أحرازنا للانتصار . ولهذا فقد أذهلهم حجم انتصارنا .. لهذا السبب نحن نؤمن بالانتصار النهائى للثورة الفيتنامية ، ولنفس الاسباب نؤمن بأن الشعب الفلسطينى سينتصر .

انى اقابلكم بروحية مقاتل وارحب بكم كصديق وثيق للشعب الفلسطينى وكصديق وثيق للمقاتلين الفلسطينيين . لهذا السبب اود ان اقول لكم ثلاثة حقائق هى :

١ ـ فيما يتعلق بالاستراتيجية ، ليست هناك استراتيجيه عسكرية بحتة ، ان الاستراتيجية الصحيحة يجب ان تكون استراتيجية كلية الجوانب . والاستراتيجية العسكرية تنتصر فقط ، عندما تكون جزءا من استراتيجية عامة . لهذا السبب فالاستراتيجية السياسية مهمة جدا ، وعندما نخوض النضال يجب ان نخوضه فى كل المجالات ، السياسية ، والعسكرية ، والديبلوماسية . وبالطبع النضال الديبلوماسى ليس هو الشكل الاساسى للنضال .

٢ ـ والقضية الثانية تتعلق بمنهج قتال العدو . ان الانسان هو العامل الحاسم فى القتال . صحيح انه من الضرورى أن يكون لدينا اسلحة وهى مهمة ، ولكنها ليست العامل الحاسم . ولهذا فان القضية الاساسية هى بناء الانسان المؤمن بالحرية والاستقلال ليقاتل بشجاعة وبطولة . ان البطولة والشجاعة لا تكفيان ، اذ يجب ان يتحلى المقاتل بالذكاء والابداع .

اعتقد انكم فى معركة « الكرامة » [١] كنتم ابطالا وكنتم مبدعين .

٣ ـ اننا نحتاج الى قوات مسلحة تكون من قوات العصابات والقوات النظامية . ولكننا بالاضافة الى ذلك نحتاج الى الشعب . ولهذا السبب قال العم « هو »[الوحدة ، وحده عظيمة ، وحدة اعظم] و [انتصار ، انتصار عظيم ، انتصار اعظم] .. من بين الاساطير الفيتنامية

---

[١] المعركة الكبرى التى خاضها مقاتلوا فتح ضد الجيش الاسرائيلى فى مارس ١٩٦٨ ، وكانت شهادة الميلاد الدولية العربية الاولى للثورة الفلسطينية بعد ثلاث سنوات فقط من اطلاق أول رصاصة فى يناير سنة ١٩٦٥ .

هناك اسطورة تقول بانه كان هناك عملاق ضخم بحجم الذعر ، وقع قتال بينه وبين حيوان صغير ، وقد تمكن الحيوان الصغير من قتل العملاق ، واحضر الحيوان الصغير عشرة سجاجيد كبيرة لتغطية العملاق ولم تغط سوى جزء صغير من يده . بهذه الروحية قاتلنا الاميريكيين . قال لنا كيسنجر « لو كنتم مجرد ابطال فقط لهزمناكم ، لكنكم كنتم اذكياء جدا » .

ارجو ان تكون لهذه النقــاط التى ذكرتهــا فائدة لكم . فيما يتعلق بخط الحزب يجب ان يكون صحيح وخلاق ومستقل . فمادمنا نناضل من اجل الاستقلال يجب، ان يكون خطنا الحزبى مستقلا . ويجب بالطبع ان نكسب أصدقاء عديدين .

لقد مدحتم خبرة الشعب الفيتنامى . اننى اعتقد ان هذه الخبرة ستكون ذات فائده لكم ، ولكن بالرغم من وجود نقاط تشابه بيننا وبينكم ، تبقى هناك بعض نقاط الاختلاف . لهذا ارجو ان تطبقوا خبرتنا وفق خطكم المستقل . فى هذه المرة زرتم بلدنا كبعثة عسكرية مهمة ، ومن بينكم رفـاق مارسوا القتال بالاسلحة .

اود ان تنقلوا مشاعرى وتحياتى للرئيس عرفات، كما ارجو ان تصافحوا مقاتلى الشعب الفلسطينى عنا .

وبعد ان قدمت له البعثة العسكرية الفلسطينية خارطة فلسطين النحاسية قال الرفيق جياب : « ان ارض فلسطين عزيزة على ، كما هى عزيزة عليكم ، اننى اتأثر كثيرا عندما أنظـر الى هـذه الخارطة » .

③ الشــهادة المصــرية

تقــدمها :

ليـــلى الجبـــالى

لمــــاذا قتــلت الولايـات المتحـدة ٥٦٠٠٠ من أبنائها ؟

زارت الكاتبة ليلى الجبالى ، بدار الجمهورية ، فيتنام خـلال سنوات العدوان الامريكى . وقد خرجت من زيارتهــا الميدانيــة بعديد من الانطبــاعات ضمنتها كتابها الذى يصدر قريبا . ويعد هــذا الفصــل الذى ننشره ــ باتفاق معها ــ « شهادة » لكاتبة مصرية سجلت فيه رؤيتها للواقع الفيتنامى خلال الحرب .

قبل ان نحكى قصــة النضال الطـويل الذى خاضه شعب فيتنام البطل على مدى خمســة عشر عاما ضد الولايات المتحدة حتى حقق النصر النهائى فجر يوم ٣٠ ابريل سنة ١٩٧٥ ، لابد ان نجيب أولا على سؤال هام قد يســاله المواطن البسيط فى كل مكان ...

لمــاذا قتلت الولايات المتحدة [٥٦٠٠٠ الف امريكى] فى حربها العدوانيــة ضــد الشعب الفيتنامى .. فضلا عن [٢٥٠,٠٠٠] جريح ..؟

ولماذا انفقت الولايات المتحــدة [١٥٠ مليار دولار] منذ تورطها العسكرى فى فيتنـــام بداية من عام ١٩٦١ .. ؟

ولماذا خسرت الولايات المتحدة خلال حربها فى فيتنام [٤٩٠٠ طائرة هليوكبتر و ٢٧٠٠ طــائرة نفــاثه وذات محــركات ثابتة من الطـــائرات العسكرية] .. ؟

ليس ثمة شك ان الولايات المتحــدة ما كانت لتضحى بكل هذه الخسائر فى الارواح والاسلحة والمعدات ، دون ان يكون لهــا اهــداف كبرى ارادت تحقيقها لخدمة نظامها الراسمالى الامبريالى .

فما هى اذن تلك الاهداف الامبريالية فى جنوب شرقى اسيا .. وبالتحديد فى جنوب فيتنام ..؟

يقول « بيترسون » مدير البنك الامريكى فى عهد حكومة الرئيس الامريكى السابق نيكسون، وكان واحدا من مستشارى نيكسون الخصوصيين:

« ليس هناك منطقة فى العالم اوسع واغنى فى الموارد الطبيعية والنمو التجارى اكثر من هذه المنطقة . ونحن رجال الاعمال فى كاليفورنيا نستطيع ان نلعب دورا أكثر حيوية لتنمية التجارة فى منطقة الباسيفيك ، وسوف يكون لدينا اسواق ضخمة لمنتجاتنا ، وأرباح عظيمة لشركاتنا .. »

اما الوكالة الامريكية « ستانفورد للابحاث » فقد جاء فى احد تقاريرها :

« ان استراتيجية الولايات المتحدة تستهدف امتداد نشاطاتها فى ذلك الجزء من العالم لاهميته، ويهدف السيطرة على جنوب شرقى آسيا واليابان داخل الفلك الغربى ، وضمهما الى السوق الاقتصادى الذى تسيطر عليه الولايات المتحدة. والعمود الفقرى لهذه الاستراتيجية هى الدول الصناعية المتقدمة [الولايات المتحدة واليابان] ثم الدول الاقل تقدما وهى [استراليا ، وكندا ، ونيوزيلاند] [1] .

وجاء فى بيان «مجلس الامن القومى الامريكى» فى بداية عام ١٩٥٢ :

« ان منطقة جنوب شرقى آسيا ، هى المصدر الرئيسى للثروة الطبيعية من المطاط ، والقصدير ، والبترول وغيرهما من المنتجات الاستراتيجية فى العالم [٢] » .

وتكتب مجلة « الشئون الخارجية الامريكية» فى عددها الصادر فى اكتوبر عام ١٩٦٧ ، نقلا عن الرئيس الامريكى السابق ريتشارد نيكسون:

« ان الولايات المتحدة هى دولة باسيفيكية تجسر كل مصالحنا وافكارنا غربا نحو الباسيفيك .. » .

تلك مجرد فقرات قصيرة وسريعة لبعض المسئولين الامريكيين ، ورجال الاعمال والنشرات الرسمية الامريكية تشير الى الاهداف الامريكية فى ذلك الجزء من العالم . وقبل ان نتحدث عن وسائل التدخل الامريكى الذى لخصها « جون فوستر دالاس » وزير الخارجية الامريكى الاسبق بقوله :

« هناك طريقان لهزيمة اى دولة اجنبية . الاول ، التحكم فى شعب هذه الدولة بالقوة العسكرية المسلحة ، والثانى ، التحكم فى اقتصاده بالوسائل المالية .. [٣] .

اقول قبل ان نتحدث عن هذين الطريقين اللذين تستخدمهما الولايات المتحدة الامريكية للتدخل فى شئون الدول الصغيرة ذات الموارد الطبيعية الغنية .. مثل فيتنام [موضوع كتابنا] .. ينبغى علينا اولا ان نلقى الضوء على ما تتمتع به فيتنام من ثروات طبيعية واقتصادية كانت وراء المطامع الاستعمارية للولايات المتحدة الامريكية فى ذلك الجزء الاستراتيجى الهام من جنوب شرقى آسيا .

منذ اتساع التواجد الامريكى فى جنوب فيتنام بعد خرق اتفاقيات جنيف ، وخلق نظام عميل للولايات المتحدة فى سايجون ، بدأ الخبراء الاقتصاديون الامريكيون ارسال بعثات الاستكشاف الى جنوب فيتنام ، للبحث عن مصادر الثروة الطبيعية هناك .

وقد عادت تلك البعثات بتقارير على جانب كبير من الاهمية .

جاء فى تقرير بعثة ريتشلسون «Rechelson» .. .. «ان السهول الواسعة فى فيتنام الجنوبية ذات المناخ الحار ، والمياه الوفيرة ، والتربة الخصبة .. تسمح بنمو كل انواع المحاصيل طوال العام .. كما تشكل دلتا نهر الميكونج افضل مناطق العالم فى انتاج الارز .. » [٤] .

اما « كارتر جودريتش » ، فقد كتب فى تقريره يقول :

.. « ان هذا البلد يتمتع بظروف مناخية لزراعة اشجار المطاط التى لا تقدر بثمن .. » [٥] .

وبالنسبة للثروات المعدنية الكامنة فى باطن الارض ، فقد تعرضت لها وكالة « اليونايتدبريس » الامريكية » بتاريخ ١٣ مارس عام ١٩٧٠ ، نقلا عن احد الخبراء الامريكيين .. فكتبت تقول :

.. « هناك مناجم ذات قيمة عظيمة تركها الفرنسيون ، مناجم ذاخرة بالفحم والحديد ،

---

[1] Focus on Indo-China — Malcolm Salmon.

[٢] نفس المصدر .

[٣] Focus on Indo-china — Malcolm Salmon.

[٤] U.S. Neo-colonialism in South Vietnan-Vietnamese stu-dies — P. 177.

[٥] نفس المصدر

والذهب ؟ والقصدير ؟ واليورانيوم فى المناطق الجبلية . كما يوجد بالتاكيد البترول فى المناطق الساحلية .. » .

وبالفعل ؟ اكتشف الجيولوجيون ، والجيوفيزيون ، وخبراء المحيطات الامريكيين بعد عدة سنوات من البحث .. حقول بترول تمتد من الهند الصينية الى شمال استراليا على مسافة [٤٩٠ كيلومترا عرضا] ، و [٦٤٠٠ كيلومتر طولا] ، مع وجود احتياطى من مخزون البترول يبلغ ثلاثة أرباع حقول البترول التى اكتشفت فى العالم كله ..

وفى هذا الصدد يؤكد « جيمس جونت James Gaunt » الجيولوجى الامريكى ، الذى كان على رأس من توقعوا وجود البترول فى بحار الجنوب عام ١٩٥٥ .. أكد انه بعد خمس سنوات من التنقيب ، سوف تنتج حقول البترول فى [تايلاند ، وكمبوديا ، وماليزيا ، وجنوب فيتنام واندونيسيا] ٤٠٠ مليون برميل من البترول يوميا [٦] .

وقدر « دافيد روكفلر » مدير بنك تشيس مانهاتن فى مقال كتبه يوم ٨ مارس عام ١٩٧١ فى جريدة « نيشن » Nation الامريكية ..

.. « ان استخراج البترول من منطقة غرب الباسيفيك تحتاج الى [٣٥ بليون دولار] خلال السنوات العشر القادمة .. » [٧] .

وبالاضافة ايضا الى الثروة البترولية ، من المفيد ان نشير الى ثروة القوى البشرية التى تعيش فى جنوب فيتنام ، وعدد العمال المهرة الذين يتقاضون اجورا منخفضة للغاية .. [اذ يبلغ اجر العامل الفيتنامى خمس ما يحصل عليه العامل الامريكى] .

ومع تسلل العناصر التى تتجه اليها المطامع الامريكية الامبريالية فى جنوب فيتنام ، نجد أن هذا الجزء من العالم يشكل بالنسبة للولايات المتحدة ، سوقا هامة فى جنوب شرقى آسيا فهى تقع على أهم الطرق البحرية الدولية .. فضلا عن كونها احدى مفارق الطرق الرئيسية بين الباسيفيك ، ودول اسيا الجنوبية .

وحول هذا الموقع الهام لجنوب فيتنام ، كتبت « النيويورك تايمز الامريكية » عام ١٩٥٢ تقول :

.. « ان جنوب فيتنام يستطيع ان يصدر ، التصدير ، والمنجنيز والفحم ، والحديد ، والمطاط ، والتوابل ، والجلود .. وهذه المنتجات ادخلت للخزانة الفرنسية [٣٠٠ مليون دولار سنويا] فيما قبل الحرب العالمية الثانية .. » .

ونستطيع ان نتصور كيف تضاعفت اسعار تلك المنتجات عشرات المرات خلال السنوات الخمسة عشر من الوجود الامريكى فى فيتنام ، وآلاف الملايين من الدولارات التى دخلت الخزانة الامريكية بدلا من الخزانة الفرنسية . فى الوقت الذى ظل الدخل القومى لشعب جنوب فيتنام طوال فترة الوجود الامريكى بها دون أى زيادة ..!!

اذن .. هى الاهمية الاستراتيجية لجنوب فيتنام ، والثروات الطبيعية الهائلة التى تتمتع بها ، كانت اهم اسباب التمسك الامريكى بهذه المنطقة ، وهى نفسها محل الاطماع الاستعمارية فى دول العالم الثالث الغنية بمواردها ومع زيادة اكتشاف مصادر الطاقة والثروة ترسم الولايات المتحدة استراتيجيتها بهدف استغلال هذه الثروات لصالح احتكاراتها العالمية .. تلك الاحتكارات التى تهيمن على الحكومة الامريكية ، واعضاء الكونجرس الامريكى ، ونخص بالذكر الاحتكارات العسكرية .

وكما يقول بيير جالى Pierre Jallee « ..

.. « ان اقتصاد دول العالم الثالث ، تهتز دعائمها تحت سطوة الاستغلال الامبريالى . وليس امام شعوب هذا العالم اى حل اخر سوى النضال من اجل وضع حد لهذا الاستغلال الامبريالى الاقتصادى .. فى نفس الوقت الذى لا تجد فيه الامبريالية اى بديل سوى تمزيق هذه الدول لاخضاعها لارادتها .. [٨] .

● ● ● ●

الاستعمار الجديد .. كيف ؟ !

وكما قال « جون فوستر دالاس » فيما سبق ذكره عن الطريقتين الامريكيتين لهزيمة الشعوب ، فقد استخدمت الولايات المتحدة كليهما للسيطرة على شعب جنوب فيتنام من خلال الحكومات الموالية لها التى خلقتها فى الجنوب منذ أول حكومة عميلة برئاسة نجويين دييم . وسوف نتحدث عن التدخل العسكرى الامريكى فى الفصل الخاص بحرب التحرير الفيتنامية .

اما الطريق الثانى للسيطرة الامريكية على جنوب فيتنام فهو ما يهمنا التعرض له تفصيلا فى الصفحات القادمة .

لنبدأ اذن بنظرة الولايات المتحدة لحكومة سايجون ، ولجمهورية جنوب فيتنام كما جاء على

---

[٦] و [٧] نفس المصدر السابق ...U.S. — Neo-Colonialism

[٨] U.S. — Neo-Colonialism in South Vietnam — P. 179.

لسان « جون كيندى » الرئيس الاسبق للولايات المتحدة الامريكية فى خطاب القاه فى اول يونيو عام ١٩٥٦ فى«جمعيةاصدقاء فيتنامفىامريكا.»

قال جون كيندى ..

« ان جمهورية فيتنام الجنوبيــة هى من خلق الامريكيين ، واذا لمنكن بمثابة الوالدين بالنسبة لفيتنام الصغيرة ، فنحن اذن بمثابة اجدادهــا ، لاننا حضرنا ميلادها . وقدمنا لها المســاعدات من اجل حياتها ، كما اننا ســاعدنا فى وضــع شكل لمستقبلها .. » .

من هذا المنطلقنستطيع انفهم اسلوبالتدخل الامريكى بهدف السيطرة على اقتصاد اى دولة تعتبر نفسها مستقلة ذات سيادة من حيثالشكل فقط .. بينما هى فى واقعالامر تابعة تبعيةكاملة للدولة التى فرضت وجودها ،خرقا لكلالاتفاقيات الدولية ، كما حدث فى فيتنــام الجنوبيــة عقب اتفاقيات جنيف .

كان أول هدف اقتصادى امريكى فى جنــوب فيتنام هو السيطرة الكاملة على المؤسســـات النقدية والمصرفية .لذلك انضمت حكومةسايجون الى صندوق النقد الدولى [١٠] .. بعدها ربطت عملتها النقديةبالدولار الامريكىفاصبحالدولار = ٣٥ قرشا فيتناميا [١١] وفقا لاتفاقيــة عقدتهــا الولايات المتحدة محكومة سايجون عام ١٩٥٦. وقد قبلت الولايات المتحدة هذه القيمة نظــرا لان مساعداتها لحكومة فيتنام اصبحت اكثر الحاحا.

ولم يكن خافيا علىحكومة سايجونلماذا وقعت الولايات المتحدة معها تلك الاتفاقية لاســـباب سياسية واقتصادية ، لا تســـتهدف اســـتقرار السياسة النقدية لجنوب فيتنام .. او من اجل التنمية الاقتصادية ، وانما لدعم سياسة التبادل بين الحكومتين .

وبهذا استطاعت الحكومة الامريكية ان تضرب عصفورين بحجر واحد . الاول ـــ ربط القـــرش الفيتنامى بالدولار الامريكى ، ليكون لها السيطرة على النشاط الاقتصادى والمالى فىجنوبفيتنام ، وكذلك سيطرتهـــا على المســـتوى الدولى ايضـــا .. ومن ثم تتم كل العمليـــات النقـــدية الفيتنامية تحت المظلة الامريكية بشكل عملىمن خلال الواردات .

اما الثانى فهو تدعيم مركز الدولار فى جنوب شرقى آسيا ؟ ليتم له التسلل بصورة كاملة تؤدى الى احلال المصالح الامريكية محل المصـــــالح الفرنسية .

ومن المهم ان نذكر هنـــا .. كيف تفـــرض الولايات المتحدة شروطهـــا فى كل الاتفـــاقيات الاقتصادية التى توقعها مع الحكومة التابعة لها بهدف اخضاع اقتصادها اخضاعا كاملا للسيطرة الامريكية .

فعلى سبيل المثال !!

تنص الاتفاقية التى وقعتها الولايات المتحدة فى ١٨ ديسمبر عام ١٩٥٦ مع حكومة سايجون فى ـــ المادة الثالثة ـــ منها على الاتى :

« يجب على حكومة فيتنام تقـــديم المعلومات الضرورية لحكومة الولايات المتحدة حتى تتاكد من تنفيذ بنود الاتفاقية ، على ان تقدم تقريرا كلثلاثة شهور حول الاستفادة من الاعتمادات المقدمة ، والبضائع والخدمات التىتتلقاها بالاضافة الىاية معلومات اخرى تحتاجها الولاياتالمتحدة لدراسة طبيعة واتســـاع العمليات المطلوبة ولتقييم تأثير المساعدات الظاهرة وغير الظاهرة [١٢] ..

وفى المادة « الخامسة منها نصت الاتفاقيــة على ما يأتى :

« يجوز الغاء الاتفاقية بعد مذكرة كتابيــة من جانب الولايات المتحدة قبل ثلاثة شهور من تاريخ الالغـــاء .. [١٣] .

نلاحظ هنا كيف تهدد الحـــكومة الامريكيــة الطرف الاخر الموقع معهـــا على الاتفاقيـــة رغم ما تقدمه له من المســـاعدات ورغم ولائه الكامل لها .. كأسلوب من اساليب الضغط الاقتصادى لفرض كل الشروط .. !!

والمساعدات الامريكية الشهيرة تنقسم عادة الى ثلاثة اقســـام .. مســـاعدات عســـكرية ومساعدات اقتصادية وماليـــة .. ومســـاعدات ثقافية ..

ومن أهم تلك المســـــاعدات ، المســـاعدات العسكرية التى بلغت [٧٢٥٠ مليون دولار حتى عام ١٩٧٠] مقسمة على المراحل الاتية :

ـــ [٤٦٣ مليون دولار] للفترة من عام ١٩٥٥ ـــ ١٩٦٠ ، وهى الفترة التى تم بناء جيشحكومة سايجون .

---

[٩] L'imperialisme en 1970 — François Maspéro-Paris, 1969 — P. 176.

[١٠] وفقا لاتفاقية « برتن وورز لعام١٩٥٤ . وقد تخصص صندوق النقدالدولىفى تلبية المطالب القصيرة الاجـل التى تطلبها الدول الاعضاء المشتركة فىالاتفاقية

[١١] القرش الفيتنامى هو العملة التىوضعتها الولايات المتحدة لحكومة سايجونبعد فرض حكومة دييم .. [المؤلفة] .

[١٢] Glimpes of U.S. Neo-colon ialism (V-2) vietnamese stu dies.

[١٣] نفس المصـــدر

ـ [١١٨٧ مليون دولار] للفترة من عام ١٩٦١ ــ ١٩٦٥ ، وهى فترة «الحرب الخاصة».

ـــ [٥٦٠٠ مليون دولار] للفترة من عام ١٩٦٦ ــ ١٩٧٠ ،وهىفترة «الحرب المحدودة».

ـــ [١٠٠٠ مليون دولار] لعام ١٩٦٨ .

ـــ [١٢٥٠ مليون دولار] لعام ١٩٦٩ .

ـــ [١٩٠٠ مليون دولار] لعام ١٩٧٠ وهى فترة [فتنمية الحرب] .

وجدير بالذكر ان كل تلك المساعدات كانت تنفق تحت اشراف منظمة عسكرية خاصة تمثل وزارة الدفاع الامريكى ، وهى التى عرفت باسم [مجموعة المساعدين والاستشاريين العسكريين الامريكيين ،او MAAG ؛ ولايفوتنا هنا ان نشير الى ان هذه اللجنة العسكرية الامريكية ،كان يجب عليها مغادرة سايجون بعد اتفاقيات جنيف لعام ١٩٥٤، وفقا [للمادة ١٦] من الاتفاقية الدولية التى وقعت عليها الولايات المتحدة نفسها ، وهى المادة التى تقضى بمنع دخول اى قوات اجنبية جديدة او افراد عسكريين الى فيتنام . لكن الولايات المتحدة الامريكية ضربت بهذه المادة وغيرها من نصوص اتفاقيات جنيف عرض الحائط ، لتبدأ عهدها الاستعمارى الجديد فى فيتنام .

[والمساعدات الامريكية] هى أول ورقة فى لعبة التدخل الاستعمارى الامريكى .

وكما سبق ان ذكرت كيف بدات الولايات المتحدة تقديم مساعدتها فى الفترة ما بين عام ١٩٥٠ ، ١٩٥٤ ، اى قبل وجود شىء اسمه حكومة سايجون .. أو حكومة جمهورية فيتنام الجنوبية ، عندما منحت الولايات المتحدة القوات المحتلة الفرنسية فى جنوب فيتنام [٢٦٠٠ مليون دولار] ، أى حوالى [٨٠٪] من مجموع نفقات الحرب فى الهند الصينية [١٤] .

ومنذ ذلك التاريخ ، استمرت المساعدات الامريكية لجنوب فيتنام ، وتحددت الاهداف الامريكية على لسان « فروريك بانبتنج » رئيس قسم الشئون الاسيوية فى لجنة المساعدات الامريكية التابعة لوزارة الخارجية الامريكية فى ذلك الوقت ــ عندما ركز على المشاكل التى تعمل المساعدات الامريكية على حلها فى جنوب فيتنام . وقد لخصها فى النقط الاساسية التالية [١٥] .

١ ــ اعاده وتدعيم السلام فى الداخل .

٢ ــ مساعدة الفيتناميين الشماليين ..[١٦].

٣ ــ تدعيم الاستقرار الاقتصادى .

٤ ــ تقوية القدرة الادارية لحكومة سايجون.

الاستعمار الجديد .. والطبقات الحليفة

قبل ان تقدم الولايات المتحدة مساعدتها الى بلد ما . .تكون قد قامت بدراسة شاملة للموقف الاجتماعى والاقتصادى للدولة التى تنوى التدخل فى شئونها لتحقيق اهدافها الاقتصادية . ولكى تمهد الارض لغزوها الاقتصادى تكون قد شقت القنوات التى تجرى من خلالها مياهها الاستعمارية .

ولا تستطيع دولة لها استقلالها الفعلى ، وحريتها الاقتصادية ان تقبل الشروط التى تفرضها الولايات المتحدة الامريكية ، مقابل ما تقدمه من مساعدات . اما الحكومات التى تقبل تلك الشروط هى عادة حكومات تلعب الحكومة الامريكية دورها الجوهرى فى وجودها .. تماما كما وضعت نجوين دييم اول عميل لها على رأس حكومة جنوب فيتنام بهدف تقسيم الشعب الفيتنامى ، كما قسمت من قبله شعب كوريا .. وشعب لاوس وكما فعلت ايضا فى كمبوديا..[١٧].

وكما تدرس الولايات المتحدة ، الموقف الاجتماعى جيدا ،لكى تعرف مسبقا من هى الفئات التى سوف تتعامل معها ، ومن هم « الدمى » الذين تستطيع ان تمسك بخيوطهم تحركهم لتنفيذ سياستها .. يهمنا نحن ايضا ان نتعرض لهذه الفئات لكى نفهم بدورنا الاسلوب الامريكى المتكرر للتدخل فى اى منطقة من العالم ،لها فيها اهدافها الاستراتيجية الاستعمارية ونركز هنا على مايعرف « بالاستعمار الجديد » ... او الاستعمار الذى يتم من خلال حكومات عميلة تضعها الولايات المتحدة لخدمة وتنفيذ سياستها فى هذا البلد او ذاك . وليس بعيدا عنا ما فعلته أمريكا فى شيلى للقضاء على حكم الرئيس الوطنى « الليندى » .. وكثير من حكومات أمريكا اللاتينية التى جاءت الى

[١٤] Congression Record, Senate, Feb 21-1966 — P. 3410, Quoted by theodor Draper, in «Abuse of Power».

[١٥] L'aide aux pays sous développés-François Luchaire.

[١٦] نلاحظ الاهداف الامريكية فى التدخل فى شئون جمهورية فيتنام الديموقراطية المستقلة ذات السيادة [المؤلفة] .

[١٧] التدخل الامريكى فى لاوس والتآمر الامريكى ضد الحكومة الشرعية للاميرسيهانوك فى كمبوديا التى عادت اخيرا بعد حرب استمرت خمس سنوات ضد الولايات المتحدة وعميلها لون نول تحتاج لدراسة كاملة لا يتسع المجال هنا لتفصيلها ــ امل ان اقدمها فى كتاب آخر قريبا .. [المؤلفة]

الحكم بعد انقلابات عسكرية دبرتهـــا وكالات المخابرات المركزية الامريكية .. فضـــلا عن كل الانقلابات التى دبرتهـــا فى بعض دول آســـيا وافريقيـــا .

بعد تقسيم شعب فيتنام الى قسمين نتيجـــة لخرق الولايات المتحدة لاتفاقيات جنيف الدوليـــة لعام ١٩٥٤ ، نزحت الطبقة البرجوازية الطفيلية [الكومبرادور] من الشمال الى الجنوب لتنضم مع امثالها من اعمدة البرجوازية فى الجنوب .. ومنذ اول يوم للوجود الامريكى ،كانت هذه الطبقة على استعداد كامل للتعاون مع النظام العميـــل للولايات المتحدة ، لتحقيق ارباحها الطائلة من وراء عمالتها للولايات المتحدة .

وكما هو معروف فى كل الدول الناميـــة التى كانت مستعمرات سابقة ، مثل فيتنام ، ان هذه الطبقة مقسمة كالاتى :

١ ــ **طبقة كبار الراســـماليين** : وهم الذين يوقعون عقودا للاستيراد والتصدير مع الشركات الاجنبية التابعـــة للمستعمر ، ويدخلون برؤوس اموالهم فى مشروعات مشتركة باتجاهات سياسية رجعية واضحة .

٢ ــ **الطبقة الطفيلية** ، وهى التى تربح ارباحا هائلة من الصفقات دون ان تقوم باى عمل انتاجى ، من امثال تجار السوق السوداء ومقاولى الباطن ، والسماسرة والوسطاء .. الخ .

وقد ادى تدفق الدولار الامريكى عبر قنـــوات المساعدة الامريكية لحكومة سايجون .. ووجود نصف مليون جندى امريكى على الارض الفيتنامية .. ادى الى خلق طبقة اجتماعية جديدة مرتبطة بسياسة البيت الابيض ..

وتحولت طبقة السماسرة وكبار الملاك ، الى مغامرين وسياسيين متعنتين انتقلوا بعد فترة الى فئة كبار الراسماليين .

وعلى سبيل المثال .. احتكر [نجو] شيقيق نجويين ديبم رئيس حكومة سايجون الاسبق ، كل تجارة الارز ، واحتكرت اخته [كالى] التجـــارة ووسائل النقل بين جنوب فيتنام ووسطها . اما زوجة اخيه [تران لى اكسوان] فقد اشرفت على توزيع الاعتمادات الامريكية ، والودائع النقدية فى البنوك الاجنبية ، واصبح نظـــام الحكم فى سايجون فى ذلك الوقت يعرف باسم .. « نظام عائلة ديبم » .

اما وكالة المخابرات المركزية الــ CIA فقد ساعدت على خلق احزاب ومنظمات موالية للولايات المتحدة تحت اسماء عديدة ، وتحمـــل واجهات ديموقراطية واحيانا اشتراكيـــة ــ !! كما كانت تجبر الجنرالات العسكرية فى الحكومة الموالية لها على اشراك عدد من هؤلاء السياسيين الموالين لها فى الحكم .

وبالفعل تم للولايات المتحـــــدة ما ارادته فى فيتنام الجنوبية تماما . فقد نجحت فى السيطرة على كل المجالات . وكانت السياسة الخارجيـــة والداخلية لحكومة سايجون توضع فى واشنطن ، وفى واشنطن ايضا وضع كل الخطط التى يقوم بتنفيذها فى سايجون ، المستشارون الامريكيون المنتشرون فى كل المواقع من وزارات وادارات . اما الجيش التابع لحكومة سايجون فهو خاضع تماما لمجموعة المساعدين العسكريين الامريكيين [الــ MAAG] .

وعلى اية حال ، فعندما بدأ نظام نجوين ديبم ينهار تحت وطأة التذمر الشعبى ، ومع ازدياد حجم الفساد والرشوة والتدهور الاقتصادى ، كانت الحكومة الامريكية قد قررت تصفية هـــذا النظام حتى تستطيع مواصلة تنفيذ خططها الاستعمارية فى جنوب فيتنام على يد اداة حكومية اخرى اكثر قدرة من نظام « ديبم » .

ومن المعروف ان الولايات المتحدة عندما تريد التخلص من احد عملائها فالامر بالنسبة لهـــا لا يحتاج الى جهد كبير ، لان رجالها موجودون فى كل مكان وعملاءها منتشرون ، ووسائل التنفيذ متقدمة وميسرة .

ولنقرأ هذه الوثيقة السرية التى نشرتها جريدة « النيويورك تايمز » لنفهم منهـــا ، كيف تستطيع الولايات المتحدة تغير الحكومات الموالية لهـــا ، بنفس السهولة التى تفرضها بها .

« بعثت وزارة الخارجية الامريكيـــة يوم ٢٤ اغسطس ١٩٦٣ ، رسالة الى [كابوت لودج] سفيرها فى سايجون جاء فيها « ان الحـــكومة الامريكية لا تستطيع ان تقبل تركيز السلطة فى أيدى « نو شـــقيق « ديبم » . وينبغى ان يعطى نجوين ديبم نفســـه فرصـــة ليتخلص من « نو » وجماعته ، وان يستبدلهم بشخصيات سياســـية وعسكرية قادرة . اما اذا رفض « ديبم » هـــذا الاقتراح فما عليه الا ان يذهب . اما انت [خاطب الرسالة السفير الامريكى] ومعك فريق الحكومة الامريكية ، يجب عليكم ان تعدوا التفاصيل اللازمة لنقوم بعملية احلال محل ديبم اذا ما اقتضت الضرورة ذلك [١٨] .

Glimpes of U.S. Neo-coloni alism (III) Vietnamese studies [١٨]

والاحداث التى تلت هذه الرسالة معروفة ، عندما قصف القصر الجمهوري فى سايجون ، وقتل رئيس الحكومة « دييم » ومعه شقيقه «نو» وهما داخل عربة مسلحة .

وبعد اغتيال دييم ، حدث ١٣ انقلابا خلال ٢٣ شهرا وتغيرت ٩ حكومات وحدث اربع تعديلات فى الدستور ، وكان على السفير الامريكى ان يضع حدا لعدم الاستقرار الحكومى هذا .

وبالفعل ، قام ماكسويل تيلور ، بعملية فرز فى عام ١٩٦٤ ، بين مجموعة من الضباط الفيتناميين ، قرر بعدها انه ليس هناك احد افضل من « نجوين فان ثيو [١٩] يصلح رئيسا لحكومة سايجون .

وكما نشرت جريدة النيويورك تايمز الامريكية فى ١٤ يونيو سنة ١٩٧١ نقلا عن صحيفة البنتاجون ان التعليمات قد صدرت من واشنطن الى فان ثيو الرئيس الثانى والاخير لحكومة سايجون العميلة ليتضح لنا كيف كانت واشنطن تحكم «ما كان يسمى بجمهورية فيتنام الجنوبية » ، قبل ان يحقق الشعب الفيتنامى انتصاره النهائى فجر يوم ٣٠ ابريل عام ١٩٧٥ .

فقد اصدر «ماكسويل تيلور» السفير الامريكى فى سايجون تعليماته الى فان ثيو يقول فيها حرفيا :

... «نحن الامريكيون قد تعبنا من الانقلابات . وها أنا أضعها امامك واضحة فأقول .. ان خططنا العسكرية التى اعلم انك تسعد بتنفيذها ، يجب ان تعتمد على حكومة مستقرة .. » [٢٠] .

وفى ١١ يونيو عام ١٩٦٥ ، كانت مجموعة من اقصى الجنرالات الفيتناميين رجعية وعلى رأسهم « نجوين فان ثيو » ، قد سخروا أنفسهم لخدمة وتنفيذ الاستراتيجية الجديدة فى فيتنام وهى استراتيجية « الحرب المحدودة » .. التى حلت محل استراتيجية « الحرب الخاصة » [٢١] .

هكذا يتم تشكيل الاداة الحكومية فى الانظمة التابعة للولايات المتحدة ... مع ملاحظة انه ليس ثمة اختلاف كبير بين العناصر التى كانت تتعاون مع الاستعمار الفرنسى ، وتلك التى تعاونت مع الاستعمار الامريكى ... جميعهم يشتركون فى صفة واحدة تجمعهم هى « العمالة » وخيانة مصالح شعوبهم .

وجدير بالملاحظة ان ولاء هؤلاء العملاء الكامل للولايات المتحدة ، واعتمادهم على تدعيمها العسكرى والمادى لا يحميهم من السقوط على ايدى الارادة الشعبية الحاسمة ... [٢٢] .

والغريب ان هذه الحقيقة لم تكن غائبة على الولايات المتحدة ، واعتمادهم على تدعيمها العسكرى روبرت كيندى ذات مرة :

« نحن اصبحنا حلفاء لنظام وطبقة منحناها اكثر من فرصة لتغير اسلوبها ، ولكنها لم تظهر الارادة ولا القدرة على مقابلة احتياجات شعبها .. »

وفى مرة اخرى نقل روبرت كيندى رأى «جون فيربانكس » الذى قال :

« نحن ننام على نفس الفراش الذى نامت فيه فرنسا حتى ولو كنا نحلم احلاما مختلفة .. ان وجودنا فى فيتنام قادنا الى الاعتماد على نفس المجموعات بل نفس الافراد الذين اعتمدت عليهم فرنسا ... » [٢٣] .

ومع ذلك ورغم اختلاف الاحلام الامريكية عن الاحلام الفرنسية ، فقد سقط الفراش الذى نامت عليه الولايات المتحدة خمسة عشر عاما كما سقط من قبله الفراش الذى نامت عليه فرنسا تسع سنوات ..

غير ان انهيار الفراش الامريكى كسلفه الفرنسى قد ترك تحته من الانقاض والدماء ما سوف يتحمله الشعب الصغير البطل ، ليعيد الحياة من جديد لبلاده المحررة وليؤكد ما قاله الجنرال العظيم « نجوين جياب » حين قال :

« الانسان هو الترسانة النووية للشعوب الصغيرة والمستعمرة » .

---

[١٩] استمر « ثيو » فى الحكم منذ ذلك الوقت وحتى وصلت طلائع الثوار الى مشارف سايجون فاستقال فى ابريل عام ١٩٧٥ قبل موعد سقوط سايجون بأيام قلائل . [المؤلفة] .

[٢٠] Glimpes of Neo-Colonialism — Vol — (II).

[٢١] تناول جميع استراتيجيات الحرب الامريكية فى جنوب فيتنام فى الفصل الخاص بحرب التحرير .. [المؤلفة] .

[٢٢] احب ان اشير الى ماحدث فى كمبوديا بعودة نظام الامير الشرعى سيهانوك .. وما حدث اخيرا فى فيتنام الجنوبية . وما سوف يحدث لشكل الانظمة التابعة مستقبلا .. [المؤلفة] .

[٢٣] Robert Kennedy — To Seek a Newer World — New York, 1968 — P. 177

■ جمهوريـــة مصر العربيـــة

ســؤال حــول مســتقبل التنظيــم السـياسى بعــد المحـاولة الثالثــة

أصدر المؤتمر القومى العام الثالث للاتحاد الاشتراكى العربى ، « قرارا برغبة شعبية اجماعية » لمجلس الشعب ، والهيئة البرلمانية للاتحاد الاشتراكى العربى ، بترشيح الرئيس **أنور السادات** ، رئيسا لجمهورية مصر العربية فى دورة الرئاسة القادمة التى ستبدأ فى ١٥ اكتوبر ١٩٧٦ •

كذلك اعلنت الهيئة البرلمانية للاتحاد الاشتراكى العربى، تمسكها «« بالقيادة الوطنية الحكيمة للرئيس محمد انور السادات » ورفعت لمجلس الشعب قرارا برغبتها «ترشيح السيد الرئيس محمد أنور السادات رئيسا للجمهورية لفترة الرئاسة المقبلة •

بانعقاد المؤتمر القومى العام للاتحاد الاشتراكى العربى ٢٢ ـ ٢٥ يوليو] واقرار لائحة النظام الاساسى الجديد • وانتخاب اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى ـ تكون الاجراءات التنظيمية للمحاولة الثالثة لاعادة بناء الاتحاد الاشتراكى بالانتخاب قد استكملت حلقاتها •

ويتشكل المؤتمر القومى العام من ١٧٦٠ عضوا منتخبين ـ يمثلون ٦٥٥ر٨٨٦ر٤ عضوا ـ هم مجموع اعضاء الاتحاد الاشتراكى ـ ومن بينهم ٣٥٦ر٦٣٢ر١ عضوا جديدا بنسبة ٣٥ فى المائة من مجموع الاعضاء •

وتقرر ان يعين رئيس الوزراء ورئيس مجلس الشعب والوزراء والمشرف على المجالس القومية المتخصصة ـ وممثلى القوات المسلحة والشرطة ـ بحكم وظائفهم ـ اعضاء فى المؤتمر القومى بالاضافة الى اعضاء لجنة الاشراف على الانتخابات وممثلى النقابات والتنظيمات الجماهيرية والتى انضمت للاتحاد الاشتراكى على أساس العضوية الجماعية •

وفيما عدا المناقشات التى دارت قبل ان يتقرر اعادة بناء الاتحاد الاشتراكى بالانتخاب ـ حول صيغة التحالف وجدواها وصلاحية الاتحاد الاشتراكى كاطار لها ـ والدعوة لاطلاق حرية تكوين الاحزاب ـ لم تثر اية مناقشات او قضايا عامة تدور حولها الانتخابات • ولم يطرح للنقاش التصور الذى تشكل عن تعدد الاتجاهات والمنابر داخل الاتحاد ـ ولم ينشر شيئا عن لائحة النظام الاساسى الجديدة المقترحة وانما تقرر طرح كل ذلك على المؤتمر القومى ذاته •

وهكذا لم تبرز فى المعركة قضية سياسية أو اجتماعية لا فى المدينة ولا فى الريف ـ ولم يصدر مرشح بيان سياسى يحدد موقفه من قضايا المصير ـ التى تواجهها البلاد ـ قضية تحرير الارض المحتلة والتنمية والممارسة الديمقراطية واعادة صياغة العلاقات الانتاجية بما يحفظ مكتسبات العمال والفلاحين ويطورها ـ حتى تعديلات قانون الاصلاح الزراعى التى رفعت قيمة ايجار الارض لم يثرها لا ناخب ولا مرشح ، وجدير بالذكر أنه قد اعترض سياسيا على قبول عضوية ٩٥ شخصا ، وبهذا الصدد أشار أمين التنظيم الى ان عدد المعترض عليهم عام ١٩٦٢ ـ ١٩٦٣ بلغ ٢٢ الف اعتراض •

ولو اخذنا مثالا للدعاية الانتخابية ـ منشورا وزعه أحد المرشحين للمؤتمر القومى وهو يعمل رئيسا لمجلس ادارة شركة كبرى ويشغل فى نفس الوقت منصبى سكرتير عام نقابة مهنية وامين عام اتحاد مهنى على المستوى العربى ، نجده يحتوى فقط على هذه الكلمات « صوتك معى للمؤتمر القومى ـ أمانة فى عنقى ـ وقوة لكفاحى اعتز به ـ واعاهدك ان اخوض به معارك النضال الوطنى بشرف وامانة • »

وباختفاء المواقف السياسية المعلنة ـ وحيثما لم توجد قوى سياسية شابة قادرة على مواجهة القوى اليمينية ـ فان تلك القوى من اصحاب المصالح والوصوليين ومحترفى الانتخابات تلعب لعبة التوازن بين القوى والعائلات ـ وتوزع المقاعد بالتراضى ـ وتنجح اللجان بالتزكية دون انتخاب •

وهكذا فمن بين ٧٥٣٥ وحدة اساسية يتشكل منها الاتحاد الاشتراكى العربى ـ فازت ١٥٠٠ وحدة بالتزكية ولم تجر فيها انتخابات ـ وهى تعادل ٢٠ فى المائة من الوحدات •

وفى المناطق التى لم تستطع هذه القوى توزيع المقاعد فيما بينها لوجود مصالح متضاربة ، ولعدم ضمانها السيطرة التامة ، اتحدت هذه القوى فى مواجهات حاسمة مع الاتجاهات الشبابية الرافضة لها ـ وتقدمت بقوائم مغلقة لاسقاط اى مرشح لا ترضى عنه ـ واستخدمت كل الوسائل والاساليب الانتخابية التقليدية للمحافظة على مواقعها •

ورغم هذا المظهر الخادع ـ مظهر اختفاء الكلمة السياسية والموقف السياسى المحدد والمعلن من قضايا المصير ـ فان لجان كثيرة ومناطق عديدة قد شهدت صراعا سياسيا غاية فى الجدة ـ صراعا سياسيا دون ان تستخدم كلمة السياسة تخوضه تجمعات ذات اتجاهات متصارعة دون أن تحدد هويتها علنا •

ففى مناطق كثيرة من الريف ـ دار الصراع الانتخابى حول الجمعيات التعاونية الزراعية الموجودة فى القرى ـ واتخـذ شـكل الصراع بين الانحـراف واعــداء الانحراف ـ وكان فى جوهره صراع بين خصوم الاصلاح الزراعى وبين أنصار الاصلاح الزراعى فأعداء الاصلاح الزراعى يؤيدون الانحراف حتى يشوهوا وجه الاصلاح الزراعى ٠ وانصار الاصلاح الزراعى يقاومون الانحراف فى الجمعيات التعاونية ويعملون على ان تنجح التجربة فى التطبيق ٠

وفى القاهرة كان هناك شعار يلقى استجابة واسعة لدى الناخبين ـ ويتمثل فى ضرورة ترجيح كفة العمال ـ حتى يستطيعوا أن يدافعوا عن مصالحهم ٠ وهكذا نجد أن عدد الذين فازوا تحت الصفة العمالية قد بلغوا ٦١٨٦ عضوا منتخبا من بين ٨١١٨ عضوا أى ما يعادل ٧٥ فى المائة وهذه النسبة مرتفعة حتى مع التعديل الذى ادخل على تعريف العامل قبيل الانتخابات والذى سمح لخريجى المدارس الصناعية والفنية المتوسطة بان ينتموا للطبقة العمالية ـ رغم حقهم فى الانضمام الى النقابات المهنية ـ وهو ما كان محرما فى التعريف السابق للعامل ٠٠ كما أبقى التعريف الجديدحق من يحصل على مؤهلات عليا خلال عمله أن يحتفظ بصفته العمالية فيما عدا اولئك الذين يصلون لمراكز الادارة العليا ٠

والى جانب ما أدى اليه اختفاء المواقف السياسية المعلنة للمشتركين فى الانتخابات ـ كان هناك عاملان مؤثران فى الانتخابات :

أولهما ـ استخدام بعض قيادات الاتحاد الاشتراكى لمراكزها فى الاتحاد فى مجالات ضمان استمرار بقائها وسيطرتها ٠

لقد لجأ بعض الامناء الى قصر القيد فى العضوية على انصارهم واستبعاد الذين لا يضمن اصواتهم بدعوى عدم وجود استمارات عضوية او انموعد التسجيل انتهى ـكما ضم بعضهم للعضوية أناس يعملون بصفة مؤقتة ـ واعاد البعض قيدكل الاعضاء القدامى دون أن يتقدموا من جانبهم بطلب جديد للعضوية ٠

وعندما اعلن عن بدء قبول طلبات العضوية بدا القيد فاترا ومتعثرا ـ ولكن سرعان مادب النشاط فى عملية القيد ـ عندما أعلن عن زيادة عدد المندوبين الى المستويات الاعلى بالنسبة لعدد المقيدين ٠

ثانيهما : قرار ضم أعضاء مجلس الشعب الى مؤتمرات الاقسام التى يبدأ منها التصعيد للمؤتمر القومى ـ وسعى هؤلاء الاعضاء للسيطرة بأنفسهم أو بأعوانهم على لجان الاتحاد الاشتراكى ومراكزه القيادية فى مناطقهم ـ تمهيدا واستعدادا لدخول معركة انتخابات مجلس الشعب عام ١٩٧٦ ـ وما ادى اليه ذلك من نشوء صراعات شديدة استخدمت فيها نفس الوسائل والاساليب البالية للانتخابات النيابية ـ من رشوة وشراء الاصوات ٠ ومحاولات التاثير على اللجان المشرفة ، والتلاعب فى كشوف المرشحين والناخبين ، واستبعاد الخصوم ، وتصديق لجنة محلية للاشراف على تنازل مرشح لم يتنازل عن ترشيح نفسه ٠

وكانت ردود فعل الجماهير فى بعض المناطق ازاء بعض هذه الاعمال عنيفا ٠ ففى رشيد تجمهر اكثر من الف شخص وقاموا بعمليات تخريبية لمنزل رئيس مجلس المدينة لاستبعاد اسم مرشحهم من كشف المرشحين ٠

وفى كفر قنديل مركز الصف بالجيزة هدم الاهالى خيمة الانتخابات على أعضاء اللجنة بعد سقوط قتيل واصابة خمسة ـ كما سقط قتلى وجرحى فى أكثر من عشرة مناطق بسبب المنافسة الانتخابية ٠

وفى التقارير التى نشرتها الصحف خلال متابعة الانتخابات سجلت مظاهر الرفض والتحدى من جانب الجماهير والشباب بشكل خاص لعدد كبير من القيادات القديمة ، وفى محاولة دفع عناصر جديدة للمراكز القيادية وفى احصائية نشرتها الامانة العامة تبين أن مؤتمر محافظة القاهرة دخله ١٧٧ عضوا انتخبوا لاول مرة من مجموع اعضاء المؤتمر وعددهم ٢١٢ عضوا أى ما يوازى ٨٤ فى المائة من الاعضاء ولم يفز ٣٥ عضوا من القدامى من الذين تقدموا لعضوية المؤتمر ٠

كما لم ينجح واحد وعشرون عضوا من اعضاء مجلس الشعب من بين ١٣٦ عضواتقدموا للترشيح لعضوية المؤتمر القومى ـ وحصل عضو منهم على صوته فقط وحصل عضو آخر على صوتين ـ وفقد عدد غير قليل من أمناء الاقسام والمحافظات مراكزهم

هذا وقد تقرر تأجيل تمثيل الطلاب لحين بدء العام الدراسى ـ كما سيشكل التنظيم النسائى والشباب بعد المؤتمر ٠

ان السؤال الذى طرحه بعض المراقبين ـ يقول ـ هل فى قدرة التنظيم الجديد أن يواجه التحدى الحقيقى المطروح امامه وهو ممارسة حياة سياسية ديمقراطية تسمح للمواطنين فعلا بالمشاركة فى العمل السياسى بجدية ودون خوف ٠ أم أن الاسلوب والشكل اللذين تمت بهما الانتخابات قد حملا الى التنظيم الجديد ـ كل الامراض التى عانى منها مما سبقه من تنظيمات ومحاولات ـ وبالتالى فسوف يعود الركود بمجرد انتهاء المؤتمر والايام التالية له ٠٠ هذا هو السؤال ـ وسوف تكشف الاسابيع القليلة القادمة مؤشرات مستقبل هذا التنظيم ٠

الوحـــدة والقطــاع .. أساس التنظيــم الجـــديد للقطــاع العــام

تضمن التصور الجديد لتنظيم القطاع العام ، والذى وضعه السيد ممدوح سالم رئيس الوزراء ، الاسس التالية :

■ تحديد القطاعات : بتصنيف وحدات الانتاج والخدمات الى قطاعات ، يضم كل منها الشركات والهيئات التى تعمل فى مجالات او انشطة متماثلة او متكاملة ، وذلك على أساس من التماثل فى العمليات الانتاجية .

■ تشكيل مجلس اعلى لكل قطاع يضم رؤساء الشركات والهيئات التابعة له وبعض الخبراء المتخصصين من خارجه ، وتشكل له أمانة فنية ، ويمكن تشكيل « شعب نوعية » من رؤساء الوحدات المتماثلة التى تمارس نفس النشاط ، لتضع خططا ومقترحات تعرضها على مجلس القطاع لاقرارها .

■ منح الاستقلال المالى والادارى لكل شركة او هيئة فى القطاع ، ومنحها الحق فى تشكيل نظمها الخاصة وفق ظروفها ، على ان يكون مجلس ادارتها مسئولا مسئولية كاملة عن اهدافها وانجازاتها .

■ التنسيق بين القطاعات واجهزة التخطيط ، وهى هيئات استشارية معاونة لمجلس القطاع .

ويتضمن هذا التصور الغاء المجالس العليا للانتاج الموجودة حاليا والتى لا تمارس نشاطا محددا ، وكذلك الغاء المؤسسات والهيئات العامة التى لا تمارس نشاطا انتاجيا بذاتها ، مع الاستفادة من العاملين بها فى مجالس القطاعات او شركاته ، اما المؤسسات والهيئات التى تمارس عملا انتاجيا فتحول الى شركة ، وتضم لاحد القطاعات . وأوردت بعض الصحف ان القانون ، سيسمح بفترة انتقالية قبل الغاء المؤسسات العامة .

ويهدف المشروع الى توفير مرونة أكبر للشركات ، وعدم وضع قيود عليها من المؤسسات واشتراط موافقة هذه الاخيرة على قرارات الشركات لتنفيذها . وسيقتصر دور مجلس القطاع ـ الذى سيرأسه الوزير المختص ـ على وضع الخطة العامة له . ولن يتدخل فى التنفيذ ، على أساس اعطاء حريات أكبر وصلاحيات أوسع لمجالس ادارة الشركات ، على أساس مسئولية أكبر ومحاسبة أشد على تحقيق الاهداف .

وكان رئيس الوزراء قد اعلن فى لقائه فى ٣٠ ابريل الماضى مع قيادات قطاع الصناعة ، أن القطاع العام ستطلق حريته فى تصميم الهياكل التنظيمية الى جانب وضع اجراءات وقواعد العمل فى كل وحدة فى اطار القواعد العامة التى تقرها الدولة . وأكد ضرورة رفع الوصاية على شركات القطاع العام ومساءلة وحداته فى ضوء الاسس الاقتصادية والادارية السليمة ، واهمية التنسيق والتقريب بين الوحدات الانتاجية التى تتفق طبيعة العمل فيما بينها .

وكانت اللجنة العليا للتخطيط قد وافقت فى ١١ يونيو الماضى على مذكرة لرئيس الوزراء ، حول أسس تطوير القطاع العام تحقيقا لسياسة اللامركزية واطلاقا لحرية الحركة فى هذه الوحدات وتقضى هذه المذكرة :

■ بان تكون كل وحدة مسئولة مسئولية كاملة عن الادارة وعن تحقيق الاهداف ، وان يكون لمجلس ادارتها صلاحيات كاملة فى شئون الادارة والمالية ، والانتاج ، والتسويق .

■ ان تكون لكل منها ميزانيتها المنفصلة عن الميزانية العامة للدولة ، وان تكون لها مسئولياتها الذاتية فى تنمية مواردها المحلية والاجنبية .

■ ان تكون لكل منها ميزانيتها المنفصلة عن الميزانية للوحدات التى يجرى دعمها من الدولة ، على ان يتوقف الدعم بعد ذلك لتصبح الوحدة مسئولة تماما عن تدبير مواردها المالية ، ولتخضع لنظام ضريبى متطور يحدد اسهامها فى تمويل النفقات العامة ، وتقدم كل وحدة فائضا معينا لتمويل ميزانية الدولة خلال السنوات الثلاث القادمة ، يحدد على أساس متوسط فائض السنوات الثلاث الماضية ، الا اذا كانت من المرافق العامة فيستمر دعمها .

■ ان تنضم الوحدات المتشابهة او المتكاملة او العاملة فى مجالات متصلة فى قطاع واحد يكون له مجلس أعلى برئاسة الوزير يختص باتخاذ القرارات النهائية .

وتستهدف القواعد السابقة كما جاء فى المشروع :

١ ـ الاستفادة القصوى من الطاقات والخبرات الفنية والادارية والعلمية فى الوحدات لخدمة الاقتصاد القومى .

٢ ـ تخفيف اعباء الاشراف والرقابة الحكومية بنقل المسئولية الكاملة عن تحقيق الاهداف الى الادارات المسئولة بتلك الوحدات ، وتفرغ الوزراء والاجهزة المعاونة لهم للتخطيط الاستراتيجى ومتابعة النتائج والمساءلة عن الانجازات ٣ ـ التخفيف من حدة الروتين وتعقد الاتصالات وبطء الحركة الناتج من تمركز القرارات .

والملامح الاساسية لتنظيم المستويين الجديدين فى المشروع الجديد وهما الوحدة ومجلس القطاع تتمثل فى :

■ بالنسبة للوحدة : يكون مجلس ادارتها مسئولا مسئولية كاملة عن ادارتها وتحقيق الاهداف المحددة لها ، مقابل منحه صلاحيات مناسبة فى الشئون المالية والادارية والتسويقية والانتاجية . ويضع مجلس الوحدة مجموعة كاملة من النظم واللوائح الادارية والمالية التى تناسب ظروفها وطبيعة نشاطها . ويكون لها موازنة مستقلة ويقرر مجلس الادارة بنود الانفاق وفق خطط العمل والاهداف .

■ مجلس القطاع : يحدد الاهداف العامة للقطاع ككل فى ضوء السياسة العامة والخطط القومية للدولة ، ورسم السياسة العامة التى تسترشد بها وحدات القطاع العام فى تسيير وحداتها ، واقرار مشروع الخطة العامة للقطاع ، وتحقيق التناسق والتكامل بين خطط الوحدات ، ودعم عمليات التطوير والتجديد فى القطاع والبحث عن حلول لمشاكل وحداته . ويكون للمجلس أمانة فنية من الفنيين والاخصائيين بوحداته .

O

التعديلات الاخيرة فى النظام المصرفى

فى ٦ يوليو الماضى صدر قرار جمهورى يلغى النظام القديم بتخصيص بنك معين لبعض الانشطة والقطاعات الاقتصادية والشركات العامة لا يجوز لها ان تتعامل مع غيره من البنوك . فقد اصدر الرئيس السادات قرارا

جمهوريا بان يترك للقطاع العام والقطاع الخاص ، حرية التعامل مع كافة البنوك على أن يختص « البنك العقارى المصرى » بشئون التعمير والتشييد والاسكان وتقديم الخدمات المصرفية لها ، وان يستمر البنك الاهلى فى القيام بخدمة شهادات الاستثمار .

وبذلك ينتهى القرار الذى كان قد صدر فى ١٩٧١ ، بتحديد اختصاصات وحدات الجهاز المصرفى فى مصر فى اعمال معينة . وقد أكد القرار الجديد ، ان القرار السابق « فرض قيود على حــرية ومرونة الاعمــال المصرفية واعاق قيام البنوك بدورها الاساسى فى تيسير المعاملات المصرفية للقطاعين العام والخاص وفى خدمة الاقتصاد القومى » .

وكان النظام السابق يقضى بان يقوم البنك المركزى بكافة العمليات الخاصة بالتجارة ، وان يقوم بنك مصر بعمليات التجارة الداخلية ، وبنك الاسكندرية بعمليات الاستثمارات والصناعة ، وبنك القاهرة باعمال الخدمات والمقاولات . اما القطاع الخاص فكان له ان يتعامل مع اى بنك .

وكانت وزارة المالية قد بدأت فى سبتمبر ١٩٧٤ تدرس عدة مقترحات اعدها الجهاز المصرفى لتطوير العمل فى البنوك والتوسع فى خدماتها تمهيدا لمواجهة منافسة البنوك الاجنبية والمشتركة التى سيتم انشاؤها فى مصر بعد الانفتاح الاقتصادى . من هذه المقترحات التوسع فى منح القروض لاصلاح الاراضى واقامة المساكن وتعليتها ، واعادة النظر فى نظام تخصص البنوك لما ادى اليه من اعاقة انسياب الخدمة المصرفية ، وقيام البنك العقارى بالاقراض بضمان الاراضى المستصلحة بفائدة اقل من الفائدة الحــالية ، وتمـويل المزارعين بضمان اراضيهم لمشروعات تربية الماشية والدواجن ، وعلاج المشاكل المصرفية بالقطاع العام ، واعفاء البنوك من تطبيق قانون المؤسسات العامة ولائحة العاملين بالقطاع العام ، ووضع لائحة خاصة بالعاملين فى الجهاز المصرفى تتضمن الحوافز ، وتدعيم استقلال البنك المركزى حتى يقوم بمباشرة سلطته واختصاصاته طبقا للاوضاع التى جرى عليها النظام المصرفى فى العالم كله ، مع اتاحة الفرصة له للمساهمة مع الاجهزة المختصة فى وضع برنامج تمويل الاستثمارات والخطة الائتمانية اللازمة لتحقيق أهداف الخطة اللازمة للدولة الى جانب قيامه بالاشراف على تنفيذ السياسة المصرفية .

وفى ٩ ديسمبر الماضى تقرر تشكيل لجنة من اعضاء اللجنة الاقتصادية بمجلس الشعب وبعض المسئولين عن البنوك للمشاركة فى اجراء الدراسة الخاصة التى تعدها وزارة المالية والبنك المركزى عن هيكل البنوك . وفى ٣١ يناير ١٩٧٥ اوصت اللجنة الخاصة التى شكلها مجلس الشعب ، لدراسة تطوير البنك المركزى وقوانين الائتمان ، بتطوير النظام المصرفى والدور الذى تقوم به البنوك المصرية بما يتمشى مع سياسة الانفتاح ، والغاء التخصص القطاعى والوظيفى فى البنوك التجارية لاعطائها مرونة فى الحركة ، واوصت اللجنة باعفاء فوائد البنوك والمدخرات من الضرائب ، واستقلال البنك المركزى عن وزارة الخزانة ، ونقل تبعيته اما لرئاسة الجمهورية او مجلس الشعب أسوة بالجهاز المركزى للمحاسبات .

وفى ١٣ فبراير وافقت اللجنة الاقتصادية بمجلس الشعب على توصيات منها :

● قصر دور البنك المركزى على اقتراح السياسة النقدية والائتمانية واعمال الرقابة على البنوك بالاضـافة الى استقبال ودائع الحكومة واصدار البنكنوت واقراض الحكومة ، وأن يتبع البنك المركزى اما لرئيس الوزراء او رئيس الجمهورية أو مجلس الشعب .

● اتاحة الاستقلال الكامل للبنوك الاجنبية التى يسمح لها بممارسة الاعمال المصرفية . واطلاق الحرية الكاملة للبنوك فى تحديد الهياكل الوظيفية ومستويات الاجور .

● اعادة النظر فى سعر الفائدة التى تمنحها البنوك على الودائع والمدخرات .

● الغاء التخصص الوظيفى والقطاعى فى البنوك ، وأن تمارس البنوك التجارية الحالية جميع الاعمال المصرفية التى تشمل الاعمال التجارية ، وانشاء المشروعات والشركات المساهمة .

وفى مارس ١٩٧٥ قدم المجلس القومى للانتاج تقريرا اعده الدكتور عبد المنعم القيسونى مقرر شعبة السياسات المالية والاقتصادية ، تقريرا يطالب بقصر تعامل وحدات القطاع العام على البنوك المملوكة بالكامل للدولة حتى يمكن تطبيق الخطط الاقتصادية ومتابعة تنفيذها ، والتحفظ فى اصدار الموافقات لانشاء وحدات مصرفية جديدة حتى لا تواجه البلاد باوضاع مصرفية غير سليمة .

والواقع انه فى ١٤ يناير ١٩٥٧ ، كان قد صدر قانون تمصير البنوك ، وقضى بأن تأخذ البنوك التى تعمل فى مصر شكل شركات مساهمة مصرية ذات رأسمال مقسم الى اسهم مملوكة كلها لمصريين ، وأن تقتصر عضوية مجالس ادارتها ومناصب الادارة العليا فيها على المصريين . وجاء قانون استثمار رأس المال العربى والاجنبى فى ١٩٧٤ ، مصرحا للبنوك الاجنبية بالعمل فى مصر ـ اساسا فى الاستثمار ـ « لتحقيق أهـداف التنمية الاقتصادية والاجتماعية فى اطار السياسة العامة للدولة وخطتها القومية .

○

■ فلســـطين

فلســــطين .. اســـرائيل
من يضــــع من فى الثلاجة ؟

على الارجح كان الامر مجرد مصادفة .. حكام اسرائيل يسعون من اجل تسوية بلازمة تضع القضية الفلسطينية برمتها فى « ثلاجة » ، وسياسة الخطوة خطوة فى نظرهم تعنى « تثليج » المشكلة الفلسطينية باعتبارها أعقد مشكلات الازمة ..

ضاقت صفحات هذا العدد عن أن تتسع للقراءة الثـامنة لـ « الاخبار اليوم » و « الاخبار » ونأمل فى أن نتمكن من تقديم هذه القراءة فى العدد القادم .

والثوار الفلسطينيون يتحدون ذلك كله بتصعيد عملياتهم الفدائيه داخل اسرائيل ذاتها ، وتاتى المصادفة بان يستخدم « الثوار » « الثلاجه » كغطاء لاكبر عملية فدائية فى تاريخ الكفاح المسلح الفلسطينى منذ عام ١٩٤٨ ·

وفى الساعة العاشرة من صباح يوم الجمعة ٤ يوليو ١٩٧٥ وضع حمال اسرائيلى من فوق ظهره ، ثلاجه ، على احد الارصفة بالقرب من ميدان « صهيون » بالقدس حيث احدثت دمارا واسعا فى المنطقة الاهلة وقتلت وجرحت أكثر من ١١٥ شخصا ·

ولم يكن الجديد فى الحادث هو مجرد جراة التخطيط واحكامه ، ولا مجرد التوقيت الذى جاء كاعلان فى وجه مؤامرة « تثليج » القضية الفلسطينية . لكن الجديد كان فى ان مجموعة اخرى من الثوار شنت هجمة اخرى وبعد نصف ساعة فقط على رجال البوليس الذين يحاصرون المكان ·· مستخدمة المدافع الرشاشة والقنابل اليدوية ليوقعوا مزيدا من الخسائر ومزيدا من الارتباك ··

وقد سارع البوليس باعتقال ٣٠٠ عربى ممن كانوا على مقربة من مكان الحادث ·· وان كان شلومو هليل وزير البوليس الاسرائيلى قد اعلن انه يعتقد ان مرتكبى هذا الحادث ، الذى يعد أضخم وأسوا حادث جرى فى القدس منذ عام ١٩٤٨ ، قد غادروا الضفة الغربية ··

ولم يكن حادث « الثلاجة » التى انفجرت فى ميدان « صهيون » هو العمل الوحيد الذى اثبت استمرار وجود القضية الفلسطينية وعدم امكانية « تثليجها » · ففى ٨ يوليو قام الثوار الفلسطينيون بعملية « بطولية اخرى داخل مستودعات الذخيرة فى عتليت ، ولعل المثير فى هذه العملية هو انها تمت داخل عملية عسكرية مغلقة تماما حيث جرى تدمير مستودعين للذخيرة ومصنع لقذائف البحرية ·

وفى اليوم التالى وجهت ضربة جديدة أشد ايلاما واشد اثارة · فقد نجحت وحدة من الثوار بتفجير احدى محطات ضخ النفط الخام بالقرب من ايلات .

وهكذا تتصاعد العمليات الفدائية فى قلب اسرائيل ، ليس فقط « لتوجع » المعتدين ولتعلمهم أن العدوان لا يثمر غير الاصرار على مقاومته ، وانما لتقول لكل من يهمه الامر : ان القضية الفلسطينية لا يمكن وضعها فى « ثلاجة ، · فالثلاجة ذاتها يمكنها ان تنفجر فى قلب ميدان صهيون ·

تصحيح من حزب الوحدويين الاشتراكيين

جاءنا من «حزب الوحدويين الاشتراكيين ــ القطر العربى السورى » ، تصحيحا لمعلومة استقيناها من وكالات الانباء كانت تقول باندماج الحزب مع حزب البعث . وقد ورد ذلك فى عدد يونيو ١٩٧٥ صفحة ٣٠ فى مقال الجبهة الوطنية التقدمية ضمن الدراسة الميدانية « سوريا من داخل سوريا » . وينفى حزب الوحدويين الاشتراكيين هذه الواقعة . وقد جاء فى تصحيحه بأن ٣ أعضاء فصلوا من الحزب فى يوليو [تموز] من عام ١٩٧٢ ، ومن قبل المؤتمر القطرى الحادى عشر للحزب « لمخالفات حزبية تضمنها قرار الفصل فى حينه » . ويضيف تصحيح الحزب «طبيعى ان حزب البعث العربى الاشتراكى هو حليفنا فى الجبهة الوطنية التقدمية وطبيعى أيضا أننا لا نعتبر حزبنا مستهدفا من قبله بهذا القرار وبطريقة اعلانه . لا سيما وأن ثقتنا كبيرة بالرئيس المناضل حافظ الاسد » . ثم يضيف « وما زال حزبنا . حزب الوحدويين الاشتراكيين التى كانت مبرر وجوده ، تلك الاهداف التى كانت بذر وجوده ، تلك الاهداف المتمثلة بالوحدة والاشتراكية والحرية ».



■ الصومال :

أبناء ((بربرة)) ·· لتغطية حقائق ((دييجوجارسيا))

لاتكاد تمر عدة شهور ، الا وتذيع الدوائر الامريكية العسكرية والصحفية ، انباء عن وجود « قاعدة عسكرية سوفيتية » جديدة · وآخر هذه الانباء ، ما اذاعه جيمس سليزينجر وزير الدفاع الإمريكى ، امام لجنة الشئون العسكرية بمجلس الشيوخ ، عن ان الاقمار الصناعية الامريكية للتجسس ، قد اكتشفت وجود قاعدة عسكرية سوفيتية فى ميناء بربرة على شاطىء الصومال·

ويقول المراقبون انه لو صدقت كل الانباء التى تنشرها دوائر البنتاجون والصحافة فى امريكا ، فان ذلك يعنى ان كل مناطق المحيط الهندى ـ شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ـ قد أصبحت تزخر بالقواعد العسكرية السوفيتية· ومن المعروف انه خلال العام الماضى ، قد اذاع البنتاجون انباء مماثلة عن قواعد سوفيتية فى الهند وبنجلاديش والعراق واليمن الديمقراطية ·· الخ ·

وكان محمد سياد برى رئيس المجلس الاعلى للثورة الصومالية ، قد وصف هذه الانباء بانها « مزيفة » واضاف « انني ادعو كل الصحفيين لزيارة الصومال والتاكد بأنفسهم من زيف هذه الشوشرة الدعائية » · كما هاجم كل من وزيرى الخارجية والاعلام فى الصومال هذه الانباء ·

وقد قامت مجموعة من الصحفيين الاجانب ، من بينهم امريكيين ، وثلاثة من محطة تليفزيون [بى · بى · اس] ، بزيارة الى مدينة بربرة وميناءها وصرحوا بعد عودتهم انهم لم يشاهدوا أية قواعد · واضاف الصحفيون الامريكيون انهم شاهدوا فقط « أشكالا هندسية » · وبالتاكد منها اتضح انها مستودع للاسماك وبيوت سكنية وطريق بنى حديثا ·

وقد علقت صحيفة « ايمونجو فاو فاوك » الملاجاشية بقولها « تقوم الشخصيات الامريكية الرسمية بنشر شائعات عن وجود قاعدة سوفيتية فى الصومال · والواقع أن هذه ليست المرة الاولى التى تروج فيها الاكاذيب عن الخطر السوفيتى لخداع الراى العام العالمى ، ولتغطية خطط التوسع العسكرى الامريكى فى المحيط الهندى » ·

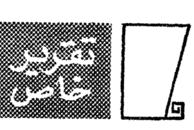
ويلاحظ المراقبون ان ما اعلنهشليزنجر «قد ارتبط بعدد من التطورات هي :

● كان النقاش يجرى فيالكونجرس للموافقة علىطلب اعتمادات اضافية جديدة ، لاعتماد مبلغ ١٤ مليون دولار من ميزانية عام١٩٧٦ ، لبناء قاعدة عسكريةبحرية وجوية في جزيرة دييجو جارسيا في المحيط الهندى بالاضافة الى المبلغ الذى يزيد على ٦٥ مليون دولار الذى تم انفاقه ٠

ومن الجدير بالذكر ، انه خلال الـ١٨ شهرا الاخيرة بعد اكتوبر ١٩٧٣ ، شهدت منطقة الخليج العربى تصاعد النشاط الامريكى حيث قام البنتاجون بارسال بعض قواته البحرية ٧ مرات وكانت تضم حاملات للطائرات٠وقد صرح شليزينجر وقتهـا أن البنتاجون «ينوى الحفـاظ على اى وجود ضرورى فى هـذه المنطقـة»٠ وكـان الصحفى الامريكى « مايلز اجنتوس» الوثيق الصلة بالبنتاجون ، قـد كتب فـى مجلـة«هـاربرز مـاجـازين» مقـالا بعنوان« احتلال مناطق البترول العربية» يتحدث فيه عن تفاصيل خطة تقوم بمقتضاها فرقة الطيران-٨٢ بالتمركز في اسرائيل عشية اليوم [يوم التنفيذ] ، تكون في مقدمة قوات التدخل٠ ويعقب هذا التمركز مباشرة دخول سفن الاسطول السابع الامريكى الى المحيط الهندى وعلى ظهرها الاف من مشاة البحرية ، لاحتلال حقول البترول٠

● جاء هذا النبأ في اعقاب مؤتمر مجلس السلام العالمى، الذى اعقبه مؤتمرات محلية لمجالس السلام القومية ، دعت فيه للقيام بعمل جماهيرى واسع ، للنضال ضد المخططات العسكرية الامريكية فى المحيط الهندى ، ٠ كما انعقد فى دلهى مؤخرا ، المؤتمر الدولى المناهض لاقامة قواعد عسكرية اجنبية فى المحيط الهندى ٠٠ ودعا الى تحويل المحيط الى « منطقة سلام » ٠

● جاء هذا النبأ ، بعد سقوط النظم العميلة في كل من نوم بنه [كمبوديا] ، وسايجون [فيتنام الجنوبية] ، حيث أحدث ذلك تغييرا أساسيا في الوضع السياسى فى جنوبى شرقى آسيا ٠



باسـم « الحـرية » أيضـا يطلبـون اغتيـال أنـديـرا

ليس ثمة شك أن اعلان انديرا غاندى رئيسة وزراء الهند مؤخرا ، بانه من غير المتوقع انهاء حالةالطوارىء فى الهند فى وقت قريب ، امر يكتسب مغزاه التام بالنسبة لاستقرار الاوضاع فى شبه القارة الهندية فى الظرف الراهن ٠

وقد أوضح عديدمن المراقبينالسياسيين ، أن التطورات الاخيرة فى الهند تلقى ، ضوءا كاشفا على عدد من التكتيكات التى تلجأ اليها قوى الرجعية المحلية ، والعالمية فى عديد من بلدان العالم الثالث ، للوقوف فى وجه المسار التقدمى لهذه البلدان ، كما تؤكد هذه التطورات ايضا مدى صحة وسلامة بعض التكتيكات التى تلجأ اليها القوى الوطنية والتقدمية فى بعض هذه البلدان فى صراعها ضد القوى المضادة للثورة ٠

والراصد لحركة الاحداث فى الهند ، يلحظ بوضوح فى الفترة الاخيرة ، تصاعد النشاط الفاشى العدوانى ، لليمين المتطرف الهندى الى درجة من الشراسة لم يسبق لها مثيل فى العقود الاخيرة ، تحت ستار التضليل بشعارات الحرية والديموقراطية ٠

فتحت لواء الحرية والديمقراطية قام اليمين المتطرف فى الهند بمحاولتين : الاولى فيابريل من العام الماضى اىفى البرلمان الهندى ، والثانية فى مارس من هذا العام فى محكمة الله اباد ، لاغتيال انديرا غاندى رئيسة الوزراء ، ووريثة تراث مهاتما غاندى ، وجواهر لال نهرو ، بل لقد استطاع اليمين بالفعل ، خلف نفس الشعارات الديمقراطية اغتيال ل ٠ ن ٠ ميشرا وزير النقل والسكك الحديدية ، بقنبلة فى مدينة سماستيبور فى يناير من هذاالعام ٠

وتمت حملة التخريب التى بداها اليمينفىولاية بيهار ، منذ اكثر من عام هى اشارة الانطلاق فى الهجوم التخريبى الاستراتيجى العام الذى شمل الهند منذ ذلك الوقت ٠ وقد دبر اليمين خلاله اعمال الشغب وعمليات نسف الانتاج ، وشل حركة النقل والمواصلات وشل العمل فى المصالح الحكومية ، ومهاجمة المكاتب الحكومية والمتاجر ، والقطارات ، ومبانى حزب المؤتمر الهندى ، والحزب الشيوعى الهندى ، والعمللاشراك الطلبة والشبان العاطلين فى كافة الوان النشاط الاجرامى ، وقد عثر البوليس فى المقر العام لمنظمة «راشتريا سوايا مسيفاك زانج » الفاشية ، فى سرداب فى دلهى ، على تجهيزات عسكرية ومعدات تكفى لتسليح قوات ضخمة ، وعلى عتاد امريكى الصنع ، واسلحة وخناجر ، وخرائط عسكرية سرية ، وقوائم باسماء موظفيالدولة ، ومناضلى الاحزاب الوطنية الديموقراطية الخ ، كما توالت وتتوالىانباء كهذه يوميا من جميع انحاء الهند ، كذلك لم يحص بعد ، عدد الجماجم التى تحتفظ بها منظمة « انااند مارج » الفاشية فى مخابئها ، فهى تتبع تقليد الاحتفاظ بجماجم ضحاياها ،ولا تزال قوى الامن تعمل ليل نهار لتمزيق شبكة هذه المنظمة الاجرامية ، وقد نشرت الصحف الهندية عديدا من الصور عن الاسلحة والجماجم البشرية التى عثر عليها فى الاوكار السرية للمنظمة ٠

وجاءفىبيان« اللجنة البرلمانية الهندية » بشان حظر هذه المنظمات الفاشية ، بالاضافة الى منظمة « اسلامى » ايضا « ان هناك اسبابا كثيرة تدعو للاعتقاد بأن كل هذه المنظمات ، كانت أدوات فى ايدى المخابرات المركزية الامريكيـة والتى حـاولت تحطيم الديمقراطيـة الهندية و « زعزعة » الحكومة » ، وقد بلغ تصعيد المؤامرة اليمينية حد محاولة بعض دوائر اليمين المتطرف ، تحريض القوات المسلحة ، على العصيان ودفع رجال البوليس وبعض القوات العسكرية المحيطة بالعاصمة الى التمرد ، وعدم تنفيـذ أوامـر رئاسـة مجلس الوزراء ، وقـد اتضح الان - حسبما اجمعت كثير من صحف الهند - أن القرار الذى اصدره قاضى محكمة الله اباد فى١٢يونيو

الماضى،بعدم شرعية انتخاب انديرا غاندى،نائبةبالبرلمان ،كان بمثابةاشارة البدء للقيام بانقلاب عسكرى فاشى . الامر الذى اضطر حكومةانديرا غاندىالى اعلان حالة الطوارىء فى البلاد منذ ٢٦ يونيو الماضى .

وليس ثمة شك أن هناك ارضية عامة ، اتاحتللمتامرين اليمينيين المتطرفين فى الهند ، السبيل للعمل لتحقيق مآربهم ، وبهذا الصدداوضح العديد منالمراقبين التقدميين مؤخرا ، انه وان كان من الصحيح ان اليمين المتطرف ، عمد ويعمد الى استغلال المصاعب الاقتصادية الموضوعية الراهنة فى الهند ، والناجمة عن الجفاف ، والفيضانات ، وازمة الطاقة الناجمة عن ارتفاعاسعارمنتجات البترول فى الاسواق العالمية ، والنقص فىانتاجالكهرباء بواسطة اكبر محطات القوى المائية نتيجة القحط ، وانعكاس ذلك فى زيادة اسعار كثير من مواد الطعام : والسلع الاستهلاكية، والتضخم ، والركود فى بعض فروع الصناعة والزراعة ، ونقصالانتاج فى فروع اخرى ، وتفاقم البطالة ، والارتفاع العامفىتكاليف المعيشة ، الناجم عن الازمة العامة التى تسود النظام الراسمالى العالمى ،وامتداداتهفى البلدان النامية ، واذا كان صحيحا ايضا ان الازمة الاقتصادية فى الهند ،انعكاس موضوعىللواقع الاقتصادى فى بلد فقير الموارد تعداده ٦٠٠ مليون ، ويزيد ١٣ مليونا كل عام ، الا انهمنالصحيح ايضا ان هناك اسبابا ذاتية وراء تفاقم الاوضاع فى شبه القارة الهندية ، ترجع الى طبيعة النظام الراسمالى الهندى نفسه . حتى فى ظروف الديمقراطية البورجوازية التى تسود الهند الان فى ظل حكم حزب المؤتمر ، ذلك لان عدم اقدام حزب المؤتمر – تاريخيا – على تصفية طبقة كبار ملاك الاراضى ، وكبار الراسماليين تصفية جذرية حقيقية مثلما فعلت الاحزاب الماركسية فى البلاد الاسيوية التى اتبعت طريق الاشتراكية العلمية ، يعد من الاسباب الجوهرية وراء فقر بؤس الهند ، وتخلفها وتعاستها ، واحد مكونات الخمائر الاستغلالية والطفيلية التى تحرك ويتحرك عليها اليمين الهندى العام .

وهناك سؤال مطروح من جانب عديد من المراقبين السياسيين وهو : ما الذى حدا باليمين الهندى ، بصورة مباشرة ، الى الاقدام على اعمال الارهاب الفاشى بشكل واسع ، وعلى عمليات التخريب على نطاق قومى وشامل فىهذا التوقيتبالذات ؟ الجواب فى كلمة : مجرد محاولات انديرا غاندى الاصلاحية ، حتى داخل الاطار الراسمالى القائم . فقد ثارت ثائرة اليمين الهندى منذ بدأت انديرا غاندى تجرى بعض الاصلاحات التى تستهدف اجراء تحولات اجتماعية واقتصادية ، مثل الغاء مخصصات الامراء السابقين ، وتاميم البنوك الرئيسية فى الهند ، وتاميم تجارة الحبوب الغذائية (وهى اكبر ميدان لتلاعب التجار والسوق السوداء والمضاربة) وتاميم صناعة الفحم ، واعفاء الفقراء من الضرائب ، وملاحقة المتهربين من دفعهامنالتجار والاغنياء ، واتاحة الفرصة امام ابناء الفقراء للحصول على التعليم العالى مجانا ، او بمنح من الدولة ، وتحديد سقف الملكية الزراعية ، واعادة توزيع الاراضى فى عدد من المناطق التى يتحكم الاقطاعيون والمهراجات فيها ، وبدءتطبيق شعار « الارض لمن يفلحها » فى بعض المناطق .

وقد عمدت المجموعات والدوائر الراسمالية الاحتكارية الهندية بالتعاون مع القوى الخارجية ، والعملاء الفاشيين والامبرياليين الى تخريب هذه الاجراءات . فقد قامت مؤسسات الاعمال الكبرى مثلا بتخفيض استثمارات التنمية الصناعية ، وفقا للتكتيك الذى اصبح معروفا فى الهند اليوم باسم « اضراب الراسماليين » كذلك فمن اجل رفع اسعار الحبوب اكثر فاكثر ، بدأ التجار واغنياء المزارعين فى اختزانها . وبعد الحبوب ، بدأت سلع اخرى فى الاختفاء من الحوانيت ، مثل الاقمشة الشعبية ، والسكر والصابون والملح ، التى اخذت تباع جميعها باسعار باهظة فى السوق السوداء .

على هذا النحو ، دبر اليمين مؤامراته الاقتصادية ، وعملياته الارهابية الفاشية ، فى الوقت الذى سعى فيه الى توحيد صفوفه وتدعيم قواه . ففى اغسطس الماضى قام الرجعيون الهنود بتاسيس حزب جديد هو « بهاراتيا لوك دال » اى حزب الشعب الهندى ، من سبعة احزاب ومنظمات يمينية اندمجت معا ، منها حزب واحد على النطاق القومى هو حزب سواتانترا، الذى اكتسب مؤخرا قاعدة ونفوذا واسعا نسبيا فى بعض المناطق بدعم من المنظمات الاخرى التى انضمت للحزب الجديد ، وان كان حزب سواتانترا قد فشل فى تنفيذ برنامجه « العظيم » لتحويل الهند الى جنة للاحتكارات المحلية والاجنبية واصحاب الاراضى والمزارعين الاغنياء ، كما انضم للحزب اليمينى الجديد ايضا ما يسمى بالحزب الاشتراكى الموحد الذى اشتهر بسياساته المعادية للشيوعية والموالية للغرب بقوة . ويؤكد الحزب الجديد على تشجيع المشروعات الحرة ، ويعارض تماما سيطرة الدولة باى شكل على الاقتصاد ولم يخف زعماؤه هدفهم الرئيسى الا وهو جمعكل المعارضة اليمينية تحت لوائهم ، تمهيدا للانتخابات العامة المقرر اجراؤها فى بداية ١٩٧٦ .

ويقف فى نفس الجبهة اليمينية المتطرفة حزب « جان سانغ » الفاشى ، حزب الطائفتين الهندوكيتين المتعصبتين « ومها صابها الهندسى » وجماعة « اسلامى » وجمعاتى » بالاضافة الى ما يزيد عن ٢٠ منظمة يمينية متطرفة وفاشية . ويقف فى مركز النشاط اليمينى الرجعى فى الهند جايابراكاشى نارايان [٧٢ عاما] الذى اتبع طريقا سياسيا ملتويا من التسلى بالافكار الماركسية فى الثلاثينات ،مرورا بتبشير نشط بالاشتراكية ، الديمقراطية فى أواخر الاربعينات وأوائل الخمسينات فيما يسمى بالحزب الاشتراكى الى أفكار غاندية ، وأخرى صوفية ، اثارت من قبل ضحك الهند وسخريتها ورثائها ، الى موقفه الحالى المتطرف فى الرجعية .

وجايا براكاشى نارايان عدو لدود للقطاع العام ، وهو يطالب بنقل المشروعات التى تديرها الدولة الى القطاع الخاص ، كما انه ضد الاصلاح الزراعى ، وبرنامجه الايديولوجى والسياسى معاد للشيوعية بشدة ، ومعاد للاتحاد السوفيتى ، وهو يهاجم الحزب الحاكم والحكومة بسبب اصلاحاتهما الاجتماعية – الاقتصادية ، وتعاونهما مع الاحزاب اليسارية وعلى رأسها الحزب الشيوعى الهندى ، واتجاهها للاستمرار فى دعم الروابط الودية المفيدة للبلدين مع الاتحاد السوفيتى ، وهو يستخدم شعار « الثورة الشاملة » لتنظيم اعمال معادية للحكومة فى اجزاء مختلفة من البلاد .

ويطالب نارايان باستبدال البنيان البرلمانى الديموقراطى الحالى ، بنظام سياسى جديد تماما ، يقوم على ما يسميه بـ « ديموقراطية غير حزبية » لا يكون فيها أية انتخابات عامة ، أو احزاب سياسية على ان تتكون كل الهيئات التشريعية والتنفيذية من اشخاص يعينون « باتفاق عام » وهو خط يفترض مقدما ، وبكل وضوح قمع الحريات السياسية وانشاء نظام دكتاتورى سافر .

وجدير بالذكر انه على الرغم من ان الرجعية الهندية لم تتخل قطعا عن اهدافها ، الا ان حركة نارايان أخذت اخيرا فى التدهور الى حد ما ويزداد عدد الخارجين عليها من اتباعها السابقين الذين كانت قد ضللتهم الغوغائية السياسية ، والعبارات الثورية لهذا السياسى الرجعى •

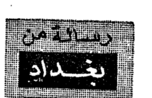
ويقوم الحزب الشيوعى الهندى ، والعناصر اليسارية من حزب المؤتمر بالدور الاساسى فى توجيه الجماهير الى الطريق الصحيح وتعبئة القوى اليسارية والديمقراطية لصد هجوم الرجعيين ، كما يدعو الحزب الشيوعى بصورة ملحة الى اجراء اصلاحات ديموقراطية لصالح الشعب لحرمان الرجعيين من اى امكانية لاستغلال السخط الشعبى •

واذا كانت الحكومة قد اضطرت فى ختام الامر الى اعلان حالة الطوارىء واعتقال جايا برأكاش نارايان ، ونشاران سينغ ، وقادة حزب جان سانغ الفاشى ، وعدد من رجال المعارضة الاخرين ، وكذلك بعض اعضاء حزب المؤتمر الذين انضموا الى الرجعية ، فان مؤتمر النقابات الهندية وغيره من الاتحادات التى تمثل الغالبية العظمى من الكادحين مع تأييدهم الواضح لانديرا غاندى ، الا انهم دعوا الحكومة الى الاستفادة من حالة الطوارىء لمحاربة الاحتكارات والمضاربين ، ولصوص المواد الغذائية • واتخاذ اجراءات اقتصادية خاصة فى الولايات التى تعانى من الجفاف وتقديم المساعدات المادية والاغذية لجماهير تلك الولايات وبسرعة فائقة من اجل دعم وتقوية مركز الحكومة ، ودفع الجماهير بعيدا عن نفوذ وتاثير القوى الرجعية اليمينية واحباط مؤامراتها •

والواقع ان انديرا غاندى قد اتبعت وتتبع فى مواجهة الحملة اليمينية المسعورة تكتيك التعاون بين العناصر الوطنية التقدمية فى حزب المؤتمر من ناحية وبين اليسار الهندى وعلى رأس الحزب الشيوعى الهندى من ناحية اخرى ، ولذا يرى عديد من المراقبين السياسيين ان توسيع ودعم اطر هذا التحالف فى مواجهة الرجعية الهندية ، كفيل باحباط المحاولات الراهنة لاسقاط انديرا غاندى واغلاق الطريق امام الدكتاتورية الارهابية الفاشية فى الهند • خاصة وان رئيسة وزراء الهند ، لا تنتابها اية اوهام بشأن محاولات اليمين المتطرف لاستغلال النظام الديموقراطى البرلمانى الهندى من اجل تمرير مؤامراته ، ويبدو ان دروس المؤامرة ضد الرئيس الليندى فى شيلى ، تحت ستار الديموقراطية والدستورية ، كانت محفورة بقوة فى ذهن « الاميرة الصغيرة التى صرعت الوحوش » ، ويبدو انها كانت عاملا اضافيا وراء يقظتها وحزمها فى مواجهة مؤامرة اليمين •

الا انه من الغريب حقا ، بعد كل شىء ، انه فى الوقت الذى تلقى فيه حكومة انديرا غاندى تأييد ومساندة كل القوى الديمقراطية والتقدمية والمحبة للسلام فى العالم ، فى كفاحها ضد الرجعية الهندية وفى الوقت الذى اقدمت فيه العصابات اليمينية الفاشية على اغتيال وزير النقل الهندى ، وذبح مئات المواطنين الابرياء ، والمناضلين الحزبيين الوطنيين والديموقراطيين ، فى هذا الوقت بالذات ، يخرج السناتور والزعيم الديموقراطى الامريكى « هنرى جاكسون » ممثل رأس المال الاحتكارى الامريكى ، ليكشف لنا بسفور عن حقيقة وجوهر ومحتوى الديموقراطية الامريكية فى سبعينات هذا القرن ، عندما يطالب فى الوقت الذى اقدم فيه اليمين الهندى مرتين على محاولة اغتيال انديرا غاندى بفرض « عقوبات على الهند – هكذا – بسبب الممارسات غير الديموقراطية التى اقترفتها رئيسة الوزراء » • فيبدو تماما ، بعد كل شىء ، أن اعظم ممارسة ديموقراطية ، بل والممارسة الديموقراطية الوحيدة التى يمكن ان تقدم عليها انديرا غاندى ، وامثالها من الزعماء الوطنيين فى العالم الثالث – فى نظر الامريكيين – هى ان تسقط ويسقطون مرة والى الابد ، برصاص اليمين ، فى عملية اغتيال « ديمقراطية » ، تضاف الى « سجلات الاغتيال » الامريكية من اجل الحرية والعالم الحر •

خيرى عزيز



بعيدا عن الاحلاف الاقليمية الاستعمارية

بغداد : من ابو سيف يوسف

عندما توجهت الى بغداد للمشاركة فى اعياد ١٤ و١٧ تموز « يوليو » ، كنت أحمل فى ذهنى عددا من الاسئلة والتساؤلات يمكن تلخيصها فيما يلى :

اين يقف العراق اليوم – فى أعياد تموز ١٩٧٥ – بعد ان استطاع – لاول مرة – أن يصفى الحرب الاهلية فى الشمال ، ويعيد السلام الى المناطق التى يسكنها الاخوة الاكراد « وبعد أن عمل على حل الخلافات القائمة بينه وبين ايران ، ثم بعد أن شرع يصفى الخلافات بينه وبين جيرانه الاخرين وفى مقدمتهم المملكة العربية السعودية ؟

ان هذه التطورات – كما نرى – هى من الاهمية بمكان كبير فى سياسة العراق الداخلية والخارجية . ولكن بسبب اهميتها التاريخية ، ولانها – ايضا – من صنع بلد يحرص على استقلاله السياسى ، ويناضل من اجل أن يستكمل مقومات استقلاله الاقتصادى ، فقد أثارت ردود فعل شديدة فى الدوائر الاستعمارية والرجعية . ومن هنا ، محاولاتها التى لم تتوقف للتلميح حينا ، وللتصريح حينا آخر ، بأن العراق – بعد ان حل المشكلة الكردية ، وبعد أن صفى الخلافات مع جيرانه – قد بدأ يتجه اتجاها آخر !

١ - فى السياسة الخارجية : بعيدا عن نهج معاداة الاستعمار .

٢ - فى السياسة الداخلية : بعيدا عن خط الوحدة الوطنية الذى تجسده « **الجبهة الوطنية والقومية التقدمية** » .

ولقد كان من السهل نسبيا على أى مطلع على تطورات الاوضاع فى العراق ان يتحفظ ابتداء على مثل هذه الدعايات التى طبخت بعناية فى مطابخ أعداء حركة التحرر الوطنى فى البلاد العربية . غير ان احتفالات تموز لهذا العام ، كانت قد تولت بنفسها الرد على كل ما يشاع ويذاع ، وأكدت ان الحزب الحاكم فى العراق ، حزب البعث العربى الاشتراكى ، لم يحد - وليس فى نيه قياداته المستنيرة - أن تحيد عن الخط الاساسى : خط معاداة الامبريالية ، ومساندة نضال الشعوب العربية .

ان هذا الخط قد اوضحه بجلاء خطاب الرئيس **احمد حسن البكر** فى ١٧ تموز ، عندما تناول بالشرح عددا من القضايا الاساسية .. فى مقدمتها :

- المسألة الكردية .
- الجبهة الوطنية .
- الحلف الاقليمى المعروض على العراق .
- سياسة الدول المنتجة للنفط والعلاقة بينها وبين الدول المستهلكة .
- قضية تحرير الارض العربية .

فبعد أن حلل الرئيس **البكر** قضية التمرد الرجعى فى شمال العراق ، باعتباره مخططا للامبريالية العالمية لاستنزاف قوى الثورة العراقية التى أممت النفط عام ١٩٧٢ ، والتى تنتسب بطبيعتها الى معسكر التحرر والتقدم فى العالم ، نقول بعد أن حلل الرئيس **البكر** هذه القضية ، وابرز الوسائل السلمية والديموقراطية التى اتبعت فى حلها ، تحدث عن فشل الامبريالية فى رد العراق عن المضى فى بناء وتدعيم « **الجبهة الوطنية** » . فأشار الى أنه :

« قد تعمقت تجربة الجبهة الوطنية وتطورت .. « وكما وعدنا فى مثل هذا اليوم من السنة الماضية ، فان الجبهة قد شهدت انضمام كل الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية المؤمنة بميثاق العمل الوطنى ونهج الثورة ومنطلقاتها » ».

وطالب الرئيس **البكر** بضرورة أن تشغل « الجبهة الوطنية والقومية التقدمية » موقعا حيا فى حياتنا الديموقراطية لتأدية مهامها التى حددها الميثاق .

وفى ١٨ يوليو نشرت صحف العراق ، صورا للرئيس **البكر** ولنائبه الرفيق صدام حسين وهم يقومون بزيارة مقار اللجنة العليا للجبهة ، الحزب الشيوعى العراقى ، والحزب الديموقراطى الكردستانى للتهنئة بأعياد تموز ، وبالعيد الثانى لقيام الجبهة .

وهكذا ردت قيادة العراق - بمواقف عملية - على التساؤلات التى احاطت بمستقبل التحالف القائم فى العراق بين أحزابه وقواه السياسية الوطنية والتقدمية . وذلك من منطلق أن الاساس فى حياة العراق هو أن تتوطد الجبهة وتزدهر ، وانه من خلال التمسك بهذا المبدأ تستطيع الاحزاب المكونة للجبهة ان تتخطى كل العقبات وكل ما قد ينشأ من تناقضات ثانوية بينها ».

على ان الاهمية الحيوية للحفاظ على الجبهة الوطنية والقومية التقدمية ودعمها على اسس ديموقراطية ، هى التى دعت الرفيق **صدام حسين** نائب رئيس مجلس قيادة الثورة الى أن يتحدث فى الاجتماع الموسع الذى عقد - من قبل - فى ٧ حزيران « يونيو » للجان الجبهة ، ففى هذا الاجتماع ، نبه صدام حسين الى أن الامبريالية تغير من اساليبها التقليدية فى المنطقة ، وهى تعمل باستماتة من أجل الحفاظ على مصالحها ، خاصة بعد هزيمتها التاريخية فى جنوب شرق آسيا وفى البرتغال ، وهو الامر الذى يتطلب يقظة عالية من جميع أطراف الجبهة . وبعد ان حذر الاعضاء من الاشاعات التى تنشر حول مستقبل الجبهة دعا الاعضاء الى الحفاظ على التضامن الداخلى فى اطار الجبهة ، والى العمل الواسع فى صفوف الجماهير والى تثقيفها باتجاه دعم الوحدة الوطنية . واكد على ان العراق ، ثابت فى مواقفه المعادية للامبريالية ، وهو لهذا مستهدف بكيفية مستمرة من قبل الامبرياليين واعوانهم . واكد على أن :

« هذا القطر « العراق » اذا بقى يشع .. وسيبقى يشع فى المنطقة .. فانه سيهدد مصالح الامبريالية فى هذا المكان .. فلا تأخذكم الراحة وتتصوروا ان كل واحد بالحسابات السياسية يستطيع ، بمفرده ، ان يقود باتجاه الاهداف العظيمة بدون حاجة للاخرين .. لا بل دائما اختصروا شيئا من طولكم ، لكى تضيفوا الى طول الاخرين من رفاقكم .. حتى تستطيعوا اعطاء مفهوم حقيقى لمهام الجبهة فى نضالها المستمر » .

ضد الاحلاف الاقليمية

ولقد اهتم الرئيس **البكر** ، فى خطابه ، بأن يضع النقاط فوق الحروف بالنسبة لقضية ثار حولها غبار كثيف فى معسكر اعداء الثورة العراقية ، ونعنى بها قضية **الحلف الاقليمى** الذى دعيت العراق الى الدخول فيه بعد أن تم حل المشكلات القائمة مع ايران .

لقد اكد الرئيس **البكر** أن العراق ينطلق من مبدأ الحرص على مبادىء حسن الجوار مع ايران ، ويعمل على بناء علاقات وطيدة معها ، خاصة بعد اتفاق الجزائر فى ٦ آذار « مارس » ، وبعد الاتفاقيات والبروتوكولات التى جرى توقيعها فى بغداد فى ١٣ حزيران « يونيو » بين حكومتى البلدين . الا ان الرئيس **البكر** لاحظ ، فى خطابه ، أن هناك محاولات محمومة ومشبوهة لم تزل تبذل من قبل القوى الامبريالية العالمية ومن القوى المتخلفة فى المنطقة لتخريب العلاقات بين البلدين . ومن هنا دعا الرئيس **البكر** الى ان تقوم بين العراق وايران اوضاع طبيعية .

واوضح الرئيس **البكر** الى ان العراق ، رغبة منه فى أن تقوم بينه وبين ايران اوضاع طبيعية وسلمية ، فقد دعا الحكومة الايرانية الى :

١ ــ وضع ضوابط تؤمن حرية الملاحة فى الخليج العربى من أعاليه حتى نهاية مضيق هرمز .

٢ ــ وضع ضوابط تضمن حرية حركة الاساطيل وفقا للقواعد المتعارف عليها والمعمول بها .

٣ ــ أن يتم ما جاء فى بند «١» و «٢» على أساس التساوى والتكافؤ فى المسئولية بين كل الاطراف المطلة على الخليج ، « **وبعيدا عن صيغ ومضامين الاحلاف الاقليمية التى يعتبر رفضنا لها مبدأ مركزيا فى سياستنا ، وبعيدا ايضا عن التدخلات والمؤثرات الامبريالية التى نرفضها ونقاومها بكل حزم** » .

ولا شك أن العراق قد قطع بهذا الوصف الجاسم والمعلن ضد الاحلاف الاقليمية كل دابر الهمسات والاشاعات التى وجهت بعناية من قبل الاوساط الاستعمارية لزعزعة ثقة قوى الثورة العربية فى الخط الاساسى الذى يلتزمه القطر الشقيق : خط معاداة الامبريالية والاستعمار .

لكن خطاب الرئيس **البكر** كان قد أكد فى الواقع ، على الالتزام بهذا الخط فى أكثر من موقف . فعندما عرض فى خطابه لقضية النفط حدد :

١ ــ ان العراق اذ لا يقبل أن يلحق الضرر بالدول المستهلكة للنفط . لا يقبل ــ فى الوقت نفسه ــ بان تغبن حقوقه وحقوق الدول المنتجة .

٢ ــ ان اسعار النفط ــ من ثم ــ يجب ان تحقق زيادات متوازنة مع عامل التضخم وتدهور قيمة الدولار بما يضمن للدول المنتجة عائدات منصفة، خاصة وان تلك العائدات تشكل الأساس فى اقتصاد تلك البلدان ، وفى اتجاهها المشروع الى التنمية والتطور .

٣ ــ ان العراق يدعو بقوة « الى تضامن بلدان **الاوبك** » لضمان مصالحها المشروعه ، ومواجهة محاولات الامبريالية الامريكية الرامية الى اضعاف وحدتها والحاق الضرر بنا جميعا » .

٤ ــ ان العراق ، يرحب بأن يقوم حوار بناء بين الدول المنتجة للنفط وبلدان العالم الثالث وبين الدول المستهلكة . لكن العراق يدعو فى الوقت نفسه ــ « الى الربط بين اسعار الطاقة واسعار المواد الاولية وبين الاوضاع الاقتصادية فى العالم ، وبخاصة اوضاع التضخم ، وتدهور قيمة الدولار » . وفى هذا يضيف الرئيس **البكر** :

« ونحن ما نزال نؤيد استمرار الحوار بما يؤدى الى ايجاد علاقات متكافئة وعادلة بين الاطراف المعنية ، وبما يحبط المخططات الامبرياليه الامريكية الدامية ــ من خلال وكالة الطاقة الدوليه الى فرض سياستها الاستعمارية المعادية لمصالح الشعوب المنتجة والمعادية بالنتيجة ايضا لمصالح الشعوب المستهلكة » .

تحرير الارض العربية

ولقد واصل الرئيس **البكر** التأكيد على النهج المعادى للاستعمار ، وعندما شرح موقف العراق من قضية تحرير الارض المحتلة ، وضمان حقوق شعب فلسطين ، فبعد ان شرح موقف العراق من « محاولات التسوية القائمة » أكد أن العراق لا يريد ان يقف موقف المزايدة . ومن ثم فقد طرح شعب فلسطين . فبعد ان شرح موقف العراق من وجهة نظر العراق ــ حلا مشرفا من مركز القوة :

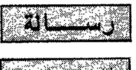
١ ــ ان تقوم على الفور جبهة عسكرية شمالية بين العراق وبين الشقيقة سوريا ، وان تتواجد القوات المسلحة العراقية على الارض السورية، على أن تعلن الحكومة السورية رفضها للقرارين ٢٤٢ ، ٣٣٨ ومؤتمر جنيف .

٢ ــ ان تفتح الجبهة الاردنية فى مواجهة العدو

الاسرائيلى ، وان تدعم عسكريا واقتصاديا بامكانات عربية مضافة .

٣ - ان تدعم الجبهة المصرية بامكانات اقتصادية عربية واسعة جدا ، وبامكانات عسكرية من اقطار المغرب العربى .

وبالطبع فان هذه المقترحات المقدمة من جانب العراق لدعم النضال المعادى للامبريالية والصهيونية ، ربما اثارت اكثر من رد فعل ، وربما تعددت بشأنها الاجتهادات . ولكن تظل هناك حقيقة هامة يجب أن توضع فى الاعتبار وهى ان خطاب الرئيس **البكر** قد أوضح - فى معالجته لمختلف القضايا الاساسية فى الداخل والخارج - ان العراق يتحرك على محور رئيسى وثابت : احد طرفيه معارضة المخططات الامبريالية لاعادة ترتيب المنطقة بما يخدم مصالح الاحتكارات الغربية والاهداف الاستراتيجية والعدوانية للامبريالية . اما الطرف الثانى فهو النضال لدعم الوحدة الداخلية للعراق بين قومياته المتآخية وبين احزابه وقواه السياسية الوطنية والتقدمية ، وذلك فى نطاق جبهة وطنية وقومية تقدمية هى حصن الامان الحقيقى للعراق ، والشرط الاساسى لضمان تنمية مضطردة لمصلحة اوسع الجماهير ، والسلاح الاساسى لردع كل محاولة استعمارية تهدف الى عزل العراق عن مسيرة الثوره الوطنية والاجتماعية المشبوبة فى كل أنحاء الوطن العربى .



الجزائر

عقد - ممثلو البلدان غير المنحازة - فى الجزائر العاصمة فى الفترة من ٢٤ - ٢٧ يونيو الماضى « المؤتمر الاول للمركز الدولى للتنمية » بهدف البحث والعمل لوضع خطة تستهدف تغيير وجه العلاقات الاقتصادية العالمية القائمة ، والتخلص من الهياكل القديمة والبنيات ذات الطبيعة الاستغلالية ، التى عانت ولا تزال تعانى منها شعوب البلاد النامية .

وقد ركز الدكتور محمود عبد المنعم مرتضى فى هذا المقال النتائج الاساسية التى توصل اليها هذا المؤتمر ، ورؤيته بالنسبة لسبل حل تلك المشاكل الاقتصادية الملحة التى تعانى منها دول العالم الثالث .

الجزائر - من د . محمود عبد المنعم مرتضى

الطريق الاقتصادى المسدود أمام العالم الثالث

لم يفتأ موضوع النظام الاقتصادى الدولى الجديد يشغل العالم المعاصر ، اذ من المتفق عليه أن قواعد العلاقات الاقتصادية الحالية ، قد وضعت عندما كانت بلدان العالم الثالث تحت نير الاستعمار ، واستمرت هذه القواعد بعد استقلال هذه الدول ، مطبقة فى شكل استعمارى جديد يتمثل اساسا فى التبعية الاقتصادية .

فى مثل هذه الظروف ظلت مشكلة التنمية تدور فى حلقة مفرغة ، فقد ثبت انه لا يمكن حل مشاكل التنمية سواء على المستوى الدولى ، أو على المستوى الداخلى ، فى ظل علاقات وضعتها الدول العظمى - خدمة لمصالحها - على حساب متطلبات التنمية فى بلدان العالم الثالث . لقد أدى هذا الوضع الى بروز ما يشبه القانون العالمى ، بحيث يزداد الاغنياء غنى ، بينما يسقط الاخرون فى وهدة الفقر .

وان فشل الامم المتحدة فى العقد الاول والسنوات الاولى من العقد الثانى بعد تأسيسها فى مجال التنمية ، يؤكد ويعكس فى نفس الوقت هذا التناقض الصارخ بين جهود التنمية والعلاقات الاقتصادية الدولية غير المتكافئة .

اذن كان لابد من وضع نظام اقتصادى دولى جديد يسمح للبلدان النامية بالاستفادة من ثرواتها الطبيعية والوفاء بحاجياتها فى مجال التنمية لصالح رفاهية شعوبها ، ولن يتسنى تحقيق ذلك الا بازالة الهوة الكبيرة التى تفصل بين البلدان الفقيرة والبلدان الغنية المصنعة . ولعل وعى بلدان العالم الثالث بهذه الحقيقة قد برز لاول مرة ، اثناء مؤتمر القمة الرابع لبلدان عدم الانحياز بالجزائر ، الذى رفض فى توصياته رفضا باتا كل اشكال التبعية الاقتصادية . وقد اعتبر هذا المؤتمر بمثابة نقطة تحول فى السياسة الدولية ، اذ استطاعت البلدان غير المنحازة ، بفضل ذلك اللقاء ان تحول تطلعات شعوبها الى قرارات ملموسة وبرامج عمل ، وتمكنت بالتالى من أن تلفت انتباه المجتمع الدولى الى حقيقة وعى البشرية بهذا الواقع الذى تتضاءل فيه دواعى الامل تحت ضغط عوامل القلق والتوتر والحيرة .

ولتفادى تعمق الفروق اكثر بين بلدان العالم الثالث وبين البلدان المصنعة ، وخوفا من وصولها الى نقطه اللاعودة ، بادرت الجزائر مرة أخرى بالدعوة الى عقد دورة طارئة للامم المتحدة لمناقشة قضايا التنمية والمواد الاولية [ابريل ١٩٧٤] ، بهدف تحديد الاستراتيجية العامة للتنمية الاقتصادية للعالم الثالث ، وكشف الهوة العميقة التى تطبع العلاقات الدولية .

واذا كان ، البعض قد اعترف منذ هذا اليوم التاريخى ، بضرورة قيام نظام اقتصادى دولى جديد ، وتعاون دولى أكثر عدالة بين العالم الثالث وبين البلدان المصنعة ، وتوزيع أكثر عدالة للثروات والتكاليف ، وتنمية اكثر انسجاما ، فانهم لا يتصورونه بنفس الطريقة ، ولا يشتركون فى نفس الافكار والاراء ، فكلهم يتفقون على المبدأ لكن آراءهم تختلف بالنسبة للمضمون .

ولكن هذه النظرة الموضوعية لواقع العلاقات الاقتصادية الدولية تؤدى — حتما — الى اعادة النظر فى كل [القوانين والقواعد] الموروثة عن عهد ولى ، وبالتالى الى ضرب [المصالح والامتيازات] التى استطاعت ان تحصل عليها البلدان الغنية عن طريق نهب واستغلال ثروات البلدان النامية .

وتحقيقا لهذا الهدف بالذات ، انعقد بقصر الامم بنادى الصنوبر بالجزائر العاصمة المؤتمر الاول للمركز الدولى للتنمية خلال الفترة من ٢٤ — ٢٧ يونيو ١٩٧٥ ، الذى وضع نصب عينيه مهمة محددة تتمثل فى **وضع خطة لتغيير وجه العلاقات الاقتصادية العالمية واعطائها صيغة نشر معينة ومنظمة ، واضفاء سمة جديدة على الاقتصاد العالمى قصد التخلص من كل الهياكل القديمة والبنيات ذات الطبيعة الاستغلالية .**

بيد ان تجسيد هذه المطامح يتطلب دراسة الامكانيات والمعطيات التى بامكانها توحيد الجهود والاسراع بتطبيق القرارات التى تستهدف وضع هياكل وبنيات جديدة كفيلة بتغيير وجه العلاقات الاقتصادية الدولية ، بشكل يحفظ ويحمى الحقوق الشرعية للشعوب .

وعلى ذلك فقد تركزت دراسة النظام الاقتصادى العالمى الجديد فى المؤتمر الاول للمركز الدولى للتنمية ، فى نقطتين هامتين :

● **ماهية النظام الاقتصادى الجديد** الذى يراد اقامته ، وذلك بتوضيح الفكرة التى يتضمنها هذا النظام .

● **كيفية تطبيق النظام الاقتصادى العالمى الجديد** ، وتغييره للعلاقات الاقتصادية الدولية ، واعطائها صيغة التعاون .

وهذه النقطة الاخيرة كان من شأنها أن تقود الى تحديد نقطة ثالثة للدراسة ، وهى كيفية القضاء على سيطرة الدول المصنعة على بلدان العالم الثالث ، اى كيفية تناول وممارسة الظاهرة الجديدة للمواجهه المستمرة بين جدلية السيطرة والنهب من جهة ، وبين جدلية التطور والاسترجاع من جهة أخرى .

ولقد فكر الكثيرون فى هاتين النقطتين ، ولكن طبيعة التفكير كانت تقتصر على الجانب النظرى ، بينما لم يعمل أحد على توفير الشروط الموضوعية والضرورية للتطبيق العملى لهما .

ولذلك ، فلعل اهم ما تميزت به اعمال المؤتمر الاول للمركز الدولى للتنمية ، الذى ضم العشرات من الخبرات والشخصيات المعروفة بكفاءتها فى ميدان التنمية والعلاقات الدولية ، هو البحث العلمى والعملى بهدف اعداد مقاييس موضوعية وواقعية جديدة للعلاقات الدولية تسمح بتحقيق وترقية وتعميم التقدم فى كافة البلدان ، فى نفس الوقت الذى يؤدى فيه ذلك الى انصاف البلدان السائرة فى طريق النمو للحصول على حقوقها الشرعية كاملة .

وحسب جدول أعمال المؤتمر ، تم تحديد الاقتراب من المهمة الموكلة اليه فى محاور ثلاث :

— **المحور الاول** : هو تعريف جديد لمفهوم التنمية والتعاون الدولى وقد كلفت بدراسته وبحثه مجموعة العمل الاولى برئاسة السيد **اسماعيل صبرى عبد الله** ، مدير معهد التخطيط فى جمهورية مصر العربية .

— **المحور الثالث** : هو اوجه تكييف هياكل الجديد وميثاق حقوق وواجبات الدول ، كلفت بدراسته وبحثه مجموعة العمل الثانية ، برئاسة السيد **موريس سترونج** ، **المدير العام لبرنامج الامم المتحدة للبيئة** .

— **المحور الثالث** : هو أوجه تكييف هياكل الامم المتحدة ومنظماتها مع ظروف النظام الاقتصادى الدولى الجديد وقد كلفت ببحثه ودراسته مجموعة العمل الثالثة برئاسة السيد **رونى ماهو** ، المدير العام السابق لمنظمة اليونسكو .

ماهية التنمية والتعاون الدولى

كان اهم ما يميز اللجنة الاولى المكلفة بدراسة مفهوم التنمية والتعاون الدولى ، ان أعمالها اتسمت بتوافق وجهات نظر البحاثة ، وقد اكد الدكتور **اسماعيل صبرى عبد الله** ، رئيس اللجنة بأنه لا يمكن قيام هذا النظام الجديد ، الا اذا حاولت جميع الامم تغيير شكل تنميتها الداخلية

تغييرا جذريا . ذلك أن النظام الاقتصادى العالمى القديم . ما هو الا مرآه لمجموع الانظمة الاقتصادية الداخلية لهذه الامم ويمكن أن يلعب بعض الرجعيين دورهم لايقاف زحف هذا النظام الجديد وخنقه داخل كل دولة على حدة ، فالواجب يحتم اذن ان تساهم كل دولة من جهتها لتحقيق هذا الهدف الرئيسى الذى يعتبر حلا للبشرية ، وهكذا تكون التنمية قد عبرت عن مفهومها الحقيقى ، اى انها كل متكامل .

ولا يعنى مطلب تغيير نمط التنمية الداخلية انه يستهدف التغيير من أجل التغيير نفسه» ولكن يستهدف التغيير بما يمكن من تنسيق الجهود مع الخارج ، وفى اطار النظام الاقتصادى العالمى الجديد ، اى تطبيق طريقة التنمية الداخلية على هذا النظام الجديد . وقد اتفق اعضاء اللجنة على هذه العلاقة بين تغيير طرق التنمية الداخلية، واقامة نظام اقتصادى عالمى جديد».

وانتهى المؤتمر الاول للمركز الدولى للتنمية فى تناوله لمسألة التعاون الدولى ، الى التأكيد على **ضرورة توفير الشروط اللازمة لتنمية الدول الاقل نموا** ، وذلك بالمساعدة على تمويل المواد الاولية فى الوطن المنتج لها . ذلك ان التقسيم الحالى للعمل غير عادل،وتفسير ذلك ان المواد الاولية تصدر خاما وتشغل اليد العاملة فى البلاد المستوردة بينما يبقى البلد المصدر يعانى من البطالة وبالتالى تكون نسبة الانتاج غير متكافئة مع نسبة الاستهلاك ، وهذا يؤدى — كما هو الحال بالنسبة لاغلبية الدول السائرة فى طريق النمو — الى اعتماد الثلثين غير المنتجين على الثلث الباقى الذى لم تبلغ درجة انتاجه بعد مرحلة الاكتفاء الذاتى بالنسبة له .».

واكد المؤتمر ان **التنمية الحقيقية هى التى تخدم الانسان** ، اى التوزيع العادل للدخل القومى ، والتشغيل الكامل لافراد المجتمع، اعتقادا بأن ممارسة الحياة الاجتماعية ينبغى أن تكون مكملة للحياة المهنية، وبعبارة أخرى ، استخدام الفائض المتاح للتنمية ، فيما يحقق التنمية بمعناها الحقيقى داخليا وخارجيا .».

وحول العلاقة بين التنمية المحلية الصحيحة ، والتعاون الدولى العادل ، اكدت مناقشات المؤتمر على **انه لا نظام مع الظلم ، وان النظام العالمى لا يمكن ان يقوم على الفوضى المحلية** . اى ان تجميع الامكانيات الداخلية وتنظيمها بكيفية فعالة ، ضرورى وحاسم ، وهنا تتجلى أهمية العامل الانسانى فى عملية التنمية الوطنية . وقد لاحظ المؤتمر بهذا الصدد ان تعبئة القوى المنتجة لم يكتب لها النجاح فى معظم بلدان العالم الثالث ويظل النجاح فى بعض الحالات الاستثنائية نسبيا جدا .

وفى مجال تحديد مفهوم التنمية واسلوبه، كان الشعار الذى دارت حوله مناقشات المؤتمر هو ذلك الشعار القائل بانه « **على الدول النامية ان تعتمد كل الاعتماد على نفسها اذا ارادت ان تخلع ثوب التبعية الاقتصادية عن جسدها** » .

وقد أوضحت المناقشات ان مفهوم الاعتماد على النفس هو بالدرجة الاولى الاعتماد على الثروات الذاتية . الذى يعتبر انطلاقة موضوعية وهامة تعتمد عليها الدول النامية فى سبيل استقلالها الاقتصادى والقضاء على التبعية وتحقيق احتياجات شعوبها ، وشددت المناقشات على ان الطريق الى ذلك هو التوزيع العادل للعمل على الصعيد العالمى .

سمات النظام الاقتصادى الدولى الجديد

عمل المؤتمر من خلال المناقشات التى ادارها الى تسليط الاضواء بعمق على النقاط الرئيسية التى يتضمنها النظام الاقتصادى الدولى الجديد ، باعتبارها المحور الفعال الذى يمكننا الاعتماد عليه فى تغيير مسار العلاقات الدولية الى مسار عادل ومنظم ، ولهذا فقد اعتمد بالدرجة الاولى على دراسة القضايا المحصورية التالية :

نظام التبادل الدولى ، وذلك من اجل اقرار حق الشعوب فى تاميم ثرواتها . وقد ندد المؤتمر بالتهديدات التى تقوم بها الدول الغربية وعلى راسها **الولايات المتحدة الامريكية** تجاه الدول المنتجة للمواد الاولية خاصة مواد الطاقة .

هذا كما عمد المشاركون فى المؤتمر الى دراسة الاسعار بالنسبة للمواد الاولية المصدرة الى البلاد المصنعة ، ذلك ان هذه المشكلة تعتبر من أعقد المشاكل التى تسود العلاقات الدولية الحالية خاصة بين الدول المصنعة والنامية . أى ان **القضية الاساسية تكمن فى اختلال فوائد التجارة الدولية لصالح البلدان الرأسمالية وعلى حساب العالم الثالث** ، اذ من المعلوم انه منذ مؤتمر لندن عام ١٩٣٣ الذى وضع مبادىء خاصة للاتفاقات الدولية وتجارة المواد الاولية لا مازالت تلك المبادىء هى المتبعة حتى الان ، وان كافة الاجراءات التى اتخذت لعلاج المشكلة هى اجراءات هامشية لم تتعرض مطلقا للاسباب الحقيقية لتفاقم الازمة . وقد اكد المؤتمر على ضرورة انشاء مؤسسة دولية للتجارة والتبادل والتعاون التجارى .»

نظام النقد الدولى ، الح المؤتمر على ضرورة

تحقيق ديمقراطية نقدية دولية ، وتشجيع الدورة النقدية التى تخدم التنمية . وذلك بوضع حد لسياسة التفضيل . كما أكد المؤتمر على انشاء منظمات يكون هدفها المساهمة فى تنمية الدول النامية . واوضحت المناقشات ان الحديث عن النظام النقدى الدولى لا يعود فقط الى انه يتصل اتصالا مباشرا بالاقتصاد العالمى ، ولكن باعتباره الدافع الاول والسبب الرئيسى فى حدوث التضخم الذى تشكو منه البشرية الان ، كما انه السبب الرئيسى لعدم التوازن والتنسيق فى الاسواق الدولية ، والذى تجلى فى تذبذب الاسعار واحتكار المواد الضرورية بوجه خاص». وطالب المشتركون بضرورة مراجعة قوانين صندوق النقد الدولى ومراعاة رفع حصص الدول السائرة فى طريق النمو .

تحويل التنمية

واذا كان العالم يدرك ضرورة تطوير البلدان السائرة فى طريق النمو ، فان هذا الادراك يتجسد عندما يتم التحويل من الدول المصنعة نحو هذه الدول لتفادى الهزات والازمات وقد أكد المؤتمر فى هذا الصدد مرة أخرى على أن تصنيع المواد الاولية فى البلاد النامية يعتبر اهم وسيلة لاخراجها من حلقة التخلف الاقتصادى ، وبالتالى ضمان التشغيل الكامل والرفاهية لافراد المجتمع نفسه . وفى هذا الخصوص اوصى المؤتمر بالغاء الديون على الدول النامية . وتدارس المؤتمر فى هذا الصدد مسألة القروض التى افادت الاحصاءات انه فى عام ١٩٧٠ مثلا كانت البلدان النامية مثقلة بالديون التى بلغت ٦٠ مليار دولار ، وكان التسديد السنوى لهذه الديون يساوى ١١ مليار دولار بينما كان المبلغ المتوسط للسلف يقدر بتسعة مليارات دولار وعلى ذلك فان هذه المعطيات تعنى بأن البلدان النامية يتعين عليها أن تسخر جميع مواردها الكلية من اجل الوفاء بتسديد ديونها وذلك قبل الشروع فى التمتع بالقروض الممنوحة لها . ومن المهم أن هذه الوضعية لا يمكن ان تستجيب للشروط الخاصة بتمويل حقيقى للتنمية ذلك انه مادامت الديون الخارجية فى تضخم مستمر فلا بد للدول النامية المدينة ان تعلن فى يوم ما عن افلاسها . وان هذا الخطر المحدق بالبلدان النامية لن يزول مادامت لم تدخل تغيرات جوهرية على النظام الاقتصادى الحالى .

تحويل التكنولوجيا

اكدت مناقشات المؤتمر على ان اختلاف سرعة التقدم التكنولوجى تشكل عائقا للتصنيع فى بلدان العالم الثالث وذلك بسبب تخلف وسائل الانتاج وعدم تخصص اليد العاملة من جهة ومن جهة اخرى الاحتكار الذى يمارس من طرف اصحاب المصانع والتجهيزات المتقدمة الذين يفرضون قيودا خارجة عن ارادة البلد النامى الذى يتلقى هذه التجهيزات ، واكثر من ذلك فان مالكى التكنولوجيا يرفضون تزويد البلدان النامية ، حتى مقابل دفع الثمن . وفى ظل هذه الظروف المجحفة كشفت المناقشات عن أن الهوة الفاصلة بين العالمين الفقير والغنى ، او المتخلف والمتقدم ستزداد اتساعا وعمقا اذا بقيت الاوضاع الاقتصادية الدولية على حالها ».

وفى هذا الخصوص اكد المؤتمر على ضرورة تشجيع زيادة البحث فى الميدان العلمى ، من أجل زيادة رفاهية بنى البشر بشكل عام ، وهذا يقتضى أن تعمل المجموعة الدولية على ربط علاقات علمية جديدة ، وتعاون فى الميدان التكنولوجى للمساعدة على اكتشاف وتقديم الدول السائرة فى طريق النمو.

السكان : من المعروف ان الشكل الديموقراطى قد نال الكثير من المناقشات ضمن المنظمات الدولية ، لما يتسم به من اهمية كبرى ، وقد كشفت المناقشات فى المؤتمر على أن أهم عناصر الحل لهذه المشكلة انما يكمن فى تمكين الانسان من الحاجيات الاساسية التى يحتاج اليها سواء على المستوى الدولى أو الاقليمى أو المحلى . وقد أوضحت مناقشات المؤتمر أن مشكلة السكان يجب أن ينظر اليها بمنظار التنمية للمواد الاولية وللاحتياجات الاساسية للانسان ، وسرعة تزايد السكان يجب أن تصاحبها زيادة فى تنمية البلاد بسرعة متوازية .

واتجهت المناقشات فى المؤتمر على التأكيد على ان هناك سبيلين لحل مشاكل السكان : الاول يتمثل فى تجنيد كافة الامكانيات والطاقات الداخلية لتحقيق التنمية ، والثانى يتمثل فى تعزيز التعاون الدولى الصحيح . فالمخطط العام لمكافحة الفقر يساوى تنمية العالم الثالث ، أو بكلمات أخرى ، ان ضمان وسائل تنمية العالم الثالث اولا بالقوة الذاتية والتعاون على المستوى الدولى ، هو ... م لمكافحة الفقر

ومهما يكن من أمر ، فسيظل من المؤكد ان المؤتمر الاول للمركز الدولى للتنمية ، الذى انعقد بالجزائر خلال الفترة من ٢٤ — ٢٧ يونيو ١٩٧٥ ، حلقة متواضعة جديدة ، ولكن حاسمة فى سلسلة الكفاح الطويل والدؤوب الذى تخوضه الشعوب الفقيرة لفرض وجودها وحقوقها فى الساحة الدولية .»



ملحق الأدب و الفن

رحلة « حسين فوزى » فى الزمان والمكان


د. حسين فوزى

- تحقيق أدبى من سوريا (٢)
- يوميات أبى نواس « قصيدة »
- الفن التشكيلى : « من شارع الهرم » الى « جاليرى ٦٨ » لمن تدق الاجراس ؟
- المسرح التجريبى فى انجلترا محاولة للخروج من اطار ثقافة برجوازية

حسين فوزى

رحلة دائمة في الزمان والمكان

● الدكتور حسين فوزى : المصرى، القاهرى، المولود على مرمى حجر من مقام الحسين فسمى باسمه ، عاش طفولته ومراهقته وأول شبابه بين باب الشعرية والخليج المصرى ، طبيب العيون بمستشفى طنطا، المتفرغ أربعة عشر عاما متوالية يجوب البحار والمحيطات دارسا لعلم « الاوقيانوغرافيا » ، مدير معهد الاحياء المائية وأستاذ علم الحيوان بكلية العلوم ثم عميدها ، أول وكيل لوزارة الثقافة حين بدأت تتحول من وزارة « للارشاد القومى » الى وزارة مسئولة عن كل جوانب النشاط الفنى والفكرى ، اختار — بعد أن بلغ سن المعاش — أن يبقى كاتبا وفنانا ، عاشق مصر والموسيقى والرحلات والتاريخ ، يعيش حياة أوروبية خالصة ، لكنه لا يزال ابن البلد المصرى ، يضحك للنكتة من أعماقه ، فيرتفع صوته بالضحك ، الصادق الصريح — وان أغضبت صراحته الكثيرين — لا يتردد فى استخدام الكلمة العامية النابية ان كانت تؤدى تماما ما يقصد اليه ...

الدكتور حسين فوزى أكمل هذا الشهر عامه الخامس والسبعين ، وكان فى احتفال الاوساط الثقافية به تكريم له وعرفان بفضله : استاذا ومعلما وكاتبا ومسئولا .

وهذا حوار أجرته « الطليعة » معه ، يحاول أن يحتذى طريقته ، فيتخفف من الاسئلة المعقدة والاجابات المنمقة ، طواف حول جوانب من شخصيته الخصبة المتعددة ، يستعين — الى جانب الحوار — ببعض أعماله وأحاديثه السابقة .



● لو اخترت ان ابدأ حياتى من جـديد ما غيرت فيهـا

شيئا ، اننى اعتبر نفسى محظوظا لاننى حققت معظم رغباتى ، والسؤال دائما هو : ماذا تريد من حياتك ؟ .. لم أكن أريد مالا ولا جاها ، ثروتى الحقيقية هى المعرفة ، من هنا أرى أننى محظوظ ، فقد استطعت أن آخذ من كل تجربة مايفيدنى . وسأضرب لك مثالا : كنت اتمنى أن أدرس البيانو لانه الالة الموسيقية الكاملة ، لكننى لم أستطع ، فدرست الموسيقى — نظريا وعمليا — دراسة المؤلف لا المتذوق أو العازف فقط ، ولست نادما رغم أن ما الفته لا يعدو مستوى التمارين ..

واستطيع أن اقول لك شيئا آخر : كنت دائما قائد حياتى، لم اتركها أبدا تلعب بها الانواء والاعاصير ، كانت حياتى بين يدى ، وما صنعته بها أنا راض عنـه ، لسـت اتمنى له تبديلا . لهـذا اقول : لو قدر لى ان اعيـدها فسـاعيدها كما هى ..

● هؤلاء نحن نبدأ الامور من آخرها .. ولكن لا بأس ، اعترف .. اننى حين شرعت فى كتابة « **سندباد مصرى** » — بعد أن جمعت مادته — كانت المشكلة هى كيف اقيم بناءه : لم يكن هدفى بطبيعة الحال أن اضيف كتابا لما كتب فى تاريخ مصر ، لكننى كنت أتمنى أن انجح فى كتابة ملحمة للشعب المصرى . [فاذا هو — فى أكثر من موضع — مرثية طويلة لما عاناه على مدى الازمان ، واذا بى وانا اؤكد قوة هذا الشعب على المقاومة والصراع والبقاء ، واشير الى ما اداه من خدمات للحضارة اتوكأ على آلامه وهزائمه] ، اقول : ان المشكلة كانت مشكلة بناء : يترامى أمامى تاريخ طويل

مكنوب ، فماذا آخذ وماذا ادع .. وانا اريد لكتابى أنيكون رواية طويلة ذات فصول بطلها الشعب المصرى لا مجموعة قصص منفصلة لكاتب واحد او كتاب عديدين ، هكذا بدأت بالنهاية ، بهبوط الستار ، ثم رحت اتراجع حتى بلغت التاريخ القائم على الاساطير ..

فلنقل اذن أننى بدأت معك بداية مشابهة !

● **اذكر من طفولتى اشياء كثيرة ، اشرت الى بعضها فيما كتبت ، لكننى الان اود ان اشير الى السماحة التى تربيت فى ظلهما كطفل قاهرى ..** أعنى السماحة التى لا تفرق بين دين او جنس أو لون ، اذكر انه كانت لامى صديقة يهودية ، فكانت تختلف الى بيتها كى توقد لها المصابيح كل سبت ، واخرى مسيحية كانت تشاركها الاحتفال بأعيادها ومواسمها ، ولعل لهذا تأثيره فى نوع من الرحابة تجاه الفكر والفن فيما بعد ..

وانا الان لا اضيق بالتجارب الفنية الجديدة بالغة مابلغت من غرابة وتعقيد ، فى الموسيقى مثلا لا اضيق بالموسيقى الالكترونية والبوب وما اليها ، واعتبرها تجارب فى الاصوات واترك الحكم عليها للمستقبل ، اننى احترم شوينبرج وموسيقاه التى تقوم على فكر رياضى (Serial music) ، واعتقد ان المستقبل قد يحمل تطورا له معنى فى هذا الاتجاه وعلى العموم فاننى — فى مجال الفنون — اعتقد أن الفنان المجدد اليوم هو التقليدى غدا ، وان تحب شيئا أولا تحبه تلك مسألتك الخاصة ، فحبى او عدم حبى لحركة فنية أو فكرية لا يحول بينى وبين الحكم على هذه الحركة حكما عقليا خالصا .. المهم الاقتناع ، وأن يكون الشيء فى مكانه .

● عرفت عددا من المدرسين الذين اثروا فى تكوينى على نحو أو آخر ، وكنت اقارن دائما بين تفتح مدرسى اللغة الانجليزية والتاريخ من جانب ، وجمود مدرسى اللغة العربية — على وجه العموم — من الجانب الاخر . واعتقد أن هذا الامر كان له تأثيره فى دفعى لمحاولة الحصول على تصور كامل للحضارة الغربية ، فبدأت بالاغريقيات ، ثم تابعت بعد ذلك كتب مشاهير علماء التاريخ ، فعصر الاحياء والتنوير ، ثم الثورة الفرنسية : الاعداد لها وما لابسها من أحداث وخطوب ، والفكر الاشتراكى من منتصف القرن التاسع عشر حتى ماركس .

وبالنسبة لتاريخ مصر ، فاننى أهتم اهتماما خاصا بما كتب عن مصر القديمة ، والحضارة العربية فى العصر العباسى — خاصة عصر المأمون — فالعصر المملوكى وسلاطين مصر من المماليك ، ثم .. لا تنس الرحلات ، فالرحلة عندى كتاب ، وما زرت بلدا الا ترددت على مسارحها ومتاحفها وافلامها التجريبية وحفلاتها الموسيقية وقرأت عن تاريخها وعادات أهلها ، حدث هذا فى كل البلاد التى زرتها غربا وشرقا .. فدرست حتى البوذية والهندوكية .

● **فى السنوات الاخيرة من دراستى الثانوية ثم العالية تعرفت الى اعضاء المدرسة الحديثة كما يسمون فى تاريخ** القصة المصرية ، وبقى فى ذاكرتى منهم شيء غير قليل ، لن احدثك عن دورهم فى تطوير القصة المصرية فذلك شيء تجده فيما كتب عن هذه الفترة ، لكننى اشير الى تأثيرهم فى نفسى ،

تلك الحياة العجيبة الضاربة فى أرجاء الاقيانوس الواسع وسط ذلك المعسكر العائم ، بين جنود تسلحوا للفتح العلمى لا للمذابح البشرية ، خفت جرسها فوق هذه السفينة ، ولقد عاد كل منهم الى وطنه وعمله ، وعادت سفينتنا وفى نفوسهم ذكرى يزيدها الزمن ائتلاقا ، ولكنهم تركونى هنا وحدى ، كالشاعر البدوى ابكى فوق الدمن وأستبكى الرائح والغادى . تركونى اجوس خلال هذه القمرات والمعامل ، فتتالب على اشباح ذكراهم ، حتى لاخال نفسى شبحا بين الاشباح . ايه ايتها السفينة ! ايه ايها الجواد الاشهب : هل قدر لنا ان ننوءبحمل الذكرى ، او اننا سوف نعود الى خوض البحار النائية ، حيث للموج اصطخابوهدير وللاعصار صرير وصفير ؟ .. » .

[سندباد عصرى ، ١٩٣٨]

اعود بخيالى الى المحيط الهندى لا كما عرفته منذ نحو عشر سنوات ، بل كما عرفه البحريون العربفيما بين القرن التاسع والقرن الرابع عشر .. دليلى وقائدى فى رحلتى الخيالية ذلك الرحالة العظيم الذى اخرجته للناس مخيلة كاتب عربى مجهول — ربما كان مصريا — يعزى اليه جزء أو كل كتاب « الفليلة وليلة » اوسع مؤلفات الادب العربى صيتا فى الخافقين ، . السندباد هو معلمى البحرى الاول ، فانا ارجع برحلتى الخيالية الى القرون الوسطى ، اعود بها أيضا الى طفولتى حينما عرفت البحر أول ما عرفت فى قصة « السندباد البحرى » وكتاب « عجائب الهند » المنسوب الى بزرك بن شهريار الناخداه الرامهرمزى .. » .

[حديث السندباد القديم ، ١٩٤٣]

كل انسان ، حتى الهمجى ، مستعد للبذل فى سبيل الذود عن حومته ، كل يدافع عما ملكت يمينه ويساره ، ولكن .. فرق بين ان ادافع عن منازل اجدادى وآثارهم الفنية والذهنية ، عن نوع من الحياة اساسه الكرامة الانسانية ، وبين ان ادافع عن حياة دنيا ووطن أستاثر به غنيه دون فقيره ، ورفض ابناؤه الشعور بتاريخه ومجده المؤثل . وحياة الانجليز تنقلت بين الفقر والغنى ، والنجاح والخيبة ، والنبوغ والغباء ، والمغامرات شريفها وخسيسها ، ولكنها كانت حياة مجموعة بشرية لا تعرف الذل ، ولم تقبل الضيم يوما فى تاريخها ، ولم تنكر حقبة من هذا التاريخ .. » .

[سندباد الى الغرب ، ١٩٤٩]

هنا أذكر « ناظر المدرسة » أحمد خيرى سعيد ، **وطاهر لاشين، واليهودى المصرى شالوم داود** . كان أعضاء المدرسة يسخرون بكل شيىء ، وبأنفسهم قبل كل شيىء ، فغرسوا فى نفسى بذور التمرد ، انا الذى ربيت فى طفولتى تربيسة اسبرطية صـــارمة .

● **رأيت مصر فى طفولتى وكأنها قد ماتت تماما يموت مصطفى كامل وقتل بطرس غالى وهبوط ليل الحماية الثقيل ، ثم رأيتها فى أول شبابى وقد انطلقت انطلاقة كاملة فى ١٩١٩،** وكانت تلك هى الفترة الوحيدة التى شاركت فيها بنشاط سياسى مباشر ، فى الاضرابات والمظاهرات والخطابة فى الازهر ، ولم يحل بينى وبين العنف السياسى سوى أن زميلا لى فى مدرسة الطب كان أبوه من كبار أعضاء الوفد فكان يرشدنا الى مانفعل ويبسط حمايته علينا ..

ومن راى مصر وكأنهـــا قد ماتت ثم رآهـــا تنتفض هـــذه الانتفاضة الهائلة ليس له أن يكون متشائما . لهذا فاننى أعتقد الان ــ وحديثنا عن الثقافة المصرية ــ انه مهما كان ثمة من افساد أو تقهقر فلست متشائما . يكفينى ــ كأستاذ قديم ــ ان يكون بين طلبتى فى كل عام نابغة واحد ، فما يتقدم به المجتمع هووجود نخبة أسميهم « الاخيار » أو « البررة » .. وبصرف النظر عما يسود من ظلمة وظلام فاننى التقى بطلبـــة افضل : لديهم الاحساس بأن تعليمهم ناقص وهم يعملون على استكماله ، هذا فى التعليم،كذلك فان القصة تتطور،والمسرحية تتطور ، والفن التشكيلى يتطور ــ عدا الموسيقى فهى التى لا تتطور ، وهذا موضوع سنعود اليه ــ ، كل هذه ظواهر تدعو للتفاؤل . باختصار : لست متشائما ولن أكون ، قرأت تاريخ بلادى كله وما تشاءمت ، يوم تفك عقدة هذا البلد فهو قادر ــ خلال عشر سنوات فقط ــ أن يسترد ممكنات هائلة ..

● **اذا شئت خطا واحدا ينتظم كل مناحى نشاطى فلاقل لك انه بحث فى الانسان ، بحث عن الوحدة وراء التنوع ، او هو ما اسماه صديقى الدكتور كامل حسين وحدة المعرفة ، الرابطة الحقة بين كل الانشطة التى مارستها ــ علما وفنا ــ هى الانسان .**

سأزيد لك الامر تفصيلا : العلم نشاط انسانى يمكن أن يعشقه الانسان ويتفانى فى عشقه ، وبزوغ الحقيقة العلمية فى عقل عالم مضنى بموضوع بحثه لاتقل فى روعتها وقدرتها على الامتاع عن انبثاقة الالهام عند الفنان . اسمع : اننى لاأكره كلمة قدر ما أكره كلمة « التكنولوجيا » ، ما هذه التكنولوجيا التى الهوها وجعلوها مفتاحا سحريا لكل المشاكل ! ، ياسيدى: بأموالك تستطيع أن تشترى ما شئت من افانين التكنولوجيا .. لكنك لن تستطيع ابدا أن تشترى عملية التفكير أو رهافة الذوق الذى يخلقه الفن الرفيع عند متلقيه !

● **كنت اقول لك اننى بدأت حياتى العملية طبيبا للرمد فى مستشفى طنطا ، وقد افادنى طب العيون فائدة كبرى ، تعلمت منه الدقة ، فهى الزم ما تكون فى التعامل مع هذا العضو** المرهف ، دقيق التكوين ، واكتسبت من عملى هـــذا ايضـــا شيئا من التنظيم ، فقد كانوا يعدوننا لكل شيىء حتى ادارة المستشفى بما تتطلبه من أعمال ادارية ومكتبية ، ولم تـــكن لى عيادة خاصة لكننى كنت أعمل بعض الايام فى عيادة زميل سبقنى الى التخرج ببضع سنوات ، ويوما كنت اقلب بين يدى دفتر حسابات العيادة ، فارتسمت أمام عينى صـــورة مستقبلى بعـــد سنوات ، ودار بينى وبين نفسى مثل هـــذا الحوار :

ــ ايه يا عم فوزى .. هذا مستقبلك فيما سيأتى من أيام .. فما رأيك ؟..

ــ يعنى !

ــ ستقضى حياتك محصورا داخل العين ، ويزداد دخلك حتى يبلغ دخل صاحبك الان .. حوالى ثلاثمائة جنيـــه فى كل شهر ..

ــ لكن لدى اسئلة لن يجيبنى عنها طب العيون، ربما اجابنى عنها علم مثل الطب العقلى ، أسئلتى كلها حول الانسان، فى الصحة والمرض فى العقل والجنون ..

باختصار .. لم اقنع بأن اقضى حياتى محصورا داخل العين وآنذاك حدث هذا التحول : اعلنت الحكومة عن بعثات من بينها بعثة لدراسة علم الاحياء المائية ، ولم أتردد ، وهكذا انطلقت من العين الى المحيط ، من الانسان الى الاميبا .

● وكم كانت فرحتى ! ثلاثة ارباع الحيوان تحيا فى الماء وستتاح لى فرصة دراستها ، هذه تجربة من أجمل تجـــارب حياتى على الاطلاق ، سأبدأ طالبا من جديد ، وأين ؟ فى فرنسا أنا : عاشق الحضارة الغربية ، لدى تصور شبه كامل عنها ، فما اجدرنى بالعمل على استكماله .. محب الفن والادب حياته رومانتيكية حادة ، لكن العلم يهديه ويقيده ويضبطه وينظمه ،

اتصلت الحان بيتهوفن بصميم حياتى الوجدانية والعاقلة اتصالا قريبا ، فكانت السمفونية السابعة أول ما سمعت من موسيقاه بل من الموسيقى السمفونية على الاطلاق . والخامسة والسادسة أول مـــا فهمت ، والتاسعة اقصى ما ارتقت اليه روحى صعودا الى قمة المثالية ، فى جبال الفن الرفيع ، كنت أستمع ذات يوم الى اذاعة عربية عن بيتهوفن ، اذ حسبت ــ وياليتنى ما حسبت ــ أن بلدى وأهل بلدى بداوا يدركون من هو بيتهوفن ، وما هى الموسيقى التى رفع من شأنها بيتهوفن ، او ان هنالك على الاقل من بينهم من يبشر بموسيقى بيتهوفن . واذا صاحب الاذاعة « يمثل » حياة بيتهوفن بتلك اللهجة الممجوجة التى عودنا اياها ممثلو الطبقة الثالثة .. والاولى .لهجة يختلط فيها نوح النادبات بجئير الحشاشين وردح الراسحات . لقد « مثل » الاحمق حياة بيتهوفن دون أن يسمعنا الحانه . اذ يبدو ان حياة الموسيقيين هى آخرماوطدنا العزم على معرفته هنا ! » .

[سندباد الى الغرب ، ١٩٤٩]

حتى مدرسة الطب لم تفلح فى أن تلجم حدة رومانتيكيتى ، فجاء قرارى بالانصراف الى البحث العلمى وتكريس حياتى له ليضع هــذا اللجام .

أدى ذلك الى شيىء من الازدواج فى شخصيتى يبدو بين الحين والحين ، بين الشخصية الارادية التى رباها العلم ودربها وشخصيتى العاطفية القديمة ، العلم يتميز بالموضوعية ، ولاشأن للعواطف به سوى أن تتحمس لما تقوم به من بحث ، ساعدنى العلم اذن على أن يصبح عقلى هــو المسـيطر ، لا يتقبــل مسألة الا أن بحثها وناقشها وقلب وجوهها ، وكنت أحرص دائما على أن أغرس فى عقول طلبتى بذور الشك ، الكتب للاستخدام لا لتصديق كل ما فيها كأنه كلام لا يأتيه الباطل من أى مكان ، كذلك أفادنى فى الاعتقاد بأن الحقيقة عنــد طرف ظل الانسان ، قد يكون عالما الان .. لكنه ــ على وجه اليقين ــ جاهل بما سيكون عليه فى اللحظة التالية ، هــذا يعنى أن عليه أن يظل طالب معرفة دائما وأبدا .

● ● ●

● كنت محظوظا لاننى كنت أول من درس هذا العلم فى بلادى ، ومن ثم كان على أن أحيط بكل جوانبه ، وحــين رجعت كان على أن أضع خطط البحث فيه ، هكذا أنشىء معهد الاحياء المائية فى قايتباى ، ودرست الميــاه المصرية كلها دراسة شاملة متأنية مستوعبة لما فيها ، ثم خرجت الى البحر الاحمر والمحيط الهندى ، على نحو ما تجسد فى «سندباد عصرى » الذى لم يكن سوى هوامش هذه الرحلات ، وكنت محظوظا كذلك أن أسهمت فى تأسيس كلية العــلوم بجامعة الاسكندرية ، وبعدها بأكثر من عشر سنوات فى تحويل وزارة الارشاد القومى . الى وزارة مسئولة عن الابداع الفنى والفــكرى .

وربما كان هذا الانشغال بالتأسيس هو الذى دفعنى دائما لان أركز قواى كلها فى عمل واحد حتى أنجزه ، ولا أشتتها بين أعمال متعددة فأكون « كالمنبت » ... الذى لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى ، وأنا سعيد بما أنجزت فى معهد الاحياء المائية وفى كلية العلوم وفى وزارة الثقافة رغم كل شيىء ..

نعم .. رغم كل شيىء ، فلو لم يتح لى وزيران للثقــافة نوعا من « التفرغ الاجبــارى » لمــا استطعت أن أتم تأليف « سندباد مصرى » !

● ● ●

● لا أريد أن أخوض فى هذا كله لكننى ألخص لك رأيى : المسألة وما فيها أن عشرين سنة كاملة من حياتنا قد أخفيت عن عيوننا ما كان يحدث فيها ، والان .. نحن نفاجأ بما كان يحدث ، فنناقشه أو نبدى الرأى فيه.. بعد أن حدث بالفعل ، خلال هذه السنوات كلها لم نكن نعرف حقيقة واحدة على وجهها الصحيح .. والحضارة عندى حرية تعبير قبل أن تكون شيئا آخر ! .

● ● ●

● بعد سن الستين كان على أن أختار : اما أن أعــود الى الاسكندرية ، فأنشر أوراقى ومباحثى العلمية وأواصلها ، أو أن أتفرغ للفن والكتابة ، وكان هذا يعنى ــ فى بعض الوجوه ــ الاختيار بين الاسكندرية ــ المدينة التى عشقتها وما توقفت يوما عن عشقها أو تركت بيتى فيها ــ وبين القاهرة حيث الصحف والاذاعة والنشر والمكتبات .. الخ ، ترددت قليلا ثم حسمت ترددى : سأبقى فى القاهرة ، أكتب وأعــد برامجى الموسيقية للبرنامج الثانى [لكننى لا أزال أســتاذا ممتحنا فى كلية الطب] ، تسألنى لماذا جاء هذا الاختيار ، سأجيبك بصراحة : ربما كان وراء هذا الاختيار دافع شخصى ــ سمه « أنانيا » ان شئت ــ فمن الميسور أن تقنع اسمك

والحق انى منذ زمان طويل أطمع فى وضع كتاب على هامش التاريخ ، أصور فيه الحياة المصرية منــذ نشأتها ، صورة صادقة لما اختلجت به نفسى منذ نيفنا فى الشعور والادراك ، سواء أمام النيل ، وفوق واديه الخصيب ، أو فى عرض البحر مقبلا من البحر الاحمر ، بعد رحلة طويلة بالمحيط الهندى ، عابرا قناة السويس الى بحرنا الابيض ، أو جوابا على سطح بحيرات الدلتا الواسعة ، أو متنقلا بين بحيرة قارون ومديرية الفيوم ، أو مخترقا الصحراء الى الواحات النائية . أو مختليا بآثار أجدادى فى المتاحف هنا وفى الخارج ، أو مرتادا أطلال بلادى القائمة فيما بين الشلال والدلتا : أطلال العصر القديم ، والحقبــة اليونانية الرومانية ، وآثار العهد القبطى ، والعصور الاسلامية .

أحسست فى هذه التجارب بالوحدة الكامنة خلف كل تلك الحضارات المتعاقبة ، فى السراء والبأساء . الوحدة القوية المتماسكة التى جعلتنى أشعر بأننى ابن أعرق الشعوب طرا ، تلمست تلك الوحدة فعرفتها فى حقيقتها الانسانية ، عرفتها فى المصرى فردا وشعبا ، مهما تعدد حكامه . وتداولته الاحن والارزاء ».

[سندباد مصرى ، ١٩٦١]

معجزة هذا الشعب المصرى اذن ليست فى الحضارة وهبها للعالم فحسب ، انما فى أن يظل الشعب حيا متمكن الشخصية ، لايفنى فى غزاته ومستغليه ، شعب زارع بناء صناع اليدين ، صانع حضارة ، سواء حكمه محب للعلم ، ذواقة للفن ، أو عيهور مغامر ، شعب يفرض الحضارة على حكامه فرضا ..

والا فاننى اطلب تفسيرا لهذه الظاهرة الثابتة فى التاريخ المصرى : بناء المصاطب والاهرام والبرابى . واقامة التماثيل والمدافن ، وانشاء الكنائس والاديرة ، فالمدارس والجوامع والقصور والاضرحة ، وحفر الترع واقامة الخزانات ، ووصل البحرين سواء عن طريق النيل او مباشرة بين القلزم والفرما . ثم من كان يصنع الاثواب الشرب والدبيقى والتنيسى ، والقبــاطى الاخميمية ؟ ومن قام بزينة المساجد ومنابرها والكنائس وهياكلها ؟ ومن رسم الصور الشعبية على الخشب ، ووضعها فى توابيت الفيوم والبهنسا ؟ ومن قام على مدرسة الكهنوت فى هليوبوليس ، ومن فتح مدرسة اللاهوت المسيحى « الديدسقلية » فى مواجهة مدرسة الاسكندرية الوثنية ، ومن أنشأ الجامعة الازهرية ، أكان الفرعون والقائد الفاطمى والسلطان المملوكى ودلسبس ومحمد على وغيرهم ممن حفــظ التــاريخ أسماءهم مقرونة بتلك الاعمال العمرانية .. أم أنه ذلك المجهول المفترى عليه : الشعب المصرى »

[سندباد مصرى ، ١٩٦١]

فى تاريخ الادب بكتاب أو كتابين ، ولكن من الصعب أن تكون داروين أولامارك أو اينشـتين ، وغاية ما سيبقى من عالم مجتهد بضعة ابحاث فى المجلات المتخصصة ، تعيش زمنـا ثم تخلى مكانها لجديد .

● ● ●

● آه .. حديث الموسيقى والاغنية مـرة أخـرى !.. يا سيدى : لقد تأثرت بالموسيقى التى نشأت عليها ولازلت ، ولست اتأذى من الاغنية فى ذاتها ، لكنها قد زحفت الان زحفا غير معقول ، وغير مقبول كأن قوام الحياة أصبح هو الاغنية ، وأى أغنية يا أخى ؟ أغنية خرعة ذات صد ودلال وعوازل وتأوهات ، أغنية تقدم أسوأ جانب فى الانسان المصرى والانثوية ، ثم يحرق من حولها البخور وتكرس وتفرض على اذواق الناس ، كأن برامج الاذاعة كلها قد أصبحت مجرد فواصل بين الاغنيات .. هذا شيىء سخيف وغير مقبول .

● ● ●

● **أديث بياف : أعظم مغنية فى عصرها ، كان جمهورها بالملايين فى جميع انحاء العالم ، ولم يجرؤ واحد على اقتراح ضمها للاكاديمية الفرنسية ، ثم انا نفسى : لقد رفضت أن يصبح عبد الوهاب وأم كلثوم عضوين بلجنة الموسيقى فى المجلس الاعلى للاداب والفنون ، وأصررت على موقفى** ، ليس هذا موقفا شخصيا ضد احد ، على العكس ، فأنا أعرف عبد الوهاب جيدا منذ نشأ فى باب الشعرية ، وأعتقد أن لديه استعدادا جيدا للميلوديا ولنوع من التكوين الموسيقى (adaptation) ، لكن المشكلة أن هناك طغيانا شديدا من جانب الاغنية التى تقوم فى مضمونها على افساد وجدان الشعب المصرى بتقديم صورة زائفة ومغلوطة للحب ، فى حين أن مفهوم الحب نفسه قد تغير وتطور ، نحن نعيش فى عصر رجولى فولازى لو صح التعبير ، ثم نجد اغانينا : هذا مضمونها ، ومن حيث موسيقاها فهى تقوم على اللحن المطرب المعتمد على التلفيق الموسيقى .

● **لا تقولوا لنا هذه هى الموسيقى المصرية ، او هذه هى الشخصية المصرية فى الموسيقى .. هذا دجل وهجص** . على دارسى الموسيقى عندنا ــ خريجى الكونسرفتوار أومن نسميهم « الموسيقولوجيست » أن يرجعوا الى التراث ويعملوا على دراسته وتطويره ، فعلت هذا قبلنا شعوب كثيرة ، وقد استمعت ــ على سبيل المثال ــ الى موسيقيين يابانيين يقدمون تراثهم الموسيقى مطورا ، وينافسون من حيث العزف والاداء ــ سادة العزف على الكمان والفيولنة وهم الروس . وهلما سأقول لك بعض الملاحظات التى تحدد اتجاه البحث الواجب :

لدينا تراث موسيقى لاشك فيه ، فيجب أن ندرس علاقة موسيقانا بموسيقى مصر القديمة ، مصر الفرعونية ، وأنا لا أزعم أننا سنعثر على الموسيقى الفرعونية نفسها ، لكننا عثرنا ونعثر على صور ولوحات فى المقابر تمثل الالات الموسيقية ، وقد شاهدت فى احدى مقابر الاقصر رسما على حائط يمثل رجلين : أحدهما يعزف على الناى والاخر يغنى ، الطريقة التى يمسك بها الاول الناى هى نفس الطريقة التى يمسك بها اليوم ، والثانى يضع يده على خده ويمد الاخرى أمامه تماما كما يفعل ابن البلد اليوم حين يغنى « ياليل يا عين ... » ، هذه اللمحة خيط ، وثمة خيوط أخرى يمكن أن تقود خطانا للاجابة عن سؤال : كيف كانت موسيقانا فى العصر الفرعونى ، من هذه الخيوط أيضا موسيقى الكنائس القبطية ، ونلاحظ فيها نوعين من الالحان : الاول تدرك على الفور التشابه الواضح بينه وبين الالحان العربية ، والثانى لا تستطيع أن تجد له صلة بهذه الالحان ، فالسلالم المستخدمة مختلفة عن سلالم الموسيقى العربية ، فمن الغـالب اذن أن تحتوى الموسيقى الكنسية على عنصر اصيل .. ربما يرجع لهـذه الموسيقى الفرعونية .

ملاحظة أخرى عجيبة : استمعت الى مجموعة من المنشدين من سكان الجبل الشرقى فى أسيوط ، كان هؤلاء المنشدون الصعايدة المسلمون يغنون فى مجموعتين ، كل مجموعة ترد على الاخرى بطريقة يسمونها فى الغناء الكنسى الغربى « أنتى تولير » ، والشبه واضح بين الحان هؤلاء المنشدين والحان الكنيسة .

الموسيقى المصرية القديمة موجودة اذن فى الكنيسة القبطية وفى بعض موسيقانا الشعبية فى الصعيد ، واذا قارنت ألحان الفلاحين والاغانى البلدية والموسيقى من عهد عبده الحامولى ومحمد عثمان لاحظت فرقا يدلك على أن الموسيقى المصرية التى كانت معروفة فى النصف الاول من القرن التاسع عشر تطورت تطورا جديدا ، نتيجة تأثر تركى على الارجح .

وما أن تتيقظ مصر ، وتفتح عيونها على حضارة اوروبا ، حتى تكتشف امرا عجيبا ، هى التى نسيت تاريخها القديم : ستكتشف أن لتاريخها الذى نسيته ، حسابا اكبر حساب عند أصحاب هذه الحضارة الحديثة . ستكتشف أن هؤلاء يعتبرون الحضارة الفرعونية اقدم يقظـة للفكر والضمير والاحساس الانسانى ، عرفها التاريخ . فلم يعد مقبولا أن يظل المصريون على جهلهم بحضارة أجدادهم المنسيين منهم وحدهم ، ويتنبه المصريون الى هذه الحقيقة . وبخاصة فى عهد التحرر ، وعقب حركة سنة ١٩١٩ ، وكان هذا منشأ المدرسة التى نادت بالفرعونية فى عشرينات هذا القرن ، ولم تكن تلك المدرسة لتتنكر للعروبة ، فما عرفنا من اقطابها الا كتابا فى صدارة كتاب العربية ، ومفكرين من أعرف الناس بتاريخهم الاسلامى ، وانما كانت حركة تحاول أن تمحى عن المصريين سبة وعارا ، سبة جهلهم بتاريخهم ، وعار ازدرائهم بامجد حقبة من احقاب هذا التاريخ » . [سندباد مصرى ، ١٩٦١]

وليس اروع عندى من كلمة ذلك الباشا العلمانى فى اخر القرن الثامن عشر ، ومصر فى حضيض من المهانة والذل والفقر والعذاب ، وكان يستقبل مشايخ الازهر ، فيناقشهم ويباحثهم فى الرياضيات فيحجمون ، لانهم لا يعرفون هذه العلوم ، فيتعجب الباشا ويقـول مستنكرا : « المسموع عندنا بالديار الرومية ان مصر منبع الفضائل والعلوم ! »

[سندباد مصرى ، ١٩٦٢]

ملاحظة أخيرة حول ضرورة الاحتفاظ بالتراث الفنى لما يسمى بالموسيقى الشرقية أى جمع وتسجيل الالحان العربية وأهمها التواشيح والادوار ، وموسيقى الالات وأهمها السماعيات والبشارف ، ثم تأدية هذا التراث الموسيقى على الوجه الصحيح، لهذا أقول لك لا بأس بفرقة الموسيقى العربية وجهدها فى هذا السبيل .

● أهمية سيد درويش فى هذا الصدد أن مادته الموسيقية كانت تؤكد أنه يمتلك مقدرة كلاسيكية كبيرة ، وحين دخل الى المسرح كان لديه تصوره عن مسرح استعراضى ، وتمثلت جهوده فى أنه انتبه ـ بمقدرته هذه ـ الى اننا شعب غنائى ، فصاغ الحان الطوائف مثلا ، اذن هناك موسيقى غير مجرد اللحن المطرب ، سيد درويش فنان مصرى أصيل ، ظهر فى حياتنا فى لحظة من لحظات يقظتنا القومية وأدى دوره كفنان ومواطن أحسن ما يكون الاداء ، أصر على تأكيد هذه الحقيقة لسبب بسيط : اننا نود أن يحيا لنا سيد درويش على رأس التلفيقات الغنائية القائمة ، ونعتقد أن احياء موسيقاه قد يسهم فى تنقية الجو بعض الشيء على الاقل .

● فشلت محاولات أبو بكر خيرت لانها كانت تقليدا زائفا يفتقد الاصالة ، لكن ثمة محاولات طيبة يقوم بها الان جمال عبد الرحيم هذا رجل قد درس الموسيقى كما يجب ، وقدم أعمالا ذات بناء ممتاز معتمدا على الحان شرقية واضحة ، انه لازال يحاول ، لكننى اعتقد أنه سيجد الصيغة المناسبة لموسيقى مصرية على أسس متطورة .

● العامية والفصحى فى التعبير الادبى قضية قديمة ، مثارة من أيام المدرسة الحديثة ، لكننى أستطيع أن اقول لك ان ما يعنينى هو صوت التعبير ، بمعنى أن تكون اللغة المستخدمة دالة على الشخصية ومعبرة عنها ، ولو كنت أمتلك بلاغة اللغة العامية لما ترددت فى أن اكتب بها عملا فنيا كاملا .. اننى ابن بلد كما قلت ، وحين أستعيد طفولتى أتذكر حديث أوساط الناس فى أحيائنا البلدية فأفهم المعانى المستترة وراء لغتهم السمحة من أمثال « يفتح الله » يعنى : السعر الذى تعرضه غير مقبول ، « صل عالنبى » أى : لنبدأ فى الفصال ، و « على الطلاق » أى : لا تصدق كلمة واحدة مما أقول ! ، و « يا فتاح يا عليم » أى : أول القصيدة كفر ، وربنا يكفينا شرك ، و « باسم الله » أى : تفضل وشاركنى لقمتى التى لا تكاد تكفينى ، و « توكل على الله » بمعنى : اغرب عن وجهى من غير مطرود ... هذه لغة شعب فيلسوف يتكلم بالكناية، وينادى على سلعته بصور شعرية ، وهذا كله بعض ما أعنيه ببلاغة العامية .

● ما يشغلنى الان ؟ أنهيت كتابى عن رحلتى الى أمريكا ، ـ وهو لم ينشر كاملا بعد فلازالت بعض فصوله فى «الاهرام» ـ ودفعت الى المطبعة بكتابى عن الهند بعد ان تلكأ عندى طويلا ، ولدى مشروع رواية ومشروع عمل مسرحى ، لكننى لااستطيع ان ابدأ فى ايهما الاان اتيح لى فراغ كامل لايقطعه شيء .. ولعلك شيء .. ولعلك تدهش لو قلت لك ان المشكلة الاساسية التى تشغلنى الان هى اننى لا أجد من يقوم بالاعباء المنزلية فى بيتى ، فيقع هذا العبء على السيدة زوجتى وعلى .. وهو عبء ثقيل ! .

● انتهينا لما بدأنا به : لست نادما على شيىء فى حياتى ولا راغبا فى تغيير شيىء منها ، أعتبر نفسى محظوظا لاننى حققت الكثير مما رغبت فيه ، وقد كانت رغبتى دائما هى المعرفة، ولازلت طالب علم . وما الثقافة فى نهاية الامر ؟.. ليس أن تتخصص فى شيىء ولكن أن تدرك الروابط بين الاشسياء ، والروابط عندى كان ـ وسيظل دائما ـ هو الانسان .

● هذا انا .. فى الخامسة والسبعين . ■

يعيش أهل المغرب الاقصى تاريخهم عندما يجتمعون ليغنوا اندلسياتهم الجميلة ، بمصاحبة الالات التقليدية ، وغيرها ، فهم لا يتزمتون للناى ولا للرباب ، ويضيفون الى التخت الاندلسى آلات البيانو والشللو والكلارنيت والساكسفون ، ويستبدلون بالناى الفلوت ، وبالرباب الكمنجة ، وان كانوا يمسكونها واقفة كالرباب .

وتعبيرهم الموسيقى خلو من التخنث والتكسر والطراوة ، يبعث فيك النشاط وحب الحياة ، بدل أن يحرضك على النعاس .. والهيام والاستسلام .

وطريقة غنائهم الجماعى فيها تلوين جميل ، فالاصوات لا تشترك جميعها طول الوقت : يسكت بعضها أنا فيهدأ النغم ، ويغنى الجميع آنا آخر فترتفع حرارة النغم، واذا بصوت رجل واحد يعلو على الجميع فى طبقة نسائية اللون ، تعرف فى الغناء الاوروبى بصوت الرجال « الفالستو » ، فتحس كأن ألحان التوشيحة تعلوها السنة من اللهب ، هى الصورة الذهنية للوجد والصبابة ونار العشق » .

[سندباد فى سيارة ، ١٩٧٢]

يطيب لى ان اختم هذه الفذلكة الجادة بدعابة قد تكون من آثار التندر على قصور فهم يوسف بن تاشفين أمير المسلمين البربرى للسان العربى ، فقد ذكر أبو الوليد الشقندى فى رسالته عن فضائل الاندلس ، ان المعتمد بن عباد صاحب اشبيلية كتب الى يوسف بن تاشفين ، بعد انصرافه الى حاضرة ملكه ، رسالة تمثل فيها بشعر ابن زيدون :

حالت لبعدكم أيامنا فغدت سودا، وكانت بكم بيضا ليالينا

فلما قرىء هذان البيتان على كبير المرابطين قال : « يطلب منا جوارى سودا وبيضا ؟ » فأجاب القارىء : « لا يا مولانا ، ما أراد الا أن ليله كان بقرب أمير المسلمين نهارا ، لان ليالى السرور بيض ، فعاد نهاره ليلا ، لان ليالى الحزن ليال سود» ، قال يوسف : « والله ، مليح ، أكتب له فى جوابه : ان دموعنا تجرى عليه ، ورؤسنا توجعنا بعده » !

[سندباد فى سيارة ، ١٩٧٢]

تحقيق أدبى من ســوريا [٢]

فاروق عبد القــادر

« فى العدد الماضى عرضنا عددا من أبــرز الأعمــال فى القصــة والرواية : لعبد السلام العجيلى وحنامينه وسعيد حورانية وحيدر حيدر ونبيل سليمان وزكريا تامر . وكنا نود أن نقف عنــد أســماء وأعمال أخرى : عند هانى الراهب [وروايتيه : المهزومون ، شرخ فى تاريخ طويل] ، وصلاح دهنى [وروايته ملح الارض] ، فارس زرزور [وروايتيــــــــه : اللا اجتماعيون ، المذنبون] . كما كنا نود أن نقف عند القصاصين : جورج سالم [ومجموعتيه] : فقراء الناس ؛ حوارالصم] ، عبد الله [ومجموعتيــه : مــوت البنفسج ، السيران ولعبة أولاد يعقــوب] ، وليــد اخــلاصى [ومجموعته الاخيرة : التقرير] ، حســيب كيالى [ومجمــــوعته الاخيرة : حكاية بسيطة] ، غادل ابى شنب [ومجموعته الاخيرة : احلام ساعة الصفر] ، كوليت خورى [وعمليها الاخيــــرين : الكلمة ـ الانثى ، قصتان] .. هؤلاء ـ وغيرهم ـ ملامح هامة من الادب السورى المعــاصر ، نرجئهم لفرصة قادمة ، ونلقى الان نظرة عجلى الى مجــالين آخرين : الشعر والمسرح .. » .

[٥]

وربما كانت أهــم الاصــــوات الشعرية الان فى دمشق لثلاثة من الشـــباب ـ بين الثـــلاثين والاربعين ـ هم : **ممدوح عدوان ومحمد عمران وعلى كنعان** ، ولن يتسع المقام لعرض اعمالهم بالتفصيل ، لكننا سنقف عند عمل واحد لكل منهم ، محاولين ان نتعرف ـ من خلاله ـ على ملامح عالمه الشعرى ..

ولنبـدأ بممـدوح ومجموعتــه الاخيرة « **الدماء تدق النوافذ** . بغداد ، ١٩٧٤ » ، وهى مجموعته التالته بعد : « **تلويحــة الأيدى المتعبة** ، ١٩٧٠ » و « **أقبل الزمن المستحيل** ، ١٩٧٤ » ، الى جانب عدد من المسرحيـــــات اهمها : «**محاكمه الرجل الذى لم يحارب**» ، « **كيف تركت السيف** » .

واذا كان صحيحــا ان الهــم القومى يسبق الهم الاجتماعى فى مجموعة ممدوح الاولى ، ففى هذه المجموعة يبدأ الشاعر بالهم الاجتماعى ، فيقود خطاه الى الهم القومى ، وثم يتلاحمان ، فمن أين جــاءت هذه الـدماء التى تدق النوافذ ؟ : « بدأ الدم من جرح كف تجاهد للخبز / تجنى مجاعتها كل عام / بدأ الجرح من ماء نهر يفيض بوجه الحسين المضرج / وتدفق فى النيل / والنيل يحمل وجه شفيع المدجج / بدأ الـدم من شجر [بين عمان والنهر] / كانت تقصفه الريح / والزارعون يغصون بالدم / خوف الطغاة / بردى يلعق الشــفتين ويركض ذعرا / فيخلى الطريق لســـيل الدماء » .

بين هذين البعدين : جوع الجياع وخيانة الثورة يقع شعر الشاعر : ان الجياع يشــهرون جوعهــم سيوفا ، لكن القادة دائما يتخلون عنهم ويسلمونهم لمن لم يعرفوا الجوع . ولعل أوضح قصــائد المجموعة دلالة على هذا هــى « **الهروب من ثورة الزنج** » ، ان هذا الهارب يروى لنا كيف جاءه على بن محمد يدعوه للثورة على الظلم فلبى ، كان فقيرا واهله جوعى ، كانوا انتظارا وخيــلا وأعنه ، امتطى على بن محمد جوعهم وقهرهــم وقادهــم نحو بغداد التى لاحت قبابها ، راى فى ملامح وجه على الحجــاج الذى يرمى كعبة الظلم بمنجنيق الجوعى ، لكنه رآه ـ فى اللحظة التالية ـ ينادم جند الخليفة من وراء ستار . آه .. انه ليس الثأر أو الواحة الامنة ، لكنه الخدعة القاتلة .. هى خيانة الثورة من جديد : « كلما اغتال عبد خصى خصيا متقنا : / اتى منقذ يبدأ الزمن المســتقيم / وامتشقنــا السيوف » ! . ان الثورة عند ممدوح لا تتحقــق أبدا ، لـكنها تمضى فى دورات متتابعــات من الخدعة والخيــانة ، ولا يملك الشاعر الفرد الا أن يصرخ فيهم ،

لكن صراخه يضـــيع ويتبـــدد . فموج الجموع أقوى من الصوت أو مسهسات الدمــوع ، ويبقى كل شيء على حاله : في القصر يظل الـروم والفـرس والترك . والزنج غـارقون في جوعهـم ، والخليفة الموفق يحكم آمنا وسواد بغداد قد أدمن السكوت . ولا يبقى امام الشاعر الا ان يدين الـــزمن : « ليس هـــذا زمـان الجهاد / ولا أهله بالكماه / أنه زمن يستوى فيـه / حق الريـا بالشهادة » ! .

هذه قصيدة بالغة الدلالة على موقف الشاعر ، لكن من حقنـا أن نتساءل — وتاريخنا العربي حافل بالخيانة والخونة — الي اي حد يحق للشـاعر ان يلوي عنق حقيقة تاريخيـــة كي يدلل على صدق فكرته ؟ ، والحقيقة تقول — أيا كان المصـدر ، وســواء تعاطف مع ثورة الزنج او لعنها وأدانها — أن قائد هذه الثـورة ظل علي ثورته حتى قتـل ومثل به أشنع مثلة .

لكن ما حدث في ثورة الزنج — كما يتصوره ممدوح عدوان — يحدث دائما : القصيدة التـالية مباشرة «**هاجرت من عروبتها**» **هي قصيدة الشاعر والمدنية** ، **احب الشاعر** مدينتـه فأحبتـه ، فهو يواعدها وتكاتبه، يعاتبها وتداعبه، وتمد له أذرعتها يا سمينا ، كانت حضنه وملاذه ، لكنه جاء بالامس يبحث عنها فانكرها ، فتش عن الفقراء والثوار فيها لم يجدهم ، غامت الوجوه وغربت الـملامح ، وامتلأت جنبات المدينـة بالمبتين والطحالب ، كانت ملاذا فأضحت صفقة رابحة ووطنا ممعنـا في الهزيمة : « فقراء المدينة حين أزيحوا عن الارصفة / حشروا في قوافل تجارها / مدوا للسياط ليتسوا المجاعة في الاقبية / وعلى اللافتات اســتعيرت مجاعتهم للاضاءة والزخـرفة » . لـكنها ليست الوحيدة التى هاجرت من عروبتها ، هاجرت مدن اخـرى كذلك وتركت سكانها في المجازر وساد الظلام . هذه المدينة حين انكرت فتـــاها لـم يتعـرف على طرقاتها ، وهو ينتظر أن تصبح الحرب قتال شوارع كي يتعرف عليها من جديد .. وحتى حين حدث هذا .. ظل المقاتل يدور وحيدا في الحارات التي تنكره بحثا عن ركن يحميه .. فلا يجد.

آه .. انها سرقة ثورة الفقراء من جديد .. ولا أمل .

ان ممدوح عدوان — الذى جاء المدينة من جبال العلويين ، أفقر مناطق سوريا وأشـدها قسـوة وخشونة — يعرف الجوع جيدا ، يعرفه اذ يتقنع بقناع الصـيام وأكل بذار العام الجديد ، ويعرف الخوف اذ يتنكر في التقوى وحب الشجار ، ويعرف الذل اذ يتحول لقناعة ونكران الحياة ، لكنه حين جاء المدينة — حـاملا دم اهلـه ونحول القرى البعيدة — استبته المدينة ، امتصت ثورته ودجنته ، سلبت وجهه القديم ومنحته وجها جديدا : « وأنا في زمان الطوى جرقة غاضبة / وأنا في الملاهي ضجيج / وبين المقاهي ستار كلام / وبين النساء خؤون » ، هـذا الشاعر — الضائع بين الوجهين — يحاول أن يمسح وجهه الجديد دون جدوى ، فيتأبط حقده ويمضي مثل طفل بريء ، ولا يعود أمامه الا أن يبرر وجهه هذا الـجديد فيندفع لعبثية كاملة .. وما الذي سوف يبكيه ؟ : « بلادي التـى فقدت أم بلادي التي نضبت تحت أقدام الحفاة » ؟ ، وماذا لديه غير شعره — الذي لا يثق بجدواه فهو ليس أرغفة أو جنـــودا — « وبلادي طريق رصيفاه جوع / رصيف تسول لقمته من رصيف / والطريق بأيدي الغزاة رغيف » ، لهذا تاتى النهاية طبيعية تماما : « تلاقت عيون الاحبة / في غفلة من عيـون الحـذر / فانفجـرنا بكاء » ! .

يبدأ ممدوح بالرفض وينتهى الى يـأس كامل . يبـدأ برفض الواقـع . واقـع بلاده وواقـع الثوره العربية المحيطة دائما . المغدورة دائما ، ثوره الجياع التي تسرق وتخان، والجماهير مخدوعة بلا حول ، والبطل — الشاعر — الفرد وحده لا يقـوى الا على صراخ الرفض . هي تجربة واحده تتناولها المجموعـه من جوانب مختلفه ، ويتفتت الكل بين يديه الى أجزاء لا تعود لتلتئم من في بناء جديد . فيظل يدور ويدور دون أن يهيم ببناءه المتكامل . ومن ثم لا يستطيع ان يسيطر على تجربته الشعرية سيطرة كاملـة . اما قاموسه فمعظم مفرداته — ان لم نقل كلها — مستمد من التراث العربي ، الجاهلي والاسلامي : فالقرى والضيف والنار والسيوف والفسي والسهام والاضحيه والمزار والسبي والانتهـاك والرمـال والرمضـاء والـكماة والاراجيز وجموع القبائل والنخل والجراد والريح وارتطام الدفوف وصليل الســيوف والخيـل والفرســان والحسين وعلي ومعاويه والحجاج .. كلها عناصر مترددة في شعره ندر أن تخلو من بعضها صـفحة واحدة .

ممدوح عدوان شاعر رافض ، لكنه لا يقدم بديلا لرفضه سوى الرفض ذاته ولايبقى له — ولنا — الا أن ندير وجوهنا للحائط نبكي الثورة المغدورة ، ثم نلتفت للجمع ملقين في وجهه صيحات السباب والادانة ! .

●

رغم أن « **الجـوع والضـيف** » **ليست آخر مجموعـة صـدرت لمحمد عمران — اصدر تيلها «اغان**

على جدار جليدى » ، وبعدها «الدخول فى شعب بوان » — الا أننى أجدها أكثرها دلالة فى التعبير عن عالمه الشعرى ، وطريقته فى بناء قصائده ، وموقفه الفكرى على وجه العموم .

وواضح أن قصائد المجموعة كلها — وهى تضم ثلاث قصائد طويلة كل واحدة بدورها تضم عددا من القصائد الداخلية — كتبت بعد ٦٧ ، وأنها استجابة الشاعر لما حدث فى هذه السنة .

فى القصيدة الأولى يستلهم الشاعر تغريبة بنى هلال ، فيكتب «فاتحة للمراثى» ، ثم «التغريبة» كما يراها ، بعدها يقدم مرثيات للاميرذياب ، وأبى زيد ، والسلطان حسن ، ثم مرثية للايتام ونشيدا لهم وخاتمة .

يبدأ الشاعر بالفاجعة : « على أسوار تونس ألمح الاعناق / أسمع طائر الموت / يغنى فوق أجداثى نشيد النصر » .. تلك اذن هى الهزيمة ، ورغم الاعناق المقطوعة وطائر الموت والاجداث فثم أمل فى انتصار : « أقول : غدا تفرخ أغنيات أو أزاهيرا / واقطفها عصافيرا / وأورادا من الاطفال بيضاء / ترش ملاعب الموتى .»، هذا التقابل — منذ البداية — بين الموت والحياة ، أو فلنقل : انبثاق الحياة من جدث الموت هو الايقاع العام للقصيدة ، ثم يقدم الراوى صياغته الجديدة للتغريبة: لتونس سبية ، والفرسان يضربون فى الطريق اليها ، الخيل تزرع أرض الفتح بالصهيل ، والسيوف مشبوقة ، والفتى الزغبى فوق جواده جنى على صهوة من النار .. يقول الراوى : « بعدها عميت / لكننى رأيت فى مايشبه الخيال / تسعين رأسا من بنى هلال / علقها الزناتى / على الحراب فوق باب تونس الحزينة / وناجت المدينة / وسقطت براءة الحياة / وبعدها عميت » . جاء زمن المراثى . أهم المراثى — بعد ذلك — هى مرثية الامير دياب ، وهو يهمس للشاعر بسره : انه قتل بلا حرب ومات بلا سبب :« لم أدع للحرب / أرسلنى السلطان أرعى النوق والشياه / أحمى له ظعائن القبيلة / أبعدنى عن ساحة البطولة / كان يخاف غضبى ونصرى » ، ويكتسى دياب وجوه كل ضحايا السلطان قبل عصره ، فهو الطاعم على مائدة معاوية ليجد السم فى الدسم ، وحين يموت يجره الجند الى العراء ، وهو الحسين : رأسه يلهو به فارس الصيد والجوارى وجسده طريح فى كربلاء ، وهو ابن الزبير تتهدم فوق رأسه جدران الكعبة ، وهو صاحب الرأس التى أينعت — فحان قطافها — فى العراق ، وهو المضطهد بمصر فى عصر الحاكم ، يكتسى دياب كل هذه الوجوه ، ويستمد منها دلالته العامة فى القصيدة : أنه وجه كل المقهورين فى كل العصور ، هو الفارس الذى من قلب الشعب خرج : وتلاشى فى ضباب الموت صوت الفارس المطعون / لكن الصدى / ظل يمشى كبنى فى المدى : قال لى السحاب / ان يقتل الزناتى / غيرك يا دياب / وفى غد أعود للحياة / لاقتل الزناتى » . أما أبو زيد وسيفه الخرافى ، فليس سوى حكاية تحكى فى تثاؤب التكايا ، ملح أسطورة ذاب فى حرارة الشمس ، انه الاسطورة ، وهم البطل الفرد خارق البطولة ، يتكشف عجزه أمام عينى الشاعر : « ورأيت ، رأيت أبا زيد / ما بين اليقظة والاغفاء / تنينا يطلع من صدر الماء / يفتح شدقيه على الصحراء / وصرخت : أبا زيد اضرب / تنين البحر / أبا زيد / وصرخت / ولكن لا جدوى / فأبو زيد طفل يلعب / طفل من دمه يشرب » ، هكذا تتهاوى الاسطورة حين تشرق شمس الوعى بالحقيقة ! ، نشيد الايتام هو نشيد الضائعين ، نشيد الشعب المسحوق : « ونحن ايتام هذا العصر نلعنه / ندق اعناق آباء لنا سقطوا / نقول : يا ارضنا الثكلى ابصقى لهبا / عليهم / واحرقى أكفانهم ... » ، وتهيب الخاتمة بدياب أن ينهض من رقدته التى طالت كى ينقذ بنى هلال ، فقد بقى راقدا ينتظر المعجزة فى عصر خلا من المعجزات ، ينتظر اشارة تأتيه من المغارة بأن القائم المهدى الذى توارى منذ الف عام قد عاد الى الحياة . فليفجر هو المغارة اذن وليتقدم يقود الهلاليين ويحرر تونس السليبة .

تلك صياغة عمران الشعرية لما حدث فى ٦٧ والسبيل لتجاوزه : لقد هزم البطل الفرد وتلاشت الاسطورة ، والسبيل أن ينهض دياب — الفارس من قلب الشعب — يقود الهلاليين نحو تونس السليبة ، صحيح ان الزناتى قد انتصر ، وعلق الرؤوس على أسوار المدينة ، لكن الامل موجود فى هزيمته ، ان تخلى « الايتام » عن كل ميراث الاباء الذى يثقل ويحنى ، وكفوا عن أن يخلعوا أنفسهم على السلطان ، يصيرون أيدى تصفق له وتستجديه ، وأفواها تزغرد فى مواكبه الكاذبة .

فى المجموعة قصيدة أخرى طويلة هى « **الجوع والضيف** » ، القسم الاول « الجوع » تؤديه عدة أصوات ، تتمايز منها صوت امرأة وصوت للمجموعة فى بناء متصاعد . يقول الصوت الاول للضيف القادم ان خبزهم مر وعنقود دواليهم يتدلى ميت العنق فكيف يلقونهم ولا يبتلهم ، ويضيف صوت الثانى شارحا : « حين من

الغزاة / سرقوا بيتنا الصغير / سلبوا الخبز والجرار المليئة / والفراش الذى ننام عليه / سلبونا حتى السيوف الصدئة ، يقابل الصوت التالى هذين الصوتين ، فيتوجه بالخطاب لامرأة : « مدى لضيفك فى العراء فراشه / مدى له طبق المحبة / ضيفا لا يعتب / اسقيه مما نشرب » ، يجيبه صوت المرأة : « خمرتنا حامضة ورغيف مجتنا مر / والمالح المالح نشربه / ماذا نطعم ضيف الغبطة ؟ » ، وتجتمع الاصوات المفردة كلها فى صوت جماعى واحد : ان الضيف قد جاء بعد الاوان ، فلطالما توسلوا لمقدمه ووقفوا مترقبين خطاه .. ايام كان لهم نهار وبيادر . هذا المعنى تتناوله الاصوات المفردة من جديد فتقدم تنويعات عليه ، وتنتهى الى صوت يشملها جميعا : « يا منجل الشمس ، ويا محراتها اقتلعنا / لعل من رمادنا يطلع وجه العشب والسنابل الاصيلة » .

كل هذا تنويعات على معزوفة اليأس يوقعها الجوع ، ويبدأ الضيف حواره بأنه رسول فرح عظيم : « يا حزانى / يا متكين فى حدائق الدموع / الشمس لا تزوركم هنا ولا الربيع / ينزل أرض قولكم / طائر الغناء / يخنقه البكاء / انا رسول الفرح العظيم / أقول : خبز الظل مر / كوكب الدموع لا يضىء .. » ، يغنى رسول الفرح أغنياته فى حقول الحزن ، يزرع صوته فى غابات الموت الرمادية ، فيبشر باخضراره ، ويرفع جبهة القصب الذى مال وانكسر . لا ، ليس هذا فرحا ساذجا لكنه دعوة حارة للنهوض الى العمل والامل : « كان صوتى جديدا / وعلى جبهة الكآبة أبصرت / جبالا عنيدة وصخورا / قلت : هيا يا حبيبتى / فانفلقت / وخرجنا من الدموع الغريبة » !

يكتب محمد عمران قصائده فى تركيب درامى يضم أصواتا متعددة ، تتمايز من بينها أصوات الجموع والاصوات المفردة ، ومن تقابل الاصوات تتقدم الحركة فى القصيدة ، وموسيقاه سهلة بسيطة ، وهو - من الناحية الاخرى - يغنى أحزان أمته وهزائمها لكنه لا يمضى للرفض الكامل ، بل يعى الهزيمة ويدعو الى تخطيها ، بالامل والنهوض الى العمل من جديد .

لا أعرف ان كان عمران جرب المسرح الشعرى أم لا .. لكننى أعتقد أنه لو حاول لكسبنا شاعرا مسرحيا ذا صوت فريد ومتميز .

●

يبدأ على كنعان مجموعته الوحيدة «انهار من زبد» بالوقوف على أطلال ماضى مندثر ، كنا فيه - نحن العرب - اقوياء سعداء ، لكن سد مأرب قد انهار ، ولا زلنا تحته الى الان نعانى غصص السيل . تلك أولى قصائد المجموعة - يؤرخها الشاعر فى ١٩٦٤ - لكنها تلقى ظلالا قوية على المجموعة كلها . وهى تضم قصائد كتبها الشاعر فيما بين ١٩٦٢ و ١٩٦٨ ، فى بعض قصائده الاولى نراه معذبا بالشعر وخيانة الشعراء : « كتبت أغانى يوما / على عمودى رخام / وبعتها للخليفة / كما باع طفل السماء يهوذا / وكنت حريصا على المترفات الحرام / اداجى وأخنق فى داخلى صوت بوذا / وشعبى يحز العروق ليجنى رغيفه / وكانت حروفى من الليف حبلا طويلا / يشد على عنق الشعب نير الخليفة » ، وهو فى بعضها الاخر معذب بموت دمشق فى تناقضها بين الاغنياء والفقراء : « دمشق تموت من ترف .. ولا تدرى فأبكيها بما اكتنزت من الاحزان أعماقى » .

وربما كانت أهم قصائد المجموعة ما كتبها الشاعر بعد ٦٧ ، وجميعها تحت عنوان واحد هو « وليمة أخرى للذباب » ، ولعل اهم هذه القصائد كذلك قصيدته الطويلة « أسطورة الاعور الدجال » . ان على كنعان لم يكن راضيا عن شىء فى وطنه او جيله او نفسه قبل الهزيمة ، أما وقد حدثت فان هذه القصيدة تلخيص لموقفه من كل شىء ، وسنتبين فيها - على الفور - كثيرا من السمات التى سادت الشعر العربى بعد يونيو .

يبدأ الشاعر بأن يلقى لعنته فى وجه العصر ، فأمه قد أخبرته بأنه فى هذا العصر يولد الاعور الدجال ، ووصفت ملامحه : له قرنان او اكثر ، وفك كالطاحون ، عين بجبهته واخرى فوق نقرته ، وجه مغولى وجلد كالحرباء ومنقار كذيل الكلب .. ولانه فى هذا العصر يولد : « العن هذا العصر / العن نفسى مثلما العن هذا العصر / لاننى ولدت فيه / لاننى قبلت أن أعيش فيه / لاننى قبلت أن أعيش فيه / كالشاهد الجبان / لم أستطع تبديل شىء فيه » ، ومن اللعنة ينتقل الشاعر الى الرثاء والبكاء : « يا وطن الانسان والحضارة / أبكيك يا مستسلما كرقعة الشطرنج / بين يدى مشعوذ خصى / وعانس بغى » ، ومن التعميم الى التخصيص ، فالاشارة الى التناقض الطبقى من قبل تصبح الان سببا من أسباب الهزيمة : « العن هذا العصر / مادام فيه السمك الكبير / يلتهم الصغير / وساكنوا الابراج والسطوح / يرمون قاذوراتهم على أهالى الاقبية » ، ذلك سبب من أسباب الهزيمة ، السبب الثانى هو سيادة انظمة البوليس والقهر :

« فحينما تزمع الاختباء أو تحاول الفرار / تصطادك الاشجار ، تفشي سرك الحجارة / فلا حدود تنتظم الحياة ، لا أعراف ، لا قيم » ، وسبب ثالث : ان الجميع يتلهون بالكلمات والدجل : « فبالكلام وحده يبنون ، يهدمون ، يحصدون ، يزرعون / ويدفعون الشر عن بيوتهم وأرضهم وعرضهم .. بأعنف الكلام ... فالكلمات اصبحت غواية الصغار والكبار / . وحرفة الكبار والصغار » ، ثم يكر الشاعر راجعا الى صورة العصر الذهبى كما يتصوره : « أدرى لماذا تكره الحرب نساء روما / فهن لا يطقن أن تجرد السيوف من غمدها / فى العالم الأخر – بالنخوة الصحراء ! – كم تختلف الصورة / تكفى صبايا الايامى ليلة الزفاف » ، بعد أن يسوق الشاعر هذه الاسباب جميعا يقدم لنا تصوره كيف حدثت الهزيمة : « كنا نخوض فى دروب الفتح نحو الجلجلة / لكننا لم نصل القمة / ولابقينا فى حنايا السفح / فقد تهاوت صخرة أعتى من القدر / حطت بنا فى أسفل الحضيض / وحفرت جباهنا سنابك التتر » .. المقاطع التالية تنويعات تثرى الافكار الاساسية فى القصيدة ، حتى نصل مقطعها الاخير الذى يرسم فيه الشاعر سبيل الخلاص وقتل الاعور الدجال . يقول : « هربت تحت الليل من مدينة الزجاج والوحام والزبد / أوغلت مثل الشاعر الصعلوك فى متعرجات البادية / ومثلما تبارك الاطفال أمهاتهم / بالادعيات البيض والريحان والقبل / باركت هذا العصر / اذكر : أمى من قبل باركت هذا العصر / وحدثنى أن فيه الاعور الدجال / يقتل مهزوما بأيدى فتية من الحقول » .. هذا هو السبيل اذن : لا حل الا ان خرج فتية الحقول للقضاء على الاعور الدجال ، بعبارة أخرى : هى حرب التحرير يلعب فيها الفلاحون الدور الاكبر .

هذه رؤية على كنعان للهزيمة ، ووسيلته للخلاص منها ، تؤكدها ما تبقى من قصائد هذا الجزء ، فالقصيدة التالية « **النعامة والصقور** » عن الفدائيين ، صحيح ان الشاعر يستسلم لهذا الوهم الساحر الذى أعقب الهزيمة ، والذى يقوم على تمجيد الفدائى والاستخذاء أمامه ، تعويضا عن العجز ورغبة فى الخلاص من الشعور بالاثم : « كان الله سواكم – وخلانا سدى – من طينة أخرى / فنحن نزخرف الكلمات ننحتها / ونسرح فى مداها الخصب حتى الصبح / ذبابا جائعا يمتص زيت جراحكم ليلون الكلمات » ، وصحيح أيضا أن كلمات الشاعر تشى بتصور دينى أو عنصرى للصراع ضد اسرائيل : « خيول الفاتحين البرص ترتع فى مساجدنا .. / – محمد يامحمد يامحمد لو رأيت القدس / تحت نعالهم والمهد والصخرة » .. لكن الصحيح كذلك أن الشاعر لا يجعل للخلاص غير سبيل واحد : انه جسر الدم ، سبق اليه فدائيو «فتح» ، والباقون وراءهم على الطريق .

على كنعان شاعر خفيض الصوت ، هادىء الرفض ، تختلط فى شعره صورة العصر الذهبى القديم بالدعوة لحرب الشعب ، يرسم صوره بأناة وتمهل ، وتتردد فى قاموسه مفردات التراث العربى الى جانب أسطورة « أوليس » التى يولع بها ولعا خاصا .

ولعله فى قصائده الاخيرة قد تجاوز الكثير من قصائد هذه المجموعة التى نشرت قبل خمس سنوات كاملة .

●

وليست هذه كل الاصوات الشعرية فى سوريا .. ثمة – من جيل الرواد فى الشعر الحديث – **شوقى بغدادى وعلى الجندى** ، ومن هذا الجيل **فايز خضور** ، كما أن هناك شاعرين متميزين أخذا يشقان طريقهما ويتضح لكل صوته الخاص ، **نزيه أبو عفش** [ومجموعته **حوارية الموت والنخيل**] **واحمد دحبور** [ومجموعته **طائر الوحدات** وقصائده بعدها] ، وان كان هذا الاخير ينتمى لشعر المقاومة الفلسطينى ويعتبر خطوة متقدمة بالنسبة لكثيرين من شعرائه .

●

أما بالنسبة للمسرح ، فلاشك فى ان اعمال سعد الله ونوس هى أهم التجارب فى المسرح السورى على الاطلاق ، ولازلنا نذكر كيف كانت مسرحيته الطويلة الاولى « **حفلة سمر من أجل ٥ حزيران** » تفجيرا مسرحيا أحدث دويه فى أعقاب الهزيمة – وما أكثر ما كتب عن حفلة السمر وصاحبها ! – ، بعدها كانت مسرحيته « مغامرة رأس المملوك جابر » التى تخلص فيها من كثير مما شاب مسرحيته الاولى – التى كانت لمعات الفرح بكشف الحقيقة تختلط فيها بنزف الجرح الدامى – ، واقترب أكثر واكثر من دعوته التى أطلقها « **لتسييس المسرح** » مجددا ما يعنيه بوضوح : « انه حوار بين مساحتين : الاولى هى العرض المسرحى الذى تقدمه جماعة تريد أن تتواصل مع الجمهور وتحاوره ، والثانية هى جمهور الصالة الذى تنعكس فيه كل ظواهر الواقع ومشكلاته » .. وحتى الان لايزال هذا الحوار صعبا ، فمن جهة ، هناك التقاليد المسرحية المبنية على

الغاء مثل هذا الحوار أو اقامته بصورة غير مباشرة وضمنية ، وهناك ايضا - وهذا اهم - طبيعة المتفرجين أنفسهم ، ولهذا فاننا نقوم بتجربة بعض الوسائل المصطنعة لتقديم مثل على امكانية هذا الحوار ... ، ومن المؤكد أن هذه الوسائل ليست كافية وحدها ، وقد تتحول الى مجرد مسالة شكلية في التكنيك المسرحي ما لم يتوفر الامر الاهم والاساسي في اثارة الحوار وتشجيعه ، أعني أن تتوفر في العرض المسرحي - المساحة الاولى - الشروط اللازمة لاثارة الحوار ، كارتباط الموضوع بحياة المتفرج ومشاكله ، ونوع المعالجة وشكلها ... ، انني أحلم بمسرح تمتلىء فيه المساحتان ، عرض تشترك فيه الصالة عبر حوار مرتجل وغني يؤدي في النهاية الى هذا الاحساس العميق بجماعيتنا وبطبيعة قدرنا ووحدته ... » .

هذا ما كتبه سعد في تقديمه لمسرحيته « رأس المملوك » ، وكانت المسرحية نفسها - من حيث هي نص - محاولة لتجسيد فكرته تلك ، على أن اخراجها - الذي قام به الكاتب نفسه - أجهض كثيراً من امكانياتها ، ولازال هذا النص الثمين ينتظر المخرج القادر على تفجير امكانياته جميعا .

لكنني سأكتفي هنا بعرض مسرحيته الاخيرة « **سهرة مع أبي خليل القباني** » التي نشر نصها في ١٩٧٣ ، ورأيت عرضا لها من اخراج أسعد فضة على خشبة المسرح القومي ، ويقول سعد في تقديمها انها « **محاولة لبعث التراث وفهمه** » ، وسنرى كيف رجع سعد لهذا التراث وكيف قدمه .

فنحن نعرف أن أبا خليل القباني **بدأ** مسرحه في دمشق في ١٨٦٥ بعد فشل مسرح مارون النقاش في بيروت ، اعد القباني مسرحية ودرب عليها عددا من اصدقائه وقدمها أمامهم فلقيت نجاحا ساعده على مواصلة العمل ، ولكني .. هل تتقبل دمشق هذه البدعة الجديدة ؟ من الثابت أن الرجعية المحلية حاربت القباني حربا لا هوادة فيها . وأفلحت في أن تنقل مسعاها الى الاستانة ، حيث نجح الشيخ سعيد الغبرا - أحد شيوخ دمشق وألد أعداء القباني - في أن يستصدر أمر الخليفة باغلاق مسرح القباني ، فترك دمشق الى القاهرة ليبدأ المرحلة الثانية من مسرحه ، التي استمرت الى حوالي سنة ١٩٠٠ حين احترق المسرح الذي كان يعمل عليه ، فرجع الى دمشق يقضي أيامه الاخيرة فقيرا حزينا يطارده عبث الصبية وأغنياتهم الساخرة .

هذه هي التجربة التي اختارها سعدالله ونوس لمسرحيته ، وحاول من خلال عرضه لها : أولا : أن يحقق دعوته في « تسييس المسرح » عن طريق الحوار بين المساحتين ، ثانيا : أن يجيب على السؤال : لماذا أغلق مسرح القباني في دمشق ، أو بالاحرى : لماذا عملت قوى الرجعية على اغلاقه . لدينا اذن ثلاثة مساحات متداخلة : القباني والعصر والجمهور . أما القباني فان المسرحية تقدمه لنا فنانا مؤمنا بأهمية المسرح في ترقية النفوس والاذواق ، والحث على الفضيلة ومكارم الاخلاق ، مضحيا في سبيل هذا الفن الجديد الذي آمن به بما يملك ، واثقا من انتصاره الحتمي في النهاية . يقول لاحد أصحابه العاملين معه : « كيف تريد أن يقدر الناس فنا لم يعرفوه من قبل ولم يلمسوا منافعه ؟ ذلك مستحيل .. أما اذا واصلنا العمل فسيتبدل الحال ، ويصبح « للكوميضة » مكان مرموق في هذه البلاد ، البداية دائما صعبة ، سنتحمل الكثير من الصعاب ، ولن ننجو احيانا من سخرية الجهال ، ولكن شيئا فشيئا ستراهم يهتمون بالتشخيص ويتعودون الفرجة عليه ... » . ويأتي أحد الولاة الى الشام فيعجب بما عمل القباني ويبادر الى تشجيعه ، ويرى القباني أن الفرصة مواتية كي يخرج بمسرحياته من نطاق الاهل والاصحاب ويقدمها على « مرسح » عمومي ، فيعمد الى تأجير مكان مناسب وتحديد رسم للدخول . يقول المنادي معلقا : « هذه الانباء كان يتناقلها الناس بسرعة ، وتختلط بشؤونهم ، وتنمي الحركة التي أخذت تشملهم ، في ذلك الوقت كانت تختمر في دمشق تحت قشرة السكون تيارات جديدة » .

وكان البنيان الثابت القديم يهتز مع نبضات هذا الجديد الذي يولد .. بدأ الصراع ولن يتوقف ، يظهر في التغيرات اليومية ، وتكشفه أحاديث الناس في بيوتهم ومفاهيمهم ، وصراع الولادة يبدأ عرضا بسيطا لكنه سرعان ما يتحول عنيفا وشرسا .. » ، انما لهذا ينقسم المسرح الى ثلاثة أقسام : المقهى ، حيث سنرى ملامح هذا الجديد الذي يولد من خلال الحوار والفعل ، لا يفوت المسرحي الذكي أن يجعله الى يسار المسرح ، وحلقة الشيخ سعيد الغبرا ورجاله من « الزكرتية » - أو من نسميهم نحن « الزكيرة » - الى اليمين ، وبينهما بقعة يقف فيها القباني . ويأتي أبو أحمد - صاحب كراكوز [الاراجوز] - الى حلقة الشيخ سعيد يشكو له ما حاق بالبلاد نتيجة فعل القباني ، في المشهد التالي نرى الشيخ سعيد يحاور القباني ويرهبه ، فلا يجد منه الا اصرارا على المضي في عمله فيتوعده ويمضي ، فالقباني

معتمد على تأييد الوالي .. ولكن على أي وال كان يعتمد القباني:

« **الممثل : في ذلك العصر لم يكن يسخن الكرسي تحت الباشا الوالي**

الممثلة : فرمان بالعزل فرمان بالتعيين ، وأهل الشام لا يكادون يحفظون اسم الوالي الجديد حتى يصدر فرمان بنسيانه والتدرب على اسم جديد .

الممثل : ولا نعرف الكثير عن هؤلاء الولاة ، يصفون واحداً بأنه سمين ، والاخر بأنه قصير ، والثالث بأن له أنفا كالبرتقالة ، وتفاصيل صغيرة من هذا القبيل ..

الممثلة : لكن ما يتفق عليه الجميع هو أن أحوال الشام كانت تنحدر من سوء الى سوء . »

ذلك كان عصر تفسخ الدولة العلية ، دخولها الحرب ضد روسيا وهزيمتها ، بزوغ القومية العربية في الولايات التي تحكمها تركيا ، وسيادة السخط والتململ والدعوة للاستقلال ، تهيؤ الدول الاوربية للانقضاض على تركة « الرجل المريض » ، اعلان الدستور ثم ايقافه . في هذا العصر المضطرب كان القباني يحاول أن يقيم مسرحه . جاء الى الشام مدحت باشا — ابو الدستور — واليا فدعم القباني ومد له يد العون ، ولكن سرعان ما ابعد مدحت باشا ، ورجع القباني يواجه حرب الرجعية وحده .

أما السبب الحقيقي الذي تقدمه المسرحية لهذه الحرب الشعواء التي شنتها الرجعية ضد القباني ومسرحه ، فيمكن أن نجده في هذا الحوار يدور بين الشيخ سعيد وأحد أنصاره :

« **الشيخ سعيد : انهم اذا تجرأوا الان وشخصوا هرون الرشيد ، فما الذي يمنعهم بعدئذ من تشخيص كل الخلفاء والصحابة ، والذين تقوم على الخشبة منهم والاقتداء بهم دعائم الدين ..**

الشيخ الاخر : يا لطيف ..

الشيخ سعيد : وما أدراك .. لماذا لا ننظر الى ابعد .. فبعد فترة لن يتورعوا عن تشخيص أعيان دمشق وعلمائها والسادة فيها .. يصورونهم أشخاصا عاديين حتى يفقدوهم ما ينبغي لهم من الاحترام ، ويقللون منزلتهم وشأنهم في عيون العامة من الناس ، عندئذ تنهدم طبقات المجتمع فلا تعلو منزلة على منزلة ، ولا قدر على قدر ، ويتطاول أي رجل من سواد الناس فيقيس نفسه بواحد من الاعيان أو العلماء ، المراتب والقواعد والحدود كلها تنهار .. هذه البدعة يمكن أن تخرب مجتمعا بأكمله .. »

نعم . هذا هو السبب الحقيقي وراء كل الدعاوى الاخلاقية والمزاعم الدينية؛ان «التشخيص» اجتراء على الحدود القائمة بين الطبقات ، ومحاولة لانزال السادة من عليائهم بتقديمهم على خشبات « المراسح » ، لهذا نجح سعيد الغبرا في جمع توقيعات اعيان الشام وعلمائها وتوجه بها للآستانة حيث نجح في أن يستصدر أمر السلطان عبد الحميد باغلاق المسرح .. واحراقه !

هذا ما كان من أمر القباني وعصره وجمهوره ، وقد استطاع سعدالله أن يمزج بين مسرحية من مسرحيات القباني القديمة — « هارون الرشيد مع غانم بن ايوب وقوت القلوب » ، لم يغير من لغتها واحداثها شيئا كبيرا — وبين وقائع القباني وعصره ، قد تحس — مثلي — بأن الحيز الذي تشغله المسرحية القديمة من النص اكبر مما ينبغي ، لكن الكاتب كان حريصا على ان يقدم لمتفرج اليوم صورة مما كان يستمتع به متفرج الامس ، وهذا الجزء بالذات يحظى منه بعناية كبيرة في التقديم ، فيقول عنه : « كان في هذه العروض التي بدأت تخض سكون الحياة تغريب فطري ، وكان شعور بالتآلف يطفى على تلك الليالي التي يتجمع فيها الناس امام عدد من المشخصين يتفرجون عليهم ، ويقاطعونهم ، ويعلقون على اقوالهم دون حرج او ارتباك ... ويمكن تمييز بعض عناصر التغريب في الديكورات الفجة التي تتصور المشهد بدلا من ان تبنيه طبعا للواقع ، وفي التشخيص الذي يقوم على المبالغة محافظا في كل لحظة على طبيعته كـ [تشخيص] لا كتقمص أو تمثيل اضافة الى الغناء والرقص اللذين يقطعان الاحداث ، ويخففان التوتر بحيث تشيع البهجة ... »

مرة أخرى .. ان « سهرة مع ابي خليل القباني » محاولة جديدة لبعث حوار بين مساحتي المسرح ، وبين عصرين من عصور المسرح كذلك .

ولا زلنا ننتظر من سعد الله ونوس مسرحيته التي وعد بها ؛ التي تتوفر فيها المزاوجة بين اعمق تحليل ممكن للاحداث ، واكبر قدر من الحفز والاثارة في الوقت نفسه .. على انتظارنا لا يطول ! .

●

ومن اهم التجارب في الكتابة المسرحية في دمشق كذلك ما تقدمه **مصطفى الحلاج** — الاقتصادي والوزير السابق — في عمليه : « **احتفال ليلي خاص بدرسدن** » ثم « **الدراويش يبحثون عن الحقيقة** » ، وسنعرض لهذه الاخيرة نموذجا لما يقدمه الحلاج [قدمها المسرح القومي السوري في موسم ١٩٧٣/٧٢ من اخراج علي عقلة عرسان] .

درويش يقبض عليه ، ويلقى به فى الزنزانة لسبب لا يعرفه ، وهو يقول للحـارس ــ الذى سرعان ما صادفه ــ « لا تظن بى الحماقة اذا قلت الحقيقة فى كلمتين . فأنا لا أدرى لماذا جاءوا بى هنا .. » ، لكن الحقيقة أن ثمة « درويشا » آخر كان مشتركا فى مؤامرة ضد النظام القائم ، مؤامرة لا يجعلنا الكاتب فى شك حول طبيعتها : هى مؤامرة ثورية يسارية تريد ان تقلب العالم رأسا على عقب ، وتريـد أن تطيح بالحكم ، فتجعل العبيد مكان السادة والسادة مكان العبيد .

درويش الاول معلم ، قضى عمره لا يهتم بالسياسـة .. « البداية أنى كنت انسانا مسكينا مسالما لا أعرف أنلى شأنا خارج نفسى ، كان العالم من حولى مكانا أعيش فيه فحسب ، كنت أحب العالم لكنه لم يكن يعنى بالنسبة لى أكثر من مكان أعيش فيه .. لم أحمله همومى ولم أحمل همومه .. كان هو يسير على هواه وكنت أنا أسير على هـواى .. قطرة فى بحر .. وضلت لباسى على ما أهوى .. العالم مكان كبير ياسيدى ملىء بالتناقضات محشـو حتى أنفه بالهموم والمتاعب . انا حشوت نفسى بمباهجى ومتاعبى .. لو حدث حادث وقصم ظهر العالم ما حفلت به .. » ، هكذا كان درويش يعيش ، لكنه تحت وطأة التعذيب فى « المستودع » قرر أن يتخلى لهم عن ذاته الحقيقية وأن يصبح «درويشا» الاخر الذى يريدونه : التاجر المشـترك فى المؤامرة : سيتخلى اذن عن أطفاله الاربعة ويتبنى أطفال الاخر ، ويتخلى عن زوجته ليصبح زوج الاخرى .. هكذا قرر درويش ..

فى المشهد الثانى ، وبعد وجبة من وجبات التعذيب ، يأتى الى درويش طيف امرأته يناديه ويطلب منه أن يعود ، وحين يهم بالعودة يناديه طيف آخر : انه زوجة الاخر ، تناديه بأن يبقى ، وأن يحمل قدره الذى اختير له .. بين الطيفين يتمزق درويش ، بين زينة الحقيقة القديمة ، زوجه وام اطفـاله ، صـبيحة الحقيقـة الجديدة او الرسالة التى القيت على عاتقه منذ قرر أن يصبح « هو » :

لكى درويش لا يبقى فى حيرته طويلا ، ان العالم ليس وسخا علق بثوبه ، لكنه فى قلبه .. وهكذا يختار صبيحة ، فتصبح عيناه من رصاص وصدره من فولاذ ، وينكره ابناؤه فلا يتعرفون عليه .

وفى المحكمة يقرر درويش أن يقول كل شىء .. انه يقول للقاضى حين يلـوح فى وجهـه بملف اعترافاته : ان أحد هذين مزور وغير حقيقى : فاما أن الملف مزور ، واما أن درويش نفسه مزور ، ان درويش يعترف بأنه مذنب ، ولكنه مذنب على نحـو يفهمه هو ، ولا يريد القـاضى والمحققـون أن يفهموه .. انه مذنب ، وحقيقـة ذنبـه براءته وليس تمرده على السـلطة ، ان درويش قد وعى الحقيقة ولن يتخلى عنها رغم أن القاضى يحكم عليه بالموت . لانه عرف ، وتنتهى مسرحية الحلاج ودرويش يخاطب شـمس الحقيقـة : « يا شـمس الحقيقة .. ما جدوى أن تتقدى فى قلبى وتتوهجى فى عينى ؟ تعرفين يقينا يا شمس الحقيقة أن واحدا لا يكفى .. العالم مكان واسع رحيب . وستبقين يا شمس الحقيقة .. متألقة ، متــلألئة بالانوار . ما ترتفع غماوة الغفلة عن عين الا رأتك ... ولو تبصرك جميع عيون البشر فلن يذهب قتلى عبثا .. » .

الحقيقـة التى يبحث عنهـا درويش ــ أو دراويش ــ مصطفى الحلاج حقيقة مركبة : فهى تشى مرة بوجهها الطبقى ، واخـرى بوجهها القومى ، وثالثة بوجهها الانسانى الشامل ، تتداخل الوجوه الثلاثة أو تتخارج ، يتميز أحدها حينا ثم يطغى عليه الاخر .. لكن الحقيقة الباقية وراء كل الوجوه هى أننا نعيش فى عالم لا تستطيع فيه اللا مبالاة .. ان الشر يقتحم أمنك ، وسترغم على أن تكون غيرك . واذا كان الامر كذلك .. فلم يعد باقيا الا الانتماء .

وهذا ما يبحث عنه دراويش الحلاج ! .

●

مرة ثالثة .. ليست هذه كل الاسماء فى الكتابة المسرحية ، ثمة محاولات لوليد اخلاصى ورياض عصمت وممدوح عـدوان وعلى عرسان وغيرهم ..

●

فى هذا التحقيق كله كان هدفى الـقديم لا التقييم ، رأيت شيئا وفاتتنى أشياء . لست أطمع فى أجر من اجتهد فأصاب . يكفينى اجر من اجتهد فأخطأ . عذرى أن أيامى كانت قصـيرة فى أرض الحور والياسمين [١] .

---

[١] أود أن أشير لان هذا التحقيق لم يشر لكتاب وشعراء سوريين هجروا دمشق ، ليعيشوا ويعملوا ويبدعوا فى عواصم اخرى .. أخص بالذكر فى أدونيس ونزار قبانى وغادة السمان ومحمد الماغوط ومطاع صفدى .

● الفن التشكيلي ●

من « شارع الهرم » الى « جاليرى ٦٨ »

لمن تدق الأجراس ؟

عز الدين نجيب

قد تخرج النظرة العابرة الى الحركة التشكيلية فى مصر بانطباع عام ، مؤداه أن جميع الاتجاهات الفنية تتعايش وتحظى بدرجة متساوية من اهتمام الدولة وتشجيعها ، دون محاولة لفرض أحدها على الحركة الفنية والذوق العام . الا أن المتابع المدقق لمسار تلك الحركة لن يجد مشقة كبيرة فى اكتشاف اتجاه أو آخر تتبناه الدولة وتشجعه من حين الى حين ، تبعا لتغير الظروف والاحوال .

● فلو عدنا مثلا الى الفترة من أواخر الخمسينات حتى أواسط الستينات ، لوجدنا أن الاتجاه الذى كان يحظى بالتشجيع أكثر من غيره هو الاتجاه الواقعى ، الذى يرى للفن دورا ايجابيا فى الحياة ، كانعكاس للظروف الاجتماعية والسياسية التى سادت تلك الحقبة . قد يرقى هذا الاتجاه فيصل الى مستوى عال من النضوج ، مستفيدا من تراث الفن العالمى قديمه وحديثه ، وقد يهبط فيصل الى الاكاديمية الجامدة ، تبعا لدرجة موهبة وخبرة كل فنان .. وهكذا برزت فى تلك الحقبة أعمال عالية المستوى مثل أعمال « **السجينى** » و « **الجزار** » و « **عبد الكريم** »

و « ندا » و « جاذبية سرى » و « حسن سليمان » و « البهجورى » و « عويس ». فى نفس الوقت الذى تربعت فيه أعمال أكاديمية جامدة على جدران بعض المرافق والمبانى الحكومية مثل محطات السكك الحديدية ومجمع المحاكم وسنترال العتبة ، لفنانين من أساتذة كلية الفنون الجميلة مثل « حسنى البنانى » و « عبد العزيز درويش » و « أمين صبح » .. والجميع تحت مظلة الواقعية !

● وفى الفترة التى أعقبت نكسة ٦٧ والى ما بعد حرب ٧٣ ، كان الاتجاه الذى يحظى بالرعاية الرسمية أكثر من غيره هو الاتجاه الزخرفى ، الذى يجعل من محاكاة بعض وحدات التراث الفنى فى حضارتنا القديمة ذريعة لخلق مدرسة تجريدية قومية ، مبتعدا بشدة عن الواقع وقضاياه ، فكأنه يهرب من مرارته ، محتميا بقوقعة التراث والقومية ، غير مهتم باشباع الجمهور المحلى ، بقدر اهتمامه باشباع العين الاجنبية ، محاولا تقديم وجبة فنية أفضل قليلا من وجبات خان الخليلى التقليدية . وهكذا اكتظت قاعات المعارض وقوائم المقتنيات المتحفية ومراسم الفنانين بوكالة الغورى وقصر المسافرخانة والاجنحة التى تمثل فننا فى المحافل الدولية ، اكتظت بأعمال جعلت كل مجالات بحثها بعض الوحدات الزخرفية ـ شعبية أو اسلامية ـ او حروف الكتابة العربية ، أو مشخصات طريفة تحاكي عرائس المولد او شخصيات الملاحم الشعبية ، أو موتيفات فرعونية او قبطية .. باختصار : مصر من عين السائح الغربى . وبرزت فى هذا الاتجاه عشرات الاسماء مثل : « رمزى مصطفى » و « عمر النجدى » و « عبد الوهاب مرسى » و « رفعت أحمد » و « صالح رضا » و « أحمد سليم » و « جمال محمود » .. ولان هذا الاتجاه اكثر ارضاء للسائح فقد حقق بعض رواده ثروات من بيع اعمالهم ، وتحولت بعض مراسم المسافر خانة ، مثلا ، الى أماكن للصفقات التجارية اكثر منها مراسم للانتاج والبحث .

● وبعد حرب ٧٣ ، جرت محاولة فوقية لغرس اتجاه فنى يستلهم انتصارات أكتوبر والعبور ، عن طريق اقامة المسابقات الموضوعية ، لكنها لم تسفر عن نتيجة مشرفة . واعترف حتى أعضاء لجان التحكيم فى تلك المسابقات بضعف مستوى الاعمال المقدمة وافتعالها . ولم يتردد صدى لذلك الاتجاه فى المعارض التى تلت ذلك .

ولعل اعطاء جائزة الدولة التشجيعية فى النحت لعام ٧٤ الى الفنان الدكتور رمزى مصطفى على تمثال يمثل العبور ، لا يخلو من دلالة ، الا أن سوء حظ الدكتور رمزى قيض له من اكتشف انه « اقتبس » فكرة التمثال من فنان ايطالى ، ونشر الموضوع مع الصور المقارنة وأحدث فضيحة مدوية ، حتى أن استاذا فى علم الجمال تقدم ببلاغ الى النيابة ضد الفنان ، الذى يتمتع بعضوية لجنة الفنون التشكيلية على مستوى وزارة الثقافة . لكن بدلا من أن يسحب المجلس الاعلى الجائزة منه ، أعطاها له على عمل آخر لا يمت بصلة الى موضوع العمل « المقتبس » !

● وتحمل الفترة الراهنة بوادر اتجاه فنى جديد ، او ان شئنا الدقة : احياء اتجاه فنى قديم ، ولدينا مثالان صريحان على هذا الاتجاه : الاول هو عملية تجميل شارع الهرم ، والثانى هو معرض الربيع الرابع عشر .

فحين تقرر اعادة تخطيط شارع الهرم وتجميله ، ليكون لائقا بطريق يؤدى الى أعرق آثار البشرية وفخر حضارة مصر : الاهرام ، عهد بعض المسئولين بهذه العملية الى فنان واحد هو : « النحات والخزاف فتحى محمود » ، دون طرحها فى مسابقة عامة على الفنانين . وربما كان أسلوب هذا الفنان يرضى ذوق هؤلاء المسئولين بصفة شخصية ، لكن كان المتصور الا يكون الذوق الشخصى معيارا أساسيا فى أمر يتعلق بمسألة قومية ، تمس هيبة تاريخنا الحضارى ووضع بلادنا الفنى ومستقبل ذوقنا الشعبى ، وأخيرا مستقبل السياحة فى هذه المنطقة الفريدة من العالم . فماذا انتجت لنا قريحة الفنان ؟

لقد أنتجت لنا وحدة زخرفية هزيلة لتتكرر بشكل نمطى رتيب على امتداد طريق الاهرام ، وحدة مكونة من الأسياخ الحديدية النحيلة التى تشكل سياجا يفصل جانبى الطريق ، ومن قطع بلاط القيشانى الهشة ، ونباتات تكون شكل الاهرام الثلاثة بصورة ساذجة ، ولمبات كهربائية تتخلل هذا كله .. وحدة ان كانت تصلح لشيء فهى بالكاد تصلح لتزيين مدخل احد الملاهى الليلية المنتشرة فى هذا الشارع ! وليس لطريق يؤدى الى احدى عجائب الدنيا السبع ذات الاربعة آلاف عام . ولم تكن عراقة التاريخ ومهابة المعمار الجرانيتى الخالد هى كل ما غاب عن قريحة الفنان ! بل غاب عنه عنصر من أهم عناصر العمل الفنى ! وهو

يمثلون ذلك الاتجاه ، فى النحت والتصوير والحفر .

■ فى النحت عرضت عشرة أعمال للمثال **الدكتور عبد القادر مختار** ، معظمها بورتريهات لسيدات وسادة ارستقراطيين ، كل قيمتها هى المحاكاة السطحية الدقيقة للاصل ، الى حد ان الفنان دهنها بألوان طبيعية زاهية وكأنه يريد أن يجعلها « تنطق » .. لكنها بدلا من ان تنطق راحت تلمع بلزوجة وتكلف مثل « مانيكان » الملابس فى المحلات التجارية !

● وفى التصوير كان ضيفا الشرف همـا الفنانان **حسنى البنانى وصبرى راغب** ...

أما حسنى البنانى ، فمع احترامى لكونه استاذا قديما فى كلية الفنون الجميلة ، الا أن كل لوحة من لوحاته الـ ٢٢ المعروضة نموذج مثالي للفن السياحى والتجارى . على حساب أى قيمة فنية أو موضوعيه .. لقد جعل من الحياة الريفيـة والاحياء الشعبية القديمةموضوعه الاساسى ، لكنه زيفها الى حد يجعلك تشعر بأنك فى ريف سويسرا ، ولا ينقصك الا أن تغنى مع الاغنية القديمة « ماحلاها عيشة الفلاح ! » . لكنك تتساءل فى حيرة : من اين جاء بهذه الالوان الوردية والخضراء « المزهزهة » التى طلى بهـا اكواخ الفلاحين الطينيـة المتداعية حتى تحولت الى شاليهات هائمة على الروابى الخضر ، وطلى بها اجسام النسوة والحيوانات العجفاء فصارت شهية « مربربة » يسيل لها لعاب الجيـاع ؟! .. ان الاعلانات السياحية نفسها تتورع عن أن تظهر بمثل هذا التبرج !!

■ أما صبرى راغب فكان أكثر احتشاما ، وان لم يكن اقل تعبيرا عن الفن « المطلوب » . من بين لوحاته الـ ١٩ الاكاديمية المعروضة تجد اكثر من اثنتى عشر لوحة تمثل سيدات ارستقراطيات جميلات ، يقتلن الوقت بالتأمل أو بالابتهال الى لا شىء أو بأحلام اليقظة أو بافتعال القراءة فى كتب ضخمة . « ذلك ان الظهور بمظهر المثقفات احدى صفات تلك الطبقة .. كما نعرف ! » لقد كان صبرى راغب أكثر صدقا مع طبقته من حسنى البنانى .

وليس لاحد ان يعترض على تمثيل هذا الاتجاه او غيره فى المعارض الرسمية وغير الرسمية لكن ما يلفت النظر هو عرضه بهذه الكثافة حتى اصبحت اعمال ١٣٠ فنانا آخرين بالمعرض مجرد ديكور له . وما يلفت النظر أكثـر ان وزارة



الايقاع ، فان الرتابة المملة التى تنتج عن تكرار هذه الوحدة على طول الطريق كفيلة بأن تفقد الزائر عنصر الاثارة ، وبألا تطلق خياله أو تهيئه لما سيراه من عظمة الآثار . هذا فى الوقت الذى تزخر فيه قرائح فنانينا بالعديد من الافكار اللامعة ، وتزخر متاحفنا بالتماثيل الفـرعونية الخالدة ، المكدسة فى اهمال ، وبالتماثيل الحديثة التى لا تجد الهواء الذى تتنفس فيه .

ماذا نسمى هذا الاتجاه ؟ .. ربما كان أقرب وصف اليه هو الزينه التى تحقق متعة بصرية عابرة ، لا تخاطب روحا أو فكرا .

● نفس هذا الاتجاه هو الذى ساد **معرض الربيع** لهذا العام « يونية ـ يولية » رغم ان الجهة التى تقيمه جهة غير رسمية ، وان كان يهمها جدا أن تساير الاتجاه السائد ، وهى جمعيه خريجى كليه الفنون الجميلة . لقد اختارت الجمعية لهذا المعرض اربعة فنانين ليكونوا ضيوف الشرف فيه ،

الخارجية اقتنت معظم اعمال هذا الاتجاه لتزين بها سفاراتنا بالخارج ، ممثلة للفن المصرى المعاصر !

الا انه ، على اية حال ، امر لا يثير الدهشة ، ذلك أنه يتسق مع المسار العام للواقع الاجتماعى والثقافى ، لقد استنفد الاتجاه السياحى الاخر اغراضه ، حين لم تعد هناك حاجة للتمحك فى التراث والمؤثرات القومية ، حيث تم بوضوح تحديد : لماذا – ولمن ينتج الفنان ، فى الداخل والخارج ..

ولكل مقام مقال !
الفنان .. موقف

كعدسة بللورية تجمع اشعة الضوء المتفرقة فى بؤرة صغيرة لاسعة ، كان معرض « **جاليرى ٦٨** » الذى اقيم بقاعة اتيليه القاهرة لمدة ثلاثة اسابيع ، من ١٦ يونيو حتى ٧ يوليو – فى تلك القاعة الصغيرة التى نجت من عدوان سياسة التوسع فى صالات اللهو على حساب قاعات الفنون الجميلة ، احتشدت اعمال ٤٢ فنانا مصريا ، ما بين مصور، ونحات وحفار وخزاف ، فى مظاهره فنية وثقافية ، على بعد خطوات من سوق معرض الربيع السياحى ! .. كانت غاية المعرض هى مساندة مجلة « ٦٨ » للوقوف على قدميها مره أخرى ، لتواصل رسالتها فى الكشف عن ملامح الادب والفن الجديدين ، ليست مساندة معنوية فحسب ، بل مادية كذلك ، حيث تنازل الفنانون عن نصف قيمة مبيعاتهم فى المعرض على الاقل لصالح المجلة .

كان المعرض نقطة ضوء ، كاشفة ولاسعة معا .. كاشفة عن طاقة ايجابية بكر لدى الفنانين التشكيليين عن وعى بالواقع المشترك والمصير المشترك للمشتغلين بالحقل الثقافى والابداعى ، حملة الكلمة والفرشاة والازميل والكاميرا ، شيء جديد وباهر بالنسبة لهؤلاء الفنانين الذين ظلوا طويلا قابعين فى قواقعهم ، بعيدا عن تيارات الحركة الادبية والفكرية ، قانعين بهمومهم ومصالحهم الفئوية .

وكان المعرض فى نفس الوقت لسعة على جلد الحركة الثقافية التى تجمدت وافتقدت الشجاعة وروح التضحية ، وسادتها النفعية والفردية والمهادنة والسير بجوار الجدران العالية ايثارا للسلامة .. لسعة تذكر بما حدث وقت أن ظهرت مجلة « ٦٨ » لاول مرة فى ظلام النكسة ، متجاوزة اياها بذلك الحشد النابض بابداع الكتاب والشعراء والفنانين ، كنبضات القلب الذى لم يفقد شبابه رغم الهزيمة ، وكان مجرد ظهور هذا الحشد واستمراره تحديا لقوى الهزيمة .

واليوم وان اختلفت الظروف التى ظهرت فيها « ٦٨ » للمرة الاولى ، فان الحاجة اليها أصبحت اكثر الحاحا من ذى قبل ، حيث يفتقر العديد من الكتاب والادباء والشعراء الى منابر لائقة ومؤثرة يقدمون من خلالها رؤاهم وابداعهم بشكل مستقل . لكن الجديد حقا هو دخول الفنانين التشكيليين الى الساحة بهذه الكثافة ، مقدمين المثل على شجاعة المبادأة بغير انتظار للثمن ، وهم بهذا – دون أن يدروا – يشقون لانفسهم طريقا اضافيا لحركتهم ، فلا يكتفون بمجرد عرض الاعمال ، وانما يسعون للحوار حولها مع اقرب الناس اليهم : المثقفين ، كما يثبتون جدارتهم بأن تكون لهم مساحة وافية فى مجلة « ٦٨ » يعرضون فيها قضاياهم وانتاجهم ، كخطوة نحو اقامة مجلة مستقلة للفن التشكيلى فى مصر .

اما عن الاعمال التى عرضت فلا مجال هنا لتقييم ٤٢ فنانا بل حتى لذكر اسمائهم ، حسبنا القول فى كلمات انه جمع معظم الاساليب والاتجاهات التى تكتظ بها الحركة الفنية ، ابتداء من الشكلية التى تسعى لتحقيق قيم جمالية مجردة دون الارتباط بموضوع أو مضمون ، حتى الواقعية الرمزية التى تلتزم بالواقع وتسعى الى التأثير فيه .. وتضم اعمالا لها صفة الاستاذية الى جوار اعمال متوسطة . وان كان من التعسف الحكم على مستوى أصحابها ، حيث أنهم وضعوا فى الاعتبار اختيار اعمال يمكن أن تباع لصالح المجلة . ومع ذلك نبقى للفنانين العارضين جميعا ، بكل اتجاهاتهم ومستوياتهم ، شرف اتخاذ هذا الموقف ، فى نفس الوقت الذى تدق فيه الاجراس فى معرض الربيع ، ويقاطعه الكثيرون منهم ، هو وغيره من المعارض الرسمية . مضحين بما يمكن أن ينالوه فيها من فرص اقتناء الدولة لاعمالهم . وقد كان من الطبيعى ان يقاطع معرض ٦٨ اصحاب الاتجاهات التجارية والسياحية ، او المدعوون دائما على الموائد الرسمية ، لكنهم خدموا بذلك فكرة المعرض على اى حال .

ان هذا المعرض فى الحقيقة نجمة على جبين الوجه التقدمى للحركة الفنية والثقافية ، وهو يضاعف من ثقل المسئولية على اكتاف القائمين على مجلة « ٦٨ » بعد أن تبينوا بوضوح انهم لم – ولن – يكونوا وحدهم فى الميدان .

المسرح التجريبى فى انجلترا



محاولة للخروج من اطار ثقافة برجوازية

كين ونتجهام *

« يمارس الاف من الشبان والكبار فى لندن وباقى انحاء البلاد انواعا من الانشطة الثقافية فى أوقات فراغهم ويستمتعون بها » [1]

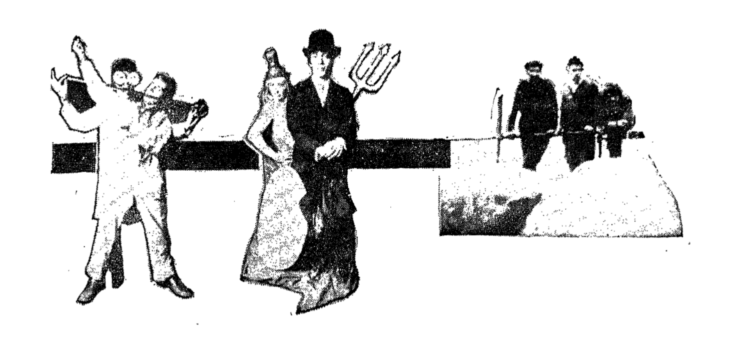
وهناك عدد غير قليل من أولئك الناس يمارس شكلا أو آخر من أشكال النشاط المسرحى ، ونظرا لضخامة هذا النشاط واتساعه ، فمن الصعب تناوله على وجه العموم ، ولن يكون مثل هذا التناول مجديا ، ففى الثقافة الشعبية البريطانية ـ كما هو الحال فى أى ثقافة شعبية آخرى ـ لا تزيد نسبة الشىء الجديد الذى يستحق الوقوف عنده عن ٥ فى المائة من مجموع الاشياء التى تقدم ٠

وستتناول هذه المقالة نسبة الـ ٥ فى المائة تلك ـ أو علها تكون أقل ـ من المسرح البريطانى الذى يسعى الى القيام بدور هام وفعال بتقديم عروض أصيلة فى جدتها ، ولكى نستطيع النظر الى

---

* ناقد ومسرحى بريطانى يعد رسالة دكتوراة لجامعة لندن عن القضية الاجتماعية فى المسرح المصرى المعاصر، وقد كتب هذه الدراسة للطليعة]

[1] جريدة « المورنينج ستار » ٣ ـ ٢ ـ ٧٥ ، لندن ،



تلك التجارب فى سياقها الصحيح سنتناول أولا بعض ملامح الثقافة البورجوازية بوجه عام والمسرح بوجه خاص ، ننتقل بعدها الى الثقافة البديلة التى طرحها شباب أوروبا فى الستينات والتى مهدت للتجارب الجديدة واعطتها اهمية متزايدة .

[●]

● الثقافة البديلة التى قدمها جيل الستينات

من الشائع لدى مؤرخى المسرح اعتبار الموجة الجديدة التى ظهرت فى أواخر الخمسينات وكان على راسها جون أوسبورن ومسرحيته « **انظر الى الوراء بسخط** » ١٩٥٦ بداية ثورة فى المسرح الانجليزى . الا اننا رغم ذلك نستطيع أن نلمع فى مسرحيات أوسبورن ومن تبعوه باستثناء كاتب واحد [٢] نفس ذلك الفرد المحيط المعاصر الذى لا يملك من أمر نفسه شيئا الا أن التغير الاساسى الذى يحدث لذلك الفرد هو أنه الان غاضب وساخط بدلا من الاذعان التام الذى كنا نجده فى الفترة السابقة ولكن طاقات سخطه وغضبه تلك لا تدفعه الى شىء أفضل :

«لم تعد هناك قضايا مبدئية تستحق الموت من أجلها فاذا ما هوجمنا وقتلنا لن يكون ذلك من أجل الدفاع عن القديم المهيب بل يكون من أجل « اشكرك كثيرا » التى تبدو فى ظاهرها الشجاعة لكنها لا تعنى شيئا على الاطلاق ـ سنموت من أجل شىء

---

[٢] يقول رونالد هايمان فى كتابه « جون أوسبورن » ، لندن ١٩٦٨ ، ص٩ » يأتى معظم ابطال اوسبورن من الطبقة العاملة ، الا انهم لا يمثلونها ،كما اننا لا نراهم ابدا فى سياقهم الحقيقى»كما اننا نجد ايضا ادوارد بوند اكثر الكتاب المحدثين شهرة ونجاحا يقول فىمقدمة مسرحيته « بنجو » ، لنـــدن١٩٧٤ « لن تختفى مشكلاتنا ولن نجد انفسنا سريعا فى مجتمع عقلانى الا انالعقلانية تظهر مرة آخرى فى المجتمعوسيكون فى مقدورنا حل المشكلات بدلا من تعقيدها . علينا أن نختار هدفا جديدا لمجتمعنا ، اى ثقافة جديدة . وهناكثقافةبديلة تاخذ طريقها فى التطور منذ مائة عام اسمها الديموقراطية » فالليبرالى يجدمهربه فىالكلمات ، وهو بالتالى لايوضح ان الديموقراطية لا يمكن تحقيقها الا بانهاء الاستغلال وانتصار الطبقة العاملة .

عديم المعنى وتافه مشابه للانتحار أمام الاوتوبيس ، لم يعد أمامنا شيء يا ولدى الا أن نذهب لتذبحنا النساء » .

ياله من احباط وسخط ، الا انه خلو من أى محاولة لتحديد العدو الحقيقى وسبب ذلك الاغتراب ، فنجد الانسان عند بنتر كما عند غيره معزولا ومحاصرا بأحاسيس من القهر لا فكاك منها [٣] . وهكذا نجد هؤلاء الكتاب الانجليز ومن تبعهم قد عجزوا عن ربط أنفسهم بالقوة الاجتماعية الهامة والجديدة التي بدأت فى الظهور فى تلك الاونة .

التأثير الامريكى :

لا يستطيع المرء ادراك آفاق تطور المسرح فى بريطانيا دون وضع العلاقة المتبادلة بين بريطانيا والولايات المتحدة فى الاعتبار ، بدءا من الخمسينات ومرورا بالستينات .

وتحليل تلك الثقافة البديلة فى كلا البلدين أمر لا تستطيع هذه المقالة أن توفيه حقه ، وسوف نشير هنا الى بعض الملامح الهامة فقط .

كانت محاولة خروج الفرد من عزلته واعادة اكتشاف المجتمع والتفاعل معه وايجاد التعبير الملائم عن ذلك من أهم ملامح الثقافة البديلة التى ظلت بورجوازية فى جانب كبير منها ، رغم وقوفها ضد الملامح التقليدية للثقافة البورجوازية . فقد اعتمدت أساسا على دوائر المثقفين ، ففى الولايات المتحدة التى لم تتأثر اقتصاديا بالحرب العالمية الثانية كما تأثرت أوربا بلغ الميل الاستهلاكى ذروته فأينما يتجه الفرد يجد نفسه محاصرا بلافتات النيون والاعلانات التجارية ، وفى هذا الجو بدأ الارهاب المكارثى والرعب من الحرب النووية وحركة الحقوق المدنية التى مست عصبا أساسيا فى النظام الاجتماعى وأشعلت شرارة العنف التى أثرت فى تغيير المجتمع [٤] . وقد بدأت أيضا موجة الاحتجاج العنيفة ضد الحرب فى فيتنام التى أشعلت شرارة حركات الاحتجاج فى الجامعات فى أواخر الستينات وقوبلت بالقمع الشديد الذى أصبح سمة من سمات الحكم فى الولايات المتحدة ، وانتهت بأن قتل الحرس القومى أربعة من الطلبة فى جامعة أوهيو . وفى مواجهة كل هذه الهزات ثار الشباب الا أنهم عبروا عن ثورتهم تلك فى أشكال ثقافية جنبا الى جنب مع مظاهرات الشوارع التى أصبحت سمة من سمات الحياة .

ورغم إننا ذكرنا من قبل أن تلك الحركات كانت فى محملها داخل دوائر المثقفين ، فانها تبدو كذلك لفاعلية العناصر المثقفة وقدرتها على التعبير عن أفكارها ، ولعل أوضح دليل على ذلك هو التعبير الموسيقى الذى كان فى كل من الولايات المتحدة وبريطانيا شكل التعبير الاساسى لدى الجيل الجديد ، فلقد ظهرت موسيقى « الروك آند رول » فى أواخر الخمسينات وكانت شكلا من أشكال الطبقة العاملة فى التعبير عن نفسها . وامتدادا للتقاليد الموسيقية لدى الزنوج بنغماتها المثيرة للشجن ، فأخذها الشباب وأعطوها الصخب الذى يعبر عن طاقاتهم المحيطة وتبع ذلك شكل أقل عداء وأكثر بورجوازية عبرت عنه موسيقى « الفيس بريسلى » ، وعبر كلا الشكلين المحيط ليصلا الى بريطانيا ويتطوروا من خلال أشكال متعددة « كالبيتلز » و « الرولنج ستونز » . وسار على نفس الدرب موسيقيون ذوو قدرات عالية سواء من خلفيات كلاسيكية أو موسيقى الجاز وأعطوا لتلك الحركة أبعادا فنية أخرى . ومع اضافة كلمات جادة وملتزمة اجتماعيا لتلك الموسيقى بفعل تأثيرات مثل تأثير بوب ديلان ، شاعر الستينات الشعبى المشهور ، وصل هذا الشكل من الموسيقى الى قمة كماله وتميز منذ ذلك الوقت بالتداخل المستمر ما بين عناصر أصول الطبقة العاملة والمثقفين ، الا أن امكانية توحد المستمعين [فى كل واحد] ظلت دائما موجودة .

ولقد كان أهم حدث جماعى فى أواخر الستينات هو مهرجان الموسيقى الشعبية [pop-music] الذى تجمع حوله الالاف لكى يستمعوا الى موسيقاهم المفضلة

---

[٣] مثال : « الحارس » و « حفلة عيد الميلاد » .

[٤] بظهور حركة الحقوق المدنية وبعد موت مارتن لوثر كنج ظهر عنصران جديدان :

أ ــ اصبح الاحتجاج عنصرا هاما من عناصر الثقافة البديلة .

ب ــ استخدمت الحكومة العنف الزائد في مواجهة احتجاج الليبراليين الشبان من البيض والذى لم يكن يستخدم من قبل الا ضد السود » .

الا أن الامر لم يقف عند حدود الاستماع ، بل تعداه الى المشاركة فى تجربة جماعية علها تكون أقرب ما فى عصرنا مماثلة مع المسرح الكلاسيكى القديم [٥] . ولقد كانت التغيرات سريعة فى الحركات المختلفة لتلك الفترة : كل يقدم حركته البديلة بأشكال تعبيره الخاصة ، وأحيانا تكون تلك الاشكال ملتزمة اجتماعيا [حركة مناهضة الحرب] وأحيانا باحثة عن مهرب روحى [الهيبز] والحركات المتعالية على الواقع « الترانسندنتالية » وأحيانا أخرى بدائية وعنيفة [ملائكة الجحيم فى كاليفورنيا] الا ان كل تلك الحركات كانت قد عبرت عن اليأس من المجتمع وعدم القدرة على التعايش معه دون أى قدرة على تغييره .

واذا ما عدنا مرة أخرى الى بريطانيا فسنجد أن حركة الستينات العظيمة والتى أخذت عن الولايات المتحدة التجارب الاجتماعية وأضافت الى الحركة الامريكية أشكالا أكثر رقيا فى التعبير الفنى قد غيرت الكثير فى الثقافة بين نسبة الخمسة فى المائة أو أقل من الفنانين الملتزمين .

وفى بريطانيا بوجه خاص ، ومند الحرب العالمية الثانية ، نجد الطبقة العاملة تنمو وتكتسب قوة متزايدة من خلال معاركها الكثيرة مع الراسمالية ، تلك التى أدارها اتحاد العمال فى ذلك الحين ، ولقد مهدت النهضة الكبيرة فى الفنون الشعبية فى تلك الفترة التى تحدثنا عنها ، وخاصة لانها تتيح التواصل بين الطبقة العاملة والمثقفين والفنانين التقدميين والملتزمين لامكانية استخدام الثقافة كسلاح من أسلحة الطبقة العاملة مثلما استخدمته البورجوازية من قبل ضد الارستقراطية الا أنه فى الوقت الحالى تظل تلك الامكانية غير متحققة نظرا لجدة الوضع ، ولعل الامثلة الجديرة بالتناول فى المسرح التجريبى البريطانى تلك المحاولات التى تهدف « للبحث عن وظيفة للمسرح فى اطار التقدم الاجتماعى » .

نحو مسرح جديد :

بصرف النظر عن المناخ الثقافى العام الذى ذكرناه آنفا كانت هناك تأثيرات معينة على حركة المسرح البريطانى الجديدة لعل اهمها تأثير رائد مسرح القرن العشرين الفذ برتولد بريخت [٦] والذى رغم انه كان محاصرا داخل المسرح البورجوازى فى ذلك الوقت الا أنه اعطى العالم المسرح تجارب جديدة قيمة ، ثم هناك ايضا تأثير « المسرح الحى » الذى أنشأه [جوليان بيك] فى الولايات المتحدة عام ١٩٤٩ [٧] .

وأهمية تلك الجماعة تنبع أساسا من عروض بريخت والكتابات الجديدة التى قدمتها فى رحلتها فى أوربا عام ١٩٦١ ثم مرة أخرى فى أواخر الستينات بعروض أكثر تجريبية وهى تلك العروض التى قدمتها فى برلين .

فرقة شكسبير الملكية ومسرح القسوة :

قد يبدو من الغريب أن نبدأ تقييمنا للاتجاهات الجديدة فى المسرح البريطانى بركن وطيد من أركان المسرح البورجوازى كفرقة شكسبير الملكية . الا أنه فى منتصف الستينات وبالتعاون مع [بيتر بروك] أمدت تلك الفرقة العريقة المسرح البريطانى الحديث بشىء جديد وهام ، والذى لا جدال فيه أن « بيتر بروك » عملاق من عمالقة المسرح كما أنه ليس هناك جدال فى وعيه لحدود ومشكلات المسرح البورجوازى التى تناولها فى كتابه « المسلحة الفارغة » [٨] ، ففى منتصف الستينات بدأ بيتر بروك بالتعاون مع فرقة شكسبير الملكية فى تقديم ما سمى « بمسرح القسوة » معتمدا فى تلك التجربة على افكار أنطونين آرتو . ولقد وصلت تلك التجربة ذروتها فى العرض الذى قدمه لمسرحية بيترفايس « ماراصاد » عام ١٩٦٤ وفى مقدمة الترجمة الانجليزية لتلك المسرحية [١٠] يلخص بروك أهداف المسرحية وأهداف العرض الذى قدمه كما يلى : « كل شىء فى تلك المسرحية من عنوانها يصفع المتفرج ثم يعطيه جرعة ماء مثلوج كى يفيق ويفكر فيما حدث له ، ثم يوجه اليه بعد ذلك ضربة قوية ويعمل على افاقته مرة اخرى . ان تلك المسرحية ليست بريخت وليست شكسبير الا أنها اليزابيثية رغم كونها معاصرة تماما » . وفى ذلك البيان الحى لاهدافه نجد ملخصا لما يقصد

---

[٥] بالطبع تسمى البرجوازية التجارية الى تحين الفرص للكسب .

[٦] راجع اريك نبتلى عن بريخت .

[٧] راجع جون acting out Americq فنجوين ، لندن ١٩٧٣ .

[٨] بيتر بروك « المساحة الفارغة » بنجوين ، لندن ١٩٧٣ .

[٩] راجع بيتر فايس ، «مارا صاد»

اليه مسرح القسوة • انه محاولة لايقاظ المسرح البورجوازى من سباته العميق ، واعطائه حيوية جديدة لطرح الاسئلة وتمحيصها ثم ترك مسئولية ايجاد الاجوبة للمتفرجين أصحاب التساؤلات • ولقد كانت تلك التجربة بالنسبة للمسرح البورجوازى تجربة جديدة ممتعة رغم محاولتها اثارة بعض القلاقل ، عاد بعدها المسرح الى سباته القديم • ولقد ترك بيتر بروك نفسه انجلترا منذ سنوات ليؤسس معهد المسرح العالمى فى باريس حيث يواصل التجريب فى محاولة خلق مسرح دون تقيد باللغة ، مسرح عالمى [١٠] ، وهذا فى حد ذاته اعلان لفشل التجارب التى لا تنبع عن وعى الجماهير واستحالة عمل الفنان الجاد من خلال البنية البورجوازية التقليدية • ومن المؤسف انبروك لم ير امكانية التحرك خارج الاطار البورجوازى نحو مسرح الشعب •

موسيقى الروك اندرول :

سادت عروض المسرح التى تتخللها الموسيقى والغناء مسارح [الوست اند] فى لندن وبردواى فى الولايات المتحدة • وغالبا ما تكون تلك العروض معتمدة أساسا على نص كوميدى ثم تحتوى كل العناصر القادرة على تحقيق مكاسب مادية هى عماد المسرح التجارى ، وكانت الموجة الجديدة فى الموسيقى كفيلة باكتساب جمهور كبير من الاجيال الجديدة ، الا أنه عندما ظهرت موسيقى الروك كانت تعبيرا عن تلك الثقافة البديلة التى أشرنا اليها آنفا • كانت شيئا أكثر من مجرد وسيلة ناجحة لكسب المال • والعرض الذى أشير اليه بالتحديد هو « هير » الذى حقق نجاحا منقطع النظير فى كافة أنحاء العالم • وحينما ظهر فى البداية مهاجما معتقدات الطبقة الوسطى فى أمريكا ، داعيا بشكل أساسى للسلام لا للحرب تكلم بلسان قطاع كبير من الجيل الجديد • وبالطبع فهو الان فى نسخته المعدلة •

وبعد انقضاء فترة طويلة على حركة الهيبى التى كانت السياق الذى قدم من فن لم يعد الان سوى عرض تجارى ، كما أن العرض الذى نعتبره أكثر تجارية منه هو « المسيح نجم فوق العادة » والذى يلاقى أيضا نجاحا منقطع النظير • ورغم أن المسرح التجارى قد استغل هذا الشكل الا أنه لا يزال من الممكن استخدامه للتواصل مع مشاهدين جدد ، ولقد قامت تجارب جديدة باستغلال هذا الشكل بعيدا عن منصة المسرح التجارى معتمدة موسيقى الروك لكى تنقد المجتمع المعاصر وتسخر منه [١١] •

« مسرح الشباب القومى » « زيجرزاجر » [١٢] •

والان ننتقل بعيدا عن المسرح التجارى والنجوم والاسماء اللامعة لكى نتناول تجارب مسرح الشعب التى لا تبغى من وراء العمل المسرحى مالا ، بل تعمل حبا فى المسرح وايمانا بأهميته للمجتمع •

قام بتأسيس مسرح الشباب القومى فى العقد الاخير بعض التربويين المرتبطين بالمسرح والذين ظنوا أنه قد يكون من المجدى اتاحة الفرصة وتشجيع النشاط المسرحى الهائل الذى يجرى فى المدارس فى كافة أنحاء البلاد • وبناء عليه ففى كل عام وخلال عطلة الصيف تتجمع مجموعة من الاطفال حوالى الخمسين طفلا من كافة أنحاء البلاد ليعملوا سويا فى انتاج مسرحيتين أو ثلاثة • ولا يخضع انتقاء الاطفال لمدى مهارتهم بل لامكانية استفادتهم من التجربة ، وغالبا ما تكون المسرحيات المقدمة مسرحيات كلاسيكية • من ريبورترات المسرح التقليدى الانجليزى خاصة مسرحيات شكسبير التى تغلب على عروض المدارس فى كافة أنحاء البلاد • الا أن مسرح الشباب القومى كانت له علاقة مستمرة مع كاتب هو « بيتر ترسون » الذى قدمت له أربع أو خمس مسرحيات فى خلال السنوات القليلة الماضية • وبيتر ترسون مدرس يفهم متطلبات مسرح الشباب جيدا ، ولقد كانت مسرحية من مسرحياته هى التى نبهت الامة الى معاناة هؤلاء الشبان ، مثلت تلك المسرحية عام ١٩٦٩ وكانت شيئا جديدا ومثيرا أثر أبلغ تأثير على المسرح المدرسى فى المدارس ذات الصبغة التقدمية •

---

[١٠] مثلت الفرقة فى الاحتفالات بالعيد الالفى لمملكة قورش فى شيراز ١٩٧١ •
[١١] مسرحية مثلث أول مرة فى بول وتعرض الان فى لندن مستخدمة موسيقى الخنافس لتقدم مسرحية نقد اجتماعية •
[١٢] ريجر زاجر — بتر ترسون — نجوين •

و « زيجلسن زاجر » هي لعبة مستمدة من كرة القدم ، التسلية الرئيسية لشباب الطبقة العاملة بوجه خاص . المسرحية تحاول النظر في الطريقة التي يدمر الطفل حياته من خلال حبه لكرة القدم ، وانتمائه الى فريق ما وولائه الكامل لذلك الفريق .

الا اننا نكتشف أن حب الطفل لكرة القدم هو في الواقع بديل عن الحب الذى لا يجده لدى والديه أو عائلته أو حتى لدى أعضاء المجتمع كالمدرسين والموظفين الذين لهم علاقة به ، فهو لا يجد طمأنينته الحقيقية داخل المجتمع الا من خلال عالم كرة القدم غير الحقيقى بصخبه وضجيجه ، كانت تلك رؤية واقعية لمشكلة عامة في حياة الطبقة العاملة ، مثلت على المسرح بحيوية واخلاص منقطع النظير . لماذا ؟

يخرج لنا « مايكل كروفت » مخرج العرض في الكتاب الذى صدر محتويا على نص المسرحية كيفية ظهور هذه المسرحية . لقد جاء بيترترسون ومعه اكوام من الورق بها الكثير من الافكار الخصبة الا أنها لا تحتوى على أى بنيان درامى ومن خلال العمل المشترك بين الرجلين وضع البنيان والديالوج الختامى والأغانى .. الخ .

وكانت استجابات الاطفال المشاركين في العرض مصدر ثراء كبير له ، وفي الحقيقة فان المسرحية كانت مسرحيتهم بالمعنى الحقيقى ، والكاتب لم يكتسب المسرحية بقدر ما أمد العرض بالافكار الرئيسية وساعد الاطفال على الخلق المستقى من ادراكهم الخاص .

وحينما خرجت المسرحية الى الوجود كانت تتألف من مجموعة من السكتشات والاغانى والاحداث التى تكشف لنا عن مشكلة الولد ، وفي كل مشهد يوجد كورس جالس بنفس الطريقة التى يجلس بها جمهور كرة القدم في المدرجات ، وهكذا نجد المفهوم التقليدى للكورس قد أخذ شكلا جديدا ومميزا . ذلك أن جماهير كرة القدم انما تعبر عن العامة كأوضح ما يكون التعبير . كما أن الكورس في تلك المسرحية كان سلوكه مطابقا لسلوك جماهير كرة القدم من حيث الغناء وصيحات الاستحسان والتعليق على ما يجرى أمامهم .

ولقد كانت تلك المسرحية عملا رائدا يتناول الموضوع الذى يشغل أذهان ٩٠ في المائة من الرجال بل والنساء أحيانا في بريطانيا . فالشكل مع خفته وسرعته كان يشبه الممارسات التى يؤديها أى محب لكرة القدم كما أن استخدام كرة القدم ككورس كان معبرا أوضح ما يكون التعبير سواء بالنسبة للممثلين أو المشاهدين ، ولذا فانه ليس من المستغرب أن تلاقى مثل تلك المسرحية نجاحا كبيرا ، وليس مستغربا كذلك أن تتلوها سلسلة من التجارب المماثلة في كافة المدارس وبين مجموعات الشباب .

الا أن الاهمية الحقيقية لتلك التجربة كانت في أن المسرحية ذات مغزى حقيقى ، سواء للممثلين أو المشاهدين ، فالشخصيات تنبع من الطبقة العاملة والموضوع يشغل الجميع ولذا استطاعت ان تقدم ما تريد اجتماعيا وبشكل هادف وبطريقة مسلية ودون وعظ في الوقت نفسه . كما أنها أبدت تعاطفا حقيقيا وتفهما لمشاكل الشباب ، الامر الذى أعطى العمل جوا من الاخلاص الحقيقى ، كما ان التجربة الجماعية في كتابة النص برهان على ما يمكن أن يحدث حينما تتكاتف كل العناصر بأمانة واخلاص .

ولن نجد تجربة اخرى مماثلة لتجربة تيرسون وكروفت الا انهما قدما عروضا اخرى ناجحة تناولا فيها حياة الطبقة العاملة دون تعال وبكل الحب والتفهم كما أن تيرسون قد كتب العديد من المسرحيات التليفزيونية التى تناولت موضوعات مشابهة ، ورغم أن اسم تيرسون ليس معروفا لدى الكثيرين الا أنه يعد واحدا من أفضل كتاب مسرح الطبقة العاملة .

مسرح العمال للعمال

كنت محظوظا حينما سنحت لى الفرصة كى أشاهد عرضا مسرحيا اعتقد انه كان فريدا من نوعه ليس من ناحية الشكل أو حتى المضمون بل في الطريقة التى خرج بها الى حيز الوجود . قدم هذا العرض في مهرجان المسرح التجريبى بأدنبره في صيف ١٩٧٢ وقبل ان نتناول تلك المسرحية يجدر بنا الاشارة الى أهمية ذلك المهرجان ، فمنذ سنوات طوال وادنبره مركز لمهرجان دولى للفنون يعقد كل صيف ، الا أنه منذ حوالى ٢٥ سنة قررت جماعة من الممثلين المحاربين ان الوقت قد حان لجعل مهرجان ادنبره شيئا أكثر من مجرد معرض لمشاهير الفنانين والفرق من كافة انحاء العالم . واتفقوا على أنه يجب أن تتاح للهواه وشبه المحترفين فرصة تقديم اعمالهم . بدأت الفكرة في الانتعاش عاما بعد عام والان اصبح مهرجان ادنبره حدثا عاديا بينما تحول المهرجان التجريبى الذى كان يقام الى

جانبه بانوراما حقيقية لكافة أنشطة المسرح البريطانى وفى العام الماضى حفل المهرجان بأكثر من مائة فرقة من الفنانين والممثلين والراقصين .. الخ .

ولنعد مرة أخرى الى تلك التجربة الفريدة التى عرضت فى مهرجان ادنبره التجريبى عام ١٩٧٢ ، كان عنوان العرض « **الاستعراض العظيم لاحذية المطاط التى تصنع فى الشمال** » قدم العرض جماعة من عمال بناء السفن وكانت تلك الصناعة قد مرت بأزمة ضخمة احتدم فيها الصراع بين العمال والادارة . كانت الادارة قد قررت اغلاق حظائر بناء السفن لافلاس الشركة الامر الذى جعل العمال يحتلون تلك الحظائر ويواصلون الانتاج ، وبعد سلسلة طويلة من المفاوضات التى اثارت اهتمام الامة كلها تم التوصل الى حل وسط وأسست شركة جديدة أبقت على بعض الحظائر .

أثناء ذلك النضال المرير حقق العمال بعض الانتصارات ، الا أنهم ايضا منوا ببعض الخسائر وارتكبوا العديد من الاخطاء ، وكانت تلك المسرحية محاولة لتقديم الجوانب المختلفة من الصراع والقاء الضوء على بعض الاخطاء التى ارتكبت وأسبابها .

أخذت المسرحية شكل العرض السياسى فقدمت لنا عناصر الصراع بدءا من الادارة ثم اتحاد العمال مرورا بقيادات العمال فى شكل كاريكاتورى فصورت الصراع وكأنه يدور فى مصنع لصنع الاحذية . وكانت طريقة تقديم العرض تجمع ما بين الكارتون وتقاليد الترفيه التى تمارس فى نوادى الطبقة العاملة المنتشرة فى المناطق الصناعية شمال انجلترا ، وتميز العرض بالسخرية الحادة الموجهة الى المديرين أو الحكومة أو حتى الى العمال أنفسهم ، ولعل هذا المثال ــ والمثال الذى سنتناوله فيما بعد ــ لم يحققا درجة عالية من التكامل الفنى اذا ما حكمنا عليهما بالمقاييس النقدية السائدة ، الا ان اللغة الجميلة والبناء المحكم ليسا على درجة كبيرة من الاهمية فى عرض كهذا ، خاصة فى هذه المرحلة الاولى من التجريب ، فالشىء الاجدر بالاهمية هو قدرة العرض على الوصول الى الجمهور الذى اهتم العرض بالوصول اليه وقدرته على توصيل رسالته بشكل سليم وواضح ، فهذا هو هدف الفنان وطالما كان قمة اخلاص فى التعبير عن رؤية اصيلة اصبح تحقيق الاشكال الفنية الاكثر رقيا فى متناول اليد ، بل وربما ظهرت هذه الاشكال تبعا لمعايير نقدية مختلفة عن معايير المسرح البرجوازى طالما اننا بصدد مسرح مختلف تماما هو مسرح الشعب .

وقد استخدم المسرح التسجيلى فى تلك الامثلة التى تناولناها من مسرح الشعى ، كما أن تأثير بريخت كان واضحا دون تجاهل للظروف الخاصة بمكان وزمان العرض . ذلك أنه مسرح من اجل الطبقة العاملة يهدف الى معاونتهم فى الفهم الاعمق لاحوالهم المختلفة وتنمية قدرتهم على الوعى والنضال . فهو لا يقدم اجابات عن التساؤلات المطروحة كما أنه لا يمدهم بالاساليب النضالية ، ذلك أن كل تلك القضايا لا تحسم الا من خلال الصراع ذاته .وكل ما يسعى اليه ذلك النوع من المسرح هو اعطاؤهم شحنة من الحماس والثقة .

مسرح العمال المتجول :

قامت مجموعة من الممثلين التقدميين بتأسيس مسرح « السلم الاحمر » [ريد لادر] عام ١٩٧٠ بهدف ايجاد وسيلة يكون بها المسرح فى خدمة صراع الطبقة العاملة سواء كان ذلك داخل المصانع أو فى تجمعات عمالية واسعة ، ولعل أفضل وسيلة لشرح اهداف تلك الجماعة هو الاستشهاد بأقوالهم فى بعض ما كتبوه :

« تعرض مسرحيات جماعة السلم الاحمر فى اجتماعات اتحاد العمال وفى مدارس عطلة الاسبوع التى ينظمها الاتحاد لتعليم العمال ، كما تعرض فى داخل المصانع وفى المظاهرات والمدارس الصناعية فى كافة انحاء البلاد والمسرحيات التى نعرضها تقدم نوعا من الترفيه كما أنها وسيلة لجذب الناس الى التجمع ، الا أنها بالمقام الاول تتناول مواضيع غاية فى الاهمية كالبطالة والايجارات وقانون شئون العمال ، تلك المشاكل التى تهم العمال الذين هم جماع مشاهدينا ــ والمسرحيات معدة بحيث تعقبها مناقشة ليس الهدف منها اتاحة الفرصة للنقابيين المحترفين لعرض وجهات نظرهم فحسب ، بل وحفز أكثر عناصر المشاهدين تهيبا للمشاركة »[١٣] .

وفى عروضهم ــ كما وجدنا فى المثال السابق ــ نستطيع أن نلمع آثارا بريختية جنبا الى جنب مع محاولة ايجاد أشكال تعبيرية من خلال الاحاديث والاغانى التى

---

[١٣] مسرح الريدلادر .

غالبا ما تكون لها دلالات خاصة لدى المشاهدين • كما اننا نلاحظ مرة أخرى - كما لاحظنا فى التجربة السابقة - انهم يستخدمون اشكالا كاريكاتورية لتقريب رسالتهم الى الاذهان ، ولا يتهيبون من ذلك طالما أن هدف المسرحية الاساسى هو نقل المعلومات وطرق التفكير وليس محاولة اجراء تحليل نفسى كما يحدث فى المسرح البرجوازى ، ولعل ذلك الشكل يكتسب اهميته بالنسبة لجماعة تتناول الظرف الخاص فى فترة بعينها من النضال ، الا انها فى نفس الوقت مضطرة دائما للانتقال من مكان لاخر ».

والان تكونت جماعة أخرى على يد اثنين من مؤسسى جماعة السلم الاحمر هما ريتشارد ستوارد وكافلين ماكجرى الذان يتميزان بخبراتهما الواسعة فى المسرح التقليدى ».

والطريقة التى يعد بها العرض هى أهم ما يميز ذلك النوع من العمل ، ففى مقالة نشرت حديثا فى « الناشونال برس » نجد شرحا للكيفية التى اعدت بها جماعة مسرح ابرود سيد المتجولة مسرحية عن مشاكل العمال غير النقابيين « لقد التقينا نحن العمال النقابيين بتلك الجماعة لاول مرة فى أوائل ديسمبر الماضى ولقد عملوا بداب شديد فتحدثوا مع كل العمال محاولين معرفة اقصى ما يمكن عن العمل ونجحوا فى تكثيف بعض خبرات عشرة اعوام فى مسرحية استغرقت ١٥ دقيقة » [١٤] ».

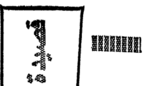
وغالبا ما تكون مسرحيات تلك الجماعة قصيرة ومركزة ومصممة بحيث تقدم فى الهواء الطلق والاجتماعات بهدف الحض على المناقشة العميقة فى المشاكل الملحة الامر الذى يتيح للناس فرص التعارف والتفاهم أكثر فأكثر • فبالتعاون الوثيق مع حركة اتحاد العمال استطاع المسرح الوصول الى الطبقة العاملة بهدف معاونتها فى اشكال نضالها ، وحينما تحرز الطبقة العاملة نصرها النهائى سيكون المسرح متأهبا لاخذ مكانة فى طليعة ثقافة الشعب ».

ومن الملاحظ أن الامثلة التى ضربناها من اتجاهات المسرح التجريبى البريطانى محدودة فى اطار تلك التجارب التى تسعى حثيثا تجاه تحقيق مسرح الشعب • وفى رأيى أن هذا الاتجاه هو أهم الاتجاهات وأجدرها بالمناقشة •• وبالطبع فان هناك العديد من التجارب الاخرى سواء فى الشكل أو المضمون ، فالجماعات الجديدة تتكون فى كافة انحاء البلاد ، بل فى كافة انحاء أوربا ، وكل تلك الجماعات ملتزمة بشكل أو بآخر ، الا اننا لا نستطيع ان نتناول ذلك النشاط الواسع بالتحليل لان الفرد لا يدرك عمق مثل هذه التجارب الا من خلال أحداث ثقافية كمهرجان أدنبره التجريبى أو الاحداث الثقافية المشابهة وغاية ما ابتغيه أن تهون تلك المقالة قد نجحت فى اعطاء فكرة سريعة عن محاولات الهروب من اطار الثقافة البرجوازية الزائفة • ■

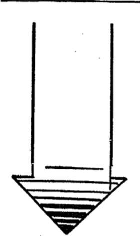
ترجمة : منى انيس

---

[١٤] جريدة المورننج ستار - لندن ٣ - ٢ - ١٩٧٢ م



من سفر الف دال



يوميات أبى نواس

شعر : أمل دنقل

(الورقة الاولى)

« ملك .. أم كتابة ؟ »
صاح بى صاحبى ، وهو يلقى بدرهمه فى الهواء
ثم يلتقفه ..
(خارجين من الدرس كنا .. ..
وحبر الطفولة فوق الرداء
والعصافير تمرق عبر البيوت ،
وتهبط فوق النخيل البعيد !)

... ...

« ملك أم كتابة ؟ »
صاح بى .. فانتبهت ، ورفت ذبابة
حول عينين لامعتين !
فقلت : « الكتابة »

.. فتح اليد مبتسما ، كان وجه المليك السعيد
باسما فى مهابه !

... ...

« ملك أم كتابة ؟ »
صحت فيه بدورى ، فرفرفت فى مقلتيه الصبا
والنجابه
واجاب : « الملك »
(دون أن يتلعثم أو يرتبك !)
.. وفتحت يدى : كان نقش الكتابه
بارزا فى صلابه !

... ...
... ...

دارت الشمس دورتها ،
حملتنا الشواديف من هداة النهر ،
القت بنا فى جداول ارض الغرابة
نتفرق بين حياض الاسى وحياض الصبابة



قطرتين ، التقينا على سلم القصر ..
ذات مساء وحيد
كنت فيه .. نديم الرشيد !
بينما صاحبى .. يتولى الحجابة !!

(الورقة الثانية)

من يملك العملة ..
يمسك بالوجهين !
والفقراء .. بين بين !

(الورقة الثالثة)

نائما كنت جانبه .. وسمعت الحرس
يوقظون أبى :
ــ خارجى ..
ــ أنــــا !
ــ مارق ..
ــ من ؟ .. أنــــا !
(صرخ الطفل فى صدر أمى ،
وامى محلولة الشعر .. واقفة
فى ملابسها المنزلية)
ــ اخرسوا
.. واختبأنا وراء الجدار !
ــ اخرسوا
.. وتسلل فى الحلق خيط من الدم !
(كان أبى يمسك الجرح ،
يمسك قامته ، ومهابته العائلية)
ــ اخرسوا
وتواريت فى ثوب أمى ،
والطفل فى صدرها ما نبس
ومضوا بأبى
تاركين لنا اليتم متشحا بالخرس !

(الورقة الرابعة)

أيها الشعر ، يا أيها الفرح المختلس
... ...
... ...
(كل ما كنت أكتب
فى هذه الصفحة الورقية
صادرته العسس !)
... ...

(الورقة الخامسة)

وامى خادمة فارسيه
يتناقل سادتها قهوة الجنس وهى تدير الحطب
يتبادل سادتها النظرات لاردافها ..
بينما تنحنى لتضىء اللهب

يتندر سادتها الطيبون بلهجتها الاعجمية

... ...

نائما كنت جانبها .. ورأيت ملاك القدس
ينحنى ، ويربت وجنتها ..
وتراخى الذراعان عنى قليلا .. قليلا ..
وسارت بقلبى قشعريرة الصمت ..
— أمى ..
وعاد لى الصوت !
— أمى ..
وجاوبنى الموت !
— أمى ..
وعانقتها .. وبكيت !
وغام بى الدمع .. حتى احتبس !!

(الورقة السادسة)

لا تسالنى ان كان القرآن
مخلوقا .. أو أزلى .
بل سلنى ان كان السلطان
لصا .. أو نصف نبى .

(الورقة السابعة)



كنت فى كربلاء
صاح بى الشيخ ان الحسين
مات من أجل جرعة ماء !
.. وتساءلت :
كيف السيوف استباحت بنى الاكرمين
فأجاب الذى بصرته السماء :
انه الذهب المتلألىء فى كل عين !

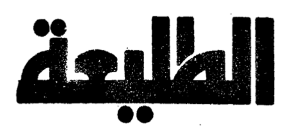
... ...

ان تكن كلمات الحسين
وجلال الحسين
وسيوف الحسين
سقطت .. دون أن تنقذ الحق من ذهب الامراء
أفتقدر أن تنقذ الحق ثرثرة الشعراء ؟
والفرات : لسان من الدم .. لا يجد الشفتين !؟

... ...
... ...

مات من أجل جرعة ماء !
فاسقنى ياغلام صباح مساء
اسقنى يا غلام
علنى بالمدام ..
أتناسى الدماء !

أغسطس ١٩٧٥



ملحق الفلسفة و العلم

- أيديولوجيا النازية .. وقضايا العصر
- نظرة اسلامية الى التكنولوجيا

- عن مؤتمر حظر انتشار الاسلحة النووية
- المرأة فى المجتمع الاسلامى المعاصر
- الغريزة هى البداية .. ولكن
- مكانة الفلسفة فى مجتمع اشتراكى متطور
- الفلاسفة .. والمرأة
- عن العوالم اللانهائية

- أخبار الفلسفة والعلم
- قاموس العصر (الوعى)

أيديولوجيا النـــازية

وقضـــــايا العصــــر

يحتفل العالم الاشتراكى هذا العام بمرورثلاثين سنة على هزيمة النازية • ومن المعروف أنه فى عام ١٩٤٥ قضى على النازية بضربة قاضية من **أول دول اشتراكية ..** **الاتحاد السوفيتى •**

ولم يكن انتصار الاتحاد السوفيتى مرغوبا فيه من قبل العالم الرأسمالى رغم عدائه للنازية • فقد قال رئيس وزراء بريطانيا « **نيفيل تشمبرلين** » للسفير الايطالى فى لندن « **دينو جراندى** » :

« ان المانيا ثور مفترس ، والمطلوب ليس وضعه فى قفص ، وانما المطلوب توجيه هذا الثور الى هدف آخر » .

وهذا الهدف الاخر هو الاتحاد السوفيتى .

وكان « **رودلف هيس** » كاتم أسرار هتلر منحازا فى السياسة الخارجية الى بريطانيا ، وكان يتصور أن تدمير الشيوعية احدى مهام المانيا .

والسؤال عندئذ :

اذا كان ذلك كذلك فما هو مبرر العداء بين المانيا والعالم الرأسمالى ؟ خاصة وان المانيا لم تكن الا دولة رأسمالية •

جواب هذا السؤال فى كتاب **لهتلر** بعنوان « **مبادىء الفعل** » • يقول الناشر الفرنسى **برنارد جراسيه** فى مقدمة الترجمة الفرنسية :

« هذا هو اول عرض لنظرية هتلر عن الاشتراكية الوطنية منشور باذن خاص منه • وهو يحتوى على نصوص متكاملة لخطبه الرئيسية » .

وافكار هتلر المحورية فى هذا الكتاب هى على النحو التالى :

- **الثورة الحقيقية** ليست ممكنة الا عند نشوء **أزمة اقتصادية** تحدث تأثيرها فى الافراد فيحسون عندئذ بضرورة الثورة •
- وجوهر الازمة الاقتصادية يدور على حدوث **تصدع فى العلاقة بين الرأسماليين والعمال •**
- وحدوث التصدع ينشأ عند **غيـاب الطابع الابوى** لهذه العلاقة •
- وينشأ عند غياب الطابع الابوى **توهم أن ثمة تناقضا** بين مصالح الرأسماليين ومصالح العمال •
- **ويتولد عن هذا التوهم توهم آخر يدور على حتمية الغاء الملكية الخاصة ،** بدعوى أن هذه الملكية هى الجرثومة المفرزة لهذا التناقض •

● ويرى هتلر أن الماركسية هى التى تتبنى الترويج لهذا الوهم ، وتجسده فى النقابات العمالية بدعوى أن هذه النقابات هى السلاح المشروع استخدامه فى اشعال الصراع الطبقى •

● ويخلص هتلر من ذلك الى القول بأن تدمير الماركسية مسئولية تاريخية •

● والسؤال بعد ذلك :

كيف ؟

جواب هتلر عن هذا السؤال يكشف عن التناقض الثانوى بين النازية والعالم الرأسمالى ، أو بالادق بين **رأسمالية الدولة** والليبرالية . ذلك ان الليبرالية ــ ايديولوجيا العالم الرأسمالى ــ تزعم أنها هى الايديولوجيا المنوطة بحماية الطبقة الرأسمالية • فحيث تكون الطبقة الرأسمالية هى الحاكمة تكون الحرية مكفولة لها ومسلوبة من الطبقة العاملة •

ولكن **بسمارك** كان يرى ان الليبرالية واهمة فيما تذهب اليه ، **لان الليبرالية فى رأيه ، تفضى بالضرورة الى الاشتراكية الديمقراطية •**

وكان **هتلر** يرى مايراه **بسمارك** ، ولكن مع اضافة أن **الاشتراكية الديمقراطية تفضى بالضرورة الى الشيوعية ، والشيوعية تفضى بالضرورة الى الدمار** • ومن ثم يرى هتلر أن تدمير الشيوعية يستلزم منذ البداية تدمير الليبرالية •

والسؤال عندئذ :

كيف يتم تدمير الليبرالية ؟

جواب هتلر :

بتأسيس رأسمالية الدولة •

وما معنى رأسمالية الدولة ؟

ثمة **مقولات ثلاث** لازمة لفهم هذا المعنى :

الحياد ــ المصالحة ــ الشعب •

مقولة الحياد تعنى أن الدولة فوق الطبقات الاجتماعية ، **أى أنها ليست منحازة** الى أى منها •

ومقولة المصالحة مستنبطة من مقولة الحياد ، وتعنى تحقيق المصالحة [التوازن] بين الطبقات الاجتماعية المتناقضة **فيختفى الصراع الطبقى** • والنتيجة ، على حد قول هتلر ، « **لا غالب ولا مغلوب** » •

أما مقولة الشعب فمستنبطة من المقولتين السابقتين ، الحياد والمصالحة ، وتعنى عندئذ الشعب كل الشعب من غير أى مضمون اجتماعى •

غير أن هذه المقولات الثلاث ، فى حقيقة امرها ــ تعمل من أجل تدعيم الطبقة الرأسمالية •

بيد أن هتلر لا يقف عند حد رأسمالية الدولة ، اذ هو يريدها دولة حرب ضد الشيوعية ، فيدفع بمقولة الشعب الى مستوى « المطلق المنغلق على ذاته » •

وهذا المطلق المنغلق على ذاته يسمى « دينيا » « شعب الله المختار » ، وعلمانيا يسمى « الجنس النقى » •

وانتقى هتلر « الجنس النقى » ويقصد به الجنس الارى ، وارتأى أن الشعب الالمانى هو الممثل الشرعى لهذا الجنس النقى •

وانتقاء هتلر للعلمانية دون الدينية هو انتقاء موضوعى يفرضه الطابع العلمانى للحضارة الاوربية ابتداء من عصر النهضة •

أما انتقاؤه للجنس الارى باعتباره مرادفا للشعب الالمانى فهو انتقاء ذاتى ، اذ هو يقول ان « **رسالتنا هى التحكم فى الشعوب الاخرى ، وأن الشعب الالمانى مدعو الى أن يكون سيد هذا العالم** » •

ومن الواضح أن هذا الانتقاء الذاتى لايخضع لمنطق العقل أو العلم ، وانما يخضع لمنطق الغريزة ٠

وفى كتاب « هتلر قال لى » لمؤلفه **هرمان روشنج** وكان من زعماء الحكومة الاشتراكية الوطنية فى دانتزج عدة احاديث تؤكد ماذهب اليه ٠
كان هتلر يقول له ولزملائه من أعضاء الحزب :

« ثقوا فى غرائزكم وفى ارادتكم ، ولكن لاتثقوا اطلاقا فى معارفكم » ٠

« ان الانسان مخلوق للفعل ٠ اما تأمل الكون على نحو مايفعل المثقفون فمن شأنه ان يخرج الانسان من سجل الاحياء ويلقى به فى عداد الموتى » ٠

وكان هتلر يهدف من وراء ذلك الى شحن هذا المطلق المنغلق على ذاته بشحنات انفعالية لا عقلانية تدفعه بسهولة الى خوض حرب هجومية ضد الاتحاد السوفيتى كدولة اشتراكية ٠
ومع ذلك فقد قضى على النازية وبقيت الاشتراكية ٠

وبعد ان كانت الاشتراكية متحققة فى دولة واحدة امتدت الى دول أخرى كانت تنتمى الى العالم الرأسمالى ، بل امتدت الى دول تنتمى الى العالم الثالث ٠ ومن ثم بدأ العالم الرأسمالى فى التقلص ٠ الامر الذى دفعه الى وضع مخطط أقل تواضعا من مخطط هتلر ، يكتفى فى البداية بـ « **محاصرة** » الاشتراكية ٠

وتجسد هذا المخطط فى خلق دولة عنصرية هى دولة اسرائيل ، تقوم على اساس دينى وليس على اساس علمانى بحكم وجودها فى منطقة تموج بالاديان وتكاد تخلو من الطابع العلمانى ، ومن ثم تدخل المنطقة فى صراعات دينية تزيف الوعى الاجتماعى وتخفى الطابع الاستغلالى الممثل فى الدول الراعية والمساندة لدولة اسرائيل : **بريطانيا اولا ، ثم الولايات المتحدة الامريكية** ٠

وركزت اسرائيل هجومها على مصر ٠ وسبب هذا التركيز مردود الى أن ثورة يوليو ١٩٥٢ ذات البعد الاشتراكى قد فجرت ثورات اخرى فى العالم الثالث ٠ **ولكاسترو** قول مأثور « **لولا ثورة يوليو لما كانت ثورة كوبا** » ٠
حركة التاريخ تقدمية ٠

والسؤال الآن :

هل ثمة أمل فى تدمير مصر الثورة ؟

الجواب بالسلب ، وان كان يبدو على سطح مصر الثورة يفيد الجواب بالايجاب ، لان حركة التاريخ تقدمية ٠

والسؤال عندئذ :

وما هو مصير اسرائيل ؟

مصيرها هو مصير من يسبح ضد التيار ٠

انه يسبح ولكن الى حين ٠

لان من يسبح ضد التيار مقاومته مؤقتة ٠

وهذه هى الحقيقة ٠

ومع ذلك يترجمها الاسرائيليون على النحو التالى :
ان العرب يريدون اغراقنا فى البحر ٠
وهذه ليست الحقيقة ٠

د٠ مراد وهبة

عن مؤتمر

حظر انتشار الأسلحة النووية

د. ابراهيم حمودة *

عقد فى جنيف ، خلال شهر مايو الماضى ، مؤتمر لمراجعة معاهدة حظر انتشار الاسلحة النووية وذلك بغرض التأكد من أن أهداف المعاهدة وموادها قد تحققت. وقد كان هذا المؤتمر شديد الاهمية بالنظر الى ان هذه المعاهدة تعتبر أول معاهدة فى العصر الحديث تنظم ظروفا متصلة بالتسلح ، وتعالج مشكلة سلاح بالغ الخطورة يهدد مستقبل البشرية وحضارتها . كما أن مؤتمر المراجعة ناقش مناقشة دقيقة التزامات الدول الاطراف تجاه هذه المعاهدة ، ومدى ما حققوه منها ، ومايجب اتخاذه من خطوات لانجاح أهداف هذه المعاهدة .

معاهدة حظر انتشار الاسلحة النووية

تحتوى معاهدة حظر انتشار الاساحة النووية على مجموعة من التعهدات والالتزامات تمثل كل منها على حدة هدف شديد الاهمية .

وتتحدد أهداف هذه المعاهدة فيما يلى :

[أ] وقف انتشار الإسلحة النووية لغير الدول الخمسة التى كانت تملكها عام ١٩٦٦ .

[ب] زيادة التعاون الدولى نحو تطوير الاستخدامات السلمية للطاقة الذرية، وعلى الاخص مساعدة الدول النامية فى هذا المجال .

[جـ] منح أطراف المعاهدة كل المزايا التى يمكن الحصول عليها من التفجيرات السلمية للطاقة الذرية .

[د] مواصلة المفاوضات نحو وقف سباق التسلح ونحو نزع السلاح النووى ونحو عقد معاهدة لنزع السلاح الكامل تحت مراقبة دولية شاملة ومانعة.

مؤتمر المراجعة :

وقد تم عقد مؤتمر مراجعة معاهدة حظر انتشار الاسلحة النووية فى جنيف فى الفترة من ٥ مايو الى ٣٠ مايو ١٩٧٥ .

وكانت مهمة المؤتمر هى مراجعة عمل المعاهدة بغرض التأكد من أن أهداف فاتحتها وموادها قد تحققت . وهذه المهمة شديدة الاهمية بالنظر الى أن معاهدة حظر انتشار الاسلحة النووية تعتبر أول معاهدة فى العصر الحديث تنظم ظروفا متصلة بالتسلح ويجرى بالنسبة لها مراجعة دقيقة تشمل تصرفات أطراف المعاهدة نحوهـا ونحو تحقيق أهدافها ...

ويزيد عدد أطراف المعاهدة عن تسعين دولة .. حضر منهم الى هذا المؤتمر مندوبين عن ٥٧ دولة.. كما حضر مندوبون عن سبعة دول وقعوا المعاهدة ولم يصدقوا عليها ومن بينهم جمهورية مصر العربية... كما طلب الحضور كمراقبين مندوبون من سبعة دول لم تصدق على المعاهدة ولم توقع عليها ..

اعمال المؤتمر :

وقد اظهرت المناقشة العامة التى اشترك فيها ممثلون لستة واربعين دولة التيارات الاساسية التى حكمت سير المناقشات والمفاوضات خلال جلسات اللجان الفنية وقد كررت المناقشات على وجه العموم .. الصورة التى بدأت تظهر فى كثير من المؤتمرات الدولية التى عالجت المشاكل ذات الصفة العالمية مثل البيئة ، والطاقة والمواد الخام ، والسكان والغذاء ، وهذه الصورة هى الصدام بين الدول الغنية والدول الفقيرة .. الا

* مدير مركز البحوث النووية ـ هيئة الطاقة الذرية .

أن هذا المؤتمر تميز بان الدول الغنية ، غير المسلحة نوويا ، كانت تقف على وجه العموم في صف الدول الفقيرة غير المسلحة نوويا ... كما تميز كذلك عن المؤتمرات السابقة ، في أنه في تلك المؤتمرات كان الاطراف يسعون الى الوصول الى اتفاقات جديدة نحو مشاكل قائمة فعلا .. أما في هذا المؤتمر ،فقد طالبت الدول غير المسلحة نوويا بأن تلتزم الدول المسلحة نوويا بتعهداتها القائمة فعلا في المعاهدة موضوع المراجعة ..

وقد ذكرت السيدة أنجاثورسون رئيسة المؤتمر [السويد] بانه مما لا شك فيه ان مجموعتى الدول الاطراف في المعاهدة ، وهى مجموعة الدول المسلحة نوويا ، ومجموعة الدول غير المسلحه نوويا ، قد التزمت كل منهما بالتزامات معينة في هذه المعاهدة ... فالدول غير المسلحة نوويا تعهدت بألا تسعى الى تصنيع الاسلحة النووية ، أو الحصول عليها ،بينما تعهدت الدول المسلحة نوويا بأن تبدأ المفاوضات بغرض الوصول الى ميعاد قريب [حسب نص المعاهدة] على وقف سباق التسلح والاستمرار الى نزع السلاح الشامل ، وخاصة السلاح النووى.

وقد اجمعت كل الدول على ان الدول غير المسلحة نوويا قد التزمت بتعهداتها ، ولم تسع الى تصنيع أو تملك الاسلحة النووية . بينما كان الرأى العام لهذه الدول هو أن الدول المسلحة نوويا لم تحقق النتائج المرضية بالنسبة لتعهداتها لبذل الجهود نحو نزع حقيقى للسلاح النووى . بما يعكس رأيا عاما عالميا بان العالم ينتظر بفارغ الصبر ، نتائج ايجابية وملزمة عن المفاوضات الثنائيه نحو انتهاء السباق الكمى والكيفى نحو التسلح ، وتخفيض أعداد الاسلحه النووية .

وقد كان موضوع ضمانات الامان للدول غير المسلحة نوويا .. في عالم ما زال مسلحا بالاسلحة النووية، من الموضوعات التى أشار اليها الكثير من مندوبى الدول ، وعبرت عن قصور قرار مجلس الامن رقم ٢٥٥ لعام ١٩٦٨ لتحقيق هذه الضمانات ، وينص هذا القرار على ما يلى :

١ — يدرك المجلس أن استخدام الاسلحة النووية أو التهديد باستخدامها ضد دولة غير مسلحة نوويا ، يخلق موقفا يدعو مجلس الامن ، وخاصة الدول المسلحة نوويا من اعضائه الدائمين، الى التدخل حسب التزاماتهم تحت ميثاق الامم المتحدة .

٢ — يرحب بالرغبة التى ابدتها بعض الدول بتقديم العون والمساعدة العاجلة حسب الميثاق ، لاى دولة غير مسلحة نوويا ، طرف في معاهدة حظر انتشار الاسلحة النووية ، تصبح ضحية لاعتداء يقع عليها باسلحة نووية او لتهديد باستخدام هذه الاسلحة .

٣ — يؤكد حق الدول منفردة أو مجتمعة في الدفاع عن نفسها ، حسب البند ٥١ من الميثاق ، عند حدوث هجوم مسلح ضد دوله عضو في الامم المتحدة ، وذلك حتى يتخذ المجلس الاجراءات اللازمة لاقرار السلام والامن العالمى .

وقد بدا أن هناك شبه اجماع ، من الدول غير المسلحه نوويا ، على ان تتعهد الدول المسلحه نوويا تعهدا ملزما ، بعدم استخدام الاسلحة النوويه او التهديد باستخدامها ضد اى دوله غير مسلحة نوويا وطرف في المعاهده . وقد ربط بعض ممثلى الدول بين هذا التعهد وانشاء المناطق منزوعة السلاح النووى ، كما بدا واضحا الحاجه الى اجراءات اكثر تأمينا للدول غير المسلحة نوويا ضد الاعتداء عليها بأسلحه نووية وهى التى تنازلت ، كاطراف في المعاهدة وبمحض ارادتها ، عن حقها في انتاج الاسلحة النووية .

وأبرزت المناقشات الاهميه الكبيرة التى تعلقها الدول الاطراف في المعاهده ، وخاصه النامية منها ، على الحصول على المصادر اللازمة للطاقة النووية ، وعلى الخبرة التكنولوجية ، التى تمكنهم من استخدام هذه الطاقة نحو التقدم الاقتصادى والاجتماعى.. وكذلك ضرورة زيادة الاعتمادات المتاحه للوكالة الدولية للطاقه النووية حتى تتمكن من تقديم المعونات للدول النامية الاطراف في المعاهدة ، وكنتيجة حتمية لذلك ، أعطى اهتمام كبير لاستخدام التفجيرات النووية للاغراض السلمية وعلى التعاون في هذا المجال.

وبالنظر الى الزيادة المضطردة في اقامة المفاعلات النووية وما يرتبط بذلك من زيادة امكانيات تصنيع الوقود النووى والمواد الانشطارية ، فقد عبر الكثيرون عن قلقهم من احتمال لجوء عصابات اجرامية أو منظمات ارهابية الى وضع اليد على منشآت ذرية أو وقود نووى ، أو اتلاف منشآت ذرية أو التهديد باتلافها وما يرتبط بكل ذلك من أخطار اشعاعية أو حتى أخطار توجيه المواد الانشطارية المستولى عليها الى انتاج قنابل ذرية .. ومن هنا فانه يجب اتخاذ الاجراءات نحو زيادة أمن المنشآت الذرية ، وحث الوكالة الدولية على وضع توصيات مناسبة للدول الاعضاء لتأمين المنشآت الذرية .

وبالنسبة لتطبيق البند الخامس من المعاهدة والذى ينص على اتاحة الافادة من التفجيرات السلمية للطاقة الذرية للدول الاطراف في المعاهدة فقد كانت هناك مناقشات موضوعية

وخاصة فى اللجنة التى اختصت بالبنود الفنية من المعاهدة . وقد برزت فكرة استخدام التفجيرات النووية للاغراض السلمية مع فجر العصر الذرى .. وقد تمت دراسات عديدة فى هذا المجال فى كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى .. الا انه على الرغم من هذا الاهتمام وبالرغم مما بذل من أموال وجهود ، الا ان توقعات الافادة من هذه التفجيرات فى الاغراض السلمية يبدو الان أبعد مما كان عند بدء هذه الدراسات .

وتتميز التفجيرات النووية بالكثافة الضخمة لقدرتها التفجيرية مما يضفى عليها مزايا هامة خاصة بالنسبة للاعمال الهندسية تحت سطح الارض ، هذا بالاضافة الى أن المفجر النووى تكون تكاليفه اقل كثيرا من التفجير التقليدى المناظر له فى القدرة ، والتقدير الحالى لتكلفة تفجير بقدرة مائة الف طن هو حوالى ٧٠٠ الف دولار أمريكى .. وهو أقل كثيرا من سعر مائة الف طن من المفجرات التقليدية .

اما عيوب هذه التفجيرات فتنحصر فى الاشعاعات التى تتخلف عنها ، هذا بالاضافة الى أن التفجيرات تحت سطح الارض تولد زلازل اصطناعية لها نفس الاخطار على المبانى والمنشآت مثل الزلازل الطبيعية .. كما أن العلاقة بين التفجيرات السلمية والقنابل الذرية ، تحتم ان يكون انتاج هذه التفجيرات واستخدامها بواسطة هيئات حكومية مما يضع بعض القيود نحو استخدامها فى نطاق الاعمال الانشائية عن طريق أعمال المقاولات الحرة ..

وفى خلال الفترة من ١٩٥٦ الى ١٩٧٤ ، انفقت الولايات المتحدة ١٦٠ مليون دولار على دراسات التفجيرات السلمية .. وبعد عقد معاهدة الحظر الجزئى على التفجيرات الذرية عام ١٩٦٣ تركزت الدراسات اكثر فى التفجيرات تحت سطح الارض . وتحليل هذه الدراسات يبرز بعض المجالات الهامة التى تعتبر صالحة لاستخدامات التفجيرات النووية السلمية ... منها تنشيط انتاج الغازات الطبيعية من تكوينات غير مسامية وعمل فجوات تحت سطح الارض لتخزين البترول والغازات الطبيعية . الا أن بعض التجارب التى أجريت اثبتت انه ما تزال هناك صعوبات تحول دون التوسع فى تطبيقات التفجيرات الذرية للاغراض السلمية بحيث انطفأ كثير من التفاؤل الذى صاحب التفكير الابتدائى فى هذه التطبيقات ، وكان الرأى الذى عبر عنه الكثير من المتحدثين هو أن فوائد ومزايا التفجيرات الذرية ليست جذابة بالدرجة الكافية التى تبرر التنازل عن الاتفاق على الوقت الكلى لتجارب التفجيرات الذرية .

وفى سبتمبر ١٩٧٤ ، عقد فى ديفون مؤتمر من مجموعة من الخبراء والعلماء والسياسيين ، يمثلون سبعة عشر دولة ومنظمة عالمية . وقد نظم المؤتمر اتحاد الحد من الاسلحة ومنظمة كارينجى للسلام العالمى .. وقد توصل هذا المؤتمر الى بعض القرارات التى تمثل توقعات الرأى العام العالمى من مؤتمر مراجعة حظر انتشار الاسلحة النووية ، حتى يكون المؤتمر قد نجح فى المهمة الموكولة اليه ، ولعل مقارنة هذه « الامال » بما انتهى اليه المؤتمر من قرارات يمكن أن يعطى مؤشرا الى مدى نجاح هذا المؤتمر فى تحقيق أهدافه ..

لقد كان رأى **مؤتمر ديفون** انه على الرغم من أن معاهدة حظر انتشار الاسلحة النووية لا يمكن اعتبارها معاهدة مثالية ، الا انها وسيلة يمكن الافادة منها فى استتباب السلام والامن العالمى ، وأن المعاهدة لا تعانى من ضعف نصوصها بقدر ما تعانى من عدم الوفاء بهذه النصوص .. وقد اقترح مؤتمر ديفون ما يلى كوسيلة لتقوية المعاهدة ، نصفها فى مقارنة مع قرارات مؤتمر المراجعة للحكم عن مدى نجاح هذا المؤتمر الأخير فى تحقيق أهدافه .

١ ـ لابد أن تلتزم الدول المسلحة نوويا بتعهداتها للسعى الى نزع السلاح ، وعلى الاخص بتخفيض اعداد الوسائل الحاملة للاسلحة النووية وتحديد عدد اختبارات اطلاق الصواريخ ، والتفاوض نحو منع شامل لكل اختبارات التفجيرات النووية وليس وضع حد أعلى لها فقط .. بل ان معاهدة الحد الاعلى للتفجيرات النووية اعتبرت خطوة مؤسفة الى الخلف .

وفى هذا الخصوص احتوى البيان النهائى للمؤتمر على الترحيب بالاتفاقيات الاخيرة التى تمت نحو تحديد السلاح ونحو نزع السلاح التى تمت فى السنوات القليلة الاخيرة ، وعلى التعبير عن قلقه الجاد من حيث أن سباق التسلح وخاصة بالنسبة للاسلحة النووية ، مازال مستمرا ، وحث المؤتمر أطراف المعاهدة ، وخاصة الدول المسلحة نوويا ، على ابرام معاهدة للحظر الشامل لاختبارات الاسلحة النووية .

٢ ـ أن تقدم الدول المسلحة النووية ضمانات افضل للدول الغير مسلحة نوويا، بأن تتعهد بعدم استخدام الاسلحة النووية أو التهديد باستخدامها ضد الدول غير المسلحة نوويا الاطراف فى المعاهدة ، كما تشجع هذه الدول

انشاء المناطق الخالية من الاسلحة النووية .

وفى هـذا تضـمن البيان النهائى أن المؤتمر يعتبر ان قيام مناطق منزوعة السلاح النووى ، بناء على مبادرة الدول المعنية وعلى اتفاق بينها ، يمثل وسيلة فعالة نحو وقف انتشار الاسلحة النوويه ويمكن أن يساهم فى أمـن دول هـذه المناطق .ويرحب المؤتمر بالخطوات التى اتخذت نحو اقامة هذه المناطق . ويعتبر أن تعاون الدول المسلحة نوويا ضرورى لامن هذه المناطق . كما يحث المؤتمر الدول المسلحة نوويا بأن تقـدم بالطريقة المناسبة ، تعهدات وضمانات ملـزمة للدول فى هذه المناطق ، كما يحث المؤتمراطراف المعاهدة ، سواء من الدول المسلحة نوويا أو غير المسلحة نوويا ، بأن تحجم عن استخدام القوة أو التهديد بها .

٣ ـ أن فوائد التفجيرات الذرية للاغراض السلمية ما زالت غير مؤكدة وأن على السكرتير العام للامم المتحدة ان يبذل الجهود لاستيفاء الدراسات الخاصـة ببرامج هـذه التفجيرات واستخدامها وأنه الى حين اتمام هذه الدراسات يجب وقف كل اختبارات التفجيرات الذرية .

وفى هذا تضـمن البيـان النهائى لمؤتمر المراجعة ، ان المؤتمر يحث الوكالة الدولية لان تعجل عملها لتحديد ودراسة المشاكل القانونية المرتبطـه بالافاده بالتفجيرات الذرية للاغراض السلمية الخاصة المنصوص عنيها فى هذا البند .

٤ ـ ان امداد الدول بالمنشآت النـووية والتكنولوجيا النووية ، سواء اكانوا اطراف فى المعاهدة أم لايجب ان يكون مقصوراً على الدول التى تقبل أن تضع كل أجهزتها النوويه تحت رقابه الوكاله الدوليه للطاقه الذريه والتى تلتزم بنظام ضماناتها .

وفى هذا ، تضمن البيان النهائى للمؤتمر ، الحث على تقوية نظام الضمانات بكل الطـرق الممكنة ؛ وخاصة بعد تطبيق نظام الضمانات كل الانشطة الذرية السلمية فى الدول المستوردة الغير طرف فى المعاهدة .

٥ ـ لابد من تقوية نظام الضمانات وتعميمه على كل الدول مع زيادة الاهتمام بتأمين المنشآت والمواد النووية ضد أخطار السرقة أو الاعتداء من عصابات اجرامية أو منظمات ارهابية أو غير حكومية .

وفى هذا تضمن البيان النهائى للمؤتمر الحث على العمل فى نطـاق الوكالة الدولية للطـاقة الذرية ، الى توصـيات محـددة لامن المنشآت والمواد النووية أثناء تشغيلها أو نقلها أو تخزينها بما يشمل المبادىء المتصلة بمسئولية الدول فى ذلك لضمان حد أدنى من أمن هـذه المنشآت والمواد .

ويتضح مما سبق الهوة الواسعة بين القرارات التى توصل اليها المؤتمر والامال التى كانت معقوده عليه .. وقد كاد المؤتمر يفشل فى الوصول الى اجماع بالنسبة للبيان النهـائى للمؤتمر لولا حزم رئيسة المؤتمر وقيـادتها الحكيمة لاعماله . وليس أدل على الصعوبات التى صادفها المؤتمر من حقيقة أن اللجان التى قامت بدراسه ومناقشه مشاريع القرارات التى تقدمت بها الدول المختلفه لتضمينها ضمن البيان النهائى لم تصل اى منها الى قرارات محدده . واضطرت اللجنتان اللتان قسمت بينهمـا بنود المعاهده للمراجعه الى تحويل كل مشروعـات القرارات المقدمه الى المؤتمر العام والذى حولها بدوره الى لجنة الصياغه التى فشلت بدورها . بعد مناقشات ومفاوضات مضنية فى الوصول الى اجماع بالنسبة لقراراتها وظهر الخلاف واسعا بين الـدول المسلحة نوويا وغير المسلحه نوويا .. وقد اضطرت رئيسة المؤتمر الى تقديم مشروع من رئاسة المؤتمر يمثل الحد الادنى ، من وجهة نظرها ، لما يمكن أن يتضـمنه البيـان النهائى .. وبعد مناقشات ومفاوضـات قبلت الدول تبنى هذا المشروع بالاجماع على أن يفسح المجال بعد قبوله للدول المختلفة لتعبر عـن تحفظاتها نحو هذا المشروع وملاحظاتها عليـه وبشرط أن تدرج تحفظات وملاحظات هذه الدول ضمن أوراق المؤتمر وقد كان .

وقد كان الرأى السائد أن عدم وصول المؤتمر الى قرارات محددة بشأن تعهد الدول المسلحة نوويا بالوقوف الشامل لاختبارات الاسـلحة النوويه ، والتعهد بتخفيض ملموس للاسلحة النوويه الاستراتيجيه فى تاريخ محدد وقريب ، والتعهد بعدم استخدام الاسلحة النـووية أو التهديد باستخدامها ضـد الدول غير المسـلحة نوويا الاطراف فى المعاهده ، يمثل فشل المؤتمر ، وان هذا الفشل لا يجب ان يغلف بتصريحات أو قرارات سطحية فى البيان النهائى للمؤتمر .. حيث أن مثل ذلك البيان قد يؤدى بالدول غير المسلحة نوويا الى شعور زائف بالامن مبعثه أن نظام الضمانات سوف يمنـع الانتشـار الافقـى للاسلحة النووية ، بينما يستمر الانتشار الرأسى للاسلحة النووية غير مقيد أو مكبوح . كما أن الوصول الى بيان سطحى للمؤتمر سوف لا يعطى الولايات المتحدة أو الاتحاد السوفيتى أى حافز جديد لانهاء سباقهم المستمر فى الاسـلحة النوويه ، كما لن يعطى للدول التى لم تصبح بعد طرفا فى المعاهدة أى حافز جديد للانضمام اليها والالتزام بها ..

نظـــرة اســـــلامية
الى التـــكنولوجيــــا

د. محمد عزيز الاحبابى *

الاسلام عقيدة وايمان ، وهو بهذه الصفة يمارس الحياة فى هذا العالم ، ويقيمه ، وينظر اليه ، من حيث أن العالم أحداث تاريخية ، وثقافة . لذا نجد الاسلام معنيا فى علاقاته بالميكنة بأن يتكيف معها ، ويطور نظرته كى تتوافق مع هذا النظام العصرى . والواقع أن صراعا قد نشب على المستوى الاجتماعى ، واحد طرفى هذا الصراع هو هذه التكنولوجيا التى تشكل نظاما يفرض رؤيته الخاصة للعالم والاجتماعات . وطرفه الاخر هو الدين الاسلامى الذى يرمى أيضا الى تنظيم المجتمعات بناء على رؤية خاصة به . فنحن اذن بازاء طريقتين فى التفكير ، كل منهما تفرض نفسها بنفس القوة . بل ويبدو انهما متعارضتان . فالتكنولوجيا تحصر نفسها - باسم الموضوعية والعقلانية - داخل المعطيات الزمكانية [أى الزمانية المكانية] للعقل ، على نحو ما هو متضمن فى اللحظة التاريخية التى يعيشها المجتمع الصناعى ، وهو لهذا نابع من ايديولوجية مقفلة ، ولكنها خاضعة على الدوام لهزات التغير الذى يلقى بذور التقلقل والقلق مما هو غير متوقع .

وهكذا يلقى هذا العقل نفسه محصورا ، ويقر على نفسه بالعجز فى مواجهة ما تسفر عنه التكنية والعلم ، على نحو ما كان عاجزا أمام ما لا يمكن التعبير عنه من الامور السيكولوجية . وكذلك تلغى التكنولوجيا نفسها - من حيث هى أسلوب حياة - عاجزة عن التغلب على هموم غير المتوقع ، والصدمات العنيفة التى تتمخض عنها الاسواق والطبقات الاجتماعية ، والاحباطات التى تنتشر على مستوى الافراد . **فالميكنة لا تستطيع أن تهيمن على حياة المدن بدون المجازفة بجعل العالم لا انسانيا باطراد .**

أما الطريقة الاخرى من طرق النظر الى الامور ، فهى طريقة « **المؤمن** » ، حيث رؤيته ذات بعد أساسى سام أو مفارق . والمؤمن من خلال رؤيته هذه يلحظ الكون ويجتهد فى تفسيره وتجاوزه .

والمسلم ليس بالضرورة صوفيا أو زاهدا ، بل هو على العكس من ذلك انسان يعيش ايمانه بما هو التزام اجتماعى ، وتعاقد بشرى ، تحت عين الله السميع البصير العليم ورعايته . وهو سبحانه لا تأخذه سنة ولا نوم .

وهذا يقتضى ضميرا خلقيا فرديا فى يقظة دائمة وانتباه مستمر لكل ما يدور حولنا .

ولما كان الله - جلت قدرته - هو العليم بالاطلاق ، فعلمه اذن محيط بكل شىء ، مما يجعل الكون والاشياء صغيرها وكبيرها مجالا لعلمه وقدرته . وذلك يلقى علينا مسئولية تجاه العالم ، ومسئولية عنه كى نتعهده بالرعاية والتصرف كى ننفذ فيه وصايا الله . وهذه مهمة أو رسالة

* أستاذ الفلسفة بكلية الاداب بالمغرب - كتب مقاله بالفرنسية وترجمه الى العربية الدكتور نظمى لوقا

هائلة ، ولكنها نبيلة سامية ، لانها موضوع الامانة التي كلف الله بها الانسان « انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال ، فأبين أن يحملنها ، وأشفقن منها ، وحملها الانسان » ٠

واذ حمل الانسان الامانة صار الحائز ، أو واضع اليد ، على الارض ، ليتولى أمورها خليفة لله عليها ، بالتكليف الالهى ٠ ومن ثم يكتسب العمل معنى خلقيا انطولوجيا ٠ **ولم يعد العمل محنة ، بل دليل قدرة الفكر البشرى على الاختراع والابداع ٠ فالعمل هو المظهر الملموس للدينامية الذهنية والروحية التى يتميز بها الانسان ٠ وهو بعد للشخصية ، ومجهود يتحقق به تأنيس العالم ٠** وبذلك يؤدى استخلاف الله للانسان على الارض الى تكريم الانسان ، الذى يرفع بدوره من مكانة الارض وكرامة العمل الذى يمارسه ، بأن يجعله رسالة مقدسة ٠

والتكنولوجيا انما هى نتيجة جهود الانسان الفكرية والمادية ٠ ثم هى فى خدمة الانسان وخدمة العمل الانسانى الذى رأينا قيمته بالمعنى الاسلامى ٠ فهى اذن مظهر تتجلى فيه « **خلافة** » الانسان على الارض ٠

ولكنها اذا انحرفت عن هذا المعنى ، فقدت أساسها القيمى الذى هو ضمان قداستها ، وصارت تهديدا دائما لامن الانسان وكرامته ٠ أو ليس الضيق العالمى الذى نشاهده ونحسه اليوم مرجعه ــ أو مرجع الكثير منه ــ الى هذا ؟

ان التكنولوجيا تولد احتياجات تتولى اشباعها لدى أعداد قليلة ، ولكنها تلقى بالاغلبية فريسة للاحباطات . وهكذا يلغى العالم نفسه متذمرا من الوضع الراهن للامور ، ويشعر أنه فى مفترق الطرق ، أو فى طريق مسدود تتراكم فيه التهديدات ، فتتراجع أمامها الامال والمشاعر الكريمة البريئة ٠ فان أنت طالبت بتحسين ظروف العمل اتهموك بالتمرد ٠ وان طالبت بالعدالة الاجتماعية رموك بالتخريب ، وبذلك تفسد حياة الكثرة بينما هم ييسرون حياة سواهم ٠ فلم يعد ممكنا أن يخامر المرء طموح مشروع فى اطار هذه المظالم المنظمة ، بحيث يؤدى ازدياد التعاسة لدى فريق الى زيادة ازدهار وثراء الاخرين ٠

فماذا يصنع المؤمنون ؟ انهم يكونون جيش الصمت العالمى ، وهذا الصمت فى نظر الايمان الاسلامى خطيئة كبرى ، وجريمة فى حق المجتمع ٠ **فالاسلام صريح قاطع فى هذا الشأن بأن على كل امرىء أن يناضل لمنع الشر [ينهون عن المنكر] وتزكية وتأييد الخير [يأمرون بالمعروف] ٠**

فماذا ينبغى على المسلمين أن يصنعوا لتغيير الاحوال التعسة ؟ الجواب الاسلامى عن هذا السؤال صريح قاطع : « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » ٠

أى أن التغيير يجب أن يبدأ من الداخل : من دخيلة النفس ٠ وبعد هذا التطهر الداخلى الذى تسمو به النفس ، يكتسب الجسم قيمة جديدة من حيث هو أداة هذا النفس لتحقيق اغراضها ٠ وبذلك يعود الانسان الى مكانته الاسلامية : خليفة الله فى أرض الله ٠

وليس التغيير الداخلى نقاء خلقيا فحسب ، بل هو أيضا ــ وربما قبل ذلك ــ تغير فى العقلية أو أسلوب التفكير ٠ وللتاريخ ذاكرة ينبغى على أى مصلح منطقى مع نفسه ألا يتجاهلها ٠ ومن أسف أن بعض المتمردين أو الفوضويين ــ الذين يخالون أنفسهم ثوريين ــ يريدون باسم العصرية والعداوة للماضى أن يشيدوا المستقبل من نقطة صفر هى اللحظة الحاضرة ، وبذلك يكون التراث بكل وزنه القومى ، وتكون الحياة الروحية بكل آفاقها ، لغوا غير وارد فى نظرهم القاصر ٠

ان التقدم التكنى ، والنمو الاقتصادى ، لا قيمة لهما فى ذاتهما ٠ والعمل الذى لا يكون هدفه الا حياة الكفاف ليس عملا انسانيا ، وكذلك العمل الذى لا يؤدى الا للحصول على أجر ٠

وفى الاسلام أصل خطير الشأن بين أصوله الجليلة ، ذلك هو « **الاجتهاد** » ٠ فأصول الاسلام هى القرآن وسنة النبى ، والاجتهاد ، والاجماع ٠ والاجتهاد يستخدم القياس للوصول الى الرأى الموافق للاسلام فى المواقف والامور المستحدثة التي لم يرد فيها نص من قرآن أو سنة ٠ أما الاجماع فهو صمام الامان الذى يقى الاجتهاد بالرأى الفردى من المزالق والانحرافات ٠

ومن المعلوم للكافة أن مجتمع الوفرة التكنى يلتمس ــ عبثا ــ الهرب من متاعبه ومنغصاته الى جنة مصطنعة من المرفهات والادمان ، ولكن ما من شىء من هذا كله يكفل للانسان الملاذ مما يعانيه فى مجتمع يجعل الانتاج او العائد مقياسا لكل شىء ، حتى لقد غدا المال مطلق السلطان ، وشعر الانسان العصرى بالضياع ، لانه يصنع الحياة ولا يتذوقها ٠

والاسلام لا يتجاهل الاوضاع المادية ، ولكنه يسعى الى تغيير نظرة الناس اليها ، وتفاعلهم معها ، وتأثرهم بها ، وتأثيرهم فيها ، كى يسترد

الانسان مكانته التى أضفاها الله عليه وكرمه بها .

ويحاول المجتمع التكنى العصرى استخدام كثير من الاساطير عسى أن توفر للانسان الطمأنينة من القلق ، فيرسم مثلا عليا هى الارتداد الى الانسان البدائى أو الهمجى الطيب السعيد ، أو تتحدث عن تفوق الدم الارى ، أو غير ذلك . والواقع أن الانسان فى هذا المجتمع اذاانساق له ألفىنفسه وجها لوجه أما الالة التى تجعله غريبا ، غربة تزداد بمرور الوقت . فهل هذا هو الطريق لتحرير الانسان ؟ لا التحليل النفسى . ولا العلاج النفسى ، ولا تنظيم الجولات السياحية وشغل أوقات الفراغ ، ولا المخدرات ، ولا المهدئات ، أتاحت للانسان التغلب على الضجر والقلق الناجمين عن الاغتراب .

أفلا يجدى فى هذا كله ضرب من التجاوز الروحى .

« يا أيتها النفس الامنة المطمئنة ... » .

وكل امرىء - بطبيعته - عرضة للقلق والهم ، ولكن الطبيعى أيضا أن ينشد المرء طمأنينة النفس . والايمان الصادق وحده هو الذى يكفل الطمأنينة ، بفضل الطموح الى ما هو سام ومفارق .. والمؤمن فىالاسلام هو منيشارك فى اهتمامات المجتمع ويعمس لخيره ، فهل التكنولوجيا عون له فى ذلك أم لا ؟

ان التكنولوجيا - فى حد ذاتها - مصدر أعاجيب كثيرة للبشرية ، ولكنها - فيما يتعلق بالخير والشر - وسيلة محايدة ، لا هى فى ذاتها خير ولا شر . فكل رسالتها تطبيق العلم . ولابد اذن من التمييز الحاسم بين الاستخدام الحسن والاستخدام الشرير للتكنيات . ولكن السائد فى المرحلة الراهنة هو الاثار القاسية للتكنولوجيا . وتتصدر هيروشيما القائمة السوداء .. وفيها ويلات أخرى ، منها النابالم .. وأنها لقائمة حافلة بما جعل انسان أواخر القرن العشرين يحس لعنة التكنولوجيا أكثر مما يحس ببركاتها .

والى جانب هذه الكوارث الصارخة توجد ضروب أخرى من الالام المؤيدة بالارقام : ٩٠٠ مليار دولار للتسليح ، مقابل ٣٥ مليارا فقط لمساعدة العالم الثالث ! ولا تنس أن قسما كبيرا من هذا الـ ٣٥ مليارا يقدم للعالم الثالث فى صورة أسلحة ، أو يستخدم لشراء الاسلحة ! وهناك أيضا التلوث ، ومشكلات البيئة ومشكلات الاسكان ، وضغوط الاستعمار الجديد ، وقوانين الاسواق . وهذه كلها تستعيد الانسان للاشياء : الاشياء التى ابتكرها وصنعها بيده !

فماذا ينبغى أن يكون موقف المسلم ؟ أيرفض التكنولوجيا أم يحاول استيعابها من غير أن يتنكر لمبادىء دينه ؟

ان الرفض لا يتفق والاسلام الذى يجعل الانسان خليفة الله على الارض . والتكنولوجيا أدوات هى امتداد لحواس الانسان وأعضائه . وفى ذلك أيضا خذلان للجيل الجديد المشوق الى المطلق ، والذى يشكو الضياع . ورفض استخدام التكنولوجيا لتوفير الرخاء انما هو رفض للرحمة ، وهى من مبادىء الاسلام ، وخيانة للامانة واليقظة الفكرية المترتبة عليها . فلابد اذن من قبول التحدى وتسويته على أفضل وجه .

وليست فى القرآن سورة واحدة ، وما من حديث واحد من أحاديث نبى الاسلام تبرر رفض الميكنة ، والتمتع بما تتيحه من رخاء ورفاهية ، لان الاسلام يحل للمسلمين الطيبات فى نطاق طاعة الله . فلنا اذن أن نستخدم « **الاجتهاد** » لنصل الى رأى فى مسألة التكنولوجيا يتفق والاسلام .

ولما كانت التكنولوجيا هى الدراسة العقلية للتكنيات [أى وسائل تطبيق التقدم العلمى لترقية الانتاج والاداء] ، فالتكنولوجيا اذن موضوع بحث عقلى لتطبيق نظريات العلم ، والعلم موضوعه البحث فى نواميس الوجود فى المادة الجامدة والحية ، والظواهر الطبيعية التى يمكن قياسها لاستخلاص قوانينها ، فهو يستبعد كل ما هو كيفى أو موضوع احساس ذاتى ، وكل ما لا يمكن قياسه عموما . فالعلم كمى لا كيفى ، وبالتالى فهو لا يهتم بالغذاء الروحى للانسان واحتياجاته الشعورية ، بل بحاجاته المادية فحسب ، ولكنه لم ينجح فى تحرير الانسان خلقيا وسياسيا واجتماعيا من متاعبه .

وهل يمكن أن نتحدث عن تحرر للضمير أو الوعى تحت كل هذه الضغوط العصرية ، التى جعلها العلم ضغوطا محكمة خانقة ماكرة ؟ بل ان المبادأة الفردية أيضا صارت مجمدة ، لخضوعها لمبدأ قيمة الانتاج ، فلا أحد يعيش حياته ، لان العلم يتصور أو يكتشف ، والتكنولوجيا تطبق وتعقلن ، والانسان عاجز أمام هذا الطغيان .

ان الرياضيات هى النموذج الاعلى للعلوم

المضبوطة • فهل تعد العلوم الانسانية علـوما بالمعنى الدقيق ؟ انها ليست رياضية ، وبالتالى ليست علمية ، وعلياتها غير قابلة للقياس •

ان العلم يحرم على نفسه استخدام أحكام القيمة ، وبذلك يسد فى وجهه كل مجالات الواقع الانسان الكلى . والعلم بطبيعة الحال ـ وبحكم تعريفه ـ ينبغى آلا يتكيف بـاللاعقلى • ولكن اللاعقلى جزء من الواقع المعاش • والا فهل نذكر التعاطف ، والحب ، والحنين ، لا لشىء الا لانه لا يمكن قياسها ؟

ثم ان العلم ـ بحكم تعريفه ـ لا يقيم المعايير أو القيم التى تربط لبنات الحياة الاجتماعية بعضها ببعض • وهنا أيضا لابد من سلطة خارج العلم • سلطة تتجاوزه ومفارقة له •

والاسلام غائى فى منظوره عن التقدم والتطور والصيرورة • ولكن غائيته ليست جمودا ، لانه ينص على « **البصيرة** » التى يواجه بها الانسان المواقف الجديدة ، ليكون تصرفه موافقا لروح الايمان وتعاليم الدين الاساسية • وهذه البصيرة هى التى تهدى المرء الى تقييم التكنولوجيا ، وما هو نافع منها لاغراضه وطمأنينة نفسه ، وما يتعارض منها مع رسالته وأمانته •

فها نحن أولاء اذن أمام ثلاثة مسالك : الاول يكون المرء فيه واقعا داخل شبكات من النظريات والالات ، فالمجال كله مصطنع نتيجة تغيير الانسان للطبيعة وسيطرته عليها • أما المسلك البـدائى فالطبيعة فيه مسيطرة على الانسان ، وغير ملائمة له ، فى حين أن **التكنولوجيا وسيلتنا لتأنيس الطبيعة بالوسائل العلمية** •

وهناك مسلك ثالث ، هو تطويع التكنولوجيا للغايات الانسانية كما يفهما المؤمن • وهذا هو الطريق الاوسط « **وجعلناكم أمة وسطا** » • وهو طريق يقظة العقل والضمير للافادة من العلم ، واستخدام وسائله لرفاهية الناس ، مع عـدم الانجـراف مـع سلطانهـا وتسـلطها على الروح والضمير ، وبذلك نتحكم فى التكنولوجيا ونقيمها ، ونستخدمها بما يحقق رسالة « **الامانة** » التى كلف الله بها الانسان وجعله خليفته فى الارض ، أى بما يحقق وصايا الله وأوامره لصلاح الامة والمجتمع ، ولا نتخذها وسيلة لطغيان المنافع المادية وتكديس السلطة والثروة فى يد أفراد قليلين على حساب الاخرين ، ولا لخدمة الاستعمار الجديد والاستعباد والعنصرية • بل يكون استخدامنا لها لتنميـة قدراتنا فى حدود القيم الروحية • ولا يكون ذلك الا بالاجتهاد الذى أوصى به الاسلام •

وهكذا يجب اعادة فتح باب الاجتهاد على مصراعيه ، ليكون وسيلتنا لاستخدام التكنولوجيا لتحرير الانسان ، لا لاستعباده ، ولاستثمار قدراته المادية والجسمية والعقلية والروحية فى الحياة الدنيا •

المـــــرأة

فى المجتمـــع الاســـلامى المعـــاصر

د. محمد احمد خلف الله *

يتحـــدد وضـــع الفرد فى المجتمع العصرى المتحضر على أساس من الدور الذى يقوم به فى سبيل هذا المجتمع ، فى سبيل صنع الحياة ، وفى سبيل احراز المزيد من التقدم ، وفى سبيل الارتفاع بمستوى الحياة الى ما هو الاعلى وما هـــو الافضل .

ويتحدد وضـــع الفرد فى المجتمـــع الرجعـــى المتخلف على أساس من الانتماء الى ذوى النفوذ والسلطان ، الانتماء الى الاسر الغنية او الاسر القوية او الاسر الحاكمة او ماالى ذلك .

والقرآن الكريم الذى نزل منذ ما يقرب من اربعة عشر قرنا قد حدد وضع الفرد فى المجتمع على أساس من القيام بالعمل الصالح الذى يصلح به حال الفرد وحال المجتمع .

والقرآن الكريم حين حدد وضـــع الفرد فـــى المجتمع الذى يعيش فيه وينتسب اليه على أساس من العمل لم يفرق فى ذلك بين الرجل والمرأة ، أو بين الذكر والانثى ، وانما ساوى بينهما وجعلهما فى ذلك على حد سواء .

يقول الله تعالى : « من عمل صالحا من ذكر أو انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ، ولنجزينهم اجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » صـــدق الله العظيم .

والمرأة فى المجتمع الاسلامى المعاصر – وفى اى مجتمع انسانى – لها دوران رئيسيان تقوم بهما :

لها دور تقوم به فى مجتمع الاسرة باعتبارها مواطنة صالحة تشارك فى صنع الحياة ، وفى صنع التقدم ، وفى الارتفاع بالحياة الى المستوى الاحسن والافضل .

لها دور تقوم به فى مجتمع الاسرة باعتبارها العضو المؤسس فى بناء الاسرة ، وفى تكوينها ، وفى الحفاظ عليها ، وفى نموها وازدهـــارها واستقرارها .

وتذهب المرأة الى انها لا تستطيع القيام بدوريها على الوجه الاكمل بسبب حرمانها من الحرية التى تمكنها من ذلك ، وبسبب وضع الصعاب والعقاب فى سبيلها باسم الدين .

وتعذر المرأة ان هى ذهبت هذا المذهب ، فما تدعيه حق من معظم الوجوه . فالصعاب قائمة ، والحريات غير تامة ، والرجال يقفون فى طريقها باسم الدين .

وأرى غير ما ترى المرأة في التعليل ، وأذهب الى ان ما يعوق المرأة المسلمة المعاصرة ليس هو الدين وانما هو الموروثات التاريخية التى انحدرت الى المسلمين من عصور ما قبل نزول القرآن الكريم ، أو هو التفسيرات المغلوطة لبعض آيات القرآن الكريم .

ولكي ندرك الحقيقة ، ونفسر اوضاع المـــرأة تفسيرا سليما ، يحسن بنا أن نستعرض وضع المرأة على أساس من الدورين اللذين تقوم بهما فى كل من مجتمع الدولة ومجتمع الاسرة .

وقبل ان نأخذ فى هذا العرض نشير الى حقيقة هامة هى أن الايات القرآنية الكريمة التى تناولت أوضاع المرأة بالحديث انما كانت تستهدف اولا وقبل كل شيء احداث تغييرات جذرية فى تلك الاوضاع التى كانت المرأة العربية الجـــاهلية تمارس حياتها من خلالها ، وأنه لم يطالب الرجل وحده بالعمل من أجل احداث هذه التغييرات وانما طالب الرجل والمرأة على حد سواء .

ان توجيه الخطاب للرجل وحده في بعض الايات لا يعنى أبدا أن الرجل وحده هو المطالب بالتكاليف الشرعية . وانما يعنى أن القرآن الكريم قد جاء على أساس من الاسلوب العربى المتين – على أساس من قاعدة التغليب . أى تغليب الرجال على النساء فى الخطب .

انها مسألة لغوية ، وليست مسألة تشريعية .

المرأة في مجتمع الدولة :

والمرأة المسلمة والرجل المسلم فى مجتمع الدولة

---

* وكيل وزارة الثقافة .

على حد سواء . فلها مثل الذى له من الحقوق ، وعليها مثل الذى عليه من الواجبات والمسئولية ، ولا فرق بينها وبينه على الاطلاق .
وهنا ملحوظة لابد من اثباتها ، وهى ان توزيع الادوار فى حياة المجتمع انما يقوم على أساس من القدرات والامكانات ، وأن تلك لا تكون بين الرجال والنساء وانما تكون بين الرجال والرجال .
انها مسألة انسانية وليست مسألة نوعية . وأن القدرات والامكانات حين تسمح يكون الرجال والنساء على حد سواء .
والمساواة بين الرجل والمرأة قد تحققت منذ اللحظات الاولى للدعوة الاسلامية . فقد قامت المرأة بواجباتها كما قام الرجل ، ونالت من الاضطهاد والاذى مثل ما نال الرجل ، وطولبت بالعمل من أجل صالح المجتمع بما طولب به الرجل ، والايات التاليات هى الشواهد على ما تقول :
يقول الله تعالى : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ... » .
ويقول : « ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ... » .
ويقول : « فاستجاب لهم ربهم أنى لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض .
فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا فى سبيلى وقاتلوا وقتلوا ، لاكفرن عنهم سيئاتهم ولادخلنهم جنات تجرى من تحتها الانهار ... » .
الرجل والمرأة المسلمان يتساويان فى مجتمع الدولة فى جميع الحقوق وفى كل الواجبات والمسئوليات ..
والحقوق التى تطالب بها المرأة اليوم وتظنها من الحقوق التى انشأتها الحضارة الحديثة قد ثبتت لها من قبل ، وجاء بها القرآن الكريم — ولكن الموروثات القديمة التى تسربت الى الاسلام والظروف التاريخية التى أحاطت بالمسلمين ، هى التى قضت على هذه الحقوق ، وابطلت مفعولها .
ولنضرب فى ذلك مثلا ، الحقوق السياسية :
طلب القرآن الكريم الى النبى عليه السلام ان يقبل مبايعة النساء له كما قبل مبايعة الرجال ، وفعل النبى عليه السلام ما امره به القرآن الكريم وبايع النساء .. وقرر بذلك حقا سياسيا للمرأة ، فقد أصبح من حقها ان تبايع رئيس الدولة على ان تكون معه فى العمل من أجل صالح الجماعة — فى العمل على دفع الضرر وجلب المنفعة ..
ولو ان الخلفاء الذين جاءوا من بعد محمد عليه السلام — راشدين وغير راشدين — فعلوا مثل ما فعل ، وأخذوا البيعة على النساء مثل ما أخذ ، لاكدوا حق المرأة فى الاعمال السياسية ولظلت المرأة تمارس هذا الحق حتى أيامنا هذه ، ولكانت المرأة المسلمة اول امرأة تمارس حقوقها السياسية . ولكنهم لم يفعلوا وأضاعوا عليها هذا الحق الذى تطالب به اليوم ، والذى تظن أنه من الحقوق التى جاء بها هذا العصر الحديث .
وموقف الخلفاء من المرأة فى هذا الحق كان نتيجة لعاملين قويين لابد من الاشارة اليهما فى هذا الموقف :
الاول : هذه الظروف السياسية التى واجهت المسلمين بعد وفاة النبى عليه السلام مباشرة فى سقيفة بنى ساعدة . فلقد اختلف المهاجرون والانصار فيما بينهم عمن هو احق بالخلافة منهم ، وخشى عمر بن الخطاب الفتنة فبايع أبا بكر ليقضى على الفتنة قبل ان يستفحل امرها . وتصرف ابو بكر تحت ضغط الخوف من الفتنة وبايع عمر بن الخطاب حتى لا تكون فتنة ، ثم فعل عمر مثل ذلك باختياره لستة نفر يختارون الخليفة من بينهم . ثم كانت الفتنة الكبرى بمقتل عثمان بن عفان .
كان الخوف من الفتنة هو الدافع الى التصرفات العجلى التى باعدت بين المرأة وممارسة حقها السياسى فى اختيار الخليفة .
الثانى : هذه الموروثات عن العهد الجاهلى الذى لم يكن للمرأة فيه حق الا ما يمنحها اياه الرجل . حتى حق الحياة ، فقد كان من حق الرجل أن يبقى على الوليدة أو يقتلها بدسها فى التراب . والقرآن الكريم هو الذى يحكى ذلك عنهم حين يقول فيهم : «واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ، أيمسكه على هون ام يدسه فى التراب ، الا ساء ما يحكمون » .
وعلى الرغم من أن القرآن الكريم قد حارب ذلك واستعان بالمرأة فى هذه الحرب وبايعها على ألا تشارك فى قتل الاولاد ووأد البنات ، الا أنه لم ينجح فى ذلك تماما .
لقد قضى على عادة القتل . ولكنه لم يقض على كراهية الانثى ، واستقبالها عند الولادة بوجه عبوس .
وظل هذا الوضع ملازما الانثى ودافعا الخلفاء الى عدم أخذ البيعة منهن . ودافعا الرجال بصفة عامة والفقهاء بصفة خاصة الى الوقوف فى وجه المرأة وكأنها انسان آخر .
إن القرآن الكريم انما يساوى بين المرأة والرجل فى كل الحقوق . الحقوق السياسية . والحقوق الاقتصادية والحقوق الاجتماعية . ويطالب كل واحد منهم بأن ينشط ويعمل العمل الذى يصلح به حال الفرد وحال المجتمع ، ويجعل المرأة مسئولة عن اى تقصير فى ذلك — كالرجل سواء بسواء .
والكلمة التى يمكن ان تقال فى الحقوق الاجتماعية وتعتبر من تحصيل الحاصل هى التى تخص الزام المرأة المنزل ، والزامها بزى خاص يقال عنه : الزى الشرعى .
لقد جاوزت المرأة هذا الموقف وتخطته ، فمن حقها أن تعمل حيث يكون موقع العمل ، ومن حقها أن تلبس من الثياب ما يساعد فى العمل . وليس

من الدين فى شىء ان يقال لها : ان مكانك البيت ، وان الزى الشرعى ان تتزيى بكذا او كذا .

ان العمل الذى يصلح به حال الفرد وحال المجتمع فى أيامنا هذه هو التنمية ــ التنمية العامة الشاملة . والتنمية لا تتم الا بوقوف المرأة الى جانب الرجل فى مواقع العمل .

اما الزام المرأة البيت فلم يرد فى القرآن الكريم الا على أنه من خصوصيات زوجات النبى عليه السلام . يقول الله تعالى : « يانساء النبى لستن كأحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض ، وقلن قولا معروفا،وقرن فى بيوتكن ولاتبرجن تبرج الجاهلية الاولى ، وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله ، انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ، واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة ان الله كان لطيفا خبيرا » .

وأما الزى الشرعى فليس فى القرآن الكريم ما يدل على الزام فيه . ان ما ورد فى القرآن الكريم كان المطالبة بزى يميز بين الشريفات وغيرهن حتى لا تتعرض الشريفة للاهانات من الراغبين فى الاتصال بغير الشريفات ، يقول الله تعالى : « يا أيها النبى قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ، ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين ، وكان الله غفورا رحيما » .

فالقرآن الكريم لم يمنع المرأة من العمل ، ولم يمنعها من الخروج من البيت ، وانما منعها من التبرج ومن كل ما يثير .

والقرآن الكريم حين يطلب العفة من المرأة ، يطلبها فى الوقت ذاته من الرجل ، فيقول : « قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم، ذلك أزكى لهم ، ان الله خبير بما يصنعون . وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن، ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها .. »

وتلك الاداب التى يطالب بها القرآن الكريم كلا من الرجل والمرأة لا تصلح أساسا لاقرار المرأة فى المنزل والزامها بزى خاص .

لقد كانت المرأة تخرج للعمل فى زمن النبى عليه السلام : وللصلاة فى المسجد ، ولميادين القتال ، ولاداء الشهادة وما أشبه ..

وكل ذلك مما يؤكد حقوق المرأة الاجتماعية الى جانب حقوقها السياسية والاقتصادية .

المرأة فى مجتمع الاسرة :

والمرأة عضو مؤسس فى هذا المجتمع، وتملك من الحقوق بمقدار ما تلتزم به من مسئوليات .

والاسرة وحدة عمل ، ووحدة انتاج ، ولكن العلاقات بين أعضاء هذه الوحدة ليست قانونية وانما هى عاطفية تقوم على المحبة وعلى المودة والرحمة .

والمرأة لها الكلمة الاخيرة فى المرحلة الاولى من مراحل بناء الاسرة ، فلها حق القبول وحق الرفض ، وليس لاحد أن يكرهها على الزواج بمن لا ترغب فيه ، ولا ترضاه لها زوجا ، من حيث أن عقد الزواج لا يمكن أن يتم عن طريق الاكراه .

والقول بأن الرجال قوامون على النساء ، انما ينحصر فى الحالة الزوجية ، ويفسر بما فسره به القرآن الكريم بما فضل الله به بعضهم على بعض وبما أنفقوا . والمفاضلة هنا مفاضلة فى الواجبات التى تتبعها مفاضلة فى الحقوق .

ان الزوج هو الذى يتحمل معظم المسئوليات فى الحياة الزوجية ، ومن هنا كان له معظم الحقوق، وهو أمر يوجد فى كل مؤسسة ، وفى كل شركة ، يتمايز فيها المؤسسون والشركاء فى المسئوليات والواجبات .

الحقوق هنا مترتبة على المسئوليات . ويوم أن تكون مسئوليات المرأة أكثر تكون حقوقها أكبر . ويوم تتولى المرأة الانفاق فى الحياة الزوجية تكون هى المسيطرة فى الاسرة .

ومشكلة المرأة لا تنبت من هنا ــ فالاتفاق ورعاية الاسرة ماديا ومعنويا هى من شأن الرجل فى كل مجتمع متحضر ــ وانما تنبت من مسائل التعدد ، ومسائل الطلاق .

لقد اباح الاسلام ذلك للرجل ــ ولكن من حق الدولة ان تتدخل لتحول بين الرجل واساءة استخدام هذا الحق .

وتدخل الدولة يتم عن طريق فقرات تضاف الى الوثيقة المعروفة باسم **وثيقة الزواج** ، وهى فقرات تستهدف تحقيق الصالح العام لجماعة المسلمين .

ففى هذه الوثيقة تضاف فقرة تنص على أن الطرفين الموقعين قد اتفقا على ان تكون عصمة المرأة بيدها ، ولها حق تطليق نفسها متى شاءت .

وتضاف فقرة اخرى لاثبات حالة كل من الزوجين عند عقد العقد ، وذلك لتعرف المرأة منذ اللحظة الاولى أن كانت هناك زوجة أخرى أو لا ليكون قبولها او رفضها قائما على علم ولتكون هى المقابلة للتعدد ، أو الرافضة له .

وتضاف فقرة تحتم الا يقع الطلاق الا بعد التحكيم الذى نص عليه القرآن الكريم ، ومن يفعل غير ذلك يعاقب بعقوبات مادية وبدنية رادعة .

وهكذا يمكن الحد من اساءة استخدام هذه الحقوق التى جاء بها الشرع الشريف .

ان الاسرة وحدة اجتماعية لها وظيفتها ولها عملها الذى تؤديه فى حياة المجتمع ولصالح المجتمع . ويجب أن نكون حريصين على قيام هذه الوحدة بعملها خير قيام ــ وليس ذلك الا لصالح المجتمع الاسلامى .

يجب ان نحول بين الرجل واساءة استخدامه للحقوق التى وضعها الشرع فى يده ، حتى تكون المعاشرة بالمعروف ، وحتى يكون التفريق باحسان .

الفلاسفة .. والمرأة

د. أميرة حلمي مطر

كثيرا ما تجاوز عداء الفلاسفة للمرأة كل حد ، وذلك لانهم لم يسلموا من الاعتقاد فى تلك الاساطير التى دار اكثرها حول الجنس ، وكانت المرأة دائما ضحية هذه المعتقدات .

قال جان جاك روسو :

« يمكن لنا أن نعيش أفضل بدونهن ، ولكن لا يمكن لهن أن يعشن أفضل بدوننا » .

وقال ميلتون فى فردوسه المفقود :

« جعل الانسان للاله

أما المرأة فقد جعلت للرجل » .

اما اسوأ ما قيل عن المرأة فقد اخصه الفيلسوف الالمانى **أرثور شوبنهور** فى العبارات التالية :

« يكفى أن تنظر الى الشكل الذى كونت عليه المرأة لتعلم أنها لم تخلق لكى تتحمل العمل الجاد سواء منه العمل الذهنى او العضلى . انها تدفع دين الحياة لا بما تفعله بل بما تتحمله .. والنساء لسن صالحات لشىء الا ليكن حاضنات ومربيات لنا فى الصغر . وكلما زاد نصيب الكائن من الكمال طالت فترة نضجه . لذا نجد الرجل لا يبلغ مرحلة النضج قبل سن الثامنة والعشرين ، أما المرأة فتبلغ نضجها فى الثامنة عشرة .

والرجل أبعد نظرا من المرأة . انها لا تعنى الا بالحاضر ، أما الغائب او الماضى أو المستقبل فلا يشغلها وهذا يفسر لنا أسراف المرأة واندفاعها .

وليس لدى المرأة حس بالعدالة ، ذلك أن الطبيعة قد وهبتهن قدرة على التخفى والتلون والخداع فى حين وهبت الرجل القوة كما أنهن يكون الجنس غير الجمالى unaesthetic sex اذ ليس لديهن الموهبة فى الفنون . فليس لهن ابداع فى الموسيقى ولا فى الشعر ولا فى الفنون الجميلة وهذا ما أكده **روسو** . اذ قال فى رسالة الى دالمبير « ليس للنساء عموما شغف بالفن ولا معرفة بأى منها ولا عبقرية » [1] .

ولقد كان الاغريق على حق حين استبعدوا النساء من غشيان المسارح . وانك اذا استعرضت تاريخ الفن لا تجد للمرأة فيه أى عبقرية . وفن التصوير الذى كان يمكن أن يبدعن فيه لا تجد لهن فيه اى اثر . ومرجع ذلك قصور نظرتهن الموضوعية . ولقد سبق **لجوان** هوارت Juan Huarte [١٥٢٠ - ١٥٩٠] أن الف كتابا ظل متداولا على مدى ثلاثمائة عام أنكر فيه أى مواهب للمرأة ويقول شامفور Charnfork أن ليس لهن الا أن يتعاملن مع جنوننا لا مع عقولنا لانهن يكون الجنس التابع Sexuz sequior

ويذهب شوبنهور الى أبعد من كل ما سلف فيوجه نقده لنظام الزواج بواحدة ويرى أنه نظام

---

[1] Lettre à d'Alembert. Note XX.

[2] السياسة الكتاب الاول فصل ٩

يعارض الطبيعة اذ يساوى بين الرجل والمرأة . ويرى أن هذا النظام ينتهى بالنساء غير المتزوجات الى حياة العهر . أما نظام تعدد الزوجات فهو النظام الطبيعى الكفيل بأن يلغى من الحضارة الاوروبيةصورةالسيدة The Lady ولا يبقى الا نساء Ruomen ولكنه يصون هذه الحضارة الاوروبية من ان توجد فيه نساء ضائعات .»

ويذكر أن **أرسطو** قد وصف فى كتاب السياسة [٢] ما قد حدث لاسبرطة من سقوط وتدهور ،عندما اعطيت المرأةحقوقا مساويةللرجال فى الحرية والوراثة والملكية .

لقد ردد الفلاسفة تلك الاساطير التى سرت على مر القرون والتى ضاعفت وأكدت أسباب القهر الاجتماعى والسياسى الذى انتهى الى وضع المرأة المهين فى ظل النظم العبودية والاقطاعية وفى أكثر النظم الرجعية من بورجوازية أو نازية .

فالقهر الاجتماعى الذى وقع على طبقات كبيرة من المجتمع عبر العصور قد وقع على النساء كافة ، فبلاد اليونان التى عرفت حضارة من ارقى حضارات التاريخ وأبدعت فى الفكر والفن والاداب روائع خالدة لم تلبث أن ذوت بفعل المشكلات الاجتماعية والسياسية التى تفاقمت عن المجتمع العبودى وتدهور فيها حال المرأة ووصل الى مستوى سىء لغاية فقيل ان عبقريات الفلاسفة الكبار امثال سقراط وافلاطون وارسطو انما قامت على حساب عبودية آلاف العبيد وعبودية النساء كافة .

يقول **كسينوفون** المؤرخ اليونانى فى مؤلفه « **الاقتصادى** » **لقد نشأت المرأة على أن تسمع وترى وتسأل بأقل قدر ممكن** » .

ومع ذلك فلم يمنع هذا الوضع الذى كانت عليه المرأة من ان يشغل المفكرون بمشكلتها ، ويقوم المؤلف التراجيدى **يوريبيدس** بدور **ابسن** فى المجتمع الحديث فيكتب على وجه الخصوص مسرحية **الكيستيس** Alcestis يبين فيها مدى ما يمكن أن تصل اليه شجاعة المرأة ويعنى بتحليل مشاعرها فى تراجيديا « **ميديا** » ويثير **اريستوفانيس** مشكلة المرأة اجتماعيا وسياسيا ليبحث تطلعاتها واخلاقياتها ، وذلك فى كوميدياته خاصة « **مجلس النساء** » و « **ليزيستراتا** » .

ولم تكن النظم الدكتاتورية والنازية فى تقديرها للمرأة بأفضل من العصور القديمة . فعصر نابليون كان عصر ردة ان قورن بما حققته الثورة الفرنسية من تقدم فى هذا الشأن وجاء تشريع **نابليون** مخيبا لدعوة المناضلين من أجل حقوق المرأة فقد جعل هذا التشريع للمرأة منزلة أقل درجة من منزلة الرجل .

أما المانيا النازية فلم تعترف بسيادة المرأة الا على مجالات ثلاث تتخذ حرف الكاف بداية لاسمائها الا وهى الاطفال والكنيسة والمطبخ ، ورمزوا لها بالثلاث « كافات » [٣] .

ولعل اهم اعتراض كان يثار دائما ضد قضية تحرير المرأة خاصة فى الدول اللاتينية انما يرجع مصدره الى القانون الرومانى حيث ان الحقوق السياسية فى المدن والدول القديمة انما كانت تعطى مقابلا للخدمة العسكرية ، ولم تكن هذه الحقوق مستقلة عن الحقوق الاخرى . وفى اثينا كان يحرم من هذه الحقوق الاجانب والعبيد اذ لم يكن لهم شرف حمل السلاح .

ولقد عنيت **سيمون دى بوفوار** فى كتابها « **الجنس الثانى** » بتفنيد هذه الادعاءات فقالت نحن لا نولد نساء ولكننا نصير نساء .

فوصف المرأة بالجنس الضعيف هو وصف لا يرجع الى الطبيعة بقدر ما يرجع الى التربية المتخلفة التى تتلقاها والمجتمع الذى حال بينها وبين أزدهار ملكاتها وامكانياتها . ويكفى أن نرجع الى ما يثبته علم الحياة من أن الانوثة لا ترادف فى عالم الحيوان الضعف أو التخلف على الاطلاق وما يثبته علم الانتروبولوجيافى المجتمعات البدائية من ان المرأة تقاسم الرجل كل الاعمال حتى ما كان منها محتاجا لقوة بدنية مثل فلاحة الارض وبناء المساكن وصناعة الادوات المنزلية .

وامتياز الرجل بالقوة البدنية لا يمثل فى الحضارة التكنولوجية الحديثة أى امتياز حيث أن الالة قد رفعت عن كاهل الانسان الكثير من الجهد ووفرت عليه عناء النصب والمشقة اللذان كانا يصاحبان عمله اليومى فى الحضارات القديمة ، وعلى ذلك فقد اصبح واضحا اليوم ان امكانيات المرأة فى العمل العضلى والذهنى لا تقل اطلاقا عن امكانيات الرجل .

---

[٢] السياسة — الكتاب الاول فصل ٩ .

[٣] Kinder, Kincpe, Küche.

ومنذ بدأ العلماء والفلاسفة يكشفون عن زيف الاسرار والاساطير التى تدور حول طبيعة المرأة ومنذ شاركت المرأة الرجل فى الحياة الاجتماعية واثبتت عن طريق العمل والانتاج امكن لها فى الحضارة الحديثة أن تتساوى مع الرجل فى كل الحقوق ولكن الفضل فى ذلك لابد ان ينسب الى حركات التحرير ونضال الكتاب والمفكرين الذين شقوا للمرأة هذا الطريق .

ويمكن أن نرجع فى ذلك الى عصر **الثورة الفرنسية** . فعندما دعت الثورة الى الحرية وحقوق المواطنين ظهرت ثورة نسائية تطالب بحقوق المرأة تزعمتها أولمب دى جوج Olympe de Gouges التى نادت باعلان حقوق المرأة ذكرت فيه أن المرأة قد ولدت حرة وتستمر مساوية للرجل فى كل الحقوق .

قالت « اذا كانت السيادة كلها للامة ، فان الامة مكونة من اتحاد المرأة والرجل ، المواطنون والمواطنات سواء امام القانون يتولون نفس المهام ، ولهم جميعا نفس الامتيازات والاعمال العامة بحسب قدراتهم وبغير أى تمييز سوى تفاضلهن فى الفضيلة والموهبة . كذلك اذا كانت المرأة تصعد باسم القانون الى المقصلة فمن الضرورى ان تصعد أيضا الى منصة الحكم والقضاء » . ومنذ ذلك التاريخ دوى **نداء أولمب دى جوج :**

« أيا نساء العالم استيقظن » .

وبعد الماركيز دو كوندورسيه [١٧٤٣ — ١٧٩٤] من أعظم مؤيدى قضية المرأة وكان فى عصره من أبرز رجال عصر الثورة الفرنسية فى فلسفة التاريخ والاجتماع وقد أثار معارك فكرية دعا فيها للحرية الاقتصادية والتسامح الدينى واصلاح القوانين والغاء الرق فى كل مكان، ورأى أن المعرفة العلمية والثورة السياسية هما طريقا الانسان الى التقدم ، فبالعلم يتحرر من قيود الطبيعة وبالثورة السياسية يتحرر من القيود التى فرضها على نفسه عبر التاريخ، وكان للصالون الادبى الذى اسسيه هو وزوجه صوفى دى جروشيه Soplie de Grouchy عام ١٧٧٦ أثره البالغ فى مجتمع ما قبل الثورة .

وقد وجه للجمعيتين الوطنيتين مقالات خالدة طالب الثورة الفرنسية فيها بالحقوق المدنية للمرأة .

وعلى الرغم من أن الثورة الفرنسية لم تطبق آراء كوندورسيه الا أن أثر هذه الاراء استمر بعد ذلك فى القرن التاسع عشر ، خاصة عند فيلسوف الوضعية **أوجست كونت** A. Comte الذى اكد مساواة المرأة بالرجل وتاثر فى ذلك بآراء استاذه سان سيمون الذى راى ان الوظائف العليا ينبغى أن يتولاها فرد بل زوج من الجنسين وقال اتباع سان سيمون بضرورة مشاركة المرأة للرجل فى كل الاعمال . غير انه رغم هذا الوعى الذى ظهر عند فلاسفة التاريخ والاجتماع حلت حكومة نابليون كل ما انبثق عن الثورة الفرنسية من تنظيمات ، وجاءت رأسمالية القرن التاسع عشر تحمل فى طياتها الكثير من مساوىء الاخلاق البورجوازية التى سادتها الانانية والنفاق والبحث عن الثروة حتى أصبح وضع المرأة فى كثير من الاحيان أشبه بالسلعة وكثيرا ما فسدت الروابط الزوجية حين لم يكن للزواج اساس من العاطفة السليمة .

وقد بدأ كثير من الكتاب والروائيين يثيرون قضية المرأة ويعيدون النظر فى وضعها فى المجتمع والدفاع عن حقوقها وكان من أشهر من أثاروا هذه القضية فى الادب الفرنسى آنئذ بلزاك [٤] وفى هذا العصر أيضا كتب المسرحى النرويجى **هنريك ابسن** « **بيت الدمية** » فكان من ابرز رواد الحركة النسائية ، وسابقا فى هذا **برنارد شو** فى مؤلفه « **مهنة مسز دارين** » .

وقد واصل رواد الاشتراكية فى فرنسا الدفاع عن وضع المرأة وكان من أبرز أتباع سان سيمون الذين تبنوا قضية المرأة **بروسبير انفانتان** P. Enfantin **وأولنيد رودريج** Olinde Rodrigues مذهبا الى ان الرجل والمرأة يكونان ما سمياه بالفرد الاجتماعى وتطرفوا فى الدفاع عن هذه القضية الى حد أن وصفهم معاصروهم بأنهم لا يقيمون وزنا للقيم الاخلاقية ، وانهم بدعوتهم الى حرية المرأة انما يفسدون النظم والتقاليد القائمة ، فكان نصيبهم فى هذا الشأن هو نصيب كل مصلح يتبنى دعوة اصلاح فى مجتمع مازالت تقيده التقاليد والسنن المتوارثة ، وهاجر هؤلاء المصلحون مع اتباع لهم الى الشرق وقصدوا مصر وكان لهم فيها خبرة ولكن لم يكن الحكم العثمانى آنئذ بأوسع صدرا عما كانت عليه أوروبا فى ذلك الزمان من قابلية للترحيب بالاراء الثورية الإصلاحية .

وناضل **فورييه** Fourrier — [١٧٧٢ — ١٨٣٧] وهو من رواد الاشتراكية الخيالية الذين دعوا الى تغيير اسس المجتمع القائم فى عصره من أجل الغاء كل ظواهر الاستغلال والعبودية خاصة ما يقع على كاهل

[٤] La fausse maitresse; la phy sionomie du marriage, memoirs de deux jeunes mariées.

المراة منهما • وقد قرن كل تقدم اجتماعى بزيادة حرية المراة ، ذلك ان الطبيعة قد وهبت المراة ما وهبته للرجل من قدرات ومواهب فى العلــوم والفنون.وكشف فورييه عن زيف دعوى فلاسفة الرجعية الذين ذهبوا الى استبعاد أحد الجنسين من مزاولة الانشطة الانسانية وشبههن بالمستعمرين الذين يقهرون عبيد المستعمرات على العمل القاسى ثم يحكمون عليهم فيما بعد بأنهم لا يصلحون الا لمثل هذه الاعمال التى فرضوها عليهم . ان رأى هؤلاء فى المرأة هو بالذات رأى المستعمرين فى أهل المستعمرات من الزنوج [٥] •

كذلك كشف فورييه عن أن تخلف المرأة فى التربية والاستقلال الذاتى هما السبب الذى من أجله تنهار العلاقات الانسانية ويتخذ الزواج شكل الشراء[٦]،وعندئذ لا ينظر للمرأة الا على انها وسيلة للثراء ولا تنظر المرأة للرجل الا على أنه وسيلة للحياة وتصبح الحياة فرضا ثقيلا على كاهل الجانبين • وكثيرا ما تكون موافقة الفتاة على رابطة الزواج شيئا مفروضا عليها لطغيان الافكار التى فرضت عليها منذ طفولتها •

أما فى مقام الرد على ما يقال من أنه ليس للمرأة اى انتاج فى الفلسفة او العلم او الفن ، فيمكن أن نرجع فى ذلك الى المجال الذى كان فيه للنساءتجارب ، وهوميدان الادب .فنلاحظ انه على الرغم من أن عدد اللاتى كن يشاركن فى هذا الميدان كان محدودا جدا بالنسبة للرجال ، الا أنه يمكن أن نذكر أنه فى حدود فترة زمنية قصيرة وعدد قليل جدا من المتنافسات كان هناك من نجحن بامتياز •

فالاغريق مثلا اعتبروا **سافو** من أكبر شعرائهم **واسبازيا** التى لم تخلف أية كتابات فلسفية كان من المعترف به أن سقراط لجأ اليها فى طلب العلم ويقولون ان انتاج النساء يفتقد الىالاصالة،ولكن من الواضح ان السبب يرجع الى ان ليس لهن تراث مستقل عن تراث الرجال انهن لم يتتلمذن الا على أدب الرجال ومن ثم فمن الطبيعى أن يكون ادبهن محاكيا لادب الرجال حيث انه مامن اديب ولا فنان الا واستفاد بخبرة سابقة •

اما فى الفنون فمن المعروف أن التفوق فيها انما يرجع الى المحترفين اكثر مما يرجع الــى الهواة ، وكثير من نساء الطبقــات العليـــا كن يتلقينجانبا منالفنون ، ولكن لا ليتكسبن بهعيشهن او ليحصلن على مركز اجتماعى • فالنســـاء الفنانات كلهن فى اغلب الاحيان هاويات [٧] •

ثم هناك اسباب اخرى بالاضافة الى ما سبق كانشغال المرأة بأمور الاسرة وتحملها وحدها كل مسئولياتها وهى أمور قد تحرر رجل منها فى كل العصور ، كذلك كان هناك دائما باعث نفسى يحول دون طموح المرأة الى الشهرة بالقدر الذى كان دائما موجودا لدى الرجال ، اذ لم تكن المرأة تتخذ من تفوقها فى الفنون حافزا لاكتساب الشهرة ، لان المجتمع فى أغلب الاحيان يوجه عنايته لشهرة الرجل. أما التقدير الخاصبالمرأة عن طريقالتفوق فلم يكن دائما دافعا يستهويها ، اذ كانالمجتمعدائما يفرض عليها مركز التابع للرجل •

ولقد شاهد العالم الغربى فى الولايات المتحدة وروسيا فى نهاية القرن التاسع عشر حركة نسائية لا تستمد من اقلام المؤلفين والكتاب بقدر ما ترجع الى تبوأ المرأة مراكز فى العلم والعمل ، اذلم تنتظر المرأة فى **الولايات المتحدة** ثورات نسائية ذلك أن الوضع القائم فى ذلك الوقت لم يكن مقيد بتراث قوانين الاقطاع أو القانون الرومانى •

أما فى **روسيا** فيرجع تقدمها الى ما قامت به من مشاركة ايجابية فى النضال الثورى جنبا الى جنب الرجال ، وارتبطت حرية المرأة فى فلسفة الثورة الاشتراكية فى الاتحاد السوفيتى ، تجربة المجتمع من العبودية والاستغلال اذ ظهر أن تحرير المرأة سوف يحقق تحرير الطبقة العاملة لان ســعادة الاسرة والطفل ليست دائما ممكنة فى اطــار البورجوازية الرأسمالية ، وما دامت المرأة عضوا عاملا منتجا فيها على الدولة كافة حقوق الرعاية وللاسرة بالتبعية مثل هذه الرعاية التى تنعكس على وضع المرأة وتنص على ذلك المادة ٢٢ من دستور الاتحاد السوفيتى سنة ١٩٣٦ •

[٥] Fourrier, Le nouveau monde industriel p. 235.
[٦] Theorie des quatre mouvements p. 192.
[٧] المرجع السابق ص ٢٧٠

وإذا كنا اليوم في وطننا العربي نعيش التجارب التي خاضتها الحضارة الغربية الحديثة فمما لا شك فيه أن المرأة العربية قد وصلت الى مستويات مشرفة بفضل حصلت عليه من حقوق مدنية وسياسية وفكرية وان لها في تراث حضارتها ما يدفعها الى الرقي والتقدم اذا ما استطاعت أن تثبت بمجهودها قدراتها وامكانياتها في العمل، وأن تؤصل ما في هذا التراث من قيم ايجابية سليمة .

فمما لا شك فيه أن المرأة في شرقنا العربي قد عانت من القهر الاجتماعي ومن الاستبداد ما جعلها متخلفة لقرون عديدة وترسبت في النفوس — تجاهها قيم وتقاليد لا سلطان لها من الدين ولا من الاخلاق ولا من المنطق ، فالكتب السماوية كلها قد ساوتبين المرأةوالرجل — في الحقوقوالواجبات والشريعة الاسلامية مالت لتحقيق المساواة تقول الاية الكريمة « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف » وأنصف الاسلام المرأة وسمح لها بالثقافة والتعليم فقال الرسول عليه السلامفي شأن عائشة رضى الله عنها :

« اخذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء » .

ولكن على الرغم من كل ذلك مازال وضع المرأة في الاسرة وفي الزواج متخلفا . فمن العادات المتأصلة والتقاليد المتوارثةتمييز الولد على الفتاة، واحترام الام ومساعدة الزوجة أمور لا تحميها الضمانات القانونية فان لم يكن هناك وازع أخلاقي فان التشريعات والقوانين مازالت تعطى السيطرة دائما للرجل الامر الذى ترتب عليه في كثير من الاحيان انحراف وعي الرجل وخلق في الذكور عبادة الذات والانانية الامر الذى يذكرنا بقول جون استيوارت مل « ان اخضاع المرأةللرجل أبشع من أن يغفل عنه انسان ، والسلطة تعطى للرجال عموما حتى لاكثرهم وحشية واجراما ، وليس هناك من كابح سوى الرأى العام ، ومثل هؤلاء لايصل اليهم عادة رأى عام سوى رأى من كان على شاكلتهم » .

ان التشريع المستنير واصلاح القوانين الشخصية هى الضمان الوحيد لسعادة الاسرة واحترام كيان المرأة ذلك أن حق الرجل في التقدير والتمييز لا ينبغى ان يستمد من وضعه بلمن عمله ومسئولياته . وان الامر اليوم رهين بمجهود مشرعينا وفقهائنا في فهمهم للشريعة وتفسيرهم للنصوص بالطريق الذى يفى بمقتضيات العصر، ويساعد على ارتقاء الحياة وازدهارها ، واغلب الظن أنه سيكون من الواجب علينا جميعا أن نراجع فقهاء عصور الضلال الذين طالما نسبوا للدين ما ليس في جوهره ومنهم كما يقول قاسم امين [٨] من لم يجد في الزواج اكثر من علاقة بهيمية ولا في الطلاق اكثر من نزوة فردية لا صلة لهما بالشريعة ولا بالدين .

يقول في هذا المقام « أليست التقاليد والعادات أشبه بلباس ان ضاق بأجسادنا نغيره بدلا من أن نمرض ونذوى بداخله ؟ ! » .

---

[٨] قاسم أمين — تحرير المرأة

نحو مفهوم انسانى للانسان

الغريزة هى البداية .. ولكن

د. نظمى لوقا *

هناك جوانب كثيرة مشتركة بين الانسان والحيوان . فهل هناك أيضا جوانب اختلاف بينهما ؟

وما هى أبسط طريقة لنتبين ما يختلف فيه الانسان عن الحيوان ؟

بدهى أن أبسط ما تنصب عليه الملاحظة هو السلوك ، أى الفعل . وواضح أن الكثير جدا من أفعال الانسان لها مشابه من أفعال الحيوان، من حيث الدوافع والغايات ، أو الاهداف : فكل منهما ينصرف جانب كبير من نشاطه الى غايات مشتركة ، كالبحث عن الطعام بدافع الجوع ، وبقصد الشبع ، وكالبحث عن المأوى — والبحث عن الامان واتقاء الاخطار التى تتهدد الحياة ، أو تتهدد مواردها المادية المتاحة . وكالبحث عن الاشباع الجنسى ، وما الى ذلك .

صحيح أن مظاهر النشاط البشرى أكثر تعقيدا وقد تتخذ اشكالا يبدو انه لانظير لها عند الحيوان كاتخاذ المهن ، وكالاعمال المجزأة التى تتكامل مع حركات أخرى جزئية كثيرة لتنتج سلعة مطلوبة فى الاسواق .

وهذا يدلنا على أن حاجات الانسان أو رغباته أكثر تنوعا من حاجاتورغائب الحيوان الاعجم بلا شك ، ولكننا اذا دققنا النظر وراء هذه التنويعات المختلفة تكشف لنا الكثير من التشابه فى أنواع الانشطة لدى الانسان ولدى الحيوان : فهذه كلها أنشطة لاشباع حاجات ورغبات ذاتية . أى أنها استجابة لمصلحة خاصة أو ذاتية للكائن الحى ، سواء أكان هذا الكائن انسانا أو حيوانا . والاختلاف بين أنشطة كائن وكائن آخر فى هذا الصدد مرجعها الى ما هى المصلحة الذاتية لهذا الكائن ، فأنشطة النمر استجابة لمصلحته أو احتياجاته ، وكذلك أنشطة الارنب ، والغزال ، والثعلب ، والصقر ، والعصفور ، والنملة والبعوضة ... والانسان . فكلها أنشطة تمارس فى المحيط الخارجى لتوفير مصلحة خاصة بالكائن .. وباختلاف هذه المصالح تختلف الانشطة .

ولا ينفى ذلك أن هذه الانشطة تتخذ فى الحضارة البشرية أساليب معقدة ، فليست البساطة أو التعقيد ما يعنينا هنا ، بل « نوع » النشاط ، من حيث الدافع اليه والغرض منه .

فدوافع الكائن الحى الاساسية واحدة لدى الكائنات الحية عموما ، سواء فى ذلك أجناس الحيوان — ومنها الحشرات — والجنس البشرى . وهناك أنواع فرعية من الدوافع تختلف من حيوان الى حيوان ، وهى لدى الانسان اشد

---

* استاذ الفلسفة بجامعة عين شمس .

اختلافا ؟ ولكن مرجعها جميعا — كما لا يخفى — الى انبثاقها من رغبات الكائن ودوافعه الذاتية ، أى الخاصة بذاته ، مستخدما فى تحقيقها ما أوتى من قدرات متفاوتة حسب جنسه وظروفه الخاصة . وبنظرة متمعنة نجد أن الانسان ليس استثناء من هذه القاعدة العامة السارية على كافة الكائنات الحية .

ومعنى هذا أن الانسان ، من ناحية هذه الانشطة ، ليس مختلفا اختلافا حاسما ، ولامتميزا بصورة جذرية عن سائر صنوف الحيوان . فكل هذه الانشطة تسعى لتلبية أغراض ذاتية .

وليس معنى الاغراض الذاتية انها منصبة على الفرد بالضرورة ، بل قد تكون الاغراض الذاتية بحكم مصدرها أو الدافع اليها ، منصرفة الى ما يجاوز الفرد ، كأن ينصرف عائد هذه الانشطة الى الاسرة ، أو خدمة النوع ، أو من يحس الفرد — بأى وجه من الوجوه — بالارتباط بهم ، والاهتمام بأمرهم ، عن وعى منه أو غير وعى .

فغير خاف أن الغريزة النوعية ، أو الغريزة الاجتماعية ، تدفع أفراد الجراد ، أو النمل ، أو الاسماك ، أو الطيور ، أو البشر ، الى أنواع من الانشطة يبدو ظاهرها أحيانا ضد مصلحة الفرد الضيقة المباشرة ، ولكنه يمارس هذه الانشطة مع ذلك بدافع من ذاته ، اما مسخرا بغريزته ، أو طلباللذة خدمة من يهتم بهم ، وهى لذة فردية بطبيعة الحال ، وان كان مجالها أو موضوعها غير فردى ..

فكل هذه الانشطة ضروب — على كل حال — من السلوك الذاتى ، الذى يفعل فى المجال الخارجى لحساب الذات ، أو بدافع منها على كل حال . فما أشبه ذلك بعملية الجذب أوالامتصاص الى الداخل ، أى الى مركز الذات .

ويستوى فى ذلك الطير المهاجر الذى يقطع ألوف الاميال بحكم الغريزة ، فيهلك منها من يهلك وينجو بعد المشقة البالغة من ينجو . وأسراب الاسماك التى تقطع المحيطات فى مواسم النسل لتضع بيضها فى موضع معين . وتلك الحشرة الخضراء اللون التى تشبه الجرادة ، التى تأكل الاناث منها ذكورها أثناء عملية التلقيح .. ولا يخرج على هذه القاعدة البشر انفسهم ، سواء منهم من نشد القوت الكفاف ، ومن كدس الاموال بالملايين أو البلايين ، ومن نشد الحد الادنى ، أو الاقصى ، من وسائل الامان ، أو من كان همه غزو آفاق الارض . أوتسنم قمم الشهرة ، أو ابهار الناس بالزينة والرونق ... أو ماشئت من المظاهر أو الاعمال .

والسؤال الان :

أليس هناك نوع من النشاط يختلف به البشر ويتميزون تميزا حاسما عن الحيوان ؟ أم كل أنواع النشاط البشرى من قبيل ما يوجد لدى الحيوانات : محض امتصاص ذاتى ، أو سلوك ذاتى فى مصدره وغايته ، فهو يبدأ بالذات ، ولا يرمى الا الى ارضائها — مختارا أو مضطرا — فالذات فى هذا السلوك هى الاول والاخر ، والمبدأ والمنتهى .. ؟

وبعبارة أخرى :

الا يوجد لدى الانسان ، الى جانب السلوك أو النشاط الذاتى الدوافع والاهداف ، نوع آخر من السلوك ليس ذاته . ولنسمه السلوك الموضوعى : وان وجد لدى الانسان هذا السلوك فما هى سماته كى نعرفه ونتحقق من وجوده ؟

لنسأل انفسنا أولا : ما المقصود بالموضوعية ؟ هل المقصود بها أن يكون هناك « موضوع » لنشاط الكائن الحى ؟

بدهى أن لكل نشاط موضوعا ، ولكن ذلك لا يجعل النشاط موضوعيا [أى يجعله ليس ذاتيا] بالضرورة . فنشاط البحث عن الطعام له موضوع ، والانقضاض على الطعام والتهامه له موضوع : هو الطعام . ولكن ذلك النشاط يظل ذاتيا وليس موضوعيا .

اذن وجود « موضوع » للنشاط لا يكفى لجعله نشاطا موضوعيا . فما هو المطلوب اذن كى يكون النشاط موضوعيا ؟

المطلوب — ان كان هذا ممكنا — أن يكون الموضوع هو المقصود لذاته ، لا لذات الفرد أو الكائن الذى يتجه نشاطه الى هذا الموضوع المعين ، بل قد يكون مخالفا لاهواء الفرد الذاتية .. فما معنى هذا ؟

معناه : الا يكون الموضوع وسيلة من وسائل الكائن لقضاء حاجاته ، وبحيث يكون اهتمام الكائن بذلك الموضوعمنزها منالنوازع والرغبات الانتفاعية ، وليس استخداما له فى أغراضه الذاتية ، فيكون هذا الاهتمام الموضوعى عندئذ بمثابة **خروج الكائن من ذاته** ، خروجا أشبه بخروج الانسان الحديث من نطاق الجاذبية الارضية ، الى الفضاء الكونى .. انه تجاوز الانسان لذاته الضيقة المحدودة ، كى ينصب اهتمامه على شىء ما ، لذات ذلك الشىء ، وبصرف النظر تماما عن رغبات الشخص وأهوائه الخاصة .

فهل يوجد شىء من هذا لدى الانسان ؟

والجواب : انه **يوجد** فى نوع واحد — على الاقل — من أفعال الانسان .

انه « **الفهم** » ..

فأن تفهم موضوعاً ما ؟ أي تدرك ما هو في حد ذاته ، وماهي صفاته ، ومم يتكون ، وكيف يعمل : هذا فعل «نشاط» موضوعي بمعنى الكلمة ».

وقد يعقب هذا الفهم — أو الادراك الموضوعي — ويترتب عليه استخدام المرء لذلك الموضوع في أغراضه الذاتية ، ولكن عملية الفهم أو الادراك ، التي تسبق هذا الاستخدام ، تظل موضوعية : الموضوع غايتها ومحورها .

وبذلك نكون قد وضعنا يدنا على **أول مميز** حاسم بين الانسان والحيوان ..

والسؤال الان هو :

هل يخلو الحيوان من هذه الموضوعية ، بحيث تكون خاصة بالانسان وحده ، وتكون بالتالي أساس التمييز بينه وبين الحيوان ؟

الا يوجد لدى الحيوان اي نوع من الفهم الموضوعي ؟ اليس لهذا الفهم صلة بما يبديه الحيوان من اعمال تدخل تحت عنوان الذكاء ؟ وما الفيصل في هذه الحالة بين الانسان والحيوان ؟

من الشائع المعروف عن الحيوان — ولا سيما الانواع الراقية منه — أنه يقوم بنشاط يتسم بالذكاء ، الى جانب نشاطه الغريزي . فالامر يحتاج هنا الى شيء من التوضيح الذي يميز بين نشاط الغريزة وبين افعال الذكاء التي يقوم بها الحيوان في بعض الاحيان .

ونرجع في هذا الى عالم من اكبر الباحثين التجريبيين النفسيين في زماننا ، هو الاستاذ هنري فالون ، في كتابه « أصول التفكير عند الطفل » فهو يتحدث في تمهيده للكتاب عن الذكاء بما نوجزه على النحو التالي :

« ان ما يدهشنا في **الغريزة** هو تلك الافعال التي لها غايات أو نتائج في زمان ومكان يتجاوزان الزمان والمكان الخاصين بالفرد تجاوزا كبيرا جدا بحيث لا يمكن أن يكون مصدر تلك الافعال تجربة الفرد أو خبرته الفردية الخاصة . ومعظمها أشياء لا تحتاج الى تعلم سابق . ولهذه الافعال علاقة باستمرار النوع ، وأحيانا ما تكون على حساب الفرد نفسه ، بما تجشمه من مشاق ، بل منها ما يكلفه حياته نفسها » .

ومن الامثلة المعروفة للمشاق المحفوفة بالخطر هجرات الطيور الوف الاميال ، وهجرات الاسماك وثعابين الماء . ومن امثلة قضاء الغريزة على الفرد نفسه ما يكون من الطيران الزفافي لدى النحل ، وما يحدث عند التناسل لدى بعض الحشرات ».

« وعلى الجملة يعزى الى الغريزة رد الفعل التكيفي الذي مصدره الاستعداد الوظيفي للنوع كله ، لا الاستعداد الفردي وحده ، ومن ثم تكون الغريزة عامة مشاعة في النوع كله ، وثابتة في صورتها ، آلية في طريقة تنفيذها ».

« أما **الذكاء العملي** فمبادرات متفرقة متغيرة في مسارها وادائها ، اي انها افعال غير آلية ، وغير ثابتة في صورتها .

« وقد يقال هنا أن الغريزة حينما تصادف عقبات في طريقة ادائها الالي الثابت ، تعمد الى تغيير طريقة ادائها معتمدة في ذلك على **المحاولة والخطأ** ، وفي هذه الحالة **قد** تشبه الغريزة الذكاء العملي ، ولكنه تشابه ظاهري او سطحي فحسب **فالذكاء العملي يتميز بان تنويعه لاسلوب العمل لا يقوى على المحاولة والخطأ** ، بل على **استعدادات خاصة في الادراك الحسي** . فهو ليس عملا آليا وتنويعاته لا تبدأ على أساس التخبط ، او المحاولة والخطأ ، بدون أساس ادراكي ، فالذكاء العملي ليس عملا آليا ، بل يقوم على ادراك الظروف المواتية في موقف معين ، وادراك الحركات المعينة الضرورية التي تمكن الفرد من تحقيق غرضه .

« ولكن الذكاء العملي للحيوان ليس له أساس نظري كلي أو شامل ، بل أساسه ادراك حسي للموقف الجزئي المعين ، ولعلاقاته الجزئية المعينة الخاصة به دون غيره ، فهو ادراك عملي حسي بما يكفي فقط لوصوله الى هدفه المحدد في الموقف المعين الذي يوجد فيه .

« فاذا انتقلنا الى **الذكاء النظري أو التفكير** — وهو خاصة الانسان — وجدناه متصفا بالعمومية والكلية ، وليس خاصا بالموقف الحسي المحدد . والذكاء في هذه الحالة لا يكتفي بادراك الموقف المحدد وعلاقاته الجزئية ادراكا حسيا عمليا ، بل يبدأ باعادة تشكيل أو تنظيم العناصر الواقعية للموقف في صورة ذهنية جديدة ، مستخدما في اعادة التنظيم هذه رموزا مجردة ، اي كلية عامة . وهذا هو **الحوار العقلي المحض ، الذي يختص به الانسان ، ولا يشارك فيه الحيوان** » .

ومتى وضعنا يدنا على صفة « **الكلية** » التي يتفرد بها التفكير النظري عند الانسان ، وضعنا يدنا على الفارق الحاسم حقا بين الانسان والحيوان . فلدى الحيوان قد نجد نشاطا متعلقا بموضوع ، ولكن هذا النشاط ليس موضوعيا لتعلقه بالموقف الجزئي المعين ، لا يتجاوزه ، ولايملك أن يتجاوزه . فالموضوعية لا تتم الا بصفة « **الكلية** » التي هي خصيصة التفكير النظري ، اي خصيصة الانسان ».

عن العوالم اللانهائية

اذا رفعنا نظرنا الى السماء وبعدنا لفترة عن حياتنا الرتيبة على الارض لاخذنا فكرة بسيطة عن اتساع الفضاء الخارجي الذي تسبح فيه ارضنا مع غيرها من اجرام ، ولتمكنا من عد نحو ستة آلاف نجم بالعين المجردة وهو ما فعله الاقدمون ، غير ان العلم الحديث بين لنا ان الفضاء الذي حول ارضنا متسع اتساعا قد يفوق كل خيال ، فاذا اردنا ان نأخذ فكرة ملموسة عن اتساع هذا الفضاء نقول ان الانسان في محاولاته الاولى لقياس المسافات في هذا الفضاء بين الاجرام القريبة منا ، اتخذ المسافة بين الارض والشمس وحدة طولية ، وهي مسافة تبلغ نحو **١٥٠ مليونا من الكيلو مترات** ، **وسميت بالوحدة الفلكية** ، ولكنه وجد ، رغم انها وحدة طولية كبيرة **اذا ما قورنت بوحدات قياساتنا على الارض ، انها** قصيرة جدا لغرض قياس المسافات بين الاجرام الاكثر بعدا في الفضاء ، لذلك اضطر الانسان أن يتخذ **وحدة للقياس** ، أطول كثيرا من الوحدة الفلكية ، تبلغ نحو **عشرة ملايين الملايين من الكيلومترات** اى ١٠ فى ١٠ او واحدا متبوعا [الى اليمين] بثلاثة عشر صفرا ، وهى المسافة التى يقطعها الضوء ليس فى ثانية واحدة [وهى الفترة الزمنية التى يقطع الضوء فيها نحو ٣٠٠٫٠٠٠ كيلو متر] او فى دقيقة او فى ساعة او فى يوم او فى أسبوع أو فى شهر بل المسافة التى يقطعها الضوء فى سنة كاملة وهى ما تسمى **بالسنة الضوئية** وهى وحدة القياس فى هذا الفضاء الواسع ، والمسافة بين الارض وأقرب نجم لها هى **نحو اربع وحدات طولية** [أى اربع سنوات ضوئية] أى المسافة التى يقطعها الضوء فى أربع سنوات . ورغم انها لا تبلغ الا نحو **أربع وحدات** الا أن هذه المسافة الصغيرة نسبيا فى هذا الفضاء الواسع تبلغ اكثر من اربعين مليونا من الكيلو مترات ، هذا هو اهم امر اقرب النجوم الينا ، واما اذا بعدنا فى أغوار الفضاء الى المجرة المسماة بطريق « التبانة » أو الطريق «اللبنى» والتى تشتمل على مجموعتنا الشمسية ، فهى لذلك قريبة نسبيا الى ارضنا ، وتحوى كغيرها من المجرات آلاف الملايين من النجوم وتوابعها ، اوجدنا ان قطر هذه المجرة القريبة يبلغ نحو **٧٠ ألف سنة ضوئية** [قارن هذا الرقم بالرقم السابق الذى وصل الى أربع سنوات ضوئية فقط] اى ان ضوء بعض النجوم البعيدة بهذه المجرة التى نتبعها يأخذ للوصول الينا ٧٠ الف سنة ضوئية ، واذا تعمقنا أكثر فى الفضاء الخارجى لعلمنا ان اقرب المجرات لمجرتنا تبتعد عنها نحو **٧٠٠ ألف سنة ضوئية** وقد يمكن لنا تصور مقدار بعض المجرات البعيدة منها عنا ، وفى واقع الامر فان ابعد الاجسام التى امكن رؤيتها للآن فى الفضاء الكونى تبعد عنا نحو **عشرة آلاف مليون سنة ضوئية** وحتى هذه المسافة الخرافية التى قد لا يتصورها العقل ، لا تبين الا جزءا صغيرا من الفضاء ، لانه فضاء **لانهائى** كما سيأتى ذكره فيما بعد .

وقد تمكن العلم الحديث بما لديه من وسائل خرافية من التعرف على عوالم وأجسام غريبة لم تكن معروفة من قبل فى هذا الفضاء الخضم ، تفوق كل ما تصوره الانسان ليس فقط فى يقظته بل أيضا فى منامه واحلامه ، وقد كانت هذه العوالم

مختبئة خلف حواجز من الزمن والمسافات ، بعيدة عن متناول الانسان ، فلم يكشف عنها الا منذ وقت قريب ، اذ تمكن العلم من رفع النقاب عنها وتمكن الانسان من التعرف على ما كانت تحتفظ به هذه العوالم من اسرار وما تحتويه من غرائب وهي لشدة غرابتها يصعب على الانسان تصديقها او تصورها ، ورغم كثرة انواعها فسنكتفي في هذا المجال بذكر نوعين منها فقط :

النوع الاول تمثله أجسام صغيرة نسبيا ولكنها ترسل امواج الراديو وتشع اضواء شديدة لدرجة ان قوة لمعانها وبريق بعضها يناظر قوة عشرة تريليون من الشموس ، وبعض هذه الاجسام يشع طاقة تفوق الطاقة التي تشعها مائة من المجرات الكبيرة التي تحوى كل منها على مئات الالاف من ملايين النجوم وما شمسنا الا نجم واحد متواضع، وتشع الواحدة من هذه الاجسام في **ثانية واحدة** قدرا من الطاقة يكفي جميع الاحتياجات الحالية لسكان الارض أجمعين من الكهرباء لالاف الملايين من السنوات ، فلعل الفكر الانساني يتمكن مستقبلا من استعمال هذا المصدر الهائل من الطاقة ، فلا يتحدث انسان المستقبل عن ازمات لمصادر الطاقة ، بل يجد فيها كل ما يشبع احتياجاته منها ويزيد ، فلا يلجأ الى القوة للحصول عليها، ولا يهدد غيره ليفقره ويثرى هو ، وتسمى هذه الاجسام الشبيهة بالنجوم « بالكوازرز » وهي تتغير في قوة لمعانها بسرعة تصل احيانا لبضعة اسابيع بل لبضعة ايام فقط وهي سرعة غير مألوفة في الاجرام السماوية الاخرى التي لا تتغير الا ببطء شديد .

وقد اكتشف انها تتباعد نحو الفضاء الخارجي بسرعات مختلفة، وفي واقع الامر فان تباعد هذه الاجسام وكذلك تباعد المجرات نفسها عن بعضها بسرعة فائقة ، تبين ان الكون في ازدياد مستمر ، وبالتالي فانه يشغل فضاء لانهائيا ، ونذكر هنا ان ما يمكن للانسان رؤيته من اجسام في لا نهائية الفضاء يسمى بالكون المرئي ، الذي ينتهي حده عندما تصل سرعة تباعد الاجسام بسرعة الضوء نفسه ، لانه ان زادت سرعة تباعدها عن سرعة الضوء لما امكن لنا رؤيتها باي حال من الاحوال ، وتدخل حينئذ في الفضاء غير المرئي ، والذي لا نهاية له . وقد اكتشف في عام ١٩٧٣ احدى الكوازرز وهي تبتعد بعنف وبشدة عن الارض بسرعة تساوى ٩١ في المائة من سرعة الضوء وهي أبعد الاجسام المعروفة في الكون المرئي للان ، وتقع في مكان يبعد نحو عشرة آلاف مليون سنة ضوئية كما سبق الذكر ، قرب مشارف حدود الكون المرئي وهي مسافة تناظر في واقع الامر ٩١ في المائة من مسافة أبعد جسم يمكن للانسان رؤيته في الفضاء ، لانه اذا تباعد عن الارض بسرعة الضوء كلها لوقع عند الحدود الاخيرة للكون المرئي واذا زادت سرعته عن ذلك لما امكن رؤيته ولدخل في الكون غير المرئي. ومن اللطيف أنه باكتشاف هذا الجسم تمكن الانسان من التعرف على ضعف الفضاء الكوني الذي كان معروفا له في أوائل الستينات ، وذلك في فترة لا تتعدى العشر سنوات، فقد كانت حدود الكون المعروف نحو خمسة آلاف مليون سنة ضوئية فقط لا غير، وعندما اكتشفت اولى الكوازرز عام ١٩٦٣ وجد انها تقع عند حدود هذا الفضاء المرئي الذي كان معروفا قبل ان تتضاعف معرفتنا به ، والجدير بالذكر ان العالم الذي كشف اولى هذه الاجسام ، رجع الى بيته يوم كشفه لسرها وهو لا يصدق نفسه ، ولم يتمالك من ان يفضى الى زوجته ان شيئا لا يصدق حدث له ذلك اليوم .

وأما **النوع الثاني** منها فهو نوع من النجوم الجديدة الفريدة بالنسبة الى مقاييس الاجرام الاخرى ، وهي من أكثر النجوم السماوية غرابة في تركيبها وبنائها ، واما العجيب في هذه الاجسام المسماة بالنجوم النيوترونية او النابضة ان مادتها مندمجة وكثيفة لدرجة أن كثافتها تساوى ألف مليون مليون مرة كثافة الماء، وان وزن ملعقة صغيرة مليئة بها تزن ألف مليون طن أى ما يساوى وزن مائتي مليون فيل كبير ، [ولنا ان نتصور مقدار وزن ملعقة كبيرة من هذه المادة !] وانه لكثافتها الكبيرة لا يمكن للتجاعيد على سطحها ان تعلو لاكثر من بوصة واحدة ، وهو ارتفاع أكبر «جبالها» وان الطاقة التي يستهلكها الانسان لصعود هذه البوصة الواحدة تساوى جميع الطاقات التي ينتجها الانسان طول عمره ، نتيجة تمثيله لغذائه ، واذا تصورنا اندماج مادة ارضنا نتيجة لضغط شديد عليها لدرجة ان تتفتت ذراتها نفسها ،وتنعدم المسافات البينية في مادتها ،ويتكون حينئذ بناؤها أساسا من النيترونات ، كي تتحول الى مادة هذه النجوم النابضة ، لاصبحت أرضنا التي نعيش عليها كرة لايزيد قطرها عن المائة متر !

ولكن يوجد في السماء من الاجسام ما هو أصغر واكثف واشد جاذبية ، وتسمى بالفجوات السوداء ، ونظرا لصفاتها هذه ، نجد أن الضوء نفسه ، رغم خفته المتناهية ، لا يمكنه الهروب منها أو تفادى جاذبيتها الشديدة ، فتشده هي اليها وينحني هو نحوها ، لا تجعله يفلت من بين احضانها بل تدخله داخل نفسها ذاتها ، وتلتهمه التهاما ، ويصبح حبيسا لا فكاك له من أسرها .

ولكن لهذه ولغيرها من أجسام معروفة في الفضاء قصصا تروى وغرائب تسرد ، ولاشك انه سيكتشف مستقبلا عن أجسام أخرى كثيرة فتثرى الانسانية نتيجة لحقائق علمية جديدة تفوق الخيال، وصدق العالم البريطاني **هالدين** حينما قال « **ليس الكون أغرب مما نتصوره فقط بل هو أغرب مما يمكن أن نتصوره** » (*)

مكانة الفلسفة
فى مجتمع اشتراكى متطور

نيقولاى ايريباجاكوف *

اسهام الفلسفة فى بناء مجتمع اشتراكى متطور لا يقف عند حد المشاركة فى حل المشكلات الفلسفية والمنهجية التى تنشأ عن النظرية الخاصة بمجتمع اشتراكى متطور، وانما يتجاوزه الى حد اعتبارها [أى الفلسفة] عنصرا رئيسيا فى تكوين ثقافة هذا المجتمع .

وثقافة المجتمعات الحديثة معقدة ومتنوعة للغاية ، اذ هى تشتمل على علوم الطبيعة والمجتمع التى تأخذ فى التزايد ، وعلى الفنون والقانون والاخلاق . ثم هى تشتمل على الفلسفة . ومع ذلك فالثقافة ليست تجميعا آليا لمكوناتها • فهذه المكونات متداخلة الى الحد الذى تكون فيه كلا متماسكا نسبيا ، أى أن الثقافة « نسق » متميز •

والفلسفة ليست احدى مكونات نسق الثقافة وحسب ، وانما هى أيضا الأساس العقلى للثقافة الذى يربط بين مكوناتها فى نسق متكامل • ومن هذه الزاوية فان **الفلسفة هى روح الثقافة ، اذ هى تمد الثقافة بنظرة كونية وبنظرة منهجية • ولهذا فان درجة تطورها هو احدى المؤشرات على درجة تطور ثقافة المجتمع •**

ويتمثل هذا الدور الأساسى للفلسفة داخل نسق ثقافة المجتمع فى وظيفتين رئيسيتين ومتداخلتين فى تاريخ الثقافة الانسانية ، واعنى بهما النظرة الكونية والنظرة المنهجية •

فالمعرفة الفلسفية تتسم دائما بميل أساسى نحو « المعرفة الموسوعية » ، والمعرفة الكلية ، والفهم الشمولى للواقع ككل ، ونحو تكوين نظرة كونية • وهكذا بزغت الفلسفة كعلم كلى ، وكجهد عقلى لادراك طبيعة العالم وخصائصه الاساسية ، وقوانينه ، بالاضافة الى تحديد مكانة الانسان فى العالم ، وموقفه من العالم • وهذا الميل سائد فى كل من المذهب المادى والمذهب المثالى ، وهما المذهبان الرئيسيان فى الفكر الفلسفى •

وفلسفة العصر من حيث هى علم الواقع لايزال موضوعها هو الواقع ككل ، الطبيعى منه والاجتماعى ، خصائصه وقوانينه . ومن حيث هى علم المعرفة فموضوعها هو المعرفة المتكاملة فى اتجاهها نحو الواقع الموضوعى ، والممارسة العملية للانسان والطبقات الاجتماعية والانسقة •

والفلسفة من حيث هى نظرة كونية ، أى من حيث هى علم الواقع ككل ، فانها تستند بالضرورة على منجزات العلوم الاخرى ، وعلى الاوجه المتباينة للنشاط الانسانى • ومن غير هذا الاستناد فان الفلسفة ليس فى امكانها أن توجد ، ولا أن

---

* رئيس تحرير مجلة « عصور حديثة » ببلغاريا

تتطور . ولهذا فان الفلسفة لها علاقة حميمة بالعلوم الجزئية والفنون والاخلاق والقانون والانشطة العقلية الاخرى ، والممارسات العملية .

وهذه العلاقة الحميمة هى علاقة متبادلة ، ولكن يصعب القول أى الطرفين أكثر صلة ، الفلسفة أم العلوم الجزئية • ومع ذلك فمن المؤكد ، فى نهاية المطاف ، أن العلوم الجزئية والانشطة العقلية مثل الفنون والاخلاق والقوانين ، ترتد الى الفلسفة والى مشكلاتها والى مقولاتها ومعانيها •

فهل من تفسير لهذه القضية ؟

جوابنا أن الفلسفة هى الاساس المنهجى للعلوم الجزئية والانشطة العقلية والعملية .

وهذا الدور الذى تضطلع به الفلسفة انما هو مشروط ببنيان المعرفة الانسانية ، وهذا البنيان بدوره مشروط بالعلاقة الجدلية مع العالم الخارجى •

وهذه العلاقة المتبادلة بين الفلسفة والعلوم الجزئية ليست الا تعبيرا عن العلاقة المتبادلة بين الكل والجزء ، بين الخاص والعام ، القائمة فى الواقع الموضوعى ذاته • ففى هذا الواقع الكل مكون من أجزاء ، والنسق مكون من عناصر • وكما أن الكل ليس موجودا خارج اجزائه ، والنسق ليس خارج عناصره ، فان الاجزاء ليست كذلك الا من حيث هى أجزاء من الكل ، والعناصر ليست كذلك الا من حيث هى عناصر النسق •

والعنصر من حيث هو فى نسق فانه لا يظهر خصائصه ووظائفه الا فى داخل النسق وليس خارجه • وعلى الضد من ذلك فان النسق ، حين تنسلخ عنه عناصره ، يفقد خاصيته النسقية والتكاملية

وهذه العلاقة الجدلية قائمة كذلك بين العام والخاص ، بمعنى أن أيا منهما لا يمكن أن يوجد أو يظهر من غير الاخر بمعزل عنه • بل لا يمكن أن يفهم من غير الاخر . فليس ثمة عنصر جزئى ينفرد بسمة ليست فى عنصر آخر ، وليس ثمة عنصر عام ينفرد بسمة عن العناصر الجزئية •

وهذه السمة الجدلية للواقع وللمعرفة هى أساس التباين بين العلوم الجزئية من حيث هى علوم موزعة على مجالات الواقع وبين الفلسفة من حيث هى علم الخصائص العامة والقوانين والعلاقات القائمة فى الواقع وفى المعرفة الانسانية وفى الممارسة العملية ، بل ان هذه السمة الجدلية هى أساس الوحدة بين العلوم الجزئية والفلسفية •

وانطلاقا من هذه الزاوية ، ومنها وحدها ، يمكن تفسير لماذا كان الفلاسفة الاوائل فى العصر اليونانى القديم ، فى آن واحد ، مفكرين وعلماء فلك وفيزيائيين ورياضيين وبيولوجيين وسوسيولوجيين وسيكلوجيين . وانطلاقا من هذه الزاوية ، ومنها وحدها ، يمكن تفسير لماذا بقيت الوحدة قائمة بين العلوم الجزئية والفلسفة رغم انفصال هذه عن تلك ، ولماذا حدث التغيير فى شكل هذه الوحدة ، وليس فى مضمونها •

وفى هذا العصر ليس فى امكان الفلسفة أن تتطور الا استنادا على منجزات العلوم الجزئية ، كما أن هذه العلوم فى حاجة الى الفلسفة من حيث هى منهج • ولهذا السبب فان الفلسفة لن تختفى ولن يتقلص دورها مهما يكن من أمر التباين والتكامل بين العلوم الجزئية • بل على الضد من ذلك فانه كلما تقدمت عمليتا التباين والتكامل فى مجال العلوم الجزئية تعاظمت دلالة المشكلات المنهجية للعلم ، وبالتالى تعاظمت أهمية الفلسفة كمنهج وكنظرة كونية •

ان حاجة الانسان الى نظرة كونية ليس فى الامكان انتزاعها ، وكذلك الحال بالنسبة الى نظرته الى العالم ككل • ذلك أن الانسان جزء من العالم تتجسد فيه وحدة هذا العالم • ثم هو يحيا فى العالم من حيث هو كل ، لا مفتتاه فى تباينه ولكنه منطو على وحدة • وحين يحاول الانسان أن يفهم ذاته ويفهم العالم فهو متجه بالضرورة نحو تأسيس نظرة كونية • وحين يزداد تباين المعرفة التى تقدمها العلوم الجزئية فان الانسان يحس بالحاجة الى رؤية التكامل بين الفروع المختلفة لهذه المعرفة • والفلسفة العلمية فى الماركسية اللينينية هى أكمل تعبير عن هذا التكامل المطلوب •

وهذه السمة التى تتميز بها الفلسفة الماركسية اللينينية هى التى تحدد دورها المتعاظم فى عملية تأسيس مجتمع اشتراكى متطور يكشف عن نفسه فى اتجاهات أربعة :

الاتجاه الاول مرتبط بتكوين ثقافة مجتمع اشتراكى متطور من حيث هو نسق متكامل • ويبين برنامج الحزب الشيوعى البلغارى أن بناء مجتمع اشتراكى متطور يتطلب مزيدا من التطور للثورة الثقافية الاشتراكية يلازمه تغيير حاسم فى التعليم وفى الثقافة التقنية للشعب وبالاخص للاجيال

الصاعدة ، كما يلازمه تقدم العلوم والفنون ، وتغيير كيفي جديد في تكوين الوعي الاجتماعي الاشتراكي ، وفي تكوين نسق متطور للحياة العقلية . ومع ذلك فان ابتكار نسق متطور للحياة العقلية يفترض مقدما تطويرا متعاظما للفلسفة الماركسية اللينينية من حيث هي عنصر أساسي لمجالات الحياة العقلية المتباينة ومن حيث هي وسيلة لتحقيق التكامل بين هذه المجالات .

الاتجاه الثاني مرتبط بالدور المتعاظم والتطور السريع للعلوم الجزئية . ويوضح البرنامج أن العلم ، في مرحلة بناء المجتمع الاشتراكي المتطور ، يدخل في علاقة عضوية مع هذا المجتمع ، ويصبح قوة انتاجية مباشرة . أي العمود الفقري للانتاج ، وأساس التحكم في العمليات الاجتماعية ، والعامل الحاسم في التقدم الاجتماعي والاقتصادي والتقني . ويهدف الحزب الى تطوير العلم الى الحد الذي تتأسس فيه كافة الانشطة [السياسية والاقتصادية والايديولوجية والتعليمية والادارية] على قواعد العلم ، وعلى الاتساق مع النظرية الماركسية اللينينية ، وعلى منجزات الثورة العلمية والتكنولوجية . ومع ذلك فان تطور العلوم الجزئية والمهام المعقدة المنوطة بها تستلزم تحسينا متواصلا لمستوى منهجيتها ، أي تحسينا متواصلا لدور الفلسفة الماركسية اللينينية من حيث هي منهج لهذه العلوم . ولهذا السبب فان البرنامج يلح على ضرورة مواصلة الجهد في التطوير الخلاق للفلسفة الماركسية اللينينية ، ولمناهج البحث في العلوم الطبيعية والاجتماعية .

الاتجاه الثالث مرتبط بتكوين نظرة كونية علمية للمواطنين في المجتمع الاشتراكي . يقول البرنامج « ان تكوين **نظرة كونية علمية** هو حجر الزاوية في نشاط الحزب الايديولوجي والتربوي » . وهذا هو ما يحدد مكانة الفلسفة في مهمة الحزب الايديولوجية والتربوية ، لانه ليس ثمة نظرة كونية علمية من غير الفلسفة الماركسية اللينينية .

الاتجاه الرابع مرتبط بالنضال ضد الايديولوجيا البرجوازية والايديولوجيات المعادية للاشتراكية . فمن المعروف أن الفلسفة في المجتمعات الطبقية هي فلسفة طبقة وفلسفة حزب حتى حين تزعم أنها فوق الطبقات وفوق الاحزاب . والفلسفة الماركسية اللينينية لم تخف طابعها الحزبي . بل انها تعلن صراحة أن دورها هو في كونها سلاحا ايديولوجيا للطبقة العاملة وللاشتراكية .

ان بناء مجتمع اشتراكي متطور يتم وسط نضال شرس وحاد بين ايديولوجيتي النظامين الاجتماعيين المتعارضين ، اعني بهما الاشتراكية والراسمالية . وهاتان الايديولوجيتان تقومان على فلسفتين متعارضتين ، الماركسية اللينينية والفلسفة البرجوازية . وليس ثمة ايديولوجيا من غير فلسفة معينة ، وليس في امكان اي نظام اجتماعي أن يشن حربا ايديولوجية من غير أن يتسلح بأسلحة ايديولوجية وفلسفية . **ان الافكار الفلسفية هي الاسلحة الثقيلة في ساحة المعارك الايديولوجية بين الانظمة الاجتماعية .**

أخبار الفلسفة والعلم

● ورد اسم **الاسمنت البورتلندى** فى قائمة السلع المجاز للمصريين والاجانب توريدها الى مصر ؛ وهى القائمة الملحقة بقرار وزير التجارة الخارجية رقم ٢٨٦ بتاريخ ٢٢ أغسطس ١٩٧٤ . ويصعب على العقل فهم هذا القرار ، اذ كيف تحتاج مصر الى استيراد هذا الاسمنت ، رغم خبرتنا الناجحة فى تصنيعه داخل مصر ورغم وفرة المواد الخام التى يصنع منه ورغم سلامة مشاريع انتاجه محليا من جميع الجهات التكنولوجية والاقتصادية ، ورغم أنه من السلع الاستراتيجية اللازمة للتنمية ؟ وكيف اننا لم نخطط ولم نعمل لتصنيع كل ما نحتاج اليه من الاسمنت ليس فقط للاستهلاك المحلى ولمنع استيراده ، بل ايضا لتصديره خصوصا وأن فى السوق الخارجي المجاور لنا مجال كبير لهذا التصدير ؟

والمطلوب الاسراع فى اتمام مشاريع انشاء مصانع الاسمنت الجديدة وزيادة انتاج المصانع الحالية حتى نتمكن **أولا** من ايقاف تصريح استيراده ، والاكتفاء الذاتى ، وتوفير العملة الصعبة التى نحن فى أشد الحاجة اليها ، وتحسين ميزاننا التجارى وفتح باب العمل للعمال المصريين ، وهم قادرون على مثل هذا العمل ، بدلا من اعطاء اجر هذا العمل الى العامل الاجنبى وهو فى حالة اجتماعية واقتصادية تعلو كثيرا حالة زميله المصرى ، وحتى نتمكن **ثانيا** من تصديره الى الخارج .

● نذكر فى هذا المجال أن قدر انتاج المحاجر من أحجار جيرية وطينية « ومنهما يصنع الاسمنت وهما متوفران فى الصخور الممتدة على جانبى وادى النيل من القاهرة الى اسوان وفى الصخور القريبة من مدن القناة » ومن الرمال والزلط وغير ذلك من خامات غير فلزية ، أكثر أهمية ، من جهة الكمية المستخرجة ، ومن جهة قيمتها النقدية ، من انتاج خامات الثروة المعدنية الاخرى الفلزية ، كخامات الحديد والنحاس والزنك والرصاص ، وذلك فى البلاد المتقدمة الصناعية كالولايات المتحدة الامريكية ، فالدخل القومى فيها الناتج من هذه المواد العادية المتوفرة أكثر من دخلها من خامات الحديد والنحاس والرصاص الخ ، وهى الخامات الفلزية التى يثير الكشف عنها اهتمام الانسان العادى ، بينما الخامات غير الفلزية الشائعة والتى توجد تحت اقدامه هى الاهم اقتصاديا ، ومصر غنية جدا فى مثل هذه المواد غير الفلزية ويسهل البحث والكشف عنها دون صرف مبالغ كثيرة فى ذلك ، بخلاف خامات الفلزات التى يتطلب البحث عنها مبالغ طائلة وجهدا كبيرا ، ونتيجة لهذا فمن الواضح أنه اذا كان لتنمية الثروة المعدنية فى بلادنا اولويات فاستخراج أحجارنا الجيرية والطينية لصناعة الاسمنت مثلا واستخراج المواد غير الفلزية المماثلة من اولها اهمية ، ومن اكثرها ضمانا وسهولة .

وواضح أن المواد الخام والموارد الطبيعية ، دون فكر ومعرفة وعمل ، تصبح خامات لاقيمة لها ، نائمة على سطح الارض أو دفينة في باطنها ، ولا تصبح من دعائم ثروة البلاد الا اذا اعملنا فكرنا وطبقنا معارفنا للاستفادة منها ، فنصحوا نحن وتصحوا هي معنا ، ويظهر جوهرها الغالي ونثرى بها (•)

●● اقيم فى القاهرة هذا العام ، منذ فترة ليست ببعيدة اول مؤتمر للعلوم النووية وتطبيقاتها ؛ وعرض فيه اكثر من مائة بحث لدور الطاقة والاشعاعات الذرية فى الزراعة والصناعة والطب وغير ذلك ، ويذكر الاستاذ **صلاح جلال** ، المحرر العلمى لجريده الاهرام ، فى عددها بتاريخ ٢٢ – ٣ – ٧٥ ، قبيل عقد المؤتمر ، عن الاستاذ **الدكتور عبد المعبود الجبيلى** مدير هيئة الطاقة الذرية المصرية حينذاك ووزير البحث العلمى الحالى الدور الكبير الذى تؤديه هذه الطاقة واشعاعاتها فى المجالات المختلفة . واختتم بقوله « **كل هذه الابحاث اجريت فى مصر وبايدى جيل من علماء الذره المصريين طوال العشرين عاما الاخيرة وأصبحت لمصر خبرة ومدرسة** » ولكن يظهر انها لم تكن ابحاثا هادفة للتنمية العاجلة ونتيجة لاحتياج المجتمع الشديد لها ، ولو أنها بطبيعتها ابحاث تطبيقية فاستطرد وقال : « **وارجو** ان تخرج الى مجالات التطبيق » وكان من الاوفق الا ينتظر بعضها عشرين عاما **لرجاء** اخراجها الى مجالات التطبيق ، فقد لا يمكن تطبيق بعضها الان لاختلاف الظروف والاحوال واقتصاديات التطبيق ، والافضل ألا تقام هذه الابحاث فى بادىء الامر الا لهدف واضح للتنمية قريبة الاجل نتيجة لاحتياج المجتمع الشديد لها وطبقا لاولويات خطة للبحوث وفقا لاكثرها ادرارا للعوائد ،

نشر مكتب مناجم الولايات المتحدة الامريكية بواشنطن فى احدى مجلاته ـ ديسمبر ١٩٧٤ احصاءات عن الانتاج العالمى عام ١٩٧٣ ، فذكر أن انتاج خامات الحديد بلغ نحو ٨٦٤ مليون طن والحديد ٥٠٤ ملايين طن ، والصلب ٦٩٤ مليونا . ويتوقف كثير من اعمالنا اليومية على هذه المئات من الملايين من الاطنان التى يحولها الانسان الى سيارات وقاطرات وسفن وطائرات وصواريخ وقضبان للسكك الحديدية وكبارى وجرارات وآلات رافعة وآلات زراعية وآلات النسيج والطباعة وحديد تسليح المبانى واشائها وغير ذلك من أدوات تستعمل فى مختلف أنشطة الانسان المعاصر .

وذكر كذلك ان **الاتحاد السوفيتى** انتج وحده ربع مجموع الانتاج العالمى من خامات الحديد « **٢١٦ مليون طن » تليه الولايات المتحدة « ٨٩ مليون »** واستراليا « ٨٥ مليون » أى ١٠ فى المائة من الانتاج العالمى لكل منهما ، فالصين الشعبية « ٦٦ مليون » ٨ فى المائة فالبرازيل « ٥٨ مليون » ٧ فى المائة • ومن اهم منتجى الدول الافريقية ليبيريا « ٢٣ر٥ مليون » وجنوب أفريقيا « ١١ مليون » وموريتانيا « ١٠ ملايين » وكان انتاج مصر للمقارنة حوالى نصف مليون طن .

واما عن انتاج الحديد نفسه فقد انتج **الاتحاد السوفيتى نحو ٩٥ مليون طن والولايات المتحدة ٩٢ مليونا** ، واليابان ٩٠ مليونا ، والمانيا الغربية ٣٦ مليونا ،ويليها الصين الشعبية ٣٣ مليونا ، واما عن الصلب فبعد أن كان الاتحاد السوفيتى اكثر انتاجا من الولايات المتحدة خلال العامين السابقين انعكست الاية عام ١٩٧٣ فأصبح انتاج الولايات المتحدة نحو ١٣٧ مليون طن والاتحاد السوفيتى ١٣١ مليونا ، يليهما انتاج اليابان ١١٩ مليونا ثم المانيا الغربية ٤٩ر٥ مليون ومن الدول العربية المنتجة للصلب جمهورية مصر العربية ٢٩٠ الفا ، وتونس ١٦٠ الفا والجزائر ٦٥ الفا ، ولبنان ١٥ الفا ، والمغرب الف واحد •

فياحبذا لو أن الدول العربية تمكنت فى نطاق تكامل اقتصادى عربى من زيادة انتاجها من الحديد والصلب وتنمية هذه الصناعة الثقيلة التى هى أساس للتقدم وللقوه وخاصة وان للدول العربية من الامكانيات ما يمكنها من أن تحقق هذا الامل ، ولعل ابحاث علمائنا تتجه نحو تحقيق هذا الهدف وغيره من أهداف التنمية فتصبح ابحاثا هادفة ، يكون لها قوة الاستثمار المفيد وليست ابحاثا فى فراغ قد لا ينتج عنها نفعا أو قد ينتج عنها نفعا فى مستقبل بعيد فتصبح ابحاثا استهلاكية مكلفة لا استثمارات نافعة ، خصوصا وان بعض الدول المتقدمة رغم انها شديدة الفقر فى خامات الحديد تعتبر من أكثر الدول انتاجا للحديد والصلب ، ولنا فى اليابان مثلا ، فهى تنتج نحو ١٢٠ مليون طن من الصلب سنويا رغم أن انتاجها من خام الحديد لم يزد عن المليون الواحد من الاطنان الا قليلا وتستورد احتياجاتها من الخام من خلال اتفاقيات طويلة الامد ، من استراليا وافريقيا وامريكا اللاتينية وغيرها وما ذلك الا نتيجة للمعرفة العلمية ـ التكنولوجية ـ الاقتصادية التى تملكها ، ولحسن ادائها للتخطيط والتنفيذ والعمل •

●● فى المؤتمر الثانى الذى عقدته أكاديمية البحث العلمى ، تم بحث الاسباب التى تعوق التنمية فى مصر رغم وفرة الابحاث المنشوره والباحثين ، فالمشاكل النوعية فى الصحة والزراعة والتعليم فى بلادنا لا تزال كما هى منذ عشرات السنين •

وقد تقدم أمين الاكاديمية باقتراح مناقشة آراء الخبراء الامريكيين الذين زاروا القاهرة فى الفترة الماضية لابداء آرائهم فى تطوير البحث العلمى عندنا ، ولكن رئيس المؤتمر الدكتور محمد مرسى احمد رفض الاقتراح ، وأكد على أن يلتزم الباحثين المصريين ببحث هذه المشاكل عمليا على الطبيعة فى مصر ، وفى هذا الاطار دارت المناقشات التى انتهت الى ١٣ توصية اهمها :

١ ـ أن السياسة العلمية هى أساسا سياسة التنمية المبنية على العلم موضوعا وأسلوبا •

٢ ـ يجب وضع خطة للتنمية لمدة لا تقل عن ٢٥ عاما ـ حتى سنة ٢٠٠٠ ـ •

٣ ـ الاهتمام بالتعليم •

٤ ـ وضع كوادر لجميع المشتغلين بالبحث العلمى فى جميع الوحدات مع مراعاة عدم الربط بين الدرجات العلمية والترقيات •

●● يقاس قدر رجال العلم في مصر ، وبالاخص قدر اولئك الذين يعملون في الجامعات وفي مراكز البحوث في الدولة بما قاموا به من ابحاث أيا كان نوعها، ودون النظر الى اثرها في تنمية المجتمع ورفع شأنه ، فيقال ان فلانا ، استاذ للجيل ، وانه انشأ مدرسة من العديد من الرجال الذين ينهجون نهجه والذين يشغلون مراكز هامة في الدولة وانه قد اشرف على عدد كذا من رسائل الماجستير وكذا من رسائل الدكتوراه وان له ابحاثا مبتكرة ، عددها كذا ، لم تنشر فقط في الدوريات العلمية في داخل مصر ، بل في أكبر الدوريات الاجنبية واشهرها في جميع انحاء العالم وانه حصل على أعلى الدرجات العلمية ، وقد يتبع هذه الابحاث والاعمال الضخمة المضنية منح بعض العلماء جوائز الدولة التشجيعية او التقديرية او الجائزة المقترحة الجديدة التي تقف بين الاثنين .

غير اننا لا نسائل انفسنا عما نتج عن هذه الابحاث من أثر في تنمية المجتمع خصوصا مجتمعنا النامي الفقير ، هل أخذ في الاعتبار كم كلفت هذه الابحاث الدولة من مال وماذا كان عائدها ؟ وهل كانت هذه الابحاث هادفة للتنمية ام هي حب للعلم في حد ذاته ، وهل هي ابحاث تنفع مجتمعنا ام هي بعيز هدف واضح ؟ وهل هي استثمارات نافعة ام تذهب نتائجها هباء منثورا ام نفعها ليس للمستقبل القريب ؟

كم تسر النفس حقيقة ، ونحن في بلد نام ، يجدر بنا آن نحافظ فيه على كل فلس لدينا ، ان نقيس قدر علمائنا بما ينتج عن ابحاثهم من تقوية للمجتمع وتنميه لثرواته الطبيعية ومن زيادة في أنتاج الوطن في الطاقة والزراعة والصناعة وفي انتاجه الحيواني والمائي والمعدني وغير ذلك من مجالات التنمية ، ونيس بالمقاييس التي نقيس بها اليوم ، فتشير الناس حينئذ الى فلان العالم الذي تسبب في زيادة الثروه المائية بكذا الف طن سنويا نتيجة لابحاثه ، والى ذلك العالم الاخر او أولئك العلماء الذين وفروا للدولة ملايين الجنيهات لكشفهم عن طريقة للتغلب على دودة القطن ووصفهم للخطوات اللازمة لدرء خطرها عن البلاد مما تسببه من تلف وضياع لغلة رئيسية فيها ، الى غير ذلك من ابحاث هادفة ؟ واخيرا هل تعرف ان هذا ما يقوم به جمهرة العلماء في الدول المتقدمة الغنية كلها ، الاشتراكية منها والراسمالية ، الشرقية والغربية ، وان مثل هذه الابحاث الهادفة للتنمية العاجلة تكون الجزء الاعظم واغلبية الابحاث في تلك الدول وان القلة النادرة من العلماء هناك من يبحث في العلم البحت الذي تطبق نتائجه في المستقبل البعيد دون هدف التنمية القريب ، وانه يمكننا نحن الدول النامية ، نظير دولارات قليلة ، استيراد هذا العلم « لفترة من الزمن الى ان نتمكن من تمويله مستقبلا بأنفسنا » للاستفادة منه كوسيلة ،وليس كهدف لذاته ، في التنمية العاجلة ، التي بدونها لا يمكن لنا أن نخصص حتى هذه القلة من علمائنا للبحث في العلوم البحتة مستقبلا ، ونقوم فقط الان بما يقوم به جمهرة علماء العالم المتقدم بابحاث تهدف الى التنمية قريبه الامد وكم هذا بهدف عظيم لو أدركناه وأمل كبير اذا حققناه ، لان أبحاثنا الان لا تضيف حقيقة الى أساسيات العلوم ولا تضيف في نفس الوقت الى التنمية الا فيما ندر .

●● من وسائل التغلب على ازمة البترول في الولايات المتحدة ، الى جانب الدراسات التي يقوم بها العلماء هناك لاستعمال بدائل الطاقة التي تتوفر مصادرها لديها والتي لم تستغل بعد ، ان قامت مطابع الحكومة بواشنطن بطبع كتاب ،ثمنه دولارين ونصف ، موجه اساسا الى المؤسسات الصناعية والتجارية الامريكية ، فيه وصف للخطوات اللازمة للحفاظ على الطاقة ، كما يقترح الكتاب **مائة وثمانين** طريقة لهذا الحفاظ ولحسن استعمالها ، وقد عزز الكتاب الاقتراحات المائة والثمانين بأمثلة واقعية طبقت فيها هذه الاقتراحات في بعض المؤسسات مما نتج عنه توفير فعلى للطاقة في مؤسسات كثيرة منها ، وطالب الكتاب أن تحذو المؤسسات الأخرى حذوها ،فياحبذا لو ان الدول العربية رغم وفرة مصادر الطاقة بها ، أن تقوم بعمل مماثل ، يتوافق مع الاحوال فيها لحسن استعمال الطاقة بها ، وللحفاظ على مصادرها ، وبالاخص على مصادرها غير المتجددة كالبترول والغازات الطبيعية والفحم .



الـــــوعى

الوعى والثورة

عندما يعلن وضع اجتماعى معين أن ثمة هوة بين القوى الانتاجية والعلاقات الاجتماعية فمعنى ذلك أن هذا الوضع اجتماعى ثورى . ولكن هذا ليس كاف وحده لتحقيق الثورة ، ذلك أن البشر وحدهم هم المسئولون عن تحقيقها ، وتحقيقها يستلزم ظهور قوى انتاجية جديدة تتجاوز العلاقات الاجتماعية القائمة . ومن ثم يمكن القول بأن ثمة عاملين ضروريين للثورة :

العامل الموضوعى والعامل الذاتى ، أى الوضع المادى وبزوغ الوعى .

والمقصود بالوعى هنا وعى الجماهير ، أو بالادق « توعية » الجماهير . ولهذا السبب كان **لينين** يشك فى «**تلقائية**» الجماهير ، وينعتها بأنها « **امعية** » ، وكان يرى أن تجنب هذه التلقائية أو الامعية يتطلب منظرين للثورة يستندون فى تنظيرهم الى حزب .

وكان **ستالين** يعطى الصدارة للبنيان الفوقى ، الوعى والافكار والنظريات ، بدعوى أن الثورة السوفيتية تحققت عام ١٩١٧ فى غياب الشروط الاقتصادية المطلوبة للاشتراكية .

أما **ماوتسى تونج** فيركز على اهمية العامل الذاتى . يقول : « ان العامل الحاسم هو الانسان وليس ما هو مادى ، وان معنوية الجيش هى التى تحرز النصر » . « فالجيش الجاهل ليس فى مقدوره هزيمة العدو . ولهذا فان المهم فى الثورة الوعى والثقافة ، ومن هنا تأتى أهمية « **الثورة الثقافية** » التى تهدف الى تربية الجماهير وتسليحهم بفكر **ماو** .

الوعى والواقع

فى كتاب « الايديولوجيا الالمانية » يفحص ماركس الوعى ليس من حيث هو مجرد وعى ، ولكن من حيث هو لغة . فاللغة ، فى رأيه ، هى الوعى الواقعى والعملى ، أى وسيلة الاتصال بين البشر . ولهذا **فالوعى علاقة ، ولهذا فهو من انتاج المجتمع** .

بيد ان العلاقة التى ينطوى عليها الوعى ليست فقط العلاقة بين انسان وآخر ، ولكن أيضا بين الانسان والطبيعة . ولهذا فان تصور « **الوعى** » بمعزل عن البشر وعن الطبيعة هو وعى « **مغترب** » مفصول عن الممارسة العملية .

اذن الوعى الحق هو الوعى الذى « **يدخل** » فى « **علاقة** » مع الواقع ، وهذا الدخول من شأنه ان يصف العلاقة بأنها « جدلية »

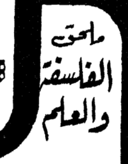
وتأسيسا على ذلك يرفض ماركس كلا من المادية القديمة والمثالية . يرفض الاولى لانها تتصور الواقع بمعزل عن الانسان ، أى تتصوره ليس على أنه نشاط انسانى . ويرفض الثانية لانها تتوهم أن الموضوعات الواقعية هى مجرد انتاج من الذات الانسانية .

في هـــذا العـــدد ..

ملحق الأدب والفن

• حسين فوزي
رحلة دائمة في الزمان والمكان
• تحقيق أدبي من سوريا (٢)
• المسرح التجريبي في انجلترا :
محاولة للخروج من إطار ثقافة البرجوازية
• الترجمة وبناء الدولة العصرية
• الفن التشكيلي : من "شارع الهرم" إلى "جاليري ٦٨"
لمن تدق الأجراس .. ؟

في هذا العدد أيضًا ..



• أيديولوجيا النازية .. وقضايا العصر
• مكانة الفلسفة في مجتمع اشتراكي
• نظرة إسلامية إلى التكنولوجيا
• عن مؤتمر حظر انتشار الأسلحة النووية

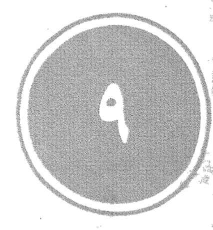
• المرأة في المجتمع الإسلامي العصري
• الفلاسفة والمرأة .
• أخبار الفلسفة والعلم
• نحو مفهوم إنساني للإنسان
• عن العوالم اللانهائية
• قاموس العصر .



الثمن ١٥ قرشا

السنة الحادية عشرة
سبتمبر ١٩٧٥





[الافتتاحية]

قاهرة « النيوزويك »
وقاهرة « العرب »

تعقيبات من د. جمال العطيفى
د. بطرس بطرس غالى ـ محمد سيد أحمد
مع نص حوارهم مع مجلة « النيوزويك »

مصر .. اسرائيل .. والقنبلة الذرية

مصطفى النحاس : السياسى .. والزعيم .. والمناضل

- تحقيق ميدانى فى تجربة اشتراكية معاصرة
- نظريات «طريفة» .. وحوار «مستحيل»

رد أبو سيف يوسف على د. فؤاد زكريا

الجلسة الأخيرة لحوار اليسار مع الحكيم

مصر المستقبل .. فى الزمان والمكان

الأدب الفلسطيني بعد عام ١٩٦٧

ملحق الادب والفن

الفهـــرس

العدد التاسع ــ السنة الحادية عشرة ــ سبتمبر ١٩٧٥

الطليعة

طريق المناضلين إلى الفكر الثورى المعاصر

مجـــلة شـــهرية

تصـــدر أول كل شـــهر

رئيس التحـــرير :

لطفى الخـــولى

مدير التحـــرير :

ابو سيف يوســف

سكرتير التحـرير :

مصطفى ســامى

المحــــررون :

حســين شــعلان
خــيرى عــزيز
د. رفعت السعيد
عبد المنعم الغزالى
فاروق عبد القادر
وديــع أمــين

[■]

د. محمــد الخفيف

شــارك فى تاسيس الطليعــة واسرة تحريرها

يناير ١٩٦٥ ــ مارس ١٩٧٢

ان [الطليعة] ميدان مفتوح لكل راى حر وفى اعتقادنا ان تفـــاعل الاراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع ان يبـلور ويستخلص وحدة فكرية اصيلة .

من هذا المفهوم تفتح [الطليعة] صفحاتها لكل راى لديه كلمة يقولها ـ مؤمنة بشـعار الحرية المجيد الذى اطلقـه فولتير فى القرن الثامن عشر [قد اختلف معك فى الراى ولكنى على استعداد لان ادفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رأيك] ..

كلمـة من « الطليعـة »

سوف نظل ـ على الدوام ـ نردد هذه الحقيقة وهى أن المـكافأة الحقيقية لاى صحيفة او مجلة، انما هى تجاوب القراء معها بالمساندة والتأييد ، واشتراكها معهم بالفكر فيما تنشر ، واهتمامهم بمشكلاتها، وتصديهم للرد على خصومها .

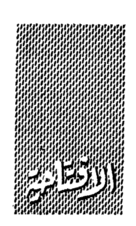
لذلك ، كم اسعدنا ان نتلقى عدداً من الرسائل التى تتصدى ـ بحرارة وقوة ـ لبعض الكتابات « الوردانية » التى قالت عن « الطليعة » انها مجـلة محـدودة الانتشار لا يقرأها الا « المفلسون » وذلك عندما نشرت « الطليعة » فى عدد يونيو بيانا من بعض القادة العـرب البارزين يدعون فيه الامة العربية الى مساندة مصر اقتصاديا بسبب ما تحملته من اعباء فى معاركها وحروبها التحريرية .

هكذا ، نقرا فى رسالة بعث بها سيد خطيب [كلية الاداب ـ دمشق بتاريخ ٨/٨/١٩٧٥] ، وفيها يحدثنا عن الاستقبال الذى تلقاه « الطليعة » هناك من قرائها . يقول :

« ناتى الى المجلة « المحدودة الانتشار» ... « المحدودة التاثير » ... التى تصدر بالقـاهرة يوم ١ واتحداك [والـكلام موجه الى كاتب صواريخ] ان تاتى بنسخة من الباعة يوم ١ بعد الظهر ... ماعلينا... فعلا عجيب امرك ايها الصاروخ » ... ويضيف :

« ونحن قبلنا ان نتعامل مع مجلة كل اسرتها ... من مفلسى تعـدد الوجوه والشعارات ، ومفلسى التعـامل الوقتى القائم على المصلحة والتسلق ... » .

وان « الطليعة » اذ تلخص فى باب بريد الراى والراى الاخر بعض الرسائل التى وردتها حول هذا الموضوع ، فانها لا تنسى ان تحيى وتشكر كل من كتب اليها وتعتز بكل من عبر عن تضامنه معها .



قاهرة «النيوزويك» وقاهرة «العرب»

تحت عنوان « الرؤية من القاهرة »أفردت « **النيوزويك** » **ما يقرب من صفحتين** في عددها الصادر في الثامن من اغسطس ١٩٧٥ ، لنشر حوار حول **ماتسميه المجلة** الامريكية « الامكانيات المتفائلة للتعايش السلمي وحسن الجوار والتعاون بين العرب واسرائيل » ، مع ثلاثة من« الشخصيات البارزة في المجتمع المصرى »

وهو حوار اجراه كبير محررى النيوزويك« **ارنو دى بورجريف** » ، في **القاهرة** ، مع كل من : **الدكتور جمال العطيفي** وكيل مجلس الشعب ، **والدكتور بطرس غالي** أستاذ العلوم السياسية بجامعة القاهرة ورئيس تحرير مجلة السياسة الدولية وعضو اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي العربي ، والزميل **الاستاذ محمد سيد أحمد** الكاتب السياسي بجريدة الاهرام وصاحب كتاب « **بعد أن تسكت المدافع** » .

ولسنا في حاجة الى التأكيد — بادىء ذى بدء — اننا نتبنى **الاتجاه القائل بفتح** ابواب الحوار على مصراعيها ، ليس فقط مع نظريات ومفاهيم الاصدقاء **المتمايزة** ، قليلا او كثيرا ، مع نظرياتنا ومفاهيمنا حول الصراع العربي — الاسرائيلي ، بل ، أيضا ، مع نظريات ومفاهيم «الغير» المناقضة جذريا **لمواقفنا الفكرية والسياسية**

غير أنه يبدو اننا في حاجة ملحة اليوم الى التأكيد على وجوب **أن نلتزم في حوارنا** بأمرين :

الأول ، هو أن الصراع العربي الاسرائيلي ، **في خطه الرئيسي** ، **صراع مع الامبريالية العالمية والصهيونية** .. **ومعنى ذلك أنه يستهدف** — **بوسائل ومراحل**

مختلفة ــ تطهير المنطقة منهما، لا التعايش معهما . والا فان الترجمة العملية لذلك هو تصفية حركة التحرر العربى نفسها .

الثانى ، هو أن « القضية الفلسطينية » رغم عموميتها القومية ، فانها ذات خصوصية محددة . واحترام جميع فصائل حركة التحرر الوطنى العربى لهذه الخصوصية واجب ملزم . وترجمة هذا الواجب تعنى ــ بالدقة ــ تبنى استراتيجية منظمة التحرير الفلسطينية البعيدة المدى عن الدولة الديمقراطية ، واستراتيجيتها المرحلية عن بناء « السلطة الوطنية » فوق كل أرض فلسطينية تتحرر من الاحتلال الاسرائيلى .

وفى اطار هذا الالتزام المزدوج ، فانه يحق لكل فصيل أو مواطن فى حركة التحرر العربى ، أن يجتهد فى طرح صيغ جديدة أو مبتكرة للعمل والنضال ، تتعامل وتتفاعل مع الظروف المتغيرة والمتجددة دائما وبلا انقطاع .

من هنا ، اذا جاء المحاورون المصريون الثلاثة مع « بورجريف » فى « النيوزويك » ليطرحوا مقولات وصياغات لحل وتسوية الصراع العربى الاسرائيلى ، على اساس التعايش والتعاون وحسن الجوار مع اسرائيل الصهيونية ، فى اطار سوق مشتركة للشرق الاوسط . أو بناء صناعات على « الحدود العربية الاسرائيلية » تؤمن السلام وتمنع الحرب الخ .. فانهم يكونون قد « اختاروا » الانفصال عن خط حركة التحرر العربى و « أداروا » ظهورهم للقضية الفلسطينية وثورتها .

وهنا مكمن الخطر ، الذى نأمل ، معه ، أن يسارع العطيفى وبطرس غالى ومحمد سيد أحمد الى مراجعة موقفهم بحسم ووضوح واعلانه بشجاعة ، نعتقد ، انها لا تعوزهم .

الرؤيـة من القـاهرة

تنشر « الطليعة » ــ فيما يلى ــ نص المقابلة الصحفية التى أجراها مستر آرنو دى بورجريف كبير محررى مجلة نيوزويك الامريكية مع كل من : دكتور جمال العطيفى وكيل مجلس الشعب ــ والدكتور بطرس بطرس غالى أستاذ العلوم السياسية بجامعة القاهرة وعضو اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى ــ ومحمد سيد أحمد محرر صفحة الراى بجريدة الاهرام .. وقد نشرت فى عدد ١٨ اغسطس الماضى :

قبل عامين ، كانت النظرة السائدة لدى معظم المصريين ذوى التأثير ، هى أن التعايش السلمى مع اسرائيل أمر غير مرجح ان لم يكن بالمستحيل . ولكن ارنو دى بورجريف كبير محررى مجلة «نيوزويك» تحدث أخيرا الى ثلاثة من المصريين البارزين ، ووجدهم متفائلين بصدد قيام تعاون على أساس الجوار .

وكان المشتركون الثلاثة فى هذا الحوار هم : الدكتور جمال العطيفى وكيل مجلس الشعب ، وبطرس بطرس غالى رئيس تحرير مجلة السياسة الدولية ، ومحمد سيد احمد المعلق السياسى بجريدة الاهرام وصاحب كتاب « بعد أن تسكت المدافع » ، وكان أبرز ما ورد فى الحوار انما

والواقع أن لنا ثلاث ملاحظات رئيسية على حوار « النيوزويك » :

الملاحظة الاولى ، أن بورجريف ، بالعنوان والمقدمة اللذين صدر بهما الجوار أراد أن يزرع الانطباع لدى القارىء ، بأن التعايش مع الصهيونية قد حل محل الصراع العربي القومي التحرري معها ، في رؤية القاهرة ، بمعنى مصر وشعبها .

وهذا انطباع مضلل . لانه لا يعكس الحقيقة . بل يحاول القفز من فوقها . ذلك انه ، أيا كان وزن الشخصيات الثلاثة التي جرى معها الحوار ، فهي نفسها لا تستطيع أن تزعم انها تمثل «القاهرة» .

الملاحظة الثانية ، أن بورجريف ، وهو صحفي ماهر ، استطاع ان يستدرج ، محاوريه المصريين الثلاثة الى « سجن فكرى سياسى » من صنع مفاهيمه ونظرته هو الى الصراع . فدارت كل افكارهم وتصوراتهم في جدوده . ولم يحاول واحد منهم أن يتحرر من قيوده ليطرح الرؤية العربية الفلسطينية التحررية للصراع واحتمالاته .

الملاحظة الثالثة ، أن المحاورين المصريين الثلاثة قد تباروا ، بدرجات متفاوته ، في احلال أمريكا ، التي هي بالضرورة طرف أصيل في الصراع ، محل القوة العربية الفلسطينية ، باعتبارها العامل الاكثر حسما في حل الصراع . وذلك في محاولة لاقناع « أمريكا » بالتدخل الايجابي لصالح العرب ، والتخلي عن التأييد المتعاظم لاسرائيل . وأصابهم بذلك مرض المثقفين في العمل السياسي ، الذي يصور لمن يصاب به ، أنه من الممكن — بمناشدات كلامية معسولة — أن يقنع ويغير من الموقف الاستراتيجي المبنى على مصالح اقتصادية وسياسية وعسكرية جوهرية .

☐ دى بورجريف : يقول المنتقدون لسياسة الخطوة خطوة التى تنتهجها امريكا في السعى نحو السلام ، انها تؤجل فقط الوصول الى لحظة المأزق الشامل . وهم يشعرون بأن الولايات المتحدة تتجاهل الفرصة السانحة اليوم ، للوصول الى تسوية شاملة ، تمكن من قيام تعايش سلمى بين اسرائيل وجيرانها العرب . هل توافقون على ذلك ؟

☐ **محمد سيد احمد** : نحن بالفعل في هذا المأزق . والطريق للخروج منه ، من الناحية العملية ، هو ان يستبدل كلا الطرفين بأساليب السلوك الضارة لهما معا ، اساليب اخرى للسلوك تعود بالنفع المتبادل . فليس ينبغي لاسرائيل ان تفسد التسوية ، بمطالبة الفلسطينيين بالتخلي عن احلامهم في الوصول يوما الى قيام دولة علمانية في كل فلسطين ، كما ان العرب لايعارضون التسوية على اساس ان اسرائيل مازالت تمثل التجسيد للمشروع الصهيوني . ويبقى على كل جانب بعد ذلك ان يثبت انه اكثر قدرة من الاخر على تحقيق هدفه النهائي دون اللجوء الى العدوان .



ارنولد دي بورجريف يدير الحوار مع الدكتور جمال العطيفي والدكتور بطرس بطرس غالي ومحمد سيد أحمد ..

☐ **العطيفي** : كانت الميزة الوحيدة لسياسة الخطوة خطوة ، هي أن تخلق جوا ملائما لاجراء التسوية الشاملة . ولقد تركت الخطوة الاولى بالتأكيد اثرا سيكولوجيا طيبا في مصر والعالم العربي . وقد اعتمدنا — كما تعلم — اعتمادا شبه كامل في هذا الصدد على الولايات المتحدة الامريكية — ربما اكثر من اللازم — منذ حرب إكتوبر . فاذا فشلت اليوم سياسة الخطوة خطوة ، فلا مفر من ان يؤثر ذلك على مكانة امريكا في العالم العربي . وكل عربي مقتنع بأن الولايات المتحدة تملك الوسائل الكفيلة بحمل اسرائيل على الانسحاب من الاراضي العربية

وإذا كان الدكتور العطيفي ومحمد سيدأحمد ، قد حاولا — بين آن وآخر خـــلال الحـــــوار — أن لا « **تسرقهم ســكين بورجريف** » ، الا أن الدكتور بطرس غالى، امسك بالسكين وراح يستخدمه يدا بيــدمع « بورجريف » .

نقرا له فقرة يقول فيها « من الواضحأنه لابد أن يكون هناك فترة انتقالية طويلة بينما تجرى عملية التنفيذ خطوة خطوة من اجل تسوية شاملة [شكرا له !] وفى نهاية هذه الفترة سوف لا تصل الى تعايش سلمى فحسب بل تعاون سلمى يتضــمن علاقات اقتصادية » .

وفى فقرة ثانية يقرر : « نحن فى حاجة الى نوع من سوق مشتركة خاصة بالشرق الاوسط ، حيث تكون اسرائيل عضوا فى هذه المجموعة الجديدة التى تقبل تكاملها الاقتصادى وهذا يتطلب ان تقوم اسرائيل بتغيير نظرتها وتقبل الانضمام الى هذه المنطقة من العالم والتخلص من عقلية المستوطن الابيض .

فى فقرة ثالثة يذهب الى الحديث عن ضرورة وأهمية قيام « حزام ثقافى » يربط اسرائيل بالمنطقة العربيـــة ويخلق لغــة مشتركة مثل « ما فعل جان مونيه [الملقب بالاب الفكرى للسوق الاوروبية المشتركة] مع أوروبا الغربية بعد الحرب العالميــة الاخــيرة . ان على اسرائيـــل ان تنهى اســتعمارها وواجب علينا ان نقبلها فى وسطنا كعضو عادى فى مجموعتنا للشرق الاوسط » .

فى فقرة رابعة يناشد أمريكا : « أن تقنع اسرائيـــل بضرورة الانضـــمام الى المجموعـــة الاقتصـــادية لمنطقـــة الشرق الاوسط ليكون مثلها فى ذلك مثل انضمام بلجيكا الى المجموعة الاوروبية » . ويضيف : « نحن فى حاجة رؤية أبعد مدى فى التفكير

المحتلة . فاذا كانت سياسة الخطوة خطوة قد وصلت بالفعل الى نهاية الطريق ، فسوف يحملنا هذا على استنتاج انكم لم تكونوا بالفعـــل جادين فى هذه السياسة .

☐ **بطرس غالى** : اعتقادى ، أننا ينبغى أن نواصل سياسة الخطوة خطوة حتى نحصل على انســحاب اسرائيلى ثان من سيناء . فاذا تحقق ، فان هذا سوف يخلق الجو الصحيح لتسوية عامة . ولسوء الحظ ، فان النوايا الطيبة التى تولدت عن الخطوة الاولى فى سيناء، ذهبت هباء بسبب أسلوب الاداء الذى انتهجته اسرائيل خلال الاسابيع الاخيرة ، وادى الى الازمة التى حدثت .

☐☐ **دى بورجريف : ولكن سؤالى هو : هل توجد اليوم فرصـــة لتسوية شاملة ؟**

☐ **محمد سيد احمد** : نعم بالتطبع ، ولهذا ينبغى أن نقفز قفزة صندمية من فوق المفاوضات المرحلية بشأن سيناء دون مزيد من اللغط ، ذلك انه مع الخطر الماثل دارمــا فى احتمال تجدد القتال اذا ســمحنا لانفسنا بالغرق فى خطوات لاتلبث ان تتكشف عن انها ليست بخطوات، فان الاولوية القصوى لابــد وان تعطى للتسوية الشاملة .

☐☐ **دى بورجريف : لقــد نوقش السلام النهائى فى الشرق الاوسط حتى الان فقط فى اطار عودة اسرائيل الى حدودها التى كانت عام ١٩٦٧ . وذلك مقابل اعتراف عربى ومناطق منزوعة السلاح ، وقوات طــوارئ تابعة للامم المتحدة وضمانات دولية . اليس من الممكن ان تكون التصرفات العربية المويئة برهانا على التعايش السلمى ، اسلوبا افضل لاقنــاع اسرائيل بانها تستطيع ان تعيش امنة داخل حدودها التى كانت عام ١٩٦٧ ؟**

☐ **بطرس غالى** : من الواضح انه لابد ان تكون هناك فترة طويلة انتقالية ، بينما تجرى عملية تنفيذ التسوية الشاملة خطوة خطوة ، وبنهايتها من يكون هنـــاك تعايش سلمى فحسب ، بل ايضا تعاون سلمى بما فى ذلك العـــــلاقات الاقتصادية .

☐ **محمد سيد احمد** : اذا امكن تحقيق المقومات الضرورية للسلام ، فسوف نرى تطورا سريعا ، ولا اوافق على اننا لابد وان نواجه فترة انتقالية طويلة . ويمكن اختزال المراحل فلا بد ان يكون هناك رضاء متبادل بالعيش معا (Modus Vevendi) فى المنطقة ، ولابد لبعض العرب من ان يتخلص من فكرة ان اى تسوية هى بالضرورة استسلام .

كما ان فى الجانب الاسرائيلى وفى شريحة ضخمة من الرأى العام الامريكى ، خوف لااساس له ، بأن اى انسحاب اسرائيلى قد يعنى بداية تفكيك اسرائيل وتصفيتها

☐☐ **دى بورجريف : ان المشكلة كما اراها — هى ان المطلوب من اسرائيل ان تتخلى عن ارض مقابل**

والتخطيط حتى نتوصل الى طريقة للتكامل يضفي على المشكلة العربية الاسرائيلية بعدا جديدا » .

[راجع نص الحوار المنشور بهذا العدد]

نتساءل : ما الذى تطلبه الامبريالية والصهيونية من تنازلات أكثر من تلك التى تبرع بها الدكتور بطرس غالى ، وكأنه يقدم « وصفة سحرية » لم يأت بها ساحر أمريكي أو اسرائيلى من قبل .

بمعنى أن اسرائيل تظل — فى رأيه — كيانا صهيونيا . يتخلى فقط عن احتلاله للارض العربية ونزعته الى التوسع الاستعمارى كالرجل الابيض مكتفيا فقط بفلسطين . وأمام هذا نفتح له أبوابنا العربية ، نتعايش معه ، ونتعاون اقتصاديا ونصوغ لغة مشتركة ، ونحول الصراع الى مجرد مشكلة تجد حلها فى بعد جديد ؛ هو بعد حسن الجوار .

واذا أضفنا الى ذلك كله ما يدعو اليه الدكتور بطرس غالي — فى الندوات والمناقشات — من العمل ؛ فى المدى الطويل ، على اقامة نوع من الاتحاد الفيدرالى يضم اسرائيل والبلاد العربية ، فان معنى ذلك أن نحقق نحن العرب الاهداف البعيدة المدى للمشروع الصهيونى ، التى عجزت اسرائيل نفسها عن تحقيقه حتى اليوم . وباختصار نتحول الى أن نكون أعداء انفسنا وحركة تحررنا ؛ بدلا من أن نكون أعداء للامبريالية والصهيونية .

ضمانات مبهمة : — « ارجعوا الى حدودكم عام ١٩٦٧ ، وحينئذ يصبح التعايش السلمى ممكنا » ما الذى يثبت للاسرائيليين ان العودة الى حدود ١٩٦٧ ، لن تؤخذ من جانب العرب على انها نقطة انطلاق للعودة الى خطوط ١٩٤٨ فيما بعد؟

☐ محمد سيد احمد : لست اتصور انه بعد ان يتحقق السلام على اساس حدود ١٩٦٧ ، ان يلجا العرب الى تكتيكات « تجزئة » بقصد محاولة تفكيك دولة اسرائيل شريحة بعد اخرى .

☐ بطرس غالي : والى جانب ذلك فان كل انواع الضمانات الدولية سوف تحول دون حدوث مثل هذا التطور .

☐☐ دي بورجريف : ماهى الرؤية المعقولة لسلاميين اسرائيل وجيرانها العرب ؟ الا ينبغي ان نحاول تصميم « حوافز اقتصادية ايجابية » لتشجيع مصلحة كل من العرب والاسرائيليين على عدم اللجوء الى الحرب مرة اخرى ؟

☐ بطرس غالي : اننا بحاجة الى نوع من السوق المشتركة للشرق الاوسط ، وتدخل اسرائيل عضوا فى هذه المجموعة الجديدة التى تقبل تكاملها الاقتصادى فى المنطقة . ويتطلب هذا بالطبع ، تغييرا جذريا فى النظرة الاسرائيلية العامة . اذ لابد ان ترغب اسرائيل فى الانتماء الى هذا الجزء من العالم ، وان تتخلى عن عقلية المستوطنين البيض .

☐ العطيفى : اذا استقر كل شىء فى مكانه من التسوية الشاملة ، فسوف يكون للتكنولوجيا الاسرائيلية دورها . ولكن السؤال هو هل سترغب اسرائيل فى ذلك ؟ انها قد تجد فى هذا الدور تعارضا مع اطماعها الصهيونية !

☐ بطرس غالي : ان التكنولوجيا الاسرائيلية وامكانياتها فى العالم العربى أمر تشوبه مبالغات كثيرة . فاسرائيل مازالت دولة صغيرة فقيرة ، ولست ارى كيف يمكن لخبرتها ان تكون ذا تأثير فعال فى التعامل مع مشاكلنا فى التنمية ، وحتى اوروبا الغربية ، مع اغراءات المبالغ الطائلة من البترودولارات ، لاتستطيع ان تلبى احتياجاتنا بغير الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتى . ولست ارى ما الذى يغرى الجانب العربى على استيراد التكنولوجيا الاسرائيلية ، اذا كان بوسعهم شراء الخدمات التكنولوجية الامريكية واليابانية والاوربية .

☐☐ دى بورجريف : الامر المؤكد لدى ، انكم توافقون على ان الضفة الغربية والمشكلة الفلسطينية يمثلان القضية الاساسية . واذا نظرتم الى الخريطة ، وفكرتم فى ان قيام دولة فلسطينية على الضفة الغربية ، معناه ان تكون المدافع الرشاشة فى ايدى الفلسطينيين المعادين لاسرائيل على مرمى مطار

ان الدكتور بطرس غالى، حينما يواجه باعتراضاتنا على مواقفه وأفكاره ، يجيب بأن هذه الصياغات التى يطرحها هى اللغة التى يفهمها الغرب ، وبالتالى يمكننا ان نكسبه الى صفنا .

بيد أن هذا وهم . فلن نكسب الغرب بالكلام . وانما نكسبه — اذا أمكن كسبه — بفرض قوتنا السياسية والاقتصادية والعسكرية وقدرتنا على الحركة المؤثرة فى مصالحه ومستقبله . والدليل على ذلك حرب اكتوبر العسكرية والبترولية ، وتصاعد الثورة الفلسطينية عسكريا وسياسيا .

قبل ذلك كان الغرب يتجاهلنا ويحتلبنا دون عناء كالبقرة الحلوب . ولكنه بعد اكتوبر ، راح يلح فى صداقتنا ، الى درجة تفجير صراعات بين دوله داخل المجموعة الاوروبية ، ثم بينه وبين الولايات المتحدة ذاتها .

الفعل ، وليس مجرد الكلمة ، هو الذى يقنع ويغير .

ثم ما الفائدة — بعد ذلك كله — لو كسبنا الغرب وخسرنا أنفسنا ، بتبديد طاقات حركة التحرر العربى ، والحد الادنى من وحدتها حول الاهداف الاساسية.

لكن هل يعنى ذلك أن نتوقف عن طرح صياغات جديدة للعمل السياسى واستثمار الحد الاقصى من نتائج حرب اكتوبر وكفاح الثورة الفلسطينية ؟

بالطبع لا . لكن الصياغات والاستثمار، يتوجب دوما أن ينبعا من مصالحنا القومية المشتركة ، أولا وأخيرا ، التى تعبر عنها حركة التحرر العربى .

واذا كان ثبات الهدف الاستراتيجى لا يمنع المرونة السياسية والمناورة التكتيكية ، فان المرونة والمناورة لا يجب أن يعصفا بالهدف الاستراتيجى والا خسرنا أنفسنا ، وكسبنا — فقط — بعض كلمات طيبة من « بورجريف » ، وعطف وامتنان

تل ابيب ، فانه يبدو لى ان هناك ما يبرر وجود مشكلة امن مشروعة ؟

☐ **بطرس غالى :** انك تنسى ضمانات الدول الكبرى والضمانات الدولية وقوات الطوارىء لحفظ السلام والمناطق المنزوعة السلاح .. التى سيتم وضعها لمنع حدوث مثل هذا !

☐☐ **دى بورجريف : قوات دولية يمكن سحبها بمجرد ارسال خطاب، مثل قوات الطوارىء الدولية فى سيناء ؟**

☐ **بطرس غالى :** لاوجه للمقارنة على الاطلاق . فقوات الطوارىء الدولية التابعة للامم المتحدة فى سيناء مرتبطة بعملية فك اشتباك اسرائيلية يمكن ان تتوقف . اما ضمانات التسوية النهائية والقوات فى هذه الحالة ، فانها ستكون بمثابة التزامات طبقا لاتفاقية يتوجب احترامها تحت اشراف مجلس الامن، ولا يمكن انهاؤها دون موافقة جميع الاطراف .

☐ **العطيفى :** ان الاسرائيليين يواجهون اليوم حركة مقاومة فى الضفة الغربية سوف تنمو على وجه التأكيد اذا استمر الاحتلال . الا يفضل الاسرائيليون فى هذه الحالة قيام دولة مسئولة معترف بها من المجتمع الدولى ؟

☐ **محمد سيد احمد :** ان الدافع لاعمال الفدائيين حتى الان ، هو الرغبة فى اقامة وطن خاص بهم، اكثر مما هو فى تفكيك دولة اسرائيل وتصفيتها ، وهو الامر الذى يعلمون باستحالة تحقيقه من طريق غارات الفدائيين . وفى اللحظة التى سيحصل الفلسطينيون فيها على وطن قومى لهم ، فسوف يختلف الامر اختلافا كاملا ، ويختفى العنف من نفسه . لابد لاسرائيل اذن من الاقدام على مخاطرة محسوبة .. ان تقامر على السلام .

☐☐ **دى بورجريف : ولكنك لا تغامر بامنك . الدول العربية لا تفعل ذلك ، ولا اى دولة اخرى ؟**

☐ **محمد سيد احمد :** هذا امر منطقى . ولكن المنطق يقول ايضا ان الدولة الفلسطينية ، التى لابد وان تتعهد بعدم الحرب ، وبضمانات من الدول الكبرى، سوف يكون لديها كل حافز ممكن لابقاء المدافع صامتة ، على الاقل لان الفلسطينيين يعرفون ان اسرائيل فى هذه الحالة قادرة على احتلالهم من جديد .

☐ **العطيفى :** هذه الدولة الجديدة الصغيرة فلسطين ، ستكون ايضا مسئولية عربية ، وسوف تكون احدى الدول الموقعة على التسوية الشاملة .

☐☐ **دى بورجريف : تريدون ان تقولوا لى ان احدا من الجانبين لن يتخلى عن اهدافه القصوى ، ولكن الصراع الايديولوجى سيستمر من خلال التعايش السلمى . ان وجه الشبه فى هذه الحالة مع**

« النيوزويك » . وهو مع كل التقدير ،لا يغنى ولا يسمن من جـوع واحتـلال وعدوان وتشريد شعب .

هل يعنى هذا أننا نعادى السلام «

بالطبع لا . ولكن السؤال دوما هو :أى سلام نريد ؟

سلام الامبريالية واسرائيل ؟ هذا الذى يجعلنا دائما أسرى القبضة الاستغلالية العنصرية . كلما حاولنا التقدم خطوة الى الامام ، انقضت على أم راسنا « العصا الغليظة » لتعود بنا الى الوراء خطوات وتستنزف كل قوانا وطاقاتنا أولا بأول . ألم نتعظ بعد من حركة العصا الغليظة فى عام ١٩٤٨ ثم فى عام ١٩٥٦ ، ثم فى عام ١٩٦٧ .

اذن أى سلام نريد ؟

سلام التحـرر من قيـود الامبرياليـةوعدوان الصهيونية المستنزف لمواردنا وقدراتنا على التنمية والتقدم ، والـذىيتكرر دوريا ــ كما تكشف حركة التـاريخ ــ كل ثمانى أو عشر سنوات .

والتعايش ؟

هل المطلوب التعـايش مع الـكيان الصهيونى العدوانى ؟ اذن ؟ فنحن كنـا واهمين وعلى ضلال طـوال مايقرب مننصف قرن ، عندما عادينا الصهيونيةكجزء متميز من القوى الامبريالية العنصرية .

ان التعايش الحقيقى الذى تستهدفه حركة التحرر العربى والفلسطينى ، هو التعايش مع الاسرائيليين، كبشر ومواطنين،فى دولة ديمقراطيـة علمـانية معـادية للامبريالية وللعنصرية . وهذه الدولة هىوحدها التى يمـكن ــ موضوعيا ــ أن تغدو جزءا لا يتجزأ من المنطقة وسوقهـاواقتصادياتها ولغتها المشتركة .

السوق الاوربية المشتركة بحدودها المفتوحة وتجارتهاالحرة بعيد جدا ، ولكنه اقرب شبها بالموقف بين المانيا الغربية والمانيا الشرقية .

☐ **محمد سيد احمد :** قد يكون الامر كذلك فى البداية ، ولكن اطرافا مختلفة ستجد المصلحة فى تجنب الحرب مرة اخرى ، من طريق اقامة حزام صناعى ــ علىسبيل المثال ــ على جانبى خطوط المواجهة فى سيناء والنقب وقطاع غزة والضفة الغربية وعلى الحدود الاسرائيلية مع سوريا وجنوب لبنان . كل هذا سوف يكون اقل تكلفة من الانفاق الراهن على التسلح .

☐ **العطيفى :** ان واجب المجتمع الدولى ان يحمل اسرائيل على ادراك انها لن تستطيع مواصلة وجودها على النحو الذى مارسته طوال الـ ٢٥ سنة الماضية ، ولا بد لها من ان تنضم الى المنطقة التى توجد فيها . وفكرة مثـل هذا الحزام الصناعى يمكن ان تكون ضمانا قويا للتعايش السلمى .

☐ **بطرس غالى :** اننى اكثر اهتماما بحزام ثقافى . ذلك ان انشـاء مشروعات صناعية على الحدود لن تمنع احدا من الحرب اذاكانمصمما على ذلك . ان قيام لغة مشتركة اهم عشر مرات ، على نحو ما فعل جان مونيه فى اوروبا الغربيـة بعد الحرب الاخيرة . ولا بـد لاسرائيل من ان تتخلى عن عقليتها الاستعمارية ، ولابد لنا من ان نقبلها فى وسطنا كعضو عـادى فى مجموعتنا للشرق الاوسط .

☐☐ **دى بورجـريف : اذا قبلتم الافتراض بان السلام سيأتى مرة واحدة ، [ثم ينفذ على خطوات] او لن يأتى البتة ، فكيف يمكن المضى قدما اذا كنتم مكان الرئيس فورد ، وباستطاعة الواحد منكم ان يبدأ من جديد غدا ؟**

☐ **محمد سيد احمد :** ان اعادةالتقييم الامريكية ينبغى ان تكون مشروعا للسلام ، يحدد بوضوح التزامات اسرائيل والرؤية الجديدة لمستقبل المنطقة ــ بما فى ذلك الحوافز الاقتصادية الايجابيـة ــ والتى سيجعلها التغيير فى السياسـة الاسرائيلية امرا ممكنا .

☐ **بطرس غالى :** يجب على الولايات المتحدة الامريكية ان تحث اسرائيل على ان تصبح عضوا فى المجموعة الاقتصـادية للشرق الاوسط ، بالضبط كما ان بلجيكا عضو فى المجموعة الاوربية . اننا بحـاجة الى فكر وتخطيط يتسمان ببعـد البصيرة ، يسفران عن مشروع للتكامل ، يضفى على المشـكلة العربية ــ الاسرائيلية بعدا جديدا تماما .

☐ **العطيفى :** لابد من وجود خطـة امريكية ، لان امريكا هى وحدها التى تستطيع ان تجعل اسرائيل تبصر الضوء . ان الموقف يحتاج الى نبض جديد قوى للسلام ، وقد قدمنا بعض خطوط عامة تقريبية للابعاد الجديدة لتسوية شاملة ☐

ولكن هل هذا ممكن ؟

نعم ممكن . بل هو الحل الانساني الديمقراطي الممكن والوحيد . بتعبير آخر هو التسوية السلمية الحقيقية .

متاح اليوم ؟

لا . ولكن من أجل هذا يجب مواصلة النضال السياسي والعسكري لشق الطريق اليه ، بطريق مباشر وغير مباشر وبأساليب مرنة وجديدة متكيفة مع الواقع الذي نؤثر فيه بعملنا فيتغير . ويعود فيؤثر علينا ، فنغير قوانا وأساليبنا على نحو أفضل وأكثر نضجا .

وهذا ليس بدعة . وانما هو قانون حركات التحرر في التاريخ الانساني .

قبل عشر سنوات فقط ، كانت الثورة الفلسطينية في نظر العالم وغالبية الوطن العربي ، مغامرة شباب متهوس محكوم عليها بالفشل . أو حركة ارهابية قصيرة النفس .

اليوم الثورة الفلسطينية ظاهرة موضوعية فرضت نفسها على العالم وعلى العدو ، واكتسبت منظمتها مقعد العضو المراقب في الامم المتحدة ، لاول مرة في تاريخ الشرعية الدولية .

قبل ثماني سنوات ، كان تصور حرب كحرب اكتوبر ، ضربا من المحال وأحلام اليقظة .

اليوم هي حقيقة موضوعية فجرت الزلازل في قلب اسرائيل وأضعفت من قدراتها كقاعدة عسكرية للامبريالية في المنطقة . وأيقظت القدرات النضالية الكامنة في الامة العربية والمقاتل العربي .

باختصار .. المثقف الذي يقف عند سطح « الازمة السياسية الراهنة للشرق الاوسط » ولا يتصل بالاعماق ، يفتقد الرؤية الصحيحة ويقع أسير اغراءات الحلول الوسط . لا يفرق بينها وبين المرونة السياسية واستثمار كل كسب مهما كان ضئيلا . ويغامر بطرح صياغات براقة المظهر فارغة المضمون . ويظن ، عندما تنشرها له « النيوزويك » أو غيرها من « الصحف العالمية » والعالمية عقدة دفينة في تكوين غالبية مثقفينا ، انه قد غزا « عكا » او « واشنطن » . في حين أنه في الحقيقة لم يفصل أكثر من الاذان في « مالطة » ! .

لطفي الخولي

لما كان لطفى الخولى قد ناقش فى افتتاحية هذا العدد لقاء محرر مجلة « النيوزويك » الامريكية بثلاث من الشخصيات المصرية هم : د• جمال العطيفى وكيل مجلس الشعب و د• بطرس بطرس غالى استاذ العلوم السياسية بجامعة القاهرة ورئيس تحرير مجلة السياسة الدولية و محمد سيد أحمد محرر الصفحة الخامسة بالأهرام فقد طلبت « الطليعة » منهم أن يطرحوا ملاحظاتهم حول الافتتاحية •



[١] التعايش السلمى

نظرة مستقبلية بعد التحرير وعودة فلسطين

تعقيب من د • جمال العطيفى

سأقتصر فى تعقيبى على هذا التعليق على ما جاء على لسانى فى الحديث الذى نشرته مجلة **نيوزويك** تاركا لزميلى توضيح ما قد يريا توضيحه مما أدليا به فى هذا الحوار •

فأما ما جاء على لسانى فى هذا الحوار — ومع أن ما نشر منه كان شديد التركيز — فقد تناولت فيه بالتحديد نقطتين : الاولى سياسة الخطوة — خطوة ومكانها من التسوية الشاملة ، والثانية ضمانات السلام فى المستقبل • ولم يرد على لسانى ما يمكن أن يؤول على أنه امكان التعايش مع الصهيونية أو أنه ابتعاد عن خط حركة التحرر العربى •

ان الحديث فى جملته كان ينصرف الى احتمالات السلام فى المستقبل بعد أن يتم الانسحاب الاسرائيلى الكامل وقيام دولة فلسطين • فهل هناك بديل لضمانات السلام المقترحة مثل قوات الطوارىء أو المناطق منزوعة السلاح مما هو وارد فعلا ؟ وهل يمكن أن يكون التعايش السلمى ضمانا بديلا ؟

وتلاحظون أننى فى استعراضى بعض المقترحات التى قيلت والتى ناقشها الزميل **محمد سيد أحمد** فى كتابه « بعد أن تسكت المدافع » ، مثل التعاون التكنولوجى قد طرحته بأنه لا يتفق مع طبيعة اسرائيل الصهيونية ، وأننى أكدت فى أكثر من موضع من الحوار على اقامة دولة فلسطين ، وان حركة المقاومة سوف تشتد اذا لم يتم الاعتراف بها ، وان اقامة حزام صناعى على الجانبين فكرة تستحق الاهتمام وهى من جنس ما فكرنا فيه من تعمير سيناء كسياج ضد العدوان — ومع ذلك فقد علقت ذلك على وجوب أن تتفهم اسرائيل أنها لا تستطيع البقاء فى المنطقة كما فعلت طيلة الاعوام الخمسة والعشرين سنة الماضية •

وخلاصة ما يمكن أن نستخلصه من هذا الحوار أنه يقدم للرأى العام العالمى طرحا لرغبة العرب فى السلام بطريقة أكثر تحديدا ولكنه يجعل هذا السلام دائما

مرتبطا باجابة مطالبنا القومية ، كما انه يجعل أى احتمالات لقيام تعايش سلمى فى المستقبل البعيد رهنا بتخلى اسرائيل عن طبيعتها الصهيونية . والحوار من هذه الناحية تفنيد لكل مزاعم اسرائيل عن الامن ومحاولتها اكتساب عطف العالم على انها الدولة المضطهدة دائما من العرب الذين لن يتخلوا أبدا عن فكرة العودة بهم الى حدود ١٩٤٨ لا حدود ١٩٦٧ .

لقد تعودنا سنوات طويلة على القوالب المصبوبة نصوغ فيها آراءنا ولم يبدأ العالم يأخذنا مأخذ الجد الا بعد أن تركنا الشعارات المبهمة الى تحليل عقلانى واقعى . وقد بدأنا تحليلنا فى هذا الحوار من منطلق قرارى مجلس الامن رقمى ٢٤٢ و ٣٣٨ وفيهما اعتراف بوجود اسرائيل . اعتراف تكفله لا الولايات المتحدة الامريكية وحدها ، بل والاتحاد السوفيتى ايضا .

د. جمال العطيفى

[٢] من أجل تصحيح صورتنا البدائية

تعقيب من د . بطرس بطرس غالى

يبدو لى أن الاستاذ لطفى الخولى لا يقرأ الانجليزية ، أو على الاقل لا يعرف دقائقها وخباياها ، لانه اذا قرأ الحوار الذى نشر فى مجلة « نيوزويك » فى أصله الانجليزى وليس فى الترجمة التى نشرت بالعربية لادرك ان الذى أطالب به هو تصفية الاستعمار الصهيوني فى اسرائيل كخطوة أولى ، وقيام دولة لا تتسم بالعنصرية والتوسعية والاستعمارية ، ومقابل هذا التحول الكبير ، يجب على الوطن العربى أن يقدم بديلا للدولة اليهودية ، وهو أن يفتح أبوابه لتنضم الى سوق مشتركة ، ثم وحدة عربية تنتقل من النظام الكونفدرالى الى النظام الفيدرالى . ومن البديهى ، انه لا تعايش سلمى بين الكيان الصهيونى من جانب ، والوطن العربى — وفى قلبه الكيان الفلسطينى — من جانب آخر ، الا اذا تغير كل منهما ، وقبل قيود النظام الفيدرالى الصحيح وقواعده ، ولذلك قلت انه من الواضح انه لابد أن يكون هناك فترة انتقالية طويلة أثناء العمل المشترك لتحقيق هذا الحل المنشود .

وثمة ملاحظة أخيرة ، اننا لا نظن اننا افتحنا « عكا » أو « واشنطن» أو « موسكو » بنشر هذا الحديث فى مجلة « نيوزويك » ، الآن عقدة تحاشى المجالات والاوساط الاجنبية ، لاسباب عديدة ، وهى العقدة التى عطلت انفتاحنا على العالم الخارجى ودفعتنا نحو الانغلاق ، وجعلت اعلامنا فجا ودبلوماسيتنا عقيمة ، أظهرت مصر فى صورة بدائية كالتى نستشف بعضا من ملامحها فى افتتاحية صديقنا لطفى الخولى .

ان قضية السلام التى نؤمن بها ، تحتاج الى انفتاح وشجاعة وقدرة على الرؤية المستقبلية ، ويصعب احيانا على الملتزمين ، وأسرى قوالب فكرية مصبوبة ان يسموا فى تحقيقها والعمل على نجاحها .

د. بطرس بطرس غالى

[٣] فى مواجهة « فك الاشتباك الفكرى »

تعقيب من محمد سيد أحمد

ربما كان من الصعوبة بمكان ضبط الانطباع الذى تعطيه مقتطعات من حوار أداره - بحذق - منذ أسابيع أرنو دى بورشجراف ، بقصد أن يثبت للغرب ، أن هناك ، فى القاهرة ، من هو قادر على تصور مستقبل النزاع العربى الاسرائيلى فى آفاق أبعد من معطياته التقليدية ، وتعثره المستحكم . وان نثبت - كعرب - ان العدو ليس هو وحده القادر على التصدى لهذا التحدى .

والموضوع تحيطه ، لا شك ، محاذير ومزالق خطيرة . وهو - على حساسيته البالغة - ما حاولت استشراف ملامحه واحتمالاته فى كتابى « بعد أن تسكت المدافع » . وكان دى بور شجراف قد تلقف الفرصة ، وقدم الكتاب فى عدد « نيوزويك » المؤرخ ١٤ - ٧ - ٧٥ » اى قبل العدد الذى صدر فيه الحوار بأربع اسابيع » ، ولكن على طريقة « لا تقربوا الصلاة » : لقد استند الى مقتطفات صحيحة ، لينسب الى معانى لم ترد اصلا فى الكتاب ، بل خالفت محتواه ونصه مخالفة صارخة . فقد زعم على سبيل المثال اننى أحبذ رفع المقاطعة العربية عن اسرائيل ، وليس لهذا الزعم أصل فى الكتاب مطلقا . بل نسب - على غير أساس - الى **الرئيس السادات** « تدخله للسماح بدخول عدة آلاف من نسخ الكتاب الى مصر من بيروت » . وهذا أيضا غير صحيح ، وكان التشويش الذى نجم عن هذا التعليق داعيا اضافيا لقبول التحدى ، وضعا للأمور فى مكانها الصحيح .

ثم اختارت « نيوزويك » لنشر الحوار اللحظة التى يجرى فيها وضع اللمسات الاخيرة لاتفاق حول فك اشتباك ثان على جبهة سيناء . وهذا أضفى على الحوار طابعا خاصا ، وأضاف اليه مغزى لم يكن واردا وقت اجرائه . بل ذهب دى بورشجراف ليجرى حوارا مماثلا مع ثلاثة اسرائيليين فى عدد « نيوزويك » التالى « ٢٥ - ٨ - ٧٥ » . وهذا أيضا كان تثبيتا للسعى المجلة الى احداث « **فك اشتباك** فكرى بين المثقفين على جانبى خط المواجهة . وقد تطوع دى بورشجراف الامريكى للتصدى لهذه المهمة ، تماما كما تصدى هنرى كيسنجر الامريكى « **لفك** الاشتباك » عسكريا ، وفى نفس الوقت

● ● ●

ولكن رغم هذه المفارقة ، لم أخف فى الحوار رأيى انه لا بديل عن زيادة تردى الموقف نحو حرب أخرى ، سوى منطق التسوية الشاملة . وأكدت أننى لا أوافق على التسوية خطوة خطوة ، وما زلت - رغم التطورات الاخيرة - عند هذا الرأى . جاء ردى على السؤال : « هل توجد اليوم فرصة لتسوية شاملة ؟ » قلت : « نعم بالقطع ولهذا ينبغى ان نقفز فوق المفاوضات المرحلية بشأن سيناء دون مزيد من اللغط . ذلك انه مع الخطر الماثل دائما فى احتمال تجدد القتال ، اذا سمحنا لانفسنا **بالغرق** فى خطوات - لا تلبث ان تتكشف عن أنها ليست بخطوات - فان الاولوية القصوى لابد أن تعطى **للتسوية الشاملة** » .

وعلى اى الاحوال فان هذه الملابسات قد احاطت الحوار بجو خاص ، وافسح المجال ليتركز ضدنا هجوم مكثف ومع ذلك ، **لا اعتقد ان احدا فى الساحة العربية يخالفنى الرأى فى ضرورة خوض هذه المواجهات الدقيقة ، بهدف اقتحام مواقع جديدة على الصعيد الدولى ، وبمنطق لا تنقصه قوة تصديق لدى « الغير »** . والا تركنا هذه

المواقع فريسة الدعايات المعادية فقط ، أوموضع اجتهادات يتطوع بها اليمين العربى المتعامل تقليديا مع الغرب وحده .وهذا – على أى حال –ما تحاوله كافة النظم العربية دون استثناء ، بل تحاوله منظمة تحرير فلسطين ذاتها . والشرط الوحيد الواجب الالتزام به هو أن يكون كل اجتهادنابعا من أرضية التمسك بالمطالب الاساسية لحركة التحرير العربية عامة ، والمطالب الاساسية لمنظمة تحرير فلسطين خاصة ، وفى مقدمتها الا ينطوى اى اجتهاد وفى آى وقت على تخل عن الهدف النهائى فى اقامة الدولة العلمانية الديموقراطية فى كل أرض فلسطين، حتى لوتطلب بلوغ هذا الهدف أكثر من مرحلة ، وأكثر من أسلوب فى ممارسة الصراع من أجله . وقد ورد هذا المعنى واضحا فى افتتاحية « الطليعة » .

● ● ●

لقد جاء على لسانى فى « نيوزويك » : « نحن بالفعل فى مأزق . والطريق للخروج منه .. هو ان يستبدل كلا الطرفين اساليب السلوك الضارة لهما معا ، بأساليب أخرى للسلوك بالنفع المتبادل . فليس ينبغى لاسرائيل ان تفسد التسوية ، بمطالبة الفلسطينيين بالتخلى عن احلامهم فى الوصول يوما الى قيام دولة علمانية فى كل فلسطين ، كما أن العرب لايعارضون التسوية على اساس ان اسرائيل ما زالت تمثل التجسيد للمشروع الصهيونى . ويبقى على كل جانب – بعد ذلك – أن يثبت أنه اكثر قدرة من الاخر على تحقيق هدفه النهائى دون اللجوء الى العدوان » .

اقول « جاء على لسانى » ، ولا أقول أن هذا هو ما تفوهت به فعلا ، ذلك أن هذه الفقرة تضمنت تحريفين يخالفان النص المعتمد للحوار قبل أن اختزلته « نيوزويك » ، وقدمت مقتطعات منه فقط . فلم استخدم عبارة « أساليب السلوك الضارة » .. و « اساليب اخرى للسلوك بالنفع المتبادل » .. أى كلمة CONDUCT « سلوك » ، بل استخدمت عبارة « أساليب الصراع الضارة » .. و « اساليب أخرى للصراع تحقق النفع المتبادل » اى كلمة CONFLICT «صراع» وشتان بين مضمون الكلمتين . فان المعنى الذى نسب الى يلغى فكرة « الصراع » ، بل واستمراره مستقبلا ، وهذا على خلاف ماقلت . ويكفى الرجوع الى كتابى ، وخاصة الى فصل « اعادة ترتيب التناقضات » ،وفصل « ولو تمت التسوية » ،للتحقق من أن تبديل كلمة « صراع » بكلمة « سلوك » فى العبارتين السابقتين ، ينم عن مفهوم دخيل على البناء الفكرى للكتاب كله ، وليس التبديل مجرد تغيير لفظى .

كذلك لم اقل « أحلام » بل « حلم » الفلسطينيين فى اقامة الدولة العلمانية الديموقراطية فى كل فلسطين . وكنت قد انتقيت كلمة « حلم » بالذات متعمدا ، لانها الكلمة التى استخدمها ياسر عرفات فوق منصة الامم المتحدة ، ووجدها الكلمة المناسبة لمخاطبة الرأى العام العالمى .

● ● ●

ما هو اذن معنى التسوية الشاملة كما طرحتها ؟

ما قلته فى الحوار يضفى على التسوية الشاملة معنى محددا : ليس هو الغاء للصراع ، ولا هو المطالبة بالتخلى عن غايات العرب وأهدافهم النهائية . أى ازالة آثار عدوان ١٩٦٧ ، واقامة الدولة العلمانية الديموقراطية فى كل أرض فلسطين . بل مواصلة النضال ولكن باساليب مختلفة ، لاتنطوى على العدوان كما مارسته اسرائيل فعلا طوال ربع القرن الماضى منذ تأسيسها كدولة .

ما هى هذه الاساليب المختلفة ؟ هى اساليب صراع تحقق النفع المتبادل بدلا من الحاق الضرر المتبادل . وهذا جوهر ما أوردته فى كتابى . وحتى تكتسب هذه الدعوى قوة تصديق لدى « الغير » عموما ،ولدى « الغرب » تحديدا ،لم أقل : هدفنا من التسوية هو ازالة اسرائيل . قلت : « ويبقى على كل جانب بعد التسوية أن يثبت انه اكثر قدرة من الاخر على تحقيق هدفه النهائى دون اللجوء الى العدوان » .

وفى هذا نهجت النهج الذى تنتهجه الدول الأشتراكية وهى تدعو العالم الرأسمالى الى قبول مبدأ التعايش السلمى . لا تقول فى هذا الصدد مبدأ التعايش السلمى مستحيل المنال لاننا نسعى الى أن تسود الشيوعية العالم بأسره . بل تقول : فلنستبدل بأساليب الصراع الضارة لنا معا ، أساليب صراع تعود علينا بالنفع المتبادل : بدلا من سباق

التسلح مثلا .. التنافس الاقتصادى بين النظامين العالميين . وكلانا يدفعه ايمانه بأن نظامه سوف يربح من هذا التنافس أكثر من الاخر . والعبرة - بعد ذلك - بمقدار سلامة هذا النظام او ذاك ، ومقدار توافقه مع اتجاه التاريخ ، ومدى قدرته على اثبات تفوقه فى التطبيق ، وتصفية خصمه بغير طريق الدمار والحرب ، فى وقت أصبح فيه دمار الحرب الشاملة يهدد بافناء البشرية كلها .

وهذا المنطق تلقفه أحد الاسرائيليين الثلاثة فى حوار « نيوزويك » قال : « لو ثبت أن ثقافتهم تفوق ثقافتنا - وهو ما لا اومن به - ففى هذه الحالة نستحق الا **نستمر فى البقاء كدولة يهودية خالصة** » . ونحن على نقيض ذلك ، نؤمن بالعكس ، استنادا الى القوة الكامنة التى تختزنها حركة التحرر العربية . وسوف يكون الصراع بعد التسوية ، اذا ماكتب لها أن تتم ، هو الذى سوف يقرر صواب معتقداتنا الاساسية أو صواب معتقداتهم الاساسية .

ولكن هذا على أى الاحوال لن يتحقق مالم يجر احلال أساليب الصراع ذات النفع للجميع محل أساليب الصراع ذات الضرر للجميع . **ولهذا السبب بالدقة أعارض فكرة الاتفاقات الجزئية والمرحلية** ، لانها تحمل خطر تحقيق النفع لاطراف بعينها فى النزاع دون أطراف أخرى . ان أمريكا واسرائيل تقدمان الان على اتفاق مرحلى مع مصر ، وهما الى الان لا يعترفان بمنظمة تحرير فلسطين . **أن مبدأ « احلال النفع بدل الضرر فى النزاع » مبدأ لا يحتمل التجزئة** ، ولا يجد تجسيما له الا من منطلق **التسوية الشاملة** ، مهما كانت العقبات فى طريقه .

• • •

ومع ذلك ، ارى أن أؤكد أنه لم يرد على لسانى شخصيا ، ولا مرة واحدة طوال الحوار ، **فكرة « التعايش السلمى »** كأساس للعلاقة بين العرب واسرائيل مستقبلا ، حتى لو انجزت تسوية شاملة . واستخدمت - بديلا عنها - عبارة « الرضاء المتبادل بالعيش معا فى المنطقة » . والمصطلح الذى انتقيته MODUS VIVENDI واضح تماما فى هذا الصدد . ذلك أن تسوية أزمة الشرق الاوسط تختلف عن اعمال مبادىء التعايش السلمى لتسوية الموقف المتأزم فى أوروبا ، كما أقرها مثلا **مؤتمر هلسنكى** الاخير . فقد قننت قرارات هلسنكى - وبصفة نهائية - خريطة أوروبا حسبما استقرت - كأمر واقع - فى أعقاب الحرب العالمية الثانية ، واسقطت نهائيا أحقية المطالبة بأرض تمتد اليها الان سيادة دولة اخرى . **وغير وارد أصلا فى تسوية عادلة لازمة الشرق الاوسط أن يجرى التسليم النهائى بالامر الواقع فى حيازة أرض اغتصبها كيان دخيل** .

ولاستخدام منطق فى هذا الصدد لايستند الى الحق العربى كما يراه العرب ، بل الى قواعد **الشرعية العصرية** التى يحتكم اليها المجتمع الدولى بأسره ، فان هذا الكيان قد نشأ فى **فترة لاحقة** « ١٩٤٨ » على اقرار ميثاق الامم المتحدة « ١٩٤٥ » ، وهو الاساس الذى تستمد منه قرارات هلسنكى شرعيتها .

• • •

بيد انه من الواضح ان مجلة « نيوزويك » لم تحرص على ابراز أوجه التباين فى الرأى حول هذه القضايا الحيوية ، بقدر ماحرصت على طبع الحوار كله بانطباع ارضاها ان تبرز التوافق حوله على اختلاف مواقع المشاركين فيه فكرا ووظيفة.

ولكن رغم ذلك ، وفى ضوء ما ورد على لسان الاسرائيليين فى حوار « نيوزويك » التالى ، **هل كان اجراء الحوار أصلا على صفحات المجلة الامريكية ، الواسعة الانتشار ، الذائعة الصيت .. كله سلبيات فقط ؟**

هذا سؤال أطرحه ، وأطلب اجابة عليه بنفس الشجاعة التى أنا مطالب بأن أبديها ، مراجعة لموقفى ، وتقديما لنقد ذاتى عليه .

لقد قمت بمناوشة فى صفوف العدو . ربما حجب وضوح النتيجة آراء صدرت على لسان بعض المحاورين المصريين عن « سوق مشتركة عربية اسرائيلية » الى غير ذلك من الاراء التى تعبر فى رأيى عن منطلق يمينى واضح . ولكن لم يكن هناك مفر من مشاركة رؤية اليمين فى حوار على صفحات مجلة امريكية بمركز « نيوزويك » . وهذا تلقفه الاسرائيليون . وكنت قد تنبأت فى كتابى بأن اليمين العربى ، و « المال العربى » عموما ، سوف يسعى بعد التسوية الى « التزاوج » مع « التكنولوجيا الاسرائيلية » ، أيا كانت ضآلة امكانيات هذه التكنولوجيا فى خريطة الشرق الاوسط مستقبلا ، بالمقارنة الى

امكانيات الغرب الاخرى في هذا الصدد ،على حد قول الدكتور بطرس غالى فى الحوار .

ولكن جاء ايضا على لسان الاسرائيليين في حوارهم مع « نيوزويك » :

■ حتمية وجود **ترابط** بين سيناء والجولان والاردن وحل مشكلة فلسطين في أية تسوية . ومن لا يرى ذلك يخدع نفسه ،ويعرض كل اتفاق يبرم للانهيار في مدة أشهر معدودة .

■ اقرار **مبدأ** التسوية الشاملة ، حتى لو كانت **الاجال** المطروحة **غير مقبولة** بالمرة .

■ ضرورة اقامة **دولة فلسطينية** في الضفة الغربية وقطاع غزة تحظى بسيادة كاملة ، في ضوء رؤية تقوم على التسوية الشاملة .

■ ضرورة بدء **سحب** المستعمرات الاسرائيلية من الجولان ، الخ ...

واحداث حركة تدفع باسرائيليين ذوى مراكز الى التفوه بمثل هذه التصريحات ليس مما يضر أهداف حركة التحرير العربية ، بل تكسب نضالها حججا جديدة ضد مواقف السلطة الاسرائيلية الرسمية .

ان ما جرى في الواقع هو تجسيم في التطبيق لما توقعته في الفصل من كتابي الذي نشرته « **الطليعة** » في عدد ابريل ١٩٧٥ ،وهو انه بمجرد أن تتوافر الظروف لحركة في اتجاه التسوية ، فلن يكون ماسميته « التناقضات الرأسية » مع العدو هي وحدها التناقضات المستبدة بالساحة ،بل سوف تبرز أيضا « تناقضات افقية » [اجتماعية] داخل كل طرف من أطراف النزاع . ولابد أن تزداد المواقف تمايزا بين اليمين واليسار : هذا شكل من أشكال « اعادة ترتيب التناقضات » التي تنطوى عليها فكرة التسوية أصلا . ولكن جاءت **صورة « اعادة ترتيب التناقضات » مشوهة ومشوشة ، على صفحات « نيوزويك » ، لرفض فلسفة اليمين عموما فكرة « التناقض »كمحرك للتاريخ ، ومحاولتها دائما احلال « التوافق » و « التكامل » محلها ،سواء بين المشاركين في الحوار من كل جانب على حدة ، أو سواء بين المشاركين في الندوتين معا .**

وربما كان ذلك هو السبب في تحريف « نيوزويك » كلامي ، واحلال كلمة « سلوك » بدلا من كلمة « صراع » على لساني .

● ● ●

وختاما ، أرى تعليقا على ماورد في افتتاحية « **الطليعة** » ، وضع النقاط فوق الحروف فيما يتعلق بالاتى :

■ فكرة اقامة « حزام صناعي على جانبي خط المواجهة » لم اطرحها **كاقتراح صادر منى شخصيا ، وادعو له** ، بقدر ما طرحته **كمبادرة واردة فعلا** ، تعمل من اجلها « **اطراف مختلفة** » ، وتستند الى مبرر بديهي هو ان مثل هذا الحزام – « كحافز ايجابي » لتثبيت التسوية – سوف يكون كما قلت في الحوار « اقل تكلفة من الانفاق الراهن على التسلح » وبالتأكيد اقل مجازفة .

■ لم يكن هناك جدوى – او معنى – من عدم التصدى لسؤال دى بورشجراف الاخير : « ماذا لفعلت لو كنت في مكان فورد ؟ » فقد حددت ان مشروع السلام «المتضمن في دعوى امريكا انها « تعيد تقييم سياستها ازاء ازمة الشرق الاوسط » ينبغى ان يحدد بوضوح التزامات **اسرائيل بالذات** حيال الرؤية الجديدة لمستقبل المنطقة . وامريكا لا تملك ان تتنصل من مسئوليتها في توفير حوافز اقتصادية ايجابية من اجل سلام يقوم على هذا الاساس .

■ واخيرا ، لا ارى انه يستقيم منطق المطالبة « **بعدم التوقف** عن طرح **صياغات جديدة** للعمل السياسي واستثمار **الحد الاقصى** من نتائج حرب اكتوبر وكفاح الثورة الفلسطينية » . وهذا ينطوى في الغرب حتما على مخاطرة التعرض للتحريف والمغالطة ، ثم دمغ هذه الصياغات – على اطلاقها – بانها « براقة المظهر ، فارغة المضمون » تلبى عقدة دفينة في تكوين غالبية مثقفينا ، انه قد غزا « عكا » او «واشنطن» في حين انه في الحقيقة لم يفعل اكثر من الاذان في « مالطة » !

محمد سيد أحمد

في لقائه مع وفد الصحفيين المكسيكيين ، صرح الرئيس انور السادات :

« نحن نعلم ان اسرائيل تعمل ،منذ فترة طويلة، في انتاج الاسلحة النووية . ومن وجهة نظرنا ، فان امتلاك اسرائيل اسلاح نووي ان يجعلها تفرض علينـــا اى شيء . ولكن اذا ادخلت اسرائيـــل الاسلحة النووية الى المنطقة ، فستكون عليهـــا المسئولية ، لانها تبدأ بادخال الاسلحة النووية . وســـيكون لنـــا مطلق الحـــرية في الرد » . [الاهرام ١٩٧٥/٨/٧] .

وكان الرئيس السادات قد عبر عن هذه المعاني ــ من قبل ــ في اوائل يناير الماضي . ثم اعاد وزير الحربية والقائد العام تأكيد وجهة النظـــر المصرية ، هذه ، بعد ذلك بايام .

فما هو الموقف النووي الحالي ، في المنطقة العربية . وما هي امكانيات الدول العربية على هذا الطريق الجديد ؟

مصــــــر .. اســــــرائيل
والقنبلة الذرية

حسن اغـــا *

أثـار مقال احد رؤساء تحرير الصحف العـــربية [١] عن القنبلة الذرية الاسرائيلية ، خلال شهر نوفمبر عام ١٩٧٣ ، ردود فعل مختلفة في المجالات العربية ،كانت الدهشة و المفاجأة طابعها المميز وأصابع اتهام ــ نكاد نراهـــا ــ تتهم الكاتب ، ضمنا ، بالمبالغة والتهويل في تقصي الحقائق ، وكان هذا الموضوع ذاته لم يثر على المستويات الاعلامية العربية والاجنبية ، قبل ذلك بسنوات ، ولم يعرض أمام رؤساء حكومات الدول العربية ، في الدورة الثالثة عام ١٩٦٦ ، وقام ببحثه مجلس الدفاع الاعلى ،واعلن يومئذان قرارات ومناقشات المجلس ، من المفروض ان تبقى في اعلى مراحل الكتمان ، [نظرا لاعتبارات الامن العربي] .

والمعروف ، أن مؤسسة الطـــاقة الذريـــة الاسرائيلية ، وهي تقع ــ حاليا ــ بعد انفصالها اداريا ــ عن وزارة الدفاع ــ في مدينة [ناحال سوريك] ، قد انشئت في ١٥ اغسطس ١٩٤٨ ، اى بعد حوالي ٩٠ يوما فقط من قيام دولة اسرائيل ، بقرار من رئيس الوزراء يومها ، « ديفيد بن جوريون » ، وظلت تعمل تحت اشرافه الفعلي المباشر ، طوال فترات رئاسته للوزارة .

وباسرائيل ــ حاليا ــ أربعة مفاعلات كبرى ،بني روبين [٢٠٠ مليون واط] وديمونا [٢٤ مليون] وريشون لوانسيون [٨ مليون] وناحال سوريك [٥ مليون] غير المعجلات ، ومركز البحوث النـــووية بحيفا المعروف [بالتكنيون] ومعهد وايزمان للعلوم برحبوت ، والجامعة العبرية بالقدس ، التي تعمل جميعها ــ بدرجة أو بأخرى باشراف وتـــوجيه المؤسسة أو بالتنسيق الشديد معها .

والقنبلة الهيدروجينية .. أيضا

ومع ذلك لم تقتصر تطلعات اسرائيل ــ في المدى الطويل ــ على الذرة والاسلحة الذرية بمعناها

* باحث بالادارة العامة للبحوث بوزارة الثقافة .

[١] مقال الاستاذ محمد حســـنين هيـــكل في الاهـــرام

التقليدى القديم ؟ فقد اولت الطاقة الهيدروجينية منذ سنوات ، اهتماما مفاجئا يلفت النظر .

والمعروف ان د. ادوارد تيللر ، الملقب بأبى القنبلة الهيدروجينية الامريكية ، قد وصل اسرائيل فى ١٢ ديسمبر ١٩٦٥ ، وزار يومها معاهد الطبيعة النووية الاسرائيلية ،ونفقدمواقع النشاط النووى المختلفة فى القدس ، ورحبوت ، وحيفا ، وقدم [بعض الملاحظات الفنية] لمديرى هذه المراكز العلمية .

وقد تناقلت المصادر المختلفة — ومنها المصادر العربية — بكل أسف — هذا الخبر الصغير فى ظاهره ، دون ان تعلق بأكثر مما صرحت به المصادر الاسرائيلية ولم تلحظ شيئا غير عادى كما لم يلفت نظرها أن التخصص الدقيق لتيللر ، هو القنبلة الهيدروجينية ، منذ كانت القنبلة فى حكم المستحيل ، وقد خاصم فى سبيلها علماء أمريكا الذين هزت ضمائرهم ولاسباب كثيرة أخرى ، آثار انفجارات القنابل الذرية فى اليابان ، ورفضوا المزيد من أسلحة الدمار ، وعبروا عن آرائهم صراحة فى اجتماعات اللجنة الاستشارية العامة للطاقة الذرية عند بحث هذا الموضوع فى خريف عام ١٩٤٩ .

التحليل الدقيق لزيارته ، يفيدبانه جاء يتفقد قطاعا معينا من قطاعات النشاط النووى الاسرائيلى ، لا النشاط الاسرائيلى بأجمعه ، وان هذا [المرور] الواسع على مواقع العمل المختلفة هو فى الحقيقة [ستار دخان] تخفى به اسرائيل المرمى البعيد لزيارته التى لا معنى لها ، بعد ، أو قبل — مجموعة من الزيارات ، قام بها طائفة منتقاه من كبار علماء الذرة الحاصلين على ارفع الجوائز العلمية ، ومنهم جائزة نوبل امثال **اوبنهايمر ، وليبى ، وودوارد ، وجريجورى ، وجودسميث ، وباركر ، سواء فى زيارات مستقلة ،** او بسبب انعقاد مؤتمرات علمية دعت اليها اسرائيل .... وما أكثرها .

وهكذا استقطبت اسرائيل ، واحدا على الاقل ، من اثنين من الاباء الاول للطاقة الهيدروجينية ، وهما اللذان ذكرهما هارى ترومان بالاسم فى مذكراته Yers of Triel and Hope ص ٣٥٥ وما بعدها طبعه Signet بعد أن كاد مشروعها ينهار أمام الصعوبات العلمية والمادية الضخمة ، التى كشفت عنها المناقشات فى اللجنة الخاصة لمجلس الامن القومى [المذكرات ص ٢٥١] حيث يقول « فى اواخر عام ١٩٥٠ ، واوائل عام ١٩٥١ قام دكتور اولام ودكتور تيللر ، فى لوس آلامو ، باكتشافات جديدة غيرت الصورة السابقة ، اما فى هذه الفترة المبكرة من عام ١٩٥٠ [حيث كانت تدور المناقشات] فكان مايزال المطلوب التأكد من امكانية اندماج الذرات الخفيفة كالايدروجين » .

وبصرف النظر عن الظنون التى قد تحيط بشخصية دكتور اولام ، لقد بلغ اطلاع العلماء اليهود على أسرار البحوث الذريه الامريكية حدا من الخطورة ، دفع الى الشك فى أن الاتفاقية السرية التى عقدتها فرنسا مع اسرائيل فى الماضى لبناء مفاعل ديمونا ، والذى تولت بناءه لجنة الطاقة الذرية الفرنسية ، وحشدت لتنفيذه عددا ضخما من طليعة علماء فرنسا النابهين فى العلوم والهندسة النووية امثال جيرار ، وروبول ، وبيسا ، ومورو ، وتم بناؤه على غرار مفاعل ميركول Mircole ، الفرنسى الشهير ، كان ثمنها حصول فرنسا على أسرار القنبلة الهيدروجينية ، والاندماج النووى من العلماء اليهود ، الذين خدموا هذا النوع من البحوث النووية بالولايات المتحدة ، خدمات فى الصميم .

● ● ●

والواقع ان اسرائيل ، لم تكتف بهذا الامداد العلمى الخارجى ولكنها أولت البحوث النووية الحرارية ، او الاندماج النووى ، المعروف بالنظرية الهيدروجينية اهتماما خاصا منذ اكثر من عشر سنوات حينما انشأت فرعا خاصا للطبيعة النووية الحرارية بالجامعة العبرية .

والغرض الظاهرى من انشاء هذا القسم ، هو الاستخدام العملى للطاقة الهيدروجينية ، وبناء المفاعلات التى تقوم على نظرية الاندماج .

ولكن استخدام الطاقة الهيدروجينية لاغراض السلام ، مازال على المستوى العالمى ، حلما بعيد المنال ، ولم يتم استئناس التفاعل النووى الحرارى ، وترويضه ، رغم الجهود الضخمة التى تقوم بها دول العالم العظمى ، ولم يثبت بعد نجاح هذا التفاعل النووى الحرارى ، الا فى انتاج القنابل الهيدروجينية بانواعها . وبالتالى يمكننا أن نتصور مثالا حيا ، يستحق التأمل الطويل ، لطبيعة تفكير العدو وتخطيطه البعيد فى مجال الاستخدامات [السلمية] والعسكرية للعلوم على السواء .

والمعروف ان اسرائيل كانت [الى عام ١٩٥٦] تستورد النظائر المشعة التى تحتاج اليها ، صناعيا ، من مصادر متعددة كالولايات المتحدة ،

وبريطانيا ، وفرنسا ، وسويسرا . أما الان فهى تصنع محليا كل ماتحتاج اليه من نظائر ويبلغ انتاجها من الاكسجين الثقيل [أكسجين ١٧، ١٨] ، ٩٥ فى المائة من احتياجات العالم كله ، واحتلت المركز الاول فى تصدير اكسجين ١٨ ».

وهى تعتبر ، حاليا ، المصدر الخارجى الوحيد لهده المادة ، بالنسبة لكثير من دول العالم.

وفى عام ١٩٦٤ ، قدم [حليفى] ، مندوب اسرائيل فى المؤتمر الدولى للنظائر ، المعقد فى سبوليتو بايطاليا ، عرضا مستفيضا لانتاج النظائر فى اسرائيل ، كما عرض فيلما عن نشاط اهم القطاعات المعنية بالاشعاع والنظائر المشعة .

ومع التطور الضخم فى انتاج النظائر محليا ، ارتفع عدد المؤسسات الصناعية التى تستخدم النظائر المشعة فى اسرائيل الى أكثر من ١٢٠ مؤسسة فى مختلف قطاعات الانتاج الصناعى ، كانتاج المولدات الكهربائية ، والاطارات ، والحديد والصلب ، والمعادن ، والادوية بالاضافة الى قطاع التنقيب عن المياه الجوفية ، والثروة المعدنيه ، والبترول .. أيضا .

● ● ●

والمعروف ، ان المرحلة الحاسمة فى انتاج القنبلة الهيدروجينية [بالنسبة لدولة تعدت - فى صمت - مرحلة القدرة على انتاج القنبلة الذرية] هى مرحلة انتاج الوقود القابل للتفاعل النووى الحرارى ، وهو يتكون من مادة [ديوتريد ليثيوم ٦ الجافة] Solid lithium 6 — deuteride [كشحنة رئيسية بالاضافة الى التريتيوم [الايدروجين الثلاثى] كشحنة فرعية أو بادى انفجار ، وهى كلها نظائر للعناصر المعروفة الايدروجين والليثيوم .

وانتاج نظائر الايدروجين والليثيوم ، قد يكون صعبا ولكنه ليس بمستحيل ، بالنسبة لدولة بلغت هذا المستوى فى انتاج النظائر المشعة وغير المشعة ، على السواء .

● ● ●

وهناك قضايا ، مازالت تحتاج باخلاص ، الى دراسه دقيقه وحكم قاطع . من أكبرها ، ان لم يكن اكبرها فعلا ، على سبيل المثال ، ان الطاقه الذرية العسكرية ، تسير اساسا [ما لم يكن هناك مخططات عربية استثنائية ، وغير عادية متفق عليها مسبقا] على عكس صالح الدول العربية ، ولصالح عدوها التقليدى القديم ، لا من حيث الانتاج وحسب ،بل من حيثالردع ، والاستخدام الاستراتيجى والاستخدام التكتيكى [الوجوه الـ ٣ الرئيسية للاسلحة الذرية] وهى قضية نرجو مخلصين ان تعيها الدول العربية ، وتقدر مراميها .

القضـية الكـبرى

اسرائيل : شريط ساحلى ضيق ، لا يزيد عمقه فى أخطر مناطقه على ١٤ كيلومترا [تل أبيب - قليقلة] وفى اكثرها اتساعا على ١١٠ كيلومترا [عسقلان - سدوم] ويحيط بها من جميع جوانبها - عدا البحر - مناطق معروفة بكثافة سكانها من الدول العربيةالمجاورة ، ويوجد ايضا بداخله ذهى نفسها ، مجموعات عربية ضخمة [أكثر من نصف مليون] يمكن أن تصاب - بل ستصاب قطعا - باضرار خطيرة ، نتيجة أى قصف نووى ، داخل اسرائيل .

وكلها حقائق ، تشير صراحة ، الى أن من الصعب ، فى الظروف العادية ، استخدام الاسلحة الذرية - العادية أيضا - استراتيجيا ضدها .

ولكن الامر يختلف اختلافا جذريا ضخما - مع التزام نفس المقدمات ، والمستوى الاستراتيجى - بالنسبة لاسرائيل - حيث نرى ان قضية امتلاك واستخدام هذاالنوع من الاسلحة المتقدمة ، ليست فقط قضية مصير ، بل ورقة رابحة ربحا مطلقا ، عند استخدامها عسكريا ، من جانب آخر .

كيـف ؟

هذه الدولة ، ذات وضع جغرافى خطير . نكاد لا نجد فى التاريخ السياسى المعاصر ، دولة يحيط بها « الخطر المباشر » من جميع جوانبها كما نجدها . فبالاضافة الى عمقها الضحل ، وخلوها من الموانع الطبيعية ، تزيد أطوال حدودها - خطوط المواجهة - على ٩٥٠ كيلومترا . وهى أيضا محصورة بين طوفان من الشعوب تبادلهم أعمق انواع الكراهية .. هذه الشعوب تشكل فى المدى القريب - أو البعيد - ضغطا سكانيا عسكريا ضخما على حدودها . واسرائيل تعلم يقينا انها لا تحتمل هزيمة واحدة ، وانها فى حاجة الى [رادع خاص] يحفظ التوازن دوما لصالحها ، ويحقق تفوقا مطلقا على جيرانها .

ولو تذكرنا المحاورات ، التى تمت بعد استسلام اليابان ، حول [فلسفة] الاسلحة الذرية . لراينا أن اول [السلبيات] التى قيلت فى نقدها ، انها وجدت أساسا للردع ، ولقصف المدن الكبرى ، والسكان المدنيين العزل الابرياء لا لتدمير الوحدات فى ميادين القتال ».

ومن الجانب المضاد ، الدول العربية – ومصر بوجه أخص – التى تتميز باتساعها ، وبعد مراكزها الحضرية الكبرى عن اسرائيل ، تعانى تركزا سكانيا ضخما [القاهرة بالنهار ٨ ملايين] الامر الذى ليس له مثيل – بطبيعة الحال – داخل اسرائيل .

ويمكن ان نستكمل الصورة وضوحا ، اذا تذكرنا ان المدن العربية تخلو – او تكاد – من أى تجمعات بشرية يهودية ، تحتمل ان تصاب باضرار نتيجة اى قصف نووى ، او تشكل مانعا داخليا ، يعوق حرية اسرائيل فى استخدام الاسلحة النووية .

● ● ●

وهكذا يبدو صراحة ، ان الدول العربية أشد حاجة الى [الرادع الخاص] مما تحتاج اليه اسرائيل .

انما يلاحظ ان لهذا الرادع الخاص ، مواصفات أخص بالنسبة للدول العربية ، تختلف عن المواصفات الاسرائيلية ، ويتعين ان توضع فى الاعتبار عند اتخاذ القرار السياسى العربى بانتاج الاسلحة الذرية ، وان تتضمنها التعليمات الخاصة بتوجيه البحث العلمى وتكنولوجيا السلاح ، وفقا لطبيعة المواجهة النووية فى المنطقة ، وخصائص استخدام هذا السلاح استراتيجيا .

ففى المثال الاسرائيلى ، كلما زادت الطاقة الانفجارية للقنبلة كلما زادت كفاءتها على الردع السياسى .

أما فى المثال العربى ، فالامر ليس كذلك تماما .

الدول العربية ليست فى حاجة على الاطلاق الى أسلحة ذرية ، عالية الطاقة التدميرية ، لتحقيق الردع النووى . فالاهداف الحيوية الاسرائيلية ليست [بالسعة] التى تتطلب جهدا نوويا خارقا لتدميرها . و [مدن] اسرائيل الكبرى ، ليست اكثر من [قرى] كبيرة نسبيا – من حيث المساحة – بالمفهوم السكانى العربى ، والمفهوم المصرى منه بصفة خاصة .

واستخدام الاسلحة النووية ضد المنشآت والمشروعات الحيوية أو المدن العربية الكثيفة أو المكتظة بسكانها ، قد يعرض الدول العربية – بلا شك – لمخاطر جمة . ولكن استخدام نفس السلاح ، مهما كانت قدرته على الدمار – ضد اسرائيل – هو بعينه نهايتها فعلا .

فاذا أضفنا ، ان هذا [الرادع الخاص] محكوم أساسا بظروف التداخل الجغرافى بين اسرائيل والدول العربية المجاورة لها ، وان اسرائيل تمثل [فجوة] فى الكيان العربى ، هو التصويذاء جغرافيا من قلب الامة العربية ، ولا تمثل كيانا جغرافيا واضح المعالم ، أو مستقلا بذاته ، ادركنا انه كلما زادت الطاقة التدميرية للقنبلة ، عن حدود معينة ، انخفضت قدرتها على الردع السياسى بالاضافة الى انه [اى زيادة الطاقة التدميرية] امر لا لزوم له وغير مطلوب ، عسكريا .

الدول العربية فى حاجة ، اذن ، الى اسلحة ذرية مختلفة ، بل متميزة الخصائص .. ومن ابرز خصائصها :

أولا : انخفاض الطاقة التدميرية للسلاح ، بحيث تتعادل فقط مع طبيعة المدن والاهداف الحيوية الاسرائيلية ، وقد أمكن – على سبيل المثال – بالنسبة للولايات المتحدة انتاج قذائف تقل عن خمسة كيلو طن ، اى لا تزيد على ربع قنبلة قياسية من طراز قنبلة هيروشيما ، و [دانات] لا تزيد على نصف طن .

ثانيا : تحقيق النظافة الكاملة لانفجار القنبلة ، وتجريدها من خطورة نشاطها الاشعاعى . فاذا قيل أن هذا غير ميسور علميا . ينبغى التنظيم لملاءمة انفجار القنبلة للظروف الجوية السائدة لحظة تفجيرها ، والحساب الدقيق للبعد السليم لمركز الانفجار العلوى عن سطح الارض ، او على سطح الارض نفسه قياسا ، على طبيعة الهدف ، وطاقة الانفجار .

واهداف اسرائيل ، الصغيرة المساحة ، لا تتطلب مراكز انفجار علوية شاهقة لتدميرها .

فالمعروف ان مساحة التدمير النووى ، تزداد كلما ارتفع مركز الانفجار عن سطح الارض . بشرط الا يتجاوز أعلى معدل للارتفاع .

وان تركيز التدمير ، يزداد من جانب آخر كلما اقترب مركز الانفجار من سطح الارض .

● ● ●

خمسة أهداف رئيسية

واتجاه اسرائيل ، للحصول على الاسلحة النووية ، يحقق لها خمسة اهداف رئيسية كبرى :

أولا : الارهاب والردع ، وتثبيت المكاسب الاقليمية ، وتأكيد [السيادة] العسكرية فى حالة احتكارها للاسلحة النووية ، دون أعدائها وما يتبع ذلك من تعزيز لمركزها العسكرى ، واهدافها التوسعية فى المنطقة ، وامتصاصها لاثار حرب اكتوبر ، وجميع الحسابات العقلية تؤكد – بعد

معركة العبور - أن اسرائيل لن تسلم مصيرها لمفاجآت أخرى من هذا القبيل ، كما لم تعتبر تدمير خط بارليف المنيع ، نهاية لاطماعها التوسعية ، في الارض العربية .

ثانيا : تحقيق الامن المطلق ، نتيجة خلق حالة من التوازن النووى المحلى . تشبه حالة التوازن النووى بين المعسكرين ، الشرقى والغربى ، لو توصل اعداؤها بطريقة ما ، لمثل هذه الاسلحه

وبذلك يصبح من المستحيل ، على اى من الجانبين ، العربى والاسرائيلى ، التفكير فى خوض غمار حرب انتحارية خاسرة لكلا الطرفين ، المنتصر والمهزوم معسا ، وبالتالى يصبح الوجود الاسرائيلى ، والوضع الاقليمى الراهن ، بين العرب واسرائيل ، قدرا محتوما .

هذا هو تحليلنا النظرى المبدئى ، قياسا على حالة التوازن النووى العام . ولكن الامر قد يختلف اختلافا جذريا خطيرا فى المثال العربى الاسرائيلى بصفة خاصة ، وقد يميل مرة أخرى لصالح اسرائيل ، مما لم يتداركه العرب ، حيث يتضح صراحة مما تقدم قبل ذلك أن اسرائيل هدف معقد ضد الاسلحة النووية ، فى الحالتين معا [حالة الاحتكار ، وحالة التوازن المحلى] وأن من الصعب فى ضوء حساباتنا العقلية العادية ، استخدام الاسلحة الذرية ضدها دون أن يصيب أذاها الدول العربية المجاورة ، أو السكان العرب داخل اسرائيل والارض المحتلة ، الا مع تقديرات واعتبارات خاصة لا تشمل السلاح ذاته وحسب ، بل تشمل خصائص السلاح وطبيعة المواجهة النووية المحتملة فى المنطقة ، فى ظل العمل العربى الموحد ، وهو غير موجود ، أصلا ، الى الان .

وهذا يعنى - صراحة - أن حالة التوازن النووى المحلى نفسها ، اذا تركت على علاتها بلا تقدير عربى دقيق ، تعتبر باختصار عملية [شل] للطاقة العسكرية العربية الضاربة ، بينما تتيح لاسرائيل حرية الحركة والقدرة على المناورة والتصاعد - التصاعد النووى بطبيعة الحال - من طرف واحد . وان الامر يحتاج الى تخطيط واضح ، وعمل جاد ، وحسابات عربية موحدة تعيد هذا التوازن المفقود للجانب العربى . وأن الامر ليس مجرد امتلاك حسابى بسيط ، للاسلحة النووية .

وقد حاول **الاستاذ احمد سامح الخالدى** فى مقال بعنوان [القوى الضاربة فى الشرق الاوسط] Striking Power in the Mideast أعيد نشره بمجلة Atlas الامريكية [مارس ١٩٦٧] ، عن مجلة Middle East Forum ، أن يعقد مقارنة سريعة بين ظروف استخدام الاسلحة النووية لدى كل من الدول العربية واسرائيل ، وان ينفى قدرة اسرائيل على استخدام الاسلحة الذرية ، ضد الدول العربية ، بمنهج غريب ، ملفت للنظر . وسأحاول ترجمة الفقرة التى تعرض فيها الاستاذ الخالدى لهذا الموضوع دون تعليق مسبق من جانبى كنموذج حى للطريقة التى يتعرض بها بعض الكتاب العرب لهذه القضية . التى ستتحكم يوما ما فى مصير هذه المنطقة من العالم .

كتب يقول :

« ان أى قنبلة يتم اطلاقها على سوريا أو الاردن او لبنان ، سوف يكون لها تأثيرها الاشعاعى على اسرائيل . والهدف العربى الوحيد الذى يمكن لاسرائيل ان تستخدم القنبلة الذرية ضده دون أن تخشى العواقب هو القاهرة . ولكن لما كانت القاهرة بعيدة الى حد ما عن اسرائيل فان ذلك يعنى أن الاسرائيليين يجب أن يحصلوا على جهاز دقيق وحاسم لاطلاق قنابلهم الذرية . وهذا ما يفتقر اليه الاسرائيليون . حتى بعد حصولهم أخيرا على ٤٨ سكاى هوك من امريكا . ومع ذلك فالدفاع الجوى المصرى عالى الكفاءة . ولن يكون من السهل اطلاقا بالنسبة لطائرات السكاى هوك أن تصل الى القاهرة . وبالتالى لن يكون فى وسع الاسرائيليين ان يثقوا ثقة مطلقة فى ان القنابل الذرية القليلة التى يحتمل أن يمتلكونها ، سوف تصل الى اهدافها » .

ثم يقول : « ان الهجوم الذرى الاسرائيلى ، كى يكون حاسما ، يجب أن يكون هجوما قوامه عده قنابل ذرية ، ولكن البرنامج الذرى الاسرائيلى ليس قادرا على انتاج هذه الاسلحة بكمية كبيرة لبعد الوقت ، عدة سنوات على الاقل . وبالتالى فان الاسلحة التقليدية ، لا الاسلحة النووية . سوف تظل العامل الحاسم خلال المستقبل المرتقب فى التوازن العسكرى بين العرب واسرائيل » .

والاستاذ الخالدى ، يتكلم عن القنبلة الذرية ببساطة غريبة ملفتة للنظر ، كما لو كانت سلاحا تكتيكيا مبتكرا ، كبير العيار . هذه البساطة الغريبة تجعلنا نسائل أنفسنا ، بين كل سطر وآخر . هل القنبلة الذرية التى يعنيها الاستاذ الخالدى هى نفسها القنبلة التى نفهمها أم هى شىء آخر مختلف تماما . يربطه بقنبلتنا تشابه الاسماء .

وقد أثار الكاتب الامريكى الكسندر دى

سيفرسكى ، عاصفة من النقد الشديد منذ حوالى ثلاثين عاما : [فبراير ١٩٤٦] بمقال صدر بمجلة [ريدرز دايجست] عنوانه [هستريا القنبلة الذرية] عاب فيه على التقارير الرسمية ووسائل الاعلام المبالغة والتهويل فى تقدير آثار الدمار ، الذى خلفته القنابل الذرية على مدن اليابان قال فيه « كلما امعنت النظر فى نتائج مشاهداتى ، ازددت اقتناعا بانه لو ألقيت نفس القنبلة على نيويورك ، او شيكاغو ، او بتسبرج ، او ديترويت ، لما ازداد عدد الخسائر فى الارواح على عدد ضحايا احد الطوربيدات الجوية ، وقد يقتصر الاذى على تحطيم زجاج النوافذ فى مساحة واسعة » .

ثم كتب يقول « كل ما يمكننا قوله اليوم ، ونحن واثقون ، هو أن القنبلة كانت شديدة الاثر فى تدمير مدينة واهية قابلة للاشتعال » .

وقد أخذ عليه النقاد ذلك ، كما عاب عليه عدد من علماء جامعة شيكاغو — باعترافه — قوله : « ان مائتى طائرة ضخمة محملة بالقنابل الحارقة ، كان بامكانها أن تفعل ما فعلته القنبلة الذرية » . وقالوا : « اذا كانت مائتا طائرة تستطيع تدمير هيروشيما كما فعلت قنبلة ذرية واحدة . فان هذه الطائرات نفسها تستطيع تدمير مائتى مدينة — اذا حملت بالقنابل النووية » .

بهذه اللامبالاة الملفتة للنظر ، الذى يعالج بها الاستاذ الخالدى موضوع الاسلحة النووية ، بدا وكأنه احد كتاب الغرب يراقب الاحداث بلا اهتمام ، من بعيد . والا لحمل نفسه ، بنفس السهولة ايضا ، مسئولية الاجابة على هذا السؤال الكبير : ماذا يحدث اذا تسللت طائرة اسرائيلية تحمل هذا السلاح الى القاهرة ؟ وهى الاجابة التى لا نجد لها ظلا محتملا بين سطور مقاله الطويل . فى زمن اصبحت فيه نظم الدفاع الجوى العريقة ، غير كافية باحتياجات الامن المطلق لشعوبها ، أو هى مجرد [دروع رقيقة من الدانتلا] Des cuirasses en dentelle الى حد تعبير صادق ، للكاتبة جوزيت أليا ، التى تتصدى لهذا النوع من الكتابة ، البعيد كل البعد ، عن الطبيعة النووية . [٢٩ مايو ٧٢ — Le Nouvel Observateur] ولم يعد من خوارق الاحداث ، كما لم يكن كذلك يوما ما ، أن تخترق احدى الطائرات ، أو غير الطائرات ، أعماق دولة معادية ، مهما كانت كفاءة دفاعاتها الجوية .

وقد حدث بالفعل بعد مقال الاستاذ الخالدى ، بشهور قليلة متغيرات عسكرية خطيرة بـ المنطقة [يونيو ١٩٦٧] ، كان يمكن مع الفروض الخطيرة التى أشار اليها ، — وفى غياب الدفاع الجوى المصرى مؤقتا — ان تحدث ، اذا استخدمت الاسلحة الذرية ، مضاعفات ضخمة كان خليقا به أن يقدرها حق قدرها ، دون الحاجة الى حدوثها ودون أن تكشف الاحداث عن بطلان الاسس النظرية التى قامت عليها ، والتى كان يجدر الا ترد اطلاقا فى هذا المبحث أو غيره من المباحث المتعلقة بالاسلحة الذرية ، التى تستلزم اليقظة ، والجدية ، والحيطة الكاملة ، والحسابات الدقيقة الواعية لجميع الاحتمالات .. صغيرها قبل كبيرها .

والاستاذ الخالدى ينسى ما للاسلحة الذرية ، من قيمه نفسية ومعنوية لا ينكر حسابها .

فقد قامت القوات الجوية الامريكية ، اعتبارا من مارس ١٩٤٥ ، بغارات ضخمة على طوكيو ، بالقنابل العادية ، احدثت خلال غارة واحدة منها ١٨٥ ألف اصابة بسكانها . وكان الدمار أكبر مما احدثته القنبلة الذرية بأول المدن اليابانية . وحدث ذلك أيضا بالنسبة لكثير من الاراضى اليابانية . ومع ذلك استمرت اليابان فى القتال . ولما قامت طائرة واحدة فقط بالقاء قنبلة ذرية على هيروشيما [٦ اغسطس] ، اعقبتها بأخرى بعد ايام ثلاثة على ناجازاكى [٦ اغسطس] انتصر اخيرا الجناح الذى يؤيده الميكادو فى المجلس الاعلى لليابان — وكان جلالته من أنصار ضرورة انهاء القتال — ووافق مجلس الوزراء ، فى اليوم التالى على استسلامها ، وانتحر على اثر ذلك ، أنامى وزير الحربية ، وتاناكا قائد المنطقة الشرقية ، وعدد من الضباط . وقبل ذلك بأيام قليلة كان الامبراطور ، يواجه معارضة لا هوادة فيها ، ترفض قبول تصريح بوتسدام ، كمبدأ صالح للتسليم ، بل ترفض التسليم اساسا ، وكانت القوات اليابانية وقتها تقدر بحوالى خمسة ملايين جندى ، منهم مليونان داخل الجزر اليابانية نفسها ، بالاضافة الى خمسة آلاف طائرة حربية .

وهذه اللامبالاة ، لها وجه آخر ، يبدو فى درجة تقديره للاهمية النسبية لعنصر الزمن . أعنى هنا التناسب بين الزمن وخطورة السلاح النووى . فريع قرن لا اهمية له اذا جرى [بما تشته السفن] أما اذا كان متعلقا بالاسلحة النووية فان [بعض الوقت — او عدة سنوات على الاقل] او المستقبل المرتقب ، كما يذكر فى النص الانجليزى ، بلا اهتمام يثير الدهشة ، لانذار يكفى لدق أجراس الخطر فى

الارض العربية كلها . بلّ هو كفيلٌ ، أيضا ، بتغيير موازين القوى فى المنطقة مسبقا ، وقلب أعتى المبادىء والنظريات الاستراتيجية سنوات الـى الوراء . فى معركة مازال مقدرا لها عدة أجيال قادمة بين العرب واسرائيل (*).

وهذا الانذار بالخطر ليس له مكان أيضا ، فى مقاله الطويل (*)

لقد آن لنا أن نفيق من سباتنا ، وننظر الى العالم من حولنا بعين فاحصة تستشف غياهب المستقبل وتقدر خطورته .(*)

ثالثا : استغلال القيمة النفسية للاسـلحة النووية ، من جانبين ، رئيسيين :

أ ـ استغلال عنصر [الانبهار] بكل ما هو ذرى على المستوى العالمى لتتويج اسطورة تفوقها الحضارى على العرب ، الذى طالما تغنت به ، ووضعها فى مصاف الدول الخمس الكبرى فى النادى الذرى المعظم ، ولنا ان نتصور الدراسات ، والمقالات ، والبحوث ، والتعليقات والتحليلات الاخبارية ـ ان لم يكن الرسائل الجامعية ـ التى يمكن أن نراها فى أعظم صحف العالم ، ومجلاته العلميـة ، واجهزة اعلامه ، وجامعاته ، عن تحليل [الاثار] و[النتائج] المترتبة على اى انفجـــار ذرى اسرائيلى [ولو صغير متعمد] ـ ان اعلن عنــه ـ وردود الفعل النفسية المعتادة فى العالم العربى .(*)

وعالمنا العربى ـ كما نعلم ـ سريع الانفعال .

ولنا أن نعود بذاكرتنا الى عام ١٩٦٤ ، لنتذكر كيف استقبل العالم الخارجى التفجير الذرى الاول للصين . وكيف اعتبرت بعده فى مصاف الدول الكبرى ـ وهى دولة كبيرة أساسا ـ وكيف أفردت له الصفحات الطوال من آيات التقدير والتبجيل والاحترام ، رغم الحسابات ـ العقلية أيضا ـ التى تشير الى أن هذا التفجير الصينى الصغير كان ـ ومايزال ـ من المحتمل أن يكون وبالا على الصين فى أى احتكاك بينها وبين الدول الكبرى العريقة فى امتلاك الاسلحة النووية ، المتنوعة الدمار .(*)

ب ـ وعلى المستوى المحلى العربى المعادى ، يمكنها استغلال عنصر [الرعب] الذى يقترن فـى الذهن عادة بالاسلحة الذرية ، والذى يضاعفه عدم الوعى الكافى بها ـ الى الان ـ لدى الشعوب العربية (*).

والقنبلة الذرية ، سلاح نفسى ، أســاسا

هذا العامل النفسى المزدوج قد يبدو ، بشـكل خفى فى مقـــال للصحفى الفرنسى ، جـــان ميـــزريت ، Jean Mézerette ، بمجلـــة بـارى ماتش ، الاسبوعية الفـرنسية [فبراير ١٩٧٠ ـ العدد ١٠٨٣] ، حيث حاول اثارة تحـالف الانبهار ـ الرعب ، بمنهج سريع صارخ ، فأساء الى الفكرة التى يروج لها ـ على الاقل بالنسبة للقارىء المحايد ـ وهى ببساطة اظهار تفـوق الاسرائيليين ، من جانب ، ورعب العـرب ـ وتخلفهم الضمنى ـ ، من جانب آخـر ، ونبش جراح استيلاء اسرائيل على سيناء ، [جانب اضافى] فكتب فى مقدمة مقاله [الخوف يعم القاهرة من القنبلة الذرية الاسرائيلية] (*).

ويؤكد فى خاتمة المقال أن [كل شىء جاهز] لدى الاسرائيلين ، المال والفنيـــون ، والعلماء الذين درسوا الذرة فى جميع أنحاء العالم ، الشىء الوحيد الذى ينقصها ـ كما يقول فى خاتمة مقاله تعزيزا لوجهة نظره ـ هو أرض للتجارب النووية ، ومع ذلك فقد وجدت اسرائيل ضالتها ، فى أرض سيناء القاحلة العديمة الرياح [والتى تبعد عن اسرائيل بعدا يدفع عنها آثار نواتج الانفجار] .

ولو استطاع هذا الكاتب الذى أعماه الهوى ، أن يكبح هواه ، ويخفى ـ ولو بقناع رقيـق ـ اسلوبه الميلودرامى المبتذل ، لنجح فى اقنـاع القارىء الفرنسى ـ المستعد أصلا لذلك ـ بالهدف الذى يسعى اليه .

واذا كانت الصحافة العالمية تعج بالكثيرون ، من أمثال جان ميزريت ، فمن الخطأ أن نتصور أن كل أجنبى يتصدى لهذا الموضوع هو [ميزريت] مقنع معاد للعرب . والا كان هذا المنهج فى التفكير ـ وهو بكل اسف المنهج السائد فعلا ـ أخطـــر على العرب من وجود اسرائيل نفسها . فى قضية شديدة الحساسية ، لا تقبل التفكير السـاذج الهزيل : فبرتراند راسل العـــالم والفيلســـوف الكبير ، تصدى لهذا الموضوع ذاته فى ثنايا لمحة سريعـــة فى كتابه [هل للانســـــان مســـتقبل ؟ ص ١٠٣ ـ La Penguin Special] فكتـب فى معرض حديثه عن انتشار الاسلحة النووية ، يقدم اسرائيل على الصين الشعبية فى اولوية انتاج الاسلحة النووية . . فى هذا الوقت المبكر من عـام ١٩٦١ (*)

رابعا : الاعتمـــاد ، لاول مرة ٪ على مصـــدر داخلى اساسى من مصـــادر السـلاح ، بدلا من المصادر الخارجية المعرضة لتقلبات السيـاسة وأهوائها ، ولو فى المدى البعيد . .

ومن الصعب أن تقدم اسرائيل وجودها وأمنها القومى قربانا لاى متغيرات دولية تشمل الولايات المتحدة ، وهى المصدر الاكبر للسلاح الاسرائيلى .

بينما كيان اسرائيل نفسه ، مرهون أساسا بضربة واحدة قاصمة على اجناب ، أو أطراف ، حدودها البعيدة الممتدة .. وعمقها الهزيل .

وبالاضافة الى التغيرات الدولية المحتملة ، أفدت حرب أكتوبر أن المعركة الحديثه تستهلك كميات ضخمة من الاسلحة والعتاد .. فخلال عدة أيام دمرت على جبهتي القتال في الجولان وسيناء ـ يقرب من ثلاثة آلاف دبابة الى حد تقدير وزير الدفاع الفرنسي ـ وهو طرف محايد ـ بينما لا يتعدى انتاج المصانع الفرنسية ، سنويا ـ ٢٠٠ دبابه .

خامسا : الاستخدام التكتيكي للاسلحه الذرية ، فى ميادين القتال . وهو أتم ما يكون بالنسبه لوضع اسرائيل العسكرى المستديم فى المنطقه ـ وهو وضع الدفاع على مواجهات واسعه .

فاذا أضفنا الى هذا الوضع العسكرى العصيب ، الذى لا يتناسب مع ظروفها الجغرافية ، متاعب حجمها البشرى ، لادركنا أن التصاعد بنيران الاسلحة الذرية ، هو الحل المستقيم لجميع متاعبها :

والاسلحة الذرية التكتيكية ، وجدت أساسا لضرب التجمعات فى ميادين القتال ، ومنع تركيز القوات ، وهو أول القرائن الدالة على الهجوم .

ولفيليب نويل بيكر ، الكاتب البريطانى المخضرم ، الحاصل على جائزة نوبل للسلام عام ١٩٥٩ ، تعبير طريف يقول فيه ما معناه أن الاسلحة التكتيكية ، انما سميت تكتيكية لان ما هو أكبر منها وأشد تدميرا قد تم اختراعه ، لا لانها هى نفسها ، محدودة الدمار :

ولو عدنا بذاكرتنا عشرين عاما الى الوراء ، حينما فجرت الولايات المتحدة ، أولى قنابلها الذرية التكتيكية فى يناير ١٩٥١ ، لرأينا كبار كتاب الغرب ، يبشرون بأن هذه القنبلة هى نهاية التفوق البشرى السوفيتى المخيف فى أوربا ، وبداية الامل بالنسبة لشعوب غرب أوربا :

وقد سرح بى الخيال طويلا عام ١٩٦٩ ، وانا اقلب صفحات مقال قديم للكاتبين أستيوارت السوب ، ورالف لاب بعنوان « بشائر الاسلحة الذرية الجديدة » :

لقد كانت هذه [البشائر] مثيرة حقا ، لخيالات لا حدود لها بمقياس المغامرة والطموح الاسرائيلى ، لا بمقياس شعوب غرب أوربا :

افترض الكاتبان أن قاعدة الهجوم السوفيتى المحتملة [ولتكن مساحتها ١٥ ميلا مربعا ، وعدتها ١١٠ الف جندى] سوف تواجه بقصف قوامه ٣ قنابل نووية ، هى رءوس مثلث يشمل قاعدة الهجوم .

ثم كتبا يصفان نتائج الانفجار ، قياسا على التجربة الاولى التى حضرها يومئذ [ديفيد كولينز] رئيس اركان حرب جيش أمريكا :

« بينما تتبدد سحب الغبار ، يكشف مسرح الانفجار عن منظر لا مثيل له من الهول والفزع ، فقريبا من نقاط الصفر الثلاثة ، تلك المناطق التى انفجرت فوقها القنابل الذرية . لا توجد هناك حياة على الاطلاق ، ولا شىء آخر عدا بقايا وحطام مسوية ومتفحمة للعربات والاسلحة والاجسام . لان كرة النار الجهنمية الناتجة عن كرة لامعة من اليورانيوم ٢٣٥ ، لا تزيد حجما عن الكرة التى يلهو بها طفل صغير، اكثر حرارة من أى شىء آخر عرف على سطح الارض . وأكثر من ذلك فان الانفجار قد غمر الارض بحطام الافراد والالات . وآلاف الجنود يتضورون ألما من الحروق الشديدة . وآلاف آخرون قد يبدون للوهلة الاولى انهم لم يصابوا بأى اذى ، ولكنهم اصيبوا بجرعة قاتلة من اشعاع جاما الرهيب . وهو قاتل فى دائرة نصف قطرها ميل .. وطبقا للحسابات الدقيقة فان عدد القتلى يتراوح بين ٤٠ و ٥٠ الف جندى . بالاضافة الى خسائر أخرى من المصابين تقدر بحوالى عشرين ألفا . وهكذا نجد أن أكثر من نصف جنود هذه القوات الضخمة المجهزة للهجوم قد أصبحوا فى لحظات غير صالحين للعمل كجنود محاربين » .

هذه صورة موجزة ، لاستخدام القنابل الذرية التكتيكية ، فى ميادين القتال ، منذ أكثر من عشرين عاما مضت ، تطورت خلالها الاسلحة الذرية فشملت الرءوس النووية ، ودانات المدفعية ، وأسلحة المشاة :

وزادت طاقتها التدميرية .. بينما قلت المادة النووية ، القابلة للانفجار .

من الصعب أن نتصور أن هذه الصورة السحرية ، غير كافية لان تلهب مشاعر الاسرائيليين .

وهى ، بالاضافة الى المشاعر ، حل لمعضلات طالما هددت الوجود الاسرائيلى بالزوال ، وقد زال فى الماضى البعيد نتيجة عدم التكافؤ البشرى ، والجو المعادى . ولها فى التوراة ، دروس مستفادة ، بعد أن أرسى دعائمها ملك داود وسليمان !

لا ... مستحيل

ان مرحلة انتقال البشرية، من الاسلحة التقليدية، الى الاسلحة النووية حقيقة لا يمكن أن تظل الدول العربية تتجاهلها طويلا، وتكتفى [بتجريم] الاسلحة الذرية، أو التعلل بمعاهدة حظر انتشار الاسلحة النووية، التى وقعتها معظم دول العالم، ورفضتها اسرائيل، وبدلا من أن يفرض الواقع المرير نفسه على العرب، عليهم بأنفسهم ان ينفضوا غبار الماضى وينظروا الى هذه الجولة من المعركة الحضارية، نظرة أكثر تقديرا للمسئولية الكبرى. وفى الماضى البعيد، والقريب، دروس لا تنسى ينبغى أن نعيها. تبين مدى الجزاء الرهيب، الذى يقضى به الزمن على الشعوب التى تغمض عينيها عن سنة التطور البشرى ـ خصوصا فى المجال العسكرى ـ وكأن الامر لا يعنيها، أو كأنها، اذا تنكرت للتطور، فان التطور بدوره، سوف يتنكر لها.

وكثيرا ما قيل، ان مصر [هى العاشرة فى الترتيب العام للفقر، بين شقيقاتها الدول الخمس عشرة العربية] ومع ذلك، فقد عركتها رحى الحرب، وتحملت أعباء المعركة بمفردها أكثر من ربع قرن، رغم أن المعركة ـ بكافة المقاييس ـ هى معركة مصير مشترك للعروبة كلها. وقيل ايضا أن الثراء العربى [المتوسع باضطراد لم يحصل على القوة العربية الضرورية لحمايته] وأن العرب [غزلان طرية اللحم فى غابة من الوحوش]، وفى أحراش هذه الغابة، أخطار لا تعد، غير أخطار الصهيونية، والاستعمار القديم.

وقد أجاب الرئيس أنور السادات، فى ٨ يناير الماضى على سؤال وجهه مندوب احدى الصحف العربية، عن القنبلة الذرية، بقوله: « ان امكانية وجود او عمل قنبلة فى اسرائيل، اعتقد انها امكانية واردة، ويجب أن يكون واضحا، أنه لا يمكن أن تدخل اسرائيل السلاح الذرى الى المنطقة، ثم نقف نحن متفرجين ».

وقد سبق ان أكد الرئيس، هذا المعنى، لفرهاد مسعودى، رئيس مؤسسة [اطلاعات] الايرانية. واعاد الفريق اول عبد الغنى الجمسى تأكيد وجهة النظر المصرية بعد ذلك بأيام فى حديث ادلى به وزير الحربية والقائد العام، لاحدى المجلات الاسبوعية العربية.

وكانت تصريحات الرئيس، الاولى من نوعها، التى تقرر فيها مصر صراحة، تحديات اسرائيل، وامكان مواجهة هذه التحديات.

وكان الرد التقليدى لمصر، قبل ذلك، يتلخص فى شقين:

الشق الاول: ان اسرائيل، تتعمد الترويج لهذه الاخبار، على سبيل الارهاب.

الشق الثانى: ان مصر، قد وقعت على معاهدة حظر انتشار الاسلحة النووية، وان هذه المعاهدة تكفل لمصر حماية الدول النووية الثلاث الكبرى، فى حالة التعرض للهجوم، أو التهديد النووى.

● ● ●

لقد آن الاوان ان تتحمل الشعوب العربية الشقيقة تبعاتها كفريق، وارادة موحدة، لمواجهة هذه التحديات، وهى ـ بلا شك ـ اخطر تحديات العصر.

فهل نتطلب مواجهة هذه التحديات الكثير، بالنسبة للعالم العربى.

وهل هى أساسا من قبيل المستحيل؟

أولا: بالنسبة للاستثمار [والتمويل] النووى؟

لم تعد التكاليف، تقف حجر عثرة، امام انتاج الاسلحة النووية، ففى عام ١٩٦٢، أكدت بحوث لمعهد الدراسات الاستراتيجية بلندن، قام بها الباحثان ليونارد بيتون، وجون مادوكس بعنوان [انتشار الاسلحة النووية]، وبناء على بيانات تم التوصل اليها قبل ذلك بعامين، ان تكاليف مشروع صغير لانتاج الاسلحة الذرية تتراوح بين ٢٥ و ٣٠ مليون جنيه استرلينى، وان نفقات ادارته فنيا، وتشغيله، وامداده بالوقود، لا تزيد على عشرة ملايين جنيه سنويا. وانه يمكن لدولة، صغيرة سياسيا، متقدمة فنيا، انتاج سلاح نووى سنويا، بتكاليف تبلغ ٥٠ مليون دولار.

كان هذا منذ خمسة عشر عاما.

اما اليوم، فقد انخفضت تكاليف هذا التمويل الرهيب، انخفاضا ملحوظا: اصدرت ادارة مجلس الامن والشئون السياسية، بالامانة العامة، للامم المتحدة دراسة عن الاسلحة النووية: امتلاكها، وتطويرها، واستخدامها. أكدت فيه ان تكاليف انتاج البلوتونيوم بالاضافة الى نفقات تصميم وصناعة وتجربة الاسلحة الذرية، اذا تولاها مشروع صغير، ينتج سنويا ولمدة عشر سنوات قنبلة ذرية واحدة من طراز قنبلة هيروشيما تبلغ ١١ مليون دولار سنويا.

وان تكاليف انتاج القنبلة الذرية الواحدة، سينخفض الى اقل من مليونين، اذا تعهده مشروع أكبر، طاقته الانتاجية سنويا، عشر قنابل ذرية.

وتلك ، كما يبدو بوضوح ــ بيانات وحقائق صادرة عن ثقات محايدين (*).

ويمكن ، أيضا ، ان نستخلص من هذه البيانات الملفتة للنظر الى الانفاق على الاسلحة الذرية ، ليس عملا عسكريا ممتازا ، بالدرجة الاولى ، بل استثمارا اقتصاديا من نوع فريد ، بالنسبة للارض العربية ، الغنية بمواردها ، المثقلة بأخطارها ــ الصريحة والمستترة معا ، والتى يعنيها ، وهى تحقق أمنها القومى ــ الا ترهق اقتصادها النامى باعباء هى فى غنى عنها للانفاق الضخم على الشئون العسكرية ، الامر الذى تنوء بحمله الدول الكبرى . ويثير قطاعات ضخمة من جماهيرها المحملة باعباء الدفاع التقليدى الباهظ التكاليف .

وفيما يتعلق بالتنفيذ :

يقل الجهد اللازم لانتاج الاسلحة النووية ، كلما ازداد تقدم الدولة فى مدارج العلم والتكنولوجيا ، وكلما ازدادت سعة المشروعات الهندسية والصناعية وكفاءتها فى المجال العام ، وفى قطاعات الاستخدامات السلمية للطاقة الذرية ، بصفة خاصة (*).

الدول العربية ، ليست فى حاجة الى ترسانة ضخمة من الاسلحة الذرية ، تجعلها تخصص جهدا منفصلا ومرهقا لانتاج اليورانيوم ٢٣٥ ، اللازم للانتاج الواسع من الاسلحة الذرية ، على مستوى الولايات المتحدة ، والاتحاد السوفيتى (*).

كل ما يكفى الدول العربية ، هو بضع قنابل ذرية (*).

وبالتالى يمكن أن تعتمد أعتمادا كليا ، لانتاج البلوتونيوم ، على مفاعلاتها ، التى ينبغى وجودها فى الدول العربية لاغراض التنمية والخدمات . وهى تفى بالغاية المطلوبة تماما ، وتسد ايضا كافة احتياجات الترسانة الذرية العربية (*).

فالبلوتونيوم ، يفرض نفسه بنفسه ، ويظهر تلقائيا فى المفاعلات الذرية ، التى تستخدم أساسا للاغراض السلمية ، ويوجد [مجانا] كنوع من العادم ، ضمن مخلفات الوقود (*).

لقد كان يعاب على البلوتونيوم ، فى بداية عهده ، ضآلة كميته وبطء انتاجه ، ومع الزمن أصبحت كمية البلوتونيوم التى يمكن استخراجها من كل طن من اليورانيوم الخام ، أكثر من ٣ كيلو جرامات ، وهى كمية ابسط ما يقال عنها ، انها أكبر من كمية اليورانيوم ٢٣٥ ، المستخلصة من نفس الكمية من خام اليورانيوم نفسه ، التى لا تزيد على كيلو جرام واحد (*).

وتبدو معالم هذه الصورة ، اذا أدركنا ، ان المادة النووية اللازمة لانتاج قنبلة ذرية ، تعادل قنبلة هيروشيما ، هى ثمانية كيلو جرامات من البلوتونيوم (*).

بينما تطلب انفجار نفس القنبلة فى الماضى ، حوالى عشرين كيلو جراما (*).

انما يجب ان نثق ، ان ما من دولة استطاعت بامكانياتها الفردية ، بمعزل عن غيرها ، او متقوقعة على نفسها ان تنتج سلاحا نوويا ، بل تم ذلك بأقصى ما يمكن من [انفتاح] نووى ، لا يتعارض اطلاقا مع اعتبارات السرية ، والصمت ، وآداب الامن الحربى الرفيع .

بريطانيا ، بدأت اثناء الحرب بحوثها النووية ، لا بمساعدة حلفائها وحسب ، بل نقلت اعمالها النووية اساسا الى **مونتريال** بكندا ، وعكفت على دراساتها بواسطة فريق متكامل من العلماء البريطانيين والكنديين ، بالتعاون مع الامريكيين (*).

والولايات المتحدة ، ما كان يقدر لها ان تفتتح العصر الذرى بجهودها ، الا باشتراك حشد ضخم من العلماء والباحثين من جنسيات لا حصر لها ، منهم على سبيل المثال [من الاباء الاول للطاقة الذرية] ، **نيلزبور** ــ الدانمركى ، وجيمس شادويك ــ البريطانى ، **وانريكو فرمى وأميليو سيجريه** ــ الايطاليان . **وأوتو فريش وروبرت أوبنهايمر** ــ الالمانيان ، **ويوجين فاجنر ، وليو زيلارد وادوارد تيللر** من المجر .. وعشرات غيرهم من العلماء الذين قدموا من النمسا ، وبولندا ، وسويسرا ، والمانيا ، وايطاليا ، وبريطانيا ، وقدموا للاسلحة النووية الامريكية ــ بأنواعها وطبقاتها المختلفة ــ خدمات لا تقدر بثمن (*).

وما ينطبق على بريطانيا ، والولايات المتحدة ، ينطبق ــ بصورة أو بأخرى ــ على الاتحاد السوفيتى ، وفرنسا ، والصين .

ويمكن للدول العربية بجهود أبنائها ، وبالتعاون مع الدول الصديقة ، وبالتعاقد الشخصى مع العلماء الكبار دفع بحوثها قدما الى الامام (*). وقد خفف كسر احتكار المعلومات العبء على العلماء المعاصرين ، اذا قارناها بمتاعب السير فى الظلام الذى اعيا جهود السابقين (*).

ولنا أن نعود بذاكرتنا حوالى ثلاثين عاما الى الوراء [مارس ١٩٤٦] ، لنتذكر القضية التى اتهم فيها العالم البريطانى ، الن نون ماى ، بنقل معلومات خاصة بالابحاث النووية البريطانية الكندية الى الاتحاد السوفيتى . وكيف دفعت الحكومة السوفيتية هذا الاتهام ، فى بيان صدر رسميا على لسان [سسولومون لوزوفسكى]

نائب وزير الخارجية السوفيتية ، على مسمع من [ليون ميراند] ، القائم بالاعمال الكندى ، جاء فيه : أنه قد تناهى الى علم المصادر السوفيتية ان بعض أفراد مكتب الملحق العسكرى السوفيتى ، قد تلقوا من معارفهم من المواطنين الكنديين معلومات معينة لها صفة السرية . ولم تبد مع ذلك ذات شأن كبير بالنسبة للاتحاد السوفيتى ، فهذه المعلومات يمكن الاطلاع عليها فى كثير من الكتب المنشورة ، وايضا فى الرسالة التى وضعها سمايث الامريكى عن الطاقة الذرية .

أما غمزات بعض المعلقين ، التى تفيد ضمنا بأن الدول العربية تطلب المستحيل ان هى فكرت فى انتاج الاسلحة الذرية . وأن أمامها بحار لا أغوار لها حتى تصبح فرادى أو جماعات فى مصاف الدول النووية . فهو حكم سريع لا سند له من الفهم لحقائق التاريخ ، ولا أساس له من الواقع .. واقع الاسلحة الذرية ، وتاريخها المرير بصفة أخص . ذلك التاريخ الذى نستمد منه العبر ، لا فى فن [تحطيم] الذرة ، بل فى فنون تحطيم المستحيل ..

فمن عبر العصر الذرى ، ودروسه المستفادة ، نذكر ريتشارد جروفز ، قائد مشروع مانهاتن لانتاج القنبلة الذرية الامريكية ، ونجم من نجوم الاربعينات اللوامع لعصر ما بعد الحرب فى أمريكا ، وهو يؤكد بعد ان اذهلته نشوة النجاح السريع ، الذى حققته القنابل الذرية الامريكية فى آسيا ، والتى أدت الى استسلام اليابان المفاجىء « ان روسيا لن تتمكن من انتاج قنبلة ذرية مثلها ، الا بعد عشرين عاما على الاقل » ، وكان هذا هو الاجماع السائد بين المسئولين الكبار فى واشنطون مع اختلاف فى التقدير الزمنى . وقد حاول ريتشارد ديفيز ، وهو من رجال الاعمال فى الولايات المتحدة ، أن يلفت نظر المسئولين الى قدرة الاتحاد السوفيتى على انتاج الاسلحة الذرية . ولكن ديفيز لم يلق آذانا صاغية ، وكان الاعتقاد السائد فى واشنطون ، أنه طالما أن انتاج القنبلة الذرية ، قد استغرق عدة سنوات من العمل الشاق فى أمريكا . فان روسيا لن تستطيع أن تحقق حلمها ، الا بعد زمن طويل [لا يشكل خطورة جدية تستحق الاهتمام ، على الامن القومى للولايات المتحدة] .

وبعد تصريح جروفز ، بأقل من خمسين شهرا ، فجر الاتحاد السوفيتى أول قنابله الذريه [أغسطس ١٩٤٩] ، وكان الرئيس الامريكى [هارى ترومان] ، لا الزعيم السوفيتى جوزيف ستالين ، هو الذى اعلن نبأ المفاجأة السوفيتية ، بنفسه فى سبتمبر ١٩٤٩ .

وعندما أكد [لن بياو] ، فى مؤتمر شعبى بووهان ، فى عام ١٩٤٩ ، امام ماريشال الجيش الصينى العجوز [ينج تى هويى] قدرة الصين على تفجير أولى قنابلها الذرية ، فى وقت غريب هز [تى هويى] أكتافه ، وابتسم ساخرا ، ولم يتمالك من اعلان رأيه صراحة فى خطاب [بياو] قائلا « ان هذا الفشر هو اللى بيخرب البلد » .

وبعد ذلك بسنوات قليلة ، فجرت الصين أولى قنابلها الذرية ، باشراف [بياو] ..

وكانت مفاجأة ، هز صداها العالم بأجمعه ، على ماتذكر جميعا ، فى اكتوبر ١٩٦٤ . وكسب بياو [الرهان المستحيل] ، على حد تعبير طريف للكاتب بيير داركور ، فى مقال له عن الصين بعنوان : « الروس وقنابل لن بياو » .

Les Russes prennent aux serieux
les Bombes des Lin Piao

ومن عبر العصر الذرى ، ودروسه المستفادة ، نذكر العالم الالمانى الكبير بول هارتك ، الذى حاول أن ينبه وزارة الحرب الالمانية الى امكانية انتاج [سلاح أقوى مئات المرات من أكبر الاسلحة التقليدية المعروفة] فى خطاب يذكرنا بالخطاب التاريخى الذى ارسله البرت اينشتين الى الرئيس روزفلت بنفس المعنى ، [بناء على اقتراح العالمين المجريين ليوزيلارد ويوجين فاجنر] ولما عرض اقتراح [هارتك] على المستشار العلمى لجنرال فيلد مارشال فلهلم كايتل ، [للدراسة وابداء الرأى] استدعى المستشار هارتك ، وانتهره قائلا : [الا يمكنك ان تضع حدا لتخاريفك الذرية] . وقد سعى هارتك الى عرض الامر على هتلر نفسه ، فرفض الفوهرر هذا المشروع [المستحيل] ساخرا ، وأمر بحفظه .

وبعد ذلك نجح الحلفاء فى تجربة أولى القنابل الذرية [تجربة آلاموجوردو] ، واستخدمت بعد ذلك بأيام ضد اليابان ، وكان مقررا استخدامها ، ضد المانيا ذاتها ، لولا انتهاء الحرب فى أوربا لصالح الحلفاء .

● ● ●

لقد تعلمنا من [قطاع مانهاتن] Manhattan District ، ومن [الميتالورو جيكال لابوراتورى Metallurogical Laboratory أو [المت . لاب .] .Met. Lab كما كان يسمى . ومن [لينجراد فيزيكو تكنيكال انستيتوت] . Leningrad Physico-Technical Institute

.. وغيرها من الاسماء البسيطة فى مظهرها ، والخطيرة فى جوهرها الا مستحيل يعوق انتاج الاسلحة الذرية ، من جانب أى دولة تبغى انتاجها ، مع العزم ، والاصرار ، والكفاح ، والعمل المخلص المنظم .

الجلسة الأخيرة
لحوار
اليسار المصرى
مع توفيق الحكيم

مصر المستقبل
فى الزمان والمكان

آخر جلسات الندوة تقدمها « الطليعة » فى عددها هذا .

وهي الجلسة التاسعة ، بعد الجلسات التى امتدت على مدى ثمانية شهور بين توفيق الحكيم وبين مجموعة تمثل اتجاهات متعددة لليسار المصرى .

ويعلم القراء انه كانت هناك قصة لهذا الحوار: بدأت بالخطاب الذى وجهه توفيق الحكيم فى ٢١/١٠/١٩٧٤ الى مجلة روز اليوسف ، يرد فيه على الانتقادات التى وجهت اليه من جانب بعض الاقلام اليسارية والتقدمية ، بعد ان صدر كتابه « عودة الوعى » . وفى هذا الخطاب اكد توفيق الحكيم انه مع التقدم واليسار فى بناء مصر متطورة مزدهرة وليس مع قوى التخلف والرجعية

ولما كانت هيئة تحرير الطليعة تدرك أن الكاتب الكبير بتاريخه ، بمواقفه ، واتجاهاته الفكرية وعمله الطويل لاثراء حياتنا الثقافية ، لا يمكن ان يقف — فى النهاية — فى صفوف قوى الردة . فقد بادر رئيس التحرير لطفى الخولى ووجه الى الحكيم خطابا دعاه فيه الى فتح ملف التجربة .

واستجاب الحكيم ، بحماس . لم يتخلف مرة ، بل لقد انتظم فى حضور جلسات الندوة — على الرغم من طولها ، وربما تفوق فى هذا الانتظام على كثيرين من المشاركين فيها .

وربما استطعنا ان نقول : ان حصاد الندوة كان مبشرا وثريا . ويكفى أن نتتبع اتجاهات الندوة فى جلساتها التسع .

كان جدول أعمال الندوة كما يلى :

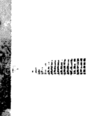
١ — الخطوط العامة لرؤية مستقبل مصر فى ابعاده المحلية والعربية والدولية .

٢ — تقييم ايجابيات وسلبيات التجربة كما قادها الرئيس الراحل جمال عبد الناصر .

٣ — مسار التجربة منذ وفاة عبد الناصر وتولى الرئيس السادات لمسئولياته الدستورية .



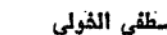
توفيق الحكيم



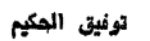
لطفى الخولى



محمد سيد احمد







٤ ــ العودة الى تحديد الرؤية المستقبلية لمصر من خلال طرح هذا السؤال : ما العمل ؟
استرشادا بهذه النقاط بدأت الندوة أعمالها :

● ففى الجلسة الاولى : حدد توفيق الحكيم ــ بوضوح ــ أن دراسة التجربة ليست ــ ولن يكون هدفها ــ فى هذه الندوة أن تحاكم الناصرية ، وبالتالى لن تقدم الندوة السلاح الى القوى الرجعية التى تريد استغلال كتاب « عودة الوعى » لتنفيذ مخططها فى احداث ردة يمينية .

وفى هذه الجلسة ــ أيضا ــ اتفق الحاضرون على أن مشاركة توفيق الحكيم وخالد محيى الدين ستزيد الرؤية غنى والصورة وضوحا . فالاول قد ساهم بالفكر ودافع عن الثورة ، والثانى هو أحد الضباط الذين حضروا لها وقاموا بها وكان عضو مجلس قيادة الثورة .

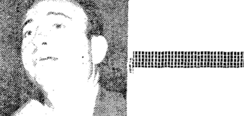
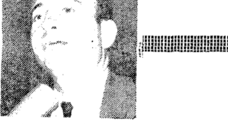
● وفى الجلسة الثانية : تم وضع خطوط عامة جدا لرؤية مستقبل مصر ، فى ابعاده المحلية والعربية والدولية .

● وفى الجلسة الثالثة : اهتم المشاركون بتحديد نقاط الاتفاق ونقاط الاختلاف فيما بينهم . وكانت نقطة الاتفاق هى ــ بشكل عام ــ ان مصر التى تستشرفها الندوة هى « مصر الاشتراكية » .
أما نقاط الاختلاف فقد دارت حول الوسائل المؤدية الى ذلك ، أى حول الاختيارين المطروحين فى الساحة المصرية وهما : أى الطريقين نختار : الطريق الليبرالى ، أم الطريق الاشتراكى ؟

● وفى الجلسة الرابعة : ركز المشاركون على تحليل فكر الثورة ــ من ناحية النظرية والتطبيق ــ كما عبرت عنه منشورات الضباط الاحرار وسائر مواثيق الثورة .

● وفى الجلسة الخامسة : كانت هناك اختلافات حول السلبيات التى حدثت ؟ كيف حدثت ؟ وما حجمها ؟ وكيف يتم تقييمها .

● وفى الجلسة السادسة : ساد اتفاق عام على ضرورة استبعاد الطريقة الحسابية فى



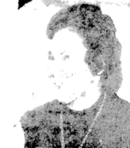
خالد محيى الدين — احمد عباس صالح — أبو سيف يوسف

الجمع والطرح ــ هذه الطريقة الالية ــ عند تقييم الايجابيات والسلبيات • وأن المنهج الاصح هو التقييم الجدلى : بمعنى النظر الى ثورة يوليو كعملية ، أو حلقة من حلقات التاريخ المصرى ، تترابط بالضرورة بتاريخ الحركة الوطنية،وبحركة المجتمع المصرى فى مجموعه •

● وفى الجلسة السابعة : دار النقاش حول الطريق المصرى الى الاشتراكية • وذلك عقب أن طرح توفيق الحكيم هذا السؤال : أين نضع المجتمع المصرى بين غيره من المجتمعات المتطورة [الرأسمالية أو الاشتراكية] وبين غيره من المجتمعات النامية • وقد ساد الاتفاق ــ عموما ــ على ان مجتمعنا ــ أيا كانت خصائصه المميزة ــ يمكن أن يجد طريقه الى الاشتراكية • غير أن هذا يتطلب معارضة العقلية التجريبية ، وعدم تغليب منهج الحلول الوسطية ، خاصة عند الاستجابة الى مطالب الجماهير •

● وفى الجلسة الثامنة : اتفق على أن شعار الحرية والوحدة والاشتراكية يجب أن يكون هو المنطلق عند دراسة أى برنامج • غير ان قضية الديموقراطية طرحت كشرط بدونه لا يمكن التقدم فى اتجاه بناء الاشتراكية • ومرة أخرى ، طرح توفيق الحكيم هذا السؤال : هل هى الديموقراطية الليبرالية أم الشعبية ؟ وحول هذا دار النقاش •

● وفى الجلسة التاسعة : والاخيرة ــ وهى التى تقدمها على صفحات هذا العدد ــ عادت الندوة لتطرح بتحديد أدق ، وبالتزام أوضح ،القضايا الخاصة بالمستقبل ، وبالمهام المطروحة على القوى التقدمية والوطنية • وقدم فى هذا مشروع برنامج للمستقبل من لطفى الخولى • غير أنه ثارت تساؤلات عن حق الندوة فى طرح هذا البرنامج : أولا : لان هذه هى مهمة الاحزاب والندوة ليست حزبا • وثانيا : لان المشاركين هم جزء فقط من القوى الوطنية والتقدمية ثم قدم اعتراض ثالث ذهب الى أن أى برنامج يتضمن شعارات ومطالب محددة يجب أن يكون مبنيا على دراسات مسبقة اقتصادية واجتماعية وسياسية .. الخ • وأخيرا ، تم الاتفاق على أن ما يقدم فى هذه



د. لطيفة الزيات



السيد يسن

الجلسة هو مشروع لرؤية مستقبلية لمصر ، وللمجتمع الذى تريده القوى الوطنية والتقدمية فى المستقبل المنظور ، وذلك طالما أن الوصول الى المجتمع الاشتراكى لا يزال هدفا استراتيجيا ، لابد وأن يسبقه الى الوجود مجتمع تتطور فيه ممارسة الديموقراطية ، وسيادة العقل ، والتسامح ، وانتشار التعليم والثقافة وانتصار النظرة العلمية الى مشاكلنا المختلفة .

بهذه الجلسات التسع ، تكون الندوة قد استكملت أعمالها .

ولا بد من الاشارة الى أنه تحت العناوين الرئيسية التى دارت حولها هذه الجلسات ، طرحت فى داخل الندوة أو نوقشت أكثر من قضية هامة : على سبيل المثال :

— من هم الليبراليون المصريون ؟ وهل هناك أكثر من تيار ليبرالى ؟

— اليمين الرجعى .. ماذا يمثل ... وماذا يريد ؟

— ما المحاذير التى تتعرض لها ثورة يوليو ؟

— ماهى ملامح الوضع الجديد الذى نشأ بعد ارتفاع سعر البترول ودخول الثروات البترولية كأحد المتغيرات الرئيسية والمؤثرة على خريطة الصراع السياسى والاجتماعى فى المنطقة .

— والوحدة العربية . . . ما هو المدخل الطبيعى لها ؟

لقد كان هدف الندوة أن تفتح ملف تجربة ثورة يوليو ، وملف الناصرية . وقد فعلت هذا من منطلق يعارض منطلق اليمين ، كما يعارض — فى الوقت نفسه — منطلق المتشنجين .

ودللت المناقشات ، على أن فتح ملف تجربة ثورية ليس ملهاة ولا محلا للمزايدات أو المهاترات وانما هو موقف للفكر مسئول ، بقدر ما هو مشاركة فى النشاط العملى واليومى لتجنيب مصر خطة التسمم ، والبلبلة ، والانهزامية ، وتفتيت الوحدة الوطنية ، وكل هذه أسلحة الامبرياليين والصهيونيين كما هى أسلحة الرجعية المتخلفة ، المتربصة بالديموقراطية والاشتراكية والوحدة .

ان « الطليعة » تنهى الندوة ، وتبقى على الملف مفتوحا ، وهى ترحب بتلقى تعليقات القراء والاصدقاء وكلماتهم .

■ **لطفى الخولى** (*)

ان ندوتنا تشارف على الانتهاء .

لقد اتفقنا ــ فى آخر الجلسة الماضية ــ على ان نستخلص من الحوار الذى دار ، على عدة جلسات ، وطبقا للبرنامج المتفق عليه ، رؤية أكثر تفصيلا الى المستقبل . وكما جاء فى خطاب أستاذنا توفيق الحكيم ، الذى اعتبر أحد اوراق الندوة ، انه يأمل فى ان مثل هذا الحوار ينتهى الى نوع من البرنامج للقوى الوطنية والتقدمية أو اليسار عموما فى المستقبل . وبالتالى ، اعتقد ان هذه الجلســـة يمكن ان تخصص لتحديد الاطار لمثل هذا البـــرنامج بالرؤية المستقبلية .

واذا تكرمتم ــ لى بعض كلمات فى هذا الامر ــ حسب ما اتفقنا فى اخر الجلســة الماضية ، وهو انه عندما نحاول اليوم ــ فى ختام حوارنا ــ التصدى لصيـاغة مشروع برنامج للعمل الفكرى والسياسى والاجتماعى فى بلادنا ، فأعتقد أنه يتوجب علينا ، أن نضع فى الاعتبار مجموعة من المعطيات الموضوعية التى اسفر عنها نقاشنا .

وفى تقديرى أنه يمكن تلخيص أهم هذه المعطيات فى خمسة خطوط :

الخط الاول : هو ان البرنامج المقصود هو برنامج مجموعة القوى الوطنية والتقدمية فى بلادنا ، هذه القوى التى تجمع على معاداة الامبريالية والاستعمار الجديد والصـــهيونية والتخلف الاقتصادى والاجتماعى والتقــوقع الاقليمى . وهذه القوى قد حسمت ــ بالتالى ــ اختياراتها السياسية على أساس التحـــرر السياسى والاقتصادى ، نقل المجتمع نقلة كيفية من التخلف الى التقدم ، على أساس خطة تنمية اقتصادية اجتماعية شاملة ومستقلة ذات آفاق اشتراكية ، تستهدف ــ فى النهاية ــ الغــاء استغلال الانسان للانسان ، وتأمين انسانيته وحريتها ، واطلاق ملكاته الابداعية . وكذلك العمل من اجل تحقيق الوحدة العربية ، بأسلوب ديمقراطى ، وبمضمون يخدم حركة التقـــدم وقواه الشعبية .

الخط الثانى : ان قوى البرنامج ــ على هذا الاساس ــ ليست موحدة ، ولكنهــا ــ بحكم الواقع والظروف ــ متعددة المنابع الاجتماعية والفكرية . وهى تمتد على جبهة عريضة ، تشمل العمال ، وفقراء ومتوسطى الفلاحين ، والمثقفين الديمقراطيين والتقدميين ، والجنود ، والبورجوازية الوطنية : المنتجة والمستنيرة . وبالتالى ، فان كلا من الرأسمالية الطفيلية المتخلفة ، والبورجوازية الريفية المتخلفــة ، والشرائح العليا من البيروقراطية خارجة عن اطار هذا البرنامج .

الخط الثالث : انه امام تعدد منابع قوى البرنامج ، فلا بديل عن قيام تحالف وطنى ديمقراطى حقيقى فيما بينها . تحالف لا يطمس الهوية النوعية لكل فصيل فيها ، ولا يصادر على استقلالها التنظيمى والفكرى ، فى منابر ، أو أحزاب ، أو جماعات سياسية .

والبرنامج ــ بالتالى ــ لا مفر من أن يكون برنامج الحد الادنى لا الحد الاقصى فى اطار الالتزام العام بالاختيارات الاساسية .

الخط الرابع : البرنامج لا يبدأ من فراغ . وانما هو حلقة متصلة من حلقات النضال الوطنى والتقدمى للشعب المصرى فى واقعه المحلى والعربى . وهو يمثل خطوة تدعم ما تم احرازه من ايجابيات ، خاصة ايجابيات ثورة يوليو ٥٢ ، كما يمثل استمرار النضال لانجاز مهام الثورة الوطنية الديمقراطية ، وفى الوقت نفسه عزل وكشف ومعالجة السلبيات التى صاحبت حركة هذا النضال ، وبالذات فى مجال الديمقراطية ، ومؤسسات الحكم ، وأجهــزة القمع ، والحد من مبادرات الجماهير والتهادن مع القوى الطفيلية والبيروقراطية .

الخط الخامس : انالبرنامج ياتى فىظروف تاريخية جديدة بعد حرب أكتوبر بآثارها التى كشفت الطاقة الايجابية للانسان العامل والمقاتل فى مصر والوطن العربى ، وأهمية القطاع العام فى مصر وسوريا ، ووحدة العمل العــربى الجنينية ، والامكانيات الهائلة التى يمتلكهــا العرب كأسلحة اقتصادية وفى مقـدمتها البترول .

وفى الوقت نفسه ، ما تزال قضية تحرير الوطن ــ عربيا وفلسطينيا من الاحتــلال الاسرائيلى ــ قائمة وحادة ، ولا تزال تواكب مهام التطور الاقتصادى العام للعالم العربى .

كذلك ، فان هذه الظروف التاريخية تكشف عن خريطة دولية جديدة لعلاقات القوى يسودها مناخ يتزاوج فيـــه التعايش مع الصراع بين العالم الاشتراكى وبين العالم الرأسمالى ، على نحو جديد .

ويشهد انتصار الشعب الفيتنامى ، وشعوب

الهند الصينية الصغيرة ضد أقوى امبريالية فى التاريخ ، وهى الامبريالية الامريكية التى تعانى داخليا بشكل لم يسبق له مثيل من شروخ اقتصادية وسياسية واجتماعية .

هذا كله ، بالاضافة الى ثورة العلم والتكنولوجيا التى فتحت آفاقا لا حدود لها للانسان نحو التقدم ، وتدعيم سيادته وسيطرته على الطبيعة ، وعلى مواقعه ومصيره .

فى ضوء هذه المعطيات الخمس الرئيسية ، يمكن أن نقترح مشروع برنامج الحد الادنى لنطرحه بعد ذلك للنقاش العام - كنتيجة لحوارنا هذا - فى ثلاث نقاط رئيسية على النحو التالى :

النقطة الاولى : بناء ديمقراطى لتحالف جميع القوى الوطنية والتقدمية على اختلاف منابعها الفكرية والاجتماعية بدون استثناء ، لا يصادر الاستقلال التنظيمى والفكرى لكل قوة فى حزب أو منبر أو جماعة . ويعمل من أجل تدعيم وتطوير المجتمع ، فى مختلف المجالات الاقتصادية ، وبالذات المالية والصناعية والزراعية وذلك على أساس خطة تنمية وطنية شاملة ومستقلة ، وتعتمد - بالاساس - على قيادة القطاع العام الذى يجب أن تسوده ديمقراطية الانتاج والادارة .

ثانيا : تشجيع قطاع الراسمالية الوطنية المنتجة فى اطار خطة التنمية الشاملة ، ومده بجميع الامكانيات اللازمة وحمايته من مخاطر الراسمالية الطفيلية والبيروقراطية .

ثالثا : تحويل الاصلاح الزراعى الى ثورة زراعية ، تنقل الفلاحين والمجتمع الريفى نقلة حضارية ، من خلال علاقات اجتماعية اكثر تقدما تقوم على أساس التعاونيات الاختيارية فى الانتاج والتسويق ، مع ترشيد وتطوير الوسائل والامكانيات ، والقضاء على اسباب ومظاهر الاستغلال المتزايدة لاغنياء الريف . والنزول بالحد الاعلى للملكية الى ٢٥ فدانا للفرد و٥٠ فدانا للاسرة .

رابعا : المحافظة على مكاسب العمال والفلاحين ، وجماهير الكادحين يدويا وذهنيا ، وتدعيمها وتطويرها بما يحقق احترام العمل الانسانى واعتباره أثمن رأسمال ، وحمايته وتأمينه ، ضد كل المخاطر ووضع نظام يوفر الحوافز المالية والمعنوية للانتاج والابداع .

خامسا : بناء مؤسسات الدولة بناء عصريا على اسس تكفل التعبير الحقيقى عن قوى التحالف بثقلها المتميز للعمال والفلاحين ، وتقوم بواجباتها على أساس من العمل الجماعى ، والالتزام بالمسئوليات السياسية أمام مجلس الشعب المنتخب انتخابا حرا .

سادسا : الحد من الفروق الشاسعة بين الحد الادنى والحد الاقصى للاجور ، بحيث لا تزيد عن واحد الى ١٥ ضعفا على الاكثر .

سابعا : توفير مناخ صحى لممارسة الديمقراطية الشعبية ، شكلا ومضمونا ، بما يتضمن ذلك من حرية الرأى والقول والاجتماع وتكوين الاتحادات والروابط والنقابات واصدار الكتب والصحف والابداع الفنى والفكرى والبحث العلمى دون ما تدخلات ادارية أو قيود رقابية .

ثامنا : احداث ثورة ثقافية ، بتخطيط علمى ، ومن افق تقدمى عصرى - على المدى الطويل - يتناول مناهج التعليم العام ، وتحرير الجامعات ، ومراكز البحث العلمى والابداع الفنى من جميع القيود ومحو الامية ، بحيث يثرى الانسان معنويا وروحيا بنتاج العقل البشرى وايجابيات التراث القومى والانسانى .

تاسعا : احترام حرية العقيدة ، وممارستها ، والوقوف ضد كل المحاولات لاستغلال الدين من جانب القوى المتخلفة اجتماعيا وفكريا لمعاداة التقدم ومحاربة الاستغلال .

عاشرا : الالتزام - فى اطار استمرار التعبئة - لتصفية الاحتلال الاسرائيلى باقتصاد حرب يوزع الاعباء والتضحيات على جميع الطبقات والافراد توزيعا عادلا بما يحقق تصفية الدخول الطفيلية والاتجار فى أقوات الشعب ويحد من التضخم وارتفاع تكاليف المعيشة .

النقطة الثانية فى البرنامج هى أن مصر - تاريخا ومصيرا - جزء لا يتجزأ من الوطن العربى ، وتحتل - بحكم وزنها السكانى والحضارى والاقتصادى - وزنا له اهميته وثقله فى مجمل حركة التحرر الوطنى العربى . وفى هذا الاطار يتوجب :

١ - أن تلتحم مصر التحاما عضويا على جميع المستويات مع جميع القوى والنظم

الوطنية والتقدمية في الوطن العربي من أجل العمل على تحرره الكامل ووحدته القومية .

٢ — تلتزم مصر التزاما مبدئيا بمشاركة الشعب الفلسطيني في نضاله من أجل تحقيق اهدافه وفقا للاستراتيجية التي وضعتها ثورته المسلحة المعاصرة من خلال جهازها السياسي — **منظمة التحرير الفلسطينية** — الممثلة الشرعية والوحيدة للشعب الفلسطيني.

٣ — العمل من أجل بناء قاعدة مادية للتكامل الاقتصادي العربي ، بغض النظر عن الاختلاف في النظم السياسية ،يقوم على اساس مشروعات اقتصادية مشتركة ، وخاصة في مجالات الصناعات الثقيلة ، والنقل والمواصلات والبتروكيماويات ، وعلى التمهيد لبناء سوق عربية مشتركة وذلك بهدف الوصول الى خطة تنمية قومية مشتركة تستهدف التطوير المتكافيء في جميع البلاد العربية بمعدل سريع ، وتوظيف رشيد لفوائض البترول التي اكتسبت قيمتها الراهنة من الدم العربي .

النقطة الثالثة في البرنامج انتهاج سياسة خارجية تخدم — في الاساس — السياسة الداخلية والعربية وذلك باعتبار أن مصر جزء من حركة التحرر العالمية وتمثل مع حركة التحرر العربي ثقلا هاما فيها .وهذا يستلزم :

١ — استمرار النضال ضد الامبريالية والاستعمار الجديد والاحتكارات والشركات المتعددة القوميات ، والمؤسسات والكيانات الصهيونية .

٢ — ان عدم الانضواء داخل أي معسكر من المعسكرات الدولية لا يعني المساواة في النظرة والتعامل بين الدول الاشتراكية وبلاد التحرر الوطني وبين الدول الاستعمارية . وبقدر ما يتوجب الامر تعزيز اواصر الصداقة والتعاون مع العالم الاشتراكي — وخاصة الاتحاد السوفيتي . وبلدان التحرر الوطني — بقدر ما يجب الانفتاح بوعي وادراك على العالم الرأسمالي في اطار علاقات متكافئة تقوم على أساس الند للند وعدم الوقوع في شراك قيوده الاستعمارية الجديدة .

٣ — القيام بدور بناء ونشيط في جهود الانسانية من اجل اقرار السلام العالمي وترسيخ مبادىء التعايش السلمي والانتفاع المشترك بثورة العلم والتكنولوجيا .

هذه هي بعض مقترحات لخطوط في البرنامج مقدمة من « الطليعة » وهي طبعا مطروحة للنقاش .

■ احمد عباس صالح :

قبل مناقشة هذا المشروع ، لي ملاحظات حول المشروع !!

واضح بعد كل ما قيل في هذه الندوة وهو شيء جيد ، علمي وموضوعي وأمين ، أن نجد أن هناك تحديين أساسيين مطروحان على مجتمعنا ، ويتوقف مستقبل هذه الامة على مواجهتهما ، والنجاح في الانتصار عليهما هما : التحدي الاستعماري الصهيوني المتمثل في احتلال الاراضي العربية والذي يحاول — في الوقت نفسه — الالتفاف حولنا اقتصاديا وسياسيا . فليس صحيحا أن قضية تحررنا تقف عند حد احتلال الارض فقط ، بل تتعدى ذلك الى ما هو اوسع كثيرا الى السيطرة علينا سياسيا واقتصاديا !

وهناك خطر المقايضة على الارض بنوع من التبعية الاقتصادية والتي ليس لها الا نتيجة واحدة هي المزيد من انعدام الارادة والتدهور الاقتصادي والاجتماعي .

أما التحدي الثاني ، فهو التخلف ، والتخلف كلمة مركبة تبدأ من الازمة الاقتصادية وتصل الى تأزم المواطن العربي في مصر سيكولوجيا وثقافيا واقتصاديا .

ومستقبل مصر ينبغي أن يتحدد بالموقف من هذين التحديين .

وقد وضح من المناقشة ان الانجازات العظيمة التي قد تمت خلال العشرين سنة الماضية ، أكتسبت صفتها هذه من كونها انجازات تهدف الى تحقيق العدالة والرفاهية لغالبية الجماهير ، ولكنها في نفس الوقت كانت قرارات من اعلى . وعلى الرغم من أنها كانت انعكاسا لمطالب الجماهير ، الا أن المشاركة — من جانب الجماهير — في اصدار قراراتها كانت معدومة . كما كان تنفيذها كذلك يفتقر الى المشاركة والرقابة الشعبية .

ولهذا ، افتقدت هذه القرارات الكثير من محتواها وتعثر ما تعثر منها ، وظهرت ثغرات كثيرة نفذ منها الفساد الذي مازالت آثاره تنخر في جسم البلاد في مواقع متعددة .

لهذا ، لم يعد هناك أمام المواطن الذي طال تطلعه الى الحياة المستقرة والمتقدمة الا أن يؤكد على الديمقراطية . واذا كنا نريد تخطي

التحديات ، فلابد أن نتجـه الى الاشكال والمضامين الديمقراطية الصحيحة .

ومن البديهى ان يكون تـوجهنا ـ فى الاساس ـ الى الذين لا يمتلكون الا قوة عملهم من جماهير العمال وفقراء الفلاحين وجيوش الموظفين والمثقفين بشكل عام ـ هؤلاء الـذين تضيق عليهم الدائرة الاقتصادية شيئا فشيئا ، ولذلك فأى تعديل فى القطاع العام ـ مثلا ـ ينبغى ان يستهدف مزيدا من التوسع ، وذلك بنفس القدر الذى يسمح فيه بالتوسع للقطاع الخاص سواء كان اجنبيا او محليا . وينبغى ان تبقى النسبه قائمه بين حجم القطاع العام وبين حجم القطاع الخاص . ويقع على الدولة ، الرامية الى مواجهة تحديات خطيرة ، والى قفز مرحلة التخلف ، أن تركز جهدها فى انماء القطاع العام ، وسيبقى دائما أهم مظهر للتعاون العربى ، هو تعاون الحكومات العربية فى دعم وبناء القطاع العام فى مصر . ومن المفهوم ان استثمار الحكومات مختلـف عن الاستثمارات الفردية وينبغى أن يصب فى أوعية القطاع العام ، سواء فى شكل قـروض أو مساعدات أو دعم .

وبقاء القيادة للقطاع العام ، سيتيح الفرصة لاستثمارات مستقرة ومأمونة للقطاع الخاص . بل سيتيح الفرصة للقطاع الخاص أن يلعب دوره الوطنى والقومى فى اطار من التجانس الاجتماعى وتوزيع الادوار توزيعا غير مخل .

على أن الشوائب التى لحقت القطاع العام كانت ترجع الى تضارب المفاهيم فى ادارته . وقد انتشرت كثيرا فكرة الادارة الراسمالية باعتبارها الادارة الاقدر على الانتاج . وقيل فى تأكيد هذه الفكرة الشئ الكثير .

وقد كانت ومازالت ، هناك شكاوى كثيرة من أصحاب هذه الفكرة من بعض الصيغ المتمثلة فى اشتراك العمال فى مجالس الادارات ودور اللجان المختلفة فى المؤسسة الاقتصادية ، سواء كانت لجـــانا نقابية ، أو لجانا للاتحـــاد الاشتراكى .

والكثيرون من رؤساء مجالس الادارات ممن يرون فى الادارة الراسمالية أعلى نمـوذج للادارة كانوا وما زالوا يسعون الى سلطة مطلقة فى اصدار القرارات على الرغم من أنهم حصلوا عليها دائما . وعلى الرغم مـن التدخلات الصورية وشبه الصورية لممثلـى العمال فى مجالس الادارات وفى اللجـان النقابية ، أو غيرها ، الا أن هذه التدخلات تضخم ويسند اليها كل فساد لحق القطـــاع العام ، وهو امر مضحك ومؤلم لانه جـــارح للحس والذوق العام . فالجميع يعرفون انه لم تكن هناك قدرات حقيقية لهذه الاشكال من المشاركة لانها فى الواقع لم يتح لها الفرصة لتحقيق وجودها والقيام بوظيفتها .

واذا كنا نسعى الى ديمقراطية حقيقيـة فينبغى ان تمارس هذه الديمقراطية فى مواقع الانتاج بشكل تنظيمى محكم ، وتتحدد فيـه المسئوليات بشكل واضح ، ودون مغالطات .

لقد انتشر ايضا رأى بأن الادارة علم مستقل يعلو على الاتجاهات والاراء السياسية . وقد يكون الامر كذلك بصورة أو بأخرى . ولكن علم الادارة الذى كان مقصودا دائما ، هو ذلك العلم الذى يرفض القطاع العام كقطاع اشتراكى مملوك للامة ، ويدار ادارة تهدف الى رقى المواطن العامل فيه انسانيا واقتصاديا ، كما يستفيد فائدة كبرى من شعور العاملين من أنهم يملكون مـؤسسة يهـدفون الى تنميتهـا وتطويرها .

كان علم الادارة الذى يطرح نفسه على قطاعنا العام علما متعاليا متحذلقا ، وفرضيا الى أقصى حدود الفرضية ، ويسعى الى تركيز السلطة والى نفس العاملين عن ملكيتهم لوسائل انتاجهم وتعميق غربتهم واعتبارهم اجزاء من لحم ملحقة بالالات الحديدية التى يعملـون عليها .

ان الادارة علم بغير شك والعلم يهدف الى تحقيق غايتين :

الاولى : المزيد من الكفاءة فى الانتاج .

الثانية : المزيد من كفاءة المنتج .

وكلا الغايتين تؤثر فى الاخـرى . وليس المقصود من الادارة العلمية ، أن تحقق كفاءة انتاجية فى المطلق أو فى الفراغ ، أو بواسـطة استعباد العاملين وتحويلهم الى عبيـد . فالانتاج المقصود به رفاهية العاملين ورقيهم الانسانى فى نفس الوقت وأى علم للادارة يتجاهل هذه الغاية ، هو علم استعبادى يزعم ان الكفاءة الانتاجية لا تتحقق الا عن طريق سحق العاملين نفسيا وانسانيا واقتصاديا .

ومن هنا ، فأن فلسفة الادارة ينبغى ان تطرح جماهيريا على المؤسسات النقابية والسياسية

والرأى العام ، ومن الاساتذة المتخصصين بمختلف اتجاهاتهم لتتحدد هذه الفلسفة فى مواقع الانتاج ، وفى المعاهد العلمية المختلفة التى تتبع الجامعة أو البحث العلمى ، والتى تخرج المديرين وتعدهم •

ولا يكفى أن يوجد القطاع العام ، وان يتم التوسع فيه ، لتتحقق القاعدة الاقتصادية التى يستند اليها العاملون لممارسة الديمقراطية بل ينبغى أن تتحقق الضمانات القانونية والفعلية للعاملين لمواجهة اى تعسف من قبل اى سلطة • وفى مقدمة هذه الضمانات حماية العاملين من الفصل التعسفى والتأكيد على ذلك فان ارادة الانسان تنعدم حينما يواجه بالتهديد بحرمانه من مصدر رزقه تحت أية حجة • ومن لا يملك ارادته ملكية حقيقية فى اطار الواجبات المفروضة اجتماعيا يصبح اداة لغش الديموقراطية وخلق ديموقراطية زائفة ترجعنا الىالوراء عشرات السنين .»

ان الحقوق التى حصل عليها العمال والعاملون عموما فى ظل الثورة هى اقل كثيرا من تلك الحقوق التى يحصل عليها العمال فى بلاد عريقة فى الرأسمالية • وليس من حق القطاع الخاص ، سواء كان استثماره أجنبيا أو محليا ، أن يحاول أو يطلب الانتقاص من هذه الحقوق بحجة انها قيد على استثماره • فالحقوق التى يحصل عليها العمال فى دول رأسمالية عريقة لم تمنع اندفاع رأس المال الخاص نحو الاستثمار فيها • بل ولم تحد من أرباحه بدليل أن الغالبية من فائض المال العربى تتجه الى هذه الدول بحماسة شديدة • وأظن ان المواطن المصرى لا يوافق على أن يحرم من أبسط حقوقه من أجل تشجيع الاستثمار الاجنبى .»

ان التوازن فى المجتمع يأتى من توازن المصالح وتبعا لحجمها فى حدود المصلحة الوطنية لجماع الامة • وان أى اضعاف للمؤسسات الاجتماعية ، كالنقابات العمالية والفلاحية او المهنية هو فى الواقع اخلال بالتوازن ، واى خلل فى البنية الاجتماعية من شأنه احداث اضطرابات تهدف الى اعادة التوازن•

ومن هنا فان اطلاق الحريات للنقابات أمر ضرورى • على أن الحزب السياسى فى النهاية هو المؤسسة التى تتبلور فيها أهداف مجموعة معينة من المصالح ، وفيه أيضا يتبلور الوعى ، ويرتقى من الحدود الفردية والطبقية الى حدود الوعى الاجتماعى ، والى الشعور بالمسئولية الاجتماعية نحو الامة ككل • وليس من المستحيل أن ننظم أنفسنا فى اطار التحالف على اسس حقيقية بعيدة عن الصورية .»

ان وجود الاحزاب ليس معناه ضرورة التشتت ، واضعاف الوحدة الوطنية ، بل على العكس ، قد يكون الوسيلة الحقيقية والقاعدة الصلبة لدعم وربط اواصر هذه الوحدة .»

ولا شك أن تمثيلا حقيقيا للقوى الاجتماعية سيكون تحالفه صادقا ومعبرا صادقا عن الكيان الاجتماعى ككل •

لذلك فان الجبهة الوطنية شىء ممكن • وليس خرقا للتحالف المفترض فى الاتحاد الاشتراكى الحالى • كما أن المخاطرة بالسير وراء المغامرين الذين يريدون هدم الاتحاد الاشتراكى لتزييف التمثيل الشعبى ، ونفى القوى الوطنية والديمقراطية عن العمل السياسى ، هو عبث فارغ ، لا .لانه سيؤدى الى نتائج ليس لدينا الوقت ولا المبرر للحصول عليها فحسب ، بل لانهرؤيةطبقةانانية وبغيضة ، فضلا عن جهلها الشديد بالمفاهيم السياسية المسلمة فى كل بقاع الدنيا على مختلف انظمتها . أنه مغامرة يحركها الحقد والعمى ، ولذلك فالمضاربة على صيغة التحالف للاتحاد الاشتراكى بأوهام « الديمقراطية » أمر مرفوض ، ليس من وجهة نظر أيديولوجية ، بل من وجهة نظر الموضوعية التى تتطلع الى المستقبل الحقيقى لهذه الامة •

ان ديمقراطية الجبهة التى تتحقق فى كل المجالات وفى مقدمتها الصحافة ، وفكرة تعدد المنابر التى لا تتعدد فعلا الا فى اطار التجمع الجبهوى •• هذا هو الطريق • ولم يكتشف حتى الان طريق آخر — لان يقوم تعدد حقيقى لمنابر الرأى بعيدا عن اطار الجبهة • وكل محاولة غير ذلك سوف تصبح شكلية ، وستعانى قلقا لا نهاية له يعكس نفسه فى كل الواقع والمؤسسات الاجتماعية •

وليس من المستحيل ان نفتح الباب امام الملكات والقوى التى تسهم فى التنمية والحفاظ على الاهداف الاساسية التى تسعى اليها ،

وهى كرامة الانسان المصرى وحريته ، وحقه فى الاستمتاع بثمرات عرقه وجهده .

ان الارقام لها مدلولات انسانية أيضا ، والا ستصبح شيئا مجردا فاقدا للمعنى • وكل رقم فى المجال الاقتصادى ينبغى أن يكون له محتواه الانسانى من تأكيد للحرية وتعميق للثقافة والكفاءة العقلية والنفسية، والا فهو صوت عذاب ورمز للعبودية والشقاء • ولهذا فنحن نطالب أى مخطط اقتصادى أن يقدم لنا وهو يستعرض خطته فى التنمية الاقتصادية غاية هذه الخطة ، وأثرها على الانسان المنتج نفسه ، وما هى عائداتها المادية والمعنوية بشكل محدد وشديد الوضوح • ووزارة التخطيط التى نتطلع اليها فى مستقبلنا القريب وزارة تضم خبراء مخططين فى الاقتصاد والثقافة والتعليم والصحة والرياضة ، ووزارة تضع الارقام وتقرأها قراءة حية لا قراءة ميتة •

■ **خالد محيى الدين :**

أنا شخصيا موافق على البرنامج الذى طرحه لطفى الخولى ، لكن لى عدد من الملاحظات ، وعندما نفكر فى وضع برنامج يجب أن نأخذ بعين الاعتبار أمرين :

١ ــ الاول هو التقييم الذى تم لثورة ٢٣ يوليو ، وذلك انطلاقا من مناقشة كتاب توفيق الحكيم . اعنى ، أنه لابد من أن نضع التجربة الماضية فى الاعتبار ، ونحن نضع البرنامج •

٢ ــ الامر الثانى هو ان ثورة يوليو يجب أن يحدث لها تطوير يمكنها من مواجهة الاوضاع الجديدة من ناحية ، كما يمكنها ، من ناحية أخرى ، من تجاوز ما يسمى بالسلبيات • لاننا ــ طبعا ــ كقوة وطنية تقدمية ضد كل السلبيات أو الاخطاء التى ارتكبت فى حق جماهير الشعب • وعلى أساس هذين الامرين ننطلق من أرضية محددة هى أن المرحلة الماضية كانت جزءا هاما لا يتجزأ ، من نضال الشعب المصرى فى كافة الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية • وأن تجربة يوليو ــ بايجابياتها وسلبياتها ــ وضعت ارضية لامكانية التقدم خطوة الى الامام ، نحو آفاق أبعد •

تبقى بعد ذلك ملحوظتان :

الاولى : أن هذا البرنامج الذى نتطلع الى وضع مشروعه ، سيكون له بالطبع معارضون • وفى مقدمة معارضيه يجب أن نذكر بروز فئة جديدة من الرأسمالية التى تضخمت ولا تزال تتضخم • هذه الفئة ستعادى هذا البرنامج •

الثانية : ان هذا البرنامج يجب أن يأخذ بعين الاعتبار واقع الحال اليوم • فهناك أمور تحدث : تغييرات فى الاتحاد الاشتراكى ، وحديث عن المنابر • فهنا ــ مثلا ــ يجب أن نتساءل ـ كما أشار الى ذلك الاخ أحمد عباس صالح ــ كيف تقوم المنابر ونحن نرى الصحف الرئيسية فى يد اتجاه فكرى وسياسى واحد • واذا كان أى برنامج لا يمكن طرحه فى فراغ ، وانما على أرضية الواقع الراهن ، فعلينا أن نحدد فكرنا فيما يقدم • واذا عدت لمثل الاتحاد الاشتراكى ، سنرى أن هناك تجربة جديدة تجرى فيه : هى تجربة اقامة المنابر • فهنا يمكن أن نطرح السؤال : هل ستنجح هذه التجربة ؟ وما هى ضمانات نجاحها ؟ ثم كيف تتطور المنابر الى احزاب ، لانه يجب أن يكون واضحا أن هدفنا النهائى هو الوصول الى احزاب فى نطاق التحالف والجبهة الوطنية التقدمية ، لا الى احزاب ليبرالية لكل القوى الاجتماعية • نحن نريد احزابا فى نطاق الدستور القائم الذى ينادى بالاشتراكية كنظام ، وبقيادة القطاع العام ، ويؤكد على المكتسبات الاقتصادية والاجتماعية •

فاذن يتحتم على البرنامج أن يقدم ردودا على ما هو مطروح الان من قضايا ليكون فى ذلك اثراء فعلى للتجربة والفكر السياسى عموما •

كما أن نفس الشىء يجب أن نقوم به فى المجال الاقتصادى • ان مصر تواجه اليوم أزمة اقتصادية • وهناك أكثر من اتجاه يقدم حلولا لهذه الازمة •

هناك الاتجاه الذى يقدم الحل عن طريق « الانفتاح » على الصورة التى عرضتها مذكرة رئيس الوزراء • ولكنى ــ شخصيا ــ أرى انها غير ممكنة التنفيذ • اولا : لان المذكرة تريد ان تحول مصر كلها الى منطقة حرة يعنى الى نظام رأسمالى • لكن هذا لا يتفق مع مصالح الاغلبية كما أنه غير ممكن من الناحية الواقعية • لكن يقال ــ مع ذلك ــ أن هذا هو المخرج من الأزمة • هنا يتحتم علينا أن نقول لا هناك مخرج ثان من الازمة ، مع مراعاة ــ مثلا ــ أن مصر ليس عندها موارد ، والاسيبقى كلامنا كله مجرد كلام عام • فلابد ــ اذن ــ ان نقدم بديلا لما هو مطروح •

صحيح ، قد يكون تقديم البديل من المهام الصعبة ، وقد يكون تنفيذه أيضا صعبا ، ولكن ربما كان – مع ذلك – هو الحل الذى يتفق مع مصلحة الاغلبية العظمى من المواطنين ٠

اذن اليسار يجب أن يقدم طرقا جديدة ٠ واذا كانت هناك صعوبة فى أن نفعل ذلك – فى هذه الجلسة ، الا أن هذالا يعفى القوى الوطنيه والتقدمية من مهمة التقدم ببرنامج اقتصدى واضح يخرج البلاد من أزمتها الاقتصادية ٠ ونحن لسنا ضد الانفتاح ، ولكننا ضد الانفتاح بالطريقة التى تمارس الان ، والتى نشهد انعكاساتها فى كل يوم على ارتفاع الاسعار ٠

الخلاصة أرى أن البرنامج المقدم جيد ٠ ولكن يجب أن يدخل فى الاعتبار الاهتمام بتقديم حلول عملية لما هو مطروح من قضايا ومشاكل آنية ».

■ **د٠ مراد وهبة :**

احب فى الحقيقة ، ان الفت النظر الى مسألة هامة أرغب فى طرحها كمقدمة للبرنامج ازاء مسألة تطوير ثورة يوليو كما أشار الاستاذ خالد ، ففى تقديرى ، أنه فى المرحلة الحالية ، وضح – بالنسبة لى على الاقل – أن القضية الاساسية التى يجب أن نعيها جميعا هى اننا اما أن نكون اشتراكيين أو لا نكون لان المشاكل المطروحة الان على سطح المجتمع المصرى ، لا يمكن حلها الا بأسلوب اشتراكى حقيقى ٠ ذلك أن ما يحدث الان – وهو ما كشفت عنه الندوة فى الجلسات الاخيرة – هى أن فصائل من الراسمالية الوطنيةتحولتالىرأسمالية طفيلية ٠ وواكب هذه الرأسمالية الطفيلية تيار يمينى تتارى ضد الحضارة الانسانية موجود حاليا فى بعض الصحف المصرية وفى بعض الاحاديث المذاعة فى وسائل الاعلام ٠

واعتقادى ، أنه مطلوب أيضا فتح ملف يضاف الى ملف المثقفين حتى تتاح لنا فرصة طرح امثلة [لانه أخشى أن اخرج عن الموضوع الاساسى للندوة] ، لكنى أحس احساسا قويا جدا بأنه لابد من اعادة النظر من جديد فى مكانة الراسمالية الوطنية ، لانى اعتقد أنها تمر الان بأزمة وهى أنها تخرج عن الخط الوطنى وتدخل فى اطار آخر من شأنه أن يثير مشكلات تضاف الى مشكلات نحن نعانيها الان ٠

يعنى ، مثلا ، أن ما هو مطروح الان من جانب الراسمالية الطفيلية يعنى لا يمكن اطلاقا أن نعثر على حلول لمشكلة وسائل المواصلات ، ومشكلة الاسكان ، ومشكلة التعليم ، ومشكلة الصحة ٠

ولهذا أرغب أيضا – كمقدمة للبرنامج – ان نطرح مسألة الملكية الخاصة ، سواء فى القطاع الزراعى او القطاع الصناعى ، لانه – فى تقديرى – كما جاء فى البرنامج المطروح من الاستاذ لطفى الخولى – انه فيما يختص باحترام العمل الانسانى ، لا يمكن أن نصل الى احترام للعمل الانسانى الا اذا أعدنا النظر – من جديد – فيما يتعلق بالملكية الخاصة ٠ ومن هنا ، تأتى مسألة تحديد حد أقصى وحد أدنى فى مسألة الملكية ٠وهذه القضية لابدوان تطرح فى اطار أن هذا يتناقض – مرحليا – مع مبدأ احترام العمل الانسانى ٠ لانه اذا أردنا للانسان أن ترفع عنه جميع الوان الاستغلال ، فلابد من أن تكون مسألة تحديد حد أقصى للملكية مسألة مرحلية ٠ اذا رأيتم ذلك ، فأرغب أن تكون هذه مقدمة ٠ وبعد ذلك ، تأتى النقط الاخرى المطروحة ، ومن الواضح أن بعضها ، أرى أنه مرحلى ، كما أن بعضها يدخل فى اطار المستقبل ٠

■ **خالد محيى الدين :**

فى رأيى ان آى برنامج يقدم ، انما هو برنامج مرحلى ٠ لانه لا توجد امكانية للتطبيق الان ٠ المهم ان نوضح أن هذا « المرحلى » ليس هو نهاية المطاف ، ولذلك لم اتفق مع الرئيس جمال عبد الناصر عندما قال أننا سنحدد ملكية الارض « مرة والى الابد » .لان كل شىء يتحرك ويتغير ولا يثبت على حاله ».

■ **لطفى الخولى :**

الملاحظ هنا ، هو أن د ٠ مراد ، أثار نقطة خطيرة ، فهو يريد أن يخرج الرأسمالية الوطنية تماما عن نطاق التحالف أو الجبهة ٠

■ **خالد محيى الدين :**

لا ٠٠ لا اعتقد أن هذا وارد الان ٠ لان هناك قطاعا هاما من الرأسمالية الوطنية مضار الان من الاسلوب الذى يتبع فى تطبيق سياسة الانفتاح ٠ هنا نجد كثيرا من المصانع الصغيرة تضار من البضائع الاتية من بيروت ٠ والمشكلة هو أن هناك – كما قلت – فئات اجتماعية نتصور أن الحل هو فى الانفتاح بدافع من ركضها وراء الربح العالى والسريع ٠٠

■ **محمد سيد احمد :**

من حيث النقط المثارة عند لطفى ، أعتقد انه لم يكن هناك خلاف حولها . لكن توجد نقطة أود أبرازها وتتعلق بقضية المنهج فى طرح برنامج محدد مرحلى فى الفترة الحالية التى نعيشها . كلنا نشهد حاليا انتعاش للرأسمالية فى العالم العربى . وكلنا نلاحظ انجرافا نحـو اليمين بشكل عام . أما الحلول والتفسيرات التى تقدم لهذا فهى أن هذه هى الوسيلة التى نلجأ اليها اليوم فى سبيل أن نحقق التسوية ، وفى سبيل ان نسترد الارض المحتلة .. الخ ..

بعبارة أخرى ، مثل هذا الكلام يعنى اننا نطرح هدفا وطنيا لكى ننجز ـ من الوجهة الاجتماعية ـ عملية تنطوى هى ذاتها على ردة اجتماعية . وهذه العملية ، التى نشهدها سوف يشتد بروزها فى المرحلة القادمة ، وهى تمثل المشكلة الجوهرية التى نواجهها فى برنامجنا .

لذلك ، يجب أن نميز ـ هنا ـ وبشكل واضح جدا بين أمرين :

١ ـ أن نقدر أن هذا الاتجاه الذى تحدثت عنه هو الاتجاه الغالب فى المرحلة القادمة .

٢ ـ والاتجاه الثانى هو ماذا ينبغى أن يكون موقفنا من هذا الاتجاه .

معنى هذا ، أن أى برنامج يطرحه اليسار ، يجب أن يكون واضحا جدا فى القضايا الاجتماعية ، وليس العكس .

هنا ، أيضا يتعين على اليسار أن يوضح أن الانفتاح الرأسمالى لا يمكن أن يقبل كتبرير لحل المشكلة الوطنية . وعلى اليسار أن يوضح الحدود المقبولة من هذا الانفتاح ، وأن يبرز الاضرار التى يمكن أن تتعلق بهذا . وبالتحديد ، عليه أن يبرز أن تبرير هذا النوع من « الانفتاح » انما هو مخطط جديد للاستعمار فى المنطقة ، وأنه اذا كانت الظاهرة البارزة ـ لا تزال هى المواجهة مع اسرائيل ـ فان القضية أكبر من انفتاح رأسمالى ، كما أن القضية تتعلق بمحاولات الامبريالية لخلق دور جديد لاسرائيل يتكيف مع المعطيات الجديدة فى المنطقة ، وذلك فى ضوء أمور سبق أن أشرت اليها أكثر من مرة فى هذه الندوة .

■ **لطفى الخولى :**

ذكرت عبارة « انفتاح بمفهوم رأسمالى » ، فهل يقابل هذا ـ فى رأيك ـ انفتاح بمفهوم اشتراكى ؟

■ **محمد سيد احمد :**

نعم .. لكن بشرط أن نضع لذلك تصورا متكاملا . يعنى « مثلا » القضية المطروحة هى كيف يسخر رأس المال العربى من أجل التنمية العربية ؟ لانه اذا كان جزء من هذا الرأسمال العربى قد انتقل من أيدى الشركات المتعددة الجنسية الى أيدى أطراف عربية تنهج نهجا محافظا ، فهنا معركة أو عمل يجب أن يتم لكى يوظف رأس المال العربى من أجل مصالح الشعوب العربية ، ولصالح التنمية العربية ، ولا تعود رؤوس أموال طفيلية تخدم ـ فى نهاية الامر ـ المخطط الاستعمارى فى المنطقة وفى العالم . هذه هى المعركة وهى معركة أساسية فى المرحلة الراهنة .

.. وهناك معركة أخرى : هى التكيف ـ بنفس المنهج ، وبنفس المنطق ـ ازاء الشكل الجديد لممارسة الصراع مع اسرائيل .. حاليا ممارسة الصراع مع اسرائيل لا تحتمل الاشكال السابقة للصراع الذى كان ينظر الى اسرائيل ككتلة صماء . ذلك أن جميع الاطراف قد أصبحت تميز ـ اليوم ـ بين أطراف مختلفة حتى داخل المؤسسة الصهيونية ، تميز بين ما يسمى بالحمائم ، وما يسمى بالصقور ، والاثنان ـ كما نعلم ـ من المؤسسة الصهيونية ، احدهما يبحث عن المصالح العاجلة قبل المصالح الاجلة ، والثانى يفكر فى المصالح الاجلة ، أى فى المشروع الصهيونى ، قبل المصالح العاجلة . لكن هذه كلها قوى الصهيونية . ومعذلك ، يجرى اليوم ـ من جانب القوى المحافظة فى المنطقة ـ هذا التمييز ، فمن باب أولى أن نجرى نحن أيضا تمييزا ، وأن نبرز أنه فى هذه المرحلة أيضا ، اذا كان هناك صراع اجتماعى يتسع ويشتد فى الدول العربية ، فهو يتسع ويتفاقم بل ويستشرى فى داخل اسرائيل . وان هذه ـ ايضا ـ مشكلة لابد أن يكون لنا فيها مواقفنا الواضحة والمتميزة والقوية .. فهذه مجموعة نماذج لقضايا ينبغى أن تطرح بصراحة كاملة فى المرحلة القادمة .

■ **لطفى الخولى :**

ما نحتاجه الان هو أن نشرع فى وضع صياغات لكل الافكار . . .

■ محمد سيد احمد :

هذه أفكار أردت أن أطرحها ونحن نناقش البرنامج لكى تضاف الى البرنامج .

■ ابو سيف يوسف :

أوافق على القضايا الاساسية التى تضمنها البرنامج الذى قدمه لطفى الخولى . ولى ـ بعد ذلك ـ عدد من الملاحظات :

١ ـ فيما يتعلق بالرأسمالية الوطنية ، يجب أن يضاف الى البرنامج مسألتان : الاولى هى ان نشاط هذه الطبقة لا يزال ذا فائدة للاقتصاد الوطنى ، فى هذه المرحلة من مراحل تطورنا . ولابد من التأكيد على هذا ، والا فسوف يتجه البرنامج اتجاها انعزاليا عن جزء هام من الجبهة الوطنية .. وبالطبع فان ما نقصده بالرأسمالية الوطنية ، هى الرأسمالية المنتجة لا الطفيلية .

■ لطفى الخولى :

أنت بهذا يبدو أنك ترد على د . مراد وهبه . مع ذلك فأنا موافق ...

■ ابو سيف يوسف :

على العموم فان هذه المسألة لا تتناقض مع المسألة الثانية المتعلقة أيضا بالرأسمالية الوطنية وهى أننا اذا كنا نحرص على نشاطها الانتاجى ، فانه لابد من تحديد مجالات نشاطها ، ولابد من أن يكون هذا النشاط فى اطار خطة التنمية

الملحوظة الثانية عن تحديد ملكية الارض بـ ٢٥ فدانا . هذه القضية تحتاج الى دراسة . والسؤال هل تطرح الان أم لا تطرح . المسألة الزراعية فى بلادنا معقدة وتحتاج الى حلول شاملة ومتكاملة . وعلى أى حال فان البرنامج يجب أن يركز على توسيع قاعدة التعاون الانتاجى فى الريف . فهذه قضية حيوية لم يتم فيها ـ حتى الان ـ أى تقدم .

الملحوظة الثانية عن النسبة بين الدخول . هى فى البرنامج ١ : ١٥ . ربما أطالب بشىء أكثر تواضعا كأن تكون النسبة ١ : ٢٥ .

■ د. لطيفة الزيات :

الدخل هذا شىء آخر .

■ لطفى الخولى :

نحن لم نتحدث عن الدخول وانما تكلمنا عن الاجور . ان اغلى مرتب هو الان ٤١٤ جنيها ، يعنى خمسة آلاف جنيه فى السنة .

■ ابو سيف يوسف :

نعم .. الاجور .. ولا أزال أطالب بنسبة ١ : ٢٥ ، فقد كانت فى عام ١٩٦٧ ، ١ : ٦٤ .

وانتقل الى الملحوظة الرابعة . فقد أثار خالد محيى الدين قضية المنابر فى الاتحاد الاشتراكى وأوافقه على الاساس الذى وضعه للمنابر من حيث أنها يجب أن تكون نقطة انطلاق الى حياة حزبية تخدم التطور المستقل والديموقراطى لبلادنا .

الملحوظة الخامسة تتعلق بالنقطة التى أثارها الاستاذ خالد أيضا عن ضرورة تضمين البرنامج نقاطا اقتصادية محددة . أوافق على هذا . وفى اعتقادى أنها ليست مسألة عسيرة ، لا سيما وأن أقساما من اليسار المصرى ظلت تطرح منذ ١٩٦٧ عددا من القضايا الاقتصادية ، وطرحتها بكيفية محددة ، خصوصا فى الندوات التى عقدت عن اقتصاد الحرب ، وأشير ـ خصوصا ـ الى ندوة جمعية المحاسبين والى الندوة التى عقدت فى جمعية الاقتصاد عام ١٩٦٨ .

■ لطفى الخولى :

أعتقد أنه فى البرنامج يجب أن نركز ـ أساسا ـ على رؤوس الموضوعات . أما النقاط التفصيلية فيمكن أن تشكل كل نقطة منها برنامجا تفصيليا ملحقا بالبرنامج العام ...

■ ابو سيف يوسف :

فى الحقيقة لا ارحب بالتفصيل فى البرنامج .

■ لطفى الخولى :

التفصيل غير وارد هنا . لكن علينا أن نعرف أننا سنحتاج فيما بعد الى تجسيد الخطوط العامة فى خطة عمل ، خصوصا ، لمواجهة م

يطرحه اليمين • مثال ذلك ، أنت تواجه بناء المجتمع اقتصاديا ، هذه قضية عامة ، ولكن لابد وان تتصدى بالرأى المحدد لما هو مطروح كأن نقول ما الرأى فى قضية الانفتاح •

■ احمد عباس صالح :

نحن لا نريد أن نتغافل عن التفصيلات كلية • ولكن من الضرورى أن نتفق على تحديد معنى عام ، يكون مضمونه مفهوما ، حتى لا يضيع الهدف من وراء وضع البرنامج •

■ ابو سيف يوسف :

متفقون • ولكن اذا سمحتم لى باستكمال ملاحظاتى :

فالملحوظة السادسة هى أنه فى ظـروف الانفتاح لابد من التأكيد فى البرنامج على حماية الصناعة الوطنية •

والملحوظة السابعة هى أننى اتفق مع ما قاله محمد سيد أحمد عن المعارك الخاصة برأس المال العربى ، وأضيف أن معركة رؤوس الاموال العربية يجب أن ترتبط أيضا بمعركة أشمل ــ وعملية أيضا ــ وأعنى بها المعركة التى تتصدى لها الجزائر ، والخاصة بالدفاع عن حق شعوب العالم الثالث فى السيطرة على ثرواتها الطبيعية وما تملكه من مواد أولية ، وحقها فى أن تحدد لهذه المواد أسعارا مجزية وذلك فى مواجهة الاحتكارات الدولية ، كل ذلك من أجل اقامة علاقات اقتصادية جديدة على المستوى العالمى •

بعد هذه الملاحظات أنتقل الى الكلام فى البرنامج ، وارجو أن اقدم فى هذا ما اعتبره مجرد مفاتيح عامة تحكم وضع البرنامج • وقبل ذلك ابدأ بأن أطرح سؤالين عن مشروع برنامج المستقبل :

السؤال الاول برنامج المستقبل : هل هو عمل مشروع فى هذه الندوة ، هل هو عمل طموح ، أو فيه ادعاء من جانب الندوة ؟ ان هذه الندوة تمثل جزءا صغيرا من القوى الوطنية والتقدمية ، ولكن ــ مع ذلك ــ ليس من الخطأ أن نطرح بعض التصورات والمفاتيح الرئيسية طالما أن الندوة تصدت بالتقييم لتجربة ثورة ٢٣ يـوليو فى ١٨ عاما ، وطالما اننا نطرح قضايا فلابد اننا نجيب عليها •

والسؤال الثانى : ما هى المحاذير التى يجب أن نضعها أمامنا ونحن نقوم بمحاولة وضع مثل هذا البرنامج ؟ هناك ثلاثة أنواع مـن المحاذير . . الاول : هو الفرق فى تفصيلات يمكن أن تكون عائقا فى سبيل تكوين أوسع وحدة فكرية حول البرنامج تحجب رؤية الاهداف الرئيسية .. **والمحذور الثانى** : ان نضـع برنامجا يقفز قفزا على المرحلة الحالية من تطورنا الاقتصادى والاجتماعى والسياسى وفى هذا المجال أفتح قوسين وأسجل معارضتى لكلام الدكتور مراد حول الرأسمالية الوطنية • فاغفالها فى هذه المرحلة لا يمكن أن يكون مفيدا لتكوين أوسع جبهة معـادية لـلامبريالية والاستعمار الجديد .. **والمحذور الثالث** : أن تكون الخطوط الرئيسية فى هذا البـرنامج مقطوعة الصلة بحركة المجتمع خلال العشرين عاما الماضية • وهذه هى الفكرة التى أشار اليها الاستاذ خالد محيى الدين وبوجه خاص يجب أن نحذر من أن يكون هذا البرنامج مقطوع الصلة بجوانب التقدم الذى حققته ثورة يوليو على الجبهات الوطنية والاجتمـاعية والسياسية والاقتصادية والثقافية •

■ د. لطيفة الزيات :

مقطوع الصلة يعنى ايه ؟

■ ابو سيف يوسف :

يعنى أن البرنامج لابد أن يدخل فى اعتباره ما تم من بناء •

وسأتناول كل نقطة على حدة :

فيما يتعلق بالنقطة الاولى والثانية ، أعتقد أنه لابد من التمسك بشعار بناء مجتمـع اشتراكى تمسكا ثابتا بمعنى أنه يجب ألا تتوقف عمليات الدعاية والتثقيف حول هذا الشعار • لكن يجب أن يكون واضحا ــ فى الوقت نفسه ــ أن بناء مجتمع اشتراكى هو هدف استراتيجى أى بعيد نسبيا ، واننا لسنا الان بصدد تطبيق الاشتراكية فى هذه المرحلة من مراحل نضالنا وذلك لسبب بسيط هو أن تطبيق الاشتراكية فورا من الناحية الاقتصادية يفترض أن هناك قاعدة مادية قائمة بالفعل للاقتصاد تحقـق الوفرة فى الانتاج المادى ، وان هذه القاعدة مستقرة على الملكية العامة لوسائل الانتاج الرئيسية ، وانها مستقرة على مبدأ التخطيط المركزى ــ وهذا لم يتحقق حتى الان ــ وأن

الدولة من الناحية السياسية هي جهاز في أيدي الطبقات العاملة والشعبية وهذا لم يحدث حتى الان • فهذه الامور لم تتحقق بعد وعلى هذا الاساس من الصعوبة بمكان أن نطرح شعارات لتطبيق الاشتراكية •

وفيما يتعلق بالنقطة الثالثة ، والخاصة بالتمسك بمنجزات ثورة يوليو على المستويات الوطنية والاجتماعية ، فان هذا ما يفترضه ألف باء العمل السياسي • لان هذه المنجزات هي في جوهرها ثمرة الجهد الكلي والنضال الحقيقي للشعب .. هي ثمرة تضحيات لا أول لها ولا آخر لها لاجيال عديدة من المواطنين • ولا يمكن أن تبنى على فراغ . وكل الثورات الاشتراكية العظيمة التي نجحت ادخلت في نسيج بنيانها الجديد كل ما هو صالح ومتقدم من نتاج المجتمعات السابقة عليها ••

وعلى أساس ما تقدم ، فان محور أي برنامج مرحلي لقوى التقدم يجب أن يكون بمثابة عملية مترابطة : أحد وجهيها التحرر والوجه الاخر التنمية الاقتصادية والاجتماعية المستقلة من أجل كسر طوق التخلف •

فيما يتعلق بالتحرر ، فهو يعني أولا تحرير الارض المحتلة • ولكي يتم هذا التحرير بالكيفية التي تخدم قيام تنمية اقتصادية مستقلة تفتح طريق التقدم نحو الاشتراكية وتستجيب لمصالح الطبقات الشعبية ، فلابد أن يوضع شعار تحرير الارض في بعديه العربي والدولي أي يجب أن تتم عملية التحرير خلال أوثق تضامن عربي في جميع المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية • وهنا تدخل قضية فلسطين باعتبارها العامل الذي يبلور ويستقطب جهد حركة التحرر الوطني العربية • وتحرير الارض بهذا المضمون هو عملية تقدمية تتم في مواجهة الامبريالية والاستعمار الجديد والصهيونية •. وحتى تنجح هذه العملية ، وتحقق أهدافها لمصلحة الشعوب العربية والاستقلال والوحدة والتقدم ، لابد أيضا وأن تطرح في بعدها الدولي وهذا ما يتطلب أقصى التضامن مع بلدان المعسكر الاشتراكي ، وفي مقدمتها الاتحاد السوفييتي ، ومع بلدان عدم الانحياز ، وفي مقدمتها يوغسلافيا والهند •

على أن قضية التحرير ، يجب أن تكون زاوية الرؤية ، والمنطلق الاساسي الذي يجب أن يحكم مجمل النشاط السياسي والاقتصادي في البلاد ، وبهذا المعنى ، وعندما نناضل لتحرير الارض ، يجب أن نضع في اذهاننا أن الحروب والمعارك التي فرضت على ثورة يوليو انما قد فرضتها قوى الاستعمار الجديد لمنع بلادنا من أن تسير في طريق البناء الاقتصادي والعلمي والحضاري المستقل •

من هنا ، فان معركة التنمية المستقلة تتم بالتحديد في مواجهة مؤامرات الاستعمار الجديد واحتكاراته الدولية للسيطرة على اقتصادنا وهي الوجه الاخر الذي لا يمكن فصله عن معركة التحرير •

فاذا أخذنا في اعتبارنا ان برنامج التحرير والتنمية لا يمكن أن يتحقق الا من خلال العمل الواعي والاختياري لاوسع الجماهير ، فسوف نرى أن الاداة والوسيلة الى ذلك هي أوسع الحريات الديموقراطية للطبقات الشعبية والوطنية صاحبة المصلحة في ذلك • ونعني بذلك حرية الصحافة والاجتماع والتنظيم السياسي والنقابي ، كل ذلك بما يمكن الفلاحين والعمال والمثقفين والحرفيين وكل الطبقات الوطنية من أن تعبر عن وزنها الحقيقي في المجتمع ، وتشارك في صنع القرارات ، أي في ادارة الدولة •.

وهذه الحريات السياسية ، لاوسع الجماهير ، لا تنفصل عما اصطلحنا عن تسميته في الميثاق بالديموقراطية الاجتماعية أو الاقتصادية ، ومضمونها اعطاء الفلاحين والعمال والمثقفين والحرفيين عموما نصيبهم العادل من الناتج القومي •.

ويتطلب هذا ، تحقيق شروط أساسية في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، على الجبهة الاقتصادية ، في مقدمتها :

١ — الدفاع عن القطاع العام ضد محاولات التصفية والتطويق وتحويله الى ذيل للقطاع الخاص ، وتوسيع قاعدته • ويتم هذا بترشيده وتحقيق ادارة ديموقراطية في داخله تعطى العاملين فعلا حق الادارة والرقابة والاشراف في نطاق الخطة وفي مواجهة البيروقراطية ، في داخله ، وفي مواجهة الرأسمالية الطفيلية في خارجه •

٢ — المضي في استكمال قاعدة الصناعات الثقيلة •

٣ ـ نشر الملكية التعاونية الانتاجية فى الريف لتكون الشكل الرئيسى من أشكال الملكية هناك .

٤ ـ تأكيد سيطرة الدولة على قطاع التجارة الخارجية ، ورفض كل اجراء يضعف قبضة الدولة على هذا القطاع .

٥ ـ توسيع قطاع الدولة فى التجارة الداخلية .

وهذه الاجراءات يرتبط تحقيقها ـ فقط ـ بتصفية جميع الانشطة الطفيلية فى الحياة الاقتصادية .

على الجبهة الاجتماعية والثقافية تبرز ثلاث قضايا ، لا يمكن بدون حلها ، ان تقوم حياة سياسية ديموقراطية حقة ، ولا يمكن بدونها أن نحافظ على التنمية الوطنية المستقلة ، وأن نطورها :

القضية الاولى : هى قضية تصفية الامية .

القضية الثانية : تحديث نظم التعليم فى جميع مراحله ، بما يلائم متطلبات الثورة العلمية ، وبما يقيم نظاما ديموقراطيا للتعليم ، يدعم مجانية التعليم ، ويحقق مصالح المعلمين والاساتذة والطلاب .

القضة الثالثة : نشر الثقافة الديموقراطية ، العلمية والفنية فى صفوف الشعب وربطها ربطا محكما بعملية احياء التراث القومى التقدمى ، ونقل وترجمة الثقافات الاجنبية ذات المضمون الانسانى والتقدمى العام .

هذه هى ـ بشكل عام ـ المفاتيح أو الخطوط العامة لمشروع برنامج المستقبل .. وهى لا تختلف عن مشروع البرنامج المقدم من لطفى وان كانت أكثر عمومية .

■ د. لطيفة الزيات :

فى الواقع انا غير قادرة على أن أقول : هل أتبنى البرنامج الذى قدمه الاستاذ لطفى الخولى أم لا أتبناه لانى كنت أرجو أن يتاح لى فرصة دراسته دراسة متأنية ، لان وضع برنامج مسألة خطوة ، وخاصة ـ كما قال أبو سيف ـ اننا مجموعة محدودة ، او جزءا من القوى الوطنية والتقدمية لا نمثل كل الناس . وكل واحد منا يمكن يختلف عن الاخر ببعض الاختلاف .

بعد هذا أؤكد على اهمية بعض النقاط التى أثيرت :

أولا : عملية التقييم التى قام بها الاستاذ خالد محيى الدين أرجو من الندوة أن تتبناها كخلاصة لفتح ملف التجربة الناصرية .

ثانيا : انضم الى احمد عباس صالح وخالد محيى الدين ومحمد سيد أحمد فى مطالبتهم بأن يتضمن البرنامج توصيفا كاملا اقتصاديا وسياسيا ، ليكون هذا البرنامج منطلقا فعليا من ماضى التجربة وحاضرها . هنا لابد من الاشارة الى المخاطر السياسية التى تتعرض لها المنطقة ، والتى أشار اليها محمد سيد أحمد ، ونوعية النضال المطلوب من حيث أن ما هو مطلوب لا يتوقف عند تحرير الارض بل ودفع مخاطر وقوع الاقتصاد القومى فى التبعية .

ثالثا : النقطة التى لا أوافق عليها فى البرنامج المقدم من لطفى الخولى هو أنه اقتصر على ذكر الرأسمالية الطفيلية وأغفل ذكر الراسمالية الكبيرة .

■ لطفى الخولى :

هذا على اعتبار أنها قائمة وموجودة ، ولها نفس مخاطر الراسمالية الكبيرة . على العموم لم يأت لها ذكر فى البرنامج .

■ د. لطيفة الزيات :

نعم .. لم يأت لها ذكر . وألاحظ أننا سواء بوعى ، أو على غير وعى ، نتحاشى مواجهتها . لانه اذا سألنا عن النظام الاقتصادى الذى نحن مستعدون للدفاع عنه ، هل هو نظام حر ، أى اقتصاد ليبرالى الى آخر مداه ، أم هو ـ كما ذكر الأستاذ خالد ـ فى حدود الدائرة التى كانت تدور فيها ثورة ٢٣ يوليو .

كذلك نحن نتحاشى ذكر الاحزاب . وهنا أؤكد على انها الاحزاب الوطنية الديموقراطية .

بعد هذا نظل غير متفقين على تحديد القوى الوطنية التقدمية فى هذه المرحلة . وهذا أمر أساسى للاتفاق على برنامج .

■ لطفى الخولى :

عفوا .. أستطيع أن أزعم أن مشروع البرنامج المقدم يحدد هذه الامور ..

■ د. لطيفة الزيات :

مع ذلك ... فالاتفاق في الندوة ليس كاملا ..

■ خالد محيي الدين :

على العكس ، أرى أن لطفي قدم برنامجا عاما للدراسة . ولكن – من ناحيتي – أحببت أن أضيف نقاطا محددة – فعلا – في الناحية الاقتصادية حتى تخرج مصر من أزمتها ، وحتى يكون اليسار قد ساهم – من منطلقاته هو – في الخروج من الازمة . يعني طالبت اليسار بأن يقدم بديلا لما هو مطروح .

وبالنسبة للرأسمالية الكبيرة ، فالواضح أنه تتكون الان في مصر رأسمالية كبيرة تسعى الى الارتباط بالشركات الكبرى في العالم .

خلاصة كلامي ، أن نقطة البداية في البرنامج تنطلق من تقييم تجربة يوليو وتطويرها وعندما نمضي فيه ، لابد من أن نواجه ما هو مطروح على أرض الواقع السياسي .. المنابر .. الانفتاح . الخ .

■ د. لطيفة الزيات :

تحدثت عن البديل ، وأنا أتمسك بهذا ، لأني أعتبر أن مهمة كبيرة من المهام التي تقع على عاتق القوى الوطنية أن تدافع عن الاستقلال الاقتصادي للبلد في مواجهة رأسمالية طفيلية أو يمين متخلف يحاول أن يستدرج فئات أخرى من الرأسمالية الى مواقعه ، وبذلك يدفع الصراع الاجتماعي الى تأزم شديد . كما أن هذه الفئات الطفيلية تصل في عملية الانفتاح الى قمة التطرف . انها تريد انفتاحا بشروطها هي وعلى حساب المجموعة العريضة من الشعب . هذا اليمين المتخلف يغمض عينه عن حقيقة كبيرة وقائمة ، وهي حقيقة وجدت في مصر لأول مرة ، ولم يسبق لها مثيل ، وهي تتمثل في وجود قاعدة عريضة من الناس تربط حياتها بطريق التنمية وبطريق الاشتراكية ، وليس لها مخرج فعلي – على المدى الطويل – سوى هذا . وسيزداد كفاحها في هذا الاتجاه كلما اشتدت الازمة الاقتصادية . وهذا هو الموقف المحتدم . طبعا ، قد يقال ، أنه لابد من أن اجذب الى الجبهة كل مايمكن جذبه من القوى الوطنية . ولكن يجب أن نعرف أيضا القوى الاجتماعية التي انفصلت بمصالحها عن مصالح الشعب المصري . ومن هنا ، وعلى ضوء هذا ، يتعين على اليسار أن يكون ايجابيا ومبادرا وفاعلا ، ولا تكون شعاراته مجرد رد فعل . واذا كانت شرائح من البورجوازية مضللة ، فنحن لا نستطيع أن ننتظر ونتوقف ولابد أن نعمل بالقوى المتاحة الى أن يتغير الموقف وتتبين هذه الشرائح خطأ موقفها .

■ لطفي الخولي :

اعتقد أن العرض الذي تقدمت به واضح . وأنتهز الفرصة لارحب بالاستاذ سيد يسن رئيس وحدة البحوث الاجتماعية بمركز الدراسات الاستراتيجية والسياسية بمؤسسة الاهرام . ويسعدنا أن يشترك معنا في هذه الجلسة ، وكان من المفروض أن يشارك في أعمال الندوة ، لولا أن أعمالا أخرى قد حالت بينه وبين الندوة .

■ سيد يسن :

في الحقيقة عندي أربع نقاط محددة أريد أن أتكلم فيها :

النقطة الاولى : متعلقة بتوصيف البرنامج على اعتبار أنه يعبر عن مجموع القوى التقدمية والوطنية . وأعتقد أن البرنامج يعطي لنفسه اكثر من الواقع ، لانه اذا كان هذا صحيحا ، فمعناه انه محصلة مناقشات واسعة وعريضة مع ممثلي هذه القوى وهذا لم يتم في تصوري . أو ليس عندي – على الاقل – معلومات .. انما في تصوري أن البرنامج مقدم من هذه الندوة ، أو من لطفي الخولي أساسا .

■ لطفي الخولي :

لا .. هو من الندوة . هذا هو الواقع .

■ سيد يسن :

وبالتالي ، لا أعتقد أنه يمكن توصيفه ، بأنه يعبر عن فكر مجموع القوى الوطنية والتقدمية ، وقد تبدو هذه مسألة شكلية ، ولكنها هامة جدا في وضع حدود هذا البرنامج .

النقطة الثانية : وكان قد أشار اليها الاستاذ خالد محيي الدين ، وهي نقطة مهمة جدا : ما هي علاقة البرنامج بما هو مطروح حاليا في الساحة ؟ ! يعني من الخطورة أن يصاغ برنامج ليس له علاقة بما هو موجود مسألة

سهلة ، انما قيمتها قد تكون قليلة · والمطلوب مناقشة نقدية للمطروح فى الساحة المصرية حاليا ، اقتصاديا وسياسيا . هذه المناقشة النقدية قد تؤدى الى رفض بعض السياسات ، أو الى تبول سياسات أخرى ، أو الى تعديل مقترح لسياسات ثانية ··

النقطة الثالثة : منهاجية وتتعلق بالمنهج ·· كيف يمكن وضع برنامج ؟ وهذه النقطة ايضا ، ربما اشار اليها بعض الزملاء .. هل يمكن وضع برنامج من هذا النوع بدون دراسات تفصيلية سابقة ؟ يعنى أى تعميمات على الجانب الاقتصادى كيف يمكن أن تكون بدون أن توضع ــ مسبقا ــ ورقة اقتصادية متخصصة ؟ وهناك تعميمات عن الجانب السياسى · ولكن كيف يمكن أن تكون ، دون ورقة تفصيلية متخصصة فى هذا المجال ؟

طبعا فى البرنامج كأى برنامج قد يرد على ذلك أن الاهداف العامة يمكن يتفق عليها بدون هذه الاوراق المتخصصة . ولكن عندما ننتقل من التعميم الى التخصيص ، فلن يكون هناك مجال للكلام عن تحديدات صارمة مثلا ·· تحديد الملكية الزراعيــة ، أو اقتراح ــ عن تحديد ــ الاجــور ، او اى اقتــراحات اخــرى محددة ، لن تكون ممكنة بدون دراسـات اقتصادية سابقة ، والا ستبقى المسألة ــ هنا ــ صياغة مكتبية ليس لها أساس فى الواقـع الاقتصادى ·

النقطة الرابعة : هذه متعلقة أيضا بما أشار اليه الاستاذ خالد محيى الدين · وهى مسألة مهمة جدا · ما هو البديل الذى يطرحه اليسار فى هذه الحالة ؟ ايه هو ؟ يعنى هنا المسألة لن تكون مجرد رفض بعض المواقف أو نقدها · هذا لا يكفى ·· انما هل هناك سياسة مقترحة أم لا ؟ هنا سنكتشف ايضا ان السياسة المقترحة ، فى المجال الاقتصادى ، أو الاجتمــاعى ، أو السياسى ، لابد وأن تبنى على دراسـات حقيقية ·

ان مشكلتنا فى مصر هى فيما يمكن أن نسميه بالنقد الاجتماعى ــ بوجه عام ــ وهذا النوع من النقد يكاد أن يكون نقدا أيديولوجيا لا نقدا علميا · واقصد بأيديولوجى هنا نوعا من الجدل بين الاطراف ، انما لا يستند الى دراسة الواقع المحسوس دراسة حقيقية ، يعنى : نتكلم عن البرجوازية .. والراسمالية الطفيلية .. والراسمالية الـكبيرة . وعن البرجــوازية الصغيرة ·· هذا الكلام كله ليس محــددا علميا · وحتى عندما نتكلم عن اليمين والوسط ·· الجناح الليبرالى · فان السؤال هو : ما مدى تمثيل بعض الكتاب لقـوى اجتماعية حقيقية ·· هل أى كاتب يكتب مقالة فى الصحيفة أو فى المجلة اقول ان هذا ليبرالى أو يمينى او رجعى ؟ ما مدى تمثيله لقوى اجتماعية محسوسة ·· يعنى ما صحة ربط الناس الذين يعبرون بشكل أو بآخر · (وقد يكون تعبيرهم الشخصى منفصلا عن قـوى اجتماعية حقيقية) · نحن نميل ــ فى الحقيقة ــ الى تضخيم آثار بعض الكتابات لاننا لا نملك الخريطة الطبقية الحقيقية للمجتمع المصرى · شىء مؤسف ، ولكن هذا واقع . ليست هناك دراسات حقيقية عن تكوين الطبقات الاجتماعية فى القطاع المصرى ، وعن التغيرات التى لحقت بها خلال الفترة الماضية ، وعن نشوء بعض الشرائح الجديدة او الطبقات الجديدة فى غيبة هذه الخريطة المتكاملة · وينبغى ــ وهذا جزء أساسى من مهام اليسار اذا كان يريد أن يمارس نقده الاجتماعى بشكل فعال وعلمى ــ أقول ان هذا جزء أساسى من مهمته ، ان يحاول أن يحدد هذه الخريطة الطبقية ، حتى اذا اراد انه يعمم أى تعميم ، أو ينقد نقدا معينا يكون هذا على أساس علمى سليم .

وهذا عيب جوهرى فى حركتنا الثقافية ــ بوجه عام ــ سواء عند اليمين أو اليسار · حتى اليمينى عندما ينتقد أو يهاجم ليس لـديه البيانات العلمية الواقعية · فهذا جانب سلبى متعلق بالثقافة المصرية فى مرحلتها الاخيرة · أنها عبارة عن مجادلات ايديولوجية تفتقر الى تحليل علمى دقيق للواقع · فأنا ما أدعو اليه فى الواقع هو اقتراحات محددة · ان مهمة اليسار ــ فى الواقع ــ يجب أن تكون محاولة الاقتراب من الواقع المصرى بطريقة علمية دقيقة ، كأساس لاى برنامج أو سياسات · وبالتالى ، أعتقد ان تقديم ، أو اقتراح برنامج ــ فى هذه المرحلة ــ قبل توفر هذه القاعدة الاساسية قد يكون عملا سابقا لاوانه · وشكرا ·

■ **خالد محيى الدين :**

فى كلام الاستاذ سـيد يسن جانب صحيح ، هذا لو كان البرنامج المطلوب هو بـرنامج حزب · لكن وضع « برنامج لحـزب » ليس مطلوبا من الندوة . والمطلوب هو . تصور

للمستقبل » • فلو استخدمنا هذه العبارة لكانت أدق وأكثر انطباقا على ما نقدمه فى هذه الجلسة •

فاذا قلنا « تصور للمستقبل » فهنا ، سوف نرى أن مواجهة المستقبل تفرض نفسها ، بحيث لا نقف عند الخطوط العامة التى ذكرها لطفى الخولى • وهذه القضية أعود لالح عليها مرة أخرى ، لانه ، اذا ذكرنا فى البرنامج أو فى تصورنا للمستقبل شيئا عن قضية الديموقراطية ، فلابد ان نبين أى نوع من الديموقراطية ، لمن ؟ ولاى القوى والاحزاب • كذلك الامر — مثلا — فيما يتعلق بمسألة الانفتاح الاقتصادى • فاعتقادى أن اليسار قدم ، فى خلال الشهور الاربعة أو الخمسة الماضية ، آراء عن السياسة الاقتصادية • وقد تم تقديمها فى عهد وزارة د • عبد العزيز حجازى • وكان لليسار تحفظاته على ما قامت به حكومة د • حجازى من اجراءات تتعلق بالانفتاح ،وذلك على الرغم من أن سياسة د • حجازى فى الانفتاح لم تعد هى نفسها مقبولة الان.وأوضح اليسار أن الانفتاح يتطلب استعدادات خاصة — لابد من توافرها — لحماية الاقتصاد القومى • كما قال اليسار رأيه فى رأس المال الاجنبى • واثبت تطور الاحداث واثبتت التجربة صحة رأى اليسار بدليل أن الحكومة تسعى منذ سنة — مثلا — الى تخفيض الاسعار والى تقليل الفروق بين الدخول •

لكن أعود فأقول أن السياسة الاقتصادية التى تصر عليها الحكومة تعود ، مرة أخرى ، لتعمق الفروق ، وترفع الاسعار ، أكثر فأكثر • والسبب ، هو أن سياستها الاقتصادية تؤدى الى فتح الباب أمام شرائح من القطاع الخاص هى تضخمية بطبيعتها ، لانها تعمل فى الخدمات والسياحة والوكالات التجارية •• الخ • وهذا كله يخلق قوى شرائية لا يقابلها انتاج • هى حالة من التضخم المستمر ، والنمو فى الثروات لا يقابلها انتاج • اليسار قدم وجهة نظر مقابلة ، وأضرب مثلا لذلك ما كتب فى « الطليعة » طوال الخمسة شهور الماضية ، سواء عندما ناقشت السياسة الاقتصادية لوزارة د • حجازى أو عندما ناقشت السياسة الاقتصادية لوزارة ممدوح سالم • فهناك بديل لهذه السياسة • ونحن — كما قلت أكثر من مرة — لا نرفض الانفتاح ، ولا نرفض رأس المال الاجنبى ، لاننا نعلم أن مصر تواجه أزمة • ولكننا نقدم حلولا تحافظ على الهياكل الرئيسية للاقتصاد الوطنى •

خلاصة كلامى ، هو أن ما نقدمه ، وما هو مطلوب هنا ليس برنامجا بالمعنى الدقيق ، بل على الاصح سياسة اقتصادية بديلة تؤدى الى اخراج مصر من الازمة • وفى هذه الحالة ، فانى أرى أن ما كتبته الطليعة ، وما قلناه ، نحن فى جلسات هذه الندوة ، يمكن أن يوصلنا الى هذا •

أما القضايا الاخرى ، فتحتاج الى دراسات طويلة مثلا : ما هو اليمين الليبرالى ؟ وما هو الوسط واليسار الليبرالى ؟ فنحن نحتاج فى هذه القضايا الى تحديد وجهد فى الدراسة •

■ لطفى الخولى :

لو سمحتم •• لى ملاحظة على المنهج الذى طرحه الاستاذ سيد يسن ، القول بأنه لا يوجد فى مصر دراسات علمية بالمرة ، فى هذا القول مغالاة • هناك دراسات قائمة بالفعل منذ سنوات طويلة • وهى ليست الدراسات التى قامت بها **الطليعة** — فحسب — وانما ايضا دراسات على المستوى الاكاديمى قام بها عدد كبير من الدارسين فى جميع المجالات الاقتصادية والاجتماعية ، ومنهم مفكرون اشتراكيون • وفى العادة ، فان الفعل النضالى — أو النشاط العملى هو — باستمرار — أسرع فى حركته من العمل الفكرى • وبالتالى ليس مطلوبا أن يتأخر الفعل أو النشاط أو الممارسة عن الدراسة • هذه نقطة •••

النقطة الثانية : أن ما طرحناه ، أو ما تصورناه من برنامج .. أو تصور للمستقبل .. أو .. أو •• الخ سمه ما شئت — وقد تكون كلمة « برنامج » أوسع فعلا مما يتطلبه الامر • لكن هى كلمة ذات مدلول . يعنى ان هذه خطوط عامة • لكننا لسنا حزبا ولا تنظيما • نحن ندوة ، تطرح فيها آراء مختلفة ، وتظهر فيها اتجاهات مختلفة • وقد التزمت ، فى مناقشاتها ، ببرنامج عمل ، وبجدول اعمال ، قلنا انه لابد ان ينتهى بتصور اتجاهات العمل للقوى الوطنية التقدمية ، أو لليسار بشكل عام ، حول المستقبل . ولذلك ، انا لا اعتقد أن هذا طموح من جانبنا ، وانما هذا تنفيذ لما اتفقنا عليه . ثم اننا — فى الحقيقة — نريد أن نقدم الى القراء والاصدقاء والى المجتمع المصرى ، مجرد تصور مطروح للمناقشة ، لا أكثر ولا اقل • وهذا مايعطى نتيجة ايجابية لهذه الندوة •

النقطة الثالثة : هى انه فى المشروع المقدم ليس هناك تجاهل للواقع القائم ، لانه لا نستطيع حتى لو أردنا ان نتجاهل هذا الواقع القائم ٠٠ لكن البرنامج مصاغ بصورة الفعل ، لا بصورة رد الفعل ٠ وقدم البرنامج عدة اقتراحات قد تكون صحيحة ، وقد تكون خاطئة ٠ لكن هناك بعض الاجتهادات فى هذا المجال .. وهذه الاجتهادات ــ هى أيضا ــ ليست جديدة ٠ لان النقاش حول التجربة ، وحول ما فيها من ايجابيات ومن سلبيات ، وحول استمرارها أو عدم استمرارها ، أو الردة عنها ٠٠ هذا كله نتاج مناقشات واسعة وعميقة وتحــركات وممارسات ليست بنت الساعة ، وانما من بدء هذه التجربة . وعبر مسارها الاجتماعى المتقدم منذ ١٩٦١ . فنحن ، فى الحقيقة ، لا ننطلق من فراغ ، وانما نحن ننطلق من أرضــــية ومن تراكمات فكرية وعملية قائمة فى الساحة ، ونحاول ان نقول رأينا فيها .»

■ **د٠ مراد وهبة :**

لى تعقيب بسيط على كلمة الاستاذ سيد يسن ، فيما يختص بمدى موضوعية ما يدور فى هذه الندوة ، ففى تقديرى أن الموضوعية هنا مرتبطة ، أو منطلقة من نقطتين :

النقطة الاولى : ان الندوة تصدر من مجلة الطليعة ٠

■ **لطفى الخولى :**

مجلة الطليعة والاستاذ توفيق الحكيم ٠٠٠»

■ **د٠ مراد وهبة :**

نعم والاستاذ توفيق الحكيم .. انا سآتى لمسألة الاستاذ توفيق الحكيم فقط اقول ، أولا ، مجلة **الطليعة** ، وهذه مجلة لها أبحاث فى مختلف المجالات المطروحة فى مشروع البرنامج المقدم من الاستاذ لطفى الخولى ٠٠

والنقطة الثانية : ان هذه الندوة منطلقة ابتداء من الكتاب المطروح من استاذنا توفيق الحكيم وهو له كتابات وافكار على مدى فترة زمنية طويلة ٠

■ **لطفى الخولى :**

من ٤٠ سنة ٠٠»

■ **د٠ مراد وهبة :**

نعم ، تبدأ من قبل الثــورة وحتى الان ٠ والشخصيات المشتركة ايضا فى الندوة لها كتابات وافكار ٠

قضية أخرى هى ما لاحظته من ايحاء فى كلمة الاستاذ ســيد يسن تحاول ابراز تعارض بين ما يسمى بالايديولوجيا وبين ما يسمى بالعلم . وفى تقديرى ان هذه مسألة قد توحى بمواكبة تيار نشأ فى الستينيات ، فى الولايات المتحدة الامريكية ، وهو تيار يســـمى بأفكار الايديولوجيات ، والاكتفاء بالعلم والتكنولوجيا كوسائل للتطور الاجتماعى ٠

■ **محمد سيد احمد :**

أحب أن ابلور بعض النقــاط التى طرحتهــا داخل البرنامج ، وذلك على النحو التالى :

١ ــ يكتسب النضال من أجل الوحدة العربية بعدا جديدا أكثر تكثيفا فى المرحلة القادمة ٠ وفى ظل انزواء الاستقطاب بين دول عربية تقدمية ، وبين دول عربية محافظة ، ينبغى ان تتأكد مطالب القوى التقدمية والتحررية العربية ككتلة تزداد تراصا بوجه القوى المحافظة ، أو القوى الرأسمالية الكبيرة ذات الوظيفــة الطفيلية ، التى تجهد قوة العالم العــربى الاقتصادى والسياسى الجديدة ، وتعــارض توظيف هذه القدرات الجديدة لصالح الشعوب العربية ولصالح تنمية الوطن العربى ٠ ٠ لم يعد جائزا فى اطار الجهود المبذولة الان من أجل التوصل الى تسوية لازمة الشرق الاوسط ، ان يقتصر موقف قوى التحرر العربية مــن اسرائيل على انها كيان متجانس ، ولا تواصل هذه القوى نضالها الى داخل مؤسســـات اسرائيل ، وشرائح المجتمع الاسرائيلى ، وذلك من أجل عزل أكثر اتجاهاتها عدوانية ، ومن أجل أجهاض خطط الاســتعمار الجديد التى ترشح لاسرائيل دورا داخل المنطقة بعد التسوية ٠٠ وفى هذا الوقت الذى اصبح فيه شائعا اجراء تمييز بين الاتجاهات المتعنتة فى اسرائيل والرافضة للتسوية اصلا [ما يسمى بالصقور] وبين تلك التى تحبذ هذه التسوية [ما تسمى بالحمائم] استجــابة لمخططــات الاستعمار الجديد ، اذن يتحتم على قــوى التحرير العربية أن تميز ــ هى ايضا ــ بين القوى داخل المجتمع الاسرائيلى التى تخدم مخططات الاستعمار عموما ، سواء كان ذلك مخططات الاستعمار القديم ، أو مخططات

الاستعمار الجديد ؟ وبين تلك التى ينبغى حثها على الاضطلاع بدور اكثر بروزا لافساد المخطط الاستعمارى ، واقامة السلام فى المنطقة على اساس يخدم مصالح كل شعوبها دون استثناء .

■ **احمد عباس صالح :**

لى تعقيب على الاستاذ سيد يسن :

فى الواقع ، بعد الملاحظات التى قيلت ، لا توجد اضافة جديدة ، لان هذه الندوة تضم مجموعة من الكتاب يناقشون الملاحظات التى قدمها الاستاذ توفيق الحكيم ، باعتباره كاتبا ، وفى اطار رسالة الكاتب . مع ملاحظة ، ان الندوة ليست جهازا سياسيا ، يستوعب النشاط السياسى والفكرى للمشتركين فيها ، فنحن نناقش ما طرحه الاستاذ توفيق الحكيم من قضايا ، فى حدود معينة ومعروفة .

.. ايضا انا مع الاستاذ لطفى فى ان هناك شيئا من المبالغة فى مسالة الاوراق العلمية والتحليل ، لان هذه القضايا ، بحثت فى الواقع ، واثيرت فى اكثر من مجال ، وطوال السنوات الماضية . وربماكان ينقصها شىء من التنظيم والتحديد . لكن هذا لا يمنع ان الفكرة التى تصدر عن هذه الارضية تكون قريبة من العلم الموضوعى والحقيقة الموضوعية .

واضيف ايضا بعض نقاط الى التصور المطروح . المفروض ان هذا التصور سيصبح تصور الندوة – ككل – بعد المناقشات ، وبعد استخلاص النتائج .. الحقيقة أن هذا التصور كتب على صورة البرنامج . ويمكن هذا هو الذى نبه الاستاذ سيد يسن ، ودعاه الى نقده كبرنامج .

أقول : هناك نقاط محددة فى الوضع الحالى : مثلا مشكلة القطاع العام هى من المشكلات المثارة فى الصحف يوميا ، وتتخذ فيها قرارات ومواقف فعلية ، مثل طرح اسهم بعض الشركات . وهناك محاولات لتقليص حجم القطاع العام لحساب القطاع الخاص . واشير هنا بوجه خاص الى التحقيقات التى تنشر فى الاهرام هذه الايام .

لذلك اقترح على الندوة ، واختلف هنا مع الاخ أبو سيف فى رفضه للتفصيلات ان نحاول وضع نقاط محددة يتضمنها تصورنا بعد هذه المناقشات .

باختصار : هناك وقائع تحدث ويتصرف فيها . هذه الوقائع بعد مدارستنا لها ، ومنطلقين من تجربة الـ ١٨ سنة ، يجب أن نبدى فيها رايا محددا فى هذا الجانب .. هو كذا .. صورة القطاع تبقى كذا ، صورة الاحزاب تبقى كذا .. التعبير الديموقراطى يبقى بالتحديد كذا .. قضية التعليم المطروحة حاليا كذا .. ثم المطروح من الجانب الاخر ، من قوى نسميها يمينية او غيره . فهذه قضايا محددة نرى – نحن – ككتاب وكمفكرين .. وعلى مسئوليتنا الشخصية . انه لابد من وضعها بوضوح أمام جماهيرنا التى تقرأ لنا ، فلابد ان نفعل هذا وبترتيب معين ، شديد الوضوح . لانه عبارة عن استخلاص موضوعى لهذا الجدل ، نطرحه كما لو كنا نطرح مقالا منا فى صحيفةاو مجلة ، ولكنه ليس له اى الزام على اى احد . انما هو مساهمة فى توضيح وتنوير الراى العام وفى تحديد المواقع التى نقف فيها ، ليس اكثر من ذلك . ولذلك اقترح كما قالت الدكتورة لطيفة وضع مقدمة شارحة للظرف الحالى ، وللنتائج المستخلصة من مناقشاتنا ، ثم اثبت فى بنود محددة ومتميزة مواقفنا من القضايا الراهنة فانه –بدون هذا – يظل البرنامج المقدم مجرد صياغة جيدة وورقة من الاوراق الجيدة التى عندنا فى المواثيق ، والتى لم تنفذ ولم يعمل بها رغم أنها كانت صادرة من سلطات .. مهمتنا اذن ، هنا التوضيح بشكل محدد لا أكثر ولا اقل ، وربما اراح الاستاذ سيد يسن ، وخفف من تحفظاته الكثيرة ... وشكرا ..

■ **سيد يسن :**

فى كلمات قصيرة : الدكتور مراد نسب الى اننى قلت أن الندوة لم تكن موضوعية ، ولكن لم أقل أنها غير موضوعية وان كان هو قد دافع دفاعا غريبا جدا عن توفر الموضوعية فى الندوة . قال : ان مجرد انمجلة الطليعةقامت بها ونوعية المشتركين فيها من المفكرين .. الاستاذ توفيق الحكيم بكتاباته السابقة ، كل هذا . يضمن موضوعية الندوة . ومن المؤكدان **الطليعة** نشرت مقالات ودراسات متعددة فيها موضوعية . انما يجوز لى تحفظات على كتاب الاستاذتوفيق الحكيم فى نقده للتجربة الناصرية والتحفظات التى على هذا الكتاب ، هى تحفظات تتعلق ايضا بممارسة القوى الوطنية للنقد الاجتماعى فى مصر . فانها – فى كثير من الاحيان – تفتقر هى لما أسميه الاسلوب العلمى

فى التحليل . يعنى : عندما أقول - مثلا - انه لم يكن هناك ديموقراطية فى مصر ، فى الفترة الماضية ، فان هذا يحتاج الى دراسة عن حجم ونوعية المشاركة السياسية ، دراسة علمية يقوم بها اناس علميون ، وعندما اقيم الوضع الاقتصادى فى الفترة الماضية فلا يكفى أن أقول أنه سلبى او ايجابى بدون دراسة تفصيلية لكل الاوضاع التى كانت موجودة فهذا ما قصدته من مسألة الاسلوب العلمى .

مسألة الايديولوجية والعلم : هذه مسألة معقدة ، وانا عارف طبعا بالقصة الخاصة بالكلام الذى قيل لى فى أمريكا .. الخ .. انما أنا ذكرت كلمة النقاش الايديولوجى بمعنى خاص بكلمة « آيديولوجية » هذا المعنى الذى يتضمن - احيانا - نوعا من تشويه الواقع ، أو نوعا من اسقاط بعض الافكار الخاصة على واقعة ليست موجودة . وربما كان هذا هو الفرق الدقيق بين المعالجة الايديولوجية لمشكلة ما ، وبين المعالجة العلمية لها ..

وربما اختلف انا مع ماقيل عن وجود دراسات قائمة ومتكاملة عن الاوضاع الطبقية ومؤكد ان هناك مقالات متعددة متناثرة كما قال الاخ عباس صالح ، وعلى الرغم من اهميتها ، فهى تظل فى حدود المقالات لاالدراسات ،اى المقالات التى لا ترقى الى مستوى الدراسات العلمية. يعنى هى اجتهادات ممتازة من كتاب افراد يحاولون أن يتصوروا بعض المشكلات الخاصة بالتكوين الطبقى فى مصر ، ولكن هذا الموضوع - بالذات - لا يحله - فى نظرى - الا صيغة فريق العمل أو فريق البحث الذى يحتاج الى ناس اقتصاديين واجتماعيين وسياسيين لانه موضوع معقد جدا تتشابك فيه الجوانب ؟ وبالتالى ، مع احترامنا الشديد لما نشر فى **الطليعة** ، وفى غيرها من جرائد تقدمية ، عن الاوضاع الطبقية ، لا تزال المسألة تحتاج الى جهد علمى مكثف يتسم بترابط العلوم المختلفة وبطريق العمل .

اخيرا ، اضافة صغيرة الى قضية العقل ، العقل يفترض تقييما معينا للواقع ، فاذا لم يكن هذا التقييم مستندا الى اسس موضوعية يصبح العقل غير موجه ،كماينبغى ،يعنى ليس هناك فصل بين الفعل ، وضرورة وجود دراسات وبحوث علمية .

■ **توفيق الحكيم :**

اظن المسألة أتضحت ، واننا موافقون على التعديل الذى حصل ، وهو ان ما عرضه لطفى الخولى ليس برنامجا ، ولكنه تصور . ومعنى انه تصور انه من الممكن ان يكون هناك تصورات اخرى .ويمكن ان نقارن بينها وبين هذا التصور .. وفعلا كما قال الاستاذ يسن ، انه لكى نحكم ، او نصل الى درجة التحديد المنهجى الذى يمكن ان نسميه منهجا ، لابد ان تكون هناك دراسات . . والخطأ الذى يقع فيه الذين قرأوا كتابى ، وقالوا انه هجوم، وانه دراسة وانه نوع من انواع ابداء الرأى المسبق او غير ذلك .. هو انهم لم يدركوا ما قلته فى المقدمة ، من انها انطباعات سريعة كتبت بسرعة على اثر مرور عشرين سنة على ثورة ٢٣ يوليو ، وانتهت او ادت الى هزيمة منكرة فوجئنا بها . فهذا احدث عندى صدمة فكتبت الكتاب على اساس انه صدمة عاطفية لم تكن حتى للنشر فى ذلك الوقت الا فى حدود اصدقاء قليلين ، ولم اتصور انه سينشر على نطاق واسع . مسألة النشر الواسع هذه جاءت غير مخططة عندى . فكانت النتيجة ان النشر احدث صدمة . وهذه الصدمة ، اتضح انها كانت ضرورية لانها - وان كانت غير مقصودة - ادت الى رجة ورغبة فى فتح باب المناقشة ، وادت الى اشياء كثيرة منها اجتماعنا اليوم .

فاذن ، بصرف النظر عن موضوع الكتاب ؟ فان الرجة او الصدمة الكهربائية ادت الى تشغيل العقل المصرى فى هذا الموضوع ، وهو ثورة ٢٣ يوليو : ماذا فعلت ؟ وماذا ادت ؟ وما يمكن ان تؤدى ؟

ولذلك من الخطأ ان يقال اننى قلت كلمتى. ولذلك انا اتذكر اننى قلت : ان هذا ليس حكما ، وليس اتهاما . وانما هو رغبة فى ان اعرف الحقيقة يجب ان نفتح ما فات ، وربما برئت ساحة الكثيرين من هذه النتائج السيئة التى نلصقها بشخص ، ونحن لا نعرف حدود مسئوليته وفعلا لا يمكن ان تؤخذ المسائل بكل بساطة كأن اقول - مثلا - ان هذه الفترة يجب ان تلغى من التاريخ .. او كذا .. انا لم اقل ذلك . ولكن انا تساءلت هل هذه الفترة كانت فترة فى مصلحة التقدم والتطور المصرى ام لا ؟ وانا لا اريد ان اطيل فى هذا ..

فاذن عندما يقال بأن هناك برنامجا او منهجا يعرض ، فاعتقد انه - كما قال لطفى الخولى نفسه - منذ قليل - انه عبارة عن تصور المنهج ، او تصوره لمستقبل البلد ، فى الحدود التى ذكرها ، كرؤوس مسائل . ولو انه دخل

في تفصيلات . وانا ــ ايضا ــ مع من حبذ فحره الحطوط الرييسيه . وترك التفصيلات الى دراسات مستفيضه . لانها محمل احد ورد . وذلك فانا ــ بالتالي ــ لا استطيع ان اتكلم موضوعيا او تفصيليا في هده الاراء التي عرضت لانه ــ كما قيل ايضا ــ كل كلمة فيها من ناحية رؤوس المسائل تحتاج الى دراسه، او تحتاج الى تحديد فانا مثلا عندما اقول كلمة « الانفتاح » . . كلمة الانفتاح هده . لم تحدد . وانا لا اعرف الى اى مدى هذا الانفتاح . ولا اعرف الا ان الراى العام اخذها على انها رد فعل لكلمة « الانغلاق » . ولذلك رحب بها ناس كثيرون على اساس اننا نحن خارجون من انغلاق اقتصادى فعلا تألمنا منه ، كلنا ، وكل الطبقات متألمة . ولا نستطيع ان نعرف اسبابه ، لان هذا ايضا يدخل في باب الدراسة كيف حدث هذا الانغلاق ؟ ولماذا حدث ؟ فكل هذا يتطلب دراسة موضوعية لنعرف ما هذا الذى سمي بالانغلاق . ولكن الاثار موجودة عند كل الطبقات هناك اختناق اقتصادى لاشك فيه .

اذن ، عندما قيل « الانفتـــاح » فان كلمة الانفتاح بدا معناها ــ لغويا ــ جيد جدا ، ومريح جدا ، وممتع . لان اى انفتاح هــو ــ لغويا ــ كلمة طيبة . واى انغلاق هو كلمة بغيضه . فاذن المسألة كلها اصبحت تمنيات، ومشاعر ، وعواطف ، ولكننا لانعرف بالضبط . اقتصاديا ــ ما معنى كلمة الانفتاح وحدودها اللهم الا ما يقال من رجال الاقتصاد بأنه هو السوق الحرة والتعامل الحر ، او النشاط الحر ، او تدفق الاموال الاجنبية تدخل لان نضوب الموارد الداخلية وصل الى درجة ان الثروة الداخلية لا تستطيع ان تعتمد عليها في احداث رخاء .

اذن ، نحن في حاجة الى اقتصاديين من كل نوع ، يشرحون لنا ما هي كلمةالانفتاح وما هي كلمة الرخاء . . كل هذا .

ولكن الذى نستطيع ان نقوله بصفة عامة هو المحاذير فقط . هل الانفتاح سيقتل مواهب محلية وجهودا ، وانشطة محلية كونّاها ، ام انه لن يتعرض لهذا النشـــاط ؟ لانك اذا أتيت برؤوس اموال اجنبية فانها تنشط المواهب المحلية ولا تقتلها ، وهي تنشيط ــ ايضـــا ــ للناحية الاقتصادية ــ مثلا ــ للعمالة نفسها . لكن .. هل الرأسمالية التي تأتي مع الانفتاح هي راسمالية القرن التاسع عشر التي عانينا منها كلنا في القرن العشرين الى منتصفه والى الان في بعض البلاد ؟ ام ان الراسمالية اخذت دروسا وتريد ان تدخـــل بشـــكل غير عفيف وتتيح للنشاط الداخلي ان ينتفع بها دون ان تضره الضرر البليغ . كل هــذه يســـتطيع الاقتصاديون ان يقولوا لنا ما هي الفوائد التي سيجنيها الشعب من هذا الانفتاح وما معناه .

■ **لطفي الخولي :**

هذا لا يمنع ان تقول تصورك . .

■ **توفيق الحكيم :**

آه . . ولــكن ، ايضـــا ، نحن لابــد ان نقول مخاوفنا . لان مخــاوفنا ومحاذيرنا وتصوراتنا للخطر يجب ان تكون موجوده ، والا فما معنى وجود يسار الا ان يقول : والله انا ايضا احتج كذا ، فيرد عليه اقتصادى ، او رجال السلطه ، بأن هذا ايضا كان واردا في البحث ، وندبرناه . اذن المسأله ، من هذا الجانب . لا استطيع الان ان اتكلم فيها قبل ان اعرف هل المحاذير درست ، وهل هناك بدائل اخرى تبعد الاخطار التي تهدد المواهب المحلية ، والنشاط المحلي وتتركه يستمر في انتاجه . . ذلك ان الانغلاق ، وان كان بغيضا الا انه ترك في مجالات كثيرةشيئا من الفوائد. لانك لا تستطيع ــ في الواقع ــ ان تقول ان هناك شيئا سيئا على طول الخط ، او جيد على طول الخط ، حتى المرض تجد ان المريض يقول والله خرجت من تجربة المرض بفائده. فعلى كل حال ، اذن ماذا فعل الانغلاق . الانغلاق في نتيجته النهائية للشعب كله هو انه حصل ضيق وكساد . وحصل ايضا هذا الذى نشعر به جميعا من تدمير لاقتصادياتنا ، ســواء كان تدميرا جزئيا كما يقول بعض الاقتصاديين ، او تدميرا كاملا كما يقول المتطرفون . . كل هذه اشياء ليس مكانها . ولكن الانغلاق ادى الى شيء وهو الاعتماد على النشاط المحلــي ، فتــولدت مواهب محليه في قطــاعات لم يكن المصرى يمارسها . واضطرت مصر ــ في عهد الانغلاق ــ الى ان تستخرج من هؤلاء ، ومن بلدهاالعناصر التيتغنيها عنالنشاط الخارجي، سواء في الصناعة او في جميع النشــاطات الاخرى . فتجد دائما انه تولد نشاط محلي ، يحل محل النشاط الاجنبي . وهذا مكسب . ولكن النتيجة النهائية ، انه حصل نضوب ليس بحكم الانغلاق وحده ولكن بحكم الحروب التي ابتلينا بها .

■ **لطفي الخولي :**

الانغلاق هذا يتطلب مناقشة طويلة لاننا نسأل هل صحيح كان هناك انغلاق ام لا ؟ .

■ توفيق الحكيم :

هذه مسألة اخرى .

■ لطفى الخولى :

لكن لو اذنت لى . . نحن فى الجلسات الماضية ــ كنا نتحدث عن التجربة وانت تلح على ضرورة النظر الى المستقبل ومساراته والى أين . . انا الاحظ فى هذه الجلسة انت تعود بنا الى الماضى . وتصورى ان المطلوب فى هذه الجلسة ــ هو التصور المستقبلى لاننا نختتم الندوة . . فما هو تصور استاذنا توفيق الحكيم للمستقبل ومساراته ؟ وما رأيه فيما طرح من الزملاء جميعا وليس فقط تصوره الخاص . انا موافق ، على انه لا يمكن ان يكون برنامجا . ولكن هو مجرد تصور . طرح من جانبى ، ومن جانب الزملاء المشاركين فى الندوة . ونحن حريصون ايضا على ان يحرج قارىء الندوة بتصور توفيق الحكيم للمستقبل .

■ توفيق الحكيم :

تصور وضع سياسى واقتصادى للمستقبل هذا فى منتهى الصعوبة . لاننا سندخل فى الغيبيات ، وانا لا احب أن اتكلم فى الغيبيات . الغيبيات هو ان تقول سيحدث كذا . وهذا اسلوب غير علمى ، انما الذى يجب ان نقوله : انه حدث ذلك ، وان هذا الذى حدث ادى الى كذا . واذن ، نحن لابد ــ فى المستقبل ــ الا نكرر التجربة الخاطئة فى كذا ،وان نكررها فى التجربة الناجحة كذا . اما ان نقول انه سيحدث كذا فهذا هو النوع الغيبى وهذا ما اخذه على كارل ماركس نفسه فى ان عنده نوع ايجابى ونوع غيبى ، ولذلك اخطأ فى الناحية الغيبية ، هو يقول بأن حتمية الصراع بين كذا وكذا ستؤدى الى كذا ، وانه لابد ان تقوم الاشتراكية فى دولة صناعية كبرى . فكانت النتيجة انها لم تقم فى الدولة الصناعية الكبرى وقامت فى دولة متخلفة . . اذن هذا التنبؤ وهذه الغيبيات عندما يتخذها رجل العلم فانها تؤدى به الى اخطاء كثيرة . ان العلم عندما يبنى على غيبيات ، فانه يأتى بنتائج سيئة جدا حتى فى علم الميكانيكا او العلم المادى عموما . اذا قررت بأنه لن يحدث فى المستقبل ان الخطين المتوازيين يتلاقيان فأن اينشتين سيقول لك : سيتقابلان . . لماذا نحكم فى المستقبل انهما لن يلتقيان ؟

لقد وصل اينشتين الى انهما سيلتقيان وذلك على اساس حسابات جديدة .!

■ لطفى الخولى :

طيب على اساس هذين الخطين هل خطانا سيتقابلان فى المستقبل . .

■ توفيق الحكيم :

أى خطين . .

■ لطفى الخولى :

الخط الذى نمثله ، والخط الذى تمثله .

■ توفيق الحكيم :

سيتقابلان ؟ . لا اعلم . .

■ لطفى الخولى :

اين وفى أى نقطة . .

■ توفيق الحكيم :

اينشتين قال ان الخطين يمكن ان يتقابلا خارج الجاذبية الارضية . هما لا يتقابلان وفق نظريات الهندسة المطبقة الموجودة على سطح الارض بابعاد معينة . . ولكن اذا تخطيت مجال هذه القوانين ــ على الارض ــ فاننا سنتقابل ،ويتقابل اليمين واليسار فى شىء آخر ،لا هو يمين ولا هو يسار . لان هذه اسماء تغلق على العقول كل امل فى المستقبل . لانك عندما تقول انا يسارى وتتمسك بنظريات يسارية ، او يمينى فانا شخصيا لا يمين ولا يسار ، خوفا من هذه « الجمودية » والغيبية .

■ لطفى الخولى :

هل تعتبر نفسك يساريا ؟ .

■ توفيق الحكيم :

انا قلت ، مائة مرة ــ فى جلساتى ــ لاتضعوا لافتة على رأسى ، لان هذه اللافتة تجمدنى ولكن انا . .

■ لطفى الخولى :

لكنك قلت انك اشتراكى . .

■ توفيق الحكيم :

ولا اشتراكى حتى . . انا لا اعرف هذه الكلمة . .

■ لطفى الخولى :

راسمالى ؟ .

■ **توفيق الحكيم :**

لا ادرى شيئا ماذا سيحدث غدا ، الكلام فى هذا يجعلنى غيبيا . انما الذى اعتقده هو الجانب الذى انت تكلمت فيه وسنتكلم نحن فيه وهو جانب التقدم الانسانى الى الامام والى الاحسن . والرخاء الانسانى. فبأى وسيلة يتم هذا ، انى اتركها لتفاعلات المجتمعات وللمواهب الانسانية فهى التى ستستطيع ان تخرجك الى هذا التقدم من كل المساوىء التى تعرض لها البشر . وعندئذ لن نكون مضطرين او مكتفين بنظريات سابقة لان كارل ماركس — عندما تكلم فقد اراد — قبل كل شىء — خير البشرية هذا هو الهدف .وبعد ذلك وضع النظرية التى يستطيع بها ان يصل الى هذا الخير . والدليل على ذلك إنه عندما جاء **لينين** وجد انها محتاجة الى تعديل . ولذلك قال لك الماركسية اللينينية . **بريجنيف** جاء بتعديل آخر .. اذن فالمسألة هى ان الهدف هو خير البشرية . هذا هو الهدف الذى لا يتغير . ولكن . . الوسائل . . . لكن نحن لا نستطيع ان نقول ما هى الوسيلة. لان الذين سبقونا غيروا فى وسائلهم باستمرار على حسب تفاعلات المجتمع.ولذلك انا لا اريد الان ان اكون غيبيا ، واحكم على المستقبل لانى لا اعرفه بالاضافة الى انه لا يوجد ..

■ **لطفى الخولى :**

أنت بذلك تبتكر اسلوبا جديدا ، كما ابتكرت فى الاسلوب الفنى .. نريد ايضا ان تبتكر فى السياسة وفى الاقتصاد كما ابتكرت لفظ « الرأس اشتراكية » .

■ **توفيق الحكيم :**

هذه الالفاظ لا احبها . . .

■ **لطفى الخولى :**

انت الذى اقترحتها . . .

■ **توفيق الحكيم :**

لقد وضعت هذه الكلمة لاصف مجتمعا يريد ان يوفق ما بين اكذوبة وبين طبيعة فى النفس . اما الاكذوبة فهى ان هذا المجتمع لا يريد ان يكون اشتراكيا . ولكنه وضع هذه الكلمة ليفعل ما يريد : أي ان يكون رأسماليا فى الباطن ، وان يرتدى فى الوقت نفسه رداء الاشتراكية . فالاشتراكية عنده ظلاء او رداء ، لكن كل هذه المسائل انا لا احب ان اخوض فيها .. لا اريد ان اقول اليسار ، ولكن اريد ان اقول التقدم . واليسار يقول انه تقدمى اذن هذه رسالته . لماذا رسالته ؟ لانى اريد ان انظر من المنوط به الان ان يدافع عن هذا وان يتبناه . ما نخشاه الان هو فعلا تدهور ثقافى اجتماعى فكرى . التخلف خطر جدا . وهذا نراه فى المتاجرة بالدين ومحاولة الانحراف . اقصد الدين المفهوم خطأ . حتى اننا نادرا ما نرى حتى فى اعلى المستويات الدينية من يستطيع ان يتبرى لهيئات دينية مزعومة تفهم الدين ليس على انه ثورة اجتماعية او ثورة تقدمية او ثورة فكرية ، ولكن على اساس انه يهدم مصالح معينة ، وعلى اساس رفض اى اجتهاد بناء . فكانت النتيجة اننا اصبحنا امام مظهر خطير من مظاهر التخلف . وفى هذا المجال تجد من يقول لك مثلا : ان **محمد عبده** لم يكن يقصد مثلا بفوائد البنوك اى فكرة . يعنى هو يناقش افكار محمد عبده الذى كان رجلا سابقا لعصره ومتقدما ويريد ان يعيش عصره من الناحية الاقتصادية والاجتماعية . فهؤلاء لا يريدون ان يسيروا خطوات اوسع من خطوات محمد عبده فهؤلاء الذين يريدون ان يعزلوا الدين عن العصر ومشكلاته يريدون العودة الى مجتمع صحراوى بدائى ، والى مجموعة من الافكار ازعم لم تخطر حتى على بال محمد رسول الله، لان الواقع ان الاديان كلها كانت عبارة عن ثورة تقدمية اجتماعية . واعتقادى ان كلا من عيسى ومحمد قد جاءا من اجل التقدم والدليل على ذلك انهما حطما ما كان قبلهما من عقائد راسخة ، وجدا انها بالية ، وكانت هذه قيما اجتماعية ايضا ، ولم تكن مجرد قضايا فكرية او نظرية ، ولان الاديان كانت ثورة اجتماعية فكرية كانت تتوخى التقدم الانسانى .

واعتقد ان التقدم الانسانى معناه انه لا حدود لهذا التقدم . وان كل تقدم مرهون بحالة المجتمع فى وقته . فالمجتمع عندما قاده الثائرون الى الامام ، خطوا به الى الامام ، وبالتالى خطوا بالانسانية كلها الى الامام . ولكن جاء بعد ذلك من جمد النصوص واغلق باب الاجتهاد . وزعموا انهم يريدون ان يقفوا بالتقدم عند الحدود التى كان الانبياء موجودين عندها ولكنى اعتقد ان الانبياء — لو كانوا الان موجودين معنا — لقالوا لهؤلاء : ما هذا الذى تفعلون ؟ . المجتمع الان فى حاجة الى تقدم ، والى اجتهاد جديد .. لماذا قفلتم باب الاجتهاد؟ العصر الان فى حاجة الى اجتهادات جديدة ، لان الانسان متغير وفى تقدم وفى تطور مستمر .

اذن ، نحن فى مصر الان نجد اننا نواجه حالة خطرة جدا . وعندما تكون هذه الخطوة

موجودة فلا امل لا فى اشتراكية ، ولا فى تقدم اقتصادى ولا فى أى شىء ، لانه لا يمكن ان يكون هناك تقدم للرخاء الانسانى بدون تقدم فى الفكر العقلى اولا . الحركات الاجتماعية والتقدمية لا يمكن أن تنشأ الا بعد ان يكون هناك تقدم فكرى ، ولذلك نجد ان المطلب الان هو التصدى للمتاجرين ولدعاة التخلف العقلى «الدينى» ..

واقول الدينى لان المجتمع المصرى مجتمع دينى ، مجتمع متدين من ايام الفراعنة ، والدين اساسى فيه ، ولذلك يجب ان تكون رسالة التنوير الدينى فى ايدى مستنيرة . ولا اعنى بذلك ان تكون فى ايدى عنصر آخر غير العنصر الدينى ولكن ، فى ايدى رجال دين بالمعنى الذى كان عليه الرسل . فهنا يتحتم على كل انصار التقدم مهما اختلفت مذاهبهم أن يطالبوا بأن يبرز ويتقدم الصفوف ، هذا العنصر الهام فى البلد ، وهم رجال الدين ، سواء رجال الدين الاسلامى او المسيحى ، اى رجال الدين المستنيرين ..

لقد لاحظنا فى المجتمعات الاوروبية انهم تركوا المسألة جانبا ، وتركوا الدين فى مكانه . والمجتمعات القوية تستطيع أن تقوم بالتطور بنفسها ، ولكن فى مجتمعاتنا نحن فى حاجة الى ان الدولة تأتى لنا بالنخبة الدينية وتعينها على ان تؤدى رسالة الدين ، واعتبر ان هذه مسألة او قضية مركزية ، وهذه النقطة تزداد وضوحا اذا انتبهنا الى أن اليمين المتخلف يحاول أن يتسلح بسلاح خطير جدا . هو تفسيره المتخلف للدين ، وليس الدين نفسه لانى قلت واقول دائما ان الدين هو التقدم بالفكر ، وهو التقدم بالبشرية ، ولا يمكن أن يكون الدين تخلفا بالبشرية .

اذن : المطلوب هو صلاح دينى بأيدى رجال دين فعلا ، وبأيدى مفكرين مستنيرين ايضا ، حتى لا يصبح المجتمع ، وحتى لا يصبح رجال الدين انفسهم ضحية لنبات شيطانى يخرج بأسم الدين ويلجأ الى العنف كما هو حادث الان ، وكما سيحدث غدا ، وفى كل وقت .. اذن فى البلاد الماثلة لنا فى الشرق نحن فى خطر استخدام اليمين المتخلف لسلاح لا يمكن مقاومته ، لانه عندما يقول لك تفسيرات متخلفة للدين ويذهب بها الى أوساط غير مستنيرة ولا متعلمة هذا مع وجود الامية ، وضعف مستوى التعليم فسنجد انفسنا فى هذه الحالة ـ أمام جدار سميك جدا .

نحن محتاجون لثورة دينية فكرية ، لان الفكر سيعتمد على التحرر والاصلاح الدينى . لان الفكر وحده منعزلا عن الجماهير الدينية يشوه من قبل المغرضين ، ويقال انه الحاد او على الاقل ، يقال انه مخالف للدين .

اذا تركنا هذه النقطة ، وجئنا ـ بعد ذلك الى النواحى الاقتصادية والسياسية فان الخلافات فيها متروكة لطبيعة كل شخص ولارائه .

بعد هذا اذا اردنا ان نخطو خطوة نكون قد تقدمنا نحو الحضارة الفكرية . لانه اذا تأملنا الدين الاسلامى نفسه ، فسوف نجد انه مبنى على العقلانية والتفكير . وربما لو تأملنا موقف محمد رسول الله من حادثة موت ابنه ابراهيم ، امكننا أن نكتشف الجوهر العقلانى للدين . فلقد وافق يوم ان مات أن خسفت الشمس ، فاراد البعض ان يصوروا الامركما لو ان معجزة حدثت بسبب وفاة ابراهيم ، لكن النبى نهر هذا البعض وقال لهم أن الشمس لا تخسف لوفاة احد . فهنا ينبه النبى الناس الى ضرورة أن ينطلقوا فى فهم الظواهر من منطلق عقلى لا منطلق غيبى .

■ **لطفى الخولى :**

فى ختام هذه الندوة يتضح أن امامنا طريقين :

فاما ان نكتفى بأن كل مشارك فى الندوة قد قدم تصوره للمستقبل ، ثم نترك الاستنتاج النهائى للقارىء من خلال هذه القراءة .

واما أن نكون لجنة يكون ـ بالضرورة ـ الاستاذ توفيق الحكيم هو احد اعضائها . ثم تشرع هذه اللجنة فى تحديد نقاط عامة تلخص او تسجل ما نتصور انه خطوط عامة للمستقبل .

والامر مطروح امامكم لتقرروا فيه ما ترون ؟

[**وافق المشاركون فى اللجنة على فكرة تكوين اللجنة**]

■ **لطفى الخولى :**

اذن اقترح ان تتكون اللجنة من الاستاذ توفيق الحكيم والاستاذ خالد محيى الدين والاستاذ ابو سيف يوسف .. هل توافقون ؟

[**موافقة**]

■ **لطفى الخولى :**

والطليعة تدعو القراء والاصدقاء الى ان يساهموا بآرائهم فى القضايا التى طرحتها الندوة فى جلساتها التسعة . • •

وشكرا . • •

بيان الندوة

ان المشاركين في الندوة ـ وقد ناقشوا من مواقع فكرية واجتماعية مختلفة ـ تجربة ثورة ٢٣ يوليو في ١٨ عاما من عمرها ، يؤكدون على أن الدافع الى عقد هذه الندوة كان ـ في جوهره ـ دافعا بناء وايجابيا ، عبر عنه توفيق الحكيم ، أكثر من مرة ، عندما اوضح باننا ننطلق في فتح ملف التجربة ، من منهج موضوعي ، بتجنب التشهير ، من ناحية ، كما يتجنب التبرير ، من ناحية أخرى .

ذلك أن الهدف الاسمى هو مصر : ضمان بنائها ، وتامين تقدمها ، وتحقيق الرخاء للغالبية العظمى من أبنائها ، لكل الطبقات الشعبية والوطنية فيها .

وهكذا ، فانه عند تقييم التجربة ، ركز المشاركون في الندوة على القضية الاساسية ، وهي ضرورة تطوير التجربة ، وذلك بدعم مافيها من ايجابيات ، وتخليصها من كل السلبيات والنواقص التى شابتها .

فلقد تحققت ـ كما هو معلوم ـ انجازات كبيرة ، في أكثر من مجال من مجالات الحياة . تحقق في الداخل اصلاح زراعي صفى الملكية الاقطاعية ، وقام قطاع عام تهيأ لاحتلال مكان القيادة في الاقتصاد المصري ، تحققت مجانية التعليم واتسعت قاعدته ، وقامت صناعات أساسية لم تكن موجودة من قبل ، وما كان لها أن توجد في ظل السيطرة الاستعمارية والرجعية .

ان مثل هذه الانجازات ، يجب الحفاظ عليها ، والدفاع عنها لمصلحة الغالبية الساحقة من المواطنين .

وفي هذا المجال ، أكد المشاركون في الندوة على ضرورة دعم القطاع العام ، وترشيده ، ورفع مستوى الاداء فيه ، وحمايته من العناصر الطفيلية التى تريد تطويقه وتصفيته باعتباره القطاع القائد في الاقتصاد المصرى ، وباعتباره العمود الفقرى في انهاض الصناعة والزراعة ، وتحسين الخدمات لكل الشعب .

كما يؤكد المشاركون في الندوة على أن تقدمنا الاقتصادى ، انما يتم بكيفية أسرع ، وعلى اسس أسلم ، من خلال بناء علاقات تكامل اقتصادى مع سائر البلدان في الوطن العربى .

ويؤكد المشاركون في الندوة على أن بناء دولة عصرية واشتراكية ، تستند الى قاعدة اقتصادية متينة من الصناعة الحديثة والزراعة المتطورة ، هذا البناء يجب أن يستند الى ركيزتين أساسيتين ، متلازمتين بالضرورة ـ ومترابطتين :

الاولى : هى سيادة الديمقراطية

والثانية : هى سيادة العقل

في سيادة الديمقراطية ، وضرورة توسيعها : ينطلق

المشاركون فى الندوة ، من واقع أن أى تقدم اقتصادى او اجتماعى او ثقافى يظل مهددا طالما ظلت حرية الفكر والتعبير والنشر والاجتماع والتنظيم غير مضمونة وغير مكفولة ، وربما يطلق الطاقات المبدعة والخلاقة للمواطنين • بل ان الديمقراطية الاجتماعية نفسها يمكن ان تضرب اذا لم يحمها سياج من الديمقراطية السياسية • ولكن المشاركين فى الندوة ، يتمسكون أيضا ـ وفى الوقت نفسه ـ بالديمقراطية بمحتواها الاجتماعى ، ويطالبون بتطويرها حتى لا ينصرف الذهن الى أن الديمقراطية السياسية تعنى الرجوع ، أو التراجع ، الى مواقع المجتمع القديم •

وفى سيادة العقل : ينطلق المشاركون فى الندوة الى أن اعلاء شأن العقل فى تدبير شئون المجتمع ، هو أساس كل حضارة وكل رقى حقيقيين ، بل هو الاساس الصلب لبناء المجتمع الاشتراكى • وأن هذا يتطلب :

ان نعرف أين تقف مصر فى الزمان والمكان من الثورة العلمية والتكنولوجية •

وأن نعمل ليسود التسامح ، ويسود المنهج العلمى نظرتنا الى كل أمور الحياة •

وأن نعمل لنقاوم الخرافة ، ونصد اى اتجاه للاتجار بالمشاعر الدينية ، ولمحاولة تفسير الاديان تفسيرا يجردها من مضمونها الحقيقى كثورات عملت على تغيير المجتمع الى أفضل •

ان تجارب النهضات الانسانية العظمى ، بل ان تجارب الثورات الاشتراكية ذاتها ، قد برهنت على ان سيادة الديمقراطية والعقل هما وجهان لعملة واحدة •

ولكنها برهنت ـ أيضا ـ على أنه لا سيادة للديمقراطية والعقل فى ظل الامية والتخلف •

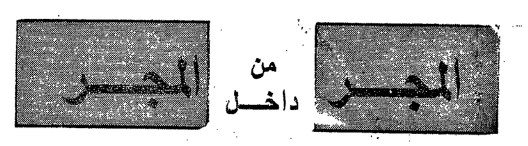
لهذا ، يؤكد المشاركون فى الندوة على الحاجة الملحة الى القيام بثورة ثقافية وتعليمية تحقق :

- تصفية الامية تصفية نهائية
- اصلاح ديمقراطى وعصرى للتعليم فى جميع مراحله ، وانهاض البحث العلمى •
- نشر ثقافة ذات مضمون ديمقراطى عام تستند الى العناصر الحية فى التراث القومى وتتفاعل مع جميع الثقافات الانسانية •

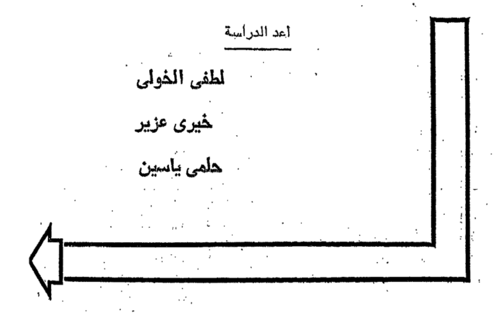
وأن المشاركين فى الندوة ، ليقدرون أن هذه المواقف العامة ، يمكن أن تكون مدخلا لاوسع وحدة وطنية بين كل قوى التقدم فى البلاد ، وهى وحدة نراها ألزم ماتكون لانجاز الهدف المباشر والمقدس ، وهو تحرير الارض من الاحتلال الصهيونى الاستعمارى ، والدفاع عن الحقوق المشروعة لشعب فلسطين العربى •

فى اطار الخطة العامة التى وضعتها « الطليعة » لدراسة مختلف التجارب الاشتراكية على الطبيعة - وفي واقعها الراهن اليوم، وتقديم السمات العامة والخاصة لهذه التجارب ، بعثت بوفدها الذى تألف من لطفى الخولى وخيرى عزيز وحلمى ياسين الى المجر .

ويقدم الوفد ، هنا حصيلة زيارته ودراسته الميدانية .



دراسة ميدانية لتجربة اشتراكية معاصرة



تطرح زيارة المجر ، على أى زائر لها ، وخاصة اذا كان ينتمى الى العالم الثالث بمشاكله وأزماته ، واختناقاته ، وقضاياه ، عشرات من الاسئلة فى مختلف مجالات النشاط الاقتصادى والاجتماعى ، والسياسى ، والثقافى .

ولكن علامة الاستفهام المركزية التى تظل ، قبل وبعد كل ذلك ، وتحتاج الى اجابة واقعيه ، هى :

كيف تسنى لذلك البلد الصغير فى أوربا ، مساحة وسكانا ، والذى يعد من افقر بلاد أوربا فى مصادر المواد الخام والوقود والطاقة ، ان يتحول من بلد زراعى متخلف ، شبه اقطاعى مند ثلاثين عاما الى بلد صناعى زراعى متقدم ، يتفوق متوسط نمو الصناعى « بين ٨ فى المائة و ٩ فى المائة » على متوسط نمو الدول الرأسمالية المتقدمة ؟

وكيف تأتى له أيضا ، ان يحقق تطوره الايجابى الشامل من فروع الصناعات الغذائية والخفيفة ، الى الصناعة الثقيلة الهندسية حيث يصدر اليوم قاطرات الديزل والمحركات ، وسفن المحيطات ، والمركبات ، والالات الزراعية ، ووسائل الاتصال السلكية واللاسلكية ، ووسائل النقل . فضلا عن تطوير الصناعات الهندسية البتروكيميائية ، والصناعة الكيميائية ، حيث اصبح يحتل المرتبة السادسة عالميا من ناحية صادراته الدوائية ، والمكانة السادسة عالميا بالنسبة لاحتياطيه من مخزون البوكسيت ، والمكانة الثالثة فى أوربا من ناحية استخراج المنجنيز الخ ؟

كل هذه ليست سوى بضعة أسئلة ، مما يمكن ان يطرحه هذا الواقع بجوانبه الخصبة المتعددة . وبالطبع فان كل تلك الاسئلة قد تجد لها جوابا تحت ذلك العنوان العريض : طريق الاشتراكية العلمية والبناء الاشتراكى .

ولكن ذلك ليس الا عنوانا عاما وبسيطا ، لايقدم خصوصية ما تشتمل عليه التجربة من خبرات وتجارب ودروس ، خاصة ، وقد جمع هذا البلد ، الذى - ربما كان البلد الوحيد فى المعسكر الاشتراكى الذى انتقلت فيه الثورة المضادة الى العمل المباشر فى ١٩٥٦ - حصيلة غنية حافلة بالدروس ، جاءت انعكاسا لظرف حاد ، وعمليات انتقال خصبة ربما لم يواجهها اى بلد اشتراكى آخر .

وتحاول « الطليعة » ان تقدم فى هذا الملف والدراسة الميدانية صورة للواقع الذى لامسه وفدها خلال زياراته ولقاءاته وتنقلاته فى هذا البلد ، والذى اشترك فيه لطفى الخولى ، وخيرى عزيز ، وحلمى ياسين .

لا يحتاج الى مزيد تأكيد بالطبع ما ينطوى عليه الاتصال والتعامل الانسانى المباشر مع الظواهر ، من قيمة ودفء وادراك ، لا توفره الدراسات الكتبية ، ومجرد جداول الارقام والاحصاءات ، ومجرد اللقاءات مع المسئولين السياسيين والحزبيين والاقتصاديين .

لانه خلف الابتسام الذى يعلو وجوه الناس ، وانفتاح طبيعة الشعب ، واقباله المتدفق على الحياة ، يمكن للمرء ان يحس بصدق ، بالايقاع الحقيقى للحياة فى هذه البلاد ، ومدى ما استطاع هذا المجتمع توفيره للانسان من حقوق ومزايا وضمانات .

ويشارك فى الجهود المبذولة لربط المجر ثقافيا بالخارج ، سواء بالدول الاشتراكية أو بالغرب أو بالعالم الثالث ، معهد العلاقات الثقافية المجرية الذى يضطلع بالعديد من الجهود فى هذا السبيل .

كذلك فقد أمكن خلال هذه الزيارة متابعة بعض أوجه النشاط الفنى فى هذه البلاد ، وخاصة المسرح حيث تبرز مدرسة الفنان المسرحى الشهير **كازيمير** كمدرسة متميزة - تتلمذ على ايديها بعض الفنانين المصريين مثل كمال عيد - وقدم فيها الفنان المجرى عديدا من الاعمال المستوحاة من موضوعات من التراث الشرقى مثل « الف ليلة وليلة » و « ملحمة جلجميش » ، وغيرها ، وقد عمل كازيمير على تقديمها فى اطار المسرح المتكامل سواء فى الاماكن العامة ، أو فى المسارح المتخصصة ، مستعينا بكاتب متخصص فى الدراما ، وبمجموعة من الاساتذة فى التاريخ والسياسة والاجتماع وعلم النفس .

كذلك فثمة ملاحظة جزئية لفتت انتباهنا ، وان تكن ذات دلالة شاملة . وهى انه فى الوقت الذى وقعت اعيننا فيه كثيرا ، سواء فى ادارة التعاونيات الزراعية والصناعية أو فى دور الصحف او مراكز الحزب والجبهة ، على صور وتماثيل **ماركس ولينين** ، **وانجلز** ، وفى الوقت الذى تنتشر فيه فى البلاد عشرات التماثيل للشعراء والابطال الوطنيين ، فأننا لم نشاهد قط طوال جولاتنا وزياراتنا ، صورة او تمثالا واحدا **ليانوش كادار** زعيم حزب العمال الاشتراكى المجرى .

وجدير بالذكر من ناحية أخرى ان وفد الطليعة اهتم بتقديم هذه التجربة ليس فحسب

بمحصلة بنائها فى العقود الاخيرة ، وانما بذل جهده ليقدمها على ما هى عليه اليوم فى عام ١٩٧٥ . ومدى ما يعترضها من مشاكل وماستحدث أمامها من صعاب .

وتقدم « الطليعه » فى هذه الدراسة اجاباتها التفصيلية على القضايا التالية :

١ ـ بدون مواد خام . كيف اصبحت المجر بلدا صناعيا زراعيا متقدما ؟
٢ ـ اهم الصعوبات والمشاكل الاقتصاديه التى تجابهها اليوم .
٣ ـ المنجزات الاقتصاديه التى تجاوزت الخطة .
٤ ـ مجر ما قبل التحرير ، ومجتمع الـ ٨ر فى المائة .
٥ ـ الزراعة التعاونية بعد مالك نصف المليون فدان .
٦ ـ التعاونيات الصناعية ، وكيف تنتج ٢٠٠٠ سلعة ؟
٧ ـ حزب العمال الاشتراكى المجرى : حزب الاجيال الثلاثة .
٨ ـ الجبهة الشعبية الوطنية : جبهة بدون عضوية منظمة .
٩ ـ نظام « التعليم من اجل الحياة العائلية » كمرحلة تجريبية .
١٠ ـ الكنيسة والحزب الشيوعى والدولة « لن تدق اجراس الكنائس فى بودابست ! » .
١١ ـ خطوط السياسة الخارجية المجرية . وموقفها من الصراع العربى الاسرائيلى « الانفراج لا يخدم فقط .. الدولتين الاعظم »
١٢ ـ موقع المجر فى الاسرة الاشتراكية « انتصار المبدا على الروح التجارية » ..

[١] بدون مواد خام

كيف أصبحت المجر .. بلدا صناعيا زراعيا متقدما ؟

حول الرد على هذا السؤال ، يتوقف فهم التطور الاقتصادى فى المجر الاشتراكية وهو : كيف تسنى لبلد صغير فى أوربا ، مساحة وسكانا « ١٠ مليون » ، وبلا مواد خام تقريبا ، أو على وجه الدقه ، من أفقر بلاد اوربا فى مصادر المواد الخام والوقود والطاقة ، أن يتحول من بلد زراعى متخلف ، اقطاعى وشبه اقطاعى ، تعمل فيه بعض الفروع الصناعية الخفيفة ، الراسمالية والمتخلفه ، ويتسم عامة بنمو اقتصادى بطىء ومنخفض للغاية « حوالى ٢ فى المائة سنويا » . كيف تسنى لهذا البلد أن يتحول الى بلد زراعى صناعى متقدم ، وأن يرتقى بمستوى معيشة سكانه بصورة مرموقة ، جعلت من الثلاثين عاما الاخيره ، مرحلة متقدمه للغايه فى التاريخ المجرى بأسره . وأن يحقق متوسط نمو صناعى يتراوح بين ٨ و ٩ فى المائه سنويا ، ومتوسط نمو عام يبلغ ٥ر٥ فى المائة ويتفوق بذلك على متوسط نمو الدول الراسمالية المتقدمة ؟

وكيف تسنى له ان يطور بنجاح ، صناعته الثقيلة الهندسة ، حيث يصدر اليوم قاطرات الديزل والمحركات ، وسفن المحيطات والعربات ، والالات الزراعية ، ومحاور ارتكاز عجل الحركة ، وأدوات الاتصال السلكيه واللاسلكيه ، والالات واللمبات الحرارية ، وان يطور ايضا صناعته الهندسية البتروكيميائية ، والصناعة الكيميائية ، وخصصة صناعه الادويه ، حيث تحتل المجر بصادراتها الدوائيه التى تبلغ ٥ فى المائه من الصادرات العالميه ، المرتبه السادسه عالميا من ناحيه صادراتها الدوائيه . وتحتل أيضا المرتبة السادسه عالميا بالنسبه للاحتياطى الضخم من مخزون خام البوكسيت ، والمكانة الثالثة فى اوربا من ناحية استخراج خام المنجنيز . فضلا عن احتلالها المركز السابع بين دول العالم من ناحيه نصيب الفرد من عائد التجارة الخارجية ؟

مفاتيح للفهم

التقسيم الدولى للعمل :

يتمثل احد المفاتيح الاساسية فى فهم هذه التجربة ، فى ذلك المبدأ : التقسيم الدولى للعمل ، وخاصة مع المعسكر الاشتراكى ، وبصفة أخص مع الاتحاد السوفيتى .

وعن طريق هذا المبدا ، تحصل المجر على ٤٠ فى المائة من دخلها القومى من التجارة الخارجية ، من التصدير ، وهى نسبة عالية لا تحققها سوى قلة من دول العالم .

وفى اطار تقسيم العمل مع الدول الاشتراكية

تقوم المجر كأحدى الدول الاشتراكية ، بانتــاج الاوتوبيسات لكل الدول الاشتراكيه ، وهى من طراز « ايكاروس » . وقد ادى ذلك الى توسع ضخم فى صناعتها فى المجر ، فبعد أن كانت البلاد تنتج مئات الاوتوبيسات ، اصبحت تنتج الان من ٤٠٠٠ الى ٥٠٠٠ اتوبيس سنويا ، وتتجه نحو انتاج ١٠٫٠٠٠ اتوبيس سنويا لتغطية احتياجات كل دول الكوميكون بما فيها سوق الاتحاد السوفيتى الضخم .

ويمثل تطبيق ذلك المبدأ احد عوامل التقدم الاقتصادى فى المجر ، لان تركيز هذه الصناعه أو تلك فى أحد البلدان الاشتراكيه ، يغدو مفيدا للغايه من ناحية التقدم التكنيكى ، والمنافسة مع البلدان الراسمالية ، اذ يصبح تحديثها اسهل ، وتقدمها أسرع ، وانتاجيتها اوسع وأرخص ايضا .

وتتمثل الميزات التى ينطوى عليها تطبيق هــذا المبدأ ، من ناحية أخرى مقابله ايضا فى القرار الذى اتخذته المجر بتصفية مصنع اللــوريات الصغير لديها ، والذى يواجه المصاعب ، فقد ثبت لها انها يمكن أن تستورد اللوريات من احدى الدول الاشتراكية بسعر أرخص ، من انتاجها هــى المحلى . خاصة وقد تخصص الاتحاد السوفيتى فى انتاج الانواع الضخمة من اللوريات ، وتخصصت تشيكوسلوفاكيا فى انتاج الانواع الاقل ضخامة . ذلك انه لو استمر المصنع المجرى فى الانتاج لغدا خلال عدة سنوات متخلفا بحكم حجمه وتكلفة انتاجه ، ولذا تصبح تصفيه المصنع لاكثر تكلفه فى انتاجه اجراء يتفق والصالح الاقتصادى القومى .

المواد الخـــام من الاتحاد السوفيتى

وعن طريق علاقاتها مع الدول الاشتراكية ، تحصل المجر على المواد الخام التى تحتاج اليها فى صناعاتها ، ويقوم الاتحاد السوفيتى بصــفة خاصة بتزويدها بعدد من المواد الخام الرئيسية التى تحتاج اليها ، الا انها تستورد ايضا بعض المواد الخام من الدول الراسمالية .

ويتركز ثلثين التجارة الخــارجية المجرية مع الدول الاشتراكية ، ونصف هذين الثلثين ، أى ثلث التجارة الخارجية المجــرية ، مع الاتحــاد السوفيتى وحده .

● المعسكر الاشتراكي : سوق مســـتقر للصـــــادرات :

ويتمثل مفتاح آخر فى فهم هذه التجربة ، فى أن دول الكوميكون والاتحاد السوفيتى ، تزود المجر أيضا بسوق مستقر لصادراتها .



كادار

● الاتفاقات طويلة المدى :

كما يتمثل مفتاح آخر ، فى حقيقة أن المجر تقوم بالتصدير والاستيراد على أساس اتفاقات طويلة المدى ، وهى مسألة لها أهميتها من ناحية التنمية ، ومن ناحية تمكين البلاد من مواجهة التقلبات والتغيرات فى السوق الراسمالية ، وانعكاساتها على الاقتصاد المجرى .

والواقع ، انه بالتحديد ، بفضل علاقات المجر الاقتصادية الوطيدة مع الدول الاشتراكية والاتحاد السوفيتى ، فانها تستطيع التغلب عما تواجهه فــى المجال الاقتصادى من أزمات ومشاكل ، وخاصة بعد تفجر ما يسمى بمشكلة الطاقة والبترول فى العالم الرأسمالى وقد ساعدنا الرفيق فيرينس فارنايى عضو لجنة تحرير صحيفة الحزب على فهم عديد من مفاتيح التجربة المجرية .

وأخذ الامثلة على ذلك ، موقف الاتحــاد السوفيتى من تزويد المجر بالبترول ، اذ تشترى المجر منه حوالى ٥ أو ٦ مليون طن سنويا ، وتنتج حوالى ٢ مليون طن ، وتشترى حوالى ٨٠٠٫٠٠٠ طن من العراق . وعن طريق التسهيلات التى يقدمها الاتحاد السوفيتى تتسلم المجر بتــرول العراق بسعر أرخص ، لان الاتحاد السوفيتى يوفر

على المجر تكلفة النقل ، فبعد ان تدفع المجر ثمن بترولها الى العراق ، يقوم الاتحاد السوفيتي بتزويد المجر بنفس الكمية من بتروله عن طريق الانابيب الممتدة من الاتحاد السوفيتي الى دول شرق أوربا . وبذا تحصل المجر على البترول بسعر منخفض لان تكلفة نقل البترول من العراق الى المجر كبيرة ، اذ لابد من نقله في الانابيب الى موانئ سوريا ، ثم بالسفن فى البحر المتوسط ، الى يوغوسلافيا ، ثم ينقل منها بالسكة الحديد الى المجر .

كذلك فان كميات اللحوم التى لم تستوردها السوق الاوربية المشتركة مؤخرا ، اشتراها الاتحاد السوفيتي ، وبهدف مساعدة المجر اقتصاديا دفع ٨٠ فى المائة من ثمن اللحوم التى اشتراها بالعملة الصعبة .

الانفتاح على « الطريقة المجرية » :

وربما كان من اهم مميزات التجربة المجرية أنها لا تحقق نموها وتقدمها الاقتصادى والاجتماعى ، بمعزل عن العالم أو وراء ستار حديدى او حريرى وانما تحققه فى الواقع ، فى مناخ من الانفتاح البناء ، والاتصال المتزايد ليس فحسب مع الدول الاشتراكية ، وانما مع الدول الرأسمالية الغربية وغيرها . وقد زادت هذه الاتصالات بالدول الرأسمالية فى السنوات الاخيرة ، ليس فى مجال التجارة وانما فى مجال « الانتاج المشترك » أيضا .

فقد عقدت المجر عشرات من الاتفاقات للانتاج المشترك مع السويد ، والنمسا ، وايطاليا ، والمانيا الغربية وغيرها وهى تشترك مع ايطاليا مثلا فى صناعة توربينات تصدرها لتركيا . وتصنع بعض أجزاء هذه التوربينات فى المجر ، وبعضها الاخر فى ايطاليا ثم يتم التصدير . كذلك تزود المانيا الغربية ، المجر ، ببعض المواد الاساسية اللازمة للصناعة الخفيفة ، وتقوم المجر بتجهيز هذه المواد . كذلك تصنع المجر ، جرارات ضخمة بالاشتراك مع مؤسسة « شتايجر » بالمانيا الغربية . وتقوم المجر بصناعة الموتورات ويتكلف احد هذه الجرارات العملاقة ٥ر٢ مليون فورينت ، وهو نوع متقدم للغاية . كما تتم بالاضافة الى ذلك صناعة آلات حديثة أخرى ، الامر الذى يعود بالفائدة فى تطوير التكنيك فى البلاد ، ويزيد من سرعة هذا التطوير ، ومنتجات « اس . تى . اف » يتم فيها أيضا تعاون مجرى ـ سويدى ، كما يتم هذا التعاون فى عديد من الالات الاخرى على أساس حقوق متساوية فى العمل ، حيث تعارض المجر أقل بادرة تنم عن التمييز ، كذلك تقوم بشراء التراخيص لصناعة منتجات معينة ، كما تقوم من ناحيتها ببيع التراخيص الى دول ومؤسسات أخرى .

بيد ان الامر الملحوظ هنا ، هو انه لم يترتب ولا يترتب على قيام مثل هذه العلاقات الواسعة مع الدول الاخرى والرأسمالية ، ظهور أى طبقة طفيلية فى المجر ، من جراء هذا الانفتاح بسبب الضوابط التى تضعها الدولة على النشاط الاقتصادى فى البلاد ، وبسبب سيطرة الملكية الاشتراكية والتعاونية على ١ر٩٧ فى المائة من وسائل الانتاج الزراعية و ٩٨ فى المائة من وسائل الانتاج الصناعية .

وهناك مفتاح آخر لفهم هذه التجربة ، يتمثل فى انها عملت وبصفة خاصة منذ ٨ سنوات ، ومع السياسة الاقتصادية الجديدة على زيادة استقلال السلطات المحلية والانتاجية . ويبدو أن ذلك قد تحقق بصورة تجاوزت المطلوب ، بحيث برزت الدعوة الان الى ضرورة أن تجسد الارادة المركزية للمجتمع ككل على نحو كاف ، وأن يتم التنسيق السليم ، والتوافق بين الارادة المركزية ، والمصالح المحلية .

ويقول الخبراء المجريون بهذا الصدد : « نحن لا نريد تعطيل وايقاف المصالح المحلية ،وانما نريد ان نحقق تناسقا بين مختلف انواع المصالح » .

وهناك بهذا الصدد ثلاثة انواع من المصالح :

١ ـ **المصالح المركزية :** وتتضمن مصالح المجتمع ككل .

٢ ـ **مصالح المجموعات :** وتشمل بعض المؤسسات الصناعية ، وبعض المزارع التعاونية الخ ..

٣ ـ **المصالح الشخصية :** وتشمل الملكية الشخصية للفرد ، مثل ملكيته لسيارة او اثنين للاستعمال الشخصى ،ملكيته للمسكن الخ ،وهناك تفريق بين الملكية الشخصية والملكية الخاصة ، اذ تتمثل الملكية الخاصة ، فى ملكية بعض اصحاب المطاعم الصغيرة ، وصناع الاحذية وخلافه ، والتى يستخدم فيها ٥ أشخاص فقط ، وهذه الملكية تفرض عليها عادة ضرائب كثيرة تحد من امكانية انتشارها ، وهى موجودة أيضا فى بعض قطاعات الفاكهة والخضر . لكن الملكية الخاصة لوسائل الانتاج غير موجودة فى المجر اليوم . أما المصالح الشخصية فهى عامل واقعى ينبغى وضعه فى الاعتبار . وتقوم وجهة النظر المجرية على أساس أنه لا يمكن تجاهل مصالح المجموعات والمصالح الشخصية ، وانما ينبغى دفعهما الى العمل

الافضل الذى يعود على المجتمع كله ، وعلى اقتصاد البلد كلها بالنفع .

وبالطبع ، فانه تحدث تناقضات موسمية فى بعض الاحيان بين هذه الانواع الثلاثة من المصالح . وفى هذه الحالة فاذا وقع تناقض بين المصالح الشخصية مثلا ، ومصالح الدولة الاشتراكية ، فان المبدا الذى ركز عليه مؤتمر الحزب الاخير ، هو انه على الشيوعيين والمسئولين ان يضعوا فى الاعتبار المصالح الاشتراكية ، وان يخضعوا المصالح الاخرى لها .

[٢] أهم الصعوبات والمشاكل الاقتصادية .. اليوم

وعلى أى حال ، فلا بد قبل أن نتعرض لمدى التقدم الذى أحرزته هذه التجربة ، فى هذه المجالات أو تلك ، أن نشير الى واقع المشاكل والصعوبات التى تحيط بتطورها الراهن ، وخصوصا فى الظروف التى ظهر فيها عدد من الازمات فى مختلف فروع الاقتصاد العالمى وبالتحديد الرأسمالى .

التصدير بصعوبة أكبر وبسعر أكثر انخفاضا والاستيراد بسعر أعلى

يرى المجريون أن المشاكل الرئيسية لبلادهم توجد فى الحياة الاقتصادية . ومن اول ى المشاكل التى طرأت اخيرا ، ان المواد الخام التى يتعين على المجر استيرادها من الدول الرأسمالية ، اصبحت اكثر غلاء بكثير ، مثل بعض انواع المعادن ، وبعض المعدات الصناعية اللازمة للتطوير الفنى والتى يتفوق فيها الغرب تكنيكيا على الدول الاشتراكية . وفى نفس الوقت ، انخفض سعر عدد كبير من المواد التى يمكن للدول الغربية أن تستوردها من المجر ، مثل بعض المواد نصف المصنعة ، وبعض المنتجات الزراعية ، مثل اللحوم التى تستوردها عادة ، السوق الاوربية المشتركة ، والمانيا الغربية . ليس ذلك فحسب ، اذ قامت السوق المشتركة فى العام الماضى مثلا بالغاء عقد باستيراد كمية كبيرة من اللحوم من المجر ، بحجة أن هناك اسبابا اقتصادية وراء ذلك ، وان كمية كبيرة من اللحوم قد تراكمت فى السوق ، الا انه بالرغم من الغاء العقد مع المجر ، ارتفع سعر اللحوم فى السوق ، الامر الذى يستبعد التذرع بالاسباب الاقتصادية لالغاء الصفقة ، ذلك ان مثل هذه الاجراءات تدخل فى نطاق عمليات التمييز وسياسة الحاق أكبر الاضرار بالدول الاشتراكية ، والتى تخطط لها دوائر أقصى اليمين الرجعى فى الغرب ، الذى يفسد بأساليبه امكانية التعاون بين بلاد الكوميكون ودول السوق المشتركة ، ويصرح علانية بأنه لا يستطيع ان يعمل على تهدئة العلاقات مع الدول الاشتراكية ، والنتيجة هى ان مجر ١٩٧٥ تصدر بصعوبة أكبر ، وبسعر أكثر انخفاضا ، ثم تستورد بسعر أعلى .

الا انه بالاضافة الى سياسة اقصى اليمين الرجعى فى الغرب ، فان هناك انخفاضا فى الطلب بالفعل فى الغرب ، لا تستطيع المجر ازاءه ان تغلق ابواب بعض المؤسسات والمصانع ، وتسرح العمال مثلما يحدث فى الدول الراسمالية . ولذا فان الدولة الاشتراكية تتحمل عبئا جديدا للمحافظة على اثمان السلع ، ومواجهة الزيادات فيها بالنسبة للمستهلك .

واذا جسدنا الوضع بالارقام لوجدنا ان اسعار معظم السلع فى قائمة الواردات المجرية ـ واساسا البترول الخام والمواد الاولية ـ قد ازداد بدرجة اكبر من زيادة سلع التصدير المجرية . وبالتالى تدهورت القيمة التبادلية للسلع المجرية فى السوق العالمى . وهذا هو السبب الاساسى فى ان الصادرات المجرية فى ١٩٧٤ زادت عن ١٩٧٣ بنسبة ٦ر١١ فى المائة ، فى حين ازدادت الواردات بنسبة ٨ر٣٦ فى المائة . كما أدى ارتفاع الاسعار فى الاسواق الرأسمالية الى تعميق الفجوة بين الصادرات والواردات المجرية التى تتعلق بهذه الاسعار فى ١٩٧٤ فبينما ازددت الصادرات الى هذه البلدان بنسبة ٥ر١٥ فى المائة ، فأن قيمة الواردات منها ازدادت نتيجة تضاعف ارتفاع الاسعار الى حوالى ٦٠ فى المائة بالمقارنة مع عام ١٩٧٣ .

الى متى تتحمل الدولة الاشتراكية .. أعباء التضخم

اما فيما يتعلق بالتضخم ، فان المجر لا تعانى من آثاره ربما اكثر من أى بلد اشتراكى آخر بسبب حجم التجارة الخارجية فى دخلها القومى تستطيع حماية نفسها من ادوائه الاساسية عن طريق تحمل ميزانية الدولة لفرق الاسعار . وميزانية الدولة قادرة لفترة على الدفاع عن مستوى المعيشة فى

مواجهة مخاطر التضخم. ولكن المجريين يرون انه ينبغى اعادة تنظيم الانتاج للحصول على حماية اساسية للاقتصاد ولمستوى المعيشة ، واشراك المنتجين اشراكا فعليا فى ادراك كل ابعاد الموقف. والواقع ان الاسعار الاستهلاكية تخضع لتوجيه مركزى ولرقابة الدولة ، وبفضل ذلك لا يزيد متوسط ارتفاع الاسعار عن ٢ الى ٥ر٢ فى المائة فى العام ، وفى نفس الوقت فانه تتم زيادة الاجور والعلاوات بنفس النسبة — وبالطبع فهناك بعض السلع يرتفع سعرها عن هذه النسبة ، والبعض الاخر يقل عنها ولكن تلك النسبة تمثل المتوسط العام للزيادة ، الا انه مع استمرار تحسين وتوطيد وضع العملة المجرية ، تستطيع البلاد مواجهة آثار هذا التضخم ، وخاصة تأثيره الذى يبلغ حد الصدمة . ويرى بعض الاقتصاديين المجريين أنه اذا كانت الدولة تقوم بتقديم اعانات مرتفعة على الاسعار الاستهلاكية ، فانها ستستطيع القيام بذلك لفترة خمسية لا لمدة طويلة ، الامر الذى يتطلب البحث عن حلول اكثر جدية وشمولا لمواجهة هذه المشكلة . وعلى أية حال فان اعباء التدبير فى مواجهة آثار التضخم الوارد على البلاد : يقع على عاتق الدولة الاشتراكية ، وليس على المستهلكين.

عــدم تركيز الاستثمارات

وهناك مشكلة اخرى تتمثل فى أن معدل الاستثمارات لا يزال بطيئا ، وفى أنه لا يتم تركيز الاستثمارات على فروع معينة هامة ، وانما يتم توزيعها على عدة قطاعات .

الروح المادية البورجوازية الصغيرة

والواقع أن المسئولين المجريين يعرضون بصراحة للمشكلات التى تعترض طريق البناء الاقتصادى والاجتماعى فى بلادهم ، وقد أشاروا الى أن هناك ثمة نقطة اخرى تجرى ملاحظتها وهى : « انه طبقا لتجربتنا فى السنوات الاخيرة ، فقد زادت فى بلادنا ، حدة الروح المادية البورجوازية الصغيرة وانتعشت — المغالاة فى توفير النقود — وبالطبع فليس من الواقعى ، أن يعثر فورا على النموذج الاشتراكى المثالى المطلق ، اذ تبين التجارب أن التطور الاشتراكى تعترضه أخطاء ، وقصور وتخلف . واذا كنا فى السنوات القليلة الماضية ، نستحث الناس ونحفزهم لا على أساس معنوى فحسب ، وانما على أساس مالى ايضا ، ونجعل لهم تطلعا الى التقدم المادى ، وهو تناول واقعى فى هذه الفترة الانتقالية ، لان الاعتماد فى كل شىء على التوعية السياسية لا يكفى فى حد ذاته ، الا أن هذا التكثيف للمصالح المالية ، الذى هو تناول واقعى وصحى ، يفتح الابواب مع ذلك ، للاتجاه الى الحصول على دخل أكبر من العمل الاقل ، أو حتى بدون عمل » .

وبهذا الصدد ، يحددون موقفهم على أساس المبدأ التالى : « نحن لسنا ضد أن يكسب الناس أكثر ، ولكننا ضد أن يكسبوا أكثر بعمل اقل ، أو بلا عمل ، ونحن مع أن يكسبوا أكثر ، بعمل أفضل وأكثر انتاجية » .

القــوى العاملة : خريطة اجتماعية

● فى يناير ١٩٧٥ — بلغ تعداد الشعب المجرى ١٠ ملايين وخمسمائة وعشرة الف نسمة بزيادة قدرها ١٥٦ الف نسمة [١½ ٪] خلال اربع سنوات .

● يزيد عدد النساء قليلا عن عدد الرجال [حوالى ٣٠٠ الف] وبسبب نزوح السكان من الريف الى المدينة — فان عدد سكان المدن يكاد يتساوى مع سكان الريف.

● يبلغ عدد العاملين حوالى نصف الشعب المجرى ٥ ملايين ومائة ألف نسمة ويعيش سدس السكان فى سنوات المعاش .

● يبلغ عدد العمال اليدويين ومديرى الانتاج من الطبقة العاملة ٢ مليون وتسعمائة وخمسون الفا ويمثلون ٥٨ ٪ من القوى العاملة بينما يمثل المثقفون والموظفون الاداريون ٢٤ ٪ من القوى العاملة فى المجر بزيادة ٧ر١٪ خلال ثلاث سنوات .

● وخلال السنوات الثلاث الماضية وكنتيجة للعجز والتوجه نحو الفروع الاقتصادية غير الزراعية انخفضت نسبة الفلاحين التعاونيين الى ٦ر١٤ ٪ من القوى العاملة .

● وبعد الانخفاض الكبير فى عدد صغار المنتجين الذى حدث فى الستينات لم يحدث تغيير يذكر خلال السنوات الثلاثة الماضية ويمثلون ٤ر٣ ٪ .

● وهناك تقدم ملموس فى المستوى المهنى للعاملين اليدويين والفنيين — وازدادت نسبة العمال المهرة من ٣٢٪ عام ٧٠ الى ٣٧٪ عام ٧٣ ونصف المهرة من ٢٨ الى ٣٩٪ بينما انخفضت نسبة العمال غير المهرة من ٤٠ ٪ الى ٣٤ وشهدت السنوات الاخيرة تحسن جديد فى مستوى التعليم للشعب العامل .

● ففى عام ١٩٧٠ أنهى ٤ر٥١ ٪ من السكان فوق ١٥ سنة مرحلة التعليم العام [٨ صفوف] وارتفعت النسبة الى ٦ر٥٥٪ عام ١٩٧٣ .

● وفى عام ١٩٧٠ حصل ٥ر١٥ ٪ من السكان فوق ١٨ سنة على شهادات فى مستوى الدراسة الثانوية ، وارتفع هذا الرقم عام ٧٣ الى ٤٠ر١٧ ٪ .

● وفى عام ١٩٧٠ حصل ٢ر٤ ٪ من السكان فوق ٢٥ سنة على شهادات جامعية ، أو دبلومات عالية بينما ارتفع الرقم الى ٨ر٤٪ عام ١٩٧٣ .

ويسعى المجريون الى تحقيق المزيد من الفعالية الاقتصادية ، وفى سبيل ذلك ، فانهم يحرصون على مراعاة مبدأ التوزيع الاشتراكي على اساس مبدأ : لكل بحسب عمله . واحد مظاهر هذه المسألة ، النسبة بين دخول العمال الصناعيين والعمال الزراعيين . وهى مسألة سياسية أساسا فى نفس الوقت ، لانها تتعلق بالتعاون والتحالف بين الطبقتين الاساسيتين العمال والفلاحين . على انه اذا كان قد تقرر منذ ٤ اعوام ونصف فى المؤتمر العاشر للحزب ، أن تتم الزيادة فى دخل هاتين الطبقتين بمعدل متساو ، الا انه عقد اجتماع هام للجنة المركزية للحزب فى ١٩٧٢ ، اشير فيه الى وجود عدم توازن بين دخل الفلاحين ، ودخل العمال ، لان دخل الفلاحين ازداد بمعدل أسرع من دخل العمال . لذا اتخذت اللجنة المركزية عدة قرارات ، أعقبتها عدة قرارات حكومية بشأن تنظيم دخول العمال بصورة تؤدى الى اقامة هذا التوازن .

والواقع أن كلا من اللجنة المركزية ، والمؤتمر الحادى عشر للحزب ، قد ركزا كثيرا على هذه المسألة ، على اساس زيادة دخل العمال باعتبارهم الطبقة القائدة ، على الا يكون ذلك على حساب الفلاحين ، والعكس صحيح .

حد التشبع فى العمالة

كذلك فمن المشكلات التى تواجهها المجر ، مشكلة انها بلد بلغ الحد الاقصى ، وحد التشبع فى العمالة ، حيث يبلغ عدد الذين يتقاضون أجورا فيه أكثر من نصف الشعب « ٥ مليون مواطن » وهى من أعلى النسب عالميا . ولم تعد هناك مصادر جديدة مهملة للايدى العاملة فى الصناعة ، التى تستوعب ٣٦ فى المائة من هذه الايدى العاملة .

ومن المعروف أن عدد العمال الصناعيين ، لا يزيد أو يقل فى السنوات الاخيرة ، لذا تبذل المجر جهودها للحصول على مزيد من العمال من الفروع الاخرى الى الصناعة ، وخاصة وهى تدخل مرحلة نمو اقتصادى كثيف ، زادت فيه مصادر التراكم من ٥ فى المائة الى ٢٥ فى المائة او ٢٧ فى المائة ، وليس من السهل تحقيق زيادة اكثر من ذلك ، لان القوة العاملة لا توفر مصادر هذه الزيادة ، فى الوقت الذى يتعين فيه على البلاد تنمية بنائها التحتى ، والتركيز على بعض القطاعات مثل الاسكان . وهو ليس استثمار انتاجى ، وانما مطلب معيشى أساسى ، فضلا عن ضرورة تحقيق سرعة نمو تؤمن للشعب مستوى معيشى طيب ومتنامى .

فاذا كانت البلاد تتجه لتخفيض ساعات العمل اسبوعيا ، لذا يغدو ضروريا للغاية استخدام الانسان وادوات الانتاج بأكبر درجة من الفعالية لتحقيق النمو الاقتصادى . لذا يركز المجريون كثيرا على هذا العامل : الفعالية . وبناء عليه فانهم يعتقدون ان تطوير الهيكل الاقتصادى يعد مسألة أساسية بالنسبة لهم لتحقيق هذه الفعالية ، كما يرون أنه يتعين عليهم تطوير وتنمية الفروع الاكثر نجاحا وانتاجية ، وعلى سبيل المثال زيادة معدل النشاط فى صناعة المركبات .

وهم يرون أن تركيزهم على زيادة فعالية النمو الاقتصادى ، كمهمة أساسية ، انما يعد نتيجة موضوعية لا لفترة التطور الاقتصادى التى تمر بها البلاد فحسب ، وانما ايضا نتيجة موضوعية للاوضاع الاقتصادية الدولية التى تتسم بارتفاع أسعار المواد الخام ، وازدياد حدة المنافسة على الاسواق ، والتى تعد المجر غير معزولة عنها ، بل وتتعرض لتاثيراتها ، وهى أوضاع تزيد دون شك من حدة المحاولات المجرية لحل المشاكل الخاصة بالبلاد وزيادة الفعالية الاقتصادية .

فقد أصبح من المهم للغاية الان ، من ناحية التسويق على سبيل المثال ، أن تنتج البلاد سلعا تستطيع المنافسة عالميا ، وخاصة فى ظروف انفجار الاسعار فى الغرب . ولذا فقد لا يصبح من المهم فى المستقبل مجرد تغيير هيكل الصناعة ، واعادة تشكيل الهياكل فقط ، وانما اعادة التشكيل داخل الهياكل نفسها لزيادة القدرة الانتاجية ، بوجه عام ، ولدى المجر خبراء مؤهلون لذلك .

والملاحظ بالنسبة لقطاع النقل مثلا ، أنه بتحديث هذا القطاع ، أمكن توفير عدة آلاف من العمال للعمل فى فروع أخرى ، كما تم وقف بعض الخطوط الانتاجية غير الاقتصادية فى السكك الحديدية ، وانقاذ بعض الاستثمارات الاخرى ، واعادة تنظيم بعض فروع الصناعة لانتاج سلع أخرى جديدة كذلك فقد أدى تحديث الزراعة الى توفير مزيد من الايدى العاملة التى وجهت الى الصناعة ايضا .

وفى نفس الوقت ، فان هناك مشكلة تتمثل فى تجميع الايدى العاملة ، لاعادة تدريبها ، من اجل زيادة سرعة التطور واستخدام آخر النتائج العلمية فى التطبيق ، ذلك أن المؤتمر الحادى عشر للحزب قد أوضح أن المفاتيح الهامة بالنسبة للسياسة الاقتصادية تتمثل فى التركيز على التحديث ، وتطوير الاقتصاد .

ويرى عدد من الاقتصاديين المجريين أنه يتعين

لتحقيق المزيد من الفعالية ، اعادة النظر في الاستثمارات ، على أساس ضرورة الاستثمار في الطاقة بالاضافة الى تحديث الهياكل الصناعية ، كما يتعين ايضا النظر باهتمام الى الوضع الاستهلاكي في البلاد على اساس أن رفع مستوى المعيشه في السنوات الخمس القادمه ، قد لا يتحق كما كان مرجوا بالضبط . وانه قد يتعين على البلاد ، الاقدام على الاقتراض من الخارج . وهي نقطة لم يحدد خط الحزب معالمها تفصيليا وانما بصورة عامة .

مشـــاكل التكنولوجيا

ومبدأ الحقوق المتساوية

وهناك ايضـا مشكلة التكنولوجيا والتطوير التكنولوجي ، لان اوروبا الشرقية ، ومنها المجر كانت اكثر اجزاء اوروبا تخلفا من هذه الناحية وكان المصدر الرئيسي للتزود بالخبرة التكنولوجية هو الغرب ، كما كانت الخطوات الاولى في التقدم التكنولوجي تقوم على التقليد ، وبالطبع ، فلقد كان الغرب يحول دون التعاون التكنولوجي مع الاتحاد السوفيتي ، لذا كان الاعتماد في المراحل الاولى على التقليد .

وقد تقدم الاتحاد السوفيتي الى حدكبيرفي العلوم العسكرية ، وعلوم الفضاء ، والحديد والصلب ، ولكن في الالكترونيات مثـلا وبعض القطاعات الاخرى ، فان المستوى يعد منخفضا . واذا كنا نحن نحتاج الى شراء التكنولوجيا ، فان الغرب لا يريد ان يبيع ، لان البلاد الغربية والشركات الاقتصادية تعتبر التكنولوجيا سلعة ثمينة جدا ، وتلك هي سياستهم التكنولوجية ، فالمعارف التكنولوجية تظل بعد كل شيء ، احتـكارا لهم ، وكلما انخفضت درجة التكنولوجيا ، كلما اصبحت امكانية التعاون بشأنها اكثر سهولة .

فالتكنولوجيا من الدرجة الاولى والثانية تعد باهظة وتقدم بشروط عديدة ، أما التكنولوجيا من الدرجة الثالثة ، فتعطى بترخيص ، أما التكنولوجيا من الدرجة الرابعة فتتم بالتبادل ، في حين تعتبر التكنولوجيا من الدرجة الخامسة والسادسة بغير ذي قيمة تكنولوجية كبيرة .

وتهتم المجر بالحصول على الخبرة التكنولوجية من الغرب ، على أساس مبدأ الحقوق المتساوية . وهي ترى أن مناخ التعايش السلمي ملائم لهذه الاتصالات التجارية أكثر من فترة الخمسينات ، وفي هذا الاطار تقوم البلاد باستيراد بعض المعدات الفنية للزراعة من الولايات المتحدة أو غيرها ، كما يجرى التركيز في الكوميكون على حل هذه المشكلة ، لانه من مصلحة المجر استخدام التكنيكات الحديثة ، وخاصة في مجال مثل صناعة الحاسبات والصناعات الكيمائية ، ومختلف فروع صناعة الالات ، مع التركيز في نفس الوقت على مبدأ الحقوق المتساوية .

[٣] منجـــزات تتجـــاوز الخطــــة

ولكن من المهم تماما بعد الاحاطة بتلك المشاكل والمصاعب ، ان نتعرف على مدى ما يحققه الاقتصاد المجرى ، من تطورات ، وخاصة في الفترة الاخيرة .

وبهذا الصدد نجد ان الاقتصاد القومي يحقق نتائج تفوق التي نصت عليها الخطة الخمسية الرابعة « ١٩٧١ ـ ١٩٧٥ » . فقد زاد الانتاج الاجتماعي بمعدل اكثر من المخطط له فبلغت الزيادة في الدخل القومي ٧ في المائة في حين كانت الزيادة المستهدفة في الخطة تتراوح ما بين ٥ الى ٥ر٥ في المائة .

وازدادت قيمة الانتاج في ١٩٧٤ عن ١٩٧٣ بمقدار ٢ر٨ في المائة ، في حين كان مخطط لها من ٥ر٥ في المائة الى ٦ في المائة . وترجع ٩٠ في المائة من زيادة الانتاج الى تحسن الانتاجية . وازداد انتاج شركات صناعة المركبات بنسبة ٢٠ في المائة . وقد تحسنت نوعية الانتاج ، وازدادت فعالية العمل ، وتحسن وضع الايدى العاملة في الصناعة الواسعة . وحققت الانشاءات زيادة ٥ في المائة في حين كان المستهدف في الخطة ٤ في المائة . وزادت الاستثمارات في هذا المجال في ١٩٧٤ بنسبة ٩ في المائة عن سنة ١٩٧٣ .

وفي مجال الزراعة ، ازدادت قيمة الانتاج الزراعي عامة بنسبة ٣ر٧ في المائة عن ١٩٧٣ ،

وازداد الدخل من حيوانات الذبح بنسبة ١٥ فى المائة ، وازداد انتاج اللبن بنسبة ٧ فى المائة .

ازدياد الاجور والدخول الحقيقية :

وازدادت الاجور الحقيقية بالنسبة لكل فرد بنسبة ٥ر٥ فى المائة . عن العام الذى سبقه « اى ١٩٧٣ » وازدادت الدخول الحقيقية بالنسبه لكل فرد بنسبة ٦ر٦ فى المائة . وازداد الاستهلاك العام بنسبة ٩ر٦ فى المائة . وتم انجاز ما حددته الخطة بشأن بناء الشقق السكنية ، وبنيت بالفعل ٠٠٠ر٨٨ شقة سكنية فى كل انحاء البلاد .

وبلغ متوسط الاجر الشهرى للعامل الصناعى فى قطاع الدولة والقطاع التعاونى ٢٦٤٦ فورنيت « الدولار حوالى ٢٠ فورنيت » . وبلغ اجمالى عدد المستخدمين فى الاقتصاد القومى ١ر٥ مليون شخص ، أى أن كل ١٠٠ مشتغل يحصلون على أجور ، ينفقون على ١٠٢ شخصا آخرين .

كذلك فقد اصبح انتاج المجر الصناعى عام ١٩٧٤ يعادل ١٠ مرات انتاجها قبل التحرير . وتعد المجر اليوم — طبقا للحقائق والسمات الدولية — من بين الدول الصناعية متوسطة التطور .

وقد حققت الصناعة ، والانشاءات ٥٦ فى المائة من الدخل القومى ، كما يتمثل احد النجاحات الاقتصادية الكبرى فى الثلاثين عاما الاخيرة فى المجر فى انه بالرغم من ندرة مصادر الحديد فيها تمكنت المجر من انشاء فرع متقدم جدا لصناعة سبك الحديد وقد حققت الصناعة الكيميائية وحدها فى العام الماضى ، انتاجا قيمته تعادل مرة ونصف قيمة انتاج الصناعة المجرية كلها خلال عام ، فى فترة ما قبل الحرب ، وزاد انتاج الادوية بمقدار ٧٠ مرة عما كان عليه ايام التحرير ، وتساهم المجر بـ ٥ فى المائة من مجمل الصادرات الدوائية فى العالم اليوم .

وزاد انتاج مناجم البوكسيت وهو اهم ثروة معدنية لدى المجر ٤ مرات عما كان عليه قبل الحرب ، وبلغ هذا الانتاج ٧ر٢ مليون طن فى ١٩٧٤ . وازداد انتاج الالومنيا ١٥ مرة ، وفى حين كان استهلاك الفرد من الالومنيوم منذ عشر سنوات ٦ر٤ كيلو جرام ، بلغ فى عام ١٩٧٤ ، ١٣٠ كيلو جرام .

وتحتل المجر المرتبة من الـ ٢٥ الى ٢٨ فى القائمة العالمية لمستوى التطور الاقتصادى ، وتضم المجر ٢٦ ر فى المائة من سكان العالم ولكن انتاجها الصناعى يبلغ حوالى ٥ر فى المائة من الانتاج الصناعى العالمى ، ونصيبها فى التجارة العالمية ٨ر فى المائة .

وقد احتلت اشكال الملكية الاشتراكية « ملكية الدولة والملكية التعاونية » مكانة الصدارة فى المجتمع بأسره منذ التحرير ، فأصبحت ٩٨ فى المائة من وسائل الانتاج الصناعية و٩٧ فى المائة من وسائل الانتاج الزراعية فى أيدى القطاع الاشتراكى . وقد جعلت هذه الظروف الانتاجية ، الاقتصاد الاشتراكى المخطط ، ممكنا فى المجر . كذلك فقد ازداد فى العقد الماضى ، التركز الشديد سواء فى الصناعة أو الزراعة انتقالا من الوحدات الاصغر الى الوحدات الصناعية والزراعية الكبيرة .

اما فيما يتعلق بالانتاج الزراعى ، فان متوسط الانتاج والمحاصيل بلغ ارقاما عالية وممتازة ، حتى على المستوى العالمى ، وخاصة بالنسبة للقمح والذرة وتربية الخنازير والدواجن . ويعزى ذلك الى امكانية تطبيق آخر منجزات التكنولوجيا الزراعية ، على نطاق واسع ، فى المزارع الاشتراكية الواسعة . كذلك نجد انه قبل اعادة التنظيم التامة للزراعة التعاونية « سنة ١٩٦٠ » كان لكل ١٣٠ هكتارا من الارض جرار واحد ، والان أصبح لنفس هذه المساحة ٤٢ جرارا . وازداد استخدام الاسمدة الصناعية من ٢ الى ٣ كيلو جرام للهكتار قبل التحرير ، الى ٣٠ كجم قبل بدأ الزراعة التعاونية ، الى ٢٤٥ كجم الان . كذلك كان تحسن الانتاج الزراعى كبيرا فى كل فروع الزراعة تقريبا . وفى العشر سنوات الاخيرة ، بلغ متوسط انتاج القمح ٨ قناطير فى الهكتار الواحد ، ومتوسط انتاج الذرة والشعير من ١٥ الى ١٨ قنطارا فى الهكتار الواحد . وفى ديسمبر ١٩٧٤ تجاوز عدد الخنازير ٣ر٨ مليون رأس . وتزيد قيمة الانتاج الزراعى اليوم بنسبة ٦٠ فى المائة عما كانت قبل التحرير ، وقد تحقق ثلثا هذا النمو فى الخمس أو الست سنوات الاخيرة . وفى الخطة الخمسية الثانية « ١٩٦١ _١٩٦٥ » كان متوسط نمو الانتاج يبلغ ٦ر١ فى المائة سنويا ، وفى الخطة الثالثة « ١٩٦٦ _١٩٧٠ » كان ٧ر٢ فى المائة وبلغ من ٥ر٤ فى المائة الى ٥ فى المائة فى الاربع سنوات المنصرمة من الخطة الخمسية الرابعة . وقد تحققت بالفعل نسبة النمو التى تبلغ ١٦ فى المائة والتى حددت للخطة الخمسية الرابعة كلها حتى ١٩٧٤ .

أما فيما يتعلق بالدخل القومى ، فقد ازداد فى ١٩٧٤ بنسبة ٧ فى المائة . وكانت النسبة المحددة للزيادة فى الخطة تتراوح بين ٥ر٥ فى المائة و٦ فى المائة . وقد ساهم القطاع الاشتراكى بـ ١ر٩٨ فى المائة من الدخل القومى ، وساهم القطاع الخاص بـ ٩ر١ فى المائة منه . ويبلغ النصيب الذى تسهم به التعاونيات فى دخل القطاع الاشتراكى ٨ر٢٣ فى المائة ، والباقى ينتجه قطاع الدولة . والصناعة هى القطاع الحاسم ليس فحسب فى الانتاج ، وانما أيضا فى استخدام الدخل القومى . اذ تخصص نسبة ٤٠ الى ٤٢ فى المائة من الاستثمارات للصناعة والانشاءات ومن ١٥ الى ١٨ فى المائة للزراعة ، ومن ٢٧ الى ٢٩ فى المائة للشئون البلدية ، ومن ١٢ الى ١٤ فى المائة للنقل والمواصلات السلكية واللاسلكية .

ومن ناحية أخرى ازداد دخل المجر من السياحة فى العام الماضى بنسبة ٧ فى المائة ، وحققت السياحة دخلا مجمله ٨٢ مليون دولار و ١٠٠ مليون روبل ، وزار المجر فى ١٩٧٤ ٢ر٨ مليون أجنبى بزيادة ١٥ فى المائة عن سنة ١٩٧٣ .

[٤] مجتمـــــع الـ ٨٠ ٪

والواقع أن المجر لم تبدأ رحلتها الاقتصادية الاجتماعية الحديثة من فراغ ، فقبل التحرير لم تكن بلدا متخلفا كلية انما كانت هناك مصانع للنقل والصناعات الخفيفة والغذائية والمواصلات السلكية واللاسلكية ، وكانت كما يقول بروفيسور الاقتصاد المجرى « **ميهالى شيمايى** » « كالبرتغال اليوم » وقد أجرت تحولا صناعيا كبيرا فى الخمسينات ادى الى خلق هيكل اقتصادى كبير .

ولم يكن التصنيع الذى أقيم قبل ١٩٥٦ حديثا ، بل كان « مثل الاقتصاد الغربى فى القرن ١٩ » ، كما كانت الزراعة قبل الحرب العالمية الثانية متخلفة عامة من ناحية القوى الانتاجية ، ومن ناحية الالات والميكنة والعلاقات الاقطاعية وشبه الاقطاعية .

يقول نفس البروفيسور : « ولقد اجرينا اصلاحا زراعيا ، وفى البداية مزارع جماعية على النسق السوفيتى ، لم تكن فعالة ، وذلك لان انشاء المزارع الواسعة ، يتطلب الميكنة والاستثمارات الواسعة . وبعد ١٩٥٦ تم حل هذه المزارع الجماعية وبقى قليل منها • ولم يحدث تغيير كبير فى الهيكل الاقتصادى بعد ١٩٥٦ . وانما اردنا اصلاح بعض الاجراءات التى اتخذت قبل ١٩٥٦ . وبعد ١٩٥٦ انشأنا المزارع التعاونية التى اصبحت فعالة للغاية خلال عشر سنوات ، وأصبحت اكثر المزارع فعالية ، وفى آخر الستينات ، وصلت الزراعة الى مستوى عال من الانتاجية • وقد تمثلت اخطاء ما قبل ١٩٥٦ ، فى ان الصناعة كانت غير فعالة ، كذلك فبينما كان التخطيط المركزى جيدا فى البداية ، الا أنه اصبح غير فعال بعد ذلك ، لانه لا يمكن تخطيط كل شىء مركزيا ، وتراكمت عديد من الاخطاء التى لم تحل ولذلك بدأ الاصلاح بالغاء الادارة المركزية ، والنظام المركزى للادارة » .

وبدأ تطور صحى بعد ١٩٦٨ ، اذ تركت الحرية للمؤسسات الصناعية لتحديد احتياجاتها دون تدخل مركزى ، وكان أول رد فعل لذلك هو الاندفاع نحو الاستثمار بكل ما يمكن ، واتجهت كافة الشركات والمؤسسات على هذا النحو ، لذا كان لابد من التخفيف من حرية الاستثمارات فى ١٩٧١ بصورة جوهرية ، مما أدى الى تحسن الانتاج والنوعية . وبهذا الصدد يقول المجريون : لقد وضعنا نصب اعيننا نموذج يوغوسلافيا ، كيلا نكرر اخطائها ، باطلاق حرية الاستثمار على عواهنها .

والواقع انه تجدر الاشارة ، من اجل المزيد من فهم الواقع الاقتصادى الراهن فى المجر ، الى التطورات والظروف السابقة التى أحاطت باقتصاد هذا البلد فى العقود الخمسة الاخيرة ، وبهذا الصدد نقول انه كان للازمة الاقتصادية العالمية فى الثلاثينات آثارها الوخيمة فى المجر ، اذ كان هناك عدد كبير من المتعطلين ، فضلا عن الاختلال الكبير فى الميزان التجارى . وكانت المجر من اكثر بلاد أوربا تخلفا من الوجهة الاقتصادية ، وكان الانتاج الصناعى بالنسبة لكل فرد من السكان ، يصل بالكاد الى ثلث انتاج دول أوربا الغربية المتقدمة ، وكان انتاج الطاقة الكهربائية بالنسبة لكل فرد من السكان يصل الى ٢٣ فى المائة من الانتاج فى هذه الدول الغربية المتقدمة ، والحديد الخام ١٧ فى المائة ، والصلب ٢٥ فى المائة والأسمنت ٣١ فى المائة .

وازدادت مشاكل المجر ببدء الحرب العالمية الثانية ، فعم الدمار والخراب والمآسي ، ودمرت ٤٠ في المائة من الثروة القومية ، ونسف أكثر من ٣٠٠٠ جسر و ٧٠ في المائة من المساكن في بودابست . وبلغ مجموع الخسائر في الحرب ، ما يعادل مجمل الدخل القومي للبلاد في خمس سنوات ، وكانت الخسارة كبيرة جدا في الارواح ، اذ قتل ما يقرب من ٦٠٠,٠٠٠ مواطن من شعب تعداده ٩ مليون نسمة . وفي السنتين الاوليين بعد الحرب سنة ١٩٤٦ ، سنة ١٩٤٧ ، كان مجمل الانتاج القومي يعادل ثلثي ما قبل الحرب ، وكان هناك تضخم بالغ يعتبر وكأنه التضخم النموذجي ، وكان العمال يهرعون بمجرد تلقي اجورهم الى شراء السلع ، التي لن يجدونها اذا تأخروا في الشراء .

وقد تحددت بعد ذلك مهمتان رئيسيتان هما : ١ ـ اعادة بناء البلاد ٢ ـ وضع أسس المجتمع الاشتراكي ، الامر الذي كفل تحول البلاد الى بلد صناعي زراعي متقدم .

الفارق بين دخل المزارع والرأسمالي ١ الى ١٢٦

وبينما كان الفارق بين دخل الفلاح الصغير في السنة « ١٠٠٠ بنجو » وبين دخل الرأسمالي « ١٢٦,٠٠٠ بنجو » ضخما للغاية . تحقق الان التوازن بين دخل العمل الصناعي ، والعمل الزراعي .

وفي ١٩٤٨ بدأ التصنيع مع التأميم ، وأممت قطاعات صناعية واسعة . ففي ١٩٤٨ ـ ١٩٤٩ أممت المصانع التي يعمل فيها أكثر من ١٠ عمال ، ثم أممت البنوك والنقل ، وفي الزراعة ، بينما كان صغار الحائزين الذين يملكون ٢,٨ هكتار فأقل ، والذين يبلغ عددهم ٧٢,٤ في المائة من اهل الريف يستحوذون على ١٠,١ في المائة فقط من الاراضي الصالحة للزراعة ، كان اصحاب الضياع الواسعة « اكثر من ٥٧ هكتارا » والذين يمثلون ٨,٠ في المائة من ملاك الارض يستحوذون على ٤٨,١ في المائة من الاراضي الصالحة للزراعة . ولذا فقد كان من الامور ذات المغزى السياسي الهام للغاية فور التحرير ، اجراء اصلاح زراعي في البلاد ، وقد تم بالفعل في ١٩٤٥ وضع حد لملكيات الاراضي الكبيرة ، ووزعت اكثر من ٩٠ في المائة من الاراضي على الفلاحين الفقراء ، وصغار الحائزين ، والاقنان ، وخدام كبار ملاك الاراضي ، والبروليتاريا الزراعية المعدمة ، واستفاد من التوزيع ٦٥٠,٠٠٠ من هؤلاء ، وهو رقم ينبغي أن ينظر اليه في ضوء انخفاض عدد السكان في البلاد وقد كان ذلك اصلاحا زراعيا جذريا ، وأساسا للتطور الاقتصادي التالي . واليوم يقوم القطاع الاشتراكي « مزارع الدولة والتعاونيات » بزراعه ٩٧,١ في المائة من الاراضي الصالحة للزراعة ، في حين تبلغ المساحة التي يستحوذ عليها ملاك الاراضي الفرديين ٢,٩ في المائة . في الوقت الذي أصبحت فيه نسبة ٢٥ في المائة فقط من القوة العاملة في المجر ، تعمل في الزراعة .

وبفضل التخطيط الاشتراكي أمكن اكتشاف واستخدام الاحتياطيات المتوفرة في البلاد ، والتي لم يكن النظام الرأسمالي ، قادرا على استخدامها . فمثلا كان هناك قبل الحرب عدد كبير من المتعطلين ، لذا تم بعد ذلك توفير العمل لـ ٣,١ مليون مواطن ، وبعد أن كان هؤلاء الناس مجرد مستهلكين فقط ، فانهم أصبحوا الان يشاركون في زيادة الانتاج . وزيادة مصادر التراكم الذي ارتفعت النسبة المستخدمة فيه من ٥ في المائة الى ٢٥ في المائة . وهي عامل هام ، اذا كان هناك مصدران للتطور والنمو هما زيادة عدد العمال ، وزيادة مصادر التراكم .

كذلك فانه يمكن القول ، أن تأسيس المزارع التعاونية ومزارع الدولة الواسعة قد ادى الى ثورة كبرى ثانية في الزراعة المجرية ، وقد اكملت هذه العملية في ١٩٦١ ، واعقبها تقدم كبير وسريع .

أما في الصناعة فقد تم التركيز بعد المرحلة الاولى ، وهي مرحلة اعادة البناء ، على بناء الصناعة الثقيلة ، ولما كانت الصناعة الغذائية والخفيفة ، قد نشأت قبل الحرب ، لذا عملت المجر على تطوير الصناعة الكيميائية ، وصناعة الالات ، وامكن تحقيق نتائج طيبة في صناعة المركبات ، والالات الكهربائية ، والصناعة الكيميائية ، وخاصة الادوية ، واخيرا الهندسة البتروكيميائية ، التي تطورت كثيرا . كذلك تعمل المجر على حل مشكلة التطور الفني بنفسها بقدر الامكان ، ويعتبر خبراؤها أن هذه مسألة وقت ، لا شيء آخر ، خاصة وانهم يشيرون الى أن بعض منتجات جمهورية المانيا الديموقراطية متقدمة كأي منتجات غربية .

وفي المرحلة الثانية لتنمية الاقتصاد ، جرت التنمية على أساس تحقيق التكامل ، لانه بدون ذلك لم يعد ممكنا الوصول الى اقتصاد حديث . وبهذا الصدد ، اقامت المجر فيما يتعلق مثلا بالهندسة البتروكيميائية ، اتصالات دائمة بالاتحاد السوفيتي عن طريق خط الانابيب ، ونفس الوضع كذلك بالنسبة للحاسبات الالكترونية ، حيث اقيم التكامل والتخصص بين دول الكوميكون .

[٥] من مالك نصف المليون فدان

الى « المزرعة التعاونية » الاشتراكية

يلعب القطاع التعاونى بفروعه الثلاثة ـ والذى يحتل المرتبة الثانية من الاهمية ـ بعد قطاع الدولة ـ يلعب دورا هاما فى الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للمجر .

فثلاثة أرباع العمل الزراعى يتم بواسطة التعاونيات الزراعية وثلث التجارة الداخلية يتم بواسطة التعاونيات الاستهلاكية وتنتج التعاونيات الصناعية ٨ فى المائة من اجمالى الانتاج الصناعى فى المجر .

ولم يكن الطريق أمام الحركة التعاونية فى المجر سهلا ميسرا بالرغم من مساندة الدولة ودعمها .. وتعثرت التعاونيات كثيرا قبل ان تضع قدمها على الطريق السليم الذى فتح أمامها آفاق التطور والازدهار وأوصلها الى ماهى عليه اليوم من أهمية فى التجربة المجرية .

ويمكن القول ان تطور ونمو القطاع التعاونى فى المجر كان انعكاسا حيا وواقعيا ـ لنمو وتقدم الممارسة الديمقراطية للجماهير صاحبة المصلحة فى التقدم الاجتماعى وبناء الاشتراكية .

ففى أعقاب التحرير من الاحتلال النازى ـ كانت الضرورات السياسية والاقتصادية تفرض تحقيق مطالب الفلاحين فى الارض وتحقيق شعار الارض لمن يفلحها .

كان ثلث العاملين فى الزراعة فلاحين معدمين والثلث الآخر لديهم ٩ فى المائة من الاراضى بينما كان هناك ١٢ الف مالك يملكون اكثر من ٥٠ فى المائة من الاراضى الزراعية [١] .

وصدر قانون الاصلاح الزراعى عام ١٩٤٥ ـ وبمقتضى هذا القانون تم توزيع ١٫٨ مليون هكتار من الاراضى ـ أى نحو أربعة ملايين ونصف من الافدنة على ٦٤٢ الف اسرة من الفلاحين .

وسرعان مابدأ واضحا ـ ان المزارع الصغيرة لايمكن ان تفى بالاحتياجات المتزايدة ـ وبدىء تنظيم التعاونيات عام ١٩٤٩ ـ حيث تكونت مئات من المزارع التعاونية .على أسس مختلفة من حيث علاقات العمل والانتاج ، والى جانب اثنى عشرنوعا من المزارع التعاونية البسيطة كانت هناك مزارع تعاونية متطورة يمكن تصنيفها الى ثلاثة نماذج وهى :

١ ـ تعاونيات تتم زراعة الارض فيها جماعيا ، الا ان الحصاد يتم اسريا .

٢ ـ تعاونيات يفعل اعضاؤها كل شىءويوزعون الدخل حسب المساحة المملوكة أصلا لكل واحد .

٣ ـ تعاونيات يعمل اعضاؤها ، ويوزعون الدخل تبعا لقيمة العمل الذى قام به الفرد .

• لارض لمن يفلحها ـ ليس كافيا

الا أن الفلاحين الذين فرض عليهم الانضمام للتعاونيات ولم يكن هناك الصبر الكافى لاقناعهم بأن تشكيل التعاونيات فى صالحهم ـ خشوا ان تكون هذه طريقة لاستعادة الارض منهم .. لم يتوافر لديهم الاقتناع والحماس للعمل التعاونى .. بالاضافة الى انعدام الخبرة فى ادارة المزارع الكبيرة ـ وعدم معرفة الفلاحين كيفية استخدام الالات مما ادى الى استهلاك الالات وتلفها خلال عامين فقط .

وهكذا وبالرغم من توافر الاعتمادات المالية بشكل أكبر من الماضى .. وماقدمته الدولة للتعاونيات من آلات وأسمدة وبذور ـ فان الانتاج تدهور بشكل ملحوظ .

وهكذا شهد عام ١٩٥٣ توقف التقدم الكبير فى الحركة التعاونية المجرية ـ وثبت أن شعار الارض لمن يفلحها وحده ليس كافيا لاذكاء حماس الفلاحين ـ وكان لابد من بداية جديدة تقوم على ثلاثة أسس :

١ ـ حملة واسعة النطاق لاقناع الفلاحين بصبر وتسامح كبيرين بأن التعاونيات تعود عليهم بالمصلحة ـ واستخدم فى الحملة دعاة ذهبوا من المدن الى القرى .

[١] على سبيل المثال كانت عائلة استرهازى تملك ٢٩٤ الف هكتار ، وعائلة شوتبورتز كانت تملك ١٢٧ ألف هكتار ، وعائلة كمبدجز كانت تملك ١٢٢ الف هكتار

وكان عملا صعبا للغاية ، فما كان باستطاعة الفلاحين الثقة بهؤلاء الدعاة الذين لا يستطيعون أن يقدموا نموذجا ناجحا للمقارنة بالنماذج الفاشلة والسيئة التي عرفها الفلاحون وفي نهاية الامر نجحت الحملة في كل المجر .

٢ ـ اعتبار أن الحافز المادي عاملا حاسما لدى المنتجين

٣ ـ ان الديمقراطية لا تعني فقط حق الانضمام الاختياري للتعاونيات ـ وانما تعني استقلالا حقيقيا للمنظمات التعاونية ـ فالاعضاء هم الذين لهم الحق في رسم سياسة وخطة الانتاج والمحاصيل ـ وهم الذين يقررون الاندماج مع غيرهم من عدمه، وهم الذين ينتخبون رئيس التعاونية ولجنتها القيادية ـ كما لا يستطيع الوزير المختص اتخاذ قرار يمس التعاونيات الا بعد موافقة الاتحاد المركزي الذي يتعين ان تمر كل النظم أو القوانين من خلاله وموافقته المسبقة شرط اساسي لاقرارها النهائي .

المزارع التعاونية الجديدة

وخصصت الدولة للمزارع التعاونية الجديدة خمس الاستثمارات في تلك الفترة ـ وباعت أراضي الامراء وكبار الاقطاعيين الذين هربوا من البلاد الى التعاونيات الزراعية باثمان زهيدة جدا وفي عدد كبير من التعاونيات كانت هذه الاراضي تمثل ٥٠ في المائة من الاراضي التعاونية ، بينما تشكل أراضي الفلاحين المنضمين للتعاونية النصف الاخر .

وتقدمت الدولة للتعاونيات كمية كبيرة من الالات والحبوب مجانا ، او بقروض تشجيعية وزودت التعاونيات بالاف الخبراء من مختلف الفروع في الوزارات والحزب ـ وقامت بزيادة الاسعار للمنتجين ـ وتقرر صرف معاشات لاعضاء التعاونيات وتطبيق قانون الضمان الاجتماعي عليهم

ووصل عدد المزارع التعاونية الى ٤٥٠٠ مزرعة من بينها مزارع للروم الكاثوليك أو الكالفنيين وفي باديء الامر كان في بعض القرى اربعة تعاونيات وكان للفلاح الحق في التنقل من تعاونية لاخرى .

وعلى امتداد السنوات السبع التالية ـ وخلال عملية اعادة التنظيم الاشتراكي للزراعة ـ اقتنع الفلاحون التعاونيون بأن المزرعة التعاونية الاكبر والاحدث في وسائل الانتاج والتي تملك امكانيات اكبر ـ تحقق فائدة اكبر ودخولا اعلى لاعضائها فاخذت المزارع تندمج في بعضها حتى اصبحت ١٦٠٠ مزرعة فقط وتتراوح مساحة المزارع التعاونية من الف هكتار الى ٢٠ الف هكتار بمتوسط ٣٦٥٠ هكتارا للمزرعة الواحدة .

وبفضل هذه السياسة نما الانتاج الزراعي بنسبة ١ر٥ في المائة عام ٦١ و ٦٢ وارتفعت النسبة الى ٢ر٨ في السنوات من ١٩٦٦ الى ١٩٧٠ وخلال السنوات الاربع الاولى من الخطة الخمسية الحالية بلغ النمو ٥ر٥ في المائة وبلغ عدد الذين يحصلون على اجور في الزراعة ٢١ في المائة من القوة العاملة .. وامكن تحويل ١٥ في المائة من المساحة المزروعة لاستخدامها لخدمة فروع أخرى وتضاعف انتاج القمح والذرة مرتين .

وبفضل اعادة التنظيم والمزارع الكبيرة والميكنة أمكن تخفيض عدد العمال الزراعيين من مليون وسبعمائة وخمسين الف الى مليون عامل فقط وتحويل الاخرين للصناعة والمجالات الاخرى .

وبالرغم من ذلك فان العاملين بالزراعة مازال كبيرا بالمقارنة ببلاد مثل هولندا أو بلجيكا والدانمارك حيث نجد أن عدد العاملين يقل بنسبة ٢ او ٣ في المائة عن العاملين في الزراعة في المجر رغم تساوي مساحة الارض تقريبا .

وهذا الهدف مطروح على اساس ان الميكنة الحديثة المطورة بالتعاون مع البلدان الاشتراكية الاخرى سوف تؤدي الى توفير عدد من العاملين بالزراعة .

وفي عام ١٩٦٨ أصبح التعاونيون أقوياء بدرجة كافية كي تطالبهم الدولة برد القروض اليها .

وفي ديسمبر عام ١٩٧١ كان الموقف في البلاد قد اصبح صالحا ليجيز البرلمان قانون التعاونيات ـ الذي حدد وضع التعاونيات بانها تنتمي الى النظام الاشتراكي وهي ملكية عامة ـ وأعضاء التعاونية الصناعية أعضاء في الطبقة العاملة ـ واعضاء التعاونية الزراعية اعضاء فلاحين متحالفين مع العمال ـ وهذا القانون يعطي التعاونيات نفس حقوق مؤسسات الدولة .

وفي يونيو ١٩٧٤ كان عدد أعضاء التعاونيات الزراعية ٩٦٤ الف عضو من بينهم ٥٤١ الفا عاملين ، و ٤٢٣ الفا على المعاش أو يحصلون على مخصصات . اما عدد الموظفين الدائمين فقد وصل الى ١٧٠ الف موظف ، وكل حقوق العمال الصناعيين ممنوحة للفلاحين ويستطيع الفلاح أن يتقاعد في سن الستين والسيدات في سن الخامسة والخمسين .

وتشكل التعاونيات الزراعية في كل اقليم من اقاليم المجر التسعة عشر ـ اتحادا اقليميا تمثل

فيه كل تعاونية فى الاقليم باثنين مندوبين منتخبين من الجمعية العمومية للتعاونية .

ومهمة الاتحاد الاقليمى ــ الموازنة بين الاسعار والاجور واعطاء النصيحة للتعاونيات عما هو الاهم والمطلوب انتاجه من المحاصيل والذى سوف يعود بالفائدة عليهم ــ ويمثل الاتحاد الاقليمى التعاونيات أمام الجهات الاخرى .

ويقود الاتحاد العام المركزى للتعاونيات الزراعية الحركة التعاونية الزراعية على مستوى المجر كلها ــ ويتشكل المجلس القومى للاتحاد من ١٢٥ عضوا ، مائة منهم منتخبون من الاتحادات الاقليمية طبقا لعدد التعاونيات فى كل اتحاد و ٢٥ عضوا من الخبرات الخاصة كاساتذة القانون والعلوم .

ورئيس الاتحاد التعاونى المركزى عضو فى اللجنة المركزية لحزب العمال المجرى وخمسة من أعضاء المؤتمر انتخبوا أعضاء فى البرلمان الحالى الذى جرت انتخاباته مؤخرا .

زيارة ميدانية

وفى زيارة ميدانية لمزرعة تعاونية فى « بلاتون كنيشى » بالقرب من بحيرة بلاتون الشهيرة .. وهى واحدة من المزارع المتوسطة من حيث مساحة الارض [٢] ، ولكنها تدار بأفضل الطرق الحديثة وانتاجها الرئيسى تربية الاغنام والماشية والحيوانات ــ والزراعة فيها تخدم هدفا انتاجيا للحيوانات ، وبها ايضا مصنع كيماويات ومحجر .

وتنتج هذه المزرعة ١٠ مليون بيضة سنويا و ٤ آلاف من أنثى الاغنام وترسل للذبح ٨ آلاف خنزير متوسط وزن الواحد مائة كيلو ــ وبالمزرعة ١٢ الفا من رؤوس الماشية منها ٤٠٠ بقرة تنتج الواحدة منها ٢٣٠٠ لترا من اللبن سنويا .

عدد أعضاء المزرعة ٧٠٠ عضو ، يعمل منهم فعلا نحو خمسمائة شخص والباقى فى المعاش . ولابد أن يعمل كل شخص من شهرين الى ثلاثة أشهر حتى يثبت أهليته للعضوية .

وأعلى هيئة فى المزرعة التعاونية هى الجمعية العمومية [٣] التى تضم كل أعضاء المزرعة وتجتمع مرتين فى العام .
المرة الاولى فى شهر مارس من كل عام لمناقشة الخطة المقبلة والمرة الثانية فى نهاية ديسمبر من كل عام لتقديم كشف حساب عن انتاج العام السابق .

ويسبق اجتماع الجمعية العمومية للمزرعة اجتماع لكل فرع من الفروع ــ وتنتخب الجمعية العمومية بالاقتراع السرى ــ اللجنة الادارية القيادية للمزرعة وتتألف من ١٩ عضوا ١٥ رجلا ــ ٤ نساء » ومدتها اربع سنوات .

نظام الاجور وحقوق العاملين

وتنتخب الجمعية العمومية للمزرعة رئيس المزرعة ونوابه مباشرة كما تنتخب لجنة للرقابه ــ ويلاحظ أن الاعضاء الموجودين بالمعاش لهم كامل الحقوق التى لاعضاء المزرعة الاخرين .. وفى نفس الوقت فان زوجة عضو المزرعة التى تعمل فى مكان آخر لا تعد عضوا فى المزرعة .

ويحصل العاملون على اجورهم شهريا طبقا لما يحققونه وهم يعملون ٥ ايام فى الاسبوع ــ ومتوسط دخل الفرد سنويا ٤٨ الف فورينت .

الحد الادنى للاجر فى السنة ١٨٫٠٠٠ فورينت .
الحد الادنى للاجر فى الشهر ١٥٠٠ فورينت .

الحد الادنى للاجر فى السنة ١٨٫٠٠٠ فورينت.
متوسط اجر الخبير ٦٠٠٠ فورينت فى الشهر.

والذين ساهموا فى تأسيس المزرعة بأرضهم السابقة فانهم يأخذون ايجارا لهذه الارض ، ثم يأخذون أجورهم على العمل ولا يزيد الايجار كله عن ٥ فى المائة من الاجر .

ولكل عضو من أعضاء المزرعة السبعمائة نصف هكتار «فدان تقريبا » خاصة به تزرع مجمعة ويحصل كل عضو فى النهاية على ما يقرب من ١٫٥ طن أذرة بدون ضرائب .

ولا يستطيع العضو بيع عضويته الى شخص آخر ولكنه يستطيع ــ بيع الفدان الخاص به للمزرعة التعاونية .

وللزوجة التى يموت زوجها العضو فى المزرعة ــ الحق فى الاحتفاظ بقطعة الارض النصف هكتار كأرض خاصة بها ، ولها الحق فى المسكن وتربية الحيوانات .

[١] تتكون المزرعة من ٥ قرى ومساحتها ٥٠٠٠ هكتار يزرع منها ٣٥٠٠ هكتاروتمتد نحو ٣٠ كيلو متر ويوجد بكل قرية مسرح وسينما ومكتبة ، وبالمزرعة أوركسترا .
[٣] أعضاء الجمعية العمومية ٦٩٦عضوا منهم ٣٨٤ رجلا و ١٩٠ امرأة و ١٩٥ فى المعاش .

واذا مات العضو بدون زوجة أو أطفال واذا كان الورثة ليسوا أعضاء ، فالمزرعة التعاونية تؤجر الارض أو تشتريها .

وتعمل المزرعة التعاونية على تقديم تسهيلات لاعضائها من أجل بناء مساكن جديدة لهم .. واغلب هذه المساكن به حديقة خاصة وتتوفر له التدفئه المركزية — ومكون من دورين — الدور الاول حجرة استقبال ومطبخ. وبالدور العلوى ٣ حجرات فضلا عن الحمام وملحق بالمسكن جراج للسيارة .

ويتكلف بناء مثل هذا المسكن حوالى ٣٠٠ الف فورينت تقدم المزرعة للعضو ٨٠ الف فورينت كمنحة من جانبها بشرط أن يكون قد أمضى خمسة سنوات في المزرعة . وتقدم الدولة منحة قدرها ٣٠ الف فورينت عن الطفل الواحد اذا كانت الاسرة قد انجبت فعلا — كما يستطيع المزارع ان يحصل على قرض من الدولة يصل الى ١٥٠ الف فورينت يسدد على ثلاثين عاما .

ما هى علاقة المزرعة بالحزب ؟ بالمزرعة ١٢ لجنة حزبية قاعدية ، ولجنة واحدة قيادية شاملة ، وتضم لجنة الحزب بالمزرعة ٣٦٠ عضوا ، ولها سكرتير متفرغ كل الوقت تدفع المزرعة مرتبه وتقدم المبانى اللازمة لذلك .

كما يوجد بالمزرعة رابطة للشباب الشيوعى تضم ١٨ لجنة قاعدية للشباب مجموع أعضائها ٥٢٠ عضوا وتقودها لجنة قيادية واحدة — سكرتيرها متفرغ — وتدفع مرتبه التعاونية الصناعية التى تقع فى نفس نطاق المنطقة .

[٦] كيف تنتج « التعاونيات » الصناعية ... و٢٠ سلعة ؟

يتسم واقع الانتاج الصناعى فى المجر ، بأنه فى حين تتولى الانتاج الكبير المصانع الكبيرة للدولة ، فان التعاونيات الصناعية تضم المصانع الصغيرة والمتوسطة . ويبلغ متوسط العاملين فى التعاونية الصناعية ٣٠٠ شخص ، وان كان عددهم يبلغ فى بعض التعاونيات ٦٠ شخصا ، وفى البعض الاخر ١٥٠٠ شخص .

وتنتج التعاونيات الصناعية حوالى ٨ فى المائة من مجمل الانتاج الصناعى ، وقد بلغت قيمة انتاجها فى العام الماضى «١٩٧٤» ٤٠ مليار فورينت، وهو ما يعادل ٢ مليار دولار ، والمقرر ان يبلغ انتاجها هذا العام ٤٥ مليار فورينت ، أى ما يعادل ٢ر٥ مليار دولار . ومن هذه القيمة تنتج سلع للتصدير بـ ٨ مليار فورينت ، « أكثر من ٤٠ فى المائة منها الى الدول الرأسمالية ، والباقى الى الدول الاشتراكية التى يعد الاتحاد السوفيتى اكبر مشتر منها ، وتنتج التعاونيات سلعا تباع فى السوق الداخلى قيمتها ٨ مليار فورينت وتقوم بنشاط فى صناعة البناء تعادل قيمته ٨ مليار فورينت ، ثم تقدم خدمات بما قيمته ٢ مليار فورينت والباقى هو قيمة المنتجات التى يتم انتاجها بين التعاونيات والدولة كما تنتج التعاونيات الصناعية ٧٠ فى المائة من انتاج الالكترونيات المخصصة للتصدير .

وتوجد بالمجر ١٠٨٨ تعاونية صناعية يعمل فيها حوالى ٣١٥ الف عامل ، ويشمل نشاطها مختلف فروع الصناعة تقريبا ما عدا المنتجات الضخمة ، وفرعى التعدين والطاقة . وهى تنتج اكثر من ٢٠٫٠٠٠ سلعة ، وتساهم بنسبة ١٢ فى المائة فى صناعة البناء ، و ١٥ فى المائة من الخدمات ، و ٣٨ الى ٤٠ فى المائة فى صناعة الاثاث ، كما تنتج الاثاث من نوع « ستيل » الذى يصدر ١٠٠ فى المائة منه الى أوربا ، وتوجد أهم التعاونيات فى صناعة النسيج والملابس الجاهزة والاحذية ، والهندسة الكيميائية ، وصناعة الالات والادوات ، وهى تنتج بالنسبة للفرد « **من القبعة الى الحذاء** » فضلا عن كافة الاحتياجات لتأثيث المكاتب والمنازل .

ويتم التعاون بين هذه التعاونيات الصناعية والدول الاشتراكية الاخرى أو المؤسسات الخاصة فى حالة الدول الرأسمالية حيث تنتج التعاونيات المجرية بعض المنتجات بالتعاون مع هذه المؤسسات ، كما تتعاون معها فى البيع ، وهناك تعاون بهذا الصدد بين التعاونيات المجرية ، والشركات السويسرية مثل « سويس أوميجا » وغيرها ، والشركات النمسوية الخ . ولدى التعاونيات مؤسسات نوعية للاستيراد والتصدير ، مرتبطة بمؤسسات الانتاج ، ولديها شركة للتجارة الخارجية التعاونية ، كما أنها تستطيع الاستيراد والتصدير من خلال الدولة .

وتضع التعاونيات الصناعية نصب عينيها الآن هدفا هو الاسراع بالتطور الفنى للتعاونيات لتستطيع المنافسة حتى فى السوق الغربى ، وذلك أمر مفيد فى حالة الحصول على تراخيص بالانتاج .

● **الجمعية العمومية أعلى سلطة :**

والجمعية العمومية للتعاونية الصناعية هى أعلى سلطة فى التعاونية وهى التى تقرر المسائل الاساسية المتعلقة بها وهى التى تنتخب مجلس ادارتها بالاقتراع السرى لمدة ٤ سنوات . كما يشرف على كافة التعاونيات الصناعية فى البلاد ، المجلس الوطنى للتعاونيات الصناعية .

وقد قامت التعاونيات ببناء ١٥ فى المائة من الشقق السكنية فى المجر ، ويتمثل أحد الادوار الهامة التى تقوم بها فى تقديم الخدمات للشعب ، ويشمل ذلك الخدمات الشخصية ، وحلاقة الشعر ، [بديكير — مانيكير] وتصليح السيارات والراديو ، والتليفزيون الخ وتفصيل الملابس والغسيل والكى ، وكل انواع الخدمات ، وتقوم التعاونيات بـ ٦٠ فى المائة من هذه الانشطة ، بـ ٨٠ فى المائة من العمل الحرفى اليدوى . وهناك بعض التعاونيات الصغيرة التى تساعد فى تكميل أعمال المصانع الكبيرة التابعة للدولة .

● **٤٠ فى المائة من التعاونيات الصناعية فى بودابست :**

وفيما يتعلق بتنظيم التعاونيات الصناعية ، فانه يوجد فى كل اقليم من أقاليم المجر الـ ١٩ تعاونياته الخاصة ، وهناك اتحاد للتعاونيات فى كل اقليم ، وتعاون بين المجلس الوطنى والاتحادات الاقليمية .

وجدير بالذكر أن حوالى ٤٠ فى المائة من التعاونيات الصناعية فى المجر ، يوجد فى بودابست ، والواقع ان وجود مركز صناعى أساسى فى المجر هو بودابست ، هو المسئول ، عن هذه الظاهرة ، اذ يعيش فيها حوالى ٢٠ فى المائة من تعداد الشعب ٢ مليون . وتوجد فى بودابست ٧ اتحادات مهنية ، هى اتحادات الالات ، والبناء ، والهندسة الكيميائية ، وهندسة الاخشاب ، والملابس ، واتحاد الخدمات ، واتحاد الصناعة المنزلية . وبذا يكون مجموع اتحادات التعاونيات الصناعية على النطاق القومى على النحو التالى ١٩ اتحادات اقليمية + ٧ اتحادات فى بودابست ، فيصبح المجموع ٢٦ اتحادا تتبع المجلس الوطنى للتعاونيات الصناعية ، ويتوقف عدد الادارة فى كل تعاونية على حجمها ، ويتراوح بين ٥ و ١٥ شخصا .

سرية الانتخـــابات

ويتم انتخاب الرئيس باقتراع سرى من الادارة ، ويتولى الرئاسة بين كل انتخابين ، أى لمدة خمس سنوات ، ويمكن سحب ثقة الناخبين منه فى حالة التخلف عن الانتاج ، وتردى التعاونية ، كذلك فهناك لجنة الرقابة الجماعية ، لها رئيس منتخب . كذلك يجرى انتخاب قيادة للتعاونيات على مستوى الاقليم ، وهى تنظيم أشبه بتنظيم الحزب ، كما يجرى اختيار رئيس الاتحاد الاقليمى بالانتخاب .

وهناك على المستوى الاقليمى عدد من المعينين للقيام بالعمل بصورة مستمرة ، وهم بمثابة خبراء فى مختلف المهن ، واعضاء الاتحادات التعاونية الاقليمية ، وعلى المستوى القومى ، يسمون أعضاء المجلس ، المجلس الوطنى للتعاونيات الصناعية وينتخبون على نطاق الامة . وكان المؤتمر الوطنى يعقد فى الماضى عادة كل ٤ سنوات ، والان أصبح يعقد كل ٥ سنوات ، وآخر مؤتمر وطنى عقد فى العام الماضى ، ويختار منه أعضاء المجلس الوطنى وعددهم ١٣١ شخصا . وينتخب هذا المجلس الوطنى ، هيئة الرئاسة بالاقتراع السرى ، وهى تتألف من ١٥ عضوا بما فيهم الرئيس ، ونوابه الثلاثة الذين ينتخبون أيضا بالاقتراع السرى ، وتعقد هيئة الرئاسة اجتماعاتها شهريا . أما المجلس الوطنى فيعقد اجتماعاته كل ستة أشهر ، وفيما بين دورتى الانعقاد يتولى الرئيس قيادة العمل من خلال النواب الثلاثة . والمجلس الوطنى له مثل الاتحادات الاقليمية ، جهاز معين ، يعمل بصورة دائمة .

والمجلس الوطنى للتعاونيات الصناعية ، تنظيم مركزى مستقل لكل التعاونيات فى البلاد ، وهو لا يتبع أى وزارة ، وانما للحكومة مباشرة ، ويقوم بالاشراف على عمله أحد نواب رئيس الوزارة ، طبقا لخط الحزب ، وعلى أساس أن ذلك يتبع ادارة الشئون الاقتصادية ، كذلك فان رئيس المجلس الوطنى للتعاونيات ، عضو باللجنة المركزية للحزب ، بمرتبة وزير ، ونوابه فى مرتبة نواب وزراء .

زيارة لاحد بيوت الراحة

ويقضى العاملون فى التعاونيات الصناعية اجازاتهم فى دور للراحة خاصة بهم . زرنا أحدها على قمة أحد تلال **بودا** ، يدفع الفرد فيها لقضاء يوم واحد ، أجر سكن ، واقامة كاملة ، ٣٢٠ فورينت بما فيها كل وسائل التسلية ، ويدفع الفرد لقضاء ٤٠ يوما مبلغ ٥٠٠ فورينت . ويتناول العاملون فى بيت الراحة هذه الوجبات الثلاث ، وتقدم الى كل منهم ٣ قوائم للطعام يختار ما يريد منها ، وكميات الطعام كافية للغاية ، بحيث لا يستطيع الانسان

أحيانا أن يتناول سوى نصفها . ويستطيع العاملون او موظفو المكاتب استخدام بيت الراحة هذا فى أى وقت . ويستطيعون المجيء اليه للغذاء او للعشاء فى العطلات .

[ويتألف الغذاء للشخص الواحد من حساء ، وطبق اساسى وسلاطة ومشروب يتكلف من ٢٠ الى ٢٥ فورينت] ، ولذا يدفع المجلس ، الفرق فى التكلفة ، لان العامل والموظف يدفع ٣٢ فورينت فقط من التكلفة الحقيقية وتبلغ ١٠٠ فورينت .

شروط العضوية

ولكى يحصل المرء على عضوية التعاونية الصناعية ، فانه لابد له وأن يساهم بعمل يعادل اجر شهر مرة واحدة . ويلاحظ بصفة عامة أن نسبة العمال الى الموظفين هى على التوالى ٨٥ فى المائة الى ١٥ فى المائة .

توزيع الدخل والارباح

والاعضاء وحدهم هم الذين لهم حق التصويت لا الموظفين ، ويتحدد نظام الاجور فى التعاونيات مثلما يتحدد فى مصانع الدولة . فهناك حد ادنى وحد أقصى للاجر ، وأجور العمال المهرة وغير المهرة تتحدد حسب حجم وانتاج التعاونية ، ومؤهلات الشخص نفسه . ويقسم جزء من أرباح التعاونية على الاعضاء . ويوجد فارق فى الواقع بين الموظفين والاعضاء ، ذلك أن الاعضاء يأخذون نصيبا أكبر من الموظفين ، وهناك بعض الفوارق أيضا تتحدد حسب الاقدمية فى التعاونية ، فعضو التعاونية لمدة ٢٠ عاما ، يأخذ نصيبا أكبر من العضو لمدة عام واحد . ومدى المشاركة فى الارباح لا يعتمد على أسس ذاتية أو على المحاباة ، وانما هناك بعض المبادىء والقواعد التى يوزع على أساسها الربح ، وكل هذه القواعد يتعين بداءة الحصول على موافقة الجمعية العمومية عليها .

● **حق ترك التعاونية :**

وأى عضو من حقه فى أى وقت أن يترك التعاونية ، على أساس ألا يأخذ معه أجر الشهر الذى دفعه ، ولكن فى نهاية العام ، وبعد وضع الميزانية ، اذا كان هناك ارباح ، فانه يأخذ ذلك ، أما اذا كان هناك عجز ، فانه لن يستطيع ان يحصل على فورينت واحد . فالثروة تقسم على أساس اشتراكى ، لذا فلن يستطيع أن يحصل على شيء ، واذا كان قد قدم آلات وماكينات فانه يدفع له ثمنها .

والجمعية العمومية هى التى تقبل الاعضاء ، وهى التى تقبل الاستقالة . وجدير بالذكر انه تم تأسيس اغلب التعاونيات فى ١٩٤٨ و ١٩٤٩ و ١٩٥٠ ، ويوجد عدد كبير منها عمره ربع قرن ، وكمثال فقد عمل الرفيق **أميل كيلينهيجى** نائب رئيس المجلس الوطنى للتعاونيات الصناعية والذى التقينا به فى بودابست ، عمل لمدة ١٠ سنوات فى احدى التعاونيات ، وفى ١٩٦٣ تولى منصب نائب الرئيس ، وكان يعمل سابقا كبيرا للمهندسين فى التعاونية ، رغم انه بدأ حياته كعامل عادى ، ثم ترقى من خلال العمل .

● **توجيه غير مباشر للتعاونيات :**

وجدير بالذكر انه ، على الرغم من أن للدولة خطتها القومية العامة منذ ١٩٦٨ ، الا انها لا تحدد للتعاونيات ماذا تنتج . وانما يضع كل مصنع ، وكل تعاونية فى اعتباره ، خطة الدولة المركزية وذلك عند وضع خطتها الانتاجية الخاصة ، وهناك وسائل غير مباشرة من الدولة لتوجيه هذه الوحدات لانتاج المنتجات التى تتسق مع احتياجات الخطة القومية العامة ، فمثلا اذا ارادت الدولة التركيز على تصدير سلعة معينة ، فانها تخفض الضرائب عليها ، ولذلك يزداد الانتاج للتصدير . فاذا اتجهت بعض التعاونيات لانتاج سلع اخرى لا يحتاجها المجتمع ، لذا يصبح انتاج هذه السلع غير اقتصادى وغير مربح ، اذا استمرت التعاونية فى انتاجها . وهكذا تدفع التعاونية لوضع خطة لا بواسطة الدولة أو أى سلطة مركزية ، وانما لانه بدون وضع خطة تتسق مع المتطلبات العامة ، فان هذا المصنع أو هذه التعاونية لن تستطيع البقاء . فاذا لم تخطط أى وحدة اقتصادية ماذا تنتج ؟ وأين تبيع ؟ ولمن تبيع ؟ وكم عدد العمال الذين تحتاجهم الخ ، فانها ، يوما ما ، سوف تفلس . فوضع الخطة ليس ملزما واجباريا ، وانما أمر له مغزى أعمق وأهم ، لان أى مؤسسة لا تضع لنفسها خطة فى ضوء المتطلبات العامة للدولة لن تضر سوى نفسها .

● **على ماذا ينص « قانون التعاونيات » ؟**

وقد حدد البرلمان فى ديسمبر ١٩٧١ ، طريقة عمل التعاونيات بأن أصدر فى ذلك الوقت « قانون التعاونيات . . » وأوضح أن التعاونية تنتمى الى القطاع الاشتراكى ، ورأس مالها لا يقبل التقسيم ، وهو ملكية اشتراكية ، وان العمال فى التعاونيات الصناعية هم جزء من الطبقة العاملة ، أما عمال التعاونيات الزراعية ، فأعضاء فى الطبقة القائدة الأخرى ، فى تحالف مع الطبقة

العاملة ، أما الذين يعملون فى التعاونيات الاستهلاكية فهم موظفون .

وقد أبدى المؤتمر الحادى عشر للحزب ، اهتماما خاصا بقضايا التعاونيات ، مسترشدا بالمبدأ الذى اشار اليه لينين ، وهو ان التعاونيات تضع احد أسس الاشتراكية ، وأوضح فى المؤتمر ، أن التطور المستمر لقطاع الدولة وللقطاع التعاونى ، أمر مرغوب فيه . وعلى هذا النحو فانه يتم تطوير القطاعين ليصبحا ملكية لكل الشعب . ولكن أحدا لا يعرف المدى الزمنى الذى يستغرقه تحول هذين القطاعين ليصبحا ملكية لكل الشعب ، وقد يستغرق ذلك ١٠ أو ١٥ أو عشرين عاما .

ولكن التعاونيات التى تقدم خدمات للشعب ، ستظل تعمل بصوة تعاونية لمدة طويلة . اذ يتعين القيام بالخدمات فى كل مكان ، فى القرى والمدن ..

وينص قانون التعاونيات على أن لها حقوقا متساوية مع مؤسسات الدولة ، وهناك بعض التعاونيات يمكن فى أى وقت اعتبارها ملكا للدولة ، بل انها أكبر من بعض قطاعات الدولة ، أى يمكن أن تصبح ملكية اشتراكية .

● حقوق الامومة والطفولة لعضوات التعاونية :

وبالنسبة لحقوق الامومة والطفولة للمرأة عضو التعاونية ، نجد انه اذا وضعت سيدة مولودا ، فانها تظل فى منزلها خمسة أشهر ، وتتقاضى مرتبها كاملا ، وتظل لمدة ٣ سنوات من عمر الطفل تتقاضى ٨٠٠ فورينت شهريا فى حالة الطفل الاول ، و ٩٠٠ فورينت شهريا فى حالة الطفل الثانى ، و ١٠٠٠ فورينت شهريا فى حالة الطفل الثالث . كذلك تحصل على علاوة لمرتبها بعد كل طفل وعندما تنجب طفلين تحصل على ٦٠٠ فورينت شهريا .

[٧] حــــزب الأجيـــال الثـــلاثـة

يقود حزب العمال الاشتراكى المجرى ، الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية فى البلاد .

وقد أعيد تأسيس الحزب عام ١٩٥٦ فى مواجهة الثورة المضادة التى حاولت الاطاحة بالنظام الاشتراكى ومن واقع الدروس المستفادة من أحداث الثورة المضادة وما كشفت عنه من استقلال قوى الامبريالية والرجعية للاخطاء والسلبيات فى عمل الحزب فى ذلك الوقت وبشكل خاص الانتهاكات التى حدثت للمركزية الديمقراطية فى الحياة الداخلية للحزب وتجاهل المشاعر القوميـــة فى العديد من الاجراءات .. يضمن الحزب وينظم الديمقراطية الاشتراكية فى كل مواقع العمل ومستخدما نفوذ اعضائه فى النقابات واتحـــاد الشباب ومؤتمرات الانتاج وكل اشـــكال تنظيم العمال داخل المصانع والمؤسسات ومزارع الدولة والتعاونيات .

وعدد اعضاء الحزب حاليا ٧٥٤ر٣٥٢ عضوا ، من بينهم ٥ر٢٦ فى المائة من النساء . واكثر من ثلثين اعضاء الحزب عمالا ، او كانوا عمالا نظرا لان هناك العمال اليدويون أو الذين يعملون عمـــلا جسمانيا واصبحوا مثقفين ، أو تحولوا الى قادة للعمل .

ومازال نصف اعضاء الحزب يعملون يدويا .

وفى عام ١٩٧٢ قررت اللجنة المركزية للحزب واكد ذلك المؤتمر الحادى عشر للحزب ــ مارس ٧٥ ــ « انه ينبغى ان يكون ٧٠ فى المائة من الذين يقبلون اعضاء فى الحزب عمالا فنيين » .

ولما كان نصف اعضاء الحزب قد نالوا عضويتهم بعد الثورة المضادة عام ١٩٥٦ ــ فان ذلك يعنى ان الشباب دخل الحزب الى جانب الاعضاء القدامى الذين عملوا فى الظروف غير القانونية والجيل الذى نشأ فى اعقاب التحرير ــ عنـــدما كانت المجر مسرحا لصراع اجتماعى حـــاد حتى اشتعال الثورة المضادة عام ١٩٥٦ ــ التى اعقبها تطهير واسع فى صفوف الحزب واصبحت سياسة الحزب ومواقفه أكثر استقامة واستطاع ان يخرج من اطار العزلة التى كان يعانيهما قبيل الثورة المضادة .

وحزب العمال الاشتراكى المجرى ــ حزب طليعى من ناحية ، واعضاؤه هم طليعة العمل فى النشاط السياسى والمواقف الانسانية ، ومن ناحية اخرى فهو حزب الجماهير ، لان اعضاءه ليسوا كوادر حزبية بالمعنى الدقيق وحسب . وانما هم ايضا قيادات للجماهير ــ وعددهم كاف لعمل صلات عميقة ومؤثرة بالجماهير غير الحـزبية والواسعة . ومن خلال هؤلاء الاعضـــاء يمكن تجسيد سياسة الحزب فى كافة المجالات [المصانع والمزارع والمكاتب القومية والوزارات والمثقفين] .

وقد زادت عضوية الحزب خلال السـنوات الاربع الاخيرة بمقدار ٩١٩٥٦ عضوا ، اى ٩ر١٣ فى المائة ، وتتضمن هذه النسبةزيادة عدد النساء العضوات بنسبة ١ر٢ فى المائة ويوضح الجدول التالى توزيع العضوية طبقا للوظيفة الاصلية عام ٧٤

عمال ٢ر٥٩ فى المائة
فلاحون ٠ر١٣ فى المائة
مثقفون ٩ر٨ فى المائة •
موظفون ٣ر١٦ فى المائة •
فئات أخرى ٤ر٢ فى المائة •
ليس لهم وظيفة أصلية ٢ فى المائة •

وتم قبول ١٤٨٢٨٨ عضوا حزبيا منذ المؤتمر العاشر من بينهم ٣٢ فى المائة من النساء •

ومن ناحية سن الاعضاء الجدد يتبين أن :
١ر٤٤ فى المائة تحت ٢٦ سنة
٩ر٤٤ فى المائة من ٢٧ ـ٣٩ سنة
٨ر٩ من ٤٠ ـ٤٩ سنة
١ر١ من ٥٠ الى ٥٩ سنة •
١ر٠ فى المائة ٦٠ سنة فأكثر •

ولكل اقليم من اقاليم المجر الـ ١٩،لجنة حزبية قيادية وهناك اربعة مدن لها مستوى الاقليم ، ويقوم الموجه المسئول عن الاقليم بقضاء يومين أو ثلاثة أيام اسبوعيا فى الاقليم ، حتى يمكن لقيادة التنظيم ان تكون على علم بعمل هذه اللجان ومشكلاتها •

وتتبع المنظمات الجماهيرية [رابطة الشباب ـ اتحاد النقابات الجبهة ـ لجنة التضامن ـ مجلس السلام] نفس القيادة التنظيمية التى تتبعها لجان الاقاليم [لجنة تنظيم الجماهير] •

وتعمل أجهزة الحزب الداخلية على اساس مبدأ هام هو ان الناس المنتخبين يقررون والجهاز الحزبى ينفذ •

وعلى ضوء المعيار الذى وضعه المؤتمر الحادى عشر لحزب العمال الاشتراكى المجرى لتطوير المجتمع الاشتراكى ـ والذى أوضح ان الهدف هو بناء مجتمع اشتراكى متقدم ، وان الحزب وسيلة تحقيق هذا الهدف • وخلال عامى ٧٥ ـ١٩٧٦ ، سوف تجرى عملية تغيير سياسى فى عضـوية الحزب خلال عامى ٧٥ ،٧٦ ـ على أساس ـ تقييم موضوعى لتاريخ ونضال كل عضو • ويبلغ بالمهام المطلوبة فى السنوات القادمة اذا أستمر عضوا فى الحزب • • •

ولن يستمر الا الاعضاء الذين يبدون قدرة على الوفاء بمهامهم ، اما ما عداهم فلن تجـدد عضويتهم فى الحزب وسوف يحتفظ بهم كاصدقاء او عاطفيين على الحزب •

اما الاعضاء الذين يتقرر استبعادهم من العضوية فلابد من مواجهتهم بكل ما هو مقدم ضدهم ، وللعضو حق الاستئناف امام المؤتمر •

[٨] جبهـة وطنية بدون أحـزاب أو عضـوية منظمة

وتتسم الجبهة الشعبية الوطنية فى المجر ، بتكوينها الخاص ، فهى لا تمثل الان تجمعا لاحزاب وتنظيمات سياسية متباينة الاهداف والبرامج ، وانما تعد حركة جماعية توحد جميع اقسام الشعب المجرى ، وتضم كافة المنظمات الجمـاهيرية الديموقراطية والاجتماعية على أساس المـوافقة على برنامجها ، وهى تعد اوسع حركة جماهيرية سياسية فى المجتمع المجرى •

وتشكل الجبهة الشعبية الوطنية اطار الوحدة الوطنية والتجمع الوطنى ، فى البلاد ، وهى تضم ـ دون عضوية المنظمة ـ المواطنين المحبين للسلام رجالا ونساء بصرف النظر عن جنسيـاتهم وديانتهم ، ما داموا جميعا يعملون أو يوافقون على العمل من اجل الاشتراكية • • ويتألف هيكلها من لجان محلية « على مستوى المدينة ، والمنطقة ، والاقليم ، والمركز ، والقرية » ، وتعمل اجهزتها المحلية المنتخبة على اساس مختلف انواع اللجان الدائمة والمؤقتة التى تعتمد على باقى التنظيمات الاجتماعية •• ويوجد بالمجر اليوم ٣٦٩٢ لجنة للجبهة الشعبية تضم جهودا تطوعية لـ ٠٠٠ر١١٦، مواطن •

وتقوم الجبهة الشعبية بتنظيم انتخاب نواب المجلس الوطنى « البرلمان » وانتخاب اعضـاء المجالس المحلية ، ويتولى قيادتها المجلس الوطنى للجبهة الشعبية الوطنية •

وقد قال « **لاسلو • سى • هيجيدوش** » سكرتير عام الجبهة الشعبية الوطنية فى لقائنا معه ان تكوين هذه الجبهة واستمرار عملها ، يرتبط بمسألة هامة مطروحة على اى سلطة اشتراكيةوهى: كيف يمكن ان تحصل على المشاركة الواسعة والحقيقية من الجماهير ؟ذلك ان الفكرة الاساسية للماركسية

اللينينية عن ديكتاتورية البروليتارية ، انها وجه آخر للديمقراطية من اجل الجماهير ، ونظرا لانها تخدم الاغلبية الواسعة ضد اقلية ضئيلة من المستغلين ، لذا نعتبرها ديموقراطية ، وهذا ليس تزييفا للديموقراطية ، وانما تحقيقا لمصالح الجماهير فى الواقع ، ومثل هذا النظام يمكن تطويره فحسب بمساندة الجماهير .

● التعاون مع الجماهير ، ليس تعاونا ايديولوجيا .

ويسترشد العمل الجماهيرى فى مجال الجبهة بمبدأ ان التعاون مع الجماهير ليس اساسا تعاونا ايديولوجيا . فبعض الناس مؤمنين ، والبعض غير مؤمن ، والبعض الاخر ذوى عقلية بورجوازية صغيرة ، ثم هناك الماركسيين ، وغير الماركسيين الخ .

ويطرح هذا على القائمين بالعمل مهمة مزدوجة طويلة المدى هى :

١ ـ زيادة وعى الناس ، وتحويل هذا الوعى ، وهى مهمة تحتاج فى نظر المجريين العاملين فى هذا القطاع الى عدم نفاذ الصبر ، والاتسام بالتسامح من أجل تغيير الافكار .

٢ ـ رفع مستوى المعيشة ، وبناء البلاد اقتصاديا ، والكفاح من أجل السلام ، وضد الحرب والفاشية الخ .

وقد بدأ تشكيل الجبهة الشعبية ، قبل التحرير بحوالى ٥ سنوات ، وجاءت المبادرة بتشكيلها من الحزب الشيوعى « الذى كان يعمل سرا فى ذلك الوقت » وانضمت اليها الاحزاب والحركات المعادية للفاشية مثل ، الحزب الاشتراكى الديموقراطى ، وحزب الفلاحين « وكان يضم قطاعا من فقراء الفلاحين » ، والحزب البورجوازى ، وبعض الحركات الكنسية التقدمية المعادية للفاشية ، ثم النقابات .

وفى تلك الفترة ، كان الهدف ، هو الكفاح الموحد ضد الفاشية ، وقد أيدت أغلبية الشعب هذه الاهداف . وبعد التحرير ، كانت هذه الجبهة الشعبية بمثابة « اتحاد أحزاب » .

● اختيار الاشتراكية وانسحاب أحزاب البورجوازية :

وبعد التحرير ، طرحت هذه المسألة ، هل تسير البلاد فى طريق رأسمالى أم اشتراكى ؟ وعندما طرحت مسألة اعادة بناء البلاد ، والسير فى اى الطريقين ، ضاق نطاق الجبهة . فبعض المشتركين فى الجبهة كانوا معادين للفاشية ، وللحرب ، ولكنهم مرتبطون بالرأسمالية ومصالحها واهدافها . فخرجوا من الاتحاد . الفلاحون المتوسطون مثلا ترددوا او خرجوا من نطاق التعاون فى الجبهة . وبالطبع ، فالملاك الكبار خرجوا من اطار التحالف .

ولقد كان أهم شىء فى ذلك الوقت هو جذب الجماهير لهدف واضح للغاية . وكانت اكبر مهمة هى اعادة بناء البلاد ، بالاعتماد على الطبقتين الرئيسيتين العمال والفلاحين ، وكان لابد من تحقيق الوحدة بينهما . كان الفلاحون ، وخاصة الفقراء فى حاجة شديدة الى الارض ، لذا تم القيام باصلاح زراعى جذرى لمصلحتهم ، وكان من الضرورى ايضا تأميم البنوك والمصانع الكبيرة والمدارس الخ ، ولذا بدأ الصراع فور اتخاذ هذه الخطوات .

وفى بداية الستينات ، كان الهدف هو اقامة المزارع التعاونية ، واعادة التنظيم الاشتراكى للمجتمع ، أما المهمة المطروحة الان فهى بناء البلاد اقتصاديا واجتماعيا ، وتحقيق المجتمع الاشتراكى المتقدم ، والمهمة الحاسمة الان هى الحصول على المساندة النشطة للجماهير ، وتدعيم السلطة الاشتراكية وديكتاتورية البروليتاريا وقيادة حزب العمال الاشتراكى المجرى .

● تأييد البرنامج هو الاساس :

ولا توجد عضوية فى الجبهة ، وانما تصبح المنظمات الجماهيرية مشاركة فى الجبهة بتأييدها للبرنامج الذى تقدمه ، واحد عوامل نجاح حزب العمال الاشتراكى المجرى انه يأخذ قضية الوحدة الوطنية والجبهة بجدية ، وهى ذات سمة مزدوجة ، فهى تعبير عن التضامن السياسى ، ومن ناحية أخرى ، فانها تمثل أوسع حركة مساندة جماهيرية .

وهناك جهاز محدود للجبهة ، جهاز صغير ، اذ يوجد بكل اقليم من اقاليم المجر الـ ١٩ ، أربعة او خمسة أشخاص يتولون العمل ، وفى كل منطقة شخص واحد متخصص . وفى كل أمر هام ، يطلب الحزب رأى الجبهة ، والجبهة تقوم بتجميع الناس للتعرف على رأيهم ، ويحدد الشعب مواقفه على هذا الاساس . كذلك كانت الجبهة فى الانتخابات الاخيرة « للمجلس الوطنى البرلمانى » ، تقترح المرشحين ، وطبعا وفى بعض حالات قليلة ، كانت الجماهير تختار مرشحا آخر من خلال المجالس المحلية .

● دعم العنصر المركزى وتجسيد الاهداف الديموقراطية :

وكنموذج على عمل الجبهة ، هناك مثلا قانون

يجرى اعداده لحماية البيئة ، هنا تجمع الجبهة افضل خبراء البيئة فى البلاد ويبحثون مشكلة التلوث ويناقشونها معا . ثم يطالبون النواب بتقديم مشروع بهذا الصدد . لتوافق عليه رئاسة الوزارة ، ثم تقدمه الحكومة كمشروع قانون للمناقشة فى البرلمان . ثم يقدم هذا المشروع للجماهير لاعلان رأيها فيه . وبالاضافة الى ذلك، فانه يتم تكوين لجان لحماية البيئة ضد من يرتكبون الاخطاء والمخالفات فى هذا المجال ، ولحماية المرضى وغيرهم ، بحيث لا تقوم الدولة وحدها بهذه المهام . وانما يتضامن معها المجتمع ايضا فى القيام بها . وهناك الان مثلا مشكلة ازدياد أسعار المواد الخام ، وما يترتب على ذلك من مشاكل . لذا لابد من مناقشة القضايا المتعلقة بها . والجبهة تجمع الناس على الاقل مرة فى العام . ثم ان المجالس المحلية فى الاقاليم والمدن والقرى تقدم للشعب حصيلة ما أنجزته من أجلهم بهدف الحصول على موافقة وتأييد الشعب لا على المسائل العامة فحسب ، وانما على المسائل الخاصة ايضا بهدف كسب مساندتهم النشطة ، وبهذه الطريقة يمكن تدعيم العنصر المركزى ، وفى نفس الوقت تجسيد الاهداف الديموقراطية .

وهناك ٣ جوانب للاتصال بالجماهير تتمثل فى الاعلام ، والمشاركة ، والرقابة الشعبية . كذلك فان تأييد واعطاء الصوت للمرشح عند الانتخابات ، يكون فى الواقع انتخابا واختيارا للبرنامج نفسه أكثر منه للشخص .

[٩] « التعليم من أجل الحياة العائلية » .. مرحلة تجريبية

وفى مجال التعليم ، تمر المجر اليوم **بمرحلة تجريبية** لنوع جديد من الدراسة يسمى « **التعليم من أجل الحياة العائلية** » ، يتم فيه تثقيف وتربية الطلبة والشباب ، **تربية جنسية سوية** ، يشترك فيها الاطباء اشتراكا وثيقا . ولا تتم هذه الدراسة بطريقة مباشرة وفى المدرسة فحسب ، وانما تتم بطريقة مركبة ، وعن طريق العائلات أيضا ، وتتناول قضايا ومشاكل الجنس المعاصرة ، **ومسألة الاحساس بالمسئولية** وهى جانب له أهميته بهذا الصدد .

ويرى المسئولون عن التعليم **كما يعبر — يانوش جوستونى وزير الدولة للتعليم —** ان هذه المرحلة لا تزال تجريبية ، وهى ان نفذت بصورة حسنة فيترتب عليها بناء شباب اكثر سوية وسلامة من النواحى النفسية والاجتماعية وغيرها ، أما ان جرت بصورة سيئة ، فانه قد يترتب عليها اضرار ولذا فان الاطباء يتدخلون فيها كثيرا خاصة وانها **تبدأ فى المدرسة الثانوية** . وقد بدأت المجر هذه المرحلة التجريبية من الدراسة **منذ عامين** فقط ، كنوع من التناول الجديد للشبا بالجديد الذى أسفر عنه التقدم العلمى والفنى الضخم الذى تحقق ويتحقق فى العقود الاخيرة .

● **مشكلات ومصاعب :**

وهم يولون اهتماما كبيرا **بالبرامج الدراسية** ، والمهمة الرئيسية لوزير الدولة للتعليم هى أن يضع البرامج الدراسية التى تلائم عصر **ثورة المعلومات** وقد أيقنوا انه **من المستحيل أن تقوم المدرسة بتعليم كل شىء للاطفال** ، فالحياة تنتج الجديد مع مطلع كل يوم ، لذا فهم يعملون بقدر الامكان على توصيل **المعلومات الجديدة مركزة فى البرنامج الدراسى** ، ولكنهم وجدوا أن هذا **أيضا يثقل على الاطفال وعلى المدارس** ، ولذا فهم يسعون للبحث عن حلول جديدة . وفى هذا الاطار يرون أنه اذا كانت المدارس لاتستطيع وحدها توسيع نطاق المعرفة، بتعليم كل شىء واذا كانت لا تستطيع أن توفر الشعور والاحساس بالمعرفة المتكاملة حتما ، فانها على أقل تقدير ، **تستطيع اعطاء أساسيات المعرفة** ، **وتستطيع تعريف الاطفال كيف يدرسون** ، وتستطيع ان تزيد فيهم الشعور بأنهم ينبغى أن يرتقوا بأنفسهم ويتقدموا فى التطلع الى المعرفة والثقافة .

ويرى هؤلاء المسئولون ايضا انه ينبغى استخدام الوسائل الجديدة التى توفرت الان لدى كل اسرة مثل **الراديو** ، **والتليفزيون** ، **والصحف** لتزويد هؤلاء الاطفال والشباب الجدد بالمعلومات ، وهذا عنصر جديد لم يكن متوافرا فى التربية الخاصة بالاجيال الماضية ، حيث **كانت المدرسة بالاضافة الى الاسرة هى المصادر الوحيدة للمعرفة** .

واحد مصادر الصعوبة فى القيام بعملية ملاءمة **المدرسة مع تحولات عصر الصواريخ والهبوط على القمر** ، هو أن القائمين بالتعليم الان ، **كانت لديهم تجارب مختلفة فى طفولتهم** ، ولذا فقد يحول ذلك بعض الشىء دون فهم شباب العصر فهما جيدا .

وهناك نقطة اخرى أيضا ، وهى أنه اذا كانت المدرسة تقوم **بالتعليم اليوم** ، فانها تقوم به **من أجل**

الغد ، وهذا الغد ـ نظرا للتحولات التى تحدث كل يوم ـ **غير معروف بالضبط** ، فهنا تنشأ صعوبة اخرى ، حول مثلا : **ماهو التخصص الاكثر اهمية فى الصناعة** ، والذى ستشتد حاجة المجتمع اليه مستقبلا ؟ الخ . وتوجه انتقادات عديدة فى المدارس حول مثلا **أن تعليم الرياضيات غير كاف** ، وحول **ضرورةتدريس التاريخبصورة اكبر ، وكذلك اللغات الاجنبية** .

وهناك مشكلة اخرى ايضا تتمثل فى انه **لا يوجد عدد كاف من المدرسين** ، لان هناك نقصا فى الايدى العاملة فى كافة القطاعات . ومع ذلك فأن اعداد المدرسين التربويين قد ازدادت كثيرا . **فقبل التحرير كان عدد المدرسين فى التعليم العام** « من سن ٣ سنوات الى ١٨ سنة » **٣٠٠٠٠ مدرس** ، **والان أصبح عددهم ١٠٠٠٠٠ مدرس** ، علما بأن عدد السكان لم يزد قط بنفس هذه النسبة .

وبالاضافة الى ذلك هناك **مشكلة الاموال القليلة** وهى أمر هام ، لانه سواء كان الوضع اشتراكيا أو غير اشتراكى ، فانه بدون مال لا يمكن تحقيق التقدم المرجو ، ولكن هذه ليست المشكلة الرئيسية ، **فالدولة الاشتراكية تمول الاحتياجات الاساسية** ، وهذه احدى السمات الهامة للاقتصاد المخطط ، الا انه من المفهوم بالطبع ، أن الدولةتستطيع التوزيعبصورةأوفرعندما تتوفر لها اموال اكثر ، وعلى اية حال فان نسب **التوزيع الخاصة بتخطيط التعليم تعتبر جيدة** .

ومن ناحية اخرى ، فأن التعليم العالى يواجه مشكلة **ان عدد الراغبين فيه يزيد عن الامكانيات القائمة** لكنهم توصلوا الى حل هذه المشكلة . وبهذا الصدد فانه **لا توجد أى قيود أو تحديدات بشأن الالتحاق بالمدارس الثانوية** ، أما الكليات والجامعات ، فهناك تحديد لذلك بصورة محدودة ، اذ تتم **عمليات القبول عن طريق امتحانات التحاق . ويتراوح عدد طلاب التعليم العالى بين ٦٠٠٠٠ و ٧٠٠٠٠ طالب** ، **كذلك** عدد يتراوح ما بين ٣٠٠٠٠ الى ٤٠٠٠٠ **طالب بالدراسات المسائية ، والدراسة بالمراسلة** . كذلك توجد دراسات مسائية وبالمراسلة فى المدارس الثانوية والمعاهد العليا .

ويتلقى **٤٠ فى المائة من طلبة التعليم العالى منحا من الدولة ، بعضها على أساس الظروف الاقتصادية** للطالب ومدى حاجته الى المنحة ، والبعض الاخر ، تمنح بصورة مستقلة عن الوضع الاقتصادى للطالب ، وانما **على أساس مواهبه ومقدرته ونبوغه** .

● **الاطفال الغجر والزواج المبكر للفتيات :**

واولى مراحل التعليم هى **رياض الاطفال** ، وتضم من **سن ٣ سنوات الى ٦ سنوات** ، وقد حصل ٧٢ فى المائة من الاطفال على اماكن لهم فيها ، وعددهم **يتراوح ما بين ٣٠٠٠٠٠ و ٤٠٠٠٠٠ طفل** .

ورياض الاطفال ليست مجرد مجالات يمارس فيها الاطفال بعض الالعاب والنشاطات الاجتماعية ، وليست حدائق للعب ، وانما **تأخذ أكثر فأكثر طابع الاعداد للدراسة** ، فهى مرحلة **اعدادية للمرحلة الدراسية التالية ورياض الاطفال ليست الزامية للاطفال** . اما **التعليم العام** الذى ينص عليه القانون ويستغرق ٨ سنوات فهو **الزامى** .

بيد أنه على الرغم من أن هذه المرحلة اجبارية ، الا ان **٩٠ فى المائة من الاطفال فقط هم الذين** التحقوا بها ، ويمكن بالطبع زيادة هذه النسبة ، علما بانها **لم تصل بعد الى ١٠٠ فى المائة** ، ويرجع نقص النسبة المذكورة سالفا الى **الاطفال الغجر** الذين لا يرسلهم ذويهم الى المدارس ، والى **بعض الفتيات** اللاتى يتزوجن فى سن مبكرة « اقل من ١٦ سنة » حيث لا تزال توجد بعض العقليات المتخلفة فى الريف . **وهنا لايرجع عدم التعليم الى اسباب اقتصادية** : اى ليست الرغبة فى العمل لكسب المال ، وانما للاسباب المذكورة .

ويواصل ٩٠٪ فى المائة من الذين يكملون تعليمهم العام ، دراستهم بعد ذلك ، ويتوجه **نصفهم الى المعاهد المهنية ، والنصف الاخر الى المدارس الثانوية** . وبذا تواصل الاغلبية الساحقة من الاطفال المجريين دراستها فى المدارس حتى **سن ١٧ و ١٨ عاما** .

ويبلغ عدد الطلبة فى التعليم العام حوالى ١٫١٠٠٫٠٠٠ طالب وفى التعليم الثانوى حوالى ٤٥٠٫٠٠٠ طالب ، ويبلغ عدد مدارس التعليم العام ٤٩٧٨ مدرسة ، والمدارس الثانوية ٥٣٠ مدرسة .

ويتم تدريس الماركسية اللينينية فى المعاهد العليا والجامعات ، تبعا لفروع التخصص ، سواء كان فلسفة أو تاريخ أو علوم أخرى الخ . ولا تقدم الماركسية اللينينية كموضوع مستقل فى المرحلة الثانوية ، وانما تدرس كموضوع منفصل فى التعليم العالى .

أما فيما يتعلق **بالجمع بين العمل والدراسة** ، فهذا أمر غير محبذ . **ولكن هناك اسبوعان عمل يدوى اجبارى** يتعين على كل طالب ان يقوم بهما فى الخريف عند جمع المحاصيل ، اما فى الصيف

فيعمل الطلبة فى البناء فى معسكرات خاصة بهم ، ولكن ذلك ليس برنامج تعليمى وانما برنامج خاص **برابطة الشباب الشيوعى** .

ويبلغ متوسط عدد الطلبة فى فصول التعليم العام ٢٦ طالبا . ولكن هناك فصول بها ٢٠ طالبا واخرى بها من ٣٠ الى ٣٢ طالبا ولكن المتوسط على النطاق القومى هو ٢٦ طالبا . ولاشك ان العدد سوف يزداد بعض الشىء فى المستقبل بسبب البدء فى حل تلك المشكلة الديموجرافية التى كانت تتمثل فى انخفاض عدد المواليد .

كذلك هناك ظاهرة ملحوظة وهى **انخفاض عدد طلبة المدارس القروية** نتيجة ازدياد حركة الهجرة من القرى الى المدن بسبب التصنيع فى السنوات العشر او الخمسة عشر الاخيرة ، اذ بينما كان ٥٠ فى المائة من سكان المجر يعملون بالزراعة ، اصبح العاملون بالزراعة اليوم حوالى ٢٠ فى المائة فقط من سكانها .

[١٠] لمن تدق أجراس الكنائس فى بودابست ؟

كانت السيارة تسرع بنا فى شارع **لينين** متجهة الى مقر اللجنة المركزية للحزب الشيوعى ، عندما استوقفت اسماعنا أجراس كنائس بودابست تقرع فى وقت واحد . وعلمنا ان ذلك تقليد تتبعه كل الكنائس الكاثوليكية فى المجر ظهر كل يوم ، وامر به بابا روما ، تكريسا وتخليدا لذكرى النصر الكبير الذى احرزه البطل المجرى **هنادى يانوش** سنة ١٤٥٦م ، عندما تصدى للاستعمار العثمانى فى مكان بلجراد الان . واوقف الغزو التركى لاوربا ، وواصلت السيارة بنا المسير ، بينما كانت اجراس الكنائس الكاثوليكية تواصل دقها .

والكنيسة الكاثوليكية الرومانية « أى التى تنتمى الى كنيسة روما لا الى رومانيا » هى أوسع الكنائس انتشارا فى المجر ، فاذا كان ٩٨ فى المائة من المتدينين فى المجر ، يدينون بالمسيحية ، فان ثلثى هذا العدد هم من الكاثوليك ، واغلبية كبيرة من الثلث الباقى من الكالفينيين « الاصلاح » **واللوثريين : ثم هناك الكنائس الصغيرة ، كالروم** الارثوذكس ، والكنيسة المعمدانية ، والادفنتست وغيرهم . وهى تمثل معا نسبة ١٠ فى المائة الى ١٥ فى المائة من المسيحيين ، وباقى المتدينين ينتمون الى **اليهودية** ، وهناك قلة قليلة من **المسلمين** ، **والبوذيين** ، واخرين يعتنقون احدى الديانات البوذية ، وقلة ضئيلة تؤمن **بأساطير حديثة** .

● أساس تاريخى .. للمسألة الكنسية :

والواقع انه لكى يفهم المرء ، موقف ووضع الكنيسة المجرية **قبل التحرير** ، وموقفها **اليوم** ، **الدور الذى لعبه الكاردينال الكاثوليكى ميدسنتى فى احداث الثورة المضادة فى المجر عام ١٩٥٦** ، فانه ينبغى أن يعتمد فى فهم ذلك على **الأســاس التاريخى** ، لان وضع المجر من هذه الناحية كان يتسم قبل التحرير بانه **اكثر محافظة** من باقى اوربا عامة ، لانه حتى الحرب العالمية الثانية ، **لم يكن هناك فصل بين الكنيسة والدولة فى المجـــر** ، بل كانتا مرتبطتين ارتباطا تاما ، وفى ظل النظام الاقطاعى الذى كان يسود الريف المجرى ، كانت **الكنيسة الكاثوليكية** بصفة خاصة تستحوذ على اقطاعيات واسعة ، وكذلك البروتستانت فى الكنيستين **الكالفنية واللوثرية** . وذلك فى بلد كان يعمل فيه **٣ ملايين فلاح اجير** من جملة سكانه ، وكانوا يبلغون ٨ مليون . وكان لهذه الكنائس الثلاث امتيازاتها الاخرى ، بالاضافة الى ذلك ، ولكن **الوضع لم يكن على نفس الحال بالنسبة للكنائس الصغيرة** التى لم يكن لها نفس هذه الامتيازات .

كذلك كانت بعض مطالب الكنيسة فى ذلك الوقت بمثابة مطالب للدولة . وكان دفع نفقات الكنيسة يتم عن طريق **ضرائب اجبارية** تدفع كضرائب الدولة تماما . وكانت بعض فئات الكنيسة بمثابة فئات للدولة ايضا ، ففى ذلك الوقت ، **كان رجال الدين برتبة أسقف أو أكثر ينالون عضوية البرلمان تلقائيا .**

● فصل الكنيسة عن الدولة :

● المساواة فى الحقوق الدينية :

ولذلك ، فبعد التحرير ، اثيرت مسألتان اساسيتان بالنسبة للكنيسة هما : ١ ـ **ضرورة فصل الكنيسة عن الدولة** ، ٢ ـ **المساواة فى الحقوق الدينية .**

فبالاضافة الى تحقيق النقطة الاولى ، سعى الحزب الشيوعى والدولة الاشتراكية لتوفير **حقوق متساوية لكافة الطوائف** ، وكان لهذا العمل إثر

سياسى ذا مغزى هام ، لان **الطوائف الصغيرة ، التى عانت من التمييز فى الماضى كانت تعادى الدولة والنظام السابق** ، فى حين كان اعضاؤها جزء من الشعب العامل . ولذا فقد استهدف الحزب والدولة الاشتراكية من سياسة المساواة بين الجميع فى الحقوق الدينية ، خلق الشعور لدى اعضاء هذه الطوائف بان سياستهما الكنسية تساوى بين الجميع ، وانها **ليست مسألة تكتيكية ، وانما مسألة مبادىء التزم بها الحزب والدولة** . وقد حظت هذه السياسة بتأييد وتعاطف العناصر غير المتدينة ايضا ، التى ايدت مبدا المساواة.كذلك فقد كانت هذه السياسة على **النقيض من السياسات المغرضة المتبعة فى اوربا عامة ، والقائمة على دعم الطائفية** .

ومن ناحية اخرى ، فقد تم فى الاصلاح الزراعى ، ولصالح الفلاحين توزيع اراضى الاقطاعيات الكبرى للكنيسة الكاثوليكية ، وهذا هو السبب الذى حدا **بالكاردينال ميدسنتى لان يطالب خلال الثورة المضادة فى ١٩٥٦ ، بأن تعود الاراضى والاقطاعيات الى أصحابها الاصليين . وقد منح قساوسة القرى بعض الاراضى ليتعيشوا منها ، لانهم كانوا فقراء** ، اما كبار رجال الاكليروس ، الذين كدسوا قدرا كبيرا من الثروة ، فلم يعطوا ارضا . وقدمت الدولة بالاضافة الى ذلك مستلزمات الكنائس ، واصبح نصف دخل القساوسة من الدولة ، والنصف الاخر من المؤمنين اعضاء الكنيسة .

● **دعوة الحزب الشيوعى .. لانتخاب رجال الدين :**

ويتمتع القساوسة ورجال الدين والمؤمنين بكل الميزات التى يتمتع بها سائر المواطنين ، وهم يلقون الترحيب من القوى الاخرى فى الكفاح من اجل السلام ، ورفع مستوى معيشة الشعب ، كما يساهم القساوسة المستنيرون فى العمل من اجل الاشتراكية ويتعاونون مع الجبهة الشعبية الوطنية فى سبيل ذلك .

وقد اشترك القساوسة فى الانتخابات الاخيرة فى الدعوة لانجاح افضل المرشحين . وقد نجح فى هذه الانتخابات **٦ من القساوسة اصبحوا نوابا ٣ من الكاثوليك ، و ٣ من البروتستانت** ، وذلك لثقة الشعب فيهم فى هذه الدوائر ، وهؤلاء النواب القساوسة لايمثلون الكنائس فى المجلس الوطنى بل يمثلون الذين انتخبوهم فى دوائرهم من متدينين ، وغير متدينين .

وجدير بالذكر ان **الحزب الشيوعى يحاول ان يدعو الشعب الى انتخاب قساوسة فى المجلس الوطنى** ، باعتبار ذلك أمرا طبيا ، بل لقد تولى الكالفنى « **بيتر يون** » منصب وزير الخارجية ، وكان قبل ذلك نائبا لرئيس المجلس الوطنى،كما كان فى فترة النضال السرى ، عضوا بالحزب الشيوعى .

وقد وصل تطور الامور فى المجر اليوم حدا انه اذا حاول احد القساوسة مثلا ، النيل من النظام الاشتراكى ، والدعاية والتحريض ضده ، فانه **سيفقد فى هذه الحالة جمهور المصلين** انفسهم اولا وقبل كل شىء ، ممن لا يقرون ذلك ولا يصدقونه من واقع التحسن المطرد فى مستوى معيشتهم عاما بعد عام . وعلى العكس من ذلك فان القساوسة انفسهم يقومون بالتبشير بالاهداف الاجتماعية ، وبالمثل الاشتراكية للمجتمع لدرجة ان بعض المؤمنين يرجونهم مازحين الا **يدعو الى ذلك تماما كسكرتيرى الحزب وانما كقساوسة** . والواقع بصفة عامة هو ان **التعاون المتزايد قد تحقق بين الكنيسة والدولة منذ حوالى عشر سنوات ، وأصبح أكثر قوة وتوطدا منذ خمس سنوات بصفة خاصة** .

● **اسس العلاقة بين الكنيسة والدولة**

وهكذا ، اصبحت الحصيلة العامة ، ايجابية ، برغم الصعوبات التى نشأت . ولا يتمثل التحول الاكبر الذى حدث فى مجرد وقوف المتدينين مع الشيوعيين من قبل ، وانما ايضا فى **أن كبار رجال الكنيسة أصبحوا الان يتفقون مع الاشتراكية سياسيا وانسانيا فقط للحقيقة ، لا أيديولوجيا** ، فهم يقرون الاهداف السياسية والانسانية للاشتراكية، **وهناك نوع من التحالف السياسى والتعاون فى بعض القضايا الانسانية بينهم وبين الشيوعيين ، مع وجود الخلاف الفلسفى بينهما قائما** . كذلك فانه فيما يتعلق بالحزب الشيوعى ، فانه لا يشترط أن يكون العضو بالضرورة ملحدا .

والواقع ، أن العلاقات الوطيده القائمة الان بين الكنيسة والدولة تقوم على الاسس والمبادىء التالية :

١ — ينبغى أن تقر الكنائس وزعماؤها الروحيون بمبادىء الدستور المجرى ، وان يحولوا دون نشوب أى صراعات غير سوية فى مجالهم ، وأن يقفوا ضد كل من يحاول أن يشيع الاضطراب فى العلاقات الوطيدة القائمة بين الكنيسة ومؤسسات الدولة . وينبغى الا يسمح قادة الكنيسة لاى شخص بأن يقوم بنشاط عدائى من اى نوع ضد المجتمع والدولة .

هذا هو المطلب الاساسى : الذى يقول المسئولون فى الحزب والدولة بارتياح أن الكنيسة وقادتها تفهموه ، واستجابوا له ، ووضعوه فى الاعتبار .

٢ — ومن الناحية الاخرى ، ينبغى ان تستقر الوظيفة العملية للكنائس ، فالكنيسة لها حياتها الدينية التى لا ينبغى ان تتعرض لاى ازعاج ، وهناك ايضا بعض الخدمات الدينية للمؤمنين ، لا ينبغى أن تتعرض لاى اضطراب .

والمبدأ الاساسى هنا ، هو تحقيق حرية العقيدة بصورة عامة ، لا مجرد الحرية الدينية وحسب .

والقانون يحمى العمل الكنسى ، والمراسيم الكنسية ، واى شخص يتعرض لها ، يضع نفسه تحت طائلة القانون وعقابه .

● صحف ودور نشر كنسية :

وقد قال لنا الرفيق « ايستفان باللو » نائب رئيس مكتب الدولة لشئون الكنيسة : « انهم يتهموننا فى الخارج ، باضطهاد المتدينين ، ويقولون ان النشاط الكنسى يمارس سرا فى بلادنا . وكل هذا أكاذيب وافتراءات غير صحيحة . فللكنائس صحفها ، ودور النشر الخاصة بها « تصدر الكنائس ١٣ دورية بالاضافة الى الكتب الخاصة بها » . وللكنائس ارصدتها وصناديقها الخاصة بها ، والمؤمنون هم الذين يمولونها . كذلك فلكل كنيسة ، برنامج فى الإذاعة ، كل اسبوع وهذا غير مكفول حتى فى البلاد الغربية نفسها . وكل تلك الحقوق متضمنة فى الاتفاق الذى عقد مع البروتستانت والكنائس الصغيرة سنة ١٩٤٨ ، ومع الكاثوليك سنة ١٩٥٠ ، وهذا الفارق الزمنى فى الاتفاقين يرجع الى عمليات العرقلة التى كان يقوم بها الكاردينال ميدسنتى وامثاله من المحافظين ، والتى احتاجت الى وقت وجهود حتى أمكن تذليلها ، وفى النهاية جلس معنا الكاثوليك واسعو الافق ووقعوا الاتفاق » .

وعلى اية حال ، فانه تجدر الاشارة أيضا الى أن مطلب كل القوى الديموقراطية فى المجر بفصل الكنيسة عن الدولة ، واقامة نمط جديد من العلاقات مع الكنيسة على الاسس التى ذكرناها ، لم يلق فحسب ، معارضة ومقاومة الكاردينال الكاثوليكى ميدسنتى ، وانما لقى ايضا معارضة ومقاومة بعض قادة الكنيستين البروتستانتيتين « الكالفنية واللوثرية » الذين اتخذوا نفس موقف ميدسنتى مثل « لاسلو رافاش الكالفنى » والاسقف « أورداش » اللوثرى » .

ويركز المجريون على الدوام على كيفية نقل الاتفاقات مع الكنائس الى الواقع ، لانهم « لا يستطيعون اتخاذ موقف عدم الاهتمام من اى هيئة ذات نفوذ جماهيرى » ويرون « أن دعم التحالف بين الحزبيين ، وغير الحزبيين أمر هام للغاية فى بلادنا التى يوجد فيها حزب واحد » ، كما وأن الوحدة الوطنية ضرورية للغاية بين المؤمنين وغير المؤمنين » ومجال ذلك هو الجبهة الشعبية الوطنية ، ففى اطارها ، يمكن برغم الخلاف الفلسفى ، توحيد الجماهير على أساس وطنى وتقدمى وفق برنامج الجبهة . والواقع انه تم اعتراف رجال الكنيسة بأهمية تأييدهم لبرنامج الجبهة وذلك حتى لا تهجرهم جماهيرهم .

● مكتب الدولة لشئون الكنيسة :

ويتولى مسئولية تنظيم العلاقة بين الكنيسة والدولة ، « مكتب الدولة لشئون الكنيسة » ، الذى انشىء سنة ١٩٥١ ، وهو هيئة قومية تابعة لمجلس الوزراء مباشرة ، ورئيسه بدرجة وزير ، ونائبه بدرجة نائب وزير ، ومن حق هذا المكتب تقديم واقتراح القوانين على مجلس الوزراء ، وهو وثيق الصلة بالحزب ، ويتم التشاور بينهما فى كافة النقاط الهامة ، ويتألف من حوالى ٢٣ عضوا ، اغلبهم اعضاء فى الحزب . ويوجد فى بوادبست وفى كل اقليم سكرتير لشئون الكنيسة واعضاء المكتب فى الواقع ، جهاز للدولة الاشتراكية ، له نفس وضع الوزارة ، والفارق هنا ، هو أن رئيس المكتب بمثابة وزير دولة ، لا وزير .

ويرى المجريون بصفة عامة ، «ان اى حوار مع الكنيسة ينبغى ان يخدم هدف التقدم بالعلاقات بين الجميع ، متدينين ، وغير متدينين ، وليس من المهم بهذا الصدد ، بل ولا ينبغى ، تضييق دائرة الحوار ، بحيث تصبح مناقشة ايديولوجية فلسفية ، لان هذا يؤدى الى مواجهة أساسية فى الاراء الاساسية . وانما ينبغى تحقيق أهداف اساسية عملية للحوار . فالكفاح ضد استخدام القنابل الذرية مثلا ، لا يتعلق بالمناقشة الفلسفية حول وجود الله .

لذا يقول الرفيق « ايستفان باللو » : « نحن لا نوافق البابا بولس السادس على رأيه القائل «بأن أكبر مشكلة فى عصرنا هى الالحاد » ، لان المشكلة الكبرى لعصرنا هى ، هل تكون هناك حرب ذرية أم لا ، هل تكون هناك حرب حرارية نووية تبيد مئات وآلاف الملايين من البشر بمختلف العقائد الدينية والسياسية والاجتماعية أم لا ، وهل يمكن تحقيق التعايش السلمى بين مختلف النظم الاقتصادية

والاجتماعية فى هذا العالم ام لا ؟ ونحن نعتقد انه فى الكفاح من اجل السلام ، يمكن ان يتفق المؤمن وغير المؤمن ، ونحن نريد الحوار من اجل ذلك ، ولدعم الكفاح من أجل الاهداف الانسانية ، كذلك فاننا لا نوافق البابا على مفهومه عن **الحوار باعتباره منهجا لتحديث مهمة الكنيسة فى العصر الراهن »**

● **مكافحة « الهيبية » :**

وفيما يتعلق بتقييم الاجتهادات التى تقدمها مؤخرا الفيلسوف الفرنسى « **روجيه جارودى** » قال نائب رئيس مكتب الدولة لشئون الكنيسة « ان جارودى لعب فى فترة ما دورا ايجابيا ، لكنه اصبح فى المسائل السياسية الاساسية يعارض اتجاه الحزب فى بلاده ، وهو يعبر عن اتجاه انتهازى لصالح الغرب ، من وجهة النظر السياسية ، وأعماله الاولى فى النقد الدينى مقبولة للغاية ، اما بعد تحوله ، فلقد ناقض جارودى آراءه الاولى ، وما فعله ليس مبدئيا » .

وفيما يتعلق بالظواهر « **الهيبية** » ، قال « اننا نرى ان **الروح العدمية تمثل نخريبا للمجتمع** ، « مثلما يفعل الهيبيون » ؛ **ونحن نكافح ضد هذه التاثيرات الغربية التى تحاول زرع العدمية فى نفوس شبابنا** ، والناجمة عن المزيد من الاتصالات المباشرة بمختلف الدول الغربية ، فهذه الاتصالات ، كما تحمل معها نتائج طيبة ، فانها تحمل ايضا بذورا سيئة ينبغى الكفاح ضد تسربها الى مجتمعنا وشبابنا . ويختتم حديثه قائلا : « ومن السهل طبعا منع هذه التاثيرات بالعزلة ، ولكن العزلة سيئة سياسيا وضارة من كافة النواحى ، بل ومستحيلة فى الواقع ، ولذا فان ما نستطيعه فهو أنه مع تنمية الاتصالات المتبادلة ، فاننا نحاول حماية أنفسنا من التاثيرات الغربية السيئة » .

[١١] فى الاســـــرة الاشـــتراكيــة

انتصار المبدأ .. على الروح التجارية

فى مجال العلاقات داخل الاسرة الاشتراكية ، تولى المجر اهميـــة خاصة لعـــلاقتها بالاتحـــاد السوفيتى ، وقد اعتبر حزب العمال الاشتراكى المجرى والحكومة المجرية ، مسألة التوسيع والتعميق المستمرين للعـــلاقات الســـوفيتية ــ المجرية ، امرا على أكبر درجة من الاهمية . وقد كان ذلك الهدف ، هو المقصود أساسا ، من الزيارة التى قام بها **يانوش كـــادار** سكرتير الحـــزب الشيوعى المجرى للاتحاد السوفيتى فى سبتمبر ١٩٧٤ .

● « **منحازون .. وفى كتلة** »

ونستطيع ان نقول ان « مارجا » المسئول باللجنة المركزية ، **وفيرنس فارنلبى** عضو لجنة تحـــرير صحيفة « نيبسابادشاج » « حرية الشعب » الناطقة بلسان الحزب الشيوعى ، قد عبرا بصورة واضحة عن الرؤية المجرية لمسالة العلاقات مع دول الاسرة الاشتراكية . قال الرفيق « فارنايى » ، فى لقائنا معه : « لسنا غير ملتزمين ، وغير منحازين ، أننا ملتزمون ، ومنحازون ، لسنا خارج الكتل ، وانما فى كتلة ، ونحن عضو فى حلف وارسو لا سياسيا وعسكريا فحسب ، وانما اقتصاديا ايضا ، فنحن ملتزمون بالكوميكون . واعتقادنا ان المزيد من التعاون مع البلاد الاشتراكية ، يحقق المزيد من التقدم لها ككل ، وفرديا ، وعلى حدة فى نفس الوقت ، كذلك ، فانه يؤدى الى زيادة تاثيرها على باقى العالم » .

● لا نتبع سياسة « ذات وجهين » :

وقال ، اننا لا نتبع سياسة « ذات وجهين » بشأن علاقاتنا داخل الكوميكون ، وانما على العكس هناك تقدير كبير بين الراى العام فى بلادنا ، وخاصة بين الشيوعيين ، لان سياستنا الخارجية مستقيمة ومتحررة من اى نفاق » «فنحن احد البلاد الاشتراكية التى تنسق سياستها الخارجية مع الخطوات التى تتخذها باقى الدول الاشتراكية . ونحن نتناول هذه المسألة بواقعية شديدة، ونأخذ فى الاعتبار امكانية ان تكون هناك حالات ، ربما الخطوات التى اتخذت فيها قد لا تناسب احد البلاد ، فرديا ، مثلما حدث عندما قرر الكوميكون انتاج اللوريات فى أحد البلدان الاشتراكية لكل البلدان الاشتراكية ، واتخذنا نحن قرار تصفية صناعة اللوريات المحدودة لدينا ـ والمبدأ الذى حسم الموقف هنا هو انه اذا تناقضت المصلحة العامة ، مع المصلحة الخاصة ، فان هذه المصالح الخاصة ، ينبغى ان تخضع للمصالح العامة » .

وقال الرفيق « **فارنايى** » : « ان هناك اعتباران خلف تصفية هذا المصنع لدينا : أحدهما هو المصالح الدولية للمجموعة الاشتراكية ككل ، والثانى : هو مصالحنا القومية ، لاننا سنشترى اللوريات ارخص ، لانه بتركيز الصناعة يصبح تحديثها اسهل ، وتقدمها اكبر ، وانتاجيتها اوسع » .

« وتؤكد مزيد من التجارب انه باخضاع مصالحنا القومية المحلية ، للمصالح الاشتراكية الدولية ، فاننا لا نخدم فحسب المصالح الاممية ، وانما نخدم بصورة غير مباشرة ، مصالحنا القومية ايضا » .

وقدم المجريون كذلك اكثر من نموذج للالتزام الذى تضطلع بـه المجر ، فى علاقاتهـا بالـدول الاشتراكية الاخرى ، فقال فارنايى « اننا نلتزم بنفس المبدأ ايضا فى المسائل السياسية ، وقـد تبين لنا انه عندما نخدم المصالح السياسية الاممية، فاننا نخدم بلدنا فى نفس الوقت » .

● مثلان عمليان :

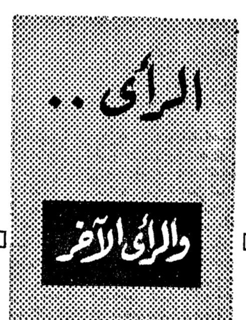
« فمثلا فيما يتعلق باقامة او عدم اقامة العلاقات الدبلوماسية مع المانيا الغربية ، اثيرت هذه المسألة على اساس ضرورة ان تعترف المانيا الغربية بالحدود القائمة حاليا فى اوربا ، حدود الاودرنيس ، وان تعترف بوجود جمهورية المانيا الديموقراطية » .

فلو وضعنا مجرد تجارتنا الخارجية وحدها فى الاعتبار ، فلربما كان مفيدا بصورة اكبر بالنسبة لنا ، لو اقمنا علاقاتنا الدبلوماسية مع المانيا الغربية ، فى وقت مبكر ، وقبل اعترافها بالحدود القائمة حاليا فى اوربا . . لكننا لم نفعل ذلك » .

« واشتركنا فى الضغط من اجل كل المطالب العامة للدول الاشتراكية الاخرى ، لنحقق المصالح العامة، وعندما تحققت هذه المطالب ، اقمنا العلاقات الدبلوماسية ، ومن الواضح ان ذلك لم يلحق بمصالحنا أى ضرر ، اولا ، لان مكانتنا قد ازدادت ، وذلك لان كل المجموعة الاشتراكية ، أصبحت فى موقف افضل من ذى قبل . وبعد ذلك أصبح فى الامكان اقامة علاقات تجارية وغيرها مع جمهورية المانيا الاتحادية ، وفى نفس الوقت ، فلا الاتحاد السوفيتى ، ولا المانيا الديموقراطية ، ولا بولندا، او تشيكوسلوفاكيا نسوا ان المجر نسيت التضامن فى مثل هذا الموقف الصعب » .

وقدم فارنايى مثلا آخر على هذا الالتزام فقال: « ان الولايات المتحدة تعطى ـ كما هو معروف ـ اكبر الميزات التجارية للدول الراسمالية . وعندما اتخذ الكونجرس الامريكى قرارا يتسم بالتمييز فى التعامل مع الاتحاد السوفيتى ، فان الاتحاد السوفيتى قرر الغاء الاتفاقية التجارية مع امريكا بسبب موضوع هجرة اليهود الخ ، وقد اوضح لنا الاتحاد السوفيتى عند وقوع تلك المشكلة ، انها لا تتعلق بالمجر بأى حال ولا تمثل مشكلة مع المجر ، وانما هى مع الاتحاد السوفيتى ، فاستمروا انتم فى علاقاتكم بالامريكيين ، لان المشكلة خاصة بهجرة اليهود ، الا اننا رفضنا واتخذنا موقف التضامن الشديد مع الاتحاد السوفيتى ، ولم نعدو وراء الامريكيين » .

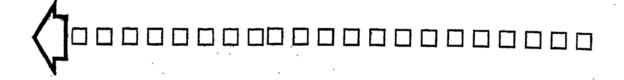
بهذه الروح ترسم المجر معالم خطاها فى علاقاتها مع البلاد الاشتراكية الاخرى ، اما فيما يتعلق بموقف المجر من كفاح الشعب الفيتنامى والتضامن معه . يتحدث المجريون عن دور بلادهم فى ذلك « على اساس ان الرفاق الفيتناميين انفسهم ، هم الذين يمكن ان يتحدثوا عن دور المجر بهذا الصدد ، وليس المجريون » اما موقفهم بالنسبة لقضية الشرق الاوسط ، فواضح كل الوضوح وهو يقوم على أساس ان المجر ترى ان الطريق الحقيقى لتحقيق سلام وطيد فى الشرق الاوسط ، هو جلاء القوات الاسرائيلية عن كافة الاراضى العربية المحتلة ، والاعتراف بالحقوق الوطنية المشروعة للشعب العربى الفلسطينى ، باعتبار انه لا يوجد طريق لحل عادل لهذه المشكلة سوى بالاعتراف بالحقوق الشرعية العادلة للشعوب العربية .



يبدأ باب الرأى والرأى الاخر ، بأن ينشر فى هذا العدد — لكل من أبو سيف يوسف وفيليب جلاب وثلاثة من الاصدقاء قراء الطليعة — ردودا وتعقيبات على الردود التى كان قد بعث بها د . فؤاد زكريا الى الطليعة ونشرتها فى عدد اغسطس الماضى ، وفى الوقت نفسه تنشر الطليعة أيضا ردا على مقال أبو سيف يوسف « ضرب اليسار من اليسار — دراسة فى حالة د . فؤاد زكريا » ، الذى نشر فى عدد يوليو .

لكن جعبة هذا الباب تظل ، مع ذلك ، حافلة بمناقشات حامية ، تبدأها سهام هاشم عن مفهوم سيادة القانون . ويكتب طلعت سنوسى رضوان عن « اليمين واليسار بين الدين والسياسة » ، ويعقب محمد جمال امام على مقال عبد المنعم الغزالى الذى نشر فى العدد الماضى من الطليعة عن موقف الحركة النقابية من الاتحاد الدولى للنقابات الحرة . أما النقابة العامة للصناعات الهندسية والمعدنية والكهربائية ، فقد رأت من واجبها أن تصدر قرارات عن هذا الموضوع وغيره من الموضوعات التى تتصل بحياة ومصالح العمال . وتختم زينب وزير مرسى بكلمة عن دور التنظيم النسائى فى رعاية المرأة العاملة .

واذ يضيق المجال عن نشر كل الرسائل الموجهة الى هذا الباب ، تحاول الطليعة أن تلخص اتجاهات بعض هذه الرسائل تحت عنوان : « بريد الرأى والرأى الاخر » .



.. لم يزل الحوار حول مقالات د. فؤاد زكريا ممتــدا ، وان كان الان قد وصل الى مرحلة الرد على الرد .

نظريات «طريفة» .. وحوار مستحيل

[تعقيـب على رد د. فؤاد زكريا]

أبو سيف يوسف

ربما لا نجاوز الحقيقة ، اذا قررنا ــ ابتداء ــ أن الجدل الذى ثار بين عدد من اليساريين وبين د. زكريا على صفحات « **روز اليوسف** » و « **الطليعة** » قد انتهى الى ما يشبه الطريق المسدود ، وان « الحوار » الذى بدأ واستمر بين الطرفين كان نوعا من الحوار المستحيل .

ولعل هذا يرجع فى تقديرنا الى سببين :

- سبب شكلى وهو منهج الدكتور زكريا . ومسلكه فى بدء وادارة النقاش .
- سبب موضوعى .. ويتمثل فى مواقفه الفكرية والسياسية .

١

عن منهج الدكتور فى « الحوار » ومسلكه

كان من المفروض ، أو من المتصور ان حوارا بين يساريين عن مصر فى ١٨ عاما ، او عن فترة ١٨ عاما من حكم عبد الناصر ، يمكن أن يؤدى الى اثراء معرفتنا بواقع بلادنا ، والى مزيد من التقارب الفكرى ، بما يخدم قضية التقدم ، وقضية وحدة اليسار .

غير ان المنهج الذى اتبعه الدكتور فى كتابة مقالاته كان يستبعد بادىء ذى بدء أن يقوم

□□□□□□□□

« حوار » أصلا بينه وبين اليسار ؟ وبالتالى ، بينه وبين من تولوا الرد عليه . لان من يرغب فى الحوار لا يبدأ محاوريه بالتهجم عليهم والتشهير بهم . واذا كان الدكتور قد ادهشه « أن اصحاب الردود قد تصوروا أن المعركة بين خصوم ، واستخدموا - فى بعض الاحيان لهجة معادية » ، فقد كان الدكتور البادىء فى استخدام كل حجة معادية . نعم : استخدم الدكتور كل حجة معادية . وانت لا تستطيع أن تدعو الناس الى حفل فى منزلك بأن تبادرهم بالطعن فيهم . وهكذا :

١ - فى المقالات الثلاث الاولى التى نشرتها الزميلة روزاليوسف بدأ الدكتور بأن نعى على فئة من اليسار

- انها ارتشيت بالوظائف الرفيعة .
- وانها سكتت عن نهب المال العام .
- وانها فقدت ثوريتها بما قدم لها من مغريات .
- وانها سكتت عن كل ما وقع على عهد عبد الناصر .
- وانها رفضت وترفض تقييم التجربة .
- وانه - ترتيبا على ما تقدم كله - تسبب هذا فى ان ينتزع اليمين المبادرة فى طرح شعارات الديموقراطية والهجوم على الاشتراكية .

فهل كان الدكتور يتوقع - بعد هذا - ان نفترض فيه ، ابتداء ، حسن النية ؟ وهل كان يتوقع ان يسير الحوار فى طريق التبادل البناء للاراء ؟ أم أن الدكتور قد سلك فى الواقع - لا مسلك الاستاذ الجامعى الباحث عن الحقيقة - بل مسلك « الخوجة » الذى طفق يؤدب صغار التلاميذ ويذنبهم ؟ .

ولنفترض جدلا - أن كل أو بعض ما بدأ الدكتور بتوجيهه من مطاعن صحيح - وهو قطعا ليس بصحيح - فقد كان يستطيع - مع ذلك - أن يبدأ بادارة حوار موضوعى . وكانت مادة هذا الحوار متاحة له ، وتحت يديه ، فى عشرات المقالات والبحوث والدراسات الجادة التى نشرها اليسار منذ عام ١٩٦٥ . بل ان تقييم « التجربة الناصرية » كان اتخذ شكلا جديدا من جانب اليسار فى الحوار الذى بدأوه مع توفيق الحكيم منذ أواخر عام ١٩٧٤ على صفحات الطليعة .

وكان من الممكن - لو أراد أن يناقش آراء مكتوبة ومحددة - أن يؤجل انطباعاته التى اتخذت شكل أحكام مسبقة ومبتسرة ، ليصل الى استنتاجات جذرية باستاذ جامعى ، كنا نتوقع ان يكون تكوينه الفلسفى الاكاديمى عاصما له ، وطوق نجاة ينأى به عن هذه الكتابات الصحفية الخفيفة و « المتسرعة » .

٢ - ولذلك فقد تألمنا كثيرا عندما تحدث د . زكريا عن مقالاته الثلاث فوصفها بأنها « دراسة » وأنا على يقين بأنه سيسحب هذا الوصف عندما يخلو الى ضميره ويتذكر تقاليد البحث الاكاديمى الجاد ومتطلبات المنهج العلمى .

فاذا اصر على موقفه ، فلن يبقى أمامنا الا ان نطالب بان تطرح على الفور « مسألة الطريقة التى تنظم بها الدولة دراسة الفلسفة دون ان تلحق بنفسها الدمار » وتستعير هذه العبارة - فى سياقنا هذا - من كتاب « جمهورية افلاطون » « ترجمة د . فؤاد زكريا » لا للتعريض باساتذتنا فى اقسام الفلسفة ، بل لاقول للدكتور ان الفيلسوف مهما اشتغل بأمور السياسة - ومن حقه بل ومن واجبه ان يخوض غمارها - يظل مع ذلك - او يجب ان يظل فيلسوفا . وتظل فى يقينى هذه الحقيقة وهى ان الفلاسفة سيكونون ، بهذا المعنى ، هم أصلح الناس لتولى الحكم .

ولكن عندما أقول ان ما تدمه الدكتور لا يمكن أن يندرج تحت اسم « الدراسة » ، فليس معنى هذا اننى كنت اطالبه بأن يقدم بحثا أكاديميا على صفحات مجلة ليست مخصصة لهذا النوع من البحوث . وانما أطالبه بأن يلتزم بالحد الادنى فيما يكتب : وهو انه عندما يطرح قضية مثل علاقة اليسار بعبد الناصر يتعين أن يكون قد تكونت لديه قبل الطرح فكرة صائبة عن : ١ - تاريخية القضية ٢ . - علاقتها ومكانها بين غيرها من القضايا الكبرى والحيوية التى تتصل بحياة بلد يعانى من الاحتلال الصهيونى على جزء من ارضه ويعيش حالة حرب منذ ثمانى سنوات ٣ . - علاقة هذه القضية وارتباطها بالتجارب الملموسة التى كشف ويكشف عنها التاريخ القريب للحياة السياسية والحزبية فى مصر على الاقل على مدى العقود الثلاثة الأخيرة .

وعندما تعالج الامور على هذا النحو ، يمكن أن نقول اننا بازاء كلام يستند الى دراسة ، دون أن يعذبنا ضميرنا العلمى .

٣ - على انه مما يؤسف له ان الدكتور كما يبدو لا يتحلى كثيرا بصفة التواضع . وعلى العكس ، فهو يواجه ناقديه بنوع من العنجهية غريب . فعندما يرفض أن يكون انتقاده « للتجربة الناصرية » قد استهدف اعادة الديموقراطية الراسمالية ، يرد على محمد عودة بقوله : انه ألف كتابا عن الاشتراكية كان مقررا على طلبة الجامعات كلها ، وانه بذلك « اسهم فى فضح الراسمالية امام عقول الشباب المصرى الجامعى بأكثر مما اسهم بانتقادى مجتمعين» . (روزاليوسف ٧٥/٧/٧) . واقول باخلاص انه يسرنا اعظم السرور ان يكون الدكتور قد فعل هذا حقيقة . لان نقاد

الدكتور قد انفقوا زهرة شبابهم من اجل نشر الفكرة الاشتراكية . وكان هذا ولايزال مثلهم الاعلى . واذا كان الدكتور قد تمكن من ان يجد مراجع للكتابة غزيرة ميسرة ومتداولة . فقد كانت حيازة كتاب منها وترجمته ونسخه — فى وقت من الاوقات تعنى سجن صاحبها او اعتقاله أو سؤاله امام النيابة . ولقد عانى ناقدو الدكتور من هذا كله ومن غيره . ولذلك اكرر أن التواضع — من قبل الدكتور واجب . واكتفى بهذا لان ناقدى الدكتور لم يفكروا — ولا يفكرون — فى استعراض عضلاتهم تحت عنوان ما قدموه وما لم يقدموه من خدمات لقضية الاشتراكية . فهذه ليست ولن تكون مهمتهم وانما هى مهمة اجيال قادمة من الاشتراكيين كما انها مهمة الباحثين بصـــدق فى تاريخ الحـــركة الاشتراكية المصرية .

٤ — واخيرا فلقد سار الدكتور فى مناقشـــة طائفة من آراء خصومه على أساس اجتزاء كلامهم وتحريف حججهم . والامثلة كثيرة ، واكتفى هنا بثلاثة امثلة من ردوده على :

— ففى عدد ٩ يونيو ١٩٧٥ من روز اليوسف كتبت مقالا تحت عنوان « فؤاد زكريا يرد على نفسه » ذكرت فيه أن الدكتور كتب عام ١٩٧٠ مقالين فى التجربة الناصرية تتضمن تقييمـــا للتجربة يتناقض كلية مع ما يقول به اليوم . احد هذين المقالين كتبه الدكتور بـامضائه تحت عنوان « كلمة عن المستقبل » وهو المقال الاساسى الذى يؤصل فيه بكيفية ايجابية ما قدمه وما خلفه عبـد النـــاصر . وقد اعترف الدكتور بأنه كتب المقال ، وان كان قد ادعى اننى لم افهم بعض عباراته . اما المقال الثانى فهو افتتاحية بدون توقيع فى رثاء عبد الناصر تحت عنوان « الكل فى واحد » . وقد قلت عن هذا المقال « انه يفهم من هذه الكلمة غير الموقعة انها كلمة المجلة التى يرأس تحريرها د . زكريا . ونفهم من اسلوبها أيضا ان كاتبها هود . زكريا نفسه » .

ولما لم يكن د. زكريا هو كاتب كلمة الرثاء ، كما ذكر ، فنحن نصدقه . ونصدق انها للدكتور **عبدالغفار مكاوى** ، ولكن — فى المقال نفسه — عدت وتحفظت وقلت أن د . زكريا ربما اعترض « بأن الكلام الذى استشهدنا به لم يكن يعبر عن رأيه الشخصى بقدر ما كان يعبر عن راى هيئة تحرير المجلة التى كان يرأس تحريرها » . ثـم أضفت « فليكن » ! ولنأت الى مقال آخر صريح بقلم د. فؤاد زكريا .. الخ . وواضح أننى لم أكن أعول كثيرا على كلمة الرثاء غير الموقعة وركزت على المقال الاخر الذى نشر بتوقيعه .

ولقد تصور الدكتور انما فعلته « سقطة » : وقال انه كان يمكن ان يصنع منها « فضيحة » .. الخ .

والحقيقة ان لهفة الدكتور الى التخلص من مسئولية نشر هذا المقال تطرح مع ذلك علامة استفهام . لانه يعلم — من تقاليد العمل الصحفى — انه عندما تنشر مجلة مقالا غير مـــوقع مكان الافتتاحية ، فمعنى هذا انها كلمة اسره المجلة ، بما فى ذلك رئيس تحريرها . لانه اذا لم يوافق رئيس التحرير على ما تضمنته من معان فان عليه — فى هذه الحالة — اما ان يرفض نشرها ، واما ان يطلب من كاتبها أن يوقعها .

وقد يرى رئيس التحرير تخففا من المسئولية الادبية ان يعلق عليها بما يشاء ، فاذا لم يفعل رئيس التحرير شيئا من هذا فهو يتحمل — شاء أم أبى — المسئولية الادبية عما ينشر . فاذا رفض أن يتحملها طرحت على الفور أكثر من علامة استفهام جدية حول سكوته عما نشر . لكننى اتصور أن د. زكريا سوف يرد على هذا بقوله — كما قال عن المقال الذى وقعه واعترف به — اننى فعلت هذا تمشيا مع المثل القائل : اذكروا محاسن موتاكم . وعند هذه النقطة يصبح النقاش مع الدكتور أمرا لا جدوى منه .

المثل الثانى : هو رده على مقالى فـــى الطليعة ضرب اليسار من « اليســار » ، فقد زعم اننى انتــده وأعيره لانه ينتمى مـــن الناحيـــة الطبقية الى البورجوازية الصغيرة . وفى هذا تشويه كامل لما كتبته . لانه لا يمكن — بالعقل — أن يؤاخذ انسان على انه ولد فى طبقة اجتماعية معينة أيا كانت . ولكن نقدى كان موجها الى الموقف الفكرى للدكتور حين أشرت الى أنه لا يزال يحتفظ فى داخله بأشد المواقف الفكرية تناقضا دون أن يحسم هذا التناقض فى اتجاه محدد أيا كان هذا الاتجاه ، ثم قدمت على ذلك امثلة محددة .

المثل الثالث : هو أن الدكتور يزعم أننى اتهمته بالدفاع عن الوضعية المنطقية لانه ترجم كتابا لاحد أقطاب هذه الفلسفة . وهذا الزعم غير صحيح بالمرة ، لان نقدى لموقفه من الوضـعية المنطقية لا ينصب على ترجمة الكتاب ، بقدر ما ينصب على أنه : « حاول أن يعقد زواجا كاثـوليكيا — أو مصالحة بين الفلسـفة الوضـعية المنطقية وبيـــن الفلسفة الماركسية » . وتحدثت ايضا عن تناقضه الذى يتمثل فى انه بينما نرى الدكتور فى المقدمة التى كتبها لكتاب ريشنباخ يعدد سلبيات الوضعية المنطقية ، اذ هو يهون من خطر هذه الفلسفة على الفكر الاشتراكى بدعوى انها لا تشـــكل « تيارا قوميا » فى بلادنا .

فهذه الامثلة ، وغيرها ، مضافة الى المنهج الذى اتبعه الدكتور فى « الحوار » هو الذى حدد طبيعة

□□□□□□□□

الردود والتعقيبات والردود المضادة . وهو الذى جعل الحوار البناء مستحيلا . وفى ذلك يتحمل الدكتور المسئولية الكاملة .

٢

عن مواقفه الفكرية والسياسية

اذا جمعنا مقالات د. فؤاد زكريا والردود التى نشرها ردا على ناقديه ، امكننا ان نحدد مجموعة من المنطلقات أو « النظريات » التى تحكم فكره . وفيما يلى أهمها :

١ — ان التجربة الناصرية ليست هى ثورة ٢٣ يوليو . يقول « فالتجربة الناصرية كان لها نطاق محدد ، بدأ منذ احداث ربيع ١٩٥٤ ، وانتهى فى ٩ يونيو ١٩٦٧ ، لان السنوات الثلاث التى اعقبت ذلك لم تكن سوى رد فعل على هزيمة يونيو . ولم تكن حرية الحركة او المبادرة مكفولة فيها للتجربة الناصرية . ومن هنا فان التجربة الناصرية أضيق فى نطاقها الزمنى من ثورة يوليو ، ومن جهة فان ثورة يوليو مازالت قابلة لمزيد من التطورات فى الحاضر والمستقبل » [١] .

٢ — كانت التجربة الناصرية تجربة اشتراكية فاشلة . وكما يقول : استكملت « معظم المقومات الشكلية لاى تجربة اشتراكية : تصفية الاقطاع وراس المال المستغل — ثم التمصير ثم التاميم — اقامة قطاع عام قوى وواسع النطاق .. كل ما تتطلبه الاشتراكية كان موجودا ، فيما عدا شيئا واحدا ، وهو لب الاشتراكية ، وقلبها ، وجوهرها . هذا الجوهر هو الذى افتقده الشعب المصرى ، وهو الذى لم تفتقده شعوب اخرى تغلغلت الاشتراكية فى حياتها ووجدانها ، فوقفت تدافع عنها حتى آخر قطرة من دمائها » [٢] .

٣ — ان هذه التجربة الاشتراكية الهشة بسلبياتها الاخرى : مثل تخريب نفس الانسان المصرى من الداخل واساليب القهر التى اتبعت هى افدح ضررا من تجربة اخرى عرفتها مصر هى تجربة الحكم الملكى الاقطاعى .

٤ — وبينما ذهب د. زكريا عام ١٩٧٠ [٣] ، الى ان الاعداء هدفوا من وراء عدوان ٥ يونيو الى ان يعوقوا نمونا حضاريا وعلميا واقتصاديا ، اذ به يعود فى ١٤ يونيو ١٩٧٥ ليرى رايا آخر فى التناقض الرئيسى الذى يحكم العلاقة بين الشعب المصرى وبين اعدائه الامبرياليين والصهيونيين . يقول :

« كانت المساعدات الامريكية لاسرائيل ، قبل حرب يونيو واثناءها ، وبعدها ، موجهه فى المقام الاول ضد النفوذ السوفييتى لا ضد التجربة الناصرية من حيث هى نظام داخلى » .

« واما الامبرياليه العالميه ، فان هجومها على التجربة الناصرية يرجع ، فى رأيى ، الى اعتبارات التوازن الدقيق ، بينها وبين المعسكر الاشتراكى العالمى . فقد توسع الوجود السوفييتى فى او خر العهد الناصرى الى الحد الذى قررت معه الامبريالية العالمية ضرورة توجيه ضربة اليه » [٥] .

٥ — من هذه المنطلقات ، وعلى أساس هذه « النظريات » ، يتحدد عند د. زكريا واجب اليسار المصرى فى ضرورة كشف هذه « التجربة الاشتراكية الفشلة » و« لا أخذ اليمين زمام المبادرة فى تشويه الاشتراكية كمبدأ ، واحداث البلبلة . الخ .

ومن هذه المنطلقات شن الدكتور هجوما مكثفا على الناصرية وعلى اليسار الذى يدافع عن ايجابيات يوليو ويتمسك بها ، لكننا نصارح الدكتور — بعد ان أوضح ، بعض الشىء ، عددا من المبادىء التى تتشكل بمقتضاها احكامه حول هذا الموضوع —

نصارحه بأن اليسار الذى هاجمه يقف على أرضية مختلفة ، فكرية وسياسية ، وفى الجهة المقابلة تماما .

٣

ونستطيع ان نوضح موقفنا فيما يلى :

١ — فيما يتعلق بحسابات الدكتور القائلة بأن التجربة الناصرية اضيق نطاقا من الناحية الزمنية من ثورة يوليو ، فاننا يمكن أن نفهم هذا ، فقط ، اذا قلنا ان « التجربة الناصرية » احتلت ١٨ عاما من عمر ثورة يوليو التى وافق عيدها الربع والعشرون فى ٢٣ يوليو من هذا العام . أما حساباته التى قام بها فان عقولنا البسيطة قد تعجز عن فهمها . ومن المؤكد أن الدكتور يستحدث « نظرية » فى تقييم الثورات لم يسبق لها . ان « التجربة الناصرية » هى

---

[١] روز اليوسف العدد ٢٤٥٧
[٢] روزاليوسف العدد ٢٤٥٧ ص٥٦
[٣] مجلة الفكر المعاصر نوفمبر ١٩٧٠
[٤] روز اليوسف العدد ٢٤٥٧ ص٥٦
[٥] نفس المصدر

التى قادت ثورة يوليو قيادة كاملة طوال ١٨ عاما ، وعبد الناصر مسئول عن انتصاراتها وهزائمها ، طوال هذه الفترة : لسبب بسيط ، هو انه كان قائدا لتنظيم الضباط الاحرار قبل الثورة . واستمر فى مركز القيادة حتى وفاته فى سبتمبر ١٩٧٠ .

٢ — وفيما يتعلق بوصف « التجربة الناصرية » بانها تجربة اشتراكية توفرت لها معظم المقومات الشكلية لاى تجربة اشتراكية : تصفية الاقطاع .. التمصير .. التأميم .. القطاع العام . فنحن نسأله :فى اى الكتب والمراجع العلميه الاشتراكية قرا ان هذه المقومات هى المقومات الشكلية للاشتراكية ، أم انه يحب ان يخرج علينا بنظرية مستحدثة فى تعريف الاشتراكية ؟ هذا من حقه طبعا . لكننا نحن اليساريين « التقليديين » و « أسرى الكلمات » نقول :ان نظام عبد الناصر لم يكن نظاما اشتراكيا . ولم تكن ثورة يوليو حتى وفاة عبد الناصر قد تحولت الى ثورة اشتراكيه . وان كل « هذه المقومات الشكلية » هى المقومات الجوهرية لثورة وطنية ديموقراطية ذات افق اجتماعى متقدم ، وانها كانت تتطور وتنتقل — رغم كل السلبيات والتعثر — من موقع الى موقع اخر أكثر تقدما . وان الثورات الوطنية البورجوازية ، يمكن حتى ان تؤمم الارض بالكامل فلا يكون عملها هذا اشتراكيا . وان المكسيك ، مثلا ، بدات الاصلاح الزراعى فى اوائل هذا القرن ،وهى لم تزل دولة راسمالية تماما ، وأن البرازيل اقامت فى الثلاثينات قطاعا عاما قويا ولم يكن واردا بها بناء مجتمع اشتراكى .

ولما لم يكن هناك بالطبع — من الناحية النظرية والعملية — حائط صينى يحول دون أن تتقدم أى ثورة وطنية ديموقراطية على طريق التطور الاشتراكى ، فان هذا يعنى ايضا ان هذه المقومات التى تنجزها الثورة الوطنية الديموقراطية يمكن اذا استكملت ، أن تسهل سبل الانتقال الى الاشتراكية ،لكن هذا يتطلب طائفة من الشروط ،فى مقدمتها أن تتزايد باضطراد مشاركة الطبقة العاملة والفلاحين والمثقفين الثوريين فى السلطة . وقد دلت تجارب بعض البلدان التى بنت الاشتراكية : على أن الثورة الوطنية المعادية للاستعمار والاقطاع لا تتحول الى ثورات اشتراكية الا عبر مراحل انتقالية وسيطة تقوم بها حكومات ديموقراطية ، او ديموقراطيه شعبيه ، تؤدى فيها الطبقة العاملة دورها القيادى بالتعاون مع حلفائها الاخرين .

لهذا نقول ان التجربة الناصرية لم تكن اشتراكية لا فى الشكل ولا فى الجوهر . ولكن عبد الناصر خطا بالثورة الوطنية الديموقراطية خطوات واسعة وجذرية « بالمقومات » التى تحدث عنها الدكتور . وان النقد الذى يوجه الى عبد الناصر هو انه لم يوجد ولم يستكمل ادوات الدفاع عن الثورة : الجماهير المنظمة ، والحزب الثورى القادر على تعبئة ورص هذه الجماهير . الامر الذى سهل على الاستعمار الجديد ان يصيب الناصرية اصابة شديدة فى عدوان ٥ يونيو .

لا مجال اذن للحديث عن تجربة اشتراكية فاشلة للناصرية لم تكن موجودة اصلا ، لان هذه هى — بالدقة — الدعايات التى يروجها الاستعمار — لتشويه الاشتراكية ، ولضرب نظام اشتراكى غير موجود ، بل لردع ثورة وطنية ديموقراطية حددت لنفسها — على المدى — افقا تقدميا واشتراكيا فى الداخل والخارج وبشكل عام .

٣ — ولسنا فى حاجة الى ان نناقش قضية ايهما اقل ضررا النظام القديم ام التجربة الناصريه . لاننا لا نستطيع ان نضيع الوقت والجهد فى جدل من هذا النوع . وفى قضية واضحة بذاتها الا لمن يقف عمليا على الارضية التى يتحرك عليها اليمين الرجعى .

٤

ان مناقشتنا للنقطه الرابعة فى منطلقات الدكتور تبين الهوة التى تفصل بين نظرتين الى تاريخ الثورة المصرية ، والى التناقض الرئيسى الذى يحكم حركة المجتمع ، والى المعنى المقصود **بكلمة يسار** فى واقع مصر الراهن .

أولا : ١ — اذا درسنا كفاح الشعب المصرى ،من اجل الاستقلال والسيادة القومية [التحرر من سيطرة الامبريالية والاستعمار] ، ومن اجل تحرير الغالبية العظمى من الشعب [وهم الفلاحون] سياسيا واقتصاديا من قيود العبودية [التحرر من الاقطاع] ومن اجل اقرار الحريات الديموقراطية الاساسية ، فسوف يتبين ان الشعب المصرى قام فى تاريخه المعاصر بهبات كثيرة ، كبيرة وصغيرة ، وأن هذا التاريخ عرف ثلاث ثورات كبرى : الثورة العرابية وثورة ١٩ وثورة يوليو ١٩٥٢ .

الثورة العرابية : قادها الجناح العسكرى للحزب الوطنى بزعامة **عرابى** . وكانت قوتها الضاربة فى المدينة الضباط والجنود والمثقفون . وكان جيشها الاساسى الفلاحون . لانه من الثابت ، ان ثورة عرابى كانت قد سبقتها وعاصرتها تحركات وانتفاضات فلاحية . وتلخص برنامج الثورة فى وقف تدخل الاجانب ورفض سيطرتهم المترامية على مالية البلاد . وفى تمكين المصريين —

□□□□□□□□

ابناء البلاد من حكم انفسهم ، بدلا من حكم الاقلية الاستقراطية من الشراكسة والاتراك .

ونعلم ، ان الثورة العرابية منيت بهزيمة منكرة . فجاء الاحتلال الانجليزى . وحدث هذا ، لاسباب معروفة **أولا** : أن الامبريالية كانت فى عنفوانها وكان بمقدورها أن تتصدى لهذه الثورات الجنينية ، وتنزل الهزيمة بها ، لاكثر من سبب، فى مقدمتها ان هذه الثورات لم تتوفر لقياداتها التجارب والخبرات ، وعجزها - قبل كل شيء - عن تجسيد مطالب الفلاحين فى شكل برنامج للاصلاح الزراعى ، ومن هنا عجزها ، بالتالى ، عن تنظيم الفلاحين من موقع الارتباط العضوى بهم .

وهنا نسجل ملحوظتين هما من الامور الواضحة ، أو من الحقائق العلمية . ولكن يبدو أنه لا مناص من توضيح ما هو واضح : **الاولى** : هى أن الانجليز عندما أعتدوا على مصر واحتلوها لم يفعلوا ذلك بسبب ان هناك وجودا سوفيتيا فى مصر ، فلم يكن الاتحاد السوفيتى قدوجد بعد ، كدولة وكنظام ، ولكن الاحتلال جاء نتيجة تحول بعض الراسماليات الغربية الى قوى امبريالية فرضت مصالحها عن طريق الغزو والتوسع الكولونيالى ، ومنذ ذلك الوقت اصبح التناقض الرئيسى الذى يحكم حركة المجتمع المصرى ، هو التناقض بين الامبريالية والاستعمار من ناحية وبين الشعب بكافة طبقاته وقواه الوطنية المعادية للاستعمار والفئات المتعاونة معه .

وجاءت ثوره ١٩١٩ فكانت - وقت قيامها - أفضل خطا من الثورة العرابية . فالقيادات كانت اشد نضجا ، وقدرتها على تنظيم الجماهير كانت اكثر فعالية ، وتعبيرها عن برنامج الثورة الوطنية كان اكثر تقدما ، ولذلك خطت هذه الثورة خطوات هامة الى الامام ، حين حصلت مصر على درجة ملحوظة من الاستقلال ، وشارك ابناء الطبقة الوسطى المصرية فى حكم البلاد ، واتجهت الراسمالية الصناعية الناشئة الى الاستحواذ على سوقها الوطنية فبدأت تنشيء بعض الصناعات .

وقام فى البلاد حكم برلمانى ليبرالى بنى على تعدد الاحزاب . واتسعت قليلا ، قاعدة التعليم فى جميع مراحله .

لكن هذه الثورة لم تحقق الاستقلال التام ، فقد بقى الاحتلال ، وبقيت الافرع الرئيسية للاقتصاد القومى فى ايدى الاحتكارات الاجنبية ، وظل الاقطاع محتفظا بركائز قوية . واذا سالنا لماذا لم تحقق ثورة ١٩١٩ اهدافها كثورة وطنية ديموقراطية ، فأن الاسباب الرئيسية كامنة فى أن الامبريالية الانجليزية كانت لاتزال تحتفظ بقدرتها على الردع والمناورة وشق صفوف الحركة الوطنية . هذا من ناحية ومن ناحية اخرى فان البورجوازية المصرية التى تصدت لقيادة الثورة لم يكن لديها النفس الطويل على الاستمرار فى الثورة . وهذا النفس هو البرنامج الواضح الذى يجذب الفلاحين وينظمهم . ولذلك فعندما ظهرت بعض الاتجاهات الشعبية والجذرية داخل الثوره [وكانت اصداء ثورة اكتوبر الاشتراكية ، قد وصلت] ، اثرت القيادة البورجوازية للثورة ان تسير فى طريق التهاون . وانتقلت بالتدريج من الاعتماد على سلاح التحرك الشعبى الى اساليب الجدل الفقهى حول طبيعة « المسألة المصرية » وكفت عن الحديث عن طبيعة الثورة المصرية .

هنا لنا ملاحظتسان ايضا : **الاولى** هى ان الامبريالية الانجليزية ، قاتلت منذ ذلك الوقت بكل الشراسة لتبقى على وجودها العسكرى فى مصر ، لا خوفا من الوجود السوفيتى - فلم يكن هذا واردا اذ ذاك - بل حفاظا على مصالحها الاقتصادية والاستيراتيجية . **والثانية** : هى انه بينما استطاعت الثورات التى قادتها البورجوازية فى اوربا مثلا - ان تحل المشكلة الفلاحية فى نطاق مصلحة البورجوازية نفسها ، وبينما استطاعت أن تصفى الاقطاع ، عجزت الثورة العرابية وثورة ١٩١٩ عن انجاز هذه المهمة . على ان هذا الاخفاق عاد ليؤثر - بدوره - فى اطالة أمد الاحتلال الانجليزى الذى دام حوالى ثلاثة ارباع القرن .

وعلى الرغم من ذلك ظل التناقض الرئيسى الذى يحكم حركة المجتمع المصرى هو التناقض بين الامبريالية والاقطاع والراسمالية المرتبطة بمصالح الاجنبى وبين الطبقات الوطنية والشعبية .

وجاءت ثورة يوليو ١٩٥٢ واستطاعت ان تحل طائفة من المهام الاساسية التى تطرحها - فى العادة - الثورات الوطنية التقليدية « البورجوازية » ومن ذلك مثلا :

- انها حققت الاستقلال السياسى والسيادة القومية بالكامل .

انها بدأت منذ عام ١٩٥٢ ، بقضية الاصلاح الزراعى ، ونفذت الاصلاح الزراعى الثانى عام ٦١ ، والثالث عام ٦٤ .

ومن الممكن - مثلا - أن توجه انتقادات - وانتقادات موضوعية - الى الاصلاح الزراعى والاسلوب الذى تم به . ولكن ما هو أساسى هو أنه تم عزل الاقطاع عن السلطة فى الحكومة وعلى مستوى القرية . وتحرر فقراء الفلاحين وعمال الزراعة من حالة التبعية للمالك الاقطاعى . ونمت العلاقات الراسمالية فى القرية وهى شكل اقتصادى ، أكثر تقدما من العلاقات شبه الاقطاعية التى كانت قائمة . ومع الاهتمام بالتصنيع كان من الميسور على المنشآت الصناعية أن تجد حاجتها

من الايدى العاملة ممثلة فى فقراء الفلاحين وعمال الزراعة الذين هاجروا الى المدينة . وبشكل عام ، يمكن ان يقال : أن فقراء الفلاحين وصغارهم ، وعمال الزراعة ، بدأوا ــ لاول مرة ــ يتحركون بعيدا عن المكان الذى ارغموا على البقاء فيه : وهو هامش الحياة السياسية والاجتماعية .

وعند البحث عن الاسباب التى مكنت قيادة ثورة يوليو من أن تحقق الاستقلال السياسى وتضع الاصلاح الزراعى فى مقدمة برنامجها هو أن هذه الثورة :

١ ــ جاءت فى ظرف دولى ملائم للغاية ، يتمثل فى ظاهرة انحسار الاستعمار وتراجع الامبريالية بعد الحرب العالمية الثانية . وتحول الاشتراكية الى نظام عالمى ، ونهوض حركة وطنية عاصفة فى المستعمرات والبلاد التابعة . فهنا وجدت الثورة المصرية على الفور حلفاء أقوياء لها لم يخذلوها عندما أرادت أن تدافع عن استقلالها ضد الاعتداءات الاسرائيلية الامبريالية [تأميم القناة وما بعده الخ] .

٢ ــ وفى الداخل كانت تحركات العمال والطلاب والمثقفين والموظفين وهبات الفلاحين ، ودخول الفكر الاشتراكى الى الحركة الوطنية ــ كان هذا قد انضج الشعارات الوطنية الديموقراطية الخاصة بالاستقلال السياسى والاقتصادى وتصفية الاقطاع والحكم الملكى واقامة الصناعة الوطنية . الخ . واكدت التطورات التى وقعت فى اكثر من بلد من بلدان العالم الثالث ، امكانية أن تنحاز القوات المسلحة وقياداتها الوطنية الى جانب الثورة الوطنية الديموقراطية . ولذلك قامت حركة الجيش فى مصر مسلحة بالشعارات الاساسية الستة للثورة الوطنية .

٣ ــ فى ظل هذه الظروف الملائمة ــ فى الداخل والخارج ، جاء تكوين قيادة يوليو الفكرى والاجتماعى ليكون ــ بشكل عام ــ العامل الحاسم فى ابعاد حركة الجيش من الوقوع فى المصير الذى انتهت اليه انقلابات العسكريين فى بلاد كبلاد امريكا اللاتينية . ومن هنا استمرت « **قيادة الثورة** » لا كحركة للجيش ، أو انقلاب فى خدمة مصالح الحكم الملكى ، والاحتكارات الاجنبية ، بل كحركة سياسية ، وقيادة وطنية ، القيت على عاتقها كثير من مهام الثورة الوطنية الديموقراطية .

ثانيا ، وفى ظل هذه الظروف مجتمعة ــ وبالاستفادة منها ــ بدأت ثورة يوليو ــ كحلقة من حلقات الثورة الوطنية الديموقراطية المصرية تتخطى الطريق التقليدى الذى سلكته الثورات الوطنية البورجوازية التى كانت تكتفى ــ فى العادة ــ بتحقيق أهداف البورجوازية فى الاستيلاء على السلطة ، وفى اقامة دولتها ، وفرض هيمنتها على بقية طبقات المجتمع . فاذا كانت ثورة يوليو مقارنة بثورتى ١٨٨٢ ــ ١٩١٩، قد حققت :

١ ــ الاستقلال السياسى كاملا ــ لاول مرة

٢ ــ وطرحت لاول مرة حلولا جدية للمشكلة الفلاحية

٣ ــ واعتبرت ــ لاول مرة ــ التصنيع كحجر الزاوية فى رفع مستوى المعيشة .

٤ ــ واستفادت ــ لاول مرة ــ من معطيات الوضع الدولى الجديد لمصلحة البلاد [وقيام معسكر للبلاد الاشتراكية ، يتناقض تناقضا رئيسيا مع معسكر الامبريالية ، واستفادت من هذا التناقض] .

٥ ــ وربطت ــ لاول مرة ــ استراتيجية الدفاع عن مصر باستراتيجية الحركة الوطنية فى الوطن العربى ، وباستراتيجية حركة التحرر فى بلدان العالم الثالث .

نقول : اذا كانت قيادة ثورة يوليو قد حققت هذا كله ، فقد كانت نقطة الانعطاف والمرحلة الجديدة فى تاريخها ــ عندما وضعت ــ لاول مرة أيضا ــ قضية التصنيع ، ثم التنمية ، فى اطارها الصحيح . أى حين أدركت ، منذ عام ١٩٦٠ ، أن التنمية المستقلة ، تتطلب تحرير الاقتصاد القومى من قبضة الاحتكارات الاجنبية ومن الرأسمالية المحلية الكبيرة . وأن عملية التحرير ، هذه ، لابد [illegible] المعركة مع الاستعمار الجديد ، خاصة الامبريالية الامريكية .

حقا لقد حدثت ، فى هذا ، « بروفة » قبل أن تصل قيادة يوليو الى هذا الاستنتاج . وهكذا عندما أممت الشركة العالمية لقناة السويس ، تلقت الرد العنيف فى شكل العدوان الثلاثى الانجليزى ــ الفرنسى ــ الاسرائيلى . وقد حدث هذا العدوان ، لا بسبب تواجد أجنبى أو سوفيتى ــ فلم يكن هذا موجودا ــ بل لان الثورة انقضت على المصالح الاقتصادية للامبريالية وعلى موقع استراتيجى بالغ الحساسية لها ــ فى الشرق الاوسط .

على أن الولايات المتحدة الامريكية ــ كانت قد منت النفس بأن ترث الامبراطورية البريطانية فى مصر ، وأملت بأن تسلك قيادة يوليو مسلك التعاون معها ، وبالشروط الامريكية : المحافظة على مظاهر الاستقلال واطلاق الحرية للاحتكارات الامريكية فى الميدان الاقتصادى ، وربط مصر بشبكة الاحلاف العسكرية . وعندما رفضت قيادة يوليو هذا ــ أيضا من منطلق قومى لا اشتراكى . تحرك الاستعمار الجديد ليكون رأس الرمح فى جبهة الاعداء الرئيسية للشعب المصرى كله

[بما فى ذلك ـ النظام الذى كان يقوده عبد الناصر . وكان النظام قد وصل ـ من وجهة نظر المستعمرين الجدد ـ الى طريق اللاعودة بعد التاميمات التى استمرت من ١٩٦٠ ـ ١٩٦٤] .
وهنا بدأت معركة من اعنف المعارك واعقدها : كان المطلوب ـ باختصار ـ تصفية هذا النظام الذى سلك سبيل « الاعتداء » على حق الملكية المقدس ، واخذ يؤمم مصالح راس المال الاجنبي والكبير ، والذى اصبح وجوده خطرا فى منطقة هى منطقة نفوذ للامبرياليين ومستودع بترولهم الهائل ، ومستقر عدد من قواعدهم العسكرية الاستراتيجية الرئيسية ، وواسطة العقدين اوربا وافريقيا واسيا .

وكان عبد الناصر يدرك أن قوى الاستعمار الجديد ، لن ترضى باقل من تصفية نظامه ، ولكنه كان يدرك ـ ايضا ـ أن الادعان لها معناه التخلى عن قضية التنمية الاقتصادية والاجتماعيه المستقلة . وهكذا ، عندما قوم معركة تاميم القناة أوضح أن « **المقاومة ضد الاستعمار الجديد تكتشف أمام الشعوب المستقلة ، يوما بعد يوم ، أن استقلالها السياسى لا يمكن تدعيمه بغير الاستقلال الاقتصادى . وأن النصر ـ فى مصر ـ وآثاره الاجتماعيه ، أكد أمام جميع الشعوب ان معارك التحرير السياسى لا تنفصل عن معارك التحرير الاجتماعى . وان الاستقلال ليس علما ونشيدا ، ولكنه سيادة على التربة القومية : وبكل ماضيها ، أى أنه اقتصادى باكثر مما هو سياسى !** [٦] .

ولقد استشعرت الاحتكارات العالميه ، وخاصة احتكارات البترول الامريكية العاملة فى الشرق الاوسط . .. استشعرت ، من وراء تأميم قناة السويس ، الخطر الذى يمكن أن تشكله القدوة ، او النموذج المصرى فى المنطقة وفى بلدان العالم الثالث . والى هذا اشار عبد الناصر ـ ايضا ـ عام ١٩٦٦ ، عندما اخذت الاستفزازات الاسرائيلية تتصاعد ، لقد طرح عبد الناصر السؤال التالى :
« **ليه العدوان الخارجى مستمر علينا ....**
وأجاب :
« **طبعا ، نجاح هذه الثورة يستلفت النظر فى المنطقة المحيطة بها ، وفى كل انحاء العالم الثالث ، ... واذا استلفت النظر هذا النجاح ، ستحاول كل الشعوب ان تطبق فى بلادها انظمة تقضى على الاستغلال . فاذا قضت على الاستغلال ، ستتأثر مصالح الرجعية والاقطاع ، ومصالح الراسمالية ، فى نفس الوقت ، تتاثر مصالح الاحتكارات العالمية** » [٧] .

ونحن نعرف ماذا حدث فى المنطقة . ففى أكثر من بلد من البلدان العربيه طرحت قوى الثورة الداخلية اولا ، واستفادت من المثل المصرى استعدة الثروات القوميه المنهوبه ، وتشديد الرقابة على نشاط الاحتكارات ، والمضى قدما فى طريق الاستقلال الاقتصادى .

ثالثا : ولهذا ، فعندما سلحت الامبريالية الامريكية أسرائيل لمهاجمة مصر ، كان الدافع الاساسى ، هو ردع هذا التوجه الجذرى والجديد ـ فى الثورات الوطنية والديموقراطية ـ والذى يتمثل فى الانقضاض على المصالح الاحتكارية للدول الامبريالية . وكان فى تقدير الاستعمار الجديد ان اسقاط هذا النظام سيكون المدخل الحقيقى لاعادة ترتيب الاوضاع فى كل المنطقة العربيه بما يستعيد للغرب مصالحه المضيعة . وبالتالى ، لم يكن هدف عدوان ٦٧ هو مقاومة « الوجود السوفييتى » فى أواخر عهد عبد الناصر . فهذا « الوجود » الذى آخذ قبل عدوان ٦٧ [وسعتمد هنا تحديد د . زكريا نفسه] شكل تسليح الجيش بأسلحة سوفيتية ، والتعاون الاقتصادى والفنى مع الاتحاد السوفييتى لبناء القاعدة الاقتصادية ، لا يمكن أن يعتبر المحرك الاساسى للعدوان الاسرائيلى الامبريالى اللهم الا من حيث أنه احد النتائج الهامة والمتولدة والحتمية ـ بالضرورة ـ عن المعركة التى بدأت هنا فى مصر ، ومن الداخل لتحرير الاقتصاد القومى . فهنا كان لابد وأن ينشأ تحالف والتقاء موضوعى ، على الرغم من اختلاف الأيديولوجيات بين القوى الممثلة للاشتراكية وبين قوى التحرر الوطنى .

واننا لنعلم أن عبد الناصر حاول بكل سبيل أن يحمل الدول الامبريالية ـ وفى مقدمتها الولايات المتحدة ، على ان تستجيب لخطته فى تصنيع مصر ، وانه قدم فى سبيل ذلك عددا من التنازلات [٨] .

[٦] خطاب عبد الناصر اثناء زيارة خروشوف لمصر
[٧] خطاب عبد الناصر فى العيد الرابع لثورة يوليو
[٨] كانت مصر قبل تاميم القناة . قد طلبت من البنك الدولى للانشاء والتعمير تمويل مشروع السد ، فاشترط البنك أن يتولى بنفسه الرقابة على برنامج الاستثمارات المحلية . ثم طالب بخفيض المساحة المزروعة قطنا . ثم اشترط على مصر ، الا تبحث عن قروض عند مصدر آخر . وفق بادىء الامر وافق النظام على ذلك . لكن البنك لم يكتف بهذا ومضى يطالب بضغط برنامج التصنيع ولكن عند هذا الحد رفض عبد الناصر واتجه الى تاميم القناة .

والحقيقة ان استخدام تعبير [توسع الوجود السوفيتى] فى رد د. زكريا انما يطرح هـذا التساؤل :

هل كان المطلوب من قيادة ثورة يوليو أن ترفض اخذ السلاح من الاتحاد السوفيتى ، وان تؤجل الى أمد غير معلوم — برنامجها فى التصنيع حتى لا يقال ، أن هناك « وجودا سوفيتيا فى مصر ؟ » .

رابعا : والغريب — بعد ذلك — ان يستخدم د . زكريا — وهو من يعلن انتماءه الى اليسار — تعبير « توسع الوجود السوفيتى » ، وهو تعبير لا نجده فى العادة الا فى دعايات وكتابات أقصى اليمين الرجعى فى غرب أوربا .. هناك ، حيث يرون فى كل معـــركة من معـــارك بلدان العالم الثالث ، لا ثورة الشعوب او حركتها التاريخية المحتومة للتخلص من نير الامبريالية والاستعمار ، بل حركة من جانب الامريكان لاقصاء السوفييت ، ثم حركة « معاكسة » من جانب السوفييت لتثبيت « تواجدهم » فى هذه البلاد . واذن فنضال شعب فيتنام البطل لمدة ثلاثين عاما ، وتصديه لجبروت الامبرياليين الامريكيين ، ليس هو القضية المركزية الجديرة بانتباه الشعوب ، واذن ما حدث فى فيتنام وفى كوريا وفى شيلى وفى مناطق أخرى ، ليست الا امثلة على « ميكانزم » اللعبة الدولية ، كما يمارسها « العملاقان الكبيران » فاحدهما « يوسع وجوده » والاخر يتولى الرد ليقلص هـذا « التوسع » .

والدكتور يوصل هذه النظرية ، فيـزعم أن المساعدات الامريكية لاسرائيل « قبل حرب يونيو واثناءها وبعدها » كانت موجهة فى المقام الاول ضد النفوذ السوفييتى لا ضد التجربة الناصرية من حيث هى نظام داخلى » . وعندما يصل الدكتور الى هذه النقطة ، فهو لا يهين كفاح الشعب المصرى فحسب، ولايسقط — فحسب — من حسابه نضالات جميع الشعوب التى هاجمتها « الدركى الامريكى حتى قبل أن توجد بينها وبين الاتحاد السوفييتى أى علاقة [كوبا فى ١٨٩٨ والفلبين منذ ١٨٩٨ أيضا . وهو لا يعجز فحسب عن تفسير ، لماذا نزل مشاة الاسطول فى لبنان عام ١٩٥٨ . ولماذا هددوا سوريا بالنزول فى الأردن، وبالتدخل المسلح عندما بدأت سوريا تساند **المقاومة الفلسطينية** ابان مذابح **أيلول الاسود** ، وهو لايعجز أيضا عن تفسير موقف الفلسطينيين عنـدما توضح استراتيجية الثورة ان العدو الرئيسى للشعب الفلسطينى هو الامبريالية الامريكية .. نقول ان الدكتور لا يعجز — بل سوف يعجز حتما — عن تفسير هذا كله ، وغيره .

خامسا : ولكن « نظريته الطريفة » عن الاسباب الرئيسية للعدوان الامبريالى الصهيونى على مصر انما تؤدى فى التطبيق العملى الى عدد من النتائج وخيمة ليس اقلها :

١ — انها تنشر التعمية الكاملة والاظلام التام على طبيعة المعركة الحالية . فما دام الامريكان لم يستهدفوا من وراء عدوان ٥ يونيو الا محاصرة الوجود السوفييتى فى مصر ، فان هذا العدوان سـيتوقف اذا ما أمكن تقليص هـذا « الوجود الواسع » . وفى هذه الحالة ، فان الاتحاد السوفييتى هو « السبب الحقيقى » فيما حدث فى ٥ يونيو . واذن فليست هناك معركة بيننا وبين الامبريالية . وأما حركة الشعب المصرى ونضالاته من أجل بناء نفسه وتنمية موارده ، فهى ظواهر هامشية ، ليست واردة فى الحساب ، مادام الدكتور قد اكتشف — وفقا لنظريته فى اسباب عدوان يونيو — أن التناقض الرئيسى — على أرض مصر — ليس بين الامبريالية من ناحية وبين الشعب المصرى من ناحية اخرى ، بل هو — على ارض مصر — بين الامبريالية الامريكية و « الوجود » السوفيتى الواسع . فالمعركة الحالية اذن — عند الدكتور — ليست معركة ضد مخططـات مبيتة ومتكاملة للاستعمار الجديد ، وموجهة ضد الشعوب العربية ، وتستهدف شعب مصر ، فى المحل الأول . واذن كان من الممكن نظريا — لو لم يكن هناك « وجود سوفييتى واسع » — أن يعيش الشعب فى سلام ، فيسترد موارده وثرواته الطبيعية .. فى سلام ، ويؤمم الاحتكارات الدولية .. فى سلام ، ويضرب رأس المال الاجنبى فى سلام ، ويقوم بالتنمية المستقلة فى سلام ، ويقيم علاقاته مع الشعوب العربية ومع شعوب العالم الثالث على أساس دعوتها الى استرداد ثرواتها .. وكل هذا ايضا فى سلام ! .

يقول الدكتور ان دعم امريكا لاسرائيل بالسلاح وهجومها على مصر كان موجها لا ضد النظام الناصرى ، بل ضد توسيع « الوجود » السوفيتى . وذلك لأن هناك توازنات دقيقة تحكم العلاقة بين العملاقين الكبيرين . ونحن نقول للدكتور بالطبع ، يوجد فى السياسة الدولية ما يسمى بتوازن علاقات القوى . ونؤكد له ان ثمة توازنا للقوى ساد عقب الحرب العالمية الثانية

□□□□□□□□

مباشرة . وكانت الصين تنتمى الى معسكر الرأســــمالية . وكانت الدوائر الامبريالية على استعداد لان تقبل أى شىء سوى أن تفقد الصين . فالسؤال هنا : هل عندما اغرقت امريكا تشانجكاى شيك بترسانة هائلة من السلاح ، هل كان هذا موجها - فى المحل الاول - ضـد الاشـتباه فى « وجود سوفييتى متوسع فى الصين » ، أم أنها كانت توجه هذا السلاح ضد ثورة الشعب الصينى بالاساس ، ودفاعا عن مصـالح الاحتكارات الرأسمالية ؟

اترك الاجـــابة على ذلك للدكتـور ، اذا أصر على «نظريته» ، ليستخرج - وفقا لنظريته - كل النتائج المنطقية الضرورية والمروعـة . . مـن الناحيتين الفلسفية والسياسية .

٢ - والنتيجة الوخيمة الثانية لنظرية الدكتور هو أنه سيجد نفسه يتحرك على أرضية يمينية كاملة ، بينما هو يرفع رايات « يسارية » . فالقول بأن الهجوم الذى وقع على مصر فى ٥ يونيو كان موجها ضد الوجود السوفيتى لا ضد « نظام عبد الناصر الداخلى » انما هو يجمل وجه الامبريالية الامريكية ويعفيها من مسئوليتها فى حرب يونيو . وهذه - بالكامل - رؤية فرسان اليمين الرجعى الذين دأبوا على التصريح بأن حكم عبد الناصر هو الذى تسبب فى المحن والعداوات مع الخارج ، لانه عادى أمريكا والغرب . وان ثورة يوليو يجب شطبها من حياة الشعب ، على اعتبار أنها كانت عشرين عاما من « الحكم الشيوعى » . وهم ، اذ يبدأون بهذه المقدمات ، ينتهون بالضرورة الى المطالبة بتصفية «هيكل الاشتراكية الهش» - اذا استخدمنا عبارة الدكتور ، هـذا الهيكل الذى قام - كما ذكر الدكتور - على تصفية الاقطاع ورأس المال المستغل والتمصير والتأميم واقامة قطاع عام واسع .. الخ .

فالبديل اذن ، مطروح من أقصى اليميـن وبصراحة يحمد عليها . وهذا البديل لم يرفضه الدكتور عندما ذكر من قبل أن التجربة الناصرية وقد ضربت نفس الانسان المصرى أشد ضررا من النظام الملكى الاقطاعى . والدكتور - اذن - بنظريته الطريفة فى « التجربة الناصرية » يقدم الى اليمين - ربما من حيث لا يدرى - أجل الخدمات . لانه يقدم له التأصيل الفكرى لمواقفه السياسية . ولكن الخطر فى هذا ، ومصدر البلبلة ، هو ان الدكتـور يقـدمه تحت لافتـات « يسارية » و « اشتراكية » . وبهذا ينتهى الدكتور الى أن يقف - فى آن واحد - مع اليمين واليسار . ولما كان هذا ممكنا فى عالم الفكر المجرد ، ولكنه مستحيل فى عالم الواقع والسياسة ، فان الدكتور اذ يركز نيرانه - وفى هذه المرحلة بالذات - على ما يسميه « بالتجربة الناصرية » انما يتحرك على نفس الارضية التى يتحرك عليها اليمين . ولعله هنا يجسد - خير تجسيد - المثل القائل بأن الطريق الى جهنم مفروش بالنيات الحسنة .

٣ - والنتيجة الثالثة التى تؤدى اليها نظرية الدكتور هى الاساءة الى جبهة اليسار ، وتقسيم صفوفه .

فمن المعروف أنه اذا أخذ الانسان بمنهج الاشتراكية العلمية فى تحليل الظواهر والمراحل التاريخية ، فان هذا المنهج يحتم بأن يبدأ تحليل أى ظاهرة أو مرحلة تاريخيـة ، بتحـديد التناقض الرئيسى ، والتناقضات الثانوية بين القوى النشطة فى حلبة الصراع . ومعروف أن العجز عن هذا التحديد ، او الخطأ فيه قد يكون مرادفا - فى بعض الاحيان - لكارثة تحيق بقوى الثورة ، فضلا عن انه يؤدى الى الوقوع فى الحلقية والعزلة ، والى انحرافات يمينية ويسارية . ولكنه يؤدى - حتما - فى التطبيق الى تمييع الحدود بين جبهة الحلفاء وبين جبهة الاعداء وطمسها .

وبعد عدوان ٥ يونيو [وقبله ايضا] كان من الواضح أن التناقض الرئيسى هو بين شعبنا من ناحية وبين الاعداء الامبرياليين والصـهيونيين وقـوى الرجعية الداخلية .

والمعتقد بأن الدكتور زكريا ، كان يرى أيضا هذا الرأى ، لانه فى مقاله الذى كتبه بعد وفاة عبد الناصر فى الفكر المعاصر [كلمة عن المستقبل - نوفمبر ١٩٧٠ ، حلل اتجاهات وأهداف الاعداء الامبرياليين والصهيونيين ، وانتهى الى ان هدف العدو الرئيسى - من وراء عدوانه - هو أن يعوق نمونا ، حضاريا ، وعلميا ، واقتصاديا . واستخدام ضمير « نا » المتكلم يعنى به الدكتور : نحـن المصريين ، أى الشعب المصرى .

لكن الدكتور يعود ، فى عام ١٩٧٥ ، ليحدد أن هدف الهجوم الامريكى علينـا فى ٥ يونيو ، كان موجها - فى المقام الاول - ضد « النفـوذ السوفيتى » لا ضد التجـربة الناصرية كنظـام داخلى .

واذا سألنا : أى الموقفين كان صائبا ، أجبنا بانه الموقف الاول عام ١٩٧٠ . فالتحليل المادى العلمى للاوضاع الداخلية والخارجية ، يدل على أن مصر - بعد أن انتزعت الاستقلال السياسى من براثن الاستعمار القديم ، واجهت مرة اخرى عدوها القديم « الامبريالية العالمية » ولكن فى هيئة جديدة ، أشد

مكرا وأشد خطرا ، هى صورة الاستعمار الجديد . وكان الاستعمار الجديد يريد ، ببساطة ، أن تقف الدول التى تحررت حديثا عند حدود الاستقلال السياسى ، وان تظل ارتباطاتها قائمة بالنظام الرأسمالى العالمى . وكان الاستعمار الجديد يدرك أنه اذا لم ينجح فى ربط هذه الدول به سياسيا واقتصاديا وثقافيا فان حركة الصراع الاجتماعى فى داخل هذه الدول ستتجه الى بناء اقتصاد مستقل ، وسوف تكتشف الشعوب أن الطريق الرأسمالى فى التنمية هو طريق مسدود ، وغير وارد . وأنه لابد من البحث عن طرق بديلة . وليس هناك غير بديل واحد ـ فى نهاية المطاف ـ هو الاشتراكية . ولقد تتعدد الطرق الى الاشتراكية ، وقد تتعثر الخطوات ، ولكن يظل الحل الاشتراكى يفرض نفسه ، داخل حركة الصراع الاجتماعى التى لا تتوقف ولا تؤمم .

واذا ما التزم الانسان بمتطلبات الامانة العلمية ، وبمصلحة الشعب ، فانه لابد وأن يقرر ـ مهما كان رأيه الشخصى فى جمال عبد الناصر ـ بأن هذا القائد الوطنى قد دخل المعركة ضد الاستعمار الجديد بجسارة فائقة ، وأنه حقق فى المعركة انتصارات تمثلت فى تحرير الاقتصاد المصرى من قبضة الاحتكارات الدولية . وانه صمد ـ حتى لحظة وفاته ـ فى هذه المعركة ولم يرتد عن طريق « التمصير والتأميم وبناء القطاع العام .. الخ » وفى جميع هذه المواقف اعتمد على مساندة واعية وغير محدودة ، وحاسمة ـ أحيانا ـ من جانب أوسع الجماهير الشعبية والوطنية . وحدث هذا لسبب بسيط ، وهو أن الشعارات التى طرحها فى معركة الاستقلال الاقتصادى كانت هى شعارات الحركة الوطنية ذاتها ، أى شعارات ومطالب الشعب .

ومنذ بدأت فى الستينات معارك الاستقلال الاقتصادى ، بدأ يتبلور ـ من الناحية الموضوعية ـ ترتيب جديد ، أو تشكيل جديد ، للقوى السياسية والاجتماعية فى داخل المجتمع . فلم تعد قوى اليسار المصرى محصورة فى دائرة اليسار الماركسى ، بل اتسعت صفوفه لتضم كل القوى التى أيدت ـ وارتبطت مصالحها ـ باجراءات تحرير الاقتصاد ، وتصفية الرأسمالية الكبيرة وبقايا الاقطاع . بحيث يمكن القول بأن مفهوم اليسار لم يعد يكفى فى تحديده القول ـ كما ذكر الدكتور ـ بانه يعنى مجرد الانحياز الى التجديد والتغيير ، وتحقيق العدالة الاجتماعية وصون الكرامة الانسانية . فهذه عبارات عائمة ومسطحة ويمكن ان يتبناها اليمين المستنير ، والذكى فى بعض المجتمعات . وانما اصبحت الحاجة ماسة الى وضع الخطوط الفاصلة بين ما هو يسار حقيقى وبين ما ليس يسارا . والواقع ، انه منذ ان بدأت معارك ثورة يوليو مع الاستعمار الجديد ، من أجل احداث تنمية مستقلة أصبح اليسارى ـ بالضرورة ـ هو كل من يناضل ، بقدر جهده ، وعلى أى مستوى فكريا كان أو عمليا ، وفى أى موقع من اجل كسب هذه المعركة وذلك فى مواجهة الهجمة الشرسة التى بدأتها قوى الاستعمار الجديد ، والتى تمثلت فى وضع كل العقبات والصعاب : الاستقرار والتخريب والعدوان والحصار الاقتصادى » لرد مصر عن طريق التطور المستقل .

فالموقف من الاستعمار الجديد ـ الان فى بلادنا ـ اليوم أكثر من ذى قبل ـ هو الفيصل ، وخط الحدود المميز بين ما هو يسار وما هو ليس بيسار . وبهذا المعنى ، قد لا نخطىء اذا قلنا ان جبهة اليسار فى مصر عريضة وممتدة تشمل أو المفروض أن تشمل ـ كل انصار التقدم السياسى والاجتماعى والثقافى ، وكل القوى الديموقراطية التى تريد بناء مجتمع متحضر يقوم على التسامح ، وكل القوى الاشتراكية على اختلاف مدارسها الفكرية .

لكن هذه الجبهة تضم بالتأكيد ـ وبغض النظر عن الرغبات والاهواء ـ كل هؤلاء المواطنين الذين يسمون انفسهم ناصريين ، والذين ارتبطوا ارتباط فكر او كفاح بالاتجاهات التقدمية لثورة يوليو « اتجاهات النضال ضد الاستعمار والاستعمار الجديد والصهيونية ، والانحياز الى مبدأ العدالة الاجتماعية ، والحفاظ بثبات على مبدأ الاستقلال الاقتصادى الذى هو جوهر الاستقلال السياسى ومحتواه . والتضامن مع حركات التحرر ومساندتها ، والتحالف مع قوى الاشتراكية العالمية . والنضال النشط من أجل السلم العالمى » .

ولا يمكن استبعاد هذه القوة الوطنية والتقدمية من جبهة اليسار ، بمجرد اصدار حكم ادانة على « التجربة الناصرية » ذلك لان الناصريين ـ كقوة وطنية يتواجدون بقوة وهم جزء من الشعب المصرى ، اى ظاهرة موضوعية من ظواهر المجتمع الذى نعيش فيه . وكل محاولة لانكارها تحكم بالعزلة على من يحاول ذلك . لكن كل محاولة من هذا القبيل تتسبب اذا تمت تحت أعلام وشعارات « يسارية » فى تعميق الانقسام داخل جبهة اليسار العريضة . ومن ثم فنحن لا يمكن أن نغبط من نذر نفسه للقيام بهذه المهمة غير النبيلة ونخشى ان يكون د. زكريا قد آلى على نفسه ان يقوم بها .

□□□□□□□□

حـول رد الـرد

الاغراق فى التفاصيل ... لا يفيد !

فيليب جلاب

فى رد الدكتور **فؤاد زكريا** على « نقـــاد » مقالاته حول « جمال عبد الناصر واليسار المصرى فى الزميـلة « **روز اليوسف** » اغـرق قراءه فى سلسلة « محكمة » من التفاصيل ، أو فى الحقيقة تفاصيل التفاصيل » حيث أن مقالاته الاولى — موضع الخلاف — كانت اغراقا فى «التفاصيل» .

والهروب الى مناقشة التفاصيل، أو تفاصيل التفاصيل وسيلة « لا بأس بها » لتغطية الخروج الصارخ على القوانين والقضايا العامة التى يتفق حولها غالبية أصحاب الفكر اليسارى باختـلاف مدارسهم .

ولما كان من الصعب ، أو من المستحيل ، أن يرفض يسارى مساندة ثورة وطنية مهما اختلف مع بعض مواقفها أو أساليبها — ومهمـا بلغت درجة صدامه معها أحيانا — فالحل السـعيد للهروب من هذا الموقف — مثلا — هو أن نتحدث عن المأساة التى حلت بمصر وشعبها « بسبب » فشل **أحمد عرابى** الذريع ، والذى أدى الى نجاح الغزو البريطانى المتحالف مع الخديوى وكبـار الملاك .

وبالمثل تماما ، [أو ربما بدرجة أكبر من التأثير بسبب معاصرتنا لاحداث ثورة يوليو وعبدالناصر] فان رواية قصة واحدة عما حدث لجندى ، أو ضابط مصرى واحد فى صحراء سيناء فى يونيو عام ١٩٦٧ تكفى لدى البعض لاستمطار اللعنات على الثورة وقيادتها وعلى كل من يشير — من قريب أو بعيد — الى أن الهدف الاول لها كان طرد الاستعمار أو تصفية الصهيونية .

ومن هنا فقد كان من الممكن أن يشير الدكتور **فؤاد زكريا** [كما فعل] الى سلسلة من النواقص والمفاسد والالام والمآسى ليشطب نهائيا على كل ما حدث : ابتداء من مساء الثالث والعشرين من يوليو سنة ١٩٥٢ الى وفاة عبد النـــاصر فى سبتمبر سنة ١٩٧٠ . لكنه لم يكن صريحا ولا منطقيا كعادته كما سبق أن أشرنا فى الرد عليه فى **روز اليوسف** . ذلك ان القضية بالنسبة اليه ، ليست انتقاده لرفض اليسار عدم تقييم ثورة ٢٣ يوليو وتجربة عبد الناصر كما قال . فاليسار بمختلف اتجاهاته يكاد أن يكون الجهة الوحيدة التى قدمت [وتقدم] فى حدود امكاناتها تقييما موضوعيا للثورة . ولكن المسألة هى أن الدكتور فؤاد زكريا لا يرى أن هناك ثورة بأى مقياس، أو انها كانت وطنية ، من أى نوع ، أو أنها استهدفت أى قدر من الاصلاح الاجتماعى والاقتصادى . وكل من لا يرى هذا الرأى من اليساريين يساهم فى نظر الدكتور فى تسليم الراية الى جحـافل اليمين الرجعى المعـادى للاشتراكية .

أما من حيث التفاصيل فربما كانت لدينـا تفاصيل أشد تأثيرا وأكثر ايلاما ممـا قدمـه الدكتور . لكن تقييم الثورات الوطنية يرتفـع دائما عن مستوى التفاصيل والالام الشخصية وان كان لا ينكرها أو يتجاهلها .

ومن هنا ، فليس من المفيـد ، ولا حتى من السهل ، مواجهة منهج الدكتور فؤاد فى هـذا الخصوص ، الا من حيث الرد على محاولاته الخروج بنتائج عامة من خلال التفاصـيل التى لا خلاف حول وقائعها .

ولكن ما يعنينا الان — بشكل خاص — هو التعرض — فى ملاحظات سريعة — الى أهم ما قدمه الدكتور مسجلا فيه خروجا صـارخا

على مبادىء أساسية يقول أنه يأخذ بهـا فى منهجه الفكرى :

● وأول الملاحظات ، هى اصراره على أن الافراج عن الشـيوعيين أو اعتقالهم ، وابراز شخصيات يسارية ، أو يمينية يتم لارضاء احدى الدولتين الكبريين فى فترة من الفترات .

ولو سلمنا بصحة هذا الاستنتاج الذى بنى عليه الدكتور فؤاد قـدرا كبيرا من دراسـته الاولى عن عبد النـاصر واليسار ، فيجب أن يراجع الدكتور نفسه حول مدى تمسكه بقواعد **المنطق الجدلى** ، بل وبأهم بديهيات العـلوم التجريبية والانسانية أيضا .

هناك مبدأ — نعتقد ألا خلاف حوله — وهو أن القانون الاسـاسى لاى ظاهرة هـو قانون داخلى أولا واخيرا . بمعنى ألا تقوم ثورة أو تفشل مثلا ، الا اذا كان المحرك الاساسى لهـا داخلى . وبمعنى ألا تفرخ « بيضة » مهما وفرت لها من وسائل الدفء الخارجى اذا كانت فاسدة من الداخل . ان احدا لا ينكر أن هناك عوامل خارجية مساعدة ومهمة أيضا ، لكن الاساس دائما يأتى من الداخل . ومن هنا يتضح مـدى اعتساف الدكتور فؤاد لقواعـد المنطق [الذى يذكرنا أننا درسناها أيضـا] عنـدما يصر أن الافراج عن الشيوعيين تم فقط لارضاء الاتحاد السوفيتى . واصراره مفهوم ، لان أهم حججه فى رفض الثورة — نهائيا — وشطب تجربة عبد الناصر تقوم على مثل هذه الحجج ، فاذا انهارت احداها بسبب قواعد منطقية وعلميـة « جامدة » انهار كل ما بناه الدكتور ، وسـعد ببنائه سعادة جمة . وقد كان بودنا دون أى محاولة للتهكم ألا ينهار بناء للدكتور فؤاد زكريا. لكن مساهمتنا فى هذا الشأن لن تفيده بأكثر مما أفاد هو نفسه ، فضلا عن أنها ستكون على حساب الحقيقة والعلم والمنطق .. وربما راحته النفسية أيضا !

والدكتور يعجب أيضا ، لاننا رأينا أنه وقع فى تناقض صارخ عندما انتقد **مكرم عبيـد** لانه اختتم جهاده بتأليف كتاب أسـود عن سلبيات الوفد دون مراعاة لايجابيات الوفد الـكبرى . ومع ذلك ، فقد فعل الدكتور أكثر مما فعل مكرم عبيد عندما لم ير فى ثورة يوليو سوى السلبيات ولم يسمع اطلاقا عن أى ايجابية لثورة وطنية من أهم ثورات مصر والعالم الثالث .

أما نحن ، فمنهجنا واحد : اذ اننا لا نرى أن سلبيات الوفد تلغى ايجـابياته ، ولا نرى أن سلبيات ثورة ٢٣ يوليو وتجربة عبد النـاصر تلغى الثورة وعبد الناصر . أما من منا الذى يحتاج الى التذكير بقواعد المنطق فلا تعليق !!

● **الملاحظـة الثـانية** : حـول المبـادىء الاساسية التى تخلى عنها الدكتور بسبب مواقف يصر عليهـا هى ما ذكره من أن الضربة التى وجهتها الثورة ، والتجربة النـاصرية لليمين ، لم تكن لحساب القوى الاجتماعية المتقدمة لكن لحساب النظام نفسه . وبالمثل طبعا فان ضرب اليسار لا يـكون لحساب القوى الاجتماعيـة المتخلفة ، ولكن لحساب النظام نفسـه . أى نظام هذا الذى يعنيه الدكتور ؟

هل هو حكم من حكام مباريات الكرة ؟ حتى حكام الكرة يتحيزون فى أيامنا هذه لفريق دون آخر !!

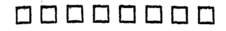
هل هو يعنى ما يسمى « **بالبونابرتية** » مـع اختلاف أساسى بين ما حـدث فى مصر منـذ سنوات ، وفى فرنسا فى القرن التاسع عشر ؟

الحق أن الدكتور كان يجب [لكى يكون مقنعا] ان يشرح لنا طبيعة النظام الذى لا هو يمين ولا يسار ولا وسط . وانه فوق الطبقات : لا يؤثر ولا يتأثر ، ولا يأتيه « الموقف الاجتماعى » من بين يديه ولا من خلفه !

● **الملاحظة الثـالثة** : تتعلق بفكرة أكثر عجبا ! وهى التفرقة التى ذكرها الدكتور بين ثورة يوليو وبين التجربة الناصرية . وهو يقول أن التجربة الناصرية تبـدأ من مارس ١٩٥٤، وتنتهى فى ٩ يونيو ١٩٦٧ . ويبدو وفقا لقواعد الحساب أن ما سبق ١٩٥٤ هو ثورة يوليو وأن ما لحق بيونيو ١٩٦٧ هو ثورة يوليو أيضا وفيما عدا ذلك فليس ثورة يوليو .. !

ومرة أخرى ، يصعب التعليق على هـذا « البناء المحكم » من وجهة نظر علوم التاريخ والمنطق والحساب أيضا !

● **الملاحظة الرابعـة والاخـيرة** : تتعـلق بحساسـية الـدكتور فؤاد الشديدة للنقـد والاعتراض . فهو يرى أن من حقه أن يقول ما يشاء ، متى شاء ، حتى لو وصل به الامر الى التجريح الشخصى ضـد من يختلف معهم كاستخدام أوصـاف تعنى « الرشـوة » وتتهم « بقصر النظر » وتحمل اليسار أوزار ما قـد حدث وما قد يحدث فى كل الاحوال . لكن اذا ما تعرض أحد نقاده لنفى هذه الاتهامات دون تجريح شخصى فهو فى نظره «عدوانى» وارهابى « فكرى » ، أو عصبى أو متشنج لكن مما يذكر للدكتور وصفه لبعض الردود بأنها « اتسمت بالتعقل » !



وبرغم أن احدا لم يقلل بأى شكل من مواقف الدكتور فؤاد ، الا انه شعر دون مبرر انه فى حاجة لتذكيرنا جميعا بنضاله ، بل وتساءل فى استنكار عما فعله نقاده اذا قورنوا بما فعله ، وهو اسلوب غريب عن منهجه الذى كنا نعرفه !

واخيرا ، أجد من المناسب أن أسأل الدكتور فؤاد زكريا : اذا كان تأييد اليسار لمنجزات ثورة يوليو هى من اهم اخطاء اليسار فى رايه ... فبماذا ينصح اليسار الان الى جانب « نصيحته الذهبية » برفض وتجريم التجربة الناصرية جملة وتفصيلا وباهالة التراب على قيادتها الناصرية ؟ .

عن «حالة» أبوسيف يوسف وعماء الألوان

محمود عبد الوهاب

لن أقدم لهذا التعقيب على مقالة ابو سيف يوسف عن الدكتور فؤاد زكريا بمقدمة طويلة من سجل المحفوظات عن الميزات النفسية لهؤلاء المثقفين الذين يتأرجحون بين المتناقضات بحكم انتمائهم الى هذه الشريحة اللعوب من البرجوازية الصغيرة ولن اتناول ابو سيف يوسف بأوصاف من عينة «اللعب على الحبلين و التأرجح بين المعسكرين» . ولن اتردى الى حد استخدام عبارات مثل السخف والهبوط والواقعية الساذجة . لن افعل شيئا من ذلك لسبب بسيط هو أن ما دفعنى للكتابة هو بالضبط هذه الروح العدوانية التى كتب بها ابو سيف يوسف مقالته والتى جعلته ينسى آداب الحوار مع استاذ جامعى جدير بالاحترام لم يقترف ما يؤاخذ عليه الا شجاعة ان يختلف — ومن موقعه — مع تقييم اليساريين المصريين للتجربة الناصرية ، هذا التقييم الذى يرى الدكتور فؤاد انه يسىء — أول ما يسىء — اليهم .

ولكى اجعل هذا التعقيب قصيرا ومركزا بقدر الامكان أقدم هذه الملاحظات :

١ — لماذا ضرب اليسار من اليسار ، وليس نقد اليسار من اليسار ، وكأن ما يدعو اليه اليسار توفرت له من القداسة ما لا ينبغى ان يمسه هذا المثقف الذى يكفى الاشارة الى جذره الطبقى كى نشك فى صدق ولائه لهذا الفكر وكان اليساريين وهم أكثر من يتحدثون عن الديموقراطية لا يستطيعون أن يحتملوا رأيامخالفا من انسان يؤكد أنه ينتمى اليهم . ومتى نأمل اذن فى جبهة تضم فى صفوفها كل الوجوه الشريفة والبناء ، برغم انتمائها الى فكر مخالف ، ونحن لم نستطع بعد ان نحتمل هؤلاء الذين يشاركوننا أفكارنا الرئيسية لكنهم يختلفون معنا فى هذه القضية او تلك . وهل هناك ما هو أكثر فعاليةفى تشويه اليسار امام الجماهيرمن ذلك التلويح بالتهم التى يمارسها اليساريون — مع بعضهم — بدءا من اثارة البلبلة ، وانتهاء بتقسيم الصفوف الوطنية والتقدمية .

٢ — وما الذى فعله الدكتور فؤاد سوى التنبيه الى خطورة التحدث الى الجماهير بلغة تم مسخ مفرداتها وتزييف معانيها وتزوير أهدافها والى خطورة الدفاع عن هياكل فكرية وتنظيمية ارتكبت خلف واجهاتها البراقة ابشع التهم ،وموضع الخطر هنا هو المساهمة — بالغفلة — فى دفع الجماهير الى احضان الفكر الرجعى والعميل الذى يقول لها : كان لهم الماضى فماذا فعلوا به وبنا : الفقر والهزيمة والاستعباد للجميع فتعالى اذن الى مستقبل نحقق فيه — وللجميع — الرخاء والحرية والانتصار .

٣ ـ وما قيمة سرد ايجابيات التجربة الناصرية وموقفها من الاستعمار و ... الخ والدكتور فؤاد لم يزعم انه ينكر هذه الايجابيات او يقلل من قيمتها وكل ما اراده هو تأمل حجم السلبيات التى طالما اسرفنافى طمسها ، أو التقليل من شأنها على حساب الترديد الدائم على الايجابيت ، الامر الذى يصيب الجماهير بالحيرة الى حد الشك فى اى ايجابية .. ولنتأمل معا ماذا فعلت بنا اجهزة الاعلام قبل واثناء وبعد اقامة السد العالى ثم كيف استفاد الرجعيون من سلبيات ماكان اسهل التحدث عن حجمها الحقيقى وكيفية التصدى لمعالجتها بدلا من تصوير المشروع وكأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

٤ ـ وهل من الامانة العلمية أن نقارن بين تاريخ صدور كتب الدكتور فؤاد وبين الاحداث التى واكبت ظهور هذه الكتب ثم محاولة الكلام عن مساهمة هذه الكتب بالسلب أو الايجاب فى مجرى هذه الاحداث السياسية ، ما الفرق اذن بين مؤلف المقالات السياسية الذى يلاحق الاحداث بالتفسير أو يسبقها ـ خطوة ـ بالتنبؤ وبين أستاذ جامعى مثل الدكتور فؤاد يرسى فكرا ويؤصل منهجا ويرسخ فى وعى الجماهير على المدى الطويل مفاهيم العلمانية والتقدم .

٥ ـ وهل من الامانة أن نبتسر جملة واحدة من سياقها فى كتب باكمله كى نحملها ما نريد من المعانى، وهل من الموضوعية ان نشكك فى نزاهة نقد الدكتور لذاته حين اكتشف المسافة التى اصبحت تفصله عن فكر نيتشه لمجرد انه قال ان الحملة على العقل فى وقت ما كانت مظهرا من مظاهر التحرر الفكرى وكيف اكتشف ابو سيف يوسف ان هذه العبارة الغامضة ـ فى وقت ما ـ تعنى على وجه التحديد هذه الحقبة من تاريخ اوروبا الحافلة بالثورات .. الخ . الا يمكن أن تعنى أيضا ان الحملة على العقل فى وقت ما من تفكير او تطور مفكر بعينه قد تعنى التحرر من القوالب الجامدة الذى أصبح الخروج عليها بالنسبة للفكر الشائع فى وسط هذا المفكر خروجا على العقل ، وبذلك يصبح خروجه فى ذلك الوقت هو خروج من اجل عقل اكثر استنارة واكثر قدرة على التحليق وتجاوز المألوف والتقليدى والشائع .

٦ ـ لم أفهم قيمة الزج بموضوع الوضعية المنطقية وهذا الاسهاب فى طرح أوجه الاختلاف بين الوضعية المنطقية وبين الماركسية .. الخ .

والدكتور فؤاد لم يزعم أنه من انصار هذه الفلسفة ، وعندما ترجم كتاب نشأة الفلسفة العلمية قرر بوضوح فى مقدمة الكتاب ان هذه الترجمة من أجل احاطة القراء بهذه الفلسفة وامتلاك اليقين بقصورها عن احتواء الواقع ومن أجل تأصيل الفكر المادى ، وفى مرحلة من مراحل تفكير الشباب فى مجتمع ما زالت الافكار المثالية تجد فيه مرتعا خصيبا .

٧ ـ اليس من قلب الحقائق اتهام الدكتور فؤاد باحتقار الجماهير لمجرد أنه اشار ـ آسفا وحزينا ـ الى مبلغ التخريب الذى احدثته اجهزة الاعلام بها حتى انها تخرج وبهذه الاعداد الغفيرة للترحيب برئيس دولة ما من شهيد سقط على ارض مصر منذ حرب ١٩٤٨ حتى اليوم الا وصرعته رصاصة من بنادقها . الا يدل ذلك على مدى ما يكنه الدكتور من احترام للجماهير ، ومن ايمان بعظمة الدور الذى يمكن أن تضطلع به اذ امتلكت وعيها السياسى القادر والفعال ، واذا لم تمارس صدها هذه المؤامرة المستمرة من التجهيل والتغفيل .

٨ ـ ثم نأتى الى النقطة الاخيرة التى يتسلح فيها أبو سيف يوسف بكل براعة المحامى « الشاطر » لدفع تهمة الرشوة عن اليساريين المصريين فهو يستند الى ارقام القرارات الجمهورية التى .. والى اعداد جريدة الوقائع المؤرخة فى .. ولكنه يقدم بين ما تحدثه اسلحته من جلبة سلاحا يؤيد حجة خصمه اذ ينتهى الى أن من المؤكد ان يساريا واحدا لم يشغل منصبا رفيعا لم يكن جديرا به ولنا ان نتساءل بأى مقياس كانت هذه الجدارة : بالمؤهل العلمى أو الخبرة الوظيفية .. بالذكاء او بالموهبة ، الا يمكن ان يمتلك الثورى هذه المؤهلات ، ثم يرفض مع ذلك ، المنصب الرفيع اذ يعصمه من القبول وعيه وطهارته وثوريته . ومنذ متى يشهر المناضلون الذين استمرأوا الجلوس على المقاعد الوثيرة هذا السلاح الخائب. سلاح الجدارة بالمؤهلات. الخ .

اكتب لكم هذه الكلمات ليس ردا على ابو سيف يوسف فقط ولكن باعتباره نموذجا لموقف العداء الذى يتخذه اليساريون من شخصيات هى اقرب ما تكون اليهم ومن كفاءات هم أحوج ما يكونوا اليها .. اكتب لكم وانا اتمنى أن يمتلك اليساريون هذه البصيرة التى تمكنهم من رؤية الاصدقاء فى المواقع البعيدة ،وان يتحرروا من ذلك العماء الذى يحرمهم من اقرب الاصدقاء .

□□□□□□□□

تعقيب

عمى الألوان أهون من فقدان الرؤية التام

١ ـ سأترك الرد على عدد من النقاط التى وردت فى مقال السيد/محمود عبد الوهاب لانها متضمنة فى التعقيب على رد د . زكريا .

٢ ـ يشير المواطن الى الروح العدوانية التى جعلتنى انسى آداب الحوار مع استاذ جامعى جدير بالاحترام ... الخ .

أما عن الروح العدوانية فقد بدأ بهذا د . زكريا نفسه فى مقالاته الثلاثة التى عرض فيها باليسار تعريضا لا يدخل فى باب « النقد » بل فى باب القذف والتشهير وذلك عندما قال ان اليسار تخلى عن مبادئه فى مقابل رشوة ، او ما اسماه بالمناصب الرفيعة ، وعندما ذهب الى ابعد من هذا حين اتهم اليسار بالصمت والمشاركة فى تبديد المال العام . وقد فعل الدكتور هذا، دون ان يقدم اى دليل أو اثبات . وقد قلنا له : انه اذا كان هناك يسارى قد فعل هذا، فانه بهذا لا يخرج عن دائرة اليسار فحسب ، بل وعن دائرة الوطنيين المخلصين . فاذا ظن انسان ـ بعد ذلك ـ انه يستطيع ان يستسهل توجيه ابشع الاتهامات بدون اثبات ـ وان يكون بمنجاة عن تلقى الرد فهو واهم . واذا ظن انسان ان هؤلاء اليساريين الذين بدأ الدكتور بالتشنيع عليهم [ولا اقول النقد ، لان هناك فرقا بين التشنيع والنقد الموضوعى] ... ان هؤلاء اليساريين هم من فئة القديسيين الذين يديرون خدهم الايمن لمن يضربهم على خدهم الايسر ، فقد اخطأ الحساب تماما . ولهذا السبب ولغيره ، كان عنوان المقال ضرب اليسار من « اليسار » لا نقد اليسار لليسار .

واما عن أدب الحوار ، فنحن لا نتعلمه من السيد/عبد الوهاب ، لان محررى « الطليعة » هم من اكثر الناس معرفة وتمسكا بآداب الحوار . ولعل هذا ما دعا كاتب هذه السطور الى ان يحذف بنفسه من بعض الردود الموجهة الى د . زكريا كل ما يشتم منه انه يدخل فى باب الاساءة اليه او التشهير بشخصه .

٣ ـ أما عن قولك بان اليساريين يتحدثون عن الديموقراطية ولا يستطيعون أن يتحملوا رأيا مخالفا ، فليس صحيحا . « فالطليعة » ـ مثلا ـ قد تحملت ونشرت ثلاثة ردود للدكتور زكريا ، ثم نبهت اليها فى الاعلان عن المجلة ، كما تحملت كلمتك المنشورة . ولا أحيلك الى امثلة اخرى فى باب الرأى والرأى الاخر .

٤ ـ واما عن قولك باننا نساهم بلغة ثم مسخ مفرداتها ... الخ . [وبالغفلة] فى دفع الجماهير الى أحضان الفكر الرجعى والعميل ، فهذا يكشف عن ان معرفتك بالجماهير هى من خلال الصحف السيارة ، وان تقديرك لمستوى وعيها وتجاربها يدعو الى الأسف ، فى حين ان احداث ١٨ عاما من تاريخ ثورة يوليو تثبت العكس . واعجب من هذا ، قولك اننا نساهم فى دفعها الى احضان الفكر الرجعى . فهل تستطيع ان تبين لنا مضمون هذا الفكر اذا لم يكن هو فتح الباب للاستعمار الجديد اقتصاديا وسياسيا وثقافيا ، والانتكاس بعدد من مكتسبات الجماهير ، وتصوير النواحى الايجابية فى صورة سلبية مظلمة ، ثم تقديم البديل الافضل فى صورة العودة الى المجتمع القديم . وهل نحن الذين نفعل ذلك فيما نكتب ونقول وما نتخذ من مواقف ؟

٥ ـ تقول : « وما قيمة سرد ايجابيات الناصرية وموقفها من الاستعمار ... والدكتور فؤاد لم يزعم انه ينكر هذه الايجابيات » . ا هذا القول يكشف عن عمق

الخلاف بيننا « لانه يتعين على كل من ينتسب حقا الى اليسار ، ان يعرف ان الموقف من الاستعمار ليس مجرد « ايجابية من الايجابيات » وانما هو الحلقة الرئيسية ، ونقطة البدء فى الثورة الوطنية الديموقراطية ، وبدونها يستحيل اى تقدم ، ويستحيل ان تتم خطوة واحدة الى الامام ، فى الخارج والداخل معا » .

واما عن اشارتك الى السد العالى بعبارة « تصوير المشروع وكأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » فهى تكشف للاسف لا عن نجاح الدعايات الرجعية فى خداع بعض المثقفين فحسب ، بل تكشف عن انك لم تطلع — ولو بشكل عام — على الجوانب الاساسية للموضوع .

وليس العيب هو انك لم تطلع على هذا ، بل العيب هو ان تشير فى مناقشة سياسية الى موضوع ليس لك الملم اولى بجوانبه الاساسية . ولذلك احيلك الى بعض التحقيقات التى نشرتها روز اليوسف عن هذا الموضوع . والى كتاب **فيليب جلاب** عن السد العالى . واذا رأيت ان تتوسع فى تقصى الحقيقة فمن الممكن ان ترجع الى بيانات اكثر من مسئول عن البيانات التى صدرت بعد وفاة عبد الناصر .

٦ — عن « الحملة على العقل » والخروج عليه . وقولك ان هذا الخروج يمكن ان يصبح بالنسبة لبعض المفكرين خروجا « من أجل عقل اكثر استنارة » . الرد هنا : انه حتى **اذا** سلمنا بذلك جدلا ، فهذا لا ينطبق على المثل الذى نحن بصدده : مثل الفيلسوف الالمانى نيتشه ، نحن لا نناقش فى فراغ وانما بصدد حالة محددة . ولنا عودة للموضوع .

٧ — اعتراضك على الزج بموضوع الوضعية المنطقية . ارجو مراجعة التعقيب على رد د . زكريا .

٨ — نأتى الى النقطة الاخيرة فى رد السيد/عبد الوهاب .

تقول : اننى أتسلح ببراعة المحامى الشاطر .. لدفع تهمة الرشوة . وأؤكد لك انى لا استخدم حججا قانونية للدفاع عن اليساريين المناضلين لانهم ليسوا فى حاجة الى ذلك . هذا **أولا** ، **وثانيا** ، لاننى يمكن ان اقف موقف الدفاع عنهم **فقط** عندما أجد ان من يهاجمهم يتفوق عليهم او حتى يتساوى معهم ، فى عملهم الطويل ، وممارستهم ، وتضحياتهم البالغة من اجل قضية الاشتراكية . وفى حالتنا هذه ارجو ان تصدقنى اننى لا اجد ان من يهاجمهم ويكيل لهم التهم مؤهل لان يحكم عليهم ، ويقيم — للتاريخ — عملهم .

اماعن القرارات الجمهورية ، وعن مجلة الوقائع ، فاذا كنت قد فهمت عنى — والواضح انك لم تفهم — فهو اننى اطالب الدكتور — باعتباره من رجال العلم — باضعف الايمان — وهو ان يؤسس احكامه العامة بعد دراسة ، وعلى اساس وقائع محددة ، واسماء وتواريخ ، خاصة عندما تكون القضية ماسة بسمعة مواطنين ، وتتعلق باتهامات توجه اليهم .

واما عن التساؤل الخاص عن المقياس الذى تقاس به جدارة اليساريين الذين تولوا مناصب ذكر الدكتور انها رفيعة . فأقول ان كل المقاييس التى ذكرتها ياسيد عبد الوهاب تنطبق على هؤلاء اليساريين وهى : المؤهل العلمى ، والخبرة الوظيفية والذكاء والموهبة . وما عليك الا ان تسأل الدكتور نفسه فهو قد عرف بعضهم وعمل مع واحد او اكثر منهم . كما ان منهم زملاء للدكتور — أو كانوا — كمدرسين واساتذة فى الجامعة . ومنهم من ساهم فى تقديم بعض اعمال الدكتور .. على عهد عبد الناصر .

واخيرا يتساءل السيد/عبد الوهاب : « الا يمكن أن يمتلك الثورى هذه المؤهلات ثم يرفض ذلك المنصب الرفيع اذ يعصمه عن القبول وعيه وطهارته وثوريته » ؟

الرد على ذلك : اذا كان السيد/عبد الوهاب يطرح السؤال من الزاوية النظرية البحتة فالجواب بالايجاب .

ولكنه اذا كان يطرحه — كما هو واضح — من باب المهاترة ، فنحن نطالبه — من باب الحرص على المصلحة الوطنية والصالح العام — ان يذكر اسماء لليساريين الذين يعنيهم تهاونوا او فرطوا فى المال العام ، او ضيعوا فى وظائف

□□□□□□□□

لا يستحقونها . فماذا لم يفعل ؟ فهو يفتعل معارك جانبية ، هدفها تقسيم اليسار ، وحرف الانظار عن القضايا الرئيسية التى تشغل الراى العام .

ثم يسأل السيد/ عبدالوهاب : منذ متى يشهد المناضلون الذين استمرأوا الجلوس على المقاعد الوثيرة هذا ... الخ » .

ونجيب : لعل هذا السؤال يوحى بان السيد/ السائل من القادة المناضلين والبارزين فى النضال الشعبى والجماهيرى . ويبدو اننا – لذلك – لم نتشرف بمعرفته – بسبب الجلوس على المقاعد الوثيرة . ولكننا نؤكد له اننا نعرف أيضا هؤلاء الذين يجلسون على المقاهى ،يطنطنون بالجمل المثيرة مطالبين بالكفاح حتى آخر يسارى .

ابو سيف يوسف

الى «الطليعة» و «النذيرة»

أحمد دمرداش حسين *

الاستاذ لطفى الخولى تحية طيبة : لك ولكل حر شريف تصافح آمال وآلام شعبه سطح ورقته قبل أن تصافحها ذبابة القلم ، وبعد .. ان الحوار مع الدكتور فؤاد زكريا يجب ان يستمر حتى نحظى بأكبر قدر من الافادة .

من الماضى الى المستقبل

ان نقد التجربة الناصرية بضمير ملتزم تجاه امانى جماهير الشعب الكادحة واجب ، وله هدفان : اما تنقية التجربة ، حفاظا عليها وعلى استمرارها فى اتجاه مصالح جماهير الشعب العاملة ،واما لاستشراف مسار جديد لحركة التقدم نحو امانى جماهير الشعب العاملة . اذن المصب واحد ، وما عدا ذلك هو الا تشنجات نرجيسية طبقية ، أو ذاتية هوت بها الضعة الى حد حرق تاريخ أمة مقابل حقد أعمى أو ذاتية ملوثة .وبلا شك الدكتور بعيد كل البعد عن تلك الزمرة المعروفة . ولكنه وبلا شك أيضا غير مؤيد للناصرية . اذن فقد كان نقده او شجبه لها من منطلق استشراف مسار جديد لحركة التقدم ، وأعود وأكرر لصالح جماهير الشعب العاملة .

والسؤال موجه الان الى الدكتور : ما هو البديل ؟ هل نلغى المكاسب التى حصلت عليها جماهير الشعب العاملة من التجربة الناصرية مقابل مكاسب أخرى آتية ، ولكنها بين طيات الغيب . وما الداعى الى ذلك ؟ هل الحد الادنى من المكاسب والذى تحقق فى ظل التجربة الناصرية يعوق المزيد الاتى،ونترك الفرصة للاستاذ الدكتور حتى يجيب ، قبل ان نجيب نحن تقديرا لمكانته العلمية وسنه [حيث كان يحاضر فى الجامعة فى وقت كنا نجرى فيه خلف عربات الرش] ، ولنمضى فى الحديث ، ونشكر الدكتور لاهتمامه بالماضى ، وعلى الجهد الذى بذله فى استخلاص الدروس المستفادة من مثالب التجربة السابقة [لم يذكر لها انجاز واحد) . ولكن كنت أرجو من الاستاذ الدكتور **ان يعطى الحاضر ولو لفتة هينة . ام ان** الحاضر جزيرة لا يمكن الاقتراب منها واقتحامها ، مثلها مثل الماضى فى الامس القريب . لانه عندما يصبح الحاضر ماضيا تقتحم الجزيرة ، وتقتل فحصا وبحثا ، استشرافا لمستقبل لن يأتى ابدا .

كنت أرجو من الاستاذ ان يربط بين الحاضر والمستقبل بتحليل علمى مفيد ، ركيزته المثالب والدروس المستفادة من التجارب السابقة ، لنا وللشعوب الاخرى . ان استخلاص الدروس

* مهندس احمد دمرداش حسين –مقاتل مؤهلات عليا اشترك فى حرب اكتوبر .

المستفادة من التجربة السابقة ليس الغرض منه عملية الاستخلاص لذاتها ، بل الهدف الاسمى هو اخصاب الحاضر بها حتى لا تتكرر المثالب وتضيع الانجازات .وقد يرد الدكتور قائلا : ان استخلاص المثالب وتحديدها اخصاب للحاضر ، ولو عن طريق التحذير . وردى على ذلك : هل من كان فى حنكة الدكتور ، ودرجته العلمية يكفيه التحذير ! ؟ أم الواجب أن يشارك فى تشكيل حاضر مخصب بالدروس المستفادة التىاستخلصها هو على الاقل خلاف ذلك تكون عملية النقد مغرضة . اما لارضاء فئة ، أو حقد ، أو جلبا للشهرة . ونحن نرى الكتب والمقالات تتدفق علينا ، كلها نقد وتجريح للماضى ، دون اشارة واحدة للحاضر كأنه خال من المثالب ، مثله مثل الماضى ، حينما كان قادرا على المن والمنع .

ان محاولة القفز من الماضى الى المستقبل مع اسقاط الحاضر من الحساب ـ اما خوفا أو نفاقا ـ محاولةفاشلة تحملفى احشائها مستقبلا غيبيا بكل مخاضه رجاء وأمل . والفرق شاسع بين الامانى وبين الانطلاق من قاعدة صلبة مهرسة بأساليب تحقيق الامانى . ولدينا المثال على الصعيد العسكرى . لقد أخصب الحاضر فى ٦ أكتوبر بالدروس المستفادة من ٥ يونيو ٦٧ ، فكان لنا المستقبل الذى نرجوه على الصعيد العسكرى على الاقل .

واخيرا أختم ما بدأت بحديث سيد البرايا الرسول الكريم :

[من لبس ثوب شهرة البسه الله ثوب ذلة يوم القيامة] .

أقول ما أعتقد انه الحق

أحمد فتحى ندا *

فى تحليله لطبيعة العلاقة بين جمال عبدالناصر واليسار المصرى ــ والذى كان تقييما للتجربة الناصرية [كما اسماها] ــ لم يلجأ د. فؤاد زكريا الى استخدام المنهج التاريخي الذىلايعزل الظواهر الاجتماعية الايجابية منها والسلبية ــ عن سياقها ــ بل لجأ الىمنظور فلسفى مجرد ــ وضع فيه مؤشرات للنظم التقدمية قام من جانبه بتطبيقها على التجربة الناصرية فوجد صعوبة فى ادراجها ضمن الانظمة التقدمية . هكذا ببساطة ــ كما عزل بطريقة ميكانيكية متعسفة بين طبيعة المرحلة التى شغلتها وبين ما سبقها وما تلاها من مراحل .

والتجريد المغرق ــ ليس بمستغرب من استاذ فلسفة . كتب فى مقال له بعنوان [بين تاريخ الفلسفة وتاريخ العلم ــ مجلة الفكر المعاصر العدد ٤٧ يناير ٦٩ ص ١٠] يقول « لو تتبعنا التاريخ الفلسفى لوجدناه تاريخ محاولات لا تاريخ حقائق ــ محاولات لا يكاد ان يكون للعنصر الزمنى فيها اى تأثير ــ ومن الممكن فىاية حالة انيختار المرء للمناقشة اية مرحلة سابقة فى هذا التاريخ دون تمييز كما انه يستطيع ان يتجاهل المراحل السابقة ويبدأ من جديد » . انها ليست محاولة فلسفية حتي يبترها عن ابعادها المكانيةوالزمانية والظروف والمؤثرات التي احاطت بها .

٢ ــ قال الدكتور عن نفسه انه يسارى ويذكرنا هذا النوع من اليساريين على الفور بــ [اليسار البورجوازى] وهو اسم اطلقه الباحث الامريكى لويس سيكدر على احد فئات اليسار فى بحث قدمه الى الجامعة الامريكية فى بيروت عن [المثقفين العرب والهزيمة] وقال فيه ان اهتماماتهم بالوضع الراهن فى مجتمعاتهم يحكمها انشغالهم ببعض الصياغات الشكلية التى اقتبسوها من محاولاتهم التلفيقية للتوفيق بين معطيات الادب الثورى والادب الليبرالى والتم

---

* احمد فتحى ندا ــ مسئول العلاقات العامة بقصر ثقافة الريحانى ــ الثقافةالجماهيرية ــ ومقاتل من مقاتلى اكتوبر

□□□□□□□□

تبلورت في مواقف اجتماعية حضارية تختلف بصورة او باخرى عن مجتمعاتهم ومن هنا تفسير ما يسود كتاباتهم من تجريد مفرق ومن تناقض فكرى داخلي [السيد يسن — الشخصية العربية بين المفهوم الاسرائيلي والمفهوم العربى ص ٢٦].

٣ — والتناقض الفكرى يظهر لنا فى بعض كتابات د . فؤاد زكريا — مثلا كتب عن [الثورة والتمرد عن البير كامى — مجلة الفكر المعاصر العدد الثالث — مايو ١٩٦٥ ص ٢٩ قال [ان التطرف الذى يعيبه كامى على الثورات الحديثة انما يرجع الى طبيعة المقاومة التى تواجهها هذه الثورات ، لا الى انحراف فى الثورات ذاتها وغالبا ما يكون التجاء الثائر الى العنف انمايكون التجاء الى اسلوب فرض عليه فرضا ، وهو فى قرارة نفسه يؤثر الاعتدال ويميل اليه . ولكنه لو ظل يتخذه سبيلا الى تحقيق اهدافه فى مواجهة خصوم خلت نفوسهم من كل روح انسانية لكان فى ذلك مقصرا فى خدمة الرسالة التى آلى على نفسه ان يحققها ولما استطاع ان يحقق شيئا من مبادىء ثورته] .

هكذا كتب د . فؤاد زكريا سنة ١٩٦٥ ايام **حياة عبد الناصر** . وهو يرى ان لجوء الثائر الى بعض اساليب العنف ليس تطرفا — بل هو شىء تفرضه طبيعة المقاومة التى يلقاها . وان الثائر لو اتخذ الاعتدال سبيله الخ — لكان مقصرا ولما حقق من مبادىء ثورته شيئا . بينما ينبعث فجأة — ليكتب بعد عشر سنوات مات اثناءها **عبد الناصر** ليندد ببعض الاساليب التى يقول ان الناصرية اخذت بها — والتى اباحها الدكتور قبلا .

٤ — يلجأ الدكتور فى مقاله الى بعض المغالطات والى نوع من التحريف الواضح فى الحقائق مثلا:

[أ] وصم الناصرية بانها تعمل لمصلحتها الخاصة فقط — فهلا أوضح لنا سيادته — ماوجه المصلحة الخاصة فى اعمال مثل تأميم القناة والاصلاح الزراعى وبناء السد العالي والتعليم المجانى واقامة القطاع العام — الخ ...

[ب] لم يجد الدكتور لرضاء المصريين عن التجربة الناصرية تفسيرا سوى الدهشة لهذا المسلك وهى [حيرة فيلسوف] لا شك — اما الواقع وباختصار — فقد تجاوب المصريون مع الناصرية لانهم وجدوا فيها [الاصالة الوطنية] ... [والذات المصرية] وتطلعات واماني شعب بأسره .

[ج] يقول الدكتور [ثم تصل المهزلة الى قمتها حين يصبح اليمين هو الذى ينادى بالرفض والتغيير ويقف اليسار مطالبا ببقاء الامور على ما هى عليه فيصبح هو المحافظ والمتمسك بالوضع الراهن فيتبادل بذلك الادوار مع اليمين] .

ليس طلب التغيير من عدمه هو الذى يكسب صفة اليمينى او اليسارى . كما ان اليسار لا يعنى التغيير لمجرد التغيير . هذه عدمية وفوضوية . العبرة بالمضمون لا بالشكل وباتجاه المسار لا مجرد الحركة فقد تكون [رجعية وللوراء] .

[د] قال د . فؤاد [ان من يهتف فى كل مرة يقرأ فيها حكما سلبيا على التجربة الناصرية لما لا تذكرون الايجابيات ؟ ليس دائما على صواب ومن يركز حديثه على السلبيات وحدها ليس دائما على خطأ] ولندقق فى العبارة بامعان — انه فى الوقت الذى يشجب فيه الرؤية من جانب واحد على فريق يبيحها ويصنع منها صوابا بالنسبة لفريق آخر ذو رؤية واحدة ايضا .

[هـ] قال ان اتجاه الردود لا يعبر عن موقف عام ازاء الدراسة — واساله من ادراه بذلك — وهل دراسته هذه هى التى تعبر عن موقف عام — آسف ان الفت نظر سيادته الى ان العكس هنا هو الذى يحدث فالواقع انها قلة هى التى تهاجم عبد الناصر لكنها تجد الفرصة كاملة بينما لا تتيح اجهزة اعلامنا — ربما بنوع من التوجيه لوجهة النظر الاخرى والتى قد تكون هى وجهة نظر الكثرة نفس الفرصة ونفس المساحة .

[و] جعل الدكتور من استقبال نيكسون استفتاء شبه رسمى على فشل الاشتراكية الناصرية — هكذا ببساطة يا عزيزى ان ترويج بعض الاجهزة الاعلامية صاحبة الاتجاهات المعينة ، والمعروفة

رئيس تحرير الطليعة . . .

ايمانا منى ، بما اضطلعت به [الطليعة] من عمل جليل ، يقوم على حرية الكلمة ... ومشاركة فى الحوار الموسع الدائر حول [جمال عبد الناصر واليسار المصرى] ارسل لسيادتكم برأى شخصى ردا على د. فؤاد زكريا .

وأما ما دفعنى لكتابته فهو ايمانى بضرورة الجهر بالكلمة — [بما اعتقد انه الحق ، وبانه اذا كان الامر كذلك ، فالافضل والواجب ايضا يقتضى ان تعطى الكلمة ، اولا لمن يعملون فى صمت من اجل مصر .

ولست ازجى لنفسى حقا لا استحقه — لكن بوصفى احد ابناء مصر .. خدم كمقاتل لاكثر من سبع سنوات ضمن جيشنا الثالث الميدانى وكان لى شرف العبور فى اكتوبر ١٩٧٣ اقول ليس اقل من ان يقول الانسان كلمته مادام يتوخى خير هذا الوطن .

احمد فتحى ندا

ــ والتى صورت امريكا فى صورة المبعوث الذى يحمل مليارات الدولارات فى يد وحل الصراع مع اسرائيل فى اليد الاخرى هذا وحده هو الذى بهر قلة لا نتعدى الالوف الى الخروج لاستقبال نيكسون .

[ز] قال الدكتور ان المظهر الاكثر دلالة على خيبة امل الناس فى التجربة الناصرية الاشتراكية هو ان جريده اليمينيين اصبحت اوسع الجـرائد انتشارا ــ الخ ــ وياله من تفسير سطحى .

سيدى الدكتور انت اول من تعرف سر انتشار توزيع هذه الجريدة انها تمثل صحـــافة الاثارة الصفراء واللعب على انغـام كل حيـل الدعاية المعروفة واهمها سبعة قال بها معهـد تحليـل الدعاية الامريكى سنة ١٩٣٧ ومنها اســتعمال الفاظ التعميم البراقة واستغلال عقلية القطيع ــ الخ ..

يرد الدكتــور على ما اسـماه بتعـــريض ابى سيف يوسف بــ [مناقبه] فيقول عن نفسه انه نقد عبد الناصر ايام حياته والدليل على ذلك مقاله عن بعض سلبيات اشتراكية العالم الثالث ــ عدد اكتوبر سنة ١٩٧٠ من الفكر المعــاصر [وقد جاء خبر وفاة عبد الناصر والعـــدد ماثل للطبع الخ ..] وهذا يدعو للسخرية .

فالدكتور انتظر حتى سنة ١٩٧٠ وفى نفــس شهر وفاة عبد الناصر بالذات [اذا اخذنا بصدق اقواله] كى ينقد الزعيم فى حياته ــ صح النوم يا دكتور الم تكن الخمسينات والســـتينات فى جعبتك ؟ .

○

□ القــانون .. لمــن ؟

ســهام هاشم *

.. عن « القانون » و « المشروعية الاجتماعية » وعلاقاتهما بالتطور الاجتماعى

طالعتنا الصحف [١] الصادرة فى يوليو الماضى بخبر يقول « قررت الجمعية العمــومية للفتوى والتشريع بمجلس الدولة فى جلستها الخاصة التى عقدتها أمس برياسة المستشار عبد الفتاح نصار النائب الاول لرئيس مجلس الدولة اعادة أموال وممتلكات ابراهيم عبد الهادى و١٨ اخرين من بينهم فؤاد سراج الدين وزينب الوكيل وكريم ثابت **ممن حكمت عليهم محكمة الثورة ومحكمة الغدر بمصادرة أموالهم كعقوبة تكميلية وضمت الى ادارة الاموال المصادرة بوزارة المالية** » ويمضى الخبر فيورد أسماء جميع من شملهم القرار .

ومن الواضح أن الجمعية العمومية للفتوى والتشريع قد استندت فى قرارها الى قــوانين قائمة ، والى نصوص محددة فى هذه القوانين . ولست من المتخصصين فى القانون حتى اناقش المبادىء والاسانيد القانونية . ولكنى سأضع جانبا قصة **المشروعية القانونية** ، لاركز على جانب أكثر اهمية ، وهذا الجانب هــو ما يمكن تســميته **بالمشروعية الاجتماعية**

وفى هذا الصدد ، نجد لزاما علينا ، أن نعود قليلا الى السنوات الاولى لقيام ثورة يــوليو ١٩٥٢ . وقد اخترنا السنوات الاولى للثورة لانه ، خلال هذه السنوات ، تمثلت قوة البزوغ الاولى للثورة ، كحدث له ثقله الوطنى والقومى والتاريخى . فكانت له قوة تأثير دافقة على وجدان الشعب المصرى ، بل والشعب العربى بأسره ،

---

* سهام هاشم محررة بوكالة انباء الشرق الاوسط .

[١] جريدة الاهرام ١٩٧٥/٧/٣ .

□□□□□□□□

وبخاصة على وجدان الشباب ، ومن هم فى سن الصبا . وقد يكون لى الحق — هنا — فى تسجيل بعض المشاعر الذاتية فى هذا الصدد . فقد قامت الثورة ، وانا لم أتجاوز بعد التاسعة من عمرى . وكان لما يدور حولى — عندئذ — أصداء فى نفسى ، كانت مبهمة فى حينها ، ولكنها سرعان ما تبلورت بعد ذلك فى وجدانى ، وفى وجدان كل مصرى ، وكل مصرية على درجة من الوعى . ولعل ما أتذكره جيدا ، ويتذكره كل جيلى معى ، هو أن ثورة يوليو قد اقترنت — أساسا وبالدرجة الاولى — **بمفاهيم اجتماعية** ، بدت وقتها جديدة ، ومبهرة وأصبحت — بعد ذلك — عزيزة على نفس كل كادح فى هذا البلد . لقد ترددت هذه المفاهيم — فى بادىء الامر — فى مبادىء الثورة الستة ، ثم فى خطب وأحاديث **عبد الناصر** ، خلال السنوات الاولى للثورة . وهى على سبيل التحديد : « **الثورة تدافع عن الفلاح والعامل** » وذلك فى الخطبة التى القيت فى مارسكور بمناسبة افتتاح هيئة التحرير فى ابريل ١٩٥٣ . و « **لقد قامت الثورة لكى تدافع عن حقوق المواطنين جميعا** » . [حديث لمندوب الاهرام فى ١٧ يونيو ١٩٥٣] و « **تحطيم الاقطاع وتقريب الفوارق بين الطبقات** » [خطبته التى القاها فى تفتيش دميرة بمناسبة توزيع الاراضى على الفلاحين فى عيد الثورة الاول ١٩٥٣ » . و « **تحقيق العدالة الاجتماعية** » فى خطبة ألقيت فى حفل توزيع الاراضى ببلتاج يوم ٣ مايو ١٩٥٤] .

وقد ظلت هذه المفاهيم تتردد — بشكل متناثر يمكن أن يكون بمثابة الارهاصات أو آلام المخاض التى توجت بعد ذلك بصدور **القوانين الاشتراكية فى يوليو ١٩٦١** . وفى اعتقادنا ، أنه اذا كانت الثورة المصرية قد استمدت مشروعيتها السياسية والوطنية ، من اعلانها ان من اهدافها : **القضاء** على الاحتلال الانجليزى ، وطرد المستعمر ، ومقاومة الاستعمار العالمى والعنصرى ، والتضامن مع حركات التحرر الوطنى ، فهى قد استمدت مشروعيتها الاجتماعية من اعلانها — وبشكل محدد — انها تسعى الى **تذويب الفوارق بين الطبقات ، وتحقيق مبدأ تكافؤ الفرص ، وتصفية الامتيازات الطبقية** .. الى آخر هذه المفاهيم التى رفعت أولا كمجرد شعارات .. أصبحت لها — بعد ذلك — قوة الاجراءات والتنفيذ ، وذلك ، حينما تبلورت فى قوانين يوليو ١٩٦١ . ومهما قيل ، ومهما يقال ، عما ارتكب من تجاوزات خلال تطبيق هذه الاجراءات ، وكيف أن التطبيق لم يأت فى كل الاحيان معبرا عن مثالية المبدأ ونقائه ومشروعيته ، الا انه لا احد ينكر ان هذه الاجراءات قد تمثل فيها عزم الثورة المصرية على **رفع الظلم الاجتماعى** الذى طالما مارسه الاقطاعيون والرأسماليون — الذين كانوا لا يتجاوزون نسبة نصف فى المائة من هذا الشعب — ضد فقرائه الذين كانوا يمثلون السواد الاعظم .

نقول : ان ثورة يوليو قد استمدت مشروعيتها الاجتماعية — وباركتها الاغلبية الساحقة من الجماهير — انطلاقا من أنها قد جاءت ، ومن بين اهدافها انصاف هذا الشعب الذى طالما استنزفت قدرات الملايين الكادحة فيه ، واستنزفت ملكاتها — ولقرون طويلة — لحساب الاقلية من كبار الرأسماليين والاقطاعيين .

ومن هذا المنطلق ، يصبح ما تعهدت به الثورة — وان لم تنفذه برمته — بمثابة الدستور الدائم غير المكتوب ، والنابع من ارادة الجماهير ، التى ينبغى ان تستميت فى حراسته ، ولتضمن ان لا رجعة — قط — عن مفاهيمه الاساسية .

واذا عدنا الى مواثيق الثورة جميعا ، ابتداء من مبادئها الستة ، ومرورا بالميثاق ، وببيان ٣٠ مارس ، وانتهاء بورقة أكتوبر . نرى أنها تنص جميعا على ضرورة ارساء القواعد التى تكفل ان **يكون عائد عرق هذه الملايين لها ولها وحدها والى الابد** .

وعلى هذا ، فلم تكن هذه المفاهيم ولا الاجراءات ذات الطابع الاشتراكى ، مجرد اجراءات اتخذت فى عهد سوف يمضى ، لكى تعود الامور الى ما كانت عليه من قبل هذا العهد . لان عودة الحق الى صاحبه الشرعى لا يمكن أن تكون اجراء مؤقتا يمكن أن يلغى بقرار من القرارات ، أو بقانون من القوانين . فمن المفروض أنه قد ولى — والى الابد — ذلك العهد الذى كانت فيه القوانين والقرارات موجهة ضد الشعب وحامية لمصالح كبار ملاك الارض والرأسماليين والطبقة البورجوازية الكبيرة .

وهكذا اذا نحن اتفقنا على أن قرارات تحديد الملكية ، وفرض الحراسات ، ومصادرة الاموال كانت منبثقة جميعا من ضرورة حماية الثورة أى **لانصاف الفقراء فى النهاية** [ومن هذا استحدث شرعيتها] فهل يمكن ان تكون هناك رجعة فى هذه القرارات فى مجتمعنا النامى الذى يسعى الى استخدام طاقة كل كادحيه ؟ ولنسلم جدلا — رغم اعترافنا — باطلاق هذا القول جزافا — أن هذه الاجراءات لم تتم الا لحساب طبقة جديدة محدودة ، وأن سوء تطبيقها قد أدى الى مسخها احيانا ، فهل يبرر ذلك أن نتخلى عن المبدأ نفسه **لا لشيء الا لانه اسيء تطبيقه فى فترة ما ؟؟**

ان كل ما يهمنا تأكيده - هنا - هو أن مصادرة أموال وممتلكات شخص أو أشخاص لم يكن - ولا يمكن أن يكون - هدفا فى حد ذاته • فلم يكن هناك ثأر بين الثورة وبين أفراد بأعينهم • ولكن كانت المصادرة ، وكان الاستيلاء ، ينبعان أساسا من الرغبة فى تحقيق نوع من العدالة الاجتماعية - فى هذا البلد - وفى تحقيق نوع من التوزيع العادل للثروة • أو بعبارة أخرى **وضع حد لاستغلال وآلام الفقراء والكادحين فى مصر** •

ولنعد اذن ، الى قضيتنا الاولى الخاصة برد أموال وممتلكات ١٩ من قدامى الاغنياء واستنادا الى فتوى قانونية ، نطرح هذا السؤال الهام :

هل يمكن أن يتعارض القانون الوضعى مع المشروعية الاجتماعية ؟! أو بمعنى آخر اذا كان القانون والتشريع عموما قد وضعا أصلا لتنظيم حياة الانسان على أسس عادلة فهل يمكن أن يقر القانون ظلم فئة من المجتمع لفئات أخرى منه ؟؟ وهنا قد يقول قائل هل معنى ذلك أن مبدأ **سيادة القانون** به خلل ما • ونحن نجيب : بأنه ليس به خلل • **ولكن المشكلة المحورية ، هى أى قانون هو الذى يجب أن تكون له السيادة ؟**

هل هو القانون الذى يقر الظلم الاجتماعى ويسمح به ؟ ان القانون الوضعى ليس مجرد هيولى كهيولى ارسطو الشهيرة ، ولا هو نصوص هلامية • وانما هو أساسا - وبالدرجة الاولى - نصوص حية ، وضعت لانصاف البشر . واذا لم يمكن انصاف جميع البشر ، فليكن الانصاف للاغلبية ، وذلك بشرط أن تنطلق نصوصه من مبدأ ، ومن وجهة نظر أساسية ، هى أن لكل حسب عرقه وجهده وليس حسب ماله أو نسبه • وعندئذ سوف ينتهى والى الابد التناقض ، أى تناقض بين القوانين والمشروعية الاجتماعية • وعندئذ أيضا لن تطالعنا الصحف ذات يوم بانباء رد الاموال الى الاغنياء . وعندما يتوخى القانون والتشريع ، أن تأتى بنوده وأحكامه متسقة تماما مع المشروعية الاجتماعية فسوف يصبح بحق هو الحقيقة أو هو عنوان الحقيقة كما يقال وأعنى بها **الحقيقة الاجتماعية** اولا وقبل كل شىء .

○

اليمين واليسار بين الدين والسياسة

عن اليمين واليسار ... يكتب طلعت سنوسى رضوان مطالبا بتحديد واضح لكل من هذين اللفظين سواء فى مجال الدين او فى مجال السياسة • مؤكدا ان الوضوح هو السبيل لكسب الجماهير الى صف الحقيقة ، والى ادانة اليمين المضلل •

طلعت سنوسى رضوان

كرة القدم وكل الالعاب لها قواعدها ومصطلحاتها .

والرواية وكل الفنون لها قواعدها ومصطلحاتها .

والسياسة وكل العلوم لها قواعدها ومصطلحاتها .

وعندما يقبل الجمهور ، على الكرة يعرف قواعدها كى يفهم المباراة ويتعرف على معنى المصطلحات كى يفهم مقالا يتكلم عن الكرة .

وكذا فى باقى المجالات ، الادب والسياسة والفلسفة لابد للقارىء ان يفهم معنى المصطلحات ، كى يفهم المضمون والروح لما يقرأ .

والمشكلة ان يكتب الكتاب بعضهم لبعض ، **لا يهمهم مستوى وعى القراء** ، كأنهم يلعبون لعبة « شيش » لا يهم الجمهور منها الا متعة المشاهدة واذ ذاك يقتصر دورهم على « الفرجة » وكل حقائق التاريخ تقول ان المتفرج السلبى يتساوى مع الكرسى الجالس عليه .

وتزداد الخطورة ، اذا كانت اللعبة هى السياسة ، وان الصراع قائم من أجل حياة الناس ولقمة عيشهم او الاتجار بهذه الحياة وهذه اللقمة .

ومن هذه المشكلات تجاهل الكتاب لمصطلحى اليمين واليسار .

واننا اذ ندين اليسار لصمته عن ازالة اللبس ، وتوضيح الفرق بين اليمين واليسار ، كمصطلحين فى السياسة ، وبين معنى اليمين واليسار كرمزين دينيين ، فاننا نعذر اليسار لانه ينطلق من منطلق فكرى عال ، ويتصور انه يتعامل مع كتاب

□□□□□□□

وقراء على مستوى عال من الثقافة . الا اننا نعود وندينه مرة اخرى — لانه بصمته هذا ، تسبب فى المشكلات التى سنعرضها . ثم نعذره ثانية لان منطلقه الثانى هو حسن النية ولايتعمد هذه التعمية فى فهم معنى اليمين واليسار ، على العكس من كتاب اليمين الذين يستغلون هذه التعمية بل ويروجون لها كما سنرى .

ومن اهم الاسباب التى فاقمت من الخلط بين معنى اليمين واليسار فى السياسة ومعناها فى الدين ما يلى :

١ — اننا شعب لنا تراث دينى . ومن بديهيات هذا التراث — كما نص على ذلك القرآن — صراحة — ان اصحاب اليمين هم اهل الجنة واصحاب الشمال هم اهل النار . [وهذه أخطر نقطة استغلها كتاب اليمين السياسيون] .

٢ — الامية الابجدية التى وصلت ٨٨٪ حسب احصائية عام ٧٤ عمقت من السبب الاول . واصبحنا امة تعيش بالخرافة والاساطير ، لا تفرق بين مصطلحات السياسة ورموز الدين . ونعيش بعقول اجدادنا منذ اربعة عشر قرنا . فنصر على ان معنى اليمين واحدا فى الدين والسياسة . واذا كان اجدادنا لهم العذر لانهم لم يعاصروا المصطلح العصرى لليمين واليسار فى السياسة فما عذرنا ؟ !

٣ — واذا كانت الامية الابجدية وصلت ٨٨٪ فان الامية الثقافية تزيد عن ٩٥٪ وهذه اكبر الكبائر . وهذه النقطة هى الدافع الوحيد لكتابتى هذا المقال ، فقد عشت هذه التجربة بنفسى ولازلت اعيشها . فهى الطامة الكبرى عندما اناقش جامعيين فى السياسة فأجدهم ينقسمون فريقين ، فريق يتواضع ويعترف انه لا يعرف معنى اليمين واليسار كمصطلح سياسى . وفريق يدعى العلم وهو اجهل الجهلاء ، فيخلط بين الدين والسياسة ولا يفرق بينهما . ومن هذا الفريق نفسه فئة تعرف الفرق ولكنها تتعامى وتتجاهل لانها يمينية النزعة والتفكير والمصلحة فلا تعترف بالحقيقة .

٤ — ان كتاب اليمين استغلوا هذه الاسباب فى هذا المناخ [الامية الابجدية والامية الثقافية والتراث الدينى] وروجوا لهذا الخلط وهذه التعمية لتشويه كل يسار وتحطيم كل تقدم .

والان لنتفهم الفرق بين المصطلح السياسى والرمز الدينى لمعنى اليمين واليسار .

فى الدين ، الامر ميسور لكل المستويات الثقافية واللاثقافية . فأهل اليمين فى الجنة واهل الشمال فى النار . وكما يقول الاستاذ **احمد عباس صالح** « ولم يخل القرآن من ذكر اهل اليمين واهل اليسار معا بما يتفق مع هذين المعنيين ، بل ان من يتناول كتابه بيمينه يوم الحساب سوف يحاسب حسابا يسيرا ، واما من يتناول كتابه بشماله فسوف يحاسب حسابا عسيرا » . « اذن فالرمز الدينى لمعنى اليمين واليسار واضح ومحدد ومفهوم .

أما المصطلح السياسى فهو يختلف كل الاختلاف ويجب ان نتعامل به على انه مصطلح سياسى لا دينى . ويرجع اصل الاصطلاح فى السياسة الى حادثة شهيرة عندما اجتمع البرلمان الفرنسى لاخذ الاصوات فى امر من امور الدولة ، فاعترض بعض النواب لان الموضوع المطروح كان ضد مصلحة المجتمع ، فجلسوا على اليسار . وظل الاخرون الذين يصرون على الموضوع رغم خطورته على مصلحة المجتمع فى كراسيهم على يمين القاعة . ومن هذا الوقت تداول المصطلح بين المثقفين على ان المحافظين والرجعيين والمخربين لارادة المجتمع باليمين ، والتقدميين والوطنيين باليسار .

والكاتب الوحيد — حسب معلوماتى — الذى حسم الفرق هو الاستاذ **احمد عباس صالح** ، عندما تناول موضوع اليمين واليسار فى كتابه « اليمين واليسار فى الاسلام » يقول فى صدر الكتاب [اصطلاح اليمين للدلالة على المحافظين ، واصطلاح اليسار للدلالة على الثوريين ، اصطلاح غربى يرجع الى قيام اول هيئة برلمانية فى العالم الغربى حيث جلس المحافظون فى اليمين وجلس المعارضون فى اليسار » .

وعلى هذا ، فمعنى اليمين فى السياسة انه الجمود والرجعية والتخلف للاثراء على حساب الشعوب المضللة الامية الجاهلة . وترويج الخرافات والاباطيل والدعاية للاشباح «والارواح» وايهام الناس ان الرخاء يدق ابوابهم فى الوقت الذى يجثم البؤس فوق نفوسهم .

وبالتالى ، فاليسار فى السياسة يعنى التقدم والثورة ضد الجمود والرجعية والتخلف ، وينادى بعدم الاثراء على حساب الطبقات العاملة ، ومحاربة الخرافات وتعرية اوضاع التخلف . ولا يسعى اليسار للايهام بل يطالب بالوعى والفهم .

ومن نفس المنطلق نستطيع ان نقول ان امير المؤمنين **عمر بن الخطاب** رضى الله عنه عندما قال « لو استقبلت من عمرى ما استدبرت لاخذت فضول اموال الاغنياء ووزعتها على الفقراء » . وعندما حدد اقامة كبار الصحابة ومنعهم من الانتشار فى الدولة الاسلامية خشية الفتنة بأنفسهم وبغيرهم . وعندما صاح بقولته الشهيرة فى وجه احد عماله « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا » .

وعندما نستعرض كل مواقفه فى العدل وخشية الله وحده ... اقول عندما ندرك هذا

عمر رضى الله عنه ، بالمصطلح السياسى ، يسارى تقدمى .

وعندما نتذكر مواقف **أبى ذر الغفارى** العديدة من توزيع المال وشراء المقربين من عثمان ومعاوية، وعندما نتذكر اضطهاد عثمان ومعاوية له وتعذيبه ثم نفيه ، وعندما ننتقى جملة واحدة قالها لمعاوية وهو يقبض رقبته بيده « يا معاوية لقد اغنيت الغنى وافقرت الفقير » . وعندما نعود بالذاكرة فنتذكر ان ابا ذر هذا كان من أحب المقربين الى **الرسول** عليه الصلاة والسلام والذي قال عنه **الرسول** ان لسانه أقوى الالسنة وأحدها واصرحها فى سبيل الحق وانه لا يخشى فى الدين لومة لائم .. عندما ندرك كل هذا فان ابا ذر ، فى المفهوم السياسى ، يسارى تقدمى .

والامام على بن ابى طالب كرم الله وجهه كان من اخلص الخلصاء وانصح الصحابة **لابى بكر وعمر وعثمان** . وكان الخليفة الاول والثانى يستمعان لنصحه ويعملان برأيه ، وكذلك الخليفة الثالث عثمان فى بداية خلافته . ثم تأزمت الامور بينهما عندما عارض على رضى الله عنه الثراء الفاحش بين طبقات المسلمين وتوزيع الاعطيات الضخمة بالالوف من بيت المال . ولم يستجب **عثمان** لمعارضة على حتى كانت الفتنة التى حاول الامام **على** ان يمنعها قدر استطاعته . والامام على هو الذى حمد الله لانه لم يقطع ذراع ابنته فتكون أول هاشمية يطبق عليها الحد لانها استعارت عقدا من بيت المال ، [استعارته ولم تسرقه أو تختلسه] فعفا عنها بعد ان علم انها استعارته لتحضر به عرس احدى صديقاتها ثم اعادته لبيت المال . الامام على اذن ، من المنطلق السياسى ، يسارى تقدمى .

وعمار بن ياسر الذى أمر عثمان بن عفان بضربه حتى كسرت ضلوعه . بل انه ضربه بنفسه بمقدم نعله حتى اصابه الفتق ، فصرخت ام المؤمنين **عائشة** رضى الله عنها فى وجه **عثمان** « اتضرب وتهين اصحاب **الرسول** » . وعمار بن ياسر هذا من شهد له **الرسول** عليه الصلاة والسلام بالجنة يعامل هذه المعاملة لانه عارض سياسة **عثمان** فى توزيع الاعطيات الضخمة من بيت المال ، ثم عارض **عثمان** عندما امر بنفى **ابى ذر الغفارى**. وعمار بن ياسر هو الذى حارب معاوية مع الامام على وهو فى التسعين من عمره . **عمار بن ياسر** هذا ، من المنطلق السياسى ، يسارى تقدمى .

وعبد الله بن مسعود قد اضطهد هو الآخر . فقد كان خازنا لبيت المال عندما اقترض منه احد ولاة عثمان مبلغا كبيرا من المال . ولما حان موعد السداد رفض هذا الوالى دفع ما عليه ، فالح **عبد الله بن مسعود** حتى اشتكاه الوالى الى **عثمان** الذى طلب باحضار **عبد الله بن مسعود** ونهره ، وقال له « **ما انت الا خازن لنا** » . وطلب منه الا **يتعرض لهذا الوالى** ، فما كان من **عبد الله بن مسعود** الا ان القى بمفاتيح بيت المال . **ومن هنا بدات** سلسلة اضطهاده حتى فى رزقه . **واذن فهو** ، من المنطلق السياسى ، يسارى تقدمى .

وقائمة اليسار فى الاسلام ، من المنطلق السياسى والاجتماعى ، من الكثرة المثيرة للاكبار والاعزاز . **فنجد غيلان الدمشقى يتصدى** لسلطان الامويين ، **والعز بن عبد السلام** يتصدى لسلطان الايوبيين . . المهم اننا نجد ان المنطلق التقدمى والحرص والغيرة الدفاع عن الحق وان « لا تخشى فى الله لومة لائم » ، هو دافعهم وهو محركهم وهم بهذا — فى المفهوم السياسى وفى المصطلح العصرى لليسار — اهل التقدم والحرية .

بعد هذا نستطيع — وبكل يسر ان نقول ان اليسار السياسى — ان كان مؤمنا يتساوى مع اليمين الدينى . وان اهل اليمين فى السياسة هم اهل الشمال فى الدين . وذلك بالضبط — كما نقول فى الرياضة ان [س+ص = س ص] ثم نقلبها لتكون [س ص = س + ص] .

والذى يهمنا فى كل ما سبق الاتى :

● ان يعى الشعب — بكل طبقاته — ان لفظى اليمين واليسار لهما مدلولاتهما فى الدين المختلفة فى السياسة . وبالتالى يجب التنبيه والدعاية لمزيد من الوعى والمعرفة بضرورة عدم الخلط بين هذين اللفظين فى كل من الدين والسياسة .

● ان اليسار السياسى ، يساوى التقدم وحب الانسانية والعمل من اجلها .

● ان اليمين السياسى ، يساوى الرجعية والتخلف وهدم كل القيم الانسانية ولا يهمه الا الثراء ولو عن طريق الدمار والحروب والمجاعات .

● ان اليسار المصرى عليه عبء عظيم ، يجب ان يتحمله ويقوم به . وانا أعلم ان امكانيات اليسار المصرى محدودة جدا . بل ان بعض اليسار ممنوع من التعامل مع اجهزة الاعلام ، ومع ذلك فعليه ان يلتقط كل فرصة — رغم امكانياته الضئيلة — ويستثمرها لتوعية الشعب حتى يعرف موقف كل انسان . فمن الامور الخطيرة والتى تتسبب فى الخلط بين الدين والسياسة فى معنى اليمين واليسار ان بعض كتاب اليمين يدعى لنفسه انه من اليسار [موسى صبرى فى رده على رسالة خالد محيى الدين] والبعض الاخر يتجاهل ويقول انه لا يفهم معنى اليمين واليسار رغم انه يحمل درجة الدكتوراه فى الادب [**رشاد رشدى** ثم رد **فريدة النقاش** عليه فى جريدة الجمهورية] وعلى هذا فنحن ندرك

□□□□□□□□

مدى الصعوبة والحيرة لدى القارىء العادى فها هو يمينى معتق يدعى انه من اليسار وكتاباته على النقيض مما ينسبه الى نفسه بالاعلان والقول وليس بالفعل . وها هو يمينى آخر حاصل على دكتوراه فى الادب ويضاعف من تعمية الشعب وتضليله فيتساءل ما معنى اليمين واليسار . ونحن نقول له ان معناهما — باختصار وبساطة — وكما قال الدكتور **يوسف ادريس** بحق ، اين تقف ويقف كل مثقف من قضايا الشعب .

● رغم كل ما سبق فان مسالة جوهرية يجب ان توضع فى اعتبار كل مثقف وطنى مخلص . هذه المسالة هى رجل الشارع — الفلاح والعامل على الاخص — الذى لا تهمه فعلا هذه الالفاظ . والذى لا يعرف من هو **ماركس** الاشتراكى ، او **آدم سميث** الراسمالى ، او فكرى اباظة اليمينى ، او **محمد سيد احمد** اليسارى ، والذى يبيع عرقه وجهده ليأكل ويأكل ليبيع عرقه وجهده من جديد اى يبيع قوته الجسدية التى هى كل راسماله فلا يجد ما يأكله بل يعرق ويجهد لغيره الذى يركب السيارة ويسكن الفيلا ، هذا الرجل العادى كيف نخاطبه ؟ هذا هو السؤال ؟ ماهو هدف كل نشاط سياسى وطنى تقدمى ؟ الانسان ومصلحة الانسان . واذن ، فاذا كان هذا الرجل لا يفهم ولا يهتم بالالفاظ اذ ان المهم هو العمل . ولا فائدة من الالفاظ والشعارات اذا كان الهدف هو تضليل الانسان . يجب ان ندرس عقل هذا الرجل العادى . تراثه الدينى ، امكانياته الثقافية ونخاطبه بناء على هذه الدراسة . ان كان بالاسلوب السياسى ، فليكن . وان كان بالدين ، فهو اعظم . اذ ان الدين هو المساواة وهو كرامة الانسان والثورة ضد كل ظالم لهذا الانسان .

وعندما يبزغ الفجر وتتضح الامور وتتحدد ، فان هذا الرجل العادى — وحده — هو الذى سيحكم ويشير على اليمين المضلل المتجر فى الدين وفى الانسان وفى كل القيم لمصلحته الشخصية ، ويشير محددا من هو اليسارى التقدمى الذى لا يكل ولا ييأس من محاربة الظلم والتخلف لمصلحة الانسان والانسانية وليس لمصلحته وحده ، اذ انه مؤمن ومقتنع بانه جزء من الانسانية ومن حركة التقدم لصالح الانسان .

○

□ الحركة النقابية المصرية
ترفض الاتحاد الدولى للنقابات الحرة

محمد جمال امام

نشرت « الطليعة » فى عدد اغسطس ١٩٧٥ مقالا لعبد المنعم الغزالى « الحركة النقابية المصرية ترفض الاتحاد الدولى للنقابات الحرة » وكتب الاستاذ جمال امام مدير ادارة العلاقات الدولية بالاتحاد العام لعمال مصر الرد التالى :

فى مقاله بعنوان « الحركة النقابية المصرية ترفض الاتحاد الدولى للنقابات الحرة » المنشور بعدد شهر اغسطس من مجلة «الطليعة» الغراء ، ذكر السيد / عبد المنعم الغزالى فى ملحوظة هامشية الى انه قد « اكدت المصادر النقابية ان وراء هذه الدعوة موظفان احدهما ابراهيم خليفة الموظف بوزارة العمل وسكرتير العلاقات الخارجية باتحاد العمال فى دورة ١٩٧١ ، والثانى جمال امام الموظف باتحاد العمال » . ولما كنت انا هذا الثانى « الموظف باتحاد العمال » « وظيفتى هى مدير ادارة العلاقات الدولية بالاتحاد » فانى ارجو أن تسمحوا لى ليس بالدفاع عن نفسى ، ولكن بايضاح بعض المعلومات التى غابت فيما يبدو عن عبد المنعم الغزالى وهو يكتب مقاله .

١ ـ عندما التحقت بالعمل فى اتحاد العمال عام ١٩٦٣ وجدت ان هناك علاقة ما تربط الاتحاد العام لعمال مصر بالاتحاد الدولى لنقابات العمال الحرة « الاتحاد الحر » ، كانت تسمح لاتحاد عمال مصر بتوجيه الدعوة للاتحاد الحر لارسال مندوب عنه للاشتراك فى احتفال عمال مصر بعيد ثورة ٢٣ يوليو . ولهذا الاتحاد بقبول مثل هذه الدعوة . وفى عام ١٩٦٤ حضر **انزو فريزو** مدير مكتب الاتحاد الحر فى بيروت للسنة الثانية على التوالى الاحتفال بعيد الثورة ، كما حضر آخر مؤتمر عام يعقده الاتحاد العام لعمال مصر « يوليو ١٩٦٤ » ورغم ان فضائح صلة الاتحاد الحر بالمخابرات المركزية الامريكية كانت قد بدأت تفوح فى اواخر ١٩٦٤ واوائل العام التالى ، فان هذا لم يمنع الاتحاد العام لعمال مصر من توجيه دعوة له لارسال مندوب عنه لحضور اول احتفال رسمى لمصر بعيد العمال فى مايو ١٩٦٥ . وان كان الاتحاد الحر قد اعتذر عن عدم قبول الدعوة وحتى ذلك الحين كنت مجـــــرد موظف بادارة العلاقات الدولية اقوم فقط بتنفيذ ما يصدر لى من اوامر من رئيس الاتحاد ، او سكرتير العلاقات الخارجية .

٢ ـ فى منتصف عام ١٩٦٥ رقيت الى وظيفتى الحالية ، التى تتضمن اقتراح الخطة التنفيذية السنوية للعلاقات الخارجية للاتحاد فى اطـار المبادئ العامة لنشاط الاتحاد ، والتى تصبح موضع تنفيذ بعد اعتماد المجلس التنفيذى لها . وحتى فى المراحل التنفيذية بعد ذلك فان هذا يتم تحت الاشراف المباشر لكل من رئيس الاتحـاد وسكرتير العلاقات الخارجية اللـــذان يملكان وحدهما حق توقيع كل ما يصدر عن الادارة من مراسلات فى الداخل والخارج .

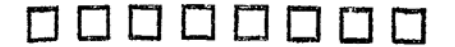
٣ ـ استمر الاتحاد سنتين متتاليتين فى توجيه الدعوات للاتحاد الحر الذى استمر على الاعتذار عن عدم تلبيتها . ومن ثم فقد توقف الاتحاد المصرى عن توجيه هذه الدعوات خاصة بعد موقف الاتحاد الحر المعادى لاسرائيل من حرب ١٩٦٧ .

٤ ـ وقد شاركت طيلة هذه السنوات فى اقتراح « وتنفيذ » سياسة دعم علاقات الاتحاد والحركة النقابية المصرية بالاتحاد العالمى لنقابات العمال والمنظمات النقابية فى الدول الاشتراكية . وقد شهد هذا الاتجاه تصعيدا ملحوظا فى الفترة التى تولى فيها السيد ـ **ابراهيم خليفة** منصب سكرتير الاتحاد العام لعمال مصر للعلاقات الخـارجية « ٧١ ـ ١٩٧٣ » حيث شهدت هذه الفترة عقد بروتوكولات للتعاون بين اتحادنا وعدد مـن الاتحادات العمالية الاشتراكية خاصة فى كل من الاتحاد السوفيتى والمانيا الديمقراطية تضمنت ارسال العديد من الوفود النقابية للدراسة فى معاهدها النقابية على مستوى واسع كان يتم للمرة الاولى . وهى الدورات التى تعثرت فى الدورة الحالية ثم توقفت كلية .

٥ ـ فى الفترة من سبتمبر ١٩٧٣ الى منتصف اغسطس ١٩٧٤ ، كنت انا شخصيا بعيدا عن اتحاد عمال مصر اعمل بالتدريس بجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية . وعلى ما عرفت فيما بعد . . اجرى مندوب الاتحاد الحر فى جنيف « وهو فى الوقت نفسه سكرتير فريق العمال بمجلس ادارة منظمة العمل الدولية] اتصالا **بابراهيم خليفة** اثناء حضوره اجتماعات مجلس الادارة ، وذلك لبحث استئناف العلاقة ما بين هذا الاتحاد واتحاد عمال مصر . ولما كانت عضوية **ابراهيم خليفة** فى المجلس التنفيذى لاتحاد عمال مصر قد انتهت فى يوليو ١٩٧٣ ، فانه قد احال هذا المندوب الى وفد الاتحاد العام لعمال مصر فى الدورة ٥٩ لمؤتمر العمل الدولى [يونيو ١٩٧٤] ، حيث بحثت هذه المسألة وحيث كان من المفروض أن يعقد اجتماع فى جنيف بين **أوتوكيرستن** السكرتير العام للاتحاد الحر **وصلاح غريب** رئيس اتحاد عمال مصر ، لولا اختلاف مواعيد وصولهما الى جنيف وسفرهما منها .

وفى يوليو ١٩٧٤ حضر الى مصر **انزو فريزو** المسئول فعليا عن الشئون العربية فى سكرتارية الاتحاد الحر ، واجرى حوارا طويلا فى مبنى الاتحاد العام لعمال مصر مع وفد من مجلسه التنفيذى برئاسة **ثابت السفرى** نائب رئيس الاتحاد ، وقد احيط المجلس التنفيذى علما بما دار فى هذا الحوار من خلال تقرير رسمى مطبوع على الاستنسل . كما طلب من ابراهيم خليفة تقديم تقرير مفصل عن الاتصالات التى اجراها معه مندوبو الاتحاد الحر فى جنيف .

٦ ـ فى فبراير ١٩٧٥ اشترك وفد مصرى برئاسة **مختار عبد الحميد** سكرتير اتحاد عمال مصر لمحو الامية ورئيس النقابة العامة لعمال الزراعة فى ندوة ينظمها مكتب العمل الدولى عن تثقيف عمال الزراعة . وكنت ارافق **مختار عبد الحميد** كمترجم . واتصل مندوب الاتحاد الحر بالوفد حيث طلب مناقشة وسائل تطوير علاقة الاتحاد الحر باتحاد عمال مصر ، فى ضوء البيان الصادر عن المكتب التنفيذى للاتحاد الحر فى نوفمبر ١٩٧٣ عن الوضع فى الشرق الاوسط . كما ذكر أن سكرتير عام الاتحاد الحـر يود زيارة مصر لو وجهت له دعوة رسمية بذلك من الاتحاد العام لعمال مصر . وقد قدم الوفد تقريرا مفصلا عن هذا اللقاء لرئيس الاتحاد . كما ارسل **ابراهيم خليفة**



كملحق عمالى مصرى فى جنيف تقريرا مماثلا لوزارة القوى العاملة عن هذا اللقاء ارسلت صورة منه لاتحاد العمال .

وليست مسئولية مدير ادارة العلاقات الدولية ان هذه التقارير تعرض او لا تعرض على المجلس التنفيذى ، فكثير من مذكرات وتقارير الادارة التى قدمت رسميا للمجلس خلال السنة الاخيرة ، لم يجد المجلس حتى الان وقتا لمناقشتها او دراستها .

٧ ــ وقد طلب من الادارة بعد ذلك توجيه دعوة رسمية لسكرتير عام الاتحاد الحر لزيارة مصر ، ونفذت الادارة التعليمات داخل الخطوط العامة التى طلب منها ان تكون عليها .

٨ ــ فى يونيو ١٩٧٥ ، واثناء وجودى فى جنيف كعضو فى وفد الاتحاد العام لعمال مصر فى الدورة « ٦٠ » لمؤتمر العمل الدولى ، اشتركت كمترجم فى لقاء عقد بين **اوتوكيرستن وصلاح غريب** ، نوقشت فيه ضمن موضوعات اخرى زيارة **كيرستن** لمصر ، حيث تم الاتفاق على موعدها . واؤكد ، لمعلومات **الغزالى** ، ان اية شروط لم تربط بهذه الزيارة التى لم يستغرق الحديث عنها اكثر من دقائق معدودة . اما موضوع الشركات الالمانية فكان كالاتى : **كيرستن** ينتمى الى المانيا الغربية ، وقد اكد ان اتحاد عمالها عندما عرف باحتمال زيارته لمصر طلب منه ان يبحث مع من تتاح له فرصة الاجتماع بهم من قادتها السياسيين امكانية مساهمة المؤسسات الاقتصادية التى يمثلها اتحاد العمال فى النشاط الاقتصادى المصرى فى ظل سياسة الانفتاح ، وما قد يستدعيه ذلك من احراج بعض هذه المؤسسات الخاضعة للمقاطعة العربية من هذه المقاطعة بالاجراءات الرسمية المتبعة لذلك .. فقط .

٩ ــ وليست مسئولية مدير ادارة العلاقات الدولية بالاتحاد احاطة اعضاء المجلس التنفيذى علما بنشاط الاتحاد فى هذا الصدد ، حيث انه تنظيم يعمل من خلال سكرتير العلاقات الخارجية ورئيس الاتحاد فقط .

هذا باختصار دورى كمدير لادارة العلاقات الدولية بالاتحاد ، ودور **ابراهيم خليفة** كملحق عمالى مصرى فى جنيف يفرض عليه منصبه الاتصال بجميع الهيئات داخل اطار مكتب العمل الدولى ، فى قضية دعوة سكرتير عام الاتحاد الحر لزيارة مصر .

قرارات وتوصيات هامة

جاءنا البيان التالى من النقابة العامة للصناعات الهندسية والمعدنية والكهربائية

بناء على دعوة **النقابة العامة للصناعات الهندسية والمعدنية والكهربائية** لهيئات مكاتب اللجان النقابية ، انعقد المؤتمر فى تمام الساعة السابعة مساء الثلاثاء الموافق ١٩٧٥/٨/٥ ، بمقر النقابة العامة « ٩٠ شارع الجلاء ــ القاهرة وذلك لمناقشة ما اثير حول دعوة وفد من **الاتحاد الدولى للنقابات الحرة**.

وبعد المناقشة التى شملت كل جوانب الموضوع من الزملاء الحاضرين ، وطرح قضايا اخرى هامة ومصيرية للحركة العمالية والنقابية ، كان يجب على **الاتحاد العام للعمال** ان يتناولها بالبحث وتوضيح مواقفه منها ــ كقضية بيع القطاع العام والغاء المؤسسات العامة ــ وذلك بدلا من اصدار تلك البيانات الاخيرة التى قابلتها القواعد العمالية بعدم الرضى ، الامر الذى ادى الى احداث انقسامات داخل وحدة الطبقة العاملة والحركة النقابية ، فى الوقت الذى تسعى فيه مصر الى وحدة الحركة الوطنية المصرية ، والذى اكده تمسك العمال بصيغة تحالف قوى الشعب العاملة .

ومن خلال الحوار الديمقراطى ، اسفرت نتائج اعمال المؤتمر عن القرارات والتوصيات الاتية :

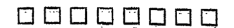
اولا : التأييد الكامل للنقابة العامة وممثلها فى المجلس التنفيذى للاتحاد العام للعمال فى تصديهم للمحاولات الرامية الى تغيير الخط الاستراتيجى للعلاقات الدولية للحركة العمالية المصرية .

وكذلك التاكيد على قرارات مجلس ادارة النقابة العامة فى جلستيه المنعقدتين يومى ٧/٣١ ، ١٩٧٥/٨/١ والبيان الصادر عن هذين الاجتماعين والمتضمن انا

[أ] استنكار الاتهام الموجه من السيد/رئيس الاتحاد العام لممثل النقابة العامة فى المجلس التنفيذى بجلسة ١٩٧٥/٧/٨.
[ب] تأييد القرارات التى صدرت فى اجتماع ممثلى النقابات العامة بدار النقابة العامةلعمال التجارة بتاريخ ١٩٧٥/٧/١٦.
[ج] رفض البيان الصادر عن الاتحاد العام للعمال والذى نشر بالصحافة بتاريخ ١٩٧٥/٨/١ .
[د] مطالبة المجلس التنفيذى للاتحاد العام للعمال بضرورة دعوة الجمعية العمومية للاتحاد العام للانعقاد ، او مجالس ادارات النقابات العامة مجتمعة، وذلك لتقييم نشاط الحركة النقابية خلال هذه الدورة ومواقفها من القضايا المصيرية للطبقة العاملة . وفى هذا المجال أكد المجتمعون انه على قمة القضايا الاساسية الواجب مناقشتها .
فى مؤتمر الجمعية العمومية للاتحاد العا مللعمال ما يلى :
١ ــ متابعة تنفيذ قرارات وتوصيات **مؤتمر اقتصاديات العمل** ،وخاصة مايتعلق بالانفتاح الاقتصادى ، وآثاره على الطبقة العاملة ، وبيع القطاع العام ، والتوسع اللامحدود فى القطاع الخاص .
٢ ــ موضوع الغاء المؤسسات العامة، باعتبارها الشكل المعبر عن ملكية الشعب لوسائل الانتاج ، والاثار الاقتصاديةالمترتبة على ذلك .
٣ ــ الاتجاه الذى يرمى الى التخلص من العمالة الزائدة فى الشركات الصناعية دون تخطيط للاستفادة منها داخل هذه الوحدات او خارجها .
ثانيا : مطالبةالامانة العامة للاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب بتأكيد وتوضيح رأى الاتحاد ، ومنظماته القطرية من الاتحاد الدولى للنقابات الحرة .
ثالثا : مطالبة الاتحاد العام للعمال بضرورة التنفيذ الفورى لتوسيط مؤتمر اقتصاديات العمل الخاصة بتشكيل مجلس ادارة جريدة العمال من ممثلين لجميع النقابات العامة والاتحاد العام للعمال .
كما اقر المؤتمر مقاطعة جريدة العمال حتى يتم تنفيذ هذه التوصية حيث ان الجريدة لا تعبر التعبير الحقيقى عن آمال وقضايا الحركة العمالية المصرية .
رابعا : مطالبة **وزارة القوى العاملة ولجنة القوى العاملة بمجلس الشعب والاتحاد العام للعمال** بضرورة سرعة اصدار قانون النقابات الجديد خلال الفترة الاستثنائية لهذه الدورة حتى تتم الانتخابات الجديدة وقد تحقق للحركة النقابية وتنظيمها ايجابيات القانون الجديد .
خامسا : المطالبة بان تتولى الحركة النقابية تسمية امناء العمال على مستوى اللجنة المركزية والمحافظات من بين اعضاء التنظيم السياسى فى هذه المستويات وتقديمها الى السيد/**الامين الاول للجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى** .
سادسا : المطالبة بضرورة التقاء القيادات العمالية النقابية بالسيد/**رئيس الجمهورية** وان يكون لقاؤه مع ممثلى العمال فى اول لقاءاته مع ممثلى قوى الشعب حيث ان العمال هم طليعة التحالف.
كما قرر المؤتمرون ان ترسل قرارات وتوصيات المؤتمر الى كل من :
ــ الامين الاول للجنة المركزية بالاتحاد الاشتراكى العربى .
ــ الامين العام للاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب .
ــ الاتحاد العام للعمال ــ النقابات العامة ــ اللجان النقابية .
وقد اختتم المجتمعون المؤتمر بتأكيد تمسكهم بالقيادة الرشيدة للرئيس/**محمد انور السادات** معلنين مساندتهم له فى خطواته وسياسته المخلصة من اجل تثبيت دعائم الحرية والديمقراطية ،والمحافظة على التطبيق الاشتراكى ، والنضال المستمر من اجل تحرير الارض على طريق النصر ولتحقيق آمال ما بعد النصر .
والله ولى التوفيق .-

رئيس النقابة العامة
سعيد جمعة على

السكرتير العام
جمال الطرابيشى



□ دور التنظيـــم النســـائي في مجـال رعاية المـرأة العاملة

زينب وزير مريسي *

.. تكتب مقررة لجنة التنظيم النسائى بيندر بيا زينب وزير مريسي عن الواجبات التي ترى ضرورةمن أن يتصدى لها « التنظيم النسائى » بوضعه الجديد ..

يعد نجاح المرأة فى انتخابات التنظيم السياسى الاخيرة ، انعكاسا للوعى الاجتماعى العام ، خاصة بفضل الدور البطولى الذى لعبته **منظمة الشباب واللجان النقابية للعمال** فى مساندة المرشحات ببعض الاقاليم .

وخروج المرأة الى العمل والنضال السياسى ليس « موضة » ، ولكنه وارد فى تراثنا الحضارى رغم بروز ارتباطه بالثورة الصناعية ، فأصبحت المرأة تمثل قوة عمل كبيرة ، كما تمثل ما يقرب من نصف تعداد السكان فى سن العمل بجمهورية مصر العربية .

الا ان عمل المرأة بجانب مسئولياتها الاساسية ، ادى ـ بالضرورة الى اعتبارها فئة خاصة من العمالة فى مجتمعنا المصرى النامى . كما أن القوانين لازالت قاصرة عن متطلبات الواقع الذى يواجه المرأة العاملة ، فخروج المرأة الى العمل اضاف الى مسئولياتها كربة بيت مسئولية المساهمة فى التنمية الاقتصادية والاجتماعية . هذه المسئولية الجديدة ترتب عليها ظهور مشاكل أسرية ، ادت الى تشتت ذهن المرأة ، بين العمل وبين واجبها نحو اطفالها ، مما جعل الكثير من المنشئات والمؤسسات تضعها فى قائمة المفصولين ، أو تعزف عن تشغيلها . ومن هنا ، فان **التنظيم النسائى** مطالب بتوفير الضمانات التى تعين على عدم تصدع الكيان الاسرى للمرأة العاملة ، وفى مقدمة هذه الضمانات :

[١] حق الامومة ورعاية الطفل :

ان الأمومة بوصفها مهمة اجتماعية مفيدة للمجتمع ، يجب ان تمنح حقوقا ازاء الدولة وصاحب العمل ، وذلك بتقرير الرعاية الطبية المجانية للاطفال ، وكذلك للام اثناء العمل وبعد الوضع ، أيضا ، تقرير مكافأة عن ولادة الطفل وعلاوة عائلية وكذلك علاوة رضاعة ولوازم الطفل . كما يتعين على وزارة الشئون الاجتماعيـة ، ان تنشىء عـددا من دور الحضانة ونوادى الاطفال ، وأن تزود هذه الدور والنوادى بهيئة طبية وتربوية متخصصة باشراف قيادات التنظيم النسائى لضمان حسن أداء هذه المنشآت التربوية بالمحافظات والمراكز والبنادر والقرى .

[٢] حق التدريب والتعليم :

بأن تراعى المؤسسات الثقافية حق المرأة العاملة فى محو الامية الابجدية والوظيفية ، مما يسمح لها بالاندماج بمزيد من الفاعلية فى العمل والمجتمع كذلك يجب أن تخلق معاهد الخدمة الاجتماعية كل الظروف التدريبيـة والتعليميـة المناسبة لتأهيل قيادات العمل النسائى .

[٣] الحقوق النقابية :

يجب أن تفسح النقابات فى مختلف مستوياتها مكانا لكى تشترك العاملات فى حياة ونشاط ونضالات العمل النقابى ، وان يضمن وصول المرأة الى مراكز قيادة انشـطة الخدمات الاجتماعية ، على كافة مستويات الحركة النقابية .

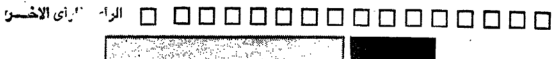
[٤] الحق فى العمل :

ان توسيع نطاق فـرص العمل ابتـداء من مشروعـات الاسر المنتجـة ، الى كافة العمليات الإنتاجية ، بالصورة التى تتناسب مع كل منطقة وكل بيئة ، يمكن النساء من فرص الحصول على العمل فى الظروف المناسبة لهن ، كما يحقق رفع مستوى القوى العاملة .

ايضا ، يتعين على المجتمع ان يعترف فى ـ الوقت نفسه ـ بالدور الاجتماعى المزدوج للمرأة العاملة . وبالطبع يجب أن يصحب الاعتراف بهذا الدور الوسائل العملية والملموسة لممارسة هذه الحقوق والاشراف على تنفيذهـــا ، ان الـربط بين النشاط الاجتماعى للمرأة داخل المنظمات النقابية وبين النشاط السياسى للفتيات داخل منظمة الشباب والنشاط الاجتماعى للمرأة داخل التنظيم النسائى سوف يساهم فى ظهور نضوج وعزم اكبر من جانب النساء ، من أجل التوصل الى تغيرات عميقة ، ومن اجل حياة افضل فى الحاضر والمستقبل معا .

---

* مقررة لجنة التنظيم النسائى ببندربيبا .



بريـد الرأى .. والرأى الآخـر

نـلوم « الطليعـة » .. ولـكن !

يتلقى « الرأى . . والرأى الاخر » عددا من الرسائل ـ كل شهر ـ تعرض وجهة نظر كتابها وخواطرهم وانتقاداتهم وملاحظاتهم . وتلقى هذه الرسائل ، كل اهتمام وعناية « الرأى .. والرأى الاخر » ، فيطرحها فى اجتماع هيئة تحرير « الطليعة » ، يتلمس من خلالها نبض القراء ليسترشد به ، ويحلل خواطرهم مستفيدا منها ، ويرصد انتقاداتهم وملاحظاتهم ليضعها فى اعتباره وتقديره .

ويتقرر فى كل اجتماع لهيئة تحرير « الطليعة » ضرورة نشر ما يمكن ان تتسع له الصفحات من هذه الرسائل . وللاسف يتكرر عند ذكر ارقام صفحات كل عدد ، « فيتو » سكرتير التحرير والقائم باعمال « رئيس التحرير التنفيذى » مطالبا بتاجيل العديد من الصفحات حتى يمكن طبع « الطليعة » دون اضافة « ملازم ورق » جديدة .

... وهكذا تتأجل الرسائل ـ ضمن مؤجلات اخرى .

وكحل ، رأت هيئة تحرير « الطليعة » ان توجز هنا رسائل القراء ، برصد اتجاهاتها العامة . وبدانا هـذا العـدد .

وجه عدد من القراء ، فى رسائلهم ، انتقادا ولوما الى « **الطليعة** » . ومن هؤلاء رسالة بتوقيع « طلبة كلية الهندسة المدنية ـ طلبة كلية العلوم العلمية ـ طلبة كلية الطب البشرى ـ طلبة كلية الزراعة ـ طلبة كلية الاداب » من جامعة دمشق ـ سوريا ، ورسالة بتوقيع ابن العربى من حمص ، ورسالة بتوقيع طارق محمد فاروق ـ طـالب ثانوى ـ حدائق القبة ، ورسالة بتوقيع السيد سعد ماضى ـ شركة الوادى رقم « ١ » بدمنهور .

ينتقد هؤلاء الاصدقاء جميعا ، « **الطليعـة** » ويلومونها على بعض ما نشرته فى عدد يوليو الماضى ، تحت عنوان « الوردانية .. بعـد البيومية » . ووجهة نظرهم بشكل عام ـ تتلخص فيما يلى :

● فى تقديرهم ان تخصـيص صـفحتين من « الطليعة » للرد أو التعليق على ما يسمونه « بمثل هذا المستوى من الكتابة وأصحابها » انما ـ فى تقديرهم ـ تبديد لصفحات من « الطليعة » التى يعتزون ـ كما يقولون ـ بأن يقراوا فيها شيئا آخر « ننتظره كل شهر كغذاء » رسالة ابن العربى ـ حمص .

وهم يقولون : ان مثل هذا التعليق انما يبعث الحياة فى « تيار غير متطور انتهى منـذ الاربعينات » كما يقول طارق محمد فاروق ـ طالب ثانوى ـ حدائق القبة .

● لكنهم يؤيدون « **الطليعة** » فى ضرورة رصد حركة « هذا التيار الرجعى المتخلف الذى يهاجم باستمرار مؤسسات القطاع العام ويعمل على افشالها . هذا على المستوى الاقتصادى . اما على المستوى الثقافى فيركز هجومه الشرس على مكتسبات ثورة ٢٣ يوليو . كما نلاحظ هجماته المستمرة والمركزة على الدول الاشتراكية والمطالبة بقطع العلاقات معها وتوثيق العلاقات مع الغرب » ـ كما تقول رسالة طلبة كليات الهندسة المدنية والعلوم العلمية والطب البشرى والزراعـة والاداب ـ جامعة دمشق .

● يتساءلون ـ كمـا فى رسالة ابن العربى ـ حمص ـ « ماذا يعنى مثل هؤلاء بكلمة أن قراء هذه المجلة [يتصـد « **الطليعة** »] ، مفلسـون ؟ أهم المفلسون فكريا أم هم المفلسون ماديا ؟ . ان كانت الاولى ، فالحقيقة ان ذلك ادهشنى . كما اننى لم استطع ضبط نفسى عن الضحك والاستغراب . من هو المفلس بالضبط ؟

أما الثانية التى تتعلق بالافلاس المادى ، فلا نعتقد أن الفقر كان عيبا . نحن مفلسون ماديا ولا نملك الدولارات . هذه حقيقة . ولكننـا نفتت الصخر لنحصل على قوتنا ونواصل كفاحنا فى سبيل التحرر والتقدم . واريد ان اهمس لهذا « **العقل الصاروخى** » : نحن نفضل أن نبقـى مفلسين ماديا نناضل مع الفلاح والعامل ، على أن نبيع انفسنا ونصبح اغنياء » .

● ويختتم السيد سعد ماضى هـذه الرسائل بقوله : « والآن هل اتضح ـ للـوردانية ـ أن القارىء يعرف الغث من الثمين ؟ » .

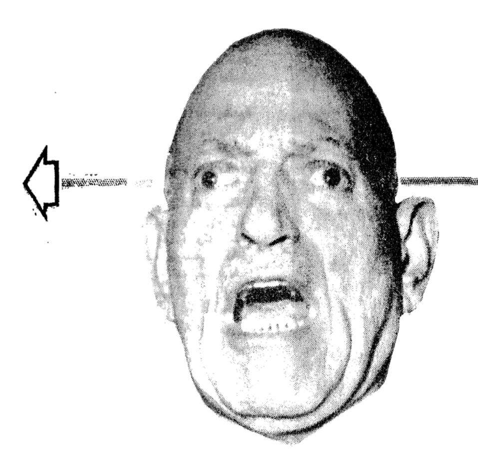


مصطفى النحاس

السياسى ...
والزعيم ...
والمناضل ...

اعداد :

د. رفعت السعيد



عندما عين اللورد **كيلرن** [**السير مايلز** لامبسون] مندوبا ساميا بريطانيا فى مصر ، فى فترة عصيبة من أحلك فترات الامبراطورية البريطانية ، تلقى من رؤسائه تحذيرا وجيدا .. « خذ حذرك من مصطفى النحاس » .

وعندما اقام **كيلرن** حفل الاستقبال الاول بعد وصوله الى مصر تجاهل كل من حضرها من السياسيين المصريين ، وتعلقت أبصاره بسلم قصر المندوب السامى البريطانى ليرى **النحاس باشا** وهو يصعد الدرج ، بسرعة وعصبية ، ووصفه فى مذكراته قائلا « **رجل ضئيل الجسم ، يرتدى ردنجوتا فضفاضا ، يصعد بسرعة ، يبرز صدره الى الامام وكأنه يتحدى العالم** » .

وشعر « كيلرن » أنه أمام « خصم » حقيقى ...

أما **دافيد كيلى** مستشار دار المندوب السامى البريطانى ورجل مخابراتها العتيد ، فقد وصف النحاس بأنه « رجل بسيط ، لكن بساطته بساطة معقدة ، تشبه بساطة الثعلب الماكر » .

ولعل أعتى خصمين للنحاس «كيلرن» و « كيلى » قد استطاعا بالفعل أن يلخصا ولو بصورة مبهمة ، هذه الشخصية التاريخية الفذة : شخصية « مصطفى النحاس » .

ابن تاجر ريفى صغير ، درس الحقوق ، وأصبح محاميا فقاضيا . انضم الى « الوفد المصرى » ممثلا « للحزب الوطنى » . ثم فجأة يتخطى الجميع ، يقفز متجاوزا أقرب المقربين من سعد ليصبح وببساطة الرجل الثانى فى الحزب .. ثم خليفة سعد زغلول .

مصطفى النحاس ، ذلك الرجل الذى استحوذ ببساطته وعناده فى الدفاع عن حقوق مصر على حب شعب بلاده ، واستحوذ على أكبر قدر من العـداء والخصـومة .. مـن خصـوم مصر وأعدائها ..

هذا الرجل .. الذى جسد فى بساطته ودهائه ، فى استسلامه العنيف وتمرده الهادىء ، فى مرونته واندفاعه ، فى عصبيته الظاهرة ، وتصرفـاته المدروسة .. جسد فى ذلك كله مدرسةمتكاملةفى السياسة المصرية استطاعت أن تتخذ لنفسها مكانا خاصا من قلوب الامة .. وتاريخها ..

خليفة سعد ، حبيب الامة ، زعيم الشعب ، الرئيس الجليل ، حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس .

● ● ●

عندما مات سعد زغلول كانت مصر كلهـا حزينة ، ذلك النوع من الحزن الذى يطغى على كل شىء ، فيصبح رمزا للحب والوجد والرهبة معا .

وتكتب جريدة البلاغ « مات سعد .. بغير هذا النبأ أعدت الاسماع ، وبغير هذه الصيحة جرت الالسنة ، بالحياة اقترن اسم سعد ، فما سمعناه الا والحياة له لزام ، والدعاء له صلاة وقيام ، وما عرفنا سعدا الا حيا تسرى منه حياة الى النفوس ، وتخفق به قوة فى القلوب » [١] .

فمن هو الرجل الذى يستطيع أن يملأ هذا الفراغ الهائل ، ان يدفع تلك الملايين من الحناجر التى هتفت من اعماقهـا « يحيـا سـعد » الى ان تهتف وبنفس الحماس « عاش النحـاس »

والحقيقة أن الكثيرين لم يتصوروا أن ذلـك الرجل البسيط ، الحاد المزاج .. الهادىء التفكير يمكنه أن يخلف سعد .. بل ان أحدا من المراقبين لم يرشحه لذلك ..

الديلى تلجراف البريطانية رشحت فتح اللـه بركات [٢] اما جريدة « وست منستر جازيت » فقد تنبأت بانهيار حزب الوفد [٣] ..



سعد زغلول

أما « الديلى اكسبريس » فقد نشرت تقول « ان دوائر الوفد تميل ميلا صريحا الى معارضة كل سعى لايجاد خلف لزغلول باشا فى رياسة الوفد . وتعترف أنه من المستحيل ، فى الظروف الراهنة العثور على أى شخص قادر على تحمل هذا العبء الثقيل .. وأن النية تتجه لتعيين لجنة تنفيـذية صغيرة العدد » [٤] ..

وبدأت صحف المعارضة تنشر برقيات من لندن تقول « ان تكوين لجنة ثلاثية لقيادة الوفد سوف تؤدى الى تمـزيق وحـدة الوفـد » [٥] ، بل ان « التيمس » اللندنية قد أكدت استحالة اختيار

---

[١] البلاغ ٢٨ - ٨ - ١٩٢٧ .
[٢] المقطم ٤ - ٩ - ١٩٢٧ .
[٣] الاهرام ٤ - ٩ - ١٩٢٧
[٤] الاهرام ١٥ - ٩ - ١٩٢٧
[٥] السياسة ٨ - ٩ - ١٩٢٧

شخص ، يخلف الزعيم الراحل الذى كان يتفوق على جميع أتباعه تفوق النخلة على صغار الشجر » [٦] .

وكان « النحاس باشا » فى أوربا عند وفاة « سعد » فعاد مسرعا ، ووقف امام قبره فى حشد من قادة الوفد ليقسم امام الجميع وهو يبكى على المضى فى الجهاد قائلا : « ان روح سعد ستظل مشرقة علينا ترقب جهادنا ، وتغذى نفوسنا حتى ننال الاستقلال التام » [٧] .

وهكذا حول النحاس الحزن الجارف الى واجب محدد « الجهاد لنيل الاستقلال التام » .

وفى يوم ١٤ سبتمبر ١٩٢٧ ، اجتمع الوفد المصرى بكامل هيئته ليقرر انتخاب « **مصطفى النحاس** » رئيسا ، ولكنه قرر عدم الاعلان عن اختياره حتى يعرض الامر على الهيئة البرلمانية للحزب .

وفى ١٩ سبتمبر ، عقد الوفد المصرى أول اجتماع له برئاسة **مصطفى النحاس** ليوجه بيانا الى الامة جاء فيه :

« أيها المصريون ، ان الوفد المصرى وقد كان أول مظهر لنهضتكم وأجرأ وثبة الى مجدكم ، لا يزال باقيا ، وسيبقى مقياسا لقوتكم ، وعنوانا حيا لجهادكم ، ورمزا لوحدتكم ، ولسان صدق لآمالكم والامكم . لقد فجع الوفد فى رئيسه ، ولكنه لا يزال حيا قوى الحياة بأمته ، واحدا فى كتلته ، امينا على عهده ، وفيا ليومه وغده .. ولن يترك ميدان الشرف حتى يتحقق مجد البلاد باستقلالها صحيحا ، وحريتها كاملة » [٨] .

انها نفحات **النحاس** .. حماسه ، اصراره ، حسمه ، تطل من البيان الاول لتحدد مصير الوفد ، ومصير النضال المصرى ضد الاحتلال .

ومع ان اسم النحاس لم يعلن رسميا ، فقد تسرب الخبر كاحد الاحتمالات ، فأحدث ذلك فزعا فى صفوف خصوم الوفد ، وفى مقدمتهم الانجليز .. قالت « وست منستر جازيت » « لقد تردد اسم **النحاس باشا** وهو من الجناح الايسر فى الوفد ، فى حين أن **بركات باشا والشمسى باشا** حائزان لميل الجناح الايمن » [٩] .


فتح الله ... بركات

اما مراسل الديلى تلجراف « فقد أرسل يحذر من احتمال ان يتولى **النحاس** رئاسة الوفد وقال « واذا صح هذا فانه يعنى رجوع الوفد الى سياسة المعارضة الشديدة لكل سعى لعقد اتفاق بين انجلترا ومصر على أساس تصريح ٢٨ فبراير .. ويعنى ان الوفد قد صرف النظر عن سياسة التوفيق الهادئة التى يمثلها **فتح الله بركات باشا** » [١٠] .

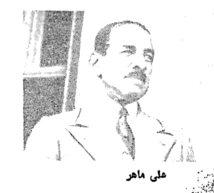
ويبدو أن الانجليز كانوا يمارسون نوعا من الضغط طلبا لزعيم معتدل للوفد ، وليتجنبوا بالتحديد اختيار **مصطفى النحاس** الذى وصفوه اكثر من مرة بأنه يمثل « يسار » الوفد ..

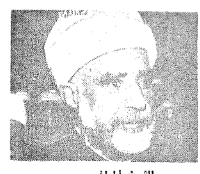
وردا على هذه المحاولات كتب **عباس العقاد** الذى كان وفديا وقتذاك « لقد ذهب اوان الايقاع باسم الاسلام والمسيحيه ، وباسم الباشوات واصحاب الجلاليب الزرقاء ، وباسم الاحزاب والزعماء ، ووصلنا الان الى دور الايقاع باسم التطرف والاعتدال فى هيئة واحدة هى على الجملة هيئة المتطرفين الغلاة فى عرف السياسة البريطانية » [١١] .

ولم يعبأ **النحاس** باتهامه بالتطرف ، وفى نفس اليوم الذى أعلن فيه رسميا اختياره زعيما للوفد القى خطابا ملتهبا معاهدا الامة على «ان نسير فى طريقنا المرسوم حتى تنال البلاد غايتها من الاستقلال التام الصحيح والحرية الكاملة » [١٢] .

---

[٦] الاهرام ١٠ — ٩ — ١٩٢٧ .
[٧] السياسة ، البلاغ ١٥ — ٩ — ١٩٢٧ .
[٨] أحمد شفيق باشا — حوليات مصر السياسية — الحولية الرابعة — عام ١٩٢٧ — ص ٤٧٤ .
[٩] المقطم ٢١ — ٩ — ١٩٢٧ .
[١٠] الاهرام ٢١ — ٩ — ١٩٢٧ .
[١١] البلاغ ٢٢ — ٩ — ١٩٢٧ .
[١٢] الاهرام ٢٧ — ٩ — ١٩٢٧ .


علي ماهر


الشيخ المراغى

وفى أول تصريح صحفى أدلى به النحاس بعد توليه زعامة الوفد اكد « ان الاستقلال التام هو غايتنا ، والعمل له هو موضوع جهادنا ، وهو الذى اكدنا عليه عهدنا » [١٣] .

لكن النحاس كعادته يتعجل الصدام ، وكان أول صدام يخوضه بعد أسبوع واحد فقط من توليه الزعامة ، فقد اقترب يوم ٩ اكتوبر [عيد الجلوس الملكى] وترزح الرجل ان يمنع «الملك» من الاحتفال بعيد جلوسه احتراما لاحزان الامة على وفاة سعد . وبدأت الصحف الوفدية حملة عنيفة على الحكومة التى حاولت الاحتفال .. وكتب عزيز ميرهم عضو مجلس الشيوخ الوفدى مقالا عاصفا : « فليهنأ بالعيد من يشاء ، وليهنأ بالزينة ضعاف العقول صغار الاحلام ، وليشترك فى الوليمة اشخاص ليس لهم فى الوطن نصيب ، لا قليل ولا كثير ، ولتفتح خزينة الدولة على مصراعيها تغدق اموال الفقراء فيما لا حظ لهم فيه ، نافعا كان او ضارا . كل ذلك وضع للشىء فى غير محله ، وخروج مفضوح على الواجبات الاولية للمجاملة واللياقة ، ونصب للافراح وسط المأتم العام » .

ولكن المقال العنيف يمضى عنيفا الى نهايته ، موجها الهجوم الى شخص « الملك » « يجب أن نعلم جميعا ان جلالة الملك ، مدين للحركة الوطنية التى كان سعد على رأسها ، ولولا قيام تلك الحركة التى ساسها سعد بحكمته واقتداره لما كانت مصر اليوم مملكة ، وكانت مجرد سلطنة ترزح تحت عبء الحماية » [١٤] ، وكان هذا المقال نغمة جديدة تماما فى التعامل بين « الوفد » و « القصر » اعلن به النحاس وبعد اسبوع واحد فقط من توليه رئاسة الوفد ، موقفا جديدا وجريئا تفرد به على مدى تاريخ مصر الحديث ، هو الصدام العنيف ضد سلطة القصر ، والحكم الاوتوقراطى .

وهكذا بدأ الرجل البسيط ، ابن تاجر الاخشاب الصغير فى سمنود .. معركته مع القصر الملكى .

تلك المعركة التى بلورت الوجدان الشعبى ، رويدا رويدا ، وعبر سلسلة من الصدامات ، والاقالات ، والتحديات ، على حقيقة ان الشعب هو السيد وان الملك مجرد خائن عميل للاستعمار .

ولعل تلك المعركة .. التى بدأها النحاس بعد اسبوع واحد من توليه الزعامة .. مفتاح هام لفهم تلك الشخصية التى عجز الكثيرون عن فهمها .

ولم تكن هذه أول الصدامات ولا آخرها ، لكنها مجرد نموذج .. وحتى قبل ان يتولى النحاس زعامة الوفد ، وعندما كان محاميا يترافع عن أحمد ماهر ومحمود فهمى النقراشى ، فى قضية اغتيال السير لى ستاك ، وقف النحاس ليعلن وبأعلى صوته « انى أتهم علنا ، وفى مجلس القضاء ، النيابة العمومية بالاشتراك مع رجال السلطات فى التدبير لاغتيال ماهر والنقراشى .. اكتبوا هذا عنى ، وانشروه على الملا » [١٥] .

وامسك الجميع انفاسهم ، فالجميع يعلمون ان كلمة « السلطات » هذه تعنى « دار المندوب السامى البريطانى » .. شخص واحد لم يمسك انفاسه . فجر اتهامه فى بساطة شديدة ، وأكمل مرافعته ومضى .. هو مصطفى النحاس ، انه مفتاح آخر لفهم شخصية الرجل .

بل ان النحاس المحامى قد قبل ان يوكل فى قضية الامير سيف الدين الخصم اللدود للملك ،

---

[١٣] البلاغ ٢٩ - ٩ - ١٩٢٧ .
[١٤] الاهرام ٥ - ١٠ - ١٩٢٧ .
[١٥] صلاح عيسى - حكايات من مصر . دار الوطن العربى بيروت - ص ٢٦٢

والذى اطلق عليه الرصاص ، وقرر الملك وضعه فى مستشفى للامراض العصبية ، لكنه هرب لكى يبحث عن محام شجاع يطالب بحقوقه وميراثه ، ولم يجد محاميا أكثر جرأة من النحاس ليترافع فى قضيته ضد « الملك » [١٦] .

● ● ●

وعلى امتداد الثلاثينات ، ركز النحاس نضاله ونضال حزبه فى أربعة اتجاهات رئيسية :

١ ــ النضال ضد الاحتلال البريطانى .

٢ ــ النضال ضد السراى وضد السلطة الاوتوقراطية .

٣ ــ النضال ضد الاتجاهات الفاشستية والعناصر الموالية للمحور والاتجار بالدين .

٤ ــ النضال من أجل الدستور ضمانا لحق الحزب صاحب الاغلبية البرلمانية فى الحكم ..

ضد الاحتلال البريطانى

كانت دار المندوب السامى البريطانى هى المصدر الاساسى للسلطة ومن هنا كانت « أحزاب الاقلية » تستمد قدرتها على البقاء فى الوزارة ابعادا « للوفد » صاحب الاغلبية البرلمانية دون منازع على امتداد تاريخ الحياة البرلمانية منذ فجر الاستقلال وحتى ثورة يوليو ١٩٥٢ . واذا كانت احزاب الاقلية قد استمدت قدرتها على الحكم من خضوعها لسلطات الاحتلال فقد استمد الوفد نفوذه الانتخابى الكاسح من تقاليد نضاله ضد الاحتلال .

وبرغم ما فى معاهدة ١٩٣٦ من مساومات ، تمثل الطابع الاساسى لبنودها ، فانه يمكن فهم مبررات عقد هذه المعاهدة فى ظروفها وملابساتها التى أملت على البورجوازية المصرية ضرورة التوصل الى اتفاق مع بريطانيا فى هذا الوقت بالذات . وأملت على بريطانيا ضرورة عقد مثل هذه المعاهدة فى هذا الوقت ايضا . فقد « كان الانجليز حريصين على عقد معاهدة مع مصر تكفل لهم حقوقا « قانونية » تمكنهم من استخدام اراضى وموارد مصر فى حرب كان العالم أجمع يتوقع نشوبها . كذلك كان الزعماء المصريون حريصون هم أيضا على توقيع معاهدة مع الانجليز ليس فقط من أجل الحصول على مكاسب جديدة مثل الغاء الامتيازات الاجنبية ، والتأكيد على الاستقلال السياسى .. الخ وانما أيضا لانهم شعروا بالانزعاج من النفوذ الايطالى القريب فى ليبيا ثم الغزو البريطانى للحبشة [حيث موارد النيل] ، وحيث الحدود ملاصقة للسودان ، الامر الذى دفعهم الى طلب نوع من الضمان البريطانى » [١٧] .

لكننا وبرغم ذلك نلاحظ أن النحاس وكل مفاوضى الجانب المصرى فى معاهدة ١٩٣٦ [واغلبهم من الوفديين] قد انساقوا اكثر مما يجب فى المساومة ، ولم يحسنوا استخدام لا الظروف الدولية المواتية ولا عوامل السخط الشعبى المتفجرة كأدوات للضغط للحصول على مكاسب أكثر من الانجليز ..

وكانت النتيجة حملة عاتية من قوى عديدة ضد النحاس وضد الوفد ..

واضطر الوفد الى تبرير المعاهدة .. فجاءت تبريراته لتسبب المزيد من المعارضة لنهج الوفد .

ولقد حرص الوفد على أن يستخدم الدراسات القانونية المتخصصة فى هذا التبرير ، فلجأ الى الدكتور محمد عبد الله العربى استاذ القانون العام بكلية الحقوق ليعد دراسة بعنوان « المعاهدة من الوجهة القانونية ــ معاهدة اغسطس ١٩٣٦ تحقق لمصر استقلالها التام ، وسيادتها الكاملة » [١٨] .

وقد أعاد الدكتور العربى طبع هذه السلسلة من المقالات فى كتاب حرص على أن يثبت على غلافه



مايلز لامبسون

[١٦] صلاح عيسى ــ المرجع السابق ــ ص ٢٦٠ .

[١٧] يوزباشى صلاح نصر ، يوزباشى كمال الدين الحناوى ــ الشرق الاوسط فى مهب الريح [دراسات استراتيجية] ــ مكتبة النهضة ــ الطبعة الاولى [١٩٤٩] ص ٦٤ .

[١٨] الجهاد ــ مجموعة اعداد شهر سبتمبر ١٩٣٦ م .

عبارة تقول : « التحالف العسكرى والشروط العسكريه لا يتعارضان مع السيادة الداخلية والسيادة الخارجية » [١٩] .

ثم ينساق الوفديون ليرتكبوا اخطاء فادحة فى دفاعهم عن المعاهدة ، ووصل الامر الى درجة أن أحد كتابهم الف كتابا عن المعاهدة تساءل فيه : « كيف نشكو من وجود طيارات الحليفة تدرأ الاذى عن البلاد ، مادامت لم تكتمل لدولتنا الناشئة الاسراب الكافية لصد غارات الدول الغازية المجهزة بآلاف الطيارات .. كيف نشكو من « ضيافة » عشرة آلاف جندى » [٢٠] .

لكن خصوم الوفد يستخدمون المعاهدة ودفاع الوفديين عنها كأداة للهجوم على الوفد والنحاس ..

ولعل أطرف اسلوب للهجوم هو تلك الحجة التى تبناها بعض معارضى الوفد من ضرورة حل حزب الوفد وانهاء مهمته اذا ما كانت مصر قد حصلت على استقلالها بالفعل [٢١] ، ذلك ان المادة الرابعة من قانون حزب الوفد تنص على « ان الوفد يقوم مادام العمل الذى انتدب لاجله قائما وينقضى بانقضائه » [٢٢] ، وما دامت الدعايات الوفدية تؤكد ان معاهدة ١٩٣٦ هى معاهدة « الشرف والاستقلال » فلا مفر من أن ينهى حزب الوفد وجوده . وسجل فكرى اباظه هذه الفكرة على غلاف المصور فى صورة كاريكاتيرية تمثل النحاس باشا وهو يقدم لمصر المعاهدة قائلا « ها قد امضيت المعاهدة وانتهت مهمتى » [٢٣] .

وردا على هذه الحجة السخيفة يتورط الوفديون فى مبالغات شديدة التطرف فى مديح النحاس ويهدى احدهم كتابه عن المعاهدة « الى محرر مصر .. ومن غير مصطفى النحاس حرر مصر منذ أن غزاها الفرس . ان أربعة وعشرين قرنا لتخر خاشعة بين يدى القائد الموفق ، وعلم الجهاد الخفاق ، ورسول السلام والوفاق ، وبطل سيشل ، وعميد الوفد ، ورمز الوحدة الوطنية ، وصاحب الرياسات الجليلة ، ومنقذ الدستور ، وبطل الجلاء » [٢٤] .



أمين عثمان

وكان لابد لكلمات كهذه ان تثير اشجان ومخاوف الملك ومن حوله ..

كذلك فانه يتعين علينا أن نلحظ على مسار هذه المرحلة فترات من التهادن مع الانجليز ، وخاصة عندما كانت الوزارة النحاسية معرضة لمؤامرات القصر فى عام ١٩٣٧ ، فان النحاس حاول ان يجد لنفسه سندا فى دار المندوب السامى التى كانت – فى ذلك الحين – حريصه على أن يظل النحاس فى الحكم كسبيل لدرء مخاطر قيام حكومة موالية لمحور الذى كان نفوذه قد امتد وعمق جدوره فى القصر الملكى عن طريق الثالوث على ماهر – الشيخ المراغى – كامل البندارى .

وتقدم لنا وثائق ارشيف وزارة الخارجية البريطانية ، والمودعة فى المتحف البريطانى ، معلومات تؤكد أن النحاس قد اوفد أمين عثمان باشا الى السير مايلز لامبسون طالبا منه التدخل لحماية الوزارة النحاسية . ويكتب لامبسون الى وزير خارجيته قائلا : « وانه لامر حيوى لمصلحة كل من مصر وبريطانيا ان نقف بشكل قاطع وراء النحاس باشا ، والا فلن نرى أمامنا الا طريقا لا نهاية له من الفوضى والعلاقات المشدودة » . لكن لامبسون يلاحظ فى نفس الرسالة ان هذا الموقف « يفترض اننا سوف نكون مستعدين للتعامل بصراحة مع الملك فاروق دون أى اعتبار لما قد يقودنا اليه ذلك لان الملك قد لا يعير نصيحتنا أى اهتمام .. وعندئذ فماذا سوف نفعل ؟ » واجابة على هذا السؤال يميط لامبسون اللثام عن اقتراح خطير لامين عثمان صديق النحاس ورسوله لدى الانجليز ان « أمين عثمان قد اعترف بأن ذلك سوف يعنى أن

[١٩] د. محمد عبد الله العربى – المعاهدة من الوجهة القانونية – مطبعة سكر بمصر .
[٢٠] عبد الحليم الياس نصير – مهد الاستقلال – مطبعة عبد الحليم حسن [١٩٣٦] ص ١ .
[٢١] آخر ساعة ٢٠ – ٨ – ١٩٣٦
[٢٢] قانون حزب الوفد المصرى .
[٢٣] المصور ٢٨ – ٨ – ١٩٣٦ .
[٢٤] عبد الحليم الياس نصير المرجع السابق – ص ١

نكون مستعدين للمضى بالامور الى نهـايتها المريرة » .

ولم يفت لامبسون ان يختم رسالته الى ايدن قائلا « انه يرى من الصعب الى حد كبير التغاضى عن اقتراح امين عثمان ، فهو رجل صافى الذهن وعملى ودوافعه ليست محل شك بأى حال »

كذلك لم يفت سير لامبسون أن يستحسن فكرة خلع الملك ابقاء على وزارة النحاس ، بل انه يؤكد أن مثل هذه الخطوة « قد تكون انقاذا للموقف وهى على المدى الطويل قد توفر حيرة ومتاعب لا نهاية لها » [٢٥] .

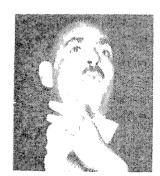
وردا على هذه البرقية الخطيرة يكتب ايدن قائلا : « اهتممت بفكرة توسيع قاعدة تشكيل الحكومة الوفدية ، واننى على استعداد لمساندة النحاس اذا وافق على ذلك ، ولكننى سأكون غير راض الى حد كبير او اننى ذهبت الى درجة قبول فكرة خلع الملك فاروق بأى حال الا بعد عقد قرانه، وبعد ان نقل شعبيته الى حد كبير » [٢٦] .

بهذا فقط يمكن أن نفهم سر تساهل النحاس تجاه الانجليز فى كثير من الاحيان ، وبه أيضا يمكن أن نفهم حقيقة أحداث ٤ فبراير ١٩٤٢ .

لقد كان النحاس مخلصا فى صراعه ضـد الانجليز ، لكنه كان وهو يخوض معركة استمراره فى الحكم ضد مناورات السراى ، وهو لا يريد أن يستند على قاعدة الجماهير العريضة وعلى تحركاتها لم يكن يجد سبيلا سوى اللعب على حبال التناقض بين الانجليز والقصر ..

لكن فترات « التساهل » موقوتة بساحتياج النحاس لمساندة الانجليز فى معركة استمراره فى الحكم ضد مؤامرات القصر ، ومرهونة باستعداد الانجليز لتقديم هذا العون .

وما أن تنجح مؤامرات القصر فى الاطـاحة بوزارة النحـاس حتى يجد النحـاس نفسه فى صفوف المتشددين ضد الانجليز .



احمد حسين

لكننا ، ولكى نكون منصفين يتعين علينـا ألا نستدرج الى مثل هذه التعميمات ، فالنحاس الذى كان يدرك ضعف أسلحته تجاه الانجليز ، والذى كان يعرف انه ليس بامكان حزبه ــ بتكوين قيادته المعروف ــ أن يخوض معركة ثورية ضد الاحتلال، كان يكمن كعادة الفلاح المصرى لخصمه منتهزا فرصته كى يضرب ..

ويمكن القـول بأنه برغـم كل التهـادنات والمساومات تجاه الانجليز فان النحاس وحزبه لم يفقدا أبدا خط العداء العام للاحتلال البريطانى لكنه كان يكمن لفترة ثم يتوهج فى فترة أخرى ..

وعندما كانت بريطانيا تعانى من ضربات النازى والريح تتجه على عكس ما تريد ، قدر النحاس انها فرصته ليوجه مطالب جديدة للانجليز ، خصوصا وأنه قد أخذ عليهم عدم مساندته ــ مساندة جادة ــ للاستمرار فى الحكم . وهكذا ، وفى أول ابريل ١٩٤٠ فاجأ الوفد الجميع بتقديم مذكرة شديدة اللهجة للسلطات البريطانية : اتهمها فيها بأنها « باركت الانقلاب الدستورى واستغلته لصالحها » وقالت المذكرة « ان لمصر الحق فى أن تطلب الى بريطانيا الاستجابة ــ من الان لخمس مطالب هى :

١ ــ ان تصرح ــ من الان ــ بجلاء القـوات البريطانية عن مصر بعد انتهاء الحرب وعقد مؤتمر الصلح ، وتبقى المحالفة فيما عدا ذلك قائمة بين الطرفين .

---

[٢٥] Public Record office [London] -- F. O. 407/221 -- From Lanpson to Eden, November 29, 1937 -- Tel, No. 679.

[٢٦] Public Record office London, Fo : 407/221 -- November 30, 1937 Tel. No. 560.



مكرم عبيد



فؤاد سراج الدين

٢ ـ اشتراك مصر اشتراكا فعليا فى مفاوضات الصلح ، ليعترف فيها باستقلال مصر كاملا .

٣ ـ الدخول فى مفاوضات مع مصر بعد انتهاء مفاوضات الصلح يعترف فيها بحقوق مصر كاملة فى السودان لمصلحة أبناء وادى النيل جميعا .

٤ ـ التنازل عن الاحكام العرفية التى أعلنت بناء على طلبها .

٥ ـ حل مشكلة القطن ، بعدم الحيلولة دون تصديره الى البلاد المحايدة أو بشرائه بالاسعار والشروط المناسبة » [٢٧] .

وقد أحدثت هذه المذكرة هزة عنيفة ، وحاصرت كل خصوم الوفد : الاحتلال ـ القصر ـ احزاب الاقلية بضربة واحدة .. وابرقت وزارة الخارجية البريطانية الى دار المندوب السامى « ابلغوا النحاس باشا فى الحال ان الحركة التى قام بها .. قد أحدثت لدى الحكومة البريطانية شعورا اليما للغاية » .

وبرغم ذلك فقد مضت المطارق الوفدية لتهوى على سياسة الاحتلال .

فى مجلس النواب وقف محمود سليمان غنام ليدين تغلغل القوات العسكرية البريطانية « تغلغلا واضحا فى جميع الاحياء الوطنية الاهلة بالسكان والمدارس والشوارع والفنادق الوطنية . . .

تصوروا حضراتكم مدى هذا الخطر اذا ما وقعت الواقعة ، فان الالمان سيقولون وقتئذ اننا لا نقصد المصريين ، ولكننا نقصد الاهداف العسكرية الانجليزية » [٢٨] .

وفى مجلس الشيوخ ، وقف يوسف الجندى ليهاجم السياسة الاقتصادية لبريطانيا والتى اتسمت باستنزاف كل ثروات مصر ، ومنعت مصر من بيع قطنها للدول المحايدة والمحاربة ، ثم فرضت عليها فى نفس الوقت سعرا يقل عن السعر العالمى بكثير وقال ان الانجليز « لا يتأثرون الا بمصلحتهم وبمصلحتهم وحدها » وقال « ان سياسة بريطانيا فى شرائها محصول القطن ليست قائمة على تحقيق مصلحتها فحسب ، وانما هى قائمة ايضا على سياسة افقار الشعوب الخاضعة للاستعمار » [٢٩] .

والطريف فى الامر أن الانجليز لجأوا الى حجة غريبة دفاعا عن موقفهم من خفض سعر القطن فقالوا « ان رفع السعر لا يفيد سوى طائفة من الباشوات ، أما الزارع المتوسط والصغير .. فلا يعود عليهم رفع السعر الا بالخسارة والجوع » .

وردا على هذه الحجة ، هاجمت جريدة « الوفد المصرى » الانجليز قائلة انهم يحاولون « التفرقة بين طبقات الملاك فى مصر » وتساءلت «المصلحة من

[٢٧] د. عبد العظيم رمضان ـ تطور الحركة الوطنية فى مصر من ١٩٣٧ ـ حتى ١٩٤٨ ـ دار الوطن العربى ـ الجزء الثانى ص ٤٤ .

[٢٨] مجلس النواب ـ مجموعة مضابط دور الانعقاد العادى الرابع ـ الجزء الثانى ـ ص ١٤٥٩ .

[٢٩] مجلس الشيوخ ـ مجموعة مضابط دور الانعقاد العادى السادس عشر ـ جلسة ٨ سبتمبر ١٩٤١ ـ خطاب يوسف الجندى ص ٨٢٢ .

يريدون بذر بذور الشقاق بين هذه الطبقات واحداث مشكلة اجتماعية من أعقد المشكلات التى أقلقت بال أمم كثيرة ومصر بقيت ناجية منها الى الان بفضل الله » [٣٠] .

ثم يتصدى النحاس بنفسه للهجوم على الانجليز مطالبا باعادة النظر فى المعاهدة قائلا فى خطاب ألقى فى حفل تكريم أقيم له فى رأس البر : « نصرنا الحليفة بكل صدق واخلاص فماذا كان جزاؤنا ؟ كان أن أهدرت كرامتنا ، وفقدت حريتنا ، وأعلنت الاحكام العرفية علينا ، وكممت أفواهنا ، وتحكمت الرقابة فينا ، وعدت انفاسنا علينا ، وكسدت سوقنا ، وارتفعت أسعار المعيشة ، وانخفض سعر نقدنا ، وسخرت قواتنا ومرافقنا ومعداتنا ومصالحنا لصالح الانجليز . ولم نجن من وراء ذلك كله شيئا » [٣١] .

ولم يفت النحاس ان يغمز الانجليز « الذين يحاربون دفاعا عن الديمقراطية فى بلادهم، بينما يدأبون على العمل ضد الديمقراطية فى مصر » ومرة أخرى نشتم من كلمات النحاس رغبة فى مساندة الانجليز له كي يعود للحكم باعتباره ممثلا للاغلبية البرلمانية المعترف بها من الجميع .. وكان ٤ فبراير ١٩٤٢ يقترب مرة أخرى ..

لكن من حق النحاس علينا أن نؤكد أنه وحتى بعد وصوله للحكم على اثر حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ قد ظل متمسكا بمذكرة ابريل ١٩٤٠ معلنا فى مجلس النواب وهو رئيس للوزراء : ان هذه المذكرة هى « بكل مطلب من المطالب القومية المدونة فيها وفى مقدمتها الجلاء والسودان ، هى فخرنا ، وهذه المطالب الوطنية التى كان لنا شرف المناداة بها ، ونحن خارج الحكم لا تزال هى مطالبنا نعمل لها جهد امكاننا » [٣٢] . وفى المؤتمر الوفدى الكبير الذى عقد فى نوفمبر ١٩٤٣ أكد النحاس باشا ان المعاهدة يجب أن تعدل « .. وانى الان اكاد ألمح باذن الله فجر اليوم الذى تأخذ فيه مصر المستقلة ، استقلالا تاما لا تشوبه أية شائبة » [٣٣] .

وهكذا ، كان تشدد النحاس واصراره على المطالب الوطنية سبيلا الى غضب الانجليز عليه بل وتآمرهم مع القصر على ابعاده عن الحكم .


محمود سليمان غنام


عبد الفتاح حسن


عزيز ميرهم

الملك يبكى من النحاس

.. ذات يوم كتب دافيد كيلى مستشار دار المندوب السامى فى مذكراته يقول : « لقد أسر لى صديقى حسنين باشا يوما بأن الملك فاروق كان يبكى من الاهانة حينما كان يلمس فى الصحف اهتماما بالنحاس اكثر من الاهتمام بشخص الملك » [٣٤] .

[٣٠] الوفد المصرى ٢٣ — ٨ — ١٩٤١ .
[٣١] المصرى ٤ — ٨ — ١٩٤١ .
[٣٢] مجلس النواب — الهيئة النيابية الثامنة — مجموعة مضابط دور الانعقاد العادى الثالث مجلد ١ — جلسة ١٢ يناير ١٩٤٤ .
[٣٣] مستقبل مصر كما رسمه الزعيم مصطفى النحاس — عدد خاص اصدرته جريدة الحوادث ..
[٣٤] محمد عودة — سبعة باشوات وصور اخرى — الكتاب الذهبى — ص١٥٤ .

والحقيقة أن النحاس قد انتهج وبحسم سياسة تقليم أظافر « القصر الملكى » وابعاد نفوذه عن الحياة السياسية فى البلاد ·

والروايات كثيرة عن مصادمات النحاس مع القصر ، ولكننا سنكتفى ببعض النماذج .. « خلال زيارة الملك للصعيد أصدر الوكيل البرلمانى لوزاره الداخلية تعليمات الى مديرى الاقاليم التى سيزورها الملك بألا يقيموا زينات لان ميزانية المجالس البلدية لا تحتمل نفقات جديدة [٣٥] .

ولم يكتف النحاس بمجرد التحرش بنفوذ السراى لكنه قرر ان يقلم اظافر « القصر » ... وابتدأ بمحاولة تخليص الجيش من أى نفوذ للملك ، فانتهز فرصة عهد الوصاية على العرش فأصدر القانون رقم ٧٢ لسنة ١٩٣٧ الخاص بانشاء مجلس الدفاع الاعلى وفى هذا القانون منح كل السلطات الاشرافية على الجيش لرئيس الوزراء ، وألغى صراحة منصب القائد الاعلى للقوات المسلحة ، وهو المنصب الذى كان الملك يتولاه عادة [٣٦] .

وقد تعجل النحاس باشا اصدار هذا القانون بحيث صدر بعد تولية فاروق العرش بيومين فقط . وقد فهم رجال القصر المغزى المقصود من القانون وكتب أحدهم تقريرا للملك يقول فيه ان هذا القانون « يدعو الى التساؤل ويثير ظلالا من الشك حول الغرض الاصلى من انشاء مجلس الدفاع الاعلى » [٣٧] .

ثم يعترض النحاس على حق القصر فى تعيين مهندس ميكانيكى دون استئذان الوزارة .. ويتصاعد الصدام · وعندما تقال وزارة النحاس فى عام ١٩٣٧ بصورة مهينة ، حيث يتضمن خطاب الاقالة عبارات تقول : « نظرا لما تجمع لدينا من الادلة على أن شعبنا لم يعد يؤيد طريقة الوزارة فى الحكم ، وانه يأخذ عليها مجافاتها لروح الدستور وبعدها عن احترام الحريات العامة وحمايتها .. لم يكن هناك بد من اقالتها » ، وتخرج الجماهير الوفدية لتتحدى الاقالة هاتفة «النحاس أو الثورة»، « لا استقالة ولا اقالة » ، «الدستور فوق الجميع» وتكون أول مظاهرات جماهيرية تطعن فى الملك وتتحداه


عبد السلام جمعة


د. محمد مندور


ابراهيم فرج

وينتهز الملك فرصة اقالة النحاس ليحاول أن يرسى تقاليد جديدة تقوم على أساس هيمنة السراى على كل شىء . ويدهش اعضاء مجلس الشيوخ الذين قابلوا الملك لرفع رد المجلس على خطاب العرش عندما يقول لهم : « ليس يكفى رضاء الامة عنكم ، بل يجب أن يكون معه رضاء الملك كذلك » [٣٨] .

---

[٣٥] عبد الحميد المشهدى — صحيفة سوابق — ص ٦٦ .
[٣٦] القانون ٧٢ لسنة ١٩٣٦ .
[٣٧] وثيقة معنونة — الحكومة المصرية رقم ٦١٢٣ — تقارير الحكومة ٢ — الجيش — بحث فى مجالس الجيش وهيئة اركانه — مودعة بمكتبة رئاسة الجمهورية .
[٣٨] المصرى ١ — ٧ — ١٩٣٨ .

ثم لا يلبث الملك أن يشهر انقلابا دستوريا بأن يوجه نداء بالراديو بمناسبة العيد الهجرى أعلن فيه توليه لزمام كل الامور وقال : « ان تقتى بنفسى وتوكلى على الله هو الذى يهدينى بصريح الامور ويوجهنى الوجهه التى اختارها » [٣٩] .

لكن النحاس لا يسكت ولا يتراجع . فيدعو الهيئه الوفديه الى اجتماع عاجل لتصدر بيانا بالغ الخطر وبالغ التحدى تقول فيه : « ان الدستور والنظام الديمقراطى فى مصر قد اصبحا فى خطر ، وان الهيئه الوفديه ترى من واجبها ان تعلن انها لا تقبل بحال من الاحوال أى مســـاس بالدســـتور والحريات » [٤٠] .

ولقد اكد الكثيرون من المحيطين بالملك ان اكثر ما كان يغيظه من الوفديين هو شعار « عاش الملك ويحيا النحاس » .. وانتهز الملك فرصة الصدام بين النحاس والانجليز على اثر بياناته العنيفة ضدهم فى عام ١٩٤٤ . « واصدر أمرا الى مدير الامن العام لازالة لافتات تحمل عبارة « عاش الملك ويحيا النحاس » من شوارع القاهرة ، واطاع مدير الامن اوامر الملك . ورد النحاس على ذلك بأن أمر بايقاف مدير الامن عن عمله ، فأصر فاروق على اقالة النحاس » [٤١] .

ليبرالى .. ضد الفاشيست

والاتجــــــار بالـــدين

ويمكن القول بأن القصر فى صراعه ضد الوفد وفى محاولة لاستجماع القوى ضد جمــاهيرية النحاس الطاغية قد لجأ الى تشجيع الاتجاهات الدينيه والاستناد اليها .. وكذلك الى تشجيع القيادات الفاشــــــتية واســـتخدامها لارهاب الجماهير الوفدية .

وكان الشيخ المراغى هو المحور الذى تتجمع حوله العناصر الدينية الموالية للملك وخصوصا شيوخ وطلاب الازهر [٤٢] .

وكانت فكرة المراغى هى انه لا يمكن مجابهة جماهيرية النحاس الطاغية الا باستخدام سلاح الدين . وبتقــــديم الملك فى صـــــورة « الملك الصالح » .. وعندما كانت جموع الوفـديين تهتف « الشـــعب مع النحاس » . كانت جموع الازهريين تهتف « الله مع الملك » .

وبينما كانت توضــــع ترتيبات احتفالات تولية الملك الشاب اقترح الامير محمد على اقامة حفل دينى ، لكن النحاس باشا اعترض على ذلك معلنا أن ذلك « اقحام للدين فيما ليس من شئونه ، وايجاد سلطة دينية خاصة بجانب السلطة المدنية » .

وقد اعلن النحاس عن رفضه هذا صراحة ، وفى خطاب ألقــاه أمــام مجلس النــواب قــال فيه : « الاسلام لا يعرف سلطة روحية ، وليس بعد الرسل وساطة بين الله وبين عباده .. وليس احرص منى ، ولا من الحكومة التى اتشرف برئاستها على احترام الاسلام وتنزيه الاسلام ، كما انه ليس أحرص منا على التزام أحكام الدستور ، ولكن الاحتفال بمباشرة جلالة الملك لسلطته الدستورية شىء آخر ، فهو مجال وطنى يجب أن يتبارى فيه سائر المصريين مسلمين وغير مسلمين » [٤٣] .

وتحديا للنحاس ، وبترتيب خاص مع رجــال القصر سير الاخوان المسلمون مظاهرات نحــو القصر « لتبايع الملك على كتاب الله وسـنة رسوله » [٤٤] .

ويروى أحمد حسين قصة أول لقاء له مع النحاس فيقول : « قابلت النحاس باشا ماذا به يجابهنى بأنى دسيسة » .. ثم بدأ يناقشنى فى صحة مبادئى وقال « ان فيهــا بعض المبادىء الخطرة التى لا اكاد افهمها خذ مثلا « الله » التى وضعتها فى أول شعارك فلست أراها الا شعوذة لان وضع « الله » فى برنامج سياسى هــو شعوذة » [٤٥] .

[٣٩] مصر الفتاة ٢٣ — ٢ — ١٩٣٩
[٤٠] مصر الفتاة ٢٧ — ٢ — ١٩٣٩
[٤١] جورج كيرك — موجز تــاريخ الشرق الاوسط — ترجمة عمر الاسكندرى مراجعة الدكتور سليم حسن [سلسلة الالف كتاب رقم ١١٤ — ص ٢٦٢ .
[٤٢] G.E. Von Grunbaum — Modern Islam, Vintage Books New York, pp. 263.
[٤٣] المصرى ٢٢ — ٢ — ١٩٣٧ .
[٤٤] حسن البنا — مذكرات الدعوة والداعية — ص ٢٥١ .
[٤٥] مرافعات الرئيس أحمد حسين فى عهد حكومة الوفد — من كفاح مصر الفتاة الطبعة الثانية — ص ٤٧ .

ولقد قاوم النحاس – أيضا – التشكيلات الشبه فاشستية التى شكلها احمد حسين ، ولعله غالى فى مقاومتها الى حد أنه أسس فى مواجهتها تشكيلات شبه عسكرية ، ولقد أحدث تكوين « القمصان الزرق » ارتباكا فى صفوف أعداء الوفد وخشيه من ان يتحول هذا الخضم الهائل من الجماهير الوفديه الى قوى منظمة ومسلحة . .

ويكتب السير مايلز لامبسون فى تقريره السنوى الى وزارة الخارجية يقول :

« فقرة ٢٠٦ : اتخذ مؤتمر الشباب الوفدى قرارا فى ٩ يناير بتأسيس منظمة للشبيبة على النهج الفاشستى ، وقد أيد الوفد هذا الاتجاه بعد أن وجد أن أحزاب الاقليات قد بدأت فى تجنيد عديد من الطلاب فى تنظيمات فاشستية بهدف حشدهم فى حركة مناهضة للوفد .

فقرة ٢٠٨ : تأسست لجنة من حزب الوفد لتنظيم واعداد القمصان الزرق الذين وصلتنا تقارير تفيد أن عددهم قد بلغ فى يوليو ١٠٠٠٠ شخص . واختير النحاس باشا رئيسا للحركة .

فقرة ٢٠٩ : وفى يوليو قام القائد العام للقوات البريطانية بمصر بتحذير مكرم عبيد من السماح لهذه الحركه بالنمو دون رقابة ، ورد الاخير بأن تعليمات قد صدرت لقادة القمصان الزرق بأن يوجهوا نشاطها نحو المسالك القانونية فقط ، واشار مكرم الى ان الحزب حريص على الا يتولى أحد السياسيين أى منصب قيادى فى القمصان الزرق .

لكن هذه التأكيدات لم تنجح فى أن تمحو أو حتى أن تقلل من خوف المسئولين المصريين من تطور هذه الحركة » [٤٦] .

وهكذا فان البعبع الذى صنعته الرجعية المصرية واطلقته كى تخيف به الوفد والقوى الوطنية عموما قد انقلب ليخيفها هى . .

. . لكن الملفت للنظر فى هذا الموضوع هو ان صاحب فكرة « القمصان الزرق » كان **زهير صبرى** احد قادة التيار اليسارى فى حزب الوفد والذى كان آنذاك على علاقة بالخلايا الشيوعية المتبقية من الحزب الشيوعى القديم [٤٧] .

والحقيقة ان « الفاشية » واسلوبها فى الحكم كانت أحد المسالك التى هددت بها احزاب الاقلية حزب الوفد الذى كان يستند دوما الى ركيزة اساسية هى الدستور – الانتخابات – الاغلبية « البرلمانية » .

وقد وصل الامر الى حد ان « الاحرار الدستوريين » ايدوا هذه الاتجاهات فكتبت جريدتهم السياسية تقول « ولا نخطىء اذا قلنا ان الروح الفاشستية تلقى تأييدا أشد حرارة من الروح البرلمانية » [٤٨] .

الدستور . . أولا واخيرا . .

واذا كان **أحمد حسنين** منذ بداية الامر أحد المقربين جدا من **محمد محمود** زعيم الاحرار الدستوريين ، فقد تطور به الامر ليصبح احد المقربين من « القصر » واذا كانت خطة **الشيخ المراغى** هى استخدام الدين لصالح القصر والملك الصالح ! فقد كانت خطة **كامل البيدارى** استخدام مصر الفتاة كدعامة لفكرة الملك « الشاب » ولاقامة تناقض مفتعل بين « الشباب » و الساسة التقليديين وكل هذه المخططات كانت تستهدف شخصا واحدا هو « النحاس » وفى أعقاب تصريح **هور** ، تحركت الجامعات فى مظاهرات أحتجاج عنيفة ونجحت مؤامرات **على ماهر – المراغى – البيدارى** فى تحويل الاتجاه الى الدعوة لحكومة قومية . . والبست هذه الدعوة الزائفة ثيابا وطنية ، وتسابق الجميع للمناداة بها . .

الملك واحزاب الاقلية ومصر الفتاة تدعو « لوحدة الامة » كسبيل لتلافى الانتخابات واعمال احكام الدستور بحجة ان الاستقلال أهم من الدستور . .

[٤٦] وثيقة مودعة بالمتحف البريطانى مكتوب فى صدر صفحتها الاولى [هذه الوثيقة مملوكة لحكومة صاحب الجلالة الملك – أعدت كى تستخدم فقط فى وزارة الخارجية . ملف رقم ٣٧١ – ٢٠٩١٩ – سرى – ١٥٢١٧ – ارشيف رقم ٨ – مصر – التقرير السنوى عن عام ١٩٣٦] ل . ٣٥٢٢ – ٣٥٣٢ – ١٦] من السير مايلز لامبسون الى مستر ايدن – استلم فى ١٩ اغسطس تحت رقم ٩٠٦

[٤٧] كوكب الشرق – ٦ – ١ – ١٩٣٦

[٤٨] السياسة – ٣١ – ٨ – ١٩٣٦

وفى مواجهة هذا التيار وقف النحاس منددا بهذا الشعار « لا يصح ان نخدع بأقوال معسولة ، بنداء الى وحدة ، على أى شيء هذه الوحدة ؟ لا لسنا نخدع بذلك . ما هى الوحدة ؟ الوحدة تمسك قلبى وعزم صحيح على دستور ١٩٢٣ . يقولون الاستقلال أولا ، فهل نكتفى بذلك بينما يترك الحكم لبعض المصريين اسما الذين لا يستندون الى الامة فىشيء ... واحب ان نعضعلىالدستور بالنواجز، هذا طريق الوفد المرسوم .. وبدون ذلك لا نفهم وحدة ولا جبهة » [٤٩] .

ولقد ظل النحاس وفيا لمعركته دفاعا عن الدستور ولارساء تقاليد الحكم الدستورى ..

والحقيقة ان المعاركالتى خاضها النحاس كانت متشابكة ، خيط واحد يربطها جميعا النضال ضد الاحتلال ضد القصر وعملائه ومن اجل الدستور . ولقد خاض النحاس هذه المعارك فى اصرار عنيد اكسبه حب المصريين واعجابهم ..

٤ فبراير .. بداية ام نهاية ؟

لقد كتب الكثير عن حادث ٤ فبراير ، لكن الابحاث التاريخية قد تركزت فى اعتقادنا فى اتجاه خاطيء .. كيف وقع الحادث ؟ وماذا كان موقف النحاس منه ؟ وحرص المؤرخون الوطنيون والتقدميون على محاولة «تبرئة» النحاس من علمه بالحادث وبتدبير الانجليز له ..

وقد نسى هؤلاء ان النحاس قد سعى من خلال امين عثمان وقبل ٤ فبراير ١٩٤٢ بأربع سنوات لحث الانجليز على « الوصول بالامور الى نهايتها المريرة مع الملك » ..

ونسوا ايضا انالنحاسقد اعلنفىابريل١٩٤٠ وما بعدها ان خلافه مع الانجليز ينصب أساسا على تأييدهم للانقلاب الدستورى .

ونسوا اخيرا ان السير مايلز لامبسون [اللورد كيلرن] صاحب الحادث ومخططه قد اكد فى مذكراته التى نشرت اخيرا علم النحاس بالحادث قبل وقوعه وموافقته عليه [٥٠] .

لكن القضية الاساسية التى تتعين دراستها هى

مصطفى النحاس

- ولد فى ١٥ يونيو عام ١٨٧٩
- تخرج عام ١٩٠٠ فى مدرسة الحقوق
- اشتغل بالمحاماة بمدينة المنصورة .
- عين قاضيا بالمحاكم الاهلية عام ١٩٠٤
- انضم الى الوفد المصرى عام ١٩١٩ ، وانتخب سكرتيرا له .
- اعتقل فى ١٦ مارس ١٩١٩ وافرج عنه فى ٧ ابريل ١٩١٩ .
- انضم الى عضوية الوفد المصرى المسافر الى فرساى لحضور مؤتمر السلام .
- فى ٢٣ ديسمبر ١٩٢١ نفى الى جزيرة سيشل مع سعد زغلول وعاد الى الوطن فى ٢٦ يونيو ١٩٢٣ .
- عين وزيرا للمواصلات فى اول وزارة وفدية شكلها سعد زغلول فى ١٥ مارس ١٩٢٤ .
- فى ٢٧ اغسطس ١٩٢٧ وعلى اثر وفاة سعد زغلول انتخب رئيسا للوفد
- فى ٢٦ اغسطس سنة ١٩٣٦ وقع المعاهدة المصرية ـ البريطانية .
- ارتبط اسمه باحداث ٤ فبراير ١٩٤٢
- أسهم فى عام ١٩٤٣ بدور كبير فى تأسيس جامعة الدول العربية .
- فى اكتوبر ١٩٥١ اعلن الغاء معاهدة ١٩٣٦ التى ادى الغاؤها الى تفجر المعارك الفدائية ضد قوات الاحتلال البريطانى فى منطقة القنال .
- فى عام ١٩٥٤ تقرر تحديد اقامته جبريا هو وزوجته المرحومة السيدة زينب الوكيل التىحوكمت امام محكمة الثورة
- الغى تحديد اقامته هو وحرمه فى ٢١ يونية ١٩٥٤ .
- توفى فى ٢٣ اغسطس ١٩٦٥ . وقدر عدد المشتركين فى جنازته بعشرة آلاف شخص . وفى اعقاب الجنازة القى القبض على عدد من منظميها .

لماذا قبل النحاس الاشتراك فى مخطط كهذا .. ؟ وما هو وجه الاغراء لزعيم كالنحاس فى ان يقحم نفسه وبهذه الصورة ليتولى منصب رئيس وزراء بلد توشك جحافل الغزاة الفاشست على اجتياحه

[٤٩] عبد الحميد المشهدى ـ المرجع السابق ص ٤٨ .

[٥٠] The Killcarn Diaries — 1934 — 1946 — Edited by Trefor Evans — Sidgwick & Jackson — Londen (1972)

.. بلد يقف عاجزا امام غزاة قادمين وغزاة مقيمين، وتخيم عليه فى ذلك الحين أزمة اقتصادية طاحنة وكان النحاس نفسه يردد « ما الذى استطيع ان اعمله والبلد جعانة » [٥١] .

الصفقة لم تكن اذن مغرية ولا هى بالرابحة والزعيم الجماهيرى مطالب بأن يسير اليها على حراب الانجليز اعداء الوطن ..

وقد فعلها النحاس الرجل الذكى ، الصافى الذهن ، الذى يتميز عن غيره من زعماء عصره باحساسه العميق والمرهف لنبض الجماهير ومشاعرها ..

فعلها النحاس وظل يتحمل مسئوليتها امام جماهير شعبه ، وتحمل بسببها طعنات من خونة ظلوا طوال حياتهم خداما للانجليز . وسيظل وعلى مدى التاريخ يحاسب عليها .

والسؤال هو : لماذا ؟

وثمة جواب وحيد مقنع : لهذه الاسباب بالذات قبل النحاس ٤ فبراير .. لان الالمان على الابواب، ولان القصر يناور مع الغزاة الجدد، ولان الفاشست كانوا قد كونوا بالفعل حكومة ظل لتتولى الحكم فور وصول الالمان ، ولان عملاء القصر تظاهروا بايعاز من المراغى هاتفين « الى الامام يا روميل » [٥٢] .

ولان الازمة الاقتصادية مستحكمة ، والناس لا تجد الخبز ، لذلك كله قبل النحاس ٤ فبراير كمخرج يضمن سلامة مصر .. لكنه مخرج الزعيم الوطنى الذى لا يثق فى حركة الجموع ولا يعتمد عليها ولا يقدر حقيقة الطاقات التى يمكن ان تفجرها فلم يجد سوى المثل العربى القديم « وداونى بالتى كانت هى الداء » .

ولقد كان لحادث ٤ فبراير ذيول عدة اخطرها انقسام مكرم عبيد عن الوفد ، الامر الذى احدث رجة حقيقية فى صفوف الوفديين ، وليس من تفسير لهذا الانقسام الا ان « القصر » الذى ارتج عليه الامر نتيجة لحادث ٤ فبراير ولاستناد الوفد بجبروته الشعبى الى الاحتلال بجبروته العسكرى لم يجد بدا ان يلعب آخر أوراقه ، وكان استخدام الوقيعة بين مكرم وسراج الدين . والعمل على توسيع هذا الخرق حتى تم الانقسام ، ومن ذيول انقسام مكرم « الكتاب الاسود » وتلك الحملات المنظمة الواسعة النطاق ضد المحسوبيات والرشاوى واستغلال النفوذ الذى تفشى فى عهد الحكومة الوفدية ،والذى امتد ليشمل دوائر لصيقة بالنحاس باشا او بالدقة زوجته وأسرتها والمحيطين

ولم يكن الفساد غريبا على مصر فى ذلك الحين .. ولا حتى كان غريبا على الحكومات الوفدية ،لكن وجه الغرابة جاء من ملاصقته للزعيم الذى اشتهر بالتعفف والبساطة ، وجاء ايضا من تفشيه واتساع نطاقه ، وتغاضى الزعيم عنه بحجة ان الوفديين قد اضطهدوا فى العهود السابقة فلا بأس من أن ينالوا بعض حقهم فى عهد حكومتهم. .لكن النتيجة كانت ان خصوم الوفد امسكوا بأدلة دامغة شهروا بها على النحاس واسرته وحزبه أيما تشهير .

النحاس واليسار .. !

وهذه العلاقة تستحق دراسة متأنية ، فالنحاس الذى اتهمته الصحف الانجليزية يوم توليه رئاسة الحزب بأنه زعيم الجناح اليسارى فى الحزب .. والذى اتهمه المنشقون عليه فى عام ١٩٣٧ «بالبلشفيه» .. وقد ردد هذا القول صراحة أحمد ماهر امام الهيئة الوفدية متهما النحاس بأنه قد اغدق النعم على العمال حتى ابطرهم وجرأهم على الاخلال بالنظام والتحكم فى رؤسائهم وتوجيههم للاعتداء على خصوم الحكومة. واعتبر أحمد ماهر قرار النحاس بنقل وكيل المطبعة الاميرية استجابة لرغبة العمال « عملا شبيها بأعمال البلشفية » [٥٣] .

والنحاس الذى اتهمت « اخبار اليوم » فى عام ١٩٤٧ احد رجاله المقربين وهو الدكتور محمد مندور رئيس تحرير الوفد المصرى بأنه كان واسطة «بين حزب الوفد والكومنترن » . وانه اسهم فى تحرير ميثاق بين الوفد والدولية الثالثة [٥٤] .

[٥١] شهادة النحاس باشا فى قضية الاغتيالات السياسية نقلا عن : لطفى عثمان ــ المحاكمة الكبرى فى قضية الاغتيالات السياسية ــ دار النيل للطباعة [١٩٤٨] ص ٤٣ .

[٥٢] نشرت اخبار اليوم فيما بعد أن الذى هتف بهذا هو عبد السلام وفا افندى عامل المصعد بالقصر العينى واومأت الى انه بعد هذا الحادث اتيحت له فرصة العمل كصحفى .

[٥٣] المصرى ٢٥ ــ ١٢ ــ ١٩٣٧ .

[٥٤] اخبار اليوم ١٣ ــ ٧ ــ ١٩٤٦ .

والذى لفقت ضده عدة وثائق تتهمه بالتخابر مع **كيكتييف** مستشار السفارة السوفيتية ، ثم اتضح تزييف هذه الوثائق وضلوع بعض اقطاب حزب الاحرار الدستوريين فى ترويجها [٥٥] .

هذا الرجل الذى منح الوفد مسحة من التقدمية فى افكاره والذى دفع المؤتمرات الوفدية الى تبنى اتجاهات اصلاحية وتقدمية ، والذى اصدر فى عام ١٩٤٢ القانون ٨٥ الخاص بالنقابات العمالية ، والذى قدمت لجنة العمال والشئون الاجتماعية بمجلس النواب الذى كان الوفد يسيطر عليه بأغلبية كاسحة تقريرا حول مشروع هذا القانون جـاء فيه « لقى فريق من اصحاب العمال من صناع وتجار ـ ممن نصبوا أنفسهم للكسب والثراء ، وجعلوه قبلتهم وغايتهم من كثرة الاجراء وعظيم تزاحمهم ، فرصة للسيطرة عليهم والتحكم فيهم . فقدروا اجورهم بما شاءوا وحددوا لهم ساعات عملهم .. وكان طبيعيا بعد ذلك ان يشعر العمال بأن أصحاب العمل انما يسخرونهم فى خدمتهم ويستنزفون قوتهم لاقامة ثرواتهم والاستزادة من ارباحهم .. » [٥٦] .

هذا الرجل هو نفسه الذى عزز مواقع كبار الملاك العقاريين فى حزب الوفد .. ففى ٢ ديسمبر ١٩٣٢ ضم النحاس الى قيادة حزب الوفد اثنى عشر عضوا جديدا كان منهم ثمانية من كبار الملاك الزراعيين [٥٧] .

وهو الذى شكل وزارته فى ٤ فبراير ١٩٤٢ وهى تضم ٦٣٫٧ فى المائة من وزرائها من كبار الملاك الزراعيين ، ثم اعاد تشكيلها فى ٢٦ مايو ١٩٤٢ لتضم ٦٤٫٢ فى المائة من وزرائها من كبار الملاك الزراعيين [٥٨] .

هكذا يمكننا ان نفهم الطبيعة المعقدة والمتشابكة لمنهج **النحـــاس** ولاسلوبه الفكرى .. ولموقفه الاجتماعى .

لكننا فيما يخص اليسار لا يمكننا ان ننسى **ان النحاس** هو الذى منح يسار حزب **الوفد** متنفسا ، وهو الذى سمح بتكوين « الطليعة الوفدية » والتى تكونت كامتداد لنضال الطلاب الوفديين ولقائهم مع القوى التقدمية داخل حزب **الوفد** .. وقد اصدرت « الطليعة الوفدية » مجلة « رابطة الشباب » وانشأت « لجنة القاهرة للتأليف والنشر » التى اصدرت عددا من الكتب التقدمية ، ولعب كوادرها دورا هاما فى تحرير جريدة « الوفد المصرى » ..

وقد حدد **مصطفى موسى** اهداف مجلة « رابطة الشباب » التى كان يدير سياستها فى افتتاحية عددها الاول :

« **قارئنا العزيز** .. اليك صفحة لم تقصد من الصحافة خضابا والوانا ، ولم تقصد من الرواج كسبا واثراء » . هى صفحة الاحرار للاحرار .. احرار يكافحون الاستعباد ، استعمارا كان أم استبدادا [٥٩] .

ومع تصاعد دور « الطليعة الوفدية » فى تحرير جريدة « الوفد المصرى » تغير طابعها لتصبح بالفعل جريدة ذات اتجاه وطنى وتقدمى . وانتهى الامر بأن اصدر **اسماعيل صدقى** قرارا بتعطيلها ، فأصدر صاحب امتيازها « **حامد طلبة صقر** » جريدة جديدة بأسم « صوت الامة » حددت اهدافها فى صدر صفحتها الاولى كما يلى :

« اهدافنا : الديموقراطية السياسية ، العـــدالة الاجتماعية ، استقلال وادى النيل » .

وقد نهجت هذه الجريدة نهجا متقدما واضحا ، عندما خصصت بابا ثابتا تفضح فيه ثروات وملكيات قادة الاحزاب المعارضة تحت عنوان !!

« **باشواتنا الرأسماليين** » [٦٠]

كذلك تصدت « الطليعة الوفدية » للدفاع عن

[٥٥] الاهرام ـ ٧ ـ ٦ ـ ١٩٥١ [وقد تورط فى ترويج هذه الوثـائق المزيفة اثنان من اقطـاب الاحـــرار الدستوريين هما محمد على علوبة باشا وحسن باشا عبد الوهاب] .

[٥٦] عبد المنعم الغزالى ـ تاريخ الحركة النقابية المصرية ـ دار الثقافة الجديدة [١٩٦٨] ـ ص ٢٠٢ .

[٥٧] المقطم ٣ ـ ١٢ ـ ١٩٣٢ .

[٥٨] د. عاصم الدسوقى ـ كبار ملاك الاراضى الزراعيـــة ودورهم فى المجتمع المصرى [رسالة دكتوراه غير منشورة] ص ١٧٧ [وقد احتسب عدد كبار الملاك على اساس قوائم اسماء الخاضعين لقوانين الاصلاح الزراعى] .

[٥٩] رابطـة الشباب ٢٠ ـ ٣ ـ ١٩٤٧ .

[٦٠] من تقرير [مخطوط] لسيد البكار احد قادة الطليعة الوفدية .

حريات الشعب وفى ظلام الاحكام العرفية فى عـام ١٩٤٩ يكتب مصطفى موسى « هل يوجد مصرى يدافع عن بقاء الاحكام العرفية . ان تجد . وان وجدته فاعلم انه كائن مطعون فى آدميته ، فالذى يطلب ان تغل يداه أو يلجم فوه او يدعى فكره الحر هو كائن تنقصه خواص البشر » [٦١] .

وقد لعبت « الطليعة الوفدية » دورا بـارزا يستحق التقدير عندما جابهت محاولة **فؤاد سراج الدين** سكرتير عام الحزب ووزير داخلية الوزارة الوفدية الاخيرة لتمرير التشريعات المقيدة لحرية الصحافة وقد حشدت « الطليعة الوفدية » جهودا جبارة انتهت بأن خذلت الهيئة الوفدية « **سراج الدين** واجبرته على سحب هذه التشريعات وعدم تقديمها للبرلمان » [٦٢] .

ولسنا نتصور أن وجود تيار كهذا ، واتاحة السبل امام استمراره ونموه ، وفتح مجالات النشر امامه على مصراعيها كان يمكن أن يتم بغير رضاء زعيم الحزب ..

نحاس .. ما بعد الحرب العالمية الثانية

ومنذ بدايات الحرب العالمية الثانية ، ادرك النحاس بوعيـه السياسى متغيرات عصره .. وأدرك حقيقة الدور الذى سوف يلعبه الاتحـاد السوفيتى على مسرح الاحداث الدولية خاصة بعد انتهاء الحرب ..

ولم تكن مصادفة ان وزارة النحاس هى الوزارة التى اعترفت ولاول مرة بالاتحاد السوفيتى واقامت معه علاقات دبلوماسية ..

والحقيقة ان الوفـد قد احس بضرورة اقامة العلاقات منذ وقت مبكر ففى بداية عام ١٩٢٩ قدم احد اعضاء مجلس الشيوخ الوفديين [**عزيز ميرهم**] استجوابا للحكومة .. « عن اسباب تباطؤ وزارة الخارجية فى الاعتراف بحكومة اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية الممثلة لشعب اصبح اليوم من أقوى الشعوب وأرقاها ، وتطمع الدول الكبرى ومنها المتحالفة معنا فى خطب وده والتعاقد معه [٦٣]

واذا كانت حكومة النحاس قد تقدمت فى عام ١٩٤٣ بشروط عدة للاعتراف بالحكومة السوفيتية من بينها « تعهد الحكومة السوفيتية بعدم التدخل فى الشئون الداخلية لمصر وبالامتناع عن القيام باية دعاية فى البلاد المصرية » [٦٤] ، فان هذا الموقف ـ الذى رفضته الحكومة السوفيتية بشدة ـ كان يعبر عن المخاوف المتراكمة لدى الجهاز المصرى الحاكم ، كذلك فانه مع اصرار الحكومة السوفيتية على عدم تقديم مثل هذا التعهد تراجعت حكومة الوفد عن شروطها هذه واقامت العلاقات الدبلوماسية مع الاتحاد السوفيتى [٦٥] .

والحقيقة ان اهتمام **النحاس باشا** وحزبه بحركات التحرر الوطنى على نطاق العالم وبقضايا النضال المشترك ضد الاستعمار ، كان مبكرا بصورة ملفتة للنظر وتستحق الاعجاب بالفعل ..

وخلال حرب الحبشة هاجم **النحاس** العـدوان الايطالى هجوما شديدا اكسبه عداء « المحور » وكل القوى الموالية فى مصر .

وفى نهاية الثلاثينات قبل **النحاس** ان يتولى عدد من اليساريين المصريين القيام بترتيب لقاء بينه وبين الزعيم الهندى جواهر لال نهرو لبحث وسائل مقاومة الاستعمار البريطانى .. وكان **كريشنا مينون** واتحاد انصار السلام بمصرهما اللذان قاما باعداد الترتيبات لهذا اللقاء .

ولقد كانت صحف الوفد زاخرة بالتأييد والمساندة لثوار اندونيسيا والصين وكينيا وكل شعب يناضل من اجل حريته ..

كذلك ادرك **النحاس** وفى وقت مبكر اهمية الوحدة العربية ، وكان اول من وضع اللبنات الحقيقية لتأسيس جامعة الدول العربية بتوقيع بروتوكول الاسكندرية ، كذلك كانت مساندة النحاس والوفد للقضية الفلسطينية مساندة واعية وحاسمة وبغير حدود .

ولقد كان ادراك **النحاس** لمتغيرات العصر دقيقا وتقدميا ، بمعنى انه قد حرص على مقاومة كل

[٦١] المصرى ـ ٧ ـ ١١ ـ ١٩٤٩
[٦٢] سيد الكار ـ المرجع السابق
[٦٣] مجلس الشيوخ مضبطة جلسة ١٩٢٩/٣/٢٨
[٦٤] محفوظات رئاسة مجلس الوزراء ـ دوسيه ٦٤ ـ ٢/٦ ـ مذكرة سرية مرفوعة من وزير الخارجية لمجلس الوزراء
[٦٥] لمزيد من التفاصيل ـ راجع د. فؤاد المرسى خاطر ـ العلاقات المصرية السوفيتية [رسالة دكتوراه غير منشورة] ص ٥٤ .

مظاهر الاستعمار الجديد .. ورفض خلال حكومته التي شكلها عام ١٩٥٠ كل الضغوط الاستعمارية التي استهدفت انضمام مصر لحلف عسكري مع امريكا او بريطانيا ، وسمح لصحف حزبه بالمناداة بضرورة عقد معاهدة صداقة مع الاتحاد السوفيتي وبالهجوم على فكرة الاحلاف والقواعد العسكرية..

كذلك صمم النحاس خلال فترة الحرب الكورية على ضرورة انتهاج مصر موقف الحياد ، وكان ذلك يعني في ظروف عصره منع استخدام اراضي مصر كقواعد او معابر للقوات الاستعمارية المحاربة في كوريا ..

ولعل من حق النحاس علينا ان نقرر له هنا انه كان من اوائل الساسة المصريين الذين فكروا في اقامة كتلة لدول عدم الانحياز .. وفي خطاب له عقب عودته من رحلة لاوربا في سبتمبر ١٩٥٠ قال « ولقد قلت وكررت القول ، وخاصة في اثناء رحلتي ، قلت لممثلي الدول الصغيرة ان في وسع هذه الدول ان تؤلف كتلة « وسطى » تتبنى السلام وتدافع عنه وتعمل على اقرار كلمته وبسط سلطانه على العالم ، بشرط ان تتذرع هذه الدول بالتضامن والتعاون والشجاعة فيما بينها على تحقيق ما تهدف اليه البشرية جمعاء » [٦٦] .

وهكذا نرى ان « حياد » النحاس هو « حياد ايجابي » بمعنى انه يستهدف خير الانسانية ، ونرى ايضا انه « حياد ايجابي » بمعنى انه يستهدف تصفية الاستعمار تصفية كاملة .. فعندما يوجه مراسل « الديلي ميل » البريطانية في يونيو ١٩٥٠ سؤالا الى النحاس عن رأي الحكومة المصرية في الوحدة الافريقية يجيب النحاس قائلا انه يوافق تماما على قيام وحدة افريقية بشرط مزدوج هو « تحقيق الحرية الكاملة وكفالة الاستقلال التام لشعوب القارة الافريقية ، وهو شرط اساسي لابد من قيامه وتوافره قبل الاتجاه الى اي مسعى نحو عقد اتفاقية تشمل القارة الافريقية بأسرها » [٦٧]

ونحاس ما بعد الحرب العالمية الثانية هو نحاس النضال المتصاعد ضد الاستعمار ، الذي سمح لشباب حزبه بالاشتراك في « اللجنة الوطنية للطلبة والعمال » عام ١٩٤٦ ، والذي الغى معاهدة ١٩٣٦ في جو من الحماس البالغ ضد الاحتلال البريطاني ، ودعت حكومته عمال المعسكرات البريطانية الى الامتناع عن العمل مع المستعمرين وسمحت بالعمل الفدائي ، وتحولت مصر في ظل حكومته الاخيرة الى قلعة من العمل الثوري المحتدم ضد الاحتلال البريطاني وضد الاستعمار الجديد ومخططاته ..

وزارات مصطفى النحاس

الوزارة الاولى

من ١٦ مارس ١٩٢٨ حتى ٢٥ يونيو ١٩٢٨
[استمرت ثلاثة اشهر وتسعة ايام ـ اقيلت]

الوزارة الثانية

من اول يناير ١٩٣٠ حتى ١٩ يونيو ١٩٣٠
[استمرت خمسة اشهر وثمانية عشر يوما اقيلت]

الوزارة الثالثة

من ٩ مايو ١٩٣٦ الى ٣١ يوليو ١٩٣٧
[استمرت عاما وشهرين واثنين وعشرين يوما ـ استقالت لتعديلها باخراج احمد ماهر والنقراشي منها على أثر انقسامهما عن الوفد]

الوزارة الرابعة

من اول اغسطس ١٩٣٧ حتى ٣٠ ديسمبر ١٩٣٧
[استمرت بعد التعديل اربعة اشهر وتسعة وعشرين يوما ـ اقيلت]

الوزارة الخامسة

من ٤ فبراير ١٩٤٢ حتى ٨ اكتوبر ١٩٤٤
[استمرت عامين وثمانية اشهر واربعة ايام ـ اقيلت]

الوزارة السادسة

من ١٢ يناير ١٩٥٠ حتى ٢٧ يناير ١٩٥٢
[استمرت عامين وخمسة عشر يوما ـ أقيلت بعد حريق القاهرة] .

[٦٦] الاهرام ١٩٥٠/٩/٣٠ .
[٦٧] الاهرام ١٩٥٠/٦/٣٠

كثيرا ما يعبر المؤرخون عن حيرتهم ـ لان زعيما مثل محمد فريد أفنى حياته اعدادا لثورة ١٩١٩ ، ثم عندما قامت لم يملك ان يخفى دهشته البالغة من قيامها .. ثم يموت وهو غريب عنها عاجز عن التوائم معها ..

فهل كان موقف النحاس من ثورة يوليو ١٩٥٢ ، هو نفس موقف محمد فريد من ثورة ١٩١٩ .. اربما وربما كان من حقنا ان نؤكد ان النحاس قد فوجيء مفاجاة تامة بثورة يوليو .. وانه لا هو ولا حزبه كانا يتوقعان قيامها ..

وفى الايام الاولى للثورة اعلن حزب الوفد تأييده لها .. لكنه جاء فى موكب التأييد الشامل الذى شنته كل القوى السياسية الرسمية ، فجاء ـ لهذا السبب ـ بغير حماس خاص ..

ويمكن القول ان العلاقة بين الوفد والثورة كانت معقدة بشكل خاص .. ذلك ان الكثيرين من ضباط يوليو لم يكونوا يملكون مشاعر معادية للوفد ، بل ربما كانوا يعطفون عليه ، ذلك النوع من العطف الوجدانى الذى يشمل غالبية المصريين تجاه حزب الاغلبية . لكن مشاعرهم ايضا لم تكن تخلو من انتقادات .. وهواجس ، كذلك كان الوفد يمتلك الكثير من مؤهلات التقارب من ثورة يوليو ، لكنه كان يشعر بأن واجبها الاول والاخير هو اجراء انتخابات نيابية حرة ، وبأقصى سرعة ممكنه ، الامر الذى يعنى عودته الى الحكم . اى عودة الضباط الى ثكناتهم .

ومن هنا جاء التناقض الاول ..

أما التناقض الثانى فقد جاء مع قانون الاصلاح الزراعى،والحقيقة ان الوفدقدانقسم انقساماحقيقيا ازاء قانون الاصلاح الزراعى وتفجر ذلك التحالف الذى ظل قائما فى قمة الحزب لامد طويل بين البرجوازية وبين كبار الملاك الزراعيين .

فقد اعلن عبد السلام فهمي جمعه انه يوافق تماما على تحديد الملكية الزراعية [٦٨] ، واعلن عبد الفتاح حسن فى حديث له مع جريدة « التمبو » الايطالية بأن الوفد يفضل تحديد ملكية الاراضى الزراعية على زيادة الضرائب [٦٩] .. وثمة دلائل قوية على ان النحاس كان زعيم هذا التيار ، بينما يمكن القول ان فؤاد سراج الدين كان زعيم تيار آخر من كبار الملاك الزراعيين قاوم والى اقصى حد قانون تحديد الملكية ، بل ويمكن القول أن مقاومته هذه قد ولدت مخاوف لدى قادة الثورة من ان عودة الحياة النيابية [اى عودة الوفد] سوف تعنى التراجع عن القوانين الثورية وهكذا اسهمت معارضة اقطاعيى الوفد مع عوامل اخرى فى ترسيخ فكرة استمرار الضباط فى الحكم وتجاهل الدستور والاحزاب ثم حلها فى المستقبل . ويقول جمال عبد الناصر انه عقد اربعة اجتماعات مع فؤاد سراج الدين وان الخلاف تركز حول قانون تحديد الملكية وان سراج الدين كان يطالب بضرائب تصاعدية [٧٠] . لكن المؤكد ان الوفد قد استطاع ان يصل بعد هذا الخلاف الى موقف موحد اعلن فيه موافقته على مشروع الاصلاح الزراعى من حيث المبدأ ، ولكنه ابدى بعض ملاحظات وتعديلات على المشروع ابلغها الى الجهات المسئولة .. [٧١]

ثم لا يلبث جناح النحاس ان يخذل كبار الملاك فى الحزب حيث نجح فى ان يضمن برنامج الحزب الصادر فى ٢٣ ـ ٩ ـ ١٩٥٢ فقرة تقول « يرى الوفد ان مشروع تحديد الملكية والاصلاح الزراعى يتفق معما يهدف اليه من اشاعة العدالة الاجتماعية والتقريب بين الطبقات ، وتشجيع استثمار رؤوس الاموال فى الصناعات والاتجاه نحو تصنيع البلاد » [٧٢] .

ومن هنا فاننا ـ لا نفهم ـ كيف اكد عبد الناصر فى احد خطبه بعد تسع سنوات ان الوفديين « رفضوا تحديد الملكية الذى طلبناه ، ورفضوا انهم يحكموا ، ورفضوا ان يعودوا الى الحكم على اساس تحديد الملكية » [٧٣] .

وعلى اية حال فان العلاقات ما لبثت ان تدهورت بين النحاس والثورة فقد صمم النحاس على ان المخرج لكل المشكلات هو عودة الضباط الى ثكناتهم

[٦٨] المصرى ١٩٥٢/٩/٦
[٦٩] المصرى ١٩٥٢/٨/١٤
[٧٠] خطاب جمال عبد الناصر فى الاجتماع الاول للجنة التحضيرية للمؤتمر الوطنى ـ ١٩٦١/١١/٢٥
[٧١] المصرى ١٩٥٢/٩/٦
[٧٢] المصرى ١٩٥٢/٩/٢٣
[٧٣] خطاب جمال عبد الناصر فى الاجتماع الاول للجنة التحضيرية للمؤتمر الوطنى ـ المرجع السابق .

واعمال دستور ١٩٢٣ واجراء انتخابات نيابية ..
لكن الثورة كانت تقول باقامة حياة نيابية « سليمة »
وكان الخلاف حول كلمة « سليمة » هذه ، لانها أدت
الى حملة من التشهير بأساليب الحكم السابقة
والتشهير بالحياة الحزبية وكانفى ذلككله ما يمس
النحاس بشكل مباشر ويمس حزبه ككل ..

ثم بدأت المصادمات العنيفة من محاولة تقسيم حزب الوفد بالايحاء بأن الاعتراض منصب على شخص رئيسه ، الى التشهير بالنحاس وزوجته وتصرفاتها المالية ، الى تقديمها لمحكمة الثورة، وفي عام ١٩٥٤ تقرر تحديد اقامته هو وزوجته ، تم توج ذلك كله بتقديم اقرب المقربين الى **النحاس** وهو **ابراهيم فرج** الى محكمة الثورة .. وكانت تهمة **ابراهيم فرج** هى « الخيانة العظمى » .. وكانت المحاكمة سرية تماما بحيث لم تعلن حتى عريضة الاتهام ولا نوع التهمة ، ولم ينشر منها سوى كلمة الدفاع وكان **د .محمدصلاح الدين**. ومن مرافعه الدفاع لا نجد أثرا لشبهة الاتصال بدولة اجنبيه وحتى لم يرد اسم أى دولة .. لكننا نلاحظ ان الدفاع قد ركز كثيرا على علاقة **ابراهيم فرج بالنحاس** وقال ان **النحاس** كان ولى امره وهو طالب ثم وظفه فى مكتبه عندما تخرج محاميا وان العلاقة بينهما علاقة الابن بالوالد ، ثم يسأل الدفاع هيئة المحكمة « هل يخاف احد من **النحاس** وهو فى هذا السن ، مثل هذا المريض المتقدم فى السن يخاف منه على الثورة ؟ ابدا » [٧٤] ، ويبدو الامر وكأن احد التهم المنسوبة الى **ابراهيم فرج** هى انه كان على علاقة ـ ما ـ **بالنحاس** .

ثم يمضى الدفاع ليصل الى تهمة اخرى وهى اتصال **ابراهيم فرج** بالشيوعيين **وبيوسف حلمى** على وجه التحديد [٧٥] .

ويصدر الحكم على **ابراهيم فرج** بالاشغال الشاقة المؤبدة ، ثم يخفف الى خمسة عشر عاما ..

ويشعر الجميع ان المحاكمة والحكم .. موجهان الى شخص آخر حالت ظروف سنه المتقدم ، وحالته الصحية ، وزعامته الشعبية الطاغية دون أن يوضع فى قفص الاتهام .. شخص آخر هو **مصطفى النحاس** الذى كان المعنى بهذه المحاكمة ..

وتمضى الايام .. ويتصور البعض ان النحاس قد طواه النسيان ، وفجأة يعود النحاس ليثبت بموته انه لم يزل حيا فى قلوب الكثيرين ..

وعندما مات فى ٢٣ اغسطس ١٩٦٥ تحولت جنازته الى مظاهرة صاخبة ، ضمت قرابة المائة الف متظاهر .

واثبت النحاس انه لم يمت ، واثبت شعب مصر انه ـ وبرغم كل شىء ـ يمتلك قدرا هائلا من الوفاء والعرفان بالجميل ..

[٧٤] محاكمات الثورة ـ المضبطة الرسمية لمحاضر جلسات محكمة الثورة ـ اعداد كمال كيرة ـ الكتاب الثانى ـ وزارة الارشاد القومى ـ ص ٢١٥.
[٧٥] المرجع السابق ص ٢١٩.

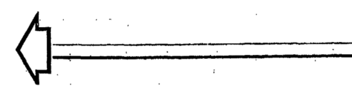
القـــــراءة الثـــــامنـــــة

فى

اخبار اليوم

نركز فى هذه القراءة الثامنة على ماكتبه الاستاذ مصطفى أمين فى اخبار اليوم عام ١٩٦٠ عن السد العالى . وقد تعرض السد العالى الى هجوم شديد بعد وفاة عبـــد الناصر من قبل صحافة دار اخبار اليوم ـــ وذلك ضمن الحملة المضادة الموجهة ضد كل المنجزات والتحولات الايجابية التى تحققت خـــلال عشرين عاما من عمر ثورة ٢٣ يوليو .

ان السد العالى بتعبير الاستاذ مصطفى أمين فى مقـــالاته التى قرأناها فى عام ١٩٦٠ ، كان : « هو الانطـــلاق الكبير الى عصر الصناعة والكهرباء » ، فهل تغير الوضع اليوم، واصبح السدالعالى لا يمثل الانطلاق الكبير الى عصر الصناعة والكهرباء ؟



السد العالي

كما رآه عام ١٩٦٠
مصطفى أمين

[١] السد العظيم

اليوم يضغط جمال عبد الناصر على زر فتنفجر اهرام فى تاريخنا . نصنع مجدا خالدا لبلادنا . نخلق جيلا جديدا فى امتنا . نحول نارها الى نور ، ورمالها الى ذهب ، وصحراءها الجرداء الى حضارة وصناعة وتعمير .

اليوم يضغط جمال عبد الناصر على زر فتنفجر آلاف الاطنان من الصخور ، ويكون هذا الدوى الهائل هو الاجراس التى تدق معلنة مولد الفجر الجديد . هو مدفع الافطار لشعب صام آلاف السنين ، وعاش فى حرمان وذل وفى فقر وبؤس ، وفى استغلال واستعباد . هو صوت النفير يبشر ببعث امة ويقظة شعب . هو الاذان يدعو الملايين الى صلاة جديدة . هو ختام قصة وبداية قصة . هو نهاية عصر وبداية عصر . هو مغرب الحرمان ومشرق الرخاء ، هو الانطلاق الكبير الى عصر الصناعة والكهرباء .

هذا السد لم نصنعه من الصخور ، وانما نصنعه بدمنا واعصابنا وعرقنا . بارواحنا وبايماننا . نصنعه بقلوبنا . بالتضحيات التى بذلناها . بالضحايا التى قدمناها . بجهادنا وكفاحنا . بالمعارك التى خضناها . بالمواقف التى وقفناها بصمودناوثباتنا ، والقنابل التى تنهال فوق رؤوسنا .. بقوة احتمالنا للحصار السياسى والحصار الاقتصادى .. باعتمادنا على انفسنا . بمحافظتنا على استقلالنا وحيادنا .

ان عبد الناصر عندما يفجر الديناميت اليوم ، يشق فى الصخر طريق المستقبل لنا . انه يفتح فى الجرانيت الطاقة التى سيدخل منها ضوء العصر الجديد ، انه يعلن معجزة شعب مشى فى سنين قليلة الطريق الطويل بين العبودية والحرية ، وصعد من هاوية الاحتلال الى قمة الاستقلال . واثبت أن الحرية ليست ان احطم القفص الذى اعيش فيه ، بل ان تعمل الايدى التى كسرت القيود لبناء مستقبل جديد لهذا الجيل والاجيال المقبلة .

اننا فى الماضى كنا نغمض اعيننا لنحلم ، ولكننا اليوم نفتح عيوننا لنرى احلامنا تتحول الى حقائق . كنا نعيش على امجاد الماضى . واليوم نصنع امجادا للمستقبل ، كنا نهتف للرخاء والان نصنعه . كنا نعيش فى يومنا ، واليوم نعيش فى غدنا .

اننا فى الماضى كنا نغمض اعيننا لنحلم ، ولكننا اليوم نفتح عيوننا لنرى احلامنا تتحول الى حقائق . كنا نعيش على امجاد الماضى . واليوم نصنع امجادا للمستقبل ، كنا نهتف للرخاء والان نصنعه . كنا نعيش فى يومنا ، واليوم نعيش فى غدنا .

فباسم الله نبدأ العصر الجديد ، اعلامنا هى مداخن مصانعنا ! وهتافاتنا هى دوى الآتنا . واحلامنا هى مشروعات نحققها . واهدافنا هى أن نرفع مستوى كل فرد فى بلادنا .

باسم الله نحمل معولنا ، لا نهدم به الا لنبنى . ولا نحطم الا لنشيد ، ولا نحفر الا لنرفع البناء عاليا !

باسم الله نفجر الصخر ، ونقيم سدا عاليا يحمينا من الجوع والحرمان ، ويقينا من الظلم والظلام .

باسم الله نملأ بلادنا بالمصانع ، والكهرباء ، وبالارض الطيبة ، ونمهد حياة جديدة رغيدة للملايين .

باسم الله نمشى الى المستقبل رافعين رؤوسنا ، فخورين بان هذا الجيل لم يأت بالحرية فقط ، وانما يجيء مع الحرية بالرخاء الذى حرم منه هذا الشعب العظيم !

مصطفى أمين

[اخبار اليوم (العدد ٧٩٢) ٩ — ١ — ١٩٦٠]

[٢] فى الصميم

فى خلال سنوات قليلة سوف تصبح اسوان اكبر مدن الاقليم المصرى .. بعد القاهرة !

البحيرة الهائلة التى ستقام هناك ستغير وجه الطبيعة ! سوف تصبح بحرا صغيرا تربى فيه الاسماك وتقوم على شواطئه البيوت والفنادق والحدائق ! وسوف تكون شواطىء هذه البحيرة اجمل مشتى فى العالم !

السكة الحديدية المهملة بين القاهرة واسوان سوف تضطر الى الإرتقاء ! لن يكون خط القاهرة ـ اسكندرية وحده هو الخط المدلل الممتاز ، ولن تستفيد اسوان وحدها من انتظام مواعيد المواصلات وارتقاء العربات ، واختصار عدد الساعات .. فقطار الرخاء سوف يمر على جميع المحطات !

الكهرباء الرخيصة والخامات البكر هنالك سوف تجذب المصانع .. وسوف تجعل اسوان وما حولها هى الحل المختار لاقامة المعاهد الصناعية والكليات العملية ومدارس التدريب المهنى !

وجود عدد كبير من الخبراء والفنيين العرب والاجانب ، سوف يغرى الناس ببناء العمارات والمساكن ، منتهزين فرصة رخص أراضى البناء وتوافرها .

ان اسوان والصعيد الاقصى على ابواب ثورة هائلة ! بسبب اقامة السد العالى ! وواجبنا هو ان نسبق هذه الثورة ونساعدها ونسهل مهمتها !

ان كل الجهات المسئولة عن السياحة والاسكان والتعليم والمواصلات يجب ان تتعاون فى مجهود ثورى يوازى ضخامة السد الذى بدأ العمل فيه اليوم .

ان اسوان تحتاج الى هيئة دائمة نشيطة كالهيئة التى باشرت مهمة تعمير بورسعيد بعد العدوان !

« ابن البلد »

[اخبار اليوم (العدد ٧٩٢) ٩ — ١ — ١٩٦٠]

[٣] الســــد العـــالى

الدنيا كلها تتحدث عن السد العــالى ، كأن شعبا خرج فجأة من قبور النسيان والاهمــال والضعف والاستكانة ليحتل مكانه تحت الشمس. كأن معجزة لم تخطر ببال احد قد تحققت . كان الذين اطلقوا الاشاعات عن انهيارنا وافلاســنا صدقوا اكاذيبهم ، ثم فوجئوا بالحقيقة الهائلة ففتحوا افواههم فى دهشة وذهول !

ان الذى يقرأ صحف العالم اليوم لا يستطيع الا ان يفرك عينيه فى دهشة وعجب ! لايصدق ان هذه الصحف التى قالت يوما اننا انتهينـــا خرجت تشهد ان **جمال عبد الناصر** حقق نصرا لن يخطر ببال احد . وان الصحف التى توهمت يوما اننا انحزنا ، واننا بعنا حريتنا لنشترى المساعدات عادت ، تعترف اليــوم بان جمــال عبد الناصر هو المحايد الحقيقى فى العالم اليوم، وانه اثبــت ان سياسة الحيــاد الحقيقى هى السياسة النافعة لبلاده ، وان الذين تخوفوا من أن ينزلق الى هذا المعسكر او ذاك المعسكر لم يكونوا يعرفون القوة العجيبة التى يختزنها هذا الشعب العجيب، وزعيمه الشاب المؤمن بالحرية والاستقلال .

اننى قرأت فى صحيفة امريكية مقالا يتحدث عن هذه الاعجوبة وهــذا النصر ، ويقر بهــذا الفوز الاخير ، وينتهى المقــال بجملة اننــا نأخذ « **تعظيم سلام** » لجمال عبد الناصر !

قرأت المقال وارتعشت الجريدة فى يدى ! اننى اذكر عقب العــدوان اننى طــرت الى امــريكا واجتمعت بصاحب ورئيس تحرير هذه الجريدة نفسها ، قال لى يومها ان المعلومات التى لديه ان مصر لن تتحمل الضغط السياسى والاقتصادى. ان الانهيار مؤكد ، ان الافلاس قريب !

وقلت يومها ان الذين استطاعوا الانتصــار على العدوان قادرون ان ينتصروا على الضغط ! والذين قاوموا الجيــوش بقنابلها ومدافعهــا قادرون ان ينتصروا فى حرب الجوع .

وهز راسه غير مصدق .

وقال ان اى شعب لن يحتمل هذا !

قلت له : اننا لسنا كأى شعب !

ومضى اقل من اربع سنوات ! وجاءت الجريدة نفسها تعترف بكل هذا وتعترف بهــذا النصر العظيم !

انهم حاربونا لانهم لم يفهمونا . لم يتصوروا قوة هــذا الشــعب وتصميمه على النصر ! لم يصدقوا ان العرب المتحدين غير العرب الممزقين. لم يخطر ببالهم ان هذا الشعب قادر فى عهده الجديد ان يصنع المعجزات . ان يحول السد الى مجد . ان يحفر باظافره طريقه فى الصخور . لم يعرفوا اننا بعثنا من جديد ، واننا خرجنــا من الاقفاص ولن نعود اليها ، واننا نعرف طريقنا ، ونعرف ان ايماننا بوطننا وبشعبنا يجعلنا نصنع المعجزات !

ولن يكون هذا آخر نصر لنا !

انه واحد من انتصاراتنــا وستجىء بعد ذلك انتصارات عديدة . انتصــارات لا يحلم بها حتى الذين فتحوا افواههم دهشة وهم يسمعون انفجار الديناميت معلنا مولد الفجر الجديد !

ان سنة ١٩٦٠ يجب ان نسميها سنة السد العالى ! وستكون سنة الانتصارات .

مصطفى امين

[اخبار اليوم (العدد ٧٩٣) ١٦ ــ ١ ــ ١٩٦٠]

[٤] فى الصـــــميم

عصر السد العالى هـو عصر الكهرباء ، انه سيحول الاكواخ الى بيوت ، والظلام الى نور ، والحياة الراكدة فى الريف الى حركة ومصانع واعمال .

فيجب ان نستعد من اليوم للعصر الجديد . يجب ان تعد كل ام ابنها او بنتها للحياة الجديدة التى سوف تشهدها الجمهورية العربية فى هذه الدنيا التى سوف ندخلها لاول مرة ، بعد ان تخلفنا عنها عشرات السنين . فدخول الكهرباء الى مكان معناه دخول الحياة الجديدة ، فلا جمود ولا تأخر ولا تخلف ولا مكان فى هذه الدنيا الجديدة لتنابلة السلطان .

اننا فى حاجة الى مهندسين وعمال فنيين . وسوف تصبح اجور العمال فى المستقبل اضعاف مرتبات الموظفين ، سوف تجد الاسرة المحترمة شرفا كبيرا ان تناسب « اسطى » فى مصنع كانها تناسب مدير مصلحة او مدير ادارة . فدخول الكهرباء ينهى عقلية ويبدأ عقلية .

فيجب ان نستعد من الان لعقلية السد العالى .

« ابن البلد »

[اخبار اليوم (العدد ٧٩٣) ١٦ — ١ — ١٩٦٠]

[٥] هـــذا هـــو الاســـتقلال

دهش العالم للسرعة الفائقة التى تمت بهـا موافقتنا على العرض السوفيتى لبنـاء المرحلة الثانية للسد العالى . كان الذين لا يعرفوننـا جيدا يتوهمون اننا سنتردد ، كانوا يتصـورون اننا سنحمل العرض السوفييتى وندور به على دول الغرب نقول لهم : ان السوفييت يعرضون علينا كذا نقبل او نرفض ؟

اننا لم نفعل هذا ولن نفعله . اننا درسـنا العرض السوفييتى فوجدناه فى مصلحة بلادنا وقبلناه . قبلناه بغير ان نستشير احدا ، وبغير ان نفكر الا فى مصلحة بلادنا وحدها . ذلك لاننا اسياد فى بلادنا .. احرار فى دولتنا . لسـنا تابعين لمعسكر .. ولا نضع انفسنا فى جيب دولة كبرى . وهذا سر قوتنا ، لنا حرية الحركة ، لاننا لم نربط انفسنا بالسلاسل ، ولم نقيـد بلادنا بالاصفاد . ومن اجل هذا حاربنا العبـودية ، وحاربنا التبعية ، وحاربنا مناطق النفوذ ! ولو كنا فى منطقة نفوذ الاتحاد السوفيتى لما استطعنا ان نحصل على قرض البنك الدولى ، ولو كنا فى منطقة نفوذ امريكا لما حصلنا على السد العالى .

وانما نحن نحصل على كل هذا لاننا اقوياء ، ولاننا احرار ، ولاننا نرفض ان نبيع حريتنا لاحد ، اننا على استعداد دائما لان نمد ايدينا لمن يمد لنـا يده . من يهاجمنا نهاجمه ، ومن يحاربنا نحاربه . ومن يقول لنا كلمة حلوة نقول له كلمتين حلوتين ! ونحن فى اندفاعنا الى الامام لا نساوم على بلدنا ، لان البلد الذى يساوم على حريته كما قال جمال عبد الناصر يوقع ميثاق عبوديته .

والنصر الذى نحققـه كل يوم هـو نتيجـة لاستقلالنا ، ولتصميمنا على المحافظة على هـذا الاستقلال ، ولاصرارنا على عدم الانحياز ، ولايماننا بسياسة الحياد ، وهو درس للدول التى باعت شرفها فلم تقبض الا الذل والهوان ، وفرطت فى استقلالها فلم تنل الا الخسران ، ورضيت ان تقبل القيود المنظورة وغير المنظورة فعاشت منكسـة الرؤوس .

مصطفى امين

[اخبار اليوم (العدد ٧٩٤) ٢٢ — ١ — ١٩٦٠]



هذا هو ما كتبه الاستاذ مصطفى أمين فى اخبار اليوم فى يناير ١٩٦٠ احتفاء بالسد العالى — باعتبـاره بداية لمصر عظيم من البناء .

فالسد العالى بتعبير مصطفى أمين ، يحـول : «نار البــلاد — الى نـور ، وصدراءها الجرداء الى حضارة وصناعة وتعمير . وهو : « مغرب الحــرمان ومشرق الرخاء ، هو الانطلاق الكبير الى عصر الصناعة والكهرباء » .

و « «عبدالناصر» عندما فجر الديناميت شق فى الصخر طريق المستقبل .

و « جمال عبدالناصر هو المحابد الحقيقى فى العالم اليوم ! » .

والقرض والعون السوفييتى لا يمثل أى عدوان على استقلال مصر — كمـا يقول مصطفى أمين : «اننا درسنا العرض السوفييتى فوجدناه فى مصلحـة بلادنا وقبلناه ، قبلناه بغير ان نستشير احد ،وبغير آن نفكر الافى مصلحة بلادنا وحدها»

وفى الاعداد ٧٩٢ ، ٧٩٣ ، ٧٩٤ —من اخبار اليوم لم يقتصر الاحتفاء بالسد العظيم ،و«بالانتصار المذهل » الذى حققه جمال عبد الناصر على الاستاذ مصطفى أمين ،بل جندت الصحيفة ابوابها الرئيسية للمشاركة فى هذا الاحتفاء .

فتحت عنوان انوار كشافة فى العدد ٧٩٢ — يقول الكاتب : « فالدعايات التى دأبت على محاولة تصوير ثورتنا على انها مجرد ثورة مشاغبة تتحدى الاوضـاع السياسية القديمة والقوى الاستعماريه المختلفة ، هذه الدعايات سوف تخـرس اليوم وهى ترى هذه الثورة تحمــل على كتفيها ملايين الاطنان من الصخور لكى تقيم بها اكبر سد فى العالم ! » وفى نفس العدد يقول محرر اخبار النقابات : « ان السد العالى انطلاقة بشرية يسجلها القرن العشرين » .

وفى العدد ٧٩٣ — يقول كاتب «انوار كشافة » : « ربنا كريم » هذه هى الـكلمة التى كنت تسمعها من المسئولين وهم يرون الصدى الهائل الذى حدث فى العالم لمولد السد العالى . ان الدنيا كلها اعترفت بان هذا الحدث هو انتصار مذهل لسياسة جمــال عبــد الناصر . والذين حضروا احتفالات اسوان رأوا السفراء الاجانب وهم يعترفون بأثر هذا الحدث التاريخى فى افريقيا وآسيا . وكيف انهم اجمعوا على انه لم يحدث فى التاريخ ان استطاعت دولة صغيرة ان تحقق مثل هذا النصر الكبير فى مثل هذا الوقت القصير » .

بعد ذلك — انجز بناء السد العالى ،وبدا يؤتى بعض ثماره ،ومات عبدالناصر، وبقى السد العالى . ولكن نرى اليوم من احتفـوا به عـام ١٩٦٠ يحــاولون النيل منه ، والانتقاص من اهميته . وكل الهجمات المضـادة لمنجـزات ثورة ٢٣ يوليو ، وللسد العالى باعتباره من اهم واضخم هذه المنجزات لم تتمكن ولن تتمكن من ان تلغى الحقائق التالية :

الحقيقة الاولى : ان السـد العـالى ما زال — وسيظل — قائما يؤتى ثمـاره وخيراته . والثانية ان الفـلاح المصرى والاقتصـاد المصرى كله ، لم يتعـرض لنكبات العطش والجفاف والقحط التى تعرضت لها بعض بلاد افريقيـة فـى السنوات الثلاث الماضيـة . وكان ذلك بسبب السد العالى . والثالثة : ان الهجوم على هذا العمل العظيم لم يهدم حجرا واحدا من احجاره وليس فى امكانه ان يفعل ذلك .

« الطليعـــة »



■ **الصراع العربى الاسرائيلى !!**

هل تنجح محادثات فصل القوات فى سيناء ؟

دخلت المحادثات الخاصة بعقد اتفاق مرحلى جديد للفصل بين القوات فى سيناء مرحلة حاسمة فى الاسابيع الاخيرة . وذلك وسط جو من التفاؤل الحذر الذى يسيطر على المراقبين خشية حدوث مفاجآت فى آخر لحظة تنسف كل ما تم احرازه من تقدم ، وذلك على نحو ما حدث فى شهر مارس الماضى .

ويلاحظ المراقبون ، أن المصادر الدبلوماسية المصرية لا تخفى أن هناك فى الواقع بعض الخلافات حول الاتفاق المنتظر ، وهى على — حد قولها — « خلافات اجرائية » وتتعلق بموعد البدء فى تنفيذ الاتفاق وكيفية التوقيع عليه [الاهرام ١٩٧٥/٨/١٩]

وكان الرئيس **أنور السادات** قد أوضح موقف مصر من موضوع الاتفاق الجديد للفصل بين القوات فى سيناء ، وذلك فى حديثه الى مجلة الحوادث اللبنانية .

فقد ذكر الرئيس أنه عندما يقرأ البعض فى العالم العربى ، أن هناك مقترحات تروح وتجىء يظن أن هناك عملية تتم فى الخفاء . والحقيقة أن مطالبنا التى حددناها منذ البداية لاتزال هى نفسها « الممرات والبترول » .. وأنه لم يعد متاحا غير البحث عن الممكن ، بعد أن منعتنا الدول الكبرى من تنفيذ شروطنا بعد حرب اكتوبر ووقفت فى وجهنا ولم تترك لنا الخيار .. وان الانسحاب الجزئى مهما كان حجمه فهو تقدم نحو السلام وان مكمن الخطورة هو فى موقف التقدم .. ولذلك فان الانسحاب يساوى فى تقديرنا الكثير ويساوى كل جهد وكل الصبر الذى نبذله

وقال الرئيس : ان جميع الاوراق بيد الامريكيين ، رغم مخالفة بعض الاخوان العرب لهذا الرأى .. وان عليه ، رغم ادراكه لمدى التزام أمريكا وتعهداتها تجاه اسرائيل — وخاصة منذ عهد الرئيس السابق جونسون — التعامل مع أمريكا كما هى سواء عن طريق نيكسون او فورد أو كيسنجر بصرف النظر عن الصداقات والعداوات والعواطف والانفعالات .. ولكن هذا لا يعنى أننى أثق بأمريكا ثقة عمياء . وأعلن **الرئيس** أن الامريكان لم يجيبوا حتى الان على سؤالى عما اذا كانت أمريكا تدافع عن اسرائيل داخل حدودها التى كانت عام ١٩٦٧ أم فى الاراضى المغتصبة .

أما بالنسبة لموقف اسرائيل من موضوع الاتفاق المرحلى الجديد ، فقد أوضحه اسحق رابين رئيس وزراء اسرائيل بقوله ان هناك « بوادر اتفاق » فى عدد من الموضوعات ولكن هناك موضوعات هامة اخرى ما زالت موضع خلاف فى الرأى ، وان الذى تم حتى الان هو التقدم فى بنود هامة غير أن هناك بنودا ذات اهمية كبيرة لم يتم الاتفاق عليها بعد . ولم يذكر رابين شيئا حول طبيعة هذه البنود محل الخلاف .

الا أن البيان الذى أصدره مجلس الوزراء الاسرائيلى فى ١٧ اغسطس الماضى ، قد أوضح أن الصعوبات التى اثيرت فى وجه الاتفاق كانت حول نقاط هامة فى الاتفاق وهى :

اولا — المدى الذى ستتقدم اليه القوات المصرية داخل سيناء بعد الانسحاب .

ثانيا — مسئولية ادارة وتوجيه محطات الانذار المبكر خصوصا محطة « أم خشيب » الموجود فى ممر الجدى .

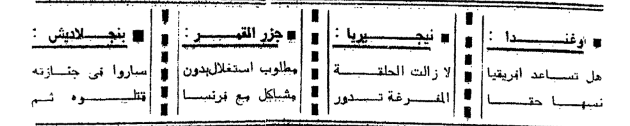
ثالثا — المكان المقترح للخط الدفاعى الجديد لاسرائيل بعد انسحابها .

وكانت وكالات الانباء قد ذكرت نقلا من المصادر الامريكية والاسرائيلية أن المشاكل الباقية فى الاتفاق تتعلق ببعض الخلافات المحدودة حول الخط الذى ستنسحب اليه القوات الاسرائيلية لا تتعدى مئات الياردات ، والخط الذى ستتمركز عنده القوات المصرية فى تقدمها الى الشرق ، ومحطات الانذار المبكر للطرفين والتى سيقوم بتشغيلها فنيون أمريكيون .

وكان هنرى كيسنجر وزير الخارجية الامريكى قد أوضح قبل حضوره الى المنطقة فى ٢٠ أغسطس الماضى واستئنافه دبلوماسية المكوك ، أن مهمته هى العمل على حل بعض المسائل ، وهى تشمل تفاصيل للتوزيع الفعلى للقوات فى مناطق الممرات .. وأن الاتفاقية الجديدة لن تكون الا خطوة على طريق السلام ، وانه لا يوجد بعد نص خاص بالاتفاقية بل مجرد اتفاقيات مبدئية . كما أوضح كيسنجر أن التفاصيل التى ينبغى تسويتها هى تفاصيل « بالغة التعقيد » . كما أعرب عن تفاؤله بأن فرص النجاح متوفرة فى هذا الاتفاق .

ومما سبق ، يتبين أنه ما تزال هناك صعوبات تواجه المفاوضات الحالية ، وذلك باعتراف كافة الاطراف . كما يتبين فى نفس الوقت تجنب كافة الاطراف ذكر أية تفاصيل بصفة رسمية عن هذه الصعوبات ، الامر الذى يجعل التكهن بنتائج المفاوضات الحالية أمرا عسيرا ، فى رأى كثير من المراقبين .

هذا ويثير موضوع الاتفاق الجديد للفصل بين القوات فى سيناء ردود فعل متعددة عربيا ودوليا . كما يثير المخاوف لدى قوى المواجهة العربية الاخرى .



ويزيد من هذه المخاوف التصريحات الرسمية المتكررة من جانب المسئولين فى الحكومة الاسرائيلية ، والتى تؤكد عدم استعداد اسرائيل التخلى عن منطقة الجولان أوغيرها من الاراضى المحتلة ، ورفض قيام دولة فلسطين ، أو الاعتراف والتفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية باعتبارها الممثل الوحيد للشعب الفلسطينى . هذا فى نفس الوقت الذى تواصل فيه اسرائيل تشييد المستعمرات فى الجولان وبقية الاراضى العربية المحتلة ، وتدعيم قواها بالحصول على كميات ضخمة من الاسلحة والمساعدات الامريكية التى تمكنها من تثبيت أقدامها فى الاراضى العربية المحتلة .

والمعروف ، أن القاهرة كانت قد أعلنت من قبل أن الاتفاق الجديد لا يخرج عن كونه مجرد اتفاق عسكرى بحت ولن يترتب عليه اية تعهدات سياسية ، وهو جزء لا يتجزأ من التسوية الشاملة ، وخطوة نحو التسوية الكلية وانسحاب اسرائيل من جميع الاراضى العربية المحتلة . كما أعلنت القاهرة أنها حريصة على تحقيق خطوة مماثلة على الجبهة السورية فور الانتهاء من التوصل الى الاتفاق الجديد مع اسرائيل ، وأن هذا الاتفاق الجديد لن يترتب عليه المساس بقضية وحقوق الشعب الفلسطينى .



■ **فلسطين :**

تحرك على عدة مستويات

اتسمت الاسابيع الاخيرة بنشاط متزايد للثورة الفلسطينية سواء على الصعيد العسكرى أو السياسى ، وتكشف الهجمات الفدائية الجريئة عن الاتجاه الحالى لتصعيد المقاومة ضد العدو الاسرائيلى ، وبخاصة داخل الاراضى المحتلة .

ومن بين العمليات الفدائية الناجحة التى قامت بها وحدات المقاومة أخيرا تدمير مبنى ماكينات تجميع الاقمشة فى المنطقة الصناعية فى مستعمرة بتاح تكفا ، وتدمير مخزن الحبوب الرئيسى فى كيبوتز تبنيت ، وتدمير أحد مناجم النحاس فى ايلات ، وخط انابيب البترول الرئيسى بين تل أبيب وحيفا ، ونسف محطة الاتوبيس المركزية فى مدينة القدس فى شهر يوليو الماضى .

وكذلك نسف أتوبيسين تابعين لشركة ايجد جنوب البحر الميت خلال يومى ١٠ ، ١١ أغسطس الماضى مما أدى الى مقتل معظم ركابهما ، ونسف احدى البنايات التى يقيم فيها المستوطنون الجدد بالقرب من تل أبيب فى ١٢ أغسطس الماضى .. وذلك باستثناء الهجمات اليومية المستمرة على مواقع ودوريات العدو والاشتباك معها فى معارك متفرقة .

وتحاول السلطات الاسرائيلية – كما هى العادة ، التقليل من شأن هذه الهجمات الفدائية ، بزعم أن هذه الحوادث لم تسفر عن وقوع ضحايا ، وأن الخسائر المادية طفيفة .

هذا ويقوم الشعب الفلسطينى داخل الاراضى المحتلة – فى الوقت نفسه – بتصعيد النضال ، والقيام بالمظاهرات الجماهيرية ، وذلك ضد الاعتقالات الجماعية التى تقوم بها سلطات الاحتلال الاسرائيلية للمواطنين العرب ولمواجهة مخططات اسرائيل الرامية الى تقسيم الحرم الابراهيمى .

وعلى الصعيد السياسى ، فقد لاقت قضية فلسطين وقضية الاحتلال الاسرائيلى للاراضى العربية اهتماما كبيرا فى أعمال المؤتمر الافريقى الذى عقد فى كمبالا عاصمة أوغندا فى نهاية شهر يوليو الماضى . فقد أصدر المؤتمر قرارا خاصا بشأن القضية الفلسطينية . ينص على اعادة التأييد الكامل والفعال للشعب الفلسطينى فى نضاله المشروع لاسترداد حقوقه الوطنية فى فلسطين ، ومن ضمنها حقه فى العودة الى وطنه وممتلكاته وفى تقرير مصيره بنفسه وعلى أرضه .

كما نص القرار أيضا على التنسيق الكامل بين لجنة التحرير التابعة لمنظمة الوحدة الافريقية ، ومنظمة التحرير الفلسطينية لوضع استراتيجية لتحرير فلسطين باعتبار مشكلة فلسطين قضية أفريقية .

ومن ناحية أخرى يعتبر المراقبون محادثات ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية مع الرئيس المكسيكى اتشيفريا فى القاهرة فى أوائل شهر أغسطس الماضى ، كسبا سياسيا هاما ، وهى على حد قول الرئيس المكسيكى ، قد أكدت اقتناعه وتفهمه للمشاكل الكثيرة الموجودة فى الشرق الاوسط وبخاصة كفاح الشعب الفلسطينى الذى يقوده ياسر عرفات .

وقد أعلن الرئيس المكسيكى ، فى المؤتمر الصحفى المشترك مع ياسر عرفات ، اعتراف المكسيك بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلا شرعيا وحيدا للشعب الفلسطينى .

وقال الرئيس المكسيكي : اننا في هذا المؤتمر نتضامن تضامنا كاملا مع الكفاح الفلسطيني ، وان الكفاح الفلسطيني مرتبط بالتطلعات التحررية للشعب المكسيكي .

ويكتسب هذا الموقف المكسيكي فضلا من الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية ،اهمية اخرى في رأي المراقبين، ولو ان هذا الاعتراف ربما ادى الى فتح الباب امام مزيد من الاعترافات بمنظمة التحرير الفلسطينية من جانب دول أمريكا اللاتينية التي تعتبر مجالا للنفوذ الامريكي والاسرائيلي حتى الان .

هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى فقد شهدت الفترة الاخيرة تجدد الخلاف بين منظمة التحرير الفلسطينية والاردن، وذلك بسبب التصريحات التي أعلنها الملك حسين وزيد الرفاعي رئيس وزراء الاردن في لقائهما بمجموعة من الصحفيين الامريكيين ، ونقلته الصحف ووكالات الانباء ، وذلك في الثامن من شهر اغسطس الماضي .

لقد اعلن الملك حسين : انه لن يسمح للفدائيين الفلسطينيين ابدا بدخول الاردن مرة اخرى ، وان قراره هذا نهائي.. كذلك نفى الملك حسين ما يتردد في العالم العربي عن موافقة الاردن على بناء عدد من القواعد للفدائيين في الضفة الشرقية لنهر الاردن . وان سوريا تلح على الاردن للسماح للفدائيين بالعودة الى الاردن .

واكد زيد الرفاعي رئيس وزراء الاردن على حديث الملك بقوله : ان سوريا ومصر تعرفان ذلك ، وهذا الموضوع غير مطروح للمفاوضة ، واننا مستعدون لمساعدة الفدائيين بكل الطرق ، ولكننا لن نسمح ابدا بتكرار سنة ١٩٧٠ ، وانه من السخف الاعتقاد بأن الفدائيين يستطيعون تحرير الاراضي المحتلة باطلاق بضعة صواريخ عبر نهر الاردن.

وقد أثارت هذه التصريحات ردود فعل شديد في أوساط الرأي العام العربي . فقد أعلن ياسر عبد ربه ، رئيس دائرة الاعلام بمنظمة التحرير الفلسطينية ، في ٩اغسطس الماضي : إن هذه التصريحات تلقى مزيدا من الضوء على موقف النظام الملكي ومدى جديته في الادعاءات التي يطلقها عن استعداده للانخراط في الحرب والتنسيق العسكري مع بلدان المواجهة عندما يعلن تنصله الكامل من قرارات مؤتمر الرباط ، ويشكك في دور الثورة الفلسطينية في الوقت الذي يتصاعد فيه الكفاح العسكري والجماهيري للثورة داخل الاراضي المحتلة الى أعلى مستوى من النضال .

هذا وقد أصدر الديوان الملكي الاردني في ١٣ اغسطس الماضي بيانا رسميا نفى فيه مانقلته وكالات الانباء عن تصريحات الملك حسين ، ونسبت اليه انه يستبعد عودة الفدائيين الفلسطينيين الى الاردن .

وقال البيان الرسمي الاردني ، أن الاردن على استعداد للدخول مع منظمة التحرير الفلسطينية في حوار موضوعي وبناء لتسوية خلافاتهما ، الا انه لن يسمح ابدا بتكرار مآسي الماضي على أرض الاردن .

وكان المجلس المركزي لمنظمة التحرير الفلسطينية ، قد عقد اجتماعا في دمشق يومي ١٥ ، ١٦ اغسطس الماضي للنظر في التطورات الجارية في منطقة الشرق الاوسط . وقد هاجم البيان الصادر عن المجلس ، المؤامرات الامريكية التي تهدف الى محاولة ضرب الثورة الفلسطينية وتصفية القضية الفلسطينية العادلة .

كذلك تضمن البيان عددا من التوجيهات التي تتعلق بالعمل الفلسطيني في المرحلة القادمة ومن بينها : اتخاذ الخطوات الكفيلة بمواجهة المؤامرة الامريكية ضد القضية الفلسطينية ، واجراء اتصالات سريعة ومكثفة مع كافة القوى الوطنية والتقدمية على كافة المستويات في الوطن العربي .. واستكمال المباحثات السورية الفلسطينية من أجل تشكيل القيادة السورية الفلسطينية السياسية والعسكرية المشتركة ،وضرورة عقد لقاء فلسطيني على اعلى المستويات من أجل تعزيز الوحدة الوطنية بين فصائل حركة المقاومة في اطار منظمة التحرير .. وضرورة العمل السريع من اجل تنفيذ قرارات القمة العربية في الرباط والمتعلقة بالتواجد السياسي والعسكري للثورة الفلسطينية ومنظمة التحرير الفلسطينية في الاردن . ■



■ اسرائيل :

بنحاس سابير : هل كان من « الصقور » أم من « الحمائم » ؟

لا يجب أن يكون المرء عالما رياضيا حتى يعلم اننا اذا أضفنا سكان المناطق العربية المحتلة الى الاقلية العربية التي تعيش في اسرائيل ، فان العرب سيصيرون أكثرية في المستقبل القريب ، وبالتالي تصبح اسرائيل دولة ذات جنسيتين ثم تتحول شيئا فشيئا الى دولة عربية » .

بمثل هذه الكلمات عبر **بنحاس سابير** رئيس الوكالة اليهودية عن موقفه من قضية الاراضي العربية المحتلة . واستنادا اليها ، نعاه الكثيرون من المعلقين السياسيين، عند وفاته في الثاني عشر من اغسطس الماضي ، باعتباره واحدا من المعتدلين ، الذين يندرجون في طائفة « الحمائم » الاسرائيليين .

ولكنه لا يمكن الاستناد الى هذه المقولة وحدها ، عند النظر الى أحد « الرواد » الذين ساهموا في صنع الدولة الصهيونية . فقد ولد سابير في بولندا عام ١٩٠٩ ، ودرس في احدى المدارس الدينية الثانوية اليهودية في وارسو ، والتحق بمركز الرائد ، الذي كان الهدف من انشائه تشجيع الشباب اليهودي على الهجرة الى فلسطين ، وعلى القيام بالاعمال اليدوية ، وتعلم اللغة العبرية والالمام بالتراث اليهودي ، وباختصار بدأ سابير في أن يكون صهيونيا حتى اخمص قدميه ، ومن ثم فقد هاجر الى فلسطين عام١٩٢٩ وبذلك فانه ينتمي الى الموجة الثالثة من الهجرة اليهودية الى فلسطين والتي كان أبرز اعلامها **جولدا مائير** ، والتي ظلت حتى وفاة سابير واحدة من رفاقه المخلصين .

وقد تميز المهاجرون في الهجرة الثانية والثالثة بأنهم رفعوا ايديولوجية « الريادة » ، وأفكار الصهيونية العمالية من مطالبته بالاعتماد على الذات ، وممارسة العمل اليدوي، وابراز الهدية الصهيونية . وقد جسدوا هذه الافكار في شكل مؤسسات عسكرية زراعية استيطانية ، مثل

الكيبوتز والمدارس ، وفي شكل سلوك قومي ديني متطرف مثل الاصرار على العادات اليهودية والتحدث بالعبرية والتي كتبا الهجرتين يسمى الاعلام من الرواد من جوريون وليفي اشكول وموسى شاريت وجولدا مائير وبنحاس سابير وهي الشخصيات التي لعبت أدوارا حاسمة في صياغة واتخاذ كل القرارات الاستراتيجية من انشاء الدولة الصهيونية . وقد أعلى سابير من شأن الافكار الصهيونية طوال حياته مركزا على ضرورة « الاستمرار اليهودي » المعبر عنها في فكرة نقاء اليهود العرقي والحضاري ، رافضا وبصلابة فكرة الاندماج والاختلاط بالاخرين التي رآها دائما تنسف فكرة الاستمرار من جذورها .

ولعل ذلك هو الجدار الايديولوجي الذي استند اليه سابير في اعلانه رفض ضم أراضي عربية ، تضم مواطنين عربا الى الدولة الاسرائيلية . فقد أراد سابير للدولة أن تظل يهودية نقية لا تشوبها شائبة . ولذلك فقد خاض صراعا ضاريا مع موشى ديان وزير الدفاع الاسرائيلي السابق ، الذي رأى وآخرون من الصقور . ضرورة ضم أراضي عربية منذ عام ١٩٦٧ ، واستند في صراعه الى هذه الاعتبارات الديموجرافية التي رآها تهدد الدولة الصهيونية وعبر عن ذلك في حديثه لصحيفة دافار عام ١٩٦٩ بقوله : « ان خطر دمج مليون و ٤٠٠ الف عربي في الاقتصاد الاسرائيلي هو خطر على اسرائيل كدولة مستقلة » . فقد كان سابير ينظر بتخوف بالغ الى ارتفاع نسبة المواليد بين عرب الارض المحتلة ، واوضح أنها قد تكون سببا في تحول مواطني اسرائيل الى أقلية ، بما يعنيه ذلك من تغير في البنية السياسية والاجتماعية لاسرائيل .

ولذلك فان رؤية سابير الاساسية هي أن يكون امتداد دولة اسرائيل قائما على الاستيطان اليهودي للاراضي العربية ، وهو مادفعه الى التأكيد على فكرتين : **الاولى** ضرورة العمل على زيادة عدد السكان المقيمين في اسرائيل لكي نحافظ على الشخصية اليهودية ، يجب أن نشجع التناسل ، بتقديم تسهيلات للاسر العديدة الاطفال ، وأن نتبع نظام التعليم المجاني فورا ، وأن نغرس محبة الوطن وننشر الوعي اليهودي » . والفكرة الثانية ضرورة العمل على زيادة الهجرة اليهودية الى اسرائيل وهي الهجرة التي كان يشعر سابير أنها لا تسير بالمعدل المطلوب « لقد رأينا أن هناك طاقة كامنة للهجرة اليهودية تتألف من ستة ملايين يهودي في أوربا ، وأنهم سيعملون على اعادة اسرائيل واحيائها من جديد ، وها نحن نراهم الان لا يسارعون للهجرة الينا » .

وكان سابير يعتقد أنه يمكن اجتذاب المهاجرين على أساس خمسة أبعاد : أولها الرغبة في النمو السكاني . وثانيها الرغبة في مجالات جديدة في الاقتصاد والتكنولوجيا . **وثالثها** أن اسرائيل كمجتمع ترغب في تحقيق العدالة الاجتماعية ، ولكن ليس من طريق الاضرار بالطبقات ذات الدخول المرتفعة !!] . **ورابعها** ضرورة استيطان الاجزاء الغير آهلة بالسكان وخاصة صحراء النقب . واخيرا المطلب الذي يتفق مع الناموس اليهودي الذي ينادي بضرورة هجرة اليهود للعيش في أرض اسرائيل ، ولكن يعني في نفس الوقت هجرة أشخاص أكفاء قادرين على الاسهام في تحقيق تقدم وقوة الدولة .

يفهم من ذلك كله أن موقف سابير من الاراضي العربية المحتلة ، لا يستند الى دوافع أخلاقية أو مثالية ، أو أفكار غير توسعية ، ولكنه يعود بالاساس الى رؤية في ضرورة أن يكون الاستيطان اليهودي هو الطريق الوحيد لتكريس الوجود الاسرائيلي ودعم توسعاته ، خاصة وأنه قد طالب ببقاء كل من غزة ومرتفعات الجولان كجزء من الاراضي الاسرائيلية مع اعتبار القدس الموحدة عاصمة لاسرائيل لاتقبل النقض ، أو النقاش ، أو التفاوض . وهو مالايخرج في جوهره عن خريطة حزب العمل الاسرائيلي التي أعلنت في يوليو الماضي في ظل سيطرة وهيمنة « صقور » الحزب رابين وبيريز وديان من رجالات الحرس الجديد !.

وقد كرس سابير بصفته رئيسا للوكالة اليهودية [وهو المنصب الذي تولاه في يونيو ١٩٧٤] أغلب وقته للاهتمام بالهجرة الى اسرائيل تدعيما لفكرته الاستيطانية معلنا أن القدرة على الردع لمليون يهودي آخرين يصلون الى اسرائيل ، أكبر من الحصول على طائرات فانتوم وصواريخ أخرى !. وفي ظل رئاسته للوكالة اليهودية . أعلنت اللجنة التنفيذية للوكالة في العام الماضي خطة كاملة لاقامة ٤٠ مستعمرة جديدة معظمها في الاراضي العربية المحتلة لاستيعاب ١٦٠ الف اسرائيلي خلال السنوات القادمة . على أن يكون توزيعها على الوجه التالي : تسع مستعمرات في مرتفعات الجولان السورية تكون احداها عاصمة للمنطقة [!] وأربع مستعمرات في منخفض نهر الاردن بالضفة الغربية ومستعمرة واحدة في جنوبي غرب القدس ، وعشر مستعمرات في المنطقة الواقعة بين رفح وجنوب وجنوب بيرسبع ، وست عشرة مستعمرة في اسرائيل وخاصة في منطقة الجليل . وبالنظر الى هذه الخطة ، فان سابير يكون قد تراجع عن أفكاره « الحمائمية » التي ذكرها عام ١٩٦٩ في صراعه مع ديان ، حيث ذكر « ان من يتحدث عن ثمن مرتفع مقابل السلام لا يستطيع التخطيط لاقامة مدن يهودية في المناطق المحتلة لانه ربما يضطر الى اخراج السكان اليهود منها بعد مرور وقت ما » .

وبالاضافة الى أن سابير يعتبر في الذهن الاسرائيلي معبرا عن جيل الفكرة الصهيونية النقية ، فانه يعتبر المهندس الاول للاقتصاد الاسرائيلي . فقد كان مديرا لوزارة المالية في الفترة من ١٩٥٣ الى ١٩٥٥ ، ثم عين في عام ١٩٥٥ وزيرا للتجارة والصناعة ، ثم تولى وزارة المالية ابتداء من عام ١٩٦٣ حتى عام ١٩٦٨ حيث انتخب سكرتيرا لحزب العمل ، ثم عاد وتولى وزارة المالية مرة أخرى عام ١٩٦٩ حتى يونيو ١٩٧٤ . ومن ثم فقد كان سابير لصيقا بكل ما يعترى الجسد الاقتصادي لاسرائيل ، وقد اشتهر سابير أيضا في داخل الطائفة اليهودية العالمية بقدرته على تعبئة موارد يهود العالم من أجل استيعاب المهاجرين وتنمية اسرائيل . ومع ذلك فقد كانت وسائله موضع انتقاد أحيانا على الرغم من أنه لم تكن له شخصيا أية صلة بأية فضيحة مالية . وطوال مدة عمله كان يقوم بدور حلقة الاتصال بين اسرائيل من جانب والحكومة الامريكية والمتعاطفين مع اسرائيل فيها من جانب آخر للحصول على المعونات والتبرعات لاسرائيل .

ولذلك فان زيارة سابير للولايات المتحدة قبل حرب ١٩٦٧ بستة أيام لافتتاح أكبر حملة تبرعات عرفتها اسرائيل في تاريخها ، وبقائه ابان فترة الحرب وبعدها في الولايات المتحدة ، تعتبر جزءا من المخطط الاسرائيلي للحرب . وعلى عكس كل القادة الاسرائيليين الذين أظهروا أن حرب يونيو كانت أشبه بنزهة عسكرية ، فان سابير وقف بعد الحرب مباشرة في الولايات المتحدة ليعلن أن اسرائيل تكبدت خسائر « هائلة » في العسكريين والمدنيين ، وأنها قد خسرت في الحرب ما يقرب من الف مليون دولار ! . وفي

١٤ أكتوبر ١٩٧٣ طار سابير الى واشنطن لاداء نفس المهمة كما وقف سابير أمينا وراء مشروع انشاء صندوق دولي للتبادل يضم في مجلس ادارته ألمع الاسماء الدولية في عالم المال . وذلك أثر المؤتمر الاقتصادى الذى دعا اليه سابير في مايو ١٩٧٣ ، والذى ضم ١٢٠٠ من كبار رجال الاعمال وأصحاب الملايين في العالم [أغلبهم من اليهود] لدراسة امكانية الاسهام في التنمية الاسرائيلية .

وربما كان ارتباط سابير بالموقف الاقتصادى لاسرائيل ، والعبء الواقع عليه نتيجة ميزانيات الدفاع الضخمة ، أحد الاسباب التى تبرر رنة الاعتدال النسبية التى كانت تصبغ كلمات سابير ، والتى دفعته الى القول أن « السلام وحده هو الذى سيخلصنا من ميزانيه عسكرية لا نقدر على احتمالها طويلا حتى مع مساعدة يهود العالم أجمع » ويبقى السؤال الذى كان — ولا يزال — مطروحا على حمائم وصقور اسرائيل : ما هو السلام الذى يقصدونه ، وما هو موقع العرب منه ؟

○

■ اوغندا :

هل تساعد افريقيا نفسها حقا ؟

عقد في كمبالا في الفترة من ٢٨ يوليو الى أوائل أغسطس مؤتمر القمة الثانى عشر لمنظمة الوحدة الافريقية تحت شعار [أفريقيا تساعد أفريقيا] .

ولقد ذهب عدد كبير من الدول الافريقية الى المؤتمر محملا بمشاكله الداخلية والخارجية المعقدة . فالدولة المضيفة [أوغندا] تواجه حركة تمرد تعرف بحركة التحرر الاوغندى هذا فضلا عن مشاكلها مع تنزانيا حول بحيرة تنجانيقا ، وحول المشكلة القديمة الخاصة بايواء الرئيس السابق ميلتون أوبوتى ، رئيس أوغندا السابق .

أما زامبيا وبتسوانا ، فقد قاطعتا المؤتمر وفيما يتعلق بزائير ، فان النظام بها كان قد تعرض لمحاولة انقلاب اسرائيلى أمريكى ، على الرغم مما هو معروف عن صداقة النظام للغرب .

فاذا جئنا الى جمهورية وسط أفريقيا ، فسوف نجد أنه على الرغم مما تضمنه نداء دار السلام [**ابريل الماضى**] ، واعلان لوزاكا عام ١٩٦٩ ، وقرارات الامم المتحدة والمنظمة الافريقية بشأن مقاطعة الانظمة العنصرية ، نجد على الرغم من هذا تعقد جمهورية وسط أفريقيا قرضا مع حكومة جنوب أفريقيا العنصرية مقداره ٢٥٠ مليون جنيه استرلينى .

واذا وضعنا جانبا الخلافات التى ظهرت داخل المؤتمر ، حول اختيار رئيس للدورة ، ثم الخلافات بين الرئيسين معمر القذافى وعيدى أمين ، فانه عند مناقشة قضية الشرق الاوسط حدث خلاف داخل المؤتمر ايضا حول قضية طرد اسرائيل من الامم المتحدة ومن وكالاتها المتخصصة . فقد تحفظت عدة دول على قرار الطرد ، من بينها : أثيوبيا والجابون وساحل العاج وغانا وسيراليون . اما زائير فرأت أن مناقشة هذه القضية تكون في مؤتمر القمة الافريقى المزمع عقده في نوفمبر القادم .

واكتفى المؤتمر بتأييد قرارات المؤتمر الحادى عشر لمنظمة الوحدة الافريقية الذى كان أول مؤتمر يعقد بعد حرب أكتوبر ، والذى دعا الى تطبيق قرارى ٣٣٨ ، ٢٤٢ للامم المتحدة ومقاطعة اسرائيل والضغط عليها بكافة الطرق بما فيه التهديد بالطرد من الامم المتحدة والوكالات المتخصصة حتى تنفذ القرارات ...

وبنت الدول المؤيدة لهذه الصيغة التوافقية موقفها ، على أساس أن قرار طرد اسرائيل علاوة على عدم جدواه عمليا ، وعدم اصداره لوجود أصدقاء لاسرائيل في مجلس الامن ، فانه يفيد اسرائيل عن طريق استخدامه كحجة في سبيل التهرب من تنفيذ القرارات .

أما معظم الدول العربية ، وبعض الدول الافريقية فرأت أنه لا أساس للمبررات السابقة . فاسرائيل صدرت ضدها القرارات ، وهى عضو وأن فقدانها للعضوية لا يحول دون تطبيق القرارات بأثر رجعى ، علاوة على أن قرارات الامم المتحدة تطبق على الدول الاعضاء وغير الاعضاء . بل أن غرض قرار الطرد أبعد من ذلك ، فهدفه اعلامى بتكتل الرأى العام الدولى وراءه في المؤتمر الاسلامى ثم الافريقى فعدم الانحياز حتى الجمعية العامة .

وفى الجلسة المغلقة التى عقدت ظهر ٢٩—٧ القى الرئيس أنور السادات خطابا جاء فيه أن مصر ترغب في السلام وهى قادرة على الحرب وأن الموقف يتطلب مزيدا من الضغط على اسرائيل وركز على أهمية التعاون العربى الافريقى من واقع اجتماعات اللجنة الوزارية الافريقية العربية في القاهرة في ١٠—٧ التى انبثق عنها ميثاق العمل العربى الافريقى المشترك :

وقد واجهت قضية التعاون العربى الافريقى العديد من المشاكل ، مما جعل العديد من الدول التى قاطعت اسرائيل تفكر في اعادة العلاقة معها ، وذلك بدعوى أن قرارات مؤتمر القمة العربى السابع التى نصت على اقامة مشاريع المصرف العربى الافريقى للتنمية [١٢٥ مليون دولار] والصندوق العربى للمعونة الافريقية وصندوق القروض .. ظلت في معظمها دون تنفيذ . هذا فضلا من عدم ستجابة الدول العربية لتعويض فروق ارتفاع الاسعار للنفط في أفريقيا .. وقد أوجد هذا احساسا لدى بعض الدول الافريقية برغبة الدول العربية في السيطرة على المنظمة .

أما القضايا الافريقية الاخرى فأهمها الحوار مع الانظمة العنصرية حيث سادت في مؤتمر وزراء الخارجية الذى عقد تحت شعار الحكم للاغلبية ثلاث اتجاهات أحدها يرى التعامل مع بريتوريا والثانى يفرض شروط ضرورة اجراء انتخابات اغلبية سوداء أما الثالث فيرى استمرار المقاطعة . وقاد هذا الاتجاه سامورا ميتشل قائد فريليمو .. واستقر الرأى على ضرورة استمرار الكفاح المسلح وتكوين منظمة واحدة لحركات التحرير في روديسيا وجنوب أفريقيا .

أما فيما يتعلق بأنجولا فقد ثار خلاف في المؤتمر الوزارى بين ممثل الجبهة الشعبية لتحرير أنجولا ، وممثل الجبهة

الوطنية بها . أما فى المؤتمر فقد صدر قرار بدعوة الحركات الثلاثة الى الاتحاد ورفض الاعتراف بحركة كانيدا .

وبوقشت ايضا مشكلة الصحراء الاسبانية والنزاع الاريترى الاثيوبى ولم يتم التوصل فيهما الى قرار حاسم .
أما تفسير زيادة مشاكل القارة بعد ١٢ سنة من تكوين المنظمة ، فيرى المراقبون أنه يرجع الى زيادة عدد الوحدات السياسية فى القارة ، ويرى البعض الاخر أن المؤتمر الثانى عشر وان كان يمثل انتقالا من مرحلة النضال المشترك ، الى التعاون المشترك ، فان هذا لا يعنى أن مرحلة النضال المشترك قد انتهت .



■ نيجيريا :

لازالت الحلقة المفرغة تدور

لم يمنع قيام انقلاب عسكرى فى نيجيريا ، فى يوم ٢٨ يوليو الماضى ، من تنامى حركة الاضطرابات والرفض الجماهيرى فى المدن النيجيرية : كانو وكاستينا وسكوتو وبواتشى ، وذلك على الرغم من أن السلطة الجديدة ، أعلنت حالة الطوارىء العامة ، بمقتضى قانون ١٩٦٩ الذى يحرم الاضطرابات نهائيا :

وتجىء هذه الاضطرابات ، على الرغم من الوعود التى تطعها رئيس الدولة الجديد البريجادير **مرتضى الله محمد** بانقاذ البلاد من الفساد الاجتماعى والانهيار الاقتصادى .
ويحاول الانقلابيون الجدد استقطاب شرائح اجتماعية معينة ولكن بشكل فردى ويتمثل ذلك ، فى استقطاب **الحاج يونس** — رئيس اتحاد نقابات العمال النيجيرى والموالى للاتحاد الحر ، والكولونيل **حسن عثمان كاسينا** القائد السابق للجيش ، ووزير الانشاءات بالحكومة الجديدة والمشهور بصفقاته المريبة .

غير أن هذا لا ينفى وجود عدة حقائق أدت الى الانقلاب ولاتزال قائمة كمشاكل حتى الان :

١ — انه رغم ارتفاع متوسط الدخل الفردى فى الفترة الاخيرة عن ٢٠٠ دولار ، بل وبلوغه ٥٠٠ دولار لحوالى ٢٠ مليون مواطن من أصل ٨٠ مليون ، فان الاحساس بالفروق الاجتماعية الواسعة واضح خاصة بين عمال القطاع الخاص الذى يتنامى على حساب القطاع العام فى نيجيريا .

٢ — اذن محاولة الحكومة السابقة احتواء الغضب الجماهيرى قد باءت بالفشل فقد زادت الاسعار بنسبة ٣٠٪ . والسبب هو أن البورجوازية الكومبرادورية نفسها فى نيجيريا كانت تمنى نفسها بتوسيع نشاطها من السوق المحلية الى أسواق غرب أفريقيا . لكن محاولاتها ذهبت أدراج الرياح خاصة بعد فشل مؤتمر دول غرب أفريقيا فى تحقيق أهدافه الرامية الى انشاء سوق مشتركة [الايكواس] . وكان هذا المؤتمر قد عقد فى ٢٨ مايو الماضى واشتركت فيه ١٥ دولة .

٣ — يحاول **مرتضى الله** زعيم الانقلاب الجديد ان يسير على خط زعماء الانقلابات السابقين : جوون وايرونزى . ومن ثم فقد بدا — يبذل الوعود ويتوسع فى ذلك . لكن كل هذا لم ينجح فى دفع الجماهير الى مساندة الحركة الجديدة . وهذا لا يرجع فقط الى جو الارهاب البوليسى والعسكرى الذى يخيم على البلاد ، وانما راجع فى الاساس الى أن قادة الانقلابات التى تتابعت على البلاد يمثلون مصالح البورجوازية الصاعدة المرتبطة بمصالح الغرب وباحتكاراته الدولية .

٤ — أن قيام الانقلاب الاخير . أكد أن نية العسكريين فى التخلى عن السلطة السياسية واعادة الحياة النيابيه المتوقعة منذ عام ١٩٦٣ ان هى الا وهم كبير . بل أن العسكريين يعمدون الى تجميد الوضع الذى أدعى جوون انه راغب فى تغييره . وكان هذا فى يناير ١٩٧٤ . حينما أعلن أنه سيترك الحياه السياسية فى عام ١٩٧٦ . ثم عاد هذا العام وتخلى عن قراره بدعوى أن الخطه الخمسية الجديدة ، وما تتطلبه من اصلاح ادارى يقتضيان بقاء العسكريين لحماية مصالح الجماهير .

وكان نتيجة هذا كله ، أن ازدادت حدة حركة رفض الاوساط الطلابية لهذه اللعبة من جانب السلطة ، بسبب أن الطلاب يمثلون — من ناحية — الطليعة المثقفة للشريحة الدنيا من البورجوازية النيجيرية .. ومن ناحية أخرى بسبب اتساع حجم التعليم الجامعى فما كان من الحكومة السابقة الا أن أغلقت الجامعات — فى ١٤ يوليو الماضى ، ورفعت نسبة المجندين من خريجيها بدعوة تكوين جيش [الاثنين مليون] .

وبالطبع لم تكن البلاد بحاجة الى مثل هذا الجيش الضخم اللهم الا لتدعيم مركز السلطة العسكرية وتحمل الموظفون عبء انشاء هذا الجيش فى صورة زيادة ضريبة الدفاع . ولذا قامت الاضرابات الشاملة مهددة بانهيار الاصلاح الادارى المزعوم . وحاولت الحكومة احتواء الحركة برفع الرواتب بنسبة ٣٠٪ ، ولكن الراسمالية امتصت الزيادة فى الاسعار وشجعت الحكومة على فرض الضرائب غير المباشرة لترفع عبء الضرائب عن كاهلها فأدى هذا الى زيادة الحرمان الجماهيرى .

ان الانقلاب الاخير ، والثالث فى عمر نيجيريا ، منذ استقلالها ، انما يأتى فى الذكرى التاسعة لتولى يعقوب جوون الحكم كمسرحية لامتصاص غضب الجماهير . وهى مسرحية معادة الفصول لا تختلف عن الانقلاب ضد نكروما أو ميلتون أوبوتى ، فقد حدثت الانقلابات وكلهم خارج البلاد فى مؤتمرات دولية أو زيارات عامة .

ومن المعروف أن **مرتضى الله** تلقى تعليمه فى نفس الكلية التى درس بها جوون علومه العسكرية بلندن . هذا بجانب أن تصريح جوون نفسه بعد علمه بالخبر الانقلابى له دلالتان : **الاولى** أن الانقلاب متوقع والبعض يرى أنه متفق عليه ... **والثانية** : أن الانقلاب تغيير فى الحكومة وليس فى النظام ككل ... كذلك فقد كان **مرتضى الله** فى لندن ليلة الانقلاب لتلافى اى احتمالات للفشل كما كان أيضا وزيرا للمواصلات فى حكومة جوون .

وقد اثار دهشة المراقبين ان اول ما حرص جوون على مناقشته فى جدول أعمال مؤتمر القمة الافريقى كان قضية انفصال أريتريا عن أثيوبيا — لانها تمس الاوضاع فى نيجيريا المقسمة الى ١٢ ولاية وتتنازعها ٢٥٠ قبيلة فى اتجاهات

فيدرالى لاربع اقسام .. ذلك أن نجاح الحركات الانفصالية من شأنه أن يعيد لنيجيريا ذكريات الحرب الاهلية فى بيافرا [١٩٦٦ — ١٩٧٠].

ويرى بعض المراقبين انه لولا تلك الحرب لما استمرت لعبة الانقلابات العسكرية فى نيجيريا حتى اليوم ، ذلك أن عدم الاستقرار السياسى هو الذى دعم الوجود الوظيفى للعسكريين ، بالاضافة — طبعا — الى تنامى مصالح البورجوازية الكومبرادورية التى رأت فى قبضة العسكريين اداة للسيطرة على الحياة السياسية ، والغاء الحياة النيابية ، والاحزاب القبلية الاقطاعية مثل حزب المؤتمر الوطنى [الايبو الشرقى] وحزب العمل [اليوروبا] وحزب مؤتمر شعب الشمال . [الهوسا — الفولانى — الكانورى] .. ثم الغاء الفيدرالية الاقطاعية بقرار ايجيوى ايرونزى فى ٢٤ مايو ١٩٦٦ . وهذا كله كان فى صالح تأمين الصعود الطبقى للبورجوازية الجديدة . ولو على جثث قيادات الاقطاع الشمالى مثل ابو بكر تفاوا بليوا وامين سكوتو واحمدو بللو وصموئيل اكينتولا من الغرب .

وعلى الرغم من ان نيجيريا تأخذ موقفا غير مؤيد للاتجاهات العربية فى القارة — بدعوى الاستقلال الاقتصادى والمنافسة البترولية — فان البعض يعزو هذا الانقلاب الى موقف جوون المؤيد للحظر البترولى . ويرى البعض الاخر ضرورة الربط بين المصالح الاسرائيلية المتنامية فى نيجيريا ، وزيارة مندوب المخابرات الاسرائيلية الاخيرة وبين الانقلاب العسكرى .

ويحاول مرتضى الله ان يلم شمل الجيش من جانب ويحقق الاستقرار السياسى من جانب آخر بتعيين نافعان جاربا نائبا له . وهو الرجل الذى قاد الانقلاب ، وكان له دور كبير كمدير للامن العام فى قمع حركات العمال والطلاب . ويرى المراقبون أن تعيين أربعة من المجلس التنفيذى لحكومة جوون فى الحكومة الجديدة دليل على عدم جذرية التغييرات فى نيجيريا ، كما أنه دليل على أن لعبة العسكريين انما تدور فى حلقة مفرغة .

O

■ جزر القمر :

مطلوب استقلال بدون مشاكل مع فرنسا

بعد تصفية جيوب المقاومة ، بشكل سريع ، استقر الانقلاب الذى وقع فى جزر القمر ٤ جزر فى المحيط الهندى شمال شرقى جزر مالاجاشى بعد مرور شهر واحد من حصولها على الاستقلال من جانب واحد . وقد تزعم الانقلاب على ساوليه رئيس الجبهة الوطنية المتحدة التى تضم ٥٠ عضوا منها بوضع المتاريس فى شوارع العاصمة مورونى . وكان هذا كافيا لتغيير النظام القائم الذى ترأسه احمد عبد الله حيث كان يزور احدى الجزر الاربعة للبلاد [أنجوان] .

ويرى بعض المراقبين ، أن اعتدال الجبهة السياسى سيوفر ظروفا مواتية لعلاقات طيبة بين المستعمرة الفرنسية السابقة وبين فرنسا . وكان أحمد عبد الله قد دعا فرنسا قبل أيام من الانقلاب الى سحب قواتها من الجزر بأسرع ما يمكن » : ووجه بعدها نداء الى الامم المتحدة ومنظمة الوحدة الافريقية وجامعة الدول العربية « لحماية جزر القمر من كل ماقد تتعرض له » .

ومن المعروف أنه فى ديسمبر الماضى أجرى استفتاء فى البلاد على الاستقلال صوت فيه ٩٥٪ من السكان [٣٠٠ الف] بنعم . وبمجرد اعلان مجلس النواب الاستقلال — من جانب واحد — فى يوليو الماضى ، بعد سيطرة فرنسا لمدة ١٣١ عاما ، أعلنت السلطات الفرنسية فى الجزيرة حالة الطوارىء . ومنذ أن تم طلب سحب القوات الفرنسية أخذت تتردد — داخل دوائر الامم المتحدة — عن نزول قوات فرنسية فى جزيرة مايوت [احدى الجزر الاربعة] . وكان نواب مايوت فى البرلمان [٥ نواب] قد صوتوا ضد الاستقلال عن فرنسا . وعند اعلانه بعثوا ببرقية الى الرئيس جيسكار ديستان يستنكرون قرار مجلس النواب وانتخاب احمد عبد الله رئيسا للدولة والوزراء . ونظموا مظاهرات تضم أبناء الجزيرة الذين تصوروا أن الاستقلال سيؤدى الى ضياع ثروتهم الزراعية بتوزيعها على سكان كل الجزر . وتنتج البلاد بشكل رئيسى المواد الأولية لصناعة العطور الفرنسية وتعتمد أساسا على السياحة .

وخلال شهر من اعلان الاستقلال ، بدأ النظام السابق فى بناء مؤسسات الدولة ومنها تشكيل لجنة دستورية وطنية لوضع الدستور فضلا عن تشكيل جمعية وطنية مؤقتة .. الخ .

وقد أعلن ساوليه زعيم الجبهة الوطنية التى شكلت المعارضة ضد الحكم السابق ، بعد الانقلاب ، أنه سيدعو جمعية وطنية من الاحزاب المنضمة للجبهة لوضع دستور ، ثم أضاف أن حزبه « يؤيد الاستقلال لكن بدون أية مشاكل مع فرنسا » .

ويرى المراقبون أن موقف جزيرة مايوت وسكانها ، ثم تهديدهم بالانفصال ، قد لعب دورا أساسيا فى تطور الاحداث بعد ذلك .

O

■ البرتغال :

هل يعزل الحزب الاشتراكى نفسه عن القوى العامة لليسار ؟

يرى عديد من المراقبين السياسيين ، أن اعلان هنرى كيسنجر وزير الخارجية الامريكية فى منتصف الشهر الماضى فى ولاية الاباما الامريكية أن حلف الاطلنطى سيبحث فى النهاية ، مسألة طرد البرتغال من الحلف ،

لا يرجع فى الواقع الى أى مواقف استفزازية اتخـذتها — حركة القوات المسلحة — والحزب الشيوعى البرتغالى المتحالف معها من حلف الاطلنطى .

ذلك أن الجنرال أوتيللو كارفاليو قائد قوات الامن القومى البرتغالية ، والعضو البارز فى مجلس الثلاثة الحاكم فى البرتغال ، قد أعلن من قبل « نحن لا ننوى الخروج من حلف الاطلنطى . ولكن قادة الحلف هم الذين بداوا فى حجب بعض الاسرار العسكرية عنا » كذلك كان الفارو كونهال سكرتير الحزب الشيوعى البرتغالى قـد أعلن أيضا « ان الحزب الشيوعى لا ينادى بالتحلل من أية اتفاقيات دولية ترتبط بها البرتغال ، وخاصة حلف الاطلنطى » .

وانما يرجع اتجاه الحلف الى طرد البرتغال فى الواقع ، الى فشل المحاولات الغربية المتكررة ، لاحتواء النظام الجديدة التى تحددت أخيرا فى بلادنا ، الى الضرب دون الاشتراكى الثورى الذى يخطه . ذلك ان حلف الاطلنطى لا يغتفر للنظام الجديد ، أنه النظام الوحيد فى غرب اوربا ، وفى حلف الاطلنطى الذى أتاح الفرصة لاشتراك الشيوعيين فى الحكم . كذلك فقد أحبط هذا النظام كافة المحاولات الموالية للغرب التى جرت لضرب الاتجاه الثورى التقدمى لحركة القوات المسلحة مثل محاولة بالما كارلوس أول رئيس للوزراء فى يوليو ١٩٧٤ ومحاولة أنطونيو دى سبينولا أول رئيس للجمهـــورية فى سبتمبر ١٩٧٤ ، محـــاولة الانقلاب العسكرى المضاد التى اشترك فيها سبينولا وعدد من الضباط والوزراء العسكريين السابقين . كذلك لاتغتفر الدوائر الغربية لحركة القوات المسلحة ، موقف التأييد الذى تتخذه من الحقوق العربية ، وذلك عنـدما أخطـر النظام الجديد فى البرتغال ، الولايات المتحدة برفضه لان تكون جزر الازور قاعدة لتموين الطائرات الامريكية المتجهة الى اسرائيل . كذلك يرى الحلف أنه لا يستطيع التعاون مع جيش قال عنه الجنرال البرتغـالى اوتيللو كارفاليو انه يتطور « لكى يصبح جيشا شعبيا اشتراكيا بعد أن اتخذت عدة خطوات ايجابية فى هذا السبيل .

كذلك كان نجاح الجنرال جونكالفيز رئيس الوزراء فى تشـكيل حكومة برتغالية جـديدة من عسـكريين ومدنيين يساريين ، بعد الضغط الذى مارسه الحزب الاشتراكى ، والحزب الديمقراطى الشعبى بانسحابهما من الحكومة السابقة ، وبعد نجاح فى التغلب على تحدى من يوصفون بالضباط [المعتدلين] [أى اليمينيين] عاملا اضافيا من عوامل العـداء المتزايد للغـرب والولايات المتحـدة الامريكية تجاه حركة القوات المسلحة البرتغالية ونظامها .

وليس ثمة شك فى نظر بعض من المراقبين فى أن من أبرز سمات الوضع القائم فى البرتغال ، اصراره المضطرد فى مواجهة ضغوط اليمين على اتباع الطريق الديمقراطى التقدمى ، فقد أكدت الحكومة الجديدة قبل أن يمضى على تشكيلها ٢٤ ساعة تأكيد الاتجاه التقدمى للبلاد ، باعلانها تأميم عدة شركات رئيسية فى البلاد ، منها المصنع الثانى لصناعة السفن ، وشركة للنقل البحرى والبرى ، وأخرى لصناعة البيرة وغيرها من الشركات الرئيسية فى البلاد ، وذلك بالاضافة الى الشركات التى كانت الحكومة قـد أممتها فى مايو الماضى مثل شركات التأمين ، وصـناعة الفولاذ ، والبنوك ، وشركات الخطوط الحديدية وصناعة النفط ، وشركات النقل الجوى المدنى وشركتين للنقـل البحـرى .

كذلك تلقى المهمات المسلحة التى حـددها الجـنرال جونكالفيز لحكومته الجديدة الضوء على خط التطور المقبل الذى ستسلكه حركة القوات المسلحة فقد أوضح جونكالفيز فى الكلمة التى القاها بمناسبة توليه رئاسة الحكومة « أن أكثر ما تتطلبه الفترة الحالية . هو الدفاع عن وحدة الطبقة العاملة ، وبناء وحدة ضرورية مع العامـلين فى الحقول ، ومع البرجوازية الصغيرة ، وبعض قطاعات من البرجوازية المتوسـطة » كذلك أوضـح جونكـالفيـز بالنسبة للفترة القادمة : أن جهودنا ستوجه بالدرجـة الاولى الى القطاع الزراعى ، لان الريف الذى عادة مايكون الضحية — لم يستفد ، أو استفاد قليلا على الصعيد الاقتصادى ، من التحرر السياسى الذى بدأ فى ٢٥ ابريل ١٩٧٤ » .

وأوضح جونكالفيز أيضا : « أن المهمة الاخـرى التى يتعين على الحكومة مواجهتها بالتعاون مع القوات المسلحة البرتغالية والشعب البرتغالى ، هى المعركة الهادئة ، ولكن التى لابد أن تكون قوية ضد قوى الرجعية ، وقد أوضـح بشأنها » أننا سوف نلجأ فى المعركة ضد ظواهر الفاشية الجديدة التى تحددت أخيرا فى بلادنا ، الى الضرب دون هوادة ، والى تحديد الاجراءات التى تدعم بناء الاشتراكية فى البرتغال ، وتجعل هذا البناء قائما لا يعرف الارتداد ، وهى الطريقة الوحيدة لابعاد خطر [احياء المعارضـة الفاشية الى الابد] ، وبهذا الصـدد يرى عـديد من المراقبين السياسيين أن المهمات الاولى للحكومة الان ، هى ضرورة القضاء على الاضطرابات اليمينية فى الشمال التى تتم بدعم من القوى الاقطاعية وبعض دوائر الكنيسة الكاثوليكية .

ويرى عديد من المراقبين السياسيين التقدميين أن صمام الامن بالنسبة للنظام الحاكم فى البرتغال ، اليوم ، يتمثل فى وحدة العمل التى تجمع حركة القوات المسلحة مع الحزب الشيوعى البرتغالى . وقد أصدرت اللجنـة المركزية للحزب الشيوعى البرتغالى مؤخرا ، بيانا تؤكد فيه على أن هناك ٣ مهام تحتل مكانة الصدارة اليوم وهى : احترام النظام الديمقراطى ، وممارسة الحريات ، واعادة تنظيم جهاز الدولة واصلاحه لضمان ولائه للثورة ، ونظام للسلطة يحقق مركزية القرارات الاساسية » .

ومن الواضح للمتابعين لتطور الوضع فى البرتغال ، أن الموقف الصلب الذى تتخذه حركة القوات المسلحـة وانصارها ، بدأ يؤثر على الوضع داخل الحزب الاشتراكى المعارض نفسه فقد صدر مؤخرا عن الحزب الاشتراكى أول اعلان من وجود انقسام بداخله ، وكان ذلك فى البيان الذى أصدره عن وقف اثنين من أعضاء سكرتاريته القومية لـما اسماه « بأسباب تأديبية » ، وقد نشر هذان بالاضافة الى أربعة آخرين من أعضاء الحزب تحليلا انتقدوا فيه موقف حزبهم ، وأكدوا فيه أنه لا يجب الوقوع فى براثن الراسماليـة البورجوازية بحجـة الدفاع عـن الديمقراطية السياسية المنفصلة انفصالا تاما عن الممارسة الثورية وقالوا فى بيانهم « أن الخط السياسى للسكرتارية العامة ليس ملائما فى الظروف الراهنة ، وأن الحزب الاشتراكى يعزل نفسه من ذوى اليسار الاخرى » . ■

■ فنلندة :

بداية مرحلة جديدة في تاريخ اوروبا

« انه لحدث رائع جاء نتيجة للمساعي السياسية من قبل كافة الدول المشاركة في المؤتمر للعمل من اجل السلام والامن والعدالة والتعاون في اوروبا . أن هذا اليوم يمثل بداية عصر جديد في علاقاتنا المتبادلة . فلقد بدأت الدول الاوروبية خطواتها على الطريق الذي سيقود ، من خلال الانفراج . الى الاستقرار والسلام الوطيد » .

« ان هذا المؤتمر لم يسبق له مثيل في تاريخ اوروبا . ولا يجب النظر الى هذا الحدث الخطير بمعزل عن الخطوات والاجراءات المترابطة الاخرى في القضايا الدولية ، بل انه يشكل على العكس عنصرا من عنصر التقدم على طريق الانفراج » . بهذه الكلمات استهل الرئيس الفنلندي اورخوكيكونين خطاب الافتتاح للمرحلة الختامية لمؤتمر الامن والتعاون التي انعقدت على مستوى القمة في هلسنكي .

وكان ذلك في ٣٠ يوليو الماضي حيث التقى في هلسنكي رؤساء ٣٣ دولة اوربية بالاضافة الى رؤساء الولايات المتحدة وكندا للتوقيع على الوثيقة الختامية لمؤتمر الامن والتعاون الاوروبي التي جاءت تتويجا لجهود مضنية ومشاورات استمرت لاكثر من عامين بين مندوبي ٣٥ دولة.

وفي اول اغسطس . وقع رؤساء الدول الـ ٣٥ المشاركة في المؤتمر على الوثيقة الختامية . وقد تضمنت هذه الوثيقة التي تم التوقيع عليها ثلاثة اقسام رئيسية :

يشمل **القسم الاول** المبادىء التي تعهدت كافة الدول المشاركة في المؤتمر ، الالتزام بها لاقامة اساس متين لتجنب العدوان وكافة اشكال القهر في العلاقات فيما بينها . وجاءت هذه المبادىء تأكيدا للاوضاع الواقعية التي اصبح لها قوة القانون والتي تضمنتها الاتفاقيات الثنائية التي وقعت في الفترة الاخيرة بين الاتحاد السوفييتي وبولندا وتشيكوسلوفاكيا والمانيا الديمقراطية من جانب وبين جمهورية المانيا الاتحادية من جانب آخر . وكذلك الاتفاقيات التي وقعت بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الامريكية وفرنسا وبريطانيا وايطاليا وكندا وغيرها من بلدان القارة .

واعلنت الوثيقة المبادىء العشرة التي ستصبح اساسا للعلاقات بين دول القارة والتي تتلخص في :

المساواة في السيادة بين الدول وحقها في السيادة وحق الاختيار الحر لنظمها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية وتطويرها . ونبذ استخدام القوة أو التهديد بها ، وعدم انتهاك حقوق الدول ووحدة أراضيها ، والتسوية السلمية للمنازعات ، وعدم التدخل في الشئون الداخلية . واحترام حريات الانسان وحقوقه الاساسية . والمساواة بين الشعوب وحقها في تقرير مصيرها والتعاون بين الدول وتنفيذ التزاماتها تجاه القانون الدولي .

كما اقرت الوثيقة الختامية لمؤتمر الامن والتعاون الاوروبي في **قسمها الثاني** — ولاول مرة في تاريخ القارة — مبادىء جديدة على جانب كبير من الاهمية للعلاقات التجارية والاقتصادية والعلمية والتكنيكية . واتفقت الدول المشتركة في المؤتمر على أنه قد آن الاوان لبناء هذه العلاقات على اساس من المساواة والمنفعة المتبادلة والتوزيع العادل للامتيازات والالتزامات دون ممارسة الاكراه الاقتصادي بين الشركاء ، وسوف يكون النجاح في التعاون الاقتصادي عاملا هاما يساعد على التحسين الشامل للمناخ السياسي في العالم . وهذه المبادىء الجديدة للعلاقات الاقتصادية لم تصبح امرا ممكنا الا في ظروف تخفيف حدة التوتر الدولي . كما ان هناك ارتباطا واضحا بين التطورات الايجابية في الميدان السياسي والتعاون الاقتصادي يشهد عليهما بوضوح اتساع الصلات الاقتصادية والعلمية بين دول اوروبا ، وذلك بغض النظر عن نظمها الاجتماعية خلال الفترة الاخيرة . لانه في ظروف الانفراج يصبح من الممكن البحث عن اشكال جديدة للصلات الاقتصادية المالية وتكييفها مع تطور وتعقد الحياة الاقتصادية المعاصرة . اما هدف الجوانب الاقتصادية لنظام الامن والتعاون الاوروبي فهو توسيع الصلات مع بلدان القارات الاخرى في العالم بما في ذلك الدول النامية وتطوير هيكل التقسيم الدولي للعمل ، واقرار نظام اقتصادي عادل جديد في العالم .

وجاء في الوثيقة الختامية : « ان الترابط الاقتصادي المتزايد في العالم يحث على بذل جهود مشتركة لحل المعضلات الاقتصادية العالمية الاساسية مثل : مشاكل الغذاء والطاقة والمشكلة النقدية والمالية . كما أعرب المشاركون في المؤتمر عن استعدادهم للمساعدة على تطوير العلاقات الاقتصادية الدولية على اسس عادلة » .

وتضمنت الوثيقة تعهدات ملموسة بتدعيم الامن الدولي وتوسيع التعاون مع بلدان البحر المتوسط ، وجاء فيها « ان الامن في اوروبا يجب ان ينظر اليه بمفهوم اشمل ... ولا بد ان تنتشر عملية تدعيم الامن لتشمل مناطق اخرى من العالم ولا سيما البحر الابيض المتوسط ... وتسعى الدول المشاركة في المؤتمر الى المساهمة في احلال السلام والامن والعدالة في منطقة البحر المتوسط ، والمساعدة على تطوير التعاون القائم على المنفعة المتبادلة — مع دوله التي لم تشترك في المؤتمر — في مجالات النشاط الاقتصادي المختلفة ومساعدة هذه الدول على التنمية الاقتصادية الشاملة وذلك طبقا لاهدافها الوطنية في التنمية والتطور وبما يتمشى مع روح المبادىء الواردة في الميثاق »

اما فيما يتعلق بالمجالات الثقافية والانسانية فقد جاء في **القسم الثالث** من الوثيقة الختامية ان الدول الموقعة عليها انما تسعى الى تسهيل الموقف العام من علاقات التبادل في مجالات الثقافة والتعليم والاعلام واللقاءات . والاتفاقيات التي تم التوصل اليها توفر أشكالا كثيرة محددة للتعاون ، كما توسع القنوات التي يتم التبادل عن طريقها بهدف تطوير الاثراء المتبادل لشعوب اوروبا عن طريق الكنوز الثقافية من اجل تطوير التفاهم المشترك بصورة افضل ، مع ضرورة مراعاة قوانين الدول المختلفة ، وعدم التدخل في الشئون الداخلية .

ويرى عديد من المراقبين السياسيين أن النجاح الذي أمكن تحقيقه في المؤتمر يشكل دون شك خطوة على طريق الانفراج الدولي الذي يجب أن تتصل الجهود وتتضافر لاعطائه مضمونا حيا وتطويره الى الامام من أجل أن يصبح التعايش السلمي قانونا للعلاقات الدولية في كل مكان . وقد أشار **التليفزيون البلجيكي** الى أن المشكلة الاساسية ليست هي في التوقيع على الوثائق وانما في التطبيق الفعلي لمبادىء التعاون والتعايش بين الدول في حياة الشعوب . والجميع متفقون على أن مؤتمر هلسنكي ليس نهاية العملية

بل بدايتها تلك العملية التي يجب ان تؤدى ـ في اقصر وقت ـ الى السلام الحقيقي في اوروبا ، والى التخفيف المطرد حدة التوتر والتعجيل بتعديم مفاوضات نزع السلاح. وكتب **يورى كورينلوف** مراسل وكالة تاس السوفيتية لجعل المناخ السياسي سويا ، وتفتح امكانيات عريضة لاستكمال الانفراج السياسي بانفراج عسكرى ولتطوير التعاون المتساوى القائم على المنفعة المتبادلة بين الدول. ولتحقيق هذه الامكانيات ، فاننا نحتاج الى مواصلة الجهود المشتركة للدول والشعوب . ولابد أن تمتلىء المبادىء التى صيغت فى وثائق المؤتمر بمحتوى مادى ملموس ، حتى تصبح جزءا من الحياة اليومية لشعوب أوروبا .

وكانت النهاية الناجحة للمؤتمر اعترافا عمليا بهزيمة سياسة الحرب الباردة، وسياسة محاصرة ودحر الاشتراكية وتحولا الى سياسة الانفراج ، اعترافا بالامر الواقع ، واقامة لعلاقات حسن جوار وتعاون بين بلدان أوروبا على اختلاف انظمتها الاجتماعية والسياسية . وقد أشارت صحيفه **لومانيتية** الفرنسية الى « أن مؤتمر هلسنكى قد عكس بالفعل على صعيد أوروبا والعالم كله التغيرات العميقة التي طرأت في ميزان القوى على حساب الامبريالية». وكان المؤتمر تأكيدا للشخصية الاوروبية ، كما قال الرئيس **جيسكار ديستان** . كما كان تعبيرا عن استقلال أوروبا ، وعلى سعيها الى اتباع سياسة أوروبية تتفق مع مصالح القارة التي تحاول من خلال تدعيم صلاتها بالبلاد الاشتراكية أن تتجنب الاثار العميقة للازمة الاقتصادية والمالية والنقدية للامبريالية ، بالاضافة الى أزمة الطاقة . وهكذا اقتنعت كثير من الدوائر الحاكمة في أوروبا بعدم جدوى سياسة محاصرة الاشتراكية وهزيمتها لما تفرضه تلك السياسة من أعباء باهظة على اقتصاديات البلدان الاوروبية .

« وكنت الوثيقة النهائية لمؤتمر الامن والتعاون الاوروبى التي وقعها زعماء ٣٥ بلدا في هلسنكي « كما قال **كورت فالدهايم** » نتيجة لجهود طويلة للتوصل الى اتفاق حول المبادىء التى يمكن على أساسها المحافظة على السلام وتدعيمه في أوروبا وتطوير التعاون الاقتصادى والثقافى المهم بالنسبة لتدعيم السلام » .

ولعبت مبادرات الاتحاد السوفيتي والبلدان الاشتراكية دورا بارزا في هذا المضمار . وقد اعترفت **الجارديان** البريطانية بذلك حينما قالت « ان مؤتمر الامن الاوروبى يعتبر من نواحي عديدة نتيجة للدبلوماسية السوفيتية الملحة لعدة سنوات » . وربما كان من المفيد، أن نقدم استعراضا سريعا لهذه الجهود طوال فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية :

ـ فى عام ١٩٥٤ تقدم الاتحاد السوفييتي بمبادرته الاولى التى اقترح فيها فكرة عقد معاهدة لكل بلدان أوروبا للامن الجماعى .

ـ وفى عام ١٩٦٦ تقدمت الدول الاعضاء فى معاهدة وارسو باقتراح للاتفاق على مبادىء للامن والتعاون بين كل بلدان أوروبا .

ـ وفى عام ١٩٦٩ وجهت البلدان الاشتراكية أول نداء للدول الغربية للبدء فى التحضير العملى للمؤتمر الاوروبى العام .

وقد لقيت مبادرات السلام التي تقدمت بها الدول الاشتراكية تأييد السياسيين المعتدلين فى الغرب . ولعب الحوار السوفيتى الفرنسي الذى بدأ عام ١٩٦٦ دورا هاما فى التطورات الاوروبية نحو الامن الجماعى . وكان التقرب السوفيتى الفرنسي حول هذه القضايا قد بدأ بالزيارة التى قام بها **ديجول** للاتحاد السوفيتى فى يونيو ١٩٦٦ ، ثم تطور الى مستوى جديد مع زيارة **بريجنيف** لفرنسا فى أكتوبر ١٩٧١ .

وخلال زيارة **بومبيدو** للاتحاد السوفيتى فى أكتوبر ١٩٧٠ دعا البيان المشترك الى التعاون من اجل تحسين المناخ السياسى للقارة ، وضمان الاعتراف بالحدود القائمة واحترامها ، واستبعاد استخدام القوة أو التهديد بها . وأكد البيان المشترك أن أوروبا يمكنها من خلال الجهود المشتركة لبلدانها أن تخلق الظروف لتسوية المشكلات القائمة التى تعوق التقدم نحو الامن الجماعى الاوروبى وذلك لوضع حد لانقسام اوروبا الى كتل عسكرية وسياسية وضمان السلام الدائم للقارة » وأعلنت فرنسا والاتحاد السوفيتى تأييدهما لانعقاد مؤتمر الامن الاوروبى الشامل والعمل الدؤوب من أجل التحضير للمؤتمر من خلال الاتصالات الثنائية والمتعددة الاطراف .

ـ وساعدت التحولات الايجابية التى طرأت على علاقات المانيا الغربية بالاتحاد السوفيتى ، والدول الاشتراكية المجاورة لها ـ وعلى الاخص جمهورية المانيا الديمقراطية وبولندا وتشيكوسلوفاكيا والاتفاقيات التى تم التوصل اليها فيما بينها ـ الى خلق الظروف المواتية لاقامة نظام للامن الجماعى فى أوروبا .

ـ وفى مايو ١٩٦٩ عرضت الحكومة الفنلندية اقتراحا بأن تكون هلسنكى مقرا للمؤتمر الاوروبى وللاجتماعات التحضيرية والمشاورات اللازمة لانعقاده .

ـ وفى مايو ١٩٦٩ عرضت الحكومة الفنلندية اقتراحا بأن تكون هلسنكى مقرا للمؤتمر الاوروبى وللاجتماعات التحضيرية والمشاورات اللازمة لانعقاده .

ـ وفى نوفمبر ١٩٧٠ اعلنت الحكومة الفنلندية أن الحكومات المعنية قدمت ردودا ايجابية فيما يتعلق باقتراح عقد المؤتمر في هلسنكي وأنه قد تم الاتفاق في المشاورات الاولية على أن تحضره كل دول أوروبا بالاضافة الى كندا والولايات المتحدة .

ـ فى يناير ١٩٧٢ جددت البلدان الاعضاء فى معاهدة وارسو اقتراحها بعقد المؤتمر الاوروبى الشامل . وأعلنت عن اقتناعها بامكانية دعوة المؤتمر الاوروبي الشامل للانعقاد خلال ١٩٧٢ وحثت على بدء المشاورات بين الدول الاوروبية والولايات المتحدة وكندا .

ـ فى نوفمبر ١٩٧٢ انعقد الاجتماع التحضيرى للمؤتمر الاوروبى الشامل للامن والتعاون فى هلسنكى . وخلال المشاورات التحضيرية تم الاتفاق على أن ينعقد المؤتمر على ثلاث مراحل .

ـ وفى ٣ يوليو ١٩٧٣ انعقدت المرحلة الاولى للمؤتمر على مستوى وزراء الخارجية فى هلسنكى . وكانت هذه المرحلة بداية لاعمال المؤتمر ، وتم فيها طرح وجهات النظر بالنسبة للقضايا الاساسية في جدول الاعمال .

ـ وانعقدت المرحلة الثانية فى جنيف فى اغسطس ١٩٧٣ لدراسة وجهات النظر والاقتراحات المختلفة والتوصل الى صياغة الوثائق النهائية تمهيدا لطرحها على المؤتمر فى اجتماعه النهائى لاقرارها .

— أما المرحلة الثالثة والختامية ، فقد انعقدت على مستوى القمة فى هلسنكى فى ٣٠ يوليو ١٩٧٥ ، وفيها تم التصديق على الوثيقة الختامية وتم اقرار الميثاق الاوروبى للأمن والتعاون فى أول أغسطس ١٩٧٥ .

غير أن بعض الدوائر الصحفية والاعلامية فى الغرب المرتبطة بحلف الاطلنطى واحتكارات السلاح وبالاوساط المعارضة للانفراج قد شنت حملة واسعة ضد المؤتمر ، وحاولت بكافة الوسائل التشكيك فى نتائجه أو تشويه طابعه وقراراته ، أو التقليل من شأن تلك القرارات . فقد كتبت الفيجارو الفرنسية : « لقد توصل السوفييت فى هلسنكى الى ماكانوا يريدونه . ومن الواضح أن الامر لا يعنى بالنسبة لدول الغرب سوى الاستسلام دون قيد أو شرط » . وكتبت كورور الفرنسية تقول : « ان الوثيقة النهائية للمؤتمر ليست سوى التصديق الرسمى والنهائى على المكاسب الشيوعية » ، ووصفته كثير من صحف الغرب بأنه « مؤتمر المخدوعين » وأن التنازلات التى قدمت للبلدان الاشتراكية فى غير محلها لانه ليس هناك آية ضمانات لان تلتزم بالمبادىء التى صدقت عليها فى هلسنكى .

وقد حاول « ليونيد بريجنيف » فى خطابه ، قبل التصديق على الوثيقة الختامية ، تلك الحملات ، وأشار الى « أن نتائج المفاوضات الطويلة توضح أنه ليس هناك منتصرين أو مهزومين ، من فائزين أو خاسرين . انها انتصار للعقل » ثم أضاف :

« لقد أصبح نجاح المؤتمر ممكنا فحسب لان المشاركين فيه سعوا على الدوام الى الالتقاء فى منتصف الطريق ونجحوا فى التغلب على عقبات كبيرة ، وذلك لكى يصوغوا ، فى التحليل النهائى ، اتفاقيات تقبلها جميع الاطراف حول كل المسائل المطروحة أمامهم . وقد أمكن صياغة هذه الاتفاقيات والتوصل اليها ، لا عن طريق فرض آراء بعض المشاركين فى المؤتمر على البعض الاخر ، وانما على أساس ملاءمه آراء ومصالح كل طرف بما يؤدى الى التوصل الى اتفاق عام .

واذا ما كان هناك تهادنات فى ذلك ، فانها تهادنات لها ما يبررها ، تهادنات من ذلك النوع الذى يفيد السلام دون أن تطمس الاختلافات فى الايديولوجية أو النظم الاجتماعية . ولكى أكون أكثر دقة ، فانها تمثل تعبيرا عن الارادة السياسية المشتركة للدول المشاركة فى المؤتمر فى شكل ملائم اليوم ، فى ظروف وجود دول ذات نظم اجتماعية مختلفة » .

O

■ بنجلاديش :

قتلوه ثم ساروا فى جنازته

فى ٢٢ أغسطس الماضى ، اذاع راديو لندن وصفا لعملية اغتيال الشيخ مجيب الرحمن رئيس بنجلاديش والتى جرت يوم ١٥ من نفس الشهر ما جاء فيه ان رؤساء الانقلابين بعد أن حاصروا قصره بقواتهم ، دخلوا بأنفسهم ورشاشاتهم فى ايديهم حيث طاردوا الشيخ مجيب وزوجته وابناءه فى حجرات وردهات وطرقات القصر وهم يطلقون عليهم وابلا من النيران ، ولم يتوقفوا الا بعد ان تأكدوا تماما من ابادتهم هم والمقربين اليهم فى القصر ، وبعد ذلك ساروا بأنفسهم — أيضا — الى منازل اصدقاء وأعوان اقارب رئيس بنجلاديش المنتخب حيث كرروا معهم ما فعلوه بالرئيس [مثلا ابنى عمه الشيخين منير وشاهد] وكانوا ، اثناء ذلك ، قد اعلنوا الاحكام العرفية ، وحظر التجول طوال الـ ٢٤ ساعة يوميا وكالوا التهديدات لكل من يتعرض لخططهم .

فهل دانت لهم الامور كما قالت وكالات الانباء الغربية مستخلصة هذه النتيجة من دعوة الرئيس الجديد — وهو من الاصدقاء المقربين لمجيب الرحمن للطلاب الى مواصلة امتحاناتهم ، ومن تشكيل وزارة معظم اعضائها من الحكومة السابقة بل واجتماع رئيس هذه الاخيرة بالرئيس الجديد ؟ الواقع ينفى ذلك :

● قد اذاع التليفزيون الايرانى أن قتالا ضاريا يدور على مناطق الحدود بين انصار مجيب الرحمن وبين قوات الانقلاب ، سقط فيه ما يزيد على ٢٠٠ قتيل .

● كما اذاع راديو لندن ان ٣ فرق ظهرت بين قادة الانقلاب ، وان العراك بينهم قد استفحل .

● كما اذاع نفس الراديو أن قادة الانقلاب يعيشون فى قصورهم تحميهم قوات ضخمة ، وأنهم لا يجرؤون على الظهور ، وان استدعوا خونداكار مشتاق أحمد ليكون واجهة لحركتهم بعد نجاحها وليهاجم سياسة صديقة الراحل

ويقول انها لم تكن نزيهة . ومع ذلك اضطروا لاقامة جنازة رسمية للشيخ مجيب وساروا فى جنازته بعد أن قتلوه كما يقول المثل . وأكد الرئيس الجديد انه سيتبع سياسة سلفة فى عدم الانحياز .

وقد كانت الخارجية الامريكية هى أول من اذاع نبأ الانقلاب . كما اعلن المتحدث الرسمى باسمها فورا ، استعداد حكومته للاعتراف بحكومة الانقلاب . ويرى المراقبون أن عدة حقائق يمكن استخلاصها من الانباء القليلة التى خرجت من بنجلاديش :

ان ما تم فى بنجلاديش لا ينفصل عما يتم فى الهند ، خاصة فيما يتعلق بمخطط الاطاحة بانديرا غاندى وما تمثله فى الميدانين الخارجى والداخلى والذى ينتهج مجيب الرحمن خطا مشابها له ، لكن المخطط لم ينجح فى الهند لاختلاف فى الظروف التاريخية . كذلك فان ما حدث فى بنجلاديش لا ينفصل عما يحدث فى هذه المنطقة من العالم ، والذى يمكن تلخيصه فى انحسار الحكم الاستعمارى واضطراد مسيرة قوى التقدم ، بعد فيتنام وكمبوديا ولاوس .

واذا قيل ان حكم مجيب الرحمن كان يمثل عددا من السلبيات منها :

— الاتجاهات اللاديمقراطية فى حكمه ، واعتماده سياسة الحزب الواحد والاتكال على الاجهزة . وقد تلبته هذه .

— المتاعب الاقتصادية الناجمة عن التردد فى تصفية الملكيات الكبيرة وانتهاج طريق اشتراكى قائم على التخطيط والملكية العامة وعدم تصفية الاثراء بطرق غير مشروعة وشيوع الفساد والرشوة [٤٠٠٪ زيادة فى الاسعار فى عام واحد] وقدرت الامم المتحدة حاجتها للمساعدة بـ ٥ر١ مليار دولار .

تقول بالرغم من هذا فان مجيب كان يمثل اتجاها مناوئا للسيطرة الاستعمارية فى المنطقة وفى بنجلاديش ، مناوئا للاستغلال فى الداخل — على الاقل تحت ضغط الضرورات وقد أعلن صراحة انه سيقيم دولة اشتراكية علمانية ومن ثم فالانقلاب عليه اطاحة بكل ما يمثله وعودة الى الوراء، ولا يقلل من ذلك أنه هو نفسه الذى اتاح ذلك ويسره بعدم اعتماده على الجماهير ، ولجوئه الى الاجهزة ، وعدم الحسم فى الاختيارات الاجتماعية والاقتصادية . وقد أعلنت **وكالة انباء المانيا الغربية** ان المبادىء الاساسية لدستور بنجلاديش هى العلمانية والديمقراطية والاشتراكية والقومية . وقالت انه سيتم التخلص من هذه المبادىء وأكدت ان المعلومات الواردة من دكا « تشير الى ان الحكومة الجديدة تتجه الى اليمين الى حد كبير » .

لكن ما يجمع عليه كل المراقبين هو ان الانقلاب لن يخرج بنجلاديش من أزمتها الاقتصادية والسياسية ، وانما يضيف بعدا جديدا الى عدم الاستقرار فى بنجلاديش وفى المنطقة ، شبه القارة الهندية ، وهى منطقة حبلى بالتغييرات . **وعلى النقيض من ذلك ، فان ذهاب الشيخ مجيب الرحمن ، بماله من رصيد سياسى وشعبى وبقدرته على كبح جماح التطورات — ولو الى حين — وموازنة الامور ، سيؤدى الى انفلات الاحداث فى بنجلاديش .**

O

■ شيلى :

٣٠ ألف قتيل حصاد عامين « لديموقراطية اليمين »

فى ١١ سبتمبر ١٩٧٥ يكون قد مر عامان على الانقلاب العسكرى فى شيلى الذى أطاح بحكومة الدكتور **سلفادور الليندى** الشرعية . وصحيح أن كثيرا من المؤرخين يقولون أن عاما وعامين بل وخمسة ليست شيئا يذكر فى تاريخ الشعوب ، ولكن هذين العامين كلفا الشعب الشيلى الكثير : حوالى ٣٠ ألف قتيل ، غير عشرات الالاف من أبناء الشعب وضعوا فى السجون ومعسكرات الاعتقال . كما فقد ٣٠ ألف طفل آباءهم ، و ٢٠٠ ألف وظائفهم ، بسبب انتماءاتهم السياسية أو مجرد تعاطفهم مع حكومة الليندى وطرد ٢٥ ألف طالب من الجامعات .

وبسبب الاطاحة بحكومة الليندى الدستورية والاعمال البربرية التى ارتكبت فى شيلى ، قطعت معظم الدول علاقاتها بالعصبة العسكرية الفاشية الحاكمة هناك ، وادانوا أعمالها ، ولا تؤيدها بشكل علنى غير الولايات المتحدة الامريكية التى أخذت تحقن النظام الجديد بالمساعدات والقروض ، وبدأت الشركات استثماراتها فى شيلى مرة أخرى .

وبلغت عزلة النظام العسكرى الحاكم الى حد أنه فى ٦ نوفمبر ١٩٧٤ ، اتخذت الجمعية العامه للامم المتحدة قرارا يندد بنظام الحكم الفاشى ، ويطالب باقرار حقوق الانسان المنتهكة بعنف فى هذه البلاد . وأعرب القرار عن القلق بخصوص حملات الاعتقال التى ما زالت مستمرة ، والمعاملة غير الانسانية للمسجونين السياسيين ، الذين تتعرض صحة بعضهم الان للخطر . وطالب القرار سلطات شيلى بأن تتخذ جميع الخطوات الضرورية لاقرار حقوق الانسان وحمايتها ، واطلاق سراح الذين اعتقلوا دون اتهام وسجنوا لاسباب سياسية فقط .

وطالب القرار — فى نهايته — رئيس الجمعية العامة ، والسكرتير العام للامم المتحدة بالمساعدة بكل وسيلة ممكنة باعادة اقرار الحقوق الاساسية والحريات الجوهرية فى شيلى ، وان يقدم السكرتير العام **كورت فالدهايم** تقريرا عما أنجز فى هذا المجال الى الدورة الثلاثين «القادمة» للجمعية العامة للامم المتحدة .

وانضمت الى حملة الدفاع عن حقوق الانسان فى شيلى ، الهيئات الاجتماعية والقانونية التابعة للامم المتحدة وفى مارس ١٩٧٤ أرسلت الدورة الثلاثين للجنة حقوق الانسان برقية للمجلس العسكرى أعربت فيها عن قلقها العميق بشأن مصير المسجونين والمعتقلين السياسيين الذين تتعرض حياتهم للخطر ، وطلبت من المجلس العسكرى الحاكم عدم عرقلة سفر أى شخص يرغب فى مغادرة البلاد

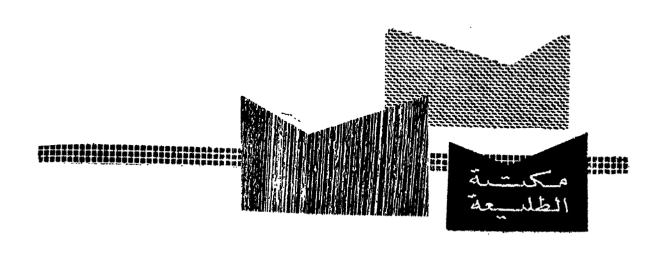
ودعا المجلس الاقتصادى — الاجتماعى فى قرار اتخذه فى ١٧ مايو ١٩٧٤ السلطات الشيلية ، الى اتخاذ جميع الخطوات الضرورية باقرار وصيانة حقوق الانسان الاساسية والحريات الجوهرية .

واتخذت لجنة منع التمييز العنصرى وحماية الاقليات التابعة للجنة حقوق الانسان بالامم المتحدة ، أيضا ، قرارا فى ٢١ أغسطس ١٩٧٤ ، أكدت فيه أن أعمالا مثل الاعتقالات التعسفية والتعذيب والمعاملة غير الانسانية للمسجونين السياسيين والمعتقلين فى السجون ومعسكرات الاعتقال ، تعد انتهاكا صارخا لمبادىء القانون الدولى . وأدانت « منظمة العمل الدولية » و « مؤتمر الامم المتحدة والتنمية » و « منظمة اليونسكو » المجلس العسكرى الحاكم فى شيلى .

ولكن النظام القائم لم يحترم قرار الامم المتحدة ، واحتفظ بحالة الطوارىء معلنة وما زالت تقبض على من تشاء دون محاكمة ، وما زال المعتقلون السياسيون يموتون فى السجون نتيجة التعذيب والاهمال المتعمد .

وحتى منظمة الدول الامريكية ، ارسلت لجنة لتقصى الحقائق فى شيلى . على الرغم من نقل المسجونين من معسكرات الاعتقال ، وتمزيق صفحات من دفاتر السجون ، قالت اللجنة : « ان عديدا من الاشخاص قد قبض عليهم بدون أسباب ، وان مصير آلاف المعتقلين السياسيين غير معروف » . واحتجت شيلى على هذا التقرير فى اجتماع « لجنة حقوق الانسان » التابعة للمنظمة ، فرفض أندريه **أجويلار** [فنزويلا] رئيس اللجنة هذا الاحتجاج .

ويرى المراقبون أن استمرار أعمال القمع لا يترتب عليها اتساع المعارضة فى صفوف الرأى العالمى فحسب ، بل ان الدورة الثلاثين للجمعية العامة للامم المتحدة تضع فى جدول أعمالها مناقشة تقرير السكرتير العام عن شيلى .



القـــرية المعاصـــرة

تأليف : فتحى عبد الفتاح
الناشر : دار الثقـــافة الجديدة
القـــاهرة ١٩٧٥
عرض ومناقشة : أحمد صادق سعد

دراسة جادة ، قل أن اطلعنا على مثيلها ، لانها ليست مبنية فقط على الاحصاءات والمعلومات المستخرجة من شتي المراجع ، بل تعتمد افكارها **الرئيسية والتفصيلية على معرفة** شخصية عميقة للريف والفلاحين المصريين ، وعلى احساس بمشاركة الكادحين الزراعيين لحياتهم وآمالهم . ويتحاشى المؤلف التعبيرات النظرية المعروفة ليجعل كتابته أقرب منالا الى متوسطي الناس المحبين للقرية وأبنائها. وهذه ميزة لاشك فيها . ولكنا نظن أنه تطرف في هذا في بعض الاحيان ــ تطرف مخل بفائدة الدراسة ، اذ أفقدها ــ فى مواضع حاسمة معينة ــ التعميمات المطلوبة ، فلم يلق بالتالى الضوء الكافى عليها .

ولهذا الكتاب ميزة أساسية كبرى ، وهى انه يضع المشكلة الفلاحية ، كما هى اليوم ــ على مائدة التشريح من مختلف الزوايا ، فاستجاب الى احتياج ملح حاد تعانى منه الحركة التقدمية المصرية ، خاصة وان تطورات هامة تجرى الان فى الريف المصرى . واننا لندعو جميع المهتمين بقضايا الوطن الى مناقشة كتاب **فتحى عبد الفتاح** للمساهمة فى توضيح الطريق امام الاشتراكية المصرية .

● ● ●

كان للحركة الوطنية التقدمية المصرية فى الاربعينات برنامج عام فى القضية الفلاحية ، نلخصه فى الاتى [1] :

١ ــ تحديد الملكية الزراعية وتوزيع مايزيد عن ٥٠ فدانا على الفلاحين الفقراء .

٢ ــ تشجيع الجمعيات التعاونية الانتاجية .

٣ ــ حماية الطبقة الفلاحية باصدار التشريع الفلاحى [تحديد الحد الادنى لاجر العامل الزراعى ، قوانين عقد العمل الفردى والجماعى ، تشغيل النساء والاطفال ، التأمين على المنشآت والمحاصيل والمواشى الخ] .

وكانت ضرورة الاصلاح الزراعى تحظى بتأييد الجناح المتقدم للبورجوازية الليبرالية [**محمد خطاب ، مريت غالى** وآخرين] . وفى غمرة الموجة الوطنية التى اجتاحت مصر ، وبعد **الانتصارات** التى حققتها اللجنة الوطنية للعمال والطلبة ، وقعت تمردات فلاحية متفرقة اتخذت شكل الهجوم على ممتلكات كبار الاقطاعيين [حوادث بهوت وكفور نجم] .

---

[1] انظر للكاتب : « مشكلة الفلاح » ــ القاهرة ــ دار القرن العشرين ــ ١٩٤٣ ــ وخاصة ص ٦١ وبعدها .

وقامت ثورة يوليو ١٩٥٢ ، بتنفيذ ذلك البرنامج على مرحلة طويلة تمتد حتى ١٩٦٨ ، وتخطت خلالها حدوده الضيقة . ويسجل المؤلف النواحى الايجابية لنشاط الثورة فى هذا الميدان ، أعمها فى نظره — ونوافقه على رأيه — ان قانون الاصلاح الزراعى ، رغم تخلفه وبكل اخطائه وشوائبه " صدر فى مصر بهز بعنف فكرة الملكية الزراعية التى ليس لها تراث طويل أو تاريخ قديم " [ص ١٢] . وان قوانين الايجار اوجدت ظروفا مختلفة للمستأجرين وقللت من الاشكال المتخلفة للايجار . وتكون هيكلان متكاملان واسعان للتعاون الزراعى الائتمانى وغيره ، وحققت الدولة دفعة واسعة للاستصلاح غطت مايقرب من مليون فدان ، وكونت قطاعا عاما فى اراضى الدولة . وكذلك تم تشكيل آلاف من المجالس القروية جزء منها منتخب ، مما يعتبر شكلا اداريا جديدا بالنسبة للفلاح — على الاقل من الناحية النظرية — وخفف هيمنة الادارة التقليدية ونفوذها [ص ١٤٤] . ويلاحظ المؤلف بحق ان حركة الاصلاح اتت بنتائج ايجابية فى ميدان الانتاجية ايضا حتى عام ١٩٦٣ . باختصار ، فقد احدثت الثورة الناصرية تغييرا هاما فى شكل العلاقات الانتاجية والاجتماعية والسياسية فى الريف المصرى بقضائها على الملكية شبه الاقطاعية التى كانت سائدة قبلها.

وفى رأينا انه هنا يكمن احد الاسباب الرئيسية للتأييد الجماهيرى الواسع — وان كان سلبيا فى احيان كثيرة — الذى تمتعت به الناصرية [٢] . واذا كان صحيحا ان اجراءات الاصلاح الزراعى تمت بصورة ادارية من أعلى ودون الاعتماد على التحرك الفلاحى الثورى بل وبتحويل بيروقراطى للتنظيمات الزراعية ، فلا ينفى هذا أنها كانت عملية تقدمية من الزاوية التاريخية بمعنى انها فتحت الطرق أمام خطوات اخرى ، على الجماهير ان تحققها فى ظروف جديدة .

ان مبدأ الملكية العامة للارض ليس مبدأ اشتراكيا فى حقيقة الامر . فقد وقف اقتصاديو البورجوازية الاوائل [ريكاردو] ضد المركز الاحتكارى الذى تتمتع به الملكية الزراعية . وحققت جميع الثورات البورجوازية اصلاحا زراعيا بشكل أو بآخر . اما من أعلى على يد كبار اصحاب الاراضى انفسهم الذين تحولوا الى رأسماليين زراعيين [الحل السيادى] أو [البروسى] او من أدنى بواسطه الفلاحين [الحل الفلاحى أو الامريكى] [٣] . وفى كلا الحالتين كان الاصلاح الزراعى تقوية للنظام الرأسمالى الناشىء .. وكذلك نعلم ان المبدأ السائد فى اسرائيل الاستعمارية ان الارض مؤممة . ولكن الامر الذى اعطى لحركة الاصلاح الزراعى الناصرية طبيعتها التقدمية هو — بشكل خاص — الاطار العام الذى احاطها ، اى كونها جزءا من حركة التحرر الوطنى المصرية والمعادية للاستعمار . فلقد كان تيارا واحدا ذلك الذى استولى على اراضى العائلة المالكة وكبار الاقطاعيين والمزارع الاجنبية والشركات الاحتكارية الاستعمارية واهم المنشآت الكبرى التى تملكها الرأسمالية المصرية المرتبطة بالرأسمال الاجنبى ، ورفض الاحلاف ، وتعاون مع المعسكر الاشتراكى الخ . ثم اجرى هذا كله داخل اطار أعرض مرة أخرى ، أى فى ظروف عالمية اتسمت بالانهيار للنظام الاستعمارى العالمى وتحول زمام المبادرة الى المعسكر الاشتراكى . وتزداد هذه الحقيقة وضوحا عندما نتذكر ان الاحزاب المصرية التقليدية لم توافق على الاصلاح الزراعى ، لاقبل الثورة ولا بعدها . فالبورجوازية المصرية كانت تخشى ان يؤدى الى اصابة مركزها بصورة مباشرة . ونرى أبواقها اليوم يطالبون بالتراجع من الاصلاح الزراعى، وروادها يعملون فيه معاولهم دون كلل .

ونأخذ على كتاب **فتحى عبد الفتاح** أنه اهمل هذا الجانب الاخير ، فقد التصقت دراسته بالقضية الفلاحية فى حدودها الى درجة كادت ان تجعلها منفصلة عن القضايا الكلية . وبالطبع ، لن يوجد حل صحيح للمشكلة الفلاحية الا اذا كان جزءا من الحل السليم للمشاكل المصرية فى وحدتها ، ونعنى حلا فى الاتجاه الاشتراكى .

لايخطىء **فتحى عبد الفتاح** عندمايقول: « ان تحديد الملكية وتوزيع الاراضى على ملاك جدد ليساهما الهدف الذى تسعى اليه الاشتراكية ، ولكنهما وسيلة لتحقيق تمليك جماعى للمنتجين الزراعيين » . ولان حركة الاصلاح الزراعى فى مصر توقفت عند تحديد الملكية حتى ٥٠ فدانا ، واقام النظام الناصرى سدودا أمام التنظيمات الجماهيرية الشعبية ، لم تتحقق الاشتراكية بل نمت الرأسمالية فى الريف المصرى . وان ذلك التيار السياسى الخاص للبورجوازية الصغيرة الذى وجه اجراءات الاصلاح الزراعى انما استجاب لمصلحة البورجوازية الزراعية ولهدف اتحاد الصناعات بتثبيت الملكية « وتجنيب مصر ويلات الصراع الذى يمكن ان يسفر من حلول عنيفة » أى جذرية .

ويلاحظ المؤلف : كيف ان القضاء على الاقطاع فتح الطريق أمام التمايز الطبقى المتزايد فى الريف . وانقسمت الكتلة القديمة المواجهة لاشباه الاقطاعيين الى رأسماليين زراعيين كبار ، من جهة وفلاحين فقراء ومعدمين وعمال زراعيين من جهة اخرى . وبينهما شريحة واسعة من الفلاحين الاغنياء [يملكون بين ٥ و ٢٠ فدانا] تنجذب نحو الطبقة السائدة دون ان تنطبق مصالحهما . وبقى الجوع الى الارض حادا : فما يقرب من نصف الاراضى الزراعية فى يد ٤٪ من الملاك ، ومليونان ونصف مليون يملكون فدانا أو اقل ، وثلاثة ملايين معدمون تماما . وظلت اساليب الزراعة وعلاقات الانتاج متخلفة [٦٠٪ من الارض تزرع بالايجار] . ويركز المؤلف كثيرا على تفتيت الحيازات واضراره البالغة . ويبرز ان سمة المالك الغائب مازالت سائدة . ويؤكد ان وجود هذه البقايا من العلاقات الاقطاعية لايعنى سيادة الاقطاع [ص ٢٠٩] ، بل ان البورجوازية الريفية تجد فائدة اقتصادية وسياسية فى التكيف بها . ويعترف برنامج العمل الوطنى نفسه بان « اسلوب الحياة اليومية لفلاحينا لم يلحقه تغيير حقيقى لافى أسلوب ووسائل الانتاج ولا فى الغذاء والصحة والثقافة » .

وسيطر كبار الرأسماليين الزراعيين على التنظيمات الادارية [مجالس القرى والمراكز والفروع الحكومية] ، والجمعيات التعاونية ولجان الاتحاد الاشتراكى . وكان هذااما بصورة مباشرة أو بواسطة امتداداتهم من الموظفين والمشرفين الزراعيين أو الفلاحين الاغنياء. « ويتخذ كبار الملاك الرأسماليين موقفا معاديا لاى تطور اجتماعى فى الريف . **فهم فى الواقع قاعدة لقوى الثورة المضادة** .. وضد تطور التعاونيات الزراعية » [ص ٢١٨ — ٢١٩] . ونضيف من طرفنا أن هؤلاء هم الذين يعبر عنهم التيار الذى يبحث فى استماتته عن التعلق بركاب الاستعمار الجديد ، ومن تصفية التراث الناصرى تصفية تامة .

---

[٢] ونعتقد أن سر القوة التى توفرت لنظام محمد على يكمن أيضا فى استيلائه على أراضى المماليك واعادة توزيعها على الفلاحين .

[٣] انظر R. Oulianovski : «Le socialisme et les pays libérés». — Moscou — Ed. du Progrés. 1975 — pp. 512 et pass.

وليست النتائج السلبية لهذه التطورات محصورة فى بقاء ثلثى المصريين فى حالة الفقر المدقع ، بل تصيب التنمية القومية وتعرض استقلالنا الاقتصادى للخطر . فقد اصبحت مصر دولة مستوردة للغذاء الاساسى [القمح والذرة والفول] ، وهبط المتوسط السنوى لنمو الانتاجية فى محاصيل الارز والقطن والقمح والبصل والقصب [٤] . كما انخفض الرقم القياسى للانتاج الزراعى ولنصيب الفرد منه بعد الخطة الخمسية الاولى [٥] . أى أن السياسة التى اتبعت فى الاصلاح الزراعى دفعت بالانتاج ــ كما ذكرنا ــ دفعة فى فترة اولى ، ولكنه تراجع بعد ذلك .

ما هو البرنامج الفلاحى الذى يرسمه فتحى عبد الفتاح فى كتابه ؟ من المؤسف انه لم يجمعه بالطريقة التقليدية مطلبا بعد مطلب ، اذ نرى اجزاء منه مبعثرة فى فصول مختلفة . أو يكتفى بالتلميح الى بعض النقط هنا وهناك . وعلى كل ، فنحن نلخص فكر المؤلف فى الاتى :

أ ــ ان كبار الملاك الراسماليين قاعدة للثورة المضادة .

ب ــ انه يمكن تحييد اغنياء الفلاحين

جـ ــ ان أسس الانطلاق هى ، ① بقاء الملكية الفردية للارض ولكن مع التجميع التعاونى الانتاجى على أسس اختيارية ② عدم توزيع الارض المستصلحة الجديدة وضم استثمارها الى القطاع العام . ③ العمل على القضاء على تأجير الحيازات الصغيرة . ④ دمقرطة المجالس القروية والمحلية . ⑤ نشر الميكنة الزراعية. ⑥ تصنيع الريف. ⑦ محو الامية ونشر الثقافة فى الريف .

واذا كنا لا نعترض على هذه النقط باعتبارها مطالب صحيحة ، الا انها ــ فى مجموعها ــ لا تشكل الا برنامجا جزئيا لا يتناسب مع الدراسة نفسها التى تعمقت بصورة عامة . ويدفع هذا الوضع الى تساؤل القارىء عن برنامج مرحلى

ومن الواضح أن فتحى عبد الفتاح يضع مثلا مطلب التجميع التعاونى الانتاجى للحيازات الصغيرة باعتباره سلاح الفلاحين فى كفاحهم ضد الرأسمالية الزراعية . ولكنه فى الوقت نفسه يسجل عدم وجود حركة فلاحية ، وسيطرة البيروقراطية والفلاحين الاغنياء والبورجوازية الكبيرة على التنظيمات الجماعيرية اسما . فكيف اذن تتفق الفكرتان ؟ ويوضح فتحى عبد الفتاح رأيه بما حدث فى اوروبا الشرقية ، وخاصة المانيا الديمقراطية حيث استطاعت التعاونيات الانتاجية الجامعة للفلاحين الفقراء أن تنافس الانتاج الرأسمالى وتقضى عليه . غير أن المعركة نجحت هناك بهذا الشكل بسبب قوة التنظيمات الفلاحية الصميمة ، وتراثها الثورى ، وقيادة حزب الوحدة الاشتراكى الالمانى لها وجيرة الاتحاد السوفيتى اقليميا .. وطبيعى ان الاوضاع لدينا جد مختلفة .

ويجب أن توضع المشكلة الفلاحية فى اطار القضية العامة ، قضية مستقبل مصر وتقدمها الوطنى والاجتماعى . واذا كان التاريخ المصرى ــ وخاصة العهد الناصرى منه ــ قد أثبت استحالة الحصول على الاستقلال السياسى بدون القضاء على الاقطاع والتعاون الوثيق مع الكتلة الاشتراكية فان مسار الامور يبين أن اخطارا شديدة يمكن أن تهدد الاستقلال الوطنى اذا لم تخط البلاد خطوات جديدة فى الاتجاه المضاد للاستعمار والرأسمالية .

وان وجود الجماهير الفلاحية الواسعة من الفقراء والمعدمين يفرض على مسار مصر نحو الاشتراكية أن يكون مسارا خاصا ، غير أنه ذو منظور اشتراكى على أى حال . وقد أبدى فتحى عبد الفتاح فكرة صائبة عندما ابرز التراث الجماعى للفلاح المصرى باعتباره ذخرا ايجابيا فى هذا الشأن ، وتستطيع القوى التقدمية أن تعتمد عليه فى النضال ضد السيطرة البورجوازية فى الريف .

ولسنا نوافق المؤلف على كثرة ترديده أن الريف المصرى يفتقر الى الحركة الفلاحية . فهذه الحركة موجودة ، ولكن لها تعبيرات خاصة ، وكثيرا ما تلجأ تلقائيا الى اساليب الرفض السلبية .. ونعتقد أن لتلك الاساليب ــ رغم ذلك ــ دورا فى انشاء لجنة تصفية الاقطاع عام ١٩٦٦ ، وفى اصدار بيان ٣٠ مارس ، واجراء الاصلاح الزراعى الثالث الخ . ويكفى أن نتذكر النضالات الحالية التى لا تتوقف فى الريف ، وشدة التيار الناصرى اليسارى فى الريف والجامعة لكى نرى استمرار الحركة الفلاحية اليوم ايضا . ولكن الشرط الاساسى لتحقيق التقدم هو انطلاق هذه الحركة فى تنظيماتها المستقلة عن الهيئة الادارية القانونية والسياسية ، مهتدية ببرنامج للاصلاح الجذرى فى الريف .

وفى هذا الاتجاه ، نرى أن البرنامج الفلاحى المناسب يمكن أن يقربنا من المطالب الاتية :

١ ــ « الارض لمن يفلحها » : الغاء الملكية الزراعية الغائبة .

٢ ــ اجراء اصلاح زراعى رابع ، وتحديد حد اقصى للملكية بعشرين فدانا.

٣ ــ عند توزيع الارض يجب تمكين لجان فلاحية منتخبة من الفقراء والمعدمين من توزيعها .

٤ ــ فى حالة الحيازة الزراعية الموحدة ، لا تجزأ الارض .

٥ ــ تشجيع الجمعيات التعاونية الانتاجية للفلاحين الفقراء .

٦ ــ تكوين قطاع عام زراعى من الاراضى المستصلحة .

٧ ــ تخفيض الايجار ــ منع طرد المستأجر ــ منع الايجار العينى ــ تمثيل الفلاحين الفقراء فى لجان فض المنازعات

٨ ــ تخفيض الضرائب على الحيازات الصغيرة ، والتعاونيات الانتاجية ــ فرض ضرائب تصاعدية على الانتاج والرأسمال والارباح فى المزارع الفردية الكبيرة .

٩ ــ تطبيق قوانين التأمين على الجميع بما فيهم صغار المنتجين .

١٠ ــ الدفاع عن مصالح العمال الزراعيين وتنظيماتهم النقابية والاجتماعية والسياسية .

١١ ــ ولاية الجمعيات التعاونية والمجالس القروية على موظفيها [مثل المشرف الزراعى] وموظفى فروع بنك التسليف المحلية .

١٢ ــ الاعتراف بحق تكوين التنظيمات الفلاحية المستقلة السياسية والنقابية والاجتماعية .. الخ .

١٣ ــ الغاء شرط معرفة القراءة والكتابة للترشيح فى مختلف الهيئات التمثيلية [مجالس الادارة للجمعيات التعاونية ــ المجالس القروية والمحلية ــ مجالس المحافظات ــ المجالس الشعبية الاخرى مجلس الشعب ــ اللجان النقابية على مختلف المستويات الخ] .

---

[٤] انظر احمد حسن ابراهيم : « المزارع التعاونية » ــ الطليعة ــ اكتوبر ١٩٧٢ ــ ص ٣٥ .

[٥] F.A.O. : «Production yearbook» — 1968.



١ كيف يفكر الاشتراكيون في أمريكا اللاتينية ؟

الوثائق التى تبدأ الطليعة فى نشرها ، ابتداء من هذا العدد ، وفى الاعداد التالية ، هى النص الكامل لوثيقة هامة ، تعتبر فى الواقع دراسة شاملة وعميقة ، مدعمة بالارقام والوقائع عن الوضع العام ، السياسى والاقتصادى والاجتماعى فى أمريكا اللاتينية ، مع الاشارة الى وضع كل بلد على حدة من بلدان هذه القارة .

الى أين انتهى تطور هذه القارة ، وما الذى يجرى فيها من حركات الثورة والثورة المضادة ، والى أين تسير الامور ... كل هذا تتناوله الوثيقة التى تبدأ بنشرها ، والتى أصدرها ٢٣ حزبا من أحزاب أمريكا اللاتينية : الاشتراكية والشيوعية والتقدمية والشعبية ، وذلك عقب الاجتماع الذى عقدته هذه الاحزاب فى هافانا — عاصمة كوبا — فى المدة من ٩ — ١٣ يونيو ١٩٧٥ .

بعد مائة وخمسين عاما من معركة ايا كوسو التى ترمز الى افول الاستعمار الاسبانى فى القارة . لم يتحقق لقارتنا الامريكية استقلالها التام والراسخ ، وهو ما ناضل من اجله اسلافنا ابطال التحرير .

وما ان خطى الاستعمار الاسبانى أولى خطواته ، فى اواخر القرن التاسع عشر حتى تحول النفوذ التجارى المسيطر للقوى الاوروبية القديمة — وبسرعة — الى نفوذ اقتصادى استعمارى حاسم وخضع اقتصاد امريكا اللاتينية الضعيف — فى النهاية — لرأس المال البريطانى والالمانى والفرنسى الجبار . ثم سيطرت بعد ذلك عليه امبريالية الولايات المتحدة، وما زالت بعض البلاد فى قارتنا — حتى الان — ترزح تحت نير الاحتلال الاستعمارى .

لقد عرقلت الامبريالية التطور الاقتصادى المستقل لبلدان امريكا اللاتينية ، كما فعلت الشىء نفسه فى آسيا ، كما ستعوق بدايات تطور بلدان افريقيا الاقتصادى لعشرات السنين . ولقد ازدادت وطأة التدخل الاقتصادى والاجتماعى والسياسى ، واتخذ شكلا جديدا سيجعل من دول امريكا اللاتينية فريسة سهلة للجشع الامبريالى ، وبخاصة امبريالية الولايات المتحدة . وهكذا اخضعت امريكا اللاتينية لاسياد جدد ، دون ان تتحرر بالكامل ، ودون ان تستكمل امكانياتها فى التطور .

ولقد انتهكت سيادة دول امريكا اللاتينية ، فمع التبعية ، بدأت المأساة الجديدة لقارتنا ، ومع ان الرأسمالية قد تيض لها — وبدرجات متفاوتة — أن تكون النظام السائد الا أن طائفة من بلدان امريكا اللاتينية دخلت مراحل تتميز بضعف النظم الرأسمالية السائدة فيها ، بينما برزت — فى بعض الحالات — سمات رأس المال الاحتكارى . وهكذا ، فان التبعية الاقتصادية تتحكم — من جهة — فى معدل التطور الرأسمالى ، كما تحدد — من جهة اخرى — دوام الابنية القديمة .

ان اوضاع البؤس والتخلف الاقتصادى — والامية ، وضعف الصحة ، وانكار حقوق الانسان ، والوقوف فى وجه اتخاذ القرار الوطنى ، كل هذا ، من سمات الجزء الاكبر من امريكا اللاتينية وما زال يترك آثاره على غالبية شعوب تلك البلاد التى قطعت شوطا طويلا فى التقدم الاقتصادى .

ولقد كان من الممكن لامريكا اللاتينية — بتعدادها البالغ ٣٢٠ مليون نسمة وبمواردها الطبيعية الهائلة — ان تكون واحدة من اكثر المناطق تقدما فى العالم .

ولكن بالرغم من هذا ، فان اكثر من مائة مليون امريكى لاتينى يعانون من نقص التغذية ، وستة وثلاثين مليونا — منهم خمسة عشر مليونا من الاطفال — فى حالة خطرة من سوء التغذية ، واكثر من خمس السكان يعيشون بمعدل من الاحتياجات الغذائية اقل من الحد الادنى اللازم لمجرد الحياة . وفى الدول الرأسمالية المتطورة ، بينما يموت عشرون طفلا من بين كل مائة طفل خلال السنة الاولى من اعمارهم — يموت فى هايتى ٢٣٠ طفلا من كل الف طفل قبل بلوغهم عامهم الاول . وهناك مناطق فى البرازيل يصل الرقم فيها الى ١٨٠ . وفى ساو باولو [البرازيل] اهم مركز صناعى فى امريكا اللاتينية ، يصل الى ٩٠ . وكان الرقم فى شيلى ٧٩ ويتجه حاليا الى الارتفاع . ومتوسط وفيات الاطفال فى امريكا اللاتينية لا يقل عن ٦٦ ، ما عدا كوبا حيث المعدل ثلاثون .

وهناك بلاد يبلغ فيها المعدل الرسمى للامية ٢٧ بالمائة ، ولكن الارقام الرسمية للامية الوظيفية أكبر من ذلك بكثير ، وخاصة فى تلك البلاد التى لايحظى فيها هذا الموضوع باى دراسة . ويقدر ان هناك ما لا يقل عن اثنى عشر مليون طفل لايدخلون المدارس الابتدائية . ومن بين المقيدين تتراوح نسبة المتسربين بين ٥٠٪ و ٨٠٪ . ومن بين جميع الاطفال المقيدين بالدراسة الابتدائية ، اقل من الثلث يصلون الى المرحلة الثانوية ، واقل من ٩٪ من الذين تتراوح اعمارهم بين ٢٠ و ٢٤ عاما يدخلون المرحلة الجامعية . كما ان كثيرا من الخريجين ، ضحايا المرتبات الضئيلة والبطالة ، يلبون نداء الدولة المتقدمة ويتجهون الى الولايات المتحدة الامريكية ، فيما يكون استنزافا حقيقيا للمواهب .

والبطالة الكاملة او الجزئية واحدة من أخطر الظواهر الاجتماعية ، وتتراوح أرقام البطالة — طبقا للمعلومات الرسمية — بين عشرة وخمسة وعشرين فى المائة من السكان القادرين على العمل . ولا يدخل ، فى هذا الرقم ، عشرات الملايين من النساء اللاتى لديهن القدرة على العمل فضلا عن حاجتهن الاقتصادية اليه . ولا يدخل فيه ، كذلك ، ملايين من الامريكيين اللاتينيين الذين يعانون من البطالة المقنعة فى اوضاع الاقتصاد الاسرى البائسة التى تسود فى الريف .

وتبقى امريكا اللاتينية قاصرة — بشكل رئيسى — على الانتاج الزراعى والتعدين ففى خلال العشرين عاما الماضية ، وحتى عام ١٩٧٠ ، لم ترتفع النسبة المئوية لمجمل الانتاج القومى الا من ١٨٫٧٠ الى ٢٥٫٢ . ولا تعكس الارقام العالية الوضع الحقيقى فى غالبية البلاد نظرا لارتفاع الارقام للاقتصاد فى بلاد مثل الارجنتين والبرازيل والمكسيك ، حيث الانتاج الصناعى اعلى من المتوسط . وفى اغلب الاحوال ، يتسم القطاع الصناعى بتخلف ملحوظ فى التقنية ، وبالانتاج المنخفض والانتاجية المنخفضة والاستخدام غير السليم للموارد المتاحة وفى بعض البلاد ، خاصة تلك التى تكون السوق المشتركة لامريكا الوسطى ، وفى بلاد الكاريبى يتكون الجزء الاكبر من القدرة الصناعية من فروع الاحتكارات الامبريالية التى تحصر نفسها فى نطاق المراحل النهائية من الانتاج . وهناك كثير من المشروعات التى تقام ولا هدف لها الا استخدام قوة العمل الرخيصة وارسال السلع الى الولايات المتحدة الامريكية ، وهو عامل آخر من عوامل تبعية اقتصادنا وتشويهها .

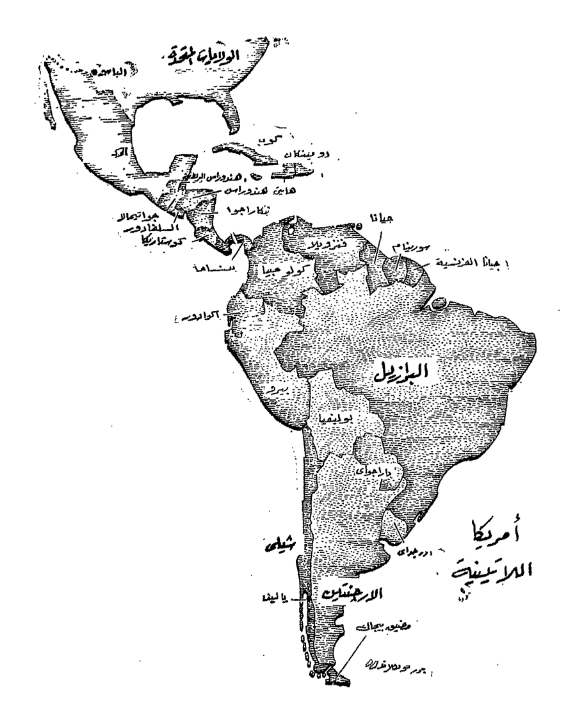
ولقد نقل تغلغل اتحادات الشركات [كونسورتيوم] والمؤسسات الدولية الى جزء من الزراعة فى امريكا اللاتينية الوسائل الحديثة للاستغلال ، وهى وسيلة جديدة لاستنزاف الموارد الطبيعية من اراضينا ، مما يضعنا فى وضع اكثر تبعية بالنسبة لرأس المال الاحتكارى للولايات المتحدة .

ويظهر التركيب الاجتماعى الاقتصادى للريف ، فى امريكا اللاتينية ، درجات متفاوتة ومتناقضة من النمو . فمن ناحية ، هناك الانتاج الزراعى الحيوانى المعد للتصدير ، وهذا الانتاج ، قد زاد بدرجة كبيرة ، وجرى تصنيعه . ومن ناحية اخرى ، ما زالت هناك اشكال متخلفة لاستغلال الاراضى الزراعية . وعلى وجه العموم يعيش ملايين العمال الزراعيين فى ظل ظروف بائسة من الاستغلال . واحد الاسباب الاساسية لهذا الوضع هو الاحتكار الذى يمارسه كبار ملاك الاراضى والمشروعات الرأسمالية والوطنية والاجنبية على الاراضى ، كذلك ، هناك عدد كبير من الملكيات القزمية **mini fundia** ذات الانتاجية المتناهية فى الانخفاض ، والتى ترتبط ارتباطا واهيا بالتبادل التجارى .

ولقد ابقى توزيع الارض — مع بعض الاستثناءات — على التفاوت الذى كان قائما فى السنين الاولى من الكفاح فى سبيل الاستقلال . وفى بعض الاماكن تفاقم هذا التفاوت . فأقل من ٨٪ من كبار ملاك الارض يملكون ٨٥٪ من مجمل المساحة القابلة للزراعة .

ويؤدى وجود ملايين الفلاحين المعدمين الذين يجبرون على بيع قوة عملهم لاوقات محدودة — او على الهجرة من الريف — الى استفحال اوضاع جماهير الريف ، كما أن تغلغل الاحتكارات يفاقم من الازمة الزراعية . هذا هو السبب الاساسى فى نقص الغذاء ، وليس « الانفجار السكانى » .

ويبلغ التخلف درجة أفظع فى البلاد التى تتكون نسبة كبيرة من سكانها من السكان الاصليين . ففى هذه البلاد ،



اكثر من ثلاثين مليونا من الهنود مقسمين الى مجتمعات عنصرية ethnic ولغوية ومعرضين ليس فقط لابشع انواع الاستغلال ، وانما يعانون — كذلك — من آثار سياسة الاستيعاب القسرى ، والتفرقة القومية الثقافية التى تمارسها كل من الامبريالية وحكام الاقلية . وكما هو معروف ، مارس الاستعماريون ، ومن جاءوا فى اعقابهم ، عملية منظمة لاستئصال السكان الهنود الذين شنوا صراعا بطوليا فى سبيل الحرية ، ومن أجل الحفاظ على تراثهم الثقافى . وهذا الصراع يكون فى حاضرنا جـزءا من المعركة العامة التى تخوضها شعوبنا . وما زالت عمليات الابادة الجماعية ترتكب ضدهم فى البرازيل وباراجـواى وبلاد أخرى .

ويدعى مفكرو الامبريالية ، وخدمهم المحليون ، ان افضل مصدر للعـون الخارجى الذى تحتاج اليه امريكـا اللاتينية للتنمية هو الاستثمار الاجنبى الخاص . ولكن التاريخ الماضى والمعاصر يؤكد ان الاستثمارات الاجنبية — خاصة الاستثمارات الاتية من الولايات المتحدة — لم تؤد الا الى نهب بلادنا . ...

ان الارباح السنوية لاستثمارات البترول تراوحت بين عشرين وثلاثين فى المائة . اما استثمارات الفروع الاخرى للتعدين ، او الانتاج الصناعى ، فهى لا تقل عن ذلك كثيرا . ان ما يستثمره امبرياليو اليانكى (الولايات المتحدة) فى امريكا اللاتينية يعود اليهم فى سنوات الاستغلال الاولى . اما باقى النشاط الاقتصادى فيصبح استنزافا بشـعا للثروات .

وفى المجال المالى نجد التعبير عن هذا الاستغلال الفظيع ، ففى عام ١٩٧٤ :

تم استنزاف اكثر من ٩٢٠٠ مليون دولار، بما فيها الفوائد — بواسطة المشروعات الاجنبية وذلك بالمقارنة بـ ٧٠٠ مليون فى عام ١٩٥٠ . وبين عامى ١٩٦٠ و ١٩٦٨ كانت ارباح فروع الاحتكارات اليانكى فى امريكا اللاتينية تزيد بمبلغ ٦٧٤٥ مليونا عن رقم رؤوس الاموال التى حولتها هذه الاحتكارات الى بلادنا.

وفى بداية وجود الامبريالية ، فى قارتنا ، كان احد الاشكال النموذجية للاستغلال هو الاستثمار فى التعدين أو الزراعة وتربية المواشى ،وفى النشاطات التى تحتاج الى مستوى منخفض نسبيا من التصنيع ، مثل السكر ، والموز، وثلاجات التخزين ، والنقل ، وفى القروض الحكومية . وبعد ذلك ، وضع الامبرياليون ايديهم على الخدمات العامة، وخاصة الكهرباء والتليفونات ،وسيطروا على المراكز السياسية المالية . وفى الفترة الاخيرة اصبحوا يحتلون مراكز مسيطرة على الصناعة والتجارة الداخلية والخارجية . كما يسيطرون على اهم وسائل الاتصال بالجماهير [الاعلام]، تستفيد المشروعات ذات القوميات المتعددة من احتكارها للتكنولوجيا المتقدمة والمواد الاولية الاساسية لتعميق هذه التبعية وتوسيعها .

ان الامبريالية قد ارغمت على ان تمارس قوتها عن طريق اشكال من السيطرة والتغلغل مستحدثة واشد مكرا ، وتم ارغامها على ذلك تحت وطأة ظروف تجرى فيها تحولات عميقة ، فى العالم الذى لا يكف كفاح قارتنا عن التأثير فيه .

ان الترابط بين رأس المال المحلى ورأس المال الامبريالى ، بهدف انشاء مشروعات مختلطة ، هذا الترابط يعود بالفائدة على الامبريالية ، لانه يمثل احدى الوسائل التى تحميها من التأميم، ولانه يتيح للاحتكارات — خاصة احتكارات الولايات المتحدة — ان تستفيد من الموارد ومن القوانين المحلية التى تجيز لهم زيادة ارباحهم ، فضلا عن ان هذه الاحتكارات انما تنتهك بسفور اى اجراء دفاعى ، وتتحكم فى مشروعات رأس المال المختلط . وانها لتتحكم فى المشروعات الوطنية ، وتستحوذ على الجزء الاكبر من الارباح ، عن طريق براءات الاختراع والاعفاءات وغير ذلك من اشكال الفوائد ، وكذلك عن طريق التهرب من الضرائب [مسك الدفاتر] ، وعن طريق المبالغة فى رفع اسعار المواد الاولية المعدات التى تستوردها من الشركات المرتبطة بها ، وعن طريق اجراء خفض مع اسعار السلع التى تبيعها الى هذه الشركات .

كذلك ، تستخدم [الاحتكارات] اسلوب الائتمان المشروط الذى تقدمه المؤسسات المالية من امثال : بنك التنمية الدولى،والبنك الدولى ،وصندوق النقد الدولى ، الى مشروعات القطاع العام [الطاقة ، والتليفونات والطرق والمجارى] التى تلتزم بالدفع من دخلها، مع زيادة معدلات الفائدة زيادة مستمرة. وكل هذا يؤدى الى زيادة الدين الخارجى، ويتصاعد بالتضخم ، ويرفع تكاليف المعيشة ، ويؤدى الى فرض ضرائب جديدة ، كما يؤدى — فى الوقت نفسه الى انخفاض فى الاجور الحقيقية للعمال. وهذا كله يشكل عملية متخلفة تفضى الى القضاء على المشروعات المؤممة والى العبث باستقلالها الذاتى .

ويمكن ان نأخذ المكسيك والارجنتين كمثالين ، ولكن البرازيل هى الحالة المثالية لاشكال التغلغل والسيطرة الامبريالية .ولقد انزاح الستار — اخيرا عن « المعجزة البرازيلية » واعترف بفشلها ، حتى اولئك الذين كانوا يدقون لها طبول الدعاية . والحق ان النمو الاقتصادى ، فى البرازيل ، فى السنين الاخيرة يختلف كثيرا عما يكتبه عنه هؤلاء الذين يقومون بالدعاية له .

ومن المهم ، بادىء ذى بدء ، ان نسترجع كيف تم تحقيق هذا النمو ،ومن الذى استفاد منه . فعملية التحويل الفاشستى فى البرازيل ، منذ الانقلاب اليمينى عام ١٩٦٤ ، اوجدت الاساس الذى لا غنى عنه لانبثاق « المعجزة الاقتصادية » . فالقهر الذى مورس ضد الحركة النقابية ، والقوى الديمقراطية والمعادية للامبريالية ، الى جانب انه يعكس رجعية النظام فى البرازيل ،اصبح سلاحا سياسيا ماضيا لفرض نوع من التطور الاقتصادى على البلد ، اكثر تبعية وخضوعا لامبريالية الولايات المتحدة .

وهذا التطور الاقتصادى يظهرنا على السمات الاساسية التالية : خفض المرتبات الى مستوى مجرد البقاء على قيد الحياة ، بهدف زيادة التراكم والاستثمارات ، بقاء معدل التضخم السنوى [حتى عام ١٩٧٣] فى حدود ٢٠٪ ، التسهيلات الممنوحة للاستثمارات الضخمة من رؤوس الاموال الاجنبية ودعم اقامة المشروعات التى تشترك فيها اكثر من دولة ، دعم الدولة — على نطاق واسع — لقطاع الاحتكار فى الاقتصاد ، الاستمرار فى دعم الابعاديات الكبرى **Lotifundia** ، وتسليم المصادر الطبيعية — بما فيها المساحات الشاسعة الصالحة للزراعة — الى اتحاد الشركات الامبريالية الضخمة — تعزيز الصادرات الضارة بالسوق الداخلية .

ان الذين يحققون هذه المعجزة الزائفة، وهم اعضاء الزمرة الاوليجاركية والعسكرية فى نفس الوقت الذى يتدخلون فيه فى اقتصاديات وسياسة البلاد المجاورة [خاصة باراجواى وبوليفيا وبورجواى وشيلى] ويفرضون سياسة [illegible] بالتواطؤ مع امبريالية الولايات المـ[illegible] — تقول : ان اصحاب المعجزة الزائفة يقومون ببذل جهودهم المعادية لمصالح جميع شعوب المنطقة ويحولون البرازيل الى دعامة خطيرة للامبريالية فى أمريكا الجنوبية .

ان تقييما لسنوات « المعجزة البرازيلية » يبين انها كانت نموا اقتصاديا يبعد الجماهير عن مكاسبها ، وينتهك السيادة الوطنية الى مدى اكبر من السابق ، وانها قد تمت بثمن فادح. ولهذه الاسباب لا يمكن ان يكون طريق « المعجزة البرازيلية » — كما يزعم دعاة الامبريالية — بديلا امام شعوب امريكا اللاتينية التى تناضل فى سبيل التحرر الوطنى والاجتماعى .

ان الوضع فى امريكا اللاتينية انما يحتاج الى دروب اخرى .

تواصل الطليعة نشر
بقية الوثائق فى العدد القادم



ملحق الأدب و الفن

نظرة الى الأدب الفلسطيني بعد ١٩٦٧


غسان كنفاني

(١) القصة والرواية

فاروق عبد القادر

(٢) .. الشعر ..

سامي خشبة

- شجاعة الرجال : تحية لحسين فوزي في عامه الخامس والسبعين د. عبد العظيم انيس
- جمعية المسرح : هل هي حل لازمة المسرح المصري تحقيق : محمد عثمان

الادب والفن في شهر :

فن تشكيلي : « اعطني حرية .. اعطك فنا ! »	عز الدين نجيب
رواية : قلب الليل .. الوعي داخل اطار الطبقة	شمس الدين موسى
تعليق : نموذجان مما يقدم المسرح التجاري	مجدي فرج

قصة قصيرة :

فصل من رواية .. حكاية التاجر والنقاش محمد البساطي

نظـــرة الى

الأدب الفلســـطيني

بعـــد ١٩٦٧

١ القصـــة والروايـــة

فاروق عبد القـــادر

قد لا نكون بحاجة لتكرار ما لاخلاف حوله ، وهـو ان الادب الفلسطينى ، شـعره ونثـره ،داخل الارض المحتلة ـ التـى اتسعت رقعتها بعـد ٦٧ ـ أوخارجها ، رافد من روافد الادب العربى ، يستعين بمنجـزاته ،ويضيف اليه ما يمكن اعتبـاره خصائص نوعية نـابعة عـنخصوصية التجربة الفلسطينيـة ومحاولات التعبير عنها . وقـدكانت أبرز سمات هـذا الادب دائما ارتباطه الحار والمبـاشربالتعبير عن قضيته ، فمـا أقـل النماذج التى تبتعـد عن هـذهالقضية الواحدة : الارض التى اغتصبت ، والذكريات المتعلقـةبطبيعتها وانسانها وانماط الحياة فيها ، وعذاب الفلسـطينى فىالمنفى ، أياما كـان موقـع هـذا المنفى من العالم ، هو خـارجفلسطين .. وكفى .

وبالنسبة للقصة والرواية ، نستطيع القول بأن هذا الشكل قد غاب عن مجمل الادب الفلسطيني - بعد محاولات لم يقدر لها الذيوع والتأثير - حتى بدأت في التوالي أعمال غسان كنفاني وسميرة عزام في أوائل الستينات ، وكانت اعمال غسان - على وجه الخصوص - انطلاقة كبيرة بهذا الشكل ، وحين سقط القلم من يده في ٧٢ - وبين أوراقه أعمال روائية وقصصية لم تكتمل - كان هذا الشكل قد قطع شوطا ملحوظا في تطوره ، وأصبح مواكبا للتجارب المعاصرة في الادب العربي . وعلى وجه من الوجوه يمكن أن نعتبر أعمال غسان نموذجا لتقدم الانسان الفلسطيني ، خطوةبعد خطوة ، من المنفى لحتمية الفداء ، من التشتت لشهادة الدم .

هذا الارتباط الحار هو ما جعل القصة الفلسطينية تدور حول نقاط محورية ثلاثة : ٤٨ ، ٦٧ ، ايلول ٧٠ : ماحدث في كل من هذه الفترات الثلاثة وما حدث بعدها . وسنرى كيف تتناول النماذج التالية [١] ، وكلها - عدا استثناء واحد هو اميل حبيبي - لكتاب من جيل بدأ الكتابة بعد غسان وسميرة عزام - هذه النقاط الثلاث . .

● **٤٨ : بعث الايام الماضية :**

يطمح **رشاد أبو شاور** في روايته الاولى « **أيام الحب والموت** » ، أن يروى لنا ما حدث في ٤٨ وقبلها ، فهو يتابع جيلين من أبناء قرية في الخليل الاسفل ، لكن هذا الطموح لم يتحقق في رواية لا تتجاوز صفحاتها المائة ، كل ما استطاعت تقديمه صور سريعة لنماذج من هؤلاء ، يثورون على الظلم ، سواء كان ظلم العشيرة القوية أو ظلم الانجليز أو اليهود ، ويدفعون دماءهم ثمن هذه الثورة ، وتظل الجذوة متقدة ، والامل باقيا في جيل لا يزال في احضان الامهات ، هكذا عرفنا سليمان الفلاح وابنه عبد الله ورفيقه محمد المرابع ، ورأينا لماذا سقطت قرية «ذكرين» كما سقطت مئات القرى والمدن :

خيانة رجال العشائر وتواطؤهم مع الانجليز ثم اليهود ، فساد النظم العربية وجيوشها التي جاءت وذهبت دون جدوى ، ندرة السلاح بين أيدي المقاتلين وقلة خبرتهم في مواجهة عدو قوى حسن التنظيم والتسليح . لكل هذا كان ضروريا أن تسقط القرية ، وينزح أهلها بين النازحين . ويبقى الامل : حمل خالد [الذى قتل الانجليز أباه] بندقية ابى محمود [الذى قتل وهو يصد الهجوم عن القرية] ، وأطلق النار على رجل العشيرة القوى [الذى يرشد الانجليز للثوار ويبيع الارض لليهود] ويضعها بين يدى محمود، الطفل اللابد في حضن امه بأحد الكهوف .



سميرة عزام

تلك رواية « أيام الحب والموت » لما حدث في ٤٨ . لن يفوتك أن ترى فيها طموحا لم يتحقق ، دافعه الرغبة في أسقاط أفكار كثيرة لم تتجسد أحداثا وشخصيات . يكفي ان أشير لشخصيتي الجنديين المصرى والسوداني اللذين قتلا في الدفاع عن القرية بعد أن هجرتها الجيوش العربية . هما شخصيتان مسقطتان كي تؤكدا وحدة القهر والمصير بين الشعوب العربية ، لكن معرفة الكاتب المحدودة بهما جعلهما تتحولان لبوقين من أبواقه .. لا اكثر .

وفى بعض قصص مجموعته الاولى « ذكرى الايام الماضية » قدم رشاد رواية مشابهة ، بل أن القصة التي تحمل عنوان المجموعة تبدو كتخطيط أولى

---

[١] النماذج المشار اليها في هذاالسياق هي :
اميل حبيبي : سداسية الايام الستة ،روايات الهلال ، القاهرة ، يونيو ١٩٦٩ الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد ابى النحس المتشائل ، منشورات عربك ، حيفا ، ١٩٧٤ .
رشاد ابو شاور : ذكرى الايام الماضية ، الطليعة ، بيروت ، ١٩٧٠ . بيت اخضر ذو سقف قرميدى ، بغداد ، ١٩٧٣ . ايام الحب والموت ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٣ . البكاءعلى صدر الحبيب، دار العودة، بيروت، ١٩٧٤ .
فيصل حوراني : المحاصرون ، دمشق ، ١٩٧٣ .
محمود الريماوى : العرى في صحراءليلية ، بغداد ، ١٩٧٢ .
يحيى يخلف : المهرة، بغداد، ١٩٧٤ .

للرواية ، فنحن نلتقى بالشخصيات نفسها : ابى على والمختار وجنود الجيوش العربية ، وتتابع الاحداث على النحو نفسه ، فتسقط القرية ويسقط ابو على شهيدا . **في هذه الاعمال كلها - ومن خلال مستدعيات أبطال قصصه القصيرة - يحاول الكاتب أن يستعيد صورا من حياة قرية فلسطينية فى قضاء الخليل :** عشق أهلها للارض وتمسكهم بها ، ثورتهم على الظلم ، توقهم للاغانى والفرح ، طقوسهم الصغيرة فى حياتهم اليومية ، الشبان الذين يدبكون ويتطلعون الى الصبايا المتجمعات ، « المقرون » بين يدى العازف يطرب له الليل . ويثير فى قلوب سامعيه فرحة بالحياة يخالطها شجن عميق . [أنظر بشكل خاص الاغانى الفلسطينية التى يثبتها الكاتب فى مطالع بعض فصول روايته ، وفى قصته « عازف الارغول » فى المجموعة الاخيرة « بيت أخضر ذو سقف قرميدى »] .

● ٦٧ : الخروج الكبير الثانى وحتمية الرجوع :

وتتراجع ٤٨ ، فما حدث فى ٦٧ كان له دوى فى قلب فلسطينى هذا الجيل وعقله : الجيوش العربية تهزم مرة أخرى ، والارض الضائعة تتسع حدودها الى الغرب والشمال والجنوب ، سقطت فلسطين كلها - من البحر الى النهر - وسقطت أراض أخرى ، فتحت الحدود بين الارض التى ضاعت أخيرا وتلك التى ضاعت من عشرين عاما ، لم تعد بوابة « مندلبوم » - رمز المنفى القديم - قائمة ، فتحت الحدود من الجهة الاخرى الخاطئة . وسنرى - فى الادب الذى كتب بعد ٦٧ - افواج الفلسطينيين تمضى فى اتجاهين متعاكسين : هؤلاء القادمين ليلقوا نظرة على أرض الذكريات الضائعة ، او يزوروا الاهل الذين لم ينزحوا : تحكى لنا « أم الروبابيكيا » ، ملكة الوادى غير المتوجة ، التى بقيت فى وادى حيفا ورفضت أن تصحب زوجها وابنها فى سفر الخروج الاول ، عن تلك الاشباح الهائمة : « رجال ونساء ، من غزة ، ومن الضفة الغربية ، ومن عمان ، بل حتى من الكويت ، عبر الجسر ، يعبرون ازقتنا فى صمت ، ويتطلعون نحو الشرفات والنوافذ فى صمت ، وبعضهم يطرق الابواب ويسأل فى أدب أن يدخل ليلقى نظرة وليشرب جرعة ماء ، ثم يمضى فى صمت ، فقد كان هذا بيته .

وبعضهم يقابله سكان البيت بابتسامة شفقة ، وبعضهم يقابله سكان البيت بابتسامة شقاء . وبعضهم يدخلونه البيت . وبعضهم لا يفتحون الباب فى وجهه .

وبعضهم لا يطرق الابواب ، بل يجول بعينيه باحثا عن صاحب سحنة سمراء عابر ، يستوقفه ، فيسأله : هل كان يقوم هنا بيت من حجارة مكحلة ؟ ، فاما أن يقف عابر سبيل ، صاحب السحنة السمراء ، ويستذكر ، ويتذكر . واما أن يقول له : لقد ولدت بعدها ياعماه ! » [سداسية الايام الستة ، ص ٩٩] .

وسرعان ما أيقن هؤلاء أن ذكرياتهم قبضة ثلج ذابت فى شمس حزيران ، وأن الوطن ليس هو الماضى .. لكنه المستقبل .

وهناك فى الاتجاه الاخر افواج النازحين - تحت الرعب والنابالم - من الضفة نحو عمان ، فى الخروج الكبير الثانى : « شمس حزيران الحارة



غسان كنفانى

تغرب ، تكبر ظلال البيوت وأشجار الخور الباسقة ، تسكت الحياة ويلوح كأن كل شىء قد انتهى ، كأن الحياة هنالم تكن الا زيفا تهاوى دون عناء أو مقاومة ، ومرت قافلة جديدة ، على الرؤوس بقج محشوة بالملابس الضرورية ، بعضهم يحمل صفائح ماء ، الصغار يتعثرون فى سيرهم ، لكن الجميع يتطلعون الى الشرق .. يقيسون المسافة التى تفصلهم عن النهر بوجل الغريق .. » [ذكرى الايام الماضية ، ص ٣٣] ، من بين هذه الافواج الهلعة اختار الكاتب واحدا قرب أليه عدسته : رجل كان يعمل بسيارته بين المدن فى الارض المحتلة ، حين سقطت القدس ، حمل زوجته وابناءه فى السيارة وانطلق نحو الامان ، ولكن .. فى « زمن النابالم » ليس للفرد أن يلتمس أمنه الخاص ، ذلك ترف غير مسموح به : « تصل آذانك ضربات مدافع ليست بعيدة ، وتصرخ فى داخلك رغبة الحياة بشكل لم تعهده .. اقترب ياجسر الأمان ، الطائرات تنقض .. تتوقف السيارات العسكرية ، يتقافز الجنود حولها ، يبتعدون عن الاسفلت .. بلا وعى تتوقف السيارة ، وتقذف بنفسك بعيدا وتصرخ فى الزوجة والاطفال ان

يتبعوك .. بـوم .. كل شيء ضاع ،الضربة كانت مباشرة فى السيارة ، لم يعد هناك ما يشدك للحياة ، لا زوجة ولا أطفال ، حتى ولاسيارة ، نيـران سوداء التهمت كل شيء [المجمـوعـة نفسها ، ص ٧٣] .

هؤلاء النازحون الجدد سنرى حياتهم فى المخيمات التى أقاموها حول عمان ودمشق ، سيحدثنا أكثر من واحد من كتابنا عنها . سيقدم لنـا **محمـود الريماوى** صورة تلك الحيـاة الفارغة ، القلقـة ، الممـزقة ، الفقيرة ، المرمية فى بيوت التنك، ولنصحب بطله وهو يتساءل بعد يوم مزقه فى الثرثرة الفـارغة والاجترار العقيم : « وماذا بعد .. تساءل بمرارة وأطلق أقدامه فى الشوارع ، التى تصل ولا تصل ، حاول أن يضيع فـى خلفيات المدينة غير المطـروقة ، لكنه عاد ونبذ الفكرة ، وقـع أقدامه يسمعه جيدا ، فى داخله أكثر من شخص يتكلم ، حاول أن يتسمع فلـم يسـتطع تمييـز الاصوات . وظل يجدف فـى الشارع وحيدا حتى نهره شرطى مستيقظ وسأله عن هويته ، كان قدقطع مسافة طويلة ، ووصل الى ظاهر المدينة ، الساعة بعد منتصف الليل ، وحوله فـراغ الحياة الاسود ، أما امتـداد الشارع الموغل فى الوحشـة فيؤدى الى مدينة صـغيرة ، صادرها عسكر الاعـداء ذات ظهيرة محـرقة [العـرى فى صحراء ليلية ، ص ١٨] . وهو ان حاول أن يلتمس لحياته سبيلا آخر فسيجد أول الأبواب المفتوحة أمامه على مصراعيها هى سجون الملك [علبة تبغ لعبد الحميد ، المجموعة نفسها] ، لكنـه ان تجاوز هذا أيضا فسيعرف أن طفولته القادمة لابد أن تكون فى فلسطين ، وأنه لن يلقـاها الا محتضنا سلاحه ، هكذا فعـل الفتى حسن ، وحين علم أبوه ـ الشيخ المسحوق تحت وطـأة العمل الشاق والمهانة فى خيمة من غير بـاب فـى مخيـم « النويعمة » ...« كاد يبكى الرجل ، لكنـه انسـحب الى خيمته ، لم يتضايق هذه المرة من سطوة الظلام ، فقد كان منقطعا عن المكان ، يحدق فى ذاكرته ، لم يفطن أن يسأل : كم السـاعة الان ، غير أنه كان متأكدا أنه أطال فى النوم وأن سـاعة الصباح قريبة .. » [نفسـها ، ص ٣٧] .

وكان حتما أن تسـقط كل الاقنعة ، وينقشع آخر الاوهام ، ويوقن من لم يوقن بعد بأن زواج العم بالام كان خدعة ثقيلة ، وأن الاتجاه الوحيد الذى له معنى هو عبور النهر الى الغرب ، وعبور الحدود مـن كل مكان ممكن ، معبئين بالنار والحقد والتحدى ، فهذا وحده مايمكن أن يستعيد الماضى ويصوغ المستقبل .

ومعظم قصص مجمـوعتى « **بيت أخضر ذو سقف قرميدى** » و « **المهرة** » عن حتمية الفداء خلاصا وحيدا . وعلى حين كان رشاد ابو شاور فى مجموعته الاولى يقدم لونا من « التسجيل الفنى » لبعض عمليات الفدائيين عبر النهر ، فهو فـى هـذه المجموعة يحاول أن يرتفع الى أفق يضع العمل الفدائى فـى سياق حياة الفلسطينى ومعنى ثورته ، وفى محاولته هذه يتفجر بين يديه شكل القصة ليحاول أن يضـم تناقضـات الفلسـطينى الخاصة : محاصرا من داخـل نفسه وخارجها ، داخل حدوده وخارجها . ففى قصتيه « منشور سرى الى القـراء » و « حالة حب» يقدم رشاد اطارا للقصة تنتظم داخله شذرات مختلفات من التاريخ والحلم والرمز والواقع والحكاية ذات المعنى ، تختلـف مصادرها وصياغتها ، وتتـوحد دلالاتها . وفى القصة الثانية من هاتين يصوغ رشاد وحدة عذاب الانسان العربى فى صورة شفافة وموحية : [اطفال بحـر البقر يجىء منهم وفد الى الثـورة ويعلنون انضـمامهم اليهـا ، ويتخلون عن الطفولة ، فمهم أباريق من عظام الشهداء فيها ماءأحمر يصبون فى فم أبو على اياد : اشرب يا عم أبو على .. انت ظمآن .. اننى عبد الله : يسير الان فى شارع النيـل بالقاهرة ، معى بردى والفرات نبتسم معا : النيل رائق ، يومىء لنا ، نتحاضن ، نحن اصدقاء منذ زمن طويل] » [بيت اخضر ، ص ٢٦] .

ومجموعة يحيى يخلف ـ اذا قرأناها بغير ترتيب قصصها ـ سنجدها تدليلا على صدق قضية واحدة : لماكانت ٦٧ « مشجبا » يعلق عليه الجميـع جبنهـم وتخليهم ، ولما تساءل المقعد على مقعده : كيف يطيقون « العجز » لم يعد هناك مفر : لجج المواطن سين فى الحصول على بندقية وتدرب عليها .. « وعندما عدت

الى البيت مكدودا ، ممزق الملابس ، كان جدى ينظر بعينين كعينى صقر ، لم يكن يائسا كما كنت أتوقع ، فوجئت به يتخلى عن عبوسه ويبتسم لى .. كانت ابتسامته خضراء مثل احراش عجلون ، وقال بصوت واثق : « جرب مرة أخرى » . [المهرة ، ص ٣٦] » وحين يعبر الفتى الفدائى النهر .. « كانت الاقدام تغوص فى الارض الطينية ، والمطر يزخ ، تذكر فى تلك اللحظات أشياء كثيرة : سقف القصب فى « عين مصباح » ، والزراب ، وليالى الدلف وكانون النار والوجوه القلقة فى مخيم البقعة » [نفسها ، ص ٦١].

على نحو آخر ، وفى صياغة تختلف كل الاختلاف يصل بنا اميل حبيبى – الكاتب فى الارض المحتلة – الى النتيجة نفسها : لا مفر من الفداء لمن اراد ان يعيش حرا على أرضه . فى روايته الرائعة « الوقائع الغريبة » – والتى أعتقد أنها بحاجة لتناول خاص يكشف ما فيها من تطور بشكل الرواية العربية وطريقتها فى البناء والقص – يقف سعيد أبو النحس – الذى كان باحثا عن التكيف فى القسم الاول من الرواية – فى نهاية قسمها الثانى وهو ممزق تماما فى ازدواجيته اللعينة [١] ، وقد حمل ابنه – الذى أسماه ولاء – السلاح على الدولة ، ولاذ بكهف . بين ولاء وأمه يدور هذا الحوار :

« – لا تستخف بالزمن يا ولاء ، فبدونه لا ينبت زرع فنأكل ، ولا تطلع شمس بعد مغيب ، ولا يجىء سلام بعد حرب ..

– فهل جاء ؟

– سيجىء . ولا يخرج سجين من سجنه .

– فهل خرج ؟

– سيخرج . ولا تعبر تجربة حتى يتعظ الناس .

– فهل اتعظوا ؟

– هل تريد لجيل واحد أن يحسم فى الامر ؟

– جيلى .

– لماذا ؟

– لانه جيلى » . [الوقائع الغريبة ، ص ١٤٦ – ١٤٧] .

وفى الكتاب الثالث يلتقى سعيد فى السجن بفدائى جريح جاء عبر الحدود من لبنان ، رأى فيه الجلال المسجى ، وحين حاوره .. « ضمد جراحى بالحديث عن جراحه ، ظل يوسع فى الكوة الضيقة الوحيدة حتى رأيتها فى عرض الافق الذى لم أره من قبل ، وأصبحت قضبانها المتشابكة جسورا نحو القمر ، وما بين فراشى وفراشه حدائق معلقة . وكنت أحدثه عن نفسى بما كنت أحلم به عن نفسى ، وما كنت كاذبا ، انما تحاشيت أن أدنس جلال هذا المقام بخصوصيات جردنى منها السجانون حين جردونى من ملابسى الخصوصية . [الوقائع الغريبة ، ص ١٧٥ – ١٧٦] .

هكذا .. يلتقى كتاب الداخل والخارج ، رغم الحدود الزائفة ، التى ستهدم يوما من جانبها الصحيح .

● ايلول ٧٠ : الثورة المحاصرة بين الجلادين والمزايدين :

لدنيا هنا عملان اساسيان : رواية فيصل حورانى « المحاصرون » ، ورواية رشاد أبى شاور « البكاء على صدر الحبيب » ، وبين الروايتين من التشابه – فى الموقف الفكرى وملامح الشخصيات – ما يجعل التجربة التى تعبران عنها – وقد خاضها كل من الكاتبين حتى اطراف الاصابع – تجربة نموذجية فى مسيرة الثورة الفلسطينية .

خالد – بطل « المحاصرون » – فلسطينى تكون كأى واحد من جيله : من منفى الى منفى حتى استقر فى دمشق ثم التحق بالعمل الفدائى بعد ٦٧ ، وهو الان – بعد ان خاض مذابح ايلول كلها – ملقى تحت التعذيب فى سجون الملك . فى وحدته يسترجع خالد كل شىء . هو منذ البداية مكروه من القيادة لانه يكره المزايدة والمزايدين ، ويرى أن المبالغة فى تقدير ما يستطيع العمل الفدائى أن يقدمه سيولد فى قلوب الناس اليأس ، لا شىء غيره ، ويحتقر هؤلاء الذين يطرحون شعارات كبيرة هم أول العارفين باستحالة تحقيقها ، وأنت لا تستطيع أن تطالب الجماهير بالصبر والتضحيات ما لم تقدم لها حدا من الثقة بالنصر ، بغير ذلك يصبح طلب التضحية وهما عسير التحقيق ، أثناء عمله فى الاغوار قال له مختار القرية التى بدأ الفلاحون يهجرونها : « كل هذه الجيوش

---

[٢] هذه الازدواجية ومحاولة التكيف نجد صورتها الاولى فى شخصية « الاستاذ م. » صاحب اللوحة الثالثة فى « السداسية » : « صاحبنا الذى كنت واياه نتنغم سوية بفتوحات خالد بن الوليد وبمنائى المتبنى وبكفرانيات ابى العلاء – العروبة ، قد تزوج الوظيفة ، فكيف وشانه أن يحافظ عليها فى اسرائيل ، حيث من مستلزمات ذلك أن تنكر كل صلة بصديقك وبقريبك أذا كان من الشاغبين على السلطة ، ولو كان أخاك ، ابن أمك وابيك ؟ » [السداسية ، ص ٨١ – ٨٢].

قاعدة ، وتريدون وحدكم أن تقيموا الدين في مالطة ؟ وقرانا وحدها تدفع الثمن .. أتدري بماذا يتهامس الفلاحون ؟ « سيضطر الفدائيون الى الرحيل ، هربا او عنوة ، وسنواجه وحدنا احد خطرين : انتقام الحكومة ، او انتقام اسرائيل » .

« كان يعلم أن ما يقوله صحيح ، هو نفسه كتب مذكرة للقيادة يحثها على ان تجد حلا ، لماذا تحشد كل هذه الاعداد في الاغوار ؟ وهل نحن حرس حدود ؟ هل نقوم بدور الجيش ؟ .. فيما بعد عرف أن المذكرات تضيع ، واذا قرئت لا يدوم الاهتمام بها أكثر من الوقت الذى تستغرقه قراءتها . وحتى لو وقعت في أيدى القيادة الجادين ، فأى حل يملكون في مثل هذا الوضع المعقد ؟ » [المحاصرون ، ص ٨٨] ، بعد ذلك أيضا لم يكف عن انتقاد هؤلاء المزايدين ، والمؤمنين بأن القذائف عبر النهر تكفي ، وأن ضجيجها سيبقى طويلا في الاذان ، وكانت نتيجة هذا كله أن ابعد عن العمل العسكري .

ثم جاء أيلول : الملك في قصره يرقب الاحداث ، ليست مهارة صياد فقط ، بل غفلة سرب من النعام أيضا ، في القصر كان الملك ، وفي الادغال كان المتربصون ، وعلى الاشجار كانت العصافير تزقزق . أعد عدته : حشد القوات التى عبأها بالحقد على الفدائيين ، طوق عمان ، استعد للهجوم على المدن الاخرى ، أقال الحكومة التى لم ترض أحدا ، جاء بحكومة عسكرية تأتمر بأمره دون اعتراض .. ، وجد خالد نفسه ملزما بالدفاع عن نتائج سياسة لا يعتقد بصوابها ، وكان دائما ضدها ، لكن مثله ليس له سوى مكان في صف واحد ، سواء كان هذا الصف ضعيفا أو قويا ، مخطئا أو مصيبا ..

واشتعلت عمان .. وكانت تلك أياما قاسية على الرفاق .. « كان نفاذ الذخيرة كابوسا يهددهم ، اذا نفذت ذخيرتهم ذبحهم الجيش كالنعاج ، .. الخوف من نفاذ الذخيرة جعل لكل ثانية تمر ثقل الصخرة على صدر المقاتل ، والحصار الذى أحكم الجيش فرضه حول العاصمة جعل من المستحيل الامل بوصول نجدات ، ومحادثات القاهرة تمضى ببطء شديد .. هل يمكن أن يفشلوا في فرض اتفاق ؟ من سينقذهم آنذاك من الحصار ؟ » [ص ١٠٦ ـ ١٠٧] .

أعلن اتفاق القاهرة ، وكان على الفدائيين أن يخلوا عمان الى احراش جرش وعجلون ، وكان يوما حزينا من أيام الحزن التى لا تنسى ، احتشد الفدائيون المرغمون على الرحيل ، لا زهو ولا امجاد ، ظل من الاسى والقلق على المصير يحيط بالراحلين والمودعين .. ، وأحكم الحصار حول عجلون ، ولم تفتح فيه قوات الملك سوى ثغرة مؤدية الى إسرائيل ، وبلغ اليأس ببعض الفدائيين أن اتجه نحو النهر ، مفضلا مواجهة الاسرائيليين على مواجهة جند الملك .. « اصدر أوامره بالعودة الى الخنادق ، بينما كانوا يتفيرقون شرعت القافلة تنحدر . امتد الرتل أمام عينيه هابطا المنحدر ، مضوامن غير أن يودعوا رفاقهم ، كان الحماس ينقص خطواتهم . اخذت دموع رقيقة تتلالا في عينيه » [ص ١٤٨] ، وظل باقي الرجال يقاتلون حتى نفدت ذخيرتهم ، فاستسلموا ، وأبقوا على حياة خالد كي يساوموه بها : ان أراد النجاة فعليه أن يدين قيادة المقاومة علنا بحجة أنه كان مختلفا مع معظم اعضائها !

هناك أيضا سميرة : تكونت بين تلك الطبقة الموسرة من الفلسطينيين في الكويت ، وتزوجت مهندسا ثريا يعد بمستقبل لامع ، وجاءت معه الى القاهرة تتم دراستها ، لكن زوجها ـ ابا الملاحم ، لاحظ الاسم ـ يرتبط بأحد التنظيمات الفدائية ويصل سريعا لمرتبة القيادة ، كان مزايدا وخطيبا يطلق الشعارات والكلمات الكبيرة كبالونات الهواء ، وحين حدث ما حدث في أيلول ، ترك عمان الى دمشق ، ليزايد من هناك .

وحين عرفت خالدا وارتبطت به عرفت زيف حياتها القديمة وخواءها ، ومن خلال العمل معا تحابا ، وانفصلت عن أبي الملاحم وعرفت الطريق الى العمل السري ، ويقبض عليها أيضا بعد القبض على خالد ، ويعذبان معا ، وتنتهي « المحاصرون » بقمة المأساة : سميرة في غرفة التعذيب ، يعريها الضابط الجلاد امام عيني خالد والرجال ، ويأمر رجاله بمضاجعتها .. « نهضت سميرة بينما كان خالد يتكلم ، وعندما فرغ كانت قد أصبحت منتصبة تماما فوق المنضدة ، تدور عيناها بين الحراس بتحد صريح ، وقد أخفض هؤلاء عيونهم الى الارض وساد الصمت ، وتوقف الرجل القصير ، وغادر الرائد القاعة ،

وبكى رجل .. وأدار الاخرون وجوههم .. » [ص ٢٣٢] .

ان فيصل حوراني كاتب تشغله السياسة في المقام الاول ، وهو يريد ان يقدم شهادته عما حدث في تلك الأيام الداميه من أيلول ، وان يقدم كذلك « تحليلا» لاسبابها . ولا شك في انه قد نجح في تحقيق هدفه هذا ، في سرد مباشر ، ولغة بسيطة ، واستخدام جيد للذكريات ، ومزج بينها وبين الواقع .

قلت ان بين روايتي فيصل حوراني ورشاد أبي شاور تشابها واضحا، هو في «البكاءعلى صدر الحبيب» ، نجد علاقةمثلثة كتلك القائمه في « المحاصرون » : فثمة زياد ـ الذي ينقد أساليب القادة على نحو أكثر حدة ومباشرة مما يفعل بطل « المحاصرون » ، فيقول لرفيقته فجر ـ بدل سميرة عند فيصل حوراني ـ : « لن أحدثك عن السرقات ، لن أخبرك كيف أن اللصوص يسرقون عينك ولا من يردعهم . لو أخبرتك أن أحد مسؤولي هذا المكتب ثبت انه سرق أكثر من أربعين ألف ليرة ، وانه فتح نوفوتيه .. وأن الاخ كان يسرق التبرعات ويسجلها باسمه في البنك .. الخ » [ص ٢٤] ، وتنفجر الفدائية السوريه نهاد في وجه الزعيم الكبير حين يريد أن يكلفها بعملية في الخارج : « لماذا لا ترسل زوجتك مثلا في هذا العمل الوطني العظيم ؟ الذي يتناول هذه الاصناف من الطعام ، ويحيا في قصر مثل بيتك يجب أن يدفع الثمن .. اذا أردتم مقاتلة العدو او مواجهة الذين ذبحونا في الاحراش فاننا على استعداد .. » ، وهناك ايضا الفدائي ابو خليل ، كان يفكر جيدا ويرفض التزوير ، لكن القيادة ظلت وراءه حتى دفعته للغرق في الادمان ثم الانتحار .. « حين رفض حفلات الدروشة في معسكر التدريب .. حين صرخ انتم تستغلون الدين وتحرمون المقاتلين من الثقافة الصحيحة قلتم انه ملحد وانه جبان وأنه جرح صدفة .. أبو خليل .. كنا نناديه [أبو الخل] احيانا ، كان سمح الوجه ، عذب اللسان ، يقاتل وهو يبتسم ، لم يحتقر معتقدات أحد .. ولكنه كان يقول يجب منع كتب ابو زيد الهلالي والكتب التافهة التي ترسل الى القواعد ، رفض كتب سيد قطب ومصطفى محمود .. » [ص ٢٨] .

وقد كانت فجر عشيقة أحد هؤلاء القادة حتى تكشف لها جبنه ونفاقه وخيانته ، وهي حين ترتبط بزياد فهي تنسلخ عن ماضيها هذا وكل ما يمثله ، وفي النهايه تبقى هي وزياد .. بعد أن يموت رفيقاهما غالي وهناء اثناء القتال بين المقاومة والجيش اللبناني ، كان غالي مقاتلا في اربد ، وحين طاردته سلطات الملك بعد أيلول ، راح يجوب العالم بحارا على ظهر سفينته .. فماذا رأى ؟ .. زنجي ضائع في باخرة ، عاهرة في ترينداد تطالبه بثمن لذته سلفا ، شرطي في مالطه يطارد شخصا بدراجته النارية ثم يضربه بالرصاص حين يحاول الهرب في شارع جانبي . قال له صديقه البحار الزنجي : على الحصان أن يموت في ميدانه ، فرجع الى حياة المخيم ، والى العمل ، اتهمه المسئولون عن تنظيمه بالاختلاس ، وحين ثبتت براءته ذهب للعمل في جنوب لبنان ، وهذا هو يموت برصاص الجيش اللبناني .

سبقته هناء بلحظات ، فلسطينيةكانت ما تضيع عذابها في لحظات الجنس ، فأعطت جسدها لكثيرين ، لكنها عرفت غالي واحبته ، وقررا الارتباط لولا ما حدث في لبنان ..

لم يبق من أبطال « البكاء على صدر الحبيب » سوى زياد وفجر .. « وضغطت فجر على يدي ، ثم سرنا باتجاه البيت ، وكان بعض الاطفال في مخيم اليرموك يلعبون ببنادق خشبية ، سمعتهم يغنون ، ورأيتهم يلعبون ، والبنادق الخشبية في أيديهم وهم يتفاخرون ، وهبت نسمة طرية فقفز شعر فجر الى جبينها ..

قلت لها : سنظل معا يافجر .
قالت : سنظل معا يازياد .

قلت : ان جاءنا طفل سنسميه غالي .

قالت ان ولدت لنا بنت سنسميها هناء .

واذ وصلنا أخذتهما بين ذراعي ، وتنسمت شعرها وقبلت جبينها ، رفعت راسها الى وقالت : أنت تبكي . دفنت رأسي في صدرها ورحلت ... » [ص ٩٤] .

تلك صورة الثورة المحاصرة بين الجلادين والمزايدين كما يقدمها فيصل حوراني ورشاد ابو شاور ، لقد شب الانسان الفلسطيني عن الطوق ، وتقدم حاملا النار والتحدي ليحرر أرضه ، واذا كان ثمة أخطاء قد حدثت ، فان خالد بطل المحاصرون يقول لنا : « لابد من التضحيات لبناء المستقبل ، الذين ساروا بغير استعداد وفي الاتجاه الخاطيء سقطوا ، بدأنا الان نعرف الاتجاه الصحيح ، وعلينا أن نستعد طويلا ، أن نقوم بالتنظيم ، نشر الوعي ، بلا مزايدة ، وبغير تهريج او كذب »» [ص ١٣٨] .

علنا نفعل شيئا لفك الحصار ..

٢ الشـــــعر

سـامى خشـبة

ما زالت الكتابة عنهم مهمة بالغة الصعوبة ، وربما لم تكن ستنشأ هذه الصعوبة لـو كان المطلوب تناولا نقديـا وتطبيقيا لواحد منهم بعينه تختاره أنت .ولكنك حين تكون مطالبا بالحديث عنهم كأنك « تكتشفهم » وكأنـك تقدم نوعا من الاحاطة العامة بحركتهم ، وباعتبارهم شـعراء الجيل الفلسطينى الذى تفتح وعيه بعذاب الهزيمة فى حزيران ١٩٦٧ ، ثم تفجرت شـاعريته بدموية المجزرة فـى أيلـول ١٩٧٠ ، فانك لن تسـتطيع أن تفصل ابداعهم عن الدرامـا الهائلة لهذا الجيل ، بكل مـا تغرسه فى الوعى والوجـدان : لستارة وتطهر أو فجيعة .

ولم تكن لديهم هم هذه الفرصة للتمتع بعملية من هذا النوع : أن تجلس مستريحا وشبه آمن لكى تستوعب « معـانى » درامـا الهزيمة والمجـزرة والمقـاومة البطولية ضدهما ، من خـلال الشعر الذى كتبوه هم فى أثناء القتال وفى مخيمات الصـفيح والجوع والابادة ، وفى مواجهة غزاة برابرة ، وأبناء عمـومة خونة ولا يقلون بـربرية ، أو مساومين أو لا مبالين بغيـر مصالحهم الخاصة ، أو الشعر الذى كتبوه فى المنافى يتحملون مـع الغربة والفقـر ، الشكوك والريب وانواع القهـر المباشر والمسـتتر ، ينتظـرون معـونة الاصدقاء ، ويحشدون القـوى لمواصلة نضال فادح الثمن .

ولم يكن نضالهم هو مجرد القتال فى ظروفهم المستحيلة . انهم يتاضلون أيضا ضد كل ما يصـنع تخلفنـا الاجتمـاعى والثقافى فى الوطن العـربى الكبير ، وضد كل مظاهر هذا التخلف من أجل تحرير أدواتهم الفكرية وقدراتهم على المعـرفة والفهـم وتحـديد المـواقف الصحيحة ، حتى تتحرر ارادتهم فى القتال وفى صنع الاوضاع التى يمكن أن تمهد للمستقبل فى فلسطين الديموقراطية .

لذلك يتملكنى الاحساس بان الكتابة عنهم بهدف تقديم هذه الاحـاطة العـامة بحـركتهم الابداعية فى الشعر ، انما تتطلب خضوعا أوليا لهذا الابـداع ، وحتى لجوانب القصور الفنـى فيه ، ولكنها تتطلب ـ قبل هذا ـ محاولة للكشف عن العـلاقة الحقيقية بين مراحل هذه الحركة الابداعية ، وبين الحركة نفسها ككل ، والعلامات البارزة فـى تطور قدرتها على تجسيد جوهر الحقيقة الدموية التى يعيشـها شعراؤها ، وفى التطـور الذى حققوه لصياغة هذا التجسيد . فى جملة واحدة ، أعتقـد أن المطلوب هـو البـدء منهـم ، والحرص على البقاء ـ بوعى ـ فى داخل أطار تجربتهم نفسها ، التى يصعب أن يسـتحضرها واحد لم يعش جزءا من التجربة الكبرى فى واقع أمتنا فى هذا العصر .

[●]

« لاأستطيع أن أجد خطـا فاصلا .. بين شعر المقاومة فى فلسطين المحتلة قبل وبعد حزيران ـ ليس على الاقل بالصورة التى افتعلت بالنسبة للأدب العـربى خارج فلسطين . وفى الواقع فقد كان الانجاز الشعرى لشـعراء فلسطين المحتلة منذ البدء مسلحا بالوعى . الكارثة لم تفاجئهم ، ولا الثورة .. كانت حياتهم نضـالا

متصلا عكسوها فى شعرهم ، واستمرارهم الان ليس الا حلقة جديدة فى سلسلة انجازاتهم الفنية » [١) .

هكذا كان رأى واحد من أبرز وجوه الادب الفلسطينى والثورة الفلسطينية ، والنضال الفلسطينى المسلح قبل حزيران وبعده ، وأحد الشهداء الذين أهداهم كل شعراء الثورة الفلسطينية قصائدهم ، سواء كانوا من جيل ما قبل حزيران أم من الجيل الذى أنضجته الهزيمة ، ودفعته مراراتها وتجاربها الى آتون التجربة والوعى ، ثم فجرت مجزرة سبتمبر ١٩٧٠ الاردنية شاعريتهم بقدر ما لقنتهم دروسا فى العمل الثورى لا تنسى .

كان الفارق عند غسان بين شعراء فلسطين المحتلة والشعراء الفلسطينيين خارج الوطن المحتل هو الفارق بين التنبه للكارثة أو الغفلة عنها وبين الانغماس فى الثورة أو عدم الاحساس بها

الان لم يعد من الممكن أن نتحدث عن أدب فلسطينى مقاوم داخل أو خارج الارض المحتلة [المحتلة منذ قبل حزيران أو من بعده] ثم لا يكون هذا الادب واعيا بضرورة التخلص من آثار الكارثة ومن الاسباب والمقدمات التى أدت اليها ، أى لا يمكن الحديث عن أدب (أو شعر] فلسطينى مقاوم ، ثم لا يكون أدبا أو شعرا منغمسين فى الثورة .

وفى نفس الحديث ، وصف غسان كنفانى أدب المقاومة الفلسطينى بأنه كان يتميز بثلاثة أمور جوهرية : « هى التى رسخته وأعطته قيمته : رفض الاحتلال والصمود أمام التذويب ، اليسارية التى جعلته يغوص الى أعماق الاشكال وليس الاكتفاء بالانزلاق على قشرة الظاهر والحماسة ، انفتاحه على الحركات الثورية فى العالم ، واعتبارها جزءا من الجهد المقاوم الذى يبذله الانسان بغض النظر عن مواقعه الجغرافية » - [نفس المصدر ص ١٤١] .

والان لا نستطيع أن نتحدث عن جيل سابق من أجيال هذا الادب المقاوم ، تنبه للكارثة قبلها ، ثم التزم بالكفاح ضد نتائجها وأسبابها ، أى التزم بالثورة ، ثم نستطيع أن نجرده من صفات رفض الاحتلال والصمود أمام التذويب ، واليسارية والغوص أمام الحقائق والانفتاح على الحركات الثورية فى العالم .

أى أننا ببساطة لا نجد ما يبرر لنا أن نقيم خطا فاصلا [فى هذه الناحية الايديولوجية والسياسية العامة على الاقل] بين جيلين يعيشان الان من أجيال شعراء المقاومة الفلسطينية ، داخل فلسطين المحتلة أو خارجها : جيل كان متنبها للكارثة يرى أسبابها ويرى أنها مازالت أسبابا قائمة ، وكان يخشى الكارثة التالية ١٩٧٠] ، ومع هذا فقد كان يناضل ضد نتائج الكارثة بأبعادها التى كانت قائمة حتى ذلك الحين ، وكان منغمسا فى الثورة ، وجيل خرج من مفاجأة الفصل الثانى من نفس الكارثة الذى لم يكن الكثيرون يتوقعون أن يكون بهذا الحجم الهائل ، خرج لكى يشترك فى النضال المزدوج ، ولكى يحمل السلاح ، ولكى يعمل من أجل تأكيد ان الشخصية الفلسطينية لم تنته لان الشعب الفلسطينى مازال باقيا ، ولكى يستعيد الأرض والعدل والحرية فى ثورة واحدة مهما تعددت مراحلها ، ولكى يحرر ارادته وعقله من القيود التى يفرضها ماضى الامة وحاضرها على المستويات السياسية والاجتماعية والثقافية . لا نستطيع أن نرسم هذا الخط الفاصل ، لان الجيل الاول الذى تنبه للكارثة ، والذى



محمود درويش

لم تفجأه الثورة ، قد واكب الثورة أيضا بعد أن مهد لها بشعره ، وهو الان يشارك فيها بهذا الشعر وبعمله النضالى فى مستويات كثيرة . وحينما بدأت الثورة ، لكى تواجه الهزيمة وهى بعد فى مراحلها الاولى ، ثم تواجه المجزرة التى هدفت الى كسر شوكة الثورة نفسها ، بزغ الجيل الثانى الذى كان من المقاتلين ، المنفيين السابقين مباشرة . وبهذا المعنى يندمج الجيلان فى مستوى مسئوليتهما عن الثورة ومشاركتهما فيها . ومع هذا ، فلا شك أن شعر الثورة الفلسطينية ، مثل الثورة نفسها ، قد عاش المرحلتين : مرحلة الاعداد وحشد القوى والاكتفاء بالنضال السياسى التعبوى ، واكتشاف الجذور ومحاولة تأكيد معانى الرفض والتحدى والمباهاة بالقدرة على تحمل الألم ، حينما كان الشاعر مبشرا بالثورة وفاديا مخلصا للشعب يتقدم مسيرته ويرسم عذاباته ، ثم مرحلة القتال المباشر الى جانب استمرار العمل النضالى السياسى القديم ومواصلته .

[●]

ان الوضع الذى تعيشه قضية الثورة الفلسطينية (وضع الحرمان من الارض ومن السلطة الوطنية الفلسطينية] والاسلوب الاساسى الذى تفرضه الظروف لانجاز مهام الثورة [اسلوب الكفاح المسلح] فان الموقف الوطنى - الذى عبر عنه غسان بأنه رفض الاحتلال والصمود أمام التذويب - لابد أن يمتزج

بالموقف الاشتراكى ـ الذى عبر عنه غسان باليسارية التى جعلت الادب المقاوم يغوص الى أعماق الاشكال وليس الاكتفاء بالانزلاق على قشرة المظاهر والحماسة . كذلك فان استقطاب أكبر القوى الامبريالية والرجعية فى العالم لضرب الثورة الفلسطينية من الامام أو طعنها من الخلف ـ هو ما يعطيها [ولا يملى عليها] الموقف الاممى ، الذى عبر عنه غسان بالانفتاح على الحركات الثورية فى العالم واعتبارها جزءا من الجهد المقاوم الذى يبذله الانسان بغض النظر عن مواقعه الجغرافية .

كانت هذه الملامح قائمة فى اعمال شعراء المقاومة بأسرهم داخل الارض المحتلة قبل ١٩٦٧ ، بينما لم تكن واضحة الالدى عدد محدود [هم اليساريين فقط] من الشعراء الفلسطينيين خارج الارض المحتلة حتى وقع الفصل الثانى من الكارثة . وحينما وقع ، لم يعد من الممكن لشاعر مقاوم الا أن يكون ـ مع وطنيته ـ اشتراكيا وأمميا .

ومع هذا فان الفصل الثانى من الكارثة ، فى يونية ١٩٦٧ ، ثم مجزرة سبتمبر ١٩٧٠ ، كان لابد ان يتركا آثارهما على الشعر المقاوم من انتاج الجيلين . لقد وحدت الكارثة والمجزرة كل الفلسطينيين ، وكشفت عن التشابه بين من يعيشون فى مخيمات جرش وزيزياء والوحدات فى الاردن ، وبين من يعيشون فى مناطق تحديد الاقامة داخل الارض المحتلة . كذلك فان الكارثة والمجزرة قد دفعتا شعراء المقاومة الفلسطينية الى آفاق جديدة نجدها بوضوح فى أعمال الجيلين : من مهد للثورة ، ومن خرج من رحمها الذى أخصبته الكارثة والمجزرة سويا . ولكننا سنحاول أن نستخلص معالم تلك الاثار ، من أعمال ذلك الجيل الثانى الذى ولدته الثورة وأنضجته تجاربها ، وأنطقته عذاباتها الشعر .

قبل ١٩٦٧ ، وبالتحديد قبل التصعيد الكبير للنضال الفلسطينى المسلح عقب الهزيمة ، كان المعنى الاساسى فى الشعر المقاوم هو معنى « التحدى » وسيلة لاثبات القدرة على التحمل واستنزاف قدرة الجلاد الاسرائيلى على تجاوز حدود الانسانية . كان الصراخ : « أنا عربى » مثلما نقرأ فى شعر محمود درويش تثبيتا لحقيقة يهددها الضياع . وكان تأكيد أن : « نحن ما ضعنا ولكن من جديد قدسبكنا » مثلما نقرأ فى شعر توفيق زياد تشجيعا للسبيكة الجديدة أن تتحمل نار الصهر لكى تتحول الى نصل مقاتل فيما بعد . وكانت المباهاة بعظمة الالم اشهارا لضمير العالم لكى يتحرك ونفخا فى روح المقاتلين لكى يصبروا ويستجمعوا قواهم لليوم الموعود . كان تقرير أنه :

وعلينا كان أن نشربه
كأسنا المر المعنى
وعلينا كان أن نذبح ذبحا كالنعاج
ساعة التاريخ جنا ،
وعلينا كان أن نهرب سربا من دجاج
ونحس العار حتى العظم منا .
انما لا بأس ،
هذا لحمنا جسر على البحر الاجاج .
لضفاف لم نخنها ، او تخنا ».

مثلما نقرأ فى شعر توفيق زياد أيضا ، نوعا من المباهاة والفخر بضخامة العذاب الذى يتحمله الشعب المسلوب الوطن والكرامة حتى يتمكن من العبور الى الضفة الاخرى : ضفة القتال لاستعادة ما استلب منه .

وكان تصوير الليلة القمراء ، والنهر المرآة .
« وكنا نقطع الجسر حفاة



توفيق زياد

صامتين ..
عندما انقضوا علينا فجاة مثل الذئاب
فتحوا أفواه رشاشاتهم ..
لم نكن نحمل حتى خنجرا
وتساقطنا على بعض
تساقطنا .. ».

مثلما نقرأ فى شعر سميح القاسم ، محاولة تخلصت من الخجل أو الاحساس بالضعف أو الاشفاق على الذات من أجل رسم المأساة المؤلمة لشعب أعزل ومسالم وضعيف يباد فى بربرية نازية نموذجية . وكان الهدف من هذا الرسم الملىء بالكبرياء والمرارة والصدق والمفعم رغم تقريريته احيانا وخطابيته المباشرة احيانا بالغنائية العذبة المترعة بالاسى . كان الهدف هو توعية هذا الشعب بالذات بضخامة ما يستطيع ان « يتحمله » من ألم أو عذاب ، ونخس الضمير عالم بليد ، عسى ان يكف عن الفرجة على الجريمة وألا يكتفى بمجرد استنكارها .

وكان الشاعر ـ فى أعظم حالاته يتقدم فاديا وقديسا يعبر الكأس ويصعد الصليب لكى يخلص شعبه ويحتوى كل جراحه الدامية . كان قادرا على أن يغنى مثلما غنى سميح :

أحبائى ،
برمش العين ، أفرش درب عودتكم ،
برمش العين .
وأحضن جرحكم ، وألم شوك الدرب بالجفنين .
وبالكفين ، أطحن صخرة الصوان ، بالكفين .
ومن لحمى سأبنى جسر

عودتكم ، على الشرطين .

فما الذي حول معنى التحدى الى ممارسة للقتال ، وما الذى حول المباهاة بالالم الى فعل منظم للخلاص من العذاب ، وما الذى جعل الفادى المخلص محاربا يحمل السلاح وزود المغنى للعذاب بالوعى الاجتماعى والقومى الكامل يغذى به وجدان شعبه .. ان لم تكن هى الثورة الفعلية ، التى انتظمت كل أنواع الوعى والسخط ، وحشدت كل أنواع العذاب والتجارب ، واستقطبت كل القوى صاحبة المصلحة فى الثورة نفسها ، والتى أصبحت بالوعى والتنظيم واكتشاف أن الظهر صار الى الجدار بينما تغوص السكين فى لحم الرقبة العارى ، أصبحت ملزمة بالقتال وقادرة على ممارسته ؟

●

ولم يكن هذا التحول بجوانبه الثلاث ، المؤدية فى مجموعها الى « فعل المقاومة » أى الى الكفاح المسلح ، هو الثمرة الوحيدة التى انضجتها الهزيمة ونشرت عطرها بعد المجزرة . كان الشاعر الفلسطينى يخاطب شعبه فى مجموعه ، فصار يخاطب الفقراء ، ان العنف المزدوج ، الذى تحمله الفقراء ويتحملونه : عنف القهر الوطنى وعنف القهر الاجتماعى من جانب الغزاة أو المستغلين القوميين [بكسر الغين] ، الى جانب ما يتحملونه من حملات التصفية الجسدية الجماعية وحملات السيطرة والارهاب : أن هذا الوضع وذلك الاستغلال المزدوج ، هو الذى يجعل الفقراء فى وقت واحد ، الوقود الفعلى للثورة ، والجماهير الحقيقية للشاعر المقاتل الذى يعدهم بالعدل والحرية مع الوطن المستعاد ، ويقاتل معهم لتحقيق هذا الحلم . لقد حلت المباهاة بقوة الفقراء ووعيهم ، محل المباهاة القديمة بعذابهم تحت وطأة كل أنواع القهر والعنف . انهم هم الذين سيبدأون التاريخ الصحيح والزمن الانسانى ، ولن يلبى غيرهم نداء الثورة المتواصل ، ولن يرتفع لغيرهم صوت :

كذلك علمتنا سورة الموت
يكون لكم من الغازين أعداء
ومن أمرائكم أعداء
يكون لكم من الصحراء رمل يهلك الاحشاء
وحنجرة مطهمة مروضة بدينار

يكون لكم دم فى الماء
وحين تكر خيل الغزو تغمد ابرة المذياع فى الصمت
ونحرق شعرة الجنى ثانية .. فلا يأتى
ولن يأتى سوى الفقراء .

مجموعة « طائر الوحدات »
[ص ٦٥ ، ٦٦]

هكذا يتعلم — ويعلم — الشاعر الذى عركته الهزيمة ، ثم أضاءت بصيرته المجزرة : ان يكف عن الحديث عن « الشعب » هيوليا دون تحديد : لقد عرف أن الامة أمتان طالما انها امراء وفقراء ، متواطئون وضحايا . والثورة ستواجه — وقد واجهت — شراك الاعداء والامراء سويا ، وتكشفت كل المسالك عن طريقين لا ثالث لهما : الثورة أو الموت بالنار أو بالجوع . وبما أننا الفقراء :

فهل غير الطريق المستضيئة بالدم المحروق ياعينى ؟
وهل شاهدت الا النار تكتب أول الانباء ؟
[نفس المصدر — ص ٦٨]

●

وقد كانت « الارض » والشعور بها ، والرغبة فى استعادتها ، أساسا ودافعا قويا للادب الفلسطينى الثورى بشكل عام ، وللشعر المقاوم بشكل خاص ، احيانا كانت « الارض الام » تبدو كالفردوس المفقود بصرف النظر عن حقيقتها التاريخية والاجتماعية كوطن يقوم فيه مجتمع محدد أيضا ، وأحيانا كانت تتخذ بالفعل صفة الام أو الحبيبة أو العشيقة أو الاخت ، وكانت عناصر الطبيعة الفلسطينية تبدو كرموز الاحلام الجميلة التى يستحلبها الحالم بعد اليقظة ، يود لو يستعيدها فى الصحوة ، لو جسدتها الكلمات فأحالتها اشياء ملموسة حقيقية ، أو لو يضمن العودة اليها اذا غرق ثانية فى النوم .

وحينما يأتى أوان القتال ، والعمل الفعلى للخلاص من العذاب ويتحول الفادى المخلص الى محارب ، تتحول « الارض » الى وطن ، وتكتسب الطبيعة تاريخا من خلال علاقات مباشرة بالبشر فى تعاملهم اليومى معها وفيها [فغزة لاتبيع البرتقال لانه دمها المعلب — مثلما نقرأ فى شعر درويش بعد المجزرة] وتتحول الاحلام بالارض الى « قضية » ومسألة متعلقة بأفعال لا يمكن اتيانها الا فى اليقظة الواعية الفعالة الكاملة . بذلك يصبح الوطن « مجتمعا » يصنعه الانسان بالنوع الوحيد من « العمل » المطلوب الان .

ان الشاعر الذى أصبح يعرف ان « ذاكرتى تنك وخيام » هو نفسه الذى تعلم من خلال تجربة الكفاح المسلح أن الارض سوف تنحاز اليه اذا هو ثار من اجلها ، وانه سيكون قادرا على اقتلاع حزنها المتجذر القديم :

تخرج الارض الينا فى المساء
وتنادينا ، فيأتى الانبياء .


سميح القاسم

وتمر النار ،
هذا وطن ، أم جمرة بيسن بدينا ؟
وتدور الارض ،
هـذا وطن ينحـاز ان ثرنا الينا ،
ومعا نقتلع الحزن الذى شرش فى الارض الجريحة .
[أحمد دحبـور - المصـدر السابق - ص ٦٢]

وهو من نفس جيل الشاعر الذى ينسب قضيته الى القرية القديمة المفقودة ، أو ذلك الذى لا يفتأ يردد اسم قريته : « سيلة الظهر » وبعض اماكنها والجبل الذى يطل عليها ، وهو نفسه الذى يعرف أنه :

بعد الموت أنهض ،
مارجا فى حبة الزيتون
فى القمح
وفى الثوار
أصعد .
[خـالد أبـو خـالد - من ديوان « الجدل فى منتصف الليل » ص ٩٧]

ويعرف أنه هو : ذاته ، ووطنه المنفى ، والمنفى جميعا ، وأنه هو نفسه أيضا . الملايين الجياع .

[●]

واذا كان الكفاح المسلح هو أنضج أشكال العمل الثورى وأكثره صعوبة واحتياجا الى الارتباط العميق الكامل بقوى الشعب صاحبة المصلحة فى الثورة ، فان الثقافة النابعة عن هذا الشكل الاكثر نضجا للعمل الثورى ، لابد أن تسعى الى الكشف عن الضمير الحقيقى للشعب وتكوينه الروحى والعقلى الاصيل بالمضامين والصور التى صاغها فى شتى مجالات حياته وسجلتها ثقافته القومية ، فى تراث مآثره وبطولاته وفضائله والصور التى تركزت او تكثفت فيها اللحظات الساطعة المختلفة فى تاريخه ، وفى تراث اساليبه فى التعبير والصياغة . بذلك تستطيع تلك الاعمال الابداعية للثقافة الجديدة النابعة من حركة الثورة والكفاح المسلح ، تستطيع أن تعود فتنعكس على واقع الحركة النضالية ذاتها لتزيدها تأثيرا وجاذبية وارتباطا بجماهيرها ، ولتزيدها - هى نفسها - وعيا بدورها فى اعادة صياغة مستقبل الامة ، على أساس تاريخها الذى أضاءه الوعى .

لا يعود الشاعر المقاوم يكتفى بصياغة احلامه ورؤاه ومأساة شعبه بعباراته التأملية الخاصة التى يصوغها من خلال التعامل المجرد بين ذهنه وبين مفردات اللغة ، مستغنيا عن تراث التاريخ النضالى لشعبه وصياغة هذا الشعب لمواقف ذلك التاريخ النضالى . وانما هو يتجه عامدا الى هذا التراث القومى الخصيب ، والى التراث الانسانى بشكل عام وبالذات الى تراث الشعوب الاكثر قربا من تراثه القومى .

انه لا يستخدم « اللغة » القومية كمحض اداة للتعبير معزولة عن تاريخ الامة التى صنعت هذه اللغة عبر التاريخ نفسه . وهو لا يستخدم هذه اللغة بوصفها أداة بؤرة الوعى . يصبح الشعر أداة للتعبير عن التجربة وطاقتها الى انضاج الشعور القومى وتأصيله ولاعادة تأسيس الثقافة القومية برمتها على أساس من الوعى بالوجود المستقل والحر للامة ، هذا الوجود الذى يتحقق من خلال نفس العملية النضالية على الدوام : العملية التى ترمى الى استخلاص منجزات الاستنارة والتقدم والعمل الانسانى الخلاق التى حققتها الامة ، وعكستها ثقافتها عبر التاريخ . تصبح الحركة النضالية المعاصرة امتدادا للنضال من أجل الحرية والعدل والتقدم فى ماضى الامة بأسره .

يصبح « الحسين » أصلا وجذرا حيا ومتجددا لشهداء الثورة الان :

ياكربلاء ، تلمسى وجهى بمائك
تكشفى عطش القتيل
وترى على جرح الجبين أمانة تملى خطاى ....

بل ان كربلاء تتغير ، وتكتسب ذكراها معنى جديدا يمنحه لها الشهيد الجديد وقضيته الجديدة . انه شهيد لا يشفيه الثأر ولا البكاء . انما يشفيه ان يكبر الفقراء فى زمانهم الصعب ،

يا كربلاء ، وأنت جارحة وصعبة
.. هذا زمان يكبر الفقراء فيقتلون ، ويقتلون
.. هذا زمانى ، فاشهدى
جسدى يرد اليك حرية ..
ولديك ذاكرتى ، افتحيها تفلقى زمن العويل .
أحمد دحبور - طائر الوحدات - (ص ٣٥ - ٤٠] .

ويصبح الوقوف القديم على الاطلال ، تأكيدا لدورة الموت والحياة ، وقدرة الحياة على التجدد المستمر والانتصار بالحب والوعى ،

يعود الشتاء على جسد من رماد
هناموسم للوقوف
« قفانبك » من فرحة الموت
ان الدماء تواصل دوراتها فى التراب
الينابيع عادت الى النهر
والنهر عاد الى أمه فى الجبال
[خالد أبو خالد - مجلة المعرفة - عدد آيار ٧٥ ص ١٠٩]

ومع هذا فان العنصر الحاسم يظل هو تطور وعى الشاعر نفسه وارتباط تطور وعيه بتطور قدرته المبدعة على خلق صوره الخاصة ، المستخلصة من رؤاه والمتخلقة من معاناته المباشرة الواعية لتجربته الهائلة .

ان معايشة الشاعر المباشرة واليومية لهذه التجربة ، وهو الذى يتعمد بالدم ويحمل معه منفاه وموته ، مثلما يحمل وطنه وموت قاهريه وليست هذه عبارات اقولها وفى ظنى انها عبارات انشائية أو محاولة لمنافسة التعبير الشعرى . انها تعبر عن واقع حقيقى يعيشونه بالفعل] — أقول ان معايشة الشاعر لهذه التجربة ، واكتشافه تفاصيل وقائعها ، وتشبع حواسه بتفاصيل بيئتها وخلفيتها الانسانية والمكانية والزمانية ، فى الاشخاص والبشر أو فى الطبيعية والمدن والمخيمات اوفى التاريخ : هذه المعايشة وذلك التشبع هما ما يصبحان مصدر« ثقافته » ووعيه الاول والاساسى ،الذى يمتص كل مايمده به التراث ، او منجزات وابداع الفكر الثورى والفن والشعر نفسه ، ويتمثله من أجل تربية وجدانه الشعرى ، وصقل أدواته التعبيرية الخاصة ، التى ستعتمد فى النهاية على قدرته الشخصية على تحويل التجربة الى شعر يحقق للتجربة انتقالا ماديا الى الامام فى عالم الوعى ، ينعكس على عالم التجربة الخارجى مرة ثانية .

اننى مضطر هنا — وانا اوشك على اختتام هذا الحديث — الى الخروج عن قاعدة « الاحاطه العامة » بحركة هذا الجيل من شعراء المقاومة الفلسطينية ، التى وضعتها لنفسى منذ البداية . ذلك أننى أود أن أشير الى قصيدة بعينها لشاعر بالذات .

أتحدث عن قصيدة « الفهد ينشر اسراره » لأحمد دحبور (الاداب ، حزيران ١٩٧٤ ص ٧] .

ان الفدائى الذى يطلق عليه الشاعر اسم « الفهد » ، الذى « يخرج من ليلة مصطفاه » ، الليلة التى تخرج من شارع فى المدينة : سيكون عليه أن يختار : الطريق الذى يفضى الى ساعة الصفر ، أم ذلك الذى يؤدى الى العدم،الى الصفر نفسه . وأيا كان الطريق ، فانه سيطبعه ببصمات كفوفه : زنابق بلاده : فكم له من الكفوف اذن ؟.

سيوقظ فى بلاده النائمين والسكارى ، يقرب بخطوته ساعة الصفر أو ساعة الموت :

هذا هو الفهد ،
راحاته أنشبت عطرها فى المدى ،
من نخيل الفرات الى بردى ،
وفلسطين فى كامل الزينة العربية ، كاملة .
ابرق الفهد من عمق تربته ان راحاته زنبقت ،
وفلسطين كاملة ، كاملة .
والفراشات مطلية بهباب المداخن
لكنها ابطلت عادة الموت
والريح تجهر بالصوت :
هذا هو الفهد ،
فلتبدأ القافلة .

هكذا يحصل الشاعر على صياغته الخاصة والفريدة للغة الشعر المقاوم الجديد . اعانته معايشة التجربة بكل أبعادها بنفسه ، وتمثل ادوات التعبير فى التراث ، وصدقه الحقيقى فى شعوره بالقدرة على الحلول محل اى واحد من الشهداء [شهداء عملية الخالصة] الثلاثة ،أى ممارسته الفعلية للكفاح المسلح : اعانه كل ذلك على ان يقدم نموذج شعر المقاومة الفلسطينية الجديد . ان الرمز والصياغة اللغوية ، والغاء كل الحواشى الشعورية والتعبيرية ، لكى يستحضر ما يمكن أن نسميه الروح الثابت للغة الامة التى لا تتغير عبر التاريخ ، رغم قدرة هذه اللغة ، وهذه الصياغة على تجسيد التجربة الحالية التى تعيشها الامة الان بالذات ، واشاعته لذلك الشعور بأنه يؤصل جذور تعبيره فى التراث، رغم أنه لا يستخدم عبارة أو صورة تراثية واحدة طول القصيدة . اقول ان هذه هى المقدمات التى تمنح هذه القصيدة — أو هذا النوع من التعبير الشعرى — وهو قليل للاسف — فى عطاء الشعر الفلسطينى المقاوم — الحق فى احتلال مكان التمهيد لمستقبل هذا الشعر ، وربما لمستقبل الشعر العربى كله .

ماذا كانت بداية حديثنا ؟ تحديدات غسان كنفانى الثلاثة لخصائص شعر المقاومه : رفض الاحتلال والتذويب ،واليسارية ، والامية . وقد حاولنا ان نكتشف الخواص التى أضافتها تجربة الهزيمة والمجزرة : التحدى يتحول الى ممارسة للقتال ، والمباهاة بضخامة الالم الى مباهاة بقدرة الفقراء على النضال ضد أسبابه . والشاعر « الفادى » يتحول الى شاعر محارب ، والوعى الطبقى يتحدد ، وتصبح « الارض » الحلم وطنايعيش فوقه مجتمع محدد ، والتعبير العام عن المأساة يكتسب صياغة قومية بالارتباط بتراث الامة النضالى والتاريخ الذى تحتويه لغتها القومية ، وعلى قمة ما منحته التجربة الدامية بعد الهزيمة والمجزرة ، يأتى تطور وعى الشاعر وارتباطه بتطور قدرته الخاصة على صنع لغته التعبيرية المتميزة ، التى تتمثل كل ما أكسبته التجربة للشاعر ، وللشعر ، من وعى وشفافية وفرح يجلله الحزن — بالقدرة المطلقة على الفعل والعطاء .

ان السطور الاخيرة من قصيدة « الفهد ينشر اسراره » تجسد — فى ظنى — كل هذه التحولات التى استوعبها واحد من الشعراء المقاتلين :

شجاعة الرجال :

تحية لحسين فوزى فى عامه الخامس والسبعين



د. عبد العظيم أنيس

● حين أحتفلت الاوساط الثقافية بالدكتور حسين فوزى — فى عامه الخامس والسبعين — كانت تحتفل بأصالته : مفكرا وكاتبا وعالما ومسئولا ..

وحين كان الدكتور فوزى عميداً لعلوم الاسكندرية ، كان بين معيديها شاب فى مقتبل حياته العملية ، معروف بانتمائه الفكرى للاشتراكية العلمية ، هو عبد العظيم انيس ، الذى أصبح استاذ الرياضيات فى الجامعة فيما بعد ، بالاضافة لاسهاماته الفكرية الاخرى

وفيما يلى يروى الدكتور انيس بعض مواقف حسين فوزى : مثقفا شجاعا ، مخلصا لما يراه حقا ، لا يرهبه السلطان ..

وما أندرها عملة هذه الايام !!

اثلج صدرى أن « الطليعة » قد افردت جزءا من الملحق الادبى فى العدد الماضى لتحية المثقف المصرى الكبير الدكتور حسين فوزى .. العالم والموسيقار والاديب والفنان بمناسبة بلوغه الخامسة والسبعين ، أمد الله فى حياته ومنحه الصحة والعافية .

وأتمنى على الطليعة أن يتسع صدرها لنشر هذه الكلمة الموجزة عن خبرة شخصية لى مع حسين فوزى ، هى شاهد حى على جانب من جوانب شخصيته لم يتح الطليعة أن تتعرض له ... وأعنى به شجاعة المثقف والمفكر عندما يكون أمينا مع فكره ، جريئا فى الحق لايهاب السلطان وما أحوجنا فى الجامعة الى هذا المثل النبيل !

الزمان .. عام ١٩٤٦ ، والمكان .. كلية العلوم جامعة الاسكندرية . كان حسين فوزى عميدا لكلية العلوم وكنت معيدا متواضعا بها ، وكانت الحركة الطلابية فى أوج نشاطها الوطنى ضد الاحتلال البريطانى ومشروعات المعاهدات الاستعمارية التى يراد فرضها على مصر ، وكان يجلس فى كرسى رئاسة الوزراء عدو قديم للحركة الوطنية والجماهير الشعبية هو اسماعيل صدقى الرجل الذى كان يستحق عن جدارة لقب «صاحب اليد الحديدية» أكثر مما استحقه محمد محمود !

فى هذه الظروف ، وعلى وجه الدقة فى أوائل مايو ١٩٤٦ خرجت مظاهرة طلابية كبيرة من حرم الجامعة — وكان فوق ربوة عالية تضم كليتى العلوم والحقوق فى حى محرم بك — وتصدت لها قوات الامن حتى أجبرتها على التراجع الى حرم

الجامعة . وهناك وقعت مفاجأة استفزازية لم تكن فى الحسبان اذ أطلق أحد الطلاب الارهابيين الرصاص على احد ضباط البوليس فأرداه قتيلا .

لقد تمت هذه المفاجأة الكئيبة فى لحظات ، وكان من الطبيعى أن ينفجر غضب سلطات الامن وان كانت قد فقدت صوابها ، واذ برجال البوليس يحاصرون الجامعة من جميع الجهات ، ويقبضون على أعضاء هيئة التدريس الذين كانوا فى طريقهم الى خارج الجامعة ، ويطلقون الرصاص على ابنيتها حتى طار زجاج النوافذ ووصل الرصاص الى المعامل والمدرجات .

وظل اعضاء هيئة التدريس والطلاب محاصرين فى الداخل من الصباح الى الساعة الواحدة صباح اليوم التالى ، حتى وصل وزير المعارف الاستاذ محمد العشماوى باشا من القاهرة على طائرة خاصة وأمر برفع الحصار ثم احتل الجيش حرم الجامعة فى الايام التالية .

وكان الدكتور حسين فوزى عميد العلوم ، والمرحوم الدكتور عبد المعطى خيال عميد الحقوق مع مئات من الاساتذة والمعيدين والاداريين ضمن هؤلاء الذين حوصروا داخل الجامعة ، وكان شعور الجميع بالمهانة والعدوان على حرم الجامعة عظيما وكاسحا . ولقد كنت واحدا من المعيدين المحاصرين ، وفكرت مع زملائى من الشبان أنه لابد من اتخاذ موقف واضح بالاحتجاج لدى السلطات والصحافة على ما يجرى للجامعة وفى أسرع وقت ! وجلسنا — نحن المعيدين — نكتب بيان الاحتجاج وأخذته بيدى وذهبت الى الدكتور حسين فوزى أعرضه عليه فلم يتردد بعد قراءته فى التوقيع . ومن مكتبه ذهبت الى مكتب المرحوم الدكتور عبد المعطى خيال فوقع هو الاخر دون تردد . حدث هذا بينما رفض معظم الاساتذة الكبار ان يوقعوا منتحلين اعذارا مختلفة لموقفهم هذا . ويجدر أن اذكر هنا أن هؤلاء الذين وقعوا كانوا يعلمون تماما من هو اسماعيل صدقى رئيس الوزراء !

وهكذا اصبح فى يدى ويد زملائى فى حوالى الساعة السابعة مساء بيان احتجاج وقع عليه كل المعيدين ونفر قليل من المدرسين والاساتذة المساعدين وعميدان ! وفكرت وزملائى المعيدين : كيف يصل صوت احتجاجنا سريعا الى الشعب والسلطات ؟

لا طريق الا طريق الصحافة ولن تجرؤ على نشر هذا البيان صحيفة غير صحيفة « الوفد المصرى » الذى كان يراس تحريرها الكاتب الوطنى الكبير الدكتور محمد مندور ، وهكذا اتصلت تليفونيا بقريب لى فى مدينة الاسكندرية وأمليت عليه البيان ورجوته أن يرسله برقيا الى رئيس الوزراء وجميع الصحف ، وكان من الطبيعى أن يوقع باسمى أمام موظف البرق على صيغة البيان لانه لا يعرف احدا غيرى .

وفى الصباح ظهرت صحيفة « الوفد المصرى » وفى صدر صفحتها الاولى بيان الاحتجاج فى برواز كبير ، وافتتاحية تعلق على ما جرى فى جامعة الاسكندرية بأعنف الكلمات .

وجن جنون رئيس الوزراء واتصل تليفونيا بوزير المعارف بالاسكندرية وطلب منه التحقيق فى أمر البيان ومعاقبة المسئولين . وكان من الطبيعى ان يبدا التحقيق بى ما دام اسمى على البرقية . وذهبت فى صحبة الدكتور حسين فوزى لهذا التحقيق فى مكتب مدير الجامعة — الاستاذ صادق جوهر الذى كان مشهورا بولائه للقصر وعدائه للوفد . وكانت بوادر اللقاء بيننا وبين الوزير توحى أن السلطات تنوى البطش بحركة المعيدين بادئة بى !

ولحسن الحظ وقف ضد هذا الاتجاه اعتباران ، اولهما ان الدكتور حسين فوزى دافع امام الوزير عن البيان وعن فكرة الاحتجاج على ما لحق الجامعة من مهانة ، والثانى ان السلطات اكتشفت ان هذا البيان موقع عليه من مئات من رجال الجامعة وان اى اجراء تعسفى لابد ان يمس اشخاصا عديدين وليس شخصا واحدا .

لقد ذكرت هذه القصة كشاهد حى على شجاعة المثقف المصرى حسين فوزى ورفضه الاستخذاء امام السلطان .. واننى لاذكر ايضا أنه كان مغرما باستدعائى الى مكتبه ومحاورتى فى أفكارى السياسية ، وكنت معروفا فى الجامعة باقتناعى بالفكر الماركسى وأحسب أنه كان يود أن يعرف ان كانت هذه القناعة صحيحة الاساس أم زائفة .. ولازلت اذكر أنه فى احدى جلسات المحاورة معى اتصل به حكمدار الاسكندرية — وكانت مظاهرات الطلاب على أشدها — ليخبره انه قد نما الى علمه ان طلاب الجامعة قد رفعوا «العلم الاحمر» على سطح كلية العلوم ، كما كان منه الا أن رد مازحا «سأذهب ياسيدى الى سطح الكلية وأحيى العلم قبل انزاله ! »

ولقد باعدت بيننا الايام بعد ذلك ، وذهب كل منا فى سبيله وكنت على البعد اقرا له كثيرا فأختلف معه فى أشياء واتفق معه فى اشياء . لكننى ظللت اكن له دوما الاعزاز والمحبة والاحترام . . انه لعملة نادرة هذه الايام !

جمعيـــة المســــرح :

هـل هى حـل لأزمـة المسرح المصـــرى ؟

ثمة اجماع بين المشتغلين بالمسرح - أيا ما بلغت خلافاتهم فى قضايا الفكر والفن - أن المسرح المصرى يعانى ازمة خانقة : فالمسرح التجارى يزدهر يوما بعد يوم ، ويجتذب الى ساحته المزيد من الفنانين والجمهور ، ومسرح الدولة يلهث للحاق بركابه ، متنازلا عن تلك الانجازات النبيلة التى تحققت له خلال سنوات الستينيات .

فى هذه الظروف تكونت جمعية أو مركز للمسرح المصرى ، يضم عددا من المشتغلين : كتابا ونقادا ومخرجين وممثلين .. على اى شىء اجتمعوا ، وما هى الفرص المتاحة امام هذا التجمع كى يؤدى دورا فى الحياة المسرحية المعاصرة ؟

للاجابة عن هذين السؤالين .. كان هذا التحقيق ، لكن النتيجة لا تشير الى احتمالات النجاح .. فالاعضاء السبعة الذين ادلوا بآرائهم هنا لا يكادون يتفقون على تصور واضح لمهمة هذه الجمعية ودورها ، من هنا فهى اميل لان تقع فى دائرة الصراعات التى قد تعصف بها .

هذا من ناحية . ومن الناحية الاخرى فان مازق الجمعية فى البحث عن تمويل يتم من خلال تقديم عروض « جماهيرية » امر يثير الغبار حول امكانية نجاحها فى الخروج من الحصار القائم حول المسرح .

على اى حال .. هذه اراء عدد من المشاركين فى الجمعية .. ولنترك الحكم عليها للمستقبل .. فهو وحده الكفيل بالاجابة عن السؤالين المطروحين .

■ نعمان عاشور

● كيف بدأت فكرة تكوين الجمعية ؟

- فى عام ١٩٧٢ وأنا أقدم مسرحية « الجيل الطالع » لمست المعاناة فى محاولة تقديم عرض مسرحى خاص بى ، فمن ناحية القبول اخضع النص للجنة قراءة من ناس غير مختصين وليس لهم القدرة على الحكم على أعمالى وبعد العرض حاولت مؤسسة المسرح بكل الوسائل أن تعمل على افشال العرض ، فقررت الانسحاب من التعامل مع القطاع العام ، واتجهت إلى القطاع الخاص ، فكانت الصدمة اقسى عندما عرضت مسرحية « نحن معك » التى أوقفت عرضها بحكم قضائى وأصبح المجال أمامى مغلقا تماما .

ثم تغيرت سياسة مؤسسة المسرح ، فقدمت لهم مسرحية « رفاعة الطهطاوى » وبعدمرور ثلاثة مواسم متتابعة وعدم ظهورها فكرت فى تشكيل المسرح الحر ولم أجد قبولا ، فعرضت فكرة انشاء مركز الدراسات المسرحية على أكثر من واحد من المهتمين بالمسرح وقررنا انشاءه .

● ما هى مهمة الجمعية أو المركز فى تصورك عند تكوينه ؟

- تصحيح مسار الحركة المسرحية برجوع المسرح إلى مسرح واقعى يصارع من أجل التطور الاجتماعى ، مسرح مرتبط بالحياة الاجتماعية وتطورها ، والجمعيةفى رد فعل طبيعى لما يحدث داخل الحركة المسرحية سواء فى القطاع العام او الخاص ، وتطوير الحركة المسرحية بعدما وصلت اليه فى الستينات وفى هذا الأطار تصبح مهمة الجمعية تصحيح مسار الحركة المسرحية ومحاولة تطوير شكل المسرح المصرى ودلالاته واهدافه وهذا فى ذاته صراع من اجل مسرح جديد .

● المركز بتشكيله الحالى من اتجاهات فنية مختلفة واجيال مختلفة الا يتسببهذا فى حدوث تضاربحول دور المركز ووظيفته؟

- حتى اذا حدث تضارب فان هذا لا يضر الجمعية ولا يقارن بالتضارب الموجود فى داخل الحركة المسرحية والتى لا يوجد لها اتجاه فكرى او فنى واضح ، وهذا الصراع لابد ان يكون موجودا حتى يبرز الاتجاه الاسلم والامر كله متوقف على الجمهور ، فقد عرف الجمهور ورفض اغلب الاتجاهات الفنية وهو الان فى حاجة الى المسرح التقليدى .

كما ان المسرح يستطيع أن يتحمل جميع الاتجاهات الفنية ، وانا اختلفت دائما معهم ولكن الامر يتوقف فى النهاية على احترام كل منا لموقف الاخر .

● الا تقف مشكلة التمويل عائقا أمام العروض التى سوف تقدمها الجمعية ؟

- لن نعتمد على اى تمويل من خارج الجمعية بل سنركز على الاعتماد على جهودنا الذاتية وما يقدم الينا من تبرعات او مساعدات من الافراد أو من هيئة المسرح .

■ فريدة النقاش

- الجمعية تحاول أن تكون البديل لما هو موجود من تردى الحياة الثقافية والمسرحية التى وصلت الى درجة من الصعب على اى انسان يحترم الثقافة ان يتسكت وكأن الأمر لا يعنيه .

● كيف تكون البديل ؟

- هناك خطان لعمل الجمعية :

اولا : تقديم عروض مسرحية جماهيرية التى تكون فيها مواصفات الفرجة والابداع مع احترام الجمهور ، ونحن فى هذه الحالة سنكون مرتبطين بتقديم عروض جماهيرية تدخل المنافسة فى غابة العروض التجارية وهذه العروض لن تكون مبتذلة وانا فى هذا الصدد أتذكر العروض الجماهيرية ليوسف ادريس ونعمان عاشور وبريخت والفريد فرج وعبد الرحمن الشرقاوى التى ظهرت مع نمو الحركة المسرحية فى الستينات وسوف تلتزم بتقديم النجوم من الكتاب والمخرجين والممثلين لان القصد من هذه العروض مخاطبة الجمهور والحصول على التمويل الضرورى للانشطة الاخرى .

ثانيا : الاتجاه التجريبى ، وهو تقديم عروض مسرحية لجمهور محدود جدا ،وهم اعضاء الجمعية مع تقديم نماذج من العروض المسرحية التى تتم فى العالم .

● هل المركز المصرى للدراسات المسرحية جماعة ذات وجهة نظر فنية واحدة ؟

- المركز ليس جماعة ذات خط فنى واحد ، ولكن يجمعها خط فكرى تقدمى ديمقراطى عام ، ونحن نطمع فى ان تقدمشكسبير بوجهتى نظر مختلفتين من الناحية الفنية ، وانتظل الجمعية هذين الاتجاهين فى تقديم الاعمال الفنية .

● هل تستطيع الجمعية بتشكيلها الحالى من اتجاهات فنية مختلفة ان تقوم بدورها الذى تريده أم هى اميل للدخول فى دائرة الصراعات الداخلية ؟

- لا يوجد عندنا اى تفاؤل ساذج ، ونعلم جيدا ان المناخ الثقافى والسياسى والاجتماعى سوف يلعب دوره فى نجاح أهداف الجمعية أو فشلها . ولكننا نعول على الصلابة الذاتية للعناصر التى تريد أن تقدم ثقافة بديلة وجادة ، وأعتقد ان لهذه الثقافة جمهورها الذى يبحث عنها ويتعطش لها .

● أليس محتملا أن تنتقل أمراض الحركة المسرحية التى الجمعية ونشاطها ؟

المفروض أن اعضاء الجمعية يقومون بعملية تسهيل لولادة الرافد الجديد مع ملاحظة ان الاشياء الجديدة لا توجد فى فراغ وأن رفد الحياة الثقافية الموجودة حاليا هو الذى يولد

حياة ثقافية جديدة ، وعلى هذا الجيل من المسرحيين ان يكتشف وسائله ، وكل مهمة الجمعيه تسهيل اكتشاف هذه الوسائل ومده بالخبرات القديمه والتي اسهمت في ازدهار الحياه الفنيه في الستينات وتمهيد مناخ انظف لكي يستطيعوا تقديم تجاربهم . ونأمل ان تؤدى هذه التجارب الى ولاده مخرجين ومؤلفين في المستقبل لاننا نشكل جزءا مما هو قائم .

عبد الغفار عودة

● ما هو مبرر قيام مركز الدراسات المسرحية ؟

ـ مبرر قيام هذا المركز ليس في حاجة الى شرح أو تفسير اذ يكفى ان نستعرض الحالة التى وصل اليها مسرحنا على يد سماسرة القطاع الخاص وتقديمه اعمال هابطة فكريا وفنيا ، والحال في مسرح القطاع العام هو صورة مهزوزة من القطاع الخاص فهو يحاول أن يقلده متصورا ان في ذلك المنقذ للخروج من مأساة الكراسى الخالية في مسارحه ، وعليه كان لابد من تجمع للعناصر الجادة الملتزمه لتحاول ان تعيد صياغة الحركة المسرحية .

● كيف ؟

ـ بالعمل على مستويين :

الاول : مستوى جماهيرى يقدم اعمالا مصرية وعربية وعالمية تحمل رؤيا واعية ملتزمة تتفق مع واقعنا المتطلع لاعادة بناء الانسان المصرى .

الثانى : مستوى تجريبى ويقدم من خلال استديو المركز أعمالا تجريبية وطليعية ، كما سيقوم الاستديو بوضع دراسات نظرية وعملية من خلال مواد منهجية لاعداد الفنانين الاقليميين .

والمركز المصرى للدراسات والتجارب المسرحية لن يبدأ من فراغ ، سيبدأ من الواقع المصرى من خلال المؤلف الملتزم والفنان صاحب الرؤية الجديدة الجادة ، ولن نستورد ولن نقتبس ولن نؤقلم وانما سنعتمد على طاقتنا الفنيه والابداعيه وهى كبيرة ! !

● ماذا قدم المركز خلال عام ؟

ـ ان المركز يسير بخطوات بطيئة ، ولكننى اجزم انه يسير في الطريق الصحيح نحو تحقيق مسرح مصرى لا يخضع لروتين المركزية البالية أو لاحباط لجان القراءة المتعالية ، او لعفوية الإنتاج .

فتحى العشرى

● بعد ان وصل مسرحنا المصرى الى « حالة الضياع » في القطاع العام و « حالة التخبط » في القطاع الخاص و « حالة الحصار » في قطاع الجامعات و « حالة الاخلاص » في قطاع الثقافة الجماهيرية نتيجة لتدخل « الرقابة » من ناحية و « القيادات الرجعية » من كل هذه القطاعات من ناحية اخرى ، كان طبيعيا ان تلتقى مجموعةمن صفوة العاملين في مجال المسرح، وان تتلاقى حول « الهدف » الواحد والواضح وهو « انقاذ المسرح المصرى » من ازمته المتعددة الجوانب .

● هل تشكل الاختلافات الفكرية والفنية بين اعضاء الجمعية تناقضات يمكنها ان تتحول الى صراعات فكرية وفنيه تتسبب في عدم قيام الجمعية بهدمها المعلن ؟

ـ لاشك ان هناك اختلافات من هذا النوع ، وذلك بين اعضاء الجمعية ، ولكن ليس هناك خلافات ، وهذه الاختلافات طبيعية ومطلوبة طالما انهاتخضع للحوار الديمقراطى والقرار الديمقراطى ، ولكن الذى لاشك فيه ان الاعضاء الذين استمروا معنا على مدى عام ، قد احسوا بهدف الجمعيه الواضح ويعملون فعلا على تحقيقه .

● ما هى العلاقة بين المركز وبين القطاعات المسرحية التابعة لوزارة الثقافة ؟

ـ عرضنا على وزارة الثقافة فكرتنا وطلبنا منها المساعدة والمساندة ورفض وزير الثقافة اى تعاون بيننا تحت شعار ان هذه الجمعية«خلية شيوعية» ، وهذا ليس صحيحا على الاطلاق . ولكن ما ذنب الجمعية في ان يكون كل أعضائها من الذين يحملون فكرا تقدميا وهذا لا يروق للسيد الوزير ؟

● ألا تتسبب العروض التجارية التى سوف تقدمها الجمعية في تحولها الى فرقة قطاع خاص اخرى ، لا تخضع سوى لمنطق الربح ؟

ـ ليس الهدف من تقديم عروض جماهيرية تستعين بنجوم وتفتح الشباك هدفا تجاريا ولكنه طريقا للوصول الى الجمهور العريض بهدف تقديم الفن المسرحى النظيف والجاد ، هذا بجانب العروض التجريبية التى سوف تقدم .

● ألا يمكن للرقابة أن تجهض العروض المقدمة بسبب موقفها المتسلط والذى سوف يكون نتيجة فعلية لموقف وزارة الثقافة ؟

ـ كما هو معلن فان الجمعية تضم اعضاء منتسين وهم الذين سوف يشاهدون العروض التجريبية ، ولكن اذا تعذر تقديم نص جماهيرى نتيجه لتسلط الرقابة ، فسوف تقدم في اطار الجمعية بشكل يشبه « نادى السينما » . وهذه الجمعية خاضعة للممارسة العملية ومن خلالها نستطيع أن نقرر هل تستمر أم تتوقف .

على سالم

● ما هو الهدف من قيام المركز المصرى للدراسات المسرحية ؟

ـ هو محاولة ترشيد الحركة المسرحية بالتعاون مع كل اجهزة المسرح الموجودة حاليا .

● كيف ؟ !

ـ من خطة الجمعية اقامة ندوات ، وعمل مهرجان عربى مسرحى في القاهرة ، وندوة

للمسرح يحضرها نقاد المسرح فى العالم العربى وعمل عروض مسرحية تجريبية بالاتفاق مع هيئة المسرح .

● **هل الجمعية هى البديل لما هو موجود فى الحركة المسرحية ؟**

ـ **باختصار الجمعية لا تعمل من خارج الحركة المسرحيه الموجوده حاليا بشكل تصادمى ، ولكن من خلالها بشكل توافقى اصلاحى « راجع حصان طروادة »** .

● **ولكن الحركة المسرحية الحالية فى القطاع العام والخاص قادره على ابتلاع الجمعيه بهذا الشكل ؟**

ـ لا نستطيع أن نقف على شاطىء النظرية ولكن من خلال التجربة سوف يتضح هذا الموقف ولننتظر لموسم كامل على الاقل .

والحركة المسرحية الحالية قادرة على ابتلاع الجمعية فى حالة واحدة اذا قامت بينهما هذه العلاقة التصادمية .

● **لكن اختلاف هدف الجمعية عما هو موجود حاليا فى الواقع المسرحى يجعل العلاقة بينهما بالضرورة علاقة تصادمية ؟**

ـ لا يمكن أن تكون العلاقة تصادمية لسبب بسيط للغاية وهو أن اعضاء الجمعية انفسهم وأى مسرحى آخر فى مصر ينتظمون بشكل ما فى داخل الحركه المسرحية الحكومية والخاصة .

ولا داعى للصدام لاننا لا نستطيع أن نقول أن هناك اناسا رجعيين يمسكون بمقاليد الحركة المسرحية فى القطاع العام ولكنه سوء الفهم أحيانا وسوء التخطيط أحيانا أخرى .

والجمعية فى مضمونها حركة اصلاحية داخل المسرح وليست حركة ثورية ، والحركة الثورية المسرحية عندنا لن نستطيع أن نقوم بها نحن ، بل هى سوف تنتظر أجيالا قادمة .

● **لماذا ؟**

ـ لان جيل الستينات من كتاب المسرح ـ جيلنا ـ ناضل بما فيه **الكفاية ؟ وتعرض للضرب بما فيه** الكفاية ، وكل ما نطلبه الان هو الا نخسر جمهور المسرح وأقول الان بشكل خاص لوجود متغير جديد فى ساحة المسرح المصرى ، وهم الاشقاء العرب القادمون الى القاهرة صيفا وشتاء ينتظرون منا الكثير فى المسرح ، ولم يعد من المطلوب من المسرح المصرى أن يتحرك الى الجماهير العربية بعد أن تحركت هى اليه « هكذا ! » .

■ هأنى مطاوع

● **هل كان تكوين الجمعية رد فعل لما يحدث فى الحركة المسرحية ؟**

ـ المفروض فى أى تجمع فنى اما أن يكون تجاوزا لواقع فنى مطروح ومعاش ، ورغبة فى التجريب وارتياد آفاق جديدة ، واما أن يكون تعبيرا عن نوع من عدم الارتياح أو التوائم مع هذا الواقع الفنى .

فى الحالة الاولى تنتظم الجماعة فى تيار أى وجهة نظر فى الفن ومن التجربة قد ترسى دعائم اتجاه جديد فى الفن المسرحى أو يفشل التجمع وينفض .

وفى الحالة الثانية .. ليس من الضرورى أن يكون هذا التجمع حول قضية فنية وربما يكفى اساسا لهذا التجمع أن يكون حول عدم الرضا عن مجريات الامور فى الواقع الفنى .

وتتواضع الامانى الى مجرد رد الامور الى نصابها منطلقا من القواعد السارية والمتفق عليها والتى حاد الفن عنها .

وأعتقد أن جمعيتنا ينطبق عليها المفهوم الثانى ، فكل اعضائها اما نقاد غير راضين عن مواسم المسرح فى السنوات الاخيرة ، وما تزال صورة الستينات الوردية ماثلة فى اذهانهم وربما قنعوا بمجرد العودة لها .. واما فنانين « مخرجين ومؤلفين وممثلين » يشتركون فى نفس النظرة .

اذن فالتجمع ببساطة هدفه الرجوع الى مسرح الستينات وهو لا يرفض التجريب ولكن لا ينظر اليه باعتباره المبرر الاول لتواجده ، فالهدف الاستراتيجى كما قيل هو استعادة الجماهير وعقد المصالحة بينها وبين الفن الجيد .

هذا طيب جدا ومشروع ولكن التحفظ الوحيد الذى أطرحه هو خوفى عند التنفيذ من التورط ـ نتيجة عدم الالتفاف حول قضية فنيه واضحة ـ واذا كانت هذه هى القضية فانى ارجو ان يتفضل السادة الزملاء بتوضيحها ، اما أن نلجأ لنفس الاسلوب الذى وصل اليه المسرح فى فتره انحطاطه فهذا مرعب ، وقد تشممت أنفى هذا الرأى عندما لمحت فى تفكير الجمعية الاتى :

ـ **تبنى عروض تليفزيونية تقدم اعمال بوليفار تجارية للصرف من دخلها على الاعمال الجادة** . وهذا مبدأ خطير جدا .. فهذا معناه ضرورة التفكير فورا فى جمعية تنبثق من نفس الجمعية لردها الى التفكير الجاد .

ـ **تقسيم العروض المسرحية الى تجريب يسند للشبان وعروض جماهيرية يستعان فيها بالنجوم مثل « حبيبه » و « سهير البابلى » و « توفيق الدقن » ، « محسنة توفيق »** وهم من المرشحين لمسرحية **نعمان عاشور** « برج المدابغ » اخراج « **سعد اردش** » وهى باكورة اعمال الجمعية .

وللامانة فان « مصطفى بركة » صاحب فرقة المسرح الجديد ، كان يفاوض « نعمان عاشور » على نصه مع مجموعة ممثلين يقاربون هؤلاء تماما ان لم يزد عليهم بنجوم شباك آخرين . والاكثر من هذا ان « مصطفى بركة » كان ينوى اسناد اخراج هذا العرض « لجلال الشرقاوى » أو لى شخصيا ، باعتبارى من الشبان بالطبع ، وهذا شىء

يضاف لرصيد المسرح الخاص !

— ما زالت الجمعية فقيرة فى الممثلين وتنخدع بوعود معظم الممثلين بالعمل .. حتى انهم صدقوا ان ممثلة مثل « سهير البابلى » ستترك مسرحية « لا تلعبى بالكبريت يا حلوة » لتمثل مع الجمعية مجانا !

● هل تتمكن الجمعية من خلق مسرح تجريبى كما يصرح معظم اعضائها ؟

— **التجريب من وجهة نظرى يأتى بشكل عفوى وليس عن عمد** ، بمعنى اننى كفنان مسرحى لا يمكن أن أقول لقد قررت ان اقدم عملا تجريبيا — واذا كان هذا مفهوم البعض عن التجريب فهو مفهوم ساذج — ولكن قد انفعل بتصور فنى فيه شىء من الشطط واستشعر فى نفسى رغبة ملحة فى ترجمته وتسعفنى الجراة على ذلك فيكون هذا تجريبا فاذا قال البعض اننا سوف نخلق مسرحا تجريبيا فهو قول يدعو للسخرية المرة !

● هل تستطيع الجمعية بتكوينها الحالى من اتجاهات فنية متعددة ومختلفة أن تقوم بعملية اعادة الحياة الى المسرح المصرى وفى نفس الوقت صنع تيار جديد فيه ؟

— ربما بدوت فى اجابتى مجوزا قليل الطموح رغم اننى من أصغر أعضاء الجمعية سنا ، وأملى كبير أن تثمر الجمعية أعمالا فنية ذات مستوى طيب تتفوق فيه على الاقل فنيا على معطيات الواقع المسرحى المصرى الحالى ، **ولكن ما اشك فيه هو قدرة الجمعية على خلق تيار فنى جديد** ، ليس لعيب فى الجمعية أو لقلة الكفاءات البشرية بها ، ولكن ربما كان السبب من وجهة نظرى الخاصة ، هو **أن الجمعية تفكر بعقلية ادبية** ، والمسرح لا يتطور الا اذ تعامل معه رجال المسرح القادرون على التعبير بالكلمة والعرض معا .. واذا أرادت هذه الجمعية أن تنجح فى خلق تيار فيجب أن يتخلى أعضاؤها من القادة عن الوصاية التى كانت ضرورة مرحلية ويسلموا زمام الموقف لرجل العرض المسرحى !

■ ناجى جورج

● ما هو مبرر قيام جمعية للمسرح الان ؟

— بعد أن اعرضت هيئة المسرح منذ سنوات عن تقديم ما هو محترم ، ونشاط القطاع الخاص بهمة شديدة فى تقديم الابتذال ، واثراء الحياة المسرحية بكل ما هو تافه وسخيف الى جوار دوره الرئيسى فى افساد الذوق العام ، وبذلك اصبحت ظهورنا للحائط ، وعندما تحاصر لا يكون امامك بديل اما أن تموت وانت واقف على أقدامك ، او أن تحاول أن تمسك بجيرانك ممن اسندوا ظهورهم للحائط !

● هل سيكون مركز الدراسات المسرحية هذا هو بديل لما يحدث فى ساحة المسرح المصرى ؟

— **أقول بصراحة ومن واقع كونى عضوا بالمركز ، انه ولد شائها ، ليقع فى نفس الاخطاء التى تتعثر فيها الحركة المسرحية** ، وقد ذكرت اننا محاصرون فماذا قدم المركز لاعضائه المحاصرين أو على وجه الدقة ماذا قدموا لانفسهم ، ظلت المناقشات تدور بين شد وجذب ، طرف يصر على تحديد الهدف من انشاء هذا النشاط المسرحى والطرف الاخر يتهرب من التحديد ويقوم برفع شعار الجدية وان الاهداف بالضرورة سوف تتبلور اثناء سير العمل .

واعتقد ان كلمة الجدية مطاطة للغاية ، ولا نستطيع أن نعرف اذا ما كانت هذه الخطوة أم تلك التى ستؤدى الى الجدية .

ومن السخرية ان بعض الافكار التى طرحها احد دعاة الجدية تتعلق بالبحث عن ممول ، وبالتأكيد الممول يريد أن يربح وبالتالى فسوف يملى شروطه ، ومشروع آخر لاحد دعاة الجدية فقد استقدم خبيرا لكى يقيم حفلا ساهرا فيه الطرب والرقص من أجل الحصول على أموال تنفق على العروض الجادة !

هذه عينة من التخبط .

وعندما نفتح الباب على مصراعيه لقبول عضوية المتقدمين الا يتقدم للعضوية من تولوا برعايتهم اغلاق المسارح معظم شهور المواسم المسرحية ؟ فهل اتفقنا على شروط العضوية ؟

● هل تستطيع الجمعية بتكوينها هذا من اعضاء مختلفى الافكار والاهداف أن تقوم بدور المخلص للمسرح المصرى من محنته ؟

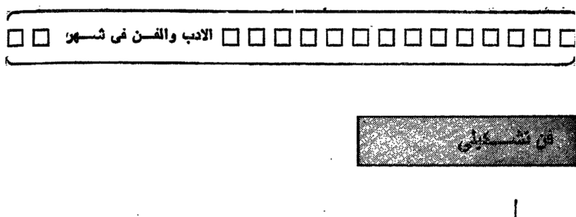
— ان الاعضاء المؤسسين كل منهم رأى الاشياء من زاويتين ، بل أن بعضهم لم ير الامر فى أحسن صوره سوى انه مجموعة اصدقاء اجتمعوا لتقديم مسرح ، وان الامر لا يتعدى هذه الحدود ، وذلك ما قيل لى شخصيا عند محاولتى فتح حوار .

ومن خلال هذا المنطلق خسرت الجمعية اعضاء كانوا يستطيعون توضيح وتنظير ظواهر مسرحية تبدو غامضة على بعض المؤسسين ، فقدنا « صافيناز كاظم » ولا اود ان اذكر كيف عوملت ، و « فاروق عبد القادر » و « سامى خشبة » وراجى عنايت الذين لم يسمح لهم بتسجيل آرائهم ، حتى قرر كل منهم أن ينجوا بجلده .

فعندما اراد احدهم ان يذكرنا ببديهية وهى **أن المسرح للمسرحيين وانه لاقامة حركة مسرحية صحية نحن فى حاجة الى مؤلف ومخرج وممثلين وانه لا يرى على مائدة الجمعية سوى مجموعة من الاصدقاء قد اجتمعت لكى تتكلم ، اعتبروا ذلك تجاوزا . واخشى اننا فى لحظة نكتشف أن المسرح محتاج الى ممثلين !**

أما عن التجريب الذى يبدو اننا بعيدون عنه لانه يحتاج بالدرجة الاولى الى تجريبيين .

تحقيق : محمد عثمان



« أعطنى حرية أعطك فنا » !

كثير هو الكلام الذى قيل من مشاكل الفن التشكيلى فى مصر ، لكن كم هو قليل من بينه ما يمس الحلقة الرئيسية فى سلسلة هذه المشاكل ، واقل منه التحليل العلمى الصحيح لها ، الذى يناقشها كظاهرة منعكسة عن ظروف معينة ، تحمل امكانية تغييرها حين يمكن تغيير تلك الظروف .

وقد عانينا طويلا من اقتصاد طرح هذه المشاكل على الفنانين انفسهم ، شأنهم شأن الادباء والمسرحيين والسينمائيين ، كل فئة تتقوقع على ذاتها ، تلوك مشاكلها بمعزل من بقية المجالات الابداعية ، والنتيجة الطبيعية هى تقطع أوصال الحركة الثقافية ، وعدم استمرار اى حوار ، مهما كانت حرارته ، بعد انتهاء المناسبة التى فجرته ، وهكذا تجد إى حركة نفسها ، حين تعود الى الحوار ، وهى تبدأ من جديد ، وتدور الحركة الثقافية فى دائرة مفرغة .

لهذا كان مما يدعو الى التفاؤل ان يبادر كاتبنا الكبير «الدكتور لويس عوض» الى القاء محاضرة عن مشاكل الفن التشكيلى بجمعية اتيليه القاهرة يوم ١١ اغسطس الماضى ، شارك فى الحوار حولها عدد من الفنانين ومن الكتاب والمثقفين ، اثيرت فيها أكثر من قضية هامة . وان لم تصل الى حلول حاسمة ، فانها كانت بمثابة جسر بين الحركة التشكيلية المعاصرة وبين مختلف فصائل المثقفين ، ودعوة مخلصة لاستمرار الحوار بينهم ، حتى يصلوا الى جوهر الظروف الموضوعية المشتركة التى تحكم أوجه الواقع الثقافى ، ووسائل تجاوزها .

وضع الدكتور لويس عوض يده على الحلقة الرئيسية بين مشاكل الفن التشكيلى وهى : عزلة الحركة التشكيلية عن الجمهور بكل مستوياته ، وافتقاد التكامل بينها وبين بقية الانشطة الثقافية ، بانقطاع العلاقات الفكرية فيما بينهما طوال السنوات العشرين الماضية ، متخلفة بذلك عما كان متحققا فى سنوات الاربعينات خلال الحرب الثانية ومابعدها ، من حيوية وازدهار ، سواء فى تميز العديد من الاتجاهات والشخصيات الفنية الجديدة ، او فى تكوين الجماعات الفنية المستقلة بافكارها ومواقفها ، وان جمعت بداخلها مختلف المجالات الابداعية من شعر وقصة ونقد ، او فى استمرار التواصل بينها وبين الجمهور ، حتى ان كل فنان متميز كان له جمهوره ومشجعوه ومن يحرصون على اقتناء اعماله ، رغم جدة وغرابة ما يعرضون .

واعراض تلك العزلة فى نظره تبدو فى عزوف الجماهير ، بما فيهم المثقفين ، من ارتياد المعارض الفنية ، التى تظل طوال ايام العرض خاوية موحشة الا من بعض اصدقاء الفنان ونفر قليل من الجمهور يعد على الاصابع ، اغلبهم يقفون حائرين لا يفهمون شيئا مما يرون امامهم ، وتبدو ايضا فى خلو بيوت الغالبية العظمى من الشعب من أى عمل فنى ، وعزوف الطبقة القادرة من اقتناء اعمال الفنانين .

وفى تشخيصه لاسباب تلك العزلة ذكر عاملين اساسيين : الاول : انخفاض فى حاسة الذوق الفنى لدى الجمهور ، نتيجة لعدم تربيته تربية فنية صحيحة منذ الطفولة ، ابتداء من المدرسة الابتدائية حتى بقية مراحل التعليم العام ، والحرص على الطابع الزخرفى بعيدا عن محاولة تصوير الانسان . والثانى هو ابتعاد الفنان التشكيلى اليوم من عنصرى التجسيد ، والبعد الثالث فى اعماله ، ومحاولة العودة الى اسلوب التسطيح واعتبار اللوحة ذات بعدين اثنين ، ولعل هذا الابتعاد هو الذى مهد الطريق لارتياد الفنانين لاساليب غريبة انتهت الى التجريد البحت ، مما عمق الفجوة بينهم وبين الجمهور .

وبالرغم من أن الدكتور لويس عوض قد امسك فعلا بالمشكلة الرئيسية من بين مشاكل الحركة التشكيلية ، وهى عزلتها من الجمهور ، فان مظاهر العزلة كما ذكرها ، لا تشكل اكثر من المظاهر السطحية ، ذلك ان مظاهر العزلة اعمق من ذلك بكثير ..

ان هناك انفصالا حضاريا رهيبا ليس بيننا وبين حضارة وفنون العالم المتقدم فحسب ، بل بيننا وبين حضاراتنا وفنوننا التى تعد اعظم ثروة تركها اجدادنا للبشرية ، وهى فى اغلبها ثروة تشكيلية ، سواء كانت عمارة او نحتا او تصويرا او زخرفة . وبالرغم من اننا نمر عليها فى طريقنا كل يوم بشكل او بآخر ، ومن اننا نرى السياح يأتون لرؤيتها من جميع انحاء العالم ويقفون امامها مبهورين ، فاننا لا نكاد نلتفت اليها . ولنا ان نسأل : كم عدد المصريين من زوار الاثار او المتاحف الفرعونية والقبطية والاسلامية ؟ .. وكم من الشعب المصرى زار متحف الحضارة او متحف الجزيرة او متحف الفن الحديث؟ .. وكم منه زار متاحف رواد حركتنا

الفنية المعاصرة مثل مختار ومحمود سعيد وناجى ؟ .. وربما كان اولى بالسؤال ان يكون : كم عدد الذين يعرفون بوجود مثل هذه المتاحف اصلا ؟! الحقيقة مؤسية ! .. ولو انتقلنا الى مظاهر الفن فى حياتنا اليومية ، فسوف لا نجد الا الدمامة والعرى والغلظة ، نجدها على جدران البيوت او فى فوضى المبانى الحديثة او فى اعلانات الشوارع او فى مهرجان الملابس او فى عشرات المظاهر الاخرى . وليست الدمامة والعرى والغلظة وحدها هى ما يفزع فى الامر ، بل ان تعود الناس على كل هذا واعتباره شيئا مألوفا لا يستنفرهم ضده ، هو ما يثير الفزع .

هذا عن مظاهر العزلة .. فماذا عن اسبابها ؟

ان تعليق انخفاض الذوق الفنى لدى الجمهور على الاسلوب المتخلف للتربية الفنية فى التعليم العام ، لا يتفق مع الارتفاع النسبى للذوق الفنى الجماهيرى فى الاربعينات وتواصل حركاتها الفنية ، رغم انها كانت فى مجملها صدمة للوعى الثقافى فى ذلك الوقت .. فكيف حدث ذلك ؟! .. ومن ناحية اخرى ، فان اسلوب التربية الفنية فى التعليم العام قد تجاوز طريقة [رسم القلة] التى اشار اليها الدكتور لويس ، منذ اكثر من عشرين سنة ، وحلت محله اساليب اكثر عصرية ، ونشأت المعاهد المتخصصة فى التربية الفنية القائمة على مناهج شبه علمية ، وتخرج فيها آلاف من المدرسين المؤهلين ، بما لا يقاس بمستوى اقرانهم من مدرسى الاربعينات ، وكان المنطق يقتضى ان يؤدى ذلك الى ارتفاع مستوى التذوق الفنى لدى الاجيال الجديدة بدرجة عالية ، الا ان النتيجة عكسية .. فكيف حدث ذلك ؟ !

اما عن مسالة التجسيد والمنظور ، فلست اتفق مع الدكتور لويس عوض فى أن لغيابهما عن الفن المصرى الحديث علاقة بعزلته عن الجمهور بكل مستوياته ، بل على العكس ، فان غيابهما ادعى الى الاتساق مع « الروح المصرية » اذا جاز هذا التعبير ، التى تكونت عبر حضارات وظروف عديدة ، ذلك ان التجسيد والبعد الثالث لم يكونا فى يوم من الايام صفة من صفات الفن المصرى عبر كل حقبة ، فرعونية او قبطية او اسلامية ، او حتى فى التصوير الشعبى ، بل لم يكونا من صفات الفنون الشرقية ككل .. بل نجد ان التجسيد من سمات فن عصر النهضة الاوروبية ، الذى لم يكن الا احياء لفلسفة الفن اليونانى القديم ، بحرصه على ألباس المعانى المجردة اشكالا مادية ذات صفات مثالية ، واعتبار الانسان هو المثل الاعلى فى كل شىء .



د. لويس عوض

واذا كان اسلوب التجسيد يمكن ان يرضى فئات من الناس ، فهى بالدرجة الاولى بعض شرائح الطبقة المتوسطة ، ضحلة الثقافة ، تربى ذوقها على الصور السياحية والاكاديمية ، أو تحاول تقليد من يقتنونها ، واصبح لها توظيفهما الرخيص للفن : [المنظر الطبيعى الاوروبى للصالون ، المرأة العارية لحجرة النوم ، طبق الورد والفاكهة لحجرة المائدة . !] . واظن أن التجسيد الذى يعنيه الدكتور لويس ليس هو نوع التجسيد الذى يرضيها ، انه يبحث من تجسيد الانسان كقيمة وفكرة ، وهم يبحثون عن تجسيد الانسان كزينة ومتعة .

وفى رأيى ان المنهج الذى استخدمه الدكتور لويس فى محاضرته هو المسئول عن ابتعاده عن الاسباب الحقيقية للعزلة . واعنى [بالمنهج] نظرته الى ازمة الفن التشكيلى كقضية خاصة منفصلة عن الازمة الثقافية العامة خلال العشرين سنة الماضية ، فان العزلة التى يعانيها الفن التشكيلى هى فى الحقيقة جزء من العزلة العامة التى تعانيها الحركة الثقافية الجادة من المجتمع .. فمن يستطيع ان ينكر ان الادب الجديد — شعرا او قصة او رواية — فى عزلة من الجمهور ؟ .. ومن ينكر ان السينما الجديدة والمسرح والموسيقى فى عزلة ؟ .. ومن ينكر ان الحركة النقدية الجادة تكاد تكون غائبة ؟ .. انني لا اغفل بالطبع ان لكل مجال من تلك المجالات ظروفه النوعية المتميزة ، لكن هناك دون شك ظروفا موضوعية عامة تشمل كل تلك المجالات ، وهى ذات شقين : شق يتعلق بقضية الابداع الفنى ، والآخر يتعلق بقضية التوصيل الجماهيرى .

بالنسبة لقضية الابداع الفنى ، فعلينا ان نسلم بان هناك قدرا كبيرا من الاغتراب عن الواقع شكلا ومضمونا فى كل الفنون — تشكيلية وتعبيرية — يحول بينها وبين استيعاب الجماهير لهما ، وهو اغتراب له اسبابه المفهومة ، يأتى فى اولها المناخ الفكرى والسياسى المغلق الذى ساد فى معظم السنوات العشرين المشار اليها ، مادى الى ضمور حلقات الحوار وافول اشراقات الفكر وتصدع المواهب الاصيلة ، نتيجة لتوقف الحركة والاحتكاك ، ويأتى بعد ذلك جو سنوات النكسة بكل ماصاحبه من اختناق واحباط وضياع فى واقع متخاذل ، واصبحت الهجرة بعيدا عن هذا الواقع — سواء بالجسد او بالفكر — خلاصا من هذه الحال ، من الفنانين والمفكرين من هاجر الى شواطىء الغرب البعيدة ، يقتفى آثار روادها ، قانعا بدور التابع ، يستورد آخر ما وصل اليه أهل الغرب من صيحات فى الفن والفكر ، ومنهم من هاجر الى اطلال الاسلاف ، يغوص فيها منقبا فى التراث ومجترئا بعض مفرداته ، غافلا عن التناقض بين الفلسفة التى وراءه وفلسفة العصر الذى يعيش فيه ، وهناك من هاجر الى اعماق الذات يجتر هموما او تاملات او احباطات ، واخيرا هناك من لجأ الى الرمز الخفى او الايحاء الغامض تجنبا للعواقب او تعسف الرقابة ... وفى كل ذلك كانوا يبتعدون خطوات عن فهم الجماهير ، وتبتعد الجماهير خطوات عن فهمهم ، وكانت الحركة التشكيلية نموذجا جمع معظم هذه الانواع من الهجرة .

وبالنسبة لقضية التوصيل ، نجد ان نفس المناخ ادى الى عزلة الجماهير — حتى طلائعها الواعية — عن الحركة الثقافية والتفاعل معها ، ففى غيبة منابر النشر المستقلة ، والتجمعات الديمقراطية [كجمعيات او اتحادات] ، وفى ظل وصاية حديدية على حرية الراى ، فى مقابل حملات اعلامية ديماجوجية ، وسياسات ثقافية تكرس لالوان هابطة من الفن والثقافة ، وتستهلك طاقات الجماهير فى انشطة سطحية تنأى بها عن اى فكر او فن يوقظ وعيها ويحفزها للمشاركة الايجابية والدخول فى المناطق المحرمة .. تراكمت طبقات الصدأ على وعى الناس واذواقهم ، وتحولوا الى كائنات سلبية مستهلكة لكل ما هو غث وسطحى من الوان الفن .

فاذا اضفنا الى ذلك امراضنا الاجتماعية المزمنة ، كبلد مازال فى ريف العالم ، ذلك الذى يسمونه بالعالم الثالث ، من امية تقارب الثمانين فى المائة ، وقضايا تحرر ، وظروف اقتصادية طاحنة ، يصبح الفن معها

بالنسبة للناس ، ايا كان لونه ، نوعا من العبث .. و .. و .. الخ .. بدت لنا الصعوبات الفعلية امام توصيل الفن الجيد للجماهير وتفاعلها معه .

ومع ذلك فاننى ازعم أن الانسان المصرى من اكثر ابناء شعوب العالم حساسية ، ســـواء فى الابداع او التذوق ، حتى فى ظل الظروف السابقة .. فالطفل المصرى — كما نعرف جميعا — يفوز دائما باكبر الجوائز العالمية فى الرسم ، والفنان التشكيلى المصرى يثبت وجوده فى اى مجال دولى ، وكذلك الموسيقى والكاتب والســـينمائى .. والامثلة كثيرة . وفى الجانب الاخـــر ، فان الانسان المصرى البسيط قادر على استيعاب الفنون الرفيعة لو تلقى بعض المساعدات والتدريب ، وليس هذا كلاما حماسيا مجردا ، بل اقوله عن تجربة مباشرة مع الجماهير فى الريف .

لقد لمس الدكتور لويس عوض — دون قصد — لب المسألة عندما اشار الى ازدهار حركة الفن التشكيلى فى مصر فى سنوات الاربعينات ، أن هذا الازدهار يدين بالدرجة الاولى الى الانفتاح السياسى والفكرى النسبى الذى كان يسود تلك الفترة ، الى تلك الدرجة من الحريات اللبرالية التى كانت تســــمح بالتعبير والنقاش والتجمع ، وبقيـــام الاحزاب والجماعات والتيـــارات الفـــكرية والسياسية ، وكل منها كان يستقطب حوله جماعات من المثقفين والفنانين ، يتبادلون حوارا مفتوحا يعكس المشاكل الملحة فى مجتمع يغلى فى اعماقه ، ويتهيأ لثورة شاملة ، وفى نفس الوقت يحقق اشباعا ذاتيا لنزوع الفنـــان الى الحرية والتميز .. ومن يرجع الى بيانات ومطبوعات جماعة « **الفن والحرية** » مما كان يكتبها **رمسيس يونان والتلمسانى** مثلا ، يجد اى قيمة كانت تحققها الحرية للفن ، وأى جسارة ونضوج كان يملكها اولئك الفرسان ، كثمرة لمناخ الحرية ، مما جعلهم طلائع ثورية لمجتمعهم .

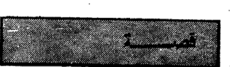
ورغم تدهور مستوى الخدمات التى تقدمها الدولة للفن التشكيلى ، من تقلص قاعات المعارض ، والغاء التفـــرغ ، وعزلة المتاحف .. الخ ، فاننى لا أميل الى التبـــاكى مع المتبـــاكين على تلك الخدمات — المنح .. بل اعتقد ان هناك مهمة أولى بالاهتمـــــام من جانب كل الفنانين ، وهى اقامة اتحاد عام مستقل للفنـــانين المصريين ، يمثلهم تمثيـــلا ديمقراطيا حقيقيا ، فمن خلاله — ومن خلاله فقط — يمكن ان تتحـــول هـــذه الخدمات — المنح الى حقوق ، ويمكن ان تجتاز الحركة الفنية عزلتها عن الجماهير ، ببرنامج مدروس بمنهج علمى .. وسوف يظهر من يقول بان هنـــاك مشروعا بانشاء الاتحاد فعلا على وشك الصدور ، لكنى اشك فى جدواه بصيغته الفوقية الحالية ، فانه يتيح الفرصة لجهـــات رسمية عديدة للوصاية عليه ، وبهذا ينتفى منه اهم شرط لنجاحه : وهـــو الاستقلال .

ولا يعنى هذا ، على اية حال ، ان يقاطع الفنانون هذا الاتحاد ، فالنتيجـــة الطبيعية لهذا ان يقفز عليه — بجانب البيروقراطيين — كل الانتهازيين ويكتسبوا من خلاله وصاية شرعية جـــديدة على الحركة الفنية ، وانما يستطيع الفنانون بتجمعهم داخله ان يشكلوا قاعـــدته الاساسية ، فيحدوا بقـــدر الامكان من نفوذ الانتهازيين والبيروقراطيين ومناهضى الحرية .

انها الحرية — قبل كل شىء — التى يستطيع بها الفنان ان يحقق ارادته ، وان يجتاز عزلته ، الى الجماهير ، والى المستقبل .

والاتحاد العام للفنانين هو حجـــر الزاوية فى بناء هذه الحرية ، وهـــو الضمان لها ، ودرع امانها ..

عز الدين نجيب



قـــلب الليـــل :

الوعى داخـل اطـار الطبقـة

يطالعنا بطل "قلب الليل" من خلال الصفحات ، فاذا به ليس غريبا عنـــا ، بل كثيرا ماعايشناه فى أعمال نجيب محفـــوظ ، ربما يمثل فى أحد جوانبه «عمر الحمزاوى بطل الشحاذ » ، أو « أنيس بطل ثرثرة فوق النيل» أو «صابر بطل الطريق» له مظهر الصعلوك الذى يفلسف حياته قرب نهايتها فهو يتحرك — قبل هيامه الاخير وراء قدر من حسنات جده التى يبحث عنها — فى جو مختلف ، فهو محام صاعد له مكتب معقول ، يؤمه عدد كبير من الشخصيات التى لها اهتمامات عامة ، فتتعدد علاقاته ويتحول المكتب الى حلبة صغيرة يتجسد فيها كل ما يدور بالحلبة الكبيرة من صراع سياسى واجتماعى ، فجميع العقـــائد تتصارع على أرضه — من الفاشية الى الاشـــتراكية والشيوعية واللبيراليـــة والميتافيزيقية — وسرعان ماينتقل الصراع الى عقل جعفر المتفتح للفكر ، الذى يؤمن بضرورة سيطرة العقل على الحواس والغرائز ويرهص المفكر الصغير بأحـــلام طوباوية تحمل الخير المطلق للانسان . ويندفع بعد قراءات متعددة نحو تسجيل تلك الارهاصات بشكل نظرى ، ويكرر الحلم المراهق الذى طالما أرق أبنـــاء البورجوازية الذين يطرقون مجال الفـــكر والسياســـة ، بينمايكونون متيقظين لوضعهم الطبقى الممتاز غير متخلفين عنه ، فهـــو مع الشيوعية لعدالتها المطلقة ، ومـــع اللبيرالية التى تصون حرية الفرد ، وليس ضد الدين لانه لا يمكن أن يكون هناك ملكوت بدون ملك . ويدور الحوار التالى بين جعفر وسعد كبير الشيوعى عندما قرأ سعد كبير أفكار جعفر المكتوبة .

يقول سعد — سمك لبن تمر هندى .

— افصح

— تلفيق . احلام يقظة .. خيال .. تجميع ما لا يجتمع ، لا شىء .

— أهذا هو رايك النهائى

— ماذا تتوقع .

— أتوقع أن تقتنع برأيى .

— ثم ماذا ؟

— ثم نكون جمعية .. هيئة .. حزبا .

ويحتدم الصراع بين جعفر العاجز عن اجتياز المثالية فى التفـــكير ولوجا الى اعتناق التفسير المادى ، وآراء سعد كبير الذى تجاوز من خلال ممارسته ووعيـــه

النظرى مثل هذه المنزلقات . والسؤال الذى يتبادر الى الذهن أثناء متابعـة العمل هو زمن الرواية ـ فلم تتحـدد تاريخيا ، هل هى تمثل جزءا من الصراع الذى كان دائرا فى الاربعينات بين القوى السياسية المختلفة، أم هى فى الخمسينات او الستينات ... الخ . لا توجد اشارات تحدد موقع الاحداث من الرواية .

فالكاتب يسرد الاحداث الواقعية من خلال رموز يمكن ان نقول عنها أنها أصبحت مكررة وتكاد تكون ميلودرامية ، فزوجة جعفر « هدى » تكاد ترتفع فى نهاية الروايه الى عالم الرمز ، فهى حبيبته التى أنقذته من ضياعه وراء الحشيش والمنزول والخمرة بعد طرده من جنة جده الكبير ـ فقد دفعته للدراسة دون ان يكون له عمل سوى ادارة املاكها التى تنفق منها عليه ، وقد نشأ جعفر فى بيت جده صاحب الوقف الكبير بعد ما فقد اباه الذى لا يتذكر منه غير رؤية اسطورية وشعرية لطفل يركب كتفى أبيه أثناء الاحتفال بالمحمل ، والام عنده طيف امرأة جميلة حنونة باكية دائما لموت الاب الى ان ماتت وهى نائمة . وظل جده «الراوى» يرعاه فى قصره ويعده كي يكون عالما متخـذا أحســن الاســاتذة . والقصر فى عين الطفل جعفر يشبه الجنة التى سمع عنها خاصة بعد أن ترك حيـاة الحوارى والازقة المظلمة ، ويبدأ وعيه بنفسه يتحدد مع اشتداد عوده ، وتظل تصرفات جده أمامه لغزا خاصة موقفه من أبيه ، فيكمن بداخله الرفض لجده ، لكنه لا يستطيع اظهاره الا بعد ما يقابل مروانة راعية الغنم بفتنتها الزاعقة ، ولونها النحاس الغامق الذى يزلزل أركان حياته . وكما اكل آدم من الشجرة المحرمة وخالف أوامر الرب وكان جزاؤه الطرد من الجنة والهيام على سطح الارض ، قرر جعفر أن يترك قصره ويتخذ مروانة زوجة . عشش الترجمان زوجة له ضاربا بالثراء والمركز العلمى المنتظر عـرض الحائط مفضلا الحرية مع الفقر والطرب والحشيش والمنزول الى أن تتركه مروانة من أطفاله الثلاثة منها مما يجعله يدفع الكثير من نفسه ويهيم على وجهه بلا أمل أو حاضر ، الى أن تواجهه أقداره بهدى سليلة العز والثراء فيعجبها فيه التمرد، ويقترن بها، وتحبه هدى فترتفع بعواطفه الى درجة عالية من الرقى والاحترام ، فهى مثقفة وجميلة وتشاركه حياته الفكرية بعد ماينجح فى الحصول على ليسانس الحقوق وهو فى كنفها ، وتحس بهمومه وترفض نبـــــه الميل للآراء الاشتراكية واليسارية لانها محافظة متعصبة وتحب الليبرالية، وترى أنه بقدر بسيط من الاهتمام بالناس يمكن أن ينصلح حال مصر .



نجيب محفوظ

وتتجسد رؤية نجيب محفوظ من خلال الرموز والدلالات التى يعطيها للاشخاص ، فهدى المحافظة رمز الامن والحب ترتفـع وتكون أحد عناصر الصراع بين جعفر وبين سعد كبير الذى يحترمه جعفر ، فقد كانت تتناقش مع الجميع وتصادق الجميع ، و سرعان ما يحس جعفر بأنه غريب عنهم لانه يعيش على أملاك زوجته ، ويدرك تقييمهم الحقيقى له ، ولا يستطيع أن يتجاوز ذاتيته البرجوازية وقيمه عندما يرى زوجته المحافظة فى أفكارها تتجـاوب مع مناقشات سعد كبير بالرغم من احترامه له ، وتبدأ الشكوك تدور بنفسه نحوها خاصة بعد أن حذره صديق طفولته محمد شكرون من سعد كبير دون ذكر أسـباب محددة لذلك التحذير ، وتدفعه الغيرة الى الاحتداد على سعد كبير أثناء نقاشهما ، ويتطور الامر لحد التقاذف بالكلمات ثم الى الشجار الذى ينتهى بقتل جعفـر لسعد كبير ، وتعتبر الحادثة جريمة قتل تمت بين شيوعيين ، ولم يشر فى التحقيق الى زوجة جعفر التى تموت بينما هو فى السجن ، وتترك له قليلا من المال ينفقه اثناء سجنه .

وبذلك يغلق نجيب محفوظ عمله بنوع من الرمز الذى أصـبح تقـديريا لـكثرة استعماله . البطل البرجوازى الحـالم بفردوس يحل تناقضات الانسان مع عالمه وهو المتمرد الاصيل الذى اختار الهيام على وجهه فى الطرقات مفضلا الحرية على قهر جده وتسلطه ، ربما يتحول حلمه الطوباوى الى حقيقة متجسدة فى كيان كبير : حزب أو هيئة او جمعية . ولكن هل يمكن للمنهج التلفيقى الذى يريد أن يضع جميع البيض فى سلة واحدة أن ينجح من واقع شديد التعقيد ؟ فالوعى عند جعفر وعى ثقافى انسانى لان انتماءه لم يكتمل الى جانب انه وريث شرعى للراوى صاحب الوقف الكبير ، انه تعاطف بحكم تناقضه مع الراوى ، ويتعثر منهجه أمام الرؤية العلمية الشاملة التى يحملها سعد كبير . وعندما يحتدم الصراع تكون هدى فى خلفية عقله مما يؤدى الى تنفيذه لجريمة قتل سعد الذى كثيرا ما كان يختلف معه من احترام وقرب وصداقة، فجعفر لا يستطيع أن يتجاوز هدى ـ لا يستطيع أن يتجاوز واقعه البرجوازى ـ بالرغم من وصول علاقته بها لدرجـة الصداقة ، وهى فى الخمسين من عمرها، وتكون الغيرة تعبيرا عن رغبته الكامنة فى الامتلاك وعدم التفريط فى هدى التى أدت الى جريمة القتل خاصة انه أحس ان هدى المحافظة بدات تتجاوب مـع مناقشات « سعد كبير » . فيقول لها :

ـ لن أدهش اذا اعترفت لى فجأة بأنك شيوعية .

وبذلك تكون دلالة عملية القتل واضحة بالرغم من ان سعد لم يحاول اغتصاب هدى، اغواءها بعيدا عن جانز ، فالصراع الدائر بين الافكار والمعتقدات انتهى الى حدوث الجريمة ـ وذلك يدل على أن جعفر بأفكاره التلفيقية يخشى سعد وأمثاله لانهم يستطيعون من خلال النقاش المستمر مع هدى وأمثالها أن يصلوا بهم للاقتناع لذلك ليس غريبا أن يتحول الحلم الطوباوى فى الممارسة لاداة قتل ، فالبرجـوازى الحالم ينقلب ارهابيا أو فاشيا ينشر القتل من أجل المحافظة على هدى من انسان منتم يضع النظرية فى خط موازٍ مـع الممارسة العملية .

ويظل العمل يطرح التساؤل عن موقعه من الزمن التـاريخى بالرغـم من السرد التقليدى الذى كان يصل الينا بواسطة لغة شعرية فى بعض الاحيان ، وان كنا لا نقف كثيرا أمام عودة نجيب محفوظ للاسلوب التقليدى ـ الا اننا لا يمكننا المرور سريعا على نموذج اليسارى فى الرواية ، فمعالمه وتضاريسه الاجتماعية لم تكن واضحة كاملة الوضوح ـ كما انه ضاع ضحية الغدر والجهل الذى فرض اجنحته على شخص البرجوازى الحالم الذى ظل طوال فترة سجنه يدعو الناس لمذهبه الفكرى الذى لم يعتنقه أحد ، ولكنه كان نموذجا مخالفا لعمر الحمزاوى بطـل الشحاذ الذى راى خلاصـه فى الجنس والتصوف أو منصور باهى أحد شخصيات ميرامار والذى جاء تصوير شخصيته ضعيفة ومترددة . فكان سعد كبير نموذجا لعله عثمان الذى يمثـل الوجه الاخر لعمر الحمزاوى ولكن متى يستطيع هذا البطل الحالم بالمستقبل أن يطلق رؤاه الفكرية وينشر وعيه بعيـدا عن دائرة الطبقة البرجوازية التى لا تتورع عن القتل فى سبيل الحفاظ على امتيازاتها !

شمش الدين موسى

تعليق نموذجان مما يقدم «المسرح التجارى»

مسرحيتا « شاهد ماشفش حاجه »و « اولادنا فى لندن » اللتان تقدمهما فرقة الفنانين المتحدين تستجيبان وتحققان كل متطلبات المسرح التجارى ، فالمسرحية الاولى تقدم بطلا خفيف الظل ، يعمل ممثلا فى برامج الاطفال فى التليفزيون، وهو يمثل شخصية الارنب سفروت ، وحبه للارانب ينبع من انها حيوانات مسالمة تخافه ، ولانها ثانيا تتفق مع تكوين شخصيته . بينما يكره الاسود لانها ذات ميول عدوانية . وذات يوم يعود الى منزله فيجد ضابط المباحث فى انتظاره — مع مجموعة من المخبرين — متهما بقتل الراقصة التى تقطن الشقة المجاورة له . وحين يبرأ من هـذا الإتهام يطلبون منه ان يشهد ضد المجرم الحقيقى حتى بالرغم من انه لم ير شيئا ، ولا يعرف القاتل ولم يره من قبل . ويحدث فى المحكمة أن يشهد على القاتل ، لكن الموقف ينقلب فى النهاية لغير صالحه ، ومع هذا يبرأ ثانية من تهمة الشهادة الزور . فيقرر اخيرا ان يتحول الى اسد ، ففى الغابة التى نعيش فيها لايملك المرء الا ان يكون مفترسا حتى تكون له الغلبة . ويحس ضابط المباحث بانه ارتكب إثما كبيرا فى حق برىء فيأتيه بطفليه اللذين يطلبان منه ان يعود الى عالم الارانب من جديد، لما فيه من براءة ونقاء وبعيدا عن وحشية الاسود ودمويتها ، ولا ننسى طبعا ان يتزوج الارنب سفروت من الارنبة سمسمة حتى تفرح القلوب بهذا الحل الاخلاقى السعيد .

والصراع فى هذه المسرحية يتحرك فى عقل ووجدان سرحان عبد البصير ، بين واقع تكوينه النفسى والفكرى كارنب ، ونزوعه لان يتسيد هذه الغابة المسماة بـ « الحياة » . وهو صراع ساذج ومسطح لا يفترض منطقة وسط تلتقى عندها اطراف هذا الصراع ، هذه المنطقة الوسط هى التى تعطى الصراع شكلا دراميا لا ملحميا .

هذا التحديد الشديد المطروح فى المسرحية ، بل اكاد اقول التبسيط المخل بقيم الحياة ، يدغدغ مشاعر الطبقة البرجوازية لانها تعيش هذا العالم الدموى اولا ، وثانيا لانها طبقة يستحيل ان يرتقى وعيها الإجتماعى لمعرفة طبيعة مصلحتها الحقيقية ، او لفهم جدلية الصراع الدرامى ذاته .

على ان الحل الاخير والمطروح فى نهاية المسرحية بعودة سفروت مرة اخرى الى عالم الارانب ، انما يحقق انتصار الطبقة عليه ، وعلى طبقته التى ينتمى اليها . ان سفروت شخصية مجهضة ومحبطة ، بل ومنهارة من قبل ان يبدأ تكوينها المسرحى وبناؤها الاجتماعى ، وهى بالضرورة لا تحقق اى تصور صحيح لفن الدراما سواء على خشبة المسرح اوفى الواقع الإجتماعى .

اما المسرحية الثانية « **اولادنا فى لندن** » فهى لا تختلف كثيرا عن سابقتها، فأبطالها مجموعة من الشباب المصرى تداعبه احلام الثراء السريع ، فيذهبون للعمل فى لندن ، وبعد نهاية الصيف تتشكل منجزاتهم الاجتماعية ، فهناك المكاسب الجزئيـة المتمثلة فى شراء الملابس والاجهزة الكهربية وما الى ذلك، ثم هناك الاخفاق الذى يتمثل فى شخصية سمير عبد العزيز الذى اصيب باحد امراض الجنس ، فضلا عن فقده لامواله كلها فى حادث سرقة . ثم عصمت الذى احب المصرية آمال ، التى تتورط فى حادثة سرقة ثم ينقذها حبيبها عصمت باعترافه انه هو السارق ، فيتم ترحيله ، ومع هذا تتخلى عنه آمال تماما . أما حالة النجاح الحقيقى فتتمثل فى سعيد وماجدة فقط .

والمسرحية لا تنطوى على اى ملمح من ملامح الدراما فى شكلها الصحيح ، فهى مجرد بانوراما يعرض فيها المؤلف على سالم قدراته التكنيكية ومهاراته فى فن الاضحاك ، من خلال نماذج استحالت تكويناتها الاجتماعية والنفسية الى مجرد اشباح لا هم لها غير اشباع غـرائزها الفطـرية ودوافعها الاولية ، ينجو منها الثنائى الاخير سعيد وماجده . على أن جملة النماذج التى طرحها على سالم لا شك ينقصها نموذج الاستاذ المصرى الذى يعلم الإنجليز ادب شكسبير ، او العالم الذى يشارك فى تجارب الفضاء .. الخ . فهى نماذج اكثر تألقا واستنارة من كل تلك التى عرضها المؤلف . ولقد وقع على سالم فى فخ الواقعية الإنتقادية ، ذلك الفخ الذى لا ينجو منه الا الكاتب المفكر الذى يستند الى رصيد وافر من الفكر والايديولوجية ، والموقف السياسى والاجتماعى المستنير .

مجدى فرج



على سالم


قصة قصيرة
فصل من رواية
حكاية التاجر والنقاش
محمد البساطى

« وكان يرى بعينيه الحولاوين . ما لا نراه » .

قليلا ما يسقط المطر فى البلدة . وعندما يحدث ذلك .. كان ينهمر يومين متتاليين ويعتم الجو . وتسرى فيه برودة خفيفة . وكان ضوء الشمس ينفذ احيانا من بين السحب فى اشعة باهتة مائلة . وترتعش خيوط المطر فى الضوء المفاجىء وترق شيئا فشيئا .. وعندما تبدو وكأنها على وشك أن تتوقف .. كانت السحب الداكنة سرعان ما تزحف وتلتئم وتسد الثغرات التى تسلل منها ضوء الشمس . وينهمر المطر مرة اخرى فى غزارة .

وتتألق الصخور نظيفة بعد أن غسلتها الامطار . وتبدو الرمال رخوة فى لون ارجوانى .. وقد تناثرت فوقها صخور كانت مختفية قبل سقوط المطر . وعلى قمة الجبل . كانت الصخور تمتد متعرجة وقد نمت الحشائش حولها والاشجار الصغيرة . وكان يرتفع بينها بروزان مقوسان لصخرتين متعانقتين .. تميلان فى اتجاه البلدة . كانتا ملساوتين ولونهما أسود . وبعد سقوط المطر .. كان يبدو بطرفيهما تجاعيد دقيقة .

يقولون أنه اذا ماوقف أحد بينهما .. فانه يستطيع أن يكشف المنطقة كلها .. ويرى الفار قبل أن يختفى فى جحره ، واذا ما صاح أيضا .. فان صدى صوته يظل يتردد مدويا فى كل الجهات . ومامن أحد يستطيع ان يضع أذنه بينهما وينصت طويلا . كان الصوت يتصاعد أشبه بالعويل .

ويقولون انهما كانتا يوما صخرة واحدة . وقد اختبأ خلفها فى ليلة أحد قطاع الطرق ..

[انه دائما احدب .. واحيانا يكون أعور .. نحيل .. قبيح .. لا صوت له .. وتسيل ريالته على صدره . يغتصب الفتيات الصغيرات .. ويقتل الاطفال .]

وكان الفارس الذى يطارده يدور حول الصخرة لينالة .. غير أن اللص كان هو الاخر يدور حولها . وعندما يتعبان .. كانا يستريحان كل فى جهة . ثم يدوران من جديد . وعند الفجر .. كان الفارس قد سئم الأمر . فاستل سيفه وهوى به على الصخرة فشقها نصفين تسلل من بينهما وقتل اللص .

وارتجف نصفا الصخرة . ثم مالا وكأنهما يريدان أن يلتئما .

وعندما تختفى الشمس . ويعتم زجاج النوافذ .. وأطراف الأشجار العالية .. تظل الصخرتان تسطعان بانعكاس أخير مرتعش ..

وكان الأهالى فى شهر الصوم .. يقفون قبل المغرب بقليل أمام ابوابهم المفتوحة يرقبون اختفاء الشمس . وتكون الطبالى قد أعدت فى الداخل وفوقها أوانى الطعام يتصاعد منها البخار .

والنسوة متربعات حولها . وينطلق الاولاد الى الجامع لرؤية المؤذن عند ظهوره . وكان هؤلاء الذين يبدون دائما أكثر دقة من الاخرين .. لايثقون فى آذانه . كانوا يقولون انه ينظر الى ساعة جيبه .. والساعة كثيرا ما تخطىء .. والشمس لا تخطىء ابدا .. وكان أيضا يقضى النهار نائما فى الجامع .. وعندما يحين موعد الاذان .. ويوقظه الاولاد . كان يهب فزعا :

— ماذا ؟.. هل اذنوا للمغرب ؟..

وحتى لا يضيع صيام اليوم . كان البعض يصعدون الى أسطح البيوت المرتفعة .. أو يمضون الى مكان مكشوف لينظروا الى الصخرتين المتعانقتين . ويرونهما وقد توهجتا بأشعة الشمس الغاربة . ويقفون صامتين .. يرقبون التوهج ينطفىء قليلا .. قليلا .. وعندما يبدو سواد طرفى الصخرتين واضحا .. وقد ظللتهما العتمة الرمادية .. كانوا يعودون . يسيرون فى تمهل حتى لا يبدون متلهفين . وفى طريقهم كانوا يلومون — من خلال الابواب المفتوحة — هؤلاء الذين اندفعوا الى الطعام وراء آذان العجوز الكافر .

وعندما تضيع من أحدهم ماشية أو يختفى أحد الاولاد .. كانوا يبداون بحثا سريعا فى الحوارى والغيطان المجاورة . ويكون هناك دائما من يقترح أن يصعدوا الجبل بدلا من هذا البحث الذى لا يجدى .. غير أن الاخرين .. وخاصة العجائز .. كانوا يرون انه من الحكمة البحث أولا فيما حولهم .. وعند الهتر .. والترعة .. فان صعود الجبل يعنى دائما أن مصيبة قد حدثت . وعندما يتجهون فى النهاية الى الساحة .. كان الفتيان يتسابقون نحو الجبل . ويخرج الاهالى من البيوت .. ويقفون فى مجموعات متناثرة بالساحة يرقبون الاجسام التى راحت تزحف بين صخور الجبل . كان طرفا الصخرتين يتوهجان بأشعة الشمس وكان الاهالى يحذرون الصاعدين طول الوقت من النظر اليهما . فهما تستطيعان فى لحظة أن تسلباهم النظر .. ثم تقذف بهم فوق الصخور .. وكان هؤلاء الذين يكفون فجأة عن الصعود ويعودون .. يحكون دائما أنهم ماكانوا يقصدون أبدا أن ينظروا .. ثم لقد كانت الصخرتان تبدوان هادئتين وديعتين .. وقد دهشوا لضخامتهما الهائلة . وارتفاعهما الشاهق .. ومن يصدق أنهما نفس الصخرتين اللتين يرونهما من الساحة ؟.. ماكانوا يستطيعون ان يقاوموا تلك الرغبة الملحة لأن يحدقوا نحوهما .. كانتا جميلتين .. لم يروا أبدا صخورا مثلهما .. ومن يصدق ما يقال عنهما ؟..

« يقول العجائز انها احدى حيل الصخرتين الغامضة عندما تريدان ان توقعا بالضحية »

كانتا تتألقان فى هدوء بأشعة الشمس . ثم فجأة أخذتا تضويان بانعكاسات حادة .. كانتا تقذفان ببريق خاطف وقد تضخمتا وراحتا تميلان نحوهم . وانتشرت حولهما فقاقيع كثيرة . ودوائر من الضوء . ودخان . سحابات رقيقة من دخان أبيض .. تتماوج فى ليونة . وفى لحظة أحسوا وكأن عيونهم تحترق . وأخفوا وجوههم بين أذرعتهم . وعندما انزاحت الغشاوة عن عيونهم هبطوا مسرعين . ولم ينظروا مرة أخرى .

ما كان احد يستطيع ان يصعد غير « الزناتى » . كانوا يتساقطون واحدا بعد الاخر قبل أن يصلوا الى المنتصف . ما كانوا يستطيعون ابدا ان يتسلقوا ذلك الجزء الاملس الخالى من النتوءات . ويردد العجائز .. » هذا ما حذرناكم منه .. كان يمكن أن تموتوا .. أو تصابوا بالعمى .. انه الزناتى .. لا تستطيع الصخرتان ان تفعلا شيئا مع عينيه الحولاوين .. انه يخدعهما دائما بنظراته التى تتجه على غير ما تتوقعان .

كان رجلا ضئيلا جاف العود . يسير مندفعا بكتفيه الى الامام . وأصابع يديه مثل أسياخ الحديد . ويقولون .. أنه ما من أحد استطاع يوما أن يفتح قبضة يده . كان يصنع اقفاص الجريد . والمقاطف . ويفتل حبال الليف . ويرصها أمام كوخه حتى يأتى يوم السوق . وكان كوخه ملتصقا بالجبل . تظلله قشرة صخرية . وبجواره تجويف كالمغارة . صنع له باب من الجريد . كان يحفظ به أدواته . وفى الليل يربط داخله عنزته السوداء الضامرة .

وعندما كان أحد من الاهالى يريد أن يجمع الاعشاب . أو يملأ مقطفه بكسر الصخور . كان يصعد الجبل من جوار الكوخ .. حيث يتدرج فوق مدق ينتهى الى مساحة مستوية بعرض خمسة أمتار بمنتصف الجبل .. يسمونها «الفسحة» . وقد اعتادوا قبل ان يصعدوا .. أن يقفوا على بعد قليل من الكوخ وينادوا الزناتى .. ويخبروه أنهم سيصعدون . وربما جلسوا أيضا قليلا حتى يشربوا ويبللوا وجوههم . وكان يضع زيرا بين صخرتين على جانب المدق . ظلله بالغاب المضفور . وكان يملأه كل صباح .

وأحيانا كان يقول لهؤلاء الذين يريدون أن يصعدوا :

— ليس الان .. الجبل غاضب ..

وينظرون الى الجبل . ويرونه هادئا . والرمال ساكنة . وأحيانا يكون بينهم من لا ينصت لما يقول . كانوا يقولون :

— آه .. واخد على خطره .. عشنا وشفنا ..

ويصعدون الجبل .

وعندما يصلون الى الفسحة .. كانوا يحسون بالهواء وقد أخذ يشتد قليلا . ثم تهب زوبعات خفيفة محملة بالرمال الناعمة . كانوا يرونها تزحف متباطئة

فوق الجبل .. وقد تكونت وعكست ظلا رقيقا راح يتنقل معها . ثم فجأة يحسون بها تضرب وجوههم . وتملأ عيونهم بالرمال ، ويسرعون فى ملء مقاطفهم . وتشتد الريح . ويسمعون صوت الاحجار الصغيرة تتدحرج فوق الجبل ، ويتركون مقاطفهم ويهرولون هابطين . وقبل ن يصلوا الى الساحة تكون الريح قد بدأت تعصف بالجبل . ويرون مقاطفهم والريح تعبث بها فوق الفسحة ثم تحلق فجأة فى دوراتسريعة وتهوى . والزناتى لايزال جالسا أمام كوخه يخرط الجريد . دون أن يلتفت نحوهم . ولم يروه يوما يبتسم شامتا كما كانوا يتوقعون .

كانوا يقولون .. انه مامن أحد ينام آمنا تحت الجبل غيره . كانت الصخور تتدحرج فى اى وقت بالنهار أو الليل . غير أنهم لم يروا يوما حجرا يقع على كوخه . وكان العجائز ينصحون دائما .. أن يستأذنوا الرجل قبل أن يصعدواحتى يعطيهم الامان .

عندما كانوا يحدثونه عن الصخرتين . كان وجهه الضامر يتجهم فجأة . وتضيق عيناه الحولاوان ويظل صامتا . ويتغامزون :

ـ ايه .. يخشى أن يغضبهما ..!!

كانوا يقفون أمام الكوخ . وينادون :

ـ زناتى ..

وتخرج امرأة والطرحة السوداء حول وجهها . ويأتى صوت الزناتى من الداخل :

ـ ماذا يريدون ؟

ويقولون : غنمتان يا زناتى ..

ويستمر صوت الدق فى الداخل . ثم يزمجر قائلا :

ـ وماذا أفعل للغنيمتين ؟

ويصمت قليلا . ثم يقول :ـ اذهبوا للاولاد .. لن أصعد اليوم ..

ـ الاولاد يازناتى ؟.. وتقولها أنت..؟

وتأتى أصوات الدق من الداخل متقطعة ثم يسمعونه يتمتم غاضبا :

ـ أقتل نفسى من أجل غنيمتين ..!!

ـ انت الذى يقول ذلك يازناتى ؟

ـ وماذا تعرف ؟

ـ أنت الذى يقول ذلك ؟

ـ وهل كنت تصعد معى ؟

ويسمعون صوت المدق حين يرمى به جانبا . ويقولون : ـ

ـ ويرضيك أن نتركهما يضيعان ؟

ـ ملعون أبو الغنم .. فلتأكلهما الذئاب ..

وأحيانا . كانوا يفقدون صبرهم . ويقولون :ـ

ـ زناتى .. ستخرج ام لا ..؟

ويزمجر : ـ ملعون أبويا .. لو خرجت ..

ويقول صاحب الغنيمتين : يحسرم على بيتك يا زناتى ..

ويبتعد الرجال ، ويقفون هناك بجوار الزير ..

ويزمجر الزناتى من الداخل :ـ « لعلى أضعتهما .. آه .. لابد انى أضعتهما .. » وتقول امرأته حين تراه خارجا : ـ

ـ وبرضه .. تسمع كلامهم ؟

ويشتمها . ويتجه اليهم . وجلبابه حول كتفيه . وقد بدت ساقاه النحيلتان مقوستين كثيفتى الشعر . وتفك امرأته رباط المعزة من أمام الكوخ وتقودها للمغارة .

ويضع الزناتى جلبابه على صخرة نظيفة ويثبته بحجر . كان يصعد المدق فى بطء . ويداه خلف ظهره .. وكأنه يسير على شط قناة . وعندما يصل الى الفسحة كان يتوقف قليلا . ويدور حول الجبل باحثا بعينيه . وكثيرا ماكان يلمح الماشية المفقودة من مكانه على الفسحة . احيانا كان يعود من دورته حول الجبل ويصعد من جديد . ويرونه يبدل بساقيه سريعا بين الصخور .

وفوق القمة . كان يغيب عن أعينهم . ويقولون انه فى ذلك الوقت يذهب الى الصخرتين . ويقطع الحشائش والاشواك التى تكون قد استطالت حولهما فى غيابه ويغسل جسديهما من الغبار . وكانوا يرون رذاذ الماء المتطاير يتألق حول طرفى الصخرتين . ثم كان يستلقى ورأسه بينهما .

عندما يكون أحدهم عائدا من الحج . كانت الساحة تزدحم بالاهالى من الصباح وكان بعضهم يتسلقون التلال الرملية والممرات الصخرية.ويتناثرون بين صخور الجبل القريبة وفوق الفسحة وقد حملوا فروع الاشجار .

وعند الزير . يقف افراد عائلة الحاج القادم بملابسهم الجديدة . ويأتى الحجاج السابقون . ويقفون معهم . لقد تبادلوا النظرات مبتسمين . وتألقت عيونهم بالفرحة . وربما حكوا قليلا من ذكرياتهم من مكة والباخرة . كانوا يقولون :

ـ متى يأذن الله بزيارة اخرى ..!!

ويخرج الزناتى من كوخه . وشاله الابيض الحريرى المطرز بنقوش صفراء حول رقبته . وتدوى الزغاريد فجأة . ويتمتم الحجاج السابقون :

ـ والله زمان يا زناتى ..!!

ويسير الزناتى متمهلا . وخلفه امرأته تزغرد . ما من أحد يدعوه هذه المرة أن يصعد . وما يحدث الآن لا يحدث الا مرة واحدة فى العام .. وقتها فقط .. لم يكن يصعد أبدا الا فى عودتهم .. كان عيدا .. تخرج البلدة كلها الى الساحة .. يرقبونه وهو يصعد . والاولاد يجرون حوله يكاد يسمع لهثاتهم . حتى الجبل يحس بصخوره فى هذا اليوم وكأنما قد خفت سخونتها .

كان هؤلاء الذين صعدوا الجبل يهرولون هابطين . والاهالى يصيحون بهم أن يسرعوا . ويقف الزناتى منتظرا بجانب المدق حتى يخلوا الجبل منهم . ثم يحكم لف الشال حول رقبته . ويصعد . وتصيح امرأته :

ـ بالسلامة يا زناتى ..

ويصيحون معها : يوم غفسيل يا زناتى ..

وعندما يصل الى القمة . كان يلتفت نحوهم . ثم يختفى .

لقد كفوا من تسلق التلال الرملية . ومراقبة الطريق الذى يتلوى بين الجبال . واخذوا يحدقون الى قمة الجبل . أنه هناك سيكون أول من يرى الحاج قادما على الطريق . عندما يبدو على بعد أشبه بنقطة صغيرة وساعتها سيلوح بشاله الابيض .. ويهرولون عبر الممرات الصخرية . ومن فوق التلال . وعادة لا يذهبون بعيدا . كانوا يتوقفون عند أول منحنى ويتقرفصون على جانبى الطريق .

ويلمح الحاج القادم وهو يتأرجح فى الحنطور .. الشال الابيض يرفرف على قمة الجبل . وهؤلاء الذين ذهبوا للحج من قبل يعرفون جميعا تلك اللحظة . منذ بدأ الحنطور تحركه من المحطة ـ حاملا الحاج ومن سافر فى الليلة الماضية ليكون فى استقباله ـ وعيناه عالقتان بقمة الجبل . يرى الضباب الابيض حولها يرق شيئا فشيئا وهم يقتربون . ثم أخيرا .. يبدو طرفا الصخرتين المتعانقتين يتألقان ببريق متوهج . ويسترخى الحاج فى العربة . ويقول مبتهجا :

ـ ها هما .. تسطعان ..

ويظل محدقا . ثم يقول : والزناتى .. آه

ـ حمد الله على السلامة .

ويغمض عينيه قليلا . وقد شحب وجهه من الانفعال . ويتدفق فجأة فى الحديث :

ـ ونحن على الباخرة .. ..

ويبتسم . ويبتسمون .ثم يسوى شاله وينفض الغبار من جلبابه . ويقول :

ـ كنتم فى بالى .. طول الوقت ..

ويدخل الحنطور ساحبا وراءه جمهرة الناس . ويتوقف امام الجبل . ويهبط الحاج . ويلتف الاهالى حوله يقبلون يده ويتباركون به . يتقدمون وأخذا وراء الاخر فى شىء من الرهبة .. ويبدو الامر .. وكأن هذا الرجل الذى كانوا يعرفونه .. قد عاد رجلا آخر .. انه يقف باسطا قامته . وكتفاه متصلبتان قليلا.نظيفا.لامعا .. وشاربه مقصوص فى تناسق . يتلفت فى بطء . وعيناه تطلان عليهم فى وقار هادىء . ويده التى

تركها لهم مسترخية يفوح منها العطر ..

وهم يعرفون — من المرات السابقة — أنه حقيقة مجرد أيام ويعود كما كان .. غير انه لن يكون أبدا كما كان قبل السفر. سيظل هناك دائمــــا ذلك الشيء الذى لا يفهمونه .. والذى يبعده قليلا عنهم ..

يقولون ان ماحدث كان لابد أن يحدث. ما كانت الصخرتان تتركانه طويلا بعيدا عنهما . لقد هبت الريح عنيفة صباح هذا اليوم المشئوم . وكان الجو أصفر مختنقا بالغبار . وفى الظهيرة سطعت الشمس. وأخذت سحب الغبار تنزاح بعيدا .

وأمام الكوخ كان الزناتى جالسا يأكل. ورآهم عندما عبروا الساحة متجهين اليه وكان الرجل الغريب معهم. وحين أصبحوا على بعد خطوات منه .. كف عن الطعام وحدق طويلا نحو الغريب .

[لقد حكت امرأته فيما بعــد .. أن غجرية فى السوق رمت لها الودع .. وحذرتها من رجل غريب بجبهته أثر جرح قديم . سيأتى اليهم فى ساحة صلاة] .

جلسوا عنــد الزير حتى ينتهى من طعامه . غير انه لم يأكل بعــد ذلك شرب كوبا من الشاى . ودخن سيجارة. وستمل طويلا . وكان صامتا ينظر اليهم. وخلفه على باب الكوخ . وقفت امرأته ويداها منقبضتان على صدرها تحــدق اليهم . ونهض الزناتى . — لم يزمجر كعادته فى كل مرة وقدلاحظوا ذلك فيما بعد وقالوا أنه كان هادئا .. وكان يبدو كالثائه — خلع جلبابه. وبلل وجهه ورأسه من ماء الزير . وقال :

— نبدأ ..

وكان متجها الى الجبل . وقالوا :

— انتظر يازناتى .. أنت لم تعرف الحكاية ..

— ومـــــاذا يكون ؟ . غنمتين .

وقال الرجل الغريب : انه خـروف أسود .. لا يعرف متى فقده تماما .. ربما فى الليلة الماضية ..كانوا يرعون هنا فى الجبال المجاورة .. وبعد الفجر مقليل .. كانوا يعدون الغنم .. ولم يجدوه .

نظر الزناتى اليــه . ثم عاد وجلس بجواره . ونظر الغريب للرجال الذين جاءوا معه . وقال الرجال :

— الرجل ضيف يا زناتى ..

وقال الزناتى : من اين ؟

وذكر الرجل اسم عزبة مجــاورة . وكان الرجال يحكون للزناتى عن عائلته .. غير أنه لم يكن ملتفتا اليهم . كان ينظر الى الجبل . وقال فجأة :

— هل سمعت عنهما ؟

ونظر الضيف للرجال . وقال الزناتى :

— ناعمتان كالحرير .

وصمت . ثم قال : عندما أرشهما بالماء .. ينزلق دون أن تمسك بهما قطرة واحدة ..

وصمت مرة أخرى . ثم قال :

— وحين أضع رأسى بينهما .. لن تصدقنى .. !

والتفت الى الضيف :— الن تصدقنى.! يتكلمان ..!!

ونظر الضيف للرجال . وقال الرجال :

— الرجل ضيف يا زناتى ..

ومد الضيف يده الى جيبه . غير أن الرجال لكزوه فى صمت . ومتى كان الزناتى يأخذ اجرا ؟.. وربما اغضبه أن يرى الرجل يفعـــــل ذلك . وقال الزناتى :

— آه .. يتكلمان ..

ونهض .. وكان يتمتم وهو فى طريقه الى المدق :

— طيب .. ضــيف .. على عينى ورأسى .. يرعون الغنم .. طيب .. يرعون .. »

صعد المدق سريعا — وفيما بعد قالوا .. انه حتى لم يتمهل عند الفسحة .. واستمر يصعد الجبل دون أن ينظــر حوله .. وقد لاحظوا ذلك وقتها .. ولم يظنوا شيئا — كان جسده يتقوس وينبسط بين الصخور . وكانت الصخور مشربة بحمرة خفيفة . والصخرتان المتمانقتان تتوهجان بأشعة الشمس . ورأوه يرتكز باحدى قدميه على نتوء ما . وظل جسده معلقا ساكنا . ثم أخذ يرتفع .. وتأرجح قليلا . وصعد . وكان أحيانا يختفى بين الصخور . ثم يظهر بعد ذلك زاحفا فى مكان بعيد لا يتوقعونه . ورأوه عندما قبع فى ظل احدى الصخور الضخمة .. وكان مسترخيا ينظر اليهم . ومر بعض الوقت دون أن يتحرك . ثم استدار وراح يصعد من جديد .

كان يقترب من القمة . حيث تنحــدر الصخور بلا نتوءات . وكان يزحف بطيئا. ثم لقد حدث ذلك الامر الغريب . أخذت الصخرتان المتمانقتان تلمعان فى حدة . وكان رذاذ الضوء الباهر يتناثر حولهما ..ثم بدأ طرفاها النحيلان وكأنما يتمددان ويتقوسان قليلا قليلا .. كان منبطحا فوق الصخور . ساكنا . وقد انفرجت ساقاه . ثم رفع احدى قدميه بطيئا . ورأوها تتحسس الصخرة . ثم أعادها. وظل ساكنا . وزفرفت ساقاه لحظة . ثم رفع قدمه مرة أخرى . وأخذ جســده ينكمش ويرتفع . ووصل أخيرا الى القمة. واختفى هناك .

جلسوا على الرمال ينتظرون ظهوره . وقد تخيلوه كما يفعل كل مرة . يخلع الصديرى ويقف على القمة منفرج الساقين يلوح الى مكان الخروف [ويكون عادة محشورا بين صخور احدى الجبال . أو بحفرة فى الصحراء] ..

ويزحف الظل على الساحة . واختفت الشمس . وأخذوا يرقبون طرفى الصخرتين المتوهجتين بأشعة الغروب .

هدأت زوابع الغبار على الجبل .

وبدت الصخرتان المتعانقتان فى العتمة الخفيفة وحولهــما سحابات رقيقــة من الدخان . وكان لونهما أسود قاتما .

كانوا يقولون .. اذا اظلمت فلن يهبط الليلة .. ولم يحدث أبدا ان اختفت الشمس وهو على الجبل .

خلف الزير . كانت امرأة الزناتي ترقب القمة بعينين ساكنتين . لقد زحفت أكثر من مرة بعيدا عن الكوخ . وفى كل مرة.. كانت تلتقط الحصى من حولها وتقــذفه بعيدا . ونظرت الى باب المغارة. وتساءلت ان كانت المعزة تدخرجت ..؟.. وعندما جاءت النسوة . وجلسن بجــوارها . أخذت تحكى :

— هذه المرة .. أنا اعرف .. هــو أيضا كان يقول .. يوم السوق .. لم يذهب .. وحملت المتــاطف وذهبت . وليلة أمس .. طول الوقت كان ممددا فى الخارج ينظر هناك .. وأقول له « أدخل يا زناتى من الهواء .. صدرك تعبان » . ويقول « هل تريهما فوق ؟» وأقول « الدنيا عتمة » . ويقول « أنا أراهما » . وأقول «أدخل يازناتى صدرك تعبان » ويقول « ساحكى لك سرا .. زرعت كافورة هناك .. رأيتها فى المرة الاخيرة .. طولها الان شبران .. سيأتى يوم وترينها من هنا » .

جاءوا بكلوبين . ووضعوهمـــا على مقعدين . كان أحدهما عند الطرف البعيد من الجبل . والاخر عند الزير . حيث جلست النسوة مع امرأة الزناتى .

ووقف صاحب الخروف . وتلفت حوله. وقال : انه مشوار طويل .

نظروا اليه صامتين . وظل واقفا حتى أشعلوا الكلوبين . ثم نظر نحو الجبل . وذهب . وقال واحد من الاهالى بعد أن ذهب .. أنه كان يجب أن يبقى معهم .. غير أن الاخرين صاحوا به أن يسكت. فكل واحد حر .

وبعد صلاة العشاء . أخذ الاهالى يتوافدون الى الساحة .

رقدوا على الرمال أمام الجبل . ونظروا بعض الوقت الى الصخور التى انعكس الضوء عليها . وكانت السحالى تلمع فجأة فوقها ثم تختفى .

وتحدثوا عن أيام مولد الشيخ «سرور» .. عندما يقضون ثلاث ليال ساهرين أمام الجبل . وأيام شهر رمضان .. عندما يأتون بعد الفطار ويستلقون على الرمال فى العتمة ثم يغلبهم النعاس .. ولا يستيقظــون الا على دقات طبــلة السحور .

وتذكروا أيضا الافراح الكبيرة .. عندما كانت السرادقات الضخمة تقــام أمام الجبل باليومين والثلاثة . وصوانى الطعام الممتلئة .. وفرق العوالم التى تأتى من العاصمة . وعادة كانوا يكمنون خلف قماش السرادق يختلسون النظــر خلال الفواصل بينها .

وقالوا ان الخير كان كثيرا .. ولن يروا أياما كالتي مضت ، وحتى لو أتيمت مثل هذه الافراح مرة أخرى .. فلن يأتوا ابدا بمثل فرق العوالم التى كانت تأتى ..

وسرعان ما استنفذوا حكاياتهم القليلة، وارتدوا صامتين وكانوا يغالبون النعاس فى صعوبة . وقال واحد منهم : أن الزناتى لو نظر من هناك .. فسيرى الضوء ..

وقال آخر : وربما رآنا أيضا ..

— آه .. ويعرف أننا ساهرون معه ..

ثم لقد رأوا أن يشعلوا نارا أيضا . كانت نارا كبيرة . تحلقوا حولها ..

— الان سيرانا ..

— ولو قال شيئا سنسمعه ..

وصاح احدهم مناديا عليه . ثم أخذوا يتناوبون النداء .

— ربما كان الان ينظر الينا ..

— آه .. سنسهر معه حتى الصباح

انطفأ الكلوب عند الزير . وكان الاخر متوهجا بالاحمرار .

كانت النسوة قد ذهبن الى بيوتهن . وصحبت كل واحدة رجلها معها . كان ينهض من النوم ويتبعها صامتا . وظل بعض الرجال متناثرين على الرمال . كانوا قد أرسلوا من قبل الى بيوتهم من جاءهم بالاغطية . وكانت أصوات شخيرهم ترتفع هادئة .

سارت امرأة الزناتي من بينهم . وصعدت المدق . كانت العتمة خفيفة . وضوء القمر يتألق تحت السحب البيضاء . أخذت تتحسس الصخور بقدميها فى حذر . وتوقفت عند الفسحة . وحدقت ساكنة الى القمة .

— زناتى ..

وتنبهت لصدى صوتها الخافت يتردد حولها . وارتجفت . ثم ارتفع صوتها :

— زناتى .. أنا كنت زعلتك ؟ ..

كانت الصخور البارزة تحجب القمة عن عينيها . وقالت :

— طيب تقول لى .. لو كنت زعلتك تقول لى ..

ونظرت حولها . وسارت قليلا . ثم التفتت مرة أخرى نحو القمة :

— دى عشرة سنين يازناتى ..

وجلست . سمعت صوت حشرجة الكلوب . ورأت شعلته الحمراء تخبو وتتوهج ثم تنطفىء . وقالت لنفسها .. أن الجاز نفذ منه .

ثم همست : اذا كان لا يريد أن يذهب السوق ..

وأدارت رأسها نحو القمة . وقالت :

— اذا كنت لا تريد ان تذهب السوق .. سأذهب أنا .. وأرخت ساقيها .

وكانت ترمق بيوت البلدة فى الظلمة الرقيقة . ثم مدت رأسها قليلا . وبحثت عن كوخها .. وللحظة لم تتبينه . ثم رأته هناك وصخور الجبل حوله تكاد



تخفيه . وأدهشها أن تراه غير بعيد من بيوت البلدة .

ونهضت .

نظرت مرة أخرى الى القمة ، وقالت :

— أنا نازلة يازناتى ..

قرب الفجر صحا أحد الرجال . وكان واقفا يتبول . ونظر الى القمة . كانت الصخرتان زاهيتين بأشعة البكور . ثم لقد رآه . وكان يسير على الحافة . أخذ الرجل يصيح .. واندفع نحو الجبل ملوحا بيديه :

— زناتي .. زناتي .. أنا عوض .. عوض يا زناتى ..

هب الرجال من رقادهم . وجاءت امرأة الزناتى تهرول . وكانوا واقفين يحدقون نحو القمة . ولم يروا أحدا . وقال عوض وكان يخبط كفا بكف :

— والله رأيته .. وكان ينظر الينا ..

كان الرجال الذين قضوا الليل عند الجبل يقولون .. « أخذته الصخرتان .. انتظرتا طويلا .. ثم أخذتاه .. وماكان لاحد أن يتعجب لو رأى الصخرتين يومها » .

غير أن أحد رعاة الاغنام .. كان يقول كلاما غريبا ..

لقد ظهر نجاة فى الساحة . لايدرى أحد من أين جاء . فهم لم يروه من قبل فى الناحية .

وكان ذلك فى اليوم الثاني لصعود الزناتي .

جاء فى الصباح . وجلس فى الغرزة المطلة على الساحة . وسأل صاحبها :

— أمازال فوق ؟

— آه ..

كان عجوزا . وله نفس ساقى الزناتى المقوستين . ويضع على كتفه طاقية من صوف الغنم .

دخن الجوزة صامتا . ثم نهض واتجه الى الجبل .

كانت الساحة خالية فى هذا الوقت من النهار . وكان هناك بعض الاولاد يلعبون على الرمال .

وفى ظل الكوخ . جلست امرأة الزناتى وعيناها على القمة . وكانت النسوة يأتين ويجلسن معها قليلا . ثم يذهبن .

ومر بها الرجل . ووقف ساكنا قرب الزير يتفحص الجبل بعينيه . ثم صعد المدق متمهلا .

ويداه خلف ظهره . وتوقف عند الفسحة . ورمق القمة لحظة . وداره حول الجبل . ثم هبط الى الساحة .

وظهر مرة أخرى فى الليل . وكان الرجال قد جاءوا الى الجبل بعد المغرب . وأضاءوا الكلوبين . وأشعلوا النار . واخذوا ينادون على الزناتى . ماكان أحد لينتبه اليه لولا أنه راح يتكلم معهم . قال نجاة :

— أتنتظرون ان يرد عليكم ؟

وضحك .

والتفت الرجال الواقفون بعيدا على صوت ضحكته . كان يعمل فى طاقية من الصوف . وكان يحرك ابرته فى العتمة دون أن ينظر الى مكان الغرز .

— ولماذا لا يرد علينا ؟

— لن يسمعكم ..

وتبادل الرجال النظرات . وقال الرجل :

— كنت هنا بجواركم .. وسمعت بالخبر ..

— من قال لك ؟

— كانوا يحكون .. الخبر يملأ العزب .. وأتيت لارى ..

تبادلوا النظرات مرة أخرى . وادهشهم أن يجدوا الخبر قد انتشر سريعا خارج البلدة :

— من يوم واحد .. ؟

أحسوا بالارتياح للرجل . وجذبوه ليجلس معهم حول النار . وعزموا عليه بالعشاء . وقال الرجل أنه قد تناول عشاءه قبل أن يأتى . وجاءوه بالشاى . وبدا أن وجوده بينهم قد خفف كثيرا من ترقبهم وانتظارهم . ولم يعد يضايقهم أن يسمعوا صوت ضحكاته القصيرة . وقال الرجل :

— الزناتي ؟ .. آه .. سمعت عنه .. رجل ولا كل الرجال ..!!

كان يحرك ابرته فى سرعة ، متحسسا مكان الغرز من حين لآخر بطرف أصبعه . وقال :

— ومن غيره يصعد مثل هذا الجبل ؟

أومأوا برءوسهم فى صمت . وقد أحسوا للحظة بالزهو .. أن يكون هذا الجبل جبلهم .. وأن يكون الزناتى من بلدتهم ..

وحكوا للرجل عن الزناتى .. وكيف جاء يوما هو وامرأته من سنوات طويلة الى البلدة . وأقاما كوخهما — هذا الذى تراه — لم يحك لاحد أبدا من أين جاء . فهو لم يكن يحب أن يحكى شيئا لاحد . كان فى حاله . وكانت امرأته تقول — عندما يسألها أحد — انهما ذهبا الى بلاد كثيرة . وحكوا له ايضا عن المرات التي صعد فيها الجبل .. والمرة الاولى ؟ ما كان أحد فى البلدة يظن أن هناك فى الدنيا من يستطيع أن يصعد لابعد من الفسحة .. وكان هو بيننا لا يقترب من الجبل أبدا .. ثم كانت تلك الليلة .. ومن ينساها ؟ .. كان أحدهم قد ضرب ولده . وهرب الولد . وانتظروا أن يعود

حتى منتصف الليل .. ثم تسمع أحدهم صراخه بعد ذلك يأتى من الجبل . وجاءوا جريا . وراوا امراة الزناتى تقف هنا ـ مكان الزير ـ وعلى رأسها سميلة . وقالت لهم ... أن الزناتى صعد ليأتى به . ووقفوا صامتين . وماذا كانوا يستطيعون أن يفعلوا ؟.. كان صراخ الولد يأتى من مكان بعيد عن النسحة . والجبل عريض .. والعتمة شديدة .. ولابد ان الزناتى كان يهتدى بصراخ الولد . وحتى هذا الصراخ .. ماكان أحد سواه يستطيع أن يحدد مكانه .. كان صداه يتردد فى كل ناحية ، وعندما كان صداه يتردد فى كل ناحية ، وعندما وقف صراخ الولد .. قالوا أنه انتهى.. ثم راوا الزناتى عائدا يحمله على ظهره.

كانت النار تخبو . وجاءوا بقطع الخشب . وارتفع اللهب قويا .

وسألوه ان كان يرى النار من فوق ؟

وقال الرجل : لو نظر فسيراها ...

ـ ولو صاح من فوق .. هل نسمعه؟

ـ أنتم تسمعونه..وهو لا يسمعكم..

ـ ولم لا يكلمنا ؟

ـ هو يفعل ذلك ؟.. انتم لا تعرفون الامر اذن ؟

كان قد انتهى من صنع الطاقية .. ووضعها على ركبته وادارها . ثم طواها مع كرة الخيط . وقال :

ـ أتقولون انه قبع فى ظل الصخرة.. وراح ينظر اليكم ؟

ـ آه .. كان يستريح ...

ـ يستريح ؟.. ابدا .. لو كنت مكانه لرجعت .. ماكنت لاستمر ابدا ..

وصمت . ثم قال : الله أعلم بما كان يدور فى رأسه ..

وتمتم وهو يدفع بقطع الخشب الى النار :

ـ اشياء كثيرة تحدث فى لحظة ...

ـ ولم لا ينزل ؟

ـ لو كان يستطيع لنزل ...

ـ ماذا تقول ؟.. الزناتى لايستطيع؟

وقال الرجل فى هدوء : لن ينزل ..

ـ هذا الكلام ..

ـ انتم أحرار ..

رمقوه لحظة فى صمت . ثم قال واحد منهم :

ـ وجئت لتقول لنا هذا الكلام ؟

نفض الرجل يديه من الرمال . وارتعش فمه العجوز لحظة . ثم نهض . والقى عليهم بالسلام . وابتعد .

ـ لم يكن ينقصنا غير هذا العجوز المخبول ..

اسندت امراة الزناتى رأسها للزير الرطب . ومدت ساقيها . لقد هزل وجهها كثيرا . وبدت فى عينيها نظرة ثابتة متبلدة . وعندما كان يمر بها أحد الرجال كانت تستوقفه . وتحدق فى وجهه . كأنما تحاول أن تتعرف عليه . ثم تقول :

ـ أرأيت ما فعله الزناتى ؟..

وكانت تلتفت للنسوة بجوارها من حين لاخر وتقول :

ـ الباب ؟..

وتقول امراة . كانت طول الوقت تذهب للكوخ وتعود :

ـ آه .. اغلقته ..

ـ والمعزة ؟

ـ ادخلتها المغارة ...

ـ ستخرج

ـ اغلقت عليها الباب

ـ ستخرج .. انا أعرف ...

وتنظر فجأة للطعام الذى احضرته لها :

ـ آكل ..؟.. آكل وهو هناك ؟

ويرتجف جسدها : انا لم اغضبه ابدا

وتستكين عيناها على الجبل . وتقول :

ـ ثالث يوم يا زناتى .. ثالث يوم.. ابدا .. ابدا انا أعرف .. هذه المرة لن ينزل ..

استمر الرجال يذهبون كل ليلة الى الجبل . يحملون اغطيتهم معهم . ويشعلون النار . ويستلقون حولها . غير أنهم كانوا يتجنبون الان المرور من عند الزير . حيث تقبع امراة الزناتى طول الوقت . وكانوا يقولون :

ـ انه فوق .. يرانا ولا يقول شيئا ... هل يصح ذلك ؟

ـ نترك بيوتنا ... ونتمدد هنا من أجله .. ولا يكلمنا ..

ـ والله أعلم .. ماذا يقول عنا الان ..!!

ـ استغفر الله .. الغائب عذره معه يا رجاله ..

وفى الليلة السادسة شربوا الشاى. واستلقوا بجوار النار . ثم اغفوا سريعا وظل اثنان منهم متقرفصين يداعبهما النوم. لقد شربا ما تبقى فى وعاء الشاى . وانصتا لهمس النسوة عند الزير .. وكان يأتى خافتا رقيقا . ثم اختفى وكانا يحدقان الى وهج النار وقد أخذت تخبو . ثم تنبها فجأة ..

كان صوتا أشبه بالانين يأتى من ناحية الجبل . تبادلا النظرات . وكانا على وشك أن يقفزا من مكانيهما عندما اختفى الصوت . نظرا حولهما .. والى ناحية الزير . وكان الكلوب لايزال مضيئا هناك والنسوة لا يسمع لهن صوت . ثم استرخى الاثنان مرة أخرى . غير أن الانين انفجر فجأة . وقد سمعاه هذه المرة واضحا . وكان يأتى متقطعا لاهثا. ثم اختفى . وظل صداه يتردد حولهما . وعندما أخذ يتلاشى عاد مرة أخرى .. اشبه بصرخة خافتة ممدودة تتخللها زفرات غاضبة .

وزحفا يوقظان الرجال . وقبعوا فى اماكنهم يحدقون فى صمت نحو الجبل . كان الصوت عميقا وكأن الجبل يعوى . ثم ارتعش قليلا ... واختفى . وسمعوا فى وقوح نباح كلب بعيد . وخوار البهائم . وغطيط النساء خلف الزير . ثم انفجر الصوت من جديد . كان يمرق فوقهم مدويا .. ثم يلهث .. وينقطع ويختفى .

وسعل رجل من بينهم وهمس :

ـ لا حول ولا قوة الا بالله .. الرجل يمـــوت .

ودوت صرخة امراته فجأة . واندفعت تتعثر من خلف الزير . وتبعتها صرخات النسوة .

ونهض رجلان وكبسا الكلوبين. فتوهج ضوءهما . وعبر آخران الساحة الى البلدة .

وعادا بالشيخ حمدان . جاء يهرول خلفهما وقد حمل جبته وعمامته على ذراعه وكان الاخرون ينظفون المكان أمام الجبل. وفرشوا الحصر والاكياب . كانوا يجرون للبلدة ويعودون . ويتحركون فى الساحة دون ضجة . والصوت يمرق محلقا فوق رؤوسهم .. ويختفى .

وجاءوا بكلوب آخر . ثم تناثرت الكلوبات أمام الجبل والكوخ .

وقرب الفجر . سمعوا همهمة ضعيفة. غير أنها لم تستمر طويلا . وبدا الجبل فى الضوء الاغبش يلفه ضباب رقيق . كانوا متربعين فوق الحصر والاكياب .. وقد لبس كل منهم جلبابا نظيفا وغسل قدميه . وفى الوسط .. وضعوا عباءة من صوف الغنم .. تربع فوقها الشيخ حمدان ويداه على فخذيه . وراحوا يحدقون فى صمت نحو قمة الجبل .

ورأوا طرفى الصخرتين يتألقان بأشعة البكور . وقد بدا الوهج مشوبا بحمرة قانية . وتنحنح عجوز بين الرجال . وقال فى صوت مبحوح :

ـ رحمه الله .... أبدا يا شيخ حمدان ..

وهمس رجل : كنا ننتظر قليلا ..

وعندما بدأ الشيخ حمدان تلاوته ... كان صوته خافتا . وكان يختلس النظر من حين لاخر نحو القمة .

وغمر ضوء الصباح الجبل . وبدا كما يرونه دائما .. شاهقا فى سكون . وزويعات الهواء المحملة بالرمال الناعمة تزحف متباطئة فوق صخوره .

لقد مهدوا بعد ذلك مدقا فوق الجبل . كان يبدأ من عند النسحة.. ويتدرج ملتويا بين الصخور حتى القمة . نحتوه يوما بعد يوم . ونمت الكافورة ومدت فروعها فوق الصخرتين المتعانقتين وكأنما تظللهما . غير أن وهجهما ظل يتدفق فى شعاعات متفرقة حادة من بين الفروع.

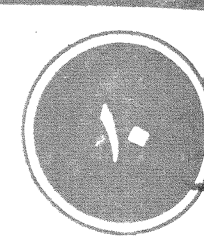
وفوق هذا المدق .. كان النقاش يصعد الجبل فى الليالى المقمرة . وبجوار الكافورة .. وقف طويلا ـ عندما اراد أن يترك البلدة ـ مستندا الى جذعها القوى .



الثمن ١٥ قرشا

السنة الحادية عشرة
اكتوبر ١٩٧٥

الطليعة



طريق المناضلين الى الفكر الثورى المعاصر

عن اتفاقية سيناء « الافتتاحية »

حرب اكتوبر .. بين كبريت ولسان بور توفيق

موقف اليسار المصرى : من أمريكا والاتحاد السوفيتى

لبنان الأزمة : محاولة لفهم الواقع والمستقبل

الانفتاح الاقتصادى بعد عام

- مؤتمرات اسلامية على الطريقة الأمريكية
- عن الجامعة .. والفضائح الحقيقية

{ الرأى .. والرأى الاخر

اليونان : قصة قيام وسقوط الحكم الفاشى

القطاع الخاص في الثقافة المصرية

▲ ملحق الادب والفن



مجـــلة شـــهرية

تصـــدر أول كل شـــهر

رئيس التحـــرير :

لطفى الخـــولى

مـدير التحـــرير :

ابو سيف يوسـف

سـكرتير التحـرير :

مصطفى سـامى

المحـــررون :

حسـين شـعلان
خـيرى عـزيز
د. رفعت السعيد
عبد المنعم الغزالى
فاروق عبد القادر
وديـع أمـين

[■]

د. محمـد الخفيف
شـارك فى تاسيس الطليعـة
واسرة تحريرها
ينـاير ١٩٦٥ ـ مارس ١٩٧٢

الفهـــرس

العدد العاشر ـ السنة الحادية عشرة ـ اكتوبر ١٩٧٥

ان [الطليعة] ميدان مفتوح لكل رأى حر وفى اعتقادنا ان تفـــاعل الاراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع ان يبـلور ويستخلص وحدة فكرية اصيلة •

من هذا المفهوم تفتح [الطليعة] صفحاتها لكل راى لديه كلمة يقولها — مؤمنة بشـــعار الحرية المجيد الذى أطلقـــه فولتير فى القرن الثامن عشر [قد اختلف معك فى الراى ولكنى على استعداد لان ادفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رأيك] ••

كلمـــة من « الطليعـــة »

اليوم يبدأ شهر أكتوبر

واسم اكتوبر يحمـــل مذاقا خاصـــا بالنسبة لكل مصرى وكل عربى •

فهو شهر المعركة ، الحرب ، العبور ، التضحية ، استعادة المبادرة ، واستعادة القدرة على الفعل الجاد والحازم ضـــد العدو الاسرائيلى •

وبعد أيام تأتى ذكرى العبور العظيم ، الذى سيظل — برغم كل شىء — رمزا حيا للارادة المصرية وللقدرة المصرية ••

وبعد أيام يأتى أيضـــا عيد الفطـــر المبارك ••

ومع العيدين تزف « الطليعة » لقرائها أجمل التحيات وارق التهانى والامنيات •



عن اتفـــاقية ســـيناء

ربما كان مثل الوطن العربى ، فى هـــذه الايام ، كمثل ســفينة هاجمتها العواصف ، واشتدت عليها الانواء ، وحاقت بها المخاطر من كل جانب ، فلم يعد من عاصم ينجيها من الغرق سوى ان يحتكم ركابها وقياداتها الى العقل ، ليعالجوا الامر بحســابات هادئة ، صارمة ، وموضوعية الى أقصى حد .

واذا كانت اتفـــاقية ســيناء قد اثارت عواصف من المعارضة الشديدة فى هـــذا البلد العربى أو ذاك ، وفى صـــفوف هذا الفريق أو ذاك ، فربمـــا يتعين على بعض المعارضين ـــ على الاقل ـــ أن يكون رائدهم ـــ حتى يكسبوا الرأى العام الى صفهم ـــ أن ينهجوا فى المعارضة نهجا موضـــوعيا ، يستند الى حقائق الوضع السياسى العام ، وينطلق من نظرة أشمل ، تضع المستقبل فى الاعتبـــار ، بقدر ما تضع فى الاعتبـــار ، ايضا ، تجارب الماضى وعبره .

هنـــا ، يلاحظ المرء ان طائفة من ردود الفعل العنيفة تجاه الاتفاقية لم تكن موفقة على الاطلاق . ذلك أن البدء بوصف الاتفاقية بأنها « خيانة » من جانب النظام المصرى ، وان مصر ـــ بتوقيعها ـــ قـــد خرجت من المعركة ، نقول ان مثل هذا الموقف لا يصادر على مناقشـــة الاتفـــاقية فحسب ، وانما يتضمن ، ايضـــا ، تقـــديرا خاطئـــا وغير واقعى ، لاســـباب لا يمـــكن اهمالهـــا أو اسقاطها ، فى مقدمتها :

ـــ ان جزءا من أرض مصر كبيرا لا يزال تحت وطأة الاحتلال الاسرائيلى الامبريالى .
ـــ وان القيادة السياسية فى مصر لم تنه الحرب مع اسرائيل .

وأن مصر ـــ بالتالى ـــ لها قضية ، هى قضية تحرير الارض من الاحتلال ، ما تزال قائمة بكل أبعادها ، وانه ليس فى وســـع أحد ، بالتالى ، ان يخرجها من المعركة .

وربمـــا كان من المفيد ان نضـــع أمـــام المتوسعين فى استخدام كلمة « الخيـــانة » الموقف المســـئول الذى وقفه **ياسر عرفات** عندما قدمه التليفزيون الامريكى فى برنامج « واجـــه أمريكا » . فلقد حـــاول المذيع ان يســـتدرجه الى ان يصف موقف القيـــادة السياسية فى مصر بخيانة القضية العربية ، فرفض بحزم ، مع كل المعارضة التـــامة التى يحملها **ياسر عرفات** لاتفاقية سيناء .

وفى الوقت نفسه ، يلاحظ المرء ان كثرة من مؤيدى **الاتفـــــاقية** تبنت ، وبكيفية لاعقلانية ، الموقف المقابل ، حتى لقد تخلوا موضوعيا عن تقديم أى دفاع مقنع عن بنود الاتفـــاقية ، وانصرفوا الى معـــارك جانبية ضـــارة ، حيث طرحت موضـــوعات ، واستخدمت صياغات جارحة تمس بفظاظة التضـــامن العربى وعلاقة مصر بالمقـــاومة الفلسطينية ، كما تضر أشد الضرر بعلاقات الصـــداقة مع الحليف الاستراتيجى فى المعركة وهو الاتحاد السوفييتى .

...

ان هؤلاء ايضا ليسوا على صواب . ويكفى أن نستمع الى ما قاله الرئيس السادات عن الاتفاقية من انها لا ترضينا بشكل كاف ، حتى نقتنع بأن الاتفاقية هى — ككل عمل انسانى — شيء يمكن نقده ، بل ومعارضته .

لهذا ، ومن هذا المنطلق ، وبعيدا عن خط الاتهام بانفعال ، وعن خط التبرير بافتعال ، نحاول أن نشرح بعض النقاط التى تدعونا الى نقد الاتفاقية .

— ١ —

ان النقد الاول الذى يوجه الى الاتفاقية : هو ان محصلتها الفعلية لا تتناسب ، على اى وضع ، مع الانجاز الهام والخطير لحرب ٦ اكتوبر .

وفى اعتقادنا ، انه كان فى مقدمة هذه الانجازات ، ان حرب اكتوبر قد حالت دون ان تتحول قضيتنا الوطنية الى نوع من « **المسألة المصرية** » التى عرفناها قبل سنة ١٩٥٢ ، ايام ان ساد وسيطر منهج المذكرات القانونية فى مقاومة الاحتلال البريطانى . ذلك ان حرب اكتوبر قد عمدت بالدم والتضحيات الطبيعة الحقيقية للقضية ، من حيث انها قضية تحرير بكل معانى الكلمة ، اى القضية التى يتعامل اصحابها مع العدو — وفى آن واحد — بكل اساليب الكفاح السياسية والعسكرية والدبلوماسية .

والواقع ، انه غداة وقف القتال ، نشأ لاول مرة وضع جديد ، لم يكن فيه امام امريكا واسرائيل الا ان يستعدا لمواجهة اساسية فى جنيف ، ليتولا رأيهما — بوضوح — فى قضيتين :

— قضية الجلاء عن كل الارض المحتلة بعد ٥ يونيو .
— قضية حقوق شعب فلسطين المشروعة .

وكان على امريكا واسرائيل — غداة وقف القتال — ان يحددا مواقفهما ، وسط ظروف عربية ودولية مواتية — الى اقصى حد — ومناسبة للجانب العربى ، وهى ظروف برز فيها التضامن العربى بقوة ، وبرهن فيها المعسكر الاشتراكى على مساندته الفعالة ، والتفت حول مصر وسوريا والمقاومة قوى دول عدم الانحياز ، وقوة الرأى العام العالمى المحبة للسلام والحرية والديموقراطية .

وبالطبع ، فان شعار الذهاب الى جنيف لم يكن يعنى ، فى ذلك الوقت ، ان اسرائيل ستنسحب فى خلال يوم او يومين ، او شهر او شهرين ، لكنه كان يعنى الحفاظ على جذوة التضامن العربى متقدة ، وعلى قوة التضامن الدولى فعالة ومؤثرة داخل المؤتمر . كما كان يعنى ، اختصار وقت ثمين على الطريق الى التسوية الشاملة : وهو وقت قد عرفت اسرائيل — للاسف — قيمته ، وراحت تستفيد منه لتستكمل استيعاب السلاح الامريكى الجديد . ومن هنا نستطيع ان نقول ان سياسة الخطوة خطوة التى اقترحتها امريكا ، لم تكن فى مصلحتنا ، والدليل على ذلك ان حصيلتها — على مدى سنتين — ومن واقع اتفاقية سيناء — جاءت محدودة للغاية ، وقلقة ، وغير متناسبة مع الطرح الذى طرحت به حرب اكتوبر القضية برمتها .

• • •

اما النقد الثانى للاتفاقية فينصب على المواد الاولى والثانية والثالثة والتاسعة [١]

ان قليلا من التأمل يرينا ان هذه المواد تعنى ان الاتفاقية اذ تلزمنا بعدم استخدام القوة ، فانها تفتقر — مع ذلك — الى اى تحديد زمنى ، فهى سارية المفعول حتى يتم

---

[١] جاء فى المادة الاولى ان النزاع بين الطرفين فى الشرق الاوسط لا يتم حله بالقوة المسلحة وانما بالوسائل السلمية . ونصت المادة الثانية على ان الطرفين يتعهدان بعدم استخدام القوة او التهديد بها او الحصار العسكرى فى مواجهة الطرف الاخر . ونصت المادة الثالثة على ان الطرفين سوف يستمران فى ان يراعيا بدقة وقف اطلاق النار فى البر والبحر والجو والامتناع عن اى اعمال عسكرية او شبه عسكرية ضد الطرف الاخر . ونصت المادة التاسعة على ان الاتفاقية تسرى — بعد توقيع البروتوكول — وتبقى سارية المفعول حتى تحل محلها اتفاقية جديدة .

التوصل الى اتفاقية أخرى . وربما فتح هذا أمام اسرائيل فرصة التسويف الى أجل غير معلوم .

والواقع ان هذا النقد يتأكد اذا ما عدنا مرة أخرى الى ما فعلته حرب أكتوبر باسرائيل ، حين فجرت فى داخلها أخطر الأزمات الظاهرة والمستترة .

١ ـ ازمة فى النظريات العسكرية الصهيونية وفى سياسة اسرائيل الخارجية .. لقد انهار الوهم بأن اسرائيل تستطيع أن تملى على العرب ارادتها دون ان تتعرض للعقاب .. وانهار الوهم بأن اسرائيل تستطيع ، نتيجة احتلال الارض ، ان تحدد بمفردها مكان المعركة وزمانها .. وانهار الوهم بأن اسرائيل يمكن ان تعيش فى نظام مكين ومتين من التحصينات الارضية [بارليف ... الخ] .

٢ ـ ازمة متزايدة الحدة فى الاقتصاد الاسرائيلى . عجز هائل فى ميزان المدفوعات . زيادة خطيرة فى الديون الخارجية . ارتفاع متزايد فى أسعار المواد الاستهلاكية والغذائية . انخفاض خطير فى قيمة الليرة الاسرائيلية [حدث التخفيض للمرة الثامنة فى سنة ١٩٧٤] .

٣ ـ ازمة متزايدة فى الكيان الاجتماعى تنعكس فى انخفاض معدلات الهجرة الى اسرائيل ، وارتفاع الهجرة العكسية من اسرائيل .

ولقد ترتبت على هذا الوضع ، فى مجموعه ، نتائج هامة فى مقدمتها :

ـ ان اسرائيل قد فقدت توازنها وأصبحت بلد الازمات المتفجرة والمستحكمة

ـ أن اسرائيل قد ازدادت تبعيتها الاقتصادية ـ وبالتالى ـ السياسية زيادة كبيرة بازاء الولايات المتحدة الامريكية .

واذا تأملنا هاتين النتيجتين ، أمكن القول :

ـ بأن النتيجة الاولى هى نقطة سلبية بالنسبة لاسرائيل ، لكنها تدخل حتما فى الرصيد الايجابى للقوة العربية ، وهى أكثر ما تكون ايجابية عندما لا نعطى اسرائيل اية فسحة من الوقت لتستشعر الامن ، أو تعود لتضمد جراحها وتعالج ـ ولو مؤقتا ـ أزماتها وتلتقط انفاسها .

هنا ، ولهذا السبب ، نقول ان المواد المشار اليها فى اتفاقية سيناء تعطى اسرائيل مزيدا من الشعور بالامن ، وتحررها من الضغط الهائل الذى يمثله التهديد بتحريك القوة المصرية ، وتمنح اسرائيل فسحة واسعة من الوقت لتستوعب السلاح ، ولترمم البيت الذى تشققت جدرانه من الداخل ، ولتستعيد ـ فى النهاية ـ التوازن بعد « الزلزال » وهو الاسم الاسرائيلى الذى أطلق على حرب أكتوبر .

واذا تأملنا النتيجة الثانية ، فسوف نرى انها كانت تحدد بوضوح خط العمل لقوى الثورة العربية ولدول المواجهة . ان هذا الخط يتمثل ـ بالضرورة ـ فى وجوب تركيز الضغوط الحقيقية ، السياسية والاقتصادية والدبلوماسية ، على الولايات المتحدة الامريكية بحكم ان نطاق ولايتها على اسرائيل قد اتسع وتصاعد . ولتجبر ـ من ثم ـ على أن تمارس ـ بدورها ـ ضغوطا حقيقية وفعالة لا صورية أو سطحية على اسرائيل .

الا أن ما حدث هو ان مصر ـ بسبب سياسة الخطوة خطوة ـ لم تستفد من هذه النتيجة من نتائج أكتوبر ، ثم جاءت اتفاقية سيناء لتبعدنا أكثر عن الاستفادة الحقيقية منها . وهذا ما سوف نوضحه فى النقطة التالية من نقد الاتفاقية .

النقد الثالث الذي يوجه الى الاتفاقية

ينصب على الدور الخاص الذي تحتفظ به الاتفاقية للولايات المتحدة الامريكية والذي ينعكس في الفقرات التي تضمنها الملحق الثاني للاتفاقية . لقد تضمن هذا الملحق اقتراحا أمريكيا بوجود خبراء أمريكيين مدنيين ، لا يزيد عددهم عن المائتين ، لادارة محطات الانذار المبكر . كما تضمن الملحق ان الولايات المتحدة سوف تستمر في القيام بمهام الاستطلاع الجوى فوق المناطق التي يغطيها الاتفاق .

ان معارضتنا هنا — لما تضمنته الاتفاقية — لا تنبع من موقف متشنج يطالب بقطع العلاقات مع أمريكا ، لاننا نؤمن بأن من مهام السياسة المصرية أن تقيم علاقات سياسية واقتصادية وثقافية مع جميع دول العالم على اختلاف نظمها السياسية والاجتماعية ، بما في ذلك الدول الامبريالية ، آخذين في الاعتبار الاهداف الاستراتيجية الحقيقية لهذه الدول ومواقفها العملية من حركة التحرر الوطني والاجتماعي في بلادنا وفي سائر انحاء الوطن العربي .

ومنذ سنتين ، أخذت تتوالى تصريحات كثيرة ، مؤداها أن أمريكا غيرت سياستها بازاء المنطقة العربية . ولابد ان نقول انه قد طرأت تغيرات فعلا على السياسة الامريكية ، لكن لابد — لمعرفة كنه هذا التغيير — من ان نطرح السؤالين التاليين :

- كيف ، وفي أى ظروف حدثت هذه التغييرات ؟
- والى أى حد تغيرت الاستراتيجية الامريكية بالنسبة لمصر وبقية دول المنطقة ؟

للاجابة عن السؤال الاول : نقول ان التغيير الذي طرأ على مسلك أمريكا بازاء النزاع العربي — الاسرائيلي ، كان محصلة :

١ — التغييرات التي تمت في الوضع العالمي ، والتي سجلت — خصوصا منذ عام ١٩٧٣ وفي عامي ١٩٧٤ و١٩٧٥ — انتصار متطلبات الانفراج الدولي والتعايش السلمي . ان التغييرات — باختصار — عبرت عن تغيير لمصلحة الثورات الاشتراكية وثورات التحرر الوطني وسجلت انحسارا في الحركة العامة للاستعمار العالمي .

٢ — وفي حرب أكتوبر ، برز التضامن العربي ، وتجسد في صورة مادية محددة ، هي مقدرة الدول العربية المنتجة للبترول على ان تستخدم البترول سلاحا فعالا في المعركة . هنا ، كان لابد بعد أكتوبر — وحتى لا تخسر الولايات المتحدة كل شيء — ان تستبدل المرونة السياسية بالعنف في التعامل مع العرب .

٣ — ان الانجاز الباسل للقوات المسلحة المصرية في جبهة سيناء ، وللقوات المسلحة السورية في جبهة الجولان ، قد وضع الولايات المتحدة أمام واقع جديد : وهو أن اسرائيل قد لا تصلح دائما باعتبارها الحارس الاساسي والوحيد للمصالح الامريكية .

أمام هذه المعطيات كلها حدث التغيير في مسلك الولايات المتحدة .

غير ان هذا التغيير ظل في نطاق التاكتيك أو السياسات المرحلية ولم يمس الاستراتيجية ، اى الاهداف الاساسية والبعيدة للولايات المتحدة الامريكية .

ذلك انه قد أصبح معروفا للداني والقاصي ان لامريكا مصالح اقتصادية هائلة في المنطقة ، كما أن لها اهدافا عسكرية ، وهي تعمل بكل سبيل للحفاظ عليها وتوسيعها . لكن هذا يتم — بحكم طبيعة الاشياء — في مواجهة ، وفي تناقض مع الاهداف الحقيقية للحركة الوطنية في العالم العربي . وهي الاهداف التي تتمثل في ضرورة ، وحتمية ، استرداد البلاد العربية لثرواتها الطبيعية [وفي مقدمتها البترول] ، ثم تسخير هذه الثروات لبدء تنمية اقتصادية واجتماعية تخدم أوسع الجماهير الشعبية ، بالاضافة الى ان الحركة الوطنية العربية جادة في سبيل التخلص من كل اثر من آثار القواعد العسكرية التي تشكل تهديدا موجها اليها .

والادلة على ثبات الاستراتيجية الامريكيةفى العالم العربى كثيرة ، منها على سبيل المثال :

١ ــ النظريات العسكرية التى وضعهاالبنتاجون لاحتمال التدخل العسكرى الامريكى ، حماية لمنابع البترول ، وهىالنظريات التى طالما عبرت عن نفسها فى شكل تهديدات لم تنقطع منذ عام ١٩٧٣ ،وطوال عام ١٩٧٤ .

٢ ــ اعداد القوات العسكرية الخاصةباحتلال منابع البترول ، وهى القوات المعروفة باسم « نيو رينجرز » .

٣ ــ المناورات التى اجراها الاسطولالسابع [أسطول المحيط الهادى] مع دول الخليج العربى والتى وصفها المراقبون بأنها« بروفة » احتلال منابع البترول .

٤ ــ بقاء القواعد العسكرية الامريكيةفى عدد من الدول العربية .

وفيما يتعلق بقضيتنا الوطنية ، قضيةتحرير الارض ، فان الاستراتيجية الامريكية لم تتغير الى الافضل : والدليل على ذلك :

١ ــ انه بعد مضى اكثر من ٨ سنواتعلى العدوان الاسرائيلي ، وبعد مضى سنتين على حرب أكتوبر ، لا تزال اسرائيلتحتل معظم الارض العربية التى احتلتها بعد ٥ يونيو ، ولا تزال ترفض الاعتراف بحقوقشعب فلسطين العربى . وهنا نتساءل : كيف يمكن ــ فى مواجهة هذا الواقع ــ ان نتفق مع السيد اسماعيل فهمى نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية عندما يقول انأمريكا **وضعت كل ثقلها** على اسرائيل وقامت بدور ايجابى فى التحرك نحو السلام [٢] ؟

٢ ــ وبينما يعلن قادة الولايات المتحدة ،على العالم كله ، انهم جادون فى السعى الى حل النزاع العربى ــ الاسرائيلى ، اذبهذه الوعود تتمخض ــ فى الواقع ــ عن اضخم عملية تسليح أمريكى لاسرائيلتشهدها المنطقة . هذه العملية التى بدأت أثناء حرب اكتوبر ، حيث كانت القواتالمسلحة المصرية تحارب ــ فى الواقع ــ امريكا .

هنا ، لابد من التأكيد على أن ما تقدمهأمريكا من أنواع السلاح الحديث الى اسرائيل ، وما وعدت بتقديمه سرا وعلانيةيفوق كل تصور ، ويجافى كل منطق ، خاصة عندما تقدم هذه الترسانة الجهنميةالى دولة وصل اقتصادها الى حدود الكارثة بسبب مغامراتها العسكرية ونفقاتهاالحربية . وفى هذا يكفى أن نشير الى التصريح الاخير الذى أدلى به نائب رئيسالوزراء ووزير الخارجية المصرى عندما اعرب عن القلق البالغ عما ينشر الان حولاحتمالات ان تقوم الولايات المتحدة بمنح اسرائيل كميات ضخمة من أحدث الاسلحةالمتطورة ، خصوصا المقاتلات الحديثة « ف ــ ١٦ » والصواريخ البعيدة المدى .فهذا من شأنه ، كما قال الوزير ان :

ــ يخل بتوازن القوى .. بدرجة تهددأمن المنطقة ..
ــ لا يخدم جهود السلام الراهنة ،ولا يعكس النوايا نحو الاتجاه الى اقرار سلام عادل ودائم فى المنطقة .

٣ ــ والواقع ، ان المحك الحقيقى لاىتغيير جاد فى السياسة الامريكية هو أن **تعلن** أمريكا **وتعمل** على أساس :

ــ انها تلتزم بجلاء اسرائيل عن جميع الاراضى التى احتلت بعد ٥ يونيو .
ــ وانها تعترف بحقوق شعب فلسطينالمشروعة ، وبمنظمة التحرير كممثل شرعى للشعب الفلسطينى .

الا أن شيئا من هذا لم يحدث .

أكثر من هذا ، عندما أعلن الرئيس فوردعن عزم أمريكا على اعادة تقييم سياستها فى الشرق الاوسط ، فان نتيجة التقييمــ اذا كان قد حدث تقييم ــ هى على سبيل المثال :

---

[٢] حديث وزير الخارجية الىالاهرام وجريدة القبس الكويتية *

١ ــ ما أعلنه **مالـكولم تون** ، السـفير الامريكي لدى اسرائيل ، عنـدما استنكر تعبير « اعادة تقييم » ، فقال :

لقد أصبح تعبير **اعادة تقييم** كلمة قذرة ،وله دلالات مؤسـفة بالنسـبة لكلينـا ، الولايات المتحدة واسرائيل . وأضاف : انهلم يحـدث تغيير أسـاسي في سـياسات الولايات المتحدة خلال هذه الفترة ، بل تقدير أفضل للوضع [٣] .

٢ ــ وعلى سبيل المثال أيضـا : كانتنتيجه اعادة التقييم انه بعد اتمام اتفـاقية سيناء ، حدث ما يلي :

● **أكد كيسنجر** لقادة تل ابيب ، بصورةسرية ، ان الولايات المتحـدة سـتبذل كل جهدها ، ضـمن حـدود معينة ــ لتحمل« المسـئولية الكاملة » عن حماية اسرائيل وتأمين احتيـاجاتها البترولية والاقتصاديةكجزء من اتفاق سيناء .

● الاسـتمرار في تقديم المسـاعداتالعسـكرية الامريكية لاسرائيل على المدى البعيد ، بالاضافة الى الاحتياجات الدفاعيةالاخرى ، والبترول والدعم الاقتصـادي . وستبلغ قيمة هـذه المسـاعدات مليارين ونصف المليـار من الدولارات ، وذلك عن السنة المالية الحالية .

● تعويض اسرائيل عن الامـوال التيستنفقها على شراء احتياجاتها البترولية من الاسواق العالمية بمبلغ يتراوح بين ٣٠٠ ــ ٣٥٠ مليون دولار في السنة .

● سـيتم تزويد اسرائيل بالبترول منواردات الولايات المتحدة وبأسعار مناسبة فهـذه هي بعض المـكافآت الامريكيـةللمعتدي الاسرائيلي : اصرار على ان يكون توازن القوى عسكريا في مصلحة اسرائيلودعم عسكري واقتصادي بما يجعلها قادرة على القيـام بمغـامرات جـديدة ــ وغيرمسـتبعدة ــ في المسـتقبل القريب على جبهات عربية أخرى .

لكن هذا كله ، ان دل على شيء ، فانمايدل على ان الولايات المتحدة الامريكية يمكن ان تتكيف ــ لبعض الوقت ــ مع الحقـائق الجديدة في العـالم العربي ، لكنها سرعان ما تعود الى الاسس والمبـادىء الثابتة فياسـتراتيجيتها . وبمقتضى هـذه الاسس والمبادىء ، يمكن ان تعود ــ مرة اخرى ــالى استخدام اسرائيل كترسانة سـلاح ، وأداة ردع في المنطقة .
ولكن ولكل هذا ــ ايضا ــ لا يمكن انتكون الولايات المتحـدة طرفا محايدا حتى نقبـل خبراءها بيننـا وبين اسرائيل علىارضـنا . وهي ليست ، ولا يمكن أن تكون حكما بيننا وبين اسرائيل على اى وضع منالاوضاع .
ثم علينا ، بعد ذلك ، أن نعتبر :

● بدروس المـاضي والتـاريخ المثقـلللولايات المتحدة في مناهضـة ثورة يوليو ولخطها الاسـاسي في التحرر الاقتصـاديوالاجتماعي ، وتمسكها بالحيـاد ، وسعيها الى الوحدة العربية ، تضامنها مع الثوراتالاشتراكية والوطنية .

● بدروس الماضي القريب والتاريخ المثقلللتدخل العسكري في جنوب شرق آسيا .
● وأخيرا ، علينـا ان نعتبر بما اقر بهالرئيس **فـورد** نفسه عندما اجتمع ــ بعد اقرار الاتفاقية ــ بزعماء الكونجرس . لقداقر بأن الالتزام الامريكي بتقديم خبراء في الالكترونيات **هو نوع من المغامرة** . ونحننعلم اى نـوع من المغـامرات ترضى به الولايات المتحدة وتقبله .
ولهـذا كله ، ولكل ما تقـدم ، نرى ان اعطـاء دور متميز للولايات المتحدة في حل الصراع العربي ــ الاسرائيلي .

● لا يساعد على التعجيل بصيغة جنيف .
● لا يقرب ــ بالتالي ــ موعد التسوية الشاملة للنزاع » .

---

[٣] نشرته جريدة النهار البيروتية عنوكالة « رويتر » ١٩٧٥/٩/١٤ .

تبقى بعد هذا كلمات قليلة .

ففى هذه الظروف ، ليس هناك واجب أقدس من ان يبذل كل جهد لاعادة رص الصف الوطنى المناهض للاستعمار والصهيونية .

ولابد من الاشارة الى ان عددا من الكتاب فى مصر قد انطلقوا بروح المسئولية يدعون الى حوار بين قوى الثورة العربية [٤]

.. ولا شك فى ان مثل هذا الحوار مطلوب ، لكن جهدا كبيرا يجب ان يبذل لتهيئة المناخ الذى يسمح لمثل هذا الحوار ان يكون مثمرا وخلاقا ، ولا يمكن ان يكون كذلك فى جو مشحون بالتنابذ والاساليب اللامبدئية .

وبجانب هذا الجهد : يجب ان يستقر المتحاورون — ابتداء — وحتى لا يضيع وقت ثمين على أرضية مشتركة ، لا نخال الا انها الارضية التى تقف — ويجب أن تقف — عليها كل القوى الوطنية والديموقراطية ، وهى أرضية اليقظة ضد مخططات الامبريالية والاستعمار الجديد وضد الصهيونية ، ومن أجل تضامن عربى حقيقى على المستويات السياسية والاقتصادية والعسكرية ، ثم من أجل الحفاظ على تدعيم الجبهة العالمية المساندة لنا فى معركتنا ، وهى جبهة الدول الاشتراكية — وفيها يبرز دور الاتحاد السوفيتى ، وجبهة دول عدم الانحياز ، ودول العالم الثالث ، وكل القوى والدول التى تساندنا فى أوربا .

وفى تقديرنا انه ليس من الصعب على القوى الوطنية والديموقراطية فى مصر أن تلعب دورا أساسيا فى معركة وحدة الصف العربى ، وهى مدعوة لهذا ، من منطلق المبادىء ، ومن دروس الماضى القريب ، ومن استراتيجية تحرير الارض التى جعلت انجاز أكتوبر ممكنا .. ان هذه الاستراتيجية — كما نذكر — كان قد طرحها **الرئيس السادات** قبل أكتوبر بقليل ، وحدد عناصرها الثابتة فيما يلى :

— القوة الذاتية المصرية .
— الامكانات العربية .
— الدعم السوفيتى .

هنا ، ربما لا نجاوز الصواب اذا قلنا ان التمسك الحازم بهذه العناصر وتطويرها واعادة طرحها فى ضوء ما حدث فى اكتوبر وعلى ضوء الاحداث والتجارب التى تلت كل هذا يمثل الاساس الصلب والمدخل الصحيح الى بناء الوحدة الوطنية المقدسة ، والى صد الاخطار التى تتربص بمصر وبالوطن العربى كله .

« الطليعة »

يعتذر لطفى الخولى للقراء والاصدقاء عن كتابة افتتاحية هذا العدد ، بسبب سفره الى الخارج للعلاج منذ الاسبوع الاخير من شهر أغسطس الماضى . ويرجو أن يلتقى مع قراء الطليعة وأصدقائها فى العدد القادم .

---

[٤] أشير ، فيما يتعلق بمصر ، الى المقالات التى نشرتها الزميلة روز اليوسف فى اعدادها بتاريخ ٨ و ١٥ و ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٧٥ .

تقييم أداء

لسياسة الانفتاح الاقتصادى

تحت هذا العنوان يبدأ د٠ فؤاد مرسى فى طرح الجزء الاول من دراسة علمية موسعة له عن سياسة الانفتاح الاقتصادى : تقييم اداء لهذه السياسة ثم يعالج فى جزء تال أثر هذه السياسة على علاقات وقوى الانتاج فى المجتمع المصرى ٠

د٠ فؤاد مرسى

مقدمة :

فيما بين شهرى يونيو من عام ١٩٧٤ ويوليو من عام ١٩٧٥ ، تتابعت القوانين والقرارات التى تضع سياسة الانفتاح الاقتصادى فى التطبيق ، بدءا بقانون استثمار المال العربى والاجنبى وانتهاء بقانون الغاء المؤسسات العامة ٠ وعلى الرغم من أن حكومة الدكتور **عبد العزيز حجازى** هى التى اخذت على عاتقها المهمة الصعبة الخاصة بتحويل شعار الانفتاح الاقتصادى الى سياسة للتنفيذ ، الا أنها عجزت عن الاستمرار ٠ يقول **الرئيس السادات : « عندما وجدت البطء والتلكؤ غيرت الحكومة وأتيت بممدوح ، ممدوح اليوم ينسف نسفا كل الاجراءات والقيود التى تعوق حرية الحركة الاقتصادية »** ٠ ويشرح السيد **ممدوح سالم** هو نفسه هذا الموقف بقوله : **« سياسة الانفتاح الاقتصادى اصطدمت بمعوقين خطيرين هما : التمسح بشعارات الاشتراكية والتعقيدات الادارية والمكتبية » ٠ وهذا بالدقة ما يجرى الان نسفه ٠**

وبالفعل ، وفيما بعد تشكيل حكومة **ممدوح سالم** فى شهر ابريل الماضى ، دارت آلة التشريع بسرعة مذهلة ، متخطية كل اجراء وكل قيد ، حتى آراء المجالس القومية المتخصصة والجهاز المركزى للمحاسبات والاتحاد العام للعمال ــ وحتى ليقول وزير التجارة انه **« تم خلال الشهور الماضية اعداد ١٠٢ مشروع قانون لازالة العقبات أمام الانفتاح الاقتصادى »** ٠

وبعد ان ساد لبعض الوقت منهج [التغيير البطىء] وهو المنهج الذى ميز الحكومة السابقة ، أصبحت التغييرات السريعة ملحة على المستوى الاقتصادى ، مثلما هى ملحة على غيره من المستويات ٠ لكن أمرا آخر قد ميز ايضا الحكومة الحالية ٠ فبعد أن كان تركيز حكومة **عبد العزيز حجازى** على الانفتاح الخارجى صار التركيز الان على الانفتاح الداخلى ٠ وعلى حد قول **محمود أبو وافية** فى تقريره الذى مهد لتغيير الحكومة **«يجب أن يسبق الانفتاح الخارجى انفتاح داخلى»** ٠

وبهذا المعنى ، اكتمل بالفعل مفهوم الانفتاح الاقتصادى باعتبار أن المقصود منه هو التغيير الشامل للاقتصاد المصرى ٠ فليس الانفتاح الاقتصادى اذن مجرد موقف من رأس المال فى الخارج ٠ وليس الانفتاح الاقتصادى مجرد سياسة عارضة أو عابرة او مؤقتة ٠ وانما الانفتاح الاقتصادى هو جوهر استراتيجية المرحلة التاريخية التى بدأت بعد حرب اكتوبر ٠

لقد بدأت بحرب اكتوبر مرحلة جديدة ٠ ولقد حددت ورقة اكتوبر التى اعلنت ميلاد هذه المرحلة انه يجىء فى مقدمة مهام هذه المرحلة الجديدة **« الانفتاح الاقتصادى فى الداخل والخارج ، الذى يوفر كل الضمانات للاموال التى تستثمر فى التنمية »** ٠ هى اذن مرحلة توفير كل الضمانات لرأس المال فى التنمية ،مرحلةنسفكل العقبات فى وجه حرية الحركة الاقتصادية ٠

ولذلك فهى مرحلة جديدة ٠ بل هى فى رأى كاتب مثل **احسان عبد القدوس** ــ عصر جديد هو عصر الانفتاح ٠ يقول احسان : **« ان التطورات السريعة التى تحدث عندنا لتحقيق عصرالانفتاح ، انعكستلاعلىأنها تطورات انتاجية ولكنها فقط تطورات سياسية هى : العدول عن الاشتراكية وفرض الرأسمالية ، والاتجاه الى الولايات المتحدة ومقاطعة الاتحاد السوفيتى ، وقصر قوة الحكم فى أصحاب رءوس الاموال وابعاد العمال والفلاحين عن أى قوة ، وفتح الابواب للاحتلال الاقتصادى**

الاجنبى »" وبغض النظر عن تفنيد احسان عبد القدوس لمثل هذا التقييم ، فلا يستطيع المرء الا أن يشعر بالاحترام نحو محاولته التى اتسمت بالجدية فى المناقشة ٠

والمناقشة الجادة تغرى بالمزيد من المناقشة الجادة ٠وهذا هو بالدقة ما نحاوله هنا ـ بادئين بمحاولة لتجميع اجزاء الصورة التى تنعكس الان عن الاقتصاد المصرى ٠

تغيير المقومات الأساسية للاقتصاد القومى

فى حديث اخير للرئيس السادات ، ان المهمة الرئيسية التى تواجهنا فى « اعادة النظر فى التجربة التى تمت خلال الخمسة عشر عاما الاخيرة » ٠ وفى مثل هذا الاطار تطرح بالضرورة مهمة الانفتاح الاقتصادى ٠

ولاشك انه قد دار حديث كثير ـ بعضه ثقيل وممل بل ومبتذل ـ حول هذا الموضوع ،غيران كثيرا من جوانبه مازال غامضا كل الغموض ٠ ان الالة التشريعية التى صاغت سياسة الانفتاح الاقتصادى فى قوانين وقرارات قد قامت بعملية ضخمة من التغيير فى النظم الاقتصادية وبخاصة تلك التى استقرت ـ منذ بداية الستينات ـ كمقومات اساسية للاقتصاد القومى والتى أقرها الميثاق الوطنى فى عام ١٩٦٢ ٠

ولذلك فلابد أن تثور اول ما تثور مسألة العلة والسبب ٠ فلماذا التغيير ؟ لماذا هذا الانفتاح الاقتصادى ؟ بعبارةاخرى، كيف حدث ؟ ان متاعبنا الاقتصادية الراهنة ـ وهى حقيقة لا ينازع فيها أحد ـ قد صار علاجها والخلاص منها رهنا بشىء اسمه الانفتاح الاقتصادى ؟ بعبارة أدق ما هو المعنى الحقيقى للانفتاح الاقتصادى ؟ ما هو تعريفه ؟ ما هو مفهومه الحقيقى ؟ ومن ثم فلابد من أن تتم عملية صياغة لمعالم هذا المفهوم على ضوء التغيير العميق الذى أجرته الالة التشريعية الجبارة فى المقومات الاساسية لاقتصادنا القومى ٠

ولكن لنبدأ بالسؤال الاول الذى لا يمكن أن نتجنبه طويلا ٠

ما هو الانفتاح الاقتصادى ؟

وبعيدا عن كل تلاعب بالالفاظ ، وبعيدا عن كل تصريفات الافعال ، فالانفتاح الاقتصادى بحكم ورقة اكتوبر هو « توفير كل الضمانات للاموال التى تستثمر فى التنمية » ، لكن الضمانات لمن وضد من ؟ هى للخارج وللداخل ، بل الداخل قبل الخارج ، وضد ما ومن يقف فى وجه « حرية الحركة الاقتصادية » لهذه الاموال ، ضد كل القيود التى تضمنتها أى نصوص مكتوبة ٠ حسنا ـ لكن الى اى مدى ؟ هنا تختلف العقول والافهام ، واختلفت بالفعل الاجتهادات ٠ وأشهد أن قد ظل الغموض قائما هنا حتى قال رئيس الوزراء ممدوح سالم قولته الحاسمة : « الاصل هو اباحة الاستثمار ٠ وكل شرط هو قيد ، وكل قيد هو انغلاق » ٠

ان الاصل اذن هو اباحة الاستثمار بلا شرط وبلا قيد ٠ الانفتاح اذن هو اباحة الاستثمار ، والانغلاق هو تقييد الاستثمار ٠ وبهذا المعنى الحاسم ، يجب أن اعترف بأنه كان هناك انغلاق اقتصادى منذ اجراءات يوليو ١٩٦١ وما بعدها ، بل وأذهب أيضا بعيدا للوراء الى اجراءات التمصير والتأميم التى جرت فى أعقاب العدوان الثلاثى فى عام ١٩٥٦ ، وأصابت فى الصميم رأس المال الاجنبى ٠

فبهذا المعنى المحدد ، وهو ان الانفتاح يعنى رفع كل قيد على حرية رأس المال فى الاستثمار ، وان الانغلاق يعنى وضع أى قيد على حرية رأس المال فى الاستثمار ، يجب أن تكون لدينا الشجاعة ولنعترف بأننا باجراءات يوليو المجيدة للتحول الاجتماعى ، وباجراءات التمصير والتأميم لرأس المال الاستعمارى، انما كنا فى الواقع نمارس سياسة الانغلاق الاقتصادى ٠ لكن هذا الانغلاق الاقتصادى كان ومازال مشرعا بالميثاق الوطنى مثلا٠ أرجع هنا لنصوص هذا الميثاق ، بل سأرجع للتقرير الذى وضعته لجنة الميثاق ، وهى اللجنة التى حاولت ـ كما هو معروف ـ الحد قدر استطاعتها من عملية التحول الاجتماعى التى قام عليها الميثاق ٠ فهذه اللجنة تقول فى تقريرها :

« ان تزايد الانتاج بالمعدل الذى يكفل فى وقت واحد زيادة الاستهلاك لتحقيق الرفاهية وزيادة الادخار لتوسيع الاستثمارات الجديدة لا يمكن أن يترك للجهود الفردية لاصحاب المشروعات » ٠ ثم تضيف أنه « اذا كانت ملكية الشعب للقطاع العام قد ضمنت سيطرته على الجزء الاكبر من أدوات الانتاج ، فان سيطرته تمتد ايضا الى القطاع الخاص بما يباشره عليه من رقابة وتوجيه » ٠

من هنا ، فرضت القيود فعلا على حرية الحركة الاقتصادية ، على حرية الاستثمار ، لرأس المال الخاص ـ وبصفة خاصة رأس المال الخاص الاجنبى ٠ وكان المعنى العلمى لهذه القيود هو اخضاع عملية التنمية الاقتصادية كلها لنوع من التوجيه المركزى يتحقق بواسطة قدر معين من التخطيط يشمل بدرجات متفاوتة كلا من القطاع

العام والقطاع الخاص، مع تأكيد دور القطاع العام فى قيادة التنمية الاقتصادية كلها • لقد كان المعنى العلمى لهذه القيود هو توجيه [نمو] رأس المال الخاص ، وبالذات المحلى • فأصبح هناك نمو مسموح له ، ونمو آخر محظور عليه •

اولا – بالنسبة لرأس المال الاجنبى فقد سمح لرأس المال الاجنبى ان يوجد ، ومن ثم أن ينمو ، فى قطاعات معينة مثل البترول • وفيما عداها استعادت مصر سيادتها على ثرواتها القومية وصناعاتها الاستراتيجية وأموالها المتراكمة فى البنوك وشركات التأمين ، مثلما استعادت سيطرتها على تجارتها الخارجية • وهكذا تمت تصفية المراكز الاستعمارية الاساسية فى اقتصادنا القومى ، وتهيأت الظروف المادية لبناء اقتصاد وطنى مستقل بكل معنى الكلمة .

ثانيا – وبالنسبة لرأس المال المحلى • فانه بتأميم المصالح التى كانت لكبار الرأسماليين ، صفيت الرأسمالية الكبيرة – بصفة عامة – الا فى بعض القطاعات مثل التجارة الداخلية والمقاولات • وبهذا التطور الهام ، أصبح هناك تمييز بين نوعين من الرأسمالية المحلية : بين الرأسمالية المستغلة اى الرأسمالية الكبيرة ، وهى رأسمالية محظورة – وبين الرأسمالية غير المستغلة أى الرأسمالية الوطنية وهى رأسمالية مسموح بها • ومعنى هذا أنه صار مسموحا لرأس المال المحلى بما يلى :

ا – أن يتواجد كرأسمالية وطنية ، أى كرأسمالية صغيرة أو رأسمالية متوسطة •

ب – أن ينمو فى اطار محدد هو اطار الرأسمالية الوطنية •

وكان معنى هذا الكلام هو السماح بان ينمو عدد الرأسماليين الوطنيين ، وان تنمو ثروة كل رأسمالى منهم فى حدود الرأسمالية الوطنية ، وان ينتشروا فى كل انشطة القطاع الخاص ، وبخاصة فى النشاط الصناعى •

أما المحظور على رأس المال المحلى فكان ما يلى :

ا – ان يستثمر فى الانشطة التى تعتبر المفاتيح الاستراتيجية للاقتصاد القومى ، وقصرت لذلك على القطاع العام تأكيدا وتمكينا لدوره القيادى •

ب – أن ينمو من رأسمالية وطنية الى رأسمالية كبيرة ، أو أن يرتبط برأس المال الاجنبى •

لقد كان مسموحا لرأس المال الخاص ان ينمو نموا أفقيا فى كل مجالات القطاع الخاص ، وأن ينمو نموا رأسيا فى حدود الرأسمالية الوطنية •

بهذا التحديد اذن يتضح لنا الان معنى الانفتاح الاقتصادى • فهو اباحة الاستثمار لرأس المال • هو السماح لرأس المال الخاص ، الاجنبى والمحلى ، بما كان محظورا عليه • الانفتاح الاقتصادى هو السماح لرأس المال الخاص بالنمو الافقى وبالنمو الرأسى ، بلا قيد ولا شرط • وبصفة خاصة ، فهو السماح للرأسمالية المحلية بأن تنمو الى رأسمالية كبيرة ، وبأن ترتبط بالرأسمالية العالمية • وهو السماح للرأسمالية العالمية هى الاخرى بأن تستعيد مراكزها داخل الاقتصاد المصرى •

بالطبع ، كانت الرأسمالية المحلية فيما مضى تحاول أن تتغلب على الحواجز التى تقف فى سبيل نموها ، كما كانت الرأسمالية العالمية تحاول أن تتسلل الى الداخل • لكن الاصل كان الحظر ، اما الان فقد صار الاصل هو الاباحة •

وعلى هذا النحو تتابعت التشريعات فى السنة الاخيرة تسمح بما كان محظورا • ولم يعد فى الامكان مناقشة أى اجراء منها على حدة بعيدا عن الصورة المتكاملة التى تراد للاقتصاد القومى ككل • لم يعد الوقوف عند الاجراء الواحد كافيا • فلقد قامت هذه الاجراءات معا بتغيير المقومات الاساسية لهذا الاقتصاد • واصبح من الضرورى عرض الصورة متكاملة بكافة ملامحها •

اباحة الاستثمارات الاجنبية

افتتح عصر الانفتاح الاقتصادى فى شهر يونيو من العام الماضى ، وذلك باصدار قانون الاستثمار الاجنبى الذى يبيح استثمار رأس المال العربى والاجنبى فى كافة الانشطة الاقتصادية • وعلى الرغم من الخطورة القصوى لهذا القانون ،الا انه كان مجرد فاتحة لتهيئة المناخ المناسب • ولهذا قال شريف لطفى مندوب الحكومة عند مناقشة مشروع القانون : « **ان المناخ المناسب فى هذه المرحلة ليس فقط قانون الاستثمار : ولكن المفروض أن تكون هناك نظرة شاملة فى النواحى أو التشريعات الاقتصادية** » • وهو ما تم بالفعل فيما بعد •

وجاء قانون الاستثمار الاجنبى فأصاب مباشرة بالتعديل عددا من المقومات الاساسية للاقتصاد القومى •

ا – فقد فتح لرأس المال الاجنبى مجالات التصنيع والتعدين ، ومجالات البنوك واعادة التأمين ، وأباح له حرية الاستيراد • وكانت كلها مجالات مؤممة بالكامل ، مقصورة على القطاع العام •

ب – وفى سبيل ممارسة هذا النشاط الاقتصادى الشامل ، منح رأس المال الاجنبى امتيازات سياسية واقتصادية ومالية وجمركية ، فى مقدمتها وقوفه فوق خطة الدولة للتنمية ، ووعده بعدم

التأميم ، وتحويل القطاع العام الى قطاع خاص حين يشارك رأس المال الاجنبى ·

هكذا تم التخلى ازاءه عن بعض حقوق السيادة ، وأعفى من كافة قوانين مرحلة التحول الاشتراكى ، من حيث الملكية والنشاط والادارة والعمالة والارباح والاستيراد والنقد الاجنبى · وتكون بذلك داخل الاقتصاد القومى اقتصاد قائم بذاته ، قطاع اجنبى متميز بالطبع عن القطاع العام ، ومتميز حتى عن القطاع الخاص الذى لم تعوزه المناسبة لبدء حملة من أجل المساواة مع القطاع الاجنبى · وبالطبع ، فان مثل هذا القطاع الاجنبى لا يمكن الا أن يكون قطاعا رأسماليا ، شخما ولحما ، لانه مجرد امتداد للرأسمالية العالمية وجزء لا يتجزأ منها ، تحكمه قوانينها الموضوعية وفى مقدمتها اعتبارات الربح والتعرض للازمات الدورية واستيراد التضخم ·

ويحرص رأس المال الاجنبى على أن يأتى - وبهذا يسلم قانون الاستثمار - فى صورة المشاركة مع رأس المال المحلى ، سواء كان خاصا أو عاما · والسبب فى ذلك أن الرأسمالية العالمية اليوم توجد فى أوضاع تجبرها على أن تحتمى بالمشاركة المحلية من أجل أن تحكم سيطرتها على الاقتصاديات التابعة · انها تستفيد من الوضع الممتاز الذى صارت تتمتع به الراسمالية المحلية · ثم تعود لتضفى حماية أكبر على هذه الرأسمالية المحلية التى تتخذ من مقدم رأس المال الاجنبى وامتيازاته الباهظة فرصة تاريخية سانحة للتمتع بالمزيد من النفوذ الاقتصادى ثم السياسى · من هنا ، اصطحب قانون الاستثمار الاجنبى عند صدوره بقوانين تصفية الحراسات ونقل التوكيلات التجارية الى الرأسمالية المحلية · انها تهىء المناخ المواتى للاستثمار الاجنبى · لكنها فى الوقت نفسه تتيح للرأسمالية المحلية أكثر من فرصة عملية لزيادة ثرواتها ·

فى هذا الاطار أصبح للاجانب حرية تملك حتى الاراضى الزراعية · وفى هذا الاطار أيضا أعفيت الهيئات والشركات العالمية العاملة مثلا فى مشروعات تطوير قناة السويس من جميع الضرائب والرسوم المستحقة على أرباحها وتوزيعاتها وعلى أموالها ومعداتها ومعاملاتها !!! وفى نفس الاتجاه يباح للبنوك الاجنبية ان تتمتع بنشاط غير محدود فى الداخل ، وبخاصة تحت ستار البنوك المشتركة - وهو الامر الذى دعا **الدكتور عبد المنعم القيسونى** نفسه للمطالبة « **بقصر تعامل وحدات القطاع العام على البنوك المملوكة بالكامل للدولة حتى يمكن تطبيق الخطط الاقتصادية ومتابعة تنفيذها** » · وحتى هذا التحفظ المتواضع ، لم يعره أحد أى التفات ·

ان القطاع الاجنبى يزحف ، ليتحول - بحكم ارتباطاته العالمية ، وبحكم نوعية نشاطاته الداخلية ، وبحكم حجم أمواله وامكانياته ، وبحكم تداخله مع الرأسمالية المحلية وحتى مع القطاع العام والدولة - ليصبح هو القطاع القائد فى الاقتصاد المصرى ·

اطلاق حرية رأس المال المحلى

مع اباحة الاستثمار الاجنبى ، تم اطلاق حرية رأس المال المحلى ، كما وكيفا ، افقيا ورأسيا · فمن غير المعقول أن يتمتع رأس المال الاجنبى بامتيازات لا يتمتع بها رأى المال المحلى · لقد تمت مثلا تصفية الحراسات ، فانتقلت ثروات اضافية الى الرأسمالية المحلية ، وبخاصة الكبيرة بتشكيلاتها الجديدة : من بقايا اقطاعية ، وبقايا رأسمالية كبيرة قديمة ، ورأسمالية بيروقراطية ، ورأسمالية طفيلية · فالكل فى الواحد ، والواحد فى الكل · وبالفعل ، فلم تفهم الرأسمالية الكبيرة بتشكيلاتها الراهنة سياسة الانفتاح الاقتصادى الا بوصفها اباحة للنمو الرأسمالى السريع · ولذلك انصب جل اهتمامها على أكثر الانشطة طفيلية وهى المقاولات والتجارة ، وبخاصة التجارة الداخلية وتجارة الاستيراد ·

أولا - عقب صدور قانون اباحة الاستثمار الاجنبى ، صدر قانون التوكيلات الاجنبية ، الذى يسمح باعادة الوكالات التجارية الاجنبية الى الرأسمالية المحلية ، الى الافراد والقطاع الخاص · ومن ثم يتكفل هذا القانون بتصفية القطاع العام فى التجارة الخارجية ، تدريجيا وعمليا · فمن المعروف أنه بتأميم الاستيراد بالكامل وتأميم أغلب التصدير ، قصرت أعمال الوكالة التجارية على القطاع العام وحده · ومن ثم لجأت الاحتكارات الدولية الى انشاء مكاتب لها وتكليف أشخاص بتمثيلها فى الداخل ، من أجل أن يتابعوا أعمالها واتصالاتها · ولقد تولاها - بصفة غير رسمية - عدد من الاجانب والمصريين ، كانوا حلقة الوصل بين السوق المحلية والقطاع العام من جانب وبين الاحتكارات الدولية من جانب آخر · وفى شهر يونيو من عام ١٩٧٤ ، صدر قانون يقرر حق المصريين - رسميا - فى تمثيل هذه الاحتكارات الاجنبية · من هنا ، فتح السبيل أمام الافراد والقطاع الخاص ليس فقط للحصول على التوكيلات التجارية الاجنبية الجديدة ، وانما أيضا لسحب هذه التوكيلات القائمة لدى القطاع العام نفسه · وبذلك فتح الباب أمام تصفية القطاع العام فى التجارة الخارجية · وأصبحت وكالة الرأسمالية المحلية عن الرأسمالية الدولية أمرا مباحا ومشروعا · وغدا كل مطلب الرأسمالية المحلية بالتالى هو الزام كل شركة أجنبية بأن يكون لها وكيل مصرى ·

ثانيا — توالت التيسيرات الخاصة بـاباحة الاستيراد للقطاع الخاص • ويعـد أن كان الاستيراد مؤمما بالكامل واحتكارا للدولة ، سمح بالاستيراد بدون تحويل عملة وهو تهريب غير مشروع لثروات البلاد ، ثم سمح بالاستيراد من حصيلة السوق الموازية للنقد الاجنبى ، أى السوق التى تمنح للعملات الاجنبية سعرا بالجنيه المصرى أعلى من سعرها الرسمى • ثم بدأت التيسيرات فى شهر يونيو من عام ١٩٧٤ ، باباحة الاستيراد العينى لقوائم لا تنتهى من السلع ، ولقد بلغت قيمة التراخيص الصادرة باستيرادها نحو ٢٧٠ مليون جنيه فى عام واحد ، وهى تمثل بذلك قيمة كل واردات مصر منذ سنوات قليلة • واذا كانت هذه الواردات قد سمحت باستيراد بعض الخامات وأدوات الانتاج التى شقت طريقها مع ذلك الى السوق السوداء — فلقد استخدمت أساسا فى جلب سلع استهلاكية معمرة وغير معمرة ، تحقق أرباحا غير عادية لسلسلة طويلة من الوسطاء فى الخارج والداخل ، تضارب اعمالهم على تخفيض قيمة الجنيه المصرى ، وتستنزف الموارد التى كان يجب أن تغذى السوق الموازية ، وتساهم بالتالى الى حد كبير فى استيراد التضخم ونشره فى ربوع الاقتصاد القومى •

ثالثا — هنالك تهيأت الظروف لالغاء مبـدأ تأميم الاستيراد ، وصـدر فى شهر يوليو من العام الحالى قانون اباحة الاستيراد امام الافراد والقطاع الخاص ، بالمخالفة الصريحة للميثاق الوطنى ، وبحجة صريحة هى « اعادة التوازن بين القطاع العام والقطاع الخاص فى الاستيراد والتصدير » • هكذا أصبح الاستيراد مباحا للرأسمالية المحلية ، وترك لوزير التجارة تحديد الاحتياجات والاجراءات التـى تنظـم هـذا الاستيراد • وفيما عدا [جواز] لا [وجوب] قصر الاستيراد من بلاد الاتفاقيات ومن بعض السلع الاساسية على القطاع العام ، أصبح للرأسمالية المحلية أن تستورد ما تشاء وقتما تشاء ومن أى مصدر تشاء • وحتى السلع التى قصر استيرادها على القطاع العام ، فقد أصبح من حق القطاع الخاص منافسة القطاع العام فيها ، وتقـديم العروض لاستيرادها على أن ينفذها القطـاع العام • وهكذا أصبح الاستيراد بأكمله مفتوحا للرأسمالية المحلية . هنا يجب ان نفهم ان تأميم الاستيراد لم يكن نزوة ولا عبثا ولا خطأ اقترفناه فى الماضى ، وانما هو تقدير صائب لاهمية وخطورة الدور الذى تلعبه التجارة الخارجية فى بلد متخلف فقير يسعى للتحرر الاقتصادى ويناضل من أجل انجاز التنمية المتوازنة لاقتصاده القـومى • فالتجارة الخارجية ، وبخاصة تجارة الاستيراد ، هى القناة التى تربط الاقتصاد القومى بالاقتصاد العالمى • وهى قناة يمكن — اذا لم يحسن توجيهها — أن تتحول الى بالوعة لتسريب الثروات القومية الى الخارج ، وتبديد الفائض الاقتصادى المحدود المعد لتمويل التنمية ، واخضاع الاقتصاد القومى من ثم للتبعية ازاء السوق الرأسمالية العالمية • وكل بلد يسعى الى التنمية المتوازنة يحاول — حتى لو كان غنيا — أن يتحكم فى حصيلته من النقد الاجنبى ، حتى يتمكن من توجيهها نحو تنمية فروع الانتاج المادى وذلك باستيراد مستلزمات الصناعة والزراعة ، ونحو حماية الصناعة المحلية وهى صناعة ناشئة وتشجيع تصدير المنتجات الفائضة ، ونحو تقليص العجز فى الميزان التجارى وهو عجز قد يكون محتوما بالحاجة الى واردات انتاجية • من هنا تصبح التجارة الخارجية أداة حاسمة فى انجاز التنمية الاقتصادية • ويكون من الاهمية بمكان عندئذ تقليص التجارة الخارجية الطفيلية ، تلك التى تباشرها الرأسمالية الكبيرة التجارية ، وبالذات نصيبها فى الاستيراد ، وتمصير — ان تعذر تأميم — كافة الاجهزة التى تتعامل فى التجارة الخارجية تصديرا واستيرادا ، واخضاع تيارات التجارة الخارجية لقدر من التخطيط يضمن نجاح التنمية المرسومة للصناعة والزراعة بل وللتجارة الداخلية • وعندما يخل بهذا المبدأ الجوهرى ، يختل كل البنيان الذى تقوم عليه التنمية المتوازنة • فمن ذا الذى يحدد الان ما الذى نستورده ، وبأى حصة من النقد الاجنبى ، ومن أى مصدر خارجى ؟ ومن ذا الذى يضمن انسياب الواردات فى السوق المصرية لاغراض الانتاج والاستهلاك ، فى الزمان والمكان ، بلا اختناقات ؟

ان اباحة الاستيراد للقطاع الخاص دفعة بعيدة المدى من أجل تنمية الرأسمالية التجـارية ، وبخاصة الرأسمالية التجارية الكبيرة • وتأتى دفعة أخرى لها فى صورة تصفية بعض وحدات القطاع العام فى التجارة الداخلية ، وباتساع السوق السوداء وتجارة التهريب الى الداخل ومن الداخل على السواء • ثم يأتى القرار الخاص ببيع بعض أسهم شركات القطاع العام ، تجارية كانت أو صناعية ، لمن يشتريها من المواطنين •

تفكيك وتقليص القطـاع العـام

لا شك أن الاجراءات السابقة من ابـاحة للاستثمارات الاجنبية ، ومن اطلاق لحـرية الرأسمالية المحلية فى النمو ، تمثل بحد ذاتهـا تقليصا وتفكيكا للقطاع العام ، لحجمه ولدوره • لكننا نريد هنا ان نتكلم فقط عن تلك الاجراءات التى انصبت على القطاع العام مباشرة •

فباسم [القضاء على المعوقات التى تعترض طريق الانطلاق فى الانتاج] ، تجرى عملية

« انفتاح القطاع العام » فالقطاع العام هو الاخر يجب أن ينفتح . وقد تولى مهمة انفتاح القطاع العام قانون صدر بالغاء المؤسسات العامة فأطلق بذلك حرية الادارة في شركات القطاع العام ، وقرار صدر بالغاء تخصص البنوك ، وقرار آخر ببيع بعض أسهم شركات القطاع العام .

اولا ـ تم الغاء المؤسسات العامة . وكانت المؤسسة العامة جهازا يتولى الوزير عن طريقه تنفيذ السياسة العامة للدولة كما تحددها خطة الدولة للتنمية . كانت المؤسسة العامة جهازا للتنسيق بين الشركات العامة ، وجهازا للرقابة الفنية عليها ، في اطار خطة الدولة للتنمية . وكانت سلطاتها الواسعة بالنسبة للشركات ، سلطات فنية لا غنى عنها في الظروف الراهنة لنشأة وتطور القطاع العام ، اذ كانت تتمثل أساسا في اعتماد الخطط الانتاجية والميزانيات السنوية وحسابات الارباح والخسائر والفائض الذي يقدمه القطاع العام للدولة . كما كانت تتمثل أيضا في الرقابة على سلامة وعدالة الهياكل الادارية والوظيفية بالنسبة لمجموع العاملين . وكانت سلطات المؤسسة العامة تمارس في الواقع بواسطة مجلس ادارتها . وكان هذا المجلس يتكون أساسا من رؤساء الشركات العامة نفسها . وبذلك كان يتحقق التنسيق المشترك والرقابة المتبادلة في تنفيذ خطة التنمية عن طريق جهاز المؤسسة العامة .

هذا الجهاز الهام قد تم الغاؤه بقانون نظر [على وجه الاستعجال] ، أحيل من الحكومة الى مجلس الشعب في ٢٦ يوليو واقره المجلس في ٢٨ يوليو أي بعد يومين . وبذلك الغيت المؤسسات العامة تمهيدا لتكوين [مجالس عليا للقطاعات] ، لا تتشكل أساسا من رؤساء الشركات العامة . وأخطر من ذلك أن مهمتها مجرد مهمة ارشادية ، اذ تقتصر على [تقرير الاهداف العامة للقطاع ، وتحقيق التنسيق والتكامل ، وتنظيم عمليات التمويل] ـ على أن تفعل ذلك بصفة عامة شديدة العمومية . لكن الاخطر من كل ذلك أنها مجالس لا شأن لها بما هو جدي ، لا شأن لها باعتماد أو رفض خطة انتاج الشركة العامة ، لا شأن لها باعتماد أو رفض ميزانيتها السنوية وحساب أرباحها أو خسائرها .

وهكذا فانه بالغاء المؤسسة العامة ، الغى هذا الجهاز المباشر لاحكام التنسيق المشترك والرقابة المتبادلة للقطاع العام على نفسه . وتبددت خبرة هائلة تجمعت بصعوبة بالغة لدى قيادات ورجال المؤسسات العامة ـ أي القطاع العام . وتركت الان لتبدد أو توضع في خدمة الشركات الاجنبية والرأسمالية المحلية التي لا تكف عن عروضها المغرية للجميع .

ثانيا ـ أعلنت الحكومة أن « برنامجها لدعم سياسة الانفتاح الاقتصادي هو أن تطلق حرية وحدات القطاع العام » . وباسم محاربة البيروقراطية ، فان ما يسمى تحرير الشركات العامة انما يتمثل في الواقع في تحرير [ادارتها] من [التزامات] التخطيط المركزي للدولة ، وهي التزامات لا مفر منها اذا ما أريد تحقيق تنمية اقتصادية متوازنة تبدأ أولا وقبل كل شيء من القطاع العام . واذن ، فكيف تم تحرير الشركات العامة ؟

١ ـ تغير تشكيل مجالس الادارة ، فالشركة المملوكة بالكامل للدولة ينضم الى مجلس ادارتها عدد من « الخبراء » من القطاع الخاص . وهكذا يجعلون للقطاع الخاص دورا في ادارة القطاع العام ، وبذلك يتحرر القطاع العام وينجح ! والمهم ان معنى التحرير هنا انما يتمثل في منح القطاع الخاص وزنا اضافيا ، وخاصة اذا كان على ارتباط برأس المال الاجنبي . أما الشركة العامة التي توجد بها حصة خاصة ، فيشكل مجلس ادارتها من أعضاء معينين بنسبة ما تملكه الدولة ، وأعضاء من الخارج يختارهم أعضاء الجمعية العمومية بنسبة ما يملكه رأس المال الخاص ، ويتحدد عدد الاعضاء المنتخبين عن العاملين بعدد الاعضاء المعينين والمختارين . انما المهم هنا أن تنتهي في الواقع صفة الشركة العامة ، وهي الشركة التي كان يكفي أن يساهم فيها رأس المال العام بأي نسبة لتصبح شركة عامة من شركات القطاع العام . هنا تظهر للوجود شركة أطلق عليها اسم [الشركة المشتركة] . وهي شركة بين رأسمال عام ورأسمال خاص سواء كان محليا او اجنبيا . والخلاصة أن تحرير الادارة انما يبدأ بادخال عناصر القطاع الخاص الى ادارة وحدات القطاع العام .

ب ـ نقلت سلطات المؤسسة العامة الى الجمعية العمومية لاصحاب رأسمال الشركة . فالجمعية العمومية هي التي تقر مشروع خطة الشركة ، وهي التي تعتمد الميزانية السنوية وحساب الارباح والخسائر ، وهي التي تعدل أنظمة الشركة ، وهي التي تقرر تصفية الشركة وتخفيض أو زيادة رأسمالها والترخيص باستخدام المخصصات المالية في [غير] أغراضها . وللجمعية العمومية بأغلبية ثلثي الاصوات تنحية رئيس وأعضاء مجلس ادارة الشركة . وتبدو خطورة كل هذه السلطات عندما تكون الجمعية العمومية لشركة مشتركة . فبالغاء المؤسسة العامة ألغيت الواسطة الحقيقية والمسئولة بين الشركة والوزير . وبمنح الشركات كل السلطات التي كانت مخولة للمؤسسات أصبحت الشركات تراقب نفسها بنفسها ، لكن هذه

السلطة الخطيرة قد انتقلت فى الواقع الى الجمعية العمومية لاصحاب رأس المال • وأصبحت قرارات هذه الجمعية العمومية نهائية ، بلا اعتماد من الوزير ، ولم يعد للوزير حق الاعتراض على قراراتها التى تكفى الاغلبية - مجرد الاغلبية - لصدورها •

جـ - يتولى مجلس ادارة الشركة - سواء كانت عامة أو مشتركة - وضع اللوائح الداخلية والنظم اللازمة لتنظيم أعمال الشركة وادارتها وحساباتها وشئونها المالية ودون التقيد بالنظم الحكومية • أن مجلس الادارة يتولى بذلك الادارة اليومية كاملة ، ويضع النظم الداخلية التى تقوم عليها هذه الادارة •ومن ثم يفتح الباب واسعا امام لتفاوت نظم العمل والهياكل الوظيفية ومستويات الاجور واستخدام الاموال تفاوتا لا حد له ما بين شركة وأخرى من شركات القطاع العام • وبذلك انتهى للابد خضوع الوحدات الاقتصادية فى القطاع العام ، حتى تلك التى تعتبر شركات عامة بالكامل ، لما كان يسمى بالتخطيط المركزى • وأصبح المطروح اليوم هو المزيد من حرية الادارة للشركات ، وذلك من جانب بتخويلها حرية التصرف فى العمالة الزائدة أى حرية الفصل ، مع منح المفصول اعانة بطالة تبلغ ٦٠ فى المائة من الاجر لمدة ستة شهور ، ومن جانب آخر بعدم تقييد الادارة بالتعيين عن طريق القوى العاملة أى حرية التعيين • وليس لذلك من معنى سوى تدعيم وتوسيع الاساليب الرأسمالية للادارة فى القطاع العام •

د - باطلاق حرية الادارة فى الشركات العامة ، بمعنى اخضاع القطاع العام كله لرقابة من القطاع الخاص ، وتحويل بعض الشركات العامة الى شركات مشتركة تتمتع فيها الجمعيات العمومية - فضلا عن مجالس الادارة - بسلطات كبيرة نهائية ، تخرج عن دائرة التنمية المخططة مركزيا ، **يفتح القانون الباب أيضا لما يسميه [دمج بعض الوحدات]** • ان تصفية هذه الشركات ستتم هذه المرة باسم القانون • لكن هناك تصفية أخرى سوف تجرى ، هى تصفية اقتصادية • يقول وزير المالية فى تصريح له : « ان الحكومة حين اتجهت الى سياسة الانفتاح كان أول ما فعلته الغاء المؤسسات واطلاق الحرية للوحدات الاقتصادية لتنطلق فى اصلاح ادارتها المالية دون حاجز أو عائق ، حتى تحقق الاهداف المرسومة لها • **وعلى ذلك فان اى وحدة لا تحقق أهدافها سيتم تصفيتها باعتبارها عبئا على الدولة وباعتبار أن خسارتها تعنى عدم الكفاءة وعدم الجدية** » • واذن ، فكل شركة عامة وقد اطلقت يدها فى الادارة ، وصارت بلا رقابة من مؤسسة أو وزير ، وبلا توجيه مركزى من خطة عامة للدولة - عليها أن تكسب والا صفيت • ومن ثم ، فانها من أجل أن تكسب ولا تخسر ، سوف تفعل كل ما يمكن وما لا يمكن ، كل ما يجوز وما لا يجوز • وستندفع فى هذا الاتجاه لا يحكمها فى ذلك - شأنها شأن أى رأسمالى فى السوق - الا قانون الربح وحده فى ظل فوضى المنافسة الرأسمالية •

ثالثا - تأكيدا لطابع انفتاح القطاع العام ، **صدر قرار جمهورى بالغاء تخصص البنوك** ، وترك لكل من القطاع العام والقطاع الخاص حرية التعامل مع كافة البنوك ، أى مع أى بنك يفضل التعامل معه - حتى لو كان بنكا أجنبيا أو بنكا مشتركا أى أجنبيا محليا • وبغض النظر عن الضرر الذى يمكن ان يحل بالبنوك العامة ، وهى الملكية المشتركة للشعب كله ، فان فكرة حرية التعامل مع أى بنك ، وبخاصة بالنسبة لشركات القطاع العام ، وهى الملكية المشتركة للشعب كله ، هذه الفكرة تمثل تراجعا عن مبدأ التخطيط الاقتصادى بصفة عامة ، وعن مبدأ التخطيط المالى بصفة خاصة وهذا التخطيط المالى هو ما كان الجميع يلحون على البدء فى الاخذ به • اذ لا يمكن ضمان تمويل الخطة القومية للتنمية بغير وضع خطة مالية مصاحبة ومقابلة للخطة العينية • وعندئذ فان تخصص البنوك وتخصيصها فى التعامل ضرورة اقتصادية ومالية لا غنى عنها •

رابعا - تأكيدا لدور الانفتاح الاقتصادى ، **صدر قرار باباحة بيع بعض أسهم شركات القطاع العام للأفراد** • وباسم اقامة [مجتمع المنتجين] وبحجة [اشعار العامل بالملكية] سيبدأ بطرح الاسهم على العاملين ، فان لم يغطوها طرحت للاكتتاب العام • والواقع أن كل من له صلة بالطبقة العاملة يعرف مدى جدية مثل هذه الدعوة • فليس هناك عامل لديه فائض مالى يشترى به سهما واحدا • وحتى من سوف يسعده الحظ بشراء هذا السهم ، فلن يكون سوى [محطة] لنقله سريعا الى رأسمالى حقيقى • أما اذا حدث وبقى السهم لدى العامل ، فأغلب الظن أنه لن يستطيع تحطيم شىء من الفوارق الطبقية بين الرأسمالى والعامل • فهل من يشترى سهما أو سهمين فى مجمع الحديد والصلب يصبح شريكا فى الملكية ، يشعر بالملكية ، ومن ثم ينتقل ليصبح عضوا فى الطبقة المالكة فى المجتمع ؟ انها محض أوهام الملكية الخاصة • لكنها من جانب آخر تعبر عن واقع معين هو تزايد خضوع الانتاج الصغير للانتاج الكبير ، وتزايد جماعية العمل فى الاقتصاد الرأسمالى • انها تعبير عن حتمية تمليك العاملين كافة ، أى تعبير عن حتمية الاشتراكية •

المهم هنا ان كل ما يتوقع أن يحدث هو انتقال ملكية بعض أسهم شركات القطاع العام الى الرأسمالية المحلية ـ وبذلك يكتمل انفتاح القطاع العام ٠

فانفتاح القطاع العام هو فى النهاية السماح بتقليص حجمه وتفكيك بنيانه وتحريره ـ ان صح التعبير ـ من التخطيط المركزى ، لكنه بنفس القدر يخضع عندئذ لفوضى السوق ٠ وخاصة ، اذا كان تحرير ادارته انما يعنى اخضاعه لقدر معين من رقابة الرأسمالية المحلية ٠

الانفتاح الاقتصادى ينتقل الى الريف

امتد الانفتاح الاقتصادى ليشمل عودة الاستثمارات الاجنبية ، واطلاق حرية نمو الرأسمالية التجارية والصناعية ، وتفكيك وتقليص القطاع العام ٠ وبقى أن يمتد الى الريف ٠ فلابد أن يسمح للرأسمالية الريفية هى الاخرى بحرية الحركة الاقتصادية . لكن المهم هنا أن الانفتاح فى الريف يتخذ ـ على غير المتوقع ـ صورة تدعيم الملكية الزراعية ٠

فى العام الماضى ، سمح ببيع الاراضى المستصلحة بالمزاد ، باستثناء الاراضى المستصلحة المؤجرة للفلاحين التى تقرر تمليكها لهم ٠ وكل ما اشترط فى المشترى الا تزيد ملكيته الخاصة هو وزوجته وأولاده القصر عن ١٠٠ فدان !!

وفى هذا العام ، صدر قانون بتعديل العلاقة بين الملاك والمستأجرين للاراضى الزراعية ٠ وهو قانون يدخل تعديلا جوهريا على قانون الاصلاح الزراعى فيما يتعلق بالحقوق المكتسبة للمستأجرين ٠

أولا ـ تقرر رفع القيمة الايجارية للفدان من سبعة أمثال الضريبة القديمة الى سبعة أمثال الضريبة الحالية وسعرها أعلى ٠

ثانيا ـ تقرر حق المالك فى طرد المستأجر اذا تأخر عن دفع الايجار بعد شهرين من نهاية السنة الزراعية ٠

ثالثا ـ تقرر جواز تحويل العلاقة الايجارية من الايجار النقدى الى الايجار العينى أى المزارعة .

رابعا ـ تقرر الغاء لجان فض المنازعات ورفع المنازعات الخاصة بالايجار الى القضاء العادى وهو المحاكم الجزئية ٠ ومن المعروف أن اللجان كانت أقرب الى الفلاح وأسرع فى الفصل ، فضلا عن كونها قضاء مجانيا بلا رسوم ٠

وواضح أن هذه التعديلات تصيب بالاذى الشديد وتهدد بالخراب صغار المستأجرين ، وعددهم لا يقل عن مليون ونصف المليون من الفلاحين ، يعيشون على استئجار ٥ر٢ مليون فدان تمثل ٤٣ فى المائة من جملة الاراضى الزراعية . ان هذه التعديلات تعبر فى الواقع عن رغبة الملاك فى استغلال أراضيهم استغلالا مباشرا ، وهى رغبة تكشف عما وراءها من اعتبارات تتحكم الان فى أوضاع الريف : من ضيق الرقعة الزراعية ، والضغط المتزايد على الارض ، وارتفاع قيمة الاراضى ـ تعبيرا عن ذلك كله لا تعبيرا عن زيادة فى انتاجية الارض نفسها . من هنا تحول الملاك من الزراعة التقليدية الى زراعة الفواكه والخضروات ـ وهى محاصيل تتميز بربحها الكبير نظرا لحرية تحديد اسعارها . وماهذا كله الا تعبيرا عن النمو الرأسمالى المتزايد فى الريف بالتحول المضطرد الى الانتاج الزراعى المكثف ٠ ان عجز صغار الملاك عن استخدام أساليب تكثيف الانتاج ، وخروجهم بدورهم من مجال الملاك ، يفتحان السبيل أمام تركز الملكية الزراعية ٠ ومن هنا فان التعديلات الاخيرة تفتح السبيل هى الاخرى لتحرير الاراضى الزراعية الصغيرة من مستأجريها ، وتعيد لملاكها حرية التصرف فيها ٠

وانما علينا أن ندرك أن هذه التعديلات الخطيرة لن يكون من شأنها سوى جر الريف الى أتون الصراعات الاجتماعية الحادة ٠ فمن شأنها فى الواقع احداث المزيد من التمايز الطبقى فى الريف ، والمزيد من التلاعب فى العلاقة الايجارية ، والطرد الجماعى لاعداد غفيرة من المستأجرين ، وبالتالى التعجيل بخرابهم الاقتصادى وانهيارهم الاجتماعى الى اجراء ـ ومن ثم زيادة قاعدة المعدمين فى الريف ، لصالح الرأسمالية النامية بشراهة فى الريف والمدينة على السواء . ويفاقم من هذا الوضع التحام الملكية الزراعية أى ملكية الارض بالملكية الرأسمالية أى ملكية رأس المال فى الريف ٠ كما يفاقم منه ارتداد الرأسمالية الريفية ـ بعد أكثر من عشرين عاما من الاصلاح الزراعى ضد بقايا الاقطاع ـ الى أسلوب المزارعة وهو أسلوب شبه اقطاعى أقرب الى السخرة . ويعتبر أكثر اشكال العلاقات الزراعية تخلفا . ومع ذلك فيجب الاعتراف بأن المزارعة مازالت أسلوبا قائما فى حوالى مليون فدان تمثل سدس الرقعة الزراعية ، ومعنى هذا ببساطة أن الريف المصرى ازداد تخلفا . وعلى أية حال ، فان المستأجر قد تمت عبوديته للمالك ، لانه سواء كان مستأجرا بالنقد أو بالمزارعة ، فهو لن يحصل عمليا فى الحالين على السماد او البذور أو السلف الا بموافقة المالك نفسه ٠

اننا نشهد بذلك اضطراد النمو الرأسمالى فى الريف ٠ اذ أنه باسم كل الاعتبارات الخاصة بالانفتاح الاقتصادى ، فلقد كان من حق الرأسمالية

الزراعية أن تنال نصيبها ـ هى الاخرى ـ من [حرية الحركة الاقتصادية] ، أى من حرية النمو الراسمالى .

تغيير المقومات الاساسية

تلك هى ملامح الصورة التى تشكل سياسة الانفتاح الاقتصادى . وفى كل خطوة خطتها هذه السياسة فى صياغة تلك الصورة ، كان عليها أن تدخل تعديلا على واحد او أكثر من المقومات الاساسية لاقتصادنا القومى . فاباحة حرية الاستثمارات الاجنبية ، واباحة حرية النمو الرأسمالى ، واباحة حرية تفكيكوتقليص القطاع العام ، تصطدم جميعا بكلام صريح ورد فى هذا الموضعأوذاك من الميثاق الوطنى والدستور الدائم وحتى ورقة أكتوبر . ولن نرجع بالمرة للميثاق الوطنى ، وانما سنكتفى بايراد القاعدة التى أرستها لجنة الميثاق فى صدر تقريرها وهى تقول : « **ان المبادىءوالاسس والحقوقوالواجبات التى وردت فى الميثاق ، وقد صدرت عن الارادة الشعبية فى اجماع يمتد من القاعدة الى القمة ، لها صفة الالزام ، بالنسبة للمواطنين ، وبالنسبة لاجهزة الدولة جميعا** » .

اما الدستورالدائم فقد جاء فى المادة الرابعة منه بأن « **الاساس الاقتصادى لجمهورية مصر العربية هو النظام الاشتراكى القائم على الكفاية والعدل ، بما يحول دون الاستغلال ويهدف الى تذويب الفوارق بين الطبقات** »

ثم افرد الدستور بابا كاملا عنوانه « المقومات الاقتصادية » يعنينا منه فى حديثنا هنا مواده التالية :

المادة ٢١ ـ يسيطر الشعب على كل أدوات الانتاج ، وعلى توجيه فائضها وفقا لخطة التنمية التى تضعها الدولة .

المادة ٢٣ ـ ينظم الاقتصاد القومى وفقا لخطة تنمية شاملة .

المادة ٢٦ ـ للعاملين نصيب فى ادارة المشروعات وفى أرباحها .

المادة ٣٠ ـ الملكية العامة هى ملكية الشعب تتأكد بالدعم المستمر للقطاع العام . ويقود القطاع العام التقدم فى جميع المجالات ، ويتحمل المسئولية الرئيسية فى خطة التنمية .

المادة ٣٢ ـ الملكية الخاصة تمثل فى رأس المال غيرالمتنقل .

وواضح انالانفتاح الاقتصادى يدخل تعديلات جوهرية على المقومات الاساسية السابقة . غير أننا سنكتفى فيما يلى بالتعرض لثلاثة مقومات أساسية فقط هى الملكية الخاصة والملكية العامة ، والخطة الشاملة للتنمية . فلقد تغيرت مفاهيمها جميعا .

أولا ـ الملكية الخاصة :

تتمثل الملكية الخاصة فى رأس المال غيرالمستغل ، اى فى رأس المال الوطنى فقط ، أى فى رأس المال الصغير والمتوسط . ومن ثم لا يقوم الاقتصاد القومى على رأس المال الكبير ، الذى يعتبر عندئذ رأس مال مستغل . كذلك لاتسمح مقومات الاقتصاد القومى بنمو الرأسمالية الوطنية ، اى الرأسمالية الصغيرة والمتوسطة ، الى رأسمالية كبيرة ، طفيلية ، ربوية ، بيروقراطية ، احتكارية . وتعتبر من ثم بروزا رأسماليا يجب تصفيته . وبصفة خاصة ، فهى لاتسمح لرأس المال المحلى بان يرتبط بأى شكل من الاشكال برأس المال العالمى . وحصرت احتمالات ذلك فى المشاركة مع الدولة وحدها .

لكن الانفتاح الاقتصادى يتيح كما راينا حرية النمو للملكية الخاصة بلا قيد ولا شرط . كما يتيح حرية النمو غير المحدود لرأس المال الخاص . ومن ثم فهو يسمح بتركز الثروة أو يفتح السبيل امام حرية الاستغلال الراسمالى ، ومن ثم الى المزيد من التمايز الطبقى والى احتدام الفوارق بين الطبقات . واذ يتيح الانفتاح الاقتصادى أيضا حرية ارتباط رأس المال المحلى برأس المال العالمى ، وبخاصة من خلال التجارة الخارجية والمقاولات ، فانه يتيح نموا هائلا للراسمالية المحلية ويفتح أبواب اقتصادنا للرأسمالية العالمية التى تعفى من كافة قوانين مرحلة التحول الاجتماعى وتتمتع بكثير من الامتيازات الاقتصادية والمالية . ولهذا تشكل داخل اقتصادنا القومى قطاعا اجنبيا لا يسيطر عليه الشعب ، لا يوجه فائضه ، ولا يخضعه لخطة شاملة للتنمية .

ثانيا ـ الملكية العامة :

الملكية العامة هى ملكيةالشعب ، هى القطاع العام . وتتأكد الملكية العامة بالدعم المستمر للقطاع العام الذى يتمتع ـ من جانب ـ بالدور القيادى داخل الاقتصاد القومى ، ويتحمل ـ من جانب آخر ـ المسئولية الرئيسية فى خطة التنمية . والمعنى الجوهرى هنا هو أن القطاع العام يجب أن يدعمباستمرار ، أى :

١ ـ ان لايمس وجوده المادى . فلا يجوز الغاؤه ، أو اشهار افلاسه ، او الحجز عليه ، أو

تملكه بالتقادم ، كله أو بعضه . ولا يجوز التصرف فى أمواله أو نقل ذمته المالية كاملة أو مجزأة الى القطاع الخاص . ولا يجوز بيعه ، أو نقل ملكيته كله أو بعضه لرأس المال الخاص ، المحلى أو الاجنبى .

ب ــ ان لا يمس دوره القيادى . فدوره القيادى هو الضمان الاقتصادى لتحمله المسئولية الرئيسية فى خطة التنمية . ومن ثم فاباحة خروج القطاع العام على الخطة ، واباحة تقليص حجم القطاع العام ، واباحة تحويل الشركة العامة الى شركة مشتركة ، واباحة دخول القطاع الخاص الى الانشطة المقصورة على القطاع العام ، والقول بنظرية التوازن بين القطاع العام والقطاع الخاص ، انما يعتبر كله اخلالا بالدور القيادى للقطاع العام وبمسئوليته الرئيسية فى التنمية . وهو يمهد من ثم لاخضاع القطاع العام ــ أكثر فأكثر ــ لمصالح الرأسمالية وانحرافاتها المدمرة ، وخاصة اذا اشترك مع رأس المال العالمى .

ثالثا ــ الخطة الشاملة للتنمية :

لضمان التقدم ، تضع الدولة خطة شاملة للتنمية هى المسئولة عن تنظيم الاقتصاد القومى بأكمله . وانما يشترط لذلك شرط طبيعى هو أن يوضع تحت تصرف هذه الخطة كل الفائض الاقتصادى للمجتمع من أجل أن يتم توجيهه توجيها مخططا نحو التنمية .

وأساس وجود الخطة هو وجود القطاع العام ، فاذا لم يوجد فلا مجال للتخطيط أصلا ، اللهم الا ان يكون التخطيط موضوعا للرأسمالية كما فى فرنسا ، وعندئذ يصبح التخطيط توجيهيا من جانب الدولة واختياريا من جانب المشروعات ، ويكون غير ملزم لاحد ، لكنه موضوع فى خدمة الرأسمالية وحدها ، يمدها بالمعلومات الكافية ، ويزودها بالتوجيهات الدقيقة ، ومن ثم يرشد مسلكها العام . أما فى بلد نام كمصر ، فالأخذ بالتخطيط ليس زينة ولا حلية ، وانما هو ضرورة ملحة من أجل حسن توجيه الموارد المحدودة وأخطار المنافسة الرأسمالية وانتهاء والتقدم الاجتماعى . فى بلد نام كمصر لابد من كفالة التطور المتناسق والمتوازن للاقتصاد القومى بكل قطاعاته . ولابد من كفالة التناسب فيما بين كل أجزاء الاقتصاد القومى . وعندئذ فان التخطيط يجنب المجتمع فوضى المنافسة الحرة المدمرة والازمات والبطالة ، ويفتح المجال لتحقيق معدلات عالية لنمو الاقتصاد القومى ومن ثم لرفاهية الشعب .

من هنا الاهمية القصوى للطابع الالزامى للتخطيط ، من أجل ضمان أن تقوم كل وحدة اقتصادية ، وفى مقدمتها وحدات القطاع العام ، بدورها كاملا فى انجاز التنمية الناجحة . وليس معنى ذلك أبدا اهدار حرية الوحدة الاقتصادية . فالخطة فى البداية مجرد مشروع غير نهائى ، وتناقش فى الوحدات وتصحح . ولكن ما ان تقر الخطة حتى تصبح ملزمة لكل وحدة اقتصادية ، بحيث يصبح عدم انجازها للخطة انقطاعا فى سلسلة الانتاج ، يشكل خسارة للاقتصاد القومى بأسره . ولهذا نؤكد على ضرورة الطابع الالزامى للخطة . فلا خطة هناك اذا قضى على هذا الطابع الالزامى .

ان الكلام عن حرية الادارة فى الوحدة الاقتصادية لا يمكن أن يفصل عن المعنى العلمى للحرية ، وهو معرفة القوانين الموضوعية للاقتصاد القومى واستخدام هذه القوانين استخداما موضوعيا . وعندئذ يجب أن تكون الحرية بحيث تدعم من وجود ومكانة ودور القطاع العام ، وتسمح بتقدم المجتمع نحو أهداف التحرر الاقتصادى والتقدم الاجتماعى . ومن ثم فان اباحة قيام قطاع أجنبى لا تتحكم خطة الدولة فى اتجاهاته ، واباحة حرية النمو الرأسمالى للقطاع الخاص ، وبعث عناصر النمو والتطور الرأسمالى ، وتقليص وتفكيك القطاع العام وهو القاعدة المادية للتخطيط ــ ان ذلك كله ليس له من معنى سوى الغاء مبدأ التخطيط بالفعل ، وفتح المجال أمام قوى السوق العمياء ، والسماح بحرية عمل قوانين التطور الرأسمالى ابتداء من تفتت القرارات الاقتصادية وفوضى استخدام الموارد المحدودة وأخطار المنافسة الرأسمالية وانتهاء بالازمة والبطالة والتضخم والسوق السوداء .

وعلى الاقل ، فانه باسم التخلص عن البيروقراطية واطلاق حرية الادارة فى القطاع العام ، تصبح الخطة ــ ان كان ثمة تخطيط ــ اختيارية ، توجيهية ، غير ملزمة حتى للقطاع العام نفسه . فكيف يكون الحال والقطاع الخاص [حر] أصلا فى نموه ؟ اذن ــ لا خطة شاملة تحكم كلا من القطاع العام والقطاع الخاص ، ولا خطة ملزمة حتى للقطاع العام .

تلك هى ــ على سبيل المثال ــ ثلاثة مقومات من المقومات الاساسية للاقتصاد القومى ، قد تم تعديلها بصفة جوهرية تطبيقا لسياسة الانفتاح الاقتصادى . وسنرى فى الجزء التالى من دراستنا كيف أدى هذا الوضع ــ بالضرورة ــ الى سيطرة المفهوم الرأسمالى للتنمية الاقتصادية فى بلادنا .

موقف اليسار المصرى من قضيتين

[١] المــوقف من أمــريــكا

[٢] الموقف مع الاتحادالسوفيتى

لطــفى الخــولى

كان لطفى الخولى قد بدأ فى كتابة سلسلة من المقالات تحت عنوان « اليســـار المصرى » وظهرت اولى مقالاته فى «الاهرام» بتاريخ ٢٧ أغسطس الماضى تحت عنوان « اليســـار المصرى : الطريق والاهداف » وقد نشر أصل هذا المقال ، أيضا ، فى كل من جريدة « النهار » البيروتية وجريدة « الوطن » الكويتية .

وقد واصلت هاتان الصحيفتان نشر بقية مقالات السلسلة : وظهر على صفحاتهما المقــال الثانى تحت عنــوان « اليســـار المصرى : الموقف من أمريكا » .

والمقال الثالث تحت عنوان « اليســـار المصرى : الموقف مع الســـوفييت » . وقد رأت الطليعة ان تنشر هذين المقــالين ، لتضــعهما أمام القراء الذين كانوا قد بدأوا يتابعــون ــ على صفحات الاهرام ــ سلسلة هذه المقالات .



○ المـــوقف من أمـــريـــكا

هل تغيرت « امريكا اليوم » عن « امريكا الامس »؟

سؤال مطروح على جميع القوى والاتجاهات في مجتمعنا، وخاصة بعد هرولة الدبلوماسية الامريكية في حركة غير عادية — اثر حرب اكتوبر ١٩٧٣ — نحو محاولة تحقيق ما يسمى « بتسوية سلمية لازمة الشرق الاوسط » .

هنـــاك اجابات متعـــددة تتراوح بين القطع بالتغيير ، وبين القطع بعدم التغيير .

ولليسار المصرى اجاباته الخاصة على السؤال فتراوح جـــدليا بين « لا » و « نعم » فى نفس الوقت .

« **لا** » بمعنى ان اسس النظام الامـــريكى الامبريالى الاحتكارى لم تتغير . وبالتالى فان امريكا ما برحت القائدة لحملة العداء ضد حركات التحرر الوطنى والاشتراكية .

« **ونعم** » بمعنى ان امريكا — تحت ضغط ازماتها الاقتصادية والاجتماعية الداخلية ، ونكستها فى حرب الهند وباكستان وبنجلاديش ، واقتلاعها من فيتنام وكامبوديا ، وهزيمة اسرائيل النسبية وغير المتوقعة فى حرب اكتوبر ، وفشلها المتفـــاوت الدرجات فى تنفيذ سيناريو قبرص — اليونان — تركيا ، وتصـــاعد التمـــرد الاوربى واليـــابانى ضدهـــا — **لم تعد قادرة على استخدام « عصاها الغليظـــة » « وقـــوة دولارهـــا » « ومؤامـــرات مخابراتها » على النحو العنيف الواسع والمكشوف الذى ظلت تمارسه من مركز قوة منفرد بذاته ، منذ الحرب العالمية الثانية** . وراحت ـ فى سبيل التقاط انفاسها واعادة ترتيب البيت ووضع جدول جديد لاولويات مصالحها تتوسل بالاساليب الدبلوماسية اللينة الباسمة مع التزام الحد الادنى مـــن استعراض القوة بين آن وآخر . وتظهر فى المنطقة بوجه تجمل بمكياج حديث .

قبل أن ننتقل من العمـــوميـــات الى التحليل التفصيلى نتوقف قليلا عند منطق فريد فى شذوذه وغرابته ، يحاول أن يصور موقف اليسار المصرى من النظام الامريكى على أساس انه من « املاء » الاتحاد السوفيتى .

والرد البسيط على هذا المنطق تقرره ظروف **الانفراج الدولى المعاصر** . فالاتحاد السوفيتى قد نجح اخيرا فى ان يحقق مبدأ رئيسيا من مبادىء الاستراتيجية اللينينية . وذلك بصياغة العلاقات بينه وبين الولايات المتحدة ، على اساس التعايش السلمى والمباراة الاقتصـــادية بين الاشـــتراكية والراسمالية ، تجنبا لخطر الصدام النووى المدمر للبشرية كلها . **ومع ذلك فان الموقف المبدئى لليسار المصرى من امريكا ، ظل كما هو دون ما تغير .**

وهناك منطق آخر اكثر شذوذا وغرابة ، يذهب الى حد القول بأن اليسار المصرى — ككل حركات اليسار فى العالم — يعادى بصفة مطلقة وعمياء كل ما هو امريكى ، حتى ولو كان التكنولوجيا الحديثة المتقدمة !

وبالقطع ، ليس هذا — ايضا — موقف اليسار من امريكا ، وذلك ان منهجه الجدلى ، فى الرؤية والتحليل يحصنه ضد التعميم والتبسيط المخل بالظواهر والقضايا الاجتماعية والسياسية ، فى جميع المجالات وكل المستويات . وهذا ما يجعله يرى « العملة » دائما بوجهيها لا بوجه واحد .

ومن هنا فانه لا يرى « امريكا » كتلة واحدة ووجها واحدا . وانما هو يميز بين « **الوجه** » **الامبريالى الاحتكارى والعنصرى السائد ، فيشجبه** ويقاومه ، وبين « **الوجه** » **الديمقراطى المعـــادى للامبريالية والعنصرية** . بأشكال متعددة فيقدره ويرحب به على الرغم من وزنه الضـــعيف **فى** المجتمع الامريكى . بمعنى انه لا يخلط — مثلا — بين حركة البنتاجون ، جهاز الحرب والعدوان ، وبين حركة القوى الديمقراطيـــة فى الجامعات وداخل صفوف المثقفين ضد حرب فيتنام وغيرها من حروب امريكا المحـــدودة ، وضـــد التفرقة العنصرية .

وبعد هذا وذاك ، فان اليسار ليس من الغفلة **بحيث يتعامى عن ايجابيات الروح العملية النشطة للمواطن الامريكى فى حياته اليومية ، وعن التقدم العلمى والتكنولوجى الذى يتحقق بمستويات عالية فى امريكا** . ويعتبر ان هبوط رجل الفضـــاء الامريكى « نيل ارمسترونج » على القمر لاول مرة فى تاريخ البشرية عام ١٩٦٩ نصرا للانسانية كلها .

وليس هذا بالموقف الجديد فى التاريخ العام لليسار ، عالميا . فى العشرينات — مثلا — تحدث « لينين » ولا اظن ان احدا يستطيع ان يشكك او يزايد حول يساريته — عن معادلة ضرورية لنجاح البناء الاشتراكى فى الاتحاد السوفيتى ، فقال **انها « تفاعل الحركة العملية الامريكية مـــع الروح الثورية السوفيتية »** .

وإذن ، فموقف اليسار يتصب على العدوانية الامبريالية للنظام الامريكي واجهزته فحسب .

وهذا الموقف ، ليس موقفا عشوائيا او اعتباطيا . فتاريخ أمريكا مع مصر والمنطقة ، دام ومرير . ولسنا في حاجة الى عرض سجله الذي يزخر بالحصار والضغوط الاقتصادية ، والدعم العسكري والمالي والسياسي لاسرائيل ، الى درجة المشاركة الفعلية ، في عدوانها المتكرر على مصر وفلسطين والبلاد العربية .

اليوم ، تتقدم أمريكا بوجه جديد . وتتعهد ببذل اقصى جهد من أجل الوصول الى ما تسميه « حل سلمي عادل لازمة الشرق الاوسط » وتعترف — في وثيقه مشتركة مع السوفيت — بما يطلق عليه ، « المصالح المشروعة [لا الحقوق] للشعب الفلسطيني » . .

وحين تفشل اسرائيل ، مهمة كيسنجر الثانية للفصل بين القوات في سيناء في مارس ١٩٧٥ ، ينبري الرئيس فورد ووزير خارجيته بتوجيه ما يشبه اللوم العلني لاول مرة في تاريخ العلاقات الامريكية الاسرائيلية ، منذ حرب السويس عام ١٩٥٦ .

ولكنهما يعودان ، بعد أسابيع ، الى مطالبة كل من اسرائيل ومصر — على قدم المساواة ودون ما تمييز بين المعتدي والمعتدى عليه — بالمرونة والاعتدال — من أجل انجاح المساعي السلمية .

ويجري هذا كله تحت وابل من تصريحات يطلقها البيت الابيض ووزارة الخارجية ووزارة الدفاع ، **بالتهديد باحتلال منابع البترول العربية اذا ما** تجدد حظر تصدير البترول . وبالوعد والوعيد اذا نجحت منظمة التحرير الفلسطينية في حملتها السياسية لطرد اسرائيل المتجاهلة لقرارات الامم المتحدة من المنظمة الدولية .

وتعلن أمريكا — بعد دخولها الى المنطقة من خلال زيارات نيكسون وكيسنجر المتعددة لمصر وسوريا وغيرها من البلدان العربية — ان لديها **مخططا لتنمية اقتصاديات المنطقة العربية ومدها بوسائل التكنولوجيا المتطورة .**

ويسفر هذا المخطط في النهاية — وبعد حملة دعائية هائلة — عن ٢٥٠ مليون دولار لمصر ، فضلا عن مفاعل ذرى ، ومائة مليون دولار لسوريا .

ويتعثر هذا كله في دروب الكونجرس : الغى التعهد بالمفاعل الذرى ، ولم يتم اعتماد القروض الصغيرة الى مصر وسوريا الا بعد عام . وذلك في مقابل منح اسرائيل تعويضا قدره ٥٥٠ مليون دولار .

وفي الوقت نفسه ينهال الدعم العسكري من الترسانة المباشرة للجيش الامريكي على الجيش الاسرائيلي بلا حدود وباحدث الاسلحة . ولما روجعت امريكا في ذلك قالت « ان هذه وسيلة خاصة من وسائل الضغط على اسرائيل . وذلك بما توفره هذه الاسلحة من شعور بالامن لديها ، لتتماشى مع خطوات السلام ! » .

في اطار هذه الحركة الامريكية الجديدة المزدوجه بين اسرائيل وبين العرب عامة ومصر خاصة ، تقدم واشنطن نفسها « وسيطا » احيانا ، « وحكما » أحيانا أخرى ، في الصراع العربي الاسرائيلي .

بيد أن هذا الترابط العضوى بين امريكا واسرائيل ، والذى تكشفه وقائع حركتها الجديدة نفسها ، يجعلها طرف أصيل في الصراع ، وينفي عمليا ، ما تدعيه واشنطون ، نظريا عن القيام بدور « الوسيط » أو « الحكم » .

أى دور اذن تؤديه امريكا اليوم ؟

الحقيقة ان الدور يتحدد أساسا في دور « **المنقذ** » لاسرائيل وللمصالح الامريكية نفسها من « المازق التاريخي » الذى وقعتا فيه بفعل حرب اكتوبر من ناحيه ، والانتكاسات الامريكية في آسيا من ناحية اخرى ، والقيود التي اصبحت تلجم حركة « العم سام » العدوانيه الى حد غير قليل ، نتيجة تصدعات حلف الاطلنطي وروادع سياسة التعايش السلمي من ناحية ثالثة .

ماذا يعنى هذا كله ؟

يعني اول ما يعنى ، ان أمريكا صاحبة الذراع الامبريالية الطولى في العالم منذ الخمسينات حتى بداية السبعينات ، قد قصرت يدها وضعفت نسبيا . وأصبح محتما عليها ان تتكيف بأقصى سرعة ممكنة ، مع ظروف العصر الجديد . وتنقذ ، ما يمكن انقاذه من مصالحها واحتكاراتها وقواعدها .

باختصار ، انها تتحول ، بعملية شاقة وعسيرة ، من « **امبريالية مطلقه الحركة في الحرب الباردة** » الى « **امبريالية مقيدة في التعايش السلمي** » . بتعبير ادق الى « امبريالية آخر القرن » .. وآخر القرن ، على الارجح ، **هو موعد الموت التاريخي** لكل الامبرياليات .

من هنا نرصد على الحركة الامريكية الجديدة في منطقتنا ، اربع خطوات رئيسية :

■ **اولا : محاولة تعويض خسائرها الفادحة في آسيا** ، وفقدان سيطرتها الاستراتيجية على مواصلات وأسواق وموارد المحيط الباسفيكي. وذلك بتواجد أكثر أمنا في منطقة الشرق الاوسط يتيح لها الحد الادنى — على الاقل — من السيطرة الاستراتيجية على مواصلات واسواق وموارد البحر الابيض المتوسط .

■ **ثانيا : التحكم الى أقصى حد ممكن في انتاج وتسويق البترول العربي والايراني** . وخاصة في منطقة الخليج التي أصبحت أهم منابع البترول في العالم ، بما ينتجه سنويا من مليار ونصف مليار طن . وهو المنبع الذي تعتمد عليه أمريكا ذاتها ، بصفة اساسية في تغطية وارداتها البترولية المتزايدة حتى آخر القرن . فضلا عن ان تحكمها في هذا المنبع ، يتح لها استعادة وزنها الضاغط والمؤثر على التمرد الاوروبي والياباني ، والمعتمد على هذا المنبع من البترول . ويمكنها من اعادة تنظيم التحالف الغربي من جديد تحت سيطرتها . وذلك في عصر التعايش السلمي الذي تقام خلاله جسور متزايدة بين أوروبا الاشتراكية وأوروبا الرأسمالية ، بتكتلاتهما الاقتصادية .

■ **ثالثا : التخفف — ما أمكن — من العبء الباهظ ، الذي يثقل كاهل الاقتصاد الامريكي المتأزم ، الناتج عن اعالة اسرائيل عسكريا واقتصاديا ، دون ما حدود** . في الوقت الذي اصبح هذا العبء لا يقابله «عائدمربح» كما كان الوضع من قبل حرب اكتوبر ١٩٧٣ . ولكن هذا التخفف يجري تحت شرط أساسي ، وهو الحيلولة دون الثورة الفلسطينية المعاصرة وتحقيق امدافها البعيدة المدى في بناء الدولة الديمقراطية البديلة للكيان الاسرائيلي، من ناحية. **اواهدافها** القصيرة المدى في اقامة الدولة الفلسطينية على كل أرض تحرر من فلسطين ، من ناحية أخرى . **لماذا** ؟ لان ذلك سوف يكرر ، بطريقة وظروف اخرى في المنطقة العربية «تضيةكوبا» في أمريكا اللاتينية . بل وعلى نحو اشد خطرا والتهابا ، **بسبب وقوعها في قلب منابع البترول** .

■ **رابعا : تأزيم العلاقات العربية السوفيتية**. مستفيدة من الخلافات التي تقوم بين مصر والاتحاد السوفيتي . وذلك بتقديم نفسها « كصديق بديل » ولكن دون محاربة مكشوفة وعلنية للوجود السوفيتي في المنطقة ، حتى لاتخل بأسس التعايش السلمي ، التي لامفر أمامها ، في ظروف علاقات القوى الدولية الراهنة ، من قبولها والاذعان لقواعدها الاساسية الى حد كبير .

في هذا الضوء يتخذ التكتيك الامريكي — اليوم — عددا من الاجراءات التي كان قد امتنع عن اتخاذها من قبل في المنطقة ، يمكن أن نجمل اهمها في نقاط أربع :

● الكشف ، بطريقة سافرة حينا وايحائية حينا آخر ، **عن عدم تطابق السياسات الامريكية والاسرائيلية تجاه ما يسمى « بالحل السلمي لازمة الشرق الاوسط »** . ففي الوقت الذي يصرح فيه فورد وكيسنجر ، « بأن الولايات المتحدة ستعيد تقييم سياستها في الشرق الاوسط على أساس مصالحها القومية دون أي اعتبار آخر » . يصرخ رابين — رئيس وزراء اسرائيل — في وجه واشنطون من خلال التليفزيون الامريكي « لا تعاملونا كما عاملتم فيتنام الجنوبية » .

● الموافقة على **صياغة علاقات جديدة بين المصالح الامريكية ومصالح البلدان العربية المنتجة للنفط** ، بدلا من الصياغات الاحتكارية التقليدية . وذلك على اساس المشاركة التي تتطور الى بيع أسهم الشركات الامريكية بالكامل الى الحكومات العربية مقابل حصول « البائع » على امتيازات تفضيلية .

● **فتح قنوات ومنابر أوسع نسبيا** امام مصر والبلاد العربية لمخاطبة الرأى العام الامريكي في خصوص الصراع العربي الاسرائيلي، وازالة عدد من القيود التي كانت مفروضة من قبل في هذا المجال .

● رفع الحظر عن توريد عدد من **السلع الغذائية كالقمح والزيوت الخ الى مصر وبعض** الدول العربية التقدمية .

● الظهور بمظهر المشجع **للبنك الدولي** على المساهمة بنسبة اكبر من المعتاد ، في تمويل عدد من المشروعات — بما في ذلك بعض المشروعات الصناعية أحيانا — وخاصة تلك التي ترتبط بالبترول من بتروكيماويات وخطوط أنابيب الخ ...

أن مثل هذه الخطوات الاربعة ، باجراءاتها الاربعة ، تحدد حجم ونوعية « المأزق الامريكي » المعاصر في المنطقة .

ولعل هذا المأزق ، ينبع عن تناقضين رئيسيين ■

■ **التناقض الاول** ، يتحدد في ان المصالح التي تستهدف الولايات المتحدة تحقيقها وانقاذها ، يستلزم قيامها بدورها التقليدي كامبريالية الحرب الباردة الكبرى . في حين أن دورها كامبريالية مقيدة بقواعد التعايش السلمي ، قد تقلصت تدراته.لدرجة ان بلدا متناهي الصغر «كأبوظبي» لا يزيد عدد سكانه عن ربع مليون نسمة ■ يحظر تصدير نفطه الى الولايات المتحدة ويستمر في التهديد بالحظر اذا اندلعت الحرب الخامسة العربية الاسرائيلية ، ولا تجد واشنطون للرد على

ذلك سوى التهديد باحتلال منابع البترول بصفة عامة . وكل العالم يعرف ان تنفيذ هذا التهديد هو فوق قدرة امريكا الراهنة ، فضلا عما يجره عليها من كارثة محققة باعتراف كثير من رجالها الاستراتيجيين .

■ **التناقض الثاني** ، يتركز في ان حماية مصالحها الاستراتيجية ، تستلزم بقاء اسرائيل قوية كقاعدة عسكرية في شكل دولة . في حين ان هذه المصالح نفسها قد غدت مهددة — عربيا — بصورة جادة وملحة ، اذا ظلت « اسرائيل » قوية كقاعدة عسكرية مدعمة من الولايات المتحدة .

ومن هنا ، فانه على الرغم من وضوح الاستراتيجية الامريكية واهدافها في المنطقة ، الا انها بفعل تغير ميزان القوى المحلية بفعل حرب اكتوبر ، وبفعل تغير ميزان القوى العالمي نتيجة انتصار فيتنام وكمبوديا والتعايش السلمي .. فانها لم تستقر بعد على التكتيكات النهائية الواجب استخدامها في المستقبل المنظور ، لتحقيق وضمان استراتيجيتها .

ولان الازمات الداخلية تعصف بها ، منذ فضيحة ووترجيت ، وارتفاع نسبة التضخم والبطالة .. ولان عامل الوقت — كما يقرر فولبرايت رئيس اللجنة الخارجية السابق بمجلس الشيوخ — يلعب في غير صالحها ، فانها مترددة حائرة في الاختيار بين عدة تكتيكات . ولهذا راحت تجربها كلها في وقت واحد ، عسى ان ينجح واحد منها فتمضي به الى النهاية .

■ **التكتيك الاول** ، احداث انقلاب صامت في المؤسسة العسكرية السياسية الحاكمة في اسرائيل . وذلك بهدف أن يتولى قيادتها عناصر موالية « مائة في المائة » للسياسة الامريكية الجديدة ذات الدبلوماسية اللينة . تتجاوب مع الحد الادنى من مطالب مصر وحلفائها من دول البترول العربية الغنية في شأن « الحل السلمي العادل » . وقد تم بالفعل — غداة حرب اكتوبر — احداث الانقلاب الامريكي الصامت . وقفز الى السلطة « اسحق رابين » ، رئيس اركان الحرب الاسرائيلي خلال حرب ١٩٦٧ وسفير اسرائيل السابق بواشنطن . غير ان « **رابين** » فشل في مسايرة الخط الامريكي . ولهذا عاد التخطيط الامريكي يعمل من اجل احداث انقلاب آخر . وراح ينفخ من جديد في « روح » **ابا ايبان** وزير الخارجية السابق الذي عاود نشاطه ، فجأة ، متهما **رابين** بالضعف والتردد حتى ليدفع بالعلاقات الامريكية الاسرائيلية الاستراتيجية الى حافة الخطر ، وأخذ يكتل اعضاء المؤسسة

من حوله تحت شعار « **حمائم في مجال الانسحاب ، صقور في مجال السلام** » .

■ **التكتيك الثاني** ، العمل على اقامة صداقة أمريكية مصرية سعودية ايرانية ، تكون قوة حامية للمصالح الامريكية في المنطقة ، وبحيث تقلل من الاعتماد الكلي على اسرائيل . غير أن هذا التكتيك يصطدم بالقوى الراديكالية العربية والايرانية عامة ، والثورة الفلسطينية خاصة . فضلا عن مقاومة اسرائيل له ، وذلك على اساس انه — على حد تعبير صحيفة هتسوفيه الاسرائيلية في الرابع والعشرين من مارس ١٩٧٥ — « رغم أنها تضع في حسابها مصالح الولايات المتحدة لتدعيم نفوذها في المنطقة ، الا أنها تضع الى جانب ذلك معطيات أمنها ...

■ **التكتيك الثالث** ، احياء مشروع « الشرق الاوسط الصغير » ، الذي يضم — في علاقات تجارية ومصرفية وسياحية — كلا من اسرائيل والاردن ولبنان ، بحيث يتواجد — لاول مرة في المنطقة — نواة كيان عربي اسرائيلي ، يرتكز الى مصالح اقتصادية مشتركة ، يمكن مع الوقت توسيعه ليشمل دولا أخرى .

بيد أن العقبة الاساسية التي يصطدم بها هذا المشروع ، هو تواجد الثورة الفلسطينية في لبنان ونموها البشري والسياسي والعسكري عربيا . ومن هنا كان اشعال حريق الدم الرهيب في لبنان في ابريل ١٩٧٥ ، وعلى مدى ثلاثة شهور كاملة ، لتحطيم هذه العقبة ولوى ذراع لبنان للقبول بالمشروع . لكن الثورة وشعب لبنان تمكنا من اخماد هذا الحريق .

• • •

في اطار هذا التحليل ، يرى اليسار المصري « الخطر الامريكي » « والمأزق الامريكي » ، وجهين لعملة واحدة في نفس الوقت .

ومن خلال هذه الرؤية ، يفهم اليسار أن « الحديد الامريكي ساخن » بالفعل للطرق . ولكن كيف يكون الطرق ؟

من الطبيعي استبعاد اسلوب قطع العلاقات مع الولايات المتحدة ورفض الاتصال بها . **فهذا أسلوب « حماسي عاطفي » لم يجد شيئا** . لانه من غير الممكن تجاهل امريكا ووزنها — في المنطقة وفي العالم — رغم كل ما اصابها ، بمجرد اغماض

العين عنها . والثورة الفيتنامية لم ترتكب هذا الخطأ ، مرة واحدة ، خلال نضالها البطولى ، رغم كل ما ارتكبته أمريكا فى حقها من جرائم بربرية .

طرق الحديد الامريكي الساخن اذن **لا يعنى عدم الإتصال والتباحث مع امريكا** . لكن هذا الاتصال والتباحث **لا يعنى فى الوقت نفسه قبول امريكا كوسيط أو حكم فى صراعنا مع اسرائيل** ، الذى **هو فى جوهره صراع مع الامبريالية الامريكية ذاتها** . وانما يجرى الاتصال والتباحث **بالاسلوب الفيتنامى الدبلوماسى الثورى** ، الذى ثبت نجاحه، وذلك على مستويين فى وقت واحد . مستوى **مائدة المفاوضات** . ومستوى **الحركة الضاربة والمهددة للمصالح الامريكية والعدوان الاسرائيلى معا** ، بحيث نزيد من خناق « مأزقها » .

والترجمة العملية ، فى واقعنا وظروفنا الراهنة لهذا الاسلوب ، **تكون بالتفاوض مع « أمريكا » من منطلقاتنا الاساسية كحركة تحرير وطنية عربية شاملة .**

واذا كان من غير المتاح — حاليا — قيام مصر وسوريا بشن هجوم عسكرى جديد ، فان البديل يتحدد فى اتجاهين :

■ **الاتجاه الاول ، هو فى الاستعداد العسكرى المرئى والرادع ، لمصر وسوريا ، فى مواجهة العسكرية الاسرائيلية ، التى لا مفر — بحكم طبيعة الصراع — من الصدام معها فى جولة خامسة .**

■ **والاتجاه الثانى ، هو تمتين الثورة الفلسطينية بقدراتها النضالية ، التى تأكدت بضرباتها الموجهة الاخيرة فى العمق الاسرائيلى ، من مضاعفة نشاطها العسكرى والسياسى معا . وذلك بتوفير حرية الحركة الامنة لها داخل الارض العربية ، ودعمها بمزيد من الامكانيات المادية والعسكرية .**

○ الموقف مع الاتحاد السوفيتى

بروز خلافات سياسية بين النظام المصرى والنظام السوفيتى ، ليس بالمفاجأة التى تداهم اليسار المصرى ، من حيث لا يدرى او يحتسب . على العكس . كان الخلاف — وما يزال — امرا واردا ومتوقعا — بدرجات متفاوتة — من حين لاخر .

بتعبير آخر : اليسار المصرى ، على عكس تصور خصوم واعداء قيام صداقة استراتيجية مصرية سوفيتية ، يقيم هذه الخلافات على أنه « ظاهرة طبيعية » فى نشأتها وحدوثها . سواء فى الماضى ، منذ عقد الرئيس « عبد الناصر » صفقة الاسلحة التشيكية عام ١٩٥٥ ، ثم اشتبك فى خصومة علنية مع « نيكيتا خروشوف » عام ١٩٥٨ . او فى الحاضر ، منذ عقد الرئيس « السادات » معاهدة الصداقة والتعاون مع الاتحاد السوفيتى عام ١٩٧١ ، ثم انهى مهمة الخبراء العسكريين السوفييت عام ١٩٧٢ .

وينطلق اليسار المصرى ، فى هذا التقييم ، من الواقع الحى ، وعدم القفز على الحقيقة الموضوعية ، التى تؤكد وجود تمايز جوهرى — ايدلوجى واجتماعى — بين كل من المجتمعين المصرى والسوفيتى ، وبالتالى تمايز نوعى فى الطبيعة الطبقية والفكرية للقيادة السياسية التى يفرزها كل منهما ، وتباين مناهج الرؤية والتحليل التى تمارسها كل من القيادتين — بمؤسساتها المختلفة — ازاء المشاكل والقضايا التى تواجههما ، على المستوى المحلى والمستوى الدولى معا .

كيف ؟

الاتحاد السوفيتى ، نتاج أول ثورة اشتراكية بالمفهوم الماركسى اللينينى ، فى التاريخ الانسانى ، تستهدف — فى المدى الطويل — بناء نظام شيوعى . ولقد انتهت هذه الثورة — حتى الان — الى تكوين مجتمع اشتراكى لا طبقى ، يقوم على أساس تحالف بين الطبقة العاملة المسيطرة وبين الفلاحين . والسلطة فى هذا المجتمع — بجميع اجهزتها — هى تعبير عن « دكتاتورية البروليتاريا » ، التى تصفى أسس وكيانات كل الطبقات ، وتصادر ما كانت تتمتع به من حريات وحقوق وامتيازات ، لصالح الطبقة العاملة .

فى حين ان مصر المعاصرة ، هي وليدة ثورة يوليو ، التى استخدمت — لاول مرة فى العالم الثالث — أسلوب الانقلاب العسكرى فى احداث ثورة وطنية . تقودها طليعة الطبقة الوسطى فى القوات المسلحة والمجتمع . التحمت بالجماهير الشعبية ، وذلك من أجل انجاز التحرر السياسى والاقتصادى . وتصفية طبقتى كبار ملاك الاراضى والرأسمالية الكبيرة ، دون بقية الطبقات الاخرى . وفى هذا المجتمع

ظلت السلطة — عامة — فى أيدى الطبقـــة الوسطى وكوادرها الوطنية ، مستندة الى قاعدة جماهيرية عريضة ، اتخذت شكل تحـالف عام غير حزبى ، ترفض المجتمع اللاطبقى ودكتاتورية البروليتاريا . وتحرص — دوما — على تمييز « اشتراكيتها » التى تقرب الفوارق بين الطبقات، عن « الاشتراكيـة الماركسـيـة » التى تلغى الطبقات .

بجانب هذه الحقيقة التى « تميز » النظـام المصرى عن النظام السوفيتى ، هناك حقيقـة اخرى « تجمع » بينهما فى ساحة عمل مشترك .

مرة اخرى ، كيف ؟

ان « مصر المعاصرة » ، فى سعيها لتحقيق استقلالها السياسى والاقتصـادى ، وتنميـة مجتمعها المتخلف ، ونقله من مرحلة الزراعة الى مرحلة الصناعة ، اصطدمت اصطداما عنيفـا بالامبرياليـة العالميـة واحتكاراتهـا ومراكزها العدوانية ، سواء فى شكل قواعد واحـلاف عسكرية [قواعد السويس وعدن وليبيا وحلف بغداد] او فى شكل دولة عنصرية توسـعية [اسرائيل] .

على ساحة هذا الصدام التاريخى ، تم اللقاء بين «مصر — يوليو» وبين «الاتحاد السوفيتى»، فى مواجهة نفس الاعداء .

ورغم اختلاف منطلقات واهداف كل منهما ، فان مصر وجدت فى الاتحاد السوفيتى اقـوى نصير عالمى لها ، سياسيا واقتصاديا وعسكريا . كما ان الاتحاد السـوفيتى وجـد فى « مصر يوليو » ، بمـا تتمتع به من مركز جغـرافى حساس وثقل مؤثر فى منطقة الشرق الاوسط والعالم العربى ، حليفا قـويا قادرا بحركتـه التحررية التقدمية ، على تأمين تطهير هذه المنطقة الاستراتيجية من النفوذ الاستعمارى . والحد من خطر استخدام اراضيها ، التى تعتبر «بطن الاتحاد السوفيتى » ، قواعد للعدوان عليه .

● ● ●

هكذا ، قامت على اساس « حقيقة التمايز » فى نوع المجتمع والسلطة من ناحية ، وحقيقة التوحد » فى العمل والاهداف ضد الامبرياليـة والعنصرية الصهيونية والتخلف من ناحية اخرى، اول واخطر علاقة من نوعها — ذات طـابع استراتيجى خاص — بين اكبر نظام اشتراكى ماركسى لينينى ،وبين أكبر نظام وطنى تقـدمى فى العالم العربى والشرق الاوسط .

وبقـدر ما كانت « الحقيقـة الاولى » تثير الخلافات بين النظامين والقيادتين ... بقـدر ما كانت « الحقيقة الثانية » تلحم بينهما وتشد احداهما الى الاخرى بروابط الصداقة والتعاون .

على انـنـا يجب ان نضيف الى هاتين الحقيقتين، « حقيقة ثالثة » كان لها دوما — وما تزال — تأثيرها وانعكاساتها ، الايجابية والسلبية معا، على مسار العلاقات المصرية السوفيتية . ونعنى بها مدى « المسئولية العالمية » لكل من البلدين فى ممارسة حقوقه وواجباته الاستراتيجيـة ، على المستوى السياسى العملى .

ان مسئولية الاتحاد السوفيتى — فى صراعه مع الامبريالية العالمية — تتجه فى شمول عام نحو الحد من النفوذ الامـريكى وحصـاره ، وفرض مبادىء التعايش السلمى فى العلاقات الدولية ، درءا لخطر الحرب النووية . والعمل من أجل انتصار النظام الاشتراكى على النظام الرأسمالى . وحماية ودعم البلدان الاشتراكية فى أوروبا وآسيا ، وحركات التحرر الوطنى وبلدانها المستقلة فى افريقيا واسيا وامريكـا اللاتينية ...

باختصار هى مسئولية ، دولة عظمى ، تجاه حاضر ومستقبل العالم كله .

ومن الطبيعى ان الاتحاد السـوفيتى ، فى ترجمته العملية لهذه المسئولية يضع استراتيجية وتكتيكاته على اساس جدول معين من الاولويات، يراعى فيـه اول ما يراعى ، حمـاية السلم العالمى على اساس مبادىء التعايش والانفراج الدولى وامنه وامن المعسكر الاشتراكى ، وفاعلية وتقدم كل من حركات التحرر الوطنى والحركات الاشتراكية فى العالم .

اما مسئولية النظام المصرى ، فانها تتحـدد — اساسا — فى مواجهة مشاكله المباشرة من تأمين الاسـتقلال، وحـل القضـايا الاقتصـادية والاجتماعية الملحة ، وتحـرير الارض المحتلة . وذلك فى اطار حركة التحرر الوطنى وبلدانهـا فى العالم الثالث ، واتخـاذ موقف الحيـاد الايجابى وعدم الانحياز الى أى من المعسكرين الاشتراكى أو الراسمالى . بمعنى ان حـدود المسئولية العالمية لمصر ، اضيق نطاقا بالضرورة من مسئوليات الاتحاد السوفيتى الاممية الطابع .

وفى ترجمة « مصر — يوليو » لهذه المسئولية العالمية ، كان ضروريا ان تنظم جدولا خاصـا بأولويات المشاكل ، تركز فيه اول ما تركز ، على « الخاص من قضاياها » : الاستقلال والتنمية الاقتصادية فى مواجهـة العـدوان الامبريالى الصهيونى ، تواجدها وترابطها العضوى بالوطن العربى ، تكوين جبهة واسعة من بلدان العـالم الثالث فى حدود سياسة الحياد وعدم الانحياز .

وبسبب عدم التطابق — الكمى والنـوعى، الزمنى والتنظيمى — بين بنود جدول الاولويات لكل من مسئوليات مصر والاتحاد السوفيتى ،

كان لا مفر ايضا من وقوع خلافات صغيرة أو كبيرة فى هذا المجال .

من هنا ، يمكن القول بان العلاقات المصرية السوفيتيةمحكومة — موضوعيا وبغض النظر عن المشاعر الذاتية والعلاقات الشخصية بين قيادات البلدين — بحصيلة التفاعل الموضوعى بين هذه الحقائق الثلاث : ● حقيقة التمايز النوعى بين النظامين . ● حقيقة اللقاء على الساحة المشتركة . ● حقيقة تعدد جداول الاولويات فى ممارسة المسئولية الوطنية والدولية .

وبدهى أن هذه الحصيلة ، تتفاوت بالضرورة فى نتائجها من وقت لاخر . وذلك بحسب الوزن الذى تمثله كل حقيقة من هذه الحقائق ازاء الاخريات ، فى ظرف معين وقضية معينة .

ومع ذلك ، فانه يتبين من استقراء حركة الاحداث ، ان تجارب البلدين — فى السلم والحرب — قد عمقت ، نسبيا ، من جذور حقيقة اللقاء على الساحة المشتركة ، وذلك بالقياس الى جذور الحقيقتين الاخريتين .

ولعل هذا ما يفسر ،انه رغم موجات الخلاف التى ثارت وازبدت ، بين آن وآخر ، فى بحر الصداقة المصرية السوفيتية ، الا انها — بصفة عامة — تكسرت أو انحسرت او توقفت عند شواطىء « جزيرة اللقاء التاريخى المشترك » .

● ● ●

اذا استخدمنا هذه الرؤية الفكرية ، فى امتحان وتقسيم التجارب العديدة فى العلاقات المصرية السوفيتية المعاصرة ، على مدى السنوات العشرين الماضية [من ١٩٥٥ حتى ١٩٧٥] فاننا نستطيع ان نصوغ قانون حركة هذه العلاقة فى خطين اساسيين :

● ازاء التمايز بين النظامين المصرى والسوفيتى ، لا مفر من وقوع خلافات . ولكن فى اطار صداقة لا بديل ، متاح أو ممكن لها ، موضوعيا . سواء بالنسبة لمصر ، أو بالنسبة للسوفيت .

● فى كل مرة ثار الخلاف ، وبدأ أنه يهدد باحداث صدعفى بناء الصداقة ، تضافرتجهود الطرفين — المباشرة وغير المباشرة — عند نقطة الخطر ، فى سبيل تجميده ثم تسكينه ثم علاجه بفعل حيوية المصالح المشتركة ،والانطلاق بالعلاقة — بعد ذلك — الى مستوى افضل، عما كانت عليه قبل وقوع الخلاف .

هكذا مضت حركة الصداقة المصرية — السوفيتية دائما : من توافق الى خلاف .. الى توافق اشد الى خلاف اكبر .. الى توافق أوسع .. الخ ..

قبيل عام ١٩٥٥ ، كان عبد الناصر دائم التنديد بما يسميه الاستعمار السوفيتى . وكتب بنفسه مقدمة كتاب فى سلسلة « كتب اخترنا لك » التى كانت تصدرها مصلحة الاستعلامات ، هاجم فيها بقسوة « الشيوعية السوفيتية » وخطرها على مجتمعات الثورة الوطنية . ورفع شعار « لا شرق ولا غرب » . غير انه فى عام ١٩٥٥ ، اصطدم بالعدوان الاسرائيلى على غزة وامتناع الولايات المتحدة عن تسليح الجيش المصرى . والتقى ، فى مؤتمر باندونج ، مع الاتحاد السوفيتى وعقد صفقة الاسلحة . ثم كان الانذار السوفيتى الشهير عام ١٩٥٦ ضد العدوان البريطانى الفرنسى الاسرائيلى على مصر بسبب تأميمها لقناة السويس . وبدأت بذلك أول مرحلة فى تاريخ الصداقة المصرية السوفيتية المعاصرة .

فى عام ١٩٥٨ ، تفجر خلاف علنى حاد بين « عبد الناصر » و « خروتشوف» واتهم الرئيس المصرى الرئيس السوفيتى بأنه يؤلب الشيوعيين فى سوريا ومصر ضد وحدة البلدين خاصة والوحدة العربية عامة . غير أنه لم تمض شهور معدودة حتى عادت المياه الى مجاريها ، اكثر صفاء . وتم توقيع عقود بناء السد العالى بأسوان ، الذى كان — وما يزال — يمثل اكبر تحد للثورة المصرية فى وجه الامبريالية العالمية .

فى عام ١٩٦٧ ، قبيل اندلاع حرب الايام الستة ، ثار الخلاف بين مصر والاتحاد السوفيتى حول مخاطر دفع التوتر المصرى الاسرائيلى الى حافة الحرب . بيد انه عندما وقعت الحرب وحاقت الهزيمة بمصر وسوريا ، اشتدت اواصر العلاقات المصرية السوفيتية من جديد . ونشط السوفيت ، عسكريا وسياسيا واقتصاديا ، الى مساندةمصر فى محنتها ،بدعم فاق دعم السوفيت الى عدد من البلدان الاشتراكية .

فى عام ٦٩ — ١٩٧٠ ، توترت العلاقات المصرية السوفيتية من جديد ، بسبب الخلاف حول طرق مواجهة الغارات الاسرائيلية على العمق المصرى [مصنع ابو زعبل ومدرسة بحر البقر وجسور الصعيد] ، بيد ان هذا التوتر زال بعد استجابة الاتحاد السوفيتى الى طلبات مصر الخاصة بالصواريخ المتطورة ، وبايفاد مجموعة كبيرة من الخبراء العسكريين السوفييت ، لتدريب القوات المسلحة المصرية والمساهمة فى اعادة بنائها على نحو يواكب التطورات الحديثة فى الحروب . ولاول مرة فى تاريخ الاتحاد السوفيتى ، أرسل جنوده الى بلد غير اشتراكى ، يعملون ويسقطون شهداء تحت علم غير علمه الاحمر .

فى عام ١٩٧١ ، بعد وفاة عبدالناصر وحسم الصراع على السلطة لصالح الرئيس السادات

ضد ما سمى بمراكز القــوى ، هبت عواصف تداخلت فيها رياح متعددة الاتجاهات ، زعزعت من استقرار العلاقات المصرية السوفيتية .غير انه ما كاد شهر مايو من نفس العام يقترب من نهايته ، حتى كان الطرفان قد عقدا معــاهدة للصداقة والتعاون لمدة خمسة عشر عاما ، كانت الاولى من نوعها فى تاريخ الاتحــاد السوفيتى وحركات التحرر الوطنى .

فى عام ١٩٧٢ ، تصاعدت موجات شديدة من الخلاف حول كفاية وكفاءة الاسلحة السوفيتية الموردة الى مصر ، وانتهت الى اصدار الرئيس الســادات لقراره فى يوليو من نفس العام ، بانهاء مهمــة الخبراء الســوفيت . وبدا الامر يتجسد فى شكل يقرب من القطيعة الكاملة بين البلدين . ولكن ما أن اشتعلت حــرب اكتوبر ١٩٧٣ ، حتى انشأ الاتحاد الســوفيتى جسرا جويا يحمل امدادات الاسلحة الى مصر . وعاد اللقاء بين البلدين ، سياسيا وعسكريا ، الى درجــة أن « الســادات » اشــاد بالســلاح السوفيتى وعون الصديق ، فى حين هــــدد « بريجنيف » بالتدخل السوفيتى المنفرد ، اذا لم تذعن اسرائيل لقرار مجلس الامن رقم ٣٣٨ بوقف اطلاق النار .

• • •

اليوم ، تجددت الخلافات المصرية السوفيتية حول مفهوم الطريق الى « حل سلمى عادل» . وموقع سياسة الخطوة خطوة الامريكيــة ، من مؤتمر جنيف وتاريخ عقده ونوعية اطرافه وجدول أعماله وكيفية عمله .

وفى الوقت الذى يطالب فيه الاتحاد السوفيتى بموقف عربى موحــد [مصرى — ســورى — فلسطينى] يجرى التنسيق بينــه وبين الموقف السوفيتى لمواجهة التنسيق الاسرائيلى الامريكى، فان مصر ترفض العودة الى ما تسـميه «حالة الاستقطاب » لطرف عربى — سوفيتى ، مقــابل طرف اسرائيلى — امريكى . وترى انه بتعاملها « المباشر مع امريكا ، التى تملك اكبر قــوة ضاغطة على اسرائيل ، تحــول بين عودة حالة الاستقطاب والجمود فى الموقف . وتطالب مصر، فى نفس الوقت ، الاتحاد السوفيتى بتعويضها عن خسائر الاسلحة التى فقدتها خلال حــرب اكتوبر مثلما حدث مع ســوريا ، ومثلما فعلت امريكا مع اسرائيل على نحو مضاعف . كمــا تطالب باعادة جدولة الديون ، بما يمنح مصرفترة سماح ، تتوقف فيها عن ســداد الاقســــاط المستحقة .

أما الاتحاد السوفيتى ، فيطالب ببحث جميع هــذه الخلافات فى اطار معــاهدة الصــداقة والتعــاون بين البلدين ؟ وليس تحت ضغط الحملات السياسية والصحفية المعــادية له . ويرى أنه بحكم طبيعة نظامه الاشتراكى وتاريخ علاقاته مع مصر ، لا يمكن ان يوضع على قــدم المساواة مع الولايات المتحدة الامريكية فى علاقتها الجديدة مع مصر .

والواقع ان الجــديد فى خــلافات ١٩٧٥ ، المصرية السوفيتية عن كل ما سبقها من خلافات، هو ذلك التواجــد النشط للولايات المتحدة فى المنطقة بعد حرب اكتــوبر . والذى تحــاول واشنطون من خلاله ، احراز كسب فى الشرق الاوسط يعوضها عن هزيمتها فى الشرق الاقصى. وامريكا فى هذا السبيل تمارس مايمكن ان يسمى « **بدبلوماسية اقتحــام** » سريعــة الحــركة ، تستهدف من ورائها تبييض وجهها التقليدى القبيح فى المنطقة ، وانعاش القــوى الاجتماعيــــة الجديدة الناشئة ذات الطموحات الراسماليــــة الطفيلية .

فى حين ان الاتحاد السوفيتى التزم ، الى حد كبير ، « **بدبلوماسية الصمت الدفاعية**» البطيئة الخطوات ، مستندا الى رصيده الايجــابى فى المنطقــة ، والى انه — فى الواقــع — ليس ضد اقامة علاقــات ودية بين مصر والولايات المتحدة . ولكنه فقط — ضد المساواة فى النظرة واساليب التعامل بينه وبين الولايات المتحــدة وانه دولة امبريالية اخرى ، لمجرد انــه مثــل أمريكا — قدرة وطاقة — قوة عظمى نووية .

• • •

ليس من شك فى ان هذا « العامل الامريكى الجديد » يعقد ويعمق من الخلافات الراهنة بين مصر والاتحاد السوفيتى . وذلك على نحــو غير مألوف — تاريخيــا — منذ عشرين عاما . **ومن هنا يبرز التساؤل عمــا اذا كانت هــذه الخلافات ، خارجة ومتمردة ، على حكم القانون الموضوعى لحركة العلاقات المصرية السوفيتية؟**

رغم التسليم ، بجدية وجــدة ، الخــلافات الراهنة ، ودور العــامل الامريكى النشيط فى الموقف ، فان اليســار المصرى لا يعتقد — مع ذلك — ان معالجة هذه الخلافات تستعصى على حكم القانون التاريخى .

ليس هذا الاعتقاد ، وليد التمنيات المتفائلة، وانما هو مبنى على معطيات الواقع الحى واكثر احتمالاتها رجحانا ، بحساب اتجاه حركة الاحداث فى المستقبل المنظور .

كيف ؟

ان « العامل الامريكى الجديد » ، لا يتحرك دون قيود . فهو ، **أولا** ، يأتى اليوم فى ظروف الانفراج الدولى والتعايش الســلمى ، لا فى

ظروف الحرب الباردة . وهو ، ثانيا ، يتعامل مع نظام وطنى ، ليس من المستطاع أن يفرط فى استقلاليته والا فقد مبرر وجوده . وهو ، ثالثا ، يواجه بصد عدائى قوى من قوى عديدة فى العالم العربى ، مشحونة بالشك والريبة. وهو ، رابعا ، يرافق تغييرا فى سياسة المقاطعة الكاملة للاتحاد السوفيتى التى كانت تنتهجها بعض النظم العربيةالمحافظة والتقليدية، نحو سياسة اقتراب محدودة .

وهذا يعنى أن « العامل الامريكى الجديد » ليس فى قدرته — فى هذا المناخ — ان يجبر العالم العربى ودوله — بطريقة فوستر دلاس فى بدايةالخمسينيات — على الاختيار القطعى: واشنطن أو موسكو .

والعامل الامريكى الجديد ، وان كان يبدو اليوم فى أوج نشاطه ، لان الامر ما برح فى حدودمحاولة الخروجمن مأزق حرباكتوبروازمة الطاقة ، باسرع وقت ممكن عن طريق عمليات فصل بين القوات العربية والاسرائيلية وتحقيق انسحابات جزئية من الارض المحتلة . ولكنه من المحتم ان يصطدم فى النهايةبجوهر الصراع العربى الاسرائيلى وطبيعة ما يسمى بالتسوية السلمية للصراع ، داخل او خارج مؤتمر جنيف. وهذه التسوية تعنى مصريا — على الاقل — تحرير كل الارض العربية المحتلة فى ١٩٦٧ واقامة السلطة الوطنية الفلسطينية على الجزء المحرر من فلسطين .وفى هذا الصدام المتوقع، فان الولايات المتحدة لن تستطيع ان تتخلىنهائيا عن علاقاتها الاستراتيجية الخاصة باسرائيلفى المنطقة .

فى حين أن الاتحاد السوفيتى ، يظل دائما، متحررا من كل قيد — تقريبا — فى حركته المساندة للثورة الفلسطينية ، ولاستعادة مصر وسوريا لكل شبر من اراضيها المحتلة .

والعامل الامريكى الجديد ، فى حركته الاقتصادية يمسقشرة اجتماعية محدودة فىمصر والعالم العربى ، ذاتطبيعة طفيلية . منفصلة عن عمليات التنمية والتقدم ،ومحاصرة شعبيا.

اما الاتحاد السوفيتى ، فانه فى حركته الاقتصادية يتعامل بمعوناته وقروضه الصناعية والفنية الكبيرة ، مع اوسع القطاعات والقوى الاجتماعية التى ربطت مصيرها بعملية التنمية والتقدم ، بما فى ذلك الراسمالية الوطنية المنتجة . بل ان شريحة هامة من هذه الراسمالية الوطنية المنتجة التى تضم الحرفيين وصغار المنتجين لسلع معينة ، كالاحذية والاثاث والملابس الجاهزة ، ويقدر حجمها الاجتماعى بثلاثة ملايين نسمة ، تعتمد اعتمادا كليا على سوق الاتحاد السوفيتى خاصة والسوق الاشتراكى عامة . وليس أمامها اسواق بديلة أخرى .

والعامل الامريكى الجديد ، عازف تماما — بحكم طبيعته وظروفه — عن تنمية القدرة العسكرية للقوات المسلحة المصرية أوالسورية. أو غيرها من القوات العربية ذات الوزن فى أى صدام مع اسرائيل ، مثل القوات العراقية والجزائرية .

وذلك على عكس الاتحاد السوفيتى تماما . فعلى الرغم من الخلافات المصرية السوفيتية الراهنة وقرار تنويع مصادر السلاح ، فان الرئيس السادات حرص على التأكيد بان ٩٠٪ على الاقل من سلاحنا يظل سوفيتيا .

• • •

نستطيع ان نمضى بالمقارنة ، الى العديد من القضايا والمجالات . بيد ان ما اقتصرنا على تسجيله ، كاف للكشف عن عدم قدرة « العامل الامريكى الجديد » ، على القيام بدور « البديل الممكن » للصداقة المصرية السوفيتية .

ومن هنا فان الخلافات الراهنة ، تظل — على الرغم من خطورتها النسبية — محكومة بقانون الحركة التاريخى للعلاقات .

لكن فاعلية هذا القانون وسرعة علاجه للخلافات ، تتوقف ، اولا وأخيرا ، علىضرورة بذل جهد مشترك وبناء من الطرفين لوقف التدهور ورأب الصدع .

على هذا الاساس يتناول « اليسار المصرى» هذه القضية من منطق المسئولية الوطنية.ويلح على ضرورة تطويق الخلافات المصرية السوفيتية الراهنة ، بروح ونصوص معاهدة التعاون والصداقة السوفيتية ، وممارسة سياسة التوازن بالنسبة لمصالحنا الوطنية والقومية فى التعامل الدولى ، على نحو لايسوى ، بطريقة ميكانيكية ، بينالاتحاد السوفيتىوامريكا لمجرد ان كلا منهما دولة عظمى نووية . فالسكر والملح يتشابهان فى ان كلا منهما ابيض اللون، غير أن الفروق بينهما هائلة فى النوعوالطعم.

واذا شئنا ، فى النهاية ، ان نلخص موقف اليسار المصرى من العلاقة مع الاتحاد السوفيتى وأمريكا ، فىظروفنا الوطنيةوالقومية والعالمية المعاصرة ، فاننا نقول :

● الخلاف مع الاتحاد السوفيتى ، وارد ،فى اطار مصالحنا الوطنية والقومية ، على أرضية الصداقة .

● التعامل مع أمريكا ، وارد أيضا فى اطار مصالحنا الوطنية والقومية ، على أرضيةنضالنا ضد الامبريالية والصهيونية .

التكامل العربى الاسرائيلى

بين أحلام التوسعيين وحقائق المنطقة

كمال السيد

يؤكد المقال أن عملية اعادة التقييم الامريكية ، تمخضت عن تغيير فى الوسائل ، ولبس فى الاهداف . وآخر محاولاتها فى هذا الصدد تقديم فكرة التكامل بين العرب واسرائيل وايجاد دور لهذه الاخيرة فى المنطقة ، ليستمر دورها التأديبى بالتسلل الاقتصادى هذه المرة . لكن ماهى امكانيات نجاح ذلك ؟ هذا ما يجيب عنه المقال .

فى ١٦ مارس ١٩٧٣ ، نشرت « **لوموند** » الفرنسية أن جولدا مائير أرسلت لنيكسون تقول : « اننا لا نريد أولادكم الى جانبنا ، فقط ، اعطونا الادوات وسنقوم نحن بكل العمل » .

وبالفعل ، فان الولايات المتحدة ـ ظلت ولا تزال ـ توفر لاسرائيل ، وباستمرار ، كل خطط وسياسات ووسائل وادوات العمل فى المنطقة كوكيل عنها فى حماية مصالحها فى المنطقة .

غير أن ما يلفت النظر هو أن الولايات المتحدة تبذل ، حاليا ، جهودا كبيرة فى الدعوة للتكامل الاسرائيلى فى المنطقة ، والبحث للكيان الصهيونى عن دور ووظيفة فى الشرق الاوسط ، يتعلقان ، هذه المرة ، بالجانب الاقتصادى ، بعد أن أكدت حرب أكتوبر أن اسرائيل لم يعد لها التفوق المطلق فى الردع العسكرى لحركة التحرر الوطنى العربيه ، ومن ثم بدأ الاعداد لقيامها بالعدوان الاقتصادى فى المنطقة لحساب نفس المصالح الاجنبية والطبقات القديمة فيها .

والواقع ، أن سر الاستجابة ـ أو النجاحات عند البعض ـ التى تجدها سياسة الولايات المتحدة ، تكمن فى الاساس فى اكتشاف الظروف الجديدة فور نشوئها وايجاد الوسائل المناسبة للتعامل معها بكفاءة .

ولعل النموذج البارز لهذه السياسة يتمثل فى قبول التخلى ـ ولو الى حين ـ عن العنف أسلوبا فى التعامل مع بعض القضايا وانتهاج « وسائل سلمية » لخوض الصراع ضد الاطراف الاخرى ، طبعا مع الاصرار على نفس الاهداف والغايات . لكن الحقيقة التى يجب ألا تغيب عن البال مطلقا ، هى أن هذا التخلى الموقوت عن العنف لا ينجم عن « موجة هداية » انتابت السياسة الخارجية للدول الامبريالية ، وانما يجىء ـ فى المحل الاول والاخير ـ تحت ضغط الضرورات . فلقد ادركت الولايات المتحدة مثلا ، أن الحصار والمقاطعة والعنف والتخريب ، الخ ليس أسلوبا فعالا فى مناوأة المعسكر الاشتراكى والاتحاد السوفيتى بصفة خاصة ، فرضيت بقبول الانفراج الدولى وممارسة الصراع ضد النظام الاشتراكى بوسائل « سلمية » . ولا يعنى هذا ، بالطبع ، تخليا نهائيا عن العنف . وانما هى تلجأ اليه فى كل مرة تحس فيها أنه سيكون مجديا فى تحقيق اهدافها ، وان خصمها ـ هنا أو هناك ـ ضعيف بحيث ينفع معه هذا الاسلوب . أما اذا أحست بأن ممارسة العنف ازاء « العدو » سيعود عليها بالوبال بسبب قدرة هذا الاخير على الحاق الاذى بها ـ مثلما هو الحال بالنسبة للاتحاد السوفيتى ـ أو ادركت أن الخصم قادر على الصمود فى وجه العنف الذى تمارسه ضده ، بل وافشاله وهزيمته مع كل ما يترتب على ذلك من نتائج سلبية على خطتها لتحقيق أهدافها ـ مثلما فعلت فيتنام ـ فان الولايات المتحدة ترضخ للسلم وتجنح له ، طبعا من تحين كل الفرص للعودة للعنف حسب يقظة واستعداد الخصم .

ان نفس القاعدة انطبقت على الصراع بينها وبين حركة التحرر الوطنى ـ والاجتماعى بصفة خاصة فى الشرق الاوسط . فقد جربت العنف ونجح كما لم ينجح فى أى مكان آخر ، واستطاعت عن طريقه أن تجهض ، أو أن توقف أو أن تبطىء ، من عملية التحرر الوطنى والاجتماعى ، بشن سلسلة من الهجمات والحروب ضدها تستأثر بمعظم جهود وموارد حركات التحرر فى المنطقة وتمنعها من أن تحقق أهدافها كاملة .

لكن ذلك تحقق فى المحل الاول عن طريق اختيار وكيل ـ بل خلقه ابتداء ـ يقوم بحراسة مغارة « على بابا الامريكى » التى تحوى كنوز المنطقة وبالذات بترولها نيابة عن الولايات المتحدة • واستمر العنف ، وهو أمر لصيق الصلة بطبيعة نظام الموكل والوكيل على حد سواء ، أسلوبا وحيدا لتحقيق الاهداف المشتركة لهذين الاخيرين • وكان السبب الاساسى لاستمرار هذا الاسلوب،هو أنه أثبت فاعليته فى كل مرة بسبب قصور نظم المواجهة العربية ، بحكم تطورها التاريخى ، وميراث القرون وسياسة قياداتها فى أنصاف الحلول ، وافتقاد التكامل فى تنمية كل القدرات •

•• لكن للتاريخ حكمه ، ولقوانين التطور الموضوعي تأثيرها ، ونتائجها ، بغض النظر عن علاقات القوى فى أى فترة معينة من مراحل التطور • ذلك أن قوى التحرر هى الظاهرة الصاعدة النامية بغض النظر عن كل أوجه الضعف والقصور فى مراحلها الاولى والتى تتخلص منها تدريجيا ، أما الامبريالية والصهيونية بكل ما لهما من سلطان وقوة وبطش فظواهر آفلة تاريخيا • وعلى النقيض من ذلك ، فانهما يلعبان « دورا تصحيحيا » يقوم حركة التحرر ويصهر عزيمتها ويجبرها على التخلص من عيوبها فى مجرى الصراع معها • وبقدر ما كان لاسرائيل من دور معوق ومعرقل لحركة الثورة العربية ، بجانبيها الوطني والاجتماعى ، كان لها ـ ايضا ـ دور « الحافز والمحرك » لهذه الثورة • فعقب هزيمة ١٩٦٧ كانت المراجعة شاملة لكافة مجالات العمل الداخلى والخارجي : السياسى والاقتصادى والاجتماعى بل الفكرى والعسكرى ، وذلك على نطاق الوطنى عامة ، وعلى نطاق مصر وسوريا والفلسطينيين بصفة خاصة ، وعلى التوالى • وبقدر ما أثرت الهزيمة على منهج ، بل على هيكل وأسس النظم القائمة وأدت الى تغييرات فى كل ذلك ، فان أسلوب مواجهة الهزيمة كان ، فى التحليل الاخير ، نتاجا وانعكاسا لهذه النظم وأسسها الاجتماعية والاقتصادية والفكرية والسياسية ، وكل ما يعتمل فيها من قصور •

أسباب التغيير الامريكى :

كانت المراجعة فورية بدأت عقب الهزيمة مباشرة ، كما بدأت اجراءات واستعدادات مواجهتها فى نفس اللحظة واستمرت حتى تحقق ذلك فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ •

وبالفعل ، كان لهذه الحرب آثار هائلة على علاقة الولايات المتحدة بالمنطقة ، وبكل من طرفى الصراع • وكانت المبادرة فى ذلك للولايات المتحدة ، التى انتهزت فرصة الوضع الجديد الناجم عن نتائج حرب أكتوبر ، ونجحت فى اكتشاف أنجع الاساليب فى التعامل معه • وفى هذا استفادت الكيسنجرية ـ كأروع تجسيد لمدرسة جون كيندى التى تفضل البدء باستخدام أساليب « الاستيعاب » وتقديمها على أسلوب الردع والعنف السافر ـ نقول استفادت السياسة الامريكية من عدة أمور :

■ من خبراتها السابقة فى مواجهة حركات التحرر فى مناطق أخرى من العالم كفيتنام وكوبا ، والتى أكدت لها أن العنف قد يعطل تطور هذه الحركات مؤقتا ، لكنه ، على المدى البعيد ، يؤدى الى تسارع تطورها بمعدل يفوق ذلك التطور لو تم التعامل معه بأسلوب آخر غير عنيف •

■ كما تبين التجربة الماضية فى المنطقة وفى مصر ، أنه كان للعنف الامريكى الاسرائيلى دور هائل فى سرعة استجابة قيادة ثورة يوليو للضرورات التى تفرض التغييرات الاجتماعية والاقتصادية فى الداخل ، والعداء للاستعمار والتلاحم مع معسكر التحرر والاشتراكية فى الخارج • وذلك رغم أن **عبد الناصر** بذل كثيرا من جهده للتعامل مع الولايات المتحدة تحت ظن أنها ترضى بتحقيق أهدافه الوطنية والاجتماعية ـ وحتى هذه كانت فى البدء محدودة وتمثل الحد الادنى لمواجهة جزء ـ وليس كل ـ المشاكل المتفجرة لمصر ـ وليس للمنطقة . ولكنه تبين له انه عليه اما أن يتخلى عن هذه الاهداف ، واما أن يذهب فى التصدى للاستعمار وفى الثورة الاجتماعية الى آفاق لم يكن يتصورها فى البدء •

■ وبالطبع لم يكن ادراك ما سبق منفصلا عن مناخ الانفراج الدولى الذى تبدى واضحا قبل حرب اكتوبر • مع التأكيد مرة ثانية وثالثة وتاسعة على أن تجاوز سياسة الانفراج لاطار العلاقات والمعاملات بين القوتين العظميين لتشمل علاقات الولايات المتحدة مع أطراف أخرى رهن بقوة هذه الاخيرة وصمودها واثباتها • ان العنف لن يجدى وانها قادرة على التصدى له وهزيمته ـ ولو جزئيا •

وذلك ما أثبتته حرب أكتوبر ، بغض النظر عن المحصلة النهائية لها حتى فى نظر أكثر المتشائمين بل المعادين للعرب • ذلك أن الحرب قد أكدت حقيقتين :

■ ان اسرائيل لم يعد لها التفوق المطلق فى مجال العنف • وان قدرتها التأديبية لم تعد تمارس نفس الردع ، حتى أن مصر وسوريا تجرأتا على مهاجمتها •

■ وفى الجانب المقابل اثبت العرب قدرتهم على المراجعة والاستعداد التى بدأت عقب هزيمة ١٩٦٧ فى ظل عبد الناصر ، وتسارعت فى ظل الرئيس السادات ، وذلك على العكس مما كانوا يتوقعونه من انها ستبطىء حتى تقف بذهاب الرئيس الراحل عبد الناصر • وقد أدى ذلك الى تغيير حقيقى فى

علاقات القوى العسكرية بما جعل لمصر وسوريا قدرة مؤثرة فى هذا الصدد ، برهنت على استطاعتهما ليس فقط مواجهة اسرائيل بل مبادأتها بالهجوم .

من هنا ، كان الانزعاج ورد الفعل الامريكى كبيرين . وتم ذلك أولا فى اطار « حماقة القوة » والتمسك بالعنف اسلوبا للتعامل مع العرب عموما ومصر خصوصا . وقد تبدى ذلك فى :

■ كثافة المشاركة الامريكية فى القتال ، ولم يتجاوز الرئيس السادات الحقيقة عندما أكد ومايزال، على أن مصر كانت تحارب الولايات المتحدة . لقد بلغ الجسر الجوى الامريكى حجما لم تلجأ اليه هذه الاخيرة لنجدة أبنائها ابان ورطتهم وابادتهم فى فيتنام . كذلك كانت المشاركة البشرية مؤثرة ، فقد ضمت اكفأ الطيارين الامريكيين وخبراء أجهزة الحرب المعقدة والحديثة .

■ التأهب لحرب عالمية نووية مع الاتحاد السوفيتى ، وتعبئة قواتها فى العالم كله خاصة قواتها الاستراتيجية الذرية بحجة أن الاتحاد السوفيتى ينتوى ارسال قوات للشرق الاوسط . وفى هذا يتضح استعداد الولايات المتحدة للذهاب فى استخدام العنف ضد العرب وأصدقائهم الى حد الحرب العالمية الذرية .

■ وفى هذا لمتبال الولايات المتحدة بحلفائها فى أوربا الغربية ، واستغفلتهم باستخدام موانيهم ومطاراتهم بدون علمهم واذنهم، بل وبتعبئة قواتها وقواعدها فى أراضيهم .

لكن رغم المشاركة والتورط الامريكى، لم تستطع اسرائيل أن توقع بالعرب هزيمة ساحقة على غرار المرات السابقة . وكانت محاولتها فى الثغرة وفى الجولان ذات طابع جزئى ، لم تذهب بالانجاز المصرى السورى .

وازاء الوضع الجديد فى ميزان القوى العسكرية بين طرفى الصراع فى الشرق الاوسط ـ وهو العامل الاساسى والحاكم والحاسم ـ مضافا اليه بدء استخدام البترول كسلاح فى الصراع ، علاوة على التشدد السوفيتى واحتمالات تزايد مشاركته ، ومن ثم مكانته فى المنطقة ، بدأت عملية مراجعة على الجانب الامريكى .

وتصاعدت حتى بلغت ما عرف باسم عملية «اعادة التقييم» . ولم تكن هذه الاخيرة لمجرد التسويف والتأجيل ، بل كانت عملية حقيقية وجادة .. لكنها انصبت أولا وأخيرا على مراجعة أساليب ممارسة الصراع ضد حركة التحرر العربى ، الوطنى والاجتماعى للوصول الى أساليب أكثر فاعلية ، بعد أن أثبتت حرب اكتوبر ـ ليس فقط قدرة العرب على الصمود ازاء العنف ومنعه من أن يوقع بهم هزيمة جديدة فى حجم الهزائم التى اعتادوها ـ وانما اثبتت أيضا ، قدرتهم على ايقاع هزيمة جزئية بهذا العنف .

أما الاهداف الاستراتيجية الامريكية فى المنطقة فلم تتعرض أبدا لعملية مراجعة أو اعادة تقييم ، والا لما كانت الولايات المتحدة هى نفسها ولاصبحت شيئا آخر . لقد تأكدت الولايات المتحدة أن العنف المسلح ليس هو الاسلوب الامثل ـ حاليا ـ للعدوان على التقدم والتطور العربى وتحقيق نفس الاهداف فى السيطرة الاقتصادية والعسكرية والسياسية على مقدرات المنطقة . ومن ثم سارعت الى الوسائل الاخرى التى ترتدى مسوحا سلمية واستغلت فى ذلك الحقائق التالية :

■ ان القدرة العسكرية العربية وان تزايدت نسبيا على حساب التفوق المطلق لاسرائيل فى هذا الصدد ، لم تبلغ بعد الحد الذى يمكنها من ايقاع هزيمة كاملة بالكيان الصهيونى الذى مازال قادرا على العمل العسكرى المؤثر فى المنطقة .

■ ان الحروب المتتالية خلقت للنظم العربية مشاكل اجتماعية واقتصادية وسياسية أجهدتها فعلا . وتستغل الدوائر الاستعمارية والصهيونية هذه الصعوبات لخلق قناعات مؤداها ضرورة استبعاد الحل العسكرى بكيفية نهائية .

■ ان الولايات المتحدة قادرة فعلا على التأثير الفعال على الكيان الصهيونى والزامه بمخططاتها «١» ، لا ينفى هذا الحركة والاهداف المستقلة لاسرائيل ، ولكن ذلك مرهون فى التحليل الاخير « بالحقن الامريكى » . وبالفعل فقد أكد ديان ذلك بقوله: « اذا كان على أن أختار بين ما تعطيه لنا الولايات المتحدة من المعونة التى تقدمها لنا وما تبيعه لنا فى المجال الاقتصادى والسياسى والعسكرى والذى يحتم ، بالتالى ، أن نكون مرتبطين للغاية وخاضعين للغاية لرغباتها وارادتها وبين وضع نكون فيه احرارا كالعصافير على ألا تعطينا شيئا ، فانى أفضل خضوعنا الذى يمنحنا فى الواقع مزيدا من الحرية اكثر من الاوهام التى تخلق لنا فى الواقع حالة من العبودية » [٢]

---

[١] عندما سأل احد أعضاء مجلس الشيوخ هنرى كيسنجر عن أسباب زيارة اسماعيل فهمى للولايات المتحدة فور حرب اكتوبر مباشرة ، أجاب هذا بقوله « ان العرب يستطيعون أخذ السلاح من الاتحاد السوفيتى ، لكن الولايات المتحدة وحدها هى التى تعطيهم الارض » رواه مارفن وبرنارد كالب فى كتابهما عن كيسنجر .

[٢] جاك كوبار : من حرب الايام الستة الى حرب الساعات الستة ، دار الوطن العربى ، بيروت ، ١٩٧٤ م

التكامل والمشاركة عدوان جديد

وتقدمت الولايات المتحدة باعتبارها صاحبة الامكانية الوحيدة للوصول الى تسوية عن غير طريق الحرب . وبذا تمكنت من استعادة كثير من مواقعها — خاصة السياسيةبل الاقتصادية[٣] فى المنطقة ، ومنعت تدهور الامور بما يخرج البترول من سيطرتها ويتيح للقيادات العربية الطموحة والقادرة فرصة استغلال ذلك الوضع لتحقيق مكاسب شخصية — اقتصادية وسياسية — والامعان فى الحركة المستقلة وتحقيق المصالح الخاصة بما يجاوز الحدود المسموح بها.

وهنا ، أيضا ، لم تنس الولايات المتحدة الاستفادة من اسرائيل باعتبارها — بكل مساحتها وكل سكانها — « ثغرة » فى قلب الوطن العربى . وبدأت فى محاولة لتحويلها من « ثغرة عسكرية » الى « ثغرة اقتصادية » ، تمارس نفس الدور وهو العدوان، مع فارق هو أن « عدوانها» الجديد سيكون اقتصاديا [٤] . طبعا مع عدم استبعاد الاعداد فى الوقت نفسه للعدوان العسكرى . دليل ذلك حجم وأنواع الدعم العسكرى الذى ستمد امريكا اسرائيل به والذى التزمت به ازائها عند توقيع اتفاقية الفصل الثانى للقوات فى سيناء .

من هنا تسارع الاعداد والتمهيد للمشاركة الاسرائيلية فى المنطقة أو لتكامل اسرائيل فى المنطقة ، على أساس من انشاء مشاريع وتنفيذ خطط مشتركة :

— يسهم فيها العرب بروؤس الاموال وهى وفيرة ، وبالايدى العاملة الرخيصة — وتلك ميزة لا تقارن تؤثر كثيرا على القدرة التنافسية للسلع ، كما يسهمون بالمواد الخام وهى متنوعة ورخيصة وموجودة بكميات هائلة . كذلك يسهم العرب بسوق واسعة يمكن أن تستهلك حجما كبيرا من الانتاج .

— أما اسرائيل فتسهم بالخبرات التكنولوجية والمهارات الادارية والمالية والفنية والعلمية . ومن خلف اسرائيل تسهم بصورة مباشرة ، أو غير مباشرة المصالح الاستعمارية،بالقدر الادنى من التمويل ومن المعارف التكنولوجية القادر على جعلها « مصالح قابضة » على تلك المشروعات . يمكنها من ذلك سيطرتها على عمليات التسويق والتمويل والتبادل الدولية ، وحقيقة أن السوق العربية مازالت جزءا من السوق الرأسمالية تحكمها آلياتهوومراكز السيطرة فيه .

وهنا ، يكمن ذكاء الاستعمار الجديد فى التجربة التى يحاولها وهى التخلى عن الدور الاسرائيلى القديم — الردع العسكرى — واعطاء الكيان الصهيونى دورا جديدا ، دورا اقتصاديا . يكفل تحقيق الاهداف الاتية :

■ اعادة نمط التنمية الرأسمالية حتى للدول التى انتهجت طريق التطور غير الرأسمالى ، بربطها بمشروعات وخطط ومعاملات من هذا النوع . وتنمية الطبقات البرجوازية الكبيرة التى تصلح دعامة للاستعمار والرأسمالية العالمية بحكم مصالحها الطبقية « ٥ » .

■ خلق ما يسميه بعض المفكرين « روادع ايجابية » . ويقول هؤلاء انها ستردع الطرفين العربى والاسرائيلى عن اللجوء للحرب بسبب المصالح المشتركة التى ستقام أولا على المناطق الفاصلة . والردع بالنسبة للعرب — سواء تم ذلك قسرا بالعنف والعدوان أو رضوا به عن طريق الدخول فى تلك المشروعات — يعنى أن يكفوا عن محاولة التحرر الاقتصادى ، أولا بتخليص ثرواتهم من الاستغلال الاجنبى .

■ نقل مركز السيطرة والتوجيه الاقتصادى ، للشرق الاوسط ، الى موقع متقدم موجود فى قلب المنطقة ، وتخويل الوكيل المحلى مهمة ادارة وتوجيه الموارد الاقتصادية فيها لحساب أصحاب المصالح الامريكيين . ولاشك أن دور الوكيل

---

[٣] بدأ البنك الدولى للانشاء والتعمير ، دراسة انشاء مكتب له فى القاهرة بعد اتساع نشاطه فى مصر . كما تدرس هيئة التمويل الدولية التابعة للبنك انشاء مكتب لها فى القاهرة . وهذه الهيئة تعمل أساسا مع القطاع الخاص ، وستكون مهمتها فى القاهرة المساعدة فى عمليات تنشيط بورصة الاوراق المالية فى مصر وتحويلها الى مركز نقدى عالمى«الاهرام ١٩٧٥/٩/١٧»

[٤] فى ابريل ١٩٧٣ نشرت مجلة وزارة التجارة الامريكية تقول « ان السوق الاسرائيلى يتيح امكانيات هائلة لتجارة الترانزيت من المنتجات الامريكية ففى مقدور اسرائيل الوصول الى اسواق فى المنطقة مغلقة ام هذه المنتجات أو يصعب الوصول اليها »

[٥] « ان رأس المال الاحتكارى ، يستهدف فى استعادة ودعم الفئات الاجتماعية التى يمكن ان تقوم بدور الوكيل أو النائب للاستعمار الجديد »[رأسمالية الدولة الاحتكارية ، والمنشورات الاجتماعية ، باريس ، ١٩٧١]

الاقتصادى ، أو المدير الاقتصادى لموارد وامكانيات المنطقة ، لن يمكن القيام به دون قبول الكيان الصهيونى فى المنطقة والرضاء به .

■ القضاء على الاستقلال الاقتصادى لدول المنطقة ـ خاصة ذات الاتجاهات غير الرأسمالية ـ بربط اقتصادياتها بالمخفر الامامى للامبريالية ـ اسرائيل ـ فى مشروعات اقتصادية ووضع مقدراتها تحت سيطرة المديرين والفنيين والاستشاريين الاسرائيليين .

■ كذلك ، فان التكامل مع اسرائيل ليس سوى تكامل مع الولايات المتحدة فى المحل الاول ، فالاقتصاد الاسرائيلى ، باعتباره كيانا مستوردا ، وتابعا للولايات المتحدة ، سيؤدى فى المحل الاول الى ربط الاقتصاديات العربية بالولايات المتحدة عبر اسرائيل .

■ كما أن التكامل العربى الاسرائيلى والمشاركة الامريكية عن طريق هذا ، يمكن أن تكون حلا لمشكلة الفوائض العربية ، والتى تقلق الغرب الاستعمارى بسبب ضخامتها .

■ وبالمثل فان صيغة « المشاركة » لا تقتصر على حل مباشر لمواجهة شعار التأميم المطروح فى جدول أعمال الشعوب العربية بالحاح ، وانما هى صيغة لمعالجة الاوضاع الاستراتيجية كاملة ، ليس فقط بالمشاركة المحلية بل بالمشاركة الخارجية أيضا » « ٦ » .

■ كما يريد المخطط الغربى أن تنهض اسرائيل بدور « المقاول » الذى يلتزم بادارة المشروعات والبترول العربية ، نيابة عن أصحابها العمل مقابل أجر ، بحجة انفرادها بالخبرات الادارية والفنية العالية . وبالطبع سيدير المقاول ـ أو المدير ـ الاسرائيلى هذه المشروعات الموكولة اليه لحساب التنمية الرأسمالية والغرب الاستعمارى .

خلاصة القول ، ان مشاريع « التكامل » العربى الاسرائيلى بمختلف درجاته ومسمياته ، تستهدف عدة أغراض أساسية ، فى مقدمتها : اعادة تصدير النمو الرأسمالى للبلدان التى بدأت تحيد عنه ، والعمل على ابقاء المنطقة كلها بمختلف دولها فى اطار السوق والنظام الرأسمالى .

والغريب ، أن هذه الدعاوى وجدت آذانا صاغية لدى بعض الفئات الاجتماعية العربية ، أو على وجه التحديد لدى البرجوازية الكبيرة وممثليها فى أجهزة الحكم والسياسة العربية وذلك لان :

« تنشيط التطور والنمو الرأسمالى ، بغض النظر عن أسبابه أو دوافعه ، يحدث فى مجرى الاقتصاد الوطنى عمليتى تركز وتمركز مصحوبتين بتمايز اجتماعى واسعة النطاق . وتتجمع لدى الرأسمالية المحلية ثروات هائلة تضعها فى مركز متميز يجعلها تعيد النظر فى علاقاتها الطبقية القديمة وعلاقاتها برأس المال الاحتكارى الاجنبى . ان فئة عليا من الرأسمالية المحلية فئة تجارية ربوية تستسلم للامبريالية وفئة أخرى تجارية صناعية كبيرة الوزن صغيرة العدد تكتسب سمات احتكارية وتتبنى أفكار الاحتكارات . ان الفئات العليا من البرجوازية الوطنية تصبح تناقضاتها مع الاحتكارات الاجنبية ومع الطبقات القديمة تناقضات من الدرجة الثانية ! « ٧ » .

هل هى مشاريع قابلة للتطبيق ؟

غير ان مشاريع التكامل بين الدول العربية وبين الوكيل الامريكى فى المنطقة « اسرائيل » والتى تخطط الولايات المتحدة لتنفيذها ، لن تكون أسعد حظا من المشاريع السابقة لفرض سيطرتها على المنطقة ، حتى وان كان التكامل يستهدف تحقيق هذه السيطرة بطرق غير مباشرة أو بالوكالة الاسرائيلية . وذلك لاكثر من سبب فى مقدمتها :

حكم القوانين الموضوعية :

ذلك ان التناقض بين تطلعات المنطقة فى مجموعها وكل دولة فيها على حدة وبين مشاريع السيطرة الاستعمارية عليها تناقض رئيسى لا يمكن رده الى المؤخرة ، وهو تناقض يدور حول الجوهريات التى لا يملك أى طرف من طرفيه التخلى عنها .

■ **ففى الدول البترولية :** سيحتدم العراك بين قياداتها ـ حتى لو كانت مردية ومحافظة وبين

---

[٦] دكتور فؤاد مرسى « المشاركة كأسلوب من أساليب الاستعمار الجديد » ، دار الثقافة الجديدة ، القاهرة ، مارس ١٩٧٥ .
[٧] د. فؤاد مرسى ـ المرجع المذكور

المصالح الامبريالية بصورة متزايدة حول اقتسام عوائد البترول ، خاصة وان الظروف فى المنطقة وفى العالم مهيأة لاستخلاص حقوق المنتجين • وقد كانت حرب أكتوبر فرصة العمر لهم لزيادة عوائدهم على حساب شركائهم من الشركات الاستعمارية [أصبح لهم ٩٥ فى المائة وللشركات الامريكية نحو ٥ فى المائة وفى البدء كانت النسبة بالعكس تقريبا] •

■ **اما الدول غير المنتجة للبترول** ، فالتناقض المحتدم دوما بينها وبين المشاريع الاستعمارية قدر لا فكاك منه • ذلك ان مشاكلها المتراكمة المتفاقمة واحتياجات سكانها المتزايدة – وهى احتياجات أولية ، وتدخل تحت بند الضرورات ، تلزم حتى اكثر قياداتها اعتدالا بالمضى قدما فى طريق الاستقلال الاقتصادى والتنمية وتخليص مواردها من السيطرة الاجنبية ومن ثم تصفية المواقع الاستعمارية ، بل الاتجاه فى السياسة الخارجية – بحكم الضرورات – صوب المعسكر الاشتراكى ومعسكر التحرر الوطنى • وكل تلك أسباب لاحتدام المعركة مع الاستعمار ووكلائه •

ومن ثم ، فان الصراع والتناقض بين الطرفين واقع موضوعى وقانون ملزم ، لا يتوقف على الارادات أو المؤامرات وهو ليس اختيارا فرديا بل انه ليس اختيارا لطبقة بعينها • وعلى النقيض من ذلك ، فان قطاعات واسعة من البورجوازية بمختلف شرائحها ، تضطر بحكم مصالحها الطبقية، الى التصدى للاستعمار واستخلاص سوقها – خاصة وان هذا فى أزمته ليس مستعدا لترك حتى الفتات بل انه يحاول نقل عبء مشاكله الى كاهلها • كذلك فان خطط التنمية – والقطاع العام أداتها – والتعامل مع المعسكر الاشتراكى ، كلها اختيارات تحقق ايضا مصالح هذه الشرائح •

ومن ثم ، فان مشاريع التكامل لا تستجيب لاحتياجات المنطقة ولا تحل مشاكل سكانها • وحتى لو افترضنا امكانية تحقيقها ، فلن يكون لها دور سوى زيادة آلام وبؤس جماهير المنطقة ، باشراك مستغل اسرائيل يقتطع لنفسه جزءا من الكعكة ، علاوة على ما يريده صاحب السيطرة الاجنبية •

وعلى وجه القطع ، فان مشاريع من هذا النوع لو تمت – وذلك مستحيل تماما – لن تكون مشروعات تنموية وانما ستكون اعمالا طفيلية تسهم فى زيادة اختلال الهياكل الاقتصادية للمنطقة [موازين المدفوعات ، تركيب التجارة الخارجية، التناسب بين القطاعات الانتاجية ، الخ] • فحتى لو سلم المستعمرون باقامة مشروعات انتاجية ، فان ذلك يقتضى لقيامها وحسن تسييرها ، أجراءات جذرية تقلب اسس المجتمع [اقامة قطاع عام ، السيطرة على الموارد ، التوزيع العادل ، دور الجماهير] وكلها أمور تؤدى الى تصفية المواقع الاستعمارية من الناحية العملية •

المشكلة الفلسطينية

ذلك ان التسوية النهائية للنزاع فى المنطقة واعادة السلم والاستقرار اليها ، ومن ثم اتاحة فرصة حقيقية وجدية لمشاريع مشتركة بين دوله – بما فى ذلك فلسطين – وللتكامل بينها بمختلف الاشكال ، لن يتحقق الا بتصفية الكيان الصهيونى أصلا عن طريق اقامة دولة فلسطين الديمقراطية التى يعيش فيها كل سكانها ، مسلمين ومسيحيين ويهود • فالمشكلة ليست قضية نزاع على الحدود بين اسرائيل والبلاد العربية أو قضية لاجئين أو خلافا بين دينين أو قوميتين ، بل هى مشكلة شعب اغتصبت أرضه ليهيم فى المنطقة فى المنافى والخيام • والشعب الفلسطينى « مازال مصمما على الاستمرار فى أداء دوره الحضارى والانسانى على أرض فلسطين ، ولا يسمح بأن تتحول هذه الارض الى بؤرة للعدوان على الشعوب ، والى معسكر عنصرى ضد الحضارة والثقافة والتقدم والسلام .. وهو لا يستطيع الا أن يواصل تراث اجداده فى الكفاح ضد الغزاة وان يحمل شرف المسئولية فى الدفاع عن وطنه وعن أمته العربية وعن الثقافة والحضارة ومهد الديانات » «٨»

ويحدد مفكرو فتح مفهومهم حول الدولة الديمقراطية فى فلسطين فيما يلى « ٩ » :

● انها تضم المسلمين والمسيحيين واليهود على قدم المساواة وطريق تكوينها هو شن حرب شعبية لتحرير كامل فلسطين • وهذه الارض ستكون للسواعد التى تحررها بالسلاح •

---

[٨] خطاب ياسر عرفات فى الجمعية العامة للامم المتحدة فى نوفمبر ١٩٧٤

[٩] محجوب عمر : حوار فى ظل البنادق ، دار الطليعة بيروت ، مايو ١٩٧٥ •

● ان هذه الدولة هى عربية ولا يمكن ان تكون غير ذلك • ومن المستحيل « تاريخيا » ان تفلح الصهيونية فى تغيير وجه فلسطين العربى • فالشعب الفلسطينى ليس الهنود الحمر ، ولا يمكن القضاء عليه ولا اذابته كما حدث فى امريكا الشمالية • وليس معنى هذا ان كل من ليس عربيا لابد أن يغادر فلسطين • فالوطن العربى عرف ويعرف أقليات غير عربية تعيش فى مساواة كاملة مع العرب •

● ان هذه الدولة الفلسطينية العربية التقدمية هى جزء أو ستكون جزءا من دولة عربية موحدة تقدمية كبرى ، ستقوم تتويجا لنضال الجماهير العربية من أجل التحرر والحرية •

● ان العنف الجماهيرى المنظم هو الوسيلة الوحيدة لتحرير الارض المغتصبة ، يتطور الى حرب شعبية شاملة طويلة الامد بتجنيد أوسع الفئات والقوى الجماهيرية التى تضم القوى الثورية العربية واليهودية ، وتضم جيوشا عربية • وسيكون النصر فى هذه الحالة نصر على الاستعمار والاغتصاب والصهيونية والعرقية أى على الصهيونية ككيان له أجهزته ومؤسساته ، ولكنه لا يعني القضاء على الرجال والنساء هناك •

الجانب الاسرائيلى

وعلى الجانب الاسرائيلى ، يحدد الطابع الاغتصابى للكيان الصهيونى الدور الذى يمكن ان يقوم به فى المنطقة • ويتمثل هذا الطابع فى :

● **ان خلق وافتعال هذا الكيان كان بمثابة « اسقاط مسلح » فى قلب المنطقة أو هو « ثغرة » شقت عنوة واغتصابا فى قلب الوطن العربى** ، وتم اجلاء وطرد سكانها الاصليين واحتلال اماكنهم بواسطة غزاة غاصبين ، استمر توسعهم ليس فقط على حساب باقى الارض الفلسطينية ، وانما أيضا على حساب أرض الدول العربية المجاورة •

وقد رسخ هذا العنف بين صفوف جانبى الصراع • فالاسرائيليون آمنوا به سبيلا للابقاء على وجودهم المفروض قسرا واغتصابا ودعمه وتوسيعه ، وزادتهم انتصاراتهم صلفا ، والعرب ادركوا أن العنف هو الطريق الوحيد لوقف هذا الخطر المتزايد ، وقد تزايد هذا الادراك **بعد حرب أكتوبر** التى اعطتهم أملا فى انهم يستطيعون مواجهة العدو بالعنف •

اما الفلسطينيون ، فمهما كان وزنهم فى مجال العنف المؤثر ، فانهم عقبة كؤود أمام كل مشاريع فرض الامر الواقع بل والتكامل وتعويد العرب على الوجود الاسرائيلى وذلك :

● لان الفلسطينيين يؤمنون بالعنف ويكفرون بكل الوسائل الاخرى ، فقدشبعوا الجاناومؤتمرات وقرارات ومفاوضات استمرت منذ أوائل القرن فى حين ان العنف حقق ثورتين : الاولى تحويلهم الى كيان موحد له مؤسساته وأجهزته السياسية والعسكرية بل والاقتصادية ، وأحيانا الارض التى يمارسون عليها سلطانهم ومن ثم وقف عملية التحلل التى استمرت منذ طردهم الى « الشتات » حتى بدأ العمل المسلح ، اما الثورة الثانية فتمثل فى اعتراف العالم بهم الذى وجد اروع تجسيد له في دعوة ياسر عرفات الى الامم المتحدة •

● ان كلمة لا من الفلسطينيين ــ ايا كان حجم قوتهم ــ تعطل كل المشاريع والخطط .ولايمكن للاطراف الاخرى ان تنجز اتفاقات بدون موافقتهم الا لو عملت على تصفيتهم أولا ، وما جرى من مذابح لهم فى الاردن وما يجرى الان فى لبنان ليس سوى محاولات لكسر شوكتهم •

● ان التناقضات الداخلية فى الكيان الصهيونى ، بين المصالح الاقتصادية والثقافات ، الخ ، تجعل العدوان أسلوبا امثل لمواجهتها وامتصاصها او تأجيلها •

● ان هذا الكيان الذى لا تتوافر له محليا مقومات وجوده ، وانما يعتمد فى الاساس على استيرادها من الخارج مقابل أداء خدمات تخصص فيها وبرع وهى العدوان بأجر [١٠]

---

[١٠] حسب تقدير الدبلوماسي الامريكي دافيد نيس : بلغت المعونات الامريكية لاسرائيل بين ٤٨ و ١٩٦٨ ، ٣٦ مليار دولار ، فى حين بلغت كل مساعدات أمريكا للخارج فى عشر سنوات ٣٣ مليارا ، وكل نفقاتها على ابحاث الفضاء ٣٦ مليار دولار . وفى ١٩٧١ قدمت أمريكا لاسرائيل ٨٠٠ مليون دولار ، وفى ١٩٧٢ قدمت الف مليار وفى ١٩٧٣ بلغت المساندة حدودا قياسية •

وذلك علاوة على قروض البنك الدولي للانشاء والتعمير الذى يقوده وزير التعمير الامريكي السابق ، والتى بلغت ٨ر٢٢ دولار لكل اسرائيلى [لمصر ٦ر. دولار للفرد] كما أن بيع سيندات الخزانة الاسرائيلية فى أمريكا ، بلغ ١ر٢ مليار دولار .

لكل ذلك ، وكثير غيره ، فان العدوان ، لا التعاون هو جوهر الوجود الصهيونى فى المنطقة ، والذى يشكل نوعا من الامبريالية الصغرى [مثل جنوب افريقيا] واذا كانت هذه الامبريالية الصغرى — وكيلة الامبريالية الام — تتخلى الى حين عن العدوان العسكرى ، فانها ستركز على العدوان الاقتصادى ومختلف مشاريع التكامل تسمح بهذا • والحجة الاساسية التى تعتمد عليها هذه المشاريع لاغراء العرب الذين يمكن ان يصغوا اليها ، هى التفوق التكنولوجى الاسرائيلى والمهارات الفنية والادارية والاسرائيلية •

حقيقة التفوق

ان تفوق اسرائيل على العرب ، ونجاحها فى التغلب على مائة مليون منهم ، قد اقتصر على مجال واحد تهيأت لها فيه أسباب للقوة ذاتية وموضوعية،فضلا عن عون واضافات خارجية لا تقدر فى هذا الصدد ، هذا المجال هو العمل العسكرى ، فى حين توافرت للعرب فيه أسباب تاريخية للضعف والتأخر •

أما فى المجالات الحضارية والثقافية والعلمية، فناتج الكم العربى — فضلا عن الاصالة والتاريخية والوحدة العربية — لا يمكن أن يجعل التفوق لاسرائيل • لقد أكد الرئيس عبد الناصر أكثر من مرة أن خريجى الجامعات العلمية والهندسية فى مصر ، يفوقون ما تخرجه اسرائيل بمرات •

أما فى المجال الاقتصادى والذى تتركز دعاوى التكامل العربى الاسرائيلى عليه ، فترد بشأنه عدة تحفظات :

● ان التجربة الاقتصادية الاسرائيلية ليست ناجحة : فقد تمت بأكبر معدل فى العالم «بالنسبة للفرد » من الاستدانة الخارجية ، واستيراد رأس المال « ناهيك عن المعونات » واصطحبت بقدر رهيب من التضخم فى الداخل وسوء توزيع الدخول « ١١ » • والانجازات التى تحققت ، استنفدت قدرا من الموارد المالية والمادية والبشرية، يجعلها غير اقتصادية ويجعل المردود دون التكاليف •

أما عن الفروع التى برزت فيها اسرائيل ، فهى ليست من النوع الذى تتوافر له مواده الخام وامكانيات الانتاج فى البلاد العربية [صقل الماس ، بعض الكهربائيات والصناعات الخفيفة] كما أنها لا تستجيب للحاجات الاستهلاكية الاساسية للمنطقة •

والمعونات التى قدمتها اسرائيل لبعض الدول الافريقية فى تنمية بعض فروع اقتصادها ، أثبتت فشلها وانها ليست مثلا يحتذى ، وقامت الدول الافريقية بتصفية هذه المشروعات والاستغناء عن الخدمات الاسرائيلية بعد ثبوت عدم جدواها •

والحديث أضخم من اللازم أيضا عن التكنولوجيا الاسرائيلية • فهذه الاخيرة مستوردة أساسا من البلاد المتقدمة ، والمصدر الاصلى يمكن أن يعرض خيرا منها • وبالفعل ، تعرض السوق المشتركة ، بل اصحاب الصناعات الامريكية ، ناهيك عن اليابان الاسهام بالتكنولوجيا فى مشاريع يمولها العرب باليد العاملة والارصدة والمواد الخام ، ويفتحون لها الاسواق،صحيح أن اسرائيل طورت بعض التكنولوجيات وأضافت للمستورد منها وكيفته مع ظروفها المحلية ، لكن ذلك لا يجعل منها بحال مصدرا للتكنولوجيا ، لان هذه الاخيرة نتاج لهيكل اقتصادى واجتماعى وحضارى متطور ، لا يتوافر سوى فيما يعرف بالدول المتطورة [أوروبا الغربية وأمريكا واليابان والاتحاد السوفيتى وبعض الدول الاشتراكية] ، واسرائيل ليست كذلك • وهنا أيضا ، فان للدول الافريقية تجربة مريرة مع التكنولوجيا الاسرائيلية ، فقد اكتشفت أنها محدودة الامكانيات ومتقادمة •

---

[١١] بلغت الديون الخارجية فى ١٩٧١ ، ١٠٠٠ دولار للفرد من دخل بلغ ١٢٠٠ دولار للفرد • وارتفع اجمالى الدين الى ٣٦٠٠ مليون دولار فى ١٩٧١ والى ٤٢٠٠ مليون فى ١٩٧٢• وارتفعت الفوائد الى ٨٠٠ ليرة اسرائيلية فى ١٩٦٦ والى ٣٦٠٠ مليون فى ١٩٧٠ ، أى ٢٣٪ من الميزانية •

● اما التضخم فيتضح من انه فى ١٩٦٨ ، طبع ٢٢٤ مليون ليرة وفى ١٩٧١ طبع ١١٤٢ مليون ليرة •

● وسوء التوزيع يتبدى من ان ٢٠٪ من الاجراء الذى يحصلون على أدنى مستوى حصلوا فى ١٩٥٥ على ٧٪ من الدخل وفى ١٩٦٤ ، انخفض نصيبهم الى ٤ر٨٪ كما نشر تقرير المعهد القومى الاسرائيلى للتامين فى بداية ١٩٧١ أن ١٣٢٠٠٠ الفاسرة حضرية تضم ٥٢٠٠٠٠ شخص تعيش فى مستوى الفقر أو اقل فى حين زادت أرباح بنك هابواليم ٧١٪ وبنك الخصم ٤٥٪ •

أما المهارات الاسرائيلية فـي اسـتخدام تكنولوجيات الغرب وأمريكا المستوردة ، فقـد تركزت في الاساس في المجال العسكري وحده ٠

● ان الانجازات الاسرائيلية لا تنفصـل عن الاطار الاجتمـاعي والاقتصـادي والسيـاسي والحضاري للكيان الصهيوني ، وملامحه ومقوماته وأسسه تختلف تماما عنها في الدول العربية ، التي تتطلب مشاكلها وهياكلها الاقتصادية والاجتماعية ومراحل تطورها التاريخية والاهداف المطروحة أمامها ، أنماط أخرى لتحقيق غاياتها ٠ فمثلا : كثر الحديث عن الانجاز الاسرائيلي في الزراعة والذي اتخذ شكل **الكيبوتزات** ، وقد يسر ذلك أن الارض الزراعية مغتصبة ومملوكة للدولة وأن العاملين عليها قادمون من الخارج لم يرتبطوا بها تاريخيا ٠ وهذا الشكل لاينفع بحال في حل المشكلة الزراعية في البلاد العربية ، التي تحتاج الى اصلاح زراعي وتوزيع الارض على المعدمين ثم تجميعهم في تعاونيات على أساس اختياري ٠ وعموما فان الزراعة الاسرائيلية لا تمثل سوى ٨ في المائة من الدخل القومي ٠ وهنا أيضا فشلت محاولة نقل هذا الشكل الى الدول الافريقية ٠

وفي مجال التنمية الصناعية ، تحققت محاولات اسرائيل على أساس من الملكية الخاصة والسيطرة الاجنبية واستغلال قوة العمل ، خاصة العربية ٠ في حين أن التنمية في البلاد العربية لا يمكن أن تقوم الا على أساس القطاع العام وسيطرة الدولة والتخطيط ٠

خلاصة القول ،ان أحلام « التكامل » ، رغـم الجهد الامريكي المبذول في سبيل فرضـها ، لن تتحقق على ايـدي اسرائيل ٠٠ ذلك :

● ان هذه الاخيرة ليست سوى تجميـع لجماعات فشلت في أن تتكامل مع أبناء البلاد التي جاءت منها والتي عاشت فيها طوال القرون ، واصرت على التمايز والتفرد ، ولو كان بالعدوان واغتصاب الارض ٠ وقد نمى هذا التمايز،أسلوب العنف الذي فرضوا به وجودهم ، ونمى رد الفعل العربي ازاءهم ٠

● ان هذا الكيان لم يحقق تكامله داخل الارض المغتصبة نفسها ، ومازالت اسرائيـل شيعـا وجماعات متناحرة رغم سعي السلطة لتوحيدهم ازاء ما تسميه خطر الابادة العربي ٠

● ان التكامل ليس عملية سهلة بل له أسس موضوعية أقوى من أي خطط ٠ دليل ذلك أن التكامل ــ حتى في المجال الاقتصادي ــ لم يتحقق بين الدول العربية نفسها ، رغم القومية العربية التي تتوافر لها كل المقومات من تاريخ مشترك ولغة واحدة وأرض واحدة وتكوين نفسي مشـترك واقتصاد مشترك ٠ ان التكامل مازال بعيدا بين العرب رغم أن تناقضاتهم فيما بينهم ، هـي تناقضات ثانوية بالقياس لتناقضهم الاساسي جميعا مع الكيان الصهيوني ٠

● ان اسرائيل لن تبـدل طبيعتهـا كشريـك للاستعمار ومن ثم فالتناقض مع هذه القاعدة الاستعمارية أمر حتمي ويشكل الحلقة الاساسية في حركة الثورة العربية كلها ٠ وبالفعل فقـد تحولت قضية النضال ضدها ، الى محور الصراع بين حركة التحرر العربي والاستعمار ٠ ولا يتصور انفصام الرابطة بين هذا الاخير ، وبين اسرائيل ٠

● انه اذا كانت بعض الجماعات ــ بل الانظمة في الوطن العربي «مثل تونس» ــ لاتمانع في مثل هذه المشروعات [**صرح الصادق المهـدي رئيس حزب الامة بأنه لا مانع من اقامة وطن عـبري والتعاون معه**] فان هذه الجماعات والانظمـة مصيرها الى زوال في حين يبقى التناقض على ما هو عليه حتى تتحرر المنطقة من الاستعمار نهائيا وتقوم على أنقاض الكيان الصهيوني دولـة ديمقراطية ٠ وأخيرا ، ليس هناك خيرا من التذكير بقول **محجوب عمر** ، « ان جانب اكتشاف قانون حركة الظواهر وموقعها من الحركة التاريخية ، غاب عن المسرح طوال السنوات الماضية ٠ واعتبر معظم المنظرين أن وجود ظاهرة اسرائيل ، كأنه التطور الطبيعي للحركة التاريخية ٠ وتناسى هؤلاء أن فلسطين ، أي المجتمع الفلسطيني ظل ظاهرة متماسكة حتى ١٩٤٨ ، وأنه تحول بعد ذلك الى مجتمع مستعمر»،وذلك حق، فلن تقضي محاولات ٢٥ عاما ــ هي عمر اسرائيل ــ على حقائق وتراث القرون الماضية ٠.

لبنان: الأزمة

محاولة لفهم الواقع والمستقبل

خالد الحسن

منذ مدة ؟ تتطور الاحداث فى لبنان — لاكثر من اعتبار — نحو « الازمة » التى تتخذ . بين حدث وآخر ، شكلا أو مظهرا يكاد يبدو — لمجرد النظرة المتسرعة — مختلفا فى اسبابه ودوافعه . لكن تامل صورة لبنان الداخلية عن قرب وكثب ، تكشف عما هو اكثر بكثير من مجرد النظرة الظاهرية .

واصبح الكاتب لا يكاد ينهى دراسته لحدث لبنانى ما ؟ الا ويبرز حدث آخر ؟ تبدو معه دراسته الاولى خارج اطار الصورة ، الا ان الدراسة الجادة المتعمقة ، هى التى « تنبش » فى الاعماق لتصل الى « مفاتيح » هذه الاحداث وتطوراتها .

ينطبق هذا الوصف ، على الدراسة التى ارسلها الى « الطليعة » خالد الحسن عندما فجر حزب « الكتائب » صدامه ضد المقاومة الفلسطينية .

وما كادت تصلنا دراسة خالد الحسن — فى اوائل سبتمبر — حتى انفجر « الصدام الطائفى » الاخير فى لبنان .

وعدنا نتامل الدراسة التى بين يدينا ، فوجدناها تتنبأ بمثل هذا الصدام ؟ وتتجاوز اسبابه المباشرة واسباب الصدامات الاخرى ، الى تحديد رؤيتها للجذور الكامنة وراء ظواهر الاحداث اللبنانية المتتالية ، وتضع يدها فى وضوح على احتمالات المستقبل .

من هنا كان اقدام « الطليعة » على نشر هذه الدراسة القيمة التى لم تفقد جديتها ؟ وسلامة استنتاجاتها ، وذلك على الرغم من انها كتبت قبل اسابيع من انفجار الصراعات الطائفية الاخيرة .



منذ حرب يونيو عام ١٩٦٧ ، حتى الان ، طرأت تطورات كثيرة على الساحة اللبنانية ، أدت الى تكوين عوامل سياسية واقتصادية داخلية كثيرة كان لابد لها من أن تحدث آثارا ذات طبيعة خاصة تؤثر بشكل او بآخر على بنية الحياة والقوي السياسية فى لبنان ، الى حد قد يصل بالنتيجة الى تغييرات جوهرية في مواقع وموازين القوى اللبنانية ، لان التغييرات الجوهرية الاجتماعية عادة تتم بشكل متفجر ومن خلال أزمات سواء أخذت الشكل المسلح او شبه المسلح أو العنف الجماهيرى .. الخ .

ان الازمات العميقة المرتبطة بعملية التغيير الاصلاحى أو الجذرى ، عادة ما تكون نتيجة التفكك الذى يصيب البنية السياسية والاقتصادية فى المجتمع والدولة ، بسبب انعزال القمة عن القاعدة فى هرم بناء المجتمع والسلطة ، فتتسع الهوة ضمن عملية قهرية من فوق تتصادم مع مصالح القاعدة الشعبية للمجتمع . ان هذا الأمر عندما يصبح ظاهرة متميزة ، يدفع الى التمرد القاعدى، بسبب التشبث الفوقى بمكتسباته وبعقليته الذاتية النفعية ، ويصل التمرد فى النهاية الى الفوضى التى تخلق — باتساع قاعدتها — حالة الضرورة التى تفرض نفسها لاعادة تنظيم العلاقة بما يحقق مصلحة القاعدة الشعبية على حساب تنازلات من القمة ، اذا وعت هذه القمة الخطر المحدق بهـا وبمصالحها . ويكون مثل ذلك عملا اصلاحيـا لا يتناول الجذور ولكن يطور الواقع تدريجيـا وجزئيا مع المحافظة على أسسه القائمة سياسيا واجتماعيا واقتصاديا ، فاذا لم يتحقق ذلك ، تتحول الفوضى الى عنف منظم تتولد معه نظرة جـديدة لاعادة تنظيم الواقع على أساس اصلاحى أو ثورة تتولد معها نظرية جديدة لاعادة تنظيم الواقـع جـذريا .

ومن هنا نستطيع أن نقول ، أن الظلم يولـد الخلاف، فالفوضى فى العلاقة بين القاعدة والقمة ، والخلاف يولد التخلخل وهذا يولد التمرد فالتطور اصلاحيا أو جذريا .

ان هذا القول ان صح كقاعدة عامة فى المجتمع القائم على الليبرالية فانه أكثر صحة على الساحة اللبنـانية :

اولا — بسبب طبيعة مراكز وموازين القـوى اللبنانية القائمة على **أساس طائفى** لخدمة أصحاب المصالح الاقتصادية ، وبالتالى السياسية لدى هذا الفريق أو ذاك وما يترتب على ذلك من التراوح بين التوازن والتفجير .

ثانيـا — لان لبنان بطبيعته هذه تنعكس عليه أحداث الواقع العربى تتجسد محصلتها فيـه بالنهاية ، أى أنه يتفاعل مع محصلة الواقع العربى الى أن يكون فاعلا ومؤثرا فى هذا الواقع .

ثالثـا — ان محصلة الواقع العربى المتغيرة باستمرار ، تحدث بالتالى آثارها فى السـاحة اللبنانية ، مع الاخذ بعين الاعتبار القضـايا التى تملك بطبيعتها قدرة أكبر من التأثير عن غيرها كما هو الحال مع القضية الفلسـطينية [الصراع الفلسطيني الصهيوني والصراع العربي الصهيوني] والعلاقات السورية اللبنانية ، وعلاقة حركة رأس المـال العربى بالسوق المالية اللبنانية ومتطلبات هذه العلاقة فى الموقف السياسي وانعكاساتهـا وتأثيرها فى الموقف اللبنانى الداخلى .. الخ .

وحتى ننتقل من العموميات النظـرية الى التوضيح الواقعى لمـا تقتضيه المصـلحة من توضيحات نورد فيما يلى اهم الظواهر والاحداث ذات التأثير الحيوى على الساحة اللبنانية منـذ حرب يونيو حتى الان ، لنصل بعد ذلك الى فهـم الواقع اللبنانى وأزماته وعما اذا كانت هـذه الازمات أزمة لبنانية ، أو لبنانية فلسطينية ، أو كتائبية فلسطينية أو لبنانية فلسطينية عربية دولية مرتبطة بتطور الواقع اللبنانى من ناحية وتطـور العلاقات الدولية والعربية فى مجـال الصراع العربى الصهيونى وقضية فلسطين .... الخ . من جهة ثانية ، وتطور قضية النضال الفلسطينى من ناحية ثالثة .

حرب يونيـو ١٩٦٧
وحرب رمضان ١٩٧٣

أثناء وبعد حرب يونيو ١٩٦٧ ، لم تطفأ أضواء ليالى بيروت ، كتعبير سريع عن تجربة الحـرب ومرارة الهزيمة . الا أن الهزيمة كانت ذات طبيعة قومية وبحجم قومي لو تتبعنا أثره فى لبنان لرأينا أنه أيقظ العروبة اللبنانية لدى غالبية القاعـدة الشعبية اللبنانية .

وكذلك فى حرب رمضان ١٩٧٣ ، فقـد كانت حربا قومية ، والانتصار الذى حققته كان انتصارا عربيا أدى أيضا الى دفعة أخرى فى ايقاظ حس الانتماء العربى لـدى غالبية القاعدة الشـعبية اللبنانية . فقد شعر اللبنانى بشكل ايجابى هـذه المرة بفرحة النصر الذى تحقق فى حرب رمضان ١٩٧٣ ، كما شعر بمرارة الهزيمة التى وقعت فى حرب يونيو ١٩٦٧ .

ولو طرحنا تساؤلا عن أسباب هذا الاحساس بالمرارة والفرحة ، لمــا كان بالامكان عزل الجواب عن طبيعة النصر والهزيمة .لقد كانت هزيمة يونيو عربية ، وكان نصر رمضان عربيا . وبالتالي فان رد الفعل ، بالمرارة أو الفرحة ، لا يمكن الا وان تكون عربية . لمــــاذا ؟ لسبب بديهي وبســـيط وواضح ، هو أن الانتماء الوطني والقـــومي هو تعبير عن حالة وجود مادية نفسية لا تتغير لانهـــا مرتبطة بالوطن وبالقوم بعكس العقيدة التي تتغير بتغير القناعة العقلية .

ان الاحساس بالانتماء الوطني والقـــومي ، لا تلغيه وسائل الاعلام المنطلقة من الطائفيــــة الاقليمية ، فالاولى انتماء مادى ، والثانية تشـــويه لحقيقة المادية المرتبطة بالوطن الموجود ماديـــــا وبالوجود القومي القائم ماديا أيضا .

الشعب اللبناني هو جزء من الشعب العربي ، هذا واقع وهو ايضا احساس غريزى لدى المواطن اللبناني عموما ، كاحساس الانسان بانتمائه المادى الى امه وأبيه هذا الاحساس لا يلغيه شيء ، ولو غير الانسان جنسيته أو نقل مكان أقامته ، وكذلك لا تزيله الاغنية او المقالة الاقليمية مهما بلغ سمك الحجاب الذى تضعه برامج الاعلام امام بصيرة الفرد فى هذا المجال .

لذلك ، ما ان يقع حادث كبير ، له منشأ أو دلالة أو اثر وطني أو قومى ، حتى يذوب الحجاب أمــام حرارة يقظة الاحساس الوطني القومي ليتفاعل مع هذا الحدث الكبير ، فيخطو المناخ الشـــعبي العام ، خطوة الى الامام باتجاه التعبير عن اصالة وحقيقة انتمائه الوطني والقومي ، الــذى كانت قد حجبته وسائل الاعلام الاقليمية والطائفية .

هذا هو مجرى حركة الانتماء العربي فى لبنـــان ومحصلتها المتزايدة على التوالي ، وبالرغم من كل المحاولات الخارجية والداخلية التي تعمل وتقول عكس ذلك . انه حركة تطور الواقع ، وهى حركة مادية يتهاوى أمامها التنظير التبريرى للاقليمية .

النضال الفلسطيني وقضية فلسطين

ان ما أشرنا اليه يتفق ايضا مع موضوع النضال الفلسطيني وقضية فلسطين ، بالرغم من كافـــة القوى التي تحاول ان تجرح هذه القضية بحكم تملكها لوسائل السلطة . لمــاذا ؟ لان فلسطين والنضال من أجل فلسطين هو قضية عربيــــة ، لا يمكن عزلها عن كل من ينتمي عربيا مسيحيا كان أم مسلما لبنانيا كان أم غير لبناني .

ان التطور الايجابي للنضال الفلسطيني مــنذ ١٩٦٥/١/١ حتى الان والانتصارات العسكرية والسياسية التي حققها هذا النضال على المسرح الصهيوني والساحة العربية والدولية ، مضافا اليه الوجود الفلسطيني شعبا وثورة فى لبنان ، والتأثر اللبنـــاني الحتمي به جعل من القضيـــة الفلسطينية ، قضية حية جدا فى الشارع اللبناني فاذا أدركنا الطبيعة القومية لقضية فلســطين ، أدركنا فورا ان انعكاسات النضال الفلســـطيني على الواقع اللبناني اجتماعيا وسياسيا ، لا يمكن الا أن توقظ فى لبنان ما أيقظته خارج لبنان ، ذلك هو الحس بالانتماء الوطني ببعده القومي ، وليس الطائفي بقيده الاقليمي ، أو الاقليمي بقيده الطائفي

لمـــاذا ؟

لان القضايا الكبيرة التي تصل حجما ونوعـــا الى مستوى القضية القومية ، كقضية فلسطين ، يصبح التعامل معها حاجة ملحة لدى الفـــــرد والجماهير ، كالحاجة العضوية للطعام لمواجهـــة الجوع ، أو الحاجة الفكرية للاجابة على ســـؤال مطروح أمام مفكر حقيقي . ليحول الاحســـاس بالانتماء الى حقيقة مادية .

وهذا يعني ، ان عمق الطبيعة القومية للقضية الفلسطينية يولد تأثيرا على نفس المستوى ، كما ونوعا ، بشكل يجعل من التعامل مع قضيـــــة فلسطين والنضال فى سبيلها ، مقياسا عمليـــا وجيدا للاطمئنان على صدق التعبير عن حقيقـــة الانتماء الوطني القومي فى لبنان وخارج لبنان .

وهنا لا يجوز لنا أن نغفل تعاون ابناء لبنان فى الجنوب مع الفدائي الفلسطيني عام ١٩٦٥ مثلا ، بالرغم من مطاردة السلطة له وقتها ، كما لا يجوز لنا أن نغفل أيضا تلك الاغنية الشعبية اللبنانيـــة العريقة فى انتمائها الوطني والقومي ، عنــدما سقط اول شــــهيد لبناني على أرض النضـــال الفلسطيني ، ونقل جثمانه الى بيروت عن طريق دمشــــق .

ماذا حدث ؟ انتفض لبنان فرحا راقصا مزغردا تماما كما يفعل العرب فى كل مكان عند استقبال شهدائهم . دقت أجراس الكنائس فى كل لبنان منذ أن دخل جثمان الشهيد أرض لبنان . وعبر مسيرة جثمان الشهيد تلقفته أجـــراس الكنائس بالعزف . تلقفت [محمد الجمل] الشهيد اللبناني المسلم . لماذا ؟ لان الحدث ذاته كان فوق الطائفية وفوق الاقليمية ، جذوره فى الوطنية اللبنـــانية وجذعه وغصونه وثمرة الشهادة منه فى عروبة الوطنية اللبنانية .

عبرت لبنان عن انتمائها بالفرحة ، وجســـدت الفرحة بدقات أجراس الكنائس ثم بأصوات آذان

المآذن ثم بذلك الاحتفال الرائع عندما وصل الجثمان الى مقبرة الشهداء ».

هذا هو الواقع . واقع القاعدة الشعبية فاذا ما كانت قمة الهرم الاجتماعي ممثلة في السلطة حينا او الحزب صاحب النفوذ الاقوى في السلطة حينا آخر ، اذا كانت هذه القمة ، متعارضة أو متناقضة ، أو سلبية في حجم ونوع التعامل مع قضية فلسطين ، باعتبارها قضية عربية قومية ، فانها بذلك تدفع الفرد والغالبية الى الاحساس بطعنة اصابت احساسها وشعورها بالانتماء . ان مثل هذه الطعنة والطعنات تخلق ردود فعل عنوية في الواقع الجماهيري تؤدي الى ولادة مراكز استقطاب مضادة لموقف التعارض أو التناقض مع القضية الوطنية والقومية ، ويكون الوليد هو اندفاع وتوسيع قاعدة الارتباط بالنضال الخاص بهذه القضية القومية ».

ومن هنا ، ومع تطور الاحداث المتماثلة يتطور الموقف باتجاه الصدام الذي ينفجر بسبب تصاعد حدة التعارض والتناقض من الداخل وبسبب عوامل خارجية تدفع الى تصاعد حدة التعارض والتناقض في الموقفين . داخليا لايصال الامر في النهاية الى حالة الانفجار ، بين أصحاب الموقفين وليست الاعتداءات الصهيونية المتكررة على الاراضي والمواطنين والقرى اللبنانية ، الا احد هذه المحاولات الخارجية لتفجير الموقف الداخلي اللبناني من خلال النتائج المترتبة على هذه الاعتداءات التي تدفع أصحاب نظرية الانعزال والهروب من المواجهة الى التبرير لتعزيز وجهة نظرهم السلبية . ويدفع بأصحاب نظرية التصدي للمواجهة الى تعزيز وجهة نظرهم الايجابية . وبتطور ذلك داخليا ، ينفجر الوضع بين أصحاب الموقفين ، وتتصاعد حدة الانفجار الى أن تصل الى مرحلة الصدام المسلح لان الغاء العمل المنتمي هو الغاء الاحساس بالانتماء ، ونظرا لان هذا الانتماء هو انتماء وطني وقومي ، أي انتماء فيه التعبير عن الوجود ، فان محاولة الغائه تدفع الى الصدام ومحاولة تعزيزه تدفع الى العمل والوحدة الوطنية ، ولعل أفضل توضيح للتعبير عن هذا الاحساس بالانتماء فكرا وممارسة وعلى ردود فعله السلبية والايجابية المتصلة بذلك ، حادثتان حصلتا في لبنان عام ١٩٧٣ و١٩٧٤ ».

الاولى — حادثة اغتيال الشهداء [**أبو يوسف وام يوسف وكمال عدوان وكمال ناصر** [في ١٠/٤/١٩٧٣ . — في بيروت والمعروف بحادث فردان] ».

ان هذا الحادث ايقظ الحس الوطني اللبناني المنتمي عربيا بشكل وصل الى حد الاعجاز ، لقد اصيبت الجماهير اللبنانية بالذهول ، ثم انفجرت في حالة نقد وتمرد واسعة وعميقة ومريرة ، عبرت عن احساسها بتلك المشاركة الجماهيرية الكبيرة في تشييع جنازة الشهداء الاربعة والتي تدر عدد المشتركين فيها بأكثر من **ربع مليون** انسان في بلد صغير كلبنان .

ان هذا الحادث لا يمثل اعتداء مجردا على سيادة لبنان فحسب ، بل يمثل اعتداء على سيادة وكرامة لبنان من خلال الصراع العربي الصهيوني والفلسطيني الصهيوني أي من خلال قضية فلسطين وهي قضية عربية لحما ودما سببا ونتيجة دائما وهدفا .

ومن هنا كان موقف الجماهير اللبنانية ، مسلمين ومسيحيين رجال دين مسيحيين ومسلمين ، موقف الرفض لهذا الاعتداء ، وموقف الرفض لسلبية مواجهته وبالتالي المطالبة بالتصدي الحقيقي له ». أي رفض الطائفية الاقليمية والتعبير المؤمن عن الوطنية اللبنانية بانتمائها العربي ، دون أن يمس هذا من قريب أو بعيد العقيدة الدينية . أو تعايش الاديان .

أما الحالة الثانية ، فهي الرحلة التاريخية التي قام بها فخامة الرئيس سليمان فرنجية الى الامم المتحدة ممثلا لكل الرؤساء العرب وممثلا للبنان بمسلميه ومسيحييه [ضم الوفد اللبناني المرافق للرئيس كل القيادات السياسية للطوائف] في طرح قضية فلسطين والدفاع عنها أمام الدورة الـ ٢٩ للجمعية العمومية لهيئة الامم المتحدة ، المنعقدة في شهر نوفمبر [تشرين الثاني] لعام ١٩٧٤ .

ان ذهاب الرئيس اللبناني يعني ذهاب لبنان كله الى هيئة الامم المتحدة ، ونظرا لان الرئيس اللبناني مثل ايضا كل الرؤساء العرب بتفويض منهم ، عبر مؤتمر **قمة الرباط** الذي يمثل الارادة العربية ، فان لبنان ، مثل العرب كل العرب من ارضية قضية فلسطين والنضال الفلسطيني في هيئة الامم المتحدة ، أي أمام ممثلي العالم .

ان هذا الحدث وما صاحبه من انتصار فلسطيني ، أي الانتصار العربي في هيئة الامم المتحدة ، أي على الساحة العالمية ، لا يمكن الا وان يدفع بالاحساس الوطني اللبناني الى أعلى درجاته من منطلق عربي وبهدف عربي لغاية عربية ، بينما يجعل أصحاب الاحساس الاقليمي الطائفي المضاد

فى حالة احباط كبيرة . لذلك وقبل أن يمضى وقت طويل على استقرار هذا الحدث فى نفوس شعب لبنان ، وقبل أن يولد تفاعلاته العربية الطبيعيـــة سارع **حزب الكتائب** ، على يد رئيسه باصـــدار البيان المشهور فى يناير [كانون الثانى] ١٩٧٥ الذى يقف فيه موقف النقيض لمـا حدث . فيدعو بشكل او بآخر الى اخراج أو انهاء قوة أو فاعلية الوجود النضالى الفلسطينى الذى يحتضنه الشعب اللبنانى . ولم يقف الامر ، عند هذا الحد ، بل أن البيان شبه الوجود الفلسطينى النضالى فى لبنان كالوجود الفرنسى أيام الاحتلال .

ولكن الشعب اللبنانى رد على ذلك البيان قبل صـــدوره ، بذلك التعبير الجماهيرى المتمثل بالاستقبالات الشعبية الضخمة التى احتضنـت الرئيس فرنجية يوم عودته من نيويورك ، هـــذا الاستقبال المتفجر وفاء ومحبة للدور الذى قام به رئيس لبنان واقرارا استفتائيا بصدق الاحســـاس اللبنانى بالدور العربى الذى مارسه لبنان بشخص رئيسه للقضية الفلسطينية .

رؤوس الاموال العربية

رأس المال جبان وجشـع ، اى انه لا يذهب الا حيث يتوفر الاستقرار والربح والامان ، ولعملية الاستثمار المربحة . هذه حقيقة .

لبنان بلد يقوم اقتصـــاده على الخـــدمات والترانزيت العادى واعادة التصدير [عبر المناطق الحرة] . ومن هنا يأخذ المطار والميناء والسياحة محور الحياة الاقتصادية اللبنانية ، يضاف الى ذلك موضوع الزراعة المرتبطة بالعالم العـــربى عموما وموضوع التصنيع الزراعى ، وتصـــنيع منتجات المصانع الاوروبية الامريكية من خـــلال المصانع الفرعية التى تنشأ لها فى لبنان لتصدير منتجاتها الى العالم العربى .

اذن ، الاقتصاد اللبنانى اقتصاد يعتمد أساسا على السوق الخارجية العربية فى مجال الترانزيت واعادة التصدير للبضائع وللمصنوعات .

هذه ايضا حقيقة تقترن بالحاجة الى الاستقرار والعلاقات اللبنانية العربية الجيدة .

العرب يمتلكون فائضا كبيرا لرأس المال على مستوى الافراد والحكومات وخصوصا فى المشرق العربى حيث يقع لبنان . ولبنان بلد ليبرالى فى اقتصاده وأنظمته المالية والمصرفية والاستثمارية ، ويمثل مركزا دوليا فى هذا المجال . اى أن الحركة المصرفية والمالية الاستثمارية فيه ممتدة دوليـــا ، وهذا أيضا حقيقة ..

الحجم الاستثمارى المحلى لبنانيا ، هو حجـــم صغير ، سواء فى مجال الزراعة أو الصناعة أو البناء . وبالتالى ، فان حجم رأس المال المستثمر فيه لابد أن يكون متناسبا مـع حجم السوق اللبنانى المحلى ، وهذا يتطلب أن يكون عدد البنوك فيـــه وحجم تعاملها المالى متناسب مع هذا الحجم أيضا .

ولكن المطلع على وضـع البنوك والمصارف فى لبنان ، يجد أن عدد البنوك وحجم تعاملها المـــالى اكبر كثيرا من حاجة السوق المحلى اللبنانى ، ومن رأس المال اللبنانى .

وهذه ايضا حقيقة أخرى تقودنا الى معرفـــة حقيقة ملازمة لها ، وهى أن فى لبنان رؤوس أموال كبيرة جدا تأتى الى لبنان من خارج لبنان ، علما بأن اكثر البنوك واغناها هى بنوك أجنبية [أمريكية وأوربية] الا أن المال لا يأتى من امريـــكا وأوروبا الى لبنان ليستثمر فى لبنان ، بسبب حجم سوقه الصغير . ولا ليستثمر فى المشرق العـــربى ، لان المال متوفر لدرجة تجعل من حجم فائضه أزمـــة راسمالية عالميـــــة .

ومن خلال المعـــرفة الاحصائية ، فضــــلا عن الاستنتاج القائم على ما سبق ، نجد أن **بنوك لبنان تمثل مقرا استثماريا أو مخبئا امينا لرأس المال العربى الفردى وحتى الحـــكومى . وان استمرار هذا الوضع ونموه يحتـــاج الى الامن والاستقرار وهذا يعنى ان عدم الاستقرار يؤثر سلبيا وبشكل كبير على الحركة البنكية الاستثمارية والمصرفية والودائعية فى لبنان. وبالتالى يؤدى الى انخفاض حجم رأس المال العربى المودع والمستثمر لدى وبواسطة البنوك اللبنانية ، وهذا بدوره يؤدى الى اضعاف قدرة هـــذه البنـــوك على ممارسة عملية الاقراض الداخلى والخارجى وعمليات التسهيلات الائتمانية للمشاريع العمرانية والاستهلاكية والعمليات التجارية التى يتميز بها سوق الترانزيت العادى [مرور البضـــائع الى اصحابها] والمركب [المخزن فى المنطقة الحرة واعادة التصدير] ويؤثر تبعا لذلك على المطار والمرفأ والسياحة . هذا فضـــلا عن تقلص دور البنوك الاجنبية فى تجميد رأس المـــال العـــربى عن الحركة الاستثمارية العربية لصالح الحركة الاستثمارية الاوروبية والامريكية سواء باستثماره هناك ، أو فى تجميده بالايداع بالفائدة ، لابقاء حرية أكبر لرأس المال الامريكى والاوروبى فى عمليات التنمية فى امريكا واوروبا والعالم الثالث.**

اى ان فى الاستقرار ، مصلحة لبنانية لصالح الاقتصاد الليبرالى اللبنـــانى ومصلحة عربيـــة

لصالح رأس المال العربى الهارب من الاستثمار المحلى بسبب او لآخر ولصالح راس المال الاوروبى والامريكى الذى يتعامل مع الودائع العربية الضخمة فى البنوك فى لبنان وفق مصلحته .

اما عدم الاستقرار فى لبنان ، فانه يعرض كل ما سبق الاشارة اليه للخطر ، انه يوقف ويعطل أو يعرقل قدوم رأس المال العربى الى البنوك فى لبنان ، فتنخفض حجم الودائع المالية فى بنوك لبنان وهذا يعرقل نمو العمليات التى يتعامل معها رأس المال المودع لدى البنوك ، مثل : عمليات الاقراض المصرفية والبنكية — عمليات التسهيل التجارية والصناعية — عمليات تجارة الترانزيت [اعادة التصدير] — عمليات تجارة الترانزيت العادية — عمليات الاستثمار المالية خارج لبنان .

لذلك يصبح الاستقرار مطلبا اقتصاديا لكل من : اصحاب البنوك — اصحاب راس المال المودع فى لبنان — اصحاب البنوك باعتبارهم مكان الايداع ومصدرا للتسهيل والاقراض — التجار — اصحاب المصانع — اصحاب الانتاج الزراعى ، والصناعات الزراعية المصدرين الى خارج لبنان لتوسيع قاعدة انتاجهم . كما يصبح الاستقرار مطلبا للمواطن العادى الذى يريد أن يعيش فى استقرار وأمن اقتصادى ومعيشى .

وعندما تصل حالة الاستقرار الى مستوى يصبح فيه الاستقرار مطلبا شاملا ، يقترب جميع اصحاب العلاقة الى الاجابة على السؤال التالى : **كيف يتحقق الاستقرار ؟**

وهذا يعنى كيف تزول الاسباب التى ادت الى اللاستقرار . وهذا يعنى كيف يزول التناقض الداخلى الناتج عن وجود طرفين بعقليتين ورأيين وموقفين متناقضين من المسألة او المسائل المختلف عليها ، اختلافا يوصل أو اوصل الى حالة اللاستقرار او الانفجار .

فى مجال التفاعل اللبنانى مع القضية الفلسطينية والنضال الفلسطينى والصراع الفلسطينى الصهيونى والصراع العربى الصهيونى هناك رأيان متناقضان فعلا :

- **الرأى الذى يمثل الموقف الوطنى المنتمى قوميا .**

- **الرأى الذى يمثل المواقف الطائفية الاقليمية .**

الاول الذى يرى التفاعل الكامل مع القضية والنضال تعبيرا عن احساسه بمسئولية انتمائه القومى ومصير هذا التفاعل تعبيرا ماديا عن هذا الانتماء .

والثانى الذى يرى الحياد الكامل لان القضية لا تعنيه من بعيد أو قريب ، أو هكذا يقول ليغلب مصلحته على مصالح وطنه .

الاول يمثل القاعدة الجماهيرية العريضة

والثانى يمثل قمة الهرم الاجتماعى .

وبطبيعة الحال فان الموقع الطبيعى للجماهير الفلسطينية والثورة الفلسطينية يقف مع الراى والموقف الاول ، الذى تقفه غالبية الجماهير اللبنانية . وهنا تظهر حالة قابلة للانفجار ، فاما ان يرضى الفريقان بالامر الواقع من خلال تفاعل الاول وجر الثانى فى التعامل مع محصلة الصراع العربى الصهيونى والفلسطينى الصهيونى الى ان يصل الى نتيجته النهائية ، وبذلك يتحقق استقرار ارادى تضبطه فكرة تجنب مآسى الانفجار . واما ان يرفض الفريق الثانى هذا الموقف [الفريق الاول موافق بطبيعته عليه] فيدفع بالامور الى الانفجار ، وهذا ما يحصل بين حين وآخر .

اى ان الفريق الثانى [الكتائب خصوصا] يضع نفسه بين نقيضين من صنع افكاره ، ويريد مع هذا أن يستمر فى موقفه .

يريد الاستقرار بدون عروبة .

يريد نمو الاقتصاد اللبنانى بدون عروبة داخلية وبعروبة خارجية نفعية .

والعروبة هى محور الاستقرار والنمو الاقتصادى اللبنانى .

يريد موقفا داخليا مناقضا للعروبة انتماء وقضايا ويريد موقفا خارجيا مستفيدا من العروبة اقتصادا ورخاء .

ان بديهية الحركة الاجتماعية السياسية ، ان السياسة الخارجية هى انعكاس أو تحقيق لمتطلبات السياسة الداخلية المجتمعية .

فكيف يمكن الجمع بين موقف داخلى يقتضى عملية تحقيق متطلباته تناقض نوعية الموقف والعلاقة الخارجية ؟

انه موقف محكوم عليه نهائيا بالفشل ، والعناد فيه يدفع الى طريق ملىء بالالام والدمار ، لانه يدفع دفعا الى الصدام ، والصدام المسلح خصوصا ، بعد ان اصبح السلاح متوفرا اكثر من توفر ماء الشرب فى بيروت ورغيف الخبز لدى القاعدة الشعبية اللبنانية .

اما الحل ، فهو التعامل مع الحقيقة . مع حقيقة لبنان العربى دون مساس بمعتقداته الدينية وباستقلاله السياسى ضمن اطار الانتماء العربى .

الامتدادات العربية فى الساحة اللبنانية

كون لبنان بلدا عربيا أرضه جزء من الوطن العربى واهله جزء من الامة العربية ، فهذا يعتبر من حقائق التاريخ المستقرة فى عقل ووجدان الانسان العربى حيثما كان ، خصوصا الانسان اللبنانى . ولعل ابلغ مثل على ذلك ، هو موقف الجاليات اللبنانية فى المهجر من كافة الاحداث العربية فى العالم العربى وخاصة قضية فلسطين والنضال الفلسطينى ـ والثورة الفلسطينية ، فان حزنهم على ما جرى فى حرب يونيو وسبتمبر [أيلول] ١٩٧٠ وفرحتهم بحرب رمضان ١٩٧٣ وانتصارات الثورة الفلسطينية وتسابقهم على دعمها فى المهجر ، يعطى الدلالة العملية على حقيقة الانتماء العربى الذى يحس به شعب لبنان مسلمين ومسيحيين ، مقيمين ومغتربين .

ان المجتمع اللبنانى الذى يقوم اقتصاده على اقتصاد الخدمات والترانزيت ، ويقوم واقعه السياسى على الليبرالية بما فيها المجال الصحفى والمالى ، وما يتبع ذلك كله من الفوائد الاقتصادية المذهلة التى يتلقاها لبنان من العالم العربى من خلال هذا الواقع الاقتصادى والسياسى والجغرافى ، فى ظرف لاتزال فيه حركة التطور العربى الجذرى نحو التقدم والحرية والوحدة فى مرحلة النمو ولم تصل بعد الى شكلها المستقر النهائى ضمن اطار التطور التاريخى للمرحلة ، هذه الحركة لايمكن الا وان تؤثر ، وهى تؤثر فعلا على طبيعة الوضع اللبنانى من كافة وجوهه باتجاه حركة التاريخ .

ان هذه الفوائد التى يجنيها الواقع اللبنانى فى مجال الاقتصاد والتجارة والمال يؤثر فيها ، ولكن بشكل آخر ، التفاعل الشعبى اللبنانى مع احداث العالم العربى ، والامتدادات العربية ـ المقصودة والتلقائية فى الواقع اللبنانى وخاصة مجال الصحافة اللبنانية المقروءة عربيا ، والثقافة الفكرية والسياسية العربية المسموعة والمقروءة والمطبوعة لبنانيا .

ان الصحافة اللبنانية ، وان كانت أداة من ادوات الصراع العربى الاجتماعى والسياسى القائم فى العالم العربى ، بما يكتب فيها من منطلق الالتزام لدى البعض ومنطلق المنفعة المادية لدى البعض الاخر ، فانها ايضا تمثل ادوات نقل لقضايا النضال العربى ونتائجها السياسية والاجتماعية الى القارىء اللبنانى لدرجة يمكن معها القول بان القارىء اللبنانى والقارىء العربى للصحافة اللبنانية يقرأ كل ما يتصل بالتيارات المتصارعة فى العالم العربى .

ان هذا الوضع لا يمكن الا وان يزرع محصلة الحركة العربية فى الواقع الداخلى اللبنانى خصوصا على مستوى الفكر الاجتماعى والبنية السياسية والواقع الاقتصادى .

كما ان هذه المحصلة ، مع انها لم تصل الى مرحلة التعارض مع الاستقلال [لان موضوع الوحدة العربية لم يصل الى هذه المرحلة بعد] الا انها تخلق مناخا يتناقض على المدى البعيد ويتعارض نسبيا على المدى القريب ، مع الصورة التى ظهر بها لبنان بعد خروجه من تحت الاحتلال الفرنسى . ويتعارض بالتالى تعارضا لم تصل حدته بعد الى درجة التناقض مع الخصوصية المؤقتة للبنان والتى وجدت كنتيجة للاحتلال الفرنسى ، وتدخل ونفوذ الاستعمار الاوروبى منذ اواخر القرن التاسع عشر .

ان هذا الوضع يخلق ايضا نفس الموقف المتعارض الذى اشرنا اليه فى هذه الدراسة . وان كان هذه المرة ينطلق من طبيعة الحركة الاجتماعية اللبنانية ومن التعارض المتجه الى مرحلة التناقض بين لبنان ١٩٤٥ [ماضى] بما فيه من مراكز قوى اقتصادية وسياسية وبين لبنان المستقبل ، وما ستفرضه حركة التطور الحتمية المتدرجة أو الجذرية باتجاه مراكز قوى اقتصادية وسياسية جديدة ، تعكس ليس فقط تطور الوضع اللبنانى لبنانيا ، بل تعكس ايضا تطور الوضع العربى لبنانيا والوضع اللبنانى عربيا .

ومن هنا يتبين أن الليبرالية اللبنانية بالقدر الذى خدمت فيه موازين ومواقع القوى اللبنانية فى الماضى ، فانها بفعل حركة التاريخ داخل لبنان ومن حوله تحدث فعل التطور ضمن اطار حركة التطور العربى ، مهما قال اصحاب موقف الانعزال من تنظير معاكس .

ان الليبرالية اللبنانية القائمة على التوازن الطائفى تتناقض فورا مع التحول عنها اذا كان التحول يتناقض فى مسيرته مع التوازن الطائفى ، اى احتكار امتيازات وحريات الليبرالية لصالح فريق من فريقى التوازن [بشكل عام] . وهذا التناقض يدفع فورا الى الانفجار لبنانيا لان السيطرة لفريق سيرفضها فورا الفريق الاخر ، والانفجار سيكون شاملا ودماره سيكون بالغا ، وعليه فأما أن تبقى الليبرالية لصالح التوازن ،

أو تتحول لصالح الوطنية اللبنانية على حساب الطائفية دون أن يؤثر هذا على تعايش الاديان .

ان استمرار الليبرالية اللبنانية لا يمكن الا وان يؤدى الى التأثر بمحصلة تطور الواقع العربي الذى لا يمكن الا وان يكون باتجاه حركة التاريخ . وهو هنا يرفض الواقع الذى فرضه الاستعمار أو التخلف الحضارى أو كلاهما .

وهذا كله يعنى ضرورة القبول باستمرار الليبرالية وتطورها من موقع التوازن الطائفى ، الى مواقع الوطنية اللبنانية وهذا لا يؤثر على الاديان ، بل يحقق الاخاء الدينى بين المسيحيين والمسلمين ، لان اولى مراحل التطور المتدرج ، لابد وان تتحقق من خلال :

١ — تغليب مصلحة لبنان دولة وشعبا على مصلحة احد طوائفه وهذا يفرض تعايش الاديان وليس تسلط احدها على الاخر .

٢ — التفاعل مع محصلة التطور العربي دون المساس باستقلال لبنان وان كانت اندماجية لبنان بهذا التطور هى المرحلة الاخيرة الطويلة المدى ، المرتبطة بتحقيق الوحدة العربية جزئيا أو كليا فيدراليا أو كونفدراليا على أرض التطبيق العملى .

من هذا كله ، نلاحظ أن الليبرالية اللبنانية تفرض على من يريد المحافظة على جوهر الماضى أحد موقفين :

● مسايرة حركة التطور الاصلاحية ضمن اطار استقلال لبنان .

● مواجهة حركة التطور الاصلاحية وهذا يعنى الانفجار .

ان هذين الخيارين هما المأزق والمخرج ، وعلى من يريد المحافظة على الماضى أن يختار مقتله او تطوره . هذه حتمية التاريخ فى الاطار الاصلاحى ، وهذه حتمية سيواجهها لبنان أيضا فى اطار التطور الاصلاحى .

ان القضية الفلسطينية والثورة الفلسطينية مؤثرة عربيا وفاعلة فى حركة التطور العربى لما تخلقه من مناخ النضال المطلوب جماهيريا للتعبير عن الثقة بالذات العربية المتحررة من اعدائها وعلى رأسهم العدو الصهيونى .

ومن هنا كان للقضية الفلسطينية والنضال الفلسطينى وكله يقع الان من خارج لبنان ، أثر فى حركة التطور العربى وبالتالى فى حركة التطور داخل لبنان .

لذلك ، فان قوى المحافظة على لبنان الماضى ، لتحقيق المزيد من تضليل جماهيرى للمحافظة على هذه الجماهير اطول مدة ممكنة ، تتجاهل تأثير الصراع مع العدو الصهيونى وعلاقته بالتطور العربى وانعكاسات ذلك كله على حركة التطور اللبنانى لتحمل الوجود الفلسطينى فى لبنان مسئولية ذلك كله ، لتخلق مبررا تضليليا تحمله تبعة الانهاك الذى اصاب فكر قوى لبنان الماضى ، بل يصل الامر بهذه القوى [وعلى راسها الكتائب] ان تطلب فى نشراتها التحريضية ، ليس خروج الفلسطينيين من لبنان فحسب ، بل حتى خروج الفلسطينيين من مخيم تل الزعتر الذى يقع داخل منطقة جغرافية للكتائب فيها مركز القوة .

انها بذلك ، انما تريد استعمال الورقة الفلسطينية فى لبنان ، بشكل مضلل ، كتبرير للانفجار ، الذى هو فى حقيقته ، يرجع باصوله الى شيء آخر ، الى المحافظة على الواقع الذى أوجده الماضى ، لمنع حركة التطور حتى الاصلاحى منها .

البنية السياسية ومراكز القوى اللبنانية واحتمالات المستقبل

لقد قلنا ان البنية السياسية اللبنانية التى وجدت عند خروج الاحتلال الفرنسى من لبنان ، قامت على اساس التوازن الطائفى من حيث الشكل الدستورى لمواقع السلطة ومن حيث التوازن الطائفى أيضا .

ان هذا الواقع لم يكن تطورا طبيعيا ذاتيا لواقع المجتمع اللبنانى والمنطقة ككل ، وانما كان نتيجة فعل استعمارى بدأ منذ اواسط القرن التاسع عشر عندما كانت الامبراطورية العثمانية قد وصلت الى مرحلة وصفت دوليا « بالرجل المريض » الذى تنتظر اوروبا او دول الاستعمار الاوروبى آنذاك ، موته لتقتسم تركته المثيرة للشهية .

ونظرا للتوازن القائم آنذاك بين الدول الاوروبية الاستعمارية ، وتنافسها الحاد على قيام كل منها فى اخذ الافضل والاهم من التركة وخاصة منطقة الشرق الاوسط ، لذلك ، ابتدع الاستعمار الراسمالى الاوروبى الذى يشمل روسيا القيصرية ، فكرة الدخول الى مراكز النفوذ فى المنطقة تحت شعار حماية الاقليات الدينية الطائفية فى المنطقة .

وعلى اساس هذه الفكرة ، وبسبب ضعف الامبراطورية العثمانية ، وبعد الحاق الهزيمة النهائية بقوات ابراهيم باشا التى كانت تعمل

على انقاذ الوضع بتوحيد المنطقة العربيـــة من الشرق الاوسط ، دخلت فرنسـا وبريطانيـــا وروسيا القيصرية المنطقـة تحت مظلة حمـاية الطوائف الدينية فيها .

ومن خلال هذا الاسلوب الجديد ،تمتع القنصل الفرنسي والروسى والبريطانى بصلاحيات وصلت الى حد التوازى مع صلاحيات السلطة المحلية التركية .

وبسبب الصراع بين هذه الدول الاستعمارية، اخذت كل دولة تعمل لتحريض من تحميهم ضد غيرهم وقد انتج هذا كله سلسلة من الاضطرابات الطائفية التى وصلت الى حد الاقتتال الدموى الطائفى .

ومع اتجاه الوضع الدولى الى الحرب العالمية الاولى ، بدأ نوع من التحـالف البريطـــانى الفرنسى فى المنطقة ، وصل اخيرا الى **اتفاقية سايكس بيكو** ، التى تم فيها تقسيم ســوريا الكبرى [فلسطين لبنان الجبل ، سوريا] بين الدولتين فى حالة انتصـارها وحلفائهمـا على تركيا وحلفائها فى الحرب .

انتهت الحرب العالمية الاولى بانتصار ماوصف بـ [الحلفاء] فاخذت بريطانيـا فلسـطين والعـراق وشرق الاردن مضيفة الى الحـدود الجديدة الى هذه المناطق مساحات واسعة من التى كان من المفـروض ان تأخذها فرنســا حسب اتفاقية سايكس بيكو . واخذت فرنسـا ما تبقى من سوريا [سوريا ولبنان الحاليين].

ثم قامت فرنسا بتقسيمات جغرافية اصبحت فيما بعد تمثل الحدود اللبنانية السورية ، وقد تم رسم هذه الخطوط بشكل يجعل من لبنـان توازنا فى السكان على اساس طائفى [سنى ، شيعى ، مسيحى ، درزى] . وكانت طرابلس من حصة لبنان ، فأصبح ميناء بيروت وطرابلس، المنفذ التجارى لسوريا ، وبذلك اصبحت التجارة السورية اللبنانية بيد لبنان بما فى ذلك موضوع الترانزيت ، ثم موضــوع الوكالات الصناعيـة التجارية التى خططت سلطة الاحتلال الفـرنسى لوضعها بيد اللبنانيين فى لبنان من حيث الوضع اللبنانى السورى ، وبيد الطائفة المسيحية [فى الغالب] من حيث الوضع الداخلى الطــائفى اللبنانى .

ثم قامت سلطات الاحتلال الفــرنسي بتوزيع الوظائف فى الدولة والشركات الفرنسية كالبنوك وشركات التأمين .. الخ ، على اساس طائفى لصالح الطائفة المسيحيـة عموما والمـارونيين خصوصا . ونفس الامر بالنســبة للوكالات التجارية .

اما فى مجال التعليم والثقافة ، فقد انتشرت المدارس التبشـيرية الفرنسية والبريطانيـــة والامريكية على نطاق واسع جدا ، ثم تحولت بعض هذه المدارس الى مدارس علمانية شكلا لتتخطى عقباتها التبشيرية .. وقد وضعت قيود كبيرة على الدخول والتدرج نحو التعليم الجامعى بحيث لم يكن بامكان غير ابناء الاغنياء [العائلات الكبيرة والاكثر من المتوسطة] من اتمام الدراسة الثانوية والجامعية ،وخصوصا الجامعية .يضاف الى ذلك ان مساعدات خاصة كانت تقدم لهذه المدارس الاجنبية لتتمكن من الاســتمرار ومن استيعاب العاجزين ماديا عن اكمال الدراســة حسب سياسة مرسومة تقوم على اســـاس التفرقة الطائفية .

ومع أن نتيجة التعليم العالى ، كانت حسب خطة الاحتلال الفرنسي ، تعمل لان يكون التعليم لغير صالح الطائفة الاسلامية ، فقد اختــل التوازن التعليمى من حيــث نوعيتــه وعــدد الحاصلين عليه ، لصالح الطائفة المسيحيــة ، الا ان هذا الخلل لم يشمل العائلات الكبيرة من الطائفتين ، **التى كانت ولاتزال تمثل قمة هيكل الحكم والسلطة ايام الاحتلال الفرنسي وبعده .** وعدم الشمول هذا ، لم ينحصر فى الناحيـــة التعليمية ، بل شمل ايضا الناحية الاقتصادية. اى أن الخلل فى التوازن شمل القاعدة الدنيا والوسطى ولم يشمل العائلات الكبرى التى تمثل ملكيتها لراس المال والارض قمـــة الهــرم الاقتصادى اللبنانى [مسلمين ومسيحيين] .

اى أن الحدود التى رسمتها فرنسا بين لبنان وسوريا وما انتجه ذلك من تعدد سكانى شبه متوازن على أساس طائفى .

والسياسة التعليمية والاقتصادية التى رسمتها فرنسا وحققت بها خللا عميقا لحساب الطائفة المسيحية فى مجال القاعدة الشعبية العريضة والوسطى ، ونوعا من التوازن لصالح العائلات الكبرى [مالكة المال والارض] بغض النظر عن الانتماء الطائفى .

ان ما فعلته فرنسا ، انتج وضعا ســياسيا يقوم على اساس التوازن الطـائفى [وليس الدينى] كعنوان ، والخلل الفعلى كحقيقة داخل لبنان ، واقترن ذلك كله ، بسياسة اعلاميـة تنمى الاحساس بان لبنان شيء آخر غير العرب، وغير سوريا .

وعندما خرجت فرنسا من لبنان ، كانت قد اوجدت الواقع الذى اشرنا اليه . هــذا الواقع الذى اوجد القيادات السياسية اللبنانيـــة التى قادت لبنان فى الثلاثين سنة الماضية . وهــذا

الواقع ايضا ؛ وان وحدت الى حد كبير قياداته فى معركة الاستقلال الوطنى ، الا انه ، ما ان تحقق الاستقلال الوطنى اللبنانى ، حتى زال ضغط العدو الخارجى الذى وحد من فى الداخل، فبدأت القيادات تواجه المشاكل الداخلية التى وضع اسسها الاستعمار قبل أن يرحل .

ولاهمية العامل الاقتصادى بسبب طبيعته التأثيرية ولانه مغلف بالمسالة الطائفية فى لبنان، لا ضرر من أن نعود اليه مرة اخرى لنلاحظ انه بالرغم من التقسيم الطائفى ومسالة التوازن الطائفى فى لبنان التى انعكست ايضا على القيادات السياسية ، الا ان هذه القيادات مثلت باشخاصها وبانتمائها الطبقى ، الفئة ذات المصالح الاقتصادية الاساسية فى لبنان فى مجال ملكية الاراضى والزراعة والتجارة والصناعة والوكالات التجارية .. الخ .

لذلك ،وبالرغم من مسالة الطائفية السياسية فى لبنان ، الا ان العلاقة الاقتصادية الاجتماعية أوجدت خللا اساسيا فى توزيع الدخل القومى لصالح قمة الهرم الاقتصادى الاجتماعى كما اوضحناه ، بالرغم من الغطاء الطائفى الذى يتسلح به هذا الفريق او ذاك عندما يطلب المزيد ، او يصر على الاحتفاظ بما لديه ، او يحتج على اخذ غيره منه .

وهذا الخلل ، تجاوز الطائفية الى الوطنية فى ردود فعله . وملاحظة بسيطة لبعض المعارك الاقتصادية الاجتماعية فى لبنان تعطى الجواب على هذا الخلل الاقتصادى غير الطائفى المغلف بستار طائفى . وذلك مثل :

□□ موضوع حماية الصناعة اللبنانية المحلية من الصناعات المثيلة المستوردة ، ان تحقيق مثل هذه الحماية ، تضر بمصالح اصحاب الوكالات التجارية الذين يمثلون القيادات السياسية والاقتصادية الاكثر قدما ، لان الصناعة فى لبنان ، مرحلة اقتصادية جديدة .

فى هذه المعركة ، لم ينتصر الصناعيون بعد فى استصدار القوانين المطلوبة لحمايتهم [وهذا مثل يرتبط بالصراع فى قمة الهرم الاقتصادى].

□□ ثم نأتى الى معركة بين قاعدة الهرم الاقتصادى وقمته ، كمعركة سعر الادوية . تحديد سعر الادوية لصالح الفقراء . لصالح القاعدة . لقد فشلت هذه المعركة لانها تتعارض مع مصلحة اصحاب الوكالات الخاصة بالادوية ومصلحة اصحاب صناعة الادوية الاجنبية فى لبنان .

ان الفشل فى المعركتين ، لم يأخذ شكلا طائفيا ، وانما أخذ شكل الصراع بين مصالح الاغنياء والفقراء . الاغنياء الكبار مسلمين ومسيحيين ، والفقراء المحرومين مسلمين ومسيحيين .

ان الفشل فى المعركتين الاقتصاديتين المشار اليهما ، وان كان دافعه يمس مصالح القاعدة الشعبية من حيث مستوى المعيشة ، الا انه يمثل ايضا الصراع بين القوى الاقتصادية القديمة ومصالح القوى الاقتصادية الجديدة ، ضمن اطار « النظام الاقتصادى الحر » فى لبنان ، ولذلك بقيت آثارها السياسية المباشرة ، محصورة بين من يجلس على قمة الهرم الاقتصادى ، دون ان يؤدى ذلك الى تفجر حالة سياسية شعبية .

أحداث صيدا

الا ان احداث صيدا [فبراير — مارس ١٩٧٥]، أخذت شكلا آخر . فقد انشئت شركة احتكار صيد السمك فى السواحل اللبنانية ، وهذا ادى ويؤدى الى الاضرار المباشر بمصالح صيادى الاسماك اللبنانيين ، الذين سيتحولون الى عاطلين ، او عمالا لدى الشركة الجديدة .

هنا كان الصراع واضحا ومباشرا ، بين شركة احتكارية نابعة من قمة الهرم الاقتصادى اللبنانى [البورجوازية اللبنانية] وبين قاعدة شعبية اقتصادية هى قاعدة صيادى الاسماك.

لذلك عبر هؤلاء عن رفضهم لهذا الاجراء الاقتصادى بالاضراب ، وكان المفروض ضمن نظام اقتصادى حر ديمقراطى ، ولو بالطريقة اللبنانية ، ان يكون هذا الاضراب دافعا لمعالجة المشكلة سلميا من خلال المفاوضة بهدف عدم الاضرار بمصالح صيادى الاسماك .

ولكن السلطة استعملت الجيش لقمع الاضراب، فانفجر الموقف الذى كان بطبيعته قابلا للانفجار بسبب التراكم الناجم عن عدم الاهتمام بالمصالح الاقتصادية والاجتماعية للقاعدة الشعبية اللبنانية.

والسؤال الكبير هنا : لماذا لجأت السلطة الى القمع ، بينما قوانين النظام الليبرالى تمنع ذلك لانه نظام حر يقوم على المنافسة ، ونظرية العرض والطلب والديموقراطية السياسية ؟

والجواب على ذلك واضح ومؤلم فى نفس الوقت :

أولا : ان العالم الراسمالى ككل ، ولبنان جزء منه ، يعانى من تفاقم مشاكله الاقتصادية الحادة فى التضخم المالى ، وعودة التنافس الحاد على الاسواق بعد ان استعادت اوروبا

واليابان توتهمــا الاقتصــادية منافســة بذلك الولايات المتحدة الامريكية ، وبعد الخلل الذي بدأ يصيب ميزان مدفوعات قائدة المعسكر الراسمالي [الولايات المتحدة الامريكية] والاهتزاز العنيف الذي اصاب المركز العالمي الاقتصادي والمــالي والسياسي للدولار الامريكي .

ثانيا : ان حرب رمضان ، وحرب النفط التي واكبتها ، سارعت في تفجير الازمة الاقتصادية في العالم الرأسمالي واخذت الاسعار ترتفــع قفزا الى الاعلى بدرجة لم يكن في اسـتطاعة احد مواجهتها . وبالتالي مواجهة مشــاكلهــا الكبيرة المتصلة بالتضخم المالي وارتفاع نسـبة البطــالة [في منتصــف عام ١٩٧٥ بلغ عــدد العاطلين عن العمل [٨ر٥] مليون عامل في الولايات المتحدة الامريكية وحدها] .

ثالثا : تاثرت لبنان بطبيعة الامر بارتفــــاع الاسعار . ولكن الحكم اللبناني لم يعرف كيف يواجه موجة الغلاء ان لم نقل ، لم يهتم جــديا بمواجهتها ، لان قمة الهرم الاقتصادي وجدت في الغلاء وسيلة لزيادة ارباحها ولم تســتطع ان تفكر ابعــد من ذلك ، فضــلا عن طبيعــة الاقتصــاد اللبناني القائم على الخدمات والذي يعتمد على الخارج .

رابعا : جاءت وزارة رشيد الصلح من خلال ازمة . ولم تكن معبرة عن كل متطلبات الهــرم الاقتصــادي اللبناني ، فمـــارست لاول مرة ممارسات جديدة كرفع الحــد الادنى للاجــور ، ومواجهة احتــكار التجــار للمــواد الغذائيــة الاساسية مثل السكر ، حيث تمت مصادرته من كبار التجار وتوزيعه بيعه باسعار محددة ، والتفكير باصدار بطاقات تموينية لضبط الاسعار .. الخ .

خامسا : ان هذه الاجراءات مع انها طبيعية ومتفقة تماما مع طبيعة اي نظام ليبرالي ، الا ان هــذا أثار تخوف قمــة الهرم الاقتصــادي اللبناني لانه يعني احداث تطوير عن الماضي الى الامام .

سادسا : ان القفزات غير المعقولة في ارتفاع الاسعار ، وفشل المسئولين في مواجهتها ، ان لم نقل عدم محاولتهم الجدية لمواجهتها ، ان هذا لا يعمق الخلل في التوازن بين القاعدة الشعبية وبين قمة الهرم الاقتصادي اللبناني فحسب ، بل يحول المشكلة الاقتصادية الى مشكلة اجتماعية ، وبالتالي تعميــق الاحســاس بالظلم من الواقع الاقتصادي القائم ، والاحساس بالظلم يحــول المشكلة الى حركة سياسية بالتمرد على هــذا الواقع .

سابعا : ان هذه الحركة السياسية ، اما ان يتم التجاوب معها بشكل صادق ، حتى ضمن ومن داخل اطار الاقتصاد الحر ، كمــا يحــدث في البلدان الراسمالية الاخرى ، واما ان يتم تجاهلها أو رفض معالجة اسبابها .

ثامنا : ولكنها حالة ظلم قائمة ومتناميــة ، وبالتالي فان الحركة السياسية المتصلة بها تملك مقومات الاستمرار والنمو . وبالتالي فان تجاهلها غير ممكن ، فان كان حلها مرفوض لدى قمــة الهرم الاقتصادي ، بسبب الجمود العقلي ، أو العجز الفكري ، فان الوسيلة الوحيدة الباقيــة هي استعمال السلطة لاداة القمع التي تملكها ، حتى لا تتحول الحركة السياســية الى قــوة تؤدي الى احــداث تغييرات جزئيــة او كلية اصلاحية او جذرية في الواقع القــائم اقتصاديا وسياسيا .

تاسعا : لذلك ، وما ان وقع اضراب صيادي السمك في صيدا حتى تدخلت السلطة للقمــع كوقاية تمنع بهذا التدخل اي محاولة جديدة في المستقبل تتقل بالازمات الاقتصادية واثارهـــا الواقعة على القاعدة الشعبية الى تحرك شعبي لصالح القاعدة الشعبية اللبنانية .

ان ظهور المشكلات الاقتصــادية ، يعني أن هناك حاجة الى حلول من المفروض ان لا تتجاهل مصلحة القاعدة الشعبية ، باعتبارها القــاعدة التي تتفاعل فيها وبها ومنها عوامل وعمليــة التطور . وعلاج المشكلة لا يتم الا من خــلال التعامل مع اسبابها الحقيقية ، ومع من تتناولهم المشكلة . وهذا يدفع الى القول فورا ، بأن أي مواجهة لحل جدي للمشكلة يكون حلا خاطئــا ، اذا قفز عن اسباب المشكلة ومن تتناولهم .

لقد حاولت الكتائب ضمن هذه الظـروف أن تنفــذ مخططاتهــا متجــاهلة القوى اللبنانيــة السياسية الاخرى بما فيها حزب الاحرار والكتلة الوطنية .

وقد تمثل مخطط الكتائب بحل المشكلة بالقفز عنها الى غيرها فاثارت النقطتين التاليتين :

- ان الوجــود الفلسطيني يخــل بالتوازن الطائفي اللبناني ، وهذا القول [غير صحيح] ، لان الفلســطينيين ليســوا مواطنين لبنــانيين يتمتعون بحقوق وواجبات المواطن اللبنــاني . وليسوا جزءا من النظــام ، كما انهم ليســوا جزءا من بنية الاقتصاد اللبناني ، انهم يعاملون معاملة السائح المقيم الذي يعمل في الخــارج ويصرف في الداخل من ناحيــة ، ويعمــل في الداخل ضمن اطار العمــل المســموح به لغير اللبنانيين من عرب وغير عرب .
- ان اليسار اللبناني يعمل لقلب النظــام اللبناني القائم . وهذا ايضا غير صحيح ، لانه

حتى ولو كان اليسار اللبنانى يعمل لتغيير الواقع اللبنانى اقتصاديا ضمن قوانين الواقع اللبنانى، بمعنى استثمارهم للنظام الحر وكشف الظلم الواقع على القاعدة الشعبية ، فان هذا اليسار ليس وحده الذى يفعل ذلك ، بل ان حركة **الامام الصدر** تفعل اكثر فى مجال كشف الظلم والمطالبة بالاصلاح وانصاف المحرومين . اما من حيث القوة الفعلية لتغيير النظام ، فان احدا ما ، بما فى ذلك اليسار نفسه ، غير قادر على الادعاء بانه يملك القوة القادرة على فعل مثل هذا التغيير الان .

ان بطلان هذين الادعاءين يجعل الاصرار عليهما من قبل الكتائب يقودنا الى النتائج التالية :

□ هناك ازمة تطور يعانى منها النظام لبنانيا .

□ هناك عجز عن حل هذه الازمة من داخل النظام .

□ لذلك لابد من اتباع الاسلوب التقليدى الخاطىء فى معالجة الازمات الداخلية بتجاهل هذه الازمات بالقاء مسئوليتها على جهات اخرى وتفجير معركة معها ، أى الى خلق ازمة اخرى والتصدى لها لحلها بدلا من حل الازمات الحقيقية .

ان هذا يعنى من جهة تجاهل حقيقة الازمة اللبنانية ، اما عن قصد لرفض حلها خوفا من نتائج هذا الحل على مصالح ومكاسب قائمة، او عن عجز فى الحل بسبب شيخوخة العقل المتحكم فى مجريات الامور وخاصة الاقتصادية. كما انه يعنى من جهة اخرى تجاهل الازمة الحقيقية داخل الواقع اللبنانى بان يعتبر الفلسطينيون ، واليسار فى لبنان هم المشكلة . [راجع بيان رئيس الكتائب] .

اما اسلوب تطوير ذلك كله حسب المخطط الذى مارسته الكتائب خصوصا بعد فشل مخطط حوادث صيدا ، فقد كان ما يلى :

— افتعال الصدام مع الفلسطينيين .

— تطوير الصدام بحيث يدفع الى التوسع لبنانيا .

— ثم ، ومن خلال ذلك يدفع بالجيش التدخل.
— وقد يصل الامر الى فرض حالة الطوارىء.
— او تأليف حكومة عسكرية .

ان الكتائب بمخططاتها هذه ، لم تدرك كما يظهر انها تدفع بالبلاد الى حرب اهلية لانها لو ادركت ذلك ، فان اصرارها على ممارسة وتنفيذ هذا المخطط يعنى انها هى التى تريد القيام بالتغيير لصالح حزب الكتائب وليس لصالح الطائفة المسيحية ، فضلا عن مصالح لبنان ، كما انها هى [وليس الفلسطينيون أو القوى الوطنية] التى تمس سيادة لبنان .

ان الكتائب باسلوبها هذا ، تتجاهل رأى حزب الاحرار [كميل شمعون] ورأى الكتلة الوطنية [ريمون اده] وتعتبر نفسها وحدها ممثلة للمارونيين والمسيحيين عامة فضلا عن الساحة اللبنانية ككل .

واسلوبها فى ذلك هو اسلوب القهر ورفض قواعد التطور الخاص بالانظمة الليبرالية أى رفض الديمقراطية والحرية ، بينما المفروض فى بلد كلبنان ، يمارس الليبرالية كنظرية لنظامه ومجتمعه ، ان يحل ازماته من خلال الانتخابات القائمة على حرية العمل السياسى الذى يسهم بالتطور ضمن قواعد هذا النظام . وهذا سيؤدى عند الوصول الى مرحلة جديدة من مراحل التطور الى تغييرات واضحة فى نتائج الانتخابات النيابية بما يتجاوب مع متطلبات التطور الاصلاحى الليبرالى ذاته وهذا ما ترفضه الكتائب .

هذا هو لبنان الماضى بحاضره ، فماذا عن لبنان الحاضر ومستقبله :

١ — من حيث طبيعة التكوين السكانى الطائفى فقد تطور وضعه من التوازن الى اللاتوازن ، فأصبح كما يلى حسب احصائيات المعلومات المتوفرة من مصادر سياسية لبنانية عام ١٩٧٤ :

توالى المجموعات	٩٧٠٠٠٠	شيعة
١ر٦٧٠ر٠٠٠	٦٩٠٠٠٠	سندة
٢ر٦٣٢ر٠٠٠	٣٤٢٠٠٠	دروز
	٤٩٦٠٠٠	موارنه
	٢١٣٠٠٠	كاثوليك
٩٣٩ر٠٠٠	٢٣٠٠٠٠	ارثوذوكسى
٢ر٩٤١ر٠٠٠	٢ر٩٤١ر٠٠٠	المجموع
٤١٧٠٠٠ فلسطينيون [حسب الاحصاء الرسمى] .		
٣ر٣٥٨ر٠٠٠	٣ر٣٥٨ر٠٠٠	

٢ — التعليم : ارتفعت نسبة عدد المتعلمين الجامعيين وغير الجامعيين بما يلغى تدريجيا الفوارق الشاسعة التى كانت عام ١٩٤٥ بين الطوائف ويوسع قاعدة التعليم نسبيا فى القاعدة الشعبية اللبنانية .

٣ ــ **الاقتصاد** : بدات الشقة الطائفية فى الخلل الاقتصادى الطائفى تضيــق بالرغم من بقاء ذوى السلطة الاقتصادية القـــدامى على وضعهم ، الا ان الجيل الجديد أخذ ينحو منحى المشاركة الاسلاميـــة المسيحيـــة فى الاعمـــال الاقتصادية لتقفز فوق الطائفية باتجاه الوطنيـــة اللبنانية .

اما من حيث المنظور الطبقى للدخول فقـــد اتسعت قاعدة الفقراء اتساعا كبيرا عمـــا كانت عليه فى الماضى بالنسبة للاغنياء .

٤ ــ **الزعامات السياسية** : ان الزعامات السياسية القديمة ، القائمة على الفرد المدعوم عائليا او عشائريا او طبقيا [البورجوازية] لاتزال فى مكانها بشكل عام .

ولكن الملاحظ ، ان هذه القيادات والزعامات قد شاخت من حيث انهـــا وصلت الى مرحلة العجز عن العطاء حتى وفق مفهومها الخاص . كما أنها اثبتت عجزها عن ولادة البـــديل المثيـــل لها ، اى أن التطور سبقها فأصبحت متخلفة عن المرحلة حتى بالمفهوم الليبرالى للتطور والمجتمع.

فى نفس الوقت ،نلاحظ نمو القوى السياسية المتكتلة حول افكار بغض النظر عن نوعية هذه الافكار وصوابها او خطئها . وهذه القـــــوى السياسية اخذت تقدم عناصر شابة ،الامر الذى أجبر التكتلات القديمة على تقديم عنـــاصر شابة أيضا ، ولكن هذه العناصر الشابة ، غير قادرة على الاستمرار فى مواقف جيل الاباء ، فقـــد بدأ التطور يغزوها ايضا بغض النظر عن اتساع وعمق قاعدة الغزو . وقد ظهر هذا بشكل واضح لدى الكتائب ولدى القوميين الســــوريين [من الحركات القديمة] .

لقد شاخت محصلة عطاء القيادة القديمـــة ، وغزا التطور عقول القيادات الشابة المرتبطـــة بالقيادات القديمة ، وظهرت قيـــادات شـــابة جديدة ، كنتيجة لظهور حركات سياسية حزبية شابة جديدة .

لقد احست القيادات القديمة بالتغيير الخاص فى ابنائهـــا وأحست هى وأبناؤهـــا بالحـــركات الجديدة وقياداتها الرافضة لمبدأ التوازن والمنطلق الطائفى والمؤمنة بمنطلق الوطنية اللبنانيـــة أو القومية العربية او الاشتراكيـــة اللبنانيـــة أو الانفتاح العربى ... الخ .

صحيح أن الجديد لايزال وليدا يحبو [كفكر وعمل منظم] ولكن نضاله وتجاوبه مع متطلبات القاعدة الشعبية لبنانيا وليس طائفيا ، كبير .

ان الانتخابات اللبنانية لمجلس نيابى جديد على الابواب ....

فى الانتخابات السابقة اخترق الحاجز اللبنانى القديم شباب مثـــل **نجـــاح واكيم وعلى الخليل وعبد المجيد الرافعى** . على اساس غير طائفى، أو طائفى عام متمرد على الاقطاع الطائفى الخاص كما حصل فى انتخـــابات النبطية حيث ســـقط مرشح [**كامل الاسعد**] .

وبين الانتخابات السابقة والقـــادمة بضـــع سنوات مليئة بالاحداث المؤثرة عربيا وابنانيـــا [حرب رمضـــان ، معـــركة النفط ، انبعـــاث التضامن العربى ، انتصـــارات فلســـطين فى المجال العربى [قمة الجزائر ، والرباط . وفى المجال الدولى ، الامم المتحـــدة ومؤتمرات عـــدم الانحياز والعالم الاسلامى ومنظمـــة الوحـــــدة الافريقية ومؤسسات هيئة الامم المتحدة ،وتصاعد النضال العسكرى الفلسطينى فى الارض المحتلة كما ونوعا ، وانتصار ثورة فيتنام وكمبـــوديا ، بضجيج عالمى اصاب كل كبرياء الامبرياليـــة الامريكية وحلفائها ، الى آخر ذلك من الاحداث الخارجية المؤثرة فى الساحة اللبنانية . ثم الاحداث اللبنانية ذاتها مثل : احداث طرابلس وصيدا ، وقصف العدو الصهيونى لمناطق الجنوب واغتيال الشهداء الثلاثة فى ١٩٧٣/٤/١٠ والاعتداءات الصهيونية على سواحل صور وصيدا وبيروت وطرابلس .

ثم معركة الغلاء ، والماء ، والدواء ، والتبغ ، واعمار الجنوب ، وقانون حمـــاية الصنـــاعة المحلية ، وقانون الجيش والجنسية ، ومسألة التجنيد الاجبارى ، واحداث الطلبة بشـــكل عام والجامعة الامريكية بشكل خاص ، ثم صـــدام الجيش فى سبتمبر [ايلول] ٧٢ ومايو [ايار] ٧٣ مع المقاومة وصـــدام الكتائب [مسلســـل اصطدامات عام ١٩٧٥] مع المقاومة ، واحداث الصيادين فى صيدا وعمال غندور فى بيروت ...

وخروج ريمون اده من الحلف الثلاثى [الكتائب والاحرار] والخلافات بين جنبلاط ورشيد كرامى وصائب سلام وعبد الله اليافى ، وظهور حركة الامام الصدر ، والترخيص لبعـــض الاحـــزاب [القومى السورى الاجتمـــاعى ، الشيوعى] واحتفالات الذكرى الخمسين لتأسيس الحـــزب الشيوعى اللبنانى ، وازمة حكومة صائب سلام مع الجيش فى حادث فردان فى ١٩٧٣/٤/١٠ وأزمة حكومة أمين الحافظ مع الجيش فى ازمة مايو [ايار] ١٩٧٣ ، وأزمـــة حـــكومة رشـــيد الصلح مـــع الكتائب فى حـــوادث ابريل ومايو [نيسان وأيار] ١٩٧٣ ، ومـــا قد يأتى من حوادث اخرى ...

لماذا كل هذا ؟ لمـــاذا كل هذه الازمات ؟ لان القديم شاخ ، وهذا يعنى أنه اصبح غير قادر على مواكبة التطورات المتوالية والتطـــور مع

المرحلة الجديدة التي تدق باب لبنان داخليا وخارجيا . ولكن لابد للقديم ان يحافظ على وجوده . ولابد للجديد ان يطور وجوده . واحد المسارح في هذا المجال مسرح الانتخابات النيابية القادمة . اذن ... لابد من اعداد الاوضاع بما يحافظ على استمرار القديم . ويلجم ان لم يستطع زلزلة الجديد . والعكس بالعكس .

ولما كانت الكتائب تمثل اساسا عنوان القديم لانها في قمة القطاع المستفيد من المصالح الاقتصادية والسياسية العليا في لبنان وفق المفهوم الطائفي اللبناني والمنظر الاساسي له ، لذلك كان لابد لها من التطلع لتفوز بحصة الاسد في الانتخابات النيابية القادمة بأمل ان تصبح زعيمة للقديم وبالتالي قائدا مؤثرا في المرحلة القادمة التي تأمل ان تتمكن فيها من تجميد الجديد ولو الى حين .

ان هذا لا يتم الا بالانفجار . والانفجار طائفيا يدمر بما في ذلك الكتائب ، فلابد من استعمال الورقة الفلسطينية مستفيدين من خلاف القيادات الاخرى ، وهذا لا يتم الا بافتعال الاحداث للصدام مع الفلسطينيين لضرب غيرهم ، معهم .

من الايضاحات الاجمالية السابقة ، يتبين ، ان حركة التطور في المجتمع اللبناني تكاد تصل الى مرحلة تحول جديدة ضمن الاطار الليبرالي ولكنها تتجه الى القفز على المسألة الطائفية [دون المساس بمسألة تعايش الاديان] ، الى المسألة الوطنية اللبنانية ، حيث تكون مصلحة لبنان فوق مصلحة اى طائفة من طوائفه الدينية .

ان هذا التحول يتعارض وقد يتناقض مع الكتائب وما تمثله من فكر وقطاع اقتصادي سياسي ، ولذلك فان الكتائب تعمل لقيادة التصدى لهذا التحول لتقود نتائجه لصالحها .

ان هذا التصدى ، بالرغم من انه يتناقض مع حتمية التطور حتى في الاطار الليبرالي الذى يقوم عليه لبنان ، فانه يمثل ايضا مسألة جديدة تأخذ صفة العلن ، هى موضوعة القهر المذهبي [1] الذى يتناقض مع موضوعة التوازن الطائفي ، بغض النظر عن مدى وجود هذا التوازن في حقيقة الواقع .

وقد دخل على الموضوع هذا ، موضوع ازدحام السلاح في ايدى الطوائف ، وان كان الازدحام لدى الكتائب اكثر ، وتنظيم حامليه أوسع . وهذا يدفع الاحساس بالقوة سواء كانت قوة حقيقية ام لم تكن ، والاحساس بالقوة يدفع الى المغامرة .

ولكن المغامرة لبنانيا تصل الى حرب اهلية ، لتكن اذا المغامرة تحت ستار فلسطيني .

ولكن الكتائب ، تنسى ، ان فلسطين قضية عربية ، ودعم نضالها هو التعبير عن الانتماء العربي ، وان ما تمثله الكتائب فكرا واقتصادا لا يعبر عن لبنان الشعب ، اى ان الصدام مع الفلسطينيين هو صدام مع الشعب . وضرب الفلسطينيين هو هدف امريكي وصهيوني ... عبر عنه رابين عندما صرح يوم ١٩٧٥/٦/٢ ، بأن الفلسطينيين يظهرون انفسهم بمظهر القط بينما هم في الحقيقة [نمر] ، ولابد أن يصبحوا قطا حقيقيا حتى يمكن التعاون معهم .

اما مواجهة عملية التطور الداخلي في البنية الاجتماعية اللبنانية اقتصاديا وسياسيا ، فمصلحة الكتائب ومن معهم ، ان يدركوا ، انه طالما ارتضوا لانفسهم الليبرالية قاعدة للاقتصاد والصحافة والسياسة اللبنانية ، فلابد لهم ان يتعاملوا مع غيرهم لبنانيا وفق قوانين الليبرالية .

ان الليبرالية لا تمنع التطور ضمن اطارها أو اطار آخر ، لان التطور دافع لا قدرة لاحد على مواجهته .

اما الصدام المسلح ، فهو تعبير عن القهر ، والليبرالية اللبنانية القائمة على التوازن ، تتناقض مع القهر . وتتناقض مع تعايش الاديان . ان الديمقراطية هى الطريق وليس القهر . والتعايش المواكب للتطور ضمن اطار الديمقراطية هو الطريق وليس الصدام المسلح .

وان اختيار الفلسطينيين وجودا ونضالا ، كطرف صدام فانه كمن يريد اشعال صفيحة البنزين اللبنانية من قاعها بدلا من اعلاها ، وبعد ان يكتب عليها [صنع في فلسطين] بدلا من [صنع في لبنان] متصورا ان هذا الاشعال ليس اشعالا للبنزين اللبناني الموجود في الصفيحة ، وانما هو اشعال لبنزين فلسطيني موجود في صفيحة لبنانية . دون ان يحترق البنزين اللبناني !

● ● ●

ان الموقف الدولي العالمي في المرحلة التاريخية الحالية يعمل لتحقيق اكبر قدر ممكن من الاستقرار لاطول مدة ممكنة لحل مشاكله الاقتصادية

---

[1] تعمل الكتائب لتصبح هي قائدة قيادات المذاهب والقيادات المسيحية الاخرى ، مثل الاحرار [زعامة كميل شمعون] والعميد [ريمون ادة] .

ومشاكل الطاقة ومستوى المعيشة والبطالة .. الخ .

والاستقرار في الشرق الاوسط جزء اساسي من الاستقرار العالمي بسبب ما يملكه من موقع استراتيجي ونفطي .

والاستقرار ولو المؤقت للقضية الفلسطينية، جزء اساسي من استقرار الشرق الاوسط وبالتالي من الاستقرار العالمي .

الاسلوب الامريكي في مواجهة المشاكل العالمية التي تعرض الاستقرار للخطر يتمثل في قاعدة دالاس المشهورة ، **ازالة الصاعق من القنبلة** ، والصاعق في قنبلة الشرق الاوسط هي القضية الفلسطينية وصاعق القضية الفلسطينية هي النضال الفلسطيني وعليه لابد من قتل أو امتصاص النضالية الفلسطينية لقتل أو تجميد القضية الفلسطينية . ان الاسلوب الامريكي في ذلك هو مشروع المملكة العربية المتحدة ، الذي يعطي الفلسطينيين كيان وطني ذاتي ضمن اطار حكم نظام الملك حسين وبالتالي فان هذا النظام [عبر ممارساته] سيقتل النضالية الفلسطينية بهذا المشروع او يوقفها أو يؤجلها أكبر قدر ممكن . وقد وافقت الاردن على ذلك فأعلنت المشروع وتبنته قبل حرب رمضان ، كما وافقت عليه سلطات العدو الصهيوني .

بدأت أمريكا عبر روجرز ثم كيسنجر في العمل والتهيئة لحل المشكلة الفلسطينية على اساس هذا المشروع ، الى ان جاءت قرارات قمة الرباط وتوصيات الدورة الـ [٢٩] للامم المتحدة ، التي تجاوبت كلها مع قرار المجلس الوطني الفلسطيني باقامة السلطة الوطنية الفلسطينية المستقلة على كل ارض فلسطينية يتم تحريرها من الاحتلال الصهيوني .

هنا ، قال كيسنجر لاكثر من دولة صديقة « بأن « هذه القرارات قد اربكت مخططاتي » .

ومنذ صدور هذه القرارات ، وامريكا تعمل على الالتفاف حولها وافقادها لفاعليتها بالعودة الى مشروع المملكة العربية المتحدة ، تساعدها في ذلك سلطات العدو الصهيوني وذلك عبر رفض الاعتراف بقرارات الرباط والدورة الـ ٢٩ للجمعية العمومية للامم المتحدة ، ورفض الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني ورفض دعوة منظمة التحرير الى جنيف .

ان الثورة الفلسطينية بنضالها المسلح المتصاعد ، ومن ارضية قرارات الرباط وتوصيات الدورة الـ ٢٩ للامم المتحدة ، اخذت تحقق انتصارات ومركز قوة سياسي على المسرح العالمي ككل ، الامر الذي يعطل المحاولة الامريكية الصهيونية ، كما يعطل دور الملك حسين في موضوع المملكة العربية المتحدة .

لذلك لابد من توجيه ضربة للثورة الفلسطينية خصوصا بعد أن حققت انتصاراتها الاولية في السياسة المرحلية حتى تفقد هذه الانتصارات فاعليتها فتفقد الثورة قدرتها على تحقيق هدفها المرحلي [السلطة الوطنية المستقلة] ،وبالتالي يتم « تدجين » الثورة الفلسطينية فيمكن **حسب اعتقادهم** [!] ان يفرضوا عليها عندئذ التعامل مع النتائج التي يحققها المشروع الامريكي [أي الصهيوني كما قال رابين تحويل الثورة الفلسطينية من نمر الى قط] .

ان توجيه هذه الضربة يتم بالوسائل التالية مجتمعة أو متفرقة :

- ضربة عسكرية عنيفة تنهي وجود الثورة الفلسطينية في لبنان كما حصل في سبتمبر [أيلول] ١٩٧٠ .
- ارباك الثورة الفلسطينية باحداث كبيرة مثل احداث لبنان لانشغالها عن الاحداث الاساسية الخاصة بالتسوية الامريكية في المنطقة .
- اقناع الفلسطينيين في الضفة الغربية بمسالة الحكم الذاتي في اطار اتحاد فيدرالي مع العدو الصهيوني او في اطار المملكة العربية المتحدة مع الملك حسين وفي اطار نظامه .
- اتخاذ الاجراءات اللازمة داخل الارض المحتلة لمنع تصاعد العمليات العسكرية الفلسطينية .
- ضرب الوحدة الوطنية الفلسطينية باحداث انشقاقات في موقفها السياسي وتطوير ذلك من عملية الصدام السياسي الى الصدام العسكري فتأكل الثورة نفسها وتفقد احترام العالم لها وتموت بذلك قرارات الرباط والدورة الـ ٢٩ للامم المتحدة .
- تغير في الموقف العربي من قرارات الرباط تؤدي الى عزل المنظمة ،وعودة الوصاية العربية على قضية فلسطين بعيدا عن منظمة التحرير الفلسطينية .

لقد فشلت امريكا وسلطات العدو الصهيوني بالنسبة لمعظم هذه الوسائل . كما فشل الملك حسين في اقناع الفلسطينيين في الارض المحتلة بمشروع المملكة العربية المتحدة ، ولا تزال المحاولات جارية .

اما بالنسبة للوسيلتين الاولى والثانية ، فلا يوجد مكان قابل حاليا لتوجه فيه ضربة الى الثورة الفلسطينية الا لبنان خصوصا وان الاوضاع الداخلية اللبنانية ، وطبيعتها الدافعة الى الصدام تمثل ارضية مناسبة لافتعال الازمات

الداخلية اللبنانية ، او اللبنانية الفلسطينية ، وتطويرها باتجاه الصدام المسلح مع الثورة الفلسطينية .

ان الطوائف فى لبنان تتسلح بشكل جنونى وخصوصا الكتائب واصدقاءهم .

ان امريكا والملك حسين يمثلان المصدر الاساسى لهذا التسليح وخاصة بالنسبة للكتائب .

كما ان الاردن يمثل عامل التدريب الاساسى فى التخطيط للانفجار على غرار ما جرى فى عمان وبالتنسيق مع الكتائب ، وتتم هذه العملية [التدريب العسكرى والتخطيطى] من خلال سفر عناصر من الكتائب الى الاردن ، ومجىء عناصر من الاستخبارات الاردنية الى لبنان لتحقيق التدريب والتخطيط على الطبيعة .

ان وجود السلاح لدى اطراف النزاع يدفع فورا بهم الى التفكير باستعماله من خلال تنمية الاحساس بالقوة وبالتالى التوجه لاستعمالها لحسم النزاع لصالح هذا الفريق او ذاك وتنطبق هذه القاعدة ايضا عند الاحساس بارتفاع مستوى التدريب والتخطيط والتسلح .

من هنا نستطيع ان نفهم الاساليب الجديدة الامريكية والاردنية فى تأمين السلاح والتدريب، حتى تصل بالامور الى مرحلة الصدام الداخلى لصالح حلفائهما ، مدركين تماما بأن الصدام فى لبنان ، حتى لو حصل بين القوى اللبنانية ، فان قوى الثورة الفلسطينية ستوجه اليها الضربة ايضا .

اما اذا حصل مباشرة مع الثورة الفلسطينية، فهذا افضل لتحقيق المخطط الامريكى الصهيونى ومشروع المملكة العربية المتحدة لصالح الملك حسين .

فاذا اضفنا الى ذلك ، ان مصلحة امريكا فى لبنان تتجه الى انتصار الكتائب ومن معهم فى قمة الهرم الاقتصادى والسياسى فى اى صراع مسلح ، أو غير مسلح للمحافظة على لبنان القديم الذى يحقق للنفوذ الغربى استمرارية الوجود تحت شعار [حياد لبنان] وشعار [لبنان سويسرا الشرق] .

اذا ادركنا ذلك كله ، لوصلنا الى نتيجة موضوعية توضح ان تفكير وسلوك الكتائب يخدم مصلحة امريكا والعدو الصهيونى والملك حسين وبالعكس سواء من حيث التوافق او الاتفاق .

من هذه الصورة الكاملة — وان كانت غير تفصيلية — يجب ان ننظر الى الازمات التى افتعلتها الكتائب حتى الان بدون اى مبرر فلسطينى . **ويجب ان ننظر ايضا الى الازمات الاخرى التى ستقع الى أن يأتى موعد الانتخابات النيابية اللبنانية القادمة لتحدد نتائجها طبيعة المرحلة القادمة وان المصلحة المشتركة بالتوافق أو الاتفاق باتجاه الصدام لا تتناقض مع ماذكر عن الاستقرار عند بحث الموضوع الاقتصادى ... وانما تعبر عن فهم معنى الاستقرار المطلوب .**

هل هو الاستقرار المرتبط بقاعدة التعايش ومواكبة عملية التطور اللبنانى والعربى والفلسطينى ، أم هو الاستقرار الذى يلى الصدام الذى يتحقق فيه انتصار الجبهة الرافضة للتعايش ، ولمواكبة عملية التطور اللبنانى والعربى والفلسطينى [؟]

ان امريكا والصهيونية ونظام الملك حسين والكتائب وما تمثله ، تقف مع الاستقرار الاخير وان اختلفت وتشعبت الدوافع والمنطلقات الاقتصادية والسياسية على مستوى لبنان والعالم العربى ونظام الملك حسين وعلاقة ذلك بقضية فلسطين والنضال الثورى الفلسطينى والشخصية الوطنية الفلسطينية المستقلة .

هنا ... لابد ان نقف بكل وعى وحذر ، لمواجهة احتمالات حركات المستقبل القريب وما تحمله من اخطار ، بالعزيمة الثورية النضالية التى مارسها النضال الشعبى الفلسطينى منذ عام ١٩١٣ حتى الان ، وغدا وبعد غد واضعين استقرار لبنان والاخوة اللبنانية الفلسطينية فى حجم جدول استراتيجية النضال الفلسطينى .

الواقع السياسى الصهيونى [الخاص]

اولا : ان حرب رمضان ، مثلت ضربة وصفت بالزلزال ، لكافة اركان الوجود الصهيونى فى فلسطين [الفكر الصهيونى نظرية التفوق والتوسع ، نظرية الامن بالمؤسسة العسكرية الصهيونية بالاعتماد بصورة تكاد تكون اساسية على القدرة الصهيونية فى حماية المصالح الامريكية فى المنطقة .. الخ .

ثانيا : من المعروف ايضا ، أن الوجود الصهيونى فى فلسطين يقوم اساسا على المساعدات الخارجية الاقتصادية والعسكرية وعلى الحماية الخارجية الدولية ، وأن الحليف الاساسى لهذا الوجود بكافة صوره وما يقدم له هو الولايات المتحدة الامريكية .

ولعل الكل يذكر التصريح الذى صدر عن [جولدا مائير] فى اثناء حرب رمضان حيث قالت : لم يبق مع اسرائيل الا الولايات المتحدة الامريكية .

ثالثا : ان هذه الاوضاع كلها لابد وان يتم فهمها من خلال فهم الفكر الصهيونى القائم اساسا على المؤسسة العسكرية كأداة ، وعلى الهجرة

والتوسع والحرب ، كفكرة يوميـة ، لتحقيـق الهدف النهائى المتمثـل فى مشروع [اسرائيل الكبرى] الذى يحقق الاكتفاء الذاتى للوجـود الصهيونى فى المنطقة ، ويحرره من الاعتمـاد على المساعدات الخارجيـة ، فيعطيه حـركة استعمارية مستقلة فى المنطقة تحقق فى النهاية اهداف الصهيونية العالمية فى منطقـة الشرق الاوسط وفى العالم .

رابعا : اذا فهمنا الامور من هذا المنطلـق ، لابد أن يصل الى نتيجة صحيحة وموضوعيـة وهى : ان العدو الصهيونى بحاجة الى حرب ، أو معركة ، يرد فيها اعتباره لنفسه أولا حتى يستطيع أن يوقف عملية التفسـخ الداخلى على كافة الاصعدة التى بدات تظهر لديه بعد حرب رمضان [انخفاض الهجـرة الى فلسـطين ، الهجـرة خـارج فلسطين ، فضائح الرشـاوى والسرقـات وتسريب المعلومات ، التمـزقات السياسية فى الاحزاب القائمة وبداية ظهـور حركات سياسية جديدة ... الخ] .

خامسا : ان الاعداد لهذه الحرب او المعركة الخامسة ، أمر مكلف وعبء ثقيل على اقتصاد العدو الصهيونى الذى اصيب بضربة كبيرة أيضا بسبب حرب رمضان .

لذلك ، ونظرا لطبيعة الاقتصاد الصهيونى فى فلسطين المحتلة القائم على الدعم والمساعدات الخارجية بشكل عام والامريكية بشكل خاص ، فان العدو الصهيونى لا يستطيع انينتظر طويلا بدون حرب نظرا لما تحمله كلفة الاعداد لذلك من تاثير سلبى على الاقتصاد وقلةالمواد الاستهلاكية وارتفاع اسعار الشراء المحلية ، وعلى ميزان المدفوعات الصهيونى نفسه الذى يواجه عجـزا كبيرا جدا ، وعلى احتياطى العمـلة الصعبـة الذى يواجه انخفاضا حادا على صعيد مواجهته تأمين الحاجات المدنية بسبب ما ينفق منه على تأمين الاحتياجات العسكرية .

سادسا : ان التوقيت الصهيونى لشنمعركة أو حرب ، يكون مناسبا [عند الاستراتيجيين الصهاينة] اذا تحققت الشروط التالية :

● استعداد عسكرى صهيـونى قادر على توجيه ضربة تحقق انتصـارا فى مدة اسـبوع ولا تتجاوز بأى حال ١٥ يوما .وذلك حتى يتم الانتصار قبل توفر المدة اللازمة لصـدور قرار وتوصية عن الجمعية العمومية للامم المتحدة . وقبل ان تتحرك القوى العربية مجتمعةمتضامنة عسكريا بسبب ما يخلقه مناخ المعركة من دفع عنيف لهذا التحرك .

● وضع عربى مفكك يجعل من الحركة العربية [عند نشوب المعركة] حركة مفككة وبطيئـة وغير منظمة ، لا تحقق دعما كميـا أو نوعيـا ناجحا للقوى العربية العسـكرية المشتكة على أرض المعركة .

● ان تكون احدى الدول الكبرى التى تملك حق الفيتو فى مجلس الامن الى جانبهم لتعطل اى قرار قد يصدر ضد عدوانهممن مجلس الامن الذى يمكن عقده واصدار القرار عنه فى أقل من ٢٤ساعة . هذا فضلا عن أن مجلس الامن يصدر قرارات [وبطبيعة تكوينه] قـادر على تنفيذها اذا ارادت الدول الكبرى ذلك ، وهذا لا يتم أذا نقض القرار من خلال استعمال حق الفيتو .

سابعا : من هنا يتبين لنا اهميـــة الحليف الكبير ، [وهو فى هذه المرحلةالولايات المتحدة الامريكية] ، لسلطات العدو الصهيونى فى أى مواجهة مسلحة عربية صهيونية .

ومن هنا ايضا تظهر اهمية الاطمئنان لموقف الدعم الايجابى المفـروض ان تقـدمه امريكا سياسيا وعسكريا عند انفجار المواجهة المسلحة، وحتى المواجهة السياسية .

ثامنا : ان الشكل الذى تحقق فيه انتصـار فيتنام وكمبوديا ، حقق باجماع الراى العـالم العـالمى والدولى ، ضربة شـديدة الى هيبـة الامبريالية الامريكية فى العالم ، على صعيد انها امريكـا ، لم تعد قادرة على حماية أصدقائهـا وكمبوديا فى ساعة الخطر . وأن هذا يعنى أن أمريكا ، لم تعـد قادرة عـلى حماية أصدقائها كما كانت تفعل فى الماضى .

لقد كان لهذه الصورة التى رسمها العـالم كله لامريكا، أثر كبير علىمعنويات منيعتمدونفى وجودهم على صداقة امريكا ودعمها لهم بشكل عام ، وعلى الراى العام الصهيونى فىفلسطين المحتلة بشكل خاص، هذا فضلا عنالتأثير الذى وقع على الراى العام الامريكى نفسه .

لذلك رأينا كيسنجر ، يعلن عن تصريحات غير متزنة يؤكـد فيهـا أن أمريـكا سـتبقى وفيـة لحلفائها واصدقائها .

ولذلك أيضا ، رأينا قادة العدو الصهيونى يدلون بتصريحات غير متزنة أيضا ويقولون بأن اهمية فيتنام وكمبوديا لامريكا لا تقاس بأهميـة [اسرائيل وأمنها] لامريكا .

ولذلك ايضا ، تحركت القوى الصهيونية فى امريكا لدفع الـ [٧٥] عضوا من اعضـاء مجلس الشيوخ الامريكى لتوجيه رسـالة الى

الرئيس الامريكي فورد بضرورة المحافظة على [اسرائيل] والاستمرار في تقديم كل دعم لازم لهـا ، باعتبار ان [اسرائيل] وجودا وحماية، هو جزء من الاستراتيجية الامريكية في المنطقة، وجزء من الامن القومي الامريكي .

ولكن قادة العدو الصهيوني ، درسوا الموقف الامريكي في فيتنام وكمبوديا واثره على الحركة الصهيونية وعلى الرأي العـام الصهيوني في فلسـطين المحتلـة [مستوطنيـن وجنودا] درسوا ذلك دراسة وافية ، وحسب المعلومات التي توفرت لنا ، فان النتيجة التي توصلوا اليها هي كما يلي :

□ ان التصريحات الصهيونية داخل وخارج فلسطين المحتلة لمواجهة نتائج الموقف الامريكي في فيتنام وكمبوديا ،وكذلك التصريحات الامريكية سواء تصريحات كيسنجر أو اعضـاء مجلس الشيوخ الامريكي ، ان هـذه التصريحات غير كافية لازالة ردود الفعل السلبية التي اصـابت الراي العام الصهيوني في فلسـطين المحتلة ، والتي كانت عاملا مساعدا على تعميق التفكك الذي حققته حرب رمضـان في [المجتمـع] الصهيوني افقيا وعاموديا .

□ لذلك ، فان الرد الصحيح لمواجهة ردود الفعل هذه ، هو : القيام بعمليـة عسـكرية قوية تحقق انتصارا ما ، وان يتم ذلك في أسرع وقت ممكن .

□ ان النصيحة التي قدمها اصدقاء العـدو الصهيوني في البنتاجون ، بأن النصر العسكري الصهيوني يمكن ان يتحقق بعمل عسكري سريع في فترة زمنية قريبة ، قبل ان يصبح ذلك غير ممكن بسبب نمو القوة العسكرية العربية . ان هذه النصيحة ، تتفق مع الراى الصهيوني من حيث التوقيت ، ويتفق مع الرغبة الصهيونيـة ايضا في رد الاعتبار الذي فقـدته في حـرب رمضان واعادة الموقف السـياسي الى ما كان عليه قبل حرب ١٩٧٣ ، واسـتثمار ذلك كله أيضا في مؤتمر جنيف او غيره .

تاسعا : من قواعد الاستراتيجية العسكرية السياسية الصهيونية ايضا ، ان تبقى العـلاقة اللبنانية [كدولة] في الصراع العربي الصهيوني كما هي عليه منذ عام ١٩٤٨ وكذلك بالنسـبة للاردن .

لذلك يصرح القادة الصهاينة باستمرار بان أي دخول لقوات عسـكرية عربيـة [وخصوصـا السورية] الى لبنان او الاردن ، يمثل تهـديدا لامن [اسرائيل] لايمكن ان تسكت عليه .

عاشرا : ان العدوان بشكل عام ، والعدوان الصهيوني بشكل خاص ، وممارسته في هـذه المرحلة بشكل اخص ، يحتـاج الى تبرير حتى لا تكون ردة الفعل الدولية ضد عدوانهم ، وقد كان عدونا الصهيوني حاذقا جدا في استعمال المبرر لعدوانه دوليا كما حصل في حربي ٥٦ ، ١٩٦٧ .

حادى عشر : ان لبنان بوضعه القائم يمثل دولة تقوم على أساس نظرية تعايش الاديان . والطرح الفلسطيني لحل مشكلة قضية فلسطين يقوم على اساس نظـرية الدولة الفلسطينيـة الديمقراطية التي يعيش فيها اليهود والمسيحيون والمسلمون كمواطنين كمتساوين امام القانون ، وهذا يعزز من نظرية تعايش الاديان في دولة واحدة .

ان استعمال المثل اللبناني في المجال الدولي يرهق الاعلام الصهيوني ويحرجه . **وبالتالي فان أي تفجير للوضع اللبناني على اساس طائفي، أو عمل يستهدف تحويل لبنان الى بلد تحكمـه أساسا طائفة واحدة ، هو من الناحية النظرية والاعلامية سلاح بيد الاعلام الصهيوني لضرب فكرة الدولة الفلسطينية الديمقراطية على اساس أنه اذا كان العرب يقتتلون بالسلاح لاختـلاف الاديان بينهم في دولة واحدة ، فكيف اذا ضمت الدولة عربا وغير عرب [يهود] .**

ثاني عشر : ان هذا كله يدفع بنا الى امتلاك الحقائق التالية :

ـ ان الحرب او المعركة الخامسة هي ضرورة صهيونية .

ـ ان سرعة وقوع هذه المعركة وانتهاؤهـا بانتصـاره هو مصلحـة صهيونية في المجـال السياسي والعسكري الصهيوني داخليا ودوليا، خصوصا اذا شمل ذلك احتلال جنوب لبنان .

ـ ان ضرب التضامن العربي ، والمحافظة على العزلة العسكرية اللبنانية والاردنية عربيا هو هدف استراتيجي صهيوني .

ـ ان دخول قوات عسكرية سورية الى الارض اللبنانية يمثـل تهـديدا للامن الصهيوني [وفق الاستراتيجية الصهيونية] ويبرر للعدو التـدخل العسكري في لبنان .

ـ ان انفجار الوضع في لبنـان يضرب فكرة الدولة الفلسطينية الديمقراطية وتعايش الاديان .

ثالث عشر : فاذا اضفنا الى ذلك ، ان ضرب الثورة الفلسطينية ، في لبنان وغير لبنان ، هو مطلب استراتيجي لعدونا الصهيـوني ، وكذلك احداث الحالات التي تؤدى الى الانعـزال بين الجمـاهير العربيـة في اى بلد وبين الثـورة الفلسـطينية ، أمكننا أن نتصور بوضـوح ، مصلحة العدو الصهيوني في الوصول بالوضع

اللبناني الى درجة من عدم الاستقرار تؤدى الى الانفجار ، سواء كان الانفجار لبنانيا أو لبنـــانيا فلسطينيا ، لان الانفجار المسلح اذا حصـــل ، وخصوصا اذا تحول الى نوع من الحرب الاهلية، **فان الطرف الفلسطيني والطرف السوري لايمكن عزلهما عن مثل هذا الانفجار المسلح .**

وبذلك يظهر المبرر الصهيوني الى الوجـــود القيام بضربة عسكرية ضد سوريا وضربة ضـــد لبنان لتحقيق الاهداف الصهيونية المرحلية التى اشرنا اليها .

وبذلك ايضا يظهر مدى التوافق بين نتـــائج الاهداف المرحلية الصهيونيةوبين نتائجاى تخطيط لتحقيق انفجار مسلح فى لبنان سواء كان انفجارا لبنانيا لحسم بوادر النمو للقيـــادات الجـــديدة [اشخاص واحـــزاب وافكار] لصـــــالح القيادات القديمة ، او كان انفجـــارا لبنانيـــا فلسطينيا لضرب الثورة الفلسطينية فى لبنان .

رابع عشر : ان هذا كله يصل بنا الى :

١ ــ ان مصلحة لبنان العليا فى ان لا تصل الصراعات السياسية والمجتمعية اللبنانية الى مرحلة الصدام المسلح .

٢ــ ان مصلحة لبنـــان العليا تقع ايضا فى افشال اى مخطط يهدف أو يوصل الى صـــدام مسلح لبنانى فلسطينى .

٣ ــ وان هذا يمثل ايضا مصلحة الثـــورة الفلسطينية ، ومصلحة سوريا كقوة مواجهـــة مطلوب ضربهـــا فى المخطط الصهيونى ، ومصلحة مصر كقوة مواجهة مطلوب عزلهـــا فى المخطط الصهيونى ايضا ومصلحة التضامن العـــربى من خلال ذلك كله .

٤ ــ وان ضبط النفس العالي جـــدا الذى مارســـته القيـــادة الفلســـطينية فى مواجهـــة الاستفزازات الكتائبية يدعو الى التقدير ويمثـــل موقفا ثوريا نضاليا .

٥ ــ وأن الرد المحدود على الاعتداءات التى لا يمكن تجاوزها مثل عملية [الباص] الذى مارستها الكتائب هو موقف ثورى أيضا طالمـــا ارتبط بعدم توســـعه لرقعـــة الصـــدام المسلح واستمراره من الجانب الفلسطيني ، لان ذلك ايضا سيفرض على القوى الاخرى أن تعمـــل لايقاف هذا الصدام المسلح .

٦ ــ أى ان اعادة الاستقرار للبنان واجب وطنى لبنانى ، وان الاخوة اللبنانية الفلسطينية واجب وطنى فلسطينى لبنانى ، وان عكس ذلك هو تحقيق لاهـــداف ومصـــالح امريكا والعدو الصهيونى ، وعندها لا فرق بين التوفيـــق أو الاتفاق .

قبرصة لبنان . . والعدو الصهيونى

انموضوع قبرصة لبنان ، اى اندفاع الامور باتجاه الصدام اللبنانى الذى يصل فى النهاية الى تجزئة لبنان الى لبنانين وانشـــاء حكومـــة فيدرالية كما حصل أو يحصل حاليا فى قبرص ، ان هذا الموضوع ، اخذ يقلق كل لبنانى وعربى مخلص فى لبنان وحول لبنـــان .

اشرنا فيما سبق الى النقاط التالية :

● **امريكا تريد الصـــدام لتحقق اســـتقرارا يتفق مع مخططاتها فى المنطقـــة ومع حـــركة استثمار رأس المال والبضائع من والى لبنان ،** وبالتالى تريد استقرارا يحافظ فيه على لبنـــان القديم من حيث الهدف الامريكى فى المنطقـــة وتريد لبنانا بدون وجود النضال الفلسطينى من حيث الهدف الامريكىفى حل القضيةالفلسطينية على اساس مشروع المملكة العربية المتحدة .

● **العدو الصهيونى لا يريد اســـتقرارا فى لبنان الا عندما ينتهى وضعه على الشكل الذى يريده هو حتى ولو ضربت الثورة الفلسطينيةفى لبنان لان الاستقرار اللبنانى يثبت نظرية تعايش الاديان لا تسلط احدها على الاخـــر ،** وكذلك موضوع الدولة الفلسطينية الديموقراطية . ان عدم الاستقرار فى لبنان يعطى سلاحا للعـــدو الصهيونى لنقض نظـــرية الدولة الفلسطينيـــة الديموقراطية فى المجال الدولى .

● ان ازدحام السلاح يولد الشعور بالقوة والشعور بالقوة يولد الاندفاع باتجاه المغامرة ، والمغامرة المقترنة بازدحام الســـلاح تؤدى الى الصدام المسلح .

● ان الكتائب تقود عملية بقاء لبنان الماضى معزولا عن انتمائه العربى وعن حركة التطـــور اللبنانى حتى وفق القواعد الليبرالية فى لبنـــان ونظـــرا لما تمثله من وجـــود فى قمة الهـــرم الاقتصادى والسياسى لبنانيا ، فان رفضهـــا للتطور وللديمقراطية ولجوئها الى الســـلاح اى الى القهر يحول موضوع التوازن الطائفى اللبنانى الى عملية قهر تضرب موضوع تعايش الاديان فى الصميم لصالح طائفة على غيرها .

● ان هذا كله يعنى تعميق التكتل الصدامى على اساس طائفى . أما وصـــوله الى مرحلة الصدام المسلح الشامل فيعنى حربا اهلية .

اذا وصلت الامور الى هـذا الحـد ، فان جريمة كبرى سترتكب بحق لبنان ، وليس فقط بحق الوجود الفلسطيني في لبنان .

ان فكرة قبرصة لبنان ، لاتزال فكرة تبعث على الخوف ، ولكن انفجار الصدام المسلح وتوسعه ، سيحولهما الى فكرة توصل الى الخلاص .

فاذا تحقق ذلك « لا سمح الله » فهذا يعني ان هناك دولة مسيحية منعزلة ودولة اسلامية عازلة يجمعهما اتحاد فيدرالي مضروب مسبقاً .

ان المذهل في هذه النتيجة توافقها العجيب مع ما يطرحه العدو الصهيوني على الفلسطينيين في الارض المحتلة من حكم ذاتي عربي يرتبط فيدراليا مع سلطات العدو الصهيوني ، وبعدها ينظر في رفع مستوى الحكم الذاتي الى استقلال ذاتي [بالطبع لم يجد العدو الصهيوني اي تجاوب مع هذا الطرح] .

ومن هنـا نلاحـظ أن دولتين [مسيحيـة واسلامية] في لبنان تقابلهما دولتان [يهودية وعربية] في فلسـطين أمر يتفق مـع منطلق التنظير السياسي الصهيوني في المجال الدولي ، وهـذا يضرب لبنــان ، كما يضرب الدولة الفلسطينية الديمقراطية ، كما يضرب قضيـة فلسطين في الصميم .

ومن هنا يمكننا ان نفهم المصلحة الصهيونية العليا في استمرار الصراع [بمـا في ذلك الصراع المسلح] في لبنـان ، لتكون نتـائج هذا الصراع اذا وصلت الى موضوع القبرصة، اشارة البدء للاعلام الصهيوني في تبني هـذا الحل للقضية الفلسطينية ، بغض النظـر عن الدمار الذي يصيب لبنــان ، هذا الدمار الذي اذا لم يكن واضحـا للكتائب ، واذا لم يكن واضحا اثره على لبنان وعلى الكتائب ذاتها فلابد من توضيحه حتى لا يتحول موقفها من التوافق مع اهداف العدو الصهيوني الى الاتفـاق مع هذه الاهداف .

ومن هنا يتبين ان استقرار لبنان يخدم مصلحة لبنان والعرب وقضية فلسطين وعدم استقراره يخدم مصلحة العدو الصهيوني .

والاستقرار المطلوب هو الاستقرار القائم على الليبرالية اللبنانية وعملية التطور الديمقراطيـة ضمن مفاهيم الليبرالية اللبنانية بعيدا عن القهر الحزبي او الطائفي او الديني ولصالح الوطنية اللبنانية التي تملك كغيرها في انحاء العـالم وعبر مسيرة التاريخ بذرة التطور المستمر نحو الافضـل ، وعنـوان ذلك كله — الاخـوة الدينية والاخوة اللبنانية الفلسطينية — وما بعد ذلك أو غير ذلك فهو ملك المستقبل خصوصـا المسـتقبل الذي يمثـل واقعا عربيا خاليـا من الصهيونية ومن السيطرة الاستعمارية .

لبنـان داخليـا ..

والاستقرار في لبنان

● يعيش لبنان ازمة داخلية في مواجهــة مشاكله الخاصة الاقتصادية والسياسية .

● في مطلع عام ١٩٧٦ ستجري الانتخابات النيابية اللبنانية وبعد ذلك ستجري انتخـابات رئاسة الجمهورية .

● معركة الانتخابات اللبنانية لها علاقة بالازمة اللبنانية الداخلية وستؤثر أيضا على انتخـابات الرئاسة .

● تجري هـذه الامور ضمن اطار النظـام اللبناني وخصوصيته .

● تعمل الكتائب لقيادة الشـارع المسيحي لتكون نتائج الانتخابات اللبنانية لصالحهـا في مجال الطائفة المارونية ، متخطية بذلك حـزب الاحرار [كميل شمعون] والكتلة الوطنيـة [ريمون اده] لتؤثر فيما بعد على انتخابات الرئاسة .

● تدفع الكتائب بالواقع اللبناني الى مرحلة الصدام ، وتعمل جهـدها لتوريط المقـاومة الفلسطينية كتبرير لهذا الصدام لتظهر بمظهر المحافظة على لبنـان وعلى مصـالح الطائفـة المسيحية ككل من الخطـر الفلسـطيني [غير الموجود] ، تمهيدا لقيادة لبنان ضمن اطـار برنامجها الخاص الذي يلغي في النهاية مضمون الميثاق الوطني اللبناني الذي بدأ به لبنـان مرحلة الاستقلال ، يرفض الاعتراف بالتغييرات التي طرأت على البيئة الاجتماعية والسياسـية اللبنانية .

● ان هذا المخطط يدفع بلبنان الى عـدم الاستقرار باسلوب الصدام المسلح .

● تقف كافة القوى الاخرى المتناقضـة أو المتعارضة مع موقف الكتائب موقف منع الصدام المسلح لصالح الاستقرار والنضال الديموقراطي لمواجهة الازمات اللبنانية الداخليـة وموضـوع الانتخابات النيابية وانتخابات الرئاسة .

أمريكا والاستقرار في لبنان

تقف امريكا الى جانب التشجيع والتحـريض والمساهمة لتفجير الوضع اللبناني داخليـا من منطلقين :

● حـرف ، أو عرقلة حركة التطور اللبنانى المتأثرة والمتفاعلةحتما مع حركة التطور العربى، وذلك من أجل بقاء لبنان بشكل يصبح فيه قاعدة حقيقية للاستثمارات الامريكية خاصة وللرأسمالية الغربية عامة فى الشرق الاوسط .

● ضرب الثورة الفلسطينية فى لبنان كجزء من مخطط تصفية القضية الفلسطينية من خلال تنفيذ مشروع المملكة العربية المتحدة ، وقتـل فكرة السلطة الوطنية الفلسطينية المستقلة على مايتحرر من الاحتـلال الصهيـونى من الارض الفلسطينية كهدف مرحلى فلسطينى ، ثم قتـل فكرة الدولةالفلســطينية الديموقراطية كهـدف استراتيجى فلسطينى .

● ضرب التضامن العربى من خـلال الاثار المترتبة على المواقف الخاصة بالانفجار اللبنانى واللبنانى الفلسطينى .

العدو الصهيونى والاستقرار فى لبنان

يقف العدو الصهيونى الى جانب التحـريض والمساهمة لتفجير الوضع اللبنانى داخليـا من

المنطلقات التالية :

■ ضرب الثورة الفلسطينية فى لبنان لصالح الغاء كل شىء فلســطينى [وجـودا ونضـالا وانتصارات] ولصالح مشروع المملكة العربيــة المتحدة .

■ ارباك الموقف الســورى كاحـدى دول المواجهة ، وضرب التضامن العربى .

■ اغتنام الفرصة لاحتلال ما يمكن احتلالهمن الجنوب وخاصة منابع الميـاه .

■ ضربفكرة تعايشالطوائف وتعايشالاديان [عالميا] لصالح فبرصة لبنانلضرب فكرةالدولة الفلسطينية الديموقراطية عالميا .

الثورة الفلسطينية والاستقرار فى لبنان

تعمل قيادة الثورة الفلسطينية فى الساحة اللبنانية من منطلقين أساسيين :

أولا : الاخـوة اللبنـانية الفلســطينية هى مصلحة عليا فلسطينية ولبنانية وعربية منخلال القناعة بسيادة لبنان وامنه واستقراره .

ثانيا : الاستقرار فى لبنان ضرورة لبنانيــة وفلسطينية وعربية .

الموقف الفلسطينى والازمة الحالية

١ ــ يتلخص الجهد الفلســطينى فى تجنب الصدام المسلح ما أمكن انطلاقا من الحقيقــة التالية : « ان اى انفجار مسلح فى لبنان هـو ضد مصلحـة لبنـان وضـد مصلحة الثـورة الفلسطينية » . ولكن وفى نفس الوقت ، عدم الصمت على اى ضربة توجه لشعبنا ووجودنا فى لبنان . وضمن هذا الاطار تمارس القيادة الفلسطينية عدم التدخل فى الشئون الداخليـة اللبنانية ، وتسعى ضمن قدراتها ،وحيثما يكون ذلك مستطاعا الى المساعدة فى عدم انفجـار الوضع اللبنانى انفجارا مسلحا ، ثم تحقيـق التفاهم بينهم وبين رئيس الجمهورية على هذا الموضوع وما يتصل به من امور لبنانية .

٢ ــ ان الموقف الفلسطينى ونتائج الجهـد السورى والانضبـاط الفلسـطينى الداخلى فى مواجهة الاحداث ، ان ذلك كله خلق جوا مكن فى النهاية من ترشيح رشـيد كرامى لتـأليف الحكومة باجماع لبنانى .

٣ ــ ان نجاح كرامىفى مهمتهيعنى الخروج من هذه الازمة الى الهدوء لفترة قد تطول أو تقصر حسب تطورات الاوضاع اللبنانية باتجـاه معركة الانتخابات النيابية القادمة .

٤ ــ ولكن هذا لن يوقف عملية التسلحلدى الطـوائف ، ولن يوقف عمليــة الاعتــداءات الصهيونية على لبنان لاظهار الوجود الثـورى الفلسطينى فى لبنان بانه سبب هذه الاعتداءات [التكتيك الامريكى الصهيونى] .. ولن يوقف عملية الصراع السياسى بين القوى اللبنانيـــة وتوجه كافة القوى القديمةوالجديدة الىالاعداد لتحقيق اكبر نجاح ممكن فى الانتخابات النيابية القادمة .

وهذا كله لن يلغى شعور الاحساس بالثورة المسلحة وبالتالى التجاوب النسبى مع استعمال هذه القوى لحسم الصراع لصالح هـذا الفريق أو ذاك .

٥ ــ وهـذا كله يفـرض الوعى والحـذر والانضباط ، وعدم التجاوب مع الاســتفزازات وكل ما يؤدى الى الصدام المسلح ،مع المحافظة على وجود الثورة الفلسطينية وعلى الاتفاقيات المعقودة معالسلطة اللبنانية وعلى كرامةالوجود الجماهيرى الفلسطينى فى لبنــان وضمن اطار سيادة لبنان وامنه واستقراره .

تلك هى مصلحة الثورة الفلسطينية والشعب الفلسطينى فى لبنان ، وهى ايضا مصلحـــة لبنــان .

تحية اجلال لمعانى « ٦ أكتوبر »

سوف يظل « ٦ أكتوبر » ، تاريخا « للنبض الوطنى » فى حياة كل مصرى وعربى .

سيظل اضافة جديدة لها أهميتها الخاصة ، لنبضات الثورة المصرية وحركة التحرر الوطنى العربية ، اضافة ناصعة ، فى صفحات النضال الوطنى ضد الاستعمار والاحتلال والقهر الاجنبى .

سيبقى الدرس الوطنى « البسيط ـ العظيم » : ان الممارسة العملية للتناقض الرئيسى ضد العدو الحقيقى : العدو الصهيونى الامبريالى ، يفجر فى الامة أروع ما لديها من طاقات ، ويخطو بها نحو « المخرج الوطنى » ايبدد اليأس ويفتح آفاق « الخلاص الوطنى » .. فى هذا المعنى ، ستظل قيمة وسلامة ثورية قرار ٦ أكتوبر الوطنى .

سيبقى الدرس الوطنى « البسيط ـ العظيم » : ان التشبث بوضوح الرؤية والوعى الثورى بمن هو العدو الحقيقى : العدو الصهيونى الامبريالى ، وحشد كل الطاقات الوطنية لمواجهته ، وتعبئة كل ما لدى شعبنا من « يقظة وطنية » ضده ، وتحقيق « الوحدة الوطنية » وحمايتها ، مدخلا وطنيا لا غنى عنه . وفى هذا المعنى أيضا ، ستظل قيمة وسلامة قرار ٦ أكتوبر الوطنى .

سيبقى الدرس الوطنى « البسيط ـ العظيم » : ان تحقيق « وحدة المواجهة العربية » ضد العدو الحقيقى ، ونبذ كل خلاف لا يخدم هذه الوحدة ، وتخطى

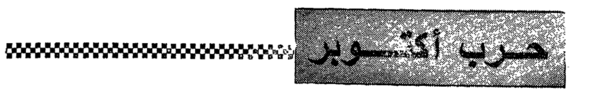
كل العقبات فى سبيلها « ضرورة وطنية وقومية » ؟ تتجاوز بها الامة مواقع الدفاع الى مواقع الهجوم .. وفى هذا المعنى ايضا ، ستظل قيمة وسلامة قرار ٦ اكتوبر .

سيبقى الدرس الوطنى « البسيط — العظيم » : ان الحرص على تضامن الجبهة العالمية المعادية للاستعمار ، جبهة الدول الاشتراكية وتجمع عدم الانحياز ، ومساندتها لنضالنا ضد العدو الصهيونى الامبريالى ، عنصر حيوى من عناصر قوتنا ودعمها ، وان الحفاظ على تضامن هذه الجبهة .. ضرورة وطنية .. وفى هذا المعنى كذلك ، ستظل قيمة وسلامة قرار ٦ اكتوبر .

.. كان قبل ذلك كله
.. واثناء حرب ٦ اكتوبر
.. ويبقى بعد ذلك كله
صمود الشعب المصرى : صمود المقاتل المصرى :

كان وسيبقى : « ان حافظ الرجال على شرف مصر » ؟ كما تؤكدها هذه الصورة الحية للمقاومة المصرية فى بعض المواقع بين كبريت ولسان بور توفيق ، التى نقدمها هنا تحية اجلال لمعانى وقيمة « ٦ اكتوبر » ولنضال وتضحيات جنود وضباط القوات المسلحة من اعز وابر ابناء مصر .

« الطليعة »



بين كبريت ولسان بورتوفيق

جمال الغيطانى

فى أصعب الظروف .. يصمد المقاتلون المصريون ١٣٤ يوما ولا يستسلمون .. فى أقوى نقاط خط بارليف .. الاسرائيليون لا يصمدون أكثر من سبعة أيام

.. تشهد الحرب دائما مواقف معينة يتبلور خلالها خصائص كل من الطرفين المشتبكين ، فى كل لحظة من سير الحرب تعمل خصائص كل من الطرفين ، لكن فى مواقف معينة تتبلور العوامل الحضارية ، والنفسية ، لتجعل طرفا يتفوق على طرف آخر ، وهذا ما تبلور فى هذين الموقفين خلال حرب اكتوبر .

● قوة اسرائيلية تحاصر فى اقوى قلاع خط بارليف ، مزودة بذخيرة ، واطعمة ، ومياه ، وجميع وسائل الترفيه بما فيها الصور العارية ، والملابس الداخلية للنساء ، وعتاد يكفيها شهرا كاملا ، ولا تصمد امام حصار القوات المصرية اكثر من اسبوع واحد ، يستسلم بعده جنود القوة الاسرائيلية كالخراف لرجالنا .

● فى الطرف المقابل ، قوة مصرية تنتشر حول احدى نقاط خط بارليف ، والعجيب انها اضعف نقاط خط بارليف ، واصغرها ، تحاصر القوة بالمدرعات وتتقصف يوميا بوحشية ، بالمدفعية ، بالطيران ، كميات الطعام لديها فى بداية الحصار توشك ان تكون معدومة ، يموت عدد من الجنود جوعا ، الظروف فى غاية القسوة ومع ذلك ، يصمد الرجال لمدة ١٣٤ يوما فى كبريت ، مترجمين شعار الصمود او الاستشهاد الى حقيقة واقعة .

وجهان متقابلان

يكشفان عن عظمة وأصالة المقاتل المصرى .

وعن حقيقة عدوه .

وفى هذين الوجهين تلخيص للعوامل الحضارية ، والانسانية التى تحكم أطراف الصراع .



[.. العسكرية الاسرائيلية . فى مواجهة العسكرية المصرية]

أكتــــوبر ١٩٧٣

.. تعبر قواتنا المسلحة قناة السويس . فى هذا الجزء من القناة ، المواجه لمدينة السويس ، كانت توجد هذه النقطة القــوية من تحصينــات خط بارليف ، انه موقع ذو اهمية خاصة ، اذ انها آخر مواقع خط بارليف عنــد الطرف الجنــوبى للقناة ، وتقوم فوق لسان بورتوفيق ، تحيط بهـا المياه من ثلاث جهــات ، مياه القنــاة ، وميــاه خليج السويس ، عرض القناة هنا امام بورتوفيق متسع جدا ، اكثر من ثلاثمائة متر ، والتيــار سريع الجريان ، بذل العــدو جهــدا شــديدا لتحصين هذا الموقع ، خاصة بعد وقف اطــلاق النار عام ١٩٧٠ ، وذلك لتعرضــه من قبــل للاغارة مرتين من قبل قوات الصاعقة المصرية ، وبالطبع وضع العــدو الدروس المســتفادة من الاغارة على الموقع نصب عينيه عند اعادة بنائه ، اصبح يبدو من فوق الضفة الغربيــة كجبــل صغــير ، كان يضم ٦ دشم اقامتهــا القــوات الاسرائيلية على طول اللســان البالغ طوله اكثر من خمسة كيلومترات ، ويتراوح عرضه بين ٧٥ و ٢٠٠ متر ، ان جدران الدشم ، من عــربات السكك الحديدية المليئة بالاسمنت المسلح ، وفلنكات السكك الحديدية ، وفوق هذا ردم رملى يرتفع حوالى ٣ امتار لا تؤثر فيه النيران ، الدشم الست متصلة بانفاق تحتية بحيث اذا سقطت احــداها يهرب افرادها الى الدشم الاخرى ويغلقون خلفهم ابوابا فولاذية صلبة . باختصار كان الموقع حصينا بحيث ان ضرب الطيران والمدفعية لا يؤثر فيــه تأثيرا كبيرا ، كانت أثقل انواع القنابل لا تحدث الا اصابات طفيفة بالجدران والاسمنت والحديد ، بالاضافة الى تسليح الموقع الذى ضم ٥ دبابات أمريكية الصنع من طراز باتون ، وبطاريات مدفعية ثقيلة ، ورشاشات ثقيلة ، ورشاشات متوسطة ، الى جانب التسليح الشخصى للافراد ..

هنا فى هذا الموقع تحصنت القوة الاسرائيلية البالغ عددها اثنان واربعين فردا ، وعندما بدا

الهجوم اغلقوا الموقع على انفسهم وبداوا المقاومة، تجاوزتهم قواتنا المدرعة ، انطلقت الى الشرق ، بينما تولت قوة مصرية ، عبارة عن جزء من كتيبة صاعقة امر الموقع ، حاصرته ، او بالتعبير العسكرى « ركبته » .

٢٣ أكتوبر ... كبريت شرق

منطقة الثغرة ، تحت قرار وقف اطلاق النار تتقدم المدرعات الاسرائيلية تنتشر الى الجنوب غارات الطيران عنيفة ، شرسة والهجوم المجنون بالمدرعات والمدفعية ، لكن حدة الهجوم وذروته تركزت ضد هذه القوة المصرية التى تمركزت فى منطقة الثغرة وكان الرجال قد تجمعوا حول أحدى نقاط العدو التى كانت تشكل جزءا من خط بارليف ، انها نقطة عادية فى منطقة كبريت .

وعندما اشرف الشهيدان **العقيد ابراهيم عبد التواب والمقدم امين على مقلد** على توزيع الرجال وتنظيم خطة الدفاع عن الموقع وفقا للامكانيات المتاحة من اسلحة وذخائر راعوا الا يحتمى احد داخل النقطة القوية لان العدو بطبيعة الحال لديه تصميماتها ويعرف نقاط الضعف فيها ، وهكذا انتشر الرجال حول النقطة على امتداد كيلومتر تقريبا .. مخازن اسلحتهم وذخيرتهم واماكن نومهم كلها بدأ اعدادها وتنظيمها بعد وخلال الهجوم الاسرائيلى العنيف عليهم .

لقد اجتمع الشهيد المصرى **ابراهيم عبدالتواب** بجميع الرجال وتعاهدوا عهدا موثقا بدماء اخوانهم الذين استشهدوا حولهم ومعهم فى حب مصر ، وان يصمدوا والا يستسلموا للعدو والا يغير من موقفهم الا على آخر جثة شهيد منهم . ويوم ٢٤ و ٢٥ اكتوبر هاجم العدو القوة المصرية بغارات جوية مكثفة بدأت من اول ضوء وطول النهار حتى نهايته بغارات قوامها ٦ او سبع طائرات بفاصل زمنى قدره ٤ دقائق وفى نهاية اليوم تقدمت المدرعات والمدفعية المعادية وفوجئت بالقوة المصرية تفتح نيران اسلحتها نيرانا مركزة موجهة بعناية وفقا لخطة علمية وكان الشهيد عبدالتواب يتنقل بنفسه من جندى الى آخر يوجه الضرب ويصحح المسافات ويتواجد فى اقصى النقاط الامامية يرفع الروح المعنوية للجنود ولم يستطع العدو التقدم بوصة واحدة من الموقع .

٦ أكتوبر .. اللسان

بدأت قوات الصاعقة المصرية بقيادة المقاتل زغلول حصار الموقع الاسرائيلى . ان التحصينات القوية تساعد افراده على البقاء أطول مدة ممكنة ومن خلال الاشارات الملتقطة بدأ واضحا ان قيادة العدو تضلل جنود الموقع فى محاولة لرفع روحهم المعنوية .

● ان النجدات فى الطريق .

● ان تحقيق الاتصال سيتم فورا .. ان المدرعات فى الطريق والمدفعية ستتقدم . ومن الطرف الاخر كان يبدو واضحا ان قائده يوالى ارسال الاستغاثات ، انه دائم الشكوى من حصار القوات المصرية وحالة الافراد الذين فقدوا اعصابهم خاصة عندما قتل بعض زملائهم بنيران الصاعقة المصرية وعندما دخلت هذا الموقع عقب استسلامه مباشرة فوجئت بكميات الطعام والمياه والذخيرة المكدسة فيه . كان الموقع عبارة عن مستعمرة صغيرة فيها كل المقومات التى تكمل الحياة لمدة ٣ شهور كاملة مئات الجراكل ذات اللون الابيض الممتلئة بالمياه وتلال من الاطعمة المحفوظة اطعمة محفوظة من كل نوع .. ورق عنب – لحوم .. ارز .. بقسماط .. كميات ضخمة من الثياب .. ثلاجة تعمل بالكيروسين .. بوتاجاز .. سينما .. مكتبة .. البومات صور عارية وجوارب نيلون حريمى .. ثياب داخلية نسائية .. سيور تتحرك عليها المدافع الرشاشة لتضرب نيرانها من خلال المزاغل فيصعب رصدها .. اماكن الدبابات الموجودة فى الموقع والمدفعية الثقيلة اطنان من الذخيرة التى تكفى فترة طويلة وصيدليات كاملة مليئة بالادوية .

كانت كل مقومات الحياة والحرب موجودة ومتوفرة بالاضافة الى مناعة الحصن .

كبريت .. الايام الصعاب

٢٦ اكتوبر .. وبدأ الشهيد **ابراهيم عبدالتواب** يقوم على اعداد دوريات من رجاله .. كانت وحدات الجيش الثالث متمركزة على بعد سبعة كيلومترات الى الجنوب .

قام الرجال بحمل زملائهم على النقالات طوال هذه المسافة التى قطعوها سيرا على الاقدام قامت أول دورية باعطاء تقرير للموقف وكان مع الرجال ورقة بخط الشهيد **ابراهيم عبد التواب** يحدد فيها مطالب القوة . كانت كميات التعيين قليلة والاطعمة محدودة وبالنسبة للمياه استطاع الرجال ان يطوعوا امكانياتهم المحلية وان يحلوا مشكلة المياه .. كانوا يقومون بانتزاع فلنكات خشبية من خط حديدى امتد يوما بين الشط جنوبا حتى القنطرة شمالا واستخدامها كوقود لتقطير مياه قناة السويس . كانت المشكلة

فى الطعام وبدأ **ابراهيم عبدالتواب** يشرف بنفسه على توزيع الطعام على رجال القوة «نصيب المقاتل من الطعام من ٢٤ اكتوبر حتى ٥ نوفمبر» .

نصف علبة فول ١٢٥ جراما .. ربع باكو بسكوت .. ثمن لتر مياه فى اليوم الواحد .

كانت هذه الكمية هى كل ما يعيش عليه المقاتل المصرى فى كبريت من ٢٤ اكتوبر حتى ٥ نوفمبر وكان قد مضى اربعة عشر يوما على بدء الحصار ـ وأكل الضباط مع الجنود بنفس المقدار ، واكرر كان قد مضى على الحصار اربعة عشر يوما كاملة .

الموقف العسكرى

برغم الظروف الصعبة التى احاطت الرجال فانهم لم يكفوا عن الاشتباك مع العدو ، لم يكتفوا بالتصدى لهجماته عليهم او الرد على قصف مدفعيته ودباباته انما كانت اوامر الشهيد **ابراهيم عبد التواب** تقتضى ضرب اى تحرك للعدو فى المنطقة المحيطة بهم .وكان هذا يشكل استفزازات خطيرة للعدو اذ ان الرجال بجانب الاصابات التى كانوا يلحقونها به فانهم استعملوا ذخيرة اسرائيلية واسلحة اسرائيلية من بقايا موقع كبريت وكان هذا يشكل قصفا قويا ضد الروح المعنوية لافراده وكما يقول الرائد محمد سعد :

ـ كانوا اذا فتحوا علينا طلقة واحدة نرد عليهم بعشرين ،فى ١٩ نوفمبر وقع اشتباك ضخم ، وتوالت الاشتباكات .

ـ اشتباكات يومية بالاسلحة الصغيرة .

ـ اشتباكات على مستوى كبير خلال عمليات امداد القوة من الجيش الثالث .

ـ فى ١٣ و ١٤ يناير قام الرجال بضرب عربات العدو وفى يوم ١١ يناير اصيبت عربة معادية اصابة مباشرة ، جن جنون العدو ، بدأ يضرب الموقع بكثافة .

ـ يوم ١٣ يناير شن العدو هجوما واسع النطاق على الموقع ،وبرغم ارهاق الرجال اشتبكوا معه وردعوه ردعا قاسيا .

الموقف الصحى

لم تظهر اية أمراض بين الرجال . فى يوم الجمعة من كل اسبوع كان الرجال يتجهون بانتظام فى مجموعات ليستحموا فى ميناء البحيرات المرة خلف الموقع يدعكون اجسامهم برمال قاع القناة التى تحوى مواد كيماوية تطهر الجسم وكان الرجال يغسلون ثيابهم فى القناة ثم تصرف لكل منهم نصف زمزمية مياه لتطهير الجسم من المياه المالحة .

ظهر الجمعة ١٢

أكتوبر .. بور توفيق

تلتقط قواتنا اشارة لاسلكية صادرة عن الموقع الاسرائيلى يطلب قائد الموقع من قيادته الاتصال بالصليب الاحمر الدولى لحضور عمليات تسليم الموقع..لقد قررت القوة الاسرائيلية الاستسلام. وفى مساء اليوم نفسه يتصل مندوب الصليب الاحمر فى القاهرة بقيادة القوات المسلحة المصرية يقدم طلب حكومة اسرائيل التى تقدمت به الى هيئة الصليب الاحمر الدولية فى جنيف توافق القيادة المصرية بعد ان علمت ان بعض المصابين فى الموقع فى حالة خطيرة ولكن كان قد مضى على حصار الموقع ستة ايام فقط وكانت قوة الحصار المصرية لا تتجاوز مجموعة صاعقة واحدة .

كبريت .. الايام الصعبة

فى ١٩ نوفمبر وصلت كميات من الاغذية ارسلها الجيش الثالث الى القوة المصرية يوم ٢٨, تصل كمية اخرى وفى اول يوم لوصول التعيين كان الموقع يعيش الرفاهية بمقاييس ظروفه وخلال فترات الرفاهية كان طعام المقاتل خلال اليوم كله :

علبة من الفول [حوالى ٢٠٠ جرام] .

نصف باكو بسكوت .

ثمن لتر مياه فى اليوم الواحد .

كان كل اربعة او خمسة مقاتلين يضعون طعامهم فى وعاء يخلطونه بالماء كان الماء ينفش البسكويت والارز ويأكلون معا ، كان كل مقاتل يحرص على ان يأكل اقل مما يأكل زميله وحرص الشهيد **ابراهيم عبد التواب** على ابقاء احتياطى من الطعام بشكل مستتر فى الموقع ولم يحاول مقاتل واحد ان يستأثر بجرام واحد زيادة لنفسه ولم تسجل يوميات القوة مخالفة واحدة .

محاولات اسرائيل

أمام صمود الرجال عرضت اسرائيل خلال مباحثات الكيلو ١٠١ ان تخلى القوة المصرية موقعها وان تخرج دون اسلحة .

القيادة المصرية ترفض .. **ابراهيم عبدالتواب** والرجال يرفضون ويبلغون قيادة الجيش الثالث أنهم متمسكون بالارض ..

تعرض اسرائيل عرضا ثانيا .. ان تخلى القوة المصرية موقعها وان يتم تسهيل مرورهم للالتحاق بوحدات القوات المسلحة المصرية على أن يصحبوا كافة اسلحتهم وذخيرتهم .

ترفض القيادة المصرية ...

يرفض **ابراهيم عبد التواب** والرجال .. يقررون البقاء والتمسك بالارض حتى قطرات الدم الاخيرة ..

يوم ١٧ نوفمبر تجيء اشارة من الصليب الاحمر تفيد بأنه ستصل طائرة هيلوكبتر اسرائيلية وسيهبط منها افراد من الصليب الاحمر لاخلاء الجرحى الموجودين بالموقع ويتم اخلاءهم لتسليمهم الى القوات المصرية فى الكيلو ١٠١ .

ويرفض الشهيد العظيم **ابراهيم عبد التواب** ويرفض الجرحى .. لو وصلت الطائرة فسيفتح الموقع نيرانه عليها .

السبت ١٣ آكتوبر

بور توفيق

كتب **جرانفيل واتسن** مراسل رويتر واحد عشرات الصحفيين الذين شاهدوا استسلام الموقع الاسرائيلى فى لسان بورتوفيق .

« استسلم اليوم آخر موقع اسرائيلى حصين على الضفة الشرقية لقناة السويس وتم اسر ٣٧ شخصا من القوات الاسرائيلية .. بدا عليهم الارهاق وكانوا ملطخين بالاوحال حتى حين تم اقتيادهم بزوارق التجديف عبر القناة الى الضفة الغربية وكان اول اسرائيليين يجرى نقلهما بالقوارب قائد الموقع وهو ضابط طويل اللحية ويبلغ من العمر ٢٣ عاما برتبة « لفتانت » واما الثانى فكان طبيب الوحدة وقد واجه الضابطان الشابان على ضفة القناة المصريين الذين اكدوا لهما انهما سيلقيان المعاملة المناسبة وفقا لاتفاقيات جنيف الا ان العميد المصرى المسئول عن العملية لم يرقه منظر القائد الاسرائيلى الشاب الذى يمشى متمهلا فقال له بالانجليزية «قف ... انتباه» وعلى الفور امتثل القائد الاسرائيلى ورفع يده محييا العلم المصرى وعندما دخلت الموقع استطعت ان ارى حوالى اجهزة راديو وعدسات مكبرة وخوذات وكانت هناك صناديق كثيرة مليئة بالذخيرة فى الموقع وكان من الواضح ان الاسرائيليين لم يستسلموا بسبب نفاذ الذخيرة .

.. وشهدت خروج الاسرائيليين وكانوا مذعورين خليط ، متناقض من عدة اجناس بشرية وعندما جاء الطبيب المصرى ليفحص الجرحى وليقرر الحالات الخطيرة التى يجب نقلها الى المستشفى فورا ورأيت جنودا اسرائيليين ليس فيهم خدش واحد يتماوتون ويتظاهرون بالالم الشديد حتى ينقلون الى المستشفى ولكن الطبيب المصرى كان حازما وامر بارسال الجرحى فقط الى المستشفى ،واما الاصحاء فاتخذوا طريقهم الى معسكر الاعتقال ثم تزعم قائد الموقع الاسرائيلى بعد عودته حملة فى اسرائيل تطالب بعزل **موشى ديان** ومحاكمة القادة الاسرائيليين.. احد مظاهر التفسخ التى بدت فى المجتمع الصهيونى عقب حرب اكتوبر .

كبريت فى ١٤ يناير

أيام الحصار تمضى والصمود الاسطورى مستمر .. يقوده المقاتل العظيم **ابراهيم عبد التواب** وفى بداية اليوم مرت بعض العربات الاسرائيلية بالقرب من الموقع امر باطلاق النار عليها .. حدث اشتباك .. العدو يقصف الموقع بكثافة يتقدم شهيد مصر الغالى **ابراهيم** الى نقطة الملاحظة المتقدمة يوجه المدفعية بنفسه .. الساعة ٩,٤٠ دقيقة صباحا سقطت دانة هاون ٨١ مللى فى نقطة الملاحظة .. وينطفىء بريق واحد من اغلى ابناء مصر .

استشهد **ابراهيم عبد التواب** وكانت فى الدانة آخر طلقة تسقط فوق الموقع .. اجتمع الرائد **سعد** بالرجال .. واقسموا على الصمود .. هكذا اراد الشهيد . وهكذا لابد ان يلبوا رغبته .. رغبة مصر ، وفى احد أيام شهر فبراير وبعد انسحاب القوات الاسرائيلية من المنطقة المحيطة بالقوة وصلت سيارة عسكرية كان يستقلها **اللواء سعد مأمون مساعد وزير** الحربية [وقتئذ] **واللواء احمد بدوى** قائد الجيش الثالث واعطى الرائد سعد «تمام» .. «تمام» **حافظ الرجال على شرف مصر لمدة ١٣٤ يوما فى ظل ظروف قاسية وبشعة ورفع اللواء سعد مأمون يده بالتحية العسكرية واحتضن الرجال واحدا واحدا .**

الديــون الخـــــارجيــة

حــتى لاتهــدد اســـتقلالنا الاقتصـــادى

عادل حسين

يصل العجز القومى هذا العام الى رقم كبير . وهــذا الوضع يضاعف قوة الدائنين فى مواجهتنا ، وبدأت شروطهم تزداد اجحافا . وفى هذا المقال يعالج عادل حسين ابعاد هذه المشكلة ، وعينة من الاتفاقيات الاخيرة [وخاصة مع البنــك الدولى] .

الاقلام اليمنية تنشر فى هذه الايام كلمات مسمومة باسم الدفاع عن اتفاقية الفصل الثانى للقوات فى سيناء، وسوف نقصر الحديث — فى هذا المقــال — على أسلوب تناولهــا للمتــاعب الاقتصادية التى تتحملها الجماهير المصرية .

ان المتاعب الاقتصــادية عامل لابد ان يؤثر فى حسابات كل دولة لمواقفها ،ولكن لاينبغى ان تصور هذه الاقلام للاخوة العرب ، أو العدو الاسرائيلى اننا وقعنا الاتفاق تخففا من اعبــاء الحــرب ، فالصحيح اننا مطالبون — وبعد توقيع الاتفاق — بمواصلة الاستعداد للحرب ، وقد تفرض علينــا الحرب الساخنة المباشرة فى اى وقت ، وكل هذا يعنى ان الاستنزاف الاقتصادى لن يتوقف ، وبالتحديد فان اعتمادات الدفاع ستزيد فى ميزانية العــام القــادم [١٩٧٦] . وينبغى ان يتذكر أصحاب الكلمات المسمومة من كتابنا اننا لانتحمل هذه الاعباء من أجل سواد عيون فلسطين وحدها — اذا كانوا يكرهون فلسطين — فنحن نتحمل هذه الاعباء منذ ١٩٦٧ لان ارض مصر نفســها محتلة، ومصر — كجزء لايتجزأ من العالم العربى — لا يمكن فى كل الظروف ان تقبل تنازلات سدئية بسبب متاعبها الاقتصادية .ونحن نرفض مناقشة اتفاقية الفصل الثانى للقوات وفق منطــق يدور حول هذه المتاعب . ان منهج الحوار ينبغى أن يتركز حول أثر هذه الاتفاقية على استراتيجيـــة النضال المصرى والعربى . هــل قدمت هــذه الاتفاقية أوضاعا أفضل للنضـــال أم لا ؟ هــل تحمل الاتفاقية مخاطر معينــة وكيف نواجهها ؟ هذا هو منهج النقاش الموضوعى الجاد ، هذا هو منهج النقاش لشعب قــدم عشرات الالاف من الشــهداء ؟ وبذل آلاف الملايين من دخــله المحدود ، من اجل مستقبل لن يتنازل عنه .

على ان الاقلام اليمنية تشير فى حديثهــــا من المتاعب الاقتصادية الى مقصد آخر ، فهى تقصد ترويج اكاذيب جديدة كتلك التى روجتهــا منذ عامين ، فتحدثت عن الرخاء الذى يتدافع فى الطريق الينا ، وقد أدت هــذه النغمة الى شعور بالاحباط والتوتر الاجتماعى حين تبين أن « ليلة القدر » كانت خدعة .ومن واجبنا اليوم أن نكشف حملة الكذب الجديدة ،فالتضليل ضار ولا يفيد ، وينبغى أن تدرك الجماهير حقيقــة المصاعب الموضوعية التى تنتظرها حتى تشارك فى تحملها وفى التغلب عليها .

عجــز خطير فى مواردنا

ولن نناقش هنا كل جوانب الموقف الاقتصادى، سنكتفى بالحديث عن علاقاتنا الاقتصادية بالعالم الخارجى ، وهو جانب هام وخطير . فمواردنا الذاتية [الناتج القــومى] اصبحت لا تفى الا بثلثى احتياجاتنا ، واصبحنا مضطــرين الى مد اليد ، وطلب القروض بكمية تصل الى ٥٣٪ من الناتج القومى ، أى اذا كان الناتج القــومى ، او مواردنا الذاتية ١٠٠ ، فان مجموع الموارد التى نحتاجها يكون ١٥٣ [وذلك فى عام ١٩٧٥] وهذا العجز الكبير فى الموارد [والذى نسميه العجز القومى] هو نتيجة العجــز الكبير فى الميزان التجارى + خــدمة الدين [الاقســـاط والفوائد الخ] .

لقد تطور الوضع الى هذه النتيجــة المقلقة

على النحو التـالى : فى عام ١٩٧٢ ـ كان العجز فى الميزان التجارى ١٩٢ مليون جنيه + خدمة الدين ٣٥٣ مليون جنيه . وبالتـالى كان مجموع العجز القـومى فى ذلك العـام ٥٤٥ مليون جنيه .

فى عام ١٩٧٣ ـ كان العجـز فى الميزان التجارى ٢٠٥ مليون جنيه + خدمة الدين ٤٥٧ مليونا ، فوصل العجز القومى الى ٦٦٢ مليون جنيه .

وفى عام ١٩٧٤ ـ تشير التقديرات الى أن الوضع قد ازداد سوءا ، فالعجـز فى الميزان التجارى ٣٩٢ مليون جنيه + خدمة الدين ٧٦٢ مليون جنيه وكان المطلوب بالتـالى تدبير ١١٥٤ مليون جنيه .

وفى هذا العام [١٩٧٥] تصل ارقام العجز القومى الى توقعات فلكية : فالعجز فى الميزان التجارى ١٣٦١ مليون جنيه + خـدمة الدين ١٢٣٥ مليون جنيه ، ومجموع العجـز القومى يتوقع ان يصل اذن الى ٢٥٩٦ مليون جنيه !

هذا موقف صعب ، ولابد ان نقر بهـذا ، ولا يتوقع أن يتحسن فى العام القادم ١٩٧٦ ، ويزيد من صعـوبة الموقف أننا عاجـزون فى الظروف الحالية عن زيادة صادراتنا زيادة مؤثرة ، واسعار الاحتياجات المسـتوردة لا تميـل الى هبوط ، وكذلك فان المعونات العربية المنظمـة لم تزد فى عام ١٩٧٥ عن ٧٣ مليون جنيه [وفق مقررات الخرطوم] و ٢٢٨ مليون جنيه [وفق مقررات الرباط] ، وصحيح ان الجهود السياسية المصرية قد نجحت فى هذا العام فى الحصـول على بعض الموارد الاسـتثنائية [٧٥٠ مليـون جنيه] ولكن لازلنـا محتاجين الى موارد اضافية لمواجهة التزاماتنا عام ١٩٧٥ ، ولايمكننا الحصول على هذه الموارد الا من خلال التسهيلات المصرفية ، وهذه التسهيلات قصيرة الاجل [تستحق الدفع بعد عام على الاكثر] وتصل فائدتهـا الى ١٩٪ ، ونضطر فى احيان كثيرة الى استخدامهـا فى شراء سلع غير راسماليـة : اى سلع لا تزيد الانتاج فتزيد بالتـالى قدرتنـا على التصـدير والسداد . وينبغى أن نضيف أيضـا ان هـذه التسهيلات المصرفية الباهظة التكاليف لا تسهل اعادة جدولتها كما يمـكن أن يحـدث فى حالة القروض مع حكومات . وقد يكون من المؤسف أن نذكر أن بعض الدول العربية صاحبة الفوائض المالية هى من اسباب اضطرارنا الى اللجـوء الى الاقتراض المصرفى على نطاق واسع [٩٥٠ مليون جنيه حتى الان] لان هذه الدول لازالت تفضل أن تحتفظ بأموالها فى صورة سائلة [ودائع بالبنوك] ؛ ولذا فان مصر ـ ككل دول العالم الاخرى ـ لا تجد مصدرا رئيسيا للتمـويل الا هذه التسهيلات المصرفية »

هذه هى الصورة العامة المقلقة لعلاقاتنـا الاقتصادية الخارجية ، و « للعجـز القومى » الرهيب . ولا يمكن أن يزعم انسان ان القضاء على هذا العجز أمر سـهل .

ان اعادة التوازن الى علاقاتنا مع الخـارج لا يمكن أن يتحقق باصدار قرار ، ولا بمجـرد الاتصال السـياسى مع هـذه الدولة أو تلك ، فالمشكلة أكثر تعقيدا ، ولنفترض مثلا اننا نجحنا فى اعادة جدولة ديوننا مع الاتحـاد السوفيتى ـ او حصلنا على فترة سماح نؤجل فيها سداد التزاماتنا ـ فى هذه الحالة لن نوفر أكثر من ٧٠ مليون جنيه سنويا ، واذا امتد مثل هـذا الاتفاق الى كل مجمـوعة الدول الاشتراكيـة سيرتفع الرقم الى ٩٠ مليون جنيه . ولا شك أن هـذا هام ، ولكن ينبغى ان نتـذكر الحجم الهائل للعجز القومى [٢٥٩٦ مليون جنيـه ـ عام ١٩٧٥] ، والعجز فى العام القادم سيكون أكبر .

ان موالاة الاتصالات السياسية ضرورة ، من أجل زيادة المعونات ، ومن اجل الحصول على فترة سماح ، ومن أجل اعادة جدولة الديون ، وكذلك من أجل الحصول على قروض سهلة [أى بفائدة منخفضة وتسدد على آجال طويلة] . ولكن كل هذا لن يجدى ما لم تتدعم هـذه الاتصـالات بالتخطيط الاقتصادى ، وبالعمل الجاد ـ وفق هذا التخطيط ـ من أجل زيادة قدرتنا الانتاجية ، ومن أجل تحسين الهيكل الاقتصادى . ان العمل فى هذا الاتجاه هو الاساس ، وهو الضمـان لنجاح واستمرار الجهود السياسية فى الاتصال بمختلف الدول ، بما فى ذلك الدول العربية . فالعلاقات الاقتصادية مع الدول الخارجية تقوم على المصالح الاقتصادية المباشرة ، الى جانب الاعتبارات القومية أو الاستراتيجية أو المبدئية . وفى مجال المصالح الاقتصادية المباشرة فان من حق الدائن ـ حتى اذا استبعدنا خبث الفرض ـ ان يطمئن الى أنه سيحصل على استحقاقاته فعلا بعد سنوات السماح أو بعد اعادة جدولة الديون ، وضمان هذا هو أن تكون لدينا الخطط المقنعة التى تضمن تطور اقتصادنا وتجعله قادرا على سداد التزاماته بعد فترة التقاط الانفاس . وفى الحقيقة هذه مسألة لا تهم الدائن وحده ، ولكنها تهمنا نحن فى المقام الاول ، اذ من الواجب ان نطمئن الى ان أوضاعنا تتقدم نحو التنميـة التى تحل مشاكلنا المعيشية الحادة ، ونحـو التوازن فى علاقاتنا الدولية .

من واجبنا ان نطمئن الى أن التيسيرات التى

سنحصل عليها لن تكون فرصة للاخلاد للراحة، ولكنها فرصة للانطلاق ، والا فاننا سنجد انفسنا بعد سنوات التيسير — مرة اخرى — داخل نفس الحلقة الجهنمية : الحصول على قروض جديدة لسداد قروض قديمة . ان هذا الامر ينبغي ان نرفضه قبل انترفضه الجهات الدائنة.

ان العمل المخطط والشاق لزيادة القدرة الانتاجية وتحسين الهيكل الاقتصادى هو ضرورة لتشجيع الاخرين على مساعدتنا ، وهو ايضا ضرورة لمنع هؤلاء الاخرين من التدخل فيشئوننا بذريعة الاطمئنان الىمصير اموالهمفى بلدنا «غير المأمون » .. ومنع الاخرين من التدخل فى شئوننا ، ليس مجرد مسألة كرامة ، وانما هو تعبير عن ضرورة الحفاظ على الاستقلال الاقتصادى ، وعلى استقلال الارادة ، الذى هو أساس كل استراتيجيتنا العربية فىالتنمية ، بل هو أساس استعدادنا الجاد لمواجهة العدو الصهيونى الامبريالى .. ويقودنا هذا الى الحديث عن عينة من الاتفاقيات التى عقدت خلال هذا العام ، مع حكومة الولايات المتحدة، أو مع البنك الدولى للانشاء والتعمير ، او مع بعض الحكومات العربية، فهذه الاتفاقياتفرضت شروطا عجيبة .

اتفاقيات مجحفة

● فاتفاقية البنك الدولى [الذى تتمتع الولايات المتحدة بالصوت الاعلى داخله] مع هيئة قناة السويس [٥٠ مليون دولار — فائدة ٨٪] [1] ، تفرض على الهيئة استخدام «الاستشاريين والاخصائيين الذين تكونمؤهلاتهم وخبراتهم وشروط تعيينهم ملائمة للبنك » ، على الهيئة أن تمكن « ممثلى البنك من فحص كافة المهمات والمنشآت والمواقع والاعمال والمبانى والممتلكات والمعدات الخاصة بالمقترض [أى الخاصة بهيئة قناة السويس] والمتعلقة بالمشروع الى جانب أي سجلات أو مستندات خاصة به » أى أن البنك لا يكتفى بمتابعة وفحص البضائع والخدمات الممولة من حصيلة القرض الذىقدمه، ولكنه يتابع أيضا كل عملياتهيئة قناة السويس! بل وينص على انه « يجب على المقترض فيجميع الاوقات أن يدير اعماله ويخطط لتنمية ممتلكاته وخدماته ويحافظ على وضعه المالى بما يتفق مع النظم الادارية والهندسية والبحرية والمالية الملائمة وذلك تحت اشراف ادارة ذات خبرة وكفاءة ، كما ان عليه ان يحافظ على مهماته وأجهزته وممتلكاته وخدماته وان يقوم بجميع التجديدات والاصلاحات اللازمة وذلك بما يتفق مع نظم الممارسة الاداريه والهندسية والبحرية والمالية الملائمة » . ومفهوم ان تطوير القناة وادارتها ادارة كفأة مسألة ضرورية ،ولكن مفهوم أيضا ان هيئة القناة تتبع حكومة ذات سيادة ، وهذه الحكومة هى الضامن أمام البنك لسداد كافةاعباء القرض ، ومفروض ان يترك للحكومة المصرية ضمان أن يدار هذا المشروع الحيوى بالكفاءة المطلوبة ، فما معنى أن تنص الاتفاقية على هذا البند السابق ، والذى يعطى البنك الحق فى الطعن فى كفاءة الهيئة المصرية ،وفى المطالبة بالتالى بتغييرها ؟

ان الاتفاقية لا تكتفى بهذا ، فهى تشترط أيضا أن تراجع البيانات المالية وقوائم الحسابات الختامية [الميزانيات ، كشوف الايرادات والمصروفات وما يتعلق بها من بيانات] مرة كل سنة مالية طبقا لاسس المراجعة السليمة المتعارف عليها . ولا مانع من هذا ، ولكن منهو الذى يقوم بهذه المراجعة ؟ انها تتم بمعرفة محاسبين مستقلين مختصين **مقبولين لدىالبنك!** وعلى الهيئة ان توافى البنك الدولى بنسخة من القوائم المالية المعتمدة التى تمت مراجعتها، وتقرير المراجعة الذى اعده المحاسبون سالفو الذكر ،وبالمدىوبالتفصيل الذىيطلبهالبنك ،كذلك يزود البنك بأية معلومات اخرى متعلقةبحسابات المقترض [هيئة قناة السويس] وذلك حسبما يطلب البنك ، ولا يحق للهيئة أن تحصل على أى قرض آخر الا بموافقة البنك الدولى . واذا قرر البنك [وحده وبدون حقلنا فىالاعتراض!] أن الحصول على أى بند قد تم بشكل مخالف للاجراءات الواردة أو المشار اليها فى الاتفاقية، فلا يتم تمويل المصروفات المتعلقة بهذا البند من حصيلة القرض ، وللبنك بمقتضى اخطار يرسله للمقترض ،انيلغىهذا المبلغ منالقروض.

وفى مجال الدعوة لتقديم العطاءاتواقتراحات البت والعقود النهائية التى تقدر قيمتها بما يعادل ١٠٠ الف دولار أو أكثر ،لا يتم شىء الا بمعرفة وبموافقة البنك ، ابتداء مننص الدعوات الموجهة بشأن طلب العطاءات ، الى اسماء من تقدموا بالعطاءات ، الى اسم مقدم العطاء الذىتعتزم الهيئة اسناد العقد اليه .

ما معنى الزج بأنف البنك الدولى فى كافة تفاصيل عمل هيئة تابعة للحكومة المصرية ؟ ان هذه الشروط تكون مجحفة فى حالة التعامل مع شركة قطاعخاص لا تضمنه الا أصولهوصحة

---

[1] مجلس الشعب : الفصل التشريعى الاول — دور الانعقاد الرابع — مضبطة الجلسة الثالثة والستين — ملحق رقم ٧

أوضاعه المالية والادارية الذاتية ؟ ولكنه بشروط غير معقولة على الاطلاق عند تعامل هيئة دولية مع هيئة محلية تابعة لحكومة مسئولة، خاصة وأن هناك اتفاقية ضمان بين جمهورية مصر العربية والبنك الدولي تنص على أنه «يكفل الضامن» — أى الدولة المصرية — «كملتزم اصلي، وليس كمجرد ضامن، سداد المستحقات المقررة في الموعد المحدد عن أصل القرض وفوائده والمصاريف الاخرى الخاصة» .. اذا كانت الدولة المصرية قد قبلت هذا الالتزام، واذا كان البنك قابلا لهذا الضمان فلم يستحوذ على كل حقوق أجهزة الدولة السياسية والتنفيذية والتشريعية والرقابية في متابعة ما تقوم به هيئة قناة السويس ؟ !

● وهناك اتفاقية اخرى بين حكومة جمهورية مصر العربية والبنك الدولي للانشاء والتعمير بشأن قرض توسيع مصنع اسمنت طره، [٤٠ مليون دولار — فائدة ٨٪] . وفي هذا الاتفاق توجد كل المضامين السابقة، ولكن القرض هنا بين حكومتنا مباشرة، وبين البنك الدولي . أى أن الموقف هنا يختلف عن القرض السابق حيث كان الاخير اتفاقا بين هيئة قناة السويس والبنك الدولي، والحكومة المصرية ضامن للهيئة . في هذا الاتفاق الجديد تتسلم الحكومة المصرية القرض، ثم تعيد اقراضه الى شركة اسمنت طرة، والاتفاق بين الحكومة المصرية وبين شركة الاسمنت [التابعة لها] لا يترك لنا، وانما يتم « بشروط واحكام يوافق عليها البنك » ... وتلزم الحكومة « بعدم التنازل أو العدول أو الغاء أو التخلي » عن الاتفاق المعقود بينها وبين الشركة التابعة لها، أو عن أى نص منه ! «٢» ، ويلزم العقد الحكومة المصرية بسياسة محددة فيما يتعلق بأسعار الاسمنت، وبالاتفاق مع البنك الدولي على عناصر دراسة شاملة للانتاج والتوزيع وتسهيلات التسويق في قطاع الاسمنت، وعلى الحكومة المصرية أن تعد على أساس الدراسة المذكورة وبالتشاور مع البنك، برنامجا استثماريا في قطاع الاسمنت، وعلى الحكومة المصرية أن تتشاور مع البنك قبل السماح بانشاء مصانع جديدة للاسمنت اذا كان من نتيجة هذا الانشاء تجاوز الطاقة الانتاجية للاسمنت المستوى الذي حدده البرنامج الذي سبق اقراره .

. أمن أجل قرض للتوسع في مصنع واحد ، يطلب البنك وصاية على كل اعمال وتوسعات قطاع الاسمنت ؟ ! على أى حال .. لقد وقعت شركة اسمنت بورتلاند طرة اتفاقا مباشرا مع البنك [أى أن البنك الدولي لا يكتفي بالاتفاق المباشر بين الحكومة المصرية والشركة والذي يتم بمعرفة البنك] وهذا الاتفاق المباشر مع البنك يحدد التزامات على الشركة قبل البنك كشرط لتنفيذ القرض مع الحكومة، وهي التزامات تخضع الشركة [على النحو الذي أوضحناه في هيئة قناة السويس] لرقابة كاملة من البنك الدولي .

● ننتقل الان الى اتفاق قرض آخر بين البنك الدولي ايضا وبين الهيئة العامة لسكك حديد مصر [٣] ، ويكمله اتفاق بضمان الحكومة المصرية للهيئة . في الاتفاق مع الهيئة [٣٧ مليون دولار — فائدة ٨٫٥٪] هناك التعهد — كما هو الحال مع هيئة القناة — باستخدام خبراء تكون مؤهلاتهم وخبرتهم وشروط واسس استخدامهم مرضية للبنك، وهناك حق الفحص والتفتيش لممثلي البنك في المشروعات التي يمولها القرض أو في غيرها من المشروعات، «بتعهد المقترض بتمكين ممثلي البنك من تفقد المنشآت والورش والمواقع والاعمال والمباني والممتلكات والمعدات الخاصة بالمقترض [أى بهيئة السكك الحديدية] وفحص أى مستندات أو سجلات تتعلق بها » . ويتدخل البنك في تنظيم العلاقة بين الهيئة والحكومة، فالمقترض [أى الهيئة] « يتعهد » بأن « يتخذ كافة الخطوات اللازمة للمحافظة على جميع حقوقه وسلطاته وشخصيته الاعتبارية وامتيازاته الضرورية والمفيدة له في ادارة أعماله وتجديد ما يلزم منها » والبنك هو طبعا الجهة التي ستحدد ما هي حقوق وسلطات الهيئة في مواجهة الحكومة، ولا ننسى أن البنك من حقه أن يوقف القرض « في أى وقت يحدده » . ولا يحق للهيئة — بدون موافقة البنك — ان تقوم بالبيع أو التصرف في أى ممتلكات أو معدات يرى البنك انها ضرورية للتشغيل، وبعد هذا هناك المراجعة للبيانات المالية والحسابات الختامية للهيئة بمعرفة مراجعين مستقلين يقبلهم البنك .. الى آخر ما جاء من نصوص مشابهة في اتفاقية القناة . ويتدخل البنك كذلك في تحديد حجم العمالة بالهيئة وفي تحديد الاجور والتعريفات، وتقدم الهيئة الى البنك الدولي اعتبارا من السنة المالية ١٩٧٥ تقارير نصف سنوية عن مدى التقدم الذي يتم في موضوع تسوية مستحقات الهيئة عند الجهات الحكومية الاخرى ... انها وصاية كاملة !

وكل هذا التدخل في ادارة السكك الحديدية وفي طبيعة العلاقة بين هذه الهيئة وبين الحكومة .. رغم ان البنك الدولي يتعامل في نهاية الامر مع حكومة مسئولة توقع على اتفاق ضمان ينص

---

[٢] المرجع السابق — ملحق رقم ٨

[٣] المرجع السابق — ملحق رقم ١٢

على ان الدولة المصرية هى « الملتزم الاساسى وليس مجرد كفيل دفع أصل القرض وفوائده وأية مصاريف اخرى تتعلق به واية دفع مقدمة ان وجدت وذلك بانتظام وفى المواعيد المتفق عليها .. الخ » .

حق الحجز على الممتلكات العامة

ولكن آن الاوان للاشارة الى بند خاص مسجل فى كل الاتفاقات المعقودة مع البنك الدولى . هذا النص لا يطلبه البنك — كما يقول — فى الظروف العادية ، وهو يقول : لا يتخذ أى دين خارجى آخر افضلية على ديون البنك بالنسبة للنقد الاجنبى الموجود تحت يد مصر ، أو الموضوع تحت تصرفها ، ولتحقيق هذه الغاية فانه فى حالة وجود أى حجز على اى ممتلكات عامة وفاء لاى دين خارجى ، فان هذا الحجز لابد تلقائيا ان يسمح بحصول البنك على حجز مشابه ويضمن أصل دينه وفوائده وأية مصاريف اضافية أخرى ، واذا حالت أسباب دستورية أو قضائية دون امكان النص على امكانية الحجز على الاصول السياسية أو الادارية ، فيتعهد الضامن [أى الدولة المصرية] فورا بأن يوقع حجزا مماثلا للوفاء بمستحقات البنك على أى من ممتلكاته الاخرى التى يرضاها البنك . ان الممتلكات العامة الواردة فى العرض السابق تعنى اى قسم من أقسام الدولة السياسية أو الادارية وأيضا أى كيان مملوك لها أو تحت ادارتها ، أو تقوم بتشغيله لحسابها او لمصلحتها ، أو لاى من اقسامها بما فى ذلك الذهب والعملات الاجنبية الاخرى التى تمتلكها اى هيئة تقوم بأعمال بنك مركزى أو التعامل فى تثبيت اسعار العملة أو ما شابه ذلك .

هل وصل الحال الى حد اثبات مثل هذا النص ؟ الحجز على الممتلكات المصرية العامة ؟ صحيح أن البنك يقول انه لن يكون البادىء ، ولكن من يدرى كيف ستسير الامور ، ويكفى أن تستفيد جهة من الجهات من ضائقة مالية تواجهها ، كى نرى البنك ، وغير البنك — كما سنرى — يبادر بالسيطرة على مرافقنا ومشروعاتنا وادارتها لحساب سداد دينه !

• • والدول العربية أيضا

● وقد عقدت اتفاقات مع الدول العربية صاحبة الفوائض الكبيرة [أبو ظبى/هيئة قناة السويس بضمان الحكومة المصرية : ١٣٢ مليون درهم امارات — فائدة ٣,٥٪] واتفاق [المملكة السعودية/هيئة القناة بضمان الحكومة المصرية : ١٧٥ مليون ريال سعودى — فائدة ٣,٥٪] (*)

ويبدو ان الشقيقتين العربيتين لم تتشددا فى النص على أساليب رقابية على عمل الهيئة ، اكتفاء بالدور الذى سيلعبه البنك الدولى فى هذا المجال ، ولكنهما اصرتا على النص اللعين الذى يجيز لهما اجراء الحجز على ممتلكات الدولة المصرية . كلهم يتمسك بحق الحجز على الممتلكات العامة ، أيا كانت صورتها ، التى تتبع الشقيقة المقاتلة : مصر !

نفس الشىء فى اتفاقية القرض بين شركة أسمنت بورتلاند طرة وبين الصندوق العربى — الكويت — [٦,٧ مليون دينار كويتى — فائدة ٦٪] — فقد وافق الصندوق العربى على تقديم هذا القرض بشرط ان « يلتزم المقترض [أى الشركة المصرية] بأن يحصل من البنك الدولى ، أو من اى جهة اخرى تكون مقبولة لدى الصندوق العربى على قرض بالعملات الاجنبية يساوى ٤٠ مليون دولار امريكى ، وذلك حتى يتمكن المقترض من استكمال احتياجات تنفيذ المشروع من تلك العملات » . والواقع ان الصندوق العربى وافق على تقديم القرض تحت حماية التدخل المكثف للبنك الدولى فى ادارة الشركة بل وفى صناعة الاسمنت كلها كما أوضحنا . وكان متصورا أن يحمينا الصندوق العربى — بنفوذ الكويت لدى البنك الدولى — من هذه التدخلات غير اللائقة ، ولكنه بدلا من هذا نص فى اتفاقية الضمان التى وقعتها الحكومة على النص « اياه » : جواز الحجز .. الخ . وماذا اذا حدث أن اختلفت مصر مع البنك الدولى ، وهذا محتمل مع تدخلاته المرهقة ؟ ماذا لو أن البنك الدولى عاقبنا واوقف قرضه ؟ يحق للصندوق العربى فى هذه الحالة أن يوقف بدوره سحب أى مبلغ من القرض الذى قدمه !

● أين كل هذا من اتفاقية القرض بين حكومة جمهورية مصر العربية وحكومة اليابان بشأن توسيع وتعميق قناة السويس [٣٨ مليار ين يابانى/فائدة ٢٪] ؟ . اننا نرجو أن تطالع الدول العربية هذه الاتفاقية .. فهذه الاتفاقية لم تشر تصريحا أو تلميحا الى مسألة الحجز ، ولا مسألة التدخل المهين فى الشئون الادارية والتخطيطية لهيئة قناة السويس المصرية .

● أما فى الاتفاقية المعقودة بين جمهورية مصر وهيئة التنمية الدولية الخاصة بقرض يستخدم للواردات من المواد الخام ، والسلع الوسيطة ، وقطع الغيار ، ومعدات رفع كفاءة الانتاج الصناعى والزراعى [٣٥ مليون دولار — مصاريف خدمة الدين ثلاثة ارباع فى المائة فقط] فاننا نفهم ان نلتزم باعداد تقارير ربع سنوية عما يودع أو يسحب من حساب المشروع ، وتقدم هذه التقارير للهيئة لمراجعتها ، ولكن لماذا نلتزم بتقديم بيانات عن مبالغ النقد الاجنبى المخصص بالموازنات التقديرية للواردات الزراعية

والصناعية — ككل وليس فى نطاق القرض — عن السنتين الماليتين ١٩٧٥ و ١٩٧٦ ؟

هل أصبحت العمولات مشروعة ؟

على أن أغرب ما التزمت به مصر هو فى اتفاق قرض التخزين بصوامع الغلال مع الولايات المتحدة ممثلة فى وكالة التنمية الدولية ،وكذلك فى إتفاقية المنحة الخاصة بنقل التكنولوجيا وتطوير العمالة مع الولايات المتحدة . فقد نص على أن المقترض [أى الحكومة] « يتعهد ويضمن بأنه فيما يتعلق بالحصول على القرض أو القيام بأى عمل له علاقة بهذا الاتفاق أو طبقا له لم يدفع ولن يدفع أو يوافق على دفع — وانه فى حدود افضل ما لديه من معلومات لم يدفع أو يتم الاتفاق على الدفع بواسطة أى شخص أو كيان — عمولات أو اتعاب أو مدفوعات أخرى من أى نوع باستثناء الاجر المنتظم لعاملى وموظفى المقترض طول الوقت أو الاتعاب الحقيقية للخدمات الوظيفية والفنية المشابهة . ويتعهد المقترض بان يخطر الوكالة فورا بأى مدفوعات أو اتفاق دفع مثل هذه الاتعاب الحقيقية للخدمات الوظيفية والفنيسة أو ما شابه ذلك يكون طرفا فيها أو يعلم بها [مع الاشارة عما اذا كان الدفع قد حدث أو سيحدث بشروط] ، وعما اذا كان مبلغ مثل هذا الدفع يعتبر غير معقول من وجهة نظر الوكالة ، سوف يتم تسوية مثل هذه الحالات بطريقة مرضية للوكالة » ... و «يتعهد المقترض [أى حكومتنا] ويضمن أنه لم ولن يتم تحصيل اى مدفوعات بواسطة المقترض أو أى من موظفيه تتعلق بشراء السلع والخدمات المحولة طبقا لهذا القرض عدا الرسوم والضرائب أو المدفوعات القانونية المشابهة فى مصر » .

كيف يتقبل أن تلتزم الحكومة المصرية فى اتفاقية دولية بانها لن تسمح بدفع عمولات أو تسريب أموال غير مشروعة ؟ ان هذا النص يبدو كما لو كان يعنى أن الاصل فى معاملات الحكومة هو دفع الرشاوى والعمولات ، بحيث اصبحت الحكومة الامريكية تحتاج الى تعهد خاص بأننا لن نعاملها بنفس القاعدة العامة التى نعامل بها الجهات الاخرى ! ان الموافقة على هذا النص مهين أدبيا ، ومسىء الى سمعتنا فى التعاملات الدولية .

• • •

على اى حال . لقد تعرضنا لهذه العينة من اتفاقيات المعونة والقروض ، لاننا كنا بصدد الحديث عن مخاطر « العجز القومى » فى مواردنا ، لقد وضح من العرض السابق أن المقرضين استغلوا وضعنا وفرضوا علينا شروطا يتدخلون بمقتضاها فى هيئة قناة السويس وفى هيئة السكك الحديدية وفى قطاع الاسمنت .. وقد عقدنا اتفاقات مشابهة بالنسبة لميناء الاسكندرية ، وفى صناعة النسيج ،وفى مشروع الفواكه والخضر .. ترى كيف ستكون الصورة حين يتسع نطاق مثل هذه المشروعات؟ ان سلطة البنك الدولى فى ادارة وتوجيه اقتصادنا ستصبح أمرا فى غاية الخطورة ، خاصة مع حق الحجز الذى اشرنا اليه .

ومن حقنا أيضا أن نشير الى اقتراح انشاء « كونسورتيوم » يضم مجموعة الدول الغربية وبعض الدول المصدرة للبترول . ويقال أن هذا التجمع سيوفر احتياجات التمويل التى تحتاجها مصر بشروط ميسرة ، بل وقد يسعى لاعادة جدولة ديوننا الخارجية ، أو يحل محلنا فى سداد الاقساط ويتولى هو تحصيلها من ناتج الاقتصاد المصرى على آجال طويلة . وأيا كان الشكل الذى سيتخذه هذا الكونسورتيوم ،وأيا كانت مهمته ، فان من حقنا أن نتساءل : اذا كان البنك الدولى قد استباح لنفسه كل هذه الصلاحيات فى ادارة الهيئات المصرية التى قدم لها قروضا ، فكيف سيتصرف فى ادارة الاقتصاد القومى ككل اذا تولى الكونسورتيوم [الذى يرشح البنك الدولى للاشراف عليه] امر الديون الخارجية ؟ وما هى مخاطر ذلك على استقلال قراراتنا الاقتصادية ؟

نحن ندرك أن وضعنا العصيب يتيح للقوى الخارجية — وعلى رأسها الولايات المتحدة — فرصة فرض شروط مجحفة ، ويعنى هذا اننا ينبغى أن نحذر ، وان نستعد لنضال شاق من أجل الاحتفاظ باستقلالنا الاقتصادى الذى كسبناه بالدم . والاستعداد لن يكون باليقظة السياسية وحدها ، وانما أيضا بالعمل الجاد من أجل التنمية المستقلة التى تنهض اقتصادنا القومى ، وتزيد من قدراته على مواجهة الالتزامات والتحديات الخارجية . وعلى ضوء هذا الحذر السياسى ، وعلى ضوء الحديث عن التنمية والتخطيط ، ينبغى أن نعيد النظر فى كثير من مفاهيم « الانفتاح » التى سادت فى الفترة الماضية ، وينبغى أن نتشدد فى مطالبة الدول العربية البترولية بمراجعة اتفاقاتها مع مصر ، وينبغى ان ندعم علاقاتنا مع الدول الاشتراكية ، ولكن ينبغى أيضا أن نواجه جماهير شعبنا بحقيقة أننا نواجه فى السنوات القادمة مخاطر ومصاعب حقيقية ، وهذه المصاعب تتطلب تضحيات من أصحاب الملايين ، حتى تتقبل الجماهير الكادحة نصيبها من التضحية . لابد من مواجهة أصحاب الدخول الطفيلية والعمولات وما أشبه ، فقد استشرى هؤلاء فعلا ، ولكننا نحن الذين سنحاربهم . ولن تحاربهم لنا الولايات المتحدة التى تشهر بنا عن طريقهم ، بل انها تخلقهم ثم تتخذهم ذريعة لتبرير تدخلها فى شئوننا الداخلية .

اجـــابات برتغـــاليـة على أسئلة ملحـــة

اليســار البرتغالى :

« نحـن نتراجع تكتيكيا لنجنب الوطن الحـرب الأهلية »

حوار اجراه
د. رفعت السـعيد

برغم كل ما نشر عن البرتغال ـ وربمابسبب الكثير مما نشر عن ثورة البرتغال ـ لم يزل الغموض يحيط ببعض القضايا،ولم تزل اسئلة ملحة معلقة بغير اجابات، أو بالدقة تاتى اجاباتها من مصادر معاديةللثورة البرتغالية .

وفى غينيا بيســاو التى كان تحـررهارمزا لتلاحم قـوى التحـرر الوطنى فى المستعمرات البرتغالية مع القوى الثورية والتقدمية والمناهضة للفاشية فى البرتغال التقى د . رفعت السعيد مع البروفسور سيكويرا استاذ العلوم السياسية واحـد القادة المرموقين لليسـار البرتغـالى .. واجرى معه باسم مجلة «الطليعة» حوارا سريعا حول هذه الاسئلة الملحة ..

ـ لعل لقاءنا هنا على ارض غينيا بيســـاو المستقلة ، وفى ظل احتفالاتها بعيد استقلالهـا الاول هو أول تاكيد لانتصار الثورة البرتغاليـة وانتصار الاتجاه التقدمى واليسارى فىصفوفها، ومع ذلك ، فان الانباء تاتى ، فى هـذه الايام بالذات ، عن تحرج الوضع فى البرتغـال وعن تصاعد نفوذ اليمين .. فهل يمكنـك أن تعطى لقراء « الطليعة » صورة عن حقيقة الوضـع الراهن فى البرتغال ، وطبيعـة الصراعات المتواجدة فيه ؟

□ سيكويرا : اتفق معك تماما ان اسـتقلال المستعمرات البرتغالية هو انتصار فعلى لليسار البرتغالى ،انها خطوة اخرىيؤكد بها الشيوعيون

والتقدميون البرتغاليون تمسكهم بالمبادىء واصرارهم على وضعها موضع التنفيذ .

فنحن لسنا مثل الاشتراكيين الديمقراطيين الذين يرددون شعارات الاشتراكية، بينما يفرغونها تماما من محتواها في التطبيق العملي . لقد حكم الاشتراكيون فرنسا مرات عديدة . وفي ظل حكمهم عانت شعوب المستعمرات الفرنسية أبشع انواع القهر . وفي ظل حكومة «اشتراكية» شاركت فرنسا في غزو بلدكم مصر في عام ٥٦ . ولقد حكم حزب العمال البريطاني المستعمرات البريطانية السابقة — ومنها مصر — بقبضة من حديد .. أليس كذلك ؟ هذا اذن هو الفارق العملي بيننا وبينهم . نحن ثوريون ، أمميون نضع مبادئنا وشعاراتنا موضع التطبيق ، نفي بوعودنا والتزاماتنا ، بينما هم تجار شعارات ، انهم امبرياليون او في احسن الاحوال الذراع اليسرى للامبريالية .

وفور قيام حركة القوات المسلحة في ابريل ١٩٧٤ صممنا على منح المستعمرات البرتغالية استقلالها .. بينما عارضنا الاخرون ، وقد تزعم **سبينولا** هذه المعارضة بحجة ان الانسحاب المفاجىء من المستعمرات سوف يضر بالاقتصاد البرتغالي ، وايضا بحجة ان هذه المستعمرات لم تستعد بعد لنيل استقلالها .

كذلك حاول « اليمين » افراغ الحركة من محتواها الاجتماعي وبذل في هذا الصدد جهودا ومناورات عديدة ، وكانت محاولة الانقلاب التي قام بها **سبينولا** مجرد مظهر من مظاهر مقاومة اليمين . ولقد حذر الحزب الشيوعي من هذه المحاولة قبل وقوعها وطالب بمحاصرتها من خلال المزيد من التحولات الاجتماعية .

وأنت على حق تماما عندما قلت ان الثورة البرتغالية تمر بمرحلة حرجة ، وان اليمين يزداد نفوذه في السلطة ، ويمكنني ان الخص الامر في أن اليسار في حالة « تراجع تكتيكي » . كذلك فان الوضع يزداد تحرجا بسبب تفاقم الازمة الاقتصادية ..

— هكذا تقودني الى سؤالين كنت اريد ان أوجههما اليك ..

الاول — عن الاسباب الحقيقية للازمة الاقتصادية .. ؟

والثاني — عن حقيقة توازنات القوى في الجيش البرتغالي .. ؟

□ **سيكويرا** : لنبدأ بالسؤال الاول ، فهو الاكثر تعقيدا .. هناك بالفعل في البرتغال أزمة اقتصادية ومالية ، ولهذه الازمة أسبابها الموضوعية ، التي يتعين علينا ان نتفهمها وان نعمل على معالجتها .. ولعل من المفيد ان اعدد لك — وباختصار شديد — بعض هذه الاسباب الموضوعية :

● فهناك اولا ، وقبل كل شيء ، الازمة العامة التي تمسك بخناق المجتمع الرأسمالي ككل . ولا يخفى عليك ان التكوين العام للاقتصاد البرتغالي — وبرغم التأميمات التي تقررت اخيرا — هو تكوين رأسمالي . ومن ثم ، فان على البرتغال ان تعاني كغيرها من البلدان الرأسمالية .

● وهناك ، ايضا ، ذلك التخلي المفاجىء عن المستعمرات . ولقد كانت المستعمرات مصدر دخل ضخم للبرتغال . ولقد قلت لك في السابق ان البعض حاول ان يتشبث بالمستعمرات ، لكن المسألة مسألة مبدأ ، وعلينا ان نواجه الامر الواقع وان نقنع شعبنا ان رخاءه لن يكون من خلال امتصاص دماء المستعمرات ، وانما من خلال النضال الدؤوب من أجل الاشتراكية .

● وقد ترتب على تصفية المستعمرات البرتغالية عودة الكثيرين من المستوطنين البرتغاليين فيها الى وطنهم الام ، بعد ان اصبح وجودهم « المتميز » امرا صعبا . كذلك فان احداث أنجولا — أضخم هذه المستعمرات السابقة — قد أجبرت اعدادا ضخمة من المستوطنين البرتغاليين على العودة . ولاشك في أن هذه العودة المفاجأة لمجموعات كبيرة من السكان الذين يفتقدون الى أية ارضية اقتصادية في الوطن الام تسبب تعقيدات عديدة . وايضا فان القضاء على الفاشية قد شجع الكثير من المهاجرين الى العودة الى البرتغال « الديمقراطية » .

● وايضا فان الشركات التي خضعت للتأميم لم تستقر احوالها بعد . وهي بحاجة الى بعض الوقت وبعض الخبرة كي تعاود الانطلاق .

● وفوق هذا كله ، هناك المؤامرات الامبريالية ومؤامرات الشركات المتعددة الجنسيات التي تحاك الان وبشراسة ضد اقتصادنا .. فهناك مقاطعة وضغوط شديدة ، وهناك تعمد واضح لابعاد السياح عن البرتغال وهكذا ..

الا يكفي ذلك كله لخلق جو من الاضطراب الاقتصادي والمالي ، لكننا نعتقد ، على أية حال ، أن بامكان البرتغال أن يتغلب على أزمته الاقتصادية ، اذا ما تغلب على أزمته السياسية . ولا يخفى أن اليمين يستخدم هذه الازمة لتأليب طوائف وفئات ليس من المفترض انها ضد الثورة .

— حسنا .. ها أنت تقودنا نحو السؤال الثاني . ماذا عن الازمة السياسية ؟ وما هي حقيقة التوازن الفعلي داخل حركة القوات المسلحة البرتغالية ؟ وما هي الخلفية الحقيقية للتصادمات القائمة الان ؟

□ **سيكويرا** : يجب ، أولا ، أن نراعي التكوين التاريخي والطبقي والفكري لجيش تكون

في ظلال الفاشية ، وتمرس في الحرب ضد شعوب المستعمرات .. اقصد ان نراعي انه اذا كانت الطليعة التي تحركت في ابريل ١٩٧٤ ذات اتجاه يساري ، وانه قد تمت تصفية العناصر الموالية للفاشية ، لكنه يبقى — وهذا طبيعي في الوضع الراهن — اعداد كبيرة من الضباط ذوي التكوين « المحافظ » . وليس خافيا على أحد أن بعض قادة الوحدات ، في الشمال ، كانوا يشجعون الحملات المناهضة للشيوعية ، ويشاركون في الاعمال التخريبية والشبه فاشية ضد الشيوعيين . لكن هناك ايضا اتجاه « معتدل » ، وهو متردد ، وكثيرا ما يستقطب لصالح اليمين بحجة الخوف من سيطرة تيار واحد على السلطة . وهناك ، أيضا ، قليل من الاشتراكيين الديمقراطيين . وفي المقابل ، هناك قوى يسارية ماركسية أو قريبة من الماركسية ، وهناك يسار متطرف . غير أنني أريد أن احذر من أن الصورة في « أعلى » قد تبدو خادعة بعض الشيء . فهناك جموع الضباط الصغار والجنود وهؤلاء ليسوا في محتواهم العام يمينا ، ولا قابلين للاستقطاب لصالح اليمين .

— هذا عن الجيش بشكل عام ، فماذا عن حركة القوات المسلحة ومجلسها الثوري ؟

□ **سيكويرا** : هناك أربعة اتجاهات .. مجموعة الضباط التقدميين والماركسيين والشيوعيين بزعامة **البريجادير فاسكوروس سانتوس كونسالفس** وهم الان اقلية في المجلس الثوري . وهناك مجموعة من اليسار المتطرف يتزعمها **الجنرال اوتيلو** ، وهم ضعاف ، سواء من حيث العدد او من حيث القدرات السياسية . لكنهم يسيطرون على الوحدات الخاصة [المظليين وقوات الصاعقة] . وهم ينادون بتصفية كل الاحزاب وتسليم السلطة للجان العمال والفلاحين ، وقد قاموا بمظاهرات صاخبة ذات طابع تخريبي لافشال انتخابات الجمعية التأسيسية . والحقيقة ان هذه المجموعة قد اضرت الثورة البرتغالية ضررا بالغا بتطرفها واصرارها على تقسيم حركة اليسار . ولعلي لست بحاجة الى ان أؤكد لك انه او لم يكن اليسار منقسما لما امكن لليمين أن يكسب شيئا. ونحن لانزال ندعو لوحدة اليسار باعتبارها خطوة هامة للخروج من الازمة السياسية الراهنة .

وهناك ، ثالثا ، مجموعة صغيرة من الضباط الاشتراكيين الديمقراطيين وهم اقلية ضئيلة ، وهم الذين حركوا مجموعة التسعة التي تحركت مؤخرا ضد **فاسكو كونسالفس** .

وهناك اخيرا مجموعة « الوسط » وهم ليسوا مع اليمين ، ويريدون الحفاظ على الثورة ولكن عقدة الخوف من الشيوعية ، ومن النفوذ الشيوعي تدفعهم أحيانا الى التعاون مع اليمين .

وقد جرت ، مؤخرا ، تصفية بعض العناصر الشيوعية واليسارية ، وابعدت من المجلس الشوري ، وعلى أية حال ، فان الامر ليس سيئا تماما الان .. فاذا شئت تحديدات رقمية يمكن القول انه ، في البداية ، كان المجلس الثوري [٢١ عضوا] يضم ١٢ من حزب اليسار مقابل ٩ من حزب اليمين . اما الان فانه يضم ٩ من اليسار مقابل ١٢ من اليمين ، وبعض هؤلاء المعدودين ضمن اليمين ليسوا يمينا صرفا لكنهم متأرجحون . هم اليوم مع اليمين ، وغدا قد يقفون معنا . وقد نجح اليمين في ابعاد **فاسكو كونسالفس** وهذه خسارة كبيرة ، لكنها مجرد تراجع تكتيكي .

— لقد كررت عبارة تراجع تكتيكي اكثر من مرة ، فماذا تعني بها بالدقة ؟

□ **سيكويرا** : أعني ان الامور لم تحسم بعد حسما نهائيا ، كذلك ، فان الامر ليس — بالنسبة لنا — تشبثا بالمناصب . نحن نهتم بالبرنامج ، فالذي سيحسم مصير الثورة هو أولا واخيرا التمسك بقوة الدفع للانطلاق الثوري . نحن نتمسك بثلاث مسائل اساسية ، ولا نقبل اية مساومة تجاهها : **«الاشتراكية »** — **« الاصلاح الزراعي »** — **«التاميمات»** وبهذا نطرح القضية طرحا صحيحا وبعيدا عن مهاترات اليمين الذي يتشدق بان طرفا واحدا يريد الاستحواذ على السلطة ، وبدلا من ان يحاصرنا اليمين بدعوى رغبتنا في الانفراد بالحكم ، نحن بهذه الشعارات الثلاث نحاصر اليمين ونضعه في مجابهة جماهير العمال والفلاحين والجنود . لا احد يستطيع الان ان يقول انه ضد التاميمات ، ولا يجرؤ حزب سياسي ان يعلن انه ضد الاصلاح الزراعي . وهكذا فان المد الجماهيري والثوري وتمسك الجماهير بالشعارات الثلاث هو الحصار الحقيقي للاشتراكيين الديمقراطيين . فان قبلوها ، فقد تخلو عن اهم دور لهم كيد يسرى للامبريالية والاحتكارات ، وفقدوا اهميتهم بالنسبة للامبرياليين . وان وقفوا ضدها فقد حكموا على انفسهم بالتصفية الفعلية وفقدوا ناخبيهم . المهم اذن ، هو التمسك بالمبادىء ، والحفاظ على حيوية الاندفاع الجماهيري والالتحام به والتمسك الصارم الذي لا يقبل اى تنازل بمكاسب الجماهير وحقها في « الاشتراكية » و « التاميمات » و « الاصلاح الزراعي » وبهذا ، فانني اعني بالتراجع التكتيكي ، أن نفلت من حصار العدو ثم نعود فنحاصره نحن .

ان خطة الامبريالية هي تنظيم ما يمكن تسميته « بالغزو من الداخل » اى تدمير الثورة بايد

برتغالية وباثارة مخاوف البعض وشكوكهم .. ونحن نفشل هذا الغزو من الداخل بموقفنا المبدئى . التمسك بالمبادىء ، والدفاع عن مصالح الجماهير ، ووضع اليمين واعنى به الاشتراكيين الديمقراطيين فى موضع «الحصار» نضعهم وجها لوجه ، امام الجماهير ، لنفضحهم . وكن واثقا ان احدا فى البرتغال لا يستطيع ان يمس التأميمات او الاصلاح الزراعى .

— حديثك عن جماهير الاشتراكيين الديمقرطيين يجرنا الى مسألة هامة تثير الكثير من اللغط حول الانتخابات .. ماهى ظروف اجرائها ؟

□ **سيكويرا** : الحقيقة ان الانتخابات قد اجريت بقرار من حركة القوات المسلحة .ولقد كان موقفنا هو المطالبة بتأجيل اجراء الانتخابات النيابية لبعض الوقت ، وكنا ندرك ان اجراء الانتخابات فى الظروف التى جرت فيها سوف يجعل كل القوى الرجعية والكنيسة تركز جهودها وقواها لانجاح الاشتراكيين الديمقراطيين .وكان اقتراحنا ، ان تصدر قوانين التأميمات والاصلاح الزراعى اولا ، ثم تجرى الانتخابات . وأؤكد لك ان النتائج كانت ستتغير تغيرا جذريا . فلاشك أن الفلاحين كانوا سيصوتون معنا ..

لكن بعض ضباط الحركة خدعوا بالمظاهر وتصوروا انه بدون اجراءات ثورية يمكن كسب ثقة الجماهير . كذلك ، كان اليمين يستفزهم ويحاصرهم ويستثير كبريائهم . ومنذ البداية كانت حركة القوات المسلحة قد تعهدت باجراء الانتخابات خلال عام . ومن هناك فقد صمم البعض على ان اجراء الانتخابات ، فى هذا الموعد ، هو التزام بالشرف العسكرى . المهم ، لقد خدع البعض بالمظاهر ، وصمموا على اجراء الانتخابات فى ظروف سياسية غير مواتية .ولم يكن امامنا خيار سوى ان ندخل المعركة فى ظل هذه الظروف غير المواتية .. ومرة أخرى أؤكد لك انه لو ان الانتخابات اجريت بعد التأميمات والإصلاح الزراعى لاختلفت الصورة تماما .

— .. لنعد ،مرة اخرى ،الى مسألة التراجع التكتيكى .. الم يكن هناك خيار آخر ، بمعنى الم يكن ممكنا الاحتفاظ بقوة الاندفاع الثورى الى الامام ؟

□ **سيكويرا** : يتصور البعض انه من المتعين الإستمرار فى الهجوم دون أى تراجعات ..لكننا اذا ما تركنا الحماس جانبا ، وبحثنا الامر بشكل علمى ،وسألنا انفسنا عن البدائل المختلفة ، لوجدنا امامنا أحد امرين :

إما «**الحل بالقوة**» أى بالصدام المباشر ، وهذا قد يؤدى الى صدام دموى وحرب اهلية بين قوات الجيش المختلفة ، الامر الذى يدفع الامور الى التدهور ، ويسبب صدمة عنيفة للجماهير التى عانت طويلا من الفاشية ،والتى تؤمن بالحوار الديمقراطى . وليس خافيا انه مع مثل هذا الصدام قد يتدهور الموقف ليفتح الباب امام انقلاب فاشى جديد بدعوى انقاذ البرتغال من الفوضى .

واما « **الحل بالتفاوض** » . وهو ما يجرى الان . صحيح ، ان الشكل الامثل للتفاوض هو الجلوس على مائدة واحدة ، لكن ذلك غير متاح الان ، ولهذا يتم التفاوض من خلال اتصال كل طرف برئيس الجمهورية ..ورئيس الوزراء . والحقيقة اننا نكسب بانتهاج هذا الموقف المرن، نحن نعلن اننا على استعداد لتقديم تنازلات تكتيكية انقاذا للموقف وحفاظا على مصالح الثورة ، بينما الاشتراكيون الديمقراطيون لازالوا يتخذون موقف التعنت ،انهم يهاجمون رئيس الوزراء الجديد بدعوى انه يسارى.

وهم يهاجمون حتى رئيس الجمهورية رغم انه معتدل لانه يرفض النفوذ الامبريالى ولانه يرفض الحملات الفاشية ضد الشيوعية .والمهم ،والاهم، والحاسم ، فى الموقف ليس المناصب وانما التمسك بالاشتراكية والتأميمات والاصلاح الزراعى ، والحفاظ على حيوية حركة الجماهير واندفاعها حفاظا على مصالحها . وهذا هو الضمان الافضل ، فى وجهة نظرنا . وبرغم هذا الموقف المرن ، من جانبنا ، فان اليمين الاوروبى لايزال يركز هجومه علينا ..

الاشتراكيون فى السويد — مثلا — لا هم لهم الا الهجوم علينا ، اليس هذا مثيرا للعجب والسخرية معا ؟ هؤلاء الاشتراكيون فى اوروبا الغربية يهاجمون ثورتنا بحجة اننا شيوعيون .

ولكننى اسألهم لقد ايدتم ثوار فيتنام وكنتم تعلمون عن يقين انهم شيوعيون ، وايدتم الكوبيين وهم شيوعيون ، فلماذا تهاجموننا نحن ؟

واذا سمحت لى ان اجيب على السؤال ، فهناك اجابة واحدة منطقية وهى انهم ايدوا الثورة هناك ، او تظاهروا بتأييدها لانها كانت بعيدا فى آسيا او امريكا اللاتينية وكان تأييدها نوعا من « الترف » والديماجوجية التى تكسب الاشتراكيين الديمقراطية ثورية زائفة . أما فى حالتنا ، فان الثورة .. تدق ابواب اوروبا .. انها تهدد مصالحهم المباشرة ، تفضحهم ، وتقدم للاوروبيين نموذجا جديدا وفريدا من العمل الثورى فى خدمة الجماهير .لهذا ، هم يهاجموننا، لكننا لانعبأ بهم وسوف يواصل الشعب البرتغالى مسيرته ، أما هم فلسوف يظلون وكما كانوا دوما — اليد اليسرى للامبريالية .



اليـــونان

قصـــة قيـام وسـقوط الحـكم الفـاشى

□ مقـاومة الحـكم الفـاشىّ : شـهادات واقعيـة

□ الانقلاب : أحد مقومات العدوان الاسرائيلى عام ٦٧

عبد المنعم الغزالى

فى يوم الاربعاء ٢١ يوليو الماضى — كان ميـدان أومونيا باثينا يشهد مسيرة لعمال البناء من أجل مطالبهم وفجأة أحست قادة المسيرة ان هناك شيئاما مبيتا لتحويل هذا اليوم الى يوم دموى . خاصة وانه كان من المقـرر تقديم قادة الديكتاتورية العسكرية الى المحكمة فى نفس الاسبوع ، كما أن اليونان كانت تستعد للاحتفال بمرور عام على استعادة الديمقراطية . وعندما بدا البوليس يصطدم بالمسيرة ، اصدرت قيادتها من عمال البناء أوامرها الى العمال بالانصراف .

ولكن ما أن تفرقت المسيرة ، حتى تجمعت بسرعـة مجموعات لم يزد عددها على المائتين واخذت تتحصن فى مواقع عديدة وعلى مرأى من البوليس اليونانى ، وبدات أعمالا تخريبية ضد بعض المنشآت وكان من بينها مكتبة تبيع الكتب الماركسية . وهذه المجموعات لم تكن تردد اى شعارات سياسية أو مطالب نقابية . كل ماكانت تفعله أنها تصيح صيحات غاضبة غير مفهومة ..

وبسرعة بدأ الشعب اليونانى — العمال ، الطلبة ، الشباب ، النساء — من اليسار والوسط واليمين ، يناقشون بصوت عال ، ويدينون هذه الاعمال التخريبية والصبيانية — ويؤكدون أن هؤلاء الصبية والبلطجية — هم من عملاء الديكتاتورية العسكرية السابقة التى حكمت اليونان من ١٩٦٧ حتى يوليو ١٩٧٤ ، وان هدفهم هـو منع الشعب اليونانى من الاحتفال بيوم الديمقراطيـة فى ٢٣ يوليو ، وافساد محاكمة قادة الديكتاتورية العسكرية.

وفى حديث اجراه عبدالمنعم الغزالى (المحرر بالطليعة) مع احد قادة الشباب اليونانى ، قال له : العجيب فى الامر انهم ليسوا عملاء الديكتاتورية فقط ، بل أن بينهم عناصر من البوليس ، وعناصر تروتسكية وفاشيستية وخاصـة من منظمة الرابع من أغسطس الفاشيستية .

وفى الصباح الباكر ، لليوم التالى ، قبض على معظم هذه العناصر . وقدم ٢٤ منهم الى محاكمة عاجلة ، واعترف كثيرون منهم بعلاقتهم بالديكتاتورية والمنظمات الملكية ، كما جاء فى اعتراف الطالب نيكولاس ليوليوس ، الذى قال انه هو الذى شارك فى كتابة شعارات لتاييد قادة « الجونتا » — الديكتاتورية العسكرية — المقدمون الى المحاكمة ، وانه على علاقة بمنظمة النسر «آتيوس » الموالية للملكية .

وفى نفس الوقت ، نشرت الصحف اليونانية انه يوجد باليونان اكثر من اثنى عشر من كبار ضباط المخابرات الامريكية يعقدون اجتماعات فى قاعدة هيلينيكون الامريكية الجوية ، ومن بينهم ضباط شاركوا فى الاعداد لانقلاب ١٩٦٧ .

ان الديمقراطية اليونانية — التى استعيدت فى يوليو ١٩٧٤ من بين مخالب عصابة عسكرية حكمت اليونان حكما فاشيستيا سبع سنوات — تواجه مخاطر عديدة، وتصارع ضد قوى عديدة . وهذه هى قصة الصراع بين الديمقراطية والديكتاتورية التى يكتبها عبد المنعم الغزالى من واقـع لقائه بممثلى الاحزاب السياسية اليونانية — احزاب اليمين والوسط واليسار ، بنقابات العمال ، بمنظمات الشباب والنساء ، وبالمواطنين اليونانيين البسطاء .

[١] حـركة الأحـداث :

١ – من الغزو النازى الى انهيـار الديمقراطية البرجوازية

فى اكتوبر ١٩٤٠ بدأت ايطاليا الفاشية غـزو اليونان بعد احتلالها لالبانيا . وكانت اليونان ترزح تحت حـكم الديكتـاتور ميتكسـاس (Metoxas) . وقد تصدى للغزو الفاشى الايطالى الشعب اليونانى الى جانب الجيش ، حيث رد الغزاة الفاشيست على اعقابهم ، وتمكنت القوات اليونانية من دخول البانيا واحتلال ما يقرب من نصفها خلال ستة شهور .

ولكن فى ابريل ١٩٤١ ، غزت قوات النـازى الالمانية اليونان ، بعد أن كانت قـد اقتحمت يوغسلافيا . وخلال أيام قليلة تم احتلال القوات النازية والفاشية لليونان . وهرب الملك بول الى جزيرة كريت حيث كانت المقاومة الاخيرة ضد النازى ، وبعد ذلك فى الملك الى الشرق الاوسط مشكلا حكومة يونانية فى المنفى برعاية بريطانية .

ولكن ما هى الا خمسة شهور ، حتى بدأت القوى الوطنية والديمقراطية والتقـدمية تشـكل منظمات النضال ضد الاحتلال النازى – الفاشى . فتكونت « **جبهة التحرر الوطنى** » « **ايام** » . وفى ابريل ١٩٤٢ نظمت الجبهة الطلائع الاولى « للجيش الشعبى للتحرير الوطنى » – « **ايلاس** » ELAS وهكذا وجد الجناح العسكرى للجبهة ، واشترك فى مقاومة الاحتلال النازى لليونان أكثر من ٢٫٥٠٠٫٠٠٠ يونانى .

وبانتهاء الاحتلال النازى لليونان ، كانت أيـام وايـلاس قـد أصبحتا أقـوى قـوة سياسـية وعسكرية فى البلاد اليونانية . ورغم تضاعف قوى منظمات المقاومة الشعبية تلك – فانه وبسـبب أخطاء ارتكبت من قادة ايام والحزب الشيوعى نفسه ، تمكنت القوات البريطانية من احتـلال اليـونان بعـد انسـحاب القـوات النـازية – الفاشيستية . ومن أبرز هذه الاخطاء التقليل من قوة أيام وايلاس ، والمبالغة فى قوة الانجليز ، والتقدير الخاطىء لحسن نوايا الانجليز حيال الديمقراطية .

وبدأت الامبريالية البريطانية تؤسس وجودها



اندرياس باباندريو

فى اليونان من خلال حكومة الزعيم السياسى اليونانى **جورج باباندريو** – والذى كان قد شكل حكومة فى المنفى فى ربيع ١٩٤٤ باتفاق مع **ونستون تشرشل** . وكانت هذه الحكومة ، فـى البداية ، حكومة جبهة وطنية ، اشتركت فيها كل القوى التى شاركت ، بدرجات متفاوتة ، فى مقاومة الغزو النازى – الفاشيستى ، واشترك الحـزب الشيوعى اليونانى فى هذه الوزارة بستة وزراء . « انسحب الحزب الشيوعى من الوزارة بعد قرار **باباندريو** بحل كافة قوات المقاومة » .

وتوالت الاحداث – حتى أجريت الانتخـابات العامة ، فى مارس ١٩٤٦ . وحصل على أغلبية الاصوات اليمين الرجعى ، والملكيين بمسـاندة الانجليز ، وخسرت الانتخابات احزاب الوسط التى تشكلت من الحزب الليبرالى القديم الذى كان قد أسسه الزعيم الوطنى البورجوازى **الفيثوريوس فنزيلوس** فى ١٩١٠ . ولم يشترك الحزب الشيوعى اليونانى فى هذه الانتخابات وقد اعترف بعد ذلك بخطأ موقفه هذا .

وفى سبتمبر ١٩٤٦ ، أجرى استفتاء على عودة الملكية ، وصوت الى جانبها ١٫١٣٦٫٢٨٩ ، بينما

عارض عودتها ٧٧١ر٥٢٤ . وبذلك عاد **جورج الثانى** الى العرش ، وقد توفى بعد سبعة شهور – فخلفه على العرش شقيقه بول الاول .

وكان الحزب الشيوعى اليونانى ، فى بداية ١٩٤٦ ، قد لجأ مع حلفائه من اليساريين والديمقراطيين الى تنظيم عمل مسلح لتحقيق أهداف الثوره الوطنية . وبذلك بدأت الحرب الاهلية التى استمرت حتى عام ١٩٤٩ . وازاء هذه المقاومة الشعبية المسلحة ، فان الاستعماريين الانجليز ، تخلوا عن اليونان للامبريالية الامريكية ، التى بدأت ، فى عام ١٩٤٧ ، ووفق **مبدأ ترومان** « النقطة الرابعة » ترسل مساعداتها العسكرية الى اليمين اليونانى الرجعى بكميات هائلة من الاسلحة .

وهكذا ، فانه اثر الهزيمة الكبيرة التى لحقت بالحركة الديمقراطية فى الحرب الاهلية ، نجح اليمين الرجعى ، بمساعدة مشروع النقطة الرابعة « **مساعدات ترومان** » فى اقامة نظام ارهابى ، كان فى قمته العسكريون والسراى وجهاز بوليس متغلغل فى كل مكان ومنظمات شبه حكومية تعمل بقوانين استثنائية .

وفى ظل هذا النظام تمكنت الاولجركية المالية من أن تزيد من ثرائها ، ومن حدة استغلالها للشعب العامل ، وتمكنت امبريالية الولايات المتحدة الامريكية من أن تقوى مراكزها وتحكم سيطرتها ، وان تحول اليونان الى رأس حربة ضد البلدان الاشتراكية وبلدان الشرق الاوسط . وهكذا أصبح للولايات المتحدة الامريكية ولحلف الاطلنطى ، قواعد وقلاعا تحمي وجودها فى شرق البحر الابيض المتوسط ، اسرائيل فى الشرق العربى ، واليونان فى مواجهتها ، وتركيا كقاعدة عسكرية متاخمة للاتحاد السوفيتى والبلدان العربية .

وبدأ اليونان يعيش فترة نكست فيها رايات الديمقراطية البورجوازية ، فكان حكم الحزب الواحد « اليمين الرجعى » أو حكم ائتلاف من كل الاحزاب البورجوازية التى اتحدت لفترات فى مواجهة حركة الشعب المسلحة .

ولكن مع مطلع ١٩٥٠ بدأت قوات من البورجوازية المتوسطة تحرج على التحالف اليمينى ، وتمهد الطريق لعودة شكل من اشكال حكم الديمقراطية البورجوازية . فعندما اجرت حكومة شبه محايدة انتخابات عامة فى مارس ١٩٥٠ ، اشترك فى هذه الانتخابات أكثر من ٢٩ حزبا سياسيا ، وقد خرج منها الوسط قويا ، وشكل الجنرال **بلاستيراس** – رئيس حزب الاتحاد الوطنى التقدمى للوسط – حكومة تمثل اليمين المعتدل ، وهذه الحكومة التى اتخذت القرار باشتراك اليونان فى حلف الاطلنطى ، وفى هذه الانتخابات اشترك الشيوعيون من خلال « المجموعة » او « الجبهة الديمقراطية » .

وفى هذه الفترة لم يكن فى امكان امبريالية الولايات المتحدة أن تحكم اليونان دون ديمقراطية بورجوازية شكلية ، من خلالها ، تقوم بتصفية أى مراكز للديمقراطية والتقدم ، وفى ظل برلمانية هشة تتمكن من السيطره على كافة مؤسسات النظام اليونانى – البلاط الملكى « وهو بطبيعته كان دائما مرتبطا بالقوى الاجنبية » ، البرلمان ، الجيش ، البوليس ، الجهاز البيروقراطى الحاكم «الحكومة» . ومن قبل فى ظل حكومة باباندريو – وسط اليمين – الغيت قوات المقاومة، وبدأت حملة المعاداة للشيوعية واليسار . وفى ظل حكومة جنرال بلاستيراس – يمين معتدل – كان الانضمام لحلف الاطلنطى ، وكانت السيطرة بصورة علنية على القوات المسلحة اليونانية .

ولكن فترات حكم الوسط هى بحكم طبيعتها المزدوجة لا تمثل نوعا من الحكم المستقر الذى يحتاج اليه الاستعمار ، خاصة عندما تتمكن القوى الشعبية من النفاذ ، من خلال ديمقراطية الوسط الهشة والممتلئة بالثقوب ، لتؤكد شكلا من اشكال وجودها فى الحياة البرلمانية والديمقراطية .

ولذلك ، خطط اليمين الرجعى – بمساعدة الامبريالية الامريكية – لاعادة تشكيل الحياة الديمقراطية البورجوازية لصالحه . ومن ثم ظهرت فى ١٩٥١ قوة يمنية جديدة بقيادة مارشال ا. باباجوس حيث شكل « التجمع اليونانى » فى يوليو ١٩٥١ . وتمكن هذا التجمع اليونانى من أن يضم الى صفوفه عددا من السياسيين الليبراليين الذين خرجوا من أحزاب الوسط . ولكن ، فى هذه الفترة كذلك ، عاد اليسار اليونانى الى الظهور بشكل فعال فى مجال الحياة البرلمانية والسياسية ، وذلك منذ الغاء الحزب الشيوعى اليونانى فى ١٩٤٧ ، وتحقق ذلك فى ظهور حزب « اليسار الديمقراطى الموحد » – **ايدا** –

واجريت انتخابات سبتمبر ١٩٥١ ، وحصل اليمين على ٣١٦ر٦٢٤ صوتا بنسبة ٥٣ر٣٦ فى

المائة وحصلت احزاب الوسط واليمين المعتدل على ٥١ر٤٢ فى المائة ـ ولكنها لم تكن موحدة ـ وحصل « اليسار الديمقراطى الموحد » على ٦٤٠ر١٨٠ صوتا بنسبة ٥٧ر١٠ فى المائة وكان له عشرة مقاعد فى البرلمان .

واستمر اليمين الرجعى يحكم اليونان . ولكنه لم يتمكن ، نتيجة انتخابات ١٩٥١ ، من ان يحرز اغلبية ، وان يشكل حكومة قوية « حكومة الحزب القوى » . فاجريت انتخابات فى ١٩٥٢ على اساس ان يكون التمثيل فى البرلمان وفق اغلبية التمثيل وليس التمثيل النسبى . وهو نظام أفاد الحزبين الكبيرين « التجمع اليونانى » الذى حصل على ٥٤١ر٧٨٣ صوتا و٨٠ فى المائة من المقاعد ، والتحالف الليبرالى الذى حصل على ٥٤٤ر٨٣٤ صوتا و١٩ فى المائة من المقاعد . بينما كان ترتيب اليسار الديمقراطى الموحد « ايدا » الثالث ١١٠ر١٥٢ صوتا ولم يحصل على اى مقعد فى البرلمان . وعاد باباجوس ليحكم ومعه السراى ومعه المخابرات الامريكية .

وفى ١٩٥٦ ـ اجريت الانتخابات ـ ليفوز الحزب الراديكالى ـ الذى كان قد اسسه قسطنطين كرامانليس فى ١٩٥٦ ـ بأغلبية تمكنه من الحكم . وبدأ كراملبس بهذه الاغلبيه ليستمر فى حكم اليونان لمدة ثمانى سنوات .

واذ شعر كراملبس بان هناك خطرا يهدد استقرار حزبه صاحب الاغلبية ـ بسبب خروج عدد من النواب عليه ، وانقسامهم على الحزب الراديكالى ، فقد اجرى انتخابات جديدة «١٩٥٨» ، وفاز فيها بـ ١٦ر٤١ فى المائة من الاصوات و ١٧١ مقعدا . ورغم كل ألوان الارهاب فان اليسار الديمقراطى الموحد « ايدا » ـ وبفضل سياسة توحيدية مرنة حصل على ٤٢ر٢٤ فى المائة من الاصوات وعلى ٧٩ مقعدا فى البرلمان ـ واصبح حزب « ايدا » هو ثانى حزب بعد حزب كاراملبس ، وحزب المعارضة الفعالة .

هنا بدأت هجمة مضادة من قبل الرجعية والدوائر الامبريالية لوقف تطور الحركة الشعبية ، ولعزل حزب « ايدا » ، خاصة وان هذا التطور أصبح يمثل خطرا على المخطط الامبريالى العام فى الشرق الاوسط وشرق البحر الابيض ، لانه جاء امتدادا للنهوض الذى شهدته حركة التحرر الوطنى فى المنطقة فى هذه الفترة .

ولم يتحمل اليمين وجود معارضة قوية ـ فى مقدمتها التحالف اليسارى « EDA » ، الذى اخذ فى فضح مخططات الدوائر الامبريالية ـ دوائر الناتو ـ حلف الاطلنطى ـ ضد اليونان . فقرر كرامانليس اجراء انتخابات جديدة يعتمد فيها على جهاز الدولة اليونانى بكل مؤسساته العسكرية والبوليسية والارهابية . فأجريت انتخابات ١٩٦١ التى اشترك فيها ٥١٢ر٦٤٠ر٤ ناخبا ، جاءت الزيادة فى عدد الناخبين من عدد اصوات النساء الذين حصلوا على حقهم الانتخابى الكامل فى ١٩٥٦ . وحصل حزب كاراملبس على المركز الاول ٨٠ر٥٠ فى المائة وعلى ١٧٦ مقعدا ـ وحصل اتحاد الوسط على ٦٥ر٣٣ فى المائة وعلى مائة مقعد ، وحصل اليسار الذى اشترك ـ بحزب الجبهة اليونانية الديمقراطية الزراعية على ٦٢ر١٤ فى المائة من الاصوات و ٢٤ مقعدا فى البرلمان . وقد أكدت انتخابات ١٩٦١ أن البورجوازية تريد الديمقراطية دائما لها ، وأن الفئات العليا فى البورجوازية لا تتحمل حتى المعارضة من الفئات المتوسطة فى البورجوازية . ان البورجوازية تريد الديمقراطية دائما لها ، وليس لكل الشعب ، ولا لكل الطبقات ـ وهكذا تتحول الديمقراطية فى ايدى البورجوازية الى جهاز لقمع الطبقات الشعبية والعاملة . وهكذا وصفت انتخابات ١٩٦١ بأنها : «انقلاب انتخابى» تم وسط جو ارهابى وبوليسى عنيف بمساعدة وكالات المخابرات الاجنبية . وهكذا أرسى كاراملبس القواعد لمؤسسات جهاز دولة يكون صالحا لتتسلمه اى قوة تريد فرض ديكتاتورية عسكرية على اليونان ، فى حالة العجز التام للديمقراطية البورجوازية عن أن تمارس تحقيق أهدافها بالوسائل البرلمانية العادية التى تسمح بموقع قدم للشعب وممثليه .



جورج باباندريو

وفى أوائل ١٩٦٣ ، اغتالت القوى الرجعية النائب الديمقراطى غريغوريس لمبراكس الذى كان يتعاون مع حزب اليسار الديمقراطى الموحد ، ويراس حركة السلام والانفراج الدولى اليونانية . وعند تشييع جنازته سارت مظاهرة شعبيه هزت الحكم الرجعى ، وحركت موجه عداء عارمة ضد حكم كارامليس والمخابرات الاجنبية فى جميع انحاء اليونان . وفى نفس الوقت،نشب خلاف بين كارامليس والملك بولوزوجته فريدريكا ،والتىكانت بيدها ، فى الواقع ، كل مقاليد الامور . وقد ادت مظاهرة جنازة لمبراكس والخلاف مع الملكة الى استقالة كارامليس بعد ان استمر فى الحكم ثمانى سنوات من ١٩٥٦ الى ١٩٦٣ .

ورغم نمو الحركة الشعبية فى هذه الفترة وتصاعدها بدرجة عالية ، نضالات الفلاحين الكادحين ومتوسطيهم والطلبة ، والاضرابات العمالية ، فان الانقسام فى صفوف اليسار أدى الى بروز حزب اتحاد الوسط باعتباره القوة القائدة لكل نضال ديموقراطى وبدأ اليسار وكأنه تابع له وفى ذيله .

واجريت انتخابات جديدة فى نوفمبر ١٩٦٣ وانتهت الى نتيجة لصالح اتحاد الوسط « جورج باباندريو » حيث حصل على ٤٢٫٠٤ فى المائة و ١٣٨ مقعدا، بينما حصل حزب كارامليس على ٣٩٫٣٧ فى المائة و ١٣٢ مقعدا ، وحصل اليسار الديمقراطى الموحد على ١٤٫٣٤ فى المائة و ٢٨ مقعدا . وشكل جورج باباندريو بعد ان حصل على تاييد اليسار الموحد حكومة اتحاد الوسط ، ولم يشترك اليسار فى الحكومة . ولكنه ايد حكم اتحاد الوسط حيث كان هدفه هو النضال من اجل تحول ديمقراطى على طريق الثورة الوطنية الديمقراطية ، وأن السبيل الى تحقيق ذلك هو توجيه ضربة قوية لليمين الرجعى الشرس . ورغم أن سقوط حكومة الراديكاليين كانت جزءا من هذه الضربة الموجهة الى اليمين المتطرف — فان السلطة الحقيقية ظلت فى أيدى هذا اليمين والسراى والعسكريين ومخابرات الولايات المتحدة ، واستمر جهاز الدولة فى خدمة اليمين الرجعى .

وفى نفس الوقت كان الخط الرئيسى للقوى الديمقراطية هو : العمل من أجل تحسين ظروف حياة الطبقة العاملة والشعب العامل كله،والغاء القوانين المعادية للديمقراطية ، والمراسيم المعادية للحريات التى صدرت فى فترة الحرب الاهلية ومقرطة الحياة السياسية .

واتسعت حركة نضال الشعب تحت شعار استعادة الديمقراطية وتوسيعها .ولكنه بسبب الطبيعة التهادنية لحزب اتحاد الوسط،فان جورج باباندريو ، بعد تشكيله للوزارة [1] قبل ان يعين وريرا للدفاع بتروس جاروفالياس رجل القصر الاول ، الذى اشترك فيما بعد فى مؤامرة الاطاحة بحكومة اتحاد الوسط،وهى المؤامرة التى عرفت بمؤ مرة منظمة اسبيدا « الدرع » .

وقد اتحد القصر والحزب الراديكالى واليمين اليونانى المتطرف ، وانضم اليهم عدد من قادة اتحاد الوسط فى تدبير عمل يواجهون به المد المتصاعد لحركة النضال من اجل الديمقراطية وتوسيعها . ومرة أخرى ابدت دوائر البورجوازية الكبيرة عدوانها على الديموقراطية البورجوازية .

ولم يكن هذا العمل غير « انقلاب القصر » فى منتصف ١٩٦٥ ، حيث اقال الملك جورج باباندريو ، وتركزت السلطة فى ايدى العسكريين ومجلس البلاط . ولقد كان هذا الانقلاب بمثابة تمهيد الارض لديكتاتورية الكولونيلات الفاشيستية .

ومن ١٩٦٥ — حتى بداية ١٩٦٧ ، اشترك فى النضال العام مئات الالوف من الفلاحين « مسيرة الفلاحين المكدونيين الى سالونيكا » ، وحركات الحرفيين وصغار أصحاب الاعمال والعمال العلميين والفنيين ، والاضرابات العمالية التى شترك فيها حوالى ٢ مليون عامل .

ولكن هذا الوضع المتفجر بتعدد الصراعات والنضالات الاقتصادية والسياسية ، من اجل توسيع الديمقراطية ، قابله فى جانب القوى الشعبية ، عدم وضوح الرؤيا لدى اليسار اليونانى على الرغم من طول خبرته بالنسبة للتطورات العامة ، وبصفة خاصةبالنسبة للموقف من الحلول غير الشرعية للنضالات الاقتصادية . اضف الى هذا ارتكاب أخطاء وأعمال ضارة متعلقة بسياسة الوحدة مع الديمقراطيين أو داخل اليسار نفسه . وهى امور ادت الى عدم الربط بين حركة النضال الاقتصادى والنضال السياسى لهزيمة المخطط الرجعى .

ومن ناحية اخرى ، فان وضع الرجعية الحاكمة تميز بوجود حكومة غير مستقرة ، وبعجز

---

[1] حصل باباندريو على ١٧١ مقعدا واليسار على ٢٢ مقعدا ، واليمين الرجعى على ١٠٧ مقاعد .

الاحتكارات والبلاط ، وامبريالية الولايات المتحده عن فرض سياسة معادية للشعب وللطبقة العاملة والقوى الديمقراطية بواسطة الطرق البرلمانية العادية . اى أن الديمقراطية البورجوازية حتى مع وجود حكومة برلمانية أو شبه برلمانية لم تعد فى خدمة البورجوازية .

فى ظل هذا الوضع ، حيث كانت الطبقة العاملة والقوى الديمقراطية عاجزه عن الخروج من الازمة بطريق ديمقراطى ، وحيث الرجعية عاجزة عن كبت وقهر الحركة الشعبية والديمقراطية بالوسيلة البرلمانية ، وحيث المؤسسة الحكومية وجهازها البوليسى فى أيدى القوى الرجعية المحلية والاجنبية ، وكذلك المؤسسة العسكرية [التى تدعمت فيها مراكز العناصر الفاشيه والمتعاونه مع المخابرات الامريكية] . فى ظل هذا الوضع ،كان هناك مخططان لفرض ديكتاتورية عسكرية : الاول من قبل القصر وبعض الدوائر الامبرياليه ، وكان ما سمى بانقلاب الجنرالات . والثانى من قبل مجموعة من كبار الرأسماليين اليونانيين والاحتكارات الامريكية بقيادة المخابرات اليونانية والمخابرات الامريكية ـ يعد لانقلاب الكولونيلات .

هنا تدخلت التطورات الجارية فى الشرق الاوسط [٢] لتحفز الولايات المتحدة على دعم وتقوية مراكزها الاستراتيجية فى المنطقه ، وعلى ضرب حركة التحرر العربية . وادى هذا كله الى التعجيل بقيام مجموعة الكولونيلات بانقلابها الفاشى فى ٢١ أبريل ١٩٦٧ .

على أن القوى الديمقراطية والتقدميه المعادية للفاشية والديكتاتورية العسكرية ومخططات الامبريالية لم تواجه الخطر بالاستعداد الكافى . فالحزب الشيوعى اليونانى ، على الرغم من تحذيره ، فى بيان يناير ١٩٦٧ ، من خطر ديكتاتورية عسكرية تدبر لها المخابرات الامريكية والرجعية والقصر وأنصار الديكتاتورية داخل الحزب الراديكالى ، على الرغم من بيان حزب اليسار الديمقراطى الموحد « فبراير ١٩٦٧ » والذى طالب بالوقوف ضد خطر الديكتاتوريه الداهم ، وباجراء انتخابات خلال ثلاثة شهور تجريها حكومة تمثل كل الاحزاب والقوى السياسية . الا أن هذه القوى ـ مجتمعة ـ لم تقدر الحجم الحقيقى لخطر الفاشية ، وقللت من قدرتها على الاستيلاء على السلطة . ومن ثم ، لم يبذلوا الجهد المطلوب ليعدو انفسهم ، وليعبئوا الشعب لمواجهة الخطر . كما أنهم ، من ناحية أخرى ، لم يتبينوا الدور المرسوم لليونان فى مخطط الامبريالية الامريكية ـ حينئذ ـ فى أحداث منطقة الشرق الاوسط . وانصرفت هذه القوى الى توجيه كل نشاطها الى الانتخابات العامة ، دافعة الى الخلف مهمة مواجهة الانقلاب الفاشى .

كما ساعد على عدم تعبئة قوى الشعب تعبئة كافية ، الموقف الانقسامى الذى قادته المجموعة المتكتلة داخل الحزب الشيوعى اليونانى ، وداخل اليسار اليونانى بشكل عام . هذه المجموعة التى دعت الى « الشرعية » ، وبالغت فى اهمية النشاط البرلمانى وركزت عليه ، وأخذت تلهث خلف حزب اتحاد الوسط وسياسته . وبذلك ساعدت على ترهل الكثير من نضالات الطبقة العاملة والشعب وتسييبها .

والى جانب ذلك ، فان سياسة حزب اتحاد الوسط ، وطبيعتها المترددة ، وخضوعها لدوائر احتكارية ، وتنازلاتها امام اليمين والقصر والامبريالية ، ورفضه تطهير جهاز الدولة من العناصر الفاشية ، واصرارها على معاداة أى مقرطه لمنظمات الشعب العامل عندما كان الحزب فى السلطة ، وثنائية تركيب الحزب ، ورفعه لراية العداء للشيوعية ـ كل ذلك كان لابد أن يساعد ، ويسهل ، ويمهد الارض أمام الذين اقاموا فاشية الكولونيلات .

وهكذا ، قامت ديكتاتورية عسكرية فاشيه فى اليونان فى ٢١ ابريل ١٩٦٧ تعبيرا عن عجز الرجعية والامبريالية عن تحقيق اهدافها بواسطة ديمقراطية بورجوازية بوليسية ، وتعبيرا عن عجز الطبقة العاملة والقوى الديمقراطية عن مقاومة الديكتاتورية ، ومنعها من ان تقوم فى اللحظة المناسبة .

[٢] من ديكتاتورية الكولونيلات «الجونتا» الى الديمقراطية البرلمانية

فى ٢١ ابريل ١٩٦٧ ـ استولت مجموعة الكولونيلات على السلطة بقيادة جورج بابادبولوس ، وبدأت ديكتاتورية الـ « جونتا » ، مستخدمة مخطط « بروميثيوس » وهو مخطط من مخططات حلف الاطلنطى ، المرسوم مثله لكل من بلاد الحلف ـ فى تحريك الجيش لمواجهة « مؤامرة ضد نظام الحكم » . ولقد بدأ الاعداد للانقلاب منذ النصف الثانى لعام ١٩٦٤ . ويرجع وجود المنظمة

[١] تحضير اسرائيل والامبريالية لعدوان ٥ يونيو ٦٧ الذى استهدف الاطاحة بحكم جمال عبد الناصر .



جنرالات اليونان .. قادة انقلاب ١٩٦٧ يحاكمون بتهمة الخيانة العظمى

العسكرية الخاصة المعروفة باسم « اذيا » الى ١٩٥١ ، وهى المنظمة التى شكل جناح منهــا العمود الفقرى للانقلاب ، فانه منذ عام ١٩٥٧ استقل بابادبولوس عن المجموعة ، وبدأ ينشط منفردا . ورغم أن تحركاته كانت معروفة ، فانه كان يحظى بحماية الامريكان . وفى ١٩٥٧ عندما حاول كاراماليس حل اذيا او الحد من نشاطها تدخل الملك والامريكان ودوائر حلف الاطلنطى .

وكان على رأس مجموعة الضباط تلك جورج بابادبولوس ، ونيقولا ماكاريزوس ، وكانا عضوان بمكتب مكافحة الشيوعية ، منذ عام ١٩٥٥ ، فى ظل وزارة كارامليس ، وستليانوس بتاكوس رئيس المخابرات اليونانية وضابط الاتصال مع المخابرات الامريكية .

وامام المحكمة التى حاكمت **جورج بابادبولوس** وضباط « الجونتا » الاخرين ـ كشفت شهادة الشهود عن حقيقة القوى الاجنبية التى دبرت للانقلاب ولحكم الفاشية .

وها هو **اندرياس باباندريو** ، الرئيس الحالى **للحركة الاشتراكية لكل اليونان [باسوك]** ، وابن الرئيس السابق باباندريو ، رئيس حزب اتحاد الوسط ، والذى كان مواطنا امريكيا ، واستاذا للاقتصاد فى جامعة كاليفورنيا فى بركلى ، قبل عودته الى اليونــــان قبل انقــــلاب ١٩٦٧ . ها هو باباندريو الابن يقول فى شهادته امام المحكمة :

« لقد أعطى الضوء الاخضر لقيام الانقلاب فى ٢١ أبريل ١٩٦٧ من واشنطن » . فواشنطن « كانت تعارض دائما الوزارات الديمقراطية التى تشكل فى البلاد بسبب سياستها حيال قبرص » .

« ولقد أخبرنى وزير الدولة السابق **جورج بول** فى ديسمبر ١٩٦٨ أن حكومة الولايات المتحدة غير راضية عن سياسة الرئيس السابق جـورج باباندريو فى قبرص ، وهو يريد تقسيم قبرص بين اليونان وتركيا » .

وقال ان رغبة المتهمين للاستيلاء على الحكومة هو عامل ثانوى ـ « ان العامل الرئيسى انهم كانوا

ينفذون اوامر المخابرات الامريكية المركزية التى كانت تريد تقسيم قبرص ، لتكسب قاعده ، لتدعم اسرائيل خلال حرب الايام الستة ، ولتوقف تقدم قوى يسار الوسط السياسية فى اليونان ولتخريب الاقتصاد اليونانى » .

وقال باباندريو : «ان الملك قسطنطين الذى اسقط كان يخطط كذلك لفرض ديكتاتورية عسكرية فى ١٩٦٧ . وكان يحضر لانقلابه مع الجنرالات وذلك ليمنع يســـار الوســط مــن تحقيق انتصـار انتخابى . انه كان يجب أن يكون هنا ضمن المتهمين » .

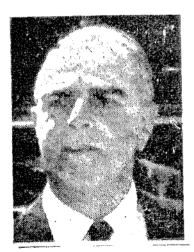
« ان المتهمين كانوا ، بوعى ، خداما للمصالح الاجنبية ، كما أنهم كانوا ، فى نفس الوقت ، متعطشين للسلطة » و « لقد كانوا مستعدين لان يفعلوا اى شىء بما فى ذلك تعذيب زملائهم ليستمروا فى السلطة» . و «ان الشعب اليونانى قاوم الانقلاب . ولكنه لم يكن فى امكانه ، وهو اعزل من السلاح ، أن يواجه الدبابات ، ولكنه فى اللحظات الحرجة عبر عن مشاعره . لقد فعل الشعب ذلك ، فى جنازة ابى فى ١٩٦٨ ، بطريقة فعالة هزت الرأى العام العالمى . لقد انتهزوا فرصة الجنازة ليعبروا عن رغبتهم فى الحرية والديمقراطية . لقد اشترك فى الجنازة ٦٠٠ الف ، وكانوا يهتفون « نحن نعطى أصواتنا اليوم ، تسقط الجونتا ، عاشت الديمقراطية » .

ولقد « استمروا فى السلطة من خلال حكمهم بالارهاب والقهر » واضاف : « انهم لم يحصلوا على اى تأييد شعبى ، لقد حكموا بـالقانون العسكرى واعطوا انفسهم شرعية ، ولكنهم كانوا متأكدين ، دائما ، من انهم مكروهون » .

وقال : انه لم يشترك فى التحضير للانقلاب اكثر من ٢٠٠ الى ٢٥٠ من الضباط ، ولكن عددا كبيرا من الـ [كيب] ـ المخابرات اليونانية ، وعملاء الاستخبارات السرية الاخرى شاركوا فى هذا التحضير » .

كما اوضح باباندريو ، انه لم يكن هناك اى خطر يهدد أمن الدولة يبرر قيام الانقلاب ، كما ادعى الانقلابيون ، وان خطر الشيوعية الذى زعموا انه كان يهدد اليونان لم يكن موجودا على الاطلاق .

وأمام المحكمة ، كذلك ، أعلن ستيفانوس ستيفانو بولوس ـ عضو البرلمان السابق ـ بعد ان استعرض التطورات السياسية التى سبقت الانقلاب ـ انه لم يكن هناك اى خطر يهدد الامن ، وان الاعلان عن اجراء انتخابات جديده ادى الى استقرار الوضع ، كما أن الحياة السياسيه ، قبل الانقلاب ، كانت عادية تماما قبل قيام الانقلاب .



كرامانيليس

وكما عبر كذلك الوزير السابق سبيروس ثيوتوكيس عن اقتناعه بأن الانقلاب : « اعدت له العدة منذ وقت طويل » . وان الملك قسطنطين « قد اضطر الى ادانة الانقلاب ، ليحضر لانقلابه ـ هو ـ المضاد » .

وقد أكد العديد على عدم وجود خطر ما يهدد اليـونان ، ومـن هـؤلاء وزير الخـارجيـة ديمتريوس بيتسـيـوس ، والمسـتشـار السياسى السابق للملك قسطنطين ، والجنرال المتقاعد ك . تسولاكاس الرئيس السابق للهيئة العامة للدفاع ، وأليفراس عضـو البـرلمان اليونانى .

وهكذا فضحت المحاكمة الاخيـرة نظـام الديكتاتورية العسكرية ـ كنظام جاء لخدمة مصالح أجنبية . وان اسطورة خطر الشيوعية الداهم لم تكن حقيقة ، بل ان شهادة الشهود امام المحكمه اكدت على أن التقارير التى قدمها جورج بابا دوبلوس وعصابته عن خطر الشيوعية كانت مزيفة .

وبدأت ـ الديكتاتورية العسكرية حكمها الذى دام سبع سنين سودا ، بتعطيلها للدستور ، والغاء الحياة الحزبية : الغى الحزب الشيوعى اليونانى ، وحزب تحالف اليسار الديمقراطى ، واوقف نشاط كافة الاحزاب ، واغلقت النقابات العمالية ، او اوقف نشاطها ، وعينت الديكتاتورية موظفين لادارة اتحاد العمال والنقابات ، والغيت كل المنظمات الجماهيرية الديمقراطية [حوالى ١٢٠ منظمة] ، لجنة السلام واتحاد النساء ، وشباب لمبراكس ، والاتحاد الوطنى لطلبة اليونان . واعتقل الالوف

من الرجال والنساء ؟ عمالا وشبابا وطلابا ومثقفين ونقابيين ، ووضعوا في السجون ، او ارسلوا الي المعتقلات في الجزر الصحراويه التي ليس بها ماء ولا شجر ، وبدأت عمليات تعذيب وحشية للمواطنين بوسائل فاشية . واقيمت منظمات حكومية ورجعية وفاشسية ، وتحولت القوات المسلحة الي مؤسسة لا تخضع للدستور .

وبدات الديكتاتورية تمارس سياسة خارجية لصالح المصالح الخاصة للولايات المتحده وحلف الاطلنطي . فوسعت القواعد الامريكية ، واصبحت **أثينا هي مركز المخابرات الامريكية المركزية في البحر الابيض والشرق الاوسط ، واستخدمت القواعد الامريكية في كريت وغيرها خلال حرب ١٩٦٧ لمساندة اسرائيل .. وقد قال نيكسون في ٢٧ سبتمبر ١٩٧٢ — انه لولا مساعدة اليونان وتركيا فان سياسة الولايات المتحدة لمساعدة اسرائيل كانت غير ممكنة .**

وانتهجت الديكتاتورية سياسة معادية لاستقلال قبرص ووحدتها ، وشجعت الجماعات الارهابية والفاشستية المعادية للرئيس مكاريوس ، وحاولت اغتياله وتعاونت مع الرجعية التركية . « تعاون جنرال جريفاس مع بكتاش » . واصبحت اليونان في ظل الديكتاتورية العسكرية قاعدة عدوانية موجهة حرابها نحو البلدان الاشتراكية البلقانية والبلدان العربية والافريقية — اي ضد حركة التحرر الوطني في حوض البحر الابيض المتوسط .

وفي ظل الديكتاتورية العسكرية — فتحت الابواب اليونانية علي مصراعيها لراس المال الاجنبي ، والشركات المتعدده الجنسيات . ومنح راس المال الاجنبي تسهيلات ضريبية لا حدود لها ، ومنع الاضراب بقوانين عسكرية حتي لا تضار الاستثمارات الاجنبية ، وسمح باخراج الارباح بالعملة الصعبة ، ومنح الخبراء ومستخدمو الشركات الاجنبية اعفاءات لا حدود لها . وازداد الفساد والرشوة ، واثرى ضباط « الجونتا » واتباعهم على حساب المواطن العادى ، وعلى حساب الاقتصاد اليوناني . وازداد التضخم ، وكان المعدل السنوى لارتفاع الاسعار ٣٠ في المائة ، وازداد العجز في الميزانيتين العامة والنقدية ، وتعاظمت الديون والقروض .

المقاومة

لقد فاجأ الانقلاب العسكري الشعب اليوناني ؟ كما فوجئت به كل القوي الثورية والديمقراطية .، ولكن المقاومة بدأت خطوة خطوة .

ففي مايو ١٩٦٧ ، بدأ تكوين جبهة معادية للديكتاتورية من كل الاتجاهات السياسية المختلفة ، وتشكلت الجبهة بمبادرة من قبل الحزب الشيوعي اليوناني وحزب اليسار الديمقراطي الموحد .

ورغم الضربات العنيفة التي وجهتها الديكتاتورية الي حركة الطبقة العاملة ، بحلها لمئات النقابات ، واعتقالها لالاف المناضلين ، فان الطبقة العاملة شنت منذ البداية العديد من النضالات ، كان اغلبها — اضرابات وحركات من اجل المطالب . وقد كسب العمال بعض المكاسب الطفيفه . ومند منتصف ١٩٧٢ ، تزايدت نضالات الطبقة العاملة بشكل كبير . وتزايد نضال الفلاحين الذي تميز باتساعه في كاليفياتريكالون ، وميجارا ، وسبانا ، ومينيرى ، وسكارامنجاس وغيرها .. وقد ناضل الفلاحون ضد استيلاء الوسطاء والاحتكارات علي المحصول وحماية الارض من التبديد بواسطة الراسمالية ، وهى القواعد الامريكية .
الارض التى كانت تريد الاستيلاء عليها لصالح لقد اتسعت حركة المقاومة لتشمل الجرميين وصغار الموظفين . وفي ١٩٧٣اصبحت حركة الطلبة عنصرا هاما ضد الديكتاتورية . ولقد عبيء النضال من اجل حل مشاكل التعليم ، والحق في التنظيم والحريات الاكاديمية والسياسية جماهير طلابية عريضة في الجامعات والمعاهد العليا . وسريعا ما تحولت هذه النضالات الى نضالات مباشرة ضد الديكتاتورية والاستعمار الامريكي . ولقد تمكنت الحركة الطلابية من ان تحدث اكبر شرخ في نظام الديكتاتورية العسكرية ، حوادث البوليتكنيك نوفمبر ١٩٧٣ « راجع الشهادة الواقعية للشباب » .

ومع ازدياد السخط الشعبى ؟ وخاصة بعد احداث البوليتكنيك الدامية ، وتحت ضغط الراى العام العالمي الذى كان له دور بارز في النضال ضد الفاشية ، وكان من العوامل المهمة في التضامن مع الشعب اليوناني ومساندته بكل الوسائل في نضاله ضد الديكتاتورية — رأت الدوائر الامريكية ضرورة احداث تغيير في شكل النظام الديكتاتورى — الفاشيستى فقد اصبح هذا النظام في أزمة .

وفى ٢٥ نوفمبر ١٩٧٣ ، اعلنت الجماعة الفاشية الحاكمة ، الاستغناء عن **بابا دوبلوس** ، واسقطته هو وحكومته . لقد كانت المخابرات الامريكية خلف الحركة الجديدة ، خاصة وان حركة السخط والتذمر وصلت الى بعض اسلحة الجيش « حركة البحرية » .

ووضع على رأس النظام الفاشيستى الجديد — جنرال جيزيكسنل رئيسا للنظام الديكتاتورى «المسمى جمهورية » والمحامى اندروتسبولوس ، والمعروف لدى الجميع انه عميل للمخابرات المركزية الامريكية ، رئيسا للوزراء .. واعلن رجال الانقلاب الجديد ان بابا دوبلوس قد خرج على مبادىء حركة ٢١ ابريل ١٩٦٧ ، والغوا دستور ١٩٧٣ ، واخذوا يذيعون بيانات مضللة ، واعلنوا عن فتح حوار لاعادة الحياة البرلمانية .

لقد كانت اهداف — الحركة الجديدة — هى محاولة الخروج من أزمة حادة ، حيث أصبح سخط الشعب فى القمة ، وحيث تحركت عناصر مقاومة عديدة حتى من صفوف الجيش والبورجوازية ولقد خشيت الامبريالية الامريكية ان تسقط الفاشية فى اليونان ، فينعكس ذلك على مخططاتها فى البحر الابيض والشرق الاوسط .

ان ايام النضال العنيفة للشعب اليونانى خلال حوادث البوليتكنيك تحت شعارات : خبز — عمل — حرية — الغاء القواعد الامريكية — الانسحاب من الاطلنطى — ومشاركة العمال والفلاحين والمثقفين ، وكل سكان اثينا فى الحركة ، كل هذا فرض على الجونتا أن تستخدم التكتيك الجديد : الذى كان محوره الابقاء على الفاشية — خلف لافتة ديمقراطية . ومن ثم ، كان محور هذا التكتيك اجراء تهادنات واتفاقات مع احزاب البورجوازية ، والعناصر المدنية المحافظة واليمينية ، ومن هنا ، كان الاقتراح المقدم من بعض اوسط النظام الفاشى المهترىء — **بان يعود كارامليس** ، بوصفه الشخصية التى فى امكانها ان تحظى برضى الشعب والقوات المسلحة .

ولكن المقاومة الشعبية ، كان قد اشتد عودها وان لم تكن قوية حينئذ بالشكل الكافى الذى يمنع التهادن بين الديكتاتورية وبين القوى المحافظة واليمينية داخل احزاب اليمين ، خاصة داخل الحزب الراديكالى ، حزب كارامليس

ومن ثم فعندما سقطت الديكتاتورية فى يوليو ١٩٧٤ ، اثر الهجوم التركى على قبرص ، والاطاحة بالرئيس **مكاريوس** ، جاء كارامليس الى الحكم ، وكان مجيئه **هو وليد الوفاق الذى تم منذ** نوفمبر ١٩٧٣ بين الديكتاتورية العسكرية ، وبين اكثر العناصر المحافظة فى حزب كارامليس .



الملك قسطنطين

ولكن ، فى نفس الوقت ، فانه منذ نوفمبر ١٩٧٣ ، كان نضال الشعب اليونانى مستمرا من اجل الديمقراطية ، ومن أجل حل مشاكل الازمة الاقتصادية — التى يتحمل كل عبئها جماهير الكادحين ، ومن أجل الغاء القواعد الامريكية والخروج من الاطلنطى . ولذلك فانه عندما جاءت حكومة كارامليس والتى لم يكن فى امكانها الا ان تستجيب لبعض مطالب الحركة الشعبية .. وبذلك عادت الديمقراطية البورجوازية ، الى اليونان .

واجريت انتخابات عامة — فاز فيها **اليمين** — الحزب الراديكالى — كارامليس ٥٤ فى المائة ، ٢٣ فى المائة — اتحاد الوسط والقوى الديمقراطية الجديدة — و١٣ فى المائة للحركة الاشتراكية لكل اليونان «الباسوك » باباندريو ، واليسار بما فيه الحزب الشيوعى اليونانى ١٠ فى المائة . ولكنها بشكل عام تعتبر عودة للديمقراطية البورجوازية .

واجرى استفتاء على الملكية ، فسقطت الملكية ، وصوت الشعب اليونانى الى جانب الجمهورية بنسبة بلغت ٧٠ فى المائة .

واجريت ، خلال ١٩٧٥ ، انتخابات للمجالس البلدية ، وللعمد — او رؤساء البلديات — ففاز اليسار والقوى الديمقراطية بغالبية المراكز ، وهزم اليمين فى هذه الانتخابات . وكان التعليق الرسمى على نتيجة هذه الانتخابات : ان نتيجة انتخابات البلدية تعنى ان الحياة فى بلادنا قد

دخلت مرحلة التقلبات والانفجارات ، والنتائج تؤكد ان هناك موقفا صعبا ، علينا ان نواجهه .

ولكن ماذا بعد — أمام الديمقراطية البورجوازية اليونانية — ماهى المخاطر ؟ وماهى آفاق التطور ؟ هنا ، سنجد اجابات عديدة على هذين السؤالين فى الشهادات الواقعية التى سجلناها فى نهاية هذا التحقيق .

هناك ، فى الواقع مخاطر جدية تهدد استعادة الديمقراطية البورجوازية فى اليونان :

● هناك ، مخططات وممارسات تحاول تصفية الديمقراطية ، بما فى ذلك الحقوق والحريات المحدوده التى حصل عليها الشعب بعد سقوط الديكتاتورية ، ولقد بدا ذلك فى الدستور الذى اقرته الاغلبية البرلمانية ، وفى نشساط الملكيين العلنى لاستعادة الملكية ، والابقاء على عناصر الجونتا المتغلغلة فى جميع أجهزة الدولة ، وفى القواعد المسلحة والمتحالفة مع الملكيين .

● مخططات الشوفينية التركية — التى تهدد الاستقلال الوطنى لليونان ، والتى تشجعها الدوائر الامبريالية للولايات المتحدة — بهدف اثارة حرب مع اليونان تنتهى بالغاء الديمقراطية .

● المشكلة القبرصية ، ومحاولة حلها عن طريق حسلف الاطلنطى ، والاهمال الكامل لكل قرارات هيئة الامم المتحدة — والتى تؤكد على استقلال قبرص ووحدة أراضيها ، وادانة الغزو التركى .

● عودة اليونان الى المنظمة العسكرية لحلف الاطلنطى ، والتعاون مع لجانها ، واعادة بناء وتوسيع القواعد الامريكية فى اليونان . والتركيز على كريت فى محاولة لتشجيع حركة انفصالية رجعية فيها — حيث تعتبر كريت اكبر معسكر عائم لقواعد الاطلنطى والقواعد الامريكية فى البحر الابيض .

وهذه — فى الواقع — مخاطر حقيقية ، وهى نابعة من أهداف الامبريالية الامريكية التى تسرع الخطى بعدهزيمتها فى فيتنام وفى أماكن عديدة اخرى كالبرتغال — الى دعم مراكزها وقواعدها فى حوض البحر الابيض وخاصة فى اليونان وقبرص ، وبشكل عام فى شرق البحر الابيض .

ومواجهة هذه المخاطر تتطلب فى راى القوى الديموقراطية اليونانية :

● توحيد كل الشعب ، وكل القوى ، فى عمل موحد ضد أى تدخل من قبل الولايات المتحدة والاطلنطى وعملائهم فى شئون اليونان .

● المواجهة الجاده لكل المحاولات التى تريد



مكاريوس

تكبيل الحريات ، والحد من سيادة الشعب اليونانى ، وأى محاولة للقيام بانقلاب فاشى جديد .

● الاستفادة من الدعم الشعبى الدولى والتضامن من قبل بلدان الاشتراكية والاتحاد السوفيتى ودول عدم الانحياز لحل مشكلة قبرص على اساس تطبيق قرارات الامم المتحدة .

● تطهير جهاز الدولة والقوات المسلحة من كل العناصر الفاشيستية والعميلة للجونتا ولأى مخابرات أجنبية .

● الغاء كل الاجراءات التى تحد من حريات الشعب ، والمقرطة الحقيقية للحياة فى اليونان ، وعدم تحميل العمال والفلاحين والكادحين عبء الازمة الاقتصادية ، لصالح الاحتكارات المحلية والاجنبية .

● مقرطة الحياة الاقتصادية ، وتأميم الصناعات الرئيسية المملوكة لرؤوس الاموال الاجنبية والشركات المتعددة الجنسيات والتى تستنزف اقتصاد اليونان — كما يوضحها الجدول التالى :

الشركة	صافى الربح بملايين الدراخمات	صافى الربح بملايين الدولارات
شركة بينى اليونانية للالومنيوم	٧٢٩	١٤ر٣
مصفاة بترول لاتسيس	٣٨٥	١٢ر٨
مصفاة أبسروبيروجوس نياركوس	٣٦٩	١٢ر٣
الشركة اليونانية للنحاس	٢٤١	٨ر٣
مصفاة سالونيكا	٢١٧	٧ر٢
شركة المخصبات	٢١٤	٧ر١
الشركة العالمية للاسمنت	١٥٦	٥ر٢
هاليفورجيكى	١٥٢	٥ر١
دارنج	١٥١	٥ر٠

ملحوظة : الشركات الكبرى فى اليونان يتحكم فى ادارتها وتوجيهها راس المال الاجنبى . فالالومنيوم اليونانى تسيطر عليه المجموعة الفرنسية المتعددة الجنسيات « بيتشينى » . وشركة أنونيجتس هاليفورجيكى اليونانية وهى فرع لشركة الصلب الامريكية ، ومصفاة سالونيكا فرع استاندر اويل أوف نيوجرس . وبلغت أرباح المصافى الاربعة فى اليونان بليون دراخمة فى ١٩٧٣ اى ٣٣ مليون دولار .

[٣] شــــهادات واقعيـــة

د. أندرياس باباندريو *

حزب «الباسوك» الذى امثله حزب اشتراكى، وهو حزب ماركسى ولكنه ليس حزبا جـــامدا . نستخدم الماركسية كمنهج ، ونؤمن بـالتفسير الماركسى للتاريخ ، ولسنا اشتراكيين ديمقراطيين . وسبب تركى للحزب القديم ـ اتحاد الوسط ـ ان الوقت قد جاء بالنسبة لليونان ليكون للاحزاب برامج ومنابر ايديولوجية .

ان حزب اتحاد الوسط كان تقدميا وطنيا ، له فلسفة شعبية ، وهو راديكالى الى حد ما ، ولكن كانت بداخله عناصر محافظة كثيرة ، ولم يكن حزبا طبقيا ـ لقد كان حزبا بورجوازيا تقدميا .

اما حـزب « الباسوك » فهو حزب له قواعده الاجتماعية ، **من العمال والفلاحين** . فالفلاحون فى اليونان ، اكثر الطبقات المستغلة من خـلال وسائل رأسمالية متخلفة ، وكذلك **الحرفيـون والطبقات الدنيا** ، **والشباب والموظفون** . ونحن نؤمن ان التحالف الوثيق بين العمال والفلاحين تفرضه المصلحة المشتركة ، وباسوك يمثل التحالف بين مجموع الطبقات السابقة .

وعن **الديمقراطية** كهدف نسعى اليه : فـان الديمقراطية فى بلد كاليونان ، والتى هى اساسا مستعمرة جديدة للولايات المتحدة ، هى للناس الدين يمثلون فقط الالوجاركيه المالية الاجنبيـة واليونانية . وفى ١٩٦٧ ، وكان الشعب اليونانى يستعد لانتخابات عامة ، وكان الشباب قد حصل على حـق التصويت ، الامر الذى يهـدد سيطرة الامريكان ومصالح الراسمال الاحتكارى الدولى . وهذا هو سبب أساسى من الاسباب التى ادت الى ضرب الديمقراطية وفرض الديكتاتورية .

وفى ١٩٧٤ ، أصبحت الديكتاتورية فى ازمة ، بسبب حوادث قبرص ، وبسبب مقاومة الشعب اليونانى للازمة الاقتصادية الخانقة، ولذلك عادت اليونان الى الديمقراطية . ولـكن الدستور الذى صوت عليه فى البرلمان هو ديمقراطى اسما ، لانه يعطى رئيس الجمهورية كل السلطـات ، ولكنس الديمقراطية فى أى وقت ، ولتحويل اليونان الى الديكتاتورية بوسيلة الديمقراطية .

واليمين يخشى الديمقراطية الحقيقية ، وهو يحلم بتأسيس ديكتاتورية دستورية !

وعن السياسة الخارجية ، والدفاع القومى ، فهى أمور غير مسموح للبرلمان بمناقشتها او بحثهـا . وأنـه ، خـلال عـام بعـد زوال ديكتاتورية « الجونتا » ، نجح **كارامليس** فى اعادة بناء اليمين فى تحالف مع الملكيين وعناصر الجونتا التى تعمل من خلف ستار فى جهاز الدولة . ورغم محاكمة رجال « الجونتا » فان كل المراكز الرئيسية فى الحكومة مازالت فى ايدى الجونتا .

وموقف الباسوك فى البرلمان ـ هو معارضة دستور **كارامليس** ، واننا سنطالب بجمعيـة تاسيسية جديدة لوضع دستور جديد .

وعن **البحر الابيض** ، فان الباسوك ، يرى أن الوضع السياسى فى البحر الابيض له ابعـاد كثيرة . فهو مسرح للصراع بين الولايات المتحدة الامبريالية والاتحاد السوفييتى . وأنا لا اعتبر الاتحاد السوفييتى استعمارا ، ولكنى ارى أن الجبهتين يجب ان يتركا البحر الابيض من اجـل السلام فى هذه المنطقة من العالم .

كما أنى أرى أن جنوب أوروبا وشمال افريقيا

* ابن جـورج باباندريو الـرئيس السابق للحكومة اليونانية ، ولحـزب اتحاد الوسط . تلقى تعليمه فى جامعتى اثينا وهارفارد حيث حصل على درجته العلمية فى الاقتصاد فى ١٩٤٣ . استاذ للاقتصاد فى جامعة مينيسوتا ـ ١٩٤٧ حتى ١٩٥٥ ثم فى بيركلى بكاليفورنيا . عاد الى اليونان فى ١٩٥٩ حيث اسس وادار مركز الدراسات الاقتصادية . وفى ١٩٦٤ دخل البرلمان اليونانى .

فى ٢١ ابريل ١٩٦٧ أعتقل وافـرج عنه فى ديسمبر ١٩٦٧ ، ترك اليونان ، واشتغل بالتدريس فى جامعة استكهولم، ثم جامعة يورك فى تورونتو . فى ١٩٦٨ أسس حركة التحرير اليونانية ، هدفها اســقاط الديكتاتورية ، وبناء يونان ديمقراطى اشتراكى . بعد عودته الى اليونان نظم حزب الحركة الاشتراكية لكل اليونان ـ الباسوك ـ وحصل فى انتخابات نوفمبر ١٩٧٤ على ١٣٪ وله مؤلفات فى الاقتصاد والسياسة .

والشرق الاوسط ليست قريبة من بعضها جغرافيا فقط ، ولكنها مرتبطة سياسيا واجتماعيا وهي مدعوة لاقامة وحدة بينها ، لانها ، جميعا ، واقعة تحت الاستغلال من قبل الامبريالية .

ويرى حزبنا ضرورة البحث عن وحدة للبحر الابيض معادية للامبريالية . وأن البحر الابيض سيصبح بؤرة الصراع العالمي بعد فيتنام ، ونحن نواجه جميعا مخاطر عديدة من قبل الامبريالية الامريكية . وانا لا أرى انه من مصلحتنا أن تقوم الولايات المتحدة بدور الوسيط ســواء بالنسـبة لمشكلة قبرص أو المشكلة العربية الاسرائيلية أو جنوب أوروبا .

وانا اؤمن بان الاشتراكية هي الشرط الوحيد لاستمرار حيــاة مجتمع البحر الابيض ، ولــدى الامبريالية رغبة في ستثمار العالم العربي وشمال افريقيا . وأمريكا وأوروبا ستستخدم في النهاية دولارات العرب البترولية للتدخل وللقضاء على استقلال الشعوب في البحر الابيض ، وهــو الاستقلال الذي تحقق بتضحيات هائلة من قبل هذه الشعوب .

وحزب « الباسوك » يناضل من أجل حياد البحر الابيض المتوسط ، وفي نفس الوقت من أجل أن يتحقق في المنطقة تحول اشتراكي على أساس نضال مشترك ضد الامبريالية والصهيونية .

ونحن نأمل ـ انكم وأنتم تناضلون من أجل الوحدة العربية ، أن تفكروا من أجل وحدة البحر الابيض .

■ فرجينا تسوذيرو *

ان حزب اتحاد الوسط ـ والقوى الجديدة ، هو حــزب ديمقراطي اشــتراكي لليونان ، مثله مثل الاحــزاب الاشــتراكية الديمقراطية في المانيــا والسويد . وهو يرى امكانيه الوصــول الى الاشتراكية من خلال التطور . ونحن نؤمن بأن المجتمع اليوناني يحتــاج الى تغييرات اجتماعية واقتصادية ، وعدم تحقيق مثــل هذه التغييرات سيؤدي الى صدامات حادة .

وانا ارى ان اليونان يجب ان يغير ســياسته الخارجية فنحن لسنا دولة مستقلة . ولنا علاقات قريبة وطيبة مع بلدان البحر الابيض والبلقان . ولكن العلاقة الاقرب لنا مع أوربا لاسباب عديدة . وحتى نصبح اكثر استقلالا سياسيا واقتصاديا يتعين أن نكون اعضاء في الاتحاد الاوروبي ، ولكن في الوقت نفسه ، يجب أن نحافظ عــلى علاقات قوية مع بلدان البحر الابيض .

وحزبنا ـ قلق بالنسبة لسياسة كارامليس الخارجية ، فسياسته المعلنة غير مطبقة . فبينما يقول : اننا خرجنا من الناتو ـ حلف الاطلنطي ـ الا اننا لم نخرج منه . ومنذ اغسطس ١٩٧٤ ، لم نتخذ خطوة جديدة لتحقيق هذا الخروج ، وقواعد الناتو مازالت موجودة ـ المثال : كريت .

ونحن نرى انه يجب الا نعود الى حلف الاطلنطي لانه عاجز عن الدفاع عن وحدة اليونان ، وغير قادر على مساعدتنا على مواجهة الخطر الحقيقي الذي يهددنا من دولة من دول الحلف ـ تركيا ـ ان التحالف العسكري يعني التحالف بين بلدان تدافع عن بعضها البعض .

وانا أرى ان كل الاحزاب متفقة على ذلك ، وحــدودنا يجب أن تحترم . واتفاقية هلســنكي بخصوص الحدود غير محترمه من جانب تركيا . ومشكلة قبرص يجب ان تحل على اساس قبرص موحدة مستقلة محايدة ، خاصــة وان مشــكلة قبرص ، اليوم ، هي اساس كل مشاكلنا المالية والاجتماعيه والاقتصادية . وهي مشكلة أساسية من مشاكل البحر الابيض . واى متاعب في قبرص ستنعكس على مشكلة الشرق الاوسط ، خاصة وانه مازالت هناك قواعد لحلف الاطلنطي .

والمشكلة لم تعد اليوم مشكلة قبرص فقط ، بل كذلك مشكلة كريت،خاصة انه أصبح لكريت بعد فتح قناة السويس مركزا استراتيجيا خاصا ، كما انها ، اليوم ، قاعدة أساسية لتعويض اسرائيل بالاسلحة . وانه في الحرب الاخيرة ـ حـرب اكتوبر ـ كانت كريت هي مصدر العتاد المرسل الى اسرائيل من خلال الامريكان . ومن هنا ، يبدو خطر عدم وجود هذه القواعد تحت ادارتنــا الوطنية . ومن أجل ذلك فنحن نطالب بالادارة الوطنية الفعالة لكل القواعد العسكرية في بلادنا .

ونحن نشعر ، بأن هناك مصلحة عامة مشتركة بيننا وبين البلدان العربية بالبحر الابيض ، ونفس الشيء بالنسبة للسوق المشتركة ، وانا اعتبر ان السوق المشتركة حركة سياسية أكثر منهــا اقتصادية ، ومن هنا فنحن عندما نرى اهمية علاقتنا بالدول العربية ، فنحن نراها من خلال ضرورة ان تكون هناك سياسة اوروبية موحدة وغير خاضعة للمصالح الامريكية ، وهو أمــر سيؤدي ، بالحتم وبالضرورة الى لقاء مع البلدان العربية .

* عضو بالبرلمان ـ حصلت على اكبر عدد من الاصوات في اثينا ـ وهي عضو بحزب ـ اتحاد الوسط والقوى الجديدة الذي يراسه جورج مافروس والـذي تأسـس في ١٩٧٤ ، ســجنت أيام الديكتاتورية العسكرية .

ونحن نرى — ان كل بلدان البحر الابيض تود أن ترى البحر الابيض وهو يساس بواسطة دوله نفسها . ومن الصعب أن نرغم القوى الكبيرة على ترك البحر الابيض ، فلتطالب دول البحر الابيض بتخفيض قوة اساطيل الكبار وهو امر يتفق مع مصلحتنا . والمشكلة ليست فقط مشكلة اساطيل ولكنها كذلك مشكلة القواعد ، يجب أن نعمل من أجل الا يكون البحر الابيض مركزا للمنافسة والصدام بين القوى الكبيرة . ولذلك ، فانه على بلدان البحر الابيض ان تتفق **اولا** على المطالبة بتخفيض القـــوات العسكرية ، **وثانيا** اتفاقات اقتصادية مشتركة بين كل بلدان البحر الابيض .

اننا يجب أن نبحث عن طريق لوحدتنا لان خطرا مشتركا يواجهنا .

وعن **الديمقراطية**، فان الطريقة التي سقطت بها الديكتاتورية في اليونان ، يمكن وصفها بـأنها سقوط سلمى . وادى هذا الى تراكم صعـاب كثيرة . وشهدنا عدة ازمات ، وفـي اغسطس وسبتمبر ١٩٧٤ كان بعض الوزراء ينامون خارج منازلهم ، لان بعض الضباط كانوا يظنون انه في قدرتهم عمل شيء . وفي فبراير ١٩٧٥ ، حاول بعضهم القيام بانقلاب مضاد للـديمقراطيه . والمحاكمات الاخيرة تؤكد انه مازالت هناك اعداد من الضباط يؤمنون « بالجونتا » اكثر من ايمانهم بالديمقراطيين والسياسيين . ولكن هؤلاء الضباط ليس لهم في الوقت الحاضر القوة الكافية ليكرروا ماحدث في ابريل ١٩٦٧ ، وبنفس الطريقة التي تم بها انقلاب ١٩٦٧ .

وأود ان أؤكد ، ان الديمقراطية لم تستقر بعد في اليونان . وهي تحاول أن تجد لها ارضا وان تمد جذورها في هذه الارض . يجب علينا ان نفكر في الاسوأ وأن ننظم انفسنا ضد المخاطر ، وخاصة مخاطر مثل تلك التي اسقطت **الليندى** . ان الجماعات العسكرية المتطرفة تسعى الى مراكز قوى لنشر الفوضى في البلاد . وهي جماعات صغيرة ولكن عندها قدرة على اثارة اضرابات لا تؤيدها الاغلبية في النقابات ، ويساعد هـذه الجماعات على تصرفاتها الاجرامية الموقف السلبي من جانب البوليس ، ويرى حزب اتحاد الوسط والقوى الجديدة ان مصدر هذه المشكلة انه لم يحدث تطهير جذري في جهاز الدولة ، الامر الذي يدفع الاقليات العسكرية ان تأتي افعالا تدافع بها عن مصالحها وليس عن مصالح اليـونان واليونانيين . ويجب الا ننسى ان انقلاب ١٩٦٧ من فعل قوى أجنبية، فلماذا لانرى ان هذه المصالح الاجنبية نفسها تسعى الى استخدام هذه القوى مرة أخرى . ويجب ألا نضيع الوقت في البحث عن أدلة وبراهين، الامر الذي سمح لجونتا ان تخرب . وحوادث التخريب الاخيرة هي من فعل منظمات فاشستية مثل منظمة « ٤ اغسطس » وللأسف ان هذه المنظمات يحميها البوليس اليوناني ، وترتبط بمصالح اجنبية وبالمخابرات الامريكية المركزية .

وأحب — أن أتحدث مرة أخرى — عن أنه من الضروري ان يكون البحر الابيض مستقلا ، ومنطقة خالية من الاسلحة .

ونحن نرى ان تركيا، تحركها خطة قائمة على أسس شوفينية — تعصب قومي — وان تركيا هي أكثر دول الشرق الاوسط ارتباطا باسرائيل . ومن هنا فان دورها في قبرص — سواء لتقسيمها او لاثارة المتاعب فيها انما هو بهدف ان تفقد قبرص استقلالها وحيادها ووحدتها، وخاصة ان قيادتها الوطنية كانت مع العرب دائما .

وحزبنا يؤيد الحركة الفلسطينية، وانا شخصيا كان لي شرف تمثيل الحزب في اللقاء مع ممثلي منظمة التحرير الفلسطينية . ونحـن نخشى ان تصبح مشكلة قبرص مثل نفس مشكلة فلسطين ، تقسيم، وهجرة تركية وفق المخطط الموضوع حاليا لتهجير ٣٠٠ الف تركي اليها . وهكذا يصبح لتركيا اتجاهات توسعية في البحر الابيض مثل الاتجاه التوسعي الموجود لدى اسرائيل .

ومن هنا — فاننا كحزب يوناني مسئول، فاننا نـؤيد حـق الشعب الفلسطيني بالاضافة الى الجانب الانساني للمشكلة ، فان لنـا **مصلحة مشتركة مع الشعب الفلسطيني في الدفاع عن حقوق الانسان ، واحترام قرارات الامم المتحدة العديدة التي اعترفت بحقوق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره والعودة الى بلاده** .

■ هاريلوس فلوراكس *

تأسس الحزب الشيوعي اليوناني في نوفمبر ١٩١٨ . وكان تأسيسه ضرورة تاريخية نتيجة التطور الاجتماعي ، وتطور الحركة العمـالية اليونانية ووحدتها مع النظـرية الماركسية اللينينية .

وعن القسمات الرئيسية للراسمالية فـي اليونان ، وظروف تغلغل رأس المال الاحتكاري الاجنبي في اقتصاد البلاد ، وعن النضال الذي يشنه الشعب اليوناني من أجل الديمقـراطية والاستقلال والتقدم الاجتماعي .

فاننا — نقول هنا : كما يذكر برنامج الحزب الشيوعي اليوناني المقر في مؤتمره التاسع : « ان

* تأسس هذا الاتحاد في ١٩١٨ .

اليونان ـ التى نمت قواها الانتاجية والتى توجد بها رأسمالية دولة احتكارية فى مرحلة التكوين ، وهى تابعة الى حد ما لرأس المال الاحتكارى الاجنبى وللامبريالية العالمية ـ قد أصبحت بلدا زراعيا ـ صناعيا » .

ومن هنا ، فان القسمة الرئيسية للبلاد هو تبعيتها لرأس المال الامبريالى . هذه التبعية التى بدأت مبكرة بعد تحرير البلاد من الحكم العثمانى ، بدأت فى القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، وقد ازدادت وتدعمت الى درجة أكبر بعد الحرب العالمية الثانية ، وذلك عندما تدخلت فى شئوننا الداخلية بريطانيا وبعد ذلك الامبرياليون الامريكان ـ من أجل مساندة الاولجركية اليونانية التى تخدم مصالح الامبرياليين بكل الوسائل .

وتوضح هذه التبعية الحقائق البارزة التالية : ان استثمارات رأس المال الامبريالى الاجنبى فى الاقتصاد اليونانى قد زادت ، كما أن الديـن الاجنبى العام والخاص تضخم،وقد أصبح اليوم أربعة ملايين ونصف مليون دولار،أى أكثر من ثلث الدخل القومى . كما أن العجز فى الميزان التجارى قد ازداد ، اصبح فى ١٩٧٤ حوالى ١٢١٨ مليون دولار . وقد وقعت مجموعة من الاتفاقيات التى ادخلت اليونان فى مجال التبعية للامبرياليين ، والتى أحاطت باستقلال البلاد ،وقد تغلغل رأس المال الاجنبى فى مجالات عديدة ، فى الصناعة ، فى النقل البحرى،فى السياحة،والى حد ما فى الاقتصاد الزراعى ، كما انه حصل على مراكز هامة فى مجال التجارة . ولقد توسعت مراكزه بصفة خاصة فى مجال الاقراض ، وكذلك تغلغل مجموعة من الشركات المتعددة الجنسيات مثل ايسلو ، وبيتشننى و « الشركة الدوليـة للتليفون والتلغراف] ، فى الفـروع الاساسية لصناعتنا .

ولرأس المال الامريكى المكانة الاولى فى هذا التغلغل ، ويجىء بعده رأس المال الفرنسى والالمانى والبريطانى . ويتم هذا التغلغل على حسـاب الاقتصاد الوطنى والشعب العامل . ان رأس المال الاحتكارى الاجنبى يحصل على جانب كبير من دخل البلاد ، من الارباح العالية التى تعود عليه من استثماراته فى الاقتصاد اليونانى ، من عمليات التبادل غير المتساوية ، أسعار الفوائد العالية على القروض العامة والخاصة . ان استثمار رأس المال الاجنبى يحد من امكانيات التراكم الداخلى ، يؤخر تطور قوانا الانتاجية ويضربها . ونتيجة من نتائج التبعية ـ تلك ـ ما يعانيه اقتصادنا من ضعف شديد فى تركيبه العضوى وبناء هيكله . وهذا يظهر فى تخلف الصناعة الثقيلة . فليس فى اليونان صناعة صلب متقدمة،وينقصها ـ بصفة خاصة ـ صناعة الالات . وأن دخول اليـونان السوق الاوروبية المشتركة ، قد استنزف الاقتصاد اليونانى لصالح الاحتكارات الكبيرة التى تسيطر على السوق ، وأدى الى استخدام اليونان كجسر تعبره السوق الى بلدان شمال افريقيا وبلدان الشرق الاوسط .

ولاتقتصر التبعيـة لرأس المال الاجنبى على الاقتصاد اليونانى ، فان الامبرياليين الامريكيين يتدخلون بشكل سافر فى كل حياة البـلاد . وأساسا ، يعينون الحكومات ، يوجهون القوات المسلحة ، ويتحكمون فى السياسة الداخليـة والخارجية لليونان ، وباقامتهم قواعد جـوية وبحرية فى بلادنا ، وانشائهم قاعدة للصواريخ النووية فى كريت ، تتوسع باستمرار ، فان اليونان قد تحولت الى قاعدة حرب ورأس حربة للولايات المتحـدة والاطلنطى موجهـة ضـد البلـدان الاشتراكية ، وضد بلدان الشرقيـن الادنـى والمتوسط .

ويجب أن نؤكد أن الاوليجركية الاحتكاريـة المحلية والتى كانت تقوم فى القرن التاسع عشر وبداية العشرين بدور الكومبرادور ، أصبحت الان أكثر ارتباطا برأس المال الاحتكارى الاجنبى ، وتعتمد أكثر وأكثر على الدعم الاقتصـادى والسياسى والعسكرى الذى يأتيها من القـوى الامبريالية الدولية ، مقابل بيع استقلالنا الوطنى ، وذلك بهدف شل ومنع نهوض الحركة الشعبية التى تهدف الى تحرير البلاد من التبعية للامبريالية . وحكومة كارامليس ، رغم تراجعاتها فى عديد من القضايا ـ تحت ضغط الشعب ، ورغم بعض الخطوات الايجابية التى اتخذتها ـ فانها لم تخرج من نطاق القاعدة الاساسية . انها تدعم مصالح الاحتكار المحلى والاجنبى ، وفى السيـاسة الخارجية فانها لم تخرج من اطار حلـف الاطلنطى .

والمؤتمر التاسع لحزبنا ـ وبتحليله للسياسة الداخلية والخارجية ، توصل الى نتيجة أن الثورة فى بلادنا ستتضمن مرحلتين ثوريتين :

الاولى : ديمقـــراطية معـادية للاحتـكار والامبريالية .

الثانية : اشتراكية . وفى المرحلة الاولى فانه يجب حل مشاكل الديمقراطية ، مثل تحرير البلاد من التبعية الاجنبية ، وحماية استقلالها ، والحد من نفوذ الاحتكارات المحـلية والاجنبية بالغاء الامتيازات الخاصة بها ، بتأميم عدد من الاحتـكارات ، وبمقرطة الحيـاة السياسـية والاجتماعية للبلاد . وانجاز مهام المرحلة الاولى تنتهى الى توجيه ضربة قوية ضد نظام الاستغلال

وتفتح الطريق أمام المرحلة الثانية ، المرحلة الاشتراكية .

الوضع السياسى بعد سقوط الديكتاتورية

لقد كان عام ١٩٧٤ عاما حاسما للتطور السياسى فى اليونان . فالديكتاتورية العسكرية الفاشيستية المدعومة من قبل الامريكان ، والمكروهة من الشعب ، بدأت تتحلل فى ٢٣ يوليو ١٩٧٤ ، تحت وقع الجرائم والخيانات التى ارتكبتها فى حق الشعب اليونانى والقبرصى . واستعيدت البرلمانية البورجوازية . واعترف بالحزب الشيوعى اليونانى بعد أن ظل محرما لمدة ٢٧ عاما . وألغيت الملكية التى كانت دعامة اساسية للثيوتوقراطية والامبريالية ، وكان ذلك انتصار للشعب اليونانى .

ولكن استبدال الديكتاتورية ، بحكومة مدنية تم من أعلى ، من خلال تهادن بين « الجونتا » وبين الامبرياليين من ناحية والقوى السياسية المحافظة من ناحية أخرى . وكان من الطبيعى ان يضع هذا التهادن خاتمه على كل التطورات اللاحقة .

ان المقاومة العنيدة،وتصميم الشعب اليونانى على الحياة جرا ومستقلا،رغمت القوى السياسية المحافظه ان تاخذ بعض الخطوات لايجابيه لاعاده الحقوق الديمقراطية والحريات . وفيما عدا ذلك ، فان مشاكل حيوية تهم الوطن والشعب مازالت بلا حلول وذلك بسبب طبيعة التغيير ، والطبيعة المحافظة العميقة للحكومات التى سبقت « الجونتا » .

وانه بينما أعلنت حكومةكارامليس أن اليونان سينسحب من حلف الاطلنطى ، وانه سيعاد النظر فى أمر قواعد الحرب الامريكية ، فانه لم يتخذ اجراء واحد لانسحاب حقيقى لليونان من حلف الاطلنطى ، أو لالغاء القواعد الامريكية ، بل انهم يحولون اليونان أكثر وأكثر الى مراكز صاروخية للامبريالية الامريكية . وكما انها لم تستفد ، على قدر استطاعتها ، من تأييد الاتحاد السوفييتى ، والبلاد الاشتراكية والبلدان المعادية للامبريالية — من اجل التوصل الى حل عادل للمشكلة القبرصية ولمواجهة شوفينية الترك .

ورغم مطالبة الشعب بدستور عصرى ديمقراطى فان الأغلبية الحكومية فى البرلمان اقرت دستورا غير ديمقراطى وغير ليبرالى ، يفرض القيود على حقوق الافراد ، على حق الاضراب ، وينص على اباحة النفى ، واعطاء حقوق غير محدودة لرئيس الجمهورية . وفى نفس الوقت ، فان الحكومة انتهجت سياسة تفرقة غير مقبولة تجاه الحزب الشيوعى اليونانى فى البرلمان ، وبشكل عام فى عموم الحياة السياسية فى البلاد . وبينما يطالب الشعب ومنظماته باصرار بتطهير جهاز الدولة ، والقوات المسلحة ، والقضاء ، والتعليم من العناصر العميلة — للجونتا — فان الحكومة لم تستجب الى هذه المطالب الا بقدر محدود ، او باعلان وعود غامضة . وان الصمت على الكثير من جرائم « الجونتا » والابقاء على عناصرها فى المناصب الرئيسية للدولة ، وتغطية الحكومة على النشاط الارهابى المعادى للطبقة العاملة والحركة الشعبية — وهو الامر الذى اكد ما حدث مؤخرا خلال اضراب عمال البناء — واحياء سياسة معاداة الشيوعية ، هى شواهد على ان القوى الرجعية الموجودة فى السلطة تحاول ان تشترك مع الجونتا ، وتشجع نشاطها ضد الحركة الشعبية الديمقراطية ، ولحماية وتقوية نظام الاحتكارات المحلية والاجنبية . وحماية لمصالح هذه الاحتكارات ، فان حكومة كارامليس لم تتخذ أية اجراءات للحد من أرباحها الضخمة . وعلى العكس ، فانها تحاول ان تلقى بعبء الازمة على عاتق الشعب العامل ، وهى لا تواجه مطالبه فقط باهمالها ، ولكن كذلك بارهاب بوليسى . ويناضل الحزب اليوم من أجل :

- الغاء سيطرة الولايات المتحدة .
- الدفاع عن الاستقلال الوطنى . من اجل سياسة سلام والتعاون مع كل البلاد .
- استعادة الجنسية للمواطنين الذين اسقطت جنسيتهم ، وعودة كل اللاجئين السياسيين .
- الانسحاب الحقيقى من حلف الاطلنطى .
- الغاء القواعد الاجنبية واتفاقات التبعية .
- حل المسالة القبرصية ، من خلال تدويلها ، وعلى أساس قرارات الامم المتحدة .
- الدفاع عن الاستقلال والوحدة الاقليمية لقبرص
- من اجل تطهير جهاز الدولة من عناصر الجونتا الفاشستية ومقرطة البلاد .
- النضال ضد التضخم ورفع مستوى معيشة الشعب العامل .

واليونان بسبب وضعها الجغرافى ، على حدود عالمية ، فى قلب شرق حوض البحر الابيض ، وفى

منطقة الشرقين الادنى والاوسط ، فان لها دورا هاما فى مخططات الولايات المتحدة وحلف الاطلنطى الاستراتيجية ضد البلدان العربية ،وحيث يريد الامبرياليون استعادة مراكزهم السابقة . ويوضح ذلك كله اهتمام أمريكا وحلف الاطلنطى باليونان حفاظا على مصالحها .

ويجب الا ننسى ان الانقلاب الفاشى ٢١ ابريل ١٩٦٧ قدحدث فى اليونان قبيل العدوان الاسرائيلى، وانه من موانى يونانيه تسلمت اسرائيل الامدادات التى تساعدها فى مواصلة الهجوم على البلدان العربية وانه من الموانى اليونانية ابحر الاسطول السادس لمساعدة المهاجمين الصهاينة .

ثلاث شهادات نقابية

- **الحركة النقابية الموحدة المعادية للديكتاتورية « أيساك »**
- **ايمانويل بيثاروليس السكرتير العام للمنظمة**
- **يانى بلابوتاس السكرتير التنظيمى**
- **كوستاس ماراجوذاكيس امين الصندوق**

فى ١٩٤٦ انعقد المؤتمر الثامن للاتحاد العام لنقابات عمال اليونان، وانتخب قيادة جديدة تقدمية، ولكن بعد هزيمة الحرب الاهلية فى ١٩٤٩ ضربت القياده التقدميه ، وتولت قيادة الاتحاد عناصر اصلاحية ، ومرتبطة بالحركة النقابيه الحرة الدولية ـ الاتحاد الدولى للنقابات الحرة .

ويصل عدد العمال فى اليونان الى حوالى ١٫٤٠٠٫٠٠٠ من بينهم حوالى ٤٠٠ الف عامل صناعى ، وعدد العمال المنظمين فى كل اليونان ١٠ فى المائة ولكن نسبة التنظيم تصل فى بعض المشروعات الصناعية الى ٥٠ فى المائة ، وتتركز الصناعة فى اليونان فى اثينا وبيريه اليفيثيا . وأهم الصناعات، صناعة النسيج ويعمل بها حوالى ٢٫٠٠٠ الف ، عمال الصناعات المعدنية والهندسية ٢٠٠٫٠٠٠ الف، ويبلغ عدد العمال بالنقل ٦٠ الفا وعمال البحر ١٢٠٫٠٠٠ الف ، وعمال البناء ١٨٠٫٠٠٠ الفا . ويعتبر عمال البناء أكثر العمال نضاليه وتنظيما ـ فنسبه التنظيم بين عمال البناء تصل الى ٦٠ فى المائة ومتوسط عدد العمال العاطلين ـ عطالة كاملة ـ على مدار السنة حوالى ٢٥٫٠٠٠ ، وعدد العمال الذين يعملون نصف عمالة ـ حوالى ٤٠ ألف .

ومتوسط الاجر اليومى هو ٢١٦ دراخمة « حوالى ٧ دولارات » للرجال البالغين ـ و ١٨٠ دراخمة « حوالى ستة دولارات » للنساء ـ و ١٣٠ دراخمة للاحداث . ومتوسط ساعات العمل ، طبقا للقانون ٤٥ ساعة فى الاسبوع، مع حق صاحب العمل فى اطالة اسبوع العمل الى ٤٨ ساعة ، على ان تدفع الساعات الزائدة باعتبارها وقت عمل اضافى .

وان الوضع فى المجال النقابى متماثل فيما قبل وبعد النظام الديكتاتورى ، وذلك من حيث سياسة الحكومة حيال الحركة النقابية . فقبل الديكتاتورية كانت الحكومة قد فرضت ما عرف بالحركة النقابية الموجهة ، وهو امر تمكنت الحكومة من تحقيقه على مستوى القمة ، ولم تستطع تحقيقه على مستوى القاعدة . وكانت الوسيلة الاساسية لفرض هذه الحركة النقابية الموجهة هو ادخال سياسة معاداة الشيوعية الى النقابات ، والتى نصت عليها بعض لوائح النقابات ، ولكن هذا النص خالفته أغلبية القواعد النقابية ، وأسقطته فى التطبيق .

ولما قام النظام الديكتاتورى حلت النقابات الديمقراطية واضطهدت القيادات التقدمية وحتى القيادات التابعة للبورجوازية والمرتبطة بالاتحاد الحر لاقت بعض الاضطهاد . وفرض على التنظيم النقابى موظفون من قبل الديكتاتورية ـ وهو وضع تعارضه كافة القوى النقابية ـ ولكن الحكومة تحاول الابقاء عليه . وانه من الصعب فى الوقت الحاضر انتهاج سياسة العداء للشيوعيه داخل النقابات فان الحكومة البورجوازية تبذل كل جهدها للابقاء على القيادات التى فرضتها الديكتاتورية على الحركة النقابية ، ومن اجل ذلك سنت الحكومة قانونا جديدا يسمح لهذه القيادات ان تبقى حيث هى .

وايساك ـ هو التنظيم العمالى الذى قاد بجسارة نضال العمال ضد الديكتاتورية ومن أجل الديمقراطية، **ورغم ان لايساك اليوم أكثر من مائة فرع، وتتمتع بجماهيرية ونفوذ كبير، فاننا نناضل من أجل اتحاد نقابى واحد . ورغم ان الاتحاد الرسمى ليس الا مجرد لافتة فنحن لا نفكر فى تكوين اتحاد آخر وحتى رغم انضمام الاتحاد الحالى للاتحاد الدولى للنقابات الحرة . ان وجود اتحاد آخر يعنى تقسيم للطبقة العاملة والغاء لوحدتها اليومية .**

ونحن رغم اننا نناضل من اجل حركة نقابية واحدة وموحدة ، فاننا لا نوافق على سياسة الوفاق الطبقى التى ينتهجها الاتحاد العام للعمال، ولا نوافق على الحد الادنى للاجر الذى وقعوا به اتفاقية مع الحكومة مدتها ثلاث سنوات ونصف ، ولا نوافق على الطريقة التى يجرون بها الانتخابات

النقابية اليوم ، لانها طريقة غير ديمقراطية ، ولا نوافق على طرد النقابات اليسارية التى طردتها الجونتا ، والاستمرار فى رفض وجودها داخل الاتحاد العام . ونحن مصرون على الوحدة ــ لانها الشرط الاساسى لنجاح النضال ضد الشركات المتعددة الجنسيات ، ومن اجل الديمقراطية .

ونحن نناضل من أجل بحر ابيض حر ومحايد ، ولذلك فاننا نقف الى جانب نضال الشعوب العربية ضد الصهيونية والتوسع الاسرائيلى ، ونحن مع الحق العربى **والحق الفلسطينى خاصة** ونحن نعتبر أن كل عمل من أجل الاستقلال والسلام فى البحر الأبيض هو عمل ايجابى ، ونضالنا من أجل تصفية وجود اليونان فى الناتو ، والغاء القواعد الامريكية هو نضال من أجل أن يكون البحر الابيض مستقلا ، وفى أيدى أصحابه .

شهادة من قيادة الشباب عمال البناء عن حركة البوليتكنيك ضــد الديكتاتورية

بدأت القصة منذ الايام الاولى للجونتا حيث كان ميدان اساسى من ميادين نشاطها هوضرب حركة الطلبة الديمقراطية ، فاستبعدت الديكتاتورية عددا كبيرا من الاساتذة الديمقراطيين والتقدميين ، وصفيت لجان الطلبة من العناصر الديمقراطية ، وفرض على الجامعات والمعاهد والمدارس جو من الارهاب .

ووضعت الديكتاتورية نظاما تعليميا يتفق فقط مع القادرين على تلقى العلم على نفقتهم الخاصة . وبدأ الطلبة ينظمون أنفسهم فى محاولة لان يحصلوا على أى قدر من مطالبهم . وتركز النضال فى البداية من أجل ظروف تعليمية أفضل ، والمطالبة بوجبة غذائية رخيصة وجيدة وخاصة بالنسبة لهؤلاء الذين يعملون ويدرسون .

وفى فبراير ١٩٧٢ بدأ النضال من مدرسة الحقوق ، من اجل ظروف تعليمية أفضل ، والغاء ادارة الامن المختصة بالنشاط الطلابى فى الجامعة ، وبطشت الديكتاتورية بهذه الحركة ، وقامت بتجنيد ١١٠ من طلاب الجامعة بالقوات المسلحة .

وفى ١٩٧٣ ، نمت الحركة الطلابية المعادية للديكتاتورية ، وعندما حاول رجال الديكتاتورية أن يعطوا الديكتاتورية شكلا ديمقراطيا ، وبدأوا نوعا من الحوار لاجهاض الحركة المعادية للديكتاتورية وتقسيم الصفوف الموحدة ، فى النضال من أجل الديمقراطية ، استفاد الطلبة والشباب من هذه الفرصة لطرح مطالبهم من جديد . ولكن خلال الحوار تفهم الطلبة والشباب أن تحقيق ظروف تعليمية افضل مرتبط بمشكلة الديمقراطية ، وخلاص البلاد من كل النظام الديكتاتورى . وان المطالب الخاصة لا يمكن تلبيتها الا من خلال حل القضية العامة .

وفى نوفمبر ١٩٧٣ ، بدأ الطلبة حركتهم فى البوليتكنيك تحت شعار خبز ــ عمل ــ حرية . ولم يتدخل الضباط فى الايام الاولى ، على أمل أن تصفى الحركة بعد أن يصيبها الاجهاد . ولكن الحركة تطورت بعد يومين من بدايتها تطورا لم يكن يتوقعه النظام الديكتاتورى . وذلك :

لان الظروف كانت قد أخذت فى النضوج بالنسبة للحركة الشعبية ، بحيث تسمح لها بأن تشن نضالا قويا ضد الديكتاتورية ، التى أصبحت ضعيفة وعفنة .

فالحركة التى بدأت طلابية ، تحولت بسرعة لتصبح حركة شعبية عامة ، فظهرت القوى الشعبية على مسرح الاحداث ، وشارك العمال والفلاحون فى الاحداث . وكانت المشاركة الاساسية من قبل عمال البناء الذين يعانون أزمة وبطالة ، بسبب أن النشاط فى مجال التشييد والبناء كان نشاطا اقتصاديا زائفا يعتمد على القروض ، فلما أوقفت القروض ، توقف النشاط الاقتصادى فى سبتمبر واكتوبر ١٩٧٣ واغلبها كان موجها للبناء، وكانت ايام بطالة مريرة بين عمال البناء .

وجاءت مشاركة الفلاحين ، بانتقال فلاحى قرية ميلارا من قريتهم الى البوليتكنيك ليطالبوا بأرضهم . فأرض القرية ملكت للمالى الكبير اندريادس بموجب قانون خاص اصدرته الديكتاتورية ، ليوسع مصفاة البترول التى يمتلكها فى ميلارا . وقاوم الفلاحون ، ورفضوا تسليم الارض المزروعة ، ولكن اندريادس ارسل جرارات دخلت الحقول ودمرت كل شئ فى يومين ، حيث اقتلع أكثر من ٣٥٠٠ شجرة زيتون .

وكما اندفعت اعداد كبيرة من نساء اثينا مشتركة فى الاحداث وبطريقة لم تكن متوقعة .

وهكذا جاء يوم ١٦ نوفمبر ١٩٧٣ ، وفى البوليتكنيك جماهير الطلبة ، العمال ، الفلاحون ، النساء ، وتشكلت لجنة مشتركة من الطلبة والعمال والفلاحين ، وتكونت لجان خاصة ، ولجان لحماية

المعامل والمكتبات ، ولجان لتوفير الغذاء وللدعاية وللرعاية الطبية . واقيمت محطة اذاعة غطت كل اثينا وبعض ضواحيها .

وتطور الوضع خلال ساعات وخرج كل سكان أثينا ليشاركوا في حركة البوليتكنيك ، وبدأ الجميع يساعدون الحركة ، ادبيا وماديا ـ بالمال والمواد الطبية والطعام والسجاير .

وفي يوم الجمعة ١٧ نوفمبر ١٩٧٥ ـ تطورت الحركة وتصاعد مدها ، وكان على الجونتا اما ان تضرب الحركة بشدة ، او أن تفقد كل شيء . وفي المساء بدأ البوليس في القاء القنـــابل المسيلة للدموع ، ولم يتفرق الشعب ، سقط العديد من الضحايا قتلى وجرحى ـ بدأ الاهالى في التفرق ، وفي الساعة الحادية عشرة ونصف جاء الجيش وحاصر البـوليتكنيك بـالمدرعات ، واختـرقت المدرعات البوابة الرئيسية ، وانهمر الرصاص ، وسقط حوالى ١٥٠ قتيلا واكثر من الف جريح واعتقل أكثر من الفين .

ولكن لم تمض اكثر من سبعة ايام على هـذه الحوادث حتى حاولت الديكتاتورية أن تغير من قيادتها ـ فكانت حركة ٢٥ نوفمبر ـ في محاولة لاطالة عمر الديكتاتورية العسكرية واعطائها شكلا شبه مدنى .

ولكن لم يمض عـــام حتى كانت عـــودة الديمقراطية البورجوازية في يوليو ١٩٧٤ .

شهادة من قيادة الشباب عن الثـوريين جـدا !

تواجه حركة الشباب ـ في مسيرتها ، مخاطر من قبل عناصر ومجموعات مغامرة ، تـرفع شعارات ثورية ، وتبالغ في تطرفها ، ورغم انها لا تمثل قوة جماهيرية فعالة الا انها دائما تضر بالتطور الثورى والديمقراطى ، كما وأنها تضلل الجماهير المتخلفة وتشوه موقف اليسار اليونانى ، ومن هذه المجموعات اتجاهات ماوية ـ مثل منظمة الماركسيين اللينينيين اليونانيـــة ، والحـــركة الشيوعية الثورية اليونانية ، وكذلك منظمـــات مرتبطة بالتروتسكيين ، ويتركز نفوذ هذه العنـــاصر بين الطلبة ـ وان كان ضعيفا ـ وهو منعدم تقريبا في الاوساط العمالية . وهم دائما ينشطون عندما يكون الوضع هادئا ، ويبدون وكأنهم ثوريون جدا ، ولكن عندما تجد الامور ينسحبون ـ فمثلا خـــلال احداث البوليتكنيك اظهروا عضلاتهم الثورية في البداية ورفعوا شعار اعلان الاشتراكية فورا ، ولكن سريعا ما اختفوا عندما جد الجد .

والعناصر المادية على صلة مباشرة بمجموعات مغامرة في المانيا الغربية ، وتتلقى منها دعما ماليا كبيرا ، بل ان عناصر المانية غربية تعمل معهم في اليونان .

وخلال الاحداث الاخيرة التى قام بها عناصر استفزازية في ٢٢ يوليو الماضى ، لتخريب حركة عمال البناء اشتركت هذه العناصر ، في الاعمال الاستفزازية والتخريبية التى قام بها عمـــلاء البوليس والجونتا ، والمنظمات الفاشيستية .

وتمثل المنظمات الفاشيستية خطرا ارهابيا مدمرا ، وخاصة انها تلقى تأييد ومساندة المخـــابرات المركزية الامريكية وجهات هامة في جهاز الدولة اليونانى ـ ومن هذه المنظمات الفاشيستية :

منظمة الرابع من اغسطس ـ نسبة الى ٤ اغسطس ١٩٣٦ عندما حكم اليونان الديكتاتور ميتاكاس الموالى للالمان . وعلى رأس هذه المنظمة ـ بلبفريس ، وكانت تتلقى العون من ليبيـا ، ومن العناصر الفاشية التى كثر ترددهـــا على ليبيـــا وكذلك ناستوليس .

ومنظمة النظام الجديد ـ وهى فرع للمنظمة الفاشيستية الايطالية ، ومرتبطة بأجهزة الدولة والامن ، وتقيم هذه العناصر الفاشية علاقاتها مع بعض البلدان العربية على أساس أنها معادية لليهود . والحقيقة أنها عناصر تمثل خطرا على الديمقراطية وعلى حركة التحرير الوطنى في حوض البحـــر الابيض والشرق الاوسط .



ربما كان أصدق وصف للمقالات التى نعالجها — فى هذا العدد — فى باب الرأى والرأى الاخر انهـا تتناول مشاكل — هى بطبيعتهـا — مشاكل راهنة ومطروحة على الارض الواقع ، بقدر ما هى مثار جدل وآراء واجتهادات مختلفة . مثلا :

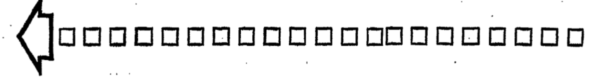
● قضية المؤتمرات الاسلامية التى تعقد فى بعض البلاد الاجنبية ؟ ما الرأى فيها ، وما الاهداف الحقيقية التى تستهدفها . وفى هذا يكتب د. محمد أحمد خلف الله .

● قصة الفضائح الاخيرة التى ثارت فى بعض كليات الجامعـة ؟ ما وزنها واين تقع من المشاكل الحقيقية للجامعة وما هى هذه المشاكل الحقيقية . وفى هذا يكتب د. عبد العظيم أنيس .

● قضية وجود او التسليم بحوار « عربى — اسرائيلى » فى هـذه المرحلة من مراحل كفاحنا وقضايا هذا « الحوار » والموقف الذى يتخذ منه وفى هذا يكتب د. حامد ربيع .

● قصة المؤتمرات التى تعقد فى بلادنا للفلاحين . ما هو مردودها الحقيقى ومساهمتها الفعالة فى حل المشاكل المطروحة عليها . وفى هذا يكتب د. محمد أبو مندور الديب .

● وأخيرا قضية « دولة المؤسسات » والمشاكل التى كان قد طرحها على صفحات الطليعة من قبل د. محمد حلمى مراد ، بعض هذه القضايا الرئيسية يناقشها ويعارضها د. محمد عامر .



مؤتمرات اسلامية على الطريقة الأمريكية

ان يدعو العلماء والمتخصصون فى علوم الدين والدراسات الاسلامية الى عقد ندوات ومؤتمرات متخصصة ، فهذا أمر مطلوب وواجب . ولكن ان تحيط ببعض هذه المؤتمرات والندوات مساع وانشطة أجنبية تحاول أن تستفيد منها لاغراض سياسية فهذا ما يجب التنبه اليه والحذر منه . وفى هذا يكتب د. محمد احمد خلف الله .

د. محمد أحمد خلف الله *

لا يزال الاستعمار يلعب لعبته القديمة ويطرح القضية الاسلامية فى مواجهة القضية العربية اعتقادا منه بأن الاولى بما لها من سلطان دينى قادرة على التفوق على الثانية مهما يكن امر تلك الروابط القومية التى تستند اليها الفكرة العربية .

كان الاستعمار البريطانى هو السابق فى هذا الميدان ، ثم جاء الاستعمار الامريكى من بعد فسار فى نفس الطريق ولكن باسلوب آخر تقتضيه ظروف العصر .

دعا الاستعمار البريطانى الى الوحدة الاسلامية فى مقابلة الوحدة العربية ، ودفع باعوانه الى الميدان يروجون للفكرة ويطلقونها شعارا من الشعارات التى تستقطب الجماهير العربية ، واندفع العرب الطيبو القلب من وراء الفكرة بدون وعى وبدون ان يدركوا انها لعبة استعمارية .

* دكتور محمد احمد خلف الله : تخصص فى الدراسات العربية ، ونال درجات الماجستير والدكتوراه فى موضوعات قرآنية بحتة — تدرج فى وظائف الدولة وكان آخر منصب شغله منصب وكيل وزارة الثقافة — له كتب عديدة تقرب من الخمسة عشر كتابا اشار الى بعضها فى صلب المقال لاتصالها المباشر بالموضوع .

□□□□□□□□

وراح القوميون من العرب يبينون للناس ان لا تعارض بين هذه وتلك ، وان الوحدة العربية ليست الا الخطوة الاولى والخطوة الرئيسية في سبيل الوحدة العربية .

ان العرب هم الذين حملوا الاسلام الى مختلف أرجاء الارض ، وهم القادرون اليوم على رفع رايات الحرية والوحدة والاشتراكية الى مختلف أرجاء الارض .

انهم في موقف يعدون فيه انفسهم بالوحدة الى صنع الحياة في مجتمعهم ، والى دعوة بقية المسلمين الى احتذائهم باعتبارهم القوى البشرية التي حملت اليهم الاسلام من قبل .

وحين أخذ الاستعمار البريطاني يذيع بين ابناء الامة العربية انهم ليسوا جميعا من ابناء العروبة ، وان منهم المستعربة من الاشوريين والفينيقيين والفراعنة ، راح القوميون من العرب يرفضون هذه الاذاعات ويردون عليها بان هذه البلدان عربية بالاستعراب شأنهم في ذلك شأن محمد عليه السلاة النبي العربي الذي انحدر من العرب المستعربة وليس من العرب العاربة ... وان الاستعراب في حالتهم لم يكن لعوامل دينية وانما كان لعوامل اجتماعية .

لقد دخل الاسلام بلدانا عديدة لم تتعرب جميعها وانما تعرب بعضها وبقى البعض الاخر على حالته الاولى .

ان البلدان التي تعربت هي البلدان التي استقر فيها العرب بعد نشرهم للاسلام . وان البلدان التي لم تتعرب هي البلدان التي دخلها الاسلام ولم يستقر فيها العرب .

ولكن شيئا من ذلك لم يمنع الاستعمار البريطاني عن لعبته ومضى في وضع الوحدة الاسلامية في مواجهة الوحدة العربية .

لم يكن الاستعمار البريطاني مؤمنا بالوحدة الاسلامية ، ولم يكن ساعيا في سبيل تحقيقها ، فقد كان يعلم ان الدول الاسلامية المدعوة الى تحقيق الوحدة تتكون من أمم وجنسيات مختلفة ، ولها لغات مختلفة وثقافات مختلفة ، وتمارس الحياة بتقاليد وعادات مختلفة ، وان ذلك كله يجعل تحقيق مثل هذه الوحدة من الامور المستحيلة — وعلى الرغم من كل هذا استمر في لعبته .

لقد كان كل مايهم الاستعمار ان يستثمر الفكرة الاسلامية باعتبارها الاقدر على جذب الابصار والاسماع واستقطاب الافئدة والقلوب من الفكرة العربية ، وانها بهذه القدرة كفيلة تصرف العرب عن الوحدة العربية ، وعن الاهداف القومية المتمثلة في الحرية والاشتراكية الى جانب الوحدة .

ومن أجل ان يتحقق له ذلك دفع الى الميدان بعامل مساعد لايزال له خطره حتى اليوم .

لقد عمد الاستعمار الى تجسيد الفكرة العربية النظرية في واقع عملي ودعا الناس الى الالتفاف من حوله . وكان هذا التجسيد هو جامعة الدول العربية .

واخذ اعوانه يذيعون بين الناس في طول البلاد وعرضها أن هذه الجامعة هي التي ستحقق الوحدة .

وفطن القوميون الى ذلك ، واعلنوا في صراحة تامة أن هذه الجامعة تمثل الحكومات لا الشعوب . وانها بتمثيلها للحكومات قد وضعت حجر الاساس في استمرار الاقليمية .

ان القومية انما تستهدف اولا وقبل كل شيء القضاء على التجزئة . القضاء على الاقليمية . ومن شأن الجامعة الحفاظ على الاقليمية . ومن هنا كان ذهابهم الى ان هذه الجامعة لايمكن أن تحقق الوحدة .

ولقد رحل الاستعمار البريطاني بعد ان وضع اللعبة في ايدي الامريكان — المستعمرين الجدد . وبعد أن هيأ التربة وبذر البذرة لقيام اسرائيل لكي تكون مانعا صناعيا ضخما من موانع تحقيق الوحدة العربية .

• • •

تلقف الاستعمار الامريكي اللعبة ، وعمل على ان يصطنع العلمية ويعتمد على المؤسسات العلمية الى جانب اعتماده على المؤسسات السياسية . واتخذ من المؤتمرات العلمية والندوات الدراسية وسيلته الى ذلك .

وجرب الاستعمار الامريكي صيغا علمية عديدة ومختلفة .

جرب قيام المؤتمرات والندوات في الدول التي قامت على أساس ديني واتخذت من الاسلام نظاما لممارسة الحياة اليومية والعامة ، كما حدث في باكستان .

وجرب قيام المؤتمرات في الدول العلمانية التي لم تنص دساتيرها على دين رسمي للدولة ، والتي تقع فيها جامعات امريكية تهتم بالدراسات العربية والاسلامية كما هو الحال في لبنان .

ثم عمد الى تجربة مثيرة هي قيام المؤتمرات في الجامعات الامريكية التي تتسع في الولايات المتحدة الامريكية .

ووجه الاثارة فى هذه التجربة الاخيرة ان الاستعمار الامريكى قد كشف عن وجهه القناع واخذ يعمل فى العلن لا فى الخفاء ، وانه بذلك جعل المؤتمرات الاسلامية تعقد على الطريقة الامريكية وليس على الطريقة الاسلامية .

ولقد وصفت الصفحة الدينية من اهرام الجمعة التاسع والعشرين من اغسطس الماضى هذا المؤتمر وكشفت لنا عن كل شىء فيه تقريبا .

وقد يكون من المفيد لنا وللقارىء تلخيص هذا الوصف الذى جادت علينا به الاهرام فى دقة وصدق لنستعين به فى تقييمنا لهذا المؤتمر ، وفى الكشف عن الكيفية التى جعلت من هذا المؤتمر الاسلامى مؤتمرا على الطريقة الامريكية .

ورد فى الصفحة الدينية من الاهرام المشار اليه ما يلى :

١ — يبدأ اليوم فى جامعة توليدو بولاية اوهايو الامريكية المؤتمر السنوى لاتحاد الطلبة المسلمين فى الولايات المتحدة وكندا .

ويناقش هذا العام قضية الدولة الاسلامية ، ومقومات بنائها ، وامكانات قيامها — الان .

٢ — يشترك فى هذا المؤتمر ١٥٠٠ من الباحثين الذين حصلوا على الدكتوراه من الجامعات الامريكية وكندا ، والذين استوطنوا هناك .

كما يشارك فيه عدد كبير من المهتمين بالدعوة الاسلامية من مختلف انحاء العالم .

ولقد حرصت سكرتارية المؤتمر على تمثيل كافة الاتجاهات المؤيدة والمعارضة .

وعلى ذلك فانه بالاضافة الى الباحثين المسلمين المقيمين والمدعوين من الخارج ، سوف يشترك فى المناقشة بعض رجال الدين المسيحى .

٣ — تتناول مناقشات المؤتمر الموضوعات التالية :

[أ] دراسة طبيعة وشخصية المجتمع الاسلامى الذى يراد انشاؤه .

[ب] تحديد المنهج الاسلامى المطلوب ، وتعريفه ، وطرح فلسفته .

[جـ] التحديات الداخلية والخارجية التى تواجه الدعوة الاسلامية .

[د] مسح للحركات الاسلامية المعاصرة : اهدافها ، ومنظماتها ، والمناهج المختلفة التى تطرحها لتحقيق اهدافها .

[هـ] دراسة المجتمعات الانسانية المعاصرة مسلمة وغير مسلمة — من الجوانب الايديولوجية والثقافية ، ومن ناحية معالجتها لمشكلات التغيير الاجتماعى .»

٤ — تستهدف مناقشات المؤتمر تحقيق غرضين اساسيين :

[أ] وضع صيغة تحدد كيفية ومراحل بناء الدول الاسلامية فى الظروف العالمية الراهنة .

[ب] تقديم نموذج عصرى للدولة الاسلامية الى جماهير المسلمين حيث لايزال بعد هدفا بعيد التحقيق .»

• • •

وعلى الرغم من هذه العملية المصطنعة يسهل الكشف عن الطريقة الامريكية فى عقد هذا المؤتمر ، وفى تقييم كل ما يمكن ان يصدر عنه من مقررات وتوصيات .

ونبدأ بالحديث عن مكان انعقاد المؤتمر . انه جامعة من جامعات الولايات المتحدة الامريكية .

وليس يصح فى الاذهان أن يعقد مؤتمر اسلامى يعالج القضايا الاسلامية الكبرى فى بلد ليس للمسلمين فيه اى سلطان .

ان الاسلام ديانة عالمية . والذين لم يدخلوا فى الاسلام يعتبرون من الرافضين لهذه الديانة ومن غير المؤمنين بها . والرفض وعدم الايمان يجعل الرافضين غير المؤمنين من الاعداء .

ان امريكا من وجهة النظر الدينية البحتة دار حرب او دار كفر ، وليست تصلح أبدا أن تكون مكان عقد مؤتمر اسلامى يعالج قضية كبرى من قضايا المسلمين .

وأحب أن يحاول القارىء تبين موقفه من مؤتمر اسلامى يعقد فى روسيا ، وفى جامعة من جامعاتها .

أيعتبره مؤتمرا اسلاميا حقا ، أم يعتبره مؤتمرا اسلاميا على الطريقة الروسية ؟

قد تكون روسيا مرشحة لمثل هذا المؤتمر أكثر من أمريكا ، وذلك بسبب :

ان فى الاتحاد السوفيتى أكثر من عشرين مليونا من المسلمين .

وان هؤلاء المسلمين يقطنون فى ولايات كانت فى يوم من الايام جزءا من الدولة الاسلامية .

وأن فى هذه الولايات من المدن الاسلامية ما لعب دورا هاما فى التاريخ الحضارى للامة الاسلامية مثل : بخارى ، وسمرقند ، ومرو ، وطشقند ، وداغستان ، وأذربيجان ، وقزوين ، وغيرها كثير .

وان من هذه المدن الاسلامية رجال قادوا الحركة الفكرية : الدينية والفلسفية من أمثال البخارى والفارابى .

ان هذه البقعة من الارض توفر مناخا اسلاميا كهذا المؤتمر لا يمكن أن توفره اية ولاية أمريكية ..

ومع كل ذلك فنحن نرفض أن يعقد فى أى منهما مؤتمر يعالج القضايا الكبرى لجماعة المسلمين ..

ان السلطان هنا وهناك لغير الاسلام .

والدار هنا وهناك من وجهة النظر الدينية دار حرب أو دار كفر ...

● ● ●

ونثنى بالداعين لهذا المؤتمر والمشاركين فى الجدل والحوار ، وفى اصدار التوصيات والقرارات .

انهم ، فيما يحكى الخبر من جماعة المستوطنين = أى من المسلمين الذين اتخذوا من أمريكا وطنا ثانيا لهم ، ومن المسلمين الذين يمارسون حياتهم اليومية بالاساليب الامريكية وليس بالاساليب الاسلامية . ومن الذين لا تأذن لهم أمريكا بأى حال من الاحوال ان يتخذوا من القرارات والتوصيات الاسلامية ما يمكن ان يكون من الاساليب التى تمارس بها الحياة فى امريكا .

انهم يتخذون من القرارات والتوصيات ما يمكن تصديره الى الخارج — أى الى البلاد الاسلامية التى تقع خارج امريكا .

وهنا نلحظ ايضا ان الاتحاد السوفيتى افضل بكثير من الولايات المتحدة .

فقد يدعو الى المؤتمر المواطنون لا المستوطنون .

وقد يتخذون القرارات والتوصيات لانفسهم لا للتصدير .

انهم يمارسون حياتهم اليومية على اساس من التقاليد والعادات الاسلامية ، الامر الذى يجعلهم قادرين على اصدار القرارات والتوصيات من أجل انفسهم .

ومع كل ، فنحن نرفض المؤتمر الذى يقام هنا كما نرفض المؤتمر الذى يقام هناك بسبب ذكرناه من قبل وهو أن السلطة العليا فى روسيا ، وفى امريكا لغير الاسلام .

ومن العجيب حقا أن يدعى للمناقشة فى المؤتمر جماعة من غير المسلمين .

ولكن الم نقل من قبل انه مؤتمر اسلامى على الطريقة الامريكية .

● ● ●

والموضوعات المطروحة للمناقشة قد درست بعناية فائقة بحيث تكون فى الظاهر خدمة للمسلمين ، وفى الباطن وفى حقيقة الامر خدمة للمخابرات المركزية الامريكية وللمجتمعات الرأسمالية .

فعملية المسح للحركات الاسلامية المعاصرة لا تصلح أن تكون موضوعا من موضوعات المؤتمر تتخذ فيه القرارات وتصدر بشأنه التوصيات ، فانما هى عملية تاريخية ينتهى فيها الباحث الى نتائج هى من الحقائق العلمية التى لا تقبل ان تكون موضوعا لقرارات وتوصيات .

ان المؤتمر انما يستثمر على انه الوسيلة لمعرفة كل ما يتصل بهذه الحركات الاسلامية . معرفته خدمة للمخابرات المركزية .

انه ، عن طريق المؤتمر ، تستطيع المخابرات المركزية الحصول على كل ما تحتاج اليه من معلومات — وبخاصة من القيادات الفكرية وجميع الاعضاء .

وعن طريق هذه المعلومات تستطيع المخابرات دراسة الافراد من حيث الميول الشخصية وما يمكن التأثير به من مغريات .

وعن طريق ذلك تستطيع جذب الاعوان اليها وتوجيههم الى ما تريد .

وبذلك كله تتمكن من توجيه الحركات الاسلامية الى حيث الاغراض التى ترغب فيها .

ان التنظيمات الدينية والحركات الاسلامية سوف تمضى فى الطريق المرسوم لها ، وهو طريق ترسمه المخابرات المركزية على اساس من كل هذه المعلومات التى سوف تحصل عليها سكرتارية المؤتمر والتى سوف توضع فى الجامعة لتكون تحت بصر وسمع كل من يهمه الامر .

ان المؤتمر انما يعقد من أجل امكانية قيام الدولة الاسلامية وليس من أجل جمع المعلومات من الحركات الاسلامية والتنظيمات القائمة على أمرها .

ومن المتوقع أن يكون صوت العملاء فى الوقوف الى جانب الاسلام أعلى من صوت المسلمين الطيبين المخلصين . ان ارتفاع الصوت هنا له ثمنه .

وأهداف المخابرات المركزية فيما نعلم أهداف أمريكية وليست اسلامية بحال من الاحوال .

● وموضوع دراسة المجتمعات الانسانية المعاصرة من الجوانب الايديولوجية والثقافية ، ومن ناحية معالجتها لمشكلات التغير ...

ان هذا الموضوع انما يخدم فى الحقيقة المجتمعات الرأسمالية . فنحن نعلم جميعا ان المجتمعات الانسانية يمكن تصنيفها من حيث الايديولوجية والثقافة ومعالجة مشكلات التغير فى مجموعات ثلاث :

الاولى ـــ مجموعة الدول الغربية التى تمارس حياتها على اساس من النظم الرأسمالية .

الثانية ـــ مجموعة الدول الشرقية التى تعالج قضايا الحياة ومشكلاتها على اساس من النظرية الاشتراكية .

الثالثة ـــ مجموعة دول العالم الثالث ـــ وهذه لا تزال تتحسس طريقها بين الشرق والغرب .

وهذه المجموعة الاخيرة لا تترك لحالها ، وانما يحاول كل من الغرب والشرق ان يجذبها اليه وييسر لها سبل الاخذ عنه .

والمؤتمر الاسلامى الذى يعقد فى أمريكا ليس الا الوسيلة لجذب العالم الاسلامى الى نظم المجموعة الرأسمالية . فليس من المعقول أبدا ان يؤذن لهذا المؤتمر ان ينتهى الى نظام اسلامى له علاقة قوية وروابط عديدة بالنظم الاشتراكية .

ان القرارات والتوصيات التى تصدر عن هذا المؤتمر ستكون حتما من القرارات التى تؤكد الروابط بين الاسلام والرأسمالية . ويعني ذلك ان يقبل المسلمون على النظم الرأسمالية يأخذون منها ما يلبى متطلبات الحياة فيها ، وما يعالج مشكلات هذه الحياة ويقدم لها الحلول .

وهكذا نرى أن هذا الموضوع قد رسمت له السبل التى يسلكها والغايات التى ينتهى اليها .

وسوف يكون مما ينتهى اليه المؤتمر الذهاب الى أن الاشتراكية تتعارض مع الديانة الاسلامية ، وأنها لا تصلح أن تكون نظاما تمارس به الحياة فى المجتمعات الاسلامية ، وانه من هنا يجب معارضتها ويجب الانصراف عنها .

ان عقد المؤتمر ، فى هذا الوقت بالذات ، وفى الارض الامريكية ، لا يقصد منه الا الوصول الى ضرب كل من الاشتراكية والوحدة العربية فى وقت معا . ولكن هيهات هيهات .

ان الوحدة العربية ، وان الاشتراكية ، من الاهداف الكبرى للامة العربية ، ولا يتعارض أى منها مع الاسلام .

لقد كان الهدف الذى تحقق بنزول القرآن وايمان المسلمين بكل ما جاء به القرآن هو الذى حقق الوحدة الفكرية والتماسك الاجتماعى فى الجزيرة العربية ـــ اى انه الذى أوجد الوحدة العربية .

ولقد ورد فى القرآن الكريم ما يؤكد هذه الحقيقة حين وجه القول الى العرب « واذكروا اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم » وحين قال لمحمد عليه السلام : « لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم » .

لقد كانت الوحدة العربية هدفا رئيسيا ، ولم تتحقق هذه الوحدة الا على اساس من القضاء على النظام الاجتماعى القبلى .

ولقد كانت المفاهيم الاشتراكية واضحة منذ اللحظات الاولى فى الدعوة القرآنية ، وبرزت بروزا عمليا فى الوقوف الى جانب الفقراء والمساكين والمستضعفين وضد الظالمين والمستكبرين .

ان العدل فى كل صوره هدف قرآنى أصيل ، وليس العدل الاجتماعى الا صيغة من صيغ العدل الذى يجب أن يحققه المسلمون .

ولقد كان المسلمون الاولون يسمون دار الاسلام بدار العدل ـــ اى الدار الذى يجب أن يتحقق فيها العدل .

• • •

ونشير هنا اشارة لابد منها هى : ان كل هذه الموضوعات التى طلب الى المؤتمر أن يدرسها وينتهى الى قرارات أو توصيات فيها ، قد درست من قبل ، وشارك كثير من المفكرين المسلمين فيها . ولقد كان لى شرف المشاركة فكتبت فى ذلك المقالات واخرجت فى ذلك الكتب .

لقد كتبت كتابا عن « القرآن والدولة » ، وكما هو واضح من عنوانه نص فى الموضوع . وانتهيت الى أن مسألة التنظيم الادارى للدولة مما ترك لجماعة المسلمين يختارون فى كل عصر من النظم ما يلائم حياتهم فى الوقت الذى يعيشون فيه حتى لا تجمد الامة الاسلامية فى نظام ادارى واحد .

ان ربط التنظيم الادارى بالدين يجعلنا نقف عند صيغة تنظيمية واحدة مهما تتغير الازمنة وتختلف الامكنة .

وهذا هو الجمود بعينه .

□□□□□□□□

وكان مما انتهت اليه أن وظيفة الدولة فى القرآن الكريم هى تحقيق الصالح العام على أساس من الحق والعدل .

والصالح العام انما يتحقق بدفع الضرر عن جماعة المسلمين وجلب النفع لهم .

وكان مما اخرجت ايضا كتاب « هكذا يبنى الاسلام » وفيه توضيح لمنهج الاسلام فى تنمية الفرد وتنمية المجتمع . وكيف ان القيم القرآنية فى ذلك هى القيم التى نادت بها الاشتراكية فيما بعد ..

كما عالجت مشكلات عصرنا الحاضر فى كتاب مستقل اسميته « القرآن ومشكلات حياتنا المعاصرة » .

والى جانب ذلك عالجت قضية التغير وقضية المعارضة فى كتابين :

أحدهما : ــ القرآن والثورة الثقافية .

والثانى : ــ محمد والقوى المضادة .

ولقد فعل كثيرون غيرى ما فعلت وقدموا من الدراسات ما يوضح موقف الاسلام من كثير من جوانب حياة المسلمين السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتربوية . وما الى ذلك .

واذا كانت العوامل الاقتصادية هى التى تلعب الدور الاول فى حياة المجتمعات المعاصرة ، وبخاصة فى مجتمعات العالم الثالث ، فانا نكتفى هنا بذكر لبعض الدراسات التى تتناول هذا الجانب بالذات .

والدراسات هى :

«المدخل الى الاقتصاد الاسلامى» لمحمد شوقى الفنجرى « الاسلام والنظريات الاقتصادية » لابراهيم محمد اسماعيل « الاسلام والاقتصاد » لاحمد الشرباصى « بناء الاقتصاد فى الاسلام » لزيدان ابو المكارم « المبادىء الاقتصادية فى الاسلام » لعلى عبد الرسول « الموارد المالية فى الاسلام » لابراهيم فؤاد احمد على «النظام المالى فى الاسلام» لعبد الخالق النواوى «الانفاق العام فى الاسلام » لابراهيم فؤاد احمد على « الملكية فى الاسلام » للسيد ابو النصر احمد الحسينى « الملكية فى الشريعة الاسلامية » لعلى الخفيف «ملكية الاراضى فى الاسلام» تحديد الملكية فى التأميم ــ لمحمد عبد الجواد محمد « التأمين وموقف الشريعة منه » لمحمد السيد الدسوقى « التعاونية فى الاسلامية » لمراد محمد على « الاشتراكية فى الاسلام » لمحمد السعيد « مبادىء الاشتراكية فى الاسلام » للسعيد الشربينى « الاسلام دين الاشتراكية » لعبد الرحمن ايوب « اشتراكية الاسلام » لمصطفى السباعى « نظرة الاسلام الى الربا المشكلة وحلها » لمحمد بن محمد ابو شهبة ..

وتبقى بعد ذلك كلمة عن هذه الدولة الانموذج :

ان هذا الانموذج سوف يصنع فى أمريكا ، وصانعوه كما هو المقرر أعضاء المؤتمر ..

هذا المؤتمر لن يدعو أمريكا لان تكون الدولة الاولى التى تمارس فيها الحياة على أساس من هذا الانموذج لتضرب للناس المثل فى ذلك وتطلب اليهم احتذاء هذا الانموذج .

ان أمريكا لا يمكن ان تستجيب لهذه الدعوة مهما يكن الامر لانها تنظر الى الدول التى تقيم نظمها السياسية والاقتصادية والاجتماعية على أساس دينى ، على انها من الدول المتخلفة .

وتعتبر أمريكا ايضا النص على أن للدولة ــ اى دولة ــ دينا رسميا فى مقدمة دستورها علامة من علامات التخلف .

لا تقبل امريكا ، ولا اية ولاية من ولاياتها ، ان تكون هذا الانموذج الذى يحتذى فى البلاد الاخرى .

ان هذا الانموذج مصنوع للتصدير .. التصدير لاية دولة اسلامية .

ترى ما هى الدولة الاسلامية التى سوف تصلح لان تكون هذا الانموذج وتقبل استيراد هذا الانموذج أو تصديره اليها على الرغم منها .

أما أنا فلست أدرى شيئا عن هذه الدولة ، وليس يعنينى ان أبحث عنها لانى أعرف فى يقين ان المطلوب من هذا المؤتمر ان يصنع هذا الانموذج ــ يصنعه فقط .

ليس المطلوب ان تكون هناك دولة أنموذج ، وانما المطلوب أن يكون هناك أنموذج يوضع فى ايدى العملاء فى كل دولة اسلامية ، يوضع من أجل ان يكون الهدف المرتقب الذى لايمكن أن يتحقق .

ان العملاء سيلوحون به فى وجه الاشتراكية والوحدة العربية لصرف الناس عنهما ــ وهو القادر على ذلك .

انه مؤتمر اسلامى على الطريقة الامريكية ..

عن الجامعة والفضائح الحقيقية

د. عبد العظيم أنيس

قضية اصلاح الجامعة هي قضية سياسية في المحل الاول ، وكل حديث آخر عن مشكلات جزئية تطفو على السطح لا يؤدى الى الاصلاح الحقيقى والجذرى .

عادت الصحافة وفتحت « ملف الجامعة » من جديد ، بمناسبة ما نسب الى الدكتورة نازلى اسماعيل رئيسة قسم الفلسفة فى آداب عين شمس من تدخل فى نتيجة امتحان هذا العام بهدف تغيير تقدير أحد الطلاب الذين تختلف الدكتورة معهم فكريا ، وبمناسبة قصة استاذ اللغة الانجليزية فى كلية التربية بجامعة عين شمس الذى حاول أن « يساوم » احدى طالباته على درجة اعمال السنة مقابل علاقة غرامية !

ولا شك ان الواقعة الاولى — ان صحت — تدعو الى الاسف ، كما أن الواقعة الثانية تدعو الى الخجل ، والواقعتان بكل ما صاحبهما من ذيول قد هزتا القسم من الرأى العام الذى يهتم بالجامعة وزعزعتا ثقته فيها أكثر من أى وقت مضى .

ولكن ... ما أريد أن أقوله أولا ، هو أن الناس لا يدركون أن أحداثا من نوع الواقعة الثانية تقع فى الجامعة وتطفو على السطح كل عدة سنوات منذ زمان قديم جدا ، وقد لا يعرف الناس — أو قد ينسى بعضهم — ان استاذا مساعدا فى كلية التجارة بجامعة عين شمس قد اجبر على الاستقالة سنة ١٩٦٧ لقصة مماثلة ، وان مدرسا بكلية العلوم بجامعة القاهرة قد فصل عام ١٩٥٧ لنفس الاسباب بعد تحقيق طويل ومجلس تأديب ، وان الثورة فصلت عام ١٩٥٣ أستاذا بآداب القاهرة فى حركة التطهير بسبب شكوى طالباته من تصرفاته الخلقية .

ومن المؤكد أن أحداثا من هذا النوع هي أحداث فردية ولا تمس السمعة الطيبة للغالبية الساحقة من اعضاء هيئة التدريس . وقد يكون نصيب الجامعة فى هذا الصدد أقل من نصيب مجالات أخرى من العمل الوطنى ، كالصحافة والاذاعة والتليفزيون وشركات القطاع العام وهيئات الحكومة .

ودون الرغبة فى تجاهل مثل هذه الواقعة ، فلا ينبغى ان تنفخ فيها الصحافة بالزور وتدق لها الطبول وتبالغ فى أهميتها وتصورها هذا التصوير « البوليسى » الغريب حتى لا تطغى هذه المشاكل المحدودة القيمة والدلالة على المشاكل الرئيسية — او ان شئت الفضائح الحقيقية — فى ملف الجامعة المفتوح هذه الأيام .

أما الواقعة المنسوبة الى الدكتورة نازلى اسماعيل — ان صحت — فهى هامة لا لانها شيء واسع الانتشار فى الجامعة ، وانما لما تمثله من صراع فكرى واضح بين أساتذة الفلسفة بكلية الاداب ينعكس على طلابهم ويستقطبهم . وهو صراع بين تيارين فكريين فى داخل قسم الفلسفة : تيار اليمين والمحافظة ، وتيار اليسار والليبرالية الذى يمثل اتجاه التقدم او هو صراع يمضى مكتوما فى مجالات جامعية مختلفة [ولا سيما فى الكليات النظرية] وقلما يعطى الفرصة للتعبير عن نفسه بأمانة وفى نظافة ، ومن هنا يمضى فى قنوات شخصية أكثر مما هى موضوعية . وفى غالب الامر تبقى الغلبة فى هذا الصراع لليمين لان القيادات العليا فى الجامعات هى فى طابعها العام محافظة ، عدوة للتغيير ، تخشى الشباب ، تكره الديمقراطية ، تجيد بطبعها كلمة « نعم » ،

□□□□□□□□

حريصة على مظهر الجامعة اكثر مما هي حريصة على مضمون رسالتها ،تكره « المشاكل» وتعتبر أن التمرد الفكرى على ما هو سائد من قيم وأفكار فى الجامعة شذوذ لا مبرر له ! وهذه القيادات يدخل فى روعها أن السلطة اذ تعينها بقرارات جمهورية ، فان السلطة تريد ان تطمئن الى أن ماتريده سياسيا سوف ينفذ فى الجامعة، وماتحبه فكريا سوف يجد القبول الشكلى على الاقل . هذا طبعا حكم عام وان كان له استثناءات محدودة .

اما مأساة الجامعة الحقيقية — أو قل فضيحتها الحقيقية — فهى انها لا تؤدى رسالتها كجامعة ! واذا كانت رسالة الجامعة الاولى هى تعليم الطلاب بعض ما فى المذكرات والكتب فلا شك ان الجامعة تؤدى بشكل ما هذه الرسالة . اما اذا كانت رسالة الجامعة الاساسية هى « البحث عن الحقيقة» عن طريق النقاش الحر ، عن طريق التجربة المعملية ، عن طريق التأمل ، والتأليف وتدريب الطلاب على طرائق البحث فلا شك أن جامعاتنا من أفشل ما رأيت من جامعات فى هذا العالم ؟ وفى بحوث العلوم الانسانية فلا بد من توفر مناخ ديمقراطى فى الجامعة لكى تتقدم ، وفى بحوث العلوم الطبيعية والهندسية فلابد من اندفاع فى التنمية الصناعية والزراعية وتحقيق رابطة وثيقة بين الجامعة وقطاعات الانتاج اذا أريد لهذه البحوث أن تتقدم حقا . وكلا الشرطين غير متوفر فى الجامعة اليوم ، فلا المناخ الديمقراطى متوفر لتحقيق تقدم فى بحوث العلوم الاجتماعية والانسانية ، ولا توجد رابطة وثيقة بين الجامعة وقطاعات الانتاج حتى يتحقق تقدم فى بحوث العلوم التطبيقية ، هذا فضلا عن أن اندفاعة التنمية الصناعية والزراعية التى شهدتها مصر فى الستينات قد أدركها الشلل بسياسة الانفتاح الاقتصادى فى السنوات الاخيرة .

واذا بدأنا بقضية المناخ الديمقراطى فى الجامعة محاولين مناقشتها فى تفصيل أوسع، فسوف نجد أن الجامعة كانت قبل الثورة مسرحا لصراع فكرى وسياسى طويل ، وكان هذا الصراع — فى بعض نواحيه — انعكاسا للصراع بين الاحزاب الوطنية التى تمثل قوى الشعب فى نضالها من أجل الاستقلال والديمقراطية ، وبين أحزاب الرجعية والسراى والانجليز .

وفى هذا الجو من الاحتدام الفكرى والسياسى حلقت فى سماء الفكر الجامعى أسماء لامعة كطه حسين وأحمد أمين . وكان وجه الجامعة المشرق يتمثل فى الدعوة الى الاستقلال والتقدم والاصلاح واللحاق بحضارة الغرب وتأكيد سلطة العقل ومحاربة الفكر الغيبى . ورغم أن مصر كانت محتلة فقد كان للجامعة وجهها المشرق بلا جدال .

ثم جاءت الثورة ووقعت أزمة سنة ١٩٥٤ التى كان للجامعة فيها موقف معروف . وبدلا من أن تعالج الثورة الموقف بالحكمة ، اذ بها تفصل بقرار من مجلس قيادة الثورة اكثر من أربعين أستاذا ومدرسا من جامعتى القاهرة والاسكندرية معظمهم من ذوى الاتجاهات اليسارية او الليبرالية . وكانت هذه الضربة هى نهاية الجامعة فى مصر كمكان للبحث والحوار الديمقراطى ، و « البحث عن الحقيقة » . ولعلى لا أبالغ اذا قلت ان هذه الفاجعة مسئولة مسئولية خاصة عما تعانيه الجامعة — كمكان للبحث العلمى — من فشل مستمر حتى اليوم .

منذ هذه اللحظة عرف من بقى فى الجامعة انه لا مجال لحوار علمى حر حول اى قضية اجتماعية أو سلوكية أو تاريخية من القضايا التى تبحثها الجامعات ، وان على كل استاذ أن يساير راى السلطة أو يعرض نفسه للفصل من الجامعة . ومع أن مسئولية هذا القرار تقع على عاتق مجلس قيادة الثورة ككل الا أن هناك مسئولية خاصة تقع على أكتاف السيد كمال الدين حسين باعتباره وزيرا للتربية والتعليم آنذاك ، وباعتباره صاحب فكرية محافظة ذات ميول دينية متزمتة . ولان كمال الدين حسين ظل زمنا طويلا وزيرا للتعليم الجامعى، ولانه أحاط نفسه بقيادات جامعية ذات اتجاه محافظ ، فقد بقى فشل الجامعة حيث هو ان لم يكن قد ازداد سوءا بعد أن أصبح الخوف هو العنصر المسيطر على رجال الجامعة ... الخوف من السلطة من ناحية ، والخوف من التغيير من ناحية أخرى .

ومع أن الثورة قد تطورت فى فكرها الاجتماعى والسياسى خطوات عظيمة الى الامام بعد ذلك ، وخصوصا بعد الميثاق سنة ١٩٦٢ والاصلاحات الاجتماعية والاقتصادية والتأميمات أعوام ١٩٦١ — ١٩٦٣ ، الا أن هذا التحول المبارك قد ظل بعيدا عن التأثير فى الجامعة لان الجامعات كانت قد امتلات باتجاهات اليمين

وقياداته ، واذ بالجامعة تتحول فى الستينيات الى عنصر مناوىء فكريا لاتجاهات الثورة التقدمية، مشاغب للثورة من على يمينها ! وليس ادل على ذلك من أن غالبية الجامعيين الذين اشتركوا فى مؤتمر الميثاق قد تحفظوا عليه بشكل أو آخر ، وان تقرير لجنة المسألة اليمينى كان من صنع اناس معظمهم من الجامعة !

ولقد خرج كمال الدين حسين من السلطة بعد اختلافه مع عبد الناصر حول اجراءات التأميم والاصلاحات الاجتماعية ، ولكن بقيت عقليته وبقى رجاله فى الجامعة دون تحد حقيقى حتى وصلنا فى أعوام ١٩٦٥ — ١٩٦٦ الى وضع غريب ... قيادة الثورة تشكو من نفوذ الاتجاهات المحافظة داخل الجامعة دون أن يخطر على بالها ان ضربة سنة ١٩٥٤ مسئولة الى حد كبير عن هذا الوضع ، ودون أن يخطر فى بالها أن تصحيح قرار سنة ١٩٥٤ هو خطوة اولى فى اتجاه تصحيح أوضاع الجامعة الفكرية والسياسية . وحتى عندما قررت الثورة مواجهة تحدى عدد من عناصر اليمين فى داخل الجامعات عام ١٩٦٦ [عندما كان المرحوم د . عزت سلامة وزيرا للتعليم العالى لم تلجأ الى الاسلوب السليم من طرح القضية فى ابعادها الصحيحة على الجامعيين وادارة أوسع حوار حولهما وانما لجأت فى السر الى اسلوب البتر لعدد محدود من العناصر فى كليات الطب ، الامر الذى اكسب هذه العناصر عطفا لدى اقسام من الرأى العام الجامعى . وسرعان ما ضحت الثورة بوزير التعليم العالى نفسه تحت ضغط رد فعل اليمين .

ان كثيرا مما تشكو منه الجامعة من اعراض، كاشتغال الاساتذة بتجارة الكتب قبل البحث ، وانعدام الابحاث العلمية الاصيلة المتعمقة ، وترقية الاساتذة الى مراكزهم العلمية فى الجامعة نتيجة أبحاث ضعيفة القيمة [او وهمية احيانا]، وانتشار الدروس الخصوصية فى الجامعات [ولا سيما كليات الطب] ، واتجاه عديد من الاساتذة الى الاعارة للجامعات العربية ... الخ ما هو معروف ليس الا ثمرة ما يحيط بالجامعات من جو الركود العام وسيطرة القيادات اليمينية عليها وتسترها على الجوانب السيئة للحياة الجامعية ، وهو ايضا انعكاس لما يجرى فى المجتمع نفسه من اتساع الرشوة والفساد والمحسوبية واتساع سيطرة اليمين فى الصحافة ومجلس الشعب والاتحاد الاشتراكى وليس معقول ان تتدهور أحوال المجتمع ككل وتبقى الجامعة بمنأى عن هذا التيار الكاسح! وعلى هؤلاء الذين يفزعون من أحوال الجامعة أن يدركوا هذه الحقيقة البسيطة التى تؤكد انه لا صلاح لاحوال الجامعات الا من خلال اطار أوسع نطاقا من الجامعة .

ان مشكلة الجامعة ليست فى الاساس مشكلة تنظيمية ولا تعديل قوانين ولوائح . ومنذ ثلاثة اعوام حاول أحد وزراء التعليم العالى هذه المحاولة بتغيير قانون الجامعات ، ثم مناقشة لوائح الكليات ، وتغيير أوجه النقص فيها . وقد كان لى معه ومع أحد مديرى الجامعات مناقشة على صفحات « الاهرام » ثم مناقشة شخصية بعد ذلك ، ذكرت فيهما أن هذه الاجراءات لا تخرج عن حدود المسكنات لازمة الجامعة ، وأن الازمة قد تزداد سوءا بعد ذلك ما لم تحل مشكلة البعد السياسى والاجتماعى لقضية الجامعة . وها قد مضت ثلاثة أعوام على هذه المناقشة ،وثبتت الاحداث ان الجامعة لم تتحسن أحوالها على ضوء تطبيق القوانين الجديدة ، بل ازدادت سوءا .

واذا تركنا هذا الخط العام لازمة الجامعة ، نجد ان هناك خطا موازيا لعب دورا فى أزمة الجامعة فى السنوات الاخيرة ... واعنى بذلك مشكلة القبول فى جامعات ليست معدة لهذه الاعداد الضخمة ، وما تركته هذه المشكلة من آثار سلبية على حالة الجامعة .

لقد اقرت الجامعة مبدأ تكافؤ الفرص فى التعليم ، وعبر هذا الاقرار عن تقدم اجتماعى هام على طريق الثورة ، وكان له نتائج ايجابية على ديمقراطية التعليم . قبل الثورة كان تركيب سلم التعليم وقواعده ونظامه واسسه التربوية منحازا ضد أبناء الفقراء بحيث كانت تذهب غالبيتهم العظمى الى التعليم الصناعى أو الزراعى أو التجارى المتوسط ، وكانت الغالبية العظمى من أبناء الطبقة المتوسطة وأثرياء البلاد تذهب الى التعليم العام الذى يحملهم الى الجامعة . ومع أن هذا الوضع ما زال قائما فى اجماله الا أن السنوات الأولى لتطبيق مبدأ تكافؤ الفرص قد أخل بنسبة ابناء الطبقة الوسطى والاثرياء عندما زادت نسبة الفقراء من الطلاب

□□□□□□□□

فى الجامعة . ولقد بدأ التحايل على هذا الوضع بشتى الطرق ابتداء من حشد الدروس الخصوصية لمن هم قادرون على الدفع الى القفز على جامعتى بيروت والخرطوم ، واتساع الاستثناءات فى مكتب التنسيق . وحتى هذا كله لم يعد كافيا عند البعض فبدأوا يروجون لفكرة الجامعة الخاصة [الاهلية] لمن هم قادرون على دفع المصروفات الباهظة متمسحين فى أبناء العرب!

ومع تزايد أعداد الطلاب المندفعين الى الجامعة بشتى الطرق ، انقسمت كل جامعة من الجامعات القديمة فى الاساس الى جامعتين ... كليات يحتشد فيها أصحاب المجاميع العالية فى الثانوية العامة ومعظمهم ابناء غير الفقراء [الطب ، الهندسة ، الاقتصاد] وهؤلاء يعدون للمهن الراقية فى المجتمع وذات النفوذ ، وكليات يحتشد فيها أبناء الفقراء [وهى كليات المعلمين أساسا] وهؤلاء يعدون لمهنة التدريس فى المدرسة الابتدائية او الاعدادية ، ثم كليات بين بين كالعلوم والزراعة والتجارة .

ونظرا لان اقران مبدأ تكافؤ الفرص لم يصاحبه الاستعداد اللازم بفتح جامعات جديدة والتوسع فى مبانى الجامعات القائمة وارسال الاعداد الكافية من المتفوقين فى بعثات لاعدادهم كهيئات تدريس ... هبط مستوى التعليم فى الجامعة الى الدرك الاسفل فى كليات الاعداد الكبيرة ، ولم تعد هناك عناية بالتجويد ودراسة المراجع الاساسية للمادة ، ومسايرة تطورات المناهج فى الجامعات الاوروبية أو الامريكية ، وانما اقتصر الامر فى بعض الكليات على تدريس مذكرات بالية على الطالب أن يحفظها عن ظهر قلب للنجاح . ويكفى أن نذكر أن عدد طلاب السنة الاولى فى تجارة عين شمس قد وصل هذا العام الى نحو خمسة آلاف طالب حتى ندرك عبث التدريس لكل هذه الاعداد حتى لو قسموا الى أربع مجموعات كما يفعلون . وهذا الوضع ينطبق على كليات التربية والطب ... الخ . اضف الى هذا نقص المعامل وتدهور حالة المكتبات ، وانعدام هيئات التدريس فى الجامعات الاقليمية حتى تكتمل لك الصورة المحزنة التى عليها الجامعات اليوم .

أن الصحافة تجعل من حادث فردى لاستاذ فى كلية التربية فضيحة لكل الجامعة ، ولكن الفضيحة الحقيقية هى ان بعض كليات الجامعات الاقليمية لا يبدأ التدريس الجدى فيها الا فى شهر مارس عندما يتكرم احد اساتذة جامعات القاهرة والاسكندرية واسيوط بالذهاب الى طنطا او المنصورة أو شبين الكوم أو قنا لاسعاف الطلاب بشىء من المقررات الدراسية. ومع ذلك فهذه الجامعات الاقليمية تمنح طلابها البكالوريوس والليسانس دون ان يكونوا قد تعلموا شيئا يذكر !

ومن السهل أن نستطرد فى سرد وعرض « الفضائح الحقيقية » للجامعات . ولكن يظل السؤال واردا : ما هو الحل ؟ كيف تعود الجامعة الى رسالتها الحقيقية فى البحث العلمى والابتكار الفكرى والتنوير العقلى ؟ كيف تستعيد الجامعة دورها الوطنى الديمقراطى الذى اشتهرت به فى فترات قديمة ؟

ان الجامعة ليست مخلوقا منفصلا عن المجتمع ككل ، وبقدر تدهور أحوال المجتمع الفكرية والاجتماعية تتدهور أحوال الجامعة . وبقدر اندفاع المجتمع فى الاصلاح والتنوير والتقدم تتهيأ الفرصة أمام الجامعة . وصحيح أن العلاقة بين الجامعة والمجتمع ليست علاقة أوتوماتيكية ، بمعنى أن صلاح المجتمع لا يكفل فى حد ذاته صلاح الجامعة . غير اننا يمكن ان نقول بلغة الرياضيين ان تغير الاطار العام شرط ضرورى — وان لم يكن كافيا — لاصلاح أحوال الجامعة .

واذا نحينا قضية الاطار العام جانبا فان الخطوة الاولى فى اصلاح الجامعة تبدأ بتغيير جذرى فى قيادات الجامعات واحلالها بقيادات ذات تراث معروف فى النضال الفكرى والاجتماعى من انصار التنوير والتطوير لا الجمود والمحافظة ، وتتمثل الخطوة الثانية فى توفير مناخ ديمقراطى فى داخل الجامعة لا يحجر على حرية الفكر ولا يقف حجر عثرة أمام البحث العلمى فى العلوم الانسانية والاجتماعية ، وتتمثل الخطوة الثالثة فى اعادة البناء التنظيمى للجامعة بحيث يتحقق تآزر أوثق بين الجامعة وقطاعات الانتاج ، ومن الضرورى توفير عندئذ

اطر غير تقليـــدية للبحث العـــلمى كالمعـــاهد المتخصصة المقتصرةعلى طلبة الدراسات العليا. ومن الضرورى بطبيعة الحال أن تعطى الجامعة ما تحتاجه من مال لانشاء أبنية جديدة ومدرجات جديدة ومعامل جديدة ومكتبات جـــديدة تتسـق مع الاعداد الكبيرة التى تستقبلها والتى هيحاليا ليست معدة لها ، فضلا عن تعديل جذرى فى نظام التعليم الثانوى .

هذه هى الخطوط الاولى للاصلاح اذا نحينا مشكلة الاطار العام جانبا .وعلى الصحافة أن تدير اوسع نقاش حول هذه القضايا الاساسية. أما الاثارة حول قضية فردية هنا أو هنـــاك فلا ينفع الجامعة فى شىء ، وقد تكون هذه القضايا الفردية شيئا « ناجحا » من الزاوية الصحفية، ولكنها فى الحقيقة شىء جدير بصحافة الاثارة وليس بالصحافة الجادة .

●● رد على المتحــاورين مع « النيوزويك » ●●

○ الخطر : تجاهل الأهـداف الحقيقيـة للســـياســة الاسرائيليـــة

من بين المقالات التى وصلت الى الطليعة ردا على حوار ثلاث من الشخصيات المصرية مع مجلة « نيوزويك » ، اختارت الطليعة هذا الرد الذى كتبه الدكتور حامد ربيع .

د. حامد ربيع *

ان الحوار الذى دار بين مجلــة « الطليعة » وجريدة « النيوزويك » دفعنى الى بعض التأملات التى اعتقد أنها يجب ان تطرح أمام القارىء وذلك بقصد تصحيح بعض المعطيات العلمية التى وقع فيها حضرات السادة الزملاء المتناقشين :

١ ـ يخيل لى اولا ان مفهوم السلام فى ذاته غــير واضح بدقــة فى اذهان بعض المتناقشــين المصريين وبصفة خاصة د . جمال العطيفــى والاستاذ محمد سيد أحمد . والواقع أن نظرية الحركة السياسية تعودت أن تميز ومن منطلق مفهوم الامن القومى بين مفهومين متميزين فى نطــاق التعامل الخارجى : « التنظيم الســلمى لعلاقات الجوار » من جانب ثم ما يسميه الفقه السياسى المعاصر « التعايش السلمى » من جانب آخر . الاول يعنى الانتماء لا فقط الى اقليم واحد بل والى تراث حضارى متقارب ان لم يكن مشترك يسمح بفتح الحدود واطلاق حريات التنقل والتبادل اقتصاديا وغير اقتصادى . ان مقتضى الحماية للجسد السياسى ومن منطلق مفهوم الامن القومى الا يتم ذلك التبادل حيث يوجد أى نوع من أنواع المخاطر على الكيان الفكرى والقومى للــذات السياسية . فكرة الحصار الصحى الذى أقيم من جانب العالم الغربى عقب الثورة الشيوعية ، ثم فكرة الحائط الحديدى الذى وضعه ستالين فى نهاية الحرب العالمية الثانية وعندما اتضحت معالم الصراع الايديولوجى فى القارة الاوروبية ليست الا

* د. حامد ربيع ـ استاذ النظرية السياسية ـ كلية الاقتصاد ـ جامعة القاهرة .

□□□□□□□□

صورا للتعبير عن هذا المفهوم . التعايش السلمى مفهـــوم آخر يختلف عن مبدأ التنظيم الســـلمى لعلاقات الجوار وان كان قد يتشابك معه فى بعض الاحيان نتيجة للخلط من جانب غير المتخصصين • الواقع ان هذا المفهوم الذى برز متلصصا خـــلال القرن الماضى لم يفرض نفسه على الفقه السياسى الا فى الاعوام الاخيرة • الفكرة الاساسية هى أنه اذا كانت العلاقات الدولية تعودت أن تعرف مفهومين ثابتين : الصراع العسكرى من جانب والسلام من جانب آخر ، فقد آن الاوان لان نتقبل مفهوما ثالثا وهو مفهـــوم التعايش السلمى دون ان نصل الى حد الانفتاح والتعاون من جانب ودون أن نخلق التوتر الذى يفرضه الصراع العضوى من جانب آخر ، لنجد وضعا وسطا نستطيع أن نعرفه بكلمة التعايش الســـلمى :: Peaceful coexistence ويقصد بذلك بصفة عامة عدم جعل الخـــلاف الايديولوجى أو العقائدى سببا لصراع عضوى أو لتوتر دولى اقليمي أو غير اقليمي • كل دولة من حقها أن ترتب وضعها الداخلى كما تـــريد • وتستطيع أن تنتظم فى علاقات دولية ــ أى بين المؤسسات الحكومية ــ بهذا القصد دون أن يترتب على ذلك تصفية الصراعات الفكرية ولا تحويل تلك الصراعات الى صدامات عضوية • وهكذا التعايش السلمى يفترض :

أولا : أنه ليس سياسة الســـلام ، بل ولوعدنا على سبيل المثال الى التصريح المشهور فـــى أغسطس ١٩٦٦ والذى أعلن به المجلس الاعلى للسوفييت قواعد سياسته الخارجية نجد العبارات الاتية واضحة لا غموض أو لبس بخصوصها :

«The Soviet-Union will preserve in its policy of peaceful coexistence of States with different social systems, and work for an easing of international tension».

وكما هو واضح من النص فهو يميز بين سياسة السلام وسياسة التعايش السلمي حيث يربط هذه الاخيرة بالعلاقة بين الدول ذات النظم الاجتماعية المختلفة •

ثانيا : كذلك فان سياسة التعايش السلمى لا تعنى وضع حد للخلافات الايديولوجية ، هى تضع حدا للحرب البـــاردة ، ولكنها تترك الصراعات العقائدية دون أن تمسها بأى معنى من المعانى • بل انها تفرض بقاء تلك الصراعات أو الخلافات بجميع خلفياتها الفكرية .

ثالثا : فهى تفـــرض بقـــاء الحـــدود مغلقـــة ، أو فى حكم المغلقة • انها بعبارة أخرى تفتح باب الحوار المصلحى بين المؤسسات والحكومـــات ولكنها لا ترفع الحواجز كلية بين الافـــراد والغريب أننا لو عدنا الى المناقشة لوجدنا المحاور الامريكي يجعل نقطة بدايته واضحة ودقيقة، وتدور حول التعايش السلمى فاذا بـــالمحاور المصرى واقصد د • بطرس غالى بسذاجة واضحة ــ لا أريد أن أفترض سوى حسن النية ــ يقفز الى سياسة الحوار أى ما أسماه باللغة الانجليزية التعاون السلمى : «Peaceful Cooperation»

٢ ــ كذلك ولعل هذا ما يدعو حقيقة للدهشة ، فان طبيعة الصراع العربى الاسرائيلى غير واضحة فى أذهان المتناقشين وبصفة خاصة فى ذهن د • بطرس غالى ود . جمال العطيفى،بل ليخيل الينا أن الصحفيين اللذين اشتركا فى الحوار ــ من الجانب المصرى والجانب الامريكى ــ كانا أكثر دراية بهذا الخصوص • ان الصراع العـــربى الاسرائيلى ككل صراع دولى له مستوياته وله دوائره ، وهذه المستويات والدوائر تتعدد تبعا للاطراف المتعاملة • وقد حللنا هذه الناحية فى مؤلفنا عن « سلاح البترول والصراع العـــربى الاسرائيلى » حيث ميزنا بين خمس دوائـــر للصراع :

[**أولا**] دائرة العالم الثالث فى مواجهة العـــالم الغربى حيث تقوم اسرائيل بالاداة المتقـــدمة للرأسمالية العالمية •

[**ثانيا**] دائرة العالم الاسلامى فى مواجهـــة اليهودية السياسية ، حيث تصير اسرائيل محورا للصراع الدينى والطائفى وبصفة خاصة حيث تصير أداة لتأكيد فلسفة الاقليات الدينية فى العالم المعاصر •

[**ثالثا**] دائرة العـــالم العـــربى فى مـــواجهة الصهيونية السياسية حيث تأتى هذه الاخيـــرة متضافرة مـــع بعض السياســـات الكبرى لتلحق التمزق فى الجسد العربى من خلال زرع جسد ليس فقط غريبا عن الكيان العربى بل ومتناقضا ومتنافرا مع خصائص ذلك الجسد من جانب فضلا عن أنه من جانب آخر قد أدى الى التجزئة العضـــوية للجسد العربى • لاول مرة منذ البعث الاسلامى فى هذه المنطقة وخلال أربعة عشر قرنا لم تعرف المنطقة التجزئة ولكن منـــذ استطاعت السياسة الانجليزية متضافرة مع الحركة الصهيونية أن تغرس ذلك الجسد الغريب ، وبالاسلوب الحـــركى المعروف ، استطاعت ان تفصم عضويا بين المشرق العربى والمغرب العربى • ومن يدرى فقد نعاصر غدا وثبة أخرى نحو الكويت وباسم الدفاع عن المصالح البترولية وعبر شرق الاردن فاذا بتفتيت آخر للمشرق العربى كمقدمة لابتلاعه •

[**رابعا**] دائرة شرق البحر الابيض فى مواجهة اسرائيل حيث ترتب دائما على حركات التوسع الاسرائيلى وما يعنيه من صدام مع القوى المحلية

الشرعية من قتال عضوى وما يؤدى اليه من اقفال قناة السويس احداث حركة اضطراب اقتصادية عانت منها جميع دول شرق البحر الابيض بما فى ذلك دول أوربا الغربية المرتبطة بهذه المنطقة من حيث الوجود الحركى .

[**خامسا**] ثم دائرة دول المواجهة او بعبارة أدق الدول التى تشترك مع اسرائيل فى حدودها الاقليمية وبغض النظر عن موقفها الفعلى من السرطان الاسرائيلى . الصراع بين الاداة الحاكمة الاسرائيلية ودول المواجهة هو صراع حول الشرعية الاقليمية حيث لابد وأن يترتب على طبيعة الاهداف التى تسيطر على القيادة الاسرائيلية ان تتجه الارادة الحاكمة الى التوسع الاقليمى ، وهذا يعنى الصدام المباشر العضوى والعسكرى مع دول المواجهة .

كل من هذه المستويات لا يلغى الاخرى وان كانت هناك علاقة ترابط بين جميع تلك المستويات . الخلط بينها رغم ذلك لابد وأن يشوه من حقائق الصراع العربى الاسرائيلى . أحد مسالك التسميم السياسى الذى تشنه الدعاية الصهيونية هو تصوير هذا الصراع على أنه يتمركز حول المستوى الخامس حيث نجد دول المواجهة تقف من الاداة الحاكمة الاسرائيلية موقف الرفض وعدم التعاون . على العكس فان علينا نحن أن نجعل جميع مساراتنا الفكرية تتمركز حول المستوى الثالث : صراع بين العالم العربى والصهيونية السياسية . قوميتان لن تستطيع اى منهما ان تقف من الاخرى موقف التعامل السلمى، لان أيا منهما مدعوة لان تستوعب الاخرى ، لا نريد ان ندخل فى تفاصيل ولكن الذى يعنينا تأكيده هو أنه لا يجوز الخلط بين أى من هذه المستويات لان هذا ليس فقط يعنى الانزلاق فى منطق الدعاية الصهيونية بل ويتضمن نقصا فكريا وعدم مقدرة علمية على التحليل .

٣ – على ان الناحية الثالثة والتى تمثل الخطورة الحقيقية ، فى هذه المناقشة ، والتى دعتنا الى أن نمسك بالقلم نزيل هذا الغبار الذى يسيطر على بعض المثقفين لدينا الذين قد تقوقعوا فى ثقافة غريبة عنا ، ولم يحاولوا بأى معنى من المعانى جعل منطلق البناء الفكرى هو أساسا مصالحنا القومية لبناء أصول واضحة للتصور السياسى وهى تلك المتعلقة بانشاء سوق مشتركة تضم دول منطقة الشرق الاوسط . أن ما يخيفنى فى هذا القول ليس فقط الاندفاع بسطحية مخيفة دون دراسة أو تعمق ولكن أن يأتى ذلك من وكيل مجلس الشعب وأستاذ علوم سياسية . واذا كان الثانى هو الذى أطلق هذه الافكار فان هذا لن يعفى الاخر من مسئوليته وهو يجلس حول مائدة مستديرة ويشترك فيها دون أن يحدد موقفه ويعلن عن رفضه لهذه المفاهيم .

فلنتابع المناقشة من منطلقاتها بتفكير هادىء ورزين .

١ – نستمع أولا الى حديث د. بطرس غالى : « أننا بحاجة الى نوع من السوق المشتركة للشرق الاوسط ، وتدخل اسرائيل عضوا فى هذه المجموعة الجديدة التى تقبل اندماجها الاقتصادى فى هذه المنطقة .... ولابد – لتحقيق ذلك – أن ترغب اسرائيل فى ان تنتمى الى هذا الجزء من العالم .. ولابد لنا من أن نقبلها فى وسطنا كعضو عادى فى مجموعتنا للشرق الاوسط ... » .

وعندما حاصره الاستاذ لطفى الخولى فى تعليقه بهذه المجلة – عدد سبتمبر ١٩٧٥ ص ٨ – لجأ الى اللغة العلمية المعقدة من خلال حديثه حول ذلك الذى اسماه النظام الكونفدرالى ، والنظام الفيدرالى من جانب ، ثم من جانب آخر تستتر خلف المرونة بدقائق وبخفايا اللغة الانجليزية . فلنترك ولنتذكر الحقائق بأبسط معانيها :

اولا : اول ما نلاحظه ، هو ان المناقش المصرى يصور مثل هذا الحل على أنه انهاء للصراع العربى الاسرائيلى . فهل هذا صحيح ؟ ان الصراعات المصيرية بسيطة فى عناصرها واضحة فى أبعادها لا تعرف الالتواء ولا التردد . الصراع العربى الاسرائيلى يعنى ثلاثة حقائق وحولها يجب أن يدور النقاش :

الحقيقة الاولى : هناك اقتطاع للجسد العربى ، فكيف يمكن تخطيه ، كيف نستطيع العودة الى ما كنا عليه خلال أربعة عشر قرنا حيث يخرج المصرى من القاهرة على قدميه الى بيروت أو مكة والمدينة ؟ ان هذه الحقيقة التى تخفى على أغلب المحللين لدينا هى المحور الحقيقى للصراع فى المدى البعيد، وهو ما فهمته جيدا اسرائيل ويكفى العودة الى الكتاب الذى أصدرته وزارة الخارجية الاسرائيلية بعنوان « اسرائيل عام ٢٠٠٠ » لنتأكد من صدق هذه الملاحظة .

الحقيقة الثانية : ان اسرائيل هى امتداد للصهيونية وأداتها المتقدمة والاساسية فى الحركة الدولية والصهيونية تقوم على مبدأين : العنف من جانب والتوسع من جانب آخر وطالما ظلت المفاهيم الصهيونية قائمة فلن يقدر لاسرائيل ان تغير من سياستها من حيث طبيعة الاهداف والغاية النهائية من الحركة . ومن يريد أن يتعمق أيضا فى هذه

الناحية فليقرأ أى كتاب صدر من أى مفكر صهيونى معروف • ولاذكر القارىء على سبيل المثال بمؤلف لاكوير الاستاذ الزائر بجامعة تل ابيب عن الصهيونية ، او مؤلف زفايج الكاتب الصهيونى الانجليزى أيضا عن الفكر الصهيونى المعاصر •

الحقيقة الثالثة : هو ان اسرائيل ترتبط باقليم تزعم بأنها تملك بخصوصه كل شرعية سياسية. نفس هذا الاقليم هو الذى تؤسس عليه القضية الفلسطينية وجودها • وسواء فهمت القومية الفلسطينية على أنها تعبر عن كيان مستقل أو انها جزء من القومية العربية فان عنصر الانتماء الى ذلك الاقليم هو محور ثابت للحركة العربية • والاقليم لا يمكن أن يكون وعاء لقوميتين مختلفتين • لابد من عملية اختيار ومهما كانت النتائج دموية • ومن يريد ان يجد تحليلا محايدا لهذه الناحية ، ومن اوربى فاحيل الى العالمة الايطالية توزى فى مؤلفها الذى صدر منذ عامين بعنوان « تشريح اسرائيل » •

والان علينا أن نتوجه بالسؤال التالى : هل مثل هذه السوق المشتركة تستطيع أن تجد حلا لاى من هذه المشاكل ؟ هذا هو المحور المنطقى الذى يجب أن تدور حوله المناقشة •

ب ـ ناحية أخرى يجب أن نوضحها قبل أن نتعمق فى تحليل هذا التصور • الدكتور بطرس غالى يشعرنا بأن قبول اسرائيل دخول السوق المشتركة أمر فى حاجة الى ضغط على الارادة الحاكمة الاسرائيلية واقناع لها لعملية الانتماء الى تلك المنطقة • وانا لا استطيع ان أخفى دهشتى ازاء مثل هذا القول . هل قرأ د. بطرس غالى استاذ العلوم السياسية أو تابع الفكر الصهيونى أو الصحافة الاسرائيلية أو التصريحات والتعليقات الصادرة من الجهات المسئولة فى اسرائيل الا يعرف ان اسرائيل اليوم تقدم نفسها على أنها دولة شرق أوسطية « بل الاكثر من هذا ، خطورة هو أن فكرة اقامة سوق مشتركة فى منطقة الشرق الاوسط تنتمى اليها اسرائيل ليست جديدة والذى اطلقها هم دعاة الصهيونية ، بل وغلاة المتطرفين فى طائفة الصقور الحاكمة فى تل ابيب •

واذ أن المكان لا يسمح بأن نلقى بأنفسنا فى تفاصيل هذا الموضوع فيكفى أن أذكر القارىء بأن مؤلف « شيمون بيريس » وزير الدفاع الحالى بعنوان « تسليح اسرائيل » والذى صدر عام ١٩٧٠ باللغة الانجليزية ، رغم ان المفاهيم التى تناولها تداولتها كتابات الوزير اليهودى منذ عام ١٩٦٥ وعلى وجه التحديد منذ انفصال من تصفهم الصحافة الصهيونية، باسم «غلمان بن جوريون» عن حزب الماباى ، يتضمن عرضا كاملا لهذا التصور . وقد يتساءل البعض ، كيف يتزعم الصقور هذه المطالب ؟ بل استطيع ان اجيب ان تصور « شيمون بيريس » ليس الوحيد بهذا الخصوص ، فلدينا ايضا تصور اخر لوزير الخارجية « ايجال آلون » يتضمن نفس المفهوم وأن كان أكثر دهاء وحنكة •

لنستطيع ان نفهم الخلفيات الحقيقية لنظرية السوق المشتركة لمنطقة الشرق الاوسط من وجهة نظر المصالح الصهيونية علينا أن نعود فنتذكر المشكلة الحقيقية التى تواجهها اسرائيل والتى كثيرا ما تغيب عن ذهن مخطط السياسة الغربية : ان مشكلة اسرائيل هى الاحتفاظ بطابعها العبرى أى الطابع اليهودى . ومشكلة القيادة الاسرائيلية هى الاحتفاظ للارادة الحاكمة بالطابع اليهودى الغربى الصهيونى • ورغم انه قد يبدو لاول وهلة أننا ازاء مشكلة واحدة الا أن هذا غير صحيح • الاقلية العربية تتضخم بسبب معدل تكاثرها السكانى وما يترتب على سياسة التوسع العسكرى من نتائج • اليهود الشرقيون اى الذين ينتمون الى العالم العربى أو فى حكمه بدورهم يزدادون من جانب عزلة ومن جانب آخر شعورا بالانتماء العربى أو على الاقل الشرق أوسطى • ازاء ذلك وازاء ما يعنيه هذا التطور من احتمالات التفسخ فى الامد البعيد للدولة اليهودية ، أو على الاقل من احتمالات التحول نحو الدولة غير الصهيونية ، كان لابد وأن تسعى القيادة الاسرائيلية لوضع حد لهذه المخاطر •

الاقتراحات بهذا الشأن عديدة

أولها وأبسطها وأكثرها وضوحا يدور حول فكرة الاحتفاظ بالنقاء الصهيونى • ومن ثم فاستئصال العرب تدريجيا وبصفة خاصة من خلال استيعابهم واندماجهم فى المجتمع العبرى عن طريق الزواج المختلط يمثل أول الوسائل التى تسمح بتحقيق ذلك الهدف . الاداة الثانية تشجيع هجرة اليهود الشرقيين الى أفريقيا وبلاد العالم الثالث تحت غطاء المساعدة الفنية والتكنولوجية مع تشجيع الهجرة الجماعية بهذا الخصوص : فتح باب الهجرة السوفيتية من جانب ، وامريكا اللاتينية من جانب آخر سوف تنتهى بأن تحقق توازنا حقيقيا بين اجزاء المجتمع الاسرائيلى على حساب اليهود الشرقيين • ثم يأتى منطلق آخر لا نزال نعيش فى متاهاته ، وهو السعى نحو اعادة فتح باب الهجرة لليهود الشرقيين الى العالم العربى بمعنى الحصول على موافقة الدول المعنية بعودة

اليهود الذين كانوا يقيمون فى البلاد العربية كالعراق ومصر وليبيا والمغرب الى تلك البلاد ٠ وهكذا تتم تنقية المجتمع اليهودى الاسرائيلى من العناصر غير الصهيونية من جانب ، وتدعيمه بتلك القابلة لان تنصهر فى اطار الدعوة الصهيونية بشكل او بآخر من جانب ثان ٠

تصور آخر طرحه « ايجال آلون » وزير الخارجية الحالى فى احاديثه الخاصة ورددته الصحافة الاسرائيلية عقب حرب الايام الستة وتبنته صحيفة الجيروزاليم بوست ٠ ويدور حول اقامة « كومنولث عبرى » ويقصدبذلك أن يتم تنظيم للمنطقة أساسه أن تحتفظ اسرائيل ـ الام بطابعها التقليدى على أن تحيط نفسها بمجموعة من الدول التابعة تربطها بها رابطة التبعية العسكرية دون التبعية المدنية من حيث الشكل ، وان كان ـ من حيث الواقع ـ سوف تكون هناك تبعية كاملة ٠

هذه الدول التابعة تصدر العمال الى الدولة الام وتستقبل المنتجات من الدولة ـ الام ـ التى تظل محتفظة بالطابع اليهودى المطلق ٠ وهكذا نرى دولة غزة ، دولة سيناء ، دولة الضفة الغربية ، دولة الدروز على سبيل المثال ٠ هذه الدول ـ الاشباح سوف تصير لها ادارة مدنية ، وتنظيم سياسى وشخصية دولية ولكنها لن تملك الدفاع عن نفسها ٠ المزايا التى يطرحها هذا التصور عديدة : الاحتفاظ بالكيان العبرى بخصائصه الصهيونية ليس أهمها . هناك كذلك ، امكانية ان تتقدم اسرائيل أمام الامم المتحدة والهيئات الدولية وقد احاطت نفسها بأربعة أو خمسة أصوات تدافع عنها وباسم الادلة العربية ، أضف الى ذلك اقامة حائط من الدويلات يحيط بها ويحميها من الفيضان العربى لو حاول فى المستقبل ان يضع حدا للوجود الصهيونى فى المنطقة ٠

التصور الثالث يطرحه « شيمون بيريس » وزير الدفاع الحالى وأكثر أتباع وخلفاء بن جوريون مبالغة فى التعصب الصهيونى ، والذى يتبناه باقتناع د ٠ بطرس بطرس غالى يدور حول فكرة انشاء سوق مشتركة بمنطقة الشرق الاوسط ٠ لاول وهلة يبدو ان نظرية السوق المشتركة لا تعدو أن تكون تجميعا للكيانات السياسية المرتبطة باقليم يمثل تكاملا اقتصاديا معينا ٠ وهو ما يشعرنا به د ٠ بطرس غالى عندما يتحدث عن مفاهيم « جان مونيه » بأوربا الغربية ٠ وهنا تكمن الخطورة الحقيقية : فلندع شيمون بيريس يحدثنا بصراحة ووضوح عن حقيقة الاستراتيجية الصهيونية بهذا الخصوص :

« ان ذلك الذى يجب أن نبحث عنه ، فى منطقة الشرق الاوسط ، هو نظرية للوضع القانونى للاقليات ، وليس أسبابا جديدة للحرب .. ان على الاغلبية أن تعترف بحق الاقلية العادل فى أن تتمتع بالتعبير الكامل عن هويتها القومية فى جو من الحرية واطار من الاستقلال ٠ عليها أن تعترف بحق الاقلية الطبيعى ليس فقط فى المساواة بين المتساوين بل وفى أن تكون متميزة ومختلفة بين المتميزين والمختلفين ٠ ان واجب كل دولة فى هذه المنطقة ـ بما فى ذلك اسرائيل ـ أن تولى هذه المشكلة أهميتها ٠ ان عدم التسامح هو من سوء الحظ العملة السائدة ليس فقط بين الحكومات بل كذلك بين الاقليات القومية داخل ذات الدولة ، لو أن كل جماعة ذات أصل عنصرى واحد ، أو كل جماعة قومية أو دينية فى منطقة الشرق الاوسط استطاعت أن تشعر بالامان ، فسوف يتحقق ذلك الشعور بالطمأنينة فى جميع أجزاء المنطقة ٠٠٠ »

هذا هو منطلق مفاهيم شيمون بيرس حول السوق المشتركة فى منطقة الشرق الاوسط : تحويل هذه المنطقة الى مجموعة من الاقليات ، كل منها صاحبة الحق فى الاختلاف عن الاخرين ، لان هذا سوف يحقق هدفا مزدوجا : تمكين الاقلية من البناء الذاتى من جانب ، وتمكين مجموعة الاقليات من خلال التعامل والتبادل غير السياسى من الازدهار الاقتصادى من جانب آخر ٠

اسرائيل تسعى ، بعبارة أخرى ، مستترة خلف مفهوم السوق المشتركة ، لان تحطم الوحدة القومية والتكامل العربى لتحيل المنطقة الى مجموعة متنافرة متميزة من الاقليات بحيث تصير ، هى وحدها ، أقوى تلك الاقليات ٠

فهل هذا هو الذى نحن فى حاجة لان نقنع به اسرائيل ؟

ج ـ فلنترك جانبا المفاهيم الصهيونية ، والتى تعودت عن قصد أن تكون مجهلة ولنتساءل : ما هى الاهداف التى يمكن ان تحققها اقامة سوق مشتركة وبتجرد مطلق لا يدخل فى اعتباره سوى لغة المنطق السياسى ؟

اولا ـ خلق سوق متسعة تسمح لاسرائيل بأن تصرف فيها منتجاتها وأن تغزو من خلالها الاسواق العربية وان تربط بنظامها الاقتصادى النظم القائمة فى المنطقة برابطة التبعية ٠ فلنستمع الى الوزير الاسرائيلى يعلن ذلك بصراحة وبلغة لا تقبل المناقشة : « ٠٠ عليها ـ اى اسرائيل ـ أن تصير جزءا فى عالم أكثر اتساعاء من الناحية

الاقتصادية » من ذلك الذى تمكنه أيامنا حدودها الذاتية .» ان قوانين الاقتصاد الحديث تدعو الى انتاج على نطاق واسع .» الامر الذى يطالب بأسواق متسعة ..» وعندما كان يكتب «شيمون بيريس » هذه الكلمات ، فان كابوس الزعيم الصلب جمال عبد الناصر كان يسيطر على وعائه الفكرى ، وهو لذلك يتحدث عن سوق تشمل لبنان والاردن وإسرائيل وقبرص والسعودية ، ولكنه اليوم لابد وأن يضيف مصر وسوريا .»

ثانيا – على أن اقامة سوق مشتركة ، فى هذه المنطقة ، سوف يترتب عليه نتائج أخرى من حيث الواقع العربى · فهو ليس فقط تفتيت للوجود العربي وتفجير وانهاء لجامعة الدول العربية،بل أنه يحقق هدفا آخر تسعى ثابتة نحوه القيادة الاوربية وهو تأكيد ربط شمال أفريقيا ، ابتداء من تونس الى المغرب على الاقل بأوربا الغربية · ومن يريد الاهداف الحقيقية التى تسيطر على السياسة الاوربية بهذا الخصوص فليقرأ الخطاب المشهور الذى أرسله دى سباك الى كيندى معلنا به استقالته من سكرتارية حلف الاطلنطى ·

ثالثا – هدف واضح للسياسة الاسرائيلية بتدعيم وجودها وسط مجتمع من الاقليات · هدف مستتر للسياسة الاوربية بعزلة شمال افريقيا وربطها اقتصاديا ثم سياسيا بالكتلة الاوربية · يدعم الهدفين هدف ثالث للولايات المتحدة يدور حول تحقيق حلف منطقة الشرق الاوسط من منطلق اقتصادى · وهى هنا تعيد قصة حلف الاطلنطى بصورة أخرى · بطبيعة الحال تحقيق التكتل العسكرى فى المنطقة حول الارادة الامريكية مباشرة أو بطريق غير مباشر من خلال الاداة الاسرائيلية سوف يحتاج لعدة أعوام · ولكن منذ متى عودتنا السياسة الواعية أنها تعمل لتجنى ثمار تخطيطها فى جيل أو جيلين . أليس انشاء اسرائيل هو نتيجة لتخطيط بريطانى بدأت دراسته فى مطلع هذا القرن ؟ .

رابعا – بقى ان نتساءل : وما هى مصالح مصر والعالم العربى ؟ لقد أجبنا على هذا السؤال بالنسبة للعالم العربى : تفجير للوجود العربى وتصفية لجامعة الدول العربية . ومصر : القضاء على جميع منجزاتها الصناعية · ان الخوف الحقيقى الذى تعانى منه القيادة الاسرائيلية هو الصناعات الثقيلة فى مصر ، لان هذه هى التى سوف تحدد مستقبل المعركة الحقيقية · فهل هذه السوق المشتركة التى سوف نستقبل فيها اسرائيل سوف تسمح بازدهار هذه الصناعات الثقيلة أم أنها سوف تقضى عليها ؟ هذه دعوة للتحليل الاقتصادى لان يتقدم بلغة الارقام يجيبنا على هذا التساؤل ·

٤ – ملاحظة أخيرة لن نقف ازاءها بالكثير من المناقشة وهى المتعلقة بدور التكنولوجيا الاسرائيلية فى حالة فتح أبواب التعامل فى المنطقة · ان القول بأن هذه التكنولوجيا محدودة الاهمية ، او القول بأن اسرائيل لن ترغب فى ذلك لانها متعارضة مع أطماعها الصهيونية ، انما يعبر عن نقص فكرى وعدم معرفة علمية · وأود أن أذكر الجميع بأن عليهم قبل أن يطلقوا هذه الاقوال أن يتابعوا ماذا فعلت اسرائيل ، حتى اليوم ، بهذا الخصوص ، وكيف استطاعت أن تغزو لا فقط دول افريقيا السوداء بل كذلك دول أمريكا اللاتينية · وأود أن أذكرهم بأن اسرائيل اضحت اليوم عميلا ثابتا لاغلب المنظمات الدولية حيث تلجأ اليها لارسال خبرائها فى جميع الميادين حتى فى نطاق التعليم بأدوات الاتصال الجماهيرى . اسرائيل ، بهذا الخصوص تملك من الامكانيات ما لاتملكه أية دولة أخرى بما فى ذلك الولايات المتحدة · فهى تملك سوقا للعمل رخيصة نسبيا ، وهى تقبل جعل التبادل أساسه تقديم المواد الاولية · ثم هى لديها من أبنائها من ينتمون الى جميع هذه المناطق · وهى تستطيع أن ترسل الينا من اليهود الذين يتحدثون اللغة العربية بطلاقة لا يملكها اى فرنسى او أمريكى او روسى · كذلك علينا أن نتذكر أننا لسنا فى حاجة الى التكنولوجيا المتقدمة جدا الا فى قسط محدود · أغلب ما نحن فى حاجة اليه هو التكنولوجيا المعتادة والاقل تقدما وهذا تستطيع أن تقدمه اسرائيل بأرخص الاسعار وهذا هو سر نجاحها فى افريقيا وفى أمريكا اللاتينية ·

يرتبط بهذا ما يسميه د · بطرس غالى بالحزام الثقافى . يقول الصديق والزميل : اننى أكثر اهتماما بحزام ثقافى ، ذلك ان انشاء مشروعات صناعية على الحدود لن تمنع احدا من الحرب اذا صمم على ذلك · ان قيام لغة مشتركة أهم عشر مرات على نحو ما فعل جان مونيه فى أوروبا الغربية بعد الحرب الاخيرة » ·

وهذا يؤدى الى أن اتساءل :

أولا : مفهوم الحزام الثقافى غير واضح فى ذهن د · بطرس غالى · ان الحزام يعنى الحماية، اى اداة للعزل والتميز · وهو هنا يقصد به قيام لغة مشتركة فكيف يوصف ذلك بأنه حزام ؟

ثانيا ، الاحالة الى جان مونيه واوروبا الغربية هو ترديد - وارجو ان يكون بغير قصد - للدعاية الاسرائيلية ، وهو بهذا المعنى ينسى ان الصراع الاوروبى - المانيا وفرنسا - ليس صراعا بين حضارتين مختلفتين على عكس الصراع العربى الاسرائيلى . كذلك فان الصراع فى أوربا ليس صراعا مصيريا بمعنى أن أحد الطرفين لابد وأن يلغى الطرف الاخر . بعبارة اخرى ان فلسفة جان مونيه تقوم على أساس تخطى الخلافات بين الاشقاء من خلال العودة الى الوضع السابق على تلك الخلافات مستعينا فى هذا بالوحدة الفكرية والتاريخية لمفهوم اوربا الحضارى .

فهل كانت هناك وحدة تاريخية بين العالم العربى والصهيونية السياسية ؟

وهل العالم العربى ينتمى الى التراث الحضارى الذى تمثله اليهودية السياسية ؟

وهل على العالم العربى أن ينسى المشكلة الفلسطينية وما تعنيه ؟

أم أن التشبيه هو نوع من الدعاية المعادية التى سقط فيها أيضا المثقفون لدينا ؟

مؤتمرات الفلاحين والبحث عن الحقيقة

د. محمد أبو مندور الديب ، كمدرس فى الجامعة ومتخصص فى قضايا الزراعة المصرية ، حضر هذا العام - كما حضر فى الاعوام الماضية احتفال أمانة الفلاحين بيوم الاصلاح الزراعى . وهو فى هذا المقال يناقش مجموعة من القضايا الاجتماعية الاقتصادية المزمنة فى الريف .

د. محمد أبو مندور الديب

عودتنا امانة الفلاحين فى السنوات الاخيرة على عقد مؤتمرات شعبية تدعو اليها القيادات الفلاحية الرسمية فى مجلس الشعب واللجنة المركزية واعضاء الجمعيات التعاونية المركزية وأعضاء الجمعية العامة للاصلاح الزراعى .. واختيار الفترة من ٧ - ٩ سبتمبر موعدا لعقد المؤتمر فى ذكرى صدور أول قانون للاصلاح الزراعى فى ٩ سبتمبر ١٩٥٢ هو فى حد ذاته ربط تاريخى بأول محاولة اصلاحية للمشكلة الزراعية المصرية .. غير ان التعبير المأثور بأن « الذكرى ناقوس يدق فى عالم النسيان » هو اقرب التعبيرات ملاءمة لهذه المؤتمرات .

ولقد حرصت ، فى الاعوام الثلاثة الاخيرة ، على متابعة اعمال هذه المؤتمرات ، مساهما ، ومناقشا ومستمعا للقضايا الفلاحية التى تطرح فيها بغية الوصول الى آراء محددة فيما يتعلق بالمسائل الرئيسية التالية :

أولا : طبيعة القضايا التى تطرحها هذه المؤتمرات وارتباطها بالظروف الاقتصادية والاجتماعية للريف المصرى .

ثانيا : الانجازات الحقيقية التى امكن الحصول عليها من جراء تنفيذ توصيات وقرارات هذه المؤتمرات .

ثالثا : التعرف على التمثيل الحقيقى للقاعدة العريضة من المنتجين الزراعيين فى مثل هذه المؤتمرات .

رابعا : التعرف على درجة الوعى بالمشاكل الزراعية المصرية بابعادها المختلفة .

□□□□□□□□

خامسا : الكشف من خلال هذه المؤتمرات عن معوقات التقدم الاقتصادى والاجتماعى فى الريف المصرى .

فهذه مجموعة من الاهداف ، حرصت على محاولة استكشافها أو استنباطها خلال مؤتمر هذا العام الذى انعقد في الفترة من ٨ — ٩ سبتمبر لمناقشة موضوع :

« اسلوب العمل السياسي المباشر في حل مشاكل الفلاحين والانتاج الزراعي من خلال الجهد الشعبى والحلول الذاتية » .

ولقد طرح المؤتمر اربعة مواضيع اساسية وهى : محو الأمية ، تنظيم الاسرة ، الرقابة من خلال الاتحادات على اعمال التعاونيات ووحدات الحدمات لمحاربة الفساد ، ثم خفض تكاليف مقاومة الافات والحد من خسائرها .

وواضح انها مجموعة من القضايا الهامة التى لا يزال يعانى منها أو يعايشها الريف المصرى بعد ثلاثة وعشرين عاما . وهى بالضرورة تحتاج الى مناقشة علمية بهدف التعرف على مكانة هذه المؤتمرات فى التصدى لها من ناحية والاجابة على مجموعة الاهداف الخمسة التى طرحتها فى البداية من ناحية اخرى .

اولا : فى مجال محو الامية

ناقش المؤتمر ، في اوراق كثيرة ، قضية الامية فى الريف المصرى . واذ هو يؤكد على اهميتها ، ويوضح انه لا تقدم حضاري بدون القضاء عليها ، نجده ينادى فى توصياته وقراراته على اهمية التنسيق بين لجان الاتحاد الاشتراكي والبنيان التعاوني ، بكل مستوياته، ثم مجالس القرى واللجان النقابية للعمال الزراعيين ،مع الاستعانة بكل الامكانيات التنفيذية فى اطار خطة قومية شاملة . .

حقا انها لتوصية جديرة بالمناقشة ومحور النقاش في هذه الحالة يرتبط بطبيعة تلك الاجهزة الاساسية المنوطة بعملية محو الامية وكفاءتها . . فهل هى بشكلها الحالى قادرة — بذاتها — على القيام بعمل جدى يذكر فى مجال محو الامية ؟.

فبالنسبة للاتحاد الاشتراكي ، فى الريف المصرى ، وهو الوعاء الاساسى للتنظيم السياسي . . فماذا عن تجربته فى مواجهة أخطر قضايا العصر بصفة عامة ،واخطر قضايا التقدم بالريف المصرى بصفة خاصة ؟ . . والاجابة على هذا التساؤل ربما لا يختلف عليها الكثرة من معاصرى هذا التنظيم . وان كنا نود أن نحدد بعض معالمها وهى : أن التنظيم السياسى فى الريف المصرى قد تأثر بدوره بكل سلبيات بناء التنظيم السياسى فى مصر حتى الآن . بل الاكثر من هذا ، انه قد عاقت حركته — بشكل كلى — بيئة متخلفة جدا من الوعى بالمشكلات القومية وكان كثيرون من اعضائه يأخذونه معبرا لتحقيق المصالح الذاتية والتى ساهمت والى حد كبير فى تفشى بعض جوانب الفساد فى الريف المصرى ، ذلك أن التنظيم السياسى فى القرية كان وما يزال ممثلا لمراكز الضغط الاجتماعى فى القرية المصرية وبصرف النظر عن درجة الوعى أو الرغبة في الاصلاح . كما عانى اكثر من أى قطاع آخر من ضعف فى حلقات الاتصال والمتابعة والتوعية . وبالتالى ، فقد جزءا ، أو ركنا أساسيا ، من مكونات أى تنظيم سياسى فعال وهي قدرته على التأثير والتأثر . . التأثير فى الجماهير ليبعد معظم أفراده القياديين عن مشكلات تراهم والتأثر من القنوات الاعلى لنقص فى اتصالها أو لعدم فعاليتها .

وبديهى اذن الا يلعب مثل هذا التنظيم دورا يذكر فى مجال محو الامية وهو الذى كان يجب أن يطرح شعار محو الامية ويحوله الى واقع من خلال الجهد الذاتى . ذلك لان قضية محو الامية هى قضية سياسية بالدرجة الاولى ، وليست قضية وزارات أو مؤسسات معينة وامكانيات . فهذا ما أثبتته الممارسات الدولية في مواجهتها فما هى الا قضية وعى وايمان وعمل جاد ودؤوب . على اننا نلاحظ ، أن خطر الامية تدق عليه الاجراس وبشكل معلن منذ الثلاثينات وحتى الان . لكن دق النواقيس ،أو الاذان فى مالطه ، لا يفيد ، طالما نحن فى غيبة كاملة عن الوعى السياسى بخطورة الامية . . وطالما نكرر ونتأوه فى كتاباتنا ومؤتمراتنا عنها دون ما عمل سياسى منظم وملتزم لمواجهتها.

والحديث عن البنيان التعاونى ، بكل مستوياته ، ودوره فى مجال محو الامية ، باعتباره أحد الركائز الاساسية، يقودنا مباشرة للحديث عن دور هذا البنيان فى مواجهة مشاكله. فعلى مدى الثلاث والعشرين عاما الماضية ،ظل يحمل ، في طياته ، تركة مثقلة من المشاكل الذاتية والموضوعية ، وفى مقدمتها تخلف الوعى التعاونى ، وغياب الممارسة الديمقراطية الحقيقية ، وتدخل الدولة بشكل علوى بيروقراطى — في معظم الاحيان — في كثير من اعمـاله ونشاطاته ، دون ما ادراك سليم لطبيعة المشاكل واسبابها ،تفشى بعض صور الفساد في التعاونيات نتيجة للعاملين السابقين بشكل أساسى . . . ومحصلة هذا الوضع ببيان تعاونى مهلهل ، عاجز عن حل مشكلات الفلاحين وبصورة

ملموسة من الناحية الاقتصادية والاجتماعية ، الامر الذى ينعكس فى تزايد ازمة الثقة بين الفلاحين وبين تعاونياتهم على اختلاف مستوياتها .. فمن اين يتوفر لهذا البنيان دوره الخلاق فى حل مشكلة الامية قياديا وجماهيريا .

واما عن اللجان النقابية للعمال الزراعيين فى الريف ، فأين هى تلك اللجان ؟ وهل شكلت على مستوى القرية . لا ادرى أين هى ؟! وما هو دورها ؟! ..

وبالنسبة لمجالس القرى فدورها هو الاخر محدود فهى نتاج للحركة التعاونية والسياسية بالاضافة الى عدد من العاملين الحكوميين الذين تنقص اغلبهم الخبرة الكافية ، وعدم الرغبة فى الاقامة فى الريف ، بالاضافة الى عدم توفر الوعى الكافى بالمشكلات التى يعانيها سكان الريف المصرى ، ونقص الامكانيات المادية المتاحة لديهم بالقدر الذى يساهم فى تحقيق تقدم مادى وثقافى ملموس فى القرية المصرية .

وعلى ذلك ، فقبل ان نبدأ فى الدعوة المتكررة ، حول التنسيق والتكامل ، علينا ، ان نبعث الحياة فى هذه الاجهزة حتى تستطيع أن تقف كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ، بدلا من الحديث عن تناسق او تكامل بنيان مهلهل عاجز عن تقديم عطاء محسوس . وبعدها ، يسهل علينا وضع الخطط والبرامج والاجراءات مثل تقدير عدد الاميين وتوفير الامكانيات ... الخ كما يتضح فى توصيات وقرارات المؤتمر .

ان وجهة نظرنا ، فى مجال الامية ، تدعونا للبحث عن اسبابها او مسبباتها بشكل اكثر عمقا فى اطار علاقات وقوى الانتاج السائدة فى الريف المصرى . وهى المسئولة عن تفشى ظاهرة الامية . وهى التى ستقوض اية جهود اصلاحية لمواجهتها فى المستقبل .

فبالنظر الى العلاقات الانتاجية ، فى الريف المصرى ، يتضح لنا ان هناك خللا واضحا فى هيكل الملكية الزراعية حيث تقبع الغالبية العظمى من المنتجين والمستأجرين الزراعيين فى اطار علاقات انتاجية متخلفة ، من اهم مظاهرها : محدودية الدخل الزراعى فى اطار قيادة انتاجية غير واعية امية ، وهى المسئولة بالاضافة الى تخلف اساليب وقوى الانتاج عن استمرار الامية عند الاطفال الصغار للاسباب الرئيسية التالية :

١ — كان لغياب الوعى ، وتفشى الامية لدى معظم الاباء اكبر الاثر فى عدم اهتمام الاباء بتعليم ابنائهم وعدم متابعتهم وحرصهم على تحصيلهم .

٢ — ان حرص الفلاح ، او المستأجر ، أو العامل الصغير ، على زيادة دخله ، فى اطار تخلف اساليب الانتاج ، يجعل من ظاهرة تشغيل الاطفال ، فى الريف ، ظاهرة عامة لدى الغالبية العظمى من ذوى الدخل المحدود . وعلى ذلك ، فان فقر هذه الطبقة بالاضافة الى شيوع بعض صور الاستغلال الزراعى التى يعمل فيها الاطفال والصبية والاعتماد عليهم كمصدر لزيادة الدخل هو احد العوامل الاساسية وراء تفشى الامية لدى الجيل الحالى .

٣ — كان لتدهور مستوى التدريس فى المدارس الابتدائية — لأسباب كثيرة لن نخوض فى ذكرها فى هذا المجال — أثره أيضا فى تفشى الامية . حتى أن من يحرص على تعليم ابنائه واستمراره فى مراحل التعليم عليه أن يلجأ الى الاستعانة بالمدرسين الخصوصيين والذين يستنفذون مبالغ يعجز عن الوفاء بها ذوى الدخول الضئيلة .

ومن الجدير بالذكر ان الاراء القائلة بان المشكلة تكمن فى عدم مناسبة عدد المقاعد المتاحة فى المدارس مع عدد الملزمين فى المرحلة الابتدائية ، وان كانت لها وجاهتها ، من الناحية الشكلية ، الا اننا نعتقد انه مهما وفرنا لهم من هذه الاماكن فان الصورة لن تتغير كثيرا فى اطار هذا الوضع من الظروف الاقتصادية والاجتماعية السائدة .. ولسوف يستمر التسرب نتيجة للعاملين السابقين ، وسيعجز جزء كبير عن مواصلة التعليم ، بنجاح ، نتيجة للسبب الثالث من الاسباب التى سبق ذكرها .

واذا كانت الكثرة من الكتاب والمتخصصين فى مجال محو الامية ينظرون الى الامية بمعناها الواسع ، الكتابى ، والثقافى ، والاجتماعى ، والوظيفى ، والسياسى ، فماذا حققنا فى هذا المجال ؟ .. هل حددنا اهدافنا فى التقدم الاقتصادى والاجتماعى بدقة وترجمنا هذه الاهداف فى اطار مجموعة من السياسات والخطط والبرامج والاجراءات ؟ ونجيب على ذلك وبصراحة كاملة باننا قد فشلنا والى حد كبير فى تحقيق هذا المطلب الضرورى والملح .

ثانيا : مجال تنظيم الاسرة

فبالنسبة لمجال تنظيم الاسرة ، باعتبارها مشكلة قومية يقبع وعاؤها الاساسى فى الريف ، هناك حيث يزداد الانفجار السكانى الذى يشكل — بدوره — ضغطا مستمرا على الموارد الزراعية ، فان علينا ان توضح بأن قضية الانفجار السكانى فى الريف المصرى ليست قضية عدم وضوح الرؤية وتحديدها من وجهة نظر الدين ، ولا هى مرهونة ايضا بعدم تعليم الابناء بالمجان بعد الابن الثالث أو توفير وسائل

منع الحمل ... الخ كما جاء فى توصيات وقرارات المؤتمر بقدر ما هى تكمن — وبشكل اساسى — فى تخلف علاقات وقوى الانتاج فى الريف الامر الذى حددنا نتائجه ، فيما سبق ، فى زيادة قاعدة فقراء الفلاحين القدريين غير الواعين . واذا كنا لا نريد الاقلال من هذه التوصيات الا اننا نعتقد بأن فائدتها محدودة فى اطار الواقع الحالى للريف أيضا ، فتنظيم الاسرة ، لا يمكن اعتباره عملا منفصلا عن مواجهة الامية ، وتحديث العلاقات والقوى الانتاجية فى الريف . ومن هنا ، فان مجال تنظيم الاسرة لابد وأن يعاد النظر فى دراساته فى اطار من النظرة الشمولية لكل مكونات الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية والدينية فى القرية المصرية .

ثالثا : الرقابة الشعبية ودورها في تطوير الخدمات ومواجهة الفساد

ويتبين من توصيات وقرارات المؤتمر تأكيدها على أهمية هذا الجانب ، واعتبار تخلف الوعى الشعبى التعاونى والرقابة الشعبية مسئولة عن ٧٠٪ من الانحرافات فى الريف ، الا ان أيا من الدراسات التى ناقشت هذا الجانب لم تحدد العوامل التى ساهمت فى تدنى الشعبية وعدم الممارسة الديمقراطية الحقيقية فى التعاونيات الزراعية .. وفى رأينا ، أن تحليل هذه العوامل هو المدخل الاساسى لوضع اقتراحات محددة وعملية لمواجهة تدهور شعبية الحركة التعاونية وعجزها عن مواجهة صور الفساد ... ومن أهم تلك العوامل ما يلى ،

١ — استمرار الامية بجوانبها المختلفة ، وهو ما حللنا اسبابه فيما سبق .

٢ — التدخل المفرط من جانب الدولة فى الحركة التعاونية والذى لم يرتبط بدراسة علمية وواقعية من الناحية المكانية والنوعية لمشكلات الفلاحين الاقتصادية والاجتماعية .

٣ — ان الجهاز الحكومى الذى اعتمدت عليه الدولة فى مساندة ودعم الحركة التعاونية توجيها وارشادا ومراقبة كانت تنقصه الخبرة والولاء والايمان باهدافها بالقدر الذى يساهم فى تطويرها وزيادة شعبيتها .

٤ — ان الراسمالية الريفية الصاعدة وبقايا الاقطاع ساهمت هى الاخرى فى الحد من تنامى الشعبية التعاونية وعرقلة مسيرتها واشاعة صور الفساد فيها من خلال صور التدخل التالية :

● محاولة الدخول فى مجالس الادارة بهدف السيطرة عليها وتطويع خدماتها لمصالحهم . وليس ادل على ذلك من ان فئة كبار ومتوسطى الملاك ساهموا فى مرحلة زمنية فى نهاية الستينات فى التهرب من المديونية . وعلى الرغم من أنهم لم يشكلوا فى ذلك الوقت اكثر من ٢٠٪ من عدد المستفيدين الا انهم كانوا مدينين باكثر من ٥٥٪ من قروض المؤسسة المصرية العامة للائتمان الزراعى والتعاونى ، واستغلوا نفوذهم فى عدم الدفع ، سنة بعد أخرى ، أملا فى تنازل الدولة عنها أو تقسيطها على آجال طويلة فى اسوأ الاحوال .

● محاولة ضم ذويهم من صغار الفلاحين ، غير الواعين ، الى عضوية مجالس الادارة لاستخدامهم فى خدمة اهدافهم الاستغلالية .

● التأثير على المسئولين التنفيذيين فى القرية مثل : المشرف الزراعى ، رئيس مجلس القرية ، كاتب الجمعية ، امين المخزن ، الصراف ، من خلال تقديم خدمات لهم مستغلين فى ذلك امكانياتهم المادية ومحاولتهم الحصول على ما يقابلها ، وذلك تطبيقا للمثل الشائع فى الريف : « اطعم الفم تستحى العين » .

● التأثير على الاجهزة والمستويات العليا فى البنيان التعاونى والحكومى المساعد له ، من خلال ذويهم أو أقاربهم أو عن طريق بعض الموظفين غير الواعين والالتقاء معهم لخدمة أهدافهم الاستغلالية .

● ممارسة بعض صور الضغط الاجتماعى — والذى مازالت لهبقايا لديهم فى الريف — ضد كل من يحاول أن يقاوم الفساد ويطالب بالاصلاح ومضايقة هؤلاء المصلحين بصور الضغط المختلفة .

● استخدام بعض صور الانحراف التى تحدث فى التعاونيات بهدف التشهير بالحركة التعاونية ، واظهار عدم جدواها لدى الفلاحين البسطاء والحيلولة دون التفافهم حول منظماتهم .

● كان للاجراءات التسويقية الحكومية اكبر الاثر فى الاقلال من شعبية الحركة التعاونية ، فتحديد أسعار معظم المحاصيل التى ترتبط بنظام الحصص لم يأخذ فى اعتباره اسعار السوق . والتى كانت وما زالت اكبر من السعر الحكومى المعروض ، الامر الذى ساهم وحتى الان فى محاولة التهرب من التسويق التعاونى واعتقادهم بأن بعدهم عن التعامل مع الجمعية من شأنه ان يزيد من دخولهم وهذا عكس المفروض ان تلعبه التعاونيات .

٦ — عدم الاتساق والتكامل بين التنظيم السياسى والحركة التعاونية والاجهزة التنفيذية

فى وضع خطة علمية مدروسة للنهوض بشعبية الحركة التعاونية .

تلك هى أهم الاسباب التى افقدت الحركة شعبيتها وبالتالى امكانياتها الذاتية فى حل مشاكلها ومواجهة الفساد . وبدون مواجهة تلك المشاكل والمعوقات فان الحديث عن الشعبية وتخلفها سيكون بدوره حديثا معادا ولفظيا .

رابعا : مجال خفض مقاومة الافات والحد من خسائرها

ولقد خرجت القرارات والتوصيات فى هذا الجانب بشكل اصلاحى ،فمطالبة المؤتمر بالتأكيد على المقاومة اليدوية مما يعكس فى حد ذاته اقتناع الغالبية العظمى بفشل المقاومة الميكانيكية بالرشاشات او الطائرات ، وهذا فى تصورى لا يرجع الى افضلية المقاومة اليدوية من الناحية الفنية ولسوء الاستخدام والفساد المرتبط بالمقاومة الميكانيكية ، بقدر ما يعكس الرغبة فى ابقاء العلاقات الانتاجية متخلفة والحيلولة دون تطوير قوى الانتاج ،او بمعنى آخر عدم تطوير العلاقات الانتاجية لتواكب التقدم فى قوى الانتاج .. وبشكل اكثر وضوحا ، فان استخدام التكنيك المتقدم مثل الرش بالطائرات يحتاج بالضرورة الى مساحات ومزارع واسعة متخصصة لكى تحقق الفائدة المرجوة من خفض تكاليف المقاومة بالنسبة للفدان وعدم الاضرار بالمزارع او عناصر الثروة الحيوانية ، مثل النحالة ونفوق الحيوانات نتيجة لشربها من الترع والمراوى الملوثة بالمبيدات وهذا يتضح فى ان احدى توصيات المؤتمر او قراراته تدعو الى عدم استخدام هذا الاسلوب فى مساحات تقل عن خمسين فدانا . ومن هنا، يتأكد لنا ان التفتت الرهيب والبعثرة المحصولية ستبقى عائقا رئيسيا أمام تطوير وتحديث الزراعة المصرية ،وبذلك نحكم على الزراعة ان تبقى متخلفة تنتشر فيها الاساليب البدائية فى المقاومة مثل النقاوة اليدوية لدودة ورق القطن والتى تحتاج الى مجهود بدنى مضن ، فى الوقت الذى تتقدم فيه الزراعة غربا وشرقا لتواكب التقدم فى قوى الانتاج .

مؤتمرات الفلاحين ورأى فى بعض القضايا

ونعود الى محاولة الاجابة على مجموعة القضايا أو المسائل الاساسية التى سعيت الى التعرف عليها فى مؤتمرات الفلاحين .

ففيما يتعلق بالمسألة الاولى ، الا وهى طبيعة القضايا التى تطرحها هذه المؤتمرات للمناقشة والحوار فان الظاهر من عناوينها قد يعطى الاحساس باهميتها وضرورتها ، الا أن أسلوب المناقشة والحوار والبحث والتحليل يفقد هذه القضايا أهميتها .

وبالنسبة للانجازات التى تحققها هذه المؤتمرات ، من خلال توصياتها وقراراتها ، فان الحقيقة التى باتت تكررها الغالبية العظمى من الفلاحين الممثلين فى المؤتمر توضح بان توصياتهم ليست الا مجرد كلام فى الهواء لا يأخذ به احد .. وهذا ما سبق ان اشرنا اليه فى مقال عن مؤتمر الفلاحين فى العام الماضى .. وتلك وللمرة الثانية فى هذا العام تعكس مأساة الانفصال بين الجهازين الشعبى والتنفيذى حتى الان .

واما عن التمثيل الحقيقى للفلاحين فى هذه المؤتمرات فأكاد أجزم بانه غائب . فاغلبية اعضاء هذا المؤتمر من متوسطى وكبار الملاك ومن هنا تبدو ضرورة التمثيل الحقيقى ، فى اللجنة المركزية . ومجلس الشعب ، والاتحاد التعاونى المركزى والجمعيات المركزية والمشتركة بشكل يتناسب والمنوال الامتلاكى فى الزراعة المصرية . ومن هنا ، فان نسبة مقاعد من يملكون خمسة افدنة فأقل يجب الا تقل عن ٩٠٪ من حجم مقاعد القيادات الفلاحية وليس العكس كما هو واقع حاليا .

وفيما يتعلق بمدى ما اظهرته هذه المؤتمرات من وعى بالمشاكل الفلاحية فاكاد اقول بان هناك احساس بكثير من المشاكل فى صورتها الظاهرية الا ان الوعى باسباب ومسببات هذه المشاكل غير متوافر لدى الغالبية العظمى من القيادات .. والوعى فى تصورى هو احساس مقرون بالمعرفة العلمية باسباب المشاكل والتصدى لحلها بشكل موضوعى .

واخيرا ، فان هذه المؤتمرات قد اعطت احساسا خطيرا لدى البعض بان الزراعة المصرية تواجهها معوقات كثيرة تحول دون تقدمها . بل ان هذه المعوقات كثيرة ومتشابكة واكثر مما كنا نتصور وهذا بالضرورة يحتاج من كل العناصر الوطنية الواعية والمؤمنة بالتقدم وحتميته العمل بمثابرة وجلد وثقة بالمستقبل أيا كان حجم تلك الصعوبات او المشاق .

وبقى فى النهاية ان أضع وصفا للريف المصرى من أحد الكتاب فى عام ١٩٣٤ والذى قدمه الدكتور كمال حمدى أبو الخير فى دراسته عن التعاونيات ومحو امية الكبار حيث ذكر :

« القرية المصرية كومة ميسوطه من سباخ الارض فى مستنقع واسع من آسن الماء قامت

□□□□□□□□

عليه ابنية .. هى قبور المجاهدين الاحيـاء .. وقد تراكمت فوق ظهورها الارواث والمزابل... وتكدست فى بطونها الناس والبهائم .. وتجمع أمام ابوابها بضعـة من الرجال والاولاد هدتهم العلل وقصمت ظهورهم الاسقام » .

اضع هذا الوصف لكى يسأل القـارىء والمسئولون السياسيون والتنفيذيون والتعاونيون انفسهم .. هل تغير هذا الوصف كثيرا بعـد ما يزيد عن اربعين عاما ؟ .. فما احوجنـا الى اجابة امينة على هذا السؤال .

○ الاتحاد الاشـتراكى .. والأحـزاب

« فى هذا المقال يعلق الكاتب ـــ من وجهة نظره ـــ على بعض ما جاء فى مقال د . محمد حلمى مراد « دولة المؤسسـات فى الفـكر والواقع » المنشور بمجلة الطليعة ، عدد ٧ ، السنة الحادية عشرة ، يوليو ١٩٧٥ .

د. محمد عامر *

الاتحـاد الاشـتراكى :

يقـول د . حـلمى مراد « مهمـا حاولنا أن نتلاعب بالالفاظ والمسميات العله يقصد لأسماء]: فان الاتحاد الاشتراكى هو حزب وحزب وحيد وليس شيئا آخر » . لكنه يستدرك فيقول «وان كان هو فى الحقيقة حزبا من نوع فـريد » . فقادته موظفون يتقاضون رواتبهم من الخـزانة العامة عن طريق رياسة الجمهورية التى تقدم أيضا اعانة مالية له . ويخلص د . حلمى مراد الى أن « هذا التنظيم السياسى اشبه بجهـاز حكومة منه بتنظيم شعبى سياسى » . الا تشكك هذه النتيجة فى القول بان الاتحاد الاشتراكى هو حزب ؟ أليس من الاصوب ان نقول : ان الاتحاد الاشتراكى ليس حزبا ، ولم يكن ، ولن يكون؟ وانمـا هـو جهـاز حـكومى اضفيت عليـه بعض السمات الحزبية لتسـهيل اداء مهـامه مثـل :

١ ـــ اعطاء تحكم الحكومة فى الصحـافة صبغة شرعية .

٢ ـــ اعطاء تحكم الحكومة فى النقـابات والاتحادات صبغة شرعية .

٣ ـــ اعطاء تحكم الحكومة فى مجلس الامة [ثم مجلس الشعب] صبغة شرعية .

٤ ـــ القضاء على العمل السياسى الشعبى فى مصر ، أو ضمان عدم بزوغه اصلا .فالعمل خارج الاتحاد الاشتراكى محظور ، والعمل داخله يجب ان ينتظر التعليمات التى لا تأتى أبدا الا فى بعض الاحوال الاستثنائيـة او غير ذات الخطـر ، وغالبـا ما يكون ذلك لصرف الوقت والجهد فى حوار عقيم لا ينبثق عنه اى عمـل فعال . ويراعى دائما حل او تجميد وحـدات الاتحاد ومنظمة الشباب وما الى ذلك اذا ماهددت بأن تصير فعالة ...

الاحـزاب

يمكن ايجاز راى د . حلمى مراد فى الاحزاب فى النقاط التالية :

١ ـــ ازدهار الحياة السياسية فى مصر رهين بالسماح بتعدد الاحزاب .

٢ ـــ تعدد الاحزاب لا يتنافى مع الاشتراكية طالمـا كانت هـذه الاحزاب فى ظل الدستور القـائم .

٣ ـــ تعدد الاحزاب لا يتعـارض مع فكرة تحالف قوى الشعب طالما ،انه لن تتكون أحزاب على اساس تغليب طبقة على اخرى . بمعنى أن تقوم الاحزاب على اسس فكرية وليس على اسس فئوية أو طبقية .

---

* د. محمد عامر ـــ مدرس بكلية العلوم ـــ جامعة القاهرة

٤ ـ لا محل للتخوف من عودة الاحـزاب القديمة بصورتها القديمة ، ولا محل للطعن فى نظام التعدد عـلى ضوء ما كان يجرى فى ظـل الملكية والاستعمار .

٥ ـ من صلاحيات رئيس الجمهورية ان يكون حكما بين مختلف الاحزاب السياسية وسلطات الدولة . وتعدد الاحزاب ييسر لرئيس الجمهورية ممارسة هذه الصلاحيات ، بما يخلقه من تنافس فى خدمة البلاد وما يبرزه من العناصر الصالحة الكفؤة .

هل يمكننا ان نفهم من النقطة [٢] ان د.حلمى مراد يرى ان فى مصر اشتراكية يرضى عنهـا ويجب ان يحافظ عليها لدرجة أنه ينـادى بأن يحرم القانون ، بل الدستور ، قيام اية احزاب تعارضها ؟ من حق د . حلمى مراد ان يرى ان فى مصر اشتراكية مرضية ، ولكن ليس من حقه أن يمنـع غيره من أن يرى أن ما فى مصر اشتراكيـة مفسدة والا صـلاح لمصر الا بترك الاشتراكية الى الرأسمالية أو الاقطـاع . أو أن يرى أن ليس فى مصر [ولم يكن فيهـا] أكثر من دعاوى اشتراكية تجـرى فى ظلهـا محاولة تحويل مصر من الاقطاع الى الرأسمالية، باسهام القطاع العام [١] والقطاع الخاص ، والا خلاص لمصر ، على المدى الطويل ، الا بتطوير اشتراكى حقيقى يبنى الفرد والمجتمع معا . أو ... ليس من حق د . حلمى مراد أن يمنع غيره من أن يرى ما يراه وأن يكون مع القريبين منـه فى الرأى حزبا سياسيا يتفاعل مع جمـاهير الشعب محاولا تطوير نفسه وتطويرها وكسب تأييدها حتى تأتى به الى السلطة لينفذ برنامجه..

ثم ان د . حلمى مراد يريد للاحزاب التى يدعـو اليها ان تقوم فى ظل الدستـور القـائم [النقطة ـ ٢] ، وتحالف قوى الشعب [النقطة ـ ٣] . والدستور القائم خال من أية اشارة صريحة الى الاحزاب ، فكيف لها ان تقوم فى ظل دستور يتجاهلها ؟ بل يمكن القول بان الدستور القائم يحرم ضمنا قيام الاحزاب . فهو فى مادته الاولى يقول ان النظام فى مصر يقوم على تحالف قوى الشعب العاملة . وفى مادته الخامسـة يربط ربطا وثيقا بين تحالف قوى الشعب العاملة وبين الاتحاد الاشتراكى : فهو التنظيم الذى يمثل تحالف قوى الشعب العاملة ، وهو أداة هـذا التحالف ، وهو يؤكد سلطة التحالف . اذا كان الامر كذلك ، فكيف يمكن لقيام الاحـزاب الا يتعارض مع فكرة تحالف قوى الشعب ؟

لعل الذى أوقع د . حلمى مراد فى هـذه المشـكلات انه يريد ان يحـافظ على التركيب الطبقى الحالى لمصر محـافظته على النظـام الاشتراكى الحالى فى مصر . ولعله خشى الا يجد تأييدا جماهيريا كافيا فحاول ان يعتصم بالقانون والدستور الحاليين . لكن هل يمـكن لفرد او قانون او دستور ان يدعى بانه يفتح آفاق التطور السلمى امام شـعبه دون أن يسـمح بقيـام احزاب تعمـل على تطـوير التركيب الطبقى للمجتمع ؟

قبل ان ننتقل الى النقطة الخامسة والاخيرة، نود أن نوضح ان قيام الاحـزاب ، وان كان يتعارض مع فكرة تحالف قوى الشعب كمـا يفسرها الدستور وكما يفهمها أكثر المهتمين بأمور السياسة فى مصر ، فهو لا يتعارض مع الوحدة الوطنية . بل ان قيام الاحزاب هـو الطـريق الوحيد الى الوحدة الوطنية النشيطة الفعالة . فما لدينا فى ظل التحالف والاتحـاد الاشتراكى هو تقاعس وطنى وفرقة وطنية . فالغالبيـة العظمى من ابناء مصر مشغولة بمشكلات حياتها اليومية ، يحاول كل حلها على أساس فردى . ولا يزيد الاهتمام اليومى بالسياسة على أحاديث متناثرة بين الاهل والاصدقاء يتفرق بعـدها كل الى حاله . والعمل السياسى تحتكره الشلل وجماعات الضغـط الخفيـة المنفصمـة الصلة بالجماهير . غير ان هذا التقـاعس وهـذه الفرقة يخفيان فى العمق طاقات هائلة كامنة . كيف يمكن تفجير وتطوير وحشد هذه الطاقات ؟ بالحرية التى ستفضى ، نظرا الى اختلاف المصالح والاجتهادات ، الى اختلاف الاتجـاهات . اذا ما بلغت الحرية القـدر الذى يسـمح لهـذه الاتجـاهات المختلفـة ان تنتظم فى أحـزاب سياسية ، نكون قد وصلنا الى بداية طـريق الوحدة الوطنية . فالجبهة الوطنية التى تبنيها الاحزاب من خلال الحوار الحر ، والتى تنخرط فيها بالاختيار الحـر ، والتى تيسر للاحـزاب فرص التفاعل مع الجماهير والتفاعل مع بعضها البعض لمزيد من تفجير الطـاقات وتطـويرها وحشدها ، ولمزيد من تدعيم الجبهة وتقويتها . هذه الجبهة هى التعبير الحقيقى عن الوحـدة الوطنية وهى الوسيلة الفعالة لحل مشـكلات مصر فى الداخل ، وللاسهام مع الاخوة العرب فى هزيمة العدوان الاسرائيلى ـ الامريكى .

فى النقطة الخامسة ، يعـطى د . حلمى مراد لرئيس الجمهورية صلاحيات لا يعطيهـا له الدستور ، ولم نسمع بها من قبل لا فى مصر ولا فى خـارج مصر ، هى أن يكون « حكمـا بين مختلف الاحزاب السياسية » . فالمعروف

[١] نعم ، يمكن للقطاع العام بناء الرأسمالية ، كما يمكنه بناء الاشتراكية ـ الفيصل هو السياسة .

□□□□□□□□

ان رئيس الجمهورية فى اى بلد يأخذ بنظام الاحزاب طرف ، وان الحكم هو الشعب . فالاحزاب [مباشرة أو من خلال ائتلافات او جبهات] تتنافس على كسب تأييد الشعب لمرشحيها لمنصب الرياسة . والحزب [أو الائتلاف أو الجبهة] الذى يحكم له الشعب يتولى مرشحه منصب رئيس الجمهورية .واثناء توليه الرياسة ، يظل الرئيس عضوا فى حزبه نشيطا فى تنفيذ برنامجه الذى حكم له الشعب..

لماذا يريد د. حلمى مراد ان يسلب الشعب صلاحية من أهم صلاحياته ليعطيها لرئيس الجمهورية ؟ وكيف يقترح ان نأتى برئيس للجمهورية فوق الاحزاب ؟ بل الا يرى سيادته أن الغرض من الاحزاب ينتفى اذا ما وجد مثل هذا الرئيس الذى ستتنافس الاحزاب فى خدمته والحصول على مرضاته بدلا من أن تتنافس فى خدمة الشعب والحصول على مرضاته ؟

ختاما ، ارجو الا يضايق هذا التعليق السيد الدكتور ، وليسمح لى ان أتوجه اليه بعبارته « ان الحق أولى بأن يتبع ، وان مصلحة الوطن فوق الجميع » .

○ البيروقراطية والانفتاح على العالم

السيد سعد ماضى *

قبل أن ننفتح على العالم ، من البديهى أن نحطم الانغلاق على أنفسنا ، فبرغم من تعدد الشعارات [الانفتاح ــ الانفراج] وبرغم من تغيير الوزارة ، فمازالت البيروقراطية « المركزية » تسيطر على عقول معظم الادارات ، فاذا كان الشباب هم نصف الحاضر ، وكل المستقبل ــ كما هو معروف ــ فان دورهم فى [الاتحاد الاشتراكي العربى ــ النقابات ولجانها] فى المرحلة القادمة ، هى التى سوف تبرز بالتأكيد مدى وعيهم ولكن قبل أن نضع على عاتقهم كل المسئولية . يجب أن نعطيهم كل الضمانات التى تؤهلهم دون ما خوف من الاجهزة التنفيذية ــ المتحجرة ــ التى تملك كل شىء من أول التقارير السرية ــ وحق تغيير درجاتها حتى ولو كان المسئول المباشر للفرع يرفض ذلك ــ الى المكافآت التشجيعية الخ ...

حيث يأخذون نصيب الاسد ويتركون الفتات للفروع التابعة لها ــ علما انها هى التى تنتج وتدعم اقتصاد الدولة ــ ... هذه حقائق ملموسة ، لا تعرقل النسير الى التقدم ، وتحقيق الديموقراطية فحسب ، بل تهدده ، وتقف حائلا أمام فاعليته ، وتحكم عليه بالموت ، قبل ان يولد .. وذلك لصالح فئة قليلة ، على حساب تحالف قوى الشعب العامل .

لذلك اضع امام السيد ــ ممدوح سالم رئيس الوزراء : كيف تتعامل المركزية مع اللجان النقابية لفروع الشركات المتناثرة فى الاقاليم ــ وعلى سبيل المثال ، لا الحصر ــ وبلا أسماء :

١ ــ كانت احدى اللجان النقابية تستهل كل رسائلها بآية قرآنية وهى « بسم الله الرحمن الرحيم » ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.صدق الله العظيم».فاحتجت الشركة على هذه الاية الكريمة وماذا تقصد اللجنة بها ؟؟ وعلى اثر ذلك رفضت استلام الرسائل التى تنتمى لهذا النوع من الرسائل . وامام اصرارها ــ غير المعلن ــ وامام رغبات العاملين الملحة لاخذ حقوقهم تراجعت اللجنة وحذفت الاية القرآنية ــ رغما عنها ــ من كل رسائلها ــ واذا عدنا للرسائل التى مازالت موجودة طرف اللجنة سوف نجد ما يثبت قولى .

٢ ــ فى احدى شركات نقل الركاب بالاقاليم ، طالب احد اعضاء اللجنة النقابية تحقيق العدالة بين العمال وارتفع صوته ، حتى وصل الى المركز

* عضو اللجنة النقابية لمحالج شركة الوادى بدمنهور

الرئيسى . ماذا حدث ؟؟ .. نقل الى سائق جراج وبذلك حرم من الاجر الاضافى ، ومكافأة الايراد اليومية ، حتى لا يرفع صوته مرة اخرى — وهذا يعتبر انذارا من المرسر — نعت سعر — تسابح العمل — قررت الادارة . كذا ، وكذا .

٣ — فى صيف ١٩٧٤ وفى صفحة « حوادث وقضايا ! » نشرت جريدة « المساء » :

قررت شركة [. . .] فصل [. . .] رئيس اللجنة النقابية بحجة ، انه يقوم بتحريض العاملين على الشركة ، وكتابة شكاوى .ورفع امام القضاء صوته ، وبعد ان قضى تسعين يوما فى الشارع حكمت المحكمة بعودته الى عمله وصرف مرتبه خلال مدة فصله . لعدموجود ادله ! على ما ادعته ادارة الشركة ، ورغم ذلك رفضت الشركة تنفيذ الحكم ، وبعد التدخل الودى — هـكذا ذكرت الجريدة — عاد الى عمله ، ولم يتخذ ضد الذى يستحق العقاب اى شىء ، وذلك على الرغم من انه قد لعب بمصير اسرة ، وحرمها ، وشردها تسعين يوما بلا مورد !

بايجاز — وارجو ان اكون قد وفقت فيه — قمت بهذا العرض السريع . وانطلاقا منه اطرح ما يلى : هل الاتحادالاشتراكى فى ثوبه«الخامس» الجديد — الذى لم يتضح لونه بعد — سوف يكون له خط معين ينطلق منه ؟؟ وهل النقابات ولجانها سيكون لها ضمانات ؟؟ وهل المركزية ستستمر فى التغيير تغييرا جذريا ؟ ام سيكون التغيير لمجرد التغيير فقط ؟ ! .

الحقيقة التى ينبغى ان نعرفها ، سواء اكان هذا التغيير بالتزكية ، او بالانتخاب الحر المباشر، على حد سواء ، فانه لا يجدى ، طالما ان الاجهزة التنفيذية اقوى من كل الاجهزة الاخرى — وهذا يعود بنا الى مراكز القوى التى كانت قبل حركة تصحيح ١٥ مايو ١٩٧١ .

لذلك يجب ان تكون الفروع — التابعة لكل شركة — على مستوى المسئولية ، وقائمة بذاتها. تتحرك فى عملها ، ولا مانع من مباشرة المركزية ومعاقبة المخطىء ، عقابا رادعا — مهما كان مركزه — وهذه ليست معادلة صعبة ، لكى يتحمل كل مسئول مسئوليته ، ويتحرك فىحدودها والسيادة للقانون فى كل الحـالات ، كمـا اعلن الرئيس السـادات .

اذا حدث مثل هـذا التغيير سـوف نرتفـع « بالقطاع العام » وسوف نقضى على الشكوى وعلى الاعتصام فى المصنع ، وعلى صرف الارباح — مثلا — فى المركز الرئيسى قبل الفروع التى تعتبر هى الاسـاس ، وسـوف نقضى ايضـا على التأشيرة التى تعرقل « المراكب السايرة » — وما اسهلها — يرفع للادارة للنظر ، والافادة بما سوف يتبع ! ! .

رسالة أخرى الى توفيق الحكيم :

والوعى الثقـافى .. متى يعـود ؟

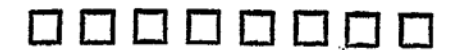
أحمد عنتر مصطفى

سعيد الكفراوى

● استاذنا الحكيم ..

نتوجه اليك بعد ما فكرنا كثيرا فى حياتنا الادبية والثقافية بوجه عام . وما وصلت اليه من سوء مآل . فأنتم من جيل الرواد فى الرواية والمسرح ، ولا ينكر دوركم الثقـافى الذى لا يمكن أن يختلف عليه احد سواء منأهلاليمين او اليسار. وليس توجهنا هذا مبعثه اعتراف الدولة بجهودكم ،وتكريمكم أخيرا — مع آخرين — على تلك الجهود التى ندركها جيدا كما يدركها كل من ينظر الى قضية الثقافة والحضارة بنظرة جادة . ان مسئوليتكم تجاه أجيالنا عظيمة وجسيمة . ولن تعفيكم منها سنوات الشيخوخة او الموقفالمحايد ولقد تسمعنا منكم الكثير فى جلسـاتكم مثل الاهتمـام بقضيـة التعمير الحضارى والتطوير الثقافى ، ولقـد قرأ النـاس لكم أخيرا كلمات تدين الارهاب وتناصر الحرية وتنقد الذات بعـد طول صمت عن المواجهة المباشرة ، وان كنا نعرف انكم لم تكونوا تصمتون فى اعمالكم الفنية — وقد نوهتم بذلك وعرفناه ..

لكل هذا وبسببه قررنا ان يكون رأينا فى الثقافة المصرية المنتشرة حاليا موجها اليكم كى تناقشوه بصراحة ، وانتم احد أعمدة حياتنا الفكرية التى تشارك الآن فى مناقشات قضايانا



السياسية بمحاوراتها المستمرة على صفحات الطليعة ٭ واذا كان الجميع مهتمين فى الفترة المعاصرة بالمناقشات السياسية بما فيهم توفيق الحكيم . فاننا نرى أن الحياة الثقافية بما فيها من سلبيات وايجابيات أولى أن يناقشها توفيق الحكيم مع كل من له رأى فيها وفى قضاياها حتى يمكن أن تتبلور مساراتنا الثقافية نحو المستقبل .

فلقد وصل التخريب فى حياتنا الفكرية الى حد لم يعد معقولا الصمت أمامه . وليس التخريب الذى نقصده هو ما حاق اخيرا بدور ثقافية [مسرح البالون — السامر — السيرك القومى] وقبل ذلك دار الاوبرا العريقة الذى انتهى التحقيق فيها الى لا شىء وضاعت على الدولة ملايين الجنيهات بفعل التخريب ٭ ولم يبق لنا فى النهاية الا موقف السيارات الفارهة وحجر أساس ترمز لا تراه العين فى حديقة الازبكية هو فى الواقع شاهد قبر الاوبرا القديمة ..

ليس هذا هو كل ما نقصده من كلمة [تخريب] ان التخريب قد وصل لحد تدمير العقول وتفريغها من المحتوى الجاد الذى يمكن أن يسهم فى تطويرها لمواجهة المخطط الفكرى والثقافى الذى يجتاح حياتنا من أجل ربطنا بعجلة الاستعمار والرجعية والتخلف، وليس تفريغها فقط بل اعادة ملئها بالتفاهات والغثاثات التى طفحت على سطح حياتنا الادبية والفكرية والفنية . ووصل الحال أن أصبحت البطولة الحقيقية فى حياتنا هى المحافظة على الذات من التمزق والتمزق الذى أصاب وجداننا بسيطرة الماديات فى صورها العديدة الاستهلاكية وما تبع ذلك من سيادة الثقافات الرجعية المضادة للعلم والعقلانية بما تعنيه من أنماط القيم الهابطة والمتخلفة المتصلة بهما ، وباقتصارها على القيام بدور الترفيه والتسلية الرخيصة فى كثير من الاحيان .

ففى نطاق الادب مثلا وصل الحال الى اختفاء المجلات الثقافية [الفكر المعاصر — الشعر — المجلة — القصة — السينما — المسرح — تراث الانسانية — الكتاب العربى — الفنون الشعبية] وحينما عادت الى الظهور بدت مشوهة وهزيلة [الجديد — والزهور] ثم اشتد عودها [الثقافة والثقافة الاسبوعية] فضلا عن مجلة هزيلة ينزوى فيها المسرح على مساحة صفحات معدودة ، ثم مجلة الكاتب فى صورتها الجديدة التى قامت على اشلاء مجلة الكاتب القديمة وقضيتها معروفة للجميع ولا تحتاج الى مزيد من الايضاح . وكل هذه المجلات التى تصدر بأموال الشعب ظهرت للتعبير عن تيار فكرى واحد معاد للطبقات الشعبية وهمومها متجاهلا مختلف التيارات الفنية والفكرية التى يعج بها الواقع الثقافى بمصر ... بل ان مجلة مثل [الثقافة] نجد أنها حملت على عاتقها منذ ولادتها مهمة معاداة اليسار الذى كانت تمثله وتعبر عنه مجلة الكاتب فى عهدها السالف .

واختفت — أو كادت — الكتب والمجموعات الجديدة التى تشمل مجالات الابداع الفنى واكتفت الهيئة العامة للكتاب بممارسة دور التاجر الذى يعمل بمنطق حساب الارباح والخسائر فاهتمت بالقيام بدور متعهد الكتب وليس ناشر الثقافة بالدرجة الاولى — من خلال تنفيذ عقود نشر وطبع الكتب المدرسية وتوريدها لبعض الدول العربية الشقيقة .

وهنا نتساءل : هل من الممكن أن تخرج لنا الحياة الثقافية فى ظل هذه الدوريات والكتب والمجلات كاتبا أو فنانا جادا من جيلنا المعاصر ؟

لقد قرأ الجيل الماضى [يوسف ادريس فى القصة — صلاح عبد الصبور واحمد عبد المعطى حجازى فى الشعر — ونعمان عاشور والفريد فرج فى المسرح — ومحمود أمين العالم وعلى الراعى وأنور المعداوى فى النقد ... الخ لقد قرأ هؤلاء وغيرهم مجلات مثل الكاتب المصرى والرسالة القديمة وتعلموا من ممارسات احمد لطفى السيد ومحمد حسين هيكل وتوفيق الحكيم وطه حسين وعباس العقاد ومحمد مندور وسلامة موسى فى السياسة والصحافة والفكر .. فخرج لنا هذا الجيل .

ترى هل قدر مصر أن تعقم فى الاجيال القادمة أم اننا سنتداركها باعادة النظر فيما تقدمه لنا دور النشر والمطابع، فبنظرة عامة واذا اغفلنا ذكر دور النشر الخاصة التى تلعب دورا مقصودا فى الثقافة المصرية — مثل مكتبة الانجلو حاليا ، ودار الكرنك ومؤسسة فرنكلين سابقا — فاننا نصل الى الاتى :

١ — **دار الهلال** : بعد أن كانت تقدم **كافكا ولورنس والطيب صالح ومحمد ديب** ،تقدم الان أعمالا من سقط الابداع لكتاب مثل **غبريال وهبه وعزمى لبيب واليفة رفعت . الخ .**

٢ — **دار الاخبار** : تقدم ثقافة المختار وما دون ذلك . فتصدر كتاب اليوم الذى يتخصص فى معالجة الموضوعات الخفيفة البعيدة عن الثقافة مثل كتابات **أحمد رجب ومحمود عوض وسعيد عبده .**

٣ — **دار التحرير** : **لا تقوم بدور ثقافى ملحوظ [حتى** كتاب التحرير توقف ! ..

٤ — **دار الشعب** : تقدم الان التراث بتحفظ ومحافظة مثل كتب التفسير والحديث والسيره .

٥ — **دار المعارف** : تقوم بالدرجة الاولى بطبع الكتب المدرسية الى جانب تقديمها للاداب والثقافة الانسانية بمنهج تقليدى . مثل مؤلفات **طه حسين والعقاد** وسلسلة علم النفس والفلسفة والكتب الجامعية .

٦ — **دار الاهرام** : تهتم بالدرجة الاولى بالسياسة وتنأى بنفسها عن الثقافة الانسانية [أبدت اهتماما ملحوظا فى الفترة الاخيرة بالمسلسلات البوليسية والالغاز .. رغم وجود كل من : **توفيق الحكيم — نجيب محفوظ — حسين فوزى — لويس عوض — يوسف ادريس بين كتابها .**

٧ — **روز اليوسف** ، توجه اهتمامها الى نشر الدراسات السياسية التى تعد بسرعة فى كثير من الاحيان [سيناء الزمان والمكان] وتجميع بعض المقالات لاحد الكتاب فى كتاب.

. . . .

أما عن المسرح — ذلك الفن الذى عشقته زمنا وقدمت الكثير له — لانظن أن باستطاعتنا ان نواجهك بما آلت اليه الحال .. فهل ننعى اليك المسرح المصرى الجاد الذى تطع خطوات كثيرة منذ محاولاتكم المواكبة للتطورات الحديثة فى المسرح العالمى لخلق مسرحية مصرية معاصرة مؤلفة بعد جيل الرواد الذين اعتمدوا على الاقتباس والتمصير [**يعقوب صنوع — مارون نقاش — عزيز عيد .. الخ**] ..

اننا لا نعتقد أن أزمة المسرح المصرى — كما أعلن المسئولون مرارا — ترجع الى ضغط ميزانيات الفرق بعد النكسة مما أدى الى تقليل عدد العروض المسرحية على مسارح الدولة . ان جوهر أزمة المسرح تكمن فى المحاصرة المستمرة من الرقابة التى اتخذت خلال النكسة ودوام حالة الحرب أداة وذريعة لتشديد اليد حول رقبة النصوص المسرحية وخنق أغلبها بوقوفها بالمرصاد لاعمال بعض الكتاب، وتجنيها على بعض الاعمال التى تفجر قضايانا المصيرية مثل قضية الصراع الاجتماعى وقضية تقدمنا الحضارى .

وفى النهاية حوصرت ومنعت مسرحيات مثل [المخططين — ثأر الله — سبع سواقى — رسول من قرية تميره ..] مما فتح المجال أمام الفرق التجارية فطفت على السطح مثل [انهم يقتلون الحمير — مطلوب زوج حالا .. الخ ..] .. هذا فضلا عن ابعاد عناصر جادة من المسئولين فى حقل المسرح وتقليص أدوار الاخرين فى فترات مختلفة ... ونتيجة لبعض التقسيمات الادارية فى هيئة المسرح وصل الامر

على سبيل المثال فى شعبة المسرح الحديث الى وجود عدد هائل من الممثلين العاطلين عن العمل حيث يقدم المسرح — فى أحسن الظروف — أربع مسرحيات أو خمس يشترك فيها حوالى عشرين ممثلا وتظل الطاقات الفنية الباقيــة مختزنة يعلوها الصدأ مما أدى الى هروب النجوم الى العمل والالتحاق بفرق أخرى . وقد استغل اصحاب الفرق الخاصة مثل هذه الثغرات فى هيئة المسرح ولهاث الجماهير خلف الاسماء النجومية ممثلين ومخرجين من العاطلين فى مسارح الدولة فقاموا باجتذابهم نجوما للشباك . وكانت النتيجة أن ضاع النجوم وشل المسرح .وزادت أرصدة أصحاب المسارح الخاصة . وأصبح جمهور المسرح فى مصر لا يمثل جماهير الشعب المصرى من دافعى الضرائب الذين حرموا من الثقافة الانسانية الجادة التى يمكنها أن تلعب دورا اساسيا فى تطويرهم وجدانيا وحضاريا .

لقد أدى هذا الى هجرة بعض المشتغلين فى المسرح ذوى الاثر الملحوظ فى حركة المسرح المصرى [**الفريد فرج — على الراعى**] واتجاه البعض الاخر الى الكتابة للمسرح الخاص وفق متطلبات خاصة بالسوق . منحدرا فيما يقدم الى مستوى هابط .

ولم تكن السينما أسعد حظا من المسرح فقد أندثر القطاع العام بها ، وتفرغت المؤسسة لاقراض المنتجين والمغامرين، وانتشرت افلام الجنس والاثارة . وجرى هؤلاء وراء مظاهر العنف والكاراتيه ووقع الجمهور بين شقى الرحى : انتاج مصرى تجارى هابط يتعرض لسير شهيرات الراقصات اللائى يظهرن فى النهاية وطنيات فيورات يدرن حركة التاريخ . وانتاج اجنبى زائف من أفلام العنف والكاراتيه ورعاة البقر. وقد مرت فترة طويلة على الجمهور المصرى وهو يتنسم رائحة أفلام قرأ عنها وأبعدت عنه . وأصبحت مصر معزولة سينمائيا من الانتاج السينمائى الجاد .. وقد باءت الوفود السينمائية فى اغلب المهرجانات بخزلان وخيبة شديدين حينما حاولنا التسلل بعبقرياتنا السينمائية الى الخارج . عدا بعض الافلام الجادة القليلة التى تعد على أصابع اليد الواحدة : واستمر الشباك المزعوم يستنزف أموال الجماهير مستغلا محاولاتها اليائسة فى أن تطل على العالم من خلال ذلك الفن الساحر ، وكثرت افلام التوابل الجنسية والعنف التى تدغدغ المشاهد ، متجاهلة دور السينما الخطير والمؤثر فى بناء الانسان والرقى بفكره .. وحينما خرج جيل جديد من الشبان ينادون بالسينما الجديدة حوربوا حربا شعواء . وأبعدوا عن انتاج الافلام الروائية والجماهيرية وأصبحت أفكارهم لاتجد نافذة الا من خلال بعض الافلام التسجيلية التى لا تعرض الا فى عروض خاصة بعيدا عن الجماهير . ومما يدعو الى الفخر والعجب ان هؤلاء الشبان المعزولين الذين لا تهيأ لهم الامكانيات هم الذين حاولوا بصدق وشجاعة ان يواكبوا عبور الانسان المصرى فى معركته وحملوا كاميراتهم عبر القناة لينقلوا لنا — قدر طاقاتهم — بطولات الانسان المصرى فى الوقت الذى كان فيه الاخرون يعقدون الصفقات والسهرات متاجرين بدماء الانسان المصرى ومضاعفين أرصدتهم ..

واذا عاودنا النظر فى حركة الفن التشكيلى فى مصر — وهى عريقة فى ذلك من الابداع وقبل أن تتعلم بعض الامم الناهضة الزراعة نجد ان ظاهرة اختفاء الكتاب التشكيلى والمجلة التشكيلية — فى بلد مثل مصر لها دورها التاريخى والحضارى كطليعة للبلدان العربية والافريقية الناهضة — ذنب وأى ذنب الى جانب العديد من الاخطاء التى يحسها الفنانون التشكيليون وقد اصبحوا اجيالا عديدة تمارس ذلك الفن العظيم فى مرحلة واحدة .

ففضلا عن اختفاء المجلة والكتاب — ولا يفوتنا أن نلفت النظر الى ذلك الجهد العظيم فى المساحة المحدودة التى تقدمها جريدة المساء اسبوعيا لذلك الفن المظلوم — لاتوجد أمامهم صالة عرض واحدة تنطبق عليها المواصفات العلمية لصالة العرض فى الوقت الذى توجد فيه أكثر من الف صالة عرض فى مدريد عاصمة اسبانيا ، بل ان مدينة اقليمية مثل ميلانو — بها ١٤٤ صالة عرض فى الوقت الذى لا تضم سكانا يتعدون مليونا ونصف .

هذا الى جانب المشاكل الفئوية التى يعانى منها الفنانون التشكيليون ، فطريقة التعامل مع الاساتذة تختلف عنها مع بقية المبدعين خاصة من الشباب الى جانب غياب الثقافة التشكيلية الوطنية النابعة من تنظير ظروفنا الاجتماعية والسياسية مع حركة الفن التشكيلى فى مراحلها المختلفة . وذلك يجعل على الدوام المثال الاجنبى الذى تقدمه المجلات والابحاث الاجنبية يكون هو المثال الوحيد أمام الفنان المصرى .

وليس ادل على الازمة التى يواجهها الفنان التشكيلى بصفة خاصة من الخطاب الذى وجه أخيرا الى المتفرغين فى حقل الفن التشكيلى يحدد انهاء تفرغهم فى مدى ثلاثة أشهر.. الخطاب موجه من ادارة التفرغ بوزارة الثقافة !!!! ●

والان .. ما الذى نراه حولنا ؟؟

بوجه عام نقر بغياب دور مصر الثقافى تاريخيا فى هذه المرحلة .. هذا الدور الذى كان مقدرا لها أن تلعبه على مستوى العالم العربى بحكم ثقلها الفكرى والسكانى والتاريخى.. فبغياب الكتاب الواعى والفيلم الجيد والمسرحية الحية المتفجرة انتقل مركز الثقل الثقافى الى العواصم العربية الاخرى المتوثبة مثل بغداد ودمشق وبيروت ، واصيبت حياتنا الثقافية بركود آسن بدأ يسرى فى جميع نواحيها .وانهارت قيمة الفنان المادية والادبية وتخلفت نظرة الناس له . واختصر دور مصر الريادى فى الثقافة العربية وتحول الى هامش صغير متواضع . وامام كل ذلك كان لابد أن يناقش المفكرون هذه الحالة غير الطبيعية والتى سيكون تأثيرها وخيما لفترة قد تطول . ولكن المحاولات ندت عن صرخات فردية لبعض النقاد الملتزمين ومما يؤسف له أنها نشرت فى مجلات شهرية خارج مصر فى غالبيتها كتقارير سامى خشبة الثقافية بمجلة الاداب البيروتية مع بعض الجهود المتناثرة التى نشرت بمجلة الطليعة لفاروق عبد القادر [مثل مقالاته عن المجلس الاعلى] .

هذه الصرخات اليائسة والهامسة ضاعت بين صمت المفكرين واستكانة النقاد والضجيج الزائف لثقافة متخلفة . فقد تخلى النقاد والمفكرون عن أهم دور يمكن ان يلعبوه فى تنظيرهم لحياتنا الفكرية بخصائصها الذاتية وظروفها الموضوعية المؤثرة الى جانب وضع رؤيتهم للخروج من هذا المأزق الحرج الذى تمر به الثقافة المصرية حتى تحتل مكانها الطبيعى والتاريخى فى مسيرة الثقافة العربية المعاصرة . فالارض لازالت خصبة والعقول لم تنضب بل اننا نرى عطاءها منشورا هنا وهناك . وفى أحسن صورة صانعين الثراء لتجمعات الثقافة فى بيروت ومتعهديها بامتداد العالم العربى بينما حقوق الكتاب والفنانين فى مصر ضائعة .

وابرز الامثلة على ذلك أن مهنة الكتابة لم تعترف بها الدولة حتى الان ولم يستطع نضال الكتاب والفنانين الحقيقيين فى مصر التى تحتوى على ثلث سكان العالم العربى أن يقتضى اتحادا لهم يضمهم ويدافع عن حقوقهم المادية والمعنوية الى جانب حريتهم فى التعبير التى سرعان ما تنتهك فى الوقت الذى اعترف بذلك الحق فى بلدان عربية حديثة مثل اليمن الديموقراطية ولبنان وسوريا والعراق والمغرب . وامام مطالب الكتاب الملحة صدر قرار أخير باقامة اتحاد الكتاب

● الاهرام ١٩/٧/١٩٧٥

□□□□□□□□

والفنانين وقد أعدته وزارة الثقافة ولم يطرح بشكل ديمقراطى على جماهير الكتاب فى الصحف الرسمية حتى تتاح الفرصة لمناقشته بالشكل الذى يتفق مع اهمية الموضـــوع . وهـذا يمثل أكبر دليل على معـــاناة الكتـــاب فى مصر فالكاتب أو الفنان صاحب مهنة أخرى [صحفى — محـــام — دكتور — موظف] يبنى نفسه وثقافته عن طريقها . وليست الكتابة فى حياته الا معنى وضميرا يؤرقه دائما ويضعه فى خدمة التطور بالرغم من تناقض ذلك وظروفه الاجتماعية . ولم تفلح حتى الان سياسة تفرغ بعض الكتاب من أعمالهم عاما أو عامين فى حل مشكلة استمرارهم ووجودهم .

ان بلادنا تمر بمرحلة مصيرية ضد الصهيونية والامبريالية الامريكية وضد القوى الرجعية التى اشتد عودها وانتعشت فى الاونة الاخيرة فى الداخل يجب — ونراه محتمـــا — ان تمارس الثقافة المصرية دورها الوطنى الديمـــوقراطى الهـــام بوجهها العلمى والعقلانى ، وأن تتاح الفرصـــــة للكتـــاب والمفكرين الوطنيين فى مصر ليسهموا بأدوارهم دون حواجـــز أو قيود فتنطلق قدراتهم معبرة عن وجهات نظرهم المتباينـــة فتتعدد المنابر بكل ضروبها وأشـــكالها فى ظل مناخ وطنى ديموقراطى يتســـع للكلمة ونقيضها فى صراع نبيل ينأى عن الاتهامات والارهاب والاستعداء والتسلط الفـــكرى الاحادى البعد المتأثر بالمكارثيه التى لا تتورع بانتهازيتها عن استغلال أية مقدسات وطنية أو دينية لخدمة اغراضها ..

● ● ●

نضع ذلك كله أمامك بعدما رفعت أخيرا شعار فتح الملف السياسى للتجربة المصرية طوال العشرين سنة الماضية ودارت المناقشـــات الفكرية بين اليمين واليســـار والوسط وبينكم ، وتجاوزت المناقشات حدودها التى كنتم تقصدونها ممـــا أدى فى النهاية الى بداية حوار دائم ومستمر بينكم وبين مفكرى اليسار فى مصر بعد ما حاول الرجعيون اعتلاء كلماتكم .

فهل ضاعت قضية الثقافة تحت ما أثير من غبار المناقشات السياسية والفكرية ؟؟ وهل يمكن أن يكون دوركم فى المرحلة الحاضرة ملتزمة بالسياسة فى شـكلها المباشر مع ترك قضية الثقافة المصرية ومشـــاكلها المتعددة — وقد حاولنا عرضهـــا أمامكم — مع ادراكنا لطبيعة الثقافة فى اعتبارها الوجه الاخر والانعكاس المباشر لما يسود الساحة من أفكار ، وفى تعبيرها عن أوضاع طبقية تسود فكرياتها كأبنية فوقية لواقع تجتاحه عديد من التغيرات والارهاصات المبشرة التى تتفاعل بداخله.

لذلك آلينا على أنفسنا منذ كتابة تقريرنا هذا أن نهيب بكم وبكل من يستطيع ان يدلى برأيه فى مسألة الثقـــافة المصرية وما آلت اليه أن يضع ضميره وقلمه فى مواجهـــة حقيقيـــة لا تعرف القناع مع الواقع الثقافى فى مصر وما يجب أن يكون عليـــه .

لتكن كلمتكم أول أوراق الملف الثقافى .. ونعتقد أن هذه هى مسئوليتكم الاولى — ولا نظننا مخطئين — التى نواجهكم بها الان ونؤكد أن يواجهكم بها الاجيال القادمة .. صمتم .. أو تكلمتم ..

. . . .

. . . **ترى هل تتحرك الميـــاه الاسنة . أم سيواجهنا يا أستاذنا الحكيم بعد عشرين عاما — .. بعودة وعى أخرى** .. عودة الوعى الثقافى ؟ .



حـــول الغـــاء التخصـــص فى البنـــوك التجـــارية

.. رئيس التحرير

..... **هل نطمع فى ان توضـــح لنا الطليعة وباسلوب يفهمه غير المتخصصين فى الاقتصاد — ماذا تعني الاجراءات التى اتخذت فى الفترة الاخيرة والتـى انتهت بالغاء التخصص فى البنوك التجارية ؟**

« قارىء »

● ● ●

ردا على رسالة « قارىء » نقول :

من المعروف أن الجهاز المصرفى يلعب دورا بالغ الاهمية فى اى اقتصاد قومى ، مهما كانت طبيعة النظام الاقتصـــادي — الاجتماعى السائدة . ويتمثل هذا الدور فى

تنظيم استخدام الموارد المالية المتاحة فى هذا الاقتصاد ، وتوزيعها على الاستثمارات المختلفة ، بما يكفل تحقيق الاهداف المتفق عليها لهذا النظام الاقتصادى .

ومن المعروف أيضا ، أن الجهاز المصرفى فى أية دولة ، هو جزء أساسى من **البناء الاقتصادى والاجتماعى السائد** ، ولابد أن يؤدى دوره فى انسجام تام وتوافق كامل مع الهيكل الاقتصادى — الاجتماعى السائد فى الدولة بأهدافه ، وعلاقاته ، ونظمه .

وعلى ذلك ، فان الدور الذى يلعبه الجهاز المصرفى ، يتوقف — بالدرجة الاولى — على الهيكل الاقتصادى — الاجتماعى الذى يتواجد فيه . ومن هنا ، تبرز الفروق بين دور الجهاز المصرفى فى **الاقتصاديات الرأسمالية** ، ودوره فى **الاقتصاديات الاشتراكية** ، وبين دوره فى **الاقتصاديات المتقدمة** ، ودوره فى **الاقتصاديات النامية** ، ولقد تتشابه — وغالبا ما تتشابه — بالطبع مجموعة الوسائل المصرفية المستخدمة ، غير ان ذلك لا يعنى تشابه الدور الذى يلعبه الجهاز المصرفى فى كل من هذه الاقتصاديات .

ان الاتجاه الى الاخذ بفكرة « تخصص البنوك » ، والذى بدأ تنفيذه من أول يولية ١٩٦٤ ، لم يكن هدفا فى حد ذاته . كذلك لم يكن الهدف جعل البنوك اكثر التصاقا بالقطاعات المتعاملة معها ، أو جعل أخصائيى هذه البنوك أكثر خبرة بظروف تمويل قطاعات معينة ، أو أعمق فهما لطبيعة نشاطها ، وذلك على الرغم من أن هذه — كلها — مزايا هامة تحسب لفكرة تخصص البنوك .

انما كان الهدف الاساسى وراء الاخذ بفكرة « التخصص » أنها أساس لا مفر منه لقيام الجهاز المصرفى بتحقيق وظيفة على أقصى درجة من الاهمية — خصوصا فى الاقتصاديات الاشتراكية ، ونعنى بها « **الرقابة على انجاز الخطة** » ، وهو ما اصبح يعرف فى هذه الاقتصاديات بـ « **الرقابة المصرفية** » ، ويقصد بالرقابة المصرفية ، رقابة البنوك على وحدات القطاع العام المتعاملة معها ، والمتابعة المنظمة لمدى تحقيق هذه الوحدات الاقتصادية للخطة الموضوعية ، ومراقبة وتقييم اداء القطاع العام ووحداته المختلفة .

وتتميز الرقابة المصرفية عن الرقابة التى تتولى تنفيذها مختلف الاجهزة الرقابية الاخرى فى انها [رقابة مانعة] تتم قبل حدوث الإنفاق ، وقبل حدوث التصرف المالى ، وبالتالى ، فهى أكثر حسما وفعالية، وأمضى أثرا من الاساليب الرقابية الاخرى التى تتم كلها بعد حدوث التصرف المالى .

ومن الواضح أن أساس تنفيذ فكرة « الرقابة المصرفية » يتمثل فى « تخصص البنوك » . ومن الواضح أيضا ، ان « الرقابة المصرفية » على وحدات القطاع العام لايمكن ان تتم بدون تركيز كافة المعاملات المصرفية للوحدة الاقتصادية فى بنك واحد تتجمع لديه كافة المعلومات المطلوبة عن اداء هذه الوحدة ، ومعاملاتها ، مما يتيح له رقابة التصرفات المالية لهذه الوحدة .

ولقد كان طبيعيا أن تكون فكرة « تخصص البنوك » ، وفكرة « الرقابة المصرفية » محل هجوم شديد من دعاة الاقتصاد الحر الرأسمالى ، من ناحية ، ومن ناحية أخرى من عدد من قيادات القطاع العام التى تطالب بالتخلص من كافة هذه « القيود » التى تمثل حدودا على تصرفاتها المالية والادارية .

ان ما نود التنبيه اليه ، هو أن الغاء التخصص فى البنوك التجارية لن يقتصر أثره على مجرد الغاء فكرة توزيع القطاعات الاقتصادية على البنوك المختلفة فأن ذلك ليس مهما فى حد ذاته ، وانما الاهم من وجهة نظرنا أن الغاء التخصص سوف يؤدى الى انعدام امكانية تطبيق الرقابة المصرفية على انجاز وحدات القطاع العام لخطة التنمية . وسوف يشكل هذا ثغرة فى الرقابة الفعالة على الوحدات الاقتصادية ، ويحد من قدرة أجهزة التخطيط المركزية على قيادة هذه الوحدات بما يدعم القطاع العام — المدعو الى أن يكون — القطاع القائد فى الاقتصاد المصرى .

« الطليعة »

القـــراءة التاســـعة

فى



فى هذه القراءة ـ يكتب على أمين عن عودة عبـد الناصر من رحلته الى الهنـد وباكستان ، ويكتب مصطفى أمين عن قانون تنظيم الصحافة ، وعن الاتحـاد القـومى والمؤتمر القومى ـ «يوم الشعب » و «أنا قادم من المؤتمر » .

وهى كتابات ـ ستظل تؤكد ان الذين يتحدثون اليوم عن عشرين عاما من الاشواك والاغتصاب والعـدوان على مصر ، هم الذين تحدثوا طوال العشرين عاما عن الخير والسعادة والحرية التى جاءت الى مصر مع ثورة ٢٣ يوليو وبها وبقائدها جمـال عبد الناصر .

فى التصـــــــميم

لم تشهد بلادنا حاكما قبل جمال عبد الناصر يقطع هذه الالوف من الاميال . ويمشى فى شوارع لاهور ويحلق فوق جبال هيمالايا ويخطب فى طلبة جامعات الهند وباكستان ويعيش مع العمال ويتحدث فى المؤتمرات الشعبية خارج الحدود .

والسبب اننا كبرنا ، وخرجنا من النطـــــاق المحلى الى الميدان الدولى ، واصبح لنا رأى صريح وموقف ايجابى فى كل معركة من معارك الحرية .

ولم نبن مركزنا الدولى الجديد بالحناجر ، وانما بنيناه بالعرق والدم وقوة الاعصاب . كنـــا نرد العدوان باليمين ، ونبنى بلادنا بالشمال ، لم نحتكر الحرية لانفسنا ، وانما انتصرنا للحرية فى كل بلد من بلاد الدنيا . لم نضـــع مبـــادئنا فى خـــدمة مصالحنا لتحقيق المبادىء التى آمنا بها ونادينا بهـــــا .

واليوم يعود جمال عبد الناصر الى بلاده ، بعد رحلة شـــاقة مجهـــدة .. واذا كان الشـــعب يحتشد اليوم فى القاهرة لتحيته ، فهو لا يحتشد لحاكم عاد بعد غيبة ، ولكن يحتشد للرجل الذى فتح له كل النوافذ على العالم بعد ان كان سجينا فى زنزانة الاحتلال ومركب النقص وعدم الثقـــة بنفسه .

علي امين

[اخبار اليوم — العدد ٨٠٦ — السنة السادسة عشرة — ١٦ ابريل ١٩٦٠]

المـــــوقف الســــــياسى

عندما سألنى الصحفيون الاجانب عن رأيى — انا وعلى أمين — بعد قانون تنظيم الصحـــــافة وانتقال ملكية صحف اخبار اليوم الى الاتحـــــاد القومى — قلت لهم : اننا كنا نؤيد الثورة ونحن أصحاب أخبـــار اليوم ، ونحن نؤيد الثورة ونحن اصحاب أخبار اليوم سابقا .

ذلك ان ثورتنا خلقت فى هذا الشعب روحـــا جديدة ، وايمانا جديدا ، فلم تعد تؤثر المنفعـــة الشخصية او الضرر الشخصى فى حكمنا وفى رأينا وفى معتقداتنا . اننا نشعر أن هذا البـــلد بلدنا ، وسواء عندما ملكنا [الصحف أو ملكها الشعب . اننا نشعر أننا جزء لا يتجزأ من هـــذا الشعب ، فما دام الشعب أصبح يملك أخبـــار اليوم ، فما زلنا نحن اصحاب اخبار اليوم .

وقد انتهى الزمن الذى كان الفرد يؤيد فيـــه الحاكم بقدر ما يفيـــده أو يضره . انتهى الزمن الذى كان يقام فيه حكم لمصلحة طبقة او لمصلحة فرد . فنحن رأينا فى عبد الناصر قائدا للمبادىء التى نؤمن بها ، وحملنا اسلحتنا وسرنا وراءه فى معاركه ، ولا يعنينا اذا بقيت هـــذه الاسلحة فى أيدينا أم فى أيدى غيرنا ، مـــادامت لا تزال فى أيدى هذا الوطن .

ويخطىء من يتصور اننا فوجئنا بقانون تنظيم الصحافة ونقل ملكية صحف اخبار اليوم للشعب . ان الثورة لم تخف عنا فى يوم من الايام انهـــا تؤمن بأن يملك الشـــعب الصـــحف ولا يملكها الافراد . قالوا لنا فى كل مناسبة من المناسبات أن ليس المقصود بهـــذا الاســـاءة الى مصلحة شخص ، وانما المقصود به مصلحة الوطن كله .. وان الثورة تؤمن بالمجتمع الديمقراطى التعاونى الاشتراكى ، وان أسس هذا المجتمع ان تكون الصحافة مملوكة للشعب .

ولم يغير هذا الرأى من تأييدنا للثـــورة ومن ثقتنا فيها ، فان المبادىء التى حققتها ثورة الشعب اعظم من أن تنال منها منافع شخصية او مضار ذاتية . ولم يمنع هذا التصميم المستمر للثـــورة اننا حاربنا معها فى كل معاركها ، وكنا نتصـــور فى بعض الاحيان ان هذه المعـــارك قد تكلفنـــا حياتنا ، وكنا نؤمن ان النصر فيها يســـاوى ان نفقد أرواحنا . ونحن نعتبر ان ما فقدنا يعتبر شيئا تافها ضئيلا الى جوار المكاسب الضخمـــة التى حققتها الثورة لوطننا .

واذا كانت هذه الثورة قد انتصرت انتصارات عظيمة باهرة فان أمجد انتصاراتها انها أشعرت

العربى أن الامة العربية هى امته ، وان أمجادها أمجاده ، وأنه يملك كل شبر فيها ..

واذا كنا فقدنا شخصيا أرضا وبناء وآلات ، فانه يكفينا فخرا وسعادة اننا نملك كل شبر من أرض بلادنا ، واننا نعيش فى امة حرة مستقلة. وخير لنا أن نعيش محررين فى شعب حر ،على ان نعيش أصحاب صحف فى أمة محتلة ومقيدة بالسلاسل والاصفاد .

ونحب ان نقول اننا نؤمن بأن عبد الناصر أصدر هذا القانون وهو يؤمن بأنه لمصلحة الوطن، ونحن نرحب بكل عمل لمصلحة الوطن ، واننا نكتب الان فى اخبار اليوم ونحن نشعر اننا أصحابها ، وقد كنا فى الماضى نكتب فيها ونحن نشعر اننا عمالها .. ولا يهمنا ونحن فى معركة الوطن ان نكون فى الصف الاول فيها او فى الصف الاخير منها . كل ما يهمنا اننا باقون فى جيش الوطن ، كل نصر له نصر لنا ، وكل هزيمة له هزيمة لنا .

ولكننا على ثقة أن هذا الجيش العظيم سوف ينتصر ، واننا سنحارب فى صفوفه بنفس الايمان، ونفس العزم ، وان من واجب الجندى فى المعركة أن يقبل المكان الذى يريد القائد أن يضعه فيه.

اننا نثق بقائدنا لاننا نثق بانفسنا ، ولاننا نؤمن بالراية التى حملها ، ونؤمن بأنها ستعيش خفاقة عالية والله معنا .

وبعد .. فى اوائل الثورة عرفنا أن النية متجهة الى نقل ملكية الصحف الى الشعب .

وكانت اخبار اليوم ثلاثة ادوار .. ووضعنا مشروعا لرفعها الى ١١ طابقا .

وجاءنا مدير أخبار اليوم وقال لنا أن النية متجهة الى نقل ملكية الصحف الى الشعب ،وخير لنا ان نبقى ثلاثة طوابق ، ونوفر المال لنحتفظ به لانفسنا فى مشروع آخر ..

وقلت له يومها : اننى أفضل أن أسلم الشعب اخبار اليوم وهى ١١ طابقا على أن أسلمها وهى ثلاثة طوابق فقط ..

وقد سلمنا اخبار اليوم للشعب وهى ١١٢ طابقا ..

وكم تمنيت لو سلمناها وهى مائة طابق !

مصطفى أمين

[اخبار اليوم — العدد ٨١٢ — ٢٨ مايو ١٩٦٠]

الموقف السياسى

يوم الشعب

ان الاتحاد القومى هو صوت الشعب ،المعبر عن ارادته ، المعلن لمشيئته . والاجتماع الذى يعقده المؤتمر فى القاهرة ودمشق بعد غد ، هو اعلان بان الشعب يمارس سلطانه ، ويشترك اشتراكا فعليا فى رسم السياسة وتوجيهها .

ويجب أن يشعر اعضاء المؤتمر أن الشعب يعلق عليهم آمالا واسعة ، فهم لا يمثلون اشخاصهم فقط ، ولا يمثلون دوائر انتخابية أو فئات فقط ، وانما هم يمثلون الشعب كله . هم ترجمانه ولسانه . هم رسله ووكلاؤه . هم ممثلو الشعب كله ، وواجبهم أن يعتبروا انفسهم ممثلين للشعب فى مجموعه ، هدفهم الامة كلها ، لا الاشخاص الذين يمثلونهم . فليست مهمة المؤتمر المسائل المحلية الصغيرة، وانما مهمته رسم سياسة دولة ، وتخطيط مستقبل أمة .

ان الشعب يتوقع منهم أن يناقشوا الخطة العامة ، ويضعوا التوصيات التى تتمخض عنها أبحاث اللجان المختلفة . الشعب يتوقع منهم ان يناقشوا الوزراء ويسألوهم . وسيقف الوزراء أمام ممثلى الشعب يقدمون له حسابا عن اعمالهم فى الماضى ، وبرامجهم للمستقبل . وسيكون من حق كل عضو ان يناقش الوزير ، وان يعرف باسم الشعب ماذا سيفعل غدا ، وماذا فعل بالامس ..

وفى استطاعة هذا المؤتمر ان يضع تقاليد حياتنا الديمقراطية ، فان مجتمعنا يقوم على أساس ديمقراطى يقتضى أن يمارس الشعب سلطاته وحقوقه ، وان يشترك اشتراكا فعليا فى رسم سياسة البلاد .

ولا نشك أن الوزراء سيرحبون بهذه الفرصة، ليشرحوا اعمالهم للشعب شرحا كاملا ،وليستمعوا لرأى الشعب فى الاعمال التى تمت ، وفى

البرامج التى اعدت للمستقبل . **فان من تقاليد هذه الثورة ان الحاكم فى خدمة الشعب ، وليس الشعب هو الذى فى خدمة الحكم ،** وعندما يقف الوزير أمام الشعب ليحاسبه ،انما هو يفعل ما يفعله الوكيل عندما يقدم حسابه للاصيل .

ولم يحدث فى تاريخ بلادنا أو منطقتنا أن اجتمع مثل هذا العدد الضخم ليحاسب وزيرا، ولم يحدث من قبل ان عقدت مؤتمرات سياسية تمثل الشعب كله لتناقش الحكام ولتعلن رأيها ، ولتضع توصياتها ، ولترسم سياسة بلدها ..

ان كل عضو فى المؤتمر مسئول عن أن يحمل على كتفيه ثقة هذه الامة وأملها ، ومسئول ان يقوم بهذه المهمة بشرفوأمانة وصدق ، ومسئول ان يعلم أنه يجلس فى كرسيه باسم الشعب ، ويتكلم من كرسيه باسم الشعب ايضا ..

ان هذه المؤتمرات هى المدارس التى يتخرج فيها حكام المستقبل ، انها طريقة ممتازة لممارسة الديمقراطية الحقيقية ولاشتراك الشعب فى حكم نفسه بنفسه .

ان الشعب يأمل ان ينجح مؤتمر الاتحاد القومى ، لان نجاحه هو نجاح لهذا الشعب ، وهو اعلان بأن الحاكم لا يريد أن ينفرد بالحكم، وانما هو يعتبر نفسه ممثلا لهذا الشعب ،عليه أن يقدم له حسابا كاملا عن عمله فى كل عام.»

ان يوم الاثنين المقبل هو يوم الشعب .»

مصطفى أمين

[اخبار اليوم ـ العدد ٨١٥ ـ ١٨ ـ ٦ ـ ١٩٦٠]

الموقف السياسى

أنا قادم من المؤتمر

أنا قادم من مؤتمر الجمهورية ، ولا أظن أن أكثر المتفائلين تفاؤلا تصور أنه من الممكن أن يصل هذا المؤتمر الى جزء صغير من هذا النجاح العظيم . كان هذا المؤتمر برلمانا قويا ومجلس امة كبيرا ، بكل ما يجب أن يتوافر فى مجلس الامة منشعور بالمسئولية ،وشجاعة فى الرأى ، وايمان بحق النائب فى النقد والتوجيه. .ولميكنالمؤتمر مؤتمر طبالينوزمارين، ولا مؤتمر مصفقين وهاتفين ومهللين .. وانما كان يناقش ويسأل ويؤيد ويعارض بايمانالمؤتمر الذى يشعر انه صاحب سلطة ، وانه يزاول هذه السلطة بكل قوة واصرار .

وكان من عيوب مجالسنا النيابية ان البرلمان كان اصغر من الحكومة ، وكان يبدو غالبا كأنه تابع وذيل لها .. ولم يكن هذا المؤتمر تابعا ولا ذيلا ، بلانه كانكبيرا كالحكومة ،قويا مثلها ، وعندما كان العضو يقف أمام الوزير كان يشعر أنه يساويه تماما ، وان من حقهأن يقول له ان هذا خطأ وهذا صواب ..

وفى رأيى ان هذا دليل جديد على الوعى العظيم الذى خلقته الثورة فى ضمير الملايين عندما اكدت انه لا مكان فيها للطغاة ولا مكان فيها للعبيد ، عندما طالبتبان يشترك الشعب كله فى حكم نفسه بنفسه ، وعندما دعته الى ان يكون رقيبا على كل عمل من أعمالها ..ولم يتردد المؤتمر فى حمل هذه المهمة الضخمة ،بل أقبل عليها شاعرا انه جدير بها ، وقادر عليها، وصاحب حق فيها . ولهذا السببارتفع مستوى المناقشات فى كثير مناللجان الى مستوى اكبر البرلمانات فى العالم . وأبدى الاعضاء من شجاعة الرأى ، ومن حرية التفكير مايجعلنا نؤمن بان مجلس الامة الذى سوف ينبعث منهذا المؤتمر سيكون مجلسا عظيما يليق بشعبعظيم.

واستطاع **عبد الناصر** ، بحضوره جلسات اللجان ان يبعث فيها قوة جديدة فوق قوتها . كان يشجع الاعضاء على النقد ، وعلى فتح الموضوعات المغلقة ، وكان يثير فى المؤتمر الشعور بأن من حقه أن يبحث كل شىء ، ويناقش كل موضوع . لم يقلمرة واحدة انهذه مسألة من السياسة العليا للدولة . ذلك لان عبد الناصر انهى عهد السياسات العليا ،وجعل من حق الشعب ان يعرف ما يعرفه الوزراء . وهذا هو سر التجاوب الكامل الذى حدث بين الشعب والحاكم فى كل المعارك التى دخلناها ، وفى كل الحروب التى خضناها . ولقد كنت وانا استمع الى عبد الناصر وهو يصارح الاعضاء بكلشىء،كأنهيعتبر هذاالمؤتمر هو مجلس ثورة جديدا ، بل هو على الاصح مجلس ثلاث

اخبار اليوم

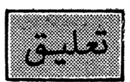
ثورات معا : الثورة الوطنية ، والثورة العربية والثورة الاجتماعية .

ولم يكن الاعضاء ينظـرون الى عبـد الناصر وهو يتكلم كانه رئيس جمهورية .. كانوا ينظرون اليه كانه الصديق والمعلم والقائد والزميـل لكل واحد منهم . وكان عبد الناصر لا يعالج المسائل من فوق .. كانيتكلم فيشعر السامع انهيعيش على الارض معنا . وان كل الامجاد التى حصل عليها لم تؤثر فى استمرار احساسه وتجـاوبه وانفعاله بهذا الشـعب الذى بايعـه عن ايمان ويقين .

اننى قادم من المؤتمر .. قادم من حلم جميل من احلام ثورتنا الكبرى .

مصطفى أمين

[اخبـار اليـوم ـ العدد ٨١٩ ـ ١٦ ـ ٧ ـ ١٩٦٠]



ثورة ٢٣ يوليو ـ التى يهيـل البعض التراب على عشرين عاما من عمـــرها ، ينسى هـــذا البعض انه هـــو الذى كان يحرق البخور لكل صغيرة وكبيرة فى حياة العشرين عاما الماضية تلك . فعبد الناصر هو الرجل الذى فتح للشـعب ، « كل النوافذ على العـالم بعـد أن كان سجينا فى زنزانة الاحتلال ومركب النقص وعدم الثقة بنفســه » . على حد قـول الاستاذ على أمين نفســه فى ١٦ ـ ٤ ـ ١٩٦٠ .

وعندما صدر قانون تنظيم الصحافة ـ قال الاستاذ مصطفى أمين فى ٢٨ ـ ٥ ـ ١٩٦٠ ، « انتهى الزمن الذى كان فيه الفرد يؤيد فيه الحـاكم بقدر ما يفيده . انتهى الزمن الذى كان يقـام فيه حـكم لمصلحة طبقة أو لمصلحة فرد . فنحن رأينا فى عبد الناصر قائدا للمبادىء التى نؤمن بهـا وحملنا أسـلحتنا وسرنا وراءه فى معاركه ، ولا يعنينا اذا بقيت هذه الاسلحة فى ايدينـا أم فى أيدى غيرنا ، مادامت لا تزال فى أيدى هذا الوطن » .

ولكن يبدو أن ما كتب فى مايو ١٩٦٠ قد نسى ـ أو أنه قد كتب وهـو لا يعبر عن حقيقة ما فى صدر كاتبـه . فنجـد الاستاذ على أمين فى فكرته فى ٢٩ ـ ١٠ ـ ١٩٧٤ يتحدث عن السـجن الطـويل الذى كان فيـه الفكر المصرى ـ حيـث « بدأت القاهرة تسترد مكانها ككعبة للفكر العربى ، وواجهـة للاحـرار فى الشرق الاوسط ، وأصبحت الصحافة صحافة ! »

واليوم ـ يقول اعداء العشرين عاما من عمـر ٢٣ يوليـو ، ان كل المنظمـــات والمؤسسات التى اقيمت ، خـلال هـذه الاعوام ، لم تكن الا زيفا وتزويرا لارادة الشعب . وهم ينسـون كذلك ما كتبـه الاستاذ مصطفى امين عن المؤتمر القومى للاتحاد القومى المنعقد فى الشهر السادس من عام ١٩٦٠ ، « أن هذه المؤتمرات هى المدارس التى يتخرج فيها حكام المستقبل انها طريقة ممتازة لممارسة الديمقراطيـة الحقيقية ولاشتراك الشـعب فى حـكم نفسه بنفسه » . أو ما قـاله فى ١٦ ـ ٧ ـ ١٩٦٠ بعد عودته من المؤتمـر عن عبد الناصر الذى كان « يشجع الاعضاء على النقد وعلى فتح الموضوعات المغلقة » وهو عبد الناصر ـ الذى « أنهى عهـد السياسات العليا ، وجعل من حق الشعب أن يعرف ما يعرفه الوزراء . وهذا هـو سر التجاوب الكامل الذى حـدث بين الشعب والحـاكم فى كل المعـارك التى دخلناهـــا ، وفى كل الحـــروب التى خضناها .. » وعبد الناصر هو الذى كان الاعضاء ينظرون اليه باعتباره :« الصديق والمعلم والقائد والزميل » .

هل نسى حبر المطابع فى الاخبار واخبار اليوم رنين هذه الكلمات ـ وهو يستمع الى رنين كلمات أخرى يكتبها نفس الكتاب الذين كتبوا هذه الكلمات منذ خمسة عشر عاما . والى القــراءة المستمرة القـادمة فى صحافة اخبار اليوم والاخبار .

الطليعة

« الطليعـــة »



● جمهورية مصر العربية

اتفاقيـــة سـيناء

اثر سلسلة من رحــلات هنرى كيسنجر التى تنقل فيها بين القدس والاسـكندرية ، وقع الاتفـاق المصرى – الاسرائيلى الجديد بعد عـامين من حرب اكتـوبر ١٩٧٣ . ووقع كل من الطرفين على حدة ، وفى القدس وقع على الاتفاق **اسحق رابين** رئيس وزراء اسرائيل **وهنرى كيسنجر وابراهام كيدرون** المدير العام لوزارة الخـارجية والجنرال **مورد خاى جور** رئيس الاركان ، وفى الاسكندرية وقع الفريق **محمد على فهمى** رئيس اركان حرب القوات المسلحة المصرى والسفير **احمد عثمان** .

ويتكون الاتفاق من تسع مواد ، وقد نص على : أن النزاع بين الطرفين فى الشرق الاوسط لايجب أن يحل بالقوة المسلحة وانما بالطرق السلمية . وكما أن « الطرفان مصممان على التوصل لتسوية للسلام عادلة ونهـائية عن طريق المفاوضات التى دعا اليها القرار ٣٣٨ لمجلس الامن ، وأن هذا الاتفاق الجديد يشكل خطوة هامة نحو هذا الهدف .

كما تعهد الطرفان بعدم اسـتخدام القوة أو التهـديد أو الحصـار العسكرى ، ويستمر الطرفان فى وقف اطلاق النار بكل دقة فى الارض والبحر والجـو ، كما يمتنع كل منهما عن اى عمل عسـكرى أو شبه عسكرى ضد الاخر .

كما اتفق الطـرفان ، على : ان قوة الطوارىء الدولية أساسية وسوف تواصل مهامها وتتجدد مهمتها سنويا . كمـا اتفقا على أن ينشئا لجنة مشتركة مدة الاتفـاق تعمل تحت رعاية المنسـق العـام لعمليـات الامم المتحـدة فى الشرق الاوسط لفحص جميع المشكلات الناجمة عن الاتفاق ولمساعدة قوات الطوارىء التابعة للامم المتحدة على أداء مهمتها .

كما نص الاتفاق على : ان يسمح للبواخر غير الحربيـة المتجهة الى اسرائيل أو القادمة منها بالمرور فى قناة السويس

كما اعتبر الطرفان هـذا الاتفاق خطوة هامة نحو سـلام عـادل ودائم ، وانه ليس اتفـاق سـلام نهـائى . وان يوالى الطرفان جهودهما من أجل اتفاق سلام نهائى فى اطار مؤتمر جنيف للسلام طبقا للقرار ٣٣٨ لمجلس الامن .

وقد نصت المادة الرابعة من الاتفـاقية على أن التفاصـيل المتعلقة بالخطوط الجديدة والتحركات الجديدة للقوات والجدول الزمنى الخاص بها والحد من الاسلحة وخفض القوات وعمليات الاستطلاع الجوية وتشغيل محطات الانذار المبكر والرقـابة ، واستخدام الطرق ومهام الامم المتحدة والترتيبات الاخرى – فانها ستتم وفقا للنصوص الواردة فى الملحق والخريطة التى تعتبر جزءا لا يتجزأ من هذا الاتفاق . ووفقا للبروتوكول الذى سيصدر فى أعقاب المفاوضات الخاصة بالملحق والتى ستصبح عند توقيعه جزءا لا يتجزأ من هذا الاتفاق .

ووفق نصوص ملحق الاتفاقية – المشار اليها فى المـادة الرابعة – وافق الطرفان على تحديد المناطق المحـدودة فى القوات والاسلحة ، والمنـاطق العازلة وقطـاعات الطـرق المستخدمة استخداما مشتركا ، وكل ما أشير اليه فى المـادة الرابعة .

ووفق هذا الاتفاق ، سيكون الدخول الى المناطق العـازلة تحت اشراف قوة الطوارىء التابعة للامم المتحدة ، وتسـمح لطائرات كل طرف بالطيران بحرية حتى خطه الامامى ، ويمكن أن تطير طائرات استطلاع كل طرف حتى الخط المنصف للمنطقة العازلة ، وينشـأ فى المنطقة العـازلة نظام انذار مبكر يوكل الى أفراد مدنيين من الولايات المتحـدة ، وهو ما وضـحته الخطابات المتبادلة التى هى جزء من الاتفاقية .

كما أنه سوف يكون الدخول والخروج من المنطقة برا وجوا وبحرا عن طريق نقطة مراجعة قوة الطوارىء التـابعة للامم المتحدة . وسـيقتصر الدخول فى المجـال الجوى والمنطقـة الساحلية ، على السفن المدنية المصرية غير المسلحة وطائرات الهليكوبتر المدنية الغير مسلحة وطـائرات النقل التى تقـوم بخدمات مدنية فى المنطقة طبقا لما يتفق عليه بواسطة مجموعة العمل .

ونص الملحق – على أن مهام الاستطلاع الجوى – سوف تسـتمر بواسـطة الولايات المتحـــدة فـوق المنــاطق التى يغطيها هذا الاتفاق . وتنفذ هـذه المهام بمعدل مهمـة كل سبعة أو عشرة أيـام مع حق أى من الطـرفين أو قوة الطوارىء التابعة للامم المتحدة فى طلب مهمة مبكرة . وستجعل حكومة الولايات المتحدة نتائج هـذه المهام متاحة بسرعة الى اسرائيل ومصر والمنسـق العـام لعمليات الامم المتحـدة فى الشرق الاوسط .

وقد حدد الملحق – القيود على القوات والتسليح على النحو التالى : فى المناطق المحدودة التسليح ، ثمانية كتائب مشاة ، خمس وسبعون دبابة ، اثنتان وسبعون قطعة مدفعية بما فيها الهاونات الثقيلة [عيار اكبر من ١٢٠ مم] التى لا تزيد مداها عن ١٢ كم . ولا يتجاوز المجموع الكلى للافراد ثمانية آلاف . كما وافق الجانبان على عـدم وضـع أو تمركز أسـلحة فى المنطقـة يمكنها الوصول الى خط الطرف الاخر ، وكذلك عدم القيـام بتحصينات جديدة أو منشـآت لقوات يزيد حجمها عما اتفق عليه .

وستكون القيود الرئيسية خارج المناطق محـدودة القوات والتسليح كالتالى : لا يضـع أى من الطرفين أو يمركز سلاحا فى مناطق يمكن منها الوصول الى خط الطرف الاخر ، ولا يضع أى من الطرفين صـواريخ مضادة للطائرات فى منطقة تبعد ١٠ كم شرق الخط « ك » وغرب الخط « و » وعلى التوالى .

ومن حيث اجراءات التنفيذ ، فستكون المرحلة الاولى هى تسليم آبار البترول والمنشآت الى مصر . وهذه العملية سوف تبدأ خلال اسبوعين من توقيع البروتوكول ، بوصـول الفنيين اللازمين ، وسوف تتم فى موعد أقصـاه ثمانية أسـابيع من بدئها . وتحدد مجموعة العمل العسكرية المراحل التفصيلية ، وينتهى التنفيذ النهـائى للاتفاقية خلال خمسة شهور من توقيع البروتوكول .

ووفق مقترحات الولايات المتحدة – فان نظام الانذار المبكر يقوم على العناصر التالية :

أ – سـوف تكون هناك محطتان للاستكشاف للقيام بالانذار

الاستراتيجى المبكر ، يقوم بتشغيل احداهما أفراد مصريون ، والاخرى افراد اسرائيليون . وسوف تدار كل محطة بمالايزيد عن مائتين وخمسين من الفنيين والاداريين . وسيقومون بأداء واجباتهم فى المراقبة البصرية والاليكترونية فى نطــاق محطة كل منهما .

ب ــ وتدعيما لهاتين المحطتين ، ولتوفير انذار مبكر تكتيكى والتحقق من الوصـــول اليهما ، تقيم الولايات المتحــدة ثلاث محطات مراقبة فى ممرى الجدى والمتلا ، كمــا هو موضــح على الخريطة المرفقة بالاتفاقية الاساسية ، وسوف تدار هذه المحطات بواسطة أفراد مدنيين من الولايات المتحدة . وتدعيما لهذه المحطات سوف تنشأ ثلاثة مواقع استشعار الكترونيــة يكون تشغيلها ذاتيا دون أفراد فى نهــايتى كل ممر ، وفى المنطقة المحيطة بكل محطة ، والطرق المؤدية الى هذه المحطات ومنها .

وحددت الاتفــاقية ، انه لا يجب أن يزيد عــدد الموظفين المدنيين الامريكيين الذين سيكلفون بالمهــام الخاصــة بادارة محطات المراقبة الثلاث ، عن مائتى شخص ، كمــا انه لايجب أن يوجد فى هذه المحطات وفى أماكن النشــاط الاخرى اى ســلاح سوى الاسلحة الصغيرة اللازمة لحمــاية الموظفين . وان يسمح للموظفين الامريكيين القائمين بالعمــل على نظــام الانذار المبكر بالتنقل فى حرية داخل المنطقة التى يغطيها هذا النظــام . ويسمح للولايات المتحدة ولموظفيها بالتموين والامداد الممنول الذى يحتاجون اليه للقيام بمهامهم . ويتمتع الموظفون الامريكيون بالحصــانة ازاء المحاكم المحلية جنائية أو مدنية أو ضريبية او جمركية ويمكنهم ان يتمتعوا بامتيازات خاصــــة اخرى ، واعفاءات نص عليها اتفاق قوة الطوارىء الدولية فى ١٣ فبراير ١٩٧٥ .

وكما نص الاتفاق على : انه بغض النظر عن أى نص آخر فى هذا الاقتراح فان الولايات المتحدة تستطيع سحب موظفيها اذا رأت أن هنـــاك خطـــرا على أمنهم أو اذا لاحظت أن مواصلة هؤلاء الموظفين القيـــام بعملهم لم تعد ضرورية ، وفى الحــالة الاخيرة سوف تخطر طرفى الاتفاق الاساسى مقدما ، حتى تتيح لهم القيــام بترتيبات اخرى واذا طلب طرفا الاتفاق الاساسى من الولايات المتحدة انهاء مهمتهم بمقتضى هذا الاقتراح فسوف تتلقى الولايات المتحــدة هــذا الطلب على اعتبار أنه ملزم .

وفى ١٨ سبتمبر قالت الاهـــرام ــ أن صحيفة النيويورك تايمز ــ نشرت مجموعة من الوثائق الامريكية الملحقة بالاتفاق والتى تضمنت واحدة منها الضمانات التى منحتها الولايــات المتحدة لمصر ومن بينها :

١ ــ تعتزم الولايات المتحدة القيـــام بمجهود كبير للمساهمة فى اجراء مفاوضــات جديدة بين سوريا واسرائيل عن طــريق المفاوضات الدبلوماسية .

٢ ــ فى حالة انتهاك اسرائيل للاتفاق فان الولايات المتحدة على استعداد لاجراء مشاورات مع مصر بهدف تقييم الانتهاك واحتمال قيام الولايات المتحدة بنشاط لمعالجة الامر .

٣ ــ ستمد الولايات المتحدة مصر بمعونة فنية لمركز التصنت الالكترونى .

كما ذكرت الاهرام ان الوثيقتين الاخيرتين اللتين نشرتهمــا « النيويورك تايمز » تتعلقان بالمعونة الامريكية لاسرائيل .

كما أن **هنرى كيسنجر** أعلن فى مأدبة عشـــاء فى الغرفة التجارية فى مدينة سيتسناتى « **بولاية أوهايو** » أن الولايات المتحدة تدرك تماما أنه لن يكون هناك ســـلام دائم فى الشرق الاوسط الا اذا تضمن قرارات تأخــذ فى الاعتبار المصــالح المشروعة للشعب الفلسطينى .

وقال أن الولايات المتحدة تعمل جديا على تشجيع المفاوضات بين سوريا واسرائيل وانها على استعداد للتشاور مع جميــع الاطراف المعنية ومن ضمنها الاتحاد السوفيتى بشأن موعــد انعقاد مؤتمر جنيف . وقال : ان الحــكومة الامريــكية على استعداد لقبول أى اقتراح يتقــدم به الكونجرس يســتهدف جعل انسحاب الفنيين اجبارياً فى حــالة حدوث نزاع جــديد فى الشرق الاوسـط .



● **الســـــودان**

الانقلاب الذى استمر ساعتين

فى فجر الخامس من سبتمبر وقع انقلاب عســكرى قاده **المقدم حسن حسين عثمان** من سلاح الامداد والتموين . وهو حفيد **الامام الهادى المهدى** آخر امام للانصار ، والذى لقى مصرعه فى مارس ١٩٧٠ على الحدود السودانية ــ الحبشية ــ وهو يحاول الهرب بعد فشل تمرد الانصار فى الجزيرة ابا وود نباوى بأم درمان .

وقد استولى حسن حسين عثمان على دار الاذاعـــة ، وحاصر القصر الجمهورى ومطار الخرطوم . واســتخدم فى الانقلاب عشر دبابات ووحدات من المشاة المظليين مسلحين بالرشــاشات الثقيلة .

وقد أذاع قائد الانقلاب بيانا ، اعلن فيه : حل الاتحـــاد الاشتراكى السـوداني ومجلس الشـــعب ومجلس الوزراء ومجلس الامن القـــومى وجهـــاز « توتوكورا » ــ مؤسسة المراهنات على كرة القدم . كما أعلن قائد الانقلاب ، فى بيانه أن مبادئه هى : تحقيق استقلال الجامعة ، واستقلال القضاء ، وحرية الصحافة ، وحماية البلاد من الفاشــــية واقامة ديمقراطية سليمة .

وعندما توجهت قوات الانقلاب للقبض على **الرئيس نميرى** فى منزله تمكن من الهرب ، من باب خــلفى بعــد أن ودع زوجته ، حيث توجه الى معسكر وادى سيدنا الذى يبعد من الخرطوم ٢٠ ك. م. وتمكن من تحريك القوات المعســـكرة هناك الى الخرطوم . وبعد معركة استمرت ساعتين ، جرح خلالها قائد التمرد وسقط عدد من القتلى ، وانتهى الانقــلاب وقبض على حوالى ٢٠٠ ضابط وجندى وصف ضابط ، كما القى

التبض على عدد من المدنيين من انصار حزب الامة والاخوان المسلمين ، وتمكن عدد آخر من الهرب . وأشارت الانباء الى اشتراك وزراء سابقين من الاحزاب التقليدية والطائفية ، مثل **أحمد خير المحامى وأحمد زين العابدين وعبد الماجد أبو حسبو** ، كما اشارت الى أن **الصادق المهدى والشريف الهندى** قد خططا للانقلاب من خلال الجبهة الوطنية التى يوجد قادتها فى بيروت وليبيا ولندن . وكانت هذه الجبهة قد تألفت ، بعد ٢٥ مايو ١٩٦٩ من حزب الامة والاخوان المسلمين والشريف الهندى وبعض عناصر اليمين التقليدى الطائفى . وقد قادت هذه الجبهة فى مارس ١٩٧٠ تمردا مسلحا فى الجزيرة أبا وودنباوى . كما أنها كانت تنظم بواسطة **صادق المهدى** تنظيما خاصا داخل الجيش كان مشكلا من الضباط والجنود والصف ضباط ، وهو الذى كان يعد لانقلاب فى يوليو ١٩٧١ . ولكن الفرصة لم تواته ، بسبب قيام حركة **هاشم العطا** ، وقد اشترك بعد ضرب حركة **هاشم العطا فى توجيه** الامور وفى أعمال الابادة الدموية . وتتعاون الجبهة الوطنية مع **فيليب عباس** المعروف بعلاقاته مع اسرائيل والذى نظم أول حركة انقلابية ضد السلطة التى كانت قائمة فى ٢٥ مايو ١٩٦٩ .

وتمارس الجبهة الوطنية نشاطها خارج السودان ، حيث يتنقل قادتها بين بيروت وطرابلس ولندن وانضم اليها ، مؤخرا ، عدد من العناصر السودانية العسكرية والمدنية ، التى طردت من السودان مثل **بابكر كرار** . وبعد ضرب حركة **هاشم العطا** وتصفية المنظمات التى كانت قائمة — اذ ذاك — فى السودان اتحاد العمال — اتحادات المعلمين والموظفين والنساء والشباب والمزارعين ، تمكنت عناصر الاحزاب التقليدية من استعادة الكثير من مراكزها فى السلطة المدنية وفى الجيش ، كما استعادت وجودها فى « السوق » . وتمكنت الجبهة الوطنية من أن تحقق وجودها فى كافة المؤسسات التى تشكلت بعد ضرب حركة **هاشم العطا** . واستخدمت الجبهة الوطنية جامعة الخرطوم كقاعدة للتحرك الجماهيرى ، مع احتفاظها بقواتها المسلحة المنظمة داخل الجيش لتحريكها فى الوقت المناسب لانتزاع السلطة من **الرئيس نميرى** . وباستثناء بعض التمردات العسكرية المتناثرة — مثل تمرد مارس الماضى فى الجنوب والذى أعدم فيه ثمانية جنود — فان الانقلاب الاخير — والذى يمكننا أن نصفه بأنه تمرد كبير نسبيا — هو أول عمل عسكرى كبير قامت به الجبهة الوطنية منذ تمرد أبا وودنباوى .

وترى قيادة النظام السودانى « أن هذه الحادثة على رغم أنها بسيطة وغير ذات بال فى مسيرة الثورة الا أنها تضيف من الظروف ومن العبر ما هو جدير بالوقوف عنده » . وهذا هو ما ذكره **الرئيس نميرى** فى أول خطاب له عقب احباط الانقلاب .

وانتهت المحاولة الانقلابية — من جانب الجبهة الوطنية الى الفشل ، وحرقت كل الكبارى التى كانت قد أقيمت بين النظام السودانى والجبهة الوطنية بعد ضرب حركة **هاشم العطا** . وقد أشار **الرئيس نميرى** فى خطابه الذى ألقاه بعد يومين من فشل الحركة الانقلابية ، الى أنه سيتشدد ، وسيعيد النظر فى مسائل كثيرة ، وسيصدر قانون « أمن الثورة » وسيعيد النظر فى الدستور ، وأنه سيضرب بيد من حديد .

ويرى المراقبون أن السودان ، يواجه اليوم ليس فقط الصراع الداخلى على السلطة مع الجبهة الوطنية ، وليس فقط الازمة الاقتصادية والتى لم تتمكن القروض العديدة من حلها أو من تخفيف وطأتها — بل ان السودان يواجه كذلك مشكلة الحياة الديمقراطية التى غابت آثارها خلال معارك الصراع داخل النظام حول السلطة ، ثم مشكلة وحدة الشمال والجنوب وهى مشكلة لم تعالج حتى اليوم الا معالجة شكلية . ويرى المراقبون ، أن الانقلاب الاخير الذى قادته الجبهة الوطنية ما ليست الا محاولة من قبل اليمين التقليدى « القديم » للاستيلاء على السلطة متخفيا خلف شعارات « انقاذ الديمقراطية » وحل مشاكل الحياة المعقدة والصعبة اليوم فى السودان .



● لبنـــان

الفتنة الطائفية .. واليد المحركة اجنبية

تشهد الساحة اللبنانية منذ شهر ابريل الماضى سلسلة من الاحداث الدامية . فلم تكد تهدأ الامور عقب تشكيل رشيد كرامى لما يسمى بـ « حكومة الانقاذ » فى أواخر شهر مايو الماضى عقب المؤامرة المشبوهة التى أعدها ونفذها حزب الكتائب اليمينى ضد الوجود الفلسطينى فى لبنان ، حتى تجددت الاحداث الدامية فى الفترة الاخيرة فى مدينة **زحلة والبقاع** وامتدت الى مدينة طرابلس ومناطق الشمال ، ثم الى العاصمة بيروت والمناطق المحيطة بها .

وقد ارتدت الاحداث الدامية هذه المرة ثوب الفتنة الطائفية بين طائفة الموارنة المسيحيين وبين المسلمين السنيين والشيعيين . واتخذت المعارك بين الفريقين طابعا جديدا ، وأصبح العنف والارهاب والقسوة هو سمة المعارك الطاحنة بين الفريقين ، والتى استخدمت فيها الاسلحة المختلفة كالرشاشات ومدافع المورتار والهاونات والصواريخ والقنابل اليدوية .

كما اتخذت المعارك طابع تدمير المصالح الاقتصادية الخاصة بالفريقين كالبنوك والمصانع والمزارع والمحلات التجارية ودور السينما والفنادق والمجمعات السكنية . هذا فضلا عن عمليات الاختطاف لانصار كل فريق وقتلهم وتعذيبهم والاعتداء على رجال الدين ونبش القبور ، وبعثرة هياكل الجثث فى طرابلس .. ولم ينج من هذه المذابح المواطنين الابرياء الذين سقطوا من جراء رصاص رجال القناصة القابعين فوق أسطح المنازل وخلف السواتر الرملية فى الطرقات .

كذلك لم تسلم من أعمال التخريب والدمار مرافق الدولة كمحطات المياه والبنزين وشبكات التليفون والكهرباء والمواصلات كما امتد الشلل الى معظم ادارات الدولة وبخاصة الواقعة فى مناطق الاشتباكات .

وقد بلغ عدد ضحايا هذه المذبحة حوالى ٣ آلاف قتيل وجريح ، كما تقدر قيمة الخسائر المادية بأكثر من ألفى مليون ليرة لبنانية [الف مليون دولار] . وهذه التقديرات لاتشمل قيمة الخسائر المادية وعدد الضحايا فى العاصمة بيروت ، والذين يقدر عددهم بأكثر من ٥٠٠ شخص مابين قتيل وجريح .

تلك هى صورة الموقف فى بيروت والتى تعكس بشاعة المؤامرة التى يتعرض لها لبنان ، والتى تتخذ صورة الفتنة الطائفية . والتى تشير كل الايدى بأصابع الاتهام الى حزب الكتائب المارونى اليمينى ، الذى يشير عديد من المراقبين الى أنه يتلقى المساعدة والتأييد من بعض العناصر فى السلطة .

هذا وتقف حكومة **رشيد كرامى** أمام هذه الاحداث عاجزة من عمل أى شىء ، وذلك بسبب انقسامها على نفسها نتيجة تعدد الطوائف داخلها . فبينما يطالب فريق من الوزراء بنزول الجيش الى المدن بحجة المحافظة على النظام ، وهو نفس المطلب الذى ينادى به حزب الكتائب اليمينى ، فان الفريق الاخر فى الحكومة وعلى رأسه رشيد كرامى يعارض هذا الاقتراح بشدة ، كما يرفض الزج بالجيش فى الشئون الداخلية . وقد هدد رشيد كرامى بتقديم استقالته اذا ما أصر الفريق الاخر فى الحكومة على نزول الجيش الى المدن .

كذلك يعارض المسلمون والاحزاب الوطنية والتقدمية اقحام الجيش فى المشاكل السياسية والخلافات الداخلية ، وذلك خشية أن ينحاز بشكل طائفى الى جانب حزب الكتائب والقوى الرجعية والانعزالية ، وخوفا من استخدام الجيش فى قمع المواطنين **والتصادم مع الثورة الفلسطينية** ، وهو الهدف الاساسى الذى يسعى حزب الكتائب الى تنفيذه .

وقد أعلن رشيد كرامى رئيس الحكومة اللبنانية أن هناك جهات أجنبية وراء الاحداث الدامية فى لبنان ، وهو نفس الاتهام الذى أعلنه من قبل رشيد الصلح رئيس الحكومة السابقة ، الذى استقال فى منتصف شهر مايو الماضى احتجاجا على المؤامرة التى أشعلها حزب الكتائب اليمينى خلال شهرى ابريل ومايو الماضيين ضد الوجود الفلسطينى فى لبنان ، واتهام حزب الكتائب بتلقى أسلحة من الخارج لتنفيذ المخططات الاستعمارية والصهيونية فى لبنان .

ويرى المراقبون فى لبنان أن الهدف الهام لحزب الكتائب هو العمل على تصعيد الموقف والانتقام من رشيد كرامى والقوى التى جاءت به الى الحكم ، واجباره على التخلى عن الوزارة وخلق الظروف المواتية التى تفرض نزول الجيش لقمع الجماهير والصدام مع المقاومة الفلسطينية .

ويلقى رشيد كرامى التأييد والمساندة من جانب الهيئات الاسلامية والاحزاب الوطنية والتقدمية ، التى ماتزال تعتبر وجوده — بالرغم من كل ماحدث وما تأخذه عليه من عجز وتهاون فى القبض على العناصر التى تفتعل الحوادث وعمليات الخطف والقتل منذ البداية عنصرا هاما فى عدم اتجاه الامور الى الاسوأ .

وفى مواجهة هذه الاحداث المؤلمة ، تقف الاحزاب الوطنية والتقدمية والثورة الفلسطينية الى جانب الاقسام الوطنية والشريفة فى الحكومة وخارجها ، وتتعاون معها فى العمل على احباط الفتنة الطائفية ، وافساد كل المشاريع الرامية الى اشعال حرب أهلية فى لبنان .

ويتمثل هذا التعاون فى تشكيل قوات مشتركة من الاحزاب الوطنية والتقدمية والمقاومة الفلسطينية فى مدينة طرابلس ومناطق الشمال لوضع حد لمواجهة أعمال العنف التى تجتاح شمال لبنان ، واخلاء المدن والقرى من المسلحين ، والتدخل لانقاذ المختطفين المدنيين والمحتجزين من رجال الامن الذين يحتجزهم المسلحون فى المدينة ، والعمل على اعادة الهدوء والاستقرار فى شمال لبنان .

وقد أعلن « **زهير محسن** » رئيس الدائرة العسكرية لمنظمة التحرير الفلسطينية فى نداء وجهه الى جميع قوات الثورة الفلسطينية : أن محاولات نشر الفوضى والارهاب ، واغراق بعض المناطق فى الاقتتال الطائفى والسلب والنهب هى جزء لا يتجزأ من المؤامرة الامريكية الصهيونية ضد الثورة الفلسطينية وان هذا الظرف الدقيق هو امتحان لجدارة الحركة الوطنية فى لبنان ولحركة المقاومة الفلسطينية معا . فاما أن تنزلق الى الطريق الذى تحاول القوى المتآمرة جرنا اليه واما أن نسد جميع المنافذ أمام الفئات المعادية والمتآمرين !!

واكد نداء رئيس الدائرة العسكرية لمنظمة التحرير على ضرورة التصدى بالشدة والحزم للعناصر العابثة بالخط العام والقرارات الجماعية للحركة الوطنية اللبنانية والثورة الفلسطينية وكذلك العمل على قمع محاولات ممارسة الارهاب الطائفى بمنتهى الشدة ، واعتقال كل من يحاول الاعتداء على بعض القرى الامنة أو اقامة حواجز لخطف الناس ، واتخاذ اجراءات بما فى ذلك التنسيق مع القوى الرسمية اللبنانية من أجل ضمان عدم تجدد الاقتتال الطائفى فى شمال لبنان ، ومن أجل ضمان جميع الطرق مفتوحة وآمنة للجميع .

هذا ، وتثير الاحداث الدامية فى لبنان ردود فعل شديدة فى كافة أوساط الرأى العام العربى ، نظرا لما تمثله هذه من أخطار على الوضع السياسى والعسكرى فى منطقة الشرق الاوسط وبخاصة على الثورة الفلسطينية ، وهو الامر الذى استدعى تدخل سوريا ومصر ، اللتان تقومان ببذل المساعى لمنع تدهور الموقف فى لبنان واجراء الاتصالات مع المسئولين فى لبنان للعمل على حقن الدماء ، والقضاء على الفتنة الطائفية .

وقد جاء فى البيان الرسمى الذى صدر عن رئاسة الجمهورية أن الرئيس **أنور السادات** يناشد كل القوى العربية « أن تضع تدعيم المقاومة الفلسطينية ومساندة الشعب الفلسطينى فوق كل اعتبار ، ذلك أن الحفاظ على الثورة الفلسطينية عزيزة قوية واجب قومى لن تسمح مصر بالمساس به أو التفريط فيه » .

كما أعلن البيان وقوف مصر بكل امكانياتها سندا للشعبين اللبنانى والفلسطينى وأنها سوف تتصدى بكل حزم لاى اعتداء يقع عليهما .

وتفيد آخر التقارير الواردة من بيروت — حتى ساعة اعداد هذا التقرير — أن حزب الكتائب يواصل خرق اتفاق وقف اطلاق النار الذى تم التوصل اليه فى العاصمة اللبنانية . وانه قد تم الاتفاق بين **ياسر عرفات** رئيس منظمة التحرير الفلسطينية وبين **كميل شمعون** وزير الداخلية على المصالحة والسعى للتهدئة والتعاون مع قوى الامن فى تنفيذ التدابير التى تم الاتفاق عليها لاستتباب الامن باعتباره مطلب جميع اللبنانيين والفلسطينيين على السواء .. وتقوم حاليا دوريات مشتركة من قوات الامن الداخلى والمقاومة الفلسطينية بمهمة الاشراف على تنفيذ اتفاق وقف اطلاق النار ، والاشراف على تنفيذ حظر التجول فى الاحياء التجارية فى العاصمة اللبنانية .

وتتجه جهود رشيد كرامى رئيس الحكومة اللبنانية فى الوقت الحاضر ، الى بذل المساعى لاجراء مصالحة وطنية بين الفريقين المتقاتلين ، وقد أعربت كثير من الهيئات الدينية المسيحية والاسلامية عن تأييد اجراء المصالحة الوطنية . وادانة الفتنة الطائفية وسائر الدعوات الرامية الى تقسيم لبنان بين مسيحيين ومسلمين والتمسك بالوحدة الوطنية .

ومن ناحية أخرى تجرى الاحزاب الوطنية والتقدمية اتصالات مستمرة مع مختلف الهيئات الطائفية والزعامات الدينية للمساهمة فى تهدئة الموقف وتحقيق الاستقرار فى البلاد . وقد أعربت الاحزاب الوطنية والتقدمية عن موقفها من المساعى الحالية لتحقيق مصالحة وطنية على أساس أنه لا يمكن تحقيق مصالحة وطنية والخروج من الازمة الحالية الا بمعالجة جذرية للاوضاع السياسية الحالية التى تكرس الطائفية ، والمطالبة بتعديل النظام السياسى القائم وفقا للبرنامج المرحلى للاصلاح الديمقراطى فى لبنان بأسره ، والذى تبنته الاحزاب الوطنية والتقدمية ليسير لبنان فى طريق تطور ديمقراطى يكفل أمن المواطنين وسلامتهم وحريتهم ويستجيب لمطالبهم الوطنية والاجتماعية .

○

● البحرين

حل أول مجلس وطنى

أصدر الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة أمير دولة البحرين فى السادس والعشرين من شهر أغسطس الماضى ، مرسوما بحل أول مجلس وطنى للبحرين ، بعد أقل من عامين من انتخابه ، وبتجميد بعض مواد الدستور التى تتعارض مع خطوة حل المجلس . وأعاد تكليف الشيخ خليفة ابن سلمان رئيس الوزراء ، والحاكم التنفيذى لدولة البحرين بتشكيل وزارة جديدة تتولى مهام السلطتين التنفيذية والتشريعية .

وقد سبق حلّ المجلس الوطنى حملة اعتقالات استهدفت عددا كبيرا من العمال والنقابيين والطلاب والمثقفين والشخصيات الوطنية ، وذلك بتهمة الانتماء الى « **جبهة التحرير الوطنى البحرانية** » و « **الجبهة الشعبية** » .

والواقع أن التطورات الاخيرة فى البحرين لم تكن مفاجأة بالنسبة للمراقبين الذين يتابعون الموقف فى البحرين .

ويرجع تاريخ الصدام بين الحكومة والمعارضة الى بدء التجربة الديمقراطية فى البحرين وتشكيل أول مجلس وطنى فى ديسمبر ١٩٧٣ [من ٣٠ عضوا بالانتخاب ، وبموجب الدستور فان للامير حق تعيين الحكومة وضم الوزراء بحكم مناصبهم الى عضوية المجلس الوطنى] ...

وبرغم الصعاب التى واجهتها القوى الوطنية والتقدمية ، فقد استطاعت الحركة الوطنية أن تدخل الى المجلس عددا غير قليل من النواب الوطنيين والتقدميين . وقد اثارت هذه النتيجة اهتمام المراقبين ، بقدر ما أثارت الارتباك والقلق فى الدوائر الحاكمة وأوساط الشركات المتعددة الجنسيات العاملة فى البحرين . وذلك الى الدرجة التى جعلت السلطة تفكر جديا فى الغاء نتيجة الانتخابات بل والغاء التجربة الديمقراطية من الاساس والعودة الى النظام القديم .

ومن أجل الحفاظ على الاحترام الذى اكتسبته السلطة الحاكمة فى أوساط الرأى العام فى منطقة الخليج والعالم العربى عموما نتيجة انتهاج الاسلوب الديمقراطى كعنوان للتطور والتقدم الذى وصلت اليه البحرين بعد الحصول على الاستقلال من بريطانيا فى عام ١٩٧١ ، فقد عدلت السلطة عن الغاء التجربة الديمقراطية والتسليم بنتائج الانتخابات .

وقد نشأ الخلاف بين الحكومة برئاسة الشيخ خليفة بن سلمان والحاكم التنفيذى للبحرين وبين المجلس الوطنى منذ البداية حول عديد من القضايا . فالمعارضة داخل المجلس قد اتهمت الحكومة بكثير من التجاوزات وخرق المبادىء الديمقراطية وعدم احترام الدستور والمجلس الوطنى ، وعارضت التسهيلات الممنوحة للبحرية الامريكية فى قاعدة الجفير ، وطالبت بتأميم بعض الشركات الاحتكارية المتعددة الجنسيات . وانتقدت المعارضة سياسة الحكومة فى التصدى للمشاكل الاقتصادية والاجتماعية التى تعانى منها الجماهير الشعبية ، مثل مشكلة الغلاء والاسكان والاجور والبطالة ، ومبالاة رأس المال الخاص والاجنبى .

كذلك فقد نجحت القوى الوطنية والتقدمية التى التفت حول المجلس الوطنى فى تحقيق عدد من المكاسب مثل اطلاق سراح المعتقلين السياسيين ، والسماح للمنفيين فى الخارج بالعودة الى البلاد .

وبلغ الخلاف بين الحكومة والمجلس الوطنى ذروته حول قانون أمن الدولة الذى تقدمت به الحكومة الى المجلس لاقراره . ويقضى القانون باعتقال أى مواطن لمجرد الشبهة ولمدة ثلاث سنوات ، واجراء تحقيق معه غير معلن . وقد رفضت أغلبية الكتل السياسية داخل المجلس الموافقة على قانون أمن الدولة لانه يتضمن قيودا على حرية الافراد ، كما يتعارض مع المبادىء الديمقراطية ، ويمثل انتهاكا لمضمون وروح الدستور . وأصر المجلس على تعديل القانون، ووعدت الحكومة بذلك .

وبعد ذلك أقدم أمير البحرين على حل المجلس الوطنى ، وتجميد مواد الدستور التى تتعارض مع حل المجلس الوطنى.

هذا وتبرر الحكومة موقفها من حل المجلس الوطنى ، وذلك ضمن الحديث الذى أدلى به الشيخ خليفة بن سلمان رئيس الحكومة لجريدة النهار اللبنانية [٢٩ — ٨ — ١٩٧٥] . فقد ذكر : « ان الحكومة لم تستطع ان تمرر أى قانون على المجلس بدون تعديل ، وقد أصبح جو المجلس غريبا وصرنا نسمع أفكارا وكلاما لا علاقة لها بتقاليد البحرين وعاداتها ومتطلباتها ، كما اتضح لنا أن عددا من المعارضين من أعضاء المجلس الوطنى واليساريين يقومون بتحريض العمال والدعوة الى الاضراب ». ولقد كنا مطمئنين الى تأييد غالبية أعضاء المجلس الوطنى . وفجأة بدأت المعارضة تستثير الناس وتخلق جوا من اللغط حول القانون وتستفز الناس ضده وتمارس مختلف الضغوط علينا ، الى درجة أن أغلبية المجلس تراجعت من جراء ارهاب الاقلية ، وانتهت الدورة الاخيرة للمجلس بدون التوصل الى نتيجة فى شأن قانون أمن الدولة . واننا نعتبر حل المجلس الوطنى خطوة اصلاحية وارجاعا للامور الى نصابها » .

وفى المقابل نشطت المعارضة الى شرح وجهة نظرها ، فدعا بيان « لجبهة التحرير الوطنى البحرانية » جميع المنظمات الوطنية فى البحرين الى تداوس الاوضاع الحالية والخروج بصيغة عملية موحدة لمواجهة التطورات الاخيرة فى البحرين .

وادان البيان حملة الاعتقالات ضد العناصر الوطنية والتقدمية . وأكد البيان ان عجز السلطة عن حل مشاكل الجماهير الاقتصادية والاجتماعية دفع الى افتعال معارك واعتقال الوطنيين بصرف الانظار عن تلك المشاكل تمهيدا لضرب المكتسبات الديمقراطية وحل المجلس الوطنى .



● البرتغال

هل تنجح البرتغال فى سد الطريق أمام الثورة المضادة

نشرت صحيفة « افانتى » الناطقة بلسان الحزب الشيوعى البرتغالى مؤخرا ، رؤية الحزب لطريق حل الازمة السياسية البرتغالية التى طال أمدها ، فكتبت تقول : « ان الحل الصحيح للازمة العسكرية السياسية التى تمسك بخناق البلاد يتوقف أساسا على التغلب على الازمة داخل حركة القوات المسلحة، وعلى المدى الذى ستظل فيه ثابتة فى القيام بدورها كحركة تقدمية ، باعتبارها الطليعة الثورية للقوات المسلحة »

انتهت الازمة السياسية الحادة التى شهدتها البرتغال والتى وصلت بالبلاد الى حالة من الانقسام تهدد بانقلاب مضاد للثورة ، بأبعاد **الجنرال جونسالفيز** عن رئاسة الحكومة والقوات المسلحة . ونجح الجنرال **أزفيدو** فى تشكيل حكومة جديدة تعمل على تنفيذ « **برنامج سياسى مشترك** » وافق عليه زعماء الاحزاب الرئيسية الثلاثة : الاشتراكى والديمقراطى الشعبى والشيوعى . واعلن **الجنرال أزفيدو** أن برنامج الحكومة الجديدة الذى وافقت عليه الاحزاب الثلاثة « يتركز على الدفاع عن استقلال البلاد ، وتأمين نظام الاحزاب ، وتدعيم السلام والتعاون مع كل البلاد ومواصلة تصفية الاستعمار حتى النهاية وضمان الدفاع عن مكتسبات الثورة والدفاع عن مصالح الجماهير العاملة وضمان الحريات الديمقراطية » .

ومع بداية سبتمبر ، كانت الازمة السياسية قد بلغت أوجها باتساع الحملة الموجهة ضد الحزب الشيوعى والتى تتزعمها الكنيسة واليمين المتطرف اعتمادا على الدعايات التى روج لها الحكم الفاشى السابق لعشرات السنين .

ويرى المراقبون أنه منذ استقالة الحزب الاشتراكي من الحكومة ، في ١٠ يوليو الماضي ، وحطم الائتلاف الحكومي ، وتنكر لتعهداته حيال برنامج « حركة القوات المسلحة » وهو يلعب دورا في تعميق وتوسيع الازمة السياسية في البلاد مما سهل من توسيع حملات الرجعية وتدخل قوى الامبريالية في الشئون الداخلية للبرتغال . ومن المعروف أيضا أن الحزب الاشتراكي والحزب الديمقراطي الشعبي اتخذا موقف المعارضة من حكومة جونسالفيز السابقة وشنوا حملة ضارية عليه باتهامه بأنه « يعمل على تقويض النظام الحزبي وفرض دكتاتورية اشتراكية غريبة على البرتغال » . وواجه الحزبان حكومة جونسالفيز بالمطالبة « بالابطاء في سياسة التأميمات ومساعدة المؤسسات الخاصة » وتوثيق الصلات مع المصادر الغربية للمعونات وتشجيع الاستثمار البرتغالي والاجنبي . واشترط الحزبان اقالة جونسالفيز كشرط لاشتراكهما في الحكومة . وسرعان ما امتدت الخلافات واتسعت داخل حركة القوات المسلحة . وأصدرت مجموعة التسعة الذين يقودهم ميلوانتونيز بيانا يحتجون فيه على اتجاه البرتغال « نحو دكتاتورية الحزب الواحد » ، وطالبوا بحكومة ائتلافية تشترك فيها الاحزاب السياسية الرئيسية يمثل كل منها حسب ما حصل عليه من أصوات في الانتخابات . وعلى اثر هذا البيان تقرر طردهم من مجلس الثورة . وأعلن سواريز تضامنه مع الضباط المتمردين على الجنرال جونسالفيز . ويرى المراقبون أن تجمع كل القوى المعارضة للثورة البرتغالية قد استفاد من الانقسام داخل حركة القوات المسلحة ومن معارضة الحزبين الاشتراكي والديمقراطي الشعبي . وتحركت القوى المعارضة للثورة في اتجاه دفع الضباط المعارضين لحكومة جونسالفيز الى التمرد على الحكومة . وهدد عدد كبير من كبار الضباط بالقيام بانقلاب لابعاد جونسالفيز بالقوة وانتهت المعركة بابعاد جونسالفيز عن مسرح الحياة السياسية .

وقد كتبت الهيرالد تريبيون تقول « ان ابعاد جونسالفيز لا يتوقع أن يترتب عليه اعادة الوحدة الى صفوف الثورة التي يزداد عجزها عن مواجهة المشاكل الاقتصادية والاجتماعية المعقدة » وصرح الجنرال جونسالفيز بان الازمة لن تنتهي بابعاده ، لانهم لا يهدفون الى استبعاده ، وانما الى استبعاد الافكار التي يدافع عنها » .

ويلاحظ المراقبون أن تحركات الدوائر الامبريالية والرجعية في بلدان غرب أوروبا للتدخل والتأثير على مسار الثورة البرتغالية ، قد اتخذت أبعادا ضخمة بعد أن أصبح واضحا أن الحركة الشعبية التي أسقطت النظام الفاشي تسير قدما في طريق تطوير الثورة والديمقراطية . واستخدم الامبرياليون وفقا لمخططاتهم مجموعة من الوسائل السياسية والاقتصادية لمواجهة التحولات التقدمية . ومع تقدم النضال السياسي تزايد ضغط القوى اليمينية في الخارج والداخل وتعاونها ضد الثورة البرتغالية .

والملاحظ أن أجهزة الاعلام في الغرب قد سعت الى محاولة تشويه الاوضاع داخل البرتغال وتحميل الثورة مسئولية كافة المصاعب التي تواجهها البلاد . وشنت صحف الغرب حملة واسعة تطالب بالتدخل ضد الثورة البرتغالية وكتبت صحيفة ديلي تلغراف البريطانية تقول الا انه في الوقت الذي يجري فيه تدمير الديمقراطية علنا في البرتغال مازال حلف الاطلنطي عاجزا عن أن يبعث الى سواحلها ولو ببعض قطع من وحداته البحرية في حالة طلب الشعب للمساعدة » . وليست الديلي تلغراف هي الجريدة الوحيدة في الغرب التي تنادي بالتدخل المباشر في البرتغال ، فمجموعة صحف « سبرنجر » في المانيا الغربية تردد نفس الاصداء وتنضم اليها « لورور » الفرنسية و « لادرنيراير » البلجيكية . أما في الولايات المتحدة فتعرب صحافتها عن أسفها لما أدى اليه افتضاح النشاط التخريبي لوكالة المخابرات المركزية مما منع عملائها من تنفيذ عمليات واسعة النطاق في البرتغال على النحو الذي شهدته شيلي .

وأبلغ سفراء دول الاطلنطي في لشبونة الجنرال جوميز قلقهم بان البلاد تسير في طريق الحكم المطلق ، كما شارك السفير الامريكي في لشبونة في الضغط من أجل أبعاد جونسالفيز كما أشارت الى ذلك صحيفة « ديارويودي لشبون » البرتغالية .

وقد ذكرت الصحافة البرتغالية أنه عندما طلب الرئيس البرتغالي من السفير الامريكي مساعدة الولايات المتحدة على اجلاء الرعايا البرتغاليين من انجولا ، أبلغه الولايات المتحدة بأن هذه المساعدة مشروطة باقالة حكومة جونسالفيز ، واشارت الصحافة البرتغالية بان دول الغرب حذت نفس حذو حكومة الولايات المتحدة بالنسبة لهذه المساعدة .

ولعبت حركة الاشتراكية الدولية [الثانية] دورا مخططا في الحملة المعادية للثورة البرتغالية وشاركت بدور بارز في تشويه وجه الثورة البرتغالية وفي الحملات المعادية للشيوعية وفي مساندة القوى اليمينية داخل البلاد . وقد عقد زعماء الاشتراكية الديمقراطية الدولية مؤتمرا في استوكهلم في اغسطس وشكلوا لجنة لمساعدة الحزب الاشتراكي وأشارت « نيويورك تايمز الامريكية » الى أن الحزب الاشتراكي الديمقراطي في المانيا الغربية أرسل ١½ مليون دولار للحزب الاشتراكي البرتغالي » . وتقول نفس الصحيفة أنه وصلت مبالغ كبيرة من الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية في النمسا والسويد .

وتشارك قوى اليمين المتطرف من البرتغاليين الذين هربوا الى الخارج ، في الحملات المعادية للثورة البرتغالية ومساندة قوى الثورة المضادة في داخل البلاد . ومن المعروف أن الرئيس السابق انطونيو دي سبينولا كان قد وصل الى باريس أثناء الاحداث الاخيرة في البرتغال . وذكرت مصادر مقربة أن زيارته جزء من خطة للعودة الى البلاد وأنه حضر الى باريس لتنسيق المعركة مع ممثلي الاحزاب السياسية البرتغالية . وأصدر مجلس الثورة بيانا أشار فيه الى تورط سبينولا في محاولة الانقلاب المضاد للثورة في ١١ مارس الماضي وأنه اذا ما ظهر في البرتغال فسوف يقبض عليه ويقدم للمحاكمة العسكرية .

وتعمل العناصر الانفصالية والفاشية التي هربت من البرتغال على اثارة الاضطرابات في جزر الازور ومديرا . والاستقلال الذي تسعى اليه المنظمات الانفصالية هو مناورة سياسية للرجعيين المتطرفين تهدف الى فصل جزر الازور عن البرتغال لصالح الامبريالية .

وفي أنجولا يسعى الامبرياليون الى وقف عملية تصفية الاستعمار ويتمشى تدخل قوات جنوب أفريقيا في البلاد مع تزايد نشاط الجبهة الوطنية لتحرر أنجولا وهي منظمة تحركها الاحتكارات الامريكية .

وسعت الاحتكارات الامبريالية الى خنق البرتغال اقتصاديا لمقاومة المصاعب الاقتصادية في البلاد . وقد أشار الرئيس جوميز الى « أن الابتزاز الاقتصادي للاحتكارات الاجنبية سياسة متعمدة . والضغط الاجنبي على البرتغال وخاصة الضغط الاقتصادي له بالطبع تأثير كبير على الوضع في البرتغال وتتبع بلدان الغرب سياسة تؤدي الى تخريب اقتصاد وتجارة البرتغال وتعرقل الاستثمارات والقروض التي تحتاجها لانعاش النشاط الاقتصادي » . وتعمل الشركات الامريكية والغربية التي تعمل داخل البرتغال على الحد من انتاجها لزيادة البطالة وزيادة ندرة السلع وتفاقم المصاعب الاقتصادية .

كما أدت الاجراءات التي اتخذها عدد كبير من بلدان غرب أوروبا للحد من وارداتها من البرتغال ، الى تدهور ميزان

التجارة الخارجية فى البلاد . ومن المعروف أن التجارة الخارجية فى البلاد . ومن المعروف أن التجارة الخارجية تلعب دورا كبيرا فى اقتصاد البلاد لان التطور الاحادى الجانب للزراعة فى ظل النظام الفاشى كان يضطر البرتغال الى شراء نسبة ضخمة من المواد الغذائية التى تستهلكها من الخارج فى نفس الوقت الذى تترك فيه مساحات شاسعة من الاراضى الخصبة دون أى استفادة بها . وكان لخفض الصادرات اثر بالغ الخطورة على فلاحى المناطق الشمالية للبلاد على وجه الخصوص الذين تمثل صناعة النبيذ المصدر الرئيسى لدخولهم .

وتساهم الحملة المنظمة التى تقوم بها اجهزة الدعاية الغربية بترويج الاشاعات حول عدم الاستقرار الاقتصادى والتى تحذر البرتغاليين من ايداع أموالهم فى البنوك المؤممة وتدعو البرتغاليين الذين يعيشون فى الخارج الى عدم تحويل النقد الى أقاربهم ، تساهم فى زيادة الظروف الاقتصادية تعقيدا . وتحاول **محطة الاذاعة البريطانية** ومحطة **اذاعة دويتش — ويللى** ارهاب شعب البرتغال بشبح الازمة الاقتصادية . ويأمل الغرب من وراء ذلك الى تكرار « **التجربة الشيلية** » رغم أن الوضع فى البرتغال يختلف تماما عن شيلى حيث أن الاقتصاد البرتغالى يرتكز على عديد من الصناعات وليس قاصرا على انتاج سلعة واحدة للتصدير .

وعندما عبأت القوى الديمقراطية فى البرتغال للنضال ضد الضغط الاقتصادى السافر ، سرعان ماواجهتها بلدان الغرب بأشكال سافرة من التدخل السياسى . وتجدر الاشارة فى هذا المجال الى موقف **السوق الاوروبية المشتركة** فيما يتعلق بالمعونة الاقتصادية للبرتغال ، فقد أعطيت الوعود بتقديم هذه المعونة فى الايام الاولى لثورة ٢٥ ابريل . وبعد مفاوضات طويلة حددت الاجهزة المختصة فى السوق المشتركة حجم هذه المعونة كما حددت السلطات البرتغالية المجالات التى ستوجه اليها . ولكن ما أن حل منتصف شهر يوليو حتى أوقف وزراء السوق المشتركة المعونة وربطوها بشروط تحتم على البرتغال أن تنتهج سياسة داخلية تتمشى مع مصالح الغرب .

وتربط الصحافة المالية ربطا مباشرا بين هذا التحول وبين انسحاب زعماء الحزب الاشتراكى من الحكومة وموقفهم المعارض لجونسالفيز . وقد نشرت وكالة **اليونيتدبرس** الامريكية تقريرا من بروكسل جاء فيه « أن الدوائر الرسمية تؤكد ان السكرتير العام للحزب الاشتراكى ماريوبواريز اضطر رؤساء بلدان السوق المشتركة عند اجتماعه بهم الى ممارسة أقصى قدر من الضغط على الزعماء العسكريين البرتغاليين » .

وبعد السوق المشتركة دخل الى الحلبة ما يسمى بالمجلس الاوروبى الذى يتخذ من ستراسبورج مقرا لقيادته . فبعد وصول بابيلار أحد زعماء الحزب الاشتراكى البرتغالى الى ستراسبورج بثلاثة أيام أعلن المجلس أنه أجل تنفيذ برامج المشاورات والتبادل مع البرتغال فى مجال التعليم والقوانين والمجال الاجتماعى التى كانت قد تمت الموافقة على تمويلها من قبل .

واستبعدت الجمعية الالمانية الغربية للتعاون الاقتصادى التى عقدت اجتماعا لوضع برنامج لتوزيع الاستثمارات لمصانع المانيا الغربية فى الخارج . استبعدت البرتغال تماما من البرنامج وحذرت الحكومة البرتغالية . وقد اتخذت الجمعية الالمانية هذا الموقف بناء على توصية من وزير التعاون الاقتصادى فى المانيا الغربية .

وتشير صحف البرتغال الى أن العبارات التى لم يكن يستخدمها أحد منذ شهور سوى زعماء حلف الاطلنطى المعروفين بمعاداتهم للثورة البرتغالية منذ أيامها الاولى ، اصبحت الان تتردد على ألسنة العديد من زعماء الغرب .

● **تركيـــا**

الادارة التركية للقواعد الامريكية

فى الاسبوع الاخير من شهر يوليو الماضى ، أعلنت الحكومة التركية وضع جميع القواعد الامريكية فى تركيا تحت ادارة القوات المسلحة التركية ، وكان هذا الموقف ردا على رفض الكونجرس الامريكى الاستمرار فى شحن الاسلحة لتركيا ، مبررا الرفض بأن تركيا استخدمت الاسلحة الامريكية فى غزو تركيا .

ويوجد للولايات المتحدة فى تركيا عشرون قاعدة عسكرية ، تسعة عشر منها هى أساسا قواعد للرادار ومحطات للاستماع والتجسس على الاتحاد السوفيتى ، باستثناء قاعدة أنكيرليك الجوية النووية . وهذه القاعدة الاخيرة نص القرار التركى على أنه لن يوضع تحت الادارة التركية منها الا الجزء الذى لا يخدم حلف الاطلنطى مباشرة .

ولقد اعتبرت دوائر حلف الاطلنطى قرار الكونجرس بالاستمرار فى حظر الشحن العسكرى لتركيا قرارا ضارا بأمن الحلفاء فى شرق البحر الابيض ، وقد أبدى **جوزيف لانز** سكرتير عام الحلف قلقه ، وخاصة بعد موقف تركيا وسيطرتها على القواعد الامريكية .

وفى الوقت نفسه ، أعتبر المراقبون السياسيون أن قرار الكونجرس كان ضربة موجهة الى رحلة **الرئيس فورد** لاوروبا ، وقد وجه **الرئيس فورد** ، وهو فى وارسو نداء الى الكونجرس يطلب فيه تغيير القرار لانه يتعارض مع مصالح الولايات المتحدة . كما أن الخبراء الامريكيين صرحوا بأن استيلاء تركيا على القواعد الامريكية الالكترونية أضعف قدرة الولايات المتحدة على التجسس على الاتحاد السوفييتى بنسبة ٢٥٪ .

واذ اعتبرت دول حلف الاطلنطى أن هذا القرار يهدد أمن الحلف فى شرق البحر الابيض ، فقد بادرت الى الاتفاق مع تركيا على تنفيذ عقود تسليح خاصة .

وأعلنت المعارضة التركية فى البرلمان — ان موقف حكومة ديميريل ، هو موقف غير ثابت ، وأنه عرضة للتغيير اذا ما غيرت الولايات المتحدة موقفها أو اتخذت الموقف الوسط الذى دعا فورد الكونجرس الى اتخاذه . كما أعلنت المعارضة التركية أن الموقف الامريكى أكد المثل التركى القائل ، « بأنه ليس للتركى من صديق غير التركى » .

وقد دعا **الرئيس فورد** ، مؤخرا ، الى ضرورة وضع خطة مع الكونجرس لوضع حد لحظر تصدير السلاح المفروض على تركيا ، لان استمرار هذا الحظر يضعف — فى النهاية . خط دفاع حلف الاطلنطى ، ويعرض الموقف فى قبرص للخطر ، خاصة ، وأن المقاومة تزداد فى اليونان ضد القواعد الامريكية وقواعد حلف الاطلنطى ، وتطالب **كاراماليس** رئيس الوزراء اليونانى بتنفيذ ما أعلنه والتزم به أمام الشعب والبرلمان — بخصوص انهاء وجود القواعد الامريكية والانسحاب من الجناح العسكرى لحلف الاطلنطى .

وعقب افطار عمل مع ١٠٠ من أعضاء مجلس النواب الامريكى ، أعلن **الرئيس فورد** ، أنه قبل اقتراح المجلس بشأن تخفيف الحظر الذى فرضه الكونجرس الامريكى منذ الخامس من فبراير الماضى على تصدير الاسلحة الى تركيا أما الاقتراح الذى ووفق عليه كحل وسط فينص على الافراج

النوري من معدات حربية تبلغ قيمتها ٧٠ مليون دولار ، وهو ما كانت تركيا قد تعاقدت عليها ودفعت ثمنها قبل فرض الحظر ، بالاضافة الى السماح لها بأن تشتري نقدا أى عتاد حربى أمريكى تحتاجه . ولكن الاقتراح . مازال يمنع بيع الاسلحة لتركيا بالاجل . ويفرض حظرا على تقديم المعونات، كما يطلب الاقتراح من **الرئيس فورد** ان يطلع الكونجرس كل ٦٠ يوما على أى مبيعات من الاسلحة لتركيا .

ولكن هل سيكفى هذا الحل الوسط ، ليجعل تركيا تعدل من قرارها ، أو حتى تعدله ! خاصة وأن نقل ادارة القواعد بالكامل الى القوات المسلحة التركية لم يتحقق بعد كما أن حكومة ديميريل تواجه معارضة قوية داخل البرلمان التركى. ويضاف الى ذلك كله ، أن هذا الحل الوسط ، لابد وأن ينعكس على الموقف اليونانى ، فيجد **كارامليس** نفسه مضطرا الى تنفيذ وعده بانهاء وجود القواعد الامريكية والانسحاب من الجناح العسكرى لحلف الاطلنطى . الا أن بعض المراقبين يرون — مع ذلك — ان هذا الحل — ولو أنه — حل وسط — سيعقد الوضع بالنسبة للمشكلة القبرصية، فتستمر الشوفينية التركية الرجعية فى مخططها لتقسيم قبرص واضفاء شرعية على غزوها لقبرص ، على أساس السماح للولايات المتحدة الامريكية بأن تنشىء قواعد جديدة لهـا فى قبرص ، وهو الامر الذى ترى المخابرات المركزية الامريكية ضرورة تحقيقه بعد القرار التركى — باعلان الادارة التركية للقواعد الامريكية .



● بيــرو

خطوة على الطريق نحو لقاء « سرى لانكا »

ينعقد فى العام القادم [١٩٧٦] ، المؤتمر الخامس لقمة دول عدم الانحياز فى سرى لانكا . وتحضيرا لهذا الاجتماع، انعقد فى ليما « بيرو » المؤتمر الخامس لوزراء خارجية دول عدم الانحياز ، حيث اقر « **اعلان ليما** » الذى يقع فى ٥٠ صفحة .

وقد سبق انعقاد المؤتمر ، اجتماع « لجنة التنسيق » [١٧ دولة] ، فى دورة انعقادها الثانى ، بعد أن عقدت دورتها الاولى فى **هافانا** [كوبا] فى مارس الماضى .

وتضمن « اعلان ليما » عددا من القرارات السياسية والتنظيمية والاقتصادية . ويرى المراقبون أن مصر قد مارست نشاطا سياسيا بارزا ، بدأته فى القاهرة اثناء اتصالات وزير خارجية بيرو وسفير يوجوسلافيا . كما احتلت مصر مركز نيابة الرئاسة — التى عقدت لوزير خارجية بيرو — مع وزراء خارجية جيانا والصومال وأوغندا والهند وماليزيا.

وقد جاء فى « اعلان ليما » — من الناحية السياسية — فيما يتعلق بمشكلة الشرق الاوسط — ان الموقف مازال يشكل تهديدا خطيرا للامن والسلام الدوليين . وأرجع المؤتمر هذا ، الى تجاهل اسرائيل وتعنتها ، فى تعاملها مع قرارات الامم المتحدة ومبادىء الاعلان العالمى لحقوق الانسان . ولذا ، اكد المؤتمر انه لا حياد بين المعتدى والضحية ، وادان بشدة الولايات المتحدة لمواصلتها تقديم التأييد العسكرى والاقتصادى والمعنوى لاسرائيل « لتظل قاعدة للاستعمار الامبريالى فى داخل العالم الثالث واستخدامها فى ضرب حركات التحرير واستنزاف مصادر المنطقة الطبيعية » . وأكد المؤتمر أن اية خطوة تتخذ على طريق الحل ، يجب الا تضر بأى حال بحقوق شعب فلسطين فى تقرير مصيره .

وقد أثيرت فى مناقشات المؤتمر ، قضية مستقبل عدم الانحياز فى ظل توحيد المؤسسات واقامة تنظيمات دولية واتحادات خاصة بمجموعة عدم الانحياز ، وذلك استمرارا للاتجاه الذى بدأ فى نوفمبر الماضى حينما تقدمت يوجوسلافيا بفكرة تكوين « اتحاد طلاب دول عدم الانحياز » . وقد برزت — مشروعات بتكوين اتحادات أخرى منها انشاء أول اتحاد نقابى لدول عدم الانحياز .

ومن أهم القضايا السياسية التى أثيرت فى المؤتمر ، قضية تحييد البحر الابيض المتوسط التى تبنتها يوجوسلافيا . الا ان المؤتمر لم يتوصل الى قرارات حاسمة فى هذا الشأن . كما ارجأ قضية تحييد المحيط الهندى الى مؤتمر القمة الذى سينعقد فى سرى لانكا .

وفى مجال القضايا الاقتصادية ، فقد شدد العديد من اعضاء المؤتمر ، على مطالبة اللجنة الاقتصادية للمؤتمر بضرورة ربط اسعار المواد الاولية بالمواد المصنعة ، وقيام صندوق للتعاون الاقتصادى المشترك .

ويلاحظ المراقبون ان الولايات المتحدة قد حاولت تخويف » دول عدم الانحياز بشأن هذا المطلب ، حين أعلنت أنها لن ترفع اسعار البترول وفق شروط دول « الاوبك » ، وبالتالى، لا محل لقيام صندوق للتعاون الاقتصادى المشترك . وبرغم هذا « التخويف » أقدمت الكويت — احدى دول الاوبك ورئيس اللجنة الاقتصادية للمؤتمر — اقدمت على عرض مليون دولار من أجل هذا الصندوق . واقرت اللجنة انشاء بنوك للمعلومات الاقتصادية. وطالبت فنزويلا [عضو مراقب]، بضرورة تكتيل الجهود من اجل مواجهة الدول المستهلكة فى مؤتمر وزراء مالية الدول المصدرة الذى سينعقد فى ديسمبر القادم بواشنطن . وطالبت بيرو بضرورة المحافظة على أسعار المواد الخام ، والبترولية ، والكفاءات الذهنية ، وبناء نظام مالى جديد ، وانشاء صندوق لتثبيت الاسعار ، واقامة اتحاد للدول المنتجة للمواد الخام .

وكانت اللجنة الخاصة بشئون العضوية ، قد ناقشت عضوية كوريا وفيتنام بشقيها وعضوية بناما ، وطلبات المراقبين من رومانيا والبرتغال والفلبين وتايلاند ، وطلبات استراليا وفنلندا والسويد والنمسا كضيوف غير رسميين . واعطت اللجنة « العضوية المراقبة » **لمنظمة التحرير الفلسطينية** ومنظمة شعب جنوب غرب افريقيا والمؤتمر الوطنى الافريقى لجنوب افريقيا . اما منظمة «الباثيت لاو » فقد حلت مشكلة عضويتها بعد تولى الشيوعيين السلطة قبيل افتتاح المؤتمر ، وسوف يستمر تمثيلها بمجرد اعلان الحكومة الجديدة « عدم الانحياز » وفقا للاتفاقية التى وقعت فى اغسطس ١٩٧٣ والتى تضمنت ١٨ بندا .

وفى المؤتمر الخامس لوزراء خارجية عدم الانحياز، تمت الموافقة على عضوية منظمة التحرير الفلسطينية الكاملة . ويعد هذا الموقف استمرار لجهود يوجوسلافيا التى بدأت تحركاتها فى دورة الجمعية العامة الماضية [الدورة ٢٩] حين دعت ٥٤ دولة الى التصويت فى ٢٧ سبتمبر الماضى لصالح العضوية المراقبة للفلسطينيين . وقد حاولت بعض الدول العربية ان تقرن قبول فلسطين بطرد اسرائيل ، على الاقل على مستوى مجموعة عدم الانحياز فى الامم المتحدة ، ولكن لاسباب عديدة أصدر المكتب الدائم لدول عدم الانحياز فى ١٢ مارس الماضى وثيقة مستقلة دعا فيها الى استطلاع امكانية حرمان اسرائيل من عضوية الامم المتحدة والوكالات المتخصصة اذا لم تنسحب فى فترة محددة وتقر حقوق شعب فلسطين . وفى المؤتمر التنسيقى الذى عقد بهافانا فى

مارس الماضي صدرت توصية بفرض عقوبات على اسرائيل، وفي مؤتمر ليما تقدمت الجزائر — التي رأست الافتتاح — والعراق وليبيا وسوريا بمشروع تقدم به عبد الحميد شرف [رئيس المجموعة العربية وممثل الاردن] ، بحرمان اسرائيل من العضوية . أما المشروع الثاني فقد تقدم به فاروق قدومي ممثل منظمة التحرير الفلسطينية لطرد اسرائيل . وتقدم السفير محمود رياض [مصر] بمشروع حرمان اسرائيل من العضوية متضمنا الغاء قرار الجمعية العامة في مايو ١٩٤٩ بقبول عضوية اسرائيل . وقد تمت الموافقة على مشروع مصر .

ويلاحظ المراقبون ، ان قبول كوريا الديمقراطية وفيتنام بشقيها وبناما ، ثم رفض قبول كوريا الجنوبية ، في عضوية المؤتمر ، كان ضربة قوية وجهت الى السياسة الامريكية ، خاصة ، وان امريكا كانت تعلق أملا على قبول كوريا الجنوبية في مؤتمر عدم الانحياز حتى يتحرك سفيرها في الامم المتحدة من أجل قبول عضويتها في دورة الجمعية العامة .

○

● الامم المتحدة

هل ينهار أمل العالم الثالث في انشاء نظام اقتصادي عالمي جديد ؟

لم يفت السفير حاييم هيرتزوج ، مندوب اسرائيل في الامم المتحدة — وهو يلقي خطابه يوم الاثنين ٨ — ٩ ، في الدورة السابعة الطارئة للجمعية العامة : أو مايطلق عليها دورة التنمية — ان يلتقط أو يستغل خيطا اعلاميا أعده الصحفي الامريكي بورشجريف مع ثلاثة من الشخصيات العامة ، في مصر ، في مجلة « نيوزويك » [١] .

فانه لما كانت الدول العربية قد استعدت في هذه الدورة لتجس نبض دول العالم حول مسألة طرد اسرائيل [أو حتى التهديد بوقف نشاطها في الجمعية العامة أو في الاجهزة المتخصصة ، فان هيرتزوج قد حاول — على ما يبدو — أن يصعد — اعلاميا — فكرة الحوار العربي — الاسرائيلي في هذه الدورة .

ولذا ، فبعد أن تحدث باناضة عن دور الحكومات العربية في اثارة الصراع بين الدول المصدرة والمستوردة للمواد الاولية ، وهي المشكلة التي طرحت كموضوع كامل للصراع الدولي في الدورة ٢٨ للجمعية العامة ، بعد حرب اكتوبر ، فقد اشار الى أن الدول الكبرى عليها الا تسمح بخلق أكثر من «أوبك» في مجالات الانتاج الدولي الاخرى ، ثم قال : ولا يعني هذا ان اسرائيل تستعدي دول العالم ضد التحرك العربي ، بل على العكس ، فانها على استعداد لان تلعب دورها التاريخي في التكامل مع دول المنطقة ، وانها ستقدم للهيئة الدولية ، نموذجا للتعايش والتعاون بين الدول المتقدمة والنامية في منطقتنا !! ثم أضاف ، أن اسرائيل لن تضع أية قيود سياسية على تصدير خبراتها وابحاثها ، وذلك على العكس من الدول العربية التي تزج دائما بالاعتبارات السياسية في هذه الدورة الخاصة بالتنمية . ثم قال : ويمكن أن يتضمن نطاق التعاون مسائل الانتاج الزراعي والمعدني . ولابد من انشاء مركز اقليمي للخبرة .. ولا مانع لدى اسرائيل أن تقوم الدول العربية بتمويل هذا المركز الذي حددت اسرائيل مكانه — بشكل مبدئي — في صحراء النقب ، وهو مركز عام لابحاث المناطق الصحراوية .

ثم زاد هيرتزوج على ذلك قوله : واسرائيل على استعداد ان يدرس الطلاب العرب في معاهدها في ميادين الهندسة والطب والدراسات الانسانية . وانها ترحب بأية بضائع عربية تدخل الموانى الاسرائيلية بأية بضائع اجنبية تمر عبر الموانى الاسرائيلية للدول العربية .. ثم ختم خطابه بشكل مليودرامي مشيرا الى قول رئيس الولايات المتحدة السابق جون كيندي : لا تقولوا ماذا يستطيع العالم ان يقدم لكم ، ولكن ماذا تستطيعون ان تقدموا أنتم للعالم ! !

وهكذا بات السؤال موجها الى المندوبين العرب ... « وماذا ستقدمون ، انتم للعالم ! » وقد ابدى وزير خارجية الكويت ، السيد صباح الاحمد الجابر ، ليس فقط للدفاع عن وجهة النظر العربية ، بل ليدافع أيضا عن اعلان ليما الاقتصادي . — كانت الكويت رئيسة اللجنة الاقتصادية في مؤتمر ليما — فقد أوضح الوزير الكويتي : ان رفع أسعار النفط هو الطريقة الوحيدة لمواجهة استغلال الاحتكارات ، ولمواجهة ما تحاوله الدول المتقدمة من ايجاد بدائل للبترول للضغط على الدول المنتجة ، لاسيما وان البترول معدن ذو طبيعة خاصة : فهو قابل للنفاد ، من جانب ، وتعتمد عليه دول كثيرة كعنصر انتاج وحيد ، من جانب آخر . وبالتالي فلا محل لمعايرة الدول البترولية بأنها تضغط على الاقتصاد العالمي لايذاء الدول الفقيرة أو انها تريد تحطيم النظام الاقتصادي الحر بدفعها لمشروع الـ ٧٧ الذي وضعت خطوطه الاساسية في ليما . وفوق ذلك ، فان هذا المشروع قد تأكدت اهميته بالنظر الى مناورات وزير الخزانة الامريكي ، وليم سيمون ، لتحميل عبء تمويل التنمية على الدول العربية ، اذ بينما وصلت مساعدات دول الاوبك الى ١٠ بليون دولار حتى هذا الوقت من سنة ١٩٧٥ ، انخفضت مساعدات الدول المستهلكة من ٣٣٪ الى ٢٩٪ في الفترة ٧٠ — ١٩٧٤ .

وربما لا نجاوز الحقيقة اذا قلنا ان موقف الدول العربية والدول النامية ، في الدورة السابعة الطارئة يعتبر ردا على التحركات التي بدأت في اجتماعات الدورة الثلاثين الموحدة للبنك الدولي وصندوق النقد . فقد تقدم روبرت مكنمارا ، في نفس وقت انعقاد الدورة السابعة ، باقتراح يهدف الى زيادة حصة القروض التي يعتمدها البنك من الف مليون دولار الى سبعة الالاف مليون دولار على أن يصل مجمل مبالغ خطة التمويل الى ٤٠ الف مليون دولار . وبينما ناشد مكنمارا الدول المتقدمة انقاذ الصندوق بـ ١٥ الف مليون دولار طالب الدول البترولية بأن تدفع ٢٥ بليونا يتحمل معظمها المصدر العربي . وكان هدف كل هذه المناورات الاقتصادية :

١ — اضعاف السلاح الاقتصادي الذي كانت الدول العربية ستعتمد عليه في اثارة قضية الشرق الاوسط .

٢ — تكتيل الجهد للحصول على شروط افضل للتنمية بما يخدم النظام الاقتصادي الجديد المقترح من قبل دول العالم الثالث في الدورة الثلاثين للجمعية العامة . وهو المشروع الذي أوصت به الدورة الـ ٢٩ .

وكان هذا هو اكبر تحد تواجهه دول العالم الرأسمالي [الحر] ، ومن ثم فقد حاولت الدول الكبرى — منذ نهاية أعمال الدورة ٢٩ — أن تتقدم بمشروع شكلي لتطوير أجهزة الامم المتحدة والاكتفاء بذلك دون تطوير النظام الاقتصادي . وفي بداية الدورة كان كورت فالدهايم قد أشار الى مشروع تطوير للامم المتحدة بناء على دراسة أعدتها لجنة خبراء من ٢٥ دولة . ولكن المشروع كان ضربة لاهداف مجموعة عدم الانحياز . فعلى الرغم من أن المشروع ركز على أهمية تبادل الخبرات والثروات ، ورأى أن تركيز هذه العناصر في بعض الدول سيؤدي الى سيطرة الغرب على النظام الاقتصادي الامر

---

(١) راجع نص الحديث في الطليعة : عدد سبتمبر ١٩٧٥ .

الذى يصطدم مع الواقعية السياسية التى تعبر فى الامم المتحدة عن زيادة الاغلبية العديدة ، وعن تنامى دور الدول المنتجة للمواد الاولية [كما جاء فىمقترحات ١٧ ديسمبر ١٩٧٤للجمعية العامة بضرورة الحرص عليه] ... نقول ، رغم كل هـذا ، فان المشروع ، قد رآه البعض معيبا من زاويتين : الاولى : أن لجنة الخبراء كانت متميزة ، حيث أن معظمها من دول مجلس الامن مما دفع دولةمثل الصين أيضا الى رفض الاشتراك فيها بدعوى « أنها تمثل مصالح الامبريالية الدولية » . والثانية : أن المشروع كان « وظيفيا » اعلاميا لا يتعدى توسيع مشاركة الدول النامية فى أجهزة الامم المتحدة المتخصصة .

وكان كورت فالدهايم قد تقدم بمشروع من أربع نقاط :

١ ــ اعطاء المجلس الاقتصادى والاجتماعى دورا حقيقيا فى تنسيق النشاطات الدولية فى محاولات الاسكان ــ البيئة ــ المرأة .

٢ ــ يتعاون المجلس الاقتصادى مع الجمعية العامة فىشئون الطاقة والتنمية .

٣ ــ السكرتير العام يقوم بتقديم توصياته وتوجيهاته للخمسة عشر وكالة التابعة للامم المتحـدة والمجموعات المتخصصـة واللجان الاستشارية التىيشكلها مكتب الامانة العامة . ويقوم بالتنسيق بين كل هذه الادارات مع الاهتمام بالاجهزة التى تخدم العالم النامى .

٤ ــ تطوير برنامج الامم المتحدة للتنمية [اليوند] بـ :

ــ زيادة الدورات غير العادية للجمعية العامة الخاصة بالتنمية .

ــ توحيد تمثيل نشاطات الامم المتحدة الاقتصادية فى الدول المعـانة .

ــ تنمية اتفاقات مجموعة الجات [الاتفاقية العامة للتجارة والتعريفة] .

ــ دراسة امكانية زيادة تصويت الدول النامية فى الادارات العامة بما يكفل لها زيادة ٤٥٪ ــ الى ٥٠ ٪ .

ــ تطوير نشاطات اليونيدو [المنظمة الصناعية] .

وأمام عجز مجموعة الـ ٧٧ من دول العالم الثالث عنتشكيل برنامج عام للنظام الاقتصادى من جانب ، واقتصار مشروع فالدهايم على الجوانب الوظيفية .

بادرت الولايات المتحدة الى طرح برنامجها الذى تدمه باتريك مونيهان ، السفير الجديد للولايات المتحدة فى الامم المتحدة ، وصاحب الخبرة العريضة فى التعامل مع دول العالم النامى . ومما يذكر أن هذا البرنامج كان من المفروض أن يقدمه كيسنجر لولا انشغاله فى تحقيق فك الاشتباك الثانى .

وقبل أن يطرح مونيهانالبرنامج علىالدورة السابعة الطارئة اهتمت الولايات المتحدة بأن تمنع دول العالم الثالث من أى تحرك سياسى فى هذه الدورة . ومن ثم فقد تقـدم ٣٩ من أعضاء الوفود برسالة الى فالدهايم مذيلة بأسماء لها وزنهـا الدبلوماسى مثل هنرى كابوت لودج وجـون سكالى وجيمس دروسوف وجورج بول وغيرهم . وتتضمن الرسالة معارضة أى قرار مسبق بطرد اسرائيل ، أو حتى حرمانها من العضوية أو التهديد بذلك ، بدعوى أن ذلك مناف لروح الميثاق ، خلفا لثقة الدول الكبرى فى تحركات الامم المتحدة فى مجال التنمية الاقتصادية . فضلا عن أن عملا من هذا القبيل يعد خلفا الابعاد الاقتصادية لوظائف الدورة وبين الابعاد السياسية .

على كل حال ، فقد أكد البرنامج الامريكى المقـدم للدورة السابعة الطارئة على دور الولايات المتحدة الحضارى فى توفير الرعاية التكنولوجية والصحية للدول المتخلفة [وكأنه يعيـد ذكريات النظريات الاستعمارية البائدة عنمسئوليات الرجل الابيض تجاه المتخلفين] . كما أكد البرنامج على ضرورة التعامل بروح برجماتية واقعية . وأشار الى أنه علينا أن نختار بين العنجهية والضوضاء ــ أو العمل الواقعى الملتزم بأهداف جماهير العالم المتخلف . وفيما يلى أهم نقاط البرنامج الامريكى :

١ ــ توفير ضمانات وتسهيلات دولية فى صندوق النقـد الدولى لمواجهة مشاكل التضخم العالمى ، وتوسيع حصص البنك الدولى ورفع تمويل حصص المساهمين من ١٠٠ مليون الى ٤٠٠ مليون دولار سنويا ، نظير رفع حق القرض الى ٢٫٥ بليون دولار سنويا لكلالدول مع زيادة فى الرصيد الاجمالى للقروض الى ١٠ بلايين دولار .

٢ ــ انشاء معهد دولى للطـاقة ، ووكالة دولية للذرة ، واكتشاف المعادن النادرة ، وانشـاء مراكز للتبـادل الفنى التكنولوجى ، واقامة بيوت خبرة تحت اشراف لجنة عامة للامم المتحـدة .

٣ ــ تشكيل نظام عام لتوريد السلع الاستهلاكية وتصريفها، خاصة السلع الوسيطة . والولايات المتحدة ستأخذ المبادرة بتقديم برنامج للتعريفة الجمركية المشتركة والتخفيضـات السعرية للسلع ، بهدف توسيع الاسواق المحلية لامتصـاص التضخم وسيبدأ هذا البرنامج من يناير القادم .

٤ ــ البدء بتكوين احتياطى عالمى من القمح يقدر بـ ٣٠ مليون طن والنظر فى أمر اضافة حبوب أخرى .

٥ ــ مناقشة كل حالة سلعية على حدة ، ومعارضة الوصول لنمط عام فى التعامل مع كل أنواع السلع ، والسعى لتكوين مايعرف باسم نظام السلع العازلة ، أو المحايدة ، أوالموازنة وبالتحديد الاقتصادى [البديلة] لتحقيق استقرار سعرى على أساس جغرافى اقليمى .

٦ ــ وعلى البنك الدولى أن يبحث عن مصادر للمواد الاولية بميزانية مقترحة قدرها ٢ بليون دولار ، وفق مشروع فالدهايم بهدف انشاء هيئة دولية للتنمية الزراعية أسوة باليونيدو .

ولم تكتف الولايات المتحدة بتقديم برنامجها ، فانطلق هنرى كيسنجر ــ بعد عودته من الشرق الاوسط ليمارس ضغوطه على الاعضاء . وحذر دول العالم الثالث من أى تراجع أمام الدول المصدرة للبترول ستزيد من مصاعب اجتماع الدول المصدرة والمستهلكة للبترول المقرر عقده فى ديسمبر من هذا العام .

وفعلا تقدم سوفانيارج [فرنسا] مشروعا لتحويل الغـذاء وتوازن الصادرات والواردات للدول النامية ، ودور صندوق النقد الدولى نظير أن تقدم الدول النامية الضمانات والمنـاخ الاستثمارى الملائم .

لقد كانت الدورة الطارئة فى سبيلها الى الفشل نتيجـة للتعنت الامريكى . وفى يوم ١٤ ــ ٩ عقد فالدهايم اجتماعا مطولا مع كيسنجر ومونيهان وعبد العزيز بوتفليقة ، فى محاولة للتوصل ولو الى تصريح ختامى ، بعد أن عجزت الدورة عـن الوصول الى قرارات فاصلة .

وهكذا ، تضمن التصريح الختامى عددا من الوعود بتنسيق الجهود الدولية وتنويع الصادرات . كما تضمن التصريح تلويحا من الدول الغنية بأنها ستخصص ٠٫٧٪ من دخلها للتنمية فى مجال العلوم والتكنولوجيا والصناعات الاولية [تحفظتالولايات المتحدة على هذه النسبة] .

والحقيقة أن بوتفليقة قد لخص الموقف كله عندما أشـار الى أنه اذا كانت دول العالم التى لم تحقق اهدافها خـلال هذه الدورة الطارئة المخصصة للتنمية فانها ــ مع ذلك ــ قـد اكتشفت الطريق .

وهكذا تكتل الكارتل الرأسمالى فى الدورة السابعة الطارئة لارغام دول العالم الثالث على قبول قواعد اللعبة الرأسمالية ، والا فلن يتم حتى التطوير للنظام الاقتصادى الحالى وليس تغيير النظام الاقتصادى العالمى . وتحطمت آمال دول العالم الثالث على صخرة الكارتل الاقتصادى فى الامم المتحدة . فهل تقبـل مجموعة الـ ٧٧ تحطيم طموحها فى الدورة الثلاثين للجمعية العامة وتخرج صفر اليدين من معركتها امام الدول المستهلكة هذا العام أيضا . ؟! وتتبخر أحلام الدورة الطارئة السادسة التى عقدت فى مايو الماضى ؟.



كيف يفكر الاشتراكيون في أمريكا اللاتينية ؟

في هذا العدد تنشر « الطليعة » الفصلين الثاني والثالث من الوثيقة التي بدأ نشرها في عدد سبتمبر الماضي تحت عنوان : « كيف يفكر الاشتراكيون في امريكا اللاتينية » ؟

ولقد تعرض الفصل الاول ــ كما نذكر ــ الى رسم الخطوط العريضة للوضع العام في أمريكا اللاتينية ــ ككل ــ من النواحي السياسية والاقتصادية ، منذ ان نهض النضال الوطني التحريري لشعوب هذه القارة . كما أشار الفصل الاول ــ ايضا ــ الى الدور الذي قامت به الامبريالية الامريكية من أجل احتواء بلدان هذه القارة . وعندما لم تنجح محاولاتها حاولت ان تقدم الى شعوب امريكا اللاتينية نموذجا مجسدا للتنمية الراسمالية ــ في البرازيل ــ يكون مركز جذب لبلدان القارة الاخرى . غير ان فشل نموذج التنمية الراسمالية عاد ليطرح ــ مرة أخرى ــ ضرورة البحث عن طرق ودروب أخرى .





لم يتوقف كفاح شعوب أمريكا اللاتينية ضد استيلاء امبريالية الولايات المتحدة على ثروات بلادهم وضد الاستغلال البشع الذى تمارسه بالاشتراك مع حكام الاقلية . وفى أعوام الكساد الاقتصادى الكبير ، التى بدأت فى عام ١٩٢٩ ، وأصابت أمريكا اللاتينية ضمن هيكل الازمة العامة للرأسمالية اتضحت ازمة بنيان امريكا اللاتينية والتناقضات المستعصية على الحل بين مصالح امريكا اللاتينية وبين مطامع الامبريالية. فى هذه الازمة ، كان وعى الطبقة العاملة موجودا . هذا الوعى الذى خلق منذ القرن التاسع عشر ، تيارات اشتراكية وادى ـ بتأثير ثورة اكتوبر ـ الى خلق غالبية الاحزاب الشيوعية فى أمريكا اللاتينية .

واتضح ، اكثر واكثر تيار شعبى معاد للامبريالية بجوار كفاح العمال والفلاحين والطلبة من أجل احداث تغييرات اقتصادية واجتماعية . لقد كانت هناك احداث ذات اثر عميق مثل « الطابور الذى لا يغلب » بقيادة لويس كارلوس برستس ، وهيئات العمال والفلاحين فى عام ١٩٣٢ التى قادها الحزب الشيوعى فى السلفادور ، واسقاط الطاغية جيراردو ماشادو فى كوبا بعد الاضراب العام الذى قام به العمال عام ١٩٣٣ ، والاعمال البطولية التى قادها أوجستو سيزار ساندينو ، والدعم القوى الذى ابدته هذه الشعوب لكفاح الشعب الاسبانى ضد عدوان الفاشية . وكان تأميم البترول والاصلاحات الاخرى التى تمت خلال حكم الرئيس لازارو كارديناس فى المكسيك ، وحكومة الجبهة الشعبية بقيادة بدرو أجوير فى شيلى ، كانت هذه الاصلاحات ـ الى حد ما ـ نهاية مرحلة خصبة تراكمت فيها القوة والخبرة . كذلك اتسع فى هذه الفترة الكفاح ضد الفاشية وضد الحروب العدوانية والنهب الامبريالى .

وادى نشوب الحرب العالمية الثانية، التى تحولت الى حرب شعبية ضد النير الفاشيستى الى بعض التعديلات فى وضع أمريكا اللاتينية . لقد وقفت شعوب العالم صفا واحدا فى وجه التحدى الذى كان يفرضه استبداد النازية والفاشيسية اللتين كانتا تطمعان فى السيطرة على العالم واخضاع الشعوب لمصلحة القطاعات الاشد رجعية من الامبريالية . وكان أن تبلور الائتلاف المعادى للهتلرية ، وهو الائتلاف الذى كان مدعوا ـ فى حرب لامفر منها ضد النازية ـ الى توحيد الدول الامبريالية الكبرى مع أول دولة اشتراكية ـ الاتحاد السوفيتى ، الذى لعب الدور الحاسم فى تلك الحرب .

ولقد قامت الاحزاب الشيوعية فى امريكا اللاتينية ، قبل الحرب واثناءها بجهد كبير لتكوين جبهات وطنية معادية للفاشية وللامبريالية وتمخض هذا الجهد عن نتائج متباينة من بلد الى آخر . وهكذا ادت قرارات المؤتمر السابع للاممية الشيوعية دورا هاما . وفى سنى الحرب التى كللت بالنصر المظفر للشعوب ـ هذا النصر الذى كانت للاتحاد السوفيتى اليد الطولى فيه ـ ثم بعد ذلك ، بقيام معسكر الاشتراكية العالمى ، انفتح أمام الكثير من بلاد أمريكا اللاتينية مجال هام سهل تطوير عمل الحركة العمالية والاحزاب الشيوعية بالاضافة الى تحقيق اصلاحات اجتماعية هامة .

وفى الوقت نفسه ، انتهزت الامبريالية ظروف الحرب لتزيح منافسيها ، وتزيد من نفوذها فى جنوب أمريكا اللاتينية باستخدام وسائل أكثر خبثا ـ ففرضت اتفاقية ريو دى جانيرو عام ١٩٤٧ محاولة أن تفرض بالقوة ـ فى نطاق ما أطلق عليه « الجامعة الامريكية » . Pan Americanism سيطرتها السياسية والعسكرية . ولكنها مع هذا لم تتمكن من تخفيف حدة التناقضات القائمة بين احتكاراتها وبين المصالح القومية لشعوب بلدان أمريكا اللاتينية داخل حدود نمو معين للفئات البورجوازية المحلية التى ترغب فى سياسة بديلة لسياسة الاستيراد اوجدت تصنيعا نسبيا .

ومنذ نهاية الحرب ، أضحت وسائل السيطرة التى تتبعها الامبريالية الامريكية اكثر وحشية . فبالاعتماد على قوتها الاقتصادية ، وعلى الابتزاز النووى اخذت هذه الامبريالية تتطلع الى السيطرة على العالم الامر الذى ترتب عليه أن وقفت فى مواجهة جميع شعوب العالم ، بما فيها شعوب قارتنا الامريكية . ولقد بدأت الولايات المتحدة « الحرب الباردة » فى عام ١٩٤٧ .

وتجسدت سياسة الحرب الباردة هذه فى « مشروع مارشال » ومن قبله فى « مشروع ترومان » الذى أدى ، تحت شعار « العداء للشيوعية » ، ليس فقط الى ضرب الاحزاب الشيوعية فى أمريكا اللاتينية ، وانما الى ضرب جميع القوى التقدمية والديمقراطية التى كانت تقف فى وجه مطامع « الامبريالية » التى استهدفت السيطرة الكاملة .

وخلال الحرب العالمية الثانية ، كانت الولايات المتحدة قد زادت من نفوذها بين القوات المسلحة فى جميع أنحاء أمريكا اللاتينية وهيئاتها لتكييفها مع مفهوماتها الاستراتيجية وهى تشهر سيف الدفاع عن القارة . وطوال مرحلة الحرب الباردة تمكنت الولايات المتحدة من الاحتفاظ بهذه السيطرة ودعمها وذلك باطلاق الكذبة الكبرى القائلة بأن الوقوف فى وجه الخطر الشيوعى المزعوم يعنى الاستمرار فى مواجهة الفاشية . ولقد يسر هذا سفك دماء جنود كولومبيا وبورتوريكو فى العدوان الفاشم على كوريا . وكان فى نية هذه الامبريالية أن تقوم بنفس الشىء أثناء حرب فيتنام ، ولكن كفاح الشعوب منعهم من ذلك .

وخلال هذه الفترة ، زادت جماهير بلادنا من تحركاتها ، وصعدت احتجاجاتها وكانت الهيئات الثورية فى أوائل الخمسينات تعبيرا عن هذا المستوى الجديد . ففى بوليفيا ، فرض عصيان الشعب المسلح فى ٩ ابريل عام ١٩٥٢ تأميم المناجم والاصلاح الزراعى ومنح حق التصويت الشامل ، وذلك رغم أن سياسة البورجوازية الاستسلامية قد شوهت الامال الثورية لهذا العصيان . ولقد كانت حكومة جاكوب اربنز فى جواتيمالا ، وسياسة الاصلاح الزراعى الذى تبنته ـ وكان يستهدف أساسا ضرب شركة الفواكه المتحدة ـ كانت هذه الحكومة دليلا على التصميم المتزايد للقوى الشعبية والوطنية فى أمريكا اللاتينية على انها بدأت تنفض عن كاهلها النير الاجنبى وتنزل الهزيمة بمن يخونون البلاد . وفى المستعمرات البريطانية ، بالكاريبى ، تعاظمت الحركة الديمقراطية بعد الحرب وبلغت الذروة فى غيانا ، فى شهر ابريل ١٩٥٣ ، بالنجاح الساحق الذى حققه فى الانتخابات حزب الشعب التقدمى الذى استمر فى الحكم مدة ١٣٣ يوما قبل أن تطيح به الامبريالية البريطانية وفى ٢٦ يوليو ١٩٥٣ ، قام فيدل كاسترو مع مجموعة من الرفاق بالهجوم على قلعة مونكادو . وبدأوا بذلك ما سوف يصبح بعد حرب العصابات الاسطورية التى نشبت فى سييرامايسترا، خطوة حاسمة الى الامام بالنسبة لامريكا اللاتينية . العملية الثورية التى انتهت بالنصر المؤزر فى يناير عام ١٩٥٩ .



لقد احـدثت ثورة كوبا تغييرا تاريخيا فى أمريكا اللاتينية . فعندما دخل جيش الثوار هافانا ، بعد ستة أعوام من الكفاح المتصـل الذى بدأ بالهجوم على قلعة مونكادا ، كانت الثقة تملأ قلـوب امبرياليى الولايات المتحدة بأن هذه الحركة يمكن أن يكون مصيرها واحدا من اثنين : وضعها تحت نفوذ واشنطن التقليدى أو تدميرهـا نهائيا . الا أن النصر الذى أحرزه فيدل كاسترو ورفاقه على باتستا تحول الى أول أرض حرة فى أمريكا تتحول — بعد ذلك — الى أول بلد اشـتراكى فى القارة .

لقد جمعت الحركة المسلحة ضـد الطغيان ، الغالبية الساحقة للشـعب حولها ، وتمخضت عن بناء قوة شعبية جديدة بحق ، تقدمت فى طريق التوسع فى التحولات الثورية : مثل الاصـلاح الزراعى والتأميم والسير على سياسة خارجية مستقلة .

ولقد تركز حقد الامبريالية على كوبا ومن ثم،عمل الامبرياليون على اصابتها بالشلل عن طريق منع امدادات الوقود والحصار الاقتصادى ، والقيام بمحاولات اغتيال قادة البلاد والتخريب والتسلل العسكرى. وعندما منيت كل هذه الجهود بالفشل قاموا بمغامرة عسكرية واسعة النطاق ، بمساعدة وتأييد ومسـاندة وكالة المخابرات الامريكية والبنتاجون. ولكن هذه العملية «عملية خليج الخنازير» تمخضت عن أول هزيمة للامبريالية على أرض أمريكا اللاتينية .

وقاد اصرار الامبريالية على مهاجمة كوبا عن طريق العدوان المباشر لقواتها المسلحة الى الاجراءات التى أدت الى أزمـة عام ١٩٦٢ . وعلى الرغم من غطرسة الامبريالية وعدم فهمها الاحداث فهما سليما — اضطرت الى ان تلتزم بعدم محاولة القيام بغزو الجزيرة . ولهـذا السبب بالاضافة الى تورط الامبريالية العسكرى فى جنوب شرق آسـيا ، وتعاظم القوة العسكرية للثورة — نعم شعب كوبـا بجو من الامن والضمانات التى حالت دون أن يتعرض للدمـار ولاحتمال فقد الملايين من أبنائه نتيجة التدخل المباشر من جانب الولايات المتحدة

ولقد تمكنت الثورة الكـوبية من الافصاح عن شخصيتها كحقيقة اجتماعية على مسرح أحداث أمريكا اللاتينيـة يستحيل النيل منها ، وذلك بفضل المقاومة والروح القتالية البطولية التى تحلت بها الطبقة العاملة والشعب الكوبى ،وبفضل القيادة الجريئة والحكيمة لفيدل كاسترو ، والتضامن الدولى مع شـعوب أمريكا اللاتينية والعالم أجمع ، ومع البـلدان الاشتراكية وعلى الاخص الاتحاد السوفيتى الذى ساهم بالسـلاح والوقود والتأييد السياسى والتقنى والاقتصادى .

لقد حطمت الثورة الكوبية أسطورة « القدرية الجغرافية »التى كانت تستغلها الامبريالية وحكومات الاستبداد لتعـزيز اضطهادها ، والتى كانت تستخدمهـا أيضا البورجوازية التى تهدف الى أن تستكين شعوب أمريكا اللاتينية للاصلاح والا تسير فى طريق التغيير الثورى .

ولم يقتصر فشل الاعتداءات الامبريالية على عدم نجاحها فى عرقلة مسـيرة الثورة الكوبية فحسب ، بل لقد حقق هذه المسيرة قدما الى الامام .

ولقد بين البرنامج الذى تضمنه الخطاب الخالد الذى ألقى في محاكمة مونكادا أن أولئك الذين يستهدفون تحقيق استقلال بلادهم فى أمريكا اللاتينيـة والتقدم لشعوبهم ،عليهم أن يقـوموا بهـذه الواجبات تحت أعلام التحول الاجتماعى الحقيقى ، ولقد حققت القوى التى تدين بالمبادىء الماركسية اللينينية بقيـادة فيدل كاسترو ، واولئك الذين انضموا اليها خلال التجربة الثورية ، وحـدة ثورية تضرب المثل لكل الحركات الثورية فى أمريكا اللاتينية .

وفى ابريل عام ١٩٦١ ، وكرد فعـل للعدوان المسلح ، دعا فيـدل كاسترو الشعب الكوبى الى خوض غمار الحرب دفاعا عن الثورة الاشتراكية . سقط الكثيرون دفاعا عن رايات الاشتراكية المجيدة .

وهكذا ، تم فى كوبا — بفضل الوحدة الثورية والتغييرات المواتية فى الوضع الدولى نتيجة للتقدم الذى احـرزته الاشتراكية والكفاح ضد الامبريالية فى العالم اجمع — التحول الى النظـام الجديد بسرعة كبيرة وخـلال احـداث سريعة الايقاع .

وبعد مرور اربعـة عشر عاما على خليج الخنازير ، تقف منجـزات كوبا وانتصاراتهـا الاقتصـادية ونظامهـا الديمقراطى على طرفى نقيض مع الفقـر والتخلف والقهر الذى تعانيه غالبيـة شعوب امريكا اللاتينية .

ان البرنامج التعليمى المطبق فى كوبا يحظى ، ليس فقط ، باعجاب البـلاد النامية ، وانما تشارك فى هذا الاعجاب اكثر البلاد تقدما . ففى كوبا يواظب ٩٩،٥٪ من المقيدين بالمدارس الابتدائية على الدراسـة و١٥٠ الفا من الشباب يتوجهون الى الدراسة الثانوية سنويا، وبينما كان عدد طلبة الثانوى فى بداية الثورة لا يتعدى ٨٠،٠٠٠ بلغ عددهم الان حوالى نصف المليون . وتفخر كوبا بان بها حوالى مائتى الف تلميذ فى مئات المدارس الداخلية . وفى الريف لا يقتصر نظام الدراسة فى المدارس الفنيـة والمدارس ذات التخصصـات المتعـددة والمعاهد الفنية التى تؤهل لدخول الجامعة، على تخريج الكفاءات العالية التى يكون احترام العمل لديها جـزءا من تكوينهم السياسى والخلقى ، ولكن يبنى الشباب ليكون مثلا يقف فى مواجهة الازمة التى تجتاح شباب الدول الامبريالية والدول النامية والدول المتخلفة .

ولقد تخرج فى معاهد كوبا عام ١٩٧٣ اثنا عشر الف فنى متوسطى المستوى . وبها خمسـة وستون الف طالب فى الجامعة وهو ثلاث مرات ونصف عما كان عليه خلال الفترة السابقة على الثورة .

وبعد العمل على مواجهة خروج اكثر من ثلاثة آلاف طبيـب ، تحت تأثير الدعاية الامبريالية الامريكية واغرائها ، أصبـح لدى كـوبا الان عشرة آلاف وثلاثمائة طبيب ، وهذا المعدل من أكبر المعدلات فى امريكا اللاتينية .وانخفاض معدل الوفيات السنوى مذهل . فقـد وصل الى ٦ فى الالف ، بينما قضى تماما على الامراض المستوطنـة مثل الحمى الصفراء وشلل الاطفال .

وتقوم التغذية بدور هام فى رفـع المستوى الصحى لعامة الشعب . فكوبا تأتى فى المرتبة الثالثة من بلاد امريكا اللاتينية فى استهلاك البروتين .وستصل الى مستوى البلاد المتقدمة خلال مرحلة الخمس سنوات القادمة . ان التوزيع المتساوى للدخل الذى اوجدته الاشتراكية والذى يؤدى الى التوزيع الاكثر عدلا للمواد الغذائية الذى يستثنى فقط الاطفال والشباب والمسنين يجعل الاسـتهلاك بالنسبة لكل فرد حقيقـة ملموسـة . وبالنسبة لبقية بلاد امـريكا اللاتينيـة وكذلك البلاد الناميـة فى المنطقـة الرأسمالية . فان ما يقال عن استهلاك الفرد يخفى الفارق الهائل بين الدخول فى هذه البلاد،لانه ، حتى فى البـلاد الرأسمالية النامية تشمل البطالة حاليا اكثر من مائة مليون عامل وتحتل كوبا اليوم مرتبة عالية فى الرياضة بين جميع شعوب امريكا اللاتينية نتيجة للثقـافة الرياضية والصحية والغذائية .

وتقوم الثورة الكوبية بجهد غير عادى لتغيير الواقع المادى ، فكوبا على وشك ان تصل الى مضاعفة قدرتها الانتاجية

للطاقة الكهربائية اربع مرات بالمقارنة الى الوضع منذ خمسة عشر عاما .وهى قد ضاعفت انتاجها من الاسمنت ثلاث مرات . وسيصل الى ست مرات عماكان عليه فى عام ١٩٥٩ . كما ان لدى كوبا ما يعادل مائتى مرة من الطاقة المخزونة بالمقارنة بالحال عند انتصار الثــورة . ولقد زادت طرق المواصلات مرتين ونصفا. ووصل قطاع التشييد فى عام ١٩٧٠ الى ما قيمته ٣٠٣٩ بيزة كوبية ســنويا . وتعدى فى عام ١٩٧٤ المائة مليون بيزة مع ثبات الاسعار . وسوف يتعدى انتاج هذا القطاع فى عام ١٩٨٠ ثلاثة آلاف مليون بيزة وهو ما يعنى اكثر من ثمانى مرات فى عشر سنوات .

وحســب مبــدأ التخصص المحلى والتنويع القومى ، تحدد المحاصيل التى يجب زراعتها تبعا للتركيب الكيميــائى والطبوغرافى لكل بلد . ولقد دعمت كوبا صناعة الســكر وتعمــل على زيادتها بالتوسع فى زراعة قصب السكر وميكنة جنى المحصول الى اقصى حد . ويزداد انتاج اللبن على أساس التحكم فى سلالة الماشية عن طريق الاخصاب الصناعى. أما السمك الذى كان يصل محصوله فى بداية الثــورة . الى عشرين الف طن سنويا ، فقد وصل الى مائتى الف طن. كما زاد الاسطول التجارى البحرى من سبعة وخمسين الف طن الى ٥٨٦ الف طن فى ١٩٧٤ .

ولقد وضعت القيادة الثورية الكوبية التنمية الزراعية وتربية الماشية فى مركز استراتيجيتها الاقتصادية ، كما ضمنت خططها للتنمية ذلك الجزء من الصناعة المخصص لخدمة الزراعــة او تحسين المحاصيل الزراعية والحيوانية .

لقد تحقق من انتاج الاسمدة ٦٠٠ الف طن وسوف يتضاعف هذا الانتاج سريعا، كما تضاعف انتاج اللبن المبستر اربع مرات . وسوف ينتج معمل واحد ضخم مليون لتر من اللبن يوميــا فى مرحلته النهائية .

وما زالت كوبا فى المرحلة الثانية من عملية التنمية الاستراتيجية ، وفى هذه المرحلة يتركز جهد البلاد على التصنيع. وفيها سيزيد انتاج النيكل من ٣٦ الفا الى حوالى ١٥٠ الف طن سنويا وذلك فى فترة العشر سنوات القادمة .وسوف تنشأ صناعة اللدائن البتروكيماوية .كما ستوضع اسس صناعة الحديد والصلب التى ستضاعف الانتاج الحالى الى اربع مرات ، وصناعة المنسوجات التى كانت ١١٠ مليون متر مربع ســنويا تضاعفت وستربو على ٣٠٠ مليون فى عام ١٩٨٠. ولقد بدانا بناء المصنع الالى لجنى قصب السكر . وتوزيعه ، وتصل طاقته الى مائة الف طن من قصب السكر ، كما ستنشأ الصناعة الثقيلة لبناء معــاصر القصب وكذلك ستستكمل فى هذه المرحلة صناعة السيارات .

وسوف تتطور الى درجة كبيرة صناعة الاطارات وكذلك انتاج الاجهزة الكهربائية المنزلية [اجهزة التليفزيون والثلاجات.. الخ] .

ولا يقتصر ما احدثته الثورة الكوبية على جميع تلك التحولات المادية التى تحدث فعلا .. وما تبنيه الثورة الكوبية على أحسن وجه لاخواتهــا فى أمريكا اللاتينية ، وخاصة للطبقة العاملة ، انها قد تخلصت من شرور البطالة والتفرقة العنصرية والبغاء والقمار والتســول . وتضع كل اعتمادها على الشعب الذى نجا من الذل والمهانة اللتين فرضهمــا عليه امبرياليو الولايات المتحدة .

ان كوبا تقوم بتعزيز المؤسســات الدستورية للنظام الاشتراكى الذى اختارته، والذى تشيده .فملايين الكوبيين يناقشون اليوم مسودة الدســتور الذى سيتخذ شكله النهائى فى المؤتمر الاول للحزب الشيوعى ثم يطرح للاستفتاء العام .وفى ضوء هذا التحول الدستورى تمــارس كوبا اليوم بنجاح « سلطة الشعب » فى اقليم ماتانزا بهدف الوصول الى انسب وسيلة لمشاركة الشعب ديمقراطيا فى توجيه مؤسساته السياسية . وكذلك قيادة وادارة مشروعات الشعب المحلية.

وتعيــد كوبا تنظيم جهــاز الادارة الاقتصادية الى جانب انها تقوم بنفس الشىء بالنسبة للتقسيم السياسى والادارى بما يتفق والسمات الاجتماعية الجديدة .

ان شعب كوبا يمثل اليوم رمزا عظيما للوحدة الثورية والوعى القومى والامى والسمو الاخلاقى . لقد عرفت كوبا كيف تطور ثورتها وتدافع عنها فى جميــع المجالات ، وأن تعيد البناء وتعطى دفعة قوية لاقتصاد وطنى بلا أزمات وان تقوى روابط الاخوة ببلدان الاشتراكية ، وبجميع الذين يتفقون فى مواجهة الامبرياليــة . وتمثل الثورة الكوبية نقطة انعطاف حاسمة فى النضال ضد السيطرة الامبريالية فى القارة على نطاق أوسع واكثر عمقا وتؤثر تأثيرا ملموسا على الاوضــاع الدوليــة .

الطليعة

ملحق الأدب و الفن

ملامح الثقافة المصرية بين القطاعين العام والخاص :

■ السينما : سينما أثرياء الحرب تنتصر مرتين

اعداد : كمال رمزى

■ المسرح : اجهاض الفن والحلم والثورة

اعداد : ماجدة موريس

■ النشر : تراجع الدولة وهجرة الكتاب والمؤلفين

اعداد : شمس الدين موسى

فى الرواية المصرية :

من « تلك الرائحة » الى « نجمة أغسطس »
عالم يتقدم .. رغم الآلام والأخطاء

فريدة النقاش

الأدب والفن فى شهر :

● حوار مع عبد الوهاب البياتى حول الشعر والثورة
● فنان من السودان .. وحلم ليلة صيف

قصيدة :

المسبحة ..

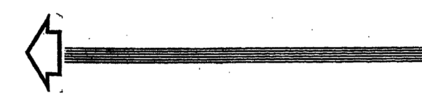
شعر امجد ريان

ملامــح الثقــافة المصريــة ..
بين القطــاعين العــام والخــاص

انشئت وزارة الثقافة ـ للمرة الاولى فى مصر ـ فى ١٩٥٨ ، قبلها ، كانت الدولة تحاول السيطرة على نشاطات الهيئات الثقافية من خــلال اجهزةاخرى متعددة ، ومع بداية الســتينات أكتملت لها هذه السيطرة من خلال مؤسسات الوزارة . وكان طبيعيا أن ينعكس خطو التطور فى المجتمع المصرى على شكل الانشطة الثقافية ومضمونها .

وفى التحقيق التالى ؛ نحاول النظر الى العلاقةالقائمة بين الانشــطة الثقــافية التى يشرف عليها القطاع العام ، وتلك التى ينتجها القطاع الخاص ،وذلك فى ثلاث مجــالات أســاسية هى الســينما والمسرح والنشر ، وســنرى كيف أن أى تقهقر اوتخبط من جانب أجهزة الدولة يقابله ـ على الفور ـ ازدهار للقطاع الخاص المقابل ، وأى أرض يتخلىعنها هذا الجانب يستولى عليها الجانب الاخر ..

ولما كان هدف القطاعالخاص مختلفا كل الاختلافعن الاهداف المعلنة للقطاع العام ، كان طبيعيا أن تنتهى الامور الى ماهى عليه الان : تخبط سياسةأجهزة الدولة الثقافية ، وسيطرة القطاع الخاص ، وتطلعه الى مزيد من المكاسب والامتيازات



١

السينما

سينما اللصوص .. تنتصر مرتين

اعداد : كمال رمزى

● السينمائيون .. وحصان طروادة

مع مقدم الخريف ، فى صباح احد ايام اكتوبر ١٩٦٦ ، بعد انشاء القطاع العام فى مجال السينما بثلاثة أعوام ، وقبل النكسة بعام ، اجتمع وزير الثقافة برجال السينما ، فى محاولة لتلمس طرق الخروج من الازمة التى وقعت فيها مؤسسة السينما التابعة للدولة . وفى بداية الاجتماع قدم وزير الثقافة صورة صادقة ، وعجيبة وبائسة ، للقطاع العام ، جاء فيها « ان مؤسسة السينما - لم يكن لها وجود مادى طوال السنين التى مضت . لم يكن لها رئيس ولا مجلس ادارة - وليس لها مقر - وليس لها أجهزة تتولى تنفيذ العمل اليومى ، والشركات كانت فى افلاس أو شبه افلاس - اموال تبخرت - شركات مدانة لبعضها وللبنوك ولغيرها من الهيئات والافراد - الديون تزيد على رؤوس الاموال والشركات لا تملك أية أموال ثابتة - باختصار هى حالة فشل فعلا » .

ضم الاجتماع خليطا من شتى الاتجاهات . لكن العدد الاكبر كان يتكون من فرسان السينما التجارية ، الذين تعاونوا بهمة ، وساهموا بجدية ، فى انتاج مئات الافلام المخدرة ، قبل قيام القطاع العام ، بل قبل الثورة ، وبعد انهيار القطاع العام ، وحتى الان . ويبدو أن الحقائق المروعة التى جاءت فى تقرير الوزير لم تهزهم ، ولم تستوقفهم ، ولم تدهشهم . ذلك انهم ، بدلا من أن يناقشوها ، انتهزوا فرصة وجود الوزير من جهة ، وخلل القطاع العام من جهة اخرى وبدأ محاولة ملتوية لتثبيت اقدامهم الثابتة أصلا ، داخل القطاع العام .

تحدث معظمهم عن البطالة المزعومة المتفشية بينهم ، وعن دور القطاع العام الذى لابد وأن يتيح لهم فرصة العمل والرزق . وتحدث البعض عن ضرورة رفع اجور الفنانين ، وزيادة الحوافز الفردية ، لانها الطريق الى الارتقاء بالفن . وبورع شديد ، أعلن البعض ، أن الانانية هى أصل المشاكل ، واذا انصلحت الاخلاق ستخرج السينما المصرية - حتما - من أزمتها . وانهمك الجميع فى ترصيع عباراتهم بكلمات من نوع « الفن الراقى » و « قضايا الوطن » و « محو السمعة السيئة التى أصابت الفيلم المصرى » و « الاهتمام بمشاكل المجتمع » .

وبعد جلسات طويلة ، تكون من محصلة الاراء اتجاه قوى ، وشرس ، يحاول أن يحاصر

القطاع العام ، المحاصر اصلا ، وان يقلل من حجمه ونشاطه ، وان يحدد له دورا تمويليا ، وسلبيا ، عن طريق نظام السلف ، يقترضها القطاع الخاص ، لينتج بها افلامه . ثم يسدد السلف من عائد هذه الافلام ، التى قد لا تنتج على الاطلاق . **وبهذا نجح فرسان السينما التجارية ، بعد أن استخدموا القطاع العام كحصان طروادة ، يقبعون ويقتلون من داخله ، فى تحويله الى قناة تغذى القطاع الخاص ، مما ادى الى ازدياد ضعف وهزال القطاع العام** . وبعد سنوات من اجتماع الوزير ازدادت الامور تدهورا . وفى الوقت الذى ازدهر فيه الانتاج التجارى الهابط . بدا أن القطاع العام منهك القوى ، يعانى سكرات الموت . **ولكى نفهم الوضع الراهن فى السينما المصرية ، علينا بالعودة الى الماضى ، والوقوف قليلا عند تجربة «ستوديو مصر» الجادة ، التى هزمت امام الزحف التترى للافلام المنحطة ، التى انتجتها شركات القطاع الخاص ، مع نهايات الحرب العالمية الثانية .**

● رجعة الى الماضى القريب

بدايات السينما فى مصر ، كانت لحساب القطاع الخاص . وشأنها شأن العديد من الصناعات الجديدة ، كانت حكرا على الاجانب ، فبعد عدد من المحاولات الصغيرة ، أقدم بعض الطليان عام ١٩١٧ ، ١٩١٨ ، على انتاج عدة أفلام روائية صامتة ، مثل « **نحو الهاوية** » و « **الزهور القاتلة** » و « **شرف البدوى** » و « **مدام لوريتا** » . ثم بدأ المصريون يتتخمون الصناعة الجديدة ، وفى ١٦ نوفمبر ١٩٢٧ التهبت أكف المصريين بالتصفيق ، وهم يشاهدون أول فيلم مصرى ، عندما قدمت **عزيزة امير** فيلم « **ليلى** » **من اخراج احمد جلال** .

ومع أواخر الثلاثينات ، وفى مناخ المطالبة بحرية مصر واستقلالها ، تنبه طلعت حرب ، وهو يفكر فى تصنيع الوطن واستقلاله اقتصاديا ، الى أهمية صناعة السينما . وأدرك ، بصواب بصيرته ، أن السينما ليست مجرد عملية انتاج الفيلم « رأسمال + قصة + مخرج + ممثلين + شريط » ، كما كان ينظر لها منتجو هذه الفترة . ولكنه نظر لها بنفس الجدية التى كان ينظر بها الى صناعة كصناعة النسيج مثلا : ان تكون مؤسسة كاملة ، مكونة من ستوديو عصرى ، مزود بأحدث الالات والمعدات ، وان يتيح للعاملين بالاستوديو من عمال وفنانين ومخرجين مرتبا شهريا منتظما ، وأن يكون للاستوديو دار سينما وخطة انتاج وجهاز توزيع ، وأن يعمل على اكتشاف وتنمية مواهب عشرات الفنانين . باختصار أن يكون قاعدة لصناعة وطنية . ومن هنا ، من «ستوديو مصر» ، وبفضل طلعت حرب ، أتيحت فرصة العمل والتعلم لاهم الاسماء التى لاتزال حتى الان تعد رصيد السينما المصرية الجادة : **كمال سليم** ، صلاح ابو سيف ، احمد خورشيد ، كمال الشيخ ، عماد حمدى ، وكامل التلمسانى .

ومن انتاج « ستوديو مصر » ، الذى افتتح عام ١٩٣٥ ، **تستطيع ان تذكر العديد من الكلاسيكيات مثل : العزيمة** ، و « **لاشين** » ، و « **سلامه فى خير** » ، و « **النائب العام** » ، و « **الحياة كفاح** » ، و « **السوق السوداء** » ، وقد جاءت هذه الافلام ، فى بعد من أبعادها ، تعبيرا عن فكر ستوديو مصر ، وفكر طلعت حرب ، وطبقته الصاعدة ، الساعية للاستقلال الاقتصادى ، عن طريق اقامة صناعات وطنية كبيرة ، لذلك فان التفكير الغيبى ، والاستسلامى ، قد اختفى ، أو خفت على الاقل ، فى هذه الافلام . وبدلا من القدر ، أو الحظ ، الذى يرفع من يشاء ، ويخفض من يشاء ، أصبحت الارادة الفردية ، والصلابة الذاتية ، هى القوة القادرة على تحديد مصائر الابطال . حقا ان الباشا المستنير فى « العزيمة » هو الذى يحل مشكلة « محمد افندى » ، الموظف الصغير ، المكافح ، المؤمن بالعمل . لكن الفيلم ، وهو يحاول أن يكون عقلانيا ، وواقعيا ، يعترف بوجود وقوة وارادة أبطاله الشعبيين ، أبناء الحارة الشرفاء ، صناع الحياة . لذلك فانه من المنطقى أن يتحدث النقاد عن العزيمة ، انتاج ستوديو مصر ، كأول فيلم مصرى واقعى .

وخلال سنوات الحرب العالمية الثانية ، وبينما « ستوديو مصر » يسير فى طريقه الجاد ، كانت طبقة طفيلية خطيرة من تجار « السوق السوداء » ، والسماسرة ، والمتعاونين من جيوش الاحتلال ، تنمو على سطح المجتمع ، وتتكتل لتكون قوة اقتصادية غير منتجة ، اتجهت الى تنمية ثرواتها عن طريق الاتجار بقوت الشعب تارة ،

والاستثمارات السريعة تارة أخرى ، وكان من الطبيعى أن يهاجم « ستوديو مصر » ، الذى قام فى مناخ المطالبة باستقلال مصر ، وبنائهاصناعياو اقتصاديا ، طبقة « محدثى النعمة » ، التى لم تظهر الا نتيجة لظروف الحرب ، ووجود جيوش الاحتلال على أرض الوطن .. هاجم « ستوديو مصر » الطبقة الجديدة هجوما قاسيا فى فيلم « كامل التلمسانى » الكبير « السوق السوداء » ، الذى يستحق دراسة خاصة ، نظرا لموقفه العلمى ، اليسارى ، من جهة ، ومستواه الفنى الرفيع من جهة أخرى ، ففى « السوق السوداء » يحلل «كامل التلمسانى» اسباب المجاعة التى يعيشها الشعب خلال سنوات الحرب ، ويثبت أنها ليست قدرا ، ولكنها من صنع أصحاب الدخول الطفيلية ، تجار « السوق السوداء » ، التى سيكون على يديها خراب « ستوديو مصر » ، وانحطاط السينما المصرية فيما بعد .

اتجهت الطبقة الطفيلية الجديدة الى استثمار أموالها المسروقة فى الانتاج السينمائى . وبالطبع لم تنظر لصناعة السينما على أنها صناعة وطنية ، كما فعل طلعت حرب . ولكنها نظرت لها بنفس الطريقة التى تنظر بها للعمليات التجارية المشبوهة التى نمت وقويت واغتنت عن طريقها . وشهدت السنوات الاخيرة من الحرب العالمية الثانية وما بعدها ، طوفانا خطيرا من أفلام الطبقة الجديدة ، فبينما كان معدل انتاج « ستوديو مصر » لا يتجاوز عشرة أفلام سنويا ، ارتفع عدد الافلام المنتجة من عام ١٩٤٣ الى ١٩٤٤ ، من ١٥ فيلما الى ٢٣ فيلما ، ثم تقفز عام ٤٥ الى ٤٢ فيلما ، وفى عام



كمال الشيخ



صلاح أبو سيف



عماد حمدى

٤٦ أنتج ٥٢ فيلما ، ليرتفع مرة اخرى عام ١٩٤٧ الى ٥٥ فيلما . وبهذا انتصر تجار « السوق السوداء » على « ستوديو مصر » ، الذى حوصرت أفلامه الجادة ، نتيجة لوابل الافلام المنحطة التى أغرقت دور العرض .

وجاءت هذه الافلام تعبيرا ركيكا عن رؤية ، وحياة ، واهتمامات ، وأحاسيس ، أغنياء الحرب ، الذين جمعوا ثرواتهم بلا عمل ، وبلا انتاج ، وبغير وجه حق . لذلك فان الحظ ، والقدر ، والكباريهات ، والدسائس ، هى العناصر التى كونت نسيج هذه الافلام . ويكفى أن نذكر أسماء بعضها لتدرك اتجاه مضمونها : أوع تفكر - مكتوب على الجبين - جرب حظك - سيبونى أغنى - ليالى الانس .

اذن فنحن أمام نموذجين للانتاج السينمائى ، فى اطار القطاع الخاص . نموذج طلعت حرب ، الجاد ، الشريف ، الذى تعامل مع السينما كصناعة وطنية . ونموذج « أثرياء الحرب » ، الذى يتعامل مع السينما كصفقة تجارية ، الربح فيها مرهون بالغش والاحتيال والتلاعب والعائد السريع .

انتصرت سينما « أثرياء الحرب » ، وهزمت سينما « ستوديو مصر » ، واستطاعت السينما المنحطة ، المنتصرة ، وهى تحقق مكاسبها المالية ، أن تسخر لخدمتها العديد من ابناء « ستوديو مصر » نفسه ، الى الدرجة التى مكنتها من فنان كبير ككامل التلمسانى ، فدفعته ليخرج لها عام ١٩٤٧ « البريمو » ، ثم « كيد النساء » عام ١٩٥٠ . حقا ، ظل فى الميدان قلة من أبناء « ستوديو مصر » مثل « صلاح ابو سيف » و « كمال الشيخ » يقدمان فنا جادا بين الحين والحين ، وربما يستطيع المرء أن يحصى عشرة أو عشرين فيلما طيبا ، على اكثر تقدير ، منذ قيام ثورة يوليو ٥٢ الى نشأة القطاع العام فى ١٩٦٣ . لكن هذه الافلام ، بعددها الضئيل ، الى جانب الستمائة فيلم ، التى أنتجت فى نفس الفترة ، تبدو كجزر صغيرة ، ومتفرقة ، ومتباعدة وسط محيط الافلام المنحطة ، المخلصة لكافة القيم الفكرية والفنية التى أرسى دائمها اثرياء الحرب .

■ القطاع العام ، واساسه الرخو :

والان ، بعيدا عن الشعارات الجميلة التى واكبت انشاء القطاع العام ، المعبر عن سياسة الدولة فى مجال السينما ، فلننظر الى القطاع العام نفسه ، كيف أدير ، ولمصلحة من ، وما الذى قدمه ؟

منذ البداية ، قام القطاع العام على اسس رخوة ، فلم يكن ثمة خطة واضحة ، أو تنظيم جاد ، بل لم يرتق بنظرته لصناعة السينما الى مستوى نظرة طلعت حرب ، ولكنه فهم صناعة السينما كما فهمها أثرياء الحرب ، مجرد « راسمال + قصة + مخرج + ممثلين + شريط » . وعلى هذا لم يقدم القطاع العام ، برغم امكانياته المادية المتوافرة ، على بناء ستوديوهات ، أو دور عرض ، أو تكوين كوادر فنية ، ولكنه اندفع الى عملية انتاج الافلام مباشرة . وسرعان ما استعان بنفس فرسان سينما « أثرياء الحرب » وتلاميذهم ! **وكانت بداية تبديد أموال مؤسسة الدولة تتمثل فى الاندفاع المحموم نحو شراء مئات القصص السينمائية** ، التى لا يعلم احد مدى صلاحيتها ، والتى لا تزال موجودة حتى الان فى ملفات مهملة ، ومتناثرة . وبدأت أسماء « **حسن الصيفى** » و « **حلمى رفلة** » و « **جبرائيل تلحمى** » و « **حسن الامام** » تكتب على نفس الافيشات التى تضم أسماء شركات القطاع العام .

وهنا يحق لك أن تتساءل : امن أجل هؤلاء أقيم القطاع العام ؟ وستاتيك الاجابة بأن لا ، وذلك ان احدى شركات القطاع العام اقدمت على محاولة خائبة لانتاج أفلام عالمية ، عن طريق الاستعانة بفنانين أجانب ، فلجأت الى مخرجين نكرة ، من ايطاليا بالذات ، قاموا باخراج خزعبلات ركيكة باسم « ابتسامة أبو الهول » و « فارس الصحراء » و « ابن كليوباترا » و « كيف تسرق القنبلة الذرية » و « أبو الهول الزجاجى » ، ولاول ، وآخر مرة ، نعلم انه يوجد مخرجون بأسماء مثل دوتشسويتسارى ، فرناندو بالدى ، وسيرج ليونى ، ولوستانو نوتشى ، وليوجى سكاتين . واذا فتحت ملفات هذه الشركة ، فأول سؤال تستطيع أن تقدمه هو : لماذا يقوم ثلاثة من الطليان بكتابة سيناريو « ابن كليوباترا » . التافه ، المليء بالاخطاء التاريخية والفنية ، وكم كان أجرهم ؟ . وقدم القطاع العام ، فيما قدمه ، مجموعة من المخرجين الجدد ، لا يتمتعون بأية كفاءة حقيقية ، سرعان ما طواهم النسيان ، مثل « احمد فاروق » الذى أخرج « الرجال لا يتزوجون الجميلات » ، و « بهاء شرف الدين » الذى أخرج « أيام ضائعة » ، و « عباس كامل » الذى أخرج فيلم « الانسان والمال » ، فى الوقت الذى كان أمام القطاع العام عشرات المواهب الشابة ، الجادة المتخرجة من معهد السينما ، والتى تلتمس فرصة واحدة .

هكذا تجد ان القطاع العام ، الممثل لسياسة الدولة فى صناعة السينما ، أدير بعقلية « أثرياء الحرب » ، ولمصلحة فرسان السينما التجارية . حقا لقد ظهرت بعض الافلام الكبيرة ، لا تتجاوز اصابع الكف الواحدة ، مثل « **الارض** » و « **المومياء** » و « **البوسطجى** » ، لكن هذه الافلام لا تمثل خطا أو ظاهرة وسط فيضان الافلام الصغيرة ، وظهورها نفسه ، لم يكن نتيجة لخطة محددة ، بل كان يتوقف على الظروف التى قد تضع فردا او افرادا نزيهين فى مواقع قيادية داخل المؤسسة ، وسرعان ما تعود الامور الى مجراها مرة اخرى ، وفى غيبة أية رقابة شعبية ، وعدم وجود روادع جادة ، وفى وجود عملاء القطاع الخاص ورجاله داخل القطاع العام ، استمر تدفق الافلام الهزيلة ، المخدرة ، مما دفع وزير الثقافة الى الاجتماع برجال السينما فى اكتوبر ١٩٦٦ فى محاولة لتلمس سبل الخروج من المأزق الوعر الذى وقعت فيه مؤسسة السينما التابعة للدولة . وفى الاجتماع انطلق شبيحة سينما « اغنياء الحرب » يقدمون نصائحهم ، وأفكارهم ، وتصوراتهم ، لانتشال القطاع العام ، واخراجه من ورطته .

بعد شهور من الاجتماع ، وقعت النكسة ، حيث كانت دور السينما تعرض أو تهيأ لعرض أفلام : « افراح » ، و « شباب مجنون مجنون » ، و « غرام فى الكرنك » ، و « سورا » ، و « مطاردة غرامية » .

● هكذا بدأ .. وهكذا ينتهى .

وبعد شهور أخرى ، ونتيجة لما رآه وزير الثقافة من استمرار انتاج الافلام المخجلة ، دعا الى عقد مجموعة ندوات ، حيث اعلن بصدق ومرارة « اسمحوا لى أن أقول ان نتيجة عملنا بعد ١٧ شهرا غير مشجعة . **وهذا ليس**

حكمى الشخصى فحسب ، لكن هذا هو حكم الجماهير والنقاد والمصادر الخارجية » . وقد ندهش الان ، ونحن نراجع أقوال الوزير ، من تحليله الاخلاقى للامور ، وعدم انتباهه للجذور التاريخيه ، والمواقع الطبقية ، لمجموعة السينمائيين الذين احتلوا اهم المواقع داخل القطاع العام ، بينما مصالحهم وارتباطاتهم الاساسية مع القطاع الخاص ، الامر الذى جعله يقول بمثالية شديدة « يبدو أن أهل السينما تغييرهم صعب ، سواء قبل النكسة ، أو بعدها . ورغم الجهد الذى بذل لاقامة صرح السينما ، وتشغيل العجلة خلال السنة الماضية . الا ان السلبيات والمعوقات كانت أكثر من الايجابيات . وكأنى بالعاملين فى هذا القطاع قد نسوا الظروف التى يعيش فيها المجتمع ، وعدم

قدرته على الاستجابة لكل ما يطلبون . وبعض الناس انطلقوا ، عندما تصوروا أن الحرية بلا قيود ، لكى يقدموا أعمالا سينمائية يؤسفنى أن أقول أنها لم تكن فى المستوى اللائق بهم ، ولا بنا ، ولا ببلدنا »

وفى هذه الندوات ، حاول الشباب ، الذى اضطهد كثيرا ، سواء من القطاع الخاص أو العام ، أن يدافع عن وجود مؤسسة الدولة ، وعن امكانية التخلص من العقلية التجارية من جهة ، وشبيحة القطاع الخاص ، القابعين داخل القطاع العام من جهة أخرى . وهنا شدد المعسكر الاخر هجومه ، فبعد أن كانت اللهجة ناعمة بالنسبة للعلاقة بين القطاع الخاص والقطاع العام أرى أنه ليس بينها فروق . أنا اعتبر نفسى مجندا .. كلنا قطاع عام بالنسبة لسياسة الدولة العامة ! . كما يقول « عدلى المولد » وكيل احدى شركات القطاع الخاص ، فى ندوة الهلال « أكتوبر ١٩٦٥ » أصبحت اللهجة الان ، عام ٦٨ ، شديدة ، وواضحة ، وجارحة ، فكما جاء فى تقرير مجلة السينما فى عدد « ابريل ٦٨ » عن ندوات الــــــوزير ان« السينمائيين القدامى يجمعون على أن القطاع العام فشل فى اداء مهمته . وطالبوا اما بالغاء القطاع العام ، أو حصر عمله فى اطار ضيق ، واتاحة الفرصة للقطاع الخاص ، ومساعدته من قبل الدولة .

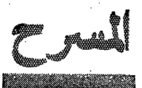
وازاء الوضع المتردى للقطاع العام ، بدأ القطاع الخاص يقوم بنشاط محموم : فارتفع عدد أفلامه من « ١٩ » فيلما عام ١٩٦٨ الى ٢٦ عام ٦٩ ، ليقفز عام ٧١ الى ٣٧ فيلما . وعلى عجل تكونت عشرات الشركات الخاصة ، اسمى بعضها باسماء اصحابها الذين لم نسمع عنهم من قبل مثل شركات « سعيد الدفراوى » و « فارس وهبه » و « حسين ابراهيم »التى قدمت افلام «الحرامى»، و «حلوة وشقية » ، و « حب وخيانة » . وهى أفلام تذكرك بركاكتها الفنية ، وتهافت موضوعاتها واهتماماتها بطوفان افلام « اثرياء الحرب »، التى ظهرت فى السنوات الاخيرة من الحرب العالمية الثانية وما بعدها ، واخذت الشركات الجديدة تقتات من القطاع العام باسم نظام السلف . وكانت النتيجة انه أعلن رسميا عام ١٩٧١ ان خسائر مؤسسة السينما وصلت الى ٥ مليون جنيه . وفى خبر صغير نشر بجريدة الاهرام فى ٤ اكتوبر ١٩٧١ تحت عنوان . الغاء مؤسسة السينما وهيئة المسرح وتحويلها الى شعبتين فى هيئة واحدة » يقول « الاتجاه الان هو تشجيع القطاع الخاص فى مجال السينما والتوسع فى تقديم سلفيات من البنوك الى المنتجين » .

وبهذا اضىء النور الاخضر للقطاع الخاص ، وبدا واضحا أن الاوضاع قد حسمت تماما ، وتحقق للقطاع الخاص ما كان يتمناه بخصوص محاصرة القطاع العام ، وتقليل حجمه ونشاطه ، ورسم دور صغير وسلبى يقوم به ، فى حدود تقديم سلف للقطاع الخاص ، وفى حديث مع أحد المسئولين عن مؤسسة السينما فى « روز اليوسف » عدد ٢ سبتمبر ٧٤ ، اعلن صراحة « اما الانتاج فقد قررنا عدم النزول الى الميدان مرة اخرى » وستكتفى المؤسسة بأن تقدم للمنتج « سلفا ما بين ٣٢ الف جنيه و ١٠٠ الف جنيه » .

والان ، ليس هناك مفر من الاعتراف بان سينما « اثرياء الحرب » التى هزمت سينما ستوديو مصر ، لاتزال مسيطرة على صناعة السينما ، وهى الان تقف على أرض صلبة ، فرأس المال ، المشبوه الذى جمعه السماسرة والمقاولون وتجار « السوق السوداء » — واللصوص ، خلال الستينات والسبعينات ، بدأ يدخل مجال السينما كاستثمار سريع ، علاوة على رأس المال الجاهز الذى تقدمه الدولة فى صورة سلف ، والنتيجة هى ما نراه الان من انتعاش منحط ، وسوقى ، تشى به افيشات عشرات الافلام المعلقة فى شوارع المدينة .

هكذا بدأ وهكذا انتهى القطاع العام !

٢



اجهاض الفن والثورة والحلم

اعداد : ماجدة موريس

ان تتبعنا للماضى القريب ؟ وحركة المسرح فيه ، يرينا كيف قاد المنهج الخاطىء فى مفهوم الخدمات الثقافية الى تلك النتائج وكيف أدت سياسة الرقص على السلم بين مصالح الجماهير العريضة ، ومصالح البعض الى بداية الطريق الذى أوصل المسرح للانهيار اليوم . بل وكيف تاقضت الدولة نفسها بنفسها عن طريق اجهزتها الرسميةلتحدث انشقاقا ما لبث أن ابتلع الحركة المسرحية برمتها ..

ولعل ما لا يختلف فيه أنصار — الهدف — واعداؤه ، **هو تلك البديهية التى تقول أن المسرح هو أكثر الفنون اقترابا من الجماهير وبالتالى فهو ليس ظاهرة منفصلة عن المجتمع وحركته ، ومن ثم فان الدور الذى يقوم به كفن له تلك الاهمية لا يستطيع انجازه سوى مسرح واحد فقط هو مسرح تقيمه الدولة ، وتتبناه ، وتشرف عليه ، لانه ما من فرد يحتمل المغامرة بمجهوده المستمر وأمواله من أجل عائد ثقافى وحضارى بطىء جدا ينمو فى أرض موحشة من الامية والانهاك** ولا يلام اى فرد فى هذا ، فهو ليس دوره ، ولا ينتظر أن يكون فى المجتمعات التى تسمح به .

من هنا فان الدولة هى المسئول الوحيد عن اقامة مسرح يؤدى فى المقام الاول — رغم كل دعاوى الفن — الى خدمات تعليمية وثقافية للجماهير العريضة ، وخاصة فى مجتمع كمجتمعنا ..

فماذا حدث فى مصر ؟

جاءت ثورة يوليو ١٩٥٢ لتترك التناقض التاريخى بين دورى المسرح العام والخاص قائما ومستمرا ، فبعد بداية الثورة استمر مسرح القطاع الخاص فى أداء دوره ممثلا فى مسرح الريحانى ، كما كون اسماعيل يس فرقته الخاصة عام ١٩٥٤ ، وبدأها بمسرحية [حبيبى كوكو] [١]

وكانت الاستجابة الجماهيرية الكبيرة لمسرحه وقتها ملائمة للوعى المفقود ، ومكمن خطورة على سنوات الثورة الاولى فى مراحل انجاز مهامها الوطنية الملحة مثل تصفية الاستعمار ، والاقطاع ..

والى جانب فرق الكوميديا وجدت فرق أخرى مثل المسرح الشعبي الذي انشأه زكى طليمات عام ١٩٤٧ ، بدافع من حسن النية والحماس للتغيير ، وأيضا كان هذا حال [المسرح العسكرى] الذى استمر حتى عام ١٩٦٧ .

وعلى الصعيد الرسمى ، كانت فرقة المسرح القومى التى تكونت بعد اندماج فرقتى المسرح الحديث والفرقة المصرية للتمثيل والسينما تقوم بمحاولات للاقتراب من صيغ معقولة عن طريق مسرحيات عالمية لابسن وموليير ، ومسرحيات مصرية لتوفيق الحكيم وعلى احمد باكثير ، ولكن كان الجزء الاكبر من عروضها الاعمال مثل اشاعة هانم ، عيلة مجانين بابا عايز يتجوز .. الخ ..

وبرزت الى الوجود فرقة المسرح الحر عام ١٩٥٤ لتحاول التعبير عن التغيير الاجتماعى الذى نادت به الثورة ، الى جانب الهزليات والميلودراما فقدمت نعمان عاشور فى [**الناس اللى فوق**] **عام ١٩٥٦** « **التى اعتبرت صرخة الميلاد لمسرح مصرى جديد منسلخ عن مسرح توفيق الحكيم ومتجاوز له** » [٢]

وبرغم ما ارادته الثورة من تغيير ، وبرغم التجاوب الشعبى مع تلك الامانى ، الا ان شيئا حاسما لم يحدث فى هذا الاتجاه ، فتركت فرق القطاع الخاص كالريحانى واسماعيل يس وبعض الفرق الاخرى تقدم فنونها ذات القيم المرفوضة فى الفترة الثانية من عمرها بين سنوات ٥٦ — ٦٠ وبرغم أن المسرح القومى كان قد عرف الطريق الى بدايات جيدة قدمها كتاب مثل يوسف ادريس والفريد فرج ولطفى الخولى الى جانب نعمان عاشور ..

وحملت المرحلة الثالثة التى تقع بين سنوات ٦١ — ٦٧ تناقضا فريدا فى نوعه .. فبينما اعتبرت أزهى سنوات المسرح كما وكيفا فهى قد حملت فى نفس الوقت بذور نهاية هذا الازدهار .. ولقد تمثل ازدهارها فى توسيع قاعدة المسرح بانشاء فرق مسرحية مختلفة مثل فرقة الحكيم التى رفعت شعار [نحو الارفع والانفع] عن طريق اقامة توازن بين تقديم الفن الجيد ، وبوسائل تجذب المتفرجين .

كذلك انشىء مسرح الجيب تحت شعار [فكر مفتوح لكل التجارب] مستمدا كيانه من كلمات للميثاق الوطنى [**اننا لا نملك ، ولا يجب ان ندعى ملكية اى سلطة تحرم قوة التطور الجديدة من حقها المشروع حتى فى الخطأ .. فعن طريق الخطأ وبالتجربة وحدها يتأكد الصواب**]

وشهد المسرح وقتها تقديم اعمال لكبار كتاب العالم الملتزمين بقضايا الانسان مثل تشيكوف ، لوركا ، بريخت ، وسارتر كما قدم مسرح اللامعقول برغم عدم **ملاءمته لاتجاه المجتمع التحول** الاشتراكى وقتها ..

والى جانب تلك الفرق المسرحيه شهدت سنوات الازدهار انشاء فرق لمسرح العرائس ، والسيرك القومى ، والفرقة القوميه للفنون الشعبية لتقدم عروضها على مسرح وفرقة مسرح الجليد ، والمسرح الغنائى كما شهدت تبادل الخبرات الفنية بين المسرح المصرى والعالمى فحضرت فرقة مثل [الاولدفيك] البريطانية أبو الهول للمرة الاولى ، وحضر مخرجون من المانيا وروسيا لتقديم أعمال لبريخت ، وتشيكوف للجمهور المصرى ..

« **كانت القاعدة التى سار بها العمل فى المسرح القومى هى تقديم مسرحيات جديدة بمعدل مسرحية كل شهر تقريبا مع انتهاز الفرص لتقديم المسرحيات القديمة والناجحة فى المصايف وغيرها .. وأن ابتعد هذا الجهد عن التخطيط العلمى المتكامل** » [٣]

ونظرة سريعة على عدد المسرحيات التى قدمتها مسارح الدولة فى خلال أعوام الازدهار تبين أنها — مجتمعة — كانت تقدم ٩٠ مسرحية فى العام ، منها ستون مسرحية جديدة ..

ولنأخذ كمثال المسرح القومى :

● **ففى الموسم ٦٠ — ٦١ قدم ١٧ مسرحية منها ٦ جديدة .**

● **وفى الموسم ٦١ — ٦٢ قدم ١٦ مسرحية منها ٩ جديدة .**

■ **وفى الموسم ٦٢ — ٦٣ قدم ١٨ مسرحية منها ٩ جديدة .**

● **وفى الموسم ٦٣ — ٦٤ قدم ١٨ مسرحية منها ٩ جديدة ومثلها فى العامين التاليين .**

فى ذلك الازدهار ، وذلك الوقت الذى سعت فيه مؤسسة المسرح الى حجب الفن الردىء عن طريق تقديم مسرح ذى مستوى فنى وفكرى جيد ، والتخطيط لنهضة مسرحية تشمل كل مصر [وقد بدأ هذا عام ١٩٦٣ عندما أنشأت فرقة اسكندرية المسرحية] ، والربط بين المسرح

---

[٢] فاروق عبد القادر : حركة المسرح المصرى من الماضى والى المستقبل مجلة « الطليعة » — مايو ١٩٧١.
[٣] أحمد حمروش — المسرح من الكواليس ص ٢٦٩ .

المصرى والمسرح المتقدم فى الخارج .. وكان منطق المؤسسة هـو :

«ان تركيز ادارة الفن المسرحى فى مؤسسة واحدة ادى الى اتخاذ خطة موحدة فى مجابهة **الفرق المسرحية الاهلية التى كانت تتراوح بين فرق جـادة** مثابرة مثل المسرح الحر ، وفرقة انصار التمثيل والسينما ، وبين فرق هابطة تعتمد فى اعمالها على التهريج الشديد ، وعلى استخدام وسائل غير طبيعية لاجتذاب الجمهور .. وكانت هذه الفرق مثل فرقة حسنى العطار وفرقة الكوميدى ،وغيرها تتكاثر على المؤسسة كالذباب . ولم يكن هناك الا مسرح واحد لا تعمل عليه فرقتها هو مسرح ٢٦ يوليو ..» [٤]

اقول فى نفس هذا الوقت الذى ركزت فيه المؤسسة هجماتها ضد الفن الردىء جاء انشاء فرق التليفزيون المسرحية كمعول ينسف كل خططها .. ومن جهة رسمية اخرى هى هيئة التليفزيون ، الذى هو احد اجهزة الخدمة الثقافية للدولة ..

وبناء على الشعار الذى رفعه التليفزيون ، وصدقه ، من [انه ولد عملاقا] قرر أن تكون له فرق مسرحية باسمه تقدم انتاجها السريع له ، ولا تعتمد على تخطيط الجهة المسئولة عن الفن المسرحى رسميا ، وكانت التجربة التى ضربت الحركة المسرحية فى أوج ازدهارها ، عشرة فرق لمسرح التليفزيون انشئت فى مدة قصيرة .. وكانت ايجابياتها من ذلك النوع الذى يتناسب ومنطق القطاع الخاص ، مسرحيات **سريعة لملء وقت المشاهد** وساعات الارسال ، مثلها مثل أفلام السينما المصرية القديمة التى قدمت له بتركيز شديد ، والحلقات الاجنبية .. وكلها سدت فراغ ساعات الارسال فى بداية التليفزيون ..

فماذا فعلت فرق التليفزيون ؟

لقد خلقت رواجا كاذبا يعتمد على الاعلان الصارخ ، وجذب نجوم مسرح الدولة كضيوف شرف باضعاف اجورهم ، ووضعهم فى اطار يفسد كل مفاهيم المسرح كفن جماعى ، ويعتمد على ابراز شخصية الممثل الناجح ، وتضخيم دوره ، وتحويله الى [نجم] ، أى أنها اعتمدت اسلوبا مناقضا تماما لاسلوب المجتمع وطموحاته فى تلك الفترة .. فى نفس الوقت الذى لم تهتم فيه بالقيمة الفكرية او الفنية للاعمال المقدمة .. بل انها فى سبيل الاروج ، والاشهر احتضنت اتجاها وصعدته ذلك هو مسرح الضحك بأية وسيلة لجذب المزيد من الجمهور ، وكان عماد هذا المسرح ممثلو فرقة [ساعة لقلبك] الذين أصبحوا نجوما ..

وهكذا .. ما فعلته المؤسسة من ارساء لقيم وفكر ، هدمته فرق تابعة لمؤسسة اخرى .. وتلك هى المأساة .. ان يأكل القطاع العام بعضه ، والنتيجة خسارة للمسرح ، والجمهور والفن ، والفكر ، والامل ....

ولذلك فقبل ان يبدأ حل فرق التليفزيون كان هذا الاتجاه ، وهؤلاء [النجوم] الذين خلقتهم أول من فر بعيدا عن الالتزام بقيود الهيئات الرسمية الى فرق خاصة بهم ..

وتوالت الكوارث على هيئة المسرح ، وهان أمرها الى حد التفكير فى حلها ، وضمها الى هيئة الاذاعة [٥] .. وفعلا ضمت ميزانيتها الى ميزانية هيئة الاذاعة ، وتكون منها تشكيل جديد تحت اسم [هيئة الاذاعة والمسرح والموسيقى] ، وتحولت المؤسسة الى ادارة تابعة لهيئة الاذاعة .. وتبع ذلك تخلى مؤسسة المسرح عن التزامها بالعمل فى الاقاليم ، وانحسارها عن معاونة فرق المحافظات وترك ذلك الانجاز تحت رحمة التقديرات الشخصية للمحافظين وأجهزة الحكم المحلى ..

وحتى بعد أن ابطل قرار دمج مؤسسة المسرح فى هيئة الاذاعة فان المفاهيم كانت قد تميعت واختلطت ، وساعد على هذا **تلك النغمة التى ارتفعت بعد حرب يونيو تطالب بالتفريج او [الافراج] عن الناس ، وكأن الثقافة الجادة هى سبب الهزيمة**

وكان طبيعيا أن تتناقض طرق مسرح الدولة مع مسرح القطاع الخاص ، بينما قدم الاول مسرحيات سياسيه كرست قضية فلسطين كأساس لازمة الصراع العربى — الاسرائيلى ، واستيعاب تلك العروض لشتى متغيرات القضية فى أعمال مثل : « ليلة مصرع جيفارا » ، « النار والزيتون » .. لجأ المسرح الخاص الى تقديم فن هروبى وصل الى اقصى حالات الهزل والتهريج فقدم اعمالا مثل ، هاللو دوللى ، طبيخ

---

[٤] احمد حمروش المرجع السابق ،ص ٢٦٦

[٥] احمد حمروش .. المرجع السابق ص ٢٩٣.

الملايكة ، عفريت مراتى ، البكاشين ، الطرطور وغيرها .. وكانت الردة فى صالح هذا الاتجاه الهروبى على كل المستويات بعيدا عن أحزان النكسة وهمومها !

ولعل هذا الاتجاه للقطاع الخاص المسرحى له جذوره القديمة فى مصر ، فمع مجىء الحرب العالمية الاولى ،واكتساح الكباريهات للقاهرة ، تحول جورج أبيض لتقديم أعمال هزلية بسبب الاغراء المادى ، وبدلا من الاعمال العالمية الجادة مثل عطيل واوديب والبؤساء .. كما شهدت تلك الفتره أيضا ظهور الريحانى ، وتقديمه لروايات واسكتشات [فرانكو — آراب] فى كباريهات الالفى .. وانتهت الحرب عام ١٩١٨ وقد مات التمثيل الجدى وسط موجات الانحطاط .

وعندما أنشأ يوسف وهبى فرقة رمسيس بعد ذلك لم يستطع ان يقاوم الازمة الاقتصادية العالمية فى بداية الثلاثينات ، وسيادة الكباريهات والرقص وانحرف الى التهريج . وكانت تلك الاسباب دافعا للتفكير فى انشاء فرقة حكومية ترعى الفنانين ، وتحميهم .. ولذلك فليس القصد من هذه الكلمات الهجوم على الفرق القديمة وانما اظهار ما تحتمله من جدية — اذا ما سمحت لها الظروف العامة بذلك — وما تسرع اليه من تغيير كلى ، بل وانحراف ، اذا ما تعرضت لاية ضائقة ، فهى مرهونة فى النهاية بمدى أرباحها كفرقة تجارية ..

وهو ما يؤكد أن دورها فى انجاز التغيير الاجتماعى ينتهى حين تتضارب مصلحتها مع مصلحة المجتمع ..

ولعل منطق القطاع الخاص فى السنوات الاخيرة يظهر هذا بقوة مستفيدا من أية فرصة تسنح له ، فبالاضافة لفرق النجوم وفرق اللانجوم ، **فهناك تلك الفرق التى تكونت خصيصا لتقوم بعملية نهب فريدة لاموال القطاع العام .. وعن طريق التليفزيون ، الذى ابتدع ما سمى بمسرح التليفزيون فى السنوات الخمس الماضية ، وبعد الغاء فرقه المسرحية الثابتة ..**

«فمسرح التليفزيون هذا يدفع ثلاثة آلاف جنيه مصرى لاى عمل مقدم من فرقة مسرحية ، بشرط أن يعد خصيصا للتليفزيون .

ولان تكوين الفرق ليس مشكلة فقد انطلق كل من هب ودب فى سباق لتكوين فرق بأية وسيلة ، وبطريق مقاولات الباطن أحيانا للحصول على مبلغ الثلاثة آلاف التى يقبضها صاحب الفرقة التى اعدت النص ، وعلى احدى المسارح يراه موظفو التليفزيون واقاربهم لمدة اسبوع يسجله بعدها التليفزيون .. ويقدمه لمشاهديه . ولربما كانت قلة نادرة من تلك الاعمال تمتلك مقومات العمل المسرحى الفنية والفكرية ، ولكن مستوى الغالبية العظمى منها هو الذى اوقفها بعد أن فاحت رائحتها فى أوائل هذا العام ..

واذا كانت هزيمة المسرح الجاد عامة بعد نكسة يونيو أمام المسرح الخاص ، فهى قد افلحت أيضا فى غرس ثمارها لدى كثير من فنانى المسرح الملتزمين ، البعيدين عن الكوميديا والضحك بعيدا عن وعيهم السياسى والانسانى بدور المسرح ازاء الاحساس بالهزيمة الذى خلق بداخلهم نوعا من الاستسلام أمام جيوش القطاع الخاص الجاهلة ، التى ترفع بنجاح شعار التخلى عن كل مسئولية ، واراحة البال من الشواغل الانسانية ، وبسط اليد حتى تستوعب أكبر قدر ممكن من المال — فهى هزيمة ساحقة أمام استفزاز مغريات الارتزاق فى الاذاعة والتليفزيون والسينما .. بلا أية حدود ..

ولعل أصدق مثال على هذا ما قاله ممثل المسرح القومى محمود يس ، أثناء قيامه بأداء دور جيفارا بالمسرح القومى عام ٧٠ [قبل أن يصبح فتى الشاشة الاول] . قال :

« أعتقد ان الممثل فى الفترات الحرجة التى نمر بها يجب أن يكون له موقف واضح من قضايا الصراع مع الامبريالية ، وتصفية التناقضات الاجتماعية الداخلية .. ولا يكفى الممثل مجرد تفسير الدور ، وانما بالضرورة يجب أن يعتنق المضمون الانسانى للعمل المسرحى الذى يؤديه » .. [٦]

وبعد ذلك فان الحديث عن حركة المسرح فى السنوات الاخيرة يعتبر من قبيل تحصيل الحاصل لبيان مدى ارتفاع الخط البيانى للمسرح الخاص ، وهبوط الخط البيانى لمسرح الدولة ويكفى دلالة على ذلك عودة فرقة المسرح الحر ثانية عام ٦٩ ٪ ونهايتها سريعا بعد ان حاولت منافسة كوميديات القطاع الخاص «برعى بعد التحسينات»

[٦] مجلة المسرح — سبتمبر — اكتوبر ١٩٧٠ .. الثورة والمسرح .

أو العودة الى اعداد مسرحى عن روايـات تم اسـتهلاكها « ميرامار » .

ونظرة الى أرقام العـروض توضح معادلة الصعود والهبوط هذه ، فبينما قدم مسرح الدولة تسع مسرحيات جديدة فى موسم ٦٩ــ٧٠ هى : النار والزيتون ، وطنى عكا ، ثورة الزنج ، جان دارك ، تحت المظلة ، أنت اللى قتلت الوحش ، حب لا ينتهى ، ثلاث مسرحيات قصيرة ، حبظلم بظاظا .. قدم المسرح الخاص مسرحيات : جمعية كل واشكر ، خمسةوخميسة ، سرى جداجدا البكاشين ، حاجـة تلخبط ، التفاحة والجمجمة ، الراجـل اللى جوز مراته ، التعلب فات .

وفى أوائل عام ٧٠ .. كانت للدولة فرقتان فقط قدمت عرضين أمام تسعة فرق خاصة قـدمت مسرحيات : مجنون بطة [فرقة المتحدين] ، سـنة مع الشغل اللذيذ [فرقة الريحانى] ، كل واحد وله عفريت [فرقة الثلاثى] طبق سلطة [فرقة الكوميـدى المصرية] ، طباخ بالعافية [فرقة المسرح الكوميدى] ، النحـلة والدبور [فرقة عمر الخيام] ، اتفضل قهوة [عمر الخيام] ، الطرطور [الكوميدى] ، برغوت فى العش الذهبى وزوجى فوق الشجرة [ولا اذكر اسم الفرقة]. وبالاضافة الى التناقض المستمر فى عدد الاعمال ، والحفـلات والرواد لمسرح الدولة ، فهناك محاولات هذا المسرح نفسـه للبحث عن الجمهور سواء بتقليد أعمال وأساليب فرق القطـاع الخاص بالنسبة للكوميديا ، أو بطريق آخر .. « فقد استطاع المسئولون عن مسرح الحكيم فى ذلك الوقت ان يصلوا لصـياغة بدت لهم منطقية تماما .. أن الجمهور الان لديه أسئلة كثيرة عن الهزيمة.. فماذا لو حككنا له الجراح ؟ سنضمن الاقبـال ، والرواج من أيسر سـبيل ، والحقيقة فان هذا المسرح هـو الذى تبنى اتجاه [مسرحيـات السلطة] ، اى تلك التى تتخذمن قضية الحكم موضوعا لها فاتحة باب الاسقاط السـياسى على مصراعيـه ومثـال على ذلك مسرحيات بلدى يا بلدى ، تحت المظلـة » [٧] وما لجأ اليه مسرح الحكيم لجأت اليه مسارح أخرى تابعة للدولة بعد حرب أكتـوبر ١٩٧٣ حيث قدمت أعمالا مثل : حراس الحياة .. ، وعفاريت من ورق ، ومحاكمة عم أحمـد الفلاح .

ولقد جاءت العـروض التى قدمتها مسارح الدولة ، وتلك التى قدمها القطاع الخاص بعد حرب أكتوبر تأكيدا لذلك الخط البيانى الذى يعكس هبوط الاولى كما وكيفا وجماهيرا ، وارتفـاع الثانيـة كما ، واسـتحواذها بالجماهير العريضة ..

فقبل أن تنتهى الحـرب فى أكتوبر ٧٣ قدمت مسارح الدولة ثلاثة أعمال سريعة هى : [حدث فى أكتوبر] و [مدد .. مدد] وعمل تاريخى أعد على عجـل هو [صـلاح الـدين] .. واستأنفت مسارح القطـاع الخاص عملها المعتاد بعد فترة صمت أغلقت فيها أبوابها عقب أيام القتـال الاولى ، وكانت الفرصة مهيأة لهيئـة المسرح لاستغلال تجـاوب الجماهير للاعمـال الجادة ، ولاعـادة العروض الجيدة فى ريبورتوارها .. ولكن هذا لم يحدث ..

وفى عام ٧٤ .. قدمت فرق الدولة .. عملين يجمعـان بين الدراما والغناء والرقص همـا [الحرب والسلام] و [حبيبتى يامصر] .كما قدم المسرح القومى مسرحيتين هما [سقوط بارليف] و [أقوى من الـزمن] الاولى شعرية لهارون هاشم رشيد ، والثانية تاريخية ليوسف السباعى وقدم المسرح الحديث مسرحيـة [رأس العش] التى كتبها سعد الدين وهبة وتدور أحداثها فى جبهة القتال ، كما قدم مسرح الطليعة ثلاثة أعمـال هى : [حراس الحياة] و [عفاريت من ورق] و [محاكمة عم أحمـد الفلاح] وكلها من نوع مسرحيات الاسقاط السياسى المباشر ..

وبسبب تلك الاعمال التى قدمت فى أكتوبر ١٩٧٤ ، لم تقدم هيئة المسرح موسما شتويا بحجة أنها صرفت مائة ألف جنيه اضافية الى مبلغ المليون والربعمائة ألف التى تكلفتها تلك العروض ..

فماذا كانت النتيجة ؟

حققت [**الحرب والسلام**] متوسط ايراد يومى ٩٠ جنيها فى الوقت الذى تحقق فيه فرقة رضا التى تحمل عبء العرض ٣٧٠ جنيها يوميا ، وبالمثل حققت [حبيبتى يامصر] ١٣٢ جنيها فى الوقت الذى يبلغ المتوسط اليومى للفرقة القومية التى تقدمها ٢٦٥ جنيها ..

وحققت [**سقوط بارليف**] ١٤ جنيها بينما متوسطها ٣٨ ..

[٧] فاروق عبد القـادر .. حركة المسرح المصرى من الماضى للمستقبل ، مجلة « الطليعة » ــ مايو ١٩٧١.

كما حققت رأس العش ٣٠ جنيها بينما متوسطها ٦٧ ...

أما [عم أحمد الفلاح] فقد حققت ٤ جنيهات يوميا بينما متوسطها ٣٨ جنيها !

ولئن كانت الارقام دليل فشل جماهيرى لتلك الاعمال التى دفع من أجلها الشعب مليونا ونصف مليون فان نجاحها الفنى والفكرى كان أقل نصيبا من النجاح الجماهيرى ٠

أما عامنا .. ١٩٧٥ .. فقد جاء بتقدم ملحوظ بالخط البيانى الهابط لمسرح الدولة والصاعد للقطاع الخاص ، ففى شتاء ٧٥ لم يزد ما قدمته مسارح الدولة كلها عن ثلاثة أعمال .. فقدم المسرح القومى [**النسر الاحمر**] لمدة شهرين ثم أغلق بعدها وقدم مسرح الطليعة مسرحية [**دون كيشوت**] لمدة مماثلة اغلق المسرح قبلها وبعدها ، وأما المسرح الحديث بشعبه الاربعة [الحكيم ــ العالمى ــ الحديث ــ الكوميدى] فقدم مسرحيتين : الاولى **نرجس** المقتبسة عن جان آنوى [المتوحشة] ، والثانية [**الزفاف**] لمؤلف مصرى جديد هو منصور مكاوى .. ولفترة لا تزيد عن شهرين للعملين معا .

وفى موسمنا الصيفى الحالى يتأكد الخط البيانى للهبوط والصعود عندما يفشل مسرح الدولة فى تقديم شىء ، فيوقف عرض مسرحية [**عودة الشباب**] بعد أيام بسبب انصراف الجماهير كما يفشل عرضه الثانى [**يا أنا .. يا هو**] فى الوقوف أمام غول الفرق الخاصة فيضطر الى تلفيق عرض سريع ــ قديم ــ اسمه [**سلك مقطوع**] !.

وفى الجهة المقابلة .. نجد لمسرح القطاع الخاص عام ٧٥ ١١ فرقة تقدم ١٢ عرضا مسرحيا استمر أربعة منها لمدة تقترب من العام هى : [ياما كان فى نفسى] مسرحية الريحانى التى قدمتها فرقة الكوميديا المصرية بعد أن وجدتها لائقة على نجميها فؤاد المهندس وشويكار ، والثانية : انهم يقتلون الحمير .. لفرقة عمر الخيام ،والثالثة [يحيا الوفد] لفرقة تحية كاريوكا ، والرابعة [شاهد ماشافش حاجة] للشعبة الثانية من فرقة المتحدين .. أما بقية العروض الثانية التى انضمت فى الصيف لتتقاسم الربح والجماهير والميدان الخالى فهى : [حب ورشوة ودلع] .. لمحمد عوض ، و [الشعب عالمكشوف] لفرقة كمال الشناوى الوليدة ، و [أبناؤنا فى لندن] للشعبة الاولى من فرقة المتحدين [فندق الثلاث ورقات] لفرقة الثلاثى ، و [،نتهى الدرس ياغبى] لفرقة المسرح الجديد]، و[ياعالم نفسى أتسجن] لفرقة الهنيدى ، وأخيرا .. [أولاد على بمبة] لفرقة الريحانى ..

وهكذا أعلن مسرح الدولة استسلامه لمسرح القطاع الخاص الذى يعتمد أولا وقبل كل شىء على تلبية مطالب جمهوره من الطبقات الجديدة ، والطفيلية ، والبورجوازية القديمة ، ولا يغير من هذه المطالب ، وتلك النسبة العالية من المشاهدين العرب الذين يحضرون للسياحة فى القاهرة صيفا ، والذين يكونون نسبة تتراوح بين ٦٠ الى ٨٠ فى المائة من عدد رواده ، فالتجانس قائم بين جمهوره المصرى والعربى فهو فى النهاية ينتمى لطبقة واحدة .. بمصالحها وقدراتها المالية [جنيهان فى التذكرة] ومطالبها واستجاباتها وبعد ذلك فالعلاقة بين الطرفين الجمهور،وفرقه علاقةمحددة،هو يعرف نجومه وأين يجد ما يريد، وهم يعرفون ماذا يقدمون ، ويطورون انفسهم ، فالى جانب حتمية وجود [نجوم] لانتزاع الضحكات هناك ذلك التصاعد فى اللجوء للطرق الشاذة من استهلاك القوافى المطروقة ، والامساك بأية فرصة لتحميلها رموزا وايحاءات جنسية ، والضرب على الاقفية والمؤخرات والتفنن فى تقديم النماذج المريضة جسديا ونفسيا ، ولعل آخر الموضوعات وأكثرها رواجا الان هى الشذوذ الجنسى الذى يتصدر سباق انتزاع القهقهات الغليظة .. فاذا أضفنا الى ذلك كله ابهار الديكورات ، وابهار العرى ، وانسياق كل ممثل وراء ما يحلو له من تأليف فورى لادركنا كم أن الصورة بشيعةوكريهة، ومخجلة ٠

وفى هذا الخط الذى لم يعد لمسرح الدولة فيه وجود مؤثر بعد أن فقد رؤيته ، وفقد الطريق الى جماهيره الحقيقية التى لا تمثل بأى حال من الاحوال دافعى الجنيهين ثمنا للتذكرة ، فان الشعاع الوحيد الذى لم ينطفىء موجود بعيدا عن القاهرة حيث توجد فرق الاقاليم المسرحية التى تولت الثقافة الجماهيرية أمورها منذ عام ١٩٦٩ بهدف تأصيل اتجاهاتها ،وربطها بمخطط فكرى وفنى مدروس ، وقد وصل عددها الان الى ٤٠ فرقة فى كل المحافظات بعد أن بدأت بفرقة واحدة هى فرقة الاسكندرية عام ٦٣ ، **وبعدها بعام أصبحت** للمحافظات خمس فرق ، **وفى** عام ٦٦ أصبحت ١٢ **فرقة** وتصاعدت لتضم كل **المحافظات**

الى دائرة النشاط المسرحى الذى يبحث عن هويته ، وبرغم تخبطها وبرغم ما تلاقيه من عنت الاجهزة الرســـمية فى المحافظــات ، والعاصمة ، وما تعانيــــه من ضائقة مالية مستمرة ، واهمال لرعاية مواهب فنانيها بالتدريب والصقل ، برغم كل هذا فانهــا نجحت فى تقديم مجموعة واعدة من مؤلفى المسرح ، ومخرجيه ، وفنانيه فى كل التخصصات ، ونجحت أيضا فى تقديم أعمال صعبة ... ولكنها لم تنجح فى خلق قاعدة جماهيرية صلبة من المشاهدين فى الريف المصرى لان امكانيات الحركة لديها ضعيفة ، وهو ما يهدد بتوقفها وموانها ، فقاعدتها الحقيقية هى جماهير الريف والاقاليم المحرومة من الفن الجاد ، والى جانب فرق الاقاليم توجد فرق الجامعات التى تنتظم فى مهرجان سنوى يقـــدم ما لا يقدمه مسرح الدولة الان ، كما توجد فرق الهواة فى المراكــز الثقافية الاجنبية ، وفى الاندية الثقافية . ولكنها محكوم عليها بالحصار والنفى بعيـــدا عن الجماهير الواسعة ، وبالتوقف المستمر ، وتلك هى الكارثة التى حولت الفن الجاد .. الملتزم الى فن سرى يقول كلمتــــه بشق النفس وسط موجة كراهية لكل ما يمت للثقافة بصلة ! ■

٣

النشـــر

تقلـص دورَ الـدولـة .. وهجـــرة الـــكتاب

اعداد : شمس الدين موسى

فيما يتعلق بقضــية النشر ، فان هناك أسئلة أساسية لابد من التعرض لها . فمن الواضح أن دور الدولة فى النشر قد تقلص الى حد كبير ، ومن مظاهر هذا التقلص توقف ســلاسل كثيرة كانت تلعب دورا هاما فى تقديم ثقافة مبسطة ومنوعة للقارىء ، بأثمان تتسق وقدرته الشرائية ، كذلك توقف أيضا عدد كبير من المجلات المتخصصة [المسرح — السينما — المجــلة — الفــكر المعاصر — الفنون الشعبية — تراث الانسانية] ، وأبدلت بعدد محدود من المجــلات لا يحظى أكثرها باهتمام القراء [الجديد ، الثقافة] ، هذا بالاضافة لارتفاع أسعار الكتب التى تصدرها هيئة الكتاب على نحو يجعلهــا فوق متنــاول القــارىء متوســـط الامكانيات .

هـذا كلـه من جانب ، ومن الجانب الاخر فان ثمة ظـاهرة ملحوظة هى هجـرة المؤلفيـن والمترجمين والفنـانين عموما — باشخاصهم أو أعمالهم — الى عواصم عربية أخرى : الى بيروت وبغداد على وجه الخصوص ، مما افقد الكتاب المصرى دوره الريادى الذى كان له تاريخيا — فى حركة الثقافة العربية .

كذلك ، فان الكتاب الجامعى — اصداره وتوزيعه — يمثل مشكلة خاصة تهم آلاف الطلبة ، وتثير مشاكل ذات طبيعة مختلفة عن اصدار الكتاب العادى أو العام .. لو صح التعبير .

وفى هذا التحقيق نستطلع آراء عـدد من العامـلين فى قطاعى النشر : العام والخاص ، نطوف فيه حول هذه المشـاكل الثلاثة ..

وسنبدأ بالقاء نظرة على خطة النشر المعلنة لهيئة النشر هـذا العام .. ، ونرى مؤشراتها ، ونناقش احد المسئولين عنها .. الخطة يمثلها الجدول رقم [1]

ولقد كان عدد الكتب المترجمة دون النظر فى نوعياتها باستبعاد المترجم من العربية الى اللغات الاخرى ، والمعاجم والموسوعات ٣٧ كتابا — أى حوالى ٣ر٢٢٪ من مجمل خطة الهيئة بالجدول ومعظمها فى مجـال الادب من قصة ومسرح .. الخ .

وبتحليلنا لارقام الخطة الموزعة بالجدول لمعرفة اتجاهات النشر فى الهيئة، نجد انها على الترتيب :

١ — فى مجال الاداب عدد ٤١ كتابا بنسبة ٧ر٢٤٪ .

٢ — فى مجـال العلوم الاجتماعية التى تشمل الكتب السياسية عدد ٢٨ كتابا بنسبة ٨ر١٦٪ .

٣ — فى مجال التراث عدد ٢٠ كتابا بنسبة ٠٥ر١٢٪ .

وعندما عرضنا تلك النتائج على الاستاذ مرسى سعد الدين حين كان مديرا عاما للهيئة ومديرا للنشر بها قال :

ان أهم اعتبار يكون أمامنـا أثناء اعداد الخطة هو التوازن — التوازن بين أنواع الكتب المختلفة والتـدقيق فى النشر . لان الامكانيات محـدودة بسبب الظروف الاقتصادية ، لذلك يجب أن نعطى أولويات فى النشر من ناحية ، ومن ناحية أخرى يجب الا يطغى جانب على جانب وخطة عام ١٩٧٥ بها تنوع وتوازن فى نفس الوقت ، فهناك الموسوعات والدراسات والرسائل الجامعية والشعر ، والكتب المترجمة من اللغة العربية الى اللغات الاخرى وكتب الاطفال ... الخ .

وبطبيعة الحال أيضا ، نهتم بالترجمة من اللغات الاجنبيـة الى العربية ، ومن العربية الى الاجنبية — فمثلا ستنشر الهيئة ترجمة لاربعة وخمسين كتابا فى مختلف النـواحى والتخصصات ولعل هذا الرقم غير مقنـع فى رأيى ، ولكن مرة أخرى هنـاك الظروف الاقتصادية التى أدت الى هذا ، فترجمة كتاب واحـد يتكلف أكثر من التأليف ، وهناك الترجمة التى تقيدها قـرارات جمهورية ، وهناك المراجعة .

وعن اختفاء بعض السلاسل الهامـة التى كانت تصـدر عن هيئات النشر الرسمية ، والتى كان لها طابع خاص ومميز مثل سلسـلة الالف كتـاب وروائع المسرح العالمى فى الوقت الذى تقوم فيه الهيئة بترجمة كتب عربية

جدول رقم [1]

	مكتبة عربية	تراث ودين	رسائل	اداب	فنون	ع. اجتماعية	علوم	دراسات	اطفال	جملة
ربع السنة الاول	٤	٤	٣	١٠	٢	٥	١	٣	٢	٣٥
ربع السنة الثانى	٤	٥	٣	١١	٢	٧	٢	٤	١	٤٢
ربع السنة الثالث	٤	٥	٤	١٠	٢	٨	١	٤	٢	٤٤
ربع السنة الرابع	٥	٦	٤	١٠	٢	٨	١	٤	[illegible]	٤٥
المجموع	١٧	٢٠	١٤	٤١	٩	٢٨	١١	١٥	١١	٥٦

الى اللغات الاجنبية . . قال مرسى سعد الدين : الظروف الاقتصادية أيضـــا هى السبب فى توقف سلسلة من أهم السلاسل التى رأتها مصر وهى « الالف كتاب » ونفس الاسباب أيضا أدت الى توقف سلسلة « المسرح العالمى » وان كانت الهيئة بدأت الان فى نشر مسرحيات مختلفة مؤلفة ومترجمة ، وكما تعرف فان سلسلة المسرح العالمى تصدر الان فى الكويت . وفى رأيى هذا أمر يدعو الى الراحة ، فالنشر يجب أن يكون مشتركا بل منسقا ومتكاملا ، ولا يجب أن يحدث تكرار للنشر » .

اما « دار المعـــارف » — والمفروض أنها من دور القطاع العـام ، من حيث أن ملكيتها الرسمية للاتحاد الاشتراكى — قال الاستاذ حلمى مراد ، مدير النشر بالدار :

ان النشر عندنا ينقسم الى نوعين : كتب مؤلفة ، وكتب مترجمة ، فنحن نحاول — الى جوار تقديم الكتب العربيــة التقليدية — أن نعـرف القارىء بما تنتجه المطابع العالميــة عن طريق نقل مختارات أهم الكتب التى تنشر فى الخارج من مختلف البلاد ومختلف اللغات ، ويتم الاختيار نتيجة الاطـــلاع على النشرات والقوائم التى يصدرها الناشرون فى البلاد الاجنبية ، وما أطـلع عليه فى زياراتى لمعارض الكتب الدولية ، وعلى هذا يمكن أن يتم الاختيار لما يناسب القارىء العربى ،وتحتاج اليه بلادنا عمــوما من ثقافات أجنبية سـواء من الكتب أو الموسوعات علمية وأدبية بجميع أنواعهـا — والعقبـات التى نصادفها وتحد من اتساع حركة نشر الكتب الاجنبية وترجمتهـا أن بعض الناشرين الاجـانب يغالون فى حقوقهم التى يطلبونها مقابلا للترجمة ، وذلك مما لايتفق مع مستوى القدرة الشرائية لدى القارىء العربى . » .

ومن الجـــدول التالى — المستخرج عن قـوائم النشر لسنة ١٩٧٤ — نجـد أن كتب التراث لها نصيب كبير فى خطة دار المعارف المنفذة خلال ١٩٧٤ بعد الاداب والفنون والدراسات النقدية ونسبتها كالتالى :

١ — فى مجال الاداب عـدد ٤٠ كتابا بنسبة ٤٦٪ .

٢ — فى مجال التراث عـدد ٢٤ كتابا بنسبة ٢٧ر٥٪ .

كما يبين الجدول أيضا تباين أولويات النشر بين الدور المختلفة فالاداب والفنون فى الهيئة لها نصيب أكبر فتمثل ٣٦ كتابا بنسبة ٣٦ر٣٪ من مجمل خطة ١٩٧٤ يليها الكتب والدراسات السياسية التى تمثل ٢٥ كتابا بنسبة ٢٥٪ تقريبا .

بينما نجد دار الشعب تكون أولويتها فى النشر لكتب الدين الاسلامى والتراث ، وتصل نسبتها الى حوالى ٤٥ر٢٣٪ . والباقى يضم جميع أنواع الكتب من أدب وسياسة ولغة وتراجم .. الخ .

ويقول « **أنور زعلوك** » مدير التحرير والنشر بدار الشعب :

جدول رقم [٢]

علم وفكر	ادب وفن ونقد	دين وتراث	سياسة	جامعية	متنوعة	جملة	
٢٠	٣٦	٨	٢٥	—	١٠	٩٩	هيئة الكتاب ٧٤
٦	٤٠	٢٤	٤	—	١٣	٨٧	دار المعارف ٧٤
٥٧	٥٣	١١٥	١٦	—	١٣	٢٥٤	دار الشعب ٧٤
٢٩	١٩	١٦	٣٢	٢٨	٢٩	١٥٣	الانجـلو ٧٤
٤٠	٢٢	٥٤	٩	—	٣٠	١٥٥	دار الشرق ٧٤
١	٤	١١	١	٣٥	٩	٦١	دار النهضة ٧٤
٤	٧	—	٢٣	٩	٩	٥٢	دار المعرفه ٧٤
٥	٥	—	١٢	—	١	٢٣	دار الثقافة ٧٤
٥	١٤	—	٤	—	١	٢٤	مـدبولى ٧٤
١٦٧	٢٠٠	٢٢٨	١٢٦	٧٢	١١٥	٩٠٨	المجموع

« ان مؤسسة دار الشعب لها اتجاه محدد منذ مدة طويلة فى النشر ، فهى من أعـرق المؤسسات الصحفية المصرية المتخصصة فى نشر وتوزيع كتب التراث والعلوم الاسلامية .لكننا راعينا فى خطة النشر الجديدة لعام ١٩٧٥ ـ ١٩٧٦ :

ـ تطوير وتنويع كتب التراث

ـ الاهتمام بالمسرح والقصة، الاهتمـام بالطفل والاسرة .

ـ الاهتمام بالشعر والزجل والاداب عموما .

ـ الادب السياسى خاصة الذى يدين القهر والارهاب .

ـ الاهتمام بأدباء الاقاليم وكل البراعم التى تجد الابواب موصدة فى وجوهها » .

وعندما سألته عن حجم الكتاب المترجم فى خطتـه القـادمة ١٩٧٥ ـ ١٩٧٦ أجاب :

« ان دار الشـعب غير متخصصة فى الاعمال المترجمة، وهناك دور نشر أخرى لها هذا التخصص مثل الهيئة العـامة للكتاب . ودورنا الذى حددناه هو نشر الكتاب المصرى والعربى، ولا يزال هذا الاتجاه موجودا فى تخطيطنا ولم يتغير بعد . ولابد أن يعود الفكر المهاجر الى أرضه ولهذا يشعر تجـار ومستثمرو الفكر المصرى فى بيروت بالخطر لانهم كانوا يعيشون على انغلاق مصر ، وانني أتوقع بعد أن يعود الفكر من هجرته أن يزداد توزيع الكتـاب المصرى ، وأن تزداد امكانيات دور النشر المصرية . ولو اطلعت على أرقام التوزيع فى ظل الرقابة وغياب الحرية لتأكـدت الك حقيقة أن النـاس لا يشترون الصحف والكتب فى ظل الـرقابة ، فهم يعتبرونهـا نشرات رسـمية ، والنشرات الرسمية لا يكلف المواطن نفسه عناء شرائها » .

« الكتاب الجامعى »

واذا كانت دور النشر العامة يتحدد انتاجها ضمن اطار خطتها فى العمل ، فان الناشر الخاص يواجه مشـاكل ذات نوعيـة خاصة تجعله لا يقدم للكتـاب الثقافى اولوية خاصة ، فنجد ان الكتب الدينية أو الجامعية تحد من الاهتمام الذى يمكن أن يلقاه كتاب فى الادب أو السياسة ، وذلك يتضح من الجدول [٢] .

فدار الشروق مثلا تصدر ٥٤ كتابا دينيا بنسبة ٣٤٫٨٪ من الانتاج .

ودار النهضة العربية تصدر ٣٥ كتابا جامعيا بنسبة ٥٧٫٣٪ من الانتاج .

وذلك يرجـع لان الاعتبـار الاول أمام الناشر الخاص هو سرعة دوران رأس المال الذى يؤدى الى مزيد من الربـح فى مدة وجيزة .

وقد حدد **عبد المنعم أنور** مدير دار النهضة أسباب اهتمام الدار بالكتب الجامعية ـ قال :

« ان دار النهضة قامت منـذ البداية مرتبطة بالجامعـة لنشر مؤلفات أساتذتهـا مما أعطـانا بمرور الوقت خبرة خاصة فى نشر ذلك النـوع من الـكتب ، تجعل ظروفنا أحسن عند تحديد سعر الكتاب ، الى جانب ثقـة الاساتذة فى أمانة النشر وحبهم للتعاون معنـا . أما بالنسبة للكتاب الثقافى فنحن نختـار الكتاب بالنظر الى موضوعه ، فنفضل الكتاب الذى يكون عن موضوع غير مطروق ومطلوب ، ومن الموضـوعات التى لم تأخذ حظها فى الوصول الى القارىء ، ولا يواجهنا مشاكل الا القيـود القائمة على التصدير والاستيراد»

ويقول محمد الجندى مـدير دار الثقافة الجديدة :

« اننا لم ننشر حتى الان كتابا جامعيا واحدا ، وان كانت الدار لا ترفض ذلك . وفى رأى الدار ان نشر الكتب الجامعية يمثـل مصدر ثروات هائلة لدور النشر ومؤلفيها ، ويجب أن تتولاه الدولة حتى يصدر الكتاب بسعر رمزى كما لا يخفى عليك ان عملية نشر الكتاب تعتبر عملية معقدة للغاية وخاصة اذا جمـع الناشر بين وضعه كتاجر ووضعه كصاحب رسـالة معينة بالاضـافة الى امكانياته المادية ، وهى فى حالة دار الثقافة محدودة . ولعـل كثيرين لا يعرفون أن كثيرا من الكتب الغربية ، التى تظهر فى السوق بين الحين والاخـر فى أعداد هائلة وطباعة فاخرة انما هى ثمرة عمليات مائعة خفية بعضها غير مشروع وبعضها يصل لحد الخيانة الوطنية ، ونضطر أحيانا للتضحية بعامل التوزيع ، ولكننا لا نتنازل أبدا فيما يتعلق بالخط الفكرى » .

هجرة الكتاب والمؤلفين

سألت **مرسى سعد الدين** عن سبب هجرة الكتاب المصريين الى بيروت بانتاجهـم وعن تلهف المثقفين والقراء على الكتـاب القادم من بيروت أو بغـداد ،

اليس فى ذلك مايؤكد حقيقة اختفاء الكتاب الجيد من مصر بالرغم من وجود دور النشر العديدة ؟ .. فقال :

« لا ادرى ماذا تقصد بالكتاب الجيد من الناحية الفنية أو من الناحية الفكرية « الشكل والمضمون » . فمن الناحية الفنية اعتقد انه على الرغم من القصور المادى فان شكل الكتاب المصرى يمكن أن يقارن مع أى كتاب عالمى ، ويكفى أن تعرف أن مصر حصلت على الجائزة الاولى فى معرض الكتاب الدولى فى بيروت من ناحية الانتاج — واذا كانت الجودة من ناحية المضمون الفكرى فهذا يسأل عنه الكتاب أنفسهم .ولقد تضاءل دور مصر فى النشر لنقص الامكانيات المادية ، مثله مثل كل شىء فى حياتنا منذ ١٩٦٧ — ولست فى حاجة الى شرح الصعوبات الاقتصادية التى مرت بها مصر منذ ذلك التاريخ ، والنشر شأنه شأن أى عمل يحتاج الى امكانيات ، الى ورق وآلات وغيرها من المتطلبات المادية ، وهذا يحتاج الى أموال والاموال لم تكن متوفرة . وأود هنا أن أفرق دائما بين النشر والتأليف ، حقيقة أن بيروت وبغداد صارتا من المراكز النشطة للنشر ، ولكن ما الذى تنشرانه ؟ انهما تنشران الفكر المصرى وليس المهم فى رايى أين ينشر الفكر المصرى والفكر العربى ، ولكن المهم أن ينشر وأن يجد طريقه الى القارىء وسواء تم النشر فى القاهرة او فى بيروت أو بغداد ، المهم انه ينشر ، ولست من القائلين بأن عدم امكانيات النشر تؤثر فى الانتاج الفكرى ولذلك لم يتوقف التأليف ، ويمكن الحكم على هذا من عدد المخطوطات الموجودة فى الهيئة انتظارا للنشر وارجو أن تجد طريقها الان » .

أما « **محمد المعلم** » صاحب دار الشروق فيرى فى المشكلة كلها رأيا آخر ، يقول محمد المعلم مدافعا عن الناشر الخاص ، وناطقا بلسانه :

« ان هجرة الكتاب الى بيروت واخيرا الى بغداد نتيجة حتمية وطبيعية لما عانته صناعة الكتاب من أزمات واختناقات وصلت فى بعض الاحيان الى أن تكون مدمرة لمهنة أصيلة فى مصر جنت منها معنويا وماديا ، وفى العالمين العربى والاسلامى على السواء ما قل أن يجتمع فى مهنة أخرى — وتتمثل الاختناقات والمعوقات فى ماديات المهنة والصناعة مثل الورق والالات والحبر ، والالات الحديثة الان استطاعت أن تحدث ثورة فى اخراج الكتاب ، الى جانب القيود والتعقيدات التى تتمثل فى قوانين النقد والتصدير . ثم أضيف اليها العامل الاساسى فى مهنة النشر وهو اختناق حاسة الابداع التى تؤدى الى التأليف وازدهار الفكر وانا آمل بما يقال عن الانفتاح الاقتصادى أن يقضى تماما على قرار جاهل مخرب سبق اصداره ولا يزال أثره والالتزام به قائمين وهو أن فى مصر تشبعا طباعيا . ومن ثم لا يصرح برخص جديدة — بل لا يصرح باستيراد آلة جديدة الا بعد تقديم الاثبات أنها بديلة لالة قديمة اصبحت غير صالحة للاستعمال . هذا القرار الجاهل العاجز وقف بمصر عند آلات كسيحة متخلفة بينما لبنان بل كل بلد عربى آخر ساير ولازم وحصل على كل تطور فى آلات الطباعة ، وقد حدث فيها فى السنوات الاخيرة ثورات تكنولوجية فعلا تنعكس على الانتاج كيفا وكما » .

أما **محمد مدبولى** الذى يوجه معظم نشاطه الى بيع الكتب المستوردة من بيروت — فيرى المشكلة من زاوية مختلفة لحد ما فيقول :

« فى الواقع توجد سيطرة كاملة — على الكتاب العربى لجميع المؤلفين من فلسفة وسياسة وترجمة وأدب .. الخ — من بيروت على اختلاف جنسيات المؤلفين ، وذلك يرجع بالدرجة الاولى الى تفضيل المؤلفين لمطابع بيروت أثناء نشر أعمالهم — لان الكتاب فى دور النشر اللبنانية يعامل احسن معاملة من ناحية المكافأة التى ينالها المؤلف ، والطباعة واسلوب الاخراج ، والتوزيع لان بيروت تغطى تقريبا جميع الوطن العربى بلا استثناء . ذلك الى جانب الاعلان عن الكتاب والمؤلف الذى يغطى الصحف اللبنانية وهى تنتشر أيضا فى كل البلاد العربية

وبالنسبة لعملنا فى الكتب المستوردة هذه — فتواجهنا عدة مشاكل أولها — السرقات حيث تصل المطبوعات عن طريق البحر وعندما تصلنا هنا تكون قد فقدت بالجمارك حوالى ٣٠٪ منها . وثانيها — الرقابة حيث لابد أن نقدم نسختين للرقابة لاخذ الموافقة على الكتاب قبل احضاره من المطار . ثالثا — مشاكل النقد والعملة فالكتاب مثلا يكون ثمنه ٧ ليرات وهى ما توازى جنيهين تقريبا سعر السوق فى

بيروت + ضريبة ٥ر٧٪ تسمى عمولة قطاع عام . لذلك تكون هناك عملية خسارة محققة فى الكتب .. لكننا حتى نغطى مثل هذه الخسارة ونضع الكتاب فى متناول القارىء نتغلب على تلك الفروق بعمل تبادل بين الكتب المصرية والكتب المستوردة — فأنا أصدر كمية من المطبوعات المصرية عن طريق شركات التصدير ، وأدفع كل التكاليف الخاصة بالشحن وخلافه ، حتى يمكن أن نواجه الخسائر فى الكتب المستوردة .

ونتيجة ضعف امكانيات المطابع وارتفاع أسعار الورق فأنا أقوم بطبع معظم كتبى فى بيروت متبعا نفس القاعدة التى اتبعها فى الاستيراد فتعامل كتبى نفس معاملة الكتاب اللبنانى ، الى جانب اننى أستفيد من نشر الكتب فى بيروت لضمان توزيعها فى الاسواق العربية بعيدا عن قيود التصدير والاستيراد » .

ويرى **محمد الجندى** ان هناك سببين لهجرة الكتاب والمؤلفين :

« **الاول ..** هو الجزاء المادى للكاتب ، وهذا فيما يتعلق ببغداد مثلا ، فتخصص الاجهزة الحكومية العراقية مبالغ ضخمة للنشر مما جعل الكاتب يحصل — لاول مرة — على جزاء معقول لعمله . **السبب الثانى** — خاص ببيروت وهو قضية الرقابة فلقد عانى الكتاب المصرى من هذه القضية كثيرا — وليس سرا — أن الرقابة المفروضة على الكتب تكون عادة أشد من الرقابة المفروضة على الصحف . والان عندما نقلت مهام الرقابة على الصحف الى رؤساء تحرير الصحف ، ظلت الرقابة على الكتب كما هى ، ولدى هذه الرقابة يتعرض الكتاب لعملية عسف بالغة ، فالموضوعات السياسية يتغير الموقف منها تبعا لتغير الاحداث والتعليمات المعطاة بشأنها — أما الموضوعات الاجتماعية وخاصة تلك التى تمس قضية الجنس مثلا فتتعرض الى التشويه نتيجة لهذه التعليمات .. وهذه التعليمات تبدو أحيانا مضحكة للغاية ، فطبقا لها يكون بوسع الكاتب أن يتحدث عن اشتهاء رجل لامرأة ، ولكن من غير المقبول أن يشير الى اشتهاء امرأة لرجل وهلم جرا .

بعد هذا كله يكون من الطبيعى أن يهرب الكاتب بانتاجه الى بيروت ، ومن ثم يختفى الكتاب الجيد » .

وعن هذه المشكلة يقول **حلمى مراد** :

« كل الاشياء مرتبطة ببعضها — وظاهرة قلة الكتب الجيدة من دور النشر المصرية بمقارنتها ببيروت ، ذلك نتيجة عدة عوامل متشابكة — فمثلا مؤلف الكتاب الجيد يشترط أن يتقاضى حقوقا كبيرة وأن يطبع كتابه على ورق فاخر بغلاف فاخر . وطباعة ممتازة أو فاخرة . فتكون النتيجة لتحقيق غرضه لابد من رفع سعر بيع النسخة الى المستوى الذى يغطى نفقات هذه الحقوق والورق والطباعة الممتازة مما يجعل هذا السعر فوق القدرة الشرائية للقارىء فى مصر ، والنتيجة الطبيعية لذلك أن مؤلف الكتاب الجيد يفضل أن ينشر كتابه خارج مصر حتى تتحقق له كل هذه المطالب . ومثل ذلك دواوين الشعر والروايات .. الخ — ولكن نرجو أن تكون كل هذه العقبات فى طريقها للزوال بعد التيسيرات الاخيرة التى أعلنت عنها وزارة الثقافة ، والتى تعفى ناشر الكتب من شرط استرجاع قيمة الكتب المصدرة فى مدة قصيرة حوالى ثلاثة شهور مما يجعل المصدر لا يرسل الى الخارج الا عددا قليلا وذلك التسهيل يمكنه أن يجعل الناشر يصدر بكميات أكبر مما يساعد على انتشار الكتاب المصرى فى الاسواق العربية بالسرعة المطلوبة ، حتى يمكن أن يتغلب على ما يواجهه من سرقات وتزوير عانى منه كبار الكتاب فى مصر منذ سنوات » .

تلك هى ملامح الصورة العامة لما يحدث فى مجال النشر : عجز وتقلص فى جانب ما تقدمه مؤسسات الدولة ، ومحاولات لتبرير هذا العجز من ناحية ، ودفاع حار من الناشر الخاص عن ضرورة أن يتولى هو معظم عملية النشر — مستفيدا بكل التسهيلات ومطالبا بالمزيد منها — تاركا للدولة الجانب غير المربح من النشر .

وبين الجميع ثمة اتفاق على أن القاهرة تفقد دورها القيادى فى الثقافة العربية .. وهذا هو لب القضية .

قصـــــــيدة

المســــبحة..................

شعر : امجد ريان

ولجدىَ مسبحة لا تهدأ بينَ اصابعه المشوقه ؟
يرقبنى بالعينين الثابتتين
بينا ترقص بين اصابعه هذىالمسبحة البشعه
قلت لجدى : آلامى مسبحة.
ضحك الجد وربت فوق الكتفين وقال لامى يمزح:
ــ ولدك يا زينب صار شيوعيا !
ضربت أمى بالكفين الصدر :
ــ ولدى منذ طفولته يملانى الخوف المجهول المتوتر حين ابص اليه .
أمى من بولاق
وأبى من جرجا
وأنا ولد خرج بعينين من الدهشة ،بلهما فىالنيل أتخلق بين الضوء الدافىء ، والضوء البارد
أنزل سلم بيتى للنهر واحترق بماء النهر ،
جسد المرأة حفل ، وأنا احتفل مع المرأة
لحمى يلهث ، ووريدى يتوهج
حمى حبى تحبو
أنزل فى منتصف الليل الى الشارع واصفر، أنفخ خدى ، أصفر ، وصفيرى يعلو يعلو يخترق النافذة المغلقة انفتحت ، تنفتح نوافذ بلدتنا ،كل نوافذ بلدتنا ، والناس تبص الى أنا انفخ خدى، أصفر ، وأحرك جسدى وذراعى أصفر واصفر والناس اصطفت فوق الدور لتنظرنى ،كل نوافذ بلدتنا انفتحت ، كل أباجورات مدينتنا الحمــــراء انطفات ، هرع الناس الى الفرجة اطفالا ونساء فى قمصان النوم أنا أنفخ خدى أصفر ، ارقص بالجسد نحيفــا فنــانا ورجال جاءت من قاعات قمـــــار ، من بار ، من كل مــكان جـــاءوا للفرحـــة ، واصطــف النــاس شــيوخا تجتر السيجار ، عجائز تتوشح بوشــاحات الذعر أنا التف حوالى أدور ، وأخرج عن ناموس مدينتنا .

أصنع منْ صدرى نسرا طينيا مرفوع الراس والضحكه مرثية ....
قدم حافية ، حفــرت فى الاسفلت الســـاخن أثرا ، أقفو اثار الاقدام على الارض :
لم تعرفنى الارض المصرية ، والخوص المصرى النافر ، والسنط
لم أضحك من سلسلة الظهر ، ولم ابك الى أن تصبح عينى شرايين شرايين
لم ألمس سطح الاسمنت طريا عضويا يفــرد قامته فوق الارض
لم أقرص فى زحمة فتيات فخذ صبيه
لم احضن أختى ، لم اقرصها فى الخــد ، ولم نحك القصص مساء
فى السلة تبغ ، وثعابين
وهلال عفن يصعد ،
وخرجنا ، امجد وحبيبته المشوقة بقميصين من الكتان الحارق
والجسر طريق ، ابواب ، وقباب : طرقاتمن يذهب فيها لا يرجع
ناديتك : جسينى ،
حدقت بعينيك ، وفصلت الحزن قميصا ؛ فانضبط على جسدى
أين سنذهب ، قالتها ثم توارت حول الجمــل البارك ، وبحثت ، وبحثت فخرجت لى وضحكنا
قلت سنذهب للواحة بين التين ، وبين الزيتون لنبتهل الى مصر
ونسجن مصر ، نعذبها باناشيد القمح والحان الحنــاء
اعشق هذا الوطن الى أن ياتينى خبل وصراخ
أين سنذهب ؟ للمرج سنذهب حيث سنصعد قمة هذا الوطن وننظر تحتينا



هل تحتملين النظر الى الوطن ؟ هيــا ...
شدينى ، وخذينى فى الصبح الباكر ، نخرج
الشاطىء حقل ومراكب مصر المبطوطة تتمدد
وهنا كان النهر ، هنا ، ثم انقطع :

فهيا نجرى ونمثل نهرا
نقهر خجل الارض معا

فى النهر سيولد طفل حبيبين من البر

عند الظهر خرجت الى الساحة حيث الفقراء يبيعون السمك ، رايت العرافين رايت الدلالين وأصحاب البدع ، واصحاب المندل هـذا يجلس جنب قدور اللحم الجاف ، وهذا يدفع ويقـايض ورأيت بأنى لا انفع فى هذى الســاحة ، ودلفت الى النهر رأيت فتاة فاحمةالشعر وضامرة البطن مهفهفة والجيد كجير الرئم فرحت اليها ،ضربتنى بالاسهم فى أعشار القلب وقلت لها : قلبىيمتلىء بأسئلة حين أقابل شخصا أتفجر بالاسئلة وأنت

● ●

تكونين لقلبى حتى يبرد ، والمرأة حقلٌ وطقــوس المرأة حقل وطقوس .

أزحف تحت السقف القاسى فوق الفضلات ، وأغلفة الكتب ، وأعواد ثقاب مستهلكة ، أزحف فوق الارض الفارقة بأقدام الفلاحين ، وأعقاب سجائر ،وجماجم ،ودروع أنا أزحف فوق الاقنعة، وأعرق ، أزحف فوق الاسلاك الشائكة ، بقــايا سفن غارقة ، ميداليات ، وحطام بيانو ، وبقايا الاجهـزة اللاسلكية ، أزحف فوق أنابيب المـاء المتهشمة ، العظم البشرى المتبقى ، أزحف فوق الاعمدة الفقرية ، وعظــام الافخــاذ ، القطع الشطرنجية ، والشفرات الصدئة ، والانيــة ، الكتب الصفراء ، أنا أزحف والاصوات المشدوهة تغرقنى وتصم الاذنين ، صراخ ، ابواق العربات، صفير ، وأنين ، أجــزاء من نشرات الاخبــار ، ودقات الساعة ، ثرثرة ، أشياء تتكسر ، وبكاء ، قهقهة ، حشرجة ، موج ورياح ، صوت قطار، وصراخ ، أصوات الماكينات ، التصفيق صراخ، طرق ، صوت مذيع يتشدق بالاعلانات ، صفير، نشرة اخبار ، أصوات الثورة ، دف ، أجراس ، ثرثرة ، قنبلة ، وأزيز الطائرة ، طنين الصفارات المنذرة الحبات المتدلية من السبحة ، يسعل جدى تعتصر أصابعه حبات السبحة تتدلى الحبة تلو الحبة مثل الجمرات المنطفئــة فى ماء القلب ، حبات تتدلى ، ثرثرة ، حبــات تتــدلى ، الكتب الصفراء ، حبات تتدلى ، أغلفة الكتب وأعواد ثقاب مستهلكة ،حبات تتدلى أعقاب‌سجائر حبات تنزل من بين أصابعه أم أحجار تتوالد ،

أغمس كفى جدى فى صدرى ، أخرج :وأحس بقدمى تدقان الارض ، وترميان أماما

قدمان تدقان الارض .. وترتميان أماما

قدمان .. تدقان .. الارض .. وترتميان أماما .

من تلك الرائحة
الى
نجمة أغسطس

عالم يتقدم ٠٠ رغم الآلام والأخطاء

فريدة النقاش

كما كانت « تلك الرائحة » حدثا هاما في تطور الرواية المصرية في منتصف الستينيات ، لا من حيث شكلها فحسب ، وانما من حيث تجربة هذا الجيل الذى تفتحت مواهبه في ظل ثورة يوليو ، وتلقى الكثير من ضرباتها ، فان« نجمة أغسطس » الرواية الجديدة لصنع الله ابراهيم تعد بنفس الدرجة علامة أخرى لا تقل أهمية :

أولا هى أول رواية كبيرة متكاملة عن « السد العالى » تقترب كثيرا من الشكل العلمى للرواية الجديدة ، وثانيا لانها خطوة الى الامام في جمال التجريب الشكلى لصنع الله ابراهيم ، والذى يسعى الى الاكتمال والاستدارة النهائية التى تضعه على أعتاب خطوة جديدة أخرى ٠

ويطرح علينا الشكل الذى اختاره صنع الله لعمله الجديد مجموعة من الاسئلة لا بد أن نعود فى محاولة الاجابة عنها الى « تلك الرائحة » من جديد ٠

بطل الروايتين هو الكاتب نفسه ، الراوى الذى يقدم نفسه هكذا دون مواربة ، ويحرص على أن يخلق معنا تلك الالفة العميقة ، حتى اننا لا نجد فارقا كبيرا بين مكونات عالمه الجديد فى « نجمة أغسطس » ومكونات العالم القديم ، غير انه هنا يتوارى فى المرتبة الثانية لتصبح البطولة الحقيقية للسد العالى نفسه ، ولتفرض هذه البطولة رؤية أكثر شمولية فاقت « تلك الرائحة » ، على مادة غنية من الهموم الوحدانية العميقة للبطل ، وذكريات السجن التى ما زالت تحتفظ بطزاجتها وتصبح هذه المادة نفسها اكثر صلابة ، وتحددا ، مضافا اليها المادة المتشعبة المعقدة التى بنى منها السد العالى ، الطبيعة والعمل الانسانى معا ٠

فى « تلك الرائحة » كان الايحاء العام ان ثمة شيئا ثقيلا يطبق على القلب والروح ، ويحاصر الانسان ويدفعه الى داخل نفسه ، وفى « نجمة اغسطس » يتقدم العمل وينجز السد ، ولكن ثمة شيئا فيه خطأ لا شك ٠ فالاحساس بالملاحقة لم ينته ، وهو طليق « وبدا موقع العمل اشبه بحفل ساهر كبير ، وبعد برهة ميزت مئذنة الجامع ومكتب المباحث » ٠ كان الراوى فى « تلك الرائحة » عاطلا وممرورا ، وهو هنا عاطل أيضا ، ورغم أن افاق رؤيته وحركته أوسع كثيرا ، ولكن يظل ما كان يهدده فى الماضى بشكل مباشر ملحقا فى فضاء العالم المحيط به ٠٠ فى كل مكان ٠٠ وحتى الذين نجوا من عذاب تجربة السجن وعبثيتها لم يستطيعوا ان يخلصوا ارواحهم من ذلك الاحساس « بالخطأ » ٠

يقع الصحفى الشاب فى أزمة روحية عميقة تذهب به الى السد العالى ، « أنا آتى الى هنا بأمل وحيد أن أعيش بضعة أيام خارج

ما ترمزا اليه القاهرة ؟ اظنك رأيت تلك النشوة المتشنجة التى تظهر على وجوه بعضهم عندما يرد ذكر السد العالى ؟ كأنما جفت ارواحنا ، ولم تعد قادرة على الوقوف بمفردها ولابد من تعليقها على شىء ·· » والطبيب يعيش فى المنطقة النائية ليجمع مالا يفتح به عيادة خاصة ، « فهذه هى اللغة الوحيدة التى تتكلمها البلد كلها الان ·· » ، ومن قبل كان يحلم بالعمل فى الريف ليعالج الفلاحين ، ويضع الافكار التى يؤمن بها موضع التطبيق · ومن قبل قال مجدى « يجب أن نثبت وجودنا · وتأملت التجاعيد التى حفرت خطوطها فى كل مكان بوجهه · وقال : الجميع اولاد كلب · وقال أنت قوى بالناس · · أما بمفردك فأنت ضعيف ·· » ، وفى الحالتين يبقى الانسان وحيدا ، محبطا عاجزا عن الفعل ، **واذا كان صنع الله لم يتجاوز كثيرا فى « نجمة أغسطس » حدود العالم النفسى الذى خرجت منه تلك الرائحة فان الافق الموضوعى هنا أكثر رحابة ، هذا عمل شامخ يكبر مهما يكن الثمن ، ان الوجود المحدق للسد العالى يجعل لغة التداعى التى تخرج من الوعى واللاوعى طبقات من الاحزان والالام والذكريات أشد تعقيدا** ، فلا يستطيع كاتب موهوب ان يقابل السد العالى «على المستوى البنائى فى روايته بمجموعة من الذكريات والخبرة الوجدانية بالحياة مهما كان عمقها . ومن هنا اختار « **مايكل آنجلو** » من ناحية و « **رمسيس الثانى ومعابده** » من ناحية أخرى ، بينما ظل مقتل « **شهدى عطية الشافعى** » تعذيبا **هو** النغمة التحتية الاساسية التى تشهد فى العملين على الخطأ الكامن فى **هذا** العالم ، والتى تطرح من خلالها قضيتا الحرية والديموقراطية على ارقى واعمق مستوى ·

كان الراوى فى « تلك الرائحة » بلا عنوان ، حين سأله الضابط ماهو عنوانك ، قال ليس لى عنوان ، قال : «لابد ان نعرف مكانك لنذهب اليك كل ليلة » · وفى نجمة اغسطس وفى نهاية رحلته يسأله صديق أن يعود معه الى القاهرة فيعطيه عنوان صديق آخر ، انه ما زال عاطلا ، وما زال بلا عنوان ، والعالم خارجه لا يبالى . فحين خرج من السجن وجد ان الناس تسير وتتكلم بشكل طبيعى « كأننى كنت معهم دائما ولم يحدث شىء ·· اى شىء ·· » ·

فالاحساس بالملاحقة ووقوع الملاحقة الحقيقية موضوعان أساسيان فى عالمه ، كل عالمه الذى يمتلىء بالرعب والقسوة ، وهما ليستا ظاهرتين عبثيتين او مجردتين وانما تقومان على اسس موضوعية ومحققة من التجربة الشخصية للكاتب ولرفاقه ·· وفى العالم الخارجى ·

« كان هناك رجل ملقى على الرصيف بجوار الحائط وقد غطته جرائد ملوثة بالدماء ·· » ، وكما يتكوم العمال والفقراء على الارصفة ويستغرقون فى نوم عميق مرهق فى المترو ، يتكدسون منهكين معزولين فى مواقع السد العالى ، تماما كما يلوح الجنود المقاتلون العائدون يلوحون بأيديهم دون أن يستجيب لحماسهم أحد · ويعملون فى التفجير والردم والبناء ولكنهم يعودون منهكى الروح والجسد ·

« أدرت النظر حولى فرأيت الباحة الفاصلة بين العربتين قد امتلأت بالعمال الذين اقتعدوا الارض وأسندوا رءوسهم الى الجدار » . ويفتقد المثقفون بالمقابل الاحساس بالامن والانتماء ، وبأنهم فى معظم الاحيان زائدون عن الحاجة ، تشك فى الاخر فتجده بدوره يشك فيك · اتخذ هذا فى «تلك الرائحة» شكل الجمل القصيرة المركزة ، المكثفة التى تتوقف فجأة لتعطى هذا الايحاء بالشتات والتقطع ·· والللامبالاة وانتفاء استمرار أى شىء ، ويحكى الراوى عن نفسه كأنما يحكى عن شخص آخر ، يتحرك فى اطار عالم غارق فى بلادة قاسية لا ترحم ، تموت أمه دون أن يعرف ، ويموت أبوه غاضبا عليه ، « هناك شىء ما ضاع وانكسر » بينه وبين صديقته · بينما تضفى مادة العالم الجديد فى « نجمة أغسطس » طابعا مغايرا على التركيب اللغوى للجمل الذى تضيف اليه الرؤية التاريخية بجانبيها العلمى والوقائعى طابعا ثرثارا مليئا بالتفاصيل ، الا أنه يحمل ايضا خصائص الرؤية التاريخية · اننا باذاء عالم يتقدم مهما يكن الثمن الذى يدفع فى مقابل ذلك ،ونحن ندرك ايضا فداحة الثمن اذا ما أيقنا بشكل شعورى وموضوعى أن ذلك كله ، كان يمكن تلافيه ·

يستخدم صنع الله فى بنائه لروايته الجديدة شكل السد العالى مباشرة ، مقسما مكوناته بشكل يبدو لاول وهلة ميكانيكيا فى مطابقته للمادة والمشاعر الانسانية ، ولكننا مع نمو العمل نكتشف أن هذا الشكل هو أكثر عمقا يتضح لنا مع تطور العمل تلك العلاقة التى نسجت برقة ومثابرة بين المواد المكونة للسد العالى من حصى ورمل وطمى ، وبين مكونات النفس الانسانية من ذكريات ومشاعر ورغبات ، والسعى الواعى لملاحقة العمليات الثلاثة التى تتم فى بناء السد العالى – حفر ، تفجير ، حقن – بحيث تنعكس على البناء المعمارى للرواية وعلى الايقاع الداخلى لاحداثها الذى تتداخل فيه تجربة الراوى فى رحلته الصحفية المباشرة الى مواقع السد وبلاد النوبة بكل تفصيلاتها ، مع الاطراف الثلاثة الاخرى لعالمه الانسانى بتجربته الحية ، والتاريخية بتجربته المستوحاة والمسجلة ، فالراوى خاض تجربة مباشرة فى الحياة

وفى السجن مع شهدى عطية الشافعى ورفاقه ، فيظل شهدى ماثلا معبرا عن شهوة تغيير العالم ، عن الطموح الاصيل لدى الشيوعيين المصريين لبناء حياة جديدة والاسهام العملى فى انجاز ما كانت تقوم به ثورة يوليو ، ولكن عبثا ظل شهدى يحاول أن يقنع قتلته أنه لا يمكن أن يعادى حكومة تبنى السد العالى .

ومن ناحية أخرى يستدعى الكاتب والراوية تجربة مايكل أنجلو الذى يقف رمزا لشهوة الابداع ، اقتحام الطبيعة «وفك سحر الرخام» التدمير واعادة البناء ، ذلك الذى يتم بالتحديد فى السد العالى ، واذا كانت أعمال « مايكل أنجلو » تحمل للفنان وللانسان جوابا على أسئلة تؤرقة ، وعلى احتياجات روحية وذهنية غامضة ، فان بناء السد العالى بما فيه من جهد وفن هو استجابة لاحتياجات روحية ومادية معا باكتشافه الطبيعة وتسخيرها لخدمة الحياة الانسانية .

ويبقى الطرف الرابع هو «رمسيس» الذى يقوم الراوية بزيارة لمعابده فى القسم الثالث من رحلته ، ويقوم تاريخه على الجموح الذى لا يحد الى تنظيم العالم ، وتنصيب الذات الملكية فوق الواقع الموضوعى .. سواء على الصخر أو على البشر ، وكتابة التاريخ كما كان يتمناه « رمسيس » لا كما حدث بالفعل

وفى كل الحالات تبقى النغمة التحتية العاتية العميقة هى العذاب البشرى بكل صنوفه وألوانه ، العسف الواقع على الناس من قبل سلطات غاشمة تتعدد أشكالها من رجال الدين الى البوليس ، من الجحيم الداخلى الذى يزكيه عالم غير مفهوم ، الى الضياع العبثى لنفر من خيرة ابناء جيل يتحرق شوقا لبناء الحياة .

وفى اختيار « صنع الله » لشكل السد فى بناء روايته مخرج ذكى من مأزق كان مهددا بالوقوع فيه ، وهو التحقيق الصحفى الذى فرضته بداية العمل كرحلة صحفية الى الموقع يكون عليه أن يهتم خلالها بالشخصيات والتفصيلات دون أن يتعمق أيا منها ليقف وحده بطلا فى مواجهة السد ، تحول السد نفسه الى عمل فنى عبقرى بجزيه الامامى فى مواجهة الوادى ، والخلفى فى مواجهة السودان ، ونواته الصماء وهى بمثابة القلب الحى والتى يقابلها فى العمل القسم الثانى ، فاذا كانت النواة الصماء تتكون اصلا من الطمى الهش ومن بعض المواد المضافة فان هذا القسم الذى لابد أنه كتب بعد اتمام القسمين الاول والثالث يحمل نفس السمات سواء فى اللغة التى كتب بها ،وهى جملة وحيدة طويلة متصلة تتداخل فيهما كل العوالم والاحداث والرؤى والشخصيات التاريخية والمعاصرة تسوقهما الينا برفق حساسية حزينة ، فذلك هو القلب « القلب تلك الجوهرة ، هشة وعميقة الصلابة فى آن واحد تختزن البعيد وتتنبأ ، تمتص من الوجدان والجسد أجمل ما فيهما وارقاه » ، وبنفس القدر يكثف القسم الثانى كلا من القسمين الاول والثالث تكثيفا مرهقا للقارىء حتى أنه يميز الجهد الذى بذل فى كتابته قبل أن تصل اليه شحنته المكثفة فنيا وعاطفيا ومن هنا يطفو على سطحه بعض الافتعال .

يستمد القسم الاول مادته مباشرة من تفاصيل الرحلة والحياة اليومية بأمانة تسجيلية ، توحى كذلك بالطابع التسجيلى للعمل كله ، وفى نهاية هذا القسم تواجهنا الملامح الاولى للنواة الصماء ، والتى تحمل علامات تشابه مع الروايه العلمية الحديثة مع تمهيد واضح للقسم الثانى : «وبدت الذراع اليمنى أطول من اليسرى بوضوح وفى موقع القلب استقرت النواة الصماء وامتدت منها ستارة رأسية صلبة الى قاع النهر وأخرى أفقية تخللت الساعد الايمن كان الرمز الذى يشير الى عمليات الحقن يمتد عبر الكتفين والذراعين مرورا بمحطة الكهرباء فخططت فى مفكرتى رسما تقريبيا له ، ثم عدت الى مقعدى » .

وينتهى هذا القسم كذلك ببداية تعاطفه مع الروسية « تانيا » .

وفى القسم الثانى ترتقى هذه العلاقة ليصبح التوحد الجنسى بينها وبين الراوية مقابلا وموازيا لعملية تشكيل الطبيعة ، وصنع النواة الصماء . وفى هذا القسم يصبح شهدى عطية اسما اذ تتجسد كل الحقائق والاشياء بأسمائها فى مواجهة التركيبة المعقدة والمجهدة للقسم كله وكمحاولة لموازنتها ، فحيث يمتزج العلم والشعر يصل العقل والروح الى أرقى أشكال تكاملهما ورياضتهما المشتركة وهنا تصبح التفاصيل الدقيقة للعمليات العلمية والالية ذات أبعاد انسانية وتكف عن كونها مجرد تفصيلات عابرة ، لانها تصب فى تلك البحيرة العميقة الاتساع المتضافرة من الطبيعة والانسان ، من التحدى والمجابهة ، من الايدى البشرية ومسطرة البشرية ، من عمق القلب ، وخصوبة الذكريات وصلابة الواقع المحسوس وهديره الذى لا ينتهى .

وفى القسم الثالث حيث توشك رحلة الراوية على الانتهاء ، ويبتعد شيئا فشيئا ماديا ووجدانيا عن موقع السد تعد اجزاء هذا القسم تنازليا اى تبدا من ٤ ثم ٣ ـ ٢ ـ ١ حين يستقل الباخرة العائدة ، ولكن فى هذا القسم نفسه تتداخل بشكل مختزل الحركات الثلاث الرئيسية فى العمل وتعتمد الاقواس والتقطيعات اساسا على ذكريات الطفولة البعيدة للراوية مع مقتطفات من حياة رمسيس وقصة بناء معابده ، لتصبح المقابلة هنا بين الوجه الطازج والبرىء للحقيقة الانسانية وبين

سطوة السلطة وقدرتها على القهر وتزوير هذه الحقائق كلها ، ويستعير هذا القسم الشكل الكلى للرواية لان احداثه تقع فى بلاد النوبة حيث تقوم عملية مشابهة لبناء السد العالى وهى انقاذ المعابد واعادة زرعها وترميمها .

ولكن الى أى حد يؤثر سواء العد التنازلى الشكلى أو محاولة التكثيف على الصياغة اللغوية أو الحالة النفسية للراوية والابطال ؟ تبقى لغة الكاتب كما هى التفصيلات « الامينة » والخفة الصحفية التى تتغير فجأة الى لغة شعرية معتنى بها حين يقطع السرد لتدخل الذكريات الشخصية أو الحقيقة التاريخية ذات الدلالة المنتقاه باجتهاد حقيقى سواء فى حياة رمسيس وغزواته هنا او فى قصة مايكل أنجلو وذكريات السجن والعذاب فى القسم الاول .

ولكننا نلاحظ مع ذلك ان حيوية العمل وديناميته فى موقع السد وحوله تخف بالتدريج ، وهنا تبدأ فى الظهور نجمة أغسطس التى تشرق من بعيد وتتألق وحيدة بارزة فى سماء ساكنة « ولم يكن هناك أثر لشىء حى » ، ورغم ان الصندل الذى يقل مجموعة من الناس الى « أبى سمبل » يمشى فى البدء ، ورغم ان هناك علاقات مع الناس ومع الطبيعة يدخل فيها الراوية الا أن الايقاع العام لهذا الجزء ستاتيكى خالص ، ولولا أننا ندرك منذ البدء ان ثمة يوما آتيا سوف تنتهى فيه الرحلة الى «ابى سمبل» لكان الشعور العام الغالب هو امكانية ان يستمر ذلك بنفس الايقاع الى الابد بينما كانت حيوية القسم الاول مستمدة فى كل لحظة وحدث من ايقاع العمل والجمال الكامن فى الحركة .

أما سر خصوبة هذا العالم على بساطته فهو أن الاشياء والاحداث لا تسير معا وفى خط مستقيم وانما تتداخل جميعا وتتصارع المأساوى والمفرح ، البناء والتدمير . ويسقط التداعى الفواصل القائمة بين لغة الحديث اليومى بتفاصيله الكثيرة ، ولغة القلب والوجدان بأشواقه وذكرياته العميقة ، ولغة الفن بسحره وخصوصيته .

ويكمن سر البطل الراوية ، والبطل السد فى تداخل هذين العنصرين وصراعهما .. الهدم والبناء .

[●]

لم يكن بناء السد العالى قضية مجردة معزولة عن القضايا والعلاقات الاجتماعية والسياسية القائمة ، وانما طرح من خلاله عدة قضايا هامة وتوقف عند نقطة جوهرية كان لابد لكاتب مثل « صنع الله » بتجربته وتاريخه واختياره الفكرى والسياسى أن يتوقف عندها وهى العلاقة بين البناء وقضية الديمقراطية ، والسلطة ، « فصنع الله » ينتمى الى هؤلاء الذين جردوا من امكانياتهم ووضعوا خلف أسوار السجون عرضة للعذاب والعزلة ، ولانه يعرف ، كما عرف مايكل أنجلو من قبل أن موضوعه الاول سوف يأتى من داخله هو . وفى داخله لم يكن يستطيع أن يتخلص من ذلك الاحساس بالخطر وبالملاحقة ، وبأن ثمة شيئا مفاجئا يمكن أن يقع بغتة ، تماما كما حل بالمدينة وباء غير معروف الهوية راح ضحيته عشرات الناس ، وكانت ملاحقته حقيقة سواء فى الماضى أو فى الحاضر ، وهو لا يحيل الكدمات النفسية والروحية فى عالم الراوية الى اشياء غامضة او بعيدة ، ففى قلب العمل ، كان هو بحبه وحماسته عرضة للمطاردة والشك ، فى آثره المباحث ، وفى ذاكرته القريبة « آثار الجدرى والجسد الفارع الضخم يذكران به ، ومحاضرات الاشتراكية ايضا ، سوى ان الوجه كان يفيض حيوية ، وأنه تمرد على عبودية الانجليز ، وخير بين اوروبا والجحيم ، فارتضى الجحيم ، واستقبل الليمان أول نزيل من نوعه قيدت السلاسل الحديدية قدميه بأمر الملك ، وانحنى بين عتاة القتلة والمجرمين يكسر الصخر ، الفك صلب عريض والانف تصنع معه خطين حادين ، وقامت الثورة وذهب الملك ولكن مجرمى الامس هم أيضا مجرمو اليوم ، وعندما خرج فرضوا عليه أن يبقى حبيس منزله من غروب الشمس حتى شروقها ، ثم جاءوه فى الفجر ، اليوم أول ، والشهر يناير ، والعام تسع وخمسون ، وانطلقت السيارة السوداء فى شوارع المدينة النائمة التى نسى كيف تبدو بالليل واقتادوه حائرا واجما من سجن الى آخر ، وتفجر العنف من الفرات الى النيل بمثل ما لم يتفجر من قبل ، فسحلوا الاجسام العارية فى الموصل ، وأذابوا اللحم والعظام بالاحماض فى دمشق ومن فوق مآذن القاهرة طالبوا بالدماء .. »

والعنف الذى يمارس ضد البشر هو العنف فى كل مكان وزمان ، وكان وجه مريم الذى نحته مايكل انجلو يحمل سؤالا يائسا « من أجل أى شىء كل هذا » أما ادراكه لهذا القدر من الخراب والعبثية فلم يصرف انتباهه عن الشىء الجوهرى ، فرغم كل التضحيات والالام تجرى عملية بناء السد ومحاولة استئناس العالم الخارجى الشاسع الذى يوجد مستقلا عنا ، ويوجد رغم آلامنا ، ولكنه لا يتشكل أو يتحول دون الجهد البشرى . ان اجترار الذكريات المرة لن يفضى الا الى مزيد من المرارة ، واذا كانت تجربة السجن واستشهاد رفيقه من الصعب أن تنسى فان الاكثر وفاء لذكراهم أن نكتشف فى تقدم العملية التاريخية الراهنة ما يدفع بنا الى الامام ، والمحنة الحقيقية التى واجهها هؤلاء التقدميون كانت تكمن فى أن السلطة التى ألحقت بهم الضربات

تلو الاخرى بضراوة ووحشية لم تكن سلطة معادية فخرجوا من السجون ليجدوا أن الكثير من أحلامهم أصبحت حقائق ، ولكن « لم تكن الضربة الحية تسمح بترف الخطأ والتصحيح ، فلم يكن بوسعه أن يعيد لصق أجزاء محطمة .. » .

ذلك هو سر الجو العام الذى تخلقه العمل الذى يسيطر فى بعض الاحيان ليوحى بأن هناك خللا ما فى نظام الكون يهتز امامه كل يقين « فقد أصبح العجز هو الشيء الوحيد اليقيني فى عالم تسوده الفوضى » .

فهل يهرب من العالم الاجتماعى بعلاقاته وأشواقه ومآسيه ، ويكفيه مرارة ما حدث ، على العكس انه لا يحتمى فى « فرويدية » يائسة لايرتدالى الداخل ، ولا يرى فيما يتم فى الخارج أبدع الاشياء وانما يقدم بالضبط ذلك الاحساس العام بأن هناك لعبة تتم بدوننا ، وعليه فليشرب الاصدقاء « نخب المقاولين حكام المستقبل » وعلى أى حال فلم تكن هذه نبوءة مخمور ، ولم يطل الزمان بذلك المستقبل .

ومع ذلك فلابد من خلاص ما ، كان الراوى وأطراف عالمه يجدونه ويرونه فى تجاوز الذات ، وهو لا يتجاوز ذاته الى آخرين قد يحملون نفس همومه ، ولا الى حبيبة تعطيه من نفسها فيستقيم العالم ويتحقق الانسجام ، انما يختار مسبقا هدفه ذلك العمل الضخم الذى تذوب فيه وتتلاشى ذوات أفراد آخرين يتضح تمايزهم فحسب حين تقترب منهم ، ويتحولون الى نقاط بيضاء صغيرة من أعلى وعلى البعد ويغطى ضجيج الالات على أصواتهم فيختزلون العملية التاريخية بكل آلامها ليضيء فيها الجوهر وحده .. الى الامام مهما يكن الثمن .

ويصح ذلك على الرؤية التاريخية وعملية قياس التقدم بالحقبات والاجيال ، ولكن حين تتجسد كلّ هذه الحقائق فى تجربة انسانية لا تستطيع الشخصية فيها أن تتحرر من الذكريات أو الواقع الحزين الخاص بها ، وهى لا تتحرر لا بسبب عجز كامن وانما بسبب ذلك التناقض العبثى بين شموخ العمل العظيم وجبروته ، وبين الواقع بكل ملابساته .

ولاتعشش الاحزان والالام فى قلوب الذين سجنوا عبثا فحسب ، على العكس فان الراوى يرى أنه قد « حصل على الكثير » بينما نجد « سعيد » رفيق الصبا وصديق الرحلة وهو صحفى حصل على قدر من الامان المادى مدرك تماما أن هناك هذا القدر أو ذاك من التزوير فى حياته وممارساته ؛ ومدرك ايضا ان ثمة خطأ كبيرا يقع وان الذين يدركون هوله يسكتون عنه مرغمين وذلك هو جوهر قضية الديموقراطية وموقف ثورة يوليو منها ، وهو ما لم تتوغل فيه الرواية بشكل مباشر ولكنها تدور تحتيا حوله وتتخذ منه موقفا فعالا حين تقدم بصدق الرجل الذى ناضل ضد حماقات زمانه وناضل فى نفس الوقت من أجل انجازات زمانه ورأى فيها ما يجب أن يراه .

هناك ملاحظة جانبية حول موقف الكاتب الراوى من المرأة ، اذ عادة ما يكثر الروائيون الرجال من التفاصيل حول اجساد النساء ، والعذاب والارق الذى يسببه الجسد للمرأة ويظل الرجل فارسا ذا تركيبة نفسية خاصة مؤرق فكريا وروحيا فحسب ، ولكن هذه احدى الروايات القليلة التى يقع فيها الظلم بقدر من التساوى على الطرفين ، وهو موقف يتسق مع مدخله الى « تلك الرائحة » « هذا أنا وهذه حقيقتى » .

تبقى هناك عدة ملاحظات ، ربما اتضحت أكثر بعد القراءة الثانية . منها :

● ان الوعى الشديد بضرورة مطابقة مراحل بناء السد العالى ومادته على بناء الرواية دفعه الى بعض الافتعال والتعقيد ، وجعل تلك الحقيقة خافية على القارىء ، وبدا ذلك واضحا فى القسم الثانى الذى حاول فيه أيضا الارتقاء بالجنس فى لحظته الميكانيكية الخالصة والتفصيلية الى المستوى الرمزى ، ولكنها تبتذل الجنس والرمز خاصة اذا ادركنا أن علاقته « بتانيا » الروسية كانت علاقة سريعة عابرة ساقهم اليها الاحساس العميق بالوحدة لدى كل منها .

● وليس البطل هو من يتخذ الموقف الصحيح دائما سواء من وجهة النظر العملية أو الاخلاقية انما البطل هو الذى يتصدى بشجاعة لاختيار مصيره وصنعه ، ولكن « صنع الله » سواء فى هذا العمل ، أو فى « تلك الرائحة » يجرد الانسان كثيرا من نبله ، وفى سعيه لان يكون حقيقيا : يسقط فى تلك النظرة الاحادية الجانب للانسان ولقواه الكامنة وامكانياته الروحية التى لا تنضب خاصة حين يواجه التحدى وحين يختار ذلك ، وحين يكون اختياره هذا هو ما يصنعه دائما على الطريق ، حتى فى أحلك اللحظات ، أن بطله مهزوم داخليا ، هش فى مواجهة الحياة يستمرىء ضعفه ويعتبره الحقيقة الوحيدة أحيانا ، ولكنه يرى عقلانيا وفكريا الاتجاه الصحيح .

هذه رواية جادة وهامة تقدم « صنع الله ابراهيم » مرة أخرى روائيا غنائيا عذبا يتجاوز غناءه هذه المرة تجربته الذاتية ليتخذ طابعا ملحميا فى نفس الوقت الذى يقدم فيه للروائيين الجدد المهمومين بقضية الشكل حلولا جذرية ، ويؤكد لهم أيضا أن زمان التدهور الثقافى البورجوازى يمكن أن يخلق فنا جميلا ، علينا فقط أن نتعمق ونتوغل فى جوهر ما يجرى .. ومن قلبه نرى المستقبل .



فنـــان من الســـــــودان ..

وحـــلم ليلــة صــــيف

اذا كانت افكارنا عن الحركات الفنيــةفى العالم العربى مشوشة او سطحية.. فانّ فكرتنا عن الحركة الفنيـة فى السودان الشقيق تكاد تكون منعدمة ،بالرغم من آن هذه الحركة أستطاعت ان تثبت وجودها بشكل مؤثر فى الواقــع الثقافى السودانى ، بل آن بجتاز بعضفرسانها الحدود الى اوروبا ويبهـرواجمهور ونقاد الغرب . والمسئولية عن هذا الانغلاق لا يتحملها الفنان وحــدهبالطبع ، بل تقع بالدرجة الاولى علىالاجهزة الثقافية فى بلدان العالم العربى، سواء ما كان منها رسميا او ديمقراطيا [كالاتحادات ونقابات وجمعيات الفنانين] لكن ما يحدث عادة أن تلك الاجهزة تتجاهل مسئوليتها ، فيضطر الفنان ان يحملهــاوحده كصخرة « سيزيف » الابدية .

واحدى هذه المحاولات لكسر حواجز العزلة بين الحركات الفنية فى العــالم العربى وبين شعوبه ، هى مبادرة الفنان السودانى « **ابراهيم العـــوام** » فى أغسطس الماضى ، حين حمل لوحاته الى القاهرة ، واقام بها معرضا فى قاعـة المركز الثقــافى المصرى للدبلوماسيين بالزمالك ، بالتعاون مع ادارة التـبادل الثقافى الخارجى ، ثم انتقل بها الى مقر الجمعية الافريقية . وهكذا نجـح الفنان بمبادرته فى أن يضع الاجهـزة الرسمية أمام مسئولياتها ، لكنه لـم ينجح فى أن يصل الى قلب الحركة الفنية فى مصر والى جمهورها [العريض !] ، ذلك لان توقيت المعرض جاء فى فترة ركود الموسم الفنى ، ولم تصاحبه أى حمـلة اعلامية . ومع ذلك فقد استطاع الفنان « العوام » أن يصل — بجهود قلة من المهتمين ببناء جسر بين الحركتين الفنيتين فى القطرين الشقيقين — الى لقاء متواضع بالمثقفين المصريين في اتيليه القاهرة ، حيث قدم عرضا وافيا لتطور الحركةالفنية فى السودان ، ونوقشت فيه أعمـال الفنان ، وأمكانية تدعيم العلاقات بين الفنانين فى مصر والسودان .

وفى احدى ليالى اغسطس الخانقة ، حيث افتتح المعرض للمرة الثانية بالجمعية الافريقية ، شارك الفنان الســـودانى الكبير « **ابراهيم الصلحى** » — وكيـل وزارة الثقافة السودانية — مع عـدد لا يزيد عن أصابع اليــد من الفنانين المصريين الذين حضروا المعرض — فى مناقشة نفس القضية ، وطرحت اقتراحات وتصورات هى الى الاحلام أقرب ، واشهد انها أفسحت للامل فى صدورنا مكانا كبيرا بالرغم من العقم الرازح .

لكن قبل أن نترك انفسنا للاحلام .. دعونا نلق نظرة علي أعمال ابراهيم العـــوام نعما

ان هذا المعرض صورة مكثفة للحركة الفنية الحديثة فى السودان ، اكثر منه تقديما مستقلا لشخصية الفنان ، فهو يحتوى على ثلاث مجموعات متميزة ، هى انعكاس للاتجاهات الفنية السائدة فى السودان .

● **المجموعة الاولى : هى ما يمكن ان نسميه : المرحلة الموضوعية ، حيث نجد** أن [الانسان] شكلا ومضمونا هو المحور الرئيسى فيها ، وتتفاوت نبرة التعبير فى هذه المجمـوعة بين التصريح والرمزية والشــاعرية ، كذلك تختلف مناهـــله التشكيلية ابتداء من المدارس المعاصرة كالتكعيبية والسريالية حتي الوحـــدات الفلكلورية العربية والافريقية . ولعل أرقى نماذج هذا الاتجاه : اللوحـات الثلاث عن العبور ، رغم صغر حجمها ورغم أنها منفذة بالحبر الشينى ، وقد انقدها من المباشرة والخطـابية لجوءه الى الشعر تشكيلا ورمزا ، فالالـوان مختزلة ومتداخلة فى شفافية مرهفة تعطى



من اعمال الفنان ابراهيم العوام

جو الاحلام ، والاشكال مسـتمدة من التراث العربى ، سواء فى السـهام المنطلقة او فى الزخارف المستوحاة من الوحدات النباتية الاسلامية ، أو فى حروف الكتابة العربية ، وهى هنا ليست عنصرا زخرفيا مضافا لغرض تشكيلى بحت ، بل هى عنصر درامى ، أو ان شئت الدقة فهى ذروة المد التعبيرى فى اللوحات والذى تشترك فى تطوره كل العناصر الاخرى .

وبينما تنجح من لوحات هذا الاتجاه ثلاثية العبور ومجموعة اخرى ، تفشل عدة اعمال فى تحقيق المزاوجة بين الفكرة الرمزية والمعادل التشكيلى لها ، خاصة تلك اللوحات التى تعالج موضوع انسان العصر الصناعى الحديث باليته واغترابه اننا نحس أن الاغتراب هنا هو اغتراب الفنان عن واقعه وافتعاله موضوعا يمس واقع المجتمعات الرأسمالية الصناعية ، حيث يتحول الانسان الى آلة ويفقد آدميته وتواصله مع الاخرين ، وفى سبيل تأكيد هذه الفكرة لجأ الفنان الى معالجة الانسان فى لوحاته كقطع من آلات حديدية ، تقترب حينا من لوحات « فرنان ليجيه » فى مرحلته الاسطوانية ، وحينا آخر من « بول دلفو » فى ايحاءاته المعدنية .

● والمجموعة الثانية هى مجموعـة الحروف العربية : حيث تفاجئنا السطوح الضخمة الناصعة البياض [على عكس المجموعة السابقة التى تغلب عليهـا الالوان الداكنة] — وقد تناثرت عليهـا شظايا من حروف الكتابة فى نسق عفوى محكم ، توحى بعالم رحيب متعـدد المستويات ، فرغم انتفاء البعد الثالث الا أنه قد تحقق بالفعل عن طريق اختلاف نسب الحروف ودرجة وضـوحها على سطح اللوحات ، بما يعطى الانطباع بأنها تغوص فى اعماق سحيقة .

لقد تخلى الرمز الميكانيـكى والمعنى المباشر فى هذه المجموعة عن مكانه لنوع من المناجاة الصوفية .. وكما تتلاشى ذات المخلوق الفرد فى ذات الخـالق الاعظم وعالم مخلوقاته الرحيب ، حيث يفقد مختارا ارادته وتميزه ، مستعيضا عنهما بالقوة الناتجة من توحده واندماجه فى القوة الاكبر .. كذلك نجد أشـكال هذه المجموعة تتداخل وتتلاشى فى فراغ هائل الاتساع وتفقد خصوصيتها وتميزها وتصبح مجرد ذبذبات وأصداء لابتهالات غامضة ، ويصبح التكوين كله نسـيجا متماوجا شفيفا مخاتلا لا قوام له .. وان كان يرهص بأن وراءه الكثير من المعانى والاشراقات الصوفية تغرى المرء بالجهاد الشاق للوصول اليها .

الا أن مكمن الخطر فى هذه المرحلة هو انسياق الفنان معها بغير ضوابط ، حتى يصل احيانا الى درجـة الثرثرة الزخرفية التى لا طائل وراءها ، بل هى على حساب الشحنة التعبيرية . وقـد قادته هذه الثرثرة الزخرفية الى الطريق المسدود الذى كان لابد أن يصطدم به ، وهو التجريد البحت ، وهذا ما نراه فى مجموعته الثالثة .

● لقد تخلت الحالة الوجدانية القريبة من الشعر أو من الصوفية فى المرحـلة السالفة عن مكانها للبناء الزخرفى الاشبه بتقاسيم موسيقية على آلة العود ... [وللفنان دراية بها كما أن له دراية بكتابة الشعر] . وهكذا تحول من عالم التعبير الى عالم الطرب ، ومن الهمس الشعرى الغنائى الى نوع من الاهات الحلقية و [الليالى] المعادة ، وكانت عناصره التشكيلية فيها هى أشـكال مجردة توحى بحروف الكتـابة . وان كنت قد لاحظت أنه فى آخر لوحاته قد تحرر من هذا التطريب وصـار يبنى لوحاته من عناصر تجريدية تماما معتمدا على اثارة الاحساس [بملمس] السطح المتفاوت بين الخشونة والنعومة ، دون أن يسعى الى بلوغ معنى أو تعبير .

والغريب أن الفنان [العوام] يقف فى الحركة الفنية السودانية موقفـا معارضا لاتجاه التجريد ، وله مقالات عدة بجريدة [الايام] يهاجم فيها الاتجـاه التجريدى .. ولا أجد تفسيرا لهـذا التناقض الا أنه خضوع للتيار السائد فى

الفن الحديث بالسودان الذى يتجه الى التجريد ، حتى لايتهم بالجمود أوالتخلف.

●●●

قلت ان معرض ابراهيم العوام هو تكثيف للاتجاهات السائدة فى الحركة الفنية السودانية . ذلك أن الاتجاه الموضوعى هناك يجد له رواده : مثل الفنان **عبد الباسط الخاتم** [بنزعته التعبيرية التشخيصية] **وأحمد عبد العال** [بنزعته الشاعرية] **وحسين جمعان** .

كما أن حركة [الخطوطيين] لهما اساتذتها ، خاصة الفنانان الرائدان **ابراهيم الصلحى واحمد شبرين** . واذا استعرنا تشبيه الفنان العوام للتمييز بين اتجاهيهما فى استعمال الحروف العربية فان اعمال الصلحى تعتمد على لحم الحرف ، فهى أقرب الى الاشكال الانسانية ، بينما تعتمد أعمال شبرين على عظم الحرف ، اى على الفراغات الناتجة من تجاور الخطوط ، وهى أقرب الى المعنى المقروء ، ولا ننسى أن هذا الاتجاه هو امتداد [لمدرسة الخرطوم] التى انبثقت فى الحركة الثقافيةالسودانية كتعبير عن حنين الجيل السابق الى التراث والاستفادة منه .

أما الجيلُ الجديد من الفنانين السودانيين [ويبدو انه يتمتع بصوت جهورى] فلا يلقى بالا لمسألة التراث ، وينحو نحوا اكثر معاصرة وحرية ، ويجد فى التجريد المطلق وفى ملاحقة الاتجاهات الغربية اشباعا لنزعاته التحررية .

... وأيا كانت ملاحظاتنا واختلافاتنا احيانا حول أعمال الفنان العوام ، فان مما لا شك فيه أن لها مذاقها الخاص الاصيل ذو النكهة الافريقية والعربية ، وقد كان معرضه تمثيلا حيا للحركة الفنية فى السودان ، أثار شهيتنا لمشاهدة العديد من أعمال فرسانها .

●●●

وهذا يقودنا الى الحديث عما انتهت اليه المناقشة فى تلك الليلة الحارة من اغسطس ، التى اشترك فيها الفنان ابراهيم الصلحى فى الافتتاح الثاني لمعرض العوام .

فان الانفصال الذى تعانى منه الحركات الفنية في العالم العربى لن يتم اجتيازه بغير تدعيم التجمعات الديمقراطية للفنانين فى شكل جمعيات واتحادات ونقابات ، وانْ تتضمنَ برامجها العمل على اقامة نوع من التبادل الفنى فى شكل معارض وزيارات للفنانين — فردية وجماعية — وكذلك العمل على زيادة [البيناليهات] او معارض السنتين — على نمط بينالى بغداد الاخير .

وكخطوة فى هذا الاتجاه ، فقد طرح اقتراح محدد باقامة بينالى جديد تشترك فيه — كبداية — كل من مصر والسودان ، يقام مرة كل سنة باحدى العاصمتين ، بحيث تشاهد كل عاصمة آخر ما وصل اليه الفن فى البلدين كلَّ عامين . وقد أبدى الفنان ابراهيم الصلحى — لا بوصفه فنانا فحسب بل كمسئول فى الثقافة — أبدى استعدادا لتبنى هذا المشروع بوزارة الثقافة السودانية ، وتقديم الامكانيات الممكنة له .

.. هل نأمل فى أن يرى هذا المشروع النور قريبا ؟ .. أم علينا أولا أن نأمل فيما هو أهم : أعنى بناء القواعد الديمقراطية الصحيحة والمستقلة للفنانين فى مصر والسودان .. والعالم العربى؟!

يبدو ان علينا أن ننتظر طويلا ... لا بأس » .. فلنحلم .. فماذا نملك فى ليالى الصيف الخانقة .. غير هذا ؟

عز الدين نجيب

حوار مع عبد الوهاب البياتي عن الشعر والثورة

وفى الشهر الماضى ، زارالقاهرة الشاعر العراقى عبد الوهاب البياتى، وفى لقاءمعه كان هذا الحوار :

● كيف ترى الثقافة العربية من حيث علاقتها بالواقع العربى من ناحية ، ومن حيث ارتب بقضية الثورة فى العالم من الناحية الاخرى ؟

ان الواجهة الثقافية — فى الخمسينات والستينات من هذا القرن تبدو لى اكثر تماسكا ، ذلك لان قوى التقدم العربىفى تلك السنوات كانت قد ركزت اعلامها ، بحيث انكثيرا منالقيم التقدمية والانسانية التى كانت غائبة ومضطهدة اصبحت حقائق واقعة فى ثقافتنا ، لكن ريح هذا التغير لم تمتد الى جامعاتنا التى ظلت متمسكة بقلاعها الرجعية ، ومناهجها المثاليةالبالية ، وسدت نوافذها وأبوابها أمام رياح التقدم العلمى الحقيقية ،وظلت تدور فى فلك المناهج المستوردة من الغرب الرأسمالى .

وقد برز فى تلك السنوات — منذ بدايتها حتى منتصفها — شعراء وقصاصون ونقاد عرب بارزون ، تداخلت أجيالهم — ان صح التعبير — لانه لم تكن هناك فوارق زمنية كبيرة فيما بينهم ، كانوا أشبه بالاخوة . وأخذت فى التبلور اتجاهات فنية تتناول الشكل والمضمون معا ، كانت تتفجر حيوية ، وتتشوق الى مستقبل افضل للمجتمع العربى والثقافة العربية ، كانت الرؤية الانسانية والقومية تبدو واضحة فى نتاج هذه السنوات ، غير أن التمزق الاخير الذى حدث فى المنطقة ، وتفريط بعض البورجوازيات العربية فى دورها وتنكرها لقضيتها قد أدى الى نوع من الفوضى بحيث أن غالبية المثقفين الذين برزوا من بين هذه الطبقة أو من الطبقة التى تليها كانوا قد غادروا خنادقهم ومتاريسهم كى تبتلعهم الوظائف والمراكز الرسمية ، وتحولوا من ثوريين الى كتبة ومبررين وببغاوات ، وتوقف بعضهم عن الانتاج ، أو أن روح أو نار الابداع قد انطفأت فى انتاجهم ، وتحولت كتبهم الى خرائب وورق عتيق ورقاد ومنافض للسجائر .

اما الجيل الاصغر فقد وجد نفسه محاصرا بين نقيضين : الاول هو عدم نضج أو اكتمال هذا الجيل فكريا وفنيا ، وخيانة الاجيال الاخرى التى تحيط به ، بحيث وجد نفسه محاصرا ومشتلبا ومقطوع الجذور ومتهما أيضا .

تلك هى الخارطة الرئيسية للثقافة العربية ، لقد جفت كثير من انهارها ، وتحولت من تيارات وحركات عارمة ومضطرمة الى تيارات فردية ، أى أنه لم يبق الا افراد قلائل من الادباء المبدعين ظلوا يواصلون مسيرتهم الكبرى وحدهم ، بل ان بعض هؤلاء المبدعين — وان ظلوا محافظين على القيم وثوريتهم ونارهم — الا أن موقفهم بدا أكثر غربة وانفصاما عن الواقع ، هذا الواقع الذى غدا بدوره منقسما على نفسه ، منسلخا عن قانونه الطبيعى ، وتحول الى رمال متحركة ليس لها قرار . هذه الرؤية تكاد تشبه الواقع فى نهاية الاربعينات وبداية الخمسينيات ، وان اختلفت المؤثرات والعوامل والوجوه والاقنعة ، كذلك فان الثورة العربية قد انقسمت على نفسها واضاعت كثيرا من وضوح رؤيتها كما فقدت كثيرا من ملامحها نظرا لافتقارها الى ايديولوجية علمية واضحة ومحددة .

تعتصر الانتقاء من الايديولوجيات المعاصرة هو الذى قاد الى هذه الفوضى الفكرية بحيث غدت الايديولوجية المنتقاة تبريرا للسياسة اليومية وللواقع المتغير أكثر مما هى نبراس وضوء من أجل التخطيط العلمى لمجتمع عربى أفضل .

كما منيت الثورة — وهى فى أحسن حالاتها — بالتقوقع والاقليمية ، وانكفأت على نفسها ، بحيث أن أغلب برامجها قد تحول الى برامج اقليمية قصيرة المدى تتمشى مع طبيعة نظام الحكم هنا أو هناك ، بهدف تبرير السلطة ومساعدتها على الاستمرار .

● هذا فى الثقافة بوجه عام . كيف ترى واقع الادب العربى الان .. وكيف ترى احتمالات تطوره ؟

بعد كل ما جرى تأكد لى أن تطور الادب العربى يرتبط ارتباطا عضويا لا انفصام فيه مع تطور المجتمع العربى وتبنيه لايديولوجية علمية واضحة ، وارتباطه بفكر الثورة الخلاق اللا مرحلى . والعلامات التى نراها هنا وهناك تدل على أن هذا العمى والفوضى والخراب الشامل ما هى الا ارهاصات لهذا الاحساس ، أى أننا بدأنا جميعا نحس بالانهيار الشامل ، وهذا الشعور هو الذى سيقود الى الولادة الجديدة .

هذه الولادة بدأت براعمها تتفتح فى انتاج كثير من الشباب ، الشعرى والقصصى والنقدى ، اى فى انتاج هؤلاء الذين وصفناهم بأنهم محاصرون ومنفصمون ووحيدون ، حتى وان لم تبرز بعد قامة الفنان . أو . الاديب الذى يتجاوز قامات الاخرين ، ويعبر تعبيرا دقيقا عن طبيعة المرحلة وتمزقات الجيل الذى يمثله . لكننى اعتقد أن الفوضى والضوضاء والتراكمات الكمية هى نقطة البداية الجديدة فى تطور الادب العربى ، وهى ان كانت تبعث على اليأس والتشاؤم ، لكننا سنتجاوزها عن طريق ولادة الواقع الجديد .

ولعل ابرز الفنون الادبية التى استطاعت وتستطيع الان أن تؤكد هذه الحقيقة هى القصة القصيرة ، التى ازدهرت على أيدى بعض الشبان فى مصر والعراق وسوريا والمغرب . أستطيع ان اشير مثلا الى غائب طعمة وموسى كريدى ومحمد خضير فى العراق ، وسليمان فياض وابراهيم أصلان ويحيى الطاهر وجمال الغيطانى ومحمد البساطى وعبد الكريم قاسم وغيرهم فى مصر ، وسعيد جورانية وزكريا تامر وحيدر حيدر فى سوريا ، وعبد الجبار السحيمى وادريس الخورى فى المغرب . هؤلاء جميعا لكل منهم محاولاته التى تصب فى مجرى تيار يحاول خلق واقع عربى جديد من خلال الحلم والرؤية المستمدة من الواقع المرفوض .

وعلى مستوى الشعر أيضا نلمح مثل هذه العلامات ، نلمحها فى أشعار سعدى يوسف وحسب الشيخ جعفر وعبدالرحمن طهمازى وجليل حيدر وغيرهم فى العراق ، عفيفى مطر وأمل دنقل فى مصر ، على الجندى وممدوح عدوان وعلى كنعان ومحمد عمران ونزيه أبو عفش فى سوريا ، محمود درويش ومعين بسيسو وأحمد دحبور فى فلسطين ، أحمد المجاطى فى المغرب .

كذلك فان هذه الثورة الجديدة فى مجال الادب تحاول أن تجد لها تعبيرا فى الفن التشكيلى ، وان كانت هذه الفنون لا تفصح عن مضمونها بمثل تلك الدرجة من الوضوح لكن فيها استشعارا لكثير من العلامات الجديدة التى تولد فى واقعنا العربى باستمرار .

اما الحديث عن مستقبل الادب العربى فتلك قضية شائكة ، ولا يمكن التكهن بما ستصل اليه ، لان هذا الواقع الذى تحدثنا عنه لم يتشكل بعد ، أو لم يتحدد باطار نظرى علمى ، وعندما تتم السيطرة على الحاضر من خلال قانون علمى يمكن التنبؤ بالمستقبل بعض الشيء .

● انت تنشر مجموعاتك الشعرية منذ أكثر من عشرين عاما ، ويستطيع القارىء أن يلاحظ لونا من التطور فى هذا الشعر حول منتصف الستينات ، وقد اصبحت قصائد أعمالك الاخيرة [سيرة ذاتية لسارق النار — كتاب البحر — قمر شيراز] أكثر تركيبية ودرامية ..

والان .. كيف ترى رحلة ابداعك الشعرى .. وما موقفك انت من قضية الشعر والثورة ؟

— أريد هنا أن اقرر حقيقة وهى أننى لا أكتب الشعر كى يكون محض شعر فقط ، لان مثل هذه المحاولة عقيم ولا جدوى منها ، الشعر ثورة والثورة شعر ، ودون هذا الالتحام يسقط الشعر فى باطل الشكلية العقيمة ، ولكى يكون الشعر

ثورة لابد له من اقتحام أسوار الشكلية وتدميرها واعادة صياغتها بحيث تصبح الثورة هي الشعر . وقدطرحتفىهوامش ديواني الاخير « قمر شيراز » مفهوما جديدا للشعر الصافى يختلف عن مفهوم « البرناسيين » ، هذا المفهوم هو كيف تسكن القضية الشعر ، ويسكن الشعر القضية بحيث يصبح هو اياها . ولقد الاتجاه بدءا من « أباريق مهشمة » ، كانت محاولاتي دائما وأبدا تسير فى هذا ومرورا « بسفر الفقر والثورة ، والذى ياتي ولا ياتي ، والموت فى الحياة ، والكتابة على الطين » ومرورا أيضا بدواويني الاخيرة التى أشرت اليها . كانت كل حياتي ،وكل أشعاري الملتحمةاحداها بالاخرى ، محاولة لاختراق جدار الموت والارتطام بصمت هذا العالم ، ومحاولة للحلول فى الاشياء ، ومحاولة لتحقيق الالتحام بين الانسان والفنان والثورى بحيث يصبحون جميعا حقيقة واحدة . ولا أزال أضرب فى هذا الطريق ، لذا نان معين تجاربي لا ينضب ، ذلك انني اتخذ من الوجود الانساني الحي مادة لاشعاري .

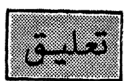
● سؤال اخير : يرى البعض أنالنقد لا يواكب الابداع مواكبة تليق بالدورالذى يلعبه الان . مارايك بمستوى النقد الان وعلاقته بالابداع !

من الصعوبة بمكان على الناقد المعاصر أن يواكب حركة الثقافة العربية برمتها ، ذلك لانه يتحول فى مثل هذه الحالة الى مؤرخ ، وهذه ليست وظيفته . وظيفة الناقد هى متابعة حركة الابداع ، وهذه الحركة ليست جماعية ، لكنها تتمثل فى افراد مبدعين يعدون على أصابع اليد الواحدة فى العالم العربى كله ، اذا آمنا بهذا المفهوم نستطيع القول بانحركة النقد الادبى قد واكبت هؤلاء المبدعين المتفردين ، [ولنضرب مثالا بنجيبمحفوظ او الطيب صالح أو غائب طعمة] ، سنرى أن الحركة النقدية فى معظم انحاء الوطن العربى قد واكبت وتابعت أعمالهم جملة وتفصيلا ، كذلك الامر بالنسبة للبارزين من الشعراء وكتاب القصة القصيرة . أما النقد بمفهومه المدرسى الكلاسيكى فهو — كما ذكرنا — دور المؤرخ ، لهذا لايمكن كتابته فى نفس الزمن الذى تظهر فيه الاعمال موضوع التاريخ .

وفى هذا الضوء أعتقد ان الذين يثيرون قضية تخلف النقد انما هم هؤلاء الصغار من الادباء الفاشلين الذين يعتقدون أن مجرد الكتابة تستحق النقد ، وهذا ظلم للناقد ، لانه — مثلا — لن يستطيع متابعة انتاج مائة الف شاعر فى البلاد العربية، معظمهم ليسوا شعراء على الاطلاق ، لكنهم فقط يمارسون هواية الكتابة فى اسوأ أشكالها .

ولعلهم — بعد ذلك — يتعللون بغياب الديمقراطية !.

ودعني اقل شيئا بهذا الصدد : الديموقراطية لازمة وضرورية لكل انسان، بل هى طعام الانسان وشرابه ، لكنني أعتقد أن الازمةالراهنة فى الثقافة العربية ليست أزمة ديموقراطية فقط ، لكنها أزمة أبداع ترتبط بجمود المجتمع العربى وعدم التزامه بقوانين التطور العلمى ، بعبارة أخرى : ان الجدل الحى الفاعل المؤثر يكاد أن يتوقف فى المجتمع العربى ، لهذا فان الديمقراطية وحدها لا يمكن ان تصنع أديبا . فالاديب الحقيقى لا ينتظر الطغاة والحكام أن يمنحوه حريته ، ويهيئوا له الاجواء الملائمة لكى يكتب ، العمل الادبى الحقيقى يظهر فى كل الظروف ورغم كل المعوقات . وهذه أيضا مثل قضية تخلف النقد ، لا يثيرها الا هؤلاء الصغار محدود الموهبة الذين أشرت اليهم .



أميــــة المبـــــدع

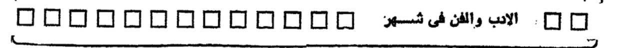
أم أميـــــة المتــــلقى ؟

ان اثارة موضوع كهذا له أهمية ملحة الان . يستلزم البحث فى عدة محاور اساسية .. غير أن هذه المحاور يمكن أن تتشابك أو تنفصل خيوطها فى النهاية بقدر ما يرتبط الفن التشكيلى بالحياة والجماهير أو ينفصل عنهما .

والمتذوق المصرى المعاصر يقف الان أمام الاعمال المعروضة فى أى معرض وقد ارتسمت على وجهه علامات الدهشة، وربما يدخل فى حوار مع الفنان أو لا يدخل .. وتبقى المسائل مبهمة غير واضحة فى ذهن الاغلبية العظمى من المتذوقين وكأنهم يحاولون حل طلاسم أو معادلات صعبة فتصبح الهوة كبيرة بينهم وبين الفن التشكيلى الان ما يرونه لا يمثلهم أو يمت اليهم بصلة .

عندئذ يحكم الفنان على المتلقى المشاهد بالامية فى رؤية الاعمال وتذوقها !!

وهنا يجب ان يقال ان الامية صفة تنطبق اولا على الاغلبية العظمى من الفنانين لا على الغالبية العظمى من المتذوقين .



واذا ما استعرضنا مجموع الفنانين التشكيليين نرى منهـــم من ينبش فى التراث « الفرعـــونى ــ القبطى ــ الاسلامى » . فيستعير بعض وحدات هذه الفنون ويضعها فى تركيبة غريبة ، حاسبا أن ما يقدمه للناس ما هو الا فن مصرى خالص له صفة المعاصرة ، ويصف البعض أحيانا الاعمـــال التى ينتجونهـــا بأنها تطوير لهذه الفنون القديمة ..

وانني اعجب من هذا اشد العجب ، فكيف يطورون تراثا لايعيشون زمنـــــه وظروفه الاجتماعية ؟

ان التراث حين كان واقعا ، كان يعنى تعبيرا عن فكر خاص به حسب كل مرحلة من مراحله ، والامثلة كثيرة للتدليل على هذه الحقيقة .. فقد استطاع اخناتون أن يغير القيم الجمالية فى الفن الفرعون ، وأن يجعـــــل الفن الرسمى فنـــا مرتبطا بالناس عندما طرح فـــكره الجديد فكانت حركة تشـــكيلية تضرب بجذورها الى أحاســـيس الشــــعب واحتياجاته « وآثار بنى حسن وديـــر المدينة التى ارتبط فيها الفن الفرعونى على مر العصور بالحياة اليومية تثبت ذلك » ، كان فنا جماهيريا يشبع احتياجات الناس ، ويكمل الفن الرسمى الذى كان يتبناه ويدعمه الحكام والكهنة .

أما الفئة الاخـــرى من الفنـــانين التشكيليين فهى حريصة على استيراد قشور آخر صيحات الفن الغربى دون وعى ، ولا يكتفى أفرادها بذلك ، بل يصدرون الاحكـــــام على من يخالفهم الرأى ، ويصفونه بالتخلف ، وعدم مواكبة مسار الحركة التشكيلية المعاصرة فى العالم ..
أما عن المدارس الغربية فمن البديهى انها نشأت نتيجة لظروف اجتماعيــــة وثقافية وفكرية متسقة مع الانظمـــــــة الغربية ، تلك الظروف لم نعرفها ولم نعايشها ، بالاضافة لانها محتومة بمقاييس الجمال التى تتفق والنظام الرأسمالى الذى يسخر الفن للتجميل والمتعة ..

وفى رأيى ان كلا من هاتين الفئتين لا تستطيع المساهمة فى تحقيق فلســـفة مصرية معاصرة من وراء ما يقدم مـــن أعمال ، فالتراث مرتبط بفكرة ولا يمكن وضعه فى شكل معاصر ، وأن ما يقدم الان لا يعتبر الا تشويها ومسخا له ، كما أن الاتجاه الى الجديد والمستورد الذى لا يمثلنا شىء مرفوض .

ومن هنا نؤكد أن الامية التشكيلية لدى هؤلاء الفنانين واقع حقيقى يجب التخلص منه حتى يبدأ مسار الحركة التشكيلية المصرية المعاصرة ..

هذا من ناحية ، ومن الناحية الاخرى فان هناك ومضات تعيش زمنها القصير لكنها سرعان ما تنطفىء لانها لا تمثـــل مدرسة فنية معينة بقدر ما هى تجارب شخصية أو ذاتية .. غير أنه يمـــكن الاستفادة من هذه التجارب اذا أمكن تحويلها الى اتجاه ذى شخصية مصرية معاصرة .. لذا أجد نفسى مضطرا أن أذكر بعض أسماء هؤلاء الفنانين على سبيل المثال لاعلى سبيل الحصر وهم « عبد الهادى الجزار ــ كمال خليفة ــ كامل التلمسانى » ، ومن الفنانين الذين مازالوا يعيشون بيننا « حسن سليمان ــ جورج البهجورى ــ حامد ندا فى مرحلته القديمة » .

وما دام ما يسمى بالتراث الان كان واقعا يرتبط بالفكر السائد ، والناس الذين يعيشون زمنه ، فهل من الممـــكن ايجاد فن قومى فى مصر يصـــبح تراثا للاجيال القادمة ؟

اذا ما اعتبرنا أن الحضارة هى مجموعة الآلات الذهنية والمادية التى يستخدمهـــا جمع من البشر فى كفاحهم لاشـــــباع حاجات الحياة فاننا نجد أن الفنـــــان الواعى يرى واقعه برؤية متميزة معتمدا على موهبته الى جانب خبراتـــــه التى اكتسبها من واقع مجتمعه الذى يعيشه ، واننا لنعرف ان هناك حضارة انسانيـــة كبيرة فى منطقة مصر مداها عمر الانسان وأن الفنانين والمتذوقين ما هم الا عناصر آدمية تعيش من خلال هذا التراث وهذه الحضارة ، ولكن فى واقع متغير لـــه مشكلات وصراعاته الخاصة ، وهذا هو المحور الاساسى الذى يجب أن يضعه كل مفكر او مثقف أو فنان الان فى تقديره ، وعندما يعتبر الفنان نفسه غير منفصل عن مجمل الحركة الثقافية والسياسية ، فانه لن ينتج غير نوع خاص من الفن له صلة قوية بالحياة والجماهير .

واستطيع هنا أن أقول أن أزمة الفن المصرى المعاصر تصبح هى بعينها المحصلة النهائية لازمة الفكر . بمعنى أنه لا يمكن أن يوجد فن تشكيلى مصرى فى الوقت الحاضر ذو طابع خاص الا اذا كان هناك على الاقل تصـــور لفكـــر يوائم ظروف مجتمعنا الحالية ، وهذه هى المهمـــــة الصعبة التى يمكن التغلب عليها اذا ما قام المفكرون والمثقفون والفنانـــــون بدراسة ومناقشة القضية المطروحة فى حرية تامة .

والتصور العام عندى هو القيام بعمل مسح شامل للحركة التشكيلية المعاصرة فى مصر والتعرف على التيارات والاتجاهات الاصيلة فيها وابعاد ما هو دخيل ومتطفل عليها ، وذلك بدراسة التراث واستيعاب منطلقاته الاساسية .. عندئذ تصبح لنا خلفية حضارية كبيرة واضحة كل الوضوح تساعد على تقييم الحاضر الثقـــافى والفكرى والواقع الاجتماعى ، فينشأ بذلك الحوار الذى يعمل على تعريف القيمة والوظيفة للفن وينشأ ايضا الصراع الذى يفرز الفكر الخاص لمرحلة مستقبلية فى الفن وذلك بتبنى نظريات علم الجمال التى تتسق مع احتياجات الجمهـــــور ومتطلباته بهذا تتكون البدايات الاولى لميلاد شخصية مصرية معاصرة فى الفن التشكيلى لها طابع مميز وفلسفة خاصة مستندة الى دراسة التراث ومستمدة من الواقع الذى نعيشه .

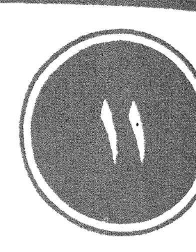
سمير تادرس



الثمن ١٥ قرشا

السنة الحادية عشرة
نوفمبر ١٩٧٥

الطليعة



طريق المناضلين الى الفكر الثورى المعاصر

الغزو من الداخل

العدل الاسلامى : هل يمكن أن يتحقق ؟

النظام الاقتصادى العالمى الجديد

٤ كلمات عن :

- ١٣ نوفمبر ١٩١٨ [عيد الجهاد ــ مصر]
- الفاتح من نوفمبر [ثورة الجزائر]
- ٢٩ اكتوبر ١٩٦٥ [اغتيال بن بركة ــ المغرب]
- ٧ نوفمبر ١٩١٧ [الثورة السوفيتية]

● حوار اليسار مع الحكيم [مناقشات مفتوحة]

● تقييم سياسة الانفتاح الاقتصادى

● الحوار الدائر حول الحركة النقابية

كيف يفكر الاشتراكيون فى أمريكا اللاتينية

ملاحظات حول القانون

اتحاد الكتاب ...

▲ ملحق الأدب ...

الفهرس

العدد الحادى عشر – السنة الحادية عشرة – نوفمبر ١٩٧٥



مجلة شهرية

تصدر أول كل شهر

رئيس التحرير :

لطفى الخولى

مدير التحرير :

أبو سيف يوسف

سكرتير التحرير :

مصطفى سامى

المحررون :

حسين شعلان
خيرى عزيز
د. رفعت السعيد
عبد المنعم الغزالى
فاروق عبد القادر
وديع أمين

[■]

د. محمد الخفيف
شارك فى تاسيس الطليعة
وأسرة تحريرها
يناير ١٩٦٥ – مارس ١٩٧٢

ان [الطليعة] ميدان مفتوح لكل راى حر وفى اعتقادنا ان تفاعل الاراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع ان يبلور ويستخلص وحدة فكرية اصيلة •

من هذا المفهوم تفتح [الطليعة] صفحاتها لكل راى لديه كلمة يقولها — مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى اطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر [قد اختلف معك فى الراى ولكنى على استعداد لان ادفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رايك] ••

كلمة من « الطليعة »

ماذا يعنى امضاء مقال ما او كلمة ماباسم « الطليعة » •

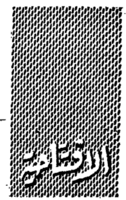
ان كتاب الطليعة — كما هو واضح — قد درجوا على ان يحترم كل منهم راى الاخر ، وذلك اذا ما وجد خلاف بين هذا المحرر او ذاك من اعضاء هيئة تحرير الطليعة •

كما ان كتاب الطليعة يحترمون اكثر ،ما يسمى « بالراى الاخر » ، او الراى الذى لا تلتزم به — بالضرورة — اسرة التحرير ولكنها ترى من واجبها — مع ذلك — ان تساعد على نشره وتقديمه •

وفى الوقت نفسه ، فان المقالات او الكلمات التى تنشر بامضاء الطليعة انما تعبر عن الرأى الجماعى لاسرة التحرير ،عن المشاركة فى الفكر او الموقف.وبعبارة اخرى فان هذه الكلمات والمقالات هى رأى المحررين جميعا وفى مقدمتهم بالطبع رئيس تحرير المجلة • فاذا وجد صوت يرى رأيامخالفا كان من حقه ايضا ان يعلق بامضائه على هذه الاراء التى تنشر بامضاء الطليعة •

وليعلم بعض الذين يحاولون ان يتصيدوا فى الماء العكر ، ان كل ما يكتب فى المجلة — أى مجلة — تقع مسئوليته الرئيسية امام السلطات والقانون والقراء على عاتق رئيس التحرير وأسرة تحريرها •
ثم ليعلموا ايضا ان الطليعة فى جوهرها عمل جماعى •

« الطليعة »



الغـــزو مـن الداخـــل

تضافرت — فى الاونة الاخيرة — مجموعة من العوامل الاجنبية والعربية والمحلية غير المسئولة ، على افراز ظاهرة خطيرة ذات ابعاد مدمرة فى المجتمع المصرى وعلاقاته الاخوية والمصيرية بالعالم العربى . الامر الــذى يتوجب معـــه على كل الوطنيين والتقدميين العرب ، التصدى لهـــا بوعى وشجاعة ودون ابطاء .

وقد وجدت هذه الظاهرة تجسيدا لهـا فى تلك الاصوات والاقــلام التى انطلقت داخل مصر — فى هوس محموم — بالهجوم على الشعب الفلسطينى وثورته التحررية المسلحة . وتحميلهما وزر ما تعانيه مصر من متاعب اقتصادية حادة ، وتدنى مستوى معيشة اهلها بالقياس الى مستوى المعيشة المحقق — حاليا — فى بقيـــة المجتمعـــات العربية ، بدرجات متفاوتة . وهى — على حد تعبير هذه الاقلام والاصوات — متاعب وازمات ، كانت مصر لا تعانيها ، لو انهـــا وفرت التضـــحيات الهائلة التى بذلتهـــا — وما تــزال — فى الصراع العـــربى الاسرائيلى .

وواتت الجراة ، بعض اصحاب هـــذه الاصوات والاقلام ، حد الدعوة — باسم الوطنية المصرية — الى نفض اليد من قضية فلسطين وادارة ظهر القاهرة الى العرب . وتوالت الصرخات الهســـتيرية : كفانا .. سئمنا .. جعنا .. قتلنا !!

وبدل ان تحاصر هذه الاصوات والاقلام المصرية ، عربيا ، فان عددا من الاقــــلام والاصوات العربية راح يعزف على نفس النغمـــة المســـمومة ، وينـــكر على مصر واهلهـــا تضـــحياتها بل بلغت الجـــراة ببعضهـــــا حـــد المن على مصـــر بما تدم لها من معونات ومساعدات لا تغطى — حتى لو ضاعفنا أرقامها — أكثر من ثلاثة أيام قتال وذلك دون حســـاب قيمـــة دم الشهداء . وخلط بعض آخر بين معارضة ونقد الاتفاقية الثانية للفصل بين القـــوات فى ســـيناء — وهو حق مشروع — وبين معارضة وانكار دور مصر وتضحياتها ، وهو باطل الاباطيل .

وتلقفت الاصوات والاقلام الاستعمارية والصهيونية ، هاتين الموجتين المدمرتين : الموجة المصرية المعادية للعرب ، والموجة العربية المعادية لمصر ، بعين الرضا والاستبشار . وراحت — كخطوة اولى — تدفع بهما الى مدى أبعد ، من اجل تفكيك وحدة العمل العربي المعاصر . وتوحد بين حركتيهما المتقابلتين — كخطوة ثانية — في اتجاه هدف محدد ، هو بث الالغام في صفوف حركة التحرر العربي واستخدام نيران الفتنة المشتعلة بلبنان ، منذ أبريل ١٩٧٥ ، لتفجيرها .

ومع تفجير الالغام ينفتح الباب واسعا ورحبا في الوطن العربي أمام الاستعمار الجديد والصهيونية لتنفيذ مشاريع السيطرة الاقتصادية والسياسية ، الجاهزة منذ ١٩٤٨ . وذلك كله تحت حجة انقاذ مصادر الطاقة ، التي يتعلق بها مصير الحضارة الانسانية ، من اقتتال أصحابها العرب بعضهم مع بعض .

ولا يفوتنا ملاحظة ، ان هذا كله يحدث ، بعد تحقيق أول مبادرة عسكرية عربية في اكتوبر ١٩٧٣ ، لم تنهزم ، بل أحدثت زلزالا في الكيان الاسرائيلي على حد التعبير الصهيوني . وبعد أن فرضت الثورة الفلسطينية وجودها على العالم كحركة تحرير وطنية ذات اهداف مشروعة . وبعد ان استخدم العرب بترولهم — على نحو نسبي — سلاحا سياسيا وقوة اقتصادية ومالية . وبعد أن تلقت الولايات المتحدة ضربات موجعة في الداخل والخارج ، سياسيا واجتماعيا وعسكريا واقتصاديا .

■■■

اذا وضعنا صورة ما يجري اليوم في الوطن العربي من تمزق ودمار ، مقابل ما تم انجازه — عربيا — منذ اكتوبر ١٩٧٣ في المجالات العسكرية والسياسية والبترولية ، يبدو الامر غريبا شاذا ، كأننا نعيش مسرحية من مسرحيات اللامعقول .

بيد أنه في الحياة والعمل السياسي ، ليس هناك شيئا لا معقول ، مهما شذ في غرابته أمام النظرة المباشرة . ذلك ان ما يظهر لا معقولا عند السطح ، تكون له دوما أسبابه العقلانية في الاعماق .

من هنا يصبح سؤال الوقت : ما هي المعقولية الدفينة للامعقولية العربية الجارية أمام العيان ؟

في تقديرنا أن أقرب جواب الى الحقيقة الموضوعية ، على هذا السؤال ، يمكن صياغتها في العبارة التالية : « هذه محاولة جادة للغزو من الداخل » .

والغزو من الداخل ، هو أرجح التكتيكات الراهنة للامبريالية والاستعمار الجديد والصهيونية لعصر ما بعد أكتوبر . مستغلا نقط الضعف وأكوام التناقضات العديدة غير المحسومة ، في الوطن العربي على وجه الاجمال ، وفي علاقة كل بلد أو قوى عربية بالاخريات على وجه الخصوص

والغزو من الداخل ، هو بطبيعته ، تكتيك مرن يتخذ اشكالا محلية مختلفة ، تخفي في طياتها الايدي الخارجية الفاعلة والمخططة .

ومن هنا فان هذه الاشكال تتكيف في أساليبها المستخدمة ودرجة الحدة في حركتها مع الظروف الخاصة بكل واقع تهاجمه . فهي تجنح الى اشعال نيران الحرب الاهلية في لبنان مستغلة الكيانات الطائفية المسلحة . وهي تنفخ في رماد الانعزالية والاقليمية في مصر مستغلة المصاعب الاقتصادية . وهي تؤجج في العالم العربي « عقدة المصرية » وانفراد الدولة الكبرى باتخاذ القرارات .

واذا استمر غياب الوعى العربى ، أوعلى الاقل استخفافه بهذا التكتيك ومخاطره والقعود عن العمل الجماعى لمحاصرتهوضربه ، فانه لن يمضى وقت طويل حتى يكون « الغزو » قد تمكن من كل المواقع ،ونجح ــ بدرجات متفاوتة ــ فى تحقيق أهدافه . .

■■■

والذى يبدو من استقراء حركة الاحداث المضطربة فى المنطقة منذ انجاز اكتوبر ١٩٧٣ ، أن تكتيك الغزو من الداخل ، هو اكثر الامكانيات المتاحة وأقلها تكلفة ومخاطرا ، بالنسبة للوضعية الراهنة الامبريالية والاستعمار الجديد والصهيونية. وذلك بعد أن تضاعفت نفقات ومخاطر « الغزو من الخارج » . هذا اذا لم يصبح متعذرا نتيجة عاملين اساسيين :

الاول محلى : ونقصد به ما كشفت عنه حرب اكتوبر من نمو متصاعد لفاعلية القوى البشرية والعسكرية والاقتصادية للعرب ،وخاصة عند لحظة تفجر الخطر الجماعى . الامر الذى يحيل عملية الغزو من الخارج الى مغامرة غير مأمونة النتائج .ليس فقط بحكم المقاومة العربية . بل وأيضا بحكم أن الغزو يصطدم بساحة ذات نوعية ملتهبة سريعة الاشتعال .

الثانى عالمى : ونقصد به الانفراج الدولى الذى فتح الطريق للتعايش السلمى بقيوده النووية التى تنأى عن خطر المواجهات العسكرية ذات الطابع الشمولى بين المعسكر الراسمالى والمعسكر الاشتراكى . ولذلك فان القوى الاستعمارية والصهيونية ، قد فقدت ــ على نحو نسبى واضح ــ قدراتها التقليدية على القيام بغزو من الخارج ، وخاصة فى منطقة استراتيجية تختزن اكبر مصادر معروفة للطاقة فى العالم المعاصر ، وتتكشف داخلها صراعات سياسية واجتماعية ذات أبعاد مؤثرة على علاقات القوى الدولية.

ولعلنا لا نجانب الصواب ــ فى رؤيتنا اليوم ــ اذا قررنا : أن ما راحت تؤكد عليه القوى الاستعمارية والصهيونية على مدى العام الماضى ، بسفور غير مألوف وتكرار لا حدود له ، عن اعتزامها التدخل بالقوة لاحتلال منابع البترول العربى لم يكن الا ستارا كثيفا من الدخان للتعمية وتغطية عمليات الغزو من الداخل .

■■■

والغزو من الداخل ، يحتاج بالضرورة الى قوة اجتماعية ــ سياسية محلية ، تنعش مختلف التناقضات الفرعية الراكدة ،جزئيا أو كليا ، وتدفع كل القوى الوطنية الى بؤرتها الملتهبة فتتطاحن بعضها مع بعض ، أو تستنفد كل جهدها وطاقاتها ، فتغدو القطب الاضعف فى الصراع الرئيسى مع الاستعمار والصهيونية .

وهذه القوة الاجتماعية والسياسية المحلية تتحدد فى الرأسمالية الطفيلية ومثقفيها فى كل بلد عربى ، التى أفرختها عوامل عديدة منها هزيمة ١٩٦٧ ، والجوانب الاجتماعية السلبية للبترول العربى ، وزيادة وزن مراكز الاستعمار الجديد فى البنى الاقتصادية العربية .

وهى قوة ، رغم محليتها ، الا أنها لا تحس بأى انتماء وطنى . تقلص الوطن لديها على نحو رخيص حتى صار فى حدود صفقة الاستيراد أو التصدير التى تجنى منها أضخم العمولات . ولم يعد لها من ولاء الا نحو ثرواتها الفاحشة ، وعلاقات التبعية الوثيقة مع الاحتكارات الاجنبية . وبات من أهم الضمانات لبقائها واستمرارها ، مزيد من التواجد الاستعمارى الجديد ومن التعايش مع الصهيونية . وقد انعكس هذا فى دعوتها الى قيام سوق مشتركة فى الشرق الاوسط تنضم اسرائيل الى عضويتها مع

بقية الدول العربية . وفى تحطيم العلاقات مع الاتحاد السوفيتي والبلدان الاشتراكية وحركات التحرر الوطنى . وفى ازكاء النعرات الاقليمية الضيقة على حساب المصالح القومية الشاملة .

ومن هنا تركز هذه القوى فى حركتها الراهنة على ثلاثة محاور رئيسية :

● **المحور الاول** : أن استمرار الصراع العربى الاسرائيلى ، فضلا عن عدم جدواه، فانه فى النهاية ينقلب وبالا ودمارا وحربا اهلية فى البلاد العربية . وها كم لبنان نموذجا لكل من لا يعتبر ويرضخ !

● **المحور الثانى** : أن الصراع العربى الاسرائيلى، يحتلب بقسوة تضحيات لا نهاية لها من طاقة الشعب المصرى ، دون أن يلقى هذا كله تقديرا او فهما من « الاخوة العرب » وبالذات الفلسطينيين . وان مصر فى النهاية لا ناقة لها ولا جمل فى هذا الصراع الذى تحملت اعباؤه الكبرى ! وانها عندما تتمكن من استرداد بعض ثرواتها وبعض أراضيها المحتلة تتهم بالجحود والخيانة . واذن فالصراع الاساسى فى مفهوم هذا المحور هو بين مصر والعرب وخاصة الفلسطينيين وليس بين مصر واسرائيل ، ويامصريين كفاكم ماحدث واهتموا بأنفسكم ، تسكت عنكم اسرائيل !

● **المحور الثالث** : يدور حول العزف على نغمة ان مصر تنسحب من المعركة ، وتتخلى عن دورها القيادى فى الصراع العربى الاسرائيلى ، وتتنكر للشعب الفلسطينى ، وتتقوقع داخل حدودها الاقليمية . وفى اتون هذه النار الخبيثة يلقى عدد من الكتاب والاصوات المصرية والعربية، بعضها بهوس جاهل وبعضها بادراك ووعى، وقودا لا ينضب لنيران الاستعمار والصهيونية !

■■■

ان هذه القوى الطفيلية التى تعمل رديفا للاستعمار والصهيونية فى وطننا العربى ، وتنفذ مخططه بمحاوره الثلاثة ، ما زالت ضعيفة الوزن محدودة الحجم والتأثير . لكن خطرها مع ذلك يتضاعف وينتشر بحكم الحالة العصبية التى تعيش فى قبضتها اليوم كل القوى ، نتيجة تزعزع الثقة من جانب والنشاط الذكى للاستعمار والصهيونية — من جانب آخر — فى تحريك الرواسب الاقليمية وتفجير التناقضات الفرعية .

والواقع أن الخط البيانى للغزو من الداخل فى تصاعد مستمر . فى حين يميل الخط البيانى لوحدة القوى الوطنية والتقدمية العربية لمقاومة هذا الغزو نحو الهبوط .

هذه حقيقة مؤسفة بل مأساوية ، يجب ان نعترف بها ونحشد كل وعينا وطاقتنا الجماعية لمواجهتها بسرعة وحسم. مبتعدين عن أساليب البلاغة العربية التقليدية فى تبادل الاتهامات . فالوقت والخطر غير تقليديين .

القضية ليست — بالقطع — فى تسجيل الاتهامات ، بقدر ما هى فى المبادرة الى بناء متاريس قوية فى وجه الغزو من الداخل ومحاصرة القوى الطفيلية وتصفيتها . وفى الانتقال —على جميع المستويات والمواقع— من موقف الدفاع الى الهجوم . وهذا الانتقال يعنى اول ما يعنى أن لا تحول الخلافات والصراعات الفرعية بين استمرار تواصل الجسور ووحدة العمل النضالى بين جميع القوى العربية الوطنية ، وخاصة مصر وسوريا والثورة الفلسطينية فى الصراع الطويل مع الاستعمار والصهيونية .

كيف ؟

من الواضح أن « الغزو من الداخل » ، اعتمد ضمن ما اعتمد على ردود فعل « الاتفاقية الثانية للفصل بين القوات فى سيناء » . ففى الوقت الذى ترى فيه القيادة

السياسية لمصر أن هذه الاتفاقية هي خطوة على طريق الحل الشامل وفق مخططها العسكري والسياسي ، وتحقق انسحابا جزئيا عن أرض محتلة وعن طاقة بترولية مغتصبة تزيد من قدرات مصر في الصراع ، فان القيادة السياسية لسوريا والثورة الفلسطينية ترى في الاتفاقية خطرا على وحدة القضية العربية وعلى الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني .

هذا خلاف حقيقي ، لا جدوى من انكاره وبالتالي لا مفر من التعامل معه .

وهناك وسيلتان لا ثالث لهما لهذا التعامل :

اما ، الوقوع في اسر الاتفاقية والاستمرار في التحرك داخل اسوارها بطريقة محلك سر ، لا يتعدى في النهاية نطاق الدفاع عن الاتفاقية من جانب والهجوم عليها من جانب آخر .. ودمتم .

واما ، العمل بعقلانية ثورية على تحديد مخاطر الاتفاقية التي يراها الجانب السوري والفلسطيني ، ومناقشتها موضوعيا وبطريق مباشر وصريح ، مع الجانب المصري . وذلك لاتخاذ جميع الضمانات الضرورية ضدها في اطار وحدة العمل المصري السوري الفلسطيني . هذه الوحدة التي لا بديل لها في الصراع التاريخي والمصيري بين حركة التحرر العربية والقوى الاستعمارية والصهيونية .

ليس من شك في أن الواجب القومي والثوري يكمن اليوم ، في ضرورة ممارستنا جميعا للوسيلة الثانية ، مهما كانت مصاعبها والا كنا جميعا أيضا ، نلعب لعبة الاستعمار والصهيونية ، ونطهر بايدينا الارض من كل الموانع أمام الغزو من الداخل ، ونتيح للقوى الطفيلية أن تبث «فيروسها السرطاني» في جسم الامة العربية .

ويستلزم هذا أول ما يستلزم أن نتعاون جميعا — بمسئولية قومية — على اسكات كل الاصوات والاقلام المعادية لقومية القضية ووحدتها . ونلح على لقاء مسئول لمصر وسوريا وفلسطين ، على كل من المستويين الرسمي والشعبي معا . وذلك بأسرع وقت ممكن وبروح المصلحة المشتركة والتضحيات المشتركة دون ما من لطرف على طرف آخر .

ذلك ان احتلال فلسطيننا ليس في حقيقته الا قضمة الصهيونية الاولى ، من الرغيف العربي .

ولعل المثل العربي الشهير « الوقت كالسيف ان لم تقطعه قطعك » لا يصدق حرفيا ، كما يصدق اليوم ، على وقتنا الراهن .

لطفي الخولي

النظام الاقتصادى العالمى الجديد

والنضال من أجل التحرر الاقتصادى

د. اسماعيل صبرى عبدالله

يقدم د. اسماعيل صبرى عبدالله فى هذا العدد دراسته عن قضية حالة وحيوية هى قضية التحرر الاقتصادى لدول العالم الثالث. وتتضح أهمية هذه الدراسة من أن الكاتب قد شارك فى الفترة من يوليو الى نوفمبر فى عدد من اللجان والندوات الدولية التى عقدت لدراسة هذه القضية . فقد اشترك د. اسماعيل صبرى فى:

١ ـ ندوة « المعهد الاطلسى للشئون الدولية » التى عقدت فى باريس فى ١٣ يونية ١٩٧٥ ، وشارك فيها اكثر من مائة من الاقتصاديين وخبراء التنمية وكبار رجال الاعمال من دول حلف الاطلسى واليابان لبحث العلاقات بين « الشمال والجنوب ».

٢ ـ « ملتقى الجزائر الاول لدراسة النظام الاقتصادى العالمى الجديد» الذى اجتمع فى مدينة الجزائر العاصمة فى الفترة من ٢٤ الى ٢٨ يونية ١٩٧٥، وقد رأس اللجنة الاولى التى أعدت توصيات الملتقى فيما يتعلق باستراتيجيات التنمية وكيف توجه لخدمة الجماهير الشعبية العريضة .

٣ـ مجموعة العمل الخاصة التى كلفها «منتدى العالم الثالث » لاعداد مقترحات محددة عن النظام الاقتصادى العالمى الجديد تعبر عن مطالب الدول النامية. وقد تم اعداد هذه الوثيقة فى مدينة المكسيك فى الفترة من ٢٠ الى ٢٤ اغسطس ١٩٧٥ . وقد تبنتها حكومات الجزائر والمكسيك وباكستان وسيرلانكا وبيرو وفنزويلا وقدمتها للدورة الخاصة السابعة للجمعية العامة للامم المتحدة ..

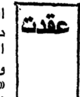
٤ ـ «مجموعة المستشارين» المحدودة العدد التى شكلها المدير العام لمنظمة العمل الدولية لابداء الرأى فى التقرير الاساسى المعد ليكون اساسا لمناقشات «المؤتمر الثلاثى للعمالة ، وتوزيع الدخول والتقسيم الدولى للعمل » الذى دعت المنظمة لعقده فى مايو ١٩٧٦.

٥ـ «ندوة المنظمات غير الحكومية» التى انعقدت بمقر الامم المتحدة اثناء انعقاد الدورة الخاصة، وناقشت قضايا النظام الاقتصادى العالمى الجديد [٢ـ١٢ـ سبتمبر ١٩٧٥].

٦ـ «لجنة الخبراء» الدولية التى شكلها «مؤتمر الامم المتحدة للتجارة والتنمية » بالاشتراك مع « برنامج الامم المتحدة للتنمية » فى جنيف [٢٠ ـ ٢٤ اكتوبر ١٩٧٥] لبحث موضوع « البيئة والتنمية » .

٧ـ رأس اجتماع اللجنة الخاصة التى شكلتها «الجمعية الدولية للتنمية» للاشراف على تطوير بنيان الجمعية ونشاطها لتصبح منبرا دوليا غير حكومى لعرض ومناقشة التجارب والاراء المختلفة المتعلقة بالتنمية والقضايا الاساسية للاقتصاد العالمى».

كما دعته « جامعة الامم المتحدة » للمشاركة فى وضع برامج البحث والدراسة فى المجالات المتشابكة المتعلقة بالتنمية الشاملة بجوانبها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والحضارية. .



عقدت الجمعية العامة للامم المتحدة دورتها الاستثنائية السابعة فى الثانى من سبتمبر الماضى ، وانفضت اعمالها المخصصة « للتعاون والتنمية » الى التراضى العام حول سبع توصيات ، رأت فيها فقط البدء فى اقامة « **نظام اقتصادى عالمى جديد** ».

واول ما ينصرف اليه الذهن ، عند سماع هذا التعبير، هو العلاقات بين ما يسمى الدول الصناعية المتقدمة من ناحية، والدول النامية من ناحية أخرى ، والتى تشكل فى مجموعها النظام الاقتصادى العالمى. والواقع أن الحديث حول مساوىء النظام الاقتصادى العالمى قد بدأ تاريخيا بالفعل فى هذا المجال بالذات. ولكن المناقشات والدراسات التى جرت خلال اكثر من عشر سنوات ، والاحداث الاقتصادية والسياسية التى شهدها العالم فى السنوات الاخيرة وفى مقدمتها حرب اكتوبر وما تبعها من مواقف منظمة الدول المصدرة للبترول ، ثم الانتصار الرائع لشعب فيتنام بدلالته التاريخية، كل ذلك فتح آفاقا للتفكير جديدة وكثيرة ، وطرح قضايا متعددة لاول مرة مثل التلوث ونوعية الحياة ، ووضعت موضع التساؤل مفاهيم كانت حتى الفترة الاخيرة فى موضع المسلمات مثل التقدم والنمو والتنمية والتصنيع . وهكذا اكتسب الحديث عن النظام الاقتصادى العالمى الجديد عمقا يتجاوز بكثير مجرد العلاقات الاقتصادية غير المتكافئة بين الدول الغنية والدول الفقيرة ، واخذ يسير فى اتجاه عملية تصور شامل لمستقبل البشرية تضمن لشعوبها حياة كريمة ماديا وحضاريا ، او على الاقل تصونها من كوارث تبدو محققة الوقوع اذا تركت امور الاقتصاد العالمى تسير على نسق تلقائى. وفى هذا يقول عدد من المفكرين الكبار الذين يغلب عليهم «الاعتدال» سياسيا:

«لقد تبين لنا خلال السنوات الاخيرة، وبالرغم من المنجزات الضخمة التى تحققت فى عدد من المجالات ، ان الطريق الذى اخذنا السير فيه يبدو مفضيا الى الكوارث واليأس » [1] .

ومهما يكن من أمر فقد اصبحت قضية النظام الاقتصادى العالمى الجديد مطروحة لا على مستوى الاجتهاد العلمى وحده وانما فى المحافل الدولية الرسمية وفى مقدمتها هيئة الامم المتحدة ، وصدر بشأنها بالفعل عدد من القرارات ذات الاهمية التاريخية. وعبر سلسلة من المواجهات تشكل اطارا من الاجراءات للحوار ، ومناقشة الحلول واقرار بعضها على الاقل.

مقررات مؤتمر القمة الرابع لدول عدم الانحياز

وتعتبر نقطة البدء الرسمية لهذا الجهد المنظم على المستوى الدولى قرارا اتخذه رؤساء دول مجموعة عدم الانحياز فى مؤتمرهم الرابع بمدينة الجزائر فى سبتمبر ١٩٧٣ . فقد كان من بين مقررات ذلك المؤتمر العمل على اقامة نظام اقتصادى عالمى جديد اكثر عدالة، واقدر على تحقيق التقدم لمجموع البشرية وصيانة السلام العالمى. . وبعد اقل من شهر من صدور هذا القرار توالت احداث خطيرة اتاحت له الفرصة لان يصبح اكثر من « اعلان برغبة » تصدره الدول النامية ولا تصغى اليه الدول المتقدمة الا باذن لاهية. فقد اندلعت حرب اكتوبر التى خاضتها القوات المسلحة المصرية والسورية بكفاءة وشجاعة فكانت المباغتة الكبرى لاولئك الذين بنوا حساباتهم على ان العرب، وبصفة عامة شعوب العالم الثالث، يتكلمون كثيرا ولا يفعلون الا القليل، وحتى هذا القليل يكون عادة محدود الاثر. واتخذت الدول العربية المصدرة للبترول ، وسط قعقعة السلاح ورائحة الدم الذكى المراق فى سيناء والجولان تهز الوجدان فى كل بيت عربى، قرارا هو الاول من نوعه فى تاريخ العلاقات الحديثة بين الغرب والعالم الثالث: تخفيض انتاج البترول تدريجيا وحظر تصديره للدول المساندة لاسرائيل . وكانت الدلالة البعيدة لهذه المعركة العربية هو أن مفتاح رخاء الغرب يوجد فى أحوال كثيرة بيد الدول النامية ، وان لهذه الدول القدرة على ان تهدد هذا الرخاء، وعلى اثر هذا الموقف سارعت منظمة الدول المصدرة للبترول ، والتى ينتشر اعضاؤها فى قارات العالم الثالث الثلاث، الى رفع سعر تصدير الخام عدة مرات حتى بلغ سعره فى ١٩٧٤ خمسة امثال السعر السائد قبل حرب اكتوبر. ولم يكن فى مسلك «الاوبك» اى تعسف. فالحقيقة التاريخية الصارخة هى أن النفط، وهو مورد غير متجدد ، كان يباع بأقل من قيمته بكثير . ولكن نمو الاقتصاد الغربى خلال الثلاثين عاما الاخيرة

---

[1] انظر مقدمة التقرير الاول عن « مراجعة النظام المالى » الذى أعده لحساب « نادى روما » اثنان وعشرون من المفكرين من مختلف القارات [يونية ١٩٧٥] برياسة يان تينبرجن الحائز على جائزة نوبل فى الاقتصاد ومن بين هذا الفريق السيد الدكتور ابراهيم حلمى عبد الرحمن .

اعتمد بشكل اساسي على هذا المصدر الرخيص للطاقة ، ولذلك كان تطبيق الاسعار الجديدة بمثابة هزة عنيفة للاقتصاد الغربي في مجموعه. ولكن قدرات ذلك الاقتصاد تحميه بلا ادنى شك من الانهيار بسبب اجراء قصير من هذا النوع حتى ولو بتكلفة عالية لعملية اعادة التنظيم في ضوء الاسعار الجديدة. ومع ذلك **فالاثر الاهم والابقى والذى يعتبره كثير من الاقتصاديين نقطة تحول تاريخية، هو أنه لاول مرة فى التاريخ الحديث يصدر قرار ... الاقتصاد الغربي تأثيرا كبيرا من خارج الغرب.** لقد كتب الكثير عن فوائض البترول وانتقال الثروة من الدول الغنية تقليديا الى دول كانت بالامس فقيرة، واسرفت صحافة الغرب فى الحديث عن «محدثى الثراء» وتبديدهم لمواردهم. والكل يعرف ان الجزء الاعظم من الفوائض يعود مرة اخرى للدول الغربية فى شكل استثمارات وقروض وودائع ، ولكن جوهر التغير الذى حدث يظل فى التحليل الاخير . ومن وراء ذلك كله ، **ان قرار «الاوبيك» قد نقل لاول مرة ولو لاجل محدود وبمناسبة سلعة واحدة السلطة الاقتصادية الى العالم الثالث،** حقا ان الوضع المتميز للبترول كمادة اولية ومصدر للطاقة ، والجهد المثابر والمنظم والمبنى على دراسات وافية للانتاج والتسويق منذ ان نشأت « الاوبيك » فى اوائل الستينات ،قد وفر لها افضل الفرص ،ولكن ليس ثمة ما يحول على المدى المتوسط دون الدول النامية المنتجة للمواد الاولية — ولا سيما الاستراتيجية منها — ومحاكاة المثل الناجح ، ولو بقدر اقل من النجاح . وقد جاء انتصار شعوب الهند الصينية وبصفة خاصة الشعب الفيتنامى بعد حرب الثلاثين عاما ليؤكد ان استخدام القوة العسكرية لم يعد الوسيلة الفعالة التى طالما اعتمد عليها الغرب فى تأكيد سلطته الاقتصادية . ان التفكير السطحى القائم على التسليم بأن الدول المتقدمة تملك كل عناصر القوة الاقتصادية فى حين لا تملك الدول النامية الا الفقر والجهل والمرض اخذ يتراجع امام تزايد الوعى بعناصر القوة التى يملكها العالم الثالث. ان العملية التاريخية التى يمكن ان تؤدى الى نظام اقتصادى عالمى جديد قد بدأت بالفعل.

الدورة الخاصة السادسة

للجمعية العامة للامم المتحدة

وحين تفجرت أزمة الطاقة على هذا النحو، تزعمت الولايات المتحدة الدعوة الى تكتل من الدول الصناعية المستهلكة للبترول . وقد انتهت جهود كيسنجر فى هذا المجال بالفعل الى تأسيس «الوكالة الدولية للطاقة» منذ بضعة شهور ، وهى تضم الدول الرأسمالية المتجمعة فى «منظمة التعاون الاقتصادى والتنمية » فيما عدا فرنسا . وكان رد الدول المصدرة للبترول هو رفض المواجهة بين المنتجين والمصدرين والدعوة الى مناقشة اعم تشمل اسعار المواد الاولية وقضايا التنمية. وبالفعل تقدم الرئيس الجزائرى هوارى بومدين — بصفته رئيسا للدورة الحالية لمجموعة عدم الانحياز وتنفيذا لمقررات مؤتمر القمة الرابع لتلك المجموعة — بطلب الى كورت فالدهايم بعقد دوره خاصة للجمعية العامة للامم المتحدة لمناقشة قضية المواد الاولية وقضية التنمية. وبساندت الدول النامية— او ما يسمى بمجموعة السبعة والسبعين[٢] — هذا الطلب فانعقدت الدورة الخاصة السادسة فى ابريل ومايو ١٩٧٤. وقد اسفرت مناقشاتها عن اقرار وثيقتين على أعلى قدر من الاهمية : « اعلان بشأن اقامة نظام اقتصادى عالمى جديد » [القرار رقم ٣٢٠١] و « برنامج عمل من أجل اقامة نظام اقتصادى عالمى جديد» [القرار رقم ٣٢٠٢] .

ويبدأ الاعلان بشأن اقامة نظام اقتصادى عالمى جديد بديباجة تعبر فى صدق عن خطورة الموضوع وجدية المداولات.

«نحن اعضاء الامم المتحدة وقد اجتمعنا في دورة خاصة للجمعية العامة لندارس لاول مرة قضايا المواد الاولية والتنمية، وخصصنا الدورة كلها لبحث اخطر المشكلات الاقتصادية التى تواجه العالم..

... نعلن رسميا تصميمنا الموحد على العمل دون ابطاء من أجل اقامة نظام اقتصادى عالمى جديد، قائم على العدالة، والمساواة في السيادة، والترابط، والمصلحة المشتركة والتعاون بين الدول بغض النظر عن نظمها الاقتصادية والاجتماعية ، نظام يعالج التفاوت ويصحح مظاهر الظلم

---

[٢] وقد اطلق عليها هذا الاسم منذ انعقاد « مؤتمر الامم المتحدة للتجارة والتنمية » فى جنيف ١٩٦٤ ، بناء على « بيان القاهرة » الذى اصدرته دول عدم الانحياز . ويبلغ اعضاء تلك المجموعة الان فى الواقع مائة وأربع دول .

الحالية ، ويجعل من الممكن تصفية الهوة المتزايدة بين الدول المتقدمة والدول النامية ويؤمن التنمية الاقتصادية والاجتماعية المضطردة،والسلم والعدل للاجيال الحالية والمقبلة..»

ثم يمضي الاعلان في مواده السبعة ليؤكد على ما ترى الجمعية العامة انه قضايا جوهرية تحكم الموضوع . واولى تلك القضايا هي ضرورة تغيير النظام الاقتصادي العالمي الحالي لانه «قد ثبت انه من المستحيل ان تحقق الاسرة الدولية تنمية متناسقة ومتوازنة في ظله، ولان الهوة بين الدول المتقدمة والدول النامية مازالت تتسع في اطار نظام أقيم في عصر لم تكن فيه معظم البلدان النامية موجودة كدول مستقلة، ويعمل في اتجاه استمرار التفاوت دائما». ثم يشير الاعلان الى ان النظام الحالي يصطدم مباشرة مع التطورات الدولية الاقتصادية والسياسية، وبالذات بروز دور الدول النامية في المجال الدولي، ويضيف «ان التغيرات التي لا رجعة فيها في علاقات القوى في العالم تقتضي ضرورة ان تشارك الدول النامية مشاركة ايجابية وكاملة ومتكافئة ، في صياغة وتطبيق كل القرارات التي تهم المجموعة الدولية». وهذه الرغبة في المشاركة مبنية على الاقرار بحقيقة الترابط بين اقتصاديات كل الدول الاعضاء في المجموعة الدولية، حيث اثبتت الاحداث الاخيرة [ازمة الطاقة] ان رخاء الدول المتقدمة مرتبط بنمو وتقدم الدول النامية. وبعد هذا العرض المركز للاسباب الداعية الى تغيير النظام الاقتصادي الحالي، يطرح الاعلان بعض المبادىء الهامة التي يجب أن يقوم عليها النظام الجديد: المساواة في السيادة بين الدول وحق تقرير المصير لكل الشعوب ــ ورفض اكتساب الاراضي بالقوة ــ حق كل دولة في تبني النظام الاقتصادي والاجتماعي الذي تعتقد انه في مصلحة تنميتها ، ورفض اي اجراءات تمييزية مترتبة على هذا الاختيار ــ السيادة الكاملة والدائمة لكل دولة على مواردها الطبيعية وكل مظاهر النشاط الاقتصادي فيها بما في ذلك حقها في التأميم ــ وضع قواعد تحكم نشاط الشركات متعددة الجنسية ، وتنظم الاشراف عليها بما يضمن مصالح وسيادة البلدان التي يمتد اليها نشاط تلك الشركات ــ اقامة علاقة عادلة بين اسعار المواد الاولية والمنتجات الصناعية ــ توفير الظروف المواتية لانتقال الموارد المالية والتكنولوجية الى الدول النامية ــ دعم التعاون بين الدول النامية ــ تشجيع اتحادات منتجي المواد الاولية. .الخ.

اما برنامج العمل من اجل اقامة نظام اقتصادي عالمي جديد فهو اشبه بجدول أعمال من عشر نقاط تشكل في رأى الجمعية العامة ما يجب أن يدور حوله الحوار وتبتدع الحلول، وهي :

١ ــ المشكلات الاساسية المتعلقة بالمواد الاولية واثرها على التجارة والتنمية.

٢ ــ النظام النقدي العالمي ودوره في تمويل التنمية في الدول النامية.

٣ ــ التصنيع.

٤ ــ انتقال التكنولوجيا.

٥ ــ الاشراف والرقابة على الشركات المتعددة الجنسية .

٦ ــ ميثاق حقوق الدول وواجباتها الاقتصادية.

٧ ــ تنشيط التعاون بين الدول النامية.

٨ ــ مساعدة الدول في ممارسة سيادتها الدائمة على مواردها الطبيعية .

٩ ــ دعم دور الامم المتحدة في مجال التعاون الاقتصادي الدولي.

١٠ ــ برنامج خاص لمعونات طوارىء للدول التي تاثرت اكثر من غيرها من الازمات الاقتصادية ومنها الدول الاقل نموا والتي ليس لها منافذ بحرية.

ميثاق حقوق الدول وواجباتها الاقتصادية

وكما يتضح من البند السادس من «برنامج العمل»، كانت الجمعية العامة العادية قد تعرضت من قبل لفكرة ان حقوق الدول وواجباتها ليست سياسية وقانونية خالصة كما عبر عنها بشكل أساسي ميثاق الامم المتحدة. ان المجتمع الدولي ككل مجتمع بشري يقوم في الاساس على علاقات اقتصاديه بين اعضائه. وكما أن الدساتير الحديثة لم تعد تقتصر على تقرير حقوق المواطنين وواجباتهم السياسية ، بل اخذت ترسم معالم العلاقات الاقتصادية التي تميز مجتمعا عن غيره. كذلك لابد لمجتمع الدول من أن يكمل ميثاق سان فرانسيسكو [دستور الامم المتحدة] بميثاق جديد يضع مبادىء أساسية تحكم العلاقات الاقتصادية بين الدول.

وقد تم بالفعل اعداد «ميثاق حقوق الدول وواجباتها الاقتصادية » واقرته الجمعية العامة العادية للامم المتحدة في دورتها التاسعة والعشرين [قرار رقم ٣٢٨١] باغلبية ١٢٠ صوتا ضد ستة اصوات وامتناع عشرة. ويتكون الميثاق من تصدير واربعة فصول . وفي التصدير تذكر الجمعية العامة بعض المبادىء والاهداف العامة : التمسك باهداف الامم المتحدة ، اهمية التعاون الدولي، ضرورة التنمية بقصد تحقيق رخاء أكثر لكل الدول وارتفاع بمستوى معيشة كل الشعوب، التعايش السلمي . الخ كما تحدد ان الهدف

الاساسي لميثاق حقوق الدول وواجباتها الاقتصادية هو اقامة نظام اقتصادي عالمي جديد. اما الفصل الاول فعنوانه : « **عناصر جوهرية في العلاقات الاقتصادية الدولية** » وهو يعدد تلك العناصر في مادة وحيدة : سيادة كل دولة ، واستقلالها وسلامة اراضيها، المساواة بين الدول في السيادة، رفض العدوان، رفض التدخل في الشئون الداخلية للدول ، المزايا المتبادلة والعادلة ، التعايش السلمي ، المساواة بين الشعوب في الحقوق ، وحق الشعوب في تقرير مصيرها، التسوية السلمية للمنازعات ، التعويض عن نتائج الظلم الذي يفرض بالقوة على امة ، ويحرمها من الوسائل الطبيعية للتنمية ، تنفيذ الالتزامات الدولية بحسن نية ، احترام حقوق الانسان والحريات الاساسية، عدم السعي للسيطرة ، وتكوين مناطق نفوذ ، العمل على تحقيق العدالة الاجتماعية على المستوى الدولي ، التعاون الدولي من أجل التنمية ، حرية الوصول الى البحر بالنسبة للبلاد التي ليست لها منافذ بحرية.

أما الفصل الثاني فعنوانه «**الحقوق والواجبات الاقتصادية للدول** » ويتضمن ثماني وعشرين مادة. ومن أبرز نصوصه ما يلي:

— حق كل دولة في تنظيم الاستثمارات الاجنبية في بلادها ، وأن تمارس ازاءها سلطاتها وفقا لقوانينها والاولويات التي تحددها الاهداف الوطنية. ويرتبط بهذا حق كل دولة في مراقبة نشاط الشركات متعددة الجنسية حتى يكون نشاطها مطابقا لقوانين البلاد وسياستها الاقتصادية والاجتماعية ، مع الدعوة لتعاون الدول في مواجهة تلك الشركات .

— حق كل دولة في تأميم الممتلكات الاجنبية او مصادرتها أو نقل ملكيتها مقابل تعويض مناسب يقدر وفقا لقوانين الدولة وعلى حسب ظروف اتخاذ الاجراء ، وكل نزاع حول التعويض تحكمه قوانين الدولة وتفصل فيه محاكمها .

— حق كل دولة في الاسهام في التجارة الدولية وفقا للاوضاع التنظيمية التي تراها ملائمة لعلاقاتها الدولية ، وأن تعقد ما تشاء من اتفاقيات ثنائية أو جماعية ما دامت لا تضر بالتعاون الدولي .

— كل دولة مسئولة عن تحقيق التقدم الاقتصادي والاجتماعي والحضاري لشعبها ، ولها الحق في اختيار اهداف ووسائل التنمية وتعبئة الموارد اللازمة واجراء التغييرات التقدمية في بنيانها الاقتصادي والاجتماعي بما يضمن مشاركة الشعب مشاركة كاملة في عملية التنمية وفي جني ثمارها .

— حق كل الدول ، بحكم المساواة القانونية بينها ، في المشاركة الكاملة والفعلية في اتخاذ القرارات الدولية المتعلقة بالمشكلات الاقتصادية والمالية والنقدية .

— حق كل دولة في الاستفادة من التقدم العلمي والتكنولوجي والحصول على التكنولوجيا الحديثة مع تطوير التكنولوجيا المحلية .

— التزام الدول جميعا بتحقيق نزع السلاح تحت رقابة دولية فعالة وتخصيص جزء من اعتمادات التسليح لتمويل التنمية في البلدان النامية .

— حق الدول النامية في الحصول على معاملة جمركية تفضيلية في اسواق الدول المتقدمة بدون تمييز ، ودون اشتراط المعاملة بالمثل .

— يجب على الدول النامية أن تأخذ بعين الاعتبار امكان زيادة حجم تجارتها مع الدول الاشتراكية ، وأن تمنح هذه الدول نفس الشروط التي تتعامل بها مع الدول الراسمالية .

— تشجيع التجارة والتعاون بين الدول النامية .

وقد خصص الفصل الثالث لتحديد «**المسئوليات المشتركة ازاء الجماعة الدولية** » . وأهم ما جاء به النص على اعتبار البحار والمحيطات وقاعها والفضاء الخارجي ملكية مشتركة للبشرية كلها وضرورة تنظيم استغلالها دوليا . ثم الالتزام بحماية البيئة ومقاومة التلوث . وفي الفصل الاخير بعض النصوص الختامية اهمها ضرورة ان يكون موضوع هذا الميثاق في جدول اعمال الدورة العادية الثلاثين ، ثم مرة كل خمس سنوات لمتابعة تنفيذ كل ما تقرر بشأنها .

الاطار الاقتصادي والسياسي

والسؤال الذي يطرح نفسه الان هو : ما هي الاوضاع الاقتصادية والسياسية الجديدة التي خرجت بالمناقشة حول عيوب النظام الاقتصادي العالمي من حيز النقد الاشتراكي للعلاقات بين الدول الراسمالية والدول النامية الى ساحة أرحب بكثير يشترك فيها مفكرون من عقائد مختلفة وتصل الى مسامع قطاعات عريضة من الرأي العام ، ويتأثر بها رجال الدولة والمشتغلون بالقضايا العامة، ثم تفرض نفسها على الحكومات والهيئات الدولية في قوة بحيث تصدر بشأنها ذلك القدر من القرارات

وتنظم حولها المؤتمرات ؟ وتبدأ الاجابة على هذا السؤال بنفى ان يكون الامر نزعة فكرية عابرة تشغل الناس بعض الوقت ثم تتراجع الى ما وراء الاضواء فى اطار ما يمكن أن نسميه « الموضة » الفكرية . فواقع الامر هو أنه قد تراكمت فى عالم اليوم مجموعة خطيرة من الازمات يأخذ بعضها برقاب بعض ، ولا يقدم لها الفكر السائد الحلول الناجعة ، بل على العكس أن وجودها واستمرارها يشكل دحضا صارخا لعدد كبير من الافكار التى كانت فى حكم المسلمات طوال الثلاثين عاما الماضية . ان قضية « النظام الاقتصادى العالمى الجديد » مطروحة بالحاح لان الظروف الموضوعية قد نضجت لطرحها ، وانتشر الاحساس بأن العالم قد وصل الى « لحظة انفصام تاريخية » بين القديم والجديد . ولننظر الان الى بعض تلك الازمات :

أزمة التنمية فى العالم الثالث

تفيد احصائيات الامم المتحدة بأن دول العالم الثالث حققت معدل نمو فى الناتج القومى الاجمالى خلال الفترة من ١٩٥٠ الى ١٩٧٠ يزيد قليلا عن ٥ فى المائة . وكان التعليق التقليدى على ذلك هو ان هذا المعدل اعلى مما كانت تحققه الدول المتقدمة فى مراحل نموها الاولى . وسيرا على هذا المنطق تبنت الجمعية العامة للامم المتحدة فى دورتها الخامسة والعشرين [القرار رقم ٢٦٢٦] اقتراح لجنة خبراء التنمية بأن يكون هدف عقد التنميه الثانى [١٩٧٠ — ١٩٨٠] معدل نمو مستوى متوسط للبلاد النامية قدره ٦ فى المائة . وكان الفكر السائد فى الغرب وفى الهيئات الاقتصادية والمالية الدولية يسلم بنظرية « مراحل النمو » التى تفسر التخلف بأنه مجرد تأخر تاريخى ، وبالتالى فانه ما دامت الدول النامية تحقق معدلات نمو اعلى من الدول المتقدمة ، فانها ستصل بعد بضع عشرات من السنين الى مستوى الدول المتقدمة . وفى داخل كل دولة نامية كانت الدعوة هى تشجيع التفاوت فى الدخول لان اصحاب الدخول العالية هم وحدهم القادرون على الادخار والاستثمار ، ولان التجربة التاريخية للدول الراسمالية اثبتت ان « الرخاء يتساقط » من اعلى كالمطر الخفيف حتى يروى بالتدريج أرض الفقر فى قاع المجتمع فتقل حدة التفاوت بارتفاع دخول أدنى الطبقات .

ولكن الواقع يكذب هذه الصورة الزاهية على طول الخط . فمعدل نمو الناتج القومى على مستوى العالم الثالث كله رقم مضلل بطبيعته . انه يخفى مثلا اثر الارتفاع الضخم فى الناتج القومى لعدد محدود من الدول المنتجة لمادة اولية اكتشفت فيها حديثا ، او ارتفع سعرها بشكل ملموس [مثل البلدان التى اكتشف فيها البترول خلال الفترة محل الدراسة] . وفى الطرف الاخر يخفى حقيقة « البلدان الاقل نموا » حيث لم يصل معدل النمو الى ١ فى المائة والتى يتجاوز عددها الاربعين دولة تضم عدة مئات من الملايين . وهو اخيرا يخفى حقيقة أن عائد النمو الذى تحقق قد تركز فى يد فئات المجتمع العليا بحيث زادت الفروق بين الطبقات . ومثال ذلك ما حدث فى المكسيك التى حققت معدل نمو بين ٦ و ٧ فى المائة طوال خمسة عشر عاما متتالية ، وكانت النتيجة ان نصيب خمس السكان الذين يحصلون على أعلى الدخول كان فى ١٩٥٠ عشرة أمثال نصيب الخمس الذى يحصل على حد ادنى الدخول ، فأصبحت النسبة فى ١٩٦٩ ستة عشر مثلا . وحتى مع التغاضى عن هذا كله فان الامر الثابت فى اواسط السبعينات هو تراجع معدل النمو وتعثر كل تجارب التنمية حتى تلك التى كانت تتسم بالتقدمية .

وفى عدد محدود من الارقام يمكن أن نصور الاوضاع فى العالم الثالث كما تبدو الان فى نهاية ثلاثين عاما امتلأت بالحديث عن التنمية ، وما اقترح لها من برامج وخطط على المستويات المحلية والاقليمية والدولية ، وما عقد بشأنها من اتفاقيات ثنائية أو متعددة الاطراف أو دولية ، وبالرغم من تكاثر المنظمات العالمية والاقليمية التى نشأت لتحقق تقدم البشرية .

— يضم العالم الثالث سبعين فى المائة من البشرية ، ومع ذلك فاجمالى دخله [بما فيه دول البترول] لا يتجاوز ثلاثين بالمائة من الدخل العالمى .

— تحصل الدول النامية المنتجة للمواد الاولية على ما لا يزيد عن ١٠ فى المائة من سعر بيع تلك المواد للمستهلك النهائى ، حتى فى الحالات التى لا يجرى فيها اى تصنيع لتلك المواد . والفرق تستولى عليه الشركات الرأسمالية من خلال عمليات النقل والتأمين والتسويق . الخ . والمثل الصارخ لذلك ، هو ان الدولة المنتجة للموز تحصل على سبعين سنتا فقط ثمنا لصندوق الموز الذى يباع للمستهلك بستة دولارات .

— تحصل الدول النامية على اربعة بالمائة فقط من القروض التى يقدمها النظام المصرفى الدولى [صندوق النقد الدولى ومجموعة البنك الدولى معا] .

— لا ينتج العالم الثالث حتى الان ، ورغم كل جهود التصنيع الا سبعة بالمائة من الانتاج الصناعى العالمى . وهذه النسبة محصورة فى عدد محدود من الدول وعدد محدود من

الصناعات [النسيج ، تجميع السيارات ، الاسمنت . الخ].

— تجاوزت المديونية الخارجية لدول العالم الثالث مائة وعشرين الف مليون دولار. وتبلغ خدمة الدين [سداد الفوائد والاقساط] اكثر من ٥٠ فى المائة من حجم معونات التنمية الرسمية التى تقدمها لها الدول الصناعية . وقد بلغ عدد كبير منها حد العجز عن خدمة ديونه الخارجية بانتظام .

— حين طالبت الدول النامية بأن تخصص الدول الصناعية ١ فى المائة من الناتج القومى الاجمالى لكل منها لمعونات التنمية هبطت الدول الغنية بهذه النسبة الى ٠٫٧ فى المائة وحتى هذا الالتزام لم يحترم بحيث تناقصت نسبة معونات التنمية بالتدريج لتصل الى ٠٫٣ فى المائة فقط . وعلى سبيل المقارنة لا يزيد صافى التحويلات المالية المخصصة لاغراض التنمية عن واحد على ثلاثين من الانفاق العالمى على التسليح ..

— فى الهيئات الدولية المخولة سلطة اصدار القرارات ، لايكاد يسمع صوت العالم الثالث — رغم انه يضم اغلبية البشر — وهو بالقطع لايحسم شيئا . وهذا واضح فى مجلس الامن حيث تملك خمس دول مقاعد دائمة ، وتملك كل منها حق «الفيتو» على أى قرار يصدره المجلس. فى حين ان الجمعية العامة للامم المتحدة التى تتساوى فيها الدول ليس لها الا حق اصدار التوصيات. كما ان المنظمات الدولية التى تملك التصرف فى الاعتمادات الدولية تدار عادة على اساس تناسب قوة التصويت مع حصة كل دولة فى التمويل .

— وحتى فى مجال الفكر يخضع العالم الثالث لتأثير واضح ومسيطر من جانب الدول الصناعية الكبرى ، والدول الراسمالية بالذات ، من خلال نظم التعليم المنقولة عن الخارج ، ومن خلال وسائل الاعلام التى تهيمن عليها تلك الدول .

— يموت عشرات الالاف جوعا كل عام فى بلدان العالم الثالث ، فى حين يعيش اكثر من الف مليون فى حالة سوء تغذية مزمنة . وعلى سبيل المقارنة تستخدم الولايات المتحدة سنويا حوالى ثلاثة ملايين طن من الاسمدة — يمكن ان تساعد على انتاج ٣٠ مليون طن من الحبوب الغذائية — لتربية الحشائش فى ملاعب الجولف وأراضى سباق الخيل والمقابر .

— بينما ازدادت الاقليات الغنية ثراء ، يعيش ٧٥٠ مليون نسمة من أبناء العالم الثالث تحت مستوى الفقر المطلق الذى حدده البنك الدولى .

— نصف سكان العالم الثالث لم يتلقوا أى تعليم ، فى حين أن ثلثى اطفاله لا يجدون مكانا بالمدارس .

— يستهلك المواطن الامريكى مباشرة او بعد التحويل الى بروتين حيوانى ١٨٥٠ رطلا من الحبوب فى السنة فى حين لا يزيد نصيب مواطن العالم الثالث عن ٣٩٥ رطلا .

.. ويمكن أن تطول قائمة الارقام المفجعة لتغطى صفحات أخرى كثيرة . وانما الامر الذى يمكن أن نؤكده دون مزيد من الاسترسال هو أن الواقع المفجع فى العالم الثالث يرجع الى سببين: الاول استغلال الراسمالية العالمية للدول النامية، والثانى خطأ استراتيجيات التنمية المتبعة فى العالم الثالث [التى كانت فى معظم الاحوال موصى بها من الدول الغربية والهيئات الدولية] من حيث انها عجزت عن مواجهة مطالب الجماهير وادت الى زيادة الفوارق بين الطبقات ومزيد من التبعية للدول الراسمالية .

الكساد فى العالم الاول :

تعانى مجموعة الدول الراسمالية المتقدمة [التى تضمها منظمة التعاون الاقتصادى والتنمية] منذ ثلاث سنوات حالة كساد اقتصادى تختلف عن موجات الكساد التى سبقتها منذ الحرب العالمية الثانية بأمرين : طول مدتها واهمية أبعادها من ناحية ، واصطحابها بتضخم مستمر من ناحية اخرى .

لقد سارت الدول الراسمالية خلال الثلاثين عاما الماضية على السياسة التى اقترحها الاقتصادى الانجليزى لورد كينز فى اواسط الثلاثينات والقائمة على تدخل الدولة لحماية الاقتصاد من الازمات الحادة التى يقوده اليها دوريا اطلاق مبدأ الحرية الاقتصادية . وكان هذا التدخل يتمثل فى انه كلما بدرت بوادر الكساد سارعت الدولة الى اتخاذ الاجراءات الكفيلة بزيادة الانفاق العام والخاص لتزيد الطلب على السلع والخدمات ويدب النشاط من جديد فى الحياة الاقتصادية . وكانت تلك الاجراءات تتمثل فى : تخفيض الضرائب وتخفيض سعر الفائدة [ليزيد الطلب على السلع الاستهلاكية والاستثمارية] وزيادة الانفاق الحكومى عن طريق التمويل بالعجز [أى طبع كميات اضافية من البنكنوت بشىء من التبسيط] . فاذا ما اندفع الاقتصاد فى طريق التوسع بسرعة تهدد بارتفاع تضخمى فى الاسعار ، لجأت الدولة الى الاجراءات العكسية التى تؤدى الى ضغط الطلب : زيادة

الضرائب ، زيادة سعر الفائدة ، تخفيض الانفاق الحكومى . وجوهر هذه السياسة ينحصر فى فكرة واحدة وهى انه حيث توجد بطالة وكساد لا يوجد خطر تضخم . والامر « المحير » فى الكساد الحالى هو زيادة نسبة البطالة مع استمرار التضخم وارتفاع الاسعار مما جعل الحكومات تتخبط بين اجراءات مقاومة التضخم واجراءات مقاومة الكساد . وظهر فى لغة الاقتصاد مصطلح جديد يعبر عن الوضع الراهن هو « **الكساد التضخمى** » . وازاء هذا الوضع يرى عدد متزايد من الاقتصاديين الغربيين ان الازمة الحالية ازمة فى بنيان النظام الراسمالى ، وليست مجرد ازمة فى اسلوب ادائه الاقتصادى . كما انهم يرون ان بعض عناصر الازمة يكمن فى العلاقات مع العالم الثالث . فنمو الاقتصاد الغربى كان يعتمد حتى الان على فرض ضمنى ، هو استمرار الحصول على المواد الاولية من العالم الثالث بكميات غير محدودة واسعار منخفضة . وهذا الفرض لم يعد من الممكن التسليم باستمراره فى السنين المقبلة . ولقد ذهبت بعض التوقعات الى ان استمراره — حتى لو كان ممكنا — اصبح غير مرغوب فيه . واشهر تلك الدراسات هى التى تولاها « نادى روما » — وهو هيئة بحوث خاصة تمولها الشركات الكبرى — ونشرها تحت اسم « حدود النمو » .

وعلى اية حال فان ثمة وعيا متزايدا فى الغرب بأن نموذج النمو الذى سارت عليه تلك البلدان يهدم البيئة الطبيعية ، ويزيد من التلوث عن كل حدود يمكن التسامح فيها ، ويؤدى الى تمركز السكان فى تجمعات حضرية ضخمة تتجاور فيها ناطحات السحاب مع « العشش » وتصبح الحياة فيها مصدر مشقة وتوتر عصبى . وقد اعتمد هذا النمو على استهلاك محموم من السلع المادية اصطنعته وغذته وسائل الاعلام واشكال الاعلان المختلفة ، مما ادى الى تبديد رهيب لموارد غير متجددة [مثل البترول] او لا تتجدد الا بصعوبة [مثل الغابات ، مورد الاخشاب ولب الورق] .

وبالرغم من هذا الرخاء المادى الظاهر ، تضم الدول الغربية « جيوب فقر » لا يستهان بها . وهى مسرح مستمر للتوترات الاجتماعية ، كما ان انفجار اعمال العنف الفردى والجماعى فيها ، وارتفاع معدلات الانتحار وانتشار المخدرات [فضلا عن الخمور والادوية المهدئة] ليست شواهد صحية لهذه المجتمعات . ومن الطبيعى ان يتطلع الناس فيها الى نوع من الحياة افضل .

واخيرا فان الغرب تعود لعدة قرون ان يعتبر حدود العالم هى حدود اوروبا وامتدادها الحضارى فى امريكا الشمالية ، اما بقية البشرية فكانت مستعمرات فى خدمة الغرب . واليوم اصبح اولئك الذين لم يكن لهم فى شئون العالم صوت ، يدركون انهم اغلبية البشرية وانهم يملكون موارد لا يمكن ان يستمر رخاء الغرب بدونها . لقد بداوا يدركون قوتهم وليس حقهم فقط . لقد صاغ بعض الفرنسيين تعبير العالم الثالث قياسا على تعبير « الطبقة الثالثة » الذى كان يستخدم فى فرنسا قبل الثورة اسما لكل اولئك الذين لم يكونوا من النبلاء او كبار رجال الكنيسة وهذا التشبيه فى محله ، لانه يحتوى على المغزى العميق لحركة شعوب آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية : وضع حد لسيطرة الاقلية واشاعة الديموقراطية فى المجتمع الدولى . واذا كان ثمة اضافة فهى ان البشرية قد اكتشفت فى الطريق من سنة ١٧٨٩ حتى الان الاشتراكية ، واصبح مفهوم « المساواة » فى نظر الملايين المحرومة يعنى اكثر من الحصول على صوت فى الانتخابات .

العالم الثانى

ونعنى به مجموعة الدول الاشتراكية المتقدمة التى يضمها « مجلس المعونة الاقتصادية المتبادلة او الكوميكون كما يسمى فى الغرب . ومن الملاحظ ان ممثلى هذه المجموعة فى الهيئات الدولية يعترضون عادة على فكرة تقسيم العالم الى دول غنية ودول فقيرة ، او دول الشمال ودول الجنوب على اساس ان هذه التقسيمات تنقصها الدقة العلمية ، كما انها فى النهاية تطمس التقسيم الاساسى للعالم بين النظامين الراسمالى والاشتراكى . وربما كان مما يزيد فى معارضتهم لهذه التقسيمات ان الصين تتمسك بها ضمن حملتها السياسية ضد الاتحاد السوفيتى . ولاشك فى ان الشمال والجنوب تعبيران جغرافيان فى الاساس ، كما ان مفهومى الغنى والفقر فى ذاتهما يحتاجان الى تحديد وبيان للاسباب . ولكن الامر المقطوع به هو ان العالم ينقسم الى فريقين من البلدان : بلدان متقدمة ، ذات مستوى معيشة مرتفع ، وتنتمى جميعا — فيما عدا اليابان — للحضارة الاوروبية ، وشاء التاريخ ان تكون كلها فى المنطقة المعتدلة الشمالية من الكرة الارضية . وبلدان متخلفة ذات مستوى معيشة منخفض تنتمى كقاعدة عامة الى حضارات غير اوروبية ويقع معظمها فى المناطق المدارية والاستوائية . وهذا التقسيم لا يلغى بحال انقسام العالم بين نظام راسمالى ونظام اشتراكى ، ولا يحل محله ، فالدولة المتقدمة يمكن ان تكون راسمالية او اشتراكية . والدولة النامية يمكن ان تحاول السير على النظام الراسمالى ، او تختار طريق الاشتراكية . وليس ادل على ذلك من ان دول العالم الثالث الماركسية

الليبنينية ليست أعضاء فى مجلس المعونة الاقتصادية المتبادلة [٣] . والتسليم بهذا الواقع لا يتعارض اطلاقا مع حقائق أو قناعات أخرى مثل: ان النظام الراسمالى بامتداداته الاستعمارية هو المسئول الاول عن تخلف دول العالم الثالث ، وان طريق التنمية الجادة الوحيد أمام تلك الدول هو طريق الاشتراكية ، وأن الاشتراكية هى مستقبل البشرية ... الخ ».

ومهما يكن من أمر ، فان ما احرزته الدول الاشتراكية المتقدمة من نجاحات اقتصادية واجتماعية باهرة ، وما فتحته سياسة الانفراج الدولى امامها من مجالات للتبادل التجارى مع الدول الراسمالية على نطاق واسع ، وما تقدمه من مساعدات للدول النامية وما تعقده معها من صفقات تجارية — كل ذلك ادى الى التزايد المستمر فى نصيبها من التجارة الدولية بحيث لم يعد من المستطاع اغفال دورها فى النظام الاقتصادى العالمى ، ولا ان تتجاهل من ناحيتها انعكاسات هذا النظام على اوضاعها الداخلية . وكل هذا يثير عددا من القضايا :

— ان الدور المتزايد للدول الاشتراكية فى المعاملات الاقتصادية الدولية يعنى بالضرورة أن تصبح أكثر ايجابية فى معالجة قضايا مثل التجارة الدولية والنظام النقدى العالمى ، ومنظمات التمويل الدولية ، فهى مثلا لا تستطيع ان تتفادى اثار التضخم العالمى تماما . واذا كان الحد من تلك الاثار ممكنا فى الاتحاد السوفيتى حيث لا تمثل التجارة الخارجية اكثر من ٤ فى المائة من الناتج السنوى الاجمالى فان المجر التى تمثل تجارتها الخارجية أكثر من ٤٥ فى المائة من الناتج القومى تعانى بشكل واضح من آثار التضخم العالمى ». حقا أنه لابد من اعادة النظر فى تشكيل أسلوب عمل منظمات مثل « الجات » والبنك الدولى وصندوق النقد الدولى.. الخ لتستطيع الدول الاشتراكية ان تأخذ مكانها فيها ، وهذا بالدقة ماتطالب به دول العالم الثالث ، حتى يمكن أن تتحقق فى المنظمات الاقتصادية الدولية اغلبية من الدول النامية والدول الاشتراكية تماثل تلك التى تسود اجتماعات الجمعية العامة للامم المتحدة .

— ومن ناحية أخرى لابد للدول الاشتراكية المتقدمة من التخلص تدريجيا من أسلوب اتفاقيات التعاون والتجارة الثنائية لتلتقى بالتدريج بوزنها كله فى السوق العالمية ضمن علاقات متعددة الاطراف . ومن المعروف أن الدول النامية تفضل العلاقات المتعددة الاطراف على العلاقات الثنائية لانها توفر لها حرية حركة أكثر ، وتؤكد معنى استقلالها الاقتصادى . لقد نشأ أسلوب الاتفاقات الثنائية والدفع بالعملات الحسابية ، وعدم قابلية عملات الدول الاشتراكية للتحويل فى ظروف تاريخية كانت المبادلات التجارية بين الدول الاشتراكية وغيرها عمليات محصورة العدد والحجم وتكاد تكون استثنائية. ولذلك فهى لاتتفق مع اتساع حجم مبادلاتها الحالى واعتمادها المتزايد عليها ، ولا مع ما وصل اليه اقتصادها من مكانة مرموقة يمكن ان تجعل عملة مثل الروبل اكثر ثباتا بكثير من الدولار .

— ولما كانت الدول الاشتراكية المتقدمة تتعامل مع الدول النامية على اساس الاسعار العالمية فانها لابد أن تدرك الطبيعة الاحتكارية لتلك الاسعار وان تضم أصواتها الى أصوات العالم الثالث التى تطالب باسعار عادلة لصادراتها — ولا سيما من المواد الاولية — وبوضع نظام عالمى يقلل من التقلبات الحادة فى تلك الاسعار ».

— وأخيرا لقد بدأت الدول الاشتراكية المتقدمة عصر الاستهلاك الواسع ، وهى لابد ان تواجه كيف يمكن أن يرتفع مستوى معيشة مواطنيها باطراد مع تفادى الاخطار والاضرار التى أصطحبت بنموذج الاستهلاك الواسع فى الدول الغربية .

ان تلك المشكلات والازمات يؤثر بعضها فى البعض الاخر ، وتنعكس آثارها جميعا على الاقتصاد العالمى فى مجموعه بحيث اصبح من الممكن الشك فى ان تستطيع أى دولة بمفردها ، او مجموعة صغيرة من الدول ان تحقق رخاء مطردا لمواطنيها دون أسهام فى محاولات أكثر شمولا لتغيير اوضاع الاقتصاد العالمى الحالية ، وهذه ظروف مواتية موضوعيا للعالم الثالث الذى بدأ نضاله من أجل التحرر الاقتصادى بعد نجاحه فى معركة التحرر السياسى . ان فكرة النظام الاقتصادى العالمى تفقد بالنسبة لشعوبنا كل مدلول اذا لم تحمل فى طياتها تحررنا الاقتصادى . وبهذا الفهم يتضح ان اقامة نظام اقتصادى عالمى جديد ليس قرارا يتخذ فى اجتماع دولى وحيد ، وانما هو عملية تاريخية ونضالية بدات بالفعل وستستمر لسنوات ، لقد انقضت عشرون سنة بين مؤتمر باندونج واستقلال موزمبيق ، وليس هناك ما يدعو الى الظن بأن التحرر الاقتصادى سيتم فى فترة أقل . والامر الهام بعد اتضاح الهدف الاستراتيجى هو اختيار الخطى التكتيكية . وهذا ماسنحاوله فى مقال تال نستعرض فيه القضايا المطروحة والحلول المقترحة».

---

[٣] جمهورية منغوليا الشعبية لهافى المجلس المذكور صفة المراقب ».

٤ كلمـــــات للطليعـــــة

① مصـــر
١٣ نوفمـــــــبر ١٩١٣

فى ١٣ نوفمبر ١٩١٨ــ وبعد اعـــلان الهدنة بيومين ــ توجه سعد باشا زغلول وعلى شعراوى باشا وعبدالعزيز فهمى بك ،ممثلين للـــوفد المصرى ــ الـــى المعتمـــد البريطانى السير ريجنالد ونجت ــ وخلال المناقشة بينهم وبين المعتمد ، وردا عـــلى سؤال السير ريجنالد : « اذن انتم تطلبون الاستقلال »قال سعد :«نعم ، ونحن أهل له ، وماذا ينقصنا ليكون لنا استقلال كباقى الامم المستقلة » .

وبعدها كان الرفض من قبل الحكومة البريطانية للاعتراف بهذا المطلب . وتحرك الوفد يجمع التـــوكيلات مـــن الامة . واستشعرت بريطانيا خطر الثورة المصرية يزحف . الثورة التى بدأت بمطالبة الوفد المصرى فى ١٣ نوفمبر « بالاستقلال » . فصدرت اوامر المحتلين باعتقال سعد باشا رئيس الوفد وثلاثة من أعضاء الوفد فى الثامن من مارس ١٩١٩ .

وفى التاسع من مارس بدأت الثـــورة المـــصريـــةـــ ثـــورة ١٩١٩ التـــى كانت «القارعة» التى طالما تمناها ســـعد باشا .
وكانت بسالة التضحية والفداء من قبل الشـــعب المصرى ، الطـــلاب ، العمـــال ، الفلاحـــون ، المثقفون ،الاعيان والتجار ،ولم تكن ثورة ١٩١٩ ثورة غضب على اعتقال الزعماء الثلاث انما كانت حركة كل الشعب تحت شعار « الاستقلال التام ، أو الموت الزؤام » .

واستمرت الثـــورة المصريـــة الاولـــى شهورا ، لم ينكسر لها عود ، ولقـــد كانت بدايتها تحرك الوفد المصرى الى المعتمـــد البريطانى فى ١٣ نوفمبر ١٩١٩ للمطالبة بالاستقلال التام . ومن يومها اعتبر الوفد المصرى يوم ١٣ نوفمبر « عيـــدا للجهاد الوطنى » ، تحتفل به الامة ،تجدد به عزمها على مواصلة النضال ضد الاستعمار ومن اجل الاستقلال التام .

وكان الاحتفال بهذا العيد دائما ــ هو بداية الكثير من انتفاضات الشعب المصرى ضـــد الاســـتعمار البريطانى ، ومن أجـــل الحرية والديمقراطية .
فى الثلاثينيات كان يوم ١٣ نوفمبر ،يقترن دائما بتحركات وهبات جمـــاهيرية وطنية ، والنضال ضد حكم احزاب الاقلية ،وضد عدوانها على الدستور والحريات ، وضد مؤامرات السراى ، وفى ١٩٣٥ كان ١٣ نوفمبر بداية الهبة الوطنية التى كادت تصبح ثورة ١٩١٩ أخرى ، وفى الاربعينيات الهم ١٣ نوفمبر كل تحرك وطنى وديمقراطى .

فتحية لهذا اليـــوم التاريخى ، تحيـــة لقادته . تحية لشهدائه شهداء الاســـتقلال والدستورـــ تحية له يوما كان يوم تجديد دم النضال المصرى كل عام ــ فكان بحـــق عيدا « للجهاد الوطنى » .

② الجزائر
الفاتح من نوفمبر ١٩٥٤

وفى الفاتح من نوفمبر ، منذ ما يزيد على عشرين عاما، تفجرت الثورة الجزائرية فى ١٩٥٤ فى ذلك الجزء العزيز من المغرب العربى ، بعد ما يقرب من قرن ونصف القرن من استعمار استيطانى متسلط وبشع.

كان ذلك حدثا له اهميته على المستوى المحلى وعلى المستوى العربى أيضا. فلقد فجر انتصار هذه الثورة فى آخر الامر ، الطاقات الانسانية التى خرجت من حرب التحرير مثخنة بالجراح ، حاملة معها المبادىء والاهداف والاحلام التى سقط فى سبيلها مليون ونصف مليون شهيد ، واعتقل وسجن وعذب الالاف من النساء والرجال والاطفال. وعلى المستوى العربى، اكتسب النضال العربى ، بنجاح هذه الثورة ، سواء فى المشرق،وخاصة فى المغرب العربى قوة ضخمة جديدة ، كانت وستظل رصيدا لا ينضب للنضال العربى الحاضر والمقبل .

ولم تشق هذه الثوره مسارها، بتضحيات وصعوبات بالغة ابان حرب التحرير فحسب، وانما واجهت الكثير من المصاعب أيضا بعد عقد « اتفاقية ايفيان » التى وضعت حدا للنظام الاستعمارى ، والهيمنة الاجنبية، فعندما تسلمت الثورة السلطة، كانت الجزائر بلدا يفتقد الاسس الضرورية لاقتصاد قومى مستقل، ويعتمد على وسائل انتاج مخربة ومهجورة، ويعانى ازمة خانقة فى الكادر الفنى والادارى الوطنى، ويصطدم بخطر النمو البرجوازي المحلى، تثقله رواسب العهد الاستعمارى، ومخلفات حرب التحرير الدامية، وسلبية النعرات القبلية والاقليمية ، ويقع جغرافيا كجزيرة محاصرة بقواعد استعمارية ورجعية على مدار كل الحدود .لقد كان الشعب الجزائرى يعانى — انذاك — خطر المجاعة الحقيقية، بسبب توقف عجلة الانتاج، ولم يكن يجد ما يسد به الرمق ، أو يستر الجسد ، او مأوى لسكن ، بسبب تخريب المستوطنين للاقتصاد الجزائرى لدرجة انه عندما تسلمت الثورة السلطة لم تعثر على فلس واحد فى الخزائن ، او عود اخضر فى ملايين الهكتارات ، أو آلة تدور فى مصنع .

ولكن من جوف كل هذا الركام الهائل من الالام والحطام والبؤس والتعاسة ، استطاعت الثورة بقيادتها الجماعية فيمابعد، وبفاعلية كوادر جيش التحرير، والقوى الطليعيه ، أن تبعث « روح الثورة المسلحة فى المجتمع»، وبفضلها تمكنت من السيطرة على الموقف ، وادارة عجلة الانتاج من جديد ، وفتح الطريق لممارسة الثورة الديموقراطية والشعبية التى نص عليها«برنامج طرابلس».

وبعد اقدامها فى مارس ١٩٦٣ على تاميم اراضى الاقطاعيين الفرنسيين والجزائريين معا، واتجاهها لوضع قيود على نمو الفئات البرجوازية الجزائرية الضئيلة العدد والنفوذ، لمنعها من الحلول محل البرجوازية الفرنسيه (من المستوطنين) : اقامت بعد ذلك، وخلال عام واحد من استقرار السلطة الوطنيه ، قطاعا عاما مملوكا ملكية جماعيه، يلعب الدور الاساسى فى عملية التنميه والتطوير ، الى جانب قطاع مختلط مملوك ملكيه مشتركة للدولة والافراد معا، وقطاع خاص مملوك لافراد غالبيتهم من التجار والمزارعين الصغار والمتوسطين. وقامت الثوره بعد ذلك بتاميم المناجم ووضعها تحت سيطرة الشعب والدولة تديرها الكوادر الفنية والادارية الوطنية، كما اعدت خطة محكمة للاستفادة من البترول والغاز الى اقصى حد ممكن فى تدعيم الاستقلال الاقتصادى وتنميه البلاد.

وفى مجال الثوره الزراعية ، قامت الثورة بتوزيع اراضى الدوله والبلديات على تعاونيات انتاجيه تضم الفلاحين الفقراء والمعدمين، كما قامت بتوزيع الاراضى

الخاصة التى استولى عليها نتيجة قانون الاصلاح الزراعى وتحديد الملكية من خلال تعاونيات أخرى، وأقامت فى الريف الجزائرى اكثر من ٤٠٠٠ تعاونية عاملة تخدمها أكثر من ٢٨٠ مركز خدمات للماكينات الزراعية ، كما تم بناء أكثر من ١٠٠ قرية من القرى الاشتراكية الجديدة على نحو صحى جميل معماريا».

ووضعت وتضع الثورة نصب اعينها العمل على بناء الف قرية اشتراكية حتى عام ١٩٨٠ ، يتم من خلالها تقريب المسافة حتى تلغى بين المدينة والريف، وبين العمل اليدوى، والعمل العقلى. وعملت هذه الثورة مؤخرا على التأكيد بأن القوى الاشتراكية المتحالفة هى: الفلاحون والعمال والمثقفون الثوريون والجنود، فقط، لان البرجوازية الوطنية مهما كانت وطنية — فى راى الثورة الجزائرية — اى معادية للاستعمار حقا، الا انها فى نفس الوقت معادية للاشتراكية ايضا».

هكذا تجسدت فى النهاية خطة عمل الثورة الجزائرية التى ترجو لها الطليعة بمناسبة عيدها الحالى كل تقدم وفعالية وازدهار فى هذه الشعب الثلاث: ثورة اشتراكية فى الواقع الجزائرى مفتاحها الثورة الزراعية، وثورة فى العلاقات العربية، مفتاحها الثورة الفلسطينية والثروة البترولية، وثورة فى العلاقات الدولية، مفتاحها توحيد دول العالم الثالث فى مواجهة الاحتكارات الدولية دفاعا عن حق شعوب هذا العالم فى تملك ثرواتها الطبيعية وعن حقها فى التعامل المتكافىء مع دول الغرب الصناعية».

③ المغرب

٢٩ أكتوبر ١٩٦٥

قليل هم الرجال الذين تمضى السنوات طويلة، على غيابهم، وتظل أسماؤهم وذكراهم ماثلة أمام شعوبهم كأنهم لم يغيبوا.

من هؤلاء، المناضل المهدى بن بركة، الذى غاب رغم ارادته وارادة شعبه وارادة القوى الثورية فى العالم الثالث ».

لم تستطع ١٠ سنوات مرت فى اكتوبر الماضى على استشهاده على ايدى قتلته الذين كان على رأسهم اوفقير ، لم تستطع ان تمحى وجود الغائب: الحاضر — المهدى بن بركة.

وبن بركة، واحد من هؤلاء الزعماء التقدميين العرب ، الذين تجاوز حجمهم ودورهم، حدود وجودهم الوطنى فى المغرب الى حدود الوجود القومى فى العالم العربى كله ، بل وتجاوزه الى حدود العالم الثالث أجمع ».

ان جهود بن بركة الرائدة فى نضال الحركة الجماهيرية الديمقراطية بالمغرب ، قد خصبت ارض وطنه ، واثمرت رفاقا له من الكوادر يواصلون الطريق ، ويزرعون الامال ويرعوها ليحققوا التقدم الذى تمناه بن بركة لشعبه . . بل لكل الشعوب المناضلة ». ويقف اليوم فى مقدمة كوادر بن بركة، المناضل عبد الرحيم بو عبيد ».

لم تنجح المؤامرة لاغتيال بن بركة، فى ان تحول دون استمرار مسيرته التى أسفرت عن قيام «الاتحاد الاشتراكى» وأن يعقد مؤتمره هذا العام».

٢١ سنوات غاب فيهـا بن بركة عن الابصار، لكن أفكاره تجذرت فى مؤسسة سياسية تنبض بالحركة والحيوية.

لقد ظلت القوى الاستعمارية، تطارد بن بركة حتى اغتالته اكثر من محاولة، لتؤكد بذلك ان العدو الاستعمارى مهما اخفق فى تنفيذ بعض أهدافه، فهو لا يظل ساكتا مهما بدا كذلك. نعم انه لا يهدأ. ولا يساوم. ولا يتنازل عن تحقيق اهدافه العدوانية.

ان « الطليعـة » وهـى تحيـى ذكرى استشهاد مناضل من ابر قادة حركة التحرر الوطنى العربية : هو المهدى بن بركة ، انما تؤمن بأن الاتحاد الاشـتراكى الذى وضع لبناته الاولى بن بركة ، قادر على ان يحقق امانيه لشعبه العربى التى هى نفسها أمانى شعبه المغربى.

ولكم تعتز « الطليعة » بأن بن بركة كان واحدا من كتابها طـرح على صـفحاتها خواطره فى عام الثورة التى كانت بالنسبة له كل شىء فى حياته.
تحية حب سيظل باقيا ...
وتحية وفاء لمناضل تعرف الشـعوب قيمته.

٤ الاتحاد السوفيتى
٧ نوفمـــبر ١٩١٧

تقاس أهمية وقيمة حدث تاريخى ما باتسـاع وعمق تأثيره على الحيـاة المادية والثقافة للمجتمع ، ويكون للحـدث اهمية عالمية ، اذا شق لنفسه مسارا يعيد بـه صياغة العلاقات الدولية كلها.

وثورة اكتـوبر الاشـتراكية، بهـذا المقياس، تعد أهم أحداث القرن العشرين. ولهذا فان احتفال البشرية التقدمية بالذكرى الثامنة والخمسين لقيامها، يتجاوز حدود الاحتفال بحـدث تاريخى، الى الاحتفـال بنتاج نظام اجتماعى جديد ساهم فى مسيرة التقدم الانسانى على نحو لم يسهم فيه اى نظام اجتماعى سابق عليه .

ولم يكن غريبا ان تدرك قيادات وطنية مشهود لها، مثل صن يات صن فى الصين ومحمد فريد فى مصر، بحسـها الوطنى المرهف، أن النظام الجديد الذى انشأته ثورة اكتوبر الاشتراكية، حليف طبيعـى لنضال شعوبها الوطنى ضد الاسـتعمار. ادركت هذه القيادات هذه الحقيقة وقتها ومنذ البدايات الاولى، كما ادركتها بحسها الوطنى ايضا ، القيـادات الوطنية للدول المستقلة فى النصف الثانى من القـرن العشرين ، كباندت نهرو فى الهند وجمال عبد الناصر ثم انور السادات فى مصر، واحمد سيكوتورى فى غينيا .. وغيرهم .

وعلى الجانب الاخر ادركت الرجعيـة العالمية، بسرعـة ومنذ البدايـة، نـوع ومستقبل النظام الجديد الذى بشرت به ثورة اكتوبر الاشتراكية ، « كعدو » لها ينبغـى خنقه فى المهد . فنظمت حـروب التدخل الشرسـة التى كان فشلها ، ايذانا بتصدع وافول عالم قديم باثره واعلان بزوغ نجم عالم جديد فرض نفسه على مجريات الحياة فى كل المجتمعات .

فبانتصار ثورة اكتوبر الاشـتراكية ، اصبحت « روسيا القيصرية » المتخلفة ، بلدا من أعظم البلدان الصناعية يقف فى طليعة التقدم الاجتماعى والعلمى على السـواء. وفى الاتحاد السوفيتى الذى جسد حلـم انسان ثورة اكتوبر الاشتراكية، تـوارت

الازمـات الاقتصـادية والاجتمـاعية . واختفت البطالة واندثر استغلال الانسان للانسان . وتطور مستوى الحياة المادية والثقافية للشعب ، وقدم للعالم اول رائد للفضاء . واول امرأة تغزو الفضاء . وفي اول دولة اشتراكية ، حلت لاول مرة في التاريخ مسألة تعدد القوميات على اسس من الاخاء والمساواة .

وانتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية تـم نجاحها في بناء نظامها الجـديد ، كـان بالنسبة لشعوب آسيا وافريقيا وامـريكا اللاتينية . حـدثا تاريخيـا له اهميـة لا تنسى . فبينما عرفت شعوب هذه القارات الاستعمار والقهر الاجنبي ونهب ثرواتها ، في اعقـاب قيـام الثورة الرأسـمالية وامتداداتهـا الامبريالية ، عرفت شـعوب القارات الثلاث ، الاسـتقلال والتحرر ، وانبعاث حياتها الوطنية والقومية ، فـي اعقاب تأسيس النظام الاشـتراكي الذي فجرته ثورة اكتوبر . تلك هي المسألة : في غداة قيام النظام الرأسمالي العالمي ، عرفت شعوب قاراتنا الاحتلال والقهر والاستغلال ، وفي غداة قيام النظام الاشتراكي في العالم ، عرفت شعوب قاراتنا الاسـتقـلال والتحرر بمعانيهما السياسية والاقتصـادية . كان النظام الاشتراكي الجديد حليفا رئيسيا لا غنى عنه لنجاح ارادة شعوب العالم الثالث وتحررها ، وعرفت شـعوب مصر والهند والجزائر وكوبا وفيتنام وغيرهـا ، معنى الا تكون وحدها وهي تواجه ضراوة اعدائها الاستعماريين وضرباتهم القاسية وحصارهم الخانق ، وعرفت بأكثر من تجربة ، مدى استعداد النظام الجديد لان يدفع بمساندته ودعمه لها ، الى حدود هدد ـ معها ـ الاستعمار العالمي بأستعداده للمغـامرة باشعال حـرب عالمية . وانتصرت هـذه الشـعوب على اعدائها ، بفضل صـمودها وارادتها اولا .. ثم بفضل موقف ومساندة النظام الاشتراكي الذي أسـسـته ثـورة اكتوبر .

ومـن اجل سـلام البشرية وحـريتها وحمايتهـا من النـازية ، ضـحى وطـن الاشتراكية الذي أسسته ثورة اكتـوبر ، بحياة ٢٠ مليونا من ابنائه و ٧٠ الف مدينة وقرية وحوالي ٣٠ في المائة من ثـروته القوميـة . وبدون هذا « العطاء » لـم يكن ممكنا ان تسجل البشرية انتصارها دون قيد او شرط على النازية .

لقد ادى مسار ثورة اكتوبر والانتصـار الضـخم الذي حققته ببناء وطنهـا الاشتراكي : الاتحاد السوفيتي ، الى زعزعة الرأسمالية كلها ـ كنظام ـ وبصورة جدية ، حين برز بشكل موضوعي ـ بعد الحرب العالمية الثانية ـ عالم متكامل للاشتراكية كنظام عالمي بديل لنظام الاستغلال والقهر ،

وفي مواجهة الاستعمار العالمي : القديم والجديد ، وفي مواجهة بطش الولايـات المتحدة الامريكية . اغنى واقـوى دولـة امبريالية في تاريخ البشرية ، طرح النظام الاشتراكي العالمي ، وفي طليعته الاتحـاد السوفيتي ، سياسة التعايش السلمي كبديل موضوعي للحرب الثورية الشاملة . وبذلك قيدت ايدى الاستعمار العالمي ، حتى انها كادت أن تشل ، عن استخدام آلة الحرب العـدوانية المهـولة التي يملكهـا ضـد الشـعوب وثوراتها الوطنيـة التحـررية والاشتراكية .

ان الخيال وحده ، هو الذي يستطيع أن يتصور قتامة خريطة عالم اليوم ، في غياب ثورة اكتوبر ومنجزاتها .

وسوف يبقى دائما ان ثورة اكتوبر التي يحتفل العالم الوطني والتقدمي بـالذكرى الثامنة والخمسين لانتصارها ، كانت بداية عصر جديد في تاريخ الانسـانية : عصر الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية ، عصر الخلاص من الاستغلال والاضطهاد .

« الطليعـة »

يكتب عبد المنعم الغزالى ـ حول الحوار الدائر اليوم لاصلاح الحركة النقابية المصرية واعادة بنائها . وترجو « الطليعة » ان يتسع الحوار وتشارك فيه كل العناصر التى تريد بناء ديمقراطيا سليما لمؤسسة من أهم المؤسسات الديمقراطية الجماهيرية ـ التنظيم النقابى العمالى .

ماذا نريد من الحوار الدائر حول الحركة النقابية ؟

عبد المنعم الغزالى

يدور حوار واسع ومتشعب اليوم داخل التنظيم النقابى العمالى وخارجه ، حول ضرورة اعادة بناء هذا التنظيم ، بناء ديمقراطيا يحقق اشراك جماهير العاملين فى بنائه وسيادة القانون .

وقوى وعناصر هذا الحوار متعددة ـ ومع ذلك ، فهى لا تلتقى وجها لوجه ، ولا تدير الحوار على مراى ومسمع من جماهير اعضاء التنظيم النقابى ، واجهزة الاعلام لاتنشر الا القدر اليسير من هذا الحوار ، وحتى الصحافة العمالية بعيدة كل البعد عن هذا الحوار ـ الامر الذى يفرض على هذا الصراع مسالك غير صحية ، ويطبعه فى غالب الاحيان بالطابع الشخصى والشللى وبضيق الافق ـ الامر الذى يسمح للقيادات النقابية التى تولت القيادة ـ باساليب غير ديمقراطية وادارية ومخالفة لنصوص القوانين القائمة ـ بأن تشوه هذا الصراع وان تنحرف به فى محاولة لفرض المزيد من القيود الادارية ، ولاحداث تعديلات فى تشريع العمل تسمح لهم بالاستمرار فى التربع على « عرش » القيادة النقابية . وقد جاء صدور القرار الاخير بتأجيل اجراء الانتخابات النقابية فى مواعيدها ، تحقيقا لامل هذه القيادات لتتمكن من اعادة ترتيب الاوضاع بطريقة تسمح لها بالاستمرار فى مراكزها . وكما ان هذه القيادات فى سعيها للانحراف بالصراع الدائر ضد الفساد النقابى وضد البيروقراطية والتسلط والتحكم ـ تدعى أنها تصارع ضد خطر مزعوم هو « الشيوعية » وأن كل العناصر المعارضة لهم هى عناصر « شيوعية » . **هذا فى نفس الوقت الذى يعارض فيه أوضاع الفساد النقابى ، وعدم شرعية الكثير من التصرفات والاجراءات عناصر ترفض الاشتراكية رفضا مطلقا ، وعناصر تنطلق من منطلقات ليبرالية رأسمالية .**

فما هى القضايا الرئيسية والمحورية التى يجب أن يدور حولها الصراع ـ بموضوعية وبهدف الوصول الى بناء ديمقراطى لمؤسسة من أهم المؤسسات الشعبية ـ التنظيم النقابى العمالى .

أولا : قضايا بناء التنظيم :

١ ـ التنظيم النقابى ـ لا ينتظم فيه بالفعل حتى اليوم غالبية جماهير العمال ـ فمازالت العضوية المنظمة داخل النقابات لا تتعدى ٣٠٪ من العضوية المفروض ان يضمها التنظيم النقابى ، وغالبية هذه العضوية مازالت فى اطار العاملين بالقطاع العام ، وهى عضوية نصف اختيارية بكل مقاييس الحرية النقابية ـ وليس من مصلحة العمال ولا العمل الوطنى ان تتكون نقابات كبيرة تضم مجرد اعداد تخصم اشتراكاتها اداريا من العمال ، فذلك أمر لا يقدم اكثر من نقابات دفترية ، وتجمعات بليدة غير فعالة او قادرة على ممارسة دورها الطليعى فى المجتمع .

٢ ـ وحيث تكون اغلبية العضوية المنظمة داخل الحركة النقابية من العاملين فى القطاع العام ، فان الضعف هو سمة تنظيم العاملين فى القطاع الخاص ، والذى يحتفظ بعمالة عريضة تصل الى حوالى ٦٠٪ من عدد العمال ، وهم يعيشون فى ظروف اكثر صعوبة وشقاء .

٣ ـ **ضعف تنظيم عمال الزراعة : أن هذه** الكتلة العريضة من العمل المأجور فى الريف ما زالت غير منظمة فى نقابة عمال الزراعة . وأى شكل تنظيمى لها فى الريف هو تنظيم شكلى ،

وفى قضية مقاولى الانفار وكتبة الجمعيات التعاونية وامندية الاصلاح الزراعى . ومازال العمل النقابى محجما عن التوجه الى هذه الكتلة الاساسية ،وغير ممثل لها . وانه فى بلد زراعى مثل مصر — يعيش ريفه فى حالة تخلف شديد، فان حركة النضال الوطنى الديمقراطى تتأثر سلبيا بعد تنظيم هذه الكتلة الكبيرة . وسيستمر هذا الضعف فى تنظيم عمال الزراعة عامل تأثير سلبى على مجموع الحركة النقابية المصرية .

ثانيا : قضية الديمقراطية :

ما زال التنظيم النقابى المصرى — محاصرا بعدد من القيود الادارية والاشتراطات السياسية والتبعية لوزارة العمل ، وامانة العمال بالاتحاد الاشتراكى . وفى ظل هذه القيود والتبعية عاشت قيادات فاسدة، وغير جماهيرية ومكتبية، تعتمد فى وجودها على الشروط والقيود التى تحدد من قبل الجهات الادارية — ولذلك لم تحترم ارادة العضوية الجماهيرية ، فانعدم الرجوع اليها ، وتوقفت عملية محاسبة القيادات ونقدها . وانعدمت مشاركة العضوية النقابية فى النشاط النقابى واصبحت جماهير العمال تتعامل مع نقاباتها وكأنها تتعامل مع مكاتب العمل او اجهزة السلطة ، أو الجمعيات الخيرية .

وترتب على ذلك كله ضعف الاعلام العمالى ، وتحوله الى اعلام رسمى ، فجريدة الاتحاد العام ومجلات النقابات اصبحت منابر المناسبات والاعياد ولم تعد اجهزة للتوعية والتنظيم والتعبير عن المشاكل والطريق الى حلها .

وازدادت كذلك العناصر الفاسدة بين القيادات العمالية والتى اثرت ثراء غير مشروع فى غيبة ديمقراطية التنظيم النقابى .

وانعدم اسلوب التعبئة الجماهيرية ، وكبتت العناصر الجديدة الشابة باساليب ادارية وبوليسية واوتوقراطية ، الامر الذى أدى الى استمرار وجود قيادات فارغة من أى فكر غير مؤمنة باية مبادىء أو قيم ، مسيئة بوجودها الى وجه حركة الطبقة العاملة المصرية وطنيا ودوليا.

ثالثا : استقلالية الحركة النقابية :

ونعنى باستقلالية الحركة النقابية العمالية قدرتها المستقلة الذاتية ان تقرر مسارها ، وان تعلن تضامنها وتحالفها مع أى جهة تجد فى التضامن والتحالف معها مصلحة للطبقة التى تمثلها . الاستقلال هو القدرة الذاتية على العمل بوجهة نظر مستقلة لا تابعة وبارادة محررة من كل قيد الا ارادة العمال الممثلة فى جمعياتها العمومية [المؤتمرات النقابية] الدورية ، والتى تعتبر السلطة العليا بالنسبة لكل مستويات التنظيم النقابى ..

واذ فقدت الحركة النقابية المصرية الوجود الحقيقى للجمعيات العمومية منذ ١٩٦٤ ، وتوقف الترشيح على الوصول الى أى مستوى قيادى فى الحركة النقابية يتطلب موافقة الاتحاد الاشتراكى، فكان العزل والاستبعاد — فقد فقدت استقلاليتها فى الوجود والحركة .

واستقلالية الحركة النقابية ، لا تعنى على الاطلاق ان الحركة النقابية تنظيم « حرفى » مغلق على نفسه وبعيد عن كل حركة اخرى فى المجتمع ، لان ذلك يعنى الجمود ، كما يعنى ان تفقد الحركة دورها الطليعى «الخاص » وتصبح — من ثم — حركة هامشية فى المجتمع ، وتفقد دورها السياسى داخل حركة التحرر الوطنى وحركة النضال من أجل استغلال الانسان لاخيه الانسان .

وكل القيود التى يحاول البعض اليوم فرضها على البناء الجديد للتنظيم النقابى المصرى ، هى قيود تحد من الاستقلالية الذاتية للحركة النقابية — سواء كانت هذه القيود فى شكل اجراءات او قرارات تنظيمية من قبل وزير العمل، أو فى شكل اشتراطات وقيود معينة تفرض على العضوية وعلى حق الترشيح للمناصب القيادية .

ماذا نريد ان يحقق الحوار الدائر اليوم حول الحركة النقابية العمالية ؟

نريد :

أولا : احداث تغيير شامل — وبوسيلة الديمقراطية — للقيادات النقابية المكتبية والانتهازية ، ومن خلال جمعيات عمومية حقيقية تحاسب فيها القيادات وتلتزم فيها أمام الجماهير العمالية ببرامج واهداف . ذلك ان العناصر التى تربعت على عرش القيادات فى غفلة من الارادة الحقيقية لجماهير العمال يجب ان تنحيها ارادة العمال عن مراكزها ، ولكن بعد **أن تحاسبها** عما ارتكبته من افعال ضارة بحقوق العمال وباستقلالية تنظيمهم وديمقراطيته . **ثم تحاسبها** كذلك — عن امتداد ايدى البعض **الى أموال** اقتطعت من قوت العمال لتبنى بها **النقابات** كمراكز للنضال العمالى — فى مجال **التحرر** الوطنى والاشتراكية ، وفى مجال **الحقوق** والواجبات .

ثانيا : تدعيم الديمقراطية وتوسيعها داخل التنظيم النقابى بحيث يمكن اشراك جماهير العمال والكادحين فى كافة نواحى النشاط والعمل ولحشد هذه الجماهير حشدا حقيقيا وبارادتها الواعية فى عملية البناء وفى معارك زيادة الانتاج والدفاع عن حقوق العمال وحرياتهم ، ومحاربة البيروقراطية والفساد والانتهازية والراسمالية الجشعة والطفيلية واللاوطنية ، وكل محاولات القوى القديمة والرأسمالية الجديدة للانقضاض على القطاع العام وعلى المكتسبات التى تحققت خلال اعوام ثورة ٢٣ يوليو كلها .

يحلل د . فؤاد مرسى فى دراسته المنشورة على صفحات هذا العدد الاتجاهات الرئيسية للتنمية على ضوء التطبيقات العملية لسياسة الانفتاح. كما يرصد أثر هذه الاتجاهات على علاقات الانتاج . وكان د . فؤاد مرسى قد نشر فى عدد اكتوبر الماضى من « الطليعة » مقالا تحت عنوان : تقييم اداء لسياسة الانفتاح الاقتصادى وذلك فى اطار الدراسة التى يعدها

مفهوم التنمية الاقتصادية واتجاهاتها

د. فؤاد مرسى

لا يمكن ان نتوقف طويلا عند حقيقة التغيير الذى حدث فى المقومات الاساسية للاقتصاد القومى. فمثل هذا التغيير انما يعبر فى الواقع عن تغييرات أعمق فى هيكل وبنيان الاقتصاد المصرى . انه يكشف على سبيل المثال عن مدى وعمق التغيير الذى اصاب الاسلوب المتبع للتنمية الاقتصادية ، أى أسلوب تنمية القوى المنتجة فى المجتمع . لقد تغير مفهوم التنمية فى ظل الانفتاح .

[١] تغيير مفهوم التنمية الاقتصادية

مفاهيم التنمية الاقتصادية

فالتنمية الاقتصادية هى العملية التى يتم بها تنمية القوى المنتجة فى كل مجتمع ، اشتراكيا كان أو رأسماليا ، متقدما كان أو متخلفا . كل المجتمعات تقوم بعملية تنمية اقتصادية ، أى تنمية لقواها الانتاجية — والا انهارت ، وهى تحدد لنفسها الهدف من وراء هذه العملية ، بحسب درجة نمو ونضج القوى الانتاجية ، وعلاقات الانتاج فيها . وهذا الهدف هو عندئذ تكوين الثروات

الفردية فى الرأسمالية أو تحقيق أقصى قدر من الرفاهية لجميع المواطنين فى الاشتراكية . وبحسب الهدف يتم اختيار الاسلوب الذى تجرى به التنمية الاقتصادية المعنية . ولذلك تتعدد الاساليب ، وتتعدد من ثم النظرة الى التنمية الاقتصادية ، وتتعدد الصيغة التى تطرح بها تمهيدا لوضعها فى التطبيق . لهذا كله تتعدد مناهج التنمية الاقتصادية ، من مفهوم رأسمالى الى مفهوم اشتراكى الى مفهوم لا رأسمالى . ويظهر ذلك أوضح ما يظهر فى البلدان المتخلفة التى لم تحسم فيها بعد عملية اختيار الطريق الذى تسير فيه .

وبغير حاجة للاسهاب ، نستطيع ان نقول ان **المفهوم الرأسمالى** للتنمية الاقتصادية يقوم من جانب على سيادة الملكية الخاصة لوسائل الانتاج الاساسية ، حتى لو كان هناك قطاع عام بجانبها ، ويقوم من جانب آخر على وجود السلطة السياسية أساسا بأيدى الطبقة البورجوازية ، بأيدى الرأسمالية حتى لو كان هناك تحالف مع بعض الطبقات الاخرى .

واما **المفهوم الاشتراكى** للتنمية الاقتصادية فانه يقوم من جانب على سيادة الملكية العامة لوسائل الانتاج الاساسية ، حتى لو وجدت هناك ملكية خاصة لبعض وسائل الانتاج ، ويقوم من جانب آخر على وجود السلطة السياسية أساسا بيد الطبقة العاملة ، حتى وهى متحالفة مع الفلاحين وصغار المنتجين .

بقى **المفهوم اللارأسمالى** . وهو مفهوم حديث ظهر فيما بعد الحرب العالمية الثانية تعبيرا عن امكانية — لا حتمية — تقدم البلدان المستعمرة والمتخلفة الى بلدان مستقلة ونامية . ويتحقق هذا التقدم بصفة مبدئية من خلال طريق التطور المستقل الذى يصفى التبعية للرأسمالية العالمية ، دون ان يلغى وجود البلد المستقل فى اطار السوق الرأسمالية العالمية عالميا وفى اطار النظام الرأسمالى محليا . ثم مع تعمق وجذرية التحولات الاقتصادية والاجتماعية المعادية للرأسمالية العالمية ، والمصاحبة لعملية التحرر الاقتصادى ، يمكن ان يتحقق التقدم من خلال طريق التطور اللارأسمالى ، أى الطريق الذى — دون أن يخرج عالميا عن اطار السوق الرأسمالية العالمية — يرفض نظريا وعمليا المفهوم الرأسمالى للتنمية الاقتصادية المحلية وهكذا يعمل بالتالى على ان يرسى قاعدة مادية تقوم فى الاساس على الملكية العامة لاهم وسائل الانتاج . ومن ثم — ومع استمرار وجود ملكية خاصة وقطاع خاص — ينشأ قطاع عام يكون مسئولا عن قيادة عملية التنمية الاقتصادية ، ضمانا لكفاءة استخدام القوى المنتجة ورفع مستوى معيشة الشعب العامل . وعندئذ فيشترط ان تكون السلطة السياسية للدولة فى ايدى تحالف طبقى يضم الطبقات والقوى الاجتماعية ذات المصلحة فى التحرر الاقتصادى والتقدم الاجتماعى . وهو تحالف لا تقوده بالضرورة الطبقة العاملة ، لكنها يجب بالضرورة ان تلعب فيه دورا اساسيا . اما قيادته فغالبا ما تذهب — بصفة انتقالية — الى أيدى اقرب الطبقات الى الطبقة العاملة وهى البورجوازية الصغيرة .

ولسنا هنا بصدد الدراسة المفصلة للطريق اللارأسمالى ، وهو ما نأمل ان نخصص له دراسة مقبلة . لكنا نركز هنا فحسب على المفهوم اللارأسمالى للتنمية الاقتصادية ، وهو المفهوم الذى ظهر بعد انتصار حركات التحرر الوطنى فى المستعمرات السابقة ، وتفكك النظام الامبريالى فى المستعمرات ، وبفضل الظاهرة التى تميز بها عصرنا وهى الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية على المستوى العالمى . فمن غير حاجة لان تصبح المستعمرات السابقة بلدانا اشتراكية ، فان عليها ان تشق طريقها الى التنمية الاقتصادية . وفى ظل هذه الظروف العالمية المواتية ، لم تكن التنمية الاقتصادية لتتم من غير ان تجرى معها عملية التحرر الاقتصادى من الامبريالية العالمية . ومن هنا وضعت البلدان المستقلة حديثا على طريق العداء الجذرى للامبريالية . ومن هنا ايضا كانت حتمية العداء الجذرى ضد التبعية للاستعمارية العالمية تشير الى حتمية اللقاء مع الاشتراكية العالمية ، من ارضية النضال المشترك ضد الامبريالية العالمية . فلاول مرة فى التاريخ توجد قوة عالمية جبارة — هى العالم الاشتراكى — تشارك المستعمرات والمستعمرات السابقة والبلدان المستقلة حديثا فى نضالها لتصفية الامبريالية فى العالم كله .

المهم ان العداء للامبريالية أصبح هو نقطة البدء فى عملية التحرر الاقتصادى ، أى فى عملية التنمية الاقتصادية نفسها فى البلدان المستقلة حديثا . لكن الاهم ان مثل هذا العداء كان كفيلا بان يضع هذه البلدان — فى الوقت نفسه — على طريق العداء ليس فقط للامبريالية ، بل للرأسمالية ذاتها ، لهذه الرأسمالية التى ولدت الامبريالية . فما الامبريالية كما هو معروف الا المرحلة العليا للرأسمالية .

ولقد ساعدت على ترسيخ وتعميق هذا العداء للرأسمالية أوضاع التخلف القائمة محليا ، فهذه الاوضاع تشهد فى الواقع هياكل وتركيبات

وابنية اقتصادية واجتماعية ، متعددة ومتباينة ومتناقضة ، والكل متواجد معا ، جنبا الى جنب ، يكرس التخلف ويعمقه ويضمن له الدوام .

المفهوم الرأسمالى فى مصر

ففى بلد كمصر ، فيما قبل ثورة يوليو مثلا ، كان الاقتصاد القومى يتكون من مجموعة غير متكاملة او متكاملة تكاملا مشوها من الهياكل الاقتصادية : هيكل استعمارى اجنبى ، وهيكل راسمالى كبير مربوط عضويا بالهيكل الاجنبى ، وهيكل اقطاعى أو شبه اقطاعى فى الزراعة والريف ، وهيكل رأسمالى صغير يضم أصحاب الحرف وصغار التجار والفلاحين . وهكذا فى اطار من التبعية الاستعمارية ، والتخلف شبه الاقطاعى ، كانت تسود علاقات شبه اقطاعية وشبه رأسمالية . وعندئذ ، ساد نوع من المفهوم الرأسمالى للتنمية الاقتصادية ، وبخاصة فى سنوات المد الثورى وانتعاش الحركة الوطنية ، فى أعقاب ثورة ١٩١٩ ، وبخاصة عقب الحركة الوطنية فى عام ١٩٤٦ . عندئذ ساد بقدر او بآخر مفهوم شبه رأسمالى للتنمية الاقتصادية . ومثل هذا المفهوم فى بلد تابع ومتخلف لم يكن من شأنه أن يحرر البلاد من التبعية الاستعمارية أو التخلف الاقطاعى . ولذلك قامت ثورة يوليو لتعلن — عمليا — فشل هذا المفهوم . **فلقد كان من الضرورى لنجاح أى تنمية اقتصادية فى بلادنا عندئذ أن تبدأ بتصفية الهياكل الاستعمارية وشبه الاقطاعية .** وهو ما فعلته ثورة يوليو بعد ذلك على خطوات : بالاصلاح الزراعى ، وبتمصير بعض المصالح الاستعمارية . ومع ذلك فلم يكن هذا كافيا ، فلقد اقرت الثورة عندئذ — عمليا واحيانا فكريا — باهمية المفهوم الرأسمالى للتنمية الاقتصادية ، بينما كان لابد من البدء فى بناء اقتصاد وطنى حديث ، مستقل بالفعل لا بالقول . ومن هنا جاءت الصدمة للثورة ، اذ لم تنجح التنمية التى بدأتها . ولذلك لم يكن هناك مفر من التصفية الشاملة للمصالح الاستعمارية وتأميم وتصفية الرأسمالية الكبيرة المحلية . وعندئذ ، وعندئذ فقط ، تم التخلى — ومن واقع التجربة وحدها — عن المفهوم الرأسمالى للتنمية الاقتصادية .

ففى بلد نام كمصر ، غير تابع وغير متخلف بالمعنى التقليدى ، لا يمكن ان ينجح المفهوم الرأسمالى للتنمية الاقتصادية . لماذا ؟ لانه من أجل ان نجرى تنمية حقيقية — ولو بالمعنى الفنى للتنمية — يجب فى الواقع بناء اقتصاد وطنى حديث ، يأخذ بتكنيك وطرق الانتاج الحديثة ، ويوفر موارد كبيرة للاستثمار الرأسمالى ، ويحقق مستوى حديثا من التخصص فى الانتاج . ومثل هذا التحديث الشامل فى الاقتصاد القومى يستدعى بالضرورة القيام بتحولات هيكلية لازمة للتغلب على التخلف . مثل هذه التحولات الهيكلية يجب فى حالتنا أن تكون أكثر عنفا وأكثر عمقا وفى زمن مكثف عما كانت عليه فى أوروبا الغربية والولايات المتحدة . هذه التغيرات الهيكلية الضرورية لم يعد ممكنا اليوم تنفيذها على اساس اقتصاد رأسمالى قائم من جانب على الاستثمار الخاص والمشروع الفردى ، ومن جانب آخر على الاستغلال الرأسمالى والحد الاقصى من الارباح . بل اصبح من الضرورى — لكى تتم — ضمان مشاركة واسعة من جانب الدولة تتمثل فى استثمارات عامة تبعث الحيوية وتقود عملية التنمية ، كما تتمثل فى نظام للتخطيط القومى يوضع بجدية وينفذ بدقة وصرامة . بل لابد أيضا ، أولا واخيرا ، من مشاركة واسعة من قبل جماهير المنتجين ، جماهير العمال والفلاحين والحرفيين ، مشاركة فاهمة واعية متحمسة ، مبادرة الى انجاز التنمية وتجاوز اهدافها ، لانها فى النهاية تنمية فى مصلحتها .

وعلى أحسن الفروض ، فان المفهوم الرأسمالى للتنمية فى بلد نام انما يقوم على التسليم بانقسام الاقتصاد القومى الى قطاعين مستقلين ، قطاع خاص يحفزه معيار الربح ، وقطاع عام تحفزه الرغبة فى حل بعض المشكلات الاقتصادية . وعندئذ يطلق العنان للقطاع الخاص وتترك له القيادة الاقتصادية ، بحيث تأخذ الدولة على عاتقها ان تتولى تلك الانشطة الاقتصادية غير المربحة ، بينما يتولى اغلب النشاط الاقتصادى رأسماليون فرديون على اساس السعى الى الربح . والحجة هنا معروفة ، وهى أن مثل هذا التنظيم يوفر الحافز الفردى لدى اصحاب الاموال ، ومن ثم يوفر الكفاءة القصوى والتشغيل الامثل للاقتصاد القومى .

فشل المفهوم الراسمالى

ويجب الاعتراف بانه يمكن ان تجرى تنمية اقتصادية فى ظل المفهوم الراسمالى . لكنها تكون عندئذ ما يمكن أن نسميه تنمية اقتصادية مشوهة ولا تلبث ان تصبح مستحيلة . لماذا ؟

اولا — لانها تكون تنمية مشوهة اقتصاديا . فان رأس المال الخاص — وهو لا يملك القدرة الاقتصادية ولا الاستعداد الفنى لبدء عملية تنمية اقتصادية حقيقية — يلجأ من ثم الى

الاستثمار فى الانشطة السهلة ، السريعة العائد ، المرتفعة الربح ، فى التجارة الداخلية والتجارة الخارجية ، فى المقاولات والتوريدات ، وفى التخزين والمضاربة . ومن ثم تتبدد موارد قومية كبيرة على الرغم من أن القطاع الخاص يحقق عندئذ أرباحا كبيرة ويراكم ثروات هائلة . هنا تتم تنمية مشوهة تتخذ تنميةجانبية ، هامشية ، أى تنمية لجانب منجوانب الاقتصاد القومى ، ليس هو الجانب الاساسى الذى يظل بلا استثمارات وبلا تطوير . هنا لا تتم تنمية للاقتصاد القومى ، وان تمت تنمية لاقتصاد بعض الافراد ، هى تنمية لثروات قلة من الرأسماليين .

ثانيا — ولانها تكون أيضا تنمية مشوهة اجتماعيا . فسيطرة المفهوم الرأسمالى يجعل من التنمية المشوهة اقتصاديا تنمية مشوهة اجتماعيا . اذ أن اعادة توزيع الدخل القومى تتم عندئذ لصالح قلة من ابناء الوطن ، قلة من المنظمين والرأسماليين ، تكون لديهم امكانية زيادة أرباحهم على حساب الدولة والقطاع العام ، لان نشاطهم يتوقف الى حد كبير على جهود موظفى الدولة والقطاع العام ، من خلال التراخيص والعقود والقروض والمزادات والمناقصات والتوريدات والمقاولات ، مما يخلق دافعا قويا نحو الفساد . ففى ظل اقتصاد رأسمالى ، فى ظل جهاز السوق والمنافسة ، وتحت اغراء الربحية السهلة والسريعة للمشروعات الفردية ، يصبح كل شىء سلعةحتى الشرف . اذ يكون لكل شىء — مهما يكن — ثمنه الذى يشتريه ، فلا يستغرب عندئذ — وفى ظل عدم الشعور بالاطمئنان — أن يصبح كل انسان عدوا لاخيه الانسان .

ان الملكية الخاصة لرأس المال تتيح عندئذ لصاحبها أن يستحوذ على الجزء الاكبر من ثمرة الانتاج الذى لا يتم الا بالجهود الجماعية لغيره من العاملين . ويصبح التناقض الجوهرى فى المجتمع هو التناقض بين الملكية الخاصةلوسائل الانتاج وبالذات لرأس المال ،وبين الطابع الاجتماعى للانتاج . مثلهذا التناقض يحكم المجتمع بأكمله ، ويعبر قانون فائض القيمة عندئذ عن حقيقة الاستغلال الرأسمالى ، عن واقع سعى كل رأسمالى لزيادة ثروته عن طريق زيادة استغلال عماله ، وتوسيع انتاجه بقدر استطاعته الى حد التركز ، والسعى المضطرد نحو الانتاج الكبير والاحتكار . من هنا يظهر القانون العام للتراكم الرأسمالى . فتراكم راس المال يزداد بزيادة استغلال الرأسماليين للعمال . وتتركز الثروة عندئذ عند قطب فى المجتمع ، بينما يتركز الفقر فى القطب الاخر . ومن ثم يتفاقم التمايز الاجتماعى بين المواطنين . ومع تركز الانتاج ، يجرى تركز رأس المال ، اى يتجمع رأس المال فى أيدى قلة من الرأسماليين . **وهكذا ينفتح المجتمع النامى على تناقضات الرأسمالية كاملة ، وهو بعد لم يتخلص من تناقضات التبعية والتخلف ، الباقية منها والمتجددة** . بل ويصبح فى الواقع اشد قابلية لتكريس كل أنواعالتبعية والتخلف . ولهذا قلنا ان التنمية الاقتصادية بالمفهوم الرأسمالى هى بلا شك تنميةاقتصادية لكنها تنمية مشوهة اقتصاديا واجتماعيا ، تنمية جانبية ، جزئية ، هامشية ، بالقطعة ، تفاقم التناقضات الاجتماعية ، وتكرس فى النهاية معالم التخلف الداخلى والتبعية الخارجية .ومن هنا فهى تنمية مستحيلة ، انها فى الحقيقة لا تنمية . انها تنمية لاقتصاد بعض الافراد ، لا للاقتصاد القومى ، تنمية للثروات الفرديةوليس للثروة القومية .

لهذا اعلنت ثورة يوليو ، منذ بداية الستينات ، وبعد تجربة حافلة فىتجريبالمفهوم الرأسمالى ، أن التقدم مستحيل فى ظل هذا المفهوم . وبدأت من ثم تجربة اخرى فى ظل مفهوم لا رأسمالى للتنمية الاقتصادية .

ماهى مشكلتنا الاقتصادية ؟

بعد خمسة عشر عاما من تجربةمعينة للمفهوم اللارأسمالى فى التنمية ، تعلن اليوم سياسة الانفتاح الاقتصادى بوصفها حلا لكل متاعبنا الاقتصادية الراهنة . فهل يمكن ان يكون الانفتاح الاقتصادى حلا حقيقيا لمشكلتنا الاقتصادية ؟ ولنضع المسألةفىوضعها الصحيح .فما هىبالدقة مشكلة مصر الاقتصادية ؟ وهل هى مثلا نتيجة ما سمى بالانغلاق الاقتصادى ، فيكون الحل جاثما فى هذا الانفتاح الاقتصادى ؟ وعندئذ هل تحل مشكلة مصر الاقتصادية بالاعتماد على حرية حركة وحرية نمو رأس المال الخاص ،سواء كان محليا أو اجنبيا ؟ هذا هو السؤال .

وبادىء ذى بدء ، يجب أن نعترف بانمتاعبنا الاقتصادية الراهنة من الضخامة والخطورة بحيث لا تحتمل أى قدر من عدم الجدية أو عدم الشعور بالمسئولية فى مواجهتها . ومثل هذا الوضع هو الذى يدفع البعض الى النظر اليها بوصفها حالة ميئوسا منها . وهى نظرة غير سياسية اصلا ، تعبر اما عن موقفيمينى مغرق فى الرجعية ، واما عن موقف فوضوى مغرق فى المغامرة ، وهى فى الحالتين تمثل انعزالا وغربة عن واقع شعبنا الكادح ، المنتج

الخلاق دائما وأبدا ، بل هي تقليل من شأن ثرواتنا الطبيعية والبشرية الهائلة ، وتغطية على طبيعة المشكلة الاقتصادية التى تواجه مصر .

وعلى العكس ، ومن واقع الالتزام الجاد والشعور الكامل بالمسئولية ازاء شعب مصر ، نحاول هنا أن نعالج هذا الوضع الخطير . **فمشكلة مصر الاقتصادية ، هى اليوم كما كانت بالامس ، وستظل الغد القريب والبعيد ، هي مشكلة ضرورة وحتمية انجاز التنمية الاقتصادية الحقيقية ، مشكلة ضرورة وحتمية بناء اقتصاد وطني حديث ، يواجه مهام التحرر الاقتصادى والتقدم الاجتماعى ، فى صدام لا مفر منه مع قوى الاستعمار العالمى قديمه وجديده، ومع الرجعية المحلية قديمها وجديدها ، ومن اجل التحسين الجذرى لمستوى معيشة الطبقات الكادحة .**

هذه المشكلة الاقتصادية المزمنة كانت ثورة يوليو هى المحاولة الوحيدة لمواجهتها مواجهة حاسمة ، فىالبداية من خلال مفهوم رأسمالى، ثم من خلال مفهوم لا رأسمالى . وهنا يجب الاعتراف بانه فى أقل من خمسة وعشرين عاما هى عمر الثورة تحولت مصر فعلا من شبه مستعمرة زراعية متخلفة الى بلد زراعى صناعى .

وفى خلال أكثر من ستين عاما ، منذ عام ١٩١٣ عشية الحرب العالمية الاولى حتىاليوم، لم تحقق مصر معدلا للتنمية الاقتصادية اعلا مما حققت فى الفترة الواقعة فيما بين عامى ١٩٥٥ و ١٩٦٥ ، وهى الفترة التى شهدت قيادةالدولة للنشاط الاقتصادى ونشأة وتطور القطاع العام والاخذ بمبادىء التخطيط المركزىللاقتصاد القومى وتنشيط القطاع التعاونى فى الريف . وبداخل هذه الفترة القصيرة المتميزة منتاريخنا الاقتصادى ، تميزت بصفة خاصة فترة الخطة الخمسية الاولى ، فيما بين عامى ١٩٦٠ و ١٩٦٥ .

وبغض النظر عما انطوت عليه هذه التنمية من أخطاء اقتصادية تنصب فى الاساس على نمط التنمية واستراتيجيتها ، وما نجم عنها من تبديد لكثير من الموارد القومية المحدودة ، وما فرض عليها من أعباء اضافية بفعل قوى خارجية أو داخلية ، الا انها ــ مع كل ذلك ــ تظل الفترة الناصعة الوحيدة فى تاريخ التنمية الاقتصادية فى مصر .

أولا ــ فبعد مرحلة من الركود الاقتصادى الطويل الامد ، امتدت لنحو ٤٠ عاما حتىبداية الثورة ، ارتفع الناتج القومى الاجمالى فيما بين عامى ١٩٥٢ و ١٩٦٥ بمتوسط ٥٪ سنويا، وارتفعفيما بينعامى ١٩٥٥و١٩٦٥ بمتوسط ٦٪ سنويا . ثم توقف الارتفاع فى عام ١٩٦٥ . واخذ فى الهبوط وبخاصة بعد حرب يونيو ١٩٦٧ .

ثانيا ــ بعد مرحلة من بطء معدل نمو الاستثمار الرأسمالى ، ارتفع المعدل سريعا من عام ١٩٥٢ حتى عام ١٩٦٥ ، حين حدث تدهور مطلق فى الاستثمار الحقيقىاستمر حتى عام ١٩٦٧ حين تأكد الاتجاه الانكماشى بعد حرب يونيو .

ثالثا ــ انعكس الاهتمام بالتصنيع فىصورة التوسع فى الاستثمارات الصناعية . فخلال الخمسة عشر عاما الاولى من الثورة ، من عام ١٩٥٢ الى عام ١٩٦٧ ، استثمرت الصناعة ١٠٢٩ مليون جنيه من مجموع استثمارات اجمالية بلغ ٣٠٠٠ مليون جنيه . ونذكر هنا بصفة خاصة ان الزيادة السريعة فى انتاج وسائل الانتاج قد أدت أيضا الى ازدياد الاهمية النسبية للصناعة الثقيلة داخل الصناعة كلها ، من ٢٨٪ فى عام ١٩٥٢ الى ٣٩٫٥٪ فى عام ١٩٦٦ .

رابعا ــ تحقق ارتفاع حقيقى فى نصيب العمل من الدخل القومى من ٤٠٪ فى عام ١٩٥٤ الى ٤٧٪ فى عام ١٩٦٥ . وهو معدل للنمو يعتبر غير عادى ، لكنه اخذ بعد ذلك فى الانخفاض من جديد .

وتبدو الصورة انصع فى فترة السنوات الخمس التى عاشتها الخطة الخمسية الاولى . ولهذا نستأذن فى عرضها بدورها على حدة :

أ ــ ارتفع حجم الاستثمارات السنوية من متوسط بلغ ١٠٧ مليون جنيه سنويا فيما قبل الخطة الى متوسط بلغ ٣٠٠ مليونجنيهسنويا. وبينما زادت الاستثمارات قبل الخطة بمعدل ١٧٪ سنويا ، فلقد زادت فى سنوات الخطة بمعدل ١١٣٪ .

ب ــ فيما قبل الخطة زادت استثمارات الصناعة بمعدل ٧٠ مليون جنيه سنويا ، اما فى سنوات الخطة فقد تجاوزت ١٠٠ مليون جنيه سنويا .

جـ ــ فيما قبل الخطة كان نصيب العمل من الدخل القومى فى حدود ٤٢٪ ، وقد زاد بفضل الخطة كما ذكرنا الى ٤٧٪ .

هكذا ، اذن ، كنا نحاول مواجهة مشكلتنا الاقتصادية الملحة بجدية بالغة . وعلى الرغم من اهمية النتائج التى أنجزت ، فاننا لمنكن راضين تماما عنها . فلقد كان يمكن احراز نتائج افضل منها كثيرا ، لولا ما انطوت عليه الخطة من مفاهيم اقتصادية خاطئة ، فىمقدمتها انالخطة بدأت فى منتصف عام ١٩٦٠ والمفهومالرأسمالى

للتنمية مازال سائدا . فالاعتماد الاساسي كان على القطاع الخاص ، اما القطاع العام فكان مجرد قطاع ثانوي لا يمثل عندئذ سوى ١٨٪ من جملة الناتج القومي .

حقيقة متاعبنا الاقتصادية

وكما تدل النتائج المختلفة ، فانه حتى نهاية الخطة الخمسية الاولى ، لم تكن هناك متاعب اقتصادية غير عادية ، بل متاعب عادية تصحب كل تنمية اقتصادية . لكن متاعبنا الاقتصادية غير العادية بدات عندما انتهت الخطة الخمسية الاولى فلم يستطع النظام أن يواصل السير بأسلوب التنمية المخططة، ومن ثم عجز عن البدء في الخطة الخمسية الثانية التي كان يجب أن تكمل الخطة الخمسية الاولى من أجل مضاعفة الدخل القومي وارساء قاعدة التصنيع الثقيل — وكان على هذه الخطة الخمسية الثانية أن تمهد بدورها لخطة خمسية ثالثة وهكذا ، بحيث لاينقطع خيط التنمية ولا خيط التخطيط . وعلى العكس، فحتى يومنا هذا من عام ١٩٧٥ ، لم نبدأ بعد الخطة الخمسية الثانية ، وامضينا حتى الان عشر سنوات بلا تنمية مخططة ،بتنمية مرتجلة من سنة الى أخرى ، هي النفي الحقيقي لكل تنمية مخططة .

هنا ، وهنا فقط ، نقطة البدء في كل متاعبنا الاقتصادية الراهنة . انها لا تكمن في فشل التنمية المخططة التي قمنا بها ، لاول مرة ، وللمرة الوحيدة في تاريخنا ، وانما تكمن على العكس في **العجز حتى اليوم عن بدء الخطة الخمسية الثانية** ، وبعبارة أخرى العجز عن مواصلة اسلوب التنمية المخططة ، وبعبارة أدق العجز عن تطبيق المفهوم اللارأسمالي للتنمية . **فهذا المفهوم اللارأسمالي لم يطبق في بلادنا — ولو بشكل قاصر تماما — الا خلال الخطة الخمسية الاولى وحدها ، وابتداء فقط من اجراءات يوليو ١٩٦١ وتحويل القطاع العام الى القطاع القيادي في الاقتصاد القومي . المفهوم اللارأسمالي للتنمية لم نعرفه الا لمدة أربع سنوات فحسب . بعدها لم يطبق على الاطلاق .بعدها كان قرار كل من الاستعمار الجديد ، والرجعية الجديدة بوقف تجربة التنمية المخططة .**

تم تحويل حرب اليمن الى حرب استنزاف اقتصادي لمصر . وتم وقف المعونة الامريكية من القمح ، وفرض حصار اقتصادي على مصر . وبدات حملة واسعة لاستغلال اخطاء القطاع العام وأخطاء التنمية وأخطاء التخطيط وتحويلها الى خطايا يجب أن تلغي التجربة . وساعدت البداية الرأسمالية للخطة الخمسية الاولى ، والادارة الرأسمالية للقطاع العام ، والاوضاع السلبية للجماهير نتيجة السياسة المعادية للديمقراطية ، ساعدت جميعا على تبديد جزء كبير من الفائض الاقتصادي المتولد في القطاع العام ، وتحويله الى ثروات خاصة لافراد الطبقة الجديدة ، التي نجحت بوسائل شتى في منع النظام من تحميلها بأي أعباء جدية تفرضها أي تنمية حقيقية . ومن ثم تفاقمت الحملة على القطاع العام نفسه .

هكذا تعثرت التنمية الاقتصادية في منتصف الستينات . ارتفع الدين الخارجي . واصبح التمويل الخارجي أكثر صعوبة . فاضطر النظام لتخفيض الواردات ، واصاب التخفيض مستلزمات الانتاج اساسا ، مما اضر بالصناعة بالذات . اما قيمة الواردات الغذائية فسرعان ما اتجهت للزيادة ، نتيجة لارتفاع اسعارها بمعدل ٥ر١١٪ سنويا فيما بين عام ١٩٦٤/ ١٩٦٥ وعام ١٩٦٦/١٩٦٧ . كما ارتفعت ايضا نتيجة للتوسع في استيرادها ، اسكاتا لاصوات الطبقة الجديدة الساخطة . وكل ذلك قد هدد عندئذ بارتفاع عام في الاسعار .

ونجحت الامبريالية العالمية ، بزعامة امريكا ، في تفجير حرب يونيو ١٩٦٧ ، ولقد تكفلت هذه الحرب عندئذ وفيما بعد وحتى اليوم باجراء اللازم ، ليس فقط بوقف التنمية المخططة ، ليس فقط بالتراجع عن أسلوب التخطيط ، وانما ايضا بوقف كل تنمية سواء كانت مخططة او غير مخططة . وهكذا أمضينا عشر سنوات من التنمية غير المخططة ، بل من اللاتنمية والحرب المدمرة . هكذا ، وهكذا فقط ، تعثر المفهوم اللارأسمالي للتنمية حتى توقف نهائيا .

وهنا يجب ان نقول انه كان من الطبيعي ان يتعثر هذا المفهوم اللارأسمالي للتنمية الاقتصادية . لماذا ؟ لانه على الرغم من ضخامة قاعدته الاقتصادية ، فانه افتقد منذ البداية أهم مقوماته جميعا وهو وجود السلطة السياسية للدولة بأيدي تحالف طبقي تلعب فيه الطبقة العاملة دورا حاسما ، وبالتالي ضمان فرض الرقابة الشعبية الصارمة على عملية التنمية الاقتصادية حتى لا تتحول في النهاية الى مناسبة تاريخية نادرة لنمو البورجوازية المحلية وتحولها الى طبقة رجعية جديدة .

لهذا بقيت مشكلة مصر الاقتصادية بغير حل حتى الان . فمازالت قضية التنمية الاقتصادية، قضية التنمية المخططة ، الكفيلة بتحويل مصر الى بلد حديث متقدم ، من خلال التحرر الاقتصادي والتقدم الاجتماعي ،هذه العملية الثورية الشاملة لاتزال بعد كل هذه السنين وحتى الان بلا حل. مازالت المهمة الثورية قائمة . وعلى العكس تفاقمت المشكلة الاقتصادية بالمتاعب الاضافية

التى ترتبت حتى يومنا هـذا على العـدول عن أسلوب التنمية المخططة ثم الوقـوع فى براثن العدوان الامبريالى الصهيونى فى عام ١٩٦٧ . فمن هنا جاءت متاعبنـا الاقتصـادية . وهى تختلف من ثم عن مشكلتنا الاقتصادية .

ان مشكلتنا الاقتصادية هى مشـكلة انجـاز عملية تحويل مصر ثوريا الى بلد حديث متقدم ، هى مشكلة التنمية الاقتصـادية عبر التحـرر الاقتصادى والتقدم الاجتمـاعى . أما متاعبنـا الاقتصـادية فتكمن فى تراجع النظام منـذ عام ١٩٦٥ — تحت ضغـط رهيب من الاسـتعمار الجديد [وبخاصة من صندوق النقـد الدولى والبنك الدولى للانشاء والتعمير] والرجعيـة الجديدة [وبخاصة البورجوازية الصاعدة] — عن المفهوم اللاراسمالى للتنميـة ، عن اسلوب التنمية المخططـة . وعنـدئذ تركت التنميـة الاقتصادية فى مهـب الريح . وجاءت حـرب يونيو فأجهزت على ما بقى من محاولات للتنمية بلا تخطيط . وفى الاثناء نمت الرأسمالية المحلية وتكونت رأسمالية كبيرة تفرض أسلوبا رأسماليا للتنمية تلتقى فيه مع الرأسمالية العالمية .

فى هذه الظروف يطرح الانفتاح الاقتصـادى بوصفه المخرج الوحيد منكل متاعبنا الاقتصادية. ومن حق ، بل انه من واجب كل مسـئول أن يبحث عن مخرج من هذه المتاعب الاقتصـادية الثقيلة الوطأة ليس فقط على كاهل الجمـاهير الكادحة بل وعلى الاقتصاد القومى فىمجموعه. غير أن السؤال يبقى : هـل هـذا الانفتـاح الاقتصادى الذى يقوم — كما رأينا من قبل — على اباحة الاستثمار الاجنبى واطلاق الحـرية لرأس المال المحلى وتفكيك وتقليص القطاع العام كفيل بانقاذنا فعلا ؟

[٢] الانفتـاح الاقتصـادى فى التنفيـذ

خطـة العبـور الاقتصادى

فى شهر ابريل من عام ١٩٧٤ اعلنت ورقة اكتوبر عصر الانفتاح الاقتصادى . وكلفتالدولة باعداد خطة انتقالية مدتها سنة ونصف السنة، من يوليو ١٩٧٤ الى ديسمبر ١٩٧٥ — على ان تكون مقدمة لخطة خمسية كاملة تبدأ فى يناير ١٩٧٦ وتنتهى فى ديسمبر ١٩٨٠ . وكان هذا الحدث فى حد ذاته بحيـث يدعو للتفـاؤل . فها هى الدولة تزمع العودة من جديد لاسلوب التخطيط والتنمية المخططة ، وهو فى نظـرنا الاسلوب الوحيد لتنمية القوى المنتجة فىبلادنا.

غير أن الخطة الانتقالية — التى سميتعندئذ خطة العبور الاقتصادى — كان عليها فى الواقع أن تمثل أول محاولة لوضع الانفتاح الاقتصادى كسياسة للتنمية الاقتصادية للبلاد . **ومن هنا، وقعت الخطة الانتقالية منذ أول لحظة فى تناقض لا يحل : خطة للتنمية الاقتصادية فى بلدمتخلف تبعث فيه من جديد عناصر الرأسمالية . فكيف يستقيم ذلك** ؟ لذلك عجزت الخطة فى الواقع عن التصدى للقضايا الحاسمة فى أى خطـة للتنمية الاقتصادية ، الا وهى قضايا تحديداتجاه التنمية وأهدافها ، ولمصلحة من تجرى ، وضد أى القوى والطبقات فى الداخل والخارج . بل عجزت الخطـة حتى عن التصـدى للمتـاعب الاقتصادية الملحة لدى جماهير الشـعب وهى مسائل الاجور والاسعار . وصحيح انها خطة انتقاليه ، بل الاصح أنها مقـدمة لبدء خطـة جديدة للتنمية . ومع ذلك ، فقد كان عليهـا أن تفصح عن وجهتها ،عن طبيعتها الاجتماعية؟ أن تشير ولو اشارة الى المتاعب الاقتصـادية الملحة والتى صارت مزمنة .

لقد تحددت أولويات الخطة مثلا بالتعمير ، ثم باستكمال المشروعات الناقصـة ثم بالاحـلال والتجديد لتشـغيل الطـاقات العـاطلة ثم بالمشروعات الجديدة . ومن ثم كان عليهـا أن تحقق معدلا للنمو هو ١٢٫٦٪ ، وهو معـدل مرتفع يكاد أن يكون مسـتحيلا ، فمن أجـل تحقيقه كان لابد من تنفيذ استثمارات اجماليـة تبلغ ١٤٦٦ مليون جنيه فى عام ١٩٧٥ وحده. ولهذا تحولت المسألة فى الخطـة الانتقاليـة الى مسألة تمويل للاستثمارات . فقدرتموارد محلية تبلغ ٣٦٦ مليون جنيه ، بينمـا اعتمـدت على موارد خارجيـة فى حـدود ١١٠٠ مليون جنيه . وهنا مكمن الخطر . خطة تحدد معدلا عاليا للنمو ، وتقدر لتحقيقه استثمارات هائلة ، ثم يتبين أن ثلاثة ارباع هذه الاستثماراتمطلوبة من الخارج . وهكذا وضعت الخطة من البداية تحت رحمة الموارد الاجنبية ، تحت رحمـة الخارج . ولم تكن هذه الموارد جاهزة بأى حال عند بداية الخطة . يضـاف الى ذلك انه من أجل استكمال المشروعات وتشـغيل الطـاقات العـاطلة ، كان لابد من زيادة الواردات من السلع الوسيطة والرأسمالية . ومن ثم ارتفع المكون الاجنبى فى الخطـة الى ٤٦٨ مليـون جنيه . وبدلا من توجيه الاهتمام بتوفير هـذا المكون الاجنبى أساسـا عن طريق الاتفاقيـات الثنائية وأغلبها مع البلدان الاشتراكيـة ، كان

هناك عزوفاً عن استخدام القروض الاشتراكية ، فلم تمثل سوى ١٢٫٧٪ من التمويل الخارجي . أما التمويل بالنقد الحر فكان يمثل ٥٨٫١٪ بالنسبة للقطاعات السلعية ، بينما كانت قطاعات التوزيع تعتمد على التسهيلات الائتمانية بنسبة ٦٤٫٤٪ . بعبارة أخرى كان نحو ٩٠٪ من التمويل الخارجي يتوقف على أريحية البلدان الراسمالية . ومن ثم قدر العجز فى الميزان التجارى بمبلغ ١٣٤٤٫٣ مليون جنيه ، وقدر العجز الجارى بعد خصم مبالغ الدعم العربى والمعونات بمبلغ ١١٠٠ مليون جنيه وهو مبلغ يساوى صافى جميع الاستثمارات المطلوبة . فحجم هذه الاستثمارات يساوى حجم العجز الجارى وحده . ولهذا لم يكن يجدى بعد ذلك — لبث الطمأنينة فى النفوس — أن يقول التقرير الخاص بالخطة الانتقالية فى هذا الصدد :

« ان التقدير الموضوعى لاثار حرب اكتوبر من رفع مكانة مصر ، وتأكيد التضامن العربى ، والتغير الايجابى فى مواقف بعض الدول الاجنبية ، ونتائج السياسة النشطة التى تمارسها الحكومة بتوجيه من السيد الرئيس لدعم كل أشكال التعاون العربى والدولى ، وتزايد الثقة فى الاقتصاد المصرى ، واستقراء ما تم عقده بالفعل من اتفاقات وما هو بسبيل الابرام ، كل ذلك يجعل التخطيط مطمئنا الى امكان مواجهة هذا العجز بموارد خارجية » .

من هنا ، تكشف لنا خطة العبور الاقتصادى عن الملامح الاولى لمفهوم الانفتاح الاقتصادى للتنمية ، ونبرزها فيما يلى :

أولا — التسليم بعجز التمويل المحلى ، من عام وخاص ، لضآلة معدل تكوين المدخرات ، وانخفاضه الى ٣٫٨٪ من اجمالى الناتج المحلى مع ان الاستثمارات المطلوبة كانت تمثل ٢٧٪ منه . من هنا تكشفت ظاهرة ضعف الحافز على الادخار لدى أصحاب الدخول العاليه . ومعنى هذا بعبارة اوضح احجام الرأسمالية المحلية عن التنمية الاقتصادية ، وانشغالها بصفة خاصة بالتجارة الربوية الطفيلية فى الداخل والخارج . وعندئذ فقد كان الواجب ان يطرح موقف الراسمالية الكبيرة من التنمية الاقتصادية ، بحيث لاتترك لها حرية الحركة الاقتصادية التى تتيح لها امكانية توجيه الحياة الاقتصادية كلها .

ثانيا — الاعتماد على البلدان الراسمالية اساسا فى تمويل التنمية الاقتصادية ، وفى توريد أغلب الواردات من سلع رأسمالية ووسيطة واستهلاكية . وهكذا يتضح انه بينما ترفض الرأسمالية المحلية المساهمة الجادة فى جهود التنمية الاقتصادية ، تحاول ان تلقى الجزء الاكبر من اعباء هذه التنمية على كاهل البلدان الرأسمالية ، بينما تلقى الجزء الاخر على عاتق الشعب مما يجعل الخطة وهمية . وأى خطة بلا موارد هى خطة وهمية بالفعل . ولقد تعرضت بالفعل لهذا المصير . فمن جانب ، ثار الشك فى مدى امكانية توفير حجم الواردات الخارجية . ومن جانب آخر ، فلم يكن متوافرا حتى التمويل القصير الاجل لتمويل الواردات الوسيطة مثلا . يضاف الى ذلك أن عدم زيادة الصادرات كانت تعنى العجز عن سداد فوائد وأقساط هذه القروض القصيرة نفسها .

ثالثا — اطلاق موجة محلية من التضخم تضاف الى الموجه المستوردة من الخارج . فمن جانب ، تحاول الخطة سد العجز فى الادخار بالاعتماد محليا على الاقتراض المصرفى ، وهو اجراء تضخمى ، لان معناه طبع أوراق نقدية بأمر الحكومة . ومن جانب آخر ، تخصص الخطة استثمارات ضخمة للبناء والتشييد وبخاصة للتعمير ، تبلغ ٤٥٫٧٪ من جملة الاستثمارات مما يطرح فى التداول قوة شرائية جديدة بغير منتجات تقابلها . وكان الواجب معالجة التعمير كجزء لا يتجزأ من عملية التنمية ، محكوم بنفس الاتجاهات والاهداف والاوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية .

ومن المؤسف بعد ذلك كله أن الخطة الانتقالية ، وهى لم توضع فى التنفيذ الا فى نهاية عام ١٩٧٤ ، قد توقفت هى أيضا منذ الشهور الاولى من عام ١٩٧٥ . وكف الحديث عنها تماما ، وعن التخطيط ايضا .

فكيف تجرى عملية التنمية الاقتصادية الان ؟ لم تمض بالطبع مدة كافية على وضع سياسة الانفتاح الاقتصادى فى التطبيق حتى يمكن اعطاء حكم نهائى على نتائجها . غير ان التطبيق الذى تم حتى الان ، خلال اكثر من سنة ، يسمح لنا على الاقل باستكشاف نتائجها الواقعة والمحتملة ، ومدى نجاحها أو فشلها فى حل الازمة المتفاقمة للاقتصاد المصرى .

أزمة الاقتصاد المصرى

مشكلتنا الاقتصاديه هى التنمية الاقتصادية كعملية ثورية ملحة ترمى الى انجاز التحرر الاقتصادى وتحقيق التقدم الاجتماعى . ولكل تنميه اقتصادية متاعبها التى يمكن حلها ، وهو ما كان عليه حال الاقتصاد المصرى حتى نهاية الخطة الخمسية الاولى . كانت المحاولة تجرى لبناء اقتصاد وطنى حديث ومستقل ، وتوفير قدر من التقدم الاجتماعى للشعب الكادح . وكانت لهذه المحاولة متاعبها الاقتصادية ، بلا نزاع . لكنها كانت متاعب تحل فى مجرى التنمية نفسها او كان يمكن حلها ، وذلك فى اطار

المفهوم الذى كان يسيطر أكثر فأكثر على التنمية الاقتصادية وهو المفهوم اللارأسمالى. ثم تحالفت قوى الثورة المضادة ، فأوقفت فى النهاية أسلوب التخطيط للتنمية ، وذلك عندما رفضت البدء فى الخطة الخمسية الثانية . ثم أوقفت تماما عملية التنمية غير المخططة وذلك بحرب يونيو ١٩٦٧ . ومن هنا بدأت المتاعب الاقتصادية التى لا تجد حلا أو التى لا يمكن حلها . ثم تفاقمت المتاعب المستحكمة ، المزمنة ، حتى صارت أزمة متفجرة .

فى البداية ، حلت خسائر فادحة بالموارد القومية ، طبيعية وبشرية واقتصادية . وفرضت على الاقتصاد القومى نفقات عسكرية طائلة . وبدلا من الاخذ بأسلوب اقتصاد الحرب ، الذى كان يعنى توزيع الاعباء بالعدل فيما بين الطبقات ، لجأ النظام الى الاسلوب السهل فى تمويل الحرب وهو أسلوب زيادة الضرائب غير المباشرة والرسوم ورفع الاسعار . وعندما لم يكف ذلك ، بدأت سياسة التنازلات أمام البورجوازية المحلية ، والالتجاء الى اسلوب تمويل عجز الميزانية كل عام بالاقتراض من البنك المركزى . وعندما لم يكف هذا كله ، جرى التوسع فى التمويل من الخارج وبالذات من البلدان الرأسمالية . وفى كل ذلك ، لم تجر المحاولة الضرورية لتحميل الطبقات القادرة بأعباء المعركة ، بل سمح لها على العكس بأن تنمو بلا حدود حتى صارت هناك — فى ظل ظروف الحرب القاسية — بورجوازية كبيرة ، طفيلية ، ربوية ، بيروقراطية ، تكدس ثروات لم تعرفها مصر أبدا فى أحلك عهود الرجعية والاستعمار — وبالمقابل ، تكدس الفقر القاتل فى صفوف الملايين . واليوم ، يطلب من الانفتاح الاقتصادى أن يحل هذه الازمة المستحكمة . وفى هذه الظروف ، فاننا لا نظن هذا الانفتاح الاقتصادى الا أن يفاقم تلك الازمة مستقبلا على نحو لا يمكن التنبؤ به على وجه التحديد .

ان الازمة الاقتصادية الراهنة هى الازمة الناجمة عن التراجع عن أسلوب التنمية المخططة ، بل وحتى عن أسلوب التنمية غير المخططة ، فى مواجهة اعباء الحرب المتصاعدة باضطراد ، ومتطلبات سير الحياة الاقتصادية من انتاج واستهلاك من يوم الى يوم . ومن شأن ذلك انعدام النظرة للمستقبل ، ليس فقط للمستقبل البعيد بل وحتى القريب . ومن ثم فهو العجز عن قيادة أو حتى ادارة الاقتصاد القومى . وليس فى ذلك اية مبالغة ، اذا ما نظرنا الى أهم ملامح الازمة الاقتصادية .

أولا — الخسائر فى الموارد :

قدرت لجنة الخطة والموازنة فى مجلس الشعب ما تحملته مصر من تدمير وتبديد للموارد من جراء حروب اسرائيل بمبلغ ١٦ الف مليون جنيه ، وقدرت وزارة المالية أن خسائر الدولة تبلغ ١١٫٥ الف مليون جنيه اغلبها منذ حرب يونيو ١٩٦٧ . وعلى سبيل المثال ، وفى عام ١٩٧٥ وحده لا تقل الخسائر عن الف مليون جنيه كانفاق عسكرى ، والفى مليون جنيه كان يمكن ان يرتفع بها الدخل القومى لو استثمرت الموارد القومية منذ عام ١٩٦٧ فى الاغراض الانتاجية . وبأى تقدير نأخذ ، فالخسائر رهيبة وبخاصة منذ عام ١٩٦٧ حتى اليوم . وغالبا ما تطرح هذه الخسائر فى أيامنا هذه إلا لاثارة السخط والحقد المشروعين ضد السبب فيها وهو العدو الرئيسى لمصر ، أعنى الامبريالية الامريكية وأداتها اسرائيل ، ولكن لاثارة السخط والحقد ضد العرب وبخاصة ضد الفلسطينيين . وهو موقف ضار أبلغ الضرر بنا نحن المصريين قبل غيرنا من العرب . فاسرائيل هنا لحماية المصالح الامبريالية فى المنطقة العربية ، وفى مقدمتها البترول . ومصر — بحكم دورها القيادى فى حركة التحرر الوطنى العربية — هى البلد العربى الوحيد الذى يمكن أن يحول بين الامبريالية وبين هذا البترول . **ولذلك فان المعركة الاساسية على البترول العربى انما تدور وستظل تدور هنا فى مصر .** حالة واحدة فقط يمكن أن تترك فيها مصر وشأنها ، وذلك عندما تتخلى عن دورها القيادى فى حركة التحرر الوطنى العربية . ومع ذلك ، فلن تنجو مصر عندئذ بنفسها . فالنظرة لنا لن تختلف عن نظرتهم لاصغر بلد عربى . ان اسرائيل ، هذا الاستعمار الصغير ، التابع ، لم ينظر حتى للبترول المصرى الا النظرة الاستعمارية نفسها . ففى شهر مايو الماضى ، أعلن اسحق رابين أن حقول أبو رديس وتضم ٧٢ بئرا تعتبر أكثر الصناعات أهمية فى اسرائيل ومن أهم المصادر الرئيسية للعملة الصعبة . وقد تبين أن المخزون الاحتياطى للابار قد استنزف حتى الان بنسبة ٥٠٪ ، اذ عمدت اسرائيل الى تخفيض انتاجها من الابار فى اسرائيل الى ٧٥٠ برميلا فى اليوم ، بينما رفعت انتاجها من آبار أبورديس الى ١٢٠ الف برميل يوميا . ويقدر ما فقدته مصر من جراء ضياع موارد سينا من بترول ومعادن بحوالى ١٢ الف مليون جنيه .

ثانيا — التمويل بالعجز :

عندما قدمت الدولة خطة العبور الاقتصادى كانت مواردها المحلية لا تتجاوز ٣٦٦ مليون جنيه ، بينما الموارد الخارجية المطلوبة تبلغ حوالى ١١٠٠ مليون جنيه ، أى أن الموارد الخارجية كانت ثلاثة امثال الموارد المحلية . وكانت هذه النسبة تعبيرا صادقا عن مدى عجز وتخلف الموارد

المحلية عن الاضطلاع بالتنمية الاقتصادية . فكلنا لازلنا نذكر ان الخطة الخمسية الاولى التى لم تعجب عندئذ الاستعمار . ولا الرجعية قد غطتمن الموارد المحليةبمقدار الثلثين ، بينما كانتالموارد الاجنبية تبلغ الثلث فقط . كانت الموارد المحلية عندئذ ضعف الموارد الخارجية ، وتم ذلك كانجاز حقيقى ،واقعى . **أما هذه المرة ،فالموارد المحلية ربع الموارد الخارجية ، أى انها تدهورت الى ثمن ما كانت عليه فى الخطة الخمسية الاولى .** وهنا تكمن حقيقة المشكلة . فالتمويل المحلى هزيل ، وهو يكاد أن يكون منعدما لو طرحنا نصيب القطاع العام فى هذا التمويل .

وإذن فالمشكلة الصارخة للاقتصاد المصرى انما تكمن فى عدم مساهمة القطاع الخاص فى توفير التمويل اللازم للتنمية . فى السنوات الماضية ، كان الانفاق العسكرى يغطى على كل اعتبار آخر ، فأين هى مساهمة القطاع الخاص فى النفقات الحربية ؟ ان الميزانية السنوية للدولة لم تكن تتوازن أبدا بمواردها العادية ، ولذلك كانت الدولة تلجأ الىطبعالنقود للتمويل، مما أدى الىزيادة الاصدار النقدى وزيادةقروض الحكومة من الجهاز المصرفى ،وهذا هو مايسمى التمويل بالعجز . ونستعير هنا من وزير المالية الحالى قوله فى مقال علمى منشور له بمجلة مصر المعاصرة فى ابريل ١٩٧٣ ، انه « فى مجتمع مخطط ليس هناك مجالللتمويل بالعجز ». وهذا صحيح تماما ، مما يكشف فى الحقيقة عن قصور ثم عن انعدام التخطيط لدينا . ويضيف وزير المالية قائلا « وأى تمويل بالعجز لابد أن ينعكس أثره فى ارتفاع الاسعار» . وهذا أيضا صحيح تماما . من هنا ، فالتمويل بالعجز انما يعنى بالضرورة زيادة اصدار النقود وزيادة قروض الحكومة وفى النهاية ارتفاع الاسعار . فكيف يجوز لوزير المالية اذن ان يلمح اخيرا لرفع أسعار الخبز والاقمشة الشعبية ورفع أسعار سلع تموينية أساسية كالسكر والارز — مع علمه بأن التضخم الجامح ينهك المصريين جميعا ما عدا قلة من الرأسماليين ؟

ان الالتجاء مستقبلا الى اصدار النقود لتمويل الخطة لن يجدى أبدا . والامر بالغ الخطورة ، اذا وضعنا فى الاعتبار تلك التقديرات عن ضرورة توفير موارد محلية لا تقلعن الف مليون جنيه سنويا ، من أجل أن تجتذب موارد خارجية مساوية فى الحجم . فحتى اذا ضمنا الموارد الخارجية ،فمن أين يمكن توفير الفمليون جنيه محليا فى العام ؟ لا يمكن أن يتم ذلك منغير ضمان موقف الرأسمالية المحلية فىهذا التمويل، والا فكل خطة توضع على الورق لن يكون مصيرها افضل من مصير خطة العبور الاقتصادى .

ثالثا — العجز الخارجى :

تشهد مصر حاليا مرحلة من العجز الشديد فى ميزان المدفوعات ، أى فى النقد الاجنبى اللازم لمواجهة الاحتياجات الجارية . واحتياجاتنا الجارية تتمثل فى نوعين هما السلع والخدمات، أى تتمثل فى معاملات منظورة هى السلع ومعاملات غير منظورة هى الخدمات .

ومنذ سنين طويلة ، وتجارتنا الخارجية تعانى من الخلل ، حتى فى سنوات الخطة الخمسية الاولى . ولم يكن الامر مجرد تعبير عنالحاجة الى مزيد من الواردات الانتاجية [السلع الرأسمالية والوسيطة] لاغراض التنمية ، وانما كان الخلل كامنا فى حرص تجارتنا الخارجية على أن تشترى من العالم الرأسمالي وأن تبيع للعالم الاشتراكى . فقد كان الامر فى كل من الشراء والبيع سهلا ومغريا . ومن ثم كان هناك باستمرار عجز مع العالم الرأسمالى ، وفائض مع العالم الاشتراكى . ثم تحول هذا الفائض بدوره الى عجز مضطرد . ومع ذلك ، وبفضل فائض الخدمات ، أمكن تحقيق رصيد ايجابى للعمليات الجارية كلها من سلع وخدمات فى بعض السنين . ففى عام ١٩٦٩/٦٨ كان الفائض ٢٢٫٨ مليون جنيه، وفىعام ١٩٧١/٧٠، كان الفائض ٨٫٨ مليون جنيه . لكن الميزان الجارى كله ظل يكشف عن عجز خارجى كبير، كان يعبر فى النهاية عن اختلال العلاقة بين التصدير والاستيراد ، عن جمود التصدير وانفلات الاستيراد فى الخارج ، مثلما كان يعبر عن اختلال العلاقة بين الانتاج والاستهلاك فى الداخل . فهذا هو المصدر الاساسى للعجز الخارجى ، بالاضافة طبعا الى اعباء الحرب وحلول مواعيد خدمة الدين الخارجى .

لكن أزمة ميزان المدفوعات لم تتحول الى أزمة حادة الا فى عام ١٩٧٤ فقط . لقد كان اكبر عجز فى ميزان المعاملات الجارية فى السنوات التالية لحرب يونيو حتى عام ١٩٧٢ لا يزيد عن ٢٠٠ مليون جنيه ، وهو مبلغ باهظ . فتضاعف العجز وزاد فى عام ١٩٧٣ الى ٤٥٠ مليون جنيه ، ثم ارتفع الى حوالى ٥٠٠ مليون جنيه فى عام ٧٤ . وفى عام ١٩٧٥ وصل العجز الفعلى حتى الان الى ١٣٠٠ مليون جنيه . وكانت الخطة الانتقالية قد توقعت — مع كل توقعاتها — أن يكون العجز فى حدود ١١٠٠ مليون جنيه . وهناك تقدير اخير بأن سيبلغ العجز عن السنة كلها نحو ١٨٠٠،

مليون جنيه . وهى رقم فلكى بكل المعايير . فلقد انفلتت الواردات فعلا لتبلغ اكثر من ٢٠٠٠ مليون جنيه ، بينما جمدت الصادرات وعجزت حتى عن تحقيق هدفها وهو ١٠٠٠ مليون جنيه تقريبا . ومنذ ثلاث سنوات فقط ، لم تكن الواردات كلها تزيد عن ٨٠٠ مليون جنيه، اما الان فقد تضاعفت قيمتها مرتين ونصف مرة ولاندرى كم تكون مستقبلا . وانما من المتوقع تماما ان يستمر العجز الخارجى فى التصاعد فى العام المقبل أيضا .

وفى ضوء ارتفاع اسعار الواردات ونقص حصيلة الصادرات وزيادة الاعباء العسكرية ، ينتظر ان يستمر الخلل الشديد فيما تملكه مصر من نقد أجنبى . ففى عام ١٩٧٤ ، اضطرت مصر لاقتراض ٩٤٠ مليون جنيه فى صورة تسهيلات ائتمانية من الخارج بفائدة خيالية هى ١٩٪ . ومن ثم استحكمت مسألة الدين الخارجى. فهذا الدين أصلا قد حلت منذ سنوات مواعيد دفع اقساطه فضلا عن فوائده . وقد ارتفعت خدمة الدين فى عام ١٩٧٢ الى مبلغ ٣٥٢٫٨ مليون جنيه ، وفى عام ١٩٧٣ الى ٤٥٧ مليون جنيه ، مما التهم فى هاتين السنتين كل حصيلة الصادرات وزاد عليها . واصبح من الضرورى اعادة النظر فى عبء الدين وخدمته ، بالاضافة الى العجز السنوى فى المعاملات الجارية. ومن هنا الحاجة الملحة الى المزيد من القروض الخارجية لسد العجز ، قروض متوسطة وطويلة الاجل ، لا تقل بحال عن ٣٠٠٠ مليون جنيه لمواجهة السنوات القليلة المقبلة . **وهكذا صار علينا أن نعالج أزمة الدين الخارجى بالمزيد من الدين الخارجى .**

انها أوضاع لم يشهدها الاقتصاد المصرى منذ مائة سنة . ولقد كانت كافية بالفعل لكى تؤدى الى كارثة اقتصادية لولا أنها تقع فى مصر . أى فى بلد ٩٥٪ من مواطنيه يعيشون فى الفقر أو على حافة الفقر — ومن ثم يمكن الضغط على استهلاكه الى أبعد الحدود . ومع ذلك ، فهذه الاوضاع لا يمكن أن تستمر طويلا ، اذ انها تجعل الحياة نفسها مستحيلة . ومن هنا ، فلا مفر من أن تلمس الجماهير واقعا وفعلا أنها مرحلة عابرة ، بحيث تنظر الى معاناتها اليومية الطاحنة على أن لها نهاية . ولاتبدو هذه النهاية ممكنة فى ظل المفهوم الذى ينشره الانفتاح الاقتصادى . وعلى العكس ، فان مثل هذه النهاية تبدو قريبة اذا ما طرحت على ارضية فكرية اخرى ، أرضية فكرية تبدأ من ضرورة رفع معدل الادخار المحلى الى ٢٠٪ على الاقل من الدخل القومى بدلا من نسبة ٨٪ الحالية ، بحيث تسمح بموارد محلية هامة قدرها مثلا الف مليون جنيه تستطيع عندئذ ان تجتذب بدورها حجما مماثلا من الموارد الأجنبية ، كما تستطيع بجدية مسلكها فى الاعتماد على النفس أن تغرى الخارج بأن يتيح لنا وسائل اضافية لسد العجز فى ميزان المدفوعات .

تلك هى نقطة البدء ، رفع معدل الادخار المحلى الى ٢٠٪ على الاقل ، تمهيدا للوصول به — كما هى الحال فى البلدان النامية الجادة — الى ٢٥٪ فيما بعد . ومعنى هذا حتمية مشاركة الرأسمالية المحلية فى اعباء التنمية فى الوطن . فلا يمكن أن يتولى القطاع العام تقديم أغلب ان لم يكن كل الموارد المحلية ، وبينما الرأسمالية المحلية مشغولة بتكديس الثروات بالملايين . وعندئذ فلابد أيضا من توجيه الاستثمارات الاجنبية نحو المشروعات ذات الاولوية الحقيقية طبقا لاعتبارات التنمية المخططة . وبعبارة اخرى ، فانه لابد من العودة الى اسلوب التخطيط كضرورة ليس فقط لتحقيق التنمية الاقتصادية ، وانما حتى للخروج من أزمة ميزان المدفوعات نفسها . ان وضع وتنفيذ خطة طويلة الاجل تشمل الاقتصاد القومى بأسره ، وتتحول الى خطط متوسطة توضع وتنفذ بجدية وصرامة أمر لا مفر منه الان . ولم يعد من شأن التأخير فيه سوى السماح بتدهور الاوضاع المتفاقمة حاليا . بيد أن معنى هذا باختصار ان المخرج من ازمتنا الاقتصادية لا يوجد بالمرة فى سياسة الانفتاح سواء كان داخليا او خارجيا .

[٣] الانفتـــاح الاقتصـــادى فى تنـــاقض

تناقض الانفتاح الداخــلى

يقوم الانفتاح الداخلى على مبدأ منح كل الضمانات للقطاع الخاص ، مبدأ اطلاق العنان للقطاع الخاص . وقد ترتبت على ذلك فلسفة جديدة تحدد العلاقة بين هذا القطاع الخاص والقطاع العام فى القول بتحقيق التوازن بين القطاعين او الموازنة بينهما فى المعاملة ، بحيث لا يطغى قطاع على قطاع . ونظرية التوازن هذه بين القطاعين تحل اليوم اذن محل نظرية الدور القيادى للقطاع العام. بيد اننا نعرف جميعا ان أى توازن فى الوجود هو توازن مؤقت ، وهكذا التوازن بين القطاعين توازن مؤقت ،

لا يلبث أن يفتح السبيل هذه المرة لتفوق القطاع الخاص ، ومن ثم لاضطلاعه بالدور القيادي في الاقتصاد القومي .

والواقع انه في بلد فقير يسعى بموارده المحدودة للتحرر الاقتصادي والتقدم الاجتماعي، يجب أن تتحقق بداخله قيادة علمية للاقتصاد القومي ، من أجل الاستخدام الرشيد للامكانيات المادية والمعنوية بنجاح : وضمان معدلات مرتفعة باضطراد لنمو وتطور الاقتصاد القومي . ان هذه القيادة العلمية ، القيادة الواعية ، انما تعني القيادة القائمة على معرفة القوانين الاقتصادية الموضوعية من أجل تحقيق أهداف المجتمع . مثل هذه القيادة انما تتحقق في بلد كمصر للدولة وحدها ، وليس لاى فرد أو مجموعة من الافراد . انها بكل وضوح لا يمكن أن تتحقق للرأسماليين الذين تحركهم مصالحهم الخاصة . صحيح أن بعضهم حين يشتغل بالانتاج ، الصناعي أو الزراعي ، وحين يتصدى لبعض مهام التجارة الداخلية وبخاصة في التجزئة ، فانه يحقق مصالح عامة هامة بجانب مصالحه الخاصة . **بيد أن المصلحة العامة لاتتحقق أساسا في بلد كمصر الا بفضل الدور الذي يمكن ان تلعبه الدولة وحدها .**

والدولة هنا يمكن ان تلعب هذا الدور بشرطين : **الاول** ،هو أن توجد لديها وسائل انتاج مملوكة للمجتمع ملكية عامة ، بحيث تسمح بقيام قطاع عام يؤثر بامكانياته المادية والمعنوية على سائر الاقتصاد القومي . **والثاني** ، هو ان تقوم الدولة — استنادا الى هذا القطاع العام — بتخطيط الانتاج كله وتنظيم الحياة الاقتصادية كلها على أساس علمي يتضمن التنبؤ الدقيق بالاحتياجات والموارد لضمان التنمية المضطردة للقوى المنتجة للمجتمع .

تلك هي القيادة العلمية للاقتصاد القومي ، وهي قيادة لا يمكن ان يضطلع بها غير الدولة ؟ بحكم الاستقلال الكبير نسبيا الذي تتمتع به الدولة في البلدان المستقلة حديثا . هذه القيادة لا تتحقق — كما رأينا — الا بشرطين هما الدور القيادي للقطاع العام والتخطيط الشامل للاقتصاد القومي . بيد أن التخطيط الشامل لا يمكن ان يقوم بدوره الا استنادا الى قطاع عام قوى قادر ، يوفر حدا ادنى من الطابع الاجتماعي لوسائل الانتاج بايدي الدولة . ولهذا فان مكانة القطاع العام في الاقتصاد القومي ، وبصفة خاصة دوره القيادي ، مسألة حاسمة بالنسبة لامكانية النجاح في تنمية الاقتصاد القومي .

ولا يمكن ان يلعب القطاع العام دوره القيادي هذا بغير ان يتحدد الموقف من القطاع الخاص .

وبكل وضوح ؟ فانه لا يوجد دور قيادي للقطاع العام مع السماح للقطاع الخاص بان ينمو نموا غير محدود ، بلا قيد ولا شرط ، أفقيا ورأسيا . ومن باب أولى ، فلا دور قياديا للقطاع العام اذا تحقق التوازن بين القطاعين ، أي اذا منح الدور القيادي للقطاع الخاص ، صراحة او ضمنا .

لماذا نحرص مثل هذا الحرص على ان يكون الدور القيادي داخل الاقتصاد القومي للقطاع العام ؟ لانه الضمان الوحيد للقيام بالتخطيط الشامل . ومن ثم لتوجيه مواردنا القومية المحدودة نحو أهدافنا الاقتصادية والاجتماعية الملحة التي يتطلع اليها ملايين العمال والفلاحين والحرفيين والمثقفين — وهم أصحاب الحق في بلدهم . **من هنا أهمية وجود السلطة السياسية في الدولة في أيدي تحالف طبقي وطني ديمقراطي، حتى لو كانت تقوده البورجوازية الصغيرة .** فهذه الطبقة تقوم على أساس الاقتصاد السلعي الصغير أكثر مما تقوم على الاساليب الرأسمالية للانتاج . ومن ثم فان الطابع المزدوج لقوى البورجوازية الصغيرة [كونها تملك وتعمل بالاجر في آن واحد] هو الذي يقرر ويحدد الوضع الانتقالي للقطاع العام . وعندئذ — وبغض النظر عن كثير من الخطأ والانحراف فيه — فان مثل هذا القطاع العام — في مجتمع انتقالي لم تصبح فيه الطبقة العاملة بعد هي القوة القائدة — لابد ان يكتسب في مجرى الصراع الطبقي سمات جديدة تصبح بدورها عاملا هاما يساعد على تطوير وتحويل المجتمع القديم ، المتخلف التابع ، المتعدد الهياكل . وبقوة هذا القطاع العام ، ومع خوض صراع اجتماعي جاد من أجل زيادة ربحيته وتخفيض تكاليفه وزيادة انتاجية العمل فيه ، ومن أجل ازالة الحواجز البيروقراطية ، ومحاربة الفساد بداخله ، وبالتوسع المستمر في مبدأ التخطيط الشامل ، فانه يتمكن في الواقع من الحد من عفوية رأس المال الخاص ، يتمكن من تنظيم عفوية القطاع الخاص ، ويجعله خاضعا الى حد كبير للاعتبارات العليا للتنمية الاقتصادية .

ومن الواضح أنه لكي يلعب القطاع العام هذا الدور كاملا ، ومن ثم يصبح القاعدة المادية للثورة الوطنية الديمقراطية في البلاد ، يتوقف الامر على عوامل كثيرة ، بعضها داخلي وبعضها الاخر خارجي . **فالعوامل الداخلية** مثالها طبيعة سلطة الدولة ،حجم ونوعية القطاع العام ،حركة القوى الوطنية والتقدمية . **أما العوامل الخارجية** فأهمها ان لا يتشابك القطاع العام في الخارج في علاقات وارتباطات مع رأس المال العالمي ، ان لا يرتبط بالاقتصاديات الرأسمالية ارتباطات عضوية ، وانما عليه ان يغذي روابطه بكل اقتصاد اشتراكي ، ومن هنا اهمية علاقاته

الاقتصادية واولوية توسيع وتعزيز تعاونه مع الاقتصاد الاشتراكى .

لكل هذا نخشى على مستقبل اقتصادنا القومى من كل محاولة ترمى لقلب الاوضاع بحيث يصبح الدور القيادى للقطاع الخاص ، والمحاولة تجري بالفعل بكل همة ونشاط .فالقطاع الخاص يتوسع طولا وعرضا ، افقيا وراسيا . وقد أطلق له العنان بكل معنى الكلمة . فتحت امامه مجالات التجارة الخارجية تصديرا واستيرادا ،ومجالات الصناعة كلها ، ومجالات التجارة الداخلية جملة وتجزئة ، ومجالات التخزين والنقل ،ومجالات الاراضى والمبانى والتشييد . **لكن تبين أن احب الاعمال الى قلب راس المال هى اعمال الاستيراد والمقاولة والتوريد واعمال الوساطة والسمسرة وأعمال التخزين والتهريب .**

فى عام ١٩٧١ كان القطاع الخاص يتركز فى القطاعات السلعية حيث يمثل ٣٤٫٥٪ من الانتاج الكلى ، وفى قطاعات التوزيع بنسبة ٤٠٫٣٪ ، وفى قطاعات الخدمات بنسبة ٣٠٫٩٪ . وكان القطاع الخاص فى الصناعة مسئولا عن ٢٥٪ من اجمالى الانتاج ، كما كان مسئولا عن ٩٥٫٦٪ من الانتاج الزراعى . ومعنى هذا ان دوره كان هائلا . ثم طبقت سياسة الانفتاح الداخلى ،وهى بعد لم تؤت كل ثمارها ، فماذا كانت النتيجة ؟

اولا — هبوط نصيب القطاع العام لاول مرة من اجمالى الانتاج القومى من ٥٤٫٥٪ الى ٥٣٫٢٪ وهى اشارة خطيرة جديرة باهتمام المجتمع كله . ومن ثم ينفتح — حتى بالقياس الكمى — باب القيادة أمام القطاع الخاص . وهنا سنجد مجموعة من الاحداث بالغة الاهمية : هناك مثلا ابطاء معدل النمو فى القطاع العام ، وهناك توسيع نشاط القطاع الخاص مع عجز الدولة ناهيك عن القطاع العام عن توجيهه ، وهناك المنافسة المباشرة فى الاسواق المحلية من جانب واردات القطاع الخاص ، وهناك اضعاف فاعلية التخطيط وزيادة دور السوق . ومعروف أن دفع القطاع العام للبقاء مع اهدار التخطيط انما يعنى تركه تحت رحمة السوق وهو غير مهيأ لها . ومن هنا نتبين حقيقة ما يسمى بتحرير القطاع العام من البيروقراطية ، فهو فى الواقع عملية تهيئة القطاع العام لكى يعمل هو الاخر تحت نظام السوق .(حقا ، لقد بدات عملية العد التنازلى للقطاع العام)

ثانيا — عدم زيادة الانتاج القومى الزراعى والصناعى ، بحيث يخيم الآن على الانتاج وضع من الركود الآسن ، على الرغم من كل التوسع الرأسمالى الراهن .فى الزراعة مثلا ،انخفضت المساحة المحصولية فى كل مصر من ١١٫٨ مليون فدان فى عام ١٩٧٤ الى ١٠٫٥ مليون فدان فى العام الحالى . وبينما تقل المساحات المخصصة للارز والقمح وهما الغذاء الشعبى ، وتقل حتى مساحة القطن ، تزيد مساحة الخضر والفاكهة من اجل ارباحها . أما فى الصناعة ، فقد زادت المشروعات الصناعية فى السنوات الاربع الماضية من ٢٨٠ الى ٣٥٨ مشروعا . وزاد راس المال العامل من ٧ الى ١٩ مليون جنيه . ومع ذلك فمازالت الصناعة الخاصة تمثل ٢٥٪ فقط من قيمة الانتاج الصناعى .وعلى الرغم من أن عدد العمال فى المشروعات الجديدة قد زاد بنسبة ١٧٫٣٪ فلم تزد الاجور الا بنسبة ٧٫٧٪ !! وبينما يتدهور الانتاج ، تروج الخدمات واعمال التطفل على الانتاج . حتى لتضطر الدولة نفسها الى الحد من التهريب وقصر الاستيراد المباشر على السوق الموازية للنقد الاجنبى فى عام ١٩٧٤ ، جمعت هذه السوق الموازية ١١٣٫٤ مليون جنيه ، وقدر لها أن تجمع فى العام الحالى ١٦٨٫٥ مليون جنيه .ثم تبين أنها لم تحقق سوى أقل من ثلث هذا الهدف.

وتنعكس هذه الظواهر جميعا فى القوة الاقتصادية المتميزة التى تتمتع بها البورجوازية الكبيرة فى مصر حاليا .

فى هذه الظروف من الانفتاح الداخلى ، حيث يتأكد عجز القطاع الخاص عن الوفاء بالاحتياجات الحقيقية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية ، تتأكد أيضا عملية تحول القطاع العام الى مجرد رأسمالية الدولة ، وبالتالى حرمان الجماهير من المكاسب التى يوفرها فى الانتاج والخدمات واضعاف قدرتها على المساهمة فى شئون الاقتصاد والمجتمع .

فمن المعروف انه نتيجة لواقع حياة الجماهير الشعبية المتميز بالتخلف والبؤس ، تلتزم الدولة من خلال القطاع العام بوضع اسعار معتدلة لكثير من السلع والخدمات ، تقل أحيانا عن تكلفة انتاجها الفعلية ، بحيث أن المشروعات العامة المنتجة والموزعة للسلع والخدمات تتحمل خسارة مالية مقدرة سلفا . هذه السياسة السعرية ، التى تراعى فى الاساس اعتبارات اقتصادية واجتماعية ملحة ، مثل انتشار البطالة بكافة أنواعها ، وانخفاض الاجور بالنسبة للعمال والموظفين ، وضعف دخول الفئات الصغرى وبخاصة الفلاحين ، والارتفاع السريع فى اسعار كثير من مستلزمات الحياة كايجارات المساكن والمواد الغذائية والملابس — هذه السياسة السعرية لا يمكن أن ينفذها سوى القطاع العام بحكم رسالته وطبيعته التقدمية . ويتجسد هذا

الوضع كله في الفارق الموجود بالفعل بين المجمع الاستهلاكي على فساده وبين أصغر بقال في الحي أو القرية .

ان المشكلة كلها تكمن هنا . **فالانفتاح الداخلي لا يمكن أن يضمن لنا تصدى رأس المال المحلى لمهام التنمية الاقتصاديه والاجتماعية** . وفي الوقت نفسه ، فاننا نرى كيف يدفع القطاع العام دفعا ليتحول بالفعل عن وظيفته وليلحق بالسعي العام وراء الارباح في ظل قواعد السوق . وهل لكل ذلك من معنى سوى تكريس التخلف في بلادنا الى أمد غير معلوم ؟ انه مأزق الانفتاح الداخلي أو تناقضه الذي لا يحل .

تناقض الانفتاح الخارجي

يقوم الانفتاح الخارجي على مبدأ منح كل الضمانات لرأس المال الاجنبي ، مبدأ حرية الاستثمار الاجنبي . وقد ترتب على ذلك أن راجت الفكرة التي ترى امكانية تنمية مصر اقتصاديا واجتماعيا بالاعتماد على رءوس الاموال الاجنبية ، القادمة من البلدان الرأسمالية وبخاصة من الولايات المتحدة .

ولسنا مطالبين بالتأكيد على الدوام على اهمية الحصول على أموال اضافية من الخارج تخصص — مع الاموال المحلية المعبأة طبقا لمبدأ الاعتماد على النفس أولا — لتحقيق اغراض التنمية طبقا لاولويات الخطة القومية . لكننا مطالبون في الواقع بتأكيد أهمية ان توضع هذه الاموال الاضافية في خدمة التنمية المحلية تحقيقا للهدف الاصيل من التنمية وهو التحرر الاقتصادي . ومن هنا يجب ان تكون الاموال الاجنبية بحيث تساعد بالفعل على هذا التحرر الاقتصادي لا ان تكرس التبعية الاقتصادية ازاء الخارج .

وكلنا نعرف ان قضية التحرر الوطني كانت توضع دائما في صيغة معينة هي قضية استعادة السوق القومية من السيطرة الاستعمارية . فهذا هو جوهر التحرر الوطني . وما زال هذا الجوهر سليما حتى الان . لكن صياغته تختلف الان بعض الشيء عما كانت عليه من قبل . **فالتحرر الوطني يجرى الان في ظروف تصاعد مخاطر واساليب الاستعمار الجديد** . ومعركة التنمية الاقتصادية المستقلة تجرى الان في مواجهة ، ليس فقط الاستعمار القديم وانما الاستعمار الجديد أيضا واحتكاراته الدولية للسيطرة على الاقتصاد المصري . من هنا يتمثل التحرر الاقتصادي ليس فقط في استعادة السوق القومية من براثن الاستعمار القديم ، وانما كذلك في منعه من العودة اليها متخفيا في صورة الاستعمار الجديد . التحرر الاقتصادي يجرى الان في معارك البلدان النامية للسيطرة على ثرواتها الطبيعية ، وتحديد أسعار مجزية لصادراتها من الخامات والمواد الاساسية ، واقامة علاقات اقتصادية دولية متكافئة مع العالم الرأسمالي ، كل ذلك تمكينا لها من السير في عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، من خلال عملية تصفية التخلف والتبعية ، وتحقيق التقدم الاقتصادي . وهو أمر لا يمكن أن يتحقق بدون التعاون الوثيق والمتنوع الاشكال مع البلدان ذات النسيج الاشتراكي وبخاصة الاتحاد السوفيتي .

ان هذا يتطلب نضالا شاقا على كافة مستويات العمل الوطني ، مثلما يتطلب موقفا حازما من رأس المال الاجنبي ، فلا يقبل الا في اطار التنمية الاقتصادية واهدافها العليا ، وبحيث يكون من شأنه ان يساعد على تحقيق التحرر وتصفية التبعية . فهل من شأن الانفتاح الخارجي ان يحقق هذا التحرر وان يصفي هذه التبعية ؟

يجب الاعتراف هنا بان الدعوة للانفتاح الخارجي لم تلق أي رواج الا بعد حرب اكتوبر ، وذلك على الرغم من محاولة البدء فيها منذ عام ١٩٧١ . والسبب في ذلك يرجع في الواقع الى ظرفين مختلفين ، احدهما عالمي والاخر محلي :

اما الظرف العالمي ، فهو اضطرار الامبريالية العالمية لاستخدام أساليب الاستعمار الجديد لمواجهة نهضة البلدان النامية ، واستعداد هذه الامبريالية العالمية — وبخاصة في ظروف الكساد الدولي الراهن — لتقديم رءوس أموال لبناء صناعات معينة في البلدان النامية ذات طبيعة ثانوية — مقابل الابقاء على أساليب وعناصر الرأسمالية داخل هذه البلدان النامية . ومن ثم تجرى عملية تقديم الاموال مقابل تعويق التنمية الاقتصادية أو توجيهها توجيها خاطئا ، بحيث يبقى البلد النامي على الرغم من كل ما ينفقه من أموال معتمدا في اقتصاده على الدول الرأسمالية . ومن هنا ، فان الاستغلال الذي كان يتم في الماضي من قبل البلدان الاستعمارية يظل قائما بل يتم توسيع نطاقه ، بالاستناد الى نظام العلاقات الاقتصادية الدولية التي تكونت في الماضي ، بتدعيم أساليب وعناصر الرأسمالية وضمان نموها ، وبتكريس أسباب النزعة الاستهلاكية ببقاء وتعزيز الاساس المادي للفئات الطفيلية .

وأما الظرف المحلي ، فهو ضخامة انجاز حرب اكتوبر ، ومحاولة استغلاله في استدراج المنطقة العربية ابتداء من مصر للدفاع بنفسها عن المصالح البترولية والاستراتيجية للامبريالية العالمية . وتجرى المحاولة لاستدراج مصر

بالذات وذلك باستغلال آمال تحـــرير الارض وتعمير ما خربته الحرب ، وتنمية الاقتصاد تنمية حقيقية . ولهذا يتم الترويج لنظرية وهمية تزعم تخلي الامبريالية العالميـــة بزعامة امريكا عن اسرائيل بوصفها حارسا لمصالحها الاساسية فى المنطقة ، ونزول اسرائيل من ثم عن دور الشريك الاصغر الى دور الذيل التابع . ومن هنا ، يفتح السبيل لتعامل مصر مع امريكا على اسس جديدة لا شبهة فيها للاستعمار القديم . لكن الحقيقة هى أنه يتم بذلك الترويج لجـوهر الاســتعمار الجديد فى المنطقة . فمقابل بعض الاموال تجمعها امريكا من البلدان العربية والبلدان الاوروبيـــة ومن امريكا نفسها ، ومقابل تكنولوجيا من الدرجة الثانية تأتى من الغرب وربما من اسرائيل ايضا ، تعد العدة ليلتقى هذا كله بما تستطيع مصر ان تقدمه : وفرة العمالة الرخيصة وقدرتهـا على اكتساب المهارة ، وسعة السوق المحلية للسلع الاستهلاكيـــة . ذلك هـــو مخطط الاســتعمار الجديد . ومن الواضح ان المقابل الحقيقي المطلوب من مصر هو فى النهاية بعث الحياة فى العناصر والاساليب الراسمالية . ومعنى ذلك كله اعادة معالم التبعية الاقتصادية .

فى هذه الظروف جرى تطبيق سياسة الانفتاح الخارجي . فماذا كانت المحصلة ؟ بالطبـــع لم تكتمل بعد النتائج . لكنها مع ذلك ، وحتى الان ، تعتبر بالغة الدلالة .

لقد وافقت هيئة الاستثمار العربى والاجنبى حتى آخـــر يونيـــو ١٩٧٥ على مجمـــوعة من المشروعات بلغ عددها ٢٣٩ مشروعا للاستثمار بالداخل ، باجمالى راسمال مستثمر يبلغ ٢٨١ مليون جنيه ، منها ١٥٩ مليون جنيه بالعمـــلات الاجنبية . كما وافقت على ٩٢ مشروعا للاستثمار فى المناطق الحرة . وحتى نهاية اغسطس ١٩٧٥ كانت قد وافقت على نحو ٣٠٠ مشروع باجمالى راسمال مستثمر ٣٣٠ مليون جنيـــه ، تغطى مجـــالات الســياحة والحـــراريات والنســيج والصناعات الغذائية والكيماويات وتنمية الثروة الحيوانية والاسكان والنقل ، يضاف اليهـــا ١٨ مشروعا لفروع البنوك الاجنبيـــة . **ولقـــد تبين بالمتابعة ان عـــددا قليلا من هـــذه المشروعات لا يتجاوز ٣١ مشروعا فقط هو الذى بدأ فعلا مرحلة التنفيذ او الانتاج .** ويقول وزير التخطيط : « ان عددا كبيرا من مقدمى هـــذه المشروعات ما زال مترددا نتيجة الاوضاع وانتظارا لتهيئـــة مناخ اكثر مساعدة لانجاح المشروعات ، وان الكثير من المشروعات يتعثر فعلا نتيجة نقص المرافق » .

هناك بالطبع وعود كثيرة باستثمارات كبيرة اتفق عليها مع العرب : ٨٨٨ مليـــون جنيـــه مع الكويت ، ٦٣٦ مليون جنيه مع السعودية ، ٤٠٧ مليون جنيه مع دولة الامارات ، ١٠٣ مليون جنيه مع قطر . وهناك استثمارات اخرى مـــع بلدان رأسمالية كالولايات المتحـــدة . غير ان الاستثمار الاجنبى المؤكد حتى الان انما يتمثـــل فى مبلغ ٧٠ مليون جنيه استثمارات داخليـــة و ٢٠٠ مليون جنيه فى المناطق الحرة ، تأتينا على ثلاث سنوات ، أى بمعدل سنوى يبلغ ٩٠ مليون جنيه فقط — مع العلم باننا وجدنا انما يلزم مصر من اموال أجنبية يجب الا يقل عن ١٠٠٠ مليون جنيه سنويا كاستثمارات بالاضافة الى ما يلزم لسد العجز فى ميزان المدفوعات .

ان التزامات التنمية محددة . . اما مصادر التمويل فغير مؤكدة . ومن ثم تقـــع مصر تحت رحمـــة مصادر التمويل . وتتجدد بوضوح مخـــاطر التبعية الاقتصادية . ويكفى لهذا ان نلقى نظرة على الموقف الامـــريكي بالذات . فمن خـــلال ما قامت به فى الســـنة الاخيرة نلحظ ظاهرتين بالغتى الخطورة :

أولا — محاولة الربط بين حل القضية الوطنية وحل المشكلة الاقتصادية فالولايات المتحدة تحاول ان تجعل من المعونة الاقتصادية وسيلة اضافية للضغط فى مجال التسوية السياسية . وقد بدأت الظاهرة بموضوع تعمير مدن القناة ، ثم ارتبطت بالانفتاح مباشرة . ونشير فى هذا السياق الى الطلب الذى تقدمت به شركة فورد لرفعها من قوائم المقاطعة الاقتصادية مقابل وعد منها بانتاج ٥٠ الف محرك ديزل فى المنطقة الحرة ، تمهيدا لتصديرها للمنطقة العربية . . ومازال الطلب قيد البحث .

ثانيا — محاولة تأمين الصلة الوثيقـــة بين الرأسمالية الامريكية والرأسمالية المحلية . من هنـــا ، ركزت الاتفاقيـــة الاقتصـــادية المصرية الامريكية على تعاون القطاعين الخاصين الامريكى والمصرى . وقد صرح جون كالدويل مدير المركز الدولى للتجارة الخارجية بغرفة التجارة الامريكية بأن « ٤٠ الى ٥٠ شركة من الشركات الصناعية الرئيسية فى الولايات المتحدة سوف تمثل فى اللجان الاقتصادية المصرية الامريكية » . وتجتمع اللجنة المشتركة لرجال الاعمال الامريكيين والمصريين ، وفى الجانب الامريكى منها نحو ٤٠ من كبـــار رجال الاعمال بينهم دافيد روكفلر رئيس بنـــك تشيز مانهاتن ، ويرأسهم جميعا توماس ميرفى رئيس احتكار جنرال موتورز ، وهو احتكار كان لرئيسه السابق تشارلز ويلسون كلمة مشهورة فى العالم

هي قوله : « ان ما هو حسن بالنسبة لجنرال موتورز يكون حسنا بالنسبة للولايات المتحدة ». لكن المشروع الهام الذى تقدمت به جنرال موتورز كان مشروعا مشتركا مع مصر والعراق ، لانتاج الجرارات ، على ان يقوم العراق بتمويل المشروع . وجدير بالذكر ان هيئة التمويل الدولية ، وهى تابعة للبنك الدولى للانشاء والتعمير ، انما تقصر تعاملها على معونة القطاع الخاص ، وقد تقدمت أخيرا تعرض خدماتها .

اذن ، مشروع فى المنطقة الحرة لانتاج محركات تخصص للتصدير ، ومشروع مشترك يموله العراق لانتاج الجرارات . وهما مع ذلك مشروعان من أفضل المشروعات المعروضة علينا . لكن المقابل الحقيقى المطلوب من مصر هو أولا واخيرا الولاء للنظام الرأسمالى ، محليا وعالميا المطلوب هو ان تصبح مصر كلها منطقة حرة .. ويترجم ذلك عمليا الى التخلى عن السيطرة الوطنية على الموارد القومية وعلى أهداف واتجاهات التنمية القومية . وعلى سبيل المثال ، فان تحرير تجارتنا الخارجية وانشاء مناطق حرة سوف يدمر صناعات محلية موجودة حاليا فى القطاعين العام والخاص على السواء ، بل انه سوف يجعل من بلادنا مركزا اماميا لتسويق منتجات الاحتكارات الدولية فى المنطقة العربية . وعلى سبيل المثال ايضا ، فانه باسم الحصول على التكنولوجيا الحديثة ، تتأكد لدينا الان تبعية جديدة هى التبعية التكنولوجية ازاء الاحتكارات الدولية المتعددة الجنسية ، التى لن تسمح لنا مع ذلك بآخر كلمة فى ثورة التكنولوجيا .

فى هذه الظروف ، تعتمد الرأسمالية العالمية وبخاصة الامريكية على موقف المنظمات والمؤسسات الدولية ، كصندوق النقد الدولى والبنك الدولى للانشاء والتعمير ، وتمارس من خلالها ضغطا منظما علينا . لقد كان صندوق النقد الدولى والبنك الدولى فى مقدمة القوى التى وقفت ضد الخطة الخمسية الاولى ، وضغطا من أجل العدول عن اسلوب التخطيط للتنمية ، بل وعن التنمية اصلا بحجة انها محاولة طموحة من جانب مصر . ومنذ نهاية تلك الخطة الخمسية ، وهما يلحان على ضرورة اتباع [سياسة واقعية] داخلية وخارجية . ومن بين عناصر هذه السياسة الواقعية المطلوبة منا : تخفيض معدل التنمية الى النصف ، واتباع سياسة اسعار تعكس التكاليف الحقيقية ، ومنع الاعانات والدعم بالنسبة للمواد الغذائية الاساسية ، والغاء الاتفاقات الاقتصادية الثنائية وهى اساسا مع البلدان الاشتراكية ، وتخفيض الجنيه المصرى . وفى الايام الاخيرة أعاد صندوق النقد الدولى طلباته بتخفيض قيمة الجنيه المصرى ومراجعة الدعم والاعانات الممنوحة للسلع الشعبية ، وتحرير الاقتصاد من كافة قيود مرحلة التحول الاجتماعى . **وهكذا يطلب منا ان نقبل ليس فقط اعادة الرأسمالية محليا ، بل وتكريس التبعية للرأسمالية العالمية** . فهل هذا الانفتاح الخارجى هو الذى يكفل لنا فى النهاية حل مشاكلنا الاقتصادية ؟ انه تناقض لا حل له .

ان مشاكلنا الاقتصادية من الضخامة والخطورة بحيث تحتاج أول ما تحتاج الى الاعتماد على قوانا الذاتية أولا ، الى الاعتماد على النفس ، الى تعبئة كافة القدرات والامكانيات والموارد القومية أولا وقبل كل شىء . انها باختصار تحتاج لجهود كافة القوى والطبقات الوطنية والشعبية وحماسها ومبادراتها ، لتحقيق تنمية اقتصادية تكفل انجاز مهام التحرر الاقتصادى والتقدم الاجتماعى .

اما ما يجرى حاليا من سرعة تكوين الثروات المذهلة بفضل سياسة الانفتاح فلا يعنى سرعة التنمية الاقتصادية . فالتنمية اليوم أبطأ وأسوأ . انها تتم حاليا على أحسن الفروض بمجهودات فردية ، صغيرة ، مشتتة ، وبتكلفة اجتماعية غالية تتمثل فى عدد لا يحصى من حالات الافلاس واتساع البطالة والغلاء والبؤس والفقر والفساد .

وهذا هو مصير المفهوم الرأسمالى لتنمية القوى المنتجة فى بلادنا . وللاسف ، فانه فى ظل هذا المفهوم السائد حاليا ، لابد ان تسيطر العلاقات الانتاجية الرأسمالية . وهذا ما سوف نعرضه فى مقال قادم . ■

حوار اليســـار المصرى مع توفيـق الحكيم



توفيق الحكيم

مناقشـــــات

تابع كثير من قراء الطليعة وأصدقائها الحوار الذى دار على صفحاتها تحت عنوان « حوار اليسار المصرى مع توفيق الحكيم » . الا أن كثيرا من القراء والاصدقاء لم يكتفوا بمجرد المتابعة . وانما رأوا أن يشاركوا بدورهم بابداء الرأى فى هذه القضية أو تلك من القضايا التى طرحت فى الندوة .

وكان حوار اليسار مع الحكيم قد بدأ منذ ديسمبر ١٩٧٤ عندما نشرت الطليعة الخطابات المتبادلة بين لطفى الخولى وتوفيق الحكيم . ثم توالت جلسات الحوار التى نشرت فى تسعة أعداد من الطليعة « يناير - سبتمبر ١٩٧٥ » . وكان جدول أعمال الندوة قد تحدد فى ثلاث نقاط رئيسية هى :

١ - الخطوط العامة لرؤية مستقبل مصر فى أبعاده المحلية والعربية والدولية .

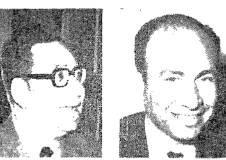
٢ - تقييم ايجابيات وسلبيات التجربة كما قادها الرئيس الراحل جمال عبد الناصر .

٣ - مسار التجربة منذ وفاة عبد الناصر وتولى الرئيس السادات لمسئولياته الدستورية .

وكان قد اشترك فى الحوار :

- خالد محيى الدين - د . فؤاد مرسى - احمد عباس صالح - د . لطيفة الزيات - د . عبد العظيم أنيس - د . مراد وهبة - محمد سيد أحمد .









خالد محيي الدين — د. فؤاد مرسي — د. عبد العظيم انيس — د. لطيفة الزيات

واشترك فيها من هيئة تحرير الطليعة :

ـ لطفي الخولي ـ ابو سيف يوسف .

لقد اتجهت الندوة ـ كما اوضحت الطليعة مرارا الى ان تفتح ملف الناصرية في اطار ثورة ٢٣ يوليو ، وحاولت ان تقدم تقييما موضوعيا لرحلة حكم عبد الناصر ، يتجنب التشهير كما يتجنب التبرير ، يكشف ما هو سلبي ، ويؤكد ما هو ايجابي بهدف وضع تصور ، او تحديد الخطوط العامة التى يمكن أن تلتقي حولها قوى التقدم والاشتراكية من أجل ان تواصل الثورة الوطنية الديموقراطية مسيرتها لمصلحة أوسع الجماهير ، ومن أجل أن تترسخ التوجيهات التقدمية والاشتراكية لهذه الثورة .

والامر المؤكد هو أن تعليقات القراء على الندوة قد تتفق ، او قد تختلف مع اتجاهات الندوة ، او مع هذا الرأى الفردى او ذاك . وكل هذا طبيعى ، ووارد ، ومقبول . وكل هذا يضيف الى الندوة ويثريها . وسوف تواصل الطليعة نشر ما وصل اليها وما سوف يصل اليها من كتابات القراء . وهى ترجو ـ تحقيقا للفائدة ، وتمكينا لها من نشر اكبر عدد من الرسائل ـ أن تكون الرسالة فى حدود ثلاث صفحات فولسكاب .

من الحكيم .. الى الحكيم

مهندس أحمد دمرداش حسين

.. تحية طيبة وبعد ، اتوجه اليكم بخالص الشكر على الحوار الهادف والمخلص الذى دار خلال ندوات الطليعة ذلك الحوار الذى حول القيم من شعارات الى سبل ومسالك لحركة التطور الوطنى التقدمى فى مواجهة التحديات التى تبدو امام البعض وكأنها تسد السبل . قيم تعانق الحياة وتتشبث بها ، وتتحرك بها نحو الافضل دائما فى نضال لايعرف الكلل ، يبذل للتطور كل معطياته من عرق ودم . اما عبادة الشعارات والهتاف اسفلها مع الفرار عند أول بادرة خطر فحصيلته مسخ مصدور يلتهمه الموت عند اول نوبة سعال .

حاول اليسار المصرى أن يصل بالحوار مع **توفيق الحكيم** الى مرحلةتحديد المواقفولكنهراوغ واشار الى ما يفهم منه انه حريص على ان يظل بجوار الانسانية ، وهذا على اى حال موقفه . فمحور الاشتراكية هو علاقة الانسان باخيه الانسان ومن هذا المنطلق فأى ثورة مهما كانت منجزاتها على الصعيد العسكرى والاقتصادى ولا تمس علاقة الانسان باخيه الانسان ثورة لا تستحق جهد القيام بها . من هذا المنطلق الانسانى نرجو الدكتور **توفيق** ان يجيب على السؤال الذى يطرح نفسه تلقائيا . هل مست التجربة السابقة علاقة الانسان باخيه الانسان أم لا ؟

من هنا يبدأ التقييم اذا كنا ننشد الانسانية . وبالتأكيد ليست علاقة الانسان بالانسان محورا للاشتراكية فقط بل هى ايضا محور الاديان السماوية بل محور الانسانية نفسها . ففى الاشتراكية يحدد هذه العلاقة الالتزام الاشتراكى الذى يترجم الى قوانين تشترك فى صياغتها وحمايتها الاغلبية ذات الجهد الاساسى فى التطور . اما الاديان السماوية وخاصة الدين الاسلامى فان ايمان المرء بربه يلزمه بعلاقة محددة باخيه الانسان لخصها الرسول الكريم بأن تبرأ ممن ينام مملوء البطن منتفخ الاوداج ، وعلى الجانب الاخر من الجدار من يئن جوعا [من بات شبعاناوجارهجائع ليس منا] حديث شريف اذن هى علاقة بذل وعطاء للاخرين ومشاركة حتى ولو كان المرء لا يملك سوى تمرة واحدة [اتقوا النار ولم يشق تمرة] حديث شريف .

وخرجت من قلب المسيح الطاهر تنشد الخلاص للانسانية المعذبة [للطيور فى السماء اوكارا وللثعالب جحورا وابن الانسان ليس له ابن يسند رأسه] .

اما فى الانسانية فيحدد هذه العلاقة الاختيار وهذا تتحكم فيه عوامل « سيكولوجية » يدخل ضمنها الوازع الدينى والتربية والبيئة الخ .

وتطبيقا على هذا وحتى يبدو ما أريد ان اصل اليه واضحا . تفرض ان هناك جماعة من الناس تعرضت للعطش فى رحلة ما ، ثم اكتشفوا ان احدهم يحمل كمية من المياه . ما الذى يضمن للجميع الحصول على الماء بالتساوى ؟ اذا قلنا الوازع الانسانى . قد يكون صاحب الماء انانيا .

اذا قلنا الوازع الدينى . قد يكون غير متوفر بالمرة .

اذن كان يجب على الجماعة من البدايةتوزيع الماء بينهم بالتساوى سواء شاء صاحب الماء هذا او لم يشأ حتى ولو كان الماء قد كلفه نقله ذهبا ولس فى هذا تطاولا على الشرائع

السماوية أو حتى الشرائع الوضعية . اذن لايمكن الاعتماد على الوازع الدينى او الانسانى فى تحديد العلاقة بين الانسان واخيه الانسان تحت كل الظروف فليس كل البشر يحملون قلوبا ورعة انسانية او حتى قلوبا بالمرة . بل لابد من قوانين تساير العصر وتناسب واقع وامكانيات كل شعب تحقق العدالة التى نادت بها الاديان وتنشدها الانسانية . لذا يجب التدرج فى المواقف مع بذل النضال المناسب لكل موقف حتى تكتمل الصورة المناسبة للاطار العام .

هوامش على حوار التجربة الناصرية فى « الطليعة »

آمين آسكندر *

فى الواقع ان حوار الطليعة مع الأستاذ توفيق الحكيم حول تجربة مصر الناصرية فى فترة الثمانى عشرة عاما التى تزعم فيها عبد الناصر الامة العربية - كان هذا الحوار افضل التقييمات العلمية رغم اختلافى معه فى بعض الملاحظات الشكلية والنقاط الموضوعية وهى فى نظرى كالاتى :

الملاحظات الشكلية :

١ - التمثيل الناصرى فى الحوار :

نظرة بسيطة لخريطة تمثيل حوار الطليعة نجد ان كل الجالسين على مائدة الحوار يمثلون اليسار الماركسى بكل تفرعاته ومعهم مؤلف لايعرف اذا كان ليبراليا ام يساريا. فتارة يطالب بزعيم مثل **هوشى منه ولينين** وتارة يطالب بأحزاب ليبرالية ومرة اخرى يوافق على اشتراكية علمية ومن المحتمل ان يوافق على النازية والفاشية .

هذا التمثيل المغلوط والمتعمد ، والذى يحذفه اصحاب التجربة فكرا وواقعا من على مائدة الحوار . نعم فى العددين الاولين نجد ان هناك اثنين يمثلون الفكر الناصرى . وبعد عددين ينسحبون احتجاجا على التمثيل المغلوط والمتعمد. وانا على علم تام بان احد الناصريين الاثنين قدم للحوار ودقة ببعض الاسماء الناصرية التى يجب ان تشارك فى الحوار حتى يكون التمثيل عادلا ولم يستجب لطلبه وقرر الانسحاب باعثا خطابا بذلك .

ان عملية الالتفاف من حوالى سبع مفكرين من فصائل اليسار الماركسى حول اثنين من الناصريين ليس من العدل ، وخصوصا هم الذين يملكون منهجا للحوار ، ويعرفون ماذا يريدون من الحوار وماوجهة الاستفادة منه .

ورغم هذا الاختلاف الشكلى فهذا لايعنى الاختلاف وانما مجرد اختلاف فى جو ديمقراطى تمارسه الطليعة .

٢ - المنهج المعكوس التآمرى :

ان مايلفت النظر عند حوار التقييم الجدلى فى اعداد الطليعة هو هذا المنهج المعكوس التآمرى « مستقبل - حاضر - ماضى »

فلماذا هو معكوس ؟ ولماذا هو تآمرى ؟

فمن المفروض عند تقييم هذه الفترة وهذا لايختلف حوله اثنان : ان يكون المنهج هو « الماضى - الحاضر - المستقبل »

ولكن الرؤيا المتآمرة عكست المنهج حتى لايتعرضوا لبعض الاسئلة تصدم منهج تفكيرهم وايدلوجيتهم مثل :

لماذا ظل عبد الناصر لمدة ١٨ عاما يحكم مصر؟

لماذا ظل عبد الناصر لمدة ١٨ عاما زعيم العالم الثالث ؟

هل يوجد طريق ثالث للتطور والتنمية ؟

هل كان عبد الناصر مرآة لآمال الجماهير ؟

ماتفسير ظاهرة ٩ ، ١٠ يونيو ؟ وماتفسير

* امين النادى السياسى بمعهد المساحة - عضو نادى الفكر الناصرى - عضو جريدة الطلاب .

جماهير الجنازة الرهيب ؟ وماتفسير اقبال الجماهير على فيلم العصفور وتصفيقهم للزعيم فى دور العرض رغم مرور اربع سنوات على وفاته ورغم ان الفيلم له وجهة نظر نقدية للفترة الناصرية فى الحكم ؟

كل هذه اسئلة لو سار حوار الطليعة فى حواره غير المعكوس منهجه ، لكانوا اسوفيفكرون فى وجود واستنتاج اجابة لها . وهم فى نظرى وحسب استنتاجى الحامل للخطأ والصواب كانوا يعلمون هذه الاجابة . ولكنهم تعمدوا وجود هذا المنهج المعكوس حتى يحدث نوع من الرؤيا الضبابية لفترة سابقة وحتى يطرحوا صيغة جديدة لمناقشة المستقبل ، وكان الناصرية انتهت. فعلى الفكر الاخر الذى يمثله أطراف اليسار فى الحوار أن يأتى ليحل مستقبل مصر وهذا واضح فى كلام الكثير تارة بالاعلان،وتارة بالغمز واللمز.

وهناك سبب آخر لعكس المنهج وهو توفير الجو النفسى للقارىء ، حتى يخرج بعدذلك وكأنه كافر بفكر عبد الناصر الذى كان يمثل البرجوازية الصغيرة ، والذى لم يضف شيئا جديدا للفكر العالى وغير ذلك .

وحسب استنتاجى ، فهذه رؤية تآمرية لسان التاريخ . وحيث أن التاريخ يقول ان هناك زعيم جاء ووضع كثيرا من البذور فى أرض صالحة التربة ، ورحل بعد فترة ، فهناك فترة قادمة سوف تنبت هذه البذور ، وتخرج لكى تحول ارض العروبة الى أرض يانعة خضراء معطاة فهذا هو منطلق التاريخ .

ملاحظات حول المضمون :

من الملاحظ أن كثيرا من مفكرى اليسار الجالسين حول مائدة الطليعة تناولوا :

قضية الحرية :

ففى العدد الثانى للطليعة على لسان الدكتور مراد وهبة « فى داخل الاتحاد الاشتراكي لابد ان تكون — مستقبلا قيادة للعمال والفلاحين — اى انه لابد ان يأخذ شكل حزب طليعى تمارس من داخله ثورة ثقافية » .

وفى العدد الخامس على لسان الاستاذ خالد محيى الدين :

« فكرة الاتحاد الاشتراكى أنه هو حلف قوى الشعب العاملة من عمال وفلاحين ورأسمالية وطنية ومثقفين . ولكن كيف يعمل هذا الحلف فى ظروف وجود الصراع الطبقى . اعترف عبد الناصر ان الصراع الطبقى حتمى .. وحدد انه لابد من ان يكون الصراع الطبقى سلميا . لكن سلميا بأى شىء ؟ هو أجاب بتذويب الفوارق بين الطبقات وتجريد الرجعية من اسلحتها . لكن من الملاحظ أن كلمة الرجعية تأخذ باستمرار . فمع مسيرة الثورة وتطورها تحاول بعض الفئات التى اشتركت فيها تجسد الوضع لمصالحها الخاصة هنا تنشأ رجعية جديدة . قد تحاول ان تسيطر على السلطة وتقف ضد التطور » .

وعلى لسان الدكتور عبد العظيم أنيس « ربما كان الاجتهاد النظرى الوحيد الذى اضافه عبد الناصر داخل الميثاق . وأنا أعتبره أضعف اجتهادات عبد الناصر هى فكرة تأميم الصراع الاجتماعى .. »

فى الواقع لابد من نظرة تجوب العالم الثالث كله سوف نجد أن اكثرية تنظيماتهم ذات تنظيم شامل واحد كما فى الصين او حزب طليعى وهذا ناتج من الظروف الموضوعية المحيطة بالعالم الثالث واهمها عدم تبلور الطبقة هناك وارتفاع الامية ..

ويقول ذلك ماو « أن البلاد الرأسمالية فى الغرب تخضع لدكتاتورية البورجوازية والبلاد الشيوعية تسيطرعليها دكتاتورية البروليتاريا(١) . أما فى البلاد النامية ، فان الاسلوب الذى يصلح لهـا هو أن تسيطر على الحكم الدكتاتورية المشتركة لاربع طبقات : هى العمال والفلاحون والبورجوازية الصغيرة « بما فيها المثقفون والبرجوازية الوطنية »

وفى الواقع ان فكرة الديمقراطية الجديدة (٢)، والتى تعتبر بالتالى الاساس التاريخى لمفهوم التنظيم فى عدد من البلاد النامية عندما استشرى خطر الفاشية والنازية فى أوروبا وبدأ الشيوعيون يبحثون عن حلفاء بين شعوب الدول الاوروبية أيا كان ارتباطاتهم الطبقية »

ولقد قال لينين « انه من الخطأ أن نحكم على سلطة من زاوية الديمقراطية الشكلية وحدها وانما الحكم عليها يكون من زاوية موقفها من الامبريالية » .

ورغم كل هذه الدلائل ، الا ان التنظيمات

---

[١] ماوتسى تونج — الاعمال المختارة جـ ٢ ص ٣٥٠

[٢] القومية والمذاهب السياسية ص ٣٦٦

السياسية بعد ثورة ٥٢ لم تفشل كما يدعي البعض . لانها كانت تنظيمات ذات ا هداف مرحلية بانتهاء تحقيقها ينتهي التنظيم نفسه . وعلى سبيل المثال هيئة التحرير « الاتحاد — النظام — العمل » فلقد كان هذا الشعار مطلوبا في فترة الاحتلال الانجليزي والعمل على طرده من جانب ثورة الشعب

ونقول ان كلا من تلك التنظيمات كان يعبر عن خريطة المجتمع المصري العربي بكل تناقضاتها وسلبياتها (٣) .وكانت الصراعات الدائرة في داخله مرآة تعكس صراعات المجتمع ذاته ، وعلى هذا الاساس ليس صدفة ان يتفجر كل تنظيم مع تفجر مرحلة جديدة على طول مسيرة الثورة ولقد كان بامكان الثورة الناصرية في ٢٣ يوليو ان يظل الضباط الاحرار نواة لتنظيم معلن أو غير معلن في مصر .. »

فكرة تاميم الصراع :

لم يفكر عبد الناصر ابدا في تاميم الصراع ، او لم يذكر ولم يلمح عن ذلك من اول المواثيق الى آخر المقولات الناصرية ، بل كان حاسما جدا في ذلك عندما قال [٤] : « ان الصراع الحتمي والطبيعي بين الطبقات لا يمكن تجاهله ، وانما ينبغي ان يكون حله سليما في اطار الوحدة الوطنية وعن طريق تذويب الفوارق بين الطبقات»

وحله يكون عن طريق الاتي :

١ — تجريد الرجعية من جميع اسلحتها مثل المال والوظائف العليا ومن هنا جاءت الحراسات والتأميمات وفكرة العزل السياسي .

٢ — استخدام العنف الثوري ضد من يسيء الى الوحدة الوطنية والى كل من تتعارض مصلحته مع مصلحة الشعب الذي هو صاحب الحق في الثورة ومثال على ذلك قضية كمشيش

٣ — التنظيم الديمقراطي الذي يجمع من لهم الحق والمصلحة في الثورة .

اذن ليس هناك تأميم ، ولكن هناك نوع من السلمية المشروطة بسلمية الاساليب المستخدمة من قبل الرجعية .

« احنا بنقول عايزين نحل التناقضات بالوسائل السلمية . نحن في الميثاق لم نستبعد العنف وقلنا اذا الرجعية لم تسر معنا واذا أخذت فترة لتهاجمنا وتهاجم مجتمعنا بتدخل معها في العنف الى اقصى حد ممكن . احنا لينا وسيلة تختلف في الصراع الطبقي » (٥)

ونظرة بسيطة ندرك اهمية ما أرسته الناصرية من تطور في الفكر السياسي العربي ، فعندلطفي السيد مفكر الليبرالية كان اصحاب المصلحة هم « ابناء البيوتات والاعيان » وعند عبد الناصر كان اصحاب المصلحة هم قوى الشعب العاملة بفئاتها الخمس وفي مقدمتهم افقر هذه الفئات العمال والفلاحون .

قضية الاشتراكية :

في العدد الثالث من الطليعة نجد على لسان الاستاذ توفيق الحكيم :

« المستقبل اذن هو للاشتراكية ولكن اذا كنا نقول اشتراكية ٥٢ وثورة ٥٢ ستخيب امل الجماهير الكثيرة »

هكذا ببساطة يقول استاذنا : انه سوف يخيب امل الجماهير . اية جماهير لا اعرف ؟

ولكن الذي يهمنا ان نقوله في هذه النقطة ان عبد الناصر ابدا لم يقل اننا قدوصلنا لمرحلة الاشتراكية ، وانما دائما كان يقول نحن في طريقنا الى التحول الاشتراكي ؟

وفي العدد الرابع على لسان د. عبد العظيم انيس كلام عن الاشتراكية لاداعي لذكره لان تعليقي عليه سيوضحه فتحول الاشتراكية العربية والاشتراكية العلمية :

« اشتراكيتنا علمية .. قايمة على العلم وليست قايمة على الفوضى . مهواش ابدا اشتراكية مادية .. مقلناش ان احنا اشتراكية مادية.. ومقلناش ان احنا اشتراكيتنا ماركسية ومقلناش ان احنا خرجنا على الدين .. بل قلنا ان الدين بتاعنا هو دين اشتراكي [٦] » .

نعم ان جوهر الاشتراكية واحد وهو عدم استغلال الانسان لاخيه الانسان وهذا هو الجوهر الذي يوجد في كوبا واليمن الشعبية والاتحاد السوفيتي والصين ولكن هناك اشياء كثيرة تترك سماتها وطابعها على هذا الجوهر فعندما نقول اشتراكية عربية نعني ان هذه الاشتراكية تخص الشعب العربي . الشعب المجزا .. الشعب الذي وقع تحت استغلال من

[٣] دراسات في الناصرية — عبد الناصر والتجربة التنظيمية — محمد الخولي
[٤] الميثاق .
[٥] محاضر اللجنة التحضيرية .
[٦] عبرة الماضي وملامح الحاضر والمستقبل في فكر القائد عبد الناصر ص ١٢٣.

نوع خاص . فهناك التجزئة وهناك دول البترول وهناك دول لاتجد ميزانية موظفيها ، وهنـــاك استغلال الجماهير العاملة العربية . وهنا نجد انفسنا لابد من الربط من الاشتراكية والقومية والدين الذى جاء من اجل الانسان والذى يثبت التاريخ العربى انه كان عاملا ضد الظلم دائما وكان سلاحا فى ايدى الشـــعب ضـــد الدخلاء وضد الاستقلال .

ولكن اساتذتنا الماركسيون يرفضون القومية من مفهوم ماركس ، بل ويرفضون الدينمن نفس النظرة البالية والتفســير غير العلمى . ورغم ذلك لايريدون أن يعيدوا النظر فى هذا الموقف الخاطىء .

الراسمالية الوطنية :

لم يقل عبد الناصر ان الرأسمالية وطنيـــة ولكنه قال انه من الممكن ان نوظف الرأسمالية الصغيرة ، لكىتكون وطنية وغير مستغلة . توظف تحت شروط كثيرة منهـــا قيـــادة القطاع العام لها ووضعها فى اطـــار الخطة العـــامة للدولة وتكون دائما تحت الرقابة الشعبية وكثير من القوانين التى تحد من استغلالها وتجعـــل ربحها مشروعا وهذا فى اعتقادى نابع من ظروف العالم الثالث كله،وهذا ايضا فىالصين الشعبية الدولة التى ترفع صور ماركس ولينين حتى الان:

« لاتقـــوم الدولـــة بمصـــادرة المتلـــكات الخاصة للرأسمالية بصفة عامة ولاتعرقل نمـــو الانتاج الرأســـمالى الخـــاص فى حـــدود عدم سيطرتها على معيشة الشعب (٧) » .

« راس المـــال الخـــاص حر مادام يعمـــل لمصلحة الشعب ويعمل للخير العام .. ونعتبر ان رأس المال الوطنى ضرورة لازمـــة فى هذا الوقت من أجل تطوير الانتاج ومن أجل تطوير الاقتصاد القومى .. ولكننا يجب ان نلاحظ دائما أن راس المال هذا لايتحكم فى الحكم ولايسيطر على الحكم من أجل استغلال الاغلبية العظمى لهذا الشعب (٨) » .

راسمالية الدولة :

يذهب الكثـــير الى اعتبـــار مـــاتحقق من التأميمات الى القطاع العام لم يكن الا رأسمالية دولـــة ، ويســـتندون فى ذلك الى انتشـــار البيروقراطية والفئات الطفيلية . ولكنـــه فهم قاصر ، لانهم لايرون ماوراء الظاهرة من عوامل موضوعية افرزتها ، على الرغم من الثـــورة . فهناك الكثير من الاســـباب من بدايـــة تعجيل الثورة بالتنمية الى عدم وجود التنظيم السياسى الناجح . وفى اعتقادى ان هذه المشكلة قابلت الاتحاد السوفيتى فى بداية تكوينـــه وقابلت كل المجتمعات الحديثة النمو .

« من الخطـــأ القـــول بأنـهـــا كانت مجرد استمرار لطريق التنمية الرأسمالية فى مصر عن طريق احتكار الدولةالتوجيهالاقتصادى ،اذ سنجد فى تجربة عبد الناصر ماينـاقـــض هـــذا القـــول كذلك (٩) » .

قضية الوحدة :

على لسان السيد خـــالد محيى الدين فى العـــدد الثانى من الطليعة « شكل العلاقة بين مصر والعالم العربى انا لا استطيـــع أن أحدده سلفا هل هو اتحاد دويلات .. اتحاد متكامل .. دولة واحدة .. الخ واكتفى بالقول أنه مجتمع عربى متكامل تلعب فيه مصر دورا قياديا » .

وعلى لسان الدكتـــور عبد العظيم أنيـــس « سنجد فى الحقيقة اننـــا مرتبطون بالعـــالم العربى لامن زاوية التراث الثقـــافى واللغة ووحدة الامانى .. الخ لكن معركة النضال ضد الاستعمار والصهيونية تفرض علينا فرضا وحدة الالتزام العربى »

هكذا ببســـاطة لايعرفون اذا كان اتحـــاد دويلات ام وحدة ؟ ، والمهم هو النضـــال ضـــد الاستعمار والصهيونية فلابـــد اذن من الالتزام العربى .

وهنا لابد من طرح عدة اسئلة على اساتذتنا المفكرين :

ماهو وضـــع العـــالم العربى قبـــل مجىء الاستعمار ؟

وهل ظاهرة التجزئة صفة عرضية جاء بها الاستعمار أم لا ؟

ولماذا يصممون على تكامل اقتصادى عربى رغم أنه من الممكن أن يحدث تكامل مع افريقيا ؟ اما محاربة الامبريالية فمنـــذ وقت مبكر ونحن نحارب الامبريالية ، ومرورا بفدائيى القتال الى منظمة سيناء الى حرب أكتوبر ونحن فى حرب مع الامبريالية والصهيونية اذن هناك شىء آخر

---

[٧] ماوتسى تونج ـــ الاعمال المختارة ﺟ ٢ ص ٣٤٦

[٨] عبد الناصر ـــ الفكر والطريق

[٩] ٢٣ يوليو خمسة أبعاد « مصر عبد الناصر للاستاذ العالم » .

غير التكامل الاقتصادى ومحـاربة الامبريالية يعلمها جيدا اساتذتنا الاقليميـون ويعملون على طمسها باسم التكامل او محاربة الامبريالية .

« ان مفهـوم الوحـدة العربيـة يتجاوز التحرر السياسى واسترداد فلسـطين وبنـاء الاشتراكية وتوحيد الاقطار العربية (١٠) » .

ان المفهوم الصحيح للوحـدة العربيـة هـو النهوض الثورى الشامل فى مواجهـة جبهـة عريضة من العداوات .. وليس مبالغة القول بأن كل القوى والتيارات العـالمية مسـتهدفة العرب . كما أن الامة العربية بما تحمله من مقومات خاصة ومبشرة تتصـدى لكل تحديات هذه التيارات بمعنى أن الوحـدة العربية هى معركة وجود تستلزم بالضرورة النهوض الثورى القائم على وحدة الامة العربية »

قضايا أخرى :

ثورة يوليو والحل البرجماتى :

وعلى لسان الاستاذ / احمد عباس صالح فى العدد الرابع « ان ملخص كلامى هو اننـا ونحن نحاول أن نكتشف الافكار الاساسية لثورة ٢٣ يوليو علينا ان ننتبه الى انها ثورة برجماتية ».

فمن الخطأ أن ننظر الى تجربة عبد الناصر بأنها كانت عبـارة عن مجرد حركة برجمـاتية لعدة أسباب :

١ ــ ان هناك محـددات للتجريب موجودة فى فلسفة الثورة والمبادىء الستة .

٢ ــ ان قائد التجريب والمنهـاج الوحيـد هو العلم .

٣ ــ البرجمـاتية هى فلسـفة الرأسـمالية الامريكية التى تسعى الى الربح بمختلف الوسائل

٤ ــ مرحلة التجريب أنتهت بمجىء الميثاق .
نعم ان الميثاق كان سوف يعاد فيه النظر سنة ١٩٧٠ ولكن يجب أن نتساءل :

ماهى الاشياء التى كانت سـوف تتغير .
هل الطريق الذى سلكناه ؟

وانا حسب استنتاجى المتواضع أجزم القول بأن التغـير كان وسـوف يكـون فى مزيـد من التطبيق الاشـتراكى ومزيد من ممارسـة الديمقراطية .

« اؤكد اولا ببسـاطة ان ثورة ٢٣ يوليـو لم تكن كما يقال حركة برجماتية ، أو تجريبية خالصة ولم يكن مسـارها مراحـل متقطعـة وتحولات مفاجئة . بل كانت تتحرك باستمرار وفق مبادىء واهداف وضـعتها لنفسـها منذ البداية (١١) » .

الناصرية :

على لسان الدكتور عبد العظيم انيس يقول فى العدد الرابع « لست من المقتنعين بأن هناك شيئا اسمه الناصرية بمعنى Nasserism

اى نظرية فكرية مثل الماركسية والوجودية » .

وعلى لسان لطفى الخولى فى العدد السادس يقول « من ناحيتى أعتقد أنه يمكن الاجابة على سؤال هل يوجد ناصرية أم لا ؟

لا : بمعنى أن مايسمى بالناصرية لم تطرح فى الواقع افكارا جديدة لا بالمعنى النظرى، ولا بالمعنى. انها غير مسبوقة وغير مطروحة من قبـل فى المجتمع المصرى والوطن العربى »

وعلى لسان الاستاذ محمد سيد احمـد فى العدد السادس :

« ان الناصريـة بالمعنى المسـتخدم عـادة للمصطلح هى لحظة من تاريخ مصر »

وفى الحقيقة وحسب اجتهادى المتواضـع ايضا ، فان الناصرية شىء مكتمل من بداية البعد الكونى ، الى منظور الاستقلال الى حل مشكلة الاقليـة بالسـودان والعراق مرورا بالمنهـج وتفسير التاريخ ، وهذا يكون له مجـال آخـر للتوضيح ..

امـا الذين يدعون ان عبد النـاصر لم يـأت بجديد ، لان حزب البعث كان طارحا فى الساحة العربيـة « وحـدة ــ اشتراكية ــ حريـة » والقوميون اللبنانيون كانوا يطرحون هذا الشعار فالاجابة بسيطة جدا :

لماذا سميت الماركسية على اسم ماركس ؟

رغم انه اخذ المادية من فورباخ ، والجدلية من هيجل ، وتأثر كثيرا بسان سيمون فى المذهب الاجتماعى . اما عبد الناصر فله اضافات كثيرة من بداية حل مشكلة البعـد القومى وعـلاقته بالبعد الطبقى فى العالم الثالث مرورا باستخدام الجيش كأداة ثورية لصـالح الشعب ، نهاية بسلمية الصراع الطبقى .

---

[١٠] قراءة جديدة لمفهوم الوحـدة ــ عبد الله زكريا .
[١١] ٢٣ يوليو خمسة أبعاد ــ مصر عبد الناصر ــ محمود العالم .

اما الرد على الاستاذ محمد سيد احمد فصحيح ان الناصرية لحظة من تاريخ مصر . ولكن يجب أن نتساءل هل هذه اللحظة مطروحة على الساحة العربية ام لا ؟

وهل الفكر الناصرى هو الذى سوف ينجح فى حل مشاكل الواقع العربى ؟

هل واقع التخلف والتجزئة الذى يعيشه ، والحل فى الحرية والاشتراكية والوحدة ام فى شىء آخر ؟

« ان أى نظرة لمستقبل الناصرية يجب أن تقف بكل شدة امام القول المغرض الذى يرفع فى وجه المؤمنين بهذه الثورة ومؤداه أن الناصرية أنتهت برحيل جمال عبد الناصر ، والنظرة اليها مجرد نظرة تاريخية لزعيم عربى حكم مصر فترة ثمانية عشر عاما . فهذا القول خاطىء تماما لان انتهاء الناصرية متوقف على تجاوز الاهداف التى قامت وناضلت من أجلها (١٢) »

واخيرا اكرر شكرى لمجلة الطليعة على موقفها التقدمى من الواقع الذى تعانيه ، ومن الهجمة اليمينية الشرسة .

« ان اصحاب المصلحة فى المستقبل هم القادرون على القتال من أجله (١٣) » .

أسئلة تطرحها ندوة الحكيم

السيد محمد على حسنين *

اشارت المجلة فى عددها الأخير عن ترحيبها بتعقيبات القراء على الندوة التى سميت بحوار [اليسار المصرى مع **توفيق الحكيم**] ويسرنى أن أورد هذه النقط الخمسة تعليقا على الندوة :

أولا : اثار الاستاذ **احمد عباس صالح** عن دور مجلس الادارة والنقابة فى ترشيد الانتاج اقول للاستاذ احمد عباس صالح ما هو دور العامل عضو مجلس الادارة أو عضو نقابة الشركة الغير متخصص حينما تناقش ميزانية الشركة أو اى عملية تجارية للشركة ؟ .

لقد ناديت سيادتكم بضرورة الاشتراك بالنسبة للعمال فى مجلس الادارة والنقابات العمالية فى ادارة وسائل الانتاج بالشركة أو المصنع وسيادتكم تعرف ان دور النقابات العمالية فى الدول الاشتراكية يكاد يكون منعدما ، بينما فى الدول الراسمالية تكون للنقابات الدور الكبير فى قيادة العمل والعمال ومن هنا ينبعث سؤال آخر :

ما هو الدور الحقيقى للنقابات العمالية فى مصر وهى دولة اشتراكية تنفتح أخيرا اقتصاديا على العالم والانفتاح له مدلولات كثيرة ؟

ثانيا : اشار الاستاذ **خالد محيى الدين** الى تعدد المنابر وانها ستكون البداية لقيام الاحزاب أريد ان أسأل سيادته سؤالا كيف ستتكون المنابر والمؤتمر القومى سيجتمع مرة كل عام واللجنة المركزية مرتين كل عام وعلى اى مستوى من التنظيم ستتكون المنابر ؟ هل على مستوى الوحدة أولجنة القسم أو مؤتمر المحافظة او المؤتمر القومى العام أو اللجنة المركزية . ومن الذين سيقودون هذه المنابر هل هم افراد أم جماعات وكيف نضمن أن التنظيم السياسى يضم جميع الكيانات الفكرية الموجودة وكيف سيكون تأثيرها والاتحاد الاشتراكى تنظيم معاون للسلطة وليس له حق المعارضة ؟

ثالثا : فى تعليق للاستاذ **ابو سيف يوسف** تكلم عن عملية تحرير الارض من خلال تضامن عربى فى جميع المجالات العسكرية والسياسية

---

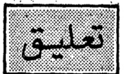
[١٢] الناصرية بين النظرية والتطبيق — محمد عبد الحكم .
[١٣] خطاب عبد الناصر سنة ١٩٦٩
* عضو لجنة الاتحاد الاشتراكى — منيا البصل الاسكندرية

والاقتصادية . كيف نضمن هذا التضامن. وهناك اختلافات فى الانظمة العربية واختلافات فى الايدلوجية الفكرية فهناك الحكم الملكى والحكم الرئاسى وكذلك اختلاف الانظمة ما بين انظمة اشتراكية وانظمة راسمالية ولو نظرنا الى الوفود العربية فى الامم المتحدة لرأينا اختلافا فى وجهات النظر بالنسبة لهذه الوفود فمن هنا يكون التضامن السياسى العربى ضعيف لا يرتكز على اسس متينة .

كذلك ما تقدمه الدول العربية ذات الموارد البترولية للدول العربية الفقيرة قليل اذا قورن بما تقدمه او تستثمره فى بنوك أوروبا وامريكا ومن هنا يكون التضامن الاقتصادى غير متوازن وقصير المدى وضئيل الكمية .

رابعا : اشار بيان الندوة الى ضرورة التعاون مع الاتحاد السوفيتى . ولى تعليق صغير ان مصر منذ عام ١٩٥٥ وهى تحاول جاهدة ان تستمر العلاقة بينها وبين الاتحاد السوفيتى علاقة مبدأ وصداقة . الا ان الاتحاد السوفيتى بعد قيام الحوار بين مصر وامريكا اوقف شحنات الاسلحة لمصر فى الوقت نفسه فان الاتحاد السوفيتى قد طرق باب الكونجرس الامريكى محاولا مد يديه كى يوافق الكونجرس على استثمارات امريكية فى سيبريا . فاذا كان الاعتراض السوفيتى على الحوار المصرى الامريكى ، فقد اقام هو الحوار مع امريكا قبل مصر . ثم ان الحوار المصرى الامريكى يهدف الى جلاء القوات الاسرائيلية من الاراضى العربية . اما اذا كانت الاختلافات بين امريكا والاتحاد السوفيتى فى طريقة المفاوضة فهى فى النهاية ستعطى نتيجة واحدة تريدها جميع الاطراف وهو الانسحاب والسلام القائم على العدل . ولكى تنمو العلاقات السوفيتية المصرية ، على الاتحاد السوفيتى ان يتخلى عن فكرة ان مصر ستتركه وترتمى فى احضان الولايات المتحدة الامريكية .

خامسا : لم يشر بيان الندوة الى دور الشباب المصرى وخاصة [الطلاب] ولم تشمل الندوة اى دور للشباب فى هذه المرحلة وخاصة عن سؤال يدور فى فكر الشباب هو : اين موقف الشباب من التيارات الفكرية المختلفة هل هو مع اليسار ، ام مع اليمين . وهذه هى الحقيقة التى يبحث عنها الشباب أم مع من ؟!



١ — تقدر الطليعة كل التقدير رسالة المواطن السيد محمد على حسنين لما اشتملت عليه من طرح اسئلة وقضايا جدية ، خصوصا فى النقاط ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ . وبعض الاسئلة التى طرحها قد كتبت فيها الطليعة من قبل . ولذلك نرجو ان يرجع الى مجموعات الطليعة فى السنوات السابقة .

٢ — وفيما يتعلق بالنقطة الرابعة فقد أشار الى ان بيان ندوة الحكيم قد «اشار الى ضرورة التعاون مع الاتحاد السوفيتى » .

والطليعة تؤكد ان البيان الذى صدر عن ندوة الحكيم لم يتضمن هذه الاشارة ، واكتفى برؤوس موضوعات عامة جدا .

وفيما يتعلق باسس العلاقة بين بلادنا وبين الاتحاد السوفيتى فنرجو ان نحيل الصديق السيد محمد على حسنين الى مقال لطفى الخولى المنشور فى عدد اول اكتوبر تحت عنوان موقف اليسار المصرى من قضيتين : الموقف من امريكا والموقف مع الاتحاد السوفيتى .

الطليعة

ملاحظات شاب فى العشرين

صلاح الدين عبد القادر محمد *

كنت اتابع الحوار الذى كان يدور ولا زال فى مجله الطليعه تحت عنوان : «اليسار المصرى يحاور توفيق الحكيم» . ولقد كان حقا حوارا ممتعا . وكان حقا يجب ان يدور خاصه فى هذه المرحله الهامه من تاريخ امتنا التى تحاول فيها قوى الرجعية واليمين المتخلف الانقضاض على منجزات فترة من تاريخ أمتنا .

وبصفتى احد شباب هذه الثوره . فانى بالطبع أكون متاثرا بكل ايديولوجياتها وبكل مواثيقها الثوريه ولكن لى بعض التحفظات على ما دار فى الحلقات السبع السابقة ، وطبعا لم تصل هذه الملاحظات لان هنـــاك فرقا بين المرحلة الفكرية للاخوة الذين اداروا الحوار وبين المرحلة الفكرية لشاب فى العشرين .. ولكن اذا سمح لى الاخوة بعرض هذه التحفظات :

اولا — النقاش فى مجمله كان رائعا ، ولكنى اعجبت «بفرشة النقاش» التى طرحها الاخ : **خالد محيى الدين** وقد ازددت اعجابا بالعرض الشيق للاخ **د. فؤاد مرسى** خاصـــة بعـــد بلورته لثورة يوليو كمـــا جـــاء فى المجلة . وبالطبع آراء الاخ **لطفى الخولى** الذى ادار الحوار بذكاء ومهارة غير عاديين .. واننى اضم رأيى وصـــوتى الى رأى الاخ **د. فؤاد مرسى** وان لم اكن مدعوا للنقاش حقا ، ولكنى كأحد ابناء الثورة لى الحق فى ابداء رأيى بصراحة .

ثانيا — لقد ذكر بعض الاخوة الفاظا لا اعرف مدى صحتها او مطابقتها للواقع ، وانه كان الافضل ان تذكر بصورة افضل مثل قـــول الاخ **توفيق الحكيم** « الديكتـــاتورية العســـكرية » أو كلمـــة «الخراب » .

وكذلك قول الاخ **محمـــد ســـيد احمد** « وفى سبيل أن يكتسب النظام نظاما تحتيا ولا يكون مجرد شعارات وصلت الى حالة كاريكاتورية » .

فانا كنت افضل ان تذكر الفاظا افضل من هذه حتى لا تستغل استغلالا سيئا قد يعرفه الاخوة جيـــدا ، وكذلك قول الاخ **توفيق الحـــكيم** كلمة «المبادىء والشعارات» فانا كنت افضل استخدام كلمة البرنامج التى ذكرها الاخ **لطفى الخولى** فى عدد يوليو .

ثالثا — فى عدد يونيو ص٧٢ ذكرت **د.لطيفة الزيات**:

طبعا عبد الناصر كان من الضرورى ان يعمل معادله . وانا اوافق لطفى انه كان يتدخل لصالح الجماهير فى بعض الاحيان ، ولكن لم يكن هذا بناء على نظريه مسبقه ومتكامله ولابناء على انه يريد الاحتفاظ بهذه الشعبيه الهائله التى مكنته من الحكم طوال هذه الفترة وعمقت وجوده فى كيان الجماهير هذا التعميق الكبير . وهذه نقطه فرض اختلف مع **د.لطيفة الزيات** فى ان **عبـــد الناصر** كان ايمانه بالجماهير منقطع النظير وكان فى كل قراراته التى يتخذها لصالح الجماهير وليس كما ذكرت **د.لطيفة الزيات** انه لا يريد الاحتفاظ بهذه الشعبية .. الخ ، والا لما كان يكرر فى كل خطاباته « الشعب المصرى العظيم » .. ولما قال : عندى يقين لا يتزحزح بأن الشـــعب وحده هـــو الباقى والخالد ، وانه قادر فى كل مراحل النضال ان يخرج من صفوفه من يخدم امانيه ويحقق احلامه ، فانا اختلف مع د.لطيفة الزيات حتى وان كان فرضا كما ذكرت . وهذا فى حدود علمى والله أعلم .

رابعا — فى عدد يونيو ص ٧٥ قول الاخ **احمد عباس صالح**:

لابد من اعادة النظر حتى نستطيع ان نفتح الملفات ونناقش نقاشا موضوعيا ، ويكون لهذا النقاش نتيجة لابد ان تتوافر اولا واخيرا حرية الصحافة . الخ .

وانا متفق مع الاخ **احمد عباس صالح** فى هذه الصراحة الحقيقية .

وفى عـــدد يوليـــو ص ٩٤ ذكر الاخ **احمـــد عباس صالح** :

«.. الى أن وضح أن هناك ضرورة اجتماعية لوجـــود برنامج عمـــل ، على الاقل ، او تنظيم

* اسواق مدينة نصر

لخطة العمل، ولهذا كان ظهور الميثاق الذى اصطدم أيضا بصراع طويل داخل التجمع أو المؤسسة التى أقرته والتى القى فيها عبد الناصر خطابه المعد سلفا، والذى هو الميثاق فوافقت عليه، ووضح من التفسيرات التى اعقبته ان هذه المؤسسة ربما كانت تعارض كثيرا من المبادىء التى جاءت فى الميثاق ولهذا اعطيت لها تفسيرات تناقضها وتنقضها نقضا شديدا، الى ان بدأ ضغط الشعب يزيد هنا قدمت نظرية اعتقد انها كانت مقابلة فى منتصف الطريق مع مطالبة الشعب بالنظرية، وقدمت فى حدود امكانيات المجتمع المصرى لتقديم تنظير للثورة».

معنى ذلك ان عبد الناصر قد تجاهل كل الاراء والاتجاهات التى قدمت فى المؤسسة التى قدم فيها الميثاق، وذلك من معنى خطابه المعد سلفا. وثانيا قد جرد الميثاق من اهدافه الاصلاحية لانه لا يعبر عن رغبة الجماهير فهو مثل أى كتاب أو قصة يؤلفها فرد.

كما انه لم يعقب عليه احد من الأخوة فانا أريد توضيحا من الاخ احمد عباس صالح نفسه لهذه الفقرة. طبعا أن كان يسمح بذلك.

خامسا — لقد اعترف الاخ توفيق الحكيم بأنه مسئول مسئولية كاملة عن سنوات الثورة وبأنه أحد الداعين لها فى كتبه التى ذكرها فى المجلة وانه كان من أشد المتحمسين لعبد الناصر وهذه لمسة للفنان الحق، ولكن لى تحفظ فى نشره لكتابه «عودة الوعى» فى هذه الظروف بالذات مهما ابدى الكاتب الكبير من اسباب، رغم ما ذكره فى المجلة.

٢ — حوار الاخ توفيق الحكيم فى ص ٦٧ ؟ ٦٨ بعدد مارس سنة ١٩٧٥ :

حول ان « الميثاق عظيم وكلام فى الاشتراكية عظيم، ولكن لم يطبق التطبيق العملى السليم » .

اذن أريد أن أوضح ان فكر ثورة يوليو صالح لان يستمر ولان تبنى مصر المستقبلية على هذه الاسس ومن هذه المنطلقات، وان نتخذها ركيزة لنا فى المرحلة المستقبلية ونحاول أن نستبعد كل معوقات التطبيق العملى السليم.. ولكن ليس كما ذكر الاخ توفيق الحكيم .

« المستقبل اذن للاشتراكية .. ولكن اذا كنا نقول اشتراكية ٥٢ وثورة ٥٢ سنخيب أمل جماهير كثيرة ولذا يجب أن نحسم ونكون واضحين ولسنا عاطفيين او مجاملين » .

اذن مادام المستقبل للاشتراكية ومادام الميثاق عظيم .. اذن فلماذا الردة عن مواثيق ثورة يوليو؟ ولماذا العودة عن اشتراكية ثورة يوليو. اننا نحن ابناء جيل الثورة نريد اشتراكية ٥٢، ونريد ثورة ٥٢ ؟ اننا نريد ان ننطلق من هذه المبادىء الى المستقبل لان هذا يمثل تاريخنا كما يمثل حاضرنا ومستقبلنا، اننا سننطلق الى الغد الجديد بهذه المبادىء وسنزداد فخرا يوما بعد يوم، ان من كانوا قبلنا اناروا لنا الطريق وفى هذا نحن لسنا عاطفيين او مجاملين، بل هى الحقيقة كل الحقيقة والله أعلم.

٣ — فى عدد يونيو ص ٧٦ قول الاخ توفيق الحكيم :

— وهى مسئولية فتح ملف المثقفين. فعلا يجب ان نعرف أين ذهب المثقفون فى ذلك الوقت وما هى مسئوليتهم ؟ سنجد فعلا انهم تعرضوا للقمع .. لماذا هذا القمع .. الخ .

الى قوله بدلا من كلمة تقاعسوا .. فهى تعنى انه كان من الممكن ان يفعلوا شيئا ولم يفعلوا . واننى اجد فى هذا القول اجحاف للمثقفين عن تقصيرهم لانه عمم القمع على كل المثقفين ولكن على سبيل المثال هو احدهم فهل تعرض للقمع .. وان كان لا فلماذا لم يتكلم. هذه تحتاج الى رد من الكاتب الكبير لان عموم القمع قد يهضم حق المثقفين الذين شاركوا فى النهضة الفكرية فى هذه المرحله، ويهضم حق الذين اشتركوا، وقاموا بدراسة وتدريس هذا الفكر الجديد وخاصة لكثير من شباب هذه المرحلة الذين استمدوا ثقافتهم الثورية الحقيقية فى هذه المرحلة من هؤلاء المثقفين فلا اعرف لماذا دافع الاخ الحكيم عن المثقفين بهذا الدفاع الظالم، اللهم الا اذا كان للاخ الحكيم وجهة نظر معينة واتمنى لو يشرحها لنا .

٤ — لابد ان اسجل هنا اعجابى الشديد بآراء الاخ توفيق الحكيم فى جلسة الحوار السابعة لانه فى هذه الجلسة كان يتحدث كلاما منطقيا حقا! وهذا لا يعد مخالفا لتحفظاتى التى سجلتها آنفا ولكن المدقق يلاحظ انه هناك فرق فى الاراء والحوار بين هذه الجلسة وسابقتها، وليكن ذلك احقاقا للحق .

وفى نهاية حديثى لابد وان اسجل اعجابى العميق بكل آراء الاخوة الذين اشتركوا فى المناقشة لا على نقاء آرائهم وعلى فهمهم الواعى لكل ظروف وملابسات المرحلة الماضية فحسب، ولكن على صراحتهم المتناهية وعلى شجاعتهم الرائعة لنقد التجربة بصراحة ووعى، ودقة لا من اجل فرد ولا من أجل احد ولكن من اجل خدمة مصر المستقبلية ومن أجل المرحلة القادمة فى خدمة مصر والشعب المصرى العظيم على طريق ثورة يوليو وعلى طريق عبدالناصر، وعلى طريق الاشتراكية. وأرجو الله أن يوفق الاخوة لتحقيق كل خير للامة العربية .

شارك الدكتور مهندس ميلاد حنا استاذ الانشاءات بكلية الهندسة جامعة عين شمس فى المؤتمر العربى الثانى لتنمية القوى العاملة الذى عقد فى بغداد فى اكتوبر الماضى حيث تقدم بدراسة حول نقص عمال البناء ننشر فيما يلى أفكارها الاساسية ..

نقص عمال البناء

حلقة ضعيفة فى التنمية العربية

د. ميلاد حنا

ان طموح الدول العربية بكافة انظمتها الاقتصادية والاجتماعية يعرقله ويحول دون انطلاقه العجز الواضح والشديد فى « الكم والكيف » فى عمال البناء والتشييد ، فى كافة التخصصات .

ان مشكلة نقص رؤوس الاموال لم تعد موجودة اصلا فى المنطقة العربية — ككل — فقد اصبحت المملكة العربية السعودية ثاني دولة فى العالم من ناحية السيولة النقدية ، واحتلت مكان الولايات المتحدة ، وذلك طبقا لتقارير صندوق النقد الدولي فى مايو ١٩٧٥ .

ولذلك ، فان توفر رؤوس الاموال فى المنطقة العربية — بصرف النظر عن توزيع هذا الخير على دول المنطقة — يسمح لاغلب هذه الدول بالحصول على كل ما ترغب وتشتهى من وسائل الراحة والرفاهية والمتعة من جانب ، وللحصول كذلك على وسائل التنمية الاقتصادية من مصانع وآلات ومعدات من جانب آخر . **كما يسمح لها ان توفر العملات الصعبة بشراء الخبرة الفنية على أعلى مستوى ، ومن أى مكان فى العالم ، خصوصا وان النظام الراسمالي يعاني — حاليا — من أزمة تصريف منتجاته ، ولذلك فالسوق العربية مطمع طبيعي للشركات الرأسمالية الاوروبية والامريكية .**

الا أن كل هذه المشروعات — سواء أكانت للتنمية او للمتعة — تحتاج بالضرورة الى مبان وانشاءات ... القصور الفارهة نوع من الانشاءات وكذلك المبانى العامة والمساكن . **وحتى المصانع الحديثة تحتاج الى سقف تستظل به ، أو الى قاعدة خرسانية ترتكز عليها .** ثم يلزمها طريق ممهد يوصل اليها وتحتاج ايضا الى مشاريع لمرافق المياه ، واخرى للصرف ، وثالثة لمواسير وأنابيب الطاقة او مجارى لامرار كابلات الكهرباء ، وفى كل ذلك ، لابد من مساكن وخدمات لمن سيبنى هذه المصانع من الخبراء الاجانب او العمال المحليين .

وبعبارة اخرى ، وباختصار شديد ، **يكون انشاء المبانى والخرسانات والطرق والمرافق والموانى هو البنية التحتية** Infra Struchere **التى ينبغى ان يرتكز عليها طموح الدول العربية فى التنمية الصناعية والزراعية والحضارية .**

ويمكن لهذه الدول شراء ما تحتاجه من مواد بناء حديثة او تقليدية ، بما لديها من سيولة نقدية اذ لا توجد صعوبة تذكر فى الحصول على الاسمنت ، وحديد التسليح ، وارقى انواع الالمونيوم اللازمة لواجهات المبانى ، او المستحدث فى عالم الزجاج الملون بخواصه المتباينة ، او المعدات الثقيلة من جرارات وآلات الحفر والردم او الاوناش والخلاطات . **ولكن ستظل العقدة الرئيسية هى فى الحصول على البشر الذى يحول هذه المهمات ومواد البناء الى منشآت .** ومن هنا ، كانت قضية تنمية عمال البناء والتشييد هى — فى تقديري — **عنق الزجاجة فى تنمية** الدول العربية .

البناء والتشييد حرفة قديمة

وربما لا تستطيع الدول العربية ان تدعى انها تنافس العالم المتحضر في الصناعات الكهربائية او البترولية . **ولكن حرفة البناء والتشييد قديمة في وادي النيل ووادى الفرات ودجلة ، قدم الحضارة ذاتها . وتشهد اهرامات الجيزة وبرج بابل بالمهارات اليدوية فى هذا المجال .**

فمنذ آلاف السنين ، يقوم الفلاح المصري او العراقى بضرب قوالب الطوب النيىء من طمى النهر ، ويضيف اليه التبن ليحسن خواصه ، ويمنع تشققه . ثم يبنى بيته بنفسه ، او بمساعدة جيرانه . ومن آلاف السنوات — كذلك — طور انشاء السقف وابتكر تشكيل القبة من الطوب .

وفى ميدان الخشب ، قطع الشجرة ، وعمل منها الشبابيك والابواب وهداه تفكيره الى الشادوف والساقية والطنبور كأدوات اساسية للري . وعلى ذلك ، فحرفة البناء والتشييد لازمة من لوازم الحضارات الزراعية القديمة . **ولذلك فان تدريب المزارع والفلاح على انواع الانشاء حتى الحديث منها لا يمثل صعوبة كبيرة ، اذ انه لا يشعر بأى غربة فى هذا المجال** ، بخلاف مشاعر الريفى عند تعامله مع ميكانيكا السيارة او الاجهزة الكهربائية او الالكترونية عندما يصيبها العطب !!

وفى مصر ، يعترف الجميع ان **عمال التراحيل** الذين حفروا ترع مصر ومصارفها هم فقراء الريف من الفلاحين ، كما وان «الفورمجى» الذى يحمل « قصعة » الخرسانة فوق كتفه الى الطوابق العليا ، فى أى مبنى بالقاهرة ، هو — نفسه — الذى يعود مرة اخرى ليزرع حقله فى الوجه القبلى بمحافظات اسيوط وسوهاج وقنا .

ولذلك ، فان العمالة — بكافة تخصصاتها — فى عالم البناء — ليست وليدة نظام التعليم ، ولكن وليدة نظام الفراعنة ...

غير ان رجال التربية والتعليم ، قد توهموا انهم قادرون على تكوين طبقة من الصناع المهرة فى هذا المجال ، عن طريق التعليم اسوة بما يحاولون الوصول اليه فى ميدان الميكانيكا والكهرباء .

ولست — هنا — بصدد **تقييم التعليم الفنى** — ككل — فى التخصصات المختلفة . اذ ان لذلك مجاله ولكن الخبرة فى مصر تدل بوضوح على ان التعليم الفنى فى المراحل الاعدادية والثانوية لم يساهم على الاطلاق فى توفير عمال فنيين فى البناء والتشييد . فلم نسمع حتى الان عن بناء او نجار مسلح او مبيض او نقاش من خريجى المدارس الصناعية .

ولكن للانصاف لابد من الاقرار بان مجال التعليم الفني للثانوية المعمارية قد أدى الى توفير جزئى لعدد معقول من **الرسامين والملاحظين** .

وهذه الفئة على اى حال اساسية ومطلوبة . **ومن هنا يحتاج الامر الى مراجعة برامج الدراسة** لكى يكون التركيز الفعلى على تخريج هذه الفئات من ملاحظى المبانى ومن الرسامين الذين يشتد عليهم الطلب فى المكاتب الهندسية المعمارية والانشائية على حد سواء .

مراكز التدريب فى المدن حل طويل الامد

اضطرت دول مختلفة الى انشاء مراكز تدريب مهنية مجهزة باحدث المعدات لمواجهة هذه المشكلة . وساهمت فى ذلك دول متقدمة او خبرات من هيئات الامم المتحدة .

وفى العديد من عواصم الدول العربية ، توجد مراكز ممتازة تختار عددا محدودا من الطلاب بعد اختبارات مهاراتهم ويستنزف ذلك الوقت والمال . وقد اعلنت وزارة الاسكان فى مصر مؤخرا عن اعداد مراكز تدريب لعمال البناء وذلك من خلال خطة عاجلة تتكلف ١٫٥ مليون جنيه مصرى لاعداد ١٣ الف عامل فى بحر عام [١٩٧٥ — ١٩٧٦] . كما أعدت برنامجا طويل الامد اعتمد له مبلغ ٢٠ مليون جنيه لتدريب ٢٣٦ الف عامل ... اى ان متوسط ما يحتاجه العامل للتدريب يزيد قليلا عن المائة جنيه .

ولا اعتقد انه يوجد لدى الدول العربية مجتمعة او منفردة دراسات او احصائيات وافية تحدد حجم العمالة المطلوبة فى كل فرع . ولكن الازمة الحالية توضح ان حجم العجز كبير للغاية الى الحد الذى تواجه به الدول المصدرة لهذا النوع من العمالة — مثل مصر — نقصا واضحا ادى الى ارتفاع خطير فى الاجور ، سيؤدى — بدوره — الى ارتباك واضح فى تنفيذ خطط التنمية .

من ذلك يتضح ان انشاء مراكز تدريب مجهزة بمعدات وخبرة أجنبية او محلية هو حل طويل الامد يحتاج الى سنوات فى اعداد مراكز التدريب ذاتها ، والى اعداد المدربين والمعلمين والخبراء ، فضلا عن الوقت الذى يستنزفه التدريب ذاته .

ومما تجدر ملاحظته ، ان اغلب هذه المراكز تنشأ قرب العواصم والمدن الكبرى لكى تتناسب مع اعاشة الخبراء والمديرين وقرب الرئاسات والوزارات ، مع ان ذلك يمثل مشكلة بالنسبة لاختيار الطلاب واعاشتهم وتنقلاتهم .

لا نستطيع — اذن — ان ننكر دور وفاعلية مراكز التدريب المجهزة .. ولكن المشكلة تحتاج الى مجابهة سريعة وحاسمة . والى تضافر جهود الدول العربية مجتمعة ، اذ ان لها فى مجموعها مصلحة مشتركة : فوحدة اللغة عامل اساسى فى التعامل فى اى موقع للعمل حيث يوجد انشاء وبناء واحتياج الدول الغنية والبترولية للعمالة من الدول الفقيرة لا يقل عن حاجة الدول الاكثر عددا فى تصدير العمالة الزائد الى جيرانها .

وان دولا ، مثل السعودية والكويت وامارات الخليج وليبيا ، فى حاجة ماسة الى العمـال . بينما تستطيع مصر وتونس — حتى فى ظروف الازمة الحالية — ان تعاون فى تقديم المزيد من العمال ، فى هذا الميدان .

وقد زاد من صعوبة الموقف البرامج المنفتحة لتعمير جمهورية مصر — بعد حـرب اكتـوبر ١٩٧٣ — وازدياد حجم العمل — بشكل كبير — لتنفيذ مشاريع ضخمة فى منطقة القناة والقاهرة وغيرها من المناطق الاخرى. فضـلا عن ايجاد حلول لازمة الاسكان وفى المدن والقـرى والتى تزداد حدتها يوما بعد يوم .

ومن جهة اخرى ، فقد تعاقدت وزارة الاسكان المصرية مع شركات عربية من السعوديةوغيرها، وتكونت شركات مشتركة للمقـاولات ، لتنفيـذ مشروعات فى مصر وغيرها من الدول العربية ، اعتمادا على ان فى مصر فائضا من العمالة .

وفىمايو ١٩٧٥ ،وقعت حكومتا مصر والعراق بروتوكولا تقوم بمقتضاه شركات المقاولاتالمصرية بتنفيذ حجم عمل يصل الى ٦٠٠ مليون دينـار عراقى فى بحر الخمس سنوات القادمة .

وهكذا ، يتضح — مرة اخـرى واخيرة ، ان وجود ارقام واحصاءات عن حجم العمالةالمطلوب — ولو بشكل تقريبى — لابد وان يكون الهـدف الاساسى لاجهزة جامعة الدول العربية ، وبالذات منظمة العمل العربية ، ومركز التنمية الصناعية للدول العربية .

وننتهى من كل ذلك ، الى ان الطرق التقليدية للتعليمالفنى — فىالدراسةالاعداديةوالثانوية — لم ، ولنتوفر اعدادا وفيرة لعمالالبناء .وبالمثل، فان مراكز التدريب المهنى فى المدن والمجهـزة باساليب حديثة — رغم انها اسلوب ممتاز — لن تكون كافية لمواجهة ازمة حادة تحتاج الى علاج سريع .. فهل من بديل ؟ ..

مركز القرية بالتشغيل الذاتى

واعتقد ان مواجهة المشـكلة بطريقـة ثورية يحتاج الى استغلال الامكانيات المتاحة عن طريق خلق مراكز تجمعات فى القرى ، حيث توجد كل عناصر الحل : فالراغبون فىالتدريب همبذاتهم، الفـلاحون الاجـراء ، الذين يريدون تحسين مواردهم المادية ، بالعمل فى مصر اولا ، ثم فى الدول العربية ، بعد اخذ الخبرة الكافيـة ... والمدربون هم « المعلمـين » الذين عـادوا الى القرية ، مرة اخرى ، اما لكبر السن او بعد ان شبعوا من العمل ، وعادوا الى زراعة الارض . اما المكان فهو حوش المدرسة الابتدائيةاو ساحة النشاط الاجتماعى للقرية . والمناخ العام هـو الشهرة الخاصة لما عرفت به القرية منذ فترة. اذ من المعروف ان افضل البنائين فى عديد من قرى مصر ، وان من يبنون بالدبش فى منطقةطره والعساوية فى محافظة سوهاج ،وفى بعض بلاد الوجه القبلى ، وينتشر نجارو المسلح فى اماكن مختلفة ... وهكذا .

على ان هذا لا يمنع ، من وجود بعض المراكز فى احياء من ضـواحى المدن الكبرى للحـرف الحديثة مثل تركيب البلاط والقيشانىوخلافه...

وفى رأيى ، انه يمكن البدء فى هذا الاتجاه — فورا ودون انتظار — لبناء الاماكن الدراسـية لمراكز التدريب او للمضى سنوات طويلة فىاعداد المدرسين انفسهم ... اذ ان « المعلم » الذى اكتسب خبرة السنين ، هو نفسـه « المعلم » ، الذى ينقل الخبرة الى «الصبى» بنفس الاسلوب الحرفى فى نقل المعرفة ، مع مجـرد التوجيـه والمتابعة والتنظيم من الاجهزة الفوقية والتىتقوم كذلك بعملية التمويل .

ويمكن الاستفادة من هذه المراكز فى انشـاء بعض مبانى القرية ذاتها ،ليكون التدريب العملى مفيدا ومساهما فى التنمية . وعلى سبيل المثال، يمكن زيادة عدة فصول فى المدرسة او بناء مخزن للمحاصيل الزراعية ، او اى مبنى تحتاجه القرية من خلال عمليات التدريب .

ولا شك فى ان هناك العديد من التفاصيـل التى يحتاجها المشروع ، وليس مجالها مثل هـذه الدراسة .

تنظيمات عمال البناء ونقاباتهم

لاغلب عمال مصر تنظيمات ونقابات واضحـة ومحددة ، الا ان عمال البناء مبعثرون ومتفرقون — كافراد — وهم يدخلون ويخرجون من الحرفة دون رابط او قيد . ولذلك ، فان كل ما تقـوم به الدول والمنظمات مندراسات وقراراتفوقية من اجل التدريب والتعليم لابد وان يقترن بدفع هذه الالاف من العمال الى تنظيم انفسهم ورفع مستواهم ، لتكون الرابطة او النقابة هىالجهة التى تحدد درجة الكفاءة ، وتحدد الاجر . ويمكن الاتصال بها للحصول علىالعدد والنوعالمطلوب، خصوصا ، اذا كان هناك طلب شديد للحصـول عليهم من جانب الدول العربية او غيرها . ذلك ان « هروبهم » الحالى يبخس من سعرهم فى السوق العالمى . وليس فى ذلك بدعـة ، او جديد . اذ ان دولة كالباكستان قد رتبت وتننت العمالة فى هذا الميدان ، بحيث يمكن لاى جهة اجنبية ان تتعاقد مع تنظيمات العمال لتصـدير هذه العمالة ، بالاجور المناسبة ، وكذلك لتضمن للعمال ليس الاجر السليم فحسب ، بل وظروف معيشية معقولة ، ووسيلة تنقلات يتفق عليهـا واجازات وساعات عمل توفر لهم حياة كريمة .

ان الامر — فى النهاية — يحتاج الى فكر المثقفين الثوريين — من المتخصصين — لابتكار الحلول . ولكن الحلاولا واخيرا فى ايدىالعمال ذاتهم اصحاب المصلحة فى هذا الميدان .

> « زاد الانتاج السلعى والتبادل التجارى فى مصر الهلينية زيادة كبيرة ، وخاصة فى المدن الاغريقية شبه المستقلة ، وترتب عليه تقوية اشكال متقدمة للحياة الاقتصادية ، وظهور نبتات أولى للاقطاع البيروقراطى فى الفترة الاخيرة للحكم البيزنطى . ولكن الهيكل الاجتماعى والسياسى المصرى وصل الى حافة الانهيار قبيل الفتح العربى ، لان تلك التطورات الاقتصادية كانت قد ظلت سطحية وجزئية ، وعاجزة عن احداث الانقلاب الشامل » .

■ حول النمط الاسيوى للانتاج *

الوجه « الآسيوى » لمصر الهلينية

أحمد صادق سعد

١ ـ المشترك القروى

ان الذى منع بذور الاقطاع البيروقراطى من أن تنبت وتترعرع وتصبح شاملة للاقتصاد هو بقاء العناصر الاساسية للخلفية الاسيوية قائمة . وما هو السر فى تلك الحيوية العجيبة للنمط الاسيوى والتى جعلته قادرا على المقاومة الف عام أمام هجوم العلاقات النقدية والتبادلات السلعية فى المصر الهلينى ؟ يكمن السبب الدفين لصلابة هذا النمط فى الشكل الخاص للمشترك القروى المصرى، انه كان شاملا من حيث عدم احتوائه على الملكية الفردية ، كما كان جزءا لا يتجزأ من الوحدة المركزية التى تسيطر على البلاد كلها بشبكتها البيروقراطية (١) .

ومنذ ما يقرب من قرن ، ميز ماركس بين الاشكال المختلفة للمشترك الزراعى التى تطورت اليها المشاعية البدائية الاولى . ومن هذه الاشكال الشكل الرومانى الذى فيه يملك المشترك الحضرى ـ المدينة ـ الارض التى حوله ملكية عامة ، ويمتلك افراد المشترك الحضرى ـ المواطنون ـ جزءا من تلك الارض ملكية خاصة . وقد تطور المجتمع الاقطاعى ثم الرأسمالى منطلقا على هذا الشكل المزدوج والمتناقض للملكية . فيقول مثلا :

« حيثما اكتسب أعضاء المشترك من قبل وجودا منفصلا كملاك خاصين عن وجودهم الجماعى كمشترك حضرى ، وملاك للمنطقة الحضرية ، فهناك تظهر الظروف المسبقة التى تسمح للفرد بأن يفقد ملكه أى العلاقة المزدوجة

---

* انظر للكاتب فى مجلة الطليعة : الاعداد الصادرة فى فبراير ومارس ١٩٧٤ ، وكذلك ابريل ١٩٧٥ .

التى تجعله مواطنا عضوا فى المشترك ، وذا مركز متساو « مع الاخرين ـ **المترجم** » ، وأيضا مالكا . ومن الصعب جدا أن يكون هذا الفقدان ممكنا فى الشكل الشرقى ، الا اذا كان ناتجا من تأثيرات خارجية تماما . وذلك لان العضو الفرد فى المشترك لا يقيم معه أبدا علاقة مستقلة استقلالا كافيا حتى تمكنه من أن يفقد ارتباطه « الموضوعى ، الاقتصادى » به [١] .

وما نود أن نبينه فى هذه الدراسه هو أن المشترك القروى المصرى استمر خلال العصر الهيلينى بفعل تلاقى عاملين يبدوان متناقضين تماما ، ألا وهما مصلحه الطبقة الحاكمة فى اعتصار الكادحين الى أقصى درجة ممكنة من جهه ، واتجاه هؤلاء الكادحين انفسهم الى شد وثاقهم بالمشترك فى كثير من الاحيان بحثا عن وسيلة للحماية من ضراوة الاستغلال ، من جهة أخرى . «وسنعود الى هذا الوجه للموضوع فيما «بعد»

ففى ظل البطالمه كان المصرى يعتبر مربوطا بالاقليم الذى ولد فيه مثلما كان الاغريقى يعتبر مواطنا للمدينة التى كانت مسقط رأسه «٢» . وفى كل قرية كان أصحاب الحرف المختلفه يشكلون طوائف يوحدها نوع الخدمه التى تقدمها لدولة . ففلاحوها مثلا مربوطون بمهنة فلاحة الارض بالقرية ولا يستطيعون التحول الى عمل آخر الا بعد الحصول على موافقة رسمية . وكان يشرف على أعمال سكان القرية مجلس من مشايخها **تعينه الحكومة** ويخضع للتسلسل الادارى فى الدولة «٣» . وتقوم لجنة من الموظفين بتحديد الريع المطلوب من ارض كل منطقة بالجملة ويلزم الفلاحون به . وعند الحصاد ، يشون القمح فى ساحة القرية حيث يدرس ، ويكيل نصيب الحكومة ويسلم الى الصوامع الحكومية .

وأبقى الرومان أيضا على النظام الذى يعتبر كل مصرى بالمنطقة التى يقيم بها «٤» . وكانت كل قرية تشكل وحدة ضريبية واقتصادية « وخاصة زراعية » ولها وجود مشتركى دون أن يتمتع أعضاؤه بسلطة جماعية على أى صورة . وينفذ مشايخ القرية ما تطلبه منها الحكومة مثل تعبئة المسخرين والمحافظة على « الامن » الرومانى ، وتحصيل الضرائب على انتاج الجعة أو تربية الاغنام، وتنفيذ القرعة العسكرية على الفلاحين، أو جمع البدل النقدى عنها . ولكن هؤلاء المشايخ ليسوا منتخبين بل مكلفون بالخدمة تكليفا قسريا لمدة سنة على الاغلب . وهناك **موظف حكومى مباشر** هو كاتب القرية الذى يجرى راتبه من حصيله احدى الضرائب المخصصة لهذا الغرض [٥] . وهذه الدوائر الزراعية المنغلقة على نفسها والمكتفية ذاتيا من الناحية الاقتصادية ـ كان من الطبيعى أن تشكل أكبر عائق أمام الاسراع بعجلة تداول النقود . ولكنها فى الوقت نفسه كانت الضمان الاجتماعى والسياسى لتجزئة الريف المصرى الى ذرات صغيرة فيمتنع على الفلاحين سبل توحيد الصفوف ضد الحاكم الاجنبى أو المحتل .

وعند أوائل الاحتلال الرومانى ، أصبح مشايخ القرية مسئولين شخصيا عن توريد حصيلة الضرائب العينية والنقدية كاملة ، بحيث يغطون النقص ـ ان وجد ـ من محاصيلهم « **قوانين تراجان** » . أما فى بداية القرن الثانى الميلادى ، فقد ألزم دستور سيفيروس سكان القرية جميعا بتسديد الضرائب التزاما جماعيا « ٦ » والى جانب أراضى الدولة التى تلزم كل قرية باستثمارها ، كانت توجد الاراضى المشاع ، ومنها تلك التى تديرها المجالس البلدية للمدن الاغريقية «مثل الاسكندرية» ، أو مراعى القرى التى يشرف عليها مشايخها ، وكان هذا معناه تقوية الروابط المشتركية بأوامر عليا .

ومع مرور الزمن ، اتسعت الاراضى التى ينتفع بها الافراد انتفاعا خاصا ، فألحقت قرارات حكومية جديدة أراضى الدولة بأقرب قرية لهسا وألزمت سكانها بزراعتها التزاما جماعيا «٧» .

---

[١] K. MARX : «Pre-capitalist economic formations» ... London ... Lawrence and Wishart - 1964 - p.p. 93-94.

[٢] P. JOUGUET : « L'impérialisme macédonien et l'héllénisation de l'Orient» Paris - Albin Michel-1937-p. 348

[٣] M. ROSTOVTZEFF : « The social and economic history of the Roman empire » ... Oxford-Clarendon-1957-Vol. 1, p. 274.

[٤] V. CHAPOT : « L'Egypte romaine » - (Dans Hanotaux, ed.)-Paris-Plon - 1931-Tome 3 - p. 267.

[٥] J. C. MILNE : «A history of Egypt under Roman rule » ... London -Methuen and Co. - 1924 - p.p. 129-130.

[٦] V. CHAPOT : Op. cit. ... p. 291

[٧] هـ ـ ايدرس بل : « مصر من الاسكندر الاكبر حتى الفتح العربى » . تعريب الدكتور عبد اللطيف احمد على ـ القاهرة ـ دار النهضة العربية ـ ١٩٦٨ ـ ص ١١٥ ـ

وسبق الاشارة الى أن الدولتين البطلمية والرومانية أكدتا مرارا على حقهما المبدئى فى رقبة الارض . فالمساحات التى كانت تقطع على الافراد لم تكن ملكا ، بل استحوازا «٨» فى أيديهم . ومن الملفت للنظر أن هذا الاتجاه لم يضعف مع الزمن ، بل على العكس ازداد قوة . ففى بداية القرن الرابع يصف السجل العقارى الارض الزراعية لمنطقة ثياديلفيا باعتبارها ملكا للقرية، فى حين ان اراضى التاج والافراد أيضا مقيدة على كشوف الحيازات الفردية «٩» . وأكدت اللوائح البيزنطية هذا الوضع فحرمت على الاعراب عن القرية ان ينتفعوا بزراعة أى قطعة تابعة لها . وفى الوقت نفسه شددت الادارة البيزنطية على اعتبار فلاحة الارض تكليفا الزاميا لفلاحى القرية ، يقومون بها خدمة للدولة ، وبهدف توريد حصيلة الجزية العينية والضرائب النقدية للجالس على العرش . كما ألقت بيزنطة بثقل المسئولية كاملة على مجالس المشايخ بالقرى فيما يتعلق بالادارة المالية وفرض السيطرة البوليسية على الفلاحين ، فأدمجت تلك المجالس فى آلة القهر البيروقراطى ادماجا أقوى .

وكثيرا ما اعتمد الاستعمار المعاصر على المشاعية والتنظيمات المشتركية ومجالس المشايخ فى ضمان استغلال الشعوب المقهورة بأقل اضطراب ممكن [١٠] ، تماما مثلما فعل الحكم البطلمى ثم الاحتلال الرومانى والبيزنطى لمصر .

ومن جهة أخرى ، فنلاحظ أن التعارض ليس حتميا بين ظهور بوادر الاقطاع فى نهاية العصر البيزنطى لمصر وبين استمرار المشترك القروى . وقد سجل انجلز مثلا فى دراسته للمشترك الالمانى «المارك» أن الفلاحين الالمان الذين تحولوا الى أقنان أو مستأجرين تابعين للنبلاء ظلوا منظمين طبقا لاطارات المشترك القديم . وان هذا المشترك « لم يفت زمنه «obsolete» من الناحية الاقتصادية ، وأصبح عاجزا عن الاستمرار باعتباره التنظيم الاجتماعى للزراعة الا عندما أحرزت الفلاحة ذلك التقدم الكبير الذى حققته فى المائة عام الاخيرة . ويقصد التقدم الذى جعل من الزراعة علما، وأرشد الى نظم جديدة كل الجدة لممارستها [١١] .

ب ـ المدن

أسس البطالمة بعض المدن الجديدة فى مصر ، وخاصة الاسكندرية . فى حين أن الرومان اكتفوا بتأسيس مدينة واحدة « انتينوبوليس » سكنها الاغريق ، وتولى ادارتها مجلس بلدى على النمط اليونانى غير أن الامر الجديد فى هذا الشأن هو أن بعض عواصم الاقاليم أصبحت ـ بالاضافة الى المدن التجارية ـ مراكزا اقتصاديا لها ، فتتوقف فيها القوافل ، وتقام الاسواق الاقليمية ، وتوجد الفروع الرئيسية للشئون الحكومية والبنوك ، الى جانب انعقاد المحاكم وممارسة اعمال المحاسبة المالية ، والاجتماع للاحتفالات الدينية . ولكن هذا النشاط الاقتصادى ظل محصورا ، وبقيت المدن المصرية ـ وخاصة غير الاغريقية منها ـ كما كانت أساسا من قبل أى مراكز ادارية ، ومحل اقامة كبار الموظفين والكهنة والمنتفعين باستغلال الاراضى الزراعية الواسعة . وبالاحرى احتفظت الحياة الحضرية المصرية فى ذلك العصر بالكثير من السمات الاسيوية السابقة ، وهى التى تحول دون انقلاب المدن الى مراكز صناعية والى قواعد لنشأة رأس المال الحديث .

غير أن النشاط الاقتصادى لتلك المدن أخذ يتدهور منذ نهاية الحكم الرومانى وطوال الفترة البيزنطية بسبب ثقل الاعباء البلدية التى فرضت على ساكنيها ، وتكليف الميسورين منهم بوظائف ادارية عامه دون مقابل [١٢] . هذا الى ان البلاد كلها كانت تعانى من التدهور الاقتصادى ، فلم يكن ممكنا الا تتأثر به المدن . وهكذا باتت تعود الى الانزواء القريب مما كانت فيه فى عهد الفراعنة ، ودون أن تتميز اقتصاديا عن الريف الذى حوله تمييزا حاسما . ولماركس فقرة بارزة المعنى فى هذا الصدد . يقول :

« التاريخ القديم هو تاريخ المدن ، ولكنها مدن معتمدة على الزراعة وملكية الارض . والتاريخ الاسيوى نوع من الوحدة التى لا تمييز فيها بين المدينة والريف « فالمدينة الكبيرة بالمعنى الصحيح يجب أن تعتبر فقط معسكرا للامير فرض فوق الهيكل الاقتصادى الحقيقى » . وتبدأ العصور

---

[٨] انظر K. MARX : Op. cit. - p. 79.

[٩] A. C. JOHNSON : « Egypt and the Roman Empire » ... Ann Arbor - University of Michigan Press-1951-p. 77.

[١٠] مثل ماحدث فى اواسطافريقياواندونيسيا ـ انظر خطاب انجلز الىكاوتسكى من لندن فى ١٨٨٤/٢/١٦ .

[١١] F. ENGELS : « The Mark » (In: «The peasant war in Germany») - Moscow- Foreign languages Publ. House-1956- p. 172.

[١٢] P. JOUGUET : Op. cit.-p. 459.

الوسطى « الفترة الجيرمانية » بالريف كمكـان لتاريخ الذى يجـرى تطوره التـالى من خـلال التعارض بين الريف والمدينة . والتاريخ الحديث هو تحضير الريف ، وليس كما جرى بين القدماء « تريفا » «ruralisation» للمدينة « ١٣ » .

جـ ــ العبــــودية المعممــة

ان عـددا من علماء التـاريخ يصـفون بعض التجـار وأصحاب الاموال من الاغريق والرومان فى مصر بانهم « رأسماليون » أو « بورجوازيون » واذا كنا لا ننكر أن التكوين الاقتصـادى الاجتمـاعى المصرى فى العصر الهلينى كان يحتوى على مثل هذا النمط ، الا أنه لم يصبح أبدا السمة السائدة . وذلك لان النمط الرأسمالى لايشترط فقط تراكم الثروة النقدية فى أيدى بعض الافراد عن طريق ارباح التجارة والربا ، بل يشترط أيضا أن يتحرر الفلاحون من القيود التى تربطهم بالارض حتى يتم تشغيلهم فى الصناعة الحضرية . وكان هذا الامر الاخير متعذرا فى مصر الهلينية .

● ــ ولقد وجـد العبيد ، ولكنهم لـم يكونوا يلعبون دورا ذا شأن فى العملية الانتاجية ، بل كانوا اقرب الى ذيول للطبقـة الحاكمة . وذلك لان الاغلبيه السـاحقة من سكان مصر لم يكونوا من الثراء الكافى ليملكوا عبيدا خصوصيين ، وكانوا من الفقر المدقع بحيث يكون عملهم ارخص من عمل العبيد . ولم تكن العبودية الفـردية منتشرة فى أعمال الفلاحة ، وان كانت مصر البطلمية قد عرفت العبيد كخدم خصوصيين . وكذلك استعان البطالمة باسرى الحرب المستعبدين فى الجيش بعد تعتيقهم وتحويلهم الى مرتزقة . وكثيرا ما كانوا يشكلون منهم الحاميات المنتشرة فى الريف ، والتى ينتفـع افرادها بحيازة زراعية مدى الحيـاة . واتبـع الرومان نفس الاسلوب الى درجة كبيرة . وهذا معناه أن العبيد فى مصر كانوا أساسا أجانب وانهم كانوا يتحولون الى جزء من سلطة الاحتلال بعد تعتيقهم ، أى الى جزء من جهاز الدولـة القاهر .

● ــ المصريون لم يكونوا مواطنين ، وعـلى نقيض العبيد المملوكين للافراد ، فالمصريون لم يكونوا ملكا لاحد . وكانـوا يملكون الادوات الشخصية الخاصة بالعمل والمنازل ، ويتمتعون بهامش مـن الحـرية ازاء افـراد الطبقـة الحاكمة « ١٤ » . ولكن النظم الحاكمة طوال القرون العشرة للعصر الهلينى لم تعترف لهم ابدا بحقوق المواطنية ، بل اعتبرتهم دائما « من المستسلمين » الذين لاحق لهم بالتالى فى الملكية أو الاستحواذ . وارتبط هذا الوضع بحق الحاكم فى فرض الجزية عليهم ، وخاصة جزية الغلال التى كانت تجمع على الاغلب بصورة مباشرة ودون وساطة الملتزمين الى فترة قريبة من نهاية الحكم البيزنطى . واذا كان بعض الاباطرة قد منحوا صفة المواطنية الرومانية لبعض سكان مصر ، فقد كان هذا ينطبق على الاغريق والرومان وبعض الاثنيات الاجنبيـة الاخرى ، وعدد قليل جدا من المصريين المتأغرقين دون السواد الاعظم من الفلاحين وأرباب الحرف والعمال الخ .

ويلاحظ كتاب المراجع الاساسية لهذا العصر أن المصريين لم يكونوا عبيدا فرديين ، وان كانوا مقيدين بأرض القرية وبالحكومة ، لان هذا القيد هو الذى كان يوفر لهم سبل العيش [١٥] . وكان هذا النوع الخاص من قيود العبودية ــ « العبودية المعممة » ــ يعبر عن نفسه فى شكل السـخرة الاجبارية لاعمال الرى ، والاعمال الحكومية الهامة الاخرى ، ومنها فلاحة الارض التى تعتبر تكيفا حكوميا . وهناك قسم يتلوه الفلاح يتعهد فيه بزراعة الارض عندما يتسلم من الموظف الحكومى نصيبه من البذور « وكان يحق للتاج أن يسجن الفلاح المهمل أو أن يحوله الى عبد فردى » . بل ان التاج كان له حق التصرف فى منزل المصرى نفسه ، وان كان فى حدود معينة ، والدليل على ذلك أن الحكومة كانت تجبر الفلاحين على مساكنة الجنود الذين منحتهم حق الانتفاع ببعض الاراضى .

ثم هناك ضريبة الرأس التى يدفعها المصريون ، ويعفى منها المواطنون ، وهى ضريبة فردية تـدل على الاستعباد دلالة رسمية ، وتجعل الدولة تعد المصريين رأسا رأسا عدا دوريا وكأنهم قطعان من الماشـية ، تماما مثلما تقـوم بالمساحة الدوريـة للارض المزروعة .

---

[١٣] K. MARX : Op. cit. - p.p. 77-78.
والمقصود هنا بالتاريخ القديم هـوتاريخ المجتمعات « القديمة » اى من النمط العبودى مثل الاغريقى والرومانى .

[١٤] ويلاحظ ان المراة المصرية لم تكن من قبل تحت وصاية والدها اوزوجها مثلما كانت المراة الاغريقية . ولقـد فرضت هذه الوصاية على المصريات منذ بطليموس الثانى .

[١٥] انظر : بل ــ المصدر المذكور ــ ٥٩/٦٠ ــ وكذلك جونسون ص ٩٣ الى ١٠١ ــ وروسـتوتسيف ، المجلد الاول ، ص ٣٢٠ . وأيضا :
P. JOUGUET : « l'Egypte ptolémaique : (Dans Hanotaux, éd., Vol. 3).
p. 76.

وتجدر الملاحظة هنا أن ضريبة الرأس هذه كانت نقدية ، وانها شكل توفيقي بين التعامل النقدى والعبودية الفردية اللذين انبنى عليهما النظام الاغريقى الرومانى وبين النمط الاسيوى . فكأن المصريين يقدمون بها فردا فردا سندا دوريا بأنهم عبيد للدولة ، ويدفعون بدلا نقديا عن حصولهم المباشر على جزء من ثمار عملهم ليتعيشوا به . اذ أن المبدأ الشرعى المقرر هو أن نتاج العمل البشرى كله من حق الدولة ورأسها الملك ، أما ما يصل منه الى أيدى الكادحين فانما **بتنازل من الدولة عن** جانب من حقها .

ويسرى نفس المبدأ فى فرض الاحتكار الحكومى على انتاج بعض السلع ، وعدم جواز ممارسة بعض المصريين لحرف معينة الا بدفع رسوم دورية للدولة . اذ كان المنتج او التاجر المصرى فى هذه الحالة ــ بما فيه كهنة المعابد ــ يعتبر مكلفا بهذا العمل من طرف الدولة ، ولا يستطيع أن يتمتع بجزء من انتاجه الا بدفع البدل النقدى كعلامة للتبعية .

واذا كانت بعض الطبقات الممتازة من الموظفين وكبار الحائزين والتجار الخ ، قد اعفوا من السخرة وانواع كثيرة من الضرائب ، فنراهم يخضعون لها فى فترات مختلفة أو يدفعون عنها بدلا نقديا ليعفوا منها . ويدخل فى هذا المنطق « التكليف » Liturgia الذى كان يصدر لبعضهم بتولى الوظائف الادارية دون مقابل ، وبضمان ثرواتهم الخاصة لحسن ادائهم هذه الاعمال . وهذا مما كان يؤكد المبدأ القائل بأن سكان مصر جميعا عبيد للدولة ، وان الامتيازات التى يتمتع بها بعضهم ليست حقا بل منحة تنازلت بها لهم .

وقد أعطت هذه الاوضاع « لونا » خاصا لتلك البذور الاقطاعية التى ظهرت فى القرنين السادس والسابع . فالفلاح مثلا الذى كان يضم حيازته الى أرض المالك الكبير مقابل « **حمايته** » من الحكومة المركزية ظل يختلف عن الثمن الاقطاعى فى أوروبا الغربية فى احتفاظه بحق التملك لبعض المنقولات ، وحق الاستحواذ على عقار ، ودخوله فى علاقات تعاقدية مع « **الحامى** » عند اقتراضه منه بذورا أو مالا أو بعض الالات . وذلك لان الفلاحين أو الدولة على السواء لم يعترفوا ابدا بحق استعباد السكان لغير رأس الدولة باعتباره ممثلا للمشترك الموحد « بكسر الحاء » الاعلى .

ونجد فى كتابات ماركس فهما عميقا لذلك الاختلاف الجوهرى بين العبودية والاقطاع فى أوروبا الغربية وبين النمط الاسيوى .. يقول :

« ان الشرط الاساسى للملكية المبنية على القبلية « تلك التى انبثقت من المشترك » .. هو أن يكون الفرد عضوا فى القبيلة . وبالتالى فالقبيلة التى انتصرت عليها اخرى واخضعتها ، تصبح بدون ملكية وجزءا من **الظروف غير العضوية** التى تحيط باعادة الانتاج للقبيلة المنتصرة .. وعليه تكون العبودية والقنانة ببساطة تطورات أبعد للملكية المبنية على القبيلة ، وتغير بالضرورة جميع أشكالها . ولكن تلك التطورات قادرة على أحداث هذا التغيير الى أقل حد ممكن فى الشكل الاسيوى . ففى الوحدة المكتفيه ذاتيا بين التحويل والزراعة ، والتى ينبنى عليها هذا الشكل ، لا يعود الاستيلاء والفتح مثل ذلك الشرط الجوهرى الذى يجب توفره حيثما تسود زراعة الارض المملوكة سيادة لا تنازع فيها . ومن الناحية الاخرى ، فحيث أن الفرد فى هذا الشكل « الاسيوى ــ **المترجم** » لا يصبح مالكا أبدا ، بل حائزا فقط ، فهو نفسه ــ ومن الاساس ــ مملوك أو عبد لذلك الذى يجسد وحدة المشترك . وهنا لا تضع العبودية نهاية لظروف العمل « ولا تغير العلاقات الجوهرية » [١٦] .

د ــ المهام الاقتصادية للدولة

تقوم الدولة حيثما يوجد تعارض طبقى لا يمكن التوفيق بين أطرافه ، وتلعب الدولة دور الجهاز القاهر للكادحين . غير أن الطبقة الحاكمة فى أى مجتمع تتبوأ المركز السائد سياسيا بناء على توليها بعض الوظائف الاجتماعية . وفى النمط الاسيوى للانتاج ، تقوم الدولة بدور اقتصادى اساسى ــ وخاصة المحافظة الجماعية على شبكة الرى [١٧] ــ الى جانب ذلك الدور القاهر . وقد استمرت الدولة فى تولى المهام الاقتصادية الجماعية فى مصر الهلينية ، مما أبقى حيا أحد الاركان الاساسية للنمط الاسيوى رغم نمو العلاقات السلعية والنقدية . وذلك لان التطور الذى وصلت اليه القوى الانتاجية بفضل النمو المشار اليه لم يكن شاملا ولا كافيا لكى تحل علاقات انتاجية جديدة محل العلاقات الاسيوية السابقة . ولنتذكر قول ماركس فى هذا الصدد :

« لا يختفى تكوين اجتماعى ما أبدا قبل أن تكون قد نمت جميع القوى الانتاجية التى يتسع ذلك التكوين لاحتوائها اتساعا كافيا . ولا تحل فيه أبدا علاقات انتاج جديدة وأعلى قبل أن تكون الظروف

[١٦] والابراز من المؤلف . K. MARX : Op. cit. -

[١٧] F. ENGELS : « Anti-Dûhring». 3rd. ed. - Moscow - F.L.P.H. 1962-248.

المادية لوجود هذه العلاقات قد نضجت فى باطن المجتمع القديم ذاته » «١٨» .

وسبق الاشارة الى أن العلاقات النقدية والتبادلات السلعية قد ظلت محصورة أساسا فى البيئة الاغريقية والاجنبية ، وانها لم تتعد عموما سطح المجتمع المصرى الصميم . ويعود السبب الى أن الاعتصار الشديد الذى فرض على الكادحين المصريين لم يترك لهم هامشا ليتراكم لهم فائض العمل . وأقام هذا الوضع حدودا ضيقة على التطور ذاته التى طرأ على الاقتصاد المصرى فى ذلك الوقت .

● **واستمرت الدولة قائمة بالاشغال العموميه** .وكان على الفلاحين فى ظل البطالة أن يعملوا للسخرة مدة عشرة أيام سنويا لصيانة السدود والترع . أما الطبقات الممتازة ، فكان افرادها يعفون من السخرة مقابل بدل نقدى يدفعونه .وكانت منشآت الرى التى على الاراضى الخاصة نفسها تحت الاشراف الحكومى .

وكذلك قام الحكم الرومانى بتنفيذ مشاريع كبرى لتوسيع شبكة الرى،مما زاد من مساحة الاراضى القابلة للزراعة.وأمر أغسطس باصلاحات عاجلة لتحسين الزراعة المصرية كتطهير القنوات التى اهملت فى أواخر العهد البطلمى ، وشق الترع الجديدة ، وبناء صهاريج المياه على الطرق الصحراوية . كما عنى الولاة الرومان بصيانة شبكة المواصلات النهرية . واعتمد الحكام الرومان فى بعض هذه الاعمال على جنود الجيش أنفسهم ، وأفادت الاشغال العمومية الرومانية الرى المصرى الى الدرجة أن ارتفع منسوب النيل الى ١٤ ذراعا ، مما أعطى محصولا وفيرا جدا .

● **ــ وظلت الدولة المالكة الوحيدة لغالبية الكبرى من الارض المصرية** ، وذات الولاية العليا على رقبتها . ودلت على ذلك عناية حكام هذا العصر بالكشوف المساحية وصيانتها ، وتسجيل التطورات التى تجرى على الحيازات باستمرار .

ولكن الدليل الاكبر هو قيام مختلف الحكام بعمليات كبيرة لمصادرة الاراضى الزراعية التى فى أيدى الافراد والجماعات باعتبارها حقا مقررا لهم ، وان كانوا يضطرون بين الحين والحين الى عمل حساب كبار الحائزين خوفا من اثارة المقاومة الشديدة من طرفهم . فقد اتسعت اراضى التاج بهذا الشكل على يد بطليموس الاول ، وقامخلفاؤه بوضع اراضى المعابد تحت ادارة موظفين كبار انتدبوهم لهذا الغرض ، ودون أن تقف فى وجههم الكهانة وقوفا جديا .

ولم يختلف الوضع عند الاحتلال الرومانى فقد أعلن أغسطس أن مصر ملكه الخاص ، واستولى على اراضى الملوك البطالمة وكبار رجال بلاطهم . كما وضع يده على كنوزهم وما فى الخزينةالحكومية من الذهب والفضة . واذا كان الاباطرة قد منحوا بعض المساحات لعدد من النبلاء فى روما ــ مع حرمانهم من دخول مصر ــ فقد صادروها فى نهاية القرن الاول الميلادى وضموها ثانيه لاراضى التاج . ومن الملفت للنظر فى هذا الشأن أن الوالى الرومانى فى مصر لم يكن أحد الشيوخ من أعضاء « السيناتو » الارستقراطيين وممثلى الدولة الرومانية عادة،بل كان دائما فردا من طبقة الفرسان المشهورة باشتغالها بالتجارة والصناعة . وهكذا شذت الاوضاع فى مصر عن الولايات الرومانية الاخرى اذ أصبح على رأسها رجل أعمال من المفروض ان يدير ممتلكات الامبراطور الخاصة .

وكذلك ضم الرومان اراضى المعابد لاملاك الامبراطور ، واخضعوها للادارة الحكومية البعيدةعن الكهنة ، وان كانفى مصلحة منفصلة عن تلك التى تتولى اراضى التاج .وكانت ايرادات اراضى المعابد تصب فىالموارد العامة للخزينة الامبراطورية«١٩»، ويتقاضى الكهنة وخدم المعابد مبالغ ثابتة من هذه الخزينة للقيام بالطقوس وصيانة الابنية الخ . أما الموظف المالى الكبير الذى كان يشرف على أراضى التاج ، فقد حمل فى ظلالرومان لقب « **الكاهن الاكبرلاسكندرية وسائر مصر** » . وكان مفتشوه يقدمون له تقارير عن تصرفات الكهنة ويقبضون على من يهمل واجباته منهم أو يخرج على التقاليد الدينية .

وتكررت عمليات المصادرة الواسعة للاراضى التى فى حيازة الافراد ــ وخاصة المساحات الكبيرة منها ــ فى القرن الخاس « بيزنطة » مع ازدياد أعباء الضرائب والرسوم والغرامات الخ التى عجز العديد من الافراد عن تسديدها «٢٠» .

وكانت النتيجة العامة أن تحول ملكية الارض من الحيازة الى ملكية الرقبة ظل أمرا مهزوزا ضعيفا ، ومما عاق نمو العلاقات السلعية نموا كاملا .

● **ــ وبقيت الدولة تفرض الضريبة الجزية على الفلاحين** ، سواء فى ظل البطالة أو الرومان ، أو البيزنطيين . وكان الريع العينى على اراضى

---

[١٨] K. MARX : Préface (Dans « Contribution à la critique de l'économic politique. »)-Paris Editions sociales-1962-p. 5.

[١٩] J. C. MILNE : Op. cit. - p. 168.

[٢٠] A. C. JOHNSON : Op. cit. - p. 80.

الحبوب تجمع مباشرة بمعرفة الجباة الحكوميين، كما أن مصر كانت تورد لعاصمة الامبراطورية ـ روما ثم بيزنطة ـ كمية سنوية هائلة من القمح « ٨٠٠ر٠٠٠ » تنقل اليها على حساب المصريين . وفى العهد البيزنطى زيدت تلك الكمية لتغذيه الاسكندرية أيضا باعتبارها شريكة صغرى لعرش الامبراطور .

● **واحتفظت الدولة باحتكارها للصناعة والتجارة** فى معظم الاحيان ، رغم ما فى هذا من تناقض مع صميم النشاط السلعى الفردى للاغريق والرومان .

وقد بدأ الاسكندر حكمه بالغاء الاحتكارات الحكومية وغيرها التى كانت موجودة فى مصر الفرعونية . ولكن خلفاءه عادوا اليها بعد فترة على أشدالصور . فالى جانب ضريبة الغلة التى تحصل عينا ، أصبح للدولة حق شراء كميات اضافية من القمح بالاسعار التى تحددها. واحتكرت ـ بشكل كلى أو جزئى ـ انتاج عسل النحل ومناجم المعادن والمحاجر والملح والصودا والشبة ، ومصايد الاسماك وتربية الحمام وحشو التنجيد والجلود والورق « البردى » والبخور والروائح العطرية والمصابغ والحمامات العامة والبنوك ، وكذلك النبيذ وتجارة الاقمشة والجعة ، ومواد تجميل الوجه والشعر . واخذ احتكار الزيت اتساعا كبيرا ، اذ كان مزارعو الزيتون يبيعون محصولهم للدولة بسعر محدد تماما ، ثم كان الزيت يستخرج فى المعاصر الملكية ويباع فى اسواق القطاعى طبقا لتعريفة لا مهرب منها . وكان يعمل فى هذه المصانع عمال لايسمح لهم بمغادرة المعاصر طوال الموسم رغم أنهم لم يكونوا عبيدا بل احرارا .

وكذلك فرض الحكم البطلمى رقابة شديدة على زراعة اشجار الفاكهة عموما . وألزم أصحاب القطعان بدفع « رسم مرعى » كما أن الملوك المقدونيين كانوا يحتكرون التجارة الخارجية ويتولون أغلبها بأنفسهم ، مانحين الحق فى الباقى لبعض المحاسيب من الاغريق فى الاسكندرية . ولكننا نجدهم ايضا يتنازلون عن هذا الاحتكار أو ذاك لبعض الافراد مقابل تسديدهم لرسوم معينة وارتباطهم بتعهدات تقيد حريتهم «٢١» .

ولزيادة الايرادات أيضا ، استخدمت الادارة الرومانية الاحتكار الكامل أو الجزئى أو نظام الالتزام . ولكن اتجاهها العام كان الى ترك الصناعة والتجارة حرتين . ومع ذلك نرى الاباطرة يهتمون بفرض الاحتكار على مناجم البحر الاحمر ومحاجره . وفرض الحكم الرومانى رقابة شديدة ودقيقة على الحرف والورش ، فأخذ يحدد عدد العمال اللازمين لكل واحدة ليغطى انتاجها احتياجات المدن . كما منحت حقوقا احتكارية محلية لعدد من المعابد فى فروع مختلفة من الصناعة والتجارة «٢٢» . ونلاحظ أخيرا أن بعض الاحتكارات الحكومية بدأت تعود الى الظهور فى القرن الثالث ، وخاصة احتكار صناعة البردى وتجارة الزيت . كما عاد اشراف الحكومة على انتاج النسيج لتلبية احتياجات الجيش .

● **واقترن ظهور الاقطاع بتدهور دورالدولة وركود الاقتصاد** . فلقد كان قيام الدولةبتلك المهام الاقتصادية شرطا للازدهار الاقتصادى فى ظل المستوى المحدد الذى وصلت اليه القوى الانتاجية . ولكن دور الدولة هذا كان مشروطا هو أيضا بوجود دولة مركزية فى مصر . ولذلك ، ففى حين أن الاقطاع فى أوربا الغربية كان مرحلة تاريخية تقدمت فيها القوى الانتاجية وفتحت الباب لمرحلة أخرى أكثر تقدما « الرأسمالية » ، **وقع العكس فى مصر** . وذلك بسبب التناقض الخاص بالنمط الاسيوى بين ضرورة المركزية لضمان النشاط الاقتصادى فى المستوى الادنى ، وبين قيام القوى النازعة الى الملكية الخاصة بتمزيق تلك المركزية .

فقد تلت اتساع النشاط التجارى والسلعى فى عهد البطالمة فترة أهملوا فيها شبكة الرى اهمالا متزايدا . وكان بطلميوس الثانى مثلا قد اعاد حفر قناة نخاو التى تربط بين النيل وخليج السويس ، ولكن الرمال تركت تردمها فى نهاية هذه الاسرة .

وفى ظل الرومان ، اذ انتشرت العزب الواسعة التى يسكن حائزوها المدن الكبرى ، فقد تحولت فلاحتها الى نوع من الزراعة الصغيرة دون رابط فعلى بين أجزائها المختلفة . فانخفضت انتاجية الزراعة منذ القرن الثانى . ويلاحظ المؤرخون انهيار نظام الرى فى القرن الثالث ، وانخفاض كثافة السكان بالريف ، واتساع الارض المهجورة رغم قابليتها للزراعة .

ثم أوجدت المؤامرات والانقلابات العسكرية فى الجيوش الرومانية حالة من الفوضى فى الحكم ، وأخذ الجنود المرتزقة يعيثون فى الريف المصرى فسادا ونهبا ، كما عادت القرصنة تنتشر فى البحار مما جعل التجارة غير آمنة ، وزاد هذا من سوء الاحوال الاقتصادية فى مصر .

ووصلت هذه الاوضاع الى حالة كبيرة من الحدة فى أواخر العهد البيزنطى بسبب ظهور بذور الاقطاع الذى عمل على تقطيع أوصال البلاد . كما أن ازدياد النشاط التجارى الفارسى والعربى فى

---

[٢١] V. CHAPOT : Op. cit. - p. 311.
[٢٢] J. C. MILNE : Op. cit. - p. 156.

ذلك الوقت حال دون استمرار التبادلات المزدهرة بين الامبراطورية البيزنطية والشرق ، ولعب دورا فى عزل مصر عن أسواق البحر الاحمر والهند ، فتدهورت التجارة الخارجية المصرية تدهورا ملحوظا .

ر ـ البيروقراطيــة

لم يكن ممكنا أن تقوم الدولة بذلك الدور المزدوج ـ القهر والادارة الاقتصادية ـ دون أن تعتمد على جيش عرمرم من الموظفين • الا أن هذه البيروقراطية تميزت بسمة خاصة ـ من صميم خصائص النمط الاسيوى ـ وهى أنها بالذات الطبقة الحاكمة ، والطبقة المالكة ايضا « بالوكالة لانتمائها الى الدولة » . واذا كانت البيروقراطية فى النظام الاسيوى « النقى » ـ مثل الفرعونى ـ منبعا أيضا للاستحواذ والتملك الفرديين ، ففى العصر الهلينى نزاها وجدت بين التجار والماليين والمرتزقة وأصحاب الورش الحرفية الكبيرة والملتزمين من الاغريق والاثنيات الاجنبية الاخرى أسيادا فى النشاط الاقتصادى الفردى وفى الانخراط فى السلك البيروقراطى . ويمكننا القول اذن أن هؤلاء الاجانب « تبرقطوا » أيضا ، كما صبغت البيروقراطية الميادين العديدة من العلاقات الاقتصادية والاجتماعية .

● **اتساع البيروقراطية الهلينية** . لم يكد الحكم المقدونى يثبت اقدامه فى وادى النيل حتى بنى بطلميوس الثانى نظاما بيروقراطيا متكاملا من الموظفين الذين لا تنفصل مهامهم العسكرية عن الادارية انفصالا واضحا . بل كان البلاط البطلمى من المحاسيب وذا طابع حربى بحت «٢٣» • واذا كانت تقاليد المدن الاغريقية المستقلة تجعل من الوظائف العامة تكليفا دوريا مؤقتا للموظفين دون مقابل ، فقد ناقضه البطالمة تماما اذ عملوا على اقامه سلك من الموظفين يتعيشون من رواتبهم وتخضع ترقيتهم لقواعد ثابتة ، ويتوافر فيهم حد أدنى من المؤهلات الثقافية . وكان الاغريق يتولون المناصب الكبرى المركزية والاقليمية المحلية ، كما كانت القيادات والجنود فى الجيوش المقاتلة من الاغريق والاجانب ، أما المصريون ، فلم تعط لهم سوى وظائف الكتبة ، ولم يقبلوا الا فى الفيالق العسكرية المساعدة . وشكل هذا كله جمهرة ضخمة من الافراد المنتفعين والخاضعين لارادة الملك الشخصية ، كما يبدو مثلا من اللقب الذى يحمله وزير المالية وهو « مدير الضيعة ومدير شئونها » .

ومن الملفت للنظر أن زيادة برقطة النظام البطلمى وقعت فى نفس الوقت تقريبا الذى استحدثت فيه ضريبة الرأس التى لم تكن معروفة من قبل . وترتب على عمليات جباية هذه الضريبة بدورها اتساع أكبر وأكبر لالة البيروقراطيه فى القرن الثانى ق • م • بسبب ما تستلزمه من أعمال العد والحصر واعداد الكشوف والسجلات الخ .

وزاد نفوذ البيروقراطية واتسعت دوائر اختصاصها لدرجة أن محاكم من الموظفين الكبار تشكلت الى جانب القضاء العادى . واكتسبت هذه المحاكم الاستثنائية ولاية أكبر وأكبر فى ظل الحكم الرومانى «٢٤» .

وعنى ولاه روما بتقوية الحكومه المركزية والجهاز الادارى ، واحاطوهما بالمساندة العسكريه احاطه أقوى لانهم كانوا يمثلون حكما غريبا عن البلاد تماما . وحيث أنهم ايضا اعتمدوا على الاغريق فى الوظائف المتوسطة ، فقد ارتابوا فى نقاء اخلاصهم «خاصة بعد الثورات التى قاموا بها فى الاسكندرية» ، وجعلوا يقيمون نظاما كاملا متوازيا من الرقابة والرقابة المضادة • وكان هدفهم الاول فى ذلك الحصول على أكبر قدر من الجزية والايراد « ٢٥ » ، والحد من تسرب الاموال العامه الى أيدى الافراد .

وحاول بعض الاباطرة التخفيف من الاعباء الادارية ، فحملوا نفرا من كبار اصحاب العزب وضباط الجيش وظائف ادارية ومالية تكليفا . ولكنه لم يترتب على ذلك سوى ان احاط هؤلاء أنفسهم بجيوش من الموظفين ، وبفرق من المرتزقة الخصوصيين ، وجمعوا فى ايديهم بين رئاسة الادارة وقيادة الشرطة والقضاء بين الناس وجباية الضرائب . وتشبهوا فى ذلك مع دوق الولاية الذى رفع جو ستينيان راتبه على أمل ان يبقى على نظامة يده ، فأصبح حوله بلاط لا يقل عدده عن ٦٠٠ موظف فى القرن السادس [٢٦] .

● **ـ السيطرة البيروقراطية على الكهانة ـ** ذكرنا فيما مضى كيف ضمت الحكومة المركزية أملاك المعابد الى أراضى التاج عمليا ، ونود أن نبرز الان أن السلك الكهنوتى بكامله وضع تحت اشراف الملوك والاباطرة . فلم يكتف البطالمة بأن تعلن الوهيتهم وهم احياء ، وتقام معابد خاصة لاسلافهم ، بل كانوا يعقدون مجامع دينية سنوية

[٢٣] E. BEVAN : « A history of Egypt under the Ptolemaic dynasty» - London - Methuen and Co. - 1927 - p. 133.

[٢٤] P. JOUGUET : Op. cit. 1937 - p. 365.

[٢٥] J. C. MILNE : Op. cit. - p.p. 139-143.

برياستهم ، يتخذون فيها قرارات ، ويراقبون تقوى الكهنة . وقسموا الكهنة الى قبائل طبقا للالهة التى يقيمون الطقوس لها ، وتولوا التعيين والعزل فى هذا الميدان ، فاقاموا نظاما كهنوتيا هرميا متكاملا وخاضعا لهم .

ورغم ان الرومان لم يهتموا بالديانة المصرية الوثنية ، غير أنهم اتبعوا أساليب البطالمه ازاء الكهنة ايضا ، بل زادوا من قيود الادارة الحكومية عليهم ، وحدوا من حق المعابد فى الايواء والحماية لمن يدخلها ، والغوا المجمع السنوى الذى كان يعقده الكهنة فى منف . ولكنهم فرضوا العقوبات والغرامات على الافراد الذين يخالفون الطقوس او يهملون العبادة . وفى القرن الثالث ، انتقل الاشراف على المعابد الواقعة فى محيط المدن الى مجالسها البلدية .

ونلاحظ ان الحكم البيزنطى لم يشذ عن هذه السياسة العامة . وكثيرا ما عين رأس الكنيسة فى مصر من بين مؤيدى الامبراطور ، أو ابعد البطرك المعارض ونفى .

ويبدو ان البطالمة استطاعوا ان يجعلوا من الكهانة المصرية نصيرا لحكمهم وسندا أفادهم فى مقاومة الثورة الشعبية . ولكن الامور لم تسر بنفس السهولة فى ظل اباطرة روما ، ثم انقلبت تماما فى العهد البيزنطى . وذلك لان التطورات السياسية فى مصر من جهة ، وخصائص الكنيسة المسيحية فى قرونها الاولى من جهة أخرى ، اعطت الكنيسة المصرية استقلالا وذاتية غذتهما الحركة الشعبية وصلبت عودها .

● — **البيروقراطية : طفيلية وفوضى** . لقد كانت البيروقراطية مصدرا من مصادر القوة للحكم المركزى ، اذ كان مستحيلا وقتذاك أن تتولى الدولة مهامها بدونها ، ولكن البيروقراطية اصبحت فى الوقت نفسه مصدر ضعف هذا الحكم ، وعاملا من عوامل تفككه وانهياره . وذلك لانها طفيلية على الطبقات الكادحة ، وتزيد من كراهية الشعب للحكومة ، ولانها كانت فى نفس الوقت قنطرة توصل الى النشاط الفردى الخاص أى الى نقيض الدولة المركزية .

فذلك الجيش الضخم من الموظفين الذى اعتمد عليه البطالمة كان يلقى شباكه على النشاط كله فى البلاد ويزيد من تكاليف العمل فى « القطاع الخاص » فتنتقل الاعباء على اكتاف الفلاحين فى نهاية الامر . وبات من الامور المألوفة أن ينشط الموظفون كبارا وصغارا فى المضاربة التجارية والمالية «٢٧» . واصدر بطلميوس الثانى المراسيم والقرارات التى تامر الموظفين بعدم فرض الاتاوات الشخصية على دافعى الضرائب او اجبارهم على العمل لمصلحتهم الفردية ، أو على تقديم الاوز والدجاج والنبيذ بثمن خاص . واقيمت المحاكم الاستثنائية التى عاقبت بعض الموظفين المرتشين أو مستغلى النفوذ عقابا شديدا صارما ، ولكن دون جدوى . فنسمع فى بداية القرن الثانى عن اتهام الوالى الرومانى نفسه « جايوس فيبيوس ماكسيموس » بالابتزاز والربا واستغلال السلطة والانحراف الاخلاقى والجنس «٢٨» .

وغرقت الادارة الرومانية فى أكوام الخطابات الرسمية وفى بطء الاجراءات المتتالية العديدة . فتقص لنا البرديات كيف رغب المصرى «ابولونيوس» [حوالى ٢٨٠ م] فى الانضمام الى الجيش ، فحصل على موافقة الوالى ولكنه اضطر الى القيام بتسعة وعشرين اجراء بعد ذلك لتنفيذ قرار الحاكم الاعلى !

وعرفت البيروقراطية المصرية فى العهد البيزنطى بالذات بالفساد الفظيع وبعدم الانضباط وهذا هو الوالى ليبيريوس مثلا فى عام ٥٤٢ م يرفض قرار الامبراطور بعزله ، ويقاوم الوالى الجديد بالقوة المسلحة فيقتله فى المعركة ... ولم تكن صدفة ان تحدث هذه الظاهرة فى نفس الوقت الذى تظهر فيه بذور التحول الى الاقطاع . وذلك لان دوائر الموظفين الكبار كانت مصدرا رئيسيا للتحول الى الاقطاع ، الامر الذى كان يعطى للبيروقراطية هامشا أوسع من الاستقلال النسبى ازاء الحكام الاجانب والمقيمين خارج مصر ، فلعبت دورا فى تخريب النظام الحاكم من الداخل واعدت المناخ لايجاد نظام جديد هو الفتح العربى لمصر . وكان مسار البيروقراطية فى هذا موازيا لمسار الكنيسة المصرية فى معارضتها السلطة البيزنطية .

وهنا نرى مرة اخرى الى اى درجة تجسر النظرة الميكانيكية الكاتب كارل فيتفوجل الى الخطأ حينما يؤكد العجز المطلق للبيروقراطية عن مقاومة

---

[٢٦] C. DIEHL : « L'Egypte chrétienne et byzantine »-(Dans Hanotaux, ed.)- Vol. 3 - p. 463.

[٢٧] P. G. ELGOOD : « Les Ptolémées d'Egypte » - Paris - Payott 1943- p. 119.

[٢٨] انظر عبد اللطيف احمد على: « مصر والامبراطورية الرومانية » — القاهرة — دار النهضة العربية ١٩٦٥ — ص ١٦٨ وبعدها

الطاغية الشرقى [٢٩] ، اذ أن تاريخ مصر فى الفترة الهلينية يكذب استنتاجاته .

س ـ ضعف الطبقة المالكة المصرية

كانت المـدن المصرية الصميمـة فى العصر الهلينى تاتى فى المرتبة الاقتصادية وراء المـدن الاغريقية بدرجةكبيرة . وكانت اكثرالمدن المصرية نشاطا منف عند الرأس الجنوبى للدلتا ، وعـلى الحدود بين الاقاليم المتطورة وتلك التى تخلفت عنها فى الصعيد . اما طيبة ، فقد بدأ مركزها يتدهور منـذ سقوط الرعامسـة ، ولم تعد اكثر من مجموعة من القرى المتناثرة بعد أن خربها البطالمة عند قمعهم لاحدي الثورات الشعبية .

ورمزت حالة المدن المصرية الى مركز الطبقـة المالكة المحلية الى حد كبير . فالأغلبية الساحقة من أصحاب اليسار وملاك الثروات العقـارية والاموال السائلة ، وكبار الموظفين وقادة الفرق العسكرية ، والتجار وأصحاب الورش الصناعية وملتزمى تحصيل الضرائب النقدية ، واصحاب المراكز المصرفية الخ ، هذه الاغلبية الساحقة كانت تتكـون من الاغريق وبعض الرومان والاثنيات الاخرى . واستطاع بعض المتاغرقين من الاصل المصرى التسلل الى صفوفتلك الطبقة المالكة ، ولكنهم كانوا قلائل معدودين ، وفى مراكز وظيفية أدنى غالبا ، وثرواتهم دون حجـم ممتلكات الاجانب .

ولكن طبقة مصرية أخرى عرفت نموا وتطورا ملحوظين ، وتكونت أساسا من صغار تجـار القطاعى والكتبة والحرفيين ، أى طبقة شبيهه بما يمكن ان نسميه اليوم **البورجوازية الصغيرة** . وكانوا اداة التنفيذ لسياسة الحكومة ، بينما كان الاغريق اداة التوجيه . وكذلك يبـدو أن بعض الفلاحين استطاعوا أن يغتنوا وقاموا باستثمار أموال سائلة فى حيازتهم أو نشطوا فى أعمال الوسـاطة المـرتبطة بتحصيـل الايـرادات الحكومة «٣٠» ، أو الاحتكارات المختلفة .وظلت دائرة النشاط الاقتصادى التى يستطيعون التحرك داخلها ضيقة لان الجمهور الاساسى لعملائهم مكون من الفلاحين الذين يسدون احتياجاتهم القليلة الاساسية من الانتاج المحلى للقرى ويعيشون فى مستوى الكفاف .

وقـد أصـابت الضربـات نشـاط المصريين المتوسطين والصغار على أثر أزمات انخفاض العملة المتتالية ، وخاصة فى ظل حكمى رومـا وبيزنطة . فخلالهما عاد التعامل بالمقايضة العينية يكسب ارضا على حساب التعامل النقدى [٣١] فى القرنين الرابع والخامس ، وهو أمر زاد من ضعف الطبقتين المتوسطة والصغرى الهزيلتين . ويفسر لنا هذا الهزال عجزهما عن أن تصبحا محركا أساسيا لتحطيم النمط الاسيوى المتبقى .

كما أن كون نشاط هاتين الطبقتين الاقتصادى امتدادا لميادين الاعمال الاغريقية ، جعلهمـا معزولتين نسبيا عن الطبقة الكادحة الاساسية ـ الفلاحين ـ ويصعب عليهما قيادتها فى حركة التخلص من السيطرة الاجنبية . وفى تقديرنا أن هذا يقدم تفسيرا ـ ولو جزئيا ـ لطول مـدة الاحتلال الاجنبى [ما يزيد عن ألف عام] ، ثم انتهاءه لا بالاستقلال المصرى بل بفتح البلاد أمام العرب .

ص ـ الطغيان مبنى على التنافر العام

يلتفت العديد من المؤرخين الى ظاهرة اجتماعية بارزة ، وهى تخلى البطالمة عن الكثير من التقاليد الاغريقية وتمصرهم ، لا بتبنيهم الدين الفرعونى فحسب ، بل بأن يصبحوا همأنفسهم آلهة فراعنة ويتزوجوا من شقيقاتهم ويسيروا علـى درب أسلافهم اداريا وسياسيا . ونرى الاباطره الرومان يحتفظون لمصر بنظام خاص ، فيعتبرونها ملكا خصوصيا للتاج ، ويعطونها ميزانيـة منفصـلة وعمله متميزة ويجعلون هيكلها الكهنوتى جزءا من حكمهم المركزى فيها .

ويعود هذا الموقف المتصل دون شك الى القدرة المصريه الخاصة على «امتصاص» الاجنبى بسبب صفات المصريين الاثنية وتراثهم ذى البناء القوى . ولكن الدافع الاساسى للحكام الاغريق والرومان والبيزنطيين يكمن فى بحثهم عن أنجح الوسائل لاعتصار الشعب المصرى اعتصارا الى آخر قطرة ممكنة من عرقه ، والسيطرة عليه المادية والروحية بأقوى وأتقل ما يستطيعون الوصول اليه من وسائل السيطرة . وأقوى وسائل السيطرة وأنجعهـا استغلالافى هذه الحالة انما هى أيضا أبسطها . وذلك لان النمط الاسيوى هو من الانماط المبنية على الانقسام الطبقى أقربها الى **الطبيعية** ، والذى

[٢٩] K. WITTFOGEL : « Oriental Despotism - 1957 - p. 107.
[٣٠] M. ROSTOVTZEFF : Op. cit. - Vol. 1 - p.p. 330 and 331.
[٣١] J. C. MILNE : Op. cit. - p.p. 93 and

يتجدد تلقائيا ، وينبعث الى الحياة كل مرة دون كبير جهد .

ويمكن تصنيف تلك الوسائل الى ثلاثة فروع : التعسف الاستبدادى للحاكم ، وجهاز القهر الواسع ، والتنافر العام بين طوائف السكان ومجموعاتهم المختلفة .

● فلم يكن يوجد مجلس تشريعي أو استشارى من اى نوع حول الملوك البطالمة أو الولاة الرومان أو البيزنطيين ، بل كانوا حكاما مطلقين ، تنفذ اتفه رغباتهم العامة أو الشخصية دون نقاش . ولم يكن يحد من زياده الضرائب مثلا - فوق كثرتها واعبائها - الا استحالة هذه الزيادة . ووصل الامر بالامبراطور فالنس [٣٦٤ - ٣٧٨ م] أن ألقى القبض على الاعيان الذين دخلوا الاديرة دون أن يكونوا قد سددوا من أموالهم العجز فى حصيلة الضرائب التى أمروا بضمانها .

● وفى أغلب الاوقات يوجد فى البلاد جيش قوى ، لا للدفاع عن الحدود فحسب ، بل وخاصة لفرض ذلك النظام المستبد الداخلى القاهر الذى تجف بدونه موارد الخزينة الملكية ، والجزية التى ترسل غلالا الى عاصمة الامبراطورية . وهو جيش احتلالى ، قالبه من المرتزقة اليونانيين والاسيويين والغاليين الخ ، وقادته من اثنية الحكام الاجنبية أو من المصريين المتاغرقين . فبينه وبين الشعب المصرى هوة من الاحتقار والكراهية المتبادلين . واذا لم يكف عدد جنوده فى فترات معينة ، اضطر الحكام الى تجنيد المصريين كمرتزقة أيضا أو بالتعبئة الاجبارية . وغالبا ما كانوا يلقون الهزيمة فى هذه الحالة ، الامر الذى يفسره الكتاب البورجوازيون « بفقدان المصريين للصفات القتالية » . ولكننا نرى فى هذا الموقف أحد المظاهر للمقاومة المصرية السلبية ازاء النظام القائم ، وعدم استعداد الفلاحين للدفاع عن كيان لا يرون منه الا الشقاء والعسف .

فالجيش فى مصر الهلينية أداة مساعدة للشرطة، وسندا لجباة الضرائب، وحرسا للمراكب التى تنقل غلال الجزية على الترع والنيل . وعند أى بادرة للتململ الشعبى ، يطلق جنوده على المدن والقرى فيعملون فيها النهب والتقتيل ايساما . ويقص لنا التاريخ كيف أراد حاكم اقليمى اجبار احدى القرى على دفع الضرائب ، فغزاها بعصابة من العساكر أشبه بقطاع الطرق [فى نهاية القرن السادس] . فاغتصبوا النساء واقتحموا ديرا للراهبات ، وسدوا الترعة التى تأتى بالمياه ، واتلفوا المحصول ، والقوا القبض على عدد من الفلاحين ، وفرضوا عليهم اتاوات ، وسرقوا مواشيهم بل وملابسهم «٣٢» .

ولا غرو ، فالحكام أنفسهم وحوش منحلون فى كثير من الاحيان . فهؤلاء البطالمة الالهة الفخورون بانتسابهم الى مقدونية الاسكندر ليسوا الا مسخا بشرية مخيفة ، يقتل الملك منهم اخوته وأمه وتذبح الملكات ابناءهن أو أزواجهن .

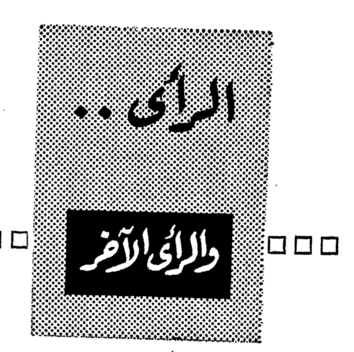
● ورغم كل المركزية الشديدة ، والحكم المطلق ، لا نستطيع أن نقول أن مصر كانت دولة قوميه موحدة ، بل لم يمكن قيام ذلك الطغيان الا بسابه فوق التمزق والتنافر بين طوائف السكان . فالريف شىء ، والمدينة شىء آخر فى نظمها وحياتها . وثمة فرق شديد بين المدن المصرية والمدن الاغريقية من حيث النشاط الاقتصادى وحقوق المواطنية ، وداخل المدن الاغريقية ذاتها جاليات من الكريتيين والاكيين والفرس واليهود والمقدونيين ، تكون كل منها مجموعات منظمة بقضاتها وكهنتها واجتماعاتها . ولا تعترف لوائح المدن الاغريقية بشرعية الزواج بين مواطنيها والمصريين . وكذلك تمنع القوانين الجنود الرومان الحائزين على أرض زراعية من الزواج بمصرية ولا تعتبر أطفالهم فى هذه الحالة أولادا شرعيين .

وبين الاقاليم نزاعات محلية وحلقية ، يتخذ الكثير منها الطابع الدينى : فهؤلاء كهنة بتاح فى منف ينافسون كهنة آمون رع [اله طيبة] على السيادة ، وتثار الاضطرابات بين أنصارهما فى كل جهة .

وقسم الرومان سكان مصر الى فئات مختلفة ، اعلاها الاجانب المعفون من الضرائب .. ثم زادوا التقسيم تفصيلا طبقيا ، وآخر طبقا لمحل الاقامة ، وفصلوا بين سكان الشاطىء الشمالى الغربى وبين سكان الوادى . وأعطى الامبراطور لحثالة الاسكندرية من المتعطلين ميزة الحصول على الخبز المجانى على حساب المصريين .

ولقد كان هذا التفتيت مقصودا لمنع اتحاد القوى المعارضة . ولكنه كان أيضا انعكاسا تلقائيا لظروف الانتاج الاساسى ، أعنى الانتاج الزراعى . ذلك الانتاج الذى ظل يتم فى مشتركات قروية صغيرة يفتت انعزالها بعضها عن بعض الكتلة الاساسية من السكان - الفلاحين - تفتيتا . أى أن ذلك التنافر العام بين الريف والمدن ، وبين المدن نفسها ، وبين الاقاليم والجاليات والطوائف ، الخ .. كان نتيجة لسيادة النمط الاسيوى ، فى نفس الوقت الذى كان فيه حافظا على هذا النمط وواصما تطوره بخاتمه .

[٣٢] C. DIEHL : Op. cit. - p.p. 521-522, 263.



الانسان والاهتمام بمصيره على هذه الارض ؟ من أجل ان يعيش فى عالم يليق بانسانيته .. هذا هو الموضوع المشترك الذى يعالجه كتاب « باب الرأى والرأى الاخـــر » فى أكثر من مقـــال ، ومن زوايا ومنطلقات متعددة .

ـ فالدكتور محمد أحمد خلف الله ، على الرغم من انه يصوغ عنوان مقاله فى شكل سؤال « العدل الاسلامى : هل يمكن ان يتحقق » الا انه يجيب على ذلك بالايجاب من منطلق الدراسة العميقة لاحكام الدين .

ـ والدكتور مراد وهبه يطالب بطرح قضية الانسان داخل اطار محدد هو « حقيقة الصراع فى هـــذا العصر » .

ـ أما جمعه عبده قاسم ، فيعالج قضية الانسان ، لا من زاوية نظرية أو فلسفية ، بل من واقع غيرته واهتمامه الملح بقضية التنمية فى مصر .. وعلى الارض الجديدة المستصلحة .

ـ ثم يأتى ممدوح حسن لطفى ليطرح قضيـــة الانسان فى الدول النامية وليحذر من حقيقة مؤلمة هى ان آفاق التقدم الاقتصادى ، فى هذه الدول قد لا تكون مبشرة .

ـ وبعد هذه المقالات يبدأ فى داخل باب الرأى والرأى الاخر باب ، أو فصل متميز ، هو بـــاب الحوار الساخن بين ناقدى « الطليعة » وبين كتابها .

- العدل الاسلامى ..هل يمكن ان يتحقق ؟
- الحضارة المتوسطية .. وقضية الانسان
- أرضنا الجديدة .. هل نفقدها ؟
- كيف تصبح الدولة المتخلفة .. اكثر تخلفا ؟
- .. وموقفنا نحن أيضا !!
- كلمة ختامية عن اليسار والتجربة الناصرية
- من المسئول عن الالتواء والمغالطة ؟
- بيان من المجلس المصرى للسلام ❋

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

العدل الاسلامى

هل يمكن أن يتحقق ؟

د. محمد أحمد خلف الله

المفكر الاسلامى المعروف د . محمد أحمد خلف الله وصاحب المؤلفات الاسلامية الكثيرة يعالج فى هذا المقال القضية التى كانت وما تزال المطلب الحيوى للانسان : العدل الاجتماعي وامكانية تحقيقه على هذه الارض .

للعدالة تمثال ، امرأة معصوبة العينين تمسك بيدها ميزانا مستقيم الساق متعادل الكفتين بحيث لا ميل ولا انحراف .

ومكونات هذا التمثال ليست الا الرمز الى المعانى التى تعتبر من مقومات العدالة ، وهى بعينها المعانى التى جاء بها القرآن الكريم واعتبرها المفكرون المسلمون من خصائص العدالة الإسلامية .

والمكون الاول من مكونات التمثال وهو المراة ، انما يرمز الى الانسان الذى يجب عليه أن يقيم العدل فى الارض على نفس الاسس التى يقيمه الله عليها فى السماء . وكونه امرأة يشير الى أن الانسان المطلوب منه أن يقيم العدل هو الانسان بصرف النظر عن أى شىء آخر . فليس يلزم ان يكون رجلا ، وليس يلزم أن يكون حاكما أو قاضيا ، وانما الذى يلزم ان يكون انسانا - انسانا عادلا .

والمكون الثانى وهو الميزان ، انما يرمز الى الاداة التى تكون بيد الانسان تعينه على تحقيق العدالة بحيث لا يكون هناك جور او ظلم .

□□□□□□□□

واستقامة ساق الميزان وتعادل كفتيه هي المؤشر ان العدل قد تحقق ، اما انحراف الساق وميل احدى الكفتين فهو الدليل على ان العدل لم يتحقق ، وهو الدليل على ان الظلم قد وقع .

والاداة التى يرمز اليها الميزان ليس يلزم ان تكون اداة مادية ، فقد تكون اداة معنوية . قد تكون قيمة دينية أو اخلاقية ، وقد تكون نصا قانونيا وقد تكون من الاعراف والعادات الاجتماعية وما الى ذلك .

أما المكون الثالث والاخير وهو العصابة على العينين ، فهي انما ترمز الى تلك الامكانات التى يجب أن تتوفر فى الانسان لكى يتمكن بحق من أن يصبح انسانا عادلا .

ان هذه العصابة على العينين انما هى الرمز الى ان الانسان العادل هو الذى لا ينظر الى اقدار الناس عندما يريد ان يحقق العدل فيما بينهم .

انه حين ينظر الى اقدار الناس يضطرب الميزان فى يديه ، ويميل مرة الى يمين واخرى الى يسار حسب أقدار الناس وموضعهم من الخصومة أو النزاع الذى يتطلب عدلا .

وهذه المعانى جميعها هى التى جاء بها القرآن الكريم .

فالقرآن الكريم يطالب المسلمين باقامة العدل حين يقول لهم :

« ان الله يأمر بالعدل والاحسان »

« ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها، واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » .

« وزنوا بالقسطاس المستقيم » .

« واقيموا الوزن بالقسط » .

ويعلق المفسرون للقرآن الكريم على الاية الاخيرة بقولهم انها : اشارة الى مراعاة العدالة فى جميع مايتحراه الانسان من الاقوال والافعال .

والقرآن الكريم حين يطالب بالعدل انما يطالب به حتى ولو كان العدل لمصلحة الاعداء ، أو على حساب الاعوان والاصدقاء .

والله سبحانه وتعالى هو الذى يقول :

« ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى ، واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون » .

« يا ايها الذين آمنوا : كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والاقربين . . . .

فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا ، وان تلووا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا » .

والقرآن الكريم يتهدد دائما غير العادلين . يتهددهم حتى ولو كان موضوع العدل من قضايا الحياة اليومية العادية .

يقول الله تعالى : « ويل للمطففين : الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون ، واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون .

الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم ؟! » .

ويقول : — « وتضع الموازين القسط ليوم القيامة » .

ويقول : — « الوزن يومئذ الحق » .

ويقول المفسرون تعليقا على هذه الاية : اشارة الى العدل فى محاسبة الناس .

ويقول الاستاذ الامام الشيخ **محمد عبده** فى تحديد معنى العدل الاسلامى ما يلى : —

والعدل ما تجرى به الحق من غير ميل الى طرف من الطرفين او الاطراف المتنازعة فيه او المتعلقة به .

وفى سورة النساء والمائدة آيات فى وجوب عموم العدل ، والمساواة فيه بين المؤمن والكافر والبر والفاجر ، والغنى والفقير ، والقريب والبعيد .

انتهى كلام الاستاذ الامام .

●

والانسان المسلم الذى يحيا حياة عصرية ويستثمر كل ما اتى به العصر من تقدم فى الميادين العلمية واختراعات فى مجالات التكنولوجيا والالكترونات ، ومن تطور فى الافكار الاجتماعية ومتغيرات وبدائل فى علاقات الانسان بالانسان، لا يزالون يؤمنون الايمان كله بأن العدل كما حدد القرآن الكريم ابعاده هو المبدأ الدينى والقيمة الروحية والاخلاقية التى يجب أن تمارس المجتمعات الاسلامية الحديثة حياتها على أساس منها .

ويذهب الانسان المسلم المعاصر الى ما هو ابعد من هذا حيث يرى بوضوح أن المجتمعات الاخرى التى لا تدين بدين الاسلام ، أو التى لا تدين بدين ما ، قد مضت فى حياتها العامة والخاصة على أساس من هذا العدل القرآنى أكثر مما يمضى المسلمون انفسهم .

انهم يعدلون فى كافة المجالات اكثر مما يعدل المسلمون المعاصرون . انهم يعدلون فى المجالات السياسية ، وفى المجالات الاقتصادية ، وفى المجالات الاجتماعية ، اكثر مما يعدل المسلمون .

وهذه الظاهرة لا يمكن ان تمضى ابدا بدون تفسير ، لابد من البحث عن علل لها وأسباب .

لماذا يتخلف المسلمون عن غيرهم فى ممارسة الحياة على أساس مما جاء به دينهم ؟

①

والعلة الاولى التى نقف عندها فى هذا المقام هى فى تلك المعايير التى نضعها فى كفة الميزان

توازن بها الحق وما يمكن ان ينتهى اليه هـذا الحق من عدل .

ان هذه المعايير من القدم بحيث تعجز عن ان تحق حقا ، وتبطل باطلا ، وتقيم عدلا ، فى عصر مثل هذا العصر الذى نعيش فيه والذى اصبحت فيه المعايير أكثر دقـة وأصبحت فيـه الموازين اكثر انضباطا .

لقد فعل الزمن فعلته فى المعايير القديمة فعلاها الصدأ ، وتآكلت منهـا الجـوانب ، وخفت موازينها الى الحد الذى أصبحت فيه عاجزة عن ان تكون اداة من أدوات الحق والعدل .

ومن الغريب ان المسلمين اليوم لا يعنيهم امر من هذه الامور ، بقدر ما يعنيهم الاستمساك بهذا القديم لانه التراث الصالح لكل زمان ولكل مكان .

ويكون استمساكهم أشد عندما يكون المعيـار القديم نصـا من النصـوص ، او حكما لاحـد الصحابة أو التابعين ، او قاعدة فقهية توصـل اليها فقيه من الفقهاء او مشرع من المشرعين . انهم عند ذلك يتهمونك فى عقلك أو فى دينـك ان أنت أخـذت بيـدهم الى حيث المتغيرات وطالبتهم بالبدائل .

ونحن لن نخشى هذا الموقف مادام هدفنا هو احقاق الحق ، واقامة العدل ، وبناء المجتمـع الاسلامى على اساس من كل ما ينفع النـاس ويمكث فى الارض .

وحتى يكون قولنا واضحا ، وما نذهب اليـه مستقيما ، نضرب الامثلة من مشـكلات عصرنا الحديث .

لنأخذ الغنائم التى غنمها الجند المصريون من الاعداء المقاتلين من بنى اسرائيل ونسأل انفسنا عن الموقف العادل من أمرها ، فهل نصل الى ذلك بمعايير العصر القديم او بمعايير العصر الحديث؟

لو سألنـا شيخا من الاشياخ لقال لنا : ان الامر لا يطرح ابدا على هذا الاساس ، لان أمر الغنائم مقطوع به ومنصوص عليه فى القـرآن الكريم .

ويأخذ الشيخ فى تلاوة الاية القرآنية الكريمة: « واعلموا انما غنمتم من شىء فان لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتـامى والمسـاكين وابن السبيل ... الخ » .

وحين يقال له : ان العمل بهذه الاية قد توقف لتغير النظم القتالية وما ترتب عليها من آثار ، واننا فى حاجة الى حكم جديد بعد اجتهاد جديد . قال: لا اجتهاد مع النص .

وحين ينبه الى ظـاهرة جـديدة تعم الدول الاسلامية جميعهـا هى أنها قد انصرفت عن مضمون هذه الاية ، واخذت تعالج قضية الغنائم على أساس يلائم الحياة فى العصر الحديث . قال : ومن هنا كان البلاء وكان العقاب ينزل بهذه الدول من حيث مخالفتها لاقوال رب العالمين .

وهكذا يظل مستمسكا كل الاستمساك بالقديم ومعرضا كل الاعراض عن هذا الذى جاء به العصر الحديث من افكار جديدة تتعلق بهذه المسألة .

ولعله لا يخجل من ان يعد السبى والذرارى من الغنـائم ؛ ومن أن يسـتعبد الاسرى الذين لا يفادون ويوزعهم أيضا على الجند كمـا توزع بقية الغنائم .

والمسألة عندنا ايسر من هذا كله .

ان هذا النظام العادل الذى تقره الاية القرآنية الكريمة قد جاء فى اطار من نظام قتالى عرفته الجاهلية من قبل ، وادخل القرآن الكريم عليه من التعديلات ما يجعله نظاما عادلا ، وغير جائر .

كان النظام القتـالى فى الجاهلية وصـدر الاسلام قائما على الفرسان والرجالة من المتطوعة ، ولم يكن هناك اجبار على خوض المعارك بجنـد نظاميين يعـدون لذلك ويدربون على خـوض المعارك .

وكان الفرســان ومن اليهم من الذائدين عن شرف القبيلة او البلدة يجهزون أنفسهم بعـدد القتال من سيوف وحراب وخيول وهـوادج ، وما أشبه .

وكانت الغنائم توزع على اساس من كل ذلك .

كان شيخ القبيلة يأخذ المرباع والصفايا ــ أى ربع الغنيمة وما يصطفيه لنفسه منها ، ثم يوزع الباقى على الجند المقاتلة ويجعل للفـارس ضعف أو ثلاثة امثال ما يجعل للراجل على أساس من ان بلاء الفارس فى الحـروب اكثر من بلاء الراجل .

وحين نزل القرآن الكريم ادخل من التعديلات فى نصاب الشيخ الجاهلى ما ورد فى الاية .

لقد أصبح النصيب الخمس . وهو فى الاسلام لله ورسوله وذوى القربى واليتامى والمساكين .

وأصبح نصيب الجند المقاتلة أربعة اخمـاس الغنيمة لا ثلاثة أرباعها .

وكان الهدف من هذا التعـديل جـذب الجند المتطوعة الى ميدان القتال ، وتلبية الاحتياجات الضرورية لذوى الحاجات من المسلمين .

كان ما جاء به القرآن الكريم عدلا فى النظام القتالى المعاصر لنزول القرآن الكريم . أما اليوم فقد تبدل من الامر كل شىء .

لقد جاء التقدم العلمى وما أدى اليـه من اختراعات فى ميادين التكنولوجيا والالكترونات ، وجاء التطور الاجتماعى وما أدى اليه من أفكار جديدة فى ميادين السياسة والحروب والعلاقات بين الاعداء ، بالعديد من المتغيرات والبدائل .

ان المقاتل اليوم انما يدفع للوطن ضريبة هى السنوات من العمر التى يقضيها فى التجنيد ، ويعد فيها الاعداد الحسن للقتال والنضال — ولم يعد الامر امر المتطوعة الذين يدعون للجهاد فى سبيل الله .

وان المقاتل اليوم لا يجهز نفسه بأدوات الحرب والقتال وانما تجهزه الدولة من حيث عجزه عن ان يمتلك طيارة او دبابة او بارجة أو صاروخا ، أو ما الى ذلك من ادوات القتال الحديثة .

وان العلاقات بين المقاتلين اليوم تضبطها قوانين دولية يعمل بها اثناء الحرب وبعد الحرب ، وليس من بينها ابدا مسائل استعباد الاسرى ، ومسائل سبى النساء والذرارى وقسمتها على الجند المقاتلة كغنائم اكتسبوها ومن حقهم أن يقتسموها .

لقد تغير النظام القتالى وتغير تبعا لذلك نظام توزيع الغنائم .

لقد أصبحت الغنائم للدولة ، وخرج منها النساء والاطفال ، وخرجت منها الاراضين على خلاف فى ذلك .

لقد تخطى الزمن مضمون الاية القرآنية . ومن هنا لم تجد الدول الاسلامية حرجا فى أن تأخذ بالنظم الجديدة .

ان هذه الاية وامثالها انما تتلى اليوم تعبدا ليس غير . تتلى ولا يعمل بها .

(٢)

والعلة الثانية : ان هذه المعايير القديمة مع فرض صلاحيتها لكل زمان ولكل مكان ، من الفوضى والاضطراب بحيث لا يصح أن توضع كفة الميزان لتحق حقا وتبطل باطلا ، وتقيم عدلا .

لقد ضرب للناس مثل مضمونه : ان المساواة فى الظلم عدل ، ونقول نحن على نسق من هذا المثل : ان الفوضى فى العدل ظلم .

لقد كان الفقهاء المسلمون ، وما يزالون ، يختلفون فيما بينهم فى الاحكام — اى فى المعايير التى تضعها فى كفة الميزان نحق بها الحق ونقيم بها العدل — وكان الناس يبررون هذا الصنيع منهم على أنه فى مصلحة المسلمين من حيث ان اختلافهم رحمة — ولكنا لا ننظر الى المسألة هذه النظرة السطحية المفتعلة .

قد نقبل القول بأن اختلافهم رحمة فى قضايا العبادات والمعتقدات — اى فى المعايير التى تحدد علاقة الانسان بالله — اما تلك التى تتصل بعلاقة الناس بعضهم ببعض من كل ما تمارس به الحياة فى ميادين السياسة والاقتصاد والاجتماع فليس يصح فيه هذا القول .

ان الاختلاف هنا ضار بالمجتمع من حيث انه موصل حتما الى التضارب والاختلاف والتنازع ، وتحقيق الفساد فى الارض — بدلا من الاصلاح بين الناس .

ونحن لو حاولنا التعرف على ما تجب فيه الزكاة من الاموال والزروع والثمار — وكلها من مصادر التمويل لبيت المال ، لرأينا وجهات نظر مختلفة لاصحاب المذاهب من الفقهاء ، ووقفنا حيارى أمامها ، بحيث لا ندرى ماذا نفعل عند تحقيقنا للعدل الاجتماعى الاقتصادى فى وقتنا هذا .

وهذه عينات من وجهات النظر المختلفة :

أ : اختلف الفقهاء فيما تجب فيه الزكاة من المعادن .

اوجبها **أبو حنيفة** فى كل ما ينطبع من ذهب وفضة وصفر ونحاس ، واسقطها عما لا ينطبع من مائع وحجر .

واوجبها **أبو يوسف** فيما يستعمل منها حليا .

وعلى مذهب **الشافعى** يجب فى معادن الفضة والذهب خاصة .

ب : ثمار النخل والشجر .

اوجب **أبو حنيفة** الزكاة فى جميعها .

واوجبها **الشافعى** فى ثمار النخل والكرم خاصة ، ولم يوجب فى غيرهما من جميع الفواكه والثمار زكاة .

جـ : الزروع .

اوجب **أبو حنيفة** الزكاة فى جميعها .

وعند **الشافعى** لا تجب الا فيما يزرعه الادميون قوتا مدخرا . ولايجب عنده فى البقول ، ولا فيما لا يؤكل من القطن والكتان ، ولا فيما لا يزرعه الادميون من نبات الاودية والجبال ..

وهذا الذى نراه من اختلاف فى الرأى فى بعض جوانب الحياة الاقتصادية نرى مثله واكثر منه فى الجوانب الاجتماعية والسياسية والتربوية ، من كل ما يجعل حياتنا فى المجتمعات الاسلامية بعيدة كل البعد عن التماسك الاجتماعى القوى ، والوحدة الفكرية الفعالة التى تدفع الناس الى المضى فى خطوات مماثلة عند الكوارث والنكبات وعند معالجة القضايا الكبرى للامة .

وليت الامر يقف عندهم عند هذا الحد ، وانا لنراهم يزيدون من اثر هذه الفوضى حين يحتمون على القاضى العادل أن يحكم باجتهاده من غير تقليد لمذهب من المذاهب — اى من غير قانون موحد يحكم به القضاة جميعا .

ويذهبون الى ما هو أبعد من ذلك فيحتمون عليه ان يحكم فى كل قضية باجتهاد جديد مهما تماثلت القضايا وتشابهت ، ولا بأس عندهم من

أن يحكم فى المسألة الواحدة حكمين مختلفين مادام اجتهاده هو الذى اداه الى هذا .

ونقدم الدليل للقارىء من اقوال القدماء انفسهم لكى يدرك بنفسه الى اى حد تجذبنا هذه الاقوال للقدماء الى الفوضى التى لا يستقيم الامر معها .

« **للقاضى ان يجتهد برأيه فى قضائه ، ولا يلزمه أن يقلد فى النوازل والاحكام من اعتزى الى مذهبه . فاذا كان شافعيا لم يلزمه المصير فى احكامه الى أقاويل الشافعى حتى يؤديه اجتهاده اليها ، فان اداه اجتهاده الى الاخذ بقول ابى حنيفة عمل عليه واخذ به .**

وقد منع بعض الفقهاء من اعتزى الى مذهب أن يحكم بغيره ، فمنع **الشافعى** ان يحكم بقول **أبى حنيفة** ومنع الحنفى ان يحكم بمذهب **الشافعى** اذا اداه اجتهاده اليه ، لما يتوجه اليه من التهمة والممايلة فى القضايا والاحكام . واذا حكم بمذهب لا يتعداه كان ذلك انفى للتهمة وارضى للخصوم .

وهذا وان كانت السياسة تقتضيه فأحكام الشرع لا توجبه لان التقليد فيها محظور والاجتهاد فيها مستحق .

واذا نفذ قضاؤه بحكم وتجدد مثله من بعد اعاد الاجتهاد فيه وقضى بما اداه اجتهاده اليه — وان خالف ما تقدم من حكمه » .

وليس يخفى ان هذا الذى يذهبون اليه من اختلافات فى المسألة الواحدة هو الذى يدفع الى الفوضى والى الاضرار — على الاقل — بطرف من المتخاصمين .

يجب ان تكون المعايير والموازين واحدة للجميع .

ولعل الرغبة فى التخلص من هذه الفوضى هى التى دفعت بالخلافة العثمانية الى ان تأخذ بمذهب أبى حنيفة ، وان تضعه فى مواد قانونية وتسمى ذلك بالمجلة .

وانصراف بعض البلدان الاسلامية عن هذه المجلة انما جاء من قصورها عن وضع الموازين والمعايير لكل شئون الحياة مما لم يكن موجودا فى عصر ابى حنيفة .

(٣)

والعلة الثالثة : عجز المعاصرين من رجال الدين المسلمين عن مسايرة الحياة الحديثة ، ووضع المعايير الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية التى تمارس الحياة على أساس منها .

ان هذا العجز لا يتمثل فى سعينا الحثيث الى جلب المعايير من الغرب أو من الشرق فحسب ، وانما يتمثل أيضا فى خلو الساحة من معايير على الاطلاق .

واذا كان رجال الدين عندنا يجهدون أنفسهم فى دعوة الناس الى العودة الى احكام الشرع الشريف ، فان عليهم أولا وقبل كل شىء ان يبينوا للناس انواع المعايير التى يجب ان تمارس عليها العمل فى كل مجال فى الحياة .

ان الدعوة الى الصيغ القديمة لا تجذب الناس الى هذه الصيغ لانها من القصور بحيث لا تنفع الناس . ومن هنا لم تمكث فى أرض الناس فى ايامنا هذا وبقيت فى بطون الكتب ليس غير .

يجب أن يجهد رجال الدين انفسهم لتطبيق مبدأ العدل الاسلامى كما جاء به القرآن الكريم على مشكلات عصرنا هذا ، وفى صيغ تلائم هذا العصر .

والباب مفتوح امامهم وبخاصة فى ميدان سياسة الاجور .

ما الاساس الدينى العادل الذى نقيم عليه هذه السياسة ؟

هل يعطى الاجر بدون مقابل من العمل ، أو لابد من عمل يساوى هذا الاجر ؟

واذا كان لابد من عمل فما هو العدل الاسلامى بالنسبة لمن تمنحهم الحكومة الاجر بلا عمل على أساس انه نوع من الضمان الاجتماعى الذى يحقق السلام الاجتماعى .

وفى حالة الذهاب الى ان الاجر يكون نظير عمل ، فما هى السياسة العادلة فى تقييم كل من الاجر والعمل ؟

أيكون الاجر بحسب الساعات حتى ولو لم يكن هناك ناتج على الاطلاق او ناتج لايقدم أو يؤخر . أم يكون على اساس من الناتج الذى تقتضيه الحسابات الدقيقة لساعات العمل فى هذا الميدان او فى ذلك ؟

أو هل يترك أمر الاجر للعرض والطلب كما هو الحال فى بعض المواقف كالعمل فى ميدان الزراعة والعمل فى ميدان البناء ؟

أو لا هذا ، ولا ذاك ، ولا ذلك ، كما هو الحال عندنا بالنسبة للانشطة الفنية المهنية والحرفية .

لست أدرى ، ولكنى اضع بعض الظواهر امام رجال الدين لعلهم يهتدون الى الموقف الاسلامى العادل .

فى ميدان الخدمات الصحية نعجز تماما عن تبين المعايير والموازين العادلة فيما بين المرضى والاطباء .

ان الاطباء هم الذين يقررون ما يشاءون من اجور ، ويستوى فى ذلك ان يكون العمل هو الكشف أو العلاج أو اجراء عملية من العمليات .

والأطباء ؟ وقد تركت هذه الامور لهم ، يختلفون فيما بينهم اختلافا كبيرا تبعد آماده .

فبعض الاطباء يتقاضون على الكشف اجـرا مقداره ثلاثون قرشا ، بينما يعلو الاخرون الى خمسة وسبعة من الجنيهات .

وبعض الاطباء يغالون فى اجر العمليـات الى الحد الذى يعجز المرضى ، بينما الاخرون يعتدلون حتى ليبلغ صنيعهم حد الرحمة .

اعرف طبيبا طلب فى عملية عين من العيون مبلغ مائة وخمسين من الجنيهات ، وقبلها طبيب آخر بثلاثين من الجنيهات .

واعرف طبيبا حدد اجر الكشف وهو مدرس بجنيهين ، وحين رقى الى استاذ مساعد رفـع الاجر الى ثلاثة جنيهات ، وحين رقى الى استاذ رفعه الى خمسة جنيهات .

وهذا كله انما يدل دلالة قاطعة الى ان من الاطباء من يرغب فى تحقيـق الربح عن طريق الاستغلال ، ومنهم من يرغب فى تحقيقـه عن طريق العدل والرحمة على اساس من ان الطب خدمة انسانية .

وللمسلمين فى ميـدان الطب ، وفى ميـدان التعليم ، تجارب حفظها لهم التاريخ .

كانت هذه الخدمات تقدم بالمجـان ، وكانت نفقات المرضى والمتعلمين بالمجان ، وكانت اجور الاطباء والمعلمين تتحملهـا الدولة او الاغنيـاء الذين ينشئون دور العلم والمستشفيات .

وكان اذا حدث وزار طبيب مريضا فى منزله ان يكافأه بهدية او ما شابه ذلك ، ولكن الذى يقدر المكافأة هو المريض لا الطبيب .

وكان للمسلمين تجارب اخرى فى غير هذين الميدانين من ميادين الخدمات ، فكان المسافرون الذين تنقطع لهم السبل ممن يسمون فى القرآن الكريم بابناء السبيل . يصرف لهم من امـوال الدولة ما يكفى احتياجاتهم الضرورية حتى لايكون استغلال من اصحاب الفنادق والخانات .

وهذه التجارب جميعها قد لا تصلح فى صيغتها القديمة لعصرنا الحديث ــ ولكنها على اقل تقدير تدفعنا الى التفكير فى صيغة للعدالة تمارس الحياة على اساس منها فى مجتمعنا الحديث .

ان على علماء الدين عندنا ، والذين يذهبون مذهبهم فى الدعوة الى ممارسـة الحيـاة على اساس من الدين ان يضعوا لنا سياسة للاجور فى كل الانشطـة . يفعلون ذلك فى ميـدان الانتاج الزراعى ، وفى ميدان الانتاج الصناعى ، وفى ميادين الخدمات .

ان عليهم ان يتخذوا من العدل الاسلامى الذى حدد القرآن الكريم معالمه اساسا لما يضعون فى سياسة الاجور من معايير وموازين .

ان ترك الامر على الصورة التى نرى هـو الذى يدفع بالمواطنين الى الاتجاه نحو الغرب او نحو الشرق . وهم فى ذلك ليسوا بالملومين .

ان اللوم انما يقع على عاتق رجال الدين من حيث تقصيرهم فى ملء هذا الفراغ .

ان التفاتهم دائمـا الى الوراء ، وجـذبهم الاحكام الشرعية من كتب التراث لن يفيد ابدا فى تحقيق العدل الاسلامى لمشكلات من الحياة لم يكن يعرفها القدماء الذين وضعـوا هـذه الاحكام .

على رجال الدين ان يداروا عجزهم بالاجتهاد فى وضع المعايير والموازين ، وليس بالتنقيـب والتفتيش فيما ترك القدامى من احكام .

لقد كان القرآن الكريم يطلب من المؤمنين الا يسألوا عن اشياء ان تبد لهم تسؤهم .

وكان يقول لهم : ان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبدلكم .

وكان يبصرهم بالنتيجة قائلا : قد سألها قوم من قبلكم ثم اصبحوا بها كافرين .

والقرآن الكريم فى كل ذلك انما يشير الى اجتهاد الناس فى تقديم الحلول لمشكلات عصرهم ، والى انه ليس من مصـلحتهم ابدا ان يقيـدوا انفسهم بحكم شرعى لا يثبت على الايام .

يجب ان تكون الحلول مما يقدم النفع للمجتمع ويدفع عنه الضرر . وما يقدم النفع ويدفع الضرر يختلف باختلاف العصور او كما يقول الاقدمون : باختلاف الازمان والامكان .

كل هذا يجب ان يدركه رجال الدين عندنا ، والا ذهبت دعوتهم مع الريح حيث لا ينفع اى عويل او صراخ .

(٤)

والعلة الرابعـة والاخيرة لا تتعلق بالمعايير والموازين وانمـا تتعلق بالانسان . تتعلق بمن يحمل الميزان بيـده من اجل ان يحق به الحق ويبطل به الباطل ، ومن اجل ان يقيم العدل فى مجتمـع اليوم .

هذا الانسان يصيبه الضعف البشرى الذى هو علة العلل فى كل ميل عن الحق والعدل الى الباطل والظلم والبغى والعدوان .

هذا الانسان يجيئه فى حالات كثيرة الضعف البشرى الذى يدفع الى اهتزاز الميزان فى يده ــ يجيئه احيانا بفعل المؤثرات الغريزية من الداخل ، او بفعل المؤثرات الغاشمة القوية من الخارج .

فالانسان لا يزال عبد غرائزه وشهواته .

والانسان لايزال يخاف على نفسه من اصحاب النفوذ والسلطان .

والعلم الذى مكن الانسان من السيطرة على كل ما يحيط به من كائنات لم يمكنه ابدا من السيطرة على نفسه ، وظل مدفوعا بغرائزه وشهواته ، وبالخوف على نفسه وعياله من كل صاحب سلطة غاشمة لا تقبل بما دون ماترضى عنه وترغب فيه .

ورجال الفكر بصفة عامة ، ورجال الدين بصفة خاصة ، يقعون فى المحظور حين تسلط عليهم هذه المؤثرات .

ان القليل منهم هم الذين يلتزمون بالمبادىء الدينية والاخلاقية يضبطون بها سلوكهم القولى والعملى ، ويكبتون بها غرائزهم التى تدفع بهم الى الانحراف .

ولكن الكثيرين منهم يحرصون على ارضاء ذوى النفوذ والسلطان يقولون له ما يرضيه ويفعلون من اجله كل ما يحقق رغباته حتى ولو لم تكن عادلة .

والناس من يلق خيرا قائلون له ما يشتهى .

وفى الاسلام تجربة تشير الى ان من رجال الدين من كان همه تمكين ذوى السلطة والسلطان من رقاب العباد .

ومن هؤلاء المفسرون للقرآن الكريم ، أولئك الذين فسروا معنى اولى الامر فى قوله تعالى : « واطيعوا الله ، واطيعوا الرسول واولى الامر منكم » . بأنهم الخلفاء والامراء والوزراء والحكام .

لقد فعلوا ذلك لتكون طاعة الحاكم واجبة شرعا ، ويكون عصيانه مخالفة شرعية يستحق عليها العقوبة الدينية .

ولقد فات هؤلاء ما ذهبت اليه آية اخرى من ان اولى الامر صفة للذين يلون أمور الناس ممن يقدرون على استنباط الاحكام .

يقول الله تعالى : « واذا جاءهم أمر من الامن أو الخوف اذاعوا به .

ولو ردوه الى الرسول واولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم » .

ورحم الله **الرازى والنيسابورى** من القدامى ، والاستاذ **الامام** والشيخ **رشيد رضا** من المحدثين ، حين يذهبون الى ان اولى الامر هم اهل الحل والعقد من المشرعين .

انه لم يكن الى جانب النبى عليه السلام حاكم او امير او وزير .

هؤلاء الذين ينتابهم الضعف البشرى هم علة العلل فى عدم استقامة الامور .

ان الميزان يهتز فى أيديهم لحساب ذوى السلطة والسلطان .

وان عملهم لحساب الامير او الوزير او السلطان هو ما نصت عليه الاية الكريمة : « يلبسون الحق بالباطل ، ويكتمون الحق وهم يعلمون » .

وهؤلاء لا يظلمون غيرهم فحسب وانما يظلمون انفسهم أيضا . يظلمون انفسهم حيث يرتكبون من الاثم ما يضعهم تحت طائلة العقاب . يوم يضع الله الموازين القسط ليوم القيامة .

●

هذه العلل جميعها هى التى تجعل العدل الاسلامى أمنية من الامانى ، وليس واقعا يتحقق .

ويتحقق هذا العدل يوم ان نتخلص من هذه العلل . وتزول هذه العلل بالسعى الجاد الحثيث فى :

اولا — تقييم القديم والتخلص من الافكار الضارة بالصالح العام من حيث انها تشكل عقبات فى سبيل التقدم .

ثانيا — تفكير علمى حديث فى مشكلات العصر الذى نعيش فيه ، واقتراح المعايير والموازين العادلة التى تيسر سبل الحياة فى كل الانشطة التى نمارسها .

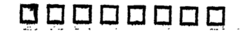
ثالثا : تربية قويمة تجعل العدل صفة دينية واخلاقية من الصفات الاصيلة فى الانسان بحيث لا يرضى ضميره الا بكل ما يحقق العدل فى كل ما يصدر عنه من اقوال وافعال .

ان الانسان العادل هو المستهدف من هذه التربية ، ومن الخير للمجتمع الاسلامى ان تتيح التربية فيه هذا الانسان .

ان هذا الانسان هو القادر على صنع الحياة الفاضلة فى المجتمع الجديد .

ان ضعفنا ضعف اخلاقى اولا وبالذات .

ان العلم يمكن تحصيله من غير معوقات . اما الاخلاق والتربية السلوكية العادلة فليس من السهل تحصيلها — مع أنها الوسيلة الحية الفعالة لتحقيق كل ما نريد .



الحضـــارة المتوســـطية وقضـــية الانســـان

د. مراد وهبة

قد لا يعدم المرء أن يجد - بين الحين والحين - مذاهب فلسفية محكمة البنيان ، مترابطة المقدمات والنتائج وفقا لمنطقها الداخلي . غير ان التقييم الحق لهذا المذهب أو ذاك ، واختباره ، واكتشاف نقاط قوته،أو نقاط ضعفه ، أنما تبدأ - بالدقة - عندما نطرح قضية الانسان ، لا بكيفية مجردة ولكن على ضوء حقيقة الصراع الذى يدور فى هذا العصر .

البحر المتوسط نسيج وحده حين يقارن بغيره من البحار .

فهو رمز على حضارة الانسان منذ قديم الزمان ، **حضارة مصر وما بين النهرين ، وحضارة اليونان .**

ولم يكن بين الحضارتين انفصال لا فى العصر القديم ولا فى العصر الوسيط .

فى العصر القديم جاء مصر من اليونان **طاليس وفيثاغورس وافلاطون** ، وتلمذوا لعلمائها وفلاسفتها .

قيل عن **طاليس** أنه لما جاء مصر أخذ علم المساحة وانشغل بمسألة فيضان النيل وقياس ارتفاع الاهرام .

وقيل عن **فيثاغورس** أنه حين زار مصر أخذ عنها العلم الرياضى .

وقيل عن **افلاطون** أنه قد تأثر تأثرا عميقا بحضارة مصر حتى ليحكى على لسان أحد الكهنة فى محاورة « **طيماوس** » قائلا لصولون « **أيها الاغريق انما أنتم أطفال** » .

وفى العصر القديم كذلك أطلق لفظ « **الهيلنستية** » على العصر الذى بدأ من فتح **الاسكندر** للشرق ، وانتهى بعصر الامبراطور **أوغسطس** ، أى من سنة ٣٣٦ الى سنة ٣٠ق.م ، وهو عصر تميز بامتزاج الفكر اليونانى بالروح الشرقية ، وبالذات فى مدينة الاسكندرية التى استقر رأى الاسكندر على بنائها .وقدتم بناؤها فى عهد **بطليموس الاول** حيث انشأ بها **متحف** « **الموسيون** » ، أى معبد ربات الفنون والعلوم . ولفظ المتحف كان يعنى معهدا للعلم والدراسة .

وبعد افتتاح المتحف نشأت مدارس فلسفية متأثرة بالمذاهب الفلسفية اليونانية ، وهى على وجه التحديد ، **الافلاطونية والارسطية والرواقية** ، وسادت الافلاطونية وتطورت الى « **الافلاطونية الجديدة** » ، وهى فلسفة الهية دينية اتخذت شكلا

جديداً عنـد « فيلون » الفيلسـوف اليهـودى الاسكندرى تمثل فى **التوفيق بين الفلسفة الدينية والتوراة** . والذى ساعد على سيادة ظـاهرة التوفيق ان الجالية اليهودية المقيمة بالاسكندرية كانت غنية زاهرة اخذة بحظ عظيم من الثقـافة اليونانية حتى انها لم تكن تقرأ التوراة الا فى الترجمة اليونانية المعروفة « **بالسبعينية** » ، وكانت تعتقد أن الوحى الالهى يشمل هذه التـرجمة أيضا .

وهكذا عاش الفكر اليهودى فى احضان مدرسة الإسكـندرية .

وفى العصر الوسيط أسهمت « **الهيلنسية** » فى تدعيم الصلة بين الحضارة الاسلامية والحضارة المسيحية خاصة وأنهما يهدفان الى التوفيق بين العقل والايمان ، استنادا الى المنطق اليونانى . **بيد أن اسيادة فى هذا التوفيق كانت للعقل الاسلامى ، ويبدو فى القرن الثالث عشر حيث كانت الفلسفة عبارة عن مختلف المواقف من ابن سينا وابن رشد .**

وفى العصر الحديث قامت حملة على فلسفة العصر الوسيط بالتهكم على لغتها وبحوثها وطريقة استدلالها — ورميها بالجهل والغباوة والبربرية . ونشأت فلسفة منسلخة عن الدين ، ومؤازرة للطبقة البورجـوازية الصـاعدة على انقاض الطبقـة الاقطاعية التى كانت العلامة المميزة للعصر الوسيط اعقبتها فلسفة مؤيدة للطبقة العمالية . **ومن ثم نشأ صراع بين الفلسفتين : الفلسفة البورجوازية والفلسفة الاشتراكية ، وانقسمت أوربا الى عالمين ، سمى أحدهما بـالعالم البورجوازى ، وسمى الاخر بالعالم الاشتراكى . وبين هذا وذاك نشأ « عالم ثالث »** يضم افريقيا واسيا وامريكا اللاتينية ، يحاول جاهدا أن يشق طريقه بين العالمين الاخرين .

ولم يكن أمام العالم الثالث الا أحد أمرين :

اما أن ينحاز الى أى من العالمين .

واما أن يختار طريقا ثالثا ، لا هو بالبورجوازى ولا هو بالاشتراكى .

ونشأت محاولات فلسفية على هذا الطريق الثالث ، ومن بينها ما يسمى بـ « الحضـارة المتوسطية » كان قد أشار اليها طه حسين منذ أكثر من ثلاثين سنة فى كتابه « مستقبل الثقافة فى مصر » حين ارتأى أن ثمة علاقة بين الثقافة والعلم والأدب فى مصر ، وبين ثقافة حـوض البحـر المتوسط . فعنده أن مصر القديمة ومصر الاغريقية وحتى مصر العربية والمسلمة كلها أسهمت فى هذه الثقافة التى يسميها بـ « **ثقافة البحر المتوسط** » .

وفى الخمسينيات بلور هذه الرؤية الفيلسوف العربى « **رنيه حبشى** » فى كتابه « **حضارتنا على المفترق** » [١٩٦٠] . **فهو فى هذا الكتاب** يحدد حضارتنا بأنها ينبغى أن تكون « **متوسطية** » ، أى **لا شرقية ولا غربية .**

لماذا ؟

« لان كلا من الشرق والغرب مصـاب بحمى « الانا » المتضخمة والعدائية ، فلا يمكنهما أن يتفهمانا او يكونا سخيى القلب للاسراع الينا » .

والنتيجة ماذا تكون ؟

القناعة بمـاضينا « نحـن » ، وبحـاضرنا « نحن » .

وماذا عن ماضينا ؟

انه ، فى رأى رنيه حبشى ، « ماهوى » أى نسبة الى « **الماهية** » . والماهية تعنى المعنى الكلـى الذى نحصل عليه من ادراك الجزئيات ، ومن ثم فالعلم الحق هو العلم بالكلى على حد قول ارسطو .

وماذا عن حاضرنا ؟

انه ، فى رأيه ، وجودى ، يمعنى اننا نهتم الآن بأزمة الانسان الفرد ازاء ما يفرزه العلم من أجهزة الدمار والموت . ولهذا فان المهم ليس هو الموت على الاطلاق ، وانما موت الفرد على التخصيص ، أى ان المهم ليس القول بأن ها هنا موتا ، ولكن بأن فلانا يموت أو بأنى أموت .

وما العمل ؟

تطعيم الماضى بالحاضر ، أى تطعيم الماهوية بالوجودية .

وهذا التطعيم فى مواجهة أى ميكروب ؟

فى مواجهة الالحاد .

فالغرب يجلب لنا الها مفككا يوشك ان ينمحى ، وروسيا السوفيتية تقدم لنا الها منكورا منطقيا .

وهنا مكمن الخطر .

والعلاج ماذا يكون ؟

ثمة صيغ ثلاث يطرحها رنيه حبشى ويحكم عليها :

الصيغة الاولى تخلط بيـن الروحـانيات والزمنيات . وفى رأيه ان هذه الصيغة مغلوطة لانها تؤدى بالضرورة اما الى تصفية الروحانيات كما هى الحال فى روسيا السـوفيتية ، واما الانجذاب نحو هذه التصفية كما هو الحال عندنا .

□□□□□□□□

والصيغة الثانية تميز بيـن الروحـانيات والزمنيات ، وهى ، فى رأيه ،صيغة صحيحة ولكن ليس بالنسبة لنا ،لان حضارتنا تقوم على انضواء الروحانيات فى الزمنيات .

والصيغة الثالثة تطعيم الشئون الزمنية بالمبادىء الروحانية . وهى ، فى رأيه صيغة صحيحة كل الصحة ونهائيا فى كل زمان ومكان .

وماذا يعنى اختيار الصيغة الثالثة ؟

يعنى بالضرورة ، فى رأى فيلسوفنا العربى ، تعاونا بين المسيحية والاسلام .

وهنا يتجاهل فيلسوفنا الفكر اليهودى . ولعل عذره فى ذلك أن الفكر اليهودى قد تحول حديثا الى **فكر صهيونى** مرفوض . ومن ثم فقد توقف الفكر اليهودى ، فى صورته الحديثة ، عن المحايثة فى الفكر العربى .

بيد ان ثمة سؤالين نوجههما الى رنيه حبشى ، والى من يشايعه فى دعوته الى الحضـارة المتوسطية :

السؤال الاول :

هل ثمة علاقة عضوية بين الحضارة المتوسطية والتعاون بين المسيحية والاسلام ؟

الجواب بالسـلب ، ذلك أن ماضي الحضـارة المتوسطية المتمثل فى الحضارة اليونانية ، عقلانى أو بالادق **علمانى** . فقد دعا **السوفسطائيون** الى المبدأ القائل بأن الانسان مقياس الاشياء ، نقيس به الحقيقة ، ولا نقيسها بغيره . وحكم على **سقراط** بالاعدام لانه كان ينكر الالهة . وحد **أرسطو** المعرفة الانسانية بأنها حسية ، وأن من فقد حسا فقد علما . وتصور **ابيقور** الحرية على انها التحرر من الخوف من الالهة ،ومن الموت .

أما القول بأن حاضر الحضارة المتوسطية متمثل فى الوجودية فهو قول مرفوض . ذلك أن الاب الروحى للوجودية **سيرن كيركجور** فيلسـوف **دنمركى** ، وأن فلسفته وأن كانت دينية الطابع الا انها تفرعت الى وجودية مؤمنة ووجودية ملحدة . ومعنى ذلك أن الالحاد ليس محذوفا من المناخ الوجودى . **وبالتالى فان العلاقة بيـن المناخ الوجودى والتعاون الاسلامي المسيحى عـلاقة مصطنعة** .

ونسأل :

لماذا يصطنع رنيه حبشى مثل هذه العلاقة ؟

لاخفاء حقيقة الصراع فى هذا العصر .

وهنا يثار السؤال الثانى :

ما هى حقيقة الصراع فى هذا العصر ؟

جوابنا ان الصراع فى هذا العصر يدور علي الاختيار بين الراسمالية والاشتراكية ، بيـن استغلال الانسان وتحرير الانسان . ولهذا فان اى تجاهل لحقيقة هذا الاختيار ليس الا محاولة لاخفاء ملامح الصراع فى هذا العصر . ورنيه حبشى يمارس هذا التجاهل حين يصور الصراع على أنه يقوم فى الاختيار بين الالحاد والايمان . وحين يصور التعاون الاسلامى المسيحي على أن مهمته حسم هذا الاختيار لصالح الايمان .

ولكن أي ايمان لا قيمة له بمعزل عن الانسان . ونحن لا نقصد بالانسان المعنى المجرد ولكن المعنى العينى ، اى **الانسان من حيث كائن زمكانى** ، اى من حيث هو يحيا فى زمان معين ، ويقيم فى مكان معين . ومن هنا تأتى حتمية **المضمون الاجتماعى** للايمان أيا كان .

فاذا اريد للتعاون الاسلامى المسيحي المواصلة والفاعلية لزم تحديد المضمون الاجتماعى ، بيد أن هذا اللزوم ليس واردا لا عند رنيه حبشى ولا عند غيره من الداعين الى الحوار الاسلامى المسيحى . وشاهد على هذه المسألة ما جاء فى كتـاب « **توجيهات خاصة بحوار بيـن المسيحييـن والمسلمين** » الذى اصدرته عام ١٩٦٨ **لجنة انتفاهم مع الاديان غير المسـيحية التابعة للفاتيكان** . فالكتاب فى الخاتمة [ص ١٥١] يحذر المتحاورين من هجرة المستوى الروحى والانزلاق الى المستوى الزمنى .

ولكن لماذا هذا التحذير والمستوى الروحى وارد بالضرورة فى أى حوار بين الاديان ؟

والمتصور أن يكون الامر على الضد من ذلك ، اى التحذير من الوقوف عند المستوى الروحى .

واذا لم يكن الامر على الضد من ذلك لزم التحذير من الغاية من هذا الحوار ، وهى اخفاء ملامح الصراع فى هذا العصر ، وبالتالى التحذير من الدعوة الى تاسيس حضارة متوسطية على نحو ما يذهب اليه رنيه حبشى .

■■ بين غيبة الحلول الجدية وتخلف قوى الانتاج ■■

أرضنا الجديدة هل نفقدها ؟

جمعة عبده قاسم *

جمعة عبده قاسم ، الذى كان مقاتلا من مقاتلى أكتوبر ، يعمل الان فى منظمة الشباب ، ومن موقعه الجديد زار مديرية التحرير ودرس على الطبيعة مشكلة الارض الجديدة . ومن هذا التحقيق على الطبيعة يدق الكاتب جرس الانذار .

المناسبة والموضوع :

الديمقراطية كما افهمها .. وكما اتصور انها يجب ان تكون هى قدرة الجماهير على تغيير ما تريد ان تغيره وليست فقط قدرتها على ان تقول ما تريد ان تقوله ..

وقد نختلف فى تصور الاطار الذى تمارس منه وفيه الجماهير عملية التغيير .. لكننى لا اتصور ان احدا يمكن ان يختلف حول هذا المعنى .. شرط ان يتم هذا التغيير دائما لصالح الاغلبية. لانه بغير ذلك لا يمكن ان يكون ثوريا .. وعليه ففى غيبة هذه القدرة على التغيير . يصبح اى حديث عن الديمقراطية وهم .. واى توقع لممارستها ممارسة فعلية خيال .. واى ادعاء بتواجدها نوع من المزايدات الرخيصة .

اقول ذلك .. لاننى كمواطن على هذه الارض، بصلة انتمائه لها . احس بتلك الهجمة التترية الشرسة التى تحاول بكل ما تملك . تفريغ الديمقراطية من مضمونها الاجتماعى .وتصويرها انها فى الحقيقة حرية سياسية فقط تسمح لكل فرد ان يقول ما يريد ان يقوله وان يصرخ ويعوى . كما يشاء له الصراخ والعواء ..وهذه القوى اليمينية الرجعية الشرسة التى تقود اليوم هذه الهجمة . تعى تماما ان ذلك تمهيد لابد منه حتى تستطيع ان تقفز بما تملكه الان وما سوف يتراكم لديها من ثروة فى المستقبل على مواقع السلطة .. بعيدة عن غضب الجماهير حينما يتم تسطيح وعيها وتمييع رؤيتها وتقنينها للاشياء والاحداث . وتتمثل هذه الحملة الان فى ضرب واجهاض كل المكاسب التى حققتها ثورة يوليو.. متغافلة عن عمد الجانب الاجتماعى العظيم لهذه الانجازات والمكاسب . .. ومن هنا وفى اطار تلك الرؤية الشمولية . نطرح اليوم مرة اخرى الحديث عن الارض المستصلحة ــ رغم انه حديث قديم . وما كتب عنه تعدى قدرة الناس على

* جمعة عبده قاسم من مقاتلى حرب اكتوبر ــ امانة الشباب ــ شعبة التنظيم

قراءته — لكن مناسبة اليوم هو ما أعلن — بل ما تم — اخيرا عن توزيع هـــذه الارض على الفلاحين .. وما يتردد من تسليم هـــذه الارض لشركات ذات راس مال مشترك لزراعتهـــا .. وبذلك نتغلب على مشاكل استغلال هذه الارض. — وكفى الله المؤمنين شر القتال .

واقـــع الارض الجديدة الان

نعترف مبدئيا . ان هذه الارض تواجـــه الان مجموعة كبيرة من المشـــاكل . تحـــول دون استغلالها الاستغلال الامثل لكننا لابد ان نعـــود الى الوراء قليلا حتى يكون تشخيصنا لمسببات تلك المشاكل علميا .

منذ ان بدات اول برامج التوسع الافقي للارض الزراعية في مصر سنة ١٩٥٤ في مديرية التحرير. وكان مستهدفا منها .. فضلا عن زيادة رقعـــة الارض المنزرعة . .ان تقام على هـــذه الارض مجتمعات جديدة .. مثالية .. بلا طبقـــات — مجتمعات زراعية واسعة — حديثة .. يستعمل فيها اقصى ما وصـــل اليـــه العلم الزراعي من تكنولوجيا . وتصبح نموذجا للزراعة العلميـــة المتكاملة . وتقوم على هذه الارض — نتيجـــة لاستخدام ادوات متطورة في الانتاج — علاقات انتاجية متطورة .. علاقات متكافئة بين الارض ومن عليها من بشر ..

واستمر استصلاح الارض — وبعد ان اتضحت الرؤيا الاجتماعية للثـــورة المصرية وتحـــددت . أقيمت — لهذه الارض — الوزارات والمؤسسات المتخصصة لكي تحقق هذا الهدف الكبير .. بل ان اسم المؤسسة التى تولت هذه المسئوليـــة حل — شكلا — هذه الاهداف «المؤسسة المصرية العامة لاســـتغلال وتنميـــة واستزراع الاراضي المستصلحة . لكن . .ماذا حـــدث .. انتهى الحال بهذه الارض — وتلك المجتمعات — بعـــد عشرين عـــاما ، الى أرض ومجتمعات تحكمها أقسى العلاقات الانتاجية تخلفا .. فمعظم هـــذه العلاقات تنتمي للعصر العبـــودي .. واكثرهـــا تقدما يذكرنا بالسنوات الاولى من عصر الاقطاع .. وانعكس هـــذا التخلف الرهيب في علاقات الانتاج — وكان لابد ان ينعكس — على ادوات الانتاج . وفي النهاية على العمليـــة الانتاجيـــة ككل .. واثبتـــت انه لا يكفي ان نمتلك ادوات انتاج حديثة . لنضع بها مجتمعات حديثـــة .. واصبح من الطبيعي لمن يرصد حركة هذه الارض والمجتمعات المقامة عليها ان يرصد الظـــواهر الاتيـــة :

١ — ان الرمال بدات تطغى مرة اخرى على الارض التى كانت قد اخضرت .. والبوار اصبح ظاهرة طبيعية وسط المزارع . حتى أن نسبـــة الارض المنزرعة في قطاع مصر الوسطى لاتتعدى ٣٢٪ من جملة المساحة المستصلحة وفي قطاع شمال التحـــرير ٦٨٪ من المســـاحة التى كانت منزرعة بالفعل منذ عشر سنوات . وبانتاجيـــة عالية .. وبدات امراض الشلل — وهي المقدمة الضرورية للبوار — تصيب كافة المحاصيـــل بلا استثناء .. وبدات انتاجية المحـــاصيل تنخفض سنويا انخفاضات مروعة .. وعلى سبيل المثال يوضح الجدول رقم [١] الفرق بينما كان مستهدفا من انتاجية بعض الحاصلات وما تحقق منها سنة ١٩٧٢ .. مع ملاحظة ان المستهدفات وضعت وفق الظروف الراهنة للارض وللامكانيات المتاحة لاستغلالها .. بمعنى انها ليست مســـتهدفات مثالية او علمية .

٢ — يمكن وببساطة شديدة رصد تراجـــع دور الميكنة الزراعيـــة . والزيادة المضطردة في

جدول رقم [١] العجز والزيادة في محاصيل شتوى ١٩٧٢ قطـــاع شـــمال التحـــرير [●]

البيـــان	المســـاحة المنزرعـــة	الوحـــدة	الانتـــاج المستهدف	الانتـــاج المحـــقق	العجـــز	الزيادة
القمـــح	٢٩٩٥	أردب	١٤٩٧٥	٨٣١٤	٦٦٦١	—
الكتـــان	٤٤٣	طن بذرة	١٧٧	٩٩	٧٨	—
الشعير النبوى	١١٧١	أردب	٣٥١٣	٢١٧١	١٣٤٢	—
الشعير البلدى	١٧١٨	أردب	٦٨٧٢	٥٩٣٨	٩٣٤	—
الفول البلدى	٣٥٩	اردب	١٢٤٠	٧١٣	٥٢٧	—
البسلة	٣٥١٠	طن	٦٥١	٣٢٦	٣٢٥	—
الفول الرومى	١١٦٢	طن	٤٥٠٥	٣٧٥٥	٧٥٠	—

● المصدر — ختامي تكاليف الدورة الشتوية ١٩٧٢ . قطاع شمال التحرير . الشئون المالية.

احلال الايدى العاملة محلها . واصبح من المناظر المألوفة ان ترى اكوام الالات فى كل مكان .. وعلى كل الطرق . واصبحت هذه الارض تعانى من مشكلة نقص الايدى العاملة .. وكما يقول احد التقارير ان هذه المشكلة تستحكم عاما بعد عام . والمدهش ان التقرير يتصور ان الحل هو البحث عن زراعات لا تحتاج الى ايدى عاملة كثيرة ؟! ولعل جدول رقم [٢] يوضح الفرق بين حجم التشغيل اليدوى الذى كان متوقعا لبعض الحاصلات وما تم تشغيله بالفعل ، خلال موسم زراعى واحد هو شتوى ٧٣ فى قطاع شمال التحرير .

وايضا كان مستهدف الاعلاف ما يلى :

برسيم حجازى بما قيمته ٧٥٨٤٤ جنيه تحقق ما قيمته ٣٧٥٨٠ جنيها بعجز ٣٨٢٦٤ جنيها .

تبن بسلة ما قيمته ٢٢٢٠ جنيها تحقق ما قيمته ١٦٠ جنيها بعجز ٢٠٦٠ جنيها .

تبين قمح كان مستهدف ٤٢٤ طنا تحقق ٩٤ طنا بعجز ٣٣٠ طنا .

تبن قمح كان مستهدف ٨٢١ طنا تحقق ٣٢٩ طنا بعجز ٤٩٢ طنا .

ومن الجدول رقم [٢] يتضح ان الزيادة فى التشغيل عن المتوقع هو ٤١٣٣٩ رجل و ٣٦٠٧٢ ولد . ولو افترضنا ان سعر يوم التشغيل — كما هو معلن — بالنسبة للرجل ربعمائة مليم والولد مائة وسبعون مليما ، فان قيمة الزيادة فى التشغيل اليدوى وفى موسم واحد فى قطاع واحد هو اثنين وعشرون الف وستمائة وسبعة وستون جنيها .. وهذه الزيادة فى عدد ايام التشغيل ناتجة عن اعطال حدثت فى الالات ، مما ادى الى احلال هذه الايدى محلها .. ومن المؤكد ان المشكلة أصبحت أضخم من ذلك بكثير .

.. وما سبق ما هو الا صورة مبسطة جدا لواقع هذه الارض الان ولشكل الانتاج فيها .

مشاهدات من هناك

أول ما يصطدم به المتأمل للعلاقات الاجتماعية على هذه الارض .. وجود طبقة العمال الزراعيين « عمال التراحيل » وطبقة أخرى مقابلة هى طبقة التكنوقراط والمرتبطين بهما من مقاولى الانفار .. والتناقض القائم بينهم حاد جدا والمسافة واسعة ..

عمال التراحيل

صورة غير انسانية مطلقا لبشر يعيشون فى مصر الربع الاخير من القرن العشرين .. اقل ما يمكن أن يوصفوا به انهم غرباء عن المكان الذين يعيشون عليه ، والزمان الذى يحيون فيه .. واصبحت اللامبالاة واللاوعى بأى شىء هى الصفة المشتركة بينهم ويكفى أن تسمع عن هذه الحادثة .

جدول رقم [٢] الزيادة فى العمالة اليدوية بين المتوقع تشغيله ، وما تم تشغيله بالفعل ٪ شتوى ٧٣ . قطاع شمال التحرير [●]

المحصول	التشغيل المتوقع رجل	التشغيل المتوقع ولد	التشغيل الفعلى رجل	التشغيل الفعلى ولد
بسلة محمله	٤١٣٤	٣٩٠	٤٧٧٤	٨٤١٦
بطاطس	٥٤١١	٦٥٦	٨٦٣٥	١٢١٧٩
طماطم محمله	١٢٩٤٠	٣٦٠٦	٢٦٥٣٩	١٠٢٦٤
برسيم محمل	٤١٣٣	—	٥١٤٥	١٤٥٨
قمح	١٥٦١٨	٢٥٩٥	٢٠٥٢١	٧٢٥٨
كتان	١٦٨٦٧	١٦١٨٨	٢١٩٩٣	١٣٦٢٥
شعير نبوى	٢٣٦٤٣	٣٨٩٩	٢٧١٢٧	٩٢١٣
شعير بلدى	٧١٠٨	١١٦٨	٦٤٥٩	٢١٦١
الجملة	٧٩٨٥٤	٢٨٥٠٢	١٢١١٩٣	٦٤٥٧٤

● المصدر : ختامى تكاليف الدورة الشتوية ١٩٧٣ ، قطاع شمال التحرير — الميزانية والتكاليف .

□□□□□□□□

« فى القرية السادسة .. فى قطاع شمال التحرير وفى يوم من ايام شهر يوليو ١٩٧٥ .. عاد احد العمال ليلا .. واراد ان يضاجع زوجته .. فضاجع زوجة جاره .. ولان كلاهما مطحون. فلم تحس هى بانه ليس زوجها ولم يحس هو بانها زوجته .. وتتكشف الحقيقة فى الصباح — بالصدفة — ويعترف الاثنان . ويقام « ميعاد عرب » يتم تغريم الجانى فيه خمسة وعشرون قرشا » ما نريد أن نؤكده هنا ان هذه الحادثة تمت ليست من منطلق ممارسة شكل من اشكال الدعارة فى هذه المعسكرات . ولا الانحراف الخلقى المقصود . انما دافعها هو طبيعة واسلوب الحياه داخل هذه المعسكرات حيث تنام كل خمسة وعشرون اسرة فى عنبر واحد ولا فواصل مطلقا بينهم . ومن هنا يصبح هذا السلوك قابلا للحدوث .. واذا كان هذا يحدث فى معسكرات — العائلات — فان هناك ظواهر اكثر خطورة تحدث فى معسكرات الرجال .. ففى معسكر الناصر على سبيل المثال ، وهو من اكبر المعسكرات تجد فى كل عنبر لا تزيد مساحته عن مائة متر ستون رجلا عليهم ان يناموا وياكلوا ويتبرزوا فى هذا المكان .

واذا كانت هذه الاحداث . تطرح سؤالا هاما : فى اى عصور الدهر نعيش ؟! فان السؤال المتعلق بموضوعنا هو كيف يمكن لبشر مثل هؤلاء ان يبنون مجتمعا متطورا ؟ !

« هامشية » زارت هذه المعسكرات لجنة تقصى حقائق من مجلس الشعب . وتوجهت عقب الزيارة مباشرة الى استراحة كبار الزوار ... وكتبت فيها تقريرها الذى يقول « ليس فى الامكان ابدع مما كان » والاتجار فى البشر على هذه الارض هو اكثر النشاطات رواجا وربحا . سواء كان هذا الاتجار عن طريق مقاولى الانفار او عن طريق مكاتب التشغيل الحكومى .. وفى القرى او المعسكرات التى — يملكها — المقاولون . تجد ان العملة غير متداولة فيها .. فكل الاشياء تتم عن طريق المقاول بما فيها الزواج والموت .. وكله على النوته . كما يقولون .».

.. ايضا . هذه صورة مبسطة جدا للوضع الراهن لاحدى قوى الانتاج . واهمها وهو العامل .. الانسان .. ومرة اخرى نسأل هل يمكن لاحدى قوى الانتاج الموصوفة بهذا الشكل المتخلف ان تتمخض عنها علاقات انتاجيه متطورة ؟!

ثم لو حاولنا ان نتعرض لشكل الادارة على هذه الارض .. ثم سألنا انفسنا لماذا فشلت فى تحقيق الاهداف الانتاجية — المادية على الاقل —

رغم توافر كل مقومات الانتاج الزراعى العلمى من حيث سعة الوحدات المزرعية « ٤٠ الف فدان » وبالتالى ما يمكن ان يتم فيها من استخدام احدث الطرق فى الزراعة عن طريق الميكنة المتكاملة والبحث العلمى .. الى آخره .. فان الاجابة البديهية والاولية تقول .. ان هذا الشكل من اشكال الانتاج الزراعى . وتلك المجتمعات الجديدة بالصورة التى كان مستهدفا ان تكون عليها ، هو شكل ومجتمع تحكمه علاقات اشتراكية يسودها الكفاية والعدل .. ومن هنا فان قضية الكادر الادارى الواعى بحقيقة هذه الابعاد تصبح هى الاساس . ولان مشكلة الكادر الادارى الثورى فى مصر . هى الأزمة المزمنة التى نعترف بفشلنا فى التغلب عليها . فقد كان طبيعيا أن ينعكس ذلك على شكل الادارة — ايضا — فوق هذه الارض الجديدة .. لكن صحيح انها هنا وصلت الى مرحلة أشبه ما تكون بالضياع . لكن ذلك ايضا كان نتاجا طبيعيا لهذه الطبقة بعد ما استطاعت ان تكثف نفسها وتبلور مصالحها وتترابط وتتعقد . ويصبح من الصعب فصلها عن ظواهر كثيرة داخل المجتمع المصرى المتخلف كله .. وسأحاول ضرب مجموعة من الامثلة لهذه النتيجة :

١ — فى قطاع مصر الوسطى وصل الامر ان يتم تعيين ٣١٦ « ثلثمائة وستة عشر » عاملا لادارة ماكينة رى واحدة وتعدت تكاليف ادارة هذه الماكينة التى لا تروى اكثر من ١٧٠ فدانا أربعون الف جنيه سنويا .. وعندما تحدثنا عن هذه المأساة .. واحيل المسئولون الى المدعى العام الاشتراكى بعد ان ثبت للجنة تقصى الحقائق ضياع مليون وربع مليون جنيه فى ثلاث سنوات فى مساحة لا تتجاوز ثلاثة الاف فدان .. لكن لم يحدث شىء ، ومازال العمال يديرون تلك الماكينة المعجزة . وما زال عدد كبير منهم فى ليبيا . ؟!!

٢ — فى قطاع شمال التحرير .. يصرفة مثلا اربعة الاف جنيه لتوصيل خط مياه لفيلا احد مديرى المزارع وتترك قرى كثيرة مبانيها آيلة للسقوط وفى حاجة الى عشرات الجنيهات لترميمها .. دون أن يسأل احد عنها .. ايضا . تجد مثلا . الورشة المركزية بالقطاع بها صالة للخراطة يوجد فيها عشر ماكينات من احدث آلات الخراطة . تعمل معا فى تكامل يمكنها فى النهاية ان تضع موتورا لاى آلة زراعية .. هذه الصالة بتلك الامكانيات الضخمة لا يعمل عليها سوى عامل واحد « الاسطى دميان » وبالتالى

فجميع الالات متوقفة . ومنذ سنوات ــ رغم صلاحيتها للعمل ــ ورغم مئات الجرارات التى تقف فى حاجة الى قطع غيار . ورغم الاف الجنيهات التى تصرف على شراء ما يمكن شراؤه منها . وتسأل فيقولون لك ..قوانين العمالة.. ولا يوجد حافز .. منطق قاتل ؟!

٣ ــ ايضا ــ العون الغذائى الذى تصرفه هيئة اليونسكو للسكان الجدد على هذه الارض . يصرف ٣٦٪ من قيمته فى صورة مكافآت لمن يشرفون على توزيعه على العمال . والباقى لا يصل منه للمستحقين الحقيقيين له سوى الفتات .

نقول كل ذلك لكى نؤكد على حقيقة وهى أن كل هذه الظواهر الخطيرة وغيرها ، ما هى الا نتيجة لسبب واحد هو تخلف قوى الانتاج على هذه الارض .وبالتالى تخلف العلاقات الانتاجية.. ولا يمكن ان نتوقع نتيجة غير ذلك . طالما بقيت هذه العلاقات على ما هى عليه .

يبقى بعد ذلك السؤال الدائم . **ما العمل ؟. وما هو الحل** ؟ والاجابة تأتى عن طريق طرح سؤال قديم .. من يزرع هذه الارض ؟ وبأى اسلوب نزرعها ؟ !

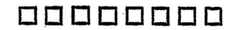
والخطير فى الموضوع ان هناك طرحان مقدمان الان لحل هذه المشاكل .. يفتقدان تماما للبعد العلمى والحقيقى لهذه المشاكل : الطرح الاول .. توزيع هذه الاراضى على الفلاحين المعدمين. وبدأ توزيع جزء منها فعلا والثانى هو تسليم هذه الارض لشركات أجنبية ذات رأس مال مشترك لزراعتها .. وكلا الحلين هو نوع من التهرب من مواجهة المشكلة والقاء اعباء حلها على الاخرين. دون وعى بأثار هذا التهرب .. وهو نوع مرفوض من التفكير . لانه يعنى اننا نسلم بعجزنا عن اصلاح انفسنا .. ولو حاولنا ان نناقش كلا الطرحين فماذا سنجد .. بالنسبة للرأى الاول القائل بتوزيع الارض .. فمع تسليمنا بانه سيرفع انتاجية الارض بالفعل الا انه سيكون رفعا مؤقتا .. وهو ينظر الى المشكلة نظرة جزئية . فاصلا اياها عن المشكلة الزراعية فى مصر ككل والتى باتت احدى المشاكل الملحة التى تهدد وبصورة كبيرة مستقبل الاقتصاد المصرى كله. وفى المستقبل القريب .. تلك المشكلة التى تتمثل فى حتمية خفض تكلفة الانتاج . بعدما ارتفعت اسعار مستلزمات ووسائل الانتاج الى درجة لم يعد معها الانتاج الزراعى ــ فى ظل ظروف استغلاله الراهنة فى مصر ــ نشاطا مغريا ــ خاصة وان المنتجات الزراعية لم تعد كما كانت منذ عشرين عاما مثلا هى المصدر المطلق لاشباع حاجات الانسان من الغذاء والكساء . والتى كانت تتيح رفع اسعار المنتجات . كلما ارتفعت تكلفة الانتاج .. لكن بحلول البدائل الصناعية فى اشباع حاجات الفرد والمنخفضة الثمن لم يعد أمام الانتاج الزراعى الا ان يخفض تكلفة انتاجه ليبقى . وهذا الخفض كما نقول دائما لا يتأتى الا بميكنة الزراعة ميكنة كاملة . وهذه الميكنة لا يمكن أن تتم فى مصر فى ظل هذا الهيكل القائم للملكية وما يتصف به من تفتت رهيب .. ففى الوقت الذى ننادى فيه بضرورة البحث عن صيغة للزراعة الجماعية ، تجمع تلك الوحدات المتناثرة يخرج علينا هذا الراى ليفتت المساحات المجمعة فى الاصل . ويضيفه الى مشكلة الارض القديمة مزيدا من التعقيد ..

اما الراى الثانى وهو تسليم هذه الارض لشركات اجنبية .. ففضلا عن مدى ما يترتب على هذا التصرف من سيطرة قوى اجنبية على مساحات واسعة من الارض .. فاننا نتساءل ماذا يمكن ان تقدمه هذه الشركات لهذه الارض ؟ ! وهل ستعمل على تحقيق البعد الاجتماعى باقامة مجتمعات بشرية متقدمة . وما مصلحتها فى ذلك ؟! . اننا استعرضنا واقع الارض لنثبت ان المشكلة تتركز فى الاساس فى سوء استخدام الامكانيات المتاحة .. وهذه الشركات لن تفعل سوى انها ستضبط حركة العمل فى هذه المزارع . سوف تحكم الرقابة على انتاجها . سوف توفر لها من النظم الادارية المرنة ما يستطيع ان يتعامل مع هذه الارض حسب احتياجاتها المتغيرة . اما مسألة تطوير العلاقات الانتاجية على هذه الارض. فهذا موضوع لا يهمها كثيرا .

واعتقد ان كل ذلك نحن قادرين . . . وقادرين بصدق ان نحققه . خاصة ان لدينا على هذه الارض مجموعة من العناصر والكفاءات تستطيع لو اعطيت الحرية فى الحركة ان تبدع وأن تتفوق بدرجات كبيرة .. وهذه العناصر لها من المبادرات الفردية ــ رغم كل المعوقات الادارية القائمة ــ ما يجعلنا ننظر اليهم باعجاب وتقدير . ونصفهم بامانة انهم الرجال الذين وضعهم قدرهم فى عمل يتحدون فيه الطبيعة وجبروتها .

اذا ليس هناك حل سوى ان تتحول هذه الارض الى مزارع مستقلة تعطى حرية الحركة تماما حسب ظروفها واوضاعها المتغيرة ، ثم تعمل فى البداية على تطوير قوى الانتاج الذى ستنعكس آثارها ــ بلا جدال ــ على علاقات الانتاج ، وفى النهاية على العملية الانتاجية وشكل المجتمع ككل .

اما كيف يتم ذلك . فربما تكون الاجابة على هذا السؤال ، موضوعا مستقلا آخر .



كيف تصبح الدولة المتخلفة أكثر تخلفا ؟

ممدوح حسن لطفى *

يعرض الكاتب فى هذا المقال قضية الانسان فى الدول النامية ، ويحذر من حقيقة اليمة ، وهى أن مظاهر التقدم الاقتصادى قد تكون خادعة ..

خلال السنوات القليلة الماضية كان يبدو مستقبل كينيا الاقتصادى مبشرا بحق ، فقد حقق الانتاج الصناعى والزراعى معدلات نمو مرتفعة تبعث على التفاؤل ،كذلك ادى الناتج من السياحة وتصدير بعض السلع الاخرى الى حصول كينيا على حصيلة من العملات الاجنبية كافية الى حد كبير لاستيراد احتياجاتها من الولايات المتحدة واوروبا واليابان .

وخلال العقد السابق على عام ١٩٧٤ بلغ معدل النمو الاقتصادى فى كينيا ٥ر٦٪ سنويا بعد وضع نسبة التضخم فى الاعتبار ، ولكنه هبط فى عام ١٩٧٤ الى ٦ر٣ فى المائة ، اما فى العام الحالى ١٩٧٥ فان كل الدلائل تشير الى انه من المؤكد ان تعانى كينيا من انخفاض جديد فى معدل النمو الاقتصادى .

ونفس المشكلة التى تواجه كينيا تواجه بطريقة أو باخرى عشرات من الدول النامية والمتخلفة فى انحاء الكرة الارضية ، خاصة وأن المتاعب التى تعانى منها اقتصاديات الدول الصناعية المتقدمة وهى ارتفاع أسعار البترول بالاضافة الى التضخم والكساد الاقتصادى لها فى النهاية تأثير قوى على معاناة اقتصاديات الدول الفقيرة .وبالرغم من أن بعض الدول النامية تبدو أكثر قدرة على مواجهة مشكلاتها الاقتصادية عن غيرها الا انه فى النهاية من المؤكد ان كل الدول النامية تقريبا تعانى من انخفاض فى معدلات الانتاج بالاضافة الى العجز فى ميزان المدفوعات ،والمؤلم ان الدول النامية تعى تماما أن الاحوال الاقتصادية سوف تصبح اكثر سوءا بمعدل يفوق قدرة هذه الدول على دفع عجلة تطوير اقتصادياتها . وبالتالى اصبحت الدول النامية مدفوعة ومرغمة على التخلى عن تحقيق معدلات مرتفعة من النمو الاقتصادى ، والتى كانت الامل الوحيد لتحسين أحوال مجتمعاتها المتخلفة ورفع مستويات المعيشة بها فوق درجة الكفاف .

● وفى المراحل الاولى من الازمة الاقتصادية العالمية الحالية ، كانت هناك عوامل عديدة ادت الى تخفيف تأثر الدول الاقل نموا بهذه الازمة،

---

* محرر بمجلة صباح الخير

فحتى على الرغم من ارتفاع اسعار البترول الحاد فى العام الماضى الا ان معظم الدول الاقل نموا تملك مواد خاما للتصدير ، والتى ارتفعت اسعارها الى معدلات قياسية نتيجة لاحتياج الغرب الشديد لهذه المواد الاولية ، بالاضافة الى ان الدول الاقل نموا استطاعت الاقتراض بنسب فائدة منخفضة من المنظمات الدولية مثل صندوق النقد الدولى والبنك الدولى .

كذلك قدمت الدول المصدرة للبترول « اوبك » ٥ر٢ بليون دولار ، فى صورة قروض منخفضة الفائدة ، وقد استطاعت الدول الاقل نموا ، بتأثير هذه العوامل كلها بالاضافة الى القروض الخاصة التى عقدتها والاحتياطيات النقدية التى تملكها ، استطاعت ان تعوض العجز فى ميزان مدفوعاتها وتسجل معدل نمو بلغ حوالى خمسة فى المائة فى العام الماضى ١٩٧٤ .

● ولكن فى العام الحالى ١٩٧٥ نجد الصورة مختلفة ، فنتيجة لاستمرار حالة الكساد الاقتصادى فى الولايات المتحدة واوروبا واليابان ، انخفض الطلب بالتالى على معظم المواد الاولية ، فانخفضت اسعارها انخفاضا حادا من الموز الى النحاس وحتى القصدير ، مما ادى الى هبوط حصيلة صادرات الدول الاقل نموا من العملات الاجنبية . فعلى سبيل المثال لا الحصر انخفضت واردات الولايات المتحدة من الدول الاقل نموا وغير المنتجة للبترول بنسبة ١٥ فى المائة فى الربع الاول من هذا العام بالمقارنة بالفترة نفسها من العام الماضى . كذلك ادت موجة التضخم فى العالم الغربى الى ارتفاع اسعار كل من السلع الرأسمالية والمنتجات الاستهلاكية امام المستوردين .

وقد ترتب على هذا انخفاض فى معدل النمو الاقتصادى فى دول العالم الثالث ككل ، حيث يتوقع الخبراء الا يرتفع هذا المعدل فى العام الحالى ١٩٧٥ عن ٥ر٢ فى المائة فقط ، وهو معدل يمثل نوعا من الكساد بالمقارنة بمعدلات النمو فى دول العالم الثالث فى السنوات القليلة الماضية . وبالاضافة الى ان هذا الانخفاض فى معدل النمو الاقتصادى يعتبر ظاهرة خطيرة خاصة بالنسبة لمجموعة الدول التى يطلق عليها العالم الرابع وهى الهند وبنجلاديش والبلاد شبه الصحراوية فى افريقيا ، وغيرها من الدول الاخرى التى يصل متوسط دخل الفرد سنويا بها الى اقل من مائتى دولار . ويعتبر هذا الانخفاض ايضا ضربة قاصمة للدول الاقل نموا وشبه الصناعية فى امريكا اللاتينية وآسيا مثل أورجواى والمكسيك وكوريا الجنوبية وتايوان . فقد انخفضت مثلا صادرات أورجواى من اللحوم خلال شهر ابريل بنسبة ٢٢ فى المائة فى الوقت الذى ادى فيه ارتفاع اسعار البترول الى هبوط احتياطياتها النقدية بنسبة ٢٦ فى المائة خلال عام واحد .

● وقد لجأت الدول الاقل نموا بالفعل ، فى مواجهة المصاعب الاقتصادية ، الى اتخاذ اجراءات مالية ونقدية قاسية لخفض وارداتها ولتخفيف حدة ارتفاع الاسعار محليا وكذلك لتقليل اعتمادها على القروض . وبالرغم من ذلك فان صندوق النقد الدولى يرى ان العجز فى ميزان مدفوعات هذه الدول يزداد ، وبالتالى سوف يزداد الطلب من جانبها على القروض لتغطية هذا العجز ، ويقدر خبراء صندوق النقد الدولى ان العجز فى ميزان مدفوعات الدول النامية والتى لا تنتج البترول سوف يصل الى ٣٦ بليون دولار هذا العام مقابل ٢٧ بليون دولار فى عام ١٩٧٤ ، ومن الجدير بالذكر ان العجز فى ميزان مدفوعات هذه الدول بلغ فى عام ١٩٧٤ ثلاثة امثال العجز فى ميزان مدفوعاتها فى عام ١٩٧٣ .

وقد قامت الدول النامية بالفعل بالاقتراض على نطاق واسع لتغطية هذا العجز . ولمواجهة هذه الازمة المالية فان صندوق النقد الدولى يقوم حاليا بزيادة حجم القروض للدول الاقل نموا ، بالاضافة الى انه يخطط لانشاء صندوق جديد للاقراض فى اطار صندوق النقد الدولى ، هذا بالطبع بالاضافة الى ان البنك الدولى يعتبر نافذة اخرى يمكن من خلالها ان تقترض الدول النامية بفائدة تصل الى ٥ر٨ فى المائة بالنسبة للقروض الصعبة او ٢ فى المائة فى حالة القروض السهلة .

● وتحاول الدول الاقل نموا ان تقوم بدور فى مواجهة هذه المشكلة وذلك عن طريق تثبيت اسعار صادراتها من المواد الاولية من خلال اقامة كارتلات تضم منتجى السلع ومماثلة لمنظمة الاوبك وان كان خبراء الاقتصاد فى العالم يرون انها فكرة لم يحن الوقت لتنفيذها بعد .

●● ويرى الخبراء ان افضل الوسائل لحل مشاكل الدول النامية الاقتصادية هو حدوث الانتعاش الاقتصادى فى الدول الصناعية المتقدمة ، ويبررون ذلك بان الانتعاش الاقتصادى سوف يزيد من الطلب على المواد الاولية التى تصدرها الدول النامية ، وبالتالى ترتفع اسعارها ، وتزداد حصيلة هذه الدول من العملات الاجنبية اللازمة لتغطية وارداتها وسد العجز فى ميزان مدفوعاتها . ولكن بعض الخبراء لديهم بعض التحفظات على هذه الطريقة وهى ان الانتعاش الاقتصادى فى اوروبا وامريكا واليابان سوف يحدث ببطء بدرجة لا تناسب حاجة البلاد النامية الملحة لدفع عجلة نمو اقتصادياتها .

□□□□□□□□

○ .. وموقفنــــا نحــن أيضــــا

شــوقى عبد الحميد يحيى

السـيد شـوقى عبد الحميد يحيى ، يتشـكك للمـرة الثـالثة فى ان تنشر له « الطليعة » ما يكتبه من هجوم — ولانقول نقدا — ضـدها . ولا ندرى لمـاذا يتشكك دائما ، هل بسبب شكه فى قيمة مايكتبه اذا قارنه بما ينشر ؟ او ربما لان ما يكتبه لا يعبر عما يفكر فيه وحده ..وانما يشاركه او يفكر معه آخرون يتشكك هــو فى نواياهم ، على اية حــال فان القارىء لا يختلط عليه الامر ، فقد سبق ان قرأ له فى عــدد بوليـو ، هجــومه على « الطليعــة » لقراءتها فــى « أخبار اليوم والاخبار » ، ودفاعه « المجيد » عن الاساتذة مصطفى أمين وعلى أمين وحتى السفير الامريكى كافرى . ونعتقد أن قوله — فى مقاله هذا — بأن أمـريكا امتنعت عن تمويل السد العالى ، بعد دراسة المشروع ، وتبين أنه يتطلب مبالغ ضخمة على ميزانيــة دولة ناهضــة ، فرأت « أى أمريكا » حفاظا على أموالها أن تطلب ما يضمن حقها ... الخ » ، ونعتقد ان فى هذا القول ، ما يغنى عن أى تعليق لمعرفة أى حق يدافع عنه : حق شعب مصر فى البناء .. أم تبييض وجه الاســتعمار . ثم انه يضـيف « .. ولايمكن لدولة نامية مثلنا ان تقولها [أى الفاظ معادية] لدولة كبيرة كأمريكا الا اذا كانت فى حماية وتوجيه قوة أخرى تعادلها على الاقل أن لم تكن تزد .. » . ونحن نسأل — رغم نشرنا للمقال — وفى حمــاية وتوجيه من يكتب اليوم ما كتبه ضد دولة كبيرة أخرى ؟

السيد عبد الحميد .. الان ، يعرف جيدا أنه لم يستطع نشر ما يقول على صفحات أى صحيفة أخرى لهــا نفس اتجــاهه . لكن المنبر الاشــــتراكى : « الطليعة » ، هو الذى اتاح ويتيح ـــ للرأى الاخر الحق فى التعبير رغم كل تحفظاته الاساسية والشاملة .

من الظواهر المألوفة فى مبادىء اليسار ، أنها مبادىء نظرية لا تقوم على أسس من الواقع ولا تأخذ فى اعتبارها الواقع العملى — وان كانت تذهب فى رسم الصور والخيالات الى حد لا تنفذ منه قيد خردلة — وهو الشىء الذى أدى دوما الى حدوث الانفصام فى المبادىء والشخصيات اليسارية . فهى مبادىء لا تقوم على الملابسات والظروف التى تحيط بواقع اتخاذ القرارات فى المجال السياسى . ومن أوضح ما يبين ذلك ، نظرة اليسار بصفة عامة ، يبدو فى صورة صارخة فى اتجاه حزب البعث السورى . واليسار المصرى، ويبدو بصفة خاصة ، فى افتتاحية عدد اكتوبر ١٩٧٥ من مجلة الطليعة الممثلة بصورة أوضح وصوت أعلى لليسار المصرى والذى دار حول اتفاقية فك الارتباط الثانى فى سيناء . واذا كان هذا أسلوب فى التفكير ، فلهم أن يفكروا كيفما شاءوا ، ولكن المؤسف فى رؤية اليسار أنه يصر على تسليم القياد لمن يتبع لهم أيا كانت الظروف ويحاولون أن يجدوا له التبريرات والمعاذير بشتى الطرق حتى وان كانوا هم أنفسهم غير مقتنعين فى قرارة أنفسهم بما يحاولون . الشىء الذى تخرج معه كتاباتهم متناقضة متضاربة فى كثير مــن الاحيان .

فقد ظل أصحاب اليسار يدافعون — دفاع الوثنى عن صنمه — عن كل ما يكتب ويمس من قريب أو بعيد الاتحاد السوفيتى حتى خذلتهم الحقــائق والادلة . ولكن رغم كل الحقائق التى تتكشف والتى لم يكشف عنها الغطاء بعد ، فلا زال اليسار

المصرى يدافع بكل ما أوتى من سبيل الدفاع أو التبرير عنه . فيقدم لنا الاستاذ لطفى الخولى ، رئيس تحرير معقل اليسار المصرى « الطليعة » ، ثلاث مقالات عن اليسار المصرى . ظهرت اولها فى جريدة الاهرام وتابع المقالين الاخرين على صفحات العدد العاشر فى السنة الحادية عشرة من اكتوبر ١٩٧٥ تحت عنوان « الموقف من أمريكا والموقف مع الاتحاد السوفيتى » ، فى محاولة مدفوعة بتقديس الجانب اليسارى ، أن يعقد مقارنة بين الجانبين يصل بها فى النهاية الى التوصية باستشفاف الصالح لنا مع كل منهما . بعد أن أجهد نفسه كل الجهد فى صبغ كل تصرف أو موقف أمريكى بالصبغة الاستعمارية الاستغلالية الانتهازية . وصبغ كل تصرف أو موقف سوفيتى بصيغة تحريرية فيشيرية .

واذا كنا نود أن ندخل مع الاستاذ لطفى الخولى فى حوار - أرجو أن يتسع له صدره وصدر كل اليساريين الملتزمين بتقديس كل ما هو سوفيتى - امريكا ، ترينا انها كانت تسير عادية ، بل كان أود أن أؤكد فى البداية أن الهدف ليس تفضيل فى المقام الاول الا امتصاص كل ما يمكنه من دمنا حتى أن التصارع بينهما يقوم علينا .. ونحن الضحية فى النهاية .. ولذلك فرؤيتنا يجب أن تقوم على « .. أيهما نستطيع أن نكسب منه أكثر أو نخسر معه أقل ؟ » .

واذا كان اليسار يكرر دوما أن تجربتنا مع الامريكان طويلة وتؤكد أنهم لا يهدفون الا الى معاداتنا لاننا قوة مناهضة لهم بعد ثورة ١٩٥٢ ، فان وقفة متأنية غير منفعلة الى تاريخ العلاقة مع امريكا ، ترينا انها كانت تسير عادية ، بل كان موقفها هو التأييد والمساندة للثورة الجديدة المنطلقة حتى كانت مشكلة تمويل السد العالى . فقد كانت بداية التحول فى السياسة المصرية وبداية ظهور الاتحاد السوفيتى على مسرح السياسة فيها . لقد عرضت مصر على أمريكا تمويل مشروع السد العالى ، ولم تمانع أمريكا ، وانما بعد دراسة المشروع ، وتبين انه يتطلب مبالغ ضخمة على ميزانية دولة ناهضة . فرأت حفاظا على أموالها أن تطلب ما يضمن حقها . ولكن مصر تصورت أن أمريكا أو غيرها يمكن أن تدفع بأموالها بلا حساب الى مصر من أجل عيون المصريين ، دونما تأمين هذه الاموال ، فانتهز الاتحاد السوفيتى الفرصة ووجدها مناسبة للتواجد فى المنطقة التى لم يكن له بها من سند مقابل أمريكا : القوة التى تقف على الجانب الاخر منه فى العالم ولها كبير السند فيها . فعرض الاتحاد السوفيتى تمويل المشروع بالشروط التى تخفى تفاصيلها علينا بعد ولم يحن الوقت لكشف النقاب عنها . وأراد الاتحاد السوفيتى تدعيم موقفه بالمنطقة وتاكيد وجوده بها .. فانهالت المشروعات السوفيتية بمصر والتمويل السوفيتى المالى والبشرى لعديد من المرافق والمنشآت . وهو نفس الاسلوب الذى يتبعه الان مع سوريا حيث يغدق لها العطاء حتى يضمن الوجود بعدما ساءت العلاقات مع مصر . ومثلما دخل بكل ثقله فى ليبيا لا حبا فى سوريا أو ليبيا ، فى حد ذاته ، وانما لزيادة فعالية وجوده بهما أمام ما يعتقده من وجود امريكى مرتقب بمصر . وتوهمت القيادة المصرية حين ذلك اننا قد أصبحنا والسوفييت اصدقاء ، ولكى ترضى الصديق أخذت تسىء فى العلاقة مع أمريكا ، حتى أصبحنا كلما أردنا شيئا من الاتحاد السوفيتى اخذنا نكيل اللعنات على أمريكا . الامر الذى أدى الى التفوه بألفاظ لا تليق بأن تقال على المستوى الذى كانت تقال عليه ، ولايمكن لدولة نامية مثلنا أن تقولها لدولة كبيرة كأمريكا الا اذا كانت فى حماية وتوجيه قوة أخرى تعادلها على الاقل ان لم تكن تزيد . أى أن السب واللعن فى أمريكا ومحاربتها الكلامية كانت هى الثمن - ان لم يوجد غيره - الذى ندفعه لكسب ود الصديق السوفيتى . أى أننا كنا البادئين بالهجوم والتحدى . فهل كنا رغم ذلك نطمع فى أن تركع أمريكا لحناجرنا العالية ولصواريخنا الكلامية الموجهة وتهديد الاتحاد السوفيتى لها بنا ؟ . هذا ولم تكن سياسة الوفاق قد ظهرت بعد ، بل كان الصراع بينهما على أشده .

وظللنا نردد ان الاتحاد السوفيتى صديق لنا الى آخر رمق من صبرنا رغم كل ما كان يتبادر منه بعد أن صدمنا فى كل شىء فى يونيو سنة ١٩٦٧ . ولكن هل كان هو أيضا يعاملنا حقا كصديق ؟ أهل الصديق هو من يهرب منك وقت الشدة ؟

لقد بدات معاملة السوفيت تتلون بعد يونيو ١٩٦٧ ، حيث تصور ان النكسة التى منى بها الجيش المصرى هى نكسة ناشئة من القوات ذاتها . فرأى أنه غير قادر على حمل السلاح أو على التدريب على الاسلحة المتطورة التى تتطلبها ضرورة حروب العصر . فأخذ يماطل فى تزويد مصر بالاسلحة اللازمة أو الكافية خوفا منه على ضياع السلاح . ذلك كان هو التفسير المبدئى الذى فسرنا به معاملة الاتحاد السوفيتى عقب النكسة . وقلنا انه فى حاجة الى بعث نقته فينا من جديد على ان نكون حماة له ولسلاحه . ولكن التفسير والتحليل تغير بعد أن تغير الوضع وأعدنا الثقة لدى كل العالم فينا . حتى لدى أمريكا ذاتها التى كنا من اعدائها الصريحين وبدأت هى الحوار بيننا وبينها من جديد تحت هذه الثقة . فبماذا يفسر

التحليل الجديد هذه المعاملة الجديدة من الاتحاد السوفيتى بعد يونيو ١٩٦٧ ؟

ان مبدأ الاتحاد السوفيتى لتواجد فى المنطقة ، هو ان يجعل بلادها دوما فى حاجة اليه ، فاذا نظرنا الى حاجة مصر قبل يونيو ١٩٦٧ ، نجدها كانت بالدرجة الاولى « هى التنمية الصناعية » . ولذلك اخذ هو يلوح الينا بهذه المشروعات ويساعد ويساهم فيها . ولكن بعد يونيو ١٩٦٧ بدات الحاجات المصرية تتركز بالدرجة الاولى فى السلاح . ولكن الهزة الكبرى التى احدثتها نكسه يونيو جعلت بعض الاصوات تعلو بأنه لو كان الاتحاد السوفيتى يقف بجانبنا مثلما تقف امريكا بجانب اسرائيل مثلما اكدت قياداتنا ذاتها ذلك ، لتغير الموقف وتغيرت الصوره . ورأى الاتحاد السوفيتى فى ذلك بداية تغير فى الاتجاه . فرأى انه لكى تظل مصر فى حاجة اليه فان استعادة أرضه لا يجب ان تتم وان حربا جديدة لا يجب أن تنشأ . ولكنه لا يستطيع أن يعلن ذلك . ولكنه اتبع اسلوبا مماطلا . فيعد بالوفاء فى الاجتماعات تلو الاجتماعات ، وبعد أن ينفض المجلس يصبح كل شىء حبرا على ورق . ولا اسلحة تصل .. ولا وعود تنفذ .

والامثلة التفصيلية عديدة وكثيرة وتحتاج الى كتب كبيرة الحجم لا الى سطور محدودة ان سمح لها بأن ترى النور ، وان كنت لا أريد الدخول فى هذه التفاصيل ، الا أن حقيقة أحب أن أؤكدها ، وهى أن الاتحاد السوفيتى الذى يبرر له اليسار كل تصرف حتى خذله ولم يدع له حجة للدفاع عنه بها ، لا يختلف عن الاستعمار الذى علمونا أساليبه بأنفسهم فى كتب التاريخ المدرسية أيام كان الاتحاد السوفيتى هو الصديق ، والصديق الأوحد ، فاذا ما نظرنا الى أبسط انواع الاستعمار القديم فنجده أسلوب الاحتلال العسكرى . فكانت الدولة الاستعمارية تهبط بقواتها بحجة حماية المصالح الخاصة بها فى الدولة المستهدفة أو للدفاع عنها ضد غزو أجنبى أو تحت الاعذار التى تتخذ وسيلة للتواجد العسكرى .

أليس هذا هو ما استهدفه الاتحاد السوفيتى للتواجد العسكرى . ألم يأت بقواته العسكرية تحت حجة تدريب المصريين على السلاح الروسى ، ووصل الامر بهم الى حد اقامة القواعد المتقفولة التى منعوا عنها حتى وزير الحربية المصرى ؟ واعتقد أنه يكفى دليل على ذلك قول السوفيت أنفسهم على لسان الرئيس السادات فى خطابه فى ذكرى عبد الناصر الخامس فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٥ حين قال : [قمت عشان أحركهم شوية ، قلت لهم انتم فكرين الـ ١٨ طقم بتوعكم بتاع سام ٣ اللى جم عندنا فى فبراير، مارس ٧٠ بناء على طلب عبد الناصر ؟ قالوه آه .. قلت لهم الـ ١٨ طقم بتوعنا اتدربوا بقالهم دلوقت ييجى سنة وجاهزين واحنا مستعدين بقى نستلم مواقع سام ٣ واسحبوا خبراءكم والعساكر والضباط بتوعكم اللى بيشغلوها واحنا متشكرين] [صحيت المناقشة على طول وبرجنيف قال : دا وضع حا يؤثر علينا قدام العالم **ودا وجود سوفيتى** ... واعتقد ان ما بين السطور يوحى بما هو علينا .

٢ ـ ومن اساليب الاستعمار القديم ايضا والتى علمتنا اياها كتب التاريخ ، ان الاستعمار كان يقوم بتفتيت الوطن الى أجزاء او دويلات حتى يسهل عليه الانقضاض عليها والتهامها . أى ان شعاره هو « فرق تسد » . فبماذا يختلف هذا الاسلوب عن الاسلوب السوفيتى المستحدث الذى يهدف الى ضرب الدول العربية بعضها بالبعض حتى تظل ضعيفة وبالتالى تظل فى حاجة اليه . وليس أدل على ذلك مما هو حادث الان على مسرح السياسة العربية ومحاولة خلق الفتنة بين مصر وسوريا .

٢ ـ ومن اساليب الاستعمار القديم ايضا والتى محاولة الدول الكبيرة او المستعمرة جر البلاد الصغيرة او المستعمرة معها فى أحلاف . فبماذا كان يختلف هذا الاسلوب عن اسلوب الاتحاد السوفيتى فى توقيع المعاهدة المصرية السوفيتية فى مايو ١٩٧١ . أهل أضافت هذه المعاهدة جديد على العلاقة المصرية السوفيتية . لقد أعلنت مصر من جانبها ايمانا بهذه المعاهدة وبدورها الذى كان لابد حادث بعدها . ان عام ١٩٧١ هو عام الحسم ، وكانت مصر قد تلقت وعدا بوصول الاسلحه التى تطلبها قبل نهاية العام . ولكن العام يمر دون ان يصل أى شىء من الوعد الى مصر . ولم يقم الاتحاد السوفيتى من جانبه ازاء هذه المعاهده بأى التزام الا ضمان ربط مصر به وعدم تحولها الى غيرها .

ـ وعلمونا أيضا أن الاستعمار القديم كان يتحكم فى أشخاص السلطة فى البلاد أو يضع على كراسيها من يضمن ولاءهم الكامل له . فبماذا يتغير هذا الاسلوب عن اصرار الاتحاد السوفيتى على وجود شخص مثل على صبرى فى الحكم رغم محاولات ابعاده المتكررة ، والتى وصلت الى حد ان يأتى بودجورنى نفسه الى مصر عندما اقاله السادات فى مايو ١٩٧١ وكان الوجود السوفيتى قد أصبح فى خطر بعد اقالته . وبعد أن فشل بودجورنى فى ضمان التواجد السوفيتى بتواجد شخص على صبرى بحث عن اسلوب آخر اكثر ضمانا فكانت المعاهدة المصرية السوفيتية السابق الحديث عنها .

٥ ـ وأيضا علمونا أنه من أساليب الاستعمار اغداق العطاء للدولة المستهدفة حتى اغراقها فى

الديون . حتى اذا ما حان الوقت انقضت عليه بحجة الديون . وأرجو هنا أن يوضح لنا الاستاذ لطفى الخولى ايضا فيما يختلف هذا عما فعله السوفيت الذين رفضوا جدولة الديون فى الفترة العصيبة والعجز الرهيب فى ميزان مدفوعاتنا . أو فليتفضل الاستاذ عادل حسين بالايضاح اذا كان يرى فى مقاله المنشور على نفس صفحات العدد ان اشـــتراط البنك الدولى الحجـز على المنشآت المصرية وفاء للدين المطلوب نهيئة قناة السويس اذا ما بدأ طرف آخر بهذا ، ويراه السيد عادل حســـين منتهى التهـــاون من جانبنـــا ، والانتهـــازية مـــن جـــانب البنـــك حتى يقـــول باسلوب السخرية ان تطبيق هذا الشرط مرهون بأن يسبقه غيره اليه فضيلة يمن بها علينا البنك . فهل يوضح لنا اذن من ذا يكون البادىء بالحجز حتى يتبعه البنك فى هذا ؟

كل هذا ولم أدخل فى مناقشة تفاصيل ما جاء بدراسة الاستاذ لطفى الخولى ، ولم استشـــهد بفقراتها ولكن ارجىء هذا الى حديث قادم ان شاء الاســـتاذ لطفى ان يكون هنـــاك مـــن حـــديث قادم او شاء وشاءت إدارة مجلة الطليعة للحوار أن يدور فهو طويل وطويل . وقد أستطيع أن أبين كيف أن الاتحاد السوفيتى لم يكن وراء ظهرنا كعدو ثالث فى حـــرب اكتوبر ٧٣ فقط وانما كان ايضا هو الساعى الى نشوب حرب يونيو ١٩٦٧ .

ولكن فى النهاية أريد أن أؤكد أنه لا يجب أن يفهم من حديثنا ان أمريكا افضل من روسيا . ولكنى أسعى الى ما يسعى اليه الاستاذ لطفى الخولى فى ظاهر مقالاته ـ وان كان يناقضها باطنها ـ أسعى الى التأكيد ان أى بلد فى العالم يقف الى جانبنا وقفة فعلية حقيقية تسير بنا خطوة نحو احقاق الحق فهو الصديق .. لا من يكتفى بمجرد خداعنا ببعض العبارات عندما يكون معنا ، وعندما يكون مع الاخرين لايتفضل علينا حتى بهذه العبارات وانما يخرج علينا باصطلاح الاسترخاء العسكرى ...

كلمــة ختـــامية عن اليســـــار والتجـــــربة الناصــــــرية

د . فؤاد زكريا

منذ خمسة اشهر ، والحوار يدور حول المقالات التى كتبتها فى « روز اليوسف » عن **اليســـار والتجربة الناصرية** ، وما زال بعـــض القـــراء يطالبون باستمرار هذا الحوار . ولكم كنت أود أن البى مطلب هؤلاء القراء فى مواصلة الحوار ، مادامت « الطليعة » قد تفضلت مشكورة بافساح صدرها لكل من يريد ان يكتب فى هذا الموضوع .

ولكنى أرى من واجبى ، حرصا على نفس هؤلاء القراء الذين يرغبون فى استمرار الحوار ، ان أضع له الان حدا . ذلك لان الطابع الذى اتخذه الحوار فى الاونة الاخيرة ، وخاصـــة فى عدد سبتمبر ١٩٧٥ من « الطليعة » ، قد اصبح عقيما لا يفيد القارىء فى شىء ، بل أخشى ان أقول ان مستواه قد انحدر الى حد لا يسمح لى بالمشاركة فيه ، لانه ليس من حق احد ان يشغل صفحات الجرائد والمجلات ــ التى هى فى النهـــاية ملك للجمهور ــ بمغالطات أو مهاترات . ولذلك فان مسئوليتى ككاتب تحتم على ان أحمى القـــراء من مناقشة أصبح فى أساليبها من الالتواء ما يضر القارىء اكثر مما ينفعه .

ولاضرب بعض امثلة للمغـــالطات التى حفلت بها مقالات عدد سبتمبر ، وهى مجرد امثلة أستطيع ان آتى بأضعافها لولا حرصى على عدم الاطالة :

١ ــ يلومنى الاستاذ **أبو ســـيف يوسف** لاننى استخدمت عبارة « توسع الوجود السوفيتى » كتعليل لتواطؤ الولايات المتحدة مع اسرائيل فى حرب يونيو ١٩٦٧ ، ويرى أن هـــذه العبـــارة مستعارة من الكتابات الرجعية والامبريالية ، الخ ، ومن ثم فاننى افكر فى هذا الموضوع على طريقة اليمينيين والرجعيين والامبرياليين ، مادمت أستنكر الوجود السوفيتى .

وعلى هذه الملاحظة بنى السيد ابو سيف ما يقرب من نصف مقاله الطويل ... وهكذا يدفعنى مرة أخرى الى شرح كلام واضح كل الوضوح ، لعل العقول تفهم ...

لقد كنت فى هذه العبارة أعلل موقف الولايات المتحدة ، والمعســـكر الامبريالى من حـــرب ١٩٦٧ . ومن البديهيات أننى فى هذا التعليل لابد ان اتحدث بمنطق هذا المعسكر . ومن المؤكد أن الجالسين فى البنتاجون عندما خططوا للتآمر على مصر كانوا يستخدمون عبارات كهذه ويقيمون لها

□□□□□□□□

وزنا كبيرا . ولا يعقل أن يصدر الرئيس جونسون أمرا بالعدوان على مصر لاسباب مرتبطة بطريقة فهم الاستاذ ابو سيف او غيره للموقف ، بل لابد ان تكون تلك الاسباب من النوع الذى تفهمه العقلية الامبريالية . ومن المؤكد ان الرفيق بريجنيف نفسه عندما يحلل الاسباب التى دعت الامبرياليين الى الاقدام على هذا العدوان، لن يجد اى غضاضة فى استخدام تعبير «الوجود السوفيتى» . والشىء البديهى ان استخدام هذا التعبير لا شأن له على الاطلاق بالموافقة ، او عدم الموافقة على الوجود السوفيتى ، لانه يتعلق بوجهة نظر المعسكر الاخر ، لا بوجهة نظرى الخاصة . ولعل السيد ابا سيف يعلم ان موضوع النقاش الاصلى، فى هذه المسألة ، كان السؤال الذى اثاره هو نفسه فى احد ردوده على ، واعنى به : اذا لم تكن التجربة الناصرية تقدمية ، فلماذا هاجمها المعسكر الامبريالى فى ١٩٦٧ ؟ وهذا سؤال لابد للاجابة عنه من عرض وجهة نظر هذا المعسكر نفسه ، دون ان يكون فى ذلك اى معنى من معانى الموافقة عليها .

اما السبب الذى يقدمه الاستاذ ابو سيف كبديل ، وهو ان الامبريالية ضربت التجربة الناصرية لانها ذات طابع تقدمى ، فمن الممكن الاعتراض عليه من اساسه ، لسبب بسيط هو **انى لا اعترف بهذا الطابع التقدمى** ، وبذلك تعود المناقشة الى نقطة بدايتها الاولى ، « وكأننا يابدر لا رحنا ولا جينا » ...

هذه كلها بديهيات ، فلماذا يضطرنى الاستاذ ابو سيف دائما الى اعادة شرح البديهيات ؟ هل هى اساءة فهم متعمدة ، ام انه بالفعل لم يستطع أن يفهم كلامى الا بهذه الطريقة ؟

على اية حال ، لست ادرى لماذا يصر الاخ أبو سيف ، كلما عرض لموضوع ١٩٦٧ ، على الكلام عنه من جانب واحد فقط ، وهو الجانب المعادى ، ويتهرب من الكلام عن الجانب الاخر ، اعنى الجبهة الداخلية التى اتاحت للمعسكر الامبريالى — وكأنها تفتح ذراعيها له — ان يحرز اكبر وأسرع وأرخص نصر حققه ضد دولة من دول العالم الثالث ، والتى كان انهيارها الفاضح شهادة دامغة على تفسخ النظام وفشل تجربة الحكم ذاتها ؟ صحيح ان المعسكر الامبريالى لعب لعبته ، ولكن من الذى قدم لهذه اللعبة كل مقومات النجاح الساحق « اجبنى — افادك الله — يا أبا سيف !

٢ — ولقد صعقت حين قرأت للاستاذ أبو سيف عبارة يقول فيها عنى : « زعم اننى انقده وأعيره لانه ينتمى من الناحية الطبقية الى البورجوازية الصغيرة ، وفى هذا تشويه كامل لما كتبته » . واقول اننى صعقت لاننى ، مع اختلافى معه فى اشياء كثيرة جدا ، ومع وجود امثلة سابقة كثيرة لسوء الفهم فى ردوده ، لم أكن اتصور ان يبلغ فى فهمه لكتابات الناس هذا المستوى .

وهأنذا ابادر بالدفاع عنك ، يا أبا سيف ، فأؤكد نيابة عنك انك لم تعيرنى على الاطلاق، واننى لم ازعم هذا ابدا فى مقالى السابق ، وكل ما فعلته هو أننى عرضت المعانى المحتملة للعبارة القائلة « أن فكر فلان يتسم بسمات البورجوازية الصغيرة » ، ومن ضمن هذه المعانى أن يكون — طبقيا واجتماعيا — من ابناء هذه الطبقة . ولعلك تذكر ، يا أبا سيف ، اننى وضعتك ، انت وماركس وعددا كبيرا من كتاب مصر والخارج ، ضمن هذه الطبقة ، فهل يعقل فى هذه الحالة ان يكون فى الامر «معايرة»؟ وهل يتخيل أحد اننى عدت الى زمن جرير والفرزدق حتى اهتم بمسألة الاصل العائلى والطبقى واغضب لمعايرتى به ؟

كيف يتوقع منى أحد ان أواصل الحوار مع اطراف يفهمون الامور الواضحة على هذا النحو ؟

٣ — لم يعترف الاستاذ ابو سيف بلفظ « الاشتراكية » كتعبير عن التجربة الناصرية [مع ملاحظة ان هذا يؤدى الى ادخاله فى نزاع مع كثير من زملائه ممن كتبوا ردودا على مقالاتى]، ورأى بثاقب نظره ان التسمية الصحيحة لها هى انها « ثورة وطنية **ديمقراطية** » ... اى والله، ديمقراطية !

مرة أخرى اتساءل : كيف أواصل الحوار مع كاتب لم يجد فى قواميس لغات البشر الا كلمة « الديمقراطية » للتعبير عن جوهر التجربة الناصرية ؟ صحيح ان اصطلاح « الوطنية الديمقراطية » يستخدم فى التحليلات الماركسية للدلالة على بعض انظمة الحكم التقدمية فى العالم الثالث ، ممن لم تصل بعد الى مرحلة الاشتراكية ، ولكن اليست لنا عقول نفكر بها فى معانى الالفاظ ؟ وهل يمكن أن تصل عبارة الكليشيهات الى هذا الحد المحزن والمضحك فى آن واحد ؟

انا شخصيا أعتقد ان اطلاق هذا اللفظ بالذات على تلك التجربة التى كان عيبها البارز هو افتقارها الى جميع اشكال الديمقراطية ، هو من قبيل تسمية الاشياء بعكسها ، وهى عادة طريفة نجدها لدى الشعب النوبى الطيب حين تكثر بين ابنائه ذوى البشرة السوداء اسماء « نور » و « مصباح » الخ ....

قل اى شيء يا أبا سيف ، الا الديمقراطية !

٤ ــ وبمثل هذا المنطق الهش ناقش الاستاذ ابو سيف مقالا متزنا متعقلا كتبه الاستاذ محمود عبد الوهاب دفاعا عن وجهة نظرى [وأرجو الا تتصور اننى أمتدح المقال لانه يدافع عنى ، بل ان وجهة نظر الكاتب كانت بالفعل صحيحة فى معظم ما قال] . وهو على أية حال يعتبر « تحمل » مجلة الطليعة نشر رد الاستاذ عبد الوهاب ، وكذلك ردودى فى العدد السابق ، مظهرا من مظاهر رحابة الصدر !

لا بأس على اية حال ، فقد كانت هناك اربعة ردود مضادة لى ، ونسبة « أربعة الى واحد » فى مجلة يشغل الاستاذ ابو سيف منصب مدير تحريرها تدل فعلا على « قوة التحمل » .

٥ ــ وحين يشير الاستاذ فيليب جلاب الى الواقعة التى ذكرتها من قبل عن سلوك مضاد للاشتراكية قام به أكبر مسئول عن الاتحاد الاشتراكى فى ذلك الحين على انها مجرد « تفاصيل » لا تكشف عن الصورة العامة ، فانى لا أملك الا التعجب والاستنكار ، لسبب بسيط هو ان الامر يتعلق بشخصية كانت لها سيطرة هائلة على تطبيق الاشتراكية فى مصر ، ومن ثم فان سلوكها من هذا الموقع الحساس ــ انما هو عنوان لكل التنظيم الذى كانت ترأسه ، وهو تلخيص للنمط العام الموجود ، ودليل واضح على ان الاشتراكية قد وضعت أمانتها ، وسمعتها ، ومستقبلها ، فى أيدى اشخاص غير اشتراكيين .

وكذلك يشتد تعجبى واستنكارى لعدم فهمه تفرقتى بين التجربة الناصرية وثورة يوليو . فأنا لم اكن أقوم بعمليات حسابية ، وانما كنت ــ ببساطة ــ أقول أن التعبيرين ليسا مترادفين ، ومع وجود تداخل بينهما فان بينهما فارقا يجب أن يتنبه اليه كل من يستخدم الالفاظ بدقة .

ولعلك تتفق معى على انك لو كتبت فى هذا الموضوع سنة ١٩٨٠ ، وكانت ثورة يوليو لا تزال مستمرة ــ واغلب الظن انها ستستمر ــ فسوف تجد نفسك عندئذ مضطرا الى الاعتراف بوجود فرق فى المعنى بين التعبيرين ، بالرغم من تداخلهما خلال فترة ستة عشر عاما تماما كوجود فرق بين لفظى « انسان » و « حيوان » ، بالرغم من أن الانسان فى معظم صفاته « حيوان » .

٦ ــ واخيرا ، فقد تضمن عدد سبتمبر مقالين لشخصين حرصا على أن يؤكدا انهما من مقاتلى حرب اكتوبر [وقد كثر المنتسبون الى حرب اكتوبر بين نقاد مقالاتى فى الطليعة ، وهى ظاهرة لا يصعب تعليلها !.] ومنهم كاتب « ذكى » يريدنى ان أكتب عن الحاضر لا عن الماضى وحده ، وهو طلب عجيب اذا علمنا أنه ليس من حق احد أن يحاسب كاتبا على موضوع لم يكتبه ، بل ان من حقه ان يحاسبه فى حالة واحدة فقط ، هى أن يكون قد خرج عن الموضوع الذى وضعه لنفسه . ولقد أوضحت منذ البداية ان الموضوع الذى سأعالجه هو « اليسار والتجربة الناصرية » ، وأظن اننى قد التزمت هذا الموضوع .

ومنهم كاتب آخر يبدأ كلمته بطريقة تكشف عن نوع الاتجاه الذى سيسير فيه : اذ يقتبس فقرة لى فى مقال بمجلة الفكر المعاصر على أنها تمثل رأيى النهائى فى طبيعة تاريخ الفلسفة ، مع أن هذه الفقرة تمثل الرأى الذى خصصت كل مقالى المذكور لنقده وتفنيده !

وعلى اية حال فسوف تظهر مقالات الفكر المعاصر كلها عما قريب فى كتاب ، وسيعرف القراء ان الناقد العزيز كان يغالط ، اما أولئك الذين تصوروا اننى لم أهاجم التجربة الناصرية الا بعد موت عبد الناصر ، فسوف تحمر وجوههم خجلا !

ان هذا مستوى فى الحوار لا أستطيع أن أجاريه . ولو كان الحوار يتبع الاصول العلمية لما تخليت عنه ولو بعد سنوات من بدايته ، اما حين تبدأ المغالطة المتعمدة ، وحين يظهر سوء النية واضحا ، فانى اجد نفسى مضطرا الى التوقف ، لاسيما وأن الحوار مفروض انه يدور مع يساريين ، على حين أن اليسارى الحقيقى يترفع عن هذه الاساليب .

اما القراء الاعزاء الذين تابعوا هذا الحوار باهتمام ، فيكفى ان أقول لهم أن اى حوار فكرى ليس مباراة فى الملاكمة تنتهى بوقوع أحد الطرفين صريعا ، بل ان من الطبيعى فى حوار كهذا ان ينتهى الحوار والخلاف مازال مستمرا بين طرفيه . ويكفى أن وجهات النظر المختلفة قد قيلت ، وأن جوانب كثيرة للموضوع قد تكشفت ، وللقارىء نفسه ــ آخر الامر ــ أن يختار وجهة النظر التى تقنعه .

وما زلت أقول ان الحكم الحاسم ، بينى وبين من اختلفوا مع وجهة نظرى ، سيكون للتاريخ ، وسيجىء اليوم الذى يعرف فيه شعب مصر ان كانت التجربة الناصرية قد خدمت قضية الاشتراكية فى هذا البلد أم أساءت اليها ، وان كان اليسار الناصرى قد دعم مبادىء اليسار بتبريره للتجربة الناصرية ، أم احدث بها شرخا عميقا لابد ان تظهر آثاره على المدى الطويل .

□□□□□□□□

تعقيب

□ من المسئول عن الالتواء والمغالطة ؟

فيليب جلاب

.... فعلا لقد حفلت المناقشة بين اليساريين باختلاف مدارسهم وبين الدكتور فؤاد زكريا حول مقالاته عن اليسار والتجربة الناصرية ببعض الالتواء والمغالطة . والمهاترة احيانا .

لكن الخلاف مع **الدكتور فؤاد زكريا** يظل حول تحديد من هو مصدر الالتواء والمغالطة .. الخ!

وقد سبق ان قلنا ان مصدر الالتواء في الحوار هو أن الدكتور **فؤاد** بنى مقالاته على فكرة اساسية وهى انتقاد اليساريين عامة «لرفضهم» تقييم التجربة الناصرية وثورة ٢٣ يوليو ، فلما اثبتنا له بأمثلة عملية وهى عناوين بعض المقالات والدراسات والكتب التى اصدرها ويصدرها اليساريون لتقييم التجربة وان هذا التقييم [كأى تقييم سياسى] يحفل بتسجيل وتحليل ايجابيات **عبد الناصر** وسلبياته ، اتضح ان **الدكتور فؤاد** لم يكن يعنى حقيقة هذا المفهوم . فالتقييم فى نظره كما أكده فى كل مقالاته هو أن يقرر اليساريون باختلاف اتجاهاتهم شطب كل ما يتعلق بثورة ٢٣ يوليو على الاقل ابتداء من سنة ١٩٥٤ حتى سنة ١٩٦٧ واعتبارها مرحلة « ظلم وظلام » . واذا لم يفعل اليساريون ما يطلبه الدكتور فهم ضد التقييم وضد المبادىء الثورية واليسارية ويتحملون المسئولية « التاريخية » امام الشعب المصرى والشعوب العربية عامة !

هذا هو مصدر الالتواء الحقيقى فى الحوار! ذلك أن الدكتور **فؤاد** يحاول اقناعنا انه يتخذ هذا الموقف من منطلق يسارى وكل من يخالفه الرأى فهو خارج عن اليسار لاسباب اهمها «الرشوة» بالمناصب « الرفيعة » واقلها « قصر النظر » و « اليسارية » المزيفة !

وفى هذا الموقف وغيره من مواقف الدكتور المعلنة فى مقالاته يحاول كلما افحمته حجة من الحجج أن يتنصل بأن أحدا لم يفهم ما يعنيه [مع أن كلامه فى غاية الوضوح] أو أن ناقديه « يغالطون » . فعندما ذكر انه يفرق بين ثورة ٢٣ يوليو وبين التجربة الناصرية ، وان التجربة الناصرية بدأت فى مارس ١٩٥٤ وانتهت فى يونيو ١٩٦٧ كانت مجرد محاولة للافلات من مأزق وضع نفسه بنفسه فيه ، وهو العداء لثورة ٢٣ يوليو ، وليس لعبد الناصر كقائد لها. ولكن هذا التقسيم « المثير » وضعه فى مأزق أكثر حرجا . فاذا صح ان **عبد الناصر** وفقا لتقسيم الدكتور فؤاد قد « استولى » على الثورة و « خان » مبادئها حتى يونيو سنة ١٩٦٧ فهل « اخلص » لها واعادها الى اصحابها بعد هذا التاريخ حتى وفاته فى سبتمبر سنة ١٩٧٠ ؟ !

او أن **عبد الناصر** أزيح عن السلطة الفعلية خلال هذه الفترة الاخيرة [حوالى اربعة اعوام] لحساب القيادة « الحقيقية » لثورة يوليو ؟ !

ها انذا ترى يا دكتور ان الوضوح الفكرى والشجاعة السياسية افضل كثيرا من تبرير خطأ بخطأ والخروج من مأزق الى مأزق . وقد كان من الافضل بكل المعايير ان تقول صراحة انك ضد ما حدث منذ مساء الثالث والعشرين

من يوليو ١٩٥٢ لما تراه من اسباب وبأى منهج تعتنقه [وهذا حقك] بدلا من ان تؤدى بك محاولة وضع قدم هنا وقدم هناك الى تهافت منطقك وحججك [ونحن عهدناك قوى المنطق والحجة فى مواقف اخرى كثيرة] والى الخروج عن التناسق الفكرى فى تناولك لقضايا ذات اهمية وخطورة .

وبنفس الاسلوب كان تورطك فى استخدام حجة « الوجود السوفيتى » فى ردك على الاستاذ ابو سيف يوسف ثم اضطرارك فى المقال المنشور لك فى هذا العدد الى محاولة الافلات من المأزق باعتساف المنطق الذى تعارف عليه الجميع فى اليسار واليمين .

فلكى تثبت ان الاستعمار والامبريالية لم يقصدا الى ضرب عبد الناصر والثورة [لانه طبعا لا يشكل خطرا على الامبريالية !] اضطررت الى القول بان الولايات المتحدة دفعت اسرائيل الى عدوان ١٩٦٧ بسبب « الوجود السوفيتى » وليس بسبب ثورة مصر وما شكلته من خطر حقيقى على ضد الوجود الاستعمارى فى المنطقة العربية كلها . وليست القضية كما حاولت ان توحى بعد ذلك هى تأييد أو معارضة « الوجود السوفيتى » فلا أعتقد ان هناك يساريا يطالب أو يرحب بما يسمى « بالوجود السوفيتى » . ان الوطنيين واليساريين يرحبون بالتعاون الوثيق والصداقة المتبادلة مع الاتحاد السوفيتى ولكنهم يرفضون هذا التعبير وما قد يوحى به من ابعاد غريبة فى مفهومنا على ما نتطلبه من الإتحاد السوفيتى او ما يتطلبه الاتحاد السوفيتى منا .

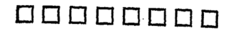
لكن تفسيرك هذه المرة لما كنت تعنيه من العبارة نسف حجتك الاساسية كلها . فأنت تقول انك استخدمت عبارة الامبريالية الامريكية لتعليل سبب ضرب الولايات المتحدة واسرائيل لمصر وهى « الوجود السوفيتى » . ونحن نقول ان ما يسمى « بالوجود السوفيتى » [وأنت أول العارفين] كان هو الحجة الدائمة للولايات المتحدة والامبريالية العالمية لضرب أى ثورة وطنية او نظام وطنى مستقل . ونستطيع أن نعدد عشرات الامثلة فى آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية حيث استخدم هذا المبرر دون سند من الحقيقة .

فنحن اذن لانأخذ بحرفية الفاظ قادة الولايات المتحدة أو « البنتاجون » او المخابرات الامريكية لتبرير عدوانهم . لكنك اخذت بهذه العبارة شكلا ومضمونا لكى تخرج من مأزق تفسير : كيف يكون النظام فى مصر رجعيا ثم تدبر له الولايات المتحدة هذه الضربة المدمرة ؟

ان حجتك لتبرير استخدام العبارة المذكورة تدعو لاكثر من الاسف . فاذا كنت لا تعنيها كسبب حقيقى للعدوان على مصر كما قلت فى تفسيرك الاخير ، اذن فانت توافق على حجة نقادك فى أن العدوان الامريكى الاسرائيلى كان موجها للتجربة الثورية المصرية لذاتها . واذا كان ذلك صحيحا فهى اذن ليست تجربة رجعية ، والا اصبحت الولايات المتحدة الامريكية واسرائيل فى طليعة القوى التى تشن « كفاحا » مسلحا ضد النظم والقوى « الرجعية » !!

اما انك صعقت لان الاستاذ ابو سيف يوسف استخدم عبارة « ثورة وطنية ديموقراطية » فى وصف ثورة يوليو بقيادة عبد الناصر ، فهى مسألة تثير الحيرة . الست تشارك فى الحوار كيسارى ؟ أو ليس اليساريون متفقين على أسس عامة أو مبادىء اساسية فى تناول الامور ؟ وهل نحن بحاجة الى تفسير كلمة ديموقراطية فى مفهوم اليسار وانها تعنى لدى البعض شكلا يقوم على الاحزاب والبرلمان .. الى آخر ما نعرفه من شروط ما يسمى بالديموقراطية البرجوازية ، وانها تعنى شيئا آخر فى مفهوم الطبقات الشعبية ، وهى تحقيق الحد الادنى على الاقل من المطامح الاجتماعية والاقتصادية لهذه الطبقات بضرب الطبقات المستغلة وتصفية أو محاولة تصفية استغلالها . ان هذا لا يعنى ان الطبقات الشعبية ترفض الشكل الديموقراطى من حرية للاحزاب والصحافة والتعبير .. الخ ، ولكن الاساس يبدأ دائما بالنسبة لها من اعادة توزيع الثروة المنهوبة واحقاق قدر من العدل وتصفية الظلم التاريخى . ولا بأس بعدئذ بل هو من الواجب ان يصبح لهذه الطبقات حق التعبير الحر والتمثيل الحقيقى « الديموقراطى » . وفى كل الاحوال لا يتبادر الى ذهنك ان تحقيق العدالة الاجتماعية والاقتصادية يعنى او يبرر الخروج عن الشرعية الثورية . وكل ما عدا هذا يدخل فى نطاق الاخطاء او الجرائم التى أدانها ويدينها اليساريون والوطنيون عامة .

هذا هو موجز الموقف بيننا وبين الدكتور **فؤاد زكريا** : انه عدم الوضوح من جانبه أو عدم الصراحة فى الاعلان عن حقيقة موقفه واهدافه . ومن ثم اضطر الى استخدام أكثر من منهج متناقض فى المقال الواحد وتعبيرا عن فكرة واحدة احيانا . ومن ثم ادخله ذلك فى مآزق فكرية يصعب خروجه منها الا بخروجه من الحوار نفسه وحسنا فعل .. !! .





المسح الدكتــــور فؤاد زكريا الى ان« **الطليعة** » قد نشرت رايا واحدا مدافعا عنه ، فى مقابل ثلاثة آراء تنتقده من بين رسائل القراء مما قد يعنى أن الطليعــة تحجب نشر الرسائل المؤيدة لوجهة نظره. ومن هذه الزاوية نحن نؤكد ان النشر لم يكن انتقائيا او عشوائيا ، ولم يحــدث ان وصلت رسالة دفاع عن الدكتور فؤاد زكريا دون ان تنشر ... ما عدا هذه المرة فقــد وصلتنا رسالة مطولة من قــارىء بتوقيع « **شوقى عبد الحميد يحيى** » [شــارع عاكف حــارة عاكف رقم ٧] ولكننــا لن ننشرها هذه المرة لسبب واحد هو حرصنا على صورة **الدكتور فؤاد زكريا** رغم خلافنا معــه فى الرأى . وليــس الســبب ان الرسالة حافلة بالاخطاء النحوية الفاضحة أو انها مليئة بالفاظ « عربية » من ابتكار القارىء او انها لا تأخذ بما تواضع عليه الناس من آداب الحديث ، رغم انها تقول [دون ان نصحح كلمة واحدة] :

« ... **اهل** معنى حرية النقد ان اترك كل من هب ودب وكل من استطاع الامساك بالقلم **لان** يكتب .. ؟ » .

.. لكن السبب الوحيد لمنع النشر هو ان هذا السيد القارىء شوقى عبد الحميد يحيى [1] هو « **الوحيد** » فى مصر الذى كتب الرســالة كمــا ذكــرنا ، رســالة « **للطليعــة** » منــذ شــهرين « ونشرتهــا الطليعة] يدافع فيهــا عن آراء وافــكار السيدين **مصطفى وعلى امين** . ومن هنــا فنحن قبل **الدكتور فؤاد** نفضل ان يرفــع السيد القارىء يديه عن الدكتور فؤاد . فمهما بلغ الخلاف بيننا وبين **الدكتور فؤاد زكريا** فلن يصل الى حد نشر دفاع عنــه فى الطليعة من جانب « النصير » الوحيد **لعلى ومصطفى امين** .

●● وقد تلقت « **الطليعة** » رسائل اخرى تنتقد وجهات نظر الدكتــور **فؤاد زكريا** ونكتفى بالاشارة الى بعضها بسبب ضيق الحيز فى هذا العدد .

الرسالة الاولى من **الاستاذ بهاء الدين محمد ابو خضرة** [مدرس بمدرسة شبرا الثانوية التجارية] ويقول فيها بعد مناقشة اهم وجهات نظر **الدكتور فؤاد** :

« .. ان كاتب هذه السطور واحد ممن كان لهم الشرف فى الانتماء لجيل **عبد الناصر** وابناء تجربته الناجحة والمنتمين لهــا كليا وجزئيا .. هذا الجيل الذى سعد وفرح بالثورة **وبعبد الناصر** وبطرد الانجليز وتأميم القناة ، وسعد أكثر بمجانية التعليم التى اتاحت له الفرصة للدراسة بالجامعة ثم الوقوف متواضعا فى محراب احد اساتذتها لارد عليه قائلا : لقد اخطــأت يا دكتــور وارجع فان الرجوع للحق فضيلة » .

---

[1] نشرنا فى هذا العدد مقالا آخر للسيد شوقى عبد الحميد يحيى ينقد فيه مقالات لطفى الخولى عن اليسار المصرى المنشورة بالعدد الماضى .

●● والرسالة الاخرى من السيد ابراهيم محمود فهيم [مدرس بالتربية والتعليم القاهرة] وهو ينتقد ما أسماه « اللف والدوران حول التفاصيل » لانه « هروب من مجابهة الحقيقة » .. وهو يرى ان هذا هو جوهر الخطأ فى منهج الدكتور فؤاد وفى منهج بعض ناقديه . لكنه رغم ذلك لم يناقش مباشرة الموضوع المطروح بل تعرض لعشرات القضايا الاخرى التى يمكن مناقشتها فى عدد آخر لانها تتعلق بأمور لا تقل أهمية عما طرحته المناقشة بين الدكتور فؤاد واليساريين .

كلمة أخيرة
كيف ننهى حوار ما ؟

■■ آن لنا الان أن ننهى هذا الحوار .. الذى دار ساخنا بعض الشيء ، وربما كانت سخونته ضرورة لابد منها لانها نابعة من طبيعة الموضوع ذاته ..

فلقد قالت الاطراف رأيها ، ووجه الدكتور فؤاد زكريا لنا ما أسماه « كلمة ختامية » وهكذا قال كلمته الاخيرة .

لكن السؤال يبقى كيف ننهى حوارا ما . وكيف نصل به الى نهاية « عاقلة » و « معقولة » أى مفيدة ؟

والمهم هو أن نستفيد الدرس ..

ان ندرك أن أول مبادىء الحوار المثمر هو الموضوعية والرغبة فى الاقتناع بنفس قدر الرغبة فى الاقناع . بمعنى ان يطرق كل منا باب الحوار مستعدا « للجدل » بمعناه العلمى والعقلى ، أى بالرغبة فى التوصل الى فهم متبادل .

هكذا نفهم الحوار ..

وبهذا يمكن ان نستفيد منه .

ولسنا نملك فى النهاية سوى ان نشكر كل من أسهم فى هذا الحوار .

بيان المجلس المصرى للسلام

عن الاتفاقية الثانية للفصل بين القوات

جاءنا البيان التالى من السيد / خالد محيى الدين السكرتير العام للمجلس المصرى للسلام :

اجتمعت السكرتارية الدائمة للمجلس المصرى للسلام يوم ١٩٧٥/٩/٩ لدراسة اتفاقية الفصل الثانية بين القوات الموقعة يوم ١ سبتمبر ١٩٧٥ بالاسكندرية . كما اطلعت السكرتارية على خطاب السيد الرئيس انور السادات أمام المؤتمر المشترك من اللجنة المركزية ومجلس الشعب يوم ١٩٧٥/٩/٤ وكذلك بيان المؤتمر المشترك فى نفس اليوم .

وتقديرا منها لواجبها تجاه قضية تحرير الارض المصرية والارض العربية المحتلة والحقوق الوطنية المشروعة للشعب

□□□□□□□

العربي الفلسطيني ؟ وارتباط هذا كله بقضية السلام والامن فى الشرق الاوسط — ترى أن معيار الحكم على هذه الاتفاقية لا يكون بمناقشة بنودها وتفنيدها بندا بندا، ولكن بالنظر الى الظروف المحيطة واحتمالات المستقبل .

وأول ما يهمنا هو هل هذه الاتفاقية كخطوة نحو الوصول الى الحل الشامل ستؤدى الى عرقلة جهودنا لتحرير أرضنا اذا ما رفض العدو استكمال باقى خطوات الانسحاب من كل الاراضى المحتلة والاعتراف بحقوق شعب فلسطين ؟ لقد اكدت القيادة العسكرية المصرية أن الوضع الجديد بعد الاتفاقية هو حالة افضل من الناحية الاستراتيجية وأنه لن يعرقل امكانياتنا للتحرك اذا أصر العدو على رفض الخطوات المقبلة واضطررنا الى مواجهته .

كما أن القيادة السياسية المصرية وبيان المؤتمر المشترك يوم ١٩٧٥/٩/١ قد أكدت استمساكنا بمبدأ التحرير الشامل لكل الاراضى العربية المحتلة والالتزام المبدئى بالحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطينى كما اقرتها قرارات الامم المتحدة ومؤتمرات القمة العربية واكدت ان التزامنا بحماية الثورة الفلسطينية هو التزام مصيرى .

ولذا ومن هذا المنطلق نؤيد ما جاء ببيان المؤتمر المشترك يوم ١٩٧٥/٩/٤ بهذا الخصوص واعتبار أن الاتفاقية الجديدة هى خطوة على الطريق الطويل نحو سلام دائم وعادل فى الشرق الاوسط .

ان السكرتارية الدائمة للمجلس المصرى للسلام تعتبر ان الموقف الحالى يحتاج الى تضافر وتضامن كل قوى التحرر العربى ، والى تدعيم وبناء القوة المصرية والعربية الذاتية أمام عدو لا زال يصر على التسلح وأمام اهداف امبريالية مصرة على السيطرة على المنطقة ، ولا رد على ذلك الا بتدعيم جبهة القوى الوطنية والتقدمية في العالم العربى وتعبئة موارد البلاد العربية لتدعيم صمود دول المواجهة مصر وسوريا والمقاومة الفلسطينية والاردن .

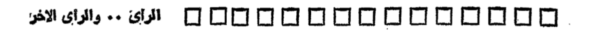
ان انصار السلام فى مصر يرون انه لا زال فى الموقف الجديد عناصر الخطر . فاستمرار تسلح اسرائيل ومحاولات الامبريالية واسرائيل لتجميد الموقف لا زالت قائمة ، وكذلك محاولاتها المستمرة لشق الصف العربى .

كما ان التسليح الاسرائيلى الجديد وازدياد اشتراك الحكومة الامريكية المباشر فى أزمة الشرق الاوسط يزيد من اهمية اقامة علاقات دولية متوازنة لتواجه الموقف الجديد ، الامر الذى يتطلب اهمية تحسين العلاقات المصرية السوفيتية وبذل الجهود المشتركة لوضعها على اسس جديدة وجيدة . ولذلك فأنصار السلام المصريون يدعون كل القوى العربية الى مزيد من اليقظة تجاه نوايا العدو الصهيونى وحليفته الامبريالية العالمية المسيطرة على موارد وثروات بلادنا العربية . ويدعون كافة القوى العربية الى استمرار توجيه سهامها ضد العدو الصهيونى وحليفه الامبريالية العالمية حتى لا تستنزف جهودنا المصرية والعربية الى المعارك الجانبية التى يستفيد منها العدو .

ان أنصار السلام المصريون سوف يناضلون حتى يتحقق الحل الشامل بالجلاء الكامل للقوات الاسرائيلية المعتدية عن جميع الاراضى العربية المحتلة بما فى ذلك القدس والاعتراف بالحقوق الوطنية المشروعة للشعب العربى الفلسطينى وحقه فى اقامة دولته الوطنية . وان تحقيق ذلك هو الهدف الذى نسعى اليه والذى اذا تحقق سوف يؤدى الى خفض حقيقى فى نفقات التسلح فى المنطقة وتحرير موارد بلادنا تجاه البناء السلمى الحقيقى واننا لواثقون من انتصار امتنا العربية على العدو الصهيونى والامبريالية .

١٩٧٥/٩/٩

السكرتارية الدائمة للمجلس المصرى للسلام





الى هيئة تحرير « الطليعة » :

فى رسالتى هذه اردت ان أساهم ولو بخطوط قليلة فى معركة الدفاع عن مجلتنا العزيزة « الطليعة » . لهذا أحب أن أقول : بأن القارىء لدى قراءته لمقال **الوردانى** فى جريدة الجمهورية ٤ـ٤ـ١٩٧٤ الذى بعنوان [الاقلام ومن يكتبون] ، سوف يصعق للأمية الفكرية التى تميز الوردانية عن غيرها من التيارات الفكرية المتخلفة عندنا .

لا أعرف كيف أن **الورداني** قد سمح لنفسه أن يتطاول على مجلة هى « الطليعة » بين المجلات ، مغمضا عينيه عن جماهيريتها . لكننى أحب أن أقول أن الوردانية ظاهرة جاءت متأخرة بعد أن أصبح « للطليعة » قراؤها وقاعدتها الجماهيرية العريضة .

ان « الطليعة » لا تمثل بالنسبة لنا مجلة فحسب ، بل هى كتاب معرفة شهرى يأخذ مكانه كل شهر بين الكتب القيمة فى مكتبة كل واحد منا . قال لى احد صدقائى ، بعد ان ارشدته الى ضرورة مطالعة هذه المجلة ، قال لى ان « الطليعة » ينطبق عليها المثل : « من ذاقه يوما استعمله دوما » .

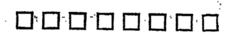
لست أدرى لماذا نوصى انا واصدقائى باعة الصحف أن يحجزوا لنا نسخا من « الطليعة » فور صدورها ! ولست ادرى لماذا نسعى للحصول عليها سرا من بيروت عندما يمنع دخول بعض الاعداد [مثل عدد مايو ١٩٧٤] ! لا ادرى لماذا ارتسمت على وجه صديقى علامات الاسف لانه افتقد عددا من الاعداد بعد نفاذه ولم يحصل عليه .

وأختم حديثى مذكرا الاستاذ **ابراهيم الوردانى** بأنه عندما تهجم على «الطليعه» ، فانه قد تهجم على نفسه .. ولا اجد سوى ان احيله الى بيت المتنبى :

واذا اتتك مذمتى من ناقص
فهى الشهادة لى بأنى كامل

حمادة الحمادة
حلب ـ كلية الاداب ـ سنة رابعة انجليزى

● فى رسالة من **على سليم** من بورسعيد ، المدينة الحرة ، قال فيها : من المسلم به عند الجميع ان الصراع العربى الاسرائيلى هو أعقد واخطر واطول صراع بين حركة التحرر والاستعمار فى عالمنا المعاصر . ويرجع هذا الى طبيعة القضية



نفسها واوضاعها وملابساتها المحلية على ارض الصراع نفسه . لقد آن الاوان للعرب ، كل العرب ، ان يلقوا بكل ما يملكون فى وعاء القضية وكل الطرق يجب وينبغى ان تؤدى الى قضية فلسطين ، وعلى التضامن العربى ان يرتفع الى ذروته حتى يحقق الوجود العربى ذاته فى عالم لم يعترف الا بالقوة « يا عرب العالم اتحدوا فليس لديكم ما تفقدونه سوى اسرائيلكم ! » .

● **وكتب احمد عزت مدنى من ببا ـ محافظة بنى سويف** ـ رسالة عن « المنابر » والممارسة الفكرية للسلوك السياسى فى التجربة المصرية يقول فيها : « ان نقطة البدء لاية أمة جادة فى تحقيق وجهها التقدمى الحقيقى فى الحرية والعدل هى البدء بتحرير روحها ، وفى حالة تعدد منابرنا داخل الاتحاد الاشتراكى لا يمكننا أن نحقق أى تقدم سياسى واقتصادى واجتماعى فى ظل اتجاهات ترتبط روحيا بالغرب كما أوضحنا بشقيه الرأسمالى والشيوعى ، لان مثل هذه التبعية تشل قدرة الامة على انجاز المستحيل ، ومن هنا يمكن لهذه المجموعات السياسية التى تتمثل فى تعدد المنابر الدعوة فى برامجها الى تأصيل تراثنا الحضارى ، وعقيدتنا الخاصة حتى ينفصل الحوار الديمقراطى لمنابرنا روحيا عن الحضارات المتنافسة والمنافسة حتى يمكن ان نخلق المناخ النفسى والمادى لبدء مسيرتنا فى تأصيل الحرية والعدل الاجتماعى فى علاقتنا السياسية والاقتصادية دون ارهاب فكرى من فئة ، ودون تسلط من حاكم يوجه اتجاه حياتنا ، ودون وصاية من أجهزة الامن » .

● **فيصل عطيه البرانى** يوقع رسالته واصفا نفسه : « عامل مفصول لاسباب سياسية ـ مصنع ٩٩ » اما الرسالة ذاتها فهى نقد للمواقف الاخيرة للصحافة المصرية ثم تركز الرسالة نقدها على القيادة الحالية لاتحاد نقابات العمال معلنة سحب ثقته منهم .

● « هل حلت المسألة الزراعية فى مصر ؟ يجيب على هذا السؤال « **عبد العزيز عبد الرحيم الزعويلى** » بالنفى القاطع ، لكنه مع ذلك يطرح الامر للنقاش على المزارعين المصريين الثوريين ، والمهندسين الزراعيين والمثقفين المهتمين بقضايا الارض والفلاح فى مصر ..

● رسالة من **سيد حسن حسن** طالب جامعى تتضمن وجهة نظره فى اتفاقية الفصل بين القوات الثانية . وهو يؤكد ان هذه الاتفاقية قد قلبت موازين الصراع العربى الاسرائيلى ، واننا يجب ان نسلم بأن هذا الاتفاق سوف يكون له ابعاده السياسية والعسكرية الخطيرة بين أطراف النزاع .

● ورسالة أخرى من جندى مؤهلات محمد حمزة ابراهيم يوجهها الى زميل له جندى المؤهلات احمد الجمال تعليقا على مقاله الذى نشرته الطليعة فى عدد اغسطس [من جندى مؤهلات الى الدكتور فؤاد زكريا] .

والرسالة بعنوان « الموضوعية واللاموضوعية » وهو يدافع فيها عن سياسة الانفتاح الاقتصادى ، ويقول انها ليست تراجعا عن الاشتراكية وانما هى ضرورة اقتصادية واجتماعية لا خيار فيها .

● أما القارىء سيد أحمد حسين باشتراكات جريدة الاهرام فانه يقترح على « الطليعة » أن تخصص مساحة ثابتة للشباب ، ومناقشة قضاياهم ومشاكلهم .

[●]

رســـالة الى رئيس التحـــرير

● من الفلاح المزارع الذى يعيش وسط الزراعة ويراقبها عن كثب ويزاولها مزاولة تامة ويدفع عن فدان لمقاومة دودة القطن ١٢ جنيها اثنى عشر جنيها ويدفع ثمنا لـ ١٠٠ كيلو من السماد مبلغ ١٠ جنيهات و ٥٠٠ مليم ويحرث الفدان بمبلغ ٢ جنيه و ٤٠٠ مليم زائد بقشيش جنيه .

الى السيد الاستاذ لطفى الخولى رئيس تحرير مجلة الطليعة نريد أولا أن نسأل سيادتكم سؤال محددا . من هم أعضاء مجلس الشعب الممثلين للفلاحين الذين وافقوا على قانون رفع القيمة الايجارية للارض الزراعية .

وهل هؤلاء الاعضاء معهم بطاقات زراعية تثبت بأنهم فلاحين حقا ؟ ويمارسون فلاحة الارض ؟ وهل هم من صغار المزارعين أم من كبار المزارعين وهل هؤلاء الموافقون على هذا القرار فلاحين حقا . واذا كانوا كذلك فكيف وافقوا على هذا القرار ؟ انهم ياسيدى ليسوا فلاحين اطلاقا لانهم لم يصبهم ما أصابنا حينما سمعنا على هذا القرار ان موافقتهم على هذا القرار أكبر دليل على أنهم ليسوا فلاحين وليسوا من صغار المزارعين ولكنهم من الاشخاص الذين لايعلمون عن الفلاح شيئا . وكل ما نرجوه أن تنشروا هذه الرسالة بوضوح تام وأنا على استعداد للمناقشة فى هذا الموضوع وتنشروها أيضا ليعرف القراء رأى الفلاح والذى لم نقرأ ولم نسمع عن رأيه اطلاقا . فهو صاحب الحق وهو الاجدر بأن يتكلم فى هذا الموضوع . هذا الفلاح الذى يحمل بطاقة زراعية ويعيش فى القرية .

نكرر الرجاء بأن تنشروا هذه الرسالة .

ولكم منا جزيل الشكر

مقدمه لسيادتكم
عبد الله محمد عبدالله

فلاح من قرية شنرا مركز الفشن محافظة بنى سويف
بطاقة عائلية رقم ١١٦٤٩
بطاقة حيازة زراعية رقم ٤٩٩
بجمعية شنرا التعاونية



■ جمهورية مصر العربية

الذكرى الخامسة لرحيل عبد الناصر

فى الثامن والعشرين من سبتمبر الماضى ، كان الاحتفال بالذكرى السنوية لوفاة الزعيم الراحل جمال عبد الناصر •

وفى الاحتفال بهذه الذكرى ــ ألقى الرئيس محمد أنور السادات ، خطابا سياسيا ــ قال فيه :

« ان ذكرى عبد الناصر بالنسبة لنا جميعا كشعب ، وبالنسبة لى شخصيا كزميل وصديق ورفيق سلاح ، خواطر كثيرة ومشاعر فياضة • طبعا من المألوف فى العالم كله أن أى شخصية عملاقة مثل شخص عبد الناصر تتصدى للاحداث بالتغيير والتغيير فيه هدم وبناء • من المألوف أن أى شخصية من هذا النوع توجد دائما الصداقات العميقة والخصومات الحادة •• وينفتح بعدها باب الجدل ، سنين وأجيال •• » •

« ونرى أناسا آخرين ، يحاولون اقامة معبد اسمه الناصرية •• يحوط به التقديس والغموض لكى يقيموا من أنفسهم كهنة لهذا المعبد ، هم العالمون وحدهم بالاسرار •• وهم المحتكرون للتفسير •• وهم قضاة الخطأ والصواب ••

« ولا أقول وقد عايشت عبد الناصر وزاملته وشاركته أكثر عمرى وعمره ، أقول لا •• لم يحاول عبد الناصر قط أن يقيم بناء جامدا اسمه الناصرية •• بل كان يرفض أى قالب كان •• بل انني أقول أكثر من ذلك ، ان الذين يقولون اليوم بان هناك ناصرية وان هناك ساداتية مخطئون •• انهم ينطلقون من احكام شخصية وليست موضوعية •• وفيهم اليوم من يلعن الامس •• واذا سنحت الظروف فسوف يلعنون غدا "يــوم •• وهكذا •• » •

« فى تقديرى أولا •• ان المسألة ليست ناصرية أو ساداتية •• ولكنها ثورة ٢٣ يوليو •• أو التجربة الوطنية المصرية •• هذه هى الموضوعات والعناوين التى تناقش •• وكل دارس لتواريخ الامم ، يعرف أن دور أى فرد مهما كبر فهو ابن التربة التى أنبتته ، والظروف التى صاحبته ، والشعب الخلاق الذى واكب مسيرته ••

« مناقشة شخص عبد الناصر بالتقدير أو بالتجريح اساءة لعبد الناصر •• لانه أبدا لم يشأ أن يكون صنما أبدا ، بل كان نموذجا فى معايشته للواقع ومخالطته للحياة ، ومرونته فى وجه المتغيرات • ليست القضية اذن قضية نـاصرية أو ساداتية ، ومناقشة الامور على هذا النحو تضل فى متاهات المشاعر أو الاحقاد الشخصية ، وتجزىء التجربة الوطنية المصرية ••

« فى حين أننا حين نناقش ثورة ٢٣ يوليو أو التجربة الوطنية المصرية ، فاننا نربط بذلك نضال القادة بالجماهير ، أو الحاكم بالشعب •• لقد كان عبد الناصر انسانا •• وكان بشرا •• وبالتالى فلايقلل من شأنه أن نقول انه كانت له حسنات ، وكانت له أخطاء •• كانت له أهداف حققها ، وأهداف لم يستطع أن يحققها •• وأنا أيضا لا أشك أن لى أخطاء •• فكل من يتصدى لاعلى المسئوليات فى مثل الظروف الصعبة والبحار المتلاطمة من التيارات ، لا يمكن الا أن يخطىء ويصيب الا أولئك الذين يؤثرون السلامة لانفسهم ويحكمون بالتالى على أقدار شعوبهم بالانكماش والجمود » •

وأقامت جماعة « لقاء ناصر الفكرى » بجامعة عين شمس لقاءها الخامس ، والذى اشتركت فيه وفود من الاتحاد الوطنى لطلاب العراق ، والاتحاد الوطنى لطلاب سوريا ، واتحاد جامعة بيروت العربية ، ورابطة الطلبة العرب الوحدويين الناصريين ــ فرع القاهرة ــ ووفود من سوريا والعراق واليمن والاردن ولبنان واللجنة العربية لتخليد عبد النـاصر ، والاتحادات الطلابية بالجامعات المصرية ، ووفد من منظمة الشباب • وقدم الاستاذ كمال رفعت بحثا عن عبد الناصر والقومية العربية كما قدمت دراسات عن الابعاد السياسية والاجتماعية والوحدوية لثورة ٢٣ يوليو وموقفها من الصراع العربى الاسرائيلى ومن الثورة المضادة •

وبعد أن أنهى اللقاء أعماله ، أصدر بيانا ختاميا ــ جاء فيه :

« اننا نرى انه من الضرورى فى مجال حديثنا عن القضية الوطنية والثورية أن نؤكد على عدة أمور :

● « الترابط الوثيق بين تأكيد سيطرة قوى الشعب العامل فى الداخل ، وبين قدرتنا على مواجهة العدو والانتصار عليه ، انطلاقا من مقولة الزعيم الخالد : « انه لكى نستطيع مواجهة العدوان فلا بد من استمرار الثورة الاجتماعية » •

● « ان دعاوى الاقليمين التى بدأت تتردد فى مصر وبعض الساحات العربية هى دعاوى مشبوهة ، تصنف نفسها قبل أن تعلن عن اتفاقها •• » •

● « واننا فى ذلك الصدد نؤكد على دور مصر العربية كقلعة للنضال العربى وكعنصر اساسى فى الصراع القائم مع العدو الصهيونى فى اطار الحركة العربية الموحدة » •

وفى الكويت ــ أقيم مهرجان خطابى نظمته جمعية صندوق الفير ، وشارك فيه ممثلون عن الديمقراطيين التقدميين « الدكتور أحمد الخطيب » والثورة الفلسطينية « أبو ايهاب » والتجمع الوطنى « النائب جاسم القطامى » • واختتم جاسم القطامى كلمته فيه بقوله : « ان الشعب الذى جاء منه عبد الناصر حق له علينا أن نظل نحمل الجميل له ، معترفين بما بذل ، وبما أعطى ، وان علينا أن نحميه مما يدبر له ولعزله بعد أن وحده عبد الناصر مع الشعوب العربية الاسيوية » • ■

• تركيــــا	• المملكة السعودية	• فيينـــا	• الامم المتحــدة
الانتخابات الجزئية مؤشر للانتخابات العامة القادمة	وزارة جديدة في المملكة العربية السعودية	هنري كيسنجر استراتيجية هبل نجحت كيسنجر النفطية	«جنوب افريقيا» جديدة في غرب آسيا

احتفالات ٦ أكتوبر

جرت الاحتفالات بأعياد ٦ اكتوبر فى أكثر من بلد عربى ٠

ففى مصر اتخذ الاحتفال طابعا أكثر اتساعا ٠ ففى الاستاد اقيم عرض رياضى اشترك فيه ٥٠ ألف شاب وفتاة واستغرق ثلاث ساعات ٠

وقد سبق هذا العرض الرياضى ، عرض عسكرى اقيم يوم ٦ اكتوبر اشتركت فيه مختلف الاسلحة التى اسهمت فى حرب اكتوبر وقد سبق العرض العسكرى خطاب هام القاه الفريق أول **محمد عبد الغنى الجمسى** أكد فيه « ان القوات المسلحة الان قادرة على تحقيق مهامها بنجاح وبنفس روح حرب ٦ اكتوبر » وقد اعلن الفريق **الجمسى** فى خطابه ان الرئيس **السادات** قد قرر منح **المشير احمد اسماعيل** نجمة سيناء ٠

كذلك قام الرئيس **السادات** باضاءة الشعلة الدائمة على النصب التذكارى للجندى المجهول ٠

وبمناسبة الاحتفالات عقدت فى ٢٧ اكتوبر الماضى ندوة عالمية عن معارك ٦ اكتوبر ٠ اعدت لها جامعة القاهرة ، وقد القيت فى هذه الندوة عدة تقارير هامة تضمنت معلومات بالغة الاهمية عن معارك اكتوبر والاستراتيجية العسكرية المصرية فيها ٠

ومن بين هذه التقارير تقرير **لحسنى مبارك** نائب رئيس الجمهورية يتضمن دراسة عن دور القوات الجوية فى حرب اكتوبر ، وتقرير عن موضوع الثغرة والحقائق المرتبطة بها أعده الفريق **عبد الغنى الجمسى** وزير الحربية ، كذلك اسهم فى الندوة العديد من قادة القوات المسلحة المصرية الذين شاركوا فى التخطيط وفى قيادة معارك العبور ٠

واذا كانت معارك ٦ اكتوبر رمز حقيقى للتضامن العربى وعلى الاخص للتلاحم المصرى السورى ، فقد كان الاحتفال بهذا العيد مناسبة لبروز تناقضات ادت الى انسحاب قوات الطيران المصرية من الجبهة السورية بعد أن القى رئيس الاركان السورى كلمة فى أفراد القوة بمناسبة ٦ اكتوبر انتقد فيها مسلك القيادة المصرية تجاه اتفاقية فك الاشتباك الثانى ٠

ولان انتصار اكتوبر كان عربيا ٠٠ فقد كان الاحتفال به عربيا ايضا ٠

ففى سوريا نظمت مسيرات شعبية واحتفالات عمالية وفلاحية وعروض عسكرية ، وفوق هذا جريدة يومية جديدة اسمها « اكتوبر »

وفى الكويت ودول الامارات والعراق وغيرها من البلدان العربية كان ٦ اكتوبر مناسبة للاهتمام بكل القضايا العربية وبالوضع العربى الراهن ، ودعوة للتأكيد ومن جديد ، على أهمية توحد العرب ، ضد العدو الواحد ومن أجل الهدف الواحد ٠

O

مؤشرات اساسية لمرحلة جديدة

القى الرئيس محمد انور السادات خطابا سياسيا هاما فى افتتاح الدورة الجديدة لمجلس الشعب ٠ اشار فيه بجهود المجلس فى المشاركة بدور مرموق فى تصفية مراكز القوى وتصحيح مسار ثورة ٢٣ يوليو بثورة مايو ، وعمل التشريعات الخاصة بوضع الدستور الدائم ، وارساء دولة المؤسسات وسيادة القانون ، واعلان سياسة الانفتاح الاقتصادى وما استلزمته بدورها من قوانين ٠

وحدد الرئيس السادات أمام المجلس المؤشرات الاساسية التى يجب الاهتداء بها فى العمل خلال هذه المرحلة والتى تتلخص فى المهام الخمس التالية :

- تحطيم عوائق الانفتاح الاقتصادى ، وتوفير البنية الاساسية والخدمات المطلوبة لتشجيع الانفتاح ٠
- القضاء على كل ما يشل القطاع العام وأن يكون الحساب بالثواب أو العقاب دون تردد ٠
- الاسراع فى اعادة النظر فى نظم الضرائب تشريعا وتطبيقا ، ووضع قوانين مبسطة غير مربكة تحصل حق الشعب كاملا من كل دخل أيا كان مصدره ومهما كان صاحبه ٠
- مد مظلة التأمينات فى هذا الوطن من العاصمة الى ابعد قرية فى الريف أو واحة فى الصحراء ٠
- تخفيض الانفاق العام فى الدولة والمرافق خصوصا كل ما يتعلق بالشكليات والكماليات ٠

وتحدث الرئيس السادات عن ما تم انجازه خلال السنوات الماضية واستلهام الشخصية المصرية ذات الابعاد الثلاثة وهى الاصالة والصلابة والايمان دون استيراد مبادىء من خارج هذه الارض ، وتقرير سياسة الانفتاح الاقتصادى والانتقال من نظم اشتراكية قائمة على ساق واحدة متورمة بيروقراطية هى القطاع العام الى اشتراكية مصرية عربية هى اشتراكية الرخاء نابعة من

أصول وطنية وقومية تقوم على ساقين قويتين هما القطاع العام والقطاع الخاص .. وكذلك فتح الطريق للشعب والاجيال المقبلة لكي يعود الى المبادىء الستة الاولى لثورة يوليو باعتبارها المقاييس الوحيدة للالتزام ، وذلك دون ما تقيد بالقوالب أو غموض الصياغات تلك التى فرضتها الظروف وصراعات سابقة خلال مسار الثورة ، والتكيف مع المتغيرات المحلية والعربية والدولية فى عصر الوفاق الدولى .

وحول موقف مصر من العالم العربى قال الرئيس : ان هدفنا الاول الذى يحكم كل تصرفاتنا العربية والدولية هو تحرير كل الاراضى العربية المحتلة ، واسترداد حقوق شعب فلسطين ، وتمكينه من الامساك بزمام أمره وحرية تقرير مصيره .

واعرب الرئيس السادات عن قلق مصر واعتراضها على كل تصعيد من جانب امريكا فى تسليح اسرائيل ، وخصوصا من حيث نوعية الاسلحة ، على أساس ان هذا لا يتفق مع الدور الذى تقوم به امريكا الان فى المنطقة وان التصعيد من جانب لابد أن نقابله بتصعيد من جانبنا .

وتطرق الرئيس فى كلمته الى ما يحدث فى لبنان ، وأشار الى ضرورة مواجهة الموقف بالصراع السياسى وليس بالصراع العسكرى . وحذر الرئيس من ان أى كارثة فى لبنان قد تكون أكبر فى حجمها من كارثة فلسطين سنة ١٩٤٨ ، وان الوقت لم يفت بعد لاطفاء الفتنة وقطع الايدى المدسوسة وسلوك طريق العمل السياسى لتطوير اوضاع لبنان كما يريد شعب لبنان



■ **المملكة العربية السعودية :**

وزارة جديدة فى السعودية

فى ١٣ اكتوبر الماضى اصدر الملك خالد بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية مرسوما ملكيا اعاد بموجبه تشكيل الحكومة السعودية . وهو التعديل الوزارى الثانى الذى يجريه الملك خالد منذ توليه الحكم فى ٢٥ مارس ١٩٧٥ ، بعد مصرع أخيه الملك فيصل .

وفى التشكيل الجديد ضمت الوزارة ٢٦ وزيرا بدلا من ١٦ وزيرا ، كما دخل الحكومة احدى عشر وزيرا جديدا ، وخرج منها خمسة من اعضاء الحكومة السابقة ، وتم تعيين ثلاث وزراء دولة .

وفى التشكيل الجديد لم يعد الامير فهد بن عبد العزيز ولى العهد - وزيرا للداخلية ، واحتفظ فقط بمركز النائب الاول لرئيس مجلس الوزراء ، واسندت وزارة الداخلية الى شقيقه الامير نايف بن عبد العزيز . وكما أن الامير سعود بن فيصل وزير الدولة أصبح وزيرا للخارجية ، وهو منصب كان يحتفظ به والده الراحل الملك فيصل .

ويتساءل المراقبون عما اذا كان هذا التعديل يعنى التقليل من نفوذ الامير فهد فى السلطة السعودية ، أم انه مجرد تعديل وزارى اقتضته تزايد مسئوليات الامير فهد كولى للعهد ونائب أول لرئيس الوزراء .

ويرى هؤلاء المراقبون أن هذا التعديل جاء مع اقدام السعودية على انجاز مجموعة من المشروعات الضخمة ، وخاصة بعد اعتمادها لميزانية قدرها ٣٠ مليار ريال .

كما يرون ان هذا التعديل يعكس أمرين : الاول ، نمو وبروز طبقة بورجوازية تجارية وبنكية ، وفئة واسعة من عناصر التكنوقراطية ، والثانى ، ظهور اتجاه حتى داخل السلطة يعبر عنه الى حد ما الامير فهد ، يطالب بانهاء القطيعة مع الاتحاد السوفييتى والبلاد الاشتراكية ، وينادى بإيجاد نوع من سياسة الباب المفتوح مع الجميع . ■



■ **لبنان :**

المخطط التآمرى مستمر

ما يزال الوضع فى لبنان متوترا نتيجة استمرار حوادث اطلاق النيران وسقوط القتلى واعمال النسف والتدمير . وما يكاد الوضع يميل الى الهدوء والتحسن بعض الشىء ، حتى يعود الى الانفجار من جديد . وذلك نتيجة عدم امتثال حزب الكتائب اليمينى لقرار وقف اطلاق النار وسحب المسلحين من انصاره وازالة الحواجز من المناطق التى يسيطر عليها .

ويرى المراقبون ان التكهن بمستقبل الوضع فى لبنان يبدو فى هذه المرحلة أمرا بالغ الصعوبة بسبب تعقد الازمة التى تمر بها البلاد ، والتى لم تشهدها من قبل ، فالنزاع الطائفى محتدم والصراع الاجتماعى متفاقم بين القوى الاقطاعية والرأسمالية المسيحية والمسلمة من ناحية ، ومن ناحية اخرى بين الطبقات الشعبية الكادحة التى تضم ايضا اغلبية من المسلمين والمسيحيين على السواء والتى تعبر عنها سياسيا قوى اليسار اللبنانى على اختلاف مدارسه ، وباحزابه الوطنية والتقدمية . ومن ثم فان الامر الذى يتفق عليه معظم المراقبين هو أن الوضع لا يوحى بالاطمئنان رغم عودة حالة الهدوء النسبى .

ويرى المراقبون ان الهدف من وراء حزب الكتائب المارونى فى سياسة التحدى وتفجير الموقف العسكرى بين الحين والاخر ، هو فرض حالة من التوتر والنزيف الدائم على البلاد ، بهدف الضغط على السلطة ، وتوريط الجيش فى الصراع الداخلى والاصطدام بالمقاومة الفلسطينية . وهو الامر الذى يلقى معارضة شديدة من جميع الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية والمسلمين والمقاومة الفلسطينية ، وذلك بسبب الخوف من نقل النزاع الطائفى الى داخل الجيش ، وهو الامر الذى تسعى اليه الكتائب .

والجدير بالذكر ، أنه قد تم فى الفترة الاخيرة هرب العديد من ضباط وجنود الجيش وانضمامهم الى حزب الكتائب ، كما تكشف تصريحات بعض السياسيين عن تعاون بعض العناصر فى الجيش وبين حزب الكتائب ، وامداد حزب الكتائب بالاسلحة والذخائر من مخازن الجيش اللبنانى .

وكان حزب الكتائب قد عمد الى تصعيد الموقف بشكل عنيف ، والى محاولة استفزاز المقاومة الفلسطينية والاصطدام بها عشية انعقاد مؤتمر وزراء الخارجية العرب الذى عقد فى

القاهرة في حوالى منتصف الشهر الماضى لبحث الازمة اللبنانية وذلك بشكل يستهدف تصوير الازمة على أنها صراع لبنانى ـ فلسطينى .

كذلك رافق تصعيد الازمة تحركات رجعية اخرى ، كما وضح من المذكرة المشتركة التى تقدم بها الرهبان الموارنة ورابطة المارون الى الرئيس سليم فرنجيه ، والتى تدعو الى تقسيم لبنان والقاء تبعة ما يحدث في لبنان على عاتق المقاومة الفلسطينية والوجود الفلسطيني فى لبنان .

ومن ناحية أخرى ، كانت الاحزاب والقوى التقدمية فى لبنان قد اعلنت فى مناسبة انعقاد مؤتمر وزراء الخارجية العرب عن ضرورة بذل الجهود لحل الازمة فى اطار الوضع الداخلى اللبنانى ، ومن خلال تدعيم العلاقات اللبنانية الفلسطينية والعمل على توطيدها ، كما حذرت من مسألة تعريب الازمة اللبنانية ، وما تحمله من مخاطر توريط المقاومة الفلسطينية فى الصراع السياسى اللبنانى والخلافات العربية وصولا الى تدويل الازمة ثم تقسيم لبنان .

ومن المعروف ان مصر كانت قد حددت موقفها من الازمة اللبنانية ، وذلك عندما اعلن اسماعيل فهمى نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية خلال مؤتمر وزراء الخارجية العرب ، ان مصر ترفض كل محاولات اقحام الوجود الفلسطينى فى النزاع اللبنانى ، بهدف المساس بهذا الوجود ، ذلك ان التناقضات اللبنانية أقدم من الوجود الفلسطينى المؤقت فى لبنان ، وان مصر ترفض كل دعاوى تقسيم لبنان وتمزيق وحدته وان موقفها النهائى من كل الاطراف المشتركة فى النزاع سوف يتحدد على ضوء التزام هذه الاطراف بمبدأ عروبة لبنان ؟!

ويرى فريق من المراقبين ان الكتائب والقوى الرجعية الانعزالية قد فشلت حتى الان فى تحقيق مخططها ومحاولة اقحام المقاومة الفلسطينية فى الصراع الدائر فى لبنان ، كذلك فقد خلا بيان وزراء الخارجية العرب من كلمة عن الوجود الفلسطينى فى لبنان وكان الاتجاه الواضح للبيان هو اعتبار الازمة اللبنانية ازمة داخلية صرفة .

وتجدر الاشارة فى هذا الصدد الى موافقة مجلس الوزراء اللبنانى على المذكرة التى تقدمت بها منظمة التحرير الفلسطينية الى لجنة الحوار الوطنى ، والتى تضع العلاقات اللبنانية الفلسطينية فى اطارها الصحيح . وتحتوى هذه المذكرة على مبادىء هامة ، وهى كما ذكرتها الصحف اللبنانية : معارضة المحاولات التى تهدف الى منح الفلسطينيين وطنا غير الوطن الام ، فلسطين . ورفض فكرة جنوب لبنان كموطن بديل الفلسطينيين ورفض أية جنسية اخرى غير الجنسيـــة الفلسطينية ، والتمسك بكافه الاتفاقات المبرمة بين المقاومة ولبنان ، وتأكيد تمسك الثورة الفلسطينية بالسيادة اللبنانية واصرارها على احترام هذه السياسة والعمل على تدعيمها ، ودعوة كافة الاطراف اللبنانية الى اعلان التزامها النهائى بشرعية الوجود السياسى الفلسطينى المستقل فى لبنان .

ويعتبر المراقبون ، ان المذكرة الفلسطينية عامل فعال فى توضيح الصورة وتبديد الشكوك لدى فريق من اللبنانيين .

وقد وصف رشيد كرامى رئيس الحكومة اللبنانية المذكرة الفلسطينية بانها « ايجابية وبناءة » .كما اعلن كرامى انه سيتم تشكيل لجنتين عسكريتين لبنانية وفلسطينية . وذلك لتنفيذ مضمون المذكرة الفلسطينية والاشراف على تنفيذ الاتفاقات المعقودة بين الدولة اللبنانية والمقاومة الفلسطينية .

وعلى الصعيد السياسى يرى المراقبون ان « لجنة الحوار الوطنى » التى تضم ٢٠ من الشخصيات السياسية والدينية المكلفة بعمل دراسات خاصة بتعديل الدستور وتطوير النظام السياسى ، تجتاز الان مرحلة دقيقة ، وذلك بسبب الخلاف الحاد وتعدد الاراء والمواقف بين اعضاء اللجنة . ذلك ان حزب الكتائب والعناصر الانعزالية تعارض داخل لجنة الحوار الوطنى بحث موضوع تعديل الدستور وتطوير النظام السياسى فى لبنان ، كما ترفض الوجود الفلسطينى فى لبنان .

ويرى المراقبون ان الامل فى التغلب على الازمة داخل لجنة الحوار الوطنى يبدو ضئيلا للغاية ، بل يكاد أن يكون مستحيلا . ومن هنا ، لا يستبعد فريق من المراقبين أن يعود حزب الكتائب والقوى الرجعية والانعزالية الى تفجير الوضع عسكريا كما وجدوا أن تحقيق شروطهم السياسية مستحيلة داخل لجنة الحوار الوطنى .

وقد حذرت الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية من احتمال تجدد القتال . واعلن كمال جنبلاط زعيم الحزب التقدمى الاشتراكى ، ان مخطط المؤامرة مايزال قائما ، وأشار جنبلاط الى تصريحات رئيس وزراء اسرائيل الاخيرة التى اعلن فيها ان اسرائيل لن تسمح باى تغيير سياسى فى النظام اللبنانى . وقال جنبلاط ان الحركة الوطنية قد ساهمت بشكل فعال فى افشال القسم الاكبر من المؤامرة . كما حذر من أن تكون الهدنة الحالية مؤقتة لحين وصول الاسلحة والذخائر الى حزب الكتائب ، واتهم جنبلاط بعض العناصر الموالية للكتائب فى الجيش اللبنانى بتزويد حزب الكتائب بالاسلحة المختلفة وطالب بفتح تحقيق حول هذا الموضوع .

O

■ المغرب العربى :

وادى الذهـب . . . بيـــن التقسيم وحق تقرير المصير

يميل المراقبون الى الاعتقاد بأن المباحثات التى جرت اخيرا فى مدريد بين أحمد العراقى وزير الخارجية والسلطات الاسبانية التى تحتل الصحراء الشرقية قد بلغت المرحلة النهائية من مراحل الاتفاق حول مصير الصحراء . وذلك بتقسيمها بين المغرب وموريتانيا اداريا مع قيام نظام دولى لاستغلال مناجم الفوسفات بالصحراء تشارك فيه الولايات المتحدة وأسبانيا ، تدعمه مراكز أمن وحماية عسكرية .

ومن هنا يبدو من غير المؤكد ما اذا كان الملك الحسن سيمضى فى تنفيذ مشروعه المعروف بالمسيرة السلمية لـ ٣٥٠ ألف مغربى لتحرير الصحراء وضمها الى المملكة المغربية ، أم سيعدل عن ذلك بعد أن وافقت أسبانيا على انهاء احتلالها سلميا من خلال الاتفاق السياسى ـ الاقتصادى مع كل من المغرب وموريتانيا .

وكانت الامم المتحدة ممثلة فى جمعيتها العامة ومحكمة العدل الدولية قد قررت عدم أحقية تقسيم الصحراء بين المغرب وموريتانيا وطالبت بمنح شعب الصحراء حق تقرير المصير فى الانضمام الى دولة مغربية أو تكوين كيان مستقل .

وساندت الجزائر ، كدولة مغربية ، منذ بداية اثارة قضية الصحراء ، حق تقرير المصير لشعبها ، معلنة انه ليس لها أى مطالب اقليمية فى الصحراء التى تجاور حدودها . وساندت دوما جبهة تحرير الساقية الحمراء ووادى الذهب « بولزاريو » التى تمارس الكفاح المسلح ضد الاحتلال الاسبانى وكبدته على مدى السنوات القليلة الماضية خسائر فادحة .

ونتيجة لهذا الموقف الجزائرى ، ثارت خلافات حادة بين دول المغرب العربى الثلاث : الجزائر والمغرب وموريتانيا حول مستقبل الصحراء • وفى عام ١٩٧٢ انعقد مؤتمر قمة « بوادى بو » بين الملك الحسن وكل من الرئيسين بومدين وولد داده ، اتفقوا فيه على مساندة كفاح شعب الصحراء ضد الاحتلال الاسبانى على أساس حق تقرير المصير ، واحترام نتيجة الاستفتاء على حق تقرير المصير • وأكد الرئيس بومدين ان الجزائر فى هذا منطقية مع نفسها وثورتها التى رفعت دائما شعار حق تقرير المصير ومع المبادىء العامة لحركة التحرير الوطنى العالمية •

ولكن الملك الحسن وولد داده ، غيرا موقفهما لاسباب محلية ودولية وتخلى كل منهما عن قرار وادى بو ، وتقدما الى الامم المتحدة بطلب انهاء الاحتلال الاسبانى للصحراء وتقسيمها بين المغرب وموريتانيا • فى حين ظلت الجزائر على موقفها ومساندتها المادية والمعنوية لجبهة تحرير الساقية الحمراء ووادى الذهب التى تطالب بحق تقرير المصير وتسيطر على مناطق محررة وتحتجز العشرات من الجنود الاسبان الاسرى ، وتحذر من المخططات الامبريالية التى تسعى الى وراثة الاستعمار الاسبانى الكهل تحت لافتات عربية ، ليس فقط ضد منطقة الصحراء بل ضد كل المغرب العربى ومستقبله •

ومما يعقد المشكلة أن القوى الوطنية فى المغرب تؤيد المطالبة بضم الصحراء وتحريرها بالقوة المسلحة • لكن الملك الحسن يرفض استخدام القوة ويصر على التحرير السلمى من خلال الاتفاق السياسى مع الحكومة الاسبانية •

وفى نفس الوقت تطالب جبهة تحرير الصحراء بتنفيذ قرارات الامم المتحدة المتعلقة بحق تقرير المصير ، وتستنجد بالجزائر التى فجرت ثورتها وحصلت على استقلالها تحت شعار حق تقرير المصير •

ومن هنا عارضت الجزائر كل من استمرار الاحتلال الاسبانى ومن فرض التقسيم والضم على الصحراء وبالتالى مسيرة الملك الحسن لتنفيذ مشروع التقسيم والضم • وتقترح القيام بجهد مشترك ثلاثى : جزائرى مغربى موريتانى لمساعدة شعب الصحراء ــ باعتباره جزءا فى اطار وحدة المغرب العربى ، على قيام كيانه المستقل وحمايته من الامبريالية والاستعمار الجديد •

وأمام هذا التعارض الشديد فى الاتجاهات والمواقف بشأن مستقبل الصحراء ، فان المنطقة حبلى بخطر انفجار رهيب •

وفى الوقت الذى تلقى المغرب مسئولية هذا الانفجار المرتقب على عاتق الجزائر ، فان الجزائر ترى فى الانفجار مخططا شبيها بمؤامرة ٥ يونيو ١٩٦٧ فى المشرق ضد مصر • وبالتالى فهو موجه أساسا ضد الجزائر ودورها العربى وفى قيادة حركة العالم الثالث ضد الامبريالية واحتكاراتها من أجل نظام اقتصادى دولى جديد لا تتمتع فيه الرأسمالية العالمية بحصة الاسد •

○

■ تركيـــا :

الانتخابات الجزئية مؤشر للانتخابات العـــامة القادمة

أجريت يوم ١٢ أكتوبر الماضى انتخابات التجديد الجزئى لمجلس الشيوخ فى تركيا ، وهى الانتخابات التى أظهرت تأييدا شعبيا متزايدا لحزب الشعب الجمهورى « الذى يتزعمه بولنت ايجيفيت » ، والذى يعتبر حزب المعارضة الرئيسى فى تركيا •

ورغم أن هذه الانتخابات قد شملت ٥٤ مقعدا فقط من مجموع مقاعد مجلس الشيوخ « ١٨٠ مقعدا » ، وستة مقاعد فى مجلس النواب « ٤٥٠ مقعدا » وهى المقاعد التى شغرت بسبب وفاة أو اعتزال شاغليها خلال السنتين الماضيتين •• فانها تعطى مؤشرات هامة الى انتخابات مجلس النواب المقرر اجراؤها فى الربيع القادم ، وهى الانتخابات التى سيتقرر على اساسها من الذى يتولى رئاسة الوزارة الجديدة •

ولقد أخطأت الصحف اليومية هنا عندما ذكرت أن نتائج انتخابات ١٢ اكتوبر الماضى أسفرت عن فوز حزب العدالة الحاكم « الذى يتزعمه سليمان ديميريل رئيس الوزراء بمقعدين فقط ، وذلك على أساس أنه فاز بـ ٢٧ مقعدا من المقاعد الـ ٥٤ التى شملتها عملية الانتخابات الجزئية ، فى حين فاز حزب الشعب الجمهورى بـ ٢٥ مقعدا ، وبذلك يكون الفرق بين الحزبين مقعدين فقط ، يبدو للوهلة الاولى انهما مقعدا الاغلبية ، بينما الواقع ان حزب العدالة الحاكم ما زال يتفوق بـ ١٥ مقعدا فى مجلس الشيوخ على حزب الشعب الجمهورى دون أن تكون له الاغلبية ، ذلك لان انتخابات أكتوبر هى من أجل تجديد ثلث مجموع الاعضاء المنتخبين فقط •

والوضع الان فى مجلس الشيوخ هو : حزب العدالة ٧٧ مقعدا ، حزب الشعب الجمهورى ٦٢ مقعدا ، الاحزاب الاخرى ٤١ مقعدا • فالمجلس يضم ١٨٠ مقعدا منها ١٥٠ مقعدا بالانتخاب و ١٥ مقعدا بالتعيين « من قبل رئيس الجمهورية » ومقعد مدى الحياة لرئيس الجمهورية السابق جودت سوناى و ١٤ مقعدا لاعضاء اللجنة التى اشتركت مع الجنرال الراحل جمال جورسيل فى القيام بالانقلاب العسكرى عام ١٩٦٠ •

ويجرى تجديد الاعضاء المنتخبين للمجلس كل ست سنوات ، على ثلاث دفعات ، كل دفعة تشمل ثلث مجموع الاعضاء ، وتجرى مرة كل سنتين • وعلى ذلك فان انتخابات ١٢ اكتوبر قد شملت ثلث الـ ١٥٠ عضوا المنتخبين اى أنها شملت ٥٠ عضوا أضيف اليهم ٤ أعضاء آخرين بدلا من الاعضاء الذين توفوا أو اعتزلوا خلال العامين الماضيين •

لذلك فان هذه الانتخابات ــ بحكم انها جزئية وتشمل نحو ثلث أعضاء مجلس الشيوخ وستة فقط من أعضاء مجلس النواب ــ فانها لا تؤدى الى تغيير كبير فى قوة الكتل الحزبية المختلفة داخل المجلسين •

ولكن هذا لا يعنى أن هذه الانتخابات الجزئية ليست لها أهمية ، ذلك لان أهميتها تكمن فى مؤشرات اتجاه الرأى العام التركى ، الذى تدل عليه نتائجها •

فمن بين هذه المقاعد الـ ٥٤ التى أجريت عليها عملية الانتخاب ، كان لحزب العدالة فى الماضى ٣٣ مقعدا ، هبطت الان الى ٢٧ مقعدا ، وكان لحزب الشعب الجمهورى ٨ مقاعد ارتفعت الان الى ٢٥ مقعدا • ولم يكن لحزب الخلاص الوطنى « وهو حزب دينى » أية مقاعد ، وأصبح له الان مقعدان ••

ومن جهة أخرى ، فانه بالمقارنة مع الانتخابات العامة التى أجريت عام ١٩٧٣ ، نجد أن الحزبين الكبيرين حصلا على نسبة أعلى من حيث مجموع أصوات الناخبين ، فى حين هبطت هذه النسبة فى حالة الاحزاب الصغرى •

ففى عام ١٩٧٣ كانت نسبة الاصوات المؤيدة لحزب العدالة ٣٠ فى المائة ، ارتفعت الان الى ٤١ فى المائة ، وكانت نسبة الاصوات المؤيدة لحزب الشعب الجمهورى ٣٣ فى المائة وارتفعت الان الى ٤٤ فى المائة • وكانت نسبة الاصوات المؤيدة لحزب الخلاص الوطنى « الذى يتزعمه نجم الدين اربكان » ١٢ فى المائة وهبطت الى ٨ فى المائة ، وكانت نسبة الاصوات المؤيدة للحزب الديموقراطى « وهو حزب معارض متحالف مع حزب الشعب الجمهورى » ١٢ فى المائة ، هبطت الان الى ٣ فى المائة •

واذا استمرت نفس هذه النسب على ما هى عليه الان من الاتجاه لصالح الحزبين الكبيرين على حساب الاحزاب الصغيرة فستكون النتيجة « الحسابية » للانتخابات العامة ، المقرر اجراؤها فى الربيع القادم ، هى حصول حزب الشعب الجمهورى على الاغلبية • حيث يقدر انه سيفوز بـ ٢٣٠ مقعدا فى مجلس النواب • ومن ثم يعود بولنت ايجيفيت رئيسا

الوزراء . في حين يحصل حزب العدالة على نحو ٢٠٠ مقعد ، ويصبح حزب المعارضة الرئيسي . بينما تفوز الاحزاب الاخرى – وكلها احزاب صغيرة – بنحو عشرين مقعدا في مجموعها .

O

■ **البرتغال :**

الاستمرار أو انقلاب « اليمين المتطرف » أو « اليسار المتطرف »

يرى أغلب المراقبين السياسيين ، ان معدل التطور السياسي في البرتغال بلغ حدا من السرعة ، يتطلب تقييما نسبيا لصحة اى تحليل للاوضاع في هذا البلد ، لا يتم على أساس يومي ، وطبقا للمتغيرات اليومية فيه .

واخر التطورات الملموسة حتى كتابة هذا التقرير ، هو ان هناك تغييرا في وجهة نظر الحزب الاشتراكي وقادته الذين كانوا الى وقت قريب يرون أن الحزب الشيوعي « هو التهديد الوحيد للديمقراطية » ، وتعكس ذلك التغيير ، التصريحات التي ادلى بها ماريو سواريش زعيم الحزب الاشتراكي مؤخرا لمجلة « اوربيو » الايطالية والتي قال فيها « ان تهديد الديموقراطية في البرتغال لا ينبع من جانب الشيوعيين ، بل يأتي من جانب القوى اليمينية » .

كذلك أعربت كوادر الحزب الاشتراكي في بعض مناطق شمال البلاد عن ادراكها بأن تحطيم مقرات الحزب الشيوعي ، لم يكن الا مقدمة لمهاجمة تنظيماتهم ، ايضا من قبل القوى الاشد رجعية واقطاعية . ولذا يرى عدد كبير من المراقبين السياسيين ان اعتراف الاشتراكيين بحقيقة الخطر الرجعي في البرتغال يعد تغيرا كبيرا في موقفهم ، كما يرون أن هذا التغير هو الذي أتاح الفرصة لمواصلة الحوار الذي كان قد انقطع بين الاشتراكيين والشيوعيين ، خاصة في الوقت الذي يؤكد فيه الشيوعيون ان فصل الاشتراكيين عن جبهة النضال ضد الرجعية والفاشية ، خطأ انقسامي كبير .

ليس ذلك فحسب ، بل ان الحزب الاشتراكي ، وجه انتقاداته مؤخرا الى الحزب الديموقراطي الشعبي أحد حلفائه في الحكومة ، لتبنيه موقفا مناوئا للشيوعيين . وقال الحزب الاشتراكي في بيانه : ان مطالبة الحزب الديموقراطي الشعبي باخراج الحزب الشيوعي من الائتلاف الحكومي ، يهدد هذا الائتلاف ، وأكد أن « الاشتراكيين لا يزالون يؤيدون حكومة مؤلفة منهم ومن الحزبين الديمقراطي الشعبي والشيوعي » .

كل ذلك يعكس واقع ان المد اليميني والرجعي قد ، تجاوز الابعاد التي كان الحزب الاشتراكي قد رسمها له من قبل ، لدرجة أصبح يتعين عليه فيها أن يشترك هو ايضا في مواجهة خطر الرجعيين والفاشيين الجدد ، بعد أن احاط التهديد الفاشي بالعديد من لجانه في شمال البلاد .

ولقد أدت مجهودات الحزب الشيوعي البرتغالي لعقد لقاء يشترك فيه العسكريون من مختلف الاتجاهات في حركة القوات المسلحة ، والشيوعيون ، وحزب الجبهة الثورية الموحدة ، الجديد ، والاشتراكيون ، الى مزيد من التماسك في صفوف

قوى اليسار في البرتغال عامة وعلى حساب اليمين ، الامر الذي يدفع بعض المراقبين الى الاعتقاد بأنه قد يدفع ببعض القطاعات نافذة الصبر من اليمين المتطرف ، الى محاولة القيام بانقلاب رجعي مضاد ، خاصة وأن اليمين المتطرف لم يكتف بابعاد الجنرال جونسالفيش من رئاسة الحكومة السابقة ، اذ يردد ايضا ان رئيس الحكومة الحالي الاميرال دى ازيفيدو يساري ، أيضا » .

يضاف الى ذلك أن الصعوبات الاقتصادية التي تواجه البرتغال لا تزال تشكل مناخا ملائما لتفريخ النشاطات المضادة للثورة ، ذلك ان الشركات التجارية الصناعية الغربية زادت من خفض تجارتها مع لشبونة ، فلم تعد الصادرات التقليدية للبرتغال : النبيذ والفواكه والفلين والمنتجات الالكترونية والسفن الخ – تجد أسواقا لها ، كما أن فروع الشركات الاجنبية الكبرى راحت تخفض استثماراتها تدريجيا ، ونقلت الطلبيات التي كانت توجهها عادة الى البرتغال ، الى دول اخرى . مثل شركة التليفون والتلغراف الامريكية التي أوقفت تمويل فروعها مما يعنى تعطيل ٦٠٠٠ اخرين من العمال البرتغاليين .

فاذا كان الرئيس البرتغالي جوميش قد قام مؤخرا بزيارة للاتحاد السوفيتي ، فانه لم تعرف بعد ، حدود المساعدة التي يمكن أن يكون الاتحاد السوفيتي قد قدمها للبرتغال في ظرفها الصعب . كذلك فمن الواضح ان القرض الذي قرر وزراء خارجية دول السوق الاوروبية المشتركة تقديمه للبرتغال ، وقيمته ٨٢٥ مليون فرنك ، بفائدة قدرها ٣٠ في المائة بدلا من الفائدة المعمول بها وتبلغ ٩,٥ في المائة على أساس تحمل السوق الاوروبية الفرق بين هاتين الفائدتين ، هذا القرض لا يفي باحتياجات البرتغال الضخمة ، والتي أعلن وزير خارجيتها مؤخرا أنه سوف يبحث مع وزراء خارجية السوق سبيل الحصول على مساعدة مالية اضافية كذلك .

ومن ناحية اخرى ، ترددت مؤخرا بين الدوائر العسكرية في لشبونة ، شائعات قوية ، عن احتمال قيام اليسار المتطرف بانقلاب في اوائل هذا الشهر لاعادة الجنرال اليساري فاسكو جونسالفيش الى الحكم ، خاصة وان اليسار يقوم باعداد مؤتمرات يحتشد فيها الالاف من الاشخاص لانتقاد سلبيات ونواقص الحكومة الحالية ، بالاضافة الى ظهور حركة « انتصار الجنود المتحدين » في الشمال حيث اشترك اكثر من ٣٠٠٠ جندي وضابط في مظاهرات اليسار المتطرف في مدينة بورتو . يضاف الى ذلك أيضا ان الجنرال اوتيلو كارفاليو اليساري المتطرف ومجموعة الضباط اليساريين المتطرفين الذين يؤيدونه يسيطرون على نشاط القوات الخاصة [المظليين وقوات الصاعقة] .

ولذا ترى صحيفة « اوسيكولو » ان التجمع العسكري اليساري عامة لم يفقد بأي حال قدرته على رد الضربة التي وجهت اليسار عامة بابعاد الجنرال جونسالفيش من رئاسة الحكومة ، ولم يتخل عن جهوده لاحداث تأثير سياسي في البلاد ، لمصلحة تطور الثورة .

وعلى أية حال ، فان تطور علاقات القوى على هذا النحو يدفع بعض المراقبين السياسيين في لشبونة للاعتقاد بامكانية ثالثة تتمثل في قدرة حكومة دى ازفيدو الحالية على الوقوف سدا منيعا امام الرجعية ومؤامراتها . ويرى هؤلاء المراقبون ان الأزمة السياسية الحالية يمكن أن تصل الى نهايتها ، اذا أصرت الحكومة على تنفيذ برنامج الاصلاحات الذي اعدته ، على أساس حصولها على الدعم الواسع للجماهير الشعبية الموحدة في الكفاح ضد دعاة « الرأسمالية الجديدة » من أنصار اليمين المتطرف ، الذين يطمحون ويحلمون باعادة البلاد الى الديكتاتورية الفاشية من جديد .

■ اسبانيا

هل هو الاحتفال الاخير بذكرى ٨ ابريل ؟

يرى أغلب المعلقين السياسيين في الغرب والشرق على السواء ، أن النظام الاسبانى يواصل فرض نطاق متزايد من العزلة حول نفسه ، خاصة بعد اعدام خمسة من الثوار الشبان الذين ينتمون الى اقليم الباسك •

فقد عمت البلاد بعد تنفيذ أحكام الاعدام موجة من الاضرابات والاحتجاجات ، أغلقت فيها المصانع والمدارس ، والمتاجر والحانات ، فى وقت قام فيه ١٢٠٫٠٠٠ شخص فى اقليم الباسك وحده بالاضراب تنفيذا لتوجيه المنظمات الثورية هناك ، وقد اتسع نطاق حركات الاضرابات فى بلد اتسم أساسا بالتزايد واسع النطاق لهذه الحركات ، حتى طبقا للاحصاءات الرسمية ، اذ بلغ عددها خلال العام الاخير وحده ٢١٩٦ اضرابا اشترك فيها حوالى ٧٠٠٫٠٠٠ عامل فى ١١٤١ منشأة ، وذلك على الرغم من حظر النظام القائم للاضرابات قانونيا •

وقد أثارت عملية اعدام الثوار الخمسة سخطا واسع النطاق فى الخارج ، فسحبت معظم بلدان اوربا الغربية سفراءها من أسبانيا ، فى نفس الوقت الذى حظت فيه هذه العملية باستنكار كل القوى الوطنية والديموقراطية فى العالم فضلا عن استنكار بلدان المعسكر الاشتراكى ، كذلك أوشكت العلاقات بين أسبانيا والفاتيكان على الانقطاع ، برغم الثقل الذى تتمتع به الكنيسة الكاثوليكية فى الحياة الاسبانية عامة ، واعرب الرئيس فورد نفسه ، حليف النظام الاسبانى عن أسفه لهذه الاحداث ، وهكذا أضحت أسبانيا • حتى داخل العالم الغربى ، معزولة من كل المنظمات الاوربية : حلف الاطلنطى ، والسوق المشتركة ، والبرلمان الاوربى •

كذلك لم يفت الولايات المتحدة أيضا استغلال العزلة التى يعانى منها النظام الاسبانى ، وذلك عند ابرام الاتفاق الاسبانى ـ الامريكى مؤخرا ، بشأن استمرار الوجود الامريكى فى أسبانيا ، فلم يكن فى وسع مدريد رفض العروض التى قدمها حليفها الامريكى ، مهما كانت ضئيلة ، والنتيجة أن الاتفاق الجديد يعتبر أسوأ من الاتفاق السابق ، وترتب على عقده فى هذه الظروف ، خفض جذرى فى المطالب الاسبانية تتراوح قيمته بين ٥٠٠ و٧٠٠ مليون دولار ، بعد أن كانت اسبانيا تطالب أمريكا بـ ١٫٥ مليار دولار لتطوير الجيش الاسبانى . كذلك فقد عقد هذا الاتفاق فى الوقت الذى يطالب فيه قطاع كبير من الرأى العام الاسبانى بخروج الامريكيين فورا من أسبانيا •

وبالاضافة الى ذلك ، فان الازمة الاقتصادية الراهنة فى العالم الرأسمالى ، تأخذ فى أسبانيا بعدا خاصا ، اذ أدت مؤخرا الى توسيع قاعدة المعارضة للنظام ، لانها لم تعد تشمل فحسب الطبقة العاملة الاسبانية ، وانما قطاعات عريضة من السكان • وقد بلغ الارتفاع الحقيقى فى تكاليف المعيشة وفقا لبيانات جمعيات ربات البيوت الاسبانية ٣٤ فى المائة فى الغذاء ، و٢٥ فى المائة فى الملابس والاحذية ، و٣٨ فى المائة فى منتجات التنظيف و٥٠ فى المائة فى النقل والمواصلات ، و١٩ فى المائة فى التعليم و٣٨ فى المائة فى الملاهى ، و١٧ فى المائة فى السكن ، و٢٣ فى المائة فى الكهرباء والغاز •

وقد انكمشت السياحة ، وبدأت شركاتها تعلن افلاسها واحدة اثر الاخرى ، بما فيها شركات الرحلات والمبانى والفنادق الكبرى • وتفشت البطالة حيث بلغ عدد العاطلين أكثر من نصف مليون عامل ، فى الوقت الذى أخذ فيه الشبان يهجرون القرى للعمل فى القطاعات غير الزراعية ولم يبق فى الاراضى الا الشيوخ والعجزة والنساء والاطفال ، مما كان له أثره فى اضمحلال الانتاج الزراعى ، وبدأ عشرات الالوف من العمال الاسبان المهاجرين الى الخارج فى العودة الى بلادهم ، مفلسين مهزومين بسبب الازمة المنتشرة فى مختلف الدول الرأسمالية ، وانضمامهم فى اسبانيا الى قوافل الباحثين عن عمل أمام مكاتب التشغيل ، تضاف الى كل ذلك مشكلة الصحراء المغربية ، التى أصبحت تشكل عبئا على اسبانيا بسبب التكاليف التى تنفقها هناك ، والتى تزيد عما تفيده من دخل المنطقة من مناجم الفوسفات •

كل ذلك ادى الى تفجر اضرابات كبيرة مثل اضراب الاطباء الداخليين ، ومصانع سيات للسيارات فى برشلونة وفاسارينو ، وفى بلد الوليد واشبيلية الخ • كذلك فقد عاشت منطقة الباسك واقليم قطالونيا ونافار طوال السنة الماضية فى مناخ اضراب عام شل النشاط الصناعى فى هذه الاقاليم • وبصورة عامة ، كان عمال الصناعات المعدنية والبناء على رأس حركة المطالب ، ولكن تبعهم مؤخرا عمال البنوك ، والنسيج والصناعات الكيماوية ، والنقل ، والكهرباء ، والاحذية ، والمناجم ، والاخشاب ، والجلود ، والعمال الزراعيين ، وعمال المطابع والصحف ، والبريد والادارات المحلية ، بل وبوليس البلدية فى بعض الاحيان ، ولاول مرة فى تاريخ أسبانيا ، أضرب ممثلو ومديرو دور السينما والمسرح ، بل واضرب موظفو الوزارات • وقد اصبح العمال الاسبان فى مقدمة الاحصائيات العالمية الخاصة بعدد ساعات الاضراب ، وذلك على الرغم من النظام الذى يصدر أحكاما بالسجن قد تصل الى عشرين عاما على مجرد عقد اجتماع غير قانونى من العمال •

وازداد نضال حركة القساوسة اتساعا فى سبيل التضامن الايجابى مع هذه الحركات ، لدرجة أن الاجراءات العنيفة المضادة التى لجأت اليها الحكومة لم تمنعهم من اتخاذ مواقف علنية ، ولم تحل الغرامات الفادحة الكثيرة التى فرضت على القساوسة فى اقليم نافار مثلا ، دون اصدار بيان بتوقيع ٩٦ من القساوسة الاندلسيين ، يندون فيه بالهجرة والبطالة وغلاء المعيشة ونقص المدارس والقمع المستمر ، وفقدان الحريات الخ ويؤكدون فيه : « تضامنهم مع كل الذين يعملون من أجل مجتمع أكثر عدالة » • وعلى وجه العموم ، فقد تفاقمت الخلافات كذلك بين الحكومة والكنيسة فى الفترة الاخيرة •

ويرى عديد من المعلقين السياسيين أن « المناورة » التى يقوم بها النظام ـ حسب تعبيرهم ـ تحت شعار « المشاركة » باءت وتبوء بالفشل • وكان أرياس نافارو رئيس الوزراء قد وعد فى فبراير ١٩٧٤ باجراء انفتاح سياسى ، على أساس المشاركة ، وبعد أن تدخل كل جماعة سياسية مسموح بنشاطها فى الحزب الحاكم ، وتخفيف الرقابة على الصحف وقد أدى سقوط النظام الفاشى فى البرتغال ، ومرض الجنرال فرانكو منذ ١٩٧٤ ، الى تعلق عدد من القطاعات السياسية الاسبانية بالفعل بالمشاركة والتحويل الليبرالى للنظام •

وكان نافارو يستهدف « بالمشاركة » تحقيق هدفين رئيسيين ، الاول اثبات أن نظام الحكم يمكن أن يأخذ بالديموقراطية فى اطار القوانين السارية ، وذلك من أجل قبول أسبانيا فى السوق الاوربية المشتركة ، وقد انتهى هذا « الهدف » الاوربى لحكومة نافارو بفشل ذريع ، عندما استقبل رئيس البرلمان الاوربى ، وفد « المجلس الديموقراطى » الاسبانى الذى يمثل تحالف القوى المعارضة فى أسبانيا والذى كان بمثابة تأييد معنوى وسياسى دولى للمجلس •

وكان هدفه الثانى أن تبقى داخل كتلة جنرال فرانكو بعض القطاعات التى ابتعدت عن النظام ، بل وأن تكسب جماعات

بورجوازية واصلاحية جديدة حيث اجتذبتها الوعود « الليبرالية » ، ولكن ذلك لم يتحقق وأثبت النظام فى نظر عديد من المراقبين السياسيين عجزه عن التطور نحو الديموقراطية كذلك نهناكقطاعات كانتفى الماضى قريبة جدا من النظام ، أخذت تبتعد عنه أكثر فاكثر • وقال أحد المعلقين النقابيين الاوربيين بهذا الصدد « ان كثيرا من الذين انجذبوا فى البداية الى فكرة « الجماعات » و « المشاركة » التى دعا اليها نافارو ، قد أدركوا أنها وسيلة لادخالهم فى قلعة ديكتاتورية لا مستقبل لها » • وهكذا تهاوت آمال الذين اعتقدوا بأن ليبرالية النظام ممكنة •

وتقدم ١٣ نائبا فى البرلمان الاسبانى خلال هذا العام بطلب الى الحكومة الاسبانية بالغاء احتفال ٨ ابريل « ذكرى انتصار « الكتائب » اليمينية على اليسار الجمهورى فى أواخر الثلاثينات » على أساس تضميد الجراح « وأن الاحتفال بالنصر تذكير للآخرين بالهزيمة » ، فاذا كان قد تبين بالفعل أن الاحتفال بهذه الذكرى هذا العام ، كان فاترا وشاحبا ، فان عديدا من المراقبين السياسيين فى الغرب والشرق على السواء يتساءلون حقا « هل سيكون هذا العام هو اخر عام تحتفل فيه أسبانيا بهذه الذكرى ؟ »

O

■ فيينا :

هل نجحت استراتيجية كيسنجر النفطية ؟

رغم ان نتائج مؤتمر الطاقة للدول المصدرة للنفط الذى عقد بفيينا فى النصف الاخير من شهر سبتمبر الماضى ، لم ترض طموح الدول المصدرة للمواد الاولية •• فانها أيضا لم تحقق رغبات اتحاد الطاقة الفيدرالى الامريكى فى وأد أى محاولة لزيادة الاسعار بشكل مطلق •

ولذا فقد علق السيد فرانك زارب مدير الاتحاد الفيدرالى على قرار المؤتمر برفع الاسعار ١٠ فى المائة بعبارة واحدة « انه شىء مقزز » ، على أن هنرى كيسنجر انبرى للدفاع عن هذه الزيادة المتواضعة ، واعتبرها خطوة ناجحة فى سياسته البترولية الجديدة • وقال بالتحديد معقبا « انها أكثر مما كنا نرغب ، واقل مما كنا ننتظر » • وذلك فى مواجهة الديمقراطيين الذين ينادون بسياسة « الاستقلال البترولى » ، والذين برروا تمسكهم بهذه السياسة ، بأنهم لم يوقعوا على قانون تنظيم أسعار النفط فى ٢٥ سبتمبر الماضى ، ليفاجئوا بزيادة الاسعار هذه ، وأنهم بمجرد انتهاء فترة السماح التى وضعوها للشركات البترولية الامريكية حتى ١٥ نوفمبر الحالى فانهم سيرفعون ايديهم عن قضية تنظيم السوق النفطية الداخلية ، وهذا ـ فى رأيهم ـ مطلب عادل تجاه فوضى زيادة الاسعار النفطية العالمية •

ويرى المراقبون أنه لو تم ذلك سيكون أكبر ضربة توجه الى سياسة كيسنجر النفطية الجديدة ، وهى السياسة التى لم يتنبه الكثيرون وخاصة العرب اليها ، عندما نشر الخبير الاقتصادى الامريكى جوزيف كرافت مقالا له بجريدة الهيرالد تريبيون انترناشيونال بتاريخ ٢٠ـ٨ـ٧٥ ، بعنوان « دبلوماسية الولايات المتحدة النفطية الجديدة » •• فتحت هذا العنوان تعرض الكاتب لخطة كيسنجر فى مواجهته للدول النفطية • وأوضح أن كيسنجر بصدد استخدام سياسة « مكوكية » نفطية تقتضى تغييرا أساسيا فى السلك الدبلوماسى يشمل بالتحديد ، سفراء الولايات المتحدة فى كندا ، وبروكسل ، والسعودية •

والغرض من هذا هو تجنب ما أسماه « شيزوفرانيا » الدبلوماسية النفطية القديمة والحصول على قيادات قادرة دبلوماسية على تنفيذ السياسة الجديدة فى عاصمة الاوبك«الرياض» ، وعاصمة الدول المستهلكة«بروكسل» ، وعاصمة الدول الحليفة«تورنتو» ، وذلك لمواجهة سلبيات السياسة النفطية السابقة التى كانت تنقسم الى شقين :

اولا : المساومة بأسعار النفط ، نظير حل مشكلة الشرق الاوسط ، وقد فشلت هذه الاستراتيجية باستجابة السعودية لضغوط دول الكارتل المصدر العربى « الاوابيك » ، « منظمة الدول العربية المصدرة للبترول » •

ثانيا ، تنظيم الدول المستهلكة فى مواجهة الدول المصدرة • وقد فشلت هذه الاستراتيجية أيضا بتسرع باريس المناوئة لبروكسل بالدعوة للمؤتمرات الجماعية التى تشمل الدول المصدرة ـ والمستوردة ـ والعالم الثالث •

أما الاستراتيجية الجديدة فهدفها ان تكون ٩٠ فى المائة من اوراق اللعبة النفطية فى أيدى كيسنجر • وهذا معناه تفتيت هيئة المتحاورين سواء فى مؤتمرات الدول المصدرة أو المستوردة او مؤتمراتهما الجماعية وقد شهد مؤتمر فيينا تطبيقا عمليا لهذه السياسة بدأت بالتهديد ، وانتهت بالتفتيت ، وكانت المحصلة هذه الزيادة المتواضعة فى الاسعار • وهى نتيجة منطقية لما حدث قبل وأثناء المؤتمر •

ففى ظل تهديد عارم من فورد فى سان فرانسيسكو برصد أكبر ميزانية فى التاريخ لمواجهة سلاح النفط ، واعتماده الاولى لـ ١٠٠ بليون دولار للبحث عن مصادر أخرى ، وهو ما يعتبر خطوة عملية ودعائية قوية فى مواجهة تحركات غريمه الديمقراطى كيندى « بعد زيارته لدول الخليج » ، وأيضا بعد تقرير دونالد كرافين مدير ادارة التنمية الذى تنبأ فيه بكارثة تضخم حادة نتيجة مايتوقع من زيادة تسيد الاستيراد الى ٤٠ فى المائة ، خاصة بعد فشل تجربة بترول الاسكا المبدئى ومشاكل الاتفاق حول غاز سيبريا التى عادت للظهور مرة أخرى •

وعلى ضوء تهديدات كيسنجر بانه على استعداد لان يفعل أى شىء ليكسب معركته الاقتصادية مع وزير الخزانة ويليام سيمون ومع خصومه فى مجلس الشيوخ ، وأنه لن يسمح ـ بالتالى ـ لاى زيادة سعرية أن تتعدى ٧ فى المائة وهو السعر الامثل الذى يمكن أن يكسب به رضى شركات النفط الامريكية فى معركته القادمة •

وعلى ضوء جو الانقلابات الذى اجتاح العالم الثالث ، ضد نيجيريا احدى دول الاوبك ، والشبهات التى أحاطت بالمخابرات المركزية بعد مصرع المرحوم الملك فيصل من قبل ، وفى ظل فشل مؤتمر ليما ومشروع دول الـ ٧٧ فى الدورة السابعة الطارئة ، والدورة الثلاثين للجمعية العامة ، بسبب تعسف قرارات المؤتمر الثلاثين الموحد للبنك الدولى وصندوق النقد تقول فى ظل هذه الظروف ـ مجتمعة ـ انعقد مؤتمر الدول المصدرة فى فينا بعد ١٥ عاما من انشاء المنظمة وبعد سنتين من قرار تسييس سلاح النفط ليجد نفسه فى دوامة الانتكاسة التى حدثت بين صفوفه ، فقد انقسمت الدول الاعضاء الى حمائم ترى ضرورة التراجع عن فكرة التسييس • ودلل اصحاب هذا الرأى على ان اتفاقية الفصل بين القوات الاخيرة ربما لن تتم اذا تشددت الدول العربية • وان هذا معناه احراج موقف كيسنجر أمام اعدائه • وقالوا ان هذا قد يدفع هذا اسرائيل الى التعنت بشأن التصديق على اتفاقية الفصل ـ « وكانت اسرائيل حتى هذه اللحظة لم توقع على الاتفاقية منتظرة موافقة الكونجرس » ـ فضلا عن ان المتشددين فى اسرائيل يستعدون

الرأى العام ضد قرار زابين الاخير برفع ثمن الجازولين ، ويربطون بينه وبين عودة أبو رديس الى مصر وبين اتجاه الدول المصدرة لل... — ومعظمها عربية — لرفع الاسعار • ولذا فان الحمائم — وتتزعمهم السعودية بجانب دول الامارات العربية — يرون ان تزيد الاسعار ولكن ، بنسبة لا تتعدى من ٥ فى المائة الى ١٠ فى المائة • وهدد اليمانى بانه سيقاطع المؤتمر • وسافر فعلا الى لندن • واجرى حديثا تليفونيا مع كيسنجر بهذا الصدد • وقد اتخذ اليمانى هذا الموقف بعد ان وقف الصقور البيتروليون مثل ايران وفنزويلا ضد أى حوار سياسى بشكل عام ، بدعوى انه لا علاقة لهم بمشاكل الاوابيك السياسية ، وان أصرارهم على رفع الاسعار مسالة اقتصادية خاصة بالوضع العالمى النقدى • هذا بينما رأى الصقور العرب مثل العراق وليبيا والجزائر ، ان اتفاقية الفصل يجب الا تؤثر على استخدام سلاح النفط ، لان هذا معناه عزلة الاوابيك العربى داخل الاوبك العالمى • واوضحوا أن الامبريالية العالمية سوف تستفيد من ذلك وربما ايضا العربية السعودية زعيمة الحمائم • واضافوا : انه اذا لم تستمر قضية تسييس سلاح النفط حتى تتحقق مقررات بغداد والكويت لعام ١٩٧٣ والخاصة بعودة الاراضى وحقوق شعب فلسطين ، فان العرب يكونون قد اغمدوا سلاحهم بعد اول جولة •

•• فضلا على انهم يحطمون الاوبك بمثل هذه التصرفات ، واوضحوا ان العظمى لاتمانع فى زيادة الاسعار باعتبار انه مطلب اقتصادى يمكن استغلاله فى قضية التسييس • وتساءلوا : كيف سنطالب بتكوين تنظيمات أخرى للمواد الاولية تطالب بالتالى برفع أسعارها • ؟! ، ثم كيف تطرح الحمائم هذه التصورات فى وقت هى مقدمة فيه على الدخول فى معركة شرسة مع الشركات الاجنبية حول المشاركة ؟ وحتى اذا كانت قد حصلت على ضمانات من كيسنجر برفع نسبة المشاركة اثناء زيارته الاخيرة للمنطقة • ثم كيف يكون موقف الدول العربية امام العالم وقد رفضت لواء رفع الاسعار الى نسبة ٣٥ فى المائة منذ أيام ، ثم بين عشية وضحاها نأتى لنطالب فقط ب ٥ فى المائة ؟! تلك أسئلة طرحها الصقور العرب واجابوا عليها بأن عدم تسييس سلاح النفط وتحييده هو خدمة لاسرائيل •

وفى اليوم الرابع للمؤتمر تنازلت الجزائر عن تشددها وقنعت ايران بوجهة النظر الامريكية ، وعاد اليمانى ليوافق على رفع النسبة الى ١٠ فى المائة كحل وسط ، وصدر بيان مقتضبا من فقرتين يشير الى ان المؤتمر الوزارى الذى عقد فى الفترة من ٢٤ الى ٢٧ سبتمبر للاوبك قد قرر ما يلى :

١ — زيادة اسعار النفط بنسبة ١٠ فى المائة « للدول العربية المصدرة فقط » ، وتسرى هذه الزيادة منذ بداية شهر اكتوبر حتى يوم ٣٠ يونيو عام ١٩٧٦ ثم يعاد النظر فيها •

٢ — تهنئة حكومة فنزويلا لقرارها بتأميم صناعة البترول فيها ، ويؤيد خطواتها فى سبيل سيطرتها الكاملة على نفطها •

ولم يفت كيسنجر ان يشكر الوزراء العرب على هذا البيان المقتضب فى نيويورك اثناء انعقاد الدورة الثلاثين للجمعية العامة ، وفى حفل فخم وزع عبارات الامتنان والاطراء على مواقف الحمائم ، ثم أشار الى **انه بمثل هذه المواقف سيتم التفاهم بين العرب والولايات المتحدة** ، فى سبيل حل عادل لمشكلة الشرق الاوسط ، ولحقوق شعب فلسطين • الا ان عديدا من الصحف العربية علقت بما معناه انه اذا كان هنرى كيسنجر حريصا فعلا على ارساء دعائم الحلول العادلة لمشكلة الشرق الاوسط كما يدعى فلماذا لم يسع الى حل عادل لمشكلة اسعار النفط ؟! ■

■ **الامم المتحدة !!**

جنوب أفريقيا جديدة فى غرب آسيا

تقدمت ٢٠ دولة عربية وكوبا وافغانستان وغينيا ، مشروع قرار الى اللجنة الاجتماعية الانسانية الثقافية التابعة للامم المتحدة ، باعتبار الصهيونية شكلا من اشكال العنصرية والتفرقة • ووافقت اللجنة باغلبية ٧٠ ضد ٢٩ صوتا وامتناع ٢٨ دولة عن التصويت على عرض مشروع القرار على الجمعية العامة للامم المتحدة • واثار القرار عاصفة من الجدل ، فقد عارضته الدول الغربية بقيادة الولايات المتحدة وبعض توابعها فى العالم الثالث ، بينما ايدته غالبية الدول النامية والدول الاشتراكية • وقال المندوب الامريكى فى اللجنة « ان هذا القرار من شأنه ان يجدد ظهور الموجة المعادية للسامية » واضاف « ان هذا عمل قبيح سيعرض اعمال الامم المتحدة لخطر كبير » كما عقد ممثل امريكا فى الامم المتحدة مؤتمرا صحفيا حذر فيه من ان القرار الذى يحال الى الجمعية العامة لا يترتب عليه فقط ان تلغى امريكا مشاركتها فى برنامج الامم المتحدة لمكافحة العنصرية ، بل سيؤدى ايضا الى عواقب وخيمة وسوف يتصدى الكونجرس بلا شك لهذا القرار » •

وبالمثل اعلن ممثل السوق المشتركة ان دوله سوف تصوت ضد مشروع القرار عند عرضه على الامم المتحدة • واضاف ان الموافقة على القرار سوف يترتب عليها عواقب وخيمة لدى الرأى العام العالمى • كل هذا على الرغم من ان الدول العربية والافريقية التى ايدت القرار ، قد اعلنت ان القرار لا يستهدف الديانة اليهودية أو اليهود ولا ينطلق من العداء للسامية ، وانما هو ضد الدولة العنصرية اليهودية • وقال ممثل الاردن فى اللجنة الاجتماعية ان رفض الدول الاوربية للقرار ، يثير شكوكا خطيرة حول جدية نواياها فى تأييد برنامج الامم المتحدة خلال العام القادم •

وانطلق حاييم هيرتزوج ممثل اسرائيل فى الامم المتحدة ، فى تصريحات محمومة لادانة القرار فوصفه بأنه « قرار ماكر وشرير ينطلق من العداء للسامية ويؤيده الذين يريدون نسف السلام فى الشرق الاوسط • ويحرف الانظار عن الهدف الحقيقى وهو مقاومة العنصرية » واضاف انه « جزء من مخطط خطير معاد للسامية يقف وراءه الذين اقسموا على افشال التحرك الراهن لاعادة الاوضاع الطبيعية للشرق الاوسط ، وتحقيق السلام فى النهاية » وقال انه « سيكون يوما حزينا للامم المتحدة والانسانية ، اذا ما تم جر هذه الهيئة العالمية الى هذه المناقشة ذات النتائج المأساوية » واستطرد يقول انه « حرب سياسية ضارية وماكرة ، ومحاولة جديدة من قبل اعداء الشعب اليهودى لحرمانه من وطنه » ، وتصاعد بالتصريحات فقال انه « افلاس اخلاقى للامم المتحدة » وقال راديو اسرائيل انه « أول هجوم دولى منظم على الدين اليهودى منذ العصور الوسطى » وانه يستهدف « تحطيم جذور اسرائيل » وانساقت الصحف الغربية ووسائل الاعلام فى اوروبا وامريكا تدين وتهدد ، وعلا صراخ الصحف والاحزاب الاسرائيلية تشجب القرار ، عدا حزب راكاح — القائمة الشيوعية العربية — فقد ايد القرار وسانده انطلاقا من نظريته فى اعتبار الصهيونية حركة عنصرية تخدم الاستعمار والرجعية •

وكانت اللجنة الاجتماعية قد وافقت قبل ذلك على قرار بادانة حلف الاطلنطى لتعاونه على النظم العنصرية ، وادانة كل الحكومات التى لا تعترف بحق الشعوب فى تقرير مصيرها وفى الاستقلال • وأدانت اللجنة اخضاع الشعوب الاخرى

واضطهادها ، خاصة شعوب افريقيا والشعب الفلسطيني • وكانت تقصد بذلك جنوب افريقيا واسرائيل • وقد عارضت هذه الاخيرة القرار ، لانه من جانب يؤكد حق الشعب الفلسطيني ، ومن جانب آخر يكرس حق الشعوب في النضال من أجل استقلالها بكل الطرق المتاحة لها بما في ذلك النضال المسلح •

ويعتقد المراقبون أن القرار يمثل نقطة تحول في نزاع الشرق الاوسط ، لانه ينسف الاساس الاخلاقي والمعنوي والقانوني لدولة اسرائيل بمجرد وصفها بأنها « دولة عنصرية » ، ويتضمن حظر تكثيف عمل الامم المتحدة ضدها ـ كما حدث مع جنوب افريقيا ـ بما قد يؤدي الى طردها منها • وقد اعرب المسئولون الاسرائيليون عن خشيتهم من أن القرار يمهد لجعل « اسرائيل جنوب افريقيا ثانية » • ومع ان اللجنة الاجتماعية التي اقرت المشروع تضم جميع دول الامم المتحدة « ١٤٢ عضوا » الا ان اسرائيل وامريكا تأملان في نتيجة أخرى عند عرض المشروع على الامم المتحدة ، خاصة وانهما كثفا عملهما لتعبئة بعض الدول ضد القرار • وكانت بعض الدول الافريقية مثل اثيوبيا وليبريا وباربادوس وسيراليون ، قد عارضت المشروع على زعم انه يعطل المشروع الافريقي باعتبار العشر سنوات القادمة فترة كفاح من أجل انهاء التفرقة العنصرية ، وهو مشروع موجه في الاساس ضد جنوب افريقيا •

لكن المراقبون لا يشاركون اسرائيل امنها ، فيقول جون نيوها معلق اليونيتدبرس انه من المستبعد ان تتحقق اماني اسرائيل ، ولو حدث ما تخشاه هذه الاخيرة وهو الارجح حتى الان واقرت الجمعية العامة القرار ، فانه سيعني التزام الامم المتحدة بمحاربة الصهيونية في كل مكان • وهذا شيء لا تستطيع اسرائيل ان توائم نفسها معه ، لانها تعتبر الصهيونية هي الاساس السياسي لوجودها •



■ حلف جنوب شرق آسيا :

الحلف الذي نفــق

في ٢٤ سبتمبر الماضي ، توقف النبض الخافت لحلف جنوب شرق آسيا • وأعلنت الدول الستة الاعضاء به في بيان نعي الحلف ، انها تؤمن بانه « أدى رسالته » • وهذه الدول الستة هي الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى ، واستراليا ، ونيوزلندا ، والفلبين ، وتايلاند ، وفي البدء كان الحلف يضم بالاضافة الى هذه الدول فرنسا وباكستان ، لكنهما انسحبتا منه •

وقد اجتمع ممثلو الدول الستة في نيويورك في اطار اجتماعات الجمعية العامة للامم المتحدة ، وقرروا أن الحلف الذي اقامته الولايات المتحدة منذ عقدين « لاحتواء الانطلاقة الشيوعية في المنطقة » ، يجب أن يصفى دريجيا خلال العامين القادمين • كما اتفقوا على تحويل بعض نشاطات الحلف خاصة التكنيكية والاقتصادية ، الى منظمات أخرى ثنائية أو متعددة القوميات • والمعروف ان الحلف يتبعه ـ في هذا الجانب ـ مكتب اقتصادي ثقافي ، ومركز أبحاث طبيه وورشة للمركبات ، ومعهد لابحاث القبائل ، ومركز لتطوير المجتمع ، ومركز لتنمية العمالة الماهرة ، ومركز للابحاث الزراعية • وفي الجانب العسكري كان للحلف : مجموعة من المستشارين العسكريين ، ومكتب للتخطيط العسكري •

ويرى المراقبون أن السبب الاساسي في انهيار الحلف يرجع الى هزيمة الولايات المتحدة في فيتنام ولاوس وكمبوديا ، كما يرجع الى ادراك معظم حكومات المنطقة أن عمالتها لامريكا لن تجر عليها سوى الوبال ، جعلها تبدأ في ادخال تعديلات على سياستها الخارجية ، وفي علاقاتها الاقليمية والدولية حتى وان كانت مظهرية لا تنال من جوهر التبعية • وقد طالبت الفلبين وتايلاند باعادة النظر في اتفاقياتها حول القواعد العسكرية الامريكية • وبدأ العمل لاقامة نوع من التجمع الاقليمي • فدعا رئيس الفلبين الى مؤتمر قمة آسيوي ، واقترح أن يضم مبدئيا الفلبين وتايلاند واندونيسيا وكوريا الجنوبية وماليزيا وسنغافورة • ورفعت الفلبين شعارين : ان آسيا تستطيع أن تقف وحدها دون عون أمريكي ، وانها تستطيع بعد التخلص من التحالفات العسكرية مع أمريكا أن تنضم لمجموعة عدم الانحياز •

وعرضت فيتنام الشمالية على الدول المجاورة في جنوب شرق آسيا ، انشاء نوع من السوق المشتركة بين ٩ دول هي فيتنام ولاوس وكمبوديا وبورما وتايلاند واندونيسيا وسنغافورة والفلبين • وتضم ٣٠٠ مليون نسمة • وقالت ان جنوب شرق آسيا ملك لابنائه وحدهم وان المنطقة بثرواتها الهائلة ، وبالتعاون الودي فيما بينها تستطيع بالتأكيد بناء حياة جديدة مريحة لسكانها •

لقد قضت هزيمة أمريكا على الحلف الذي ولد غداة هزيمة فرنسا في شبه جزيرة الهند الصينية • وتقول « لوموند » ان الحلف الذي وقع في مانيلا في ٨ سبتمبر ١٩٥٤ ، كان يحمل طابع العصر الذي ساده هوس الاحلاف الذي غذاه دالاس ورغبة واشنطن في احتواء القوى الاشتراكية • ورغم أن الحلف كان اسمه حلف جنوب شرق آسيا ، فقد كان محققا لمصالح الغرب • اما الاعضاء الاسيويون فيه فكانوا مجرد تابعين بما في ذلك استراليا ونيوزلندا • لقد أراد دالاس اقامة سور يرتبط بحلف الاطلنطي أمام المد في فيتنام الشمالية والصين • ومع ذلك لم يكن للحلف أية قوات مشتركة تحت قيادة واحدة كما في حلف الاطلنطي • كما أن ميزانيته كانت تافهة • ولم يستطع الحلف أن يلعب أي دور في الصدام الذي دار رحاه في المنطقة بين أمريكا وشعب فيتنام ، ولا في صدامات دول المنطقة : الصدام بين كمبوديا وتايلاند ، حول غينيا الجديدة البرتغالية ، وبين ماليزيا واندونيسيا ، بين كوالالمبور ومانيلا • وكان العمل الوحيد للحلف هو التدخل بناء على طلب أمريكا في مارس ١٩٦١ ، لوقف هجوم الباثيت لاو في لاوس وعارضت فرنسا ذلك • ولكن هذا التدخل ذاته كشف عجز الحلف وعدم فاعليته • فقد بين اختلاف الشركاء « فرنسا وأمريكا » وعدم اهتمام هذه الاخيرة برأي حلفائها وتجاهلها للحلف وتدخلها في معارك المنطقة بقرار منفرد • وفي ١٩٦٧ ، أعلنت فرنسا الكف عن المشاركة في نشاطه وأوقفت المساهمة المالية من ١٩٧٤ ، وانسحبت منه باكستان في ١٩٧٢ • وظل دور الحلف يتضاءل حتى اصبح كما قال كيسنجر مجرد « اساس قانوني لعمليات ثنائية في الاساس » • ولقد استغلته امريكا لتبرير تدخلها في فيتنام • وانكرته عندما وقعت مع تايلاند في ١٩٦٥ « اتفاقا سريا » لم تخطر به الشركاء الاخرين •

لكن تجربة فيتنام أقنعت واشنطن نفسها ، بأن يكون استخدام القوة المسلحة بطريقة أكثر رشدا وعلى أضيق نطاق • وفي هذا الجو لم يعد لذلك الاطار التشريعي ، أي جدوى • ولا يعني هذا ان الولايات المتحدة تتخلى عن مشاريعها للسيطرة على المنطقة ، خاصة على الممرات المائية فيها • ولقد اهتمت

بدعم أساطيلها في المنطقة وبقواعدها في اليابان والفلبين واندونيسيا وسنغافورة ودييجوجاريتا ، مع استخدام مكثف للسياسة الاقتصادية والنقدية ، لزيادة اعتماد دول المنطقة وتبعيتها للولايات المتحدة ، وجعل العقاب الاقتصادى أكثر

فاعلية • واستغلت في ذلك ما يسمى « اتحاد امم جنوب شرق آسيا » ، ويضم اندونيسيا وماليزيا والفلبين وسنغافورة

وتايلاند • ذلك ان أمريكا تسعى لتحويل التجارة والمعونات الى روافع أساسية في المنطقة ، مع ابقاء القوة العسكرية كملجأ أخير ::مل • لذلك لم تمانع الولايات المتحدة في مساعدة نظم الفلبين وتايلاند على الظهور بمظهر المنادين بالاستقلال ، شرط أن يزداد اعتمادهما على رؤوس الاموال الامريكية • لكن

الامريكيون لم يتعلموا شيئا من تدخلهم الذى استمر ٢٥ عاما في آسيا كما تقول « لوموند » ، ذلك ان السبب الموضوعى لرفض السيطرة الامريكية والنظم التابعة ، مازال باقيا وهو رغبة شعوب المنطقة في التحرر الاقتصادى • ومن ثم فالعدوان

الاقتصادى لن يكون أسعد حظا من العدوان العسكرى • بل انه ـ على النقيض من ذلك ـ سيكثف الصدام ويفاقمه خصوصا وأن مصالح بعض الشركاء في المرة السابقة ـ وبصفة خاصة فرنسا ـ تتناقض مع المصالح الامريكية في المنطقة • وكذلك الامر بالنسبة لليابان التى تبحث لها عن مجال اقتصادى في المنطقة ، أما استراليا فلم يعد لها نفس الحماس للخطط الامريكية •

رسالة غينيا بيساو

• هنـــا تولـد أفريقيـــا من جـــديد !

بيســاو ـ من د• رفعت السعيد :

كانت الطائرة تهبط ، والمضيفة تعلن اننا نقترب من مطار بيساو ، وصوت المحركات الاربع يتلاشى أمام ضجيج جديد ، آلاف من المستقبلين أغلبهم من النساء احتشدوا في المطار يحيون القادمين من أعضاء رئاسة المجلس العالمى للسلام التى قررت عقد اجتماعهافى بيساو،عشية الاحتفالات بالذكرى الاولى للاستقلال .

آلاف من الافريقيات كل منهن تمسك بقطعتى خشـب ، أو علبتى بيرة فارغتين وتضربهما معـا برفق ، وتمتزج الاصوات في حنين غريب مع صوت المغنيات وهن يرقصون في مرح ، والارض مفروشة بقطع من القماش الملون اكراما للضـيوف ، وفى الاستقبال كل قيادات غينيا ـ بيساو ، وصـورة ضخمة للرجل الذى سيظل على الدوام راسخا بذكراه في قلب كل افريقى : **اميلكار كابرال** •

وبين المستقبلين نلمح وجوها كثيرة نعرفها ، هؤلاء الثوار الذين ترددوا على القاهرة يشرحون قضيتهم ، والذين قابلناهم في مختلف المؤتمرات

كممثلين لحركة تحرر تقاوم الطغيـان الفـاشى البرتغالى ، قد اصـبحوا اليوم سادة وطنهم .

أشجار جوز الهند تملأ الطرقات وفوقها النسور الضخمة تقبع في استرخاء ، لونان سائدان يسدان الطريق على الاعين . الاحمر لون التربة الخصبة ، والاخضر النبت الذى يغطى كل بوصة من البلاد أشجارا وأزهارا وأحراشا .

الفيلات الفخمة ، [المساكن السابقة للســادة البرتغاليين » تمتد الى جوار اكواخ من القش يسكنها الافارقة . والان تطل عليك وجوه سمراء من نوافذ هذه الفيلات ، فقد استعادها الافريقيون بعد التحرير .

السـيارات تصـل سريعـا الى بيســاو العاصمـة [٨٠ الف نسمـة] أنظف وأجمل مدن افريقيا [أو هكذا أحسسنا] وفى الطريق كان الصديق فاسكوكابرال قوميسيير الشــئون الاقتصادية يروى لنا لمحات من تاريخ المدينة .. أسسها مغامر برتغالى اسمه تريشيتو كمحطة لتجميع العبيد الذين يجرى تصديرهم الى امريكا وأمريكا اللاتينية. «فيما بين عامى ١٦٣٠و١٧٠٠

صدر البرتغاليون الى البرازيل وحدها حوالى ٨٠٠٠٠٠ عبد من مستعمراتهم الافريقية،وابتداء من عام ١٧٠٠ تحددت طلبيات البرازيل من المستعمرات البرتغالية بعشرة آلاف عبد سنويا»٠

وهكذا جنى المستعمرون البرتغاليون ثرواتهم الاساسية من الاتجار فى البشر ..

شارع اميلكار كابرال ، الشارع الرئيسى فى المدينة يمتد من الميناء حيثيقبع حزبنا نصب تذكارى اقامه البرتغاليون تحية للمغامر «تريشيتو» مكتشف غينيا بيساو ، ويظل الطريق مستقيما حيث يقبع فى نهايته نصب تذكارى عملاق . انه رمز العسكريه الفاشية البرتغالية . امراة عملاقة ذات جناحين هائلين تقف فى شموخ ، ولم أستطع ان اكتم سؤالى « لماذا يبقى هذا النصب التذكارى حتى الان ؟ » وكعادة الافارقة لا اتلقى الاجابة الا عصر اليوم التالى حينما أشاهد مئات من الاطفال الافريقيين يلعبون « الاستغماية » فوق التمثال وحوله . ويبتسم المرافق الشاب ويقول لى « قبل الاستقلال لم يكن يجرؤ احد على الاقتراب من هذا التمثال ، لكنه اصبح الان وديعا . حتى هذا الحجر يشعر بانه هزم ، وان من حق اطفالنا ان يلعبوا فوقه وحوله .. »

الحزب هو الحقيقة الكبرى فى هذا البلد « ١٢٥ر٢٦ كيلو متر مربع ، ٨٠٠٠٠٠ نسمة » « الحزب الافريقى لاستقلال غينيا بيساو وجزر الراس الاخضر » هو القائد الذى علم السكان هنا كيف يحبون هذا الوطن وكيف يضحون من أجله . واميلكار كابرال القائد الاسطورة الذى أقام هذا الحزب ، والذى جند رجاله وقادهم الى الغابات واقام معهم هناك نواة الدولة الاشتراكية ، وجلس معهم فى أعماق الغابة ليدرسوا سويا النظرية الماركسية . هذا القائد الذى استطاع ان يحرك الشعب ويقفز بمنطلقاته وافكاره وطموحه قفزة اجماعية هائلة باتجاه الاشتراكية العلمية ، سيظل اسمه محفورا فى قلب كل واحد من هؤلاء الناس البسطاء .

وأجلس الى ابنته [موظفة فى مكتب الاستعلامات] ترفض أن تحدثنى عن ابيها لانها تحدثنى عن تجربة الحزب الذى غرس أبوها جذوره عميقة فى أرض الوطن .

وتحكى ابنة كابرال !

.. « كانت المستعمرات احتياطيا مباشرا للانظمة الاستعمارية ، هكذا كان الامر فى السابق ؟ لكن التجربة الثورية فى المستعمرات البرتغالية أنجولا وموزمبيق وغينيا بيساو كانت من العمق والاصالة بحيث تحولت الى احتياطى للحركة الثورية فى البلد الاستعمارى . كان المجندون البرتغاليون الشبان يأتون الى هنا ليتأثروا بنا ، بحزبنا ، كانت النعرات الفاشستية تتلاشى،ويشعرون بأن واجبهم ان يعودوا ليحرروا أوطانهم ، وليس أن يبقوا هنا ليجبروا شعبا على الخضوع لمصالح الاحتكاريين . لقد كان حزبنا من القوة والفعالية والمرونة بحيث استطاع أن يؤثر فى الكثيرين .... هل تتصور اننا كسبنا حتى القسس » . وتشير بيدها السمراء الى رجل ابيض ذو لحية طويلة « هذا قس كاثوليكى أتى الى هنا « مبشرا » ثم كسبناه . انضم الى صفوف ثوارنا ، قبض عليه البرتغاليون وسجنوه . استدعاه الفاتيكان ، وفى روما خاض غمار النضال السياسى فى صفوف اليسار ثم عاد من جديد بعد الاستقلال ليعمل مدرسا فى مدرسة ابتدائية ... » .

هذه التجربة تستحق التأمل . لقد كان أبى يؤكد لنا ان الفكر الثورى الذى أتانا من الغرب يمكنه ان يتحول وبأيدينا نحن الى قوة فاعلة فى تحرير الغرب نفسه ودفعه باتجاه الاشتراكية . وهذا هو مغزى انتصارنا الحقيقى ، فقد أسهمنا فى تحرير البرتغال . لقد انشأوا بيساو كمحطة لتصدير العبيد ، فاذا بها تتحول الى محطة لتصدير الثورة » .

الاشتراكية حررتنا

وتشترك معنا فى الحوار فتاة أخرى ترتدى سارى طويل منقوشة عليه ومن كل جوانبه صورة كابرال .. « كاترينا » فى العشرين من عمرها مدرسة بمدرسة ابتدائية .. ويكون اندفاعها الى النقاش بسبب واحد من أسئلتى عن برنامج الحزب وهل يتضمن نصوصا تدعو للاشتراكية .

تقول « كاترينا » « نحن اشتراكيون ، وطنيتنا علمتنا الاشتراكية ، كفاحنا علمنا الاشتراكية أيضا ، عندما اندلعت الثورة فى أرضنا لم تؤيدنا الا القوى الاشتراكية فى العالم ، وعندما اتجه اميلكار كابرال ورجاله الى « جورو لانديم » عبر نهر جيفا ليقيم فى قلب الغابات أول منطقة محررة

فى وطننا ، كان من الضرورى ان يقيموا هناك فى اعماق الغابة مجتمعا اشتراكيا . فهل كان بامكانهم ان يكسبوا السكان المحليين ؟ وأن يجندوهم فىصفوف الجيش الثورى،وان يدفعوهم الىالتضحية مالم يرفعوا بينهمراية الاشتراكية،وما لم يعيشوا معهم ، وفى غمار الحياة اليومية ، حياة أساسها المساواة..ولا تنس كذلك ان انتصار اليسار البرتغالى هو الذى منحنا الاستقلال » .

وأشعر اننى أشاكس الفتاة عندما أقول لها « القضية ليست تماما كما تظنين ، فالاشتراكية نظرية متكاملة ، وليس مجرد « مساواة » بدائية فى مجتمع بدائى » .

ولا تتيح لى الفتاة — عضو الحزب — الفرصة كى أواصل وتقاطعنى « انتظر ، انا لم اكمل بعد ، النظرية الماركسية مسألة صعبة باصطلاحاتها وتعقيداتها النظرية ، لكنها أيضا بسيطة غاية البساطة عندما تعيشها وتتنفسها ، انها كالغابة . قف على مشارف نهر « جيفا » وانظر اليها من بعيد تشعر بالرهبة ، ثم انحت لنفسك قاربا من أشجار البولوس،واقتحم النهر،ثم اقتحم الغابة،تجد المكان جميلا اليفا وتشعر ان الغابة مجرد حديقة ضخمة

ولا أستطيع أن أخفى دهشتى ، وبرغم بساطة الكلمات وعمقها ، اظل بحاجة الى درس آخر : هو أن أفهم حقيقة التجربة التى تعيشها غينيا بيساو .

الثوار ... يحكمون

ويبتسم « فاسكو كابرال » عندما اذكره كيف التقينا منذ عامين فقط فى أحد المؤتمرات،وكان هو مجرد ممثل « الحزب الافريقى لاستقلال غينيا بيساو وجزر الراس الاخضر » . الان الامور تغيرت . أصبح « قوميسييرا » للشئون الاقتصادية . يبتسم وهو يسألنى « هل تتخيل أننى الان اكثر راحة » فى الماضى كنا نتعب ونقاتل ثم ننام ، فهل نستطيع الان أن ننام ؟ بالامس عندما انقطع التيار الكهربائى ، علينا فى الحفل الافتتاحى لمؤتمركم واضطر رئيس الوزراء ان يوقف خطابه ساعة كاملة ، ضحك الحاضرون عندما وقفت اعتذر — بعد عودة التيار — قائلا انها تجربة بسيطة توضح للضيوف كيف ترك المستعمرون البرتغاليون محطات مستهلكة لتوليد الكهرباء .

وهذه حقيقة..لكن الضيوف ضحكوا واعتبروها «نكتة» . ان مسئوليتنا الان قائمة ، سواء ترك البرتغاليون محطات الكهرباء سليمة أم مخربة ، نحن المسئولون عن بناء هذا الوطن ، والمسئوليات جسيمة ، وما أصعب أن تملك الارادة والرؤية الواضحة وادراك الهدف ، ثم لا تجد الكوادر اللازمة ، ولا الامكانيات الكافية . لكننا سنبذل كل جهدنا » .

والتجربة التى يخوضها الحكام الثوار صعبة للغاية ، فهذا البلد الخصب الشديد الثراء فى امكانياته بحاجة الى اعادة بناء شاملة ، والكوادر قليلة للغاية ، والامكانيات المتاحة أقل .

وفى مجال الصحة تهدف قوميسيرية الصحة والخدمات الاجتماعية الى اقامة مستشفى فى كل اقليم « ٨٠ — ١٠٠ سرير » . لكن هذا المطمح لم يزل صعب المنال ، ففى مستشفى فى مدينة بوبا بالمنطقة الجنوبية . « وقد أقيم فى أحدى ثكنات الجيش البرتغالى القديمة » لا يوجد سوى عشرة اسرة ، ولا يوجد اطباء . وتتولى الخدمة الطبية ممرضات من السلاح الطبى فى الجيش الثورى ، ومعظمهن جرى تدريبهن على التمريض فى الغابات خلال الحرب الثورية ، والعمليات الجراحية لا يمكن اجراؤها الا فى العاصمة ، والادوية نادرة ، ومع ذلك تبذل لجان الحزب المحلية جهودا مضنية ، ففى قرية « جودجاتين » نظمت اللجنة الحزبية معسكر عمل تطوعى لبناء مستشفى جديد .

وفى مجال التعليم ، توجد نفس المشكلات ، وربما كانت أكثر تعقيدا وأولها مشكلة اللغة،فهناك عدة لغات وعديد من اللهجات.صحيح ان هناك لغة سائدة هى لغة « الكرولى » لكنها غير مكتوبة . ولما كان السكان يتكلمون جميعا اللغة البرتغالية ، فان الحكومة الثورية قررت اعتماد اللغة البرتغالية كلغة اساسية [يفسرون ذلك بأنهم لم يجدوا اى مبرر للحساسية تجاه اللغة البرتغالية ، وان التعليم بها واستخدامها يتيح لهم امكانيات افضل] .

وفى المدرسة الابتدائية فى مدينة « تيت » المبنى قديم ، ثلاثة فصول ، الاثاث بدائى ، الكتب والكراريس والاقلام غير متوافرة ، خمسة من المدرسين يتولون التدريس [متخرجون من معهد لاعداد المدرسين — أربعة سنوات دراسية بعد الابتدائية] . والمدرسون فئتان ، مناضلون ثوريون يعتبرون ان التعليم مهمة ثورية وهؤلاء يعملون بلا كلل ليل نها ، ويقيمون حلقيات لمحو الامية ،

ويمارسون التعليم كمعركة . ومدرسون يوصفون بأنهم « قدامى » لا يملون من الشكوى من قلة الامكانيات ، ومن المطالبة بنقلهم للعمل فى العاصمة ».

والمشكلات معقدة ، فمادة التاريخ لا تدرس حتى الان،فلا توجد كتب تاريخ بعد ، « كان البرتغاليون يدرسون للتلاميذ تاريخ البرتغال » ، السنة الاولى فى المدرسة تضم تلاميذ تتراوح أعمارهم بين ثلاث سنوات وسبعة عشر عاما [كيف يمكن حرمان شخص امى من الانضمام للمدرسة،بحجة أنه أكبر سنا من غيره] ، تعليم الفتيات لم يزل مشكلة [الاب يذهب يوميا الى لجنة الحزب ويسأل اذا أخذتم البنت للمدرسة،فمن سيعمل فى المطبخ » ، ومع ذلك ، تستمر حملات التوعية ، ويتزايد عدد الفتيات فى المدارس .

وتثمر الجهود المضنية ، والعمل الثورى ، برغم قلة الامكانيات . ويحقق المعلمون الثوار نتائج مذهلة . وتنخفض نسبة الامية من ٩٩ فى المائة الى ٦٥ فى المائة ، وهى نتيجة باهرة بغير شك « بعض هذا النجاح فى محو الامية حققه الثوار قبل الاستقلال عندما اقاموا فى المناطق المحررة حملات ناجحة لمحو الامية » .

وفى اغسطس الماضى عقدت فى بيساو اول « ندوة للتعليم السياسى » بهدف تطوير التعليم وتعميق المفاهيم الثورية فيه .

وفى مجال الصناعة ، لا يوجد سوى مصنع وحيد هو مصنع للبيرة والكوكاكولا اقامه البرتغاليون لسد احتياجات جنود قوات الاحتلال والمصنع — ومنذ جلاء البرتغاليين — يعمل بثلاثين فى المائة من طاقته الانتاجية فقط [فقد رحل معظم شاربى البيرة] .

ومع ذلك ، فالافاق مشرقة للغاية ، الارض خصبة والمطر غزير والمحاصيل المتاحة هائلة لو جرى تنظيم الزراعة على أساس عصرى .

والثروات المعدنية [البوكسيت والحديد] بانتظار من يستثمرها . والمعونات والخبرات الصديقة من كوبا والاتحاد السوفيتى ، ومن البرتغال ايضا تفتح ابواب الامل للانتقال بغينيا بيساو نحو عصر جديد ».

ديمقراطية .. كل الشعب

فى كل « تبانكا » « قرية » لجنة من خمسة منتخبه انتخابا مباشرا [اثنان منهم من النساء على الاقل] . واللجنه مسئولة عن اداره شئون القريه ، ولها صلاحيات مطلقة . وتعاونها لجان فرعيه « للتعليم والصحة والزراعة الخ » وهى منتخبة ايضا .

والجمعية التشريعية ١٥٠ عضوا انتخبت فور الاستقلال . الحزب الافريقى لاستقلال غينيا بيساو وجزر الرأس الاخضر هو الحزب الوحيد . ومع ذلك فهو لا يحتكر الترشيح سواء فى انتخابات « التبانكا » أو حتى فى انتخابات الجمعيه التشريعيه . وتقوم فلسفه الحزب تجاه الانتخابات وفقا للتصور الاتى : الحزب يجب الا يفرض مرشحيه ، لكل انسان الحق فى الترشيح ، ولكل المرشحين فرص متكافئة ، على الحزب الا يتجاهل ارادة الجماهير . اذا ارادت الجماهير انتخاب مرشح ما ، فالحزب مع الجماهير ويجب ان يحترم ارادتها ، وتقاس حيوية الحزب ونجاحه بقدرته على ان يكسب الى صفوفه هؤلاء الذين منحتهم الجماهير ثقتها ، وفى الجمعية التشريعية ٣٠ فى المائه فقط أعضاء فى الحزب .

ان جوهر الديمقراطية فى غينيا بيساو ينبع من انها تمارس وبشكل كامل فى القاعدة . فجهاز السلطة جديد تماما ، لقد سحق الجهاز الاستعمارى وسحق معه كل عملائه المحليين،ومع نشوء الجهاز الجديد تنمو ممارسة الديمقراطية ، وفى هذا يقول قادة الحزب « علينا ان نسرع بترسيخ الديمقراطية قولا وفعلا ، يجب أن تسبق استقرار جهاز الدولة وأبنيته المختلفة عملية استقرار الممارسة الديمقراطية ، يجب أن ينمو الاثنان معا » .

وهكذا ففى « التبانكا » لا توجد سوى سلطة وحيدة هى تلك اللجنة الخماسية المنتخبة من الجماهير . وتظل رقابة الجماهير مسلطة عليها ويملك الناخبون وهم كل السكان الحق فى سحب ثقتهم من اى عضو أو من اللجنة كلها .

وفى كافة الاجهزة تمارس الدميقراطية ايضا ».

حتى فى المدارس ، ففى المدارس ذات الاحدى عشر عاما دراسية تعقد اجتماعات أسبوعية للنقد المتبادل . فى هذه الاجتماعات يجلس الطلاب والمدرسون معا حيث يتبادلون النقد ، وكثيرا ما

ينصب نقد الطلاب على منهج المدرسين فى التدريس ، او على الموقف الفكرى المتخلف لبعض المدرسين . وتعتبر هذه الاجتماعات احد اساليب مراقبة نظام التعليم ، وتطوير وعى المعلمين والطلاب معا .

التوعية السياسية :

وتظل تلح فى خاطرى عدة هواجس :

حسنا .. اذا كانت الامور تتقدم هنا فى العاصمة بحكم قوة الدفع المباشر من القيادة ؟ فماذا عن بقية البلاد ، الغابات ، القرى . كيف يمكن أن تتم عملية حشد وتوعية هؤلاء البشر البسطاء البعيدين تماما عن كل مظاهر الحضارة .. ؟

وتنطلق بنا السيارة الى « تيانكا » فى قلب الغابة ، بضعة أمتار خارج العاصمة وتجد نفسك فى مجتمع آخر ، غابات ، السيدات عاريات الصدور تماما ، الادوات والاساليب البدائية فى السكن والغذاء والزراعة .

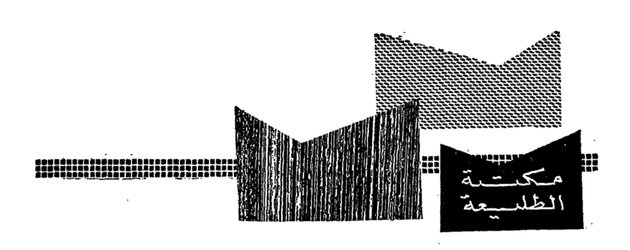
والى أحد الاكواخ المستديرة نتجه لنحضر جلسة توعية سياسية تقيمها اللجنة النسائية الحزبية فى « التيانكا » .

عدة عشرات من السيدات يجلسن فى حلقة مستديرة ، الاطفال معلقون بقطع من القماش على الظهور . والتوعية السياسية تتم خلال « ديالوج » متقن معد مسبقا ، يقوم به ثنائى من الكوادر المتخصصة فتى وفتاة ، يتحاوران ويتبادلان الانتقادات والاسئلة والتفنشات ، ويحتدم الحوار ويتخذ طابعا « دراميا » فى حركات شبه مسرحية . والجالسات يتابعن الحوار فى شغفهن واطفالهن ، والعيون تحاول أن تلاحق الثنائى السريع الحركة ، والكثير الحركة أيضا ، والذين يتبادلن الاسئلة والاجابات والتفنشات .

وتشترك الجالسات فى الحوار ، وتقف احداهن مستندة الى فرع شجرة وصدرها العارى يعلو ويهبط فى انفعال ، وهى تدق الارض بعصاها ، وتبدأ فى الحديث . ولا تستطيع مرافقتى أن تلاحق كلماتها بالترجمة ، لكننى التقط كلمات ، « سوسياليزموس ... سوسياليموز » . وتحاول المرافقة أن تترجم ، فاسكتها ، فلست بحاجة الى ترجمة .

لقد احسست أن الكلمات تدوى فى ربوع الغابة الشاسعة ، لتعلن للعالم اجمع : هنا تولد افريقيا من جديد .

هكذا تولد افريقيا من جديد .



ناصـــــر

تاليف : جـاك كوبار
عرض : كمـــال الســيد*
الناشر : الناشرون الفرنسيون المتحـدون ـ باريس

عندما يتضافر الاساس العلمى وفهم الظاهرة والتعاطف معها ، يجىء تحليلها صورة شعرية وعلمية معا ، تقدم الدروس والمتعة ، وتسهم فى التنوير الذى يكفل للعمـل اللاحق فاعلية اكبر واكثر ، وتيسر استيعاب النتائج وتمثلها . وكتاب **جـاك كوبـار** الصحفى الفـرنسى فـى جريدة « **لومانتيه** » ، نموذج للتحليل العلمـى لظاهرة **عبد الناصر** ، كتعبير عن احتياجات مرحلة محددة من تطور مصروالامة العربية ، وفيه يوضح أن فهم هذه الظاهرة أساس لفهم البلد والعكس صحيح • ومع كل التأييد والتعاطف مع **عبـد الناصر** ، الا ان المؤلف استطاع ان يكشف بدقة اخطاء التجربة،وان يحلل اسبابها ويبيننتائجها ، والكتاب فضلا عن كونه درسا فى المنهج ، فانه أيضا بما يتضمنه من استنتاجات يفيد كثيرا فى فهم حركة الواقع المصرى الحـالى واصـولها السابقة • وهو بهذا يستحق الترجمة •

وفى المقدمة يقول المؤلف انه يهدف بكتابه الى فهم **عبد الناصر** ، بغرض فهم مصر اليوم • وانه سيحاول رسم صورة الرجل الذى شكلتـه الظروف ، وواجه معاركلم يكن فى البدء يتوقعها ، وان كان لا يدعى انها صورة كاملة ، تلك التى يقدمها كتابه •

وفى الفصل الاول من الكتاب [٢٥ فصلا فى مجموعة] وهو بعنوان « **ثلاث ايام من يوليو** » ، يورد المؤلف فقرة من حديث **لخالد محيى الدين**

يؤكد فيه ، أن الضباط الاحرار فى وقت حريق القاهرة واحتدام الازمة ؛ فكروا فى التحرك اعتمادا على الجماهير الشعبية لمجرد فرض حكومة دستورية • وأنهم لم يكونوا يفكرون فى الاستيلاء على السلطة • بل ويقتبس قول كمال الدين حسين فى انه طرحت امامهم فكرة اختطاف رهائن ، أوقتل الملك . ولكنهم ادركوا ان هذا لن يفضى لشىء ، فقرروا فى ١٩ يوليوتغيير النظام • وفى هذا النقاش ، عارض عبد الناصر كل أعمال العنف ، وان كان قد أصر على طرد الملك من البلاد فورا لقطع الطريق على اى محاولات لارجاعه خاصة من قبل القوات البريطانية . ويستطرد الكاتب فى تعداد « الصدف » و « الارتباكات » ومع ذلك نجحت الحركة ؛ وكل هذا يؤكد قدرة عبد الناصر ومهارته على المناورة وتحريك المحيطين به • وفى الفصل الثانى وهو بعنوان « حفيد الفلاح » يقول كوبار انه يجب البدء فى رسم صورة عبد الناصر ، برسم صورة الفلاح فهو الذى صنع مصر وأبقى عليها عبر القرون • فالانسان فى مصر ، نتاج لارضها . ومصر ليست فقط « هبة النيل » وانما « هبة الفلاح » الذى يعمل طوال العام • وهو وان كان آميا ، الا أنه قادر على حساب كل ما يتعلق بالمحصول ، ويحفظ سور القرآن عن ظهر قلب • ويورد قول الاب عيروط فى أن ذلك الفلاح ليس له أى حريةأوأى مبادرة سواء فى الاسلوب أو الزمان أو الاختيار • وعلاوة على الفلاح والمالك الكبير الذى يعيش بعيدا عن القرية ، هناك كما يقول الاب عيروط برجوازية ريفية قريبة من الشعب ، هى صاحبة الملكية المتوسطة • وهى ترتبط مثل البرجوازية الصغيرة بالقرية • انها حريصة على الكسب ، محافظة وبسيطة ، تعيش فى الريف وتراقب غلة الفدادين عن كثب •• ويتمى الفلاحون الذين يترددون على المدارس الاولية والثانوية ، وطلاب المعاهد الازهرية والموظفون والضباط ، الى هذه الطبقة . وفى عهد عبد الناصر ، ضاقت فرص هذه البرجوازية الصغيرة فى التوسع . لحساب الاسر الكبيرة .

ويورد كوبار فى الفصل الثالث : « طريق الطلاب » كيف اندمج هؤلاء فى الحركة الوطنية خاصة منذ ١٩١٩ ، ويروى قصة اللطمة التى تلقاها عبد الناصر — وهو فى سن ١١ سنة — على وجهه ببندقية أحد الجنود أثناء مظاهرة فى المنشية . وكانت درسه الاول فىالوطنية .ويذكر قول عبد الناصر انه ألقى به فى السجن بواسطة الانجليز والسلطات المصرية • وانه استخدم هؤلاء ضد اولئك ، وبذا افرج عنه . ويقول كوبار : ان طريق الطلاب كان بالنسبة لعبد الناصر ، طريق البحث الدؤوب عن اجابة للسؤال . كيف تتحرر مصر ؟

كذلك يضيف ان الغربة المستمرة للفتى عبد الناصر ، والعزلة وفقده لامه ، قد جعلا منه فتى أشد خطورة وحساسية من رفاقه • ينكب على قراءة أعمال أنبياء الوطنية وتثيره أنواع المظالم المحيطة ، فيقرر العمل وهو فى المدارس الثانوية ، من أجل تنظيم قوة قادرة على الحركة ، تحركه فى ذلك المثل الاسلامية والكراهية للمستعمر،وفكرة القائد المرتقب • وشكل عبد الناصر فى ١٩٢٥ ، اللجنة التنفيذية للمدارس الثانوية التى اتصلت بلجنة طلاب الجامعة • وعن طريق نضاله فى هذه اللجنة ارسى الحجر الاول للوطنية الناصرية ، وكراهية المستعمر التى اصبحت فيما بعد هى المحرك للرئيس ناصر »

وفى الفصل التالى وهو بعنوان « ملازم فى منقباد » يروى الكاتب قصة التحاق عبد الناصر بالحربية وكيف أنها كانت قبل ١٩٣٦ حكرا على أولاد الاسر ذات المستوى الاجتماعى المعين ، والذين كانوا يريدون مناصب ومناظر وليس الدفاع عن الوطن . لكن بعد هذا التاريخ تغير التركيب الاجتماعى للجيش كما عبر عن ذلك الرئيس انور السادات فى كتبه — أن الجيش هو الكيان المنظم الموحد الارادة القادر على بناء الامة •وفى منقباد ، فى ١٩٣٩ ، أقسمت حفنة من الضباط كما يقول الرئيس السادات على « تخليص الوطن من كل عبودية » • ويستعرض المؤلف فى الفصل التالى لذلك : تحركات الضباط الاحرار اثناء الحرب العالمية الثانية ، وكيف أنهم فكروا فى ضرب الانجليز بالالمان • وفى تلك الاونة ، أدرك جمال أنه لابد من تنظيم أكثر انضباطا وأكثر وعيا ، وان استبدال سيد بآخر لن يجدى مصر شيئا • خاصة بعد أن أدى حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ الى جعل الضباط كما قال عبد الناصر يفكرون فى الثار والكرامة والتضحية بالحياة بعد ان كانوا لا يفكرون الا في اللهو والتسلية • وأصبح عبد الناصر فى ١٩٤٣معلمافىالكلية الحربية • وفى المساء كان يصبح زعيما لتنظيم سرى متعدد المهام : اقتصادية [جمع الاشتراكات] أمن [جمع المعلومات عن السلطة والاحتلال وولاء الاعضاء] والدعاية والتدريب العسكرى والارهاب • ولم يكن أى قسم من هذه الاقسام يعرف غيره • وكان عبد الناصر وعبد الحكيم عامر هما الوحيدان اللذان يعرفان كل الاقسام • وتفرغ السادات بعد هربه من المعتقل للعمل فى التنظيم . وعن هذه الفترة يقول عبد الناصر فى « فلسفة الثورة » انه راجت بين الضباط الاحرار ، فكرة اللجوء الى العنف ، ولكنه يضيف أنه كان مقتنعا بأن العنف ليس هو الشكل الايجابى للعمل لانقاذ الوطن • ويضيف « كانت تصطدم بداخلى مشاعر متناقضة ، الوطنية

والدين ، القسوة ، الشك ، الايمان ، وشيئا فشيئا ، كفت فكرة العنف العام عن ان تسيطر على نظرتي وسلوكي » . لقد ادرك أن مستقبل الوطن لا يتوقف على اختفاء هذا الشخص أو ذاك . وفي فصل تال لذلك ، يقول المؤلف : انه عقب الخروج من الحرب الثانية ، تفاقم التوتر الداخلي في مصر . فاصبح الاغنياء أغنى من أي وقت مضى ، والفقراء أفقر من أي وقت مضى . واشتد الصراع الطبقي ، وتعددت اضرابات ومظاهرات العمال ، ولعبت الحلقات الماركسية ويسار الوفد دورا كبيرا . ونشطت الحركة الطلابية وحركة الفلاحين . وادركت كل القوى الوطنية أن الاهداف الوطنية ترتبط تماما بالاهداف الاجتماعية ، وأنه لا يمكن تحقيق الاستقلال ، الا بالتصدي للتحالف المكون من الملك والمالكين والمحتلين . وفي تلك الاونة ، بدأت قيادة الحركة الوطنية ، تفلت من ايدي كبار الملاك العقاريين ورجال القصر . ومع ذلك ظلت حركة الضباط ، بعيدة عن الحركة العمالية . وفي الفصل الثامن ، يورد الكاتب ما يوضح « الاحساس العربي » لدى عبد الناصر ، وأنه باشتراكه في حرب فلسطين لم يحس بأنه في أرض أجنبية . وانما شعر بأنه في حالة دفاع عن النفس على حد تعبير ناصر الذي اكد ان هذه الحرب « قد جعلتني اقطع عهدا باني لو أصبحت في يوم من الايام في مركز مسئول ، فاني سأفكر ألف مرة قبل أن أرسل جنودنا للحرب . لن افعل ذلك ، الا لو كان ضروريا بصورة مطلقة ، اذا أصبح الوطن مهددا ، ولا تنقذه سوى نار المعركة . لقد كنت افكر في الحرب ، واكرهها .. ويوضح الكاتب عمق الجروح التي خلفتها حرب ١٩٤٨ ، وزرع اسرائيل عنوة ، في نفوس العرب . وفي نفوس من اشتركوا في الحرب . ومنهم ناصر ، لقد شعر الضباط أن صدمة الهزيمة ، عمليه اذلال اضافية ناجمة عن سياسة النظام المرتبط بالاستعمار . ومن ثم اتجه كل سخط المهزومين صوب النظام : « ليس بن جوريون هو الذي كسب . لكن فاروق هو الذي خان » ومعه القادة الذين يتنازعون على الوزارات والمناصب .

وبموضوعية حدد كوبار في الفصل التاسع وفي فصول لاحقة ، أخطاء الماركسيين المصريين بدقة وأمانة . فهو يعزو ضعفهم — رغم نجاحهم في نشر أفكار الاشتراكية العلمية — الى عدم نجاحهم في توحيد صفوفهم ، [في ١٩٥١ كان هناك ١٢ تنظيما] ، وتعددت لدى بعض الفئات الوطنية التحفظات على الشيوعيين التي دعمتها ، بالاضافة الى العوامل الذاتية لضعف هؤلاء ، عوامل موضوعية مثل ضعف الطبقة العاملة وغلبة الطابع الوطني على الطابع الاجتماعي . وكانت هذه التحفظات من ميراث عبد الناصر الذي كان يخشى الشيوعيين بصورة لا تبررها الاهمية النسبية لتنظيماتهم ، المنقسمة والمتعارضة كما يقول المؤلف ، الذي يؤكد أن كثيرين ومنهم ناصر لم يكونوا يدركون بصورة كاملة الدور التاريخي للطبقة العاملة . وفي هذه الفترة ، آمن عبد الناصر بأن الجيش وحده ، وضباطه الوطنيين ، هو الاداة الوحيدة للاطاحة بالنظام . ومضى يدعم علاقاته مع الاصدقاء والرفاق الذين شتتهم حرب ١٩٤٨ . وجند أعضاء اللجنة التنفيذية للضباط الاحرار . وظهر اسمها لاول مرة في منشور وزع ١٩٤٩ . وكان الاعضاء الخمسة الاول في اللجنة التنفيذية هم : **ناصر ، عبد الحكيم عامر ، كمال الدين حسين ، حسن ابراهيم ، خالد محيي الدين ، ثم انضم اليهم البغدادي وأنور السادات وصلاح سالم وجمال سالم ثم حسين الشافعي وعبد المنعم أمين وزكريا محيي الدين ويوسف صديق .**

ويقول كوبار في الفصل العاشر ، وهو بعنوان « الشرخ » أن ناصر ورفاقه وضعوا خطتهم للعمل ، في اللحظة التي دخل فيها النظام في دور الاحتضار ، حيث تفجرت الفضائح في كل مكان . وتفاقمت الازمة التي لم تصب العمال والبورجوازيين الصغار فحسب ، وانما أصابت أيضا الفئات المتوسطة . وابتداء من ١٩٤٩ بدأت الحركة الشعبية تستعيد انطلاقتها . ولعب الوفد دورا بارزا في حياة البلاد حينذاك . ومن ثم أصبح هذا الشكل من التنظيم السياسي « الوفد » ، هو المرجع لكافة محاولات الضباط الاحرار ، لتكوين حزب سياسي . وتعاظم النضال الطبقي وطرحت نقابة الغزل والنسيج برنامجا يدعو لاطلاق سراح المسجونين السياسيين ، والصداقة مع الاتحاد السوفيتي والصين والديموقراطيات الشعبية ، والجلاء عن السودان والترخيص بحمل السلاح . ويقول المؤلف ان الوضع في فجر ١٩٥٢ كان على النحو التالي : افلتت فرصة القيادة الشعبية من الوفد ، وثبت عجز الاخوان المسلمين ، وهب الجيش ضد الملك . وفي هذه الاثناء كان عبد الناصر يتابع تنظيم خلايا الضباط الاحرار في الوحدات العسكرية الهامة ، ويشرف بنفسه على تحرير النشرة التي يصدرونها ، والتي كانت تعالج موضوعين أساسيين : الاول النضال ضد الامبريالية الانجليزية الامريكية وخدمها في مصر ،

والاحزاب الرجعية بتكوين جبهة وطنية من كافة الاحزاب والشخصيات التى توافق على برنامج يقضى بالغاء معاهدة ١٩٣٦ ، وتحقيق العدالة الاجتماعية والديمقراطية الحقيقية ، **والثانى** تكوين جيش وطنى حديث يسمح للجنود بالارتقاء الى صفوف الضباط ·

وفى **الفصل الحادى عشر** يورد المؤلف خيبة أمل الضباط الاحرار من جراء عدم مسارعة الجماهير بالتحرك خلف قيادتهم عقب قيامهم بحركتهم ، مما جعل **عبد الناصر** يقول : « وفى هذه اللحظة ادركت ان مهمة الطليعة لم تنته ، وانما بدأت » .

وكانت سياسة غالبية الضباط الاحرار فى هذه الفترة ، هى اقامة التوازن الاجتماعى عن طريق اقناع ذوى الامتيازات · ومن ثم كانوا يؤمنون بأن الجيش هو القوة التى تحفظ التوازن · ولم يكونوا من أنصار الاعتماد على الجماهير الشعبية لان ذلك قد يؤدى الى الانحياز اليها ، ومن ثم فقد واجهوا تحرك عمال كفر الدوار فى أغسطس ١٩٥٢ للمطالبة بتحسين اوضاعهم بالعنف · وعندما قام ابن **حافظ عفيفى** ، وهو أحد مديرى الشركة التى تملكها مجموعة انجليزية مصرية [**براد فورد دايرز ٥١ فى المائة** والباقى لبنك مصر] باشعال النيران فى المصنع – على قول **صلاح غريب** حكمت المحكمة العسكرية باعدام اثنين منهما وبالاشغال الشاقة على ١٣ وفى هذه الفترة فقدت الثوره خير حلفائها ، أى الجناح الاكثر تقدما من الحركة العمالية والذى كان فى مقدوره ان يجمع الجماهير حولها · وبدأ البوليس السياسى بقيادة **زكريا محيى الدين** فى تحديد قوائم أعداء النظام وفى مقدمتهم الشيوعيين · وغداة رحيل **فاروق** تم القبض على الشيوعيين الذين كانوا يطبعون نشرة [صوت الضباط الاحرار] ، ونقلت آلة الطباعة الخاصة بهم الى متحف الثورة · وفى هذه الاثناء لم تكن قضية الاشتراكية مطروحة لدى الضباط الاحرار حتى فى خطبهم ، ولكن اقتصر الامر على المطالبة بتخفيض الملكيات العقارية الكبيرة ، الامر الذى جر **عبد الناصر** الى صدام لم يكن يدرك كل أبعاده · وسرعان ما تبين أن الاعتماد على ممثلى الملكيات الكبيرة فى القيام باصلاح زراعى أو تنفيذ المشروعات الكبيرة والمكلفة التى كان يحلم بها لضمان تطور واستقلال مصر ، كان وهما · ومع أن الاصلاح الزراعى الاول لم يغير الاوضاع كثيرا فى الريف ، الا أن مداه السياسى تجاوز كثيرا نوايا واضعيه ونوايا من كانوا على استعداد لقبوله ·

لقد كان الاصلاح أول ضربة وجهها حفيد فلاح بنى مر الى قمة الهرم الاجتماعى · لقد أدرك **عبد الناصر** الوطنى العلاقة بين السادة الاجانب والاقطاعيين المصريين ، وتعرض كضابط للاذلال فى فلسطين من جراء هذه العلاقة ، وآمن ان العدو فى القاهرة ، وانه من المستحيل الوصول الى الاستقلال دون البدء بتقليل نفوذ الاسر الكبيرة لم يكن هناك خيار آخر . وعندما دخل تنظيم الضباط الاحرار فى صدام ضار مع قادة العهد القديم فى وقت حرم فيه من مساندة التنظيمات الشعبية ، أسرع الخطى نحو اقامة نظام سلطوى · واقام **عبد الناصر** هيئة التحرير وهى تنظيم حاول به الحصول على مساندة الجماهير ، ظنه قادرا على تجميع السادة والفلاحين والملاك والعمال فى نفس الوقت · ولكنه فشل · ولكى يتغلب الضباط الاحرار على ضعف وسائلهم السياسية ، لجأوا الى القمع لمقاومة كافة التيارات المواجهة لحركتهم .

وفى **الفصل الثانى عشر** يفصل **كوبار** كيف جمع **عبد الناصر** كل السلطات بين يديه ، وكيف قاتل لاستعادتها عندما انتزعت منه ، لتنفيذ اختياراته ·

وفى فصل بعنوان « ضربات طائشة » يقول المؤلف : ان الولايات المتحدة غيرت سياستها فى ١٩٥٨ تجاه مصر فى محاولة لاستيعابها ، ولتوجيه سياستها نحو العداء للشيوعية واسقاط نظامها فى فخ «الخطر الشيوعى» وصرف نظره عن الخطر الامريكى بايهامه ان الولايات المتحدة سترضى بحركة القومية العربية باعتبارها اهون من الشيوعية · الامر الذى تبدد بوحشية فى عدوان ٥ يونيو ١٩٦٧ . لكن ضرورات التصنيع والتنمية ، وعدم مشاركة الراسماليه المحلية فيها ، وسيطرة المشاريع الاجنبيه ، جددت الصدام من جديد · فأممت المشاريع الاجنبية ، وفشلت محاولات جذب رأس المال الاجنبى [لم نصل الا الى ٧ر٨ مليون جنيه – منها ٥ ملايين للبترول – بين ١٩٥٢ و ١٩٦١ كما قال ناصر] . وادرك الرئيس ضرورة القطاع العام ، ومنع المجموعات المالية المحلية من السيطرة على نواته ، وهى الشركات الممصرة · « ولتدعيم الاستقلال ولتغذية مصر ولمواجهة الانفجار السكانى ، والندرة المنظمة لرءوس الاموال ، اضطر **ناصر** الى توسيع نطاق عمل قطاع الدولة » . وحتى ابان فترة تصاعد حملة العداء للشيوعية هذه ، كانت قضية الاتجاه الاجتماعى للنظام ، هى الحتمية الاولى التى واجهته · وتبين **عبد الناصر** حقيقة صراع الطبقات ، وانه لا تكفى « مراقبة » الراسماليين ،

وبدأت عمليات التأميم وتوسيع حقوق العمال ومشاركتهم

ومع ظروف الثوره كما قال ناصر ، قد جعلت التطبيق الثورى يسبق النظرية الا ان ادانة التجربة للحل الرأسمالى ، جعلت من الضرورى ايجاد نظرية للطريق الاشتراكى ، وجاء الميثاق . ومع ذلك تعددت تناقضات التطبيق مع نصوص الميثاق ، فضلا عن تناقض بعض اجزاء هذا الاخير مع بعضها البعض ، كما ظل دور الجيش بعيدا عن أى رقابة ، مما خلق مراكز قوى فيه هددت النظام . ومع ذلك ، فقد تحقق امر اساسى ، هو ادانة واستبعاد الطريق الراسمالى ، لكن استمر نشاط « الحزب الرجعى » الذى خاض **عبد الناصر** ضده نضالا عنيفا ، لكن انتقص من فاعليه حرب **عبد الناصر** ومن تحقيقها لنتائجها كاملة ضد هذا الحزب عدم وجود حركة تضم القوى الشعبية ، ولتعويض هذا شكل **عبد الناصر** الاتحاد الاشتراكى ، وتم تشكيل جهاز طليعى داخله تم بالتعيين مما اورثه كل عيوب الشلل والمصالح الضيقة ، فى وقت كانت فيه الحرب الداخلية ضد التحالف ، حربا طبقية تفرض فى كل خطوة اختيارات سياسية طبقية . وادى حادث **كمشيش** الذى اكد بقاء العلاقات الاقطاعية رغم الاصلاح الزراعى ، الى اقتناع **عبد الناصر** بضرورة اجراء تحديد جديد للملكية وضرب نفوذ الاقطاع . ومرة أخرى نجأ فى هذا الى الاجهزة ، وليس الى الجماهير الشعبيه . ومع ذلك ، فقد كانت هذه الفترة ٦٥ ـ ٦٦ ، فترة وضوح سياسى ، ففيها اكد **عبد الناصر** ان الاشتراكية واحدة ، والتطبيق فقط هو الذى يختلف ، وانه هناك فحسب تطبيق عربى للاشتراكية . وفى الفصل السابع والعشرين ، يصف المؤلف الفخ الذى نصبته الامبريالية والصهيونية والرجعية العربية لاصطياد **ناصر** فى ٥ يونيو ١٩٦٧ ، ويوضح كيف اعد له بالتعاون بين الولايات المتحدة وحكومة اسرائيل .

وفى الفصل ٢٣ ، يصف الكاتب مظاهرات ٩ و ١٠ يونيو ، ويقول انها كانت تعبيرا عن ان المصريين لا يريدون حلا أمريكيا ، كما عكست ليس فقط الاصرار على تحرير الارض ، وانما ايضا الحفاظ على مكاسب النهضة : المصانع والاصلاح الزراعى وقوانين ٦١ ـ ١٩٦٢ ، وكان **ناصر** هو الوحيد القادر على ضمان الا يتغير هذا ، واصبح **عبد الناصر** مدينا بسلطته للملايين التى خرجت الى الشوارع لتعيده . ولاول مرة فى تاريخ البلاد ، اختار الشعب من سيصرف امور البلاد . وفى الفصل الاخير وهو بعنوان « جمال ستظل معنا » يروى الكاتب فجيعة الجماهير العربية بوفاة القائد ، حتى فى أعماق القرى والكفور ، بل أن الذين لم تحقق لهم الثورة الكثير كانوا هم الاشد حزنا ، لانهم كانوا يؤمنون بأن دورهم قد جاء ليستفيدوا من اجراءات الثورة التى لم يتوقف تقدمها .

اليسار المصرى والقضية الفلسطينية

□ تأليف : د. رفعت السعيد

□ عرض : عبد المنعم الغزالى

□ الناشر : دار الفارابى ـ بيروت

فى مقدمته لكتابه يقول د . رفعت السعيد : « الان الوقت مناسب تماما ، بالامس لم تكن الامور قد نضجت بعد ، وفى الغد يكون الوقت قد فات .. الان يتعين علينا ان نقدم حسابنا لشعبنا وأمتنا ، ومن ثم فقد كان من الضرورى فى اعتقادى بذل جهد خاص فى استخراج وثائق اليسار المصرى الخاصة بالقضية الفلسطينية ونشرها على الملا .. » .

وكتاب د . رفعت السعيد عن « اليسار المصرى والقضية الفلسطينية » الذى اصدرته فى دار الفارابى ببيروت ـ جاء تسجيلا لموقف اليسار الناصع فى هذه القضية ، وهو موقف ما زال كما يقول د . رفعت : « **محططا لتشويهات متعمدة ، فالرجعية التى دبرت الجرم ، وشاركت فى المؤامرة ، واعتلت موجة المتاجرة بالكلمات والحقوق معا ، لازالت وحتى الان تمارس نفس التجارة** » .

« واليوم ؟ ونحن مقبلون على تطورات هامة، والفلسطينيون يقفزون بقضيتهم التيطالما اهملت واغفلت .. الى سطح الاحداث ، اليوم ومستقبل فلسطين يوشك أن يتحدد اعتقد انه من الضرورى ان نعيد فتح الدفاتر القديمة ، لنتحاسب .. وليقدم كل منا كتابه ولنر من منا سيؤتى كتسابه بيمينه » .

والكتاب يبدأ بدراسة تمهيدية عن الاوضاع التى تحركت فيها احداث القضايا ، ثم الوثائق التى هى موضوع الكتاب — والوثائق مقالات ظهرت فى الصحافة اليسارية وتقارير ودراسات ومنشورات وبيانات ورسائل . ثم جلسات سجل فيها د . رفعت السعيد مجموعة محاضر اجرى فيها حوارا مع عدد من الافراد ا.ين عاشوا غمرة احداث صراعات اليسار المصرى ضد الصهيونية ونشاطها المحموم فى مصر .

ويختم الدكتور **رفعت السعيد** دراسته بتعليق يقدمه الاستاذ **خالد محيى الدين** على الوثائق.

• • •

وفى **الدراسة التمهيدية** ، كشف د . رفعت عن حقيقة هامة — هى أن القوة السياسية الوحيدة التى التقطت خيط العروبة وتمسكت به املا فى تضامن كفاحى ضد الاستعمار والصهيونية ، كانت قوى اليسار المصرى . وهو يدلل على ذلك بوقائع تاريخية مادية ثابتة . فعندما تأسست « **عصبة النضال ضد الامبريالية** » فى بروكسل كان للشيوعيين المصريين دورا نشيطا فى دعم افكارها على نطاق الوطن العربى كله محاولين تأسيس شعبة لها فى مصر تضم ممثلى مختلف القوى الوطنية ، ثم شعب مماثلة فى مختلف البلدان على اساس ان تتكون منها قيادة مركزية عربية يمكن ان تسمى « عصبة تحرير البلدان العربية » .

ويدلل على ذلك د . رفعت — ببيان صادر عن « العصبة المناهضة للامبريالية » نشرته

صدر حديثا

البوليس السياسى يحكم مصر

جولة وثائقيه تفضح دور البوليس السياسى فى تخريب الحياة السياسية والاجتماعية فى مصر . وقد نجح المؤلف فى الحصول على وثائق هامة بالفعل ، تكمن اهميتها فى انها ادلة دامغة على ادانة هذا الجهاز الرهيب وادانة دوره التخريبى والموالى للاحتلال ولكل اعداء مصر ..

المؤلف : جمال سليم
الناشر : القاهرة للثقافة العربية .
الثمن : جنيه مصرى .

●

الديمقراطيـة والناصرية

محاولة جادة ، من باحث جاد ، لدراسة هذه العلاقة المعقدة والتى اثارت الكثير من الجدل والنقاش ، العلاقة بين الديمقراطية والناصرية .

المؤلف : طارق البشرى
الناشر : دار الثقافة الجديدة — القاهرة .
الثمن : ٣٥ قرشا .

عـام الانكسـار
فى العـالم الثـالث

تحت هذا العنوان يقدم **لطفى الخولى** كتابا جديدا يهديه « الى الذين وقفوا فى وجه اعصار الثورة المضادة .. وما زالوا يقاومونه .. فى العالم الثالث » .

والكتاب محاولة لرصد خيوط الثوره المضادة فى العالم الثالث ، والمؤامره لا تاتى من الخارج فقط ، بل ومن الداخل أيضا ، حيث تصبح الاخطاء — فى بعض الاحيان — اكثر خطرا من المؤامره الاجنبية ..

عام ١٩٦٦ — ١٩٦٧ هو عام الانكسار فى العالم الثالث .. بدأ بانقلاب عسكرى فى غانا ضد **نكروما** وبلغ ذروته بهزيمة يونيو ١٩٦٧ .

● الناشر : القاهرة للثقافة العربية .

● الثمن : ٨٠ قرشا .

النشرة الرسمية للاهية الثالثة — تحت عنوان — « النضال من أجل حرية الشعب العربى » ، وقد جاء فى هذا البيان : « والعرب يمتلكون كل الحق فى القضاء على تقسيم وطنهم وان يكونوا دولة موحدة ، قوية ، مستقلة ، وحرة تماما ، دولة عربية عظمى — يحدد شكلها ومستقبلها ليس بواسطة الامبرياليين الاجانب ، وانما وفقا لمصالح وارادة الجماهير العربية الكادحة ، فلاحين وعمالا وبدوا » .

وتمضى هذه الوثيقة البالغة الاهمية قائلة : « ان العصبة المناهضة للامبريالية وقد تابعت باهتمام المظاهرات الرائعة التى تفجرت يوم ٢ نوفمبر فى فلسطين كتعبير عن النمو الهائل للحركة الوطنية فى البلدان العربية جميعا لترسل بأحر تحياتها الى المناضلين دفاعا عن حقوق الامة العربية » . وينتهى النداء بالشعارات : « عاش النضال التحررى للشعب العربى — فليسقط الامبرياليون ، وليسقط انقسام البلدان العربية — ولتحيا الدولة الفيدرالية العربية الموحدة الحرة » . — وتاريخ هذا البيان ١٥ نوفمبر ١٩٢٩ .

ويؤكد الدكتور رفعت على ان موقف اليسار المصرى ، المعادى للصهيونية هو موقف أصيل ، وذلك فى نفس الوقت الذى كانت فيه القوى السياسية الاخرى تمتنع عن التعرض لهذا الخطر وتتغاضى عن نشاطه — لانه نشاط محمى من الاستعمار الانجليزى ، وبسبب الارتباط العضوى بين اثرياء اليهود والدور الذى كانوا يمارسونه فى الاقتصاد المصرى . ويتأكد اتجاه العروبة عند اليسار المصرى فى برنامج الحزب الشيوعى المصرى الصادر فى عام ١٩٣١ ، حيث جاء فى بنده الثانى : « **النضال من أجل تحرير كل الشعوب العربية من القهر الاستعمارى ومن أجل وحدة عربية شاملة تنتظم فيها كل الشعوب العربية الحرة** » .

ثم يفرد د . رفعت جزءا خاصا فى دراسته التمهيدية يناقش فيه موقف اليسار المصرى فى الاربعينيات من قضية النضال العربى ، ومن قضية النضال ضد الصهيونية . وقد استهل هذه الفقرة بتقديم تحليل عن الوجود الصهيونى فى مصر ، ونشأة ما سمى « بالاتحاد الصهيونى بمصر » . يقول د رفعت :

« .. ان كبار الراسماليين اليهود كانوا هم انفسهم — فى أغلب الاحيان — كبار الصهيونيين ، وان عوامل التغاضى عن النشاط الصهيونى الذى اتسع نطاقه فى الاربعينيات فى مصر لم تكن فقط فقدان الاحساس العربى لدى حكام مصر من بورجوازيين وكبار ملاك ، ولم تكن فقط بسبب سيطرة الانكليز على اجهزة الامن المصرية ، وانما ايضا — وهذا هام جدا — لانه كان هناك تلاحم عضوى وتشابك فى المصالح الاقتصادية بين الفئات العليا من البرجوازيين ، وقد ادى هذا التشابك الوثيق فى المصالح الاقتصادية الى حماية كثير من العناصر الصهيونية حتى بعد ان تاجرت الرجعية بشعارات العداء للصهيونية ... »

وفى خلال الاربعينيات ، كان محور نشاط اليسار المصرى تجاه القضية الفلسطينية يدور حول المحاور الثلاث الاتية : ● الكفاح ضد الصهيونية وفضحها ومحاولة عزلها عن جماهير اليهود المصريين .

● الكفاح ضد الرجعية وفضح تحالفها مع الصهيونية ، وفضح تبعيتها الكاملة للاستعمار ومخططاته ، لدى بحث أى حل للقضية الفلسطينية .

● الكفاح ضد الدعاوى العنصرية وكشف وجهها الاستعمارى والرجعى باعتبارها خير مشجع على انجاح مخططات الصهيونية .

ثم يأتى دور **الوثائق** فى كتاب د . رفعت — يقدم فيها مجموعة من الوثائق المعبرة عن وجهة نظر التجمعات اليسارية الرئيسية فى مصر حينئذ — الفجر الجديد والضمير ، وندوة دار الابحاث العلمية عن القضية الفلسطينية ، وفى تعليقه على تاريخ هذه الندوة قال ان استقراؤها يقطع بانها عقدت فى مطلع عام ١٩٤٦ وقبل يونيو — يوليو ١٩٤٦ حيث تمت الوحدة بين ايسكرا و ح.م ، اى الحركة المصرية وفى تحديد هذه التواريخ خطأ — فالندوة عقدت فى نوفمبر ١٩٤٥ والوحدة بين ح.م وايسكرا تمت فى مايو ١٩٤٧ ، ثم يقدم وثائق الحركة المصرية للتحرر الوطنى ، ثم مجلة ام درمان ، ثم وثائق الرابطة الاسرائيلية لمكافحة الصهيونية ، ثم مجلة الجماهير ، وايضا هنا احب ان اؤكد ان قول دكتور رفعت فى مقدمته لمجلة الجماهير بانها صدرت فى ابريل ١٩٤٦ غير سليم فالجماهير صدرت فى ١٩٤٧ وصدر آخر عدد منها فى ١٥ مايو ١٩٤٨ . وعليه فان مجموع الوثائق التى قدمها د . رفعت السعيد من الجماهير ليست

كاملة ، لانه توقف عند ١٩٤٧/١٢/٢٨ ولاشك انه من البيانات التاريخية التى صدرت عن الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى ، هذا البيان الذى نشر فى عدد ١٥ مايو ١٩٤٧ .

ثم ينشر مجموعة من كلمات وخطابات المرحوم الاستاذ « **يوسف حلمى** » ، ثم بيانا صدر فى ديسمبر ١٩٥٥ تحت عنوان «القضية الاسرائيلية» فى « كفاح الشعب » لسان حال اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الموحد .

ثم يأتى دور محاضر المناقشات — مع « **هنرى كورييل** » ، و « **شحاته هارون سيلفيرة** » و « **البير آرييه** » — وقراءة هذه المحاضر على جانب كبير من الاهمية — اذ انها تؤكد ان تيارا من العناصر اليسارية كان ينشط داخل الجالية اليهودية فى مصر ضد الصهيونية على اسس مبدأية هى نتاج الايمان بالاشتراكية العلمية وبحركة الطبقة العاملة .

وأخيرا — يعلق خالد محيى الدين على الوثائق ، وهو يقول فى مقدمة تعليقه : « لقد مضى الان قرابة ربع القرن على كثير من هذه الوثائق ، وزال ما أحاط بالاحداث التى لابستها الكثير من النزعات الحماسية والعاطفية . كذلك فان تجارب هذا الربع قرن ومآسيه ، ونجاحاته ، ونضالاته ، قد اكسبت الجماهير العربية مزيدا من الخبرة والمراس ، ومن هنا فاننا نعتقد ان الوقت قد حان لاعادة تسليط الضوء من جديد على هذه « الوثائق » . ليس فقط بهدف انصاف اصحابها وانصاف الحقيقة ذاتها ، وانما — وهذا هو الاساس — حتى تستفيد من خبراتها ، وكى نخضعها لتقييم موضوعى يمكننا من استخلاص خبرات مفيدة لحركة التحرر الوطنى العربية عموما ولليسار العربى والمصرى خصوصا » .

فى العدد القادم

ملحق الطليعة عن

الفلسفة والعلم



كيف يفكر الاشتراكيون فى أمريكا اللاتينية ؟

كل طريق من طرق التنمية ، لابد وأن تعترضه صعوبات وعقبات •
وكل طريق ، يتطلب بذل الجهود والتضحيات •

لكن الانسانية تظل — مع ذلك — تبحث عن اقل الطرق ايلاما ، واكثرها نفعا لاوسع الجماهير • وهذه هى قضية البلدان النامية جميعها ، وبدون استثناء •

وهذه هى القضية التى طرحتها الحياة مع شعوب أمريكا اللاتينية • اذ وجدت نفسها امام اختبارات ؛ بل على الاصح أمام اختيارين اثنين :

طريق التنمية الراسمالية فى كنف الاحتكارات الدولية والشركات العملاقة المتعددة الجنسية ، أم طريق التنمية على اساس الاستقلال الاقتصادى الذى يكفل للارادة الوطنية ان تتخذ قرارها لتحسم اتجاه التنمية وتحدد آفاقها ، وتضعها لخدمة الطبقات الوطنية والشعبية فى مجموعها ، لا لمصلحة مجتمع الاقلية •

● ماهى الجهود التى بذلتها بعض بلدان أمريكا اللاتينية بحثا عن الطريق السوى الى التنمية المستقلة ؟
هذا هو السؤال الذى أجاب عنه الفصلان الثانى والثالث من الوثائق التى نشرتها الطليعة فى عددها السابق تحت عنوان : كيف يفكر الاشتراكيون فى أمريكا اللاتينية ؟

● وما هى حقيقة المناهج « الاصلاحية » التى حاولت أن تعرضها الاحتكارات لتروج لمفهومها الخاص بالتنمية ؟
هذا هو السؤال الذى يجيب عنه الفصلان الرابع والخامس من الوثائق المنشورة على صفحات هذا العدد •



٤

بمجرد انتصار الثورة الكوبية كان واضحا أن « الحرب الباردة » قد أجهضت فقد اضطرت معارك الشعب المستمرة وظهور كوبا الثورية ، حكام واشنطن الى الجوء الى وسائل مستحدثة للابقاء على أمريكا اللاتينية فى فلكها ، وكان أن لجأت الامبريالية الى برنامج «التحالف من اجل التقدم »

وعندما نجحت واشنطن ، فى عام ١٩٦٢ ، فى طرد كوبا من منظمة دول أمريكا اللاتينية دار فى خلدها أن البرنامج الاصلاحى « للتحالف » ، والعون المالى الذى أعلنت استعدادها لتقديمه سيكون كافيا للوقوف فى وجه الثورة الكوبية التى حاولت الامبريالية خنقها — منذ ولادتها — بالحصار الاقتصادى والعزل السياسى والعدوان المسلح .

واختارت واشنطن حكومة فراى كمثال ديمقراطى ، مقابل للتجربة الكوبية التى زعمت واشنطن أنها تقف ضدها بسبب شموليتها المزعومة .

بينما كان الامبرياليون يشاركون فى قلب نظام جولارت وحكومة حزب الشعب التقدمى فى غيانا عام ١٩٦٤ — لرفضها السير على سياسة الهجوم على كوبا — كانوا فى نفس الوقت يؤيدون ويساندون فراى وتجارب اخرى مماثلة .

وسرعان ما أثبت التاريخ أن الطريق الى تطوير بلادنا ليس فى الاستسلام لسياسة اصلاحية تطالب العون من الاحتكارات وانما يكمن فى اتخاذ القرار السياسى للحصول على الاستقلال الاقتصادى واجراء التغييرات الجوهرية.

لقد حاول فراى انقاذ الراسمالية فى شيلى والوقوف فى وجه ثورة الشعب والاشتراكية ، حاول ذلك ، ليس بالطريقة التقليدية ، وانما بوسائل مستحدثة ولغة جديدة . ومع هذا فهو لم يقترب بسوء لمصالح وامتيازات الاوليجاركية وسقط بالتدريج فى مواقع أكثر محافظة ، الى أن سقط نظامه فى براثن الرجعية. ولقد نضج كفاح الشعوب أمثلة مشابهة من التجارب فى بيرو وفنزويلا وغيرهما، هذا الكفاح الذى اتخذ أشكالا متنوعة ، واستمد المثل والشجاعة من الثورة الكوبية ومن انتصارات الاشتراكية العالمية ، ومن مواقف الطبقة العاملة والقوى الديمقراطية فى البلاد الرأسمالية المتطورة ، وحركات التحرير الوطنية فى القارات الاخري . فقد كانت المعارك تنشب فى المدارس والشوارع والنقابات والمصانع ، كما خرج رجال حرب العصابات الى الجبال والسهول ، ومازال بعضهم يقاتلون ببطولة الى الان.

وتستمر تعبئة الحركة الجماهيرية فى التصاعد فى وجود الطبقة العاملة الحاسم . وتحدث الاضرابات والوقف الكلى والجزئى عن العمل وتتم السيطرة على المظاهرات وتقوم المظاهرات العمالية ، تعبيرا عن الصراع المشترك ضد تجميد الاجور وخفضها ؛ ومن أجل تحسين مستوى المعيشة ، وضد التسريح المؤقت ودفاعا عن تنظيمات الجماهير ، فى الكفاح ضد القهر، ومن أجل الحريات والحقوق الديمقراطية ؛ وتنمو بالمثل تحركات الفلاحين من أجل الارض ، بالاضافة الى معارك الطلبة والشعب من أجل تأميم المصادر الرئيسية التى تملكها الامبريالية .

ولسوف يجنى الشيوعيون والقوى الثورية الاخرى فى أمريكا اللاتينية الثمار من تجارب تلك المرحلة ، لان هذه الهبة الثورية أدت الى احداث تغييرات تشير الى العمق التاريخى لافلاس السلطة الامبريالية فى أمريكا اللاتينية والى آفاق النصر المتفتحة أمام كفاح شعوبنا .

وفى ابريل عام ١٩٦٥ ، ثارت فى سان دومنجو أزمة فى وجه السيطرة الامبريالية فى هذا البلد الشقيق بسبب هبة الشعب التى قادها الكولونيل فرانشيسكو كاماتو وبعض الضباط الثوريين . وأدى هذا الوضع الى تدخل الولايات المتحدة بطرق كثيرة بهدف الوقوف فى وجه انتصار الثورة، ونجحت فى قمعها بعد مقاومة طويلة وبطولية من شعب الدومينيكان .

وفى الثالث من اكتوبر عام ١٩٦٨ قامت فى بيرو الحكومة الثورية للقوات المسلحة واصطدمت بالامبريالية . وحكم الاوليجاركية منذ البداية نتيجة وقوفها الى جانب المصالح الوطنية والتقدم الاجتماعى والسياسة الخارجية المستقلة التى انتهجتها والتضامن مع الشعوب التى تناضل من أجل الاستقلال الوطنى.

وفى بنما ، فى الحادى عشر من اكتوبر عام ١٩٦٨ ، وبعد معارك شعبية أحبطت ما كانت تنتويه الولايات المتحدة من الحصول على مزايا اقليمية ، استولى الحزب الوطنى على السلطة وطرد القوى المناصرة للياتكى . وبدأ فى اجراء تغييرات جذرية وجوهرية باقامة المؤسسات الشعبية للحكم المحلى ودعم حرية التنظيمات الشعبية ، وتحويل الكفاح فى سبيل استعادة منطقة القناة بالكامل وضد احتكارات الولايات المتحدة الى سياسة رسمية .

كذلك حدث ، فى فبراير عام ١٩٧٢ فى اكوادور أن تسلمت القوات المسلحة السلطة ، وأعلنت برنامجا للحكومة يؤكد على الدفاع عن السيادة الوطنية واستعادة مصادر الثروة الطبيعية ، خاصة البترول ومصائد الاسماك ، وتحقيق التطور الاقتصادى المستقل ، وتواجه هذه الحكومة — التى تحظى بتأييد الشعب — مؤامرات الامبريالية وعملائها المحليين .

وتتعدد اشكال التحول الاجتماعى والسياسى فى امريكا اللاتينية حسب درجة مشاركة قطاعات الشعب فى توجيه هذا التحول . كما لا يتشابه محتوى أو مضمون هذه التحولات . ولكن هذا يشير الى حقيقة جديدة فى قارتنا حيث هناك احتمالات اكبر لاقامة حكومات ديمقراطية تواجه الامبريالية ، وتطبق سياسة تقدمية ذات مضمون اجتماعى متقدم .

ولسوف تصل العملية كلها الى أبعاد اكبر مع الجهود الناجحة التى تبذلها الحركة العمالية والشعبية فى شيلى لكسب الحكومة انتخابات الرياسة لعام ١٩٧٠ . لقد كان نجاح الشعب نتاجا للمعارك الضارية التى خاضتها الجماهير علي جميع جبهات الصراع الاجتماعى . وأضحى ممكنا منذ استطاعت الحركة الشعبية أن تتحد حول خط سياسى صحيح حدد الاعداء : الامبريالية والاوليجاركية الاحتكارية وكبار الملاك ، ووجهت ضد هؤلاء الضربة الرئيسية .

لقد كونت الطبقة العاملة فى شيلى جبهة سياسية واجتماعية — الجبهة الشعبية — استطاعت ، لصحة سياستها العامة — أن تكسب الى جانبها الحكومة وكذلك بعض النفوذ السياسى . ولقد مهدت الحركة الشعبية فى شيلى الطريق نحو تغييرات ثورية فى المجتمع الشيلى فى فى خضم صراع عنيف على السلطة مع طبقات الحاكمة القديمة والامبرياليين الذين تمكنوا من فرض سيطرتهم مرة ثانية — ولكن الى حين — باللجوء الى الفاشية .

ومع افلاس سياسة « التحالف من اجل التقدم » لجأت الامبريالية الى ما كانت قد دأبت عليه قبل ذلك من التدخل واستخدام وكالة المخابرات المركزية كأداة للتجسس والتحريض . هذه الاداة الامبريالية البشعة التى تعمل فى صلة وثيقة مع الحكومات التى باعت نفسها ومع القطاعات الرجعية ، لمواجهة الحكومات الثورية ، أو حتى الحكومات التقدمية ، عملت على قلب حكومة جواتيمالا الديمقراطية ودبرت لمدة عشرين عاما عمليات الاغتيال المنظم لالاف الوطنيين من بينهم أعضاء وقادة عديدون فى حزب العمل الجواتيمالى وسكرتيراه البطلان المغواران الرفيقان برناردو الفاراد ومونزون وبوبرتو الفارادو — كما خططت لاغتيال حزب الشيوعيين الموحد فى تاهيتى ومئات من أعضائه فى عام ١٩٦٦ . كذلك نظمت وكالة المخابرات الامريكية عملية خليج الخنازير ، وعملت ضد جولارت . واشتركت فى الانقلاب ضد حكومة الجنرال توريز التقدمية فى بوليفيا . وخططت للانقلاب فى أورجواى كما أنها تطل بوجهها القبيح فى كل مؤامرة رجعية فى أمريكا اللاتينية . وفى تاريخ وكالة المخابرات الامريكية البشع

يتخذ اعداد عمليات التخريب شـكلا متزنا كما حدث مع العملية التي أمر بتنفيذها الخـارجية الامريكية للاطاحة بالحكومة الشعبية في شيلي بهدف اقامة دكتاتورية فاشية . وواضح أن نشـاط الوكالة كان متعدد النواحي : فقـد تراوح بين محاولات منع القوى الشعبية من الفوز في الانتخابات ثم منع الرئيس سلفادور الليندي من الرياسـة . ثم الى ممارسة ما يسـمى غنيسا « زعزعة الحكومات وعمليات التحرير » بهـدف التجهيز للانقلاب الغادر الذي قامت به زمرة من الجنرالات الخـونة هـم على استعداد لممارسة السـلطة من خلال أبشع اشكال الفاشية .

ان تفاقم أزمة الامبريالية ، وعـدم قدرتها على حل تلك الازمة تجعل أكثر دوائر راس المال الاحتكارى عدوانية على اللجوء الى الفاشية .

ولقد اعترف الرئيس فورد بأن حكومة الولايات المتحدة كانت لها يدفي الاعمال التخريبية التي تمت في القارة ، ولـم يكتف بذلك ، بل أكد حقها في الاستمرار في هذا العمل في سبيل « المصـالح العليا » لبلاده .

ان تجربة شيلي تؤكد صحة المفهوم الماركسي اللينيني الذي يقول ان الطبقات القديمة لا تترك السلطة مقطوعة ، وانما على العكس تدافع عن تلك السلطة حتى الموت . كما تؤكد هذه التجربة الـدور القيادي للطبقة العاملة ووجوب تجنب عزلتها اثناء قيامها بواجبها في التغيير الاجتماعي . ان هذه التجربة تبين ضرورة تطبيق سياسة مرنة من التحالف . لما توضح انقوى الائتلاف المعادي للامبريالية يجب أن تسير في اتجاه واحد ثابت ومتجانس . كذلك تبين تجربة شـيلي بوضوح ، أن الحركات الثورية لا يمكن أن ترفض أي طريق ديمقراطي يوصـل ويقود الى السلطة . كما لا يمكن الا أن تكون على استعداد تام للدفاع عن المنجزات الديمقراطية بالسلاح .

ولقد راود امبرياليي الولايات المتحدة وحكام الاقلية في أمريكا اللاتينية الاعتقاد بأن اغتيال سلفادور الليندي وهزيمـة الجبهة الشعبية سوف يفتحان الطـريق لاستعادة مراكزهم في جميع أوطاننا . بيد أن الزمرة العسكرية الفاشية تواجه مقاومة الشعب الشيلي المتزايدة وتتزايد عزلتها الدولية ، كما أن الصراع في القارة يتصاعد .

وكما يقرر الحزب الشيوعي في شيلي فان الانجازات التي تمت وتأميم منـاجم النحاس الضخمة ، وخلق منطقة من الملكية الاجتماعية على أسـاس تأميم الاحتكارات الكبرى ، وادارة الـدولة للبنوك والبدء في الاصلاح الزراعي ، واعادة توزيع الدخل لصالح العمـال ، والتقدم في مسألة حل مشكلة الاسكان والصحة ومشاكل الثقافة ، والسير على سياسة خارجية مستقلة ، وجعل الشعب يشارك في توجيه مستقبل البلاد مـن خلال تقوية النقابات العمالية

« واتحاد نقـابات شـيلي » ومـن خلال مشاركة في الهيئات في المشروعات ان هيئة التموين وهيئة الاسعار .. الخ . كلها حقائق تؤكد عمق وطنية وشـعبية وثورية الحـكومة التي كان يرأسـها سلفادور الليندى . واذا تفاضينا عن الهزيمة المؤقتة التي حاقت بتلك الحكومة فان منجزاتها تكون ثروة لا تقدر بثمن للشعب في شيلي الذي وان كانت الزمرة الفاشية قد أزاحته مؤقتا من الطـريق فسوف تبقى هذه المنجزات كأعلام للنضال من أجل الطبقة العاملة وأوسع قطاعات الشـعب .

ان مجهودات الامبرياليين هي القضاء على عملية التنمية في بيرو ومسايرتها في طريق التوفيق والمصالحة قد باءت بالفشل . فدعم القطاع الاجتماعي للاقتصاد ، وبدء الملكيه الاجتماعية ، وتعميق الاصـلاح الزراعي والقضاء على احتكار الصحافة والراديو والتليفزيون والاعتراف بلغـة الكويكو كلغة ثانية للمعاملات الرسمية ، كل هذا سمة من سمات سياسة تهدف الى زيادة ارتباط القـوات المسـلحة بالشـعب .

وترفض حـكومة بناما أن تستسلم للتهديدات وتعمـل على تقوية علاقاتها بالشعب ، ذلك بالاضافة الى استمرارها في مطالبها العادلة باسترداد الحقوق الشرعية لبناما على القناة ، تتخذخطوات جديدة لمواجهة الاستعمار الجديد بالتأميم المقترح لمزارع الموز . ان موقف بناما يلهم حركات التحرير في هذه المنطقة .

وفي نفس الوقت ، تبدو بوضـوح الازمة في العلاقات بين أمريكا اللاتينية والامبريالية . وفي أواخر الاربعينات كانت البورجوازية في المكسيك قد وضعت برنامجا للتفريط في المصـالح الوطنية لصالح الامبريالية فانتقد آنذاك تحالف بين جـزء ذي نفـوذ من البورجوازية المكسيكية العليا والمنشآت والاحتكارات المتـعددة الجنسـية ، مكن امبريالية الولايات المتحدة من التغلغل في الاقتصاد المكسيكي . ولقد باءت تلك السـياسة كذلك بالفشل ـ فقد شنت البورجوازية المتوسـطة حربا لا هوادة فيها ضـد القوة الاحتكارية للاتحادات [كونسوريتوم] التي تتجنس بالجنسية المكسيكية .

وتبحث البورجوازية المكسيكية العليا من طريق الخروج من الازمة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي تأخذبتلابيب البلاد ، عن طريق اجراءات مثل التعاون بين رأس المال الامبريالي والمكسـيكي وكلاهمـا مملوك للـدولة والافـراد ، وباتجاه سـياسة خارجية تعمل على زيادة الصادرات ، ومن جهة أخرى ، تلعب المعارك المشتركة للشعب المكسيكي دورا في اتخاذ بعض المواقف الايجابية في السياسة الخارجية في المرحلة الدولية الحالية الحاسمة . . لقد كانت المكسيك الدولة الوحيدة في أمريكا اللاتينية التي رفضت قطع علاقاتها بكوبا الثورة وقامت بتطوير علاقات الصداقة معها في الاعوام الاخيرة .

أما فنزويلا ـ ومع اكتشاف حقول البترول الجديدة والضخمة ـ فتواجه مرحلة اختبار :

فاما ان تسلم ثروتها القومية لشركات الولايات المتحـدة لتستفيد منها هـذه الشركات لمدى طويل . واما أن تحمي هذه الثروة من حقول البترول . ولقد أثار قرار حكومة فنزويلا بحماية ثروتها غضب رئيس الولايات المتحدة ، ورفض رئيس فنزويلا بتأييد من جميع القـوى الوطنية في البلاد تهديدات الرئيس فورد ولسوف يكون تأميم البترول رغم الحدود الضيقة للقانون الذي تمت مناقشـته في الدعاية ، خطوة هامة على طريق استعادة شعب فنزويلا لثرواته الرئيسية من أيدي الاحتكارات الاجنبية .

وفي الارجنتين تواصل الجماهير ـ في خضم الوضع المعقد القائم هناك ـ صدامها مع القوى الامبريالية من خلال الاعمال العظيمة التي قامت بها ، وكذلك النصر الذي تحقق في عام ١٩٧٣ . أن الشعب الارجنتيني يكافح من أجل الابقاء على الحريات واستعادة ما فقده منها ، واغلاق الطريق في وجه اليمين الفاشي ولخلق الاوضاع اللازمة لتحقيق برنامج الاصـلاحات الذي أعلن في الانتخابات ولارساء الاسس الديمقراطية الحقيقية في الارجنتين .

ان الحركة الثورية تتنامى في امريكا الوسطى ، وتبدو واضحة لشعبان أكثر الاعمـال المعـادية الاوليجاركية والامبريالية . ومن سمات هذه الظاهرة التزايد في عدد الطبقة العاملة وتعاظم قوة منظماتها وتصـاعد قوتها ، وكذلك صراع الفـلاحين والعمـال الزراعيين وانضمام فئات من الشرائح الوسـطى الى الاعمال الديمقراطية والثورية . ان خلق جبهات واسعة معادية للاوليجاركية ومؤيدة للديمقراطية في بعض البـلاد ، ووجود بعض قطاعات تقدمية في بعض الجيوش ، وخلق اتحاد البلاد المنتجة للموز ، واشتراك العديد من البلاد في خط سفن الكاريبي واقامة « نظام امريكا اللاتينية الاقتصادية » وتزايد عزلة معظم الدوائر الرجعية في جيوش المنطقة ، بالاضافة الى دكتاتورية سوموزا ، وهي الحارس لمصالح الامبريالية في أمريكا الوسطى ، كل هذه الاشكال خطوات لاشك فيها على طريق كفاح منطقة أمريكا الوسطى .

وفي مواجهة فشل أشكال التكامل مثل

اتحاد أمريكا اللاتينية للتجارة الحرة LAFTA وغيره خرج الى الوجود في عام ١٩٦٩ ميثاق ARDEAN الذي يمكن أن يتحول — خاصة بقوانينه الاساسية حيال رؤوس الاموال الاجنبية، وتحت ضغط الجماهير — الى عنصر من عناصر المعارضة للحكومات الموقعة ضد استثمارات اليانكي والتبعية التكنولوجية والامبريالية .

ولقد تراخت بلاد الكومنولث في الكاريبي ، في تثبيت استقلالها السياسي من قضية أمريكا اللاتينية ، ومن ثم فقد وقعت بسرعة تحت نير الاستعمار الجديد . ولكن حتى في هذه البلاد يبدو التناقض جليا بين مصالح البلاد الجديدة والامبريالية . ولقد بدأت حكومات جامايكا وباربادوس وغيانا وترينيداد وتوباجو في المشاركة الفعالة — بمواقف تتزايد ايجابيتها ووضوحها — في مجتمع أمريكا اللاتينية .

وفي جسور الجوادلوب والمارتينيك تشتد الجماهير كفاحها الموحد ضد الاستعمار الفرنسي وحلفائه خاصة امبريالية الولايات المتحدة والاحتكارات ذات القوميات المتعددة لانتزاع الحكم الذاتي بممارسة مبدأ تقرير المصير .

وفي كل مكان تتنوع أشكال الصراع وتستعصي على الاحتواء : المقاومة ضد الدكتاتورية في أورجواي على شكل اضراب شامل بطولي استمر خمسة عشر يوما كرد على الانقلاب الذي وقع في يونيو عام ١٩٧٣ ، والتقدم الذي حققه اتحاد النقابات ووحدة الشعب في كولومبيا والنتائج الواضحة للانتخابات البرلمانية في البرازيل في نوفمبر ١٩٧٤، والمقاومة البطولية والمستمرة للارهاب الوحشي في بوليفيا ونيكاراجوا وجواتيمالا وباراجواي .. الخ ..

أن كوبا — التي تحرز نصرا لا شك فيه — تستطيع أن تكسر الحصار السياسي ، بينما تفقد منظمة الدول الامريكية التي خلقتها واشنطن لاستخدامها كوزارة مستعمرات لامريكا اللاتينية كل فائدة يمكن أن تؤديها للامبريالية ومصالحها . ويرجع هذا بالطبع الى نضال الشعب ، الى طبقتها العاملة ، الى فئاتها الوسطى والى المثال الثوري الذي تضربه كوبا .

O

٥

تشكل التغييرات التي جرت في أمريكا اللاتينية جزءا من اتجاه عالمي نحو التقدم الاجتماعي يأخذ مجراه في المرحلة الراهنة من التحول الثوري من الرأسمالية الى الاشتراكية . وتتفاعل هذه التغيرات مع عناصر أخرى للوضع الدولي الذي يتسم بتعاظم قوة الاشتراكية وازدياد ضعف الامبريالية واندحار سياسة « الحرب الباردة » وبداية الانفراج الدولي

لقد حاولت « الحرب الباردة » أن تبرر تدخل امبريالية اليانكي السافر في أمريكا اللاتينية ، كما حدث عند غزو الولايات المتحدة لجمهورية الدومينيكان ، لقد تخطى الانفراج — الذي بدأ يفرض نفسه — أساليب الامبرياليين العتيقة ،

فهو قد جاء في الاساس نتيجة التغير التاريخي في العلاقات بين القوى الدولية فواقع أن الاتحاد السوفيتي والمجتمع الاشتراكي الذي يكون الاتحاد السوفيتي جزءا هاما وأساسيا منه تزداد قوتها مع الايام ، هذا الواقع ، عامل حاسم في امكانية ارساء قواعد الانفراج وترسيخه. اذ أن القوة الحربية والاقتصادية وكذلك النفوذ السياسي للاتحاد السوفيتي والبلاد الاشتراكية كانت دائما في خدمة السلام .

ويعبر النصر الفيتنامي العظيم على امبريالية اليانكي العدوانية ، وهو من الاحداث ذات الاثر التاريخي الذي يأتي في أهميته مباشرة بعد هزيمة الفاشية في عام ١٩٤٥ ، يعبر هذا النصر تعبيرا دقيقا عن العلاقة الجديدة بين القوى القائمة في العالم . ان النصر الذي تحقق بالسلاح وادى الى الاستقلال الوطني الكامل لفيتنام يفتح الطريق الى التوحيد السلمي لارض الاباء ، ويثير أعمق آيات الاعجاب بين جميع الشعوب . وأهل ما يعكسه هذا الانتصار هو بطولة ومجد الشعب الفيتنامي الذي سار لمدة ثلاثين عاما تحت لواء القيادة الحكيمة والباسلة لحزب العمال الفيتنامي الذي نظمه وقاده الرئيس الخالد هوشي منه .

كذلك يؤكد هذا النصر أهمية معرفة كيف يمكن الجمع بين النضال المسلح والنضال السياسي والدبلوماسي الى جانب الاهمية الحاسمة لتأييد معسكر الاشتراكية ، والتضامن الدولي ، بما فيه تضامن الشعب التقدمي في الولايات المتحدة في الوقت الراهن .. لقد واجهت امبريالية الولايات المتحدة في لاوس وكمبوديا ، وخاصة في فيتنام ، اقسى هزائمها وهي الهزيمة التي تخلق امكانيات أوسع لنضال الشعوب في سبيل تحررها الوطني والاجتماعي ، ومن أجل الديمقراطية والتقدم والسلام العالمي .

ان أزمة النظام الاستعماري البرتغالي ، التي تفاقمت نتيجة مقاومة الشعوب التي يقوم باضطهادها ، بالاضافة الى نضال الطبقة العاملة في البرتغال ، ذلك النضال الذي لا يقل بطولة ، هذه الازمة أدت الى اسقاط الدكتاتورية الفاشية على يد حركة القوات المسلحة التي تعبر تعبيرا جديدا وهاما عن التوازن الحالي في صالح كفاح الشعوب من أجل الديمقراطية والاشتراكية والسلام .

لقد توج الخامس والعشرون من شهر ابريل ١٩٧٤ نضالا طويلا قام به الشعب البرتغالي وفي طليعته الطبقة العاملة وحزبها الشيوعي . ان الحركة التي صفت الفاشية الاستبدادية القديمة المسنودة من الامبريالية العالمية ، خلقت الظروف المواتية لتقدم البرتغال على طريق الاشتراكية على اساس الوحدة بين حركة القوات المسلحة والمنظمات الشعبية . ان الوقوف الى جانب البرتغال الجديد واجب جميع القوى الثورية والديمقراطية في العالم . وفي نفس الوقت تقريبا ، جاء الحدث المثير بقلب الشعب اليوناني للدكتاتورية الفاشية في اثينا كنتيجة لمؤامرات حلف الاطلنطي ضد استقلال قبرص .

وتتراجع الامبريالية بالتدريج ، ولكنها لم تتخل بعد — كما انها لن تتخلى ابدا — عن دعاواها في السيطرة .

وما زال امام الانفراج الدولي طريق طويل شاق لكي يثبت وجوده . فسياسة التعايش السلمي الثابتة التي ينتهجها الاتحاد السوفييتي والدول الاشتراكية الاخرى ، وتضامن جميع شعوب العالم، هي وحدها التي وقفت في وجه قوى الحرب والرجعية والعدوان ، ومنعتها من تعويق التقدم الذي تحقق في الوضع الدولي . ان هذا النضال الذي يشمل جميع النواحي ، والذي يحتدم في المجال الايديولوجي ، سوف يستمر في المستقبل . وتصعد المجموعات الاكثر عدوانية سباق التسلح وتحاول — بكل الطرق — ان تقف في وجه نضالات الشعوب في سبيل الحرية والديمقراطية وتحقيق مطالبها ، وذلك بالتدخل في الشئون الداخلية للدول الاخرى . وهي تنتهج سياسة عدوانية استفزازية ضد الاتحاد السوفيتي ترسم في داخل الولايات المتحدة نفسها ومن خلال القرارات الرسمية .

ويدين مؤتمرنا هذا بقوة السياسة الخارجية لقيادة الحزب الشيوعي في الصين ، تلك القيادة التي تغازل امبريالية اليانكي ، وتدافع عن وجوده في آسيا واوربا وتبرر وجود حلف الاطلنطي ، وتقف الى جانب امبريالية المانيا الغربية وانتقاميتها وتهاجم الاتحاد السوفييتي وتفترى عليه بنفس اللهجة التي يستخدمها اسوأ الناطقين بلسان الرجعية العالمية ، وتشجع النزعة العسكرية العدوانية للبورجوازية ضده،

وتساند سياسة الحرب الباردة ضد شعب الاتحاد السوفييتي البطل . وفي امريكا اللاتينية تجد هذه السياسة اسوأ تعبير لها في التستر بغير حياء على الزمرة العسكرية التي تحكم شيلي ودعمها سياسيا على اشلاء آلاف الشيوعيين والاشتراكيين والوطنيين الذين ذبحتهم الفاشية الارهابية هناك . كما تشجع القيادة الصينية في كل مكان مجموعات من الثوريين الزائفين يعملون — من خلال راديكالية زائفة — على تقسيم اليسار ، ويهاجمون الاحزاب الشيوعية ويعرقلون العمليات التقدمية وكثيرا مايتصرفون كعملاء للاعداء في داخل الحركة الثورية .

ولمواجهة هذه السياسة التي تخون وحدة الحركة الثورية يغدو التضامن بين الحركة الثورية العالمية وممارسة اشرف تقاليد هذه الحركة واجب جميع الاحزاب الشيوعية في امريكا اللاتينية .

وتضاف الازمة العميقة التي تعصف بالنظام الامبريالي — ككل وتهدد استقراره الى الهزائم السياسية والعسكرية التي مني بها هذا النظام . فهناك ملايين العاطلين في الولايات المتحدة واوربا الغربية واليابان . ولقد حاول امبرياليو الولايات المتحدة التقليل من عمق الازمة الاقتصادية مع تمويل الحرب في فيتنام . ولكن العكس هو الذي حدث في النهاية . لقد تفاقمت الازمة وادت الى وجود نقيضين ، فهناك ركود اقتصادي بجانب التضخم . وهذا الوضع قليل من هامش مناورة الامبرياليين رغم اغراق الاقتصاد الاوربي بالدولارات الاوربية وهي السياسة المالية التي ترتكز على ابقاء قيمة الدولار اعلى من حقيقتها ، وعلى السياسة التجارية التي ادت الى ان تبيع الدول المتخلفة المواد الخام بسعر منخفض بينما تضاعف سعر المنتجات الصناعية التي تحتاج اليها هذه الدول .

وكجزء من الحملة التي تقصد منها تغطية الاسباب الحقيقية للازمة الاقتصادية ، يلقي الامبرياليون تهمة الفوضى التي اصابت الاقتصاد العالمي على الدول المتخلفة المنتجة للبترول عندما رفعت هذه الدول سعر هذا الوقود الهام .

لقد كان الموقف الذي دافعت به الدول المنتجة للبترول عن حقها في تحديد سعر البترول جزءا من الرد على نظام التبادل غير المتساوي الذي دفع بها الى التخلف الذي يتفاقم باستمرار والذي لايمكن السكوت عليه بالمقارنة بالبلاد الراسمالية المتقدمة صناعيا وكانت الزيادة في سعر البترول احدى الخطوات التي اتخذت، وجاءت بعدها جهود الدول المتخلفة لتنظيم الانتاج وتسويق جميع موادها الخام بحيث تضاهي قيمتها اوجه استخدامها وتقف على قدم المساواة مع اسعار السلع الصناعية في التجارة الدولية .

ولا شك ان وضع الراسمالية يصبح اكثر سوءا بسبب التوترات الخطيرة في ميزان المدفوعات في بعض الدول الغربية المتقدمة ، وفي اليابان كنتيجة لزيادة سعر البترول في السوق العالمية.

وبينما اتجهت اسعار المنتجات الصناعية والوقود الى الارتفاع ، كانت اسعار جميع المواد الخام والسلع التي تعيش عليها غالبية الدول المتخلفة مثل دول امريكا اللاتينية متجه الى الانخفاض . ولكن الازمة الاقتصادية العالمية تمتد جذورها الى التناقضات الملازمة لنظام الانتاج الراسمالي وتتفاقم نتيجة التبديد والاسراف الاقتصادي وسياسة « الحرب الباردة » التي اتبعت عقب الحرب العالمية الثانية وسباق التسلح والعجز في الميزانيات لتمويل الحملات العسكرية والمغامرات الحربية التي تقوم بها الامبريالية .

ولقد اثبتت كوبا الاشتراكية — كما يقول قائدها فيدل كاسترو — سياسة صحيحة : ان الدخل الاضافي الذي تحصل عليه الدول المنتجة للبترول من زيادة سعره لايجب ان يستغل في البلاد الامبريالية . ولكن يفضل ان يستثمر داخل اقتصاديات تلك البلاد ، وايضا لتسهيل هذه الفوائض على شكل ائتمانات عادلة تقدم الى الدول المتخلفة لحل مشاكل ميزان المدفوعات ودفع عجلة التقدم الاقتصادي .

ولاشك ان الدول المنتجة للبترول اذا كانت تتطلع الى مساندة بقية دول العالم المتخلف في موقفها ، فان عليها في نفس الوقت ان تساند اقتصاديا الدول المتخلفة غير المنتجة للبترول التي يتفاقم الوضع فيها نتيجة زيادة اسعار السلع الصناعية والوقود اللازم للابقاء على دوران عجلة الحياة ونتيجة الانخفاض المنذر بالخطر الذي يصيب سلعها المصدرة ، وهو ما يلقي على تلك الدول عبء الازمة العالمية . وتحتاج هذه المشاكل الى تحليل اقتصادي عميق والى البحث عن حلول عادلة ومناسبة .

ان الاسراف والاستثمار في وعاء الاقتصاد الامبريالي ، وهو الموقف الاناني الذي تمارسه بعض البلاد المنتجة للبترول ذات الدخول الاقتصادية الضخمة ، لايدعم الجهود المبذولة لاتخاذ موقف موحد بين جميع الشعوب التي تستغلها الامبريالية ، ويسهل المناورات الانقسامية

ان الشعوب ترفض وتدين الحل الذي تطرحه اكثر اقسام امبريالية الولايات المتحدة عدوانية عندما ترد على موقف الدفاع عن الاسعار الذي اتخذته الدول المنتجة للبترول بالتهديد باستخدام العنف. لقد استرجع الرئيس الامريكي نفسه — في خطابه الذي القاه في ديترويت وانكره بعد ذلك — بحسرة ذكريات الايام التي كانت القوى الامبريالية الكبرى فيها تفرض بجيوشها الاستيلاء على المواد الاولية من الدول الفقيرة والمتخلفة . غير ان تلك الايام قد ولت الى غير رجعة. ففي ايامنا الحالية ، تشكل المواقف الصامدة التي تقفها الدول المتخلفة لحماية مصادر ثرواتها الطبيعية ومنتجاتها الزراعية والتعدينية عاملا نوعيا من عوامل الازمة العامة التي تواجهها الامبريالية .

ان احتدام ازمة النظام الراسمالي العامة ، والتي تحاول احتكارات الولايات المتحدة ان تلقي نتائجها على عاتق البلدان المتخلفة ، تقود امبريالية الولايات المتحدة الى استخدام اساليب جديدة ، اكثر مكرا ودهاء للتسلل الاقتصادي والى محاولة حل المشاكل المستعصية التي تواجه سياستها في امريكا اللاتينية على وجه الخصوص ، من خلال اساليب شبيهة بتلك التي طبقتها في كوبا . ولكن ، وفي نفس الوقت تزداد المقاومة وتخلق ظروفا افضل لتعاظم كفاح شعوب القارة في سبيل استقلالها .

وفي عام ١٩٧٦ ، أي بعد مائتي عام على اعلان استقلال الولايات المتحدة ، تستعد الحكومة الامريكية للاحتفال بهذه المناسبة . ولا تظهر في دعايات اليانكي المخادعة فيما يخص « روح ٧٦ » حقيقة ان الشعب في بورتوريكو متهور . كذلك لا يتضح من خلال هذه الدعايات انزال العشرات من جنود اليانكي البحريين في دول أمريكا اللاتينية ، ولا أعمال القسر والانتهاك التي بلغت أقصى درجات البشاعة في العمل الاجرامي الذي قاموا به عام ١٩٥٠ ضد تمثال جوزيه مارتي في هافانا ، والاراضي المغتصبة من المكسيك بعد حرب النهب والسلب خلال منتصف القرن الماضي . ويعيش ملايين من الشيكانو هناك وهم يعانون من نفس الاضطهاد الذي يعانيه المليونان والنصف مليون من البورتوريكيين وغيرهم من المهاجرين ذوي الاصل اللاتيني . هذا عدا الثلاثة والعشرين مليونا من السود الذين مازالوا — بعد أكثر من قرن من حرب الاستقلال ووفاة لنكولن — يعانون من ابشع أنواع التمييز العنصري .

وفي الذكرى المائتين لتأسيس الولايات المتحدة تعبر شعوب أمريكا اللاتينية عن تضامنها مع الطبقة العاملة ومع شعب الولايات المتحدة ضد العدو الواحد وهو قوة الاحتكارات الراسمالية ، كما أنها تقدر قيمة المساندة التي تلقاها من الشعب التقدمي في أمريكا الشمالية في معركة هذه الشعوب ضد الامبريالية ، ان ثروة الاحتكارات تنمو نموا سرطانيا على حساب استقلال الجماهير العاملة في الولايات المتحدة . وامبريالية اليانكي التي تتسبب في معاناة شعوبنا تحيل شعب الولايات المتحدة الى وقود لمواقع مغامراتها وتهدد شعوبنا بمزيد من القهر والاضطهاد كما تعرضها لخطر التحول الى الفاشية والحرب .

النفـــط والتنميـــة

صـــدر العـــدد الاول من مجلة النفـط والتنميـــة فى أكتـــوبر ١٩٧٥ في بغـداد.

واجابة على سؤال النفط والتنمية لماذا ؟أجابت أسرة التحرير فى افتتاحيتها على السؤال قائلة :

« فى هذه الفترة التى تزدحم بعدد كبير من المجلات ، لابد من التساؤل عن الاسباب والاهداف التى تدعو الى صدور مجلة جديدة ؛ لان من حق المواطن ان يتساءل ومن واجب الذى يتصدى لمثل هذه المهمة ان يوضح ويجيب » .

لعل من ابرز الاسباب التى تدعو لاصدار مجلة جديدة للنفط ان القضايا النفطية من اكثر القضايا عرضة للغموض والتداخل ، كانت كذلك فى الماضى ، ولاتزال ، الى حد كبير ، حتى الان ، ومن أجل المساهمة فى ازالة هذا الغموض ، وانهاء التداخل ، ومن اجل توضيح خطوات المستقبل تصدر هذه المجلة .

لقد ظلت جميع القضايا النفطية سرية ، وحتى اللحظة الراهنة لايزال التاريخ النفطى للمنطقة غير معروف بدقة ، ولم تجـر عملية «تنقيب» واسعة لكشف ملابسات هذا التاريخ وتوضيح الظروف التى خلفته أو رافقته ، حتى أن الانسان ليفاجأ حين يطلع على بعض الوثائق والنصوص التى رسمت أو نظمت الاوضاع السياسية فى الشرق الاوسط ، ويرى مدى ما كان للنفط من دور فى رسم أو تنظيم هذه الاوضاع .

اذا كان هذا يدخل فى نطاق التاريخ السياسى ، ودراسته وتدقيق وقائعه مـن مهمات المـؤرخين السيـاسيين ، فـان مجلة « النفط والتنمية » ليست من مجلات التاريخ السياسى المباشر حتى تتفـرغ لدراسته وتدقيق هذا التاريخ ، ولكنها سوف تحاول ، قدر الامكان الاستفادة ، من تجارب وتاريخ الماضى للاقتراح والمساهمة فى تحديد خطوات المستقبل .

لمن هذه المجلة ؟

ان هذه المجلة موجهة لقطاع عريض من المواطنين فى العراق وفى الوطن العربى .

هى ليست مجلة الاختصاصيين ، بالمعنى الدقيق والكامل ، كما انها ليست الجريدة

اليومية أو المجلة الاسبوعية ، انها مجلة المواطن الذى يريد متابعة السياسات والاوضاع النفطية فى المنطقة وفى العالم، ليعرف التطورات التى جرت ، والتى تجرى الان ، وليتصور احتمالات المستقبل أيضا ، وليساهم فى النهاية ، بوعيه ومشاركته . فى تثبيت سياسة نفطية وطنية تخدم التقدم وتساعد على التنمية ، وتنهى فى نفس الوقت السياسات والاوضاع الاستعمارية والاحتكارية والمعادية لامال وطموحات الشعوب .

ان مجلة « النفط والتنمية » مجلة للاقتصاد النفطى وللسياسة النفطية ، يحررها الاقتصاديون والسياسيون ، وستكون مهمتها ، بالدرجة الاولى ، معالجة قضايا الحاضر لاستشراف آفاق المستقبل . وسوف تكون من الرحابة بحيث تستوعب وجهات النظر ضمن مفهوم « سياسة نفطية وطنية » يساهم فى تحديدها وتوضيحها وتعزيز مرتكزاتها وتوسيع آفاقها جميع المهتمين والمتابعين لقضايا النفط .

لقد سادت لفترة طويلة فى مجال النفط ، وفى مجالات اخرى كثيرة ، ادبيات الشركات الاحتكارية والدول الاستعمارية ، وظلت الاصوات الوطنية محاصرة وضعيفة ، او ظلت فى الحدود الدنيا للتأثير والتفاعل . واذا كانت الضرورة تقضى بوجود منابر متعددة ومساهمات كثيرة لجلاء القضايا النفطية واظهارها امام القارىء على حقيقتها ، فان هذه المهمة من التشعب والتنوع والتداخل بحيث تستلزم جهودا طويلة ومتواصلة ، ويمكن أن تتعدد فيها وجهات النظر وتتنوع الاجتهادات ، لكن يجب أن تنطلق من المصالح الحقيقية للشعوب ، بعيدا عن التزييف ، وبعيدا عن المؤثرات والمصالح التى ولدتها وما تزال الشركات الاحتكارية ودولها الاستعمارية ، لكى يستطاع فى النهاية تكوين أدبيات نفطية وطنية راسخة .

يجب أن ينتهى عصر الكهانة فى النفط ، ليحل محله عصر التنوير والمعرفة ، على أوسع نطاق وبأصدق المعطيات ، ليتسنى للجماهير العريضة أن تعرف وتساهم فى تكوين حياتها المقبلة . واذا كان النفط احد ابرز واهم العناصر فى تكوين معالم ومظاهر الحياة فى المنطقة وفى العالم ، فان دوره فى تركيب الحياة لسكان المناطق المنتجة مازال خارجيا ، او لا يتعدى ، فى الغالب ، العائدات المالية التى تحصل عليها الحكومات المنتجة ، اى انه لم يتفاعل بعمق ولم يؤثر تأثيرا حاسما فى النظرة والسلوك ، كما لم يؤد الى النتائج التى تولدها الصناعة بصورة عامة .

فى هذا الاطار تحاول ان تكون مجلة « النفط والتنمية » صوتا وطنيا جديدا ، صوتا من أجل امتلاك الشعوب لثرواتها ، ومن اجل استثمار هذه الثروات فى البناء والتنمية ، ومن اجل توضيح كافة القضايا النفطية ، ومن اجل استيعاب عصر النفط والتكيف مع جميع مستلزماته .

وماذا أيضا ؟

ان مجلة « النفط والتنمية » اذا كانت تهتم بالدرجة الاولى والاساسية بقضية النفط ، فانها تدرك طبيعة العلاقات المتشابكة للقضايا كلها ، والتأثير المتبادل فيما بينها ، وهى لذلك ستعنى ، الى جانب النفط ، بقضايا التنمية الاقتصادية ، والعلاقات

الدولية ، وسوف تحاول أن تقدم للقارىء دراسات تسهم فى تغطية هذه القضايا ، لتصبح اللوحة أمامه فى النهاية أقرب الى الكمال والوضوح .

لماذا الان ؟

اذا كان صدور العدد الاول من « النفط والتنمية » يصادف ذكرى مرور سنتين على حرب تشرين ، التى كانت بمثابة الثورة النفطية الثانية ، بعد ثورة التأميم التى سبقتها ببعض الوقت ، فهذه المجلة تطمح بأن تمثل روح هاتين الثورتين ، وأن تواصل حمل الرسالة التى جاءت من أجل تحقيقها .

وماذا أخيرا ؟

ان استمرارية وقوة أية مجلة تعتمدان بالدرجة الأولى والاساسية على القارىء الذى تخاطبه وترتبط به ، وعلى مساهمة الذين يريدون لخطها أن يتعمق ويمتد ، ولذلك فان ارتباطها بالقارىء الواعى ، واعتمادها على الكفايات المخلصة ، ومحاولتها الامانة والوضوح ، والروح العلمية ، إن هذه المرتكزات تشكل هدفها وطريقها وشعارها .. فى هذه المرحلة الدقيقة والشائكة . وان هذه المهمة ، رغم كبرها وخطورتها ، تعطى شرفا لكل من يساهم فيها .

تنشر مجلة النفط والتنمية تباعا فى اعدادها القادمة دراسات عن :

- قناة السويس .. والنفط .
- التهديدات الامريكية باحتلال منابع النفط .
- حول اشكال العلاقات الجديدة بين الدول المنتجة والشركات الاحتكارية .
- البتروكيماويات مرحلة متطورة .
- الصين ومستقبلها النفطى .
- تأثير نفط بحر الشمال على نفط الشرق الاوسط .
- سياسة الطاقة فى كندا .
- موارد الطاقة فى العالم .
- الاتفاقية الامريكية - السعودية ...
- دور الكفاءة الانتاجية فى خطط التنمية الاقتصادية .

نوفمبر ١٩٧٥



ملحق
الأدب
و
الفن

اتحاد الكتاب ..
ملاحظات حول القانون
ودعوة للمناقشة ..

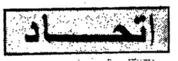
ثورة يوليو .. والسينما المصرية

محاولة للرؤية فى سنوات الامل والانكسار [١٩٥٢ — ١٩٦١]

مشاهد مسرحية .. فى ليل وارسو

الادب والفن فى شهر :

- فن تشكيلى : عن اللعب والفن والحرية
- سينما : حسين كمال : البرد والكهولة .. بعد الحماسة والشباب
- رواية : حضرة المحترم .. الرؤية الفكرية ، ومستوى الابداع



الكتاب

ملاحظات حول القانون ..
ودعوة للمناقشة

فاروق عبد القادر

● في يونيو الماضي اقر مجلس الشعب مشروع قانون بانشاء اتحاد للكتاب . اقر المجلس القانون دون أن تسبقه مناقشة كافية تشرح اهدافه ، وشروط عضويته ، وطريقة ادارته ، وحقوق اعضائه ، والسلطة التى تملك حله . وقد حددت مادتان من هذا القانون [٧٢ ، ٧٣] إن لوزير الثقافة ان يصدر قرارا بتشكيل لجنة مؤقتة للقيد ، تنظر فى طلبات الاعضاء خلال ستين يوما من تاريخ تقديمها ، وتدعو الجمعية العمومية للاتحاد خلال ثلاثة شهور من اول اجتماع لها ، لتتولى الجمعية بعد ذلك انتخاب مجلس الاتحاد [من ثلاثين عضوا] بالاقتراع السرى المباشر] (*)



وفى اول أكتوبر أعلن عن فتح باب التقدم لعضوية الاتحاد ، وعن تشكيل اللجنة المؤقتة من السادة : **د . مهدى علام رئيسا ، سعد الدين وهبة** [الوكيل الاول لوزارة الثقافة] **وثروت اباظة و د . عبدالعزيز الدسوقى** اعضاء . وفى اليوم التالى نشر خبر بضم عضوين آخرين الى اللجنة هما **عبد الرحمن الشرقاوى ويوسف ادريس** .

ونود أن نورد فيما يلى ملاحظاتنا حول هذا القانون ، داعين الى مناقشته وفتح باب الحوار حوله . وقد كان طبيعيا ومنطقيا أن تتم هذه المناقشة قبل اقرار القانون فى مجلس الشعب ، لكن الذى حدث ان وزارة الثقافة تقدمت بمشروع القانون الى لجنة الاعلام والسياحة بالمجلس فى ٧٥/٦/٢ . فاجتمعت اللجنة فى ٦/٤ [ومثل الحكومة امامها السيد **عصام الحينى** وكيل وزارة الثقافة ، واثنان من مديرى مكتب الوزير] وأقرته بعد تعديلات لا أهمية لها [انحصرت فى حذف كلمة « العلوم » من المواد التى وردت فيها ، وابدال بعض سلطات رئيس الاتحاد ونائبه وتغييرات اخرى طفيفة] ، فوافق عليه مجلس الشعب دون ان تتعرض مواده لمناقشة تذكر بين الاعضاء ، بل ان احد هؤلاء أكد لى أن عضوا واحدا بالمجلس لم يطلب مناقشة اى من مواده !

هكذا أقر القانون ، وقد كان بوسع وزارة الثقافة — أولا — أن تنشر نص قانونها المقترح ، وأن تفتح باب الحوار حوله قبل ان تتقدم به لمجلس الشعب ، فهذا قانون يعنى الكتاب لا غيرهم ، وعلاقة هؤلاء بوزارة الثقافة علاقة تختلف حولها وجهات النظر أيما أختلاف ، والثقافة — فى نهاية الامر — يصنعها المثقفون : منتجين ومستهلكين ، ولا تصنعها الاجهزة والمؤسسات . **وقد كان بوسع مجلس الشعب — ثانيا — ان يدعو لجان استماع تمثل اتجاهات الكتاب وأجيالهم** ، وهو تقليد اتبعه المجلس فى قضايا اخرى . ولن تجد من يجادل حول اهمية دور الكتاب فى صياغة وجدان جماهير قرائهم ومتلقيى اعمالهم .

ولان شيئا من هذا لم يحدث ، فاننا نطرح بعض الملاحظات حول القانون ، للمناقشة وابداء وجهات النظر حولها ، فان تبلورت هذه حول اقتراحات محددة أمكن التقدم بها لمجلس الشعب فى دورته الجديدة .

●

وثمة ملاحظة أولية نود ان نسوقها حول تشكيل اللجنة المؤقتة لقيد الاعضاء ، فعمل هذه اللجنة ذو اهمية كبيرة ، فهى التى تملك — منذ البداية — حق قبول طلبات الاعضاء المتقدمين أو رفضها ، ولما كان عدد من مواد القانون — كما سيتضح مما يلى — ذو طابع يفتقد التحديد الواضح والحاسم ، فمن الطبيعى ان تضع اللجنة تحديداتها هى لمن تراه جديرا بعضوية الاتحاد ومن تراه غير جدير . صحيح ان هناك مادة فى القانون [مادة ٧٣] تعطى مجلس الاتحاد المنتخب حق اعادة النظر فى طلبات الاعضاء المرفوضين ، الا انها لا تمثل ضمانة حقيقية ، فهذا المجلس نفسه قد انتخبه الاعضاء المقبولون ، لا المرفوضون بطبيعة الحال !

ان تشكيل هذه اللجنة يخرج خروجا صريحا على نص المادة التى قضت بتشكيلها . فقد حتمت المادة [٧٢] ضرورة ان يكون بين اعضائها « عضو من ادارة الفتوى المختصة بمجلس الدولة ، بدرجة مستشار مساعد على الاقل » . وواضح ان وجود هذا العضو ضمانة لوجود قاعدة قانونية يجوز على اساسها الرفض والقبول ، لكن قرار تشكيل اللجنة صدر دون أن تضم هذا العضو . هذه واحدة . الثانية ان بين اعضاء اللجنة — وأود ان اكون واضحا هنا كل الوضوح : فانا لا أعنى

اشخاص هؤلاء السادة في شيء مما نستطيع القول عنهم بأنهم ليسوا أجدر الكتاب بالتمثيل في مثل هذه اللجنة : فرئيسها الدكتور مهدي علام — مع تقديرنا الكامل لدوره كمعلم وأستاذ للغتين العربية والانجليزية — فان اسهاماته في المجال الادبي [من بين اعماله : من المقصورة في الادب العربي ، فلسفة المتنبي ، عائشة ام المؤمنين]، ومعرفته بمشاكل الكتاب وهمومهم ، وقدراته الصحية [تخرج من كلية دار العلوم سنة ١٩٢٢] على حضور الاجتماعات المتوالية ، وتحري الدقة عن كل كاتب يتقدم لطلب العضوية ، اقول : ان كل هذا يجعل من وجود الدكتور علام على راس اللجنة وجودا أقرب الى الرمز والتكريم منه الى الوجود المؤثر والفعال . اما الاستاذ سعدالدين وهبة فعضو اللجنة بحكم منصبه وكيلا اول لوزارة الثقافة وممثلا لها . وللاستاذ ثروت اباظة روايات وقصص منشورة ، كانت مادة اعمال تليفزيونية وسينمائية ذات انتشار واسع ، لكن ما يلفت النظر انه اصبح اخيرا رئيسا لمجلس مجلة الاذاعة ورئيسا لتحريرها [بعد ان تولى الاستاذ يوسف السباعي امر وزارة الاعلام] ، وبدأت هيئة الكتاب — التابعة لوزارة الثقافة — نشر « اعماله الكاملة » ، وهو تقليد لم تبادر اليه الهيئة مع كاتب مصري ، باستثناء الاستاذ يحيى حقي ، تكريما له لبلوغه السبعين ، والاستاذ اباظة — في مناقشاته وكتاباته — لا يخفي انتماءه التقليدي وفكره المحافظ ،

والدكتور عبد العزيز الدسوقي [حصل على الدكتوراه اخيرا من كلية دار العلوم] فلا يعرف له اخذ اسهامات ذات قيمة في النتاج الادبي ،هو — فقط — رئيس تحرير مجلة انشأها وزير الثقافة ،وكان الدسوقي نائبا له في تحريرها حتى العام الماضي، وما يكتبه لا يرقى لمستوى مناقشة جادة ومسئولة .

العضوان اللذان اضيفا للجنة بعد قرار تشكيلها الاول : الاستاذان عبد الرحمن الشرقاوي ويوسف أدريس — فلا شك أن لكل منهما — رغم اية اختلافات أو ملاحظات — من رصيده الادبي ومعرفته بالكتاب ومشاكلهم ما يؤهله ان يكون عضوا في لجنة تتولى الان تحديد صفة الكاتب ، وجدارته بعضوية اتحاد الكتاب .

اذن : هي لجنة تخرج على قانون تشكيلها خروجا صريحا، ليس لرئيسها وجود فعال او مؤثر ،وثلاثة من اعضائها يستمدون معظم تأثيرهم من وجودهم على رأس قطاعات من أجهزة الثقافة والاعلام ، وعضوان قد يكون لاحدهما او كليهما رأى مختلف . أليس من حقنا أن نشك في حيادها — على الاقل — وقدرتها على اتخاذ القرار السليم ؟ .

●

والحديث عن اهمية اللجنة يقودنا مباشرة للحديث عن نص القانون . والملاحظات التالية تدور حول نقطتين : الاولى علاقة اتحاد الكتاب بوزارة الثقافة ،



يوسف السباعي

والثانية حول عضو الاتحاد : من هو وما واجباته .

وواضح ان علاقة الاتحاد بوزارة الثقافة هي في جوهرها علاقة الكتاب بالسلطة . ونظرة سريعة الى هذه العلاقة منذ ٥٢ قد تكون مفيدة : تميزت السنتان التاليتان على ١٩٥٢ بحيوية فائقة في التعبير عن مختلف الاتجاهات والتيارات ،فبالاضافة لعهد النظام القديم . نشط منظر واليمين واليسار الى اغراق جماهيرهم بسيل من كتاباتهم العلنية وغير العلنية ، وحين نجحت مجموعة عبد الناصر في ان تحسم صراع السلطة لصالحها — داخل مجلس قيادة الثورة وخارجه — بدأت تمسك اعنة المجتمع بأيد قوية ، وبدأت تضع في التطبيق ما تصورته صياغة لاسس المجتمع الجديد. وكان طبيعيا ان تسارع كي تلعب هذا الدور في مجال الثقافة ، فأنشئت على عجل مصلحة الفنون [١٩٥٤] ، ثم المجلس الاعلى للفنون والاداب [١٩٥٦] واخيرا أول وزارة للثقافة [١٩٥٨] .

وبقيت علاقة السلطة بالكتاب — على وجه العموم — علاقة شد وجذب : السلطة تحاول ان تجتذب الكتاب — ترغيبا وترهيبا — نحو ما تتصوره صياغة لاسس المجتمع ،

وسياساتها فى الداخل والخارج ، وبعض الكتاب - كل بطريقته - يحاول ان يجتذب السلطة لما يتصوره الصياغة الصحيحة . وتميزت الفترة من ٥٤ الى ٥٩ بطابع تقدمى عام ودرجة من السماحة فى تقبل الافكار والجدل حولها ، ومع بداية الستينات [فلنذكر : فى ١٩٥٩ اعتقل عبد الناصر مئات الماركسيين كان من بينهم عدد كبير من الكتاب الذين شكلوا ملمحا فكريا هاما فى المرحلة السابقة ، فى ١٩٦٠ أممت الصحف تأميما كاملا ،فى ١٩٦١ الانفصال : ضربة حادة لشعبية عبد الناصر ، فى نفس العام تولى مهندس الدعاية عبدالقادر حاتم شئون الثقافة والاعلام جميعا ، فى ١٩٦٢ اكتمل الاطار الفكرى للنظام بصدور الميثاق الوطنى] راحت الدولة تزيد من هيمنتها على النشاط الثقافى والفكرى .

فى هاتين المرحلتين وبعدهما تعددت نقاط التوتر بين الكتاب والسلطة ، ممثلة فى مسئولى الثقافة والاعلام : معركة « الثقافة المصرية » والجديد والقديم فى الادب [٥٤/٥٥]، الجدل حول مسرحية « سقوط فرعون » [٥٧] ، الجدل حول معنى الديموقراطية [٥٧/٥٨]، الصراع الطويل حول قضية الكم والكيف فى النتاج الثقافى [منذ ٦١/٦٢] ، الجدل حول مسرحية « الفتى مهران [٦٥] ، معركة الشعر الجديد والقديم [٦٤] ، دور الرقابة - على المسرح بوجه خاص - بعد ٦٧ ، مؤتمر الادباء الشبان ، بكل ملابسات



د. مهدى علام



ثروت اباظة

الدعوة اليه وما اسفر عنه [٦٨]، وكانت آخر نقاط التوتر البيان الذى وقعه عدد من الكتاب فى بداية ٧٢ وما تداعى بعده .

فى معظم نقاط التوتر كانت السلطة تتدخل - ممثلة فى مسؤولى الاعلام والثقافة غالبا - كى تحسم الجدل الدائر وتقرر احدى وجهات النظر التى يدور حولها ، بالوسائل التى تراها كفيلة بهذا الاقرار .

من هنا .. فان علاقة اتحاد الكتاب بوزارة الثقافة تكتسب الاهمية الاولى . وسنلاحظ ان هذا القانون يعطى وزارة الثقافة - وزيرها أو كبار مسئوليها - بحكم وظائفهم - نوعا من الحقوق يشبه التسيد الكامل على أعماله وقراراته . فالمادة [٣٠] منه تقضى بان تخطر سكرتارية الاتحاد [المنتخب] وزارة الثقافة بصورة من الدعوة لاجتماع الجمعية العموميه قبل موعد الانعقاد باسبوع على الاقل ، وبصورة من محضر اجتماع الجمعية العمومية والقرارات الصادرة عنه خلال خمسة عشر يوما من تاريخ الاجتماع » . والمادة التالية [٣١] تعطى وزير الثقافة حق « ان يطعن فى انتخاب رئيس الاتحاد واعضاء مجلس الاتحاد، وذلك بتقرير يودع قلم كتاب محكمة القضاء الادارى بمجلس الدولة خلال خمسة عشر يوما من ابلاغه نتيجة الانتخاب » .

وحين ارادت نفس المادة أن تعطى هذا الحق لسلطة اخرى عادت فقيدته على نحو غير مفهوم : « يجوز لمائة عضو على الاقل ممن حضروا الجمعية العمومية الطعن امام المحكمة المذكورة فى قراراتها او صحة انعقادها او فى انتخاب رئيس الاتحاد او اعضاء مجلس الاتحاد .. وذلك بتقرير مسبب ومصدق على الامضاءات الموقع بها عليه من الجهة المختصة والا كان الطعن غير مقبول شكلا .. » وتفصل محكمة القضاء الادارى فى الطعن على وجه الاستعجال فى جلسة غير علنية ، ويصدر الحكم فى جلسة علنية .

هاتان المادتان تؤكدان سيطرة وزارة الثقافة على الاتحاد ، فالمفروض ان الجمعية العمومية تنتخب مجلس اتحادها بطريقة ديموقراطية ،لكن من حق الوزير ان يعترض على قرار الجمعية، دون ان يكون مطالبا بابداء اسباب طعنه علنا ، أما اصحاب هذا الحق - وهم الكتاب انفسهم - فقيد القانون حقهم مرتين :

● **الاولى** : حين حدد عددا من الاعضاء لا يقل عن المائة ، بدل ان يحدد نسبة من الاعضاء العاملين على سبيل المثال .

● **والثانية** : حين نص على أن يكون تقرير هؤلاء الاعضاء المائة « مسببا » و « مصدقا على الامضاءات الموقع بها عليه من الجهة المعنية » ، وترك أمر هذه الجهة المعنية دون تحديد : هل هى الجهات التى يعمل بها هؤلاء الاعضاء أم هى مجلس الاتحاد نفسه ؟ ، وفى الحالين : ما ضرورة التصديق على توقيعات الاعضاء ، من اى جهة كانت ؟ .

ثم : ما ضرورة أن تكون الجلسة التى ينظر فيها طعن وزير الثقافة — او الاعضاء المائة — جلسة غير علنية ؟ هذا قانون اتحاد للكتاب ، وأياماكانت مبررات الاعتراض على انتخاب مجلسه او قرارات جمعيته العمومية ، فلا وجه يحتم نظر هذه الاعتراضات فى جلسة غير علنية .

أن هذه القيود المتتالية تؤكد ما نذهب اليه من أن القانون يعطى وزارة الثقافة سلطة على اتحاد الكتاب : مجلسه وجمعيته العمومية على السواء . تؤكد هذه السلطة ايضا مواد اخرى مثل المادة [٦٢] التى تعطى الحق « لكل من النيابة العامة ووزير الثقافة ان يطلب من مجلس الاتحاد احالة عضو من اعضائه الى هيئة التأديب » ، والماد [٤٥] التى تنص على انه « لا يجوز للاتحاد أن يقبل أية أموال من شخص أجنبى أو جهة اجنبية ، كما لا يجوز له ان يرسل أية اموال الى اشخاص او منظمات فى الخارج الا باذن من وزير الثقافة » ، لابموافقة مجلس الاتحاد نفسه كما هو طبيعى ومفروض .

●

حددت المادة السادسة من القانون الشروط الواجب توافرها فى طالب القيد بالنسبة للاعضاء العاملين . وما هو جدير بالمناقشة هنا هو الفقرتان [د] ، [هـ] من هذه المادة . تنص الاولى على أن يكون العضو « محمود السيرة ، حسن السمعة » ، وتنص الثانية على أن يكون له « انتاج ملحوظ فى مجالات الاداب ، وفقا لما تحدده اللائحة الداخلية » .

هاتان الفقرتان بغموضهما ، واحالاتهما الى احكام قيمة غير محددة ، تضعان بين يدى اللجنة — التى تقوم الان بتحديد صفة العضوية بالنسبة للمتقدم او اسقاطها عنه — ، وبين يدى لجنة القيد بعد ان يتكون الاتحاد — سلاحا يمكن ان يشهر فى وجه من تشاء ، دون ضابط دقيق لاستخدامه .

وحتى تجتمع الجمعية العمومية وتضع لائحتها الداخلية فاننا نملك أن نضع الان هذه التساؤلات : ما هى مجالات الاداب هذه ؟ .. هل تتسع لتشمل الدراسات الاكاديمية والكتابات التى يغلب



عبد الرحمن الشرقاوى

عليها الطابع الانسانى او السياسى — الاجتماعى او الفكرى بوجه عام .. أم تضيق لتصبح قاصرة على « الابداع الادبى » باشكاله المحددة من قصة وشعر ورواية ومسرح ونقد ؟ . هنا أيضا : ما حكم معدى الاعمال الادبية وكتاب البرامج الاذاعية والتليفزيونية والاعمال السينمائية وغيرها ؟ . واذا اتسعت هذه المجالات أو ضاقت فما علاقة الاتحاد — وقد جاء فى مادته الأولى انه « نقابة يسمى اتحاد الكتاب » — بغيره من النقابات التى ينتمى اليها كثير من هؤلاء الكتاب [نقابة الصحفيين بوجه خاص] : هل يحول انتماؤهم الى واحدة دون انتمائهم الى الاخرى ؟ .. أم يكتفى المنتمون منهم بأن يكونوا اعضاء منتسبين الى الاتحاد ؟

الواضح من قراءة مواد القانون ومذكرته الايضاحية التى تقدم بها وزير الثقافة انه يعنى « الادباء » ، أى منتجى الفنون الادبية المختلفة ، ففى المذكرة اشارة الى قيام « اتحاد نوعى » فى ٢١ ديسمبر ١٩٧٠ « يضم الجمعيات والمؤسسات الخاصة العاملة فى ميدان النشاط الادبى » . وبعد أن تعترف المذكرة بانها كانت محاولة محدودة القيمة تضيف : « لذا تقدمت الحكومة بهذا المشروع بقانون لانشاء نقابة للكتاب .. تصحح اوضاعهم وترعى مصالحهم .. من ضمان لحقوقهم وتأمين لمستقبلهم ومن رعاية لهم فى المرض والشيخوخة بمعاشات وقروض واعانات .. ولم يقتصر مشروع القانون على رعاية الادباء والكتاب [لاحظ التفرقة التى تثير اللبس من

جديد !] بل كفل لهم ايضا الحرية الفكرية ، وحماية الادب والكتابة من الضعف والابتذال والاتجاهات الضارة بصالح الوطن ... الخ » .

وبصرف النظر عن كل هذا الذي جاء بالمذكرة الايضاحية — ولم يف القانون بحده الادنى — فلنا ان نستنتج انها تعنى هؤلاء « الادباء » الذين تختلط الحدود بينهم وبين الصحفيين — فلابد للاديب من ارتباط بوسيط من وسائط النشر — من ناحية ، وبينهم وبين غيرهم من كتاب الاسهامات ذات الطابع الفكرى من الناحية الاخرى .

هؤلاء الادباء .. ما المقصود من النص على ان يكونوا « محمودى السيرة ، حسنى السمعة ! » ، وبأى معيار يتحدد حسن السيرة والسمعة ؟ هل تعنى ان يكونوا ملتزمين — كل الالتزام — بتقاليد المجتمع واعرافه وقيمه ومواصفاته وانماط سلوكه وآفاق تطلعه وما اتفق واستقر عليه وما لايختلف حوله اثنان ؟ .. ولكن: اى أدباء سيكونون حينئذ ؟ .. الادباء مبدعون حقا ، ينطلقون فى ابداعهم عن شهوة تتأجج لان يصبح العالم اجمل والانسان اكثر حرية وتحققا واكتمالا .. أم طائفة من الكتبة والوراقين والمزيفين والادعياء والصغار ؟.

اننى أطلب الى السادة الذين وضعوا هذه الفقرة ان ينظروا الى سير الادباء — فى القديم والحديث ، فى الشرق والغرب — وليقولوا لنا : أيهم كان محمود السيرة حسن السمعة : شكسبير : كان بخيلا مرابيا ؟ **وستويفسكى** كان مقامرا مندفعا ، **بودلير** كان مدمنا داعرا ، **رامبو** كان نخاسا مدمنا ، **بيرون** أنجب طفلة من اخته ، **ستريندبرج** كان ملثاثا نصف معتوه ، **الحسن بن هانىء** كان خليعا ماجنا ، **بشار** كان سفيها مجدفا ، **جيد وكوكتو وايلد وجينيه** .. جميعا كذا وكيت . وتطول القائمة . **لكننا نقول ان حركات أدبية وفنية كاملة ماكان يمكن ان تقوم لها قائمة .. لو تحرى القائمون بها ان يكونوا « محمودى السيرة ، حسنى السمعة » ، فالرومانتيكية والسوريالية والنيوكلاسية ، وكل الحركات والمذاهب الادبية التى يموج بها وجه العالم المعاصر .. هى فى جوهرها تمرد ورفض لما هو قائم ، فى الحياة والفن جميعا ، وكلها ماكان يمكن ان تقوم لها قائمة .. لو طبقت على افرادها هذه المادة من قانون اتحاد الكتاب المصرى!**

وهكذا نرى ان هاتين الفقرتين من المادة [٦] تفتحان الباب واسعا أمام التفسير من جانب اللجنة المؤقتة او لجنة القيد فى المستقبل ، وتضعان بين يديهما السلاح الذى يمكن ان يشهر فى وجه الكتاب لسبب او آخر .

والفصل الخامس من القانون يرد بعنوان : « واجبات الاعضاء .. وتأديبهم » ، نعم تأديبهم لا حقوقهم . فتحدد المواد من [٥٩] الى [٦٨] طريقة « تأديب » الاعضاء ، وتفصل الامر تفصيلا واسعا ، فتذكر المادة [٥٩] « يؤاخذ تأديبيا طبقا لاحكام هذا القانون كل عضو يخالف الواجبات المنصوص عليها فى هذا



سعد الدين وهبة

القانون او فى اللائحة الداخلية للاتحاد او يخرج على مقتضى الواجب فى مزاولة المهنة ، او يظهر بما من شأنه الاضرار بكرامتها ، او يأتى عملا يتنافى مع آدابها ، او يلحق ضررا ماديا او ادبيا بالاتحاد .. » .

وبالاضافة لكل ما ذكرناه — ونذكره — من ملاحظات حول مواد القانون ، تبقى عبارات مثل : مقتضيات الواجب وآداب المهنة والاضرار بكرامتها او بالاتحاد ، عبارات غائمة ، يسهل ان تصوب الى من يشاء القائمون على تفسيرها ! .

ومن بين المواد التى تحدد واجبات الاعضاء ايضا المادة [٥٦] : « على العضو ان يتوخى فى سلوكه المهنى مبادىء الشرف والامانة والنزاهة وان يقوم بجميع الواجبات التى يفرضها عليه هذا القانون واللائحة الداخلية للاتحاد وآداب المهنة وتقاليدها . ولا يجوز للعضو المجادلة فى الامور السياسية او الدينية بما يتعارض مع النظام العام والآداب » .

ونود ان نقف عند الجملة الاخيرة من المادة التى تمنع العضو من المجادلة — لاحظ : المجادلة لا المناقشة : — فى الامور السياسية او الدينية . واول ما نقوله ان هذا المنع يناقض اهداف الاتحاد كما جاءت فى القانون نفسه . فالفقرة الاولى

من المادة الثالثة تحـــدد اول اهداف الاتحاد بانها « العمـل على تمكين الكتاب فى مجالات الانتاج الفكرى فى الاداب..من اداء رسالتهم فى بناء المجتمع الجديد ، وفى تحقيق الوحـدة العربية الشاملة ، وفى الاسهام فى اقرار السلام العالمى ،واثراء الحضارة الاسلامية .. » ، ومن الاهداف ما تحدده الفقرة الثانية من المادة نفسها : « العمل عن طريق الكلمة على تحرير الوطن العـربى وتحقيـــق اهـــدافه القومية » .

وسؤالى الان هو : كيف يمكن لكتـاب وادباء ان يعملوا على تحقيق هذه المهام كلها : بنـــاء المجتمع الجديد وتحـرير الوطن العربى والوحدة العربية الشاملة والحضارة الاسلامية والسـلام العالمى .. كيف يمكنهم العمل على تحقيق كل هذا دون مجادلة فى امور سياسية او دينية ؟ ومن اذن سيجادل ويناقش لهم ؟ .. من سيحدد لهم خطوط النظـام العام والاداب فلا يتجادلون الا داخلها ؟ من سيريهم الحق حقا ويلهمهم اتبـــاعه .. ويريهم الباطل باطلا ويلهمهم اجتنابه ؟.

ام انهم سيحققون هذه المهام كلها ببيانات «الشجب والتاييد» ؟

يوحى بهذا التصور أيضـــا ما جاء بالفقرة [ز] من هذه المادة نفسها [٣] ، والتى تنص على ان من اهداف الاتحـــاد : « رعاية حقوق الاعضاء والعمـل على ترقية شئونهم الادبية والمادية ، وضمان حـرية التعبير الملتزم بالوطنية المصرية والقوميــة العربيـــة والقيم الدينيـــة والانسانية » .

ولســت ادرى .. اذا كان التعبير ملتزما بهذا كله .. فما حاجته لضمان حريته ؟ .. لعل الامر هنا كان يجـب ان يكون العكس : فالتعبير الذى بحاجة لضمان حريته هو ما يلتزم بهذا كله او بعضه !

●

وتبقى ملاحظه : هل يحقق القـــانون ما جاء فى مـــذكرته الايضاحية بان من بين اهدافه : « رعاية حقوق اعضاء الاتحاد والعمل على تحقيق المستوى اللائق بهم من الناحيتين الادبية والمـــادية وتأمين مستقبلهم برعايتهم ضد المرض والعجز والشيخوخة بكفالة معاشـات واعانات وقروض لهم عن طريق انشاء صنـــدوق للمعاشـات والاعانات .. » ؟

ان المادتين [٥١] ، [٥٢] تجيبان عن السؤال : تحـــدد الاولى انشاء «صندوق للمعاشات والاعانات يديره مجـلس ادارة برئاســة نائب رئيس مجـلس الاتحاد وعضوية امين الصندوق وثلاثة ينتخبهم مجلس الاتحـــاد سنويا من بين اعضائه ، وتبين اللائحـة الداخلية القـــواعد الخاصـــة بادارته ، وبمنـــح المعاشات والقــروض منه » ، وتحدد المادة التالية اهم موارد هذا الصندوق بانها : ٥٠٪ من رسوم القيد فى جدول الاتحـــاد [٥ جنيهات للعضو الواحد]، ٥٠٪ من الاشتراكات السنوية للاعضاء [٣ جنيهات للعضـو العامل ، جنيه واحد للعضـو المنتسب] ، الاعانات والهبات والوصايا المقدمة للصنـــدوق بالاضافة الى ٥٠٪ ممـا يكون مقدما منها باسم الاتحاد .



يوسف ادريس

واذا تجـــاوزنا الاعــانات والهبات والوصايا «باعتبار انها شىء لا يمــكن التنبـــؤ بـه او تقـديره ، فان المصدرين الاولين لا يكفيـــان - على وجـه اليقيـن - « لتـأمين مستقبل الكتاب والادباء برعايتهم ضد المرض والعجز والشيخوخة وكفـالة معاشـــات واعـــانات وقروض لهم » .

وعليــهم ان يظلوا قاعـــدين بانتظـــار الاعانات والهبـات والوصايا .. كانهم حشــد من المتسولين العجزة ! .

●

ان الاتحـــاد الديموقـــراطى للكتاب كان دائما حلما للكتـــاب المصريين ، وهدفا من اهـــداف نضالهم ، ولا شك فى ان التقدم نحو الاعتراف بهذا الحق خطوة على الطريق ، لكن هذا القانون أخذ من الكتـــاب الكثير .. ولم يكد يعطى لهم شيئا .

لهذا نطرح هذه الملاحظـــات .. ولهذا ندعو الى مناقشتها.

السينما المصرية وثورة يوليو

محاولة للرؤية فى سنوات الأمل والانكسار

■ السنوات الاولى والوسطى
(١٩٥٢ ـ ١٩٦١)

الفاروق عبد العزيز

فى فجر يوم الاربعاء الثالث والعشرين من يوليو عام ١٩٥٢ كانت السينما المصرية قد سلخت من عمر الزمن نحو ربع قرن أو أقل قليلا منذ عرض « ليلى » أول فيلم مصرى طويل فى مساء الاربعاء السادس عشر من نوفمبر عام ١٩٢٧ . وحتى عام ١٩٥٢ كان قد مضى على أول عرض « للألعاب السحرية العربية » فى الاسكندرية مايربو على ستة وخمسين عاما : واحد وثلاثون منها للنشأة والتجريب وخمسة وعشرون اخرى للنمو والتعاظم .

● **موروث الماضي**

وكان كر هذه الاعوام وتشابكها وامتلاؤها كافيا لتكوين شيء أشبه **بموروث سينمائي له** خصائصه وقوانينه الخاصة والمستمدة من مؤثرات خارجية شتى تفوق بكثير تلك المستمدة من أصول بيئية مصرية خالصة . وفي بداية هذا المقال اعتقد انه يمكنني — دون ايغال في التفاصيل — ترتيب عناصر هذا الموروث **على النحو التالي** :

— **عبادة النموذج الامريكي الهوليوودي**

بدأ دفق الشرائط الامريكية على مصر بعد نهاية الحرب العالمية الاولى . وكانت الظروف التاريخية والموضوعية وقتها تسمح بأن تتحول مصر — شأنها شأن كثير من بلاد العالم — الى **مستودع للافلام الامريكية حتى تعاظم حجم ما تستورده منها في عام ١٩٥٢ الى ما يربو على** الثلاثمائة وخمسين فيلما في كل سنة . **ودراسة انظمة القيم التي أثمرها الفيلم الامريكي تصلح بذاتها تاريخا لنمو وتطور البنية الفكرية السينمائية في بلادنا** . فقد ورثت مصر نظام النجوم وأساليب حل المشكلات على الشاشة فقط والايمان بالمصادفة وسيطرة السوبرمان والاهمية البالغ فيها للمناظر وللفخامة كما ورثت ايمانا لاشك فيه بعلاقة السينما برأس المال وارتباط النجاح بالربح مضافا الى نقاء وتدين الرجل الابيض **في** مواجهة الزنجي الاسود والهندي الاحمر . وأسهم هذا كله في تكريس اتجاه نما مبكرا **نحو التسلية المطلقة باعتبارها غاية وحيدة للفن الجديد** .

— **النشوء شبه الرأسمالي**

ومن عباءة النموذج الامريكي خرجت الدعوة الى المولين الاغنياء في مصر « **هل يتنبه اغنياؤنا الى هذه الحقيقة وهل يدركون أن السينما اليوم من موارد الكسب والغنم** » وبالطبع فان هذه البنى شبه الراسمالية لم يعنها سوى تحقيق الربح حتى لو تخلفت السينما — **هكذا** مبكرا — عن التقدم الذي احرزته فنون الادب والموسيقى والفن التشكيلي في أعقاب الثورة الوطنية في عام ١٩١٩ . **وهكذا مضت السينما باتفاق عرفي شبيه بما يمكن تعريفه بثقافة البورجوازية المصرية الكبيرة وتصورها للواقع** .

— **الموضوع : اللاواقع**

في اتساق مع العنصرين السابقين أوغلت السينما المصرية — حتى عام ١٩٣٩ — في تصوير واقع مختلف عما يعيشه المصريون فالميلودرامات **والافلام الغنائية قد برهنت على صلاحيتها لحمل مضامين تؤكد الحلم وتفريغ الحلم معا** . فالابهاء الواسعة والصالونات الفسيحة المتوهجة بأبطالها الوجهاء هي نفسها دروب القرية النظيفة وغرفها المضاءة بأبطالها الوجهاء ايضا .". « **ليلى** » « ١٩٢٧ » — « **زينب** » « ١٩٣٠ » **تحت ضوء القمر** » « ١٩٣٠ » — « **انشودة الفؤاد** » « ١٩٣٢ » — « **أولاد الذوات** » « ١٩٣٢ » .. **الكل يبكي أو يغني والازمة عاطفية دائما وفردية ابدا في الماضي التاريخي أو في الحاضر المعاصر** .

— **التأصيل والتوثيق : دستور بدرخان**

وتحول الاتفاق العرفي الى دستور مكتوب في عام ١٩٣٦ . وبدرخان يعلن جهارا في كتابه « **السينما** » **أن القصة** السينمائية « **السيناريو** » **الذي يدور في أوساط بسيطة كأوساط العمال والفلاحين يكون نجاحه محدودا ، لأن السينما — قبل كل شيء — مبنية على المناظر ، وأن الطبقة المتوسطة من الشعب .. لاتحب أن ترى العالم الذي تعيش فيه** بل انه يعترف السيناريو المتقن بأنه « **يتكون من قصة تدور حول ثلاثة أو أربعة أشخاص في بلد جميل المناظر أو في منازل بديعة في مدة قصيرة ، ويتخلل القصة عقبات** .. لعل بدرخان قرأ كتاب « **الفن السينمائي** » لبودوفكين وكان مترجما الى الفرنسية ومعروفا تماما في باريس اثناء دراسته هناك ولكنه فضل ان يكون أمينا مع احلامه .. لماذا ترك الاتجاه الذي رسمه بدرخان تأثيرا هائلا في مصر ؟ لانه عاش في زمن كان عدد المخرجين المصريين فيه بعد على الاصابع ولان دستوره **جاء متفقا تماما وموثقا في وضوح لاتجاه موجود بالفعل** وان كان لم يتأصل بعد : **اتجاه التسلية المطلقة** وسينما تعتبر نفسها بديلا — له خواص تخديرية — عن تحليل الواقع وعلاقاته تحليلا ما . جاء دستور بدرخان مبشرا بأفلام لايمكنها حتى أن تحلل الصور البورجوازية نفسها تحليلا واقعيا بقدر ما جاء متسقا في اطار التحالف الاقتصادي شبه الرأسمالي — والسياسي التابع في ذلك الوقت .






احمد كامل مرسى — كامل التلمسانى — صلاح أبو سيف

ـ قلم الرقابة

ولا ينسى بدرخان أن يؤكد أن مهمة قلم الرقابة التى ينبغى احترامها تنحصر فى منع كذا وكذا ومنع انتشار التعاليم الاجتماعية الخطرة . فى عام ١٩٤٧ صدر « أبشع » قوانين الرقابة فى مصر . والسبب معروف وهو أنه **فى الاعوام القلقة التى تلت نهاية الحرب العالمية الثانية كانت مصر ترحب بالثورة** ، وصدر القانون ـ اثر اشتداد عنت الحركة الوطنية عمالية وطلابية ـ على غرار قانون الانتاج الامريكى ـ كما جاء بديباجته ـ الذى وضع فى أوج « ازدهار » الارهاب المكارثى فى الولايات المتحدة . تقول بعض بنوده :

ـ لايسمح بمنظر بيوت الفلاحين الفقراء

ـ يراعى فى تصوير الكباريهات ألا تكون قذرة

ـ تمنع المواضيع ذات الصبغة الشيوعية أو التى تحتوى على دعاية ضد الملكية .

ـ مناظر الاخلال بالنظام الاجتماعى بالثورات أو المظاهرات او الاضرابات .

ـ تحبيذ الجريمة بين العمال أو بث روح التمرد بينهم كوسيلة للمطالبة بحقوقهم .

واضح تماما من هم الذين أصدروا القانون ، كما هو **واضح أن المعزوفة متسقة مع البنية الفوقية وأن حلقة الحصار** تزداد احكاما حول اخطر فنون التوجه الى الجماهير .

ـ الوجه الاخر: بذور الواقعية

مايزال العقد الرابع من هذا القرن هو أهم عقود السينما المصرية حتى اليوم . فعلى أعتابه فى عام ١٩٣٩ تمكن **كمال سليم** ـ وهو نمط جديد من المخرجين ذوى الافكار غير المألوفة من قبل ـ أن يخرج فيلما أسماه العضو المنتدب لبنك مصر « **العزيمة** » بعد أن كان مشروعه أصلا يحمل عنوانا نذرا « **فى الحارة** » . ولقد جاء الفيلم مطابقا تماما لقول مخرجه فى عام ١٩٤٢ : « **أن المصريين يميلون الى الافلام التى تعبر عن مختلف عواطفهم واحساساتهم والتى تتعرض لنواحى النقص فى حياتهم الاجتماعية بطريقة بعيدة عن التعقيد والفلسفة** » .

ويمكننا اليوم أن نتأمل هذا الفيلم الرائد عندما نلمس قيمة العمل التى اختبرها فى موضوعه لقد كانت مصطلحا غريبا تماما بين مصطلحات اخرى كأولاد الذوات، والوجهاء، والباشوات، والبكوات . **أن البطل الفقير يجد حل مشكلته فى العمل ولكن لان الظرف الموضوعى أكبر منه فان الحل الاكبر يأتى من الباشا، وتوفيق المتناقضات والحل متصالحة هما أكبر عيوب البورجوازية المصرية .**

ولكن أهمية الفيلم ـ الاتجاه يمكن تقديرها بالنظر الى ماتلاه من أفلام . « **العامل لكامل مرسى** [١٩٤٣] : العمال **يحلون** مشكلتهم بعد رفض صاحب العمل تعويض الزميل المصاب، يحلونها بادارة المصنع ادارة ذاتية **ولكن الحل لم يتخلص من عيوب السينما المصرية اذ يغرق فى متاهات عاطفية وخطابية تفقده جذريته ومعقوليتا** . بيد أن أهم أفلام هذا الاتجاه واكثرها راديكالية وثورية حتى اليوم هو « **السوق السوداء** » [١٩٤٣] لكامل التلمسانى . ها هو ذا أحد مؤسسى جماعة الفن والحرية يعالج مشكلة «**حاضرة**» بوضوح ايديولوجى كاف مغامرا بالجماهيرية بلاعودة . الناس تعانى من السوق السوداء ، **ويدفع التلمسانى بالحل من غبار الواقع ذاته وبيد الجماهير ـ مجتمعة ـ وليس بيد السلطة البوليسية** . ويفشل الفيلم « **المصرى** » تماما : فالدولة لاترضى عنه ودستور السينما يهاجمه ومنتجو الافلام وموزعوها يلعنونه والجمهور لايألفه . ولكن **صلاح أبو سيف** يلتقط الخيط ليعرض فى ٢٢ يونيو عام ١٩٥٢ « **الاسطى حسن** » **الذى يشير فيه الى استحالة حل التناقض الطبقى بمجرد عبور الجسر الذى يفصل بين بولاق والزمالك** ورغم أن الفيلم ـ بضغط رقابى ـ يبرز القناعة باعتبارها فضيلة أخلاقية ـ وهو ما يميع من القضية الرئيسية ـ الا انه يبقى ـ والثورة وشيكة ـ مؤشرا

على اتجاه له حجمه المحدود داخل الموروث السينمائي .

ــ الجمهور

ان ركاما من افلام التسلية والخرافة والحلول الفورية والمواويل الغنائية والابطال العمالقة قد ناء بثقله على عقل الجمهور المصرى . **ولاشك ان دراسة واحدة لميكانيكية التفكير وانعكاس ردود الافعال لدى المشاهد المصرى ، وارتباط ذلك بنوعيات الافلام التي يراها ــ وهي موطن فضاء الفراغ والاحلام الوحيد لشعب فقير ــ يمكن ان تكشف لنا عن مدى التخريب الذى لحق بافكاره وبعلاقاته الوجدانية .**

ــ البطل

خلقت السينما المصرية نماذجها البطولية : **فهو فذ وقاهر وغلاب يقهر الكل « لوكان امرأة » بجاذبيته الشخصية التى لاتقاوم والكل « لوكان عصابة او جيشا » بعضلاته التى لاتغلب . متحدث لبق هو ونكى حاذق وسوبرمان انيق وغامض احيانا وجنتلمان وفارس ومعلم . وقد يكون مثاليا وشريفا ومجاهدا وأمينا وخطيبا واعظا ، او قادرا على الغناء وعلى حل المشاكل بالخناجر ، وعلى صعيد قصص العشق دائما .**

الصحافة الفنية والاعلانات تطلب شراء « **سيناريو محبوك المواقف والمفاجآت لفيلم موضوعه فتاة تبدأ حياتها قروية فقيرة ثم تتبدل معها الظروف فتجد نفسها مودرن .. والمخابرة مع .. » اعلان عن طلب شراء قطعة ارض ام قطعة عقل لاجيال كاملة من الامة المصرية ؟ .**

ودور العرض التى وصل عددها عام ١٩٥٢ الى ٣٢٧ دارا لتخدم ٩٥ مليون مشاهد تعرض : « **انسى الدنيا** » ــ «**الدنيا حلوة**» ــ « **الدنيا بخير** » ــ «**اوعتفكر**» ــ « **العقل فى أجازة** » « **الصبر طيب** » ــ « **الصبر جميل** » ــ « **مكتوب على الجبين** » ــ « **القدر والمكتوب** » ــ « **جرب حظك** » ــ «**حظك هذا الاسبوع**» ــ « **فرجت** » .

ولكن الظروف الموضوعية للواقع كانت تقول شيئا آخر . كانت مصر حبلى بالثورة .

● السنوات الاولى

بعد مضى خمسة وعشرين يوما فقط على قيام الثورة ــ اى فى ١٨/٨/١٩٥٢ ــ صدر اول تصريح عن السينما من « **القائد العام** » يقول فيه « **انها وسيلة من وسائل التربية والتثقيف ، ولكن عندما نسيء استعمالها نهوى بانفسنا الى الحضيض وندفع جيلا من الشباب الى الهاوية** » وهو تصريح يوحى بالامل ، ويكشف عن بدايات اهتمام فى خضم الظروف غير الطبيعية التى كانت تعيشها البلاد وقتذاك . وفى ١١ نوفمبر من نفس العام اصدر القائد العام ــ **الرئيس اللواء محمد نجيب** ــ بيانا نشرته «الكواكب» كاملا تحت عنوان «**رسالة الفن**» جاء فيه انه « **يمكن القول أن الفن عندنا كان الى ماقبل يوم ٢٣ يوليو ــ وربما حتى الان ــ صورة للعهد الذى قامت نهضتنا للقضاء عليه .. كانت الميوعة والخلاعة ــ الا فى القليل النادر ــ هى سمات المسرح والسينما والغناء .. ولم يكن أحد من المشرفين على هذه الوسائل ذات الخطر العظيم فى حياة الامم ، يحاول ان ينحو بها نحو الفن كما يجب ان يكون .. بل كان الجميع ــ وهو مايؤسف له ــ ينحون بهذه الاسلحة الخطيرة نحو التجارة ، والتجارة وحدها ، والتجارة الرخيصة فى اغلب الاحوال .. فما من فيلم الا واقحمت عليه راقصة .. واذا كان هذا قد حدث فى الماضى ، وسكت عليه ، فلانه ــ كما قدمت ــ كان صورة من العهد الذى كنا نعيش فيه .. اما اليوم فاننا لانستطيع ان نقبل من الفن ، ولا من المشرفين عليه شيئا من هذا الذى كان يحدث فى الماضى .. ولاشك ان نصيب الفن والفنانين أكبر من نصيب غيرهم .. فان التاثير فى الشعب بالاغنية : وبالمشهد السينمائى، وبالمشهد التمثيلى لايزال اقوى من التاثير فيه باية وسيلة من الوسائل الاخرى ..** » وتمضى الرسالة لتكمل تصورها لطريق العمل تحت أربعة عناوين : « **التعب صنعة البنائين** » وفى هذه الفقرة تحدثنا الرسالة عن المادة التى لن تعوز المؤلفين فى « **تاريخنا القديم منه والجديد** » وعن « **التعب** » **الذى** لن يهرب منه أحد من أهل الفن وعن التمويل وتقدم بديلا لعجز منتج فرد عن تمويل فيلم كبير يتمثل فى « **الاتحاد** ــ أول مقطع فى شعار العهد الجديد » الاتحاد مع منتج آخر او آخرين . والعنوان الثانى « **مدرسة الشباب** » يحدثنا عن اوجه الشبه بين دار السينما والمدرسة ، والثالث « **مجال الفكاهة موجود** » وفى هذه الفقرة تنبه الرسالة الى انها لاتقصد ان تكون الافلام والمسرحيات « **مطارق تدمر نفوس الناس** » فمجال الفكاهة موجود وتضرب مثلا بكوميديات الريحانى الهادفة .. وينهى العنوان الاخير الرسالة «**واجب**





محمد كريم — يوسف وهبى — أحمد بدرخان

●●●●●●●●●●

خطير » .. « وأخيرا فان على الفن والفنانين فى العهد الجديد واجبا خطيرا .. ذلك أن يجعلوا رسالتهم جزءا من رسالتنا .. »

أعتقد أن الروح التوفيقية والمهادنة التى تغلف الرسالة واضحة بما يكفى . كما أعتقد أن وضوحا مماثلا يكشف النزعة الطوباوية وربما الطهرية التى تتسم بها مقترحات الرسالة .

أن الرسالة لاترى من مشكلة الفن فى مصر سوى وجهها الاخلاقى والجنسى على وجه التحديد ومدى تعارض هذا مع الاخلاقيات الثابتة للمجتمع . وعلى حين تدرك الرسالة أسوأ ما فى موروث الماضى « اتجاه التسلية المطلقة وارتباطه بالتجارة » الا انها عندما تقترح حلولا تقع فى تناقضات مع الاهداف المعلنة « للحركة المباركة » ، فهى تقترح اتحاد المنتجين لانتاج فيلم كبير وهو مايعنى فى الوقت ذاته تكوين مجموعات الاحتكار التى سوف تواصل اخلاصها المعهود للتجارة والتراكم الرأسمالى ، وهم منتجون من أغنياء الحرب أو المتمصرين ، أو الفنانين التجار .. وهو موقف يدعو للرثاء ان تعظ الرسالة هؤلاء .. ولكن الاندهاش يزول عندما ندرك الموقف الشخصى للقائد العام الذى يكشف عن مثالية بعيدة كل البعد عن معطيات الواقع الموضوعى وعلاقاته المتشابكة .. على أن أبرز ما فى الرسالة — حقيقة — يتمثل فى الاحساس بخطورة الاداة السينمائية ، ولكنها خطورة لاتسيطر عليها النوايا الطيبة لكاتبها . وهو تماما ما احسه جمع من سينمائيى التسلية فردوا فى مناسبات مختلفة على الرسالة مشيدين بروحها الاخلاقية مما حدا بالقائد — وقد احمر وجهه — الى أن يصرح دون اى أساس فى يناير ١٩٥٣ انه « قد استيقظت المعانى الوطنية فى نفوس الفنانين فأدركوا واجبهم .. ووقفوا جميعا فى صفوف النهضة ، يساهمون فى تشييد البناء الجديد .. بناء النهضة » وهو قول يتسم بالغموض الشديد ويدعو الى الحيرة .. فكيف كانت مساهمتهم ؟ بحفلات التحرير أم بارتداء البزات العسكرية ؟ وكان هذا الافتقار الكامل — لدى العهد الجديد وممثله الاول فى ذلك الوقت — لطبيعة تكوين الموروث السينمائى بأسلوب علمى محدد هو مافتح الباب على مصراعيه أمام هؤلاء لاحتواء الثورة فى سنواتها الاولى . فما أن صدرت الرسالة حتى عين مجلس قيادة الثورة فى اوائل عام ١٩٥٣ مندوبا له اختص بشئون السينما بعد ذلك لبضع سنوات وهو البكباشى وجيه اباظه من الشئون العامة للقوات المسلحة . وتتالت الاجتماعات والندوات التى حضرها جميعا المندوب ومعظم سينمائيى مصر فى ذلك الحين : محمد كريم ويوسف وهبى وأحمد بدرخان وأنور وجدى وصلاح أبو سيف وموسى حقى وأنور أحمد ومحمد فوزى وأبو السعود الابيارى وسراج منير وحلمى رفلة وحسين صدقى وحسن رمزى وفريد الاطرش والجزايرى ومختار عثمان وتلحمى ونحاس وآسيا والمخرج الشاب الصامت يوسف شاهين .. واستمرت الندوات حتى اوائل عام ١٩٥٤ . ولانه يبدو من المستحيل أن نورد عرضا لكل ندوة أو اجتماع فاننى سأكتفى باستخلاص المعالم الاساسية — وهى ثلاثة — للاتجاهات الواضحة فيها مسترشدا فى الوقت ذاته ببعض الفقرات الكاشفة عن السمات الاولية فى كل اتجاه :

— اتجاه سينما الوضع الراهن: سينما التسلية المطلقة.

وهو الاتجاه الذى رفعت رايته الاغلبية الساحقة من السينمائيين . ولقد جاهر **بدرخان** — صاحب الدستور — الذى كان قد اخرج فيلما « **وطنيا** » صادرته السلطات ولم تفرج عنه الا الثورة وهو « **مصطفى كامل** » « ١٩٥٢ » جاهر برايه حينما رد على كلمة مندوب القيادة « **نريد أن تجعلوا من السينما عنوانا لنهضتنا الحديثة** » .. قال « **اننا نقر حضرة مندوب القيادة العامة على ان السينما يجب أن تنتقل الى**

مرحلة جديدة لتوجيه الشعب وتثقيفه ، لكن دون اغفال لمهمة السينما الاساسية كأداة للتسلية .. » ولاينسى بدرخان أن يلوح للمندوب المقطوع الصلة بالسينما قائلا « انصناعة السينما فى مصر هى ثالث صناعة تستفيد منها الدولة من الناحية الضرائبية » ، [التسلية والتجارة ولتستفيد الدولة أيضا من التجارة فى التسلية] .. وفى اجتماع آخر علق محمد كريم « رائد » السينما المصرية : « هل يمكن أن نخرج خمسين فيلما تتحدثعنالثورة وأهدافها؟ ان هذا من شأنه أن يجلب الملل الى نفوس المشاهدين .. دعوا المؤلفين يواجهون الجمهور بانتاجهم .. والجمهور هوالذى يقضى لهم أو يقضى عليهم » ثم التقط الخيط حسن رمزى « نحن شعب مرح .. فلابد من وجود أفلام التسلية والترفيه.. وليس معنى النهوض بالسينما أن تكون افلامنا « حزاينى » .. [فى اجتماع آخر عندما تحدث المندوب عن التطهير صرخ نفس المنتج فى حماس أن « طائفة الفنانين والمشتغلين بالسينما سوف تطهر أفكارها من السخافات القديمة التى كان يفرضها العهد الماضى ، لانه اراد أن تكون الفنون وسيلة تسلية وترفيه »] ؟

أكدت مناقشات هذا الاتجاه الافلاس الفكرى المطلق لممثليه كما اكدت — لنا بالطبع ومع الاسف — الاخفاق المبدئى لاية محاولة لتثوير « الكوادر » القديمة . لقد كانت معركة هذا الاتجاه حاسمة فى السنوات الاولى فبقدر ما سينجح الاحتواء بقدر ما ستكون الغنيمة . قادر بدرخان هذه الاجتماعات على عجل ليخرج « الله معنا » « ١٩٥٣ » [الذى لم يعرض قبل عام ١٩٥٥] « تمشيا مع العهد الجديد » عن قصة لاحسان عبد القدوس تتناول قضية الاسلحة الفاسدة والتطورات الاخيرة قبل الثورة فى شكل تقليدى تماما .. وفى ركاب الثورة غادر أنور وجدى الاجتماعات أيضا ليقدم « دهب » « ١٩٥٣ » وهو « فيلم جديد نظيف فى عهد جديدنظيف » عن مغامرات الطفلة المعجزة فيروز. كما غادر الاجتماعات أيضا حسين فوزى ليقدم « جنة ونار » « ١٩٥٤ » — نفس الميلودرامات المكرورة — على أنه « الفيلم الاشتراكى الاستعراضى الكبير » « نسخة مبكرة من « جزار الاشتراكية » فى الستينات » ..

وفى كل الاجتماعات تسابق أهل الفن وموجهو أخطر الفنون قاطبة الى اعلان الولاء كل على طريقته فارتدى انور وجدى ومحمد فوزى ويوسف وهبى وفريد الاطرش بزات عسكرية لان « أهل الفن يوقنون بأن الشعب لن تقوم له قائمة مالم يتشبع بالروح العسكرية » .. وانسحب الاحتواء الفنى على هيئة التحرير — أولى تنظيمات الثورة — فقال أنور وجدى عنها فى أحد الاجتماعات الهامة « نشأت منذ الطفولة مكافحا وبدأت حياتى الفنية فى عزم وكفاح .. ولم أكد أسمع بفكرة هيئة التحرير وأهدافها حتى آمنت بأن هذه هى هيئة الكفاح .. » وقال محمد فوزى « الفنان دائما فى طليعة المجاهدين والعاملين لخير الوطن » وهتف الممثل الكوميدى اسماعيل يس : هيئة التحرير وماادراك ماهيئة التحرير ؟! »

فى السنوات الاولى لم يستطيع احد ان يوقف دفق انتاج « افلام الماضى » . لماذا « قد تكون الاجابة سابقة لاوانها الان . لقد استمر التدفق حتى صار متوسط الانتاج السنوى ستين فيلما « وهو رقم يفوق أرقام فترة الازدهار ابان الحرب، كما اتسعت استثمارات رؤوس الاموال فى بناء دور عرض جديدة بلغ عددها فى عام ١٩٥٥ — ٣٥٥ دارا .

— اتجاه استمرار الواقعية والنزعة المثالية .

كان صلاح أبو سيف الذى بدأ عمله السينمائى مساعدا لكمال سليم فى « العزيمة » « ١٩٣٩ » مشدودا فى هذه الفترة لشىء يشبه الميول اليسارية وكان قد فرغ من وضع أحد أحلامه فى فيلم قصير « ٥٠ ق » غير معروف أسمه « زال الشر » « ١٩٤٨ » أخرجه لوزارة الشئون الاجتماعية عن استيلاء عمال على ادارة مصنع وتسييرها بمعرفتهم « وهو أمر يحرمه ويجرمه قانون الرقابة ». وكان صلاح أبو سيف قد استقر نهائيا منذ عام ١٩٥١ فى « لك يوم ياظالم » وفى« الاسطى حسن » « ١٩٥٢ » على طريق تستمر فيه الواقعية الاجتماعية. ولكن المستقبل هو الذى سيملك الحكم على الرافد الذى استمر فيه أبو سيف : الواقعية الاجتماعية ام الاشتراكية أم مزيج مع الطبيعية — أم الواقعية « الديكورية » . واظب ابوسيف على حضور هذه الاجتماعات التى كانت نوعا من جس نبض القيادة الجديدة لدى الاغلبية الساحقة من الحاضرين، وعندما جاء دوره فى الكلام




يوسف شاهين




حسن رمزى



حلمى رفله

بدا جذريا « كان شعار الحركة المباركة التى قام بها جيش مصر الباسل هو التطهير ولهذا يجب أن تكون السينما المصرية فى خدمة التطهير .. ينبغى أن تعالج مشاكل الوطن الكبرى وأمراضه الاجتماعية ، ولهذا يجب على المشتغلين بالسينما سواء كانوا منتجين أو مخرجين أو مؤلفين أن يتجهوا بجهودهم الفنية الى هذه الناحية » فى ذلك الوقت كان صلاح أبو سيف يقوم باخراج فيلمه الشهير « ريا وسكينة » « ١٩٥٣ » وكان المدى الذى وصل اليه ادراكه للواقعية واضحا أمامه وبدا مصرا على تغيير جانب من الظروف الموضوعية للسينما المصرية . وفى منتصف عام ١٩٥٣ بدا أن اتجاه التسلية قد احكم سيطرته بعد الاحتواء على افكار مندوب القيادة أو القيادة نفسها ولقد حدا هذا بصلاح أبو سيف الى المناداة فى اجتماع هام قائلا : السينما مطالب كثيرة من الدولة ، وتستطيع هيئة التحرير أن تتبنى هذه المطالب وتدافع عنها عند الجهات المختصة وأهم هذه المطالب هو تغيير نظرة الحكومة الى السينما فمازالت الحكومة ترى أن هذا الفن من وسائل الترفيه والتسلية فقط ، بينما هو فن له أهداف أكثر من الترفيه والتسلية .. » .

فى هذا العام أيضا كان ابو سيف يخرج فيلمه « الوحش » « ١٩٥٤ » محاولا التوفيق بين الاتجاه الى الواقعية وبين الشكل التقليدى للفيلم المصرى وقد قيض لهذه المحاولة نجاح جماهيرى لابأس به شجع أبو سيف على المضى فى طريقه. ولكنه يتساءل عن دور الحكومة. وهو تساؤل شاركه فيه أنور أحمد ـ الذى كان قد لعب دور الزعيم مصطفى كامل فى فيلم بدرخان ـ حينما طالب مرارا بتعديل الرقابة وتحديد مساهمة الثورة فى اقرار اوضاع جديدة للانتاج السينمائى بل ووصل الى حد المطالبة بتقييد مؤلفى القصص السينمائية بموضوعات معينة تتجه اليها كافة الجهود . يبقى من هذا الجناح حسين صدقى وهو فنان يتسم بصدق ووضوح أخلاقيين بل وبروح ثورية متدفقة . غير أن ماكان يهدد روحه الثورية هذه ـ دائما ـ هو ميله الشديد الى الخطابة ورؤيته الطوباوية للموضوع وشيوع مصطلحات الدعوات الاصلاحية فى مصر فى فترة ما قبل الثورة فى مصر فى طريقة ادائه كممثل . ولكنه كمنتج استطاع من قبل ان يساهم فعليا فى تبنى وجهة نظر محددة منذ اضطلاعه ببطولة «العزيمة» « ١٩٣٩ » ، أنتج صدقى « العامل » « ١٩٤٣ » كما انتج « يسقط الاستعمار » « ١٩٥٢ » وكان الفيلم وقتها اولى اسهاماته الصادقة فى الاقتراب من الثورة . أن فن حسين صدقى كان يحمل كل عيوب الحماس الثورى العاطفى ولذا حرمت أعماله من أن تجد لها صيغا مقبولة داخل الاطار الاوسع للفن المصرى .. « لقد حاربت الفساد فى جميع أفلامى وكانت النتيجة أن صادروا لى فيلمين بحجج مختلفة » .. مع الثورة وجد حسين صدقى أن أقوى الحلول وأعنفها واكثرها راديكالية قد صار امرا ممكن التحقيق .. وفى اواخر عام ١٩٥٣ أصدر بيانا ادان فيه فى عنف ثورى شديد موروث السينما المصرية وادان فيه بنفس درجة العنف استمرار تأثير هذا الموروث بأفلام تافهة فى فترة مابعد الثورة « وكأنما الامور تجرى كما كانت » ويمضى صدقى ليحدد طرق الحل وبقاء ثورى نادر « لابد من انقلاب فى السينما كانقلاب ٢٣ يوليو .. لابد من سقوط رؤوس وانهيار عروش وطرد اناس من المحيط .. قد يكون هذا عقابا مؤلما قاسيا ولكن لابد من توقيعه فان الثورة لاتعرف التردد ولا الحيرة ولا الخمول ، انها الحسم والهدى الى العمل المنتج السريع » كان حسين صدقى قد وضع برنامجا لتطهير السينما نشرته صحيفة يومية كبرى خلال الاجتماعات الاولى التى اختبرت فيها جموع السينمائيين اغراض القيادة الجديدة .. اجتماعات الشهور الاولى .. أن حسين

صدقي يشير الى برنامجه ويفصل الكيفية التى يمكن بها تحقيقه انطلاقا من مبدا التطهير والحسم . ويختم بيانه صارخا : **« السينما أقوى سلاح للدولة بعد الجيش »** . ها هو ذا اتجاه الواقعية والنزعة المثالية يتوجه بكليته فى الطريق الصحيح : **الدولة أو الثورة تملك الحل .. والحل الجذرى .**

— **اتجاه القيادة**

بدا من خلال اجتماعات السنوات الاولى — حتى نهاية عام ١٩٥٤ — أن الثورة تتعامل — أو لاتدرى أنها تتعامل ! — مع السينما المصرية من خلال موروثها القائم بالفعل ، وبدا ان اتجاها لتثوير السينما قد لفه الضباب واحتواه الشعار .

فبعد مناقشات طويلة حول كل شىء تقريبا — وهى مناقشات نجح اتجاه التسلية فى تنظيم نفسه فيها جيدا — خرج **مندوب القيادة** ليعلن رسالة القيادة الثورية الى السينمائيين : **« نظموا أنفسكم .. اتحدوا وألفوا جبهة واعملوا .. نظموا أنفسكم على الوجه الذى يحقق مصالحكم وستجدون من القيادة كل تشجيع وتأييد ومساعدة »**

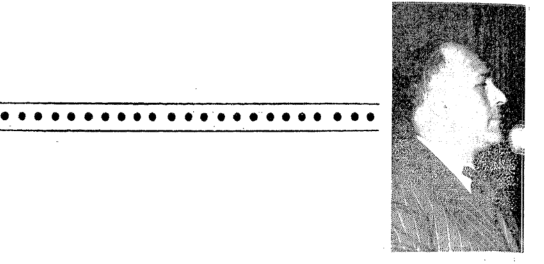
وهى عبارات تضرب فى لجج من الغموض . فمن الذين سينظمون انفسهم وكيف سيتحدون وماذا سيعملون ؟ وهل ستقدم القيادة الثورية المساعدة لهؤلاء ؟ ولماذا؟ ولكن الاجابة تجىء فى تصريح **للمندوب فى ٢٧ يناير ١٩٥٣ ردا** على سؤال لمحرر الكواكب حينما سأله : ماهى وسائل العلاج **الناجزة السريعة** التى يمكن أن تخطو بالفيلم المصرى الى الامام ؟ الاجابة : **« أنها وسيلة وحيدة لا ثانى لها ، هى ان يتجاوب المشتغلون بهذه الصناعة مع النهضة الجديدة »** ثم يسلم مندوب القيادة نهائيا **« بما هو قائم »** حين يضيف **« .. وسيعلم الجميع أن الشعب فى كل عصر يريد الاجود ويحسه ، ولكنه .. ولكنه لايستطيع أن يحدده والا ضاعت مهمة الفنان فى الحياة .. فالفنان الصادق هو الذى يرى مايراه غيره ولكن ميزته أنه يوضح مواضع الجمال ويجمل مواطن القبح »** ثم يدعو الى مادعت اليه رسالة الفن دون علم بخطورة الدعوة : **« وعندى أن انتاج الشركات السينمائية برؤوس أموال صغيرة لن يستطيع تحقيق النهوض المطلوب ، وانما الواجب هو اتحاد هذه الشركات لانتاج افلام ضخمة تتناسب مع مصر الحديثة بل مصر الغد » .**

هل تكمن العلة فى عدم صلاحية المندوب للخوض فى أمور القبح والجمال ؟ أم تكمن فى قلق السنوات الاولى وعدم اتفاق مجلس الثورة على خطة موحدة « **ثورية** » للسيطرة الصحيحة على أهم قنوات الاتصال ؟ أم تكمن فى الروح التوفيقية للبورجوازية المصرية وغلبتها على صانعيها — وهم بورجوازيون متوسطون — أو غلبتها على « **الثورية** » فيهم ؟

ان **فتحى رضوان** — المناضل القديم — ووزير الدولة فى أول وزارة بعد الثورة يجيب على نفس السؤال الذى كان مطروحا وقتها بالحاح : كيف ستجعل الدولة الفن فى خدمتها ؟ الاجابة: **« ليست هناك وسيلة لتحقيق هذا الغرض الا بالتوجيه العام »** .. نفس السياسة الهادئة والنفس الطويل كما لو كان التوجيه العام « **البائد** » قد أثمر فنانين حقا لا تشوبهم شائية فى عالم السينما ...

يجيب على نفس السؤال الذى كان مطروحا وقتها بالحاح : كيف ستجعل الدولة الفن فى خدمتها؟ الاجابة : **« ليست هناك وسيلة لتحقيق هذا الغرض الا بالتوجيه العام »** ... نفس السياسة الهادئة والنفس الطويل كما لو كان التوجيه العام « **البائد** » قد أثمر فنانين حقا لا تشوبهم شائبة فى عالم السينما ...

نفس الروح التوفيقية والامال المعقودة والصبر الجميل . والذى يبدو ان الثقافة برمتها كانت قضية مؤجلة لان ؟ **فلسفة الثورة** » جاءت خالية من اية نبة محتملة « لثورة ثقافية » توجه مجرى الثورتين السياسية والاجتماعية . . بنفس القدر جاءت مبادىء الثورة الستة العظيمة مجملة للثورتين فحسب . **وخلا التطبيق فى هذه السنوات المشحونة من الاهتمام الكافى بالكيفية التى يمكن من خلالها تثوير الذين وجهت اليهم الثورة اصلا . غاب التصور الواضح للعمل المباشر والفورى فى ضباب التوفيق والنفس الطويل فى الوقت الذى كانت فيه الظروف الموضوعيه تسمح بتغيير جذرى فى السينما المصرية .** لذا نجح الاحتواء وترجم نجاحه الى وصول عدد الافلام التى أنتجت عام ١٩٥٤ الى ٦٦ فيلما — وهو أعلى رقم فى موسم واحد فى تاريخ السينما المصرية — اندفاع جنونى لافلام التسلية المطلقة وسط اهازيج الشعارات . وهو عدد من الافلام لا تستطيع ان تتبين منه سوى فيلمين او ثلاثة لاصحاب الاتجاه الاخر . فأخرج ابو سيف **«الوحش»** بنفس اسلوب أفلامه



السابقة . ولكن العام بالتأكيد كان عام الشاب الصامت — حتى ذلك الحين — **يوسف شاهين** الذي كان قد قدم في فيلمه الثاني «**ابن النيل**» [١٩٥٢] مأساة شاب صعيدي يهجر قريته الى القاهرة حيث يصطدم بزيف الواقع وانهيار احلامه ، في هذا العام قدم يوسف شاهين اول افلام الثوره واهمها «**صراع في الوادى**» [١٩٥٤] الذى عالج فيه — من خلال قصة المهندس الشاب احمد العائد الى قريته — موضوع الاقطاع وسيطرته على مقدرات الفلاحين . وجاء الفيلم خاليا من الطوباوية والديماجوجية وان كان قد حمل بعض العيوب «العاطفية» للفيلم المصرى . ولا ننسى أن **الحل** فى فيلمه ياتى بيد الفلاحين وابنهم المهندس الشاب . [لا يعنينا بالطبع في موضوع يناقش العلاقة بين ثورة يوليو والسينما المصرية ان نعدد الافلام الهامة الاخرى مادامت لا تتصل بهذه العلاقة من قريب **وان كان المناخ المتخلف يمكن ان يهيىء الفرص الملائمة لظهورها**] .

هذه هى السنوات الاولى .. المشحونة ... القلقة ... الحاسمة ، والتى ستكون لها أهم الاثار — كما سنرى — على تطورات الاعوام المقبلة من تاريخ السينما المصرية .

• • • • •

• الاعوام الوسطى

شهدت الاعوام الوسطى [١٩٥٥ — ١٩٦٢] تطورات هامة بالنسبة للثورة والسينما معا . فعام ١٩٥٥ هو عام صفقة الاسلحة التشيكية وباندونج فى ابريل منه وعام ١٩٥٦ هو عام تأميم القناة وحرب السويس وعام ١٩٥٧ هو عام تثبيت الاستقلال والتمصير وعام ١٩٥٨ هو عام التجربة الوحدوية الاولى مع سوريا وهزيمة الاحلاف العسكرية ومشروعات ملء الفراغ الامريكية وتأكيد القومية العربية كعقيدة وفى خلال العامين ٥٩ — ٦٠ اتسعت اجراءات التمصير وبدا ان رياحا جديدة على وشك الهبوب . **وكان ذلك كله يعنى أن الثورة قد بدأت تستقر كثورة تحررية وطنية تمارس — بطريقها الخاص — ثوريتها السياسية والاجتماعية .**

غير ان تجربة السنوات الاولى مع السينما — وهى تجربة مريرة بالفعل — برهنت على فعاليتها فى الاعوام الوسطى . اذ استمر تدفق افلام التسلية بنفس المعدل بعد ان راهن اصحابها على احتواء الثورة . بيد ان اخطر ظواهر هذه الفترة تمثل فى تطور الروح التوفيقية الى شيء يمكن تحديده بانه **السماح بوجود انفصال حاد بين تطورات الثورة السياسية [وهى تقطع الانفاس فى هذه الاعوام من فرط لهاثها] وبين قنوات الاتصال الثقافى .** لقد توقف كثير من الكتاب الاصلاء عن الكتابة بعد الثورة وحاروا من اين يبدأون ازاء ما يجرى من تطور فى بلادهم . **ولقد تجسم هذا الانفصال فى اجلى صوره فى استمرار « تثقيف الشعب عن طريق الافلام » ثقافة مخربة تماما .** ففى الوقت الذى برز فيه وجه امريكا القبيح بعد رفض تمويل السد العالى ومن خلال تقديم مشروع ايزنهاور فى عام ١٩٥٧ لملء الفراغ فى الشرق الاوسط وفى الوقت الذى شاعت فيه مصطلحات رفض الاحلاف والمشروعات الامريكية المشبوهة كطريق لتأكيد الشخصية الوطنية والقومية — فى هذا الوقت كانت **الافلام الامريكية** [التى ما زالت عبارة النموذج الامريكى منذ العشرينات مكرسة لخدمتها] ما تزال تتدفق بنسبة وصلت عام ١٩٥٨ الى ٧٠٪ من الافلام المستوردة وهى نسبة قادرة على تخريب عقل ووجدان شعب لم تزل فيه نسبة الامية الكاملة « عام ١٩٥٧ » ٨٣ ٪ . ولقد احس بهذه الفاجعة المخرج القديم **كامل التلمسانى** ، احس هذا الانفصام فخصص له جزءا من كتابه « **سفير امريكا بالالوان الطبيعية** » ... يقول التلمسانى : « **ومصر اليوم التى عاشت ايامها فى ثورة ٢٣ يوليو ، وفى عيد اعلان الجمهورية ، وفى مؤتمر باندونج ، وفى التعايش السلمى ..**

مصر التى تعيش ايامها المليئة بالحياة المتدفقة فى تأميم القناة ، وفى صد الغزاة فى بورسعيد ، وفى موقفها المشرف من المشاريع

الامريكية .. ومن القواعد المسلحة ... ومن الاحلاف الاجنبية .مصرنا هذه ..مازالت تنظر لافلام هوليوود نفس النظرة المحايدة المسالمة الساذجة » .

من هى مصر ؟ هى الثورة أو الدولة او التنظيم الشعبى الذى ناداه ابو سيف وحسين صدقى من قبل ويزداد شعور التلمسانى بهذا الانفصام حين يتناول فيلما أمريكيا عرض بالقاهرة اسمه « **شاى وحنان** » . ويخلص الى بيان غايات الفيلم التدميرية ويتساءل فى مرارة : « **السنا نعمل لنبنى مجتمعنا الجديد من أجل حياة جديدة بموقفنا الاستقلالى والجمهورية الجديدة ، أم ان هذا العمل** شىء **ورؤية هذا الفيلم والتأثر به** شىء **آخر ؟ » ومهما يكن رأينا فى الفيلم أو فى اسلوب تحليله الآن المؤكد أن نوع انظمة القيم فى الفيلم الامريكى قد عاد بافدح الاضرار على المواطن والفيلم المصرى** ندقق افلام «**السندباد**» و « **بساط الريح** » و « **الجنى العملاق** » فى الخمسينات [يساوى ذلك أيضا دقق أفلام جيمس بوند فى الستينات] يقلق التلمسانى الى الحد الذى يتهكم فيه من هذه الرؤية الهوليوودية للشرق ويذكرها ان **سفينة السندباد قد اغرقتها زوارق الطوربيد المصرية اثناء الحرب وان بساط الريح قد دار مرتاعا حين مرقت « الميج » بجواره وأن الجنى العملاق — عبدالناصر — قد خرج من القمقم ليحقق آمال الجماهير** .. ويؤكد التلمسانى مرة أخرى على الانفصال القائم : « **ان بعض الافلام الامريكية التى تعرض فى دور العرض بالجمهورية تهدم كثيرا من برامج اذاعتنا والكثير من مقالات صحافتنا والكثير من كتبنا والكثير من تصريحات بعض رجالنا المسئولين** » .. وكان هذا يعنى غياب الرقابة الواعية والفلسفة الواحدة للدولة .

فى هذه الاعوام تم انتقال الثورة الى الدولة ولكن «الثورة» لم تنتقل الى الدولة . وهذه — فى اعتقادى — هى أخطر المراحل التى تمر بها اى ثورة ، **فهى تحتاج الى « كوادر » ثورية قبل أن تحتاج الى توقيت سليم** . ومثلما بدأت الرجعية تتسلل الى ثانى تنظيمات الثورة فى عام ١٩٥٨ — الاتحاد القومى — بدأت ايضا — مبكرا — فى التسلل الى اجهزة ودواليب المؤسسات الفنية الجديدة التى انشأتها — بحسن نية — قيادة الثورة . ففى عام ١٩٥٥ انشئت **مصلحة الفنون** وفى العام التالى انشىء **المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب** وفى عام ١٩٥٧ انشئت **مؤسسة دعم السينما** والاجهزة الثلاثة كانت ثمرة طيبة تلقفها الرجعية الفكرية والفنية والتى جاهدت فى السنوات الاولى لاحتواء الثورة فتسللت عبر اروقتها ومكاتبها وباشرت مهمتها الخالدة : بيروقراطية **الثورة ثم الدولة** . بدأ الامر تدريجيا وسنرى كيف ستنجح هذه البيروقراطية فى الستينات فى التهام قطاع عام السينما وتدمير أية امكانية للنهوض به فنيا وفكريا .

● ● ●

ونحن ندرك من تأمل العلاقة بين الفن السينمائى والثورات فى البلدان الاخرى — الحديثة التحرر بوجه خاص — ان ثمة **علاقة عضوية بين البداية من الحد الادنى من الواقعية وبين هذه الثورة** . وقد رأينا أن بذور الواقعية كانت موجوده بالفعل قبل الثورة ولنا ان نتساءل من هذا الاتجاه او عن مصير هذه البذور بعد الثورة ، والتساؤل هو : ماذا فعلت الثورة — الدولة له فى خلال هذه الاعوام الوسطى ؟ الاجابة يسيرة: **لاشىء** ! لقد واصل هذا الاتجاه طريقه متأرجحا بين الطبيعية والديكورية . والواقعية بمعناها الصحيح بفعل مايمكن تسميته « **بدفعة الاستمرار** » . ففى عام ١٩٥٥ ظهر مخرج جديد هو **توفيق صالح** وقدم فيلما غريبا لم يألف أفكاره المشاهد المصرى وهو « **درب المهابيل** » عن قصة وسيناريو نجيب محفوظ [الذى كتب سيناريوهات أهم أفلام صلاح ابو سيف قبل ذلك ... « **لك يوم يا ظالم** » [١٩٥١] و « **ريا وسكينه** » [١٩٥٢] و « **الوحش** » [١٩٥٤] فالفيلم يثور على قيم وعادات متأصلة فى حياة رجل الشارع كالتواكل والايمان المبالغ فيه بالقدر وبالحلول الميتافيزيقية . ولايكتفى الفيلم بهذا بل يحلل علاقة هذه العادات بالفقر وبالواقع المحيط. **والفيلم من هذه الوجهة هو ثانى الافلام الواقعية بالمعنى الصحيح بعد «السوق السوداء»** . ولكن جهازا مسئولا واحدا لم يظاهر هذا الاتجاه فالمخرج الشاب كان عليه ان ينتظر سبع سنوات كاملة!

ويوسف شاهين اول مخرجى الثورة ، كان عليه أن يتيه أربع سنوات أخرى !

وصلاح ابو سيف كان عليه ان يواصل عمله بجهده الفردى وحده فأخرج اهم افلام هذه المرحلة : « **شباب امرأة** » [١٩٥٦] عن محنة العلاقة مع المرأة لشاب ريفى جاء يتعلم

فى القاهرة ولكن الفيلم لم يكن واقعيا تماما ، ثم « الفتوة » [١٩٥٧] الذىيعتبر أهم افلامه فى تصورى من حيث كشفه — حتى القمة — عن علاقات الاستغلال الفردى والجماعى للتاجر الصغير وللمستهلك فى سوق خضار . ان هناك الكثير الذى يمكن قوله عن هذا الفيلم ولكن يكفى ان اقول انه فى هذا كان واقعيا تماما . فى خلال العامين التاليين لم يستمر صلاح أبو سيف فى خطه لضرورات عديدة ولكنه قدم فى عام ١٩٦٠ فيلمه البالغ الاهمية « **بداية ونهاية** » عن رواية نجيب محفوظ التى عالج فيها من خلال اسرة قاهريةفقيرة فى الثلاثينات ازمة هذه الطبقة الاثيرة لدى نجيب محفوظ وأبو سيف معا . اما يوسف شاهين فقد عاد الى نفسه بفيلميه «**باب الحديد**» و «**جميلة**» [١٩٥٨] . وقد اكتسب شاهين بفيلمه الاول وضعا متميزا فى السينما المصرية جعله يمثل امتدادا لتيار الواقعية وان كان لم يخلص من شوائب هذه السينما ، ولكن موضوعه المبكر ومعالجته الاصيلة جعلت من شاهين فى ذلك العام واحدا من اهم مخرجى السينما المصرية.

فى هذه الفترة ظهر ما سمى « **بالفيلم الوطنى** » — وقد قصد من التسمية تحديد وضع الافلام التى تتناول احداثا سياسية بالنسبة للثورة . صحيح ان اغلبها قد انتج « **تمشيا معا** » .. **ومواكبة لـ .. ..** » و « **انطلاقا من .. المباركة** » **الا انها تشترك جميعا فى درجة من الصدق جعلتمنها بالفعل وجها من وجوهالتعبير عن معارك الوطن فى ذلك الحين** . بعد « **الله معنا** » [١٩٥٥] **لبدرخان** اخرج احد مخرجى السينما التجارية وهو **أحمد ضياء الدين** فيلم « **أرضنا الخضراء** » [١٩٥٦] الذى قدم فيه صورة شابتها الميلودرامية المفرطة لمخازى الاقطاع فىقرية مصرية . ولا شك أن جيل الثورة يذكر هذا الفيلم — حين كانصغيرا — بكثير منالانفعال! فى هذا العام كانت مصر تخوض معركة السويس وفى موجة الحماس الغارم الذى لم تخف درجة صدقه شهد العام التالى [١٩٥٧] عرض ثلاثة افلام تتناول معارك هذه الحرب المجيدة :

« **بورسعيد**» **لعز الدين ذوالفقار** و « **سجين أبو زعبل** » **لنيازى مصطفى** و « **عمالقة البحار** » **للسيد بدير** . ولعل افضل هذه الافلام على المستويين الفنى والفكرى هو « **بورسعيد** » . غير ان الافلام الثلاثة اسهمت كأناشيد هذه الفترة الملتهبة فى شحن وجدان الجماهير فىربوع مصر . كما شهد هذا العامايضا عرض « **رد قلبى** » عن قصة يوسف السباعى واخراج **عز الدين ذو الفقار** والذىتناول فيه فى شكل سينمائى جيد قصة الثورة فى الاشهر القليلة التى سبقت الثورة . وعرض ايضا « **أرض السلام** » **لكمال الشيخ** [الذى اثبت قدرته كمخرج منذ « **حياة او موت** » [١٩٥٤] الذى تناول فيه قضية فلسطين . وشهد العام التالى عرض « **جميلة** » ليوسف شاهين الذى كان مع « **باب الحديد** » بمثابة شهادة ميلاد جديدة لهذا المخرج الفنان . لقد حقق الفيلم نجاحا هائلا كما برهن عمليا على مدى التعاطف الجماهيرى مع ثورة الجزائر [التى كانت قد اندلعت قبل اربعة اعوام] لقد كان أول أفلامنا « العربية » واكثرها نجاحا وتوفيقا على المستويين الفنى والفكرى . اما « **خالد بن الوليد** » لمخرج النزعة المثالية **حسين صدقى** فقد كان أفضل افلامه وافضل الافلام «**الدينية**» التى تناولت سيرة قائد اسلامى كبير . فى عام ١٩٦١ قدمبركات « **فى بيتنا رجل** » عن قصة احسان عبد القدوس التى تناول فيها قصة نضال شاب وطنىقبل الثورة ، كما انتج **رمسيسنجيب** فى نفس العام « **واسلاماه** » اخراج الامريكى **أندرو مارتون**

عن النضال الاسلامى المصرى ضد الغزاةالتتار فىعام ١٢٦٠ . بيد أن عام ١٩٦٢ شهد عرض أهم الافلام المصرية « **صراع الابطال** » **لتوفيق صالح** [الذى ظل يعتبر منذ « **درب المهابيل**» ١٩٥٥ **الاستمرار الوحيد لكامل التلمسانى** « **السوق السوداء**» [١٩٤٥] . لقد برهن توفيق صالح على تميزه فىسنى الثورة بوعى ايديولوجى وثقافةشمولية وبصيرة فنية نافذة . **وبينما ولد شاهين مع الثورة ولكن مع ظل من السينما السائدة ،جاء توفيق صالح ابنا شرعيا للثورة» رفض تماما ان يتخلى عنايمانه الايديولوجى بها بنفسالحدةالتى رفض بها تقديم تنازلاتاو القيام بمصالحات مع الاطر السينمائية التقليدية . لقد سعى الفيلم فى وضوح الى تقديم صورة جديدة « للبطل » عندما يخوض صراعا لابدال الظروف الموضوعية فى واقع معين وفى ظروف تاريخية معينة بظروف اخرى** . فالطبيب يناضل ضد تراثكاملمنالجهالة والفقر والتخلف وكان عليه ان

يجد طريقه بمفرده . ولذا كانت الحلول نابعةمنالواقعوامكانياته المتاحة بالفعل وليس بالاعتماد على قوى قدرية او سلطوية عليا .

في هذه الفترة تطور « ظل اتجاه » كان موجودا قبل الثورة دون ان يخلو من المبالغات الميلودرامية وهو « فرع » يحاول معالجة بعض المشكلات الاجتماعية في أطر تقليدية . وكان عاطف سالم الذى بدأ عمله فى عام ١٩٥٣ بفيلم « الحرمان » هو ابرز ممثلى هذا الفرع . وفى العام التالى قدم « جعلوني مجرما » عن سيناريو لنجيب محفوظ حاول فيه ان يحلل بذور الجريمة وتطورها فى نفوس الاحداث ولكن خانه ان يقدم بانوراما شاملةلابعاد الجريمة الحقيقية . وفى عام ١٩٥٩ اخرج عاطف سالم عن قصة لتوفيق صالح فيلمه الهام « احنا التلامذة » الذى عالج فيه مشكلاتانحراف المراهقين وارتباطها بالسلوك العائلى . وكان عاطف سالم مؤهلا للتعمق فى هذا الفرع ولكن ظروفه الفكرية والفنية مضافة الى الظروف الموضوعية للسينما المصرية قد حالت دون تحقيق هذه الامكانية .

بيد انهناك ظاهرتينلاتخلوان من الدلالة قد ارتبطتا بظاهرة « الافلام الوطنية والاجتماعية» فى هذه الفترة :

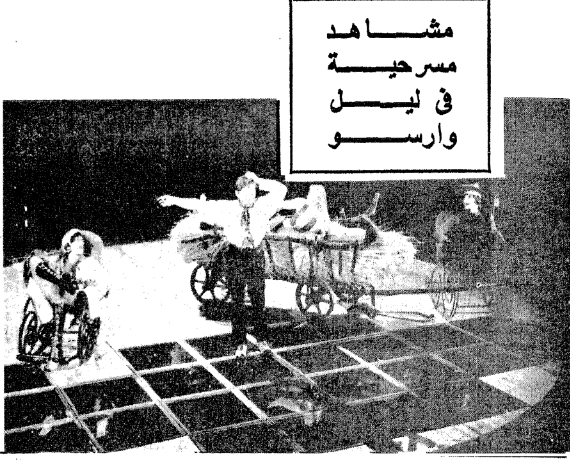
ولعل أولاها واخطرها تتمثل فى ان هذه الافلام كانت منانتاج الافراد اى ان الثورة ــ الدولة لم تقدم فى هذه الفترة صيغة للمعادلة الصحيحة بين الفن والثورة . وكما اسلفت فان اجتماعات السنوات الاولى الوفيرة لم تسفر عن خطةلتثوير السينما وظلهذا الوضع سائدا طيلة الاعوام الوسطى برغمانشاء مؤسسة دعمالسينما والمؤسسة المصرية العامة للسينما فى عام ١٩٥٨ . ولا يعنى هذا ان صيغا رسمية كان مطلوبا ان تصب فىالشكل والمضمونلخلق أفلام ثورية ولكنه يعنى بالتحديد ان الفيلم الوطنى ظل اسيرا لنفس المفاهيم الفردية التىكانت سائدة قبل الثورة وغدا التصور الفنى له مرهونا بتصورات فردية لاشك ان ارتباطها باموال المنتجين ومصالحهم وثيق للغاية بل ان كثيرا من الافلام الوطنية لم يعد ان يكون استثمارا تجاريا لمشاعر وطنية فى مراحل معينة من نضال الشعب المصرى .لقد ظل الفيلم الوطنى محاصرا داخل أطر الفقر الفنى والدعائى التى سيطرت عليه طيلةالعقدين الرابع والخامس بقدر ما حوصر داخل أطر الميلودراما والديماجوجية والارتباطات « العاطفية » الوثيقة ــ وهى أمور من صميم موروث الماضى السينمائى .

أما ثانى الظواهر فقد جاءت وليدة لمناخ عام واعنى بها غيبة الوعى بالماضى والحاضر على السواء . لقد استوحت افلام الماضى التاريخى « كخالد بن الوليد » ووا « اسلاماه » ولكن دون ان تخلق العلاقات الضرورية مع الحاضر . كما ان بقية الافلام الوطنيةقد عادت الى الماضى قبل الثورة خالقة منه لغزا اسهم فى تكريس الدعاية للحاضر دون وعى بالاضرار التى نجمت عن ذلك وتمثل اخطرها فى فقد الوعى بالحاضر ذاته . اما تلك التى تناولت الحاضر الثورى فقد وقفت عند حدود حكاية الثورة دون الامتداد بها فى الواقع اليومى المعاش للشعب . غير ان ذلك كلهقد ارتبط كما اسلفت بمناخ عام افتقدت فيهروح النقد البناء مما حدا بكثير من الادباء الاصلاء الى التوقف فترة امام تطورات الحاضر .

لقد انصرمت الاعوامالوسطى والقضايا الاساسية الخاصة بالعلاقة بين الثورة والسينما لم تحسم ، فمعادلة الفن ــ الثورة والعلاقة العضوية بين الثورة والاتجاه الواقعي وفعل الثورة المنتظر فىمواجهة موروثالماضي السينمائى وغيرها من القضايا ظل معلقا دون حسم . غير ان قرارا هاما كان له اثر ما على مستقبل السينما فى مصر قد اتخذ عام١٩٥٩وهو :انشاءالمعهد العالى للسينما ، وكان ذلكيعني بالامال الطموحة التى صاحبت انشاءه .أن الدولة قد باتت تفكر ــ علميا ــ فيتغيير طويلالمدى لمستقبل السينما في مصر ،وهو ما يعنى ايضا ان الخطوة الاولى قد اتخذت تجاه تصفية تدريجية لموروث الماضى .

« للدراسة بقية »

مشاهد مسرحية في ليل وارسو



مجيد طوبيا

في مدينة مثل موسكو قد تجد نفسك مرغما على أن تنام مبكرا وتصحو مبكرا ، فالاماكن العامة تغلق أبوابها قبل الحادية عشرة ، بما في ذلك الاماكن السياحية الخاصة بالاجانب ، عدا مطعما واحدا الدفع فيه بالعملات الاجنبية اصطلح على تسميته باسم « بار الدولار » ! .

أما في بولندا ـ البلد التي قدمت ستة ملايين شهيد في مقاومة النازي ـ فالامر يختلف الى حد ما : سوف تجد الكوكاكولا والبيبسي كولا والسجائر الامريكية ، وجميعها تصنع في بولندا بتصريح من شركاتها في أمريكا ، وسوف تجد السيارات الفيات تملأ الطرق وقد صنعت في بولندا بتصريح من فيات ايطاليا ويسمونها هنا الفيات البولندية . وسوف تجد ان الليل في العاصمة ممتد ، وان الكباريهات ومنتديات الرقص ساهرة حتى الصباح ، حيث يقدمون لك رقصة الاستربتيز في أكثر من مكان ، وسوف تدفع من اجل مشاهدتها مبلغا كبيرا ، في حين أنه يمكنك مشاهدة النساء العاريات في بعض مسارح الدولة خلال أحداث المسرحيات المقدمة وبمبلغ زهيد هو ثمن تذكرة المسرح . ان كانت من هواة مشاهدة الجميلات العاريات ، أما اذا كنت من هواة المسرح الحقيقيين فسوف تستمتع بقدر كبير من الابهار في الاخراج ، وان كنت سوف تفتقد النص المتكامل تأليفا خلال فصل الصيف وهو فصل الاجازات .

شهدت عرضا موسيقيا اسمه : « فلتمنى حظا طيبا » وهو مجموعة من الاسكتشات الغنائية الراقصة الفكاهية ، تتتابع في تناغم وانضباط تامين ، فيما يمكن أن يسمى بالكباريه السياسي أو الكباريه الانتقادي ان جاز التعبير ، يستمع المشاهد الى أغنية عن ذكريات الحرب العالمية والحرب مازالت في أذهان البولنديين ، يليها مشهد فكاهي راقص عن



تطور الازياء فى وارسو خلال القرن الحالى ، يسخر من ملابس العشرينيات والثلاثينيات والكعب العالى وأيضا الهولاهوب والهيبز وأخيرا شباب هذه الايام . يليه اسكتش يسخر من جرائم القتل فى معظم المسرحيات الشهيرة كمسرحيات شكسبير والمسرح اليابانى وأيضا المسرح الحديث ، وبه عرض « أنتى استربتيز » ، أى عكس الاستربتيز ، بمعنى أن تصعد امرأة جميلة جدا عارية تماما منذ البداية ثم تأخذ فى بطء وأنوثة فى ارتداء ملابسها حتى الرداء الخارجى . وبعد هذا الاسكتش يصعد أحد نجوم الكوميديا ليلقى بالنكات التى تنتقد مشاكل الحياة اليومية بالمدينة ، فمن المعروف مثلا أن هناك صعوبة ما فى الحصول على اللحم الطازج فى وارسو ، لكن الرجل يقول بأن كل شىء متوفر فى وارسو ويمكن الحصول عليه « ولكن بطرق خاصة ! » . ثم يسخر من فندق كبير بناه السويد فى وارسو مخصص للاجانب والتعامل فيه بالعملات الاجنبية ، ويعلق قائلا : « يزعمون أن دخول هذا الفندق ممنوع على البولنديين ، لكن هذا غير صحيح لان البولنديات يستطعن دخوله بسهولة » ! وهكذا ، ويلقى هذا اللون من الكباريه السياسى شعبية كبيرة لدى المتفرجين .

« بالادينا » والموتوسيكلات !

وشهدت كذلك مسرحية باسم « بالادينا » وهى من المسرح البولندى القديم لمؤلف اسمه « **سيوفاسكى** » عاش فى القرن التاسع عشر ، أى قبل اختراع الموتوسيكلات . ومع ذلك فان مسرحيته بالادينا تقدم الان فى وارسو بالاستعانة بخمسة موتوسيكلات تصعد على خشبة المسرح مزمجرة بآلاتها لتطوف فوق كوبرى دائرى ضيق يعلو فوق رؤوس متفرجى الصالة ويرتفع حتى أقدام متفرجى أعلا المسرح .

والمفروض أن راكبى الموتوسيكلات يرمزون الى كائنات خيالية كالاطياف تعرف الغيب والمستقبل ولكنها لا تتدخل فى أحداثه . وفى النص الاصلى كانت تمثل هذه الكائنات بمجموعة من الفراشات الكبيرة أو الطيور البيضاء الضخمة ، لكن المخرج المعاصر قلب الفراشات الهائمات الى موتوسيكلات مزمجرة ، رغم أن النص لا يحتمل هذا . فحدوتة المسرحية تحكى عن ام لها ابنتان احداهما طيبة والاخرى شريرة هى بالادينا ، وتحكى عن أمير

قال له المنجمون بأنه سوف يصبح ملكا ان هو عثر على زوجة لها مواصفات معينة ، فيطوف باحثا عن هذه المواصفات حتى يعثر على هاتين الاختين ، فيحتار أيهما يتزوج . وبعد تفكير يجد الحل السعيد : ان يتزوج واحدة ويتخذ من الاخرى عشيقة ، وتصبح امام البنتين مشكلة : من منهما تكون الزوجة ومن منهما تكون العشيقة ! . وتقرر الام اجراء مسابقة بينهما فى جمع نوع معين من فطر الغابة ، من تجمع أكثر تكون هى الزوجة . وتجمع الطيبة اكثر فتقتلها الشريرة وتخبر الام بأن أختها قد هربت لانها لا تريد الامير .

وتتزوج بالادينا الامير ، الذى يتركها ليلة الزفاف ليبحث عن الهاربة ، وتخشى بالادينا أن ينكشف أمرها فتعقد مؤامرة مع أمين القصر لقتل الامير وتنفذ جريمتها الثانية ، ثم تدخل فى حرب مع ديار مجاورة معادية وتنتصر . وبذلك تصبح ملكة مطلقة اليد .

هناك أيضا شخصية هامة ، هى شخصية صعلوك خفيف الظل قد يكون فلاحا وقد يكون ممثلا لعامة الناس . يتصادف أن يقابل راكبى الدراجات النارية ـ اى الاطياف العالمة بالغيب ـ الذين يسخطونه الى شجرة بالغابة حيث يشاهد جريمة القتل ، فقد قدر له أن يكون شاهدا عليها . وفى عيد قومى يسكر هذا الصعلوك ويبدأ فى حكاية ما رآه عندما كان شجرة ، وتكون بالادينا موجودة مع مجموعة من رجال البلاط ، ويتصادف دخول الام ، فتخشى الابنة ان تفهم أمها مغزى حكاية الصعلوك ، فتنكر أنها امها وتأمر بطردها حيث تصاب الام بالعمى كمدا .

بعد ذلك تسيطر على بالادينا عقدة « ليدى ماكبث » ، فيخيل لها ان دم أختها ودم الامير مازال عالقا بكفيها وأن الماء لا يزيله . ويثقل عليها الاحساس بالذنب فتقرر تشكيل محكمة عليا لانصاف المظلومين فى مملكتها ، وتفاجأ بضحاياها يدخلون المحكمة واحدا اثر الاخر ، روح أختها وروح الامير وأمها الضريرة التى تتعرف عليها من صوتها ولكنها لا تكشفها خوفا عليها . المهم ان جميع الشهود يقررون ان هناك بنتا طيبة قتلت بخنجر بنت شريرة ، ولا تعرف المحكمة اسم هذه البنت الشريرة ، ومع ذلك تحكم عليها ـ أيا كانت ـ بالموت . ويسألون الملكة ان كانت تعتمد الحكم فتوافق عليه ، وبمجرد موافقتها تنزل عليها صاعقة من السماء تقتلها على الفور .

واضح طبعا أن هذه الحدوتة لا تحتمل اقحام الموتوسيكلات التى استوردوها خصيصا لهذه المسرحية من اليابان ، وواضح طبعا انه لا ضرورة درامية لهذه الالات المزمجرة ، الا اذا كان المخرج يبغى السخرية من مسألة الاطياف العالمة بالغيب ، أو ربما رأى أنها فى العالم الاخر كالبوليس الذى يستعمل الموتوسيكلات فى عالمنا الارضى ! . أو ربما أراد القاء ظلال من الواقع المعاصر على المسرحية لم أقدر أنا شخصيا على اكتشافها . وأغلب الامر انه سعى وراء ابهار المتفرج ، وبالفعل فان هذه المسرحية تعرض منذ شهور عديدة باقبال كبير من المتفرجين ، حتى كادت الموتوسيكلات نفسها أن تبلى !

« شهر فى المدينة » والكلاب !

وهى مسرحية معدة عن « تورجينيف » لجأ مخرجها ايضا الى نوع من الديكور الغريب ، فالمسرح شبه دائرى وهو مسرح جيب [حوالى ٢٥٠ مقعدا فقط] والممثلون يأتون من كل صوب حتى من بين صفوف المتفرجين ، وآلات الاضاءة مكشوفة تماما للمتفرج بما لا يجعله يندمج مع المسرحية ـ وهى تقليدية تماما كما سنعرف بعد قليل ـ ورغم هذا فان الديكور الذى يتوسط مقاعد المتفرجين عبارة عن حديقة حقيقية ، الارض مزروعة خضرة ، وبها جدول ماء صغير وعلى الجانبين شجيرات الزهور وشجرة عالية مزدهرة بالورود ، مع صوت دائم لتغريد الطيور . وهذا هو الديكور الذى يجذب المتفرجين الى حضور المسرحية ، وبالاضافة الى أن أول الممثلين ظهورا على المسرح هما كلبان ضخمان ، يستلقى أحدهما على الارض ويتجه الاخر للشرب من جدول الماء ، وبعدهما يتوالى دخول الممثلين من البشر .

والمسرحية تتناول وضع امرأة شابة متزوجة من ثرى يكبرها فى العمر ومنشغل عنها بأعماله العديدة . ومعها فى البيت .

تعيش قريبة فقيرة وجميلة ، وايضا مدرس هذه الفتاة الشاب وهو يتيم لا يذكر أمه . الفتاة تحبه وتظن أنه يحبها ، وفى نفس الوقت فان سيدة الدار تحنو عليه فينجذب اليها بفعل حرمانه المبكر من الامومة وتنجذب هى بفعل حرمانها من رعاية الرجل المناسب لعمرها . وتتعقد المسائل عندما يتقدم مزارع سمين لخطبة الفتاة وتحاول السيدة اقناعها به حتى يخلو لها الجو مع الشاب •

وتنتهى المسرحية بدقائق من الدموع الغزيرة يغادر الشاب بعدها الدار هاجرا المرأة والفتاة ، حيث تكون الفتاة قد قررت الزواج من المزارع الذى لا تحبه هربا من بيت قريبتها التى فجعت فيها •

وعند نهاية العرض ينحنى الممثلون تحية للجمهور ، وفى نفس الصف يقف الكلبان ليردا تحية الجمهور ايضا . ورغم أن اداء معظم الممثلين كان بارعا الا أن معظم المتفرجين كانوا يتحدثون أثناء خروجهم عن الكلبين فقط !

« على أربع »

أو عندما يعامل الفنان كتحفة فى بيت العجائب . وهى فى رأيى أجمل المسرحيات التى شاهدتها فى وارسو من ناحية التأليف ، وايضا من ناحية الاداء التمثيلى الذى جاء متمشيا مع غرابة النص ، ومن ناحية المخرج الذى لم يحاول اقحام اية مؤثرات دخيلة •

وزمن المسرحية حوالى الساعة والنصف تقدم كفصل واحد ، وهى فانتازيا منطلقة الخيال ، تبدو التصرفات فيها



غريبه وان كانت تحمل فى طياتها مأساة موجعة . وهى تقدم لنا شاعرا لامعا له أعمال عظيمة ، لكنه كف عن الانتاج منذ فترة ، بسبب احساسه بأن الناس يعاملونه على انه «شىء عجيب» يمكن التفرج عليه . ويجعله هذا الاحساس يتصرف تصرفات غريبة ، فهو يسير على أربع ، ويحبو مثل كلب أليف . ومربيه الدار — وهى امرأة فى حوالى الخمسين من عمرها — تبدو كما لو كانت حارسة وليست مربية ، فبمجرد ان يستيقظ من نومه تحاول اجباره على ان يحتسى حساءا لا يحبه ، لكنها تصر لان الحساء كما تقول مفيد ومغذ [وسوف تظل طوال زمن المسرحية تحاول ارغامه على شرب المزيد من هذا الحساء الكريه الى نفسه] .

ويتوافد على شقته عدد غفير من الناس تباعا ، وكأن شقته قد تحولت بالفعل الى متحف حتى قبل أن يموت . تأتى أولا فتاة جميلة تريد جمع معلومات أولية عنه لاعتزامها التقدم برسالة جامعية هو موضوعها ، ويخبرها بأن مثل هذه الرسائل كى تكون موضوعية وغير متحيزة فأنها يجب أن تعد بعد موت الشهير وليس اثناء حياته ، لكنها تصر فيضخم هذا الاحساس لديه بأن الناس يعاملونه كشاعر راحل ، أو ككلب مستأنس عليه أن يطيع ، فيسير أمامها على أربع ، وتظن هى أنه يريد أن يضاجعها ، ويبدو كمن يحاول ، لكنه ينهض معربا عن فقدانه الرغبة فى الاتصال بالاخرين . وعندما تراه المربية يحبو على أربع تتأكد من مرضه خاصة وانه رفض تناول الحساء ، فتذهب لاستدعاء الطبيب ، وقبل حضوره يدخل

احد أصدقاء الشاعر القدماء الذى يبادره قائلا : « لقد كنا ضمن مجموعة كبيرة من الزملاء فشلنا جميعا فلماذا تفوقت أنت وحدك ؟! » . فينوح الشاعر بأنه كره الحياة ويريد الانتحار ولكنه لا يجد الوقت لتنفيذ رغبته .

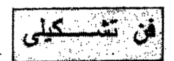
وعندئذ يأتيه كائن خرافى له وجه انسان وجسد كلب ضخم ويعرض عليه أن يمنحه الفتاة الجامعية إن كان يريدها لكن الشاعر يرفض ، فيذهب الوحش ويأتى الطبيب الذى يكشف عليه بطريقة عجيبة ثم يتركه لينام . ليدخل اليه اربعة رجال رسميين من العاملين فى مجال الثقافة ، جاءوا ليعطونه عددا من الاوسمة ، وعندما يجدونه يحبو على اربع يفعلون مثله ، فمادام العبقرى يفعل هكذا فلابد ان هذا الفعل صواب ، ويتسلم اوسمته وهو على أربع . وبعد ذلك يتوافد مجموعة من التلاميذ كأنهم فى رحلة مدرسية للتفرج عليه وعلى مسكنه ثم مجموعة أخرى من الرجال . ثم يعود اليه الكلب الضخم مرة ثانية ويعرض عليه سبع نساء جميلات وعاريات ، بينهن الفتاة الجامعية ويطلب منه اختيار واحدة منهن مقابل أن يسلمه روحه ، كان الكلب الضخم هنا هو مفيستوفيلس فى مسرحية فاوست .. ويوافق الشاعر على هذا البيع لكن الوحش يضحك وهو يقول ساخرا بأنه شخصيا يرفض لعلمه بأن الشاعر قد صار بلا روح . ويعود الشاعر الى الفتاة الجامعية عارضا الزواج منها ، وعند هذه اللحظة تزعم المراة المربية بأنها زوجته وبأنها ستلد له ابنا ، وبالفعل ترقد على السرير وتلد ، لكنها تلد رجلا فى شرخ الشباب يقفز الى وسط الغرفة وهو يترنم بما يشبه الادعية الدينية . وتخرج امه مربية الدار « تخرج الشخصيات وتعود دون مبرر واقعى » ليدخل رجال الاوسمة الاربعة لكنهم هذه المرة فى ثياب الحانوتية ، وقد جاءوا ليحملوا الشاعر الى مقره الاخير .

فى هذه الاثناء يكن المسرح مكتظا : بالفتاة والشاعر وصديقه وبفوج التلاميذ وبفوج الرجال ، عندما تعود المربية ثانية حيث سرعان ما تنقلب الى جلاد ترغم الشاعر على أن يحتسى حساءه ، ومع فرقعات سوطها يتحول جميع من بالمسرح الى ما يشبه حيوانات السيرك يتنقلون من موقع الى آخر كنمرة الاسود الشهيرة . وبعد هذا العرض تجلس الشاعر على مكتبه وتطلب منه التاليف . فيبكى لانه غير قادر ، وعلى الفور يربطونه الى حبلين متصلين بأعلى المسرح حيث يرتفع كأنه روح ميت ، ليطير بعدها فى الهواء وقد نبتت له اجنحة كالملائكة ، ويظل سابحا حتى يختفى ، ليظلم المسرح تدريجيا مع موسيقى جنائزية .

تلك هى أهم مسرحية شاهدتها فى وارسو خلال هذا الصيف ، وهى من تأليف الكاتب البولندى المعاصر « **روجافيتش** » ومثل هذا النوع من التأليف البعيد عن الواقعية انما يلجأ اليه الكاتب عادة عندما يريد مراوغة مقص الرقيب . فمن الواضح ان هذه المسرحية قابلة لاكثر من تفسير ، فارغام الفنان على شيء ما لا يريده لن ينتج فنا بل يؤدى الى سلب روحه ، ومعاملته كأنه تحفة قابلة للفرجة تجعله يفقد احساسه بانسانيته وبالتالى يكف عن العطاء . وأيضا فان شخصية المراة هنا تحتمل اكثر من تأويل ، فهى فى البداية مربية الدار التى ترعى صحته قسرا بمحاولتها اجباره على احتساء الحساء الذى يكرهه ، ثم تنقلب الى زعمها بأنها زوجته لتلد له رجلا يدجل بالادعية العجيبة ، ثم أخيرا تكشف صراحة عن حقيقتها فهى ليست سوى مدربة حيوانات تستأنس ضحاياها بالسوط .. والنتيجة المنطقية لكل هذا هى : موت الفنان ..

ويقول « روجافيتش » عن مفيستوفيلس رمز الشيطان ، بأنه لم يقدمه فى مسرحيته على هيئة رجل وسيم أو على هيئة وحش مخيف ، وانما فى صورة كلب ضخم له وجه انسان ، امعانا فى السخرية وفى التغريب .. وللكاتب نفسه تعرض مسرحية اخرى اسمها « الزواج الابيض » ينوى المخرج السينمائى الشهير « فايدا » تحويلها لفيلم سينمائى ..

وفى حوار مع المؤلف قلت له ان مسرحيته تشبه فيلما انجليزيا من بطولة واخراج « ألبرت فينى » يتناول حالة شاعر شهير يعانى من نفس مشكلة شاعره ، فهو بالنسبة لمدير اعماله مجموعة من الارقام المالية والضرائبية ، وبالنسبة لمستشار دعايته مجموعة من الاكاذيب تقدم للصحافة ، وبالنسبة للناس كائن عجيب يتفرجون عليه ، وفى نهاية الفيلم يركب الشاعر منطادا كبيرا ويطلقه ليعلو به الى السماء حتى يختفى عن الانظار » . ضحك المؤلف البولندى وقال : لم أشاهد هذا الفيلم ، ولكنه دليل على أن هناك هموما عامة تجمع بين الفنانين فى مختلف الامكنة والازمنة ، والسؤال موجه اليك الان : ألم تشعر انت بهذه المسرحية وتعايشها رغم انك قادم من بلد غريب ولم تقرأ لى من قبل ؟



عن اللعــب ٠٠ والفــن ٠٠ والحــرية

اذا كانت الالوان والخطوط والكتل والتكوين والفورم .. هى مفردات لغة الفنان التشكيلى ، يعبر بها عن رؤاه ، فانها لا تسعفه اذا اراد صياغة فلسفته الجمالية ومنهجه الفنى ، مما يضطرهالى اللجوء للكلمات ، خاصة مع غياب الناقد الذى يقوم نيابة عنه بهذه المهمة ، أو عند مروره بتجربة ذاتية لايصلح غيره للتعبير عنها بالكتابة . وقد حفظ لنــا تاريخ الفن نماذج راقية من هذهالكتابات ، مثل مذكرات دافنشى وديلاكروا وخطابات فان جوخ وسيزان ، حتى لتعد اضافات نظرية فى الفن أحيانا ، واضـــــاءات كاشفة للرؤى الابداعية عند اصحابهــا فى كثير من الاحيان .

وفى مصر ، شــهد العقدان الرابع والخامس من هذا القرن ، توهجا فى الكتابات الفنية ، خاصــــة من جــانب فرسان **جماعة الفن والحرية** ، اذ كان للقلم بالنسبة لبعضهم — **مثل رمسيس يونان وكامل التلمسانى** — نفس طواعية الفرشاة ، فامتلأت سماء الحركة الثقافية لمدة عشرين عاما — منذ أواخر الثلاثينات — بكلماتهم المضيئة حول معنى الفن ، ودوره ، ومشاكله وعلاقته بالعصر ، وبرحيلهم خيم الصمت على الفنانين ، وعلى النقاد أيضا ، تقطعه أحيانا بعض المقالات العابرة ، لاترقى — الا نادرا — الى مســـتوى الرؤية الشاملة فنيا أو فكريا ، انما هى الى الانطباعات أو التعليقات أقرب . وقد يرجع ذلك الى أن الفنانين يفضلون التعبير بمفردات اللغة التشكيلية التى يجيدونها أفضل من لغة الكلمات ، لكن السبب الحقيقى — فى رأيى — هو أزمة فكر ، **بمعنى غياب رؤية فلسفية متبلورة للحياة والجمال لدى غالبية الفنانين فى مصر . انهم** يكتفون بالتعامل مع الفن ، والحيــاة ايضا ، بمنهج حسى ، أو براجماتى فى أحسن الاحوال ، ولا يبقى للفكر عندهم الا دور مساعد فى المسائل التكنيكية والعملية . ولهذا بالطبع اسبابه الذاتية ، المرتبطة بالتربية الخاصة للفنان ، التى لم تتح له غالبا الاقتراب من مصـــادر الفكروالثقافة [الا على كبر] ، وأسبابه الموضوعية ، المرتبطة بالمناخ السياسى السائد خلال اكثر من عشرين عاما مضت ، مما جعل الفنانين طاقات سلبية ، تلوذ بالبحث فى القيم الشــكلية المجردة ، وتلهث وراء آخر منجزاتها فى الخارج ، ذلك أكثر أمانا ونفعا لاصحابها من البحث من فلسفة أو معنى . وقد أثر ذلك تأثيرا واضحا على مسار حركة الفن الحديث فى مصر .

●●●

من الفنانين المصريين الذين يملكون ناصية الكلمات — جنبا الى جنب مع اللغة التشكيلية — **الفنان المصور صلاح طاهر** .. كـانت مقالاته فى جـريدة « الاهرام » ، حيث يعد احد أقطابها ، من الفن والانسان والحضارة ، تواكب انتاجه الفنى وتكمل استدارته . وفى آخر مقال نشر له [1] تحت عنـوان « **لعبة الهدف** » استطاع أن **يلخص رؤيته** ومنهجه الفنى . ونظرا لاهمية الرؤية والمنهج اللذين يتبناهما صلاح طاهر — الحائز على جائزة الدولة التقديرية هذا العام — فى حركة الفن المصرى المعاصر ، وتعبيرهما ليس عن اتجاهه وحده بل من تيـار أســاسى فى الفن فى مصر والعالم ، فقد رأيت أن هذا المقال جدير بالمناقشة .

تتلخص رؤية الفنان صلاح طاهر ، من خلال المقال ، **فى أن الفن فى حقيقته** نوع من اللعب : « **.. ان الالعـاب وتنوعها وابتكارها والتفوق فيها لظاهرة تلازم كل حضارة ظهرت فى التاريخ — والفن أيضـا ، انـه أول الظــواهر الحضــارية — والفنان الحقيقى لاعب ممتاز من الدرجة الاولى ، والفنان غير الحقيقى ليس بلاعب على الاطلاق ، بل صانع مقيد ممعن فى أرهاق نفسه** » .

بل انه يصل الى ابعد من ذلك فيرى أن اللعب لا يقتصر على الفنـان ، بل ان المهندس والطبيب والسياسى والادارى والاقتصـــادى ... الخ ، اذا كـانوا متفوقين فى مهنهم فهم يؤدونها وكأنهم يلعبون .

أما مفهـوم « اللعــب » عنـده : « **.. فانت تؤديه والمتعة تصــاحبك على طول الخط ، خاصة اذا كنت على دراية وخبـرة بقوانين اللعبــة التى تؤديها ..** » و .. « **نحن نلعب حينمــا نكون أصحاء لا مرضى ، نلعب حينمــا نشعر بالحرية ، ولا نلعبونحن مغلوبون على أمرنا** » .

وما هو الهدف من عملية اللعب ؟ .. « **نلعب لان عندنا حيوية فائضة نريد أن ننفقها الان لتتوالد من عملية الانفاق هـذه — أى اللعب — حيوية أخرى متجددة ولا نلعب اذا ضمرت حيويتنا أو نضبت** » .

ويقدم لنا الفنان صلاح طاهر هـذه الرؤية من خلال عرضـه لتجربة شخصية ، حين أرقته فكرة لوحةجديدة ذاتموضوع محدد هو « الهدف » ، وان كان هدفا غامضــا ، يتردد بين المعنى المجرد : « شلالات صاخبة تندفع نحو المستقر » ، وبين الهدف المادى : قد يكون الانثى أو المجد أو السعادة بمعناها الغامض أو الثروة أو القوة ، أو لعلها الحياة ،

---

[1] الاهرام ٢٢ أغسطس بســنة ١٩٧٥

فهى ذلك كله بل وأكثر من ذلك بكثير . ويندفع الفنان بجدية وحماس بالغين لانجاز فكرته : يعد اللوحة ويجرى التجارب وكأنه فى مباراة مع نفسه : « كلى ارادة واصرار وعناد من أجل تلك الصورة » .. لكنه بعد خمس ساعات متواصلة فى الرسم يمزق كل ما صنع ويترك مرسمه وهو فى حالة من الانى والقنوط لا يرضاها لاحد ، ويتساءل : **لم كان ذلك الفشل الذريع اليوم ؟ .. وبعد ان هدأت أعصابه اكتشف السبب : انه لم يكن يلعب ، بل كان متوتر الاعصاب والعضلات ،كمن كان يجرى ليلحق بالقطار كى لايفوته .**

●●●

قد تبدو هذه رؤية ذاتية بحتة ، هى خلاصة تجربة الفنان ، لكننا بقليل من الاستقصاء سوف ننجح فى ردها الى أصولها فى فلسفة الجمال المعاصر ، وبالتحديد الى فيلسوفين مثاليين ، **احدهما هو « جورج سانتيانا — ١٨٦٣ — ١٩٥٢ — وهو أمريكى من اصل اسبانى » ، والثانى « كروتشه — ١٨٦٦ — ١٩٥٢ وهو ايطالى » .**

ان سانتيانا ، الذى تقوم فلسفته على الفصل بين القيم الجمالية وبين اية « ضرورة » وما يدخل تحتها من قيم أو غايات عملية أو اخلاقية ، يؤكد دائما ان عالم الفن هو عالم الانطلاق والاستمتاع واللذة الخالصة النقية ، ولذلك فان عالم القيم الخلقية أو النفعية أو عالم « الغايات » يعنى عنده النشاط الجدى الشاق — الذى يساوى العبودية — بينما يقترن الفن « باللعب » ، أو النشاط الحر المنطلق .

« .. فقولنا ان النشاط الخيالى الحر للانسان هو ضرب من اللعب انما هو وصف مناسب بلاشك ، وذلك لانه نشاط تلقائى ولا يقوم به الانسان تحت وطأة الضرورة الخارجية أو الخطر » .. و « .. بهذا المعنى يختلف مداول كل من العمل واللعب ، ويصبح العمل مساويا للعبودية ، واللعب مساويا للحرية »[٢]

ولان القيم الجمالية ليست مرتبطة بأية ضرورة فهى مكتفية بذاتها وليست مطلوبة لغاية وراءها [٥]

ان هذا هو المضمون الحقيقى لهذه النظرية ، فليس للفن غاية ، بل هو غاية نفسه ، وهو مستقل تماما عن شتى الظروف الاجتماعية سواء كانت فردية أو اجتماعية ، لهذا فهو لا يتجلى الا حين تختفى مطالب الحياة الملحة وضرورات التكيف العاجلة : « .. فيصبح عندئذ فى وسع الادراك الحسى أن يمارس نشاطه فى تلقائية وحرية وخصوبة . ومن هنا فان الفارق بين القيم الجمالية من جهة والقيم الاخلاقية والعملية من جهة أخرى ، انما هو كالفارق بين اللعب من جهة والعمل من جهة أخرى ، أو كالفارق بين اللذة من جهة والالزام من جهة أخرى » [٢] .

ولا يختلف كروتشه عن سانتيانا كثيرا فى هذه النظرية ، فهو أيضا لا يرى للفن اية وظيفة نفعية ، ولا حتى تحقيق اللذة أو المتعة ، ذلك ان الفن عنده عيان أو حدس .

ويرد كروتشه على أولئك الذين يرون ان من واجب الفنانين توجيه الناس وتربيتهم ونشر المثل الاعلى بينهم .. الخ بقوله : « ان كل هذه أمور لا يستطيع الفن أن يقوم بها أكثر مما تستطيع الهندسة ذلك .. » [٤] .

ويقرر أن الفنان حين يصوغ انطباعاته فانه فى الحقيقة يتحرر منها : **« .. واذا كان للفن وظيفة تحريرية أو تطهيرية فذلك لانه يمثل نشاطا ايجابيا تتجلى فيه قدرة الفنان على التحرر من انطباعاته وأحاسيسه .. » .. « .. وتبعا لذلك فان الفنان الذى يتحرر من أحاسيسه بفعل جهده التعبيرى ، لا يقوم بهذا النشاط من اجل الاخرين ، انما هو يحققه لنفسه أولا وقبل كل شىء ! [٥]**

بهذا يتأكد الطابع الفردى والانعزالى لكل من كروتشه وسانتيانا .. واستمرارا لهذه النظرية ، او تطبيقا لها ، يرى كروتشه أن الظاهرة الجمالية ليست مجرد حالة نفسية أو وجدانية ، بل هى اولا — وبالتحديد — صورة أو شكل [فورم] ، ومن هنا : **« .. فان الفنون جميعا هى ضروب من الموسيقى ، على شرط أن ترقى الى المنشأ العاطفى للصور الفنية فى مختلف الفنون ، مستبعدين من بينها تلك الاشكال التى بنيت بناء آليا صرفا ، أو حتى التى ترسف فى أثقال الواقعية الفظة الغليظة .. » [٦]**

ان هذا يقود بوضوح الى « **التجريد** » فى الفن — وهو الوجه الاخر المكمل لنظرية « **الفن للفن** » — والى ما أسفرت عنه معظم الحركات الحديثة المغامرة فى الفن الغربى ، التى اهتدت ، بشكل أو بآخر ، بمثل هذه النظرية ، والتى نجد صداها — ان لم يكن تطبيقا صريحا لها — فى انتاج الفنان صلاح طاهر وفى رؤيته الفنية .

فان المسار العام لانتاجه ، يؤكد عزلته من ظروف الواقع الاجتماعى المصرى ، وبعده عن أية [ضرورة] ملحة وراء العملية الابداعية . وحتى فى بعض مراحله الفنية التى اتخذت أغراضا « موضوعية » معينة ، كان الاتجاه السائد فيها هو الشمولية او الكونية ، فهو لا يتعامل مع انسان محدد بزمان او مكان ، او مع ظروف وظواهر موضوعية ، بل مع انسان مجرد وظواهر مطلقة . أحيانا تبدو فى لوحاته دوامات ضبابية ، وأحيانا تبدو أشباحا غامضة من كواكب أخرى ، وثالثة تبدو كتلا

□□ فوجىء **لطفى الخولى** رغم اعتذاره عن طلب منتج فيلم « **العصفور** » بالتقدم الى مسابقة السينما ٧٤ — ١٩٧٥ ، بمنحه الجائزة عن الحوار الذى كتبه للفيلم . كما فوجىء بنسبة الحوار اليه بالاشتراك مع **يوسف شاهين** . ويوسف **شاهين** مخرج ممتاز ولكنه ليس كاتبا .

---

[٢] الاحساس بالجمال — جورج جهة والالزام من جهة أخرى » [٢] .
[٣] فلسفة الفن — د. زكريا ابراهيم — ص ٧٣
[٤] المرجع السابق — ص ٤٦
[٥] المرجع السابق — ص ٥٧ [٦] المرجع السابق — ص ٤٩

هيماء مدؤوجة يقوي ميتافيزيقية ، وان اتخـذت تسميات واقعية فى كثير من الاحيان . وعلى أية حال ، فهذه المراحل لم تستغرقه طويلا ، اذ سرعان ما كان يعود الى دربه الذي يألفه وتتحقق فيه ذاته ، وهو التجريد المطلق ، مبتعدا كلية عن أى موضوع ، أو حتى أى شكل موضوعي ، وعن اقتران الفن بأية غاية خارجة عنه .. **والتجربة التى حكاها لنا في مقاله المذكور أصدق تعبير عن ذلك .. فحين ربط الفنان نفسه «بهدف» محدد ، واخذ الامر مأخذ الجد ، وحشد كل طاقاته التعبيرية والنفسية والعصبية للتعبير عنه ، فشل فشــلا ذريعا ، فمزق كل ما انجزه ، وادرك أن عليه أن يلعب لا ان يعمل .. والذى لـم يذكره هو : ان عليه ان يتحرر اولا من « الهدف » ، لكنه لم يفعل ربما اعتمادا على ذكاء القارىء !**

●●●

لنقترب أكثر من كلماته هذه :

« نحن نلعب ونحن نشعر بالحرية ، ولا نلعب ونحن مغلوبون على أمرنا »

ان هذا صحيح تماما .. بالنســبة للعب ، أما بالنسبة للفن ، فربمـا كان الادق أن نقول : نحن نرســـم [مثلا] لكى نشعر بالحرية .. ونرسم: رغم اننا مغلوبون على أمرنا [لنفس السبب أيضا] .. وهذا الفرق الدقيق والهام بين **اللعب والفن** ، هو بالضــبط الفرق **بين الانسان العادى وبين الفنان** [الوجه الاخر للثورى] . ان الانسان العادى بطبعه كائن متكيف ، انه عادة يمارس القدر المسموح له به من الحرية [ومن أى متطلبات ضرورية] ، مهما كان ضئيلا لا يشبع احتياجه ، فهــو يكيف نفسه فى حدود هذا القدر ، أما عجزا عن المطالبة بالمزيد ، أو حفاظا على أوضــاع اعتاد عليهــا المجتمــع والأسلاف ، أو عدم وعى بما ينقصه ، لهذا فهو يمارس حريته المتاحة بنوع من السلبية ، وغالبا لا يعدو مايحققه منها : المتعة الذاتية [كاللعب] . وقد يضــــطرب هذا الانسان لو منحته فجأة قدرا أكبر مما اعتاده ، فلا يقدر على استيعاب نتائجه وتنظيمها واستثمارها، نتيجة لتعطل ملكاته وطاقاته زمنا طويلا، **أما الفنان أو الثورى [اللذان يحملان جوهرا واحدا] فان كل طاقاته وملكاته فى حالة يقظة وعمل دائمين ، حتى وهو يمارس الحد المسموح له به من الحرية فهو يستثمره الى أقصى حد ويصــيب بعدواه محيطا كبيرا حوله ، فيطلق تلك الطاقات المعطلة والمكبوتة فيمن حوله .**

وما يميز الفنان [أو الثورى] من الفوضوى [أو المتمرد] فى هذا ، هو أن الاول يمارس حريته فى اطار نظام وشكل ، بعكس الثانى ، والنتيجة فى الحالة الاولى هى أن الخبرة الذاتية — العائدة عن خبرة جماعية — تنتقل الى الجماعة فى صورة وعى انسانى حافز للتقدم ، وتفجر الامكانيات المختزنة للجماعة ، وتفتح أمامها آفاقا وأبعادا جديدة لها روعة الكشوف . بينما النتيجة فى حالة الفوضوى أو المتمرد : هى أن الخبرة الذاتية تظل ذاتية وان تكن مدمرة أو مغتربة ، وفى أحسن الاحوال تنتهى بانتقال صاحبها الى وضع أفضل فى المجتمع . فكم من فنانين بدأوا متمردين ومحطمين لكل القيم السائدة ، وانتهوا الى العجز نهائيا عن الابداع والاستمرار أو وقفوا عند حدود المهارة التكنيكية ، مغتربين عن المجتمع ، أو مشبعين لاحتياج بعض الباحثين عن الاشــكال الغريبة والطريفة من المستهلكين الاجانب .

●●●

ان نظرية الفيلسوفيين المثاليين **سانتيانا وكروتشه** فى الجمال ، كانت من أهـم الاسس الفكرية للفن فى المجتمعــات الرأسمالية الصناعية ، بعد أن نزعت منها جوانبها الروحية ، وان كانا قـد اتفقا على انكار أى وظيفة عملية للفن، فان آلة المجتمع الرأسمالى فرضـت عليه وظيفته ، فلا شىء فى ذلك المجتمع بغير وظيفة ، كانت تلك الوظيفة ترضى مستهلكين : الاول هو الطبقة البرجوازية القــادرة على اقتناء الاعمال الفنية ، فهى فى حاجة الى الفن بغرض الزينــة والمباهاة ، وكان يشبع هذا الاحتياج لديها الفن الـذى يعتمد على المهـارة التكنيكية أو اثارة الدهشة بعوالم غريبة. والمستهلك الثانى هو الجماهير المنتجة التي يعد لها كل شىء بشكل جاهز ، ضمن ما يسمى بالانتاج الكبير ، ومن هنا تحـول الفن الى مستنسخات من مقتنيات السادة والمتاحف ، والى ادوات واعلانات وأثاث وملابس يستعملونها فى حياتهم اليومية ، وكلا الغرضين يناسبهما نوع الفن المفرغ من أى مضمون وخاصة التجريد .. بهذا اصبح الفن فى تلك المجتمعات سلعة مثل كل السلع الاخرى، بل أصبح الفنان نفسه سلعة .. لمن يدفع له أكثر .

فاذا كان ذلك منطقيا فى مجتمــع رأسمالى صناعى ، فانه يصبح غريبا فى مجتمع كمجتمعنا ، لا يشكل الفن فيه احتياجا للبرجوازية ، لتخلفها الثقافى ولاسباب أخرى ، وبالتالى فهى غيــر معنية بتحويله الى انتاج كبير يصــلح للاستهلاك العريض بين الجماهير . **ومن هنا فالعزلة مفروضة على الفن لامحالة ، الا اذا اختار الفنان طريقا آخر يشــبع حاجة هذه الجماهير الى الفن ، طريقا ليس الهدف منه هو « انفاق الحيوية الفائضة » واستهلاك الطاقات المكبوتة والمعطلة ، وانما غايته هى تفجيرها واطلاقها ، وتوســيع قـدرة الادراك والوعى لدى الانسان . وحين أقول : الا اذا « اختار » الفنان .. فانني اعنيها حرفيا ، حتى لا يفهم اننى من دعاة الفن الموجه ، أيا كانت وجهته ، والاختيــار موقف قائم على الحرية والمسئولية الذاتية معــا .**

لهذا فان انسياق صلاح طاهر وعدد كبير من الفنانين المصريين والعرب — بوعى أو بغير وعى — وراء هذا المفهوم عن الفن ، المكمل لواقع ونظم اجتماعية، ذات طبيعة مختلفة ، يشبه شــخصا معصوب العينين يسير فى طريق مسدود، لن تنقذه ســعة هــذا الطريق ، أو « الحرية » المطلقة المسموح له بهــا ليجرى فيــه ويلعب كما يشــاء ، من الاصطدام الحتمى .. فالنكوص ، أو الانهيار .. وهذا يؤكد **ما ذكرناه فى بداية المقال من أن ما تعانى منه الحركة الفنية هو فى الحقيقة « أزمة فكر » .**

ان الحرية التى يشعر بها صــلاح طاهر من خلال [**الفن — اللعب**] حرية وهمية ، انها لا تزيد عن حرية بهلوان السيرك وهو يغير بعض العابه أمــام جمهوره كل ليلة ، لكن هل بوســعه أن يغير من قواعد أى لعبة ؟ .. وهل يسمح له صاحب السيرك أن يلعب ما يريده هو حتى ولو لم يلق هوى لدى المتفرجين ؟ .. بالطبع لا .

واذا كان اللاعب الماهر صلاح طاهر قد حقق شهرة بفنه فلا يدخل فى أسباب ذلك بالتأكيد استجابة المتفرجين لفنون لعبه ، بل ربما العكس ، فان عــدم الاستجابة أو الصدمة تؤدى الى نفس النتيجة .. **انما المهم هو : من سيؤثر أكثر ويعيش أطول : بهلوان السيرك أم صائغ ألحان الحرية ؟**

الا أن هذا [الصائغ الفنان] لن يكن الواقع بكل قسوته وخبراته قــد عجم عوده ، وجعل حلمه بالخلاص أملا قابلا للتحقيق ، وليس نافذة للهرب من هذا الواقع ، وبقدر استثماره لاقصى ما يملكه اليوم من حرية ، سوف يحقق أقصى قدر منها فى الغد ، حتى ولو كان مقهورا مغلوبا على أمره ، كما كان حال بيكاسو حين رســم قريته الاســبانية المقهورة « جورنيكا » ، فجعل منهــا ملحمة ، ورمزا للحرية .. ☐

عز الدين نجيب





حسين كمال

البرد والكهولة .. بعد الحماسة والشباب

لم ينته عام ١٩٧٥ بعد ، ومع هذا شاهدنا أربعة افلام من اخراج «حسين كمال» ، وتنبئنا الافيشات والاخبار بأن ثمة فيلمين فى الطريق الينا ، سيعرضان غالبا قبل نهاية العام .. أى ان « حسين كمال » يقدم افلامه بمعدل فيلم كل شهرين .. وبعيدا عن التحفظ المبدئى القائل بصعوبة أن يقدم احد ، مهما كانت كفاءته ، فيلما جديدا جيدا كل شهرين ، فلننظر الى افلامه الثلاثة الاخيرة ، التى ساهم بها فى هجوم افلام العيد .

بداية ، يتمتع «حسين كمال» بموهبة لاشك فيها . قدم فى فورة الشباب والحماسة فيلمين كبيرين : «البوسطجى» ، و « شىء من الخوف » . اعتمد فى كل منهما على قوة الموضوع الى جانب التفسير الواقعى للامور ، ذلك انه اهتم بربط الشخصيات بواقعها الاقتصادى والاجتماعى والاخلاقى .. ومن الناحية الفنية ، كان الفيلمان ابيض واسود ، ابستغل المخرج امكانياتها الدراميـة استخداما بديعا . واستطاع ان يبرز مواهب الممثلين الذين عملوا معه فى الفيلمين ، حتى انه يمكنك القول بان ادوار «شكرى سرحان» و«صلاح منصور» فى « البوسطجى » من جهة ، و «محمود مرسى » و « شادية » فى « شىء من الخوف » من جهة اخرى ، من أطيب وأفضل أدوارهم . اضف الى هذا ما تميز به فيلمه الاول من جرأة وبراعة تعديد المستويات داخل الكادر الواحد ، وما تميز به فيلمه الثانى من مقدرة خلاقة على تحريك المجاميع ، على نحو يشى بقوتها ، ويكشف عن مقدرتها على قهر الخوف ومواجهة الارهاب .

لكن ، نتيجة للعديد من الظروف العامة والخاصة ، ونتيجة لحصار الفنانين الجادين واضطهادهم ثم اغرائهم ، من قبل رجال سينما المخدرات ، سرعان ما ذهب الشباب والحماسة ، وحلت مكانهما الكهولة والبرود . وليس هذا بسبب تقدم « حسين كمال » سنا ، فالمسألة ليست مسألة اعمار ، ولكن القضية فكرية وفنية فى أساسها . فبعد أن كان «حسين كمال» ينظر للعالم من خلال رؤية شابة فى « البوسطجى » و « شىء من الخوف » ، يستطيع ببصيرة قوية ان يربط الانسان بواقعه ، تراخت وغامت هذه النظرة ، ابتداء من فيلم « أبى فوق الشجرة » ، وحلت محلها تلك النظرة العجوز الشائخة ، التى ترى الانسان فى الفراغ ، لا واقع له ولا جذور وتحولت القضية من التعبير عن الواقع فى محاولة لتلمس آفاق مستقبل جديد ، الى قضايا التوله العاطفى : الحصول على حبيبة ، او معاناة فتاة بين مجموعة ذئاب ، او ضبط او منع خيانة زوجية. وبناء على تغيير القضية ، تغيرت بالتالى لغة « حسين كمال » السينمائية . فبعد ان كان يخلق جماليات الصورة من مكونات البيئة التى تدور فيها الاحداث ، مثل المستويات المتعددة للتلال والنتوءات الصخرية التى يواجهها « البوسطجى » فى طريقه الوعر عندما يتسلم عمله فى القرية الواقعة تحت ظروف قاسية . أو المشهد البديع للمياه المتدفقة فى عشق بين شقوق الارض العطشى فى « شىء من الخوف » . اصبحت الجماليات الان جماليات مطلقة ، مصطنعة ، مجردة ، متكررة وموحدة . تعتمد اساسا على الالوان المستخدمة كزينة ، والديكورات المبالغ فى طرافتها وفخامتها ، أو نتيجة لتتبع الكاميرا للبطل أو البطلة من خلال مجموعة حشائش او زهور أو ضباب ، والاستنجاد بلقطات كبيرة وطويلة لتلامس اصابع او اقتراب وجهين او التقاء شفتين ، فضلا عن الهروب الى الطبيعة لتصوير لقطات اقرب الى الكروت السياحية ، وقد كادت هذه اللغة المتحذلقة ، المزيفة ، ان تقضى على فيلم «النداهة» ، أفضل افلام « حسين كمال » الاخيرة ، او بتعبير أدق ، اقل أفلامه الثلاثة سوءا .

يرجع الفضل فى التوفيق النسبى لفيلم « النداهة » الى السيناريو الجيد الذى كتبه « عاصم توفيق ومصطفى كامل » ، اصحاب مسلسلة « القاهرة والناس » المعروفة . ذلك ان ابعاد الشخصيات ، وطريقة بنائها وتطورها ، سواء الاساسية او الثانوية ، على الرغم من عدم الاسراف فى تتبع تفاصيل حياتها ، تبدو واضحة ومنطقية . والاحداث تتوالى دون قفزات او مبالغة وبقدر كبير من الاختزال وقوة التعبير ، فمثلا ، أول ما تفاجأ به « فتحية » ، عاشقة « القاهرة » ، عندما تصل الى عمارة زوجها البواب ، هو ذلك المشهد القاسى لبوليس الاداب قابضا على بعض النسوة من ساكنات العمارة وسرعان ما تضطر للركوع على ركبتيها تحت اقدام ضابط البوليس لكى لا يصحب زوجها العريس ، البائس ، الى حيث لاتدرى.

هكذا تستقبل « القاهرة » بطلتنا ، الوافدة الجديدة ، لكن الى جانب تلك الواقعة القاسية ، هناك عشرات الامور الطيبة ، تحبها فتحية ، بل وتعشقها ، وتذوب فى القاهرة من أجلها ، واهمها امكانية العمل والرزق ، فضلا عن الرحمة التى تلقاها من بعض أسر العمارة ، فقاهرة « النداهة » ، ليست هى الغول الذى يغرز انيابه الوحشية فى عنق الجميع ، كما يتصورها بعض الرومانسيين ، ولكنها ، الى جانب قسوتها ، تهب العلم والعمل والمأوى والرزق الى العديد من الهاربين من قسوة الاقاليم الفقيرة . وهذا ما أدركته « فتحية » على طول الفيلم ، فهى تولد فى « القاهرة » من جديد ، يتفتح وعيها وتتطور شخصيتها ، وتدرك أن أمامها احد سبيلين ، اما ان تعود

الي قريتها حيث الفضيحة والركود والفقر، واما أن تبقى فى القاهرة حيث سيصبح أمامها طريقان : اما أن تعيش على بيع جسدها الى كل مشتر ، كما فعلت ابنة خالتها ، واما أن تأكل عيشها بعرق طاهر . وكان طبيعيا أن ينتهى الفيلم ، بينما فتحية تجرى فى شوارع القاهرة المزدحمة بلقطتين تخيليتين ، ترى نفسها فى احداهما وقد اصبحت ممرضة ، بينما ترى فى الثانية نفسها وقد اصبحت عاملة فى مصنع .

لكن «النداهة» ، من ناحية الاخراج ، وعلى الرغم من واقعية موضوعه ، لم ينسلخ عن اسلوب « حسين كمال » فى مرحلته الاخيرة . فهو يسدل على الفيلم كله غلالة كثيفة من مصنع جمالياته ، اخفت الكثير من الحقائق ، الامر الذى قلل كثيرا من قيمة الفيلم . فاذا كان سيناريو « النداهة » وفق فى تقديم الاسباب التى تجعل من « القاهرة » منطقة جذب ، فان الفيلم ، نتيجة لاسلوب المخرج ، لم ينجح فى تقديم القرية كمنطقة طرد . ذلك ان الريف فى « النداهة » ليس هو الريف المصرى ، بقدر ما هو ريف « حسين كمال » السياحى .. انه « البساط السندسى الاخضر » و « الاشجار الباسقة » و « النسيم العليل البليل » . والقرية فى الفيلم خالية من السكان والعجائز والانفة والمستيقبات . وبطلة الفيلم نفسها ، بوجهها المشرق ، المتلىء بالصحة والحيوية ، وشعرها الناعم الجميل ، ومكياجها الذى زادها فتنة ، لا تشعرك بانها فلاحة حقيقية . وملابس الفلاحات المعدودات مزوقة ولامعة ونظيفة وجديدة ومكواه وغالية ومحورة ، على طريقة ملابس فرق الفنون الشعبية .. لذلك فان سحر القاهرة « النداهة » افتقر الى اهم الشروط ، وهو الفقر والبطلة والعوز الذى تعانى منه القرية ، والتى تجعلها منطقة طرد .. وآه لو شاهد « حسين كمال » قريته المصرية الحقيقية التى قدمها فى البوسطجى قبل أن يشرع فى تصوير قريته السياحية فى « النداهة » !

اما « على ورق سوليفان » ، فهو من ناحية روحه عموما وموضوعه ، وشخصياته ، واحداثه ، وبيئته ، فانه يتلاءم مع اتجاه « حسين كمال » فيما بعد « أبى فوق الشجرة » . فالفيلم يتعرض للمثلث التقليدى ، الزوج والزوجة والعشيق ، وبنفس التركيبة والمواصفات التى شاهدناها ومللناها فى عشرات الافلام السابقة : الطبيب الجراح ، نصف المليونير ، المنهمك فى عمله ، طبيب القلب ، والزوجة الجميلة ، الانيقة ، الشريفة ، المتفجرة بالحياة والحيوية والجمال . والشاب العابث ، ابن احد الاندية الكبيرة ، وريث الدون جوان السابق « احمد رمزى » ، الفنى ، لاعب التنس ، صاحب العربة الانيقة ، الذى نكتشف بان مظهره العابث ينطوى على قلب اذا احب فانه يعشق بصدق ويتالم بعنف . لا عمل له طوال الفيلم ، وان كان قد ذكر فى مكالمة تليفونية انه مشرف رحلات .

ولك ان تتخيل ، بلا مجهود ، التطور البليد والنمطى للاحداث ، فالزوجة الملول ، الفاضلة ، تتعرف الى الشاب العابث ، لكن قبل أن يتم بينهما لقاء جسدى تهرب منه ، فهى شريفة ، وتعذب . وكعادة العاشق فى مثل هذا النوع من الافلام ، يذهب الى البار ليتجرع المنكر ، ويتعذب . ويلتقيان فى النادى مرة اخرى . ويحدثها فى التليفون الاحمر . وتتهيأ للذهاب له فى شقته . ولان الفيلم يريد ان يحافظ على ورع بطلته من جهة ، وأن يرضى الجمهور الجائع من جهة أخرى ، فانه يقدم مشاهد تخيلية من وجهة نظر البطلة ، تتصور فيها شفة عشيقها تمران على ذراعها وعنقها ووجنتيها .. وتذهب له فى شقته ، لكنهما لا يقترفان الجنس . وتدفعها الظروف والمصادفة للذهاب الى زوجها فى المستشفى ، وتدخل غرفة العمليات بعد أن تلبس كمامة خضراء أنيقة . وهنا ينتهى الفيلم بنكتة ، ذلك انها تكتشف أن شخصية زوجها قوية . فهو يشخط ويزجر ، وينظر نظرات نارية الى المحيطين بجسيم المريض ، مما يجعلها تعجب به جدا ، الامر الذى يساعدها على الاحتفاظ بعرضها الذى كان من الصعب ان تفقده أصلا ، ذلك أنها عفيفة ، وايضا الشاب العابث ، ابن النادى الكبير ، ليس متكالبا على الجنس ، ويتأكد لنا أنها ستظل ورعة ، خاصة بعد ان اكتشفت ان زوجها الكبير ، نصف المليونير ، يتمتع فى العمل ، بشخصية قوية من فولاذ .

والفيلم بطىء ، مترهل ، مسرف الطول ، ممل ، لغته السينمائية متحذلقة ، بلغت فى تأنقها حد الافتعال ، فالكاميرا لا تقدم الا أمواج البحر والرمال الناعمة وغروب الشمس وغرف النوم الفخمة والشقق الخاصة . وبين الحين والحين تصور الكاميرا فى لقطات كبيرة ذراع امرأة او ظهرا عاريا . يجىء الديكور العجيب ، بعدم واقعيته ، وكثافته ، ملائما لروح الفيلم المفتعلة ، خاصة فى شقة الشاب العاشق ، كما جاء طوفان الموسيقى الفجة ، الزاعقة ، المرهقة ، الزائدة عن الحاجة ، متمشية مع فيلم متكلف ، يتحدث عن مواجع الأرستقراطية وتطهرها .

يبقى بعد هذا « حب تحت المطر » ، وهو فيلم يدهشك باضطراب مستواه ، حتى انك تشعر بأن هناك اكثر من مخرج عمل به . فبينما يرتفع بلغته السينمائية فى بعض مشاهده الى مستوى طيب ، يتردى فى البعض الاخر الى مستوى بدائى . فمقدمة الفيلم التى تخرج ببراعة بين منازل السويس المهدمة ، الموحشة ، واندلاع الحرائق من جهة ، والشباب العابث ، الضائع ، الراقص فى اقبية الملاهى الليلية من جهة أخرى ، وتداخل اصوات دوى المدافع مع الموسيقى المستهترة ، والحيل المعملية التى تحيل الصور جميعا الى خيالات واشباح غير محددة المعالم ، تنبىء باننا سنشاهد عملا قيما . لكن سرعان ما يقدم الفيلم مشهدا هابطا ومحبطا لبعض الشباب يعاكسون فتاة ووالدها . يصفقون ويدورون حولهما بطريقة مفتعلة ومبالغ فيها . ويستمر الفيلم على هذا النحو ، مشهد معقول ، يعقبه مشهد هابط .

يتحدث « حب تحت المطر » عن عناء وحيرة ابناء البرجوازية الصغيرة ، فى فترة ما قبل اكتوبر ٧٣ ، عندما كان سؤال : هل ستندلع الحرب أم لا ؟ يتردد كل دقيقة ، حاملا معه عشرات التساؤلات عن المستقبل . ويبدو أن الفيلم حاول أن يلتزم بتقديم أكبر عدد من شخصيات الرواية ، وان يجعل من نفسه ، مثلما فعلت الرواية ، لوحة كبيرة للمجتمع ، بتضاريسه الطبقية ، واخلاقياته المتناقضة ، وتشابك علاقاته ، وتضارب مصالح ابنائه . ولاشك ان هذا الطموح الكبير ، المستند على اساس رواية صعبة ، يتطلب مخرجا يستطيع ان يتفرغ لها عاما كاملا ، وليس من النوع الذى يقدم خمسة او ستة افلام فى العام الواحد ، خاصة وان الرواية تقدم شخصيات ، وان كانت واقعية ، الا انها تكاد تكون جديدة بالنسبة للسينما المصرية . فمثلا ، « حسنى حجازى » ، المصور السينمائى الاعزب ، صاحب الشقة الخاصة ، لم يقدم من وجهة نظر اخلاقية ضيقة وتقليدية ، بل قدمته الرواية بقدر كبير من الشفقة ، وتنبهت الى مشاعره الرحيمة نحو الاخرين ، وأحاسيسه نحو الوطن .. وربما لم يستطع الفيلم ان يقدم « حسنى حجازى » بنفس الدرجة من الحياة والوضوح اللتين تمتع بهما فى الرواية ، لكن ثمة مشهدين او ثلاثة ، بفضل اداء «عادل ادهم » ، والطاقة المهدرة ، اوصل فيهما الى الجمهور ما يحسه من تلق وعذاب ، من أجل الوطن الجريح من جهة ،

وصديقاته اللاتى يتعرضن لكوارثمتصلة من جهة اخرى ، فضلا عن شــــعوره المقبض بالوحدة .. كذلك الامر بالنسبة « لعشماوى » ، العجوز الضائع ،الذى تنبهت له الرواية ، وجعلته مرثيـــة الحاضر والماضى ، القوة التى انهارت بفعل الزمن وأصبح صاحبها ينــام الى جانب صندوق القمامة ،الذى يحس بمصر اكثر من اى شخص آخر .. يمكنك ان تتذكر مشهدين او ثلاثة جيدين قامبأدائهم « عماد حمدى » ،خاصة فى المنولوجات التى يغرق فيها داخل ذاته .

هكذا .. يمكنــك ان تتذكر اشــياء طيبة فى الفيلم ، لكنه فى مجموعه ،يأتى شاحبا ، مضطرب الايقاع ، مبهما فى الكثير من اجزائه ، مثل ذلك الحوار غير المنطقى الذى يدور بين الشباب العابث حول زجاجات البيرة .. وتصرفات العديد من الشخصيات غامضة ، غير مبررة ، مثل قرار « على زهران » النجائى،الذى تام بدوره الوجه الجديد الموهوب «محمد وفيق » ، باستكمال ابحاثه فى السجن، بعد ان استسلم لليأس والكفر بكلشىء، وجاءت علاقات الشخصيات ببعضهـــا ملتبسة ، خاصة لمن لم يقرأ الرواية .

ونهاية الفيلم التى تضمنت أول بيانات حرب أكتوبر يجعلك تتخـوف من أن يستخدم اكتوبر سينمائيا كما اســـتخدمت ثورة يوليو من قبل ، النهاية السعيدة التى تلغى التناقضات والمشاكل القديمة ،والتى نجحت وتخفى التناقضـــــات والمشاكل الجديدة .

الملحوظة الاخيرةخاصة بأصدق المواقف فى الافلام الثلاثة ، وهو موقف الهجــاء المرير ، العنيف ، الذى اتخذه «حسين كمال » من السينما السائدة فى « هيب تحت المطر » ، والذى فاق فى ضيقــه واحتقاره موقف الرواية نفسها ، فهى هنا سينما خادعة ، مزينة ، ملوثة .. ويحق لك ولنا ان نتساءل : هل هــذا الموقف مجرد تعبير لاشعورى عن الشعور الذاتى بالذنب لدى مخرج انســاق فى تيار هذه الســـينما المنتصر ، أم هــو موقف واع ينبىء بعودة « حسين كمال » الى السينما البديلة ، سينما « البوسطجى » و « شىء من الخوف » ..من يدرى ؟

كمال رمزى

○



حضرة المحــترم

الرؤيــة الفكــرية .. ومســتوى ابداعهــا

من يقرأ عمل ـ نجيب محفـوظ ـ الاخير « حضرة المحترم » «١» يصطدم بمشكلة الابانة الذاتية عند الكاتب ، والى أى مدى تستطيع أن تولد تلك الواقعية الصادقة الا اذا كانت تعبيرا أدبيا عن حركة اجتماعية عريضة ، بحيث تدفع مشكلات هذه الحركة الكاتب الى أن يصف مظاهرها الاكثر جوهرية وبحيث تقوى من قدراته ، وتمنحه القــوة والشجاعة التى تخصب وتغذى اخلاصه وأمانته .

غير أن ـ نجيب محفوظ ، ومن البداية قد أفرط فى تبسيط مدى وشروط هذه الحركة الاجتماعية ، وانعكاساتها على ضياع أوهام شخصيته الرئيسية (عثمان بيومى) ، فالفرد يبدو فى هذه الرواية، وكأنه نقطة الانطلاق الوحيدة ، غير أنه يتبدى للاسف بمنظور ذى نزعة فردية أو باخلاقية تجريبية منفصلة عن جــدل الظروف الاجتماعية ، أيا كان ما قدمه الكاتب من استقصاء خاضعا لشروط علم الاجتماع الدارج الوضعى عن التاريخ الشخصى لبطله وأصوله الاجتمــاعية ومكوناته النفسية ، وبيئته وأسرتــه الخ ...

ولنرصد بالتحليل مسار بنائه الفنى لنمطه من البداية وحتى النهاية ، حتى نتحقق من هذا التناقض ، سنجد فى الغالب : الرواية التقليدى بجمله الخبرية اليقينية ، الذى يعرف كل شىء كالله ، ويتحدث عن تاريخ حياة وسلوك وطموح « عثمان بيومى » ، غير اننا سنلتقى فى بعض الاجزاء بالشخصية وجها لوجه فى حديث يقترب من الاعتراف او المناجاة أو القاء الحكم ، وبالفحص الدقيق لهذه الانتقالات فى السرد سنجد خيطا دقيقا يفرق بين الاداتين ، بحيث تتهدد فى النهاية شاعرية عملية الابداع ، وتصبح حياة الشخصية واقعة تمت بشكل نهائى ومن ثم يوضع القارىء امام نتائج هذه الواقعة فى مستوى التقبل القدرى للظروف والاصول والعرف ، يعكس ما اسسه كبار الروائيين الواقعيين كبلزاك وستندال ،وجوكى من الحاح مستمر على تقديم الشخصية الدرامية لهذه العملية ، من حيث انها تحفل فى حقيقتهـا بالصراعات ، وأن هذه الصراعات تبلغ اقصى حدتهاحين تصبح حياة الفرد ميدانا لصراع المصالح الطبقية وحين يواجه الفرد بقرار يتضمن حكما طبقيا لانه سيظهر حينئذ أن السمات الطبقية قد اصبحت هى السمات السائدة فى مجرى التطور الفردى .

فى ادنى درجات السلم الطبقى يولد «عثمان بيومى » وفى حارة الحســين المعتمة والتى قليلمن مواليدها من يبرحها بصفة نهائية الا للقبر ، يعيش ويتكون عرق أب سائق لعربة كارو : يموت لتتكفل به أمه التى تكدح كماشطة أو دلالة ، أخ شرطى مات فى مظاهرة تضرب الشعب ، واخت ماتت فى مستشفى الحميات ، واخ آخر مات فى السجن وبعد أن أفلت « عثمان» من قدر الفقر الوثنى فى حادثة متميزا عن أبنائها ، فقبل ان تموت الام كانت قد أوصلته الى شــهادة البكالوريا وهى جواز مروره لحلمــه وسدرة المنتهى فى تراب الميرى ، حيث يبدأ طريق السعادة من الدرجة الثامنة وينتهى متألقا عند صاحب السعادة المدير العام « تلك هى نهاية طموح ابنــاء الشعب ، معجزتها تتحقق فى اثنيــن وثلاثين عاما ، وربماتحققت فى أكثر من ذلك أما الساقطون فى وسط الطريق فلا حصر لهم ، ان النظام الفلكى لا يطبق على البشر وبخاصة الموفقين منهم » .

هذا اجمال أو لب أحداث « المرحلة الاولى » من حياته من الطفولة حتى الالتحاق بالوظيفة ، قدمت لا فى وحدة ونسق روائى متداخل بين اشياء متعددة ومنوعة من الخبرات والاحاسيس والرؤى والمعاناة ولحظات التعرف على امكانيات النفس والعلاقة بالاخرين والدخول مع كلية الواقع فى صراع حتى ولو كان على المستوى الخاص ، بل سنجد توازنا فى خطوط حركة الحدث الروائى ، وبالتالى الداخلى والخارجى ، أو بمعنى آخر الحدث كتجسيد لكم وتراكم من التطورات على منوال زمن الاجندة اليومية ، وفى المقابل انعكاساته على الذاتية الانسانية بكل ابعادها النفسية المعقدة لدى « عثمان بيومى » .

وسنجد هذا الانعكاس أو علاقة الخارج بالداخل يتم فى جزء كبير من النسيج الروائى بالعبارات اليقينية ،مثل «انى اشتعل ياربى » ان أحلام الابدية جد مرهقة ، ولكن ماذا كان بالامس ، وماذ يكون اليوم ، خليق بمثله الا يعرف المستحيل ، وخليق به ألا يترك نفسه للتيار بلا خطة محكمة » ، كثيرا مايحلم أنه ديبول ، ولكنه يستيقظ فى اللحظة المناسبة » ، « اخى رجل كالجمل يقتل بطوب الثوار » ، « انه يقف من تلك الاحداث موقف المتفرج والمتعجب لا يعرف لها معنى »، « أجل عرف الكثير من مطالعة التاريخ من أقدم العصور حتى قبيل الحرب العظمى ، عرف الثورات ولكنه لم يعشها ويستجيب لها ، اتعزل، لم يحظ بعاطفة عامة واحدة تشده الى الميدان ، لقد عاش حياته مطاردا الفقر والجوع فلم يدع ذلك له وقتا لمد آفاق تفكيره الى الخارج » ،، « اليوم يعرف لنفسه ، هرفا دنيويا والهيا فى ان ، لا ملاقة له فى تصوره بالاحداث التى تتسمى باسم السياسة » : « قال : ان حياة الانسان الحقيقية هى حياته الخاصة التى ينبض بها قلبه فى كل لحظة ، التى تستاديه الجهد والاخلاص ، والابداع ، انها مقدسة ودينية ، بها تتحقق ذاته فى خدمة الجهاد المقدس المسمى بالحكومة أو الدولة ! بها يتحقق جلال الانسان على الارض فتتحقق به كلمة الله العليا » ، « انهم يهتفون بغير ذلك أو بما يناقض ذلك ولكنهم مجانين مزيفون » .

وصحيح أن هذه العبارات حددت لنا مسيرة وطبع وسلوك مدى فـــردية البورجوازى الصغير « عثمان بيومى » ، ولكن ليس من خلال شخصية درامية ممتدة فى اطار من الاشياء المحسوسة والخبرات المجسمة ، ذات الايقـــــاع المستوى الالهى والانسانى أيضا والتى تنعكس فى حياة الفرد ما يجرى من تغيرات اجتماعية ، بل بالعكس ونتيجة التصدع فى السرد الروائى اختلطت هنا الفردية الشخصية والفردية الطبقية فضلا عن الطبيعة العرضية نوعا لظروف الحياة التى عاشها « عثمان بيومى » ، اقول عرضية نوعا ، لان المرحلة الثانية من حياته بعد الوظيفة وحتى الذبحة الصدرية التى اصيب بها فى نهاية مساعيه ليتسلم أخيرا منصب سعادة المدير العام ، هذه المرحلة قدمت بشكل مصنوع وبعقلانية تامة التكوين بقوانينها كالمنطق الصورى المثالى ،بل ان هناك ورقة عمل من ثمانية بنود وضعها « عثمان بيومى » كقواعد لغزو المستقبل الوظيفى « كدراسة اللائحة المالية ، والدرس للحصول على شهادة عليا واللغات الاجنبية ، الاستفادة من الفرص مع الاحتفاظ بالكرامة ، الزواج الموفق والذى من شانه تمهيد الطريق للتقدم ، التزويد بالثقافة العامة ، الاعلان عن تدينه فى كل مناسبة » ·· الخ ، ومسالة التزود بالثقافة ، والتدين هى ما يهمنا هنا فى مستوى العملية الابداعية ، لن نعرف ما هى نوعيات هذه الثقافة والقراءة والى اى مدى تنعكس أصداء الايديولوجية على استيطان ذاتية وداخلية « عثمان بيومى » فهو بلا جدال قد حمله متساؤلات وملاحظات عن قضايا روحية واثقة نجيب محفـــوظ ، بطـــرح وميتافيزيقية عديدة كالتساؤل عن معنى الحياة والمـوت ، والخيـر والشر ، والطموح الفردى القائم على أصـداء فلسفة « نيتشه » وتعاليم شوميهفور : اما التدين والايمان بالله فقد وفق «نجيب محفوظ » فى ادخالها كجزء أو عنصر متميز فى بيئة شخصيته الروائية ـ ان الله فى النهاية هو ذاتية النمط هنا فكل الجرائم الهادئة واغتيال البراءة عندما رفض الفتاة الاولى فى حياته « سيدة » ثم اعدامه لكل انسانية « الناظرة · أصيلة حجازى » الفتاة العانس وكذبه على « انسية رمضان » وتمنياته القلبية لموت رئيس قسم المحفوظات « سعفان بسيونى » حتى يفقد على منصبه ، ثم موت مدير الادارة « حمزة السويفى » لكى يحل محله ، وارتباطه بموسى يضعف زنجية هى قدرية طوال سنين طويلة ··· باختصار كل صنوف الدناءة والانانية والكذب والنفاق وفى نفس الوقت هو قانع بانه قريب الى الله مسلم مثالى ، ينفذ مشيئة القوة الالهية على الارض ، انه يعيش كمطعم نماذج نجيب محفوظ فى توافقية واتقان للعبة التسلق ، وجدنا ذلك فى محجوب عبد الدائم ، وحسنين وعيسى الدباغ ، وسرحـان بحيـرى ، ··· الخ ··· غير اننا وان وافقنا على وحدة الموضوع الروائى عند « نجيب محفوظ فثمة اعتراض على تكرار مقـولات ، وأحداث هى بنفسها فى روايات سابقة : الموضوع الروائى عندى « نجيب محفوظ » فقد سبق ان رفض « حسنين » خطيبته التى من طبقته ، كذلك حسين عرض عليه رئيسه ابنته بنفس الطريقة التى عرضها « سعفان بسيـونى » على « عثمان بيومى »، وهناك ايضا تكرار نموذج « بنات الليل »الذين ساهموا فى الثورة والمظاهرات فحتى الحى الذى تباع فيه الاجساد يتنفس وطنية ، وهذا موجود وبنفس المقولات الثابتة فى اكثر من عمل سابق ، ·· هذا وغيره كثير يؤكد الاملال والرتابة على حساب حيوية العمل وشاعريته ، فكاتب مدرب وناضج منجيب محفوظ عليه وبل مسئوليته أن يطور أدواته التعبيرية وقدراته الابداعية لكى يعمق ويؤصل وحدة الموضوع الرئيسى فى عالمه الروائى ، وهو أساسا تمجيد ذاتية البورجوازى الصغير « الموظف » على حساب الواقع الموضوعى لبيئته مما يؤدى الى افقار ذاتيته الانسانية بل ترميرها ·

ولقد بدأ الوظيفة بالانحناء لصاحب السعادة ، وظل يترقى فى معبد الجهاز الحكومى المصرى ببعده التاريخى الذى يصل الى ٧ آوف عام ، ككاهن يصعد فى درجات معبد آمون ، هو محترم الان غير ان أحدا لا يعرف أنه تزوج موصى خائب الامل خزين وضائع ، هدف حياته تكشف عنه خواء وعبث ، لقد ضاع ما فات ولحظة « أن قرر الاعتراف بـزواجه بسكرتيرته »راضية ومواجهة الواقـع بشىء من الصراحة ، سقط وأصيـب بالذبحة الصدرية ···· الان هو راقد ، رغم أنه أصبح المدير العام ، اللـه الصغير ، غير أنه بلا مستقبل ولا أمل فى الحياة ، ولقد اجتهد بلا جدال نجيب محفوظ . فى الاستفادة من خبـراته الطويلة فى الوظيفة ، وكشف وعرى نوعية الموظف ى فمجتمع طبقى وحدد الزمنية التاريخية فى ظل النظام الملكى ، غير أننا نظلمه لو لم نعترف بوجود هذه النوعية من الموظف الصغير فى آله الدولة المصرية حتى الان فمصر بعد ٥٢ وبرغم تعديل التركيب الطبقى ما زالت لكل ذى بصيرة تعانى نوعية أخـرى للصراع الطبقى ·

ايا كانت هذه الملاحظات التى ركزنا عليها فى تناقضات بناء الرواية ، من عزل وانفصال بين صعود وانهيـار البورجوازى الصغير ، وجدل الصراع الاجتماعى وتسطيح أبعادها الرمـزية لافلاس وعواء دور الفردية الانانية عند ذوات بورجوازيةصغيرة فى بلادنا للاسف هى التى أصبحت النمط السائد فان هناك تساؤلا أخيـرا نقـدمه مـن واقـع احترامنالاسهاماتنجيب محفوظ فى ابداع وتاسيس رواية مصرية ناضجة ، هذا التساؤل منصب عن الرؤية الفكرية فى مستوى الابداع ، هل أصبحت تعانى من هذا الافلاس فى فكر نماذج مثل بطله الرئيسى عثمان بيومى ؟ ■

عبد الرحمن أبو عوف

العصر الحديث

تصدر باللغات:

الروسية — الإنجليزية
الفرنسية — الألمانية
الأسبانية — البولندية
التشيكية

وستقرأها أيضًا: باللغة العربية



الإعلانات الأفريقية الآسيوية

المجلة السوفيتية للشئون الدولية

تصدر كل ثلاثاء • الثمن ٣٠ مليمًا

صدر العدد الأول من اكتوبر ١٩٧٥

النفط والتنمية

من أجل فكر علمي ووطني في قضايا النفط والتنمية . من أجل تعميق وعي الجماهير ومشاركتها ومن أجل بناء وطن عربي عصري ومزدهر .

رئيس التحرير **الدكتور عبد الرحمن منيف**

تصدر عن دار الثورة للصحافة والنشر - بغداد

في هذا العدد

العنوان

العراق / بغداد / المنصور / حي المهندسين ٢٧ / ١٧ / ٢

ص. ب : ٦١٢٤ / العنوان التلغرافي : نفتنمية ت ٥٢١٤٥٠

الاشتراكات

في العراق ديناران للأفراد خمسة دنانير للدوائر الرسمية وشبه الرسمية والشركات والمؤسسات (الخاصة) في الأقطار العربية ثلاثة دنانير عراقية أو ما يعادلها في الدول الأجنبية ثلاثون دولاراً بما في ذلك أجرة البريد -

ترسل الاشتراكات بحوالة أو بشيك مصرفيين

الثمن ١٥ قرشا



السنه الحادية عشرة
ديسمبر ١٩٧٥

عدد خاص

الطليعة

١٢

طريق المناضلين الى الفكر الثورى المعاصر

ملحق
▲ الفلسف
والعل

الفلسفة فى مؤتمرين

الاتحاد الاشتراكى ... ومنابره

حوار « الطليعة » مع الامين الأول ومؤسسى المنابر

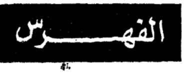
تقارير الشهر

- فلسطين : ادانة الصهيونية
- لبنان : من الذى يصب النار على الزيت ؟
- المغرب : قنبلة الصحراء : هل تنفجر ؟
- انجولا : هل تتجنب نموذج « كونجو » جديد ؟
- كوبا : الحزب يقود ويوجه ولايفرض القرارات

الثوابت والمتغيرات فى الاديان

ارفعوا أيديكم عن « الطليعة » !!

▲
ملحق
الادب
والفن



العدد الثانى عشر ـ السنة الحادية عشرة ـ ديسمبر ١٩٧٥



مجلة شهرية

تصدر أول كل شهر

رئيس التحرير :

لطفى الخولى

مدير التحرير :

أبو سيف يوسف

سكرتير التحرير :

مصطفى سامى

المحررون :

حسين شعلان
خيرى عزيز
د. رفعت السعيد
عبد المنعم الغزالى
فاروق عبد القادر
وديع أمين

[■]

د. محمد الخفيف
شارك فى تاسيس الطليعة وأسرة تحريرها
يناير ١٩٦٥ ـ مارس ١٩٧٢

ان « الطليعة » ميدان مفتوح لكل راى حر وفى اعتقادنا ان تفــاعل الآراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع ان يبلور ويستخلص وحدة فكرية اصيلة .

من هذا المفهوم تفتح « الطليعة » صفحاتها لكل راى لديه كلمة يقولها ـ مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى اطلقــه فولتير فى القرن الثامن عشر « قد اختلف معك فى الراى ولكنى على استعداد لان ادفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رايك » ..

كلمــة من « الطليعــة »

ربما لفت انظار القراء والاصــدقاء ان العدد الذى بين ايديهم من الطليعة قــد خصص حيزا كبيرا ، هو اكبر من الحــيز الذى يخصص عادة للدراسة الرئيسية .

لكن ربما كان عذر « الطليعة » هــو انها حاولت أن ترصــد الحــركة السياسية التى تتجمع حول قضية هامة هى قضية تطوير الممارسة الديمقراطية من خــلال ما اصطلح على تسميته .. بالمنابر » .

من هذه الزاويــة ، كان فى تقــدير الطليعة أن تقديم دراستها الرئيســية عــن المنابر تحقق اكثر من هدف .

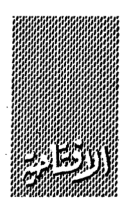
تعريف القراء ـ وبأسلوب الحوار ـ الاتجاهات الاساسية التى تتحرك على خريطة الحيــاة السياسية . ماذا تقول . وماذا تمثــل .

٢ ـ ان تضع بين يدى القراء وثائق هــذه الاتجــاهات ممثــلة فى البرامــج السياسية المعلنة ولا يغير من قيمة هــذه الوثائق استمرار أو عــدم استمرار هذا المنبر أو ذاك .

هنا قد يطرح هذا السؤال : ما هى آفاق هذه الحركة الســاعية الى تشكيل المنابر !

وربمــا مــن الخطــأ أن نتسرع الان فى الاجابة . ولكن الشىء المــؤكد هو ان ماتنشره الطليعة ربمــا يســمح بــأن يستخلص القارىء عددا من النتائج التى تساعد على جلاء بعض معــالم الحيــاة السياسية فى البلاد .

« الطليعــــــة »



لبنـــــان فى القلـــب

يعتذر **لطفى الخــولى** رئيـــس تحرير الطليعة عن كتابة افتتاحية العدد ، بسبب سفره الى لبنان .

وكان مجرد اعـــلان **لطفى الخولى** عن عزمه على السفر الى لبنان ، وفى هــذه الظروف الحرجـــة التى يمر بهـــا القطر الشقيق كافيا فى حد ذاته ــ لتوضـــيح كل مبررات الرحلة ودوافعها .

ذلك أن لبنان يعيش لحظاته الفاجعة بكل ماتحمل الى المواطن العربى المخلص من حزن ، وقلق ، وخوف ، وخجل ممـــا يحدث ، واحساس مقبض بأن ماحدث حتى الان وهو غاية فى السوء ، قد لايكون بعد هو الاسوأ ..

ومنـــذ أن بدأت احـــداث لبنـــان ، و «الطليعة » تتابعها بالتقرير ، والمقال ، والدراسة ، لاقتناعها بأنه فى لبنان تتجمع ـ كما لا تتجمع فى أى بلد عربى آخر ـ كتلة المتناقضات والصراعات الاجتماعيـــة الطـــائفية والســـياسية والاقتصـــادية والثقافية . وانه لكل ذلك ، تم وضع لبنان على جدول أعمال أعداء الامة العربية وفى مقدمتهـــم اسرائيـــل وحماتها الامبرياليون ، حتـــى ينشـــأ فـــى العـــالم العـــربى هذا الوضع الجديد «السياسى والجغرافى» كما يقول قادة اسرائيل ... هذا الوضع الذى يأملون ــ من ورائه ــ أن يضـــع حدا لتكرار معارك أكتوبر ، أى يمنـــع قيام اى تضـــامن عربى ، واى وحـــدة قتالية ، وأن يصادر فى النهـــاية علـــى المكتسبات الدوليـــة التـــى أحرزتها ثـــورة التحرر الوطنى الفلسطينية .

والان ماذا نرى ؟ وماذا يطلب الاعداء من لبنان ؟
مرة أخرى : هم يطلبون : الا يتحـــد العرب فى مواجهة العـــدوان الإسرائيلى الذى يتجسد هـــذه المرة ــ كمـــا قالت الطليعة ــ فى الغزو من الداخل
هم يطلبون ضربة الحلف القتالى الذى قام فى أكتوبر بين مصر وسوريا والمقاومة

هم يطلبون : أن يجـــرد العـــرب من القدرة على استخدام سلاح الطاقة
هم يطلبـــــون : الســـلم الاسرائيلى وبشروطهم .

لكل هذا نقول : ان لبنـــان يجب ان يكون ــ بالنسبة للامـــة العربيـــة ــ « فى القلب » كما كانت فلسطين ولاتزال « فى القلب » .
فاين وكيف يدافع العرب عن انفسهم ضد كل مايراد بهم ؟

فى لبنان ، من اجل أن يدحر الغزو الداخلى
فى لبنان من أجل أن يحموا وحدة التراب اللبنانى ، فى لبنان لكى لا يصبح « المعزل الصحى » الجديد عن أرض فلسطين .

« الطليعـــة »

الاتحاد الاشتراكى

.. ومنابره

في ٢٤ نوفمبر .. وفى جلسة صباحية لمجلس الشعب طالب عدد من اعضاء المجلس بمناقشة موضوع المنابر .

واختلف معهم عدد آخر على اساس ان مكان مناقشة هذه القضية تكون اما فى جلسة للهيئة البرلمانية للاتحاد الاشتراكى واما فى داخل التنظيم .. الاتحاد الاشتراكى نفسه .

واحتدم الجدل ..

ولم يكن هذا الحوار الذى احتدم الاجزاء من حوار ظل يتصاعد ويمتد منذ ٢٤ يوليو الماضى . يوم ان نوقشت قضية المنابر داخل المؤتمر القومى العام للاتحاد الاشتراكى .

فعقب انهاء اعمال المؤتمر القومى وبعد ذلك باسابيع قليلة ، بدأت الصحف تنشر فيضا من المقالات والكلمات بعضها مؤيد وبعضها معارض لفكرة المنابر .

لكن القضية بدأت تأخذ طابعها العملى عندما طرحت الصحف والمجلات دعوة الى الانضمام الى المنابر ، وعندما نشرت بعض خطوط عامة لبرامج هذه المنابر .

وتحركت الامانة العامة للاتحاد الاشتراكى لتدلى بدلوها وتحدد الضوابط . ولكن ظلت هناك — مع ذلك — وجهات نظر تختلف مع موقف الامانة العامة .

حتى كان يوم ٢٠ نوفمبر ، عندما تحدث الرئيس أنور السادات فى اجتماع اللجنة المركزية ، وتناول القضية من جوانبها التاريخية، وأبدى عددا من الملاحظات على ما تم ، ودعا الى اعادة طرح القضية على قواعد الاتحاد الاشتراكى .

والامر المؤكد هو أن الرأى العام — من خلال الطرح الذى تم للبرامج ولمختلف وجهات النظر — قد أصبح — اكثر من أى وقت مضى — حريصا على أمور ثلاثة :

١ — تطوير الممارسة الديموقراطية .

٢ — ضمانات جدية وعملية لهذه الممارسة.

٣ — ويترتب على هذا ضرورة ان يكون هناك وضوح كاف فى قضية المنابر بما ينفى عنها كل غموض ويجنبها الوقوع فى الشكلية .

حــوار « الطليعــة »
مــع الأمــين الأول
وأصــحاب المنــابر

وعندما طرحت القضيةفيورقةالتطوير عام١٩٧٤اهتمت الطليعة بدراستها والتعليقعليها .وكتبت عنها في عددين متتاليين فى اغسطس وسبتمبر١٩٧٤ ، وحددت عددا من المواقف كما طرحت عددا آخر من التساؤلات .

واليوم ترى « الطليعة » ان اهمية هــذه القضية نوجب عليها ان تضع بين يدى القارىء كل المادة المتاحة التى تسمح له بان يدرس ويفكر ويستخلص ما شاء من النتائج .

واذا كانت « الطليعــة » قد عنيت باجـراء الحوار مع الامين الاول للجنــة المركزية ، ومع عدد منالشخصيات التى عبرت عن استعدادهالتكوين المنابر [عندما تقــر اللجنــة المركزية ضوابط التكوين] اذا كانت « الطليعة » قــد فعلت هذا ، فلان ما نشر من تصريحاتوكتابات وبرامج الداعين الى المنابر قد اصبح فى أيدىآلاف القراء ، واصبح جزءا من التجربة وذلك أيا كان الحكم الذى يمكن ان يصدر على ماانشروذاع من البيانات أو البرامج المختلفة . ففي نهاية الامر ، نعتقد أن كل هــذا انما يمثــل اتجاهات قائمة فى المجتمع — وفى الحيــاة السياسية للبــلاد ، ولابد من الاهتمــام بهاومناقشتها . والخطأ كل الخطأ هو أن توضــع جانبا أو تعتبر من مخلفات التاريخ . كلا ! انها ليست كذلك ! لانه حتى اذا فرض وتحدثنا عن ايجابيات وسلبيات فيما حدث مؤخرا ، فانهذا كله يثرى التجربة ، بل انه ليحتم أن تكون مواجهة القضية فى الايام القــادمة على اكبرجانب من الجدية والوضوح .

ولهذا كله تنشر « الطليعة » على الصفحات التالية :

١ حوارها مع الامين الاول .

٢ حوار « الطليعة » مع محمود ابو وافيــة عن مشروع المنــبر الديمقــراطى الاشــتراكى وملخصا للخطوط العامة لمشروع برنامجه .

٣ حوار « الطليعة» مع مصطفى كاملمرادونص مشروع برنامج منبر « الاحرارالاشتراكيين»

٤ حوار « الطليعة » مع كمال احمد محمــدونص مشروع منبر الاشتراكيين الناصريين .

٥ حوار « الطليعة » مع خالد محيى الدينونص مشروع منبر الوطنيين التقدميين .



○ حول المنابر والاتحاد الاشتراكى

حــوار « الطليعــة »
مــع الأمــين الأول
ومــؤسسى المنــابر



د. رفعت المحجوب

على امتداد أكثر من خمس ساعات ، وفى جلستين متتاليتين ، كان الحوار عن الاتحاد الاشتراكى ومنابره مع د. رفعت المحجوب الامين الاول للاتحاد الاشتراكى العربى . وقد اشترك فى الحوار من أسرة تحرير الطليعة :

— لطفى الخولى
— أبو سيف يوسف
— عبد المنعم الغزالى
— رفعت السعيد

■ **الطليعـــة :**

تشكر الامين الدكتـــور رفعت المحجـــوب على استقباله لوفد « الطليعة » للمناقشة حول الاتحاد الاشتراكى فى وضعه الراهن وتجربته ، خاصة بالنسبة للمنابر ، ونرجو أن نستطيع من خلال هذا النقاش أن نلقى الضوء على كثير من النقاط التى تثير علامات استفهام ، وبهدف اثراء التجربة وخصوصا فيما يتعلق بقضية المنابر التى كثر الحديث عنها ، وحدثت بشأنها تحركات غير محددة ومتعددة الدوافع والاشكال ، وأثارت أكثر مما أجابت على الاسئلـــة المطروحة .

النقطة الاولى التى نـــود أن يتنـــاولها النقاش ، هى أننا بصدد ما يمكن أن يسمى بالتجربة الرابعة لبناء الاتحاد الاشتراكى العربى كصيغة من صيغ التحالف الوطنى الذى أنبتته ثورة ٢٣ يوليو . ترى ما هو أوجه الخلاف وأوجه الاتفاق بين هـــذه التجربة الحـــالية وبين التجـــارب الثـــلاث السابقة ؟

■ **الامين الاول :**

من الطبيعى ، ونحن نبدأ حديثنا عن تجربة الاتحاد الاشتراكى ، أن نبدأ بتحديد أوجه الخلاف والاتفاق للتجربة الحالية لبناء الاتحاد الاشتراكى عن التجربة السابقة . ذلك أن هذا التحديد لاوجه الخلاف والاتفاق سيبين التصور الذى سيسير عليه الاتحاد الاشتراكى ، وقبل أن نتناول أوجه الخلاف والاتفاق المباشر فى البناء التنظيمى اود أن اشير الى أوجه الخلاف والاتفاق فـــى الظروف الموضـوعية التى أحاطت بقيـــام الاتحاد الاشتراكى وبتطوره .

فالنقطة الاولى فيما يتعلق بالخلاف ، هى أن الاتحاد الاشتراكى ، أو التنظيمـــات السابقة عليه ، قد عكست ظروف الثورة فى مرحلتها الاولى ، بينما أن التنظيم الجديد للاتحاد الاشتراكى يعكس ظروف الثورة فى المرحلة الحالية . ولقد سبق أن لخصت الفارق الجوهرى بين ظروف الثورة فى المرحلة الاولى وظروف الثورة فى المرحلة الحالية بقولى – فى المؤتمر القومى العام « يوليو ١٩٦٥ » – ان الثورة قد انتصرت فى عهد عبد الناصر على أعدائها ، وهى تنتصر فى عهد السادات على نفسها . وأريد بذلك أن أشير – على وجه الخصـوص – الى انتقال الثورة ابتداء من ١٥ مايو سنة ١٩٧١ من مبدأ الشرعية الثورية الى مبدأ الشرعية الدستورية . هذا التطور فى الاطار العام ، يعنى – ولا شك – تطورا هاما فى تجربة التنظيم السياسى . فاذا كانت الثورة ، فى مرحلتها الاولى ، فى حاجة الى كثير من الاجراءات الاستثنائية ، وفى حاجة الى رعـــاية « الراى الواحـد » وهـو رأى السـلطة ، فقـد كان ذلك لانهـا كانت فـى مرحلة حرب الاعداء والانتصار عليهم .

الثورة الناصرية التى قامت فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وشأنها فى ذلك شأن أى ثورة أخرى ، كانت فى حاجة الى كثير مـن الاجراءات الاســتثنائية قهـرا لـلاعداء الحقيقيين لها وهم الاقطاع والراسـمالية المسـتغلة للاستعمار . وما كان يمكن ، فى هذه المرحلة الاولى ، أن تحترم الثـورة القوانين التى كانت قائمة ، أو أن تلتزم الاطار الدستورى الذى كان قائما . والا فان الثورة تلتزم الاطار القانونى الذى كان قائما يوم قيـامها انما تجمـد فى هذا الاطـار القانونى . ثم ما كان يمكن للثورة أن تسمح باختلاف الاراء اختلافا بينا وهى لم تحدد بعد آراءها وخط سيرها . لذلك كان طبيعيا فى مرحلة صراع الاعداء . صراع الاقطاع والراسمالية المستغلة والاستعمار وحلفائه ، أن تلجأ الثورة الى أمرين هامين لكل ثورة ، وهما الاجراءات الاستثنائية ، وحماية الرأى الواحد . وفى مثل هذه الظروف الموضوعية كان لابد أن ينشأ تنظيم سياسى يعكس طبيعة الاجراءات الاستثنائية وطبيعة الانفـراد بالراى ، وتلك مرحلة هيئة التحرير والاتحاد القومى والاتحاد الاشتراكى فى المـرحلة الاولى . وأكد هذا الوضـع بالنسبة للتنظيم السـابق عدة أمور أخرى فى مقدمتها عدم وضوح الخط الفكرى السياسى للثورة فى المرحلة الماضية ، حقيقة لقد كانت مبادىء الثورة واضحة وهى المبادىء الست كما نعلم وكانت اجـراءات الثـورة لتغيير المجتمـع المصرى واضحة ، وهى القضاء على الاقطاع بوضع حد أعلى للملكية وباعادة توزيع الاراضى ، وتأميم المشروعات الكبيرة والهامة فى الاقتصاد المصرى ومحاولة رفع مستوى معيشة الطبقات الفقيرة . كل ذلك كان واضحا كاجراءات ولكن هذه الاجراءات المختلفة لم تكن قد ردت بعد الى فكر واضح الوضوح الذى يلزم لفاعلية التنظيم السياسى بيـن الجماهير . ثم ارتبطت المرحلة المـاضية أيضا بقيام مراكز القوى . وهذا أمر طبيعى

مع اقتراب المدة من قيام الثورة . فالثورة قد قادها عبد الناصر مع زملاء له ، وكان من غير المتصور أول الامر أن يكون وحده ، وكان من الضرورى مع هذا الوضع أن تظهر مراكز القوى ، ولا شك أن ظهور مراكز القوى كان لابد ان يؤثر على التنظيم السياسى ، ذلك على نحو يتضح من سيطرة بعض هذه المراكز فى مرحلة على التنظيم السياسى ، ومن ابعاد بعض هذه المراكز فى مرحلة اخرى من هذا التنظيم ، فقد كان التنظيم يعكس فى الحقيقة موقع مراكز القوى من السلطة . كانت بعض مراكز القوى تسيطر على الحكومة .. وفى بعض الاحيان الاخرى تعود فتسيطر على الاتحاد الاشتراكى ، وكان ذلك يؤدى بالضرورة الى وجود خلافات وصراع بين مراكز القوى المختلفة فى الجيش وفى الحكومة وفى الاتحاد الاشتراكى .. بل لقد فكر فى اقامة تنظيم طليعى فى الاتحاد الاشتراكى للحد من قوة مراكز القوى فى الجيش ، اذن عكس التنظيم السياسى فى المرحلة السابقة هذا الصراع بين مراكز القوى .

ثم ياتى عنصر لا يصح ابدا ان نسقطه من حسابنا ونحن نقوم تجربة الاتحاد الاشتراكى ، وهو عنصر يضاف الى العناصر السابقة ويؤكدها ، وهو النكسة التى حدثت سنة ١٩٦٧ . فلقد ازدادت حساسية النظام بعد النكسة ، فلم يعد يحتمل النقد والمعارضة . وقد انعكست هذه العناصر جميعا فى التنظيم السياسى ، فجاء تنظيما يعكس وجهة نظر السلطة ، ويشارك فى الصراع على السلطة ، تنظيما لا يملك فكرا واضحا يواجه به الجماهير رغم ضخامة الاجراءات التى وقعت فى الحياة المصرية وغيرت من العلاقات الاقتصادية والاجتماعية ، الا أن الخطر السياسى الفكرى لم يستطع أن يترجم عمق هذه العلاقات الاقتصادية والاجتماعية . هذه العوامل مجتمعة حكمت تجربة التنظيم السياسى فى الماضى كما قلت وكان لا يتصور وقد تغيرت هذه العوامل ان يكون التنظيم السياسى الجديد امتدادا لهذا التنظيم الذى كان وليدا لهذه العوامل ، وقد اتضح عنصر التطور على وجه الخصوص فى ١٥ مايو ١٩٧١ ذلك أن الذى حدث فى هذا التاريخ لم يكن مجرد اقصاء فريق عن الحكم لينفرد به فريق آخر ، وانما كان ثورة فى أسلوب الحكم نفسه ، هدفت الى القضاء على الاجراءات الاستثنائية التى أسرفت فيها الثورة على نفسها وعلى الناس ، وهدفت ايضا الى اقامة دولة المؤسسات بديلا عن حكم مراكز القوى . لا شك أن هذا التطور الذى حدث ابتداء من ١٥ مايو ١٩٧١ تطور بالغ الاهمية فى الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية فى مصر ، ولا يمكن ابدا أن نحكم على تجربة التنظيم السياسى الجديد مسقطين من اعتبارنا هذا الحدث الهام ، وهذا التطور الاساسى ، ذلك ان اى تنظيم سياسى انما يعكس فى الحقيقة التطور الذى يحدث فى الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، وهنا أود أن اشير الى نقطة الجديد . وهى محاولة اثارة الخلاف الفكرى بين يومى الثورة بين ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وبين ١٥ مايو ١٩٧١ . وهذه محاولة خبيثة لانها انما تريد أن تحدث شقاقا فكريا بين مراحل الثورة المختلفة ، حتى تبقى على ما يثار من عدم وضوح الرؤية ، وحتى تضرب التجربة الجديدة فى مهدها . وكما اوضح **الرئيس السادات** فى **ورقة أكتوبر** فان الثورة قد استطاعت أن تنجز الكثير فى مجال الحرية الاجتماعية ولكنها لم تستطع أن تحقق ما يريده الشعب فى مجال الحرية السياسية . ولذلك فليس ١٥ مايو فى الحقيقة الا استكمالا لما بدأناه معا فى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ . ولا يصح اطلاقا اثارة الخلاف الفكرى المزعوم بين هذين اليومين ، والا فان معنى ذلك أن ما بدأناه فى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ كان يعنى أن تستمر الاجراءات الاستثنائية وأن تستمر المعتقلات والسجون وأن يستمر احتكار الرأى السياسى لفئة دون أخرى . اذا كانت الثورة فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ فى حاجة الى اجراءات استثنائية ، والى حماية الرأى الواحد حتى تنتصر على أعدائها فانها لم تصبح فى حاجة الى ذلك ، وخاصة بعد نصر أكتوبر ١٩٧٣ ، بل اصبحت على العكس من ذلك فى حاجة الى أن تنتصر على نفسها ، وأن تضع حدا للاجراءات الاستثنائية ، ومن بينها الانفراد بالرأى وحماية الراى الواحد . هذا تطور بالغ الاهمية ، أن تنتقل الثورة من مرحلة مصارعة الاعداء والاجراءات الاستثنائية وحماية الراى الواحد الى مرحلة مصارعة النفس والانتصار عليها والقضاء على الاجراءات الاستثنائية والتمهيد للاراء المتعددة والانتقال الى نظام مستقر . أننا لا نستطيع اطلاقا ، ونحن نتحدث عن اوجه الخلاف والاتفاق بين التجربة السابقة والتجربة

الحالية للاتحاد الاشتراكى ، أن نفعل ذلك دون أن نشير الى التطور العام فى الحياة المصرية على النحو الذى قدمته . فليس التطور الذى يقدم عليه الاتحـاد الاشتراكى الا انعكاسا للتطور العام فى الحياة المصرية الذى بدأ بوضوح مع ١٥ مايو ١٩٧١ ، ومع الدستور الدائم فى ١١سبتمبر سنة ١٩٧١ ، ومع بدء قيام دولة المؤسسات .. هذا المناخ العام الجديد هو الذى يلد لنا التطور فى الاتحاد الاشتراكى . فليس التطوير فـى الاتحاد الاشتراكى الا جـزءا من التطـوير العام فى الحياة المصرية ، جزءا عليه أن يحمل ملامح الكل ، ولذلك بودى هنـا استكمالا للظروف الموضوعية أن أشير الى سياسة الانفتاح التى بدأت مع ١٥ مايو ١٩٧١ .

واقرر ، منذ البداية ، أمرين هامين . أولهما : أن سياسة الانفتاح سياسة عامة فى الحياة المصرية كلها ، فهى ليست مقصورة على جانب دون آخر ، بل هى تشـمل الجوانب السياسية والاقتصادية والفكرية جميعا . وثانيهما أن سياسة الانفتاح ، وهى من سمات ثورة التصحيح ، ليست فـى حقيقتها فلسفة جديدة ، بحيث تكون بديلا عـن فلسـفة الاشـتراكية ، أو عـن فلسـفة التحـالف . وانما هى مجـرد سياسة جديدة لتنشيط الحركة الحقيقية فى المجتمـع المصرى ســـواء فى الحقـل الاقتصادى أو فى الحقل السياسى أو فى الحقل الفكرى . تلك نقطة يجب أن تكون واضحة تماما حتى لا نخطىء تقدير المرحلة التى نقدم عليها الان ، ولذلك فان أهم سمات التطوير الذى نحن بصدده فى الاتحـاد الاشتراكى تتمثل فى سياسة الانفتـاح السياسى .

ونقصد بالانفتاح السياسى الانفتاح على الجماهير ، وعلى التنظيمات الجمـاهيرية ومراكز الانتـاج ، وعلى الافـكار المختلفة ، ويتمثل الانفتاح السياسى أولا فى الاخذ بالعضوية الاختيارية بدلا من العضوية التى كانت تفرض بطريق غير مباشر علـى المواطنين ولقد كانت عضوية الاتحـاد الاشتراكى فى السابق شرطا للتـرشيح لمجلس الشعب ، وللمجـالس الشعبية ، وللمراكز القيادية فى النقابات العمـالية والمهنية ، فلما تقرر الغاء هذا الشرط لم يصبح المواطنون مجبرين على طلب عضوية الاتحاد الاشتراكى تحت ضغط الوصول الى هذه المراكز القيادية وهكذا استردت عضوية الاتحاد الاشتراكى الصفة الاختيارية ، ولا شك أن هذا الانفتاح أساسى فى حيـاة التنظيم ، ذلك أن التنظيم قد بلغ ، مع ثورة التصحيح ومع نصر اكتوبر ، من القـــوة بحيث لم يعد فى حاجة الى أن يحشر الناس داخله حشرا فقد أصبح على ثقة من أنه قادر ، لما قدم ولما سيقدم ، من جـذب الجماهير اليه . وكان صادقا فى توقعه فقد بلغت العضوية فى ظل مبدأ العضـوية الاختيارية رقما لم تبلغه فى أى مرحلة سابقة بل أود أن أشير هنا على وجه الخصوص الى أن نسبة الانضمام بين أعضاء هيئة التدريس فى الجامعات قد بلغت نسبة لم تبلغها فى أى مرحلة سابقة ولا أظن أنها تبلغها فى كثير من التنظيمات السياسية فى العالم وهى ٦٥ فى المائة .

ويتمثل الانفتاح السياسى ثانيا فى الانفتاح على التنظيمات الجماهيرية ، وهو ما يعرف بالعضوية الجماعية . وأود أن أرد هذا الانفتاح الى تطور طبيعة التنظيم السياسى ، نتيجة لتطور مفهوم العمل السياسى . فلم يعد العمل السياسى مأخوذا بالمعنى التقليدى الذى يجعل السياسة شكلا تقتصر فـى ممارستها على كيفية ادارة المناقشة واصدار القرار وانما حدث تطور هام يستند الى الاندماج الكامل بين الحركة السياسية والحركة الاقتصـــادية . فما يتصـور ابدا للتنظيم السياسى أن يسقط من حسابه حركة الانتاج . ولذلك كان طبيعيا أن ينفتح على التنظيمات الجماهيرية التى تشتغل بالانتاج سواء بانتاج السلع العادية أو بـانتاج الخدمات . فتقرر أن نعطى النقـابات العمالية والمهنية والاتحـادات المنتجـة العضوية الجماعية للتنظيم السيـاسى اذا رغبت فيها . والقصد من ذلك أن نعطى الذين يشرفون على عملية الانتاج فرصة المشاركة فى صنع القرار السياسى ، ذلك أنه قد أصبح ينشغل فى المجتمعات المعاصرة بصفة أساسية بمشكلات الانتاج وبصـفة خاصة وبالمشكلات الاقتصادية بصفة عامة .

ولقد تطلب هذا التطور ان نأخذ بمبدأ مجلس المنتجين فى الاتحـاد الاشتراكى جنبا الى جنب مع مجلس الامناء . فاذا كان مجلس الامناء ينشغل بالحركة السياسية الاقليمية فان مجلس المنتجين ينشـغل بالحركة السياسية الاقتصـــادية . وهذا التطور لم يقع فى التنظيم فحسب وانما وقع ايضا فى مضمون العمل السياسى ، وهو تطور تأخر كثيرا فى مصر . ونود لمجلس

الانتاج أن ينشغل بمتابعة حركة الانتاج وبمتابعة الخطة الاقتصادية .

ويتمثل الانفتاح السياسى ، ثالثا ، فى الانفتاح على الاراء المختلفة وعلى الاتجاهات السياسية المتباينة . وكما سبق أن قلت ان التطور الذى حدث للثورة حينما انتقلت من مرحلة الانتصار على اعدائها الى مرحلة الانتصار على نفسها قد تطلب هذا النوع من الانفتاح السياسى على وجه الخصوص ، ذلك أن الثورة ، وقد كبرت ، لم تعد تخشى تعدد الاراء ، بل أصبحت فى حاجة الى تعدد الاراء . فان الثورة ، فى مرحلة نموها ، لا تستطيع أبدا أن تقتصر على معين واحد كما كان الامر فى الماضى . فاذا كان الانفراد بالرأى والدفاع عن الرأى الواحد شرطا لنجاح الثورة حتى لا تتشعب بها السبل قبل ان يستقيم ساقها فان تعدد الاراء وافساح المجال للاتجاهات المختلفة يعتبر شرطا لنمو الثورة حتى تتشعب بها الافكار وحتى تستطيع أن تصل الى خير الاراء وأكثر الاتجاهات صوابا ، لم تعد الثورة اذن تخشى تعدد الرأى بل اصبحت تحرص عليه ، حتى تستطيع أن تتابع التطور . ولذلك كان الاخذ بفكرة المنابر المختلفة .. وهنا أود ان اشير قبل ان نبدأ موضوع المنابر الى طبيعة هذا التطور ، ما الذى كان ينقص الاتحاد الاشتراكى فى الماضى ... ؟ . هل كان ينقصه رأى الاغلبية والاجماع عليه ، ان ما كنا نشكو منه فى الماضى هو المبالغة فى الاجماع على رأى الاغلبية ، هل كان ينقصه الرأى الواحد وما توافر له من قوة ، بل ان ما كنا نشكو منه فى الماضى هو قوة الرأى الواحد وانفراد الرأى الواحد بالميدان السياسى . الذى كان ينقصنا ليس هو الرأى الواحد ، ولا هو رأى الاغلبية بل الرأى الاخر ، الرأى المعارض . ففى اطار التنظيمات السابقة كان رأى الاغلبية رأيا مسيطرا سيطرة تامة . وكان الذين يعارضون لا يجسرون على المعارضة ، واذا تجاسر واحد منهم على أن يعارض فان صوته يضيع فى ضجة الجماهير . هذه الاراء الفردية المبعثرة لم تكن تستطيع أبدا أن تقيم المعارضة ، ما ينقصنا فى التنظيمات الماضية هو الرأى الاخر ، هو الرأى المعارض . ولذلك فان التطوير الحقيقى والمضمون الحقيقى لفكرة المنابر يتمثل فى ايجاد الرأى الاخر ، الرأى المعارض ، أى فى ايجاد المعارضة المنظمة داخل التنظيم السياسى ، ذلك أن الديمقراطية لا تكتمل بالرأى الواحد .. لا تستقيم أبدا بالذين يقولون نعم .. وانما هى تستقيم بنعم .. ولا .. ، وهذا هو المضمون الحقيقى للتطوير الذى نحن مقدمون عليه ، وهو المضمون الحقيقى كما قلت لفكرة المنابر .

اذن ، لقد وضحت اوجه الخلاف واوجه الاتفاق بين التجربة السابقة والتجربة الحالية للاتحاد الاشتراكى . يظل هناك وجه واحد للاتفاق بين التجربتين وهو اننا أمام تنظيم سياسى واحد ، ووجه اساسى للاختلاف وهو اننا لن نكن ابدا وأمام الرأى الواحد .. سيكون هناك التنظيم الواحد ولن يكون هناك أبدا الرأى الواحد . فاذا ما تحدثنا اذن عن أزمة الاتحاد الاشتراكى فى الماضى فقد كانت نتيجة للظروف الموضوعية التى أحاطت به .. واذا ما فكرنا فى المستقبل فمن المنطقى أن نقرر أن تغير الظروف الموضوعية على النحو الذى قدمته يعنى بالضرورة تغير النتائج وتغير التنظيم السياسى .

ان التنظيم الذى اقامته السلطة ، وهى فى موقع المحافظة على الرأى الواحد ، وهى فى موقع الحساسية من النقد نظرا لظروف الهزيمة . لا يمكن أن يستمر بعد تغير هذه الظروف ، ونحن نترك لجماهيرنا فرصة اقامة التنظيم من منطلق الحرص على الاراء المختلفة ومن منطلق نصر أكتوبر الذى أعطى الثورة القدرة على المواصلة ، والقدرة أيضا على الانفتاح وعدم الخوف من التطور .

فاذا جاز فى ظل الهزيمة أن نخاف التطور فغير جائز فى ظل النصر أن نخاف هذا التطور . ولذلك فلا اعتقد أبدا أن الاسباب التى أدت الى أزمة الاتحاد الاشتراكى يمكن ان تستمر او أن تعود .. ولا أعتقد ، بالتالى ، أن الازمة التى كانت يمكن أن تكون .

وهنا ، أنبه الى أمر هام وهو اذا كانت القيادة قد أعطت الفرصة واسعة أمام التطور فان المسئولية تقع على الجماهير لتحرص على هذا التطور ولتعمقه . لقد أدت القيادة مسئولية كبيرة فى عنقها . وبقى على جماهيرنا أن تؤدى المسئولية التاريخية التى تقع عليها ، ولا أشك لحظة أن أحدا سيتردد فى تحمل مسئولية التطور بعد أن تغيرت الظروف الموضوعية .

بقيت كلمة اعتقد أنها بالغة الاهمية . لقد استطاعت ثورة ١٥ مايو منذ قامت حتى الان أن تحقق الحرية السياسية ، فاصبح كل مواطن قادرا أن يعبر عن نفسه دون ما اكراه خارجى ، ودون ما خوف داخلى . ويمكن أن

اقول – وباطمئنان يوافقنى عليه الجميع – ان مبدأ الحرية السياسية قد تقرر قانونا وعملا ، وأن المواطنين قد بدأوا ، وعلى نطاق واسع ، سواء فى مجلس الشعب أو فى الاتحاد الاشتراكى ، أو فى الصحف ، أو فى الاجتماعات العامة والخاصة ، يمارسون الحرية دون ما ضغط ودون ما خوف . ولكن الحرية لا تكفى وحدها لاقامة الديمقراطية . حقيقـــة ، الحـرية ضرورية لاقـامـة الديمقراطية . ولكنها ليست الشرط الوحيد لاقامة الديمقراطية . بل يجب – بالاضافة الى مبدأ الحرية قانونا وواقعا – أن يكون للمواطن حق المشاركة فى السلطة . ولا يستطيع المواطن ابدا أن يمارس حـق المشاركة فى السلطة لمجرد تقرير مبـدأ الحرية ، ذلك أن المواطن الفرد ضعيف جدا أمام الدولة ، وانما تلزمه المـؤسسات الشرعية ليصبح قويا وليمارس من خلالها حق المشاركة فى السلطة .

ولذلك فان اقامة دولة المؤسسات ، وهو ما حققته أيضا ثورة التصحيح ، تعتبـر بالاضافة الى الحرية شرطا ضروريا لاقامة الديمقراطية ، وهنا يتضح أهمية الحرص على المؤسسات الدستورية وعلى حسـن سيرها لانها هى الاطار الطبيعى الذى يمكن للفرد من خلاله ان يشارك فى السلطة .. ذلك ان الفرد المنعزل لايستطيع ابدا ان يقف أمام الدولة بل ولا أمام الاغلبية ، وأعتقد أن فكرة المنبر داخل الاتحاد الاشتراكى وداخل مجلس الشعب ستعطى الفرد قوة أكبر داخل المنظمات السياسية حتى يمكنه أن يشارك فى شئون بلده وفى صنع القرار .

■ الطابعـــة :

نستأذن ، فى أن نناقش هذه النقطة الهامة قبل أن ندخل فى موضوع المنابر . فى الحقيقة العرض الشامل الذى تفضلت به يوضح كثيرا من النقاط الهامة التى تؤكد أن هناك فعلا رؤيا جديدة للتنظيم ولحركته . فاذنوا لنا ببعض النقاط . فى تحديد سيادتك : ان الظروف الموضوعية التى تجعل الاتحاد الاشتراكى الراهن فى تجربته الرابعة مختلفا نوعيا عن الاتحاد الاشتراكى فى الظروف الماضية ان الثورة فى مرحلتها الاولى كانت فى حرب مع أعدائها . والان هى فى حرب أو صراع مع نفسها من أجل ما يسمى بالشرعية الدستورية والتحول .. اذا وقفنا عند هذه النقطة سنرى ، أيضا ، انكم حددتم الاعداء بالاقطاع والرأسمالية المستغلة والاستعمار . وحسب ما نرى الان من الخريطة السياسية والاجتماعية للمجتمع المصرى الراهن فالاستعمار لا يزال تهديده ضد الثورة قائما ، سـواء فيمـا يتعلق بالامبريالية العالمية أو فيما يتعلق بوسائل الاستعمار الجديد . او فيما يتعلق بالاحتلال الصهيونى . الامـر الثـانى أن امـام الرأسمالية المستغلة التى كانت قائمة فى الداخل ، نحن بصدد ظاهرة تتفاقم منذ سنة ١٩٦٧ – منذ الهزيمة – وهو ما أصبح يطلق عليه فى عرف الاقتصاديين بـالراسمالية الطفيلية القائمة على الاسـتفادة مـن الاستيراد والتصدير ، والاثراء الفاحش عن طريق العقارات ، والتهريب ، والتخزين ، الى آخر كل هذه العمليات غير المنتجة . وهى تتضخم حتى انه قيل انه لاول مرة – وهذه احصاءات اعتقد أنها غير دقيقة لكن لها مظاهرها . بل أنها نشرت فى كثير من الصـحف فـاينانشيال تـايمز ، نـوفل اوبزرفاتير ، وفى عدد كثير من الصحف العالمية – انه أصبح لدينا لاول مرة فى المجتمع ما يقرب من ٦٠٠ مليـونير . باختصار هى مجموعة من الذين يعيشون على الهزيمة ، وبالتالى ، هذا العدو لا يزال كامنا .

بالنسبة للاقطاع حقيقة لا نستطيع أن نقول أن الاقطاع قائم . لكننا نجد هناك أيضا ما يسمى بالرأسمالية الريفية الجشعة فى مواجهتها للفلاحين الصغار والمتوسطين والعمل الريفى ، حتى ليقال . أن هذه القوى قد سجلت نصرا على هؤلاء بقانون تعديل الايجارات الاخير الذى أصـدره مجلس الشعب . وبالتالى ، فى اعتقادنا ، انه من الممكن القول ان المرحلة لاتزال أيضا مرحلة الصراع مع هؤلاء الاعداء بأشكال جديدة . وبلاشك ، فان القول بأن « الثورة فى صراع مع نفسها » يمكن أن يفهم على أساس انه صراع ضد الاخطاء والسلبيات التى مرت بها الثورة . ومن أهم هذه السلبيات غياب الديمقراطية التى كانت تتيح للقوى الشعبية حق الممارسة وليس حـق الشكوى ، أو الشارع غير المنظم . وهذه سلبية أعتقد أنها لاشك هامة وأساسية . وبالتالى كيف يمكن المواءمة فى هذه الظروف بين الاشتباك مع الاعداء والاشتباك من أجل تطهير وعلاج السلبيات القائمة الان ؟ وما هو دور الاتحاد الاشتراكى فى هذا الشأن ، هذا عن النقطة الاولى ؟

■ **الامين الاول :**

اجدنى اتفق معك فيما قدمت بصفة عامة من ان اعداء الثورة لم ينتهوا تماما وقد يحاولون العودة ، تلك طبيعة الاشياء ، فالاعداء لا يهزمون مرة واحدة .. واذا هزموا يحاولون دائما العودة ، ذلك امر اعرفه تماما . ولكن حينما قسمت الثورة الى مرحلتين .. مرحلة الانتصار على الاعداء .. ومرحلة الانتصار على النفس لم أسقط فى المرحلة الاولى أن الثورة قد حاولت فى بعض المواقف أن تنتصر على نفسها ، فقد أعلن جمال عبد الناصر فى نوفمبر سنة ١٩٦٧ فى مجلس الامة سقوط دولة المخابرات ، وأعلن بيان ٣٠ مارس ، ثم اقصى المشير عبد الحكيم عامر . وكانت هذه محاولات للانتصار على النفس .. ولكن الصفة المميزة لمرحلة ما قبل ١٥ مايو هى الانتصار على الاعداء لا الانتصار على النفس . أما بعد ١٥ مايو فلا نقول ابدا ان الثورة القت سلاحها فى مواجهة اعدائها ، ولا نقول ابدا ان اعداءها قد خرجوا من الميدان وانهم لا يحاولون العودة وانما اود أن أصف هذه المرحلة بالسمة الرئيسية وهى الانتصار على النفس .. أما الاعداء فبعضهم قد انتهى وبعضهم مازال قائما وبعضهم يحاول أن يعود .. وذلك فان الثورة فى مرحلتها الثانية وهى مرحلة التصحيح .. وهى تجد أهم صفاتها فى الانتصار على النفس وفى التحول الى نظام مستقر لن تلقى سلاحها أبدا فى مواجهة اعدائها . ثم يجب أن نذكر ان مسيرة التطور من طبيعتها أن تخلق المتناقضات ، وان تخلق أعداء جددا ، وان علينا أن نتنبه دائما الى هذه المتناقضات الجديدة والى الاعداء الجدد ، والى أن نصفى هذه المتناقضات وهؤلاء الاعداء اولا بأول .

ولذلك دعنى أعود مرة ثانية الى الانفتاح الاقتصادى ، وابدأ حديثى بأن أؤكد مرة ثانية ان الانفتاح الاقتصادى سياسة جديدة وليس فلسفة جديدة . وهنا انبه الى ان هذا المفهوم للانفتاح الاقتصادى يعطينا القدرة على مواجهة الاعداء ، ذلك اننا لا نريد بالانفتاح الاقتصادى عودة الرأسمالية المستغلة أو الطفيلية ، وانما هو سياسة لها متطلباتها المحلية ومتطلباتها العالمية .

فالاقتصاد المصرى قد ارهقته عوامل ثلاثة ، هى الحروب المتصلة مع اسرائيل ، والزيادة المستمرة فى عدد السكان بمعدلات أعلى بكثير من المعدلات المألوفة فى العالم ، ثم أعباء التنمية الاقتصادية والمشكلات التى أحاطت بها والاخطاء التى ارتكبت فى الماضى .. فمع هذه الاعتبارات المحلية تصبح المدخرات المصرية غير قادرة على تحقيق التنمية الاقتصادية بفرض اعباء جديدة على مستوى معيشة قوى الشعب العاملة ، هذا فضلا عن الظروف العالمية التى واكبت التعايش السلمى ثم الانفراج الدولى والوفاق العالمى مما جعل العلاقات بين دول العالم اكثر قوة والمصالح الاقتصادية اكثر تشابكا ولا يمكن لنا ابدا ونحن نعيش فى هذا العالم ونتعامل معه أن نسقط من حسابنا هذا التطور . فالقصد اذن من الانفتاح الاقتصادى هو اعطاء الفرصة للقوى الاقتصادية الحقيقية فى المجتمع المصرى لتدفع عجلة التنمية بما يضمن مستوى معيشة أكثر ارتفاعا لقوى الشعب العاملة .. وليس القصد اطلاقا اعطاء فرصة للرأسماليين ليجنوا الملايين . غرضنا فى وضوح هو بناء مجتمع الملايين لا مجتمع اصحاب الملايين .

ولا يصح أن نجهل أبدا أن الانفتاح الاقتصادى سوف يؤدى الى دخول طفيلية ، وان علينا أن نتتبع دائما وبطرق مختلفة هذه الدخول الطفيلية وفى مقدمتها التطور المستمر فى قوانين الضرائب .. كما أن علينا أن نتتبع الدخول غير المشروعة وأن نضع المعايير الحازمة لتفادى نشأتها .

ولقد كان الرئيس السادات واضحا فى لقائه مع المستثمرين فى الولايات المتحدة وهو يحدد ضوابط الانفتاح الاقتصادى فقد أعلن ان الاستثمارات يجب أن تكون فى اطار خطط التنمية ، واننا نفضل المشروعات المشتركة على المشروعات الاجنبية ، كما أكد على أننا لا نقصد بسياسة الانفتاح عودة المجتمع المزدوج الشخصية ، وهو يريد بذلك أن يشير الى المجتمع الذى يقوم على الرأسمالية المستقلة وعلى عدد متضخم من الفقراء . مثل هذا المجتمع لا نريد له أن يعود أبدا والا فيما كانت الثورة .. فالانفتاح لم يكن أبدا من أجل اصحاب الملايين .. وانما هدفه وفلسفته هو رفع مستوى معيشة الغالبية العظمى من أبناء مصر .

فيجب اذن أن ندرس الطرق المختلفة لاستبعاد الدخول الطفيلية ..

ولقد طالب الرئيس فى اجتماعه بالقيادات السياسية بضرورة اعادة النظر خلال

الدورة الحالية لمجلس الشعب ، فى قوانين الضرائب بما يكفل مواجهة الدخول الطفيلية وعدالة التوزيع .

■ **الطليعـــــة :**

ثمة رأى نتفق الان جميعا على خطاه ، وهو انه اذا كان لابد من التحول الاشتراكى فلا مجال للحرية .. لكن البعض يحاول أن يردد الان رأيا نقيضا ، وهو : اذا أردتم الحرية فليس هناك مجال لفرض الطريق نحو التحول الاشتراكى . فهل يمكن أن نحدد ، الآن ، نوعية المعادلة الممكنة ؟ وهل يمكن - أيضا - القول ان على الاتحاد الاشتراكى - كمؤسسة سياسية جامعة لجماهير قوى الشعب العامل - أن تلعب دورها كحاجز سياسى وجماهيرى يقف ضد محاولات الارتداد عن طريق التحول الاشتراكى ؟ بمعنى انه ليس فقط على الاتحاد الاشتراكى أن يطالب باجراء تعديلات فى قوانين الضرائب وتشريعات الضرائب « هذا طبعا واجبه كمؤسسة سياسية » ولكن ايضا واجبه كوعاء لجماهير قوى الشعب العامل أن يلعب دورا منظما وجماهيريا فى شل يد العناصر الطفيلية والرجعية عن الارتداد عن طريق التحول الاشتراكى .. فكيف .. ؟

■ **الامين الاول :**

انك ولا شك تثير تساؤلا هاما يتصل اتصالا مباشرا بما تحدثت عنه خاصة بالاجراءات الاستثنائية التى اتخذتها الثورة فى مرحلتها الاولى . ثم هو تساؤل يذكرنى ببعض ما اكتب من مذكرات ، سأصدرها قريبا فى كتاب تحت عنوان « ما وراء الحاضر » فى هذه المذكرات أشير الى تجربة الاشتراكية فى البلاد المتخلفة والبلاد الآخذة فى النمو وتساءلت هل يمكن اقامة الاشتراكية فى مجتمع ديمقراطى أم لابد من الالتجاء الى اجراءات استثنائية لاقامة اشتراكية وكنتيجة لدراسة التجارب الاشتراكية فى البلاد المتخلفة والاخذة فى النمو يمكن التوصل - وهو تسجيل للذى حدث فعلا - أن الاشتراكية كانت فى حاجة فى هذه البلاد الى كثير من الاجراءات الاستثنائية ، أى الى النزول عن كثير من مقتضيات الديمقراطية . واذا كان هذا التناقض الوقتى والمرحلى بين الاشتراكية والديمقراطية مقبولا فى أول الامر الا انه لا يصح ابدا أن يستمر مدة طويلة . وللاسف الشديد من تجربتنا فى البلاد المتخلفة والاخذة فى النمو نجد أن الذين بدأوا التجارب الاشتراكية ولجأوا الى الاجراءات الاستثنائية والى النزول عن بعض مقتضيات الديمقراطية قد استمرأوا الطريق فاستمروا فى اجراءاتهم الاستثنائية هذه . وفى حربهم للديمقراطية باسم الاشتراكية ، موهمين الجماهير انهم لا يستطيعون أن يضمنوا لهم لقمة العيش الا اذا نزلوا عن حرية الكلمة ، واقاموا بذلك تناقضا غريبا وعجيبا بين حرية الخبز وحرية الكلمة والحق انه لا تعارض أبدا ، وهو ما أكدته دائما ، بين حرية الخبز وحرية الكلمة . فالكلمة الحرة لا تخرج من فم لا يدخله الخبز .. كما ان حرية الخبز لا تعنى شيئا لشخص لا يملك حرية الكلمة .

والعجيب ، ان مصر قد وقعت فى المرحلة الماضية فى هذا الخلط المصطنع على أيدى مراكز القوى فأشاعوا انهم لا يستطيعون ابدا ان يضمنوا للشعب حرية الخبز الا اذا نزل عن حرية الكلمة .

وهل كان العداء المصطنع فى ظل مراكز القوى بين الحرية السياسية والحرية الاقتصادية الا تنكبا عن مبادىء الثورة الستة .. والا سببا فى قيام ثورة التصحيح .

ولذلك ، دعنا نقرر انه لا يصح ابدا أن نسىء الى الاشتراكية عن طريق اظهار التعارض بينها وبين الديمقراطية ، لا يصح كما قلت فى مذكراتى ان نحمل الاشتراكية

استبداد المستبدين . فالنقطة الاولى انه لا يصح ابدا أن نقضى على الديمقراطية باسم الاشتراكية . ثم يأتى الشق الثانى من سؤالك . هل فى سبيل الديمقراطية يجب أن ننزل من الاشتراكية . اولا ما الفائدة من ذلك .. ثانيا وهل ذلك ممكن .. ما الفائدة من أن ننزل عن الاشتراكية فى سبيل الديمقراطية ديمقراطية لا يستطيع الشعب أن ينعم بها ابدا ..

اولا تلك ديمقراطية لا يمكن ان تكون بديلا عن لقمة العيش . فاذا ما نزلنا عن الاشتراكية باسم الديمقراطية فماذا تعنى حرية الكلمة فى غيبة حرية الخبز . ثم هل حقا يمكن لحرية الكلمة أن تقوم فى غيبة حرية الخبز .. اى كلمة حرة نتوقعها من فم لم يدخله الخبز .

ولذلك فاننا لا يصح ابدا أن نقيم تناقضا مصطنعا بين الاشتراكية والديمقراطية لا يصح لهذا التناقض أن يصطنع باسم الديمقراطية . لانه سيكون وأدا للاشتراكية والديمقراطية معا ولا يصح له أن يصطنع باسم الاشتراكية لانه سيكون وأدا للاشتراكية والديمقراطية معا . وانما قد يحدث فى بعض الظروف ان نلجأ الى اجراءات استثنائية وهنا أقول انها يجب ان تحدد بمقتضياتها وان تنتهى بانتهاء هذه المقتضيات .. واعتقد ان مرحلة الاجراءات الاستثنائية قد انتهت فى مصر بقيام ثورة التصحيح واننا لم نعد فى حاجة اليها . اما الذين يريدون أن يئدوا الاشتراكية فى مصر باسم الديمقراطية فانهم مخطئون ..

واريد أن أقول أن دور الاتحاد الاشتراكى فى مواجهة اى محاولة للراسمالية الطفيلية يجب أن يكون دورا فكريا ودورا عمليا . فمن ناحية الدور الفكرى يجب أن نبين دائما للجماهير أن نظامنا الذى بدأ ٢٣ يوليو مع الثورة من أجل قوى الشعب العامل والذى حقق مكاسب ثورية يجب أن نحرص عليها . ان هذا النظام الاشتراكى يجب أن يدعم دائما والا ننزل ابدا عن أى مكسب قد تحقق والا نترك ابدا الفرصة لاى قوى رجعية لان تعود مرة ثانية .. فيجب اذن أن يكون واضحا لجماهيرنا الخط الفكرى والمكاسب الثورية التى حصلت عليها . هذا من الناحية الفكرية . أما من الناحية العملية فان اللجنة المركزية ولجانها المتخصصة ولجان المحافظات يجب أن تبرز دائما الظواهر الطفيلية وان تقدم المقترحات اللازمة للقضاء عليها .

وهنا أؤكد مرة ثانية ما أكدته فى اللجنة التحضيرية سنة ١٩٦١ من « أن الاشتراكية فى حاجة الى من يحملها حتى نهاية الطريق، ولكنها ليست فى حاجة الى من تحمله فتنوء بحمله فى بداية الطريق » ..

■ **الطليعـــة :**

فى علاقة الاتحاد الاشتراكى بالمنظمات الجماهيرية تحدثت سيادتك عن أن الانفتاح على هذه المنظمات يترتب عليه العضوية الجماعية كبديل لاشتراط عضوية الاتحاد الاشتراكى للترشيح للمناصب القيادية .

فى الحقيقة أن المنظمات الجماهيرية - لتكون فعالة - فيجب أن ينظر اليها على أنها منظمات ديمقراطية لتنظيم الجماهير - كل الجماهير العريضة - دفاعا عن مصالحها اليومية وفى نفس الوقت تعبئة هذه الجماهير فى عملية البناء بالنسبة للمجتمع سواء البناء الديمقراطى أو البناء الاقتصادى .. أو البناء السياسى .. أو البناء الفكرى هنا يوجد تناقض بين الغاء العضوية فى الاتحاد الاشتراكى ، كشرط للترشيح ولتولى المناصب القيادية فى هذه المنظمات ، وبين قبول اشتراط العضوية الجماعية .. لماذا ؟ لان القيادات مازالت قائمة .. ومتحكمة فى هذه المنظمات الجماهيرية وقد جاءت عن طريق الوضع السابق ، وهو اشتراط العضوية . ولذلك نجد أن هذه القيادات نفسها قد سارعت عندما فتح باب العضوية الجماعية باتخاذ القرار بالعضوية الجماعية - وهو قرار شكلى - حتى تتمكن من الاحتفاظ بمراكزها القيادية . من هنا لا يمكن أن يتحقق الانفتاح على المنظمات الجماهيرية واعطاء الحرية الكاملة لهذه المنظمات الجماهيرية فى تشكيل نفسها فى اختيار قيادتها .

■ **الامين الاول :**

ما اريد ان أؤكده فى هذا الصدد هو أننا لم نفرض العضوية الجماعية على أى تنظيمات جماهيرية وانما هى التى قررت ، بالطرق التى يبينها نظامها الاساسى ، الانضمام الى الاتحاد الاشتراكى . واذا كنا نبدأ من أن القيادات الحالية هى اعضاء فى الاتحاد الاشتراكى فهنا يجب ان اسجل ملاحظتين ..

الاولى : ان بعض هذه القيادات ربما يكون قد طلب فى السابق عضوية الاتحاد الاشتراكى لا عن رغبة وانما وصولا الى مركزه . ولذلك فان اعلان العضوية الاختيارية قد أعطى هذا البعض حرية التصرف . ذلك انه يمكنه - اذا كان حائزا لثقة زملائه - ان يعود الى مكانه ، بصرف النظر عن عضويته . ولذلك ، فلا أعتقد ان هؤلاء مجبرون على طلب ضم تنظيماتهم الجماهيرية للاتحاد الاشتراكى خاصة وأن تواجدهم فى مراكزهم القيادية لا يعود الى عضوية الاتحاد الاشتراكى بل الى ثقة زملائهم . وانا لا أعتقد أن هؤلاء قد طلبوا العضوية الجماعية تحت أى ضغط كان .

الملاحظة الثانية أن مده مجالس النقابات مدة محددة بالقانون وحينما تنتهى سيأتى مجلس جديد . ومن حق أى مجلس جديد أن يستمر

في العضوية أو أن يرفض الاستمرار فيها . فلا ضرر ابدا مما حدث ولا اكراه فيه على أحد ولا أود أن اقول ما قلته أنت من ان العضوية الجماعية بديل عن اشتراط عضوية الاتحاد الاشتراكي لتولى المناصب القيادية ، ذلك ان العضوية الجماعية عضوية اختيارية ايضا وليست مفروضة على أحد . ولا يمكن أن يكون ما هو اختيارى من العضوية الجماعية بديلا عما هو اجبارى من عضوية الافراد للاتحاد الاشتراكي . وانما العضوية الجماعية انعكاس لفلسفة جديدة في الاتحاد الاشتراكي وليست بحثا عن بديل للعضوية الاجبارية .. وانما هي تأكيد لفلسفة جديدة .

■ **الطليعـــة :**

اذا سمحت ، عودة سريعة الى موضوع قضية الانفتاح .

عبرتم ، بشكل واضح ، عن أن الانفتاح هو سياسة جديدة وليس فلسفة جديدة . ولا أشك أننا نرحب بمثل هذا التصريح . ولكن هناك مخاوف من أن ما ينفذ فى التطبيق هو ان الانفتاح هو الفلسفة الجديدة . بمعنى أننا نلاحظ امثلة على ذلك من أن جميع المؤسسات اخشى أنها ليست على اتفاق حول هذه القضية .

مثلا دستور مصر الدائم الذى قدمه الرئيس السادات ينص على أن الاقتصاد القومي يدار وفقا للخطة القومية الشاملة .. حتى الان لا توجد خطة قومية شاملة نستطيع بمقتضاها ان نتصور الاهداف الاقتصادية الحقيقية للبلد .

وما نلاحظه انه تحت ـ اسم الانفتاح ـ تقبل مشروعات ليس لها مكان فى الخطة بل ربما تكون معارضة للخطة اذا ما وضعت خطة تستهدف بناء اقتصاد تقدمى او اشتراكى .

مثل آخر : هو أن هناك دلائل على أن الدور القيادى للقطاع العام .. هذا الدور أيضا يتم اضعافه باشكال وتحت دعاوى فكرية مختلفة ، وباعمال ملموسة وتطبيقات مادية .

وعلى سبيل المثال فان من أمثلة الدعاوى الفكرية ، هو أننا نسمع من بعض المسئولين انه يجب أن يقوم تنافس حر بين القطاع العام والقطاع الخاص .. وهذا شئ غير متصور ان يقوم تنافس بين القطاع الذى نريد أن يكون قائدا وبين القطاع الخاص .. هذا على مستوى الفكر .

وعلى مستوى التطبيق ، نلاحظ أن أضعاف الدور القيادى للقطاع العام قد بدأ فعلا بالغاء المؤسسات النوعية القائمة .

■ **الامين الاول :**

لقد تحدثت عن المخاوف التى تحيط سياسة الانفتاح من بعض الجهات .. وأود ان أقول لك ـ مرة ثانية ـ وهو ما يعتبر موضع اتفاق القيادة السياسية ان الانفتاح سياسة جديدة وليس فلسفة جديدة ، وحينما تبدأ كل السياسات الجديدة فانها تثير دائما عدة مخاوف ، ولكن عجلة التاريخ والتطور لا تتوقف امام المخاوف خاصة اذا كانت غير حقيقية .

أظنك مازلت تذكر السياسة الاقتصادية الجديدة فى الاتحاد السوفيتى المعروفة باسم « N.E. » التى بدأها « لينين » لم تكن ابدا فلسفة جديدة . لم تكن ردة عن الاشتراكية رغم انها قد اعطت دفعة قوية فى مرحلة معينة للنشاط الخاص . بل واذكرك بأن « ستالين » قد الغى الاجور الموحدة وعاد الى الاجور المتفاوتة تبعا لتفاوت العمل ؛ بل والغى مبدأ العمل الاجبارى وعاد الى مبدأ العمل الاختيارى .

هذه الاجراءات التى اتخذها لينين وستالين والتى تبلورت بعد ذلك فيما يعرف بالسياسة الجديدة ، لم تكن ابدا ردة عن فلسفة الاتحاد السوفيتى . وانما كانت تلاؤما مع الواقع ومع الظروف المتغيرة .

اذن ، من حق التنظيمات السياسية أن تغير سياستها حتى تتلاءم مع الواقع وصولا الى اهدافها . ولا يجب ابدا أن نحمل المسائل أكثر مما تحتمل ، وان نتصور كل تغيير رده من فلسفة . بل يجب دائما ان نضع الاجراءات السياسية فى موضعها الصحيح على الخط الاستراتيجى العام .

ومن هذه المقدمة التى اعتبر انها ضرورية اتعرض للنقاط التي تفضلتم بذكرها من انه لا توجد خطة قومية شاملة . وارجو ان اؤكد ان غياب الخطة القومية الشاملة لم يكن أبدا نتيجة للانفتاح الاقتصادى ، بل كان سابقا عليه . فأنت تعلم أن النكسة سنة ١٩٦٧ قد أدت الى توقف الخطة القومية الشاملة ، وان ما جرى بعد ذلك كان مجرد خطط سنوية لا توصف بأنها شاملة . ولذلك فلنتفق على أن

الانفتاح الاقتصادى ليس مسئولا أبدا عن توقف الخطط الشاملة .

النقطة الثانية التى أود أن أؤكدها ، ان الانفتاح لن يمنع من قيام الخطة الشاملة . بل على العكس فلقد كان الرئيس السادات واعيا تماما لوضع الانفتاح داخل الخطة القومية الشاملة فأكد فى تصريحه للمموّلين وللمســـتثمرين الامريكيين فى الولايات المتحدة ان الاستثمارات التى يسهم فيها الاجانب ستتم فى اطار الخطة القـومية الشاملة .

ثم انتقل للنقطة الخاصة بالقطاع العام والتخوف من انكماشه فأؤكد هنا ما أكده الرئيس السادات فى أكثر من مناسبة وخاصة فى حديثه فى مجلس الشعب فى ١٨ أكتوبر سنة ١٩٧٥ من أن الاقتصاد المصرى يقوم على ساقين وهما القطاع العام والقطاع الخاص ، ومن أن القطاع العام سيظل هو القطاع القائد للتنمية .

ثم عاد **الرئيس السادات** فى حديث له مع جريدة **الجمهورية** فى ٢٥ أكتوبر ١٩٧٥ فأكد المعنى نفسه مضيفا أن القطاع العام هو القاعدة الصلبة للاقتصاد المصرى . وليس فى هذا العرض خروجا عن فلسفتنا أبدا . فمنذ قامت الثورة ومنذ صدر الميثـاق والاقتصاد المصرى يستند الى ساقين وهما القطاع العام والقطاع الخاص . مع اعطاء القطاع العام دور القطاع القائد فى عملية التنمية .

هذا التصور الذى عرضته هو الخـط الاستراتيجى الذى لا رجوع فيه للاقتصاد المصرى . وانما تشير سيادتكم الى ما يعلنه البعض من ضرورة التنافس بين القطاع العام والقطاع الخاص . انا لا افهم ذلك على أنه ضرب للقطاع العام ، بل هو نوع من التنافس الاقتصادى بين القوى الحقيقيـة للاقتصاد المصرى ، ذلك أن التنافس ، ودعنى أؤكد على ذلك ، عامل من عوامل التقدم الاقتصادى ، بل ما قولك فى التنافس القائم بين القطاع العام نفسه فى مصر .. بل وفى يوغوسلافيا ؟

ان القاعدة الرئيسية التى تحكم حركة الاقتصاد القومى فى يوغوسلافيا هــى التنافس بين شركات القطاع العام ، حتى ان هــذا التنافس قد تطلب اجـراءات بالغة الاهمية فى الاقتصاد اليوغوسلافى .. فقد تطلب مثلا اعطاء المشروعات سلطة أكبر فى رسم الخطة ، وفى تحديد الاثمان فى ضوء حركة السوق . ولقد انتهى الوضع على هذا النحو بالتركيز على التخطيط اللامركزى استجابة لظروف السوق التى تحدثت عنها .

أكان ذلك تقليلا من شأن القطاع العام فى يوغوسلافيا ؟ أكان ذلك ضربا للقطاع العام ؟

أنا لا أعتقد ، أبدا ، ان التنافس بين القطاع العام والقطاع الخاص يمكن أن ينتقص من القطاع العام . ولكنه سيكون تحديا يجب أن يحرص القطاع العام على مقابلته وعلى التغلب عليه ..

ثم انتقل الى قولك ان الغاء المؤسسات النوعية أضعاف للقطاع العام . ان الامر لم يكن قرارا يتعلق بفلسفة أو باستراتيجية حركة الاقتصاد القومى التى يشترك فيها القطاع العام والقطاع الخاص وانما كان امـرا يتعلـق بـالبيروقراطية واعطـاء المشروعات المكونة للقطاع العام فـرصة التصرف ، وقدرة أكبر على رسم خطتها وعلى اتخاذ القرار .

ذلك أمر لا يتعلق بمركز القطاع العام فى مواجهة القطاع الخاص ، وانما يتعلق بقدرة القطاع العام على التصرف فى مـواجهة السلطة المركزية .

اذن هو لا يتعلق بقسمة الاقتصاد القومى بين قطاعين عام وخاص ، بل يتعلق بقسمة السلطة بين السلطة المركزية والسـلطة اللامركزية .

ولذلك فانا أفهم الغاء المؤسسات على أنه تدعيم للامركزية . دعنى أؤكد لك أن حركة الاقتصاد القومى فى تردد دائم بين المركزية واللامركزية . فتارة يقوى الاتجاه نحـو المركزية وتسيطر عناصر التخطيط المركزى ، وتارة يتضح خطأ التجربة فيقوى الاتجاه نحو اللامركزية وتسيطر عناصر التخطيط اللامركزى .

بل ان الاتحاد السوفيتى قد بدأ فى سنة ١٩٦٣ تجربة غير معلنة نحو مزيد مـن اللامركزية فى التخطيط حينما اتضحت له أخطاء الامعان فى مركزية التخطيط ومركزية الادارة .

ليس الغاء المؤسسات اضعافا للقطاع العام فى مواجهة القطاع الخاص وانما هو تقوية للشركات فى مـواجهة السـلطة المركزية .

هذا فهمى لموضوع الغاء المؤسسات .

■ **الطليعــــة :**

كما قلنا ، نحن نرحب جدا بهذا التعبير الذى نرجو ان يكون له مدلول علمى وهو ان

الانفتاح ليس فلسفة جديدة وانما هو سياسة اقتصادية . فهذا يذكرنا بالموقف الذى اتخذه الرئيس السادات فى ندوته مع رجال الاعمال فى أمريكا . ولكن القضية التى تثار هى قضية عملية .. هناك محاولة لاظهار الاشتراكيين الذين ينظرون الى قضايا الوطن بمسئولية على انهم ضد « الانفتاح » وانهم أصحاب « الانغلاق » .. وأعتقد أن هذا شىء مجاف للحقيقة .

القضية اننا مع الانفتاح ، الانفتاح من أجل عدة أمور .. الانفتاح من أجل الاستفادة من التكنولوجيا المتقدمة .. الانفتاح من أجل زيادة فاعلية التنمية .. ومن أجل رفع مستوى معيشة الجماهير .. ومن أجل بناء اقتصاد قومى مستقل وجديد .

النقطة الاخرى المهمة هى الانفتاح لمصلحة من ؟ وفى أى اتجاه ؟

نحن نرى فيما تقوله سيادتك الان ونوافق عليه أن هذه سياسة جديدة تتطلبها الظروف الموضوعية المحلية والعربية والدولية ، وخاصة بعد ٦ أكتوبر لدفع عجلة التنمية بمعدل أسرع وأكثر كثافة داخل مجتمعنا . لكن المشكلة ان هناك اتجاهات لا يجب الاستخفاف بها . انها تريد — وتعمل بالفعل — على ان يكون الانفتاح تحطيما او حدا لما تم انجازه على أساس التغييرات الاقتصادية والاجتماعية فى بنيان المجتمع لصالح القوى الشعبية .. ومحاولة للارتداد الى نظام رأسمالى حتى بالمعنى التقليدى المتخلف .. لدرجة أنه يخيل الينا أن هذه القوى لو جدت هنا « جيسكار ديستان أو ويلسون » لاتهمتهما بالشيوعية مع انهما رأسماليان بالمعنى الحرفى .

نحن فى احتياج حقيقى لسياسة اقتصادية جديدة تأخذ فى اعتبارها جميع الظروف الحالية . لكن ، فى نفس الوقت ، نحن فى احتياج الى ان نوظف هذه السياسة الجديدة من أجل التنمية ، لصالح طبقات الشعب العاملة والمنتجة ورفع مستواها وليس من أجل اثراء البعض اثراء غير مشروع عن طريق المضاربات .. الخ .

الدليل على ذلك أن ما نراه فى الصحف وأجهزة الاعلام من اذاعة وتليفزيون .. الخ

العودة على التركيز مثلا على قيمة « العصامى » وعلى « ذكاء » الرأسمالى الذى يستطيع أن يعقد الصفقات .. الخ .. التأكيد على أن العمولة ليست شيئا معيبا انما هى تجارة حلال .. كل هذه القيم تبرز الان فى المجتمع المصرى .

النقطة الثانية انه بلا جدال ان جميع الدول رأسمالية كانت او اشتراكية فى مجابهة تغييرات اقتصادية عالمية تنشىء سياسة اقتصادية جديدة لمعالجة هذا الوضع والا تكون جامدة .

لكن أخشى ما نخشاه — ونعتقد أن سيادتك لم تقصده — هو المقارنة مع كل من الاتحاد السوفيتى ويوغوسلافيا .. فى اعتقادنا أن الظروف مختلفة .. لماذا ؟ لانه لا يمكن القول بأن ظروفنا متشابهة مع ظروف المجتمع السوفيتى .. ونحن بداءة نؤكد لا نريد فى مصر أن نقيم مجتمعا سوفيتيا او يوغوسلافيا او صينيا .

نحن نريد فعلا أن نقيم تجربة مصرية عربية تستهدى بالمبادىء العامة للاشتراكية وطبقا لظروفنا .

المقارنة ، هنا ، بأن الاتحاد السوفيتى عندما قام بسياسته الجديدة هو فى الحقيقة صفى ما يمكن أن يسمى بالطبقة البورجوازية التى يمكن باستمرار أن تولد الرأسمالية وبشروطها .. والوضع فى نفس الوقت فى يوغوسلافيا .

هنا الطبقة البورجوازية خصوصا الرأسمالية الطفيلية تفرخ ولها نفوذ لا يزال فى المجتمع .

النقطة الثالثة هى أن بعض القائمين على أجهزة الاقتصاد والمال فى مصر لا اقول انهم رأسماليون وانما اقول انهم مشايعون للاتجاهات الرأسمالية ولا ينظرون بارتياح الى اى اتجاهات للتطوير ، وليس فقط نحو الاشتراكية - لان القضية الحالية فى مصر ليست قضية بناء النظام الاشتراكى — « ونحن نقول هذا ونحن اشتراكيون نستهدف البناء الاشتراكى » . نحن نقول ان الهدف العاجل فى المستقبل المنظور هو اقامة مجتمع يقوم على عملية تنمية اقتصادية وحضارية . وفى نفس الوقت ، عدالة اجتماعية ترفع مستوى الجماهير المنتجة بما يعنى هذا من توزيع الدخل القومى توزيعا عادلا لا تستأثر فيه فئة مميزة صغيرة .

بهذا المفهوم الذى اوضحت للانفتاح انه سياسة اقتصادية وليس فلسفة اقتصادية . كيف يمكن أن نتصدى لامرين أساسيين :

الامر الاول : هو هذا المناخ العام الذى تحاول به أجهزة الاعلام وغيرها اشاعة بأنه عودة الى نظام الاقتصاد الحر الذى لا نقبله ، وان التغييرات الاقتصادية

والاجتماعية التي حدثت كانت ظلما للبلاد ؟ وأدت بها الى كارثة .. الخ كل ما نسمعه . وأنه من السهل أن يتحول « ماسح الاحذية » مثلا كماسح الاحذية في امريكا في اوائل القرن الى مليونير .

والامر الثاني كيف يمكن التصدي — عمليا — الى بعض الاجراءات التي بدىء في اتخاذها بالفعل وتحاول أن تحول السياسة الاقتصادية الجديدة المطلوبة الى فلسفة ممن بيدهم تنفيذ القرارات واتخاذ القرارات بالتطبيق .

■ **الامين الاول :**

لا شك انك قد أثرت موضوعات تستحق الاهتمام . وأؤكد مرة ثانية أن المدخل لدراسة موضوع الانفتاح الاقتصادي هو أنه سياسة جديدة وليس فلسفة جديدة ومن هنا ؛ استفسر من الذي قال أن الاشتراكية ضد الانفتاح بهذا المعنى . أنا لا أتصور أن الاشتراكيين يمكن ان يكونوا ضد الانفتاح بهذا المعنى وذلك لامور ثلاث :

أولا : أن الذين يقومون بالانفتاح اشتراكيون أيضا .. فالرئيس السادات ، وهو الذي بدأ سياسة الانفتاح مع ١٥ مايو في مختلف المجالات ، هو أحد قادة ثورة ٢٣ يوليو ، وهو أحد الذين شاركوا في كل التطور الاشتراكي الذي قامت به هذه الثورة .. بل دعني اؤكد لك تصور الرئيس السادات لطبيعة المرحلة القادمة في ورقة اكتوبر . فلقد بدأ حديثه عن مهام المرحلة الجديدة بقوله أن المرحلة التي نبدؤها في سنة ١٩٧٤ وبعد أكتوبر المجيد هي مرحلة التقدم والبناء . بناء القوة الذاتية لمصر وتحقيق التقدم المطرد للغالبية العظمى من ابنائها . دعنا نتوقف امام فقرة تحقيق التقدم المطرد للغالبية العظمى من أبنائها تلك قاعدة اشتراكية فليس القصد أبدا من السياسة الجديدة تحقيق التقدم المطرد للاقلية . ثم عاد الرئيس السادات — احساسا منه بهذا المعنى — فأكد ، في اكثر من مرة ، أننا بصدد اقامة مجتمع المنتجين ؛ مجتمع الملايين لا مجتمع اصحاب الملايين .. وهذا الخط الواضح خط اشتراكي وهو الذي يجب أن يقود دائما سياستنا في المرحلة الجديدة . الذين يقومون بالانفتاح ، اذن ، اشتراكيون .

النقطة الثانية : أن الدول الاجنبية والاشتراكية تأخذ أيضا بالانفتاح . دعني أعود مرة ثانية الى الاتحاد السوفيتي فلقد بدأ سياسة الانفتاح على العالم الغربي .. وانا اعلم كما تفضلتم ان الظروف التي تحكم الاتحاد السوفيتي في مسيرته ويوغوسلافيا وأن الاهداف التي يعمل هذان البلدان على تحقيقها تختلف عن الظروف والاهداف التي تحيط بنا وانا قصدت الى ضرب المثل بهذين البلدين للتأكيد على أن الدول الاشتراكية تراجع نفسها في سياستها وهذا مبدأ عام لا يتعلق بطبيعة الفلسفة وانما بطبيعة السياسة فمن حق الذين يرسمون السياسة ، والا حكموا على انفسهم ، بالعقم ان يراجعوا انفسهم .. وأن يراجعوا خطواتهم ما داموا ملتزمين بفلسفتهم .. أنا لا اقصد بالحديث أن اسقط من حسابي الفروق القائمة بيننا وبينهم وانما ان أؤكد حقيقة من حقائق التطور وهي ادخال التعديلات اللازمة للمواءمة بيننا وبين الواقع .

أما السياسة التي توضع مرة على أن تطبق في كل مرة وبصرف النظر عن تغير الظروف فأمر لا يعرفه التاريخ ولا يمكن أبدا أن يتم .

والنقطة الثالثة : ان الانفتاح الذي نأخذ به هو من أجل رفع مستوى معيشة طبقة الشعب العاملة فلا يصح أن ننسى أن مجتمعنا هو مجتمع التحالف القائم بين الفلاحين والعمال والجنود والمثقفين والرأسمالية الوطنية أي بين قوى الشعب العاملة . مجتمع ، طبيعته هذه ، لا يمكن أبدا أن يهدف الى تحقيق أهداف لا تخدم الاساس الذي يستند اليه . وكل سياسة يجب أن ترسم وأن تفسر في ضوء تحقيق مصالح قوى الشعب العاملة ولا شك أن مبدأ التحالف بين قوى الشعب العاملة لا يمكن أن يستمر أبدا الا على أساس التذويب المستمر للفوارق بين الطبقات ، والا على أساس قطع الطريق على أي طبقة تريد أن تعاود السيطرة الاقتصادية والاجتماعية على باقي فئات الشعب العاملة . ليس من طبيعة الانفتاح اذن أن يكون رأسماليا بالضرورة وانما يمكن الانفتاح أن يخدم الاشتراكية في بلد اشتراكي اذا وجه الى دعم مستوى معيشة الطبقات العاملة ، واذا وضعنا له الشروط بحيث لا ينتهي الى اقامة طبقة مستغلة تفرض سيطرتها على باقي الطبقات وعودة الرأسمالية المستغلة أمر أبعد ما يكون عن الفكر . ولقد تحدثتم عن ضرورة التصدي لامرين .. المناخ العام الذي يحاول

البعض اشاعته من عودة الاقتصاد الحر وضرب الامثلة بماسح الاحذية الذى يمكن أن يصل الى أقصى الدرجات .

والامر الثانى ، أن يتحول الانفتاح من سياسه الى فلسفة . هنا ، أود أن أقول لك أن مثل ماسح الاحذية أو ما أعبر عنه دائما فى محاضراتى للطلبة بمثل « الشاطر حسن » لا يمكن أن يقيم نظاما ولا أن يستند اليه نظام . وانما هو مثل عن كفاح شخص يمكن أن يحقق نجاحا فى ميدان أواخر ، سواء فى ميدان المال ، او فى ميدان اجتماعى . ولكن التاريخ لا يمكن أبدا أن يفسر بالشاطر حسن ولا أن يستند الى قصة نجاحه .

ولذلك لست أخشى مايجرى من اشاعة بعض هذه القيم . ذلك أن حركة التاريخ لا تتوقف أبدا على مايشاع من هذه القيم . وانما علينا أن نركز على قيمة العمل وان نركز على ضرورة التذويب المستمر للفوارق بين الطبقات وأن نركز على مايركز عليه الرئيس أنور السادات من ضرورة ملاحقة الدخول الطفيلية . وأن نؤكد دائما أن الانفتاح انما يتم من أجل الغالبية العظمى من أبناء هذا الشعب .. من أجل التقدم المطرد لهم ، كما ورد فى ورقة أكتوبر ، وعلينا أن نذكر دائما بهذا المعنى حتى لا يتصور البعض انه قادر وحده أن يحيل الانفتاح من سياسة الى فلسفة .

أن الانفتاح كما قلت هو سياسة عامة فى الاقتصاد . وهى التنظيم السياسى وفى الفكر . ولكنها سياسة تتم فى اطار الفلسفة العامة للمجتمع وفى اطار تدعيم مكاسب الثورة التى حققتهاالقوى الشعب العاملة .. دعنى هنا الفت النظر لمعنى هام سأعود اليه .

ان الفلسفة العامة لمجتمعنا تتمثل فى المحافظة على مجتمع التحالف وعلى خلق الظروف الموضوعية لاقرار السلام الاجتماعى بين قوى الشعب العاملة ... ولا أشك لحظة فى أننا يجب أن نؤكد أن سياسة الانفتاح انما هى من أجل خدمة مجتمع التحالف والسلام الاجتماعى .

■ **الطليعـــة :**

اذا كان الوضع على هذا الامر . بماذا تفسرون سيادتكم ان الصوت العالى فى المجتمع الان المتاح له جميع المنابر «الامكانيات» — تقريبا — هو صوت الشاطر حسن وليس صوت العامل المنتج سواء كان فنيا أو يدويا .»

■ **الامين الاول :**

انا لا أود أن أصل معك الى هـذه المبالغة .. ان صوت الشاطر حسن بطبيعته يلفت الانظار لقصة نجاحه . ولكن الذىيقيم النظام هو صوت العامل وصوت الالات وصوت المياه التى تروى الارض .

واذا كان هناك منبر قد علا صوته فلاشك ان هناك منابر أخرى تؤكد فلسفة التحالف والسلام الاجتماعى ولتعتبر المرحلة الحالية هى مرحلةممارسة الديمقراطيةولا يصحمرة اخرى انأحاول باسم الاشتراكيةوالمحافظة عليها ان نحد من الممارسة الديمقراطيـة فلتأخذ الممارسة الديمقراطية مجـراها . ودعنى أقول ان المكاسب الاشتراكية والقوى الحقيقية للمجتمع المصرى قد أصبحت من القوه بحيث تصمد لرياح منبر أواخر ولم تعد الثورة ومكاسبها وفلسفتها نبتـا ضعيفا . بحيث يلزم له بيت زجاجى يحميه من هبه هنا وهبه هناك.ولذلك لست خائفا على المكاسب التى حققتها جماهير شعبنا ولست خائفا أبدا على صيغة التحالف ولا على فلسفة السلام الاجتماعى . وانما اتفق معك على أن الارادة الانسانية يجب أن تلعب دورا فى تدعيم مسيرة التاريخ فلتعلـوا الاصوات من فوق المنابر ذلك لا يزعجنى : وليدر الحوار الحر الديمقراطى ،ذلكيطمئننا ولتستقر مكاسبالشعب ...ولندعم فلسفة التحالف والسـلام الاجتمـاعى ، وليكن الانفتاح الاقتصادى فى هـذا الاطـار الاستراتيجى للثورة .

■ **الطليعـــة :**

لندخل الان — اذا سمحتم — فى موضوع المنابر ، فما هى فى رأيكم نظرية المنبر الذى يمكن أن يقوم داخل الاتحاد الاشتراكى ؟ وما هى المبررات والاسباب الموضوعية التى أدت الى الاخذ بهذه التجربة ؟

■ **الامين الاول :**

قلت فى الشق الاول من حديثى ؟ أن المنابر هى البديل عن الرأى الواحد داخل التنظيم السياسى الواحد ومن هذه المقدمة

يمكن أن تتحدد طبيعة المنبر كما تتحدد الضوابط اللازمة له .

وحتى يكون الحديث واضحا يجب أن نبدأ أولا بتحديد ما الذى ينقصنا فى التنظيم السياسى الواحد ، ينقصنا الرأى المعارض ، الرأى الاخر ، ذلك أن الرأى المؤيد ، ودعنا نسميه هنا بالرأى الاول مجـازا ، قـائم وقوى ، ولكن الممارسة الديمقراطية لا يمكن أن تستند أبدا الى الرأى الواحد ، بل هى فى حاجة الى الرأى الاخر . فالديمقراطية لا تقوم بنعم وحدها بل تقوم بنعـم ولا . فالحرص اذن على الرأى المعارض ، الرأى الاخر هو حرص على مقومات الممارسة الديمقراطية ، ليس هذا فحسب ، بل ان الرأى الاخر مطلوب لتصحيح الرأى الاول .

أى ان الرأى الاخر مطلوب لأمرين وهما استكمال مقومات الديمقراطيـة وادخال التصحيحات التى قد تكون لازمة على الرأى الاول ــ ذلك ان الحوار داخل التنظيم السياسى يمكن أن يعدل من الاتجاه العام فحرصنا اذن على الرأى الاخر هو حرص على مقومات الديمقراطية ، وحرص على ادخال التعديلات التى قد تكون لازمة على الرأى الاول .

واذا اكدنا هذا المعنى وهذا الذى ينقصنا **تصبح المنابر فى تصورى هى الوسيلة داخل التنظيم الواحـد لعـدم الانفراد بالرأى ، ولاستكمال مقومات الديمقراطية . ومن هذا التصور يكون المقصود بالمنابر اذن هو ايجاد الاجنحة السياسية داخل التنظيم السياسى التى تعرض وجهة نظر خاصة تختلف مع الاتجاه العام فى بعض القضايا التطبيقية .**

وعلى ذلك فيجب :

اولا ــ ان تلتزم المنابر او الاجنحـة السياسية داخل التنظيم السياسى بفلسفة هذا التنظيم ، كما يجب أن تلتزم بالخط السياسى العام له ، أما اذا لم تلتزم بذلك فانها لا يمكن أن تكون جزءا من التنظيم السياسى ، وعليها أن تمارس التعبير عن رأيها خارج هذا التنظيم فى الاطار العام لسيادة القانون . فالشرط الاساسى لقيام المنابر داخل التنظيم السياسى ، كأجنحـة منه ، هو التزامها بفلسفة هذا التنظيم ، وبخطه السياسى العام .

ثانيا ــ لا يتصور أن تكون المنابر ، وهى ملتزمة بفلسفة التنظيم السياسى وبالخط العام له ، متطابقة فيما بينها فى تفكيرها وفى تصورها للقضايا المطروحة ، ولا أن تكون متطابقة مع الخط العام للتنظيم فى تفكيرها وفى تصورها لهذه القضـايا المطروحة والا ما الفائدة اذن منها .

ولذلك فمبرر قيام المنابر هو اختلافها فى اطار الفلسفة العامة والخط السياسى العام مع هذا الخط العام فى بعض القضـايا التطبيقية . ومعنى ذلك انها تمثل خطـا سياسيا له تميزه ولكنه لا ينفصل تماما عن الخط السياسى العام .

■ **الطليعـــة :**

الوحدة فى خلال التنوع فى الاراء ..

■ **الامين الاول :**

بالضبط ، أى أن المنابر تمارس التنوع فى الاراء فى نطاق الوحدة التنظيمية ، ومثل ذلك ما كان قائما لدينا فى مصر قبل الثورة من قيام منبر الطليعة الوفدية داخل حزب الوفد ، وما هو قائم الان داخل حزب العمال البريطانى من قيام جناحين غير رسميين داخل الحزب يمثلان أتجاهين للاقلية وهما جناح « مجموعة المنيفسـتو » نسبة الى الاعلان الذى صدر عن حزب العمـال البريطانى وهو جناح يمينى يضم ثمانية عشر عضوا من اللجنة المركزية و « مجموعة التريبيون » نسبة الى مجلة التريبيون التى يكتبون فيها ، وهو جناح يسارى يضم سبعة عشر عضوا من اللجنة المركزية للحزب ، هذه الاجنحة تلتزم بفلسفة الحزب وبالخط العام له ، ولكن لها مواقف سياسية متميزة ازاء قضايا مطروحة .

هذا هو تصورى للمنابر والا اذا كان المنبر صدى متطابقا للاتجاه العام فهو تزيد لا معنى له ، واذا اختلف المنبر اختلافا واضحا مع الاتجاه العام فهو رفض له يجد مكانه خارج التنظيم السياسى . وفى حدود هذا التصور الذى اعتبره طبيعيا لفكرة المنابر داخل التنظيم السياسى الواحد ، وهو تصور ينبع من تعدد الاتجاهات داخـل الوحدة التنظيمية اصل الى الاتى :

اولا : ان المنابر يجب أن تنشأ داخل الاتحاد الاشتراكى ، أما المنابر التى تنشأ خارجه فلا علاقة للاتحاد الاشتراكى بها وهنا أود أن أوضح موقفنا منها ــ نحن لا نعترف بها ولا تدخل لنا فى شئونها لانها تخرج عن نطاقنا لتدخل فى نطاق دور الدولة وسيادة القانون .

أي أن ما يوجد منها خارج الاتحاد الاشتراكي فأمر لا نتدخل نحن فيه لان أمرها يترك للرأي العام وللدولة أساسا تتعامل معها بالطريقة التي تحمي سيادة القانون وحرية الكلمة

ثانيا : أن المنابر داخل الاتحاد الاشتراكي يجب ان تلتزم بفلسفته .

ثالثا : وأن كلا منها يجب أن يعكس خطا متميزا عن الاتجاه العام في بعض القضايا التطبيقية ذات الاهمية .

رابعا : ان الاغلبية لا تشكل منبرا داخل الاتحاد الاشتراكي ذلك لانه يخرجنا عن فكرة المبرر في التصور الذي قدمته ، وانما نلجأ لفكرة المنابر لاعطاء الفرصة للرأي الاخر أن يعبر عن نفسه وليست المنابر وسيلة ليعبر الرأي الاول عن نفسه لانه يستطيع أن يعبر عن نفسه داخل التنظيم الواحد دون حاجة الى منبر آخر فالرأي الاول يمكن أن يعبر عن نفسه في اطار التنظيم السياسي دون حاجة الى منبر وانما قيام الرأي الاخر في حاجة الى منبر حتى يتمكن من أن يعبر عن نفسه بفاعلية في مواجهة الرأي الاول .

فلا أعتقد أن المنابر تنشأ لاعطاء الاغلبية فرصة لتعبر عن نفسها ، ففرصتها قائمة وكبيرة ولا أعتقد انها تنشأ لاتاحة الفرصة للاتجاه العام أن يعبر عن نفسه فهو يعبر عن نفسه وهو قوي ومسيطر ، **انما تقوم المنابر حتى تتيح للاقليات والاتجاهات الخاصة أن تعبر عن نفسها ، ومن هذا التصور فانا لا أعتقد بامكان استقلال الاغلبية بمنبر والا فان تصورنا لفكرة الاتحاد الاشتراكي تتغير تغيرا كاملا .**

وانطلاقا من ذلك ، فسيكون لدينا منابر تختلف عن الاتجاه العام في بعض القضايا التطبيقية : قد تقع على يسار الخط العام ، وقد تقع على يمينه . قد تحاول الاسراع بالتطور عما يريده الخط العام ، وقد تحاول الحد من هذه السرعة عما يريده الخط العام .

هنا ، اود أن أشير الى أن الخط العام لا يعني دائما كما تصور البعض جمود الاوضاع وهو بقاء الشيء على حاله فليس الخط العام هو الابقاء على القائم كما هو بل يجب على الخط العام حتى يكون واعيا أن يؤمن بالتطور وأن يؤمن بالملاءمة مع الواقع . ولذلك فالذين يريدون أن يصوروا الخط العام في الاتحاد الاشتراكي على انه الوسط الذي يجمد بالواقع كما هو يخطئون التصور ، غاية الامر أن الخط العام هو الذي يمثل الاغلبية ، وان المنابر تمثل اتجاهات خاصة قد تدفع بالتطور درجة أكبر وقد تحاول الابطاء به ولا يصح أن نفهم ابدا الخط العام على انه تجميد لما هو قائم وعدم الاستجابة للتطور ذلك معنى أبعد ما يكون عن طبيعة التنظيمات السياسية الحية التي عليها أن تتابع التطور وأن تتلاءم مع الظروف المتغيرة .

أو لم تكن ثورة التصحيح نوعا من تطوير الواقع واستجابة للظروف ، أو لم تكن تعبيرا عن الخط العام . وأعود فأكرر لا يصح ابدا أن نفهم الخط العام على انه تكريس لما هو واقع ، وقطع له عن التطور ، لا يصح ان يفهم من هذا الحديث ايضا أن تصوري للمنابر مقصور على الاتجاهات الخاصة التي تنشأ على يسار الخط العام أو على يمينه ، حقيقة ان هذا التصور وارد وهو تصور يتعلق بقضية التطور بمعنى أن الاتجاه الذي يقع على يسار الخط العام يريد دفع التطور بدرجة أسرع ، والاتجاه الذي يقع على يمينه يريد الابطاء بهذا التطور ، ومع ذلك فمن الممكن أن نتصور المنابر على أسس اخرى بالاضافة الى هذا الاساس الاول . فقد ينشأ منبر يركز على بعض مهام التنظيم السياسي كأن ينشأ منبر يتبنى قضايا الزراعة وضرورة الاهتمام بها في المرحلة الحالية ، وهو ما يعرف بالثورة الخضراء ، قد ينشأ منبر آخر يعطي اهمية اكبر للتطور الصناعي . ذلك ممكن ومتصور كما قد ينشأ منبر يركز على بعض القوى المكونة للتنظيم السياسي أي على بعض قوى التحالف فقد ينشأ مثلا منبر يركز اكثر على مصالح ومكاسب العمال والفلاحين بينما قد ينشأ منبر يركز اكثر على مصالح الرأسمالية الوطنية ولا اريد بالمنابر التي تركز على بعض قوى التحالف ان تكون بالضرورة منابر فئوية وانما أريدها المنابر التي تتبنى مصالح بعض قوى التحالف دون أن تقتصر في تكوينها على عناصر هذه القوى وحدها . وهنا انبه الى وجود تناقض عميق بين فلسفة التحالف وبين المنابر الفئوية ، لان هذه المنابر الفئوية ستحاول بطبيعتها أن تكتل كل فئة في مواجهة الفئات الاخرى وهو أمر يتناقض بالضرورة مع فلسفة التحالف التي تعتمد وكما سنرى على تذويب الفوارق بين الطبقات وصولا الى ما أسميه بالسيولة الاجتماعية . ولذلك فأنا أعتقد أن المنابر في

تصورى يجب حتى تلتزم بفكرة التنظيم الواحد وبفلسفة التحالف يجب ان تكون اتجاهات سياسية موضوعية خاصة بالقياس الى الاتجاه العام ــ ذلك هو تصورى عن المنابر .

■ **الطليعـــة :**

لو تأذن لى سيادتك . أشرت بعض القضايا فى غاية الاهمية ، وركزت على ان المبرر ، والسبب الموضوعى لاعتناق فكرة المنابر هو اشاعة الديمقراطية داخل تنظيم الاتحاد الاشتراكى . هنا ثلاث نقاط أو أسئلة رئيسيه .

النقطة الاولى : معروف او مفروض ان الاتحاد الاشتراكى هو تجميع للتحالف بين فئات اجتماعية مختلفة ، وبالتالى هنا يثور السؤال :

هل الديمقراطية المطلوبة هى ديمقراطية تنظيم الصراع مع الوحدة بين المصالح المختلفة الخاصة بكل قوة من قوى التحالف ، وبالتالى فان هذه المصالح تنشأ عنها منابر تعبر عنها ؟ هنا ، أثرت سيادتك القضية الفئويه وأشرت الى أن هذا يتناقض مع فكرة التحالف فى بعض الامور ، هذا فضلا عن أن قيام منابر فئوية يتناقض ايضا مع فكرة الامانات النوعية . ويبدو لى انه فى تنظيم الاتحاد الاشتراكى الاخير ليس هناك تركيز أساسى على الامانات النوعية ومنها أمانة الفلاحين والعمـــال ، وانما هناك امانات متخصصة للنشاط السياسى والاجتماعى والاقتصادى . هناك اذن ــ كما هو واضح من كلام سيادتك ــ شعور واحساس أن هناك أغلبية كبيره لها رأى عام هو الذى يسير الاتجاه العام فى داخل الاتحاد الاشتراكى ، وستنشأ على يمين هذه الاغلبية منابر ، وستنشأ على يسارها منبر أو منابر . فى اطار هذا ، هل من المتصور أن منبراً من هذه المنابر يستطيع ، من خلال عمله داخل الاتحاد الاشتراكى ، أن يحوز على الاغلبية ويصبح ، بالتالى ، هو الخط العام بدلا من الخط العام السابق ؟ وفى هذه الحالة كيف سيكون الحال ؟ فى اعتقادنا انه ، داخل المنابر ، كان يجب أن تتغير صياغات بناء الاتحاد الاشتراكى ومسارات الحركة بها لان القوى التى تريد أن تقيم منبراً هى ، فى الحقيقة : نسعى ــ سواء قالت أولم تقل شيئا وسواء شئنا أو لم نشأ ــ لان تكون لها السلطة فى بيت التنظيم الذى هى فيه .

والسلطة هنا هى انها تستطيع ان تجعل الاتحاد الاشتراكى فى مجمله تعبيراً عنها وبالتالى فى هذه الحالة : هل سنقبل هذا بل هل هو اولا أمر متصور ؟ .

النقطه الثانية : اذا اقيمت هذه المنابر هل ستقام على أساس انها تمثل القـوى الاجتماعيه المتحالفة بوضعها الحالى العمال وحدهم والفلاحين وحدهم .. الى آخره .

فى هذه الحالة نكون فى الواقع قد أعدنا صياغة الاتحادالاشتراكى على اساس قوى مكتملة تدخل فى تحالف بعضها مع بعض . وهذه ــ ولا شك ــ صيغة مختلفة عن صيغة التحالف القائمة .

اما اذا اقيمت المنابر على أسـاس ايدولوجى فانا اعتقد ان لها نفس فكرة الاتحاد واقامة أحزاب محددة واضـحة معينة .

التصور الثالث : هو أنه هناك مواقف سياسية محددة فى اطار موقف عام محدد بمعنى ، أن هناك مصالح قومية مشتركة رئيسية وهو ما يشكل الالتزام العام لكل عضو من أعضاء الاتحاد الاشتراكى . وهذا العضو ــ بموجب التزامه بهذه القضايا ذات المصالح القومية المشتركة ــ يصبح ملتزما بالاتحاد الاشتراكى تنظيما وسياسة . لكنه ــ كما تقول سيادتك ــ انه داخل ممارسة هذا التنظيم هو يريد ان يعبر عن مصالح اكثر خصوصية فى الصراع مع بقية المصالح الاخرى دون أن يمس المصالح القومية . فى هذه الحالة :

كيف يمكن لهذا المنبر أن يعبر عن نفسه والا يقال له عند التعبير ، انت خرجت عن الاطار العام » وهل عندما سنعيد انتخاب المستويات المختلفة فى الاتحاد الاشتراكى سيصبح التقدم على اساس منابر « وهل سيســمح للمنابر ان تخـوض معـارك الاتحاد الاشتراكى وفقا لمنبرها وبرنامجهذا المنبر « وفى هذه الحالة كيـف سيمكن المواءمة بينه وبين الخط العام الذى يمثل الاتحاد الاشتراكى ؟

■ **الامين الاول :**

الحقيقة ان سيادتك قد أشرت الى كثير من الاسئلة الهامةوالمتشابهة . لذلك فقد يحسن ان أجيب عليها معا حتى تصبح الاجابة محاولة لاعطاء تصور متكامل للمنابر .

أولا : لقد تحدثت عن المنابر على أنها اتجاهات موضوعية خاصة داخل الاتجاه العام ولم أشر عامدا الى أنها اتجاهات ايديولوجية . ذلك ان المنابر لا يصح أن تكون ، داخل التنظيم الواحد ، منابر ايديولوجية ، أى لا يصح أن تقوم ويصرف النظر عن فلسفتها . فاختلاف الفلسفات والايديولوجيات لا يسمح اطلاقا باقامة تنظيم واحد ، انما الشرط الاساسى لقيام التنظيم الواحد هو وحدة الفلسفة ووحدة الخط العام ، فاذا نزلنا عن فكرة الفلسفة الواحدة والخط العام الواحد فيجب أن نسلم بعدم وجود التنظيم السياسى الواحد . وهنا يظهر الفارق الاساسى بين المنابر والاحزاب . فاذا كان لكل حزب فلسفته الخاصة فلا يصح ان تكون للمنابر داخل التنظيم الواحد فلسفتها الخاصة بل يجب أن تلتزم كل المنابر بفلسفة واحدة . انما تكون للمنابر داخل التنظيم السياسى الواحد ، داخل الفلسفة الواحدة ، داخل الخط العام الواحد ، مواقف سياسية متميزة من قضايا تطبيقية مطروحة ، ولقد اشرت أنت الى هذا ، اذ يجب أن يكون لكل منبر موقف سياسى محدد فى اطار وحدة التنظيم ، أى فى اطار الفلسفة الواحدة ، فى اطار الخط السياسى الواحد ، وبالتالى فى اطار المصالح القومية الواحدة التى يجب ان تلتقى المنابر عليها هنا ، يمكن للمنبر الذى يشكل خطا خاصا داخل الخط العام ان يتحول من منبر اقلية الى منبر اغلبية هذا متصور ذلك ان التسليم بوجود أغلبية واقلية منظمة يعنى ديمقراطيا اعطاء الاقلية فرصة الدعوة لرأيه وفرصة التحول الى الاغلبية . وعلى ذلك ستجرى داخل اللجنة المركزية ممارسة ديمقراطية فيما يتعلق بالمواقف ومن خلال هذه الممارسة يمكن للمنابر المختلفة أن تشترك فى النقاش وفى التصويت . وسيكون للاغلبية ــ بداهة ــ حق اصدار القرار . انما يظل لاصحاب المواقف الخاصة والمتميزة ان يدعوا لمواقفهم ، ويظل لهم الحق مع الممارسة ان يتحولوا الى اغلبية ، أى أن يتحولوا الى كسب الاغلبية لخطهم الخاص حينئذ يصبح الخط الخاص عاما وينقلب العام خاصا تلك هى طبيعة التطور الديمقراطى ، ونحن لا نخشى ابدا هذه الممارسة الديمقراطية التى تعطى الاقلية داخل الاطار العام للتنظيم فرصة الترويج لمواقفها السياسية الخاصة وكسب الانصار لها حتى تصبح هى الاقتناع العام داخل التنظيم . لا خطر فى ذلك ولا خطر عليه . وعلى العكس ، هو أمر طبيعى ، ومن طبيعة الممارسة الديمقراطية . ولكن يأتى السؤال أين ستمارس هذه المنابر نشاطها اول الامر ؟ ستمارسه بداهة واول الامر داخل اللجنة المركزية هذا تصورى ، وانا لا أفرض شيئا على أحد ، وانما اعطى تصورا طبيعيا وسيناقش ، والامر فى النهاية للجنة المركزية . واعتقد أن الممارسة يمكن أن تكون داخل اللجنة المركزية لسبب بسيط وهو أنها القيادة العليا للتنظيم ، هى التى تمتلك حق اصدار القرار ، أما أن يوجد لهؤلاء الذين يتميزون بمواقفهم السياسية داخل اللجنة المركزية اناس يقفون موقفهم هذا خارج اللجنة المركزية فانهم لا يستطيعون ان يؤثروا فى القرار الذى يتخذه ليس معنى ذلك اننا نحرم الجماهير من أن تؤيد المواقف السياسية للمنابر المختلفة فذلك ليس من قصدنا وليس فى مقدور احد ، وانما معناه ان الممارسة الجادة والفعالة تكون فى اللجنة المركزية التى تمتلك اصدار القرار ، ثم قد يتطور الامر من خلال الممارسة الطبيعية الى أن تنتقل هذه الحركة الى لجان المحافظات .

■ **الطليعــة :**

لو تأذن لى سيادتك : معنى ذلك ان حق تكوين المنابر هو لاعضاء اللجنة المركزية حسب تصور سيادتك فى المرحلة الحالية ؟

■ **الامين الاول :**

انا لا أتكلم عمن سيكون المنابر ، انما اتكلم عن الصورة العملية للممارسة وعن حق صنع القرار ، فالقرار هو حق اللجنة المركزية او المؤتمر القومى العام .

■ **الطليعــة :**

لكن كيف يستطيع اعضاء اللجنة المركزية المنتمون الى منابر معينة عرض آرائهم داخل اللجنة المركزية على أساس أنهم يمثلون منابر ، ولا يمثلون اشخاصا « اذن لابد لهم من الاتصال ــ فى حركتهم السياسية داخل الاتحاد الاشتراكى ــ بما هو دون اللجنة المركزية حتى يكونوا رأيا يعبر عن مجموعة

او اتجاه سياسي وليس مجرد انطباعات شخصية .

■ **الامين الاول :**

هنا ، اعرض مرة ثانية لتجربة **حزب العمال البريطاني** . فالمنابر داخل حزب العمال البريطاني لا تتصل بالقواعد كمنابر ، ولا تتصل بالخارج . واما اذا اتصلت بالقواعد كمنابر واتصلت بالخارج كمنابر وكان لها مرشحون فى الانتخابات كمنابر فلقد استقلت عن حزب العمال البريطانى واصبحت حزبا .

لا يصح ابدا أن نخلط بين المنابر والاحزاب ، وان كنا نسلم بأن المنابر تعتبر بديلا عن الممارسة الديمقراطية التى تقوم بها الاحـــزاب وان المنابر قد تتطور خـــلال الممارسة الديمقراطيةالطبيعية فى المستقبل الى احزاب ، اذا أراد الشعب ذلك .

ومع كل هذه التحفظات فان المنابر ليست احزابا ، ولذلك فان المنطـق الذى يحكم الاحزاب ويرتب كل النتائج من الاتصال بالجماهير الى الترشيح فى الانتخابات ، الى الاتصال بالخارج هذا المنطق لايمكن أن ينطبق تماما على المنابر فتصـورى ، والامر فى النهاية أمر الممـارسة ، أن الممارسة ستبدأ أولا فى اللجنة المركزية لانها اللجنة التى تصدر القرار بصفة مبدئية الى أن تتضح المعالم فيمكن ان تنتقل الممارسة الى المستويات الاخرى مع العلم بأن احدا لن يحجر أبدا على المنابر التى تمثل الاتجاهات الخاصة فى ان تشارك فى اليوم المفتوح الذى تديره لجان الاتحاد الاشتراكى وأن تجرى خلاله حوارا خارج اجتماعات اللجنة المركزية فى اطار الاتحاد الاشتراكى . .

■ **الطليعــــــة :**

ماذا تعنى سيادتك باليوم المفتوح ؟

■ **الامين الاول :**

اعنى باليوم المفتوح ، ان يطرح موضوع معين على جماهير الاتحاد الاشتراكي وعلى المفكرين ليناقشوه وان يبرز من خلال هذا النقاش اتجاهات فكرية مختلفة ازاء هذا الموضوع المطروح . ولنأخذ مثلا مستقبل الارض الجديدة ؟ او نطاق القطاع العام والقطاع الخـاص والتعـاون بينهمـا ، والانفتاح الاقتصادى او الخطة القومية ، والعلاقة بين الصـناعا ت الاسـتهلاكية والثقيلة ، أو مثلا العلاقة بين الاستهلاك والاستثمار ، او قضية التعليم والجامعة الاهلية ، و ملكية الاجـانب لـلاراضى والعقارات او خطة الدولة والميـزانية العامة . كل هذه القضايا ، يمكن أن تطرح داخل اللجنة المركزية للنقاش ، ويتخذ فى شـأنها قرار ، او خارج اللجنة المركزية ويجرى الحوار مفتوحا دون التوصل الى قرار لان اليوم المفتوح يضم أشخاصا لا ينتمون الى نفس المستويات داخل الاتحاد الاشتراكى ، كما يضم بعض العناصر المفكرة التى ليست لها اوضاع قيادية فى الاتحاد الاشتراكى . فهذا اليوم المفتوح يقصد به مناقشة موضوعات قومية لها أهميتهـا ونحرص على التعرف على الاراء المختلفة بصددها ، ويجرى الحوار فى شأنها دون التوصل الى قرار . هذا هو ما اقصده باليوم المفتوح ، ولا شك أن اليوم المفتوح بالاضافة الى الحوار الذى يجرى داخل اللجنة المركزية وداخل لجان المحـافظات يعتبر من أهم العوامل التى تدعم الممارسة الديمقراطية وتدعم تجربة المنابر .

اننا لو طرحنا الموضوعات التى تحدثت عنها الان ستجد فى نهاية الامر أن هناك فريقا يأخذ اتجاها خاصا فى كل هـــذه القضايا ، وأن هناك فريقا آخر يأخذ اتجاها آخر فى كل هذه القضايا ، على أن يكون الفريقان فى اطار فلسفة التحالف . وأعتقد أن هذا اليوم المفتوح من أهم عوامل نجاح الممارسة الديمقراطية ونجاح تجربة المنابر . فاذا ما قلت اذن أن الممارسة الفعالة ستبدأ باللجنة المركزية فذلك لانها اللجنة صاحبة القرار التى تستطيع أن تفعل شيئا فى مجال رسم السياسة . ولكن ليس معنى ذلك اننا سنحجر على الحوار الحر الذى تشترك فيه المنابر خارج اللجنة المركزية ، انما الممارسة التى توصلنا الى تحديد السياسة ، هى تلك التى تجرى داخل اللجنة المركزية . تصور مثلا اتجاها فى الرأى العام لا يملك فى المجلس النيابى فى بلد ما الا عددا محدودا من الاصوات ، هذا الاتجاه لن يستطيع أن ينعكس فى صنع القرار الا بما يملكه من اصوات النيابى أما ما له من رأى عام فى الخارج فموضوع آخر .

■ **الطليعــــة :**

اذن فهمنا جيدا وفى تصور الامين الاول هناك ثلاث نقاط رئيسية تحكم تصوره لقضية المنابر :

اولا : ان قضية المنابر أسلوب تنظيمى سياسى لاشاعة الديمقراطية داخل تنظيم الاتحاد الاشتراكى وهى كلها حتى الان لا تزال فى مستوى التجريب .

ثانيا : بما أنها لا تزال فى مستوى التجريب فهى محصورة فى الهيئة القيادية للتنظيم حتى الان وهى اللجنة المركزية حتى يمكن وضع اسلوب وضوابط عليها .

ثالثا : أن المنابر فى الحقيقة للاقليات ذات الاتجاهات الخاصة .

وهنا تثار عدة قضايا .

■ **الامين الاول :**

قبل اثارة هذه القضايا لى ملحوظة صغيرة على أحد هذه الضوابط وهى أن الممارسة يجب أن تبدأ فى تصورى داخل اللجنة المركزية .

■ **الطليعــــة :**

هذه الركائز الثلاث تثير عدة قضايا — القضية الاولى انه هناك نشاط الان فى بعض المنابر للظهور بمظهر الاغلبية داخل الاتحاد الاشتراكى وليس على أساس انها تمثل خطا متميزا داخل الاتحاد الاشتراكى ، والذى يثير كثيرا من الاسئلة وكثيرا من التحفظات ان هذا الاتجاه الذى يحاول ان يأخذ مظهر الاغلبية يتجه أكثر فأكثر الى ما يسمى بالاقتصاد الحر ، ومثل هذا الاتجاه الذى يرفع شعار الاقتصاد الحر هو فيما أعتقد اتجاه معاد لفلسفة التحالف وفلسفة الاتحاد الاشتراكى ومواثيق الثورة ، تماما كمن يريد انشاء ديكتاتورية البروليتاريا فى مصر الان .

فى هذه الحالة لابد من تحديد دقيق لهذه الضوابط لانه يجرى داخل الاتحاد الاشتراكى ، وتحت اسم الاقتصاد الحر باشكال وصياغات مختلفة ، تغيير اساسى فى فلسفة الاتحاد الاشتراكى وفى الاسس الفكرية والتاريخية التى قام على أساسها .

■ **الامين الاول :**

اولا دعنى اتحفظ تحفظا كبيرا جدا على ما تفضلتم به من ان بعض المنابر تحاول ان تظهر بمظهر صاحب الاغلبية . ذلك قول لا يمكن ان نبدأ به فليس صحيحا ان هناك منبرا يمثل الاغلبية .

□ **الطليعــــة :**

بل نشر فى بعض الجرائد أن أحد المنابر تلقى طلبات عضوية من نائب رئيس وزراء وستة وزراء ، فضلا عن عدد كبير من النواب بلغ ٢٩٢ حتى قيل — وأنا أقول ما يقال فى المجتمع وكل الناس أحرارا فى اعلان ما يشاؤون — ويصور على أساس أنه منبر الحكومة ومنبر السلطة هذا معناه انه بديل للاتحاد الاشتراكى .

■ **الامين الاول :**

أولا : سنبدأ من أن القيادة فى الاتحاد الاشتراكى هى اللجنة المركزية المنتخبة ولا توجد سلطة فى الاتحاد الاشتراكى لها القيادة العليا الا هذه اللجنة . وقبل اجتماعها كل حديث عن مواقفها سابق لاوانه . اما الحديث عن انضمام البعض من هنا أومن هناك فحديث يعوزه ما يؤكده ، ولذلك فلا مبرر أن نتحدث عنه . ولنبدأ — بصرف النظر عما قيل — من حقيقة أن اللجنة المركزية المنتخبة هى القيادة العليا للاتحاد الاشتراكى وانها صاحبة القرار فى كل شأن من شئونه . ان المنابر وهى تنشأ من داخل الاتحاد الاشتراكى انما تنشأ فى الاطار الذى تريده اللجنة المركزية . ومع ذلك فلا نريد للجنة المركزية أن تصدر قرارا بانشاء المنابر ذلك تصور أبعد ما يكون عن فكرة المنابر ، ثم لا نريد للمنابر أن تتسيب بحيث تفتت الاتحاد الاشتراكى ذلك تصور ثان أبعد ما يكون عن فكرة المنابر . انما نريد للجنة المركزية دائما أن تكفل الظروف الموضوعية اللازمة لنجاح فكرة المنابر — فالمنابر فى اعتقادى وهذا بيت القصيد تنقلنا من ممارسة الافراد للديمقراطية الى ممارسة الجماعات للديمقراطية — ودعنى أعبر بما عبرت به من قبل من أن المنابر تنقلنا من ديمقراطية الافراد الى ديمقراطية الجماعات ، تطور هذا شأنه ، تطور ديمقراطى بالغ الاهمية ، يجب ان يؤخذ

مأخذ الجد ؟ ويجب ان نحافظ عليه ؟ ويجب أن نضمن له فرصة النجاح لانه تطــور تاريخى .

فان ثم نتيجة الممارسة الطبيعية يكون قد تغير الحياه السياسية فى مصر تغييــرا عميقا . فليكن التطور الذى نحن بصدده بمنأى عن التسيب وبمنأى أيضا عن الوصاية لتنشأ المنابر نشأة طبيعية لا بقرار ادارى . وفى حدود هذا المعنى الذى يجعل اللجنة المركزية هى القيادة العليا للتنظيم السياسى لا يتصور ان يكون لسلطة ما ان تنشىء منبرا ، ولا يتصور أن يدعى منبر ما بأنه منبر السلطة ـ فليكن هذا القول واضحا ؟ وليسقط الى الابد هذا الاسلوب !

كل المنابر ستنشأ عن طريق الممارسة ولن تنشأ بقرار ادارى ولن تنشأ افتعالا انما ستكون كما قرر المؤتمر القومى العام ثمرة الممارسة والمواقف السياسية حول القضايا المطروحة وأعتقد ان التسرع فى انشــاء المنابر قبل أن تجرى الممارسة وقبل أن تتحدد المواقف السياسية قد يصيب تجربة المنابر بما لا ينبغى أن نعرضها له .

تبقى نقطة اساسية فى حديثك ان الذين يروجون للاقتصاد الحر يعرضون أنفسهم على أنهم يمثلون الاغلبية وانك ترى أن هذا يعتبر خروجا عن الخط العام شأنهم فى ذلك شأن الذين ينادون بقيــام ديكتــاتورية البروليتاريا هم أيضا يعتبرون خروجا عن الخط العام .

هنا ؟ أود أن اقول أن الخط العام للثورة وقد ازداد عمقا ووضوحا لا يصح ابدا أن ندخله فى المتاهات . فالنظام فــى مصر وبحكم فلسفة الثورة ومكاسبها ومواثيقها وبنص الدستور نظام اشتراكى ؟ وهو يستند الى ساقين هما القطاع العام والقطــاع الخاص مع التأكيد على الدور القائد للقطاع العام ؟ وعلى انه ، كما أكد السيد الرئيس السادات ؟ القاعدة الصلبة لــلاقتصاد القومى ؟ وأى موقف يعارض هذا الخط العام ويحاول أن يجعل الاقتصاد القومى يسير على قدم واحدة هو خروج عن فلسفة النظام ، وعن اطاره واعتقد أن الاتجاه العام فى مصر ؟ وهو ما برز فى كثير مــن المناسبات الدستورية والسياسية ، يؤكد هذا الخط العام تأكيدا مطلقا ، هذا لا ينفى وجود اقليات تميل الى الاقتصاد الحر الذى يستند الى القطاع الخاص وحده ، ووجود أقليات تميل الى الاقتصاد المدار الذى يستند الى القطاع العام وحده ولكن هذه الاقليات تؤكد لكونها أقلية أن الاغلبية الساحقة كما عبرت تريد اقامة الاقتصاد القومى على القطاعين العام والخاص .

■ **الطليعـــة :**

سيادة الامين : تفضلتم بأن أكدتم أنه من الضرورى اعطاء الاقلية فرصة الدعــوة لرأيها وفرصة كسب الاغلبية الى خطها الخاص بحيث يمكن أن يصبح الخــاص عاما .

والسؤال هو كيف يمكن للمنابر التى تمثل اقلية أن تعبر عن رأيها تعبيرا يمكنها من أن تكسب الى صفها القوى الاخرى .

■ **الامين الاول :**

اولا : حينما نتكلم عن حق الاقلية فى أن تعبر عن نفسها وحقها فى كسب تــأييد الجماهير لها وتحولها بالتالى الى اغلبية نحن لا نتحدث عن شىء نصطنعه لانفسنا ؟ وانما نتحدث عن طبيعة الديمقراطية ولذلك فان الوسيلة اللازمة لذلك هى الوسيلــة المطروحة فى كل ممارسة ديمقراطية ، وهى حرية التعبير عن الرأى ثم حرية عرض هذا الرأى من خلال المنابر ، حرية المناقشة والمساهمة فى اصدار القرار سواء فــى اللجنة المركزية أو فى لجان الاتحــاد الاشتراكى وفى مجلس الشعب ، وحــرية الكتابة فى السحف وحرية المشاركة فى المناقشات العامة ، كل الحريات مكفولة لكل الاراء فى اطار الدستور والقانون .

■ **الطليعـــة :**

هل يستطيع المنبر فى اللجنة المركزية أن يصدر بيانا تنظيميا برأيه فى قضية ما ويعممه على مستويات التنظيم ما هو تصور سيادتك ؟

■ **الامين الاول :**

الا يستطيع ان ينشر ذلك فى الجرائد ـ اذن كل فرد الان فى مصر يعبر عن رأيه فى الجرائد ولن نحجر ابدا على حرية كسبت ولن نكون قيدا على ممارسة الديمقراطية ■

■ **الطليعـــــة :**

أنا أريد داخل الاتحاد الاشتراكى — ستظل القنوات التنظيمية لا يجرى فيها الا آراء الاغلبية .

■ **الامين الاول :**

أبدا .. ان ورقة التطوير تريد أن تفسح لاراء الاقلية فرصتها . لذلك ، يمكن داخل التنظيم السياسى أن تكتب ورقة تعبر عن رأى منبر معين ونعممها . لا ضير من ذلك أبدا . نفترض مثلا : اننا نناقش مشكلة الاراضى الجديدة أو مشكلة القطاع العام ، وهناك رأى مخالف للاتجاه الغالب ما الضرر فى أن يعبر هذا الرأى عن نفسه داخل اللجنة المركزية وداخل اجتماعات الاتحاد الاشتراكى ، داخل اليوم المفتوح . وما الضرر فى أن تعمم القيادة الاوراق الخاصة بهذه الاراء المختلفة على القواعد اننا لا نريد أن نحجب عن قواعدنا رأيا ، ولا أن نضع للممارســـة الديمقراطية حدودا مادامت ملتزمة بالفلسفة العامة لنظامنا .

■ **الطليعـــــة :**

السؤال لو سمحتم أيضا ، فى موضوع من الاقلية داخل اللجنة المركزية فى التعبير عن رأيها . هل يمكن أن نتصور — عقب كل اجتماع من اجتماعات اللجنة المركزية — ان يكون هناك بلاغ يتضمن القضية المطروحة والاراء المختلفة فيها ؟

■ **الامين الاول :**

أنت لا تجد ذلك فى أى مجلس نيابى فى العالم . انما تصدر عن المجلس واللجان قرارات أو بيانات تعبر عن الرأى الاخير وان ما نريده هو أن يوجد محضر يسجل النقاش وموقف الاقلية وموقف الاغلبية ذلك ممكن أما اللجنة المركزية فلا يصح رغم ما فيها من أغلبية واقلية ورغم ما فيها من اتجاهات متعددة لا يصح أن ننسى أبدا أنها وحدة واحدة ، وان المنطق الديمقراطى السليم يعنى ان يكون للجميع ان يناقشوا وان يشتركوا فى التصويت الحر ، وان يكون للاقلية أن تعبر عن رأيها ، وأن يكون للاغلبية أن تعبر عن رأيها وأن يصدر القـرار بالاغلبية ، أن تحترمه الاقلية ذلك ان المنطق الديمقراطى يستلزم من الاقلية ان تحترم القرار يوم صدوره وتعتبره هو القـرار الوحيد ، معنيها أن تنسلخ من اللجنة التى أصدرت القرار ، لذلك فأنا لا أتصور ابدا وقد صدر القرار أن ينشر بيان على الناس يكون القصد منه أن يبين رأى الاغلبية ورأى الاقلية وانما ذلك فى محضر الجلســة وملخص المناقشات — أقول مرة اخرى اننا نريد الممارسة الديمقراطية داخل التنظيم السياسى ، ونريد للمنابر أن تقـوم وأن تحكمها القواعد الديمقراطية داخل التنظيم السياسى . لن نصطنع لانفسنا قـواعد جديدة ، فالقواعد الديمقراطية المألوفة تطبق داخل التنظيم السياسى .

■ **الطليعـــــة :**

نأخذ حالة أكثر تحديدا . لو فرض أن اللجنة المركزية ناقشت — مثلا — موضوع مستقبل الاراضى الجديدة . وكان هنـاك اثنان أو ثلاثة من الاقلية لهم رأى مختلف مع رأى اللجنة المركزية .. بالطبع نحن مع احترام الاقلية لرأى الاغلبية — ولكن كيف يمكن لرأى الاقلية ان يعرف خارج نطاق اللجنة المركزية ؟

■ **الامين الاول :**

رأى الاقلية يعرف عن طريق الاعلان عن الجلسات نفسها وعن طـريق اذاعـة المناقشات ، نحن نريد ان تكون مناقشات اللجنة المركزية مذاعة على أوسع نطاق عن طريق الاذاعة والتليفزيون والصحافة الا اذا كان الاجتماع له طبيعة سرية وهو الاستثناء نحن نريد أن تنقل مناقشات اللجنة ورأى كل شخص الى كل مكان فهى مناقشة حرة مفتوحة .

■ **الطليعـــــة :**

والان ؟ نحن فى أى موقف بـالنسبة للاتحاد الاشتراكى من الناحية العملية ؟ .

■ **الامين الاول :**

نحن فى انتظار انعقاد اللجنة المركزية فى ٢٠ ــ ١١ ــ ١٩٧٥ ولقد قررت الامانة الـ فى اجتماع يوم ٥ — ١١ وضع ورقة توضع

امام اللجنة المركزية البدء فى مناقشة موضوع المنابر.

دعنا نقول نحن فى مرحلة مزدوجة بعض اعضاء التنظيم بداوا يعلنون عن منابرهم ، وربما كان من المنطقى ان تنتظر انعقاد اللجنة المركزية ، ولكن البدء فى الاعلان على هذا النحو لا يخلو من فائدة ، فلقد اطلعنا الجماهير على كثير من المسائل من المفيد ان تكون تحت نظر اللجنة المركزية وهى تبدأ مناقشة الموضوع ، وسيتحدد اذن تصورها فى ضوء محاولة واقعية لاقامة المنابر ، وهذا لايخلو من فائدة ، وان كان لا يخلو من تسرع نحن فى مرحلة المخاض ، ونرجو له ان يكون طبيعيا وسليما ، ذلك اننا نحرص على التطور الديمقراطى الذى بدأ ، والذى سيتم بنجاح تجربة المنابر ، لانها ستنقلنا كما قلت من ديمقراطية يمارسها الافراد الى ديمقراطية تمارسها المجموعات.

بقيت كلمة عن الفلسفة العامة للتنظيم وهى ان تنظيمنا السياسى انما يستند على تحالف قوى الشعب العاملة . واود ان أقول ان التحالف هو البديل عن حكم الطبقة ، بمعنى ان السلطة الاقتصادية والسياسية يجب ان تظل لقوى التحالف مجتمعة ، للفلاحين والعمال والجنود والمثقفين والراسمالية الوطنية ، دون ان تنتقل الى طبقة واحدة . ولكن هناك خلطا بين أمرين لا يصح الخلط بينهما وهما قضية التحالف وتقابلها قضية الطبقة وقضية التنظيم الواحد وتقابلها قضية الاحزاب المتعددة . فقد تتحدد الاحزاب وتحكم طبقة واحدة ، ويتصور هذا فى كثير من البلاد حينما تكون هناك احزابا للاقلية لا تستطيع الوصول الى الحكم بطبقاتها التى تمثلها ويكون هناك حزب الاغلبية بطبقة مسيطرة . وقد يقوم تحالف مع تعدد الاحزاب حينما يكون هناك حزب يؤمن بالتحالف وهو صاحب الاغلبية مع وجود احزاب اقلية تؤمن بالطبقات .

تصور مثلا اذا انتهت الامور فى مصر ، نتيجة الممارسة الطبيعية ، الى تعدد احزاب واصبح الاتحاد الاشتراكى هو حزب الاغلبية وهو يؤمن بالتحالف فيستمر التحالف اساسا لحكم مصر مع تعدد الاحزاب.

لا اريد ابدا ان نخلط بين امرين وهما التحالف والتنظيم السياسى ، فالتحالف جوهر والتنظيم السياسى شكل ، **وعلى ذلك اقصد بالتحالف ان تظل السلطة فى مصر للفلاحين والعمال والجنود والمثقفين والراسماليه الوطنية وعلى الا تنتقل ابدا لطبقة واحدة وصولا الى اقامة السلام الاجتماعى . وهنا اود ان أضع بعض الاسس لفلسفة التحالف والسلام الاجتماعى .**

اولا : لا تحالف الا بين القوى الخمسة ، بحيث لا يمكن ابدا ان يقوم تحالف بينهما وبين الاقطاع والراسمالية المستغلة . ولا تحالف الا بالقوى الخمسة بحيث اذا ما اسقطنا منها قوة وظلت خارج التحالف وخارج السلطة فان القوى الباقية تمارس اذن سيطرتها على هذه القوة . فلا يكون هناك تحالف – لذلك فشعارنا لا تحالف الا بين القوى الخمسة ولا تحالف الا بالقوى الخمسة .

ثانيا : لا تحالف الا على اساس العدالة الاجتماعية ومنع استغلال الانسان للانسان ، ومنع استغلال طبقة لطبقة ، اذ لا يمكن ان يقوم التحالف بين مستغل ومستغل وهذا هو « مبدأ اشتراكية التحالف ».

ثالثا : لا تحالف الا على اساس قاعدة الديمقراطية فلا تحالف فى اطار الديكتاتورية « وهذا هو مبدأ ديمقراطية التحالف »

ولا يمكن لهذا التحالف ان يتم وأن يحقق السلام الاجتماعى الا بضمانات وهى :

١ – ان يظل للفلاحين والعمال ٥٠ فى المائة على الاقل فى المجالس المنتخبة حتى تظل فى يدهم السلطة التشريعية والسياسية ، وحتى نضمن الا تتحول السلطة الاقتصادية الى طبقة واحدة .

٢ – الا تتحول احدى فئات الشعب العاملة الى طبقة مسيطرة والا انهار التحالف . لذلك فنحن نقيم التحالف ليس بين طبقات وانما بين قوى عاملة ذلك ان هدفنا فى النهاية تحويل المجتمع الى مجتمع يستند الى فئات اجتماعية مفتوحة لا الى طبقات اجتماعية مغلقة ، اى اننا نريد بناء المجتمع على اسس ما نسميه **بالسيولة الاجتماعية**.

٣ – التنمية الاقتصادية ، اذ لا يعقل ابدا ان نقيم التحالف وان يستمر السلام الاجتماعى الا بارتفاع مستوى معيشة قوى الشعب العاملة والا فأى تحالف يمكن ان يقوم وان يستمر مع استمرار انهيار مستويات المعيشة . ولذلك فيجب أن نفهم

الانفتاح الاقتصادى كسياسة فى اطار اتزان التحالف والسلام الاجتماعى .

٤ ـ تكافؤ الفرص نظريا وعمليا ، وأخص بذلك مجانية التعليم ، ذلك أن مجانية التعليم تتيح دائما لابن العامل ان يغير موقعه الاجتماعى ولابن رئيس مجلس ادارة الشركة أن يفقد موقعه الاجتماعى ، كل بناء على مجهوده وعمله ، وهو ما يحقق مبدأ « السيولة الاجتماعية » . ثم يجب حين نفكر فى التحالف والسلام الاجتماعى كبديل نهائى « للقهر الطبقى » و « للصراع الاجتماعى » ان نتذكر ان هذا هو هدف الثورة منذ قامت ، وانه ما ذهب اليه ميثاق العمل الوطنى ١٩٦٢ من التسليم بوجود المتناقضات الطبقية ، ومن ضرورة حل هذه المتناقضات حلا سلميا ، وصولا الى تذويب الفوارق بين الطبقات . هذا هو فكر الثورة ، وقد كان ينقصه أن يوضح وأن يصاغ ، وأن يعرض فيما أسميه « السلام الاجتماعى » ، ليقابل « القهر الاجتماعى » و « الصراع الاجتماعى » ، اساسا لحل المشكلة

ويمكن ان نجد « للسلام الاجتماعى » ، وهو الهدف النهائى للثورة ، ثلاثة مصادر فكرية وهى :

اولا ـ القيم الروحية للمجتمع المصرى ، وفى مقدمتها التكافل الاجتماعى ، ووحدة الجماعة ، واحترام الانسان .

ثانيا ـ تجربة ثورة ٢٣ يوليو ، وما ذهبت اليه من حل الصراع الطبقى حلا سلميا ، ومن تذويب الفوارق بين الطبقات .

ثالثا ـ تفسير التاريخ العالمى والعربى على وجه الخصوص . فالتاريخ يعتمد ، فى تصورى ، على ثلاثة قوانين اساسية وهى :

١ ـ التناقض فى الاشياء ، وهو أصل الاشياء ، ومصدر الحركة والتطور .

٢ ـ الصراع بين المتناقضات ، ومثلها الصراع بين الطبقات .

٣ ـ التصالح بين المتناقضات ، وهو عنصر هام يقوم على التلاقى بين المتناقضات فى نوع من المصالحة التاريخية compromise ، وهو ما لا يمكن اسقاطه من تفسير التاريخ ، ومن تصور حل المشكلة الاجتماعية ، وبالتالى من صياغة الفلسفة الاجتماعية . فاذا كان التصارع بين المتناقضات من مكونات التاريخ ومن مفسراته فان التصالح بين المتناقضات من مكونات التاريخ ومن مفسراته أيضا . وهو أمر يتضح على وجه الخصوص من التاريخ العربى والمصرى . ولقد فهم الفلاسفة فكرة التصالح بين المتناقضات بمفهومات مختلفة . فمثلا « هيجل » يتحدث عن التأليف بين الوضع والنقيض ، وعن تجاوز التناقض مع الاحتفاظ بالمتناقضات عند مستوى أعلى ، أما « برودون » ، الفيلسوف الفرنسى ، فيرى أن التناقض لا يحل ولا يرتفع ، وانما هو يثق فى التكامل بين المتناقضات .

اننا لا نريد بالتصالح هذا المفهوم الذى تدمه « هيجل » بالضبط ، والذى ينصرف الى التأليف بين المتناقضات عند مستوى أعلى ، ولا هذا المفهوم الذى يريده « برودون » بالضبط ، والذى ينصرف الى التكامل بين المتناقضات ، وانما نريد بالتصالح بين المتناقضات التعايش السلمى بينها ، وهو ما يتطلب ادخال تغييرات أساسية ومستمرة على المتناقضات ، حتى يمكن أن تتعايش معا ، وذلك عن طريق تذويب الفوارق بين الطبقات .

■ **الطليعـــة :**

تقصدون تخطى المتناقضات ؟

■ **الأمين الاول :**

ليس بالضبط وتخطى المتناقضات هو فلسفة « هيجل » ، والتكامل بين المتناقضات هو فلسفة « برودون » وانما نريد ايجاد حوار متصل يدخل تعديلا جوهريا على المتناقضات ويستبعد منها العناصر الضارة التى ترفض التعايش السلمى ، أو ترفض التبادل والتكامل ، فالتعايش السلمى أو التصالح الاجتماعى فلسفة مختلفة وان كانت ليست منقطعة الصلة بفلسفة تخطى المتناقضات من ناحية وبفلسفة تكامل المتناقضات من ناحية أخرى ، أننى مازلت أحس أن الحديث عن التصالح التاريخى يحتاج الى مزيد من الحوار ، فالى مرة قادمة .

وشكرا ■

المنبر الديمقراطى الاشتراكى

حوار مع محمود أبو وافية



محمود أبو وافية عضو اللجنة المركزية ، وعضو مجلس الشعب ، ورئيس لجنة الاقتراحات والشكاوى بالمجلس ، أجرت معه الطليعة حوارا حول المنبر الديموقراطى الاشتراكى وبرنامجه وقد واشترك من جانب الطليعة فى الحوار عبد المنعم الغزالى و د . رفعت السعيد .

يسر أسرة تحرير الطليعة أن تلتقى بالاستاذ محمود ابو وافية ، وترجو أن يكون هذا اللقاء بداية لحوار حر .. ومن هنا ، فنحن نبدأ هذا الحوار حول المنابر بالنقطة الاولى : وهى أن هذه التجربة بالنسبة للاتحاد الاشتراكى هى التجربة الرابعة . فكيف ترون التجارب السابقة ، وما حصادها ، والتجربة الحالية والتى تولد تمن خلالها فكرة المنابر ؟

■ ابو وافية

ائذنوا لى فى الاعتراض على جزء بسيط من السؤال . من حيث الشكل . ذلك أنه قد تختلف التقديرات ، انا ، تقديرى ان هذه هى أول تجربة حقيقية للديمقراطية فى مصر بصرف النظر عن وجود الاتحاد الاشتراكى وفكرته . وانا كنت عضوا فى الاتحاد القومى ، ثم فى الاتحاد الاشتراكى ، طوال الفترات الماضية ، باستثناء فترة معينة أبعدت فيها عن العمل السياسى ، وهى فترة وجود مراكز القوى .

حقيقة لم أكن راضيا عن العمل فى الفترات الماضية ، وكنت أشعر بوجود فراغ سياسى داخل الاتحاد الاشتراكى . وفى جو الديمقراطية الذى تعيشه مصر الان نعتبر أن هذه أول تجربة للاتحاد الاشتراكى ... هذا من وجهة نظرى ، انا شخصيا . واعتبرها أول تجربة فى اطار الديمقراطية ، والممارسة الديمقراطية بصفة عامة . وطبيعى انه منذ

اطلاق الحريات فى مصر بدت ظواهر ممارسة الحرية . وهنا ، تختلف الممارسة عن اطلاق الحرية . يعنى ، قد يعطى الحـاكم الحرية ، ولكن يكون التقصير فى استعمال هذا الحق من جانب صاحب الحـق . لكن الذى حدث ان اصحـاب الحق ، وهو الشـعب المصرى استعمل هذا الحق ، وان كان لى رأى خاص فى هذه النقطـة وهـو ان أحسن من استعمل هذا الحق هو اليسار المصرى ، استعمل حقيقة حقه فى الحرية ، بينما غير ذلك من الاتجاهات لم تستطع أن تمارس الحق بطريقة منظمة وبطريقة ايجابية . وبعد كل شىء فان مصر — فى النهاية — هى بلدنا كلنا ... وتراب مصر مسئول من شعب مصر كله . وأنا طبعا اقرأ **الطليعة** وفيها اراء مختلفة .. فيها اراء أحيانا تكـون متطرفة جدا . لكنى لا أضيق اطلاقا بالرأى المخالف حتى ولو كان رأيا متطـرفا . ولكنى فقط لا التزم به أو لا أقتنع به . لكن حرية التعبير عن الرأى ثبت بالممارسة الفعلية أنها مكفولة لكل نوع من أنواع التفكير فى مصر . وكان التطبيق العملى لهذا على صفحات الجرائد . وهذا ، تم فى كل الجرائد ، ومنها الطليعة أيضا . وكذلك تم فى مجلس الشعب وانا ، كعضو فى هذا المجلس ، أستطيع أن اؤكد ان مجلس الشعب أيضا استعمل حقه فى الممـارسـة الديمقراطية استعمالا صحيحا وسليما ورائدا ، ووضـع سوابق موجودة تحفظها سجلات هذا المجلس للاجيال المقبلة .

■ **الطليعـــــــة**

الان نريد ان نسالكم عن تصوركم لفكرة المنابر .. لقد قيل كلام كثير عن المنابر وكيف تمـارس عملها : ومن اية مسـتويات . والحقيقـة أن هناك اختلافات كثيرة حول الفكرة التى لم تمارس بعد حتى الان .. نريد ان نسأل الاستاذ ابو وافية رأيه فى المنابر .. كيف تنشأ ؟ ولمن ؟ وكيف تمـارس نشاطها ؟ وفى اية حدود ؟ وهل هنـاك قيـود وضـوابط يجب ان توضع لتحد من نشـاط هذه المنابر ؟ وما رأيك فى هذه الحـدود والضـوابط ؟

■ **أبو وافيـــــة**

نحن — فى هذا — نعود الى قرارات المؤتمر القـومى العام والى ورقة التطوير ونتأمل ما قيل بالنسبة للمنابر . وبغض النظـر حتى عن العبارات المحـددة ، فان الروح نفسـها التى صيغت بها فكرة المنـابر تقول ان المنابر يعملها الشعب وليس أحد آخر ، وان اختلاف الرأى ، فى الجو الديمقراطى ، وبدون اختلافات الرأى للاسف الشديد تضيـع الحقيقة ١٠٠٪ .. لكن الحقيقة توجـد اذا ما وجـد الرأى والرأى المعارض . هذا شىء مهم . قرارات **المؤتمر القومى العام** قالت بهـذا ، وهى تعنى تماما أن المنابر تمثل اتجـاهات فى الرأى ، وتمثـل مواقف لمجموعات من الناس اتحدت فى اتجاهاتها .

ولا شك ان كل مصرى يتفق مع اخيه المصرى فى الاستراتيجية .. من الناحية الاستراتيجية ، استراتيجيتنا واحدة ، وهى ان نعمل جميعا من أجل الرخاء والخير للشعب المصرى ، ورفع مستوى الطبقات الكادحة والفقيرة ، ودفع التقدم فى مصر . هذه استراتيجية . لكن للوصـول الى هذا الهدف الاستراتيجى ، هناك تكتيك . ولكن يختلف التكتيـك فى الوصول . وأضرب لك مثلا قضيـة الامة العربيـة وهى فلسـطين .. الاستراتيجية واحدة .. هدف واحد . ولكن التكتيك يختلـف ، وفقـا لظروف كل دولة عربية .. من أجل هذا لو نقلنا هذه الصـورة الى الداخل — فى وسط الشعب المصرى — لوجدنا أن المنـابر ما هى الا مجمـوعات من الناس المواطنين التى تنطبـق عليهم الشروط الخاصـة بعضويه الاتحاد الاشتراكى ، والذين هم أعضاء فى الاتحاد الاشتراكى .. وليس ممكنا ان يكونوا مصبوبين فى قالب واحـد ... اطلاقا .. لكن كل

« بنى آدم » له فكره ، وله اسلوبه ، وله طريقته فى التعبير عن هذه الفكرة . فنحن لا نصطنع المنابر اصطناعا . ولكن المفروض ان مجموعات الناس ، ومن خلال ممارستها العمل على نمط تكتيكى معين تتبلور الى شكل من اشكال المنابر . يبقى معروفا ، ان المنبر يقوم على داعمتين اثنتين : الدعامة الاولى هى اسلوب الوصول للهدف . وهذا هو ما أركز عليه على اعتبار ان هذا هو البرنامج .. البرنامج واحد . وهناك تشابه كثير بين كل المنابر التى اعلن عنها . هذا صحيح . لكن العبرة بالاسلوب فى التنفيذ . طبعا ما أحلى ما قيل فى السنين السوداء . ما أحلى الكلام الذى قيل ايام النكسة ، وما أحلى الكلام الموجود فى كل الدساتير . ليس هناك أحسن من هذا ، لكن العبرة أن توضع الكلمات التى على الورق موضع التنفيذ . هذا هو مربط الفرس كما يقولون .. انا أرى اننى اصل الى هدفى بطريقة معينة . ليس بيننا خلاف على الهدف . لكن وكقاعدة جماهيرية دائما يكون المرجع فى هذا كله الى الشعب ، والى رأى الشعب واقتناعه .

من أجل هذا ، انا اقول ، ان نشأة المنابر لا يمكن ان تأتى بقرار ادارى كما قالت الورقة . وأنا مفهومى الا تصدر أى جهة رسميه قرارا بانشاء ، مثلا ثلاثة منابر او بالغاء عشرة منابر .. لماذا ؟ . ولماذا ننزعج لما نلتفت حولنا فنجد مثلا عشرين شخصا . كل واحد منهم «طلع» فى دماغه « ان يعمل منبرا » .. فيجب الا ننزعج اطلاقا من هذا . لماذا لا ننزعج ؟ لان الذين اعلنوا المنابر من بينهم الجاد ، فيهم غير الجاد . أما الجاد فتكون ايديولوجية معينة . وله أيضا وضعه السياسى ، هو ومجموعته التى اتفقت معه فى الرأى . يعنى بهذا الوضع تكون لهم ثقة جماهيرية معينة الى حد ما تعطيهم الحق فى انهم يعلنوا هذا المنبر . لكن لا يعنى هذا ان اقول ما « حدش » يعمل منبر ، لايمكن ان اقول هذا اطلاقا . لانى انا اضرب لك مثلا . فانا كفلاح عندى غيط صغير مثلا ... قيراط بذرت فيه بعض البذور بعضها نبت والبعض الاخر لم ينبت فالبعض الذى نبت واتى بمحصول ، لابد ان تكون قد وقعت فى تربة حسنة ولابد ان تكون — قبل ذلك — البذرة حسنة . اما البذور التى لم تنبت فهذا

الخطوط العامة لمشروع برنامج المنبر الاشتراكى الديمقراطى

لم يصلنا — حتى مثول المجلة للطبع — برنامج المنبر الديمقراطى الاشتراكى ولذا اعتمدنا على نص ما نشر بصحيفة « الاهرام » فى ٢٣ اكتوبر ١٩٧٥ .

موجز برنامج المنبر الديمقراطى الاشتراكى

الاستاذ محمود ابو وافية : اذا جاز لنا الاعلان الان عن بعض ملامح برنامجنا فاننى اقول من ناحية الجوهر الاساسى ، نحن ملتزمون بالمكاسب الاشتراكية ، وان العمل السياسى ليس مهنة ، وانما تطوع وخدمة ليس فقط للشعب المصرى ، وانما للامة العربية كلها .

وكما قلت ان المبادىء الستة لثورة ٢٣ يوليو لم يتحقق منها الكثير ، ولابد من العمل على تحقيق هذه الاهداف ، فلكى نحقق التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، يحتاج هذا بالطبع الى دعم القطاع العام ، واحداث ثورة ادارية ، تخلص القطاع العام من العناصر بليدة الحس ، غير المنتجة ، وتعطيه من الكفاءات المصرية ، العناصر القادرة على النهوض به حتى يستطيع أن يحقق أهدافه العظمى لخير ورخاء الشعب المصرى . كذلك نعتبر أن فاعلية القطاع الخاص ونشاطه يجب أن يكون هدفا مساعدا للقطاع العام على تحقيق الرفاهية للشعب المصرى ، والمكاسب الاشتراكية التى تحققت للعمال والفلاحين ، وسوف يكون منبرنا هذا أحد المنابر التى ندافع عنها ونحميها من أى انحراف سواء الى اليمين أو الى اليسار . هذا بالنسبة لبعض قضايا العمل الداخلى .

أما بالنسبة لقضايا العمل العربى والخارجى ، فاننا نرى أن انماء المكاسب السياسية على مستوى دول العالم الخارجى ، ارتبطت أساسا باسم الرئيس أنور السادات ، ونحن نريد أن ترتبط هذه العلاقات الطيبة الوثيقة الجديدة بجميع دول العالم ، وبالشعب المصرى كله ، وليس بشخص الرئيس السادات ، ولن يأتى هذا الا بمتابعة ما تنشره الصحف العالمية ، ومناقشته سواء فى الصحف المصرية أو بالكتابة

راجع اما الى عيب البذور او الى عيب فى التربة . ولذلك فهى تذوى وتختفى من تلقاء ذاتها .

يضاف الى ما تقدم ان المنابر لا تقسم بين يوم وليلة . ولكن اذا سألت لماذا نعمل هذه « الهيصة » ... فهذا سببه اننا سعداء من كل هذه الضجة فى البلد .. لكن ليس ضروريا ابدا ان نأخذها بعصبية .. لابد ان نأخذها بهدوء ، ونعلم — فى النهاية — ان الممارسة التى ذكرتها ورقة أكتوبر لن تتم فى يوم وليلة . انما تتم فى أوقات طـويلة . ومن واقع هذه الممارسة تتبلور ، اكثر واكثر ، ايديولوجية المنابر ، او تظهر ، اكثر واكثر ، أية منابر أقدر على تنفيـذ البرنامج الذى أعلنته . وهـو البرنامج الذى اذا صح انه متشـابه فى كثير من الخطوط مع البرامج الاخرى ، ولكن فى النهاية لا يصح الا الصحيح .

■ **الطليعـــــة**

فيما يتعلق بقضية الضوابط .. لقد قيل كلام كثير عن ضرورة وضع ضوابط لقيام المنابر ولممارستها لنشاطها ..

ما هو تصوركم لنوعية الممارسة التى يجب ان تتـاح أمام المنـابر التى وجدت ؟ وهل ثمة ضوابط يجب ان توضع امامها أم لا ؟

■ **ابـو وافيـــــة**

رأيى ، فى هذا الموضوع بالذات ، اننى احترم الشـعب المصرى . وانا كنائب جالس ، فى هذا المكان بأمر ناخبين ، ويوم ان افقد رضاءهم أو ثقتهم سـيقولون لـى : « روح ! انت لا تمثلنـا » .. الشـعب المصرى مثل فى المؤتمر القومى بالانتخاب . فاذا كان المؤتمر القومى وهو أعلى سلطة سياسية فى الدولة الان — وضع ضوابط محـددة ، فانا ملتزم بها .. واذا لم يـكن قد وضع ضوابط محددة ، وترك المسـألة مرنة — وهذا هو ما رآه المـؤتمر ، [وفى تقـديرى وتفسـيرى ان المؤتمر تعمـد ان يترك المسألة مرنة] اذن .. وضع الضوابط يعتبر مضادا لهـذه المرونة . ومن ثم ، فالتزاما منى بقرارات المؤتمر القـومى العـام فانا أعترض على وضع ضـوابط .

فى هذه الصحف الاجنبية ذاتها .. وقد يقتضى الامر المزيد من الصحف ، وفى هـذه الحالة قد تاتى مرحلة يكون من الضرورى فيها ان يصـدر هـذا المنبر صحيفة تنطق بلسانه .

وانا احسست فى الواقع ، شـانى شان اى مواطن مصرى ، بعد نجـاح ثورة ١٥ مايو ، وبعد الغاء الاعتقال ، وبعد حرية الصحافة ، وبعد أن أصبح لكل صحيفة اتجاهها وخطها الواضح ، احسست ان اقبال الناس على الصحف المصرية زاد ، واصـبح هناك الرأى والرأى المعارض ، وبداية عمل المنابر سيضيف قوة كبيرة للعمل السياسى فى مصر . واذا كانت الصحافة اليومية وسيلة قوية للتعبير عن الراى السياسى او اعلام الناس ، فاختلاف المجاميع السياسية فى اطار قوى التحالف ، معناه مزيد من الديمقراطية للوصول للقرار الصـحيح الذى يعبر عن آمال الجماهير .

وبالنسبة لقضـايا العمل العربى ، فالواقع ان مصر بالنسبة للامة العربية هى الدولة القائدة ، واذا كانت الاحداث تفرض من حين لاخر نوعا من القطيعة بين بعض الدول العربية والبعض الاخر فاننا نعتبر ان هـذه الخلافات مجرد أعاصير مؤقتة سوف تنقشع ، ومن ثم فان اتجاهنا السياسى فى هذه النقطة هو التمسـك بالامانة القومية للامـة العربية دون ان يكون من بينها فرض الوصاية ، ولكن فقط التضامن عسكريا واقتصاديا وثقافيا ، وقد رأينا بانفسنا كيف كان تضامن الامة العربية فى ٦ أكتوبر رائعا ، وكيف فرضت الامـة العربية على العالم كله احترامها ، نتيجة هذا التضامن .

كذلك فان الاستعمار الجديد فى اى شكل من اشكاله هو امر يحظى باهتمام منبرنا ، لمواجهته والوقوف فى وجهه ، والحيلولة بينه وبين الدول الافريقيـة والاسيوية والعالم الاسلامى على سعته اذ اننا نحن الشرقيين اولى بدعم روابطنا الاخوية .

■ الطليعـــــــــة

استاذ ابو وافية ..من انت ؟ ومن تمثل ؟ وأى الطبقات ستدعوها الى منبرك ؟

■ أبو وافيـــــــة

انا فلاح مصرى . وبمفهومى انا للفلاح ، نشأت فى قرية صغيرة خالطت اهل القرية بصرف النظر عن كون والدى كان مالكا لارض زراعية ، او كان عضوا فى مجلس الشيوخ او غيره . هذا لايعنينى فى شىء . ففى عصره كانت الاوضاع هكذا لكن ، انا بالذات ، — وأنا أقول هنا حقائق — مارست حياة القرية كما يمارسها أى فلاح صغير ، اى فلاح عادى . نمت فى « الاواعى » [القاعات] « اللى » فيها الفرن .. اصطدت السمك بالسنارة من الترعة ، واخذت ضربة شمس . اخذت بلهارسيا واكتشفتها بعد ٣٠ سنة وعالجتها .. لعبت « استغماية » فى الليل فى القمر . نمت على التبن فى الجرن . أكثر من هذا انا اكلت فيران مشوية . واعتقد أن كثيرا من« البكوات » لم يذقوها . كل حياة الفلاح مارستها . كنت بأروح المدرسة — زمان — فى قطار الدلتا الى البندر — الدلنجات — وكان يحدث ان تكون الدنيا ممطرة .فكنت امشى فى الطين ثلاثة كيلو وأنا طفل صغير لالحق بالقطار الساعة السابعة ، لانه اذا فاتنى موعد القطار تأخرت عن موعد المدرسة .

وبذلك كنت من اوائل التلاميذ الذين يصلون الى المدرسة . وفى شهر فبراير اصبت بنزلة شعبية بسبب هذا .

وبدأت قراءتى وانا فى القرية . ونمت معى هذه القراءات وانا فى القرية .. المادة عندي و « الفلوس » عندى ليست هدفا . ولكنها وسيلة .. وهذا فرق كبير جدا . وانا فى تقديرى اقسم الناس الى ثلاثة انواع . « ناس تعرف كيف تكسب » « ولا تعرف كيف تصرف » . وهؤلاء لا أحبهم . وناس لا تعرف كيف تكسب وهؤلاء ايضا لا احبهم . وناس تعرف كيف تكسب وتعرف كيف تصرف وهؤلاء احبهم . وان كان لى « بقى »قيود على الصرف بالنسبة لاختلافى مع بعض الماركسيين . ان الصرف فى حدود ما أمر به الله . وانا هنا اعتز **بالقرآن الكريم** وبدينى . واعتز بتعاليم الدين فى شأن المال بصفة عامة ، واحترمها . وانا ملتزم بها التزاما كليا وجزئيا .هذا هو الجزء الاول من السؤال .

بعد ذلك طبعا ، انا تعلمت فى كلية الحقوق . ولم امارس المحاماة الا فترة بسيطة ، ولكننى مارست العمل الصحفى فى روز اليوسف أولا

وسنعمل على تزويد الاعضاء المنضمين للمنبر ، سواء الذين يشغلون مناصب سياسية ، باللجنة المركزية ، او بمجلس الشعب ، او المواطنين العاديين بكل ما يحتاجونه من معلومات ونرى مثلا ان نشر خطاب الرئيس او اذاعته مرة ، او أكثر غير كافه للعمل السياسى ، خصوصا وأن الخطاب يحتوى على كثير من الوقائع المحددة ، وعلى سبيل المثال ، موقف الاتحاد السوفيتى كما شرحه الرئيس السادات فى خطابه الاخير . اذ لا نعتقد ان الاتحادالسوفيتى سوف يصمت امام هذه الحقائق التى اعلنها الرئيس ، فعلينا اذن نحن العاملين فى الحقل السياسى ان نكون متنبهين ، فنعمق هذه الحقائق للرأى العام فى الداخل ، والعالم كله .

كذلك مثلا ما ذكره الرئيس السادات فى خطابه عن حزب البعث السورى ، وضرورة ان تعلم الجماهير الحقائق بوضوح ، لكشف المواقف ، وهذا لن ياتى بالافصاح عن رأى الشعب المصرى ، ممثلا فى السياسيين المصريين ، ومن هنا فان الشعب السورى الشقيق يشعر انه ليس وحده امام عبث البعثيين .

وبالنسبة لشروط العضوية فى المنبر ، فالباب مفتوح أمام الجميع الذين يلتزمون بأهداف وبرنامج المنبر ، واذا كان أحد طالبى الانضمام ليس عضوا فى الاتحاد الاشتراكى ، فنحن نعلم ان العضوية اختيارية وبابها مفتوح بصفة مستمرة ، ومن هنا فسوف نطلب من العضو اذا لم يكن عضوا فى الاتحاد الاشتراكى أن يتقدم بطلب العضوية العاملة ، ولا يشترط أن يكون العضو شاغلا لإى موقع تنظيمى فى مستويات الاتحادالاشتراكى ، اى يكفى مجرد العضوية العاملة .

وفى اول اجتماع للجنة التاسيسية للمنبر ، سنناقش موضوع الاشتراكات التى قد يدفعها الاعضاء المنضمون ، وبالنسبة لمقر المنبر فانه سيكون داخل احدى قاعات الاتحاد الاشتراكى العربى لاننا جناح من قوى التحالف ، وفى

ثم فى جريدة الجمهورية . ثم تحولت الى العمل السياسى . وأول مرة رشحت نفسى رسبت .. وثانى مرة ١٩٦٤ نجحت . وأصبحت نائبا . وفى المرة الثالثة أبعدت عن العمل السياسى فى البرلمان المزيف برلمان ١٩٦٩ . فتركت العمل السياسى كلية . ثم عدت — بعد ثورة التصحيح فى ١٥ مايو — ورشحت نفسى ، والحمد لله نجحت ،وأنا نائب وعملى هنا ، فى المجلس اننى احترم الجماهير ،ويمكن أنتم كأسرة **الطليعة** رأيتم بأنفسكم الناس الذين يأتون الى هنا . وهذا عدد بسيط جدا ، من الذين يقابلهم زميلى الاستاذ **ابراهيم عبده** . هذا عدد بسيط ، رغم ظروفى الصحية ، ومع هذا كله ، فأنا سعيد بخدمة الناس وبخدمة الجماهير . ولما أسسنا المنبر ، انا اعلنته فى الجرائد باسم زملائى المؤسسين .. ولكن زملائى المؤسسين طلبوا منى على الا نعلن اى اسماء ، الآن . لكن ، أعتقد أنه بعد الحديث الذى نشرفى الاهرام ، وضحت صورة اتجاهى اكثر . وبعد هذا ، بدأنا نقبل طلبات عضوية . والحمد لله ! نشعر ، انا والزملاء المؤسسين ، ان هنا ثقة الى حد كبير من جماهير الشعب . وذلك على ضوء عدد الطلبات التى وصلتنا وأيضا باعلان عدد كبير من أعضاء مجلس الشعب ، والذين أعلنت عنهم انهم أيدوا المنبر **الديمقراطى الاشتراكى** .

■ **الطليعة**

هناك رأى أيضا — فى باب الضوابط — يقول أن هذه المنابر توجد فقط لتعبر عن رأيها داخل اللجنة المركزية ؟

■ **أبو وافية**

معنى ذلك ، ان هذه المنابر تكون تعبيرا عن رأى معارض لفكرة ما أو لخطة ما أو لمشروع ما داخل اللجنة المركزية وحدها .. سوف أجيب على هذا السؤال ، بعد باكر ، فى اجتماع اللجنة المركزية .

■ **الطليعة**

اذن .. هل تسمح لنا بأن الاجابة التى ستعلنها بعد غد فى اللجنة المركزية هل هى اجابة للنشر ؟

■ **أبو وافية**

كل ما سأقوله انشاء الله فى اللجنة المركزية ، سوف اطالب بنشره كاملا .

المستقبل سيكون للمنبر لجان على مستوى المحافظات فقط ، وتكون هذه اللجان هى حلقة الاتصال بين قيادة المنبر ، وبين قواعده الجماهيرية .

وفيما يتعلق بأسماء اعضاء اللجنة التاسيسية للمنبر ، فان الاسماء موجودة وأفضل بناء على طلبهم عدم اعلانها الآن حتى يتم اجتماع اللجنة المركزية الذى سوف يعلن فيه رسميا قيام هذا المنبر ، وفى هذه الحالة سوف اقوم باعلان أسماء الأعضاء المؤسسين ، والاعضاء المنضمين ، وعلى كل حال سوف يراعى التمثيل الاقليمى ، وتمثيل قوى التحالف فى تشكيل اللجنة التأسيسية ، ولقد أسعدنى كثيرا أنه بمجرد اعلان المنبر ، انهالت الطلبات من جميع انحاء الجمهورية فى وطنية صادقة تطلب الانضمام لهذا المنبر .

ان الرئيس السادات كرر اكثر من مرة أنه قد تقتضى الضرورة فى مرحلة لاحقة قيام أحزاب ، وحينما تاتى هذه الفترة ، فلن نتردد فى تحويل المنبر الى حزب شأن باقى المنابر . وبالطبع فسيكون للمنبر حق التحرك وسط الجماهير وحق الدعوة العلنية لارائه بوسائل الاعلام المختلفة وحق التحرك وسط الناخبين فى المؤسسات السياسية والشعبية بأنواعها المختلفة للدعاية لمرشحيه .

وان مرجعنا الاساسى هو قرارات المؤتمر القومى العام للاتحاد الاشتراكى ، ومن بين هذه القرارات ، التصديق على ورقة التطوير وقد نصت ورقة التطوير على حرية قيام المنابر فى اطار تحالف قوى الشعب ، واذا كنت وزملائى المؤسسين قد بادرنا الى استعمال حقنا المنصوص عنه فى ورقة التطوير ، فاننا نكون بذلك قد بادرنا الى تنفيذ قرار من قرارات المؤتمر القومى العام .وليس هناك تعارض بين هذه المبادرة ، وما قد يعلن من مبادرات اخرى لقيام منابر جديدة سواء بنفس طريقتين أو عن طريق الامانة العامة للاتحاد الاشتراكى . □

■ **الطليعـــة**

هل توافقون على قيام منــابر متعارضة مع فكرة التحـــالف وفلسفة التحالف والتي مازالت هي فلسفة مواثيق الثورة والبيانات التي صـــدرت مؤخرا بما فيها ورقة التطوير ؟ . هل توافقون على قيام منابر معارضة لفكرة تحالف قوى الشعب ؟

■ **ابـو وافيـــة**

انا لا اوافق على قيام منابر خارج نطاق فلسفة تحـالف قوى الشعب . المبدأ الذى بنيت عليه هذا الرأى هو ان فلسـفة تحـالف قوى الشـعب اعطت للقاعدة الجماهيرية العظمى لشعب مصر خصوصا العمال والفلاحين مكاسب محترمة ، وانا أريد أن أعطى مكاسب أخـــرى أو أنا كمصرى اقول انه من أهدافى أن أرفع المستوى ، وأحقق رفاهية ، لا ان اضيع مكاسب موجودة .. لا .. على هذا الاساس ففكرة التحالف موجودة ، ثم تنشأ هذه المنابر فى نطاق فكرة التحالف وليس هـــذا بأمر بعيد عن النظم الاشتراكية . وكما تعلمون ، فانه فى يوغسلافيا مثلا هناك رابطة قومية تضم مجموعة من الوحدات ، حقيقة أن الحزب الشيوعى اليوغسلافى هو الحزب المسيطر فى داخل هـــذه الرابطة لكن فيه رابطـــة وبداخلها احزاب .. واذا ما جاء يوم من الايام ورأى الشعب المصرى أن تتحول هذه المنابر الى احزاب « يبقى » رأى الشعب المصرى ، والصورة التى سيقررها الشعب سنحترمها وسنلتزم بها جميعا وكما نعلم فان الدستور نص على انه يستفتى الشعب فى بعض المسائل الهامة والتى يرى رئيس الدولة انه يرجع فيها للشعب بطريق الاســتفتاء . واعتقد أنه بعـــد ان نمارس عملية المنابر بفترة يصبح من الضرورى استفتاء الشعب فيما يتعلق بموضـــوع الاحزاب .

■ **الطليعــــــة**

لو سمحت ، نعود مرة اخرى — الى موضوع المنبر الـــذى تعمل على تأسيسه . من المعلوم ان كل منبر كعمل سياسي يســـتهدف التـــوجه الى فئات معينة أو طبقات اجتماعية معينة يمثـل برنامجه أســاسا فى نقـــاط للـدفاع عن مصـــالحها ، او يعتقد انه يدافع عن مصالحها ، ويســـتهدف تجميع هذه الطبقات والفئات حـــول البرنامج المطروح ... فأى الطبقـــات يمثل منبركم ، او اى الطبقـــات يتـــوجه منبركم لكى يمثلهم ؟ او اذا كانت هناك طبقات عدة فارجو ان ترتبها حسب اهميتها وبالنسبة للمنبر .

■ **ابـو وافيـــة**

قد يكون هذا واحد من الخلافات الايديولوجية بين المنبر **الديمقراطى الاشتراكى** وبين منبر اليسار او المنبر **الوطنى التقدمى** الذى اعلن عنـــه الزميل **خالد محيى الدين** ، نحن لا نفكر فى موضوع الطبقـــات لســـبب بسيط جدا ... انا محام ، حقيقة نشأت فى الريف وعايشت الفـــلاح عيشته الطبيعية بدون أى مبالغـــة اطلاقا ، الذين انتخبونى للمجلس ٩٦٪ منهم فلاحون وعمال ، هناك مثقفون ، ورأسمالية وطنية ، وجنود أيضا . اذن انا اشعر اننى مسئول عن كل فرد بالتحديد ينتمى الى فئة من فئات الشعب ... انا مسئول عنه . لاشك فى هذا لان هـــذا الفرد اعطانى صوته . اذن انا وزملائى المؤسسين لا نضع فى اعتبارنا موضوع الفئات ولكن ، نضع فى اعتبارنا موضوع قوى الشعب العاملة ، موضوع تحالف قوى الشعب العاملة .. وانا لى رأى نشر فى الاخبـــار « اخبار الامس » وهو انه فى تقديرى أن التحالف لم يتحقق فى الاتحاد الاشتراكى ، التحالف تحقق فى داخل مجلس الشعب لاعتبارات خاصـــة بالنظام اللائحى الذى يسير عليه المجلس . هنا اغلبية عمال وفلاحين ، فى المجلس ، ولائحته ، وقانونه ، والمجلس يمارس عمله من خلال اللجان النوعية واضرب لك مثـــلا **لجنة القوى العاملة** فيها عمـــال وفلاحـــون

ومثقفون وراسمالية وطنية وفيها كل النوعيات ؛ اللجنة التشريعية لم تقتصر على المثقفين ولكن فيها المثقفون وفيها الفلاحون وفيها العمال وكل قــوى الشعب نتيجة ذلك انه لم يصبح هناك الفارق الفئوى بين قوى التحـــالف وبهذا تحقق التحالف ، والدليل على ذلك ، اننى وانا امتلك اليوم ارضا زراعية ، أعتبر نفسى ــ فى نفس الوقت مثقفا .. وأنا أفضل مليون مرة ان ابقى مثقفا وان ارضى « تروح منى » ... تروح لانى ــ انا بسكرامتى كانسان وكمواطن ــ افضل هذا الوضع وهــو أكرم لى شخصيا . ومن هذا المنطلق ، عندما اتكلم فى المجلس ، فأحيــانا أدافع عن المثقفين ، واحيانا ادافع عن العمال ، واحيانا ادافع عن الفلاحين ، واحيــانا ادافع عن الراسمالية الوطنية وفقا للموضوع المطروح .

■ **الطليعــــــــة**

لفتت نظرى عبارة انك قلت ان أغلبية المجلس من العمال والفلاحين .. هل تتصور حقيقــة ان اغلبية مجلس الشــعب مكونة من العمــال والفلاحين بالمعنى الصحيح للتعريف ؟ ..

■ **أبــو وافيــــــة**

ارجو اعفائى من الاجابة على هذا السؤال ...

اذا عدت الى مجلس الشعب فان فيه لجان نوعيــة عددها محــدود . على سبيل المثال هناك اقتراح بان يكون فيه لجنــة للانتــاج الزراعي والصناعى وكذلك لجنة للخدمات ... لجنة لشئون المجتمع تختص بالثقافة والاعلام ... والقيم الدينية وكل مايمس المجتمع المصرى كمجتمع ...

اعتقد انه لو تحقق مثل هذا داخل الاتحاد الاشتراكى ، فى الامانات ، ثم ترك للاعضاء ان يندرجوا تحت اى لجنة لتحقيق النماذج فى الاتحــــاد الاشتراكى ولو ضفنا اليه المنابر التى نص عليها لقفزنا بالاتحــاد الاشتراكى قفزة طويلة جدا الى الامام ... وهذا حادث فى مجلس الشعب ، وهــو حقيقة مجلس الشعب ــ وأنا أشعر أن فيه منابر . وهذه حقيقة ، لان هناك اتجاهات موجودة داخل المجلس ، اتجاهات مختلفة متعــارضة ، هذه الاتجاهات المتعارضة تتكرر وتتواتر ، فى مواقف معينــة ، بما اصبح واضحا أنه يشكل مجموعات معينة ودائما عندما يعرض موضــوع يكون هناك تنبؤ بأن هذا الاتجاه ستتبناه هذه المجموعة او تلك .ــ واذا شئنا ان نسمى هذه منابر ، فانا أقول ان هذا حادث فى مجلس الشــعب ولو تحقق هذا فى الاتحاد الاشتراكى لنقلنا الاتحاد الاشتراكى نقلة كبيرة جدا الى الامام .

[**سؤال موجه من مجلة العاملين بشركة النصر للسيارات**] [1] .

هل يعنى هذا ان كافة التناقضات الثانوية التى يمكن ان تتواجد بين فئات قوى الشعب العاملة تزول بوجود نظام اللجان بدلا من الامانات ؟ هذا من ناحية .. ومن ناحية اخرى هل وجود الاتجاهات المتعارضــــة والتى تتوحد أحيانا تجاه مواقف معينة يعنى وجود منبر متحرك وليس ثابتا ؟

■ **أبــو وافيــــــة**

انا لا اوافقك على أن هناك تناقضات أساسية أو ثانوية ، لكن ربما هناك نوع من تمايز [نوعيات] المصالح واضرب لك مثالا ، اذا كنـــا نقول بالوحدة العربية ، فانا رأيى ، فى هذا ، انها يجب ان تكون آخر المطاف . لانه لابد وان يسبقها التكامل الاجتماعى والتكامل الثقــافى فى

[1] تصادف اثناء حوار الطليعة مع الاستاذ محمود أبو وافية وجود وفد من العاملين بشركة النصر للسيارات .

نواحي عديدة جدا ، بصرف النظر عن اختلاف النظم فى الدول العربية ، وقد ينتهي ذلك بالنسبة لبعض مجموعات من الدول العربية الى الوحـدة السياسية ، نفس هذا الشيء لو اخذناه على نطاق مصر ، لوجـدنا انه هناك سـياسة لتكامل المصـالح . بمعنى ، ان الفـلاح لا يسـتغنى عن العامل ، لان العامل هو الذى [illegible] له [illegible] الحقل ، والعامل لايستغنى عن الفلاح لان الفلاح هو الذى يقدمله القمح الذى يأكله والقطن الذى ينسجه ، والمثقف لا يستغنى عن الفلاح ولا العامل لانه هو يأكل من يد الفلاح ويلبس من يد العامل . والعامل والفلاح لايستغنيان عن المثقف لان الفلاح والعامل لو احتاجا الى المثقف فى قضية فى الدفاع عن حق فى اى شيء هنا يجد ان المثقف المؤمن بقضيتهم والمخلص لهما . فـيكون اذن هو لسان حالهم ويستطيع ان يعبر عنهم شأنه شأن المحامى الـذى يترافع فى قضية عن موكل .. انا اقول ان بين هذه القوى لا توجد تناقضـات لكن ينقصها أن تتكامل .. التكامل شئنا او لم نشأ موجود ولا يمكن انكاره اطلاقا ، وهو موجود نتيجة البيئة ، نتيجة الثقافة، لكن اخواننا الماركسيين يذهبون الى فكرة الصراع الطبقى . فكرة الصراع الطبقى موجودة فى الفلسفة الماركسية . ولو نظرنا فى اساس النظرية الماركسية ـ وهـذا الكلام أوجهه الى الاخوة مندوبى الطليعة ـ ان التطبيق فى النظـرية الماركسية يختلف فى المعسكر الاشتراكى ، فبينما تطبق الماركسية فى الاتحاد السوفيتى باسلوب معين ، تطبق فى الصين باسلوب آخر ، وكذلك فى يوعسلافيا والبانيا .

بين هذه الدول خلافات ـ كدول ـ وبينها ايضا خلافات كاحزاب . والمدهش أن الصين تقول ان الاتحاد السوفيتى دولة استعمارية . ولها وجهة نظر تبررها ، وانها خرجت على تعاليم **لينين** وتعاليم **ماركس** ، نحن كدول مهبط الوحي ، لنا الاسلام ، ولنا المسيحية ، ولنا اليهودية ، وكلها لهـا كتب سماوية اعترف بها القرآن وايدها القـرآن ليس عنـدنا فراغ عقائدى ليملا بعقيدة اخرى « احنا مليانين » ولو كان عندنا فراغ عقائدى لكان ممكن ان توجد هنا مزرعة خصبة لنمو الافكار الماركسية . لكن ليس عندنا هذا الفراغ . وفى نفس الوقت نحن نطبق الشعار الذى قاله رئيس الدولة **الرئيس أنور السـادات** دولة العلم والايمان . اذن ، هو اخذ بالقيم الروحية فيما يتعلق بالايمان . وفى نفس الوقت أخذ بالتكنولوجيا الحديثة وكل ما يسفر عنه العلم .. احب ان اقول لك ـ اثناء علاجى فى فرنسا ـ وجدت الطبيب الذى يعالجنى يحفظ القـرآن . دهشت ، لانه يحفظ القرآن ، وأنه بيفسر آيات كثيرة من القرآن وخاصة تلك التى تتنـاول المسائل العلمية ـ وقد خلص الى نتيجة ان القرآن يتطابق مع أحدث ماوصل اليه العلم من نظريات ، وانا دعوت هـذا الطبيب هنـا فى القاهرة ، والقى محاضرة فى مجموعة من العلماء .. وقد حضر مرتين أو ثلاثة ، ووجـد مومياء فرعون موسى وحلل جزءا كبيرا جدا فى فرنسا واثبت أن الجثة هـذه ماتت غرقا وهو يعرف عن التاريخ الكثير .. وأنا رأيت فى بيته صور عليهـا كلمة اسرائيل منقولة من أحجار فرعونية فى مصر ..

وبعد ذلك أنا قلت له : يادكتور [بوكييه] لماذا تجرى هذه الابحاث كلهـا ؟ ولماذا مثلا تفسر الاية الكريمة [اقرأ باسم ربك الذى خلق .. خلق الانسـان من علق] وتتكلم عن كلمة علق من الناحية اللغوية والناحية الطبية . وقال : ان بعض العلماء من المفسرين قالوا أن العلق هو الدم المتجمد بينما كلمة علق أخذت من الفعل علق يعلق يعني الشيء الذى يعلق بشيء . والعلم يقول ان الجنين يتكون نتيجة التصاق الحيوان المنوى بجدار الرحم ، فينعلق بجـدار الرحم فهنا علق يعنى شيء معلق ، وتكلم على ما ذكره القرآن الكريم فى تكوين اللبن من بين فرث ودم وقال : انه تشريحيا وعلميا أثبت أخيرا وجود غدة فى الجسم لها علاقة بذلك ، فالدورة الدموية تحمل معها الغذاء . وعندما تصل

عند هذه الغدة تستخلص اللبن من بين الفرس الذى هو المواد الغذائية الذائبة فى الدم . وهذا هو اللبن وهو مستمر فى هذا الخط .. وسألته لماذا يفعل كل هذا ؟ ! قال لى لان أوربا للاسف الشديد مجتمع ينحل وينهار ، وداخل على مرحلة من الفوضى الاجتماعية .. قال أنا فى تقديرى ليس له الا حلا من اثنين : فاما ان يكون مجتمع شيوعيا أو اسلاميا ، وعلى هذا الاساس فأنا اكتب كتابا سيصدر فى مارس القادم ، واعتقد اسمه العلم والقرآن والتوراة والانجيل لانه مقارنة بين الكتب الثلاثة ، ولكنه أعطى القرآن الكريم أكثر من النصف .. والكتاب يدور تقريبا حول هذا المعنى ، وأنا لا أعرف اسمه بالضبط أو الترتيب .. وسيكون فى السوق ، فى مارس القادم ، وسيترجم الى عدة لغات ، وقال لى الدكتور .. ان الطلبة عندنا فى فرنسا ، وغير فرنسا لا يعرفون شيئا عن الاسلام ، على الاطلاق . ليس الطلبة فقط لكن أيضا العلماء الذين يعملون معى فى الطب ، وعندما أقدم لهم حقيقة من هذه الحقائق يدهشون جدا ويسألون فيه هذا الكلام ؟ فأقول لهم نعم ! فيه هذا الكلام . وقدوجدت ان الرجل كتب القرآن الكريم، كل آيةعلى صفحة فى اعلى باللغة العربية ، ثم كلمة كلمة بالحروف اللاتينية ، ثم معناها بالفرنسية . وبعد ذلك تفسيرها وبعد ذلك يكتب الاية متكاملة بحروف لاتينية ثم تفسيرها بالفرنسية ولكل آية « كارت » خاص ، وعنده حجرة كلها رفوف فيها أوراق جمعها فى كتاب . وقال لى : أنا أطمع أنه لكى ينشأ صغار الطلبة على أن هناك شىء اسمه الدين الاسلامى ، وفيه اشياء لمصلحة المجتمع الاوربى ولحمايته من الانحدار نحو الانحلال والانهيار ولحمايته أيضا من تغلغل الشيوعية .

■ **الطليعــــة**

ان مصر مهد الرسالات السماوية وهذا امر لا يختلف عليه احد ، لكن انت تستنتج من ذلك ضرورة رفض الصراع الاجتماعى والتناقضات الاجتماعية فى مصر . وهـذا ما نختلف عليه .. هل كانت مصر دوما خالية من الصراع الاجتماعى بسبب كونها كانت مهدا للرسالات السماوية ؟ واذا كانت كذلك فبماذا نفسر ثورة يوليو ؟ بماذا نفسر الإصلاح الزراعى والتأميمات ؟ وبماذا نفسر كل القلق الاجتماعى المتواجد حاليا لدى الفئات الاجتماعية التى لم تزل تسعى كى تحصل على ما يحقق مصالحها الاجتماعية والسياسية ؟!

■ **أبــو وافيــــة**

كان فى مصر ظلم وهناك فرق بين الظلم والصراع . كان هناك ظلم فردى وظلم طبقى ولكن لماذا لم يكن فيه صراع؟ لان الصراع لابد له من مقومات لكى يحدث هذا الصراع لابد من وجود مقومات ، ولكن مقومات الصراع لم تكن موجودة . لما حدثت ثورة يوليو كانت وكيلة عن الذين يريدون أن يقاوموا الظلم ، فكافحت الظلم بالنيابة عنهم وقهرته بقوانين الاصلاح الزراعى وبالقضاء على الاقطاع وبالاشتراكية وبكل الانجازات الايجابية لثورة يوليو ... اذن كانت هناك وسيلة لتحقيق العدل الاجتماعى . فللاسف الشديد أن هذه الوسيلة استغلت من مراكز القوى بعد ذلك ، وأصبحت سلطات لمجموعات شللية ، خرجت على الاسلوب القانونى واراد بعضها ان يعود ثانية الى فكرة الصراع الطبقى .. نحن نرفض الصراع الطبقى . لانه بمنتهى الصراحة — من وجهة نظرى أنا شخصيا — لا يعود على البلد بشىء ، نحن نختلف عن الدول الاخرى وقد يعود بخراب .. نحن نقول أن البناء خير من الهدم . نقول انه لما توضع خطة تنمية لبناء مصانع ونعطى فرصا للعمال ليعملوا ونرفع مستواهم . وليس عندنا الطبقة التى تقاوم هذا لقد قضى عليها . الصراع الطبقى مفروض أن فيه طرفين : طرف منه قضت عليه الثورة بقضائها على الاقطاع والاحزاب ، والثورة أعلنت التزامها أساسا بحقوق العمال والفلاحين . ووضعت خطط تنمية ، وبدأت بمعاونة الدول الصديقة وعلى رأسها الاتحاد السوفيتى فى انشاء

مصانع وتحويل البلد من زراعى الى صناعى وبدأنا فى كل هذا . انما عندنا مصيبة وهى أن اسرائيل موجودة واستنفذت كثيرا جدا من الجهد الذى لو كنا قد ركزناه فى الداخل لكان حال بلدنا غير ما هو عليه الان . لكن بسبب ارتباطنا القومى بمستقبل الامة العربية ، وبمعاداتنا للصهيونية — وليس لليهود — اضطررنا — على حساب التنمية — أن نتجه الى الناحية العسكرية ولكن عملية البناء ما زالت مستمرة . وأصبح هناك حماية اكيدة للمكاسب التى حصل عليها العمال والفلاحون والعمال والفلاحون أنفسهم لان وعيهم أصبح بالقدر الكافى ليحموا ما حصلوا عليه من حقوق وليطالبوا بالمزيد منها . وهذا ما لمسته بنفسى شخصيا — اذن لا خوف اطلاقا من أن تحصل رده عن الاشتراكية أو ردة عن المكاسب .. من الذى يتمكن من عمل ذلك ؟ لا يوجد أحد فى مصر يستطيع أن يعمل هذا وحتى لو أراد لايقدر اطلاقا . لان العمال والفلاحون هم القوة الضاربة . والدولة ورئيس الدولة يدافع عن هذا الخط ويعملون لتنمية البلد . كما قلت قد يختلف مع غيره تكتيكيا لكن الاستراتيجية لمصر واحدة ، وهناك استراتيجيتان ، استراتيجية للامة العربية ، واستراتيجية لمصر ونحن لم نعد جامدين ، والاتحاد السوفيتى نفسه غير تكتيكه .. فكما أعلن فان أول خطة خمسية نفذت فى روسيا فى ١٩٢٩ ، وكانت روسيا فى هذا الوقت دولة زراعية واستوردت آلات الزراعة من دول أوربا نفذت بها الخطة الخمسية الاولى . وبعد ذلك جاء حكم ستالين ورغم انتصار **ستالين** فى الحرب الا انه من داخل الحزب الشيوعى وجه اليه نقد بعد هذا . وسار خروشوف وفق أسلوب ، عاد الحزب الشيوعى السوفيتى وعارضه وغيره ، وأبعد خروشوف .. اذن لكل دولة ظرفها .. **وماوتسى تونج** لما بدأ حربه الاهلية سنة ٢٢ فى الصين انتهى سنة ٤٨ .. وعن الصين اليوم أنا اعتبر أن المستقبل لهذا الشعب الضخم وسيكون أخطر شعب فى العالم . وسيكون أقوى دولة فى العالم . لكن لهم ظروفهم ، ٨٠٠ مليون وسيصبحون ١٠٠٠ مليون قريبا .. فرسم لهم النظام الموائم لهم . وعلى سبيل المثال :

هناك صديق ذهب الى الصين ، يقول ان ما لفت نظره وأعجبه أن أكثر المرتبات تتراوح بين ١٣ دولار حد أدنى و٤٠ دولار حد أقصى ، ويقول انه فى مقابل هذا أن السكن المناسب لاسرة مستقلة بحوالى دولار فى الشهر .. والسكن الجماعى بحوالى نصف دولار فى الشهر أرقام رمزية جدا .. الصين سائرة على هذا النظام .. يوغسلافيا فيها أشياء أمريكية كثيرة جدا ، فيها بضائع ومحلات .. للسياح .. الخ .. أنا لم أذهب الى روسيا حتى أقول لك ماذا رأيت هناك .. وأنا طوال عمرى ما عاديت أحدا ولست من أنصار العنف . وأنا أعتبر ان الصراع الطبقى عنفا ومن أجل هذا أقول كلنا عندنا رغبة وطنية انسانية لرفع مستوى شعبنا متفقون عليها . وقد نختلف تكتيكيا فى الاسلوب بينما أنتم تؤمنون بالصراع الطبقى . وأنا لا أؤمن بالصراع الطبقى لكن فى النهاية أنتم تجربون ونحن نجرب والذى يصل ، مثل فريق الكرة .. ما لم يلعب متكاملا فهو ليس بفريق صالح ..

■ الطليعـــــــة

الحقيقة أن فكرة وجود الطبقات والصراع الطبقى لم تكن على الاطلاق ابتكارا ماركسيا . وفكرة الطبقات وردت لدى كل الفلاسفة والاقتصاديين على مر التاريخ ومن بين هؤلاء مفكر اسلامى كبير وهو ابن خلدون على سبيل المثال . وقبله كان غيره من المفكرين المسلمين ، وفكرة أن حل الصراع بين الطبقات يكون بطريقة عنيفة هذه الفكرة أيضا ليست فكرة ماركسية ، فانه الطبقات الرجعية الاخرى . وهذا ما حدث فى الثورة الفرنسية : وما حدث فى ثورات أخرى بعد الثورة الفرنسية . ونحن ، هنا فى مصر ، نؤمن أن الصراع بين الطبقات من الممكن حله سلميا . ومن الممكن حله ، فى ظروف

معينة بطريقة الممارسة البرلمانية للديمقراطية . ومن الممكن حله على أساس فلسفة تحالف قوى الشعب العاملة ، ولكن القضية هنا ، هى اننا لا يمكن أن ننكر واقعا قائما موجودا . وبطبيعة الحال فان قيام المنابر ان لم يكن تعبيرا مباشرا عن الصراع الطبقى ، انما لا شك أنه تعبير عن الخلاف فى الرأى . وكما قلنا ، وكما قلت سيادتك ، فى اطار تحالف قـوى الشعب العـامل . فاننا حتى لا ندخل فى موضوعات تخرج عن اطار الحديث الفعلى الذى نديره ونرجو أن يكون لذلك حوار آخر ، نحسب أن نسأل : كيف يمكن اذا سـلمنا بقيام المنابر [والمنابر قائمة لان هناك خلاف فى الرأى فى اطار سياسـة تحالف قوى الشعب العمل [نقول : كيف يمكن أن تتحقق الوحدة الداخلية بين المنابر مع محافظة كل منبر على تميزة واستقلاليته عن المنبر الاخر ؟

■ **أبـو وافيـــــــة**

تأذن لى قبل أن أجاوبك على هذا السؤال أن أسأل سؤال وتعدنى أن تجيب عليه .. لماذا يخشىء الشيوعيون المصريون ان يقولوا على انفسهم شيوعيين مصريين ويقولوا على أنفسهم ماركسيين ؟!

■ **الطليعـــــــة**

لم يخشى الشيوعيون المصريون يوما من الايام أن يقولوا على انفسهم انهم شيوعيون عندما كانت هناك تنظيمات قائمة وتسمى نفسها بهذا الاسم فما دام هذا الشخص منظما فى حزب شيوعى فهو يقول على نفسه انه عضـــو فى حزب شيوعى . والشيوعية ليست هدفا قريبا ولم تتحقق بعد ، ولم يكتب لها التحقيق بعد حتى فى الاتحاد السوفيتى . فالاتحاد السوفيتى ما زال فى مرحلة انتقال وهذه المرحلة تتحدد بتحقيق حدامعينا من الوفرة فى المجتمع . ومنذان حلت التنظيمات الشيوعية فى سنة ١٩٦٥ والشيوعيون أعضاء التنظيمات التى كانت قائمة يطلقون على انفسهم أنهم ماركسيون ، لانهم لم يتخلوا ـــ عندما حلوا تنظيماتهم ـــ عن الماركسية .

■ **أبـو وافيـــــــة**

أفهم من هذا أن سيادتك تقول انه حتى فى روسيا لم يصلوا الى مرحلة الشيوعية . وهذا أنا أعرفه . لكن يمكن هناك الدافع عندهم غير الدافـــع عندنا .. هم ينظرون عندما يسمون أنفسهم شيوعيين أن هذا هدف وأمل يفخرون انهـم حققوه بينما ـ فـى تقـديرى أنا شـخصيا ـ انه فى مصر، الماركسيون فى مصر يواجهون الدين الاسلامى لقوته وجلالته وعظمته . ومن هنا ينكرون على أنفسهم انهم شيوعيون . ؟

واحب ان اضع لك سؤال: هل استطيع ان افهم انه حينما يأتى الوقت الذى تتحقق فيه الشيوعية فى روسيا، وتعلن روسيا انها اصبحت شيوعية، وحينما يأتى الوقت بالنسبة للماركسيين فى مصر أنهم حققوا أهدافهم .. هل سيعلن الماركسيون فى مصر انهم شيوعيون ؟

■ **الطليعـــــــة**

نحن نرى أن الاتحاد السوفيتى ، منذ نشأته الاولى : هو البلد الذى نشـأ كنظام اشتراكى فى مواجهة النظام الرأسمالى والنظام الاستعمارى . هذه قضية .. القضية الثانية .. نحن ـــ كماركسيين مصريين وعرب نعيش على ارض مصر وعلى ارض عربية ونحن نعتز بالتراث الثورى والنضالى للشعب العربى على مدى التاريخ الطويل نحن نعتز بهذا التراث ونعتز بـكل التراث الاسلامى ....

■ **أبـو وافيـــــــة**

بالنسبة لمـا ذكره الاخ **عبد المنعم الغزالى** فانى بأرجوه باعتباره ماركسى وأرجو أسرة **الطليعة** ، باعتبارها ماركسية ، وفى نطاق ما ذكره من أن انجلز

قال : اننا لم ندرس الاسلام حتى الان ان ثقتى فى الماركسيين المصريين أن يعملوا أو يضعوا ، فى خططهم وبرامجهم ؟ ان همه يقدموا الدين الاسلامى الى الاتحاد السوفيتى ، ويعملوا على نشر الاسلام فى روسيا اذا أمكن ذلك تقربا لله وايمانا بالدين والوطن . هذا أولا وانا اعرف ظروف المسلمين السوفيت لكن أريد — بالمعنى الايديولوجى وليس بالمعنى الشكلى — ما قلته فى مقال نشرته بالامس . انا قلت ان اليسار المصرى متهم بانه شيوعى .... اعطاء اليسار المصرى فرصته فى اقامه منبره عشان يثبت للشعب الذى ينتمى اليه الذى هوه جزء منه انه وطنى ، وانه لا يتلقى تعليمات من الخارج وانه بعيد عن الحزب الشيوعى . لانى انا شفت عندى وثيقة وقلت عنها — مكتوب فيها — « الحزب الشيوعى المصرى » منشورة فى دمشق . فانا فعلا ارحب باليسار المصرى ، يعنى أنا مش مضاد ، ولكنى لا أوافق على الشيوعية .

■ **الطليعـــة**

. استاذ أبو وافية نعود الى موضوعنا .. ليس هناك هواة للصراع الطبقى . لكن القضية هى قضية السعى لتحقيق العدل الاجتماعى هل تتفق معنا على أن العدل الاجتماعى هو السبيل الوحيد المتاح لحل مشاكل الصراع الطبقى ؟ وما هى اهداف منبركم لتحقيق العدل الاجتماعى وتعزيز مواقعه فى أرض الوطن ؟

■ **ابو وافيـــة**

تصورى أن الطريقة الوحيدة لوجود العدل الاجتماعى هى العمل على ما يمكن ان نصنع به العدل الاجتماعى .. المادة الخام التى يجب ان يصنع منها العدل الاجتماعى لابد أن توجد ... ما هى هذه المادة الخام؟ .. الاقتصاد .. التنمية .. عدم الحاجة عدم الفقر . اذا ما عملنا فى هذا المجال ، مجال الانتاج لاصبح العدل الاجتماعى مسألة تنظيم لا أكثر ولا اقل . لكن اذا لم تكن المادة الخام موجودة ، ووضعت العدل الاجتماعى على الورق يبقى اعمل بيه ايه ؟! العدل الاجتماعى على الورق لن يعطينى رغيف الخبز ولا الثوب الذى البسه .

■ **الطليعـــة**

نتفق معكم على أن الانتاج هو نقطة البدء لكن الخلاف دائما بين المفكرين الاجتماعيين ليس على اهمية الانتاج اى أن الجميع يتفقون على اهمية الانتاج اى أن الجميع يتفقون على أهمية الانتاج وعلى ضرورة زيادته .. انما القضية هى قضية توزيع الانتاج .. يوجد فى مصر اثرياء شديدى الثراء ويوجد فى مصر فقراء شديدى الفقر وآسف اذا قلت انه نتيجة لظروف التضخم وتزايد نشاط الرأسمالية الطفيلية يزداد الفقراء فقرا . . . .

فما هى الطريقة التى يواجه بها منبركم هذه الحقائق الموضوعية فى الحياة وكيف يسعى الى تحقيق العدل الاجتماعى بين هؤلاء الاثرياء شديدى الثراء والفقراء الشديدى الفقر ؟

■ **ابو وافيـــة**

انا ساجيب على هذا السؤال لكن أنا سأسأل سؤال تجاوبنى عليه الان هل الماركسيون موافقون على قانون الاصلاح الزراعى كله ؟ يعنى هل هم موافقون على ان الارض التى اخذت من الاقطاعيين تملك لصغار الفلاحين ام وفقا للايديولوجية الشيوعية تبقى ملكا للدولة ؟ أحب أن اعرف اجابة قاطعة منك على هذا السؤال وبعدين انا ساجيب على سؤالك .

.. انا اتفق معك ١٠٠٪ على ان هناك طبقة راسمالية جديدة ظهرت فى مصر . وكان هناك ناس لا يملكون شيئا ويملكون الكثير . وان الفقراء ازدادوا فقرا .. انا معك ١٠٠٪ وخطنا فى هذا ان نبحث عن السبب الذى ادى الى هذا ... السبب ان هناك انحرافات موجودة . هـذه الانحرافات لابد من كشفها والقضاء عليها من ناحية وهذا لا اسميه صراعا طبقيا ابدا اسميه انحرافات موجودة سانقضى عليها .. الكلام الموجود فى الميثاق كلام ظريف وجميل .. الكلام الموجود فى بيان ٣٠ مارس من احسن ما يمكن . الكلام الموجود فى ورقة اكتوبر كلام من اجمل ما يمكن ، هل طبق ؟! لو طبق لما نتجت هذه الانحرافات ، لو ان القطاع العام لم يحدث فيه ضعف فى الانتاج .. القطاع العام انا اؤيده ١٠٠٪ ، واطالب بتنقيته من الشوائب ومن الانحرافات ومن الاخطـاء وادفعـه واعطى له عصب الاقتصاد المصرى كله ليمسك به فى يده ، ولكن بالصورة التى عليهـا القطاع العام الان .. لا .. للاسف الشديد القطاع العام لا يبيع فراخ ثم اجد ، امام الجمعية ، مجموعة من الستات لابسات « اللبس الرسمى » لاخذ الفراخ وهو الملاية السوداء ، الفراخ المفروض انها مخصصة لتباع للفقراء وغير القادرين ومحدودى الدخـل ليبيعـوها بثمن لا يستطيع ان يدفعه الفقير فيكسب منه ناس معينون — للاسف الشديد — وتتغذى به طبقة معينة او ناس اثرياء جدد صحيح ليس عنـدهم ارض انمـا يصح عندهم عمارات » ..

وفى تصورى ان الازمات وهذه ازمات مصطنعـة وانا طالبت فى مجلس الشعب بأن الجمعيات الاستهلاكية يجب أن لا تبيـع الا لمحدودى الدخل . وقلت محدودى الدخل فقط .

وفى امكاننا ان نقول أن الشخص الذى يدخل بيتـه من عمله ، أو عنده قطعة ارض ، أو حصة فى بيت لا يتجاوز ١٠٠ جنيه شهريا يعد محدود الدخل . هذا ، يتعامل مع الجمعية الاستهلاكية ، لكن الذى يزيد دخله عن هذا ، يذهب الى البقالين ليشترى منهم .. « الفرخة » بدلا من ان يأخذها بـ ٥٠ قرشا من الجمعية فليترك غير القادر يأخذها ويذهب ليأخذ « فرخة » بـ ١٥٠ قرشا أو يعمل له مزرعة دواجن « زى اللى » عاملين مزارع دواجن مثلا ....

■ **الطليعـــة**

نحن متفقون على القطاع العام كفكرة وكفلسفة ، متفقون معا سويا فى هذا ، ومتفقون ايضا على معارضة بعض الاساليب التى يدار بهـا القطاع العام ، ومعارضة اسلوب الفساد وأساليب الرشوة . ولكن فى نفس الوقت نحن مع القطاع العام ومع القطاع العام كمنجز من منجزات ثورة ٢٣ يوليو .

وفى الحقيقة ، فان هذا يؤدى بنا الى سؤال هل ترون — سيادتكم — أن ثورة ٢٣ يوليو قد انجزت مهمتها ، سواء فى مجـال تحقيق العـدل الاجتماعى ، او فى مجال محاربة الفساد أو محاربة الطبقات الرأسمالية الطفيلية .. الخ .. ؟

■ **ابـو وافيـــة**

قبل أن اتكلم عن ثورة ٢٣ يوليو لابد وان انقـد ثورة ١٥ مايو ، وان اوجه نقدا الى نظام الحكم الان حتى يسمح لى ضميرى — بعد هذا — ان أوجه نقدا لمن رحلوا . حتى الان ، هناك محاولات للقضاء على الفساد لم تتحقق . هناك محاولات لمحاربة الرشوة لم تتحقـق . ونحن — كنواب فى المجلس — نؤدى واجبنا على قدر ما نسـتطيع ، لكن

عندنا أمل في حكومة السيد ممدوح سالم انها سوف تفعل شيئا ، خصوصا في جو ديمقراطى صحى يقدم فيه للحكومة مالها وما عليها بجراة وشجاعة ، اذا مافعلنا هذا نفكر في تحليل ثورة ٢٣ يوليو . لان هذا سيكون مسألة تاريخية لكن اليوم ، نحن نقول ثورة ٢٣ يوليو موجودة وقائمة . وثورة ١٥ مايو هي استمرار لثورة يوليو ، حتى تبدأ ، نبدأ من الان فاذا ما انتهينا من الان نرجع لنرى النكسة . وما الذى أدى الى النكسة ونبحث كذلك موقف الاتحاد السوفيتى وماذا عمل معنا . هو كدولة صديقة لنا ــ لنا عتاب عليها . ونريد ان نعيد العلاقات الطيبة معهم ونقيم توازنا في العلاقات بين الدول الكبرى والكتل العالمية ولا نرفض أى خير يأتى لمصر من أى جهة كانت . [على فكرة كنت قد وجهت سؤالا الى الاخ رفعت السعيد عن موقف الماركسيين من الاصلاح الزراعى] .

■ **الطليعة**

اجاوبك على السؤال .. بالنسبة للاصلاح الزراعى الشيوعيون المصريون واليسار المصرى عموما أيدوا الاصلاح الزراعى .. بالنسبة للايديولوجية الشيوعية في مسألة الاصلاح الزراعى لايوجد ايديولوجية في مسألة التطبيق .. الايديولوجية الشيوعية في مسألة الارض هى ان الارض لمن يفلحها . وهذا الشعار نادى به **أبو ذر الغفارى** ونادى به **رفاعه الطهطاوى** فقال : ــ الارض للزارعيين ــ وذلك في كتابه **مناهج الالباب المصرية في مناهج الاداب العصرية** .. هذه هى النقطة الاولى .. النقطة الثانية شكل استغلال الارض ، المصادرة من الاقطاعيين وتتوزع على صغار الفلاحين قطعا صغيرة أو تتكون جمعيات تعاونية او مزارع تعاونية أو مزارع جماعية .. كل هذا « شكل » يعنى تطبيق ، هو يطبق أو لا يطبق . ولكن هذا لا يعنى انه خروج على النظرية ، بدليل ان هناك ملكية خاصة في يوغسلافيا ، وهناك ملكية خاصة في بولندا وملكية خاصة في تشيكوسلوفاكيا للاراضى الزراعية . وهناك مساحة صغيرة من الارض ملكية خاصة في الاتحاد السوفيتى مع وجود اشكال اخرى من الملكية مثل الملكية الجماعية وملكية الدولة .. ولكن وهل الشيوعيون راضون تماما أو هم يعتبرون ان قانون الاصلاح الزراعى حل المشكلة الزراعية في مصر ؟ لا .. هم لا زالوا يرون أنه لا يجوز للانسان ان يمتلك من الارض الا ما يطيق أن يزرعه بنفسه لانه اذا ملك مساحة من الارض تحتاج الى استئجار عمال زراعيين لديه سيكون اذن هو مستغل .. والشيوعيون ضد الاستغلال .

■ **ابو وافية**

تعقيب .... يعنى ، معنى هذا انك انت بترفض الملكية الخاصة أو بترفض الرأسمالية الوطنية بينما الرأسمالية الوطنية بحكم الميثاق وتحالف قوى الشعب موجودة وحدود الملكية الزراعية ٥٠ فدانا وفقا لاخر قانون صدر .. فهل انت بتعتبر ان ٥٠ فدانا هذه اقطاع او نوع من الاقطاع ــ الــ ٥٠ فدان اليوم ايجارهم ٣٠ جنيه مثلا .. ٣٠×٥٠ بــ ١٥٠٠ جنيه يعنى في الشهر بــ ١٠٠ ج « وشويه » .. هناك ناس آخرون ليس عندهم ٥٠ فدانا ولا حاجة بيكسبوا قدر ذلك عشرين مرة .

■ **الطليعة**

الحقيقة ان شكل الاستغلال يتفق مع ظروف كل بلد . وبالنسبة لمصر نحن مع قانون الاصلاح الزراعى الاول وقانون الاصلاح الزراعى الثانى والثالث .. لكن نحن لسنا مع بعض القضايا التطبيقية التى تسىء الى

حياة الفلاح والى حياة المالك الصغير .. اسلوب الجمعيات التعاونية.. الخ القضية اننا مع الاصلاح الزراعي ، ولاشك ان مصر فى حاجــة الى اصــلاح زراعى عميــق . ولا يعنى هذا ـ بالضرورة وفى ظروف معينـة ـــمصادرة اخرى ولكن ربما يعنى استحداث تغييرات فى شــكل وفى اسلوب استغلال الارض وفى اسلوب العمل الزراعى بما يفيد الفـــلاح المطحون فعلا .

■ **أبـو وافيـــــة**

أقول مسألة صغيرة .. انا يهمنى شيء واحد فقط ، الانتاج الكبير، بالنسبة للارض ، بالنسبة للدولة ، الانتاج الضخم العظيم الجيد والاجر المناسب للعامل المشتغل فى الزراعة ، هذا يهمنى جدا أما البـاقى فكله شكليات اليوم لما العامل الزراعى يأخذ أجرا يعيش به عيشــة الادميين اكون أنا قد عملت له شيء .. لما الارض تؤتى انتاجا طيبـا اكون قد عملت لبلدى شيئا . لكن ما هو موجود ان الارض لا تنتج والفلاح لا يأخذ شيئا يتناسب مع عمله .

■ **الطليعـــــة**

.. ما هو موقف منبركم من القطاع الخـاص وهـل تطـالبون له بامتيازات جديدة ، وهل تعتقدون ان القطاع الخاص قد ظلم فى الماضى القريب ؟

■ **أبـو وافيـــــة**

ماذا تعنى بالقطاع الخاص ؟

■ **الطليعـــــة**

القطاع الخاص هو النشاط الخاص فى ميادين الانتـاج الصنـاعى والتجارى والزراعى .

■ **أبـو وافيـــــة**

القطاع الخاص بهذا المفهوم محتاج الى اعادة تنظيم .. ليس بالقهر وليس بالمصادرة وليس بالاجراءات البوليســية ولكن اعادة التنظيم بحيث يوضع له خطته لا يقوم بها القطاع العام لكن يقوم بها القطاع الخاص، وهو عنده الخبرة ، ويمكننا ان نجعله ينفذ الخطــة والتى تعتبر خطــة موازنة الخطة الاصلية للدولة ، خطة خمسية ، ويطالب القطاع الخاص بتنفيذها فى مجال التنمية .

اذا ما نظمت هذه العملية وقام بها القطاع الخاص باسلوبه اهــلا وسهلا لانه فى النهاية سأضيف للتنمية التى سيعطيها لى القطاع العــام تنمية جديدة اعطاها لى القطاع الخاص اذن هو محتاج الى تنظيم .

■ **الطليعـــــة**

ما هو رأيكم فى سياسة الانفتاح ؟؟

■ **أبـو وافيـــــة**

اعتقد ، انه قبل ما اتكلم عن الانفتاح الاقتصادى لابد وأن نتكلم عن الانفتاح السياسى . وعندما نتكلم عن الانفتاح السياسى نعود مرة اخرى لروسيا والستار الحديدى ، روسيا عملت الستار الحديدى فى فترةما ، وبعد ان دخلت الحرب العالميةالثانية تحالفتضد النازية مع الرأسمالية. وبعد هذا الحزب الشيوعى السوفيتى رأى انه يطــور سياسته ويلجــأ الى الانفتاح السياسى . بدليل انه استضاف **ريتشارد نيكسون** ، وحصل نوع من الوفاق الدولى بين الولايات المتحدة الامريكيـــة وبين روسـيا ، وحصل نتيجة هذا الانفتاح السياسى الذى حدث فى الاتحـــاد السوفيتى

انفتاح اقتصادى ايضا فى الاتحاد السوفيتى بدليل انه تعامل مع الولايات المتحدة الامريكية اقتصاديا ، وبدليل انه هناك بنوك فى موسكو بتعمل بنظام رأسمالى كأى بنك آخر ، وبدليل أن هناك اتفاقية اقتصادية بين روسيا وبين أمريكا — اذن يجب الا نأخذ الشعار ونفرغه من مضمونه.
الانفتاح الاقتصادى اذا كان يعنى خيرا لمصر مثل الانفتاح السياسى الذى جلب خيرا لمصر ، فى تقديرى اذا كان سيحقق ذلك فأهلا به . اما اذا لم يكن سيحقق خيرا فلا ، أقف ضده ولا أؤيده .

■ **الطليعة**

هل لك ضوابط معينة للانفتاح الاقتصادى ؟؟

■ **أبو وافية**

أنا دراستى حقوق لكن انا « لمض » يعنى مثلا الناقد الفنى الناقد السينمائى ليس ضروريا ان يكون ممثلا ليس ضروريا أن يكون مخرجا .. لكى ينقد — ليستطيع ان ينقد .
أنا هنا اسيب العيش لخبازينه واترك أصحاب الانفتاح الاقتصادى يعملون سياسة الانفتاح لكن أستطيع ان انقد مع اننى لا اعمل فى هذا المجال .

■ **الطليعة**

هل لمنبركم ضوابط معينة لموضوع الانفتاح الاقتصادى ؟ طبعا المنبر ليس كله خريجى حقوق — انه منبر سياسى يضم ممثلين من نوعيات مختلفة .

■ **ابو وافية**

ان برنامج المنبر وضعته مجموعة مؤسسين ، ونشر موجزا له فى الجرائد ،وجارى طبعه ، وعند توزيعه سنعطيه لكل من يطلبه وفى خطوط عريضة بالنسبة للتخطيط وارد فيه بند عن الاستثمار المشترك . وهو ما نقول انه الانفتاح الاقتصادى ، ووارد فيه ايضا دراسة عن التطوير الادارى وتخليص الاجهزة من البيروقراطية بمقترحات محددة وعندما ينشر البرنامج أو يوزع وينتهى من اعداده ستجد الاجابة كاملة على هذا السؤال .

■ **الطليعة**

قضية الضوابط بالنسبة لاستقلال اقتصادنا أى ان ما هى الضوابط التى يراها المنبر الاشتراكى بحيث أن سياسة الانفتاح لاتضر بالاستقلال الوطنى ؟

■ **ابو وافية**

باختصار ثمة اناس رأيهم ان الانفتاح الاقتصادى يعنى فتح ابواب مصر امام رؤوس الاموال الاجنبية كوكالة بدون بواب ، على اساس ان هذا هو السبيل لتحقيق الرخاء ، متصورين ان الرأسمالية الاجنبية التى تعانى من أزمة خانقة ستستطيع ان تحل ازمة مصر وثمة أناس يرون ما رآه الرئيس السادات فى تصريحاته الاخيرة امام المستثمرين الامريكيين ، فيضعوا ضوابط معينة لهذا الاستثمار اساسها الخطة القومية للانتاج وضرورة توافق عملية الاستثمار لرءوس الاموال مع الخطة وانضباطها فى اطارها ، وان النظام المصرى على أنه حال يفضل اسلوب المشاركة اى مشاركة الدولة لرءوس الاموال القادمة من الخارج .

من حيث المبدأ رقم واحد وحتى رقم مليون المحافظة على استقلال مصر اقتصاديا وسياسيا هدف ومبدأ دونه الموت لكن . لا يجعلنا هذا

نخاف ، ونقعد « منشيين » طالما اننا نقول أن مبـدا اسـتقلال مصر اقتصاديا وسياسيا موجود نقـدر نتصرف ونكون مرنين ، ونتعـامل مع الناس ، نتعامل مع الشيوعيين مع روسيا ومع الصين ومع امريكا ومع انجلترا ومع فرنسا مع افريقيا . وليس غير دولة واحدة فقط فى العالم لا نتعامل معها وهى اسرائيل ! وليس غير تجمع عنصرى واحد لا نتعامل معه وهو الصهيونية العالمية والتفرقة العنصرية فى جنوب افريقيا . اى نستبعد هؤلاء [ممنوعين نهائيا] ، وبعد ذلك فحرية الحركة فى أيدينا .

■ **الطليعـــة**

الان عندى سؤال « يتردد عنك انك ممثل اغنيـاء الـريف » فما قولك فى ذلك ؟؟

■ **أبـو وافيـــة**

ساقول لك شيئا ، ولك ان تستنتج منه ما تشاء ؟ انا والدى ، رحمة الله عليه ، كان رجل عربى بلدى ونحن اصلا من قبيلة بدوية . والدى كان فى الحزب الوطنى وكان — بعد كده — فى حزب الوفد . ثم عندى انا مضبطة مجلس الشيوخ [تاريخها يناير سنة ١٩٢٨] كان معـروض على مجلس الشيوخ مشروع قانون محال من مجلس النواب باعتماد ٣٥ الف جنيه لشراء طقم فضية لقصر عابدين .قرأت فى هذه الصفحةفوجدت حضرات الشيوخ المحترمين الذينوافقوا على هذا المشروع [وجايبينجميع اعضاء مجلس الشيوخ] و ٧٥٪ منهم برتبة باشا وبيه وتحت فىآخـر الصفحة العضو الذى لم يوافق الشيخ **الشافعى ابو وافيـة** . والدى لم يحصل على رتبة اطلاقا كان فى البلد بيلبس اللبس البلدى . وايضـا فى مصر معروف بالطـربوش ذو الزر . وكان فى القـرية بيلبس بلغة وجلابيه ، نفس القماش اللى بيلبسه الفلاحون . وانا عندى الصور التى كانتموجودة وتشهد بذلك . وتوفى سنة ٤١ ونشأتى العربية البدويةالتى كثير من الناس لا يعرفونها « ان المال — مهما جـاء — مش هـوه اللى يدى الكباره داخل الاسرة لكن الحكمة والعقل هيهاللى تدى هذه الكبارة» فالتهمة التى لصقت بى انى محامى وممثل اغنياء الريف ، هذه تهمـة غير صحيحة ويعنى مش ممكن أن اكون ممثل اغنياء الريف منطقيا يعنى واقدر اسد معاكم فى النقاش اللى طلعتوا بدنى بيه بهذا الشكل .

■ **الطليعـــة**

سؤال اخير . نعود الى موضوع المنابر .. يقال ان المنابر هى للرأى الاخـر وليست للـرأى الاول . وأن المنابر هى للاقليات السياسية والاقليات الفكرية بمعنى انه ليس من حق المتفق مع الرأى العام السائد للنظـام أن يؤسس لنفسه منبرا . ومن ثمة فما هو رأيكم باعتبار ان منبركم كما أعلن البرنامج هو محاولة للاتفاق مع الرأى العام السائد .

■ **أبـو وافيـــة**

هذه النقطةبالذات سأثيرها فىاللجنة المركزية اذا ما اعطيت لىالكلمة فيها ،ولذلك افضل الا اقولها الان ايضا ، لان لى فيها وجهة نظر محددة سأقولها فى اللجنة . لكن تسمحوا بعودة بسـيطة الى السؤال الذى سألتوه والخاص باغنياء الريف ؟ احبأن اقوللك ان الاخ **خالد محيى الدين** بينتمى الى اسرة محيى الدين . وأسرة محيى الدين من اغنياء الريفوليس معنى ذلك ابدا انه ليس بالضرورة ان كل انسان ينتمى الى اسرة ريفية عندها « شوية » ارض يكون عنده أيديولوجية معينة ، وبعدين عندك مثلا الاخ **عبد المنعم الغزالى** موجود وهو ماركسى واخوته من ثمة الاخـوان المسلمين هذه معايير شخصية ولها مكونات عديدة فى شخصيةالانسـان

منبر الاحرار الاشتراكيين
حوار مع مصطفى كامل مراد



اجرت الطليعة حوارا حول منبر الاحرار الاشتراكيين وبرنامجه وكان الحوار مع مصطفى كامل مراد ، من الضباط الاحرار ، وعضو مجلس الشعب ، ورئيس اللجنة الاقتصادية فى المجلس وعضو اللجنة المركزية ومؤسس هذا المنبر .

اجرى الحوار من جانب الطليعة :
ــ رفعت السعيد
ــ خيرى عزيز

■ **الطليعـــة**

بعد تجارب الاتحاد الاشتراكى السابقة ، يقال الان أن هناك تجربة رابعة ، ما تقييمكم لايجابيات وسلبيات التجارب السابقة ، وهل كانت المنابر انبثاقا ضروريا من واقع هذه التجارب ؟

■ **مصطفى مراد**

الاتحاد الاشتراكى هو الحلقة الثالثة فى سلسلة تنظيمات ثورة ٢٣ يوليو منذ قيامها ، عندما اسسنا التنظيم السرى للضباط الاحرار سنة ١٩٤٩ ، كان تجمع ، وطليعة ثورية عسكرية ، لم يكن يساندنا أى حزب سياسى ، كان عندنا مفهوم

اصلاح اجتماعى أو عدالة اجتماعيــــة ،ونزاهة،كنا معاصرين للاحزاب السياسية، ونشعر بفراغ سياسى ، ونرى انها لاتعبر عن الامال الوطنية . كنت احترم الحزب الوطنى ، لمصطفى كامل ومبادئه ، شدتنى ايضا جماعةالاخوان المسلمينعندما بدأت، ثم حزب مصر الفتاة ، كنا شاعرين بفراغ سياسى ، وشعورنا كان ان الاحـــزاب القائمة لم تكن تعبر عن الامال الوطنية ، اخراج الانجليز ، حــــكم نزيه ، عـــدالة اجتماعية ، عندما طلعت الاحزاب المتطرفةكالاخوان ومصر الفتاة ، جذبتنا خطب احمد حسين وفتحى رضوان . حزب الوفد كنـــا نشعر انه يمثل الاغلبية ، وامتداد لسعد زغلول ، لكن كان فيه انحرافات ولم يكن يكفينا للعمل السياسى .

هزيمة ١٩٤٨ جعلت الشك يقينا منان النظـــام غير وطنى . فالجيش كان بينـــه وبين تل ابيب ٤٥ كيلومترا ،ولكن الحكومة اوقفت القتال . فعندما قالكمال الدين حسين ان هناك تنظيم سرى للضباط الاحرار على اساس عمل جديد لا تستطيع ان تقوم به الاحزاب ، فتح هذا باب أمل جـــديد وبدأ العمل وكان حمدى عبيد وخالد محيى الدين يطبعوا ويوزعوا منشـــورات الى آخـــر النشاطات الاخرى المعروفة .

عندما جاءت انتخابات نادى الضباط ، وحلوا مجلس الادارة المنتخب ، بعد ذلك انتابتنى حالةيأس منأن العملية غيرجدية، أى عملية الضباط الاحرار ،وانها مجـــرد اجتماعات وذلك لان البوليس السياسىبدأ يعرف اسمائنا فى حين لا يوجد هنـــاك عمل . وقلت يانعمل شىء يانفض العملية». وبعدين عملنا الانقـــلاب ونجح ، وتقبلـــه الشعب وحوله من انقلاب عســـكرى الى ثورة شعبية .

بعد حدوث ثورة يوليو ، ومبادئهـــــا معروفة عن منع الاستقلال واقامة عدالة اجتماعية ، ولها مبادئها العامة الليبرالية، أود ان اقول انه من الفكر الذى اثر فى فكر كارل ماركس وقد شدتنى هذهالنظرية للجدل المنطقى فيها ، والاستنتاج العلمى الذى تصل اليه ، وكنت اشرحها للضباطبما فيهم عبـــد الناصر وكانت تمثـــل فكرا مرتبا ومنطقيا ، كنت لا اقبل فكرة الاسرةكسبب للشـــقاء الانســــانى ، وأنا أؤمن بوجود قوة ابدية تسيطر على الكون .أثرفينا هذا الفكر .وكانمعى خالد محيى الدين فى كلية التجارة ، معى فى سنة واحدة ،ووجدنا ان اخطر شىء ان يردد الانســـان « الدوجما » وتستقر فى ذهنه ، ولاشىءبعد هذا .

هذه النظريات من وضع البشر ، ومنحق الانسان ان يطبقها حســـب ظـــروف المجتمع ، فهناك اختلافات بين المجتمعات وواقع كل منها ولذا فيمـــا يتعلق بتطبيق الدوجما لابد ان نطورها ونحورها ، ونرىما يتناسب مع هذا الشعب ، بهدف تحقيق الرفاهية والعدالة .

فيه عدة أساليب يقـــول بعض الناسبالتأميم الكامل . وقد جربنا النصفى وجدنا انه يحتاج لادارة معينة وتطبيق ونوعياتمعينة من القيادات يصعب توفرها هنا .

لسنا ضـــد القطاع العـــام فى الدول النامية لانه يقود العمـــل الاقتصـــادى ، ولكننا ضد توسعه . هـــل يربى فراخ ،لحمة ، وتفصيلات كهذه ، أم أنه يركز على الاساسيات . الطرق ، الصرف ، الرى ،الكهرباء ، الصناعات الثقيـــلة .. الخ . أم يدخل فى مشـــاركة مع الصــــناعات الخفيفة .. لاحظت هنا اننا توسعنا فى القطاع العام لدرجة انه دخـــل فى بعض الانشطة الاقتصادية التى تحتاج بطبيعتها الى ادارة مرنة .

الفكر السياسى ينتج من الممارسة لا منمقالة أو كتاب وانما من مصالح موجودة وواقع موجـــود . هنـــاك فكر مصرى لهملامح محددة ، ولو طرحت هذه الملامح تجـــد استجابة من الرأى العام .

■ **الطليعــــة**

ما هى هذه الملامح ؟

■ مصطفى مراد

الشعب المصرى يعشق الحرية فى كسب الرزق ، وهو شعب مرح بطبيعته له نوع من الفكر الحر ، وهو لايسير بالتنظيمات الكاملة والحدود والفواصل ، والناحية الدينية تؤثر فيه ، وهو يؤمن بالقدر ، وليس لدينا صراع طبقى كانت هناك تناقضات بين الطبقات لكنها لم تصل الى درجة الصراع أبدا .ويجب ازالة هذه التناقضات . ونعتقد بهذا الصدد فى الديمقراطية وازالة هذه التناقضات بالحوار الحر الذى يخفف من حدتها .

عبود كان يرفع قرش تعريفة على سعر السكر ويسقط الحكومة ، فكان لدينا وضوح فيما يتعلق بسيطرة راس المال على الحكم .

■ الطليعة

الا تؤدى الحرية فى كسب الرزق الى سيطرة رأس المال على الحكم ؟

■ مصطفى مراد

لا . هناك ضرائب تصاعدية ، واجور عمال ترتفع تدريجيا ، ونقابات عمال تعمل عقود جماعية لتحديد اجور المهنة الخ . المفروض النقابات تتحرك ، وهذا يتمشى مع مصالح طبقة العمال وان تتمشى الاجور مع تكاليف المعيشة ، بالاضافة الى علاوات الارتقاء الوظيفى

■ الطليعة

واذا رفض الراسماليون ذلك ؟ ماذا يفعل اذن ممثلو العمال والفلاحين ؟

برنامج منبر الأحرار الاشتراكيين

اعضاء مجلس الشعب المؤسسين لمنبر الاحرار الاشتراكيين والمجتمعين بقاعة اللجنة الاقتصادية بمجلس الشعب يعلنون برنامج المنبر فيما يلى :

من وحى مبادىء ثورة ٢٣ يوليو ومواثيقها وانطلاقا من مبادىء ثورة التصحيح ومواثيقها وتطبيقا لقرارات المؤتمر القومى العام للاتحاد الاشتراكى العربى فى يوليو ١٩٧٥ وتأسيسا على ما ورد فى ورقة تطوير الاتحاد الاشتراكي العربى ، التى تقدم بها الرئيس المؤمن محمد أنور السادات ، واقرها المؤتمر القومى ، لدفع العمل السياسى داخل الاتحاد الاشتراكى العربى ، لتكون مرآة صادقة للتعبير عن اتجاهات اعضائه فى اطار التحالف والسماح للمنابر السياسية بالظهور داخل التنظيم تعبيرا عن الاتجاهات السياسية المختلفة فى داخله ، فان المؤسسين من هذا المنطلق يعلنون أنه من خلال ممارستهم للعمل السياسى ، بين المواطنين من مختلف قوى الشعب العاملة والذين اولوهم شرف النيابة عنهم قد استشفوا ووضح امامهم أن هناك رأى عام يعبر عن آمال قوى الشعب العاملة تتحدد ملامحه وتظهر خطوطه وتتبلور اتجاهاته الرئيسية حول النقاط الاتية :

اولا ـ السياسة الداخلية :

١ ـ للمواطن أن يسعى الى كسب رزقه عن طريق العمل الشريف فى كافة المجالات الانتاجية والخدمية طبقا لارادته الحرة ورغباته الشخصية وله أن يحدد نوع العمل الذى يختاره والذى يتفق مع امكانياته واستعداداته.

٢ ـ لرأس المال الخاص الحق فى النشاط الاستثمارى فى كافة مجالات الاستثمار على اختلاف أنواعها متنافسا فى ذلك مع القطاع العام وفقا للدستور وفى اطار القانون وان لا يحرم عليه النشاط فى أى قطاع من القطاعات الاقتصادية مثل البنوك وشركات التامين .

٣ ـ اعادة النظر فى هيكل الاجور والاسعار لبنائه بما يتمشى مع تكاليف المعيشة ومستويات الاسعار ومعدلات التضخم .

٤ ـ ضمان حد ادنى للاجور يتغير سنويا بتغيير معدلات التضخم السائدة فى البلاد .

٥ ـ اعادة النظر فى النظام الضريبى والجمركى برمته لتكون الضرائب تصاعديه بحيث لا تصادر الدخول مع رد الضريبة للممول فى حالة اعادة استثمار الدخول التى خضعت للضريبة ، مع وضع حد ادنى للاعفاء يتناسب مع مستويات تكاليف المعيشة .

٦ ـ اعادة بناء الهيكل الاقتصادى للبلاد ووضع تلقائية اقتصادية له تجعل الانفتاح الاقتصادى حقيقة ملموسة تمكن البلاد من تحويل سوق المال المصرى الى سوق عالمية لرأس المال ، وسوق للنقود ، وتتدفق اليها رؤوس

■ مصطفى مراد

اننا ننادى بالحرية التى تنظمها المصلحة العامة للشعب اننـا نعتقـد ان القيمة المضافة يمكن توزيعها عن طريق النقابات العمالية فى المهن التى تمثلها ، بالاضافة الى الضريبة التصاعدية التى تؤدى الى الحد من الدخول والتراكم الكبير لرؤوس الاموال .

حاولت الثورة ان تتفاهم مع الاحزاب السياسية ، فأوقفت الحياة الحزبية فى مصر ، وأرادت أن تخلق تنظيما سياسيا يجعلها تتصل بالجماهير ، فانشأت هيئة التحـرير ، لتمكين الثورة من الاتصـال بالجماهير واستقطاب العناصر الشـعبية القوية ، واستمرت ودخل فيها كل من هب ودب ، حتى انشىء فى ١٩٥٦ الاتحـاد القومى المعين ثم فى ١٩٥٧ الاتحاد القومى المنتخب ، بعد حل مجلس الثورة وكان فيه ناس من كل الفئـات ، وبـدأ الاتحـاد الاشتراكى بعد انفصال سوريا واللجنـة التحضيرية سنة ١٩٦١ ثم المؤتمر الوطنى لقوى الشعب العاملة والميثاق .

وفى ينـاير ١٩٦٦ ظهـر الاتحــاد الاشتراكى وكان منتخب فى المرحلة الاولى حتى مستوى الاقسام ، ثم لم يكمل عبد الناصر العمـلية الديمقراطيـة . وعينت المكاتب التنفيذية فى ١٩٦٦ ، واستمرت حتى ١٩٦٨ حيث اجريت انتخابات الاتحاد فى المرحلة الثالثة ، واستمرت حتى ١٩٧١ وبعد ثورة التصحيح ، اعيد تشكيل الاتحاد الاشتراكى حتى المرحلة الحالية . المنابر .

الناس تعتقـد انه « أى الاتحـــاد الاشتراكى » تنظيـم حكـومى يدفع بفكره الى الجماهير . ولا ينبع من القــاعدة . ولذا فهذه المنابر لتنشيط الاتحاد الاشتراكى ولاحياء العمل فيه .

والذى يحكم على نجاح المنبر من عدمه هو مدى نجاحه فى تطبيق مبادئه . هـل يستطيع اصدار تشريع وتشجيع القطاع الخاص على الاستثمار فى كل المجالات ؟ الناس سوف تراقب ذلك ، فنجـاح المنبر فى تطبيق مبادئه ، هو الفيصـل فى حكم الجماهير .

الاموال العربية والاجنبية طبقا لطاقته الاستيعابية ، فى اطار خطة التنمية القومية .

٧ ـ تشجيع مدخرات القطاع الخاص برفع سـعر الفائدة على الودائع الخاصة وشهادات الاستثمار ، بما يتمشى مع سعر الفائدة العالمى ، واعفاء هـذه الفوائد من الضرائب فى المرحلة الاولى .

٨ ـ وضع نظام جديد للمصـالح المالية المتبادلة بين مصر والدول العربية عن طريق اصدار الدينار العـربى واسهم الاستثمار المتبادلة .

٩ ـ تحرير الجنيه المصرى من القيود النقدية ليصبح تدريجيا عملة قابلة للتحويل مما يقتضى :

(أ) تطوير السوق الموازية لتصبح سـوقا للكامبيـو (النقد الاجنبى) تتفاعل مع اسواق النقد العالمية وتسير بالتوازى معها .

(ب) تطوير بورصة الاوراق المالية بالقاهرة والاسكندرية لتصبح بورصة عالمية .

(ج) قبول واعادة تحويل الاستثمارات الاجنبية وارباحها بسعر السوق الموازية بعد تطويرها الى سوق للكمبيو .

١٠ ـ الاتفاق على تاجيـل سـداد اقسـاط الديون الخارجية مع العالم الغربى ومع الدول الاشتراكيـة على السواء .

١١ ـ اعادة النظر فى سياسة دعم السلع الاساسية وبعض الصناعات المحلية وتمكين عوامل العرض والطلب من التفاعل الطبيعى لتحديد مستويات الاسعار مع رفـع الاجور بما يتمشى معها .

ثانيا ـ فى مجال الزراعة :

١ ـ الملكية الفردية والاستثمار الخاص هما اسـاس النشاط الزراعى الذى يعتبر القاعدة الاساسية للنشـاط الصناعى والتجارى فى البلاد ويقتصر نشاط الحكومـة والقطاع العام على الخدمات الزراعيـة والرى والصرف واستصلاح الاراضى دون استزراعها .

٢ ـ دعم التعاونيات الزراعية فى مجالى الانتـاج والتسويق بحيث تكون عضويتها اختيـارية مع الغـاء انظمة التسويق الزراعى الادارى المتبعـة فى بعـض المحاصيل واستبدالها بانظمة التعاون الاختيارى والسماح للقطاع الخاص بالمتاجرة فى شتى المحاصيل بجانب القطاع التعاونى والقطاع العام .

٣ ـ وضع سياسة سعرية سنوية عادلة للمحاصيل الزراعية بما يحقق عائدا مجزيا للفلاح .

٤ ـ تحديد قيمة ايجارية عادلة تتمشى مع عائد الارض والقيمة النقدية للمحاصيل مع ضمـان حد ادنى لاجور العمال الزراعيين .

■ **الطليعـــة**

هل هناك ضوابط تقترحهـا كي يمكن ضمان نجـاح المنابر ؟ وما رأيك في فكرة أن تكون المنابر على مسـتوى اللجنـة المركزية ؟

■ **مصطفى مراد**

اللجنة المركزية مستوى من مستويات الاتحاد الاشتراكي ؟ ولكن كمنبر أود أن أعمل في كل المستويات ، في كل المجالات الجماهيرية ، ولابد أن يكون للمنبر حـق التعبير عن برامجه كي تنضـج ، وتتأكد الناس من جديتها .

■ **الطليعـــة**

من ناحيـة الفكر انتم ليبراليون ؟ من ناحية القوى الاجتماعية ؟ أي قوة اجتماعية تعتقدون انكم تعبرون عنها ؟

■ **مصطفى مراد**

بالدرجة الاولى ، الفـلاحين ؟ والعمال بالدرجـة الثانية ؟ باعتبـار القـاعدة الاساسية في مصر هي الزراعة ، ثم ينبع منها الانشطة الاخرى . اننا نحل بالدرجة الاولى تناقضات الفلاحين سواء اجراء ، أو ملاك ثم تناقضات القطاع كله ، مع أهل الحضر ، حـول الحاصـلات الزراعيـة واسعارها ثم حل التناقضات بين العمال وبعض ، وبينهم وبين الرأسمالية الوطنية ونعتقد ان المثقفين لهم دور قيـادي وهم ليسو طبقة ... المثقفين لهم دور قوى جدا في قيام المنابر .

■ **الطليعـــة**

ليسوا طبقة . المثقفين لهم دور قوى جدا **تعبرون عن مصالحه ؟**

---

٥ ـ تشجيع الصناعات الزراعية على اختلاف أنواعها واعفائها من كافة انواع الضرائب كأساس لاعادة بنـاء القرية .

٦ ـ السماح للقطاع الخـاص باسـتيراد المبيدات والاسمدة بالتنافس مع القطاع العام .

ثالثا ـ في مجال الصناعة :

يسمح للقطاع الخـاص بالاسـتثمار في كافة انواع الصناعات الثقيلة والمتوسطة والخفيفة مع القطاع العام ، ومنع الاحتكار في مجال الصناعة سواء للقطاع العـام او الخاص .

تشجيع القطاع الخاص على الاستثمار في الصنـاعات الخفيفة وذلك باعفائه من الضرائب لفترة معينة وتخصيص استثمارات القطاع العام في معظمها في مجال الصناعات الثقيلة والاستراتيجية .

رابعا ـ في مجال التجـارة :

للقطاع الخاص ان يساهم في كافة انواع الانشـطة التجارية الداخلية منها والخارجية بالمنافسة مع القطـاع العام والتعاوني ولا يجب ان يحظر عليه نشـاط بذاته وكذلك يسمح له بالقيـام باعمال الوكالات التجـارية والملاحية وغيرها أسوة بالقطاع العام .

خامسا ـ في مجال النقل والمواصلات :

للقطاع الخاص أن يستثمر في كافة مجـالات النقـل البرى والنهرى والبحرى والجوى ، بلا قيود أسـوة بالقطاع العام والتعاوني .

سادسا ـ في مجال الطاقة والبترول :

تقصر الاستثمارات فيه على القطاع العام باعتبـاره من الصناعات الاستراتيجية التي تدعم النشاط الاقتصادي للبـلاد .

سابعا ـ في مجال التعليم :

يسمح للقطاع الخاص بالاستثمار في الخدمات التعليمية على اختلاف انواعهـا وفي كافة مراحل التعليم بما في ذلك المرحلة الجامعية لتخفيف العبء على ميزانية الدولة ولتوسيع نطاقها .

مكافحة الاميـة واجب وطني تساهم فيـه الحكومة والهيئات والمؤسسات العامة والخاصة : وتتولى شأنه وزارة متخصصة .

ثامنا ـ في المجال الصحي :

تشجيع القطاع الخاص على التوسع في أداء الخدمات الطبية سواء في مجال المستشفيات أو العيادات الخاصة للمساهمة في توسيع نطاقها .

■ **مصطفى مراد**

نحن نسعى الى التوفيق بين الطبقات، ولا ننحاز لاحداها .

■ **الطليعـــة**

هناك سؤال حول تفسيركم لكلمة الاقتصاد الحر . ؟

■ **مصطفى مراد**

نحن لاندعو للاقتصاد الحر ، مبدأنا حرية الرأى الكاملة ، وحرية كسب الرزق الشريف الحر .

■ **الطليعـــة**

هل يتنافى ذلك مع الاقتصاد المخطط ؟

■ **مصطفى مراد**

لايتنافى قط .

■ **الطليعـــة**

البعض يتصورون أن الاقتصاد المخطط يتطلب سيطرة الدولة على بعض القطاعات مثل البنوك ؟

■ **مصطفى مراد**

البنوك ، تجميع لمدخرات الناس واستثمارها وصناعة النقود ، ممكن القطاع الخاص أن يساهم فيها وينشط فيها . ونحن اذا كنا نؤمن بأن غالبية النشاط

تاسعا — فى مجال الاسكان :

يقتصر النشاط الحكومى على بناء المساكن الاقتصادية والمتوسطة وتترك المساكن فوق المتوسطة والفاخرة لاستثمارات القطاع الخاص مع أعفائها من الضرائب فى المرحلة الاولى تشجيعا لها على أن تحدد القيمة الايجارية للمساكن الجديدة فى حدود ١٠٪ من تكاليف الارض والبناء ، مع تشجيع القطاع الخاص على تكوين شركات التشييد والبناء ، والمقاولات بالمشاركة مع رؤوس الاموال العربية والخبرة الاجنبية لتطوير البناء والتشييد وفقا للاساليب الحديثة ، والغاء الحد الاعلى المسموح به للقطاع الخاص فى المقاولات العامة مع تشجيع بيع الاراضى المملوكة للدولة للجمعيات التعاونية باسعار مخفضة وعلى آجال طويلة وبدون فوائد .

عاشرا — فى مجال العمل :

تدعيم النقابات العمالية واعطائها حق التفاوض الجماعى لتحديد مستويات الاجور وربطها بالانتاج بما يتمشى مع تكاليف المعيشة مع تاكيد حق العمال فى المشاركة فى الادارة والربح وأن يعاد النظر فى قواعد توزيع حصة العاملين فى الارباح فى شركات القطاع العام بحيث يحصل العاملون على حصتهم النقدية ، وعلى حصتهم فى الخدمات المركزية والاسكان كاملة مع رفع الحد الاعلى الى ثمانين جنيها .

الشـــباب :

للشباب حق التعبير الحر عن اتجاهاته الفكرية والثقافية والسياسية وله أن يشارك فيها وينضم الى تنظيماتها .

تشجيع الشباب على الهجرة وعلى الحكومة ان تعقد فى سبيل ذلك اتفاقات ثنائية مع الدول التى تقبل المهاجرين .

تشجيع الحكومة للشباب على العمل الحر على ان تيسر له وسائل التمويل والتدريب .

المرأة :

نصف المجتمع ويجب مساواتها بالرجل فى الحقوق والواجبات وذلك فى أطار الشريعة الاسلامية وتشجيعها على ممارسة حقوقها السياسية ومشاركتها فى مجالات الانتاج المختلفة وتولى كافة المناصب .

تطوير قوانين الاسرة بما يثبت اركانها ويحقق للاسرة استقرارها وسعادتها ، واعادة تنظيم قوانين الزواج والطلاق فى اطار الشريعة الاسلامية .

المصرى للقطاع العام ،لكن لاينبغى أن يحظر النشاط على القطاع الخاص المصرى .ونطالب هنا بمعاملته اسوة بالاجانب ورأس المال الاجنبى .»

■ الطليعـــة

اذا تصورنا انقسام العمل السياسى فى مصر الى ٣ مواقع اساسية يســار ، ويمين ، ووسط ، فأى اتجـاه من هـذه الاتجاهات الاساسية تمثلون ؟

■ مصطفى مراد

هذه مسائل نسبية ليس لها قـواعد محـددة . انهم ينظرون اليها من جهة الحرية الاقتصادية ، كلما كانت واسعة ، كلما كان هـذا يمين ، واذا كان التخطيط تصبح يســار ، التأميم النصفى يصبح وسط . اننا نعتبر انفســنا وسطا . أو يمين الوسط . الشـباب لدينا يمكن أن يكونوا يسار بالنسبة لنا .

■ الطليعـــة

ماهـو رأيكم فى سياسة الانفتـاح الاقتصادى فى الوقت الراهن ؟

■ مصطفى مراد

نحن نعارض تطبيق سياسة الانفتاح بهذه الصورة ،فالحكومة لاتكون هيكلا اقتصاديا جديدا ،الاقتصاد غير واضح ،ولا توجد تلقائية .الاجراءات الاقتصادية لاتسير كما ينبغى الانفتاح الحقيقى هو أن تستفيد من الظروف الاقتصادية المحيطة بك حتى تتمكن من تشغيل اكبر عـدد ممكن من الايدى العاملة وبذا يمكن رفع مستوى المعيشة فمثلا فوائض الاموال العربية خطيرة بالفعل ولابد نستفيد منها ،ونسعى لاستثمارها ، بتشـغيل الايدى العاملة فى مصر ، لدينا ٩ مليون يمكن أن يصلوا الى ١٢ و١٤ مليون يشتغلوا ويرفعوا مستوى المعيشة ، لن نعتمد على رؤوس الاموال الاجنبية وانما على رؤوس الاموال المصرية والمـدخرات المصرية فى الاساس ، التكنولوجيا الغربية

الحادى عشر : السلطة القضائية سلطة مسـتقلة عن السلطة التنفيذية يدير شئونها مجلس أعلى منتخب يرأسه احد اعضائه وميزانيتها مستقلة عن ميزانية الحكومة ، ومجلس القضاء هو الذى يعتمـدها ، ويحدد مرتبـات ومخصصات اعضائه ويتولى تاديبهم ، مع الغـاء منصب وزير العدل ويحل محله وزير دولة لشئون القضاء .

السياسة الخارجية :

التوازن بين الكتلتين العظيمتين بما يحقق مصالح البلاد والسعى لتحقيق الوحدة العربية على أسس اقتصـادية واجتماعية سليمة .

تحرير الاراضى العربية التى احتلت بعد عدوان ١٩٦٧ وتأكيد حقوق شعب فلسطين فى السيادة على أرضه ، واقامة دولة فلسطين العربية .

تدعيم التعاون مع الدول الافريقية ودول العالم الثالث فى كافة المجالات الاقتصادية والسياسية والثقافية .

احترام مواثيق الامم المتحدة وقراراتها والمشاركة فى منظماتها .

السلطة التنفيذية :

عمل الوزراء سياسى بالدرجة الاولى ومقتضى ذلك ان يكون معظمهم من الذين تمرسوا فى العمل السياسى حتى يكونوا ممثلين للاتجاهات السياسية السـائدة فى اطار تحالف قوى الشعب العامل .

الصحـافة :

الصحافة حرة وللافراد حق انشاء الصحف والتعبير عن ارائهم فيهـا .

الاذاعة والتليفزيون :

اشخاص اعتبارية مستقلة وللمواطنين حق التعبير عن آرائهم فيها .

القطـاع العام :

ركيزة اساسية للاقتصاد القومى ودعامة للتنمية يجب تطويره سواء فى الادارة أو فى أساليب اعداد الميزانية بطريقة مرنة مع فصلها عن ميزانية الدولة ورفع يد الوزراء عن ادارة وحدات القطاع العام وذلك بتحويل القطاعات الاقتصادية الى شخصيات اعتبارية عامة بحيـث تكون سلطاتها انتهائية بالنسبة للوحـدات الاقتصـادية التى تشرف عليها ، ويكون لها مجلس أعلى برأسه وزير دولة لشئون القطاع العام للمشاركة فى تخطيط استثماراتها ومناقشة ميزانياتها واعتمادها من مجلس الشعب . □

تقدمت، لابد من الاستفادة من التكنولوجيا الحديثة ، والاستفادة من رؤوس الاموال التى تسعى للاستثمار من جميع انحـاء العالم ».

■ **الطليعـــة**

هل تتنـافى التلقائية الاقتصـادية مع التخطيط الاقتصادى ؟

■ **مصطفى مراد**

لا تتنافى ».

■ **الطليعـــة**

القطاع الخاص ، هل كان مظلوما ويجب رفع الظلم عنه ؟

■ **مصطفى مراد**

نعم . القطاع الخاص يكون ٥٥٪ من الدخـل القومى اى ٢٤٠٠ مليون جنيه ، والقطاع العام يكون ١٨٠٠ مليون جنيه . ال ٢٤٠٠ ماذا يستثمرون ، فى الخدمات والانتاج لا يستثمرون أكثر من ١٠٠ مليون اى ١/٢٤ هل طاقة القطاع الخـاص على الاستثمار هى ٤٪ أعتقد ان طاقته لا تقل عن ٨ الى ١٠٪ اذن هناك ١٠٠ مليون يمكن ان يضافوا ، واذا لم افعـل ذلك لا أكون افهم اقتصاد ، لكى اسيطر على الهياكل الصناعية ويدخل فيها استثمار مشـترك يملا هذا الهيكل الخرسانى للاقتصاد لازم اضع قد ال ١٠٠ مليون دول ، مائة أخرى يهمنى اخراج مكتنزات القطاع الخاص ، هناك ناس يعملون فى العالم العربى يوفر كل منهم ١٠٠ جنيه فى الشهر ، اذن يوفر الفرد منهم حوالى الف دولار فى السـنة اذن عنـدك ٥٠٠ مليون دولار مدخـرات سنوية .. اريد جـذب هذه المدخرات ، بالعملة الاجنبية .

■ **الطليعـــة**

البرنامج الذى يقدمه منبر الاحـرار الاشتراكيين يقتصر على السياسة الداخلية فما هو موقفكم من القضية العربية وقضية فلسطين ؟

■ **مصطفى مراد**

السياسـة الخارجيـة ، جنيـة على السياسة الداخلية

فى السياسة العربية نرى أن الوحدة العربية هـدف ، وتحقيقها يكون بالتكامل الاقتصـادى ، والوحدة الاقتصادية ، بين الدول العـربية ، وما يترتب عليـها من مصـالح اجتماعية ، وثقافية عن طريق ربط علمى وتدريجى ، اتحاد جمركى أو سوق عربية مشتركة ، ثم تتحقق مقومات الوحدة السياسية . أما الوحدة بالشـعارات فقط ، نرفضها .

■ **الطليعـــة**

باعتباركم أحد الضـباط الاحـرار هل تعتقد ان ثورة يوليو ادت مهمتها ؟

■ **مصطفى مراد**

حققت الثورة انجازات اساسية وعملت تحويل جذرى فى المجتمع المصرى ، وطبقت بعض المـلامح الاشـتراكية فى مصر ، واوجدت نوع من العـدالة الاجتماعية ، ونوع من القاعدة الصناعية ، القوية فى القطاع العام ، واعادة توزيع الثروات فى البلاد ، ولكن نتائج كل ذلك لم تظهر نتيجته للحـكم الفـردى ، وغيبـة الديمقراطية والاجراءات الاستثنائية ، بالاضـافة الى تورط الثورة فى كثير من الحروب بعضها ضرورى والاخـر غير ضرورى ، بالتالى معدل الارتفاع فى مستوى المعيشة الذى كنـا نأمله لم يتحقق ، والديمقراطية لم تصل الى المستوى الذى كنا نأمله .

○ المنبر الاشتراكى الناصرى
حوار مع كمال أحمد محمد

اختار الاشتراكيون الناصريون كمال احمد محمد عضو اللجنة المركزية ممثلا لهم ، وليوضح سياسة المنبر وبرنامجه فى الحوار الذى أجراه معه — من جانب الطليعة : —
— عبد المنعم الغزالى
— خيرى عزيز

■ **الطليعة**

من أنتم ؟ ومن تمثلون ؟ هل مصر كلها ؟أم فئة اجتماعية متميزة ؟ وان كنتم تمثلون فئة فى اطار التحالف ، فما هى ؟ وكيف تمت عملية التمثيل ؟ واذا كنتم تمثلون « تحالف قوى الشعب العامل » فما هو مبرر انشاء هذا المنبر ؟

■ **كمال احمد محمد**

نحن ابناء ثورة ٢٣ يوليو ، ومن عاش انجازاتها ، ونحن نمثل فئات التحالف ، وبالتحديد ، العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين ، هذا بالاضافة إلى بقية فئات التحالف (*)

بظهور المنابر كاتجاهات سياسية قد تتحول اذا رأى الشعب وأراد ، الى احزاب كما قال الرئيس انور السادات وجدنا منبرا يمثل البورجوازية الزراعية ، وآخر غير زراعي ، وان كانت هذه المنابر تغلف نفسها بالاشتراكية اسما ، هذا من ناحية . ومنبرا آخر ، يضم كل القوى التقدمية والوطنية ، ونعلم سلفا انه سيسمى المنبر الماركسي أو الشيوعي من قبل الرجعية . ولما كان ابناء ثورة ٢٣ يوليو ليسوا في المنابر التي تدعي الوسط أو التي قد توصم بالماركسية والشيوعية ، وانما هم يؤمنون بمعالجة القيادة الناصرية ، لقضايا المجتمع المصرى لذا تقرر تأسيس هذا المنبر ، وحينما نقول الناصرية ، فلا نعني شخصا ، وانما نعني المعالجة التي تمت في مصر للافكار العلمية وفقا للواقع والتقاليد والقيم في مصر . فكان لابد من انشاء منبر يعبر عن وجهة نظر ذلك القطاع العريض .

ونحن كابناء لثورة يوليو نؤمن بصيغة التحالف التي تعتبر احدى العلامات الاساسية في العمل السياسي . وقد عاش الشباب مرحلة الثورة بانجازاتها وانكساراتها ويجد لزاما عليه المشاركة في تدعيم مبدأ الديموقراطية داخل التنظيم الام ، ملتزما بأهداف الثورة العربية في الحرية والاشتراكية والوحدة . وان كانت الممارسة الديموقراطية تملى وجود الحوار البناء لمعالجة قضايا الجماهير ، فنجد لزاما علينا توضيح وجهة نظر جماهير ثورة يوليو في مجالات التطبيق المختلفة ، وفقا لفكر الثورة الذي ورد في الميثاق ، وباقي وثائقها التي وافقت الجماهير عليها في مختلف استفتاءاتها . ومن هنا نجد انه بعد أن تستقر المنابر في تأدية دورها تعبيرا عن الجماهير العريضة ، فلابد من التنسيق بين كافة القوى التقدمية ، كانت فكرة المنابر التي وافق عليها الشعب ، في الاستفتاء على ورقة التطوير ، والمؤتمر القومي العام .

■ **الطليعـــة**

تحدثتم عن الممارسة الديموقراطية ، وانها تملى ضرورة وجود حوار بناء لمعالجة قضايا الجماهير ، وان ذلك هو الذى دفعكم الى تكوين المنبر الناصرى ، هل نفهم من هذا أن تكوين المنابر ، هو حق لكل من يمتلك رأيا مخالفا ، أم هو حق لكل من يريد أن يؤسس منبرا حتى ولو لم يكن له رأى مخالف ؟

■ **كمال احمد محمد**

بداية لا نستطيع ان نتحدث عن اننا أصحاب الحق في اعطاء المنابر فمن يملك الحق في اعطاء المنابر ، هو الذي يحدد على اى مضمون تقوم المنابر . ومن الواضح حسبما نتصور ، ان التنظيم السياسي لم يستطع ان يبت بصورة قاطعة في الاجابة على هذه الاسئلة . اذ من الملاحظ ان اجتماع الامانة العامة الاخير ، لم يستطع ان يصل الى راى موحد في قضية المنابر . ثم بدا على سطح الحياة السياسية ، على شكل مقولات ، بل هناك اجنحة في داخل الاتحاد الاشتراكي ومجلس الشعب ، كل منها له تصوره في اقامة المنابر ، وهذا يتضح من الخطوات ، التي بدأ بها بعض اعضاء مجلس الشعب بتكوين منابر لهم ، وكان تصور الامين الاول ، كما اعلنت الصحف يختلف الى حد ليس بالقليل ، عن المفهوم الذي بدأ به بعض اعضاء مجلس الشعب . أما وجهة نظرنا في هذه القضية ، فهي تنطلق اساسا من تصور فكر الثورة لقضية الديموقراطية ، والتي توصلت في النهاية الى تحديد معنى الشعب بالمفهوم السياسي من أنه يتمثل في القوى المكونة لتحالف قوى الشعب العامل . ومن ثم ، ظهر مصطلح الشعب ، واعداء الشعب . ولقد حاولت ثورة يوليو ان تميز بين الشعب بالمفهوم الاجتماعي ، وهو كل من يحمل الهوية المصرية ، والشعب بالمفهوم السياسي ، وهي

الجماهير صاحبة المصلحة فى الثـورة . وبناء على ذلك ، فقد اسـتقر ان تكون ممارسـة الديموقراطية للشـعب ، وليس لاعداء الشعب.واذا كان الشعب قد استقر على اختيار الحل الاشتراكى ، او الطريق الاشتراكى ، مخرجا علميا من قضيـة التخلف ، واستطاع ان يعطى تصورا للبناء الاقتصادى ، الذى يعتمد عـلى التخطيط الشامل، وعلى ملكية الشعب لوسائل الانتاج وفى البناء السياسى على تحالف قوى الشعب العامل كتنظيم جماهيرى فى داخل تنظيم سياسى نص عليه الميثاق ،ضمانا لعدم تفاقم التناقضـات الطبقيـة ممـا يؤدى الى اختيار الحل السلمى ، لهذه التناقضات او هذا الصراع الطبقى . اذا تصورنا أن هذا هو ما استقرت عليه جماهير الشعب العامل وتضمنته وثائق الثورة ،فان كل من لايؤمن ، بهذه المنطلقات ، فانه بالضرورة ، وكنتيجة منطقية، ليس فى صف الشعب بالمفهـوم السياسى .»

بيان المنبر الاشـتراكى النـاصرى

حـرية • اشـــتراكية • وحـــدة

تواجه امتنا العربية فى هذه المرحلة الخطـيرة من تاريخها ، تحديا مزدوجا مترابطا ، يتمثل أولا فى قوى الاستعمار الجديد باساليبه المختلفة ، بداية من التدخل المسلح ووصولا الى السيطرة الاقتصادية ، ويتمثـل فى القوى الرجعية العميلة المتحالفة مع الاستعمار والقـوى الاقليمية التى تعرقل الوحدة التقدمية لجماهير هذه الامة.

ان هذا التحدى المزدوج المترابط ، قد بدأ يأخذ مواقعه من جديد ، بعد ان انهزم فى معارك كثيرة خاضتهـا ضده ارادة جماهير هذه الامة ، انه يأخذ مواقعه مستغلا الظرف الذى تعيشه امتنا ، وهى تناضل من أجل تحرير الارض العربيـة وعلى رأسـها فلسـطين العربيـة ثم وهى تنـاضل من اجـل تحـرير الانســـان العربى ، ولقد بدأ واضحا أن هذا التحالف الوثيق بين طرفى هذا التحدى قد دخل مرحلة خطيرة ، حيث اصبح الاستعمار الجديد ،طرفا اساسيا فى قضية تحـرير الارض ويحاول ان يصبح طرفا اساسيا فى حل مشاكل الانسان العربى ، وبالقطع فان اى تدخل منـه فى كلا القضيتين سوف يكون مرتبطا باهدافه الثابتة التى تقـوم على استعباد واستنزاف شعوب العالم الثالث .

ان النضال التحررى ، الذى خاضته امتنا العربية ، بكل فصائل ثورتها من محيطها الى خليجها وعبر المراحل التاريخية المختلفة كان رصيدا هائلا لانطلاقتها الثـورية المعاصرة . ولقد كان كفاح الشعب المصرى جزءا كبيرا من هذا الرصيد منذ أن بدأ يحاول ان ياخذ زمام أموره بيده عبر نضاله الطويل ، وحركته الوطنية المجيدة .

ومن غير شك فان تفجر ثورة الثـالث والعشرين من يوليو ١٩٥٢ بزعامة جمال عبد الناصر لم يكن وليد صدفة، ولانتاج فراغ ، فلقد كانت المولود الشرعى لهذا النضال التاريخى الطويل الذى بدأ قبل هذه الثـــورة ، عندما استيقظت الاسكندرية على صوت مدافع المحتل الاجنبى .

ولقد كانت عظمة هذه الثورة ، وعظمة القائد والمناضل الذى قادها ،انها اعطت لمصر بعدها القومى الاشتراكى، وكما قال الميثاق « انها انهت الى غير رجعة ذلك الزمن الذى كان مصير الامة العربية وشعوبها وافرادها يتقرر فى العواصم الاجنبية أو على موائد المؤتمرات الدولية ، أو فى قصور الرجعية المتحالفة مع الاستعمار » .ولقد حددت الثورة اهداف النضـال العـــربى فى الحـرية والاشتراكية والوحدة .

اننا نحن ابناء ثورة ٢٣ يوليو بجـوهرها التحـررى الاشتراكى الوحدوى ، المؤمن باهدافها فى اقامة المجتمع العربى المتكامل الذى تتحرر فيه الارض العربية من كل الوان السـيطرة الاجنبيـــة ، سواء أكانت استيطانية عنصرية ، أو استعمارية قديمة وجديدة أو اقتصـــادية احتكارية ، ويتحرر فيه الانسان العـــربى من كل الوان الاستغلال الاقتصادى والاجتماعى والسياسى والثقافى ، وستقبل هذه الثورة ، التى صاغت فلسفتها الاجتماعية والسياسية على أساس تحالف قوى الشعب العـــاملة ومبادئه المنظمة للعلاقات الاقتصادية والاجتماعية والذى كان بديلا ثوريا لتحالف الاقطاع ورأس المال المستغل . تحكمها تغيرات فى موازين القوى السياسية ، ســواء طبيعة المرحلة التى يحياها وطننا بأبعـادها العالميـــة والعربية والمحلية ، وندرك أن ظروف العــــالم الان قد تحكمها تغيرات فى موازين القوى الســياسية ، ســواء فيما يتعلق بالوفـاق الدولى ، او الاهـــداف المرحلية للاستعمار الجديد فى علاقته بالعالم الثالث ، أو بالقوة النامية لكتلة عدم الانحياز وندرك ان واقع امتنا العربية، مازال يحتاج نضالا طويلا ، من أجل الحركة العربيـــة الواحدة وصولا للتنظيم القومى الواحد ، ونضالا من اجل أن تكون الثروة العربية فى خدمة الثورة العربية ، كمـا اننا ندرك ان واقعنا المصرى ما زال يحتـاج لنضـال شاق من أجل انجاز التحولات الاقتصادية والاجتماعيـــة

غير أن ذلك لا يعنى ، اننا نحجز علــى التعبير عن الاراء او نقيم من انفســـنا اوصياء ، على حرية الرأى والقــول . ولكننا نعتقد بأنه ينبغى الا يسمح لكل من يحاول ، ان يرتد بالبناء الاقتصادى ، اوبالبناء الاجتماعى ، أو بالبنـاء السياسى ، الى علاقات وقيم، ضربها الشعب فــىمسيرته الثورية ينبغى الا يسمح بتهيئة الجو، اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا ، من أجل ان تعودهذه المفاهيم التى تقفضد تيار التاريخ .

■ **الطليعــــــــة**

ما هو تصوركم للضوابط التى يجب أن تحكم عمل المنابر ؟ وكيف تسـتطيع هـذه المنابر ان تمارس عملها بشــكل ايجــابى ومؤثر ، ويعبر عن وجهة نظــرها فى حل مشاكل الجماهير ؟ وما هو تصوركم لعلاقة المنابر بالاتحاد الاشــتراكى وسيـاسته العامة ، فكريا وسياسيا ؟

■ **كمال احمد محمد**

فيما يتعلق بضوابط عمل المنابر ؟ ينبغى ان تقول اولا ؟ أن اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى ، ومؤتمره القومى وهمايمثلان السلطة العليـا للتنظيم السـياسى [الاتحاد الاشتراكى] هما المناط بهما وضع هذ ه الضوابط وذلك بمـــا يكفل ان تكون

والسياسية ، وتطويعها لخدمة الانسان المصرى ،وصولا لمجتمع الكفاية والعدل وانتفاء استغلالالانسان للانسان.

اننا ونحن ندرك كل هذه الابعاد وتؤمن بكل ماسبق من اهداف انما ننطلق من قاعدة فكرية اصيلة ، تعتمد على ميثاق الثورة ووثائقها ، وحصيلة ممارستها الايجابية فى الواقع المصرى والعربى والعالمى .

هذه القاعدة الفكرية حددت رؤيتها الثورية لتحقيق هذه الاهداف ولمعالجة هذا الواقع المتغير ولذلك : —

اولا : ارتكزت على اعتبار الاديان والقيم الروحية هى فى جوهرها ثورات انسانيـة استهدفت شرف الانسـان وسعادته ، واعتبرت ان هذه القيم ، تمثل جزءا ينفصل من نسيج هذه الامة العربية ، وضميرها ، وتاريخهـــا والذى به تكونت شخصيتها المتميزة .

ثانيا : قامت على اعتبار ان حتمية الحل الاشتراكى هى المخرج العلمى الوحيد من واقع التخلف ، وصــولا لبناء المجتمع القوى المتقدم فى جميع المجالات .

ولقد كانت اشتراكيتنا علمية ، حينما وضعت تصورا واضحا لمعالجة الصراع الطبقى الذى ينشا عن اختلال العلاقات الاقتصادية والاجتماعية ، اذ حددت انها تعترف بوجود هذا الصراع واختارت لحله طريقا سلميا ، من طريق العلاج الثورى للتناقضات غير العدائية التىتنشا بين قوى التحالف ، وعدمالسماح بتفاقم هذه التناقضات ووصولها الى تناقضات عدائية .

ثالثا : ان الديمقراطية التىحددتها هذه القاعدةالفكرية اتسمت دوما بأنها ذات بعد سياسى ،وبعد اجتماعى ، لانحرية الكلمة والرأى بدون حرية رغيف الخبز تعتبرحرية ناقصة ومزيفة .

رابعا : ان ثورتنا الخالدة بقاعدتها الفكرية الاصيلة ، قد اضافت الى التراث الانسانى مفومهــا فى القوميـة ذات البعد الاشتراكى ، وسعت طوال مسيرتها الىتأكيد الانتماء المصرى للامة العربية ، ووحدة الجماهير العربية ، ورسمت طريقا واضحا امام هذه الجمــاهير لتكون لهــا حركتها الواحدة وتنظيمها القومى .

خامسا : ان عظمة هذه الثورة واصالتها الفكرية ، أنها وضعت الانسان المواطن فى المقام الاول ، وأقامت علاقة متوازنة واضحة بين حركة الانسان الفرد المستقلة وحركته داخل المجتمع باعتباره فردا مواطنا .

سادسا : ان هذه الثورة القائدة ، قد رسمت خطها السياسى الخارجى ، على اساس من احترام الشـعوب وارادتها ، والسعى الى اقرار السلام العـالمى القــائم على العدل وفى اطار ذلك كله ، كانت من الطلائعالتى شكلت كتلة عدم الانحياز ، واسست منظمة التضــامن الاسيوى الافريقى ، ومنظمة الوحدة الافريقية .

ونعلن نحن الملتزمين بهذا البيان ، التزامنا بما يلى، داعين الى العمــل على تحقيقــــه فى اطار منبر للفكر الاشتراكى الناصرى ، يعبر عن جماهير الشعب المصرى التى ترتبط مصالحها بالاستمرار فى مسيرة ثورة يوليو ، داخل الاتحاد الاشتراكى العربى .

فى السياسة الداخلية

ان غايةالنضال الثورى العربى هى اقامة المجتمع الحر المتقدم ، الخالى من الاستغلال ، والذى تســوده الكفاية والعــدل ، كذلك فان الحلول الحقيقية لمشــاكل الشعوب تنبثق من واقعها وهذا يؤكد ان تحديد مراحل معينة سبقا للنضال الثورى ، وفرض اساليب واهداف لكل مرحلة ، دون ارتباط بالواقع ، انما يفــع قيدا على وعى الجماهير العربية وتطلعاتها ويحد من ثورتها

ان نظرية العمل الثورى لابد ان تأخــذ فى اعتبارها دائما وأساسا أنها نتاج المنطقة التى منحت العالمالاديان السماوية الثلاث .

ان الانسان الحر هو اساس المجتمع الحر وصانعه ، وان حرية الانسان الفرد هى أكبر حوافز النضــال ،

الممارسة فعلية ، ومؤثرة ومعبرة عن مصالح جماهير الشعب العامل التى حددت أهدافها فى الحرية الاشتراكية والوحدة ،

وانه لمن سبق الامور ، ان يقوم منبر من المنابر بفرض شروط معينة أو تصور مسبق ، قبل ان يعرض الاتحاد الاشتراكى وجهة نظره ، ليس تحسبا من شىء ، ولكن حتى يستمر الجدل السياسى فى مساره الصحيح لان الاتحاد الاشتراكى هو الذى اخذ زمام المبادأة اولا ، عن طريق ورقة التطوير ، فى هذا الحوار السياسى .

الطليعـــــــة

ورغم ذلك ، هناك رأى يقول بان يكون وجود المنابر داخل اللجنة المركزية وحدها ؟ فكيف يمارس المنبر نشاطه داخل اللجنة المركزية وحدها ، وفى هذه الحـــالة كيف يوجه المنبر رأيه الى الجماهير المؤمنة به ؟

■ **كمال احمد محمد**

نتصور ان هذا الرأى ، يعتمد على فكرة المنابر المتحركة ؟ التى تقوم على الممارسة



الاول للتخلص الى غير رجعة من السلبية والتواكل واليأس .

الديموقراطيـــــة

ان الهدف من اقامة مجتمع ديمقراطى ، هو اتاحة الفرصة للفرد كى يقتحم الميادين المختلفة بشجاعة بحيث يصبح عنصرا فعالا فى بناء المجتمع وتقدمه ، ومن الضرورى أن يرتفع مستوى المعيشة فى المجتمع ،ضمانا لبروز الشخصية ، فلا يمكن للفرد ان يمارس حقوقا سياسية ،ويتمتع بكافة حقوقه المشروعة بينما لا يجد ما يسد به رمقه ، وبينما يكون عرضة للتخلى عن هذه الحقوق وان يتنازل عن حريته اذا ما اعوزته الحاجة ، فحياة الانسان ترتبط بالضروريات التى يتطلبها وجوده ، وذلك بالتمسك بصيغة تحالف قوى الشعب العاملة على أساس من ضمان التمثيل الحقيقى والفعلى لجماهير العمال والفلاحين ، كما يجب العمل على تاكيد المنجزات الاجتماعية التقدمية لثورة يوليو ، وبخاصة تمثيل العمال والفلاحين بنسبة ٥٠٪ على الاقل ومشاركة العمال فى الادارة والارباح ، والعمل على تطويرها ، بحيث تشمل مختلف المجالات والقوى حتى يتمكن جميع العاملين من تركيز كل جهودهم لخدمة الانتاج وفى هذا الصدد يجب التاكيد على ما يلى : —

١ — حرية الرأى والقول والكتابة والاعتقاد والاجتماعات والعمل السياسى والثقافى والاجتماعى فى اطار ضمان حقوق قوى الشعب العاملة ، وكفالة أمنهم وحريتهم .

٢ — ان الرأى العام المستنير هو الضمان الاساسى للممارسة الديمقراطية ، فلا قيمة للديمقراطية فى وجود الامية والتخلف : وهذا يقتضى وضع سياسة قومية لمحو الامية تعبأ لها اجهزة الدولة ، والتنظيمات الجماهيرية، وفوق ذلك ضمان المجانية الفعلية للتعليم فى كافة مراحله : ضمانا لرفع المستوى الفكرى والسياسى للفرد، ليكون قادرا على ممارسة الحرية عمليا .

٣ — مساواة الرجل والمرأة فى الحقوق والواجبات ، ووجود أجر واحد للعمل الواحد ، ومقاومة الافكار الرجعية والمتخلفة التى تحط من قدر المرأة : وتنظر الى وجودها الانسانى ، من زاوية واحدة ، ووضع التشريعات اللازمة لحماية الامومة والطفولة : ضمانا لترسيخ الممارسة الديمقراطية لنصف المجتمع .

٤ — اعادة تشكيل الحركة التعاونية على اسس علمية وديموقراطية قادرة حتى تكون تعاونيات للفلاحين والحرفيين ، منظمات ديمقراطية قادرة على التعرف على مشاكل اصحابها وعلى استكشاف الحلول لها .

٥ — ضمان حرية ووحدة الحركة النقابية بما يكفل لها أن تكون قوة متقدمة فى ميادين العمل الديمقراطى ، ولتكون قادرة على المشاركة بنصيب واسع فى تخطيط وتنفيذ ورقابة ومتابعة سياسة الانتاج : مع اعطاء اهمية خاصة لنقابات العمال الزراعيين .

٦ — ان سلطة المجالس الشعبية المنتخبة يجب ان تتأكد باستمرار فوق سلطة اجهزة الدولة التنفيذية ، وهذا هو الوضع الطبيعى الذى يكفل سيادة الشعب ، بان يظل الشعب دائما قائدا للعمل الوطنى .

٧ — ان جماعية القيادة ليست عاصما من جموح الفرد فحسب : وانما هى تأكيد للديمقراطية على أعلى المستويات ، كما أنها فى الوقت ذاته ضمان للاستمرار الدائم والمتجدد .

٨ — ان سيادة القانون ، لا تتم الا بجعل التشريعات والقوانين فى خدمة الجماهير صاحبة المصلحة فى الاشتراكية : وبحيث لا تكون سيفا مسلطا عليها ، وهذا يتاتى عن طريق تطوير التشريعات والقوانين واللوائح القائمة لتكون مسخرة فى خدمة هذا الهدف .

الواقعية ، فى داخل اللجنة المركزية . بمعنى ، انه اذا طرحت قضية ما ، فان الاراء سوف تتعدد فيها ، وعليه ، فكل منبر يستطيع . ان يقول رأيه فى هذه القضية .

على اننا لا نتصور ان هذا الراى الذى طرح هذه الفكرة سوف يقتصر على هذه المقولة ، غير الواضحة المضمون ، وانما عليه ، ان يستكمل محتواها النظرى وعندما يتم استكمالها ، فان الاراء سوف تكون واضحة .

وهناك رأيان ، رأى يقول ان حركة المنابر ، حركة افقية بداخل اللجنة المركزية ، على النحو المشروح سلفا ، ورأى آخر يقول أن يكون هناك هيكل تنظيمى متكامل باشتراكاته وقواعده ، ويمارس عمله كما لو كان منفصلا ، عن الاتحاد الاشتراكى .

ونحن نرى ان المسألة لا تنحصر عند مستوى اللجنة المركزية . وانما تنساب الى لجان المحافظات ولجان الاقسام بمستوياتها المختلفة ، ويصبح المنبر هنا ، له الرابطة الافقية والرابطة الراسية فى داخل الاتحاد الاشتراكى . فلو عرضت قضية - مثلا - فى اللجنة المركزية ، أو غيرها فى مستوى من المستويات ، فينبغى ان يكون واضحا ، رأى

التنمية الاقتصادية

ان بناء الاشتراكية يختلف باختلاف الظروف التاريخية لكل مجتمع ، وبالرغم من وجود خطوط رئيسية مشتركة ، باعتبار ان جوهر الاشتراكية هو الغاء استغلال الانسان للانسان : وأن العمل هو المعيار الاساسى للتوزيع وما يقتضيه ذلك من سيطرة الشعب على وسائل الانتاج .

ان واقع مجتمعنا قد فرض أن تكون الاشتراكية العلمية هى المخرج العلمى من قيود التخلف واشتراكيتنا علمية من حيث اعتمادها على المنهج العلمى فى معالجة قضايا هذا الواقع ، وهى تختلف بالقطع عن الاشتراكية المادية لان الصيغة العلمية ترتبط باسلوب معين للتفكير العلمى ، وليس من الضرورى أن يكون هناك تفكير علمى واحد بحيث ينطبق على كافة المجتمعات الانسانية وعلى هذا فان حتمية الحل الاشتراكى لم تكن أختيارا عشوائيا بين فروض مختلفة .

كذلك فان تنمية المجتمع اقتصاديا واجتماعيا من اجل بناء اقتصاد وطنى مستقل وضمان زيادة الدخل القومى ورفع مستوى معيشة الطبقات الكادحة ، كل ذلك يضمن أن تتحول مصر الى بلد صناعى متقدم ، وهذا يتطلب تدعيم القطاع العام ودوره الرئيسى والقيادى حتى يكون حاسما فى انجاز عملية التنمية بكل جوانبها ، اذا ينبغى ان يكون هذا القطاع مهيمنا على المصادر الاساسية للتمويل ، وعلى التجارة الخارجية ، وخصوصا الاستيراد ، وعلى تجارة الجملة ، وهذا يضمن أن يكون التخطيط المركزى المعتمد على قاعدة اقتصادية صلبة ، ضرورة لا مفر منها لتوجيه الاقتصاد القومى . ومن هنا تصبح المهام التالية اساسية : -

اولا : التخطيط الشامل : ان يكون التخطيط المركزى الشامل المرتكز على القطاع العام طريقا للتنمية الاقتصادية ، وأن يكون ذلك التخطيط فى خدمة مصالح الجماهير العاملة ، وضد محاولات الاستعمار الجديد لتصفية استقلالنا الاقتصادى ، كما يقضى على الاتجاهات الطفيلية التى تحاول ان تعيد السيطرة الرأسمالية المستغلة ، وتعمق الفوارق الطبقية وتتحالف مع رأس المال الاجنبى ومن هنا يتضح ان اهمية التخطيط فى المجتمع الاشتراكى هى :

١ - تامين التنمية المتوازية للاقتصاد فى كافة القطاعات المختلفة .

٢ - تلبية الحاجات العامة والخاصة بالنسبة للمجتمع والفرد .

٣ - التوزيع العادل للثروة القومية وناتج الانتاج فى المجتمع .

٤ - تحقيق مساهمة المنتجين الحقيقيين فى وضع هذا التخطيط ، بمعنى أن كل من يشترك فى تنفيذ الخطة يجب أن يكون له دور فى وضعها .

ثانيا : القطاع العام : ان القطاع العام هو اداة تحالف قوى الشعب العاملة فى السيطرة على وسائل الانتاج الرئيسية ، كطريق اساسى لتحقيق الاشتراكية فى المجتمع ، وتاكيد المكتسبات والتحولات الاجتماعية والتقدمية ، وحماية الراسمالية الوطنية المنتجة من الاحتكارات الاجنبية العالمية . ان ذلك يستلزم التصدى لكل المحاولات الرامية الى تصفية القطاع العام ، او المساس بدوره القيادى على قمة الاقتصاد القومى وتحت اى شعار من الشعارات ، فهو عامل رئيسى فى تعبئة الثروات القومية من اجل التعجيل بتطور اهم فروع الاقتصاد ، ويحد من فوضى الرأسمالية الخاصة ، ويخلق ويكون القوى المنتجة فى المجتمع ، وهذا لا ينفى ضرورة التخلص من السلبيات التى صاحبت القطاع العام فى التطبيق .

ثالثا : القطاع الخاص : ان الاهتمام بالقطاع العام وتنميته وزيادة كفاءته الانتاجية لا يعنى اهمال القطاع

اى منبر من المنابر ، عند كل مستوى من المستويات التنظيمية داخل الاتحاد الاشتراكى تجاه هذه القضية ،

بهذه المعالجة ، نعتقد أن الديموقراطية لا يمثلها رأى شخص أو فرد ، ولكنه اتجاه فى شكل منبر ، فى كل المستويات ».

■ **الطليعـــة**

بناء على تصوركم هذا للمنبر ، هنـاك احتمال ان يتطور وجود هذه المنابر ، وياخذ شكل الكيان الحزبى فى اطار التحالف ، فهل هذا التصور موجود لديكم ، منذ بداية اقامتكم للمنبر !؟

■ **كمال احمد محمد**

اننا نتصور أن طبيعة الجدل السياسى الدائر حاليا ، تتضمن عدة اتجاهات ، فهناك اتجاه نام يدعو الى الاحزاب ، ويرسم حركته المرحلية للوصول الى هدفه فى نظام سياسى يقوم على الاحزاب. ولكنا نتصور ، انه ليس من العلمى ، ان نستبق تطور الامور ، لان البناء السياسى فى أى بلد ، انما

الخاص ، بل يصبح من الضرورى المحافظة على الدور الذى يقوم به ، وتشجيعه فى مجالات الانتاج والتجارة والتوزيع فى اطار الخطة القومية الشاملة . وان قيمة القطاع الخاص انه يمثل الراسمالية الوطنية المنتجة فى المجتمع بعيدا عن الاستغلال وبعيدا عن النزعات الطفيلية غير المنتجة التى تعتمد على الوساطة والسمسرة والتوكيلات والتهريب والمضاربة على اقوات الشعب .

ان محاولة تحويل الراسمالية الوطنية المنتجة الى راس مالية طفيلية ترمى الى الارتباط بالسوق الراسمالى العالمى ، وتدعو للتبعية لراس المال الاجنبى ، وتستغل الحرفيين وتفسد القطاع العام ، هذا كله لا يساعد على تنمية موارد البلاد ، وزيادة الدخل القومى بل يهدد مصالح الراسمالية الوطنية المنتجة ذاتها ، ويعرض استقلالنا الاقتصادى للخطر ، الامر الذى نبهت اليه ورقة اكتوبر.

ان الدولة مطالبة بان تحافظ على حقوق العاملين فى القطاع الخاص ، فيما يتعلق بساعات العمل والاجر بحقوقهم الاجتماعية ، وتوسيع قاعدة هذه الحقوق بما يتضمن عدم استغلالهم ، وتحقيق المستوى المعيشى اللائق بهم فى المجتمع .

رابعا : القطاع التعاونى : ان هذا القطاع يلعب دورا فى تعبئة قوى اقتصادية واجتماعية فى المجتمع لا يحويها القطاعين العام والخاص ، بل ان دوره ياتى متكاملا مع هذين القطاعين ، الا انه من الملاحظ انه لم يلعب بعد الدور المؤمل منه فى اقتصادنا القومى سواء فى الريف او المدينة ، وهذا يقتضى النظام التعاونى بايدى صغار المنتجين من فلاحين وحرفيين ليكون بالفعل فى خدمتهم مباشرة ، وتنقيته من كافة السلبيات التى ارتبطت بتطبيق الحركة التعاونية .

ان التعاون يجب ان ينجز عددا من المهام على النحو التالى : —

١ — ان يحد من عضوية الراسمالية الخاصة .

٢ — ان يساعد على النهوض بالقوى المنتجة من فلاحين وعمال وحرفيين .

٣ — ان يساهم فى حل مشاكل الاستخدام والعمالة.

٤ — ان يساعد فى تطوير المبادىء الديمقراطية فى عملية الانتاج .

٥ — ان يقوم بدوره فى تحقيق التحولات الاقتصادية والاجتماعية لصالح الجماهير العريضة .

٦ — أن يساعد فى زيادة الكفاءة الانتاجية والتسويقية لصغار المنتجين من فلاحين وحرفيين .

٧ — ان يكون قطاعا اقتصاديا له ثقله بجانب القطاعين العام والخاص .

خامسا : الاستثمارات الاجنبية : ان عملية التنمية الاقتصادية لابد أن يضمن لها مصادر للتمويل وفى حالة عدم قدرة مدخراتنا الوطنية على القيام بكل اعباء التنمية تاتى الاستثمارات العربية والاجنبية كمصدر من مصادر التمويل ، ولكن ينبغى عند الاستعانة بها ان تكون هناك عدة ضوابط نوجزها فيما يلى : —

اولا : ينبغى ان تكون الافضلية فى عملية الاستثمار الاجنبى للقروض غير المشروطة التى تكفل للدولة ان توجهها الوجهة الصحيحة المتفقة مع الخطة الشاملة ، وفى خدمة عملية التنمية وزيادة الدخل القومى .

ثانيا : لابد ان تكون الاستفادة من رأس المال الاجنبى فى حدود عدم سيطرته على مقدرات الحياة الاقتصادية ، وعدم السماح لنفوذه أن يؤثر على البناء الاجتماعى والسياسى كذلك عدم السماح لهذه المصادر بان تتمتع بميزات خاصة تفوق ما يتمتع به رأس المال الوطنى .

ثالثا : ينبغى ان تكون الاستفادة من هذا المصدر فى اطار سياسة قومية شاملة ترسم خطط الاستفادة منه ، وان يكون ملتزما باهداف هذه السياسة القومية ، على انه لابد ان تكون المشاركة مقصورة بين هذا المصدر

انما هو نتيجة طبيعية للبناء الاقتصادى وتطور هذا البناء . وللتدليل على ذلك فان انصار الاحزاب ، يحاولون دعم الاتجاه نحو الاقتصاد الحر ، وما يسمى بالانفتاح العالمى ، وحرية حركة راس المال ، سواء كان وطنيا أو عربيا أو اجنبيا . وان الذى يحكم نظرتنا — فى هذه العملية — هو أن فلسفتنا السياسية تقوم على تحالف قوى الشعب العامل بمفهومه المتكامل والصحيح .

واذا كنا قد حددنا هدفنا فى التمكين للتحالف بصورته السابقة ، فأنه من غير المتصور ان نكون دعاة احزاب . لان هذا يتعارض مع رؤيتنا السياسية . أما اذا سارت الامور ، او جاءت الرياح بما لا تشتهى السفن ، فانه من غير المتصور لحركة سياسية ان تنعزل عن الحياة السياسية بدعوى أن رؤيتها فى البناء السياسى تختلف عما يجىء به التطور . واستكمالا لهذه الرؤية ، فانه اذا جاءت الاحزاب افتراضا ، من خلال تطورات ، سوف يمر بها المجتمع ، فانه يصبح من المحتم علينا ان نخوض معركة الحياة الحزبية ، كفترة مرحلية ، وصولا لتمكين التحالف مرة أخرى .

■ الطليعـــة

اذن ، بناء على هذا التصور ، انتم ترفضون قيام منابر لا تتفق مع فكرة تحالف قوى الشعب العامل ؟

وبين الدولة ذاتها ، مع استبعاد المشاركة مع راس المال الخاص محليا ، وان تتحدد المشروعات التى تتم فيها المشاركة .

لذلك يجب اعادة النظر فى التشريعات الخاصة بالاستثمارات الاجنبية والخاصة بنشاط البنوك واجهزة التمويل ، ويجب أن يظل القطاع العام ممسكا بكافة خيوط الاقتصاد القومى ، كى تكون سياسة الانفتاح سبيلا للحصول على موارد اضافية لخطة التنمية ، ولايكون الهدف منها عودة سيطرة راس المال الاجنبى على كافة مجالات الاقتصاد الوطنى .

ان تكاملا اقتصاديا ينبغى أن يتم بين الدول العربية لخدمة آفاق التنمية صناعيا وزراعيا واجتماعيا ، حيث تستطيع الدول العربية أن تستفيد بما هو موجود من موارد إساسية ، وثروة مصرفية ، وطاقات بشرية ، وخبرة فنية فى اقامة صرح التقدم العربى ، ضمانا لعدم اتجاه رأس المال العربى لمشروعات لا تخدم غالبية الشعب العربى .

سادسا : الاسعار والاجور : يجب بذل كافة الجهود لوقف سياسة التضخم المتصاعدة حيث انها تخل باستقرار العلاقة بين الاسعار والاجور ، وتهبط بالقوة الشرائية لدخول الطبقات الشعبية ومحدودى الدخل كالموظفين واصحاب المعاشات . ان ارتفاع الاسعار لايمكن ان يوقف الا بتدعيم القطاع العام واعطائه الدور القيادى فى القيام بمهام التنمية ، كما يجب على الدولة ان تتدخل لصالح اغلبية الجماهير ، مع الحد من حرية المضاربين واصحاب الانشطة غير المنتجة والذين يعملون بلا رقابة من الدولة ولا يساهمون فى زيادة ايراداتها بما يتناسب مع نصيبهم من الدخل القومى . ان التحكم فى الاسعار يتطلب اعادة النظر فى السياسة الاقتصادية للدولة ، فالاسعار يجب ان ترتبط بسياسات الانتاج والدخول والسياسة الضريبية والتجارة الخارجية والداخلية ، وبدون هذا الارتباط وبدون ايجاد العلاقات والمناخ المناسبين لتحقيقه فانه لا يمكن تحقيق سياسة فعالة فى مجال الاسعار . والى جانب ذلك فان دور الدولة يجب ان يتصاعد فى تثبيت اسعار المواد الاستهلاكية الاساسية عن طريق تقديم الدعم للواردات وكذلك تخفيض تكلفة الانتاج الوطنى .

ان ضمان عدالة توزيع الدخل يتطلب رفع الحد الادنى للاجور والتقليل من الفوارق بين أدنى واعلى حد للاجور ووضع حد أعلى للدخول وترشيد الانفاق الحكومى ولاشك ان ذلك يعتبر ضمانا اساسيا لتذويب الفوارق بين الطبقات .

سابعا : الضرائب : يجب اقامة نظام ضريبى جديد يتصف بالشمول والتصاعد بهدف تعبئة اكبر قدر من الموارد المتاحة لدى الفئات الاكثر قدرة بغية الاسهام فى توفير التمويل للتنمية ولتصحيح العلاقة المختلة بين الضرائب المباشرة والضرائب غير المباشرة التى زادت اعباؤها فى السنين الاخيرة على الطبقات الشعبية ومحدودى الدخل . ان هذا لا يتأتى الا بالتنسيق الكامل بين السياسة الضريبية والدخول والاجور والاسعار بما يمكن الاغلبية الساحقة للمواطنين من مواجهة اعباء الحياة .

ان تطوير الجهاز الضريبى وتوفير الاجهزة الفعالة له يستطيع ان يساعد فى التعرف على فائض الانشطة الاقتصادية المختلفة وتتبع الاوعية الضريبية .

ان السياسة الضريبية لا ينبغى ان توضع فى اطار النظرة الرأسمالية التى تعتبرها الوسيلة الوحيدة لتحقيق العدالة الاجتماعية ، ولكنها فى المجتمع الاشتراكى تهدف الى تحقيق الوفرة فى موارد الدولة وتحقيق عدالة توزيع العبء الضريبى وتعديل الانماط الاستهلاكية بما يخدم خطط التنمية .

الخـــــدمات

ان الاشتراكية هى مجتمع الكفاية والعدل ، مجتمع العمل وتكافؤ الفرص مجتمع الانتاج ومجتمع الخدمات ،

■ **كمال احمد محمد**

الاسـاس فى موقفنا ، هو ان النظـــام السياسى القائم فى مصر يستمد شرعيته ، من استمراره بفلسفة ثورة ٢٣ يوليو والتى يمثل التحالف ، ركنا أساسيا من بنائها . وهذا ما أعلنته القيادة السياسية فى أول خطاب حدثت فيه الشعب ، من أنها جـــاءت على طريق **جمال عبد الناصر** ، وعلى طريق ثورة يوليو .

■ **الطليعـــــــــة**

من الواضح ان اختلاف الاراء يعبر عن مصالح قوى اجتماعية مختلفة ، وقيام المنابر : هو تأصيل قضية اختلاف الاراء . فأى قوى اجتماعية يمثلها منبركم ، وتعبرون عنهـــا ؟ وكيف انعكس هـــذا التعبير فى برنامجكم ؟

■ **كمال احمد محمد**

من الطبيعى ، ان يكون اختلاف الاراء فى قضـايا الوطن ، معبرا عن مصـالح القوى الاجتماعية ، واننا اذ ندرك هذا الامر ، الذى وضعته فلسفة التحالف بحسبانها ، على أسـاس ، ان هناك ، تناقضات غير عدائية ، بين القوى المكونة للتحـالف ، وأنه بين هذه

فالخدمات تعتبر قوة دافعة للانتاج ، وكما جاء فى الميثاق من ان ؟ غاية الانتاج الحقيقية هى توفير اكبر قدر ممكن من الخدمات لتكون اعلام الرفاهية التى ترفرف على المجتمع كله ! .

أولا : التعليم :

ان المتطلبات الفعلية لبناء المجتمع الاشتراكى تدعو الى تحسين المستويات الثقافية والعلمية لقوى الشعب العامل ، فالمجتمع يحتاج الى قوى عاملة تتميز بالمهـــارة الفنيـــة والتعليم والوعى الاجتماعى . وان ذلك يتطلب الاهتمـــام بعدد من الجوانب : —

١ — اتخاذ اجراءات حازمة لمكافحة الامية .

٢ — وضع نظام جديد للتعليم الشعبى والتعليم العام والتعليم الفنى المتخصص والتعليم العـــالى والمعـــاهد العلمية ، لخلق أجيال جديدة من الشـــــباب قادرة على مواجهة التطور العلمى والتكنولوجى ونشر المنهج العلمى فى التفكير مع المحافظة على القيم والمثل العليا المستمدة من تراثنا القومى والدينى .

٣ — ان رفع مستوى التعليم يستلزم الاهتمام بتوفير الامكانيات العلمية والمادية والبشرية للمؤسسات التعليمية وكذلك الاهتمام بالمعلم ، واحترام انسانيته ومكانتـــه فى المجتمع باعتباره الركن الاساسى فى العملية التعليمية .

ثانيا : البحث العلمى : —

ان تحقيق خطط التنميـــــة والتغلب على المشـــــاكل الاقتصادية والاجتماعية التى يعانى منها المجتمـــع يتطلب حلولا علمية يقوم بها خبراء متخصصون فى مراكز البحث والجامعات والمعاهد المتخصصة وفق خطة مركزية علمية تضع فى الاعتبار متطلبات التنمية الاقتصادية والاجتماعية وتطوير الانتاج فى مجالات الصناعة والزراعة والانتاج مع مراعاة التطور العلمى والتكنولوجى فى العالم .

فالعلم لم يصبح فقط مجرد بحث عن الحقيقة بل هو فى الحقيقة تجسيدا لمستقبل العمل الانسانى لرفع مستوى المعيشة والتغلب على مشاكل المجتمع .

ومن هنا فان المجتمعات النامية لابد وان تعتمـــد على البحث العلمى فى تحقيق خطوات على طريق التقـــدم ، الامر الذى يتطلب توفير الامكانيات والاجهزة الـــلازمة لاجراء البحوث والعمل على تحقيق المناخ المستقر للكفاءات العلمية وتوفير الاســـتقرار النفسى والمـــــادى لهم حتى لا تتسرب هذه الكفاءات الى الخـــارج بسبب الظـــروف الاقتصادية ويحرم المجتمع من علمهم وخبرتهم .

ثالثا : الثقافة والاعلام :

ان تطوير وسائل الاعلام المختلفة وتمكينـــها من آداء دورها من أجل توعية الجماهير ورفع مستواها فى المجالات الادبية والفنية والثقافية وكافة مجالات المعـــرفة ، أمر ضرورى وهام لتحريرها من التخلف الثقافى ووضعهـــا وجها لوجه أمام الثورة الحضـــارية التى حققهـــا الجنس البشرى .

كذلك فان وسائل الاعلام مطالبة بتاصيل القيم الروحية والتوعية لدى الجماهير وتعبئتها لتساهم فى عملية التنمية الاجتماعية والسياسية التى تعمق مجرى الثورة الاجتماعية لصالحها ، وأن تقوم بدورها فى الرقابة الشعبية لكشف كل أوجه الانحراف والتسيب .

كما أنه من واجب وسائل الاعلام التركيز على أبراز مراحل النضال المصرى والقومى والتى ساهم فيها الانسان بمختلف انتماءاته بدور كبير ومن أجل تمكين الارادة الوطنية والقومية من تحقيق أهدافها ، ولتكون انعكاسا وتعبيرا حقيقيا عن واقع المجتمع ومشكلاته .

رابعا : القوى العاملة : —

ان القوى العـــاملة هى الركيزة الاساســـية للبناء السياسى والاجتماعى والاقتصادى ، ومن هنا يجىء اهتمام

القوى المجتمعة ،تناقضا عدائيا ، معتحالف الاقطاع وراس المال المستغل ، والاستعمار بمختلف اساليبه .

وعلى هذا الاساس ، وضعت فلسفة التحالف اسلوبا لحل هذه التناقضات غير العدائية بين القوى الداخلة فى التحالف عن طريق عدم السماح لهذه التناقضات بأن تتحول الى تناقضات عدائية .

وفى هذا الصدد فلقد حددت مفهوم الشعب ، وحددت مفهوم الدولة بانها ينبغى أن تكون تعبيرا واضحا ، عن الجماهير صاحبة المصلحة فى الثورة ، وانها ليست حكما محايدا بين الشعب ، وبين أعداء الشعب . وعليه ، فاننا نتصور أن المنابر سوف تكون احد الاساليب التى تحاول أن تبقى التناقضات بين القوى المختلفة بشكل غير عدائى ، فى اطار العمل من داخل التحالف .

أما عن القوى الاجتماعية التى يمثلها منبرنا ، فانها تحدد فى الجماهير صاحبة المصلحة فى استمرار الثورة . يحكمنا فى ذلك أن مرحلة التحول الاشتراكى لم تتم بعد للوصول الى البناء الاشتراكى المتكامل . وهذا يحتم ان تستمر فلسفة التحالف ،بقواها المختلفة للوصول الى مجتمع الكفاية والعدل . اننا نتصور اننا معبرون عن العمال والفلاحين والمثقفين الذين لهم موقف من قضية التحول الاجتماعى ، وعن ثورة ٢٣ يوليو بقضية القوى العاملة اعدادا واستخداما. ان هذه القضية تدعو الى : ـ

١ ـ استخدام المنهج العلمى فى تخطيط سياسة القوى العاملة بحيث تاتى سياسات التعليم والتدريب المهنى والأدارى متسقة مع اهداف الخطة وغاياتها وبحيث يتم تجنب الفاقد فى القوى البشرية الناتج عن اهدار الطاقات التعليمية والتدريبية فى مجالات لا تتفق مع الاحتياجات الفعلية .

٢ ـ ضمان تحقيق هدف العمالة المنتجة الكاملة باعتبارها حق للمواطن والمجتمع ، ومن هنا فان أى دعوة لتخلى الدولة عن القيام بهذا الدور هو عودة بالمجتمع الى واقع متخلف .

٣ ـ ضمان مبدأ تكافؤ الفرص فى العمل سواء فى تعيين الخريجين ، أو فى سياسات الترقية والحوافز والاجور ووضع الضوابط التى تكفل محاربة المحسوبية والقضاء على صور استغلال النفوذ فى مجالات العمل .

٤ ـ تطبيق مبدأ الرجل المناسب فى المكان المناسب على أساس علمى موضوعى وهذا يتطلب اعداد خطة شاملة لترتيب وتقييم الوظائف ووضعها موضع التنفيذ الفعلى فى المؤسسات الحكومية ووحدات القطاع العام .

٥ ـ الحفاظ على الثروة البشرية اللازمة لاحتياجات التنمية ووضع النظام الكفيل بعدم تسرب الكفاءات الفنية والادارية الى الخارج وذلك بتنظيم تصدير القوى البشرية الفائضة عن حد الاحتياجات المحلية الى الوطن العربى والى الخارج بحيث لا تتعرض هذه القوى للاستغلال .

خامسا : التموين : ـ

ضمانا لحصول الشعب على اقواته باسعار مناسبة فانه لابد من دعم القطاع العام فى مجال التجارة الداخلية والتموين والتوسع فى انشاء المجمعات والوحدات الاستهلاكية والتعاونية وتزويدها بالسلع الاستهلاكية ،مع حسن توزيع السلع على المستهلكين ومحاربة الانحرافات التى ظهرت فى هذا المجال بطريقة حاسمة . ان ذلك يقتضى أيضا تطبيق نظام فعال للحوافز للعاملين فى قطاع التموين والتجارة الداخلية وتشديد العقوبة على الإتجار فى السوق السوداء وعلى التهريب والاتجار فى السلع المهربة لما تمثله من استنزاف لموارد البلاد وضرب للاقتصاد الوطنى واستغلال للمستهلك .

سادسا : الاسكان : ـ

ان قضية الاسكان تمثل اليوم اخطر مشكلة تواجه الجماهير وخاصة محدودى الدخل . ان الامر يتطلب تدخل الدولة باجراءات جذرية مثل تصديها لبناء المساكن الشعبية على أوسع نطاق ، والزام الوحدات الانتاجية والصناعية بتوفير المساكن لعمالها وموظفيها ، وتوفير كافة مواد البناء وأنشاء المساكن الجاهزة ، والحد من أرتفاع أسعار الاراضى ، والبناء بصورة عاجلة ،وتحديد ايجارات المساكن بصورة تتناسب مع الدخول . وكذلك فان الامر يقتضى التوسع فى الاسكان التعاونى .

ان عدم اتخاذ هذه الاجراءات من شانه أن يؤدى الى افقار مستمر لطبقات العاملة ومحدودى الدخل بسبب تزايد قيمة الايجارات بنسبة أعلى من تزايد الدخول .

سابعا : الصحة : ـ

ان سعادة الانسان ورفاهيته وتقدمه ترتبط بوجود المناخ الصحى السليم الذى يكفل لكل فرد ان يحيا حياة سعيدة ، وفى نفس الوقت يكون دافعا قويا من دوافع الانتاج الاقتصادى المتكامل ... ومن هنا فان مظلة التامين الصحى يجب أن تشمل جميع قطاعات الشعب ويصبح من الضرورى بعد ذلك أن يكون العلاج المجانى حقا لاى مواطن منتج . وهذا الامر يستلزم التوسع فى الوحدات الصحية الريفية وتخليصها من سلبياتها ومتابعة الرقابة الصحية داخلها وتوفير ما يلزمها من الادوية والمستحضرات والاطباء والعاملين . كما يتطلب الامر أيضا رفع مستوى الخدمة داخل المستشفيات العامة

الراسمالية الوطنية التى لا تستغل والتى لاتسعى لان تتحول الى حليف ، أو تابع للراسمالية العالمية . وقد انعكس هذا الامر فى بياننا ، حيث تعرض البيان ، لخطوط عريضة تتعلق باستمرار مصالح هذه القوى .

■ **الطليعـــــة**

اذن أنتم تتصورون أن ثورة يوليو لم تنجز مهماتها بعد ؟ وأن منبركم يستهدف استمرار النضال من أجل ان تنجز ثورة يوليو أهدافها ، وعليه ، فلديكم تصور لايجابيات وسلبيات ثورة يوليو فى الفترة الماضية ؟

■ **كمال احمد محمد**

اننا نتصور أن تحديد استكمال الاهداف لثورة ما ، تصور محدود ، لان الثورة بطبيعتها عمل تقدمى وشعبى ، عندما يصل الى مرحلة يسعى الى مرحلة أخرى ، ولا نهاية للعمل الثورى ، لان التحديات التى تواجه الانسان ، لا تنتهى .

واذا كانت ثورة يوليو ببعدها الاشتراكى والقومى لم تنجز مهماتها ، فان هذا أمر وارد ، لان القائمين بالعمل الثورى ليسوا ملائكة يملكون أن يقولوا : كن فيكون ! واننا

ووضع النظم واللوائح التى تقضى على السلبيات الكثيرة داخلها وتوفير أحدث طرق العلاج ومن ناحية اخرى ينبغى ان تكون هناك خطة قومية شاملة وفق برنامج زمنى محدد للتخلص من الامراض المتوطنة التى تشكل عائقا كبيرا من عوائق الانتاج ويجب أن تشمل الخطة ايضا برنامجا زمنيا لتصنيع الادوية والعمل على توافرها باستمرار بارخص الاسعار باعتبارها حاجة أساسية .

وينبغى النظر الى الاطباء نظرة جديدة تربطهم بالمجتمع وترفع كفاءتهم المهنية والسياسية وفى نفس الوقت تضمن لهم مستوى لائق من المعيشة .

ثامنا : المواصلات : ـــ

ان مشكلة المواصلات من أهم المشاكل التى تعانى منها الجماهير يوميا ... لذا يجب التاكيد على حل هذه المشكلة وذلك يقتضى .

١ ـــ زيادة الوحدات التى تعمل على الخطوط الرئيسية خاصة فى أوقات الذروة .

٢ ـــ ان زيادة تكلفة النقل عبء جديد يزيد من اعباء تكاليف المعيشة ولذا يستلزم الامر اعادة النظر فى اسعار تكلفة النقل بما يتفق وظروف المواطن المعيشية .

٣ ـــ ان الامر يحتاج لتطوير الخدمة الجماهيرية فى وسائل المواصلات خاصة الرئيسية منها وهذا يقتضى زيادة الحوافز للعاملين بهذا القطاع .

٤ ـــ ان اصلاح الطرق يعتبر من الوسائل الهامة التى تساعد فى حل مشكلة المواصلات وتوفر من قطع الغيار التى تنتج من هذه المشكلة .

٥ ـــ لقد جاء الوقت لحل مشكلة المواصلات السلكية واللاسلكية . خاصة وان هذه المشكلة اصبحت من المشاكل الرئيسية فى مجتمع ينشد التقدم الحضارى ... كذلك فان مشكلة الخدمة البريدية تحتاج بالضرورة للعمل العلمى المدروس .

٦ ـــ ان النظر الى مشكلة المواصلات يجب ان ياتى فى اطار النظرة الشاملة الى تخطيط المرافق الاخرى بحيث لا يحدث فاقد بسبب انعدام النظرة الشمولية .

المجتمـــع

أولا : الشباب . ـــ

ان الشباب هو الذى يملك المستقبل . كما انه احد العناصر النشيطة فى المجتمع وآماله تمتد الى عشرات السنين القادمة والتى يجب أن يشارك فى صنعها والا يقف موقفا سلبيا منها .

ان الاعداد الصحيح للاجيال القادمه فى كل النواحى الثقافية والعلمية والروحية والقومية هو واجب وطنى ـــ وهذا يقتضى وضع خطة قومية للشباب وتجميع جهود كل الاجهزة المشرفة على انشطة الشباب تحقيقا لهدف بناء الشباب المتكامل .

ان تدعيم الشباب رياضيا يحتاج لجهود كبيرة فى زيادة الخدمات الرياضية وتوفير الساحات والاندية الشعبية .

ان الشباب يجب أن يشارك فى الحياة السياسية وان يساهم فى عملية بناء المجتمع والا ينعزل عما يجرى فيه من أحداث سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية تمس حاضره ومستقبله .

ثانيا : المرأة والطفولة : ـــ

ان المرأة لابد أن تتساوى بالرجل ولابد أن تسقط بقايا الاغلال التى تعوق حركتها الحرة حتى تستطيع أن تشارك بعمق وايجابية فى صنع الحياة .

ان القانون يجب ان يكفل للمرأة العاملة الفرصة لكى تؤدى دورها الاساسى كأم ، وتوفير الخدمات بما يتناسب مع طبيعتها فى مواقع الانتاج المختلفة وأهمها دور الحضانة . ان مشاركة المرأة فى العمل السياسى هو دعم للقوى الجماهيرية فى المجتمع ويزيد من فاعلية قوى التقدم .

نرى أن جماهير الشعب ، وليس فقط المنبر الاشتراكي الناصري ، مطالبة جميعها ، باستكمال مسيرة الثورة ..

أما فيما يتعلق بايجابيات وسلبيات ثورة يوليو ببعدها الاشتراكي والقومي ، فاننا بادىء ذى بدء ، نقول أنه ينبغي تحليل وتقييم الثورة ، كظاهرة من خلال الظروف الموضوعية ، التى أحاطت بمسيرتها ، وطبيعة التحديات على المستوى المحلي والقومي والعالمي ، التى واجهتها .. وعليه فانه اذا كانت هناك سلبيات ومن الضروري أن تكون موجودة ، فأنها لا يمكن أن تنقص من قدر ثورة كانت نتاجا لنضال الشعب المصري ، منذ الاحتلال البريطاني ، وحتى تحديات الاستعمار الجديد ..

■ الطليعة

وفق قولكم أن ما قدمتموه هو بيان لم يتخذ بعد صفة البرنامج النهائي . ولكن هناك مجموعة من القضايا لكم تصوركم المتميز فيها ، وهو الامر الذى دفعكم الى تاسيس هذا المنبر . هذه القضايا هي سياسة الانفتاح ، وطريق التنمية ، وبناء الاقتصاد الوطني ، ومشاكل الممارسة الديمقراطية ، ومشاكل حياة الجماهير اليومية ، ثم القضايا المتعلقة بالسياسة الخارجية سواء في المجال العربي ، أو في مجال القضية الفلسطينية والعلاقات الدولية فما رأيكم في كل هذه القضايا ؟

ان الطفولة هى امل المستقبل ومن واجب الاجيال العاملة ان توفر لها كل الامكانيات التى تكفل لها الرعاية الكاملة صحيا واجتماعيا وثقافيا .

ثالثا : الشيخوخة : —

ان مظلة التامينات الاجتماعية ضد الشيخوخة والمرض لابد من توسيع نطاقها لكى تشمل كافة المواطنين واستمرار تقديم الخدمات الاجتماعية والصحية لهم بعد بلوغ سن المعاش .

فى السياسة العربية

ان مسئوليتنا فى صنع التقدم وفى دعمه وحمايته تمتد لتشمل المة العربية كلها . وهى تأكيد للدور التاريخى الذى قام به شعبنا على مر العصور للدفاع عن هذه المنطقة باعتباره جزء من الامة العربية . ان القضية العربية القومية التى ارتبطت بقضايانا الوطنية والتى تتمثل فى الصراع الذى نخوضه وتخوضه الشعوب العربية ضد الامبريالية والصهيونية يؤكد التلاحم العضوى الذى يربط الامة العربية بمصير واحد وهذا يقتضى .

١ — العمل على تحرير سيناء كاملة وكل الاراضى العربية المحتلة ليكون ذلك واجبا وطنيا بجانب انه واجب قومى .

٢ — ضمان الحقوق القومية المشروعة للشعب العربى الفلسطينى — ممثلا فى منظمة التحرير الفلسطينية — وفى مقدمتها حق تقرير مصيره على ارضه واقامة السلطة الوطنية الفلسطينية على كل الاراضى التى يتم تحريرها من الاحتلال الصهيونى .

٣ — مشاركة منظمة التحرير الفلسطينية فى جميع خطوات ازمة الشرق الاوسط باعتبار ان القضية الفلسطينية هى مفتاح الحرب والسلام فى المنطقة . وكذلك فان اصرار شعبنا على تصفية العدوان الاسرائيلى على ارض فلسطين هو تصميم على تصفية جيب من اخطر جيوب المقاومة الاستعمارية ضد نضال الشعوب .

٤ — العمل على دعم وتوحيد كل القوى العربية المناضلة ضد الاستعمار والرجعية من أجل التحرر الوطني والتقدم الاجتماعى والوحدة .

٥ — السعى لتكوين جبهة عربية تضم مختلف النظم والقوى والاحزاب والهيئات والشخصيات التى تؤمن بأن غاية النضال العربى فى مسارة التحررى التقدمى هو اقامة المجتمع العربى الذى يؤمن بالحرية والاشتراكية والوحدة فى نطاق حركة عربية واحدة .

لقد اكدت حرب اكتوبر التى اصدر الرئيس انور السادات قراره التاريخى بها فى اكتوبر ١٩٧٣ : اصرار الشعوب العربية وفى مقدمتها الشعب المصرى على دحر العدوان وهزيمة مخططاته واهداف الامبريالية العالمية .

كما اكدت ارادة الصمود لدى الانسان العربى وكفاءة الجندى العربى القتالية لمواجهة التفوق الاسرائيلى المزعوم . واثبتت ان عناصر استراتيجية الامن الاسرائيلى القائمة على العدوان والتوسع والتى خدع بها العالم كثيرا — هى استراتيجية زائفة لا تستند على اى منطق او تفكير علمى .

لقد اكدت حرب اكتوبر قوة التضامن العربى سياسيا واقتصاديا وعسكريا وان تحرير الارادة العربية هو السلاح الفعال لمواجهة التحدى وضمان وقوف كل القوى المحبة للسلام بجانب الحق العربى . ولذلك فان استثمار النتائج الايجابية لحرب أكتوبر أمر ضرورى لتطوير العلاقات العربية والدولية من اجل تحقيق الاهداف الوطنية المصرية والقومية العربية كاملة .

ان حرب البترول يجب أن تكون بداية معركة ضد التسلط الاستعمارى الصهيونى ، ويجب استثمار التناقضات التى حدثت فى المعسكر الغربى لصالح الشعوب العربية

يرجع فى ذلك الى البيان . ولقد أعلن المنبر انه لن يبدأ فى ممارسة نشاطاته المختلفة ، الا بعد أن يتقرر التصور الواضح للجنة المركزية لوضع المنابر وتشكيلها وطريقة ممارستها ، ولكن البيان الذى أعلن عن قيام المنبر ، قد تعرض لوجهة نظره فى المجالات المختلفة فعلى سبيل المثال ، ركز البيان على تأكيد الديموقراطية وممارسة حرية الرأى والقول والاعتقاد ، والتأكيد على أن الرأى العام المستنير هو الضمان الاساسى للممارسة الديموقراطية .

وفى مجال الانفتاح ، نرى أن تكون هناك مصادر تمويل سواء وطنية أم عربية ، أم أجنبية . ولكن ، اذا لم تكن تكفى المصادر الوطنية ، وتلك طبيعة الدول النامية ، بفعل حلقة الفقر المعيبة والنهب الاستعمارى ، فانها تلجأ الى مصادر التمويل الخارجية ، سواء كانت عربية أو أجنبية . ولكنا نرى أن يتم ذلك فى اطار من الضوابط ، كأن تكون فى شكل قروض غير مشروطة ، وفى حدود عدم سيطرتها على مقدرات الحياة الاقتصادية ، والاجتماعية والسياسية من قريب أو بعيد ، وفى اطار سياسة قومية مخططة ، وأن يكون مثل هذا الانفتاح ملتزما بأهداف هذه السياسة . هذا ، بالاضافة الى

وشعوب العالم الثالث فى نضالها ضد الاستعمار العالمى وبداية لمرحلة جديدة من النضال العربى تدفع بحركة التحرر العربى الى الامام . وهذا لا يتأتى الا بوضع عوائد البترول العربى فى خدمة الشعوب العربية وقضاياها والعمل على قيام تكامل اقتصادى عربى يكون ضمانا لتحقيق التنيمة الاقتصادية المستقلة للبلاد العربية . وعلى ذلك فانه يجب ان يكون واضحا بالنسبة لكل بلد عربى ان ما يعطيه لدعم النضال العربى والفلسطينى ليس تكرما لمجرد التضامن العاطفى وانما هو يعطى ما يعطيه دفاعا عن النفس ودفاعا عن الحياة فى اطارها الوطنى وفى بعدها القومى .

فى السياسة الخارجية

ان سياستنا الخارجية يجب ان تكون انعكاسا امينا وصادقا لعملنا الوطنى . وعلى هذا عليها أن تسير فى ثلاث خطوط عميقة .

اولا : الحرب ضد الاستعمار والسيطرة بكل الطاقات والوسائل وكشفه فى جميع اقنعته ومحاربته فى كل أوكاره

ثانيا : العمل من اجل السلام القائم على العدل : لان جو السلام واحتمالاته هو الفرصة الوحيدة الصالحة لرعاية التقدم الوطنى .

ثالثا : التعاون الدولى من اجل الرخاء ، فان الرخاء المشترك لجميع الشعوب لم يعد قابلا للتجزئة كما انه أصبح فى حاجة الى التعاون الجماعى لتوفيره .

لذلك يصبح من الضرورى :

١ ـــ انتهاج سياسة خارجية تخدم مصالحنا الاستراتيجية على الصعيدين الوطنى والقومى لصون استقلال مصر وتعزيز مكانتها الدولية ، وخلق قوة عربية تخدم السلام والتقدم فى العالم .

٢ ـــ تدعيم اتجاهات التحرر المعادى للاستعمار بكافة اشكاله ، لتثرى اتجاهنا التقدمى المعادى للرجعية وكل اشكال القهر والكبت وحرمان الشعوب من حقها فى التعبير عن ارادتها الحرة .

٣ ـــ ان تكون سياستنا الخارجية جزء من التزامنا العام بالنضال المشترك مع الشعوب المعادية للاستعمار والتخلف والرجعية . والتزامنا القومى ضمن الجبهة العربية الموحدة ، لهزيمة المخطط الاستعمارى الصهيونى وتحرير كل الثروات والاراضى العربية من السيطرة الاجنبية لبناء مجتمع عربى متقدم ومتكامل .

٤ ـــ الايمان بالدور الطليعى لمصر وتراثها الذى اكدته وعززته ثورة ٢٣ يوليو بقيادة المناضل جمال عبد الناصر بجعل القاهرة منارة حقيقية لكل المناضلين من اجل حرية بلادهم واستقلالها .

٥ ـــ تدعيم الصداقة مع كل القوى التى تؤيد هذا الاتجاه ، ومن هنا يتعين اقامة أوثق العلاقات مع الانظمة والقوى العربية والتقدمية ومع قوى الشعوب والتقدم فى العالم .

٦ ـــ ان علاقتنا مع الاتحاد السوفيتى ومجموعة الدول الاشتراكية يجب أن تسير سيرها الطبيعى باعتبارها القوى التى وقفت مع نضالنا الوطنى والقومى لتحرير الارض المحتلة ووقفت معنا سياسيا وعسكريا واقتصاديا . كما يجب تدعيم علاقات التعاون مع الصين الشعبية وتعزيز علاقتنا مع بلاد العالم الثالث ومجموعة دول عدم الانحياز وفى مقدمتها الهند ويوغسلافيا ومجموعة بلدان منظمة الوحدة الافريقية ومشاركتها مشاركة ايجابية فى مواجهة الاحتكارات الدولية والشركات متعددة الجنسية من اجل حقها فى السيطرة على ثرواتها القومية وتنميتها لصالح شعوبها وايجاد نوع من التكافؤ فى العلاقات الاقتصادية الدولية بهدف اقامة نظام جديد فى العلاقات الاقتصادية الدولية يدخل فى اعتباره احداث تغييرات سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية تتفق مع طبيعة التطور

اننا نرى أن يكون التعامل بين الدولة وبين الاستثمار الاجنبى ، وبذا يتأكد دور القطاع العام فى أن يظل مسيطرا على الحيـــاة الاقتصادية .

وهذا يستلزم اعادة النظـر فى مجموعة التشريعات التى صدرت لتسهيل حركةرأس المال الاجنبى .

أما فيما يتعلق بالسياسة على المستوى الخارجى ، فانه من الخطأ أن نقول بأنه كان هناك انغلاق لان المتتبع لمسيرة الثورة منذأن تفجرت يجد أنها تحاورت مع كل القوى العالمية ، بداية ، من طلب السلاح ، ثم كسر احتكار السلاح ، ثم أيضا فى تمويل عمليات التنمية ، وكسر الحصار الاقتصادى .كذلك فاقامة علاقات وثيقة مع الكتلةالاشتراكية ، لم يكن مجرد اختيار عشوائى ، ولكن الظروف التاريخية وطبيعة الاستعمار قديمة وجديدة ، هى التى دفعت هذه العلاقات لان تنمو ، وتضطرد ، كما انه بالنسبة للسياسة على المستوى القومى ، فانه من المعروف أن ثـورة يوليـــو ، ببعـديها القـــومى ، والاشتراكى ، ومنذ حرب فلسطين ١٩٤٨، قد حددت أن المعركة لا تبدأ فى فلسطين ، ولكنها تبدأ من مصر وعليه ، فان قضية القومية العربية لم تكن شعارات رنانة ، ولا مخاطبة لغرائز الجماهير ، ولكنهـا كانت تعبيرا واضحا عن حماية المجال الحيوى لمصر ، وتأمين عملية البناء الاشتراكى فيها ، وتصفية قواعد الاستعمار التى كانت تهدد اى اتجاه قومى يحدث فى اى بلد عربى .

الذى تسير فيه الدول النامية . كما يحتاج الى عقليات ونظم تقدمية تتحسس كافة متناقضات المجتمع الدولى وتتواءم مع التغيرات الجذرية التى تجرى فى عالم اليوم .

٧ ــ ان تدعيم علاقتنا السياسية والاقتصادية والثقافية بالمجموعة الاوروبية أمر هام وضرورى للسلام فى الشرق الاوسط والبحر الابيض المتوسط باعتبار أن الامن الاوروبى مرتبط بالامن فى الشرق الاوسط . أن مواقف فرنسا فى هذا المجال بالنسبة لمشكلة الشرق الاوسط تسير بطريقة مرضية .

٨ ــ ان تحسين العلاقة مع الولايات المتحدة الامريكية أمر ضرورى وهام للسلام فى الشرق الاوسط باعتبارهـــا احدى القوتين الاعظم . الا أنه يجب أن يوضع فى الاعتبار المصالح الاستعمارية البعيدة للولايات المتحدة فى المنطقة وعلاقتها مع الكيان الاسرائيلى .

خاتمـــة

ان المنبر الاشتراكى الناصرى وهو يقدم هذا البيان الى جماهير شعبنا تعبيرا عن مبادئها وآمالها التى كافحت من اجلها طويلا ليؤمن بالتعاون مع كافة القوى التى تعمل فى سبيل الديمقراطية والتقدم ويؤمن :

ــ ان شعبنا عربى ومصيره يرتبط بوحدة مصير الامة العربية .

ــ ان شعبنا ينتمى الى القارتين اللتين شهدتا اعظم معارك التحرر الوطنى وهى ابرز سمات القرن العشرين.

ــ ان شعبنا يؤمن بالسلام القائم على العدل كمبدأ ويعتقد فيه كضرورة حيوية ويعمل من أجله مع جميع الذين يشاركونه نفس الاعتقاد .

ــ أن شعبنا يعيش ويناضل من اجل المبادىء الانسانية السامية التى كتبتها الشعوب بدمائها .

ــ ان شعبنا قد عقد العزم على ان يعيد صنع الحياة على أرضه .. بالحرية والحق .. بالكفاية والعدل .. بالمحبة والسلام .

ــ ان شعبنا يعتقد فى رسالة الاديان وهو يعيش فى المنطقة التى هبطت عليها رسالات السماء .

ــ ان شعبنا وهو ينظر الى المستقبل يعى دوره فى نطاق العالم الاسلامى وما يمثله من ترابط روحى وقيم لعبت دورا كبيرا فى تاريخ الحضارة الانسانية .

ــ ان شعبنا يملك من ايمانه بمثله وايمانه بنفسه ما يمكنه من فرض ارادته على الحياة ليصوغها من جديدوفق امانيه .

ان المبادىء الناصرية بأبعادها الايجابية التى رسمت طريق الكفاح امام شعبنا والشعوب العربية ، ولعبت دورا فى تاريخ حركات التحرر فى العالم . هى التى أملت علينا عرض هذا البيان على جماهير شعبنا العريضة . الا أن ذلك لا يعنى اننا نؤيد السلبيات التى ظهرت خلال هذا المسار الثورى الكبير . لانها لا يمكن أن تنقص من قدر ثورة ذات اعمال بعيدة فى تأصيل التاريخ المصرى والعربى الحديث . □

عن المعلنين :

كمال الدين محمود رفعت

عضو مجلس الرئاسة ونائب رئيس الوزراء سابقا

كمـــال أحمد محمد

عضو اللجنة المركزية

د. عبد الكريم احمد

عضو المؤتمر القومى العام ووكيل وزارة التعليم العالى

ولقد كانت اضافة ثورة يوليو للفكر القومى ، انها أبدعت مفهوما جديدا للقومية ، يختلف عن قومية القرن التاسع عشر ، ذات البعد البورجوازى ، واستقرارها على القومية ذات البعد الاشتراكى ، او البعد الاجتماعى . وعليه ، فان نظرة الثورة للوطن العربى ، كانت تصدر عن حقيقة أن الحرية لا تتجزأ ، وان الارض العربية كلها ينبغى أن تتحرر .

ولقد اضافت ثورة يوليو لحركة دول العالم الثالث بعدا رئيسيا تمثل فى انها كانت من رواد الحياد الايجابى ، وعدم الانحياز ، والتضامن الاسيوى الافريقى ، ومنظمة الوحدة الافريقية ، والذى كان من نتيجته الموقف المشرف لهذه الكتلة النامية ، من قضايا التحرر والصراع مع الاستعمار ، فى الوطن العربى .

■ **الطليعـــة**

ان مظلة الناصرية تستظل تحتها اتجاهات كثيرة ، فهل يمثل منبركم كل من يستظل بمظلة الناصرية فى مصر ؟

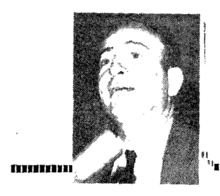
■ **كمال احمد محمد**

فى الحقيقة ، أن هذا السؤال جوهرى ، لان بعض الاقلام ، بعد اعلان المنبر ، قد تناولت بالتجريح والاسفاف ، كلمة الناصرية ، وتصورت عن قصور فى الفهم أنها عبادة لفرد ، أو تقديس لزعيم . وحاولت أن تعقد مقارنة ، بين ثورة يوليو ، و١٥ مايو . ولكن الحقيقة ، اننا عندما نقول أننا ناصريون ، فانما نعنى بذلك أن الناصرية هى المجرى العميق لثورة ٢٣ يوليو ، وان الناصرية تعبير عن فلسفة اقتصادية ، واجتماعية ، وسياسية ، واضحة المعالم .

وفيما يتعلق بتعدد القوى الناصرية فاننا لا نرى أن هناك تعددا فى القوى الناصرية . اى أنها لا تصبح جماعات ، على الاقل فى مصر ، وانما هى تعبير عن مصالح الكتلة الجماهيرية العريضة ، صاحبة المصلحة فى الثورة ، وأن كل من يعلن ، تحت مظلة ثورة يوليو ، عن مبادئه التى تتعارض أساسا مع أهداف هذه الثورة ، لا ينبغى أن يسمح له بأن يتحدث باسم ثورة ٢٣ يوليو . ليس معنى ذلك ، اننا نمنح صكوك الغفران ، أو تصاريح المرور للناصرية أو لثورة يوليو ، وانما يحكمنا فى ذلك مواثيق الثورة الرئيسية التى حددت معالم فكر هذه الثورة . وهذا هو المعيار الصحيح من أجل أن نقيم أية أطروحات تحاول تعسفا أن تستظل بمظلة ثورة ٢٣ يوليو .

اننا ندرك عن وعى طبيعة التحديات التى تواجه حركة الثورة فى مجتمعنا ، والمتمثلة فى القوى المضادة للثورة داخليا ، وعربيا ، وعالميا . هذا الحلف الذى يرسم حركته بذكاء ويتضامن فى كل خطوة من خطواته ، محاصرا الثورة ، ومحاولا القضاء عليهما . ومن الطبيعى أنه ينبغى فى مواجهة هذا الحلف ، أن يعقد تحالف بين كل قوى التقدم الحريصة على استمرار التحول الاشتراكى ، وقيام مجتمع ينتفى فيه استغلال الانسان للانسان ، اقتصاديا ، واجتماعيا ، وثقافيا .

ان القوى التقدمية مطالبة اليوم ، أكثر من أى وقت مضى ، بأن تتضامن والا تنظر الى بعضها بعين الشك والريبة ، أو أن يعتبر احدها ، الاخر ، مرحلة له ، كل ذلك ينبغى أن يتم فى اطار تحالف قوى الشعب العامل ، وينبغى أن يكون متسقا مع القيم غير المعوقة للنمو فى مجتمعنا ، ومع تراثه الروحى والتاريخى . ■



المنـــبر الـــوطنى التقـــدمى

حـوار مع خـــالد محيى الـــدين

ماهو . وما هو برنامجه ؟ كان هذا موضوع الحوار مع خالد محيى الدين ، عضو مجلس قيادة الثورة سابقا ، وعضو اللجنة المركزية ، والسكرتير العام للمجلس المصرى للسلام .

وقد أجرى الحوار :

— عبد المنعم الغزالى

— رفعت السعيد

■ الطليعـــــــة

لنبدأ بالحديث عن حصاد التجارب السابقة للاتحاد الاشتراكى ، ايجابياتها وسلبياتها ، وعن المنابر كثمرة لهذه التجارب؛ وهل تستطيع المنابر فى تصوركم أن تخلص الاتحـــاد الاشتراكى من سبيانه ؟ وأن تقود التجـربة نحو نوع مـن الاستقرار ؟

■ خالد محيى الدين

ليس بالامكان القول بأن التجارب السابقة للاتحاد الاشتراكى قد نجحت تماما . ولا القول بأنها قد فشلت تماما ، وربما أنت لاتشعر هنا فى القاهرة بالاتحاد الاشتراكى ولا بدوره ، لكنه فى القرى وفى المدن الريفية استطاع أن يجد لنفسه دورا فى حل أو فى محاولة حل مشاكل الجمـاهير . وكان الاتحاد الاشتراكى يتحمل عبئا هاما فى هذا الصدد وفى ظل غيبة المجالس الشـعبية المنتخبة ، وليس من شك فى أن قيام هذه المجالس — الان — سوف يسلب الاتحــاد الاشتراكى الكثير من فرص تحركه .

والحقيقة أن الاتحاد الاشتراكى ولجانه القاعدية المختلفة قد أهمل ما يمكن تسميته بالعمل السياسى المنظم . وتحول فى بعض الاماكن الى تنظيم لتقـديم الخـدمات والتسهيلات . ولسنا ضد ذلك بشرط أن يتم فى وعاء من النشاط السياسى العام .

ان أحداثا كثيرة هامة مرت بمصر فى السنوات الاخيرة . ولا نكاد نلمح أثرا لدور الاتحاد الاشتراكى فيها .. والا فأين كان الاتحاد الاشتراكى يوم ٩ و ١٠ يـونيو ١٩٦٧ ؟ وأين كان فى أحداث فبـراير ١٩٦٨ ؟ ونوفمبر ٩٦٨ « وأحداث ١٩٧٢ ؟ وفى مظاهرات واضرابات العمال فى حلوان والمحلة ؟ ، يؤسفنى أن أقرر أن الاتحاد الاشتراكى لم يكن موجودا فى هذه الاحداث ولو وجد فان تواجده كان ذا تأثير سلبى .

لقد نسى الاتحاد الاشتراكى أنه تنظيم سياسى • وان عمله الاساسى ، عمل سياسى . وان الرباط الذى يربط الناس به هو أيضا رباط سياسى • وان افتقاد هذا الرباط يؤدى بالضرورة الى عزلة الاتحاد الاشتراكى عن جماهيره •

والمفروض أن الاتحاد الاشتراكى هو تنظيم لفئات التحالف مجتمعة ، وأنه يضم طبقات واتجاهات مختلفة اتفقت على أن تحل مشكلاتها وتناقضاتها بالطرق السلمية • وفى اطار حلف كهذا يتعين على القيادة أن تراعى أن تخدم سياستها وأساليبها واختياراتها مصالح القوى الاساسية فى التحالف . وأن يتواجد الممثلون الحقيقيون لهذه القوى ـ كل بحسب الثقل الاجتماعى للطبقة التى يمثلها ـ فى مختلف الاجهزة القيادية ، ويؤسفنى أن أقرر أن ذلك لم يكن موجودا ، وان التعبير الوحيد الذى اتيح كان حق التعبير عن الخط العام • ولم يتح لاى فئة من فئات التحالف أن تعبر عن مصالحها الخاصة أو آرائها الخاصة •.

والاتحاد الاشتراكى ليس حزبا • ومع ذلك فقد فرض البعض عليه أساليب وممارسات لا توجد الا فى الاحزاب • بمعنى أن قوى اجتماعية معينة كانت تنفرد بمجال القيادة والسيطرة والتحكم فى معظم المستويات القيادية • ولست بحاجة الى أن أؤكد انه لم يكن من بين هذه القوى المهيمنة الممثلين الحقيقيين للعمال والفلاحين .

ومن هنا فاننا نلحظ أن جماهير العمال والفلاحين والمثقفين قد شعرت بالغربة فى وعاء التحالف • ولم تستطع أن تجد لنفسها تعبيرا صريحا ومتكاملا فى داخله . وقد أدى ذلك الى عزله الاتحاد الاشتراكى عن جماهيره المفترضة والى احساس هذه الجماهير بالغربة عنه .•

وبرغم هذه السلبيات يتعين علينا أن نقرر أن الاتحاد الاشتراكى قد أسهم فى افراز قيادات سياسية شابة ومدربة ، هى بالتأكيد ثروة حقيقية للعمل السياسى فى مصر • ويمكن القول بأن الكثير من العناصر التى تمارس دورا سياسيا تقدميا وايجابيا الان سواء فى داخل الاتحاد الاشتراكى أو خارجه قد تكونت فى اطار الاتحاد الاشتراكى ومعاهده ودوراته التثقيفية التى نشطت فى مرحلة زمنية معينة نشاطا ملحوظا •

ولان الاتحاد الاشتراكى عانى من عزلة حقيقية وخاصة فى مجال الحياة السياسية العامة ، بدأت القيادة فى التفكير فى كيفية احيائه • وفى هذا الصدد بذلت محاولات عدة تمثلت أولاها فى لجنة العمل التى تكونت فى يناير ١٩٧٢ ، والتى أعلن أنها تستهدف تطوير الاتحاد الاشتراكى . لكن هذه المحاولة وأدت سريعا بسبب سيطرة قوى يمينية متخلفة على ما أسمى بلجنة النظام فى الاتحاد الاشتراكى التى قامت بالاطاحة بكل القوى التقدمية التى أرادت تطوير التجربة تطويرا فعليا وبكل معارض لاتجاهها اليمينى ، الى خارج الاتحاد الاشتراكى . وأرهبت كل صوت مختلف معها تحت سوط قرارات لجنة النظام • ومرة أخرى توضع تجربة العمل السياسى فى مأزق خطير .•

وكانت المحاولة الثانية ، والتى تمثلت فى ورقة التطوير . مع طرح ورقة التطوير للنقاش ثبت أن هناك شبه اجماع على الحاجة الى تطوير أوضاع ومناهج الاتحاد الاشتراكى •. ولكن هؤلاء الذين اتفقوا على ضرورة التغيير اختلفوا على الاسلوب والمدى ••

ويمكننا أن نميز فى هذا الصدد ثلاثة اتجاهات أساسية •.

الاول : ويرى أن الاتحاد الاشتراكى لم يمارس دوره كوعاء للتحالف ، ومن ثم فانه

لا يمكن القول بأنه خاص ـ فى كل ما سبق ـ تجربة فعلية ، وانه يتعين اتاحة فرصة جديدة أمام الاتحاد الاشتراكى ليمارس هذا الدور على أسس جديدة . ولكن أصحاب هذا الاتجاه لم يحددوا ماهية هـذه الاسس الجديدة ؟

والثانى يرى العودة الى صيغة تعدد الاحزاب . وقد انقسم هذا الاتجـاه الى رأيين ، واحد يرى السماح بعودة الاحزاب بشكل مطلق ، والثانى يرى أن يسمح بالاحزاب فى اطار مواثيق الثورة .

أما الرأى **الثـالث** فكان السـماح للاتجاهات المختلفة والتيارات السياسية المختلفة بأن تعبر عن نفسها بوجود منابر .

مشروع الخطـوط العريضـة لـبرنامج المنـبر الـوطنى التقـدمى

فى هذه الظروف الدقيقة التى تمر بهـا قضـية شعبنا الوطنية والقـومية فى مواجهـة التحـديات المفروضة عليه من قوى الاستعمار والصهيونية التى تتحفز لاستعادة وتثبيت مواقعها على الارض العربية بعد ان تمكن شعبنا خلال نضاله الطويل عبر ثوراته الوطنية والديمقراطية ، وبخاصة الثورة العرابية وثورة ١٩١٩ وثورة يوليو سنة ١٩٥٢ من التحرر من السيطرة الاستعمارية وارساء اسس التقدم الاجتماعى .

وانطلاقا من ثورة يوليو وتطويرا لفكرها ومنجزاتها الوطنية والتقدمية .

وايمانا بالاشـتراكية العلمية بوصـفها الطريق الوحيد لتجديد شباب مصر وتحرير شعبها العامل .

وتأكيدا لآمال الشعوب العربية فى الوحدة على اسس ديمقراطية تقدمية من خلال النضال الثابت ضد كافة أساليب الاستعمار القديم والجديد وضد الكيان الصهيونى العدوانى وضد الرجعية العميلة للاستعمار

والتزاما بقضية تحرير الارض العـربيـة كاملة وضمان حقوق الشعب الفلسطينى وبخاصة حقه فى العودة الى ارضه المغتصبة واقامة دولته الوطنية .

واقتناعا بانتماء مصر العربى الاصيل وبان الشعب المصرى جزء لا يتجزأ من الامة العربية .

وانطلاقا من الحقيقة التى اكدها تاريخ الحركة الوطنية فى بلادنا من ان الايمان بالقيم الروحية كان ولا يزال سندا قويا فى النضال ضـد الاسـتعمار وتوحيد صفوف القوى المعادية له من مسـلمين ومسيحيين وايمانا بان الاسلام والمسيحية كانا فى الجوهر ثورة تستهدف تحرير الانسان وتحقيق كرامته وشرفه ، وانهما لا يتعارضان مع تخليصه من الاستغلال وتحقيق المزيد من التقدم الذى تتيحه ظروف العصر . وانهما بريئان من محاولات القوى الرجعية استغلال الشعور الدينى فى محاولات عرقلة التقدم واثارة الفتن الطائفية وحماية مصالح المستغلين .

نعلن نحن الموقعين على هـذا البيـان التزامنا بما يلى من مبادىء عامة ، ساعين الى تمثيلهـا والعمل على تحقيقها فى اطار منبر متميز يمثل القوى الوطنية والديمقراطية والتقدمية بكافـة اتجاهـاتها ومدارسها الفكرية داخل الاتحاد الاشتراكى العربى .

فى السياسة الداخلية

ان هدفنا الاساسى هو بناء المجتمع الاشتراكى الخالى من الاستغلال الذى تتوافر فيه للمواطنين جميعا كافة احتياجاتهم الاساسية ويقوم على سيادة الملكية الاجتماعية لوسائل الانتاج الرئيسية ، ويشيد بالتوجيه الواعى لموارد المجتمع فى شكل التخطيط القومى الشامل الذى يلتزم بأولويات اجتمـاعية محددة . وفى مجتمعنا الذى يحصل فيه ٧٠ ٪ من سكانه على اقل من الحد الادنى للدخل . وحيث يستهلك ١٠ ٪ من سكانه ٤٥ ٪ من استهلاكه الكلى فى حين يستهلك ٩٠ ٪ من سكانه ٥٥ ٪ من استهلاكه الكلى ، فان اولوياتنا الاجتماعية التى نلتزم بها لابد وان تكون خدمة مصالح الفئات والطبقات الشعبية .

ان هذا المجتمع الذى يضمن العمل والاجر المناسب لكل فرد فيه يجب ان يتيح لكل مواطن كافة الفرص لتحقيق ذاته وتطوير شخصيته فى ظل ديمقراطية حقيقية شاملة توفر الطمانينة السياسية والاقتصادية والاجتماعية للفرد ، وتصون وتنمى شعور المواطن بالانتماء والولاء لوطنه .

ومن أجل ان يتحقق هذا المجتمع فان هدفنا المباشر هو تحرير الارض المحتلة ووقف الزحف الاستعمارى والرجعى الجديد وحماية الاستقلال الوطنى السياسى والاقتصـادى والمحافظة على منجزات ثورة يوليو الوطنية والتقدمية واتمام عملية التحول الاجتماعى الحقيقى لمصلحة الشعب العامل .

ان هدفنا المباشر هو ان نضمن لكل مواطن فرصة العمل المنتج ، ولقمة العيش الكريمة والسكن الملائم

لكن فكرة المنابر لم تفصل . والحقيقة ان قضية المنابر تثير مسألتين أساسيتين ٠.

● مسألة التعبير عن الرأى الاخر ، وهذه ليست القضية الاساسية فلطالما وجد الرأى الاخر السبيل للتعبير عن نفسه بطريقة أو أخرى ٠

● **أما المسألة الثانية** ، وهى الاهم ، فهى حق هذا الرأى الاخر فى التواجد وفى ان يجمع حوله مؤيديه وأن يتحرك من خلالهم ٠وذلك لكى يشعر القيادة السياسية بحقيقة حجم وفعالية وتأثير هذا الرأى فتضع ذلك موضع اعتبارها ٠ ومن الطبيعى أن هذا الرأى وانصاره المنظمين حوله فى اطار الاتحاد الاشتراكي يستطيع وفقا لمدى اقتناع الجماهير بصحة برامجه واهدافه ومنطلقاته ان يحقق لنفسه فوزا فى انتخابات الاتحاد الاشتراكى المقبلة ، حتى ولو لم يكن له مرشحون رسميون .

وفى اعتقادى ان ذلك هو الطريق الحكيم والمتأنى لولادة تجمعات سياسية شرعية متمايزة ، تتطور فى المستقبل الى الشكل الذى ترتضيه أغلبية قوى التحالف ٠.

والمواصلات المريحة والعلاج المجاني والتامين الشامل ضد مخاطر العمل واخطار الحياة ٠

فى الديمقراطية :

العمل على انجاز تحول ديمقراطي شامل وعميق في كافة نواحي حياتنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، وذلك بالتمسك بصيغة تحالف قوى الشعب العامل على اساس من ضمان التمثيل الحقيقى والفعلى لجماهير العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين باعتبارها القوى صاحبة الثقل الاجتماعى الاكبر وصاحبة المصلحة فى استمرار العمل الثورى واندفاعه الى الامام ٠٠ وذلك بضمان مشاركتها وتمثيلها فعليا وحقيقيا فى كافة اجهزة السلطة والتشريع والاعلام بصورة تمكنها من ان تعكس وبحق مصالح واماني جماهير الشعب وهى مصالح واماني الاغلبية ٠

ونظرا لانه لا حرية للفرد بغير تحرره من براثن الاستغلال ، فان الديمقراطية لا تنشر ظلالها الوارفة على المجتمع بغير اكتمال جناحيها من الحرية السياسية والحرية الاجتماعية ، وخاصة تذويب الفوارق بين الطبقات ٠ ولذلك يجب العمل على تاكيد المنجزات الاجتماعية التقدمية لثورة ٢٣ يوليو وبخاصة تمثيل العمال والفلاحين بنسبة ٥٠ ٪ على الاقل ، ومشاركة العمال في الادارة والارباح ٠ والعمل على تطويرها بحيث تشمل مظلتها مختلف المجالات والقوى ، تطبيقا لميثاق العمل الوطنى وبيان ٣٠ مارس وبرنامج العمل الوطنى الذى وضعه الرئيس انور السادات واكد عليه فى ورقة اكتوبر ٠

ان الديمقراطية الحقيقية تفترض حرية الرأى والقول والكتابة والاجتماعات والتنظيم والاضراب والعمل السياسى والثقافى والاجتماعى وتكفل حقوق كافة المواطنين وتضمن لهم أمنهم وحريتهم مهما اختلفت او تباينت اراؤهم او انتماءاتهم الفكرية او السياسية او الدينية ، ذلك ان نقطة البداية والنهاية في اى بناء ديمقراطي هي حرية الرأى وحرية الاعتقاد واتاحة فرص التعبير المتكافىء امام الجميع

وحتى لا تبقى الديمقراطية نصوصا شكلية ، بل تتحول الى ممارسة فعلية ، يجب التاكيد على المعانى الاساسية التالية :

ا ـ تحرير المجتمع من اخطر صور الجهل وذلك بمحو الامية للذين تجاوزوا سن التعليم وفقا لسياسة قومية تعبأ لها أجهزة الدولة والتنظيمات الجماهيرية ٠

ب ـ كفالة المجانية الفعلية للتعليم فى كافة مراحله وتوسيع قاعدته ليشمل كل طفل فى سن التعليم ، ورفع مستواه ليكون الفرد قادرا على ممارسة الحرية عمليا ٠

جـ ـ تامين حق العمل لجميع المواطنين ، ومعارضة كافة السياسات المؤدية لزيادة البطالة مثل عدم الالتزام بتعيين الخريجين ٠

د ـ مساواة المراة بالرجل في الحقوق والواجبات، والتاكيد بصفة خاصة على الاجر المتساوى للعمل الواحد ، ووضع التشريعات اللازمة لحماية الاسرة والامومة والطفولة وهذا يستدعى اصدار تشريع الاحوال الشخصية حماية للاسرة ولحقوق المراة ٠

هـ ـ اتاحة الفرصة للشباب من الطلاب والعمال والفلاحين كى يشارك مشاركة كاملة فى مناقشة وتقرير امور الدولة والمجتمع بوضع سياسة ثابتة لتولي الشباب الوظائف العامة القيادية وكذلك وضع خطة قومية لتعميم الرياضة خدمة للانتاج وتقدم الصحة العامة ٠

و ـ اعادة تشكيل الحركة التعاونية على اسس ديمقراطية وعلمية تضمن تنقيتها من الشوائب وتطويرها المتصل فى المستقبل ٠. حتى تكون قادرة على تحقيق رسالتها الانتاجية فى خدمة المجتمع بعيدا عن الاستغلال ؛ وذلك بوصفها قطاعا اقتصاديا له دوره الفعال بجانب القطاعين العام والخاص ٠٠٠ وحتى تكون تعاونيات الفلاحين والحرفيين منظمات

الطليعـــــــــة

ما هو تصورك للضوابط التى يجب أن تحكم عمل المنابر ، وكيفية ممارسة هذه المنابر لعملها بشكل ايجابى وفعال ؟

خالد محيى الدين

هناك عدة ضوابط أتصور انها ضرورية كى تنجح تجربة المنابر :

١ ــ أن يكون تواجدها بشكل شرعي وفى اطار الاتحاد الاشتراكى ، والشرعية تعنى حق هذه المنابر فى مقار لها داخل دور الاتحاد الاشتراكى تمارس منها نشاطها .

٢ ــ حق المنابر فى الاتصال بالقاعدة ، وحقها فى التعبير عن الرأى بشكل متكافىء وعبر أجهـزة الاعـلام المملوكة للاتحـــاد الاشتراكى .

٣ ــ حق المنابر فى التواجد عبر جميع مستويات الاتحاد الاشتراكى ، ومن ثم حقها فى الدعوة لبرامجها وارائها عبر قنـــوات الاتحاد الاشتراكى والى مستوياته المختلفة .

٤ ــ حق المنبر فى تجميع الانصار حوله ، بما فى ذلك حقه فى ضم أعضاء جدد

ديمقراطية قادرة على التعرف على مشاكل الفلاحين والحرفيين وعلى اسنكشاف الحلول لها .

ز ــ اطلاق الحريات النقابية والعمالية وفى عقدمتها حق الاضراب ، ووضع الضوابط القانونية لممارسته ، ممـــا يكفـل اعطـــاء دفعـــة قـــوية للحـــركة النقـابيـــة لتكون قوى متقـدمة فى ميادين العمـل الديمقراطى واسقاط أى ضغط يشل حركتها حتى تشارك بنصيب وافر فى رسم وتنفيذ سياسات الانتاج والدفاع عن مصالح العمال ، والمساواة بين العمال فى القطاعين العام والخاص ، مع اعطـــاء اهميـــة خاصة لنقابات العمال الزراعيين التى لا تزال فى مراحلها الاولى وتواجه بمقاومة عنيفة .

ح ــ ديمقراطية الادارة فى قطاعات الانتاج وذلك بتطوير تمثيل العمال بمجالس الادارة ، ليساهموا بشكل فعال فى عمليات التخطيط والادارة والمتابعة والرقابة بحيث يتمكن جميع العاملين فى مراكز الانتاج المختلفة من تركيز كل جهودهم لخدمة الانتاج .

ط ــ ديمقراطية الادارة المحلية التى تقوم على دعم دور المجتمعات فى الخدمات وفى الانتاج وتعبئـــة الجهود الذاتية وعلى ان تتكون هيئات الادارة المحلية على مختلف المستويات من ممثلين منتخبين للجماهير الشعبية .

ك ــ العمل باستمرار على تذويب الفوارق بين الطبقات حيث توفر الثروة لاصحابها سلاحا سياسيا ولا يترك الفقر المدقع مجالا لعمل سياسى فعال .

ان توسيع قاعدة الديمقراطية ، على النحو السابق ، هو الضمان الذى يسمح للشعب ان يتصدى لكل صور الانحراف والرشوة والفساد .

فى التنميـــــة :

تسود الإقتصاد المصرى فى السنوات الاخيرة بعض المظاهر السلبية الاساسية التى تعود الى ثلاثة عوامل اساسية هى : سوء اســتخدام الموارد القوميـــة ، والابتعاد عن اسلوب التخطيط القومى الشامل ، والظروف الاستثنائية التى يعيشها اقتصادنا القومى منذ سنة ١٩٦٧ . وتتمثل هذه المظاهر السلبية فى تزايد الضغوط التضخمية وارتفاع معدلها من عام الى عام وخاصة فى السنوات الاخيرة بحيث اصبحت اعباؤها لا تحتمل على اصحاب الدخول الصغيرة والمتوسطة . تزايد العجز فى ميزان المدفوعات الى مستوى اصبح معه ظاهرة مزمنة . ظهـــور قنوات جديدة لاكتساب الدخل لا تصل اليها الدولة لتأخذ منها حق المجتمع ، مع غياب سياسة شاملة لترشيد الاستهلاك وتحديد الدخول مما أدى الى تفاقم عدم عدالة توزيع الدخل القومى . وفى غياب سياســة متوازنة للعمالة والاجور ، أصبحت ظاهرة الهجرة الى المدينة وظهور البطالة فى المناطـق الحضرية ظاهرة مميزة لاقتصادنا ، ناهيك عن وجود البطالة المقنعة فى المناطق الريفية وعدم الاستخدام الكامل والامثل للمـــوارد البشرية فى عديد من الانشـــطة والقطاعات الاخرى . ولا جدال فى أن القضاء على هذه المظاهر السلبية ووضع الاقتصاد المصرى على طريق النمو السريع انما يتطلب تبنى استراتيجيه اقتصادية وسيلتها الاساسية التخطيط القومى الشامل الذى يقوم على سياسات محددة لاولويات الاستثمار واســتخدام موارد النقـــد الاجنبى وترشيد الاستهلاك ووضع سياسة شاملة للدخول وتحقيق العمالة الكاملة مع رفع الانتاجية .

لذا يجب الحرص على القيام فورا بتنمية إقتصادية واجتماعية جادة وشاملة ، تنمية ترمى لبناء اقتصاد وطنى مستقل ، وتكفل مضاعفة الدخل القومى فى فى عشر سنوات ، وترفع مستوى معيشة الطبقات الشعبية الكادحة بشكل واضح ، ومن ثم تضمن تحول مصر الى بلد زراعى صناعى حديث . ان مثل هذه التنمية لا يمكن أن تتحقق فى بلد متخلف فقير محدود الموارد كمصر الا تحت قيادة الدولة ، التى يكون عليها ان تدخل باسم المجتمع من أجل أن تعبىء كافة الموارد المتاحة وتوجيهها لتحقيق اهداف المجتمع . ولهذا يصبح وجود القطاع العـــام ودوره القيـــادى أمرا

للاتحـــاد الاشـــتراكي طـــالما ان شروط العضوية تتوافر فيهم كسبيل لضمهم الى المنبر وعلى أن يتم ذلك عبر القنوات التنظيمية للاتحاد •

■ الطليعــــــة

لكن هناك رأى آخـر ، يرى أن تقتصر ممارسات المنابر لنشاطها فى اطار اللجنة المركزية وحدها وفى اطار ما يسمى باليوم المفتوح ؟

■ خالد محيى الدين

لست أخفى اننى أختلف مع هذا الرأى . وبطبيعة الحال فان أى تعبير عن الرأى المخالف سوف يتوج بموقف ما فى اللجنة المركزية للاتحـاد الاشـتراكى بأعتبـارها السلطة العليا فى التنظيم • أما اذا قصرنا حق التعبير داخل اللجنة المركزية وحدها ، فاننا نكون وكأننا لم نفعل شيئا ، فقد كان مثل هذا التعبير يحدث بشكل أو بآخر ، من قبل •

حاسما فى انجاز التنمية الاقتصادية والاجتماعية • ويكون من الضرورى أن يسيطر القطاع العام على مصادر التمويل الاساسية من بنوك وشركات تامين ، وعلى التجارة الخارجية وبالذات تجارة الاستيراد ، ويوجه التجارة الداخلية عن طريق السيطرة على تجارة الجملة • وعندئذ يكون التخطيط المركزى ــ المرتكز على قاعـدة مضـمونة من القطاع العام ــ ضرورة لا مفر منها واداة فعالة لتوجيه الاقتصـاد القومي باكمله تحقيقا لاهداف المجتمع •

من هنا تصبح المهام التالية اساسية وحاسمة :

أولا : التنمية المخططة :

اتباع طريق التنمية الاقتصادية المستقلة ، على أساس التخطيط المركزى الشامل ، المعتمد على القطاع العام ، بحيث يتم تخطيط الاقتصاد القومي بـــكافة قطاعاته وتوجيهها لتحقيق اهداف المجتمع كله فى بناء اقتصاد وطنى مستقل يقوم على الصناعة الحديثة والزراعة المتطورة الفعالة ، ويعمل لصالح الجماهير العاملة وبمشاركتها الخلاقة ورقابتها ويقـف ضـــد محاولات الاستعمار الجديد الرامية لتصفية استقلالنا الاقتصادى ، كما يقف فى وجه الاتجاهات الرأسمالية الطفيلية التى تعيد السيطرة الرأســمالية وتعمق الفروق بـين الطبقـات وتمهـد لعــــودة السيطرة الاجنبية •

ثانيا : اولويات التنميـــة :

ان تحقيق الاستقلال الاقتصادى فى عالم تسيطر عليه الشركات متعددة الجنســية وتحقيق معـدلات مرتفعة من التقدم الفنى والتكنولوجي بهدف الوصول الى تنمية قدراتنا الذاتية على صنع التكنولوجيا الملائمة مع ظروفنا ، ومع ضرورات بناء صــناعة حربية محلية وقومية ، انما يتطلب بناء قاعدة عريضة من الصناعات الثقيلة ، ممـا يعنى اعطـاء الوزن الاكبر لقطاع الصناعات الثقيلة دونمـا المساس بتحقيق الحد الادنى اللائق من مستوى الاسـتهلاك لكل فرد فى المجتمـع • والـواقع أن نمـو قطـاع الصناعات الثقيلة هو الذى سيتيح للاسـتهلاك فى المستقبل ان ينمو بمعدلات أسرع وأعلى مما لو اعطيت الاولوية للصناعات الاستهلاكية منذ البداية •

ثالثا : القطـاع العـام :

التاكيد على الدور القيادى للقطاع العام فى تحقيق التنميـه الجـادة والعـاجلة والشـاملة وفى تعزيز المكتسبات الاجتماعية والتقدمية وفى حماية الرأسمالية الوطنية من السيطرة الاجنبية ، ومقاومة كافة المحاولات الرامية لتصفية القطاع العـام او المساس بدوره القيـادى على راس الاقتصـاد القومى • غير ان اضطلاع القطـــاع العـام بمهامه الكبـرى لايمكن ان يتحقق على وجه يخرس اعداءه بغير ان يصبح القطاع العام قطاعا نموذجيا بالفعل فى الانتاج والتوزيع ، الامر الذى يفترض ضرورة توفير أسباب النجاح له . وفى مقدمتها ضمان المشاركة الجدية في ادارته من كل العاملين فيه ، واستفادتهم من كل زيادة فى عائده، وضمان ديمقراطيـة وكفـاءة وولاء الادارة فيـه ، واخضاعه لرقابة مستمرة فعالة من قبل الجماهير فى اطار خطة التنمية القومية •

رابعا : القطاع الخاص :

الحفاظ على الدور الاساسى الذى يجب ان يضطلع به القطاع الخاص وتشجيعه فى مجـالات الانتـاج الكثيرة التى تتناسب مـع قدراته وفى التجـــارة والتوزيع فى اطار الخطة القومية الشاملة للتنمية وعلي اساس الالتزام بالقيم والتشريعات التى تكفل حقوق العاملين والدولة • مـع الوقوف فى وجـه النزعات الطفيلية وغير المنتجة فى القطاع الخاص ، وهي التى تعمل بالوساطة والسمسرة والتوكيـلات والتهريب والمضاربة على اقوات الشعب ، والتى تحارب الرأسمالية الوطنية المنتجـة وتسـد امـام مشروعاتها سبل النجاح وتستغل الحرفيين وتفسد القطاع العام • ان هذه الرأسمالية الطفولية تسعى

ان الحكمة من المنابر هي في الاساس حق الرأى الاخر في التجمع في اطار التحالف والشرعيـة . وأن يعبر عن رأيه لكافة مستويات الاتحاد الاشتراكي وللجمهوروم ع التعبير الحر والمتكافىء عن الرأى يكون لاغلبية اللجنة المركزية ان تتخذ ماتشاء من قرارات .

وبدون ذلك فاننا نكون قد وأدنا التجربة ذلك أن المنابر هي في الاساس خلق نوع من التعبير الديمقراطي والجماعي في اطـار الاتحاد الاشتراكي .

■ **الطليعـــــــة**

ما هو تصــورك لمستقبل فكرة المنابر وهي تعتقد أن بامكانها أن تتطور ـ في اطار فكرة التحــالف ـ الى كيانات حـزبية مستقلة ؟

■ **خالد محيي الدين**

ان الميزة الاساسية لفكرة المنابر ،اذا مامارسناها وفقا لما اقترحت من ضوابط ، هي

الى تكوين الثروات الفردية على حساب الشـعب واهداف التنمية وتضع نفسها في خدمة الراسمالية العالمية وتدعو علنا الى الارتباط بها . وعلى العكس فان قيام القطاع الخاص بدوره المنشود في الزراعة والصناعة والتجارة والحرف المختلفة ضمان لتنمية موارد البلاد ، ومضاعفة الدخل القومي ، وتعزيز الاستقلال الاقتصادى ... ان تشجيع القطاع الخاص على الادخار والاسـتثمار لا يتحقق بالعـودة الى اساليب الاقتصاد الحر التي تهز الاقتصاد القومي في اسسه وانما يكون بالدراسـة العلمية لطـاقاته واقتراح المشروعات التي يمكن ان يتولاها بنجـاح وتشجيعه على الاستثمار فيها . ان التخطيط العلمي الشامل هو الاطار الصحي والفعال لاستقرار اوضاع الراسمالية الوطنية المنتجة واسهامها في زيادة الناتج القومي .

خامسا : رأس المال الاجنبي :

الوقوف بحزم ضد مختلف النزعات التي ترمي الى اعادة سيطرة رأس المال الخاص المصرى او الاجنبي على مقدراتنا الاقتصادية . ان الاتجاه الذى يرى أن يقوم رأس المال الاجنبي بالعبء الرئيسي في تمويل التنمية هو اتجاه يجافي الواقع كما أنه ينكر الابعاد الاجتماعية والاقتصادية المترتبة عليه .

ان ارقام توزيع الدخل القومي التي تشير الى ان ٥ ٪ من مجموع السكان يحصلون على ٢٢ ٪ من الدخل القومي تؤكد بوضوح انه يمكن طبقا لاوليات علم الاقتصاد رفع معدل الادخار المحلي من ٥ ٪ الـى ٢٠٪ مـن النـــاتج المحلي دونما ضـغوط تذكر على مستويات الاستهـلاك اللازمـة لضمان حد ادنى من استهلاك الفرد للفئات الشعبية . انما يتطلب تحقيق ذلك تبني استراتيجية شاملة لتوزيع الدخول والترشيد الاستهلاكي ولذلك فان الاعتماد الاساسى في التنمية الاقتصادية يجب ان يقوم على الموارد المحلية .

ان سياسة الانفتاح الاقتصادى يجب ان تلتزم بالتنمية المخططة وباستخدام كل الامكانيات الذاتية المتاحة .

ان التنمية معركة وطنية ، تعتمد في الاساس على قوتنا الذاتية ، وما يتاتى من الخارج يجب ان يكون اضافة اليها وليس بديلا عنها . وان الالتزام بمبادىء ومواثيق الثورة كضمان وصمام أمن يكفل افشال محاولات العودة بالاقتصـــاد الوطني الى حظيرة التبعية للراسمالية محلية كانت او اجنبية .

ان ذلك يتطلب ان تتولى الخطة الشاملة للتنمية تحديد المشروعات الجديدة التي تتطلب عوضا ماليا من الخارج ، وهي المشروعات الصناعية الجديدة التي تتطلب اموالا ضخمة وخبرة تكنولوجية عالية لا تتوفر محليا والمشروعات التي يكون من شانها تنمية الصادرات او احـلال الواردات بصـورة جـذرية والمشروعات السياحية الكبرى . وفي هذا الصدد لابد من تفضيل القروض الخارجية على استيراد رأس المال الخاص الاجنبي وذلك حتى تظل الدولة حرة في استخدام الاموال الاجنبية وحتى تظل ملكية المشروعات الجديدة للدولة ، على ان يقبل رأس المال الاجنبي فقط في حالة المشاركة مع الدولة . وعندئذ فان الاولوية يجب ان تكون لراس المال العربي ،العام والخاص ، للدخول في هذه المشروعات المشتركة .

فرأس المال العربي على استعداد لان يشترك في تمويل مشروعات جاهزة ملموسة ناجحة مادامت قد اعدتها الدولة اعدادا مدروسا وهيأت لها اسباب النجاح الاقتصادى والفني والادارى .

لكل هذا يتعين اعادة النظر في التشريعات الخاصة بالاستثمارات الاجنبية ، والخاصة بإباحة التجارة الخارجية تصديرا واستيرادا للقطـاع الخـاص . والخاصة بنشاط البنوك واجهزة التمويل الاجنبية .

ويتعين الاستمرار في ان يظل القطاع العام ممسكا بكافة خيوط الاقتصاد القومي ، بحيث تكون سياسة

انها ستسهم فى ولادة الاحزاب السياسية بصورة طبيعية وغير مفتعلة وفى نطاق التحالف .

■ الطليعـــــة

اسمح لنا أن نلاحظ أنك تصر وباستمرار على تكرار عبارة « فى اطار التحالف » فهل يعنى ذلك أنك ترفض وجود منابر تتفق فى الجوهر مع أهداف التحالف ومواثيقه ؟

■ خالد محيى الدين

الشىء الذى أود أن أقرره وبحسم هو أنه لارجعة للوراء .. ان احدا لن يسمح بذلك . اننا نبدأ من منجزات الثورة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والحفاظ عليها من هجمات أعدائها والعمل على تطويرها ..

ومن ثم فان من يرفض هذه الاسس انما يرفض مواثيق وانجازات الثورة . فعلى أية اسس يمكن ان يتصور انتماءه للاتحاد الاشتراكى كوعاء للتحالف وكمنبر قائم على هذه الاسس .

الحضارى على المستوى العالمى ، جنبا الى جنب مع غيرها من الامم والشعوب .

الانفتاح - على هذا النحو - سبيلا للحصول على موارد اضافية للتنمية لا سبيلا لاثراء فئة محدودة ولسيطرة رأس المال الاجنبى على الاقتصاد الوطنى .

ان التعاون المشترك مع الحكومات العربية فى مشروعات مشتركة طويلة المدى ، زراعية وصناعية وسياحية ومشروعات نقل ، هو الطريق الامثل لتنمية زراعية صناعية جادة فى كافة ارجاء العالم العربى . وتستطيع الخبرة المصرية ان تسهم بدور فعال فى تخطيط هذا التعاون المشترك بين الحكومات العربية حماية لمصالح الجماهير العربية من جموح رأس المال العربى الخاص الى الارباح السريعة فى انشطة لا تخدم غير شرائح محدودة فى العالم العربى .

سادسا : قطاع التعاون :

على الرغم من تسليم الجميع بالاهمية الحاسمة لقطاع التعاون بالنسبة للفلاحين وصغار المنتجين والحرفيين ، فانه لم يلعب بعد فى اقتصادنا القومى كل دوره المؤمل منه . ولا شك ان اصباغ الطابع الديمقراطى على التعاونيات سوف يبعث الحياة فى قطاع التعاون الذى يضم ويجب ان يضم اكبر تجمع بشرى فى مصر ، سواء فى الريف او المدينة . ولذلك فلابد من البدء بوضع نظام التعاون بايدى صغار المنتجين من فلاحين وحرفيين ، ليكون بالفعل فى خدمتهم مباشرة ، يحميهم من الاستغلال ويحفزهم على تحويله فى النهاية الى تعاون انتاجى .

سابعا : التضخم :

أن موجات التضخم المتصاعدة تخل باستقرار العلاقة بين الاسعار والاجور وتهبط بالقوة الشرائية لدخول الطبقات الشعبية الكادحة والطبقات ذات الدخول الثابتة كالموظفين ، بينما ترتفع بدخول المضاربين والسماسرة وتجار السوق السوداء . ولهذا لابد من بذل جهود جبارة لوقف حدة التضخم . ان الاتجاه التضخمى للاسعار لا يمكن ان يوقف الا بمزيد من تدعيم القطاع العام وتدخل الدولة لصالح اوسع الجماهير وليس بمزيد من الحرية للمضاربين وتجار السوق السوداء الذين يعملون بلا رقابة من الدولة وبدون مساهمة فى ايرادات الدولة تتناسب مع نصيبهم من الدخل القومى . ان وقف ارتفاع الاسعار يرتبط بالسياسة الاقتصادية القائمة التى يجب ، بالتالى ، أن يعاد النظر فيها . وبخاصة فيما يتعلق بالاستهلاك غير الضرورى والترفى الذى يبدد موارد البلاد ، ويزيد من عجز ميزان المدفوعات ، ويفاقم قضية التضخم . ولابد من اجراءات ضريبية حاسمة لامتصاص فوائض الدخول غير المثمرة وترشيد الاستهلاك . وفى الوقت ذاته لا مفر من رفع الحد الادنى للاجور تعويضا عن تدهور قدرتها الشرائية وتقليلا للفوارق بين أعلى وادنى اجر . ان تذويب الفوارق بين الطبقات هو السبيل الاساسى لضبط الاستهلاك ومحاربة التضخم .

ثامنا : التموين :

من أجل ضمان اقوات الشعب باسعار مناسبة ، لابد من دعم القطاع العام فى مجال التجارة الداخلية والتوسع فى انشاء المجمعات والوحدات الاستهلاكية والتعاونية وتزويدها بالسلع الاساسية ، مع حسن توزيع السلع على المستهلكين . ان ذلك يقتضى تطبيق نظام فعال للحوافز للعاملين فى قطاع التموين والتجارة الداخلية ، كما يقتضى تشديد العقوبة على الاتجار فى السوق السوداء وعلى التهريب والاتجار فى السلع المهربة .

وفى الوقت ذاته ، لابد من مقاومة أى دعوة لالغاء اعانات الدعم التى تخصصها الدولة للحد من ارتفاع اسعار المواد الاساسية الغذائية والاستهلاكية والا كان الغاؤها دعوة صريحة لوضع المستهلكين تحت رحمة التسابق على الارباح فى الاسواق .

تاسعا : الاسكان :

ان قضية الاسكان تمثل اليوم اخطر مشكلة اجتماعية تواجه الجماهير . وبدون المزيد من التدخل

ان هناك حدا أدنى لتواجدنا جميعا فى الاتحاد الاشتراكى ، وهو الموافقة على مواثيق ومنجزات ثورة يوليو . وبعد هذا الحد الادنى وحوله ، يمكن تصور تيارات تتجه على يسار التجربة وتيارات ليبرالية وتيارات محافظة . وهى جميعا ، وبرغم اختلافاتها ، تتواجد فى اطار منجزات الثورة وفى اطار رؤيتها المستقبلية .

ولقد تواجدت هذه التيارات على الدوام فى اطار الاتحاد الاشتراكى . والجديد فى الامر هو اتاحة الفرصة امام هذه التيارات لتعبر عن نفسها بشكل حر وجماعى ومنظم وشرعى .

■ **الطليعـــــة**

على ضوء ما تراه أنت من ضوابط يتعين توافرها لانجاح فكرة المنابر ، ما هو تصورك لعلاقة المنابر بالامانات المختلفة فى الاتحاد الاشتراكى ؟

■ **خالد محيى الدين**

أرى انه من الضرورى ان تراعى القيادة السياسية عند تشكيلها للاجهزة القيادية فى الاتحاد الاشتراكى ضرورة ضم ممثلين للمنابر المختلفة . وذلك كأساس لان تستطيع قرارات هذه الاجهزة ان تعكس مختلف الاتجاهات والاراء .

من جانب الدولة باجراءات جذرية مثل تصدى الدولة لبناء المساكن الشعبية ولمحدودى الدخل على اوسع نطاق والزام المصانع الجديدة بتوفير المساكن لعمالها وموظفيها وتوفير كافة مواد البناء وانشاء مصانع المساكن الجاهزة والحد من ارتفاع اسعار اراضى البناء وتحديد ايجارات المساكن بصورة تتناسب مع الدخول ، وتشجيع القطاع التعاونى فى الاسكان . والاهتمام بالعاملين فى ميدان البناء والتشييد . فلابد من تشجيعهم على التنظيم فى نقابات تحفظ مصالحهم وتوفر لهم العمل فى داخل البلاد وخارجها بالاجر المناسب وفتح مجالات جديدة للتدريب الفنى للعاملين فى البناء والتشييد وزيادة قدراتهم كما وكيفا . بدون هذا كله فان الوضع سوف يتفاقم بحيث يؤدى الى افقار مستمر للطبقات العاملة بسبب نمو تكلفة السكن فى دخول الافراد بصورة سوف تجعل الحياة مستحيلة على فئات متزايدة من الشعب .

عاشرا : الريف :

تحديث الريف بثورة زراعية فى اساليب الانتاج الزراعى ترمى لخدمة التنمية الشاملة وتوفير الغذاء للمواطنين ، مع توفير مواد ومعدات هذه الثورة الزراعية صناعيا فى خطة التنمية ، وتطوير التعاون الزراعى لصالح صغار الملاك والمستاجرين ، والحيلولة دون رفع ايجارات الاراضى الزراعية وتعميم كهربة الريف فى اسرع وقت ممكن .

ان مستقبل الثورة الزراعية فى مصر يتوقف ايضا الى حد كبير على استغلال الاراضى الزراعية الجديدة التى يجب ان توضع مباشرة فى خدمة التنمية الزراعية سواء عن طريق اقامة المجمعات الزراعية الصناعية او عن طريق الجمع بين مزايا المبادرة الفردية ومزايا الانتاج الجماعى . بين مزايا الزراعة الصغيرة الكثيفة ومزايا الانتاج الكبير .

احد عشر : التعليم والتقدم التكنولوجى :

اطلاق ثورة تعليمية وثقافية تستجيب لمقتضيات العصر الذى نعيش فيه بحيث تشمل كافة نواحى الحياة وتتبنى سياسة قومية للبحث العلمى ، وتحترم انسانية ومكانة المعلم ، وتخلق جيلا جديدا من الشباب قادرا على مواجهة التطور العلمى والتكنولوجى . وتنشر المنهج العلمى فى التفكير مع الحفاظ على القيم والمثل العليا والاخلاق المستمدة من التراث الدينى والقومى .

ان التقدم العلمى والتكنولوجى ليس عملية فنية يتم بمقتضاها نقل آلة من مكان الى مكان . فلو كان الامر كذلك لاستطعنا القضاء على مشكلة التخلف التكنولوجى فى سنوات معدودة . لكنها عملية اجتماعية فى الاساس يتم بمقتضاها اعداد الانسان القادر على استيعاب هذه التكنولوجيا وتكييف نفسه معها ثم تطوير قدراته على اصلاحها وتطويرها وفى النهاية اكتساب المعرفة التى تمكنه من خلق التكنولوجيا التى تتلائم وظروفه . هذه العملية الاجتماعية تتطلب فى الاساس ثورة ثقافية تستهدف خلق واعداد هذا الانسان . ثورة ثقافية هدفها سيادة العقل المنهجى المؤمن بطرق العلم الحديث وتعميق القدرات الابداعية والابتكارية للافراد ، وسيادة روح الملاحظة والتجربة والتحدى للطبيعة .

وفى هذا الصدد نورد الملاحظات الاتية :

اولا : ان التقدم الفنى والتكنولوجى يصبح مفهوما فارغا من المعنى فى مجتمع تسود الامية ٧٠ ٪ من سكانه . ومن ثم فان القضاء على الامية مطلب اساسى للتحضير لاى تقدم . ان محو الامية مطلب سياسى اولى يجب ان تضطلع به التنظيمات السياسية فى مجتمعنا وتعبا له اجهزة الدولة والتنظيمات الجماهيرية .

ثانيا : يجب اعادة النظر فى نظامنا التعليمى كله ، من المدرسة الابتدائية حتى الجامعة ، سواء فى موضوعاته او مناهجه او اساليب التدريس السائدة . فنظامنا التعليمى السائد يقوم على استخدام احط ملكات العقل الانسانى وهى القدرة على الحفظ الغيبى والتكرار بينما يستبعد استخدام أعلى ملكات العقل الإنسانى وهى القدرة على التجديد

ولابد لذلك من أن يفرض على قيـادة الاتحاد الاشتراكى انتهاج اسلوب جديد، اساسه التشاور والتفاهم والنقاش المسبق

■ **الطليعــــة**

وما هو تصورك للعلاقة بين المنابر المختلفة وبين الصحافة واجهزة الاعلام المختلفة ؟

■ **خالد محيى الدين**

يجب أن تتاح الفرصة أمام ممثلى المنابر المختلفة للتعبير عن آرائهم واتجاهاتهم فى مختلف وسائل الاعلام وعلى قدم المساواة . فالمفترض أن هذه الاجهزة الاعلامية ، هى أجهزة التحالف ومملوكة له ، ومن ثم فان من حق كل المنابر أن تجد وسيلة كى تعبر وبشكل متكافىء عن آرائها وبرامجها عبر هذه الاجهزة .

وهذه الخطوة حاسمة وضرورية ، بل هى محك لتحديد ديمقراطية العلاقة بين المنابر وبعضها البعض وبينها وبين الاتجاه العام .

فالصحف الموجودة حاليا يجب أن تفسح صدرها أمام كافة الاتجاهات ويجب ألا يحرم رأى من حقه فى التعبير عن رأيه ، والامر يتطلب اجـراءات محـددة وواضحة وحاسمة . فلم تزل بعض الصحف حتى الان تحرم عددا من محرريها من الكتابة لمجرد

والابتكار التى تستند الى المسائلة والنقد . يقوم نظامنا التعليمى على ترسيخ روح التقديس لدى الطالب فى المادة المقدمة اليه وتقديس من يقدمها ومن ثم قتل روح المسائلة والنقد لديه . يقوم نظامنا التعليمى على حشر عدد من المواد دون تنسيق بينها ولا ضابط يجمعها . يفتقد نظـامنا التعليمى الى تعميق روح السببيه العلميه لدى الطالب خاصة فى المراحل التعليمية الاولى .

ثالثا : ان العملية التعليمية تقوم فى الاساس على تفاعل قطبين اساسيين هما من يقوم بالتدريس (المعلم)ومن يقوم بتلقى الدرس (الطالب) . ومحور هذا التفاعل هو المادة العلميـة المقدمة موضوعا ومنهجا . ومن ثم فان اصـلاح نظامنا التعليمى انما يقوم على اصلاح اطراف هذا التفاعل الثلاثة ، وبخاصة تحقيق مستوى المعيشة العالى ماديا وثقافيا للمعلم .

رابعا : أن التعليم يمكن النظر اليه من جهتين مختلفتين ولكنهما فى الاساس متكاملتان لاينفصم احداهما عن الاخرى . فالتعليم يمكن النظر اليه كسلعة استهلاكية وعندئذ يجب أن يحقق لكل فرد حدا ادنى من الاشباع من هذه السلعة الاستهلاكية. الا ان نمط توزيع هذه السلعة الاستهلاكية يجب ان تحكمه اعتبارات العدالة التى تقوم على نظام حقيقى لتكافؤ الفرص . ومن ناحية اخرى فان التعليم ينظر اليه كسلعة استثمارية (انتاجية) هدفها تنمية الدخل فى المستقبل . ومن وجهة النظر هذه يجب ان يحكم الاستثمار فى التعليم معايير للاستثمار تحكم اولوياته ومدى مساهمته فى زيادة العـائد الاجتماعى ، ومن ثم تلافى اوجه الفقد والضياع فى استخدام مواردنا الاستثمارية فى هذا المضمار .

خامسا : لا يمكن للتعليم كاستثمار بشرى ان يؤتى ثماره اذا لم تكن الخطـة التعليمية جـزءا لا يتجزأ من خطة القوى البشرية واذا لم تكن خطة القوى البشرية جزءا لا يتجزأ من الخطة القومية يحكمها التناسق بين الخطط الاخرى المكونة للخطة القومية لخطة الاستثمار وخطة الانتاج وخطـة العمالة .

سادسا : بما ان التكنولوجيا هى تطبيق العلم فى مجال الانتاج فان التقدم التكنولوجى لن يتحقق فى مجتمعنا الا اذا انشئت المؤسسات والاجهزة التى تقوم بالربط المتبادل بين اجهزة الانتاج وبين دور البحث العلمى والجامعات . فغياب مثل هذه المؤسسات فى مجتمعنا ادى الى انفصام الرابطة بين احتياجات الجهاز الانتاجى والابحاث التى تقوم بها دور البحث العلمى والجامعات . ومن ثم فان اول متطلبات تمهيد الارض للتقدم التكنولوجى هو تحديد هـذا الربط فى خطة قومية للبحث العلمى .

ومن اجل نجاح الثورة الثقافية يتعين على الدولة ان توفر للكتاب والادباء والفنانين التشكيليين وكـل العاملين بالمسرح والسينما والاذاعة والتليفزيون كل الامكانيات المادية والحوافز المعنوية لتزدهر مواهبهم فى جو من الحرية الحقيقية .

اثنا عشر : المواصلات :

ان اولوياتنا الاجتماعية تقوم فى اساس على مفاهيم جديدة للنمو والتقدم الاقتصادى . فتحقيق مستوى متقدم ولائق لخدمة المواصلات كجزء مـن مكونات الدخل الفردى لا يقوم بالضرورة على تطوير وسائل النقل الفردية أى انتاج السيارات الخاصة. بل من الممكن الوصول الى مسـتوى لائق لخـدمة المواصلات لكل فرد عن طريق تحسين وتطوير وسائل النقـل العـام . وبالتالى فـان نظـامنا للاولويات الاجتماعية يتطلب من الموارد الجديدة التى توجه الى قطاع النقل أن يكون هدفها الاوحد هو ضمان حد ادنى لائق ومستوى خدمة المواصلات العامة لكل فرد فى المجتمع دون تفريق . كذلك فان الطـاقة الانتاجية الحالية التى تسـتخدم لتطـوير وانتـاج وسائل النقل الخاصة يجب ان تحول لانتاج وسائل النقل العامة وتطويرها لخدمة هذا الهدف .

ثلاث عشر : الصحة :

ان نمط استخدام الموارد فى قطاع الصحة يتطلب

انهم يختلفون فى اتجاههم السياسى مع رئاسات هذه الصحف . فكيف يتصور أن مثل هذه الرئاسات سوف تقبل ـ طواعية حق المنابر الاخرى للتعبير عن رأيها . ولست أتصور أن هذا الامر ممكن بغير تدخل حاسم من قيادة الاتحاد الاشتراكي تفرض به حق التعبير للمنابر على تلك الرئاسات التي ترفضه ..

■ **الطليعة**

والان ، اسمح لنا أن نسألك : من أنت ؟وأى منبر تؤسس ؟ وأية قوى سياسية واجتماعية يتطلع هذا المنبر الى تمثيلها ؟وكيف ينعكس ذلك كله على البرنامج الذى يعده هذا المنبر ؟

■ **خالد محيى الدين**

أنا واحد من الذين شاركوا فى صنع ثورة يوليو والاعداد لها . وأنا واحد من هؤلاء الذين يدافعون بحماس عن منجزات هذه الثورة ومواثيقها ، ويبذلون أقصى جهدهم من أجل حماية هذه المنجزات وتطويرها بمايكفل تحقيق مصالح الشعب .

وفى نطاق ثورة يوليو ، وفى نطاق هذه المنجزات والمواثيق كان لى فكرى الخاص وتصوري الخاص لوسائل وكيفية تطوير هذه المنجزات . لكن فكرى الخاص هذا كان

الوصول الى أعلى عائد اجتماعى من حجم الموارد المستخدمة فى هذا القطاع ، وبحيث يساهم اقصى مساهمة فى زيادة الدخل القومى . ولذا يجب استخدام الموارد فى هذا القطاع للارتفاع بمعدل الحياة لكل فرد فى المجتمع . ويتحقق هذا عن طريق ضمان حد ادنى من مستوى صحى لائق لكل فرد دونما تمييز .ولذا فان توجيه الموارد لانشاء المستشفيات المتخصصة فى علاج امراض معينة لا يحقق هذا الهدف ، حيث لم تتوافر لدى كل فرد المياه الصالحة للشرب حتى منزله ، وحيث لم تتحسن شبكات المجارى بما ينشا عنها من أمراض . ان توجيه الموارد القومية لانشاء مثل هذه المستشفيات لن يحقق العائد الاجتماعى المرتفع خاصة فى مجتمع مصاب اغلب سكانه بمرض البلهارسيا التى تضعف من القدرة الانتاجية للفرد بحولى ٣٥٪ . ان تحقيق الحد الادنى من مستوى الصحة اللائق لكل فرد يتطلب ايضا اصدار التشريعات الاجتماعية فى مجال الصحة والتى تضمن العلاج المجانى لكل مواطن بمستوى لائق ودنما تفرقه . وننوه بصفه خاصة بما يلى :

١ ـ اولوية توجيه الموارد للصحة الوقائية ضد الامراض المتوطنة .

٢ ـ تحسين الخدمة فى المستشفيات العامة .

٣ ـ التوسع فى التامين الصحى ليشمل قطاعات جديدة وبخاصة جميع الموظفين والعمال .

٤ ـ تطوير وتوسيع الصحة المدرسية لحماية النشىء والشباب .

٥ ـ تحسين الخدمة فى الوحدات الصحية بالريف وتدعيمها .

اربعة عشر : الضرائب :

اعادة النظر فى النظام الضريبى الحالى ، المتخلف ليس فقط عن احتياجات بلد نام فرضت عليه اعباء باهظة . وانما المتخلف حتى عن المعترف به فى أى بلد رأسمالى . واقامة نظام ضريبى جديد يتسم بالشمول والتصاعد ، وذلك تمكينا له من تعبئة جزء أكبر من الموارد المتاحه لدى الفئات الاكثر قدرة بغية توفير التمويل للتنمية ، وسعيا لتصحيح العلاقة المختلة بين الضرائب المباشرة والضرائب غير المباشرة التى زادت واستفحلت اعباؤها على الطبقات الشعبية العاملة .

وفى هذا الصدد ، يجب العمل على التنسيق الكامل بين السياسة الضريبية والاجور والدخول والاسعار فى معادلة تكفل التناسب بين الدخول التى تحصل عليها الاغلبية الساحقة من المواطنين وبين ضرورات الحياة .

ان ذلك يتطلب تطوير الجهاز الضريبى وتوفير الادوات الفعالة التى تكفل له تتبع الفوائض الاقتصادية فى كافة الانشطة .

خمسة عشر : الانسان المصرى الجديد :

واخيرا فان نظرتنا الى خلق الانسان العصرى فى مجتمعنا انما تنطلق من نظرية علمية للانسان ابرز معالمها ان طبيعة الانسان تتسم بطابع محايد ومن ثم تتوقف المسالة على نوع ونمط التنشئة الاجتماعية الذى يخضع له الفرد ونوعية المجتمع الذى يعيش فيه وطبيعة القيم الاساسية التى تسوده. ولهذا فان السمات والاتجاهات الانسانية يمكن تغييرها تغييرا اراديا لو اصطنعت لذلك الاساليب المناسبة . ومن ناحية اخرى فان العامل الاساسى فى تحديد سمات الشخصية انما يكمن فى المواقف الاقتصادية ـ الاجتماعية التى يمارس الفرد من خلالها نشاطه الانتاجى بما فيها القيم الروحية والدينية السائدة ، فهذه المواقف هى التى تصوغ وعى الافراد . ويعنى هذا ايضا انه يمكن اعادة صياغة الانسان لو اعدنا تشكيل علاقاته الاجتماعية على اسس اكثر تقدما تحقيقا لثورة ثقافية تعليمية كما ذكرنا .. وبالتالى فنحن نرى ان سيادة العلاقات الاشتراكية من شانها على المدى الطويل ومع التطبيق السليم ان تغير من شخصية الانسان تغييرا جوهريا .

ولعل السمات الاساسية التى نراها تميز الانسان العصرى الجديد هى الانفتاح على الخبرات الجديدة سواء ما تعلق فيها بمعرفة الناس او بممارسة طرق

مركزا على مقاومة سلبيات التطبيق ، والعمل على تطوير هذه المنجزات وليس هدمها ·

والمنبر الذى أسهم فى تكوينه ، « **المنبر الوطنى التقدمى** » ، يقوم على أساس أن القضية الوطنية والقومية لا زالت مطروحة بشدة على النطاق المصرى والعربى والعالمى · فجزء عزيز من الارض المصرية والعربية لم يزل محتلا ، والقضية الفلسطينية ـ حجر الزاوية فى مشكلة الشرق الاوسط ـ لم تحل بعد والخطر الاستعمارى والرجعى على منجزات ثورة يوليو وحركة التحرر العربية لم يزل قائما . بل لعله يسلك سبلا جديدة أشد خطرا محاولا استغلال المتاعب الاقتصادية التى نعانى منها والخلافات العربية التى لم تزل متفاقمة بغير حل ، أقول ان الخطر الاستعمارى والرجعى لم يزل قائما وهو يحاول جاهدا اعادة عقارب الساعة الى الوراء ·· ويتجسد هذا الخطر ـ على سبيل المثال فى محاولة تفسير سياسة الانفتاح على أنها العودة الى نظام الاقتصاد الرأسمالى الحر ، وفتح الباب أمام رؤوس الاموال الاجنبية والشركات المتعددة الجنسيات بصورة قد تهدد استقلالنا الاقتصادى ما لم توضع لها ضوابط تخضعها للخطة القومية ولسيطرة الدولة ، ولا تفقد القطاع العام دوره القيادى · وبدون هذه الضوابط أيضا فان الرأسمالية الوطنية المنتجة سوف تهدد مصالحها أيضا وسوف تعانى من التصفية . كذلك فان عملية التقدم

جديدة للسلوك · الانسان الذى ينتقل ولاؤه وانتماؤه من الدائرة الضيقة للاسرة او العشيرة الى المجتمع ككل ، الانسان الذى يعتد ويؤمن بكفاءة المنهج العلمى ويصدر عن اتجاه عام مضاد للسلبية ويشارك عن طريق الديمقراطية الحقة فى تقرير شئون بلده العامة

ولا تعنى صياغة هذا الانسان العصرى الجديد التضحية بسماتنا القومية الاساسية ، بل على العكس فان هذه السمات الحضارية يمكن تطويرها لتصبح قوة دافعة للفرد والجماعة فى الاسراع بعجلات التنمية الاقتصادية والاجتماعية · كما لا يعنى صياغة هذا الانسان العصرى الانغلاق فى وجه الحضارات الاخرى · بل من الممكن لهذا الانسان ، فى احتكاكه مع الحضارات الاخرى ، ان يستوعب بعض سماتها الحضارية ويتمثلها دون ان يفقد سماته القومية الاساسية بل يصبح قادرا على الوقوف فى وجه عمليات الفرض الحضارى من الخارج · ولا شك ان المؤثرات الاساسية فى خلق هذا الانسان العصرى انما تتمثل فى التعليم وتطويره ، وفى التنمية الصناعية بحيث يتحول المجتمع الى قاعدة صناعية علمية عريضة ، وفى تذويب الفوارق بين الطبقات · وفى سيادة علاقات الانتاج الاشتراكية وتعميق الديموقراطية ·

ان صياغة الانسان المصرى الجديد تحتاج الى ثورة اجتماعية شاملة تغير مناهج تفكيرنا بطريقة جذرية بحيث يصبح المنهج العلمى هو اداة التفكير الرئيسية ، بل تحتاج الى اعادة صياغة نظمنا الاجتماعية ومؤسساتنا فى ضوء نسق مترابط من القيم الاشتراكية التى لا تتجاهل مطالب الروح الانسانية التى لا ينبغى التضحية بها اطلاقا لحساب بضعة مكاسب مادية · ان التنمية الحقيقية هى تنمية الانسان بالمفهوم الكلى الشامل ، هى التنمية التى لا تقضى على حرية الفكر باسم رغيف العيش ، ولا على كرامة الانسان بزعم الرغبة فى اسعاده · وبالمثل لا تضلل الانسان بوهم الحرية وهو مسحوق فى هاوية الفقر والامية · وهى فى النهاية تنمية محك نجاحها فى الوقت الراهن هو نوعية وحجم المشاركة الجماهيرية فى تحقيقها ·

ستة عشر : الدين والتراث :

اننا نرى فى الايمان برسالات الاديان السماوية ، فى ضوء النظرة العقلانية والمستنيرة طاقة خلاقة تسهم فى تنمية السلوك السوى والصالح لدى الانسان ، ونحن نرى فى تراث مصر المسيحية ، ودور كنيستها الوطنية ضد موجات الغزو الاجنبى ، وفى تمكين قيم المحبة والاخاء تراثا يعتز به ابناء الوطن من مختلف المعتقدات · كما نرى فى تراث الاسلام التشريعى صورة من صور عبقرية شعوبنا ، اسهم من خلالها فى اضافة صفحات مشرقة الى التراث الانسانى الموحد والعظيم · وعندما ننظر الى هذا التراث الذى هو فى جوهره جهد بشرى عبقرى صنعه اعلام هذه الشعوب فى اطار التعاليم الكلية والعامة للدين الحنيف ، عندما ننظر اليه بعقل مستنير ، وفى ضوء التطور الذى حدث لمجتمعنا ، نجد فيه من الصفحات المشرقة والمبادىء العادلة والقيم الانسانية الخيره كنوزا لازالت صالحة للعطاء والاستلهام ·

ونحن نستهدف جعل القيم الدينية السمحة ، والصفحات المشرقة من تراثنا :

■ فى الشورى والديمقراطية ·

■ وفى الانتصار للعقل واعلاء شأنه وتمكين سلطانه ···

■ وفى المنهج العلمى فى البحث والتفكير ···

■ وفى حرية الاعتقاد وتحرير الضمير الانسانى من الارهاب الفكرى ، وتدعيم الوحدة الوطنية وادانة التعصب والطائفية ·

■ وفى التكافل الاجتماعى بين ابناء الشعب العاملين والمنتجين للثروة ·

نستهدف جعل هذه القيم وهذه الصفحات طاقات تستعين بها شعوبنا على تحقيق ذاتها ، وبناء مجتمعها الجديد ، والعودة ثانية الى الاسهام

الاجتماعى وتذويب الفوارق بين الطبقات سوف تتراجع · ومن ثم تصبح كل منجزات الثورة مهددة ·

ولهذا فان لنا وجهة نظر محددة فى تطبيق الانفتاح وفى السياسات المحيطة به مثل ما يتعلق بالتوكيلات التجارية والبنوك الاجنبية ومواجهة الرأسمالية الطفيلية التى تلعب الدور الاكبر فى رفع الاسعار وفى التضخم . ولقد تكون للتضخم بعض اسباب موضوعية منها زيادة الانفاق على الاستعداد الحربى وعلى التعمير . لكن الذى يفاقم التضخم ويجعله غير محتمل هو نشاط الرأسمالية الطفيلية الغير طبيعى والذى يؤدى الى خلق قوى شرائية تدفع بالاسعار الى مزيد من الارتفاع ولا تسهم فى نفس الوقت فى أعباء التقدم · ولا تشارك فى دفع الضرائب ، الى جانب اسهامها فى تفاقم الازمات الاجتماعية بسبب ما تعكسه فوارق هائلة فى الدخول وبسبب ثرائها الفاحش والذى لا يتلائم مطلقا مع معاناة الجماهير الشعبية .

ولهذا فان منبرنا يقدم برنامجا سياسيا يعبر عن كل هؤلاء الذين يقفون مع وجهة النظر هذه ، ويرون أن لهم مصالح مشتركة فى العمل سويا من أجل ايقاف هذا الخطر الاستعمارى الرجعى ومن بناء مصر الوطنية التقدمية ·

أى أن منبرنا ليس منبرا ايديولوجيا ، ولكنه منبر سياسى يضم كل القوى والافكار والاتجاهات الوطنية والتقدمية ·

فى السياسة العربية

العمل بكل الوسائل من اجل تحرير سيناء كاملة وكل الاراضى العربية المحتلة ، ودعم الكفاح الفلسطينى المسلح ، وضمان الحقوق القومية المشروعة للشعب العربى الفلسطينى وفى مقدمتها حقه فى تقرير مصيره على ارضه وفقا لقرارات الامم المتحدة وبخاصة قرارها الصادر فى نوفمبر ١٩٧٤ ، وحق الشعب الفلسطينى ممثلا فى منظمة التحرير الفلسطينية فى اقامة السلطة الوطنية الفلسطينية على كل الاراضى التى تتحرر من احتلال العدو الاسرائيلى · ومشاركة منظمة التحرير الفلسطينية فى جميع خطوات حل الصراع العربى الاسرائيلى باعتبار ان القضية الفلسطينية هى مفتاح الحرب والسلام فى المنطقة· والعمل على دعم وتوحيد كل القوى العربية المناضلة ضد الاستعمار والرجعية ومن أجل التحرر الوطنى والتقدم الاجتماعى والوحدة · والسعى لتكوين جبهة عربية عريضة تضم مختلف القوى والاحزاب والهيئات والشخصيات التى تؤمن بالنضال العربى فى مساره التحررى التقدمى الاشتراكى والساعى الى الوحدة ·

ان حرب اكتوبر التى اصدر الرئيس انور السادات قراره التاريخى بها فى ٦ اكتوبر تعتبر نقطة تحول هامة لمستقبل الوطن العربى · فقد اكدت هذه الحرب اصرار الشعوب العربية وفى مقدمتها الشعب المصرى على دحر العدوان وهزيمة اهدافه · واثبتت كفاءة الجندى العربى فى مواجهة التفوق الاسرائيلى المزعوم · كما اثبتت للعالم فشل سياسة الامن الاسرائيلى القائمة على العدوان والتوسع · ومن جانب آخر ، فلقد اكدت حرب اكتوبر ان التضامن العربى هو ــ بعد قوتنا الذاتية ــ السلاح الاول للعرب سياسيا واقتصاديا وعسكريا ، وان دعم القوى التقدمية العالمية هو سلاحنا الثانى · ولذلك فاننا نرى اهمية استثمار النتائج الايجابية لحرب اكتوبر وتطوير كل منجزاتها فى العلاقات العربية والدولية من أجل تحقيق الاهداف الوطنية المصرية والعربية كاملة · لقد كانت حرب البترول مثلا بداية معركة هامة ضد التسلط الاستعمارى الصهيونى . ولقد فجرت تناقضات عالمية هامة يجب استثمارها لصالح الشعوب العربية وشعوب العالم الثالث فى نضالها ضد الاستعمار العالمى · وبصفة خاصة ، فان فوائض البترول العربى يجب ان توضع فى خدمة الشعوب العربية وقضاياها المصيرية ، تمهيدا لقيام تكامل اقتصادى عربى يكون ضمانا لتحقيق التنمية الاقتصادية المستقلة للبلاد العربية ويفتح الطريق لتحقيق أمل الشعوب العربية وفى وحدتهم القومية ·

فى السياسة الخارجية

انتهاج سياسة خارجية تخدم مصالحنا الاستراتيجية على الصعيدين الوطنى والقومى فى صون استقلال مصر وتعزيز مكانتها الدولية وخلق قوة عربية تخدم السلام والتقدم فى العالم ، سياسة تدعم اتجاهنا التحريرى المعادى للاستعمار بكافة اشكاله ، وتثرى اتجاهنا التقدمى المعادى للرجعية وكل اشكال القهر والكبت وحرمان الشعوب من حقها فى التعبير عن ارادتها الحرة ·

والتاكيد على ان السياسة الخارجية لمصر هى جزء من التزامها العام بالنضال ضمن جبهة الشعوب المعادية للاستعمار والتخلف والرجعية ، والتزامها القومى ضمن الجبهة العربية الرامية لهزيمة المخطط الاستعمارى والصهيونى وتحرير كل الثروات والاراضى العربية من أى نير او استغلال اجنبى والسعى لبناء مجتمع عربى متقدم ومتكامل·

ان سياستنا الخارجية يجب ان تنبع من الايمان بالدور الطليعى لمصر وبتراثها الذى عززته واكدته ثورة يوليو بقيادة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر بجعل القاهرة منارة حقيقية لكل المناضلين من أجل حرية بلادهم واستقلالها ، ومن اجل تقدم الامة العربية وتحررها وسيرها الظافر فى طريق الحرية والاشتراكية والوحدة ·

ومنبرنا لا يكتفى بالنقد • لكنه يقدم حلولاجادة ومدروسة منطلقا من نظرته الخاصة للامور :•

ونقطة البدء فى تصورنا هى ما نلاحظهمن أن ٩٠ فى المائة من الشعب المصرى يستهلك ٥٥ فى المائة فقط من مجموع الاستهلاك العام ، بينما ١٠ فى المائة تستهلك وحدها ٤٥ فى المائة ، وفى داخل هذه العشرة بالمائة نجد أن ٢ر٥ فى المائة تستهلك ٢٣ فى المائة من اجمالى الاستهلاك العام •

وهذا فى نظرنا هو مكمن الخطر •وسوف يعمل منبرنا على أن تتجه كل اجراءات التنمية والخدمات من أجل حل المشكلات المتفاقمة للتسعين بالمائة •.

هذه واحدة ، وثانيا فان منبرنا يرد أنهلكى نحصل على موارد للتنمية يجب علينا أن نبدأ أولا بأخذها من هذه العشرة بالمائة التىتستحوذ على نصيب يفوق بكثير ما تقدمه للانتاج القومى •

وهذا فى اعتقادنا هو المنطق الاكثر طبيعية ، والاكثر قبولا من جماهير الشعب •: ان التسعين بالمائة تضحى بما هو فوق الطاقة ، ولا يمكن أن نطلب منها المزيد • وعلى العشرة بالمائة أن تتحمل بعض العبء ، ليس فقط من منطلق انسانى أو اجتماعى وانما أساسا من منطلق قومى •

ان سياستنا الخارجية يجب ان تقوم على النضال ضد الاستعمار الجديد الذى يهدد استقلال بلدان العالم الثالث وان الدفاع عن هذا الاستقلال انما يعنى فى الواقع النضال من اجل الاستقلال الاقتصادى والسيطرة على الثروات القومية واقامة نظام اقتصادى دولى جديد فى مواجهة خطر الاستعمار الجديد •

ان سياستنا الخارجية يجب ان تقوم على اساس الصداقة الوثيقة مع كل القوى التى تدعم هذا الاتجاه والتى تعتبر ذخرا اضافيا يساعد على تحقيقه • ومن هنا فانه يتعين بذل جهد خاص لاقامة اوثق علاقات التعاون النضال المشترك مع الانظمه العربية الوطنية والتقدميه ومع كل القوى العربية الوطنية والتقدمية •• ومع قوى الشعوب والتقدم فى العالم ومع الاتحاد السوفيتى ومجموعة البلدان الاشتراكية بما فيها الصين ويوغسلافيا بوصفيا الحليف الاساسى لشعبنا فى نضاله الوطنى لتحرير اراضيه المحتله وبناء اقتصاد ، الوطنى • ودعم منظمة الوحدة الافريقية والمشاركة بدور نشيط فى حركة بلدان العالم الثالث ومجموعة دول عدم الانحياز • كما يجب تاكيد وتعزيز صلاتنا وتعاوننا مع مجموعة البلدان الافريقية من اجل التحرر الاقتصادى والتنمية الشاملة فى مواجهة الاحتكارات الدولية والشركات المتعددة الجنسية من اجل انتزاع حقها فى السيطرة على ثرواتها القومية وتنميتها لصالح شعوبها والاستفادة منها على اساس من التكافؤ فى العلاقات الاقتصادية الدولية تحقيقا لرغبة جميع الشعوب النامية فى اقامة نظام جديد فى العلاقات الاقتصادية الدولية •

ان تدعيم علاقاتنا السياسية والاقتصادية بالمجموعة الاوربية امر ضرورى وهام للسلام فى البحر الابيض المتوسط والشرق الاوسط ، فمواقف هذه المجموعة وخاصة فرنسا بشان الصراع العربى الاسرائيلى تسير الان سيرا حسنا وذلك بالرغم من الاختلافات فى النظم والاهداف الاقتصادية والاجتماعية •

كما ان محاولة تحسين العلاقة بالولايات المتحدة الامريكية أمر ضرورى وهام للسلام فى الشرق الاوسط واضعين فى الاعتبار فى الوقت نفسه المصالح الاستعمارية البعيدة المدى للولايات المتحدة فى المنطقة وخاصة علاقتها باسرائيل •

ان العمل من أجل السلام فى العالم هو هدف اساسى لنا ، ولذلك فنحن نؤيد كل الخطوات العملية من أجل استتباب السلم وتخفيض نفقات التسلح تمهيدا لنزع السلاح الشامل فى العالم كله تحت رقابة دولية فعالة ، كما يعتبر الانفراج الدولى انتصارا لنضال شعوب آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية مع كل قوى الديمقراطية والاشتراكية والسلام فى العالم • ان مبادىء التعايش السلمى انتصار لمبادىء باندونج وقرارات مجموعة دول عدم الانحياز فى مؤتمراتها المتعدده ، وتجسيد لميثاق الامم المتحدة فى ضرورة حل المشكلات الدولية بالطرق السلمية وامكانية التعايش بسلام بين الدول ذات النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية المختلفة • ان الانفراج الدولى ليس قيدا على حركة البلدان المستقلة ، بل هو على العكس يوفر مناخا دوليا اكثر مواتاه لنضالها من اجل التحرر الاقتصادى والتقدم الاجتماعى والسلام العالمى •

ذلك برنامجنا ، عرضنا مبادئه العامة لكنه مازال قابلا للمناقشة ، صالحا للتطوير كيما تصبح برامج عمل كاملة تغطى كافة ميادين حياتنا ، ومن اجل هذا نبادر بطرحه على كافة القوى الوطنية والديمقراطية والتقدمية فى بلادنا •

ان شعبنا الذى ناضل طويلا من اجل الاستقلال والحرية ، والذى ضحى كثيرا من اجل تحسين مستوى معيشته ، لجدير فى النهاية ان يتذوق ثمار نضاله وتضحياته فى صورة مستقبل افضل فى ظل الاستقلال الوطنى والتقدم الاجتماعى • ■

ومن ثان أى حديث عن استمرار عملية التحول الاجتماعى وتذويب الفوارق بين الطبقات هنا لايمكن أن يتحقق بدون التوجه لتحسين أوضاع التسعين بالمائة تحسينا جذريا ..

ان قضية التنمية فى مصر ، هى قضيةوطنية بالدرجة الاولى • ان التنمية هى معركة وطنية الاساس فيها هو محاولةاستخدام قدراتنا الذاتية أولا . ثم بعد ذلك ما قد يتاح من مساعدات خارجية . ذلك أن المساعدات الخارجية يجب أن تكون ـ فى اعتقادنا ـ اضافة الى الجهد الذاتى وليستبديلا عنه •

وان الالتزام بمبادىء ومواثيق الثورة هوضمان وصمام أمن للوقوف ضد اثراء فئة محددة وسيطرة رأس المال الاجنبى على الاقتصاد الوطنى • وفى تقديرنا فان التنمية والازدهار الاقتصادى هما فى الاساس نتاج نظام سياسى واجتماعى معين ، وانه لا يمكن لرؤوس الاموال الاجنبية وحدها أن تحل المشكلات الاقتصادية لبلد ما . ولكنها تستطيع ـ بغير شك ـ أن تسهم فى الحل اذاما استطاع النظام السياسى والاقتصادى والاجتماعى لبلد معين أن يضع نفسه ووطنه فى موضع الحل الصحيح لهذه المشكلات •.

■ **الطليعــــة**

.. لابد لمثل هذا الحديث أن يقودنا الى سؤال آخر ، عن تصوركم للقطاع الخاص ودوره ؟

■ **خالد محيى الدين**

أمامنا مثل واضح هو القطاع الخاص الزراعى والصناعى والحرفى • وقد لقى هذا القطاع ـ وباستمرار ـ التشجيع لسبب بسيط هو أنه قطاع منتج ، يقدم خدمات وسلع ضرورية للوعاء الانتاجى العام • وهوينمو بشكل صحى من خلال نمو العملية الانتاجية ونحن لا اعتراض لنا على نشاطمثل هذا القطاع . ولكننا نشترط أن يدفع نصيبه العادل من الاعباء العامة ، وأن يحترم الضوابط والقواعد التى تحمى النمو العام للاقتصاد القومى • وعلى أية حال فاننا نرى أن التخطيط العلمى الشامل هو الاطار الصحى والفعال لاستقرار أوضاع الرأسمالية الوطنية المنتجة واسهامها فى زيادة الانتاج القومى •

أما الرأسمالية الطفيلية فنحن ضدهاوضد نشاطها ونموها ، لانها لا تلعب أى دور انتاجى • وانما تكتفى بتكديس الثروات على حساب عرق الشعب وأهداف التنمية • ولانها بارتباطها الوثيق بالاقتصاد الاجنبى تهدد استقلالنا الوطنى والاقتصادى وتهدد مصائر الرأسمالية الوطنية المنتجة ذاتها •

ان منبرنا يطرح وبصراحة قضية الاستهلاك غير الضرورى والترفى الذى يبدد موارد البلاد ، ويزيد من عجز ميزان المدفوعات ، ويفاقم التضخم ، ونحن نرى أنه لابد من اجراءات ضريبية حاسمة لامتصاص فوائض الدخول الزائدة « مراعين أن تحديد مدى هذه الفوائض انما يخضع للمستوى العام للدخل والمعيشة فى مصر » ولابد كذلك من ترشيد الاستهلاك ورفع الحد الادنى للدخول تعويضا عن التدهور الحقيقى فى القوة الشرائية لاصحاب الدخول المنخفضة •

■ **الطليعــــة**

يبقى سؤال أخير .. عن تلك القوى الاجتماعية التى يمثلها منبركم ؟

■ **خالد محيى الدين**

انها قوى العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين وقيادات القطاع العام الحريصة على تعزيز دوره فى البناء والتنمية ، وأيضاقوى الرأسمالية الوطنية المنتجة التى تقبل الخضوع للخطة القومية والعمل فى اطارها.. على أن تلتزم بنظرة حضارية وتقدمية للامور • ■

تعليـق .. وتسـاؤلات

فى ٢٠ نوفمبر الماضى تحـدث الرئيس **انور السادات** فى اجتماع اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى عن قضيـــة المنابر . وتضمنت كلمته :

١ ــ مقدمة او خلفيةعن محاولات قيادةثورة ٢٣ يوليو اقامة نظام ديمــوقراطى يختلف عن النظام الذى كان قائما فى العهد الملكى ، والعثرات التى حدثت على طـريق البحث عن صيغة ديموقراطية .

٢ ــ عرض **الرئيس الســادات** لبعض المحــاولات التى بذلت خـلال الاســابيع الماضية لاقامة المنابر فى الاتحاد الاشتراكى وابدى تحفظاته بشأن بعض هذه المحاولات .

٣ ــ حدد **الرئيس الســـادات** انه لم يحدد بنفسه تصورا للمنابر ، وطريقـــة تشكيلها واقترح على اللجنــة المركزية ان تعود فتطرح هذه القضية لاوسع مناقشة فى القواعد .

وكانت قضية المنابر قــد بدات تطــرح رسميا ــ على الاقل ــ من جانب التنظيم فى عام ١٩٧١ عندما كان المهندس **سيد مرعى** يتولى منصب الامين الاول للاتحاد الاشـــــتراكى . فى ذلك الوقت جــرت مناقشات حول القضية فى جلسات الحوار التى ناقشت ــ اذ ذاك ــ ازمة الاتحاد الاشتراكى من جميع جوانبها ، من أجل ان يكون تنظيما فعالا من الناحية السياسية .

ثم طويت المناقشات حول المنابر الى ان طرح الرئيس **السادات ورقة تطوير** الاتحاد الاشتراكى فى أغسطس ١٩٧٤ .وتضمنت الورقة الاتجاهات الجديدة التالية

● عضوية الاتحاد الاشتراكى **اختيارية.**
● رفض مصادرة الرأى المعارض تحت ستار « الالتزام » .
● الاعتراف بان للاراء المختلفـــــة والمتعارضة الحق فى ان تعبر عن نفسها من خلال **منابرها .**

وفى يوليو الماضى انعقد **المؤتمر القومى العام** للاتحاد الاشتراكى ، بعد ان اجريت الانتخابات فى مختلف مستوياته . وكانت من بين لجان المؤتمر لجنة خاصـــــة هى « لجنة المنابر » . اديرت فيها مناقشات هامة حول هذه القضية ، وانتهت اللجنة فى يوم الخميس ٢٤ يوليــو ١٩٧٥ ــ بعــد مناقشات ساخنة ــ الى عدد من التوصيات تركزت ــ بالاساس ــ حول الضمـــانات المطلوبة لقيام المنــابر وتامين نشـاطها ــ وكانت اهم هذه الضمانات .

« ● ان يكفل لكل منبر حق التعبير عن رأيه والدعوة اليه علانية بكل وسائل الاعلام

« ● ان يمكن كل منبر من طرح برنامجه على قواعد التنظيم وان يدعو له بينها ، وان يحشدها من حوله .

« ● ان يمكن كل منبر من ان يمــارس حركته بين هيئة الناخبين ، سعيا لان يكون له ممثلون ينتخبون فى مختلف المؤسسات الشعبية والسياسية .

« ● ان يكون للاقلية حق التعبير عن رأيها والدفاع عنه والدعوة اليه » .

وفى خلال شهرى اكتوبر ونوفمبر ١٩٧٥ تابع الرأى العام حركة مكثفة ودعــوة الى اخراج المنابر الى حيز الوجود . واقترنت هذه الدعوة بنشر برنامج عدد من هــذه المنابر ، على الاقل فى خطوطها واتجاهاتها العامة . وكان من الواضح ــ منـذ أول لحظة ــ ان هناك ٤ منابر رئيسية هى ــ وفقا لتاريخ الاعلان عنها وتقديم برامجها:

● المنبر الديموقراطى الاشـــتراكى ــ وكان المتحدث باسمه محمود ابو وافية عضو اللجنة المركزية وعضو مجلس الشعب .

● منبر الاحرار الاشتراكيين — وكان المتحدث باسمه مصطفى كامل مراد عضو اللجنة المركزية وعضو مجلس الشعب .

● منبر الاشتراكيين الناصريين ، وكان المتحدث باسمه كمال احمد محمد عضو اللجنة المركزية .

● منبر الوطنيين التقدميين وكان المتحدث باسمه خالد محيى الدين عضو اللجنة المركزية .

ومن المعروف انه قد ظهر بجوار هـذه المنابر ٢٥ منبرا آخر ، حتى لقد أحصت « الاهرام » ٢٩ منبرا فى عددها الصادر فى ٢١-١١-١٩٧٥ . ولكن ، من المعروف ايضا ، أن عددا كبيرا من هذه المنابر ليس فيـه غير الاسم او اللافتـة ولا يمثل غير شخص المعلن عنه ، كما ان بعضها هزلى .

وعنـد هذه النقطة ، اعلنت الامانة العامة للاتحاد الاشتراكى — خصوصا من خـلال تصريحات **الامين الاول** للاتحاد الاشتراكى ان المنابر اذ تتكون بالضرورة داخل الاتحاد الاشتراكى ، وبالالتزام بالمواثيق الرئيسية لثورة يوليو ، هى للرأى الاخـر ، داخل التنظيم السياسى بما يكفل لهـذا الرأى التعبير الديموقراطى عن نفسه — وذلك وفقا للضوابط التى توضع . وهذا الرأى الاخر ، قد يكون فى تعبيره عن نفسـه على يسار الاتحاد الاشتراكى ، وقد يكون على يمينه . فالمنبر — وفقا لهذا التصور — هو الصيغة التى تكفل للرأى المعـارض داخل التنظيم ان يعبر عن نفسه ويعمـل على ان يقنع الاخرين بصحة مواقفه . ووفقا لهذا التصور ، ايضا ، تنتفى حاجة الاغلبية — داخل الاتحاد الاشتراكى — الى منبر لها ، لانها هى الاتحاد الاشتراكى . [راجع الحوار مع **الامين الاول** على صفحات هذا العدد من الطليعة] .

اما فيما يتعلق بالممارسة العملية لتجربة المنابر فقد اكد الامين الاول ضرورة ان تبدأ الممارسة فى المرحلة الاولى من داخل اللجنة المركزية فقط .

والامر المؤكد ان بعض الاتجاهات التى نشطت الى تكوين منابرها ، كان لها تصور مغاير ، فى بعض جوانبه ، لتصور امانة الاتحاد الاشتراكى . وقد بنت موقفها — فى الاساس — انطلاقا من الاعتبارات التالية :

١ — ان تجربة المنابر هى اول تجـربة لاشاعة الديموقراطيـة داخـل التنظيم السياسى ، ومن هنا لا يجوز المصادرة على أى شخص يدعو الى تكوين منبر ..

٢ — ينبغى الا نخشى مـن « زحام » المنابر وتكاثرها لان هناك منـابر جدية ، تمثل مصالح حقيقية فى المجتمع ، ولهـا جماهيرها ، وهذه المنابر هى التى سيكتب لها البقاء . اما المنابر الوهميـة فسيحكم عليها بان تزول من تلقاء ذاتها .

٣ — ان ما يدعو الى تكوين المنبر ليس بالضرورة ، اختلاف جماعة من الناس مع استراتيجية العمل الوطنى او السياسـة المعلنة والممارسـات القائمة للاتحـاد الاشتراكى . بل ان ما يدعو الى تكوينـه هو ان بعض الناس قد يؤيدون هـذه السياسة كل التأييد ، لكن لهم تصورا آخر فى الوسائل ، وفى طريقة وضع سياسة ما موضع التطبيق ، وترجمة الشـعارات الموضوعة على الورق ، تحويلها الى مواقف عملية .

٤ — ان الممارسة الديموقراطية انما تكتمل بقيام الاحزاب السياسية على المدى القريب او البعيد ووفقا لما يقرره الشعب . والاتفاق قائم — وهـذا ما وضحتـه القيادات العليا فى الاتحاد الاشتراكى — على ان المنبر هو جنين الحزب المقبل ، وان فكرة قيام الاحزاب ليست مرفوضة من حيث المبدأ . كما ان **الرئيس السـادات** طالما حدد انه لن يصادر على حق الشعب فى تكوين احزابه اذا ما عبر عن رغبته فى ذلك .

والامر المؤكد ان هناك اتجاها قويا فى المجتمع يعبر عن تمسكه الشـديد بفكرة المنابر ويحرص على ان يرى التجـربة مجسدة وحية وفعالة .

لهذا ، كان من الطبيعى ايضا ، ان تعبر **لجنة الرد على بيان الحكومة** [٧٥/١٠/٢٩] عن هذا الاتجاه فى مجلس الشعب ، حين تحدث تقرير اللجنة عن « الحاجة الى صيغة جديدة للتعاون بين الحكومة والمجلس » وقالت **اللجنة** ان المجلس يرى :

« ان نستوعب جيدا ما دعت اليه ورقة اكتوبر وورقة تطوير الاتحاد الاشتراكى ، من بعدها ، من اتاحة الظروف الموضوعية لبروز كافة الاتجاهات السياسية فى اطار

التحالف الذى ارتضاه دستورنا اساسا لنظامنا السياسى ، وان بروز هذه الاتجاهات — خاصة بعد الغاء عضوية الاتحاد الاشتراكى كشرط للترشيح لمجلس الشعب وللمجالس المحلية وسائر المنظمات الجماهيرية — يفرض اسلوبا جديدا فى علاقة المجلس بالحكومة ؛ تحظى معه الحكومة بتأييد الاغلبية التى تتفق معها فى برنامجها ، كما يسمح فى نفس الوقت ببروز الاراء المخالفة بطريقة منظمة وغير عفوية او فردية . عندئذ يصبح تغيير برامج الحكومات متناسقا مع تغير الاتجاهات داخل المجلس ، وتصبح الحكومة والمجلس الذى يؤيدها مرتبطين بموقف واحد امام جماهير الشعب التى يسهل عليها عندئذ ان تحكم على مواقف الحكومة وان تتبنى ما تراه من اتجاهات فى المجلس مؤيدة للحكومة او معارضة لها . وبذلك تسترد الممارسة الديمقراطية قوانينها التى لا غنى عنها .. وتتحول صيغة التحالف لتصبح وسيلة لابراز الراى ومواجهة المصالح والاراء المتعارضة بأسلوب ديموقراطى سلمى تعبر عنه هذه الاتجاهات والتجمعات التى تلتزم بمصر وبالديمقراطية . » [ص ٥ من تقرير لجنة الرد على برنامج الحكومة]

اذن فقضية التعبير عن الراى الاخر ، أو المعارض ، وتنظيمه والاستماع اليه ، وتمكينه من ان يؤثر بفعالية فى مراكز اتخاذ القرارات هى مسألة قد باتت مقبولة ومطلوبة من أوسع الاتجاهات السياسية فى البلاد .

غير انه حدث أن نشأ خلاف بين الامانة وبين بعض الاتجاهات التى بدأت تدعو الى تكوين المنابر وقد بدأ الخلاف فى اول الامر على انه خلاف حول طبيعة المنبر ودوره ثم اسلوب الممارسة والضوابط المطلوبة .

وعندما دعيت اللجنة المركزية الى الاجتماع فى ٢٠ نوفمبر ، تحدث **الرئيس السادات** — بعد عرض الخلفية الخاصة بموقف قيادة يوليو من اقامة حياة ديموقراطية — فيما يمكن ان نسميه قضية الشكل وقضية المضمون :

● ففى قضية الشكل رفض **الرئيس السادات** ان يأخذ المنبر صيغة الحزب .

وفى هذه القضية رفض **الرئيس السادات** ايضا ان يكون المنبر مجرد لافتة .

● وفى قضية المضمون ، ركز **الرئيس السادات** تركيزا خاصا على أن يكون للمنبر مضمون حقيقى يتمثل فى ان يكون للمنبر رؤية متميزة عن رؤية اغلبية التنظيم وأسلوب متميز لحل القضايا الحيوية التى تواجه المجتمع .

وبعد أن حدد **الرئيس السادات** انه لا يريد أن يفرض تصورا معينا ، وانه شخصيا لم يحدد تصورا لتكوين وعمل المنابر ، دعا الى اعادة طرح القضية على قواعد الاتحاد الاشتراكى .

ثم اعلنت الامانة العامة ، بعد ذلك ، انها ستطرح القضية للنقاش الواسع لتنتهى منها فى غضون شهر .

وفى اطار المناقشات التى ستجرى ، تحب الطليعة من جانبها ان تطرح بعض التساؤلات :

الاول : يتعلق بما اتفق على تسميته النشأة الطبيعية وغير المفتعلة للمنابر .

ولا شك ان هناك اتفاقا على ان تنشأ المنابر بكيفية طبيعية وغير مفتعلة .

لكن هناك احساس — مع ذلك — بأن الامانة العامة تريد ان تضيق — أو تحدد مسبقا — عدد المنابر ، وذلك وفقا لتصورها الخاص الذى طرحته فى ورقة العمل .

والتساؤل هنا : اليس من الافضل ان نترك الحرية لكل التجمعات التى تمثل آراء ومواقف سياسية داخل الاتحاد الاشتراكى فى ان تمارس حقها فى تكوين منابرها ، أيا كان هذا العدد ؟ علما بان اكثرها سوف يختفى وان ما سيبقى من هذه المنابر هو الذى ستقرر الحياة صلاحيته واستعداده للبقاء ؟ اليس هذا الاسلوب اكثر واقعية من حيث انه يأخذ فى الاعتبار ان غياب الحياة الحزبية وسيادة الرأى الواحد فترة طويلة يشكلان صعوبة حقيقية فى بلورة التجمعات والاراء بلورة حاسمة ومحددة ، خاصة فى الساعات الاولى للممارسة ؟

والتساؤل الثانى خاص بقضية الممارسة .

ان **ورقة العمل** حول موضوع المنابر [والمقدمة من الامانة العامة للاتحاد الاشتراكى] الى اللجنة المركزية فى اجتماعها بتاريخ ١٩٧٥/٨/٢٥ طالبت لجان

الاتحاد الاشتراكى ان تبدأ الممارسـة من داخلها ، ومن خلال « **اليوم المفتـوح** » تأكيدا للظروف العامة لقيام المنـابر . واضافت اللجنة المركزية ،انه من الضرورى تحقيقا لهذه الممارسة الديموقراطيـة التى تهيىء الظروف الطبيعيـة وغير المفتعلة لنشأة المنـابر ان تطرح لجـان الاتحـاد الاشتراكى القضايا . [انها على سبيل المثال : خطط التنميـة الاقتصـادية والاجتماعية والموازنة العامة للدولة وبرنامج الحكومة ــ العلاقة بين القطـاع العام والقطاع الخاص ــ سياسة الانفتـاح وغير ذلك] .

ان التساؤلات هنا :

هذه الاشارة الى اليوم المفتوح .. هل هى تؤكد ما ذهبت اليه الامانة العامة من ضرورة البدء بالممارسة داخل اللجنة المركزية أم هل يقصد بها ان تأخذ لجان الاتحـاد الاشتراكى ــ على نطاق البلد ــ بتقليد **اليوم المفتوح** ، كل منها فى المجال الذى تنشط فيه ؟

واذا تم هـذا .. فكيف يتم التحضير للمناقشة على المستوى المطلوب ، وبالاسلوب التنظيمى الفعـال ، الذى يكفل للرأى المعارض ان يتبلور .

ثم كيف يجد هذا الراى القنوات والسبل التى يصل بها ــ وبالطرق التنظيمية ــ الى كافة مستويات الاتحاد الاشتراكى ؟

والتساؤل الثالث خاص بعلاقة المنابر بالصحافة .

هناك بالطبع ، قضية لا خلاف عليها هى أن الاتحـاد الاشتراكى يجـب ان يهيىء المناخ الصحى لكى يعبر الرأى الاخر عن نفسه فى الصحافة .

لكن السؤال : هل هناك صيغة محددة تمكن الرأى الاخر من ان يجـد طريقه الى الصحف . دون ان يصادر مرة او يبتسر مرة اخرى ؟

واذا وجدت بعض الصحف أن هـذا لا يتفق مع اتجاهها وسياستها ، فهـل يكون من حق الراى الاخـر ان تكون له صحافته [طبعا بما لا يتناقض مع المبادىء والقوانين التى تحكم ــ حاليا ــ عـلاقة الاتحاد الاشتراكى بالصحف [1] .

أم هل يكون الحل بأن يجد الراى الاخر طريقه الى الراى العام من خلال جـريدة او مجلة مركزية يصدرها الاتحاد الاشتراكى وتضم كل وجهات النظر والمواقف المختلفة؟

نحن نعتقد ان هذه مسألة حيوية ، لابد من حلها حـلا صحيحـا وصحيا ، اى ديموقراطيا ، والا اصبحت امكانية التعبير عن الرأى المعارض **داخل الاتحاد الاشتراكى** هى مجرد امكانية نظرية لا غير .

اما التسـاؤل الرابع والاخير فيتعلق بالاتجاهات المعارضة اصلا لقيام منـابر حقيقية وديموقراطية .

والواقع ان المرء يرى احيانا ان هناك قوى لا تريد اشاعة الديموقراطية داخـل الاتحاد الاشتراكى لاسـباب قد تتعلق بفكريتها او سياستها او مصالحها الضيقة او الخوف على مراكزها . وان هذه القوى ترفع بالباطل ــ لا بالحق ــ شعار الحفاظ على مكاسب العمال والفلاحين . وتحاول ان تنشر فى صفوف النقابات الفكرة القائلة بأن المنبر يعنى تصفية مبدأ الـ ٥٠ فى المائة

والسؤال هنا : الى اى حـد يستطيع الاتحاد الاشتراكى ان يقف فى وجه هـذه المحاولات وان يصفيها لا باجـراء تنظيمى رادع وانما بعمل على المستوى الفـكرى والسـياسى والتثقيفى يصـل الى اوسع اوساط الراى العـام ويطمئن الجماهير الشـعبية على مكاسـبها الاقتصـادية والاجتماعية ؟ □

« الطليعـة »

---

[1] فى أكتوبر ١٩٧٤ نشرت الطليعة مقالا مطولا « تحت عنـوان « رأى فى تطوير الاتحاد الاشتراكى » ص ٧٠ وما بعدها . وقد تعرض المقال لعلاقة المنابر بالصحافة . ويتلخص رأى الطليعـة فيما يلى :

١ــ الوضع الطبيعى ان تصبح كل مؤسسة صحفية ناطقة ومعبرة عن منبر سياسى محدد

٢ ــ لابد من معالجة قضية تمويل المؤسسات الصحفية فى وضعها الجديد [اى فى ارتباطها بالمنابر] وطالبت الطليعة بان يتم التمويل من الاتحـاد الاشتراكى وقالت فى ذلك :

« اننا نريد ان نحرر الصحف التابعة لمختلف المنابر من ضغوط ، واغرارات التمويل الخارجى ، غير المصرى » وراجع ص ٧٨ ــ اكتوبر ١٩٧٤] .

قضية «الطليعة»

نشرت جريدة « **بيروت** » [٢٤ تشرين اول[اكتوبر] ١٩٧٥ « مقالا » بدون توقيع على اتساع صفحتها الاخيرة بعناوين مثيرة أحدها أن : «مجلة«الطليعة» القاهرية تنشر افتتاحية ليست بقلم لطفى الخولى] !

أما ما نشر [وهو ما حرصنا على اعادة نشره فى الطليعة] ، فهو شىء محير للقارىء . فهو ليس بالمقال وليس بالتحليل وليس بالاخبار . ذلك أن ما يبدو فيه كأخبار وأسرار يتناقض تماما مع ما يبدو انه تحليل والعكس صحيح تماما !

ونحن من البداية نعفى صحيفة « **بيروت** » من مسئولية ما نشرته فهى من الصحف الوطنية التقدمية أولا . وثانيا ، لانه ليست هناك صحيفة وطنية أو تقدمية فى عصمة من أن تخطىء أو أن يخدعها أحد .

والساحة العربية تموج [الى جانب الثوريين الحقيقيين والمناضلين ذوى الاصالة على اختلاف اجتهاداتهم] بعدد غير قليل من مدعى البطولات الوهمية « والمناضلين » بعيدا عن أى هدف وأى معركة سوى تقسيم صفوف القوى الوطنية والتقدمية ...

ومن هنا ندرك بسهولة كيف يمكن أن تخدع الصحف الوطنية والتقدمية احيانا !

لقد بدأ مقال « بيروت » بملاحظة أولية وهى أن افتتاحية « الطليعة » فى عدد أكتوبر [تشرين أول] لم يكتبها **لطفى الخولى** الذى كان فى لندن للعلاج منذ الإسبوع الاخير لشهر أغسطس . ويعرف كل المشتغلين بالصحافة والسياسة أن رئيس التحرير مسئول بالضرورة مع بقية زملائه عن كل ما ينشر فى المجلة التى يرأس تحريرها . وقد كان السبب الاوحد فيما نشرته « **الطليعة** » من ايضاح بأن « لطفى الخولى يعتذر عن كتابة الافتتاحية » هذه المرة هو أن المتبع دائما فى الطليعة أن يوقع رئيس التحرير افتتاحية العدد . ولما كان من المستحيل أن يوقع لطفى الخولى الافتتاحية وهو غائب عن القاهرة ، وخوفا من أى تفسيرات غير صحيحة لنشر هذه الافتتاحية بالذات دون توقيع فقد رأى الزملاء فى الطليعة نشر هذا الايضاح الذى لا يعفى **لطفى الخولى** بالتأكيد من مسئوليته التضامنية مع زملائه بالنسبة للافتتاحية وغيرها !

وقد كان من الممكن أن ننظر بعد ذلك الى كل استطرادات مقال « **بيروت** » كنوع من العبث الذى دسه عليها من دسه ، بعد أن اتضح أن «الحقيقة» الاولى والاساسية التى بنى عليها بقية المقال لا ظل لها من الحقيقة .

ولكننا مع كل الحرص على عدم الوقوع فى أى استفزاز وعلى الموضوعية التامة ، يعنينا أن نكشف المصادر التى نقل عنها « كاتب » « المقال » وعن مدى انتمائه لأى يسار من أى نوع !

● حتى لاتخدع الصحف الوطنية مرة أخرى

ان المقال كما هو واضح يحاول ان يطعن فى لطفى الخولى منذ البداية وينسب « بعض الفضل » لبقية اعضاء هيئة تحرير الطليعة وعلى رأسهم الزميل أبو سيف يوسف .

لكن سرعان ما يسحب « الكاتب » هذا « الفضل » من هيئة التحرير وينسبه للحكومة ، او « للخطة الاعلامية » المصرية ، التى توزع ادوار التأييد والنقد بين المؤيدين والناقدين فى اطار الحكومة ! بل ان « الكاتب » يصل الى حد اتهام الطليعة بأنها نوع من « الطعم » الذى تلقى به السلطة الى المعارضين واليساريين « لاستدراج اليسار المصرى » !

الى هذا الحد يصل بعض مدعى اليسارية والثورية فى محاولة تفتيت القوى الوطنية والتقدمية على النطاق المصرى والعربى عامة . والى هذا الحد يمكن ان يتسلل بضعة أفراد من ذوى التاريخ الملوث لاستخدام احد منابر اليسار ضد اليسار اولا واخيرا .

لقد بنى « كاتب بيروت » « استنتاجاته » الاخرى على معلومات زائفة ومدسوسة وهى ان الرئيس السادات « كلف » لطفى الخولى قبل سفره الى لندن « بالاشراف على ما سمى بالمنبر الماركسى فى الاتحاد الاشتراكى » !

أما اليساريون وغيرهم من القوى الوطنية التقدمية فى مصر فيعلمون علم اليقين ان هذا لم يحدث وان « لطفى الخولى » لم يكلف بأى شكل من الاشكال بانشاء منبر ماركسى وأنه ليس هناك يسارى يمكن أن « يكلف » بالنضال !

ان هذه « المعلومات » المدسوسة على الصحيفة البيروتية استقاها كاتبها من مصدر يعرف الجميع صلاته الوثيقة بجهات الامن قبل ثورة ٢٣ يوليو . وهذا المصدر المعروف يدعى **سيمون ماليه** [واسمه الحقيقى : سيمون منشه] . وقد نشر جزءاً من هذه الاكاذيب والتلفيقات — كعادته — فى مجلة تصدر فى باريس هى : [افريقيا — آسيا] Afrique-Asie .

ولم تكن هذه هى المرة الاولى التى تحاول بعض العناصر التى انكشف دورها فى مصر ان تواصل نفس الدور باسماء أخرى وعن طريق عناصر أخرى ، وبهدف واحد لا تحيد عنه وهو : الافتراء على الحركة اليسارية والثورية ، وقسمة صفوف القوى الوطنية والتقدمية .

لكن الجديد هذه المرة هى أن **سيمون ماليه** انسحب الى الظل ودفع آخرين .. يحملون اسماء وهويات مصرية أو عربية ، لكى تكون الخطة اكثر احكاما وتنطلى الخديعة على صحيفة « بيروت » : ■

« الطليعـــة »



فيما يلى المقال الذى دس على « بيروت »

" اليســـار المصرى يهـــاجم اتفاقيـــة المعمـــورة

مجلة «الطليعة» القاهرية تنشر افتتاحية ليست بقلم لطفى الخولى "

بعد ٢٣ يوما من ظهور افتتاحية العدد العاشر من الطليعة « عن اتفاقية سيناء » حاول البعض فى بيروت أن « يساهم » من موقع « يسارى » فى جملة التشهير على الطليعة مكملا بذلك حلقة الهجوم والتشهير التى تقوم بها بعض دوائر اليمين • وللاسف فقد نجح هذا البعض « اليسارى » فى أن يدس هذا المقال على جريدة « بيروت » •

اثار النقد العنيف الذى وجهته مجلة الطليعة القاهرية الى اتفاقية سيناء دهشة العديد بين المراقبين الذين انهمكوا فى تحليل مغزى هذا النقد ، ومغزى السماح بنشره فى وقت تخضع فيه الصحف المصرية لرقابة صارمة •

وقد لاحظ هؤلاء المراقبون ان الطليعة تعمدت أن تنشر اعتذارا فى وسط افتتاحيتها نصه : « يعتذر لطفى الخولى للقراء والاصدقاء عن كتابة افتتاحية هذا العدد بسبب سفره الى الخارج للعلاج منذ الاسبوع الاخير من شهر اغسطس الماضى » ، وهو ما فهم بانه نفى لمسئولية لطفى الخولى عما ورد فى الافتتاحية التى نشرت بدون توقيع ، وان كانت الاوساط الصحفية تعلم ان كاتبها هو الاستاذ أبو سيف يوسف مدير تحرير الطليعة ، وعلى حد قول بعض الصحفيين أن الطليعة قصدت أن تقول أن هذه الافتتاحية « ليست بقلم لطفى الخولى » •

ويشير التحليل الاولى للوقائع المتعلقة بهذا الموضوع الى ما يلى :

● ان السلطة المصرية قد تنبهت الى خطأ اعلامها الذي يصر على التأكيد بأن الاتفاقية تحوز تأييد وترحيب كل القوى السياسية فى مصر ، بينما هذه القوى قد أبدت تحفظات شديدة على الاتفاقية ، بل انها لم تناقش مناقشة حقيقية فى أية مؤسسة سياسية رسمية ، فالرئيس السادات قد ألقى بيانه عن

الاتفاقية فى جلسة مشتركة لمجلس الشعب واللجنة المركزية ، ثم انصرف دون رد على أسئلة الاعضاء ، وبعد انصرافه مباشرة عرض د. رفعت المحجوب مشروع بيان تأييد الاتفاقية ولم يسمح لاحد بالمناقشة .

ويبدو ان الخطة الاعلامية المصرية قد تعدلت بعض الشيء فى اطار السماح بمعارضة محسوبة ، تقر بوجود معارضة فى مصر من جانب ، وتظهر هذه المعارضة كما لو كانت تصدر من أقلية لاقيمة لها من الجانب الاخر . وهو مايحقق لواضعى هذه الخطة صرف النظر من المعارضة الجادة التى تصدر من خارج مصر وخاصة من القوى التقدمية واليسارية فى الوطن العربى .

● ويحقق هذا التعديل فى الخطة الاعلامية المصرية هدف تفتيت اليسار المصرى، فبينما عارضت الطليعة الاتفاقية صراحة ، فان « روز اليوسف » قد ايدتها ، وبرغم تحفظها فى التأييد فان الاختلاف فى الموقف من الاتفاقية بين الطليعة وروز اليوسف من جانب واليسار غير الرسمى الذى يتمثل فى المنظمات اليسارية السرية خلاف شديد . اذ يقترب رأى اليسار غير الرسمى فى الاتفاقية من رأى كافة فصائل القوى الوطنية والتقدمية فى العالم العربى .

● والمفهوم ان الطليعة ستلعب دور اليسار المؤيد للنظام فى المرحلة القادمة، اذ اشيع ان الرئيس السادات قد استقبل لطفى الخولى قبل سفره الى الخارج وكلفه بالاشراف على ما سمى بالمنبر الماركسى فى الاتحاد الاشتراكى العربى ، على أن يساعده فى هذه المهمة د. اسماعيل صبرى عبد الله وزير التخطيط السابق . وقد لوحظ أن لطفى الخولى كان قد بدأ يهاجم فى احاديثه الاخيرة الاعلان عن وجود حزب شيوعى مصرى ، ويعتبر ذلك عملا سابقا لاوانه معلنا ضرورة قبول الماركسيين المصريين للعمل من خلال منابر الاتحاد الاشتراكي، وقد نسب اليه انه بدأ يتحرك لايقاف اعترافات الاحزاب الشيوعية الاوروبية الغربية والشرقية والاحزاب العربية بالحزب الشيوعى المصرى ، باتفاق مسبق مع السلطة المصرية .

وكانت العلاقة بين النظام وبين لطفى الخولى قد مرت بمراحل معقدة ، فعندما انتصر الرئيس السادات فى معركته ضد مجموعة على صبرى كان لطفى الخولى موقوفا عن العمل — بعد القبض عليه هو ونوال المحلاوى سكرتيرة هيكل وزوجها بتهمة التهجم على عبد الناصر — وهو ما دفع النظام الى السعى للتحالف معه ، فأعيد الى رئاسة تحرير الطليعة وعين عضوا باللجنة المركزية ومسئولا من احدى لجانها الرئيسية ، وكان قطبا هاما فى التحالف اليسارى الذى أيد حركة ١٥ مايو والذى كان يضم فى هذا الوقت الدكاترة محمد الخفيف واسماعيل صبرى وفؤاد مرسى ، وهو التحالف الذى كان على صلة وثيقة بسيد مرعى أمين الاتحاد الاشتراكى وقتها .

وقد تعقدت العلاقة بين لطفى الخولى والنظام لانه كان من المحسوبين على مجموعة محمد حسنين هيكل ، فأوقف من العمل مع الصحفيين الذين عزلوا فى شباط ١٩٧٣ بسبب توقيعه على بيان توفيق الحكيم الشهير . الا ان هذه العلاقة قد عادت الى التوثق وكان مظهرها الاساسى مقالات لطفى الخولى الشهيرة « مدرسة السادات السياسية » ، التى يربط بعض المراقبين بينها وبين تكليف لطفى بالاشراف على المنبر الماركسى بالاتحاد الاشتراكى ، وهو ما يذل صديقه سيد مرعى مجهودا فى احداثه .

وتنسجم الوقائع السابقة كلها — فى رأى البعض — فى خط واحد ، يرى أن معارضة الطليعة هى نوع من الطعم الذى قصد منه استدراج اليسار المصرى للاطمئنان الى أن منبر لطفى الخولى سيكون حرا فى ابداء ارائه السياسية واذن فلا مبرر لمقاطعته .

وكاتب افتتاحية الطليعة هو أبو سيف يوسف أحد طلائع الحركة الشيوعية المصرية ، وكان من مجموعة الفجر الجديد التى أخذت اسم مجلتها التى كانت تصدر فى الاربعينات ، ثم أصبح فيما بعد سكرتيرا عاما لتنظيم « طليعة العمال والفلاحين » الذى كان من انشط فصائل الحركة الشيوعية المصرية قبل أن تحل تنظيمها المستقل فى عام ١٩٥٠ . وهو عضو معين بمجلس الشعب المصرى .

ومن أهم النقاط التى آثارها ابو سيف فى مقاله اشارته الى أن « النقد الاول الذى يوجه الى الاتفاقية هو أن محصلتها الفعلية لا تتناسب على أى وضع مع الانجاز الهام والخطير لحرب ٦ أكتوبر » وفى هذا الصدد نقد أبو سيف الاستنامة لسياسة الخطوة خطوة ، مؤكدا أنها « لم تكن فى مصلحة العرب ، والدليل على ذلك أن حصيلتها على مدى سنتين — ومن واقع اتفاق سيناء — جاءت محدودة للغاية وقلقة وغير متناسبة مع الطرح الذى طرحت به حرب اكتوبر القضية برمتها » .

وقد نقدت افتتاحية الطليعة قبول الاتفاقية التى « تلزمنا بعدم استخدام القوة فى الوقت الذى تفتقر فيه — مع ذلك — الى أى تحديد زمنى، فهى سارية المفعول حتى يتم التوصل الى اتفاقية اخرى وربما فتح هذا أمام اسرائيل فرصة التسويف الى اجل غير معلوم » ومعنى هذا أن الاتفاقية « تعطى اسرائيل مزيدا من الشعور بالامن وتحررها من الضغط الهائل الذى يمثله التهديد بتحريك القوة المصرية » .

واهتمت الافتتاحية أيضا بالتركيز على الدور الذى منحته الاتفاقية للولايات المتحدة ، فعبرت عن دهشتها للتصور المصرى الرسمى « ان تكون الولايات المتحدة طرفا محايدا بين مصر واسرائيل» مؤكدا ان اعطاء دور متميز للولايات المتحدة فى حل الصراع العربى الاسرائيلى « لا يساعد على التعجيل بصيغة جنيف ولا يقرب بالتالى موعد التسوية الشاملة للنزاع » محذرا من التدخل العسكرى الامريكى فى جنوب شرق آسيا . وطالبت افتتاحية الطليعة فى نهايتها القوى الوطنية والديمقراطية فى مصر أن تلعب دورا أساسيا فى معركة وحدة الصف العربى .

وبرغم أن اليسار غير الرسمى ينظر بحذر الى الدور الذى تلعبه — وقد تلعبه — مجلة الطليعة فقد قابل افتتاحيتها بارتياح شديد .

ارفعوا أيديكم عن «الطليعة»

جاءنا الخطاب التالى :

السيد الاستاذ الفاضل والمفكر التقدمى المناضل رئيس تحرير مجلة الطليعة الاستاذ لطفى الخولى

تحية وبعد .

أعرض على سيادتكم مايلى لاخذ تدابيركم اللازمة وبيان رأيكم على صفحات المجلة .

« ان مجلة الطليعة تحارب فكريا وماديا على مستوى أجهزة الدولة الحكومية العلوية بنشرات حكومية صادرة عن وكلاء وزارات ومديرى عموم ومبلغة لكل المستويات وفى مجال هو مجال التعليم خاصة بموظفيه الكثيرين .

وما يثبت ذلك هو الوقائع التالية :

« انه فى ادارة جنوب القاهرة التعليمية اجتمع السيد المدير العام للادارة **الاستاذ مصطفى الهلباوى** بمديرى المدارس الحكومية « ثانوى ، اعدادى ، ابتدائى » واشار عليهم بأن السيد وكيل وزارة التربية والتعليم بالقاهرة [**الاستاذ عبد التواب السعدنى**] وبأمر ادارى مثبت على نشرة حكومية [بناء على توجيهات أعلى من وكيل الوزارة نفسه] [وقد وردت هذه النشرة لكل المدارس الحكومية] بأنه ممنوع عمل اشتراكات فى مجلة الطليعة ويجب محاربة الافكار التى تحتويها أولا بأول . وقد تلى مديرى المدارس بالمنطقة [كل فى مدرسته] هذه النشرة على جميع موظفى ومدرسى المدارس واخذ عليها توقيعهم بالعلم .

اننى أرجو أن اكون مخطئا فى الجزء العلوى فقط من أقوالى السابقة وان تكون هذه التعليمات قد أذيعت فقط وصحيحة بالنسبة لمدرسة واحدة فقط [هى مدرسة **الفسطاط الثانوية والتجارية بنين**] حيث مديرها الحالى « **كدوانى ناشد** » صديق شخصى للسيدين اخوان أمين « **مصطفى وعلى امين** » بأخبار اليوم [لدرجة دعوتهم للمدرسة لالقاء خطب وعمل ندوات] وبتأثير منهما أنزل كلمة ممنوع للاشتراكات فى المجلة ... الخ .

وعلى العموم فقد تصدى للرد عليه بعض مدرسى المدرسة بأن هذه النشرة محاربة للفكر وهى مخالفة لدستور جمهورية مصر العربية . ولكنه تهجم عليهم فاضطروا للسكوت . ولذا لزم أن انبه سيادتكم للمؤامرات المحاكة ضدكم ومحاربة اعدائكم بخطة محكمة وبأى طريق ولو سلما أولا عن طريق القضاء . ولكم افضل السلام وللتقدم الذى تنشدونه أعظم المشاعر .

توقيع : **أحد أصدقاء الطليعة . وصديق لبعض مدرسى الفسطاط التى حدثت بها هذه الحادثة**

على عبد العظيم محمد
بكالوريوس تجارة جامعة القاهرة

باب مناقشات مفتوحة

* ما رأي مجلة الطليعة في محاربة للفكر عامة وضد دستور جمهورية مصر العربية
ويجب الأخذ بدون الاتجاه للتوقعات والقانون [illegible]

السيد الأستاذ الفاضل والمفكر التقدمي المناضل / رئيس تحرير مجلة الطليعة / الأستاذ لطفي الخولي
(باب مناقشات مفتوحة)
تحية وبعد

أعرض على سيادتكم ما يلي للاتخاذ تدابيركم اللازمة وبيان رأيكم على صفحات المجلة

" إن مجلة الطليعة تحارب فكريا وماديا على مستوى أجهزة الدولة الحكومية المعنوية بنشرات حكومية صادرة من وكلاء وزارات ومديري عموم ومبلغة لكل المستويات وفي مجال هو مجال التعليم خاصة بموظفيه الكثيرين .
وما يثبت ذلك هو الوقائع التالية :

" إنه في إدارة جنوب القاهرة التعليمية اجتمع السيد المدير العام للإدارة (الأستاذ [illegible] الرماحي) بمديري المدارس الحكومية "ثانوي/ إعدادي/ ابتدائي" وأشار عليهم بأن السيد وكيل وزارة التربية والتعليم بالقاهرة (الأستاذ [illegible]) وبأمر إداري مثبت على نشرة حكومية (بناء على توجيهات أعلى من وكلاء الوزارة فيما يبدو) وقد وردت هذه النشرة لكل المدارس الحكومية بأنه ممنوع عمل اشتراكات في مجلة الطليعة ويجب محاربة الأفكار التي تحتويها كل ما أمكن — وقد تلى مديري المدارس المختلفة (كل في مدرسته) هذه النشرة على جميع موظفي ومدرسي المدارس وأخذ عليهم توقيعهم بالعلم .

في نفس [illegible] من الجزء العلوي [illegible] هذه التعليمات قد أذيعت فقط وصحيح بالنسبة لمدرسة واحدة فقط (هي مدرسة [illegible] الثانوية) حيث مديرها الحالي السيد كروان ناشد [illegible] للسيد [illegible] مصطفى [illegible] "أسيه" بأخبار اليوم (لدرجة [illegible] المدرس [illegible])
وبتأكيد منه [illegible] للاشتراكات في المجلة .... الخ

وعلى العموم . فقد تصدى للرد عليه بعض مدرسي المدرسة بأن هذه النشرة محاربة للفكر وهي مخالفة لدستور جمهورية مصر العربية . ولكنه تهجم عليهم فاضطروا إلى السكوت .
ولذا نرجو أن تنبه سيادتكم للمؤامرات الحاكمة ضدكم ومحاربة أعمالكم بجعل مجلتكم [illegible] طريقها ولو [illegible] إلا عن طريق القضاء .
ولكم أفضل السلام والتقدم الذي تنشدونه [illegible]
وشكرا .

[illegible] مجلة الطليعة [illegible] الحادث .

" علي عبد العظيم محمد "
بكالوريوس تجارة جامعة القاهرة

صورة زنكوغرافية للخطاب

الخطاب الذى تنشره الطليعة للمواطن **علي عبد العظيم محمد** انما يوضح نفســه بنفسه . فالقضية هنـا هى ان ــ بعض النـاس يستغلون مراكزهم ، ليعلنوا من هذه المراكز حــربهم على الديموقراطية ، ثم ليمارسوا ــ مستندين ــ الى نفـوذ الوظيفة أرذل الكبائر : وهى الارهاب وخنق حرية الفكر .

وبادىء ذى بدء ، لابد ان نعترف نحن أعضاء اسرة تحرير الطليعة ، باننا نجد فى كتابة هذا التعليق نوعا من الحــرج ، وذلك لسببين :

الاول : هو انه يتحتم علينا — فى هذا المقام — ان نوجه الخطاب — اولا وقبل كل شىء — الى المسئول الاول فى وزارة التربية والتعليم ، وهو **الدكتور مصطفى كمال حلمى** . ومبعث الحرج — هنا — هو اننا نقدر للوزير مواقفه المتقدمة فى حقل التربية والتعليم ، ونتابع سياسته المستنيرة التى عبرت عنها بياناته ، سواء فى مجلس الشعب أم فى اجهزة الاعلام المختلفة . بل لعله ان يكون من الوزراء القلائل جدا الذين دللوا — اثناء توليهم شئون هذه الوزارة الخطيرة — على انحياز حقيقى لديموقراطية التعليم وشعبيته وعصريته .

والسبب الثانى : هو ان « الطليعة » تجد نفسها مطالبة بان تدافع عن نفسها ضد هذا الاجراء الشائن ، الذى تتواتر الانباء بانه صدر عن احد وكلاء الوزارة ، وبعض موظفيها . هذا ، فى حين اننا لا نحب — ولم نألف — الحديث عن العمل الذى تقدمه فى « الطليعة » ، اذ اننا نترك ذلك — وبكل الثقة — للقراء ، فلهم — فى النهاية — ان يحكموا لنا او علينا .

ولكن السؤال هو : لماذا .. وفى هذا الوقت بالذات — تفرض من قبل بعض اجهزة وزارة التربية والتعليم أساليب محاكم التفتيش ، وذلك فى وسط من المفروض — بطبيعته — ان يكون ضد هذه الاساليب ، بل أن يكون المكان الطبيعى الذى يتعلم منه الانسان كيف يكون متحضرا ، والذى يتلقى فيه التلاميذ مبادىء حب الحرية ، واحترام راى الغير ، ويتعلمون فيه كيف يجادلون الناس بالتى هى أحسن .

أن السؤال هو : لماذا يحظر على مكتبات الوزارة ان تشترك فى الطليعة؟ ولماذا يرغم المدرسون على محاربة أفكارها ؟ ولماذا يزجر الطلاب وينهرون عند الاطلاع عليها ؟

هل لان الخط الوطنى التقدمى الذى تنتهجه « الطليعة » منذ ١١ عاما هو خط معارض لخط وزارة التربية والتعليم؟ أم لان « الطليعة » تعتنى بنشر المقال الجاد والهادف ، وتطرح مشاكلنا الوطنية والتقدمية ، وتنقد وتقدم — بكيفية بناءة — الحلول البديلة ؟ أم لان « الطليعة » تسلك بعناد سبيل النضال ضد الاستعمار والاستعمار الجديد ، ضد الصهيونية والرجعية وقوى الردة والتخلف ؟ أم لان « الطليعة » قد قدمت على مدى سنوات طوال دراسات جادة، كتبها مفكرون وكتاب وادباء وصحفيون وعلماء واساتذة مصريون وعرب عن اقتصادنا واقتصاد البلاد العربية، وعن فلسطين والعدو الاسرائيلى ، وعن مشكلات العمال والفلاحين والشباب ؟أم لانها دافعت عن القطاع العام وطالبت بادارته ديموقراطيا لمصلحة الشعب وأدباء وصحفيون وعلماء واساتذة مصريون ودعت الى رفع مستوى معيشة الجماهير ام لانها وضعت قضية التربية والتعليم — باستمرار — فى مركز الاهتمام المستمر والمتزايد ، ونشرت لمعلمين متخصصين ولاساتذة فى التربية البحوث والمقالات الداعية الى احداث ثورة حقيقية فى سياسة التعليم ، وفى المناهج ، ودعت الى تحسين احوال المعلمين ، والى تصفية امتيازات الطبقة نهائيا فى حقل التربية والتعليم ؟

اسئلة لا ننتظر من وزارة التربية والتعليم ان ترد عليها ، لان مقالات « الطليعة » تتضمن فعلا كل الاجابات .

ولكن السؤال الذى نوجهه الى رئيس الوزراء والى وزير التربية والتعليم هو : انه لو سلمنا ـ جدلا ـ بانه يمكن تبرير منع اشتراك مكتبات الوزارة فى «الطليعة» بحجة « عدم وجود» الموارد المالية لمواجهة هذا العبء « الثقيل » . واذا سلمنا جدلا ـ بالتالى ـ أنه من حـــق الوزارة ان تشترك ـ أو لا تشترك ـ فى اية مجلة بدون ابداء الاسباب ، [وهذا لن يضير المجلة فى شىء] فنحن على ثقة بأن تحريض المعلمين والتلاميذ ضدها هو عمل يتنافى تماما مع مبادىء الدستور الدائم لجمهورية مصر العربية ،ومع قوانينها القائمة .ذلك ان « الطليعة » مجلة علنية ، تصدر أول كل شهر فيقرأها المواطنون كمــا يقراها المسئولون، وهى ـ ككل صحيفة او مجلة تخضع للمساءلة القانونية اذا ما ثبت انها تستحق ذلك . والواقع ، لقــــد احسن المدرسون الذين واجهوا السيد مدير مدرسة الفسطاط التجارية الثانوية بانه يتعــدى اختصاصاته بل ويتعدى على روح الدستور ذاته .

لم يدهشنا اطلاقا ان يقابل المدير المذكور مجلة « الطليعة » بكل هذا العداء الحاقد. ونحن نفهم هذا ، فربما كانت الصحف التى يرضى عنها الســـــيد المدير هى من نوع الصحف التى تروج لعودة النظـــام الملكى والاستعمار البائد ، وتمتلىء بانصـــــاف الحقائق ، وبمعاداة الحـــــركة الشعبية المطالبة بالديموقراطية والاشتراكية . لكن مثل هذا الدافع الذى يحمل السيد المدير على المطالبة بحظر « الطليعة» يبقى ـ مع ذلك ـ مشبوها وغير مبرر ،على أى وضع.

واذا ما تركنا هذه القضية الجزئية الى القضية الكلية المتعلقة بالسلبيات الكامنة فى دهاليز وزارة التربية والتعليم ، امكننا ان نقول بكل ثقة :

من المعروف ان هذه الوزارة قد خضعت زمنا طويلا فى اساليبها التعليمية والتربوية لمناهج غير قومية سيطرت عليهــــا آراء الفيلسوف الامريكى **جون ديوى** .وقد أدى هذا الى تدهور التعليم ، وعجزه عن مواكبة التغييرات الثورية فى البلاد . كما أدى الى ان تنمو بين بعض قياداتهـــا التنفيــــذية اتجاهات معادية لديموقراطية التعليم .

يدهشنا ـ والحـــال كذلك ـ ان نرى مثل هذه المواقف المتعنتة من قبـــل بعض القيادات التنفيذية . وانما نقول لهـــــذه القيادات التنفيذية ان سياستكم فى مجال التربية والتعليم هى نقيض سياسة الطليعة. ذلك ان شعارنا هـــو ان يكون التعليم ـ للكافة ـ كالماء والهواء ، على حـــد تعبير العميد **طه حسين** وبدون امتيازات الطبقة. وان تكون الثورة تعليمية بحيث تكون المناهج عصرية بكل ما تعنيه الكلمة ، وقوميـــــة ووطنيــــــة مســــتنيرة الى أقصى حـــدود الاستفادة .

والامر المؤكد ، بعد هذا كله ، وقبل هذا كله هو ان اجراءات بعض موظفى وزارة التربيـــة والتعليم ضـــــد الطليعة ، هى اجراءات مدانة ولا سبيل الى السكوت عليها ، لانها قضيـــة تمس صميم حـــرية مقدسة هى حرية الرأى والعقيدة .

ولهذا ـ ايضا ـ نقول لاعداء الفـــكر ومطاردى الرأى الاخر :
ارفعوا ايديكم عن « الطليعة » . ☐

الطليعـــــــة

مصطفى موسى

صفحة من النضال الوطني الديموقراطي

اختطف الموت قائدا من قادة النضال الوطنى والديمقراطى فى الاربعينات ، مصطفى موسى .

وعندما يذكر اسم **مصطفى موسى** ، يتذكر كل المناضلين من جيل الاربعينات ـ على اختلاف مواقعهم فى العمل السياسى رجلا خفق قلبه بحب مصر ، ناضل بكل ما أوتى من أجلها حرة ، مستقلة ، ديمقراطية . شارك في قيادة اروع أيام نضالها بعد الحرب العالمية الثانية .

كان رئيسا للجنة التنفيذية العليا للطلبة ، فكان من اصدق قادة الشباب الوفدى مع وطنه ومع نفسه . ولم يحصر نشاطه ونضاله في اطار الجمود والانغلاق الحزبي ، فكان وفديا صادقا . ولكنه فى نفس الوقت كان شخصية موحدة لكل المناضلين الوطنيين والديمقراطيين والتقدميين . وقاد داخل الوفد حركة الشباب الوفدى المتحرر ، الذى أسس « **الطليعة الوفدية** » كتنظيم للشباب الوفدى ، يقف فى وجه اتجاهات التهادن المحافظة داخل « الوفد » . هذه الاتجاهات والتى كانت قد أخذت فى تولي منـاصب قيادية وتوجيهية داخل الحـزب . وكان تنظيم « **الطليعة الوفدية** » والذى أعلن عن قيـامه فى بيت الزعيـم الراحل **مصطفي النحاس** ، هو جنـاح كل قـوى التقـدم والديمقراطية داخل الوفد المطالبـة بربط الكفاح من أجل الاستقلال الوطنى بقضايا الديمقراطية والتحرر الاجتماعى .

وتحت راية « **الطليعة الوفدية** » ، التي عبرت عن نفسها فى مجلة رابطة الشباب ، والتى كان مصـطفى موسى من مؤسسيها وقادتها ـ كان نضال جيل بأكمله من شباب الاربعينات .

وعندما تحركت قوى الثـورة الوطنيـة الديمقراطية المصرية بعد الحرب العالميـة الثانية ، لتوحد قوى الشعب في جبهة النضال ضد الاستعمار البريطاني ومشروعاته الجديدة ، وضد القـوى المتحـالفة معـه السراى والاقطـاع ورأس المـال الـكبير ،



كان مصطفى موسى من أبرز العناصر فى هذا النضال ، والذى كان من ثمراته قيام « **اللجنة الوطنية للطلبة** » والتى وجدت داخلها كل قوى الحركة الوطنية الطلابية فى كل الجهات والمعاهد العليا والمدارس الثانوية والمتوسطة والفنية ، ثم قيام « اللجنة الوطنية للعمال والطلبة » والتى كان اعلانها بمثابة اعلان عن قيام نواة « الجبهة الوطنية الديمقراطية » بعد الحرب العالمية الثانية .

وقادت اللجنة الوطنية للطلبة فى الاربعينات أمجد ايام النضال الشعبى : ضد حكم الاقليات حلفاء الاستعمار البريطانى ، وضد المفاوضات مع المستعمر لاقامة معاهدات دفاع مشترك معه ، وضد السراى وكل الرجعية ، وهزمت بنضالها اتفاقية صدقى ـ بيفن ، وخشبة ـ كامبل ، وتمكنت من كشف وفضح كل مخططات الاستعمار الجديد ، ومشروعاته العدوانية .

وعندما يتذكر المناضلون ، الايام الصعبة للجهاد التى عانوا فيها قهر الرجعية فى السجون والمعتقلات سيذكرون **مصطفى موسى** مناضلا لم تلن قناته ولم ينكس عوده .

وعندما أعلنت الاقليات والسراى الاحكام العرفية عشية حرب ١٩٤٨ ضد الاغتصاب الصهيونى الاستعمارى ، كان **مصطفى موسى** قائدا من قادة النضال ضد الاحكام العرفية والاجراءات الاستثنائية ، ومن اجل الديمقراطية .

وعندما استعادت البلاد حياتها الدستورية فى ١٩٤٩ ، خاض مصطفى موسى الانتخابات النيابية تحت راية الطليعة الوفدية ، وزعامة مصطفى النحاس ، وببرنامج اللجنة الوطنية للطلبة والعمال . ووقف الى جانبه كل عناصر التقدم داخل الوفد وخارجه ـ وقاد الدكتور **محمد مندور** يومها مظاهرة لتأييد مصطفى موسى ، وهتف بحياته قائدا للشباب ، وقال يومها لم أهتف باسم أحد فى حياتى ـ ولكن **مصطفى موسى** فخر هذا الشباب .

ودخل مصطفى موسى المجلس النيابى ـ نائبا وفديا . فحمل مع نواب الطليعة الوفدية

الدكتور عزيز فهمى والدكتور محمد مندور وغيرهم راية مقاومة القوانين التى كان يراد بها تكبيل الصحافة وتقييدها لصالح السراى، والتى دافع عنها اليمين الوفدى .

وكان مصطفى موسى فى المقدمة دائما مع الشباب الوفدى ـ ضد مشاريع الدفاع المشترك ، وحلف الشرق الاوسط والبحر الابيض . وعندما الغيت معاهدة ١٩٣٦ كان له دور بارز فى تنظيم وحدات من الشباب حملت السلاح فى وجه قوات الاحتلال .

وبعد ثورة ١٩٥٢ استمر مصطفى موسى على طريق النضال ضد الاستعمار ومن اجل الديمقراطية . ونجح فى مشروعاته الخاصة ، وأصبح رجل أعمال كبير ، ورغم ذلك فانه بعد الاجراءات الاجتماعية لثورة يوليو فى الستينات ، لم يغير من موقفه بل ازداد تاييده لطريق ثورة يوليو الاجتماعى والمعادى للاستعمار ، وكانت له آراؤه ضد السلبيات والبيروقراطية ومن أجل ممارسة ديمقراطية حقيقية .

وكان مصطفى موسى ، مع الثورة الجزائرية منذ أيامها الاولى ، وبعد انتصارها ، شارك بفعالية لا حد لها فى بناء الجزائر الجديدة ، حتى لقد ارتبطت مشروعات جزائرية عديدة باسمه ، وكان فى الجزائر خير ممثل للشعب المصرى . عرف بالرجولة والشهامة والكرم والاخلاص والصدق .

وسقط مصطفى موسى ، فجاة ، وواريناه التراب وبكيناه ـ مناضلا من مناضلى جيل خاض معارك النضال من أجل الاستقلال والحرية والديمقراطية والتقدم .

طاب ثراه ، وخلدت ذكراه ، وليعش اسمه على كل راية من رايات الجهاد من أجل مصر حرة مستقلة ، ديمقراطية تقدمية . ☐

« الطليعــــة »

مصطفى موسى

عاد للمرة الاخيرة من الجزائر ، المهندس « مصطفى موسى » .. احد ابر ابناء حركة التحرر الوطنى فى بلادنا .

غير ان عودته — هذه المرة — تختلف من تلك المرات التى تنقل خلالها بحمية ونشاط بين مصر والجزائر ، ينسج بلا كلل وشائج الاخوة والتعاون المشترك . وذلك منذ ان آثر ان يشارك ابناء ثورة المليون شهيد فى بناء مجتمعها الجديد ، مع شروق لحظة الاستقلال .

فى هذه المرة ، عاد الفارس ليسلم جسده ، المثخن بجراح المحن والمعارك الى حضن الارض الطيبة ، بعد أن ظل يصارع الموت ببطولة ، مثلما صارع على مدى الاربعينات من هذا القرن ، الاستعمار والقصر والاقطاع .. بيد انه مع الموت ، لم يكسب المعركة .

وكما كان « مصطفى موسى » ، قائدا وطنيا تقدميا لشباب مصر ، من خلال الطليعة الوفدية ، ظل بعد أن تولى مسئولياته — كمهندس — قائدا عربيا تقدميا فى ساحة التعمير والبناء والتطوير الاجتماعى . وبقى — دوما — ذلك الرجل الذى لا يفصل بين افكاره وبين سلوكه الخاص والعام فى الحياة : شجاعا ، نقيا ، يوظف كل طاقاته فى خدمة الوطن والجماهير العاملة صانعة الحياة .

لقد وارينا تراب مصر ، امس ، بحزن والم عميقين ، رجلا كان فى طليعة من شق طريق التقدم فى مجتمعنا . مهد بتضحياته ونضاله ، السبيل امام ثورة يوليو . غدا واحدا من أبرع مهندسينا معماريا وسياسيا .. وكانت عمليته الكبرى ، هندسة العلاقات البناءة بين الشعبين المصرى والجزائرى .

مات « مصطفى موسى » عن سيرة نضالية عطرة ، واعمال اضاءت الحياة فى قرى ومدن الوطن العربى .

لم يخسر « الفارس » الا جسده . اما نحن فقد فقدنا ، برحيله ، الكثير .

لطفى الخولى



عـــايدة ثـــابت .. وداعـــا

استطاع كلب ضال أن يقضى دون رحمة على حياة الزميلة الكاتبة الصحفية المعروفة عـايدة ثابت ، وأن يخنق فى صدر زوجها الاستاذ الدكتور عبد العظيم أنيس وطفلتهما « حنان » أبسط وأجمل الامنيات التى يعيش بها ولها كل الناس ، وأن يصيب عشرات الاصدقاء والزملاء بجراح لا يمحو الزمن آثارها .

... لكن هل من الممكن أن يرتكب كل هذه الجرائم « كلب » ؟ !

اننا لنظلم عايدة ثابت والالاف من ضحايا الكلاب فى بلادنا وكل مواطنينا لو أن كلبا هو المجرم وكأن المطلوب هو محاسبة الحيـوان « المجرم » وفقا لشريعة حمورابى ؟ !

ان المجرمين الحقيقيين – مع سبق الاصرار – هم اولئك الذين لا تساوى لديهم حياة المواطن ثمن « طعم سام » أو طلقة رصاص لاعدام كلب يطلق السراح يوزع الموت على من يشاء .

وهم أولئك الذين يترجمون المسئولية «العامة» فى أى مجال على أنها منافع « خاصة » فـى أقصر وقت وبكل الوسائل .. حتى لو كان الثمن دماء عشرات ومئات الضحايا الابرياء .

ليس هناك عذر أو مبرر واحد للتقصـير والاهمال الجسيم ، الذى يصل الى مستوى القتل العمد مع سبق الاصرار ضد المواطنين ، سواء منهم الذين تقتلهم الكلاب الضـالة أو العقاقير الفاسدة والملوثة أو المعاملة الوحشية فى المستشفيات ... أو الذين يهيمون على وجوههم أطفالا ونساء ورجالا وشيوخا بحثا عن لقمة خبز وأربعة جدران أو ما يستـر عوراتهم .

ان المأساة هذه المرة خاصة وعامة . ذلك ان عايدة ثابت لم تكن مجرد صحفية معروفة ، يفتقدها زملاؤها وأصدقاؤها الذين عملوا معها سنوات وسنوات ، نموذجا للاحساس بالمسئولية والامانة والترفع عن الصغائر . لكنها كانت منذ شبابها المبكر ، طالبة فى الجامعة وصحفية ناشئة ، شعلة من الوطنية التى لا تتوقف عند حدود الحماس والعواطف .

وبعد شهور قليلة من بدء عملها الصحفى ، وعندما لم تتجاوز يومئذ الواحدة والعشرين من عمرها كانت فى طليعة الفتيات القـلائل الذين لم يترددن لحظـة فى التطـوع وحمل السلاح دفاعا عن الوطن ابان الغزو الثلاثى عام ١٩٥٦ .

لقد كانت حياة قصيرة نافعة ، للاسرة وللصحافة وللـوطن ، وكانت الخسـارة جسيمة .

واذا كانت الكلمات فى مثل هذه المناسبات لا تجلب عزاء ولا تضمد جروحا .. الا اننا لا نملك لزميلنا المناضل الدكتور عبد العظيم انيس ولكل أسرة الصحافة ولانفسنا سوى كلمات من أعماق القلب !

الطليعـــة

تقييم أداء لسياسة

الانفتاح الاقتصادى

بهذا المقال الثالث ينهي د فؤاد مرسي دراسته لسياسة الانفتاح الاقتصادى وهى الدراسة التى بدأت فى شهر أكتوبر الماضي .

سيطرة علاقات الانتاج الرأسمالية

د. فؤاد مرسي

بتغيير المقومات الاساسية للاقتصاد القومى ، وبسيطرة المفهوم الرأسمالى لتنمية القوى المنتجة فى بلد متخلف ، تأخذ علاقات الانتاج الرأسمالية بالضرورة فى السيطرة الكاملة على المجتمع .

والواقع ان **علاقات الانتاج الرأسمالية لم تكف أبدا عن التواجد** طوال مرحلة التنمية الاقتصادية السابقة على الانفتاح الاقتصادي ، وحتى فى تلك الفترة القصيرة التى سادها مفهوم لا رأسمالى معين للتنمية . لكن الفرق بين الماضى والحاضر يكمن هاهنا . ففى الماضى ، وبالذات فى بداية الستينات ، جرت المحاولة لتنمية الاقتصاد القومى طبقا لمفهوم رأسمالي . ومن ثم ، تهيأت الظروف لاقامة علاقات انتاجية جديدة ، وبخاصة داخل القطاع العام . لم تكن هذه العلاقات الجديدة علاقات راسمالية كما لم تكن علاقات اشتراكية تواتها كانت علاقات انتقالية . وهى علاقات انتقالية بمعنى انها كان يمكن ان تصبح راسمالية او تصبح اشتراكية ، وذلك طبقا لظروف عديدة اقتصادية وسياسية . وبالفعل فقد كان الصراع يجري - سرا وعلنا - بين محاولات الابقاء على العلاقات الرأسمالية السائدة وبين محاولات البدء فى اقامة علاقات انتقالية ، وكذلك بين محاولات تحويل العلاقات الانتقالية نفسها الى علاقات رأسمالية وبين محاولات تحويلها فى النهاية الى علاقات اشتراكية ترتكز بالطبع على القطاع العام والقطاع التعاونى . كان ذلك جوهر الصراع الاجتماعى قبل الانفتاح الاقتصادى . أما الان فقد كبتت عملية خلق علاقات انتاجية انتقالية واطلق العنان لنمو وسيطرة العلاقات الانتاجية الرأسمالية حتى داخل القطاع العام نفسه .

نقول هذا ؟ بينما يحلو للبعض فى هذه الايام أن يجارى فى حقائق العلم والحياة ،تلك الحقائق التى كنا قد فرغنا منها بوصفها بديهيات . فهناك اليوم من ينكر الصراع الطبقى ، وهنـاك من ينكر حتى وجود الطبقات . وهناك بالطبع من ينكر بكل بساطة ان تكون لدينا علاقات انتاجية رأسمالية . ولذلك نستأذن فى العودة الى بعض البديهيات .

المقصود بالعلاقات الانتاجية

فى كل مجتمع يتمايز الناس فيمـا بينهم من حيث الصفات ، مثلا من حيث الطبيعة والتطبع ، من حيث البداوة والتحضر ، من حيـث العلم والجهل . لكن ابرز ما يميز بينهم هو انقسامهم الى طبقات .

وهذه الطبقات هى تقسيمات اجتماعية للناس داخل المجتمع ، تقسيمات تجرى بحسب الدور الذى تحتله كل جماعة منهم فى الانتاج ، وبحسب علاقاتها بوسائل الانتاج ، ومن ثم بحسب دورها فى التقسيم الاجتماعى للعمل ، وبالتالى بحسب طريقـة حصولهـا على نصيبهـا من الثروة الاجتماعية ومقدار هـذا النصيب . ففى هـذا كله يختلف الناس ، يتفاوتون ويتمايزون .

وعلى الرغم من انقسامهم الى طبقـات ، يتعاون الناس فى كل مجتمع تعاونا فنيـا من أجل انتاج اسباب الحياة . وفى مجرى هـذا الانتاج الاجتمـاعى ، يدخلون بالضرورة فى علاقات محددة لا غنى عنها ، علاقات مستقلة عن ارادتهم ، علاقات تتجاوب مع تطـور قواهم المنتجة . ويشكل مجموع هـذه العـلاقات الانتاجية الهيكل الاقتصادى للمجتمـع ؛ اى الاساس الحقيقى الذى يقوم عليه بنيان علوى ـ سياسى وقانونى وفكرى ـ لايلبث أن يؤثر بدوره على مجموع العلاقات الانتاجية من جديد .

ان الهيكل الاقتصادى للمجتمع ، ان قاعدة المجتمع انما يتشكلان من هذه العلاقات الانتاجية التى هى ظاهرة حقيقية ،ناشئة عن واقـع أن الناس يعجزون عن الانتاج بغير أن يتحـدوا فيما بينهم ، بغير أن يتعاونوا فيما بينهم بصورة من الصور . ومن ثم فهم يدخلون فى علاقات انتاجية معينة ، تشـمل كافة ميادين الحيـاة الاقتصادية من انتـاج وتبادل وتوزيع . وانمـا يبقى دائما ان اساس هذه العلاقات هو علاقات الملكية لوسائل الانتاج التى تحدد بدورها صورة التعاون فى العملية الانتاجية بين العامل وصاحب العمل ، صورة الاتحاد بين العـامل ووسـائل العمل .

ان العلاقات الانتاجية فى كل مجتمع انمـا تتحـدد ، أولا وقبـل كل شىء ، بالاجابة على سؤالنا : من المالك لوسائل الانتاج ؟ ومن ثم ، ترتبط علاقات الانتاج بالقوى الانتاجية ، بحيث تطابق علاقات الانتاج طبيعة ومستوى تطـور القوى المنتجة . ومعنى ذلك أنه بحسب طبيعة ومستوى تطـور هذه القـوى المنتجـة ، تكون العلاقات الانتاجية . وعندما تكون القوى المنتجة ذات طبيعة رأسمالية تكون العلاقات الانتاجية رأسمالية . وعندما تتطور القوى المنتجة تتبعها ٢
العلاقات الانتاجية . لكن هـذه العـلاقات الانتاجية أبطأ فى حركتها ، نظرا لارتباطهـا بعادات وتقاليد ونظم حياة الناس . ولهذا يمكن أن تصبح العلاقات الانتاجية قديمة بالية ، ومن ثم تكون عائقا أمام تطور القوى المنتجـة . وهنـا يظهر التنـاقض بين القـوى المنتجة والعـلاقات الانتاجية ، الى الحد الذى تصبح معه علاقات الانتاج القائمة مستحيلة البقاء . وعندئذ ، تتهيأ الظروف لتغيير العلاقات الانتاجية نفسها ، بحيث تتطابق من جديد مع مستوى التطور الذى بلغته القوى المنتجة .

وفى الوقت ذاته ، تتمتع العلاقات الانتاجية فى المجتمع بدرجة ما من التأثير على القـوى المنتجة ، بحيث تستطيع بدورها أن تعجل أو تبطىء من نمو وتطور القوى المنتجـة . لكن المهم فى النهاية هو أن **ما يحـكم الصلة بين العلاقات الانتاجية والقوى المنتجة هو حتمية المطابقة بينهما** . فلا توجد قوى منتجة اشتراكية مع علاقات انتاجية رأسمالية ، ولا توجد علاقات انتاجية اشتراكية مع قوى منتجة رأسمالية . ولهذا يتميز كل مجتمع بأسلوبه فى الانتـاج ، هذا الاسلوب الذى هو عبارة عن وحدة القوى المنتجة والعلاقات الانتاجية .

وفى الاسلوب الرأسمالى للانتـاج ، تكون القوى المنتجة من مواد عمل ووسـائل عمـل وخبرة عمل ـ ذات طبيعة رأسمالية ، وتكون العلاقات الانتاجية رأسمالية . وهذا هو مايعنينا فى دراستنا هذه . فقـد رأينـا كيف تغيرت المفاهيم الاساسية للاقتصاد القومى على نحـو يبعث الحياة فى رأس المال ، المحلى والاجنبى . ورأينا كيف تغلب المفهوم الرأسـمالى لتنميـة القوى المنتجة عندنا . ومن ثم تنمو بالضرورة العلاقات الانتاجية الرأسمالية وتترسخ .

ولكن مازال هذا الكلام غير محدد . **ففى ظل الاسلوب الرأسمالى للانتاج ، اى فى ظل قيام المجتمع على استخدام رأس المال فى شراء قوة عمل العمال لانتاج سلع وبيعهـا فى السـوق وتحقيق فائض نقدى هو الفرق بين ما دفع من أجور للعمال وما خلقه العمال من قيمة بفضل قوة عملهم ـ فى ظل هذا النظام تكون القـوة المنتجة الرئيسية هى رأس المال ، وتكون العلاقة الانتاجية الرئيسية هى العلاقة بين الرأسـمالى**

والعامل ؟ ويكون اساس هذه العلاقة هوالملكية الخاصة لرأس المال . فاحدهما هو المالك والاخر هو المعدم .

هنا ينفتح المجال فى المجتمع لطبقتين اساسيتين هما الرأسماليون والعمال . ومن خلال العلاقة المتبادلة بين هاتين الطبقتين ، تتم حركة الانتاج الرأسمالى بما فيها من وحدة وصراع . لكن الطبقتين تقفان على طرفى نقيض . فأساس العلاقات الانتاجية الرأسمالية هو من جانب ملكية الرأسماليين لوسائل الانتاج ، وهو من جانب آخر حرمان المنتجين الحقيقيين وهم العمال من الملكية ، اللهم الا ملكية قوة عملهم . ولهذا يتحدان ويتصارعان . يتحدان فنيا لانتاج الثروة فى صورة سلع ، ويتصارعان اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا حول نصيب كل منهما فى ثمرة الانتاج ، أى فى الثروة الاجتماعية . وكلما وسعت الرأسمالية من درجة تعاون العمال فى الانتاج ـ وهذا مسار طبيعى لا مفر منه ـ كلما اكتسبت القوى المنتجة طابعا جماعيا ، طابعا اجتماعيا ، وكلما تعارض تطور هذه القوى المنتجة مستقبلا مع العلاقات الانتاجية التى تظل محكومة بالملكية الخاصة الرأسمالية لوسائل الانتاج . ومن ثم تتهيأ الظروف للتغيير الاشتراكى ، أى للتغيير الجذرى للعلاقات الانتاجية المتخلفة كى تجارى تطور القوى المنتجة المتقدمة .

ومع ذلك فليس الرأسماليون والعمال هم كل طبقات المجتمع الرأسمالى . انهم الطبقتان الاساسيتان فحسب . **وبينهما توجد فئات وسطى لا حصر لها** ، تتراوح فى نطاق متسع فيما بين الرأسماليين والعمال ، من رأسمالية متوسطة ورأسمالية صغيرة واشباه عمال . يدخلون جميعا فى نسيج العلاقات الانتاجية ، ويمارسون دورا متوسطا بين الطبقتين . لكنه يكون دورا بالغ الامية فى مجتمع متخلف كمصر ، لا يتشكل من نسيج واحد ، بل تتعدد بداخله الهياكل الاقتصادية .

جوهر الصراع الاجتماعى فى الماضى

رأينا كيف كانت العلاقات الانتاجية السائدة فى مصر هى علاقات رأسمالية تستند الى الملكية الخاصة للارض ورأس المال . وكانت المحاولة تجرى لاقامة علاقات انتاجية انتقالية ، وكانت تقابلها محاولة مضادة لمنع ظهور او استقرار أو تطوير هذه العلاقات الانتقالية .

فمن جانب ، كانت **المحاولة** تستند الى عناصر أساسية هى :

[أ] مصادرة وتأميم الملكية الخاصة الكبيرة للارض ورأس المال ، واتخاذ اجراءات، من شأنها وقف التراكم الرأسمالى والحد من النمو الرأسمالى .

[ب] ظهور القطاع العام والبدء فى اجراءات من شأنها الحد من أشكال الاستغلال الرأسمالى بداخله ، سواء بتوجيه فائضه للتنمية القومية أو بمشاركة العاملين فى ادارته وأرباحه .

[ج] ظهور القطاع التعاونى واتخاذ اجراءات من شأنها السيطرة على الخدمات الاساسية المشتركة للفلاحين .

[د] الاخذ بنظام التخطيط القومى كأسلوب لعملية التنمية الاقتصادية ، والبدء فى اجراءات من شأنها اخضاع كافة قطاعات الاقتصاد القومى لاسلوب التخطيط .

تلك كانت المحاولة . ومن جانب آخر ، كانت هناك **المحاولة المضادة** لسد الطريق على ظهور واستقرار وتطور علاقات انتاجية انتقالية . وتعددت أساليب المحاولة المضادة سواء بالتحايل على القانون لاستبقاء الملكية الخاصة للارض ورأس المال ، وبناء ثروات جديدة ، و بتخريب القطاع العام والالتفاف حوله لتأكيد العلاقات الرأسمالية بداخله وتحويل فائضه الى ثروات خاصة على حساب العمال والمستهلكين ، و بتحويل التعاون الى نظام يعمل اساسا لمصلحة رأسمالية الريف واعوانها فى جهاز التعاون أو بافشال الخطة القومية واثبات استحالة القيام بتنمية طموحه ووقف اسلوب التخطيط لتنمية الاقتصاد القومى .

هذا الصراع ، بين محاولة اقامة علاقات انتاجية انتقالية فى أرضية رأسمالية وبين محاولة مضادة للحيلولة دون اقامتها ، لم يكن ليحسم أبدا بعيدا عن حركة الجماهير المنظمة ، لسبب بسيط هو أن هذه العلاقات الانتقالية الجديدة لم تكن لتظهر من تلقاء نفسها ، وانما كان يجب أن تخلق خلقا . وبافتقاد حركة الجماهير المنظمة ، افتقد الصراع أهم قواه الحاسمة من أجل التقدم .

ولذلك يجب الاعتراف بان عملية خلق علاقات انتاجية جديدة ، انتقالية ، وهى العملية التى بدأت مع مرحلة التحول الاجتماعى فى أوائل الستينات ، لم تلبث أن جمدت بعد أربع سنوات من بدئها ، وذلك بوقف الخطة الخمسية الثانية ، ثم ما لبثت أن توقفت فى النهاية بحرب يونيو ١٩٦٧ وما تلاها .

ومن ثم انفسح المجال لاستقرار وانتشار ونمو العلاقات الانتاجية الرأسمالية . وفى الاثناء نمت الرأسمالية المصرية . وبعد أن كانت تتمثل اساسا خلال مرحلة التحول الاجتماعى فى الرأسمالية الوطنية أى فى الرأسمالية المتوسطة والصغيرة ، وبجانبها بقايا الرأسمالية الكبيرة فى تجارة الجملة والمقاولات ، نمت طبقة جديدة بيروقراطية من كبار الموظفين ورجال

القطاع العام . ولم تلبث ان تشابكت مع عناصر الرأسمالية الباقية . ثم أفاد الجميع من التنازلات التى تمت بعد الهزيمة ومن السكوت على محاولات التنمية غير المشروعة التى تتابعت وتضخمت بحيث تشكلت فى النهاية رأسمالية كبيرة صارت هى الركيزة الاقتصادية لسياسة الانفتاح . فلما اعلنت هذه السياسة كان سندها الاجتماعى جاهزا من قبل .

ومعنى هذا بوضوح ان العلاقات الانتاجية الراهنة ليست — للامانة العلمية — نتيجة لسياسة الانفتاح الاقتصادى وحدها . بل هى محصلة لسياسات عديدة تمت خلال سنوات الثورة ، وبخاصة منذ الهزيمة . وهكذا أصبحنا بعد سياسة الانفتاح وقد تغلبت كفة النمو الرأسمالى ، وتهيأت الظروف لسيطرة العلاقات الانتاجية الرأسمالية .

الدلالة الاجتماعية للانفتاح الاقتصادى

قبل الانفتاح الاقتصادى ، اذن ، كانت العلاقات الانتاجية السائدة فى المجتمع هى العلاقات الرأسمالية . لكنها كانت تسود بدرجات متفاوتة .

صحيح انه فى مرحلة معينة ، تمتد من بداية التأميمات الكبرى فى عام ١٩٦١ حتى نهاية الخطة الخمسية الاولى ، قامت بغير شك علاقات انتقالية فى القطاع العام ، واستطاعت بفضل اسلوب التنمية المخططة ان تؤثر الى حد ما على العلاقات الانتاجية فى القطاع الخاص. **وكان الموقف عندئذ واضحا يتلخص فى هذه الحقيقة وهى انه مع التسليم بالوجود الرأسمالى، فانه يجب تقييد النمو الرأسمالى ، ووقف عملية تركز وتمركز رأس المال والملكية الخاصة .** وهذا هو ما يسمونه الان بالانغلاق الاقتصادى. لقد كان الاتجاه السائد عندئذ هو الاتجاه نحو علاقات انتاجية انتقالية تمهد فى المستقبل لقيام علاقات انتاجية اشتراكية .

ثم تجمد هذا الاتجاه كله بنهاية الخطة الخمسية الاولى وعدم البدء فى الخطة الخمسية الثانية . ثم توقف الاتجاه تماما بعد الهزيمة . فى البداية ، سمح بالنمو فى قطاع المقاولات وقطاع التجارة الداخلية وبخاصة تجارة الجملة، وحدث التراخى فى تأميم تجارة الجملة تأميما كاملا . ثم بدأ الاستيراد بدون تحويل عملة ، فأصبنا بعملية واسعة من التهريب من الداخل ومن الخارج على السواء . وبدأت السوق الداخلية تمارس تجارة السلع المهربة . واتسع نشاط التصدير الخاص . **ومع ذلك فلقد ظل توسع النشاط الرأسمالى عملا استثنائيا .وغالبا ما كان يقع تحت طائلة القانون . حتى انتهت حرب اكتوبر فأتاحت مناخا مواتيا لتقنين حرية النشاط الخاص .**

وهكذا فتح السبيل لنمو العلاقات الانتاجية التى تقوم على اساس الملكية الخاصة لرأس المال ، على اساس حرية النمو الرأسمالى . وتماسكت العناصر والفئات الرأسمالية المختلفة، من بقايا اشباه الاقطاعيين وكبار الملاك وكبار الرأسماليين الذين أصابتهم الثورة فى الماضى بالتصفية عن طرق المصادرة والتأميم والحراسات، ومن كبار الملاك الرأسماليين الجدد الذين تكونوا فى ظل الثورة ، احيانا بفضلها واحيانا أخرى بالتحايل عليها والالتفاف حولها . وتشكلت طبقة رأسمالية فى المدينة والريف على السواء . أسلوبها هو الاسلوب الرأسمالى للانتاج القائم على الملكية الخاصة لوسائل الانتاج ، وبخاصة رأس المال النقدى . تقوم بالانتاج فى الزراعة والصناعة نسبيا ، لكن اغلب نشاطها فى الخدمات ، فى التجارة الداخلية والخارجية ، فى المقاولات والتوريدات ، فى المبانى والسياحة، وكذلك فى الوساطة والتهريب والسوق السوداء . واصبحت هناك على رأسها رأسمالية كبيرة جديدة تمسك بزمام القيادة فى صفوف الرأسمالية . وفى مواجهتها نمت ونضجت طبقة عاملة حديثة ، توجد نواتها الصلبة فى الصناعة اساسا ، وبخاصة داخل القطاع العام . وهذا كله هو موضوع دراستنا هذه التى لن تتسع للاسف لاكثر من طرح الخطوط العريضة للموضوع .

[١] رأسمالية المدينة

لقد تشكلت الان طبقة رأسمالية مكتملة البنيان، تشكلت من اصول تاريخية مختلفة ،لكنها صارت الان طبقة واحدة ،طبقة تجارية ،ربوية فى الأساس، لها قمتها ولها قاعدتها ، وفيها مراتبها من رأسمالية كبيرة ورأسمالية متوسطة . صار لها وجودها المتماسك . وصارت لها تطلعاتها الطبيعية لفرض سيادتها على المجتمع بأسره . فالانفتاح الاقتصادى يجب عندها ان يكتمل بالانفتاح السياسى ، وحرية الحركة والنمو اقتصاديا يجب ان تتبعها حرية الحركة والنمو سياسيا .

أصولها التاريخية

هذه الطبقة الرأسمالية لها أصولها التاريخية المعروفة . وهى أصول عديدة يجب أن تكون حاضرة أمامنا، لانها تساعد على توضيح طبيعة واتجاهات هذه الرأسمالية الجديدة .

أولا — فهناك **الرأسمالية الوطنية** التى استمرت فى دنيا الاعمال ، فى الصناعة والزراعة والتجارة والمقاولات . ولقد حافظت طوال سنوات وقف نمو رأس المال على فرص النمو غير المرئى ، حين حولت كثيرا من منجزات الثورة الى فرص للاثراء كالمقاولات والتوريدات، وكالقروض المجانية والتسويق التعاونى ،وخاصة بعد الاطاحة بالرأسمالية وكبار الملاك السابقين. وكان من الطبيعى عندئذ ان تتسع صفوف هذه الطبقة باستمرار لعناصر جديدة — وإن تكن هى القلة النادرة — نمت من بين صفوف الرأسمالية الصغيرة وبخاصة الحرفيين .

ثانيا — وهناك **الطبقة الجديدة** التى نمت بفضل الثورة ، بفضل مراكزها فى الدولة والقطاع العام ،بفضل التنمية الاقتصادية والحياة السياسية التى اتاحتها الثورة . واستطاعت هذه الطبقة الجديدة — بغض النظر عن عدم دقة التسمية العلمية — أن تراكم ثروات فى الداخل والخارج على السواء .

ثالثا — وهناك **الرأسمالية الكبيرة التى سمحت الثورة باستمرارها** فى قطاعات المقاولات وتجارة الجملة وتجارة التصدير ، وهى قطاعات عاشت جميعا فى حمى الدولة والقطاع العام .وتمكنت هذه الرأسمالية بذلك من تحقيق ارباح وتكديس ثروات كبيرة . يكفى ان تجارة الجملة وحدها كانت بايدى ٢١٩ تاجرا فقط ، يتصرفون فى ٦٠٠ مليون جنيه ، ويحققون ربحا سنويا صافيا يصل منذ سنوات الى ٣٠ مليون جنيه — مما دفع النظام لاتخاذ قراره فى نوفمبر ١٩٦٧ بتأميم تجارة الجملة بالتدريج . ومع ذلك تراخى التنفيذ ولم يتم التأميم . بل تم تفكيك القطاع العام فى تجارة الجملة . واستمرت تجارة الجملة لسلع اساسية مثل القمح والذرة والسجاير والاقمشة بأيدى الرأسمالية .وحدث الشىء نفسه بالنسبة لقطاع المقاولات الحالى الذى تولى ٧٠٪ من أعمال التشييد التى تمت فى الخطة الخمسية الاولى ، وكانت تمثل وحدها ٤٠٪ من كل استثمارات الخطة . وعلى الرغم من قرار صدر فى عام ١٩٦٦ بتأميم ٨٠٪ من قطاع المقاولات الخاصة حتى عام ١٩٦٩ ،فانه لم يطبق ، وجرى تفكيكه فيما بعد .

رابعا — وهناك **بقايا الطبقات القديمة** ، من الاقطاعيين وكبار الرأسماليين الذين حافظوا على بعض ثرواتهم القديمة، واستطاعوا تنميتها فى دنيا الاعمال ، والذين لعبت تصفية الحراسات أخيرا دورا هاما فى تزويدهم بثروة عقارية أو نقدية كانوا قد فقدوا الامل فيها ، والذين اتاح لهم الانفتاح اخيرا اعادة جزء من ثرواتهم فى الخارج سواء كانت هربت الى الخارج أو كانت قد تكونت فى الخارج خلال سنوات الهجرة . ولهم بالتالى ارتباطاتهم القديمة برأس المال الاجنبى .

خامسا — وهناك اخيرا اغرب هذه الاصول واخطرها جميعا ، وهى **جماعات المغامرين والافاقين** ، من أرباب السوابق والخارجين على القانون ، الذين استطاعوا بفضل الجريمة أن يشقوا طريقهم الى دنيا الاعمال ، من اسفل، تحت اى اسم ، وبأى صورة من الصور ، ليفرضوا بعد ذلك وجودهم ثم سيطرتهم ، مسلحين بعصابات تجمع بين النشاط الاجرامى والنشاط الرأسمالى ، ومزودين بقدرة فذة على التسلل الى اجهزة الدولة والقطاع العام ، ومدفوعين بقوة خارقة للعادة للسيطرة على السوق الداخلية من خلال التجارة بالذات . ان هذه الجماعات من الرأسماليين الجدد ، بنشأتهم المريبة وطموحاتهم الداهية ، هم أنشط أقسام الرأسمالية المصرية . ويفرضون بالتالى طابعهم الطفيلى على مجموع الطبقة الرأسمالية.

من هذه الاصول المتعددة ،تشكلت الرأسمالية الجديدة . وهى تحمل طابعها جميعا ، وبالذات هذه الرأسمالية الطفيلية الجديدة .

الرأسمالية المتوسطة والكبيرة

بداخل هذه الطبقة الرأسمالية ، يجب التمييز بوضوح بين مرتبتين هما الرأسمالية الكبرى والرأسمالية المتوسطة . ومع أن جمهرة هذه الطبقة الرأسمالية تتشكل فى الواقع من الرأسمالية المتوسطة ، غير ان التأثير الحاسم يرجع الى الدور الذى تمارسه الرأسمالية الكبيرة بثقلها الاقتصادى والسياسى .

ونحن نعنى **بالرأسمالية المتوسطة** تلك الفئات من الرأسمالية التى درجنا بصفة عامة على تسميتها بالرأسمالية الوطنية . وهى تقف مابين صغار المنتجين وبين كبار الرأسماليين . وعلى عكس صغار المنتجين، فالرأسمالية المتوسطة ذات طبيعة رأسمالية ، بمعنى انها تقوم على الملكية الخاصة لرأس المال ، وعلى الانتاج الرأسمالى وهو انتاج سلعى . وتتميز

الرأسمالية المتوسطة من ثم باستخدام رأس المال بوصفه الوسيلة الاساسية للانتاج ، وباستخدام العمال بالاجر للقيام بالانتاج . وهى تمارس الانتاج الرأسمالي السلعي ، سواء كان ذلك في مجال الصناعة أو التجارة . ولاشك ان دور هذه الرأسمالية المتوسطة دور مطلوب في هذه المرحلة ، لقيامها بالانتاج والتبادل ، من غير ان تشكل خطرا على مستقبل التنمية الاقتصادية والتحرر الاقتصادى .

اما **الرأسمالية الكبيرة** فتضم الفئات والاقسام العليا من الرأسمالية ،ويساهم فى تشكيلها بالذات عنصران اجتماعيان جوهريان ،عرضناهما فى دراسة سابقة على صفحات [الطليعة] وهما :

أولا — الفئات التجارية والربوية ، من التجار والممولين والمقاولين والوكلاء فى مجالات التصدير والإستيراد وفى تجارة الجملة ونصف الجملة ، فى الصفقات العقارية ،فى المقاولات والتوريدات، فى الفنادق والملاهى والمطاعم : وواضح أنها كلها تعتبر انشطة خدمات ، لا تضيف الى الثروة المادية للمجتمع ، بينما تطلق داخل الاقتصاد القومى ، بما تحققه من أرباح وما تقدمه من اجور وما تنفقه فى الاستهلاك ، مبالغ نقدية طائلة تعتبر قوة شرائية ذات ضغط تضخمى لا يمكن صده .

وقد تلقت هذه الفئات التجارية الربوية دفعات قوية من سياسة الانفتاح . فقد أطلقت لها حرية التصدير والاستيراد بالكامل ، كما أطلقت اعمال المقاولات فى التعمير والتشييد بصورة لم تعرف من قبل . منحت وزارة التعمير صلاحيات استثنائية بعيدا عن الخطة ووضعت استثمارات التعمير وقدرها ٢٤٣ مليون جنيه تحت تصرف الوزير وشعاره المعلن هو «التمسك بحرية الفرد الكاملة فى ظل المنافسة » . وبالتالى انتقل أغلبها الى القطاع الخاص للمقاولات . ومعروف ان حجم استثمارات التشييد فى الخطة الانتقالية كان يصل الى ٦٢٥ مليون جنيه ، بنسبة ٥٧٪ من اجمالى استثمارات الخطة ، وبزيادة ٢٦٥ مليون جنيه دفعة واحدة عما خصص فى عام ١٩٧٤ . ولقد تم بالمناسبة رفع حدود التعاقد مع المقاولين من ١٠٠ الف جنيه الى ٥٠٠ الف جنيه ، ومع ذلك، فلم تعد هذه الحدود كافية .

ثانيا — الفئات البيروقراطية ، من قيادات القطاع العام والدولة . وهى فئات تضم عناصر من أصول اجتماعية مختلفة تدين بالفضل للتعليم وتحصيل معرفة علمية وتكنولوجية وتولى قيادات القطاع العام والدولة ، ومنها وبفضل نشاطها فى مواقع السلطة ؟ تحصل على دخول عالية من مرتبات وبدلات ومكافآت ، ودخول غير رسمية من عمولات وهدايا ورشاو . ويتحول ذلك كله فى النهاية . وبفضل صلاتها بدنيا الاعمال ، الى رأس مال بيروقراطى ، مربوط بمصدره وهو الوظيفة ، وغير مرتبط بشكل مباشر بظروف الانتاج المادى . لكنه لا يلبث ان يتحول الى رأسمال تجارى او ربوى او صناعى . وقد اضاف الانفتاح فرصا جديدة الى هذه الفئات عندما فتح امامها ابواب التوكيلات التجارية لرأس المال الاجنبى وكافة مجالات التصدير والاستيراد والتوسع فى المقاولات وابواب تحرير الإدارة داخل القطاع العام وادخال الرأسمالية المحلية والاجنبية فى رأسمال وادارة شركاته .

رأسمالية تجارية اساسا

وبالطبع تتنوع الانشطة التى تشتغل بها الطبقة الرأسمالية ،من صناعة ومقاولات وتجارة . هناك مثلا انشطة صناعية هامة تتولاها ، كصناعة النسيج وصناعة الملابس والصناعة الجلدية وصناعة الاثاث والصناعات الغذائية والصناعات الهندسية والميكانيكية وبخاصة صنع بعض الالات ومحركات السيارات . وهناك ايضا النشاط الملحوظ فى المقاولات بكافة انواعها ، وفيها جانب هام من الانشاء والتشييد وتوفير خدمات انتاجية .

غير ان النشاط الغالب على الطبقة الرأسمالية الراهنة هو النشاط التجارى ، حيث يمكن القول بان **الرأسمالية المصرية الجديدة يغلب فيها رأى المال التجارى ، وهى لذلك رأسمالية تجارية اساسا** . ومن هنا فهى بالضرورة رأسمالية ذات طبيعة طفيلية .

ومنذ عرفت التجارة ، وهى نشاط طفيلى ، بل هى أول نشاط طفيلى ظهر الى الوجود ، لانها تقوم على مبادلة منتجات قام المنتجون بانتاجها ، ومن ثم تتطفل التجارة على الانتاج المادى . لكنها تسدى خدمة اساسية ، اذ تخلص الجماعة من فائض فى منتجاتها مقابل الحصول على منتجات تنقصها لكنها فائضة لدى جماعة اخرى . لذلك كانت التجارة فى المنتجات الفائضة اقدم نشاط رأسمالى عرفته البشرية ، وكان رأس المال التجارى أقدم أنواع رأس المال . وفيما قبل قيام المجتمعات الرأسمالية : كان الانتاج موجها فى الاساس لانتاج سلع الاستهلاك . ومعنى هذا أن التجارة كانت تتبادل فى الاساس سلعا استهلاكية . كانت التجارة لم تسيطر بعد على الانتاج ، بل تتبادل فحسب مايفيض

من المنتجات عن حاجة الاستهلاك . ومن ثم كان باستطاعة رأس المال التجارى عندئذ أن يستحوذ على الجزء الاكبر من الربح ، وذلك على عكس الوضع فى ظل المجتمعات الراسمالية التى تصبح التجارة فيها عنصرا من عناصر عملية الانتاج الاجتماعى ، ويذهب أغلب الربح للراسماليين الصناعيين والزراعيين والماليين .

وللاسف فان الوضع فى بلد متخلف كمصر، يتيح لرأس المال التجارى فرصا مماثلة لفرصه فى المجتمعات مثل الراسمالية . **لكن الخطير فى الامر هو ان رأس المال التجارى يكون عندئذ معنيا بالاستهلاك لا بالانتاج ، معنيا بمبادلة فائض أو ناقص الاستهلاك ، غير مكترث بالوسط الاجتماعى والاقتصادى الذى يعمل فيه، غير مبال بالتطور الاجتماعى والاقتصادى — مما يجعل منه فى الاساس قوة رجعية ، اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا .**

وهذا هو واقع الحال . فالطبقة الراسمالية — بحكم تطورها الاخير ، وبحكم اصولها التاريخية — رأسمالية تجارية فى الاساس . والنشاط التجارى يغلب عندها على كل نشاط . ورأس المال التجارى بالتالى غالب فى تكوين رأس المال .

أولا — فقد أطلقت حرية التجارة الخارجية ، تصديرا واستيرادا ، لرأس المال المحلى . وأصبح من حق كل فرد ان يستورد احتياجاته للاستعمال الشخصى أو الخاص من موارده الخاصة ، مثلما اصبح لكل فرد ان يستورد وان يصدر ، وانتهى بذلك احتكار الدولة للتجارة الخارجية ، وانتهى تأميم التجارة الخارجية وبخاصة تجارة الاستيراد . اصبح لكل فرد ان يستورد بدون تحويل عملة أو من السوق الموازية سلعا استهلاكية ومستلزمات انتاج ومواد خاما .بل اصبح لكل فرد ان يستورد السلع لحساب القطاع العام ، مستخدما الحصيلة النقدية التى خصصتها الدولة لاستيراد هذه السلع من الميزانية النقدية . وهنا تعود الخشية من جديد من تحول التجارة الخارجية من وسيلة لتنمية الاقتصاد القومى وأداة لنجاح سياسة الاعتماد على النفس الى بالوعة للفائض الاقتصادى مادامت مصدرا لارباح طائلة .

ثانيا — كذلك اطلقت حرية التجارة الداخلية، استنادا بالطبع الى اطلاق حرية التجارة الخارجية . وهناك من الاصل سيطرة الرأسمالية الكبيرة على تجارة الجملة ونصف الجملة وانتشار الرأسمالية المتوسطة فى تجارة التجزئة ، بحيث تضم الرأسمالية التجارية الواسعة الانتشار تجار الجملة وكبار تجار التجزئة .وهم يسيطرون بالتالى على تجارة التجزئة، وبخاصة بعد تنشيط التجارة الخارجية والتداخل العضوى بين المستوردين وتجار الجملة ونصف الجملة .وعلى سبيل المثال ، فتجارة السلع الاستهلاكية تتعامل فى سلع تزيد قيمة دورتها السنوية عن ٢٠٠٠ مليون جنيه، يمثل الراسماليون منها نحو ٧٣٪ . على أن نصيبهم فى تجارة السلع الغذائية اكبر ، إذ يصل فى تجارة الجملة الى ٨٥٪ وفى تجارة التجزئة الى ٩٧،٥٪ . وكذلك الشأن فى تجارة المنسوجات حيث يسيطرون على ٩٣٪ من قيمة دورتها السنوية . وتتضاعف اهمية رأس المال التجارى فى التجارة الداخلية بمقدار ما يتعامل فى السوق السوداء .

ثالثا — ولقد تضخمت التجارة الداخلية حاليا باطلاق حرية الاستيراد ، وازدحام السوق الداخلية بكافة المنتجات المستوردة من كافة ارجاء العالم ، وبخاصة من العالم الرأسمالي .وبرزت بصفة خاصة واردات مثل سيارات النقل والاجهزة المنزلية الكهربائية والالكترونية وآلات الطباعة وآلات وادوات الخياطة والتريكو المنزلية ،ناهيك عن سلع الاستهلاك السريع من ملابس وساعات ومشروبات ومرطبات . كلها فى السوق لمن يستطيع ان يشترى .وفى هذا المجال بالذات تبدو الوحدة العضوية بين التجارة الداخلية والتجارة الخارجية ، كما تبدو العلاقة الوثيقة بين الراسمالية التجارية المحلية واحتكارات ووكلاء الراسمالية العالمية .

هكذا ، وبفضل اطلاق حرية التجارة الداخلية والخارجية ، **أصبح راس المال التجارى غالبا فى تكوين راس المال المحلى** . وبفضل اندماج مصالحه مع مصالح رأس المال الاحتكارى الاجنبى ، ليس فقط من خلال التصدير والاستيراد ، بل ايضا من خلال المشروعات الاجنبية سواء داخل البلاد أو فى المناطق الحرة، وحيث تصبح بلادنا مركزا اماميا لتسويق منتجات الاحتكارات الدولية وغزوات الشركات المتعددة الجنسية فى المنطقة العربية كلها، فان راس المال التجارى يجنى أرباحا خيالية . يجنيها على حساب ابتزاز قطاع الدولة وافلاس الراسمالية الوطنية وافقار الطبقات الشعبية واعاقة التطور الاقتصادى المستقل للبلاد وزيادة اسباب التبعية للخارج . وتلقى هذه الارباح المذهلة بظلها الثقيل على الاقتصاد القومى بأكمله لتصبح التجارة [بكافة صورها] هى النشاط الامثل لراس المال .

رأسمالية ذات طبيعة طفيلية

هذه الراسمالية التجارية ، وهى ذات طبيعة طفيلية ، تسبغ طابعها الطفيلى على الرأسمالية

المحلية كلها . وبالطبع هناك رأسمالية صناعية نامية ، وهى تلعب دورا حقيقيا فى تنمية الانتاج المادى ، وبخاصة عندما تشتغل بالصناعات التكميلية للصناعة الكبيرة التى يتولاها القطاع العام . **غير أن هذه الرأسمالية الصناعية مهددة هى نفسها بأن يكون لها طابع طفيلى .** كيف ؟

فى الواقع ، انها تعمل فى بيئة يغلب عليها طابع الرأسمالية التجارية . ومن ثم تحاول الرأسمالية الصناعية أن تعالج عملية الانتاج المادى بمشاكله الاقتصادية والمالية والاجتماعية ، وأن تحقق نفس العائد النقدى الذى تحققه الرأسمالية التجارية بغير انتاج ، والا عدلت عن الصناعة الى التجارة — مثلما يحدث فى هذه الايام . ومن أجل تحقيق هذا العائد المغرى ، يجب أن تتسلح بوضع احتكارى ما . ومن هنا سعيها للحصول على تكنولوجيا وآلات حديثة ، ذات كفاءة عالية . لكن مثل هذه التكنولوجيا الحديثة قد أعد تفى الاصل ، فى بلادها ، وصممت من أجل أسواق كبيرة — بينما سوقنا المحلية ضيقة . ومن ثم تتولد على الفور عناصر احتكارية من نوع خاص لرأس المال الصناعى المحلى ، حتى لو كان صغيرا نسبيا . ان مشروعات صناعية ، صغيرة نسبيا ، لكن مزودة بأحدث الالات ، تتحول فى سوقنا المحلية الى احتكارات من نوع خاص ، وبالذات فى ظل حماية جمركية معينة . **من هنا ، تحمل الرأسمالية المحلية — حتى الصناعية منها — اتجاهات التحلل والتطفل .** فهذه المشروعات الرأسمالية ، الصغيرة نسبيا ، والتى تمثل احتكارا ما ، تعجز عن التطوير المستمر للتكنولوجيا الحديثة ، بل ولا تعنى بذلك فى النهاية مادامت تجد مشتريا يتمنى الحصول على منتجاتها .

من هنا ، تسيطر الرأسمالية التجارية بطابعها الطفيلى حتى على الرأسمالية الصناعية . ولذلك فان هذا الطابع الطفيلى هو الجدير بكل انتباه . ونحن نعنى بالطابع الطفيلى للرأسمالية أنها لا تقوم فى الاساس على تطوير الانتاج المادى بقدر ما تقوم على الخدمات وبالذات على التجارة ، وانها غير معنية فى الاساس بتطوير الاقتصاد القومى وتأمين التحولات الاجتماعية الضرورية حتى فى ظل اقتصاد رأسمالى ، وانها فى النهاية وهى ضعيفة الجذور القومية قوية الوشائج الخارجية أقرب ما تكون الى التبعية لرأس المال الاجنبى . ومن ثم يمكن تلخيص معالم هذه الرأسمالية الطفيلية فى السمات التالية : انها رأسمالية ربوية ، رأسمالية علوية ، رأسمالية رجعية .

أولا — بوصفها رأسمالية تجارية ، فهى **رأسمالية ربوية** ، بمعنى التعامل بالنقود والرغبة فى أن تربو هذه النقود باضطراد ، ان تسمو سريعا ، أن تلد نقودا باستمرار — وبالذات عن طريق التجارة والخدمات ، بالاشتغال فى الوساطة والسمسرة والتهريب والسوق السوداء . وهى لذلك تولد الطابع الربوى فى الاقتصاد القومى ، بالاستعداد للمضاربة والرغبة فى الاحتكار . انها على استعداد للمضاربة وبخاصة فى عمليات السوق السوداء التى تتناول سلع الاستهلاك الشعبى كما تتناول توزيع منتجات القطاع العام من خامات وسلع . حتى رأس المال العقارى تحول الى التجارة فى الاراضى والمبانى والشقق . ويتنقل رأس المال التجارى من تجارة الى تجارة بسرعة خارقة . فتجار البقالة مثلا يتحولون الى تجار السلع الاستهلاكية المستوردة ، من ملابس واقمشة ، ثم الى تجار للأجهزة الكهربائية والالكترونية والحمامات المستوردة . وتجار الاسماك مثلا يتحولون الى تجار للسيارات . وأصحاب الملاهى يتاجرون فى كل شىء . والفكرة هى الاستفادة من فروق الاسعار ، والتعامل فى أى شىء يكون مصدرا للربح الكبير السريع — مع ضمان سرعة دوران رأس المال .

ثانيا — بوصفها رأسمالية تجارية ، فهى **رأسمالية علوية** ، بلا جذور ممتدة فى أعماق الاقتصاد القومى ، بل غير معنية بتطوير الاقتصاد القومى والاوضاع الاجتماعية ، غير مطمئنة الى مستقبلها ، لا تبنى مصانع ولا تستوعب عمالة ، ويكفيها مكتب صغير — واحيانا حقير — لتحقيق ارباح مذهلة وتكوين ثروات بالملايين . لا تنظر الا الى كسبها فحسب ، وتحصل عليه بكافة الوسائل المشروعة وغير المشروعة ، وبخاصة فى تعاملها مع القطاع العام والدولة . فهى مثلا تتعامل أساسا بقروض تحصل عليها من البنوك ، وهى بنوك الدولة واموالها أموال عامة . ومن ثم تبقى أموالها الخاصة بمنأى عن الخطر ، ولو فى خارج البلاد . ثم لا تدفع ضرائب للدولة ، وتتقن كل وسائل التهريب واخفاء الدخول والثروات . واحيانا تقوم بوظيفة تمويلية ، فتمول عمليات لحسابها ، مما يؤكد طابعها الربوى ، لكنها تتعامل فى الواقع كرأسمالية أجنبية مع القطاع العام والدولة . انها تقوم بدور الوساطة فى التجارة من القطاع العام الى المستهلكين ، وفى الوساطة من القطاع العام الى القطاع العام ، وحتى مع الدولة ولذلك يكون همها أن تحتفظ بقرون استشعار وروابط عضوية مع جهاز الدولة والقطاع العام .

تشترى بذرة القطن من المحالج لتبيعها الى معاصر الزيوت ، تشترى المنسوجات لكى تبيعها لصغار تجار الاقمشة ومتوسطيهم . ويفسح المجال للفساد ينخر فى أجهزة الدولة والقطاع العام ، وينعكس من ثم على المجتمع كله .

ثالثا — بوصفها رأسمالية تجارية ، فهى **رأسمالية رجعية** . وبحكم كونها طفيلية ، ربوية ، مضاربة ، غير مكترثة ببلدها ، مرتبطة برأس المال الاجنبى ، فانها لكى تدافع عن امتيازاتها ، تقوم بالدفاع عن مبدأ الاقتصاد الحر والطريق الرأسمالى ، وتجمع كل القوى الرأسمالية المحلية تحت قيادة الرأسمالية التجارية ، وتدعو للتحالف مع رأس المال الاجنبى اى مع الرأسمالية العالمية .. وهذا هو المصدر الموضوعى لخطر ضياع الاستقلال الاقتصادى واعادة السيطرة الاجنبية ، لان التحالف بين الرأسماليه الكبيرة المحلية وبين الرأسمالية العالمية يشكل بالدقة جوهر الاستعمار الجديد . ومن هنا يتضح كم هى متخلفة هذه الرأسمالية المحلية الجديدة ، التى — بعد سنوات طويلة من تصفية التبعية الاستعمارية — لا تجد مفرا امامها من أجل ان تنمو وتسمن الا ان تستدعى الاستعمار من جديد . وبذلك تتحقق المشاركة المطلوبة بين رأس المال العالمى ورأس المال المحلى .

هذه الرأسمالية المحلية ، التى تغلب بداخلها الرأسمالية التجارية والتى تتميز بطبيعة طفيلية ، هى فى الاساس الرأسمالية الكبيرة . ومن ثم تتميز جوهريا عن جمهرة الرأسمالية المحلية وهى الرأسمالية المتوسطة . فهذه الرأسمالية المتوسطة هى فى نهاية الامر موضع استغلال من جانب الرأسمالية الكبيرة التى صارت تحدد صورة المجتمع ومثله العليا .

[٢] رأسمالية الريف

التحولات الجذرية التى اصابت رأسمالية المدينة بفضل الانفتاح الاقتصادى بحيث صار يسيطر عليها رأس المال التجارى بطبيعته الطفيلية ، لم يحدث مايماثلها تماما فى الريف. **بل ظلت رأسمالية الريف — كما كانت من قبل — تنمو نموها المضطرد** . كلما احدثه الانفتاح الاقتصادى لديها هو اتاحة المزيد من فرص الرأسمالية ، اتاحة المزيد من حرية الحركة والمزيد من حرية النمو الرأسمالى .

ما السبب فى هذا التفاوت بين رأسمالية الريف ورأسمالية المدينة ؟ ذلك سؤال موضوعى ، والاجابة عليه بسيطة . فبينما حلت وطأة التأميمات لدينا فى الستينات برأسمالية المدينة ، الرأسمالية الكبيرة الصناعية والتجارية ، الرأسمالية صاحبة الاسهم والسندات ، وقعت وطأة مرحلة التحول الاجتماعى على رأس الرأسمالية الكبيرة فى المدينة ، كان الريف يشهد منذ العام الاول للثورة الاصلاحات الزراعية ، تصفية ملكية الارض شبه الاقطاعية ، وتصفية طبقة كبار الملاك الاقطاعيين ويشهد فى الوقت نفسه السماح بنمو رأسمالية الريف . ومن ثم ظل الريف هو القاعدة الثابتة للثورة . وظلت رأسمالية الريف ، الرأسمالية الزراعية ، تنمو وتنمو بغير أن تصادف أو تعانى ما عانته رأسمالية المدينة . بل ان التأميمات الكبرى فى الستينات كانت دفعة اخرى لشهية الرأسمالية الريفية .. ومن هنا نمت باضطراد ، بلا توقف . احتفظت دائما بحرية النمو الرأسمالى . حتى كانت أحداث السنوات الاخيرة ، فتصدرتها وقادت تحولاتها السياسية . ولقد ابدت الانفتاح الاقتصادى ، بأمل ان يجلب لها مزيدا من حرية النمو الرأسمالى والسيطرة الكاملة على الريف.

وهكذا يشهد الريف — منذ السنة الاولى للثورة وبلا انقطاع — نموا رأسماليا مضطردا ، يأتى الانفتاح الاقتصادى اليوم ليسبغ عليه طابعا نهائيا .

تكوين رأسمالية الريف

تتكون رأسمالية الريف بصفة أساسية من الرأسمالية الزراعية ، والى جانبها توجد جماعات رأسمالية تشتغل اساسا بتجارة الحاصلات الزراعية وبتأجير الجرارات وآلات الرى وبالنقل . وبداخل الرأسمالية الزراعية يجب التمييز بين جمهرة الفلاحين الاغنياء وبين كبار الملاك الزراعيين . وليس التمييز بينهما قائما على أساس أن أغنياء الفلاحين يعتمدون على رأسمالهم النقدى لتأجير مساحات من الارض ، وانهم يستأجرون عمل العمال الزراعيين لانتاج محاصيل تجارية تباع فى السوق ، بينما كبار الملاك الزراعيين يعتمدون على ملكية الارض فقط . فالواقع أن الملكية مازالت سمة مشتركة للجميع : فكلهم

ملاك للارض . وكلهم قد يستأجرون ارضاً اضافية . وكلهم يستأجرون عمل العمال الزراعيين . لذلك فالتمييز الممكن بينهم يكون بالرجوع الى حجم الملكية ، الى مساحة الارض الزراعية المملوكة .

ومعروف أن مساحة الارض التي يستطيع المالك أن يزرعها مع اسرته بغير ان يستأجر عمل الاخرين ، لا يمكن أن تزيد فى بلادنا عن خمسة فدادين . وعند هذه الحدود ، تقف طبقة الفلاحين غير الرأسمالية ، وتبدأ طبقة الرأسمالية الريفية ، التي لابد أن تستعين بعمل الاخرين المأجور . تبدأ الرأسمالية الريفية التي تضم الفلاحين الاغنياء وكبار الملاك . ومع ذلك فهناك من يرى أن الفلاحين الاغنياء يبدئون بملكية عشرة فدادين الى عشرين فداناً ، يليهم كبار الملاك الرأسماليين .

وقد بحثنا عن احصائيات توزيع الملكية الزراعية حاليا ، فلم نجد أى بيانات يعتمد عليها . فمن جانب ، توقفت بيانات الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء عند عام ١٩٦٥ ، مع نهاية الخطة الخمسية الاولى ، ولم تجد بعدها اية محاولة لحصر الملكية فى الريف . ومن جانب آخر ، قام الجهاز المركزى للاسعار فى عام ١٩٧٣ بدراسة لتوزيع دخول الافراد ، ضمنها توزيعا جديدا لملكية الارض الزراعية . ومع ان نتائج هذا التوزيع تعزز رأيي بقوة ، لكنى أشك فى دقتها وسلامتها ، وسأورد فيما يلى بيانات الطرفين للمقارنة .

توزيع الملكية الزراعية

الملكية بالفدان	قبل الاصلاح الاول	بعد الاصلاح الثانى	فى ١٩٦٥	قبل الاصلاح الاول	بعد الاصلاح الثانى	فى ١٩٦٥
اقل من ٥	٩٤ر٣	٩٤ر١	٩٤ر٥	٣٥ر٤	٥٢ر١	٥٧ر١
٥ —	٢ر٨	٢ر٦	٢ر٤	٨ر٨	٨ر٦	٩ر٥
١٠ فاكثر	٢ر٩	٣ر٣	٣ر١	٥٥ر٨	٣٩ر٣	٣٣ر[illegible]

تلك هى البيانات الثابتة للجهاز المركزى للتعبئة والاحصاء ، لكنها تتوقف عند عام ١٩٦٥ . وهنا تأتى التقديرات التي يقدمها الجهاز المركزى للاسعار فى عام ١٩٧٣ ، وهى للاسف البيانات الوحيدة المتاحة .

الملكية بالفدان	النسبة المئوية للملاك		النسبة المئوية للمساحة	
	١٩٦٥	١٩٧٣	١٩٦٥	١٩٧٣
أقل من ٥	٩٤ر٥	٨٥ر٦	٥٧ر١	٢٦ر١
٥ —	٢ر٤	٧ر٨	٩ر٥	١١ر٢
١٠ فاكثر	٣ر١	٦ر٦	٣٣ر٤	٦٢ر٧

فلو صحت هذه التقديرات ، لكان معناها أن الوضع فى الريف قد اصيب بتدهور مفاجىء فيما بين نهاية الخطة الخمسية الاولى فى عام ١٩٦٥ وعام ١٩٧٣ . ولكن مثل هذا التدهور المفاجىء يظل بلا تفسير اقتصادى أو سياسى . ومع ذلك فالمهم فى تقديرات الجهاز المركزى للاسعار هو انها أقرب الى اتجاه الاوضاع فى الريف كما يلمسها الجميع .

اولا — صغار الفلاحين . بفضل الاصلاحات الزراعية ، ازدادت اهمية ملكية صغار الفلاحين ، التي تقل عن خمسة أفدنة ، وتعمل بالزراعة غير الرأسمالية . ازدادت نسبة الملاك زيادة طفيفة من ٩٤ر٣٪ من مجموع الملاك قبل الثورة الى ٩٤ر٥٪ فى نهاية الخطة الخمسية الاولى . لكنها لاشك هبطت ، ولكن ليس بالنسبة التي تكشف عنها التقديرات الاخيرة . وكذلك الشأن فى المساحة المملوكة . فقد زادت فى البداية زيادة هائلة من ٣٥ر٤٪ قبل الثورة الى ٥٧ر١٪ بعد الخطة الخمسية الاولى ثم هبطت كما تدل كل وقائع الحال فى الريف . لكن لا يعقل أن تكون قد هبطت الان الى أقل من نصف ما كانت عليه فى عام ١٩٦٥ .

ثانيا — الفلاحون المتوسطون . وهم يمثلون الملكية التي تتراوح بين خمسة وعشرة فدادين . وعلى الرغم من انخفاض عدد اصحابها من ٨ر٢٪ الى ٤ر٢٪ فى نهاية الخطة الخمسية الاولى ، الا أن عددهم قد ازداد مؤخراً . واضطردت فى الزيادة نسبة المساحة التي يملكونها من ٨ر٨٪ الى ٩ر٥٪ . ولاشك انها قد ازدادت مؤخراً .

ثالثا — الرأسمالية الزراعية . وتضم أغنياء الفلاحين وكبار الملاك الزراعيين . وتمثل الرأسمالية الزراعية تلك الملكية التى تزيد عن عشرة أفدنة وتصل الى الحد الاعلى للملكية . وقد ازدادت الرأسمالية فى الريف ملاكا ومساحة . قبل الاصلاحات الزراعية كانوا يمثلون بما فيهم الاقطاعيون ٩ر٢٪ من مجموع الملاك ، فصاروا يمثلون فى نهاية الخطة الخمسية الاولى وبلا اقطاعيين ١ر٣٪ منهم . وفى التقديرات الاخيرة ، تضاعفت اكثر من مرتين اهميتهم العددية ، لكنها زيادة مشكوك فيها . اما ملكيتهم ، فقد هبطت بالطبع نتيجة للاصلاحات الزراعية من ٨ر٥٥٪ من مساحة الارض قبل الثورة الى ٤ر٣٣٪ فى نهاية الخطة الخمسية الاولى ، وذلك لمصلحة صغار الفلاحين . ولاشك انها زادت فى السنوات الاخيرة ، على حساب صغار الفلاحين بالذات ، ونتيجة لاستعادة الاراضى الموضوعة تحت الحراسة . غير انها لا يمكن ان تكون قد تضاعفت فى مدى ست او سبع سنوات ، على نحو ما تشير اليه تقديرات الجهاز المركزى للاسعار .

ان نمو الرأسمالية الريفية مضطرد منذ بداية الثورة ، فى البداية على حساب الملكية الكبيرة شبه الاقطاعية ، ثم على حساب صغار الفلاحين بعد ذلك . والجدير بالملاحظة هو التطور السريع فى كيان الرأسمالية الريفية منذ نهاية الخطة الخمسية الاولى ، وتوقف أسلوب التنمية المخططة ، ثم هزيمة ١٩٦٧ . ونحن نبدأ من حقيقة لاشك فيها هى ان نحو ٣٪ من الملاك يستحوذون الان على اكثر من ٣٥٪ من الارض الزراعية . وكانت هذه المساحة نفسها قبل الثورة هى التى شكلت الملكية شبه الاقطاعية فى مصر . كان اصحاب الملكية التى تزيد على خمسين فدانا يملكون عندئذ ٢ر٣٤٪ من الارض الزراعية . **لقد حلت الرأسمالية محل الاقطاع** ، والفرق بينهما هو اتساع عدد الملاك .

ظاهرة النمو الرأسمالى

بالطبع هناك فرق جوهرى فى أسلوب الاستغلال الزراعى ، فيما بين الاقطاعيين والرأسماليين . فبينما كان يعتمد اسلوب الاستغلال الزراعى شبه الاقطاعى على الملكيات الكبيرة للارض التى تتلقى الريع عن طريق الايجار أو المزارعة ، وتعتمد على زراعة القطن المربوطة بالسوق الخارجية ، نجد ان الاستغلال الرأسمالى الحالى يعتمد على ملكية رأس المال ، التى تتمثل فى الغالب فى ملكية الارض ايضا . لكن رأس المال يستخدم عندئذ فى انشطة ثلاثة هى :

الاول — استئجار الاراضى . فالملاك الرأسماليون فئات عليا من الفلاحين وأغنياء الفلاحين ، من المستأجرين الذين صاروا ملاكا ، المرتبطين بشكل وثيق بالسوق ، عن طريق انتاج محاصيل معدة للبيع . وقد كانت الاراضى المستأجرة تمثل قبل الثورة حوالى ٤٩٪ من مجموع الاراضى الزراعية ، وارتفعت بعد الاصلاح الاول الى حوالى ٥١٪ . لكنها لم تلبث أن توالى انخفاض مساحتها حتى صارت تمثل ٤٥٪ من جملة الزمام المزروع حاليا . فقد اتجه الاهتمام للحصول على الملكية نفسها .

الثانى — زراعة محاصيل رأسمالية . فالرأسماليون الزراعيون ينتجون بالتحديد محاصيل تجارية ، نقدية ، ذات أرباح عالية . لذلك تشدهم السوق الداخلية اكثر من السوق الخارجية . لقد ظل الرأسماليون الزراعيون وكبار الملاك الرأسماليين هم المصدر الاساسى للمحاصيل الاساسية مثل القطن والارز والقمح ، التى ارتفعت انتاجيتها فى المزارع الكبيرة . لكنهم يستطيعون تنويع انتاجهم ، من المحاصيل التقليدية الى المحاصيل غير التقليدية التى تتطلب رأسمالا كبيرا لكنها ذات الارباح الكبيرة ، مثل الخضروات والفواكه والزهور والنباتات العطرية وتربية الماشية والدواجن . وعلى سبيل المثال فان مساحة حدائق الفاكهة قد زادت من ٢٤٤ الف فدان فى عام ١٩٧٠ الى ٢٨٧ الف فدان فى عام ١٩٧٤ . كما ان المساحة المخصصة للخضروات قد زادت من ٧١٣ الف فدان الى ٧٩٩ الف فدان فى عام ١٩٧٣ .

ويلحق بهذه المحاصيل غير التقليدية اشتغال الرأسمالية بشراء اللوارى وتأجيرها للنقل ، أو شراء الجرارات وآلات الرى وتأجيرها أو الاشتغال بصناعات زراعية مثل منتجات الالبان .

وبفضل استخدام القوة العاملة الاجيرة ، وبفضل استخدام الالات الزراعية من جرارات وآلات رى تحقق الرأسمالية الزراعية من أنشطتها أرباحا عالية ، بغض النظر عن مدى توفير الغذاء اليومى للمواطنين او زيادة مساهمة الزراعة فى الانتاج المادى ، حين عجزت مثلا عن تحقيق أهداف الخطة الخمسية الاولى ، وحققت عندئذ معدل نمو بلغ ٣٪ بدلا من ٥٪ ، وأدت بذلك الى زيادة الاعتماد على الواردات . ان الرأسمالية الزراعية مرتبطة بشكل وثيق بالسوق ، لكنها السوق الداخلية فى المقام الاول .

الثالث — استئجار العمل الزراعى . فالرأسمالية الزراعية تتميز الان بالاستخدام الواسع للعمل المأجور . ومن الواضح أن عدد العمال الزراعيين داخل سكان الريف يزداد باضطراد ، مما يكشف عن تفاقم ظاهرة التمايز الطبقى فى القرية ، واضطراد التمايز بين الرأسمالية الريفية ذات الاصول الفلاحية أو شبه الاقطاعية والتى تتستر بالعلاقات الابوية وبين

الفئات المعدمة وشبه المعدمة فى القرية . ان العمل بالاجر صار الان سـمة جوهرية فى الريف ، وهى سمة رأسمالية بلا جدال .

وهكذا تشهد الرأسمالية نموا هائلا فى الريف حيث تتحول العلاقات الانتاجية كلها باضطراد الى علاقات سلعية نقدية ، حيث يتم انتاج سلع معدة للبيع فى السوق ، وحيث يتحول كل انتاج الى سلعة حتى انتاج أفقر الفلاحين من البيضة أو الدجاجة ، وحيث يحل التبادل النقدى باضطراد محل التبادل العينى او ينتشر العمل بالاجر النقدى .

ظروف نمو الرأسمالية الزراعية

يجب أن نكرر ان الرأسمالية الزراعية قد نمت باضطراد منذ ثورة يوليو ، وبفضل انجازاتها وبخاصة الاصلاحات الزراعية . وهذا هو نموها العادى ، أما نموها غير العادى فيتمثل فى الاساس فى محاولة وراثة كبار الملاك أشباه الاقطاعيين الذين صفتهم الثورة ، وذلك باستخدام أساليب شبه اقطاعية فى التعامل مع الفلاحين ، وتحويل مكاسب الفلاحين الى امتيازات لرأسمالية الريف .

[أ] بفضل انجازات الثورة وبخاصة الاصلاحات الزراعية ، تمت تصفية الملكية الكبيرة شبه الاقطاعية ، وتم تحديد الحد الاعلى للملكية الزراعية ، وتم تخفيض الايجارات الى النصف ، ومن ثم **تمكن أغنياء الفلاحين من شراء بعض أراضى الاقطاعيين ومن استئجار مساحات أكبر** .

[ب] بفضل استثمارات الدولة فى الريف ، وبفضل خدماتها وبخاصة النظام التعاونى ، تم توفير السلف المعفاة من الفوائد ، وتوفير مستلزمات الزراعة من تقاوى وأسمدة وآلات عن طريق الجمعيات التعاونية ، والاستغناء عن خدمات المرابين والوسطاء فى التسويق ، ومن ثم **اتجهت رأسمالية الريف لتطوير اساليب الانتاج الزراعى** ، والاستفادة الكاملة من استغلال الارض ، والتوسع فى استخدام الالات والعمل المأجور . كما اتجهت لشراء الارض من صغار الفلاحين والملاك .

[ج] بفضل التنمية الاقتصادية والاجتماعية على المستوى القومى ، وبخاصة التصنيع ، **تم توسيع السوق الداخلية** . اتسعت عمليات البيع والشراء ، وازداد عدد البائعين وعدد المشترين ، وازداد عدد السلع المتبادلة بيعا وشراء . وكان ذلك لمصلحة الرأسمالية الريفية . فمن جانب ، كانت استثمارات الدولة فى الريف لاتفيد الملكيات الصغيرة بقدر ما تفيد أغنياء الريف القادرين على تطوير اساليب زراعتهم . ومن ثم اهتموا بانتاج محاصيل رأسمالية للسوق . ومن جانب آخر ، فان الفائض المتولد فى قطاع الزراعة ، ويمثل ثلث الدخل القومى ، لم تستطع الدولة أن تحصل منه فى صورة ضرائب ورسوم الا على نحو ٣٪ فحسب . ومن ثم كدست رأسمالية الريف وراكمت اموالا كثيرة ، استخدمت جزءا منها فى شراء الاراضى ، وجزءا آخر فى الاستثمار فى المدينة . ومن جانب أخير ، استفادت رأسمالية الريف من الزيادة المضطردة فى القوة العاملة فى الريف وتحولها الى العمل بالاجر ، كما استفادت من الاشكال التعاونية لخدمة استغلالها الراسمالى للعمال الزراعيين سواء بوصفهم منتجين او مستهلكين .

ومن ثم توفرت الظروف لاستخدام اساليب غير عادية لتطوير رأسمالية الريف ، ويكفى هنا ان نذكر امثلة منها .

مثال أول . فقد يسرت الدولة الائتمان بدون فوائد للمزارعين . لكن رأسمالية الريف حولت هذه الميزة الى اداة استغلال مثلى للدولة نفسها . فبدلا من استخدام اموالها ، فانها تلجأ للاقتراض من بنك التسليف ، ليس فقط لتزرع ، بل لتتاجر ، أو حتى لتشترى ارضا أو آلات ، ثم تمتنع عن السداد ، فتتراكم عليها الديون انتظارا لفرصة تضغط فيها على الدولة لالغاء الديون المتراكمة . وهكذا ، ومع انها كانت تمثل ٥ر٢٪ من مجموع الحاصلين على القروض ، فقد بلغت ديونها فى نهاية الخطة الخمسية الاولى ٦٠ مليون جنيه بنسبة ٧٥٪ من مجموع الديون الواجبة السداد . ولم يتحسن الوضع فى السنوات الاخيرة ، فقد بلغت ديونها المتراكمة منذ عام ١٩٧٤ مبلغ ١٠٠ مليون جنيه .

مثال ثان . وهو مستمد من التجارة السوداء فى الاعلاف والتقاوى والاسمدة وفائض المحاصيل بعد التوريد . فنظام التأمين على الماشية مقدمة للحصول على الاعلاف ، ويبدأ التأمين من خمسة رءوس من الماشية . ويتم التحايل فى عدد المواشى بالاتفاق مع الطبيب البيطرى . وتوجه الاعلاف المتاحة لرأسمالية الريف الى السوق السوداء حيث يشتريها الفلاحون الفقراء . ويحدث نفس الشىء فى توزيع التقاوى أو البذور المنتقاة ، فهى متاحة لمن يملك ١٥ فدانا فأكثر . أما فائض المحاصيل الاساسية بعد التوريد ، فيتخذ طريقه دائما الى السوق السوداء . والمشترى غالبا هو الفلاح الفقير .

لذلك لم نفاجأ حين صدر أخيرا قرار بتسويق الارز اجباريا ، وحين هددت الدولة بالاتجاه الى حظر الاتجار فى المحاصيل الزراعية التى تسوق تعاونيا [لمواجهة النقص المتزايد فى توريد هذه المحاصيل ، والقضاء على السوق السوداء

فى المحاصيل التموينية الرئيسية وبصفة خاصة الارز والقمح والفول] .

مثال ثالث . ويتمثل فى اعانات الدعم للحاصلات الزراعية ، سواء كانت الاعانات صريحة أم مستترة . فالاعانات الصريحة مثالها اعانات التصدير للبطاطس والبرتقال مثلا . اما الاعانات المستترة فمتنوعة ، حين تباع المحاصيل باسعار منخفضة فى الخارج واسعار مرتفعة فى الداخل ويتحمل المواطن المستهلك خسائر التصدير ، وحين تتحمل الدولة نصف تكاليف مقاومة آفات القطن وتبلغ ٢٨ مليون جنيها ، وحين تدعم اسعار الاسمدة الكيماوية بمبلغ ٨٠ مليون جنيه سنويا .

ان هذا كله يكشف عن تداخل رأس المال الزراعى مع رأس المال التجارى فى الريف ، ويتيح للرأسمالية الريفية بكافة اقسامها نموا واسع النطاق .

الانفتاح الاقتصادى فى الريف

ولهذا قلنا ان رأسمالية الريف لم تعرف ظاهرة تقييد حرية حركتها او حرية نموها ، وبالتالى فلم تكن بحاجة الى انفتاح اقتصادى . وعلى العكس ، فانها بثقلها الكبير قد عملت على ابتزاز الدولة باستمرار ، وبخاصة منذ هزيمة يونيو . وبحجة تشجيعها على زيادة الانتاج الزراعى ، الذى لا يعنيها كما رأينا الا بقدر ما يزيد من أرباحها ، أجبرت الدولة على رفع اسعار المحاصيل الاساسية باضطراد . وفى عام ١٩٦٩ ، جعلت الدولة تؤكد سيطرة الفلاحين المتوسطين والاغنياء على الجمعيات التعاونية ، حين جعلت اربعة أخماس اعضاء مجالسها ممن لا تقل ملكيتهم عن عشرة افدنة بدلا من خمسة افدنة فقط . واشترطت فيهم معرفة القراءة والكتابة ، بينما ٩٥٪ من صغار الفلاحين أميون . ثم احرزت مكسبا كبيرا حينما تقرر جعل الحد الاقصى للملكية ٥٠ فدانا ، واعلنت الدولة انها تتدخل لاخر مرة لتحديد الحد الاقصى للملكية .

وفيما بعد عام ١٩٧١ ، تمت تصفية املاك الدولة ، وتوزيع الاراضى المستصلحة على خريجى المعاهد الزراعية ، وبيع بعض الاراضى المستصلحة ، ورد ١٣٦ الف فدان من اراضى الوقف كانت تديرها هيئة الاصلاح الزراعى الى وزارة الاوقاف التى طرحتها فورا للبيع .

وفى عام ١٩٧٣ ، تقرر تغيير نظام التسويق التعاونى للقطن ، وذلك بالشراء رأسا من المنتجين . ومن ثم فتح السبيل امام عودة سماسرة القطن وتجار الداخل . وفى كل ذلك يتميز المنتج الرأسمالى الكبير للقطن . ثم صارت الدعوة الآن تتجه للمطالبة بحرية التسويق لكافة الحاصلات الزراعية الخاضعة لنظام التسويق التعاونى . واحيانا اخرى ، تصاغ هذه الدعوة فى حدها الادنى وهو المطالبة برفع اسعار هذه المحاصيل .

وتميز عام ١٩٧٤ بقانون تصفية الحراسات استكمالا لعملية بدأت منذ عام ١٩٦٧ ، ومن ثم اعادة ما تبقى من اراضى الحراسات الى ملاكها ، واغلبهم من الاقطاعيين السابقين . وهكذا تم التصالح نهائيا بين الرأسمالية الريفية وبقايا الاقطاع .

وفى عام ١٩٧٥ ، صدر قانون ايجارات الاراضى الذى يتيح للملاك طرد المستأجرين ورفع قيمة الايجار والالتجاء الى أسلوب المزارعة مع المستأجرين الباقين . وهو اجراء اخير يعيد توزيع الدخل من المستأجرين الزراعيين الى الملاك الراسماليين . ولقد دعم هذا القانون الاتجاه الذى كان كامنا نحو رفع قيمة الايجارات فى ارجاء الريف . ولا مفر عندئذ من أتجاه قيمة الاراضى نحو الارتفاع السريع . وكل هذا الارتفاع يتحمل به فى النهاية المستهلكون ، فى الريف والمدينة على السواء .

وبالطبع مازالت هناك بعض القيود على حرية الحركة الاقتصادية والنمو الكامل للراسمالية الريفية ، ناشئة من بقايا نظام التخطيط والتعاون . **لكن الدعوة فى الريف واضحة نحو اطلاق الحرية الاقتصادية ، حرية التأجير ، حرية البيع ، حرية الشراء ، حرية الانتاج ، حتى حرية الملكية والحيازة** . لقد قررت الجمعية العمومية للفتوى والتشريع بمجلس الدولة اخيرا السماح للاسرة بحيازة ارض زراعية بطريق الايجار تزيد على خمسين فدانا وبحد اقصى مائة فدان ، وكانت هيئة الاصلاح الزراعى ترفض الاقرار بذلك للرأسمالية الزراعية .

وهكذا تتدعم مكانة رأسمالية الريف . ويتجمع داخلها كافة المستغلين ، من كبار الملاك الاقطاعيين السابقين ، وكبار الملاك الرأسماليين ، وأغنياء الفلاحين ، وتجار الريف والمرابين ، تسندهم سلطة الموظفين داخل الريف ، فى جهاز الدولة والاصلاح الزراعى وقطاع التعاون . أما المكانة السياسية لرأسمالية الريف ، فهى لم تهتز أبدا . وعلى العكس ، تدعمت اخيرا اكثر واكثر ، بحيث أصبح الريف يشهد اليوم تمايزا طبقيا حادا يقوم على توازن طبقى جديد ، انفصلت فيه الرأسمالية الريفية ، وبخاصة اغنياء الفلاحين ، عن مجرى نضال الفلاحين من أجل الارض . وعلا صوتها ضد أى تخفيض جديد للحد الاعلى للملكية .

[٣] الفئـــات الوســـطى

فى ظروف سيطرة العـلاقات الانتاجيـة الرأسمالية ، تقع الفئات الوسطى من صغـار المنتجين والملاك ، من الفلاحين والحـرفيين والتجار ، تحت وطأة العلاقات الرأسـمالية مباشرة . **فالفئات الوسطى تمثل الانتـاج السلعى الصغير .** وقطاع الانتـاج السلعى الصغير فى بلد كمصر قطاع حيوى بالغ الاهمية ، اذ يقوم أساسا بانتـاج مستلزمات انتاجيـة معينة ، كما يتولى تزويد الاقتصاد القـومى بمنتجات استهلاكية هامة . بيد انه قطاع غير رأسـمالى ، بل يخضـع غالبا للاسـتغلال الرأسمالى . فهو يقوم على الجمـع فى شخص صاحب العمل بين الملكية والعمل معـا ، بين صاحب العمل والعـامل . فهـو مالك لارض زراعية يفلحها بنفسه ، أو صاحب رأســمال صغير يستثمره بنفسه فى ورشة أو متجـر . وهو يعمل عادة بيديه ، بمفرده أو باستئجار قوة عمل اضافية . ولهذا لا نعتبره منتجا راسماليا .

وليس انتاجه انتاجا سلعيا ، بل هو انتاج سلعى صغير — بمعنى أن الانتاج لا يتم للسوق أساسا ، بل قد يكون للاستهلاك الشخصى ، أو قد يكون بناء على الطلب . ويتم الانتاج بأدوات انتـاج بسيطة ، وبانتاجية عمل منخفضـة . وعلاقات هذه الفئات الوسطى بالرأسمالية ضعيفة وغير مستقرة . ومع ذلك فهم فى حالة تبعية يومية للرأسمالية الصناعيـة والزراعية والتجـارية والوسطاء والمقاولين والموردين . وفى ظروفنـا الراهنة ، يلعب رأس المال التجارى بالذات دوره الاساسى فى اســتعباد المنتج السلعى الصغير : الفلاح والحرفى والتاجر الصغير . وباشتداد وطأة التضخم وذوبان الدخول الثابتة ، تنضم فئة الموظفين حتى كبارهم ليعانوا العجز المتزايد عن مواجهة اعباء المعيشـة . وهكذا تذوب الفئات الوسطى فى المجتمـع وتتعرض بازدياد لضيـاع الملكية والافـلاس والافتقـار والانهيار . وتصبح عناصر كثيرة منها مرشحة حتى لتغذية صفوف الطبقة العاملة .

الفلاحون

اتى علينا حين من الدهـر كان فيه كل من فى الريف فلاحا وابن فلاح . وسـادت نظرية النظر الى الفلاحين ككل — الاقطاعى فلاح مثله مثل عامل الترحيلة . وقد استخدمت هـذه النظرية للتغطية على التنوع والتمايز بين فئات الفلاحين ، ومن ثم للتستر على الصراع الطبقى فى الريف .

ولقد رأينا من قبل كيف تشكلت على قمـة البنيان الاجتماعى فى الريف طبقة رأسمالية ، تضم بقايا الاقطاعيين وكبـار الملاك الزراعيين واغنياء الفلاحين . ورأينا كيف أن راس المـال الزراعى يشتغل فى الانتاج الزراعى للسـوق الداخلية اساسـا ، وان كان يشترى الارض ويعمل بالتجارة أيضا .

وقد تبينا أن هذه الرأسمالية الريفيـة التى تضم فئتين بارزتين همـا كبار الملاك وأغنيـاء الفلاحين ، يمكن أن تبدأ — تقديرا — من ملكية عشرة أفـدنة . ونظـرنا الى مالك الارض ومستأجرها من خمسة افدنة الى عشرة افدنة بوصفه فلاحا متوسطا ، يتراوح فى الواقع بين راسمالية الريف **وبين جمهرة فقراء الريف وهى وحدها التى يمكن أن توضع تحت اسم الفلاحين .** ومعنى هذا أنه فى ظروف بلادنا الراهنة ، قد دخل التمايز المضطرد فى صفـوف الفلاحين ، فانقسموا الى راسمالية ريفية والى فقـراء فلاحين وهؤلاء يتسمون بسمة أساسية هى أنهم لايستغلون عمل الاخـرين بل يخضعـون هم انفسهم للاستغلال الراسمالى .

هؤلاء الفلاحون الفقراء ينقسمون بدورهم الى فئتين ، هما صغار الفلاحين والعمال الزراعيون ، وهم معا جماهير الريف .

أولا — صغـار الفـلاحين ، وهم الذين يملكون أو يحـوزون اقـل من خمسـة افدنة ويشكلون أعرض فئة مالكة فى الريف اذ تضم اكثر من ٣ ملايين فلاح ، وتعتبر بذلك قاعـدة الملكية الزراعية . يشتغلون بالانتاج الزراعى ، بغير أن يستغلوا عادة عمل الاخرين . فالفلاح وأسرته هم العاملون بغير أجر . ويمثل هـذا العمل غير المدفوع الاجر نسبة هامة من العمل بالريف . وما زال يعمل صغار الفلاحين بادوات ووسائل انتاج بدائية قليلة الانتاجية . بيد ان انتاجهم الزراعى الذى كان يوجه فى المـاضى اساسا لاستهلاك الاسرة ، أصبح يوجه أكثر فأكثر نحو السوق ، تأكيدا لطابع سيطرة الانتـاج السلعى الرأسمالى ، ونظرا للافقار المستمر لصغار الفلاحين . وصغار الفلاحين ، بالملكية او الايجار ، وهم لا يستغلون احدا فى العادة ، يخضعون لاستغلال رأسمالية الريف ، وبخاصة عند التأجير أو التسويق ، سواء كان التسويق لمستلزمات الانتاج أو لتصريف المنتجات . وتخضع الخدمات التعاونية لمزيد من سلطان الرأسمالية

الريفية ــ الزراعية والتجارية . وكلما قلت الملكية ، لجأ الفلاح الى العمل لدى الغير بالاجر ، لوقت يطول او يقصر حسب حاجته للعمل للوفاء بمتطلبات المعيشة .

وقد رأينا من قبل كيف زادت اهمية فئة صغار الفلاحين فى ظل الاصلاحات الزراعية ، فزاد عددهم وزادت ملكيتهم . لكنهم لم يلبثوا كما رأينا ان فقدوا أهميتهم ، عددا وملكية ايضا . وكشفوا بذلك عن اضطراد عملية الافقار والذوبان التى تجرى فى صفوفهم . وتتضح هذه الظاهرة من امرين : من ازدياد عدد البرولتاريا الزراعية فى تركيب سكان الريف ، ومن ازدياد الهجرة من الريف كله الى المدينة .

ثانيا ــ العمال الزراعيون ،ويمثلون الفئات شبه البرولتارية ، من عمال موسميين واجراء زراعيين وعمال يوميين ، من المحرومين من كل ملكية . ان ضيق الرقعة الزراعية وسوء توزيع الملكية وسيادة اسلوب الانتاج الرأسمالى، قد دفعت كلها باضطراد الىزيادة جيش المعدمين فى الريف ،ومن ثم الىزيادة عدد العمال الزراعيين. كان عددهم قبل الثورة ٣ مليون عاملا ، يتحكم فيهم مقاولو الانفار . وقد وضع الاصلاح الزراعى حدا أدنى لاجور العمال الزراعيين ، لكنه لم يحترم حتى من جانب الدولة ، نظرا للتفكك الذى أصاب الريف عقب الاصلاح .أما اليوم ، ومن جملة العاملين على المستوى القومى ويبلغ عددهم ٨٫٧ مليونا ، يمثل عمال الزراعة ٤٫١ مليونا ، بنسبة النصف تقريبا .

بيد ان ٤٠٪ منهم عبارة عن بطالة مقنعة ، مما يكشف عن ضآلة انتاجية الزراعة وعجزها عن استيعاب الزيادة فى السكان .ويتضح هذا بجلاء اكبر ، عندما نقارن انتاجية العامل الزراعى بانتاجية العامل الصناعى . فبينما ينتج الاول ما قيمته فى المتوسط ٢٩٦ جنيها فى السنة ،ينتج الثانى ما قيمته ٢١٨٨ جنيها. ويجوب عمال التراحيل ارجاء الريف سعيا وراء العمل ، وقد يتجهون فى أحوال نادرة الى المدينة لاداء بعض اعمال الطرق والبناء . لكن المهم انه مع تحول الريف من الاقطاع الى الراسمالية، تحول تشغيل عمال التراحيل الى عملية راسمالية مربحة تتولاها رأسمالية الريف .

ان العمال الزراعيين ، هذه الفئة التى تسمى البرولتاريا الزراعية ؛ وتسمى ايضا اشباه البرولتاريا ؛ **هم أسوأ المصريين حالا** ،ومن ثم، ففى الريف ، حيث يجمع الاستغلال بين بقايا اساليب القهر والاضطهاد الاقطاعية واساليب الاستغلال الراسمالى ، يصبح الفلاح الفقير وبخاصة العامل المعدم معاديا للراسمالية ، بصورة تلقائية . وانما تشله الامية وتعزله عن مجرى حركة الفلاحين .

الحرفيــــون

بينما يمثل الفلاحون الانتاج السلعى الصغير فى الريف ، يمثل الحرفيون هذا النوع من الانتاج فى المدينة . انهم منتجون لسلع بالطلب أو منتجون لسوق محدودة . أهم ما يعنيهم هو الحصول على مستلزمات انتاجهم التى توجد غالبا بأيدى القطاع العام كله من ائتمان وخامات وادوات وآلات ومن ثم يخضعون لاستغلال مركب من جانب التحالف الراسمالى الذى يضم مخربى القطاع العام وكبار التجار.

ويسيطر الانتاج السلعى الصغير على قطاع كبير من الصناعة ، وبخاصة فى الصناعات الجلدية وصناعات الاثاث وصناعة الملابس وصناعة المنسوجات . وفى صناعة هامة كصناعة الاحذية مازال العمل اليدوى والنظام الطائفى يسيطران عليها . فى هذه الصناعة يستغل صاحب المدبغة صانع الاحذية ، ويستغل صانع الاحذية عماله الحرفيين ، ويستغل الوسيط أو التاجر صانع الاحذية . والكل يعمل فى ظروف عمل متخلفة . صاحب العمل والاسطى والصبيان يعملون معا ؛ فى مكان واحد ، بأدواتهم الخاصة ، بلا عقود عمل أو تأمينات اجتماعية . وقد يقوم الصناع بتوريد الاحذية لصاحب العمل مقابل ثمن معين للحذاء الواحد ، يدفع لهم فى نهاية الاسبوع .وقد يشتركون مع صاحب العمل فى دفع تكاليف مواد الصناعة . والجميع لا يعرفون تحديدا لساعات العمل ولا تحديدا للاجور .

ان الحرفى يوجد فى وضع متخلف بالغ التخلف . فهو من خشية الافلاس الذى يتهدده فى كل لحظة ، مضطر لان يحافظ على وجوده بالتدهور المستمر فى معيشته ، باستغلال عماله الحرفيين ، باطالة يوم العمل ، بتخفيض الاجر، بانقاص الجودة . ولقد نرى يوما ان بعض الحرفيين قد ارتفع الى مرتبة الراسماليين ، لكن اغلبيتهم تكابد الفقر والخوف من الفقر . وكثيرون هم الذين ينحدرون الى صفوف العمال. وفى ظروف الانفتاح والنمو الراسمالى الزاحف،

فان الخطر الجدى يتهدد هؤلاء المنتجين بوصفهم حفاظا على الصناعة الصغيرة ، الالية واليدوية، الشعبية والعريقة .ولو تندثر مثل هذه الصناعة، فلسوف يكون ذلك — بالاضافة الى دلالته الاقتصادية — خسارة ثقافية بالغة على المستوى القومى .

ويشبه وضع صغار التجار العاملين فى قطاع تجارة التجزئة أوضاع الحرفيين الى حد كبير .

الموظفون

تدخل جمهرة الموظفين فى الفئات الوسطى التى يقع عليها الاستغلال الرأسمالى . **لكن الجديد فى وضعها هو تدهور أحوال كبار موظفى الدولة والقطاع العام ، اعنى الامناء والشرفاء منهم ، ودخولهم فى زمرة المحتاجين والفقراء .** ويجرى هذا فى الوقت الذى تطور فيه دور الدولة السياسى والاقتصادى والاجتماعى واصبحنا نشهد توسعا هائلا فى عدد الموظفين فى الدولة والقطاع العام .

والموظفون فئة اجتماعية ، عديدة ومتنوعة ، متزايدة العدد باستمرار . وبحسب علاقتها الانتاجية ، أى علاقتها بوسائل الانتاج ، فانها تعتبر فئة وسطى . فهى ليست مالكة لوسائل انتاج ، ولا هى تنتج المنتجات المادية . انها لا تخلق قيمة ولا فائض قيمة . ولكنها تؤدى خدمات لا غنى عنها فى العملية الأجمالية للانتاج الاجتماعى . وهى مرتبطة بتقدم القوى المنتجة وتتمشى مع علاقات الانتاج الاخرى .فازدهار القوى المنتجة يوسع الدور الاجتماعى للموظفين، اذ تزيد الحاجة للمختصين أصحاب الخبرة اللازمة لتطوير الانتاج وضمان كفاءته : مثل المحاسبة ، التسويق ، المشتريات ، الاحصائيات ، الادارة، البحث ، التخطيط ، المتابعة .

لكن الموظفين فئة وسطى مأجورة ، تعمل بالاجر ، ومن ثم تقترب من الطبقة العاملة . ويضطرد اقترابها منها فى ظل اوضاعنا الراهنة. لكنها لا تختلط بالطبقة العاملة ، وان كان مصيرها قد أصبح مرتبطا اكثر فأكثر بمصير الطبقة العاملة .

وهكذا يتحدد وضع فئة الموظفين كما يلى :

أولا — الموظفون فئة تفترق عن الطبقة العاملة فى طبيعة عملهم ،فى دورهم فى التنظيم الاجتماعى ، فى حجم وأشكال مكافآتهم . فهم لايشتركون مباشرة فى عملية الانتاج المادى ، وليست لهم قوة العمال المنتجة ، بيد أن نشاطهم فى التنفيذ على صلة مباشرة بالانتاج المادى ، وان يكن موظفو القطاع العام — حتى فى التجارة والبنوك والتأمين — على صلة ما بحركة خلق وتداول الانتاج المادى .

ثانيا — لكن الموظفين جميعا اجراء ، هم عمال اجراء ، مستغلون فرديا وجماعيا . فنشاطهم يسمح للرأسمالية بداية أو نهاية باقتطاع جزء أكبر من فائض القيمة فى المجتمع . وعلى الرغم من أن عملهم ليس منتجا مباشرة ، الا انهم كالطبقة العاملة أجراء ، عمال بالاجر ، وهم كلهم لا يملكون أدوات العمل ، يتركزون داخل المصانع والمكاتب ، ويتعرضون لكل اشكال الاستغلال الجماعية ، وبخاصة الاقتطاعات المستمرة من الاجور والمرتبات . ان الموظفين كالعمال لهم نفس مشاكل الاجور والمواصلات والسكن والتعليم والتأمينات الاجتماعية والحاجة الى الاقتراض والتعرض للتضخم وارتفاع الاسعار .

ان افقار الموظفين ، كبارهم وصغارهم على السواء ، ظاهرة خطيرة يضاعف من جديتها خطر البطالة الذى ظل مكبوتا حتى الان بفضل تعيين خريجى الجامعات والمعاهد العليا والشهادات الفنية والمهنية عن طريق القوى العاملة بالدولة . فانطلاقا من واقع ان أجهزة الدولة والقطاع العام مكدسة بالموظفين وبخاصة حديثى التخرج ، وازاء اطلاق حرية الادارة فى القطاع العام بوصفها جزءا من عملية تفكيك القطاع العام ، يبدو خطر انطلاق البطالة المكبوتة بين الخريجين . كان الحل عندهم فيما مضى بالتفريط فى العمالة المؤهلة علميا وتكنولوجيا تحت اسم تشجيع العمل فى الخارج والهجرة المؤقتة أو الدائمة . وقد ثبت ان حملة المؤهلات العليا من المهاجرين رسميا ، ناهيك عن المهاجرين فعليا ، قد بلغت نسبتهم ٦٥٪ من مجموع المهاجرين . وكل منهم قد كلف الشعب حتى حصل على درجته العلمية ، فضلا عن خبرته العملية الثمينة . وهذا الاستثمار البشرى الذى نتخلى عنه يمثل جزءا من رأس المال فى بلد أهم ثرواته هى الثروة البشرية .

وتنعكس الان هجرة هذا العدد من الفنيين بوضوح على مستوى الانتاج والخدمات — هذا بينما يشارك عدد متزايد من ابنائنا المهاجرين فى تطوير الثورة العلمية والتكنولوجية فى العالم الرأسمالى .

[٤] الطبقــــة العـــــاملة

فى مواجهة الرأسمالية تنمو الطبقة العاملة ـــ بفضل التصنيع والقطاع العام ـــ عددا ونوعا ووعيا . وهى تتعرض ـــ قبل غيرها واكثر من غيرها ـــ لوطأة الاستغلال الرأسمالى بصفــة عامة ، سواء كان ذلك بصفة فردية أو جماعية. ونظرا لانها لا تملك شيئا سوى قوة عملها ، فهى تعمل بالاجر فى قطاعات الانتاج والتوزيع والخدمات ، وتشتغل بانتاج المنتجات المادية فى المجتمع ، وتخلق من ثم القيمة وفائض القيمة. وهنا يتم استغلالها .

العمالة والبطالة

والطبقة العاملة هى أكبر الطبقات جميعا ، اذ تضم حاليا ٩ر٥ مليونا من الكادحين . وكان عددها منذ عامين ٨ر٧ مليـــــونا موزعين على النحو التالى :

[أ] **بحسب نوعيــة النشاط** ، فان ٦٤ ٪ من العمال يوجدون فى القطـــاعات السلعيـــة من زراعة وصناعة ، مقابل ١٤٪ فى قطـــاعات التجارة والتـــوزيع ، و ٢٢٪ فى قطـــاعات الخدمات .

[ب] **بحسب نوعية القطـــاع** ، فان ٦٨ ٪ من العمال يشتغلون فى مجالات الانتاج الخاص من رأسمالى وغير رأسمالى بينما ٣٢ فى المائة فقط اى نحو الثلث فى القطاع العام .

والطبقة العاملة الصناعية هى نواة الطبقـــة العاملة والقوة الدافعة للحركة العمالية .وهى تضم ١ر١ مليونا من العمـــال يمثلون ١٢٪ من مجموع الطبقة العاملة . ويحيط بهم عمـــال التجارة والتوزيع وعمال الخدمات وعمال الزراعة. لكن تظل الطبقـــة العـــاملة الصناعيـــة ، أو البرولتاريا الصناعية كما تســـمى ، هى مركز الثقل الاساسى . ولاشك ان التنمية الاقتصادية التى تمت وبخاصة التصنيع وبالذات التصنيـــع الثقيل ، ونشـــأة وتطـــور القطـــاع العـــام ، والاعتراف بالدور القيادى للعمال ، كل ذلك كان من شأنه نمو الطبقة العاملة الصناعية ، قبـــل غيرها ، عددا ونوعا ووعيا . ان انتقال مركز الصناعة فى مدينة القاهرة مثلا من شبرا الخيمة الى حلوان ، يتخطى فى دلالته الاجتماعية كل دلالته الاقتصادية .

وارقام توزيع العمالة كأرقام البطـــالة غير دقيقة . فالبطالة الكامنة فى الريف وفى القطاع الزراعى بالذات تمثل نسبة عالية من العمال القائمة. أما البطالة الرسمية فقد بلغت فى عام ١٩٧٤ ، نسبة ٤ر١٠٪ ، من القوة العـــامله . وكانت الخطة الانتقالية قد حاولت خفض هذه النســبة الى ٣ر٩٪ . ويلاحظ البنك الاهلى فى نشرته الاقتصادية ان [احصائيات البطـــالة فى مصر لا تكون عادة على مستوى مرتفـــع من الدقة لاقتصارها فى كثير من الحالات على تســـجيل حملة المؤهلات الراغبين فى العمـــل بالحكومة والقطاع العـــام دون عشرات الالاف من الذين يمارســـون أعمالا ثانوية لا يمكن ان تخـــرج عن مفهوم البطالة المقنعة . فالمعدل الحقيقى للبطالة هو أكثر ارتفاعا من ذلك الذى تضمنته الخطة، الامر الذى يستلزم علاجا بصورة اكثر جدية] .

الاجـــور

وعلى الرغم من المحاولات التى تمت خـــلال الخطة الخمسية الاولى لرفع نصيب العمل من الدخل القومى ، وبالتالى رفع مستوى الاجور، فان متوسط الاجر السنوى على مستوى الاقتصاد القومى لم يزد فى عام ١٩٧٣ عن ١٧٦ جنيها. ومع أن هذا الرقم متوسط احصائى تصيبه كل عيوب المتوسطات الاحصـــائية ، الا انه حتى داخل هذا المتوسط وفى تركيبه سنجد مفارقات على اكبر درجة من الاهمية . ان دراســـة الاجور فى مصر لم تتم حتى الان ، ولا استطيع هنا ان اقدم سوى قشور منها .

اولا ـــ ينخفض متوسط الاجر فى القطاعات السلعية من زراعة وصناعة الى ١١١ جنيها فى السنة ، بينما يتضاعف تقريبا فى قطاع التوزيع الى ٢٠٧ جنيهات ، ويبلغ اكثر من ثلاثة امثاله فى قطاع الخدمات فهو ٣٤٧ جنيها . وتلك علامة طفيلية تكشف عن الفجوة الكبيرة فى الاهمية بين الانتاج المادى والانتاج غير المادى فى المجتمع.

ثانيا ـــ داخل القطـــاعات السلعية ، يبلغ متوسط الاجر فى الزراعة ٥٨ جنيها فى السنة كلها ، بمتوسط شهرى يقل عن خمسة جنيهات، بينما يبلغ فى الصناعة ٢٦٩ جنيها فى السنة، اى اكثر من اربعة امثال الاجر فى الزراعة . فاذا علمنا ان الزراعة تستوعب نصف عـــدد عمال مصر ، لتبينا عندئذ انهيـــار المســـتوى المعيشى للعمال المصريين ، وبالتالى عمق التخلف الاجتماعى الذى يحول دون التقدم مهما اصطنعنا من اشكال التحديث على السطح ، وبخاصة فى المدنة . ان هذا يكشف ايضا عن أن مستقبل التقدم انما يكمن فى الصناعة ، فى المدينـــة والريف على الســواء .

ثالثا — على الرغم من حقيقة ان عدد العاملين فى القطاع الخاص اكبر من ضعفعدد العاملين فى القطاع العام ، فان اجمالى أجور هؤلاء العمال يساوى ضعف اجمالى الاجور فى القطاع الخاص . وبحسبة بسيطة نتبين أن متوسط الأجر السنوى فى القطاع الخاص — ممثل الاقتصاد الحر والحافز الفردي والملكية الخاصة — منخفض الى ربع مثيله فى القطاع العام . فهل نحتاج بعد لبرهان آخر لبيان مدى الاستغلال الرأسمالى ؟ صحيح أن القطاع الخاص يعمل بالذات فى الزراعة . لكن واضح أن القطاع العام كان بدوره محاولة للتقدم ليس فقط على المستوى الاقتصادى بل والمستوى الاجتماعى أيضا .

وعندما نطالع احصائيات الاجور ، فيجب ان يكون حاضرا فى الذهن ان هناك تضخما وارتفاعا مستمرا فى الاسعار ، يبتلع ليس فقط أى زيادة مخططة فى متوسط الاجور على المستوى القومى ، وانما يهبط أيضا بالقوة الشرائية الفعلية للاجور . وعندئذ علينا أن نتأكد أن الطبقة العاملة هى طبقة محرومة من فرص زيادة الاجر خارج العمل الاضافى . ففرصها معروفة وبخاصة بالنسبة للعمال الصناعيين ، المصلوبين طوال ساعات العمل أمام الالات الصماء .

ولسوف يضيف الانفتاح عنصرا جديدا فى الصورة ، وذلك باسم اعادة النظر فى حجم وأساليب اعداد القوى العاملة . سوف تحاول بعض المشروعات الجديدة استخلاص أكفأ العمال ، ودفع أجور اعلا ، لكن بغير ضمان للمستقبل . وسوف تجرى محاولة تقديم مثل أعلى رأسمالى يستوعب بعض طموخ بعض العمال فى رفع مستوى معيشتهم ولو بأمل شق وحدة الطبقة العاملة .

[٥] الاستغلال الرأسمالى

فى هذه الاوضاع الاجتماعية التى تشهد اضطراد التمايز بين الرأسماليين من جانب والعمال وبجانبهم الفئات الوسطى من فلاحين وحرفيين وتجار وموظفين من جانب آخر ،ينفتح السبيل واسعا أمام الاستغلال الرأسمالى باسم الانفتاح داخليا وخارجيا ، وتسرى بطريقة طبيعية القوانين الموضوعية لاى اقتصاد رأسمالى ، وبخاصة السعى لزيادة الربح ، باطالة يوم العمل ، وانقاص الاجر ، وزيادة كثافة العمل . لكنها قوانين الرأسمالية فى بلد متخلف يمنح رأس المال الاجنبى كل حريةالحركة وكل حرية النمو . ومن ثم يعرض الاقتصاد القومى بأكمله لخطر الاستغلال الرأسمالى الخارجى اى لخطر الاستعمار الجديد وفقدان الاستقلال .

وفى ظروفنا الحالية ، يعنينا أن ننوه — من بين صور الاستغلال الرأسمالى — بصور أخيرة تكشف عن تعمق العلاقات الرأسمالية واتخاذها أشكالا تثير القلق لانها تشدد من وطأة هذا الاستغلال فى مواجهة الاغلبية الساحقة من المصريين ، بل وضد اجزاء منالرأسمالية نفسها مثل الرأسمالية المتوسطة التى تشكل الفئة العليا من الرأسمالية الوطنية .

فى هذا الصدد ، اذن ، نود أن نعرض سريعا لظواهر ثلاث هى استفحال التضخم والغلاء ، وسوء توزيع الدخل القومى ، واستشراء الفساد والانحلال الاجتماعى .

استفحال التضخم والغلاء

منذ عام بالتحديد ، نشرت [الطليعة] دراسة وافية عن التضخم فى بلادنا ،كشفت عنخطورته وتنبأت باستفحاله ان لم تبادر الدولة باتخاذ الاجراءات الجذرية الواجبة ، وفى مقدمتها الحد من تأثيرات السوق الرأسمالية العالمية التى تسجل تصاعدا فى التضخمعلى سوقنا المحلية، واحكام القبضة على تيارات التجارة الخارجية وبخاصة الواردات ، ومواجهة الرأسمالية الطفيلية ذات الدخول العالية والنمط الاستهلاكى الترفى . وكان معنى ذلك بصراحة الحد منالانفتاح لا التوسع فيه .

واليوم ، وبعد عام كامل ، نستطيع انتقول أن التضخم قد أنهك اقتصادنا القومى ، وأفقر شعبنا العامل . أ — فاطلاق حرية الاستيراد والتصدير للرأسمالية قد انتهى بانفلاتالواردات الى عجز فى ميزان المدفوعاتلم يسبق لهمثيل. وتحملت الوارداتمن اوروبا الغربية والولايات المتحدة بفوائد وتكلفة باهظة . كان المدفوع ثمنا للواردات حتى عام ١٩٧٣ يمثل ٢٠٪ مناجمالى الناتج القومى ،فارتفعت النسبة فى عام ١٩٧٤ الى الثلث ، وهى تقترب فى العام الحالى من النصف وقد تزيد . ب — كذلك فان اطلاق حرية النمو الرأسمالى فى الداخل معناه المزيد من فرص نمو الرأسمالية الطفيلية والمزيد من الدخول الطفيلية ،وبخاصة ما أقترن معالتوسع فى عمليات التعمير بالقناة من دفع قوة شرائية

هائلة فى الاسواق بلا مقابل من السلع ،ورفع أسعار بعض المحاصيل واستمرار التوسع فى الانفاق العسكرى ، ومع استمرار ارتفاع أسعار الورادات الغذائية وتدهور متوسط غلة فدان القطن وتناقص حصيلة المحصول من ٨ر١٠ مليون قنطار فى عام ١٩٦٥ الى ٨ر٧ مليون قنطار فى عام ١٩٧٥ ، وارتفاع الاستهلاك المحلى منه بحيث لم يعد القطن هو المحصول الذى يدفع وارداتنا .

جـ — ومن ثم انتهى هذا كله الى اضطراد العجز فى الموارد المحلية والى استمرار التجاء الدولة للتمويل بالعجز أى اصدار البنكنوت .لقد ارتفع اصدار البنكنوت من ٦٦٤ مليون جنيه فى ديسمبر ١٩٧٢ الى ١٠١١ مليون جنيه فى نهاية ديسمبر ١٩٧٤ ، والى ١١٤٤ فى منتصف ١٩٧٥ — أى أوشك أن يتضاعف فى أقل من ثلاث سنوات ! لدرجة أن اصبح المصدر من البنكنوت يزيد احيانا فى الاسبوع الواحد بمقدار ١٤ مليون جنيه .

وينعكس هذا الوضع بسرعة فائقة على مستويات الاسعار . وبغض النظر عن حقيقة ان الارقام القياسية للاسعار غدت لا تعبر عن حقيقة التضخم ، فانها مع ذلك تعبر عن الاتجاه الدائب الصعود للاسعار . ولن ندخل فى خضم هذه الارقام ، لكننا سنكتفى بعرض أهم ما تم منه من اتجاهات .

أولا — اشتدت وطأة التضخم بعد حرب اكتوبر . وباتخاذ سنة ١٩٦٧ سنة أساس ، بلغت اسعار المستهلكين ١١٩ فى ديسمبر ١٩٧٢ ثم ارتفعت بمقدار ٥ نقط لتبلغ ٧ر١٢٤ فى أكتوبر ١٩٧٣ ، ثم قفزت ١٧ نقطة لتصل الى ٣ر١٤١ فى أكتوبر ١٩٧٤ ، ولم نحصل بعد على ارقام ١٩٧٥ .

ثانيا — ارتفعت اسعار المواد الغذائية اكثر من ٢٤٪ خلال ١٣ شهرا فقط مقابل ارتفاع لم يصل الى ٢٣٪ خلال السنوات الست السابقة. مع العلم بان نسبة الدخل التى تخصص للغذاء تبلغ ٥٧٪ على الاقل من الدخل ، وهى نسبة تزيد كثيرا لدى الطبقة العاملة .

ثالثا — ارتفعت اسعار الاستهلاك فى الريف باعلى منها فى المدن .ففيما عدا الخضروات ،فان اسعار اللحوم والاسماك والبيض والمشروبات الملابس هى فى الريف أعلا — ناهيك عن فرق الاسعا الدائم بالنسبة لباقى السلع الغذائية المنزلية مثل السكر والشاى والزيت والحلاوة والصابون.

رابعا — بالنسبة للخضروات وكذلك الفواكه، تمثل ارباح عملية التسويق من الحقل الى المستهلك ، فيما بين تاجر الجملة وتاجر التجزئة ٦٠٪ على الاقل من الثمن الذى يدفعه المستهلك فى المدينة . فالمستهلك والمنتج هما الضحية هنا . ولقد تمت تصفية الشركة العامة الوحيدة التى جرؤت على اقتحام مجاهل تجارة الجملة فى الفواكه والخضروات .

خامسا — بلغ ارتفاع ايجارات المساكن فى المدينة حدا بحيث تزيد فى أحيان كثيرة عن ١٠٠٪ من الدخل الشهرى لرب الاسرة ،يقابل ذلك الدخول المتساقطة من السماء لشريحة معينة من ملاك اراضى البناء والمبانى السكنية التى تحولت الى المضاربة على الاسعار .

سادسا — فى ظروف مجتمع يستهلك ٨ر٩٪ من مواطنيه ٥ر٤٤٪ من مجموع استهلاكه ، بينما يستهلك ٢ر٩٠٪ وهم الاغلبية الساحقة ٥ر٥٥٪ من الاستهلاك ، بل وداخل الفئة الاولى فان نسبة ٣ر٢٪ فقط من المواطنين تستهلك وحدها ٢٤٪ من حجم الاستهلاك ، كفت اسر عديدة متوسطة عن تذوق اللحم وشرب اللبن واكل البيض . واخذت تتسع يوما بعد يوم قائمة السلع الغذائية التى يتم الاستغناء عنها .ولذلك لم نفاجأ حين اسفر تحقيق اخير عن أن من بين كل ١٠٠ تلميذ مريض يوجد ٩٩ منهم مرضى بالانيميا وسوء التغذية .

كل هذا ، ومازال الانفتاح الخارجى والداخلى فى بدايته .

سوء توزيع الدخل القومى

يعمل المواطنون سنويا داخل قطاعات الانتاج على خلق الدخل القومى للبلاد ، هذا الدخل الذى يتم توزيعه فيما بعد عليهم طبقا لتقسيمهم — حتى الان — الى ملاك وعاملين . ولقد أدت الاصلاحات الاقتصادية والتأميمات الكبرى ابتداء من ١٩٦١ الى قلب الاتجاه العام للدخول فى العلاقة بين الملاك والعاملين . فارتفع نصيب العمل من ٤٠٪ من الدخل القومى الى ٤٧٪ فى نهاية الخطة الخمسية الاولى — واضطرد الاتجاه على الرغم من الهزيمة فبلغ ٥ر٤٩٪ فى منتصف عام ١٩٧١ ، وبذلك اقترب نصيب العمل من نصف الدخل القومى . لكنه لم يلبث ان هبط فى عام ١٩٧٢ الى ٣ر٤٦٪ ، بينما ارتفع نصيب الملكية من ٥ر٥٠٪ الى ٨ر٥٣٪ . ومن ثم بدأ الاتجاه الصعودى لاصحاب الملكية. وجاء الانفتاح الاقتصادى فجعله اتجاها لا رجعة فيه .

يداخل القطاع العام ، مثلا ، تجرى عملية

استيعاب فائضه الاقتصادى بالف وسيلة ،بحيث يتحول بالفعل الى مصدر لا ينضب لتكوين ثروات راسمالية ، بينما تتحول علاقات الانتاج بداخله الى علاقات راسمالية فى الاساس ، ترعاها عناصر الراسمالية البيروقراطية . وفى هذه الاثناء ، يتحول دور القطاع العام الى دور القطاع التابع ،المكلف ببناء الهيكل الاساسى وتقديم السلف والمواد الخام والتعهد ازاء الخارج لمصلحة الراسمالية النامية ، افرادا وطبقة . ونجاح كل راسمالى فى تحويل فائض القطاع العام الى ثروة فردية أمر يتوقف — الى حد كبير — على اجتهاده الخاص . لكن الطبقة ككل تستولى على الفائض بطرق اجمالية تحدث على المستوى القومى .

فى عام ١٩٧٤ ، على سبيل المثال ، بلغ الفائض الاقتصادى فى قطاع الاعمال ٨٥٤ مليون جنيه . لكن صافى العجز الجارى بلغ ٦١٣ مليون جنيه ، نتيجة لزيادة عجز العمليات الجارية . اغلبية هذا العجز الجارى وهى ٥٥٦ مليون جنيه ، سجلتها الهيئات العامة ، بحيث استوعبت وحدها اكثر من ٦٠٪ من جملة الفائض الجارى فى قطاع الاعمال . هنا يتم تبديد الفائض الجارى للقطاع العام على أجهزة الدولة . وفى الوقت نفسه ، بلغت الايرادات الجارية فى الميزانية العامة ٢٦٤٢ مليون جنيه، منها ٧١٥ مليون جنيه ايرادات سيادية بنسبة ٢٧٪ من اجمالى الايرادات الجارية . غير أن اغلب هذه الايرادات السيادية قد جاء من الضرائب ، واغلب هذه الضرائب قد جاء من الضرائب غير المباشرة التى تشكل ٦٣٪ من اجمالى حصيلة الضرائب ، وكانت فى العام السابق ٦٠٪ فقط .

وهكذا تطرح بالكامل قضية وجوب مساهمة الراسمالية فى استثمارات التنمية وفى ايرادات الميزانية الجارية على قدر نصيبها من الدخل القومى . فالحقيقة الصارخة هى ان الجزء الاساسى من دخول الفئات المالكة ، الراسمالية التجارية الربوية والمالية وملاك الارض ، انما يتجه للاستهلاك غير الانتاجى ، مما يهبط بالنصيب المتبقى للادخار والاستثمار ، ويجعل تركيبة السوق الداخلية غير ملائمة للتنمية الاقتصادية . وفى الوقت ذاته ، يتم تبديد جزء كبير من دخولها على الاستهلاك ، وبخاصة الواردات الاستهلاكية الترفية اللازمة لاستخدام الطبقات المتميزة ، مما يبتلع حصيلة العملة الاجنبية المكتسبة من الصادرات ،ويضاعف من عجز ميزان المدفوعات .

ولننظر فى دلالة هذه الارقام :

أولا — ان توزيع الدخول بحسب الاسرة يجعل ٣٤٪ من مجموع الاسر المصرية يحصل على ١١٪ من مجموع الدخل القومى ،بينما ٥٪ فقط من مجموع هذه الاسر نصيبه ٢٢٪ من الدخل القومى .

ثانيا — ان ٣ر٢٪ من مجموع المصريين يستهلكون ٢٤٪ من مجموع الاستهلاك القومى، وعلى أحسن الفروض فان ٨ر٩٪ من المصريين هم اصحاب الدخول المرتفعة يمثلون ٥ر٤٤٪ من مجموع الاستهلاك . وهكذا يتم الحفاظ على المستوى المتدنى لحياة الشعب .

ثالثا — ان معدل الادخار القومى الذى هبط الى ٧٪ وأقل من الناتج القومى الاجمالى ، وهو أقل بلا شك من نسبة الاستثمار الثابت المطلوبة والتى بلغت ١٤٪ ، ومن ثم فالفجوة كبيرة بين الاستثمار الفعلى والادخار المحلى .

رابعا — هكذا فان قضية اختلال التناسب بين الاستهلاك والاستثمار واضحة كل الوضوح . ان الراسمالية المصرية تستهلك ولا تدخر ، وحين تدخر فهى تمارس الانشطة الطفيلية ومن ثم لا تزيد من الثروة المادية للمجتمع ، أى انها لا تستثمر . انها ترفض ان تتحمل العبء المفروض أن تقوم به فى التنمية الاقتصادية . ان الراسمالية تستهلك ولا تستثمر ، ثم انها ترفض بعد ذلك أن تضحى مثلما يضحى غيرها من الطبقات .

انها لا تقدم الفريضة الواجبة عليها نحو المجتمع والدولة ، بل ولا تتورع عن ابتزاز الدولة باستمرار . فالدخول الطفيلية بطبيعتها متهربة من الضرائب . ولقد رفضت الراسمالية الزراعية مشروع ضريبة الحدائق .واكثر من ذلك، فان لجنة مشتركة من مجلس الشعب والحكومة تكرس مطلب الراسمالية بمناسبة الانفتاح الاقتصادى فى ضرائب معتدلة [تتمشى مع سياسة تنشيط القطاع الخاص وتكفى لاغراء المستثمرين الاجانب] . ثم تصوغ موقفها فى كلمة واحدة هى عدم وضع اى حدود على نشاط او مكاسب اى فرد . وتستجيب الحكومة على الفور وتقرر بالفعل تخفيض الحد الاقصى للضريبة على الايراد العام من ٥ر٩٪ الى ٧٥٪ .وكان وزير المالية قد راى العكس تماما قبل ان يكون وزيرا للمالية ، فقال فى عام ١٩٧٣ [كان يجب ان يتم تحسين اجور صغار العاملين على حساب الدخول الكبيرة والدخول الطفيلية التى كان يجب امتصاص القدر الاكبر منها . مازالت هناك ضرورة للضغط على استهلاك الطبقة العالية الدخل بالقدر الذى يتعادل مع الزيادة فى استهلاك الطبقات صغيرة الدخل حتى يمكن الحفاظ على

استقرار الاسعار . **ولذا فاننا نوصى بفرض ضرائب اضافية** على اصحاب الدخول الكبيرة والدخول الطفيلية واحكام النظام الضريبى] .

ولا تتورع الرأسمالية عن ابتزاز الدولة كلما سنحت الفرصة . فالحكومة مثلا تبيع القطن لمنتجى الغزل بالسعر المحلى المنخفض عن الثمن الخارجي للقطن . ثم تبيع الغزل للنساجين بثمن محلى للغزل منخفض جدا . وفكرة الدولة هى تمكينهم من الانتاج بتكاليف مخفضة تسمح ببيع منتجاتهم بأثمان منخفضة . لكن النتيجة كانت أن أصبح الاتجار فى الغزل نفسه يدر أرباحا ضخمة على منتجى المنسوجات ، وأن أسعار الاقمشة المنتجة فى القطاع الخاص أعلا بكثير من تعريفته الرسمية . فى الوقت نفسه ، تتم محاسبتهم ضرائبيا على أسعار التسعيرة . وهكذا يحصلون من كل جانب على أرباح ضخمة لا يتحملون عنها التزاماتها الضريبية .

لقد رفضت الرأسمالية ان تضحى حتى بعد هزيمة يونيو ، والتفت عندئذ حول الدعوة لبناء اقتصاد حرب ، بل تحولت منذئذ الى الضغط على النظام فى محنته ، وراحت تجنى الارباح من وراء تنازلاته لها . وتحمل الشعب بالاعباء كلها ومازال . وجاء الانفتاح ، ليضاعف من الدخول والثروات ، ويعفى راس المال الاجنبى والمشترك من كل التزام بالضرائب او الرسوم . بحيث اصبحت الدولة تجمع الموارد من اغلبية المواطنين وتضعها فى أعمال مربحة للاقلية .

استشراء الفساد والانحلال الاجتماعى

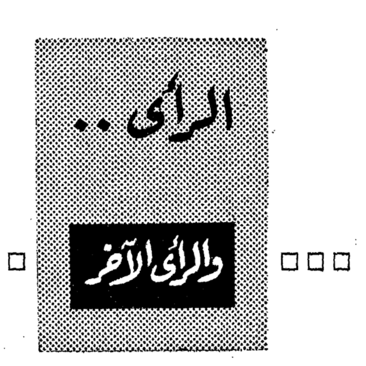
فى مجتمع تسيطر عليه هذه الرأسمالية الجديدة ، ذات التكوين التاريخى المعين ، لغلبة راس المال التجارى عليها وبطبيعته الطفيلية ، هذه الرأسمالية الرافضة لتحمل مسئوليتها الوطنية ، والمرتبطة بألف وسيلة برأس المال الاجنبى المغامر لابد أن يستشرى الفساد وتتعمق عوامل الانحلال الاجتماعى . وفى هذا المضمار تتحمل الرأسمالية الكبيرة الراهنة اكبر المسئوليات . ان الرأسمالية الكبيرة القديمة التى صفيت كانت رأسمالية أسهم وسندات ، اقامت شركات صناعية وتجارية وبنوكا . ومع ذلك فلقد كانت شريحة اجتماعية رقيقة بل وبالغة الرقة . كان ٦٢٪ من مجموع الاسهم بايدى ٩٪ من مجموع المساهمين . بل ان اجراءات التأميم ونزع الملكية فى عام ١٩٦١ لم تمس فى مجموعها سوى ٧٣٠٠ فردا . وقتها كان فى مصر أربعة افراد فقط هم كل اصحاب الملايين . اما الرأسمالية الكبيرة الجديدة فهى تتعامل فى الانشطة الطفيلية وبخاصة التجارة . هناك بالطبع اجزاء هامة منها بيروقراطية وصناعية ، لكنها لا تشكل السمة العامة للرأسمالية الحالية التى تقف على رأسها فئة اجتماعية عريضة يقدر عددها بالالاف من اصحاب الملايين الذين يسبحون صباح مساء بحمد الانفتاح .

هذه الرأسمالية الكبيرة ، الطفيلية ، تمارس الفساد والافساد كأسلوب حياتها اليومى . مصر فى نظرها حقل لاعمال المضاربة . تنشر فيها اقتصاد الصفقات والعمولات وتقيم مجتمع الرشاوى والارتزاق . وتطلق فى ارجاء البلاد حكم شريعة الغاب . وازاء الوضع الاقتصادى المتدهور للجماهير ، فانها تعمل لافساد وعى وضمير الشعب ، وبخاصة الفئات الوسطى ، من أجل ترويضها وفرض الواقع عليها ، فى جرعات ، وعلى دفعات ، تجنبا للمقاومة المباشرة . وتجرى عملية غسيل للمخ ، تجعل الشعب وبخاصة الفئات الوسطى فى حالة من الحيرة الدائمة تصل الى حد التخدير . وفى هذا الجو بالذات يتم الاعلان بكل الطرق عن استتباب السلام الاجتماعى واستقرار العلاقات الاجتماعية — بينما تزحف قوى الرجعية الجديدة بالتعاون مع الاستعمار الجديد لاحتلال مواقعها داخل أجهزة السلطة فى الدولة ، رافعة لافتات الانفتاح السياسى فى أعقاب الانفتاح الاقتصادى . ونتذكر هنا حكمة الميثاق الوطنى حين قال :

« ان صنع التقدم بالطريق الرأسمالى لا يمكن من الناحية السياسية الا أن يؤكد الحكم للطبقة المالكة للمصالح والمحتكرة لها . ان عائد العمل فى مثل هذا التصور يعود كله الى قلة من الناس يفيض المال لديها لدرجة ان تبدده فى الوان من الترف الاستهلاكى يتحدى حرمان الجموع . ان ذلك معناه زيادة حدة الصراع الطبقى والقضاء على كل امل فى التطور الديمقراطى » .

ولذلك نقول ان الرأسمالية الراهنة رأسمالية متخلفة تنمو فى اطار من التخلف . انها رأسمالية فى غير أوانها ، بلا ماض ولا حاضر ولا مستقبل . متعجلة للكسب بل للنهب . تريد أن توجد بينما الرأسمالية الام تنتهى فى العالم كله . وتريد ان تنمو بينما الازمة العالمية تخنق الرأسمالية بشدة لاول مرة بعد الحرب العالمية الثانية ، بحيث اصبحت [شركات وقطاعات بل ودول بأكملها على وشك الانهيار] . فهل تنهار الرأسمالية عالميا لتقوم هنا فى مصر؟ انها اذن لرأسمالية قصيرة العمر تمثلها طبقة قصيرة النظر . □

- الثـوابت والمتغيرات فى الاديان
- نظـرات فى بيـان الحـكومة
- « جــــــورج مينى » ..
واتحـــاده العمــــالى الامريكي



تتسع صفحات « الرا ىوالرأى الاخـر » ، هذا العدد ، ليضم وجهات نظر ، حول عـدد من القضايا يمكن أن نحددها فى :

قضية فكرية ، يثيرها الدكتور محمد احمـد خلف الله ، حول « الثـوابت والمتغيرات فى الاديان » .

قضية تطبيقية ، تتعلق بسياسة الحكومة كما عرضها السيد ممدوح سالم رئيس الوزراء أمام مجلس الشعب . ويناقشها - هنا - الاسـتاذ سعيد الخيال .

ثم يطرح الاستاذ احمد محمد شرف الدين وجهة نظره حول مشروع قانون النقابات الجديد ، وعن موقف اتحاد عمال أمريكا من اسرائيل ، يعرض الاستاذ محمد جمال امام ، رؤيته لهذه المسالة .

تلك جميعها بعض قضـايا يطرحهـا الواقع اليومى لمجتمعنا وعالمنا ،ويضمها « الرأى والرأى الاخر » .

الثوابت والمتغيرات فى الأديان

د. محمد أحمد خلف الله

يتناول الدكتور محمد احمد خلف الله فى مقاله « الثوابت والمتغيرات فى الاديان » ـ المسلمات التى لا يدور حولها جدل او حوار ، والقضايا التى تكون محل خلاف فى الراى ـ فالثوابت هى المتعلقة بذات الله وصفاته ، وثمة اشياء متغيرة ، وحق تغييرها لله وحده ـ وهى العبادات والتحليل والتحريم الدينى والمتغيرات هى تلك المتعلقة بالمصالح والتى تتغير بتغير العصور والمجتمعات وفوض الله فيها الامر للانسان

سبحان من له الدوام .

سبحان من يغير ولا يتغير .

هذه بعض العينات من الشعارات التى يتنادى بها المسلمون فيما بينهم ، يريدون منها التعبير عن عقيدتهم فى الله وتنزيهه ان يكون مثيله أحد من الكائنات مهما يكن شأنها .

انه سبحانه الابدى الخالد ، وهو سبحانه الذى لا يلحقه التبديل والتغيير بأى حال من الاحوال . اما غيره من الكائنات فيلحقه الفناء ويكون ابدا عرضة للتغيير والتبديل والانتقال من حال الى حال .

وهذا القول على هذه الصورة يكون ابدا من المسلمات ،فلا يلحق به الشك ولا يدور من حوله جدل او حوار .

ان الذى يكون محل خلاف فى الرأى ويدور بشأنه الجدل والحوار هو ما يصدر عن الله من احكام دينية تتعلق بالبشر ، فهل تأخذ هذه الاحكام من صدرت عنه وهو الله سبحانه وتعالى فتكون ابدية خالدة أو تأخذ وضعا آخر هو وضع من صدرت اليه وهو الانسان فينالها التغيير والتبديل ، ولايثبت لها الخلود باى حال من الاحوال .

الذهبان موجودان . ولكل مذهب فريق يؤمن به ويدافع عنه . فالذين يدعون اليوم الى العودة الى الشريعة الاسلامية فى كل نظمنا الدستورية والقانونية والتربوية والثقافية والصناعية الانتاجية والاجتماعية الخدمية وما أشبه يذهبون المذهب الاول ويقولون بأن الله واضع هذه الشريعة لهداية البشر فى معاشهم وفى معادهم ، وانها من دون غيرها هى الصالحـة لكل زمان ولكل مكان .

والذين اخذوا بالفعل بما توصل اليه العقل من قوانين علمية ونظريات اجتماعيـة وقواعد اخلاقية وسلوكية واقاموا دسـاتيرهم وقوانينهم وعلمهم وفلسفتهم وصناعاتهم الانتاجية وخدماتهم الاجتماعية يذهبـون المذهب الثـانى ويرون أن المصلحة تختلف باختلاف الازمان وان الاحكام تدور مع المصلحة ، وان الاحـكام تتغير بتغير الأمكنة والازمان .

ولسـت فى هـذا الموقف بالذى يريد نصرة فريق على فريق ، فلم يكن هذا مذهبى ابدا . انى هنا لاقف مع القرآن من جديد فى فهم هذه القضية والكشف عن أبعادها .

ان القرآن الكريم هو المصدر الاول للشريعة الاسلامية . وهو المصدر الذى يحكم على كل مصـدر آخـر ، فمـا وافقه اخذ وعمـل به وما عارضه أو خالفه رفض واعتبر كأن لم يكن .

والكشف عن هذه الحقيقة من نصوص القرآن الكريم انما يعنى أن المسلمين ملزمون بالتعامل وبممارسة الحياة على أساس من هذه الحقيقة .

• • •

يمضى القـرآن الكريم على أن من العنـاصر الدينية ما هو الثابت ، ومنها ما هو المتغير ، منها ما ظل على حاله فى كل رسالات السماء التى انزلت على الانبياء والمرسلين مـع تغير أزمانهم واختلاف اقوامهم ، ومنها مـالم يثبت على حال وانما اختلف باختلاف الانبياء المرسلين واختلاف الاقـوام الذين بعثـوا فيهم وأرسلوا اليهم .

والى الثابت من العناصر الدينية تشير الاية القرآنية الكريمة : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليـك ، وما وصينا به ابراهيم ومـوسى وعيسى أن أقيمـوا الدين ولاتتفرقوا فيه .... » .

والى المتغير من هـذه العناصر يشير قـوله تعالى : « ولكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا .. » .

وهذا الذى نقول به هو الذى يرفع التعارض بين النصين القرآنيين الكريمين .

ان الاية الاولى انما تعنى العناصر الدينيـة التى صـدرت عن الله وكانت متعلقـة بالابدى الخالد ـ متعلقة بذات الله وصفـاته . وان النص الثانى انما يعنى العنـاصر الدينية التى صدرت عن الله متعلقة بالكائنات فيما بينها وبين الله او فيما بين بعضها والبعض الاخر .

ولقد حاول بعـض المفسرين تحـديد انواع الثابت والمتغير من العناصر الدينية فكان ممـا قالوا عن الثوابت انها المتعلقة بالله وباليـوم الاخر ، وبالعمل الصالح واتخاذه اساسا للثواب والعقاب . وكان مما قالوه عن المتغيرات انهـا متعلقة بالعبادات وبالتحليل والتحريم الدينيين .

وما قاله هذا البعض من المفسرين هو الذى يقبله المنطق العلمى الحديث الذى يدرك أن الله سبحانه وتعالى لا يجوز عليه التغيير ـ لا فيما يتعلق بذاته ولا فيما يتعلق بصفاته . وأن من صفاته سبحانه العدل الذى سوف يتحقق حتما فى اليوم الاخر ، وانه سيكون على أسـاس من العمل الذى يصلح به حال النـاس فى معاشهم وفى معادهم .

والذى يدرك أيضا أن الكائنات مما يجـوز عليهـا التغيير ، وأن الله سـبحانه يغير من الاحكام الخاصة بالعبادات وبالتحليل والتحـريم بما يتفق والمرحلة الحضارية التى تمر فيهـا البشرية .

ومن المسلم به عند جميع المعـاصرين ان الصلاة والصيام والحج وما أشـبه تختلف فى الاديان السماوية . فهى فى اليهودية غيرها فى المسيحية وغيرها فى الاسلام .

وهكذا الحال فى التحليل وفى التحريم .

هذا هو المنطـق القرآنى فى الثـوابت وفـى المتغيرات .

ان العناصر الدينية الثابتـة هى التى تتعلق بمن لايلحقه التغيير ولا يجوز عليه الفناء . وان العنـاصر المتغيرة هى التى تتعلق بالمتغير من الكائنات .

والظاهرة الدينية الجديرة بالتسجيل فى هذا المقام هى أن الله سبحانه وتعـالى هـو الذى يغير الذى يقبـل التغيير ، وهـو الذى يأتى بالبديل ـ يفعل ذلك كلما بعث نبيا رسولا .

والسؤال الذى يطرح نفسه هنا : وما العمل بعد أن انتهى نظام النبوة ، وانقطعت رسالات السماء ؟

أيبقى الحال على ما ورد فى آخـر الشرائع السماوية ابد الابدين ام يكـون هنــاك تغيير وتبديل ؟

ثم من الذي يملك هذا الحـق على فـرض وجوده أو تقديره ؟

الاجابة القرآنية عن كل ذلك هو المبسوطةفى الفترة التالية .

• • •

عندما نزلت الايةالقرآنيةالكريمة: ــ«ماكان محمد ابا احد من رجالكم ، ولكن رسـول الله وخاتم النبيين ... » .

استقر فىوعىالانسانية بصفة عامة ، والامة الاسلامية بصفة خاصــة ، أن الله سـبحانه وتعالى لن يبعث بعد محمد عليه السلام نبيا ، ولن يرسل لقوم من الاقوام رسولا ، ولن ينزل من السماء على أحد من الناس كتابا .

وهذا الوعي المستقر فى الانفس والضمــائر هو الذى جعل الناس منذ زمن محمـد عليــه السلام يرفضون دعوى أى انســان بأنه نبى أو رسول ، ويتعاملون معه على أنه مجنـون أو كاذب ، ويسمونه بالمتنبىء .

والظاهرة الجديرة بالتسجيل فى هـذا المقام هى : ان هذه الاية التى تنهى نظـام النبوة ، انما تفعل ذلك من اجل البشرية التى لم تعـد فى حاجة الى من يتولى قيادتهــا فى الارض باسم السماء .

لقد بلغت البشرية سن الرشـد وآن لها ان تباشر شئونها بنفسها .

وهذا الذى نقول به هو الذىيفهم من آية قرآنية اخرى تشير الى انالبشرية كانت تتطلع الى انهاء نظام النبوة منذ زمن يوسف عليــه السلام ولكن العليم الحـكيم لم يسـتجب الى الى تطلعاتها آنذاك .

هذه الايةالقرآنيةهى قوله تعالى : ــ «ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات ، فما زلتم فى شك مما جاءكم به حتى اذا هلك قلتم : لن يبعث الله من بعده رسولا ــ كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب » .

ان هذا الذى تعده هذهالاية من باب الضلال، وباب الاسراف فى الارتياب ، هــو الذى جعله القرآن الكريم الحقيقة الدينية الكبرى فى زمن محمد عليه السلام .

والفرق بين الموقفين هو الفرق فى الاطــوار الحضارية التى تمر فيها البشرية بمرور الزمن .

لقد كانت البشرية فى زمن يوسف عليــه السلام فى حاجة الى أن تظـل تحت الوصاية الدينية ، والى أن تكون تحت وصاية من تختاره السماء ويقــودها فى الحيــاة باسم السـماء وبالرسالات تنزل من السماء .

أما فى زمن محمد عليه السـلام فقد بلغت الانسانية سن الرشــد ، ووصلت من النضج العقلى والتقدم الحضارى مرحلة تأذن بان تترك لنفسها ، وتتولى شئونها على أساس منقدرتها على تحقيق مصلحتها بعد ادراكها لكل ما يحقق لها نفعا أو يجلب لها مضره .

وهكذا رفع العليم الحكيم وصاية السـماء عن اهل الارض وانهى نظام النبوة ــ انهــاه الى غير رجعة .

• • •

والوصول بنا الى هذه القضية يطرح علينـا سؤالا هو : وما شأن العلماء الذين يذهبـون الى انهم ورثة الانبياء ؟

الاجابة عن هذا السـؤال نستمدها ايضـا من القــرآن الكريم ، من حيث أن الذى ينهى نظام النبوة لابد من ان يكون له موقف من أى نظام دينى آخر يجعل لرجال الدين سلطة او وصاية على البشرية .

وموقف القرآن واضح جدا من رجال السلطة الدينية التى كانت قائمة من قبل الاسلام وأثناء الاسلام .

موقف القرآن الكريم هو موقف الرافضلهذه السلطات .

يروى المفسرون عند تفسيرهم لقوله تعالى : « اتخــذوا احبـــارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ... » القصة التالية : ــ

يقولون انه عندما نزلت هذه الاية قال عدى بن زيد : ما كنا نعبدهم حتى نتخذهم اربابا . وان النبى عليه السلام قــال لعدى هــذا : اليسوا يحللون ويحرمون وتقــومون أنتم بمـــا يحللون ويحرمون .. ؟

قال عدى : نعم .

وقال النبى عليه السلام : تلك ربوبيتهم .

يعارض القرآن الكريم السلطة الدينية التى يدعيها رجال الدين لانفسهم . ويراها من قبيل الممارسة لحقوق الله بدون اذن من الله .

ان الذى يصطفى الانبياء ويختارهم للرسالة هو الله سبحانه وتعالى . اما رجال الدين فلم يفعل الله بشأنهم شيئا من هـذا . انهم الذين يختارون أنفسهم بأنفسهم .

واذا كان الله سبحانه وتعالى قد انهى النظام الاصيل وهو نظام النبوة فمن باب أولى ينهى النظام المتفرع عنه .

ويؤكد هذه الحقيقة ان القرآن الكريم حين يطلب الى محمد عليه السلام ان يلتقى مع اهل الكتاب عند مستوى دينى معين ، يطلب اليه فى الوقت ذاته الا يكون من ضمن هذا المستوى سلطة لرجال الدين على البشرية .

يقول الله تعالى : « يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم : الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ... » .

وصدق الله .

والمسألة لم تقف عند هذا الحد ، فهناك من الايات القرآنية ما يكشف عن أبعاد أخرى لهذه القضية .

هناك الاية القرآنية الكريمة التى تطلب الى المؤمنين ان يكفوا عن الاسئلة التى تربط مسائل حياتهم العادية بالدين من حيث أن ذلك يكون من قبيل وضع العقبات فى طريقهم ووضع القيود والسلاسل فى أيديهم وفى اعناقهم .

يجب ان يكفوا عن مثل هذه الاسئلة حتى فى أيام وجود النبى عليه السلام وفى زمن نزول القرآن الكريم .

يجب على المؤمنين الا يحاولوا ادخال شىء فى الدين لم يرد فى شأنه نص فى القرآن الكريم .

والمؤمنـون المطلوب اليهم ذلك هم المؤمنون الموجودون فى زمن النبى عليه السلام وأيام نزول القرآن الكريم .

والاية القرآنية الكريمة هى قوله تعالى : —
« يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم .

وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم — عفا الله عنها والله غفور حليم .
قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين » .

انا هنا أمام نصوص قرآنية تشير الى ان هناك من الامور ما عفا الله عنه ولم ينزل فى شأنه حكما دينيا .

هذا الذى عفا الله عنه رحمة بعباده لا يصح السؤال عن حكم الدين فيه .
هذا الذى عفا الله عنه حين يسأل عن موقف الدين منه فى زمن نزول القرآن الكريم فانه لابد من الاجابة .

هذه الاجابة قد تسىء الى السائلين من حيث انها قد تجىء على غير ما يتوقعون .
دلت التجربة على ان الاسئلة فى مثل هـذه الاشياء والاجابة عنها فى مثل هذه المواقف قد تكون الى حين . وقد تكون النتيجـة الاعراض عن هذه الاحكام والكفر بها .

فيجب ان يتعظ المسلمون ولا يسـألون عن اشياء لم يرد فى شأنها نص فى القرآن الكريم .

انها من العفو الذى تركه الله رحمة بعباده .
وترك الله اياه لم يكن عن سهو أو اهمال ، وانما هى ارادة العليم الحكيم الذى فوض أمور المسلمين اليهم فيما لم يرد فى شـأنه نص فى القرآن الكريم .

• • •

وهناك ايضا ذلك النص القرآنى الذى يأمر النبى عليه السـلام بأن يعلم المسـلمين كيف يتخذون القـرار فيمـا هو من شـئون حياتهم الدنيوية .

يقول الله تعـالى لنبيه عليـه السـلام : « وشـاورهم فى الامر ، فاذا عزمت فتـوكل على الله ... » .

ان هذا انما يعنى أن هناك اشياء يتخذ فيها القرار بالمشاورة وليس ينتظر فيها أمر السماء .
والقرار حين يتخذ عن طريق المشاورة ينفذ ايضا من غير انتظار لامر السماء .

والامر الذى يتشاور فيه هو الامر الدنيـوى لانه الذى فوض الله فيه أمر المسلمين اليهم .
أما الامر الدينى فلابد من نص قرآنى فيه لانه ليس مما يتقرر الامر فيه بالمشاورة — والا كان الدين من وضع البشر .

والذين كان النبى يتشـاور معهم تنفيـذا لمضمون هذه الاية هم الذين كانوا يعملون معه ، والذين لم تكن سمتهم انهم رجال الدين .

انهم الذين كانوا يلون أمور المسلمين — كل فيما يخصه . فهم وحـدهم من دون غيرهم القادرون على اتخاذ القرار وتنفيذه فى مسائل السياسة والحرب والاقتصاد وما اشبه .

وننتهي من كل ما تقدم الى : ــ

١ ــ هناك اشياء ثابتة غير قابلة للفنــــاء والتغير والتحول وتلك هى المتعلقة بالله الابدى الخالد : متعلقة بذاته او صفاته .

ومن صفاته العدل ويوم تحقيقه هو اليــوم الاخر .

وعدله سبحانه وتعالى يقوم على اساس من العمل الذى يقوم به الانسان ــ العمــل الذى يصلح به حال الناس .

وما يصلح به حال الناس هــو الذى يحقق النفع لهم ويبعد الضرر عنهم .

٢ ــ وهناك اشــــياء متغيرة ، ولكن حق تغييرها ليس الا لله وحده من حيــث انها من شئونه سبحانه وتعــالى ، وتلك هى العبادات والتحليل والتحريم الدينى .

٣ ــ وهناك اشياء متغيرة وفوض الله فيها الامر للانسان يغير ويبدل فيها حسب المصلحــة العامة .

واذا كانت المصــــالح تتغير بتغير العصور والمجتمعات فان ما يتعلق منها بالاحــكام والنظم والقيم يكون متغيرا ايضا .

وحق التغيير فيه لمن يدرك المصلحةالجماعية الاجتماعية من بنى الانسان . ■

نظــــرات فى بيــــان الحــكومة

سـعيد خيـال

□ يناقش الاستاذ سعيد خيال فى مقاله « نظرات فى بيان الحكومة » قضية يطرحها للحوار ــ وهى لماذا لا تكون بداية نشاط المجلس التشريعى ، أن تقدم الحكومة تقريرا بما تم انجازه فى المجالات المختلفة ، وهو أمر يغنى عن بيان الحكومة التقليدى وعن بيان لجنة الرد . □

فى شهر نوفمبر من كل عام يبــدأ نشــاط المؤسسات الدستوريةببداية انعقاد دورهمجلس الشعب حيث تلقى الحكومة بيانها وتتولى لجنة خاصة إعداد رد المجلس على هــذا البيان ثم تجرى مناقشة عامة .

هذا هو ما يجرى عليه العمــل فى النظم البرلمانية الغربية . واخذت به مصر فىدستور ١٩٢٣ . وفى المراحــــل الدستورية من ثورة ١٩٥٢ ظل هذا التقليد معمولا به حتى يومنــا هذا . لكن النظام السياسى المصرى لا يقوم على تعدد الاحزاب ويحظر قيام الكتل السياسية والبرلمانية . ثم هــو نظــام من نوع خاص ، مكوناته الكبرى مأخوذة من النظام الرئاسى حيث تتفوق مسئولية رئيس الدولة وسلطاته ، وحيث وضعت حدود وضوابط للمسئولية الوزارية امام مجلس الشعب ، فمن حق رئيس الدولة الا يأخذ بعدم ثقة ــ المجلس بالحكومة ، وفى هذه الحالة يتعين استفتاء الشعب فى الخلاف ...

وبالنظر لما تقدم ، فقـــد طرأ سؤال أطرحه للمناقشة . الا يمكن أن يبـدأ نشاط المجلس التشريعى بداية اخرى ؟ مثلا : تكون البداية بأن تقدم الحكومة تقريرا بما تم انجـازه فى المجالات المختلفة . والصعوبات التى صـادفت التنفيذ وكيفيـة التغلب عليهـا ، والتجـارب والدروس المستفادة من هذا كله . هـذا يغنى عن بيان الحكومة التقليدى كما يغنى عن بيان لجنة الرد . لان المجلس فى هذه الحالة بما له من حق الرقابة والمساءلة سينطلق فى مناقشة اشياء ملموسة. واما مناقشة السياسة العامة فمجالها عندعرض خطة التنمية وايضا عند عرض الميزانية العامة . من شأن ذلك ربط المناقشـة بالواقع وامكانية التنفيذ مع تحديد المسئولية ، مسئولية الكلمة التى تقال فى المجلس ومسئولية جهاز الحكومة تخطيطا وتنفيذا ومتابعة .

يؤيد هذا ، النظير ما جاء فى تقـرير لجنـة الرد — وهو جديد — من «**ان الحاجة قداصبحت ماسة الى صيغة جديدة للعمل السياسى تستطيع الحكومة ان تجـد بها سـندا لها فى المجلس لاقرار برامجها التى تقدمها ويستطيع المجلس بها ان يعبر عن اتجـاهات سياسـية اكثر ثباتا ، وتستطيع الجماهير ان تتفاعل مع هذه الاتجاهات، لتصبح ارادتها فى النهاية هى السـند الحقيقى لتأييد أى برنامج أو احباطه** » .

وقد خلصت لجنة الرد الى هذا المطلب من مراجعتها لبيانات ستة وزارات تعـاقبت على السلطة التنفيذية خلال قرابة اربع سنوات . فثبت لها أن هذه البيـانات قد اتفقت فى امور كثيرة ، بعضها لم يتحقق ولا يزال الحديث عنه متصلا . وضربت اللجنـة امثلة : منها خطـة التنمية الاقتصادية والاجتماعية الذى وعد بيان اول حكومة [بعد ثورة التصحيح] بأن تقـدم كخطة عشرية ولم يتحقق شيء من ذلك . . حتى كان العام الماضى فقدمت الحكومة السابقـة للمجلس خطة عن ثمانية عشر شهرا تنتهى فى آخر سنة ١٩٧٥ على أنها خطة انتقالية . .

ومنذ ايام ، قدمت لنا الحكومة خطة ١٩٧٦ أيضا على أنها السنة الاولى من خطة خمسية وان كانت هذه الحكومة قد انجزت هذه المرة ما وعدت به فأحالت الى المجلس فعلا الهيكل العام لمشروع الخطة الخمسية ٧٦ — ١٩٨٠ مع خطة عام ١٩٧٦ . كما أن اللجنة استندت فى مطلبها على سببوجيه آخر هو ما استخلصته من مراجعة بيانات الحكومات المتعاقبة من أن تغييرا مستمرا فى بعض السياسـات لا يتيح المساءلة الدستورية . مثلما ظهر من ان العجز فى ميزان المدفـوعات وفق ما جاء فى بيان الحكومة فى ١٩٧١/١٢/٢٩ قد انخفض من ٢٤ مليون جنيه عام ٦٧ — ١٩٦٨ الى ٢١ مليـون جنيه عام ٦٩ — ١٩٧٠ **بينما أن العجز الجارى قد استمر فى الزيادة حتى قفـز فى السـنة الاخيرة وفق تصريحات المسئولين الى ١٢٠٠ مليون جنيه** • وكادت البلاد تتعرض لاكبر ضائقة فى ميزان مدفوعاتها لولا ما بذلته هذه الحكومة فى الشهور الاخيرة من جهود للتخفيف من هذا العجز ومواجهة المديونية الخارجية . ولقـد احسنت اللجنة لا بتسجيل هذه الحقيقة فحسب وانما بالتنويه بفضل هذه الحكومة فى معالجة الازمة فى حدود الممكن كاسعاف يمنع الكارثة.

ان النظر فى بيان الحكومة يجب الا ينسى حقائق هامة . منهـا : ما جاء فى بيانهـا من التزامها بأن تسعى لتصبح مسار العمل ... على اساس المهام التى حددها **الرئيس السادات** فى خطابه الى الشعب يوم ١٩٧٥/٤/١٤ وفى كتاب تكليف الوزارة فى التاريخ ذاته . هى اذن حكومة ملتزمة . ويقتضى الانصاف ان تتساوى المسئوليـة مع حجم السلطة . ومن هـــذه الحقائق ان الحكومة لم تكمل عامهـا الاول . كذلك فان بيانها هو البيان السنوى ، وبالتالى فالمفروض أن يحدد الاهداف وامكانيات تحقيقها فى سنة . أما الاعلان عن النوايا والامال فمن قبيل الادبيات التى لا يبنى عليها الحكم .

يبقى سؤال هام يتعلق بمنهج النظر فى بيان الحكومة . ما هو المقياس الذى نقيس به ما جاء فى البيان ليكون اساس الاتفاق والاختلاف معه؟ المقياس عندى هو لصلحة من « من المستفيد ؟ وهنا لا استطيع على العموم ان اعتمـد على المطلقات التى تخفى الحقائق وتعمى الناس . فما دام فى مصر طبقـات فستبقى السياسـة والمواقف طبقية فى الاسـاس أو فى التحليـل الاخير .ومسئولية المفكر ، بالعلم والديموقراطية، ان ينحاز الى غالبيـة شـعبه .. لا حياد اذن وتلك هى الحقيقة ، مطلقة فيما يتعلق بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ... ونسبية فيما يتعلـق بالقضية الوطنيـة ، قضية تحرير سـيناء وكافة الاراضى العربيـة التى تحتلها اسرائيل مع المساندة الفعالة والتضامن الاخوى مع منظمة تحرير فلسطين فى نضالها البطولى لاستعادة حقوق الشعب الفلسطينى . ان ملف القضية الوطنية فى يد **الرئيس السـادات** .

وسبق أن أعلن قبل حرب اكتوبر انها شغله الشاغل حتى فى حياته اليومية ... هى اكلنا وشربنا وصحونا ونومنا ، هكذا على ما اتذكر كان نص ما قال والمعروف انه لا خلاف على الاهداف . تبقى الخلافات بعد ذلك هامشية تقبل الاجتهاد . وفى هذا المجال يذكر بالاعتزاز دور القوات المسلحة المصرية كمؤسسة وطنية بكل معنى الكلمة وقد استحقت الثقة والتقدير .

وبالطبع ، فان القضية الوطنية هى فى الاساس محور السياسة الخارجية المصرية . ومادام ملفها فى يد **الرئيس السادات** فان مفاتيح السياسة الخارجية تبقى ايضا فى يده . وتستحق الحكومة التنويه والتأييد لدعمها « العلاقات الجديدة مع اوربا الغربية ... ودعم الصداقة مع دول أوروبا الشرقية تعزيزا للمواقع التى اكتسبناها معا بجهودنا الطويلة المشتركة » . ونحن مع الحكومة فى تأييدها لسياسة الوفاق الدولى وحرصها على دعم علاقاتها بالدولتين العظميين .. **ولكن على أى أساس ؟ قالت الحكومة « على اساس من التوازن » وهذا ما نختلف معها فيه** . وانها لمناسبة نتوقف عند هذا التعبير لامتحانه ، علما بأنه موضوع من قبل تشكيل هذه الحكومة . فهو مثل غيره من شعارات كثيرة انطلقت ويستعملها الكثيرون دون اعمال فكر أو تمحيص .

معنى التوازن الا ترجح كفة على اخرى فى الميزان . وحين نضع فى كفة حجم المصالح والعلاقات المتنوعة مع الاتحاد السوفيتى ، وفى الكفة الاخرى بالمقابل حجم المصالح والعلاقات مع الولايات المتحدة فان الميزان سيميل ميلا راجحا ناحية السوفيت . ان الواقع اذن ينكر التوازن كما أن هذا التوازن يهدر الواقع يهدر ما قالته الحكومة لدعم العلاقة وهو « احترام حقوقنا المشروعة ومصالحنا المشتركة » . كذلك فان نظرية التوازن لا تتحقق الا بانقاص العلاقة وتضييق مجالاتها مع الكتلة الاشتراكية . أو بتجميدها وزيادة الكفة الاخرى حتى توازنها . فهل هذا وارد ؟ كذلك يتعلق هذا التوازن بالضرورة بارادة من يمسك بالميزان . فهل ارادته مطلقة ؟ تكون مطلقة فى حالة ما اذا كان بكفتي الميزان احجار او اشياء جامدة . لكن الذى فى الكفتين مصالح شعوب وارادات دول تملك الحركة ايضا ، وحركتها تؤثر فيما حولها بما فيها حامل الميزان . ان التوازن مقولة غير منطقية وغير عملية . ليس فى المجال الخارجى

وحده وانما فى الداخل ايضا . فلقد تردد هذا الشعار فى الصحافة وغيرها عند الحديث عن العلاقة مع القطاع العام والقطاع الخاص . أصبح يقال بالتوازن بين القطاعين . وهو قول يخفى العداء للقطاع العام ، والانحياز للقطاع الخاص .

ان رعاية مصالح شعبنا توجب ترك نظرية التوازن والاخذ بنظرية تنمية العلاقات مع كل من الدولتين العظميين بشرط الا تكون لاحدهما على حساب العلاقة مع الاخرى والا كنا ندفع من صميم مصالحنا الثمن ، وبشرط تأكيد مبادئنا ، ومنها معاداة الامبريالية تضامنا مع الشعوب فى نضالها للتحرر والاستقلال والسلام .

اما فى المجال العربى ، فقد تضمن بيان الحكومة « العمل بسرعة وكفاية من أجل بناء ودعم القوى الذاتية العربية على اساس من الاستثمار السليم لموارد العالم العربى فى اطار من التكامل والترابط والتخطيط المشترك القادر على ان يصل بأمتنا الى آفاق القوة والامن والرفاهية » . وهذه هى السياسة الصحيحة الواجبة الاتباع . وعلى الحكومة ان تنشط فى وضعها موضع التنفيذ .. ونعلم ان الحكومة العراقية سبق ان اعلنت التزامها بهذه السياسة . وبهذا أصبح الحقل ممهدا لاول غراس . ونأمل ان تكون البداية موفقة وان يجرى الاهتمام فى الوقت نفسه بالبلاد العربية الاخرى للدخول فى العمل المشترك للتنمية ونضع ليبيا الشقيقة فى هذا الصدد على رأس القائمة ...

ان اخطر التحديات التى تواجه الشعب المصرى تتضح تماما فى بيان الحكومة حيث قالت .. « انخفضت معدلات التنمية الاقتصادية خلال السنوات العشر الماضية بحيث اصبحت لا تجاوز ١٪ سنويا بالنسبة لدخل الفرد . كما تناقص معدل الادخار القومى من حوالى ١٥ ٪ سنة ١٩٦٤ الى اقل من ٧٪ سنة ١٩٧٤ . وظهرت اعراض التضخم وعلى رأسها ارتفاع الاسعار وعدم توافر السلع الضرورية » .

وقالت ايضا « فهناك مخاطر تتصل بزيادة معدلات الاستهلاك فوق معدلات زيادة الدخل القومى . ففى عام ١٩٧٤ بلغت الزيادة فى الاستهلاك ٧ و ١٠ ٪ بينما لم يزد الدخل القومى الا بنسبة ٧و٨٪ بالمقارنة مع عام ١٩٧٣ » .

هذا هو الواقع الذى يعانى منه الشعب

المصرى باستثناء قلة قليلة . فما هى سياسة الحكومة لعلاجه ؟

قالت فى بيانها « .. بدات الحكومة عملية تصحيح واسعة النطاق واستثمرت العناصر الايجابية فى اقتصادنا القومى التى كشفت عن اشراقة أمل تجسد مصدرها الاصيل فى انطلاق الطاقات الخلاقة للشعب ، وفى التعاون المثمر مع الدول العربية الشقيقة وفى الانفتاح الذى يساير ركب الحضارة والعلم الحديث ... قد ادت على سبيل المثال . الى زيادة حقيقية فى الانتاج الصناعى للقطاعين العام والخاص بلغت ١٨٪ كما ادت الى انخفاض الفوائد التى ستتحملها الدولة فى سنة ١٩٧٦ بمقدار ٦٦ مليون جنيه كما ان اقساط التسهيلات الائتمانية التى ستدفع فى تلك السنة ستقل بمقدار ١٦٠ مليون جنيه كل ذلك بالمقارنة مع عام ١٩٧٥ » .

هل « اشراقة الامل » المذكورة تملك مقومات البقاء والنمو لعلاج هذا الواقع وجبر الاوضاع فى فترة زمنية معقولة ؟

يعانى القطاع الصناعى المصرى وبخاصة فى القطاع العام من عدم استكمال الهيكل الانتاجى العام بحيث يقوم التكامل الاقتصادى بين وحداته القائمة ويتم انشاء الوحدات الضرورية لنشاطه . كما يعانى من قدم ادواته واستهلاك الكثير فى معداته ومكناته . كذلك يعانى من نقص قطع الغيار ونقص فى مستلزمات الانتاج . ويتحمل رسم الانتاج ورسوم الخزانة واستيعاب الخريجين والاسهام فى خدمة القوات المسلحة . وكما جاء بتقرير لجنة الرد « الم يكن الدعامة الصلبة لحرب اكتوبر والمورد الرئيسى للخزانة العامة ؟ »
وهو فى هذه الحالة يفاجأ كما يفاجأ القطاع الخاص المنتج بمنافسة البضائع الاجنبية فى السوق المصرى نتيجة فتح الباب على مصراعيه للاستيراد بتحويل العملة وبغير تحويل العملة . كذلك يفاجأ القطاع الصناعى المصرى بالزيادة المستمرة فى اثمان المحاصيل الزراعية التى تعتمد عليها الصناعة . ثم يقال له نافس والبقاء للاصلح ! وتلجأ الشركات الاجنبية لاغراق السوق وتخفيض الثمن لارباك الانتاج المصرى والاجهاز على الصناعة ، كل هذا والجميع يتغنى بالانفتاح .

وكأنما الرأسمالية العالمية قبة السماء ترسل ملائكة الرحمة لمساعدة الشعب المصرى ودعم اقتصاده . وطالما تكرر الحديث عن ضوابط الانفتاح . لكن واقع الامر هو الترحيب بالاستثمارات الاجنبية ترحيبا بدويا .. ان الذين يتعاملون مع الاستثمارات الاجنبية تكتفى غالبيتهم بالدخول الطفيلية دون اعتبار لمصلحة البلد . ولقد اوصت لجنة الرد مشكورة الحكومة « ان تقترب من مواطن الشك عند صفقات الملايين وتعاقدات الخارج التى لا يمكن ان يظهر اثر الانحراف فيها فى اقرار يقدمه صاحب الشأن » ، وهى توصية لعلاج انحراف وليس لتغيير الواقع .

ولتقييم ما تم من الانفتاح نرجع لبيان الحكومة وفيه ان جملة ما تم اقراره من مشروعات الاستثمار العربية والاجنبية المشتركة بلغت ٢٩١ مشروعا براسمال اجمالى قدره ٣٦٠ مليون جنيه . ويبلغ المكون الاجنبى ٢٠١ وربع مليون جنيه . وبقسمه المكون الاجنبى على عدد المشروعات يظهر صغر حجم المشروع لان نصيبه اقل من ٧٠ الف جنيه . ذلك فضلا عن انواع هذه المشروعات وهى ١٨ فرعا لبنوك اجنبية ومشتركة [منها ٣ داخل المناطق الحرة] و ٣٥ مشروعا للغزل والنسيج و ٤٦ للسياحة والفنادق و ٢٠ للبناء والاسكان و ١٦ لمواد البناء والحراريات و ١٥ للصناعات الغذائية و ١٩ للصناعات الكيماوية و ١٤ للثروة الحيوانية والمائية و ٤٠ للصناعات المعدنية والهندسية والكهربائية والمقاولات العامة و ٣ مشروعات للتعدين وخمسة للنقل و ٢٥ للبنوك وشركات الاستثمار .

وكما ترى ، فان هذه المشروعات هى للربح السريع ولا تؤثر فى استكمال هيكل الانتاج الضرورى للاقتصاد المصرى ومعظمها سيكون عامل ضغط وارهاق لهذا الهيكل . ولا محل للبحث عن التكنولوجيا فى هذه المشروعات البسيطة !

وبمقارنة هذه المشروعات بما تمت الموافقة عليه فى **المناطق الحرة** نجد ان عدد المشروعات ٦٥ مشروعا براسمال قدره — ٧٨٢ر٨٤٣ مليون جنيه ويبلغ المكون الاجنبى ٧٧٣ر٧٤٤ مليون جنيه وبالقسمة يظهر ان متوسط كل مشروع بمبلغ ١١ مليون جنيه تقريبا . ويدل هذا على ان الاتجاه الاساسى للاستثمارات الاجنبية هو المناطق الحرة والفائدة التى تعود منها على الاقتصاد ليست كبيرة وبخاصة انها لا تدخل فى خطة التنمية ولا تتكامل مع هيكل الاقتصاد المصرى . والاصل فى علاقتنا بها اجرة الارض والخدمات « وكأنما هى مشروعات عند جارى .... »

وما دام المشروع حسب قانون الاستثمارات معفيا من الضرائب مدة خمس سنوات ، ومن حقه تحويل ارباحه للخارج بالعملة الصعبة وكذلك ترحيل رأسماله ، فان الحصيلة النهائية لما يعود على مصر تؤثر بالضرور اكثر منهـا بالنفع . هو استنزاف للثروة المصرية ومواردها ، وهو شذوذ بالنسبة لسلطة السيادة ، لان الدولة حسب القانون لاتملك تأميمه او مصادرته او فرض حراسة عليه بل هى لا تملك توقيع الحجز عليه الا بعد الحصول على حكم قضائى ، اى ان الحجز الادارى ممنوع فاذا تذكرنا ان الدولة بالنسبة لما هو مصرى تملك كل هذا ، وتحصل مستحقاتها من المصريين بطريق الحجز الادارى ، بأن لنا مدى الامتياز الذى يتمتع به الاجنبى . واخيرا نسب لمسئول كبير قوله ان الدولة فى حالة الخلاف مع رأس المال الاجنبى ستقبل بحكم البنك الدولى . هذا البنك هو الحكم فى حالة الخلاف ، وهو بنك الامبريالية والاحتكارات العالمية . والله المحاكم المختلطة افضل لانها على الاقل كانت مصرية !

لقد أصابت لجنة الرد حين قالت انها «ترى أعطاء الاولوية فى التمويل الخارجى للقروض طويلة الاجل التى تبدأ بفترة سماح وتدفع عنها فوائد معقولة » .

كما قالت اللجنة بحق « انه لا يمكن احداث تنمية حقيقية وصحية بغير تعبئة المدخرات المحلية لتمويل خطة التنمية » .

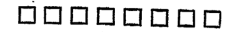
وهذا ما كان معمولا به فى مصر . ان الخطة الخمسية الاولى ما قامت الا على تجميع المدخرات وعلى القروض من الاتحاد السوفيتى والمجموعة الاشتراكية ، بفائدة نزلت الى ٢,٥٪ ويستحق القسط الاول من انتاج المشروع نفسه . وبهذه الطريقة بنينا مجمع الصلب والحديد والسد العالى ومئات المصانع والمشروعات . هذه الطريقة استلزمت وتستلزم دائما ضبط الاستهلاك والتحكم فى المصادر والوارد والاعتماد على القطاع العام قائدا ومنتجا ونقل اهم المشروعات اليه ، الى ملكية الشعب . والان رفضت الطبقة الرأسمالية المستغلة الطريق اللارأسمالى للتنمية كما رفضت الاشتراكية طريقا وهدفا ، ونظرا لتهافتها وضعفها مدت يدها للخارج تستعين برأس المال الاجنبى وتربح منه . فازالت الحدود الوطنية التى تحفظ الاستقلال الاقتصادى وتحمى الصناعة الوطنية ، فأصبح السوق المصرى تابعا فى واقع الامر للسوق الرأسمالى العالمى ، ذلك فى الوقت الذى تعانى منه البلاد الرأسمالية الكبيرة أزمة التضخم والبطالة ، فى الوقت الذى تحاول فيه هذه البلاد حل أزمتها على حساب غيرها .

ان الرأسمالية المستغلة وبخاصة فى بيئة التجار وبتحالف مع الرأسمالية الزراعية ، هاتان هما الطائفتان الضاغطتان للتحول الرأسمالى ، تحول فى الداخل اساسا وامتد الى الخارج ، وهذا الضغط هو الذى حدا بالحكومة ان تعتمد على سياسة الضرائب لتحقيق العدالة الاجتماعية .. وهيهات .. لاسيما والحكومة حين تعتمد على الضرائب تقول « دون مساس بالحافز الفردى » والسؤال التقليدى هو أين الحافز الفردى عند الملايين من العاملين المستغلين . لقد وصل بنا الحال الى انهيار فى كل القيم تحت ضغط ثقل المعيشة . وقد ساوى النبى محمد عليه السلام بين الفقر والكفر . والان تتهاوى حتى الطبقة الوسطى فى مصر وما لم يرجع المجتمع الى طريق الاشتراكية ، فسيستمر التردى ويزداد الانحراف ولن تجدى جهود الحكومة لمقاومته .

ما صلة الانفتاح بالتنمية ؟ هاكم مثلا من بيان الحكومة يوضح الصلة . قالت انها ابرمت اتفاقا مبدئيا لاستيراد آلات زراعية للرى ومقاومة الافات بمبلغ ٥ ملايين دولار قصد التوسع فى الميكنة الزراعية . ذلك هو الانفتاح . ولو كانت تنمية اذن لدعمنا المصانع الحربية التى تنتج بالفعل ماكينات الرى وابادة الحشرات . وهذا المثل يلقى كذلك الضوء على ما يقال حول تدعيم القطاع العام ..

وخير ما نختتم به أن نقتطف ما قالته لجنة الرد هو « لا يزال التزامنا القومى بتحرير الارض يفرض علينا ان نستبقى اولويات الانفاق على الدفاع . ومن ثم فان اللجنة تدرك انه رغم ما يبذل للتخفيف من معاناة الجماهير ، فان الحل الجذرى لمشاكلها مرتبط بتحقيق هدف التحرير الاسمى » .

وصحيح ايضا أن يقال ان اتباع الطريق اللارأسمالى للتنمية وصولا الى الاشتراكية هو صلب القوة الذاتية التى تعزز كثيرا بتنفيذ سياسة الحكومة فى التكامل والتخطيط المشترك مع البلاد العربية ، ذلك ايضا هو طريق التحرير .



○ « جورج مينى » ·· واتحاده العمالى الأمريكى

محمد جمال امام *

□ يناقش محمد جمال امام فى هذا المقال موقف اتحاد عمال امريكا من اسرائيل ودعمه ومساندته لوجودها الاستعمارى والعدوانى فى الشرق الاوسط □

فى الخطاب الذى ألقاه الرئيس **انور السادات** امام الاجتماع المشترك لمجلس الكونجرس الامريكى فى ٥ نوفمبر الماضى ، وفى معرض حديثه عن تطوير العلاقات الثنائية بين مصر والولايات المتحدة الامريكية ، قال الرئيس : « **ونحن نود ان نرى مزيدا من الاتصالات بين شعبينا ·· بين البرلمانيين والمهنيين والصحفيين والكتاب والفنانين ورجال الاعمال والفنيين والاساتذة والطلبة** » ولقد كان اغفال الرئيس للعمال ضمن طوائف الشعب التى يجرى بينها التبادل. ادراكا داعيا لحقيقة موقف اتحاد عمال آمريكا المعادى بصلابة للقضايا العربية المنحاز تماما للموقف الاسرائيلى من الصراع العربى الصهيونى ·

وموقف اتحاد عمال امريكا ، ورئيسه **جورج مينى** « ٨٢ سنة » والذى يشغل منصبه هذا منذ تأسيس الاتحاد عام ١٩٥٥ فى هذا الصدد ليس جديدا . بل أنه كثيرا ما يتسم بالغطرسة وقلة الذوق ، مثلما حدث عامى ١٩٦٢ ، ١٩٦٣ عندما زار الولايات المتحدة على التوالى كل من انور سلامة واحمد فهيم رئيس اتحاد عمال مصر حينذاك بدعوة من وزارة الخارجية الامريكية ، فرفض **جورج مينى** رفضا قاطعا ان يستقبلهما او يلتقى بهما ·

واذا ما نحن قمنا بدراسة موقف هذا الاتحاد من قضية الصراع العربى الاسرائيلى على السنتين الاخيرتين – اى منذ حرب اكتوبر ١٩٧٣ فسنجد خلالهما الكثير من مثل هذا العداء والتحيز .

ففى ٩ اكتوبر ١٩٧٣ ارسل **جورج مينى** برقية الى وزير الخارجية الامريكية د · هنرى كيسنجر تقول «٢» :

« لقد أبرقت اليوم للسكرتير العام للهستدروت « اتحاد نقابات عمال اسرائيل » لاعبر له عن « تضامن اتحاد عمال امريكا مع دوله اسرائيل ومع الهستدروت وكل عمال اسرائيل وتأييده الكامل لهم

---

[*] مسئول العلاقات الخارجية بالاتحاد العام للعمال .
[١] تأسس الاتحاد فى هذا العام من اندماج اتحادين كانا قائمين قبلها منذ سنوات طويلة .
[٢] مجلة « أخبار النقابات العمالية الحرة » التى يصدرها اتحاد عمال أمريكا – المجلد ٢٨ ، العدد العاشر – اكتوبر ١٩٧٣ – الصفحة الاولى .

فى نضالهم من أجل مجتمع حر قائم على الديمقراطية والعدالة الاجتماعية .

واننى أقتنع تماما بأن هذه هى المشاعر القبلية لاغلبية الشعب الامريكى وليس فقط لاعضاء النقابات العمالية واننى لاحتكم فى هذه الساعة العصيبة للامة الاسرائيلية . ان تعبروا بصوت قوى وواضح عن هذه المشاعر .

ان العدوان المصرى السورى الخزى الذى شن فى يوم العطلة الاسرائيلية المقدس ليس له سوى غرض واحد .. الا وهو تدمير اسرائيل . ومن خلاله تدمير الديمقراطية فى الشرق الاوسط . وفى مثل هذه اللحظة الحرجة ، لا يجب أن يسمح لايه دولة بأن تتشكك ولو لحظة ، فى الموقع الذى تتخذه الولايات المتحدة .

ويجب الا نتجاهل دور الاتحاد السوفيتى الذى لم يقتصر فقط على توفير السلاح لهذه الخيانة : وانما من الواضح انه كان عالم مسبق بها .

ان فشل حكومتنا فى التصرف طبقا لالتزامها بضمان بقاء اسرائيل لن يمثل تقدما ما نحو الانفراج الذى تعماون له أنت ورئيس الجمهورية . بل على العكس فانه سيثير فى عقول الملايين سؤالا هو : هل الامر الذى يحمل مثل هذه النتيجة المريرة يستحق العمل من أجله ؟ » .

أما البرقية التى أرسلها **جورج مينى** الى سكرتير عام الهستدروت فى نفس اليوم « ٩ اكتوبر ١٩٧٣ » فقد كان نصها «٢ : « **ان الاتحاد العام لعمال أمريكا يدين العدوان الذى ليس له مبرر ضد اسرائيل فى عيد الغفران ، اليوم المقدس فى الديانة اليهودية** . ان هذا العدوان الغادر والذى يمثل انتهاكا فاضحا لاتفاق وقف اطلاق النار هو تعبير آخر عن اصرار قادة مصر وسوريا على تدمير استقلال اسرائيل وسيادتها .

واننا لنؤيد نضال اسرائيل ضد العدوان . وكما يعرف الاسرائيليون جيدا ، فان الرد الفعال الوحيد على العدوان هو **دحر المعتدين** .

واننا نعبر عن حزننا العميق للارواح التى راحت فى الحرب ، ونؤكد مرة أخرى ايماننا القوى بأن الوسيلة الوحيدة لتحقيق تسوية للنزاع ، وفى نفس الوقت حدود آمنة يمكن الدفاع عنها ، هى المفاوضات المباشرة

وفى هذه الساعة العصيبة فى حياة الامة الاسرائيلية ، نعبر من جديد عن تضامننا مع دولة الاسرائيل والهستدروت وعمال اسرائيل وتأييدنا الكامل لهم فى نضالهم من أجل مجتمع حر قائم على الديمقراطية والعدالة الاجتماعية » .

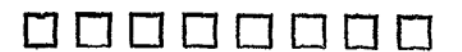
وقد يقول قائل أن هذا موقف اتخذ فى حمية اندلاع الحرب ومظاهر الهزيمة الساحقة التى كادت أن تحيق باسرائيل وقتها ، بحيث يكون من الطبيعى أن يندفع اصدقاءها التقليدين لتأييدها دون تحفظ . ولكن المجلس التنفيذى لاتحاد عمال أمريكا فى دورة الخريف السنوية فى عام ١٩٧٤ يستقبل السكرتير العام للهستدروت « **بروتشام ميشيل** » ، ويستمع الى كلمة طويلة منه حول الوضع القائم فى الشرق الاوسط ، ثم يصدر المجلس قرارا يقول «٣ »: « **ان اسرائيل ، التى تعتبر الديمقراطية الحقيقية الوحيدة فى الشرق الاوسط . تواجه مشاكل اقتصادية من الممكن أن تكون أكثر تهديدا لها من الهجمات المساحة التى يشنها عليها جيرانها . واذ ما تزال معرضة للخطر من اتفاق وقف اطلاق النار يتطلب استثمارات اقتصادية ضخمة فى الاستعدادات العسكرية ، فقد بلغ معدل التضخم فى اسرائيل خلال الشهور الستة الاخيرة ٢٠ فى المائة . وبلغ العجز الاسرائيلى فى ميزان المدفوعات ٣ر٣ بليون دولار امريكى وما يزال فى ازدياد . ويبلغ معدل الضرائب المفروضة على الانتاج القومى ٦٢ فى المائة . كما تبتلع نفقات توطين المهجرين أكثر من ٢٠ فى المائة من الدخل القومى ، بينما تزيد النفقات العسكرية عن ٤٠ فى المائة . ولا تستطيع أى دولة ، مهما كانت كبيرة أو صغيرة ، أن تعيش مثل هذا النزيف الاقتصادى الى مالا نهاية ، بدون الدعم غير المحدود من الدول الحرة فى كل مكان** . والقيام بأقل من هذا هو بصدد تشجيع العدوان العسكرى والاقتصادى الذى يقوم به معذبو اسرائيل ، **وهم عصابة متنافرة من قطاع الطرق الدوليين وان كانوا اغنياء** .

ان المجلس التنفيذى يؤيد بقوة

---

[٣] المرجع السابق .

[٤] مجلة « اخبار النقابات العمالية الحرة » — المجلد ٢٩ ، العدد ٨ — سبتمبر ١٩٧٤ الصفحة الثانية .



دولة اسرائيل الحرة المستقلة ، ويحث حكومة الولايات المتحدة الامريكية لان تقدم كل المساعدات الضرورية لهذا الشعب الشجاع الذى يعتبر بقاءه حرا حجر أساس للسلام فى العالم » •

وعندما اجتمع المجلس التنفيذى لاتحاد عمال أمريكا فى دورته الربيعية فى **٦ مايو ١٩٧٥** ، كانت جولة كيسنجر فى مارس ١٩٧٥ قدفشلت وأعلنت الحكومة الامريكية عن نيتها لاعادة تقييم سياستها فى الشرق الاوسط . وتضمن بيان المجلس فقرة بعنوان « اسرائيل تقول » « ٥ » فى أعقاب جولة المكوك الدبلوماسية الاخيرة لوزير الخارجية **كيسنجر** ، أوضح الرئيس **فورد** أن الحكومة تعتبر « التصلب » الاسرائيلى وقلة « المرونة » مسئولين عن انهيار المفاوضات الاسرائيلية ـ المصرية • واعلن الرئيس عن « اعادة تقييم » للسياسة الامريكية تجاه اسرائيل ».

لقد أيد اتحاد عمال أمريكا اسرائيل منذ تأسيس نشأة الدولة عام ١٩٤٨ . وروابطنا مع الهستدروت ـ الحركة العمالية الحرة فى اسرائيل ـ والذى يعتبر بحق العمود الفقرى لهذه الدولة الديمقراطية قد أصبح لا يمكن فصمها بعد خمسين عاما من التضامن •

وفى هذا المنعطف الحرج فى تاريخ الشرق الاوسط ، فان المجلس التنفيذى لاتحاد عمال أمريكا يكرر التعبير عن تأييده الكامل لاسرائيل • ونحن نطالب بأن تتوقف حكومتنا عن بذر الشكوك حول التزامنا قبل الدولة الديمقراطية الوحيدة فى الشرق الاوسط . خاصة الان اذ تلقى أحداث الهند الصينية شكوكا خطيرة حول التزامات أمريكا تجاه حلفائها .

ان جهاد اسرائيل من اجل البقاء ، ومن اجل حدود عادلة وآمنة ، ومن أجل علاقات سلمية مع جيرانها العرب ، ومن أجل حقها فى البقاء ـ هذه الاهداف تستحق التأييد غير الغامض من حكومتنا ، وليس مجرد البلاغة اللاهية التى لا يمكن أن تؤدى الا الى تشجيع أيدى أعداء اسرائيل العدوانيين •

ان المسألة الفلسطينية جوهرية بوضوح للسلام فى الشرق الاوسط . ولكن حل هذه المشكلة سيوجد من خلال مفاوضات وجها لوجه بين اسرائيل والدول العربية ، وليس من خلال الاعمال غير الانسانية التى تقدم بها **عصابات عرفات الارهابية** أو من خلال الخطب الرنانة التى تعتبر موضع مناقشة فى الامم المتحدة •

والمجلس التنفيذى للاتحاد العام لعمال أمريكا يدعو الحكومة ان تعيد تأكيد ، وليس لان تعيد تقييم ، التزام أمريكا تجاه الديمقراطية فى الشرق الاوسط . . تجاه اسرائيل »

ولجورج مينى نفوذ ضخم فى الحياة السياسية الامريكية . ويكفى ان نذكر انه فى المؤتمر السنوى الاخير للاتحاد الذى عقد فى مدينة **سان** فرنسيسكو الاسبوع الاول من اكتوبر الماضى ، حرص أربعة من الطامعين فى الترشيح للرئاسة الامريكية عن الحزب الديمقراطى على التحدث الى المؤتمر ، وهم بالتحديد : **هنرى جاكسون ، لويد باترسون ، هيدبرت همفرى ، بيرش بايه** ، بالاضافة الى ستة آخرين حرصوا على الظهور فى المؤتمر وان كانوا لم يتحدثوا فيه • وتقول مجلة « **ايكونوميست** » البريطانية فى عددها الصادر فى ١١ أكتوبر ١٩٧٥ : « سياسيا ، أصبح مؤتمر اتحاد عمال أمريكا مكانا لاختيار المرشحين المحتمل أن يحصلوا على تأييد نقابى كبير من بين المندوبين الذين سيحضرون المؤتمر المقبل للحزب الديمقراطى . » وأخذت الصحف الامريكية تفاضل بين امكانيات المرشحين فى النجاح من واقع ما لا قوة من ترحاب وتأييد فى هذا المؤتمر . فاعتماد الحزب الديمقراطى على تأييد اتحاد عمال أمريكا ، وجورج مينى على الوجه الخصوصى ، أمر قديم ومعروف جيدا فى أمريكا . ومن ثم فان نفوذ مينى داخل الكونجرس الامريكى بأغلبية الديمقراطية أمر مفروغ منه •

وقد استطاع **مينى** أن يجبر الحكومة الامريكية ، من خلال ضغوطه فى الكونجرس ، على ان تقدم على أول سابقة من نوعها • اذ تتقدم ظهر يوم الخميس ٦ نوفمبر بأول طلب للانسحاب من عضوية احدى الوكالات المتخصصة للامم المتحدة • فقد انذرت امريكا ان تنسحب خلال عامين من عضوية منظمة العمل الدولية كما

---

[٥] مجلة « أخبار النقابات العمالية الحرة » ـ المجلد ٣٠ العدد ٥ ـ مايو ١٩٧٥ ـ الصفحة الثانية .

يقضى بذلك دستور المنظمة » احتجاجا على قرار المؤتمر الستين للمنظمة فى يونيو الماضى بقبول منظمة التحرير الفلسطينية عضوا مراقبا بالمنظمة الدولية . وكما تقول وكالة يونايتدبرس الامريكية : « لقد اتخذت واشنطون خطوة لم يسبق لها مثيل باعطاء انذار بالانسحاب من احدى منظمات الامم المتحدة تحت ضغوط جورج مينى رئيس وزعيم اتحاد عمال امريكا . والحجة التى استند اليها القرار هى أن منظمة العمل الدولية اصبحت منظمة سياسية بنفوذ الدول الشيوعية والشمولية الاخرى كما يتضح فى يونيو الماضى من قرار قبول منظمة التحرير الفلسطينية كمراقب رسمى فى المؤتمر السنوى » .

وفى تصورنا ان هذه الامور كلها كانت فى ذهن الرئيس السادات عندما أغفل الاشارة الى تبادل الوفود العمالية فى خطابه أمام الكونجرس ونرجو أن يكون أيضا فى اعتبار مخططى العلاقات المصرية الامريكية الجديدة ، خاصة وان لاتحاد عمال امريكا سوابق مشهورة فى عرقلة سياسة الانفراج الدولى . ■

ملاحظــات نقــدية
حــول مشروع قــانون النقــابات الجــديد

أحمد محمد شرف الدين

□ يدور حوار اليوم حول مشروع قانون النقابات الجديد ، والذى سيعرض على مجلس الشعب فى دورته الحالية — ويناقش الكاتب الاستاذ احمد محمد شرف الدين — مشروع القانون باستفاضة ، مركزا على اهمية ان يكون القانون الجديد محققا لديمقراطية نقابية حقيقية ، ومحررا للتنظيم النقابى من كل قيود الوصاية الادارية .

النقابة هى احدى المنظمات الطبقية للعمال التى تناضل من أجل المصــالح الاقتصـــادية المشتركة لجماهير الطبقة العاملة ، مهما تباينت عقائدها ومنظماتها ، فهى اداة العمال فى تحقيق مصــالحهم المباشرة والدفاع عن حقوقهم وتحسين شروط عملهم ورفع مســتوى معيشتهم . وهى بالاضافة الى نضالها من أجل تحقيق « ظروف أفضل للاجرة ويوم العمــل وشروطه » تمثــل مدرسة اولية للكفاح يتعلم فيها العمال كيفيــة حشد جهودهم كطبقة وليس كأفراد فى مواجهــة راس المال [التقليدى والبيروقــراطى] ودعم روح التضامن والتعاون بينهم وحفــزهم للتفكير

فى ظروف حياتهم ، ووضعهم فى شروط تتيح لهم التعرف على أساليب أفضل للنضال وفرز قياداتهم الطبيعية التى يمكن ان ينمو وعيها وتتطور فاعليتها بتمرسها بالنضال وتدربها على القيادة ونزوعها الى الفهم العلمى لتناقضات المجتمع وطرق حلها .

والنقابة — باعتبارها احدى مفردات البنيان الفوقى للمجتمع — هى بنت واقع اجتماعى محدد لا يمكن الا وان تنعكس فيها ظروف ومكونات هذا الواقع خاصة مدى ما يسود فيه من حريات ديموقراطية . ولذلك لم يكن غريبا ان يعيش التنظيم النقابى فى مصر — وقضيته جزء من قضية الديموقراطية فى المجتمع — ظروف غاية فى التردى والسوء والفساد بسبب اهدار الديموقراطية واطلاق يد الاجهزة فى فرض الارهاب والتدخل فى الانتخابات وحرمان المواطنين من أبسط حقوقهم السياسية طوال فترة تاريخية مضت ساد وتراكمت فيها التشريعات والاجهزة المعادية للحريات .

ومظاهر تخلف التنظيم النقابى فى مصر لا تخطئها عين .. لعل أهمها انه لا يزال حتى الان :

● تنظيم بدون برامج أو مناهج سياسية نابعة من ظروف حياة العمال ومصالحهم الحقيقية .

● يستأثر بقيادته « افندية المكاتب » من محترفى الانتخابات .

● يفتقد الاستقلالية فى التفكير والعمل ويخضع لوصاية وتدخل أجهزة الدولة والاتحاد الاشتراكى .

● متخم بعضوية صورية غير فاعلة «عضوية دفترية » بسبب انقطاع صلته بجماهير العمال والغاء دور الجمعيات العمومية فى رسم سياسته ووضع لوائحه ومراقبة اعماله وامواله .

وفيما يلى سوف نتناول كل نقطة باختصار :

أولا : تبعية النقابات للاتحاد الاشتراكى

لا ينكر أحد ان النقابات قبل ١٩٥٢ كانت تتمتع الى حد كبير بحرية نسبية فى الحركة بعيدا عن أجهزة الدولة خاصة فيما يتعلق بوضع نظم لوائحها واعداد برامجها ومباشرة نشاطها السياسى والاقتصادى . ولقد تهيأ لها ذلك بفضل الحريات الديموقراطية النسبية التى كانت الجماهير الشعبية قد استخلصتها من قبضة اعدائها عبر نضالها الدامى الطويل ، ومن ذلك حرية تكوين الاحزاب ومختلف التشكيلات الجماهيرية [فيما عدا الحزب الشيوعى ونقابات العمال الزراعيين] وحرية اصدار الصحف المستقلة والفصل بين السلطات وعديد من الحقوق الديموقراطية الاخرى .

ولكن بعد ١٩٥٢ — وبعد مصادرة كل نشاط مستقل للطبقات الوطنية والشعبية ، وفرض نظام الحزب الواحد اطارا لكل فئات وطبقات المجتمع — فرضت الحكومة وصايتها على الحركة النقابية بصورة مطلقة . أخذ ذلك فى البداية صورة التدخل المباشر السافر عن طريق حرمان النقابات من الاشتغال بالمسائل السياسية بهدف استبقائها فى اطار الاصلاحية الصرفة ، ومنع القيادات الموالية للطبقة العاملة من الترشيح للنقابات عن طريق اعتراض اجهزة الامن على هذا الترشيح .

وسعت الدولة بعد ذلك الى محاولة اضفاء الشرعية على هذا الاسلوب المباشر فى التدخل فاشترطت فى المرشحين للتنظيم النقابى أن يكونوا اعضاء عاملين فى تنظيمها السياسى الاوحد . وقد صدرت بذلك قرارات تشريعات كان آخرها دستور ١٩٦٤ الذى تأكدت به هيمنة الاتحاد الاشتراكى على التنظيمات النقابية وتحكمه فى عضويتها ونشاطها بصورة ديكتاتورية سافرة لم ينكرها المسئولون فى الحكم بعد ذلك . ومن ذلك نذكر :

١ — اشتراط عضوية الاتحاد الاشتراكى فى المرشحين للتنظيم النقابى مما يعنى مصادرة حق الترشيح وحصره فى اعضاء تنظيم الحكومة وحدهم من ناحية ، ومن الناحية الاخرى تحويل التنظيم النقابى الى تابع للاتحاد الاشتراكى يدور فى فلك سياساته ويلتزم بقراراته وتوجيهاته ويلزم بها اعضائه من العمال بما ينتهى الى اخضاع احدى منظمات الطبقة العاملة لايديولوجية ومصالح الطبقة البرجوازية المهيمنة على التنظيم السياسى أصلا . ويعترف السادات بذلك حين يقول :

« سرت فكرة الحزب الواحد لتنال من علاقة الاتحاد الاشتراكى بالتنظيمات الجماهيرية ، فقد استقر الحال على القول بأنها تنظيمات مساعدة للاتحاد الاشتراكى . وقد ترتب على ذلك اشتراط عضوية الاتحاد الاشتراكى فى قياداتها ، كما أدى هذا الفهم الى التدخل فى حرية انتخاب تلك القيادات والتدخل فى مسيرة تلك التنظيمات وفرض اتجاهات معينة عليها » .

٢ — اشتراط الحصول على شهادة بالعضوية وعدم الاكتفاء بشرط العضوية ذاتها . وهو ما كان يمثل اداة لتصفية المرشحين واستبعاد

غير المرغوب فيهم اما بأن ترفض أمانة العمال تسليمهم شهادة العضوية او تتلكأ فى تسليمها لهم الى حين اغلاق باب الترشيح فتفوت عليهم الفرصة- لمصلحةمرشحينآخرين موالينللحكومة.

٣ ـــ اسلوب اسقاط العضوية بواسطةلجنة النظام اذ لم يكن للمرشح الفائز فى الانتخابات اية ضمانة تحول دونحرمانه من نشاطه النقابى فى لحظة أو أخرى حيث كان يكفى اسقاط عضوية الاتحاد الاشتراكى عنه بواسطة لجنة النظام بحجة عدم التزامه بخطه الفكرى والسياسى حتى تسقط عنه آليا عضويته فى التشكيلات النقابية دون أن يستوجب ذلكاجراء اى تحقيق معه أو سماع أقواله . ولقد كانت لجنة النظامتتخذ قراراتها بناء على تقارير اجهزة الامن وليس بناء على تقييم سياسى مهما كانت طبيعته ومعاييره .

واخيرا .. تأتى العضوية الجماعية

رغم أن ورقة التطوير اسقطت شرط عضوية الاتحاد الاشتراكى فى تولى مسئولية أى عمل نقابى أو تعاونى أو اجتماعى الا أنها تحايلت على الامر وعادت ففرضت وصاية الاتحاد الاشتراكى من جديد ولكن بطريق غير مبشر اسمته « العضوية الجماعية » واذا كنا نعترض على هذا الابتكار الجديد فلاسباب منها :

[أ] ان انضمام النقابات العامه أو الاتحاد العام للنقابات كشخص معنوى الى المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى يتم بقرار من مجلس ادارةكل منها دون اخذ رأى الجمعيةالعموميةمما يعنى الغاء دورها فى اتخاذ قرارات على هذه الدرجة من الخطورة ، اذ كيف تنضم نقابة الى حزب سياسى له طبيعته الطبقية وفلسفته وبرامجه ويفترض التزام اعضائه بسياساته ومقرراته دون موافقة العمال اعضاء النقابة أصلا على ذلك .

[ب] سوف يلتزم مجلس ادارة النقابة العامة أو الاتحاد العام ـــ بمقتضى العضوية الجماعية ـــ بسياسات وتوجيهات واوامر المؤتمر القومى ويلزم اعضاء التنظيم النقابى كله بتنفيذها والدفاع عنها .وهكذا تتداخل مرةأخرى النقابات فى السلطة وتفقد استقلالها فى مواجهتها . يساعد على ذلك غيبة الاحزاب التى تعبر عن سائر الطبقات الوطنية والشعبية .

لذا نقترح أن يتضمن الدستور وقانون النقابات مبدأ استقلالية التنظيم النقابى عن أجهزة الدولة وحزبها السياسى . وهذا مايفترض بداية الغاء نظام العضوية الجماعية النقابات فى الاتحاد الاشتراكى .

ثانيا : التضييق من قاعدة الحركة النقابية :

لم يوسع مشروع القانون الجديد قاعدة التنظيم النقابى كما كان يتوهم البعض ، بل جاء ليضيقها عنطريقتقييد حق الانضمام الىالنقابة، وتحديد عدد اللجان النقابية المهنية فى كل محافظة بثلاث لجان فقط ، وحرمان العمال المتعطلين من عضوية النقابة بمضى سنة على تعطلهم .

١ ـــ تقييد حقالانضمام الى النقاباتالعمالية

تشترط المادة [٢٨] من المشروع فى كل عامل يرغب الانضمام الى نقابة :

١ ـــ ان يكون بالغا من العمر خمسة عشر سنة على الاقل .

٢ ـــ ان يكون عاملا مشتغلا باحدى المهن والاعمال التى يضمها التصنيف النقابى .

٣ ـــ الا يكون منضما الى نقابة اخرى ولو كان يمارس اكثر من مهنة .

٤ ـــ الا يكون صاحب عمل فى اية مهنة من المهن .

٥ ـــ الا يكون قد سبق عليه الحكم بعقوبة جناية أو جنحة فى جريمة ماسة بالشرف والامانة ما لم يكن قد رد اليه اعتباره .

والملاحظ للتو أن المشروع الجديدقيد العضوية العادية [أى عضوية الاشتراك] فى النقابة بما لم تكن مقيدة به اذ اضاف شروطا لم تكن قائمة من قبل . والحقاننا نرفض جميعالشروط آنفة الذكر دونما استثناء .

فالشرط الاول يحرم العمال صغار السن من عضوية النقابات ، فى حين أنهم أوجب بالدفاع عن حقوقهم من غيرهم ، اليسوا عمالا يبدعون قوة عملهم مقابل أجر ؟ اليسوا هم أكثر فئات العمال معاناةمن وطأةالاستغلال والقهر وظروف العمل الشديدة التردى خاصة فى المصانع والمنشآت الصغيرة التى يبلغ عددها عدة آلاف؟ لذلك نرى الا تكون العضوية النقابية مشروطة بسن معينة ، فالنقابة يجب ان ترعى حقوقكل عامل مهما كانت سنه .

أما الشرط الثانى فهو يسلب العمال الذين تضمهم مهن واعمال لا يشملها التصنيف حقهم فى تكوين منظماتهم النقابية التى تدافع عن مصالحهم المشتركة . ولكى يكون هذا الشرط مقبولا لابد أن يشمل التصنيف جميع المهن .

اما الشرط الثالث والرابع فكلاهما تزيد لا مبرر له ، فاشتراط عدم انضمام العامل الى نقابة اخرى يفترض انه استكمل شروط الانضمام اصلا الى نقابة ، واشتراط الا يكون صاحب عمل فهو امر منطقى لانها نقابات عمال .

اما الشرط الخامس فاننا نشدد على رفضه لان المقصود به منع القيادات الثورية والموالية للعمال من تولى مسئولية العمل النقابي . فالنص على اشتراط عدم صدور حكم بعقوبة جنساية [هكذا على الاطلاق دون تحديد طبيعة الجناية] يعنى أن العمال الذين تصدر ضدهم احكاما بعقوبة جناية فى القضايا السياسية مثل قضايا الرأى أوممارسة الاحتجاج المباشر بصورة سلمية مثل الاجتماع والاضراب .. الخ ممنوعين أصلا من الانضمام الى النقابة فى حين انهم أولى بالدفاع عن حقوقهم ازاء الدولة . فكيف يتحمل هؤلاء تضحيات غير محدودة من اجل الدفاع عن مصالح وحقوق العمال ويحال دون انضمامهم الى النقابات التى يفترض فيها الدفاع عن هذه الحقوق والمصالح . هذا شق

اما الشق الثاني من الشرط وهو المنع بسبب صدور حكم بعقوبة جنحة فى جريمة ماسة بالشرف والامانة فهو يتعارض مع القرار الوزارى الذى صدر مؤخرا ، ويبيح تعيين أصحاب السابقة الاولى . فاذا كان ذلك كذلك فان القانون يجب ان يكفل لهؤلاء حق الدفاع عن مصالحهم بالانضمام نقابه .

ومن هنا نقترح ان تكون شروط طالب العضوية كالاتي : أن يكون عاملا فى مهنة أو صناعة يبيع قوة عمله مقابل أجر — وأن يرغب فى الانضمام الى النقابة — وأن يدفع رسم الاشتراك المقرر .

٢ — حرمان العمال المتعطلين من عضوية النقابة :

تنص المادة [٣٤] من المشروع الجديد على ان « يظل العامل المتعطل محتفظا بعضويته النقابية لمدة سنة من تاريخ تعطله اذا كان قد أمضى ستة اشهر على الاقل عضوا بها مع اعفائه من سداد اشتراك النقابة خلال هذه المدة » .

ويتضمن هذا النص اساءة لمركز العامل بدلا من تحسينه . اذ انه يصادر احد الحقوق المكتسبة التى كان يتمتع بها العمال حتى عام ١٩٦٤ حيث كانت المادة [١٦٣] من القانون رقم ٩١ لسنة ١٩٥٩ تنص على احتفاظ العامل بعضويته النقابية لمدة سنتين من لحظة تعطله دونما اشتراط فترة معينة على انضمامه للنقابة ،

وفضلا عن ذلك ، نحن لا نرى أى مبرر لاسقاط عضوية العامل بسبب تعطله . فالمفروض أن يظل عضوا بالنقابة الى أن يعود الى عمله الاصلى أو يجد عملا آخر ، ذلك انه لا يوجد عامل يختار التعطل عن العمل الذي يعد مصدر رزقه الوحيد ، كما ان مثل هذا العامل أولى بالدفاع عن مصالحه وصيانة حقه في العمل . كذلك ينبغى عدم اشتراط مضي اية فترة على اكتساب العامل عضويته النقابية اذ يجب أن يكون له الحق اصلا فى اكتساب هذه العضوية حتى ولو كان متعطلا طالما انه عامل يبيع قوة عمله مقابل أجر . فهذا هو مقتضى المنطق .

٣ — تقييد عدد اللجان النقابية المهنية دون مبرر

تنص المادة [٧] من المشروع على أنه يحق للعمال البالغ عددهم فى المنشأة خمسين عاملا على الاقل تكوين لجنة نقابية . وفى المنشآت التى لايتوافر فيها هذا العدد يكون لعمال المهنة فى اكثر من منشأة حق انشاء لجنة نقابية مهنية على مستوى المدينة الواحدة اذا ما بلغ عددهم الخمسين عاملا على الاقل . ويمكن اعتبار مناطق التجمعات العمالية فى ذات المحافظة فى حكم المدينة الواحدة على الا يزيد عدد اللجان فى هذه الحالة عن ثلاث لجان مهنية فى المحافظة الواحدة . ورغم اتفاقنا مع مضمون النص الا اننا لا نجد مبررا للقيد الاخير سوى التضييق من قاعدة الحركة النقابية وتعطيل فاعليتها . فما هو الموقف — فى الحال أو المستقبل — اذا بلغت التجمعات العمالية فى المحافظة عشرة تجمعات أو أكثر .

ثالثا : تعطيل وتقييد حق الترشيح :

قيد المشروع حق الترشيح فى التنظيم النقابى باشتراطات مجحفة ، ثم زادها اجحافا فى الترشيح لعضوية مجالس النقابات العامة وما فوقها . وعاد ليصادر حق الترشيح عموما بحصره فيما ابتدعه من مستويات انتخابية جديدة تتوسط الجمعيات العمومية ومجالس منظماتها النقابية . وفيما يلى سنتناول كل قيد من هذه القيود على حدة .

[أ] **الشروط العامة للترشيح** : تشترط المادة [٢٩] فيمن يرشح نفسه لعضوية المجلس التنفيذى [مجلس الادارة] لاحدى المنظمات النقابية [اللجنة النقابية — النقابة العامة — الاتحاد المحلي للنقابات — الاتحاد العام لنقابات العمال] أو لاحد المستويات الوسيطة [مؤتمرات المندوبين — المجالس المركزية] الشروط التالية :

١ — ان يكون بالغا سن الرشد [٢١ سنة].
٢ — ان يجيد القراءة والكتابة .
٣ — ان يكون قد امضى مدة سنة على الاقل عضوا بالنقابة .
٤ — ان يكون عضو الجمعية العمومية او مؤتمر المستوى المطلوب تشكيله او عضو مجلس ادارة المستوى الادنى .

وليس لنا هنا ان نتفق مع اولئك الذين يرون ان تلك الشروط « معقولة وواجبة » بحجة ضرورة اختيار افضل العناصر لقيادة العمل النقابى اذ لا مبرر مطلقا لرفع سن الترشيح الى ٢١ سنة تحت زعم ان ذلك يستهدف توافر النضج فى المرشح، فالنضج ليس مشروطا بمسألة السن مجردة من اى شيء آخر ، ولكنه مشروط بالدرجة الاولى بمدى ولاء المرشح لمصالح الطبقة العاملة وتصديه لحل مشاكلها والدفاع عن مطالبها واستيعابه للفكر الثورى ، فقد لا يبلغ المرشح هذه السن ومع ذلك يكون مقاتلا جسورا من اجل الطبقة العاملة واهدافها فى الغاء نظام عبودية الاجر ، وقد يبلغ الاربعين من العمر او يزيد ويكون رجعيا شديد الرجعية ومعاديا لمصالح هذه الطبقة . اضف الى ذلك انه اذا كان التعويل على سن الثامنة عشرة فى منح المواطن حق المشاركة فى مسائل على درجة عالية من الخطورة على صعيد المجتمع ككل مثل حق التصويت فى انتخابات المجالس الشعبية ومجلس الشعب والاستفتاء على رئاسة الجمهورية فان ذلك مما يعزز رأينا بالاكتفاء بسن الثامنة عشرة فيمن يرشح نفسه لكافة المستويات النقابية . ولعل فى ذلك ما يفتح بابا امام العناصر الشابة من العمال لاحياء التنظيم النقابى وتخليصه من العناصر الرجعية القديمة التى أكل عليها الدهر وشرب .

وما دام العامل قد بلغ هذه السن ويحوز العضوية العادية فى النقابة فلا تترتب على حقه فى الترشيح سواء مضت على عضويته هذه سنة كاملة او يوم واحد فقط ، فلا فرق فى الحالين .

اما اذا كانت نسبة الامية فى مجتمعنا تزيد على ٧٥٪ من مجمل السكان فانه من غير المنطقى ان يحرم العمال الاميين من الترشيح للنقابة [على الاقل فى مستوى اللجان النقابية] اذ يمكن ان يوجد بينهم قادة عضويين على دراية وخبرة بمصالح وحقوق العمال المباشرة الى جانب كثير من تفاصيل المسائل الفنية والادارية . ولم يقل احد ان يسيطر الاميون على المنظمات النقابية فهذا ما لن يحدث ابدا . ثم لماذا لا نترك حرية الاختيار للجمعية العمومية تمنح وتمنع فى ضوء مصالح العمال وليس مصالح احد غيرهم .

وما يزيد الطين بلة ان يسرى الشرط ذاته على العمال الزراعيين فكيف نطالبهم باجادة القراءة والكتابة وآفة الامية تنتشر اكثر من ٩٦٪ من سكان القرى ؟ . ان المعنى المنطقى الوحيد لهذا الشرط ان يسيطر الافندية وذوى الياقات البيضاء من اللصوص والمرتشين على النقابات العمالية ليمثلوا مصالح بـ « المقلوب » .

اما الشرط الرابع فان لنا عودة اليه . ونكتفى مبدئيا بالقول بان عضو الجمعية العمومية يجب ان يكون له الحق فى الترشيح لعضوية مجلس ادارة المنظمة النقابية التابعة لها و الترشيح لتمثيلها فى الجمعية العمومية للمستوى الاعلى .

[ب] **شروط خاصة للترشيح** : بالاضافة الى الشروط العامة السالفة الذكر ، وضع المشروع بعض القيود على الترشيح للمستويات التى تعلو اللجنة النقابية :

● فقد اشترط فيمن يرشح نفسه لعضوية المجلس المركزى او مجلس ادارة النقابة او الاتحاد المحلى لعمال المحافظة ان يكون قد امضى دورة نقابية واحدة على الاقل عضوا بمجلس ادارة احدى اللجان النقابية .

● واشترط بالنسبة للترشيح للمجلس المركزى او مجلس ادارة الاتحاد العام للنقابات ان يكون المرشح قد امضى دورتين على الاقل احداهما عضوا بمجلس ادارة نقابة عامة .

ويرى البعض للاسف ان هذه الشروط معقولة لانها تختص بمستويات لا يصل اليها غير العناصر التى تمرست فى قيادة الحركة النقابية . والحق ان هذا مبرر سقيم . فهو يغلق الطريق أمام العناصر الثورية الشابة من العمال ويعطل حق جماهير العمال فى تزكية قياداتها الحقيقية الى أعلى مستويات التنظيم النقابى بغض النظر عن شرط « الاقدمية » الذى يستهدف اساسا — على الاقل الان — تأبيد سيطرة العناصر الانتهازية القديمة على النقابات وتقنين احتكارها لمراكز القيادة فيها .

[د] **اصطناع مستويات انتخابية « وسيطة »** :
ويستفحل الطابع اللاديموقراطى للمشروع باختلاق مستويات انتخابية جديدة لم تكن قائمة من قبل تقف فى الوسط بين الجمعيات العمومية ومجالس منظماتها النقابية مثل : مؤتمرات المندوبين والمجلس المركزى للنقابة العامة والمجلس المركزى للاتحاد العام . وهذه المستويات الوسيطة تستأثر وحدها — دون الجمعيات العمومية — بحق التصويت والترشيح لكافة مجالس ادارة التشكيلات النقابية . ومن هنا ينحصر هذا الحق فى قاعدة ضيقة للغاية هى مندوبو الجمعيات العمومية وحدهم .

□□□□□□□□

نخرج من ذلك كله الى ضرورة الغاء كافة شروط الترشيح للتشكيلات النقابية خاصة شرط بلوغ سن الرشد واجادة القراءة والكتابة ، وشرط قضاء دورات نقابية سابقة للترشيح للمستويات العليا فى التنظيم النقابى ، على أن يكون حق الترشيح مكفولا لكل عامل دون أية قيود طالما كان بالغا الثامنة عشر من عمره وعضوا فى الجمعية العمومية للمستوى المطلوب تشكيله .

رابعا : الغاء دور الجمعيات العمومية

[أ] الغاء حق الجمعيات العمومية فى انتخاب ممثليها :

كان القانون ٦٢ لسنة ٦٤ الذى لايزال ساريا حتى الان يعطى الجمعية العمومية حق انتخاب مستوياتها النقابية مباشرة . ولكن المشروع الجديد الغى هذا الحق ومنحه لثلاث مستويات وسيطة لم تكن قائمة من قبل . وقد سبق التنويه اليها ، وهى :

● **مؤتمر المندوبين** : يفرق المشروع بالنسبة لطريقة تشكيل مجلس ادارة اللجنة النقابية بين نوعين من المنشآت :

الاول : فى المنشآت التى يقل عدد العمال فيها عن خمسمائة عامل : تنتخب الجمعية العمومية مباشرة اعضاء مجلس ادارة اللجنة النقابية وممثلى اللجنة النقابية فى مؤتمر النقابة العامة ، وهذا أمر لا طعن فيه .

الثانى : فى المنشآت التى يزيد عدد العمال فيها عن خمسمائة عامل : تنتخب الجمعية العمومية فى المنشأة عددا من المندوبين النقابيين عن اقسام ومواقع العمل وفقا للشروط والاوضاع التى يصدرها قرار من الاتحاد العام لنقابات العمال . ويعتبر هؤلاء المندوبين مؤتمر اللجنة النقابية حيث يتم من بينهم اختيار مجلس ادارة اللجنة النقابية وممثلى اللجنة النقابية فى مؤتمر النقابة العامة . وهذا الامر فيه نظر .

● **المجلس المركزى للنقابة العامة** : وهو مستوى جديد يتم انتخابه من جانب مؤتمر النقابة العامة . ويتولى هذا المجلس انتخاب مجلس ادارة النقابة العامة وممثليها فى مؤتمر الاتحاد العام للنقابات .

المجلس المركزى للاتحاد العام

وينتخب من مؤتمر الاتحاد العام على ان يتولى المجلس التنفيذى « مجلس الادارة » للاتحاد العام للنقابات .

والحقيقة ان هذه المستويات الملفقة تمثل حواجز غير ديموقراطية بين كل جمعية عمومية ومستواها النقابى وهى تستهدف ما يلى :

١ — الغاء دور الجمعيات العمومية حتى فى مجرد انتخاب ممثليها فى التشكيلات المختلفة ، وقد كاد أن يكون ذلك دورها الفعلى والوحيد حتى الان .

٢ — تمثل مؤتمرات المندوبين والمجالس المركزية وسيلة لتصفية المرشحين وحصر حق الترشيح فى هذه المؤتمرات والمجالس فقط وفى تلك تعطيل لباقى اعضاء الجمعيات العمومية فى ممارسة حقهم فى الترشيح .

٣ — تستخدم هذه المستويات ايضا من اجل تضييق نطاق الذين ينتخبون مجالس ادارة المستويات النقابية المختلفة حتى يسهل الضغط عليهم والتأثير فيهم . وهو أمر يصعب القيام به كلما اتسعت قاعدة الناخبين .

ويضاف الى ذلك أن هذه المستويات المصطنعة تتعارض معما اعلنته — على الاقل — الحكومة فى احدى وثائقها حيث تقول ورقة تطوير الاتحاد الاشتراكى « ومن المعروف انه كلما اتسعت قاعدة الانتخاب وقلت درجاته كان أكثر ديموقراطية لانه يتعذر عندئذ التأثير على الناخبين أو توجيه اصواتهم » .

[ب] حق المستويات العليا فى رفض ووقف وفصل العضو وحل المنظمة النقابية الادنى :

١ — رفض عضوية الاشتراك

تنص المادة [٣١] على حق مجلس ادارة النقابة العامة فى رفض طلب العامل الانضمام الى التنظيم النقابى . على ان يكون للعامل حق الطعن فى قرار الرفض خلال ثلاثين يوما من تاريخه أمام المحكمة المختصة التى تصدر حكما نهائيا فى الموضوع غير قابل للطعن .

— اننا نرفض سلطة مجلس ادارة النقابة العامة فى رفض عضوية اى عامل طالما كان مستوفيا شروط العضوية اصلا ، ولا نتفق مع الذين يريدون الابقاء على هذه السلطة ومنحها للجنة النقابية .

— ان التقاضى فى هذه الحالة ليس ضمانة حقيقية كما يتصور البعض . فالضمانة الحقيقية والديموقراطية ان تكون امور التنظيم النقابى من سلطة جماهيره العريضة ممثلة فى جمعياتها العمومية التى لها وحدها حق رفض العضوية دون الاخلال بحق العامل فى التقاضى فى هذه الحالة .

— ان مصادرة حق الطعن فى الحكم وحيازته القوة التنفيذية فور صدوره هو مبدأ استثنائى لا نقره . اذ يتعارض مع احد الحقوق الدستورية وهو حق التقاضى حتى أعلى الدرجات [الاستئناف والنقض] ..

٢ — اسقاط العضوية :

أعطت المادتان [٣٥] ، [٣٦] لمجلس ادارة النقابة سلطة فصل العضو المشترك فى النقابة

بقرار مسبب بعد محاسبته تنظيميا وذلك بسبب مخالفته لاحكام قانون النقابات ولائحة النظام الاساسي .

ــ المعروف ان قانون النقابات ولائحة النظام الاساسي مفروضان على العمال من جانب الدولة أو الاتحاد العام دون اية مشاركة من جماهير العمال في وضع ومناقشة واصدار كل منهما .

ــ ان سلطة الفصل تتعلق هنا بارادة مجموعة ضيقة من قيادة مجلس النقابة العامة في حين انه يجب ان تكون في يد الجمعية العمومية للجنة النقابية وليس اى احد آخر .

٣ ــ وقف العضو :

تقرر المادتان [٣٨] ، [٣٩] أنه في حالة مخالفة عضو مجلس منظمة نقابية لاحكام النقابات أو لائحة النظام الاساسي او المالي ، للمجلس ان يقترح على المنظمة الاعلى وقف هذا العضو عن مباشرة نشاطه النقابي . وللمنظمة الاعلى ان تصدر قرارا بالوقوف على ان يعرض الامر على الجمعية العمومية او المؤتمر حسب الاحوال خلال ثلاثة شهور .

ــ نلاحظ ان النقابة العامة وما علاها هي التي تتخذ قرار الوقف بناء على اقتراح المنظمة الادنى دون اخذ رأى العمال . في حين أن الجمعية العمومية وحدها هي التي يجب أن تختص باتخاذ مثل هذا القرار الخطير . ويمكن فقط أن يكون للمنظمة النقابية حق اقتراح الوقف على الجمعية العمومية التي لها ان تقره أو ترفضه .

ــ ان اتخاذ قرار الوقف ثم عرضه على الجمعية العمومية خلال ثلاثة شهور يعطى للارستوقراطية العمالية واجهزة الادارة والامن فسحة من الوقت تقوم فيه باضطهاد العضو الموقوف او نقله أو فصله او تلفيق التهم له اذا كانت ترى أن اتجاه الجمعية العمومية يميل الى رفض قرار الوقف .

ــ ان الجمعية العمومية في ظل القوانين التي تحكمها والظروف المحيطة بها ومصادرة حقوقها الفعلية لن تتمكن من اتخاذ الرأى الذى تراه في قرار الوقف .

٤ ــ حل مجالس ادارة المنظمات النقابية

تمنح المادة [٥٣] للمجلس المركزي للاتحاد العام للنقابات سلطة اصدار قرار بوقف مجلس ادارة أى منظمة أدنى عن مزاولة نشاطها في حالة مخالفتها لاحكام قانون النقابات او لائحة النظام الاساسي أو المالي ، على أن يعرض أمر حلها خلال ثلاثة اشهر على الجمعية العمومية.

ويعد ذلك في رأينا تدخلا سافرا لا مبرر له من جانب الاتحاد العام اذ يجب أن تنفرد الجمعية العمومية وحدها بحق حل مستواها النقابي اذا تعارضت نشاطاته مع مصالح الطبقة العاملة وحقوقها .

جـ ــ سلب حق الجمعية العمومية في عمل لوائح نظامها الاساسي :

ينص المشروع الجديد على أن لكل نقابة عامة أن تسير في أعمالها وفقا لنظامها الاساسي ، وأن على الاتحاد العام للنقابات ــ وكان ذلك من اختصاص وزير العمل ــ ان يصدر لائحة نموذجية للنظام الاساسي تلتزم بها النقابات العامة في اعداد لوائح نظامها الاساسي . أما لائحة الاتحاد التي يسير وفقها ــ وهذه مفارقة عجيبة ــ فهي من وضع واصدار مؤتمره .

ــ ان اختلاط النقابات بالسلطة من خلال عشرات المسارب التي عرضنا لبعضها لا يجعل انتقال سلطة اصدار اللائحة النموذجية للنظام الاساسي من الوزير الى الاتحاد العام تمثل نقلة كيفية ذات مغزى حقيقي .

ــ ان الجمعية العمومية لكل مستوى نقابي يجب ان تختص وحدها بوضع لوائح نظامها الاساسي . فهذا هو الذى يضمن استقلالية التنظيم النقابي وانتعاش الديموقراطية بين صفوفه .

د ــ مصادرة حق الجمعية العمومية في وضع النظام المالي لمستواها

بمقتضى المشروع الجديد يكون لوزير العمل منفردا أو بمشاركة الاتحاد العام سلطة تحديد وتسيير ومتابعة الاوضاع المالية للتنظيم النقابي كله . ومن ذلك انه لا يجوز للمنظمات النقابية أن توظف أموالها أو تتنازل عن جزء منها لاغراض قومية أو تقبل التبرعات والاعانات والهبات والوصايا الا بموافقة الاتحاد العام وتصديق الوزير . وللاتحاد العام أن يقوم بوضع لائحة مالية تسير عليها المنظمات النقابية ، على أن تتضمن هذه اللائحة نسب توزيع الاشتراك على مستويات التنظيم النقابي . وقد كانت هذه النسب محددة في القانون الحالي [٣٠٪ للجان النقابية ــ ٧٠٪ للنقابة العامة والاتحاد العام للنقابات] .

اننا نرفض أن يمارس وزير العمل أية سلطة في شئون النقابات . وان التنظيم النقابي ــ ممثلا في الجمعيات العمومية لكل مستوى هو

المنوط وحده بتحديد لوائحه المالية وتوظيف أمواله وقبول التبرعات ومناقشة الميزانيه ومراقبة أوجه الصرف والتصديق على الحساب الختامي. ولعله قد آن الاوان لتعديل نسب توزيع الاشتراكات بحيث تختص اللجان النقابية باشتراكات اعضائها على ان تدفع ٥٪ من حصيلتها للنقابة فى حالة انضمامها اليها .وعلى النقابة العامة ايضا أن تدفع نفس النسبة من أموالها للاتحاد العام عند اشتراكها فيه .

و ــ تمديد فترة الدورة النقابية :

بعد أن كانت القوانين السابقة تحدد مدة الدورة النقابية بسنتين فقط جاء المشروع الجديد ليرفعها الى اربع سنوات . ولعل الهدف من ذلك هو تجميد دور الجمعية العمومية فى اختيار ممثليها لاطول فترة ممكنة . هذا من الناحية القانونية. ومن الناحية الفعلية فان الحكومة لا تلتزم أصلا بالفترة المقررة للدورة النقابية كما حدث بالنسبة لدورة ١٩٦٤ التى استمرت حتى يونيو ١٩٧١ أى لفترة تقارب السبعة اعوام ، وذلك بهدف اطالة أمد سيطرة العناصر الموالية لها على قيادة التنظيم النقابى .

هـ ــ تشكيل الجمعية العمومية

اقر المشروع الجديد الوضع السابق حيث كانت الجمعية العمومية للجنة النقابية تتكون من جميع اعضاء النقابة العاملين فى المنشأة أو المنشآت حسب الاحوال . وكانت الجمعية العمومية للنقابة العامة تتكون من ممثلى اللجان النقابية على مستوى الجمهورية ، وكان مؤتمر الاتحاد العام يتكون من ممثلى مجالس النقابات العامة . ولكننا نرى غير ذلك . اذ يجب ان تتشكل الجمعيات العمومية للمستويات الاعلى [النقابة العامة وما فوقها] من مندوبى الجمعيات العمومية للمستويات الادنى وليس مندوبى هذه المستويات وذلك حتى تكون هذه الجمعيات فاعلة ومؤثرة .

خامسا : الغاء استقلالية اللجان النقابية

اعتبر المشروع الجديد ــ مثل القوانين السابقة عليه ــ أن النقابة هى الاصل . واللجان النقابية مجرد فروع وتوابع تتلقى منها الاوامر والتوجيهات وتخضع لاشرافها فى نشاطاتها المختلفة بما فيها النشاطات الادارية خاصة عمل المطبوعات وابرام العقود وتحريك الدعاوى أمام القضاء اذ يتم كله باسم النقابة العامة وبتدخلها المباشر . بل أن النقابة العامة هى التى تصدر قرارات تفرغ أعضاء مجالس اللجان النقابية وفق الشروط والأوضاع التى يصدر بها قرار من وزير القوى العاملة بالاتفاق مع الاتحاد العام للنقابات . اضف الى ذلك أن الاتحاد العام للنقابات هو الذى يتحكم بصورة مطلقة فى فى مواعيد الانتخابات فيقدمها ويؤخرها وفق مصالح قياداته كما آن له أن يحدد اجراءاتها ومراحلها المتتابعة وطرق الطعن واحكامه فى حين ان المفروض أن يتحدد هذا بشكل قطعى فى نصوص قانونية ملزمة .

سادسا : سلب العمال حق اقامة الاشكال المستقلة :

تنص المادة الثانية من اصدار المشروع على انه « لايجوز لاعضاء المنظمات النقابية المشار اليها فى القانون المرافق ولا لمن لهم الحق فى عضويتها انشاء جمعية أو رابطة أو صندوق ادخار أو صندوق زمالة أو اعانة وفقا لاحكام قانون الجمعيات والمؤسسات الخاصة أو أى قانون آخر على خلاف احكام القانون المرافق متى كانت هذه الجمعيات أو الروابط تباشر نشاطا تختص او تقوم به تلك المنظمات النقابية »

ويفرض هذا النص قيدا على حرية الجماهير فى انشاء كافة الاشكال التى تدافع عن مصالحها وحقوقها وتنمى روح التضامن بينها وتطور من فاعليتها ونشاطها مثل تأسيس الجمعيات التعاونية أو الاندية الثقافية والرياضية والفنية أو صناديق الزمالة والاعانة والادخار وغيرها. اذ لا مبرر لمصادرة هذا الحق لان الجماهير لن تسعى الى انشاء هذه الاشكال خارج النقابات الا اذ تأكد لها عدم قيام النقابة أصلا ، أو عدم جديتها فى القيام ، بهذه المشروعات .

سابعا : تدخل الدولة فى النشاط النقابى :

[أ] تدخل يأخذ صورة الشرعية [مقنن] :
ومن هذا اشتراط تصديق أو موافقة وزير العمل على توظيف النقابات لاموالها أو قبولها التبرعات والاعانات وما فى حكمها أو امساكها الدفاتر الخاصة باحوالها المالية .وكذا سلطة الوزير فى اصدار قرارات بتحديد أوضاع وشروط تفريغ بعض اعضاء المنظمات النقابية للقيام بمهام النشاط النقابى وأيلولة أموال صناديق الادخار والاعانات الى المنظمات النقابية التى تضم غالبية اعضاء هذه الصناديق وأيلولة المبالغ المحكوم بها عن مخالفة أحكام هذا القانون الى صندوق الاتحاد العام لنقابات العمال وتحديد اوجه

صرفها .. وغير ذلك من تدخلات مرفوضة يتضمنها المشروع الجديد .

[ب] **تدخل غير شرعى** : تتدخل الدولة فى نشاط النقابات بشكل غير قانونى على النحو التالى :

● عدم اجراء الانتخابات فى مواعيدها المقررة واستمرار الدورة النقابية لاكبر فترة ممكنة لاطالة امد سيطرة العناصر الموالية للحكومة . مثال ذلك الدورة النقابية التى بدأت عام ٦٤ واستمرت حتى يونيو ٧١ أى لفترة تزيد على السبعة اعوام رغم أن القانون يحدد مدتها بسنتين فقط .

● حل التنظيم النقابى عام ٧١ بقرار من عزيز صدقى أمين الاتحاد الاشتراكى وقتذاك وتعيين حراس عليه من موظفى الدولة الى حين اجراء الانتخابات الجديدة رغم ان الحل بالطريق الادارى [دون حكم القضاء] غير قانونى .

● اعتراض أجهزة الامن على ترشيح النقابيين الشرفاء الموالين لمصالح العمال رغم عدم مشروعية هذا الاجراء .

● تدخل اجهزة الامن المتعددة مثل : مكاتب مكافحة الشيوعية ــ مكاتب العمال بالمباحث العامة ــ مكاتب الامن بالشركات والمصانع .. وغيرها فى الإعداد والتخطيط للانتخابات ، والتشهير بالعناصر النقابية الديموقراطية والتقدمية والصاق اللافتات المسعورة بها .

● تجنيد بعض الموظفين والعمال فى أجهزة المباحث للتجسس على النقابيين الشرفاء والاعتداء الجسدى عليهم وتلفيق التهم لهم .

● اضطهاد الادارة لهؤلاء النقابيين بالخصم من المرتب والوقف عن العمل والنقل والفصل ومنع اجتماع العمال والتضييق على نشاط اللجنة النقابية بدعوى مصلحة العمل .

ثامنا : عزل اتحاد عمال مصر عن الاتحادات العمالية الدولية :

لا يزال الاتحاد العام لنقابات العمال فى مصر ــ للاسف الشديد ــ غير منضم الى الاتحاد العام العالمى لنقابات العمال الذى يمثل تضامن جميع عمال العالم ضد انظمة الاستعمار والاستغلال ومن أجل الديموقراطية والعدل الاجتماعى . ومعروف أن اتحاد عمال مصر ملتزم فى ذلك بالنص القائم فى لائحة اتحاد العمال العرب المنضم اليه الذى يمنع اعضائه من الانضمام الى اتحادات دولية تحت دعوى الحياد وعدم الانحياز « الزائفة » .

ان ذلك الموقف الخاطىء يحرم عمالنا وشعبنا من خبرات الحركة النقابية العالمية ودعمها ومساندتها لكفاحاتنا العادلة . وهذا مايستدعى النضال من اجل الغاء النص المذكور .

هذه خطوط عامة سريعة تبلور وتكثف انتقاداتنا لمشروع قانون النقابات الجديد المزمع مناقشته واصداره ، ويمكن لهذه الخطوط ان تكون اساسا لتصور ديموقراطى لمشروع آخر لابد وأن ينطلق منذ البداية من حقيقة أولية مؤداها : أن أزمة التنظيم النقابى فى مصر هى جزء من الازمة العامة للديموقراطية فى المجتمع .

■ جمهورية مصر العربية

رحلة الرئيس السادات
الاتجاهات والنتائج العامة

فى ختام رحلته الى فرنسا والولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا التى استغرقت ستة عشر يوما، امضى الرئيس انور السادات اربعة ايام فى زيارة رسمية لبريطانيا ، اعلنت الحكومة البريطانية خلالها رفع الحظر الذى فرضته من قبل على شحنات الاسلحة الهجومية لمصر ثم اذاعت وكالات الانباء العالمية ان بريطانيا وافقت على امداد مصر بصفقة من الاسلحة تصل قيمتها الى الف مليون جنيه منها ٢٠٠ طائرة « جاجوار » ·

وكان هناك شبه اجماع من أجهزة الصحافة والاعلام البريطانية على حث الحكومة البريطانية على الامساك بالفرصة التى تتيحها الزيارة ·· والاستفادة من تردد الاخرين وعدم اقدامهم على الاستجابة لمطالب الرئيس السادات من الاسلحة الذى ثبت انه يسعى من أجل السلام فعلا ، ويعمل من أجل دور متزايد لاوروبا فى ازمة الشرق الاوسط والتعاون الاقتصادى ويطالب باشتراك انجلترا وفرنسا فى أعمال مؤتمر جنيف ·

وابدى كبار رجال المال والاعمال وكبار الصناعيين البريطانيين اهتماما واسعا بالزيارة · وكتبت التايمز اللندنية تقول : « ان ما اقدم عليه السادات من تدعيم النظام السياسى الداخلى وسياسة الانفتاح امام الاستثمار الاجنبى قد طور تجارة بريطانيا مع مصر لدرجة ملحوظة فارتفعت الصادرات البريطانية الى مصر من ١٤ مليون جنيه استرلينى عام ٥٩ الى ٦١ مليون فى الاشهر الثمانية الاولى من هذا العام بينما زادت صادرات مصر الى بريطانيا أربعة أمثال تقريبا خلال هذه الفترة وارتفعت الى ٣٦ مليون جنيه ·

وفى لقاء الرئيس السادات مع الصناعيين البريطانيين أكد لهم « ان الصورة الان مختلفة بعد أن كنا قد بنينا حول انفسنا ستارا حديديا بأنفسنا ــ وكنا معزولين عن العالم والتكنولوجيا الحديثة ونحن لا نستطيع ان نعيش فى هذه العزلة · لا أريد ان أقدم لكم صورة وردية عن الموقف فى بلادنا ــ ولكن لدينا الارادة لكى نعيد البناء · وانا افضل المشروعات الثنائية والثلاثية ــ لقد اصدرنا عدة قوانين ونظمنا كل شىء ، وسوف نحاول أن ننهى القيود الروتينية لكى نصل الى الباب المفتوح » ·

واتسعت المحادثات مع الجانب البريطانى لتشمل زيادة الاستثمارات البريطانية فى مصر واقامة مصانع لتجميع الجرارات وسيارات النقل وغيرها من المركبات المدنية ·

وقبل زيارته لبريطانيا ــ كان الرئيس انور السادات قد أمضى عشرة أيام فى زيارة الولايات المتحدة الامريكية اختتمها بخطاب امام الكونجرس الامريكى قال فيه « اننى لم احضر الى بلادكم سعيا وراء مساعدة او طلبا للوعود والتعهدات ــ بل جئت لكى أمد لكم ولكل أبناء الولايات المتحدة يد الصداقة والفهم ولست اخاطبكم كحليف وانما كصديق مخلص على استعداد لتأييدكم عندما تكونون على حق ويكون مستعدا بنفس القدر للفت نظركم عندما تكونون على خطأ · »

وأكد الرئيس السادات على « اننا لا يمكن ان نقبل اى مساس باستقلالنا أو أن نرهن ارادتنا لاى دولة تحت أى ظرف كما ان علاقتنا مع بلد معين لايمكن ان تسير على حساب علاقاتنا بغيره من الدول ·

والى جانب الاجتماعات العديدة مع الرئيس فورد ووزير خارجيته كيسنجر ، عقد الرئيس السادات سلسلة من اللقاءات مع كبار المسئولين فى الحكومة الامريكية والكونجرس ورجال الصحافة والاعلام ورجال الاعمال الامريكيين والجاليات العربية فى الولايات المتحدة ·

ومع أن المصادر الامريكية كانت تتوقع ان تسفر مباحثات الرئيسين السادات وفورد عن اعلان خاص يحدد موقف الولايات المتحدة ازاء الشرق الاوسط والخطوات القادمة تجاه الحل الشامل بالاضافة الى مجموعة اتفاقيات خاصة بالتعاون بين البلدين الا أن البيان الرسمى الوحيد الذى صدر خلال الزيارة او بعد انتهائها ، كان هو البيان الخاص بحصول مصر على مفاعلين ذريين طاقة كل منهما ٦٠٠ ميجاوات ليستخدما فى ازالة ملوحة البحر تحت نظام مفصل للضمانات الخاصة باستخدامهما للاغراض السلمية ·

وقد صرح كيسنجر بأن المفاعلين سيكونان ضمن اتفاقية للمعونة قدرها ٧٥٠ مليون دولار وان مصر تستطيع أن تستخدم جزءا من هذه المعونة فى تغطية جزء من ثمن هذين المفاعلين التى تبلغ تكاليف اقامتهما ١٢٠٠ مليون دولار كما أعلن أن أمريكا ستعرض على اسرائيل الحصول على مفاعلين مماثلين تحت نفس الضمانات والشروط ·

وعلى الرغم من عدم صدور بيان مشترك فى نهاية الزيارة ــ الا أنه يمكن القول بأن نتائج الزيارة تنعكس فى ثلاث قضايا رئيسية :

اولا : الموقف بالنسبة للنزاع العربى الاسرائيلى ·

١ ــ اعلن الرئيس السادات ان الرئيس فورد تعهد بضرورة انجاز فصل ثان للقوات فى الجولان بين سوريا واسرائيل

٢ ــ يرى الرئيس السادات ان ما يبقى بعد ذلك هو ،

• كـــوبا •	• انجــــولا •	• لبنـــان •	• فلســـطين •
الحزب يقـود ويوجه ولا يفـرض قرارات	هـل تتجنب نمـوذج كنجـو جـديد ؟	من الذى يصـب الزيت على النـار	٨ أصـوات ضـد شـعب فلسـطين

دعوة كل الاطراف بما فيهم الطرف الفلسطينى الى حضور مؤتمر جنيف

٣ ـ دعوة الولايات المتحدة الى اجراء حوار مع الفلسطينيين •

٤ ـ محاولة اقناع الرئيس الامريكى فورد وكيسنجر وزير خارجيته بالحد من التزامات امريكا الخاصة بتزويد اسرائيل بالاسلحة ، وبشكل خاص طلب اسرائيل صواريخ بيرشنج البعيدة المدى ـ ومطالبة اسرائيل بتوقيع معاهدة عدم انتشار الاسلحة النووية لكى يتم اعلان الشرق الاوسط منطقة منزوعة السلاح النووى •

٥ ـ وفى خطابه امام الجمعية العامة للامم المتحدة اعلن الرئيس السادات : ان التحركات الاخيرة فى الشرق الاوسط هى تحركات محدودة الاثر والنتيجة ـ وانها ليست حلا فى حد ذاته ، بل ولم يقصد بها ذلك أبدا ـ وانما هى مجرد تحرك يهدف الى تمهيد المناخ الملائم لتحريك القضية وبحثها بحثا شاملا جذريا بالنسبة للارض المحتلة أو لاسترداد حقوق الشعب الفلسطينى •

ودعا الرئيس السادات رسميا كلا من السكرتير العام لهيئة الامم والدولتين العظميين بصفتهما رئيستى المؤتمر لان يبدأوا فورا مشاوراتهم مع جميع الاطراف المعنية ، بما فيها منظمة التحرير الفلسطينية لكى ينعقد مؤتمر جنيف فى القريب العاجل •

وطالب الجمعية العامة بأن تصدر قرارا بضرورةتمثيل منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعى لشعب فلسطين فى أعمال مؤتمر جنيف على قدم المساواه مع باقى الاطراف المشتركة فى المؤتمر

أوضح الرئيس السادات أن مصر تريد بالدرجةالاولى التعـاون الاقتصـادى مـع الولايات المتحدة وان كل ما تتمناه هو خبرة التكنولوجيا المتقدمة وقروضاطويلة الاجل بفترة سماح مقبولة •

وفى حديثه لرجال الاعمال الامريكيين اوضح :

« انه يجب على أى نشاط اقتصادى ان يتلاءم مع خططنا الشاملة للتنمية الاقتصادية التى تضع الاولويات للهدف القومى الذى نتطلع اليه ونحن لانخاطر بفقدان استقلالنا الاقتصادى أو برهن اقتصادنا • ولكننا نرحب بمشاركة مفيدة ومجزية يربح منها الجانبان » •

وأكد الرئيس السادات على أن المستثمرين الاجانب هم الان فى مأمن من التأميم والمصادرة ونزع الملكيـة والاستيلاء عليها ويضمن القانون حرية تحويل الارباح ورأس المال الى البلد الذى أتى منها •• والى جانب اننا عقدنا اتفاق ضمان الاستثمار بين مصر والولايات المتحدة فنحن نبعث الحياة من جديد فى سوق الاوراق المالية التى ظلت مجمدة طوال خمسة عشر عاما •

وفى تصريح الرئيس السادات للصحفيين المصريين المرافقين لسيادته اعلن « ان اندفاع الاستثمارات الامريكية ورؤوس الاموال الى مصر قائم فعلا ، ولكن المشكلة تتوقف على الادارة المصرية التى يجب عليها أن تخلص نفسها من العوائق حتى تزداد تدفق الاستثمارات •

وفيما يتعلق بموضوع الحصول على اسلحة من امريكا

اكد الرئيس السادات فى حديث لجريدة القبس الكويتية قبل سفره انه سيطلب فعلا من الولايات المتحدة ان تزود مصر بالسلاح تنفيذا لقرار تنويع مصادر السلاح ، وان مصر ستشترى أى أنواع من الاسلحة توافق أمريكا على بيعها •

وفى حديث الرئيس السادات لمحطة تليفزيون أ ـ ب ـ س الامريكية قال « امل ان استطيع التوصل الى الوضع الذى توافق فيه الولايات المتحدة على تزويدى بالاسلحة وعلى أن تبيع الاسلحة لى وانا لا أطلب الحصول على اسلحة كمنحة أو دون ثمن وانما اطلب شراءها •

وأعلن الرئيس السادات فى حديثه للصـحفيين الامريكيين والمصريين : ان حصول مصر على السلاح الامريكى لم يكن هدفا اساسيا للـرحلة ، وأكد ان المباحثات حول هذا الموضوع لم تصل بعد الى نقاط محددة ، او خطوط عريضة ، ولكن مصر ستحاول مناقشة الموضوع مع أمريكا •

لقد كان للزيارة ونتائجها أصداء واسعة وآثار متباينة من موقع لاخر ولعله من المفيد ان نعرض بعضها :

وكالة رويتر البريطانية : قالت عن الزيارة انها اسهمت فى توطيد العلاقات بين البلدين رغم « قضيـة الصهيونية » ، اما المسئولون فقد قالوا ان أهم عنصر فى الزيارة هو انها تمت فى جو من الترحيب وان كانوا لا يتوقعون اتفاقات محددة تعقد بشأن الاسلحة ، فهذا قد يأتى فيما بعد انتخابات الرئاسة فى نوفمبر القادم •

أما جريدة **النيويورك تايمز الامريكية** فقالت عن الزيارة ان مصر والولايات المتحدة وضعتا الاسس لعلاقة عمل اوثق مما كانت منذ ٢٠ عاما الا أنهما مازالتا فى حاجة الى مزيد من التفاهم حول المشكلة الملحة التى تسيطر على الدبلوماسية العربية والاسرائيلية خلال الشهور القادمة وهى وضع الفلسطينيين •

اما احسان عبد القدوس رئيس مجلس ادارة مؤسسة الاهرام فقد كتب يقول :

ان زيارة الرئيس السادات للولايات المتحدة بدات مع بداية عام الانتخابات الامريكية ـ وربما لهذا ـ ورغم الثقة فى شخص الرئيس فورد وفى صدقه السياسى اضطر الرئيس فورد لان يؤجل بحث كثير من المطالب المصرية الى ما بعد الانتخابات • وربما ـ لهذا أيضا ـ تقدم لمجلس

الشيوخ الامريكى بقائمة المساعدات الامريكية الخارجية التى نص فيها على أن تنال اسرائيل وحدها ضعف ما تناله كل دول العالم التى تطلب مساعدات امريكية ٠فاجمالى المساعدات الامريكية ٤٧٠٠ مليون دولار خص اسرائيل وحدها ٢٢٤٠ مليون دولار بينما حصلت مصر وسوريا والاردن على ١٠١٥ مليون دولار ■



اتجاهان فى مناقشة بيان الحكومة

أعلن الاستاذ ممدوح سالم رئيس الوزراء فى تعقيبه على مناقشات اعضاء مجلس الشعب لبيان الحكومة ـ انه ليس كل المشروعات التى تعرض علينا تصلح للوطن ـ وهناك مشروعات تشترط الحصول على عمولات رغم اشتراكنا فى رأس المال ٠ وليس الروتين هو سبب رفض المشروعات ، وانما لابد ان تكون المشروعات مفيدة لمصر ٠

واوضح رئيس الوزراء **انه لا يمكن لنا ان نصل الى الإقتصاد الحر الا بعد فترة زمنية ينصلح فيها مسارنا** الاقتصادى وتزيد فيها صادراتنا وانتاجنا ـ ولايمكن ان يتم ذلك فى يوم وليلة بعد ١٥ سنة من عزل اقتصادنا عن الاقتصاد العالمى وقصر تعاملنا على اتفاقيات ثنائية ٠

كما اوضح سيادته ان المرحلة الحالية غير مواتية لتعويم الجنيه المصرى حتى يصل للسعر الحقيقى ويجب التدرج فى ذلك ٠

وأكد رئيس الوزراء فى تعقيبه على المناقشات ان استثمارات القطاع الخاص قد زادت بنسبة ٢٠ فى المائة عن العام الماضى ٠ وانه اذا احتاج القطاع الخاص لاكثر من ذلك فسوف يعطى وانه فى الفترة الاخيرة تمت الموافقة على ١١٠٠ منشاة جديدة للقطاع الخاص ٠

واعلن رئيس الوزراء أمام المجلس انه غير مؤمن بتدخل الحكومة فى الزراعة ـ وان الزراعة لا يمكن ان تصلح للقطاع العام ، وأن الحكومة مهمتها استصلاح الاراضى ثم تمليكها للفلاحين الذين هم أقدر من الدولة على زراعتها ـ وان الحكومة اتجهت الى تمليك ١٤٠ الف فدان تم استصلاحها ٠

وكان عشرات من اعضاء المجلس الذين اشتركوا فى مناقشة بيان الحكومة وتقرير لجنة الرد على البيان قد قدموا العديد من الملاحظات والمطالب ٠

وكان من أكثر المطالب بروزا ـ الدعوة لاطلاق حرية تنظيم الاحزاب ، والمطالبة بمعرفة حقيقة حجم الديون ، ومطالبة الحكومة باتخاذ اجراءات رادعة للحد من الارتفاع الجنونى للاسعار ، وبشكل خاص اسعار اللحوم والدواجن ، والدعوة الى مواجهة حازمة للانحرافات الموجودة فى قطاع توزيع السلع التموينية والمجمعات الاستهلاكية وكذلك مع الذين يهربون أموالهم للخارج ٠

وأثار بعض المتحدثين الشكوى من انقاص وزن الرغيف ـ ومن عدم تنفيذ قانون اعفاء الفلاح الحائز على ثلاثة أفدنة فاقل الذى صدر منذ ثلاثة سنوات ولم ينفذ حتى الان ـ وطالبوا بتطبيق التامين الصحى على الفلاحين وضرورة زيادة الاعتمادات المخصصة للمساكن الشعبية ٠ وطالب البعض الاخر بدعم المرافق كى تستوعب سياسة الانفتاح وعدم تحصيل جمارك على الجرارات والالات الزراعية ٠

ومن بين اكثرمن تسعينمتحدثا برز اتجاهانواضحان ومختلفان عبر عن اولهما الاستاذ **مصطفى كامل مراد** وعبر عن الاتجاه الثانى الدكتور **محمود القاضى** ٠

ويرى **مصطفى كامل مراد** انه على الرغم من أن الحكومة قد خطت خطوات نشطة ، واتخذت من الاجراءات لما هو ضرورى لتحقيق سياسة الانفتاح ، الا ان برنامجها لم يصل الى حد البناء الاقتصادى المتكامل الذى يحقق ـ تلقائيا ـ الانفتاح الاقتصادى المطلوب ٠ ودعا فى كلمته الى زيادة استثمارات القطاع الخاص مؤكدا على ان استثمارات القطاع الخاص الذى يسهم فى الدخل القومى ب ٢٤٠٠ مليون جنيه ،٥٥ فى المائة ، لا تتعدى استثماراته ١٠٠ مليون جنيه أى ٤ فى المائة فقط بينما تبلغ استثمارات القطاع العام الف مليون جنيه ، ٢٠٠ فى المائة ، وهو يسهم بمبلغ ١٧٠٠ مليون فقط فى الدخل القومى ٠

وطالب مصطفى كامل مراد ان تقتصر استثمارات القطاع العام على الصناعات الاستراتيجية والثقيلة وان تترك مشروعات الدواجن والزراعة والنقل الخفيف للقطاع الخاص ـ وطالب باعفاء الشخص الذى يعيد استثمار امواله من الضرائب حتى تزيد مدخرات الافراد ٠

وابرز مصطفى كامل مراد فى كلمته اننا حققنا خسارة قدرها ١٥٠٠ مليون دولار خلال عشرة سنوات بسبب تدهور انتاج القطن ـ هذا التدهور الذى أدى الى هبوط صادراتنا من مليون باله عام ١٩٦٥ الى ٥٢٠ الف باله فقط هذا العام ٠ وان الحكومة تقوم بتمويل المشروعات بالعجز بسبب تخصيص ٥٠٠ مليون للدفاع والامن و٦٠٠ مليون لدعم الاسعار ٠

ودعا الاستاذ مصطفى كامل مراد الى تحريك السوق الموازية لتحديد سعر الجنيه المصرى ليكون عملة قابلة للتحويل وضرورة تحريك بورصة الاوراق المالية ، وتحويل الاقتصاد المصرى الى اقتصاد متحرك ٠

وبالرغم من ان الاستاذ مصطفى كامل مراد ـ قد بدأ كلمته موضحا انه يتحدث من منطلق المعارضة فان تعقيب رئيس الوزراء قد اظهر ان الخلاف بين مصطفى كامل مراد والحكومة هو فقط فى الوسائل والتوقيت ٠

ووصف المراقبونكلمة الدكتور محمود القاضى بانها لم تكن مناقشة لبيان الحكومة بقدر ما كانت ردا على ما جاء فى كلمة الاستاذ مصطفى كامل مراد ٠

فلقد اعلن الدكتور القاضى باننا لو اتبعنا ما قاله مصطفى كامل مراد حول البناء الاقتصادى لعدنا الى أيام الجاهلية الاولى ولخالفنا نص الدستور ٠ لاننا لو تركنا قاعدة العرض والطلب اليوم لمات الشعب من الجوع ـ وانه لابد من التخطيط ، ولا يمكن ان يكون الاقتصاد تلقائيا ٠

وأكد الدكتور القاضى على انه لم تحدث فى مصر تنمية اقتصادية الا بفضل القطاع العام ٠ وان القطاع العام لن يموت ، ويجب ان يبقى ليقود التنمية وعارض فكرة تعويم الجنيه المصرى لانها ستحدث كارثة اقتصادية فهى سترفع الاسعار بنسبة ٤٠ فى المائة ٠

واعترض الدكتور القاضى على تعميم حالة الطوارىء والاحكام العرفية بصورة ابدية ، وطالب بالغاء الاحكام العرفية ٠

وتناول قضية المنابر على أساس ان اقامة منبر لا يتوقف على قرار من لجنة حتى ولو كانت اللجنة

المركزية ـ وان المنبر هو حزب سواء سمى منبراً ، أو سمى حزبا ٠

وكانت لجنة الرد على بيان الحكومة بمجلس الشعب قد طرحت فى تقريرها عددا من القضايا الهامة ـ حددت موقفا فى بعضها واكتفت فى البعض الاخر بطرح تساؤلات

فعلى ضوء ما تضمنه بيان الحكومة عن الالتزام بالشرعية الدستورية وسيادة القانون ـ دعت اللجنة الى ضرورة مراجعة قانون الاجتماعات العامة الذى يرجع الى عام ١٩٢٣ وتحقيق ما تضمنه الدستور من حق المواطنين فى الاجتماع بهدوء دون حاجة الى اخطار سابق والذى اباح الاجتماعات العامة والتجمعات والمواكب ٠

كذلك طالبت اللجنة باعادة النظر فى شروط الترخيص باصدار الصحف أو مزاولة مهنة الصحافة ٠٠ وبضرورة وضع الحدود الفاصلة بين اختصاص كل من القضاء العادى والعسكرى لكفالة ان تكون محاكمة المتهم أمام قاضيه الطبيعى ٠

وركزت اللجنة فى مجال التنمية على مجموعة الملاحظات الاساسية التالية :

١ ـ ان تمويل خطة ١٩٧٥ بدأ بعجز جار قدر بعد خصم مبالغ الدعم العربى والمعونات بملغ ١١٠٠ مليون جنيه ، اى ما يوازى تقريبا قيمة الاستثمارات المطلوبة ولم يتحقق ما أكدته الحكومة من اطمئنانها الى امكانية توفير الموارد الخارجية ٠ ٠

٢ ـ ضرورة اعطاء الاولوية فى التمويل الخارجى للقروض الطويلة الاجل التى تبدأ بفترة سماح وتدفع عنها فوائد معقولة بدلا من الحصول على تسهيلات ائتمانية قصيرة الاجل وصلت فوائدها فى بعض الاحوال الى ١٩ فى المائة ٠ وادى تراكم فوائدها الى ان وصلت خدمة الديون عام ١٩٧٣ الى ٤٥٧ مليون وهو رقم التهم كل الموارد التى حققناها كحصيلة لصادراتنا الصناعية والزراعية بل زاد عليها ٣ ـ ضرورة الحذر من أن تلتهم حاجات الاستهلاك والخدمات هذه القروض ٠

٤ ـ مع ان ما تحقق فى مجال الاستثمارات العربية والاجنبية جاوز ما تحقق فى عام ٧٢ عشرين مرة ـ الا ان هذه المبالغ لازالت قاصرة عن الاستجابة لما يحتاجه الاقتصاد المصرى لتمويل عمليات التنمية ٠

وركزت اللجنة فى تناولها لموضوع الاستثمارات العربية والاجنبية على أهمية اتباع سياسة واحدة فى تحديد السعر عند دخول رأس المال وخروج الارباح ـ والى ضرورة اجراء تنظيم شامل لمجال اراضى البناء والعقارات بحيث تحدد المناطق التى يجوز فيها التصرف فى هذه العقارات لغير المصريين وحددت انها مناطق « لامتداد العمران وليس قلب المدينة أو وسط المناطق الاهله بالسكان ٠

٥ ـ لاحظت اللجنة ان مكونات الادخار المحلى مازالت محصورة أساسا فى الادخار الاجبارى عن طريق التامينات الاجتماعية وتقرير نسبة الادخار فى أجور العاملين ٠ وان صور الادخار الاختيارى المتمثلة فى سندات الاستثمار وسندات الجهاد وودائع البنوك وصناديق التوفير مازالت قاصرة ٠

٦ ـ لاحظت اللجنة ان من أسباب تفاقم التضخم ـ التوسع فى الالتجاء الى التمويل بالعجز وذلك باصدار اذونات على الخزانة العامة يقابلها اصدار اوراق نقد ـ مما يزيد من كمية النقود المتداولة دون ان يقابل ذلك ارتفاع حقيقى فى الناتج اليومى ٠

فقد قفز رقم اصدار أذونات الحكومة الى ٩٣٠ مليون جنيه وقفز رقم المصدر من البنكوت الى ١١٤٤ مليون جنيه حتى أصبح المصدر من البنكوت يزيد احيانا فى الاسبوع الواحد بمقدار ١٤ مليون جنيه ٠

٧ ـ اوضحت اللجنة ان كل ما يتخذ من اجراءات لاصلاح وظيفى أو تقرير اعانة غلاء أو تقرير انواع من البدلات لا يعدو ان يكون من قبيل المسكنات الاجتماعية التى لا تقضى على جذور المشكلة ٠ ودعت اللجنة الى ضرورة العمل على ربط الاجربالانتاج واذكاء الحوافز لدى العاملين ووضع سياسة واعية لتوجيه العمالة الفائضة ٠

٨ ـ وفى تناول قطاع الزراعة ـ ابرزت اللجنة ما انتهى اليه الحال من أن مصر اصبحت مستوردة للحبوب التى ارتفعت اسعارها العالمية ، بينما حدث هبوط ملحوظ فى الاقبال على انتاجها التصديرى الاول وهو القطن الذى كان مصدرها الرئيسى للعملات الاجنبية ٠ وان الاراضى الجديدة التى تبلغ مساحتها نحو ١٧ فى المائة لا يزيد انتاجها عن ٢ فى المائة من الانتاج الكلى ٠

دعت اللجنة الى ضرورة القيام بثورة خضراء « تقوم على الميكنة وان تتحول من المحاصيل التقليدية الى المحاصيل التصديرية ـ والانتقال من مرحلة انتاج المواد الخام الى التصنيع الزراعى ، ومن تعاون الخدمات الى تعاون الانتاج ، والى استخدام الكهرباء فى تطوير الزراعة ، واستخدامات الزراعة المصنعة ٠

٩ ـ واولت اللجنة فى تقريرها أهمية خاصة للرقابة على القطاع العام ـ الذى تعتبره اللجنة رغم كل نواحى القصور ـ الدعامة الصلبة لحرب أكتوبر والمورد الرئيسى للخزانة العامة

ودعت اللجنة لاعادة النظر فى الاجور داخل القطاع العام بالمقارنة باجور أكثر سخاء تدفع فى الشركات المشتركة مع رأس المال الاجنبى أو تدفع للعاملين فى الخارج ٠ وطالبت اللجنة باعادة النظر فى نظام المحاكمات التأديبية ٠

١٠ ـ ونبهت اللجنة الى أن متابعة الكسب غير المشروع لن تتحقق عن طريق فحص الاقرارات الدورية وحده ـ كما أن ضرب المثل على تعقب المال الحرام لا يكون فى ادنى درجات العاملين ، بل ان على جهات الرقابة ان تنشط فى تعقب الدخول الحرام وفى الفئات العليا من اصحاب الدخول فى المجتمع وعليها ان تقترب من مواطن الشك فى صفقات الملايين وتعاقدات الخارج التى لا يمكن ان يظهر أثر الانحراف فيها ، اقرار يقدمه صاحب الشأن ٠

اما فى مجال التنمية الاجتماعية ـ فان اللجنة طرحت فى تقريرها العديد من التساؤلات عن السياسة السليمة التى يمكن اتباعها فى مجالات المواصلات والاسكان وتوفير مواد التموين الاساسية والضرائب وطرحت البدائل والتصورات وسط تسجيل وابراز التناقضات العديدة التى تحكم اى محاولة للتقدم ـ وكان واضحا فى هذا الجانب من تقرير اللجنة ان اللجنة لم تستطع ان تبلور موقفا محددا مع الجماهير الكادحة أم مع الفئات القادرة ـ مع ركاب الاتوبيس أم مع اصحاب السيارات الخاصة مع الاسكان الشعبى أم مع ناطحات السحاب مع امتصاص الدخول العالية بضرائب ذات شرائح عالية أم مع اغماض العين عن هذه الدخول والرضا باقل القليل تشجيعا للاستثمار وحفزا للنشاط ■

[تقرير خـــاص]

■ لبـــنان

من الذى يصـــب الزيت على النـــار ؟

دخلت الازمة اللبنانية فى الشهر الماضى مرحلة جديدة ، بعد الاتجاه الذى وضح اخيرا بالنسبة لتعطيل والغاء هيئة الحوار الوطنى ، وهى الهيئة التى كانت تضم ٢٠ من مختلف الزعامات السياسية والدينية بما فى ذلك القوى اليسارية . وكان قد أوكل اليها وضع المشاريع والدراسات الخاصـــة بمعالجة أسباب الازمة السياسية .ووضع برنامج للاصلاح السياسى وتعديل الدستور .

وكان رشـــيد كـــرامى رئيس الوزراء قد أعلن فى منتصف الشهر الماضى وانه سيتولى مع رئيس الجمهورية دراســـة وتفسير بعض مواد الدستور تحت اشراف مجلس الوزراء ، قبل طرحها للموافقة النهائية امام مجلس النواب .

وتجىء تصريحات رشيد كرامى المفاجئة بعد أن وضحت غلبة الاتجاه الوطنى داخل هيئة الحوار ، وبعد ان اخذت هيئة الحوار تقترب — من خلال عملها — من وضع أيديهـــا على الاسباب الحقيقية للازمة اللبنانية ، كما استطاعت أن تحقق بعض الانجازات الهامة على صعيد عملها ، من ذلك الاتفاق على ورقة العمل السياسية التى طرحت لحل الازمة . ومن **ابرز النقاط التى تضمنتها ورقة العمل السياسية ، الغاء الطائفية من الوظائف العامة : وانشاء المجلس الاقتصادى الاجتماعى ، واقرار المشروع الجديد للتجنس واعادة النظر فى قانون الجيش ونظيماته .**

وكانت لجنة الاصلاح السياسى المنبثقة عن هيئة الحوار ، قد اصدرت فى ١٤ نوفمبر الماضى ، اى فى اليوم السابق على تصريحات رشيد كرامى ، توصية بتعديل المادتين ٩٥ ، ٩٦ من الدستور اللبنانى والمتعلقتين بالغـــاء الطـــائفية من الوظائف العامة ورئاسة الوزارة ، والغاء الطائفية فى توزيع مقاعد مجلس النواب ، وتحديد سن اقتراع فى الانتخابات بثمانى عشرة سنة .

وقد امتنع كل من بيير الجميل زعيم حزب الكتائب وكميل شمعون رئيس حزب الوطنيين الاحرار ووزير الداخلية وهما من زعماء الطائفة المارونية ، عن حضور اجتماع لجنة الاصلاح السياسى ، ثم أعلنا بعد ذلك رفضهما لهذه التوصيات .

وقد اثارت تصريحات رشيد كرامى التساؤلات العديدة بشأن هذا التحول فى موقف كرئيس للوزراء من النقيض الى النقيض فى كل ما كان يدعو اليه من قبل ، وبخاصة فى اوساط جبهة الاحزاب الوطنية والتقدمية التى تقف وراءه وتسانده فى مواجهة القوى اليمينية الانعزالية ، والمعروف عن رشيد كرامى انه كان من أشد المتحمسين لدور هيئة الحوار بالنسبة لوضع الحل السياسى للازمة اللبنانية الراهنة ، والتى تأخذ بخناق لبنان منذ ثمانية أشهر وراح ضحيتها آلاف القتلى والجرحى ، وأنزلت أفدح الخسائر بالاقتصاد اللبنانى ، وعلى حد قول كرامى نفسه « **ان هذه الهيئة بمن تمثل هى وحدها تستطيع ان تفرض على البلاد رأيها** » .

وعلى الرغم من تأكيد كرامى بأن هيئة الحوار الوطنى باقية « وأن عملها متمم لعمل مجلس الوزراء » فان تحركه الاخير يعنى أن دور الهيئة قد أصبح دورا هامشيا ، بدلا من ان تكون هى الاصل والاساس .

ويعزز ذلك الرأى ترحيب زعماء حزب الكتائب بتصريحات رشيد كرامى ، فقد ابدوا حصر قضية الاصلاح السياسى بين الرئيسين فرنجية وكرامى ، اعلنوا انهم لا يرون اى فائدة فى استمرار هيئة الحوار الوطنى ولجنة الاصلاح السياسى المنبثقة عنهـــا ، بعد أن وضـــع مجلس الوزراء يده على المواضيع الاساسية .

والمعروف ان هيئة الحوار الوطنى تلقى معارضة شديدة خاصة من جانب بيير الجميل وكميل شمعون العضوين بهيئـــة الحوار .. وقد حاول بيير الجميل زعيم الكتائب ان يفرض وجهة نظره على هيئة الحوار لمناقشتها ، وذلك قبل أن تبدأ الهيئة أى عمل آخر وتتلخص وجهة نظره فى : « تثبيت الامن بشكل نهائى على جمييع الاراضى اللبنانية ، وقطع دابر الفتنة . ومنع الفئات الضئيلة المخربة من تنفيذ مآربها التخريبية بالوقوف فى وجهها صفا واحدا . وكذلك البحث فى موضوع السيادة ، وأن لبنان أصبح بلا سيادة ولا يمكن أن يجرى فيه أى اصلاح ، اذ ان لبنان فاقد سيادته على ثلاثة ارباع ارضه ، وهذه الاراضى خارجة عن كل سلطة مسئولة » .

كما يرى بيير الجميل ان هيئة الحوار هى هيئة مساعدة فى أمور قومية للمجلس النيابى ، وان الكلمة الوحيدة والاخيرة يجب أن تكون لممثلى الشعب .

وكان المقصود بحديث الجميل عن الفتنة والفئات الضئيلة المخربة ، والقوى التى تحول دون سيادة لبنان على أرضه هو المقاومة الفلسطينية واللاجئين الفلسطينيين فى لبنان .

أما كميل شمعون فكان يطالب «بضرورة الحفاظ على النظام» السياسى الراهن ، والتشديد على دور المجلس النيابى بتركيبه الطائفى الحالى ، بصفته احدى المؤسســات الرئيسية الشرعية ، فهو وحده الذى يعدل الدساتير اذا كان هناك من تعديل فى الدساتير ، وهو وحده الذى يؤمن الاصلاح الاقتصـــــادى والاجتماعى .

وقد فشلت هذه الاتجاهات الرجعية داخل هيئة الحوار فى التأثير على اتجاه هيئة الحوار ، التى رفضت اغلبيتها منذ البداية اقحام الفلسطينيين فى الازمة اللبنانية [كما يطالب بيير الجميل زعيم الكتائب] وذلك على اساس ان الازمـــة اللبنانية انما هى ازمة داخلية ، وبين فرقاء أساسيين من ابناء الشعب اللبنانى .

وكان من الواضح — منذ البداية بالنسبة للاغلبية داخل هيئة الحوار الوطنى ، ان هناك جهات عليا مسئولة تسعى الى تعطيل مهمة هيئة الحوار ، مما دعا أحد أعضاء هيئة الحوار وهو صائب سلام الى التصريح بأن : « **هناك تآمرا من السلطة على مبدأ الحوار . والسلطة هى سبب ما نحن فيه من محنة ، والسلطة تتآمر سرا ، ولكن بشكل مفهوم لنسف هيئة الحوار ، هذه الهيئة التى باتت الطريق الوحيد لتلافى العنف والتصعيد . لقد توصلنا الى القول بالغاء ما يمكن الغاؤه من الطائفية ، وبيت الداء هو طغيان رئاسة الجمهورية على سواها من السلطات** » .

واستمرت هيئة الحوار الوطنى فى تأدية مهمتها مدعومة بتأييد رشيد كرامى رئيس الوزراء ، والاتجاهات الوطنية سواء داخل هيئة الحوار أو خارجها مثل جبهة الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية والهيئـــات الجماهيرية . واستطاعت أن تحقق بعض المنجزات الهامة ، وذلك على النحو الذى تقدم .

ثم ما كان بعد ذلك من تصريحات رشيد كرامى التى كانت محل الاستغراب والتساؤلات بين المراقبين وفى اوساط الحركة الوطنية اللبنانية ، وأثارت المخاوف من ان يؤدى تراجع كرامى الى شق الصف الوطنى .

كما يتساءل المراقبون هل يعنى تراجع رشيد كرامى بشأن تعديل الدستور ، صرف النظر ايضا عن تعديل قانون الانتخابات والتراجع عن قضية نزع السلاح وتصفية اثارها لصالح الاتجاهات الرجعية الانعزالية .

غير أن هناك بين المراقبين من يفسر تراجع رشيد كرامى ، بسبب حملة الضغط والابتزاز التى تعرض لها عقب فضيحة باخرة السلاح ، وبعد ان اتخذت الازمة السياسية طــابع المواجهة بين رئيس الوزراء الذى تسانده الحركة الوطنيــة وبين رئيس الجمهورية والقوى والاحزاب اليمينية ، والتى تمثلت فى تصعيد المعارك منجديد والعودة الىخرق وقف اطلاق النار ، واشتراك ميليشيا حزب الوطنيين الاحرار الذىيتزعمه كميل شمعون وزير الداخلية فى المعارك على نطاق واسع .

وكان موضوع باخرة السلاح التى نشرت الصحف اللبنانية صورتها ، من أبرز الاحداث الداخلية اللبنانية فى الشهر الماضى . فلقد أفرغت هذه الباخرة حمولتها فى ميناء «**جونيه**» الذى يقع تحت سيطرة حزب الكتائب فى أوائل الشــهر الماضى ، وذلك رغم أوامر رشيد كرامى رئيس الوزراء [**ووزير الدفاع فى نفس الوقت**] الى قائد الجيش بمصادرة السلاح ولكن هذه الاوامر لم تنفذ .

وقد نشرت الصحف اللبنانية تفاصيل الاعترافات التى ادلى بها احد الضباط فى الجيش اللبنانى الذى اعتقلته عناصر الحركة الوطنية فى طرابلس بعد ذلك ويدعى **النقيب نيقولا معلوف** ، وهو نقيب فى المخابرات العسكرية — وفى نفس الوقت — عضو بحزب الكتائب .

واعترف النقيب معلوف ، بأن باخرة السلاح كانت تحمل مدافع وكميات كبيرة من قنابل الهاون والذخائر وآلاف البنادق وان الباخرة كانت مخصصة لتزويد بالسلاح الرابطةالمارونية وجيش التحرير الزغرتاوى الذى يرأسه **طونى فرنجية** ابن رئيس الجمهورية .

واوضح معلوف ان دور حزب الكتائب اقتصر على حراسة الباخرة لقاء نسبة معينة منالسلاح ، وأشار الى أنالسلاح الذى تحصل عليه الكتائب وحلفاؤها مصدره امريكا وفرنسا واسرائيل . . وذكر معلوف ان العسكريين الذين ساعدوا حزب الكتائب فى القتال معظمهم من قوات الامن الداخلى تحت رئاسة كميل شمعون وزير الداخلية ، وقد منحوا اجازات خاصة لهذا الغرض .

وقد اثار حادث الباخرة موجة الاحتجاجالشديد فى الاوساط الوطنية والشعبية ، مما دعا رشيد كرامى الاعتصام فىمنزله احتجاجا على عدم تنفيذ أوامره وتخطى صلاحياته .

ويجمع المراقبون على أن خطورة حادث الباخرة لا يتصل بنوع الاسلحة أو حجمها ، وانما يكمن فى حجم التواطــؤ الرسمى وعلى أعلى المستويات التى تدخلت تدخلا مكشوفا لتعطيل الاوامر الصادرة من رئيس الحكومة ووزير الدفاع ، كما يكشف من ناحية أخرى أمام الرأى العام العربى حقيقة القوى التى تقف خلف الاحداث الدامية الاليمة التى يعيشها لبنان طوال الاشهر الثمانى الماضية .

ويجيء حادث الباخرة ليؤكد ، مرة أخرى ، صحة الموقف الذى اتخذته الحركة الوطنية فى الازمة الراهنة ، فهى تعتبر الجيش اللبنانى — بتركيبه الحالى — طرفا منحازا الى جانب القوى الرجعية الانعزالية فى الصراع الحالى فى لبنان ، وان الجيش كان وراء تسليح التنظيمات التى تحاول تمزيق لبنان .

ويعيد هذا الحادث الخطير الى الاذهان الاتهامات التى سبق ان وجهت الى المسئولين اللبنانيين من قبل . وكان كمــال جنبلاط زعيم جبهة اليسار اللبنانى قد أعلن : « **ان رئيس الجمهورية ضالع بالمؤامرة ، هو وقائد الجيش الســابق اسكندر غانم ، فرئيس الجمهورية قال ذلك قبل الحوادث حيث اكد : انا الذى الضوء الاخضر لاسكندر غانم لكى يسلح الكتائب وقد اشترك رئيس الجمهورية عمليا مع الكتائب أيضا فى زغرتا** » [جريدة السياسة الكويتية ٢٣-٩-١٩٧٥] .

كما أعلن أيضا صائب سلام رئيس الوزراء الاسبق وعضو هيئة الحوار الوطنى فى تصريحه للصحفيين : « ان المسئول الاكبر هو سليمان فرنجية ، اسمعوها يامسيحيين ويامسلمين ، لوسط هذه الحوادث ووسط ما يجرى من قتل ودمار وتخريب . أنه جالس فى العلالى يتفرج بالمنظار » [جريدة الانوار اللبنانية ٢٦-١٠-١٩٧٥] .

وتوضح الوقائع السابقة طبيعة وجوهر الصراع الذى يجرى حاليا فوق الساحة اللبنانية ، والذى تحاول القوى الرجعية الانعزالية أن تضفى عليه الصبغة الطائفية ، بينما الحقيقة ان ما يجرى الان فوق الساحة اللبنانية هو صراع اجتماعى وسياسى بين الاقلية من الرأسمالية الكبيرة والقوى الاقطاعية من ناحية وبين الاغلبية الساحقة من العمــال والفلاحين والفئات الاخرى الكادحة . وقد انعكس هذا التباين والتمايز الاجتماعى داخل الطائفتين المسيحية والمسلمة .

وهناك — فى نفس الوقت — التباين والتمايز فى درجة التطور الاقتصادى والاجتماعى فى لبنان ، وبينما تتميز العاصمة بيروت والمناطق المحيطة بها بالتطور الاقتصادى والاجتماعى ، فان بقية الاجزاء الاخرى كالجنوب والشرق والشمال تعانى من التخلف والفقر الشديدين ، ثم هناك أيضا التناقض فى الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية للطائفتين المسيحية والمسلمة ، حيث تعد المناطق التى يقطنها غالبية المسلمين مثل الجنوب أشد فقرا وتخلفا من المناطق التى يقطنها غالبية المسيحيين .

وفى السنوات الاخيرة برزت هذه التناقضات الاقتصادية والاجتماعية بشكل حاد ، وأدت الى مزيد من التدهور فى الاوضاع المعيشية ليس بالنسبة للعمال والفلاحين وصغار موظفى الدولة وقطاع الخدمات فحسب ، بل شملت أيضا فئات متزايدة من البورجوازية الصغيرة ، وحتى الاقسام الوطنية من الطبقة الرأسمالية الوطنية ، التى تعانى من القيــود والتشريعات القائمة .

ومن المعلوم أن كل الجهود والمحاولات التى بذلت من جانب جميع الحكومات السابقة لمعالجة هــذه الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية قد باءت بالفشل ، اذ أن كل هذه المحاولات كانت تجرى فى اطار البناء السياسى والاقتصادى الحالى والمحافظة على مصالح القوى الرأسماليــة الكبيرة والاقطاعية ، واستمرار تشديد القمع ضد الطبقات الشعبية الكادحة ، التى تطالب بالحد من الاستغلال وتحسين الاوضاع المعيشية .

والواقع لقد شهدت الفترة ، منذ بداية الســبعينات ، تفاقمحدة الصراع الاجتماعى ، وتزايد تحركات العمالوالفلاحين والفئات الشعبية الكادحة ضد غول التضخم وارتفاع الاسعار هذا فى نفس الوقت الذى تنامت فيه قوة ونفوذ الاحزاب الوطنية والتقدمية التى تتحرك من منطلق الدفاع عن مصالح الشعب اللبنانى ، مطالبة بالاصلاح السياسى والاقتصادى والاجتماعى فى لبنان ، ولكى يأخذ لبنان دوره الىجانبحركة التحرر الوطنى العربية فى الصراع المصيرى ضد الاستعمار والصهيونية .

ان كل الدلائل تشير حتى الان الى صمود الحركة الوطنية فى لبنان والتى تضم المسيحيين والمسلمين ونضالها لافشال كلالمحاولات التى استهدفت تشويه الصراعالسياسىوالاجتماعى فى لبنان ، وجر المقاومة الفلســطينية الى معترك الصراع الداخلى فى لبنان ، والحيلولة دون الزج بالجيش فىالصراع السياسى الداخلى .

هذا وقد أكدت جبهة الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية — عقب تصريحات رشيد كرامى فى الشهر الماضى — على انها

تتمسك بالبرنامج المرحلى للاصلاح السياسى الذى اصدرته فى شهر أغسطس الماضى . كما تصر على طرح برنامجها داخل هيئة الحوار الوطنى ، باعتبار أن هيئة الحوار واللجان المتفرعة عنها هى الاطار الواقعى الملائم لبحث ومناقشة الاصلاح الديمقراطى للنظام السياسى ، والاصرار على استمرار هيئة الحوار الوطنى فى اعمالها من اجل تحقيق النتائج المطلوبة حتى يتم اقرارها دستوريا .

ويطالب البرنامج : باجراء اصلاحات ديمقراطية للدستور، والغاء الشكل الطائفى للدولة ، وتحقيق ضمانات للحريات الديمقراطية ، والغاء القوانين التى تمنع حرية الاجتماع والخطابة والنشر ، واحترام الحريات الشخصية والمدنية ، وتحديد سلطات رئيس الجمهورية ، وتدعيم مركز رئيس الحكومة بحيث يتم انتخابه داخل المجلس النيابى بالاقتراع السرى ويكون له الحق الكامل فى اختيار الوزراء ، وتعديل قانون الانتخابات للبرلمان وللهيئات المحلية على أساس قاعدة التمثيل النسبى وحتى تجىء الانتخابات معبرة عن الاتجاهات السياسية السائدة والتركيب الاجتماعى الطبقى للجماهير ، وتحقيق نظام اللا مركزية فى المجالس البلدية ، وتعديل نظم وقوانين الجيش ، بحيث تجعل من الجيش حارسا لامن البلاد ووحدتها الوطنية ، والغاء منصب القائد الاعلى للجيش وتشكيل مجلس قيادة للجيش يكون مسئولا امام الحكومة ، واطلاق حرية تشكيل الاحزاب والنقابات ، واجراء اصلاحات فى حقل القضاء .

ويحظى برنامج الاحزاب الوطنية والتقدمية بتأييد الحركـــة الوطنية ومعظم الطبقات الشعبية ، باعتباره يمثل الحل الجذرى لازمة النظام السياسى الراهن وبناء لبنان الوطنى المتحرر البعيد عن الطائفية والانعزالية التى تحول دون اشتراك لبنان فى قضايا الوطن العربى المصيرية .

وقـــد حـــذرت الصحف الوطنيـــة فى لبنـــان من مؤامرات الرجعية لشق الصف الوطنى ، وطالبت رشيدكرامى بمناقشة خططه مع ممثلى الحركة الوطنية . كما طالبت الحركة الوطنية بعدم التسرع فى توجيه الاتهامات الى العناصر الوطنية فى الحكم . □

وديع أمين

○

■ **فلسطين**

٨ أصوات ضد شعب فلسطين

وافقت الجمعية العامة للامم المتحدة على قرار ينص على دعوة منظمة التحرير الفلسطينية ـ ممثل شعب فلسطين ـ للاشتراك فى جميع الجهود والمنـاقشات والمؤتمرات الخاصة بالشرق الاوسط التى تعقد فى اطار المنظمة الدولية ، وذلك على قدم المساواة مع الاطراف الاخرى . كما طالب القرار السكرتير العام للامم المتحدة بابلاغ الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى اللـذان يشتركان فى رئاسة مؤتمر جنيف الخاص بـالشرق الاوسط ، باتخاذ كل الخطوات الضرورية لضمان دعوة منظمة التحرير الفلسطينية للمشاركة فى أعمال المؤتمر وفى كل الجهود الاخرى من أجل السلام فى الشرق الاوسط . كما أعرب القرار فى مقدمته عن اقتناع الجمعية العامة ، بأن اشتراك الشعب الفلسطينى فى اية جهود او مشاورات تستهدف تحقيق سلام عادل ودائم فى المنطقة أمر ضرورى . وقد صوت ضد القرار الذى وافق عليه ١٠١ صوتا ثمانية أصوات هى الولايات المتحدة وبريطانيا والمانيا الاقتصادية واسرائيل وهـولندا وكوستاريكا وهندوراس ونيكاراجوا ، كما امتنع عن التصويت ٢٥ من بينهم فرنسا .

كما وافقت الجمعية العامة بأغلبية ٩٣ صوتا ضد ١٨ وامتناع ٢٧ على القرار الذى تقدمت به منظمة التحرير الفلسطينية ، وينص على تشكيل لجنة تضم ٢٠ عضوا للبحث والتوصية بوضع برنامج يضمن للشعب الفلسطينى الحصول على وطن مستقل وممارسة حقوقه الثابتة .

كما طالب القرار بأن يبحث مجلس الامن مسألة ممارسة الشعب الفلسطينى لحقوقه الثابتة التى اعترفت بها الامم المتحدة ، وذلك فى أسرع وقت ممكن بعد ان تقدم اللجنة تقريرها .

كما اتخذت الجمعية العامة قرارا بادانة الصهيونية بوصفها شكلا من أشكال التمييز العنصرى والعنصرية ، وهو المشروع الذى كانت قد تمت الموافقة عليه بصورة مبدئية خلال شهر اكتوبر الماضى من قبل لجنة الشئون الاجتماعية المنبثقة عن منظمة الامم المتحدة وقد نشأت محاولات الولايات المتحدة الامريكية والدول الاعضاء بالمنظمة الاقتصادية الاوروبية فى تأجيل الاقتراع على القرار حتى العام القادم .

وبعد صدور القرار ـ اعلن الرئيس الامريكى **جيرالد فورد** أن الولايات المتحدة ستتخذ ما أسماه « الخطوات المناسبة » ضد الدول التى أيدت القرار .

كما أعلن **هنرى كيسنجر** وزير الخارجية الامريكية ان الولايات المتحدة ستتجاهل قرار الجمعية العامة الذى تسوى بين « الصهيونية وهى الحركة الوطنية الاسرائيلية وبين العنصرية » كما اعرب هنرى كيسنجر عن اعتقاده بأن الامم المتحدة « ستدمر نفسها اذا استمرت فى هذا الطريق » . كما قال ان القرار « سيكون له تأثيره على علاقاتنا الثنائية مع الدول ، وسيتعين علينا أن ندرس عملية التصويت على أساس موقف كل دولة من الدول المؤيدة على حدة . وذلك قبل تقرير الاجراء الذى يمكن ان تتخذه ضد أى من هذه الدول »

كما ارتفعت الاصوات فى الكونجرس الامريكى مطالبة مساعدات اقتصادية للدول العربية واستمرار الدعم الامريكى للامم المتحدة وقد جرت المناقشات داخـل الكونجرس الامريكى بحضور من اعضاء الكنيســت بدعوة من الكونجرس .

وقد جاءت القرارات الثلاث انتصارا للثـورة الفلسطينية وللحق العربى . ويعتبر المراقبون ان هذا الانتصار قد أحرزه العرب ـ نتيجة كفاح طويل كان من أبرز حلقاته حرب اكتوبر واستمرار الكفاح الفلسطينى المسلح . ويؤكد المراقبون انه على حركة التحرير الوطنى العربية ان تواصل مسيرتها لتأكيد عزلة اسرائيل دوليا ولكشف وفضح منطلقاتها العنصرية التى تتطابق مع الفكر الفاشى والنازى ومع سياسة التمييز العنصرى فى جنوب افريقيا وروديسيا . ■

■ المغرب

الاتفاق المغربي الاسباني الموريتاني لايلغي حق السكان في تقرير مصيرهم !

أعلن سكرتير عام جبهة تحرير الساقية الحمراء ووادي الذهب ـ بوليزاريو ـ ان الاتفاقية بين أسبانيا والمغرب وموريتانيا تعتبر لاغية وليس لها اى صفة شرعية ،وانها حركة عدوان ولصوصية • وقال ان بعض الاطراف المعنية قد تآمرت مع المستعمر لينهب من شعبنا انتصاره وحقوقه منتهكا بذلك قرارات الامم المتحدة التى تعترف بكل وضوح بحق الشعب فى تقرير مصيره بسيادة وحرية • وناشد الامم المتحدة ارسال بعثة من المراقبين لتسجيل العدوان المغربي المستمر في صورة غزو عسكرى صريح ـ الاهرام ١٧ ـ ١١ ـ ١٩٧٥ » •

وكانت البلاد الثلاثة قد توصلت الى اتفاق حول المشكلة وصف بأنه يتفق مع توصيات مجلس الامن • وذكر المراقبون انه ينص على انهاء الوجود الاسباني في موعد أقصاه ٢٨ فبراير ١٩٧٦ • وسوف تشكل ادارة ثلاثية تتولى تحديد أسلوب التعرف على رأى شعب الصحراء في تقرير مصيره • وفورا تشكيل اللجنة الادارية في نهاية نوفبر ، ستنسحب قوات اسبانيا • وقال مصدر أسباني أن الاتفاق يتضمن تسليم الصحراء الى المغرب وموريتانيا في الوقت المناسب ، على ان تحصل اسبانيا على نصيب من الفوسفات وتبلغ الارباح المحققة سنويا من مناجم الفوسفات هذه ، والتى كانت سببا في كل الصراعات ٢٨٠ مليون دولار سنويا فضلا عن احتمالات البترول الذى تنقب عنه شركات أمريكية حصلت على الامتيازات بذلك من أسبانيا • كذلك تشارك المانيا الغربية في استغلال المنطقة ، اذ تتولى شركة كروب عمليات نقل الفوسفات ، وتملك فرنسا أسهما ضخمة فى شركة الفوسفات •

وأعلن بعض المراقبين أن المسيرة المغربية التى هددت بالزحف على الصحراء هى « سيناريو » متفق عليه مقدما مع النظام الاسبانى للانتهاء الى هذه القسمة ، بل وقالت الصحف الجزائرية أن موريتانيا والمغرب عقدتا فى ١٩٧٤ اتفاقا سريا للتقسيم •

أما موقف الجزائر فيتلخص فى الاصرار على اعطاء السكان حق تقرير مصيرهم • فقد أصدرت وكالة الانبـاء الجزائرية مؤخـرا تعليقـا قالت فيه « لقد عملنا فى أوقات أخرى عندما كانت الثقة بيننا غير مهتزة يدا بيد للتعجيل بتصفية الاستعمار وفرض احترام مبادىء وقرارات الامم المتحدة ، ومنظمة الوحدة الافريقية ، والبلدان غير المنحازة ، دون الحاق أى ضرر بمشاغل اشقائنا آخذين بعين الاعتبـار فى الـوقت نفسه ، احترام ارادة السكان •

هل يريد هؤلاء السكان أن يكونوا مغربيين ؟ ان كان ذلك فليكن • أم أنهم يريدون ان يصبحوا موريتانيين ؟ اذا كانت تلك هى امنيتهم ، فليكن ايضا •••

وفي كلتا الحالتين ، فان حرية اختيارهم لا يمكن أن تداس مهما كان الطريق الذى ستختاره الصحراء الغربية لتقرير مصيرها ومستقبلها » •

كذلك أعلنت الجزائر فى مجلس الامن أن موقفها يتلخص فيما يلى :

■ ليس للجزائر مطالب ترابية على الصحراء الغربية •

■ لكنها تهتم بطريقة تصفية الاستعمار من هذا التراب لتأثيره على سلام ومستقبل المنطقة ومن ضمنها الجزائر •

■ لكي تتشاور مع طرف من الاطراف لتصفية الاستعمار ، من الضرورى ألا يكون لهذا الطرف مطالب على التراب الذى سيصفى منه الاستعمار • وكان هذا مفهوما فى اجتماع الرؤساء الثلاثة فى يوليو ١٩٧٣ ليوحدوا جهودهم وليضمنوا للشعب الصحراوى حقوقه فى تقرير المصير • والموقف المشترك للبلدان الثلاث يتفق مع المجتمع الدولى الذى يعتبر أن حق تقرير المصير هو المبدأ الاساسى فى تصفية الاستعمار • ان معالجة مشكلة الصحراء لا يمكن أن يتم بصفة مقبولة الا على أساس حرية تقرير المصير للشعب الصحراوى •

■ ان القرار لابد ان تتخذه الجمعية العـامة للامم المتحدة التى ادرجت القضية فى جدول أعمالها • وكل مبادرة من طرف واحد تعنى محاولة استباق قرار الجمعية أو محاولة خلق وضع قائم وتتعارض مع احترام المنظمة •

ومع ذلك فللاحزاب المغربية موقف آخر ، اذ ترى أن الصحراء مغربية ، وأن موقف الجزائر خاطىء عندما تطالب بتقرير المصير للسكان •

وقد جاء فى مذكرة حزب الاتحاد الوطنى المغربى للقوات الشعبية الى حزب جبهة التحرير الوطنى الجزائرية النقاط التالية :

■ موضوع الصحراء الرازحة تحت الاستعمار الاسبانى بالاضافة الى اطراف أخرى فى المغرب يدفع بالعلاقات بين الجزائريين والمغاربة لتسير بسرعة مفجعة من سىء الى أسوأ • والعواقب قد تكون وخيمة جدا اذا استمرت الحكومة الجزائرية فى موقفها الحالى من قضية أرض المغرب المغتصبة من طرف أسبانيا • والعواقب قد تكون وخيمة لعلاقة الجزائر والمغرب ، وللجبهة العربية التى تعيش ادق مراحلها •

■ عندما حملت المغرب نزاعها مع مدريد الى الامم المتحدة ، برز مبدا حق تقرير مصير سكان الاقليم المغربى المغتصب ونالت بفضله كل من الجزائر وموريتانيا صفة طرف معنى للاستشارة ليتحولا بعد ذلك الى طرف مباشر للنزاع مع المغرب بجانب الطرفين المتخاصمين « المغرب وأسبانيا » •

واستطردت مذكرة حزب الاتحاد الوطنى المغربى للقوات الشعبية تقول :

وقد أعلنت موريتانيا أنها تتمسك بالحقوق التاريخية للدولة الموريتانية بينما أعلنت حكومة القطر الجزائرى الشقيق موقفا متناقضا : **مفيدا لاسبانيا معرقلا للمغرب :**

● فمن جهة ، أعلنت انه لا مطامع لها فى الصحراء المحتلة من طرف أسبانيا •

● ومن جهة ثانية انها تتمسك بموقف الحياد الايجابى فى المنطقة لضمان التوازن فى المطالب بين المغاربة والموريتانيين •

● ومن جهة ثالثة تتمسك بحق الصحراويين فى تقرير مصيرهم بحرية •

● ومن جهة رابعة تشرف الجزائر فعلا على تنظيم قوة أهلية داخل الاقليم موالية لها سياسيا ومنظمة بحيث

تستطيع ان تقوم بمهمة الشرطة بين الصحراويين الاخرين داخل الاقليم عندما تنسحب القوات الاسبانية ·

■ بفضل موقف الجزائر تمسك الحكومة الاسبانية الان بيدها المبادرات السياسية بعد اعلان نيتها في الانسحاب كما تمسك أيضا فوق رؤوس الاطراف المعنية ـ فتيلة حرب سوف لا يكون الجيش الاسباني طرفا فيها ·

فيكفى ان تتحرك قوة فى المنطقة لمحاولة ملء الفراغ الذى سيحدثه انسحاب اسبانيا لتتحرك قوة أخرى فى وجهها لمحاولة ايقافها فى الحين ، ولكن غلطا كهذا لن يصدر الا عمن لا يقدر تقديرا موضوعيا رد فعل الشعب المغربى اذا أهين وافترى على حقوقه المشروعة ·

وفى ٢٣ اكتوبر وجه على ياطا الامين العام لحـزب التقدم والاشتراكية نداء ، تضمن الافكار التالية:

■ ان هذه القضية لا تهم سوى المغرب وأسبانيا ، وهى تنطلق من كفاح التحرر الوطنى وهدفها الحيلولة دون تسوية استعمارية جديدة تخلق دويلة مزيفة تترك للقوى الاستعمارية الخيرات الطبيعية التى تزخر بها المنطقة ، وذلك بأن تفتح لها أبواب قطر من الاهمية الاستراتيجية بمكان ·

■ ان هذا الموقف ـ ضرورة مواصلة النضال ضد الامبريالية ـ يستجيب لمطامح مواطنينا الصحراويين الرازحين تحت نير حكم فرانكو ويستجيب لوطنيتهم أيضا ، هم الذين يتابعون معركتهم فيقومون بنشاط يعتبر تكذيبا قاطعا لمزاعم زمرة تعمل فى الخارج · ان جبهة البوليزاريو المتمتعة باشهار واسع على الصعيد الاسبانى والدولى قد طالبت اخيرا تدخل اسبانيا العسكرى ضـد المغرب ، الشيء الذى يبين بجلاء ما هى المصالح التى تدافع عنها ·

■ ان دعاية زائفة استغلت الشكل الملكى للنظام المغربى لتطرح مشكل توحيد المغرب فى صفة عمل مفيد للامبريالية · يتعين القول هنا أن العمل الحالى الذى نقوم به يتعارض مباشرة مع مصالح الامبريالية واطماعها ، وبان الروابط بين المغرب والامبريالية تتقلص بينما تتعزز وباشكال مختلفة العلاقات السياسية والاقتصادية والمالية والثقافية مع البلاد الاشتراكية ·

■ ان تدخل الحكم الجزائرى فى القضية تدخل لا مشروعية له اطلاقا وهو يعبر عن ميول لاعلاقة لها بالمرة بالسلم والتحرر الوطنى والكفاح المعادى للامبريالية ·

لكن الجزائر ردت على الاحزاب المغربية بدعوتها لحوار مشترك حول القضية ، لكن هذه لم تلب الدعوة · كذلك تصر الجزائر على تنفيذ قرارات الامم المتحدة باعطاء السكان حق تقرير المصير ، وعلى الاخص تنفيذ الاتفاقيات بين البلاد المعنية فقد جاء فى بيان لقاء القمة الثلاثى فى نواديبو بين بومدين والحسن وولد داده :

■ قرر الرؤساء بعد دراسة عميقة للوضع السائد فى الصحراء الواقعة تحت السيطرة الاسبانية ، تـدعيم تعاونهم المتين للاسراع بتحرير هذه المنطقة وفقا لقرارات الامم المتحدة فى هذا الشأن · وفى هذا الصدد تم انشاء لجنة ثلاثية للتنسيق ، عهد اليها بتتبع مراحل تحرير هذه الارض بصفة مستمرة ·

كما جاء فى لقاء القمة الثلاثى فى أغادير فى يوليو ١٩٧٣ بين نفس الرؤساء :

■ أولى رؤساء الدول الثلاث عناية خاصة لتطور مسألة الصحراء التى ما زالت خاضعة لـلاستعمار الاسبانى ، وأكدوا من جديد تمسكهم الدائم بمبدأ تقرير المصير وحرصهم على السهر على تطبيق هذا المبدأ فى اطار يضمن لسكان الصحراء التعبير الحر والحقيقى عن ارادتهم طبقا لقرارات الامم المتحدة فى هذا الميدان ·

وتتلخص قصة الصحراء فى أنه فى ١٤٠٥ هبط جاندو بنزانكور البحار النورماندى على الشاطيء المغربي لحساب أسبانيا فشتته المغاربة ، وبعد ٩ سنين احتل البرتغاليون مدينة سبته فى ١٤١٥ ليسلموها فى ١٥٨٠ لاسبانيا التى تحتلها حتى الان ·

وتقع هذه الصحراء في شمال افريقيا · ويسكنها ٥٠ الف نسمة وتعادل نصف مساحة فرنسا · التى منحت الاقليم لاسبانيا باتفاقية سرية فى أكتـوبر ١٩٠٤ · وحاولت الاخيرة دخول ريو دى أورو لكنها فشلت بفضل المقاومة الباسلة لقبائل الرقيبات وهم من العرب الرحل المسلمين · وتعاونت عليهم فرنسا وأسبانيا فى ١٩٣٤ ، لكن القبائل لم تخضع وشنت عدة ثورات ، انتهت فى ١٩٥٧ بهجوم شامل للقبائل على القوات الاسبانية وحررت مساحات شاسعة واجبرت قوات أسبانيا على اللجوء الى المنطقة الساحلية وآمنت بأن صحراء ريو دى أورو خرجت عن نطاق سيطرتها وسحبت قواتها للموانى ، لكن فرنسا تدخلت مرة أخرى وهاجمت الثوار فى فبراير ١٩٥٨ ، وعادت أسبانيا لمواقعها وشددت أعمال القمع ، ومع ذلك استمر السكان يطالبون بتقرير المصير واعترفت لهم الامم المتحدة بذلك ·

لكن اكتشاف الثروات المعدنية فى ١٩٦٣ جعل أسبانيا تتشبث بالمنطقة «الانتاج نحو ١٠ ملايين طن فوسفات سنويا ويقدر الاحتياطي بمليارى طن » ·

وفى ١٧ يونيو ١٩٧٠ قدم الاهالى لاسبانيا عريضة يطالبون فيها بالاستقلال الداخلى وتحديد موعد للاستقلال التام ومنع استغلال المناجم دون موافقتهم · وردت أسبانيا بحملة اعتقالات واطلاق النار فقتلت عشرة واعلنت الطواريء وأغلقت الحدود · ولجأ الثوار الى الجزائر وموريتانيا والمغرب يواصلون منها عملهم · وأعلنت أسبانيا انها ستنظم فى فبراير ١٩٧١ استفتاء بعد طول مماطلة « كانت الامم المتحدة عندما عرضت عليها القضية فى ١٩٦٦ قد قررت مطالبة أسبانيا بتنظيم انتخابات حرة يقرر فيها السكان مصيرهم بكل حرية » · ولكن فشل مخطط أسبانيا واتسع نشاط الثوار خاصة الجبهـة الشعبية لتحرير الساقية الحمراء ووادى الذهب التى تطالب بالاستقلال الكامل ·

وفى ١٩٧٤ رفعت المغرب القضية الى محكمة العدل الدولية ، فقررت هذه فى ١٦ اكتوبر ١٩٧٥ ان الصحراء كانت قبل الاحتلال الاسبانى تحت السيادة المغربية · وقد قرر البرلمان الاسبانى الموافقة ، أخيرا على الاتفاق الموقع مع المغرب وموريتانيا حتى قبل أن يصدر قرار الامم المتحدة فى الموضوع ، الامر الذى حذرت منه الجزائر ·

ويرى المراقبون أن الصراعات والتناقضات التى نشبت بين القوى الوطنية والتقدمية في بلدان المغرب العربى هى أمر يدعو الى أشد الاسف ، خاصة وأن هذا الخلاف يقع بين قوى وطنية شعبية فى مراكش وبين دولة وطنية تقدمية هى الجزائر ·

ويرى هؤلاء المراقبون أنه أيا كانت هذه الخلافات فانه يتحتم على كل القوى الوطنية التقدمية فى بلدان المغرب العربى أن تبادر الى التجمع والتشاور لتحدد مبادىء عريضة تكون مدخلا يمهد للوصول الى تجاوز لهـذه التناقضات ·

١ ـ ان المعركة الحقيقية يجب أن توجه لا الى تقسيم صفوف القوى العربية بل الى قوى الاستعمار الجديد

والاقطاع التى تريد أن تستأثر بثروات الصحراء من دون أصحابها الحقيقيين .

٢ ـ ان قصة الصحراء يجب أن تكون منطلقا وحدويا وتحرريا للقوى الوطنية والتقدمية فى المغرب العربى ككل .

٣ ـ ان ثروات المغرب العربى كلها يجب أن تؤول فى النهاية الى شعوب المغرب العربى كلها ، لا فرق فى ذلك بين فوسفات الصحراء وبترول حاسى مسعود وفوسفات خريبجا .. فهذه الثروات وغيرها الكثير هى الاساس المادى لبدء عمليات تكامل اقتصادى يخدم مصالح شعوب المغرب العربى . ■

[تقرير خاص]

■ أنجــولا

هل تتجنب نموذج (كونجو) جديد ؟

تتابع القوى الوطنية والتقدمية الافريقية والعالمية ، باهتمام وقلق شديدين ، تطور الاحداث فى « **جمهورية أنجولا الشعبية** » ، « حوالى ٦ مليون نسمة » ، التى استقلت عن البرتغال فى منتصف ليلة ١١ نوفمبر الماضى . ومن الملفت للانتباه أن الدكتور **أوجستينو نيتو** رئيس الجمهورية قد أعلن فى خطاب الاستقلال الى شعب انجولا « ان حرب التحرير لاتزال قائمة » . فقد اتضح ـ كما اعترفت صحيفة « جوهانزبرج صنداى تايمز » التى تصدر فى جنوب افريقيا ـ ان جسرا جويا كان قد أقيم لنقل المرتزقة من جنوب افريقيا الى انجولا للقتال ضمن صفوف قوات الجبهة القومية لتحرير انجولا « فنلا والاتحاد الوطنى لتحرير كل انجولا « يونيتا » ، ضد الحركة الشعبية « مبلا » التى تولت السلطة . وقد أوضحت الصحيفة أن معظم هؤلاء المرتزقة من المستوطنين البرتغاليين الذين تركوا انجولا ، ومن جنوب افريقيا ، ومن المرتزقة الذين عملوا فى الكونجو « زائير الان » من قبل .

وتعتقد الدوائر الافريقية الوطنية ، أن جمهورية انجولا الشعبية تتعرض فى هذه الفترة لظروف مشابهة لتلك التى تعرضت لها جمهورية الكونجو غداة استقلالها بقيادة **باتريس لومومبا** . فبينما اعلنت « فنلا » و « يونيتا » تشكيل حكومة فى المنفى مناهضة للحكومة الشرعية فى لواندا « عاصمة انجولا » ، تتوالى انباء الاعداد العسكرى من جانب قوات «فنلا» و « يونيتا » ، وعناصر المرتزقة ، للقيام بعمليات عسكرية تساندها حكومتى زائير وجنوب افريقيا وتدعمها بالتدريب والتسليح الولايات المتحدة والمانيا الغربية واسرائيل وفرنسا . ومن الجدير بالذكر أن لجنة التحقيق والمصالحة التابعة لمنظمة الوحدة الافريقية ، قد شاهدت كميات كبيرة من الرشاش « عوزى » الاسرائيلى فى يد قوات « فنلا » و « يونيتا » . كما اكد ذلك نور الدين جودى « جزائرى » السكرتير العام المساعد لمنظمة الوحدة الافريقية . ولا يستبعد المراقبون أن يتحول تدخل هذه الدول المستمر والمحدود نسبيا ـ الان ـ الى عدوان سافر وكبير فى مرحلة أخرى . ويعتقد المراقبون أن حملة الانباء التى تروج لها الوكالات والصحف الغربية عن وجود جنود كوبيين وسوفيت ضمن قوات « مبلا » ، ووصف الحكومة المستقلة بالشيوعية ، مقصود به « التمهيد السياسى » لاعمال الغزو المتوقعة والمماثلة لتلك التى تعرض لها الكونجو من قبل . ويذكر المراقبون فى هذا الصدد ما أعلنه الحاكم العام البرتغالى ، عندما اندلعت الثورة الوطنية ضد الاستعمار البرتغالى فى ١٩٦١ ، فقد مهد للعمليات العسكرية البرتغالية الكبيرة ولتدخل حلف الاطلنطى ـ بقوله « ان مسئولية الاضطرابات تقع على الدول الافريقية والكتلة الشيوعية . وان الحركة يوجهها الشيوعيون ولا تجد أى تأييد من شعب أنجولا » .

ويعتقد المعلقون والدارسون للشئون الافريقية ، بأن أهداف الغرب وجنوب افريقيا وزائير من ضغوطهم وأعمال التخريب المناهضة لجمهورية انجولا الشعبية ، هو خلق نموذج كونجولى آخر . وليس المقصود مجرد أسلوب الاغتيال ، فقد جرت بالفعل محاولة لاغتيال نيتو قبل أيام من اعلان الاستقلال ، والاطاحة بحكومة الاستقلال . وليس المقصود أيضا مجرد أسلوب الانفصال ، وقد جرت محاولات التهديد بانفصال اقليم كابيندا الذى يشبه فى ثرواته اقليم كاتنجا فى الكونجو وتتحدث صحف زائير عن « الاحتمالات السعيدة » لمستقبل البلاد والمنطقة اذا ارتبط مصير كابيندا زائير لتكون اغنى دولة فى المنطقة وفى افريقيا كلها ـ وانما المقصود فى الاساس ، هو نموذج النظام والحكم ذا الشكل « الوطنى » والمضمون الاستعمارى ، أى نظام « قوى مستقر » ينفرد بالموقف ولا بأس من أن يقوم ببعض التأميمات وحتى اقامة مسخ « لقطاع عام » . ولكن يحول تولى الحركة الشعبية « مبلا » السلطة دون ذلك . ولهذا يرجح المراقبون أن تقوم القوى المناهضة بمحاولات للتصفية المادية والجسدية للحكم المستقل الجديد .

لقد أصبح الصراع فى أنجولا يدور حول مستقبل البلاد . هل تظل دولة تابعة أم تحقق تحررها الوطنى والاجتماعى ، وما ينجم عن هذا من آثار على المنطقة ككل والتى يعدها الغرب منطقة نفوذ أساسية له ومصدرا هائلا للمواد الخام من المعادن الهامة .

والواقع ان الحركة الشعبية « مبلا » تتمتع بمركز قوى فى البلاد . وقد تكونت فى ١٠ ديسمبر ١٩٥٦ من مجموعات من الوطنيين والماركسيين ، وضمت فى صفوفها الفلاحين والعمال والمهنيين الثوريين وقطاع من الموظفين . ويقوم برنامجها على تطوير البلاد على أسس ديمقراطية متحررة بتحقيق اصلاح زراعى وفق مبدأ « الارض لمن يفلحها » ، وتأسيس تعاونيات زراعية وتخطيط الاقتصاد . وقد تحملت الحركة مبادرة شن الكفاح الوطنى المسلح فى ٤ فبراير ١٩٦١ عندما هاجمت وحداتها سجن لواندا . وحتى أبريل ١٩٧٤ تمكنت الحركة من تحرير ثلث البلاد واقامة حكم ديمقراطى قوى فوق ٥٠٠ر٠٠٠ كيلو متر مربع . وخلال الكفاح المسلح ، كونت الحركة قوات التحرير الشعبية وأقامت حكما محليا ديمقراطيا وشكلت ميليشيا شعبية للدفاع المحلى ، وأسست مزارع تعاونية ومؤسسات للصحة العامة وللتعليم ومحلات لتوزيع السلع تابعة للدولة ونظمت اتحادات للعمال والشباب والنساء . وبرغم أن **اوجستنو نيتو** زعيم « مبلا » ينتمى الى قبيلة **كيمبوندو**

« ٢٥ فى المائة من السكان التى كانت مصدرا أساسيا لقوات « مبلا » الا ان الحركة الشعبية تجاوزت ـ عن وعى ـ واقع التقسيم القبلى وأسست اتجاها سياسيا عاما على نطاق البلاد وأن تركز نفوذها بشكل كامل فى ١٢ اقليم من الاقاليم الستة عشر التى تنقسم اليها انجولا اداريا • ويدعم من قوة الحركة الشعبية سيطرتها الكاملة على اقليم كابيندا الغنى بالثروات المعدنية • وبينما انشغلت « فنلا » و « يونيتا » فى الشهور الماضية تكثيف امدادها بالاسلحة لقواتها التى دخلت انجولا ، لم تدخل « مبلا » اسلحتها الى العاصمة «لواندا» التى كانت تسيطر عليها أصلا ، وانما تركتها فى مواقعها بجبهات القتال السابقة ، وركزت على العمل السياسى وتنظيم وتوعية الجماهير واعدادهم لتسلم السلطة • وقد أعلن نيتو رئيس الجمهورية دستور البلاد الذى يقضى بتشكيل مجلس للشعب ومجلس للثورة يكونا الهيئة السياسية العليا فى البلاد •

اما الجبهة الوطنية فنلا التى يتزعمها روبرتــو هولدن ، فقد تاسست فى مارس عام ١٩٦٢ ، أى بعد عام كامل من بداية الكفاح الوطنى المسلح • وهى نتاج إندماج « اتحاد شعب انجولا » و « الحزب الديمقراطى الانجولى » • وتستند الجبهة الى قبيلة باكونجو التى يقيم جزء منها فى شمال انجولا والجزء الاكبر هرب أثناء عمليات القتال ضد البرتغاليين الى اراضى الكونجو كينشاسا • وتشكل هذه القبيلة ٢٥ فى المائة من مجموع سكان البلاد • ومن المعروف أن نسبة التعليم بين أفرادها قليلة للغاية • وقد ظل النشاط الاساسى للجبهة الوطنية داخل الكونجو وفى المجال السياسى حيث شكلت وقتها ما سمى بحكومة أنجولا فى المنفى • وقد تمكنت فى البداية من اقناع منظمة الوحدة الافريقية بأنها الجبهة الوحيدة فى انجولا • الا أن ضعفها وعدم فعاليتها فى النضال الوطنى المسلح ، بسبب طابعها القبلى من جهة وطبيعة قياداتها من جهة اخرى ، فتح الطريق لبروز « مبلا » ودورها الفعال والتى أصبحت هى القوة الرئيسية المعترف بها خارجيا وداخليا • وتستند الجبهة الوطنية الى قاعدة داخلية ضعيفة أفرادها أكثر ثراء وأقل ثقافة ولهم ارتباطات كبيرة برءوس الاموال الاجنبية فى المنطقة • ومن المعروف عن روبرتو هولدن انه رجل أعمال كبير يعيش فى كينشاسا وهو صهر الرئيس جوزيف موبوتو ، وشريك فى احدى شركات النقل الكبيرة فى كينشاسا ومساهم كبير فى البنك الوطنى الكونجولى ويملك فندقا كبيرا ودارا للطباعة وثمان مزارع ويعمل أيضا فى تجارة الماس • ومن ابرز مستشاريه السياسيين الامريكان جون ماركهام ومولر ، الذى كان مستشارا لتشومبى من قبل ومن أبرز مستشاريه العسكريين الامريكيين دووركينز ومانهيرتز اللذان يعملان فى معسكر كينكوسو ، أكبر معسكرات الجبهة فى « زائير » • وقد القى الرئيس موبوتو بثقله وراء هولدن ، ونظم له اجتماعا مع الرئيس البرتغالى السابق سبينولا حينما كان يدعو الى استقلال المستعمرات البرتغالية فى اطار تجمع برتغالى • ثم نظم له اجتماعا مع زعيم الحزب الاشتراكى البرتغالى سواريز وزير خارجية البرتغال فى ذلك الوقت • وقد لعب موبوتو دورا بارزا فى ان تشكل « فنلا » و « يونيتا » جبهة موحدة ضد « مبلا » ثم فى اعلان حكومة اخرى فى المنفى بعد استقلال ١١ نوفمبر •

أما الاتحاد الوطنى «يونيتا» التى يتزعمها جوناس سافيمبى ، فقد تاسست عام ١٩٦٥ بانشقاق سافيمبى عن حكومة انجولا فى المنفى التى كونها هولدن • وتستند الى قبيلة أومبوندو وتقع فى وسط البلاد وهى من اكبر القبائل « ٣٨ فى المائة من مجموع السكان » • وقد استطـــاع سافيمبى أن يقيم علاقات قوية مع البيض فى أنجولا حيث ضم الى صفوفها عددا منهم يفوق ما استطاعت حركات أخرى ضمه • وقد حاول سافيمبى اتخاذ موقف وسط بين « مبـلا » و « فنلا » فى اول الامر ، ولكن احتدام الصراع واستقطاب أطرافه ادى الى أن يسفر سافيمبى عن وجهه الحقيقى بالعمل مع هولدن رغم التناقضات بينهما • فعند دخول قوات من « فنلا » البلاد ، احتلت أعداد من اللاجئين العائدين «من قبيلة باكونجو» محل عمال مزارع البن فى الشمال « ينتمون الى قبيلـة اومبوندو » • كما عمل سافيمبى مع دانييل شيبيندا الذى طردته « مبلا » من صفوفها الذى يعسكر فى شرق البلاد ومعه قوة تقدر بـ ١٠٠٠ رجل •

ومن الجدير بالذكر أن الحركات الثلاثة قد شكلوا حكومة مؤقتة قبل اعلان الاستقلال ، بعد الاتفاق على موعده مع البرتغال فى يناير ١٩٧٥ • وكانت الحكومة المؤقتة تضم ممثلا لكل حركة بالاضافة الى الحاكم البرتغالى • وكان التصويت داخلها دائما «فنلا» و « يونيتا » فى جانب و « مبلا » فى جانب والبرتغال تمتنع عن التصويت • الا أن اضراب عمال الموانىء فجر مكامن الخلاف بينهم • فقد أضرب العمال مطالبين برفع أجورهم • وأصدرت الحكومة بأغلبية ٢ «فنــلا ويونيتا» ضد صوت «مبلا» ، وامتنــاع البرتغــال ، قانونا عسكريا يجبر العمال على العودة للعمل بنفس الاجر • وحولت « فنلا » الامر الى مواجهة عسكرية يوم ٣٠ أبريل • وبدأت منذ ذلك اليوم الحرب الاهلية • وحسمت « مبلا » الموقف بتنظيم مظاهرات تضامن مع العمال فى عيد أول مايو ، وتمكنت بعد اندلاع الحرب الاهلية من اخراج قوات « فنلا » و « يونيتا » من العاصمة لواندا •

وقد صرح احد قادة « مبلا » فى حديث مع صحيفة اللوموند الفرنسية بأن « ٦٠ فى المائة من قوات فنلا تتكون من جنود من زائير • ومن هنا فان ما يجرى فى أنجولا ليس حربا اهلية وانما هو عدوان خارجي من قوة أجنبية معادية » • ثم واصل قوله : « ان الحركة الشعبية لتحرير أنجولا لم تشن الحرب لكى تخسر السلام • اننا على استعداد للدفاع عما نعتقده فى صالح انجولا » •

حسين شعلان



■ **بولنـــــدا**

مؤتمر البناء الاشتراكى المتقدم

تجرى الاستعدادات على قدم وساق فى الشهر الحالى فى بولندا لعقد المؤتمر السابع لحزب العمل البولندى الموحد •

وتنطلــق : بولنــــدا نحو هذه المناسبة الكبـــرى من مواقع قوية ، وتتحرك على أرضية مواتية مهدتها اعمال المؤتمر السابق « السادس للحزب » ، والانجازات التى حققتها الخطة الخمسية « ١٩٧١ ـ ١٩٧٥ » .

ففى السنوات الخمس الاخيرة ، بلغ متوسط الزيادة السنوية فى الدخل القومى ١٠ فى المائة · فى مقابل ٦ فى المائة فى سنوات ٦٦ ـ٧٠ ، وارتفعت الاجور الفعلية باكثر من ٤٠ فى المائة واستفاد من رفع الاجور حوالى ١١ مليون مواطن ، وهم جميع العاملين فى القطاع العام : وزادت مداخيل الريف البولندى بحوالى ٥٠ فى المائة · وشمل العلاج المجانى جميع سكان الريف · واصبح للفلاحين والمزارعين الحق ـ كعمال الصناعة فى التقاعد والمعاش · اما الكهرباء فقد دخلت جميع القرى · واختفت الى الابد مناظر الاكواخ المغطاة بالقش لتحل محلها بيوت سكنية مبنية بالاسمنت ·

واذا لخصنا انجازات خطة ٧١ ـ١٩٧٥ ، امكن القول بأن الدخل القومى ارتفع بنسبة ٦٢ فى المائة وزاد الانتاج الصناعى بنسبة ٧٣ فى المائة والانتاج الزراعى بنسبة٢٧ فى المائة · وهذه الزيادة الشاملة فى الانتاج ترجع الى ثلاثة أسباب ١ ـ القيادة السياسية للحزب وتعاونه مع الجبهة الشعبية الموحدة ٢ ـ اقتناع العاملين بضرورة زيادة الانتاج ٣ ـ عمليات الاحلال والتجديد فى المصانع البولندية فبين ١٩٧١ و١٩٧٥ اصبح عمر حوالى ثلث الماكينات والالات والتجهيزات الموجودة فى المصانع لا يتجاوز الخمس سنوات ·

هكذا ياتى المؤتمر السابع لحزب العمال البولندى ليقف على أرضية اقتصادية واجتماعية صلبة ، وليناقش الخطة الخمسية القادمة ١٩٧٥ ـ١٩٨٠ ·

ويسبق عقد المؤتمر ـ فى العادة ـ مناقشات واسعة لتوجيهاته فى جميع انحاء البلاد ، وفى كافة المستويات والمؤسسات الحزبية والاجتماعية والتنفيذية والتشريعية ، وينعقد المؤتمر السابع تحت الشعارات الرئيسية التالية :

ـ من اجل تطور ديناميكى للبناء الاشتراكى
ـ من اجل تحسين نوعية العمل
ـ من اجل رفع مستوى المعيشة

وعلى ضوء هذا ، فان توجيهات المؤتمر السابع من اجل بناء نظام اشتراكى متقدم فى بولندا يمكن أن تنقسم الى أربعة اقسام :

١ ـ القسم الاول من التوجيهات يركز على تعميم العلاقات الاشتراكية لتشمل جميع مجالات الحياة · وتحقيق المزيد من أسس العدالة الاجتماعية الاشتراكية · وهذا يتطلب فى التطبيق ·

ـ تطوير وتقوية القطاع الحكومى فى فروع الاقتصاد الاساسية ـ دفع التحولات الاشتراكية فى الريف دفعات أكبر الى الامام ـ تعميم التعاون ليشمل جميع الحرف والخدمات والانتاج الصغير ـ تقوية الروابط بين الجهد الذى يبذله العامل وبين العمل المبذول ونوعيته ، بحيث ينعكس ذلك على اجور العاملن ودخولهم ·

واذا رجعنا الى أرقام الخطة المقبلة « ٧٥ ـ١٩٨٠ » فان معنى ما تقدم هو أن الاجور سترتفع بنسبة ١٦ ـ١٨ فى المائة · كما سيرتفع الحد الادنى للاجر · ويتم توسع أكبر فى مجال الضمانات والتامينات الاجتماعية · وسيزداد فى ١٩٨٠ حجم السلع والبضائع المطروحة فى السوق بحوالى ٤٥ فى المائة · وسترتفع الخدمات بما يقرب من ٦٠ فى المائة · وسيبلغ استهلاك الفرد الواحد من اللحوم ٨٠ كيلو جرام بالمقارنة الى ٥٣ كيلو فى عام ١٩٧٠ · وسوف يتم بناء حوالى مليون ونصف مليون مسكن · وبشكل عام ستخف الفروق بين المدينة والريف ، وبين العمل الذهنى والعمل اليدوى ·

اما القسم الثانى من توجيهات المؤتمر ، فيركز على ضرورة ربط انجازات الثورة العلمية التكنيكية بقيم النظام الاشتراكى وهنا نجد ان بولندا تنطلق نحو تحقيق هذا الهدف من مواقع قوية · فقد نمت قدراتها العلمية وتطورت تطورا كبيرا · وهو الامر الذى تفسره هذه الارقام · فهناك ٣٠٠ الف شخص يعملون اليوم فى مجال العلوم ، من بينهم ٥٥ الف استاذ واستاذ مساعد يعملون فى ٦٠ مركزا تابعا لاكاديمية العلوم وفى ١٠ جامعة ومعهد عال وفى اكثر ن ١٠٠ مركز ومعمل ومعهد للابحاث العلمية · كما ان أكثر من ربع سكان بولندا ٣٤ مليون يتلقون العلم فى مختلف مستويات التعليم · وهذه القصة ، قصة ربط القيم الاشتراكية بالتقدم العلمى والتكنيكى هى احدى القضايا الجوهرية التى تشغل بال الحزب وهذا ماعبر عنه أ · جيريك سكرتير الحزب بقوله :

« ان هذا الامر هومثابة الرافعة الاساسية لنمو الاقتصاد الوطنى بسرعة ، ولسد حاجات المجتمع على خير وجه ، ولبناء قدرات حديثة فى بولندا ، ولضمان الرفاهية والازدهار للشعب بأسره ·

اما القسم الثالث من توجيهات الحزب فى مؤتمره القادم ، فيدعو الى دعم وحدة المجتمع وتعزيز التحامه والتفافه حول الطبقة العاملة والحزب وترسيخ الايديولوجية الاشتراكية · ذلك ان النظام الاشتراكى هو النظام الوحيد الذى يصفى ويزيل مصادر التناقضات الطبقية ويضع الاسس اللازمة لتطور جميع فئات المجتمع ، وفى هذا المجال سوف نقع علىمؤسسات التربية والتعليم مهمةاعداد الكوادر اللازمة لبناء البلاد ، وخلق جيل جديد مزود بالمثل العليا ومزود بأحدث المعلومات والمؤهلات العلمية الرفيعة ·

اما القسم الرابع من توجيهات المؤتمر السابع ،فتركز على قضية « تطوير الديموقراطية الاشتراكية وتحسين عمل مؤسسات الدولة والحكومة وجميع اجهزتها وتحت هذا الشعار سيتقدم الحزب لدعم علاقاته مع الاحزاب الاخرى الداخلة فى اطار الجهة الشعبية المتحدة ومع جميع العناصر اللاحزبية ايضا كما سيهتم بزيادة اشتراك الطبقة العاملة فى جميع أوجه الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية · وسيولى اهتماما خاصا لدعم قضية الشرعية الاشتراكية وفتح السبل ليساهم المواطنون فى ادارة البلاد والدولة ·

ولما كان آخر دستور للبلاد قد صدر فى عام ١٩٥٢ فان توجيهات المؤتمر السابع تدعو الى ادخال التعديلات اللازمة على دستور جمهورية بولندا الشعبية لكى تعبر مواده تعبيرا حقيقيا عن جميع التحولات والتغيرات التى طرأت على البلاد منذ ذلك الوقت ·

ويرى المراقبون أن انعقاد المؤتمر السابع لحزب العمال البولندى يعتبر نقطة انطلاق مضاعفة فى حياة الشعب والبلاد · ذلك ان البلاد قد دخلت منذ بداية السبعينات مرحلة التطور الاجتماعى الاقتصادى السريع · وتخلص الاقتصاد البولندى من كثير من المعوقات الى الدرجة التى دعت « الايكونومست » الانجليزية الى أن تتحدث عن « المعجزة الاقتصادية البولندية » وفى الوقت نفسه ، فان جمهورية بولندا تتحرك لانجاز الخطة ٧٥ ـ ١٩٨٠ خاصافىافضلالظروف الدولية : الانتصارات التى سجلها مؤتمر هلسنكى والتى دعمت مواقع السلم والامن فى القارة الاوربية · ولم تكن بولندا بعيدة عن

هذه الجهود الدائبة من اجل اقرار ودعم السلم فى اوروبا . وما مشروع « راباكى » ببعيد . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى تربط بولندا ببلدان آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية روابط متزايدة القوة فى جميع المجالات .

واذا كانت بولندا تعد اليوم الدول العاشرة بين الدول الصناعية المتطورة فى العالم فهى تطمح الى ان تحتل المكان الثامن فى السنوات العشر القادمة ■



■ برلين

المؤتمر الدولى لعــام المرأة العــالمى

عقد فى مدينة برلين عاصمة جمهورية المانيا الديمقراطية ، وفى الفترة مابين ٢٠ الى ٢٤ اكتوبر عام ١٩٧٥ المؤتمر الدولى لعام المرأة العــالمى بتحضــير من الاتحــاد النسائى الديمقراطى العالمى واستضاف الاتحاد النسائى الديمقراطى الالمانى المشــاركات فى المؤتمر .

وفى يوم الافتتاح استقبلت قاعة المؤتمرات الكبرى فى برلين ١٦٩٨ مندوبة ومندوبا . وفدوا جميعا الى برلين من ١٤٠ دولة منها ٢٩ دولة اوروبية و ٣٣ اسيوية و ٤٣ افريقية و ٣٣ من الامريكيتين وأستراليا ونيوزيلندة ــ كما استقبلت ٢٤٩ ممثلة وممثلا لمنظمات دولية واقليمية ــ ثمانى وكالات للامم المتحدة و ١٤ منظمة نسائية وعشرة منظمات عمالية و ١٥ منظمة شبيبة وثمانى منظمات دينية و ٢٩ منظمة اجتماعية ــ ومع كل هؤلاء استقبلت القاعة ٧٠٧ صحفية وصحفى وفدوا من ٤٢ دولة لتغطية المؤتمر الكبير .

وفى العاشرة من صباح الاثنين ٢٠ أكتوبر دخــل كل الضيوف الى القاعة ليشاهدوا افتتاح المؤتمر العالمى .

وعلى المنصة الرئيسية جلس رئيسات ورؤساء الوفود ، اعضاء اللجنة التحضيرية ، ومعهم اريك هونيكر السكرتير الاول للجنة المركزية للحزب الاشــتراكى الموحد لالمانيــا الديمقراطية .

وفى بداية المؤتمر القى هونيكر خطابه الذى ذكر فيــه ان النســاء فى العالم يشــكلن قوة سياســية اليوم ، وبالتضــامن بينهن يمكن ان يحقق الحلم القديم للانسانية وهو بنــاء عالم السلام والتقدم الاجتماعى .

ثم القت السيدة هلفى سيبيلا مســاعدة السكرتير العام للامم المتحدة ــ كورت فالدهايم ــ كلمة التحية التى ارسلها السكرتير العام الى المؤتمر . ثم تولى السيد سوراس بيريرا السكرتير العام للاتحاد الدولى لمنظمات الامم المتحدة تقــديم المقترحات التنظيمية للجنة التحضيرية للمؤتمر والتى ايدها الحاضرون وجاءت كما يلى :

انتخاب فريدا براون رئيسة اللجنة التحضيرية للمؤتمر رئيســة له ..

انتخاب ايسل ثيل رئيسة الاتحاد النســائى الديمقراطى الالمانى ، نائبة رئيسة للمؤتمر

اقرار التســع لجان عمل التى اقترحتــها اللجنــة التحضيرية للمؤتمر .

وفى نهاية اليوم الاول للمؤتمر القت فريدا براون تقريرها العام الذى تضمن نظرة عامة على أوضاع المرأة فى العالم من ناحية العمل والتعليم والحقوق والمشاكل .. ثم نظرة عامة على ما قدمته اللجنة التحضيرية ثم اللجنة التنظيميــة للمؤتمر من اعمال ومجهودات من اجل ان يصبح ســهلا على كل المشــتركات فيه ابداء رأيهن من خلال المشاركة فى اعمال اللجان .

وجاء ضمن ما جاء فى تقرير فريدا براون .. عن عمل المرأة .. « تشكل المرأة ثلث قوة العمل العالمية ٤٦ ٪ من نســاء العالم القادرات على العمل واللاتى يتراوح عمرهن ما بين ١٥ و ٦٤ سنة يشاركن فى الانتاج . تختلف نســبة اشتغال النساء من بلد الى آخر . فى أمريكا اللاتينية تصل الى ٢٠٪ فى افريقيا وآسيا واستراليا ترتفع الى ٣٠٪ . فى أوروبا وامريكا الشمالية تصل الى ٣٥٪ . ثم تصــل النسبة أقصاها فى الدول الاشتراكية لتسجل أقصى ارتفاع لها فى الاتحاد السوفيتى حيث تصل نسبة النساء العاملات الى ٥٠٪ .

« ان النســاء يعملن بشكل عام ، اما كعاملات غير ماهرات أو نصف ماهرات .. لذلك فنحن نقول انهن لايملكن فرص العمل الفنى .. أو ما يســمى بالتــدريب للعمالة الماهرة » .

« وفى كثير من البلدان تحجم المرأة عن مزاولة العمــل الانتاجى لان ذلك يتناقض مع عملها فى المنزل كأم وربة بيت وزوجة .. وذلك بسبب القيــود الاجتماعية والمادية التى تحيطها .. »

أما عن حالة النســاء الثقافية فتقول ..

« على سبيل المثال ، ٨٠٪ من نســاء افريقيا أميات ، كذلك ٥٠٪ من نساء آسيا و ٢٧٪ من نساء امريكا اللاتينية أميات هذه حقيقة تعيش بيننا فى عصر التقــدم ، والثورة العلمية والتكنولوجية ! »

وفى نهاية كلمتها قالت ــ هيا بنا فى وحدة ــ نستعمل قوتنــا ونرفع اصــواتنا حتى تسمعنا اركان الارض .

ــ نستنكر الاعتداء والعدوان

ــ نشــجع المناضلين ضد التفرقة .

ــ نعطى الامل لكل الذين يعانون الاستغلال .

وبدات اللجان اعمالها صباح الثلاثاء ٢١ اكتوبر وعقــدت كل منها خمسة اجتماعات مطولة .. تكلمت فيها ٧٠٠ مندوبة .. وقبلت من قبل الســكرتاريات كافة الاعتراضــات التى قدمت من أى مشارك أو مشاركة . ثم خرج من كل لجنة تقرير عام عن أعمالها تضمن الاتفــاق النهائى للحــاضرات والحاضرين .

وفى جلســة المؤتمر الختامية ، والتى عقدت يوم الجمعة ٢٤ اكتوبر على فترتين القيت التقارير النهائية للجــان .. ثم التقرير النهائى للمؤتمر ثم بيانه العام ونداله للنساء ..

وكان المؤتمر قد تلقى خلال فترة اعماله ٩٠٠ رســالة وبرقيه من رؤساء دول ومنظمات .. القيت فى اليوم الاول منها رســالة ليونيد بريجنيف السكرتير الاول للجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى وياسر عرفــات رئيس منظمــة التحرير الفلسطينية واحمــد حســن البكر رئيس جمهورية العراق وسياد برى رئيس جمهورية الصــومال الديمقراطية الشعبية .. ثم ولكثرة الخطابات رؤى ــ توفيرا للوقت ــ ضرورة طبعها ووضعها فى وثائق المؤتمر الرسمية .

وفى نهاية الجلسة الختامية .. وفى نهاية آخر الاعمال وهو النداء .. سجل الجميع : « ان مسئوليات النســاء متعددة .. ونحن نناشــد النساء فى منظمات الشباب فى النقابات والبرلمانات وفى اجهزة الدولة وفى المنظمات الدينية وفى المنظمات الاجتماعية والثقافية .. فى المصانع والادارات

.. فى القرى والمدن والمنظمات الوطنية والدولية .. النساء حيثما كن تحركن من اجل ان يسمع تأثيركن .. ابعثن القوة فى القوى المحبـة للســـلام ..
يا نســاء كل القارات استجبن لهذا النداء .

من أجل هدف السـلام ، والديمقراطية ، وحركة التحرر والتقدم الاجتماعى والمســـاواة .. ناضـــلن من أجـل كل ذلك ..

○

■ كوبا

الحزب يقود ويوجه ولايفرض قرارات

يعتقد الحزب الشيوعى الكوبى ، خلال الشهر الحالى، مؤتمره الاول ، الذى يعد أول مؤتمر يعقده حـزب ماركسى ـ لينينى وهو فى السلطة فى امريكا اللاتينية. ويتسم مؤتمر هذا الحزب باهميته الخاصة ، لانه يعقد فى منطقة تواجه فيها أغلبية الاحزاب الشيوعية مواقف صعبة ناجمة عن القمع الذى تتعرض له ، كذلك فبينما تعمل باقى التنظيمات الثورية فى القارة بصورة شرعية أو فى الخفاء ، فان الحزب الشيوعى الكوبى ، يقود أول ثورة اشتراكية منتصرة فى المنطقة .

ويعد مشروع الدستور الذى ناقشه كل الشعب ، والذى سيؤخذ بعين الاعتبار خلال انعقاد مؤتمر الحزب ، خطوة سابقة للاستفتاء الشعبى ، الذى سيحدد الدور الرئيسى للحزب . كذلك فقـد أوضح راؤول كاسـترو السكرتير الثانى للجنة المركزية للحزب الشيوعى دور الحزب فى المحاضرات التى القيت على مندوبى السلطة الشعبية فى محافظة ماتانزاس الغربية ، وأشار بهذا الصدد الى انه من الضرورى « أن يؤخذ بعين الاعتبار ان الحزب الشيوعى الكوبى يقود مؤسسات الدولة ، ومنظمات الجماهير ، وعليه بالتالى أن يقود أجهزة السـلطة الشعبية المحلية » . وأوضح ايضا « ان الحزب لا يدير ، ولا يجب بأى حال أن يتدخل فى عمل مؤسسات السلطات الشعبية المحلية اليومى والعادى ، أو فى اجهزتهما الادارية»وقال : « انه اذا كان الحزب هو اعلى سلطة سياسية وايديولوجية ، الا أن مؤسسات السـلطة الشعبية المحلية ، هى أعلى سلطة حكومية وادارية » . و « انه يجب على الحزب أن يوجه وأن يقود عمل أجهزة السلطة الشعبية المحلية ضمن حدود مهام الحزب والدولة الاكثر دقة ، ويمكن للحزب ، بل عليه ان يقترح وأن يعرض وأن يوصى ، وأن ينصـح وأن يوجـه عمـل مؤسسات القوى الجماهيرية » . وأكد على حقيقـة انه « لا يمكن أبدا اعطاء تعليمات أو فرض قرارات » .

وأوضح راؤول كاسترو « انه كان ضروريا فـى السنوات الاولى من المسيرة الثورية ، أن يقوم الحزب بدورين : أن يقود سياسيا ، وأن يكرس نفسه فى الوقت نفسه للقيام بمهام ادارية لمواجهة النقص فى الاشخاص المؤهلين » ولكن نظرا لتغلب الحزب جزئيا على هـذه الصعوبة طرح السكرتير الثانى له « ضرورة تخليص الحزب من جميع المهام ذات الطابع الحكومى والادارى ، وانه على الحزب أن يحصل على السلطة امام الجماهير بفضل عمله ، وبفضل ارتباطه بهذه الجماهير ، وبفضل علاقاته مع الجماهير » .

ومن ناحية أخرى ، قررت اللجنة التحضيرية المركزية للمؤتمر الاول للحزب ، أن تخضع أسس برنامج الحزب الشيوعى الكوبى للاستفتاء الشعبى . وأن يناقش هذه الوثيقة المهمة أعضاء الحزب ، وأعضاء اتحاد الشبيبة الشيوعية ، والمنظمات الجماهيرية علـى اختـلاف درجاتها .

ويتالف مشروع أسس برنامج الحزب الكوبى من جزئين ، الاول بعنوان « أسس وطبيعة وعمل الثورة الكوبية » وهو من أربعة فصول هى « الاسس التاريخية للثورة الكوبية ، طبيعة العصر الذى تنمو فيه » وينقسم هذا الفصل الى بابين : الحالة الدولية عند انتصار الثورة الكوبية ، والحالة الدولية الراهنة » ، ثم طبيعة الثورة الكوبية ، وعمل هذه الثورة .

أما الجزء الثانى فيحمل عنوان « مبادىء وأهداف البرنامج وينطوى على ثمانية فصول . وهى : الهدف الرئيسى للمرحلة الراهنة فى الثورة الكوبية ، والسياسة الاقتصـــادية ، وخلـق الاسس المـادية والفنيـــة للاشتراكية ، وأسلوب الادارة وتخطيط الاقتصـاد والسياسة العلمية والاجتماعية ، يضاف الى ذلـك السياسة المتبعة فى مجال التربية ، والثقافة والعلوم والسياسة العقائدية التى تنطوى على مهمات النضال العقائدى ودراسة الماركسية اللينينية ، والموقف من الدين ، ووسائل النشر عند الجماهير .

وكان فيدل كاسترو ، السكرتير الاول للحزب الشيوعى الكوبى ادلىخلالانعقاد الاجتماعات من اجلدراسة جدول أعمال لجان المحافظات الحزبية ، فى هافانا وأورينت ، بتقييمه للمغزى الذى « تنطوى عليـه نشـأة الحزب الشيوعى الكوبى فقال : « لقد نشأ هذا الحزب من عاملين أساسيين جوهريين ، ولا يقدران بثمـن : من : « اتحاد جميع الثوريين أولا، ومن وحـدة الصفوف التى بلغت درجة عالية لم يسبق لها مثيل فى تاريخ وطننا ، هذه الوحدة التى اشتاق اليها المقاتلون خلال قرن تقريبا ، منذ بدء الكفاح ضد الاسبان فـى « ياره » حتـى المعـارك البطـولية ضــد نظام « ماتشادو » فلاول مرة توصل جيلنا وانتظمت صفوف جيلنا فى حزب طليعى ، حزب يواصل الكفاح الذى خاضه خوسيه مارتى من أجل الاستقلال ، ويواصل الكفاح الذى خاضه فى وطننا الشيوعيون الاوائل مثل « باليتيو » و « ميللا » ، والعامل الثانى الاساسى فىنشوء الحزب هو المبادىء العلمية والفلسفة السياسية الثورية الماركسية اللينينية » . ■

○

■ الولايات المتحدة الامريكية

ماذا وراء التعديلات الجديدة فى الحكـومة الامريكيـة ؟

بعد الهزيمة الامريكية فى فيتنام بدأت أوربا تتحدث عن وجود اتجاهات تدعو الى تحجيم الدور الامريكى ، وتكريس السياسة الامريكية بشكل اكثـر للمشكلات

الامريكية الداخلية ، الا ان جيمس شلزنجر وزير الدفاع الامريكي بدا فى ذلك الوقت بالتحرك فى الاتجاه المضاد من أجل تجديد الثقة فى السياسة الامريكية من جانب حلفائها ، والبحث فى أسس دعم حلف الاطلنطى وبالاخص فى مجالات التسليح . وعلى الرغم من ذلك ، فان المجتمع الامريكي ظل يعانى من رد فعل الهزيمة الامريكية من ناحية ، وآثار فضيحة ووترجيت على شرعية النظام القائم حتى ان استقالة الرئيس نيكسون و من ناحية أخرى ، لم تفلح فى معالجة الموقف .

ثم كان ظهور الحقائق الاخيرة حول نشاط المخابرات الامريكية واعترافات ويليام كولبى بقيام المخابرات بأعمال غير مشروعة ، وخاصة محاولات الانقلابات فى الدول الاخرى كأحد الدوافع الاساسية لقيام الرئيس فورد فى أوائل شهر نوفمبر الماضى باجراء تعديلات هامة فى بعض المناصب الحكومية ..

وتمت اقالة جيمس شلزنجر من وزارة الدفاع ، كما اقيل ويليام كولبى من رئاسة المخابرات الامريكية ، وروجرز مورتون من وزارة التجارة ، وتم تعيين رونالد رامسفيلد سكرتيرالبيت الابيض وزيرا للدفاع وجورج بوش رئيس البعثة الدبلوماسية الامريكية فى الصين رئيسا للمخابرات ايليوت ريتشاردسون سفير الولايات المتحدة فى بريطانيا وزيرا للتجارة ، كما تم الفصل بين وزارة الخارجية ومجلس الامن القومى ، فعين الجنرال سكوكروفت نائب كيسنجر فى مجلس الامن القومى ، رئيسا للمجلس واقتصرت وظيفة الدكتور كيسنجر على وزارة الخارجية ..

وهذه التعديلات قد جاءت لنوعين من الاعتبارات :

الاعتبار الاول :

ان تلك التعديلات ترتبط بشكل أساسى بطبيعة ادارة « اللعبة الانتخابية » الامريكية ، فالرئيس فورد بدأ يعد نفسه لحملة انتخابات الرئاسة القادمة وكان عليه ، فى بداية تلك العملية ، أن يعد نفسه اولا عن طريق انتقاء المجموعة التى تعمل معه والتى سوف تكون سنده الاساسى فى المعركة الانتخابية ، وعلى ذلك كان لزاما عليه ان يظهر العمل مع « وجوه جديدة نظيفة » وفى نفس الوقت التخلص من السليات التى تحيط بحكومته ومن أهمها :

١ ـ طبيعة الرئيس فورد كرئيس غير منتخب بالمعنى الكامل ، فهو لم ينتخب كرئيس أو كنائب رئيس حيث انه عين نائبا للرئيس خلفا لسبيروا جنيو ، وهذا يفرض عليه عند دخوله عملية الانتخابات القادمة ضرورة تأكيد ذاتيته ، بالتخلص من مجموعة الوزراء التى عملت مع سلفة نيكسون ، فبعد هذا التعديل الجديد لم تعد الحكومة الامريكية الحالية تتضمن سوى ثلاثة من الوزراء الذين عملوا مع نيكسون .

٢ ـ التخلص من آثار فضيحة ووترجيت التى ترتبط فى أذهان الرأى العام بحكومة الرئيس نيكسون ..

٣ ـ التخلص من فضيحة المخابرات الامريكية التى أثارت الرأى العام الامريكى .

٤ ـ التغلب على الانتقادات المثارة من معارضيه حول التناقض فى الحكومة بين كيسنجر وشلزنجر أو بسيطرة كيسنجر على السياسة الامريكية على حساب فورد .

الاعتبار الثانى :

ان تلك التعديلات جاءت لتلبية النهج الجديد لسياسة فورد بتحقيق مزيد من المرونة فى التوفيق بين متطلبات الاستراتيجية العسكرية والسياسية للولايات المتحدة ،فى وقت تعيد فيه أمريكا صياغة دورها العالمى بما يتفق وامكانياتها ، وطبيعة العلاقات الدولية السائدة حيث يمثل الانفراج فى العلاقات الامريكية السوفيتية ـ بضماناته العملية ـ وبالاخص مباحثات الحد من التسلح الاستراتيجى اختبارا حقيقيا لذلك التوازن المرغوب فيه بين الاعتبارات السياسية والعسكرية .

لذلك كان لابد من اجراء تلك التعديلات لمواجهة بعض السلبيات التى تحد من فعالية ذلك الاتجاه الجديد وخاصة الخلاف المستمر بين كيسنجر وزير الخارجية ورئيس مجلس الامن القومى ، وبين جيمس شلزنجر وزير الدفاع حول قيمة سياسة الوفاق الدولى وحجم القوة العسكرية اللازمة لمواجهة القوة السوفيتية ، وهو الخلاف الذى اتضح بشكل بارز فى مباحثات الحد من التسلح الاستراتيجى ، فقد كان شلزنجر يرى ان سياسة الوفاق تؤثر على قوة أمريكا العسكرية وطالب بتوحيد أسلحة حلف شمال الاطلنطى ، والمحافظة على مستويات القوات من حيث الحجم والنفقات الدفاعية ..

وبالاضافة الى تلك الاعتبارات الكامنة وراء تلك التعديلات ، فقد أثيرت فى نفس الوقت ردود فعل واسعة حول ما يمكن أن تسفر عنه من تأثيرات داخلية وخارجية بالنسبة للولايات المتحدة ..

فعلى المستوى الداخلى ، يمكن أن تؤدى الى توافر مناخ من التعاون بين رئاسة الجهاز التنفيذى ومجلس الامن القومى ، ووزارة الخارجية ، والبنتاجون ، بما يشير الى تزايد ايجابيات السياسة الخارجية الامريكية وذلك لانتماء سكوكروفت لمدرسة كيسنجر من ناحية ، ولارتباط رامسفيلد بالرئيس فورد من ناحية أخرى الامر الذى سوف يمكن الرئيس فورد من استيعاب الانتقادات الموجهة اليه سواء من منافسة أو من الكونجرس ، وهذا بدوره سوف يخدم الرئيس فى عملية الانتخابات القادمة ، كذلك فمن الممكن أن تؤدى تلك التعديلات الى تقليص دور كيسنجر فى السياسة الامريكية ، اذ ، أنه بفقده منصب رئاسة مجلس الامن القومى ستقل الى حد كبير فرص اتصاله بالرئيس فورد كما ان هناك احتمالات بأن يحل ريتشاردسون محل كيسنجر فى وزارة الخارجية وخاصة ان ريتشاردسن لم ينف هذا الاحتمال ..

وعلى المستوى الخارجى : يمكن أن تؤدى تلك التعديلات الى تحقيق تقدم فى مباحثات الحد من الاسلحة الاستراتيجية وفى سياسة الوفاق الامريكى السوفيتى ، كما انها يمكن أيضا أن تؤثر على مستقبل حلف الاطلنطى بعد اقالة شلزنجر ، وعلى مستقبل العلاقات الامريكيةمع الصين التى كانت تتبنى وجهات نظر شلزنجر فى المباحثات مع الولايات المتحدة حول العلاقات السوفيتية الأمريكية الا أنها فى نفس الوقت لن تؤثر على السياسة الامريكية فى الشرق الاوسط ، فاسرائيل تشعر ان هذا التعديل لن يؤثر فى ارسال الاسلحة من الولايات المتحدة اليها ، وان الولايات المتحدة وعدتها بانها لن ترسل أسلحة الى مصر فى المستقبل القريب وانها اذا قررت ذلك فسوف تتشاور أولا معها ؛

ديسـمبر ١٩٧٥

ملحق الأدب و الفن



طـه حسـين .. وروايته التى لم تتم

اتحـاد الكتـاب : المناقشـة مسـتمرة

الأدب والفـن فى شـهر :

- مسـرح : « باحـلم يامصر .. وفيـدرا » .. خطـوتان نحـو الخـروج من الحصـار
- فن تشكيلى : محمـد هجـرس : عالم لا يعـرف الهـدوء
  سـعيد العـدوى فى ذكـراه الثـانية
- سـينما : بازولينى : عواطف شاذة ورغبـات مرهقـة
  ـ جيـوش الشمس .
- شـعر : سان جون بيرسى : عن الانسان والطبيعـة
  « تعـليق » كيف يكـون التقييـم

طه حسين وروايته التى لم تتم

د. محمد حسن الزيات

هذا العمل من اعمال العميد الدكتور طه حسين يكاد أن يكون مجهولا لعامة قرائه ، فقد بدأ الدكتور طه نشر فصوله في مجلة « الكاتب المصرى » ، ثم توقف دون اتمامه .

وفي ذكراه الثانية ، قررت أسرته أن تنشره ، اكمالا لتراثه ، ودعوة لقرائه ودارسيه ان ينظروا فيه ، وأن يجيبوا عن اسئلة عديدة يثيرها : لماذا توقف دون اكماله ؟ وما العلاقة بينه وبين اعماله الابداعية التى أتمها فى الفترة نفسها [شجرة البؤس ، والمعذبون فى الارض بوجه خاص] ؟ — الى جانب اسئلة اخرى حول شخصيات العمل وتطوره المحتمل .

وقد كتب الدكتور محمد حسن الزيات هذه المقدمة لرواية « ما وراء النهر » .

منذ ثلاثين عاما أصدر الدكتور طه حسين مجلة « الكاتب المصرى » ادبية شهرية ، فأعطى العهد على نفسه « الا تحيد المجلة مهما كانت الظروف عن قانونين ، احدهما الشدة على نفسها وعلى كتابها فيما تنشر وما تنقل من الفصول ، فلن تقدم الى قرائها الا هذا الادب الذى ينفق صاحبه في انتاجه الجهد الضنين والوقت الطويل ، وينفق قارئه فى اساغته من الوقت والجهد مثل ماينفق منتجه ... والقانون الثانى هو الحرية الواسعة الكاملة السمحة فيما تنشر وفيما تختار من آثار القدماء والمحدثين ومن آثار الشرقيين والغربيين .. لن تقصر عنايتها على ادب دون ادب ولن تؤثر باهتمامها ثقافة دون ثقافة » .

وفى خلال السنوات التى عاشتها مجلة «الكاتب المصرى»، ظلت وفية لهذا العهد ، تناولت بالعرض وبالبحث الجاد الوانا من الادب العربى والاجنبى ، من القديم والحديث ، كما اعادت اهتمامها لميادين العلم والاجتماع والسياسة الدولية ، واسهم طه حسين نفسه فى كل هذه الميادين ، باحثا عن الادب العربى بين أمسه وغده ، ناقدا لمبنا انشاه عدد من الادباء العرب المعاصرين او ترجموه عن اللغات الاجنبية ، ناقلا كتبا كاملة عن فولتيروأندريه جيد ، مهتمابغيرهما من ادباء أمركا واوربا ، دارسا الحياة الدولية معنيا خاصة بموقع مصر وعالمنا العربى منها، فكان فى تناوله لكل ذلك واضح الاحساس بمسئولية الاديب المعاصر ، ليس فقط عن اثراء الحياة الادبية والفنية، بل كذلك عن المشاركة الجادة فى تطوير حياة بلاده السياسية والاجتماعية والسعى بها نحو التقدم .

ولقد صدر العدد الاول من



الكاتب المصرى فى اكتوبر سنة ١٩٤٥ ، وكان طه حسين قد ابعد فى العام السابق عن منصب المستشار فى وزارة المعارف الذى شغله ثلاث سنوات حاول فى اثنائها تطبيق السياسة التى اختطها ودعا اليها فى كتابه « مستقبل الثقافة فى مصر » « وكان قد الفه بعد عقد معاهدة ١٩٣٦ مع الانجليز واضطلاع مصر بمسئوليتها المستقلة فى ميدان التعليم » وأساس هذه السياسة اتاحة فرص التعليم المتساوية لكل الناشئة من المصريين والمصريات باعتبار التعليم حقا طبيعيا لهم لايتوقف حصولهم عليه على قدرتهم أو عجزهم عن شرائه ، وكانت وزارة المعارف قد قررت — بناء على ذلك — مجانية التعليم الابتدائى كله ، ثم سقطت الوزارة وترك وزير المعارف احمد نجيب الهلالى وزارتبه ، واحيل معه طه حسين الى المعاش ، ونحن نقرأ فى العدد الاول من الكاتب المصرى رسالة من الوزير السابق يتحدث عن انتكاس هذه السياسة منذ تغيرت الوزارة ، لان من آل اليهم السلطان فى البلاد قد استقر فى وهمهم أن قاعدة « تكافؤ الفرص » جديرة — ان طبقت تطبيقا تاما — أن « تدك نظام المجتمع المصرى دكا . » يقول الوزير فى رسالة لطه حسين : « لقد طبقنا تكافؤ الفرصة » كما أمر عمر بن الخطاب حين قال : آس بين الناس ... ولكننا قد حفظنا شيئا وغابت عنا أشياء .. غاب عنا ان التطبيق الصحيح لهذه القاعدة جدير ان يدك نظام المجتمع المصرى » على ان الوزير ، الذى كان مقتنعا بما كان طه حسين يؤمن به ، من ان التطبيق الصحيح لهذه القاعدة انما يعين على اقامة نظام المجتمع المصرى على اساس قوى سليم ، يقرر ان مبدأ تكافؤ الفرص « لم يخب الا الى حين » وبالتالى فليس يجوز ان يستسلم الداعون اليه لليأس أو القنوط .

والناظر فى اعداد مجلة الكاتب المصرى فى عامها الثانى، عام ١٩٤٦ ، قد يتوقف ، كما توقفت ، عند ثلاثة من اعمال طه حسين الادبية المنشورة بها، وقد لا يجد بين هذه الاعمال رابطة مباشرة ظاهرة ، ولكنه سيتبين بلا شك اهتمام طه حسين بالاصلاح الاجتماعى واحساسه بمسئولية الاديب المصرى والعربى عن العمل على تحقيق هذا الاصلاح فى بلاده . أول هذه الاعمال سلسلة فصول بدا نشرها فى مارس ١٩٤٦ بعنوان « المعذبون فى الارض » وثانيها بحث نشر فى مايو ١٩٤٦ بعنوان « ثورتان » والثالث قصة بدأت فصولها تنشر منذ نوفمبر ١٩٤٦ ، ثم توقف نشر هذه الفصول ، فلم تكتمل القصة ولم يتح لنا نشر منها أن يقدم للقراء مجتمعا فى كتاب حتى الان ..

اما العمل الاول — وهو مجموعة « المعذبون فى الارض » — فقد ساق طه حسين الحديث فيه « الى الذين يجدون مالا ينفقون والى الذين لا يجدون ماينفقون » ومع أن هذه الفصول قد نشرت متفرقة فى اعداد الكاتب المصرى ، فان السلطات المصرية ، التى تهيبت دعوة تكافؤ الفرصة وتخيلت أن تطبيقها قد يهدد « بأن يدك اساس المجتمع المصرى » ، منعت نشر هذه الفصول عندما اراد طه حسين أن ينشرها مجتمعة فى كتاب ، وهكذا طبع « المعذبون فى الارض » لاول مرة فى لبنان وليس فى مصر .

أما العمل الثانى من هذه الاعمال الثلاثة فهو بحث نشره طه حسين فى عدد مايو من السنة نفسها ، تناول فيه بالبحث ثورتين « كانت احداهما فى ايطاليا فى اثناء القرن الاول قبل المسيح ، وكانت ثانيتهما فى العراق فى اثناء القرن الثالث للهجرة ، فأما أولاهما فهى ثورة الرقيق فى ايطاليا تلك التى قادها سبرتاكوس ، وأما ثانيتهما فهى ثورة الزنج فى

البصرة ، تلك التى قادها عبد الله بن محمد المعروف بصاحب الزنج » .

ولهذا البحث الذى نشر بعنوان « ثورتان » قيمته التاريخية والادبية بغير شك ، ولكنه يهمنا هنا لقيمته الاجتماعية ، فهو فى مطالبته بالاصلاح الاجتماعى يرسم الطريق الى هذا الاصلاح على أساس من قيمنا ومثلنا العليا التى أهملناها . يقول المؤلف فى هذا البحث : « ان كثيرا منا يفكرون فى العدل الاجتماعى ، ويحسون حاجة الجماعات اليه، ولكنهم ينظرون الى ماوراء البحر الابيض المتوسط ليلتمسوا فى أوربا مصادر هذا الشعور بالحاجة الى العدل الاجتماعى، ومظاهر المطالبة به والسعى اليه ، ينظرون الى الديمقراطية المعتدلة ، وينظرون الى الاشتراكية الدولية والى الاشتراكية الوطنية ، وقد ينظرون الى الشيوعية فى كثير من التردد والاستحياء ، ولكنهم لاينظرون أولايكادون ينظرون الى فكرة المطالبة بالعدل الاجتماعى كما وجدها المسلمون قبل ان ينتصف القرن الاول للهجرة ، وقليل منهم ، بل أقل من القليل، أولئك الذين يحاولون أن يتابعوا نشأة هذه الفكرة وتطورها فى البيئات الاسلامية الثائرة ، وما أنتجت من الوان الادب ، ومع ذلك فقد كان للمطالبة بتحقيق العدل الاجتماعى ابطال من حقهم أن يدرسوا ومن حقهم أن يلهموا الكتاب والشعراء . »

وينبه المؤلف ادباءنا الى « أن لنا فى المطالبة بالعدل الاجتماعى تاريخا حافلا عظيم الغناء ، يستحق أن نرجع اليه ... فلعلنا ان فعلنا عرفنا ان المتطرفين من قدمائنا قد سبقوا الى طائفة من الاصول فى تنظيم الحياة الاجتماعية لم تستكشف فى أوربا الا فى أثناء القرن التاسع عشر ، أو فى عصر الثورة الفرنسية الكبرى ... فنحن أذن لسنا عيالا ، ولايمكن أن نكون عيالا على المطالبين بتحقيق العدل والثائرين على الظلم الاجتماعى من الاوربيين ، وانما نحن أبعد منهم عهدا ، واشد منهم ممارسة لهذا النحو من محاولة الاصلاح .. »

أما الثالث من هذه الاعمال الثلاثة فهى قصة «ماوراء النهر» التى بدأ طه حسين ينشر فصولها فى نوفمبر ١٩٤٦ ،فهى ايضا صرخة ضد الظلم الاجتماعى ودعوة للاصلاح ، وهى كذلك تستثير الغضب ، ولكنها تستبقى الامل نحارب به اليأس والقنوط ، الزمان الذى تقع فيه احداثها هو زمن املائها ، يصرح الكاتب بذلك فهو يقول : « قصتنا لم تحدث فى العصر القديم ، وانما نزعم انها حدثت فى هذا العصر الذى نعيش فيه» والمكان الذى تدور فيه أحداث القصة هو مصر ، لايخدعنا الكاتب عن ذلك بالحاحه فى انكاره ، والادعاء بان احداثها لم تقع ، وما كان يمكن أن تقع فى أرض مصر ، والكاتب لايقصد الى غير التهكم والسخرية عندما يقول : « ليست هذه القصة مصرية .. لان مكانها لا يوجد فى أرض مصر ،ولان اشخاصها لايعيشون فى جو مصر ، ولان احداثها لاتلائم طبائع المصريين ... فأهل مصر كلهم أخيار ابرار ... فلست ترى بينهم قويا يستذل ضعيفا ، ولا غنيا يستذل فقيرا ، ولا ناعما يستطيل على بائس ، ولاسعيدا يستخف بشقى ... » والمؤلف لايخدع أحدا ، وهو فى الواقع لايريد أن يخدع أحدا عندما يقول : ان هذه القصة « فيها شىء من الظلم والجور والاستطالة والاستعلاء . والاستئثار باللذات .. والاقدام على الاثام ... فلا يمكن ان تحدث هذه القصة فى مصر».

واهم أحداث القصة تدور فى قصر ضخم قائم على ربوة شديدة الارتفاع والاتساع ، وفى دار من الطين الغليظ منخفضة « فى قرية قبيحة أقصى غايات القبح تقوم على السهل المنبسط مما يلى الربوة العالية » .

وأشخاص القصة يهمنا منهم ثلاثة من سكان القصر والمختلفين اليه ، هم رءوف سيد القصر ، وولده الفتى نعيم ، وشاعره الشيخ ، كما يهمنا من سكان القرية شخص محمود الحذاء ، وابنته خديجة ، وولده أحمد ، وهما من الفلاحين ، والمؤلف يصف هؤلاء الاشخاص وصفا حيا دقيقا لاشك أن القارىء سيقف عنده ويتأمل مقدرة طه حسين على الوصف والابداع فيه أيما ابداع .

ولسنا ننوى أن نعرض هنا لما كان يقوم بين سكان الربوة وسكان القرية من علاقات ، أساسها أن أهل الربوة سادة، وأهل القرية خدم لهم ، كما أننا لاننوى أن نعرض هنا للحوادث التى تدور فى هذه القصة ، والتى يقول الكاتب انه يكاد يعتقد « أن هذا المكان نفسه هو الذى أنشأها ، وهو الذى ابتكر احداثها ، ودفع أشخاصها الى اجراء هذه الاحداث ... ولو قد عاش اشخاص هذه القصة فى دار متواضعة ، أو قصر يقوم على السهل ، لما أجروا ما أجروا من الاحداث ، ولما اصابهم ما اصابهم من الخطوب » فان القارىء سيقرأ فى صفحات هذه القصة التى لم تتم ، ماوقع فيها من هذه الأحداث ، على انه يحسن أن ننبه القارىء الى ان الكاتب الذى أعطى على نفسه العهد الا يقدم فى مجتمعه الا الادب « الذى ينفق كاتبه فيه الجهد العنيف والوقت الطويل ، وينفق قارئه فيه من الجهد والوقت مثلما ينفق كاتبه » هذا الكاتب ينذر قراء قصته « ماوراء النهر » بأن هذه القصة « لاتحتمل القراءة السلبية ، وانما هى تريد ، بل لاتقوم الا على المشاركة الايجابية بين الكاتب حين يرسم الخطوط، وبين القارىء حين يتم الرسم ، ويملا مابين الخطوط من فراغ ، لعله ترك عن ارادة وعمد » .

وسيحس القارىء أن الكاتب غاضب على سكان الربوة ، لانهم « قساة القلوب غلاظ الاكباد ، يؤثرون انفسهم بكل شيء ، ولاينزلون لغيرهم عن شيء » ولكنه سيحس ايضا بأن الكاتب غاضب على سكان القرية « لانهم احرار كالعبيد ، وعبيد كالاحرار ، ليسوا راضين ولا ساخطين ، لانهم لايعرفون الرضا ولا السخط » ولكن القارىء سيحس قبل ذلك وبعده ان الكاتب لايرضى منه أن يكون قارئا سلبيا ، وانما يريد أن يشركه فيما يحس به من غضب، وأن يشركه في الوقت نفسه فيما يحس به من الامل في الاصلاح. يريد الكاتب من أهل القرية الا يرضوا بما هم فيه ، ويريد من قرائه ان يشاركوه ويشاركوهم في هذا الشعور ، والكاتب لايريد ولا ينتظر الاصلاح نتيجة مطالبة أهل القرية وحدهم به ، فان امله معلق بأهل القصر ايضا ، فهذا « نعيم » ابن صاحب القصر ووريثه ، يسأل صديقه الشاعر « حدثني عما تقدمون من الخير والبر الى أهل هذه القرية حين تسخرونهم في غير رفق ولا لين ، وفي غير محبة ولا مودة ، وفي غير انصاف ولا عدل ، وحين تستأثرون من دونهم بثمرة مايبذلون من جهد ويحتملون من عناء ... » فهو اذن غير راض عن هذا النظام وهو المنتفع به ، وهو قد اقترف اثما كبيرا ، ولكنه مدرك لكل جريمته ، صادق النية في اصلاح ماافسده ، فقد قرر الزواج من فتاة الحذاء التي أغواها ، على علمه بما يثيره مثل هذا الزواج من مشاكل وصعوبات ، واذا كان قد حيل بينه وبين تنفيذ ما انتوى ، فذلك لفاجعة نزلت لم يكن له ولا لسكان القصر يد فيها ، وانما جناها أحمد شقيق الفتاة ، وهو من سكان القرية. الكاتب يعرض علينا في قصته الحياة ، وهي مزاج من الخير والشر ، ومن النعيم والبؤس ، ومن الجمال والقبح ، ومن السعادة والشقاء ، لا يفقد الناس فيها الامل ، الذي يضيء ماتكاثف فيها من ظلام ، فالاصلاح ممكن ، بل محقق ان صدق العزم ، وتم العمل الجاد لتحقيقه .

أملى طه حسين في فبراير ١٩٤٧ آخر مانشر بين فصول هذه القصة ، ثم تركها فلم تتم. لقد قال لنا انه كان يرسم خطوط القصة كما قال وترك القارىء يتم الرسم ، ويملأ مابين الخطوط من فراغ ، لعله ترك عن ارادة وعمد » فهل ترك للقارىء ايضا أن يختتم القصة كما يريد ؟ هل ترك القصة بغير نهاية عن ارادة وعمد ؟

الارجح أن طه حسين قد شغل عن هذه القصة لسبب من الاسباب ، شغله ما كان يهمه من هموم الادب والتعليم ، كما شغله عمله وزيرا للمعارف ، اذ تولى هذه الوزارة في عام ١٩٥٠ ، فعاد الى سياسة تكافؤ الفرصة ، يسير على هداها ، فأعلن مجانية التعليم الثانوى كله ، والى المطالبة بالعدل الاجتماعي اساسا سليما للمجتمع الصحيح السليم ، ولكن الوزارة سقطت في أول عام ١٩٥٢ ، وعادت السلطة الى ايدى من كانوا يخشون أن يؤدى تكافؤ الفرصة في التعليم وغيره الى دك نظام المجتمع المصرى ، وبقيت في أيديهم حتى قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

كتب طه حسين من ايطاليا الى توفيق الحكيم في الثالث من اغسطس من العام نفسه « يخيل الى ان للادب حقه في هذه الثورة الرائعة ، هيأ لها قبل أن تكون وسيصورها بعد أن كانت» وقد ارادت الثورة أن تحقق العدل الاجتماعي للمصريين ، وأن تكفل تكافؤ الفرص لهم جميعا . فشرعت من القوانين مايصلح الوضع الذى كان الفتى نعيم نفسه ينعاه ، ويحذر منه قبل سنوات ، ولم تلجأ مصر لاتمام هذه الاصلاحات الى استيراد وتطبيق مذهب من المذاهب الاجنبية ، التى ذكر طه حسين اننا غنيون عنها بما لنا من سابقة في ميدان المطالبة بالعدل الاجتماعي ، وممارسة للعمل على تحقيقه ، كما بين طه حسين في حديثه عن ثورة الزنج في مقال عام ١٩٤٦ .

ومن الواضح اننا قد ركزنا اهتمامنا في هذه المقدمة على المضمون الاجتماعي لهذه القصة التى لم تتم ، ومن الواضح ايضا ان هناك موضوعات أخرى جديرة باهتمام من يقرأ هذه القصة . فهناك الاحكام الادبية والنقدية التى يتحدث عنها المؤلف في أماكن متفرقة من القصة ، وهناك رموز لم يلق عليها الضوء لان القصة لم تكتمل ، فبقيت معماة ، تحتمل الكثير من التفسيرات أولاتجد أى تفسير ، ماصلة الناس بمنبع النهر وبمصبه ؟ ولماذا تمتلىء نفوسهم هولا ورعبا اذا فكروا في عبور شاطئه الشرقى الى الشاطىء الغربى ؟ وما سر الجبال الشاهقة التى ترتفع في السماء فيما وراء النهر ؟ وما بال الذين يعبرون لايعودون ؟ وماسر النار التى اشتعلت في قمة من قمم الجبال عندما بدأت احداث هذه القصة في الوقوع ، وما الصلة بين هذا اللهب وبين مصر الفتاة، والصلة بين الفتاة نفسها وقد صرعت وبين ماوراء النهر ؟ ولماذا تراود رءوف صاحب القصر فكرة العبور الى ضفته الاخرى؟ بل ماهي الخطوب التى أنذر الكاتب بأنها ستقع لاهل القصر، فان آخر عهد القصة بصاحب القصر وهو يحتسي الشراب مع شاعره ، ويدبر السفر لولده ليقضى عاما او اكثر من عام سائحا في اوربا ؟

هذه كلها اسئلة لم يعد من الممكن أن يجيب عنها الكاتب ، فلعل من القراء من يحاول الاجابة عنها او عن بعضها ، ولعل من القراء من يقتنع بما في هذه القصة التى لم تكتمل من مضمون يطيل النظر فيه ، ومن اسلوب يتعمق المتعة به .

اتحـــاد الكتـــاب

المناقشـــة مســـتمرة

اثار مانشرته « الطليعة » فى العدد الماضى حول قانون اتحاد الكتاب ردود فعل متباينة . وقد طالبت « الطليعـــة » فيما نشرته بفتح باب المناقشة حول القانون .

وفيما يلى تنشر بعض وجهات النظر ، يكتبها د. عبد المنعم تليمة ــ الكاتب وأستاذ الادب العربى المساعد بالجامعة ، وعز الدين نجيب ــ الفنان التشكيلى والقصاص ــ ومصطفى درويش ــ الناقد السينمائى والقاضى ــ ، وفقرات مما جاء فى بيان جمعية « كتاب الغد » ، ورسالة من أديب من أدباء الاقاليم ..

ولا زالت المناقشة مستمرة ..

□ قطــــع الحـــــوار ..
ولـــم يلـــغ النضـــــال

د. عبد المنعم تليمة

« ١ »

ناضل الكتاب المصريون طويلا فى سبيل اقامة اتحاد ديمقراطى لهم . ولقد شهدت الحياة الثقافية المصرية حوارا واسعا حول هذا الامر ، وبخاصة فى السنوات السبع الماضية ، منذ صيف سنة ١٩٦٨ ، وكان الحوار يدور حول اتحاد ينهض على حركة الكتاب انفسهم : يبلور دورهم فى الثقافة الوطنية والقومية والانسانية ، وييسر أدوات الثقافة والنشر لهم ، ويحدد واجباتهم الوطنية وحقوقهم النقابية ، ويساعد على وضوح التمايز بين الاتجاهات والمدارس الفكرية والفنية والادبية ، ويسعى الى تحديد المشترك بينها بحيث تنتظم هذه الاتجاهات والمدارس فى أعرض جبهة ثقافية مصرية . واتسع نطاق هذا النضال وهذا الحوار ببروز الاخطار الجسيمة التى أصابت الثقافة المصرية نتيجة الادارة الرسمية اللاديمقراطية لحياتنا الثقافية . فقد سيدت هذه الادارة فكرا واحدا فقيرا واتجاها واحدا متخلفا ، فحرمت بلادنا حرمانا قاتلا من الاجتهاد الفكرى الاصيل والابداع الفنى الحقيقى ، وحرمت حياتنا الفكرية والفنية من التنوع والتمايز ، وكادت الاواصر تنقطع فى صفوف الكتاب فلا يتفاعلون ، وكادت تنقطع بينهم وبين الجماهير فلا يشاركون . وتنادى الكتاب الوطنيون الى ضرورة تنظيم جديد لحياتنا الثقافية ، وكان من بين الاهداف الصحيحة لهذا المسعى هذا الهدف : نحو اتحاد ديمقراطى قوى للكتاب

المصريين ، بعيد عن أية وصاية من المؤسسات والاجهزة الرسمية . لكن هذه الاجهزة والمؤسسات كانت تعمل على احتواء مسعى الكتاب ، وعلى تحديد حركتهم في ظل وصايتها، فصدر في سبتمبر الماضي — باعداد وزارة الثقافة — القانون رقم ٦٥ لسنة ١٩٧٥ بانشاء « اتحاد الكتاب » . وقطع هذا القانون الحوار ، لكنه لم يلغ النضال . ان النضال في سبيل اتحاد ديمقراطي قوى قد تعدل مساره .

« ٢ »

لقد انفردت وزارة الثقافة باعداد هذا القانون ، وعملت على تمريره بمجلس الشعب واصداره دون مناقشة عامة من جمهرة الكتاب ، منتهزة الفتور المؤقت والنسبى الذى يسود حركة هؤلاء الكتاب الديمقراطية ومادامت الوزارة قد انفردت باعداد هذا القانون ، فمن الطبيعى ان تصمم بناء الاتحاد بحيث تربطه بها علاقة وثيقة ، وبحيث يمكنها التاثير والوصاية عليه . ان الوزارة قد اجتهدت ان تحتفظ لنفسها — في قانون الاتحاد — بالتدخل في شئونه بعد قيامه ، من باب خلفي ، عندما أعطى القانون للوزير حق الاعتراض على انتخاب رئيس الاتحاد ومجلس الادارة ، وعندما أعطى للوزارة حق تمثيل موظفيها في لجان الاتحاد مثل لجان التاديب وغيرها كذلك انفرد وزير الثقافة بتعيين لجنة القيد، السبيل الذى قد يسمح بالتحكم في الاعضاء المؤسسين لاول جمعية عمومية للاتحاد .

ولايمكن فهم هذا الوضع دون فهم للموقف اليوم بالنسبة للحركة الديمقراطية العامة في البلاد : ان هذه الحركة — التى انتعشت نسبيا وفي حدود بعد ١٥ مايو سنة ١٩٧١ — تحاول أن تحقق استقلالها عن السلطة ونفوذها وسيطرتها . لكن مستوى هذه الحركة لايزال ادنى من ان يحقق هذا الاستقلال على اسس ديمقراطية دون وصاية الاجهزة والموسسات الرسمية. والطابع العام — بعد ١٥ مايو ١٩٧١ — هو السماح لهذه الحركة الديمقراطية العامة بالحركة في حدود ، ومواجهة امكانية نموها وتطورها بمثل قانون « اتحاد الكتاب » .

ان فهم الموقف اليوم بهذه الصورة يساعد الكتاب الوطنيين والديمقراطيين على التعامل الصحيح مع هذا الاتحاد .

ان صدور هذا القانون لم يلغ النضال من اجل اقامة اتحاد ديمقراطي للكتاب في بلادنا ، ولكنه — أى هذا القانون — قد عدل مسار هذا النضال : فاقامة اتحاد الكتاب على اساس هذا القانون يضعنا مباشرة أمام هذا السؤال : انلتحق بهذا الاتحاد ونناضل من اجل تحويله الى اتحاد ديمقراطي حقيقي ؟ وهل الامور تسمح بذلك ؟ أم نقاطعه ونحاربه ونستمر في بذل الجهود من أجل تجميع الكتاب في اتحاد آخر ؟ .

اننا بلا تردد نتبنى الدعوة الى التحاق كل الكتاب بهذا الاتحاد الذى سينشأ على اساس القانون ٦٥ لسنة ١٩٧٥م. لماذا ؟ يساعد في الاجابة هدف النضال نفسه : لمن الاتحاد ؟

ان روح الجدية والمسئولية تجعل الكتاب الديمقراطيين والثوريين هم السعاة الحقيقيون الى الوحدة من خلال التنوع والتمايز والتعدد ، وهم المدافعون الحقيقيون عن الديمقراطية في ادارة شئون البلاد الثقافية والعلمية والفنية . انهم يرون واقعا متعدد الطبقات في مصر ، ومن ثم فهم يسلمون بتعدد الاتجاهات الفكرية وتباينها ، ويرون لكل اتجاه جذوره في نمط محدد من الانتاج . ليست المشكلة — لديهم — في اختلاف هذه الاتجاهات ، وانما المشكلة في كفالة حرية تعبيرها عن نفسها ، وفي اقامة أدبيات راقية للحوار فيما بينها ، وفي الوصول الى وحدة تعتد بالتمايز وتحترم التباين . لقد سادت حياتنا الفكرية أساليب في الصراع الفكرى ممقوتة ومتردية ؛ أثمرت الشكوك والاتهامات والجراح، ولقد توهم بعض الاتجاهات أنه يلغى الاخر بمجرد انكار وجوده ذهنيا أو كتابيا ، بينما هذا الاخر ضارب بجذوره في واقع الحياة. ان الجادين من كتاب مصر يعترفون بوجود التباين والاختلاف ، ويسعون الى الوحدة على أسس ديمقراطية ، والى الحوار المسئول بين كافة تيارات الثقافة الوطنية . ان « اتحادا » بين اتجاهات فكرية متباينة ليس معناه سيطرة أحد الاتجاهات ، وانما معناه الالتفاف حول المشترك بين هذه الاتجاهات ، مع احتفاظ كل اتجاه بتمايزه واستقلاله .

والاتحاد الذى ناضل في سبيله الكتاب الديمقراطيون المصريون هو لكافة الاتجاهات والمدارس ، وهو بهذا يمثل

اتحادا عريضا لقوى فكرية وثقافية معينة ، يمكن ان تلتقى حول برنامج ثقافي عام فى اطار أسس وطنية وديمقراطية وقومية ، برنامج ثقافى يخدم شعب مصر ويساعده على النهوض والارتقاء والانتصار على أعدائه . والاتحاد الذى سيقام على اساس القانون رقم ٦٥ لسنة ١٩٧٥ ، يمكن أن يجمع هذه الاتجاهات الفكرية والثقافية المختلفة ، لانه اطار شرعى وقانونى ، وقانونه ، وان لم يكن من اعداد الكتاب أنفسهم ، الا أنه — من ناحية أخرى — ثمرة لنضالهم ، ثم انه كغيره من القوانين ، نعمل بها وفى ذات الوقت نعمل على تغييرها. ان البديل غير قائم ولايرى فى مستقبل قريب بالنسبة لواقع الحركة العامة للمثقفين المصريين اليوم . ومن المغالطة الادعاء بأنه يمكن اليوم اقامة اتحاد لكل الكتاب الوطنيين والديمقراطيين فى مواجهة هذا الاتحاد . انها صيحة منقطعة الصلة بواقع بلادنا ، ولن يجنى مطلقوها سوى الانعزال والفشل . وتأسيسا على هذا الفهم فان دعوتنا الى الالتحاق باتحاد الكتاب على اساس القانون رقم ٦٥ لسنة ١٩٧٥ ، ليست مجرد تقديم طلب للانضمام الى لجنة القيد ، بل انها عمل نضالى . كيف لا

« ٤ »

■ **الحركة الصحيحة ليست الجدال حول لجنة القيد من حيث تشكيلها ، بل من حيث مهمتها .** انها لجنة سكرتارية لا لجنة تقويم ، هى لجنة ادارية تنفذ بندا قانونيا ومعيارا موضوعيا ، وليست لجنة فنية لتقويم الكتاب والمفكرين .فليراقب الكتاب عمل اللجنة من هذه الزاوية ، ولتعلن اللجنة من ناحيتها معيارها فى القيد ، ولتعلن نتائج ماتفحصه من طلبات القيد . من الضرورى أن يستوعب الاتحاد القوى المختلفة فى الثقافة المصرية ، فلتتجنب اللجنة التحكم والتحيز ، لان فى هذا مايودى بهذه التجربة ، والفيصل — على أية حال — هو موقفها العملى .

■ **والحركة الصحيحة من قانون الاتحاد — رقم ٦٥ لسنة**



٠٠ وسوء النية ٠٠ هل هو سمة تقدمية ؟

فى عدد « **الجمهورية** » الصادر يوم ٢١ نوفمبر، وتحت عنوان : « **أيتها التقدمية : كم من الاثام باسمك ترتكب** » كتب الاستاذ **صلاح عيسى** تعليقاحول مقالى فى العدد الماضى من « الطليعة » ، والذى دعوت فيه لفتح باب المناقشة حول القانون.

وكان مدهشا أن يترك صلاح كل ما أثرته منقضايا أساسية ، تتعلق بالقانون وعلاقته بالسلطة، والشروط الواجب توافرها فيمن يتقدم لطلب العضوية ، والنصوص المانعة غير المحددة التى تجعل أمر القبول والرفض سيفا مسلطا فوق أعناق الكتاب .. اقول كان مدهشا أن يترك صلاح هذا كله ، **ويتعلق بنقطة تفصيلية فى المناقشة حول المادةالتى تقضى بأن يكون العضو « حسن السيرة ، محمود السمعة .. »** .

ولن أقف طويلا عند الكلمات التى استخدمها صلاح : « كلام ليس جادا ولا جيدا — الخضوع لنزوة او نرجسية — عبث لا يمكن السكوت عليه —أفكار متخلفة — آثام ترتكب باسم التقدمية » ، فقد تكون هذه طريقته — التى لا يعرف غيرها — فىابداء رأيه ، لكننى سأقف عند القضية التى شاء سوء النية ان يجعلها رئيسية ...

١٩٧٥ — ليست الجدال حول مواده اليوم ، لان هذا القانون يمكن تعديله اذا تم الاعداد — بصورة جدية راقية — لاجتماع الجمعية العمومية فى الشهر القادم — يناير ١٩٧٦ م — وهو الاجتماع الذى سينتخب فيه الاعضاء المؤسسون مجلس الاتحاد . اى أن الحركة الصحيحة اليوم هى فى اتجاه التحضير للحاضر : الانتخابات ، وفى اتجاه التحضير للمستقبل : تعديل القانون .

■ **ان الحركة الصحيحة للكتاب الوطنيين والديمقراطيين انما تكون فى اتجاه المهام التالية:**

أولا : الاعداد لانتخاب مجلس ادارة للاتحاد يمثل كافة القوى الثقافية فى البلاد .

ثانيا : اعداد افكار ومقترحات خاصة باللائحة الداخلية للاتحاد ، على أسس ديمقراطية .

ثالثا : الاعداد لتعديل القانون ٦٥ لسنة ١٩٧٥ م فى اتجاه ديمقراطى ، وبحيث يتم تخليصه من تدخل وزارة الثقافة فى شئون الاتحاد ، وبحيث يتولى الكتاب أنفسهم شئون اتحادهم.

اننا نثق فى أن الحركة الديمقراطية العامة فى بلادنا ، واطراد نموها ، واتجاهها نحو مزيد من الاستقلال ، ستجعل نضال الكتاب الوطنيين قادرا على الاتجاه بهذا الاتحاد الى تحقيق غاياتهم الديمقراطية .

ولقد ناضلنا بالامس القريب ضد مشروع قانون سابق كان يشترط العضوية العاملة للاتحاد الاشتراكى لدخول اتحاد الكتاب، كما كان يجعل من هذا الاتحاد ملحقا بالاتحاد الاشتراكى ، وقد دفن نضال الكتاب المصريين ذلك المشروع .

ان ميلاد اتحاد الكتاب ينبغى أن يكون حدثا هاما ليس فى الحياة الثقافية فحسب ، وانما فى حياة الشعب المصرى كله ، ولن يكون هذا الا ببذل جهود حقيقية من الان ، لتتبنى الجمعية العمومية ومجلس الاتحاد مشكلات الثقافة الوطنية ، وقضايا الشعب المصرى ، بما يدفع بلادنا الى الامام .

يتطوع صلاح عيسى بأن يقول عنى مالم أقله ، وما لا يمكن فهمه مما كتبت . فليس صحيحا — الا لمن كان يتصيد على طريقة المجلات نصف الذائعة التى أشار اليها — اننى أطلب الى الكتاب والفنانين أن يختار كل آفته الخلقية والا ما كان فنانا ! ..

لن أعيد ما كتبت . لكننى سأؤكد فقط : ان الحكم على المسلك الشخصى للكاتب أو الفنان ليس أمرا متروكا للجنة من اللجان أيا كانت ، وأن هذا المسلك لا علاقة له بانتاج الكاتب الا بقدر ما يتدخل فى فهمه والحكم عليه . هذا من ناحية ، ومن الناحية الاخرى فلا شك فى أن القائمة التى يطالبنى صلاح بأن أثبتها متضمنة فيما قلت من « رغبة تتأجج لان يكون العالم أجمل .. والانسان أكثر حرية وتحققا واكتمالا .. » .

وبعد هذا ، فاننى اترك لصلاح ان يتغنى بقضاء أحلى سنوات العمر هناك ، واترك له أن يكون « المدافع الفرد » عن التقدمية وما يرتكب باسمها ، لكننى أود له أن يترك هذا الدور لسواه ، فلا شك أن هناك من هو أقدر منه على التصيد ، ولى أعناق النصوص واستنطاق الكتاب والقراءة بسوء النية ..

فاروق عبد القادر

□ المهـــم .. أن نعـــرف مانـــريد

عز الدين نجيب

لعل أخطر حدث في حياتنا الثقافية خلال سنوات عديدة ماضية هو اقامة اتحاد عام للكتاب المصريين ، فاذا ارجأنا قليلا مناقشة قانون انشائه ذى الطابع المحافظ ، والذى يمكن الاجهزة الرسمية من احكام قبضتها عليه . فسوف نضع يدنا على القيمة المعنوية الكبرى فيه ، وهى أنه تشريع يحق الكتاب المصريين فى أن يتجمعوا فى منظمة ديمقراطية . وأن يمارسوا من خلالها نشاطهم ويدافعوا عن حقوقهم وقضاياهم ، سواء كانت قضايا مهنية أو فكرية او تتعلق بحرية التعبير ، باعتبارهم ضمير الامة ، دون أن يتهموا بالقيام بعمل تنظيمى أو تحريضى أو بالعمالة لجهات معينة ... الى آخر قائمة الاتهامات المعروفة . وأساس تلك المنظمة هو التمثيل الديمقراطى عن طريق الانتخاب الحر لمجلس ادارة يتولى السلطة الفعلية فى الاتحاد .

وبداية ، أقرر أننى لست أقل من المهاجمين للاتحاد استياء من صياغة قانونه ومن اسلوب طرحه - أو فرضه - على الحركة الادبية ، الذى تجاهل رأى جمهور الكتاب ، وهم أصحابه الحقيقيون . وأكثر ما يدعو للاستياء فيه ما يتعلق بحرية التعبير ، سواء ما يحدده القانون من قضايا يتيح للاعضاء التعبير عنها . أو ما يغفله من ضمانات لحماية العضو اذا تعرض لضرر أو مساءلة نتيجة لرأى أو عقيدة . ان مسألة حرية التعبير هى حجر الزاوية فى بناء مثل هذه المنظمة ، باعتبار أن العمل الاساسى لأعضائها هو الرأى .

لكن .. ليس معنى التسليم بوجود هذه الثغرة فى القانون ، وغيرها من ثغرات آواغق الزملاء على معظمها - مثل وصاية الاجهزة الرسمية ، وما يسمى بالمواد التأديبية للعضو ، وشروط قبول العضوية .. الخ .. ليس معنى ذلك أن الموقف الصحيح الذى يجب على الكتاب اتخاذه هو مقاطعة الاتحاد : ببساطة لان المستفيد الوحيد من ذلك هو التيار الرجعى السائد فى ميدان الادب والفكر ، والذى لاينقصه حاليا غير تأكيد سيادته بواجهة ديمقراطية . فاذا ما تمت مقاطعة الكتاب التقدميين والديمقراطيين للاتحاد ، خلا الجو لاصحاب ذلك التيار ليفعلوا ما شاءوا بحياتنا الثقافية وبنا .. أعنى بكل من يخالفهم فى الرأى ، نيابة عن الاجهزة التى كانت تتولى ذلك من قبل ، فى الوقت الذى لا يوجد فيه أى بديل أمام القوى التقدمية والديمقراطية من الكتاب ، فمن البديهى أن الدولة لن تسمح باقامة اتحادين أو نقابتين للكتاب ، كما أن وضع الجمعيات الادبية الراهنة فى حالة من الضعف والتمزق لا تتيح لها امكانية تعبئة جمهور الكتاب الرافضين للمطالبة بانشاء اتحاد مستقل .

واذا سلمنا بأن القاعدة العريضة من الكتاب فى مصر - خاصة ما بعد جيل الوسط - تنتمى الى التيار الديمقراطى التقدمى بشكل أو بآخر ، وتقف موقف الرفض من المحاولات الفجة لاعادة الواقع والثقافة والفكر - بعبارة أخرى اعادة الزمن الى الوراء - اذا سلمنا بذلك ، فلنا أن نتصور النتيجة لو انضمت هذه القاعدة العريضة الى الاتحاد وشكلت أغلبية بداخله . قطعا سوف تنجح فى تصعيد ممثليها الى مجلس الادارة ، بل فى تغيير قانون الاتحاد نفسه بما يعبر عن المصالح الحقيقية للاغلبية .

أعرف انه سوف يقفز توا من يتهمنى بالدعوة الى العمل من خلال الاطارات السلطوية الممنوحة من أعلى ، والتى أثبتت فشلها عبر السنوات الماضية . وأقول أن الامر هنا مختلف ، فليس هذا صحيحا أن هذا الاتحاد اطار ممنوح من أعلى ، بل هو فى

الواقع رضوخ لمطلب ملح كافح من أجلـــه الـــكتاب المصريـــون سنوات طويلة ، وفقد بعضـــهم جزءا من حريته بسببه . واذا كان هذا المطلب قد لبى فى النهاية بشكل ملىء بالثغرات يمكن أن تفرغـه من مضـــمونه الحقيقى [كتمثيل ديمقراطى مستقل للكتاب المصريين] ، فأنا لا أجد فى ذلك غرابة ، بالنظر الى الاوضـاع السائدة من ناحية ، والى فاعلية القوى التقدمية الديمقراطية من الكتاب من جهة أخرى . ان هذا القانون بشكله الراهن تعبير عما هو كائن ، فالمسألة فى النهـاية مسألة موازين قوى .

ان احدى الصفات البـارزة فينا كمثقفين ـــ اعنى اليسار منا ـــ هى أننا نعرف دائما ما لا نريده ، ولا نعـــرف تمـــاما مـــا نريده وهذا ما يجعلنا باستمرار أقرب الى اتخاذ موقف المقاطعة ، منعزلين عن قوانين الواقع السائدة ، مما يحول بيننا وبين البحث عن بدائل ، أو عن وسائل متنوعة لتغيير تلك القوانين من أجل بلـوغ الهـدف الرئيسى .

ولو ادركنا ذلك لوجدنا أن موقف مقاطعة اتحاد الكتاب سوف يؤكد رسوخ الاوضـــاع السـائدة فى الحياة الثقافية فى مصر لسنوات لا نعرف مداها ، وهنا بالحركة الجماهيرية ، التى نعرف ـ ان لم نكن واهمين ـ كم نحن بعيدون عنها ، بينما لا نملك أى رقعة من الارض نقف عليها . وفى مقابل ذلك ، فان موقف دخول الاتحاد بأغلبية نشيطة ، سوف يتيح لنا ـ فى اسوأ الاحتمالات ـ رقعة من الارض نقف عليها أيا كانت مساحتها ، وتبعا لقوتنا وفاعليتنا نستطيع أن نحصل على مساحة أوسع يوما بعد يوم .

المسألة أولا .. ان نعرف ما نريده . □

[O]

□ هـــذه الامتيـــــازات .. لمـن ؟

مصطفى درويش

لو تصـورنا الاديب الشـاعر « بازولينـى » مصريـا .. ولـو تصورناه حيا يرزق لم تقتله ايد ملوثة بطاعون الفاشية .. ثم تصورناه وقد اندفع به الهوى الجامح فطلب قيده عضوا عاملا فى اتحـاد الـكتاب المصرى .. لكان يقينا ان يصيبه الفشل فى هذا الامر فلا يستطيع الى تحقيقه سبيلا !

فالمادة الســادسة من قانون انشاء هذا الاتحـاد تشـــترط للعضوية العاملة عدة شروط من بينها ان يكون طالب القيد «محمود السيرة .. حسن السمعة » .

وبازولينى عند الصفحة الاخيرة من جريدة يومية ذات جلال على مر العهود رجل شاذ مبتذل .. داعر مريض الخيال .. داعيـة الى اسفاف الغرائز وانحطاطها .. وهو لهذا لا يتوافر فى حقه واحد من اهم شروط العضوية العاملة « الســيرة المحمـــودة والسمعة الحسنة » .

وغنى عن البيـــان ان هـذا الحرمان يشترك معه ـ ولنفس الاسباب مجتمعة او متفرقة ـ اى كاتب له وزن فى الادب العالمى !

ومن عجب ان القانون لم يشترط توافر «السيرة المحمودة والسمعة الحسنة » فى العضـو المنتسب مصريا كان ام اجنبيا .

وليس من شك ان هذا تناقض ظاهر .. وهو واحد من تناقضات كثيرة سقط فيها القانون .

وهذا السقوط له اسباب لعل اهمها الطريقة التى اعد بهـا واهداف واضعيه منه .

فمشروعـه قد اعد فـى السر والخفاء بعيدا عن اعين جمهرة الادباء أصحاب المصلحة الحقيقية فى الاتحاد .

وهذه البداية ـ التى توحـى بالتواطـؤ ـ نعثر على انعكاس واضح لها فى نص المادة ٣١ من

القانون التي اجازت لوزير الثقافة أو لمائة عضو على الاقل ممن حضروا الجمعية العمومية الطعن امام محكمة القضاء الاداري بمجلس الدولة في انتخاب رئيس الاتحاد واعضاء مجلسه .. ثم اوجبت في الفترة الثالثة منها ان ينظر الطعن في جلسة غير علنية اي في غيبة الرأي العام ورقابته .

اما عن الاهداف فتقرير لجنة الثقافة والاعلام والسياحة بمجلس الشعب يزعم ان الغرض من القانون هو رعاية الادباء والكتاب وكفالة الحرية الفكرية لهم .. وهذا ليس من الحقيقة في شيء .. فاستقراء نصوص القانون وتعقبها ينتهي بنا الى تأويل آخر .. حقا لقد منح امتيازات .. ولكن لمن ؟ للسلطة التنفيذية وحدها .. اما الادباء والكتاب فنصيبهم منها صفر فالقانون لا يعترف لهم باي حق او باية حرية .. ويكتفي باقامة النواهي عليهم في كل منعطف .. كأن يمنع في المادة ٥٦ منه الاعضاء من ان يتجادلوا في السياسة او في الدين !!

وفي ظني انه لا مثيل لهذه النواهي الا في قوانين دول كالبرتغال واسبانيا وما شابهها !

[٥]

□ حول حقوق الأعضاء .. وتأديبهم

« جمعية كتاب الغد »

أصدرت جمعية « كتاب الغد » نشرة بعنوان : « نقابة تسمى اتحاد كتاب أم ادارة بيروقراطية تابعة لوزارة الثقافة » ؟

جاء في هذه النشرة :

.. ان القانون رقم ٦٥ لسنة ١٩٧٥ الخاص بانشاء هذه الادارة التي يدعونها اتحاد الكتاب يتكون من اربعة وسبعين مادة موزعة كما يلي :

١٥ مادة عن شروط العضوية [المواد من ١٤ الى ١٧]

٢٥ مادة عن كيفية ادارته [المواد من ١٨ الى ٤٢]

١١ مادة عن كيفية الحصول على الموارد المالية وكيفية استثمارها في مشروعات محققة الكسب [المواد من ٤٣ الى ٥٣]

١٣ مادة خاصة بتاديب اعضائه [المواد من ٥٥ الى ٦٧]

٣ مواد خاصة بحل الاتحاد [المواد من ٦٨ الى ٧٠]

١ مادة عن اهدافه [المادة ٣]

٦ مواد احكام بتطبيق القانون

مع ملاحظة عدم وجود مادة واحدة خاصة باي حق من حقوق اعضائه ومن المؤكد ان نظرة واحدة لتقسيم مواد القانون ستضعنا للوهلة الاولى في مواجهة دلالة هامة لا يمكن تجاهلها تحدد الهدف الحقيقي له، فهذا الدور الخاص للمواد التأديبية التي تشكل حوالي عشرين بالمائة من عدد مواده بالاضافة الى النصوص المجحفة المتعلقة ببقية المواد والتي سنناقشها في حينها لا يقابلها ولو مادة واحدة خاصة بأي حق من حقوق اعضائه باستثناء النص في الفقرة [ز] من

المادة [٣] . [على رعاية حقوق اعضاء الاتحاد والعمل على ترقية شئونهم الادبية والعادية وضمان حرية التعبير الملتزم بالوطنية المصرية والقومية العربية والقيم الدينية والانسانية] .

هنا يبدو الحرص الشديد من جانب واضعى القانون على وضع هذه الصيغة المائعة كضمان للعصف حتى بهذا الحق الوحيد الذى يرد بشكل هامشى تماما كفقرة متأخرة فى المادة الوحيدة الخاصة باهداف الاتحاد بحيث يمكن استخدام هذه الصيغة فى اطارها المجرد فى وقت تتصاعد فيه موجة المد الرجعى فى بلادنا لضرب كافة القوى التقدمية والديمقراطية ، فليس هناك مايسمى بهذا الشكل المجرد بالوطنية المصرية والقومية العربية والقيم الانسانية وانما هناك تلك المبادىء التى ترتبط بنضال الشعب المصرى والشعوب العربية فى ارتباطه بنضال شعوب العالم جميعا من اجل تحررها من علاقات الاستغلال والقهر والتخلف ؛ تلك المبادىء التى تحدد الاساس الوطنى الديمقراطى لنضالها . وعلى الرغم من هذه الصيغة المائعة التى تجيد القوى المعادية للتقدم تفسيرها لتتسق مع مصالحها فى اى طور من اطوار صعودها واضمحلالها على حد سواء يأبى القانون الا ان يضع المزيد من الاحكام حول هذه الفقرة ولذلك تتدارك المادة [٥٥] من القانون هذا الحق الهزيل لتحدد بأنه « لا يجوز للعضو المجادلة فى الامور السياسية والدينية بما يتعارض مع النظام العام والاداب ، كما لا يجوز له تناول المشروبات الروحية او مزاولة القمار بمقر الاتحاد أو فروعه » . ولعل هذه المادة الفريدة تفضح تماما الوجه اللاديمقراطى والمعادى لابسط حقوق الكتاب والمثقفين فى بلادنا وتطيح بأحد الادوار الرئيسية التى ينبغى لاتحاد الكتاب ان يقوم بها حيث يوضع الكتاب دائما فى وضع ما يسمى بعدم التعارض مع النظام العام سياسيا بشكل مستمر ، بمايمثل اعتداء سافرا على كافة الحقوق السياسية للكتاب ، وهكذا يسعى القانون الى تأييد تبعية الكتاب للنظام القائم [اى نظام مهما كان نوعه] متعارضا بذلك مع ابسط حقوق الانسان فى حرية الفكر والراى والعقيدة .

وفيما عدا هذا [الحق الوحيد للكتاب !!] المشار اليه فى فقرة واحدة من المادة التى تحدد اهداف الاتحاد تحديدا مموها ، تنصب بقية الاهداف فى صياغات عامة واهداف مائعة يمكن لاى دار نشر فى قطاع الافراد أن تدعيها لنفسها مثل نشر الجيد من التراث العربى « الفقرة هـ مادة ٣ » وترجمة الجيد من الانتاج الفكرى العربى الى اللغات الاجنبية ، ونقل روائع الانتاج العالمى الى اللغة العربية [فقرة و — مادة ٣] وتشجيع الكتاب الشبان ومساعدتهم على نشر انتاجهم وترويجه [فقرة ط — مادة ٣] ... الخ .

ثم يأتى عدد آخر من الاهداف متداخلا مع اهداف المجلس الاعلى للشئون الاسلامية مثل اثراء الحضارة الاسلامية [فقرة أ — مادة ٣] وايضاح دور الرواد العرب فى بناء الحضارة الاسلامية [فقرة هـ — مادة ٣] مع ملاحظة ان ذلك الابتسار المتعمد يحدد دائما الاساس الذى تنحاز له هذه الفقرات فى تأكيد الافكار السلفية والتعامل مع التراث العربى بتحديده بهذه الشروط التى تغفل الجوانب الحية والمتقدمة فيه ، فى وقت يستخدم الكتبة الرسميين — فى مجلة الثقافية الاميرية — التى تم احلالها محل كافة المجلات السابقة بعد الاجهاز عليها — كلمة القرامطة للهجوم على الكتاب التقدميين ، بينما يكتب رئيس تحريرها واصفا ابن رشد بأنه ليس كاتبا اسلاميا اصيلا ، وانما اتى ببضاعته من الغرب ثم ارتدت الى الغرب مرة اخرى ، وهكذا فان السادة حملة الوية التجهيل فى ثقافتنا كما تقدمها المنابر الرسمية والذين تبدو بصماتهم الواضحة على القانون المقدم يحاولون طمس كافة الجوانب الحية فى التراث الحضارى العربى .

وهكذا تتحول الاهداف المعلنة لهذا الاتحاد المزعوم الى خليط مشوش من اهداف دور النشر التجارية الى تاكيد الفهم السلفى والرجعى للتراث ، مع الاغفال المتعمد والكامل لاية اهداف تتعلق بحماية الكتاب وضمان حرياتهم فى التعبير والخلق بعيدا عن كافة التدخلات

والوصايات التى تسعى مختلف الاجهزة لفرضها عليهم، بالاضافة الى اغفال اية حقوق نقابية على المستويين الادبى والمادى تكفل للكتاب ظروفا مناسبة لحياتهم وانتاجهم الادبى .

وفى نهايته . يدعو البيان الى اتخاذ موقف محدد تجاه القانون :

اننا هنا لا ننطلق فى رفضنا للقانون ٦٥ لسنة ١٩٧٥ من موقف مثالى كما يدعى البعض ولكننا ننطلق اساسا من رفض اى اجهاض لقيام اتحاد حقيقى للكتاب المصريين « هو ايضا نقابة حقيقة لهم » ، ونرفض على نفس المستوى كل محاولات الترويج وسط الكتاب المصريين للانضمام الى الادارة التابعة لوزارة الثقافة بدعوى تمثيلها لنقابة للكتاب ، وحجة امكانية انتزاع مكاسب من داخلها ، والتسليم الكامل الذى يتضمنه هذا الترويج بالقيود المفروضة على سائر النقابات المهنية كأمر مسلم به وكقدر لا مفر منه . □

[○]

□ أين موقف الاتحاد من أدباء الأقاليم ؟

السيد سعد ماضى

عضو نادى الادب بدمنهور

اذا اردنا تحقيق الديمقراطية ، فيجب ان توجد عدة اتجاهات متنوعة — وهذا لم يأت فى قانون الاتحاد — تمثل كل الاتجاهات الادبية ، والفكرية لتلقى الطلبات الخاصة بالعضوية العاملة ، او المنتسبة ، وغيرهما على ان تكون هذه اللجنة تأسيسية ، ويجرى انتخاب — حر — بعد ذلك .

كما يجب أن يكون الاعضاء المرشحون من ممثلى كل الانشطة — بما فيهم من يمثل ادباء الاقاليم — وعلى سبيل المثال النقابات الاخرى ، والاتحاد الاشتراكى العربى . فيهم من يمثل العمال ، ومن يمثل الفلاحين ، ومن يمثل الفئات . فلماذا لم تكن نقابة «الكتاب» تمثل كل الاتجاهات على هذا النحو ؟

الفصل الاول من قانون « اتحاد الكتاب »

« مادة ٢ »

يجوز بقرار من مجلس الاتحاد انشاء فروع فى المحافظات وشعب وذلك طبقا لاحكام اللائحة الداخلية للاتحاد

ان كلمة يجوز معناها القبول ، أو الرفض . فاذا كان الادباء الشباب هم الذين طالبوا بهذا الاتحاد فما معنى كلمة يجوز هذه ؟

الفصل الثانى من القانون [مادة ٦]

[هـ] أن يكون له انتاج ملحوظ فى مجالات الاداب وفقا لما تحدده اللائحة الداخلية .

ولا ادرى ما هو المقصود باللائحة الداخلية ؟ .. وكأن

الادباء سوف يتقدمون للامتحان ، ومطلوب منهم الاجابة على أسئلة لم تطرح بعد !

[ح] ان يزكي طالب القيد في الجدول العام ثلاثة على الاقل من اعضاء الاتحاد •

ولا ادرى ـ ايضا ، ولا احد يدرى ـ ما هى الطريقة التى يصل بها أدباء الاقاليم اليهم ؟ .. وما مكانهم ؟ .. وما هو الموعد المحدد لتواجدهم ؟ .. لان طابع البريد فقد ـ مفعـوله ـ فـى الاوساط الادبية ، والثقافية •

الفصل الثالث من القانون

[مادة ٣٥] مدة العضوية لاعضاء مجلس الاتحـاد اربع سنوات ويقتـرع على اسـقاط عضوية نصف الاعضاء فى نهاية السنة الثانية ويجـوز تجـديد العضوية لاكثر من مرة •

اعتقد انه : بالنسبة لحداثة الاتحاد أن يكون الانتخاب ـ كل سنة ـ لمدة ثلاث سنوات على الاقل ـ حتى تستتب الامور فى مكانها الصحيح ـ وبعـد ذلك كل اربع سنوات كما هو ثابت فى القانون •

الفصل الخامس [مادة ٦٠] العقوبات التاديبية :

٣ ـ الزام العضو باداء مبلغ لا يجاوز عشرين جنيهـا ويدفع لصندوق المعاشات والاعانات •

الواضح ان كل المزايا ـ اذا كان هناك مزايا ـ فى اللائحـة الداخلية ، والعقاب ، والغرامة ، فى القانون . اذ أن معظم المواد ، لا تخلو من : الانذار ، التحقيق الفصل ، التأديب ، عدم المجادلة فى السياسة ، و •••

ولا ندرى ما هو ـ السر ـ فى عدم نشر اللائحة الداخلية ؟ .. ولا ندرى لماذا لم يناقش القانون ـ فى الصحف ـ قبل صدوره •

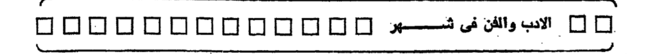
بقى أن نسأل : ماذا يفعل اديب الاقليم ـ المغمور ـ الذى لم ينشر انتاجا ملحوظا لعدم وجود سبل ـ ملحوظة ـ للنشر ؟ أو لعزوفه عن مجالات النشر ، التى تنتمى الى الصداقات الشخصـيـة ، والشللية وماذا يفعل الاديب ـ الحقيقى ـ الذى لم يعثر على

ـ شخصية كبيرة ـ لكى يطبع ديوانه الاول .. أو مجموعتـه القصصية الاولى ؟

هـل سيتسـول أديب الاقليم لكى يعثر على الثلاثة الذين فى ايديهم ـ الامر ، والنهى ـ لكى يعطوه ـ جواز الاعتـراف بانه اديب ؟

وهل ـ القانون ـ سوف يساعد على تفجير طاقات الابداع الفنى ؟ !

على هذه الاسئلة . لم أعثر على اجابات محددة . فهل أجدها لـدى السـادة واضـعـى هذا القانون ؟ ▣



مســـرح

« باحلـــم يامصـــــر .. وفيـــدرا » :

خطـــوتان نحـــو الخـــروج من الحصـــار

يقدم مسرح الدولة الان عرضين هامين هما « وباحلم يا مصر » **لنعمان عاشور واخراج عبد الغفار عودة « وفيدرا »** آراسين واخراج **جان بيير لاروى** المخرج الفرنسى . وتأتى اهمية هذين العرضين لا من القيم الفنية او الفكرية التىيحتويان عليها ، ولا من منهج خاص أو متميز يدعو للتوقف أمامه وانما من كونهما بمستوى الجدية يعيدان الى مسرح الدولة جزءا من تلك الشرارة التى تميزت بها سنوات نموه وازدهاره ،ومن المقترح حتا أن يعود جمهـــور ذلك المسرح — والذى تبعثر فى سنوات التدهور — موزعا بين المسرح التجارى والتليفزيون أو مسقطا المسرح تماما من حسابه — ليسهم بدوره فى انجاح هذين العرضين وليرد عمليا على دعاوىالذين يرون فيما يجرى أمرا طبيعيا .

[●]

يؤكد اختيار نعمان عاشور لهذاالشكل الجديد تماما على مسرحه حقيقةاساسية هى احتياجه العميق للتعبير المباشر عن واقع يعيشه تحاصره ضغوط كثيرة ، ولولا هذا الاحتياج لما خرج نعمان هذا الخروج القاسى المفاجىء عن عالمه الحميم وحتى لو لاحظنا اختيار الاســـم الاول للمسرحية « بشير التقدم » والذى غيره المخرج والمؤلف بعد اعادة كتابة النص — وساهم فى تأكيده والاطراء عليـــه بعض الذين يريدون — بالمناســـبة أن يؤكدوا نغمة العزلة المصرية فى الظروف الراهنة — على أى حال كان الاســـم القديم شديد المباشرة يسير الى الهدف بوضوح وحسم » .

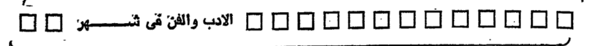
يستعرض نعمان عاشور بضعةمراحل متصلة زمنيا من حياة رفاعة الطهطاوى « بحكم كونه بشيرا للتقدم » واخترت أن ابدأ برفاعة الطهطاوى كاصـــدق وأسطع مثال له دلالته فى الكشف عن المؤرقات الثقافية التى لا تزال تترسب فى باطن البيئة كنقيض مباشر لدعواه الصارخة الى الحرية والتقدم » — وهو مذلك ورغم الحذر والمحاذير يطمح بعنف الى معالجة ما للحظة التاريخية التى نعيشـــها والتى تعمل فيها قوى الردة بنشاط ظاهر ومكثف .

ولـــكن تاريخية **النص سواء المكتوب أو الذى قدم على خشبة المسرح افتقدت الى بعض مقومات المسرح التسجيلى —** وهو على أى حال لم تتضح ملامحهبشكل نهائى ونماذجه اللامعة والمتكاملة قليلة — وهكذا ظـــل وفيا للتاريـــخ — تاريخ الطهطاوى مع كثير من الحرفية — لسببين اساسيين أولهما أن نعمان عاشور ظل متعلقا الى حد كبير بأسرة كوميديا وظلت هذه الاسرة تشغل حيزا كبيرا فى حياة رفاعة صحيح أن علاقته بزوجته حملت موقفه من المرأة ، وعلاقته بالســـيدة الباريسية حملت موقفه من الحضـــارة الفرنسية الا انها بجزئياتها شغلت حيزا كبيرا أدى الى السبب الثانى وهوافتقاد النص والعرض معا الى مواجهة حقيقية مع العصر الذى عاش فيه رفاعة او العصر الذى يخاطبه المؤلف وكان التعبير يتم بالـــكلمات أو المقتطفـــــــــات لا بالادوات المسرحية التسجيلية فى كثير من الحالات .

ولان الرقابة ولكثرة ما اقترفته قـــد انتقلت من مكاتبها البيروقراطية العفنة لتعيش فى قلوب الناس والمبدعين بصفة خاصة كان هناك احجام ضمنى من قبل المؤلف والمخرج عن التوصل الى الامتزاج الامثل بين العصرين خوفا وحذرا مما قـــد يتهمون به من « الاسقاط » وتلك كلمة تستخدمها الرقابة كثيرا ، وعلى أى حال فالناس لا تعمل خارج الظروف، وما لاقاه هذا العرض من متاعب وعقبات يكفى وحده لمساندته والتشبث بايجابياته الكثيره .

اختار نعمان لجنة أســـاتذة جامعية تناقش رسالة طالبة عن رفاعة الطهطاوى ودوره فى وقـــت كـــانت البورجوازية الناهضة تطمح الى التصنيع والتعليـــم والحرية وكان هو واحدا من « أدمغتها المفكرة » العظيمة الاولى ، وفى تتابع مراحل حياة البطل التاريخى — لميكتسب أبدا شـــكلا معاصرا كانت اللجنـــــة والطالبة تختفيان ، وحتى هذه اللحظة لا أجد تبريرا مقنعا لذلك الانفصـــــال والاستقلال التام لمنصة المناقشـــة من العرض وكنا نتصور أن يتقدم رشدى المهدى الذى حمل كل شعارات التحجر والردة ليلعب دورا داخـــل العرض — وليكن دور رفاعة نفســـه ، أو أحـــد مناوئيه فكم كانت « اللعبة المسرحية » ترتقى فنيا ، وكم كان التناقض يتجســـد صارخا ، وكم من المعانى والتناقضات كان يكشفها شيخ فى القرن التاســـع عشر بحلم بالمستقبل ، وشيخ فى القرن العشرين يتحجر ويرتد الى الجاهلية !

ولعل هذه النقطة الاخيرة تعود اصلا الى افتقاد النظرة النقدية فنعمانعاشور يريد مباشرة أن يقول « ثمة احتياج أن تقارن ، وثمة احتياج لان نواجه الردة » وذلك معناه أن تسقط دون وعى فى فكرة ارتداد التاريخ أو عودته الى الوراء ، وهو ما لا يحدث واقعيا ولا علميا لانه فى نفس الوقت هناك قوى جديدة تصعد وتواجه ، وربما كشف النظرة النقدية الى هذا التاريخ بالذات من اشـــياء كثيرة من العصر المعاش . اخذ الراوى على عاتقه هذه المهمة فأضافت كثيرا جدا الى العرض ، فالعصرية الشديدة للاشعار التى كتبها شاعر واعد هـــو





نعمان عاشور

حمدى عيد تتكلم بلغة الحاضر وتحمل لسعة مرارته أما الاداء المتميز لعدلى فخرى مغنيا وراويا فقد أضفى على العرض مسحة تحريضية لا تخلو من الاستغاثة — اذا جاز التعبير — وتحملنا مباشرة الى واقعنا ، وذلك لا ينفى أن الحان عدلى فخرى ظلت فى معظمها تنويعا على لحن واحد أو لحنين على الاكثر .

افتقاد النظرة النقدية أيضا أدى الى بعض الخلط فى قضية صغيرة — قد لا تعنى العرض كثيرا — ولكنها بالقطع تعنى الكثير من الشبان المتحمسين له وللمسرح الجاد تلك هى دعوة رفاعة للحرية والتى بدت مطلقة — فقد حملها كل من رفاعة والراوى وبالتالى نعمان عاشور نفسه . ان الكثيرين منهم يرفضون ما فى هذا الشعار من مسحة « ليبرالية » وتوقعوا من نعمان أن يضفى عليه وجهة نظره الخاصة فى الحرية ، أى القائمة على التحرر الاقتصادى والاجتماعى الكامل للطبقات الكادحة والمقهورة . وفى سبيل ذلك رفضوا التوقف بصبر قليل أمام طبيعة اللحظة التى يطرح فيها شعار الحرية المطلق سواء فى العصرين التاريخى أو الواقعى . ففى العصر التاريخى كانت الرأسمالية النامية تحتاجه لبناء نفسها . وفى العصر الواقعى يطرح كشعار فقط وتظل ممارسته حكرا لا على طبقة بكاملها وانما على فئة محدودة تنمى ثرواتها بالانفتاح والسمسرة والتجارة فى كل شىء بينما تحجبه عن القوى الاجتماعية الاخرى بحجة الحفاظ على « الثورة — والاشتراكية » أى أنها تريد « ليبرالية خاصة بها فقط » . ومن هنا يكتسب شعار الحرية المطلقة فى اللحظة الراهنة الذى يمارس بالفعل على مستوى الاقتصاد أهمية فائقة ، وهنا تكمن ضرورة النظرة النقدية واهميتها .

لا تنفى كل هذه الاستطرادات أن العرض بكل الجهود التى بذلت فيه كان عرضا ممتعا على المستويين الفنى والانسانى ، يحمل كلمة جادة وطيبة تزيح قليلا من العفن الذى سيطر على الحياة المسرحية فى السنوات الاخيرة . وفى هذا العرض برزت من جديد امكانيات خصبة لدى كل من **عايدة عبد العزيز ورشدى المهدى** وامكانيات واعية وحية لكل من **عبد الهادى انور وعهدى صادق وعائشة سالم** . يدعو للتوقف حقا الديكور الذى صممه وساهم فى تنفيذه فنان مقاتل هو **زوسر مرزوق** الذى ساهمت وحداته الجمالية — المستقلة أحيانا عن بعضها البعض — فى مساندة الجو العام للعرض واضاءة كثير من جوانبه . يبقى جهد **عبد الغفار عودة** مخرجا الذى ساهم باضافاته وأفكاره فى تغيير المسار السردى لعمل الكاتب ولكنه لم يصل بذلك الى الافاق التى كانت مفتوحة أمامه .

[●]

أما « **فيدرا** » **راسين** والتى قدمها مخرج فرنسى يعمل لاول مرة مع مجموعة من فنانى المسرح القومى القدامى والجدد بامكانيات بشرية ومادية ضخمة لا أحد يعترض عليها على ما أعتقد لان ذلك منطلق غريب أن نقول ان العرض قد أنفق عليه كذا وكذا بينما هناك كيت وكيت يستحق أكثر .. ونحن نعرف الكثير عما يبدد .. ويفرحنا أن يعود بعض منه الى المسرح القومى ليستعيد شيئا من تقاليده . «فيدرا» هى مأساة امرأة تحلم بحب مستحيل ، وتسعى الى مصيرها — الذى نذرتها له سواء آلهة الاغريق أو سلالتها الضارية — دون ارادة منها فهى تقع فى حمى عشق جارف لابن زوجها ووريث عرشه « هيبوليت » . واذا كان جان راسين شاعر القرن السابع عشر القدير الذى فتنته دائما تلك التناقضات العاصفة داخل النفس البشرية واستولت على اهتمامه أكثر من غيرها ، قد حرص فى معالجته لاسطورة فيدرا ، التى عالجها من قبل كل من « يوربيديس » و « سينيكا » — على وضع فيدرا كلية فى أيدى قدر عاصف وقاهر وفى اطار مؤثرات خارجية سلبتها الارادة — اينون خادمتها — التى جعلتها تفصح عما يعذب روحها ، وتشرع فى التعبير عنه ، فانما كان يعبر هو نفسه — الذى عاش فى أحضان القصور الملكية مستمتعا بحمايتها سواء فى مواجهة الحياة الادبية أو الاجتماعية — عن حرجه الشديد على مصير الملوك والملكات وظل دائما وفيا لنضائلهم . وعبر أيضا وعن فهم أخلاقى عميق للرذيلة وعقابها .. ولو أن الرذيلة كما رآها الاخرون لم تتحقق بكاملها فى عالمه الذى سيطرت عليه وأحكمت خيوطه قوى خارج الانسان ، ولا يفلت الملك « تيزيوس » الذى استدعى نقمة الالهة على ابنه « هيبوليت » فاستجابت له — من أيدى ذلك القدر غير المرئى الا بعد انحسار كل القوى التى تقيد العقل الانسانى بحبال مواطق غامضة تلعب بها آلهة لا نراها — وأيضا بعد وقوع مأساة موت ابنه وانتحار زوجته

الذى يلفت النظر فى العرض اكثر من أى شىء آخر . هو ما يقوله المخرج عن مواجهة « راسين » بالمجتمع المصرى المعاصر والذى يتجسد فى شيئين أساسيين أولهما تعبير « فيدرا » البالغ الحسية عن آلامها الروحية العميقة حين تفضى الى خادمتها بما يؤرقها ، واتضح ذلك فى أداء الاغنية الاولى التى امتلات بالتأوهات ، وفى الاشكال المباشرة للتعبير عن الضغوط والقيود وصنوف الكبت والقهر التى تواجهها المرأة الشرقية بصفة عامة ، وحين تنحسر موجة التعبير المباشر هذه تستعيد « فيدرا » المصرية توازنها الملوكى ثم تتحدث بجلال عن اثمها — الذى لم ترتكبه مباشرة — ولكنه كان دائما حلما يستعصى على التحقيق ، وفى مواجهة هذين الموقفين بعضهما بالبعض يتجسد تناقض عميق بين ما بلغته المرأة من رقى وبين كل ما يكبلها وما يصر المجتمع على التغاضى عنه .

الشىء الاساسى الثانى هو الديكور — الذى استلهم بصورة مباشرة سوقية وتنافر الحياة فى المدينة المصرية مستفيدا

من الخامات المحلية بصفة أساسية ، والذى مد خشبة المسرح لتخترق الصالة فى الوقت الذى توحى فيـــه بالعودة الجزئية الى تراث المسرح الاغريقى ، يصـــممها مهندس الديكور على شــكل وألوان مقاعد الحـدائق والاتوبيسـات وألوان الكبارى الكالحة ، وفى الوقت الذى يخدم فيه الشراع ــ الستارة فكرة الرحيل سواء رحيل تيزيوس المؤقت أو رحيل « هيبوليت » وفيدرا ، الابدى فانه شباك الصيادين البائسة وأشرعة المراكب المصرية الصغيرة .

الا أن المخرج الفرنسى الذى استلهم مــن الواقـــع المصرى فكرة أو فكرتين شديدتى العمومية لم يتوغل فيه من صدق وظل أداء الممثلين جميعا ملتزما بالتراث الكلاسيكى الكامل منفصــلا فى لحظات الاندماج « الاوهى » و « الملوكى » القصوى عن كل تصوراته ــ المحددة ــ عن الواقع المصرى .

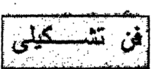
من الاداء ــ مع ملاحظة النبرة العالية أحيانا لسميحة أيوب ــ كانت لــدى المخرج قدرة كبيرة على تشكيل فريق ، وعلى التوصل الى ما يمكن أن نسميه بالتناسق الهارمونى بين مجموعة فنانى المسرح القومى وبينما حمل صوت فردوس عبد الحميد بدائية العواطف الساذجة الاولى التى كان ينبغى أن تعبر عنهـــا « فيدرا » لا « أريسيا » ابنة الاسرة المضطهدة التى تعيش حبا عميقا لا ترى له أفقا لم يفلت عبد اللـــه غيث من الخطابية رغم تمكنه الشديد من شخصية « تيزيوس » ، أما الفنانة أمينة رزق ، فاننا نشعر بها تستعيد تاريخا وتقف تماما حيث تحب فتعطى من نفسها الكثير

سوف يكون من المفيد حقا أن تدور مناقشة واسعة وجادة حول هذا العرض بين المخرجين المصريين لنتعرف على ما أدخله حقا المخرج الفرنسى ، حتى تكون تجربة التعاون مع مخرجى العالم فيما بعد أعم فائدة وأكثر حيوية ، وألا تتم بناء على اختيار شخصى ، ففى فرنسا عشرات المخرجين والتجارب التى نعتقد أنها أكثر أهمية بكثير .

ومع ذلك فلابد أن نساند بحـــرارة عملين هامين قدمهما المسرح القومى هذا العـــام متجها بهما معا خـــارج دائرة الحصار ، أحدهما « وباالحلم يا مصر » يطرح نفسه مباشرة وفى قلب الواقع العاصــف لينتزع اعتـــرافا ــ لابد من انتزاعه على أية حال ــ بضرورة أن يقول المسرح كلمتـــــه فى الظـــروف الراهنة . والاخر يتجه الى ترف التجريب والاستفادة من خبرات الاخرين . بتقديم المسرح الكلاسـيكى بعيدا عن همـــوم اللحظة ، وهو فى حد ذاته انجاز لــه قيمته فى الظروف الراهنة . وأى خطوة من قبل مسرح الدولة لاستعادة جمهوره ــ لا بمواصفات المسرح التجارى ، لابد أن تحميها كل الجهود والامكانيات المخلصة فى الحياة الثقافية . □

فريدة النقاش

[O]



محمد هجرس

عالم لايعـــرف الهـــدوء والســـكينة

افتتح فى شهر اكتوبر الماضى بالمركز الثقافى الايطالى بالقاهرة معرض الفنان محمد هجـــرس ويضم المعرض مجموعة من أعمال الفنان الجديدة ، مع نخبة منتقاة من أعماله السابقة ، والتى أتمها جميعا فى الفترة التى تبـــدأ مع منحة تفرغ الدولة التى حازها عام ١٩٦٣.

وعالم هجرس عالم مفعم باشد اشكال الصراع حدة وعنفا وقسوة ، عالم ملىء بنوع غريب من التقلص أو التشنج أو الاعتصار ، عالم لا نجد فيه شيئا يستقر أو يتوقف على حال ، عالم يتميز بروح الديناميكية الحادة المثيرة . عالم زاخر بالحركة العنيفة المثيرة للدوار . ان اشكال تماثيل هذا الفنان انما نراها تاخذ باستمرار هيئة الدوامات فى دورانهـــا الدائم حول ذاتها ، فى توثبها اللانهائى الذى لا يعرف الهدوء أو السكينة ابدا ، كما نجد هذه التماثيل تاخذ باستمرار شكل القواقع فى حركة التفافاتها الداخليـــــة الحلزونية الدائبة التى تقود العين الى رحلة مستمرة لاتبدو لها اية نهاية ، تقود العين الى الانسياق اللاهث فى اثر خطوط دائرية لفافة عنيفة التداخـــل والتشابك والتلاحم والدوران المستمر الذى نراه لايتوقف أبدا عند حد .

ان تماثيل هجرس انما هى تماثيـــل تبدو على الدوام فى حالة اندفاع غريب، فى لحظة شديدة الجموح ، فى حركة تتمثل فيه الحركة بكل تواتراتها وترددااتها وتذبذباتها المستمرة اللانهائية . انها تماثيل لاتعرف ، اذن ، تلك السكينة أو ذلك الهدوء الناتج من استقرار كتلة التمثال على المستوى الافقى الصريح أو المستوى الراسى الصريح . وتتمثل هذه الرؤية

الديناميكية المتوقدة بكل وضوح وجلاء فى تمثال «**أناديكم**» حيث نجد كتلة التمثال فى حالة التواء قاس ، أو فى حركة ميل قوى نحو الارض . ان الكتلة هنا هى للرجل الجالس على أحد المقاعد وقد التوى بكل جسمه نحو الارض ، مادا يديه فى حركة تعطى نوعا من الايحاء باندفاعه العنيف لاجتثاث شىء ما من أسفل ، كغريق قد تقلصت يداه على شىء من الاشياء فى حركة استماتة تشنجية . أما البطن فقد ظهرت لنا بالغة الغور شديدة التجويف ، وكأنها المغارة السحيقة شديدة العمق ، أو كأنها قلب محارة من المحارات . ان هذه الحركة المتقلصة انما تكشف عن مدى الالم والتوتر ، والمعاناة الداخلية العنيفة التى يستشعرها هذا الجسم .

ويعبر تمثال « **جامعة البطاطا** » عن نفس الرؤية الديناميكية . ان التمثال عبارة عن جسم الفلاحة منحنية تلتقط بعض ثمار البطاطا من الارض . ان الجسم منحنى بكليته تجاه الارض والاطراف تبدو وكأنها غائصة فى الطين . الايدى متشنجة والرأس غائص بين الكتفين . وتصادفنا هنا نفس التجويفة الماثلة فى منطقة البطن التى واجهناها فى تمثال « أناديكم » ولكنها هنا تبدو أقل غورا ، وتأخذ شكل الدوامة العنيفة الحركة أو البوتقة التى تستقطب مجموعة من الخطوط الدائرية اللفافة . فنحن نلمس حركة قوية ، مشدودة ، متقلصة ، متوترة غاية التوتر من الخطوط المتصلة المستمرة الدوران التى تربط بين بطن الفلاحة المجوفة وبين أرجلها وأيديها المتشنجة على حبات البطاطا . ويستوقفنا بشدة فى هذا التمثال خط بالغ التعبير ، مفعم بطاقة شعورية متوقدة غير عادية وبشحنة حسية شديدة الكثافة . الا وهو ذلك الخط المنحنى الجميل ، المتقزز ، القوى ، الذى يجمع بين نوعين من الاحاسيس المتباينة أشد التباين الاحساس بالانسيابية الشديدة والصلابة الشديدة ، انه الخط الذى يمثل تلك الانحناءة القوية لظهر الفلاحة .

هذا الاحساس الديناميكى الحركى البالغ التوتر الذى يعطيه لنا تمثال « جامعة البطاطا » ، سنلقاه بنفس القوة والتألق فى تمثال « **مشكلة** » . حيث نواجه فتى صغيرا فى اللحظة التى يقوم فيها بحركة كسر قطعة صغيرة من القصب ، يأخذها بين يديه ويكسرها على احدى ركبتيه . وهى لحظة تكشف لنا عن مدى المعاناة الداخلية العنيفة التى يستشعرها الفتى . فقد تشنجت أطرافه كلها وتقلصت وتمددت فى حركة عصبية شديدة ان كل الخطوط هنا تتلاقى عند



عامل البناء

هذه الركبة المرفوعة قليلا التى بدت وكأنها البؤرة المتمركزة التى تجمع عديدا من الخطوط المتمردة على آخرها فى حركة تشنجية مرهفة . فى هذا التمثال نلمس مدى القدرة التعبيرية الكبيرة التى يتمتع بها الفنان فى التعبير عن ذلك المجهود الحاد الذى يبذله هذا الفتى من أجل تحقيق نوع من التوازن الحركى لجسمه فى لحظة كسره قطعة القصب .

أما فى تمثال « **رؤيا** » المصنوع من خامة الخشب ، فأول ما يستوقفنا تلك المقدرة الفنية الفائقة فى استخدام هذه الخامة النحتية وفى معالجتها المعالجة الموفقة ، هذه الخامة الصعبة التى تطرح أمام النحات باستمرار مشكلات عديدة تتعلق بالناحية التكنيكية فى فن النحت . وقد استطاع الفنان هنا بكل وضوح أن يطوعها تماما لاغراضه التعبيرية من ناحية ، كما استطاع أن يكشف لنا عن كل ما تتميز به من طبيعة خاصة . استطاع أن يكشف لنا عن ملمسها الخاص الذى يجمع بين الليونة والنعومة مع شىء من المطاطية . كما استطاع أن يكشف لنا عن تلك التجزيعات الانسيابية الجميلة التى تسرى فى قلب خامة الخشب . استطاع أن يجعل منها أحد الوسائل المادية الهامة ، أحد العناصر الحيوية فى التعبير . فقد لمسنا بكل عمق كيف تتفاعل هذه التجزيعات الانسيابية مع الاتجاهات والمسارات المتنوعة من الارتفاعات والانخفاضات للسطوح العديدة التى تتشكل منها الكتلة الاساسية للتمثال . ان تمثال « رؤيا » شكل يشبه جذع الانسان . والحركة هنا كما هى ماثلة فى كل تماثيل هجرس حركة فائقة التوتر . كل شىء هنا مشدود عصبى . والخطوط مزيج من الخطوط المشدودة الممتدة و الدائرية اللفافة . وسنصادف هنا نفس الحس بالتشكيل الذى صادفناه فى التماثيل السابقة : خطوط تجرى هنا وهناك وتنساب وتتلوى ولكن تستقطبها جميعا بؤرة مركزية تكاد تتوسط كتلة التمثال . ولكن هذه البؤرة فى تمثال « رؤيا » تأخذ هنا شكل دائرة مجوفة مفتوحة تشق التمثال فى المنتصف تماما ، وتأخذ كافة الخطوط معها الى أبعاد اللانهاية . وكأنها الطاقة المفتوحة على الفضاء الممتد العريض ، فى قلب مغارة مظلمة .

الكتلة والفراغ

فهجرس هنا انما يسعى ، اذن ، الى اقامة نوع من الحوار الجدلى العميق المتبادل بين الكتلة والفراغ فى التمثال . يسعى الى اعطاء الفراغ ـ الذى يحيط بكتلة التمثال او الفراغ الذى يجرى فى قلب هذه الكتلة ـ معنى تعبيريا بعيد العمق . وهذه المسألة تبدو واضحة جدا فى تمثال « **أمومة** » . فنحن نرى فى هذا التمثال أما تحتضن طفلها الصغير بعد أن ركعت على ركبتها آخذه اياه بين أحضانها . والحركة هنا انما هى حركة تعبر عن مشاعر مركبة ومتداخلة ، تعبر عن الاحساس بالقوة والصلابة الذى يكشف عنه ذلك الاندفاع العصبى لجسم الام ، وقد التوى ظهرها بكامله وتقلص فى قوس قوى متصل ليحتوى ويضم جسم الطفل فى داخله ،

فى حركة يد تمتد أشبه بحركة احتواء أو ابتلاع جسم التوقعة للحيوان الراقد فى داخلها . كما تعبر حركة جسم هذه الام أيضا عن مدى الحنان الزاخروالرقة البالغة ، والذى تكشف عنه تلك الملامسة الغريبة بين جبهة الام وراس الطفل الراقد فى أحضانها بكل وداعة .

فنحن هنا نلمس شيئا غريبا ، فجسم الام كله متحفز ، مشدود ، من أطرافها وظهرها حتى عنقها ، الى أن نأتى الى منطقة الجبهة فيحدث فجأة تغييرا كاملا فى الاحساس وفى التعبير ، اذ نرى جبهة الام وقد رقدت و تهادت فى رقة بالغة الرهافة على رأس طفلها الوديع وهى تلامسه بكل رفق ، وتتمسح به بكل حنان وعطف . ان الفراغ الذى يسرى هنا بين جسم الطفل وحضـــن الام قد استحال الى شىء بالغ التعبير ، شىء شديد الصلة بكتلة التمثال . انه أشبه بذلك الفراغ الذى يسرى بين غلاف التوقعة وجسد الحيوان الراقد بداخلها .. فراغ زاخر بشتى الانفعالات . فراغ قادر على أن يعطينا ذلك الشعور الغريب بدفء الامومة ، دفء الاحتضان والاحتواء قادر على أن يعطينا ذلك الشعور بقوة حرص الام على طفلها ، بمخاوفها ولهفتها وجزعها ، كما أنه فراغ قادر على أن يعطينا من الناحية المواجهة ـ فى صورة مركبة شديدة التعقيد ـ ذلك الشعور الغريب بالهدوء والســكينة والامان ، الشعور الذى يتولد فى داخلنا عنـدما نكون فى مواجهة محراب عريض بانحناءته الكبيرة الهائلة ، أو حينما نكون فى مواجهة تلك التجويفة الدائرية العميقة لقبــو ممتد بعيد الغور ، هذه التجويفات التى تجذبنا اليها ونشدنا فى قلبها فى صمت غريب ومثير .

والدراما التى تعالجها تماثيل هجرس هى دائمــا دراما الواقع البســيط دراما الحياة اليومية العــادية ، فى أكثر درجاتها تكثيفا وحدة . ويتأتى ذلك للفنان فى القائه الضوء القوى المركز كالوميض ليكشف لنا عن جزء من حركة ، عن لحظة من الزمن ، عن حركة خاطفة تمتلك كل الشحنة الانفعالية لعالم بأسره. وهناك تمثال من أشد تماثيل هجـرس تعبيرا عن هذه الفكرة ، وأكثرها تجسيدا لهذه الرؤية الفنية انه « تمثال عمال الجبل » ويكشف لنا هذا التمثال عن لحظة المعاناة العنيفة لحظة المجهود المضنى الذى يبذله عمال البناء فى حمل بعض الاثقال . أربعة من العمال يبدون أمامنـا ككتلة مترابطة متلاحمة أشد التلاحم ، تخطو مندفعة بكل توتر نحو الامام . ان الاثقال الهائلة التى يحملونها تنوء بها أجسادهم الهزيلة وتضغط عليهم وتعتصرهم .لكنهم يقاومون كل ارهاق وتعب ومشاق . لذا تبدو أجسادهم متوترة ، مشدودة ، متقلصة . فى هذا التمثال نستطيع ان نلمس بكل وضوح مدى الترابط العميق ، مدى التفاعل المثير الذى يتحقق بين الكتلة والفراغ . ان الفراغات التى تتخلل هذه الكتلة المتلاحمة لاجساد العمال الاربعة ، قد خلقت ايقاعا نغميا مقابلا ومضـادا لذلك الايقاع الماثل فى الكتلة المصمتة المترابطة ايقاعــا مفعمــا بالصراع ، مشحونا بتوتر غريب . ونلمس نوعا من التفاعل المتبادل بين الكتل المتلاحمة وبين هذه الفراغات المتواترة ، المتقطعة ، التى نراها تشغل ابعادا ومساحات شديدة التنوع والتباين ، والتى تتراوح بين فراغات واسعة مفتوحة رحبة ، ومساحات ضيقة متقلصة مخنوقة . ان الكتلة هنا انما تخلق الفراغات المحيطة بها ، بقـدر ما تساعد هذه الفراغات فى اشاعة الحركة فى الكتلة المصمتة . نحن هنا نلمس نوعا من الدفع والدفع المضاد ، نوعا من الضغط والانطلاق بين الـكتل

سـعيد العـدوى فى ذكراه الثانيـة

.. كى لا يمـــوت مـــرتين !

فى الذكرى الثانية للفنان الراحـل سعيد العدوى [١٩٣٨ ـ ١٩٧٣] ، اصدر جماعة من اصدقائه كتابا تذكاريا، يضم بعض ما كتب عنه ، بعد رحيله ، كما يضم صورا لبعض أعماله وتحليـلا تفصيليا لها .

عن ســعيد العدوى كتبت **فاطمة العرارجى** : « اننا نلاحظ فى أعماله للوهلة الاولى الحلول المبتكرة التى تنم عن قـدرة ابداعية متطورة وديناميكية ملحوظة ، واستخدامه المباشر للالوان القوية بجرأة تقابلها حساسية مرهفة فى استخدام اللون ، وانه على الرغم من ميله للتجديد الى حـد كبير ، الا ان العناصر نفسها والاشكال المجردة التى يتوصل اليها فى النهاية كانت مأخـوذة من الطبيعة المحيطة به ، وحين نقول الطبيعة فانما نقصد كل ما له وجـود ملموس حولنا ، كذلك فان المعالجـة تميل الى تسطيح العناصر وعدم اللجوء الى التأثر بها بطريقة واضحة ، وان كان التأثر الوجدانى قد سـبق التأثر الواعى بمدة .

« ونراه بعد ذلك فى أعماله الاخذة بقدر أكبر من التجريد فى اسـتخدامه الخط العربى ومشتقاته ، أو بالاحرى لروح الخط العربى ومنحنياته كعناصر تشكيلية ترى وتحس ولا تقرأ ، وهى فى أغلب الاحيان ليست حروفا عربية حقيقية حتى يمكن قراءتها ، بل تجارب وتآليف ذات طابع زخرفى مستوحاة منها ، ثم نراه أيضا فى العلاقات التركيبية التى تربط بين عناصره المجردة فى عـلاقة زخرفية تستطيع أن نستنتج منها تأثره العميق بالعلاقات الزخرفية فى الفنـون الشرقية ولو أنه يعيد صياغتها فى قالب حديث يناسب الاتجاهات الفنية المعاصرة وأسلوبه الخاص .

« كذلك نلمح أثر البيئة الشعبية فى عناصر أعماله التجريدية المأخوذة عـن الهـلال والحجـاب والعين الحارسـة والشمعدان وعروسة المولد ونبات الصبار وغيرها .. وان كنا لا نستطيع دائما أن نهتدى اليها بسهولة نتعرف على جذورها الوجدانية بالنسبة له الا اذا كنا ندرك سلفا ما نبحث عنه .. خاصة اذا تداخل أكثر من عضو فى تركيب جديد مبتكر ، أو كان العنصر مأخوذا عن خبرة بصرية خاصة بالفنان نفسه ، مارسها منذ زمن بعيد » .

● وتحت عنوان « **فنان لا يعوض** » **كتب أحمد فؤاد سليم** :

« لقد بدأ ســعيد العدوى حياته الابداعية بمنهج علمانى بحت ، فقد كانت تسبقه دائما هذه التسـاؤلات الثلاثة : [لماذا] ، [ومن أين] ، [وما السبب] ، ولذلك لم تكن قضية الابداع عنده مجرد انطباع آنى ، أو مجرد مساحات ذات وجودات علوية ، فلم يكن سعيد العدوى أحادى النزعة ، بل كان من أولئك الذين يؤمنون بأن العقل هو قمة الوجـدان الانسـانى ، وبأن الوجدان هو الطاقة التى تمثل قوة الدفع

والفراغات ، أى نوعا من الانفعال وردود الانفعال المتبادلة المستمرة التى لاتتوقف، بين هذين العنصرين المتضادين .

ان هذه الفراغات هنا انما هى أشبه بتلك السكتات التى تخال اللحن الموسيقى ومهمتها الاساسية هى الربط من ناحية وتحديد معالم الاشياء واظهار فردياتها من ناحية أخرى . ان الوقفة فى الموسيقى كما يقول « جون ديوى » « ليست فراغا، وانما هى سكون ايقاعى يتخلل مايؤدى فضلا عن أنها فى الوقت نفسه تقذف بالواقع نحو الامام بدلا من أن تشل حركته او توقفه تماما عند النقطة التى تحددها» فى هذا التمثال نلمس بوضوح كيف يتحقق نوع من المعارضات المتبـادلة بين الكتل والفراغات ، لذا تصبح الطاقة هنـا مشدودة متوترة دائما . وبسبب ذلك فاننا نراها تنتشر على شكل امتداد منظم ، منسجم ، متلائم .

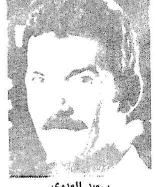
التجريد والتعبيرية

ان الجانب الجوهرى من الاسـلوب التعبيرى الذى يميز أعمال هجـرس انما يتركز كله فى تلك المحاولات المستمرة الدائمة التى لا تفرغ من أجل استخلاص الخطوط المشحونة بأكثر القيم تعبيرا التى نراها كامنة فى الموضـوع ، وذلك فى سبيل تجسيد الفكرة الاساسية التى تجول بخاطر الفنان . ان الفنان يستمد أشكال موضوعاته الاساسية من الواقع .ونقطة البدء فى اسلوبه الفنى انما هى العمل على تلخيص هذه الاشكال واستخلاص أكثرها تركيزا وتبلورا كل مجهود الفنان موجه نحو استخلاص خط أو مجموعة من الخطوط تقول لنا كل شيء ، تعبر كل التعبير عن الاحساس الذى يهدف اليه الفنان ويريد خلقه وتجسيده . فقد يكون خطا حادا مستقيما . تمام الاستقادمة .. ليمكنه أن ينقل لنا الاحسـاس بالحدة والصراحة والقوة . وقد يكون خطا منحنيا يعبر الفنان عن طريقه عن الاحساس بالليونة والدعة والهدوء الكامن فى الاشياء .

ان الفنان هنا يستخدم أسلوب التجريد أو النزعة التجريدية من أجل هدف تشكيلى أو تكتيكى بحت . غير أن فنه ، فى الواقع لا يعرف التجريدية المطلقة . فباستمرار نستطيع أن نتعرف فى تماثيله ، حتى أكثرها تجريدا ، على أشكال فى الطبيعة لم تنطمس معالمها الاساسية انطماسا نهائيا . فهاهنا نجد جزءا من وجـه أو جزءا من جذع انسانى ، أو أجزاء متبقية من ساق شجرة من الاشجار أو ثمرة من الثمار ، **غائصة** فى قلب مساحة كاملة التجريد والتسطيح :. ان هـذا الاسلوب الفنى الذى نلمس ملامحه هنا انما هو أسلوب فنى، على النقيض، اذن من النزعة التى تعرف بالنزعة التجريدية المطلقة ، والتى تصل فى تلخيصها الواقع الى الحد الذى تفقد فيه كل صلة تربطها بموضوعات الطبيعة ، بموضوعات الواقع الخارجى ، مع الاكتفاء بمجموعة من الخطوط أو المسطحات المجردة ، التى لا تشير فى أية ناحية من النواحى نحو موضوعات الطبيعة الخارجية ، ان الاشكال النحتية التى نجدها فى نحت هجـرس لا تقطع أبدا صلتها بالواقع . انهـا تستمد من الواقع محتواها الحقيقى ، كما تستمد منه جوهر وجودها .

وكثيرا ما ينجح الفنان فى خلق أو توليد ذلك الاحساس المركب والشعور المكثف الغريب الذى يأتى من تزاوج أو تلاحم الخطوط المنحنية المقوسة والخطوط الحادة المستقيمة . كما ترى ذلك بكل وضوح فى تمثاله الخشبى الكبير «**عمود أفريقى**» الذى يعد تنويعا على لحن جميل يجمع بين الخطوط الحادة المستقيمة والخطوط اللينة الرخوة ، لحن يقيم نوعا من الحوار العميق المتبادل بين الخطوط أو المسطحات

العليا فى تحرير العقل ، وعلى الرغم من ان سعيد العدوى ظل يرفض لوقت طويل دور العقل فى عملية الابداع ، الا ان أعماله فى التصوير والرسـم والحفر والنحت تفضح شيئا مخالفا ، اذ كانت تكشف عن طبيعة ثورته على المواضعات الظالمة فى المجتمع المصرى ، بل وعلى تلك المتليات المهينـة التى عاشت فى الوجدان المصرى بفعل القهر الاستعمارى والفقر الطويل ، ولذلك فقد كان سعيد العدوى ممزقا بين حقيقته هو ، وحقيقة الناس من حوله ، معذبا بين المـراد واللامراد ، بين الطبيعة والميتافيزيقا ، بين الواقع والاسطورة ، بين العقيدة والميتولوجيا ، بل بين مايريد وما يحب ، وبين ما يريد وما يستطيع ، ولذلك فقد كان رسم سعيد العـدوى النجوم والنمل ، والقمر والانسـان ، البحر واليابسة ، الفرح والجنازة ، الرجل والسيف ، الحربة والشطرنج ، الحاوى والحـزن ، العمل والتعب ، الحمار والانسان ، الثعبان والعصفور، السلحفاة والفارس ، المحارب والمهرج ، الوردة والصبار ، ثم مجاميع الجوقات التى تمثل العالم الكونى عند العـدوى مثل الفطريات الارضية ، والاعشـاب



سعيد العدوى

الوحشـية ، والزواحف المهـومة ، والطفيليات الميكانيكية ، والقطط والفئران، والحمير والجاموس ، والبوم ، وحشرات الارض جميعا . انه عالم مهين وملعون، عالم يتوجب علينا أن ننهض لشجبه وفضحه على الفور ، انه مزيج مـن الفسـاد الهائل أمـام التزييف العلنى لمأساة العجز الشعبى . » .

● وكتب **د. نعيم عطية** ، بعنوان « **لغة سعيد العدوى وما وراءها** » .. يقول :

« والان .. ما مصير أعمال سـعيد العدوى ؟ ان المتعة التى نشعر بها ونحن نرى رسوم العدوى هى متعة مشـوبة بالهلع ، فنحن ربما لا نلتقى بهذه الاعمال مرة أخرى ، أو اذا التقينا بها مـرة أو مرتين فمصادفة أو لقاء مبتسرا .

« ان السؤال الذى يقفز الى الذهن هو : هل يستطيع الجهاد البطولى لاسرة الفنان وبعض أصدقائه أن ينقذ هـذه الاعمال بشكل حاسم من الضـياع ؟ ان كل جهد فردى تحت ضغوط الحياة يتبدد وينتابه الفتور من فرط الاعبـاء والاعراض والتجاهل .. ومن ثم ليس هناك من ملاذ سوى الدولة فى مثل هذه الحالات ، ولذلك فنحن نهيب بأجهزتنا الفنية المعنية قائلين : أنقذوا هـذه الاعمـال ، أغنيـة الوداع لا تتركوها تتبدد ، فهى أغنية صعبة التكرار ،مهما بدت لكم بساطتها .. انها بساطة مفجعة فحـذار أن تقصروا فى واجبكم .. حذار ! » ..

ترى .. هل تسمع هذه الصـيحة أحدا ؟ .. من أجل أن يعيش سـعيد العدوى .. ولا يموت مرتين . □

التى تصنع زوايا حادة والخطـــوط أو المسطحات اللينة المقوسة ذات الاشكال الدائرية . فنحن فى هذا التمثال نعايش عن قرب شديد ذلك التفاعل اللانهائى الذى تبتعثه شتى الاحاسيس المتباينـــة المضطرمة التى تعطيها لنا تلك الاشكال المتنوعة المتداخله ــ فى نسيج عضوى متكامل ــ والتى تمثل مجموعة من الوجوه حادة التقاطيع، والاقنعة الافريقية الغريبة، والايدى الممتدة ، والاجسام المقوســـــة الملفوفة التى تطالعنا على الامتداد الدائرى للتمثال . والتى تتفاعل هنا تفاعلا عضويا مع مجموعة من الاشكال الهندسية من المربعات والمثلثات والدوائر . ان العين هنا تستشعر المفاجأة التى تعطيهـــا الاشكال ذات الزوايا الحادة ، بينمـا تستشعر نوعا من الراحة والهـــدوء والسكينة وهى تتابع مدى السلاســـة والانسيابية والرقة المتناهية التى تعطيها لنا الاشكال ذات الخطـــوط الدائرية المنحنية المتوسة .

●●●

ويتبع الفنان محمد هجرس فى هذا المعرض تقليدا جديدا ، ويحرص عليه .. فقد أراد أن يشاركه فى اقامة هذا المعرض أحد تلامذته الذين يتتلمذون عليه فى مرسمه المعروف المقام فى مدينـــة حلوان . وهو كما نرى تقليد جميل ، كما أن له دلالته البعيدة . فالفنان الكبير هنا يسعى الى اتاحة الفرصة الملائمة لتلامذته كى يمكنهم أن ينخرطوا فى دائرة الضوء ، وأن يتعودوا على مواجهـــة الجمهور واقامة العلاقة المتواصـــلة المستمرة معه . وهى مسألة لهـــا ، بلا شك ، آثارها البعيدة على الفنان ، وعلى انتاجه ونحن يمكننا أن نلمس من خلال القطعة النحتية الوحيدة التى شارك بها تلميذ الفنان هجرس فى هذا المعرض، كيف أنه حقا فنان واعد ، لاتنقصـــه الاصالة ، ولا الاحساس الفنى المرهف ولا المقدرة الحقيقية فى السيطرة على أدوات النحت الاساسية التكنيكية . ان اسلوبه الفنى هو امتداد لاسلوب استاذه وهذا ليس غريبا فمن الطبيعى أن يتأثر به . الا أننا نلاحظ بوضوح أن هـــذا التأثر قد جاء نتيجة فهم عميق واستيعاب حقيقى . أن تمثال « حمال » للفنـــان الشاب محمد خليل يكشف لنا من نفس الخصائص الفنية الماثلة فى اســـلوب استاذه : نفس الرؤية التعبيرية ، ونفس الدراما ، ونفس الرغبة فى التعبير عن الاحساس بالمعـــاناة والصراع . كما نصادف فى هذا التمثال تلك الخصائص التى تميز اسلوب هجرس النحتى الذى يجمع بين الرشاقة والرقة والبســـاطة وبين نوع التكتيل والغلظة ، بين الخطوط السلسلة الممرودة والمسطحات الصافية الواضحة فى تفاعلها مع الخطوط الحادة المتقطعة والمسطحات الخشنة الملمس ☐

محمد شفيق



سان جون بيرسى عن الانســـــان والطبيعـــــة



لمعت الينا الصحافة الادبية الشـــاعر الفرنسى الكبير سان جون بيرس وعلى صفحات مجلة « لى نوفيل ليتريرر » بعددها الصادر فى الخامس من اكتوبر ١٩٧٥ ، ويروى ماكس ــ بول فوشيه ذكرياته عن لقاء تم بينه وبين سان جون بيرس عام ١٩٤٨ ، فيقول : تم هـــذا اللقـــاء فى واشنطن حيث كان يعيش الشـــاعر . وفى طريقى اليه كانت الطائرة تحلق فوق المسافات الشاسعة من الارض الامريكية وكم كان شعورى عميقا ، وأنا أقـــرأ قصائده ، بالتجاوب التام بينها وبـــين الفضاء الامريكى الرحيب . فى منزل بالغ البساطة والنظام ، التقيت بســـان جون بيرس تحدثنا عن فرنسا فى السنوات العشر الاخيرة ، عن مستقبلها كان سان جون بيرس شديد القسوة فى الحكم على الجنرال ديجول . يشعر بالقلق لما يتهدد

الديمقراطية فى بلاده . ثم اخذ الشاعر يتحدث بمــودة عن الاحجــار والحشرات والنباتات واظهر معرفة واسعة بهــذه الاشياء التى قد يخيل للبعض انها لاتعنى سوى المتخصصين . وعندما يتحدثسان جون بيرس تشعر بان الوجود يمثل امامك ويتنوع ، يتشعب ويتشابك ويتحد . على المرء أن يسمع سان جون بيرس يتحدث كى يدرك معنى الكلمة !

ويكره سان جون بيرس الربط بــين شخصية الشاعر وشخصية الدبلوماسى، بين سان ــ جون بيرس والكسيسليجيه، وقد كتب فى أحــد خطاباته يقــول : « ... فليهتم الناس بأعمالى وليتسوا شخصيتى تماما،فهى ليست ملكا للقارىء ان أى ربط بين سانجون بيرس والكسيس ليجيه يؤدى دون شك الى تشويه القارىء وافساد فهمه للنص الادبى .. »

كان سان جون بيرس عندما يتحــدث يتأنى فى اختيار كلماته ، ويصوغ بعناية كل عبارة قبل أن ينطق بها . فكان مثل الصينيين جم الادب ، واثقا من نفسه . اما ثقافته فقد بلغت الذروة . وكل هذا يكلفه احترامه الشديد للانسان .

هو شاعر لا يقول الا ما يعــرف . الكلمة هى امتلاكه لناصية المعــرفة . فالشاعر فى رأيه سيد هذا العالم . وهو مثل القائد أيضا يصــدر كلمته حازمة ، تحاصر القارىء وتستحوذ على حريته .

أما جيرار سبيتيرى فيكتب عن ســان جون بيرس مقالا بعنوان « **أمير المنفى** » يقول فيه :

« ان الشاعر الذى آثر أن يبقى فى الظل طوال حياته . على الرغم من منحه جائزة نوبل فى الاداب هو ذاته شاعر الاضواء الساطعة والاشراقات الخفيــة الموحية التى تكسو المساحات الشاسعة. وقد بعث هذا الشاعر ذو النظرة الباردة الحياة فى كثير من الاشياء الجامدة . وأزاح هذا الدبلوماسى الذى يكره الاذواق الرسمية النقاب عن عوالم خفية لم يسبقه اليها أحد . لقد عاش سان جون بيرس حياة غريبة قامت على ازدواجية أساسية، آثر أن يتعداها بالغرق فى مياه المنفى الداخلى . وقد ظل سان جون بيرس يبحث عن شىء مفقود ، عن ســعادة ضائعة ، ولا يستطيع أن ينسى مسقط رأسه ، تلك الجزيرة الصغيرة التى لاتكاد تظهر على خرائط الجغرافيا . وفى بحثه الدؤوب ذاك ، صار بلمسة الكلمات يبعث الحياة فى العديد من الاشياء ، من شجر وماء وحجر وريح وقش وأطياف . وعلى جناحى خياله الفريد رحل الى زمن لايعرف حدودا ، والى مملكة سعيدة نصبته عليها أميرا .

ولئن اتهم سان جــون بيرس كثيرا بالغموض ، فأحد أسباب ذلك استعماله للعديد من المصطلحات ذات التخصص الدقيق المستنبطة من علوم الطبيعة والبحار والجيولوجيا وصور الادب الشعبى فى جزيرته الحبيبة . ومن منفاه البعيد تفد الينا قصائده فنشعر باننا جميعا منفيون والى الابد .

رأينا كيف يتمسك سان جون بيرس بأن حياة الكاتب ملك له وحده ، ولا شأن للقارىء بحياة الكاتب وشخصيته ، ولذلك فهو يرفض الحديث عن نفســه ، ويقدم قصائده وأعماله الادبية منبتة الصلة به. ولا يدلى بأى تاريخ لكتابتها أو أى ايضاح عن ظروف صياغتها. أنها موجودة فحسب ولكن من الجدير على أى حال أن نلم ببعض الجوانب من حياة سان جون بيرس، لنزداد فهما لذلك الصرح الشامخ من القصائد التى خلفها لنا .

حياته

ولد مارى ــ رينيه الكسيس سانليجيه [الذى أطلق على نفسه اسم ســان جون بيرس] فى ٣١ مايو ١٨٨٧ على جزيرة الجاديلوب حيث أمضى طفولته ، ثم رحل الى فرنسا عام ١٨٩٨ حيث درس الاداب ، كما درس القانون والعــلوم والفلسفة وتعرف بالشاعر فرنسيس جام والروائى آلان فورنيه فأثرا فيه . وبدأ يكتب الشعر عام ١٩٠٤ فألف عملين من أعمال الشباب هما « **صور الى كروزو** » و « **من أجل الاحتفال بطفولة** » .

دخل سان جون بيرس بعد ذلك مسابقة عقدتها وزارة الخارجية الفرنسية ونجح فيها ، فالتحق بالسلك الدبلوماسى سكرتيرا لسفارة بلاده فى بكين عام ١٩١٦ . وفى عام ١٩٢١ ترك الصين الى كوريا واليابان ومونغــوليا وآســيا الوسطى حيث كتب « **اناباز** » التى نشرها عام ١٩٢٤ باسمه المستعار « سان ــ جون بيرس » وبعد ذلك ظل يكتب الشعر ولا ينشره ، فقد رفض أن يصدر أى ديوان أثناء عمــله بالسلك الدبلوماسى ، وفى عام ١٩٣٢ عين سفيرا لبلاده حتى عام ١٩٤٠ . وازاء رفضه لاستســلام فرنسا للنازية اتهم بأنه داعية حرب ، فرحل الى انجلترا ومنها الى الولايات المتحدة حيث عمــل مستشارا لمكتبة الكونجرس بواشنطن . وما لبثت قوات الجستابو أن استولت على بيته فى فرنسا وصادرت ممتلكاته ، ومن بينها سبعة أعمال أدبية كاملة . ولم يعد سان جون بيرس الى فرنســا بعد ذلك الا لقضاء بعض أشهر الصيف اعتبارا من عام ١٩٥٨ .

وفى عام ١٩٦٠ منح جائزة نوبل فى الادب . وقد شبهت أعماله بالصخرة التى تقف فى وجه الزمن والاعاصير . وتصبح بفضل الصمود الطويل والمقاومه صخرة شمّاء . **وتسيطر على عطاء سان جون بيرس الشعرى فكرة المنفى ، فكل مكان فى العالم منفى ، وتتردد فى قصــائده كثيرا فكرة الرحيل . ولا يجعل سان جون بيرس من ضوابط القافية قيودا له ، ويستعيض عنهــا بتــكرار العبــارات والايقاعات وبالمجانسة الصوتية فى عبارتين متجاورتين . ويشــبه جان بيير روستى الناقد الادبى لمجلة " لى نوفيل ليتربر " أعمال الشاعر الراحل بالكاتدرائيــة اذ أن معمــارها سر قوتها وجمالهــا ، بأعمدتها وقبابها التى ترجع الصدى رنانا طليا . ان قصائد سان جون بيرس ــ على حد قول الناقد الادبى للمجلة ــ قداس مهيب الكلمات ، يرقى بنا الى خارج حدود الزمن .**

أعماله

الطفل والطبيعة :

واذا بدأنا بــ « **صور الى كروزو** » التى كتبها سان جون بيرس فى السابعة عشر من عمره فستفضح لنا ذكريات حية لطفولة منبهرة مشــدوهة : لقــد عاد روبنســون كروزو الى عالم البشر ، ولكنه ظل بين الحوائط والصخب غريبــا فى المدينة . ويصفها قائلا « مع النهر تنسكب المدينة الى البحر ، جرحا ينزف » وبين أسوار المدينة يتوق كروزو الى المنفى ، وينتظر من الرياح أن تحمله بعيدا . ويتعلق بالسماء التى تميل على البحــر مقتربة من مياهه لامواجه ، ويتوق أن يرحل مع سحبها تلك « الورود الكبيرة التى تتحرك مسافرة » .

أما القصائد الست التى كتبها سان جون بيرس قبــل ثلاث سنوات من صــدور « صور الى كروزو » فقد أطلق عليهــا عنوان : « **من أجل الاحتفال بطفولة** » وهى تتغنى بالوداعة والسكينة ، وتحكى عن طفولة قضيت بين أحضان الزروع الخضراء وفى صحبة الحيوانات الاليفة. وفى ذاكرة الشاعر تتداخل رؤى الموجودات كلها .

.. والمساء أيضا كان شمسا خضراء
السماء تمنت أن تكون اكثر عمقا ،
وتمنت الارض أن تكون صماء .
آه ، يا ورودى الكبرى ، ياورودى المتوحشة ، تلتهمين بين أوراقك الحمراء اجمل حشراتى الخضراء ! .
... الورود
تموت وهى تطلق صرخات الببغاء »

يسود الوفاق التخيل والاقطان ، يسود الوفاق الزروع والزراع .

يعيش الصبى العالم فى رعاية الابوين، وأخت لا تلبث أن تموت ، وخادمة موفورة الصحة قوية البدن ، ويقتحم البحر حياة الاسرة ، ويفرض وجوده برزقته وأمواجه ورياحه . فالمنزل الخشبى يطل على الجزيرة ، وتطل الجزيرة على البحر ، والبحر ينفتح على السماء ، فتدخل أيضا بضيائها وسحبها كل الغرف » . تجرى الأولاد الى الشاطىء ! تجرى الخيول الى الشاطىء !.. مليون صبى بأجفان مثل الشمس .» ..

تسابيح للطبيعة

وعن الفرحة بالحياة يعبر ديوان « المدائح » وبسعادة اللحظة يسبح . وهو يزخر بالصور المتتابعة لساعات النهار على الجزيرة التى عاش فيها الشاعر سنوات صباه . وتبدو قصائده من خلال استرجاع ذلك الماضى الجميل حافلة بحكمة العرافات ومعارف لا تستوعبها الكتب ونبوءات بالمستقبل . وهذه القصائد لا تحكى ولا تشرح بل تعبر وتنفث فى وجدان القارىء أحاسيس تفرض سلطانها وتسيطر . ان « مدائح » الشاعر هى فى النهاية تسابيح بحياة الفطرة على الجزيرة ، وانحناء أمام روعة الطبيعة ، التى تتمثل فى شكل عصفور غوسفورى أو زهرة راجفة .

من الجنة الى الملحمة :

على أن الشاعر بعد أربعة عشر عاما يترك هذه الجنة المقفلة متجها الى رؤية ملحمية واسعة . وتحل محل قصائد الانفعال السريع العابر قصائد ذات مقومات ثلاثة ، هى النظام والارادة والمنهجية . وقد تجلى كل ذلك فى ديوان سان — جون بيرس اللاحق بعنوان « أناباز » وقد رأى بعض النقاد فى هذا الديوان مجرد عرض لحملة عسكرية تجرى فى أخيالها نتائج حضارية . على هدى من « أناباز » المؤرخ والفيلسوف والقائد اليونانى كسينوفون أحد تلاميذ سقراط ، وقد كتب عن غزوات الاسكندر الاكبر .

وقد قسم ت.س. اليوت ديوان سان جون بيرس الى عشرة اقسام : [١] وصول القائد المنتصر الى المكان الذى سيقيم فيه المدينة [٢] التخطيط للمدينة [٣] استشارة العرافين [٤] تشييد المدينة [٥] النزوع الى فتوحات جديدة [٦] الاعداد لحملات جديدة [٧] اعتزام الرحيل [٨] السير فى الصحراء ، [٩] الوصول الى حدود بلاد جديدة واسعة [١٠] احتفالات ، ولكن يبدو أن رحيلا آخر سيتم هذه المرة من طريق البحر .

هذا تخطيط عام للقصائد العشر التى يتألف منها الديوان الذى اتسم بكثير من الغموض ، مما دعا شاعرا كبيرا مثل اليوت أن يضع عشر نقاط ارتكاز لفهمه والجوس بين أرجائه . ولا يحكى هذا الديوان فى الواقع شيئا محددا من التاريخ القديم أو الحديث ، كل مافى الامر أن الشاعر قد اتخذ لنفسه لحظة مواتية — وان كانت مبهمة وغير معينة — ليصب من خلالها فكرته المحورية عن كبرياء الانسان وعظمة الكفاح الانسانى . ولانجد فى ملحمة سان جون بيرس هذه بطلا اسطوريا مثل يوليس أودولان ، ولا حتى الانسان عبر التاريخ كما عند فيكتور هوجو [١٨٠٢ — ١٨٨٥] فى « أسطورة الاجيال ! بل ان سان جون بيرس انما يعبر فى ملحمته عن « الحياة ذاتها » من الاشياء وملامسة الانسان لها . ان الحياة الانسانية حركة من « الرحيل » لا يهدأ لها قرار . كما تخلو ملحمة سان جون بيرس من المعجزات التى تزخر بها الاعمال الملحمية عادة بل وتخلو أيضا من الخوارق ومن تدخلات الالهة فى مصائر البشر . انه يجرد عظمة الانسان من كل هذه الدعائم الاضافية ويجعل الجهاد من أجل الارساء والتشييد عملا متواصلا تنفخ فيه رياح دفينة تهمس بأن على الدوام ثمة أرضا تنتظر من الانسان أن يخرج فى طلبها . ان القارات الجديدة ليست « كشوفات جغرافية » فحسب بل هى مصير وأسلوب حياة .

واذا كان من العسير تحديد البلدان التى يتحدث عنها الديوان الذى كتبه سان جون بيرس أثناء اقامته بآسيا ، الا أن من الجلى أنه انما يتغنى بأى صحراء تقهر ، وأى أرض خراب تعمر « فالسنة التى أتحدث عنها أكثر السنوات عظمة ، والبحر الذى أسال أعظم البحار قاطبة » فى القصيدة الاولى يحدد الشاعر هدفه «أن أثبت أركانى .. وبشرف أتنبأ للارض التى أرسيت عليها قانونى » وهو يقدر قوته حق قدرها ، ولكنه يؤثر أن يعيش بين البشر انسانا :

« المجد كل المجد على أعتاب الخيام !
ان قوتى عندكم ! » ...
أيتها القوة ، اعتدت أن تبلىء دروبنا بالغناء .
أيها الرجال ، يامن لا وزن لكم فى ذاكرة هذه الاماكن ...
يامن تبحثون فى قشرة الارض عن ينابيع المياه ...
أنتم ، يا أيها الرجال ، من التراب صنعتم » .

ثم تمضى بنا القصيدة الثانية من السكينة الى القلق ، وفى القصيدة الثالثة تبدو الحيرة والشواغل « الانهيار فى مجراها تشبه صرخات النساء » « نحن ندهش منك ، أيتها الشمس ! قلت لنا أكاذيب كثيرة » وبعد التردد يأتى العمل الكبير الذى يشارك فيه الامير والجندى ورجل الدين بل وعالم اللغة أيضا . وفى هذا العمل الجماعى يعرف كل واجبه . المدينة تشيد من حجر وبرونز . « الحدادون مسيطرون على نارهم » وفى النهاية يأتى البناؤون يسلمون مفاتيح المدينة ، وقد اكتمل بناؤها . ثم تبدأ احتفالات الافتتاح ولا يستغنى الامر من بعض الطقوس ، « فلتحرق وسط الرمال امرأة » .

لقد شيدت المدينة ، ولكن القائد بين أسوارها بدأت تراوده تطلعات بعيدة . سئم البشر الذين استكانوا من حوله . وراح يصبو الى غزوات جديدة . وفى القصيدة الخامسة يقول القائد « أفكارى عسكرت تحت أسوار بعيدة .. انى امقتكم جميعا ، بحنان أمقتكم .. أنشد العزلة .. وسأرحل .. لم أطلب من أحد الانتظار .. عندما أريد ، سأذهب الى هناك » .

أما القصيدة السادسة فهى نشيد احتفال بما تم من انجازات وبما سوف يتم منها أيضا . « أعمال بلا حصر ، و حدود ، أرادات قوية ، وعزائم متشعبة .. سوف ترون كيف نتصرف ، نجمع شمل الامم . عشرون شعبا ، بكل اللغات يتكلمون ، يخضعون لقانوننا» .

ولقد جاء قرار الرحيل فى القصيدة السابعة » فلن نسكن هذه الارض الصفراء طوال عمرنا « ويبدأ الرحيل فى القصيدة الثامنة » قوانين هائمة . ونحن أيضا هائمون . « وعند كل منعطف يكتشف القائد بلدا جديدا ، كاذبا ساحرا ، خلابا مخادعا » وانى أعلنك بأزمان الجمائل الكبيرة ... ان الذين يعرفون الينابيع هم معنا فى هذا المنفى » .

وتنتهى « اناباز » باستعراض شبه موسوعى لكل من شارك فى تشييد المدينة وأفاد من جهود القائد البناءة ..

المنفى :

بعد صمت طال سبعة عشر عاما قضاها الشاعر فى عمله الرسمى بالسلك الدبلوماسى ، وحيدا على أراض غريبة ، يجىء ديوانه « المنفى » الذى يرثى كل من أصابته جراح .

وديوان « المنفى » — كما يقول الناقد الان بوسكيه — « وثيقة اعلان لحقوق الشاعر » .

« أبواب مفتوحة على الرمال ، أبواب مفتوحة على المنفى ، .. يا مضيفى اترك لى بيتك الزجاجى وسط الرمال » .

وكما رضى الشـــاعر فرنسيس جـــام [١٨٦٨ ـ ١٩٣٨] بالالم فى قصيدته « صلاة من اجل أن أحب الألم » يرضى سان ـ جون بيرس بالمنفى . يقبـله ويألفه. ويتغنى به . يصبح المنفى هـو الحقيقة الثابتة الابدية . والعالم منفى واسع ، يهيم فيه منفيون ، هم البشر جميعا .

« كرم أيها الامير ، منفاك ! »

« أيها الغريب ، على شواطىء هـذا العالم كلها ، لايستمع اليك ، ولايشهدك أحـد ...

... حانت الساعة ، أيها الشاعر ، كى تنكر [اسمك ، ومولدك ، وأصلك »

الرياح :

كان لابد للشاعر فى هذا المنفى أن يعثر على قوة يتشبث بها . وقد وجـد سان ـ جون بيرس ماينشد فى الرياح . انها تنقص ، وتدور ، وتتجمع وتهمس، وتزمجر ثم تتبدد . أنها تهدم وتبنى . انها الحياة ذاتها .

وتبدأ القصـــيدة الاولى مـــن ديوان « الرياح » برؤية هوميرية : عالم بأكمله تسوده الرياح ، تســـود على البشر ، وعلى الاشياء وعلى الكلمات :

رياح عاتية هبت على كل جوانب هذا العالم ...

رياح عاتية ، جذلة ، هبت على العالم، وما كان لهـا عش ولا مأوى .

ما كان لها حارس ولا حدود . أمانحن فتركتنا رجالا من القش .

فى عام القش ، اطلقت من عقالها ..!

آه ! اجل ، رياح عاتية هبت على وجوه البشر ! »

وترمز الريح هنا لقوة مهولة ، وتنبىء عن احساس عميق بعظمة تلك القـوة وضرواتها ، فهى تفك الحصاة من الصخر، وتنزع الورقة عن غصن الشجرة ، وتحرك الكواكب والبشر . وهى احدى دعائم التقدم . مما يفتح الباب أمام الشاعر الى العلم والعلماء . ورجل العلم الذى يتحدث عنه سان ـ جون بيرس متعطش للمعرفة وللقوة معا . وهو يتعجل الامور دائما ، ويخشى أن يضيع الوقت منه . ان ريحا جديدة تهب وقد تنفض « برج بابل » الذى بناه . بل والذى يبنيه كل يوم ، فتأتى الرياح وتعصف به فيعيـد البناء . ومن أزمان بعيدة يبحث النـاس عن وسائل لمقـاومة الرياح . « نقب الباحثون عن الطرق وعن المياه المناسبة فى باطن الارض . ثم جاء رجال المال والتجارة ، ورجال الدين ، وأيضا جاء كبار المصلحين . ومن بعدهم جاء كبار المعارضين ، رجال المخاطر ورجال المنافى وفى النهاية جاء العلماء . وبمجيئهم تشكل وجود بأكمله ، سفينة نوح جديدة شيدت، وراح رجل العـلم يسيرها بين ميـاه الطوفان ، فهو من يملك مفتاح المعرفة يطرد بها من سفينته أمواج الشك .ولكن فى هذا العالم الذى تعبد فيـه الذرة واليورانيوم لحق النسيان بالشاعر . وأغفل الانسان . وقد آن الاوان لاطلاق اشارات الانذار والتحذير . « ان الامر يخص الانسان فى هذا الوجود يرفـع صوته من أجل الانسان ! »

الصوات :

أسرعوا ، أسرعوا اشهدوا للانسان .

بعد أحد عشر عاما من « الرياح » وعلى وجه التحديد عام ١٩٥٧ قدم سان ـ جون بيرس ديوانه « **صوات على شاطىء البحر** » الذى ينقلنا من عواصف السماء الى أنواء البحـار .

« ... انها اغنية بحر ، كما لم يتغن بها أحد من قبل ، البحر الذى بداخلنا ، البحر الذى نحمله ، بصوته الحـريرى وبكل هوائه الرطب . انها اغنية لتهدئة الحمى ليلة ركوب البحر . حلم البحر حلم لم يحلم به احد » .

ويجعل الشاعر نقطة انطلاقه «الصوات» المثبتة على طول الشطئان . والصوة نصب حجرى يوضع كعلامة بارزة يستدل بها المسافر على مكانه من الطريق ، وتقف « الصوات » الضئيلة المجسمة الملموسة فى وجه البحر الهائل مترامى الاطراف الذى لا يقبل الاستحواذ ، فيبين التضاد بين اللامتناهى والمحدود فى رمز يجمع بين البساطة والتعقيد ، بين الطبيعى والانسانى وهذه صفات عامة فى رموز سان ـ جون بيرس فالصوة مجرد شىء صغير ، جماد ينتمى الى عالم الحجارة ، لكنها تنطوى على تلاق بين أهل المـاء وأهل التراب.ومثل طائر النورس الابيض على خلفية من سماء زرقاء ، ينطلق سان ـ جون بيرس من صواته الصغيرة المنثورة على الشاطىء الى البحر الرحيب ،وكملاح متيم عريق يعبر الشاعر عن أشواقه الى البحر فيقول :

« ياصديقاتى ، حلمت كثيرا بالبحر . على كل فراش حب حلمت به » .

وتقذف بحار سان جون بيرس الى الشاطىء بشتى صنوف البشر ، مثـل طحالب وركامات وبقايا تلفظ أمواجهـا بأمراء وسحرة ومهرجين وعذارى ومرضعات وأرامل ، وتجار وحكماء ونهابين ، وشتى صنوف البشر . حتى يصبح البحر عنـد سان جون بيرس مهدا للانسانية كلهـا ببكياتها ومضحكاتها ، ومرآة تعـكس الوضع الانســانى بكل صخبه وهـديره وهمسه وانانوئه وبكل لحظات صـفائه أيضا . أن البحر عند سان جون بيرس حلم يخلطه عاشق بأحاديثه النهارية .

اليوميات :

وفى عام ١٩٦٠ أصدر الشاعر ديوانه « اليوميات » ومالت قصائده الى القصر بالقياس الى قصائده السابقة . ويمكن اعتبار هذه القصائد لحظات خلا فيهـا الشاعر الى نفسه يناجيها ويخاطبها وقد اقتربت الشيخوخة حثيثة .

« ايتها الشيخوخة ، ها نحن ، وبرودة الليل على المرتفعات تهب من البحر الى كل الاعتاب .. كذبت أيتها الشيخوخة . طريق من الجمر هو ، وليس طريقا من الرماد .. الوجه ملتهب والنفس عالية، الى أى اهانة جديدة نسعى ؟ » .

يكتب بيرس عن كرامة الانســان . وانسان بيرس يقف الان وحده فى مواجهة نفسه ، بعد أن هدأت الرياح وكفت الامطار ، وغابت صوات الشاطىء عن العيون . ويغيب سان جون بيرس أيضا فى العشرين من سبتمبر الماضى يغيب شاعر الرياح فى رحلته الطويلة الابدية يفتح جناحيه ويطير الى السماء مثل «عصافير» براك التى كتب عنها ديوانه الاخير .

د. نادية كامل

المراجع :

A. Loran Quin
Saint-John Perse
Galli Mard, 1963

P. Guerre
Saint-John Perse et l'homme
Gallimard, 1955.

A. Bosquet
Saint-John Perse,
Seghers, 1961

Hommage a Saint-John Perse
Les cahiers de la Pleiade,
No X, été-Automne 1960

Les nouvelles litteraires
5 Octobre 1975.





بـــازولينى

عـــواطف شـــاذة .. ورغبـــات مرهقـــة

يقول « بازولينى » فى حديث عن نفسه « فرضت على ظروفى أن اعيش فى الاحياء الفقيرة بالعاصمة . وقد أحزنتنى الحياة فى هذه الضواحى ».. وبداية : يجب الا ننساق فى تصديق ما يقوله الفنان عن نفسه ، خاصة اذا كان من طراز بازولينى، يكتب الشعر، والرواية ،والدراسات والسيناروهات، ثم يكرس طاقته الفنية الكبيرة للاخراج السينمائى .. ذلك أن احاديثه الخلابة، المؤثرة ، اذا لم نتفحصها بدقة ، واذا لمنتأمل أعمالهبعيدا عن التأثر بأحاديثه، ستكون كفيلة باظهاره بالمظهر الذى يريده هو ، وبالتالى سيصبح صعبا أن نصل الى مغزى أعماله .

ان « بازولينى » فى مقابلاته ،غالبا ما يتحدث عن الالتزام ، والواقعية ، والبرجـوازية الجاهلة المنهارة . لكن ليس كل من ينطق بهذه الكلمات يمكن وضعه فى خانة الفنانين اليســاريين ، امثال روزى ودميانو دميانى ، خاصة اذا كان يعترف بين الحين والحين بأن مثله العليا هى : **المسيح ، ماركس ، فرويد « هكذا .. فى سلة واحدة !**

ولد بيير باولو بازولينى فى مارس ١٩٢٢ فى بولونيا ،وقبل أن يتم العشرين من عمره أصدر أول دواوينه الشعرية « أشعار فى كاسارسا» ليتبعه بديوانه الثانى «الشباب الامثل» ،وكلا الديوانين ينتميان للشعر الرمزى بما يحمله من مشاعر مفرقة فى الذاتية ، واخلاص لما تنص عليه اولى مقولات هذه المدرسة « الفن للفن » ، ويتنبه النقاد الى الوشائج التى تربطه بكل من «بودلير» و « ورامبو » . ومع اندلاع الحرب العالمية الثانية ومصرع أخيه وانضمامه الى المقاومة ضد الفاشيست والنازى، بدأ يهجر حاله القديم .. يقول « عشت حياة جديدة،وهى حياة لم أكن اعرفها. لم كن أفكر فيها بعد ذلك . يكفينى اللعب فنيا باللغةوأمكانياتها الموسيقية» وفى عامى ١٩٤٥ ـــ ١٩٤٦أصدر ديوانين متواليين « من مذكراتى ». و « مرتبة » ، ابتعد فيهمـــا عن الرمزية ليقترب من القضايا الانسانية والاجتماعية التىوعته بها الحرب . والى جانب دواوينه التى توالى ظهورها بدأ يمارس كتابة الرواية فأصدر « الفاروبيدو » ١٩٥١ ، أطفال الحياة ١٩٥٥ ، حياة عنيفة ١٩٥٩ ، نساء روما ١٩٦٠ ، حلم شىء ١٩٦٢ . كما أصدر مجموعةكتب تتضمن دراسات أدبية ولغوية . وبدأ منذ عام ١٩٥٤ دخوله علم الســينما عن طريق كتابة ســـيناريوهات لافلام قام باخراجهـــا « بولو جنين » و « لويس ترينكر » و « فلليني » .. وفى عام ١٩٦١ قام باخراج أول افلامه « الشحاذ » حيث توالت أعماله كمخرجعلى النحو التالى: « ماما روما » ١٩٦٢ ـــ « حفلات حب» ١٩٦٣ ـــ « انجيل متى » ١٩٦٤ ـــ « الطيور المفترسة والطيور الصغيرة » ١٩٦٥ ـــ « أوديب الملك » ١٩٦٧ ـــ « نظرية » ١٩٦٨ ـــ « حظيرة الخنازير» و « ميديا » ١٩٦٩ ـــ « الديكاميرون» ١٩٧٠ ـــ « حكايات كانتربرى » ١٩٧٢ ـــ « ألف ليلة وليلة » ١٩٧٣ ـــ « ١٢٠ يوما فى حياة سادوم » الذى مات قبل أن يتمه .

يعتمد « بازولينى » فى مصادر أفلامه اما على التراث أو الواقع ، لكن رؤيته للانسانية والحياة ، سواء فى الاعمال المعتمدة على التراث « أوديب الملك » و « ميديا » ، أو التى تعتمد على الواقع « نظرية »و« حظيرة الخنازير»، تتقارب مع بعضها بشكل ملفت . وهي رؤية فاجعة ، تقترب كثيرا من حدود اليأس،تبدو فيها الحياة حالكة السواد، قاتمة،ويبدو فيها الانسان بالغ الضعف والهزال . عبد الرغبات لا يستطيع كبح جماحها ، منهارا مدمرا ، يواجه قوى أكبر من امكانياته وطاقاته وقدراته ، لذا فان نهايات أبطاله غالبا ما تكون فظيعة ، دامية ، بائسة ، الامر الذى يجعلك تتحفظ وتحترس وأنت تستمتع بمشاهدة أعماله التى تتجلى فيها سمة الخيال وخصوصيته ، الى جانب مهارته الفنية الأخاذة .

وبازولينى فى فيلمى « أوديب الملك» و « ميديا » لا يقدم تصورا أو تفسيرا

خاصا للعملين ، بقدر ما يسحب رؤيتها التراجيدية على انسان العصر الحديث. فهو يبدأ فيلمه من « أوديب » بداية مصرية . فالمشاهد الاولى تدور فى أيامنا هذه . فعند مدخل احدى الكنائس تترك الام طفلها بين ذراعى ضابط . ثم نشاهدهما فى الفراش . وعندما يستيقظ الطفل يمسك به الرجل بقسوة من قدميه . وهنا يرتد بازولينى بفيلمه الى علم « سوفكليس » حيث نشاهد الطفل محمولا من قدميه ويديه على عصا ليواجه مصيره فى الصحراء . وتتوالى الاحداث : يتركه الرجل ليتقدم أحـد الرعاة فينقذه ويسلمه الى ملك كورنته. ويترك أوديب كورنته عندما يعلم بنبوءة قتل والده والزواج بأمه . يتجه الى طيبة حيث تتحقق النبوءة . يقتل الملك عند مفترق ثلاثة طرق ويهزم الوحش الذى يتهدد سكان المدينة ويتزوج الملكـ الام وسرعان ما تحل اللعنة على طيبة فى صورة وباء . ويتحرى أوديب الامر فيتبين الحقيقة حيث تشنق الام نفسها ويقوم بفقأ عينيه . وهنا ينتقل بازولينى بفيلمه الى ايطاليا الحاضر . فأوديب يلبس الملابس الحديثة ويسير فى شوارع روما ليعزف على الناى وحيدا ، مهزوما ، ضائعا ، فى منطقة صناعية .

هكذا يرى « بازولينى » أن انسان الحاضر يخضـــع لنفس قوانين القـدر الباطشة . وهو ينهى فيلمه بكتابة كلمات تؤكد هذا المعنى « ايها النور ، انها المرة الاخيرة التى تشرق فيها على . لقد أغلقت الدائرة وانتهت الحياة حيث بدأت . « وهى جملة محورة من نص سوفكليس القائل ، على لسان أوديب، واحسرتاه ! .. أيها الضوء لعلى أراك الان للمرة الاخيرة .. قتلت من لم يكن لى أن أقتله » . وتعبر الجملة البديلة « أغلقت الدائرة وانتهت الحياة حيث بدأت » ـ والتى لا يقولها أوديب ، بل يكتبها المخرج ـ عن موقف بازولينى، واحساسه بأن « أوديب » ، ابن روما الحاضر ، يواجه نفس القوى القاهرة التي واجهها أوديب الماضى . ، الذى يفصلنا عنه عشرات القرون .

وبنفس الرؤية قدم « بازولينى » فيلمه عن « ميديا » ، أكثر النســاء وحشية وجبروتا فى تاريخ الادب ، المرأة التى مثلت بجثة أخيها بعد أن قتلته فمزقت جسده اربا وشطرت رأسه ، ثم ذبحت أطفـــالها وأحرقت جثتهم ، انتقاما لحبها المخـــان ، وتعبيرا عن مشاعر الحقد المعتملة فى داخلها .. واذا كان « بازولينى » قد بدأ « أوديب الملك » وأنهاه فى العصر الحديث ، فانه فى ميديا يعتمد أن ترتدى شخصـياته ملابس من شتى البلاد والعصور ، يونانية ورومانية وصينية وجزائرية ، محققا بهذا نفس المغزى الذى حققه فى « أوديب » : أن التراجيديا بما تحمله من قدر خارجى أو قدر داخلى ، يتمثل فى عيب خطير فى البطل ، لا تقف عند حدود العصر اليونانى ، بل تمتد عبر المستقبل لتخضع بقوانينها الصـارمة ارادة الانسان ومصيره .. وهذه النظرة لا تتوقف عند هذين الفيلمين الذين اعتمد فيهما على « سوفكليس » و« يوريبيدز » ، ولكنه يمتد ليشمل أفلامه التى تعتمد

جيـــــوش الشـــــمس

« هو الاسم الذى كانت تسمى به جيوش مصر منذ سبعمائة عام، وكان مقره سيناء ـ ارض الزمرد » هكذا اصدر فنان السينما المصرى الكبير **شادى عبدالسلام** آخر افلامه اذن فالعبور هو عـودة الى القرن القديم ... التاريخى . ومطلـوب منا ان نمزج الوعى بالحاضر بالماضى التاريخى لكى نسـتطيع ان نراه جيدا . العودة الى الماضى بيد ابناء الحاضر .. من هم ابناء الحاضر ؟ ابناء الشمس الجدد الذين تـنزاح موجات الدخان والغبار لتكشف عن أجسامهم الفارعة ووجوههم شديدة الالفة ... انهم هم انفسهم المنقوشة صورهم على جدران المعابد والمقابر المصرية وهم يدفعون العدوان او وهم يطاردون الغزاة حتى ارض فلسطين ... اننا نراهم هنا يغسلون وجه اتون .. وجه الشمس ذاتها .. المفرد القاهر الغلاب والوحيد من بين مفردات المكان « سيناء » الذى يردد اصداء الديانة المصرية القديمة ... عندما يعبـر المصريون فهـم يمارسون طقسا دينيا مقدســا وانسانيا معا ... ولكن النور هنا يشع بتفسيرات للحاضر تجعلنـــا قريبين من ادراك مجد الماضى .. ليس على اسس ميثولوجية غريبة ولكن على اسس شعبية يوميـــة تغمرها الاضواء العـــادية ـ من شمس النهار أو من فليرز الليل .. ونحن نرى هؤلاء الابناء القادمين من ريف مصر ومدنها وقد امتلأ الكادر بوجوههم او بعيونهم الشـــديدة المصرية لكى يؤكد شادى منطقـه الخاص الى الحرب ... ولذا فهو لا يقدم وصفا تسجيليا « وهـى مسألة غامضة فى الاصل لانه لايوجد مايسمى بالفيلم التسجيلى الخالى من وجهة نظر » للحرب التى حطمت كل الاساطير » كما جاء فى مانشت احدى الصحف الاجنبية التى تصدرت المشهد الافتتاحى للفيلم ولكنه يتباعد من ذلك كله ليتناول الحـرب فى عـــلاقتها بالانســـان والالة والمكان بابعادهم الشاملة ، ولذا يبـدو الفيلم كلى التأثير رغم اعتماد فكرته على حدث جزئى محدود.. معركة اقتحام قناة السويس . وهذا فرق بين الفنان وبين مصور الاخبار .. ولذا ايضا تجاهل شادى اسـلوب التناول الشائع الذى يغفل عن تأمل المقاتل من خلال تقديمه ضمن طوابير متدافعة لا يمكن معها تمييز النوعية الخاصة والتاريخية لهذا المقـاتل القــديم .

وتقوم الوحدة الايقاعية للفيلم ـ والتى يعتمد عليها توصيل الرؤية العامة له ـ على علاقة جدليـة بين ثلاثة عناصر :

ـ الخاص ممثلا فى تصـــوير التفاصيل البشرية الاليـة .

ـ مساحات الفراغ واللون الواحد .. ماء ـ صحراء ـ مضـاد ـ اشعة الشمس الغلابة .

على الواقع كمصدر لها . فلنشاهد « نظرية » و « حظيرة الخنازير » .

احدث فيلم « نظرية » ضجه كبيرة .

فبعد أن نال الفيلم جائزة المكتب الكاثوليكي ، بدأت رياح الكراهية تهب على الفيلم فتقدم أحد المحامين طلبا الى مدعى الجمهورية يطالب باحراق نسخ الفيلم الذى اعتبره « فضيحة » ، يتضمن « اخلالا بالحياء » .. وبينما رحب البعض بالفيلم رفضه آخرون رفضا شديدا .

ويدور الفيلم حول أسرة برجوازية كبيرة ، تمتلك مصنعا وفيلا وعربة فخمة ، وتبدو الاسرة آمنة ومستقرة الى أن يحضر لها ضيف شاب فيختل كل شىء .. ويقول « بازولينى » عن ضيفه أنه « شخص جنسى مغرق فى ديفيويته وشبيع خارق للطبيعة ؛ قد يكون الشيطان أو يكون مزيجا من الرب والشيطان : والشىء المهم أن يكون أصيلا ولا يمكن ايقافه عند حد » .. وهو بهذا يذكرك بالقدر الاغريقى الذى لا فكاك منه : يهبط على الاسرة مثل اللعنة فيصيب أفرادها جميعا بالانهيار والدمار .. والفيلم به جو غريب من الهوس الجنسى والعواطف الشاذة . ان الضيف سرعان ما يضاجع الخادمة . وفى الليل يحس ابن الاسرة بالقلق فيتجه لسرير الضيف ويستسلم له .. ثم يأتى دور الام التى تمسك بنطلون الضيف بشبق وتبحث عنه فى الحديقة وتمارس معه الجنس . وتستدرج ابنة الاسرة الرقيقة الضيف الى غرفتها ليتم بينهما لقاء .. وأخيرا يأتى دور الاب الذى يصحب الضيف فى العربة.

وفى الطريق يتحدث بتوتر عن رغبات داخلية يتمنى أن يكشف عنها . وينزل مع الضيف من العربة ليوطأفى مكان خال موحش .

وينتهى الجزء الاول من الفيلم بسفر الضيف . ويقدم الجزء الثانى انهيار الاسرة ودمارها . تصاب الابنة بهستريا وتنقل الى المستشفى . تبحث الام عن شاب يمارس معها الجنس . وتتركه نائما لتبحث عن شابين يضاجعانها فى وقت واحد . ويقوم الابن بالرسم على الزجاج . وبعد أن يلطخ الزجاج يتبول عليه .. أما الاب المنهار فيقرر اهداء المصنع للعمال [؟!] . وفى المشاهد الاخيرة يذهب الى المحطة ليخلع ملابسه تماما ويسير عاريا حيث ينتهى الفيلم به وهو يجأر بالصراخ طالبا الضيف .

والفيلم بهذا الشكل لا يمكن أن يكون تعبيرا عن رفض البرجوازية وخوائها كما حاول المخرج أن يثبت فى أحاديثه ، كما أنه يبدو مندهشا أن نستمع الى بازولينى وهو يقول « أن الطبقة البرجوازية لا يمكنها أن تصل الى اى شكل من أشكال التحرر ؛ ولكن يمكن لكل شخص فى اطار هذه الطبقة أن يصل الى تحرير نفسه » .. كيف ؟ وهل يمكن أن يكون سلوك الاب أو الام أو الابنة أو الابن طريقا للتحرر ؟ . لقد اعترف بازولينى بالم ذات مرة قائلا « ان رغباتى لا حدود لها ، وهذا أمر مرهق » .. والفيلم فى النهاية ليس سوى تعبير يائس عن رغبات مرهقة ، مدمرة ، لا يحدها حدود .

أما ؟ **حظيرة الخنازير** ! فان بناءه المحكم يقوم على قصتين متوازيتين ،

ـ العام ـ لقطات المعارك نهارا وليلا .

وفى العنصر الاول نقترب بلقطات كبيرة وكبيرة جدا من وجوه الجنود ومن قاماتهم «جماعات وفرادى» ومن حبات عرقهم ودخان سجائرهم ايضا .. ثم نقترب من اجزاء الاليات التى دنت فيها الحياة « المصرية » أو تلك التى عشش فيها الموت «عدية » وفى العنصر الثانى تصير الجنود والاليات كائنات صغيرة تتحرك فوق مساحات فراغ شاسعة ذات الوان من درجات واحدة ـ لقد حقق نجاح تزاوج هذين العنصرين المعنى المطلوب من علاقة الابناء والاتهم الطيبة بمقر الجيش القديم .. الساسع المهيب وهذا هو منطق التصور العام الذى طرحه شادى .. غير ان العنصر الثالث الذى نرى فيه فى لقطات عامة خط سير بعض العمليات فهو الذى يشدنا الى هذا الحدث بعونه أكتوبر وهو ما يجنب الفيلم سيادة العنصرين الاوليين وجعلهما تأملا جماليا فى الفراغ ان هذه العناصر تتكامل لتعرض لنا «حقيقة» العودة الى المقر القديم .

لقد تأمل شادى الحرب طويلا

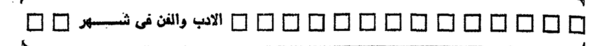

شادى عبد السلام

« اكتشفت اننى لم اكن احيا ، كنت ميتا ، هناك تعثر على حقيقتك وتتحسسها ممتدة موغلة فى الزمن . اربعة آلاف .. خمسة الاف عام .. هناك ترى جنودا «مصريين» مصريين حقا لكأنما التاريخ يندفع امامك دبا لاهيا ... شيىء لا يمكن ان يوصف اضطرنى الى مراجعة كل مواقفى القديمة وانعكس هذا بالضرورة على الفيلم ذاته .. كان ممكنا ان اقدم أى شىء فى نفس العام أو العام الذى يليه ولكن فى كل مرة كنت أذهب فيها الى هناك لاشهد العودة الحية لجيوش الشمس الى مقرها القديم كنت أراجع المادة المصورة من جديد وربما هممت فى مرة بالقائها معظمها فى البحر ... كان لابد ان يجىء التعبير مصريا صميما كما كان العبور مصريا صميما » ..

اننا نتابع مع رحلة الجنود فى هذا اليوم وماتلاه من القناة واحداث العودة ... الى ميدان تدريب الى مستشفى ثم الى الميدان من جديد « تجنب شادى اية اثارة مليودرامية فى المستشفى وكان ميسورا تماما ان يفعل ذلك » نتابع هذه الرحلة اللاهية بمستوى يرقى الى الكمال فى سائر العناصر الفنية . التصوير والمونتاج والصوت وهو مايجعلنا نتأمل هذه الطاقات ونتساءل متى سيعرض جيوش الشمس على الناس التى صنع من أجلها ؟

ان الفيلم ينتهى بنظرة تصميم وترحيب من جندى مصرى لكى تنتقل الى الافق الذى تسطع شمسه على بنت صغيرة فوق ارض سيناء ... هاقد اتخذ المصريون الخطوة الاولى حاملين اسس حضارتهم الزراعية نحو العودة الى مقرهم القديم ... وبورك ابناء الشمس الذين هم فى الافق يسطعون .

الفاروق عبد العزيز



لشابين بهما قدر من التماثل . احدهما يعيش فى ايطاليا القرن السابع عشر والاخر يعيش فى ايطاليا القرن العشرين والفيلم يبدأ بمشهد من قصة الشــاب الاول « طقوس عربيدة » .. ففى مكان موحش . بالقرب من فوهــة بركان . يتضور الشاب جوعا . ويستطيع أن يقتل اول جندى يمر أمامه . ويبدأ فى التهام جســده ليصبح من أكلة لحوم البشر . وينضم له آخرون .لكن يكتشف أمرهم فيكبلون ويربطون الى خوازيق وهم أحياء ليصبحوا نهبا للذئاب .. وخلال سرد القصة الاولى ، وعن طريق القطع ، تسرد القصة الثانية « حظيرة الخنازير » التى تدور حول شاب غامض ، ابن احدى الاسر الغنية . يعشق ممارسة الجنس مع الخنازير .. وعندما تكتشف أسرته شــهواته العجيبة تتواطأ لاخفاء الامر . لكنه يلقى مصيرا نظيعا حيث نعلم أن الخنازير قتلته والتهمتــه الى آخر ظفر .

ويلاحظ احد النقاد أن كلمات آكل لحوم البشر الاخيرة ، التى يقول فيها « لقد قتلت ابى ، وأكلت لحوم البشر ، اننى اهتز فرحا » ، ترتبط على نحو ما بروح « أوديب الملك » . والحق أن هذه الملاحظة البصيرة تمتد لتشمل معظم أبطال بازولينى ، ذلك أنهم ، فى مجملهم يتأرجحون بين « أوديب » و « ميديا » ، قدر خارجى قاس ، لا يرحم ، رغبات داخلية مدمرة ، غالبا ما تتسم بتنافيها مع الانسان كتيمة واردة .

ان « بازولينى » ، كما يقول احــد النقاد ، يرى « أن قوى أخرى غير قوى الانسان تكمن وراء كل ما يحاول أن يفعله » .. وهو أمر يجرد الانسان من العقل والوعى والاختيار والارادة .. لذلك فانك لا تستطيع أن تحب أو تعطف على أى من ابطاله . ويبدو فنه ، فى النهاية ، كما لو كان تعبيرا عن «هوس جنسى » وعواطف شاذة .. ورغبات مرهقة ، لا يحدها حدود ..

وفى احدى ليالى الاسبوع الاول من الشهر الماضى ، فى مكان خال وموحش خارج روما ، مثل الاماكن التى طالما صورها فى أفلامه ، لقى « بيير باولو بازولينى » مصرعه ، بنفس الطريقة الفاجعة التى ينهى بها حياة أبطاله .. وقد تعمد قاتله السادى أن يمر على رأسه بالعربة عدة مرات .. الامر الذى دفع أنطونيونى الى القول بأن « بازولينى لقى حتفه على يد احدى شخصياته » □

كمال رمزى



كيــف يكــون التقييــــم ؟

طرح الشاعر الصديق عبد الوهاب البياتى فى حواره عن الشعر والثورة [الطليعة ـــ اكتوبر ١٩٧٥] جملة قضايا تستحق الاهتمام والعناية . وقد احتار الحوار علاقة الثورة بالثقافة والشــعر محورا عاما تدور حوله الافكار والمناقشات

وفيما يخص الخارطة الرئيسية للثقافة العربية يرى البياتى ما يلى : « تلك هى الخارطة الرئيسية للثقافة العربية . لقد جفت كثير من انهارها وتحولت من تيارات وحركات عارمة ومضطرمة الى تيــارات فردية » ورغم اختزال الثقافة وحصرها بالشعر ومسيرة الشــعراء ، وهــذا مالا توكيد له ، فان الطرح الاحادى للبياتى قد آغفل عدة حقائق ووقائع . اذ انه لم يوجه ملاحظاته النقدية الا بصورة تعميمات غير محددة .

يقول : « ان التمزق الاخير الــذى حدث فى المنطقة وتفريط بعض البورجوازيات العربية فى دورها وتنكرها لقضيتها قد ادى الى نوع من الفوضى .. »

ان المضمون الملموس للعبارة يشير الى ان البياتى لازال يعلق الامال على دور البورجوازيات العربية وقضيتهــا وبالتالى فهو يوجه اللوم الى انهــا فرطت بدورها وتنكرت لقضيتها !

بينما يكشف واقع الحال من الطبيعة الخيانية للبورجوازيات العربية الكبيرة والكومبرادورية والشرائح البورجــوازية الطفيلية والهامشية والاقسام المتنفذة فى راسمالية الدولة . ان البورجوازيات العربية هى القوى الطبقية ـــ السياسية التى تقود بالاساس الثورة المضــــادة وتحمى معاقل اليمين الرجعى . تلك هى قضيتها وهذا هو دورها .

وفى اللحظة ذاتها حيث ينسب البياتى كل الفوضى لتنصل البورجوازيات العربية من دورها ، أى لحظة تقييم للبورجوازية والممزوج بأســف لتفريطهــا بــدورها [الوردى ؟!] ، تبرز حملة عــلى الثوريين : « الذين تحولوا الى كتبــه ومبرريين وببغاوات وتوقف بعضهم عن الانتاج » . لاشك ان فى الملاحظة قدرا موضوعيا من الصحة . الا ان ذلك القدر من الصحة يتلاشى بأن لم يأخذ موقعــه فى الخارطة التقييمية للثقافة العربيــة بمجملها . واكثر من ذلك فان ذلك القدر من الصحة ينتقل الى اتهام شامل فيها اذا لم يوضع فى حدوده فالمفروض فى عرض الخطوط العامة للخارطة الرئيسية للثقافة العربية تناول :

١ ـــ الثقافة الرجعية ـــ الغيبية

٢ ـــ اليمين الثقافى

٣ ـــ الانتهازية والانتقائية فى الفكر والممارسة الثقافية

٤ ـــ الفــكر الاشــــتراكى والثقافة اليسارية

٥ ـــ التيــارات الفــكرية التقدمية والمعطيات الثقافية للاحــزاب والقــوى الوطنية والديمقراطية والتقدمية

ويرافق الخطأ المنهجى وعدم الموضوعية خطأ آخر اكثر خطورة هو القول : « ان الثورة العربية قد انقسمت على نفسها واضاعت كثيراً من وضوح رؤيتها كمــا فقدت كثيرا من ملامحها نظرا لافتقارها الى ايديولوجية علمية واضحة ومحددة »

ولو أضفنا الى ذلك أن الحــديث قد ملأ الخمسينات والســـتينات بأقواس قزحية ، اصبح واضحا ان البياتى يتعلق سياسيا وثقافيا بمرحلة الخمســينات والستينات ، رغم أنه يركز عليها مع اخفاء واضح للقصد السياسى ..

ان الثورة العربية تشــق طريقهــا وتبلور نفسها ايديولوجيــا وتنظيميــا وجماهيريا على صعيد الاحزاب الثورية وحركة المقاومة الفلسطينية والكفــاح

المسلح في شبه الجزيرة العربية والانظمة التقدمية والانتفاضات الجماهيرية وحركة النضال من اجل الديمقراطية ، الا ان ضيق او اتساع الفرص امامهـا ليس مرهونا بها . فثقل السياسة الامبريالية وسعة المخططات المعادية للثورة العربية والخطوات التآمرية الامبرياليةوالصهيونية الفظة تؤثر بقوة على مستوى وحجم التحرك الثوري العربي . المهم انالصديق البياتي بعد ان يحول الواقع الثقـافي العربي الى صورة من « **الخرائبوالورق العتيق والرماد ومنافض السجائر** » ، فانه يشل الحضور العربي بأكمله ويظل الوطن العربي ساحة مهجورة ينفرد في السير فيها فقط أفراد قلة . بحسبقوله: « أي انه لم يبق الا أفراد قلائلمن الادباء المبدعين ظلوا يواصلون مسيرتهم الكبرى وحدهم » .

وواضح أن قصر الساحة الثقافية على افراد قلائل من الادباء المبدعين : « ظلوا يواصلون مسيرتهم الكبرى وحدهم » ! هو انكار للحقائق الثقافيـة واحتـكار للساحة واهمال متجن للمثقفين والمفكرين والادباء والفنانين الاحياء من مختـلف الاجيال والمراحل ، فالثقافة والفـكر لايمكن اختزالها في الشعر والشعـراء او في الادب والادباء . كما ان جملة ذلك لايمكن اختزاله بقلة لاتزال تواصل مسيرتها .

اننا في عصر الجمـاهير والحـركة النضالية المتسعة والمشـتدة رغم كل المتاهات المحتملة والهزات الحاصلة ، ولسنا في عصر الاباء المردة — والكبار السحرة !! ولا بأس ان نضيف امرا آخر مفاده ان نسبة من الادباء [الكبار !] في السنوات السابقة لم يملكوا اية ايدلوجية ، بل وعيا عاما مسيسا على نحو بسيط . اى أن الغلبة كانت للحس الوطني والقومي وليست للايديولوجية . واي رصد واقعي يكشف عن التحولات الثقافية التي جرت في السنوات الاخيرة واثرت على تفكير الادباء .

وفي استقراء واقعي لجدلية العلاقة بين الجماهير والادباء لابد من التأكيد على ان ارتفاع مستوى وعي الجماهير والصعود الثقافي العام قد اعادا النظر بما تطرحه لفظة [الابداع] . وبالاستناد الى ذلك قـد تبدو قصـيدة مبدعة في الخمسينات ، مقبولة وبسيطة الان او بعد الان . ويدرك الصديق البياتي تماما ان بعض الشعراء او الادباء اكتسبوا صفة [كبار ورواد] ضمن معطيـات عقود ومراحل سابقة ، ربما تخلعها السنوات القادمة ان لم تكن المرحلة الحالية قد خلعت بعضها .

لما يبعث على الاسف حقا صدور تجنيات شاملة على محور [الثورة — الثقافة] من البياتي نفسه .

وبعد المدخل العام والواسع ينتقل الصديق الى واقع الادب العربي الان قائلا : « ان العمى والفوضى والخراب **الشامل ماهي الا ارهاصات لهـــذا** الاحساس . اي اننا بدانا نحس **بالانهيار الشامل ..** »

وابتداء لايسع العقل الا أن يزيحخلطا مبنيا على تناقضات جسيمة . فثمة صلة بين قول البياتي : « افراد قلائل من الادباء المبدعين ظلوا **يواصلون مسيرتهم الكبرى وحدهم .** » وقوله من : « بدانا جميعا نحس بالانهيار الشامل » .

وما علاقة ذلك كله بتأكيدات الصديق البياتي على الايديولوجية . مادمنا نعلم ان الايديولوجية هي نفي الاختـــلاطات والتخريجات والعموميات اللامنهجية .

تبقى قضية اخرى هي عسف البياتي في التقييم سواء على صعيد ذكر الادباء بالاسماء او ذكر المؤلفات . ولندقق في ذلك باستعراض بسيط :

يقول البياتي : « على مســـتوى الشعر ايضا نلمح مثل هذه العلامات ، نلمحها في اشعار سعدي يوسف وحسب الشيخ جعفر وعبد الرحمن طهمازي وجليل حيدر .. »

وفي مقابلة سابقة في « بيروتالمساء — العدد ٥٩ كانون الاول ١٩٧٤ ص ٦٠ — ٦١ » يحدد البياتي اسماءالشعراء في العراق كالاتي : « ومن العـراق سعدي يوسف وحسب الشيـخ جعفر **وعبد الامير معلة وسامي مهدي وحميد سعيد وشفيق الكمالي وفاضل العزاوي** وعبد الرحمن طهمازي ويوسف الصايغ **وفوزي كريم ونبيل ياسين وياسين طه حافظ** وجليل حيدر . »

ولنتأمل كيف اختفت اسماء واسماء ولماذا ؟

وعلى صعيد القصة القصيرة يذكر الصديق البياتي ما اسماه بازدهار القصة القصيرة على ايدي بعض الشـــبان ويقول : « استطيع ان اشير مثلا الى غائب طعمة وموسى كريدي ومحمد خضير في العراق . » غاضا النظر عن اسماء معروفة : عبد الرحمن الربيعي — فاضل الزاوي — جمعة اللامي — احمد خلف . موفق خضر . خضير عبد الامير . عالية ممدوح.بثينة الناصري . سالمة صالح — لطفية الدليمي — بلقيس نعمة العزيز . سميرة المانع . ديزي الامير الخ ، الخ ..

ان ذكر اسماء الادباء ليس جزءا في التذكر العابر بل هو مسئولية دقيقـة ومشرفة .

وبودي الاشارة الى امر شائع هو النقص في درجة موضوعية التقييم . إذ تلعب الامزجة والانحيازات الفئوية والشخصية دورا خطيرا في اخفاء بعض الحقائق والوقائع وفي التحريف احيانا . والمهم على الدوام هو بسط جميع الاسماء والتقييم النقدي وفقا لذلك

واعتقـد ان الصديق البياتي والرواد والمثقفين والادباء التقدميين قادرون على ترسيخ الف باء التقييم الموضوعي حتى لايكون التقييم طريقا لتزييف التاريخ .

ورغم ان المجتمع العربي لايزال ينوء تحت وطأة اكتساح الهواء الشـعري للصحراء ، وبالتالي غياب العلم والمعرفة والديالكتيك عن غرف واسعة في الحياة الراهنة ، الا أن القضية تظل اخطر واعمق من البرامج والعلاقات الاحتفالية ان الشعراء لايزالون جزءا من قصر الامارة وشنـاشيل التـاريخ العتيـق للسلطات . ولذلك فهم يملأون الصحف والمجلات والاذاعات والبرامج وجميـع قنوات الاعلام . وان المسافة بينهم وبين قصر الامارة هي ورقة المرور في اية لحظة . وما دام الشعراء بهذه الخطورة فهم مطالبون بالموضوعية وبالامانة حتى يذكروا الصحيح .

وبما ان الامر يتعلق بالثورة العربية ، استحق القول بأن متاعب الشعراء التي يقدمونها للثورة ، ولا اعني كل الشعراء، لاتزال طائلة .

ومعارك الشعراء فيما بينهم تقضي على الصدق وتعطي للتعارضات ملمحا صلبا حادا كالشر . والان تنطرح قضية ليست بسيطة امام الشعراء والادباء التقدميين كافة هي الانتباه للموضوع ، للحقيقة ، للفائدة . اما الخلافات فيسهل طرحها والسير قدما في حلها . **باسم الخلافات الذاتية والنرسيسية والتواطؤاتوالوصول المفرد الى ساحة الشرف [البائس !] ، الشرف حكومي ، الشرف السـائد ، والوجاهة** الاقطاعيـــة والحكوميـــة والبورجوازية ، باسم ذلك كله يجري اغتيال الثقافةوالمثقفين والصدقوالصادقين ترى من يمنع ذلك . [ ]

عزيز السيد جاسم
بغداد



صدرت فى بغداد مجلة آفاق عربية، ويرأس تحريرها الاستاذ شفيق الكمالى، وجاء صدورها اضافة جديدة الى حركة الفكر العربى .

والاعداد الثلاث التى ظهرت من آفاق عربية ــ منذ صدور عددها الاول فى سبتمبر الماضى، تؤكد ان الزميلة الجديدة تشارك فى نشر الفكر السياسى الاقتصادى والادبى والفنى، وتسهم اسهاما ايجابيا فى معركة النضال ضد الاستعمار القديم والجديد، وضد التخلف والرجعية .

● **فى العدد الاول** سبتمبر « ايلــول ١٩٧٥ » قدمت المجلة دراســة هـامة عن التنمية ــ اسهم فيها، **د . مسارع الراوى و د . صلاح الدين الشيخلى و د . ياسين خليل و . محمد العجــلان** ــ الى جــانب عدد من الدراسات الهامة الاخرى، منها: الدراسة التى قدمتها ــ **بديعة أمين** ــ عن « الصهيونية .. اهى حركة قومية ؟ »، ودراسة **حميد سعية** « قاتل لوركا مازال حيا »، ومقــال **د . مؤيد ســعيد** « المكان كمصطلح تأريخ ــ فنى » .

●● **وفى العدد الثانى** ــ اكتوبر «تشرين اول » ١٩٧٥ ــ نشرت المجلــة خمس دراسات عن تأثيرات حرب اكتوبر ١٩٧٣ على المجتمع الاسرائيلى، « اثر حرب تشرين على الطلبة فى اسرائيــل » بقلــم **حلمى عبد الكريم الزغبى**، و « **اثر حـرب تشرين على الطلبة فى اسرائيل** » و «**كلمة من المجانين تحـكم اسرائيل** » والمؤسســة العسكرية الاسرائيلية » ــ بقلم **محمــود عزمى**، و « المخابرات الاسرائيلية وحرب رمضان » بقلم فارس المنصورى .

هذا الى جانب مجموعة من الدراسات التاريخية والسياسية والادبية والفنيــة والفلسفية ــ مثل مقال **صـديق محيس** « فى المنهج التقدمى الجــدلى » و « ثم مـــاذا عن التراث » للدكتـــور **ابراهيم السامرائى**، و « العود وكنوز الموسيقى العربية » **لعلى الشوك** .

●●● **وفى العدد الثالث من** « آفاق عربية » عالج الكتاب العديد من القضايا. فالدكتور **عبد الرحمن منيف** يكتب عن « نفط ابورديس » **ونعمان كنفانى**، يقدم مقاله عن « الاستيطان اليهودى فى فلسطين »، ويكتب **قحطان المدفعى** عن « العمارة فى تجسيد لفكر الانسان تكيفها البيئــة »، و «مع الطبقة العاملة فى العراق » **لرزق ابراهيم**، و « معنى الشعر فى الفلسفة » للكاتب **محمد محمود مطلب** .

ولاشك ان الاوساط الثقافية فى الوطن العربى سترحب بظهور « آفاق عربية » منبرا على طريق العمل الجاد، من أجل تعبير حر عن ارادة حركة التحرر العربية المعادية للاستعمار القديم والحديث . ولكل الوان التخلف والرجعية . ومن اجل انتصار الثورة العربية واعادة بناء الانسان العربى متحررا من الجهالة والتضليل والاستغلال .

ديسمبر ١٩٧٥

الطليعة

ملحق الفلسفة والعلم

الفلسفة في مؤتمرين

■ مؤتمر فلسفي آفروآسيوي

■ البيان الختامي لمهرجان الفارابي — د. مراد وهبة

الحزن في حياة المرأة المصرية

د. سيد عويس

الواقع الأيديولوجي لليمين المصري

يوسف الحجاجي

« قاموس الفلسفة والعلم »

الفلسـفة فى مؤتمـرين

د• مراد وهبة

انعقد فى شهر أكتوبر من هذا العام مؤتمران فلسفيان

أحدهما فى جامعة بنجاب فى لاهـور بباكستان « ٢٠ ـ ٢٢ اكتوبر »

والاخر فى جامعة المستنصرية فى بغداد بالعراق « ٢٩ أكتوبر ـ أول نوفمبر »

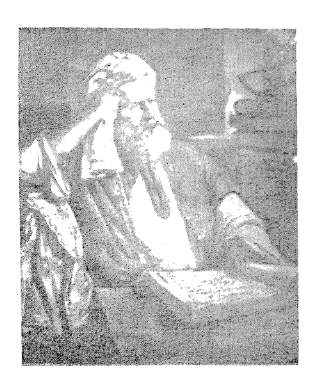
أسهمت ببحث فى المـؤتمر الاول ،وشاهدت المؤتمر الثانى • الاسهام يتجاوز المراقبة الى المشاركة ، أما المشاهدة فتقف عند حد المراقبة . ومن ثم يغلب علـى تصويرى للمؤتمر الاول الطابع الذاتى ، فى حين يغلب على عرضى للمؤتمر الثانى الطابع الموضوعى •

١ ـ المؤتمر الفلسفى الباكستانى

أبدأ بالمؤتمر الاول ، ويسمى على وجه التحديد بالمؤتمر الفلسفى الباكسـتانى » » وينعقد للمرة السابعة عشر بعد انقطـاع خمس سنوات بسبب الاحداث السيـاسية التى واجهتها باكستان • أما المرة الاولى فكانت فى عام ١٩٥٤ وفى لاهور •

وتتميز لاهور بأنها المدينة التى أنجبت عظام المفكرين الباكستانيين ، والتى أقام فيها فيلسوف باكستان العظيـم « محمد اقبال » معظم أيام حياته ، ونشر بها أهم مؤلفاته •

ودارت بحوث المؤتمر على قضيتين :



الفــارابى

قضية الثقافة الباكستانية

وقضية أزمة الهوية

وواضح من القضيتين أن الانتلجنسيا الباكستانية تقف عند مفترق الطرق : فباكســـتان دولـــة اســـلامية ، ولكنهـــا ذات لغات متباينة وثقافات متعددة • ولهذا فان اثارة القضيتين أمر واجب ومطلوب •

كان الحوار ساخنا عند طرح قضيـــةالثقافة الباكستانية ، تراوحت الافكار بين انكار الثقافة الباكستانية واثباتها •

انكارها مردود الى أن باكستان دولةايديولوجية تتخذ من الاسلام مبدأ يحكم جميع المجالات السياسية والاقتصـــاديةوالاجتماعية • ومهمة الفلاسفة بعد ذلك هى فى تصوير الاسلام على أنهنسق عقلانى ،ورائدهم فى هذا التصوير ينبغـــى أن يكون « **اقبال** » على حد قول الرئيس العامللمؤتمر • ورئيس قســـم الفلسفة بجامعـــة بشاور « البروفيسير « عبد القيوم » فـــى مفتتح الجلسة الاولى للمؤتمر • ومع ذلك فليس ثمة دراسة منهجية ونسقية عن فلسفةاقبال • **وبسبب ذلك أن اقبال قد تحـــول الى « تابو » أى من المحرمات الامر الذىمن شأنه أن يضعف التفكير النقدى** ، وهو أمر مرفوض من قبل اقبال نفسه •

وأعمـــال التفكير النقـــدى لازم لاعـــادة صيـــاغة الاســـلام مـــن أجـــل مواجهة « **الايات** » isms المعاصرة وبالذاتالوضعية المنطقية التى تنكر الدين بحجة أنه غير علمى • فى حين أن الاسلام دين علمى ،وهذا ما ينبغى الانشغال باثباته وتأكيده من

قبل فريق من المتكلمين التقدميين والفلاسفةذوى التفكير العلمى على حد تعبير البروفيسير عبد القيوم .

وهذا أيضا ما انتهى اليه « **شيخ امتيازعلى** » نائب رئيس جامعة بنجاب حين **اختتم كلمته بالدعوة الى ضرورة اعادة صياغة الاسلام فى عصر يتميز بسيطرة العلم . وفى عصر يرفض فيه الشباب تجاهل الحقائق العلمية أو تصويرها على أنها وهمية .**

ومع ذلك فقد طالب بعض المتحدثين من الشباب الاكاديمى بضرورة طرح قضية الثقافة الباكستانية – من حيث هى باكستانية – بدعوى ان الاسلام يتخذ أحيانا وسيلة لتغطية القوى الرجعية ، والحيلولة دون رؤية ما تعانيه الطبقات الكادحة من آلام اقتصادية على حد قول « **ميان ظفر** » مدرس الفلسفة بجامعة كراتشى . **وهو قول يتسم بطابع يسارى يكاد يكون هو الطابع المميز للمثقفين من الشباب الباكستانى . وقد تجلى فى صورة واضحة فى البحث الذى تقدم به « أنيس علام »** وهو أستاذ مساعد فى قسم الفزياء بجامعة بنجاب . وعنوان بحثه « فلسفة العلم » ، يدور على نقد وجهة النظر المثالية والوضعية فى تفسير تطور الفزياء ، ويأخذ بوجهة نظر **المادية الجدلية** .

أما عن أزمة الهوية فقد أحالها البروفيسير « **قادر** » الى طغيان ثلاث امبراطوريات فلسفية :

الوضعية المنطقية

الوجودية

الماركسية

ورغم أن هذه الامبراطوريات حاصلة على قدر من الصدق الا أن أيا منها لا يمثل الحقيقة الكاملة . ولهذا طالب البروفيسير « **قادر** » بضرورة ابتكار فلسفة عالمية تتجاوز هذه الامبراطوريات الفلسفية الثلاث .

وارتأى « **بارفيز شاهباز** » من ايران أن **فقدان الايمان بالمنطق هو السبب الرئيسى فى سقوط الامة الاسلامية** التى كانت ، يوما ما ، تقف عند قمة الحضارة الانسانية . والعلاج ، فى رأيه ، يدور على ضرورة تبنى أسلوب الحوار والاقناع .

أما **كاتب هذا المقال** فقد تقدم ببحث عنوانه « **الاصالة والمعاصرة فى العالم الثالث** » أوضح فيه أن **غياب العلمانية** ، سمة المعاصرة . **وغياب عصر التنوير الممهد لهذه السمة . سببان جوهريان لما تعانيه دول العالم الثالث من تخلف حضارى .**

وأرفق كاتب هذا المقال ببحثه مخطوطين :
أحدهما خطاب من « **الشيخ محمد عبده** » الى « **تولستوى** »
والاخر جواب « **تولستوى** » الى « **محمد عبده** »

كان الخطاب معروفا فى مصر ، أما الجواب فكان مجهولا حتى عثر عليه صاحب هذا المقال فى متحف تولستوى بموسكو .

وأهم ما فى جواب تولستوى سؤال عن ماهية البهائية .

وتوقع كاتب هذا المقال أن يعثر على اجابة الشيخ محمد عبده ، ولكنه فوجىء بما يثبت عدم ارسال الاجابة الى تولستوى .

وقد أثار هذا البحث مناقشة خصبة من جانب الرئيس الشرفي للمؤتمر البروفيسير « **حميد الدين** » ومن جانب نخبة من المفكرين الباكستانيين التقى بهم كاتب هذا المقال بعد انتهاء المؤتمر بتنظيم من دينامو المؤتمر البروفيسير « **خواجه غلام صادق** » وبرياسة مدير مركز الثقافة الاسلامية البروفيسير « **سعيد شيخ** » • وكانت المناقشة ساخنة وخصبة

وقد أدت هذه المناقشات في نهاية المطاف الى ضرورة ، عقد « **مؤتمر فلسفي أفروآسيوي** » ، فاجتمع مندوبو الدول المدعوة الى المؤتمر وأقروا **ورقة عمل** لهذا المؤتمر المقترح باللغة الانجليزية هذه ترجمتها :

■ مؤتمر فلسفي آفرو آسيوي

١ ـ قرر ممثلو مصر وايران ولبنان والاردن وباكستان ـ الذين التقوا في المؤتمر الفلسفي السنوي السابع عشر ـ في اجتماع عقد يوم الخميس الموافق ٢٣ اكتوبر ١٩٧٥ **تأسيس منظمة** لتطوير الفكر الفلسفي في قارتي آسيا وافريقيا اطلق عليها اسم «**مؤتمر فلسفي افرو اسيوي**» •

٢ ـ والغرض من الدعوة الى هذا المؤتمر **التركيز على التقدم الاجتماعي الاقتصادي وعقد لقاءات كل عام أو كل عامين** وطبع أعمال هذا المؤتمر باللغات الافرو آسيوية مثل العربية والفارسية والاردنية والفرنسية والانجليزية

٣ ـ وسيظل المؤتمر **منظمة غير عقائدية** تعطى اهمية خاصة للمجتمع وللتغيير الاجتماعي ، وتضع في مقدمة المشاكل مشكلة **الثورة العلمية والتكنولوجية في العالم الثالث واحتمالات المستقبل للعالم الثالث** •

٤ ـ وسيبرز المؤتمر **التيارات الثقافية المشتركة** في البلدان الافرو آسيوية بهدف تقريبهم بعضهم **الى** بعض ومساعدتهم على التغلب على **أزمة الهوية** التى كانوا ضحية لها منذ زمن بعيد

الموقعون :

١ ـ د • مراد وهبه [**مصر**] كلية التربية بجامعة عين شمس •

٢ ـ د • **احمد ماضي** [**الاردن**] جامعة الاردن بعمان بالاردن

٣ ـ د • **بارفيز شاهبازى** [**ايران**] •

٤ ـ د • **شوكر كن** [**ايران**] جامعة جندى

٥ ـ د • **حميد الدين** [**باكستان**] •

٦ ـ **أستاذ سعيد شيخ** [**باكستان**] مدير مركز الثقافة الاسلامية بلاهور •

٧ ـ **أستاذ خ • غ • صادق** [**باكستان**] قسم الفلسفة بجامعة بنجاب بلاهور •

٨ ـ د • معن زياده [**لبنان**]

وفي مهرجان الفارابى بالعراق وافق على عقد المؤتمر :

٩ ـ د • **محمد عزيز الحبابى** [**المغرب**] المغرب القديم ٧٨ ، شارع ٤ ، ثماراً •

١٠ ـ د • **جعفر آل ياسين** [**العراق**] جامعة بغداد •

١١ ـ **أستاذ متقاعد ن • زياده** [**لبنان**] الجامعة الامريكية ببيروت •

١٢ ـ **أستاذ عبد المجيد غنوشى** [**تونس**] كلية الاداب بتونس •

وحين عدت الى القاهرة عرضت أمر هذا المؤتمر المقترح على رئيس جامعة عين شمس **الاستاذ الدكتور ناجي المحلاوى فأبدى موافقة مبدئية على أن تكون جامعة عين شمس هى الداعية والمستضيفة لاعضاء هذا المؤتمر • وقيمة هذه الموافقة أنها تضع الاقتراح موضع التنفيذ ، وهو ما ينشده كل مفكر تهمه قضية التغير الاجتماعى فى البلدان الافرو آسيوية •**

٢ ـ مهرجان الفارابى والحضارة الانسانية

أما عن « **مهرجان الفارابى والحضارة الانسانية** » فقد كان مؤتمرا فلسفيا يضم نخبة من العلماء المتخصصين فى التنقيب عن آثار هذا الفيلسوف الاسلامى العظيم الملقب بـ « **المعلم الثانى** » بعد « **المعلم الاول** » لقب الفيلسوف اليونانى العظيم **أرسطوطاليس** •

وقد أقامت وزارة الاعلام العراقية هذا المهرجان بمناسبة مرور **ألف ومائة عام على مولد الفارابى** . ومن المعروف أن الفارابى جاء بغداد واستوطنها وتعلم العربية فيها وألف كتبه بها وهى تزيد على مائة كتاب .

. وأصدرت وزارة الاعلام عددا خاصا عن الفارابى فى مجلة « **المورد** » ، كما أصدرت كتابين : أحدهما بعنوان « **مؤلفات الفارابى** » من تأليف د . **حسين على محفوظ** « أستاذ الدراسات الشرقية فى جامعة بغداد » و « **د • جعفر آل ياسين** » استاذ الفلسفة الاسلامية فى جامعة بغداد . والاخر بعنوان « **الفارابى فى المراجع العربية** » بقلم **د . حسين على محفوظ** • وفى اليوم الثانى من أيام المهرجان أزيح الستار عن تمثال للفارابى فى حديقة الزوراء من صنع المثال « صلاح جياد » •

وقد أثارت الابحاث المقدمة الى المؤتمر عدة اشكالات من بينها موقف الفارابى من قضية العلاقة بين المنطق واللغة ، وموقفه من عصره ، ومدى اسهامه فى تطوير الموسيقى العربية .

من حيث موقف الفارابى من قضية العلاقة بين **المنطق واللغة** أوضح **د. محمد أبو ريان** فى بحثه « **دراسة تحليلية مقارنة للصلة بين المنطق والنحو ورأى الفارابى فيها** » أن الفارابى قد اكتشف التشابه القائم بين قواعد النحو وقواعد المنطق ، بين الاعراب النحوى والاعراب المنطقى • والفارابى فى ذلك يتفق مع ما انتهت اليه الوضعية المنطقية فى نظرتها الى علاقة اللغة بالمنطق .

أما د . « ابراهيم السامرائى » فقد اعتمد على رواية ذكرها « **د • محسن مهدى** » فى مقدمة « **كتاب الالفاظ** » وتشير الرواية الى « مناظرة جرت بين **أبى سعيد السيرافى** اللغوى الفقيه المتكلم والفيلسوف المنطقى النسطورى « **أبى بشر متى بن يونس** » فى بغداد ، وحضرها عدد من أهل العلم والاختصاص ، ومنهم على بن عيسى الرمانى الذى كتب المناظرة ورواها مشروحة وأملاها على « **أبى حيان التوحيدى** » • وقد كانت هذه المناظرة عند علماء اللغة والنحو نصرا كبيرا أحرزه النحاة على المناطقة . فقد نجح السيرافى فى رد أبى بشر متى بن يونس ودحض حججه واظهاره بمظهر الجاهل للغة والنحو ، وكيف يتأتى لمنطقى البراعة فى صناعة المنطق وهو لا يتقن مسائل اللغة والنحو اذا عرفنا أن شيئا كبيرا من صناعة المنطق فى مادته ومصطلحه مستعار من المصطلح اللغوى ومادته • وقد تمت هذه المناظرة فى عصر الفارابى .

ويميل **د. ابراهيم السامرائى** الى الاخذ برأى **السيرافى** فيما ذهب اليه من أسبقية النحو على المنطق • ويدلل على هذا الرأى بقوله ان **الفارابى** أفاد من علم اللغة العربية مواد كبيرة فلم يتكىء على الالفاظ والمعانى التى جاء بها **أرسطو طاليس** فى « **ما بعد الطبيعة** » بل اعتمد على الشواهد العربية وأهمل أبوابا من كتاب أرسطو طاليس لم يتناولها بالشرح .

ويدلل على رأيه كذلك بأن « **كتاب الالفاظ** » **للفارابى** وثيقة جيدة نستدل بها على افادة المعلم الثانى من علم اللغة واستخدامها فى صناعة المنطق ، والافادة منها فى بسط ما ذهب اليه أرسطو طاليس فى كتاب « المقولات » وغيره من الكتب ؛

وتأسيس المنطق على اللغة العربية يعني إمكانية تأسيس الفلسفة بأكملها على هذه اللغة كذلك باعتبار أن المنطق هو المدخل الى الفلسفة . وهذا ما انتهى اليه « **د . علي سامي النشار** » في بحثه « **نظرية جديدة في المنحنى الشخصي لحياة الفارابي وفكره** » . وتأسيسا على ذلك فان **د . النشار يرى أن الفلسفة العربية أو الاسلامية لابد وأن تأتي مخالفة للفلسفة اليونانية ، أو بالادق الفلسفة الارسطوطاليسية ولهذا فأن الفلسفة الاسلامية المشائية أي الفلسفة التي تلتزم أرسطو وأتباعه لا تمثل الحضارة الاسلامية** . ذلك أن العبارة النحوية ثنائية ، أي تخلو من فعل الكينونة . وهذا الخلو يمتنع معه تأسيس انطولوجيا أوكسمولوجيا اسلامية .

غير أن ما يؤخذ على **د . النشار أنه قد تعرض** لاراء « **د . ابراهيم مدكور** » المخالفة له في شيء من التجريح ليس له ما يبرره .

أما « **د . صالح حمادنه** » فيرى أن الفارابي قد وجد في المنطق نزعة انسانية تجاوز النحو باعتبار أن النحو ارث قومي ومن ثم اعتبر صناعة المنطق وسيلة ضرورية لتحقيق انسانية الانسان . وهذا الاعتبار هو السبب في انتشار كتاب الفارابي « **احصاء العلوم** » في الغرب على حد قول المستشرق الفرنسي « **لويس جارديه** » وقد كان رئيس الوفد الفرنسي في المهرجان والذي كان يضم فيما يضم البروفيسير « **روجيه ارنالديز** » . وكان هذان المستشرقان يفتقدان حضور الاب الدكتور « **جورج شحاته قنواتي** » العالم المصري المتخصص في الفلسفة الاسلامية .

وعن موقف الفارابي من عصره اكتفي بذكر فقرة هامة جاءت في البحث الذي تقدم به « **د . محسن مهدي** » بعنوان « التعاليم التجربة في التنجيم والموسيقى نصوص غير منشورة للكندي والفارابي » هذه الفقرة هي جزء من كتاب للفارابي لم ينشر بعد في « **احصاء الايقاع** » يذكر فيه الكندي وينقد كلامه في الايقاعات ، ينقده لانه « لم يتكلم بما تكلم به عن بصيرة نفسه بالايقاعات ، وانما تبع اسحق وقلده » .
ثم يستطرد الفارابي قائلا :

« وأنتم تعلمون أنه لم يحدث بعد الكندي لحن عربي استعمل فيه ايقاع آخر خارج عن الايقاعات التي توجد الان في الالحان القديمة التي كانت في زمان الكندي ، بل **كانت القوية المفننة الايقاعات في زمانه أكثر منها في زماننا هذا للاسباب التي تعرفونها** » .

ومضمون هذه الفقرة أن الفارابي كان يرى في عصره انحلالا وتدهورا لاسباب لم يذكرها بدعوى أنها معروفة . وفي تقديري أن مهمة الكشف عن هذه الاسباب منوطة بالدكتور **محسن مهدي** العالم المتخصص في الفارابي . ومن شأن هذا الكشف أن يلقي ضوءا على قضايا أخرى اسلامية وعربية ، خاصة أن **د . محسن مهدي** يرى أن تاريخ الفلسفة العربية في الفترة القائمة بين الكندي والفارابي هو تاريخ انتقال الفكر الفلسفي من طور التقليد الى طور البحث والامتحان .

أما « **د . محمد عزيز الحبابي** » فيذهب في بحثه « **من تاريخ الفارابي الى تاريخيته** » الى أن الفارابي ليس مجرد ناقل أو شارح للفلسفة اليونانية ، وانما هو فيلسوف مبدع ؛ **ولهذا ففلسفته فلسفة فارابية** لكنها ليست بمعزل عن عصره وعن العالم المحيط به . اذ هو في رأي « **د . محمد عزيز الحبابي** » **فيلسوف ملتزم ومصلح**

وعن مدى اسهام الفارابي في تطوير الموسيقى العربية يأتي ذكر بحث د . **عادل البكري** « **قياسات النغم عند الفارابي** » وهو بحث استلزم وسائل ايضاح قام بها الموسيقار **سالم حسين** تجمع البحث بين النظرية والتطبيق ، وظهرت آثاره الشجية في الحفل الذي أحيته **الفرقة الموسيقية بمعهد الفنون الجميلة** استمعنا فيه الى ألحان الفارابي البديعة . وكان « **ابن أبي أصيبعة** » يقول عن الفارابي « **انه كان في علم صناعة الموسيقى وعملها قد وصل الى غايتها واتقانها اتقانا لا مزيد عليه ، ويذكر أنه صنع آلة غريبة يستمع منها الحانا بديعة** »
وفي ختام المهرجان صدر البيان التالي :

■ البيــان الختـامى لمهرجــان الفـارابى

انعقد فى بغداد **مهرجان الفارابى والحضارة الانسانية** برعاية **السيد رئيس الجمهورية العراقية أحمد حسن البكر** فى الفترة من ٢٩ ـ ١٠ ـ ١٩٧٥ الى ١ ـ ١١ ـ ١٩٧٥ وابتدأ الحفل الافتتاحى **بخطاب للسيد رئيس الجمهورية العراقية** اناب فى القائه عنه **الدكتور عزت مصطفى** عضو مجلس قيادة الثورة ووزير الصحة رحب فيه بالمشاركين وطرح فيه قضايا مصيرية تخص الامة العربية وبين موقف العراق منها ثم أعقبه السيد **رئيس جامعة بغداد** ممثلا عن وزارة التعليم العالى والبحث العلمى ثم تكلم السيد **رئيس المجمع العلمى العراقى** مرحبين بانعقاد المهرجان ومتمنيين له النجاح فى اعماله .

وتلاهما **رئيس الوفد السوفياتى** ممثلا عن وفود الدول الاشتراكية ثم **ممثل وفود الدول الاوربية وممثل الوفود العربية** فحيوا السيد ممثل السيد رئيس الجمهورية العراقية والسادة اعضاء القيادتين القومية والقطرية والسادة الوزراء واعضاء الهيئة العليا لمهرجان الفارابى شاكرين دعوتهم الكريمة مشيدين باهمية انعقاد مثل هذا المهرجان .

واعقب حفل الافتتاح انعقاد حلقات دراسية ثلاث تناولت الاولى منها : « **العلم والفلسفة والمنطق** » والثانية « **الادب والفن والانسانيات** » والثالثة « **الفارابى والثقافة العربية** » وقد بلغ مجموع البحوث التى قدمت فى الحلقات **الثلاث تسعة وعشرين بحثا** عدا البحوث الاخرى التى طبعت ووزعت على المساهمين فى المهرجان وتضمنت هذه الابحاث دراسات نقدية عن سيرة الفارابى وتحليل الجوانب النفسية والاجتماعية والثقافية فى حياته وابعاد تكوينه الفلسفى . وقد عالج المحاضرون المشكلات المنطقية واللغوية والفنية والاجتماعية والسياسية والطبيعية والالهية التى آثارتها .

واهتمت بعض الابحاث بصورة خاصة **بمجهود الفارابى فى الموسيقى** وكذلك عالج بعض الباحثين صلة الفارابى بعصره أى بالحضارة العربية الاسلامية فى العصر العباسى الثانى .. ومدى ما أسداه الفارابى من فضل على الثقافة الغربية ابان النهضة الاوربية على وجه الخصوص وبالجملة فقد دارت معظم ابحاث المهرجان حول **أصالة الفلسفة العربية عامة وفلسفة الفارابى** خاصة . وبيان صلة هذه الفلسفة بالمجتمع والحياة . وبالاضافة الى هذا تضمن منهاج المهرجان ازاحة الستار عن **تمثال الفارابى** فى متنزه الزوراء وأفتتاح معرض كتبه فى **مكتبة المتحف العراقى** والاستماع الى طرف من تراثه الموسيقى فى معهد الفنون الجميلة .

وفى ضوء ما قدم من ابحاث يختتم المشاركون مهرجانهم بالتوصيات التالية : ـ

١ ـ ضرورة تحقيق ونشر مصنفات الفارابى كاملة وتشجيع الدراسات التى تتناوله .

٢ ـ ضرورة عقد مهرجانات مماثلة عن الفلاسفة العرب الذين لم يحظوا بعناية كافية وان يكون هذا المهرجان باكورة مجهودات مقبلة لانصاف من لم ينصفهم التاريخ .

٣ ـ نظرا لاهمية الفلسفة فى تكوين رؤية واضحة لابعاد الواقع تستنير بتراث الامة وتستهدف آمالها **يوصى المشاركون بأن تكون مادة الفلسفة والمنطق ومناهج البحث مادة اساسية فى المرحلة الثانوية باقسامها العلمية والادبية وكذلك فى الكليات العملية .**

٤ ـ تبادل الخبرات الفلسفية بين المؤسسات والجامعات التى تعنى بالتراث الفلسفى العربى .

٥ ـ **تكوين جمعية عربية للدراسات الفلسفية** تعنى باهداف هذا المهرجان الخاصة والعامة يكون مقرها فى بغداد .

٦ ـ **انشاء مركز دولى لاحياء التراث الفلسفى العربى .**

٧ ـ رصد جوائز مالية تشجيعية لافضل التحقيقات والدراسات التى تتناول تراثنا الفلسفى .

فى العدد القادم من ملحق الفلسفة والعلم تنشر بعض بحوث مؤتمرى لاهور وبغداد

الحـــــزن

فى حيـــاة المـــرأة المصـــرية

دراســـة اجتمـاعية :

د٠ سيد عويس *

منَ الملاحظ انَ الشعب المصرى يحزن كثيرا٠ ان اعضاءه يبكــون اذا حزنوا ويبكــون كذلك اذا فرحوا ٠ ومشاعرهم الحزينـــة تبدو عميقة عمق ماتعكسه عيون امهـاتهم والنســاء فيه وحتى شاباته ٠ اما ماتعكسه هذه العيون فى معظم الاحيان مهما انفرجت الشـفاه ، يدمى القلوب وبخاصـــة قلوب الاطفـــال الصـــغار وبعض الرجال ٠ ولقد ابدع المجتمع المصرى على مر العصور وحتىوقتنا هذا نظما اجتماعية فريدة تنسق البكاء والصراخ « الصـــوات » مثل النظـــم التى خلقت دور « المعـــددة » أو دور « **الندابة** » أو دور « **ضاربة التار** » ٠ ولايخفى على المصرى الذى يعيــش فى القرى المصرية وكفورها وبخاصة فى الصعيد نظام « **البكوة** » حيث تجتمع النساء يومى الخميس والسبت من كل اسبوع لتبكين من ماتوا لهن بــكاء مستمرا على مر الايام والشهور والسنوات مادام الموت مستمرا على مر الايام والشهور والسنوات ٠ والمثـــل يقـــول « **يابخت من بكانى وبكى على ٠ ولا ضحكنى وضحك الناس على** » ٠

ونساؤنا اذا حزن لايكتفين بالبكاء ولكنهن يقلن كذلك الرثاء ٠ انهن يرثين من ماتوا من الشباب والاباء والامهـــات ومن تركـــوا يتامى او اطفالا ٠

اروح يا أخويا وأخرق القبر بالدبوس
وأخـــش عليـــك وأغـــير الملبـــوس
أروح يا أخويا وأخرق القبر بالابرة
وأخـــش عليـــك وأغـــير البدلـــة
ما احلى حبايبى فى الحى محـــلاهم
يا فانوس دهب والريـــح طفـــاهم
ما احلى حبايبى فى الحى ما احسنهم
يـــا فـــانوس دهب والريـــح كسرهم
يـــا امـــه يـــا طرحتى الـــزيتى
يا سائلة على يا أمـــة وأنا فى بيتى
أخويـــا القـــاسى ماتحننـــوا الا امى
نص الليالى تقـــوله خيبتك يـــا ابنى
مقهورة يا امه والقهر طلع على وشى
وخلا خلى البال يا امه مايشوفنشى
يـــا امـــه دا البخت لمـــا مـــال
كمـــا مـــال الســـرج على الخيـــال
والله انشيلونىيا أمهحمل الجمال لاشيل
وعيب يا أمه ان قلت حمـــل تقيل
ان شيلونى يا امهحمل الجمال لامشى
وعيب على يا امـــه ان قلت مقدرشى

واذا كان أكثر ما يحزن نساءنا موت الاقرباء المقربين والاقرباء غير المقربين وحتى مـــوت الغرباء ، فان ذلك مرجعه الى اننا شعب نكره الموت ونخشاه وان كنا لا نخشى موتانا لانا لا

---

* المستشار بالمركز القومى للبحـــوث الاجتماعية والجنائية ٠

خشى قيامتهم . وقد لاحظ ذلك ؟ **هردوت** » عندما زار مصرنا الخالدة فى القرن الخامس قبل مولد السيد المسيح ؛ ومصر يومئذ تحت حكم الفرس ، وعادات أهلها وخصائصهم وتقاليدهم ومظاهر حياتهم باقية كما كانت لم يغير منهـا الاحتـلال الفارسى . واستمرت هذه العادات والتقاليد وبخاصة ما تعلق منها بالنظرة نحو ظاهرة الموت ونحو الموتى حتى الان . لاحظ هردوت انه اذا ما مات احدهم لطخت كل نساء البيت الراس والوجه بالطين ، ثم يتركن الجثة فى الدار ، ويجلسن فى المدينه لاطمات وقد شمرن ، وكشـفن عـن صـدورهن، ومعهن كل قريباتهن. **أى أن عبء الحـزن على الامـوات كان ولا يزال على عاتق النساء المصريات.** ويبدو أن مظاهر الحزن عند النساء المصريات وتقاليد الندب قديما وحديثا انما ترجع الى أصل قديم ، نطـالع آثاره فى تلـك الاسطوره الخالدة المعروفة التى تصور لنا مأساة الشهداء عند آل فرعون « **أوزوريس** » واذا كانت أخناه « **ايزيس** » و « **نفتيس** » فى مقدمةالمحزونين لمصرعه ، فقد رمز المصريون اليهما بحـدائتين نواحتين ، تركع الاولى عند راسه وتضع يديها عليه . وتركع الأخرى عند قدميه وتضع يديها على صدرها . وتلك صورة مألوفة فى مناظر الجنازة التى رسمها القوم ، منذ الماضى السحيق ، فى قبور موتاهم ومن حولها صور لطوائف من النسـاء باكيات معولات صائحات ، وقد حلن شعلارهن وشقن جيوبهن ، وأرسلن دموعهن .

— ويؤكد استمرار الحزن ما جاء فى آيات الكتاب المقدس :

« طوبى لحزانى . لانهم يتعزون » [مت ٥: ٤] .

و « طوباكم أيها الجياع الان لانكم تشبعون . طوباكم أيها الباكون الان لانكم ستضحكون » [لو ٦ : ٢١] .

و «الحزن خير من الضحك لانه بكآبة الوجه يصلح القلب » [جا ٧ : ٣] .

— ونجد أن آيات الكتاب المقدس تؤكد الحزن على الاموات:

« وكمل له اربعون يوما . لانه هكذا تكمل أيام المحنطين . وبكى عليه المصريون سبعين يوما . » [تك ٥٠ : ٣] .

و «فلما رأى كل الجماعة ان هرون قد مات بكى جميع بيت اسرائيل على هرون ثلاثين يوما » . [عد ٢٠ : ٢٩] .

و « ورثا داود بهذه المرثاه شاول ويوناثان ابنه » [٢ صم ١ : ١٧] .

و « فقال داود ليوآب ولجميع الشعب الذى معه مزقوا ثيابكم وتمنطقوا بالمسـوح والطموا امام ابنير. وكان داود يمشى وراء النعش . ودفنوا ابنير فى حبرون . رفع الملك صوته وبكى على قبر انير وبكى جميع الشعب . » [٢ صم ٣ : ٣١ ، ٣٢] .

و «فانزعج الملك وصعد الى علية الباب وكان يبكى ويقول هكذا وهو يتمشى يا ابنى ابشالوم يا ابنى يا ليتنى مت عوضا عنك يا ابشالوم ابنى يا ابنى » . [٢ صم ١٨ : ٣٣] .

و «الذهاب الى بيت النوح خير من الدهاب الى بيت الوليمة لان ذاك نهايةكل انسان والحى يضعه فى قلبه. » [ج ٧ : ٢] .

و «.. لان الانسان ذاهب الى بيته الابدى والنادبون يطوفون فى السوق» [جا ١٢ : ٥] .

و « يا ابنة شعبى تنطقى بمسح وتمرغى فى الرماد. نوح وحيد اصنعى لنفسك مناحة مرة لان المخرب يأتى عليها بغتة» [أر ٦ : ٢٦] .

و « هـكذا قال رب الجنود . تأملوا وادعوا النادبات فيأتين وأرسلوا الى الحكيمات فيقبلن» [أر ٩ : ١٧] .

والملاحظ أنهقد ذكرت الموت بصورهوأنواعه فى مواضع عديدة ، فى أسفار الكتاب المقـدس وأصحاحاته . فنجد ذكره فى الايات المتعلقـة بالموت الطبيعى [٦٣ مرة] ، وبما يسمى بالموت الروحى [٢٩ مرة] ، وبما يسمى بالموت الابدى [٤٣ مرة ، وبموت المسـيح ٥٦ مرة] ، وبموت القديسين [٤٢ مرة] ، وبمـوت الاشرار [٤ مرة وبالموت العقـابى ٢٠ مـرة ، وبـالموت الجسدى [ست مرات] وبالموت للخطية [اربع مرات] ، فضلا عن آيات اخرى تتعلق بموضوع الميت [٢٤ مرة **أى أن الموت بأنواعه وصوره قد ذكر فى الكتاب المقدس ٣٣١ مرة ٣**] .

وعلى الرغم من موقف تعاليم الدين الاسلامى من النياحة أو النوح، وهو رفع الصوت بالبكاء ، فان نساءنا وأغلبيتهن من المسلمات ما زلن يفعلن ذلك . وصراحة تعاليم الدين الحنيف حول هذا الموضوع واضحة جلية . فعن ابى مالك الاشعرى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال« أربع فى أمتى من أمر الجاهلية لا يتركونهن : الفخر فى الاحساب والطعن فى الانساب والاسـتسقاء بالنجوم

والنياحة » . وقال « **النائحة اذا لم تتب قبل موتها** تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران، ودرع من جرب . » رواه **أحمد ومسلم** . [٤] واعتبر رفع الاصوات مع الجنازة من البدع القبيحة المذمومة التى يجب على القادرين منعهما ومن لم يمنعها مع القدره فسق . وقد قال صلى الله عليه وسلم « لا تتبع الجنازه بصوت ولا نار » رواه ابو عليه الصلاة والسلام « ان الله يحب الصمت عند عليه الصلاة والسلام « ان الله يحب الصمت عند ثلاث عند تلاوة القرآن وعند الزحف وعند الجنازة [٥] وعلى الرغم من ذلك نجد من علماء المسلمين المعاصرين من ينصح مريديه قائلا «واذا مات عندك شخص فلا تكلف نفسك الجلوس ثلاثة أيام فى مكان مخصوص مع صرف ما أنت محتاج اليه وتهمل اشغالك المطلوب تنجيزها وربما كان فى الورثة من لم يبلغ الحلم **كما يقع من غالب الناس وجدت بهم عوائدهم** وينظر بعضهم الى بعض فى ذلك وربما تداينوا بالربا او باعوا ما هم مضطرون اليه وهذا ونحوه تأباه الشريعة المطهرة فعليك أيها العاقل بالوارد واترك كل ذلك فانه وبال . **وامنع نساءك من الصياح واللطم ونحو ذلك والخروج الى المقابر ..** فان خروج النساء من أكبر المضرات . » [٦] . ويعنى كل ذلك أن العادات الاجتماعية والتقاليد المتعلقة بموضوع ظاهرة الموت والموتى ، على الرغم من التعاليم الدينية الاسلامية ، وبخاصة ما تعلق منها بدور السيدات المصريات المعاصرات ، ما زالت تعيش فى مجتمعنا المعاصر .

ويبدو أن الحزن عند المصرين بعامة وعند المصريات بخاصة صفة حميدة وبخاصة عند التوبة من الذنب أو الاستغفار« فاذا أردت التربة فينبغى لك أن لا تخلو من التفكر طول عمرك فتنتظر فيما صنعت فى نهارك فان وجدت طاعة فاشكر الله تعالى عليها ، وان وجدت معصية فوبخ نفسك عليها واستغفر الله وتب اليه فانه لا انفع لك من مجلس توبخ فيه نفسك **ولا توبخها وانت ضاحك بل وبخها وأنت مجد صادق حزين القلب ذليل** ، فاذا فعلت ذلك ابدل الله تعالى الحزن فرحا والذل عزا والظلمة نورا والحجاب كشفا » . [٧] .

ويجوز للمرأة ان تحد على قريبها الميت ثلاثة أيام ما لم يمنعها زوجها . ويحرم عليها أن تحد عليه فوق ذلك ، الا اذا كان الميت زوجها ، فيجب عليها أن تحد عليه مدة العدة . وهى أربعة أشهر وعشر . لما رواه الجماعة الا الترمذى عن أم عطية أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «لا تحد المرأة على ميت فوق ثلاث الا على زوج فانها تحد عليه اربعة اشهر وعشرا . ولا تلبس ثوبا مصبوغا ، الا ثوب عصب [برود يمانيه] ، ولا تكتحل ، ولا تمس طيبا ، ولا تختضب ، ولا تمتشط الا اذا طهرت ، تمس نبذة [قطعة] من قسط أو اظفار [نوعان من العود الذى يتطيب به » . والحزن هنا ، أى حزن المرأة . يعنى ترك ما تتزين به من الحلى والكحل والحرير والطيب والخضاب . **ويقع عبؤه على عاتق المرأة مدة العدة من أجل الوفاء للزوج ، ومراعاة لحقه .** [٨] .

ولا يكون الحزن فى هذه المناسبات فحسب بل يبدو أن حزن المسلم أمر مطلوب فقد رغب الاسلام فى البكاء من خشية الله تعالى:

« عن ابى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله ، الامام العادل وشاب نشأ فى عبادة الله عز وجل ورجل قلبه معلق بالمساجد ورجلان تحابا فى الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال انى أخاف الله **ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه** ، رواه البخارى ومسلم وغيرها . »

و «عن انس رضى الله عنه قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت مثلها قط فقال « لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا » فغطى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم ولهم خنين [يخفون البكاء] ، متفق عليه . »

و «عن أبى ذر رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم» انى أرى ما لا ترون أطت السماء [فتح الهمزة وتشديد الطاء و «تئط» بفتح التاء وبعدها همزة مكسورة . والاطيط صوت الرجل والقتب وشبهما ومعناه أن كثرة من فى السماء من الملائكة العابدين قد أثقلتها حتى أطت] وحق لها ان تئط ما فيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته ساجدا لله تعالى [خاضعا شاكرا] . والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم الى الصعدات [بضم الصاد والعين : الطرقات] تجأرون [تستغيثون] الى الله تعالى، رواه الترمذى وقال حديث حسن » .

و « عن انس رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : من ذكر الله ففاضت عيناه من خشية الله **حتى يصيب الارض من دموعه** لم يعذب يوم القيامة . رواه الحاكم وقال صحيح الاسناد » .

و«روى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال لما نزلت الاية [أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون [٥٩ — ٦٠ ك النجم : ٥٣]، بكى أصحاب الصفة حتى جرت دموعهم على خدودهم

فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم حسهم بكى معهم فبكينا ببكائه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يلج النار من بكى من خشية الله ولا يدخل الجنة مصر على معصية الله ولو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون فيغفر لهم. رواه البيهقى » .

و « عن مطرف عن أبيه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى ولصدره أزيز كأزيز الرحا من البكاء رواه أبو داود ، واللفظ له والنسائى وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحهما . وقال بعضهم ولجوفه ازيز كأزيز المرجل . قوله [ازيز كأزيز الرحا] أى صوت الرحا يقال أزت الرحا اذا صوتت والمرجل القدر ومعناه ان لجوفه جنينا كصوت غليان القدر اذا اشتد » .

و « عن ثوبان رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « طوبى لمن ملك لسانه ووسعه بيته وبكى على خطيئته . رواه الطبرانى فى الاوسط والصغير وحسن اسناده » .

واذا كانت تعاليم الاسلام ترغب فى البكاء من خشية الله تعالى ، أو تكفيرا عن الخطيئة ، فانها اكدت ايضا الترغيب فى ذكر الموت . وقد تعددت الاحاديث النبوية فى هذا الموضوع ، نذكر منها :

« عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثروا ذكر هازم اللذات ، يعنى الموت . رواه ابن ماجه والترمذى وحسنه ورواه الطبرانى فى الاوسط باسناد حسن وابن حبان فى صحيحه وزاد : فانه ما ذكره أحد فى ضيق الا وسعة ولا ذكره فى سعة الا ضيقها عليه » .

و « روى عن عثمان رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : كفى بالموت واعظا وكفى باليقين غنى . رواه الطبرانى » .

و « عن عبد الله بن عمر قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض جسدى فقال : كن فى الدنيا كأنك غريب او عابر سبيل وعد نفسك فى أصحاب القبور . وقال لى يا ابن عمر : اذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء واذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح وخذ من صحتك قبل سقمك ومن حياتك قبل موتك فانك لا تدرى يا عبد الله ما اسمك غدا . رواه البيهقى وغيره نحو الترمذى » .

وذكر الموت هازم اللذات لا يعنى تمنيه ، فعن أم الفضل رضى الله عنها :

« ان النبى صلى الله عليه وسلم دخل على العباس وهو يشتكى فتمنى الموت فقال : يا عباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تتمن الموت ان كنت محسنا تزداد احسانا الى احسانك خير لك وان كنت مسيئا فان تؤخر تستعتب من اساءتك خير لك وان كنت مسيئا لا تتمن الموت. رواه احمد والحاكم واللفظ له وهو اتم وقال صحيح على شرطهما » .

اى ان الاسلام يكره للمرء ان يتمنى الموت او يدعو به لفقر أو مرض أو محنة أو نحو ذلك . ومع ذلك فان تمنى المسلم الموت والدعاء به جائز اذا خاف ذهاب شيء من دينه قال تعالى مخبرا عن قول يوسف عليه الصلاة والسلام لما نال الرسالة والملك : « توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين » [١٢ ك يوسف ، ١٠١]. وقالت مريم عليها السلام « يا ليتنى مت قبل هذا » [١٩ ك مريم : ٢٣] وروى الامام مالك رضى الله عنه عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول : يا ليتنى مكانه » . وقد جعل الله الموت من اعظم المصائب ، وقد سماه الله تعالى مصيبة فى قوله تعالى : « فأصابتكم مصيبة الموت » [٥ م المائدة : ١٠٦]. وقد ذكر الموت ، لفظه ومشتقاته فى مواضع عديدة فى القرآن . وقد ذكر فى سور القرآن الكريم وآياته ١٦٥ مرة [١١] .

وقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن زيارة القبور نهيا عاما للرجال وللنساء ، ثم أذن للرجال فى زيارتها واستمر النهى فى حق النساء . وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج . رواه ابو داود والترمذى وحسنه . وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن زوارات القبور ، رواه الترمذى وابن ماجه أيضا [١٢] .

ومع ذلك فأننا نجد فى ضوء التراث الثقافى المصرى القديم ان النساء المصريات المعاصرات يزرن المقابر ، مقابر الاقرباء المقربين وغير المقربين ، ومقابر الاولياء والقديسين ، ومقابر غير اولئك هؤلاء . فالملاحظ ان تقاليد زيارة القبور قد بدأت منذ العصور القديمة واستمرت حتى الان . أى أنا ورثناها اجتماعيا وثقافيا من الماضى السحيق . فنحن نزور موتانا ، الاقرباء وغير الاقرباء ، فى المواسم وغير المواسم للصلاة لهم او للدعاء لهم ، او لتوزيع الصدقات . وقد يصل أمر زيارة الموتى الى المبيت فى مقابرهم . وفى ضوء

الظروف المعاشية المعاصرة لمدينة القاهرة نجد الكثيرين يسكنون في هذه المقابر . أي انهم يعيشون حياتهم العادية وما يكتنفها من أمور انسانية ومواقف بشرية في مقابر الموتى ».

وقد سجل التاريخ المصرى منذ القرن العشرين ق . م تقاليد زيارة الاحياء لمقابر الموتى ، وفي خلال الاعياد التي كان يحتفل بها في المدينة الاقليمية التي كان يحكمها الشريف الثرى « حبزافي » الاسيوطي. وكان الاحتفال بهذه الاعياد يعم الاحياء والاموات على السواء. وهو يشاهد مثل ذلك الى اليوم بالجبانات الاسلامية في مصر في عيد الفطر وباقي الاعياد الاسلامية . ولعل هذا النوع من الاحتفال ان يعتبر أقدم مثال للاحتفال بيوم عيد « كل الارواح » المسيحى All. Souls Day في كل عام .

وفي ضوء كل ما سبق يتأكد لنا ان **الحزن والبكاء، وبخاصة الحزن على الاموات والبكاء عليهم ورثائهم ، والنظم التي تنسق كل ذلك سواء كانت نظما يقرها الدين المسيحى أو يقرها الدين الاسلامى والتي لا يقرها دين — هي كلها عادات اجتماعية ثقافية قديمة قدم الدهر ومستمرة حتى الان** . والملاحظ أن عبء الاحتفاظ بها يقع على عاتق النساء المصريات . فهن الباكيات النائحات ، الراثيات، الحزينات، الحريصات على زيارة القبور. **أي هن حاملات هذا التراث وحافظاته في معظم الاحيان** ».

وقد تأكد استمرار هذه العادات الاجتماعية الثقافية في ضوء نتائج دراسة قمت بها عن « نظرة » القادة الثقافيين المصريين المعاصريين نحو ظاهرة الموت ونحو الموتى » . أي انها تهدف الى التعرف على نظرة فئة معينة من المصريين الذين يؤهلهم المجتمع المصرى المعاصر ليؤدوا مهام القادة الثقافيين في هذا المجتمع ، نحو ظاهرة الموت ونحو الموتى . أى التعرف على معنى الموت عندهم وعلى مادى اعتقادهم في وجود أو عدم وجود حياة بعد الموت او حياة في القبر او حياة في الاخرة ، وعلى مدى خوفهم من ظاهرة الموت أو عدم خوفهم منها ومدى كراهيتهم لهذه الظاهرة أو عدم كراهيتهم لها والتعرف أيضا على أحاسيسهم عندما يموت أقاربهم أو الغرباء عنهم وعلى مدى اهتمامهم بأداء واجبات معينة نحو الموتى والاقارب المقربين أو الموتى الاقارب الاخرين أو الموتى الغرباء او الموتى من اوليا الله او القديسين . والتعرف كذلك على مدى تأثير الموتى عليهم سواء كان هؤلاء الموتى موتى أقارب أو موتى من أولياء الله او القديسين أو أشخاصا ماتوا ميتة غير طبيعية . واذا كانت نتائج هذه الدراسة قد أكدت استمرار العادات الاجتماعية الثقافية المتعلقة بالنظرة نحو ظاهرة الموت ونحو الموتى في المجتمع المصرى المعاصر في محيط هؤلاء القادة الثقافيين فمن باب أولى ان يكون استمرارها في محيط أعضاء المجتمع في القطاعات الاخرى . بل ان خطرها ان وجد هذا الخطر في هذه الحالة يتزايد . **باعتبار أن تأثير القادة** أو من في حكمهم في تأكيد الاستمرار جيلا بعد جيل سيكون بالغا. ■

الواقع الايديولوجى لليمين المصرى

اذا كان كل ما يردده كتاب اليمين من انحرافات هو مجرد انعكاس طبيعى لواقع ايديولوجى مستمد بالضرورة من انتماء لمصالح طبقية محددة فان « يوسف الحجاجى » يقدم هذه المحاولة لدراسة « الواقع الايديولوجى لليمين المصرى » .

يوسف الحجاجى *

قبيل الخمسينات ، على وجه التحديد ، وعندما كانت بوادر النضال السياسى تظهر بصورة واضحة وتشق المطالب الاجتماعية طريقها شهدت مصر اكبر سيل من تدفق الكتب الواردة من الخارج والتى كانت تحمل طابعا معينا يصور « **الماركسية** » على انها الفكر الذى يقوم على « الانحلال » و « الكفر والفساد » وكان من ابرز هذه الكتب التى تدفقت علينا ما يحمل اسم « **الشيوعية والجنس** » و « **الشيوعية واليهودية** » و « **الشيوعية والالحاد** » و « **الشيوعية والاسرة** » **الخ** .

وفى غضون هذه المراحل ، وفى عام ١٩٤٧ ظهر كتاب مترجم بعنوان « **آثرت الحرية** » للمؤلف فيكتور كرافتشنكو ، وفيه يصور المؤلف من وجهة نظره قصة اضطهاد الحريات فى المجتمع السوفيتى ، وكتاب « **الرد على الماركسيين** » تأليف وليم « كرافتشنكو » ، وكتاب « الماركسية والغزو الفكرى » لجلال كشك . ولاجدال فى ان هذه الكتب لاقت بعض الرواج والانتشار تحت دافع التعطش الى معرفة الواقع الاشتراكى ، وخاصة ان مصر اخذت تجتاز مراحل من التحولات الاقتصادية والاجتماعية خصوصا منذ قوانين يوليو ١٩٦١ .

الرأسمالية بين الماضى والحاضر

وللانصاف يجدر بنا أن نتساءل :

هل كان ذلك هو الاسلوب التى اتبعته الاوساط العلمية فى مجتمعات الرأسمالية العالمية ؟ او بمعنى آخر ، هل كانت هذه الكتب هى الغذاء الثقافى الذى يقدم للرجل الاوربى المستنير لكى يعقد المقارنة بين ما يحدث داخل المجتمع الراسمالى وبين ما يحدث داخل المجتمع الاشتراكى ، وقبل ان نجيب على هذا الاستفسار نعود الى واقع

* كاتب بجريدة المساء

الرأسمالية التى لم تعد بالصورة التقليدية القديمة التى شهدها العالم قبيل ازمة الكساد العظيم الذى واجه العالم عام ١٩٢٩ حتى ظهور تدخل الدولة فى عهد الرئيس الامريكى الاسبق « **تيودور روزفلت** » . فلقد أصبح هذا التدخل هو الامر الواقع غداة « **التحليل الكنزى** » للنظام الرأسمالى ، وظهور ما يسمى بنظريات « **الرأسمالية الموجهة** » ، فلقد انتقلت الرأسمالية بهذه التحليلات الى ظهور السلطة بنشاطها المالى ، وأصبحت الدولة هى « **المستهلك** » و « **المنتج** » و « **المستثمر** » فى أغلب القطاعات والانشطة الاقتصادية . ولم تعد الدولة فى هذا النظام ، تقوم فقط بجباية الضرائب ، بل وتسيطر على بعض مصادر « **التمويل** » و « **الائتمان** » والنقد وحماية الانتاج المحلى فى أوضاع الاهتزازات الاقتصادية . ثم امتد الامر الى المدى الذى اصبحت فيه الدولة وميزانيتها تشكل ما يقرب من ربع الدخل القومى فى هذه المجتمعات . واصبح هذا التدخل هو الامر المسلم به فى نطاق استثمار الدولة ؛ للحفاظ على مستوى معين من « **التوظف** » ، واستخدمت كافة الاساليب العلمية والرياضية للتنبؤ بمجريات الامور ، واحداث ما يسمى « **بالفجوة التضخمية** » او « **الفجوة الانكماشية** » ، وأثر كل منهما على الاجور والاسعار والانتاج . وفى هذا الصدد يقرر احد الاقتصاديين السوفييت فى كتيب صغير بعنوان : « **الاقتصاد القياسى السوق والخطة** » الطبعة الانجليزية «موسكو ١٩٧١ » بأنه من الخطأ أن نعتبر أن هذه الخطوات لا فاعلية لها فى نطاق النشاط الرأسمالى ، ولكن يجب ألا نغالى فى تقدير فاعليتها فى مواجهة الازمات الرأسمالية .

غير أن الرأسمالية لم تقف عند هذا المدى ، بل عكفت مؤسسات البحث العلمى والاكاديميات فى الولايات المتحدة على دراسات عميقة للاقتصاد الماركسى ، وهى تبحث فى « الماركسية » ـ ومازالت حتى وقتنا هذا ـ على انها علم تحليل الظواهر الاقتصادية وأزمات الكساد والبطالة . وهى تدخل مع التحليل الماركسى فى جدل عنيف لكى تستفيد منه وتحول فى نفس الوقت دون وقوع مزيد من الازمات التى تمسك بخناق الرأسمالية العالمية . وقد شهدت السنوات الاخيرة أعمق الدراسات وأخصبها فى مجال المقارنة بين « التحليل الكينزى » للازمة « **والتحليل الماركسى** » ومدى قدرة التحليل الماركسى على التصدى لتحليل الازمة الراهنة للمجتمعات الرأسمالية ، ومن أبرز هذه المؤلفات المجلد الضخم الذى اشترك فيه مجموعة من الباحثين والعلماء فى نطاق التحليل الاقتصادى . وتضم هذه المجموعة عناصر متباينة فى اتجاهاتها التحليلية ، منهم من يتبنى « التحليل الكينزى » ، ومنهم من يتبنى التحليل الماركسى وقد اصدر هذا المجلد الباحث والناشر الامريكى « **دافيد هوروتيز** » بعنوان « **ماركس والاقتصاد الحديث** » الطبعة الامريكية [١٩٦٨] ، وضم هذه الصفوة من العلماء والمتخصصين : ـ « **موريس دوب** » ماركسى الاتجاه فى نطاق التحليل الاقتصادى « **لورنس كلاين** » كينزى الاتجاه وهو من اشهر علماء الاقتصاد القياسى فى الولايات المتحدة الامريكية ـ « **ليونتييف** » عالم الاقتصاد الامريكى والحائز على نوبل فى العلوم الاقتصادية ـ « **فان هانج** » الاقتصادى الامريكى المعروف ، « **اوسكار لانج** » عالم التخطيط البولندى الشهير . وفى هذا المجلد الذى يضم اكبر علماء التحليل فى القرن العشرين ينفرد الاقتصادى «فان هانج يقوم بدراسة عميقة للغاية حول نظريات « **ماركس** » و « **كينز** » فى تراكم رأس المال والنقود و « سعر الفائدة » ويستخدم فى تحليلاته أعمق الصيغ الرياضية ، ثم يتابع « لورنس كلاين نفس الاتجاه فى بحثه عن « الكنزية » واثرها ، ثم الماركسية وأثرها ايضا فى مجال الواقع والنظرية

اتجاهات جديدة

وفى خلال هذه المراحل ، ايضا ، ظهرت ابرز التحليلات الاقتصادية التى أصبحت تعول فى اتجاهها على نماذج التنبؤ والتحليلات الرياضية ومن أبرز علماء هذا الاتجاه العالم الامريكى المعروف « **بول سامسون** » ثم « **جون هيكس** » .. « **هارود** » « **تنتز** » ـ ويحصر هؤلاء العلماء كل جهودهم لصياغة نماذج رياضية لكثير من المشاكل الاقتصادية ـ ثم برز فى نفس الاتجاه اتجاه الاقتصاد الرياضى الذى احتل مكانة بارزة فى المجتمعات الرأسمالية . ومن أبرز علماء هذا التحليل « **شيانج** » والذى يعمل ـ حاليا ـ فى الولايات المتحدة الامريكية . وبرز هذا الاتجاه فى كتابه الضخم « **الطرق الاساسية فى الاقتصاد الرياضى** » « الطبعة الامريكية » « **ماجرو هيل** » ، أما « **بول سامسون** » فهو من أشهر علماء القرن العشرين فى نطاق هذه التحليلات وقد برز هذا فى كتابه « **اقتصاديات سامسون** » « الطبعة الامريكية السابعة » وفى هذا الكتاب يحلل « **سامسون** » **دور الدولة فى النطاق الاقتصادى** ، ثم واقع الازمات الحالية ثم يفرد صفحات طويلة لمناقشة « **التحليل الماركسى** » لواقع الازمات الجارية فى ظل المجتمع الرأسمالى . ثم يشير فى أتجاهه الى « **البطالة التكنولوجية** » وأثرها ودور الدولة فى هذا الاتجاه ـ ومن خلال هذه الجهود أصبحت

التحليلات الرياضية تحتل مكانا بارزا ، وقد تمثل هذا في مؤلف ترجم الى اغلب لغات العالم ... الى « الروسية » و « الالمانية » و « الفرنسية » و « الكورية » ونقصد به كتاب « تنتر » الشهير « **الرياضيات والاحصاء للاقتصاديين** » — الطبعة الامريكية الثانية — « ١٩٦٩ » .

ويعتبر « تنتر » من ابرز علماء الاقتصاد في نطاق هذا التحليل فهو عالم واستاذ مميز للاقتصاديات والرياضيات بجامعة « كاليفورنيا » ويستخدم « تنتر » التحليلات العالية بداء من « المتواليات الهندسية » حتى « الاحتمالات » لكثير من المشاكل الاقتصادية مثل مشاكل : « النفقة » و « الاحتكار » و « السوق » و « الانتاج » و « مرونة الطلب » . ومن خلال الحلول للمعادلات التفاضلية والمعادلات التفاضلية الجزئية ، أمكن التوصل الى حلول لبعض هذه المشاكل ..

● لم تعد الرأسمالية — اذن — في ثوبها القديم . هذه حقيقة تبرز في كثير من المؤلفات الاقتصادية . وتبرز أيضا من خلال « احتكار » الدولة لكثير من المرافق والانشطة والخدمات . ثم أن هناك حقيقة أخرى تفيد بأن سيل الكتب الرخيصة والصفراء التي كانت تبعثها الينا وكالة المخابرات الامريكية لم يعد لها وجود أو أثر حتى في نطاق المجتمعات الرأسمالية . فهذه النشرات ، وان كان اثرها قد اختفى — أو يكاد — من العالم الراسمالي الا انها موجودة بالفعل عندنا وتمارس أثرها الفعال في مصر وفي عقول كثيرة ومن جانب من نسميهم « **باليمين الرجعي المصري** » . وهو يمين قد افلس فكريا ، وابرز مظاهر هذا الافلاس ما تحتويه كتاباتهم — حتى ذلك الوقت — حول « **الماركسية** » و**الالحاد — الماركسية والجنس** ... الخ ، وعندما نقول ان « الافلاس » هو ما تبقى لليمين الرجعي فليس في هذا اى شيء من الاهانة او التجني . فهاهو « بول ساملسون » يقول في كتابه الذي أشرنا اليه آنفا : « **ان الاسماء العظيمة في الماضي « آدم سميث » « الفريد مارشال » « ريكاردو » « ماركس » تشارك مع الاسماء الكبيرة الحالية الحوار والجدل حول المشاكل الاقتصادية الراهنة ومن هذه الاسماء الحالية : « جالبرث » و « فردمان » و « بيرنر » و « توبين » و « كيندلر بيرجر » و « هايك » وغيرهم من علماء العصر** » .

ومن الطبيعي ان عالما كبيرا مثل « ساملسون » يختلف في تحليله مع الماركسية ولكنه — كعالم — باحث ينأى عن مثل هذه المهاترات التي ينزلق اليها من نسميهم باليمين الرجعي .

من هنا يحق لنا أن نصنف ما يسمى باليمين المصري الى شريحتين :

● **شريحة اصحاب المصالح** ، وهي شريحة موجودة ومتفشية لها تطلعاتها الاقتصادية وهي تفسر « الانفتاح » الحالي على انه مزيد من تجارة السلع المستوردة — هذه الشريحة من طوائف « **البرجوازية الصغيرة** » في مصر التي لا تمثل « طبقة » محددة القسمات بقدر ما تمثل اتجاهات فردية متناثرة قوامها التطلع الفردي ، ولو كان ذلك بالقضاء على اية تحولات اجتماعية تمت لصالح الجماهير .

● **شريحة ما يسمون انفسهم باليمين** ، وهؤلاء من الظلم ان يطلق عليهم اسم « اليمين » على غرار اليمين العلماني المنتشر في المجتمعات الاوربيه التي وصلت الى مراحل متقدمة من النضج والتطور . فاليمين في هذه المجتمعات الصناعيه الكبرى هو الذي اسهم في تطوير التراث الانساني في مجالات الفلسفة والعلم .

من خلال هذا يتبين لنا بوضوح أن اليمين المصري عندما يشاهد **انقراضه** لابد وان يحارب « **الفكر المستورد** » ، وبالذات « **الفكر الماركسي** » .

الدارونية واليمن المصرى

واذا ما تركنا هذه الامور جانبا ، يجدر بنا أن نستفسر عن حقيقة الخوف المرضى الذي يصيب اليمين المصري عندما تثار قضية التطور او « **الدارونيه** » على وجه العموم ، ولا جدال في أن هذه العناصر لا تعرف من مفهوم التطور الا ابسط القشور التي تؤكد لهم دائما بأن « **دارون** » كان رجلا ملحدا ، رد اصل الانسان الى القردة !!

والشيء المؤسف هنا أن ما نسميهم باليمين في مصر يشوهون « الدارونية » بنفس الصورة التي تشوه بها « الماركسية » ، وهم لا يعرفون من رحلة « **دارون** » الطويلة التي استغرقت اكثر من اربعة أعوام ١٨٣١ — ١٨٣٦ الا خصائص الالحاد ، والواقع أن العالم المتقدم تجاوز بالفعل هذا التفسير ، واصبحت قضية « **التطور البيولوجي** » هي الظاهرة المسلم بها من جانب علماء الوراثة والتطور في كل بلدان العالم . وبغض النظر عن معتقدات هؤلاء العلماء الفردية أو انتماءاتهم المذهبية ، فمن « **جوليان هكسلي** » عالم التطور البريطاني الشهير ذو النزعة الالحادية الواضحة في كثير من كتاباته الى « **تيودوسيسوس دو بجانسكي** » عالم الوراثة الشهير بمعهد « روكفلر » بالولايات المتحدة الامريكية وهو ذو نزعة دينية كلاهما ينظر الى التطور على انه ظاهرة مسلم بها . ولم يعد الحاد داروين هو ما يشغل العالم المتحضر بقدر ما تشغله قضية التطور [علم الاجنة والتشريح المقارن والحفريات وعلم الوراثة وعلم وظائف الاعضاء] وهو ما يضيق المقام عن ذكره .



الديالكتيك

« هذا المصطلح ليس واضح المعنى »

هذه العبارة وردت فى ختام أعمال المؤتمر الرابع عشر للجمعيات الفلسفية الناطقة باللغة الفرنسية الذى انعقد فى نيس فى سبتمبر عام ١٩٦٩

والمعجم الفلسفى للالاند يطرح معان ستة للفظ ديالكتيك .

اما هيجل فيحدد الديالكتيك بانه اقرار لوحدة المتناقضات ، وينعت اللحظة الديالكتيكية بأنها التناقض ذاته وبانها الانتقال من معنى الى نقيض هذا المعنى. ومن ثم لم يعد الديالكتيك [كما هو فى أصله اللغوى] فن الحوار او تكنيك مقارعة الحجة بالحجة ، وانما هو حركة الواقع المتطور ، بل هو منهج للتفكير يبدأ بقضية ويثنى بنقيضها ثم يرفع هذا التناقض بقضية ثالثة .

والديالكتيك الماركسى على اتفاق وافتراق مع هيجل :

هو على اتفاق من حيث أن ماركس مثل هيجل ، يتصور كلا من الواقع والفكر على أنه فى حركة متواصلة لا تقف عند التحديد ولا عند سلب هذا التحديد .
وهو على افتراق معه من حيث أن ماركس يرفض « الاساس المثالى » لديالكتيك هيجل الذى من شأنه أن يعزل الديالكتيك عن الواقع .وبديل هذا الرفض القول بان الديالكتيك هو حركة العلاقة بين الذات والموضوع التى تتم من خلال العمل والنشاط الاقتصادى . وبذلك يضع ماركس « أساسا ماديا » بديلا عن الاساس المثالى . وهذا ما يسمى فى التراث الماركسى «بالمادية الديالكتيكية» [الجدلية] .

والديالكتيك ، من جهة » هو قانون الفكر . فالفكرة من حيث هى قضية يلزم عنها نقيضها ، ورفع هذا التناقض ينتج عنه فكرة هى مركب الفكرتين معا . ولهذا فليس ثمة حقيقة مطلقة ثابتة .

والديالكتيك ، من جهة أخرى ، هو العلاقة بين الفكر والواقع .ولهذا السبب ينقد ماركس ديالكتيك هيجل من حيث أنه ينحل الى حركة مجردة فينغلق الفكر على ذاته .والمخرج من هذا المأزق هو فى اقرار العلاقة الحميمة بين المعرفة وتطور الواقع .

والنتيجة ان الديالكتيك هو قانون الفكر وقانون الواقع فى آن واحد . يقول ماركس فى مقدمة الطبعة الثانية الالمانية لكتاب رأس المال :

« ان منهجى الديالكتيكى لايختلف فى أساسه عن منهج هيجل فحسب ، بل هو مضاد له تماما . فعند هيجل حركة الفكر صانعة الواقع، والواقع ليس الا الصورة الظاهرية للفكرة . أما أنا فعلى الضد من هيجل حيث الفكر عندى ، ليس الا انعكاسا للحركة المنقولة والموضوعة فى دماغ البشر » [رأس المال ، جـ ١ ، ص ٢٩]

وقد طور انجلز مفهوم العملية الديالكتيكية فاضاف مبدأ « الانتقال من الكم الى الكيف» ومبدأ « نفى النفى » .

اما ستالين فقد بلور مبادىء الديالكتيك فى كتابه « المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية » على النحو التالى :

- مبدأ التأثير المتبادل والترابط الكلى بمعنى أن الطبيعة كل موحد ومتسق حيث الظواهر الاقتصادية والسياسية والاجتماعية مترابطة
- قانون التغير الكلى والتطور المتواصل
- قانون التغير الكيفى والحركة الصاعدة من البسيط الى المركب ومن الادنى الى الاعلى .
- قانون صراع الاضداد . □

آفاق عربية

آفاق عربية

مجلة فكرية شهرية عامة

رئيس التحرير : شفيق الكمالي

المراسلات :

مجلة آفاق عربية - الصرافية -

بغداد

هاتف ٢٢٠١٢ - ٢٢٠١١

صندوق بريد : ٤٠٣٢ (أعظمية)

تلغرافيا : فاق - عراق



الثمن ١٥ قرشا


Bibliotheca Alexandrina
0531969